شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

(١-٢٠)

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحیم

شرح نهج البلاغة

كاتب:

ابن ابى الحديد معتزلى

نشرت فى الطباعة:

كتابخانه آيت الله مرعشى نجفى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

شرح نهج البلاغة المجلد ۱ الی ۲۰

اشارة

شماره بازیابی : ۶-۲۵۵۴۵ سرشناسه : ابی‌الحدیدمعتزلی عنوان و نام پدیدآور : شرح‌نهج‌البلاغه‌حریری[چاپ سنگی] ؛ کاتب : محمدخوانساری وضعیت نشر : : کتابخانه آیت‌الله مرعشی نجفی، ۱۳۰۴ مشخصات ظاهری : ۵۸۷ص. یادداشت : زبان : عربی

المجلد ۱

الجزء الأول

اشاره

[صفحه ۳]

المقدمة

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل الحمد لله ألذى تفرد بالكمال فكل كامل سواه منقوص واستوعب عموم المحامد والممادح فكل ذى عموم عداه مخصوص ألذى وزع منفسات نعمه بين من يشاء من خلقه واقتضت حكمته أن نافس الحاذق فى حذقه فاحتسب به عليه من رزقه وزوى الدنيا عن الفضلاء فلم يأخذها الشريف بشرفه و لاالسابق بسبقه وقدم المفضول على الأفضل لمصلحة اقتضاها التكليف واختص الأفضل من جلائل المآثر ونفائس المفاخر بما يعظم عن التشبيه ويجل عن التكييف وصلى الله على رسوله محمد ألذى المكنى عنه شعاع من شمسه وغصن من غرسه وقوة من قوى نفسه ومنسوب إليه نسبة الغد إلى يومه واليوم إلى أمسه فما هما إلاسابق ولاحق وقائد وسائق وساكت وناطق ومجل ومصل سبقا لمحة البارق وأنارا سدفة الغاسق صلى الله عليهما مااستخلب خبير وتناوح حراء وثبير. و بعد فإن مراسم المولى الوزير الأعظم الصاحب الصدر الكبير المعظم العالم العادل المظفر المنصور المجاهد المرابط مؤيد الدين عضد الإسلام سيد وزراء الشرق والغرب أبى طالب [صفحه ۴] محمد بن أحمد بن محمدالعلقمى نصير أمير المؤمنين أسبغ الله عليه من ملابس النعم أضفاها وأحله من مراقب السعادة ومراتب السيادة أشرفها وأعلاها لماشرفت عبدبدولته وربيب نعمته بالاهتمام بشرح نهج البلاغة على صاحبه أفضل الصلوات ولذكره أطيب التحيات بادر إلى ذلك مبادرة من بعثه من قبل عزم ثم حمله أمر جزم وشرع فيه بادى الرأى شروع مختصر و على ذكر الغريب والمعنى مقتصر ثم تعقب الفكر فرأى أن هذه النغبة لاتشفى أواما و لاتزيد الحائم إلاحياما فتنكب ذلك المسلك ورفض ذلك المنهج وبسط القول فى شرحه بسطا اشتمل على الغريب والمعانى وعلم البيان و ماعساه يشتبه ويشكل من الإعراب والتصريف وأورد فى كل موضع مايطابقه من النظائر والأشباه نثرا ونظما وذكر مايتضمنه من السير والوقائع والأحداث فصلا فصلا وأشار إلى ماينطوى عليه من دقائق علم التوحيد والعدل إشارة خفيفة ولوح إلى مايستدعى الشرح ذكره من الأنساب والأمثال والنكت تلويحات لطيفة ورصعه من المواعظ الزهدية والزواجر الدينية والحكم النفسية والآداب الخلقية المناسبة لفقره والمشاكلة لدرره والمنتظمة مع معانيه فى سمط والمتسقة مع جواهره فى لط بما يهزأ بشنوف النضار ويخجل قطع الروض غب

القطار وأوضح مايومئ إليه من المسائل الفقهيـة وبرهن على أن كثيرا من فصوله داخل فى باب المعجزات المحمديـة لاشتمالها على [صفحه ۵] الأخبار الغيبية وخروجها عن وسع الطبيعة البشرية و بين من مقامات العارفين التى يرمز إليها فى كلامه ما لايعقله إلاالعالمون و لايـدركه إلاالروحانيون المقربون وكشف عن مقاصده ع فى لفظة يرسلها ومعضلة يكنى عنها وغامضة يعرض بها وخفايـا يجمجم بـذكرها وهنـات تجيش فى صـدره فينفث بهانفثـة المصـدور ومرمضـات مؤلمـات يشـكوها فيستريـح بشـكواها استراحـة المكروب .فخرج هـذاالكتاب كتابا كاملا فى فنه واحـدا بين أبناء جنسه ممتعا بمحاسـنه جليلـة فوائـده شـريفة مقاصـده عظيما شأنه عالية منزلته ومكانه و لاعجب أن يتقرب بسيد الكتب إلى سيد الملوك وبجامع الفضائل إلى جامع المناقب وبواحد العصـر إلى أوحد الدهر فالأشـياء بأمثالها أليق و إلى أشـكالها أقرب وشـبه الشـىء إليه منجذب ونحوه دان ومقترب . و لم يشرح هذاالكتاب قبلى فيما أعلمه إلاواحد و هوسـعيد بن هبة الله بن الحسن الفقيه المعروف بالقطب الراوندى و كان من فقهاء الإمامية و لم يكن من رجال هـذاالكتاب لاقتصاره مـدة عمره على الاشـتغال بعلم الفقه وحده وأنى للفقيه أن يشـرح هذه الفنون المتنوعة ويخوض فى هـذه العلوم المتشعبة لاـجرم أن شـرحه لاـيخفى حاله عن الـذكى وجرى الوادى فطم على القرى و قـدتعرضت فى هذاالشـرح لمناقضته [صفحه ۶] فى مواضع يسـيرة اقتضت الحـال ذكرهـا وأعرضت عن كثير مما قاله إذ لم أر فى ذكره ونقضـه كبير فائـدة. و أناقبـل أن أشـرع فى الشـرح أذكر أقوال أصـحابنا رحمهم الله فى الإمامـة والتفضـيل والبغاة والخوارج ومتبع ذلك بذكر نسب أمير المؤمنين ع ولمع يسيرة من فضائله ثم أثلث بذكر نسب الرضـى أبى الحسن محمد بن الحسـين الموسوى رحمه الله وبعض خصائصه ومناقبه ثم أشـرع فى شرح خطبة نهج البلاغة التى هى من كلام الرضى أبى الحسن رحمه الله فإذاانتهيت من ذلك كله ابتدأت بعون الله وتوفيقه فى شـرح كلام أمير المؤمنين ع شـيئا فشـيئا. و من الله سـبحانه أستمد المعونة وأستدر أسباب العصـمة وأسـتميح غمائم الرحمـة وأمترى أخلاف البركة وأشـيم بارق النماء والزيادة فما المرجو إلاافضـله و لاالمأمول إلاطوله و لاالوثوق إلابرحمته و لاالسكون إلا إلى رأفته رَبّنا عَلَيکَ تَوَكّلنا وَ إِلَيکَ أَنَبنا وَ إِلَيکَ المَصِيرُ رَبّنا لا تَجعَلنا فِتنَةً لِلّذِينَ كَفَرُوا وَ اغفِر لَنا رَبّنا إِنّکَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ -قرآن-۷۶۲-۹۲۵ [صفحه ۷]

القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة فى الإمامة والتفضيل والبغاة والخوارج

اتفق شـيوخنا كافة رحمهم الله المتقدمون منهم والمتأخرون والبصـريون والبغداديون على أن بيعة أبى بكر الصديق بيعة صـحيحة شرعيـة وأنهـا لم تكن عن نص وإنمـا كـانت بالاختيار ألـذى ثبت بالإجماع وبغير الإجماع كونه طريقا إلى الإمامـة. واختلفوا فى التفضـيل فقـال قـدماء البصـريين كـأبى عثمـان عمرو بن عبيـد و أبى إسـحاق ابراهيم بن سـيار النظام و أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحـظ و أبى معن ثمامـة بن أشـرس و أبى محمـدهشام بن عمرو الفـوطى و أبى يعقوب يوسف بن عبـد الله الشـحام وجمـاعة غيرهم إن أبـابكر أفضـل من على ع وهؤلاـء يجعلون ترتيب الأربعـة فى الفضـل كترتيبهم فى الخلافـة. و قـال البغـداديون قـاطبة قـدماؤهم ومتـأخروهم كـأبى سـهل بشـر بـن المعتمر و أبى موسـى عيسـى بـن صبيـح و أبى عبـد الله جعفر بـن مبشـر و أبى جعفرالإسـكافى و أبى الحسـين الخيـاط و أبى القاسم عبـد الله بن محمود البلخى وتلامـذته إن عليا ع أفضل من أبى بكر. و إلى هذاالمـذهب ذهب من البصـريين أبـو على محمـد بن عبـدالوهاب الجبـائى أخيرا و كـان من قبـل من المتوقفين كـان يميـل إلى التفضـيل و لايصـرح به و إذاصـنف ذهب إلى الوقف فى مصـنفاته و قـال فى كثير من تصانيفه إن صـح خبر الطائر فعلى أفضل [صفحه ۸] ثم إن قاضـى القضـاة رحمه الله ذكر فى شـرح المقالاـت لأبى القـاسم البلخى أن أبـا على رحمه الله مامـات حتى قال بتفضـيل على ع و قـال إنه نقـل ذلـك عنه سـماعا و لم يوجـد فى شـىء من مصـنفاته و قال أيضا إن أبا على رحمه الله يوم مات

استدنى ابنه أباهاشم إليه و كان قدضعف عن رفع الصوت فألقى إليه أشياء من جملتها القول بتفضيل على ع . وممن ذهب من البصريين إلى تفضيله ع الشيخ أبو عبد الله الحسين بن على البصرى رضى الله عنه كان متحققا بتفضيله ومبالغا فى ذلك وصنف فيه كتابا مفردا. وممن ذهب إلى تفضيله ع من البصريين قاضى القضاة أبو الحسن عبدالجبار بن أحمدرحمه الله ذكر ابن متويه عنه فى كتاب الكفاية فى علم الكلام أنه كان من المتوقفين بين على ع و أبى بكر ثم قطع على تفضيل على ع بكامل المنزلة. و من البصريين الذاهبين إلى تفضيله ع أبو محمد الحسن بن متويه صاحب التذكرة نص فى كتاب الكفاية على تفضيله ع على أبى بكر احتج لذلك وأطال فى الاحتجاج .فهذان المذهبان كماعرفت . وذهب كثير من الشيوخ رحمهم الله إلى التوقف فيهما و هوقول أبى حذيفة واصل بن عطاء و أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف من المتقدمين وهما و إن ذهبا إلى التوقف بينه ع و بين أبى بكر وعمر قاطعان على تفضيله على عثمان . [صفحه ۹] و من الذاهبين إلى الوقف الشيخ أبوهاشم عبد السلام بن أبى على رحمهما الله والشيخ أبو الحسين محمد بن على بن الطيب البصرى رحمه الله . و أمانحن فنذهب إلى مايذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله ع و قدذكرنا فى كتبنا الكلامية مامعنى الأفضل وهل المراد به الأكثر ثوابا أوالأجمع لمزايا الفضل والخلال الحميدة وبينا أنه ع أفضل على التفسيرين معا و ليس هذاالكتاب موضوعا لذكر الحجاج فى ذلك أو فى غيره من المباحث الكلامية لنذكره ولهذا موضع هوأملك به . و أماالقول فى البغاة عليه والخوارج فهو على ماأذكره لك . أماأصحاب الجمل فهم عندأصحابنا هالكون كلهم إلاعائشة وطلحة والزبير رحمهم الله فإنهم تابوا و لو لاالتوبة لحكم لهم بالنار لإصرارهم على البغى. و أماعسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عندأصحابنا لايحكم لأحد منهم إلابالنار لإصرارهم على البغى وموتهم عليه رؤساؤهم والأتباع جميعا. و أماالخوارج فإنهم مرقوا عن الدين بالخبر النبوى المجمع عليه و لايختلف أصحابنا فى أنهم من أهل النار. وجملة الأمر أن أصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه و لاريب فى أن الباغى على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أوبغير شبهة فاسق و ليس هذامما يخصون به عليا ع فلو خرج قوم من المسلمين على غيره من أئمة الإسلام العدول لكان حكمهم حكم من خرج على على ص . و قدبرئ كثير من أصحابنا من قوم من الصحابة أحبطوا ثوابهم كالمغيرة بن شعبة [صفحه ۱۰] و كان شيخنا أبوالقاسم البلخى إذاذكر عنده عبد الله بن الزبير يقول لاخير فيه و قال مرة لايعجبنى صلاته وصومه وليسا بنافعين له مع قول رسول الله ص لعلى ع لايبغضك إلامنافق -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-۵۰ و قال أبو عبد الله البصرى رحمه الله لماسئل عنه ماصح عندى أنه تاب من يوم الجمل ولكنه استكثر مما كان عليه .فهذه هى المذاهب والأقوال أماالاستدلال عليها فهو مذكور فى الكتب الموضوعة لهذا الفن [صفحه ۱۱]

القول فى نسب أمير المؤمنين على ع وذكر لمع يسيرة من فضائله

هو أبو الحسن على بن أبى طالب واسمه عبدمناف بن عبدالمطلب واسمه شيبة بن هاشم واسمه عمرو بن عبدمناف بن قصى الغالب عليه من الكنية ع أبو الحسن و كان ابنه الحسن ع يدعوه فى حياة رسول الله ص أبا الحسين ويدعوه الحسين ع أبا الحسن ويدعوان رسول الله ص أباهما فلما توفى النبى ص دعواه بأبيهما. وكناه رسول الله ص أباتراب وجده نائما فى تراب قدسقط عنه رداؤه وأصاب التراب جسده فجاء حتى جلس عندرأسه وأيقظه وجعل يمسح التراب عن ظهره و يقول له اجلس إنما أنت أبوتراب -روايت-۱-۱۸۸ فكانت من أحب كناه إليه ص و كان يفرح إذادعى بها وكانت ترغب بنو أمية خطباءها [صفحه ۱۲] أن يسبوه بها على المنابر وجعلوها نقيصة له ووصمة عليه فكأنما كسوة بهاالحلى والحلل كما قال الحسن البصرى رحمه الله . و كان اسمه الأول ألذى سمته به أمه حيدرة باسم أبيها أسد بن هاشم والحيدرة الأسد فغير أبوه اسمه وسماه عليا. وقيل إن حيدرة

اسم كانت قريش تسميه به والقول الأول أصح يدل عليه خبره يوم برز إليه مرحب وارتجز عليه فقال أنا ألذى سمتنى أمى مرحبا فأجابه ع رجزا -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۸ أنا ألذى سمتنى أمى حيدرة . ورجزهما معا مشهور منقول لاحاجة لنا الآن إلى ذكره . وتزعم الشيعة أنه خوطب فى حياة رسول الله ص بأمير المؤمنين خاطبه بذلك جلة المهاجرين والأنصار و لم يثبت ذلك فى أخبار المحدثين إلاأنهم قدرووا مايعطى هذاالمعنى و إن لم يكن اللفظ بعينه و هو قول رسول الله ص له أنت يعسوب الدين والمال يعسوب الظلمة -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۶۷ و فى رواية أخرى هذايعسوب المؤمنين -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۳] وقائد الغر المحجلين -روايت-از قبل-۲۴ واليعسوب ذكر النحل وأميرها روى هاتين الروايتين أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيبانى فى المسند فى كتابه فضائل الصحابة ورواهما أبونعيم الحافظ فى حلية الأولياء. ودعى بعدوفاة رسول الله ص بوصى رسول الله لوصايته إليه بما أراده وأصحابنا لاينكرون ذلك ولكن يقولون إنها لم تكن وصية بالخلافة بل بكثير من المتجددات بعده أفضى بها إليه ع وسنذكر طرفا من هذاالمعنى فيما بعد. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف بن قصى أول هاشمية ولدت لهاشمى كان على ع أصغر بنيها و جعفرأسن منه بعشر سنين وعقيل أسن منه بعشر سنين وطالب أسن من عقيل بعشر سنين وفاطمة بنت أسد أمهم جميعا. وأم فاطمة بنت أسد فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى وأمها حدية بنت وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر وأمها فاطمة بنت عبيد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى وأمها سلمى بنت عامر بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر وأمها عاتكة بنت أبى همهمة واسمه عمرو بن عبدالعزى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر وأمها تماضر بنت عمرو بن عبدمناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وأمها حبيبة وهى أمة الله بنت عبدياليل بن سالم بن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى و هوثقيف وأمها فلانة بنت مخزوم بن أسامة بن ضبع بن وائلة بن نصر بن صعصعة بن ثعلبة بن كنانة بن عمرو بن قين بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان [صفحه ۱۴] بن مضر وأمها ريطة بنت يسار بن مالك بن حطيط بن جشم بن ثقيف وأمها كلة بنت حصين بن سعد بن بكر بن هوازن وأمها حبى بنت الحارث بن النابغة بن عميرة بن عوف بن نصر بن بكر بن هوازن ذكر هذاالنسب أبوالفرج على بن الحسين الأصفهانى فى كتاب مقاتل الطالبيين .أسلمت فاطمة بنت أسد بعدعشرة من المسلمين وكانت الحادية عشرة و كان رسول الله ص يكرمها ويعظمها ويدعوها أمى وأوصت إليه حين حضرتها الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها ونزل فى لحدها واضطجع معها فيه بعد أن ألبسها قميصه فقال له أصحابه أنا مارأيناك صنعت يا رسول الله بأحد ماصنعت بها فقال إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبر بى منها إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها ضغطة القبر -روايت-۱-۳۵۷ . وفاطمة أول امرأة بايعت رسول الله ص من النساء. وأم أبى طالب بن عبدالمطلب فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وهى أم عبد الله والد سيدنا رسول الله ص وأم الزبير بن عبدالمطلب وسائر ولد عبدالمطلب بعدلأمهات شتى . واختلف فى مولد على ع أين كان فكثير من الشيعة يزعمون أنه ولد فى الكعبة والمحدثون لايعترفون بذلك ويزعمون أن المولود فى الكعبة حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى. واختلف فى سنه حين أظهر النبى ص الدعوة إذ تكامل له ص أربعون سنة فالأشهر من الروايات أنه كان ابن عشر وكثير من أصحابنا المتكلمين يقولون إنه كان ابن ثلاث عشرة سنة ذكر ذلك شيخنا أبوالقاسم البلخى وغيره من شيوخنا. [صفحه ۱۵] والأولون يقولون إنه قتل و هو ابن ثلاث وستين سنة وهؤلاء يقولون ابن ست وستين والروايات فى ذلك مختلفة و من الناس من يزعم أن سنه كانت دون العشر والأكثر الأظهر خلاف ذلك . وذكر أحمد بن يحيى البلاذرى و على بن الحسين الأصفهانى أن قريشا أصابتها أزمة وقحط فقال رسول الله ص لعميه حمزة والعباس أ لانحمل ثقل أبى طالب فى هذاالمحل فجاءوا إليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم فقال دعوا لى عقيلا وخذوا من شئتم و كان شديد الحب لعقيل فأخذ العباس طالبا وأخذ حمزة جعفرا وأخذ محمدص عليا و قال لهم

قداخترت من اختاره الله لی علیکم علیا قالوا فکان علی ع فی حجر رسول الله ص منذ کان عمره ست سنین . و کان مایسدی إلیه ص من إحسانه وشفقته وبره وحسن تربیته کالمکافأة والمعاوضة لصنیع أبی طالب به حیث مات عبدالمطلب وجعله فی حجره و هذایطابق قوله ع لقد عبدت الله قبل أن یعبده أحد من هذه الأمة سبع سنین -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۷۱ و قوله کنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنین سبعا و رسول الله ص حینئذ صامت ماأذن له فی الإنذار والتبلیغ -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۱۱۲ و ذلک لأنه إذا کان عمره یوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة وتسلیمه إلی رسول الله ص من أبیه و هو ابن ست فقد صح أنه کان یعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنین و ابن ست تصح منه العبادة إذا کان ذا تمییز علی أن عبادة مثله هی التعظیم والإجلال وخشوع القلب واستخذاء الجوارح إذاشاهد شیئا من جلال الله سبحانه وآیاته الباهرة ومثل هذاموجود فی الصبیان . وقتل ع لیلة الجمعة لثلاث عشرة بقین من شهر رمضان سنة أربعین فی [صفحه ۱۶] روایة أبی عبدالرحمن السلمی وهی الروایة المشهورة و فی روایة أبی مخنف أنها کانت لإحدی عشرة لیلة بقین من شهر رمضان و علیه الشیعة فی زماننا. والقول الأول أثبت عندالمحدثین واللیلة السابعة عشرة من شهر رمضان هی لیلة بدر و قدکانت الروایات وردت أنه یقتل فی لیلة بدر ع وقبره بالغری. و مایدعیه أصحاب الحدیث من الاختلاف فی قبره و أنه حمل إلی المدینة أو أنه دفن فی رحبة الجامع أو عند باب قصر الإمارة أوند البعیر ألذی حمل علیه فأخذته الأعراب باطل کله لاحقیقة له وأولاده أعرف بقبره وأولاد کل الناس أعرف بقبور آبائهم من الأجانب و هذاالقبر ألذی زاره بنوه لماقدموا العراق منهم جعفر بن محمد ع وغیره من أکابرهم وأعیانهم وروی أبوالفرج فی مقاتل الطالبیین بإسناد ذکره هناک أن الحسین ع لماسئل أین دفنتم أمیر المؤمنین فقال خرجنا به لیلا من منزله بالکوفة حتی مررنا به علی مسجد الأشعث حتی انتهینا به إلی الظهر بجنب الغری. وسنذکر خبر مقتله ع فیما بعد.فأما فضائله ع فإنها قدبلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغا یسمج معه التعرض لذکرها والتصدی لتفصیلها فصارت کما قال أبوالعیناء لعبید الله بن یحیی بن خاقان وزیر المتوکل والمعتمد رأیتنی فیما أتعاطی من وصف فضلک کالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر ألذی لایخفی علی الناظر فأیقنت أنی حیث انتهی بی القول منسوب إلی العجز مقصر عن الغایة فانصرفت عن الثناء علیک إلی الدعاء لک ووکلت الإخبار عنک إلی علم الناس بک . و ماأقول فی رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل و لم یمکنهم جحد مناقبه [صفحه ۱۷] و لاکتمان فضائله فقد علمت أنه استولی بنو أمیة علی سلطان الإسلام فی شرق الأرض وغربها واجتهدوا بکل حیلة فی إطفاء نوره والتحریض علیه ووضع المعایب والمثالب له ولعنوه علی جمیع المنابر وتوعدوا مادحیه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من روایة حدیث یتضمن له فضیلة أویرفع له ذکرا حتی حظروا أن یسمی أحد باسمه فما زاده ذلک إلارفعة وسموا و کان کالمسک کلما ستر انتشر عرفه وکلما کتم تضوع نشره وکالشمس لاتستر بالراح وکضوء النهار أن حجبت عنه عین واحدة أدرکته عیون کثیرة. و ماأقول فی رجل تعزی إلیه کل فضیلة وتنتهی إلیه کل فرقة وتتجاذبه کل طائفة فهو رئیس الفضائل وینبوعها و أبوعذرها وسابق مضمارها ومجلی حلبتها کل من بزغ فیهابعده فمنه أخذ و له اقتفی و علی مثاله احتذی . و قدعرفت أن أشرف العلوم هوالعلم الإلهی لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فکان هوأشرف العلوم و من کلامه ع اقتبس و عنه نقل و إلیه انتهی و منه ابتدأ فإن المعتزلة الذین هم أهل التوحید والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلم الناس هذاالفن تلامذته وأصحابه لأن کبیرهم واصل بن عطاء تلمیذ أبی هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفیة و أبوهاشم تلمیذ أبیه وأبوه تلمیذه ع و أماالأشعریة فإنهم ینتمون إلی أبی الحسن علی بن إسماعیل بن أبی بشر الأشعری و هوتلمیذ أبی علی الجبائی و أبو علی أحد مشایخ المعتزلة فالأشعریة ینتهون بآخره إلی أستاذ المعتزلة ومعلمهم و هو علی بن أبی طالب ع . و أماالإمامیة والزیدیة فانتماؤهم إلیه ظاهر. [صفحه ۱۸] و من العلوم علم الفقه و هو ع أصله وأساسه و کل فقیه فی الإسلام فهو عیال علیه ومستفید من فقهه أماأصحاب أبی حنیفة کأبی یوسف و محمد وغیرهما فأخذوا عن أبی حنیفة و

أماالشافعی فقرأ علی محمد بن الحسن فیرجع فقهه أیضا إلی أبی حنیفة و أما أحمد بن حنبل فقرأ علی الشافعی فیرجع فقهه أیضا إلی أبی حنیفة و أبوحنیفة قرأ علی جعفر بن محمد ع وقرأ جعفر علی أبیه ع وینتهی الأمر إلی علی ع و أمامالک بن أنس فقرأ علی ربیعة الرأی وقرأ ربیعة علی عکرمة وقرأ عکرمة علی عبد الله بن عباس وقرأ عبد الله بن عباس علی علی بن أبی طالب . و إن شئت فرددت إلیه فقه الشافعی بقراءته علی مالک کان لک ذلک فهؤلاء الفقهاء الأربعة. و أمافقه الشیعة فرجوعه إلیه ظاهر وأیضا فإن فقهاء الصحابة کانوا عمر بن الخطاب و عبد الله بن عباس وکلاهما أخذ عن علی ع أما ابن عباس فظاهر و أماعمر فقد عرف کل أحد رجوعه إلیه فی کثیر من المسائل التی أشکلت علیه و علی غیره من الصحابة و قوله غیرمرة لو لا علی لهلک عمر و قوله لابقیت لمعضلة لیس لها أبو الحسن و قوله لایفتین أحد فی المسجد و علی حاضر فقد عرف بهذا الوجه أیضا انتهاء الفقه إلیه . و قدروت العامة والخاصة قوله ص أقضاکم علی -روایت-۱-۲-روایت-۳۶-۴۹ والقضاء هوالفقه فهو إذاأفقههم وروی الکل أیضا أنه ع قال له و قدبعثه إلی الیمن قاضیا أللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال فما شککت بعدها فی قضاء بین اثنین [صفحه ۱۹] و هو ع ألذی أفتی فی المرأة التی وضعت لستة أشهر و هو ألذی أفتی فی الحامل الزانیة و هو ألذی قال فی المنبریة صار ثمنها تسعا و هذه المسألة لوفکر الفرضی فیهافکرا طویلا لاستحسن منه بعدطول النظر هذاالجواب فما ظنک بمن قاله بدیهة واقتضبه ارتجالا. و من العلوم علم تفسیر القرآن و عنه أخذ و منه فرع و إذارجعت إلی کتب التفسیر علمت صحة ذلک لأن أکثره عنه و عن عبد الله بن عباس و قدعلم الناس حال ابن عباس فی ملازمته له وانقطاعه إلیه و أنه تلمیذه وخریجه وقیل له أین علمک من علم ابن عمک فقال کنسبة قطرة من المطر إلی البحر المحیط. و من العلوم علم الطریقة والحقیقة وأحوال التصوف و قدعرفت أن أرباب هذاالفن فی جمیع بلاد الإسلام إلیه ینتهون وعنده یقفون و قدصرح بذلک الشبلی والجنید وسری و أبویزید البسطامی و أبومحفوظ معروف الکرخی وغیرهم ویکفیک دلالة علی ذلک الخرقة التی هی شعارهم إلی الیوم وکونهم یسندونها بإسناد متصل إلیه ع . [صفحه ۲۰] و من العلوم علم النحو والعربیة و قدعلم الناس کافة أنه هو ألذی ابتدعه وأنشأه وأملی علی أبی الأسود الدؤلی جوامعه وأصوله من جملتها الکلام کله ثلاثة أشیاء اسم وفعل وحرف و من جملتها تقسیم الکلمة إلی معرفة ونکرة وتقسیم وجوه الإعراب إلی الرفع والنصب والجر والجزم و هذایکاد یلحق بالمعجزات لأن القوة البشریة لاتفی بهذا الحصر و لاتنهض بهذا الاستنباط. و إن رجعت إلی الخصائص الخلقیة والفضائل النفسانیة والدینیة وجدته ابن جلاها وطلاع ثنایاها. و أماالشجاعة فإنه أنسی الناس فیهاذکر من کان قبله ومحا اسم من یأتی بعده ومقاماته فی الحرب مشهورة یضرب بهاالأمثال إلی یوم القیامة و هوالشجاع ألذی مافر قط و لاارتاع من کتیبة و لابارز أحدا إلاقتله و لاضرب ضربة قط فاحتاجت الأولی إلی ثانیة و فی الحدیث کانت ضرباته وترا و لمادعا معاویة إلی المبارزة لیستریح الناس من الحرب بقتل أحدهما قال له عمرو لقد أنصفک فقال معاویة ماغششتنی منذ نصحتنی إلاالیوم أتأمرنی بمبارزة أبی الحسن و أنت تعلم أنه الشجاع المطرق أراک طمعت فی إمارة الشام بعدی وکانت العرب تفتخر بوقوفها فی الحرب فی مقابلته فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه ع قتلهم أظهر وأکثر قالت أخت عمرو بن عبدود ترثیه لو کان قاتل عمرو غیرقاتله || بکیته أبدا مادمت فی الأبد [صفحه ۲۱] لکن قاتله من لانظیر له || و کان یدعی أبوه بیضة البلد . وانتبه یوما معاویة فرأی عبد الله بن الزبیر جالسا تحت رجلیه علی سریره فقعد فقال له عبد الله یداعبه یا أمیر المؤمنین لوشئت أن أفتک بک لفعلت فقال لقد شجعت بعدنا یا أبابکر قال و ما ألذی تنکره من شجاعتی و قدوقفت فی الصف إزاء علی بن أبی طالب قال لاجرم أنه قتلک وأباک بیسری یدیه وبقیت الیمنی فارغة یطلب من یقتله بها. وجملة الأمر أن کل شجاع فی الدنیا إلیه ینتهی وباسمه ینادی فی مشارق الأرض ومغاربها. و أماالقوة والأید فبه یضرب المثل فیهما قال ابن قتیبة فی المعارف ماصارع أحدا قط إلاصرعه و هو ألذی قلع باب خیبر واجتمع علیه عصبة من الناس لیقلبوه فلم یقلبوه و هو ألذی اقتلع هبل من أعلی الکعبة و کان عظیما جدا وألقاه إلی الأرض و هو ألذی اقتلع الصخرة العظیمة فی أیام

خلافته ع بيده بعدعجز الجيش كله عنها وأنبط الماء من تحتها. و أماالسخاء والجود فحاله فيه ظاهرة و كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده و فيه أنزل وَ يُطعِمُونَ الطّعامَ عَلى حُبّهِ مِسكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً إِنّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنكُم جَزاءً وَ لا شُكُوراً وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلاأربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فأنزل فيه الّذِينَ – قرآن-٨٥٩-٩٩٩-قرآن-١١٢٣-١١٣٠ . وانتبه يوما معاوية فرأى عبد الله بن الزبير جالسا تحت رجليه على سريره فقعد فقال له عبد الله يداعبه يا أمير المؤمنين لوشئت أن أفتك بك لفعلت فقال لقد شجعت بعدنا يا أبابكر قال و ما ألذى تنكره من شجاعتى و قدوقفت فى الصف إزاء على بن أبى طالب قال لاجرم أنه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. وجملة الأمر أن كل شجاع فى الدنيا إليه ينتهى وباسمه ينادى فى مشارق الأرض ومغاربها. و أماالقوة والأيد فبه يضرب المثل فيهما قال ابن قتيبة فى المعارف ماصارع أحدا قط إلاصرعه و هو ألذى قلع باب خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقلبوه فلم يقلبوه و هو ألذى اقتلع هبل من أعلى الكعبة و كان عظيما جدا وألقاه إلى الأرض و هو ألذى اقتلع الصخرة العظيمة فى أيام خلافته ع بيده بعدعجز الجيش كله عنها وأنبط الماء من تحتها. و أماالسخاء والجود فحاله فيه ظاهرة و كان يصوم ويطوى ويؤثر بزاده و فيه أنزل وَ يُطعِمُونَ الطّعامَ عَلى حُبّهِ مِسكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً إِنّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنكُم جَزاءً وَ لا شُكُوراً وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلاأربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فأنزل فيه الّذِينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُم بِاللّيلِ وَ النّهارِ سِرّا وَ عَلانِيَةً. وروى عنه أنه كان يسقى بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتى مجلت يده ويتصدق بالأجرة ويشد على بطنه حجرا. و قال الشعبى و قدذكره ع كان أسخى الناس كان على الخلق ألذى يحبه الله السخاء والجود ما قال لالسائل قط و قال عدوه ومبغضه ألذى يجتهد فى وصمه وعيبه معاوية بن أبى سفيان لمحفن بن أبى محفن الضبى لما قال له جئتك من عندأبخل الناس فقال ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس لوملك بيتا من تبر وبيتا من تبن لأنفد تبره قبل تبنه . و هو ألذى كان يكنس بيوت الأموال ويصلى فيها و هو ألذى قال ياصفراء و يابيضاء غرى غيرى و هو ألذى لم يخلف ميراثا وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام . و أماالحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب وأصفحهم عن مسىء و قدظهر صحة ماقلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم و كان أعدى الناس له وأشدهم بغضا فصفح عنه . و كان عبد الله بن الزبير يشتمه على رءوس الأشهاد وخطب يوم البصرة فقال قدأتاكم الوغد اللئيم على بن أبى طالب و كان على ع يقول مازال الزبير -قرآن-١-٦۴ [صفحه ٢٣] رجلا منا أهل البيت حتى شب عبد الله فظفر به يوم الجمل فأخذه أسيرا فصفح عنه و قال اذهب فلاأرينك لم يزده على ذلك . وظفر بسعيد بن العاص بعدوقعة الجمل بمكة و كان له عدوا فأعرض عنه و لم يقل له شيئا. و قدعلمتم ما كان من عائشة فى أمره فلما ظفر بهاأكرمها وبعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عممهن بالعمائم وقلدهن بالسيوف فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لايجوز أن يذكر به وتأففت وقالت هتك سترى برجاله وجنده الذين وكلهم بى فلما وصلت المدينة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها إنما نحن نسوة. وحاربه أهل البصرة وضربوا وجهه ووجوه أولاده بالسيوف وشتموه ولعنوه فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم ونادى مناديه فى أقطار العسكر ألا لايتبع مول و لايجهز على جريح و لايقتل مستأسر و من ألقى سلاحه فهو آمن و من تحيز إلى عسكر الإمام فهو آمن و لم يأخذ أثقالهم و لاسبى ذراريهم و لاغنم شيئا من أموالهم و لوشاء أن يفعل كل ذلك لفعل ولكنه أبى إلاالصفح والعفو وتقيل سنة رسول الله ص يوم فتح مكة فإنه عفا والأحقاد لم تبرد والإساءة لم تنس . و لماملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات وقالت رؤساء الشام له اقتلهم بالعطش كماقتلوا عثمان عطشا سألهم على ع وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء فقالوا لا و الله و لاقطرة حتى تموت ظمأ كمامات ابن عفان فلما رأى ع أنه الموت لامحالة تقدم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى أزالهم عن مراكزهم بعدقتل ذريع سقطت منه الرءوس والأيدى وملكوا عليهم [صفحه ٢۴] الماء وصار أصحاب معاوية فى الفلاة لاماء لهم فقال له أصحابه

وشيعته امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كمامنعوك و لاتسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش وخذهم قبضا بالأيدى فلاحاجة لك إلى الحرب فقال لا و الله لاأكافئهم بمثل فعلهم افسحوا لهم عن بعض الشريعة ففى حد السيف مايغنى عن ذلك فهذه إن نسبتها إلى الحلم والصفح فناهيك بهاجمالاـ وحسنا و إن نسبتها إلى الدين والورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله ع . و أماالجهاد فى سبيل الله فمعلوم عندصديقه وعدوه أنه سيد المجاهدين وهل الجهاد لأحد من الناس إلا له و قدعرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله ص وأشدها نكاية فى المشركين بدر الكبرى قتل فيهاسبعون من المشركين قتل على نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر و إذارجعت إلى مغازى محمد بن عمر الواقدى وتاريخ الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتله فى غيرها كأحد والخندق وغيرهما و هذاالفصل لامعنى للإطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما. و أماالفصاحة فهو ع إمام الفصحاء وسيد البلغاء و فى كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين و منه تعلم الناس الخطابة والكتابة قال عبدالحميد بن يحيى حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت و قال ابن نباتة حفظت من الخطابة كنزا لايزيده الإنفاق إلاسعة وكثرة حفظت مائة فصل من مواعظ على بن أبى طالب . و لما قال محفن بن أبى محفن لمعاوية جئتك من عندأعيا الناس قال له ويحك [صفحه ۲۵] كيف يكون أعيا الناس فو الله ماسن الفصاحة لقريش غيره ويكفى هذاالكتاب ألذى نحن شارحوه دلالة على أنه لايجارى فى الفصاحة و لايبارى فى البلاغة وحسبك أنه لم يدون لأحد من فصحاء الصحابة العشر و لانصف العشر مما دون له وكفاك فى هذاالباب مايقوله أبوعثمان الجاحظ فى مدحه فى كتاب البيان والتبيين و فى غيره من كتبه . و أماسجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسم فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه قال عمرو بن العاص لأهل الشام إنه ذو دعابة شديدة و قال على ع فى ذاك عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فى دعابة وأنى امرؤ تلعابة أعافس وأمارس -روايت-۱-۲-روايت-۳۵-۱۶۲ وعمرو بن العاص إنما أخذها عن عمر بن الخطاب لقوله له لماعزم على استخلافه لله أبوك لو لادعابة فيك إلا أن عمر اقتصر عليها وعمرو زاد فيها وسمجها. قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وأصحابه كان فينا كأحدنا لين جانب وشدة تواضع وسهولة قياد وكنا نهابه مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه . و قال معاوية لقيس بن سعد رحم الله أباحسن فلقد كان هشا بشا ذا فكاهة قال قيس نعم كان رسول الله ص يمزح ويبتسم إلى أصحابه وأراك تسر حسوا فى ارتغاء وتعيبه بذلك أما و الله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قدمسه الطوى تلك هيبة التقوى و ليس كمايهابك طغام أهل الشام . [صفحه ۲۶] و قدبقى هذاالخلق متوارثا متنافلا فى محبيه وأوليائه إلى الآن كمابقى الجفاء والخشونة والوعورة فى الجانب الآخر و من له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك . و أماالزهد فى الدنيا فهو سيد الزهاد وبدل الأبدال و إليه تشد الرحال وعنده تنفض الأحلاس ماشبع من طعام قط و كان أخشن الناس مأكلا وملبسا قال عبد الله بن أبى رافع دخلت إليه يوم عيد فقدم جرابا مختوما فوجدنا فيه خبز شعير يابسا مرضوضا فقدم فأكل فقلت يا أمير المؤمنين فكيف تختمه قال خفت هذين الولدين أن يلتاه بسمن أوزيت . و كان ثوبه مرقوعا بجلد تارة وليف أخرى ونعلاه من ليف و كان يلبس الكرباس الغليظ فإذاوجد كمه طويلا قطعه بشفرة و لم يخطه فكان لايزال متساقطا على ذراعيه حتى يبقى سدى لالحمة له و كان يأتدم إذاائتدم بخل أوبملح فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل و لايأكل اللحم إلاقليلا و يقول لاتجعلوا بطونكم مقابر الحيوان و كان مع ذلك أشد الناس قوة وأعظمهم أيدا لاينقض الجوع قوته و لايخون الإقلال منته و هو ألذى طلق الدنيا وكانت الأموال تجبى إليه من جميع بلاد الإسلام إلا من الشام فكان يفرقها ويمزقها ثم يقول هذاجناى وخياره فيه || إذ كل جان يده إلى فيه [صفحه ۲۷] و أماالعبادة فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما و منه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة و ماظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلى عليه

ورده والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يمينا وشمالا فلايرتاع لذلك و لايقوم حتى يفرغ من وظيفته و ماظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده . و أنت إذاتأملت دعواته ومناجاته ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله و مايتضمنه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزته والاستخذاء له عرفت ماينطوى عليه من الإخلاص وفهمت من أى قلب خرجت و على أى لسان جرت . و قيل لعلى بن الحسين ع و كان الغاية فى العبادة أين عبادتك من عبادة جدك قال عبادتى عندعبادة جدى كعبادة جدى عندعبادة رسول الله ص -روايت-١-١۴٠ و أماقراءته القرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه فى هذاالباب اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ص و لم يكن غيره يحفظه ثم هوأول من جمعه نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبى بكر فأهل الحديث لايقولون ماتقوله الشيعة من أنه تأخر مخالفة للبيعة بل يقولون تشاغل بجمع القرآن فهذا يدل على أنه أول من جمع القرآن لأنه لو كان مجموعا فى حياة رسول الله ص لمااحتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعدوفاته ص و إذارجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبى عمرو بن العلاء وعاصم بن أبى النجود وغيرهما لأنهم يرجعون إلى أبى عبدالرحمن السلمى القارئ [صفحه ٢٨] و أبو عبدالرحمن كان تلميذه و عنه أخذ القرآن فقد صار هذاالفن من الفنون التى تنتهى إليه أيضا مثل كثير مما سبق . و أماالرأى والتدبير فكان من أسد الناس رأيا وأصحهم تدبيرا و هو ألذى أشار على عمر بن الخطاب لماعزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار و هو ألذى أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها و لوقبلها لم يحدث عليه ماحدث وإنما قال أعداؤه لارأى له لأنه كان متقيدا بالشريعة لايرى خلافها و لايعمل بما يقتضى الدين تحريمه و قد قال ع لو لاالدين والتقى لكنت أدهى العرب -روايت-١-٢-روايت-١۶-۵۶ وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى مايستصلحه ويستوفقه سواء أ كان مطابقا للشرع أم لم يكن و لاريب أن من يعمل بما يؤدى إليه اجتهاده و لايقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب و من كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب . و أماالسياسة فإنه كان شديد السياسة خشنا فى ذات الله لم يراقب ابن عمه فى عمل كان ولاه إياه و لاراقب أخاه عقيلا فى كلام جبهه به وأحرق قوما بالنار ونقض دار مصقلة بن هبيرة ودار جرير بن عبد الله البجلى وقطع جماعة وصلب آخرين . و من جملة سياسته فى حروبه أيام خلافته بالجمل وصفين والنهروان و فى أقل القليل منها مقنع فإن كل سائس فى الدنيا لم يبلغ فتكه وبطشه وانتقامه مبلغ العشر مما فعل ع فى هذه الحروب بيده وأعوانه .فهذه هى خصائص البشر ومزاياهم قدأوضحنا أنه فيهاالإمام المتبع فعله والرئيس المقتفى أثره . و ماأقول فى رجل تحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوة وتعظمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة وتصور ملوك الفرنج والروم صورته فى بيعها وبيوت عباداتها [صفحه ٢٩] حاملا سيفه مشمرا لحربه وتصور ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها كان على سيف عضد الدولة بن بويه وسيف أبيه ركن الدولة صورته و كان على سيف ألب أرسلان وابنه ملكشاه صورته كأنهم يتفاءلون به النصر والظفر. و ماأقول فى رجل أحب كل واحد أن يتكثر به وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه حتى الفتوة التى أحسن ماقيل فى حدها ألا تستحسن من نفسك ماتستقبحه من غيرك فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه وصنفوا فى ذلك كتبا وجعلوا لذلك إسنادا أنهوه إليه وقصروه عليه وسموه سيد الفتيان وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت المشهور المروى أنه سمع من السماء يوم أحد لاسيف إلاذو الفقار || و لافتى إلا على . و ماأقول فى رجل أبوه أبوطالب سيد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة قالوا قل أن يسود فقير وساد أبوطالب و هوفقير لامال له وكانت قريش تسميه الشيخ . و فى حديث عفيف الكندى لمارأى النبى ص يصلى فى مبدإ الدعوة ومعه غلام وامرأة قال فقلت للعباس أى شىء هذا قال هذا ابن أخى يزعم أنه رسول من الله إلى الناس و لم يتبعه على قوله إلا هذاالغلام و هو ابن أخى أيضا و هذه الامرأة وهى زوجته قال فقلت ما ألذى تقولونه أنتم قال ننتظر مايفعل الشيخ يعنى أباطالب و أبوطالب هو ألذى كفل رسول الله ص صغيرا وحماه وحاطه كبيرا ومنعه من مشركى قريش ولقى لأجله عنتا عظيما وقاسى بلاء شديدا وصبر على نصره

والقيام بأمره وجاء فى الخبر أنه لماتوفى أبوطالب أوحى إليه ع وقيل له اخرج منها فقد مات ناصرک . و له مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمه محمدسيد الأولين والآخرين وأخاه جعفرذو الجناحين ألذى قال له رسول الله ص أشبهت خلقى وخلقى -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۴۷ فمر يحجل [صفحه ۳۰] فرحا وزوجته سيدة نساء العالمين وابنيه سيدا شباب أهل الجنة فآباؤه آباء رسول الله وأمهاته أمهات رسول الله و هومسوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله آدم إلى أن مات عبدالمطلب بين الأخوين عبد الله و أبى طالب وأمهما واحدة فكان منهما سيد الناس هذاالأول و هذاالتالى و هذاالمنذر و هذاالهادى. و ماأقول فى رجل سبق الناس إلى الهدى وآمن بالله وعبده و كل من فى الأرض يعبد الحجر ويجحد الخالق لم يسبقه أحد إلى التوحيد إلاالسابق إلى كل خير محمد رسول الله ص .ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه ع أول الناس اتباعا لرسول الله ص إيمانا به و لم يخالف فى ذلك إلاالأقلون و قد قال هو ع أناالصديق الأكبر و أناالفاروق الأول أسلمت قبل إسلام الناس وصليت قبل صلاتهم -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۱۰۵ و من وقف على كتب أصحاب الحديث تحقق ذلك وعلمه واضحا و إليه ذهب الواقدى و ابن جرير الطبرى و هوالقول ألذى رجحه ونصره صاحب كتاب الإستيعاب . ولأنا إنما نذكر فى مقدمة هذاالكتاب جملة من فضائله عنت بالعرض لابالقصد وجب أن نختصر ونقتصر فلو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل حجم هذابل يزيد عليه وبالله التوفيق [صفحه ۳۱]

القول فى نسب الرضى أبى الحسن رحمه الله وذكر طرف من خصائصه ومناقبه

هو أبو الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفرالصادق ع مولده سنة تسع وخمسين وثلاثمائة. و كان أبوه النقيب أبو أحمدجليل القدر عظيم المنزلة فى دولة بنى العباس ودولة بنى بويه ولقب بالطاهر ذى المناقب وخاطبه بهاء الدولة أبونصر بن بويه بالطاهر الأوحد وولى نقابة الطالبيين خمس دفعات ومات و هومتقلدها بعد أن حالفته الأمراض وذهب بصره وتوفى عن سبع وتسعين سنة فإن مولده كان فى سنة أربع وثلاثمائة وتوفى سنة أربعمائة و قدذكر ابنه الرضى أبو الحسن كمية عمره فى قصيدته التى رثاه بها وأولها وسمتك حالية الربيع المرهم || وسقتك ساقية الغمام المرزم سبع وتسعون اهتبلن لك العدا || حتى مضوا وغبرت غيرمذمم لم يلحقوا فيهابشأوك بعد ما || أملوا فعاقهم اعتراض الأزلم إلابقايا من غبارك أصبحت || غصصا وأقذاء لعين أوفم إن يتبعوا عقبيك فى طلب العلا || فالذئب يعسل فى طريق الضيغم . ودفن النقيب أبو أحمدأولا فى داره ثم نقل منها إلى مشهد الحسين ع . و هو ألذى كان السفير بين الخلفاء و بين الملوك من بنى بويه والأمراء من بنى حمدان وغيرهم و كان مبارك الغرة ميمون النقيبة مهيبا نبيلا ماشرع فى إصلاح أمر فاسد [صفحه ۳۲] إلا وصلح على يديه وانتظم بحسن سفارته وبركة همته وحسن تدبيره ووساطته ولاستعظام عضد الدولة أمره وامتلاء صدره وعينه به حين قدم العراق ماقبض عليه وحمله إلى القلعة بفارس فلم يزل بها إلى أن مات عضد الدولة فأطلقه شرف الدولة أبوالفوارس شير ذيل بن عضد الدولة واستصحبه فى جملته حيث قدم إلى بغداد وملك الحضرة و لماتوفى عضد الدولة ببغداد كان عمر الرضى أبى الحسن أربع عشرة سنة فكتب إلى أبيه و هومعتقل بالقلعة بشيراز أبلغا عنى الحسين ألوكا || أن ذا الطود بعدعهدك ساخا والشهاب ألذى اصطليت لظاه || عكست ضوءه الخطوب فباخا والفنيق ألذى تذرع طول || الأرض خوى به الردى وأناخا أن يرد مورد القذى و هوراض || فبما يكرع الزلال النقاخا والعقاب الشغواء أهبطها النيق || و قدأرعت النجوم صماخا أعجلتها المنون عنا ولكن || خلفت فى ديارنا أفراخا و على ذاك فالزمان بهم عاد || غلاما من بعد ما كان شاخصا . وأم الرضى أبى الحسن فاطمة بنت الحسين بن أحمد بن الحسن الناصر الأصم صاحب الديلم و هو أبو محمد الحسن بن على بن

الحسن بن على بن عمر بن على بن أبى طالب ع شيخ الطالبيين وعالمهم وزاهدهم وأديبهم وشاعرهم [صفحه ۳۳] ملك بلاد الديلم والجبل ويلقب بالناصر للحق جرت له حروب عظيمة مع السامانية وتوفى بطبرستان سنة أربع وثلاثمائة وسنه تسع وسبعون سنة وانتصب فى منصبه الحسن بن القاسم بن الحسين الحسنى ويلقب بالداعى إلى الحق . وهى أم أخيه أبى القاسم على المرتضى أيضا. وحفظ الرضى رحمه الله القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة فى مدة يسيرة وعرف من الفقه والفرائض طرفا قويا و كان رحمه الله عالما أديبا وشاعرا مفلقا فصيح النظم ضخم الألفاظ قادرا على القريض متصرفا فى فنونه إن قصد الرقة فى النسيب أتى بالعجب العجاب و إن أراد الفخامة وجزالة الألفاظ فى المدح وغيره أتى بما لايشق فيه غباره و إن قصد فى المراثى جاء سابقا والشعراء منقطع أنفاسها على أثره و كان مع هذامترسلا ذا كتابة قوية و كان عفيفا شريف النفس عالى الهمة ملتزما بالدين وقوانينه و لم يقبل من أحد صلة و لاجائزة حتى أنه رد صلاة أبيه وناهيك بذلك شرف نفس وشدة ظلف فأما بنو بويه فإنهم اجتهدوا على قبوله صلاتهم فلم يقبل . و كان يرضى بالإكرام وصيانة الجانب وإعزاز الأتباع والأصحاب و كان الطائع أكثر ميلا إليه من القادر و كان هوأشد حبا وأكثر ولاء للطائع منه للقادر و هوالقائل للقادر فى قصيدته التى مدحه بهامنها [صفحه ۳۴] عطفا أمير المؤمنين فإننا || فى دوحة العلياء لانتفرق مابيننا يوم الفخار تفاوت || أبدا كلانا فى المعالى معرق إلاالخلافة شرفتك فإننى || أناعاطل منها و أنت مطوق .فيقال إن القادر قال له على رغم أنف الشريف . وذكر الشيخ أبوالفرج بن الجوزى فى التاريخ فى وفاة الشيخ أبى إسحاق ابراهيم بن أحمد بن محمدالطبرى الفقيه المالكى قال كان شيخ الشهود المعدلين ببغداد ومتقدمهم وسمع الحديث الكثير و كان كريما مفضلا على أهل العلم قال و عليه قرأ الشريف الرضى رحمه الله القرآن و هوشاب حدث السن فقال له يوما أيها الشريف أين مقامك قال فى دار أبى بباب محول فقال مثلك لايقيم بدار أبيه قدنحلتك دارى بالكرخ المعروفة بدار البركة فامتنع الرضى من قبولها و قال له لم أقبل من أبى قط شيئا فقال إن حقى عليك أعظم من حق أبيك عليك لأنى حفظتك كتاب الله تعالى فقبلها. و كان الرضى لعلو همته تنازعه نفسه إلى أمور عظيمة يجيش بهاخاطره وينظمها فى شعره و لايجد من الدهر عليها مساعدة فيذوب كمدا ويفنى وجدا حتى توفى و لم يبلغ غرضا.فمن ذلك قوله ما أناللعلياء إن لم يكن || من ولدى ما كان من والدى و لامشت بى الخيل أن لم أطأ || سرير هذاالأصيد الماجد . [صفحه ۳۵] و منه قوله متى ترانى مشيحا فى أوائلهم || يطفو بى النقع أحيانا ويخفينى لتنظرنى مشيحا فى أوائلها || يغيب بى النقع أحيانا ويبدينى لاتعرفونى إلابالطعان و قد || أضحى لثامى معصوبا بعرنينى . و منه قوله يعنى نفسه فوا عجبا مما يظن محمد || وللظن فى بعض المواطن غدار يؤمل أن الملك طوع يمينه || و من دون مايرجو المقدر أقدار لئن هوأعفى للخلافة لمة || لها طرر فوق الجبين وأطرار ورام العلا بالشعر والشعر دائبا || ففى الناس شعر خاملون وشعار وإنى أرى زندا تواتر قدحه || ويوشك يوما أن تكون له نار . و منه قوله لاهم قلبى بركوب العلا || يوما و لابلت يدى بالسماح [صفحه ۳۶] إن لم أنلها باشتراط كما || شئت على بيض الظبى واقتراح أفوز منها باللباب ألذى || يعيى الأمانى نيله والصراح فما ألذى يقعدنى عن مدى || ما هوبالبسل و لاباللقاح يطمح من لامجد يسمو به || إنى إذاأعذر عندالطماح أمافتى نال المنى فاشتفى || أوبطل ذاق الردى فاستراح . و فى هذه القصيدة ما هوأخشن مسا وأعظم نكاية ولكنا عدلنا عنه وتخطيناه كراهية لذكره و فى شعره الكثير الواسع من هذاالنمط. و كان أبوإسحاق ابراهيم بن هلال الصابى الكاتب له صديقا وبينهما لحمة الأدب ووشائجه ومراسلات ومكاتبات بالشعر فكتب الصابى إلى الرضى فى هذاالنمط أباحسن لى فى الرجال فراسة || تعودت منها أن تقول فتصدقا و قدخبرتنى عنك أنك ماجد || سترقى إلى العلياء أبعد مرتقى فوفيتك التعظيم قبل أوانه || و قلت أطال الله للسيد البقا [صفحه ۳۷] وأضمرت منه لفظة لم أبح بها || إلى أن أرى إظهارها لى مطلقا فإن مت أو إن عشت فاذكر بشارتى || وأوجب بهاحقا عليك محققا وكن لى فى الأولاد والأهل حافظا || إذا مااطمأن الجنب فى مضجع البقا .فكتب إليه الرضى جوابا عن ذلك قصيدة أولها

سننت لهذا الرمح غربا مذلقا || وأجريت فى ذا الهندوانى رونقا وسومت ذا الطرف الجواد وإنما || شرعت له نهجا فخب وأعنقا وهى قصيدة طويلة ثابتة فى ديوانه يعد فيهانفسه ويعد الصابى أيضا ببلوغ آماله إن ساعد الدهر وتم المرام و هذه الأبيات أنكرها الصابى لماشاعت و قال إنى عملتها فى أبى الحسن على بن عبدالعزيز بن حاجب النعمان كاتب الطائع و ما كان الأمر كماادعاه ولكنه خاف على نفسه . وذكر أبو الحسن الصابى وابنه غرس النعمة محمد فى تاريخهما أن القادر بالله عقد مجلسا أحضر فيه الطاهر أبا أحمدالموسوى وابنه أباالقاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وأبرز إليهم أبيات الرضى أبى الحسن التى أولها مامقامى على الهوان وعندى || مقول صارم وأنف حمى وإباء محلق بى عن الضيم || كمازاغ طائر وحشى أى عذر له إلى المجد إن || ذل غلام فى غمدة المشرفى [صفحه ٣٨] أحمل الضيم فى بلاد الأعادى || وبمصر الخليفة العلوى من أبوه أبى ومولاه مولاى || إذاضامنى البعيد القصى لف عرقى بعرقه سيدا الناس || جميعا محمد و على . و قال القادر للنقيب أبى أحمدقل لولدك محمد أى هوان قدأقام عليه عندنا و أى ضيم لقى من جهتنا و أى ذل أصابه فى مملكتنا و ما ألذى يعمل معه صاحب مصر لومضى إليه أ كان يصنع إليه أكثر من صنيعنا أ لم نوله النقابة أ لم نوله المظالم أ لم نستخلفه على الحرمين والحجاز وجعلناه أميرالحجيج فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا مانظنه كان يكون لوحصل عنده إلاواحدا من أبناء الطالبيين بمصر فقال النقيب أبو أحمد أما هذاالشعر فمما لم نسمعه منه و لارأيناه بخطه و لايبعد أن يكون بعض أعدائه نحلة إياه وعزاه إليه فقال القادر إن كان كذلك فلتكتب الآن محضرا يتضمن القدح فى أنساب ولاة مصر ويكتب محمدخطه فيه فكتب محضرا بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس منهم النقيب أبو أحمد وابنه المرتضى وحمل المحضر إلى الرضى ليكتب خطه فيه حمله أبوه وأخوه فامتنع من سطر خطه و قال لاأكتب وأخاف دعاة صاحب مصر وأنكر الشعر وكتب خطه وأقسم فيه أنه ليس بشعره و أنه لايعرفه فأجبره أبوه على أن يكتب خطه فى المحضر فلم يفعل و قال أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لى فإنهم معروفون بذلك فقال أبوه ياعجباه أتخاف من بينك وبينه ستمائة فرسخ و لاتخاف من بينك وبينه مائة ذراع وحلف ألا يكلمه وكذلك المرتضى فعلا ذلك تقية وخوفا من القادر [صفحه ٣٩] وتسكينا له و لماانتهى الأمر إلى القادر سكت على سوء أضمره و بعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة وولاها محمد بن عمر النهر سابسى. وقرأت بخط محمد بن إدريس الحلى الفقيه الإمامى قال حكى أبوحامد أحمد بن محمدالإسفرائينى الفقيه الشافعى قال كنت يوما عندفخر الملك أبى غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضى أبو الحسن فأعظمه وأجله ورفع من منزلته وخلى ما كان بيده من الرقاع والقصص وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبوالقاسم رحمه الله فلم يعظمه ذلك التعظيم و لاأكرمه ذلك الإكرام وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بهافجلس قليلا وسأله أمرا فقضاه ثم انصرف . قال أبوحامد فتقدمت إليه و قلت له أصلح الله الوزير هذاالمرتضى هوالفقيه المتكلم صاحب الفنون و هوالأمثل والأفضل منهما وإنما أبو الحسن شاعر قال فقال لى إذاانصرف الناس وخلا المجلس أجبتك عن هذه المسألة. قال وكنت مجمعا على الانصراف فجاءنى أمر لم يكن فى الحساب فدعت الضرورة إلى ملازمة المجلس إلى أن تقوض الناس واحدا فواحدا فلما لم يبق إلاغلمانه وحجابه دعا بالطعام فلما أكلنا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر غلمانه و لم يبق عنده غيرى قال لخادم هات الكتابين اللذين دفعتهما إليك منذ أيام وأمرتك أن تجعلهما فى السفط الفلانى فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضى اتصل بى أنه قدولد له ولد فأنفذت إليه ألف دينار و قلت له هذه للقابلة فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء [صفحه ٤٠] إلى أخلائهم وذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال فردها وكتب إلى هذاالكتاب فاقرأه قال فقرأته و هواعتذار عن الرد و فى جملته إننا أهل بيت لانطلع على أحوالنا قابلة غريبة وإنما عجائزنا يتولين هذاالأمر من نسائنا ولسن ممن يأخذن أجرة و لايقبلن صلة قال فهذا هذا. و أماالمرتضى فإننا كنا قدوزعنا وقسطنا على الأملاك ببادوريا تقسيطا نصرفه فى حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى فأصاب ملكا للشريف

المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهما ثمنها دينار واحد قدكتب إلى منذ أيام فى هذاالمعنى هذاالكتاب فاقرأه فقرأته و هوأكثر من مائة سطر يتضمن من الخضوع والخشوع والاستمالة والهز والطلب والسؤال فى إسقاط هذه الدراهم المذكورة عن أملاكه المشار إليها مايطول شرحه . قال فخر الملك فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل هذاالعالم المتكلم الفقيه الأوحد ونفسه هذه النفس أم ذلك ألذى لم يشهر إلابالشعر خاصة ونفسه تلك النفس فقلت وفق الله تعالى سيدنا الوزير فما زال موفقا و الله ماوضع سيدنا الوزير الأمر إلا فى موضعه و لاأحله إلا فى محله وقمت فانصرفت . وتوفى الرضى رحمه الله فى المحرم من سنة أربع وأربعمائة وحضر الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاة جنازته والصلاة عليه ودفن فى داره بمسجد الأنباريين بالكرخ ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه إلى مشهد موسى بن جعفر ع لأنه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته ودفنه وصلى عليه فخر الملك أبوغالب ومضى بنفسه آخر النهار إلى أخيه المرتضى بالمشهد الشريف الكاظمى فألزمه بالعود إلى داره . [صفحه ۴۱] ومما رثاه به أخوه المرتضى الأبيات المشهورة التى من جملتها ياللرجال لفجعة جذمت يدى || ووددت لوذهبت على برأسى مازلت آبى وردها حتى أتت || فحسوتها فى بعض ما أناحاسى ومطلتها زمنا فلما صممت || لم يثنها مطلى وطول مكاسى لله عمرك من قصير طاهر || ولرب عمر طال بالأدناس . وحدثنى فخار بن معد العلوى الموسوى رحمه الله قال رأى المفيد أبو عبد الله محمد بن النعمان الفقيه الإمام فى منامه كان فاطمة بنت رسول الله ص دخلت عليه و هو فى مسجده بالكرخ ومعها ولداها الحسن و الحسين ع صغيرين فسلمتهما إليه وقالت له علمهما الفقه فانتبه متعجبا من ذلك فلما تعالى النهار فى صبيحة تلك الليلة التى رأى فيهاالرؤيا دخلت إليه المسجد فاطمة بنت الناصر وحولها جواريها و بين يديها ابناها محمدالرضى و على المرتضى صغيرين فقام إليها وسلم عليها فقالت له أيها الشيخ هذان ولداى قدأحضرتهما لتعلمهما الفقه فبكى أبو عبد الله وقص عليها المنام وتولى تعليمهما الفقه وأنعم الله عليهما وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل مااشتهر عنهما فى آفاق الدنيا و هوباق مابقى الدهر [صفحه ۴۲]

القول فى شرح خطبة نهج البلاغة

قال الرضى رحمه الله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعدحمد الله ألذى جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا إلى جنانه وسببا لزيادة إحسانه والصلاة على رسوله نبى الرحمة وإمام الأئمة وسراج الأمة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد الأقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق و على أهل بيته مصابيح الظلم وعصم الأمم ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة فصلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاء لفضلهم ومكافأة لعملهم وكفاء لطيب أصلهم وفرعهم ماأنار فجر طالع وخوى نجم ساطع -روايت-۱-۵۲۳ اعلم أنى لاـأتعرض فى هذاالشرح للكلام فيما قدفرغ منه أئمة العربية و لالتفسير ما هوظاهر مكشوف كمافعل القطب الراوندى فإنه شرع أولا فى تفسير قوله أما بعد ثم قال هذا هوفصل الخطاب ثم ذكر مامعنى الفصل وأطال فيه وقسمه أقساما يشرح ما قدفرغ له منه ثم شرح الشرح وكذلك أخذ يفسر قوله من بلائه و قوله إلى جنانه و قوله وسببا و قوله المجد و قوله [صفحه ۴۳] الأقدم و هذاكله إطالة وتضييع للزمان من غيرفائدة و لوأخذنا بشرح مثل ذلك لوجب أن نشرح لفظة أماالمفتوحة و أن نذكر الفصل بينها و بين إما المكسورة ونذكر هل المكسورة من حروف العطف أو لافقيه خلاف ونذكر هل المفتوحة مركبة أومفردة ومهملة أوعاملة ونفسر معنى قول الشاعر أباخراشة أماكنت ذا نفر || فإن قومى لم تأكلهم الضبع .بالفتح ونذكر بعد لم ضمت إذاقطعت عن الإضافة و لم فتحت هاهنا حيث أضيفت ونخرج عن المعنى ألذى قصدناه من موضوع الكتاب إلى فنون أخرى قدأحكمها أربابها. ونبتدئ الآن فنقول قال لى إمام من أئمة اللغة فى زماننا

هوالفخار بكسر الفاء قال و هـذامما يغلط فيه الخاصـة فيفتحونها و هو غيرجائز لأنه مصـدر فاخر وفاعل يجيء مصدره على فعال بالكسر لا ـ غيرنحو قاتلت قتالا ونازلت نزالا وخاصـمت خصاما وكافحت كفاحا وصارعت صـراعا وعنـدى أنه لايبعـد أن تكون الكلمـة مفتوحـة الفاء وتكون مصدر فخر لامصدر فاخر فقد جاء مصدر الثلاثى إذا كان عينه أولامه حرف حلق على فعال بالفتح نحو سـمح سـماحا وذهب ذهابا أللهم إلا أن ينقل ذلك عن شـيخ أو كتاب موثوق به نقلا صـريحا فتزول الشـبهة والعصم جمع عصـمة و هو مايعتصم به والمنار الأعلام واحدها منارة بفتح الميم والمثاقيل جمع مثقال و هومقدار وزن الشـىء تقول مثقال حبة ومثقـال قيراط ومثقال دينار و ليس كماتظنه العامـة أنه اسم للـدينار خاصـة فقوله مثاقيل الفضل أى زنات الفضل و هـذا من باب الاسـتعارة و قوله تكون إزاء لفضـلهم أى مقابلـة له ومكافأة بالهمز من كافأته أى جازيته وكفاء بالهمز والمـد أى نظيرا [صـفحه ۴۴] وخوى النجم أى سـقط وطينة الكرم أصـله وسـلالة المجد فرعه والوسـيل جمع وسـيلة و هو مايتقرب به و لو قال وسبيلا إلى جنانه لكان حسـنا وإنما قصـد الإغراب على أنا قـدقرأناه كـذلك فى بعض النسخ و قوله ومكافأة لعملهم إن أراد أن يجعله قرينة لفضـلهم كـان مسـتقبحا عنـد من يريـد البـديع لأـن الأـولى ساكنـة الأوسط والأخرى متحركـة الأوسط و أما من لايقصـد البـديع كالكلام القديم فليس بمسـتقبح و إن لم يرد أن يجعلها قرينة بل جعلها من حشو السـجعة الثانية وجعل القرينة وأصلهم فهو جائز إلا أن السـجعة الثانيـة تطول جـدا و لو قال عوض لعملهم لفعلهم لكان حسـنا قال الرضـى رحمه الله فإنى كنت فى عنفوان السـن وغضاضـة الغصن ابتدأت تأليف كتاب فى خصائص الأئمة ع يشـتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم حدانى عليه غرض ذكرته فى صـدر الكتـاب وجعلته أمـام الكلاـم وفرغت من الخصـائص التى تخص أمير المؤمنين عليـاص وعـاقت عن إتمام بقية الكتاب محاجزات الأيام ومماطلات الزمان وكنت قدبوبت ماخرج من ذلك أبوابا وفصـلته فصولا فجاء فى آخرها فصل يتضـمن محاسن مانقل عنه ع من الكلام القصير فى المواعظ والحكم والأمثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة فاستحسن جماعـة من الأصـدقاء مااشـتمل عليه الفصـل المقـدم ذكره معجبين ببـدائعه ومتعجبين من نواصـعه وسألونى عنـد ذلك أن أبـدأ بتأليف كتاب يحتوى على مختار كلام أمير المؤمنين ع فى جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب وكتب ومواعظ وأدب علما أن ذلك يتضـمن من عجائب البلاغـة وغرائب الفصاحـة وجواهر العربيـة وثواقب الكلم الدينيـة والدنياوية ما لايوجد مجتمعا فى كلاـم و لامجموع الأطراف -روايت-۱-ادامه دارد [صـفحه ۴۵] فى كتـاب إذ كـان أمير المؤمنين ع مشـرع الفصاحـة وموردها ومنشأ البلاغة ومولدها و منه ع ظهر مكنونها و عنه أخذت قوانينها و على أمثلته حذا كل قائل خطيب وبكلامه اسـتعان كل واعظ بليغ و مع ذلك فقـد سـبق وقصـروا وتقدم وتأخروا لأن كلامه ع الكلام ألذى عليه مسـحة من العلم الإلهى و فيه عبقة من الكلام النبوى -روايت-از قبل-۳۱۴ عنفوان السن أولهـا ومحـاجزات الأيام ممانعاتها ومماطلات الزمان مـدافعاته و قوله معجبين ثم قال ومتعجبين فمعجبين من قولـك أعجب فلاـن برأيه وبنفسه فهـو معجب بهمـا والاـسم العجب بـالضم و لاـ يكـون ذلـك إلاـ فى المسـتحسن ومتعجبين من قولك تعجبت من كذا والاسم العجب و قد يكون فى الشىء يستحسن ويستقبح ويتهول منه ويستغرب ومراده هنـا التهول والاسـتغراب و من ذلـك قول أبى تمام أبـدت أسـى إذ رأتنى مخلس القصب || وآل ما كان من عجب إلى عجب .يريد أنها كانت معجبة به أيام الشبيبة لحسـنه فلما شاب انقلب ذلك العجب عجبا إما اسـتقباحا له أوتهولا منه واسـتغرابا و فى بعض الروايـات معجبين ببـدائعه أى أنهم يعجبون غيرهم والنواصع الخالصـة وثواقب الكلم مضـيئاتها و منه الشـهاب الثـاقب وحذا كل قائل اقتفى واتبع و قوله مسـحة يقولون على فلان مسـحة من جمال مثل قولك شىء وكأنه هاهنا يريد ضوءا وصقالا و قوله عبقة أى رائحة [صـفحه ۴۶] و لو قـال عوض العلم الإلـهى الكتـاب الإلهى لكان أحسن قال الرضـى رحمه الله فأجبتهم إلى الابتـداء بـذلك عالما بما فيه من عظيم النفع ومنشور الـذكر ومـذخور الأجر واعتمدت به أن أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين ع فى هـذه الفضـيلة مضافة إلى المحاسن الدثرة والفضائل الجمة و أنه انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السـلف الأولين الذين إنما يؤثر

عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فأما كلامه ع فهو البحر ألـذى لايساجل والجم ألـذى لايحافل وأردت أن يسوغ لى التمثل فى الافتخار به ص بقول الفرزدق -روايت-۱-۴۴۹ أولئك آبائى فجئنى بمثلهم || إذاجمعتنا ياجرير المجامع المحاسن الدثرة الكثيرة مال دثر أى كثير والجمة مثله ويؤثر عنهم أى يحكى وينقل قلته آثرا أى حاكيا و لايساجل أى لايكاثر أصله من النزع بالسجل و هوالدلو الملىء قال من يساجلنى يساجل ماجدا || يملأ الدلو إلى عقد الكرب . ويروى ويساحل بالحاء من ساحل البحر و هوطرفه أى لايشابه فى بعدساحله و لايحافل أى لايفاخر بالكثرة أصله من الحفل و هوالامتلاء والمحافلة المفاخرة بالامتلاء ضرع حافل أى ممتلئ . [صفحه ۴۷] والفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمى و من هذه الأبيات ومنا ألذى اختير الرجال سماحة || وجودا إذاهب الرياح الزعازع ومنا ألـذى أحيا الوئيد وغالب || وعمرو ومنا حاجب والأقارع ومنا ألـذى قاد الجياد على الوجا || بنجران حتى صبحته الترائع ومنا ألذى أعطى الرسول عطية || أسارى تميم والعيون هوامع .الترائع الكرام من الخيل يعنى غزاة الأقرع بن حابس قبل الإسلام بنى تغلب بنجران و هو ألـذى أعطاه الرسول يوم حنين أسارى تميم . ومنا غداة الروع فرسان غارة || إذامنعت بعدالزجاج الأشاجع ومنا خطيب لايعاب وحامل || أغر إذاالتفت عليه المجامع . أى إذامدت الأصابع بعدالزجاج إتماما لها لأنها رماح قصيرة وحامل أى حامل للديات [صفحه ۴۸] أولئك آبائى فجئنى بمثلهم || إذاجمعتنا ياجرير المجامع بهم أعتلى ماحملتنيه دارم || وأصرع أقرانى الـذين أصارع أخذنا بآفاق السماء عليكم || لنا قمراها والنجوم الطوالع فوا عجبا حتى كليب تسبنى || كأن أباها نهشل أومجاشع قال الرضى رحمه الله ورأيت كلامه ع يدور على أقطاب ثلاثة أولها الخطب والأوامر وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ فأجمعت بتوفيق الله سبحانه على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والأدب مفردا لكل صنف من ذلك بابا ومفصلا فيه أوراقا ليكون مقدمة لاستدراك ماعساه يشذ عنى عاجلا ويقع إلى آجلا و إذاجاء شىء من كلامه الخارج فى أثناء حوار أوجواب سؤال أوغرض آخر من الأغراض فى غيرالأنحاء التى ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الأبواب به وأشدها ملامحة لغرضه وربما جاء فيما أختاره من ذلك فصول غيرمتسقة ومحاسن كلم غيرمنتظمة لأنى أورد النكت واللمع و لاأقصد التتالى والنسق -روايت-۱-۶۵۲ قوله أجمعت على الابتداء أى عزمت و قال القطب الراوندى تقديره أجمعت عازما على الابتداء قال لأنه لايقال إلاأجمعت الأمر و لايقال أجمعت على الأمر قال سبحانه فَأَجمِعُوا أَمرَكُم. -قرآن-۱۶۵-۱۸۴ [صفحه ۴۹] هذا ألذى ذكره الراوندى خلاف نص أهل اللغة قالوا أجمعت الأمر و على الأمر كله جائز نص صاحب الصحاح على ذلك . والمحاسن جمع حسن على غيرقياس كماقالوا الملامح والمذاكر ومثله المقابح والحوار بكسر الحاء مصدر حاورته أى خاطبته والأنحاء الوجوه والمقاصد وأشدها ملامحة لغرضه أى أشدها إبصارا له ونظرا إليه من لمحت الشىء و هذه استعارة يقال هذاالكلام يلمح الكلام الفلانى أى يشابهه كان ذلك الكلام يلمح ويبصر من هذاالكلام قال الرضى رحمه الله و من عجائبه ع التى انفرد بها وأمن المشاركة فيها أن كلامه الوارد فى الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذاتأمله المتأمل وفكر فيه المفكر وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك فى أنه كلام من لاحظ له فى غيرالزهادة و لاشغل له بغير العبادة قدقبع فى كسر بيت أوانقطع إلى سفح جبل لايسمع إلاحسه و لايرى إلانفسه و لايكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس فى الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الأبطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا و هو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال و هذه من فضائله العجيبة وخصائصه اللطيفة التى جمع بها بين الأضداد وألف بين الأشتات وكثيرا ماأذاكر الإخوان بها وأستخرج عجبهم منها وهى موضع العبرة بها والفكرة فيها -روايت-۱-۷۴۱ [صفحه ۵۰] قبع القنفذ يقبع قبوعا إذاأدخل رأسه فى جلده وكذلك الرجل إذاأدخل رأسه فى قميصه و كل من انزوى فى جحر أومكان ضيق فقد قبع وكسر البيت جانب الخباء وسفح الجبل أسفله وأصله حيث يسفح فيه الماء ويقط الرقاب يقطعها عرضا لاطولا كماقاله الراوندى وإنما ذاك القد قددته

طولا- وقططته عرضا قـال ابن فارس صاحب المجمل قال ابن عائشة كانت ضربات على ع فى الحرب أبكارا إن اعتلى قـد و إن اعترض قط ويجـدل الأبطال يلقيهم على الجدالة وهى وجه الأرض وينطف دما يقطر والأبدال قوم صالحون لاتخلو الأرض منهم إذامات أحـدهم أبـدل الله مكانه آخر قدورد ذلک فى كثير من كتب الحديث . كان أمير المؤمنين ع ذا أخلاق متضادة فمنها ما قـدذكره الرضـى رحمه الله و هوموضع التعجب لأن الغالب على أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة أن يكونوا ذوى قلوب قاسية وفتک وتمرد وجبرية والغالب على أهل الزهـد ورفض الدنيا وهجران ملاذها والاشتغال بمواعظ الناس وتخويفهم المعاد وتـذكيرهم الموت أن يكونوا ذوى رقة ولين وضعف قلب وخور طبع وهاتـان حالتـان متضادتـان و قـداجتمعتا له ع . ومنهـا أن الغالب على ذوى الشجاعة وإراقة الدماء أن يكونوا ذوى أخلاق سبعية وطباع حوشية وغرائز وحشية وكذلک الغالب على أهل الزهادة وأرباب الوعظ والتذكير ورفض الدنيا أن يكونوا ذوى انقباض فى الأخلاق وعبوس فى الوجوه ونفار من الناس [صـفحه ۵۱] واستيحاش و أمير المؤمنين ع كان أشجع الناس وأعظمهم إراقة للدم وأزهد الناس وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظا وتـذكيرا بأيـام الله ومثلاته وأشـدهم اجتهادا فى العبادة وآدابا لنفسه فى المعاملة و كان مع ذلک ألطف العالم أخلاقا وأسفرهم وجها وأكثرهم بشـرا وأوفاهم هشاشـة وأبعـدهم عن انقباض موحش أوخلق نافر أوتجهم مباعد أوغلظة وفظاظة تنفر معهما نفس أويتكدر معهما قلب حتى عيب بالدعابة و لما لم يجدوا فيه مغمزا و لامطعنا تعلقوا بها واعتمدوا فى التنفير عنه عليها وتلک شكاة ظاهر عنک عارها و هـذا من عجائبه وغرائبه اللطيفة. ومنها أن الغالب على شـرفاء الناس و من هو من أهل بيت السيادة والرئاسـة أن يكـون ذا كـبر وتيـه وتعظـم وتغطرس خصوصـا إذاأضيـف إلى شـرفه مـن جهـة النسب شـرفه من جهـات أخرى و كـان أمير المؤمنين ع فى مصاص الشـرف ومعدنه ومعانيه لايشک عدو و لاصديق أنه أشـرف خلق الله نسبا بعد ابن عمه ص و قدحصل له من الشـرف غيرشـرف النسب جهات كثيرة متعـددة قـدذكرنا بعضـها و مع ذلک فكان أشد الناس تواضـعا لصـغير وكبير وألينهم عريكـة وأسـمحهم خلقا وأبعـدهم عن الكبر وأعرفهم بحق وكانت حاله هـذه فى كلا زمانيه زمان خلافته [صـفحه ۵۲] والزمان ألـذى قبله لم تغيره الإمرة و لاأحالت خلقه الرئاسـة وكيف تحيل الرئاسـة خلقه و مازال رئيسا وكيف تغير الإمرة سـجيته و مابرح أميرا لم يسـتفد بالخلافـة شـرفا و لاـاكتسب بهازينـة بـل هو كمـا قـال أبو عبـد الله أحمـد بن حنبـل ذكر ذلـک الشـيخ أبوالفرج عبـدالرحمن بن على بن الجوزى فى تـاريخه المعروف بـالمنتظم تـذاكروا عنـد أحمدخلافـة أبى بكر و على وقـالوا فأكثروا فرفع رأسه إليهم و قال قـدأكثرتم أن عليا لم تزنه الخلافـة ولكنه زانها و هـذاالكلام دال بفحواه ومفهومه على أن غيره ازدان بالخلافة وتممـت نقصـه و أن عليـا ع لم يكن فيه نقص يحتـاج إلى أن يتمم بالخلافـة وكـانت الخلافـة ذات نقص فى نفسـها فتم نقصـها بولايته إياها. ومنها أن الغالب على ذوى الشـجاعة وقتل الأنفس وإراقة الدماء أن يكونوا قليلى الصـفح بعيدى العفو لأن أكبادهم واغرة وقلوبهم ملتهبـة والقوة الغضبيـة عنـدهم شديـدة و قـدعلمت حال أمير المؤمنين ع فى كثرة إراقـة الـدم و ماعنده من الحلم والصـفح ومغالبـة هوى النفس و قدرأيت فعله يوم الجمل ولقد أحسن مهيار فى قوله حتى إذادارت رحى بغيهم || عليهم وسبق السيف العـذل عاذوا بعفو ماجد معود || للعفو حمال لهم على العلل فنجت البقيا عليهم من نجا || وأكل الحديد منهم من أكل أطت بهم أرحامهم فلم يطع || ثائرة الغيظ و لم يشف الغلل . ومنها أنا مارأينا شجاعا جوادا قط كان عبد الله بن الزبير شـجاعا و كان أبخل الناس و كان الزبير أبوه شـجاعا و كان شـحيحا قال له عمر لووليتها لظلت تلاطم الناس [صفحه ۵۳] فى البطحاء على الصاع والمـد وأراد على ع أن يحجر على عبـد الله بن جعفرلتبذيره المال فاحتال لنفسه فشارک الزبير فى أمواله وتجاراته فقال ع أماإنه قدلاذ بملاذ و لم يحجر عليه و كان طلحة شـجاعا و كان شحيحا أمسک عن الإنفاق حتى خلف من الأموال ما لايأتى عليه الحصر و كـان عبـدالملک شجاعا و كان شـحيحا يضـرب به المثل فى الشـح وسـمى رشـح الحجر لبخله و قـدعلمت حال أمير المؤمنين ع فى الشجاعة والسـخاء كيف هى و هـذا من أعـاجيبه أيضـا ع قال الرضـى رحمه الله وربما جاء فى أثناء هـذاالاختيار

اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر فى ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام المختار فى رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك فى رواية أخرى موضوعا غيروضعه الأول إما بزيادة مختارة أوبلفظ أحسن عبارة فتقتضى الحال أن يعاد استظهارا للاختيار وغيره على عقائل الكلام وربما بعدالعهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا ونسيانا لاقصدا أواعتمادا و لاأدعى مع ذلك أننى أحيط بأقطار جميع كلامه ع حتى لايشذ عنى منه شاذ و لايند ناد بل لاأبعد أن يكون القاصر عنى فوق الواقع إلى والحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى و ما على إلابذل الجهد وبلاغة الوسع و على الله سبحانه نهج السبيل وإرشاد الدليل . ورأيت من بعدتسمية هذاالكتاب بنهج البلاغة إذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها ويقرب عليه طلابها و فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضى فى أثنائه من عجيب الكلام فى التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه و تعالى عن شبه الخلق ما هوبلال كل غلة وشفاء كل علة وجلاء كل شبهة و من الله أستمد التوفيق والعصمة وأتنجز التسديد والمعونة وأستعيذه من خطإ الجنان قبل خطإ -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ۵۴] اللسان و من زلة الكلم قبل زلة القدم و هوحسبى ونعم الوكيل -روايت-از قبل-۶۷ فى أثناء هذاالاختيار تضاعيفه واحدها ثنى كعذق وأعذاق والغيرة بالفتح والكسر خطأ وعقائل الكلام كرائمه وعقيلة الحى كريمته وكذلك عقيلة الذود والأقطار الجوانب واحدها قطر والناد المنفرد ند البعير يند الربقة عروة الحبل يجعل فيهارأس البهيمة و قوله و على الله نهج السبيل أى إبانته وإيضاحه نهجت له نهجا و أمااسم الكتاب فنهج البلاغة والنهج هنا ليس بمصدر بل هواسم للطريق الواضح نفسه والطلاب بكسر الطاء الطلب والبغية مايبتغى وبلال كل غلة بكسر الباء مايبل به الصدى و منه قوله انضحوا الرحم ببلالها أى صلوها بصلتها وندوها قال أوس كأنى حلوت الشعر حين مدحته || صفا صخرة صماء يبس بلالها . وإنما استعاذ من خطإ الجنان قبل خطإ اللسان لأن خطأ الجنان أعظم وأفحش من خطإ اللسان أ لاترى أن اعتقاد الكفر بالقلب أعظم عقابا من أن يكفر الإنسان بلسانه و هو غيرمعتقد للكفر بقلبه وإنما استعاذ من زلة الكلم قبل زلة القدم لأنه أراد زلة القدم الحقيقية و لاريب أن زلة القدم أهون وأسهل لأن العاثر يستقيل من عثرته وذا الزلة تجده ينهض من صرعته و أماالزلة باللسان فقد لاتستقال عثرتها و لاينهض صريعها وطالما كانت لاشوى لها قال أبوتمام يازلة ماوقيتم شر مصرعها || وزلة الرأى تنسى زلة القدم [صفحه ۵۵]

باب الخطب والأوامر

اشاره

[صفحه ۵۷] قال الرضى رحمه الله باب المختار من خطب أمير المؤمنين ص وأوامره ويدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة -روايت-١-١٨۴ المقامات جمع مقامة و قدتكون المقامة المجلس والنادى ألذى يجتمع إليه الناس و قد يكون اسما للجماعة والأول أليق هاهنا بقوله المحضورة أى التى قدحضرها الناس . ومنذ الآن نبتدئ بشرح كلام أمير المؤمنين ع ونجعل ترجمة الفصل ألذى نروم شرحه الأصل فإذاأنهيناه قلنا الشرح فذكرنا ماعندنا فيه وبالله التوفيق

١-فمن خطبة له ع يذكر فيهاابتداء خلق السماء و الأرض وخلق آدم

اشاره

.الحَمـدُ لِلّهِ اَلّذِى لَا يَبلُغُ مِـدحَتَهُ القَائِلُونَ وَ لَا يُحصـِى نَعمَاءَهُ العَادّونَ وَ لَا يؤُدَيّ حَقّهُ المُجتَهِـدُونَ اَلّذِى لَا يُدرِكُهُ بُعدُ الهِمَمِ وَ لَا يَنَالُهُ غَوصُ الفِطَنِ اَلّذِى لَيسَ لِصِـفَتِهِ حَدّ مَحدُودٌ وَ لَا نَعتٌ مَوجُودٌ وَ لَا وَقتٌ مَعدُودٌ وَ لَا أَجَلٌ مَمدُودٌ فَطَرَ الخَلَائِقَ بِقُدرَتِهِ وَ نَشَرَ الرّيَاحَ بِرَحمَتِهِ وَ وَتّدَ بِالصّخُورِ مَيَدَانَ أَرضِهِ [صـفحه ۵۸] ألـذى عليه أكثر الأدباء والمتكلمين أن الحمـد والمدح أخوان لافرق بينهما تقول حمـدت زيـدا على إنعامه ومدحته على إنعامه وحمدته على شجاعته ومدحته على شـجاعته فهما سواء يدخلان فيما كـان من فعـل الإنسـان وفيمـا ليس من فعله كماذكرنـاه من المثـالين فأما الشـكر فأخص من المـدح لأنه لا يكون إلا على النعمة خاصة و لا يكون إلاصادرا من منعم عليه فلايجوز عندهم أن يقال شكر زيد عمرا لنعمة أنعمها عمرو على إنسان غيرزيد. إن قيل الاسـتعمال خلاف ذلك لأنهم يقولون حضـرنا عندفلان فوجدناه يشكر الأمير على معروفه عندزيد قيل ذلك إنما يصح إذا كان إنعام الأمير على زيد أوجب سـرور فلان فيكون شـكر إنعام الأمير على زيد شكرا على السرور الداخل على قلبه بالإنعام على زيد وتكون لفظة زيـد التى استعيرت ظاهرا لاسـتناد الشكر إلى مسـماها كناية لاحقيقة و يكون ذلك الشـكر شـكرا باعتبار السـرور المـذكور ومـدحا باعتبـار آخر و هوالمناداة على ذلك الجميل والثناء الواقع بجنسه . ثم إن هؤلاء المتكلمين الـذين حكينا قولهم يزعمون أن الحمـد والمـدح والشـكر لاـ يكون إلاباللسـان مع انطواء القلب على الثناء والتعظيم فإن اسـتعمل شـىء من ذلك فى الأفعـال بـالجوارح كـان مجازا وبقى البحث عن اشتراطهم مطابقـة القلب للسان فإن الاسـتعمال لايساعـدهم لأن أهل الاصـطلاح يقولون لمن مـدح غيره أوشـكره رياء وسـمعة إنه قدمـدحه وشـكره و إن كان منافقا عندهم ونظير هذاالموضع الإيمان فإن أكثر المتكلمين لاـيطلقونه على مجرد النطـق اللسـانى بـل يشـترطون فيه الاعتقـاد القلـبى فأمـا [صـفحه ۵۹] أن يقصـروا بـه عليـه كما هومـذهب الأشـعرية والإماميـة أوتؤخـذ معه أمور أخرى وهى فعـل الواجب وتجنب القبيـح كما هومـذهب المعتزلـة و لايخالف جمهور المتكلمين فى هـذه المسألـة إلاالكراميـة فإن المنافق عنـدهم يسـمى مؤمنا ونظروا إلى مجرد الظاهر فجعلوا النطق اللسانى وحـده إيمانا. والمدحـة هيئـة المـدح كالركبـة هيئة الركوب والجلسة هيئة الجلوس والمعنى مطروق جدا و منه فى الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى وَ إِن تَعُدّوا نِعمَةَ اللّهِ لا تُحصُوها –قرآن–۴۰۳–۴۴۴ و فى الأثر النبوى لاأحصى ثناء عليك أنت كماأثنيت على نفسك –روايت–۱–۴–روايت–۲۲–۶۷ و قال الكتاب من ذلك مايطول ذكره فمن جيـد ذلك قول بعضـهم الحمـد لله على نعمه التى منها إقـدارنا على الاجتهاد فى حمدها و إن عجزنا عن إحصائها وعدها وقالت الخنساء بنت عمرو بن الشـريد فما بلغت كف امرئ متناول || بهاالمجـد إلا و ألـذى نلت أطول [صـفحه ۶۰] و لاـحبر المثنون فى القول مدحـة || و إن أطنبوا إلاـ و مـافيك أفضل . و من مستحسن ماوقفت عليه من تعظيم البارئ عزجلاله بلفظ الحمد قول بعض الفضـلاء فى خطبة أرجوزة علمية الحمد لله بقـدر الله || لاقـدر وسع العبـد ذى التناهى والحمد لله ألذى برهانه || أن ليس شأن ليس فيه شانه والحمد لله ألذى من ينكره || فإنمـا ينكر من يصوره . و أما قوله ألـذى لايـدركه فيريـد أن همم النظار وأصحاب الفكر و إن علت وبعـدت فإنها لاتـدركه تعـالى و لاتحيـط به و هـذاحق لأن كل متصور فلابـد أن يكون محسوسا أومتخيلا أوموجودا من فطرة النفس والاسـتقراء يشـهد بـذلك مثـال المحسوس السواد والحموضـة مثـال المتخيـل إنسـان يطير أوبحر من دم مثال الموجود من فطرة النفس تصور الألم واللذة و لما كان البارئ سبحانه خارجا عن هذاأجمع لم يكن متصورا.فأما قوله ألذى ليس لصـفته حد محدود فإنه يعنى بصـفته هاهنا كنهه وحقيقته يقول ليس لكنهه حـد فيعرف بـذلك الحـد قياسا على الأشياء المحـدودة لأنه ليس بمركـب و كل محـدود مركب . ثم قال و لانعت موجود أى و لايدرك بالرسم كماتدرك الأشـياء برسومها و هو أن تعرف بلازم من لوازمها وصفة من صفاتها ثم قال و لاوقت معـدود و لاأجل ممدود فيه إشارة إلى الرد على من قال إنا [صـفحه ۶۱] نعلم كنه البارئ سبحانه لا فى هـذه الـدنيا بل فى الآخرة فإن القائلين برؤيته فى الآخرة يقولون إنا نعرف حينئذ كنهه فهو ع رد قولهم و قال إنه لاوقت أبدا على الإطلاـق تعرف فيه حقيقته وكنهه لاالآن و لا بعـدالآن و هوالحق لأنا لورأيناه فى الآخرة وعرفنا كنهه لتشـخص تشـخصا يمنع من

حمله على كثيرين و لايتصور أن يتشخص هذاالتشخص إلا مايشار إلى جهته و لاجهة له سبحانه و قدشرحت هذاالموضع فى كتابى المعروف بزيادات النقضين وبينت أن الرؤية المنزهة عن الكيفية التى يزعمها أصحاب الأشعرى لابد فيها من إثبات الجهة وأنها لاتجرى مجرى العلم لأن العلم لايشخص المعلوم والرؤية تشخص المرئى والتشخيص لايمكن إلا مع كون المتشخص ذا جهة. واعلم أن نفى الإحاطة مذكور فى الكتاب العزيز فى مواضع منها قوله تعالى وَ لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً ومنها قوله يَنقَلِب إِلَيكَ البَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ و قال بعض الصحابة العجز عن درك الإدارك إدراك و قدغلا محمد بن هانئ فقال فى ممدوحه المعز أبى تميم معد بن المنصور العلوى -قرآن-٧٢٩-٧٥٦-قرآن-٧٦٩-٨١٧ أتبعته فكرى حتى إذابلغت || غاياتها بين تصويب وتصعيد رأيت موضع برهان يلوح و ما || رأيت موضع تكييف وتحديد . و هذامدح يليق بالخالق تعالى و لايليق بالمخلوق .فأما قوله فطر الخلائق إلى آخر الفصل فهو تقسيم مشتق من الكتاب العزيز فقوله فطر الخلائق بقدرته من قوله تعالى قالَ رَبّ السّماواتِ -قرآن-١٧٢-١٩١ . و هذامدح يليق بالخالق تعالى و لايليق بالمخلوق .فأما قوله فطر الخلائق إلى آخر الفصل فهو تقسيم مشتق من الكتاب العزيز فقوله فطر الخلائق بقدرته من قوله تعالى قالَ رَبّ السّماواتِ وَ الأَرضِ وَ ما بَينَهُمَا و قوله ونشر الرياح برحمته من قوله يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته . و قوله ووتد بالصخور ميدان أرضه من قوله وَ الجِبالَ أَوتاداً والميدان التحرك والتموج .فأما القطب الراوندى رحمه الله فإنه قال إنه ع أخبر عن نفسه بأول هذاالفصل أنه يحمد الله و ذلك من ظاهر كلامه ثم أمر غيره من فحوى كلامه أن يحمد الله وأخبر ع أنه ثابت على ذلك مدة حياته و أنه يجب على المكلفين ثبوتهم عليه مابقوا و لو قال أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك ثم قال والحمد أعم من الشكر و الله أخص من الإله قال فأما قوله ألذى لايبلغ مدحته القائلون فإنه أظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بمحامده والمعنى أن الحمد كل الحمد ثابت للمعبود ألذى حقت العبادة له فى الأزل واستحقها حين خلق الخلق وأنعم بأصول النعم التى يستحق بهاالعبادة. ولقائل أن يقول إنه ليس فى فحوى كلامه أنه أمر غيره أن يحمد الله و ليس يفهم من قول بعض رعية الملك لغيره منهم العظمة والجلال لهذا الملك أنه قدأمرهم بتعظيمه وإجلاله و لاأيضا فى الكلام مايدل على أنه ثابت على ذلك مدة حياته و أنه يجب على المكلفين ثبوتهم عليه مابقوا. و لاأعلم كيف قدوقع ذلك للراوندى فإن زعم أن العقل يقتضى ذلك فحق ولكن -قرآن-١-٢٨-قرآن-١٤٧-١٦٦ [صفحه ٦٣] ليس مستفادا من الكلام و هو أنه قال إن ذلك موجود فى الكلام .فأما قوله لو كان قال أحمد الله لم يعلم منه جميع ذلك فإنه لافرق فى انتفاء دلالة أحمد الله على ذلك ودلالة الحمد لله وهما سواء فى أنهما لايدلان على شيء من أحوال غيرالقائل فضلا عن دلالتهما على ثبوت ذلك ودوامه فى حق غيرالقائل . و أما قوله الله أخص من الإله فإن أراد فى أصل اللغة فلافرق بل الله هوالإله وفخم بعدحذف الهمزة هذاقول كافة البصريين و إن أراد أن أهل الجاهلية كانوا يطلقون على الأصنام لفظة الإلهة و لايسمونها الله فحق و ذلك عائد إلى عرفهم واصطلاحهم لا إلى أصل اللغة والاشتقاق أ لاترى أن الدابة فى العرف لاتطلق على القملة و إن كانت فى أصل اللغة دابة.فأما قوله قدأظهر العجز عن القيام بواجب مدائحه فكيف بمحامده فكلام يقتضى أن المدح غيرالحمد ونحن لانعرف فرقا بينهما وأيضا فإن الكلام لايقتضى العجز عن القيام بالواجب لا من الممادح و لا من المحامد و لا فيه تعرض لذكر الوجوب وإنما نفى أن يبلغ القائلون مدحته لم يقل غير ذلك . و أما قوله ألذى حقت العبادة له فى الأزل واستحقها حين خلق الخلق وأنعم بأصول النعم فكلام ظاهره متناقض لأنه إذا كان إنما استحقها حين خلق الخلق فكيف يقال إنه استحقها فى الأزل وهل يكون فى الأزل مخلوق ليستحق عليه العبادة. واعلم أن المتكلمين لايطلقون على البارئ سبحانه أنه معبود فى الأزل أومستحق للعبادة فى الأزل إلابالقوة لابالفعل لأنه ليس فى الأزل مكلف يعبده تعالى و لاأنعم على أحد فى الأزل بنعمة يستحق بهاالعبادة حتى أنهم قالوا فى الأثر الوارد ياقديم [صفحه ٦٤] الإحسان إن معناه أن إحسانه متقادم العهد لا أنه قديم حقيقة كماجاء فى الكتاب العزيزحَتّى عادَ كَالعُرجُونِ القَدِيمِ أى ألذى قدتوالت عليه الأزمنة المتطاولة. ثم قال

الراونـدى والحمـد والمـدح يكونـان بـالقول وبالفعـل والألـف واللام فى القـائلون لتعريف الجنس كمثلهمـا فى الحمـد والبلوغ المشارفـة يقـال بلغت المكان إذاأشـرفت عليه و إذا لم تشـرف على حمـده تعالى بالقول فكيف توصل إليه بالفعل والإله مصـدر بمعنى المـألوه . ولقائل أن يقول ألـذى سـمعناه أن التعظيم يكون بالقول والفعل وبترك القول والفعل قالوا فمن قال لغيره ياعالم فقـد عظمه و من قام لغيره فقـد عظمه و من ترك مـد رجله بحضـرة غيره فقـد عظمه و من كف غرب لسانه عن غيره فقد عظمه وكـذلك الاسـتخفاف والإهانـة تكون بـالقول والفعـل وبتركهمـا حسب ماقـدمنا ذكره فى التعظيم .فأما الحمـد والمـدح فلاوجه لكونهما بالفعل و أما قوله إن اللام فى القائلون لتعريف الجنس كماأنها فى الحمـد كذلك فعجيب لأنها للاسـتغراق فى القائلون لاشبهة فى ذلـك كـالمؤمنين والمشـركين و لاـيتم المعنى إلاـ به لأـنه للمبالغـة بـل الحق المحض أنه لايبلغ مـدحته كل القائلين بأسـرهم وجعـل اللام للجنس ينقص عن هـذاالمعنى إن أراد بالجنس المعهود و إن أراد الجنسـية العامـة فلانزاع بيننا وبينه إلا أن قوله كماأنها فى الحمـد كـذلك يمنع من أن يحمل كلامه على المحمل الصـحيح لأنها ليست فى الحمد للاسـتغراق يبين ذلك أنهـا لوكانت للاسـتغراق لماجاز أن يحمـد رسول الله ص و لاغيره من الناس و هـذاباطل . -قرآن-٨٨-١٢٠ [صفحه ۶۵] وأيضا فإنهـا لفـظ واحـد مفرد معرف بلاـم الجنس والأصـل فى مثل ذلك أن يفيـد الجنسـية المطلقـة و لايفيـد الاسـتغراق فإن جاء منه شىءللاسـتغراق كقوله إِنّ الإِنسانَ لَفِي خُسرٍ وأهلك الناس الـدرهم والدينار فمجاز والحقيقة ماذكرناه فأما قوله البلوغ المشارفة يقـال بلغت المكـان إذاأشـرفت عليه فالأجود أن يقول قالوا بلغت المكان إذاشارفته و بين قولنا شارفته وأشـرفت عليه فرق . و أما قوله و إذا لم يشـرف على حمـده بـالقول فكيف يوصـل إليه بالفعـل فكلاـم مبنى على أن الحمـد قـد يكون بالفعـل و هوخلاف مايقوله أرباب هذه الصـناعة. و قوله والإله مصدر بمعنى المألوه كلام طريف أماأولا فإنه ليس بمصدر بل هواسم كوجار للضـبع وسـرار للشـهر و هواسم جنس كالرجـل والفرس يقع على كـل معبود بحق أوباطل ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريـا والسـنة اسم لكـل عـام ثم غلب على عـام القحـط وأظنه رحمه الله لمـارآه فعالاـ ظن أنه اسم مصـدر كالحصاد والجذاذ وغيرهما و أماثانيا فلأن المألوه صـيغة مفعول وليست صيغة مصدر إلا فى ألفاظ نادرة كقولهم ليس له معقول و لامجلود و لم يسـمع مألوه فى اللغة لأنه قدجاء أله الرجل إذادهش وتحير و هوفعل لازم لايبنى منه مفعول . ثم قال الراوندى و فى قول الله تعالى وَ إِن تَعُـدّوا نِعمَـةَ اللّهِ لا تُحصُوهابلفظ الإفراد وقول أمير المؤمنين ع لايحصـى نعماءه العادون بلفظ الجمع سـر عجيب لأـنه تعـالى أراد أن نعمـة واحـدة من نعمه لاـيمكن العبـاد عـد وجوه كونهـا نعمـة وأراد أمير المؤمنين ع أن أصول نعمه لاتحصـى لكثرتها فكيف تعد -قرآن-١٤٥-١٧١-قرآن-١١٣٧-١١٧٨ [صـفحه ۶۶] وجوه فروع نعمـائه وكـذلك فى كون الآية واردة بلفظـة إن الشـرطية وكلام أمير المؤمنين ع على صـيغة الخبر تحته لطيفة عجيبة لأنه سـبحانه يريد أنكم إن أردتـم أن تعدوا نعمه لم تقدروا على حصـرها و على ع أخبر أنه قدأنعم النظر فعلم أن أحدا لايمكنه حصر نعمه تعالى . ولقائل أن يقول الصحيح أن المفهوم من قوله وَ إِن تَعُـدّوا نِعمَـةَ اللّهِالجنس كما يقول القائل أنا لاأجحـد إحسانك إلى وامتنانك على و لايقصـد بـذلك إحسانـا واحـدا بـل جنس الإحسان . و ماذكره من الفرق بين كلام البارئ وكلام أمير المؤمنين ع غير بين فإنه لو قال تعالى و إن تعـدوا نعم الله و قـال ع و لايحصـى نعمته العـادون لكان كل واحـد منهما سادا مسـد الآخر. أمااللطيفـة الثانيـة فغير ظاهرة أيضا و لامليحـة لأـنه لوانعكس الأمر فكان القرآن بصـيغة الخبر وكلام على ع بصـيغة الشـرط لكان مناسـبا أيضا حسب مناسـبته والحال بعكس ذلـك أللهم إلا أن تكون قرينـة السـجعة من كلام على ع تنبو عن لفظـة الشـرط و إلافمتى حـذفت القرينـة السـجعية عن وهمك لم تجـد فرقا ونحن نعوذ بالله من التعسف والتعجرف الداعى إلى ارتكاب هذه الدعاوى المنكرة. ثم قال الراوندى إنه لو قـال أمير المؤمنين ع ألـذى لايعـد نعمه الحاسـبون لم تحصـل المبالغـة التى أرادهـا بعبارته لأن اشـتقاق الحساب من الحسـبان و هوالظن قال و أمااشـتقاق العـدد فمن العد و هوالماء ألذى له مادة والإحصاء الإطاقة أحصـيته أى أطقته فتقدير الكلام لايطيق عد

نعمائه العادون ومعنى ذلک -قرآن-۳۱۳-۳۴۲ [صفحه ۶۷] أن مدائحه تعالى لايشرف على ذكرها الأنبياء والمرسلون لأنها أكثر من أن تعدها الملائكة المقربون والكرام الكاتبون . ولقائل أن يقول أماالحساب فليس مشتقا من الحسبان بمعنى الظن كماتوهمه بل هوأصل برأسه أ لاترى أن أحدهما حسبت أحسب والآخر حسبت أحسب وأحسب بالفتح والضم و هو من الألفاظ الأربعة التى جاءت شاذة وأيضا فإن حسبت بمعنى ظننت يتعدى إلى مفعولين لايجوز الاقتصار على أحدهما وحسبت من العدد يتعدى إلى مفعول واحد ثم يقال له وهب أن الحاسبين لوقالها مشتقة من الظن لم تحصل المبالغة بل المبالغة كادت تكون أكثر لأن النعم التى لايحصرها الظان بظنونه أكثر من النعم التى لايعدها العالم بعلومه و أما قوله العدد مشتق من العد و هوالماء ألذى له مادة فليس كذلک بل هما أصلان وأيضا لو كان أحدهما مشتقا من الآخر لوجب أن يكون العد مشتقا من العدد لأن المصادر هى الأصول التى يقع الاشتقاق منها سواء أ كان المشتق فعلا أواسما أ لاتراهم قالوا فى كتب الاشتقاق أن الضرب الرجل الخفيف مشتق من الضرب أى السير فى الأرض للابتغاء قال الله تعالى لا يَستَطِيعُونَ ضَرباً فِي الأَرضِ فجعل الاسم منقولا ومشتقا من المصدر. و أماالإحصاء فهو الحصر والعد و ليس هوالإطاقة كماذكر لايقال أحصيت الحجر أى أطقت حمله . و أما ما قال إنه معنى الكلمة فطريف لأنه ع لم يذكر الأنبياء و لا -قرآن-۹۸۶-۱۰۲۰ [صفحه ۶۸] الملائكة لامطابقة و لاتضمنا و لاالتزاما و أى حاجة إلى هذاالتقدير الطريف ألذى لايشعر الكلام به ومراده ع و هو أن نعمه جلت لكثرتها أن يحصيها عاد ما هونفى لمطلق العادين من غيرتعرض لعاد مخصوص . قال الراوندى فأما قوله لايدركه بعدالهمم فالإدراک هوالرؤية والنيل والإصابة ومعنى الكلام الحمد لله ألذى ليس بجسم و لاعرض إذ لو كان أحدهما لرآه الراءون إذاأصابوه وإنما خص بعدالهمم بإسناد نفى الإدراک وغوص الفطن بإسناد نفى النيل لغرض صحيح و ذلک أن الثنوية يقولون بقدم النور والظلمة ويثبتون النور جهة العلو والظلمة جهة السفل ويقولون إن العالم ممتزج منهما فرد ع عليهم بما معناه أن النور والظلمة جسمان والأجسام محدثة والبارئ تعالى قديم . ولقائل أن يقول إنه لم يجر للرؤية ذكر فى الكلام لأنه ع لم يقل ألذى لاتدركه العيون و لاالحواس وإنما قال لايدركه بعدالهمم و هذايدل على أنه إنما أراد أن العقول لاتحيط بكنهه وحقيقته . وأيضا فلو سلمنا أنه إنما نفى الرؤية لكان لمحاج أن يحاجه فيقول له هب أن الأمر كماتزعم ألست تريد بيان الأمر ألذى لأجله خصص بعدالهمم بنفى الإدراک وخصص غوص الفطن بنفى النيل و قلت إنما قسم هذاالتقسيم لغرض صحيح و مارأيناک أوضحت هذاالغرض وإنما حكيت مذهب الثنوية و ليس يدل مذهبهم على وجوب تخصيص بعدالهمم بنفى الإدراک دون نفى النيل و لايوجب تخصيص غوص الفطن [صفحه ۶۹] بنفى النيل دون نفى الإدراک وأكثر ما فى حكاية مذهبهم أنهم يزعمون أن إلهى العالم النور والظلمة وهما جسمان و أمير المؤمنين ع يقول لو كان صانع العالم جسما لرئى وحيث لم ير لم يكن جسما أى شىء فى هذاما يدل على وجوب ذلک التقسيم والتخصيص ألذى زعمت أنه إنما خصصه وقسمه لغرض صحيح . ثم قال الراوندى ويجوز أن يقال البعد والغوص مصدران هاهنا بمعنى الفاعل كقولهم فلأن عدل أى عادل و قوله تعالى إِن أَصبَحَ ماؤُكُم غَوراً أى غائرا فيكون المعنى لايدركه العالم البعيد الهمم فكيف الجاهل و يكون المقصد بذلک الرد على من قال إن محمداص رأى ربه ليلة الإسراء و إن يونس ع رأى ربه ليلة هبوطه إلى قعر البحر. ولقائل أن يقول أن المصدر ألذى جاء بمعنى الفاعل ألفاظ معدودة لايجوز القياس عليها و لوجاز لما كان المصدر هاهنا بمعنى الفاعل لأنه مصدر مضاف والمصدر المضاف لا يكون بمعنى الفاعل و لوجاز أن يكون المصدر المضاف بمعنى الفاعل لم يجز أن يحمل كلامه ع على الرد على من أثبت أن البارئ سبحانه مرئى لأنه ليس فى الكلام نفى الرؤية أصلا وإنما غرض الكلام نفى معقوليته سبحانه و أن الأفكار والأنظار لاتحيط بكنهه و لاتتعقل خصوصية ذاته جلت عظمته . ثم قال الراوندى فأما قوله ألذى ليس لصفته حد محدود و لانعت موجود و لاوقت معدود و لاأجل ممدود فالوقت تحرک الفلک ودورانه على وجه والأجل -قرآن-۴۲۱-۴۴۶ [صفحه ۷۰] مدة الشىء ومعنى الكلام أن شكرى لله تعالى متجدد

عندتجدد كل ساعة ولهذا أبدل هذه الجملة من الجملة التى قبلها وهى الثانية كماأبدل الثانية من الأولى . ولقائل أن يقول الوقت عند أهل النظر مقدار حركة الفلك لانفس حركته والأجل ليس مطلق الوقت أ لاتراهم يقولون جئتك وقت العصر و لايقولون أجل العصر والأجل عندهم هوالوقت ألذى يعلم الله تعالى أن حياة الحيوان تبطل فيه مأخوذ من أجل الدين و هوالوقت ألذى يحل قضاؤه فيه .فأما قوله ومعنى الكلام أن شكرى متجدد لله تعالى فى كل وقت ففاسد و لاذكر فى هذه الألفاظ للشكر و لاأعلم من أين خطر هذاللراوندى وظنه أن هذه الجمل من باب البدل غلط لأنها صفات كل واحدة منها صفة بعدأخرى كماتقول مررت بزيد العالم الظريف الشاعر. قال الراوندى فأما قوله ألذى ليس لصفته حد فظاهره إثبات الصفة له سبحانه وأصحابنا لايثبتون لله سبحانه صفة كمايثبتها الأشعرية لكنهم يجعلونه على حال أويجعلونه متميزا بذاته فأمير المؤمنين ع بظاهر كلامه و إن أثبت له صفة إلا أن من له أنس بكلام العرب يعلم أنه ليس بإثبات على الحقيقة و قدسألنى سائل فقال هاهنا كلمتان إحداهما كفر والأخرى ليست بكفر وهما لله تعالى شريك غيربصير ليس شريك الله تعالى بصيرا فأيهما كلمة الكفر فقلت له القضية الثانية وهى ليس شريك الله تعالى بصيرا كفر لأنها تتضمن إثبات الشريك و أماالكلمة الأخرى فيكون معناها لله شريك غيربصير بهمزة الاستفهام المقدرة المحذوفة. [صفحه ٧١] ثم أخذ فى كلام طويل يبحث فيه عن الصفة والمعنى ويبطل مذهب الأشعرية بما يقوله المتكلمون من أصحابنا وأخذ فى توحيد الصفة لم جاء وكيف يدل نفى الصفة الواحدة على نفى مطلق الصفات وانتقل من ذلك إلى الكلام فى الصفة الخامسة التى أثبتها أبوهاشم ثم خرج إلى مذهب أبى الحسين وأطال جدا فيما لاحاجة إليه . ولقائل أن يقول الأمر أسهل مما تظن فإنا قدبينا أن مراده نفى الإحاطة بكنهه وأيضا يمكن أن يجعل الصفة هاهنا قول الواصف فيكون المعنى لاينتهى الواصف إلى حد إلا و هوقاصر عن النعت لجلالته وعظمته جلت قدرته .فأما القضيتان اللتان سأله السائل عنهما فالصواب غير ماأجاب به فيهما و هو أن القضية الأولى كفر لأنها صريحة فى إثبات الشريك والثانية لاتقتضى ذلك لأنه قدينفى قول الشريك بصيرا على أحد وجهين إما لأن هناك شريكا لكنه غيربصير أولأن الشريك غيرموجود و إذا لم يكن موجودا لم يكن بصيرا فإذا كان هذاالاعتبار الثانى مرادا لم يكن كفرا وصار كالأثر المنقول كان مجلس رسول الله ص لاتؤثر هفواته أى لم يكن فيه هفوات فتؤثر وتحكى و ليس أنه كان المراد فى مجلسه هفوات إلاأنها لم تؤثر. قال الراوندى فإن قيل تركيب هذه الجملة يدل على أنه تعالى فطر الخليقة قبل خلق السموات و الأرض . [صفحه ٧٢] قلنا قداختلف فى ذلك فقيل أول مايحسن منه تعالى خلقه ذاتا حية يخلق فيهاشهوة لمدرك تدركه فتلتذ به ولهذا قيل تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان عبث وقبيح وقيل لامانع من تقديم خلق الجماد إذاعلم أن علم بعض المكلفين فيما بعدبخلقه قبله لطف له ولقائل أن يقول أما إلى حيث انتهى به الشرح فليس فى الكلام تركيب يدل على أنه تعالى فطر خلقه قبل خلق السموات و الأرض وإنما قديوهم تأمل كلامه ع فيما بعدشيئا من ذلك لما قال ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء على أنا إذاتأملنا لم نجد فى كلامه ع مايدل على تقديم خلق الحيوان لأنه قبل أن يذكر خلق السماء لم يذكر إلا أنه فطر الخلائق وتارة قال أنشأ الخلق ودل كلامه أيضا على أنه نشر الرياح و أنه خلق الأرض وهى مضطربة فأرساها بالجبال كل هذايدل عليه كلامه و هومقدم فى كلامه على فتق الهواء والفضاء وخلق السماء فأما تقديم خلق الحيوان أوتأخيره فلم يتعرض كلامه ع له فلامعنى لجواب الراوندى وذكره مايذكره المتكلمون من أنه هل يحسن تقديم خلق الجماد على الحيوان أم لا- أَوّلُ الدّينِ مَعرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعرِفَتِهِ التّصدِيقُ بِهِ وَ كَمَالُ التّصدِيقِ بِهِ تَوحِيدُهُ وَ كَمَالُ تَوحِيدِهِ الإِخلَاصُ لَهُ وَ كَمَالُ الإِخلَاصِ لَهُ نفَيُ‌ُ الصّفَاتِ عَنهُ لِشَهَادَةِ كُلّ صِفَةٍ أَنّهَا غَيرُ المَوصُوفِ وَ شَهَادَةِ كُلّ مَوصُوفٍ أَنّهُ غَيرُ الصّفَةِ فَمَن وَصَفَ اللّهَ سُبحَانَهُ فَقَد قَرَنَهُ وَ مَن قَرَنَهُ فَقَد ثَنّاهُ وَ مَن ثَنّاهُ فَقَد جَزّأَهُ وَ مَن جَزّأَهُ فَقَد جَهِلَهُ [صفحه ٧٣] وَ مَن جَهِلَهُ فَقَد أَشَارَ إِلَيهِ وَ مَن أَشَارَ إِلَيهِ فَقَد حَدّهُ وَ مَن حَدّهُ فَقَد عَدّهُ وَ مَن قَالَ فِيمَ فَقَد ضَمّنَهُ وَ مَن قَالَ عَلَامَ فَقَد أَخلَى مِنهُ إنما قال ع أول الدين معرفته لأن التقليد باطل وأول الواجبات الدينية المعرفة ويمكن أن يقول قائل ألستم تقولون فى

علم الكلام أول الواجبات النظر فی طريق معرفة الله تعالی وتارة تقولون القصد إلی النظر فهل يمكن الجمع بين هذا و بين كلامه ع . وجوابه أن النظر والقصد إلی النظر إنما وجبا بالعرض لابالذات لأنهما وصله إلی المعرفة والمعرفة هی المقصود بالوجوب و أمير المؤمنين ع أراد أول واجب مقصود بذاته من الدين معرفة الباری سبحانه فلاتناقض بين كلامه و بين آراء المتكلمين . و أما قوله وكمال معرفته التصديق به فلأن معرفته قدتكون ناقصة و قدتكون غيرناقصة فالمعرفة الناقصة هی المعرفة بان للعالم صانعا غيرالعالم و ذلك باعتبار أن الممكن لابد له من مؤثر فمن علم هذافقط علم الله تعالی ولكن علما ناقصا و أماالمعرفة التی ليست ناقصة فأن تعلم أن ذلك المؤثر خارج عن سلسلة الممكنات والخارج عن كل الممكنات ليس بممكن و ما ليس بممكن فهو واجب الوجود فمن علم أن للعالم مؤثرا واجب الوجود فقد عرفه عرفانا أكمل من عرفان أن للعالم مؤثرا فقط و هذاالأمر الزائد هوالمكنی عنه بالتصديق به لأن أخص مايمتاز به الباری عن مخلوقاته هووجوب الوجود. [صفحه ۷۴] و أما قوله ع وكمال التصديق به توحيده فلأن من علم أنه تعالی واجب الوجود مصدق بالباری سبحانه لكن ذلك التصديق قد يكون ناقصا و قد يكون غيرناقص فالتصديق الناقص أن يقتصر علی أن يعلم أنه واجب الوجود فقط والتصديق ألذی هوأكمل من ذلك وأتم هوالعلم بتوحيده سبحانه باعتبار أن وجوب الوجود لايمكن أن يكون لذاتين لأن فرض واجبی الوجود يفضی إلی عموم وجوب الوجود لهما وامتياز كل واحد منهما بأمر غيرالوجوب المشترك و ذلك يفضی إلی تركيبهما وإخراجهما عن كونهما واجبی الوجود فمن علم الباری سبحانه واحدا أی لاواجب الوجود إلا هو يكون أكمل تصديقا ممن لم يعلم ذلك وإنما اقتصر علی أن صانع العالم واجب الوجود فقط. و أما قوله وكمال توحيده الإخلاص له فالمراد بالإخلاص له هاهنا هونفی الجسمية والعرضية ولوازمهما عنه لأن الجسم مركب و كل مركب ممكن وواجب الوجود ليس بممكن وأيضا فكل عرض مفتقر وواجب الوجود غيرمفتقر فواجب الوجود ليس بعرض وأيضا فكل جرم محدث وواجب الوجود ليس بمحدث فواجب الوجود ليس بجرم و لاعرض فلا يكون حاصلا فی جهة فمن عرف وحدانية الباری و لم يعرف هذه الأمور كان توحيده ناقصا و من عرف هذه الأمور بعدالعلم بوحدانيته تعالی فهو المخلص فی عرفانه جل اسمه ومعرفته تكون أتم وأكمل . و أما قوله وكمال الإخلاص له نفی الصفات عنه فهو تصريح بالتوحيد ألذی تذهب إليه المعتزلة و هونفی المعانی القديمة التی تثبتها الأشعرية وغيرهم قال ع [صفحه ۷۵] لشهادة كل صفة أنها غيرالموصوف وشهادة كل موصوف أنه غيرالصفة و هذا هودليل المعتزلة بعينه قالوا لو كان عالما بمعنی قديم لكان ذلك المعنی إما هو أوغيره أو ليس هو و لاغيره والأول باطل لأنا نعقل ذاته قبل أن نعقل أونتصور له علما والمتصور مغاير لما ليس بمتصور والثالث باطل أيضا لأن إثبات شيئين أحدهما ليس هوالآخر و لاغيره معلوم فساده ببديهة العقل فتعين القسم الثانی و هومحال أماأولا فبإجماع أهل الملة و أماثانيا فلما سبق من أن وجوب الوجود لايجوز أن يكون لشيئين فإذاعرفت هذافاعرف أن الإخلاص له تعالی قد يكون ناقصا و قد لا يكون فالإخلاص الناقص هوالعلم بوجوب وجوده و أنه واحد ليس بجسم و لاعرض و لايصح عليه مايصح علی الأجسام والأعراض والإخلاص التام هوالعلم بأنه لاتقوم به المعانی القديمة مضافا إلی تلك العلوم السابقة وحينئذ تتم المعرفة وتكمل . ثم أكد أمير المؤمنين ع هذه الإشارات الإلهية بقوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه و هذاحق لأن الموصوف يقارن الصفة والصفة تقارنه . قال و من قرنه فقد ثناه و هذاحق لأنه قدأثبت قديمين و ذلك محض التثنية. قال و من ثناه فقد جزأه و هذاحق لأنه إذاأطلق لفظة الله تعالی علی الذات والعلم القديم فقد جعل مسمی هذااللفظ وفائدته متجزئة كإطلاق لفظ الأسود علی الذات التی حلها سواد. قال و من جزأه فقد جهله و هذاحق لأن الجهل هواعتقاد الشیء علی خلاف ما هو به . قال و من أشار إليه فقد حده و هذاحق لأن كل مشار إليه فهو محدود [صفحه ۷۶] لأن المشار إليه لابد أن يكون فی جهة مخصوصة و كل ما هو فی جهة فله حد وحدود أی أقطار وأطراف . قال و من حده فقد عده أی جعله من الأشياء المحدثة و هذاحق لأن كل محدود معدود فی الذوات المحدثة. قال و من قال فيم فقد ضمنه و

هذاحق لأن من تصور أنه فى شىءفقد جعله إما جسما مستترا فى مكان أوعرضا ساريا فى محل والمكان متضمن للتمكن والمحل متضمن للعرض . قال و من قال علام فقد أخلى منه و هذاحق لأن من تصور أنه تعالى على العرش أو على الكرسى فقد أخلى منه غير ذلك الموضع وأصحاب تلك المقالة يمتنعون من ذلك ومراده ع إظهار تناقض أقوالهم و إلافلو قالوا هب أنا قدأخلينا منه غير ذلك الموضع أى محذور يلزمنا فإذاقيل لهم لوخلا منه موضع دون موضع لكان جسما ولزم حدوثه قالوا لزوم الحدوث والجسمية إنما هو من حصوله فى الجهة لا من خلو بعض الجهات عنه وأنتم إنما احتججتم علينا بمجرد خلو بعض الجهات منه فظهر أن توجيه الكلام عليهم إنما هوإلزام لهم لااستدلال على فساد قولهم فأما القطب الراوندى فإنه قال فى معنى قوله نفى الصفات عنه أى صفات المخلوقين قال لأنه تعالى عالم قادر و له بذلك صفات فكيف يجوز أن يقال لاصفة له . وأيضا فإنه ع قدأثبت لله تعالى صفة أولا حيث قال ألذى ليس لصفته حد محدود فوجب أن يحمل كلامه على مايتنزه عن المناقضة. [صفحه ۷۷] وأيضا فإنه قد قال فيما بعد فى صفة الملائكة أنهم لايصفون الله تعالى بصفات المصنوعين فوجب أن يحمل قوله الآن وكمال توحيده نفى الصفات عنه على صفات المخلوقين حملا للمطلق على المقيد. ولقائل أن يقول لوأراد نفى صفات المخلوقين عنه لم يستدل على ذلك بدليل الغيرية و هو قوله لشهادة كل صفة أنها غيرالموصوف لأن هذاالاستدلال لاينطبق على دعوى أنه غيرموصوف بصفات المخلوقين بل كان ينبغى أن يستدل بان صفات المخلوقين من لوازم الجسمية والعرضية والبارئ ليس بجسم و لاعرض ونحن قدبينا أن مراده ع إبطال القول بالمعانى القديمة وهى المسماة بالصفات فى الاصطلاح القديم ولهذا يسمى أصحاب المعانى بالصفاتية فأما كونه قادرا وعالما فأصحابها أصحاب الأحوال و قدبينا أن مراده ع بقوله ليس لصفته حد محدود أى لكنهه وحقيقته و أماكون الملائكة لاتصف البارئ بصفات المصنوعين فلايقتضى أن يحمل كل موضوع فيه ذكر الصفات على صفات المصنوعين لأجل تقييد ذلك فى ذكر الملائكة وأين هذا من باب حمل المطلق على المقيد لاسيما و قدثبت أن التعليل والاستدلال يقضى ألا يكون المراد صفات المخلوقين . و قدتكلف الراوندى لتطبيق تعليله ع نفى الصفات عنه بقوله لشهادة كل صفة أنها غيرالموصوف بكلام عجيب و أناأحكى ألفاظه لتعلم قال معنى هذاالتعليل أن الفعل فى الشاهد لايشابه الفاعل والفاعل غيرالفعل لأن مايوصف به الغير إنما هوالفعل أومعنى الفعل كالضارب والفهم فإن الفهم والضرب كلاهما فعل والموصوف بهما فاعل والدليل لايختلف شاهدا وغائبا فإذا كان تعالى قديما و هذه الأجسام محدثة كانت معدومة ثم وجدت يدل على أنها غيرالموصوف بأنه خالقها ومدبرها. [صفحه ۷۸] انقضى كلامه وحكايته تغنى عن الرد عليه . ثم قال الأول على وزن أفعل يستوى فيه المذكر والمؤنث إذا لم يكن فيه الألف واللام فإذاكانا فيه قيل للمؤنث الأولى . و هذا غيرصحيح لأنه يقال كلمت فضلاهن و ليس فيه ألف ولام و كان ينبغى أن يقول إذا كان منكرا مصحوبا بمن استوى المذكر والمؤنث فى لفظ أفعل تقول زيد أفضل من عمرو وهند أحسن من دعد كَائِنٌ لَا عَن حَدَثٍ مَوجُودٌ لَا عَن عَدَمٍ مَعَ كُلّ شَيءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَ غَيرُ كُلّ شَيءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ فَاعِلٌ لَا بِمَعنَى الحَرَكَاتِ وَ الآلَةِ بَصِيرٌ إِذ لَا مَنظُورَ إِلَيهِ مِن خَلقِهِ مُتَوَحّدٌ إِذ لَا سَكَنَ يَستَأنِسُ بِهِ وَ لَا يَستَوحِشُ لِفَقدِهِ أَنشَأَ الخَلقَ إِنشَاءً وَ ابتَدَأَهُ ابتِدَاءً بِلَا رَوِيّةٍ أَجَالَهَا وَ لَا تَجرِبَةٍ استَفَادَهَا وَ لَا حَرَكَةٍ أَحدَثَهَا وَ لَا هَمَامَةِ نَفسٍ اضطَرَبَ فِيهَا أَحَالَ الأَشيَاءَ لِأَوقَاتِهَا وَ لَاءَمَ بَينَ مُختَلِفَاتِهَا وَ غَرّزَ غَرَائِزَهَا وَ أَلزَمَهَا أَشبَاحَهَا عَالِماً بِهَا قَبلَ ابتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَ انتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحنَائِهَا قوله ع كائن و إن كان فى الاصطلاح العرفى مقولا على ماينزه البارئ عنه فمراده به المفهوم اللغوى و هواسم فاعل من كان بمعنى وجد كأنه قال موجود غيرمحدث . [صفحه ۷۹] فان قيل فقد قال بعده موجود لا عن عدم فلايبقى بين الكلمتين فرق .قيل بينهما فرق ومراده بالموجود لا عن عدم هاهنا وجوب وجوده ونفى إمكانه لأن من أثبت قديما ممكنا فإنه و إن نفى حدوثه الزمانى فلم ينف حدوثه الذاتى و أمير المؤمنين ع نفى عن البارئ تعالى فى الكلمة الأولى الحدوث الزمانى ونفى عنه فى الكلمة الثانى الذاتى وقولنا فى الممكن أنه موجود من عدم صحيح عندالتأمل لابمعنى أن عدمه سابق له

زمانا بل سابق لوجوده ذاتا لأن الممكن يستحق من ذاته أنه لايستحق الوجود من ذاته . و أما قوله مع كل شيء لابمقارنة فمراده بذلك أنه يعلم الجزئيات والكليات كما قال سبحانه ما يَكُونُ مِن نَجوى ثَلاثَةٍ إلّا هُوَ رابِعُهُم. و أما قوله و غير كل شيء لابمزايلة فحق لأن الغيرين فى الشاهد هما مازايل أحدهما الآخر وباينه بمكان أوزمان والبارئ سبحانه يباين الموجودات مباينة منزهة عن المكان والزمان فصدق عليه أنه غير كل شيء لابمزايلة. و أما قوله فاعل لابمعنى الحركات والآلة فحق لأن فعله اختراع والحكماء يقولون إبداع ومعنى الكلمتين واحد و هو أنه يفعل لابالحركة والآلة كمايفعل الواحد منا و لايوجد شيئا من شيء. و أما قوله بصير إذ لامنظور إليه من خلقه فهو حقيقة مذهب أبى هاشم رحمه الله وأصحابه لأنهم يطلقون عليه فى الأزل أنه سميع بصير و ليس هناك مسموع و لامبصر ومعنى ذلك كونه بحال يصح منه إدراك المسموعات والمبصرات إذاوجدت -قرآن-٦٠٧-٦٥٦ [صفحه ٨٠] و ذلك يرجع إلى كونه حيا لاآفة به و لايطلقون عليه أنه سامع مبصر فى الأزل لأن السامع المبصر هوالمدرك بالفعل لابالقوة. و أما قوله متوحد إذ لاسكن يستأنس به ويستوحش لفقده فإذ هاهنا ظرف ومعنى الكلام أن العادة والعرف إطلاق متوحد على من قد كان له من يستأنس بقربه ويستوحش ببعده فانفرد عنه والبارئ سبحانه يطلق عليه أنه متوحد فى الأزل و لاموجود سواه و إذاصدق سلب الموجودات كلها فى الأزل صدق سلب مايؤنس أويوحش فتوحده سبحانه بخلاف توحد غيره . و أما قوله ع أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء فكلمتان مترادفتان على طريقة الفصحاء والبلغاء كقوله سبحانه لا يَمَسّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسّنا فِيها لُغُوبٌ و قوله لِكُلّ جَعَلنا مِنكُم شِرعَةً وَ مِنهاجاً. و قوله بلا روية أجالها فالروية الفكرة وأجالها رددها و من رواه أحالها بالحاء أراد صرفها و قوله و لاتجربة استفادها أى لم يكن قدخلق من قبل أجساما فحصلت له التجربة التى أعانته على خلق هذه الأجسام . و قوله و لاحركة أحدثها فيه رد على الكرامية الذين يقولون إنه إذاأراد أن يخلق شيئا مباينا عنه أحدث فى ذاته حادثا يسمى الأحداث فوقع ذلك الشيء المباين عن ذلك المعنى المتجدد المسمى أحداثا. و قوله و لاهمامة نفس اضطرب فيها فيه رد على المجوس والثنوية القائلين بالهمامة ولهم فيهاخبط طويل يذكره أصحاب المقالات و هذايدل على صحة مايقال إن أمير المؤمنين ع كان يعرف آراء المتقدمين والمتأخرين ويعلم العلوم كلها و ليس ذلك ببعيد من فضائله ومناقبه ع . -قرآن-٥٨٨-٦٤٠-قرآن-٦٤٩-٦٨٩ [صفحه ٨١] و أما قوله أحال الأشياء لأوقاتها فمن رواها أحل الأشياء لأوقاتها فمعناه جعل محل كل شيء ووقته كمحل الدين و من رواها أحال فهو من قولك حال فى متن فرسه أى وثب وأحاله غيره أى أوثبه على متن الفرس عداه بالهمزة وكأنه لماأقر الأشياء فى أحيانها وأوقاتها صار كمن أحال غيره على فرسه . و قوله ولاءم بين مختلفاتها أى جعل المختلفات ملتئمات كماقرن النفس الروحانية بالجسد الترابى جلت عظمته و قوله وغرز غرائزها المروى بالتشديد والغريزة الطبيعة وجمعها غرائز و قوله غرزها أى جعلها غرائز كماقيل سبحان من ضوأ الأضواء ويجوز أن يكون من غرزت الإبرة بمعنى غرست و قدرأيناه فى بعض النسخ بالتخفيف . و قوله وألزمها أشباحها الضمير المنصوب فى ألزمها عائد إلى الغرائز أى ألزم الغرائز أشباحها أى أشخاصها جمع شبح و هذاحق لأن كلا مطبوع على غريزة لازمة فالشجاع لا يكون جبانا والبخيل لا يكون جوادا وكذلك كل الغرائز لازمة لاتنتقل . و قوله عالما بهاقبل ابتدائها إشارة إلى أنه عالم بالأشياء فيما لم يزل و قوله محيطا بحدودها وانتهائها أى بأطرافها ونهاياتها. و قوله عارفا بقرائنها وأحنائها القرائن جمع قرونة وهى النفس والأحناء الجوانب جمع حنو يقول إنه سبحانه عارف بنفوس هذه الغرائز التى ألزمها أشباحها عارف بجهاتها وسائر أحوالها المتعلقة بها والصادرة عنها. [صفحه ٨٢] فأما القطب الراوندى فإنه قال معنى قوله ع كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم أنه لم يزل موجودا و لايزال موجودا فهو باق أبدا كما كان موجودا أولا و هذا ليس بجيد لأن اللفظ لايدل على ذلك و لا فيه تعرض بالبقاء فيما لايزال . و قال أيضا قوله ع لايستوحش كلام مستأنف ولقائل أن يقول كيف يكون كلاما مستأنفا والهاء فى فقده ترجع إلى السكن المذكور أولا. و قال أيضا يقال ما له فى الأمر همة و لاهمامة أى لايهم به والهمامة التردد كالعزم ولقائل أن يقول العزم هوإرادة

جازمة حصلت بعدالتردد فبطل قوله أن الهمامة هى نفس التردد كالعزم وأيضا فقد بينا مراده ع بالهمامة حكى زرقان فى كتاب المقالات و أبوعيسى الوراق و الحسن بن موسى وذكره شيخنا أبوالقاسم البلخى فى كتابه فى المقالات أيضا عن الثنوية أن النور الأعظم اضطربت عزائمه وإرادته فى غزو الظلمة والإغارة عليها فخرجت من ذاته قطعة وهى الهمامة المضطربة فى نفسه فخالطت الظلمة غازية لها فاقتطعتها الظلمة عن النور الأعظم وحالت بينها وبينه وخرجت همامة الظلمة غازية للنور الأعظم فاقتطعها النور الأعظم عن الظلمة ومزجها بأجزائه وامتزجت همامة النور بأجزاء الظلمة أيضا ثم مازالت الهمامتان تتقاربان [صفحه ٨٣] وتتدانيان وهما ممتزجتان بأجزاء هذا و هذا حتى انبنى منهما هذاالعالم المحسوس ولهم فى الهمامة كلام مشهور وهى لفظة اصطلحوا عليها واللغة العربية ماعرفنا فيهااستعمال الهمامة بمعنى الهمة و ألذى عرفناه الهمة بالكسر والفتح والمهمة وتقول لاهمام لى بهذا الأمر مبنى على الكسر كقطام ولكنها لفظة اصطلاحية مشهورة عندأهلها ثُمّ أَنشَأَ سُبحَانَهُ فَتقَ الأَجوَاءِ وَ شَقّ الأَرجَاءِ وَ سَكَائِكَ الهَوَاءِ فَأَجرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيّارُهُ مُتَرَاكِماً زَخّارُهُ حَمَلَهُ عَلَى مَتنِ الرّيحِ العَاصِفَةِ وَ الزّعزَعِ القَاصِفَةِ فَأَمَرَهَا بِرَدّهِ وَ سَلّطَهَا عَلَى شَدّهِ وَ قَرَنَهَا إِلَى حَدّهِ الهَوَاءُ مِن تَحتِهَا فَتِيقٌ وَ المَاءُ مِن فَوقِهَا دَفِيقٌ ثُمّ أَنشَأَ سُبحَانَهُ رِيحاً اعتَقَمَ مَهَبّهَا وَ أَدَامَ مُرَبّهَا وَ أَعصَفَ مَجرَاهَا وَ أَبعَدَ مَنشَأَهَا فَأَمَرَهَا بِتَصفِيقِ المَاءِ الزّخّارِ وَ إِثَارَةِ مَوجِ البِحَارِ فَمَخَضَتهُ مَخضَ السّقَاءِ وَ عَصَفَت بِهِ عَصفَهَا بِالفَضَاءِ تَرُدّ أَوّلَهُ عَلَى آخِرِهِ وَ سَاجِيَهُ عَلَى مَائِرِهِ حَتّى عَبّ عُبَابُهُ وَ رَمَى بِالزّبَدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنفَتِقٍ وَ جَوّ مُنفَهِقٍ فَسَوّى مِنهُ سَبعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفلَاهُنّ مَوجاً مَكفُوفاً وَ عُليَاهُنّ سَقفاً مَحفُوظاً وَ سَمكاً مَرفُوعاً بِغَيرِ عَمَدٍ يَدعَمُهَا وَ لَا دِسَارٍ يَنتَظِمُهَا ثُمّ زَيّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ وَ ضِيَاءِ الثّوَاقِبِ وَ أَجرَى فِيهَا سِرَاجاً مُستَطِيراً وَ قَمَراً مُنِيراً فِي فَلَكٍ دَائِرٍ وَ سَقفٍ سَائِرٍ وَ رَقِيمٍ مَائِرٍ [صفحه ٨٤] لسائل أن يسأل فيقول ظاهر هذاالكلام أنه سبحانه خلق الفضاء والسموات بعدخلق كل شىءلأنه قد قال قبل فطر الخلائق ونشر الرياح ووتد الأرض بالجبال ثم عاد فقال أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء و هوالآن يقول ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء ولفظة ثم للتراخى.فالجواب أن قوله ثم هوتعقيب وتراخ لا فى مخلوقات البارئ سبحانه بل فى كلامه ع كأنه يقول ثم أقول الآن بعدقولى المتقدم إنه تعالى أنشأ فتق الأجواء ويمكن أن يقال إن لفظة ثم هاهنا تعطى معنى الجمع المطلق كالواو ومثل ذلك قوله تعالى وَ إِنّيِ لَغَفّارٌ لِمَن تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمّ اهتَدى. واعلم أن كلام أمير المؤمنين ع فى هذاالفصل يشتمل على مباحث منها أن ظاهر لفظه أن الفضاء ألذى هوالفراغ ألذى يحصل فيه الأجسام خلقه الله تعالى و لم يكن من قبل و هذايقتضى كون الفضاء شيئا لأن المخلوق لا يكون عدما محضا و ليس ذلك ببعيد فقد ذهب إليه قوم من أهل النظر وجعلوه جسما لطيفا خارجا عن مشابهة هذه الأجسام ومنهم من جعله مجردا. فإن قيل هذاالكلام يشعر بأن خلق الأجسام فى العدم المحض قبل خلق الفضاء ليس بممكن و هذاينافى العقل .قيل بل هذا هومحض مذهب الحكماء فإنهم يقولون إنه لايمكن وجود جسم -قرآن-٥١٢-٥٨٠ [صفحه ٨٥] و لاحركة جسم خارج الفلك الأقصى و ليس ذلك إلالاستحالة وجود الأجسام وحركتها إلا فى الفضاء. ومنها أن البارئ سبحانه خلق فى الفضاء ألذى أوجده ماء جعله على متن الريح فاستقل عليها وثبت وصارت مكانا له ثم خلق فوق ذلك الماء ريحا أخرى سلطها عليه فموجته تمويجا شديدا حتى ارتفع فخلق منه السموات و هذاأيضا قدقاله قوم من الحكماء و من جملتهم تاليس الإسكندرانى وزعم أن الماء أصل كل العناصر لأنه إذاانجمد صار أرضا و إذالطف صار هواء والهواء يستحيل نارا لأن النار صفوة الهواء. ويقال إن فى التوراة فى أول السفر الأول كلاما يناسب هذا و هو أن الله تعالى خلق جوهرا فنظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء ثم ارتفع من ذلك الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه ذلك الماء زبد فخلق منه الأرض ثم أرساها بالجبال . ومنها أن السماء الدنيا موج مكفوف بخلاف السموات الفوقانية و هذاأيضا قول قدذهب إليه قوم واستدلوا عليه بما نشاهده من حركة الكواكب المتحيرة وارتعادها فى مرأى العين واضطرابها قالوا لأن المتحيرة متحركة فى أفلاكها ونحن نشاهدها بالحس البصرى وبيننا وبينها أجرام الأفلاك الشفافة ونشاهدها مرتعدة حسب ارتعاد الجسم

السـائر فى الماء و ماذاک إلالأن السـماء الـدنيا ماء متموج فارتعاد الکواکب [صـفحه ۸۶] المشاهـدهٔ حسا إنما هوبحسب ارتعاد أجزاء الفلـک الأدنى قالوا فأما الکواکب الثابتـهٔ فإنا لم نشاهـدها کـذلک لأنها ليست بمتحرکـهٔ و أماالقمر و إن کان فى السـماء الدنيا إلا أن فلک تدويره من جنس الأجرام الفوقانيهٔ و ليس بماء متموج کالفلک الممثل التحتانى وکذلک القول فى الشـمس . ومنها أن الکواکب فى قوله ثم زينها بزينـهٔ الکواکب أين هى فإن اللفظ محتمل وينبغى أن يتقدم على ذلک بحث فى أصل قوله تعالى إِنّا زَيّنّا السّـماءَ الدّنيا بِزِينَهٍٔ الکَواکِبِ وَ حِفظاً مِن کُلّ شَـيطانٍ مارِدٍ.فنقول إن ظاهر هذااللفظ أن الکواکب فى السـماء الدنيا وأنهـا جعلت فيهاحراسـهٔ للشـياطين من استراق السـمع فمن دنـا منهم لـذلک رجم بشـهاب و هـذا هو ألـذى يقتضيه ظاهر اللفظ ومذهب الحکماء أن السماء الدنيا ليس فيها إلاالقمر وحده وعندهم أن الشهب المنقضهٔ هى آثار تظهر فى الفلک الأثيرى النارى ألذى تحت فلک القمر والکواکب لاينقض منها شىء والواجب التصديق بما فى ظاهر لفظ الکتاب العزيز و أن يحمل کلام أمير المؤمنين ع على مطـابقته فيکون الضـمير فى قوله زينها راجعا إلى سـفلاهن التى قال إنها موج مکفوف و يکون الضـمير فى قوله وأجرى فيهاراجعا إلى جملهٔ السموات إذاوافقنا الحکماء فى أن الشمس فى السماء الرابعهٔ. ومنها أن ظاهر الکلام يقتضى أن خلق السـموات بعدخلق الأرض أ لاتراه کيف لم يتعرض فيه لکيفيهٔ خلق الأرض أصلا و هذاقول قدذهب إليه جماعهٔ من أهل الملهٔ – قرآن–۴۱۱–۴۹۵ [صفحه ۸۷] واستـدلوا عليه بقوله تعالى قُل أَ إِنّکُم لَتَکفُرُونَ بِالـذّيِ خَلَقَ الأَرضَ فِى يَومَينِ وَ تَجعَلُونَ لَهُ أَنداداً ذلِکَ رَبّ العالَمِينَ ثم قال ثُمّ استَوى إِلَى السّماءِ وَ هيَ دُخانٌ. ومنها أن الهاء فى قوله فرفعه فى هواء منفتق والهاء فى قوله فسوى منه سـبع سـموات إلى ماذا ترجع فإن آخر المذکورات قبلها الزبد وهل يجوز أن تکون السـموات مخلوقهٔ من زبد الماء الحق أن الضـمائر ترجع إلى الماء ألـذى عب عبابه لا إلى الزبـد فإن أحـدا لم يذهب إلى أن السـماء مخلوقهٔ من زبد الماء وإنما قالوا إنها مخلوقهٔ من بخاره . ومنها أن يقال إن البارئ سـبحانه قادر على خلق الأشياء إبداعا واختراعا فما ألذى اقتضى أنه خلق المخلوقات على هذاالترتيب وهلا أوجدها إيجاد الماء ألذى ابتدعه أولا من غير شىء.فيقال فى جواب ذلک على طريق أصحابنا لعل إخباره للمکلفين بـذلک على هذاالترتيب يکون لطفا بهم و لايجوز الإخبار منه تعالى إلا والمخبر عنه مطابق للإخبار.فهذا حظ المباحث المعنويهٔ من هذاالفصل . ثم نشـرع فى تفسير ألفاظه أماالأجواء فجمع جو والجو هنا الفضاء العالى بين السماء و الأرض والأرجاء –قرآن–۲۹–۱۴۴–قرآن–۱۵۴–۱۹۵ [صـفحه ۸۸] الجوانب واحـدها رجا مثل عصا والسـکائک جمع سـکاکهٔ وهى أعلى الفضاء کماقـالوا ذؤابـهٔ وذوائب والتيـار الموج والمتراکم ألـذى بعضه فوق بعض والزخـار ألـذى يزخر أى يمتـد ويرتفع والريـح الزعزع الشديدهٔ الهبوب وکذلک القاصـفهٔ کأنها تهلک الناس بشدهٔ هبوبها ومعنى قوله فأمرها برده أى بمنعه عن الهبوط لأن الماء ثقيل و من شأن الثقيل الهوى ومعنى قوله وسـلطها على شـدهٔ أى على وثاقهٔ کأنه سـبحانه لماسـلط البريـح على منعه من الهبوط فکأنه قدشـده بها وأوثقه ومنعه من الحرکـهٔ ومعنى قوله وقرنها إلى حـده أى جعلها مکانا له أى جعل حـد الماء المـذکور و هوسـطحه الأسـفل ممـا ساطـح الريـح التى تحمله وتقله والفتيق المفتوق المنبسـط والـدفيق المـدفوق واعتقم مهبهـا أى جعـل هبوبها عقيما والريـح العقيم التى لاتلقـح سـحابا و لاشـجرا وکـذلک کانت تلک الريح المشار إليها لأنه سـبحانه إنما خلقها لتمويج الماء فقط وأدام مربها أى ملازمتها أرب بالمکان مثل ألب به أى لازمه . ومعنى قوله وعصـفت به عصفها بالفضاء فيه معنى لطيف يقول إن الريـح إذاعصـفت بالفضاء ألـذى لاأجسام فيه کان عصـفها شديـدا لعدم المانع و هذه الريح عصـفت بذلک الماء العظيم عصـفا شديـدا کأنها تعصف فى فضاء لاممانع لها فيه من الأجسام . والساجى الساکن والمائر ألذى يذهب ويجىء وعب عبابه أى ارتفع أعلاه ورکـامه ثبجه وهضـبه والجـو المنفهـق المفتوح الواسع والموج المکفوف الممنوع من السـيلان وعمـد يـدعمها يکون لها دعامهٔ والدسار واحد الدسر وهى المسامير. والثواقب النيرهٔ المشرقهٔ وسراجا مستطيرا أى منتشر الضوء يقال قداستطار [صفحه ۸۹] الفجر أى انتشر ضوءه ورقيم مائر أى لوح متحرک سمى الفلک رقيما تشبيها باللوح لأنه مسطح فأما القطب الراوندى فقال إنه ع

ذكر قبل هذه الكلمات أنه أنشأ حيوانا له أعضاء وأحناء ثم ذكر هاهنا أنه فتق السماء وميز بعضها عن بعض ثم ذكر أن بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وهى سبع سموات وكذلك بين كل أرض وأرض وهى سبع أيضا وروى حديث البقرة التى تحمل الملك الحامل للعرش والصخرة التى تحمل البقرة والحوت ألذى يحمل الصخرة. ولقائل أن يقول إنه ع لم يذكر فيما تقدم أن الله تعالى خلق حيوانا ذا أعضاء و لا قوله الآن ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء هومعنى قوله تعالى أَنّ السّماواتِ وَ الأَرضَ كانَتا رَتقاً فَفَتَقناهُما أ لاتراه كيف صرح ع بأن البارئ سبحانه خلق الهواء ألذى هوالفضاء وعبر عن ذلك بقوله ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء و ليس فتق الأجواء هوفتق السماء. فإن قلت فكيف يمكن التطبيق بين كلامه ع و بين الآية. قلت إنه تعالى لماسلط الريح على الماء فعصفت به حتى جعلته بخارا وزبدا وخلق من أحدهما السماء و من الآخر الأرض كان فاتقا لهما من شيءواحد و هوالماء.فأما حديث البعد بين السموات وكونه مسيرة خمسمائة عام بين كل سماء وسماء فقد ورد ورودا لم يوثق به وأكثر الناس على خلاف ذلك وكون الأرض سبعا أيضا -قرآن-٥٩٠-٦٤٣ [صفحه ٩٠] خلاف مايقوله جمهور العقلاء و ليس فى القرآن العزيز مايدل على تعدد الأرض إلا قوله تعالى وَ مِنَ الأَرضِ مِثلَهُنّ و قدأولوه على الأقاليم السبعة وحديث الصخرة والحوت والبقرة من الخرافات فى غالب الظن والصحيح أن الله تعالى يمسك الكل بغير واسطة جسم آخر. ثم قال الراوندى السكائك جمع سكاك و هذا غيرجائز لأن فعالا لايجمع على فعائل وإنما هوجمع سكاكة ذكر ذلك الجوهرى. ثم قال وسلطها على شده الشد العدو و لايجوز حمل الشد هاهنا على العدو لأنه لامعنى له والصحيح ماذكرناه . و قال فى تفسير قوله ع جعل سفلاهن موجا مكفوفا أراد تشبيهها بالموج لصفائها واعتلائها فيقال له إن الموج ليس بعال ليشبه به الجسم العالى و أماصفاؤه فإن كل السموات صافية فلما ذا خص سفلاهن بذلك . ثم قال ويمكن أن تكون السماء السفلى قدكانت أول ماوجدت موجا ثم عقدها يقال له والسموات الأخر كذلك كانت فلما ذا خص السفلى بذلك . ثم قال الريح الأولى غيرالريح الثانية لأن إحداهما معرفة والأخرى نكرة و هذامثل قوله صم اليوم صم يوما فإنه يقتضى يومين .يقال له ليست المغايرة بينهما مستفادة من مجرد التعريف والتنكير لأنه لو كان قال -قرآن-٩٥-١١٩ [صفحه ٩١] ع وحمله على متن ريح عاصفة وزعزع قاصفة لكانت الريحان الأولى والثانية منكرتين معا وهما متغايرتان وإنما علمنا تغايرهما لأن إحداهما تحت الماء والأخرى فوقه والجسم الواحد لا يكون فى جهتين ثُمّ فَتَقَ مَا بَينَ السّمَوَاتِ العُلَا فَمَلَأَهُنّ أَطوَاراً مِن مَلَائِكَتِهِ مِنهُم سُجُودٌ لَا يَركَعُونَ وَ رُكُوعٌ لَا يَنتَصِبُونَ وَ صَافّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَ مُسَبّحُونَ لَا يَسأَمُونَ لَا يَغشَاهُم نَومُ العُيُونِ وَ لَا سَهوُ العُقُولِ وَ لَا فَترَةُ الأَبدَانِ وَ لَا غَفلَةُ النّسيَانِ وَ مِنهُم أُمَنَاءُ عَلَى وَحيِهِ وَ أَلسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ وَ مُختَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَ أَمرِهِ وَ مِنهُمُ الحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السّدَنَةُ لِأَبوَابِ جِنَانِهِ وَ مِنهُمُ الثّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السّفلَى أَقدَامُهُم وَ المَارِقَةُ مِنَ السّمَاءِ العُليَا أَعنَاقُهُم وَ الخَارِجَةُ مِنَ الأَقطَارِ أَركَانُهُم وَ المُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ العَرشِ أَكتَافُهُم نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبصَارُهُم مُتَلَفّعُونَ تَحتَهُ بِأَجنِحَتِهِم مَضرُوبَةٌ بَينَهُم وَ بَينَ مَن دُونَهُم حُجُبُ العِزّةِ وَ أَستَارُ القُدرَةِ لَا يَتَوَهّمُونَ رَبّهُم بِالتّصوِيرِ وَ لَا يُجرُونَ عَلَيهِ صِفَاتِ المَصنُوعِينَ وَ لَا يَحُدّونَهُ بِالأَمَاكِنِ وَ لَا يُشِيرُونَ إِلَيهِ بِالنّظَائِرِ

القول فى الملائكة وأقسامهم

الملك عندالمعتزلة حيوان نورى فمنه شفاف عادم اللون كالهواء و منه ملون بلون الشمس والملائكة عندهم قادرون عالمون أحياء بعلوم وقدر وحياة كالواحد منا ومكلفون كالواحد منا إلاأنهم معصومون ولهم فى كيفية تكليفهم كلام لأن التكليف [صفحه ٩٢] مبنى على الشهوة. و فى كيفية خلق الشهوة فيهم نظر و ليس هذاالكتاب موضوعا للبحث فى ذلك و قدجعلهم ع فى هذاالفصل أربعة أقسام القسم الأول أرباب العبادة فمنهم من هوساجد أبدا لم يقم من سجوده ليركع ومنهم من هوراكع أبدا لم

ينتصب قط ومنهم الصافون فی الصلاة بين يدی خالقهم لايتزايلون ومنهم المسبحون الذين لايملون التسبيح والتحميد له سبحانه . والقسم الثانی السفراء بينه تعالی و بين المكلفين من البشر بتحمل الوحی الإلهی إلی الرسل والمختلفون بقضائه وأمره إلی أهل الأرض . والقسم الثالث ضربان أحدهما حفظة العباد كالكرام الكاتبين وكالملائكة الذين يحفظون البشر من المهالک والورطات و لو لا ذلک لكان العطب أكثر من السلامة وثانيهما سدنة الجنان .القسم الرابع حملة العرش . ويجب أن يكون الضمير فی دونه و هوالهاء راجعا إلی العرش لا إلی البارئ سبحانه وكذلک الهاء فی قوله تحته ويجب أن تكون الإشارة بقوله و بين من دونهم إلی الملائكة الذين دون هؤلاء فی الرتبة.فأما ألفاظ الفصل فكلها غنية عن التفسير إلايسيرا كالسدنة جمع سادن و هوالخادم والمارق الخارج وتلفعت بالثوب أی التحفت به . و أماالقطب الراوندی فجعل الأمناء علی الوحی وحفظة العباد وسدنة الجنان [صفحه ۹۳] قسما واحدا فأعاد الأقسام الأربعة إلی ثلاثة و ليس بجيد لأنه قال ومنهم الحفظة فلفظة ومنهم تقتضی كون الأقسام أربعة لأنه بهافصل بين الأقسام . و قال أيضا معنی قوله ع لايغشاهم نوم العيون يقتضی أن لهم نوما قليلا لايغفلهم عن ذكر الله سبحانه فأما البارئ سبحانه فإنه لاتأخذه سنة و لانوم أصلا مع أنه حی و هذه هی المدحة العظمی . ولقائل أن يقول لوناموا قليلا لكانوا زمان ذلک النوم و إن قل غافلين عن ذكر الله سبحانه لأن الجمع بين النوم و بين الذكر مستحيل . والصحيح أن الملک لايجوز عليه النوم كما لايجوز عليه الأكل والشرب لأن النوم من توابع المزاج والملک لامزاج له و أمامدح البارئ بأنه لاتأخذه سنة و لانوم فخارج عن هذاالباب لأنه تعالی يستحيل عليه النوم استحالة ذاتية لايجوز تبدلها والملک يجوز أن يخرج عن كونه ملكا بأن يخلق فی أجزاء جسمه رطوبة ويبوسة وحرارة وبرودة يحصل من اجتماعها مزاج ويتبع ذلک المزاج النوم فاستحالة النوم عليه إنما هی مادام ملكا فهو كقولک الماء بارد أی مادام ماء لأنه يمكن أن يستحيل هواء ثم نارا فلا يكون باردا لأنه ليس حينئذ ماء والبارئ جلت عظمته يستحيل علی ذاته أن يتغير فاستحال عليه النوم استحالة مطلقة مع أنه حی و من هذاإنشاء التمدح وروی أبوهريرة عن النبی ص أن الله خلق الخلق أربعة أصناف الملائكة والشياطين والجن والإنس ثم جعل الأصناف الأربعة عشرة أجزاء فتسعة منها الملائكة وجزء واحد الشياطين والجن والإنس ثم جعل هؤلاء الثلاثة عشرة أجزاء فتسعة منها الشياطين وجزء واحد الجن والإنس ثم جعل الجن والإنس عشرة أجزاء فتسعة منها الجن وجزء واحد الإنس -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۳۳۸ [صفحه ۹۴] و فی الحديث الصحيح أن الملائكة كانت تصافح عمران بن الحصين وتزوره ثم افتقدها فقال يا رسول الله إن رجالا كانوا يأتوننی لم أر أحسن وجوها و لاأطيب أرواحا منهم ثم انقطعوا فقال ع أصابک جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال أجل قال أما لوأقمت علی كتمانه لزارتک الملائكة إلی أن تموت -روايت-۱-۴-روايت-۲۴-۳۱۲ و كان هذاالجرح أصابه فی سبيل الله . و قال سعيد بن المسيب وغيره الملائكة ليسوا بذكور و لاإناث و لايتوالدون و لايأكلون و لايشربون والجن يتوالدون وفيهم ذكور وإناث ويموتون والشياطين ذكور وإناث ويتوالدون و لايموتون حتی يموت إبليس . و قال النبی ص فی رواية أبی ذر إنی أری ما لاترون وأسمع ما لاتسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط فما فيهاموضع شبر إلا و فيه ملک قائم أوراكع أوساجد واضع جبهته لله و الله لوتعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا و ماتلذذتم بالنساء علی الفرش ولخرجتم إلی الفلوات تجأرون إلی الله و الله لوددت أنی كنت شجرة تعضد -روايت-۱-۲-روايت-۳۶-۳۳۸ قلت ويوشک هذه الكلمة الأخيرة أن تكون قول أبی ذر. واتفق أهل الكتب علی أن رؤساء الملائكة وأعيانهم أربعة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل و هوملک الموت وقالوا إن إسرافيل صاحب الصور و إليه النفخة و إن ميكائيل صاحب النبات والمطر و إن عزرائيل علی أرواح الحيوانات و إن جبرائيل علی جنود السموات و الأرض كلها و إليه تدبير الرياح و هوينزل إليهم كلهم بما يؤمرون به . [صفحه ۹۵] وروی أنس بن مالک أنه قيل لرسول الله ص ماهؤلاء الذين استثنی بهم فی قوله تعالی فَصَعِقَ مَن فِی السّماواتِ وَ مَن فِی الأَرضِ إِلّا مَن شاءَ اللّهُ فقال جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فيقول الله عز و جل لعزرائيل

یاملک الموت من بقی و هوسبحانه أعلم فیقول سبحانک ربی ذا الجلال والإکرام بقی جبرائیل ومیکائیل وإسرافیل وملک الموت فیقول یاملک الموت خذ نفس إسرافیل فیقع فی صورته التی خلق علیها کأعظم ما یکون من الأطواد ثم یقول و هوأعلم من بقی یاملک الموت فیقول سبحانک ربی یاذا الجلال والإکرام جبرائیل ومیکائیل وملک الموت فیقول خذ نفس میکائیل فیقع فی صورته التی خلق علیها وهی أعظم ما یکون من خلق إسرافیل بأضعاف مضاعفة ثم یقول سبحانه یاملک الموت من بقی فیقول سبحانک ربی ذا الجلال والإکرام جبرائیل وملک الموت فیقول تعالی یاملک الموت مت فیموت ویبقی جبرائیل و هو من الله تعالی بالمکان ألذی ذکر لکم فیقول الله یاجبرائیل إنه لابد من أن یموت أحدنا فیقع جبرائیل ساجدا یخفق بجناحیه یقول سبحانک ربی وبحمدک أنت الدائم القائم ألذی لایموت وجبرائیل الهالک المیت الفانی فیقبض الله روحه فیقع علی میکائیل وإسرافیل و أن فضل خلقه علی خلقهما کفضل الطود العظیم علی الظرب من الظراب -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۱۸۸ و فی الأحادیث الصحیحة أن جبرائیل کان یأتی رسول الله ص علی صورة دحیة الکلبی و أنه کان یوم بدر علی فرس اسمه حیزوم و أنه سمع ذلک الیوم صوته أقدم حیزوم . [صفحه ۹۶] والکروبیون عند أهل الملة سادة الملائکة کجبرائیل ومیکائیل و عندالفلاسفة أن سادة الملائکة هم الروحانیون یعنون العقول الفعالة وهی المفارقة للعالم الجسمانی المسلوبة التعلق به لابالحول و لابالتدبیر و أماالکروبیون فدون الروحانیین فی المرتبة وهی أنفس الأفلاک المدبرة لها الجاریة منها مجری نفوسنا مع أجسامنا. ثم هی علی قسمین قسم أشرف وأعلی من القسم الآخر فالقسم الأشرف ما کان نفسا ناطقة غیرحالة فی جرم الفلک کأنفسنا بالنسبة إلی أبداننا والقسم الثانی ما کان حالا فی جرم الفلک ویجری ذلک مجری القوی التی فی أبداننا کالحس المشترک والقوة الباصرة مِنهَا فِی صِفَةِ خَلقِ آدَمَ ع ثُمّ جَمَعَ سُبحَانَهُ مِن حَزنِ الأَرضِ وَ سَهلِهَا وَ عَذبِهَا وَ سَبَخِهَا تُربَةً سَنّهَا بِالمَاءِ حَتّی خَلَصَت وَ لَاطَهَا بِالبِلّةِ حَتّی لَزَبَت فَجَبَلَ مِنهَا صُورَةً ذَاتَ أَحنَاءٍ وَ وُصُولٍ وَ أَعضَاءٍ وَ فُصُولٍ أَجمَدَهَا حَتّی استَمسَکَت وَ أَصلَدَهَا حَتّی صَلصَلَت لِوَقتٍ مَعدُودٍ وَ أَجَلٍ مَعلُومٍ ثُمّ نَفَخَ فِیهَا مِن رُوحِهِ فَتَمَثّلَت إِنسَاناً ذَا أَذهَانٍ یُجِیلُهَا وَ فِکَرٍ یَتَصَرّفُ بِهَا وَ جَوَارِحَ یَختَدِمُهَا وَ أَدَوَاتٍ یُقَلّبُهَا وَ مَعرِفَةٍ یَفرُقُ بِهَا بَینَ الحَقّ وَ البَاطِلِ وَ الأَذوَاقِ وَ المَشَامّ وَ الأَلوَانِ وَ الأَجنَاسِ مَعجُوناً بِطِینَةِ الأَلوَانِ المُختَلِفَةِ [صفحه ۹۷] وَ الأَشبَاهِ المُؤتَلِفَةِ وَ الأَضدَادِ المُتَعَادِیَةِ وَ الأَخلَاطِ المُتَبَایِنَةِ مِنَ الحَرّ وَ البَردِ وَ البِلّةِ وَ الجُمُودِ وَ المَسَاءَةِ وَ السّرُورِ وَ استَأدَی اللّهُ سُبحَانَهُ المَلَائِکَةَ وَدِیعَتَهُ لَدَیهِم وَ عَهدَ وَصِیّتِهِ إِلَیهِم فِی الإِذعَانِ بِالسّجُودِ لَهُ وَ الخُنُوعِ لِتَکرِمَتِهِ فَقَالَ لَهُماسجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبلِیسَ وَ قَبِیلَهُ اعتَرَتهُمُ الحَمِیّةُ وَ غَلَبَت عَلَیهِمُ الشّقوَةُ وَ تَعَزّزُوا بِخِلقَةِ النّارِ وَ استَوهَنُوا خَلقَ الصّلصَالِ فَأَعطَاهُ اللّهُ النّظِرَةَ استِحقَاقاً لِلسّخطَةِ وَ استِتمَاماً لِلبَلِیّةِ وَ إِنجَازاً لِلعِدَةِ فَقَالَفَإِنّکَ مِنَ المُنظَرِینَ إِلی یَومِ الوَقتِ المَعلُومِ -قرآن-۳۳۱-۳۷۲-قرآن-۶۱۳-۶۶۸ الحزن ماغلظ من الأرض وسبخها ماملح منها وسنها بالماء أی ملسها قال ثم خاصرتها إلی القبة الخضراء || تمشی فی مرمر مسنون . أی مملس ولاطها من قولهم لطت الحوض بالطین أی ملطته وطینته به والبلة بفتح الباء من البلل ولزبت بفتح الزای أی التصقت وثبتت فجبل منها أی خلق والأحناء الجوانب جمع حنو وأصلدها جعلها صلدا أی صلبا متینا وصلصلت یبست و هوالصلصال ویختدمها یجعلها فی مآربه وأوطاره کالخدم الذین تستعملهم وتستخدمهم واستأدی الملائکة ودیعته طلب منهم أداءها والخنوع الخضوع والشقوة بکسر الشین و فی الکتاب العزیزرَبّنا غَلَبَت عَلَینا -قرآن-۴۱۵-۴۳۶ . أی مملس ولاطها من قولهم لطت الحوض بالطین أی ملطته وطینته به والبلة بفتح الباء من البلل ولزبت بفتح الزای أی التصقت وثبتت فجبل منها أی خلق والأحناء الجوانب جمع حنو وأصلدها جعلها صلدا أی صلبا متینا وصلصلت یبست و هوالصلصال ویختدمها یجعلها فی مآربه وأوطاره کالخدم الذین تستعملهم وتستخدمهم واستأدی الملائکة ودیعته طلب منهم أداءها والخنوع الخضوع والشقوة بکسر الشین و فی الکتاب العزیزرَبّنا غَلَبَت عَلَینا شِقوَتُنا واستوهنوا عدوه واهنا ضعیفا والنظرة بفتح النون وکسر الظاء الإمهال والتأخیر.فأما معانی الفصل فظاهرة و فیه مع ذلک مباحث .منها أن یقال اللام فی قوله لوقت معدود بما ذا تتعلق .

والجواب أنها تتعلق بمحذوف تقديره حتى صلصلت كائنة لوقت فيكون الجار والمجرور فی موضع الحال و يكون معنى الكلام أنه أصلدها حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم فنفخ حينئذ روحه فيها ويمكن أن تكون اللام متعلقة بقوله فجبل أی جبل وخلق من الأرض هذه الجثة لوقت أی لأجل وقت معلوم و هو يوم القيامة. ومنها أن يقال لماذا قال من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها. والجواب أن المراد من ذلك أن يكون الإنسان مركبا من طباع مختلفة و فيه استعداد للخير والشر و الحسن والقبح . ومنها أن يقال لماذا أخر نفخ الروح فی جثة آدم مدة طويلة فقد قيل إنه بقى طينا تشاهده الملائكة أربعين سنة و لا-يعلمون ماالمراد به . والجواب يجوز أن يكون فی ذلك لطف للملائكة لأ-نهم تذهب ظنونهم فی ذلك كل مذهب فصار كإنزال المتشابهات ألذى تحصل به رياضة الأذهان وتخريجها و فی ضمن ذلك يكون اللطف ويجوز أن يكون فی أخبار ذرية آدم بذلك فيما بعدلطف بهم و لايجوز إخبارهم بذلك إلا إذا كان المخبر عنه حقا -قرآن-١-١٠ [صفحه ٩٩] ومنها أن يقال ماالمعنى بقوله ثم نفخ فيها من روحه .الجواب أن النفس لماكانت جوهرا مجردا لامتحيزة و لاحالة فی المتحيز حسن لذلك نسبتها إلى البارئ لأنها أقرب إلى الانتساب إليه من الجثمانيات ويمكن أيضا أن تكون لشرفها مضافة إليه كمايقال بيت الله للكعبة و أماالنفخ فعبارة عن إفاضة النفس على الجسد و لمانفخ الريح فی الوعاء عبارة عن إدخال الريح إلى جوفه و كان الإحياء عبارة عن إفاضة النفس على الجسد ويستلزم ذلك حلول القوى والأرواح فی الجثة باطنا وظاهرا سمى ذلك نفخا مجازا. ومنها أن يقال مامعنى قوله معجونا بطينة الألوان المختلفة.الجواب أنه ع قدفسر ذلك بقوله من الحر والبرد والبلة والجمود يعنى الرطوبة واليبوسة ومراده بذلك المزاج ألذى هوكيفية واحدة حاصلة من كيفيات مختلفة قدانكسر بعضها ببعض و قوله معجونا صفة إنسانا والألوان المختلفة يعنى الضروب والفنون كماتقول فی الدار ألوان من الفاكهة. ومنها أن يقال ماالمعنى بقوله واستأدى الملائكة وديعته لديهم وكيف كان هذاالعهد والوصية بينه وبينهم .الجواب أن العهد والوصية هو قوله تعالى لهم إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فَإِذا سَوّيتُهُ وَ نَفَختُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ. -قرآن-٩٨٣-١٠٨٣ [صفحه ١٠٠] ومنها أن يقال كيف كانت شبهة إبليس وأصحابه فی التعزز بخلقة النار.الجواب لماكانت النار مشرقة بالذات و الأرض مظلمة وكانت النار أشبه بالنور والنور أشبه بالمجردات جعل إبليس ذلك حجة احتج بها فی شرف عنصره على عنصر آدم ع ولأن النار أقرب إلى الفلك من الأرض و كل شيء كان أقرب إلى الفلك من غيره كان أشرف والبارئ تعالى لم يعتبر ذلك وفعل سبحانه مايعلم أنه المصلحة والصواب . ومنها أن يقال كيف يجوز السجود لغير الله تعالى . والجواب أنه قيل إن السجود لم يكن إلالله تعالى وإنما كان آدم ع قبلة ويمكن أن يقال إن السجود لله على وجه العبادة ولغيره على وجه التكرمة كماسجد أبويوسف وإخوته له ويجوز أن تختلف الأحوال والأوقات فی حسن ذلك وقبحه . ومنها أن يقال كيف جاز على ماتعتقدونه من حكمة البارئ أن يسلط إبليس على المكلفين أ ليس هذا هوالاستفساد ألذى تأبونه وتمنعونه . والجواب أماالشيخ أبو على رحمه الله فيقول حد المفسدة ماوقع عندالفساد ولولاه لم يقع مع تمكن المكلف من الفعل فی الحالين و من فسد بدعاء إبليس لم يتحقق فيه هذاالحد لأن الله تعالى علم أن كل من فسد عنددعائه فإنه يفسد و لو لم يدعه . و أما أبوهاشم رحمه الله فيحد المفسدة بهذا الحد أيضا و يقول إن فی الإتيان بالطاعة مع دعاء إبليس إلى القبيح مشقة زائدة على مشقة الإتيان بها لو لم يدع إبليس إلى [صفحه ١٠١] القبيح فصار الإتيان بها مع اعتبار دعاء إبليس إلى خلافها خارجا عن الحد المذكور وداخلا فی حيز التمكن ألذى لوفرضنا ارتفاعه لماصح من المكلف الإتيان بالفعل ونحن قلنا فی الحد مع تمكن المكلف من الإتيان بالفعل فی الحالين . ومنها أن يقال كيف جاز للحكيم سبحانه أن يقول لإبليس إِنّكَ مِنَ المُنظَرِينَ إلى يوم القيامة و هذاإغراء بالقبيح وأنتم تمنعون أن يقول الحكيم لزيد أنت لاتموت إلى سنة بل إلى شهر أو يوم واحد لما فيه من الإغراء بالقبيح والعزم على التوبة قبل انقضاء الأمد. والجواب أن أصحابنا قالوا إن البارئ تعالى لم يقل لإبليس إنى منظرك إلى يوم القيامة وإنما قال إِلى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ و هوعبارة عن وقت موته

واخترامه و كـل مكلف من الإنس والجن منظر إلى يوم الوقت المعلوم على هذاالتفسـير و إذا كان كـذلك لم يكن إبليس عالما أنه يبقى لامحالـة فلم يكن فى ذلـك إغراء له بالقبيـح . فإن قلت فما معنى قوله ع وإنجازا للعـدة أ ليس معنى ذلك أنه قـد كان وعده أن يبقيه إلى يوم القيامة. قلت إنما وعده الإنظار ويمكن أن يكون إلى يوم القيامة و إلى غيره من الأوقات و لم يبين له فهو تعالى أنجز له وعده فى الإنظار المطلق و ما من وقت إلا ويجوز فيه أن يخترم إبليس فلايحصل الإغراء بالقبيح و هذاالكلام عندنا ضعيف ولنا فيه نظر مـذكور فى كتبنا الكلامية –قرآن-٢٨٧-٣١٠-قرآن-٥٩٧-٦٢٥ [صفحه ١٠٢] ثُمّ أَسكَنَ آدَمَ دَاراً أَرغَدَ فِيهَا عِيشَتَهُ وَ آمَنَ فِيهَا مَحَلّتَهُ وَ حَذّرَهُ إِبلِيسَ وَ عَدَاوَتَهُ فَاغتَرّهُ عَدُوّهُ نَفَاسَةً عَلَيهِ بِدَارِ المُقَامِ وَ مُرَافَقَةِ الأَبرَارِ فَبَاعَ اليَقِينَ بِشَكّهِ وَ العَزِيمَةَ بِوَهنِهِ وَ استَبدَلَ بِالجَذَلِ وَجَلًا وَ بِالِاعتِزَازِ نَدَماً ثُمّ بَسَطَ اللّهُ سُبحَانَهُ لَهُ فِي تَوبَتِهِ وَ لَقّاهُ كَلِمَةَ رَحمَتِهِ وَ وَعَدَهُ المَرَدّ إِلَى جَنّتِهِ فَأَهبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيّةِ وَ تَنَاسُلِ الذّرّيّةِ أماالألفاظ فظاهرة والمعانى أظهر و فيها مايسأل عنه .فمنها أن يقال الفاء فى قوله ع فأهبطه تقتضـى أن تكون التوبـة على آدم قبل هبوطه من الجنـة. والجواب أن ذلك أحـد قولى المفسـرين ويعضده قوله تعالى وَ عَصـى آدَمُ رَبّهُ فَغَوى ثُمّ اجتَباهُ رَبّهُ فَتابَ عَلَيهِ وَ هَـدى قالَ اهبِطا مِنهافجعل الهبوط بعـدقبول التوبـة. ومنها أن يقال إذا كان تعالى قـدطرد إبليس من الجنة لماأبى السـجود فكيف توصل إلى آدم و هو فى الجنة حتى استنزله عنها بتحسين أكل الشجرة له .الجواب أنه يجوز أن يكون إنمـا منع من دخول الجنـة على وجه التقريب والإكرام –قرآن-٢٠٧-٢٩٥ [صفحه ١٠٣] كـدخول الملائكة و لم يمنع من دخولها على غير ذلك الوجه وقيل إنه دخل فى جوف الحية كماورد فى التفسـير. ومنها أن يقال كيف اشتبه على آدم الحال فى الشـجرة المنهى عنهـا فخـالف النهى.الجواب أنه قيـل له لاتقربا هـذه الشـجرة وأريـد بـذلك نوع الشـجرة فحمل آدم النهى على الشـخص وأكل من شـجرة أخرى من نوعها. ومنها أن يقال هذاالكلام من أمير المؤمنين ع تصـريح بوقوع المعصـية من آدم ع و هو قوله فبـاع اليقين بشـكه والعزيمـة بوهنه فمـا قولكم فى ذلـك .الجواب أماأصـحابنا فإنهم لايمتنعون من إطلاق العصـيان عليه ويقولون إنها كانت صـغيرة وعندهم أن الصغائر جائزة على الأنبياء ع و أماالإمامية فيقولون إن النهى كان نهى تنزيه لانهى تحريم لأنهم لايجيزون على الأنبياء الغلط والخطأ لاكبيرا و لاصغيرا وظواهر هذه الألفاظ تشهد بخلاف قولهم

اختلاف الأقوال فى ابتداء خلق البشر

واعلم أن الناس اختلفوا فى ابتـداء خلق البشـر كيف كان فـذهب أهل الملل من المسـلمين واليهود والنصارى إلى أن مبدأ البشـر هوآدم الأـب الأـول ع وأكثر مـا فى القرآن العزيز من قصـة آدم مطـابق لمـا فى التوراة. وذهب طوائف من النـاس إلى غير ذلك أماالفلاسـفة فـإنهم زعمـوا أنه لاـأول لنـوع البشـر و لاـلغيرهم من الأـنواع . و أماالهنـد فمن كـان منهم على رأى الفلاسـفة فقوله ماذكرناه و من لم يكن منهم [صـفحه ١٠٤] على رأى الفلاسـفة و يقول بحدوث الأجسام لايثبت آدم و يقول إن الله تعالى خلق الأفلاـك وخلق فيهاطباعـا محركـة لهـا بـذاتها فلمـا تحركت وحشوهـا أجسـام لاسـتحالة الخلاء كانت تلك الأجسام على طبيعة واحـدة فاختلفت طباؤعها بالحركـة الفلكيـة فكان القريب من الفلك المتحرك أسخن وألطف والبعيد أبرد وأكثف ثم اختلطت العناصـر وتكونت منها المركبات ومنها تكون نوع البشـر كمايتكون الـدود فى الفاكهة واللحم والبق فى البطائح والمواضع العفنة ثم تكون بعض البشر من بعض بالتوالد وصار ذلك قانونا مستمرا ونسى التخليق الأول ألذى كان بالتولد و من الممكن أن يكون بعض البشـر فى بعض الأراضـى القاصـية مخلوقا بالتولـد وإنما انقطع التولـد لأن الطبيعة إذاوجدت للتكون طريقا اسـتغنت به عن طريق ثان . و أماالمجوس فلايعرفون آدم و لانوحا و لاساما و لاحاما و لايافث وأول متكون عنـدهم من البشـر البشـرى المسـمى كيومرث ولقبه كوشاه أى ملك الجبل لأن كو هوالجبل بالفهلوية و كان هذاالبشـر فى الجبال ومنهم من يسـميه كلشاه أى ملك

الطين و كل اسم الطين لأنه لم يكن حينئذ بشر ليملكهم . وقيل تفسير كيومرث حى ناطق ميت قالوا و كان قدرزق من الحسن ما لايقع عليه بصر حيوان إلا وبهت وأغمى عليه ويزعمون أن مبدأ تكونه وحدوثه أن يزدان و هوالصانع الأول عندهم أفكر فى أمر أهرمن و هوالشيطان عندهم فكرة أوجبت أن عرق جبينه فمسح العرق ورمى به فصار منه كيومرث ولهم خبط طويل فى كيفية تكون أهرمن من فكرة يزدان أو من إعجابه بنفسه أو من توحشه وبينهم خلاف فى قدم أهرمن وحدوثه لايليق شرحه بهذا الموضع [صفحه ١٠٥] ثم اختلفوا فى مدة بقاء كيومرث فى الوجود فقال الأكثرون ثلاثون سنة و قال الأقلون أربعون سنة و قال قوم منهم إن كيومرث مكث فى الجنة التى فى السماء ثلاثة آلاف سنة وهى ألف الحمل وألف الثور وألف الجوزاء ثم أهبط إلى الأرض فكان بهاآمنا مطمئنا ثلاثة آلاف سنة أخرى وهى ألف السرطان وألف الأسد وألف السنبلة. ثم مكث بعد ذلك ثلاثين أوأربعين سنة فى حرب وخصام بينه و بين أهرمن حتى هلك . واختلفوا فى كيفية هلاكه مع اتفاقهم على أنه هلك قتلا فالأكثرون قالوا إنه قتل ابنا لأهرمن يسمى خزورة فاستغاث أهرمن منه إلى يزدان فلم يجد بدا من أن يقاصه به حفظا للعهود التى بينه و بين أهرمن فقتله بابن أهرمن و قال قوم بل قتله أهرمن فى صراع كان بينهما قهره فيه أهرمن وعلاه وأكله . وذكروا فى كيفية ذلك الصراع أن كيومرث كان هوالقاهر لأهرمن فى بادئ الحال و أنه ركبه وجعل يطوف به فى العالم إلى أن سأله أهرمن أى الأشياء أخوف له وأهولها عنده فقال له باب جهنم فلما بلغ به أهرمن إليها جمح به حتى سقط من فوقه و لم يستمسك فعلاه وسأله عن أى الجهات يبتدئ به فى الأكل فقال من جهة الرجل لأكون ناظرا إلى حسن العالم مدة مافابتدأه أهرمن فأكله من عندرأسه فبلغ إلى موضع الخصى وأوعية المنى من الصلب فقطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان فى جبل بإصطخر يعرف بجبل دام داذ ثم ظهرت على تينك الريباستين الأعضاء البشرية فى أول الشهر التاسع وتمت فى آخره فتصور منهما بشران ذكر وأنثى وهما ميشى وميشانه وهما بمنزلة آدم وحواء عندالمليين ويقال لهما أيضا ملهى وملهيانه ويسميهما مجوس خوارزم مرد ومردانه [صفحه ١٠٦] وزعموا أنهما مكثا خمسين سنة مستغنين عن الطعام والشراب متنعمين غيرمتأذيين بشىء إلى أن ظهر لهما أهرمن فى صورة شيخ كبير فحملهما على التناول من فواكه الأشجار وأكل منها وهما يبصرانه شيخا فعاد شابا فأكلا منها حينئذ فوقعا فى البلايا والشرور وظهر فيهما الحرص حتى تزاوجا وولد لهما ولد فأكلاه حرصا ثم ألقى الله تعالى فى قلوبهما رأفة فولد لهما بعد ذلك ستة أبطن كل بطن ذكر وأنثى وأسماؤهم فى كتاب أبستا و هوالكتاب ألذى جاء به زرادشت معروفة ثم كان فى البطن السابع سيامك وفرواك فتزاوجا فولد لهما الملك المشهور ألذى لم يعرف قبله ملك و هوأوشهنج و هو ألذى خلف جده كيومرث وعقد له التاج وجلس على السرير وبنى مدينتى بابل والسوس .فهذا مايذكره المجوس فى مبدأ الخلق

تصويب الزنادقة إبليس لامتناعه عن السجود لآدم

و كان فى المسلمين ممن يرمى بالزندقة من يذهب إلى تصويب إبليس فى الامتناع من السجود ويفضله على آدم و هوبشار بن برد المرعث و من الشعر المنسوب إليه النار مشرقة و الأرض مظلمة || والنار معبودة مذ كانت النار . [صفحه ١٠٧] و كان أبوالفتوح أحمد بن محمدالغزالى الواعظ أخو أبى حامد محمد بن محمد بن محمدالغزالى الفقيه الشافعى قاصا لطيفا وواعظا مفوها و هو من خراسان من مدينة طوس وقدم إلى بغداد ووعظ بها وسلك فى وعظه مسلكا منكرا لأنه كان يتعصب لإبليس و يقول إنه سيد الموحدين و قال يوما على المنبر من لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيده فأبى ولست بضارع إلاإليكم || و أماغيركم حاشا وكلا . و قال مرة أخرى لما قال له موسى أرنى فقال لن قال هذاشغلك تصطفى آدم ثم

تسود وجهه وتخرجه من الجنة وتدعونى إلى الطور ثم تشمت بى الأعداء هذاعملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء. و قال مرة أخرى و قدذكر إبليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أن أظافير القضاء إذاحكت أدمت و أن قسى القدر إذارمت أصمت ثم قال لسان حال آدم ينشد فى قصته وقصة إبليس وكنت وليلى فى صعود من الهوى || فلما توافينا ثبت وزلت . و قال مرة أخرى التقى موسى وإبليس عندعقبة الطور فقال موسى ياإبليس لم لم تسجد لآدم فقال كلا ماكنت لأسجد لبشر كيف أوحده ثم ألتفت إلى غيره ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت إلى الجبل فأنا أصدق منك فى التوحيد. [صفحه ١٠٨] و كان هذاالنمط فى كلامه ينفق على أهل بغداد وصار له بينهم صيت مشهور واسم كبير وحكى عنه أبوالفرج بن الجوزى فى التاريخ أنه قال على المنبر معاشر الناس إنى كنت دائما أدعوكم إلى الله و أنااليوم أحذركم منه و الله ماشدت الزنانير إلا فى حبه و لاأديت الجزية إلا فى عشقه . و قال أيضا إن رجلا يهوديا أدخل عليه ليسلم على يده فقال له لاتسلم فقال له الناس كيف تمنعه من الإسلام فقال احملوه إلى أبى حامد يعنى أخاه ليعلمه لا لاالمنافقين ثم قال ويحكم أتظنون أن قوله لاإله إلا الله منشور ولايته ذا منشور عزله و هذانوع تعرفه الصوفية بالغلو والشطح . ويروى عن أبى يزيد البسطامى منه كثير. ومما يتعلق بما نحن فيه مارووه عنه من قوله فمن آدم فى البين || و من إبليس لولاكا فتنت الكل والكل || مع الفتنة يهواكا . ويقال أول من قاس إبليس فأخطأ فى القياس وهلك بخطئه ويقال إن أول حمية وعصبية ظهرت عصبية إبليس وحميته

اختلاف الأقوال فى خلق الجنة والنار

فإن قيل فما قول شيوخكم فى الجنة والنار فإن المشهور عنهم أنهما لم يخلقا وسيخلقان [صفحه ١٠٩] عندقيام الأجسام و قددل القرآن العزيز ونطق كلام أمير المؤمنين ع فى هذاالفصل بأن آدم كان فى الجنة وأخرج منها.قيل قداختلف شيوخنا رحمهم الله فى هذه المسألة فمن ذهب منهم إلى أنهما غيرمخلوقتين الآن يقول قدثبت بدليل السمع أن سائر الأجسام تعدم و لايبقى فى الوجود إلاذات الله تعالى بدليل قوله كُلّ شَيءٍ هالِكٌ إِلّا وَجهَهُ و قوله هُوَ الأَوّلُ وَ الآخِرُ فلما كان أولا بمعنى أنه لاجسم فى الوجود معه فى الأزل وجب أن يكون آخرا بمعنى أنه لايبقى فى الوجود جسم من الأجسام معه فيما لايزال وبآيات كثيرة أخرى و إذا كان لابد من عدم سائر الأجسام لم يكن فى خلق الجنة والنار قبل أوقات الجزاء فائدة لأنه لابد أن يفنيهما مع الأجسام التى تفنى يوم القيامة فلايبقى مع خلقهما من قبل معنى ويحملون الآيات التى دلت على كون آدم ع كان فى الجنة وأخرج منها على بستان من بساتين الدنيا قالوا والهبوط لايدل على كونهما فى السماء لجواز أن يكون فى الأرض إلاأنهما فى موضع مرتفع عن سائر الأرض . و أما غيرهؤلاء من شيوخنا فقالوا إنهما مخلوقتان الآن واعترفوا بأن آدم كان فى جنة الجزاء والثواب وقالوا لايبعد أن يكون فى إخبار المكلفين بوجود الجنة والنار لطف لهم فى التكليف وإنما يحسن الإخبار بذلك إذا كان صدقا وإنما يكون صدقا إذا كان خبره على ما هو عليه -قرآن-٣٢٠-٣٥٠-قرآن-٣٥٩-٣٨٢

القول فى آدم والملائكة أيهما أفضل

فإن قيل فما ألذى يقوله شيوخكم فى آدم والملائكة أيهما أفضل .قيل لاخلاف بين شيوخنا رحمهم الله أن الملائكة أفضل من آدم و من جميع الأنبياء [صفحه ١١٠] ع و لو لم يدل على ذلك إلا قوله تعالى فى هذه القصةإِلّا أَن تَكُونا مَلَكَينِ أَو تَكُونا مِنَ الخالِدِينَلكفى . و قداحتج أصحابنا أيضا بقوله تعالى لَن يَستَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبداً لِلّهِ وَ لَا المَلائِكَةُ المُقَرّبُونَ و هذا

كماتقول لايستنكف الوزير أن يعظمنى ويرفع من منزلتى و لاالملك أيضا فإن هذايقتضى كون الملك أرفع منزلة من الوزير وكذلك قوله وَ لَا المَلائِكَةُ المُقَرّبُونَيقتضى كونهم أرفع منزلة من عيسى . ومما احتجوا به قولهم إنه تعالى لماذكر جبريل ومحمدا ع فى معرض المدح مدح جبريل ع بأعظم مما مدح به محمدا ع فقال إِنّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذيِ قُوّةٍ عِندَ ذيِ العَرشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمّ أَمِينٍ وَ ما صاحِبُكُم بِمَجنُونٍ وَ لَقَد رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ وَ ما هُوَ عَلَى الغَيبِ بِضَنِينٍفالمديح الأول لجبريل والثانى لمحمد ع و لايخفى تفاوت ما بين المدحين . فإن قيل فهل كان إبليس من الملائكة أم من نوع آخر قيل قداختلف فى ذلك فمن قال إنه من الملائكة احتج بالاستثناء فى قوله فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلّهُم أَجمَعُونَ إِلّا إِبلِيسَ و قال إن الاستثناء من غيرالجنس خلاف الأصل و من قال إنه لم يكن منهم احتج بقوله تعالى إِلّا إِبلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَقَ عَن أَمرِ رَبّهِ. وأجاب الأولون عن هذافقالوا إن الملائكة يطلق عليهم لفظ الجن لاجتنانهم واستتارهم عن الأعين وقالوا قدورد ذلك فى القرآن أيضا فى قوله تعالى وَ جَعَلُوا بَينَهُ -قرآن-٥٨-١١٣-قرآن-١٥٧-٢٤٠-قرآن-٣٨٠-٤١٢-قرآن-٥٧٠-٧٥٦-قرآن-٩٦٠-١٠١٤-قرآن-١١١١-١١٦٧-قرآن-١٣١٨-١٣٣٦ع و لو لم يدل على ذلك إلا قوله تعالى فى هذه القصةإِلّا أَن تَكُونا مَلَكَينِ أَو تَكُونا مِنَ الخالِدِينَلكفى . و قداحتج أصحابنا أيضا بقوله تعالى لَن يَستَنكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبداً لِلّهِ وَ لَا المَلائِكَةُ المُقَرّبُونَ و هذا كماتقول لايستنكف الوزير أن يعظمنى ويرفع من منزلتى و لاالملك أيضا فإن هذايقتضى كون الملك أرفع منزلة من الوزير وكذلك قوله وَ لَا المَلائِكَةُ المُقَرّبُونَيقتضى كونهم أرفع منزلة من عيسى . ومما احتجوا به قولهم إنه تعالى لماذكر جبريل ومحمدا ع فى معرض المدح مدح جبريل ع بأعظم مما مدح به محمدا ع فقال إِنّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذيِ قُوّةٍ عِندَ ذيِ العَرشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمّ أَمِينٍ وَ ما صاحِبُكُم بِمَجنُونٍ وَ لَقَد رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ وَ ما هُوَ عَلَى الغَيبِ بِضَنِينٍفالمديح الأول لجبريل والثانى لمحمد ع و لايخفى تفاوت ما بين المدحين . فإن قيل فهل كان إبليس من الملائكة أم من نوع آخر قيل قداختلف فى ذلك فمن قال إنه من الملائكة احتج بالاستثناء فى قوله فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلّهُم أَجمَعُونَ إِلّا إِبلِيسَ و قال إن الاستثناء من غيرالجنس خلاف الأصل و من قال إنه لم يكن منهم احتج بقوله تعالى إِلّا إِبلِيسَ كانَ مِنَ الجِنّ فَفَسَقَ عَن أَمرِ رَبّهِ. وأجاب الأولون عن هذافقالوا إن الملائكة يطلق عليهم لفظ الجن لاجتنانهم واستتارهم عن الأعين وقالوا قدورد ذلك فى القرآن أيضا فى قوله تعالى وَ جَعَلُوا بَينَهُ وَ بَينَ الجِنّةِ نَسَباً والجنة هاهنا هم الملائكة لأنهم قالوا إن الملائكة بنات الله بدليل قوله أَ فَأَصفاكُم رَبّكُم بِالبَنِينَ وَ اتّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِناثاً وكتب التفسير تشتمل من هذا على ما لانرى الإطالة بذكره -قرآن-١-٢٦-قرآن-١٠٢-١٧١ .فأما القطب الراوندى فقال فى هذين الفصلين فى تفسير ألفاظهما اللغوية العذب من الأرضماينبت والسبخ ما لاينبت و هذا غيرصحيح لأن السبخ ينبت النخل فيلزم أن يكون عذبا على تفسيره . و قال فجبل منها صورة أى خلق خلقا عظيما ولفظة جبل فى اللغة تدل على خلق سواء كان المخلوق عظيما أو غيرعظيم . و قال الوصول جمع وصل و هوالعضو و كل شىءاتصل بشىء فما بينهما وصلة والفصول جمع فصل و هوالشىء المنفصل و ماعرفنا فى كتب اللغة أن الوصل هوالعضو و لاقيل هذا. و قوله بعد ذلك و كل شىءاتصل بشىء فما بينهما وصلة لامعنى لذكره بعد ذلك التفسير والصحيح أن مراده ع أظهر من أن يتكلف له هذاالتكلف ومراده ع أن تلك الصورة ذات أعضاء متصلة كعظم الساق أوعظم الساعد وذات أعضاء منفصلة فى الحقيقة و إن كانت متصلة بروابط خارجة عن ذواتها كاتصال الساعد بالمرفق واتصال الساق بالفخذ. ثم قال يقال استخدمته لنفسى ولغيرى واختدمته لنفسى خاصة و هذامما لم أعرفه ولعله نقله من كتاب . [صفحه ١١٢] ثم قال والإذعان الانقياد والخنوع الخضوع وإنما كرر الخنوع بعدالإذعان لأن الأول يفيد أنهم أمروا بالخضوع له فى السجود والثانى يفيد ثباتهم على الخضوع لتكرمته أبدا. ولقائل أن يقول إنه لم يكرر لفظة الخنوع وإنما ذكر أولا الإذعان و هوالانقياد والطاعة ومعناه أنهم سجدوا ثم ذكر الخنوع ألذى معناه الخضوع و هويعطى معنى غيرالمعنى الأول لأنه ليس كل ساجد خاضعا بقلبه فقد يكون ساجدا بظاهره دون باطنه وقول الراوندى أفاد بالثانى ثباتهم على

الخضوع له لتكرمته أبدا تفسير لايدل عليه اللفظ و لامعنى الكلام . ثم قال قبيل إبليس نسله قال تعالى إِنَّهُ يَراكُم هُوَ وَ قَبِيلُهُ و كل جيل من الإنس والجن قبيل والصحيح أن قبيله نوعه كما أن البشر قبيل كل بشرى سواء كانوا من ولده أو لم يكونوا و قدقيل أيضا كل جماعة قبيل و إن اختلفوا نحو أن يكون بعضهم روما وبعضهم زنجا وبعضهم عربا و قوله تعالى إِنّهُ يَراكُم هُوَ وَ قَبِيلُهُ لايدل على أنهم نسله . و قوله بعد و كل جيل من الإنس والجن قبيل ينقض دعواه أن قبيله لا يكون إلانسله . ثم تكلم فى المعانى فقال إن القياس ألذى قاسه إبليس كان باطلا لأنه ادعى أن النار أشرف من الأرض والأمر بالعكس لأن كل مايدخل إلى النار ينقص و كل مايدخل التراب يزيد و هذاعجيب فإنا نرى الحيوانات الميتة إذادفنت فى الأرض تنقص أجسامها وكذلك الأشجار المدفونة فى الأرض على أن التحقيق أن المحترق بالنار والبالى بالتراب لم تعدم أجزاؤه و لابعضها وإنما استحالت إلى صور أخرى . -قرآن-٥٧٠-٦٠١-قرآن-٨٢٩-٨٦٠ [صفحه ١١٣] ثم قال و لماعلمنا أن تقديم المفضول على الفاضل قبيح علمنا أن آدم كان أفضل من الملائكة فى ذلك الوقت وفيما بعده . ولقائل أن يقول أ ليس قدسجد يعقوب ليوسف ع أفيدل ذلك على أن يوسف أفضل من يعقوب و لايقال إن قوله تعالى وَ رَفَعَ أَبَوَيهِ عَلَى العَرشِ وَ خَرّوا لَهُ سُجّداً لايدل على سجود الوالدين فلعل الضمير يرجع إلى الإخوة خاصة لأنا نقول هذاالاحتمال مدفوع بقوله وَ الشّمسَ وَ القَمَرَ رَأَيتُهُم لِي ساجِدِينَ و هوكناية عن الوالدين . وأيضا قدبينا أن السجود إنما كان لله سبحانه و أن آدم كان قبلة والقبلة لاتكون أفضل من الساجد إليها أ لاترى أن الكعبة ليست أفضل من النبى ع -قرآن-٢٣٩-٢٩٤-قرآن-٣٩٤-٤٤٠ وَ اصطَفَى سُبحَانَهُ مِن وَلَدِهِ أَنبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الوَحيِ مِيثَاقَهُم وَ عَلَى تَبلِيغِ الرّسَالَةِ أَمَانَتَهُم لَمّا بَدّلَ أَكثَرُ خَلقِهِ عَهدَ اللّهِ إِلَيهِم فَجَهِلُوا حَقّهُ وَ اتّخَذُوا الأَندَادَ مَعَهُ وَ اجتَالَتهُمُ الشّيَاطِينُ عَن مَعرِفَتِهِ وَ اقتَطَعَتهُم عَن عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِم رُسُلَهُ وَ وَاتَرَ إِلَيهِم أَنبِيَاءَهُ لِيَستَأدُوهُم مِيثَاقَ فِطرَتِهِ وَ يُذَكّرُوهُم مَنسيّ نِعمَتِهِ وَ يَحتَجّوا عَلَيهِم بِالتّبلِيغِ وَ يُثِيرُوا لَهُم دَفَائِنَ العُقُولِ وَ يُرُوهُم آيَاتِ المَقدِرَةِ مِن سَقفٍ فَوقَهُم مَرفُوعٍ وَ مِهَادٍ تَحتَهُم مَوضُوعٍ وَ مَعَايِشَ تُحيِيهِم وَ آجَالٍ تُفنِيهِم وَ أَوصَابٍ تُهرِمُهُم وَ أَحدَاثٍ تَتَتَابَعُ عَلَيهِم وَ لَم يُخلِ اللّهُ سُبحَانَهُ خَلقَهُ مِن نبَيِّ مُرسَلٍ أَو كِتَابٍ مُنزَلٍ أَو حُجّةٍ لَازِمَةٍ [صفحه ١١٤] أَو مَحَجّةٍ قَائِمَةٍ رُسُلٌ لَا تُقَصّرُ بِهِم قِلّةُ عَدَدِهِم وَ لَا كَثرَةُ المُكَذّبِينَ لَهُم مِن سَابِقٍ سمُيَّ لَهُ مَن بَعدَهُ أَو غَابِرٍ عَرّفَهُ مَن قَبلَهُ اجتالتهم الشياطين أدارتهم تقول اجتال فلان فلانا واجتاله عن كذا و على كذا أى أداره عليه كأنه يصرفه تارة هكذا وتارة هكذا يحسن له فعله ويغريه به . و قال الراوندى اجتالتهم عدلت بهم و ليس بشىء. و قوله ع واتر إليهم أنبياءه أى بعثهم و بين كل نبيين فترة و هذامما تغلط فيه العامة فتظنه كماظن الراوندى أن المراد به المرادفة والمتابعة والأوصاب الأمراض والغابر الباقى. ويسأل فى هذاالفصل عن أشياء منها عن قوله ع أخذ على الوحى ميثاقهم . والجواب أن المراد أخذ على أداء الوحى ميثاقهم و ذلك أن كل رسول أرسل فمأخوذ عليه أداء الرسالة كقوله تعالى يا أَيّهَا الرّسُولُ بَلّغ ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبّكَ وَ إِن لَم تَفعَل فَما بَلّغتَ رِسالَتَهُ. ومنها أن يقال مامعنى قوله ع ليستأدوهم ميثاق فطرته هل هذا -قرآن-٥٧٢-٦٦٩ [صفحه ١١٥] إشارة إلى مايقوله أهل الحديث فى تفسير قوله تعالى وَ إِذ أَخَذَ رَبّكَ مِن بنَيِ آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرّيّتَهُم وَ أَشهَدَهُم عَلى أَنفُسِهِم أَ لَستُ بِرَبّكُم قالُوا بَلى. والجواب أنه لاحاجة فى تفسير هذه اللفظة إلى تصحيح ذلك الخبر ومراده ع بهذا اللفظ أنه لماكانت المعرفة به تعالى وأدلة التوحيد والعدل مركوزة فى العقول أرسل سبحانه الأنبياء أوبعضهم ليؤكدوا ذلك المركوز فى العقول و هذه هى الفطرة المشار إليها -قرآن-٥٤-١٧٨ بقوله ع كل مولود يولد على الفطرة -روايت-١-٢-روايت-١٢-٣٨ . ومنها أن يقال إلى ماذا يشير بقوله أوحجة لازمة هل هوإشارة إلى مايقوله الإمامية من أنه لابد فى كل زمان من وجود إمام معصوم .الجواب أنهم يفسرون هذه اللفظة بذلك ويمكن أن يكون المراد بهاحجة العقل . و أماالقطب الراوندى فقال فى قوله ع واصطفى سبحانه من ولده أنبياء الولد يقال على الواحد والجمع لأنه مصدر فى الأصل و ليس بصحيح لأن الماضى فعل بالفتح والمفتوح لايأتى مصدره بالفتح ولكن فعلا مصدر فعل بالكسر كقولك ولهت عليه ولها ووحمت المرأة وحما. ثم قال إن الله تعالى بعث يونس قبل نوح

و هذاخلاف إجماع المفسرين وأصحاب السير. ثم قال و كل واحد من الرسل والأئمة كان يقوم بالأمر و لايردعه عن ذلك قلة عدد أوليائه و لاكثرة عدد أعدائه فيقال له هذاخلاف قولك فى الأئمة المعصومين فإنك تجيز عليهم التقية وترك القيام بالأمر إذاكثرت أعداؤهم . و قال فى تفسير قوله ع من سابق سمى له من بعده أوغابر عرفه [صفحه ١١٦] من قبله كان من ألطاف الأنبياء المتقدمين وأوصيائهم أن يعرفوا الأنبياء المتأخرين وأوصياءهم فعرفهم الله تعالى ذلك و كان من اللطف بالمتأخرين وأوصيائهم أن يعرفوا أحوال المتقدمين من الأنبياء والأوصياء فعرفهم الله تعالى ذلك أيضا فتم اللطف لجميعهم . ولقائل أن يقول لو كان ع قال أوغابر عرف من قبله لكان هذاالتفسير مطابقا ولكنه ع لم يقل ذلك وإنما قال عرفه من قبله و ليس هذاالتفسير مطابقا لقوله عرفه والصحيح أن المراد به من نبى سابق عرف من يأتى بعده من الأنبياء أى عرفه الله تعالى ذلك أونبى غابر نص عليه من قبله وبشر به كبشارة الأنبياء بمحمد ع عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ القُرُونُ وَ مَضَتِ الدّهُورُ وَ سَلَفَتِ الآبَاءُ وَ خَلَفَتِ الأَبنَاءُ إِلَى أَن بَعَثَ اللّهُ سُبحَانَهُ مُحَمّداص لِإِنجَازِ عِدَتِهِ وَ إِتمَامِ نُبُوّتِهِ مَأخُوذاً عَلَى النّبِيّينَ مِيثَاقُهُ مَشهُورَةً سِمَاتُهُ كَرِيماً مِيلَادُهُ وَ أَهلُ الأَرضِ يَومَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرّقَةٌ وَ أَهوَاءٌ مُنتَشِرَةٌ وَ طَرَائِقُ مُتَشَتّتَةٌ بَينَ مُشَبّهٍ لِلّهِ بِخَلقِهِ أَو مُلحِدٍ فِي اسمِهِ أَو مُشِيرٍ إِلَى غَيرِهِ فَهَدَاهُم بِهِ مِنَ الضّلَالَةِ وَ أَنقَذَهُم بِمَكَانِهِ مِنَ الجَهَالَةِ ثُمّ اختَارَ سُبحَانَهُ لِمُحَمّدٍص لِقَاءَهُ وَ رضَيِ‌َ لَهُ مَا عِندَهُ وَ أَكرَمَهُ عَن دَارِ الدّنيَا وَ رَغِبَ بِهِ عَن مَقَامِ البَلوَى فَقَبَضَهُ إِلَيهِ كَرِيماً وَ خَلّفَ فِيكُم مَا خَلّفَتِ الأَنبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذ لَم يَترُكُوهُم هَمَلًا بِغَيرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ [صفحه ١١٧] وَ لَا عَلَمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبّكُم مُبَيّناً حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ وَ نَاسِخَهُ وَ مَنسُوخَهُ وَ رُخَصَهُ وَ عَزَائِمَهُ وَ خَاصّهُ وَ عَامّهُ وَ عِبَرَهُ وَ أَمثَالَهُ وَ مُرسَلَهُ وَ مَحدُودَهُ وَ مُحكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ مُفَسّراً جُملَهُ وَ مُبَيّناً غَوَامِضَهُ بَينَ مَأخُوذٍ مِيثَاقُ عِلمِهِ وَ مُوَسّعٍ عَلَى العِبَادِ فِي جَهلِهِ وَ بَينَ مُثبَتٍ فِي الكِتَابِ فَرضُهُ وَ مَعلُومٍ فِي السّنّةِ نَسخُهُ وَ وَاجِبٍ فِي السّنّةِ أَخذُهُ وَ مُرَخّصٍ فِي الكِتَابِ تَركُهُ وَ بَينَ وَاجِبٍ لِوَقتِهِ وَ زَائِلٍ فِي مُستَقبَلِهِ وَ مُبَايَنٌ بَينَ مَحَارِمِهِ مِن كَبِيرٍ أَوعَدَ عَلَيهِ نِيرَانَهُ أَو صَغِيرٍ أَرصَدَ لَهُ غُفرَانَهُ وَ بَينَ مَقبُولٍ فِي أَدنَاهُ وَ مُوَسّعٍ فِي أَقصَاهُ قوله ع نسلت القرون ولدت والهاء فى قوله لإنجاز عدته راجعة إلى البارئ سبحانه والهاء فى قوله وإتمام نبوته راجعة إلى محمدص و قوله مأخوذ على النبيين ميثاقه قيل لم يكن نبى قط إلا وبشر بمبعث محمدص وأخذ عليه تعظيمه و إن كان بعد لم يوجد.فأما قوله و أهل الأرض يومئذ ملل متفرقة فإن العلماء يذكرون أن النبى ص بعث و الناس أصناف شتى فى أديانهم يهود ونصارى ومجوس وصائبون وعبده أصنام وفلاسفة وزنادقة.

القول فى أديان العرب فى الجاهلية

فأما الأمة التى بعث محمدص فيهافهم العرب وكانوا أصنافا شتى [صفحه ١١٨] فمنهم معطلة ومنهم غيرمعطلة فأما المعطلة منهم فبعضهم أنكر الخالق والبعث والإعادة وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم ما هيَ إِلّا حَياتُنَا الدّنيا نَمُوتُ وَ نَحيا وَ ما يُهلِكُنا إِلّا الدّهرُفجعلوا الجامع لهم الطبع والمهلك لهم الدهر وبعضهم اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعث وهم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله قالَ مَن يُحيِ العِظامَ وَ هيَ رَمِيمٌ ومنهم من أقر بالخالق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنها شفعاء عند الله فى الآخرة وحجوا لها ونحروا لها الهدى وقربوا لها القربان وحللوا وحرموا وهم جمهور العرب وهم الذين قال الله تعالى عنهم وَ قالُوا ما لِهذَا الرّسُولِ يَأكُلُ الطّعامَ وَ يَمشِي فِي الأَسواقِ.فممن نطق شعره بإنكار البعث بعضهم يرثى قتلى بدر -قرآن-١٢٢-٢٠٠-قرآن-٣٣٠-٣٧٠-قرآن-٥٩٥-٦٦٥ فما ذا بالقليب قليب بدر || من الفتيان والقوم الكرام و ماذا بالقليب قليب بدر || من الشيزى تكلل بالسنام أيخبرنا ابن كبشة أن سنحيا || وكيف حياة أصداء وهام إذا ماالرأس زال بمنكبيه || فقد شبع الأنيس من الطعام أيقتلنى إذا ماكنت حيا || ويحيينى إذ رمت عظامى . [صفحه ١١٩] و كان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل

الأرواح فى الأجساد و من هؤلاء أرباب الهامة التى قال ع عنهم لاعدوى و لاهامة و لاصفر -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۴۲ و قال ذو الإصبع ياعمرو إلاتدع شتمى ومنقصتى || أضربك حيث تقول الهامة اسقونى . وقالوا إن ليلى الأخيلية لماسلمت على قبر توبة بن الحمير خرج إليها هامة من القبر صائحة أفزعت ناقتها فوقصت بهافماتت و كان ذلك تصديق قوله و لو أن ليلى الأخيلية سلمت || على ودونى جندل وصفائح لسلمت تسليم البشاشة أوزقا || إليها صدى من جانب القبر صائح . و كان توبة وليلى فى أيام بنى أمية. وكانوا فى عبادة الأصنام مختلفين فمنهم من يجعلها مشاركة للبارئ تعالى ويطلق عليها لفظة الشريك و من ذلك قولهم فى التلبية لبيك أللهم لبيك لاشريك لك إلاشريكا هو لك تملكه و ماملك ومنهم من لايطلق عليها لفظ الشريك ويجعلها وسائل وذرائع إلى الخالق سبحانه وهم الذين قالواما نَعبُدُهُم إلّا لِيُقَرّبُونا إلَى اللّهِ زُلفى. و كان فى العرب مشبهة ومجسمة منهم أمية بن أبى الصلت و هوالقائل -قرآن-۳۲۶-۳۷۷ من فوق عرش جالس قدحط || رجليه إلى كرسيه المنصوب . و كان جمهورهم عبدة الأصنام فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل [صفحه ۱۲۰] ونسر لحمير ويغوث لهمدان واللات لثقيف بالطائف والعزى لكنانة وقريش وبعض بنى سليم ومناة لغسان والأوس والخزرج و كان هبل لقريش خاصة على ظهر الكعبة وأساف ونائلة على الصفا والمروة و كان فى العرب من يميل إلى اليهودية منهم جماعة من التابعة وملوك اليمن ومنهم نصارى كبنى تغلب والعباديين رهط عدى بن زيد ونصارى نجران ومنهم من كان يميل إلى الصابئة و يقول بالنجوم والأنواء.فأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب فالقليل منهم وهم المتألهون أصحاب الورع والتحرج عن القبائح كعبد الله و عبدالمطلب وابنه أبى طالب وزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة الإيادى وعامر بن الظرب العدوانى وجماعة غيرهؤلاء. وغرضنا من هذاالفصل بيان قوله ع بين مشبه لله بخلقه أوملحد فى اسمه إلى غير ذلك و قدظهر بما شرحناه . ثم ذكر ع أن محمداص خلف فى الأمة بعده كتاب الله تعالى طريقا واضحا وعلما قائما والعلم المنار يهتدى به . ثم قسم مابينه ع فى الكتاب أقساما فمنها حلاله وحرامه فالحلال كالنكاح والحرام كالزنا. ومنها فضائله وفرائضه فالفضائل النوافل أى هى فضلة غيرواجبة كركعتى الصبح وغيرهما والفرائض كفريضة الصبح . و قال الراوندى الفضائل هاهنا جمع فضيلة وهى الدرجة الرفيعة و ليس بصحيح أ لاتراه كيف جعل الفرائض فى مقابلتها وقسيما لها فدل ذلك على أنه أراد النوافل . [صفحه ۱۲۱] ومنها ناسخه ومنسوخه فالناسخ كقوله فَاقتُلُوا المُشرِكِينَ والمنسوخ كقوله لا إِكراهَ فِي الدّينِ. ومنها رخصه وعزائمه فالرخص كقوله تعالى فَمَنِ اضطُرّ فِي مَخمَصَةٍ والعزائم كقوله فَاعلَم أَنّهُ لا إِلهَ إِلّا اللّهُ. ومنها خاصه وعامه فالخاص كقوله تعالى وَ امرَأَةً مُؤمِنَةً إِن وَهَبَت نَفسَها لِلنّبِيّ والعام كالألفاظ الدالة على الأحكام العامة لسائر المكلفين كقوله وَ أَقِيمُوا الصّلاةَ ويمكن أن يراد بالخاص العمومات التى يراد بهاالخصوص كقوله وَ أُوتِيَت مِن كُلّ شَيءٍ وبالعام ما ليس مخصوصا بل هو على عمومه كقوله تعالى وَ اللّهُ بِكُلّ شَيءٍ عَلِيمٌ. ومنها عبره وأمثاله فالعبر كقصة أصحاب الفيل وكالآيات التى تتضمن النكال والعذاب النازل بأمم الأنبياء من قبل والأمثال كقوله كَمَثَلِ الّذِي استَوقَدَ ناراً. ومنها مرسله ومحدوده و هوعبارة عن المطلق والمقيد وسمى المقيد محدودا وهى لفظة فصيحة جدا كقوله تَحرِيرُ رَقَبَةٍ و قال فى موضع آخروَ تَحرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤمِنَةٍ ومنها محكمه ومتشابهه فمحكمه كقوله تعالى قُل هُوَ اللّهُ أَحَدٌ والمتشابه كقوله إِلي رَبّها ناظِرَةٌ. ثم قسم ع الكتاب قسمة ثانية فقال إن منه ما لايسع أحدا جهله -قرآن-۳۹-۶۱-قرآن-۷۹-۱۰۰-قرآن-۱۴۵-۱۷۱-قرآن-۱۸۹-۲۲۴-قرآن-۲۶۷-۳۱۸-قرآن-۳۸۶-۴۰۶-قرآن-۴۶۹-۴۹۴-قرآن-۵۵۰-۵۷۹-قرآن-۷۱۶-۷۴۶-قرآن-۸۴۶-۸۶۲-قرآن-۸۸۳-۹۱۲-قرآن-۹۵۸-۹۷۹-قرآن-۹۹۸-۱۰۱۷ [صفحه ۱۲۲] و منه مايسع الناس جهله مثال الأول قوله اللّهُ لا إِلهَ إِلّا هُوَ الحَيّ القَيّومُ ومثال الثانى كهيعص حم عسق . ثم قال و منه ماحكمه مذكور فى الكتاب منسوخ بالسنة و ماحكمه مذكور فى السنة منسوخ بالكتاب مثال الأول قوله تعالى فَأَمسِكُوهُنّ فِي البُيُوتِ حَتّي يَتَوَفّاهُنّ المَوتُنسخ بما سنه ع من رجم الزانى المحصن ومثال الثانى صوم يوم عاشوراء كان واجبا بالسنة ثم نسخه صوم شهر رمضان الواجب بنص الكتاب . ثم قال و بين واجب بوقته وزائل فى

مستقبله يريد الواجبات الموقتة كصلاة الجمعة فإنها تجب فی وقت مخصوص ويسقط وجوبها فی مستقبل ذلك الوقت . ثم قال ع ومباين بين محارمه الواجب أن يكون ومباين بالرفع لابالجر فإنه ليس معطوفا على ماقبله أ لاترى أن جميع ماقبله يستدعی الشیء وضده أوالشیء ونقيضه و قوله ومباين بين محارمه لانقيض و لاضد له لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين أحدهما مباين بين محارمه والآخر غيرمباين فإن ذلك لايجوز فوجب رفع مباين و أن يكون خبر مبتدأ محذوف ثم فسر مامعنى المباينة بين محارمه فقال إن محارمه تنقسم إلى كبيرة وصغيرة فالكبيرة أوعد سبحانه عليها بالعقاب والصغيرة مغفورة و هذانص مذهب المعتزلة فی الوعيد. ثم عدل ع عن تقسيم المحارم المتباينة ورجع إلى تقسيم الكتاب فقال و بين مقبول فی أدناه وموسع فی أقصاه كقوله فَاقرَؤُا ما تَيَسّرَ مِنهُ. فإن القليل من القرآن مقبول والكثير منه موسع مرخص فی تركه -قرآن-۴۶-۸۹-قرآن-۱۰۵-۱۱۰-قرآن-۱۱۱-۱۱۸-قرآن-۲۴۲-۲۹۷-قرآن-۱۲۱۸-۱۲۴۴ [صفحه ۱۲۳] وَ فَرَضَ عَلَيكُم حَجّ بَيتِهِ الحَرَامِ الّذِی جَعَلَهُ قِبلَةً لِلأَنَامِ يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنعَامِ وَ يَولَهُونَ إِلَيهِ وَلَهَ الحَمَامِ وَ جَعَلَهُ سُبحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِم لِعَظَمَتِهِ وَ إِذعَانِهِم لِعِزّتِهِ وَ اختَارَ مِن خَلقِهِ سُمّاعاً أَجَابُوا إِلَيهِ دَعوَتَهُ وَ صَدّقُوا كَلِمَتَهُ وَ وَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنبِيَائِهِ وَ تَشَبّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ المُطِيفِينَ بِعَرشِهِ يُحرِزُونَ الأَربَاحَ فِی مَتجَرِ عِبَادَتِهِ وَ يَتَبَادَرُونَ عِندَهُ مَوعِدَ مَغفِرَتِهِ جَعَلَهُ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى لِلإِسلَامِ عَلَماً وَ لِلعَائِذِينَ حَرَماً وَ فَرَضَ حَقّهُ وَ أَوجَبَ حَجّهُ وَ كَتَبَ عَلَيهِ وِفَادَتَهُ فَقَالَ سُبحَانَهُوَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجّ البَيتِ مَنِ استَطاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا وَ مَن كَفَرَ فَإِنّ اللّهَ غَنِیّ عَنِ العالَمِينَ -قرآن-۶۵۸-۷۷۷ الوله شدة الوجد حتى يكاد العقل يذهب وله الرجل يوله ولها و من روى يألهون إليه ولوه الحمام فسره بشیء آخر و هويعكفون عليه عكوف الحمام وأصل أله عبد و منه الإله أی المعبود و لما كان العكوف على الشیء كالعبادة له لملازمته والانقطاع إليه قيل أله فلان إلى كذا أی عكف عليه كأنه يعبده و لايجوز أن يقال يألهون إليه فی هذاالموضع بمعنى يولهون و أن أصل الهمزة الواو كمافسره الراوندی لأن فعولا لايجوز أن يكون مصدرا من فعلت بالكسر و لو كان يألهون هويولهون كان أصله أله بالكسر فلم يجز أن يقول ولوه الحمام و أما على مافسرناه نحن فلايمتنع أن يكون الولوه مصدرا لأن أله مفتوح فصار كقولك دخل دخولا وباقی الفصل غنی عن التفسير [صفحه ۱۲۴]

فصل فی فضل البيت والكعبة

جاء فی الخبر الصحيح أن فی السماء بيتا يطوف به الملائكة طواف البشر بهذا البيت اسمه الضراح و أن هذاالبيت تحته على خط مستقيم و أنه المراد بقوله تعالى وَ البَيتِ المَعمُورِأقسم سبحانه به لشرفه ومنزلته عنده -قرآن-۱۶۰-۱۸۰ و فی الحديث أن آدم لماقضى مناسكه وطاف بالبيت لقيته الملائكة فقالت ياآدم لقد حججنا هذاالبيت قبلك بألفی عام -روايت-۱-۴-روايت-۱۶-۱۲۳ قال مجاهد إن الحاج إذاقدموا مكة استقبلتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا. من سنة السلف أن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالذنوب والآثام . و فی الحديث أن الله تعالى قدوعد هذاالبيت أن يحجه فی كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا أتمهم الله بالملائكة و أن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة و كل من حجها متعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها -روايت-۱-۴-روايت-۱۶-۲۲۲ و فی الحديث أن من الذنوب ذنوبا لايكفرها إلاالوقوف بعرفة و فيه أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لايغفر له -روايت-۱-۴-روايت-۱۶-۱۲۷ .عمر بن ذر الهمدانی لماقضى مناسكه أسند ظهره إلى الكعبة و قال مودعا للبيت مازلنا نحل إليك عروة ونشد إليك أخرى ونصعد لك أكمة ونهبط أخرى وتخفضنا أرض وترفعنا أخرى حتى أتيناك فليت شعری بم يكون منصرفنا أبذنب مغفور فأعظم بها من نعمة أم بعمل مردود فأعظم بها من مصيبة فيا من له خرجنا و إليه [صفحه

۱۲۵] قصدنا وبحرمه أنخنا ارحم يامعطى الوفد بفنائك فقد أتيناك بهامعراة جلودها ذابلة أسنمتها نقبة أخفافها و إن أعظم الرزية أن نرجع و قداكتنفتنا الخيبة أللهم و إن للزائرين حقا فاجعل حقنا عليك غفران ذنوبنا فإنك جواد كريم ماجد لاينقصك نائل و لايبخلك سائل . ابن جريج ماظننت أن الله ينفع أحدا بشعر عمر بن أبى ربيعة حتى كنت باليمن فسمعت منشدا ينشد قوله بالله قولا له فى غيرمعتبة || ماذا أردت بطول المكث فى اليمن إن كنت حاولت دنيا أوظفرت بها || فما أخذت بترك الحج من ثمن .فحركنى ذلك على ترك اليمن والخروج إلى مكة فخرجت فحججت .سمع أبوحازم امرأة حاجة ترفث فى كلامها فقال ياأمة الله ألست حاجة أ لاتتقين الله فسفرت عن وجه صبيح ثم قالت له أنا من اللواتى قال فيهن العرجى أماطت كساء الخز عن حر وجهها || وردت على الخدين بردا مهلهلا من اللاء لم يحججن يبغين حسبة || ولكن ليقتلن البرىء المغفلا . فقال أبوحازم فأنا أسأل الله ألا يعذب هذاالوجه بالنار فبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال رحم الله أباحازم لو كان من عباد العراق لقال لها اعزبى ياعدوة الله ولكنه ظرف نساك الحجاز [صفحه ۱۲۶]

فصل فى الكلام على السجع

واعلم أن قوما من أرباب علم البيان عابوا السجع وأدخلوا خطب أمير المؤمنين ع فى جملة ماعابوه لأنه يقصد فيهاالسجع وقالوا إن الخطب الخالية من السجع والقرائن والفواصل هى خطب العرب وهى المستحسنة الخالية من التكلف كخطبة النبى ص فى حجة الوداع وهى‌الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلامضل له و من يضلل الله فلاهادى له وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على العمل بطاعته وأستفتح الله بالذى هوخير أما بعدأيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لاأدرى لعلى لاألقاكم بعدعامى هذا فى موقفى هذاأيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذاألا أهل بلغت أللهم اشهد من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها و إن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب و إن دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب و إن مآثر الجاهلية موضوعة غير -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-ادامه دارد [صفحه ۱۲۷] السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر فيه مائة بعير فمن ازداد فهو من الجاهلية أيها الناس إن الشيطان قديئس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه قدرضى أن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحتقرون من أعمالكم أيها الناس إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما و إن الزمان قداستدار كهيئته يوم خلق الله السموات و الأرض و إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ألذى بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حقا فعليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم و لايدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه إلاباذنكم و لايأتين بفاحشة فإن فعلن فقد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن فإن انتهين وأطعنكم فعليكم كسوتهن ورزقهن بالمعروف فإنما النساء عندكم عوان لا‌يملكن لأنفسهن شيئا أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد [صفحه ۱۲۸] أيها الناس إنما المؤمنون إخوة و لايحل لامرئ مال أخيه إلا على طيب نفس ألا هل بلغت أللهم اشهد ألا لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإنى قدتركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا كتاب الله ربكم ألا هل بلغت أللهم اشهد أيها الناس إن ربكم واحد و إن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم و ليس لعربى

على عجمى فضل إلابالتقوى ألا فليبلغ الشاهد الغائب أيها الناس إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث و لاتجوز وصية فى أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى إلى غير أبيه أوتولى غيرمواليه فهو ملعون لايقبل الله منه صرفا و لاعدلا و السلام عليكم ورحمة الله عليكم -روايت-از قبل-۶۴۳ . واعلم أن السجع لو كان عيبا لكان كلام الله سبحانه معيبا لأنه مسجوع كله ذو فواصل وقرائن ويكفى هذاالقدر وحده مبطلا لمذهب هؤلاء فأما خطبة رسول الله ص هذه فإنها و إن لم تكن ذات سجع فإن أكثر خطبه مسجوع كقوله إن مع العز ذلا و إن مع الحياة موتا و إن مع الدنيا آخرة و إن لكل شيءحسابا ولكل حسنة ثوابا ولكل سيئة عقابا و إن على كل شيءرقيبا وإنه لابد لك من قرين يدفن معك هوحى و أنت ميت فإن كان كريما أكرمك و إن كان لئيما أسلمك ثم لايحشر إلامعك و لاتبعث إلامعه و لاتسأل إلا عنه فلاتجعله إلاصالحا فإنه إن صلح أنست به و إن فسد لم تستوحش إلا منه و هوعملك -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۸۰ .فأكثر هذاالكلام مسجوع كماتراه وكذلك خطبه الطوال كلها و أماكلامه [صفحه ۱۲۹] القصير فإنه غيرمسجوع لأنه لايحتمل السجع وكذلك القصير من كلام أمير المؤمنين ع .فأما قولهم إن السجع يدل على التكلف فإن المذموم هوالتكلف ألذى تظهر سماجته وثقله للسامعين فأما التكلف المستحسن فأى عيب فيه أ لاترى أن الشعر نفسه لابد فيه من تكلف إقامة الوزن و ليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك . واحتج عائبو السجع بقوله ع لبعضهم منكرا عليه أسجعا كسجع الكهان و لو لا أن السجع منكر لماأنكر ع سجع الكهان وأمثاله فيقال لهم إنما أنكر ع السجع ألذى يسجع الكهان أمثاله لاالسجع على الإطلاق وصورة الواقعة أنه ع أمر فى الجنين بغرة فقال قائل أأدى من لاشرب و لاأكل و لانطق و لااستهل ومثل هذايطل فأنكر ع ذلك لأن الكهان كانوا يحكمون فى الجاهلية بألفاظ مسجوعة كقولهم حبة بر فى إحليل مهر وقولهم عبدالمسيح على جمل مشيح لرؤيا الموبذان وارتجاس الإيوان ونحو ذلك من كلامهم و كان ع قدأبطل الكهانة والتنجيم والسحر ونهى عنها فلما سمع كلام ذلك القائل أعاد الإنكار ومراده به تأكيد تحريم العمل على أقوال الكهنة و لو كان ع قدأنكر السجع لماقاله و قدبينا أن كثيرا من كلامه مسجوع وذكرنا خطبته . و من كلامه ع المسجوع خبر ابن مسعود رحمه الله تعالى قال قال رسول الله ص استحيوا من الله حق الحياء فقلنا إنا لنستحيي يا رسول الله من الله تعالى فقال ليس ذلك مأأمرتكم به وإنما الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس -روايت-۱-۲-روايت-۶۰-ادامه دارد [صفحه ۱۳۰] و ماوعى والبطن و ماحوى وتذكر الموت والبلى و من أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا -روايت-از قبل-۹۱ كلامه المشهور لماقدم المدينة ع أول قدومه إليها أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل و الناس نيام تدخلوا الجنة بسلام -روايت-۱-۲-روايت-۵۳-۱۵۷ وعوذ الحسن ع فقال أعيذك من الهامة والسامة و كل عين لامة -روايت-۱-۶۲ وإنما أراد ملمة فقال لامة لأجل السجع . وكذلك قوله ارجعن مأزورات غيرمأجورات -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۷ وإنما هوموزورات بالواو [صفحه ۱۳۱]

۲- و من خطبة له ع بعدانصرافه من صفين

اشاره

صفين اسم الأرض التى كانت فيهاالحرب والنون فيهاأصلية ذكر ذلك صاحب الصحاح فوزنها على هذافعيل كفسيق وخمير وصريع وظليم وضليل . فإن قيل فاشتقاقه مما ذا يكون .قيل لو كان اسما لحيوان لأمكن أن يكون من صفن الفرس إذاقام على ثلاث وأقام الرابعة على طرف الحافر يصفن بالكسر صفونا أو من صفن القوم إذاصفوا أقدامهم لايخرج بعضها من بعض . فإن

قيـل أيمكن أن يشـتق من ذلـك و هـواسم أرض .قيـل يمكن على تعسف و هو أن تكون تلـك الأرض لماكـانت ممـا تصـفن فيهاالخيل أوتصـطف فيهاالأقدام سـميت صـفين . فإن قيل أيمكن أن تكون النون زائدة مع الياء كماهما فى غسلين وعفرين .قيل لوجاء فى الأصل صف بكسر الصاد لأمكن أن تتوهم الزيادة كالزيادة [صـفحه ١٣٢] فى غسـل و هو مايغتسل به نحو الخطمى وغيره فقيل غسلين لمايسيل من صديد أهل النار ودمائهم وكالزيادة فى عفر و هوالخبيث الداهى فقيل عفرين لمأسدة بعينها وقيل عفريت للداهية هكذا ذكروه ولقائل أن يقول لهم أ ليس قدقالوا للأسد عفرنى بفتح العين وأصله العفر بالكسر فقد بان أنهم لم يراعوا فى اشـتقاقهم وتصـريف كلامهم الحركة المخصوصة وإنما يراعون الحرف و لا كل الحروف بل الأصـلى منها فغير ممتنع على هذاعنـدنا أن تكون اليـاء والنون زائـدتين فى صـفين . وصـفين اسم غيرمنصـرف للتـأنيث والتعريف قـال إنى أدين بمـا دان الوصـى به || يوم الخريبـة من قتل المحلينا وبالـذى دان يوم النهر دنت به || وشاركت كفه كفى بصـفينا تلك الدماء معا يارب فى عنقى || ثم اسـقنى مثلهـا آمين آمينا أَحمَـدُهُ استِتمَاماً لِنِعمَتِهِ وَ استِسـلَاماً لِعِزّتِهِ وَ استِعصَاماً مِن مَعصِيَتِهِ وَ أَستَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ إِنّهُ لَا يَضِلّ مَن هَدَاهُ وَ لَا يَئِلُ مَن عَادَاهُ وَ لَا يَفتَقِرُ مَن كَفَاهُ فَإِنّهُ أَرجَحُ مَا وُزِنَ وَ أَفضَلُ مَا خُزِنَ وَ أَشـهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحدَهُ لَا شَـرِيكَ لَهُ شَـهَادَةً مُمتَحَناً إِخلَاصُهَا مُعتَقَداً مُصَاصُهَا نَتَمَسّكُ بِهَا أَبَداً [صفحه ١٣٣] مَا أَبقَانَا وَ نَـدّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلقَانَا فَإِنّهَا عَزِيمَـةُ الإِيمَـانِ وَ فَاتِحَـةُ الإِحسَانِ وَ مَرضَاةُ الرّحمَنِ وَ مَـدحَرَةُ الشّيطَانِ وأل أى نجا يئل والمصاص خالص الشـىء والفاقة الحاجة والفقر الأهاويل جمع أهوال والأهوال جمع هول فهو جمع الجمع كماقالوا أنعام وأناعيم وقيل أهاويل أصـله تهاويل وهى مايهولك من شىء أى يروعك و إن جاز هذافهو بعيد لأن التاء قل أن تبدل همزة والعزيمة النية المقطوع عليها ومدحرة الشيطان أى تـدحره أى تبعده وتطرده . و قوله ع اسـتتماما واستسـلاما واسـتعصاما من لطيف الكناية وبديعها فسـبحان من خصه بالفضائل التى لاتنتهى ألسنة الفصحاء إلى وصفها وجعله إمام كل ذى علم وقدوة كل صاحب خصيصة. و قوله فإنه أرجح الهاء عائدة إلى مـادل عليه قوله أحمـده يعنى الحمـد والفعل يـدل على المصـدر وترجع الضـمائر إليه كقوله تعالى بَل هُوَ شَـرّ و هوضـمير البخل ألذى دل عليه قوله يَبخَلُونَ -قرآن-٦٣٥-٦٤٧-قرآن-٦٨٥-٦٩٤

باب لزوم ما لايلزم وإيراد أمثلة منه

و قوله ع وزن وخزن بلزوم الزاى من البـاب المسـمى لزوم مـا لايلزم و هوأحـد أنواع البـديع و ذلك أن تكون الحروف التى قبل الفاصـلة حرفا واحدا هذا [صـفحه ١٣٤] فى المنثور و أمـا فى المنظوم فـأن تتسـاوى الحروف التى قبـل الروى مع كونهـا ليسـت بواجبـة التساوى مثال ذلك قول بعض شـعراء الحماسـة بيضاء باكرها النعيم فصاغها || بلباقـة فأدقها وأجلها حجبت تحيتها فقلت لصاحبى || ما كان أكثرها لنا وأقلها و إذاوجدت لها وساوس سـلوة || شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها . أ لاتراه كيف قدلزم اللام الأولى من اللامين اللـذين صارا حرفا مشـددا فالثانى منهما هوالروى واللام الأول ألـذى قبله التزام ما لايلزم فلو قال فى القصـيدة وصـلها وقبلهـا وفعلهـا لجاز. واحترزنا نحن بقولنا مع كونها ليست بواجبـة التساوى عن قول الراجز و هو من شـعر الحماسـة أيضـا وفيشـة ليست كهذى الفيش || قدملئت من نزق وطيش إذابدت قلت أميرالجيش || من ذاقها يعرف طعم العيش . فإن لزوم الياء قبـل حرف الروى ليس مـن هـذاالباب لأنـه لزوم واجب أ لاـترى أنه لـو قـال فى هـذاالرجز البطش والفرش والعرش لم يجز لأـن الردف لايجوز أن يكون حرفا خارجا عن حروف العلة و قدجاء من اللزوم فى الكتاب العزيز مواضع [صفحه ١٣٥] ليست بكثيرة فمنها قوله سبحانه فَتَكُونَ لِلشّيطانِ وَلِيّا قالَ أَ راغِبٌ أَنتَ عَن آلِهَتِي يا إِبراهِيمُ لَئِن لَم تَنتَهِ لَأَرجُمَنّكَ وَ اهجُرنِي مَلِيّا و قوله تعالى وَ لكِن كانَ فِي ضَـلالٍ بَعِيدٍ قالَ لا تَختَصِـمُوا لدَيَّ وَ قَد قَدّمتُ إِلَيكُم بِالوَعِيدِ و قوله اقرَأ بِاسمِ رَبّكَ ألّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنسانَ مِن

عَلَقٍ و قوله وَ الطّورِ وَ كِتابٍ مَسطُورٍ و قوله بِكاهِنٍ وَ لا مَجنُونٍ أَم يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبّصُ بِهِ رَيبَ المَنُونِ و قوله فِي سِدرٍ مَخضُودٍ وَ طَلحٍ مَنضُودٍ و قوله فَإِنِ انتَهَوا فَإِنّ اللّهَ بِما يَعمَلُونَ بَصِيرٌ وَ إِن تَوَلّوا فَاعلَمُوا أَنّ اللّهَ مَولاكُم نِعمَ المَولي وَ نِعمَ النّصِيرُ والظاهر أن ذلك غيرمقصود قصده . ومما ورد منه فى كلام العرب أن لقيط بن زرارة تزوج ابنة قيس بن خالد الشيبانى فأحبته فلما قتل عنها تزوجت غيره فكانت تذكر لقيطا فسألها عن حبها له فقالت أذكره و قدخرج تارة فى يوم دجن و قدتطيب وشرب الخمر وطرد بقرا فصرع بعضها ثم جاءنى و به نضح دم وعبير فضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى كنت مت ثمة. و قدصنع أبوالعلاء المعرى كتابا فى اللزوم من نظمه فأتى فيه بالجيد والردىء وأكثره متكلف و من جيده قوله -قرآن-٣٣-١٦٢-قرآن-١٧٨-٢٧٢-قرآن-٢٨١-٣٤١-قرآن-٣٥٠-٣٧٨-قرآن-٣٨٧-٤٦٣-قرآن-٤٧٢-٥٠٧-قرآن-٥١٦-٦٤٩ لاتطلبن بآلة لك حالة || قلم البليغ بغير حظ مغزل سكن السماكان السماء كلاهما || هذا له رمح و هذاأعزل وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرسَلَهُ بِالدّينِ المَشهُورِ وَ العَلَمِ المَأثُورِ [صفحه ١٣٦] وَ الكِتَابِ المَسطُورِ وَ النّورِ السّاطِعِ وَ الضّيَاءِ اللّامِعِ وَ الأَمرِ الصّادِعِ إِزَاحَةً لِلشّبُهَاتِ وَ احتِجَاجاً بِالبَيّنَاتِ وَ تَحذِيراً بِالآيَاتِ وَ تَخوِيفاً بِالمَثُلَاتِ وَ النّاسُ فِي فِتَنٍ انجَذَمَ فِيهَا حَبلُ الدّينِ وَ تَزَعزَعَت سَوَارِي اليَقِينِ وَ اختَلَفَ النّجرُ وَ تَشَتّتَ الأَمرُ وَ ضَاقَ المَخرَجُ وَ عَمِيَ المَصدَرُ فَالهُدَى خَامِلٌ وَ العَمَى شَامِلٌ عُصِيَ الرّحمَنُ وَ نُصِرَ الشّيطَانُ وَ خُذِلَ الإِيمَانُ فَانهَارَت دَعَائِمُهُ وَ تَنَكّرَت مَعَالِمُهُ وَ دَرَسَت سُبُلُهُ وَ عَفَت شُرُكُهُ أَطَاعُوا الشّيطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ وَ وَرَدُوا مَنَاهِلَهُ بِهِم سَارَت أَعلَامُهُ وَ قَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتهُم بِأَخفَافِهَا وَ وَطِئَتهُم بِأَظلَافِهَا وَ قَامَت عَلَى سَنَابِكِهَا فَهُم فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفتُونُونَ فِي خَيرِ دَارٍ وَ شَرّ جِيرَانٍ نَومُهُم سُهُودٌ وَ كُحلُهُم دُمُوعٌ بِأَرضٍ عَالِمُهَا مُلجَمٌ وَ جَاهِلُهَا مُكرَمٌ قوله ع والعلم المأثور يجوز أن يكون عنى به القرآن لأن المأثور المحكى والعلم مايهتدى به والمتكلمون يسمون المعجزات أعلاما ويجوز أن يريد به أحد معجزاته غيرالقرآن فإنها كثيرة ومأثورة ويؤكد هذا قوله بعد والكتاب المسطور فدل على تغايرهما و من يذهب إلى الأول يقول المراد بهما واحد والثانية توكيد الأولى على قاعدة الخطابة والكتابة. والصادع الظاهر الجلى قال تعالى فَاصدَع بِما تُؤمَرُ أى أظهره و لاتخفه . والمثلات بفتح الميم وضم الثاء العقوبات جمع مثلة قال تعالى وَ يَستَعجِلُونَكَ بِالسّيّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ وَ قَد خَلَت مِن قَبلِهِمُ المَثُلاتُ. وانجذم انقطع والسوارى جمع سارية وهى الدعامة يدعم بهاالسقف والنجر -قرآن-٣٨٠-٣٩٩-قرآن-٤٨٧-٥٧٢ [صفحه ١٣٧] الأصل ومثله النجار وانهارت تساقطت والشرك الطرائق جمع شراك والأخفاف للإبل والأظلاف للبقر والمعز. و قال الراوندى فى تفسير قوله خير دار وشر جيران خير دار الكوفة وقيل الشام لأنها الأرض المقدسة وأهلها شر جيران يعنى أصحاب معاوية و على التفسير الأول يعنى أصحابه ع . قال و قوله نومهم سهود يعنى أصحاب معاوية لاينامون طول الليل بل يرتبون أمره و إن كان وصفا لأصحابه ع بالكوفة و هوالأقرب فالمعنى أنهم خائفون يسهرون ويبكون لقلة موافقتهم إياه و هذاشكاية منه ع لهم . وكحلهم دموع أى نفاقا فإنه إذاتم نفاق المرء ملك عينيه . ولقائل أن يقول لم يجر فيما تقدم ذكر أصحابه ع و لاأصحاب معاوية والكلام كله فى وصف أهل الجاهلية قبل مبعث محمدص ثم لايخفى ما فى هذاالتفسير من الركاكة والفجاجة و هو أن يريد بقوله نومهم سهود أنهم طوال الليل يرتبون أمر معاوية لاينامون و أن يريد بذلك أن أصحابه يبكون من خوف معاوية وعساكره أوأنهم يبكون نفاقا والأمر أقرب من أن يتمحل له مثل هذا. ونحن نقول إنه ع لم يخرج من صفة أهل الجاهلية و قوله فى خير دار يعنى مكة وشر جيران يعنى قريشا و هذالفظ النبى ص حين حكى بالمدينة حالة كانت فى مبدأ البعثة فقال كنت فى خير دار وشر جيران ثم حكى ع ماجرى له مع عقبة بن أبى معيط والحديث مشهور. و قوله نومهم سهود وكحلهم دموع مثل أن يقول جودهم بخل وأمنهم خوف أى لواستماحهم محمد ع النوم لجادوا عليه بالسهود عوضا عنه و لواستجداهم الكحل لكان كحلهم ألذى يصلونه به الدموع . [صفحه ١٣٨] ثم قال بأرض عالمها ملجم أى من عرف صدق محمدص وآمن به فى تقية وخوف وجاهلها مكرم أى من جحد نبوته وكذبه فى عز ومنعة و هذاظاهر وَ مِنهَا وَ يَعنِي آلَ النّبِيّص هُم مَوضِعُ سِرّهِ وَ لَجَأُ أَمرِهِ وَ عَيبَةُ عِلمِهِ وَ

مَوئِلُ حُكمِهِ وَ كُهُوفُ كُتُبِهِ وَ جِبَالُ دِينِهِ بِهِم أَقَامَ انحِنَاءَ ظَهرِهِ وَ أَذهَبَ ارتِعَادَ فَرَائِصِهِ اللجأ ماتلتجئ إليه كالوزر ماتعتصم به والموئل ماترجع إليه يقول إن أمر النبى ص أى شأنه ملتجئ إليهم وعلمه مودع عندهم كالثوب يودع العيبة. وحكمه أى شرعه يرجع ويؤول إليهم وكتبه يعنى القرآن والسنة عندهم فهم كالكهوف له لاحتوائهم عليه وهم جبال دينه لايتحلحلون عن الدين أو أن الدين ثابت بوجودهم كما أن الأرض ثابتة بالجبال و لو لاالجبال لمادت بأهلها. والهاء فى ظهره ترجع إلى الدين وكذلك الهاء فى فرائصه والفرائص جمع فريصة وهى اللحمة بين الجنب والكتف لاتزال ترعد من الدابة وَ مِنهَا فِي المُنَافِقِينَ زَرَعُوا الفُجُورَ وَ سَقَوهُ الغُرُورَ وَ حَصَدُوا الثّبُورَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمّدٍص مِن هَذِهِ الأُمّةِ أَحَدٌ وَ لَا يُسَوّى بِهِم مَن جَرَت نِعمَتُهُم عَلَيهِ أَبَداً هُم أَسَاسُ الدّينِ وَ عِمَادُ اليَقِينِ إِلَيهِم يفَيِءُ الغَالِي وَ بِهِم يُلحَقُ [صفحه ١٣٩] التّالِي وَ لَهُم خَصَائِصُ حَقّ الوِلَايَةِ وَ فِيهِمُ الوَصِيّةُ وَ الوِرَاثَةُ الآنَ إِذ رَجَعَ الحَقّ إِلَى أَهلِهِ وَ نُقِلَ إِلَى مُنتَقَلِهِ جعل مافعلوه من القبيح بمنزلة زرع زرعوه ثم سقوه فالذى زرعوه الفجور ثم سقوه بالغرور والاستعارة واقعة موقعها لأن تماديهم و ماسكنت إليه نفوسهم من الإمهال هو ألذى أوجب استمرارهم على القبائح التى واقعوها فكان ذلك كمايسقى الزرع ويربى بالماء ويستحفظ. ثم قال وحصدوا الثبور أى كانت نتيجة ذلك الزرع والسقى حصاد ما هوالهلاك والعطب . وإشارته هذه ليست إلى المنافقين كماذكر الرضى رحمه الله وإنما هى إشارة إلى من تغلب عليه وجحد حقه كمعاوية وغيره ولعل الرضى رحمه الله تعالى عرف ذلك وكنى عنه . ثم عاد إلى الثناء على آل محمدص فقال هم أصول الدين إليهم يفيء الغالى وبهم يلحق التالى جعلهم كمقنب يسير فى فلاة فالغالى منه أى الفارط المتقدم ألذى قدغلا فى سيره يرجع إلى ذلك المقنب إذاخاف عدوا و من قدتخلف عن ذلك المقنب فصار تاليا له يلتحق به إذاأشفق من أن يتخطف . ثم ذكر خصائص حق الولاية والولاية الإمرة فأما الإمامية فيقولون أراد نص النبى ص عليه و على أولاده ونحن نقول لهم خصائص حق ولاية الرسول ص على الخلق . ثم قال ع وفيهم الوصية والوراثة أماالوصية فلاريب عندنا أن عليا ع كان وصى رسول الله ص و إن خالف فى ذلك من هومنسوب [صفحه ١٤٠] عندنا إلى العناد ولسنا نعنى بالوصية النص والخلافة ولكن أمورا أخرى لعلها إذالمحت أشرف وأجل . و أماالوراثة فالإمامية يحملونها على ميراث المال والخلافة ونحن نحملها على وراثة العلم . ثم ذكر ع أن الحق رجع الآن إلى أهله و هذايقتضى أن يكون فيما قبل فى غيرأهله ونحن نتأول ذلك على غير ماتذكره الإمامية ونقول إنه ع كان أولى بالأمر وأحق لا على وجه النص بل على وجه الأفضلية فإنه أفضل البشر بعد رسول الله ص وأحق بالخلافة من جميع المسلمين لكنه ترك حقه لماعلمه من المصلحة و ماتفرس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام وانتشار الكلمة لحسد العرب له وضغنهم عليه وجائز لمن كان أولى بشيء فتركه ثم استرجعه أن يقول قدرجع الأمر إلى أهله . و أما قوله وانتقل إلى منتقله ففيه مضاف محذوف تقديره إلى موضع منتقله والمنتقل بفتح القاف مصدر بمعنى الانتقال كقولك لى فى هذاالأمر مضطرب أى اضطراب قال قد كان لى مضطرب واسع || فى الأرض ذات الطول والعرض . وتقول مامعتقدك أى مااعتقادك قدرجع الأمر إلى نصابه و إلى الموضع ألذى هو على الحقيقة الموضع ألذى يجب أن يكون انتقاله إليه . فإن قيل مامعنى قوله ع لايقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد و لايسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا.قيل لاشبهة أن المنعم أعلى وأشرف من المنعم عليه و لاريب أن محمداص [صفحه ١٤١] وأهله الأدنين من بنى هاشم لاسيما عليا ع أنعموا على الخلق كافة بنعمة لايقدر قدرها وهى الدعاء إلى الإسلام والهداية إليه فمحمدص و إن كان هدى الخلق بالدعوة التى قام بهابلسانه ويده ونصره الله تعالى له بملائكته وتأييده و هوالسيد المتبوع والمصطفى المنتجب الواجب الطاعة إلا أن لعلى ع من الهداية أيضا و إن كان ثانيا لأول ومصليا على إثر سابق ما لايجحد و لو لم يكن إلاجهاده بالسيف أولا وثانيا و ما كان بين الجهادين من نشر العلوم وتفسير القرآن وإرشاد العرب إلى ما لم تكن له فاهمة و لامتصورة لكفى فى وجوب حقه وسبوغ نعمته ع . فإن قيل لاريب فى أن كلامه هذاتعريض بمن تقدم عليه فأى نعمة له عليهم قيل نعمتان الأولى منهما الجهاد عنهم وهم

قاعدون فإن من أنصف علم أنه لو لاسيف علي ع لاصطلم المشركون من أشار إليه وغيرهم من المسلمين و قدعلمت آثاره في بدر وأحد والخندق وخيبر وحنين و أن الشرك فيهافغرفاه فلو لا أن سده بسيفه لالتهم المسلمين كافة والثانية علومه التى لولاه لحكم بغير الصواب فى كثير من الأحكام و قداعترف عمر له بذلك والخبر مشهور لو لا ـ على لهلك عمر. ويمكن أن يخرج كلامه على وجه آخر و ذلك أن العرب تفضل القبيلة التى منها الرئيس الأعظم على سائر القبائل وتفضل الأدنى منه نسبا فالأدنى على سائر آحاد تلك القبيلة فإن بنى دارم يفتخرون بحاجب وإخوته وبزرارة أبيهم على سائر بنى تميم ويسوغ للواحد من أبناء بنى دارم أن يقول لايقاس ببنى دارم أحد من بنى تميم و لايستوى بهم من جرت رئاستهم عليه أبدا ويعنى بذلك أن واحدا من بنى دارم قدرأس على بنى تميم فكذلك لما كان رسول الله ص رئيس الكل [صفحه ١٤٢] والمنعم على الكل جاز لواحد من بنى هاشم لاسيما مثل على ع أن يقول هذه الكلمات واعلم أن عليا ع كان يدعى التقدم على الكل والشرف على الكل والنعمة على الكل بابن عمه ص وبنفسه وبأبيه أبى طالب فإن من قرأ علوم السير عرف أن الإسلام لو لا أبوطالب لم يكن شيئا مذكورا. و ليس لقائل أن يقول كيف يقال هذا فى دين تكفل الله تعالى بإظهاره سواء كان أبوطالب موجودا أومعدوما لأنا نقول فينبغى على هذاألا يمدح رسول الله ص و لايقال إنه هدى الناس من الضلالة وأنقذهم من الجهالة و إن له حقا على المسلمين وإنه لولاه لما عبد الله تعالى فى الأرض وألا يمدح أبوبكر و لايقال إن له أثرا فى الإسلام و إن عبدالرحمن وسعدا وطلحة وعثمان وغيرهم من الأولين فى الدين اتبعوا رسول الله ص لاتباعه له و إن له يدا غيرمجحودة فى الإنفاق واشتراء المعذبين وإعتاقهم وإنه لولاه لاستمرت الردة بعدالوفاة وظهرت دعوة مسيلمة وطليحة وإنه لو لاعمر لماكانت الفتوح و لاجهزت الجيوش و لاقوى أمر الدين بعدضعفه و لاانتشرت الدعوة بعدخمولها. فإن قلتم فى كل ذلك إن هؤلاء يحمدون ويثنى عليهم لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم ووفقهم لها والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى وهؤلاء آلة مستعملة ووسائط تجرى الأفعال على أيديها فحمدهم والثناء عليهم والاعتراف لهم إنما هوباعتبار ذلك .قيل لكم فى شأن أبى طالب مثله . [صفحه ١٤٣] واعلم أن هذه الكلمات وهى قوله ع الآن إذ رجع الحق إلى أهله إلى آخرها يبعد عندى أن تكون مقولة عقيب انصرافه ع من صفين لأنه انصرف عنها وقتئذ مضطرب الأمر منتشر الحبل بواقعة التحكيم ومكيدة ابن العاص و ماتم لمعاوية عليه من الاستظهار و ماشاهد فى عسكره من الخذلان و هذه الكلمات لاتقال فى مثل هذه الحال وأخلق بها أن تكون قيلت فى ابتداء بيعته قبل أن يخرج من المدينة إلى البصرة و أن الرضى رحمه الله تعالى نقل ماوجد وحكى ماسمع والغلط من غيره والوهم سابق له و ماذكرناه واضح

ماورد فى الوصاية من الشعر

ومما رويناه من الشعر المقول فى صدر الإسلام المتضمن كونه ع وصى رسول الله قول عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ومنا على ذاك صاحب خيبر || وصاحب بدر يوم سالت كتائبه وصى النبى المصطفى و ابن عمه || فمن ذا يدانيه و من ذا يقاربه . و قال عبدالرحمن بن جعيل لعمرى لقد بايعتم ذا حفيظة || على الدين معروف العفاف موفقا عليا وصى المصطفى و ابن عمه || وأول من صلى أخا الدين والتقى . و قال أبوالهيثم بن التيهان و كان بدريا قل للزبير وقل لطلحة إننا || نحن الذين شعارنا الأنصار نحن الذين رأت قريش فعلنا || يوم القليب أولئك الكفار كنا شعار نبينا ودثاره || يفديه منا الروح والأبصار [صفحه ١٤٤] إن الوصى إمامنا وولينا || برح الخفاء وباحت الأسرار . و قال عمر بن حارثة الأنصارى و كان مع محمد بن الحنفية يوم الجمل و قدلامه أبوه ع لماأمره بالحملة فتقاعس أباحسن أنت فصل الأمور || يبين بك الحل والمحرم جمعت الرجال على راية || بهاابنك يوم الوغى مقحم و لم ينكص المرء من خيفة || ولكن توالت له أسهم فقال رويدا و لاتعجلوا ||

فإنى إذارشقوا مقدم فأعجلته والفتى مجمع || بما يكره الوجل المحجم سمى النبى وشبه الوصى || ورايته لونها العندم . و قال رجل من الأزد يوم الجمل هذا على و هوالوصى || آخاه يوم النجوة النبى و قال هذابعدى الولى || وعاه واع ونسى الشقى . وخرج يوم الجمل غلام من بنى ضبة شاب معلم من عسكر عائشة و هو يقول نحن بنى ضبة أعداء على || ذاك ألذى يعرف قدما بالوصى وفارس الخيل على عهد النبى || ما أنا عن فضل على بالعمى لكننى أنعى ابن عفان التقى || إن الولى طالب ثأر الولى . و قال سعيد بن قيس الهمدانى يوم الجمل و كان فى عسكر على ع أية حرب أضرمت نيرانها || وكسرت يوم الوغى مرانها [صفحه ۱۴۵] قل للوصى أقبلت قحطانها || فادع بهاتكفيكها همدانها هم بنوها وهم إخوانها . و قال زياد بن لبيد الأنصارى يوم الجمل و كان من أصحاب على ع كيف ترى الأنصار فى يوم الكلب || إنا أناس لانبالى من عطب و لانبالى فى الوصى من غضب || وإنما الأنصار جد لالعب هذا على و ابن عبدالمطلب || ننصره اليوم على من قدكذب من يكسب البغى فبئس مااكتسب . و قال حجر بن عدى الكندى فى ذلك اليوم أيضا ياربنا سلم لنا عليا || سلم لنا المبارك المضيا المؤمن الموحد التقيا || لاخطل الرأى و لاغويا بل هاديا موفقا مهديا || واحفظه ربى واحفظ النبيا فيه فقد كان له وليا || ثم ارتضاه بعده وصيا . و قال خزيمة بن ثابت الأنصارى ذو الشهادتين و كان بدريا فى يوم الجمل أيضا ليس بين الأنصار فى جحمة الحرب || و بين العداة إلاالطعان وقراع الكماة بالقضب || البيض إذا ماتحطم المران فادعها تستجب فليس من الخز || رج والأوس يا على جبان ياوصى النبى قدأجلت || الحرب الأعادى وسارت الأظعان واستقامت لك الأمور سوى || الشام و فى الشام يظهر الإذعان حسبهم مارأوا وحسبك منا || هكذا نحن حيث كنا وكانوا . [صفحه ۱۴۶] و قال خزيمة أيضا فى يوم الجمل أعائش خلى عن على وعيبه || بما ليس فيه إنما أنت والده وصى رسول الله من دون أهله || و أنت على ما كان من ذاك شاهده وحسبك منه بعض ماتعلمينه || ويكفيك لو لم تعلمى غيرواحده إذاقيل ماذا عبت منه رميته || بخذل ابن عفان و ماتلك آبده و ليس سماء الله قاطرة دما || لذاك و ما الأرض الفضاء بمائده . و قال ابن بديل بن ورقاء الخزاعى يوم الجمل أيضا ياقوم للخطة العظمى التى حدثت || حرب الوصى و ماللحرب من آسى الفاصل الحكم بالتقوى إذاضربت || تلك القبائل أخماسا لأسداس . و قال عمرو بن أحيحة يوم الجمل فى خطبة الحسن بن على ع بعدخطبة عبد الله بن الزبير. حسن الخير ياشبيه أبيه || قمت فينا مقام خير خطيب قمت بالخطبة التى صدع || الله بها عن أبيك أهل العيوب وكشفت القناع فاتضح || الأمر وأصلحت فاسدات القلوب لست كابن الزبير لجلج فى || القول وطأطأ عنان فسل مريب وأبى الله أن يقوم بما || قام به ابن الوصى و ابن النجيب إن شخصا بين النبى لك || الخير و بين الوصى غيرمشوب . [صفحه ۱۴۷] و قال زحر بن قيس الجعفى يوم الجمل أيضا أضربكم حتى تقروا لعلى || خير قريش كلها بعد النبى من زانه الله وسماه الوصى || إن الولى حافظ ظهر الولى كماالغوى تابع أمر الغوى .ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبومخنف لوط بن يحيى فى كتاب وقعة الجمل و أبومخنف من المحدثين وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار و ليس من الشيعة و لامعدودا من رجالها. ومما رويناه من أشعار صفين التى تتضمن تسميته ع بالوصى ماذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقرى فى كتاب صفين و هو من رجال الحديث قال نصر بن مزاحم قال زحر بن قيس الجعفى فصلى الإله على أحمد || رسول المليك تمام النعم رسول المليك و من بعده || خليفتنا القائم المدعم عليا عنيت وصى النبى || نجالد عنه غواه الأمم . قال نصر و من الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس أتانا الرسول رسول الإمام || فسر بمقدمه المسلمونا رسول الوصى وصى النبى || له السبق والفضل فى المؤمنينا . [صفحه ۱۴۸] و من الشعر المنسوب إلى الأشعث أيضا أتانا الرسول رسول الوصى || على المهذب من هاشم وزير النبى وذو صهره || وخير البرية والعالم قال نصر بن مزاحم من شعر أمير المؤمنين ع فى صفين -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۵۶ ياعجبا لقد سمعت منكرا || كذبا على الله يشيب الشعرا ما كان يرضى أحمد لوأخبرا || أن يقرنوا وصيه والأبترا شانى الرسول واللعين الأخزرا || إنى

إذاالموت دنا وحضرا شمرت ثوبى ودعوت قنبرا || قدم لوائى لاتؤخر حذرا لايدفع الحذار ما قدقدرا || لو أن عندى يا ابن حرب جعفرا أوحمزة القرم الهمام الأزهرا || رأت قريش نجم ليل ظهرا [صفحه ۱۴۹] و قال جرير بن عبد الله البجلى كتب بهذا الشعر إلى شرحبيل بن السمط الكندى رئيس اليمانية من أصحاب معاوية نصحتك يا ابن السمط لاتتبع الهوى || فما لك فى الدنيا من الدين من بدل و لاتك كالمجرى إلى شر غاية || فقد خرق السربال واستنوق الجمل مقال ابن هند فى على عضيهة || ولله فى صدر ابن أبى طالب أجل و ما كان إلالازما قعر بيته || إلى أن أتى عثمان فى بيته الأجل وصى رسول الله من دون أهله || وفارسه الحامى به يضرب المثل . و قال النعمان بن عجلان الأنصارى كيف التفرق والوصى إمامنا || لاكيف إلاحيرة وتخاذلا لاتغبنن عقولكم لاخير فى || من لم يكن عندالبلابل عاقلا وذروا معاوية الغوى وتابعوا || دين الوصى لتحمدوه آجلا . و قال عبدالرحمن بن ذؤيب الأسلمى ألا أبلغ معاوية بن حرب || فما لك لاتهش إلى الضراب فإن تسلم وتبق الدهر يوما || نزرك بجحفل عدد التراب يقودهم الوصى إليك حتى || يردك عن ضلال وارتياب . و قال المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب ياعصبة الموت صبرا لايهولكم || جيش ابن حرب فإن الحق قدظهرا وأيقنوا أن من أضحى يخالفكم || أضحى شقيا وأمسى نفسه خسرا [صفحه ۱۵۰] فيكم وصى رسول الله قائدكم || وصهره و كتاب الله قدنشرا . و قال عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب وصى رسول الله من دون أهله || وفارسه إن قيل هل من منازل فدونكه إن كنت تبغى مهاجرا || أشم كنصل السيف عير حلاحل . والأشعار التى تتضمن هذه اللفظة كثير جدا ولكنا ذكرنا منها هاهنا بعض ماقيل فى هذين الحزبين فأما ماعداهما فإنه يجل عن الحصر ويعظم عن الإحصاء والعد و لو لاخوف الملالة والإضجار لذكرنا من ذلك مايملأ أوراقا كثيرة [صفحه ۱۵۱]

۳- و من خطبة له وهى المعروفة بالشقشقية

اشاره

أَمَا وَ اللّهِ لَقَد تَقَمّصَهَا ابنُ أَبِي قُحَافَةَ وَ إِنّهُ لَيَعلَمُ أَن مَحَلّيَ مِنهَا مَحَلّ القُطبِ مِنَ الرّحَى يَنحَدِرُ عَنّيَ السّيلُ وَ لَا يَرقَى إلِيَ‌ّ الطّيرُ فَسَدَلتُ دُونَهَا ثَوباً وَ طَوَيتُ عَنهَا كَشحاً وَ طَفِقتُ أَرتَئِي بَينَ أَن أَصُولَ بِيَدٍ جَذّاءَ أَو أَصبِرَ عَلَي طَخيَةٍ عَميَاءَ يَهرَمُ فِيهَا الكَبِيرُ وَ يَشِيبُ فِيهَا الصّغِيرُ وَ يَكدَحُ فِيهَا مُؤمِنٌ حَتّي يَلقَي رَبّهُ فَرَأَيتُ أَنّ الصّبرَ عَلَي هَاتَا أَحجَي فَصَبَرتُ وَ فِي العَينِ قَذًى وَ فِي الحَلقِ شَجًا أَرَي تُرَاثِي نَهباً سدلت دونها ثوبا أى أرخيت يقول ضربت بينى وبينها حجابا فعل الزاهد فيهاالراغب عنها وطويت عنها كشحا أى قطعتها وصرمتها و هومثل قالوا لأن من كان إلى جانبك الأيمن ماثلا فطويت كشحك الأيسر فقد ملت عنه والكشح ما بين الخاصرة والجنب وعندى أنهم أرادوا غير ذلك و هو أن من أجاع نفسه فقد طوى كشحه كما أن من أكل وشبع فقد ملأ كشحه فكأنه أراد أنى أجعت نفسى عنها و لم ألقمها واليد الجذاء بالدال المهملة وبالذال المعجمة والحاء المهملة مع الذال المعجمة كله بمعنى المقطوعة والطخية قطعة من الغيم والسحاب و قوله عمياء تأكيد لظلام الحال واسودادها يقولون مفازة عمياء أى يعمى فيهاالدليل [صفحه ۱۵۲] ويكدح يسعى ويكد مع مشقة قال تعالى إِنّكَ كادِحٌ إِلي رَبّكَ كَدحاً وهاتا بمعنى هذه ها للتنبيه وتا للإشارة ومعنى تا ذى و هذاأحجى من كذا أى أليق بالحجا و هوالعقل . و فى هذاالفصل من باب البديع فى علم البيان عشرة ألفاظ.أولها قوله لقد تقمصها أى جعلها كالقميص مشتملة عليه والضمير للخلافة و لم يذكرها للعلم بهاكقوله سبحانه حَتّي تَوارَت بِالحِجابِ وكقوله كُلّ مَن عَلَيها فانٍ وكقول حاتم -قرآن-۳۹-۷۰-قرآن-۳۳۷-۳۶۰-قرآن-۳۶۹-۳۸۹ أماوى مايغنى

الثراء عن الفتى || إذاحشرجت يوما وضاق بهاالصدر . و هذه اللفظة مأخوذة من كتاب الله تعالى فى قوله سبحانه وَ لِباسُ التّقوى وقول النابغة -قرآن-۶۲-۷۸ تسربل سربالا من النصر وارتدى || عليه بعضب فى الكريهة قاصل .الثانية قوله ينحدر عنى السيل يعنى رفعة منزلته ع كأنه فى ذروة جبل أويفاع مشرف ينحدر السيل عنه إلى الوهاد والغيطان قال الهذلى وعيطاء يكثر فيهاالزليل || وينحدر السيل عنها انحدارا .الثالثة قوله ع و لايرقى إلى الطير هذه أعظم فى الرفعة والعلو من التى قبلها لأن السيل ينحدر عن الرابية والهضبة و أماتعذر رقى الطير فربما يكون للقلال الشاهقة جدا بل ما هوأعلى من قلال الجبال كأنه يقول إنى لعلو منزلتى كمن فى السماء التى يستحيل أن يرقى الطير إليها قال أبوالطيب فوق السماء وفوق ماطلبوا || فإذاأرادوا غاية نزلوا . [صفحه ۱۵۳] و قال حبيب مكارم لجت فى علو كأنما || تحاول ثأرا عندبعض الكواكب .الرابعة قوله سدلت دونها ثوبا قدذكرناه .الخامسة قوله وطويت عنها كشحا قدذكرناه أيضا.السادسة قوله أصول بيد جذاء قدذكرناه .السابعة قوله أصبر على طخية عمياء قدذكرناه أيضا.الثامنة قوله و فى العين قذى أى صبرت على مضض كمايصبر الأرمد.التاسعة قوله و فى الحلق شجا و هو مايعترض فى الحلق أى كمايصبر من غص بأمر فهو يكابد الخنق .العاشرة قوله أرى تراثى نهبا كنى عن الخلافة بالتراث و هوالموروث من المال .فأما قوله ع إن محلى منها محل القطب من الرحى فليس من هذاالنمط ألذى نحن فيه ولكنه تشبيه محض خارج من باب الاستعارة والتوسع يقول كما أن الرحى لاتدور إلا على القطب ودورانها بغير قطب لاثمرة له و لافائدة فيه كذلك نسبتى إلى الخلافة فإنها لاتقوم إلابى و لايدور أمرها إلا على .هكذا فسروه وعندى أنه أراد أمرا آخر و هوأنى من الخلافة فى الصميم و فى وسطها وبحبوحتها كما أن القطب وسط دائرة الرحى قال الراجز [صفحه ۱۵۴] على قلاص مثل خيطان السلم || إذاقطعن علما بدا علم حتى أنحناها إلى باب الحكم || خليفة الحجاج غيرالمتهم فى سرة المجد وبحبوح الكرم . و قال أمية بن أبى الصلت لعبد الله بن جدعان فحللت منها بالبطاح || وحل غيرك بالظواهر . و أما قوله يهرم فيهاالكبير ويشيب فيهاالصغير فيمكن أن يكون من باب الحقائق ويمكن أن يكون من باب المجازات والاستعارات أماالأول فإنه يعنى به طول مدة ولاية المتقدمين عليه فإنها مدة يهرم فيهاالكبير ويشيب فيهاالصغير. و أماالثانى فإنه يعنى بذلك صعوبة تلك الأيام حتى أن الكبير من الناس يكاد يهرم لصعوبتها والصغير يشيب من أهوالها كقولهم هذاأمر يشيب له الوليد و إن لم يشب على الحقيقة. [صفحه ۱۵۵] واعلم أن فى الكلام تقديما وتأخيرا وتقديره و لايرقى إلى الطير فطفقت أرتئى بين كذا وكذا فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا ثم فصبرت و فى العين قذى إلى آخر القصة لأنه لايجوز أن يسدل دونها ثوبا ويطوى عنها كشحا ثم يطفق يرتئى بين أن ينابذهم أويصبر أ لاترى أنه إذاسدل دونها ثوبا وطوى عنها كشحا فقد تركها وصرمها و من يترك ويصرم لايرتئى فى المنابذة والتقديم والتأخير طريق لاحب وسبيل مهيع فى لغة العرب قال سبحانه أَلّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبدِهِ الكِتابَ وَ لَم يَجعَل لَهُ عِوَجاً قَيّماً أى أنزل على عبده الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا و هذاكثير. و قوله ع حتى يلقى ربه بالوقف والإسكان كماجاءت به الرواية فى قوله سبحانه ذلِكَ لِمَن خشَيِ‌َ رَبّهُبالوقف أيضا -قرآن-۴۶۷-۵۳۷-قرآن-۶۸۱-۷۰۶

نسب أبى بكر ونبذة من أخبار أبيه

ابن أبى قحافة المشار إليه هو أبوبكر واسمه القديم عبدالكعبة فسماه رسول الله ص عبد الله واختلفوا فى عتيق فقيل كان اسمه فى الجاهلية وقيل بل سماه به رسول الله ص واسم أبى قحافة عثمان و هوعثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وأمه ابنة عم أبيه وهى أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد أسلم أبوقحافة يوم الفتح جاء به ابنه أبوبكر إلى النبى ص و هوشيخ كبير رأسه كالثغامة البيضاء فأسلم فقال رسول الله ص غيروا شيبته . [صفحه ۱۵۶] وولى

ابنه الخلافة و هوحى منقطع فى بيته مكفوف عاجز عن الحركة فسمع ضوضاء الناس فقال ماالخبر فقالوا ولى ابنك الخلافة فقال رضيت بنو عبدمناف بذلك قالوا نعم قال أللهم لامانع لماأعطيت و لامعطى لمامنعت . و لم يل الخلافة من أبوه حى إلا أبوبكر و أبوبكر عبدالكريم الطائع لله ولى الأمر وأبوه المطيع حى خلع نفسه من الخلافة وعهد بها إلى ابنه و كان المنصور يسمى عبد الله بن الحسن بن الحسن أباقحافة تهكما به لأن ابنه محمدا ادعى الخلافة وأبوه حى. ومات أبوبكر و أبوقحافة حى فسمع الأصوات فسأل فقيل مات ابنك فقال رزء جليل وتوفى أبوقحافة فى أيام عمر فى سنة أربع عشرة للهجرة وعمره سبع وتسعون سنة وهى السنة التى توفى فيهانوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم . إن قيل بينوا لنا ماعندكم فى هذاالكلام أ ليس صريحه دالا على تظليم القوم ونسبتهم إلى اغتصاب الأمر فما قولكم فى ذلك إن حكمتم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم و إن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم فى المتظلم المتكلم عليهم .قيل أماالإمامية من الشيعة فتجرى هذه الألفاظ على ظواهرها وتذهب إلى أن النبى ص نص على أمير المؤمنين ع و أنه غصب حقه . [صفحه ۱۵۷] و أماأصحابنا رحمهم الله فلهم أن يقولوا إنه لما كان أمير المؤمنين ع هوالأفضل والأحق وعدل عنه إلى من لايساويه فى فضل و لايوازيه فى جهاد وعلم و لايماثله فى سؤدد وشرف ساغ إطلاق هذه الألفاظ و إن كان من وسم بالخلافة قبله عدلا تقيا وكانت بيعته بيعة صحيحة أ لاترى أن البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيرة فيجعل السلطان الأنقص علما منهما قاضيا فيتوجد الأعلم ويتألم وينفث أحيانا بالشكوى و لا يكون ذلك طعنا فى القاضى و لاتفسيقا له و لاحكما منه بأنه غيرصالح بل للعدول عن الأحق والأولى و هذاأمر مركوز فى طباع البشر ومجبول فى أصل الغريزة والفطرة فأصحابنا رحمهم الله لماأحسنوا الظن بالصحابة وحملوا ماوقع منهم على وجه الصواب وأنهم نظروا إلى مصلحة الإسلام وخافوا فتنة لاتقتصر على ذهاب الخلافة فقط بل وتفضى إلى ذهاب النبوة والملة فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل آخر دونه فعقدوا له احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصادرة عمن يعتقدونه فى الجلالة والرفعة قريبا من منزلة النبوة فتأولوها بهذا التأويل وحملوها على التألم للعدول عن الأولى . و ليس هذاأبعد من تأويل الإمامية قوله تعالى وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى وقولهم معنى عصى أنه عدل عن الأولى لأن الأمر بترك أكل الشجرة كان أمرا على سبيل الندب فلما تركه آدم كان تاركا للأفضل والأولى فسمى عاصيا باعتبار مخالفة الأولى وحملوا غوى على خاب لا على الغواية بمعنى الضلال ومعلوم أن تأويل كلام أمير المؤمنين ع وحمله على أنه شكا من تركهم الأولى أحسن من حمل قوله تعالى وَ عَصى آدَمُ على أنه ترك الأولى . -قرآن-۱۰۶۶-۱۰۹۲-قرآن-۱۴۲۳-۱۴۳۵ [صفحه ۱۵۸] إن قيل لاتخلو الصحابة إما أن تكون عدلت عن الأفضل لعلة ومانع فى الأفضل أو لالمانع فإن كان لالمانع كان ذلك عقدا للمفضول بالهوى فيكون باطلا و إن كان لمانع و هو ماتذكرونه من خوف الفتنة وكون الناس كانوا يبغضون عليا ع ويحسدونه فقد كان يجب أن يعذرهم أمير المؤمنين ع فى العدول عنه ويعلم أن العقد لغيره هوالمصلحة للإسلام فكيف حسن منه أن يشكوهم بعد ذلك ويتوجد عليهم . وأيضا فما معنى قوله فطفقت أرتئى بين أن أصول بيد جذاء على ماتأولتم به كلامه فإن تارك الأولى لايصال عليه بالحرب .قيل يجوز أن يكون أمير المؤمنين ع لم يغلب على ظنه ماغلب على ظنون الصحابة من الشغب وثوران الفتنة والظنون تختلف باختلاف الأمارات فرب إنسان يغلب على ظنه أمر يغلب على ظن غيره خلافه و أما قوله أرتئى بين أن أصول فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب بل صيال الجدل والمناظرة يبين ذلك أنه لو كان جادلهم وأظهر ما فى نفسه لهم فربما خصموه بأن يقولوا له قدغلب على ظنوننا أن الفساد يعظم ويتفاقم إن وليت الأمر و لايجوز مع غلبة ظنوننا لذلك أن نسلم الأمر إليك فهو ع قال طفقت أرتئى بين أن أذكر لهم فضائلى عليهم وأحاجهم بهافيجيبونى بهذا الضرب من الجواب ألذى تصير حجتى به جذاء مقطوعة و لاقدرة لى على تشييدها ونصرتها و بين أن أصبر على مامنيت به ودفعت إليه . إن قيل إذا كان ع لم يغلب على ظنه وجود العلة والمانع فيه و قداستراب الصحابة وشكاهم لعدولهم عن الأفضل ألذى لاعلة فيه عنده فقد سلمتم أنه ظلم الصحابة

ونسبهم إلى غصب حقه فما الفرق بين ذلك و بين أن يستظلمهم لمخالفة النص وكيف [صفحه ١٥٩] هربتم من نسبته لهم إلى الظلم لدفع النص ووقعتم فى نسبته لهم إلى الظلم لخلاف الأولى من غيرعلة فى الأولى ومعلوم أن مخالفة الأولى من غيرعلة فى الأولى كتارك النص لأن العقد فى كلا الموضعين يكون فاسدا.قيل الفرق بين الأمرين ظاهر لأنه ع لونسبهم إلى مخالفة النص لوجب وجود النص و لو كان النص موجودا لكانوا فساقا أوكفارا لمخالفته و أما إذانسبهم إلى ترك الأولى من غيرعلة فى الأولى فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف مايدعى ع وأحد الأمرين لازم و هوإما أن يكون ظنهم صحيحا أو غيرصحيح فإن كان ظنهم هوالصحيح فلاكلام فى المسألة و إن لم يكن ظنهم صحيحا كانوا كالمجتهد إذاظن وأخطأ فإنه معذور ومخالفة النص أمر خارج عن هذاالباب لأن مخالفه غيرمعذور بحال فافترق المحملان

مرض رسول الله وأمره أسامة بن زيد على الجيش

لمامرض رسول الله ص مرض الموت دعا أسامة بن زيد بن حارثة فقال سر إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك على هذاالجيش و إن أظفرك الله بالعدو فأقلل اللبث وبث العيون وقدم الطلائع فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا كان فى ذلك الجيش منهم أبوبكر وعمر فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذاالغلام على جلة المهاجرين والأنصار فغضب رسول الله ص لماسمع ذلك وخرج عاصبا رأسه فصعد المنبر و عليه قطيفة فقال أيها الناس مامقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأمير أسامة لئن طعنتم فى تأميرى أسامة فقد طعنتم فى تأميرى أباه من قبله وايم الله إن كان لخليقا بالإمارة وابنه من بعده لخليق بها -روايت-١- ادامه دارد [صفحه ١٦٠] وإنهما لمن أحب الناس إلى فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم -روايت-از قبل-٦٥ ثم نزل ودخل بيته وجاء المسلمون يودعون رسول الله ص ويمضون إلى عسكر أسامة بالجرف . وثقل رسول الله ص واشتد مايجده فأرسل بعض نسائه إلى أسامة وبعض من كان معه يعلمونهم ذلك فدخل أسامة من معسكره و النبى ص مغمور و هواليوم ألذى لدوه فيه فتطأطأ أسامة عليه فقبله و رسول الله ص قدأسكت فهو لايتكلم فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة كالداعى له ثم أشار إليه بالرجوع إلى عسكره والتوجه لمابعثه فيه فرجع أسامة إلى عسكره ثم أرسل نساء رسول الله ص إلى أسامة يأمرنه بالدخول ويقلن إن رسول الله ص قدأصبح بارئا فدخل أسامة من معسكره يوم الإثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول فوجد رسول الله ص مفيقا فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ و قال اغد على بركة الله وجعل يقول أنفذوا بعث أسامة ويكرر ذلك فودع رسول الله ص وخرج ومعه أبوبكر وعمر فلما ركب جاءه رسول أم أيمن فقال إن رسول الله ص يموت فأقبل ومعه أبوبكر وعمر و أبوعبيدة فانتهوا إلى رسول الله ص حين زالت الشمس من هذااليوم و هو يوم الإثنين و قدمات واللواء مع بريدة بن الحصيب فدخل باللواء فركزه عند باب رسول الله ص و هومغلق و على ع وبعض بنى هاشم مشتغلون بإعداد جهازه وغسله فقال العباس لعلى وهما فى الدار امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلايختلف عليك [صفحه ١٦١] اثنان فقال له أ ويطمع ياعم فيهاطامع غيرى قال ستعلم فلم يلبثا أن جاءتهما الأخبار بأن الأنصار أقعدت سعدا لتبايعه و أن عمر جاء بأبى بكر فبايعه وسبق الأنصار بالبيعة فندم على ع على تفريطه فى أمر البيعة وتقاعده عنها وأنشده العباس قول دريد أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى || فلم يستبينوا النصح إلاضحى الغد . وتزعم الشيعة أن رسول الله ص كان يعلم موته و أنه سير أبابكر وعمر فى بعث أسامة لتخلو دار الهجرة منهما فيصفو الأمر لعلى ع ويبايعه من تخلف من المسلمين بالمدينة على سكون وطمأنينة فإذاجاءهما الخبر بموت رسول الله ص وبيعة الناس لعلى ع بعده كانا عن المنازعة والخلاف أبعد لأن العرب كانت تلتزم بإتمام تلك البيعة ويحتاج فى نقضها إلى حروب شديدة فلم يتم له ماقدر وتثاقل أسامة بالجيش أياما مع شدة حث رسول الله ص على

نفوذه وخروجه بالجيش حتى مات ص وهما بالمدينة فسبقا عليا إلى البيعة وجرى ماجرى . و هذاعندى غيرمنقدح لأنه إن كان ص يعلم موته فهو أيضا يعلم أن أبابكر سيلى الخلافة و مايعلمه لايحترس منه وإنما يتم هذا ويصح إذافرضنا أنه ع كان يظن موته و لايعلمه حقيقة ويظن أن أبابكر وعمر يتمالآن على ابن عمه ويخاف وقوع ذلك منهما و لايعلمه حقيقة فيجوز إن كانت الحال هكذا أن ينقدح هذاالتوهم ويتطرق هذاالظن كالواحد منا له ولدان يخاف من أحدهما [صفحه ۱۶۲] أن يتغلب بعدموته على جميع ماله و لايوصل أخاه إلى شيء من حقه فإنه قديخطر له عندمرضه ألذى يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسفر إلى بلد بعيد فى تجارة يسلمها إليه يجعل ذلك طريقا إلى دفع تغلبه على الولد الآخر حَتّى مَضَى الأَوّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدلَى بِهَا إِلَى ابنِ الخَطّابِ بَعدَهُ شَتّانَ مَا يَومِي عَلَى كُورِهَا || وَ يَومُ حَيّانَ أَخِي جَابِرِ فَيَا عَجَباً بَينَا هُوَ يَستَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعدَ وَفَاتِهِ لَشَدّ مَا تَشَطّرَا ضَرعَيهَا فَصَيّرَهَا فِي حَوزَةٍ خَشنَاءَ يَغلُظُ كَلمُهَا وَ يَخشُنُ مَسّهَا وَ يَكثُرُ العِثَارُ فِيهَا وَ الِاعتِذَارُ مِنهَا فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصّعبَةِ إِن أَشنَقَ لَهَا خَرَمَ وَ إِن أَسلَسَ لَهَا تَقَحّمَ فمُنِيَ النّاسُ لَعَمرُ اللّهِ بِخَبطٍ وَ شِمَاسٍ وَ تَلَوّنٍ وَ اعتِرَاضٍ فَصَبَرتُ عَلَى طُولِ المُدّةِ وَ شِدّةِ المِحنَةِ مضى لسبيله مات والسبيل الطريق وتقديره مضى على سبيله وتجيء اللام بمعنى على كقوله فخر صريعا لليدين وللفم . و قوله فأدلى بها من قوله تعالى وَ لا تَأكُلُوا أَموالَكُم بَينَكُم بِالباطِلِ -قرآن-۳۷-۸۲ . و قوله فأدلى بها من قوله تعالى وَ لا تَأكُلُوا أَموالَكُم بَينَكُم بِالباطِلِ وَ تُدلُوا بِها إِلَى الحُكّامِ أى تدفعوها إليهم رشوة وأصله من أدليت الدلو فى البئر أرسلتها. فإن قلت فإن أبابكر إنما دفعها إلى عمر حين مات و لامعنى للرشوة عندالموت . قلت لما كان ع يرى أن العدول بها عنه إلى غيره إخراج لها إلى غيرجهة الاستحقاق شبه ذلك بإدلاء الإنسان بماله إلى الحاكم فإنه إخراج للمال إلى غيروجهه فكان ذلك من باب الاستعارة. -قرآن-۱-۳۲

عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر بن الخطاب

و ابن الخطاب هو أبوحفص عمر الفاروق وأبوه الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب وأم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . لمااحتضر أبوبكر قال للكاتب اكتب هذا ماعهد عبد الله بن عثمان آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الساعة التى يبر فيهاالفاجر ويسلم فيهاالكافر ثم أغمى عليه فكتب الكاتب عمر بن الخطاب ثم أفاق أبوبكر فقال اقرأ ماكتبت فقرأ وذكر اسم عمر فقال أنى لك هذا قال ماكنت لتعدوه فقال أصبت ثم قال أتم كتابك قال ماأكتب قال اكتب و ذلك حيث أجال رأيه وأعمل فكره فرأى أن هذاالأمر لايصلح آخره إلابما يصلح به أوله و لايحتمله إلاأفضل العرب مقدرة وأملكهم لنفسه وأشدهم فى حال الشدة وأسلسهم فى حال اللين وأعلمهم برأى ذوى الرأى لايتشاغل بما لايعنيه و لايحزن لما لم ينزل به [صفحه ۱۶۴] و لايستحى من التعلم و لايتحير عندالبديهة قوى على الأمور لايجوز بشيء منها حده عدوانا و لاتقصيرا يرصد لما هوآت عتاده من الحذر. فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة منهم طلحة فقال له ما أنت قائل لربك غدا و قدوليت علينا فظا غليظا تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب . فقال أبوبكر أسندونى و كان مستلقيا فأسندوه فقال لطلحة أبالله تخوفنى إذا قال لى ذلك غدا قلت له وليت عليهم خير أهلك . ويقال أصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز فى قوله لامرأته عن يوسف ع وَ قالَ الّذِى اشتَراهُ مِن مِصرَ لِامرَأَتِهِ أَكرِمِي مَثواهُ عَسى أَن يَنفَعَنا أَو نَتّخِذَهُ وَلَداً وابنة شعيب حيث قالت لأبيها فى موسى يا أَبَتِ استَأجِرهُ إِنّ خَيرَ مَنِ استَأجَرتَ القَوِيّ الأَمِينُ و أبوبكر فى عمر. وروى كثير من الناس أن أبابكر لمانزل به الموت دعا عبدالرحمن بن عوف فقال أخبرنى عن عمر فقال إنه أفضل من رأيك فيه إلا أن فيه غلظة فقال أبوبكر ذاك لأنه يرانى رقيقا و لو قدأفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه و

قـدرمقته إذا أناغضـبت على رجـل أرانى الرضـا عنه و إذالنت له أرانى الشـدة عليه ثم دعا عثمان بن عفان فقال أخبرنى عن عمر فقال سـريرته خير من علانيته و ليس فينا مثله فقال لهما لاتذكرا مما قلت لكما شـيئا و لوتركـت عمر لماعدوتك ياعثمان والخيرة لك ألا تلى من أمورهم شـيئا ولوددت أنى كنت من أموركم خلوا وكنت فيمن مضى من سلفكم ودخل طلحة بن عبيد الله على أبى بكر فقال إنه بلغنى أنك ياخليفة -قرآن-۴۸۱-۵۸۶-قرآن-۶۲۷-۶۹۳ [صفحه ۱۶۵] رسول الله استخلفت على الناس عمر و قـدرأيت مـايلقى النـاس منه و أنت معه فكيف به إذاخلا بهم و أنت غـدا لاق ربك فيسألك عن رعيتك فقال أبوبكر أجلسونى ثم قال أبالله تخوفنى إذالقيت ربى فسألنى قلت اسـتخلفت عليهم خير أهلك فقال طلحة أعمر خير الناس ياخليفة رسول الله فاشتد غضـبه و قـال إى و الله هوخيرهم و أنت شـرهم أمـا و الله لووليتـك لجعلت أنفـك فى قفاك ولرفعت نفسك فوق قـدرها حتى يكون الله هو ألـذى يضـعها أتيتنى و قـددلكت عينك تريد أن تفتننى عن دينى وتزيلنى عن رأيى قم لاأقام الله رجليك أما و الله لئن عشت فواق ناقة وبلغنى أنك غمصـته فيها أوذكرته بسوء لألحقنك بمحمضات قنة حيث كنتم تسـقون و لاتروون وترعون و لاتشبعون وأنتم بـذلك بجحون راضون فقـام طلحـة فخرج .أحضـر أبوبكر عثمان و هويجود بنفسه فأمره أن يكتب عهـدا و قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هـذا ماعهـد عبـد الله بن عثمـان إلى المسـلمين أما بعـد ثم أغمى عليه وكتب عثمان قداسـتخلفت عليكم عمر بن الخطاب وأفاق أبوبكر فقال اقرأ فقرأه فكبر أبوبكر وسـر و قال أراك خفت أن يختلف الناس أن مت فى غشـيتى قال نعم قال جزاك الله خيرا عن الإسـلام وأهله ثم أتم العهد وأمر أن يقرأ على الناس فقرئ عليهم ثم أوصـى عمر فقال له إن لله حقـا بالليـل لايقبله فى النهار وحقا فى النهار لايقبله بالليل وإنه لايقبل نافلـة ما لم تؤد الفريضـة وإنما ثقلت موازين من اتبع الحق مع ثقله عليه وإنما خفت موازين من اتبع الباطل لخفته عليه إنما أنزلت آيـة الرخاء مع آيـة الشـدة لئلا يرغب المؤمن رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولئلا [صفحه ۱۶۶] يرهب رهبة يلقى فيهابيده فإن حفظت وصيتى فلايكن غائب أحب إليك من الموت ولست معجزة ثم توفى أبوبكر.دعا أبوبكر عمر يوم موته بعدعهـده إليه فقال إنى لأرجو أن أموت فى يومى هذا فلاتمسـين حتى تنـدب النـاس مع المثنى بن حارثـة و إن تأخرت إلى الليل فلاتصبحن حتى تنـدب الناس معه و لاتشـغلنكم مصـيبة عن دينكم و قدرأيتنى متوفى رسول الله ص كيف صـنعت . وتوفى أبوبكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سـنة ثلاث عشرة . و أماالبيت ألـذى تمثل به ع فإنه للأعشـى الكبير أعشـى قيس و هو أبوبصـير ميمون بن قيس بن جنـدل من القصـيدة التى قالها فى منـافرة علقمـة بن علاثـة وعامر بن الطفيل وأولها علقم ما أنت إلى عامر || الناقض الأوتار والواتر . يقول فيها و قدأسـلى الهم إذ يعترى || بجسـرة دوسرة عاقر زيافة بالرحل خطارة || تلوى بشرخى ميسة قاتر .شرخا الرحل مقدمه ومؤخره والميس شجر يتخذ منه الرحـال ورحل قاتر جيـد الوقوع على ظهر البعير [صـفحه ۱۶۷] شـتان مـايومى على كورهـا || و يوم حيان أخى جابر أرمى بهاالبيـداء إذ هجرت || و أنت بين القرو والعاصـر فى مجدل شـيد بنيانه || يزل عنه ظفر الطائر .تقول شـتان ماهما وشـتان هما و لايجوز شتان مابينهما إلا على قول ضعيف . وشتان أصله شتت كوشكان ذا خروجا من وشك وحيان وجابر ابنا السمين الحنفيان و كـان حيـان صـاحب شـراب ومعاقرة خمر و كان نـديم الأعشـى و كان أخوه جابر أصـغر سـنا منه فيقال إن حيان قال للأعشـى نسبتنى إلى أخى و هوأصـغر سـنا منى فقـال إن الروى اضـطرنى إلى ذلك فقال و الله لانازعتك كأسا أبـدا ماعشت يقول شـتان يومى و أنـا فى الهـاجرة والرمضـاء أسير على كور هـذه الناقـة و يوم حيان و هو فى سـكرة الشـراب ناعم البال مرفه من الأكـدار والمشاق والقرو شـبه حوض يتخـذ من جذع أو من شـجر ينبذ فيه والعاصـر ألـذى يعتصـر العنب والمجدل الحصن المنيع . وشبيه بهـذا المعنى قول الفضل بن الربيع فى أيام فتنـة الأمين يذكر حاله وحال أخيه المأمون إنما نحن شـعب من أصل إن قوى قوينا و إن ضـعف ضـعفنا و إن هـذا الرجل قدألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء يشاور النساء ويقدم على الرؤيا قدأمكن أهل الخسارة واللهو من سـمعه فهم يمنونه الظفر ويعـدونه عقب الأيـام والهلاـك أسـرع إليه من السـيل إلى قيعـان الرمل ينام نوم الظربان وينتبه انتباه

الذئب همه بطنه وفرجه لايفكر فى زوال نعمة و لايروى فى إمضاء رأى و لامكيدة قدشمر له عبد الله [صفحه ١٦٨] عن ساقه وفوق إليه أسد سهامه يرميه على بعدالدار بالحتف النافذ والموت القاصد قدعبا له المنايا على متون الخيل وناط له البلايا بأسنة الرماح وشفار السيوف فهو كما قال الشاعر لشتان مابينى و بين ابن خالد || أمية فى الرزق ألذى الله يقسم يقارع أتراك ابن خاقان ليله || إلى أن يرى الإصباح لايتلعثم وآخذها حمراء كالمسك ريحها || لها أرج من دنها يتنسم فيصبح من طول الطراد وجسمه || نحيل وأضحى فى النعيم أصمم . وأمية المذكور فى هذاالشعر هوأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبدشمس كان والى خراسان وحارب الترك والشعر للبعيث . يقول أمير المؤمنين ع شتان بين يومى فى الخلافة مع ماانتقض على من الأمر ومنيت به من انتشار الحبل واضطراب أركان الخلافة و بين يوم عمر حيث وليها على قاعدة ممهدة وأركان ثابتة وسكون شامل فانتظم أمره واطرد حاله وسكنت أيامه . قوله ع فيا عجبا أصله فيا عجبى كقولك ياغلامى ثم قلبوا الياء ألفا فقالوا ياعجبا كقولهم ياغلاما فإن وقفت وقفت على هاء السكت فقلت ياعجباه و ياغلاماه قال العجب منه و هويستقيل المسلمين من الخلافة أيام حياته فيقول أقيلونى ثم يعقدها عندوفاته لآخر و هذايناقض الزهد فيها والاستقالة منها و قال شاعر من شعراء الشيعة حملوها يوم السقيفة || أوزارا تخف الجبال وهى ثقال [صفحه ١٦٩] ثم جاءوا من بعدها || يستقيلون وهيهات عثرة لاتقال . و قداختلف الرواة فى هذه اللفظة فكثير من الناس رواها أقيلونى فلست بخيركم و من الناس من أنكر هذه اللفظة و لم يروها وإنما روى قوله وليتكم ولست بخيركم واحتج بذلك من لم يشترط الأفضلية فى الإمامة و من رواها اعتذر لأبى بكر فقال إنما قال أقيلونى ليثور ما فى نفوس الناس من بيعته ويخبر ماعندهم من ولايته فيعلم مريدهم وكارههم ومحبهم ومبغضهم فلما رأى النفوس إليه ساكنة والقلوب لبيعته مذعنة استمر على إمارته وحكم حكم الخلفاء فى رعيته و لم يكن منكرا منه أن يعهد إلى من استصلحه لخلافته .قالوا و قدجرى مثل ذلك لعلى ع فإنه قال للناس بعدقتل عثمان دعونى والتمسوا غيرى فأنا لكم وزيرا خير منى لكم أميرا و قال لهم اتركونى فأنا كأحدكم بل أناأسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم -روايت-١-١٣٧ فأبوا عليه وبايعوه فكرهها أولا ثم عهد بها إلى الحسن ع عندموته .قالت الإمامية هذا غيرلازم والفرق بين الموضعين ظاهر لأن عليا ع لم يقل إنى لاأصلح ولكنه كره الفتنة و أبوبكر قال كلاما معناه أنى لاأصلح لها لقوله لست بخيركم و من نفى عن نفسه صلاحيته للإمامة لايجوز أن يعهد بها إلى غيره . واعلم أن الكلام فى هذاالموضع مبنى على أن الأفضلية هل هى شرط فى الإمامة أم لا و قدتكلمنا فى شرح الغرر لشيخنا أبى الحسين رحمه الله تعالى فى هذاالبحث بما لايحتمله هذاالكتاب [صفحه ١٧٠] و قوله ع لشد ماتشطرا ضرعيها شد أصله شدد كقولك حب فى حبذا أصله حبب ومعنى شد صار شديدا جدا ومعنى حب صار حبيبا قال البحترى شد ماأغريت ظلوم بهجرى || بعدوجدى بها وغلة صدرى . وللناقة أربعة أخلاف خلفان قادمان وخلفان آخران و كل اثنين منهما شطر وتشطرا ضرعيها اقتسما فائدتهما ونفعهما والضمير للخلافة وسمى القادمين معا ضرعا وسمى الآخرين معا ضرعا لماكانا لتجاورهما ولكونهما لايحلبان إلامعا كشىء واحد. قوله ع فجعلها فى حوزة خشناء أى فى جهة صعبة المرام شديدة الشكيمة والكلم الجرح . و قوله يغلظ من الناس من قال كيف قال يغلظ كلمها والكلم لايوصف بالغلظ و هذاقلة فهم بالفصاحة أ لاترى كيف قدوصف الله سبحانه العذاب بالغلظ فقال وَ نَجّيناهُم مِن عَذابٍ غَلِيظٍ أى متضاعف لأن الغليظ من الأجسام هو ماكثف وجسم فكان أجزاؤه وجواهره متضاعفة فلما كان العذاب أعاذنا الله منه متضاعفا سمى غليظا وكذلك الجرح إذاأمعن وعمق فكأنه قدتضاعف وصار جروحا فسمى غليظا. إن قيل قد قال ع فى حوزة خشناء فوصفها بالخشونة فكيف أعاد ذكر الخشونة ثانية فقال يخشن مسها.قيل الاعتبار مختلف لأن مراده بقوله فى حوزة خشناء أى لاينال ماعندها و لايرام يقال إن فلانا لخشن الجانب ووعر الجانب ومراده بقوله يخشن -قرآن-٤٦٩-٥٠٠ [صفحه ١٧١] مسها أى تؤذى وتضر وتنكئ من يمسها يصف جفاء أخلاق الوالى المذكور ونفور طبعه وشدة بادرته . قوله ع ويكثر العثار فيها والاعتذار منها يقول ليست هذه

الجهة جدا مهيعا بل هى كطريق كثير الحجارة لايزال الماشى فيه عاثرا. و أمامنها فى قوله ع والاعتذار منها فيمكن أن تكون من على أصلها يعنى أن عمر كان كثيرا مايحكم بالأمر ثم ينقضه ويفتى بالفتيا ثم يرجع عنها ويعتذر مما أفتى به أولا ويمكن أن تكون من هاهنا للتعليل والسببية أى ويكثر اعتذار الناس عن أفعالهم وحركاتهم لأجلها قال أ من رسم دار مربع ومصيف || لعينيك من ماء الشئون وكيف . أى لأجل أن رسم المربع والمصيف هذه الدار وكف دمع عينيك . والصعبة من النوق ما لم تركب و لم ترض إن أشنق لها راكبها بالزمام خرم أنفها و إن أسلس زمامها تقحم فى المهالك فألقته فى مهواة أوماء أونار أوندت فلم تقف حتى ترديه عنها فهلك . وأشنق الرجل ناقته إذاكفها بالزمام و هوراكبها واللغة المشهورة شنق ثلاثية و فى الحديث أن طلحة أنشد قصيدة فما زال شانقا راحلته حتى كتبت له وأشنق البعير نفسه إذارفع رأسه يتعدى و لايتعدى وأصله من الشناق و هوخيط يشد به فم القربة. و قال الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى إنما قال ع أشنق لها و لم يقل أشنقها لأنه جعل ذلك فى مقابلة قوله أسلس لها و هذاحسن فإنهم إذا [صفحه ١٧٢] قصدوا الازدواج فى الخطابة فعلوا مثل هذاقالوا الغدايا والعشايا والأصل الغدوات جمع غدوة و قال ص ارجعن مأزورات غيرمأجورات -روايت-١-٢-روايت-١٣-٤١ وأصله موزورات بالواو لأنه من الوزر. و قال الرضى رحمه الله تعالى ومما يشهد على أن أشنق بمعنى شنق قول عدى بن زيد العبادى ساءها مالها تبين فى الأيدى || وإشناقها إلى الأعناق . قلت تبين فى هذاالبيت فعل ماض تبين يتبين تبينا واللام فى لها تتعلق بتبين يقول ظهر لها ما فى أيدينا فساءها و هذاالبيت من قصيدة أولها ليس شىء على المنون بباق || غيروجه المسبح الخلاق . و قد كان زارته بنية له صغيرة اسمها هند و هو فى الحبس حبس النعمان ويداه مغلولتان إلى عنقه فأنكرت ذلك وقالت ما هذا ألذى فى يدك وعنقك ياأبت وبكت فقال هذاالشعر وقبل هذاالبيت ولقد غمنى زيارة ذى قربى || صغير لقربنا مشتاق ساءها مالها تبين فى الأيدى || وإشناقها إلى الأعناق . أى ساءها ماظهر لها من ذلك ويروى ساءها مابنا تبين أى مابان وظهر ويروى مابنا تبين بالرفع على أنه مضارع . ويروى إشناقها بالرفع عطفا على ماالتى هى بمعنى ألذى وهى فاعلة ويروى بالجر عطفا على الأيدى. [صفحه ١٧٣] و قال الرضى رحمه الله تعالى أيضا ويروى أن رسول الله ص خطب الناس و هو على ناقة قدشنق لها وهى تقصع بجرتها. قلت الجرة مايعلو من الجوف وتجتره الإبل والدرة مايسفل وتقصع بهاتدفع و قد كان للرضى رحمه الله تعالى إذاكانت الرواية قدوردت هكذا أن يحتج بها على جواز أشنق لها فإن الفعل فى الخبر قدعدى باللام لابنفسه قوله ع فمنى الناس أى بلى الناس قال منيت بزمردة كالعصا . والخبط السير على غيرجادة والشماس النفار والتلون التبدل والاعتراض السير لا على خط مستقيم كأنه يسير عرضا فى غضون سيره طولا وإنما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط وبعير عرضى يعترض فى مسيره لأنه لم يتم رياضته و فى فلان عرضية أى عجرفة وصعوبة

طرف من أخبار عمر بن الخطاب

و كان عمر بن الخطاب صعبا عظيم الهيبة شديد السياسة لايحابى أحدا و لايراقب شريفا و لامشروفا و كان أكابر الصحابة يتحامون ويتفادون من لقائه كان أبوسفيان بن حرب فى مجلس عمر وهناك زياد ابن سمية وكثير من الصحابة فتكلم زياد فأحسن و هويومئذ غلام فقال على ع و كان حاضرا لأبى سفيان و هو إلى جانبه لله هذاالغلام لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال له أبوسفيان أما و الله لوعرفت أباه لعرفت أنه من خير أهلك قال و من أبوه قال أناوضعته و الله فى رحم أمه فقال على ع فما يمنعك من استلحاقه قال أخاف هذاالعير الجالس أن يخرق على إهابى [صفحه ١٧٤] وقيل لابن عباس لماأظهر قوله فى العول بعدموت عمر و لم يكن قبل يظهره هلا قلت هذا وعمر حى قال هبته و كان امرأ مهابا. واستدعى عمر امرأة ليسألها عن أمر

وكانت حاملا فلشدة هيبته ألقت ما فى بطنها فأجهضت به جنينا ميتا فاستفتى عمر أكابر الصحابة فى ذلك فقالوا لا شىءعليك إنما أنت مؤدب فقال له على ع إن كانوا راقبوك فقد غشوك و إن كان هذاجهد رأيهم فقد أخطئوا عليك غرة يعنى عتق رقبة فرجع عمر والصحابة إلى قوله . وعمر هو ألذى شد بيعة أبى بكر ووقم المخالفين فيهافكسر سيف الزبير لماجرده ودفع فى صدر المقداد ووطئ فى السقيفة سعد بن عبادة و قال اقتلوا سعدا قتل الله سعدا وحطم أنف الحباب بن المنذر ألذى قال يوم السقيفة أناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة ع من الهاشميين وأخرجهم منها ولولاه لم يثبت لأبى بكر أمر و لاقامت له قائمة. و هو ألذى ساس العمال وأخذ أموالهم فى خلافته و ذلك من أحسن السياسات . وروى الزبير بن بكار قال لماقلد عمر عمرو بن العاص مصر بلغه أنه قدصار له مال عظيم من ناطق وصامت فكتب إليه أما بعدفقد ظهر لى من مالك ما لم يكن فى رزقك و لا كان لك مال قبل أن أستعملك فأنى لك هذافو الله لو لم يهمنى فى ذات الله إلا من اختان فى مال الله لكثر همى وانتثر أمرى ولقد كان عندى من المهاجرين الأولين من هوخير منك ولكنى قلدتك رجاء غنائك فاكتب إلى من أين لك هذاالمال وعجل . [صفحه ۱۷۵] فكتب إليه عمرو أما بعدفقد فهمت كتاب أمير المؤمنين فأما ماظهر لى من مال فأنا قدمنا بلادا رخيصة الأسعار كثيرة الغزو فجعلنا ماأصابنا فى الفضول التى اتصل بأمير المؤمنين نبؤها و و الله لوكانت خيانتك حلالا ماخنتك و قدائتمنتنى فإن لنا أحسابا إذارجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هوخير منى فإذا كان ذاك فو الله مادققت لك يا أمير المؤمنين بابا و لافتحت لك قفلا فكتب إليه عمر أما بعدفإنى لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام فى شىء ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا عذرا وإنما تأكلون النار وتتعجلون العار و قدوجهت إليك محمد بن مسلمة فسلم إليه شطر مالك . فلما قدم محمدصنع له عمرو طعاما ودعاه فلم يأكل و قال هذه تقدمة الشر و لوجئتنى بطعام الضيف لأكلت فنح عنى طعامك وأحضر لى مالك فأحضره فأخذ شطره فلما رأى عمرو كثرة ماأخذ منه قال لعن الله زمانا صرت فيه عاملا لعمر و الله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية لاتجاوز مأبض ركبتيه و على عنقه حزمة حطب والعاص بن وائل فى مزررات الديباج فقال محمدإيها عنك ياعمرو فعمر و الله خير منك و أماأبوك وأبوه فإنهما فى النار و لو لاالإسلام لألفيت معتلقا شاة يسرك غزرها ويسوءك بكوؤها قال صدقت فاكتم على قال أفعل قال الربيع بن زياد الحارثى كنت عاملا لأبى موسى الأشعرى على البحرين [صفحه ۱۷۶] فكتب إليه عمر بالقدوم عليه هو وعماله و أن يستخلفوا جميعا فلما قدمنا المدينة أتيت يرفأ حاجب عمر فقلت يايرفأ مسترشد و ابن سبيل أى الهيئات أحب إلى أمير المؤمنين أن يرى فيهاعماله فأومأ إلى بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتى على رأسى ثم دخلنا على عمر فصفنا بين يديه فصعد بصره فينا وصوب فلم تأخذ عينه أحدا غيرى فدعانى فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثى قال و ماتتولى من أعمالنا قلت البحرين قال كم ترزق قلت ألفا قال كثير فما تصنع به قلت أتقوت منه شيئا وأعود بباقيه على أقارب لى فما فضل منهم فعلى فقراء المسلمين قال لابأس ارجع إلى موضعك فرجعت إلى موضعى من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه إلا على فدعانى فقال كم سنك قلت خمس وأربعون فقال الآن حيث استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلين العيش و قدتجوعت له فأتى بخبز يابس وأكسار بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد و أناأنظر إليه و هويلحظنى من بينهم ثم سبقت منى كلمة تمنيت لها أنى سخت فى الأرض فقلت يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلى صلاحك فلو عمدت إلى طعام ألين من هذافزجرنى ثم قال كيف قلت فقلت يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيخبز قبل إرادتك إياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن من غربه و قال أهاهنا غرت قلت نعم فقال ياربيع إنا لونشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكنى رأيت الله نعى على قوم شهواتهم فقال أَذهَبتُم طَيّباتِكُم -قرآن-۱۳۷۸-۱۳۹۸ فكتب إليه عمر بالقدوم عليه هو وعماله و أن يستخلفوا جميعا فلما قدمنا

المدينـة أتيت يرفأ حاجب عمر فقلت يايرفأ مسترشد و ابن سبيل أی الهيئات أحب إلی أمير المؤمنين أن يری فيهاعماله فأومأ إلی بالخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت عمامتی علی رأسـی ثم دخلنا علی عمر فصفنا بين يديه فصعد بصره فينا وصوب فلم تأخـذ عينه أحدا غيری فدعانی فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثی قال و ماتتولی من أعمالنا قلت البحرين قـال كم ترزق قلت ألفـا قـال كـثير فمـا تصـنع به قلت أتقوت منه شـيئا وأعود ببـاقيه علی أقـارب لی فمـا فضـل منهم فعلی فقراء المسـلمين قال لابأس ارجع إلی موضعک فرجعت إلی موضعی من الصف فصعد فينا وصوب فلم تقع عينه إلا علی فدعانی فقال كم سـنک قلت خمس وأربعون فقال الآن حيث اسـتحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابی حديث عهدهم بلين العيش و قدتجوعت له فـأتی بخبز يـابس وأكسـار بعير فجعـل أصـحابی يعـافون ذلـک وجعلت آكل فأجيـد و أناأنظر إليه و هويلحظنی من بينهم ثم سبقت منی كلمـة تمنيت لهـا أنی سـخت فی الأرض فقلت يـا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون إلی صـلاحک فلو عمـدت إلی طعام ألين من هـذافزجرنی ثم قال كيف قلت فقلت يا أمير المؤمنين أن تنظر إلی قوتک من الطحين فيخبز قبل إرادتک إياه بيوم ويطبـخ لـک اللحم كـذلک فتؤتی بالخبز لينا وباللحم غريضا فسـكن من غربه و قال أهاهنا غرت قلت نعم فقال ياربيع إنا لونشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائک وصناب ولكنی رأيت الله نعی علی قوم شهواتهم فقال أَذهَبتُم طَيِّباتِكُم فِی حَياتِكُمُ الدّنيا –قرآن–١–٢٣ ثم أمر أبا موسـی بإقراری و أن يستبدل بأصحابی.أسـلم عمر بعدجماعـة من الناس و كان سـبب إسـلامه أن أخته وبعلها أسـلما سـرا من عمر فـدخل إليهما خباب بن الأرت يعلمهما الـدين خفية فوشـی بهم واش إلی عمر فجاء دار أخته فتواری خباب منه داخل البيت فقال عمر ما هـذه الهينمـة عنـدكم قالت أخته ماعـدا حـديثا تحدثناه بيننا قال أراكما قدصـبوتما قال ختنه أرأيت إن كـان هوالحق فوثب عليه عمر فوطئه وطئا شديـدا فجـاءت أخته فـدفعته عنه فنفحهـا بيـده فـدمی وجهها ثم نـدم ورق وجلس واجمـا فخرج إليه خبـاب فقال أبشـر ياعمر فإنی أرجو أن تكون دعوة رسول الله لک الليلـة فإنه لم يزل يـدعو منـذ الليلة أللهم أعز الإسـلام بعمر بن الخطاب أوبعمرو بن هشام . قال فانطلق عمر متقلدا سـيفه حتی أتی إلی الدار التی فيها رسول الله ص يومئـذ وهی الـدار التی فی أصـل الصـفا و علی البـاب حمزة وطلحـة وناس من المسـلمين فوجل القوم من عمر إلاحمزة فإنه قال قـدجاءنا عمر فإن يرد الله به خيرا يهـده و إن يرد غير ذلک كان قتله علينا هينا و النبی ص داخل الدار يوحی إليه فسـمع كلامهم فخرج حتی أتی عمر فأخـذ بمجـامع ثوبه وحمائـل سـيفه و قال ما أنت بمنته ياعمر حتی ينزل الله بک من الخزی والنكال ماأنزل بالوليـد بن المغيرة أللهم هـذاعمر أللهم أعز الإسـلام بعمر فقال عمر أشـهد أن لاإله إلا الله وأشـهد أن محمدا رسول الله .مر يوما عمر فی بعض شوارع المدينة فناداه إنسان ماأراک إلاتسـتعمل عمالک وتعهد إليهم العهود وتری أن ذلک قدأجزأک كلا و الله إنک المأخوذ بهم إن لم تتعهدهم [صفحه ١٧٨] قال ماذاک قال عياض بن غنم يلبس اللين ويأكل الطيب ويفعل كذا وكذا قال أساع قال بل مؤد ما عليه فقال لمحمد بن مسـلمة الحق بعياض بن غنم فأتنی به كماتجده فمضی محمد بن مسلمة حتی أتی باب عياض و هو أمير علی حمص و إذا عليه بواب فقال له قل لعياض علی بابک رجل يريـد أن يلقاک قال ماتقول قال قل له ماأقول لک فقام كالمعجب فأخبره فعرف عياض أنه أمر حدث فخرج فإذا محمد بن مسلمة فأدخله فرأی علی عياض قميصا رقيقا ورداء لينا فقال إن أمير المؤمنين أمرنی ألا أفارقک حتی آتيه بک كماأجـدک فأقـدمه علی عمر وأخبره أنه وجده فی عيش ناعم فأمر له بعصـا وكسـاء و قـال اذهب بهـذه الغنم فأحسن رعيها فقال الموت أهون من ذلک فقال كـذبت ولقـد كان ترک ماكنت عليه أهون عليـک من ذلـک فساق الغنم بعصاه والكساء فی عنقه فلما بعـدرده و قال أرأيت إن رددتک إلی عملک أتصـنع خيرا قال نعم و الله يـا أمير المؤمنين لايبلغـک منی بعدها مـاتكره فرده إلی عمله فلم يبلغه عنه بعـدها مـاينقمه عليه . كـان الناس بعـدوفاة رسول الله ص يـأتون الشـجرة التی كـانت بيعـة الرضوان تحتها فيصـلون عنـدها فقال عمر أراكم أيها الناس رجعتم إلی العزی ألا لاـأوتی منـذ اليوم بأحـد عاد لمثلها إلاقتلته بالسـيف كمايقتل المرتـد ثم أمر بهافقطعت . لمامات رسول الله ص وشاع بين الناس

موته طاف عمر على الناس قائلا إنه لم يمت ولكنه غاب عنا كماغاب موسى عن قومه وليرجعن فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات فجعل لايمر بأحد يقول إنه مات إلا ويخبطه ويتوعده حتى جاء أبوبكر فقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قدمات [صفحه ۱۷۹] و من كان يعبد رب محمدفإنه حى لم يمت ثم تلا قوله تعالى أَ فَإِن ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلى أَعقابِكُمقالوا فو الله لكان الناس ماسمعوا هذه الآية حتى تلاها أبوبكر و قال عمر لماسمعته يتلوها هويت إلى الأرض وعلمت أن رسول الله قدمات . لماقتل خالد مالك بن نويرة ونكح امرأته كان فى عسكره أبوقتادة الأنصارى فركب فرسه والتحق بأبى بكر وحلف ألا يسير فى جيش تحت لواء خالد أبدا فقص على أبى بكر القصة فقال أبوبكر لقد فتنت الغنائم العرب وترك خالد ماأمر به فقال عمر إن عليك أن تقيده بمالك فسكت أبوبكر وقدم خالد فدخل المسجد و عليه ثياب قدصدئت من الحديد و فى عمامته ثلاثة أسهم فلما رآه عمر قال أرياء ياعدو الله عدوت على رجل من المسلمين فقتلته ونكحت امرأته أما و الله إن أمكننى الله منك لأرجمنك ثم تناول الأسهم من عمامته فكسرها وخالد ساكت لايرد عليه ظنا أن ذلك عن أمر أبى بكر ورأيه فلما دخل إلى أبى بكر وحدثه صدقه فيما حكاه وقبل عذره فكان عمر يحرض أبابكر على خالد ويشير عليه أن يقتص منه بدم مالك فقال أبوبكر إيها ياعمر ما هوبأول من أخطأ فارفع لسانك عنه ثم ودى مالكا من بيت مال المسلمين . لماصالح خالد أهل اليمامة وكتب بينه وبينهم كتاب الصلح وتزوج ابنة مجاعة بن مرارة الحنفى وصل إليه كتاب أبى بكر لعمرى يا ابن أم خالد إنك لفارغ حتى تزوج النساء وحول حجرتك دماء المسلمين لم تجف بعد فى كلام أغلظ له فيه فقال خالد هذاالكتاب ليس من عمل أبى بكر هذاعمل الأعيسر يعنى عمر -قرآن-۶۲-۱۱۲ [صفحه ۱۸۰] عزل عمر خالدا عن إمارة حمص فى سنة سبع عشرة وإقامة للناس وعقله بعمامته ونزع قلنسوته عن رأسه و قال أعلمنى من أين لك هذاالمال و ذلك أنه أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم فقال من الأنفال والسهمان فقال لا و الله لاتعمل لى عملا بعداليوم وشاطره ماله وكتب إلى الأمصار بعزله و قال إن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه وأحببت أن يعلموا أن الله هوالصانع . لماأسر الهرمزان حمل إلى عمر من تستر إلى المدينة ومعه رجال من المسلمين منهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك فأدخلوه المدينة فى هيئته وتاجه وكسوته فوجدوا عمر نائما فى جانب المسجد فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه فقال الهرمزان وأين عمر قالوا ها هوذا قال أين حرسه قالوا لاحاجب له و لاحارس قال فينبغى أن يكون هذانبيا قالوا إنه يعمل بعمل الأنبياء واستيقظ عمر فقال الهرمزان فقالوا نعم قال لاأكلمه أو لايبقى عليه من حليته شىءفرموا ما عليه وألبسوه ثوبا صفيقا فلما كلمه عمر أمر أباطلحة أن ينتضى سيفه ويقوم على رأسه ففعل ثم قال له ماعذرك فى نقض الصلح ونكث العهد و قد كان الهرمزان صالح أولا ثم نقض وغدر فقال أخبرك قال قل قال و أناشديد العطش فاسقنى ثم أخبرك فأحضر له ماء فلما تناوله جعلت يده ترعد قال ماشأنك قال أخاف أن أمد عنقى و أناأشرب فيقتلنى سيفك قال لابأس عليك حتى تشرب فألقى الإناء عن يده فقال مابالك أعيدوا عليه الماء و لاتجمعوا عليه بين القتل والعطش قال إنك قدأمنتنى قال كذبت قال لم أكذب قال أنس صدق يا أمير المؤمنين قال ويحك ياأنس أناأؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك و الله لتأتينى بالمخرج أولأعاقبنك قال أنت يا أمير المؤمنين قلت لابأس عليك حتى تشرب و قال له ناس من المسلمين [صفحه ۱۸۱] مثل قول أنس فقال للهرمزان ويحك أتخدعنى و الله لأقتلنك إلا أن تسلم ثم أومأ إلى أبى طلحة فقال الهرمزان أشهد أن لاإله إلاالله وأشهد أن محمدا رسول الله فأمنه وأنزله المدينة.سأل عمر عمرو بن معديكرب عن السلاح فقال له ماتقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك قال فالنبل قال رسل المنايا تخطئ وتصيب قال فالدرع قال مشغلة للفارس متعبة للراجل وإنها مع ذلك لحصن حصين قال فالترس قال هوالمجن و عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال هناك قارعت أمك الهبل قال بل أمك قال والحمى أضرعتنى لك . وأول من ضرب عمر بالدرة أم فروة بنت أبى قحافة مات أبوبكر فناح النساء عليه وفيهن أخته أم فروة فنهاهن عمر مرارا وهن يعاودن فأخرج أم فروة من بينهن وعلاها بالدرة

فهربن وتفرقن . كان يقال درة عمر أهيب من سيف الحجاج و فى الصحيح أن نسوة كن عند رسول الله ص قدكثر لغطهن فجاء عمر فهربن هيبة له فقال لهن ياعديات أنفسهن أتهبنني و لاتهبن رسول الله قلن نعم أنت أغلظ وأفظ. و كان عمر يفتى كثيرا بالحكم ثم ينقضه ويفتى بضده وخلافه قضى فى الجد مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم فى هذه المسألة فقال من أراد أن يتقحم جراثيم جهنم فليقل فى الجد برأيه . [صفحه ۱۸۲] و قال مرة لايبلغنى أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبى إلاارتجعت ذلك منها فقالت له امرأة ماجعل الله لك ذلك إنه تعالى قال وَ آتَيتُم إِحداهُنّ قِنطاراً فَلا تَأخُذُوا مِنهُ شَيئاً أَ تَأخُذُونَهُ بُهتاناً وَ إِثماً مُبِيناً فقال كل النساء أفقه من عمر حتى ربات الحجال أ لاتعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت فاضلت إمامكم ففضلته . ومر يوما بشاب من فتيان الأنصار و هوظمآن فاستسقاه فجدح له ماء بعسل فلم يشربه و قال إن الله تعالى يقول أَذهَبتُم طَيّباتِكُم فِي حَياتِكُمُ الدّنيا فقال له الفتى يا أمير المؤمنين إنها ليست لك و لالأحد من هذه القبيلة اقرأ ماقبلهاوَ يَومَ يُعرَضُ الّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَذهَبتُم طَيّباتِكُم فِي حَياتِكُمُ الدّنيا فقال عمر كل الناس أفقه من عمر. وقيل إن عمر كان يعس بالليل فسمع صوت رجل وامرأة فى بيت فارتاب فتسور الحائط فوجد امرأة ورجلا وعندهما زق خمر فقال ياعدو الله أكنت ترى أن الله يسترك و أنت على معصيته قال يا أمير المؤمنين إن كنت أخطأت فى واحدة فقد أخطأت فى ثلاث قال الله تعالى وَ لا تَجَسّسُوا و قدتجسست و قال وَ أتُوا البُيُوتَ مِن أَبوابِها و قدتسورت و قال فَإِذا دَخَلتُم بُيُوتاً فَسَلّمُوا و ماسلمت . و قال متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنامحرمهما ومعاقب عليهما متعة النساء ومتعة الحج و هذاالكلام و إن كان ظاهره منكرا فله عندنا مخرج وتأويل و قدذكره أصحابنا الفقهاء فى كتبهم . -قرآن-۱۳۵-۲۳۵-قرآن-۴۶۱-۵۰۴-قرآن-۵۹۱-۶۸۳-قرآن-۹۸۱-۹۹۶-قرآن-۱۰۱۵-۱۰۴۶-قرآن-۱۰۶۵-۱۰۹۹ [صفحه ۱۸۳] و كان فى أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قدأراد ويتوهم من تحكى له أنه قصد بهاظاهرا ما لم يقصده فمنها الكلمة التى قالها فى مرض رسول الله ص ومعاذ الله أن يقصد بهاظاهرها ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته و لم يتحفظ منها و كان الأحسن أن يقول مغمور أومغلوب بالمرض وحاشاه أن يعنى بها غير ذلك . ولجفاة الأعراب من هذاالفن كثير سمع سليمان بن عبدالملك أعرابيا يقول فى سنة قحط رب العباد مالنا و مالكا || قدكنت تسقينا فما بدا لكا أنزل علينا القطر لا أبالكا . فقال سليمان أشهد أنه لاأب له و لاصاحبه و لاولد فأخرجه أحسن مخرج . و على نحو هذايحتمل كلامه فى صلح الحديبية لما قال للنبىص أ لم تقل لنا ستدخلونها فى ألفاظ نكره حكايتها حتى شكاه النبى ص إلى أبى بكر و حتى قال له أبوبكر الزم بغرزه فو الله إنه لرسول الله .

وعمر هو ألذى أغلظ على جبلة بن الأيهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة بل مفارقة دار الإسلام كلها وعاد مرتدا داخلا فى دين النصرانية لأجل لطمة لطمها و قال جبلة بعدارتداده متندما على مافعل تنصرت الأشراف من أجل لطمة || و ما كان فيها لوصبرت لها ضرر فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى || رجعت إلى القول ألذى قاله عمر [صفحه ۱۸۴] حَتّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي سِتّةٍ زَعَمَ أَنّي أَحَدُهُم فَيَا لَلّهِ وَ لِلشّورَى مَتَى اعتَرَضَ الرّيبُ فِيّ مَعَ الأَوّلِ مِنهُم حَتّى صِرتُ أُقرَنُ إِلَى هَذِهِ النّظَائِرِ لكَنِيّ أَسفَفتُ إِذ أَسَفّوا وَ طِرتُ إِذ طَارُوا فَصَغَا رَجُلٌ مِنهُم لِضِغنِهِ وَ مَالَ الآخَرُ لِصِهرِهِ مَعَ هَنٍ وَ هَنٍ اللام فى يالله مفتوحة واللام فى وللشورى مكسورة لأن الأولى للمدعو والثانية للمدعو إليه قال ياللرجال ليوم الأربعاء أما || ينفك يحدث لى بعدالنهى طربا .اللام فى للرجال مفتوحة و فى ليوم مكسورة وأسف الرجل إذادخل فى الأمر الدنىء أصله من أسف الطائر إذادنا من الأرض فى طيرانه والضغن الحقد. و قوله مع هن وهن أى مع أمور يكنى عنها و لايصرح بذكرها وأكثر مايستعمل ذلك فى الشر قال على هنوات شرها متتابع . يقول ع إن عمر لماطعن جعل الخلافة فى ستة هو ع أحدهم ثم تعجب من ذلك فقال متى اعترض الشك فى مع أبى بكر حتى أقرن بسعد بن أبى وقاص و عبدالرحمن بن عوف وأمثالهما لكنى طلبت الأمر و هوموسوم بالأصاغر منهم كماطلبته أولا و هوموسوم بأكابرهم أى هوحقى فلاأستنكف من طلبه إن كان المنازع فيه جليل القدر أوصغير المنزلة.

وصغا الرجل بمعنى مال الصغو الميل بالفتح والكسر [صفحه ١٨٥]

قصة الشورى

وصورة هـذه الواقعـة أن عمر لماطعنه أبولؤلؤة وعلم أنه ميت اسـتشار فيمن يوليه الأمر بعده فأشـير عليه بابنه عبد الله فقال لاها الله إذا لايليهـا رجلاـن من ولـد الخطـاب حسب عمر ماحمـل حسب عمر مااحتقب لاها الله لاأتحملها حيا وميتا ثم قال إن رسول الله مات و هوراض عن هذه الستة من قريش علی وعثمان وطلحة والزبير وسعد و عبدالرحمن بن عوف و قدرأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختـاروا لأنفسـهم ثم قال إن أسـتخلف فقـد اسـتخلف من هوخير منی يعنی أبابكر و إن أترك فقـد ترك من هوخير منی يعنی رسول الله ص ثم قـال ادعوهم لی فـدعوهم فـدخلوا عليه و هوملقی علی فراشه يجود بنفسه .فنظر إليهم فقـال أكلكم يطمع فی الخلافـة بعدی فوجموا فقال لهم ثانية فأجابه الزبير و قال و ما ألذی يبعدنا منها وليتها أنت فقمت بها ولسـنا دونك فی قريش و لا فی السابقـة و لا فی القرابـة. قال الشـيخ أبوعثمان الجاحظ و الله لو لاعلمه أن عمر يموت فی مجلسه ذلك لم يقـدم علی أن يفوه من هـذاالكلام بكلمة و لا أن ينبس منه بلفظة. فقال عمر أ فلاأخبركم عن أنفسـكم قال قل فإنا لواسـتعفيناك لم تعفنا فقال أمـا أنت يـازبير فوعق لقس مؤمن الرضـا كـافر الغضب يومـا إنسـان ويومـا شـيطان ولعلهـا لوأفضت إليـك ظلت يومـك تلاـطم بالبطحاء علی مد من شعير أفرأيت إن أفضت إليك فليت شعری من يكون للناس يوم تكون شيطانا و من يكون يوم تغضب و ما كان الله ليجمع لك أمر هـذه الأمـة و أنت علی هـذه الصـفة. ثم أقبل علی طلحـة و كان له مبغضا منذ قال لأبی بكر يوم وفاته ما قـال فی عمر فقـال له أقول أم أسـكت قال قل فإنك لاتقول من الخير شـيئا قال أماإنی أعرفك منـذ أصـيبت إصـبعك يوم أحد والبأو ألذی حدث لك ولقد مات رسول الله ص [صـفحه ١٨٦] ساخطا عليك بالكلمـة التی قلتها يوم أنزلت آية الحجاب . قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ رحمه الله تعالی الكلمة المذكورة أن طلحة لماأنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه إلی رسول الله ص مـا ألـذی يغنيه حجـابهن اليوم وسـيموت غـدا فننكحهن قال أبوعثمان أيضا لو قال لعمر قائل أنت قلت إن رسول الله ص مات و هوراض عن السـتة فكيف تقول الآن لطلحـة إنه مات ع ساخطا عليك للكلمة التی قلتها لكان قدرماه بمشاقصه ولكن من ألذی كان يجسر علی عمر أن يقول له مادون هذافكيف هذا. قال ثم أقبل علی سعد بن أبی وقاص فقال إنما أنت صاحب مقنب من هـذه المقـانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وأسـهم و مازهرة والخلافـة وأمور الناس . ثم أقبل علی عبـدالرحمن بن عوف فقال و أما أنت يا عبـدالرحمن فلو وزن نصف إيمان المسـلمين بإيمانك لرجـح إيمانك به ولكن ليس يصـلح هذاالأمر لمن فيه ضعف كضـعفك و مـازهرة و هـذاالأمر. ثم أقبـل علی علی ع فقـال لله أنت لو لادعابـة فيك أما و الله لئن وليتهم لتحملنهم علی الحق الواضـح والمحجـة البيضاء ثم أقبل علی عثمان فقال هيها إليك كأنی بك قدقلدتك قريش هذاالأمر لحبها إياك فحملت بنی أميـة وبنی أبی معيط علی رقاب الناس وآثرتهم بالفیء فسارت إليك عصابـة من ذؤبان العرب فذبحوك علی فراشك ذبحا و الله لئن فعلوا لتفعلن ولئن فعلت ليفعلن ثم أخـذ بناصـيته فقال فإذا كان ذلك فاذكر قولی فإنه كائن .ذكر هذاالخبر كله شـيخنا أبوعثمان فی كتاب السـفيانية وذكره جماعـة غيره فی باب فراسـة عمر وذكر أبوعثمان فی هـذاالكتاب عقيب رواية هذاالخبر قال وروی [صفحه ١٨٧] معمر بن سـليمان التيمی عن أبيه عن سـعيد بن المسـيب عن ابن عباس قال سـمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشوری إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصـحتم أكلتموها وأولادكم و إن تحاسـدتم وتقاعـدتم وتدابرتم وتباغضـتم غلبكم علی هـذاالأمر معاوية بن أبی سـفيان و كان معاوية حينئذ أميرالشام . ثم رجع بنا الكلام إلی تمام قصة الشوری ثم قال ادعوا إلی أباطلحـة الأنصاری فدعوه له فقال انظر يا أباطلحة إذاعدتم من حفرتی فكن فی خمسـين رجلا من الأنصار حاملی سـيوفكم فخذ

هؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله واجمعهم فی بیت وقف بأصحابک علی باب البیت لیتشاوروا ویختاروا واحدا منهم فإن اتفق خمسة وأبی واحد فاضرب عنقه و إن اتفق أربعة وأبی اثنان فاضرب أعناقهما و إن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التی فیها عبدالرحمن فارجع إلی ما قداتفقت علیه فإن أصرت الثلاثة الأخری علی خلافها فاضرب أعناقها و إن مضت ثلاثة أیام و لم یتفقوا علی أمر فاضرب أعناق الستة ودع المسلمین یختاروا لأنفسهم . فلما دفن عمر جمعهم أبوطلحة ووقف علی باب البیت بالسیف فی خمسین من الأنصار حاملی سیوفهم ثم تکلم القوم وتنازعوا فأول ماعمل طلحة أنه أشهدهم علی نفسه أنه قدوهب حقه من الشوری لعثمان و ذلک لعلمه أن الناس لایعدلون به علیا وعثمان و أن الخلافة لاتخلص له وهذان موجودان فأراد تقویة أمر عثمان وإضعاف جانب علی ع بهبة أمر لاانتفاع له به و لاتمکن له منه . فقال الزبیر فی معارضته و أناأشهدکم علی نفسی أنی قدوهبت حقی من الشوری لعلی وإنما فعل ذلک لأنه لمارأی علیا قدضعف وانخزل بهبة طلحة حقه لعثمان دخلته حمیة النسب لأنه ابن عمة أمیر المؤمنین ع وهی صفیة بنت عبدالمطلب و أبوطالب خاله وإنما مال طلحة إلی عثمان لانحرافه عن علی ع باعتبار أنه [صفحه ۱۸۸] تیمی و ابن عم أبی بکر الصدیق و قد کان حصل فی نفوس بنی هاشم من بنی تیم حنق شدید لأجل الخلافة وکذلک صار فی صدور تیم علی بنی هاشم و هذاأمر مرکوز فی طبیعة البشر وخصوصا طینة العرب وطباعها والتجربة إلی الآن تحقق ذلک فبقی من الستة أربعة. فقال سعد بن أبی وقاص و أنا قدوهبت حقی من الشوری لابن عمی عبدالرحمن و ذلک لأنهما من بنی زهرة ولعلم سعد أن الأمر لایتم له فلما لم یبق إلاالثلاثة قال عبدالرحمن لعلی وعثمان أیکما یخرج نفسه من الخلافة و یکون إلیه الاختیار فی الاثنین الباقیین فلم یتکلم منهما أحد فقال عبدالرحمن أشهدکم أننی قدأخرجت نفسی من الخلافة علی أن أختار أحدهما فأمسکا فبدأ بعلی ع و قال له أبایعک علی کتاب الله وسنة رسول الله وسیرة الشیخین أبی بکر وعمر فقال بل علی کتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأیی فعدل عنه إلی عثمان فعرض ذلک علیه فقال نعم فعاد إلی علی ع فأعاد قوله فعل ذلک عبدالرحمن ثلاثا فلما رأی أن علیا غیرراجع عما قاله و أن عثمان ینعم له بالإجابة صفق علی ید عثمان و قال السلام علیک یا أمیر المؤمنین فیقال إن علیا ع قال له و الله مافعلتها إلالأنک رجوت منه مارجا صاحبکما من صاحبه دق الله بینکما عطر منشم .قیل ففسد بعد ذلک بین عثمان و عبدالرحمن فلم یکلم أحدهما صاحبه حتی مات عبدالرحمن [صفحه ۱۸۹] ثم نرجع إلی تفسیر ألفاظ الفصل أما قوله ع فصغا رجل منهم لضغنه فإنه یعنی طلحة و قال القطب الراوندی یعنی سعد بن أبی وقاص لأن علیا ع قتل أباه یوم بدر و هذاخطأ فإن أباه أبووقاص واسمه مالک بن أهیب بن عبدمناف بن زهرة بن کلاب بن مرة بن کعب بن لؤی بن غالب مات فی الجاهلیة حتف أنفه . و أما قوله ومال الآخر لصهره یعنی عبدالرحمن مال إلی عثمان لأن أم کلثوم بنت عقبة بن أبی معیط کانت تحته وأم کلثوم هذه هی أخت عثمان من أمه أروی بنت کریز. وروی القطب الراوندی أن عمر لما قال کونوا مع الثلاثة التی عبدالرحمن فیها قال ابن عباس لعلی ع ذهب الأمر منا الرجل یرید أن یکون الأمر فی عثمان فقال علی ع و أناأعلم ذلک ولکنی أدخل معهم فی الشوری لأن عمر قدأهلنی الآن للخلافة و کان قبل ذلک یقول إن رسول الله ص قال إن النبوة والإمامة لایجتمعان فی بیت فأنا أدخل فی ذلک لأظهر للناس مناقضة فعله لروایته -روایت-۱-۳۰۶ ألذی ذکره الراوندی غیرمعروف و لم ینقل عمر هذا عن رسول الله ص ولکنه قال لعبد الله بن عباس یوما یا عبد الله ماتقول منع قومکم منکم قال لاأعلم یا أمیر المؤمنین قال أللهم غفرا إن قومکم کرهوا أن تجتمع لکم النبوة والخلافة فتذهبون فی السماء بذخا وشمخا لعلکم تقولون إن أبابکر أراد الإمرة علیکم وهضمکم کلا لکنه حضره أمر لم یکن عنده أحزم مما فعل و لو لارأی أبی بکر [صفحه ۱۹۰] فی بعدموته لأعاد أمرکم إلیکم و لوفعل ماهنأکم مع قومکم إنهم لینظرون إلیکم نظر الثور إلی جازره .فأما الروایة التی جاءت بأن طلحة لم یکن حاضرا یوم الشوری فإن صحت فذو الضغن هوسعد بن أبی وقاص لأن أمه حمنة بنت سفیان بن أمیة بن عبدشمس والضغینة التی عنده علی علی ع من قبل أخواله الذین قتل صنادیدهم وتقلد دماءهم و لم یعرف أن علیا ع

قتل أحدا من بنى زهرة لينسب الضغن إليه . و هذه الرواية هى التى اختارها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ قال لماطعن عمر قيل له لواستخلفت يا أمير المؤمنين فقال من أستخلف لو كان أبوعبيدة حيا لاستخلفته و قلت لربى لوسألنى سمعت نبيك يقول أبوعبيدة أمين هذه الأمة -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۴۶ و لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا استخلفته و قلت لربى إن سألنى سمعت نبيك ع يقول إن سالما شديد الحب لله -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۴۹ فقال له رجل ول عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله و الله ما الله أردت بهذا الأمر ويحك كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته لاأرب لعمر فى خلافتكم ماحمدتها فأرغب فيهالأحد من أهل بيتى إن تك خيرا فقد أصبنا منه و إن تك شرا يصرف عنا حسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد ويسأل عن أمر أمة محمد.فخرج الناس من عنده ثم راحوا إليه فقالوا له لوعهدت عهدا قال قدكنت أجمعت بعدمقالتى لكم أن أولى أمركم رجلا هوأحراكم أن يحملكم على الحق [صفحه ۱۹۱] وأشار إلى على ع فرهقتنى غشية فرأيت رجلا يدخل جنة قدغرسها فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمها إليه ويصيرها تحته فخفت أن أتحملها حيا وميتا وعلمت أن الله غالب أمره عليكم بالرهط ألذى قال رسول الله عنهم إنهم من أهل الجنة ثم ذكر خمسة عليا وعثمان و عبدالرحمن والزبير وسعدا. قال و لم يذكر فى هذاالمجلس طلحة و لا كان طلحة يومئذ بالمدينة ثم قال لهم انهضوا إلى حجرة عائشة فتشاوروا فيها ووضع رأسه و قدنزفه الدم فقال العباس لعلى ع لاتدخل معهم وارفع نفسك عنهم قال إنى أكره الخلاف قال إذن ترى ماتكره فدخلوا الحجرة فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر إن أمير المؤمنين لم يمت بعدففيم هذااللغط وانتبه عمر وسمع الأصوات فقال ليصل بالناس صهيب و لايأتين اليوم الرابع من يوم موتى إلا وعليكم أمير وليحضر عبد الله بن عمر مشيرا و ليس له شىء من الأمر وطلحة بن عبيد الله شريككم فى الأمر فإن قدم إلى ثلاثة أيام فأحضروه أمركم و إلافأرضوه و من لى برضا طلحة فقال سعد أنا لك به ولن يخالف إن شاء الله تعالى . ثم ذكر وصيته لأبى طلحة الأنصارى و ماخص به عبدالرحمن بن عوف من كون الحق فى الفئة التى هو فيها وأمره بقتل من يخالف ثم خرج الناس فقال على ع لقوم معه من بنى هاشم إن أطيع فيكم قومكم من قريش لم تؤمروا أبدا و قال للعباس عدل بالأمر عنى ياعم قال و ماعلمك قال قرن بى عثمان -روايت-۱-۱۵۸ و قال عمر كونوا مع الأكثر فإن رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن فسعد لايخالف ابن عمه و عبدالرحمن صهر عثمان لايختلفان فيوليها أحدهما الآخر فلو كان الآخران معى لم يغنيا شيئا فقال العباس لم أدفعك إلى شىء إلارجعت إلى [صفحه ۱۹۲] مستأخرا بما أكره أشرت عليك عندمرض رسول الله ص أن تسأله عن هذاالأمر فيمن هوفأبيت وأشرت عليك عندوفاته أن تعاجل البيعة فأبيت و قدأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى اليوم أن ترفع نفسك عنها و لاتدخل معهم فيهافأبيت فاحفظ عنى واحدة كلما عرض عليك القوم الأمر فقل لا إلا أن يولوك واعلم أن هؤلاء لايبرحون يدفعونك عن هذاالأمر حتى يقوم لك به غيرك وايم الله لاتناله إلابشر لاينفع معه خير فقال ع أماإنى أعلم أنهم سيولون عثمان وليحدثن البدع والأحداث ولئن بقى لأذكرنك و إن قتل أومات ليتداولنها بنو أمية بينهم و إن كنت حيا لتجدنى حيث تكرهون ثم تمثل حلفت برب الراقصات عشية || غدون خفافا يبتدرن المحصبا ليجتلبن رهط ابن يعمر غدوة || نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا . قال ثم التفت فرأى أباطلحة الأنصارى فكره مكانه فقال أبوطلحة لاترع أباحسن فلما مات عمر ودفن وخلوا بأنفسهم للمشاورة فى الأمر وقام أبوطلحة يحجبهم بباب البيت جاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما و قال إنما تريدان أن تقولا حضرنا وكنا فى أصحاب الشورى .فتنافس القوم فى الأمر وكثر بينهم الكلام فقال أبوطلحة أناكنت لأن تدافعوها أخوف منى عليكم أن تنافسوها أما و ألذى ذهب بنفس عمر لاأزيدكم على الأيام الثلاثة التى وقفت لكم فاصنعوا مابدا لكم . قال ثم إن عبدالرحمن قال لابن عمه سعد بن أبى وقاص إنى قدكرهتها وسأخلع نفسى منها لأنى رأيت الليلة روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل مارأيت [صفحه ۱۹۳] أكرم منه فمر كأنه سهم لم يلتفت إلى شىءمنها حتى قطعها لم يعرج

ودخـل بعير يتلوه تـابع أثره حتى خرج منهـا ثم دخـل فحل عبقرى يجر خطامه ومضـى قصـد الأولين ثم دخل بعير رابع فوقع فى الروضـة يرتـع ويخضـم و لاـ و الله لاـأكون الرابـع و إن أحــدا لاـيقوم مقـام أبى بكر وعمر فيرضــى النـاس عنـه . ثـم ذكر خلع عبـدالرحمن نفسه من الأمر على أن يوليها أفضـلهم فى نفسه و أن عثمان أجاب إلى ذلك و أن عليا ع سـكت فلما روجع رضـى على موثق أعطاه عبـدالرحمن أن يؤثر الحق و لايتبع الهوى و لايخص ذا رحم و لايألو الأمـة نصـحا و أن عبـدالرحمن ردد القول بين على وعثمـان متلومـا و أنه خلاـ بسـعد تارة وبالمسور بن مخرمـة الزهرى تارة أخرى وأجال فكره وأعمل نظره ووقف موقف الحائر بينهما قال قال على ع لسعد بن أبى وقاص ياسعدااتَّقُوا اللّهَ أَلّذِى تَسائَلُونَ بِهِ وَ الأَرحامَأسألك برحم ابنى هذا من رسول الله ص وبرحم عمى حمزة منك ألا تكون مع عبدالرحمن لعثمان ظهيرا -روايت-١-١٩٢ قلت رحم حمزة من سعد هى أن أم حمزة هالـة بنت أهيب بن عبـدمناف بن زهرة وهى أيضـا أم المقوم وحجفـل واسـمه المغيرة والغيـداق أبنـاء عبـدالمطلب بن هاشم بن عبـدمناف هؤلاء الأربعـة بنو عبـدالمطلب من هالة وهالة هذه هى عمة سعد بن أبى وقاص فحمزة إذن ابن عمة سـعد وسـعد ابن خال حمزة. قال أبو جعفر فلما أتى اليوم الثالث جمعهم عبدالرحمن واجتمع الناس كافة فقال عبدالرحمن أيها الناس أشـيروا على فى هذين الرجلين فقال عمار بن ياسـر إن أردت ألا يختلف الناس فبايع عليا ع فقال المقداد صدق عمار و إن بايعت عليا سـمعنا وأطعنا فقال عبد الله بن أبى سـرح إن أردت ألا تختلف قريش [صـفحه ١٩۴] فبايع عثمان قال عبـد الله بن أبى ربيعة المخزومى صدق إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا فشتم عمار ابن أبى سرح و قال له متى كنت تنصح الإسلام .فتكلم بنو هاشم وبنو أمية وقام عمـار فقـال أيهـا الناس إن الله أكرمكم بنبيه وأعزكم بـدينه فإلى متى تصـرفون هـذاالأمر عن أهل بيت نبيكم فقال رجل من بنى مخزوم لقـد عدوت طورك يا ابن سـمية و ما أنت وتأمير قريش لأنفسـها فقال سـعد يا عبدالرحمن افرغ من أمرك قبل أن يفتتن الناس فحينئـذ عرض عبـدالرحمن على على ع العمل بسـيرة الشـيخين فقال بل أجتهد برأيى فبايع عثمان بعد أن عرض عليه فقال نعم فقال على ع ليس هذاأول يوم تظاهرتم فيه علينافَصَبرٌ جَمِيلٌ وَ اللّهُ المُستَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ و الله ماوليته الأمر إلاليرده إليك و الله كـل يوم فى شـأن -روايت-١-٢-روايت-١٧-١٧۴ . فقـال عبـدالرحمن لاـتجعلن على نفسـك سبيلا يا على يعنى أمر عمر أباطلحة أن يضرب عنق المخالف فقام على ع فخرج و قال سيبلغ الكتاب أجله فقال عمار يا عبدالرحمن أما و الله لقد تركته وإنه من الـذين يقضون بالحق و به كانوا يعـدلون فقال المقـداد تالله مارأيت مثل ماأتى إلى أهل هـذاالبيت بعـدنبيهم وا عجبا لقريش لقـد تركـت رجلا ماأقول و لاأعلم أن أحدا أقضـى بالعدل و لاأعلم و لاأتقى منه أما و الله لوأجد أعوانا فقال عبدالرحمن اتق الله يامقـداد فإنى خائف عليك الفتنـة. و قال على ع إنى لأعلم ما فى أنفسـهم إن الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر فى صـلاح شأنهـا فتقـول إن ولى الأـمر بنـو هـاشم لم يخرج منهم أبـدا و مـا كـان فى غيرهم فهـو متـداول فى بطـون قريش -روايت-١-٢-روايت-١٨-١٩٧ . قـال وقـدم طلحـة فى اليوم ألـذى بويع فيه لعثمان فتلكأ ساعـة ثم بايع . [صـفحه ١٩۵] وروى أبـو جعفررواية أخرى أطالهـا وذكر خطب أهـل الشورى و ماقـاله كـل منهم وذكر كلاما قاله على ع فى ذلك اليوم و هوالحمـد لله ألـذى اختار محمـدا منا نبيا وابتعثه إلينا رسولا فنحن أهل بيت النبوة ومعـدن الحكمـة أمان لأهل الأرض ونجاة لمن طلب إن لنا حقا إن نعطه نأخـذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى لوعهـد إلينا رسول الله ص عهـدا لأنفـذنا عهده و لو قال لنا قولا لجالدنا عليه حتى نموت لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة حق وصلة رحم و لاحول و لاقوة إلابالله العلى العظيم اسمعوا كلامى وعوا منطقى عسـى أن تروا هـذاالأمر بعـد هذاالجمع تنتضـى فيه السـيوف وتخان فيه العهود حتى لا يكون لكم جماعة و حتى يكون بعضـكم أئمة لأهل الضـلالة وشيعة لأهل الجهالة -روايت-١-٢-روايت-٣۶-۶٧٩ . قلت و قـدذكر الهروى فى كتـاب الجمع بين الغريبين قوله و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل وفسـره على وجهين أحدهما أن من ركب عجز البعير يعانى مشقة ويقاسى جهدا فكأنه قال و إن نمنعه نصبر على المشـقة كمـايصبر عليهـا راكب عجز البعير. والوجه الثانى أنه أراد نتبع غيرنا كما أن راكب عجز البعير يكون

رديفـا لمن هوأمـامه فكأنه قال و إن نمنعه نتأخر ونتبع غيرنا كمايتأخر راكب البعير. [صـفحه ۱۹۶] و قال أبوهلال العسـكرى فى كتاب الأوائل استجيبت دعوة على ع فى عثمان و عبدالرحمن فما ماتا إلامتهاجرين متعاديين أرسل عبدالرحمن إلى عثمان يعاتبه و قـال لرسوله قـل له لقـد وليتـك ماوليتـك من أمر النـاس و إن لى لأمورا ماهى لك شـهدت بـدرا و ماشـهدتها وشـهدت بيعة الرضوان و ماشـهدتها وفررت يوم أحـد وصبرت فقال عثمان لرسوله قل له أما يوم بـدر فإن رسول الله ص ردنى إلى ابنته لما بها من المرض و قـدكنت خرجت للـذى خرجت له ولقيته عندمنصـرفه فبشـرنى بأجر مثل أجوركم وأعطانى سـهما مثل سـهامكم و أمابيعة الرضوان فإنه ص بعثنى أسـتأذن قريشا فى دخوله إلى مكة فلما قيل له إنى قتلت بايع المسلمين على الموت لماسمعه عنى و قال إن كان حيا فأنا أبايع عنه وصـفق بإحـدى يديه على الأخرى و قال يسارى خير من يمين عثمان فيدك أفضل أم يد رسول الله ص و أماصبرك يوم أحد وفرارى فلقد كان ذلك فأنزل الله تعالى العفو عنى فى كتابه فعيرتنى بذنب غفره الله لى ونسيت من ذنوبـك مـا لاتـدرى أغفر لـك أم لم يغفر. لمـابنى عثمـان قصـره طمـار بـالزوراء وصـنع طعامـا كثيرا ودعا الناس إليه كان فيهم عبـدالرحمن فلما نظر للبناء والطعام قال يا ابن عفان لقـد صـدقنا عليك ماكنا نكذب فيك وإنى أسـتعيذ بالله من بيعتك فغضـب عثمان و قال أخرجه عنى ياغلام فأخرجوه وأمر الناس ألا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحـد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض ومرض عبدالرحمن فعاده عثمان وكلمه فلم يكلمه حتى مات [صـفحه ۱۹۷] إِلَى أَن قَامَ ثَالِثُ القَوم نَافِجاً حِضـنَيهِ بَينَ نَثِيلِهِ وَ مُعتَلَفِهِ وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخضَـمُونَ مَالَ اللّهِ خَضمَ الإِبِلِ نِبتَـةَ الرّبِيعِ إِلَى أَنِ انتَكَثَ فَتلُهُ وَ أَجهَزَ عَلَيهِ عَمَلُهُ وَ كَبَت بِهِ بِطنَتُهُ نافجـا حضـنيه رافعـا لهمـا والحضن مـا بين الإبط والكشـح يقال للمتكبر جاء نافجا حضـنيه ويقال لمن امتلأ بطنه طعاما جاء نافجا حضـنيه ومراده ع هـذاالثانى والنثيل الروث والمعتلف موضع العلف يريد أن همه الأكل والرجيع و هذا من ممض الذم وأشد من قول الحطيئـة ألـذى قيل إنه أهجى بيت للعرب دع المكارم لاترحل لبغيتها || واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسـى . والخضم أكل بكل الفم وضده القضم و هوالأكل بأطراف الأسـنان وقيل الخضم أكل الشـىء الرطب والقضم أكل الشـىء اليابس والمراد على التفسيرين لاـيختلف و هوأنهم على قـدم عظيمـة من النهم وشـدة الأكل وامتلاء الأفواه و قال أبوذر رحمه الله تعالى إن بنى أمية يخضـمون ونقضم والموعد لله والماضى خضمت بالكسر ومثله قضمت . والنبتة بكسر النون كالنبات تقول نبت الرطب نباتا ونبتة وانتكـث فتله انتقض و هـذه اسـتعارة وأجهز عليه عمله تمم قتله يقـال أجهزت على الجريـح مثـل ذففت إذاأتممت قتله وكبت به بطنته كبا الجواد إذاسقط لوجهه والبطنة الإسراف فى الشبع [صفحه ۱۹۸]

نتف من أخبار عثمان بن عفان

وثالث القوم هوعثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف كنيته أبوعمرو وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس .بايعه الناس بعدانقضاء الشورى واستقرار الأمر له وصحت فيه فراسة عمر فإنه أوطأ بنى أمية رقاب الناس وولاـهم الولايـات وأقطعهـم القطـائع وافتتحـت إفريقيـة فى أيـامه فأخـذ الخمس كله فـوهبه لمروان فقـال عبـدالرحمن بن حنبل الجمحى أحلف بالله رب الأنام || ماترك الله شـيئا سـدى ولكن خلقت لنا فتنة || لكى نبتلى بك أوتبتلى فإن الأمينين قدبينا || منار الطريق عليه الهدى فما أخذا درهما غيلة || و لاجعلا درهما فى هوى وأعطيت مروان خمس البلاد || فهيهات سعيك ممن سعى .الأمينان أبوبكر وعمر. وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم . وأعاد الحكم بن أبى العاص بعـد أن كـان رسول الله ص قدسيره ثم لم يرده أبوبكر و لاعمر وأعطاه مائـة ألف درهم . وتصـدق رسول الله ص بموضع سوق بالمدينـة يعرف بمهزور على المسـلمين فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم . وأقطع مروان فـدك و قدكانت

فاطمة ع طلبتها بعدوفاة أبيهاص [صفحه ۱۹۹] تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدفعت عنها. وحمى المراعى حول المدينة كلها من مواشى المسلمين كلهم إلا عن بنى أمية. وأعطى عبد الله بن أبى سرح جميع ماأفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب وهى من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين . وأعطى أباسفيان بن حرب مائتى ألف من بيت المال فى اليوم ألذى أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال و قد كان زوجه ابنته أم أبان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدى عثمان وبكى فقال عثمان أتبكى أن وصلت رحمى قال لا ولكن أبكى لأنى أظنك أنك أخذت هذاالمال عوضا عما كنت أنفقته فى سبيل الله فى حياة رسول الله ص و الله لوأعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا فقال ألق المفاتيح يا ابن أرقم فأنا سنجد غيرك . وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة فقسمها كلها فى بنى أمية وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضا بعدصرفه زيد بن أرقم عن خزنة. وانضم إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون كتسيير أبى ذر رحمه الله تعالى إلى الربذة وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه و ماأظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر فى إقامة الحدود ورد المظالم وكف الأيدى العادية والانتصاب لسياسة الرعية وختم ذلك ماوجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين واجتمع عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه . و قدأجاب أصحابنا عن المطاعن فى عثمان بأجوبة مشهورة مذكورة فى كتبهم و ألذى نقول نحن إنها و إن كانت أحداثا إلاأنها لم تبلغ المبلغ ألذى يستباح به دمه [صفحه ۲۰۰] و قد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة حيث لم يستصلحوه لها و لايعجلوا بقتله و أمير المؤمنين ع أبرأ الناس من دمه و قدصرح بذلك فى كثير من كلامه من ذلك قوله ع و الله ماقتلت عثمان و لامالأت على قتله -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۵۷ وصدق ص فَمَا رَاعَنِي إِلّا وَ النّاسُ إِلَيّ كَعُرفِ الضّبُعِ يَنثَالُونَ عَلَيّ مِن كُلّ جَانِبٍ حَتّى لَقَد وُطِئَ الحَسَنَانِ وَ شُقّ عِطفَايَ مُجتَمِعِينَ حَولِي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ فَلَمّا نَهَضتُ بِالأَمرِ نَكَثَت طَائِفَةٌ وَ مَرَقَت أُخرَى وَ فَسَقَ آخَرُونَ كَأَنّهُم لَم يَسمَعُوا كَلَامَ اللّهِ حَيثُ يَقُولُتِلكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجعَلُها لِلّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّا فِي الأَرضِ وَ لا فَساداً وَ العاقِبَةُ لِلمُتّقِينَبَلَى وَ اللّهِ لَقَد سَمِعُوهَا وَ وَعَوهَا وَ لَكِنّهُم حَلِيَتِ الدّنيَا فِي أَعيُنِهِم وَ رَاقَهُم زِبرِجُهَا -قرآن-۳۲۷-۴۴۴ عرف الضبع ثخين ويضرب به المثل فى الازدحام وينثالون يتتابعون مزدحمين والحسنان الحسن و الحسين ع والعطفان الجانبان من المنكب إلى الورك ويروى عطافى والعطاف الرداء و هوأشبه بالحال إلا أن الرواية الأولى أشهر والمعنى خدش جانباى لشدة الاصطكاك منهم والزحام و قال القطب الراوندى الحسنان إبهاما الرجل و هذا لاأعرفه . [صفحه ۲۰۱] و قوله كربيضة الغنم أى كالقطعة الرابضة من الغنم يصف شدة ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه . و قال القطب الراوندى يصف بلادتهم ونقصان عقولهم لأن الغنم توصف بقلة الفطنة و هذاالتفسير بعيد و غيرمناسب للحال .فأما الطائفة الناكثة فهم أصحاب الجمل و أماالطائفة الفاسقة فأصحاب صفين وسماهم رسول الله ص القاسطين و أماالطائفة المارقة فأصحاب النهروان وأشرنا نحن بقولنا سماهم رسول الله ص القاسطين إلى قوله ع ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۵۸ و هذاالخبر من دلائل نبوته ص لأنه إخبار صريح بالغيب لايحتمل التمويه والتدليس كماتحتمله الأخبار المجملة وصدق قوله ع والمارقين قوله أولا فى الخوارج يمرقون من الدين كمايمرق السهم من الرمية -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۶۹ وصدق قوله ع الناكثين كونهم نكثوا البيعة بادئ بدء و قد كان ع يتلو وقت مبايعتهم له فَمَن نَكَثَ فَإِنّما يَنكُثُ عَلى نَفسِهِ. و أماأصحاب صفين فإنهم عندأصحابنا رحمهم الله مخلدون فى النار لفسقهم فصح فيهم قوله تعالى وَ أَمّا القاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنّمَ حَطَباً. و قوله ع حليت الدنيا فى أعينهم تقول حلا الشيء فى فمى يحلو وحلى لعينى يحلى والزبرج الزينة من وشى أوغيره ويقال الزبرج الذهب .فأما الآية فنحن نذكر بعض ما فيهافنقول إنه تعالى لم يعلق الوعد بترك العلو فى الأرض والفساد ولكن بترك إرادتهما و هوكقوله تعالى وَ لا تَركَنُوا إِلَى الّذِينَ -قرآن-۹۱-۱۳۲-قرآن-۲۳۱-۲۷۸-قرآن-۵۵۵-۵۸۴ وصدق قوله ع

الناكثين كونهم نكثوا البيعة بادئ بدء و قد كان ع يتلو وقت مبايعتهم له فَمَن نَكَثَ فَإِنّما يَنكَثُ عَلى نَفسِهِ. و أماأصحاب صفين فإنهم عندأصحابنا رحمهم الله مخلدون فی النار لفسقهم فصح فيهم قوله تعالی وَ أَمّا القاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنّمَ حَطَباً. و قوله ع حليت الدنيا فی أعينهم تقول حلا الشیء فی فمی يحلو وحلی لعينی يحلی والزبرج الزينة من وشی أوغيره ويقال الزبرج الذهب .فأما الآية فنحن نذكر بعض ما فيهافنقول إنه تعالی لم يعلق الوعد بترك العلو فی الأرض والفساد ولكن بترك إرادتهما و هوكقوله تعالی وَ لا تَركَنُوا إِلَی الّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسّكُمُ النّارُعلق الوعيد بالركون إليهم والميل معهم و هذاشديد فی الوعيد. -قرآن-١-٣٠ ويروی عن أمير المؤمنين ع أنه قال إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أحسن من شراك نعل صاحبه -روايت-١-٢-روايت-٤٢-١٠٩ فيدخل تحت هذه الآية ويقال إن عمر بن عبدالعزيز كان يرددها حتی قبض أَمَا وَ الّذِی فَلَقَ الحَبّةَ وَ بَرَأَ النّسَمَةَ لَو لَا حُضُورُ الحَاضِرِ وَ قِيَامُ الحُجّةِ بِوُجُودِ النّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ اللّهُ عَلَی العُلَمَاءِ أَلّا يُقَارّوا عَلَی كِظّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظلُومٍ لَأَلقَيتُ حَبلَهَا عَلَی غَارِبِهَا وَ لَسَقَيتُ آخِرَهَا بِكَأسِ أَوّلِهَا وَ لَأَلفَيتُم دُنيَاكُم هَذِهِ أَزهَدَ عِندِی مِن عَفطَةِ عَنزٍ فلق الحبة من قوله تعالی فالِقُ الحَبّ وَ النّوی والنسمة كل ذی روح من البشر خاصة. قوله لو لاحضور الحاضر يمكن أن يريد به لو لاحضور البيعة فإنها بعدعقدها تتعين المحاماة عنها ويمكن أن يريد بالحاضر من حضره من الجيش الذين يستعين بهم علی الحرب والكظة بكسر الكاف مايعتری الإنسان من الثقل والكرب عندالامتلاء من الطعام والسغب الجوع وقولهم قدألقی فلان حبل فلان علی غاربه -قرآن-٢٨-٥٠ [صفحه ٢٠٣] أی تركه هملا يسرح حيث يشاء من غيروازع و لامانع والفقهاء يذكرون هذه اللفظة فی كنايات الطلاق وعفطة عنز ماتنثره من أنفها عفطت تعفط بالكسر وأكثر مايستعمل ذلك فی النعجة فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيهاالنفطة بالنون ويقولون ما له عافط و لانافط أی نعجة و لاعنز فإن قيل أيجوز أن يقال العفطة هاهنا الحبقة فإن ذلك يقال فی العنز خاصة عفطت تعفط قيل ذلك جائز إلا أن الأحسن والأليق بكلام أمير المؤمنين ع التفسير الأول فإن جلالته وسؤدده تقتضی أن يكون ذاك أراد لاالثانی فإن صح أنه لايقال فی العطسة عفطة إلاللنعجة قلنا إنه استعمله فی العنز مجازا. يقول ع لو لاوجود من ينصرنی لا كماكانت الحال عليها أولا بعدوفاة رسول الله ص فإنی لم أكن حينئذ واجدا للناصر مع كونی مكلفا إلاأمكن الظالم من ظلمه لتركت الخلافة ولرفضتها الآن كمارفضتها قبل ولوجدتم هذه الدنيا عندی أهون من عطسة عنز و هذاإشارة إلی مايقوله أصحابنا من وجوب النهی عن المنكر عندالتمكن قَالُوا وَ قَامَ إِلَيهِ رَجُلٌ مِن أَهلِ السّوَادِ عِندَ بُلُوغِهِ إِلَی هَذَا المَوضِعِ مِن خُطبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَاباً فَأَقبَلَ يَنظُرُ فِيهِ فَلَمّا فَرَغَ مِن قِرَاءَتِهِ قَالَ لَهُ ابنُ عَبّاسٍ رضَیِ اللّهُ عَنهُمَا يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ لَو اطّرَدَت مَقَالَتُكَ مِن حَيثُ أَفضَيتَ فَقَالَ هَيهَاتَ يَا ابنَ عَبّاسٍ تِلكَ شِقشِقَةٌ هَدَرَت ثُمّ قَرّت قَالَ ابنُ عَبّاسٍ فَوَاللّهِ مَا أَسَفتُ عَلَی كَلَامٍ قَطّ كَأَسَفِی عَلَی هَذَا الكَلَامِ أَلّا يَكُونَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ بَلَغَ مِنهُ حَيثُ أَرَادَ [صفحه ٢٠٤] قوله عليه السلام فی هذه الخطبة كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحم يريد أنه إذاشدد عليها فی جذب الزمام وهی تنازعه رأسها خرم أنفها و إن أرخی لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها يقال أشنق الناقة إذاجذب رأسها بالزمام فرفعه وشنقها أيضا ذكر ذلك ابن السكيت فی إصلاح المنطق وإنما قال ع أشنق لها و لم يقل أشنقها لأنه جعله فی مقابلة قوله أسلس لها فكأنه قال إن رفع لها رأسها بالزمام يعنی أمسكه عليها و فی الحديث أن رسول الله ص خطب علی ناقة و قدشنق لها فهی تقصع بجرتها و من الشاهد علی أن أشنق بمعنی شنق قول عدی بن زيد العبادی -روايت-١-٥٨٧ ساءها مالها تبين فی الأيدی || وإشناقها إلی الأعناق سمی السواد سوادا لخضرته بالزروع والأشجار والنخل والعرب تسمی الأخضر أسود قال سبحانه مُدهامّتانِيريد الخضرة و قوله لواطردت مقالتك أی أتبعت الأول قولا ثانيا من قولهم اطرد النهر إذاتتابع جريه . و قوله من حيث أفضيت أصل أفضی خرج إلی الفضاء فكأنه شبهه ع حيث سكت عما كان يقوله بمن خرج من خباء أوجدار إلی فضاء من الأرض و ذلك لأن النفس والقوی والهمة عندارتجال الخطب والأشعار تجتمع إلی القلب فإذاقطع الإنسان وفرغ تفرقت وخرجت عن حجر الاجتماع واستراحت -

قرآن-۹۰-۱۰۰ [صفحه ۲۰۵] والشقشقة بالكسر فيهما شىءيخرجه البعير من فيه إذاهاج و إذاقالوا للخطيب ذو شقشقة فإنما شبهوه بالفحل والهدير صوتها. و أماقول ابن عباس ماأسفت على كلام إلى آخره فحدثنى شيخى أبوالخير مصدق بن شبيب الواسطى فى سنة ثلاث وستمائة قال قرأت على الشيخ أبى محمد عبد الله بن أحمدالمعروف بابن الخشاب هذه الخطبة فلما انتهيت إلى هذاالموضع قال لى لوسمعت ابن عباس يقول هذاالقلت له وهل بقى فى نفس ابن عمك أمر لم يبلغه فى هذه الخطبة لتتأسف ألا يكون بلغ من كلامه ماأراد و الله مارجع عن الأولين و لا عن الآخرين و لابقى فى نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله ص . قال مصدق و كان ابن الخشاب صاحب دعابة وهزل قال فقلت له أتقول إنها منحولة فقال لا و الله وإنى لأعلم أنها كلامه كماأعلم أنك مصدق قال فقلت له إن كثيرا من الناس يقولون إنها من كلام الرضى رحمه الله تعالى فقال أنى للرضى ولغير الرضى هذاالنفس و هذاالأسلوب قدوقفنا على رسائل الرضى وعرفنا طريقته وفنه فى الكلام المنثور و مايقع مع هذاالكلام فى خل و لاخمر ثم قال و الله لقد وقفت على هذه الخطبة فى كتب صنفت قبل أن يخلق الرضى بمائتى سنة ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها وأعرف خطوط من هو من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النقيب أبو أحمدوالد الرضى. قلت و قدوجدت أناكثيرا من هذه الخطبة فى تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخى [صفحه ۲۰۶] إمام البغداديين من المعتزلة و كان فى دولة المقتدر قبل أن يخلق الرضى بمدة طويلة ووجدت أيضا كثيرا منها فى كتاب أبى جعفر بن قبة أحد متكلمى الإمامية و هوالكتاب المشهور المعروف بكتاب الإنصاف و كان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبى القاسم البلخى رحمه الله تعالى ومات فى ذلك العصر قبل أن يكون الرضى رحمه الله تعالى موجودا [صفحه ۲۰۷]

۴- و من خطبة له ع

بِنَا اهتَدَيتُم فِي الظّلمَاءِ وَ تَسَنّمتُمُ العَليَاءَ وَ بِنَا انفَجَرتُم عَنِ السّرَارِ وُقِرَ سَمعٌ لَم يَفقَهِ الوَاعِيَةَ وَ كَيفَ يرُاَعيِ النّبأَةَ مَن أَصَمّتهُ الصّيحَةُ رُبِطَ جَنَانٌ لَم يُفَارِقهُ الخَفَقَانُ مَا زِلتُ أَنتَظِرُ بِكُم عَوَاقِبَ الغَدرِ وَ أَتَوَسّمُكُم بِحِليَةِ المُغتَرّينَ سَتَرَنيِ عَنكُم جِلبَابُ الدّينِ وَ بَصّرَنِيكُم صِدقُ النّيّةِ أَقَمتُ لَكُم عَلَى سَنَنِ الحَقّ فِي جَوَادّ المَضَلّةِ حَيثُ تَلتَقُونَ وَ لَا دَلِيلَ وَ تَحتَفِرُونَ وَ لَا تُمِيهُونَ اليَومَ أُنطِقُ لَكُمُ العَجمَاءَ ذَاتَ البَيَانِ عَزَبَ رأَيُ امرِئٍ تَخَلّفَ عنَيّ مَا شَكَكتُ فِي الحَقّ مُذ أُرِيتُهُ لَم يُوجِس مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفسِهِ أَشفَقَ مِن غَلَبَةِ الجُهّالِ وَ دُوَلِ الضّلَالِ اليَومَ تَوَاقَفنَا عَلَى سَبِيلِ الحَقّ وَ البَاطِلِ مَن وَثِقَ بِمَاءٍ لَم يَظمَأ [صفحه ۲۰۸] هذه الكلمات والأمثال ملتقطة من خطبة طويلة منسوبة إليه ع قدزاد فيهاقوم أشياء حملتهم عليها أهواؤهم لاتوافق ألفاظها طريقته ع فى الخطب و لاتناسب فصاحتها فصاحته و لاحاجة إلى ذكرها فهى شهيرة ونحن نشرح هذه الألفاظ لأنها كلامه ع لايشك فى ذلك من له ذوق ونقد ومعرفة بمذاهب الخطباء والفصحاء فى خطبهم ورسائلهم ولأن الرواية لها كثيرة ولأن الرضى رحمة الله تعالى عليه قدالتقطها ونسبها إليه ع وصححها وحذف ماعداها. و أما قوله ع بنا اهتديتم فى الظلماء فيعنى بالظلماء الجهالة وتسنمتم العلياء ركبتم سنامها و هذه استعارة. قوله وبنا انفجرتم عن السرار أى دخلتم فى الفجر والسرار الليلة والليلتان يستتر فيهما القمر فى آخر الشهر فلايظهر وروى أفجرتم و هوأفصح وأصح لأن انفعل لا يكون إلامطاوع فعل نحو كسرته فانكسر وحطمته فانحطم إلا ماشذ من قولهم أغلقت الباب فانغلق وأزعجته فانزعج وأيضا فإنه لايقع إلاحيث يكون علاج وتأثير نحو انكسر وانحطم ولهذا قالوا إن قولهم انعدم خطأ و أماأفعل فيجىء لصيرورة الشىء على حال وأمر نحو أغد البعير أى صار ذا غدة وأجرب الرجل إذاصار ذا إبل جربى و غير ذلك فأفجرتم أى صرتم ذوى فجر. و أما عن فى قوله عن السرار فهى للمجاوزة على حقيقة معناها الأصلى أى منتقلين عن السرار ومتجاوزين له . و قوله ع وقر سمع هذادعاء على السمع ألذى لم يفقه الواعية بالثقل والصمم وقرت أذن زيد

بضم الواو فهی موقورة والوقر بالفتح الثقل فی الأذن [صفحه ۲۰۹] وقرت أذنه بفتح الواو وكسر القاف توقر وقرا أی صمت والمصدر فی هذاالموضع جاء بالسكون و هوشاذ وقیاسه التحریك بالفتح نحو ورم ورما والواعیة الصارخة من الوعاء و هوالجلبة والأصوات والمراد العبر والمواعظ. قوله كیف یراعی النبأة هذامثل آخر یقول كیف یلاحظ ویراعی العبر الضعیفة من لم ینتفع بالعبر الجلیة الظاهرة بل فسد عندها وشبه ذلك بمن أصمته الصیحة القویة فإنه محال أن یراعی بعد ذلك الصوت الضعیف والنبأة هی الصوت الخفی. فإن قیل هذایخالف قولكم إن الاستفساد لایجوز علی الحكیم سبحانه فإن كلامه ع صریح فی أن بعض المكلفین یفسد عندالعبر والمواعظ.قیل إن لفظة أفعل قدتأتی لوجود الشیء علی صفة نحو أحمدته إذاأصبته محمودا وقالوا أحییت الأرض إذاوجدتها حیة النبات فقوله أصمته الصیحة لیس معناه أن الصیحة كانت علة لصممه بل معناه صادفته أصم وبهذا تأول أصحابنا قوله تعالی وَ أَضَلّهُ اللّهُ عَلی عِلمٍ. قوله ربط جنان لم یفارقه الخفقان هذامثل آخر و هودعاء لقلب لایزال خائفا من الله یخفق بالثبوت والاستمساك . قوله مازلت أنتظر بكم یقول كنت مترقبا غدركم متفرسا فیكم الغرر و هوالغفلة. وقیل إن هذه الخطبة خطبها بعدمقتل طلحة والزبیر مخاطبا بهالهما ولغیرهما من أمثالهما كما قال النبی ص یوم بدر بعدقتل من قتل من قریش یاعتبة بن ربیعة -قرآن-۸۰۸-۸۳۶ [صفحه ۲۱۰] یاشیبة بن ربیعة یاعمرو بن هشام وهم جیف منتنة قدجروا إلی القلیب . قوله سترنی عنكم هذایحتمل وجوها أوضحها أن إظهاركم شعار الإسلام عصمكم منی مع علمی بنفاقكم وإنما أبصرت نفاقكم وبواطنكم الخبیثة بصدق نیتی كمایقال المؤمن یبصر بنور الله ویحتمل أن یرید سترنی عنكم جلباب دینی ومنعنی أن أعرفكم نفسی و ماأقدر علیه من عسفكم كماتقول لمن استهان بحقك أنت لاتعرفنی و لوشئت لعرفتك نفسی. وفسر القطب الراوندی قوله ع وبصرنیكم صدق النیة قال معناه أنكم إذاصدقتم نیاتكم ونظرتم بأعین لم تطرف بالحسد والغش وأنصفتمونی أبصرتم عظیم منزلتی. و هذا لیس بجید لأنه لو كان هوالمراد لقال وبصركم إیای صدق النیة و لم یقل ذلك وإنما قال بصرنیكم فجعل صدق النیة مبصرا له لالهم وأیضا فإنه حكم بأن صدق النیة هوعلة التبصیر وأعداؤه لم یكن فیهم صادق النیة وظاهر الكلام الحكم والقطع لاالتعلیق بالشرط. قوله أقمت لكم علی سنن الحق یقال تنح عن سنن الطریق وسنن الطریق بفتح السین وضمها فالأول مفرد والثانی جمع سنة وهی جادة الطریق والواضح منها وأرض مضلة ومضلة بفتح الضاد وكسرها یضل سالكها وأماه المحتفر یمیه أنبط الماء یقول فعلت من إرشادكم وأمركم بالمعروف ونهیكم عن المنكر مایجب علی مثلی فوقفت لكم علی جادة الحق ومنهجه حیث طرق الضلال كثیرة مختلفة من سائر جهاتی وأنتم تائهون فیهاتلتقون و لادلیل لكم وتحتفرون لتجدوا ماء تنقعون به غلتكم فلاتظفرون بالماء و هذه كلها استعارات . [صفحه ۲۱۱] قوله الیوم أنطق هذامثل آخر والعجماء التی لانطق لها و هذاإشارة إلی الرموز التی تتضمنها هذه الخطبة یقول هی خفیة غامضة وهی مع غموضها جلیة لأولی الألباب فكأنها تنطق كماینطق ذوو الألسنة كماقیل ماالأمور الصامتة الناطقة فقیل الدلائل المخبرة والعبر الواعظة و فی الأثر سل الأرض من شق أنهارك وأخرج ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا. قوله عزب رأی امرئ تخلف عنی هذاكلام آخر عزب أی بعد والعازب البعید ویحتمل أن یكون هذاالكلام إخبارا و أن یكون دعاء كما أن قوله تعالی حَصِرَت صُدُورُهُمیحتمل الأمرین . قوله ماشككت فی الحق مذ رأیته هذاكلام آخر یقول معارفی ثابتة لایتطرق إلیها الشك والشبهة. قوله لم یوجس موسی هذاكلام شریف جدا یقول إن موسی لماأوجس الخیفة بدلالة قوله تعالی فَأَوجَسَ فِی نَفسِهِ خِیفَةً مُوسی لم یكن ذلك الخوف علی نفسه وإنما خاف من الفتنة والشبهة الداخلة علی المكلفین عندإلقاء السحرة عصیهم فخیل إلیه من سحرهم أنها تسعی وكذلك أنا لاأخاف علی نفسی من الأعداء الذین نصبوا لی الحبائل وأرصدوا لی المكاید وسعروا علی نیران الحرب وإنما أخاف أن یفتتن المكلفون بشبههم وتمویهاتهم فتقوی دولة الضلال وتغلب كلمة الجهال . قوله الیوم تواقفنا القاف قبل الفاء تواقف القوم علی الطریق أی وقفوا كلهم علیها یقول الیوم اتضح الحق والباطل وعرفناهما نحن وأنتم . قوله من وثق بماء لم یظمأ الظمأ الذی

یکون عندعدم الثقهٔ بالماء و لیس -قرآن-۵۰۰-۵۱۷-قرآن-۷۲۱-۷۵۵ [صفحه ۲۱۲] یرید النفی المطلق لأن الواثق بالماء قدیظمأ ولکن لا یکون عطشه علی حد العطش الکائن عندعدم الماء وعدم الوثوق بوجوده و هذاکقول أبی الطیب و ماصبابهٔ مشتاق علی أمل || من اللقاء کمشتاق بلا أمل . والصائم فی شهر رمضان یصبح جائعا تنازعه نفسه إلی الغذاء و فی أیام الفطر لایجد تلک المنازعهٔ فی مثل ذلک الوقت لأن الصائم ممنوع والنفس تحرص علی طلب مامنعت منه یقول إن وثقتم بی وسکنتم إلی قولی کنتم أبعد عن الضلال وأقرب إلی الیقین وثلج النفس کمن وثق بأن الماء فی إداوته یکون عن الظمأ وخوف الهلاک من العطش أبعد ممن لم یثق بذلک [صفحه ۲۱۳]

۵- و من کلام له ع لماقبض رسول الله ص وخاطبه العباس و أبوسفیان بن حرب فی أن یبایعا له بالخلافهٔ

اشاره

أَیّهَا النّاسُ شُقّوا أَموَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النّجَاةِ وَ عَرّجُوا عَن طَرِیقِ المُنَافَرَةِ وَ ضَعُوا تِیجَانَ المُفَاخَرَةِ أَفلَحَ مَن نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ استَسلَمَ فَأَرَاحَ مَاءٌ آجِنٌ وَ لُقمَةٌ یَغَصّ بِهَا آکِلُهَا وَ مُجتَنِی الثّمَرَةِ لِغَیرِ وَقتِ إِینَاعِهَا کَالزّارِعِ بِغَیرِ أَرضِهِ فَإِن أَقُل یَقُولُوا حَرَصَ عَلَی المُلکِ وَ إِن أَسکُت یَقُولُوا جَزِعَ مِنَ المَوتِ هَیهَاتَ بَعدَ اللّتَیّا وَ التّیِ وَ اللّهِ لَابنُ أَبِی طَالِبٍ آنَسُ بِالمَوتِ مِنَ الطّفلِ بِثَدیِ أُمّهِ بَلِ اندَمَجتُ عَلَی مَکنُونِ عِلمٍ لَو بُحتُ بِهِ لَاضطَرَبتُم اضطِرَابَ الأَرشِیَةِ فِی الطوّیِّ البَعِیدَةِ المفاخرهٔ أن یذکر کل واحد من الرجلین مفاخره وفضائله وقدیمه ثم یتحاکما إلی ثالث والماء الآجن المتغیر الفاسد أجن الماء بفتح الجیم یأجن ویأجن بالکسر والضم والإیناع إدراک الثمرهٔ واللتیا تصغیر التی کما أن اللذیا تصغیر ألذی واندمجت انطویت والطوی البئر المطویهٔ بالحجارهٔ یقول تخلصوا عن الفتنهٔ وانجوا منها بالمتارکهٔ والمسالمهٔ والعدول عن المنافرهٔ والمفاخرهٔ. [صفحه ۲۱۴] أفلح من نهض بجناح أی مات شبه المیت المفارق للدنیا بطائر نهض عن الأرض بجناحه ویحتمل أن یرید بذلک أفلح من اعتزل هذاالعالم وساح فی الأرض منقطعا عن تکالیف الدنیا ویحتمل أیضا أن یرید أفلح من نهض فی طلب الرئاسهٔ بناصر ینصره وأعوان یجاهدون بین یدیه و علی التقادیر کلها تنطبق اللفظهٔ الثانیهٔ وهی قوله أواستسلم فأراح أی أراح نفسه باستسلامه . ثم قال الإمرهٔ علی الناس وخیمهٔ العاقبهٔ ذات مشقهٔ فی العاجلهٔ فهی فی عاجلها کالماء الآجن یجد شاربه مشقهٔ و فی آجلها کاللقمهٔ التی تحدث عن أکلها الغصهٔ ویغص مفتوح حرف المضارعهٔ ومفتوح الغین أصله غصصت بالکسر ویحتمل أن یکون الأمران معا للعاجلهٔ لأن الغصص فی أول البلع کما أن ألم شرب الماء الآجن یحدث فی أول الشرب ویجوز ألا یکون عنی الإمرهٔ المطلقهٔ بل هی الإمرهٔ المخصوصهٔ یعنی بیعهٔ السقیفهٔ. ثم أخذ فی الاعتذار عن الإمساک وترک المنازعهٔ فقال مجتنی الثمرهٔ قبل أن تدرک لاینتفع بما اجتناه کمن زرع فی غیرأرضه و لاینتفع بذلک الزرع یرید أنه لیس هذاالوقت هوالوقت ألذی یسوغ لی فیه طلب الأمر و أنه لم یأن بعد. ثم قال قدحصلت بین حالین إن قلت قال الناس حرص علی الملک و إن لم أقل قالوا جزع من الموت . قال هیهات استبعادا لظنهم فیه الجزع ثم قال اللتیا والتی أی أ بعداللتیا والتی أجزع أ بعد أن قاسیت الأهوال الکبار والصغار ومنیت بکل داهیهٔ عظیمهٔ وصغیرهٔ فاللتیا للصغیرهٔ والتی للکبیرهٔ. [صفحه ۲۱۵] ذکر أن أنسه بالموت کأنس الطفل بثدی أمه و أنه انطوی علی علم هوممتنع لموجبه من المنازعهٔ و أن ذلک العلم لایباح به و لوباح به لاضطرب سامعوه کاضطراب الأرشیهٔ وهی الحبال فی البئر البعیدهٔ القعر و هذاإشارهٔ إلی الوصیهٔ التی خص بها ع إنه قد کان من جملتها الأمر بترک النزاع فی مبدأ الاختلاف علیه

استطراد بذكر طائفة من الاستعارات

واعلم أن أحسن الاستعارات ماتضمن مناسبة بين المستعار والمستعار منه كهذه الاستعارات فإن قوله ع شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة من هذاالنوع و ذلك لأن الفتن قدتتضاعف وتترادف فحسن تشبيهها بأمواج البحر المضطربة و لماكانت السفن الحقيقية تنجي من أمواج البحر حسن أن يستعار لفظ السفن لماينجي من الفتن وكذلك قوله وضعوا تيجان المفاخرة لأن التاج لما كان مما يعظم به قدر الإنسان استعارة لمايتعظم به الإنسان من الافتخار وذكر القديم وكذلك استعارة النهوض بالجناح لمن اعتزل الناس كأنه لمانفض يديه عنهم صار كالطائر ألذى ينهض من الأرض بجناحيه . و في الاستعارات ما هوخارج عن هذاالنوع و هومستقبح و ذلك كقول أبي نواس بح صوت المال مما || منك يبكي وينوح . وكذلك قوله مالرجل المال أضحت || تشتكي منك الكلالا . [صفحه ٢١٦] وقول أبي تمام وكم أحرزت منكم على قبح قدها || صروف النوى من مرهف حسن القد . وكقوله بلوناك أماكعب عرضك في العلا || فعال ولكن خد مالك أسفل .فإنه لامناسبة بين الرجل والمال و لا بين الصوت والمال و لامعنى لتصييره للنوى قدا و لاللعرض كعبا و لالمال خدا. وقريب منه أيضا قوله لاتسقني ماء الملام فإنني || صب قداستعذبت ماء بكائي . ويقال إن مخلدا الموصلي بعث إليه بقارورة يسأله أن يبعث له فيهاقليلا من ماء الملام فقال لصاحبه قل له يبعث إلي بريشة من جناح الذل لأستخرج بها من القارورة ماأبعثه إليه . و هذاظلم من أبي تمام المخلد و ماالأمران سوء لأن الطائر إذاأعيا وتعب ذل وخفض جناحيه وكذلك الإنسان إذااستسلم ألقى بيديه ذلا ويده جناحه فذاك هو ألذى حسن قوله تعالى وَ اخفِض لَهُما جَناحَ الذّلّ أ لاترى أنه لو قال واخفض لهما ساق الذل أوبطن الذل لم يكن مستحسنا. و من الاستعارة المستحسنة في الكلام المنثور مااختاره قدامة بن جعفر في كتاب الخراج نحو قول أبي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة في جوابه لأبي الجيش خمارويه -قرآن-٣٦٤-٣٩٢ [صفحه ٢١٧] بن أحمد بن طولون عن المعتضد بالله لماكتب بإنفاذ ابنته قطر الندى التي تزوجها المعتضد و ذلك قول ابن ثوابة هذا و أماالوديعة فهي بمنزلة ماانتقل من شمالك إلى يمينك عناية بها وحياطة لها ورعاية لمودتك فيها. و قال ابن ثوابة لماكتب هذاالكتاب لأبي القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد و الله إن تسميتي إياها بالوديعة نصف البلاغة. وذكر أحمد بن يوسف الكاتب رجلا خلا بالمأمون فقال مازال يفتله في الذروة والغارب حتى لفته عن رأيه . و قال إسحاق بن ابراهيم الموصلي النبيذ قيد الحديث . وذكر بعضهم رجلا فذمه فقال هوأملس ليس فيه مستقر لخير و لاشر. ورضي بعض الرؤساء عن رجل من موجدة ثم أقبل يوبخه عليها فقال إن رأيت ألا تخدش وجه رضاك بالتوبيخ فافعل . و قال بعض الأعراب خرجنا في ليلة حندس قدألقت على الأرض أكارعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف إلابالآذان . وغزت حنيفة نميرا فأتبعتهم نمير فأتوا عليهم فقيل لرجل منهم كيف صنع قومك قال اتبعوهم و الله و قدأحقبوا كل جمالية خيفانة فما زالوا يخصفون آثار المطي بحوافر الخيل حتى لحقوهم فجعلوا المران أرشية الموت فاستقوا بهاأرواحهم . و من كلام لعبد الله بن المعتز يصف القلم يخدم الإرادة و لايمل الاستزادة [صفحه ٢١٨] ويسكت واقفا وينطق سائرا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء .فأما القطب الراوندي فقال قوله ع شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة معناه كونوا مع أهل البيت لأنهم سفن النجاة لقوله ع مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق -روايت-١-٢-روايت-١٢-٧٣ . ولقائل أن يقول لاشبهة أن أهل البيت سفن النجاة ولكنهم لم يرادوا هاهنا بهذه اللفظة لأنه لو كان ذلك هوالمراد لكان قدأمر أباسفيان والعباس بالكون مع أهل البيت ومراده الآن ينقض ذلك لأنه يأمر بالتقية وإظهار اتباع الذين عقد لهم الأمر ويرى أن الاستسلام هوالمتعين فالذي ظنه الراوندي لايحتمله الكلام و لايناسبه . و قال أيضا التعريج على الشيء الإقامة عليه يقال عرج فلان على المنزل إذاحبس نفسه عليه فالتقدير عرجوا على الاستقامة منصرفين عن المنافرة. ولقائل أن يقال التعريج يعدى

تـارة بعن وتـارة بعلى فإذاعـديته بعن أردت التجنب والرفض و إذاعـديته بعلى أردت المقام والوقوف وكلامه ع معـدى بعن قال وعرجوا عن طريق المنافرة. و قال أيضا آنس بالموت أى أسر به و ليس بتفسير صحيح بل هو من الأنس ضد الوحشة

اختلاف الرأى فى الخلافة بعدوفاة رسول الله

لماقبض رسول الله ص واشتغل علي ع بغسله ودفنه وبويع أبوبكر خلا الزبير و أبوسفيان وجماعة من المهاجرين بعباس و علي ع [صفحه ۲۱۹] لإجالة الرأى وتكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض والتهييج فقال العباس رضى الله عنه قدسمعنا قولكم فلالقلة نستعين بكم و لالظنـة نترك آراءكم فأمهلونـا نراجع الفكر فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصـر بنا وبهم الحق صـرير الجدجـد ونبسط إلى المجـد أكفا لانقبضـها أونبلغ المـدى و إن تكن الأخرى فلالقلـة فى العـدد و لالوهن فى الأيد و الله لو لا أن الإسـلام قيد الفتك لتدكـدكت جنادل صـخر يسـمع اصـطكاكها من المحل العلى.فحل علي ع حبوته و قال الصبر حلم والتقوى دين والحجة محمد والطريق الصـراط أيها الناس شـقوا أمواج الفتن ... الخطبة ثم نهض فدخل إلى منزله وافترق القوم . و قال البراء بن عازب لم أزل لبنى هاشم محبا فلما قبض رسول الله ص خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذاالأمر عنهم فأخذنى مايأخذ الوالهة العجول مع ما فى نفسـى من الحزن لوفـاة رسول الله ص فكنت أتردد إلى بنى هاشم وهم عنـد النبى ص فى الحجرة وأتفقـد وجوه قريش فإنى كـذلك إذ فقـدت أبابكر وعمر و إذاقائل يقول القوم فى سـقيفة بنى ساعـدة و إذاقائل آخر يقول قـدبويع أبوبكر فلم ألبث و إذا أنابأبى بكر قدأقبل ومعه عمر و أبوعبيدة وجماعة من أصـحاب السـقيفة وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لايمرون بأحد إلاخبطوه وقدموه فمدوا يده فمسـحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أوأبى فأنكرت عقلي وخرجت أشـتد حتى انتهيت إلى بنى هاشم والباب مغلق فضـربت عليهم الباب ضـربا عنيفا و قلت قـدبايع الناس لأبى بكر بن أبى قحافة فقال العباس تربت أيديكم إلى آخر الدهر أماإنى قدأمرتكم فعصـيتمونى فمكثت أكابد ما فى نفسى ورأيت [صفحه ۲۲۰] فى الليل المقداد وسـلمان و أباذر وعبادة بن الصامت و أباالهيثم بن التيهان وحذيفـة وعمارا وهم يريـدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين . وبلغ ذلك أبابكر وعمر فأرسـلا إلى أبى عبيدة و إلى المغيرة بن شـعبة فسألاهما عن الرأى فقال المغيرة الرأى أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده فى هذه الإمرة نصـيبا ليقطعوا بـذلك ناحية على بن أبى طالب .فانطلق أبوبكر وعمر و أبوعبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس و ذلك فى الليلة الثانية من وفاة رسول الله ص فحمد أبوبكر الله وأثنى عليه و قال إن الله ابتعث لكم محمداص نبيا وللمؤمنين وليا فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم حـتى اختـار له ماعنـده فخلى على النـاس أمورهم ليختـاروا لأنفسـهم متفقين غيرمختلفين فاختـارونى عليهم واليا ولأمورهم راعيا فتوليت ذلك و ماأخاف بعون الله وتسديـده وهنا و لاحيرة و لاجبنا و ماتوفيقى إلابالله عليه توكلت و إليه أنيب و ماأنفك يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامـة المسـلمين يتخذكم لجأ فتكونون حصـنه المنيع وخطبه البديع فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس أوصـرفتموهم عما مالوا إليه فقـد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذاالأمر نصـيبا ولمن بعدك من عقبك إذ كنت عم رسول الله ص و إن كان المسـلمون قدرأوا مكانك من رسول الله ص ومكان أهلك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم و على رسـلكم بنى هـاشم فـإن رسـول الله ص منـا ومنكم .فـاعترض كلامـه عمر وخرج إلى مـذهبه فى الخشونـة والوعيد وإتيـان الأـمر من أصـعب جهـاته فقال إى و الله وأخرى إنا لم نأتكم حاجـة إليكم ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسـلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسـكم ولعامتهم ثم سكت . [صفحه ۲۲۱] فتكلم العباس فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال إن الله ابتعث محمـدا نبيـا كماوصـفت ووليـا للمؤمنين فمن الله به على أمته حتى اختـار له ماعنـده فخلى النـاس على أمرهم ليختـاروا لأنفسـهم مصـيبين للحق مـائلين عن زيغ الهوى فـإن كنت برسول الله طلبت فحقنـا أخـذت و إن كنت بالمؤمنين

فنحن منهم ماتقدمنا فی أمركم فرطا و لاحللنا وسطا و لانزحنا شحطا فإن كان هذاالأمر يجب لک بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين و ماأبعد قولک إنهم طعنوا من قولک إنهم مالوا إليک و أما مابذلت لنا فإن يكن حقک أعطيتناه فأمسكه عليک و إن يكن حق المؤمنين فليس لک أن تحكم فيه و إن يكن حقنا لم نرض لک ببعضه دون بعض و ماأقول هذاأروم صرفک عما دخلت فيه ولكن للحجة نصيبها من البيان و أماقولک إن رسول الله ص منا ومنكم فإن رسول الله ص من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها و أماقولک ياعمر إنک تخاف الناس علينا فهذا ألذی قدمتموه أول ذلک وبالله المستعان . لمااجتمع المهاجرون على بيعة أبی بكر أقبل أبوسفيان و هو يقول أما و الله إنی لأرى عجاجة لايطفئها إلاالدم يالعبد مناف فيم أبوبكر من أمركم أين المستضعفان أين الأذلان يعنی عليا والعباس مابال هذاالأمر فی أقل حی من قريش ثم قال لعلی ابسط يدک أبايعک فو الله إن شئت لأملأنها على أبی فصيل ... خيلا ورجلا فامتنع عليه علی ع فلما يئس منه قام عنه و هوينشد شعر المتلمس [صفحه ۲۲۲] و لايقيم على ضيم يراد به || إلاالأذلان عير الحی والوتد هذا على الخسف مربوط برمته || وذا يشج فلايرثی له أحد .قيل لأبی قحافة يوم ولی الأمر ابنه قدولی ابنک الخلافة فقرأقُلِ أللّهُمّ مالِکَ المُلکِ تؤُتيِ المُلکَ مَن تَشاءُ وَ تَنزِعُ المُلکَ مِمّن تَشاءُ ثم قال لم ولوه قالوا لسنه قال أناأسن منه .نازع أبوسفيان أبابكر فی أمر فأغلظ له أبوبكر فقال له أبوقحافة يابنی أتقول هذالأبی سفيان شيخ البطحاء قال إن الله تعالى رفع بالإسلام بيوتا ووضع بيوتا فكان مما رفع بيتک ياأبت ومما وضع بيت أبی سفيان - قرآن-۶۵-۱۵۱ [صفحه ۲۲۳]

۶- و من كلام له لماأشير عليه بألا يتبع طلحة والزبير و لايرصد لهما القتال

اشاره

وَ اللّهِ لَا أَكُونُ كَالضّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللّدمِ حَتّى يَصِلَ إِلَيهَا طَالِبُهَا وَ يَختِلَهَا رَاصِدُهَا وَ لكَنِيّ أَضرِبُ بِالمُقبِلِ إِلَى الحَقّ المُدبِرَ عَنهُ وَ بِالسّامِعِ المُطِيعِ العَاصِيَ المُرِيبَ أَبَداً حَتّى يأَتيَِ عَلَيّ يوَمیِ فَوَاللّهِ مَا زِلتُ مَدفُوعاً عَن حقَيّ مُستَأثَراً عَلَيّ مُنذُ قَبَضَ اللّهُ نَبِيّهُ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ حَتّى يَومِ النّاسِ هَذَا يقال أرصد له بشر أی أعد له وهيأه و فی الحديث إلا أن أرصده لدين علی واللدم صوت الحجر أوالعصا أوغيرهما تضرب به الأرض ضربا ليس بشديد. و لماشرح الراوندی هذه اللفظات قال و فی الحديث و الله لاأكون مثل الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد و قد كان سامحه الله وقت تصنيفه الشرح ينظر فی صحاح الجوهری وينقل منها فنقل هذاالحديث ظنا منه أنه حديث عن رسول الله ص و ليس كماظن بل الحديث ألذی أشار إليه الجوهری هوحديث علی ع ألذی نحن بصدد تفسيره . ويختلها راصدها يخدعها مترقبها ختلت فلانا خدعته ورصدته ترقبته ومستأثرا على أی مستبدا دونی بالأمر والاسم الأثرة و فی الحديث أنه ص -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-ادامه دارد [صفحه ۲۲۴] قال للأنصار ستلقون بعدی أثرة فإذا كان ذلک فاصبروا حتى تردوا على الحوض -روايت-از قبل-۷۷ . والعرب تقول فی رموزها وأمثالها أحمق من الضبع ويزعمون أن الصائد يدخل عليها وجارها فيقول لها أطرقی أم طريق خامری أم عامر ويكرر ذلک عليها مرارا معنى أطرقی أم طريق طأطئی رأسک وكناها أم طريق لكثرة إطراقها على فعيل كالقبيط للناطف والعليق لنبت ومعنى خامری الزمی وجارک واستتری فيه خامر الرجل منزله إذالزمه قالوا فتلجأ إلى أقصى مغارها وتتقبض فيقول أم عامر ليست فی وجارها أم عامر نائمة فتمد يديها ورجليها وتستلقی فيدخل عليها فيوثقها و هو يقول لها أبشری أم عامر بكم الرجال أبشری أم عامر بشاء هزلی وجراد عظلی أی يركب بعضه بعضا فتشد عراقيبها فلاتتحرک و لوشاءت أن تقتله لأمكنها قال الكميت فعل المقرة للمقالة || خامری ياأم عامر . و قال

الشنفرى لاتقبرونى إن قبرى محرم || عليكم ولكن خامرى أم عامر إذا مامضى رأسى و فى الرأس أكثرى || وغودر عندالملتقى ثم سائرى هنا لك لاأرجو حياة تسرنى || سجيس الليالى مبسلا بالجرائر . [صفحه ۲۲۵] أوصاهم ألا يدفنوه إذاقتل و قال اجعلونى أكلا للسباع كالشىء ألذى يرغب به الضبع فى الخروج وتقدير الكلام لاتقبرونى ولكن اجعلونى كالتى يقال لها خامرى أم عامر وهى الضبع فإنها لاتقبر ويمكن أن يقال أيضا أراد لاتقبرونى واجعلونى فريسة للتى يقال لها خامرى أم عامر لأنها تأكل الجيف وأشلاء القتلى والموتى . و قال أبوعبيدة يأتى الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضربا خفيفا و ذلك هواللدم و يقول خامرى أم عامر مرارا بصوت ليس بشديد فتنام على ذلك فيدخل إليها فيجعل الحبل فى عرقوبها ويجرها فيخرجها يقول لاأقعد عن الحرب والانتصار لنفسى وسلطانى فيكون حالى مع القوم المشار إليهم حال الضبع مع صائدها فأكون قدأسلمت نفسى فعل العاجز الأحمق ولكنى أحارب من عصانى بمن أطاعنى حتى أموت ثم عقب ذلك بقوله إن الاستئثار على والتغلب أمر لم يتجدد الآن ولكنه كان منذ قبض رسول الله ص

طلحة والزبير ونسبهما

وطلحة هو أبو محمدطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة أبوه ابن عم أبى بكر وأمه الصعبة بنت الحضرمى وكانت قبل أن تكون عندعبيد الله تحت أبى سفيان صخر بن حرب فطلقها ثم تبعتها نفسه فقال فيهاشعرا أوله وإنى وصعبة فيما أرى || بعيدان والود ود قريب . فى أبيات مشهورة وطلحة أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد أصحاب الشورى و كان له فى الدفاع عن رسول الله ص يوم أحد أثر عظيم وشلت بعض [صفحه ۲۲۶] أصابعه يومئذ وقى رسول الله ص بيده من سيوف المشركين و قال رسول الله ص يومئذ اليوم أوجب طلحة الجنة -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-۵۴ . والزبير هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصى أمه صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف عمة رسول الله ص و هوأحد العشرة أيضا وأحد الستة وممن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد وأبلى بلاء حسنا و قال النبى ص لكل نبى حوارى وحوارى الزبير -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۵۲ . والحوارى الخالصة تقول فلان خالصة فلان وخلصانه وحواريه أى شديد الاختصاص به والاستخلاص له

خروج طارق بن شهاب لاستقبال على بن أبى طالب

خرج طارق بن شهاب الأحمسى يستقبل عليا ع و قدصار بالربذة طالبا عائشة وأصحابها و كان طارق من صحابة على ع وشيعته قال فسألت عنه قبل أن ألقاه ماأقدمه فقيل خالفه طلحة والزبير وعائشة فأتوا البصرة فقلت فى نفسى إنها الحرب أفأقاتل أم المؤمنين وحوارى رسول الله ص إن هذالعظيم ثم قلت أأدع عليا و هوأول المؤمنين إيمانا بالله و ابن عم رسول الله ص ووصيه هذاأعظم ثم أتيته فسلمت عليه ثم جلست إليه فقص على قصة القوم وقصته ثم صلى بنا الظهر فلما انفتل جاءه الحسن ابنه ع فبكى بين يديه قال مابالك قال أبكى لقتلك غدا بمضيعة و لاناصر لك أماإنى أمرتك فعصيتنى ثم أمرتك فعصيتنى فقال ع لاتزال تخن خنين الأمة ما ألذى أمرتنى به فعصيتك قال أمرتك حين أحاط الناس بعثمان أن تعتزل فإن الناس إذاقتلوه طلبوك أينما كنت حتى يبايعوك فلم تفعل ثم أمرتك لماقتل عثمان ألا توافقهم على [صفحه ۲۲۷] البيعة حتى يجتمع الناس ويأتيك وفود العرب فلم تفعل ثم خالفك هؤلاء القوم فأمرتك ألا تخرج من المدينة و أن تدعهم وشأنهم فإن اجتمعت عليك الأمة

فـذاک و إلارضـیت بقضاء الله فقال ع و الله لاأکون کالضـبع تنام علی اللـدم حتی یدخل إلیها طالبها فیعلق الحبل برجلها و یقول لهـا دبـاب دبـاب حتی یقطع عرقوبهـا ... وذکر تمام الفصل فکان طارق بن شـهاب یبکی إذاذکر هذاالحـدیث دباب اسم الضـبع مبنی علی الکسر کبراح اسم للشمس [صفحه ۲۲۸]

۷- و من خطبهٔ له ع

اتّخَـذُوا الشّـیطَانَ لِأَمرِهِم مِلَاکاً وَ اتّخَـذَهُم لَهُ أَشـرَاکاً فَبَاضَ وَ فَرّخَ فِی صُدُورِهِم وَ دَبّ وَ دَرَجَ فِی حُجُورِهِم فَنَظَرَ بِأَعیُنِهِم وَ نَطَقَ بِأَلسِـنَتِهِم فَرَکِبَ بِهِمُ الزّلَـلَ وَ زَیّنَ لَهُمُ الخَطَلَ فِعلَ مَن قَـد شَـرِکَهُ الشّـیطَانُ فِی سُـلطَانِهِ وَ نَطَقَ بِالبَاطِلِ عَلَی لِسَانِهِ یجوز أن یکون أشـراکا جمع شریک کشریف وأشراف ویجوز أن یکون جمع شرک کجبل وأجبال والمعنی بالاعتبارین مختلف . وباض وفرخ فی صـدورهم استعارهٔ للوسوسـهٔ والإـغواء ومراده طول مکثه وإقـامته علیهم لأن الطائر لایبیض ویفرخ إلا فی الأعشاش التی هی وطنه ومسـکنه ودب ودرج فی حجورهم أی ربوا الباطـل کمـایربی الوالـدان الولـد فی حجورهمـا ثم ذکر أنه لشـدهٔ اتحاده بهم وامتزاجه صـار کمن ینظر بـأعینهم وینطق بألسـنتهم أی صـار الاثنـان کالواحـد قـال أبوالطیب ماالخـل إلا من أود بقلبه || وأری بطرف لاـیری بسوائه . و قال آخر کنا من المساعـده || نحیا بروح واحـده . [صـفحه ۲۲۹] و قال آخر جبلت نفسک فی نفسـی کمـا || تجبـل الخمرهٔ بالمـاء الزلال فإذامسک شیءمسـنی || فإذا أنت أنا فی کل حال . والخطل القول الفاسـد ویجوز أشـرکه الشیطان فی سلطانه بالهمزهٔ وشرکه أیضا وبغیر الهمزهٔ أفصح [صفحه ۲۳۰]

۸- و من کلام له ع یعنی به الزبیر فی حال اقتضت ذلک

اشاره

یَزعُمُ أَنّهُ قَـد بَایَعَ بِیَـدِهِ وَ لَم یُبَایِع بِقَلبِهِ فَقَد أَقَرّ بِالبَیعَهِٔ وَ ادّعَی الوَلِیجَهَٔ فَلیَأتِ عَلَیهَا بِأَمرٍ یُعرَفُ وَ إِلّا فَلیَدخُل فِیمَا خَرَجَ مِنهُ الولیجهٔ البطانهٔ والأمر یسـر ویکتم قال الله سـبحانه وَ لَم یَتّخِذُوا مِن دُونِ اللّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا المُؤمِنِینَ وَلِیجَهًٔ کان الزبیر یقول بایعت بیدی لابقلبی و کان یدعی تارهٔ أنه أکره ویدعی تارهٔ أنه وری فی البیعهٔ توریهٔ ونوی دخیلهٔ وأتی بمعاریض لاتحمل علی ظاهرها فقال ع هـذاالکلام إقرار منه بالبیعـهٔ وادعاء أمر آخر لم یقم علیه دلیلا و لم ینصب له برهانا فإما أن یقیم دلیلا علی فساد البیعهٔ الظاهرهٔ وأنها غیرلازمهٔ له وإما أن یعاود طاعته . -قرآن-۵۲-۱۳۱ قال علی ع للزبیر یوم بایعه إنی لخائف أن تغـدر بی وتنکث بیعتی قال لاتخـافن فـإن ذلـک لاـ یکون منی أبـدا فقـال ع فلی الله علیـک بـذلک راع وکفیل قال نعم الله لک علی بـذلک راع وکفیل -روایت-۱-۱۹۵

أمر طلحهٔ والزبیر مع علی بن أبی طالب بعدبیعتهما له

لمـابویع علی ع کتب إلی معاویـهٔ أمـا بعـد فـإن النـاس قتلوا عثمـان عن غیر -روایت-۱-ادامـه دارد [صـفحه ۲۳۱] مشـورهٔ منی وبـایعونی عن مشورهٔ منهم واجتمـاع فإذاأتـاک کتابی فبایع لی وأوفـد إلی أشـراف أهل الشام قبلک -روایت-از قبل-۱۱۰ فلما قـدم رسوله علی معاویـهٔ وقرأ کتابه بعث رجلا من بنی عمیس وکتب معه کتابا إلی الزبیر بن العوام و فیه بسم الله الرحمن الرحیم

لعبـد الله الزبير أمير المؤمنين من معاويـة بن أبى سـفيان سـلام عليـك أما بعـدفإنى قـدبايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسـقوا كمايستوسق الجلب فدونك الكوفة والبصرة لايسبقك إليها ابن أبى طالب فإنه لا شىء بعدهذين المصرين و قدبايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك وليكن منكما الجد والتشمير أظفركما الله وخذل مناوئكما. فلما وصل هـذاالكتاب إلى الزبير سر به وأعلم به طلحة وأقرأه إياه فلم يشـكا فى النصـح لهما من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف على ع .جاء الزبير وطلحة إلى على ع بعدالبيعـة بأيام فقالا له يا أمير المؤمنين قدرأيت ماكنا فيه من الجفوة فى ولاية عثمان كلها وعلمت رأى عثمان كان فى بنى أمية و قدولاك الله الخلافة من بعده فولنا بعض أعمالك فقال لهما ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيى واعلما أنى لاأشـرك فى أمانتى إلا من أرضـى بدينه وأمانته من أصـحابى و من قدعرفت دخيلته .فانصـرفا عنه و قددخلهما اليأس فاستـأذناه فى العمرة. [صـفحه ٢٣٢] طلب طلحة والزبير من على ع أن يوليهما المصـرين البصـرة والكوفة فقال حتى أنظر ثم اسـتشار المغيرة بن شعبة فقال له أرى أن توليهما إلى أن يستقيم لك أمر الناس فخلا بابن عباس و قال ماترى قال يا أمير المؤمنين إن الكوفـة والبصـرة عين الخلافـة وبهما كنوز الرجال ومكان طلحـة والزبير من الإسـلام ما قدعلمت ولسـت آمنهما إن وليتهما أن يحـدثا أمرا فأخذ على ع برأى ابن عباس و قد كان اسـتشار المغيرة أيضا فى أمر معاوية فقال له أرى إقراره على الشـام و أن تبعث إليه بعـده إلى أن يسـكن شـغب النـاس و لك بعـدرأيك فلم يأخـذ برأيه . فقال المغيرة بعـد ذلك و الله مانصـحته قبلها و لاأنصـحه بعدها مابقيت . دخل الزبير وطلحة على على ع فاستأذناه فى العمرة فقال ماالعمرة تريدان فحلفا له بالله أنهما مايريـدان غيرالعمرة فقال لهما ماالعمرة تريـدان وإنما تريـدان الغـدرة ونكث البيعة فحلفا بالله ماالخلاف عليه و لانكث بيعة يريـدان و مارأيهما غيرالعمرة قال لهما فأعيـدا البيعـة لى ثانيـة فأعاداها بأشـد ما يكون من الإيمان والمواثيق فأذن لهما فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضرا و الله لاترونهما إلا فى فتنة يقتتلان فيهاقالوا يا أمير المؤمنين فمر بردهما عليك قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا لماخرج الزبير وطلحـة من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحدا إلا وقالا له ليس لعلى فى أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين فبلغ عليـا ع قولهمـا فقـال أبعـدهما الله وأغرب دارهمـا أمـا و الله لقـد علمت أنهمـا سـيقتلان أنفسـهما أخبث مقتل ويأتيان من - روايت-١-ادامـه دارد [صـفحه ٢٣٣] وردا عليه بأشـأم يوم و الله مـاالعمرة يريـدان ولقـد أتيـانى بوجهى فـاجرين ورجعـا بوجهى غادرين ناكثين و الله لايلقياننى بعداليوم إلا فى كتيبة خشـناء يقتلان فيهاأنفسـهما فبعدا لهما وسـحقا -روايت-از قبل-١٩٢ وذكر أبومخنف فى كتـاب الجمـل أن عليا ع خطب لماسار الزبير وطلحـة من مكـة ومعهما عائشـة يريـدون البصـرة فقال أيها الناس إن عائشـة سارت إلى البصـرة ومعها طلحـة والزبير و كل منهما يرى الأمر له دون صاحبه أماطلحـة فابن عمها و أماالزبير فختنها و الله لوظفروا بمـا أرادوا ولن ينـالوا ذلـك أبـدا ليضـربن أحـدهما عنق صـاحبه بعـدتنازع منهما شديـد و الله إن راكبـة الجمل الأحمر ماتقطع عقبة و لاتحل عقدة إلا فى معصيـة الله وسـخطه حتى تورد نفسـها و من معها موارد الهلكة إى و الله ليقتلن ثلثهم وليهربن ثلثهم وليتوبن ثلثهم وإنهـا التى تنبحهـا كلاـب الحوأب وإنهمـا ليعلمـان أنهمـا مخطئـان ورب عـالم قتله جهله ومعه علمه لاينفعه وحسـبنا الله ونعم الوكيـل فقـد قـامت الفتنـة فيهاالفئـة الباغيـة أين المحتسـبون أين المؤمنون مـا لى ولقريش أما و الله لقـد قتلتهم كـافرين ولأقتلنهم مفتونين و مالنا إلى عائشـة من ذنب إلا أناأدخلناها فى حيزنا و الله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصـرته فقل لقريش فلتضج ضـجيجها ثم نزل -روايت-١-٢-روايت-٣٣-٩١٧ برز على ع يوم الجمـل ونـادى بالزبير يا أبا عبـد الله مرارا فخرج الزبير فتقاربـا حتى اختلفت أعنـاق خيلهمـا فقـال له على ع إنمـا دعوتـك لأذكرك حـديثا قـاله لى و لك رسول الله ص أتـذكر يوم رآك و أنت معتنقى فقـال لك -روايت-١-ادامه دارد [صـفحه ٢٣٤] أتحبه قلت و مـا لى لاـأحبه و هـوأخى و ابن خـالى فقـال أمالإنـك سـتحاربه و أنت ظالم له -روايت-از قبل-٩٢ فـاسترجع الزبير و قـال أذكرتنى مـاأنسـانيه الـدهر ورجع إلى صفوفه فقال له عبـد الله ابنه لقـد رجعت إلينا بغير الوجه ألـذى فارقتنا به فقال أذكرنى على حـديثا أنسانيه الـدهر فلاأحاربه أبـدا

وإنى لراجع وتارككم منذ اليوم فقال له عبد الله مأراك إلاجبنت عن سيوف بنى عبدالمطلب إنها لسيوف حداد تحملها فتية أنجاد فقال الزبير ويلك أتهيجنى على حربه أماإنى قدحلفت ألا أحاربه قال كفر عن يمينك لاتتحدث نساء قريش أنك جبنت و ماكنت جبانا فقال الزبير غلامى مكحول حر كفارة عن يمينى ثم أنصل سنان رمحه وحمل على عسكر على ع برمح لاسنان له فقال على ع أفرجوا له فإنه محرج ثم عاد إلى أصحابه ثم حمل ثانية ثم ثالثة ثم قال لابنه أجبنا ويلك ترى فقال لقد أعذرت . لماأذكر على ع الزبير بما أذكره به ورجع الزبير قال نادى على بأمر لست أنكره || و كان عمر أبيك الخير مذ حين فقلت حسبك من عذل أباحسن || بعض ألذى قلت منذ اليوم يكفينى ترك الأمور التى تخشى مغبتها || و الله أمثل فى الدنيا و فى الدين فاخترت عارا على نار مؤججة || أنى يقوم لها خلق من الطين لماخرج على ع لطلب الزبير خرج حاسرا وخرج إليه الزبير دارعا مدججا فقال للزبير يا أبا عبد الله قدلعمرى أعددت سلاحا وحبذا فهل أعددت عند الله عذرا فقال الزبير إن مردنا إلى الله قال على ع يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هوالحق المبين ثم أذكره الخبر فلما كر -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٣٥] الزبير راجعا إلى أصحابه نادما واجما رجع على ع إلى أصحابه جذلا مسرورا فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين تبرز إلى الزبير حاسرا و هوشاك فى السلاح و أنت تعرف شجاعته قال إنه ليس بقاتلى إنما يقتلنى رجل خامل الذكر ضئيل النسب غيلة فى غيرمأقط حرب و لامعركة رجال ويلمه أشقى البشر ليودن أن أمه هبلت به أماإنه وأحمر ثمود لمقرونان فى قرن . لماانصرف الزبير عن حرب على ع مر بوادى السباع والأحنف بن قيس هناك فى جمع من بنى تميم قداعتزل الفريقين فأخبر الأحنف بمرور الزبير فقال رافعا صوته ماأصنع بالزبير لف غارين من المسلمين حتى أخذت السيوف منهما مأخذها انسل وتركهم أماإنه لخليق بالقتل قتله الله فاتبعه عمرو بن جرموز و كان فاتكا فلما قرب منه وقف الزبير و قال ماشأنك قال جئت لأسألك عن أمر الناس قال الزبير إنى تركتهم قياما فى الركب يضرب بعضهم وجه بعض بالسيف فسار ابن جرموز معه و كل واحد منهما يتقى الآخر فلما حضرت الصلاة قال الزبير يا هذاإنا نريد أن نصلى. فقال ابن جرموز و أناأريد ذلك فقال الزبير فتؤمنى وأؤمنك قال نعم فثنى الزبير رجله وأخذ وضوءه فلما قام إلى الصلاة شد ابن جرموز عليه فقتله وأخذ رأسه وخاتمه وسيفه وحثا عليه ترابا يسيرا ورجع إلى الأحنف فأخبره فقال و الله ماأدرى أسأت أم أحسنت اذهب إلى على ع فأخبره فجاء إلى على ع فقال للآذن قل له عمرو بن جرموز بالباب ومعه رأس الزبير وسيفه فأدخله و فى كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف فقال له و أنت قتلته قال نعم قال و الله ما كان ابن صفية جبانا و لالئيما ولكن الحين ومصارع السوء -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ٢٣٦] ثم قال ناولنى سيفه فناوله فهزه و قال سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله ص فقال ابن جرموز الجائزة يا أمير المؤمنين فقال أماإنى سمعت رسول الله ص يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار -روايت-از قبل-٢٠٢ فخرج ابن جرموز خائبا و قال أتيت عليا برأس الزبير || أبغى به عنده الزلفه فبشر بالنار يوم الحساب || فبئست بشارة ذى التحفه فقلت له إن قتل الزبير || لو لارضاك من الكلفه فإن ترض ذاك فمنك الرضا || و إلافدونك لى حلفه ورب المحلين والمحرمين || ورب الجماعة والألفه لسيان عندى قتل الزبير || وضرطة عنز بذى الجحفه . ثم خرج ابن جرموز على على ع مع أهل النهر فقتله معهم فيمن قتل [صفحه ٢٣٧]

٩- و من كلام له ع

وَ قَد أَرعَدُوا وَ أَبرَقُوا وَ مَعَ هَذَينِ الأَمرَينِ الفَشَلُ وَ لَسنَا نُرعِدُ حَتّى نُوقِعَ وَ لَا نُسِيلُ حَتّى نُمطِرَ أرعد الرجل وأبرق إذاأوعد وتهدد و كان الأصمى ينكره ويزعم أنه لايقال إلارعد وبرق و لمااحتج عليه ببيت الكميت أرعد وأبرق يايزيد || فما وعيدك لى

بضائر . قال الكميت قروى لايحتج بقوله . وكلام أمير المؤمنين ع حجة دالة على بطلان قول الأصمى والفشل الجبن والخور. و قوله و لانسيل حتى نمطر كلمة فصيحة يقول إن أصحاب الجمل فى وعيدهم وإجلابهم بمنزلة من يدعى أنه يحدث السيل قبل إحداث المطر و هذامحال لأن السيل إنما يكون من المطر فكيف يسبق المطر و أمانحن فإنا لاندعى ذلك وإنما نجرى الأمور على حقائقها فإن كان منا مطر كان منا سيل و إذاأوقعنا بخصمنا أوعدنا حينئذ بالإيقاع به غيره من خصومنا. [صفحه ۲۳۸] و قوله ع و مع هذين الأمرين الفشل معنى حسن لأن الغالب من الجبناء كثرة الضوضاء والجلبة يوم الحرب كما أن الغالب من الشجعان الصمت والسكون . وسمع أبوطاهر الجنابى ضوضاء عسكر المقتدر بالله ودبادبهم وبوقاتهم و هو فى ألف وخمسمائة وعسكر المقتدر فى عشرين ألفا مقدمهم يوسف بن أبى الساج فقال لبعض أصحابه ما هذاالزجل قال فشل قال أجل . ويقال إنه مارئى جيش كجيش أبى طاهر ما كان يسمع لهم صوت حتى أن الخيل لم تكن لها حمحمة فرشق عسكر ابن أبى الساج القرامطة بالسهام المسمومة فجرح منهم أكثر من خمسمائة إنسان . و كان أبوطاهر فى عمارية له فنزل وركب فرسات وحمل بنفسه ومعه أصحابه حملة على عسكر ابن أبى الساج فكسروه وفلوه وخلصوا إلى يوسف فأسروه وتقطع عسكره بعد أن أتى بالقتل على كثير منهم و كان ذلك فى سنة خمس عشرة وثلاثمائة. و من أمثالهم الصدق ينبئ عنك لاالوعيد [صفحه ۲۳۹]

۱۰– و من خطبة له ع

أَلَا وَ إِنّ الشّيطَانَ قَد جَمَعَ حِزبَهُ وَ استَجلَبَ خَيلَهُ وَ رَجِلَهُ وَ إِنّ معَيِ لبَصَيِرتَيِ مَا لَبّستُ عَلَى نَفسيِ وَ لَا لُبّسَ عَلَيّ وَ ايمُ اللّهِ لَأُفرِطَنّ لَهُم حَوضاً أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصدُرُونَ عَنهُ وَ لَا يَعُودُونَ إِلَيهِ يمكن أن يعنى بالشيطان الشيطان الحقيقى ويمكن أن يعنى به معاوية فإن عنى معاوية فقوله قدجمع حزبه واستجلب خيله ورجله كلام جار على حقائقه و إن عنى به الشيطان كان ذلك من باب الاستعارة ومأخوذا من قوله تعالى وَ استَفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ وَ أَجلِب عَلَيهِم بِخَيلِكَ وَ رَجِلِكَ و الرجل جمع راجل كالشرب جمع شارب والركب جمع راكب . قوله و إن معى لبصيرتى يريد أن البصيرة التى كانت معى فى زمن رسول الله ص تتغير. و قوله مالبست تقسيم جيد لأن كل ضال عن الهداية فإما أن يضل من تلقاء نفسه أوبإضلال غيره له . و قوله لأفرطن من رواها بفتح الهمزة فأصله فرط ثلاثى يقال فرط –قرآن–۲۲۴–۳۰۷ [صفحه ۲۴۰] زيد القوم أى سبقهم و رجل فرط يسبق القوم إلى البئر فيهيئ لهم الأرشية والدلاء و منه قوله ع إنا فرطكم على الحوض و يكون تقدير الكلام وايم الله لأفرطن لهم إلى حوض فلما حذف الجار عدى الفعل بنفسه فنصب كقوله تعالى وَ اختَارَ مُوسَى قَومَهُ وتكون اللام فى لهم إما لام التعدية كقوله ويؤمن للمؤمنين أى ويؤمن المؤمنين أوتكون لام التعليل أى لأجلهم و من رواها لأفرطن بضم الهمزة فهو من أفرط المزادة أى ملأها. والماتح المستقى متح يمتح بالفتح والمائح بالياء ألذى ينزل إلى البئر فيملأ الدلو. وقيل لأبى على رحمه الله ماالفرق بين الماتح والمائح فقال هما كإعجامهما يعنى أن التاء بنقطتين من فوق وكذلك الماتح لأنه المستقى فهو فوق البئر والياء بنقطتين من تحت وكذلك المائح لأنه تحت فى الماء ألذى فى البئر يملأ الدلاء ومعنى قوله أناماتحه أناخبير به كما يقول من يدعى معرفة الدار أنابانى هذه الدار والكلام استعارة يقول لأملأن لهم حياض الحرب التى هى دربتى وعادتى أولأسبقنهم إلى حياض حرب أنامتدرب بهامجرب لها إذاوردوها لايصدرون عنها يعنى قتلهم وإزهاق أنفسهم و من فر منهم لايعود إليها و من هذااللفظ قول الشاعر –قرآن–۲۲۹–۲۵۱ مخضت بدلوه حتى تحسى || ذنوب الشر ملأى أوقرابا [صفحه ۲۴۱]

۱۱– و من كلام له ع لابنه محمد بن الحنفية لماأعطاه الراية يوم الجمل

اشاره

تَزُولُ الجِبَالُ وَ لَا تَزُل عَضّ عَلَى نَاجِذِکَ أَعِرِ اللّهَ جُمجُمَتَکَ تِد فِی الأَرضِ قَدَمَکَ ارمِ بِبَصَرِکَ أَقصَی القَومِ وَ غُضّ بَصَرَکَ وَ اعلَم أَنّ النّصرَ مِن عِندِ اللّهِ سُبحَانَهُ قوله تزول الجبال و لاتزل خبر فيه معنى الشرط تقديره إن زالت الجبال فلاتزل أنت والمراد المبالغة فى أخبار صفين أن بنى عكل وكانوا مع أهل الشام حملوا فى يوم من أيام صفين خرجوا وعقلوا أنفسهم بعمائمهم وتحالفوا أنا لانفر حتى يفر هذاالحكر بالكاف قالوا لأن عكلا تبدل الجيم كافا. والناجذ أقصى الأضراس وتد أمر من وتد قدمه فى الأرض أى أثبتها فيهاكالوتد و لاتناقض بين قوله ارم ببصرك و قوله غض بصرك و ذلك لأنه فى الأولى أمره أن يفتح عينه ويرفع طرفه ويحدق إلى أقاصى القوم ببصره فعل الشجاع المقدام غيرالمكترث و لاالمبالى لأن الجبان تضعف نفسه ويخفق قلبه فيقصر بصره و لايرتفع طرفه و لايمتد عنقه و يكون ناكس الرأس غضيض الطرف و فى الثانية أمره أن يغض بصره عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم لئلا يبرق بصره ويدهش ويستشعر خوفا وتقدير الكلام واحمل وحذف ذلك للعلم به فكأنه قال إذاعزمت على الحملة [صفحه ۲۴۲] وصممت فغض حينئذ بصرك واحمل وكن كالعشواء التى تخبط ماأمامها و لاتبالى. و قوله عض على ناجذك قالوا إن العاض على نواجذه ينبو السيف عن دماغه لأن عظام الرأس تشتد وتصلب و قدجاء فى كلامه ع هذامشروحا فى موضع آخر و هو قوله وعضوا على النواجذ فإنه أنبى للصوارم عن الهام ويحتمل أن يريد به شدة الحنق قالوا فلان يحرق على الأرم يريدون شدة الغيظ والحرق صريف الأسنان وصوتها والأرم الأضراس . و قوله أعر الله جمجمتك معناه ابذلها فى طاعة الله ويمكن أن يقال إن ذلك إشعار له أنه لايقتل فى تلك الحرب لأن العارية مردودة و لو قال له بع الله جمجمتك لكان ذلك إشعارا له بالشهادة فيها. وأخذ يزيد بن المهلب هذه اللفظة فخطب أصحابه بواسط فقال إنى قدأسمع قول الرعاع جاء مسلمة وجاء العباس وجاء أهل الشام و من أهل الشام و الله ماهم إلاتسعة أسياف سبعة منها معى واثنان على و أمامسلمة فجرادة صفراء و أماالعباس فنسطوس ابن نسطوس أتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة وأقباط وأنباط وأخلاط إنما أقبل إليكم الفلاحون وأوباش كأشلاء اللحم و الله مالقوا قط كحديدكم وعديدكم أعيرونى سواعدكم ساعة تصفقون بهاخراطيمهم فإنما هى غدوة أوروحة حتى يحكم الله بيننا و بين القوم الظالمين . من صفات الشجاع قولهم فلان مغامر وفلان غشمشم أى لايبصر ما بين يديه فى الحرب و ذلك لشدة تقحمه وركوبه المهلكة وقلة نظره فى العاقبة و هذا هومعنى قوله ع لمحمد غض بصرك [صفحه ۲۴۳]

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبدالمطلب

و كان حمزة بن عبدالمطلب مغامرا غشمشما لايبصر أمامه قال جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف لعبده وحشى يوم أحد ويلك إن عليا قتل عمى طعيمة سيد البطحاء يوم بدر فإن قتلته اليوم فأنت حر و إن قتلت محمدا فأنت حر و إن قتلت حمزة فأنت حر فلاأحد يعدل عمى إلاهؤلاء فقال أما محمد فإن أصحابه دونه ولن يسلموه و لاأرانى أصل إليه و أما على فرجل حذر مرس كثير الالتفات فى الحرب لاأستطيع قتله ولكن سأقتل لك حمزة فإنه رجل لايبصر أمامه فى الحرب فوقف لحمزة حتى إذاحاذاه زرقه بالحربة كماتزرق الحبشة بحرابها فقتله

محمد بن الحنفية ونسبه وبعض أخباره

دفع أمير المؤمنين ع يوم الجمل رايته إلى محمـدابنه ع و قداستوت الصـفوف و قال له احمل فتوقف قليلا فقال له احمل فقال يا أمير المؤمنين أ ماترى السـهام كأنها شآبيب المطر فـدفع فى صـدره فقال أدرككك عرق من أمك ثم أخـذ الراية فهزها ثم قال –روايت–۱–۲۵۲ اطعن بهـاطعن أبيـك تحمـد || لا ـخير فى الحرب إذا لم توقـد بالمشـرفى والقنا المسـدد ثم حمل وحمل الناس خلفه فطحن عسـكر البصرة –روايت–۱–۴۶ . [صـفحه ۲۴۴] قيـل لمحمـد لم يغرر بـك أبوك فى الحرب و لا ـيغرر بـالحسن و الحسين ع فقال إنهما عيناه و أنايمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه –روايت–۱–۱۲۸ كان على ع يقذف بمحمد فى مهالك الحرب ويكف حسنا وحسـينا عنهـا. و من كلاـمه فى يوم صـفين املكوا عنى هـذين الفتيين أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله ص –روايت–۱–۲–روايت–۲۹–۹۷ .أم محمدرضى الله عنه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الـدؤل بن حنيفـة بن لجيم بن صـعب بن على بن بكر بن وائل . واختلف فى أمرها فقال قوم إنها سبية من سـبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد فى أيام أبى بكر لمامنع كثير من العرب الزكاة وارتدت بنو حنيفة وادعت نبوة مسـيلمة و إن أبابكر دفعها إلى على ع من سـهمه فى المغنم . و قال قوم منهم أبو الحسن على بن محمد بن سـيف المدائنى هى سبية فى أيام رسول الله ص قالوا بعث رسول الله ص عليا إلى اليمن فأصاب خولة فى بنى زبيد و قدارتدوا مع عمرو بن معديكرب وكانت زبيد سبتها من بنى حنيفـة فى غارة لهم عليهم فصارت فى سـهم على ع فقال له رسول الله ص إن ولـدت منك غلاما فسـمه باسـمى وكنه بكنيتى –روايت–۱–۲–روايت–۲۸–۷۶ فولـدت له بعدموت فاطمة ع محمدا فكناه أباالقاسم . و قال قوم وهـم المحققون وقولهم الأظهر إن بنى أسـد أغـارت على بنى حنيفـة فى خلافـة أبى بكر الصـديق فسـبوا خولـة بنت جعفر وقـدموا بهاالمدينـة فباعوها من على ع [صفحه ۲۴۵] وبلغ قومها خبرها فقـدموا المدينـة على على ع فعرفوها وأخبروه بموضـعها منهم فأعتقها ومهرها وتزوجها فولدت له محمـدا فكناه أباالقاسم . و هذاالقول هواختيار أحمد بن يحيى البلاذرى فى كتابه المعروف بتاريخ الأشـراف . لماتقاعس محمد يوم الجمـل عن الحملـة وحمل على ع بالرايـة فضـعضع أركان عسـكر الجمل دفع إليه الرايـة و قال امـح الأولى بالأخرى و هـذه الأنصار معك . وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشـهادتين فى جمع من الأنصار كثير منهم من أهل بدر فحمل حملات كثيرة أزال بهاالقوم عن مواقفهم وأبلى بلاء حسـنا فقال خزيمة بن ثابت لعلى ع أماإنه لو كان غير محمداليوم لافتضح ولئن كنت خفت عليه الحين و هوبينـك و بين حمزة و جعفر لماخفنـاه عليه و إن كنت أردت أن تعلمه الطعـان فطالما علمته الرجال . وقالت الأنصار يا أمير المؤمنين لو لا ماجعل الله تعالى للحسن و الحسـين لماقـدمنا على محمدأحدا من العرب فقال على ع أين النجم من الشـمس والقمر أمـاإنه قـدأغنى وأبلى و له فضـله و لا ـينقص فضل صاحبيه عليه وحسب صاحبكم ماانتهت به نعمـة الله تعالى إليه فقالوا يا أمير المؤمنين إنـا و الله لا ـنجعله كـالحسن و الحسـين و لانظلمهمـا له و لانظلمه لفضـلهما عليه حقه فقال على ع أين يقع ابنى من ابنى بنت رسـول الله ص –روايت–۱–۴۳۰ فقـال خزيمـة بن ثابت فيه محمـد ما فى عودك اليوم وصـمة || و لاكنت فى الحرب الضـروس معردا أبوك ألذى لم يركـب الخيل مثله || على وسـماك النبى محمدا فلو كان حقا من أبيك خليفة || لكنت ولكن ذاك ما لايرى بدا [صـفحه ۲۴۶] و أنت بحمـد الله أطول غالب || لسانا وأنـداها بما ملكت يـدا وأقربها من كل خير تريـده || قريش وأوفاها بما قال موعـدا وأطعنهم صـدر الكمى برمحه || وأكساهم للهام عضـبا مهندا سوى أخويك السـيدين كلاهما || إمام الورى والداعيان إلى الهدى أبى الله أن يعطى عدوك مقعدا || من الأرض أو فى الأوج مرقى ومصعدا [صفحه ۲۴۷]

۱۲– و من كلام له ع لماأظفره الله بأصحاب الجمل

اشاره

وَ قَد قَالَ لَهُ بَعضُ أَصحَابِهِ وَدِدتُ أَنّ أخَيِ فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللّهُ بِهِ عَلَى أَعدَائِكَ فَقَالَ عَلِيّ ع أَ هَوَى أَخِيكَ مَعَنَا فَقَالَ نَعَم قَالَ فَقَد شَهِدَنَا وَ لَقَد شَهِدَنَا فِي عَسكَرِنَا هَذَا قَومٌ فِي أَصلَابِ الرّجَالِ وَ أَرحَامِ النّسَاءِ سَيَرعَفُ بِهِمُ الزّمَانُ وَ يَقوَى بِهِمُ الإِيمَانُ يرعف بهم الزمان يوجدهم ويخرجهم كمايرعف الإنسان بالدم ألذى يخرجه من أنفه قال الشاعر و مارعف الزمان بمثل عمرو || و لاتلد النساء له ضريبا . والمعنى مأخوذ من قول النبى ص لعثمان و لم يكن شهد بدرا تخلف على رقية ابنة رسول الله ص لمامرضت مرض موتها لقد كنت شاهدا و إن كنت غائبا لك أجرك وسهمك

من أخبار يوم الجمل

قال الكلبى قلت لأبى صالح كيف لم يضع على ع السيف فى أهل البصرة يوم الجمل بعدظفره قال سار فيهم بالصفح والمن ألذى سار به رسول الله ص [صفحه ٢٤٨] فى أهل مكة يوم الفتح فإنه أراد أن يستعرضهم بالسيف ثم من عليهم و كان يحب أن يهديهم الله . قال فطر بن خليفة مادخلت دار الوليد بالكوفة التى فيهاالقصارون إلا وذكرت بأصواتهم وقع السيوف يوم الجمل .حرب بن جيهان الجعفى لقد رأيت الرماح يوم الجمل قدأشرعها الرجال بعضهم فى صدر بعض كأنها آجام القصب لوشاءت الرجال أن تمشى عليها لمشت ولقد صدقونا القتال حتى ماظننت أن ينهزموا و مارأيت يوما قط أشبه بيوم الجمل من يوم جلولاء الوقيعة.الأصبغ بن نباتة لماانهزم أهل البصرة ركب على ع بغلة رسول الله ص الشهباء وكانت باقية عنده وسار فى القتلى يستعرضهم فمر بكعب بن سور القاضى قاضى البصرة و هوقتيل فقال أجلسوه فأجلس فقال له ويلمك كعب بن سور لقد كان لك علم لونفعك ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار أرسلوه ثم مر بطلحة بن عبيد الله قتيلا فقال أجلسوه فأجلس قال أبومخنف فى كتابه فقال ويلمك طلحة لقد كان لك قدم لونفعك ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار. و أماأصحابنا فيروون غير ذلك يروون أنه ع قال له لماأجلسوه أعزز على أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء و فى بطن هذاالوادى أ بعدجهادك فى الله وذبك عن رسول الله ص فجاء إليه إنسان فقال أشهد يا أمير المؤمنين لقد مررت عليه بعد أن أصابه السهم و هوصريع فصاح بى فقال من أصحاب من أنت فقلت من أصحاب أمير المؤمنين ع فقال امدد يدك لأبايع [صفحه ٢٤٩] لأمير المؤمنين ع فمددت إليه يدى فبايعنى لك فقال على ع أبى الله أن يدخل طلحة الجنة إلا وبيعتى فى عنقه -روايت-١-٢-روايت-١٧-٦٩ ثم مر بعبد الله بن خلف الخزاعى و كان ع قتله بيده مبارزة و كان رئيس أهل البصرة فقال أجلسوه فأجلس فقال الويل لك يا ابن خلف لقد عانيت أمرا عظيما. و قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ ومر ع بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال أجلسوه فأجلس فقال هذايعسوب قريش هذااللباب المحض من بنى عبدمناف ثم قال شفيت نفسى وقتلت معشرى إلى الله أشكو عجرى وبجرى قتلت الصناديد من بنى عبدمناف وأفلتنى الأعيار من بنى جمح فقال له قائل لشد ماأطريت هذاالفتى منذ اليوم يا أمير المؤمنين قال إنه قام عنى و عنه نسوة لم يقمن عنك . قال أبوالأسود الدؤلى لماظهر على ع يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة فى ناس من المهاجرين والأنصار و أنامعهم فلما رأى كثرة ما فيه قال غرى غيرى مرارا ثم نظر إلى المال وصعد فيه بصره وصوب و قال اقسموه بين أصحابى خمسمائة خمسمائة فقسم بينهم فلا و ألذى بعث محمدا بالحق مانقص درهما و لازاد درهما كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره و كان ستة آلاف ألف درهم و الناس اثنا عشر ألفا. [صفحه ٢٥٠] حبة العرنى قسم على ع بيت مال البصرة على أصحابه خمسمائة خمسمائة وأخذ خمسمائة درهم كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الوقعة فقال يا أمير المؤمنين كنت شاهدا معك بقلبى و إن غاب عنك جسمى فأعطنى من الفىء شيئا فدفع إليه ألذى أخذه لنفسه و هوخمسمائة درهم و لم يصب من الفىء شيئا.اتفقت الرواة كلها على أنه ع قبض ماوجد فى عسكر الجمل من

سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض فقسمه بين أصحابه وأنهم قالوا له اقسم بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقا فقال لافقالوا فكيف تحل لنا دماءهم وتحرم علينا سبيهم فقال كيف يحل لكم ذرية ضعيفة فى دار هجرة وإسلام أما ماأجلب به القوم فى معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم و أما ماوارت الدور وأغلقت عليه الأبواب فهو لأهله و لانصيب لكم فى شىء منه فلما أكثروا عليه قال فأقرعوا على عائشة لأدفعها إلى من تصيبه القرعة فقالوا نستغفر الله يا أمير المؤمنين ثم انصرفوا [صفحه ۲۵۱]

۱۳– و من كلام له ع فى ذم أهل البصرة

اشاره

كُنتُم جُندَ المَرأَةِ وَ أَتبَاعَ البَهِيمَةِ رَغَا فَأَجَبتُم وَ عُقِرَ فَهَرَبتُم أَخلَاقُكُم دِقَاقٌ وَ عَهدُكُم شِقَاقٌ وَ دِينُكُم نِفَاقٌ وَ مَاؤُكُم زُعَاقٌ وَ المُقِيمُ بَينَ أَظهُرِكُم مُرتَهَنٌ بِذَنبِهِ وَ الشّاخِصُ عَنكُم مُتَدَارَكٌ بِرَحمَةٍ مِن رَبّهِ كأَنَيّ بِمَسجِدِكُم كَجُؤجُؤِ سَفِينَةٍ قَد بَعَثَ اللّهُ عَلَيهَا العَذَابَ مِن فَوقِهَا وَ مِن تَحتِهَا وَ غَرّقَ مَن فِي ضِمنِهَا وَ فِي رِوَايَةٍ وَ ايمُ اللّهِ لَتَغرَقَنّ بَلدَتُكُم حَتّى كأَنَيّ أَنظُرُ إِلَى مَسجِدِهَا كَجُؤجُؤِ سَفِينَةٍ أَو نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ وَ فِي رِوَايَةٍ كَجُؤجُؤِ طَيرٍ فِي لُجّةِ بَحرٍ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخرَى بِلَادُكُم أَنتَنُ بِلَادِ اللّهِ تُربَةً أَقرَبُهَا مِنَ المَاءِ وَ أَبعَدُهَا مِنَ السّمَاءِ وَ بِهَا تِسعَةُ أَعشَارِ الشّرّ المُحتَبَسُ فِيهَا بِذَنبِهِ وَ الخَارِجُ بِعَفوِ اللّهِ كأَنَيّ أَنظُرُ إِلَى قَريَتِكُم هَذِهِ قَد طَبّقَهَا المَاءُ حَتّى مَا يُرَى مِنهَا إِلّا شُرَفُ المَسجِدِ كَأَنّهُ جُؤجُؤُ طَيرٍ فِي لُجّةِ بَحرٍ [صفحه ۲۵۲] قوله وأتباع البهيمة يعنى الجمل و كان جمل عائشة راية عسكر البصرة قتلوا دونه كماتقتل الرجال تحت راياتها. و قوله أخلاقكم دقاق يصفهم باللؤم و فى الحديث أن رجلا قال له يا رسول الله إنى أحب أن أنكح فلانة إلا أن فى أخلاق أهلها دقه فقال له إياك وخضراء الدمن إياك والمرأة الحسناء فى منبت السوء –روايت–۱–۲–روايت–۱۶–۱۶۸ . قوله وعهدكم شقاق يصفهم بالغدر يقول عهدكم وذمتكم لا يوثق بهابل هى و إن كانت فى الصورة عهدا أوذمة فإنها فى المعنى خلاف وعداوة. قوله وماؤكم زعاق أى ملح و هذا و إن لم يكن من أفعالهم إلا أنه مما تذم به المدينة كما قال بلاد بهاالحمى وأسد عرينة || و فيهاالمعلى يعتدى ويجور فإنى لمن قدحل فيهالراحم || وإنى من لم يأتها لنذير و لاذنب لأهلها فى أنها بلاد الحمى والسباع . ثم وصف المقيم بين أظهرهم بأنه مرتهن بذنبه لأنه إما أن يشاركهم فى الذنوب أويراها فلاينكرها ومذهب أصحابنا أنه لاتجوز الإقامة فى دار الفسق كما لاتجوز الإقامة فى دار الكفر. وجؤجؤ عظم الصدر وجؤجؤ السفينة صدرها. [صفحه ۲۵۳] فأما إخباره ع أن البصرة تغرق عدا المسجد الجامع بهافقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدل على أن البصرة تهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها. والصحيح أن المخبر به قدوقع فإن البصرة غرقت مرتين مرة فى أيام القادر بالله ومرة فى أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها و لم يبق منها إلامسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ماأخبر به أمير المؤمنين ع جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس و من جهة الجبل المعروف بجبل السنام وخربت دورها وغرق كل ما فى ضمنها وهلك كثير من أهلها. وأخبار هذين الغرقين معروفة عند أهل البصرة يتناقلها خلفهم عن سلفهم

من أخبار يوم الجمل أيضا

قال أبو الحسن على بن محمد بن سيف المدائنى و محمد بن عمر الواقدى ماحفظ رجز قط أكثر من رجز قيل يوم الجمل

وأكثره لبنى ضبة والأزد الذين كانوا حول الجمل يحامون عنه ولقد كانت الرءوس تندر عن الكواهل والأيدى تطيح من المعاصم وأقتاب البطن تندلق من الأجواف وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لاتتحلحل و لاتتزلزل حتى لقد صرخ ع بأعلى صوته ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان ثم قال اعقروه و إلافنيت العرب لايزال السيف قائما وراكعا حتى يهوى هذاالبعير [صفحه ۲۵۴] إلى الأرض فصمدوا له حتى عقروه فسقط و له رغاء شديد فلما برك كانت الهزيمة. و من الأراجيز المحفوظة يوم الجمل لعسكر البصرة قول بعضهم نحن بنى ضبة أصحاب الجمل || ننازل الموت إذاالموت نزل ننعى ابن عفان بأطراف الأسل || ردوا علينا شيخنا ثم بجل الموت أحلى عندنا من العسل || لاعار فى الموت إذاحان الأجل إن عليا هو من شر البدل || إن تعدلوا بشيخنا لايعتدل أين الوهاد وشماريخ القلل .فأجابه رجل من عسكر الكوفة من أصحاب أمير المؤمنين ع نحن قتلنا نعثلا فيمن قتل || أكثر من أكثر فيه أوأقل أنى يرد نعثل و قدقحل || نحن ضربنا وسطه حتى انجدل لحكمه حكم الطواغيت الأول || آثر بالفيء وجافى فى العمل فأبدل الله به خير بدل || إنى امرؤ مستقدم غيروكل مشمر للحرب معروف بطل . و من أراجيز أهل البصرة ياأيها الجند الصليب الإيمان || قوموا قياما واستغيثوا الرحمن [صفحه ۲۵۵] إنى أتانى خبر ذو ألوان || إن عليا قتل ابن عفان ردوا إلينا شيخنا كما كان || يارب وابعث ناصرا لعثمان يقتلهم بقوة وسلطان .فأجابه رجل من عسكر الكوفة. أبت سيوف مذحج وهمدان || بأن ترد نعثلا كما كان خلقا سويا بعدخلق الرحمن || و قدقضى بالحكم حكم الشيطان وفارق الحق ونور الفرقان || فذاق كأس الموت شرب الظمآن . و من الرجز المشهور المقول يوم الحمل قاله أهل البصرة ياأمنا عائش لاتراعى || كل بنيك بطل المصاع ينعى ابن عفان إليك ناع || كعب بن سور كاشف القناع فارضى بنصر السيد المطاع || والأزد فيهاكرم الطباع . و منه قول بعضهم ياأمنا يكفيك منا دنوه || لن يؤخذ الدهر الخطام عنوه وحولك اليوم رجال شنوه || وحى همدان رجال الهبوه والمالكيون القليلو الكبوه || والأزد حى ليس فيهم نبوه .قالوا وخرج من أهل البصرة شيخ صبيح الوجه نبيل عليه جبة وشى يحض الناس على الحرب و يقول يامعشر الأزد عليكم أمكم || فإنها صلاتكم وصومكم والحرمة العظمى التى تعمكم || فأحضروها جدكم وحزمكم [صفحه ۲۵۶] لايغلبن سم العدو سمكم || إن العدو إن علاكم زمكم وخصكم بجوره وعمكم || لاتفضحوا اليوم فداكم قومكم قال المدائنى والواقدى و هذاالرجز يصدق الرواية أن الزبير وطلحة قاما فى الناس فقالا إن عليا إن يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة فاحموا حقيقتكم فإنه لايبقى حرمة إلاانتهكها و لاحريما إلاهتكه و لاذرية إلاقتلها و لاذوات خدر إلاسباهن فقاتلوا مقاتلة من يحمى عن حريمه ويختار الموت على الفضيحة يراها فى أهله . و قال أبومخنف لم يقل أحد من رجاز البصرة قولا كان أحب إلى أهل الجمل من قول هذاالشيخ استقتل الناس عند قوله وثبتوا حول الجمل وانتدبوا فخرج عوف بن قطن الضبى و هوينادى ليس لعثمان ثأر إلا على بن أبى طالب وولده فأخذ خطام الجمل و قال ياأم ياأم خلا منى الوطن || لاأبتغى القبر و لاأبغى الكفن من هاهنا محشر عوف بن قطن || إن فاتنا اليوم على فالغبن أوفاتنا ابناه حسين وحسن || إذاأمت بطول هم وحزن . ثم تقدم فضرب بسيفه حتى قتل . وتناول عبد الله بن أبزى خطام الجمل و كان كل من أراد الجد فى الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم إلى الجمل فيأخذ بخطامه ثم شد على عسكر على ع و قال أضربهم و لاأرى أباحسن || ها إن هذاحزن من الحزن .فشد عليه على أمير المؤمنين ع بالرمح فطعنه فقتله و قال قدرأيت أباحسن فكيف رأيته وترك الرمح فيه . [صفحه ۲۵۷] وأخذت عائشة كفا من حصى فحصبت به أصحاب على ع وصاحت بأعلى صوتها شاهت الوجوه كماصنع رسول الله ص يوم حنين فقال لها قائل و مارميت إذ رميت ولكن الشيطان رمى وزحف على ع نحو الجمل بنفسه فى كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه حسن وحسين و محمد ع ودفع الراية إلى محمد و قال أقدم بها حتى تركزها فى عين الجمل و لاتقفن دونه فتقدم محمدفرشقته السهام فقال لأصحابه رويدا حتى تنفد سهامهم فلم يبق لهم إلارشقة أورشقتان فأنفذا إليه على ع إليه يستحثه ويأمره بالمناجزة فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن و قال له

أقدم لاأم لك فكان محمدرضى الله عنه إذاذكر ذلک بعديبكى و يقول لكأنى أجد ريح نفسه فى قفاى و الله لاأنسى أبدا ثم أدركت علياع رقة على ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور فى يمنى يديه ثم حمل فغاص فى عسكر الجمل ثم رجع و قدانحنى سيفه فأقامه بركبته فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فلم يجب أحدا منهم و لارد إليهم بصره وظل ينحط ويزأر زئير الأسد حتى فرق من حوله وتبادروه وإنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لايبصر من حوله و لايرد حوارا ثم دفع الراية إلى ابنه محمد ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدما قدما والرجال تفر من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضب الأرض بدماء القتلى ثم رجع و قدانحنى سيفه فأقامه بركبته فاعصوصب به أصحابه وناشدوه الله فى نفسه و فى الإسلام وقالوا إنک إن تصب يذهب الدين فأمسک ونحن نكفيك فقال و الله ماأريد بما ترون إلاوجه الله والدار الآخرة ثم قال لمحمد ابنه هكذا تصنع يا ابن الحنفية فقال الناس من ألذى يستطيع ماتستطيعه يا أمير المؤمنين . [صفحه ۲۵۸] و من كلماته الفصيحة ع فى يوم الجمل مارواه الكلبى عن رجل من الأنصار قال بينا أناواقف فى أول الصفوف يوم الجمل إذ جاء على ع فانحرفت إليه فقال أين مثرى القوم فقلت هاهنا نحو عائشة. قال الكلبى يريد أين عددهم وأين جمهورهم وكثرتهم والمال الثرى على فعيل هوالكثير و منه رجل ثروان وامرأة ثروى وتصغيرها ثريا والصدقة مثراة للمال أى مكثرة له . قال أبومخنف وبعث على ع إلى الأشتر أن احمل على ميسرتهم فحمل عليها و فيهاهلال بن وكيع فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل هلال قتله الأشتر فمالت الميسرة إلى عائشة فلاذوا بها وعظمهم بنو ضبة وبنو عدى ثم عطفت الأزد وضبة وناجية وباهلة إلى الجمل فأحاطوا به واقتتل الناس حوله قتالا شديدا وقتل كعب بن سور قاضى البصرة جاءه سهم غرب فقتله وخطام الجمل فى يده ثم قتل عمرو بن يثربى الضبى و كان فارس أصحاب الجمل وشجاعهم بعد أن قتل كثيرا من أصحاب على ع .قالوا كان عمرو أخذ بخطام الجمل فدفعه إلى ابنه ثم دعا إلى البراز فخرج إليه علباء بن الهيثم السدوسى فقتله عمرو ثم دعا إلى البراز فخرج إليه هند بن عمرو الجملى فقتله عمرو ثم دعا إلى البراز فقال زيد بن صوحان العبدى لعلى ع يا أمير المؤمنين إنى رأيت يدا أشرفت على من السماء وهى تقول هلم إلينا و أناخارج إلى [صفحه ۲۵۹] ابن يثربى فإذاقتلنى فادفنى بدمى و لاتغسلنى فإنى مخاصم عندربى ثم خرج فقتله عمرو ثم رجع إلى خطام الجمل مرتجزا يقول أرديت علباء وهندا فى طلق || ثم ابن صوحان خضيبا فى علق قدسبق اليوم لنا ما قدسبق || والوتر منا فى عدى ذى الفرق والأشتر الغاوى وعمرو بن الحمق || والفارس المعلم فى الحرب الحنق ذاک ألذى فى الحادثات لم يطق || أعنى عليا ليته فينا مزق . قال قوله والوتر منا فى عدى يعنى عدى بن حاتم الطائى و كان من أشد الناس على عثمان و من أشدهم جهادا مع على ع ثم ترک ابن يثربى الخطام وخرج يطلب المبارزة فاختلف فى قاتله فقال قوم إن عمار بن ياسر خرج إليه و الناس يسترجعون له لأنه كان أضعف من برز إليه يومئذ أقصرهم سيفا وأقصفهم رمحا وأحمشهم ساقا حمالة سيفه من نسعة الرحل وذباب سيفه قريب من إبطه فاختلفا ضربتين فنشب سيف ابن يثربى فى حجفة عمار فضربه عمار على رأسه فصرعه ثم أخذ برجله يسحبه حتى انتهى به إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين استبقنى أجاهد بين يديک وأقتل منهم مثل ماقتلت منكم فقال له على ع أ بعدزيد وهند وعلباء أستبقيك لاها الله إذا قال فأدننى منک أسارک قال له أنت متمرد و قدأخبرنى رسول الله ص بالمتمردين وذكرک فيهم فقال أما و الله لووصلت إليک لعضضت أنفک عضة أبنته منک .فأمر به على ع فضربت عنقه . [صفحه ۲۶۰] و قال قوم إن عمرا لماقتل من قتل وأراد أن يخرج لطلب البراز قال للأزد يامعشر الأزد إنكم قوم لكم حياء وبأس وإنى قدوترت القوم وهم قاتلى و هذه أمكم نصرها دين وخذلانها عقوق ولست أخشى أن أقتل حتى أصرع فإن صرعت فاستنقذونى فقالت له الأزد ما فى هذاالجمع أحد نخافه عليک إلاالأشتر قال فإياه أخاف . قال أبومخنف فقيضه الله له و قدأعلما جميعا فارتجز الأشتر إنى إذا ماالحرب أبدت نابها || وأغلقت يوم الوغى أبوابها ومزقت من حنق أثوابها || كنا قداماها و لاأذنابها ليس العدو دوننا أصحابها || من هابها اليوم فلن أهابها

لاطعنها أخشی و لاضرابها . ثم حمل علیه فطعنه فصرعه وحامت عنه الأزد فاستنقذوه فوثب و هووقیذ ثقیل فلم یستطع أن یدفع عن نفسه واستعرضه عبدالرحمن بن طود البكری فطعنه فصرعه ثانیة ووثب علیه رجل من سدوس فأخذه مسحوبا برجله حتی أتی به علیا ع فناشده الله و قال یا أمیر المؤمنین اعف عنی فإن العرب لم تزل قائلة عنك إنك لم تجهز علی جریح قط فأطلقه و قال اذهب حیث شئت فجاء إلی أصحابه و هو لما به حضره الموت فقالوا له دمك عند أی الناس فقال أماالأشتر فلقینی و أناكالمهر الأرن فعلا حده حدی ولقیت رجلا یبتغی له عشرة أمثالی و أماالبكری فلقینی و أنا لمابی و كان یبتغی لی عشرة أمثاله وتولی أسری أضعف القوم وصاحبی الأشتر. قال أبومخنف فلما انكشفت الحرب شكرت ابنة عمرو بن یثربی الأزد وعابت قومها فقالت [صفحه ۲۶۱] یاضب إنك قدفجعت بفارس || حامی الحقیقة قاتل الأقران عمرو بن یثرب الذی فجعت به || كل القبائل من بنی عدنان لم یحمه وسط العجاجة قومه || وحنت علیه الأزد أزد عمان فلهم علی بذاك حادث نعمة || ولحبهم أحببت كل یمان لو كان یدفع عن منیة هالك || طول الأكف بذابل المران أومعشر وصلوا الخطا بسیوفهم || وسط العجاجة والحتوف دوان ماضیل عمر والحوادث جمة || حتی ینال النجم والقمران لو غیرالأشتر ناله لندبته || وبكیته مادام هضب أبان لكنه من لایعاب بقتله || أسد الأسود وفارس الفرسان . قال أبومخنف وبلغنا أن عبدالرحمن بن طود البكری قال لقومه أنا و الله قتلت عمرا و إن الأشتر كان بعدی و أناأمامه فی الصعالیك فطعنت عمرا طعنة لم أحسب أنها تجعل للأشتر دونی وإنما الأشتر ذو حظ فی الحرب وإنه لیعلم أنه كان خلفی ولكن أبی الناس إلا أنه صاحبه و لاأری أن أكون خصم العامة و إن الأشتر لأهل ألا ینازع فلما بلغ الأشتر قوله قال أما و الله لو لاأنی أطفأت جمرته عنه مادنا منه و ماصاحبه غیری و إن الصید لمن وقذه فقال عبدالرحمن لاأنازع فیه ماالقول إلا ماقاله وأنی لی أن أخالف الناس . قال وخرج عبد الله بن خلف الخزاعی و هورئیس البصرة وأكثر أهلها مالا وضیاعا فطلب البراز وسأل ألا یخرج إلیه إلا علی ع وارتجز فقال أباتراب ادن منی فترا || فإننی دان إلیك شبرا و إن فی صدری علیك غمرا . [صفحه ۲۶۲] فخرج إلیه علی ع فلم یمهله أن ضربه ففلق هامته .قالوا استدار الجمل كماتدور الرحی وتكاثفت الرجال من حوله واشتد رغاؤه واشتد زحام الناس علیه ونادی الحتات المجاشعی أیها الناس أمكم أمكم واختلط الناس فضرب بعضهم بعضا وتقصد أهل الكوفة قصد الجمل والرجال دونه كالجبال كلما خف قوم جاء أضعافهم فنادی علی ع ویحكم ارشقوا الجمل بالنبل اعقروه لعنه الله فرشق بالسهام فلم یبق فیه موضع إلاأصابه النبل و كان مجففا فتعلقت السهام به فصار كالقنفذ ونادت الأزد وضبة یالثارات عثمان فاتخذوها شعارا ونادی أصحاب علی ع یا محمدفاتخذوها شعارا واختلط الفریقان ونادی علی ع بشعار رسول الله ص یامنصور أمت و هذا فی الیوم الثانی من أیام الجمل فلما دعا بهاتزلزلت أقدام القوم و ذلك وقت العصر بعد أن كانت الحرب من وقت الفجر. قال الواقدی و قدروی أن شعاره ع كان فی ذلك الیوم حم لاینصرون أللهم انصرنا علی القوم الناكثین -روایت-۱-۴-روایت-۱۲-۹۴ ثم تحاجز الفریقان والقتل فاش فیهما إلا أنه فی أهل البصرة أكثر وأمارات النصر لائحة لعسكر الكوفة ثم تواقفوا فی الیوم الثالث فبرز أول الناس عبد الله بن الزبیر ودعا إلی المبارزة فبرز إلیه الأشتر فقالت عائشة من برز إلی عبد الله قالوا الأشتر فقالت وا ثكل أسماء فضرب كل منهما صاحبه فجرحه ثم اعتنقا فصرع الأشتر عبد الله وقعد علی صدره واختلط الفریقان هؤلاء لینقذوا عبد الله وهؤلاء لیعینوا الأشتر و كان الأشتر طاویا ثلاثة أیام [صفحه ۲۶۳] لم یطعم و هذه عادته فی الحرب و كان أیضا شیخا عالی السن فجعل عبد الله ینادی اقتلونی ومالكا .فلو قال اقتلونی والأشتر لقتلوهما إلا أن أكثر من كان یمر بهما لایعرفهما لكثرة من وقع فی المعركة صرعی بعضهم فوق بعض وأفلت ابن الزبیر من تحته و لم یكد فذلك قول الأشتر أعائش لو لاأننی كنت طاویا || ثلاثا لألفیت ابن أختك هالكا غداة ینادی والرجال تحوزه || بأضعف صوت اقتلونی ومالكا فلم یعرفوه إذ دعاهم وغمه || خدب علیه فی العجاجة باركا فنجاه منی أكله وشبابه || وأنی شیخ لم أكن متماسكا . وروی أبومخنف عن الأصبغ بن نباتة قال دخل عمار بن یاسر ومالك بن الحارث الأشتر علی

عائشة بعدانقضاء أمر الجمل فقالت عائشة ياعمار من معك قال الأشتر فقالت يامالك أنت ألذى صنعت بابن أختى ماصنعت قال نعم و لو لاأنى كنت طاويا ثلاثة أيام لأرحت أمة محمد منه فقالت أ ماعلمت أن رسول الله ص قال لايحل دم مسلم إلابأحد أمور ثلاثة كفر بعدإيمان أوزنا بعدإحصان أوقتل نفس بغير حق -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۱۱۵ فقال الأشتر على بعض هذه الثلاثة قاتلناه ياأم المؤمنين وايم الله ماخاننى سيفى قبلها ولقد أقسمت ألا يصحبنى بعدها. قال أبومخنف ففى ذلك يقول الأشتر من جملة هذاالشعر ألذى ذكرناه وقالت على أى الخصال صرعته || بقتل أتى أم رده لا أبالكا أم المحصن الزانى ألذى حل قتله || فقلت لها لابد من بعض ذلكا . [صفحه ۲۶۴] قال أبومخنف وانتهى الحارث بن زهير الأزدى من أصحاب على ع إلى الجمل و رجل آخذ بخطامه لايدنو منه أحد إلاقتله فلما رآه الحارث بن زهير مشى إليه بالسيف وارتجز فقال لعائشة ياأمنا أعق أم نعلم || والأم تغذو ولدها وترحم أ ماترين كم شجاع يكلم || وتختلى هامته والمعصم .فاختلف هو و الرجل ضربتين فكلاهما أثخن صاحبه . قال جندب بن عبد الله الأزدى فجئت حتى وقفت عليهما وهما يفحصان بأرجلهما حتى ماتا قال فأتيت عائشة بعد ذلك أسلم عليها بالمدينة فقالت من أنت قلت رجل من أهل الكوفة قالت هل شهدتنا يوم البصرة قلت نعم قالت مع أى الفريقين قلت مع على قالت هل سمعت مقالة ألذى قال ياأمنا أعق أم نعلم . قلت نعم وأعرفه قالت و من هو قلت ابن عم لى قالت و مافعل قلت قتل عندالجمل وقتل قاتله قال فبكت حتى ظننت و الله أنها لاتسكت ثم قالت لوددت و الله أننى كنت مت قبل ذلك اليوم بعشرين سنة.قالوا وخرج رجل من عسكر البصرة يعرف بخباب بن عمرو الراسبى فارتجز فقال أضربهم و لوأرى عليا || عممته أبيض مشرفيا أريح منه معشرا غويا .فصمد عليه الأشتر فقتله . ثم تقدم عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس و هو [صفحه ۲۶۵] من أشراف قريش و كان اسم سيفه ولول فارتجز فقال أنا ابن عتاب وسيفى ولول || والموت دون الجمل المجلل .فحمل عليه الأشتر فقتله ثم خرج عبد الله بن حكيم بن حزام من بنى أسد بن عبدالعزى بن قصى من أشراف قريش أيضا فارتجز وطلب المبارزة فخرج إليه الأشتر فضربه على رأسه فصرعه ثم قام فنجا بنفسه .قالوا وأخذ خطام الجمل سبعون من قريش قتلوا كلهم و لم يكن يأخذ بخطام الجمل أحد إلاسالت نفسه أوقطعت يده وجاءت بنو ناجية فأخذوا بخطام الجمل و لم يكن يأخذ الخطام أحد إلاسألت عائشة من هذافسألت عنهم فقيل بنو ناجية فقالت عائشة صبرا يابنى ناجية فإنى أعرف فيكم شمائل قريش قالوا وبنو ناجية مطعون فى نسبهم إلى قريش فقتلوا حولها جميعا. قال أبومخنف و حدثناإسحاق بن راشد عن عبد الله بن الزبير قال أمسيت يوم الجمل وبى سبعة وثلاثون جرحا من ضربة وطعنة ورمية و مارأيت مثل يوم الجمل قط ما كان الفريقان إلاكالجبلين لايزولان . قال أبومخنف وقام رجل إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين أى فتنة أعظم من هذه إن البدرية ليمشى بعضها إلى بعض بالسيف فقال على ع ويحك أتكون فتنة أناأميرها وقائدها و ألذى بعث محمدا بالحق وكرم وجهه ماكذبت و لاكذبت و لاضللت و لاضل بى و لازللت و لازل بى وإنى لعلى بينة من ربى بينها الله لرسوله وبينها رسوله لى وسأدعى يوم القيامة و لاذنب لى و لو كان لى ذنب لكفر عنى ذنوبى ما أنا فيه من قتالهم -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۳۱ قال أبومخنف و حدثنامسلم الأعور عن حبة العرنى قال فلما رأى على ع [صفحه ۲۶۶] أن الموت عندالجمل و أنه مادام قائما فالحرب لاتطفأ وضع سيفه على عاتقه وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك ومشى نحوه والخطام مع بنى ضبة فاقتتلوا قتالا شديدا واستحر القتل فى بنى ضبة فقتل منهم مقتلة عظيمة وخلص على ع فى جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل فقال لرجل من النخع اسمه بجير دونك الجمل يابجير فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرانه الأرض وعج عجيجا لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كمايطير الجراد فى الريح الشديدة الهبوب واحتملت عائشة بهودجها فحملت إلى دار عبد الله بن خلف وأمر على ع بالجمل أن يحرق ثم يذرى فى الريح و قال ع لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بنى إسرائيل ثم قرأَ انظُر إِلى إِلهِكَ ألّذِى ظَلتَ عَلَيهِ عاكِفاً لَنُحَرّقَنّهُ ثُمّ لَنَنسِفَنّهُ فِى اليَمّ نَسفاً -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۱۷۳ [

۱۴- و من کلام له ع فی مثل ذلک

أَرضُكُم قَرِيبَةٌ مِنَ المَاءِ بَعِيدَةٌ مِنَ السّمَاءِ خَفّت عُقُولُكُم وَ سَفِهَت حُلُومُكُم فَأَنتُم غَرَضٌ لِنَابِلٍ وَ أُكلَةٌ لِآكِلٍ وَ فَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ الغرض ماينصب ليرمى بالسهام والنابل ذو النبل والأكلة بضم الهمزة المأكول وفريسة الأسد مايفترسه . وسفه فلان بالكسر أى صار سفيها وسفه بالضم أيضا فإذا قلت سفه فلان رأيه أوحلمه أونفسه لم تقل إلابالكسر لأن فعل بالضم لايتعدى وقولهم سفه فلان نفسه وغبن رأيه وبطر عيشه وألم بطنه ورفق حاله ورشد أمره كان الأصل فيه كله سفهت نفس زيد فلما حول الفعل إلى الرجل انتصب مابعده بالمفعولية هذامذهب البصريين والكسائى من الكوفيين . و قال الفراء لماحول الفعل إلى الرجل خرج مابعده مفسرا ليدل على أن السفاهة فيه و كان حكمه أن يكون سفه زيد نفسا لأن المفسر لا يكون إلانكرة ولكنه ترك على إضافته ونصب كنصب النكرة تشبيها بها. ويجوز عندالبصريين والكسائى تقديم المنصوب كمايجوز ضرب غلامه زيد و عندالفراء لايجوز تقديمه لأن المفسر لايتقدم . [صفحه ۲۶۸] فأما قوله أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء فقد قدمنا معنى قوله قريبة من الماء وذكرنا غرقها من بحر فارس دفعتين ومراده ع بقوله قريبة من الماء أى قريبة من الغرق بالماء و أمابعيدة من السماء فإن أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون أن أبعد موضع فى الأرض عن السماء الأبلة و ذلك موافق لقوله ع . ومعنى البعد عن السماء هاهنا هو بعدتلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدل النهار والبقاع والبلاد تختلف فى ذلك و قددلت الأرصاد والآلات النجومية على أن أبعد موضع فى المعمورة عن دائرة معدل النهار هوالأبلة والأبلة هى قصبة البصرة. و هذاالموضع من خصائص أمير المؤمنين ع لأنه أخبر عن أمر لاتعرفه العرب و لاتهتدى إليه و هومخصوص بالمدققين من الحكماء و هذا من أسراره وغرائبه البديعة [صفحه ۲۶۹]

۱۵- و من کلام له ع فیما رده علی المسلمین من قطائع عثمان رضی الله عنه

وَ اللّهِ لَو وَجَدتُهُ قَد تُزُوّجَ بِهِ النّسَاءُ وَ مُلِكَ بِهِ الإِمَاءُ لَرَدَدتُهُ فَإِنّ فِي العَدلِ سَعَةً وَ مَن ضَاقَ عَلَيهِ العَدلُ فَالجَورُ عَلَيهِ أَضيَقُ القطائع مايقطعه الإمام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج ويسقط عنه خراجه ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوضا عن الخراج و قد كان عثمان أقطع كثيرا من بنى أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة و قد كان عمر أقطع قطائع ولكن لأرباب الغناء فى الحرب والآثار المشهورة فى الجهاد فعل ذلك ثمنا عما بذلوه من مهجهم فى طاعة الله سبحانه وعثمان أقطع القطائع صلة لرحمه وميلا إلى أصحابه عن غيرعناء فى الحرب و لاأثر. و هذه الخطبة ذكرها الكلبى مروية مرفوعة إلى أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عليا ع خطب فى اليوم الثانى من بيعته بالمدينة فقال ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال فإن الحق القديم لايبطله شىء و لووجدته و قدتزوج به النساء وفرق فى البلدان لرددته إلى حاله فإن فى العدل سعة و من ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق -روايت-۱-۲-روايت-۸۸-۳۸۷ . [صفحه ۲۷۰] وتفسير هذاالكلام أن الوالى إذاضاقت عليه تدبيرات أموره فى العدل فهى فى الجور أضيق عليه لأن الجائر فى مظنة أن يمنع ويصد عن جوره . قال الكلبى ثم أمر ع بكل سلاح وجد لعثمان فى داره مما تقوى به على المسلمين فقبض وأمر بقبض نجائب كانت فى داره من إبل الصدقة فقبضت وأمر بقبض سيفه ودرعه وأمر ألا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون وبالكف عن جميع أمواله التى وجدت فى داره و فى غيرداره وأمر أن ترتجع الأموال التى أجاز بهاعثمان حيث

أصيبت أوأصيب أصحابها.فبلغ ذلك عمرو بن العاص و كان بأيلة من أرض الشام أتاها حيث وثب الناس على عثمان فنزلها فكتب إلى معاوية ماكنت صانعا فاصنع إذ قشرك ابن أبى طالب من كل مال تملكه كماتقشر عن العصا لحاها. و قال الوليد بن عقبة و هوأخو عثمان من أمه يذكر قبض على ع نجائب عثمان وسيفه وسلاحه بنى هاشم ردوا سلاح ابن أختكم || و لاتنهبوه لاتحل مناهبه بنى هاشم كيف الهوادة بيننا || و عند على درعه ونجائبه بنى هاشم كيف التودد منكم || وبز ابن أروى فيكم وحرائبه بنى هاشم إلا تردوا فإننا || سواء علينا قاتلاه وسالبه بنى هاشم إنا و ما كان منكم || كصدع الصفا لايشعب الصدع شاعبه قتلتم أخى كيما تكونوا مكانه || كماغدرت يوما بكسرى مرازبه . [صفحه ۲۷۱] فأجابه عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب بأبيات طويلة من جملتها فلاتسألونا سيفكم إن سيفكم || أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه وشبهته كسرى و قد كان مثله || شبيها بكسرى هدبه وضرائبه . أى كان كافرا كما كان كسرى كافرا. و كان المنصور رحمه الله تعالى إذاأنشد هذاالشعر يقول لعن الله الوليد هو ألذى فرق بين بنى عبدمناف بهذا الشعر [صفحه ۲۷۲]

۱۶- و من خطبة له ع لمابويع بالمدينة

اشاره

ذِمّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وَ أَنَا بِهِ زَعِيمٌ إِنّ مَن صَرّحَت لَهُ العِبَرُ عَمّا بَينَ يَدَيهِ مِنَ المَثُلَاتِ حَجَزَتهُ التّقوَى عَن تَقَحّمِ الشّبُهَاتِ أَلَا وَ إِنّ بَلِيّتَكُم قَد عَادَت كَهَيئَتِهَا يَومَ بَعَثَ اللّهُ نَبِيّهُ وَ ألّذِى بَعَثَهُ بِالحَقّ لَتُبَلبَلُنّ بَلبَلَةً وَ لَتُغَربَلُنّ غَربَلَةً وَ لَتُسَاطُنّ سَوطَ القِدرِ حَتّى يَعُودَ أَسفَلُكُم أَعلَاكُم وَ أَعلَاكُم أَسفَلَكُم وَ لَيَسبِقَنّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصّرُوا وَ لَيُقَصّرَنّ سَبّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا وَ اللّهِ مَا كَتَمتُ وَشمَةً وَ لَا كَذَبتُ كِذبَةً وَ لَقَد نُبّئتُ بِهَذَا المَقَامِ وَ هَذَا اليَومِ أَلَا وَ إِنّ الخَطَايَا خَيلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيهَا أَهلُهَا وَ خُلِعَت لُجُمُهَا فَتَقَحّمَت بِهِم فِي النّارِ أَلَا وَ إِنّ التّقوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيهَا أَهلُهَا وَ أُعطُوا أَزِمّتَهَا فَأَورَدَتهُمُ الجَنّةَ حَقّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلّ أَهلٌ فَلَئِن أَمِرَ البَاطِلُ لَقَدِيماً فَعَلَ وَ لَئِن قَلّ الحَقّ لَرُبّمَا وَ لَعَلّ وَ لَقَلّمَا أَدبَرَ شَيءٌ فَأَقبَلَ قال الرضى وأقول إن فى هذاالكلام الأدنى من مواقع -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۷۳] الإحسان ما لاتبلغه مواقع الاستحسان و إن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به و فيه مع الحال التى وصفنا زوائد من الفصاحة لايقوم بهالسان و لايطلع فجها إنسان و لايعرف ماأقول إلا من ضرب فى هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وَ مَا يَعقِلُهَا إِلّا العالِمُونَ -روايت-از قبل-۲۷۲ و من هذه الخطبةشُغِلَ مَنِ الجَنّةُ وَ النّارُ أَمَامَهُ سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا وَ طَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا وَ مُقَصّرٌ فِي النّارِ هَوَى اليَمِينُ وَ الشّمَالُ مَضَلّةٌ وَ الطّرِيقُ الوُسطَى هيَ الجَادّةُ عَلَيهَا بَاقِي الكِتَابِ وَ آثَارُ النّبُوّةِ وَ مِنهَا مَنفَذُ السّنّةِ وَ إِلَيهَا مَصِيرُ العَاقِبَةِ هَلَكَ مَنِ ادّعَى وَ خَابَ مَنِ افتَرَى مَن أَبدَى صَفحَتَهُ لِلحَقّ هَلَكَ عِندَ جَهَلَةِ النّاسِ وَ كَفَى بِالمَرءِ جَهلًا أَلّا يَعرِفَ قَدرَهُ لَا يَهلِكُ عَلَى التّقوَى سِنخُ أَصلٍ وَ لَا يَظمَأُ عَلَيهَا زَرعُ قَومٍ فَاستَتِرُوا فِي بُيُوتِكُم وَ أَصلِحُوا ذَاتَ بَينِكُم وَ التّوبَةُ مِن وَرَائِكُم وَ لَا يَحمَد حَامِدٌ إِلّا رَبّهُ وَ لَا يَلُم لَائِمٌ إِلّا نَفسَهُ [صفحه ۲۷۴] الذمة العقد والعهد يقول هذاالدين فى ذمتى كقولك فى عنقى وهما كناية عن الالتزام والضمان والتقلد والزعيم الكفيل ومخرج الكلام لهم مخرج الترغيب فى سماع مايقوله كما يقول المهتم بإيضاح أمر لقوم لهم أناالمدرك المتقلد بصدق ماأقوله لكم وصرحت كشفت والعبر جمع عبرة وهى الموعظة والمثلات العقوبات وحجزه منعه . و قوله لتبلبلن أى لتخلطن تبلبلت الألسن أى اختلطت ولتغربلن يجوز أن يكون من الغربال ألذى يغربل به الدقيق ويجوز أن يكون من غربلت اللحم أى قطعته فإن كان الأول كان له معنيان أحدهما الاختلاط كالتبلبل لأن غربلة الدقيق تخلط بعضه ببعض والثانى أن يريد بذلك أنه يستخلص الصالح منكم من الفاسد ويتميز كمايتميز الدقيق عندالغربلة

من نخالته . وتقول ماعصيت فلانا وشمة أى كلمة وحصان شموس يمنع ظهره شمس الفرس بالفتح و به شماس وأمر الباطل كثر. و قوله لقـديما فعل أى لقديما فعل الباطل ذلك ونسب الفعل إلى الباطل مجازا ويجوز أن يكون فعل بمعنى انفعل كقوله قدجبر الـدين الإله فجبر أى فانجبر والسنخ الأصل و قوله سنخ أصل كقوله إذاحاص عينيه كرى النوم و فى بعض الروايات من أبـدى صفحته للحق هلك عندجهلة الناس -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۶۶ والتأويل مختلف فمراده على الرواية الأولى وهى الصحيحة من كاشف الحق مخاصما له هلك [صفحه ۲۷۵] وهى كلمة جارية مجرى المثل ومراده على الرواية الثانية من أبدى صفحته لنصرة الحق غلبه أهل الجهل لأنهم العامة وفيهم الكثرة فهلك . و هـذه الخطبة من جلائل خطبه ع و من مشهوراتها قـدرواها النـاس كلهم و فيهازيـادات حـذفها الرضـى إمـا اختصـارا أوخوفا من إيحاش السامعين و قـدذكرها شـيخنا أبوعثمان الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين على وجهها ورواها عن أبى عبيـدة معمر بن المثنى . قال أول خطبة خطبها أمير المؤمنين على ع بالمدينة فى خلافته حمـد الله وأثنى عليه وصـلى على النبى ص ثم قال ألا لايرعين مرع إلا على نفسه شـغل من الجنة والنار أمامه ساع مجتهد ينجو وطالب يرجو ومقصر فى النار ثلاثة واثنان ملك طار بجناحيه ونبى أخذ الله بيده لاسادس هلك من ادعى وردى من اقتحم اليمين والشـمال مضـلة والوسـطى الجـادة منهـج عليه بـاقى الكتاب والسـنة وآثار النبوة إن الله داوى هـذه الأمـة بـدواءين السوط والسـيف لاهوادة عندالإمام فيهما اسـتتروا فى بيوتكم وأصـلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من أبدى صفحته -روايت-۱-۲-روايت-۶۵-ادامـه دارد [صـفحه ۲۷۶] للحـق هلـك قـدكانت لكم أمور ملتم فيهـا على ميلـة لم تكونوا عنـدى فيهـامحمودين و لامصـيبين أماإنى لوأشاء لقلت عفا الله عما سـلف سـبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همته بطنه ويحه لوقص جناحاه وقطع رأسه لكـان خيرا له انظروا فـإن أنكرتم فـأنكروا و إن عرفتم فـآزروا حق وباطل ولكل أهل ولئن أمر الباطل لقـديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل وقلما أدبر شـىءفأقبل ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء وإنى لأخشى أن تكونوا فى فترة و ماعلينا إلاالاجتهاد -روايت-از قبل-۴۶۷ قال شـيخنا أبوعثمان رحمه الله تعالى و قال أبوعبيـدة وزاد فيها فى رواية جعفر بن محمد ع عن آبائه ع ألا إن أبرار عترتى وأطـايب أرومتى أحلم النـاس صـغارا وأعلم الناس كبارا ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا و من قول صادق سـمعنا فإن تتبعوا آثارنا تهتـدوا ببصائرنا و إن لم تفعلوا يهلككم الله بأيـدينا ومعنا رايـة الحق من تبعها لحق و من تأخر عنها غرق ألا وبنا يـدرك ترة كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم وبنا فتح لابكم ومنا يختم لابكم -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۷-۴۷۶ . قوله لايرعين أى لايبقين أرعيت عليه أى أبقيت يقول من أبقى على النـاس فإنمـا أبقى على نفسه والهوادة الرفق والصـلح وأصله اللين والتهويد المشى [صفحه ۲۷۷] رويدا و فى الحديث أسـرعوا المشى فى الجنازة و لاتهودوا كماتهود أهل الكتاب -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۷۲ وآزرت زيـدا أعنته الترة والوتر والربقـة الحبل يجعل فى عنق الشاة وردى هلك من الردى كقولك عمى من العمى وشـجى من الشـجا. و قوله شـغل من الجنة والنار أمامه يريد به أن من كانت هاتان الداران أمامه لفى شـغل عن أمور الـدنيا إن كان رشـيدا. و قوله ساع مجتهـد إلى قوله لاسادس كلام تقـديره المكلفون على خمسة أقسام ساع مجتهـد وطـالب راج ومقصـر هالك ثم قال ثلاثـة أى فهؤلاء ثلاثـة أقسام و هـذاينظر إلى قوله سبحانه ثُمّ أَورَثنَا الكِتابَ الّذِينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ وَ مِنهُم مُقتَصِدٌ وَ مِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ بِإِذنِ اللّهِ ثم ذكر القسمين الرابع والخامس فقال هما ملك طار بجناحيه ونبى أخذ الله بيده يريد عصمة هذين النوعين من القبيح ثم قال لاسادس أى لم يبق فى المكلفين قسم سادس و هذايقتضـى أن العصـمة ليست إلاللأنبياء والملائكـة و لو كان الإمام يجب أن يكون معصوما لكان قسـما سادسا فإذن قدشـهد هذاالكلام بصحة ماتقوله المعتزلة فى نفى اشتراط العصـمة فى الإمامة أللهم إلا أن يجعل الإمام المعصوم داخلا فى القسم الأول و هوالساعى المجتهـد و فيه بعـد وضـعف . و قوله هلك من ادعى وردى من اقتحم يريد هلك من ادعى وكذب لابد من تقدير ذلك لأن الـدعوى تعم الصـدق والكـذب وكأنه يقول هلك من ادعى الإمامـة وردى من اقتحمها وولجها عن غيراسـتحقاق لأن

كلامه ع فى هذه الخطبة كله كنايات عن الإمامة لا عن غيرها. -قرآن-۴۲۴-۵۶۸ [صفحه ۲۷۸] و قوله اليمين والشمال مثال لأن السالك الطريق المنهج اللاحب ناج والعادل عنها يمينا وشمالا معرض للخطر. ونحو هذاالكلام ماروى عن عمر أنه لماصدر عن منى فى السنة التى قتل فيهاكوم كومة من البطحاء فقام عليها فخطب الناس فقال أيها الناس قدسنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة إلا أن تميلوا بالناس يمينا وشمالا ثم قرأأَ لَم نَجعَل لَهُ عَينَينِ وَ لِساناً وَ شَفَتَينِ وَ هَدَيناهُ النّجدَينِ ثم قال إلاإنهما نجدا الخير والشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير -قرآن-۳۵۲-۴۲۶

من كلام للحجاج وزياد نسجا فيه على منوال كلام على

و قوله إن الله داوى هذه الأمة بدواءين كلام شريف و على منواله نسج الحجاج وزياد كلامهما المذكور فيه السوط والسيف فمن ذلك قول الحجاج من أعياه داؤه فعلى دواؤه و من استبطأ أجله فعلى أن أعجله و من استثقل رأسه وضعت عنه ثقله و من استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه إن للشيطان طيفا و إن للسلطان سيفا فمن سقمت سريرته صحت عقوبته و من وضعه ذنبه رفعه صلبه و من لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة و من سبقته بادرة فمه سبق بدنه سفكك دمه إنى لأنذر ثم لاأنظر وأحذر ثم لاأعذر وأتوعد ثم لاأغفر إنما أفسدكم ترقيق ولاتكم و من استرخى لببه ساء أدبه إن الحزم والعزم سلبانى [صفحه ۲۷۹] سوطى وجعلا سوطى سيفى فقائمه فى يدى ونجاده فى عنقى وذبابه قلادة لمن عصانى و الله لاآمر أحدا أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب ألذى يليه إلاضربت عنقه . و من ذلك قول زياد إنما هوزجر بالقول ثم ضرب بالسوط ثم الثالثة التى لاشوى لها فلايكونن لسان أحدكم شفرة تجرى على أوداجه وليعلم إذاخلا بنفسه أنى قدحملت سيفى بيده فإن شهره لم أغمده و إن أغمده لم أشهره . و قوله ع كالغراب يعنى الحرص والجشع والغراب يقع على الجيفة ويقع على التمرة ويقع على الحبة و فى الأمثال أجشع من غراب وأحرص من غراب . و قوله ويحه لوقص يريد لو كان قتل أومات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيرا له من أن يعيش ويدخل فيها ثم قال لهم أفكروا فيما قد قلت فإن كان منكرا فأنكروه و إن كان حقا فأعينوا عليه . و قوله استتروا فى بيوتكم نهى لهم عن العصبية والاجتماع والتحزب فقد كان قوم بعدقتل عثمان تكلموا فى قتله من شيعة بنى أمية بالمدينة. [صفحه ۲۸۰] و أما قوله قدكانت أمور لم تكونوا عندى فيهامحمودين فمراده أمر عثمان وتقديمه فى الخلافة عليه و من الناس من يحمل ذلك على خلافة الشيخين أيضا ويبعد عندى أن يكون أراده لأن المدة قدكانت طالت و لم يبق من يعاتبه ليقول قدكانت أمور لم تكونوا عندى فيهامحمودين فإن هذاالكلام يشعر بمعاتبة قوم على أمر كان أنكره منهم و أمابيعة عثمان ثم ماجرى بينه و بين عثمان من منازعات طويلة وغضب تارة وصلح أخرى ومراسلات خشنة ولطيفة وكون الناس بالمدينة كانوا حزبين وفئتين إحداهما معه ع والأخرى مع عثمان فإن صرف الكلام إلى ماقلناه بهذا الاعتبار أليق . ولسنا نمنع من أن يكون فى كلامه ع الكثير من التوجد والتألم لصرف الخلافة بعدوفاة الرسول ص عنه وإنما كلامنا الآن فى هذه اللفظات التى فى هذه الخطبة على أن قوله ع سبق الرجلان والاقتصار على ذلك فيه كفاية فى انحرافه عنهما. و أما قوله حق وباطل إلى آخر الفصل فمعناه كل أمر فهو إما حق وإما باطل ولكل واحد من هذين أهل و مازال أهل الباطل أكثر من أهل الحق ولئن كان الحق قليلا لربما كثر ولعله ينتصر أهله . ثم قال على سبيل التضجر بنفسه وقلما أدبر شيءفأقبل استبعد ع أن تعود دولة قوم بعدزوالها عنهم و إلى هذاالمعنى ذهب الشاعر فى قوله وقالوا يعود الماء فى النهر بعد ما || ذوى نبت جنبيه وجف المشارع فقلت إلى أن يرجع النهر جاريا || ويعشب جنباه تموت الضفادع [صفحه ۲۸۱] ثم قال ولئن رجعت عليكم أموركم أى إن ساعدنى الوقت وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالى ورسوله وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله ص وسيرة مماثلة لسيرته فى

أصحابه إنكم لسعداء. ثم قال وإنی لأخشی أن تکونوا فی فترة -روايت-١-٢-روايت-١٢-٢٥٠ الفترة هی الأزمنة التی بين الأنبياء إذاانقطعت الرسل فيهاكالفترة التی بين عيسی ع و محمدص لأنه لم يکن بينهما نبی بخلاف المدة التی کانت بين موسی وعيسی ع لأنه بعث فيهاأنبياء کثيرون فيقول ع إنی لأخشی ألا أتمکن من الحکم بکتاب الله تعالی فيکم فتکونوا کالأمم الذين فی أزمنة الفترة لايرجعون إلی نبی يشافههم بالشرائع والأحکام وکأنه ع قد کان يعلم أن الأمر سيضطرب عليه . ثم قال و ماعلينا إلاالاجتهاد يقول أناأعمل مايجب علی من الاجتهاد فی القيام بالشريعة وعزل ولاة السوء وأمراء الفساد عن المسلمين فإن تم ماأريده فذاک و إلاکنت قدأعذرت . و أماالتتمة المروية عن جعفر بن محمد ع فواضحة الألفاظ و قوله فی آخرها وبنا تختم لابکم إشارة إلی المهدی ألذی يظهر فی آخر الزمان وأکثر المحدثين علی أنه من ولد فاطمة ع وأصحابنا المعتزلة لاينکرونه و قدصرحوا بذکره فی کتبهم واعترف به شيوخهم إلاـ أنه عندنا لم يخلق بعد وسيخلق . و إلی هذاالمذهب يذهب أصحاب الحديث أيضا. وروی قاضی القضاة -روايت-١-٢ [صفحه ٢٨٢] رحمه الله تعالی عن کافی الکفاة أبی القاسم إسماعيل بن عباد رحمه الله بإسناد متصل بعلی ع أنه ذکر المهدی و قال إنه من ولد الحسين ع وذکر حليته فقال رجل أجلی الجبين أقنی الأنف ضخم البطن أزيل الفخذين أبلج الثنايا بفخذه اليمنی شامة -روايت-١٠٠-٢٥٦ وذکر هذاالحديث بعينه عبد الله بن قتيبة فی کتاب غريب الحديث [صفحه ٢٨٣]

١٧- و من کلام له ع فی صفة من يتصدی للحکم بين الأمة و ليس لذلک بأهل

إِنّ أَبغَضَ الخَلَائِقِ إِلَی اللّهِ تَعَالَی رَجُلَانِ رَجُلٌ وَکَلَهُ اللّهُ إِلَی نَفسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَن قَصدِ السّبِيلِ مَشغُوفٌ بِکَلَامِ بِدعَةٍ وَ دُعَاءِ ضَلَالَةٍ فَهُوَ فِتنَةٌ لِمَنِ افتَتَنَ بِهِ ضَالّ عَن هُدَی مَن کَانَ قَبلَهُ مُضِلّ لِمَنِ اقتَدَی بِهِ فِی حَيَاتِهِ وَ بَعدَ وَفَاتِهِ حَمّالٌ خَطَايَا غَيرِهِ رَهنٌ بِخَطِيئَتِهِ وَ رَجُلٌ قَمَشَ جَهلًا مُوضِعٌ فِی جُهّالِ الأُمّةِ عَادٍ فِی أَغبَاشِ الفِتنَةِ عَمٍ بِمَا فِی عَقدِ الهُدنَةِ قَد سَمّاهُ أَشبَاهُ النّاسِ عَالِماً وَ لَيسَ بِهِ بَکّرَ فَاستَکثَرَ مِن جَمعٍ مَا قَلّ مِنهُ خَيرٌ مِمّا کَثُرَ حَتّی إِذَا ارتَوَی مِن آجِنٍ وَ اکتَنَزَ مِن غَيرِ طَائِلٍ جَلَسَ بَينَ النّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخلِيصِ مَا التَبَسَ عَلَی غَيرِهِ فَإِن نَزَلَت بِهِ إِحدَی المُبهَمَاتِ هَيّأَ لَهَا حَشواً رَثّا مِن رَأيِهِ ثُمّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِن لَبسِ الشّبُهَاتِ فِی مِثلِ نَسجِ العَنکَبُوتِ لَا يَدرِی أَصَابَ أَم أَخطَأَ فَإِن أَصَابَ خَافَ أَن يَکُونَ قَد أَخطَأَ وَ إِن أَخطَأَ رَجَا أَن يَکُونَ قَد أَصَابَ جَاهِلٌ خَبّاطُ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَکّابُ عَشَوَاتٍ لَم يَعَضّ عَلَی العِلمِ بِضِرسٍ قَاطِعٍ يذُرِی الرّوَايَاتِ إِذرَاءَ الرّيحِ الهَشِيمَ لَا مَلِیءٌ وَ اللّهِ بِإِصدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيهِ وَ لَا هُوَ أَهلٌ لِمَا فُوّضَ إِلَيهِ لَا يَحسَبُ العِلمَ فِی شَیءٍ مِمّا أَنکَرَهُ وَ لَا يَرَی أَنّ مِن وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذهَباً لِغَيرِهِ وَ إِن أَظلَمَ عَلَيهِ أَمرٌ اکتَتَمَ بِهِ لِمَا يَعلَمُ مِن جَهلِ نَفسِهِ تَصرُخُ مِن جَورِ قَضَائِهِ الدّمَاءُ وَ تَعَجّ مِنهُ [صفحه ٢٨٤] المَوَارِيثُ إِلَی اللّهِ مِن مَعشَرٍ يَعِيشُونَ جُهّالًا وَ يَمُوتُونَ ضُلّالًا لَيسَ فِيهِم سِلعَةٌ أَبوَرُ مِنَ الکِتَابِ إِذَا تُلِیَ حَقّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا سِلعَةٌ أَنفَقُ بَيعاً وَ لَا أَغلَی ثَمَناً مِنَ الکِتَابِ إِذَا حُرّفَ عَن مَوَاضِعِهِ وَ لَا عِندَهُم أَنکَرُ مِنَ المَعرُوفِ وَ لَا أَعرَفُ مِنَ المُنکَرِ وکله إلی نفسه ترکه ونفسه وکلته وکلاـ ووکولا والجائر الضال العادل عن الطريق وقمش جهلا جمعه وموضع مسرع أوضع البعير أسرع وأوضعه راکبه فهو موضع به أی أسرع به . وأغباش الفتنة ظلمها الواحدة غبش وأغباش الليل بقايا ظلمته و منه الحديث فی صلاة الصبح والنساء متلفعات بمروطهن مايعرفن من الغبش -روايت-١-٢-روايت-٣٢-٧٨ والماء الآجن الفاسد وأکثر کقولک استکثر ويروی اکتنز أی اتخذ العلم کنزا. والتخليص التبيين و هو والتلخيص متقاربان ولعلهما شیءواحد من المقلوب . والمبهمات المشکلات وإنما قيل لها مبهمة لأنها أبهمت عن البيان کأنها أصمتت فلم يجعل عليها دليل و لاإليها سبيل أوجعل عليها دليل وإليها سبيل إلا أنه متعسر مستصعب ولهذا قيل لما لاينطق من الحيوان بهيمة وقيل للمصمت اللون ألذی لاشية فيه بهيم . و قوله حشوا رثا کلام مخرجه

الذم والرث الخلق ضد الجديد. و قوله حشوا يعنى كثيرا لافائدة فيه وعاش خابط فى ظلام و قوله لم يعض يريد أنه لم يتقن و لم يحكم الأمور فيكون بمنزلة من يعض بالناجذ و هوآخر الأضراس وإنما [صفحه ۲۸۵] يطلع إذااستحكمت شبيبة الإنسان واشتدت مرته ولذلك يدعوه العوام ضرس الحلم كأن الحلم يأتى مع طلوعه ويذهب نزق الصبا ويقولون رجل منجذ أى مجرب محكم كأنه قدعض على ناجذه وكمل عقله . و قوله يذرى الروايات هكذا أكثر النسخ وأكثر الروايات يذرى من أذرى رباعيا و قدأوضحه قوله إذراء الريح يقال طعنه فأذراه أى ألقاه وأذريت الحب للزرع أى ألقيته فكأنه يقول يلقى الروايات كمايلقى الإنسان الشىء على الأرض والأجود الأصح الرواية الأخرى يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم وهكذا ذكر ابن قتيبة فى غريب الحديث لماذكر هذه الخطبة عن أمير المؤمنين ع قال تعالى فَأَصبَحَ هَشِيماً تَذرُوهُ الرّياحُ والهشيم مايبس من النبت وتفتت . قوله لاملىء أى لاقيم به وفلان غنى ملىء أى ثقة بين الملأ والملاء بالمد و فى كتاب ابن قتيبة تتمة هذاالكلام و لا أهل لماقرظ به قال أى ليس بمستحق للمدح ألذى مدح به و ألذى رواه ابن قتيبة من تمام كلام أمير المؤمنين ع هوالصحيح الجيد لأنه يستقبح فى العربية أن تقول لازيد قائم حتى تقول و لاعمرو أوتقول و لاقاعد فقوله ع لاملىء أى لا هوملىء و هذايستدعى لاثانية و لايحسن الاقتصار على الأولى . و قوله ع اكتتم به أى كتمه وستره و قوله تصرخ منه وتعج العج رفع الصوت و هذا من باب الاستعارة. و فى كثير من النسخ إلى الله أشكو فمن روى ذلك وقف على المواريث -قرآن-۵۸۵-۶۲۰ [صفحه ۲۸۶] و من روى الرواية الأولى وقف على قوله إلى الله و يكون قوله من معشر من تمام صفات ذلك الحاكم أى هو من معشر صفتهم كذا. وأبور أفعل من البور الفاسد بار الشىء أى فسد وبارت السلعة أى كسدت و لم تنفق و هوالمراد هاهنا وأصله الفساد أيضا. إن قيل بينوا الفرق بين الرجلين اللذين أحدهما وكله الله إلى نفسه والآخر رجل قمش جهلا فإنهما فى الظاهر واحد.قيل أما الرجل الأول فهو الضال فى أصول العقائد كالمشبه والمجبر ونحوهما أ لاتراه كيف قال مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة و هذايشعر بما قلناه من أن مراده به المتكلم فى أصول الدين و هوضال عن الحق ولهذا قال إنه فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من قبله مضل لمن يجىء بعده و أما الرجل الثانى فهو المتفقه فى فروع الشرعيات و ليس بأهل لذلك كفقهاء السوء أ لاتراه كيف يقول جلس بين الناس قاضيا. و قال أيضا تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث فإن قيل مامعنى قوله فى الرجل الأول رهن بخطيئته قيل لأنه إن كان ضالا فى دعوته مضلا لمن اتبعه فقد حمل خطاياه وخطايا غيره فهو رهن بالخطيئتين معا و هذامثل قوله تعالى وَ لَيَحمِلُنّ أَثقالَهُم وَ أَثقالًا مَعَ أَثقالِهِم. إن قيل مامعنى قوله عم بما فى عقد الهدنة قيل الهدنة أصلها فى اللغة السكون يقال هدن إذاسكن ومعنى الكلام أنه لايعرف ما فى الفتنة من الشر و لا ما فى السكون والمصالحة من الخير. -قرآن-۱۰۱۳-۱۰۶۵ [صفحه ۲۸۷] ويروى بما فى غيب الهدنة أى فى طيها و فى ضمنها ويروى غار فى أغباش الفتنة أى غافل ذو غرة. وروى من جمع بالتنوين فتكون ما على هذااسما موصولا وهى وصلتها فى موضع جر لأنها صفة جمع و من لم يرو التنوين فى جمع حذف الموصوف تقديره من جمع شىء ماقل منه خير مما كثر فتكون مامصدرية وتقدير الكلام قلته خير من كثرته و يكون موضع ذلك جرا أيضا بالصفة [صفحه ۲۸۸]

۱۸– و من كلام له ع فى ذم اختلاف العلماء فى الفتيا

تَردُ عَلَى أَحَدِهِمُ القَضِيّةُ فِى حُكم مِنَ الأَحكَام فَيَحكُمُ فِيهَا بِرَأيِهِ ثُمّ تَردُ تِلكَ القَضِيّةُ بِعَينِهَا عَلَى غَيرِهِ فَيَحكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَولِهِ ثُمّ يَجتَمِعُ القُضَاةُ بِذَلِكَ عِندَ الإِمَامِ ألّذِى استَقضَاهُم فَيُصَوّبُ آرَاءَهُم جَمِيعاً وَ إِلَهُهُم وَاحِدٌ وَ نَبِيّهُم وَاحِدٌ وَ كِتَابُهُم وَاحِدٌ أَ فَأَمَرَهُمُ اللّهُ تَعَالَى بِالِاختِلَافِ فَأَطَاعُوهُ أَم نَهَاهُم عَنهُ فَعَصَوهُ أَم أَنزَلَ اللّهُ سُبحَانَهُ دِيناً نَاقِصاً فَاستَعَانَ بِهِم عَلَى إِتمَامِهِ أَم كَانُوا

شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُم أَن يَقُولُوا وَ عَلَيهِ أَن يَرضَی أَم أَنزَلَ اللّهُ سُبحَانَهُ دِيناً تَامّاً فَقَصّرَ الرّسُولُص عَن تَبلِيغِهِ وَ أَدَائِهِ وَ اللّهُ سُبحَانَهُ يَقُولُما فَرّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ وَ فِيهِ تِبيَانُ كُلّ شَيءٍ وَ ذَكَرَ أَنّ الكِتَابَ يُصَدّقُ بَعضُهُ بَعضاً وَ أَنّهُ لَا اختِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبحَانَهُوَ لَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافاً كَثِيراً وَ إِنّ القُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَا تَفنَی عَجَائِبُهُ وَ لَا تَنقَضِي غَرَائِبُهُ وَ لَا تُكشَفُ الظّلُمَاتُ إِلّا بِهِ -قرآن-۷۰۵-۷۳۷-قرآن-۸۶۵-۹۳۴ [صفحه ۲۸۹] الأنيق المعجب وآنقنی الشیء أی أعجبنی يقول لاينبغی أن يحمل جميع ما فی الكتاب العزيز علی ظاهره فكم من ظاهر فيه غيرمراد بل المراد به أمر آخر باطن والمراد الرد علی أهل الاجتهاد فی الأحكام الشرعیة وإفساد قول من قال كل مجتهد مصيب وتلخيص الاحتجاج من خمسة أوجه الأول أنه لما كان الإله سبحانه واحدا والرسول ص واحدا والكتاب واحدا وجب أن يكون الحكم فی الواقعة واحدا كالملك ألذی يرسل إلی رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيها ملكه وإمرته فإنه لايجوز أن تتناقض أوامره و لوتناقضت لنسب إلی السفه والجهل .الثانی لايخلو الاختلاف ألذی ذهب إليه المجتهدون إما أن يكون مأمورا به أومنهيا عنه والأول باطل لأنه ليس فی الكتاب والسنة مايمكن الخصم أن يتعلق به فی كون الاختلاف مأمورا به والثانی حق ويلزم منه تحريم الاختلاف .الثالث إما أن يكون دين الإسلام ناقصا أوتاما فإن كان الأول كان الله سبحانه قداستعان بالمكلفين علی إتمام شريعة ناقصة أرسل بهارسوله إما استعانة علی سبيل النيابة عنه أو علی سبيل المشاركة له وكلاهما كفر و إن كان الثانی فإما أن يكون الله تعالی أنزل الشرع تاما فقصر الرسول عن تبليغه أو يكون الرسول قدأبلغه علی تمامه وكماله فإن كان الأول فهو كفر أيضا و إن كان الثانی فقد بطل الاجتهاد لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين فأما ما قد بين فلامجال للاجتهاد فيه .الرابع الاستدلال بقوله تعالی ما فَرّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ و قوله تِبياناً لِكُلّ شَيءٍ و قوله سبحانه وَ لا رَطبٍ وَ لا يابِسٍ إِلّا فِي كِتابٍ -قرآن-۱۲۹۳-۱۳۲۵-قرآن-۱۳۳۴-۱۳۵۴-قرآن-۱۳۷۰-۱۴۱۰ الأنيق المعجب وآنقنی الشیء أی أعجبنی يقول لاينبغی أن يحمل جميع ما فی الكتاب العزيز علی ظاهره فكم من ظاهر فيه غيرمراد بل المراد به أمر آخر باطن والمراد الرد علی أهل الاجتهاد فی الأحكام الشرعیة وإفساد قول من قال كل مجتهد مصيب وتلخيص الاحتجاج من خمسة أوجه الأول أنه لما كان الإله سبحانه واحدا والرسول ص واحدا والكتاب واحدا وجب أن يكون الحكم فی الواقعة واحدا كالملك ألذی يرسل إلی رعيته رسولا بكتاب يأمرهم فيه بأوامر يقتضيها ملكه وإمرته فإنه لايجوز أن تتناقض أوامره و لوتناقضت لنسب إلی السفه والجهل .الثانی لايخلو الاختلاف ألذی ذهب إليه المجتهدون إما أن يكون مأمورا به أومنهيا عنه والأول باطل لأنه ليس فی الكتاب والسنة مايمكن الخصم أن يتعلق به فی كون الاختلاف مأمورا به والثانی حق ويلزم منه تحريم الاختلاف .الثالث إما أن يكون دين الإسلام ناقصا أوتاما فإن كان الأول كان الله سبحانه قداستعان بالمكلفين علی إتمام شريعة ناقصة أرسل بهارسوله إما استعانة علی سبيل النيابة عنه أو علی سبيل المشاركة له وكلاهما كفر و إن كان الثانی فإما أن يكون الله تعالی أنزل الشرع تاما فقصر الرسول عن تبليغه أو يكون الرسول قدأبلغه علی تمامه وكماله فإن كان الأول فهو كفر أيضا و إن كان الثانی فقد بطل الاجتهاد لأن الاجتهاد إنما يكون فيما لم يتبين فأما ما قد بين فلامجال للاجتهاد فيه .الرابع الاستدلال بقوله تعالی ما فَرّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ و قوله تِبياناً لِكُلّ شَيءٍ و قوله سبحانه وَ لا رَطبٍ وَ لا يابِسٍ إِلّا فِي كِتابٍ مُبِينٍفهذه الآيات دالة علی اشتمال الكتاب العزيز علی جميع الأحكام فكل ما ليس فی الكتاب وجب ألا يكون فی الشرع .الخامس قوله تعالی وَ لَو كانَ مِن عِندِ غَيرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلافاً كَثِيراًفجعل الاختلاف دليلا علی أنه ليس من عند الله لكنه من عند الله سبحانه بالأدلة القاطعة الدالة علی صحة النبوة فوجب ألا يكون فيه اختلاف . واعلم أن هذه الوجوه هی التی يتعلق بهاالإمامية ونفاه القياس والاجتهاد فی الشرعيات و قدتكلم عليها أصحابنا فی كتبهم وقالوا إن أمير المؤمنين ع كان يجتهد ويقيس وادعوا إجماع الصحابة علی صحة الاجتهاد والقياس ودفعوا صحة هذاالكلام المنسوب فی هذاالكتاب إلی أمير المؤمنين ع وقالوا إنه من رواية الإمامية و هومعارض بما ترويه الزيدية عنه و عن أبنائه ع فی صحة القياس

والاجتهاد ومخالطة الزيدية لأئمة أهل البيت ع كمخالطة الإمامية لهم ومعرفتهم بأقوالهم وأحوالهم ومذاهبهم كمعرفة الإمامية لافرق بين الفئتين فی ذلک والزيدية قاطبة جاروديتها وصالحيتها تقول بالقياس والاجتهاد وينقلون فی ذلک نصوصا عن أهل البيت ع و إذاتعارضت الروايتان تساقطتا وعدنا إلى الأدلة المذكورة فی هذه المسألة و قدتكلمت فی اعتبار الذريعة للمرتضى على احتجاجه فی إبطال القياس والاجتهاد بما ليس هذاموضع ذكره -قرآن-١-٨-قرآن-١٤٣-٢١٢ [صفحه ٢٩١]

١٩– و من كلام له ع قاله للأشعث بن قيس

اشاره

و هو على منبر الكوفة يخطب فمضى فی بعض كلامه شیءاعترضه الأشعث فيه فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لک فخفض إليه بصره ع ثم قال وَ مَا يُدرِيکَ مَا عَلَيّ مِمّا لِي عَلَيکَ لَعنَةُ اللّهِ وَ لَعنَةُ اللّاعِنِينَ حَائِکٌ ابنُ حَائِکٍ مُنَافِقٌ ابنُ كَافِرٍ وَ اللّهِ لَقَد أَسَرَکَ الكُفرُ مَرّةً وَ الإِسلَامُ أُخرَى فَمَا فَدَاکَ مِن وَاحِدَةٍ مِنهُمَا مَالُکَ وَ لَا حَسَبُکَ وَ إِنّ امرَأً دَلّ عَلَى قَومِهِ السّيفَ وَ سَاقَ إِلَيهِمُ الحَتفَ لحَرَيِّ أَن يَمقُتَهُ الأَقرَبُ وَ لَا يَأمَنَهُ الأَبعَدُ قال الرضی رحمه الله يريد ع أنه أسر فی الكفر مرة و فی الإسلام مرة. و أما قوله ع دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد و كان قومه بعد ذلک يسمونه عرف النار و هواسم للغادر عندهم -روايت-١-٢٦٦ [صفحه ٢٩٢] خفض إليه بصره طأطأه و قوله فما فداک لايريد به الفداء الحقيقی فإن الأشعث فدی فی الجاهلية بفداء يضرب به المثل فقال أغلى فداء من الأشعث وسنذكره وإنما يريد مادفع عنک الأسر مالک و لاحسبک ويمقته يبغضه والمقت البغض

الأشعث بن قيس ونسبه وبعض أخباره

اسم الأشعث معديكرب وأبوه قيس الأشج سمی الأشج لأنه شج فی بعض حروبهم ابن معديكرب بن معاوية بن معديكرب بن معاوية بن جبلة بن عبدالعزی بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة بن عفير بن عدی بن الحارث بن مرة بن أدد. وأم الأشعث كبشة بنت يزيد بن شرحبيل بن يزيد بن إمرئ القيس بن عمرو المقصور الملک . كان الأشعث أبدا أشعث الرأس فسمی الأشعث وغلب عليه حتى نسی اسمه ولعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث يقول أعشى همدان يا ابن الأشج قريع كندة || لاأبالی فيک عتبا [صفحه ٢٩٣] أنت الرئيس ابن الرئيس || و أنت أعلى الناس كعبا . وتزوج رسول الله ص قتيلة أخت الأشعث فتوفی قبل أن تصل إليه .فأما الأسر ألذی أشار أمير المؤمنين ع إليه فی الجاهلية فقد ذكره ابن الكلبی فی جمهرة النسب فقال إن مرادا لماقتلت قيسا الأشج خرج الأشعث طالبا بثأره فخرجت كندة متساندين على ثلاثة ألوية على أحد الألوية كبس بن هانئ بن شرحبيل بن الحارث بن عدی بن ربيعة بن معاوية الأكرمين ويعرف هانئ بالمطلع لأنه كان يغزو فيقول اطلعت بنی فلان فسمی المطلع و على أحدها القشعم أبوجبر بن يزيد الأرقم و على أحدها الأشعث فأخطئوا مرادا و لم يقعوا عليهم ووقعوا على بنی الحارث بن كعب فقتل كبس والقشعم أبوجبر وأسر الأشعث ففدی بثلاثة آلاف بعير لم يفد بهاعربی بعده و لاقبله فقال فی ذلک عمرو بن معديكرب الزبيدی فكان فداؤه ألفی بعير || وألفا من طريفات وتلد . و أماالأسر الثانی فی الإسلام فإن رسول الله ص لماقدمت كندة حجاجا قبل الهجرة عرض رسول الله ص نفسه

علیهم کما کان یعرض نفسه علی أحیاء العرب فدفعه بنو ولیعهٔ من بنی عمرو بن معاویهٔ و لم یقبلوه فلما هاجرص وتمهدت دعوته وجاءته وفود العرب جاءه وفد کندهٔ فیهم الأشعث وبنو ولیعهٔ فأسلموا فأطعم رسول الله ص بنی ولیعهٔ طعمهٔ من صدقات حضرموت و کان قداستعمل علی حضرموت زیاد بن لبید البیاضی الأنصاری فدفعها زیاد إلیهم فأبوا أخذها وقالوا لاظهر لنا فابعث بها إلی بلادنا علی ظهر [صفحه ۲۹۴] من عندک فأبی زیاد وحدث بینهم و بین زیاد شر کاد یکون حربا فرجع منهم قوم إلی رسول الله ص وکتب زیاد إلیه ع یشکوهم و فی هذه الوقعهٔ کان الخبر المشهور عن رسول الله ص قال لبنی ولیعهٔ لتنتهن یابنی ولیعهٔ أولأبعثن علیکم رجلا عدیل نفسی یقتل مقاتلتکم ویسبی ذراریکم قال عمر بن الخطاب فما تمنیت الإمارهٔ إلایومئذ وجعلت أنصب له صدری رجاء أن یقول هو هذافأخذ بید علی ع و قال هو هذا -روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۲۵۹ . ثم کتب لهم رسول الله ص إلی زیاد فوصلوا إلیه بالکتاب و قدتوفی رسول الله ص وطار الخبر بموته إلی قبائل العرب فارتدت بنو ولیعهٔ وغنت بغایاهم وخضبن له أیدیهن . و قال محمد بن حبیب کان إسلام بنی ولیعهٔ ضعیفا و کان رسول الله ص یعلم ذلک منهم و لماحج رسول الله ص حجهٔ الوداع وانتهی إلی فم الشعب دخل أسامهٔ بن زید لیبول فانتظره رسول الله ص و کان أسامهٔ أسود أفطس فقال بنو ولیعهٔ هذاالحبشی حبسنا فکانت الردهٔ فی أنفسهم . قال أبو جعفر محمد بن جریر فأمر أبوبکر زیادا علی حضرموت وأمره بأخذ البیعهٔ علی أهلها واستیفاء صدقاتهم فبایعوه إلابنی ولیعهٔ فلما خرج لیقبض الصدقات من بنی عمرو بن معاویهٔ أخذ ناقهٔ لغلام منهم یعرف بشیطان بن حجر وکانت صفیهٔ نفیسهٔ اسمها شذرهٔ فمنعه الغلام عنها و قال خذ غیرها فأبی زیاد ذلک ولج فاستغاث شیطان بأخیه العداء بن حجر فقال لزیاد دعها وخذ غیرها فأبی زیاد ذلک ولج الغلامان فی أخذها ولج زیاد و قال لهما لاتکونن شذرهٔ علیکما کالبسوس [صفحه ۲۹۵] فهتف الغلامان یالعمرو أنضام ونضطهد إن الذلیل من أکل فی داره وهتفا بمسروق بن معدیکرب فقال مسروق لزیاد أطلقها فأبی فقال مسروق یطلقها شیخ بخدیه الشیب || ملمع فیه کتلمیع الثوب ماض علی الریب إذا کان الریب . ثم قام فأطلقها فاجتمع إلی زیاد بن لبید أصحابه واجتمع بنو ولیعهٔ وأظهروا أمرهم فبیتهم زیاد وهم غارون فقتل منهم جمعا کثیرا ونهب وسبی ولحق فلهم بالأشعث بن قیس فاستنصروه فقال لاأنصرکم حتی تملکونی علیکم فملکوه وتوجوه کمایتوج الملک من قحطان فخرج إلی زیاد فی جمع کثیف وکتب أبوبکر إلی المهاجر بن أبی أمیهٔ و هو علی صنعاء أن یسیر بمن معه إلی زیاد فاستخلف علی صنعاء وسار إلی زیاد فلقوا الأشعث فهزموه وقتل مسروق ولجأ الأشعث والباقون إلی الحصن المعروف بالنجیر فحاصرهم المسلمون حصارا شدیدا حتی ضعفوا ونزل الأشعث لیلا إلی المهاجر وزیاد فسألهما الأمان علی نفسه حتی یقدما به علی أبی بکر فیری فیه رأیه علی أن یفتح لهم الحصن ویسلم إلیهم من فیه . وقیل بل کان فی الأمان عشرهٔ من أهل الأشعث .فأمناه وأمضیا شرطه ففتح لهم الحصن فدخلوه واستنزلوا کل من فیه وأخذوا أسلحتهم وقالوا للأشعث اعزل العشرهٔ فعزلهم فترکوهم وقتلوا الباقین وکانوا ثمانمائهٔ وقطعوا أیدی النساء اللواتی شمتن برسول الله ص وحملوا الأشعث [صفحه ۲۹۶] إلی أبی بکر موثقا فی الحدید هو والعشرهٔ فعفا عنه وعنهم وزوجه أخته أم فروهٔ بنت أبی قحافهٔ وکانت عمیاء فولدت للأشعث محمدا وإسماعیل وإسحاق . وخرج الأشعث یوم البناء علیها إلی سوق المدینهٔ فما مر بذات أربع إلاعقرها و قال للناس هذه ولیمهٔ البناء وثمن کل عقیرهٔ فی مالی فدفع أثمانها إلی أربابها. قال أبو جعفر محمد بن جریر فی التاریخ و کان المسلمون یلعنون الأشعث ویلعنه الکافرون أیضا وسبایا قومه وسماه نساء قومه عرف النار و هواسم للغادر عندهم . و هذاعندی هوالوجه و هوأصح مما ذکره الرضی رحمه الله تعالی من قوله فی تفسیر قول أمیر المؤمنین و إن امرأ دل علی قومه السیف أنه أراد به حدیثا کان للأشعث مع خالد بن الولید بالیمامهٔ غر فیه قومه ومکر بهم حتی قتلهم فإنا لم نعرف فی التواریخ أن الأشعث جری له بالیمامهٔ مع خالد هذا و لاشبهه وأین کندهٔ والیمامهٔ کندهٔ بالیمن والیمامهٔ لبنی حنیفهٔ و لاأعلم من أین نقل الرضی رحمه الله تعالی هذا.فأما الکلام ألذی کان أمیر المؤمنین ع قاله علی منبر الکوفهٔ فاعترضه فیه

الأشعث فإن عليا ع قام إليه و هويخطب ويذكر أمر الحكمين رجل من أصحابه بعد أن انقضى أمر الخوارج فقال له نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بهافما ندرى أى الأمرين أرشد فصفق ع بإحدى يديه على الأخرى و قال هذاجزاء من ترك العقدة و كان مراده ع هذاجزاؤكم إذ تركتم الرأى والحزم وأصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم فظن الأشعث أنه أراد هذاجزائى حيث تركت الرأى والحزم وحكمت لأن هذه اللفظة محتملة أ لاترى أن الرئيس [صفحه ٢٩٧] إذاشغب عليه جنده وطلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب فوافقهم تسكينا لشغبهم لااستصلاحا لرأيهم ثم ندموا بعد ذلك قد يقول هذاجزاء من ترك الرأى وخالف وجه الحزم ويعنى بذلك أصحابه و قديقوله يعنى به نفسه حيث وافقهم أمير المؤمنين ع إنما عنى ماذكرناه دون ماخطر للأشعث فلما قال له هذه عليك لا لك قال له و مايدريك ما على مما لى عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين . و كان الأشعث من المنافقين فى خلافة على ع و هو فى أصحاب أمير المؤمنين ع كما كان عبد الله بن أبى بن سلول فى أصحاب رسول الله ص كل واحد منهما رأس النفاق فى زمانه . و أما قوله ع للأشعث حائك ابن حائك فإن أهل اليمن يعيرون بالحياكة و ليس هذامما يخص الأشعث . و من كلام خالد بن صفوان ماأقول فى قوم ليس فيهم إلاحائك برد أودابغ جلد أوسائس قرد ملكتهم امرأة وأغرقتهم فأرة ودل عليهم هدهد [صفحه ٢٩٨]

٢٠- و من خطبة له ع

فَإِنّكُم لَو قَد عَايَنتُم مَا قَد عَايَنَ مَن مَاتَ مِنكُم لَجَزِعتُم وَ وَهِلتُم وَ سَمِعتُم وَ أَطَعتُم وَ لَكِن مَحجُوبٌ عَنكُم مَا قَد عَايَنُوا وَ قَرِيبٌ مَا يُطرَحُ الحِجَابُ وَ لَقَد بُصّرتُم إِن أَبصَرتُم وَ أُسمِعتُم إِن سَمِعتُم وَ هُدِيتُم إِنِ اهتَدَيتُم وَ بِحَقّ أَقُولُ لَكُم لَقَد جَاهَرَتكُم العِبَرُ وَ زُجِرتُم بِمَا فِيهِ مُزدَجَرٌ وَ مَا يُبَلّغُ عَنِ اللّهِ بَعدَ رُسُلِ السّمَاءِ إِلّا البَشَرُ الوهل الخوف وهل الرجل يوهل . و ما فى قوله مايطرح مصدرية تقديره وقريب طرح الحجاب يعنى رفعه بالموت . و هذاالكلام يدل على صحة القول بعذاب القبر وأصحابنا كلهم يذهبون إليه و إن شنع عليهم أعداؤهم من الأشعرية وغيرهم بجحده . وذكر قاضى القضاة رحمه الله تعالى أنه لم يعرف معتزليا نفى عذاب القبر لا من [صفحه ٢٩٩] متقدميهم و لا من متأخريهم قال وإنما نفاه ضرار بن عمرو لمخالطته لأصحابنا وأخذه عن شيوخنا مانسب قوله إليهم . ويمكن أن يقول قائل هذاالكلام لايدل على صحة القول بعذاب القبر لجواز أن يعنى بمعاينة من قدمات مايشاهده المحتضر من الحالة الدالة على السعادة أوالشقاوة فقد جاء فى الخبر لايموت امرؤ حتى يعلم مصيره هل هو إلى الجنة أم إلى النار -روايت-١-٢-روايت-١٩-٨١ ويمكن أن يعنى به مايعاينه المحتضر من ملك الموت وهول قدومه ويمكن أن يعنى به ما كان ع يقوله عن نفسه إنه لايموت ميت حتى يشاهده ع حاضرا عنده والشيعة تذهب إلى هذاالقول وتعتقده وتروى عنه ع شعرا قاله للحارث الأعور الهمدانى -روايت-١-٢-روايت-٥٣-٥٤ ياحار همدان من يمت يرنى || من مؤمن أومنافق قبلا يعرفنى طرفه وأعرفه || بعينه واسمه و مافعلا أقول للنار وهى توقد للعرض || ذريه لاتقربى الرجلا ذريه لاتقربيه إن له || حبلا بحبل الوصى متصلا و أنت ياحار إن تمت ترنى || فلاتخف عثرة و لازللا أسقيك من بارد على ظمإ || تخاله فى الحلاوة العسلا و ليس هذابمنكر إن صح أنه ع قاله عن نفسه ففى الكتاب العزيز مايدل على أن أهل الكتاب لايموت منهم ميت حتى يصدق بعيسى ابن مريم ع و ذلك قوله وَ إِن مِن أَهلِ الكِتابِ إِلّا لَيُؤمِنَنّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ وَ يَومَ -قرآن-١٥٦-٢٢٦ و ليس هذابمنكر إن صح أنه ع قاله عن نفسه ففى الكتاب العزيز مايدل على أن أهل الكتاب لايموت منهم ميت حتى يصدق بعيسى ابن مريم ع و ذلك قوله وَ إِن مِن أَهلِ الكِتابِ إِلّا لَيُؤمِنَنّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ وَ يَومَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيهِم شَهِيداً قال كثير من المفسرين معنى ذلك أن كل ميت من اليهود وغيرهم من أهل الكتب السالفة إذااحتضر رأى المسيح عيسى عنده فيصدق به من لم يكن

فی أوقات التکلیف مصدقا به . وشبیه بقوله ع لوعاینتم ماعاین من مات قبلکم قول أبی حازم لسلیمان بن عبدالملک فی کلام یعظه به أن آباءک ابتزوا هذاالأمر من غیرمشورهٔ ثم ماتوا فلو علمت ماقالوا و ماقیل لهم فقیل إنه بکی حتی سقط -قرآن-۱-۳۷ [صفحه ۳۰۱]

۲۱- و من خطبهٔ له ع

فَإِنّ الغَایَةَ أَمَامَکُم وَ إِنّ وَرَاءَکُمُ السّاعَةَ تَحدُوکُم تَخَفّفُوا تَلحَقُوا فَإِنّمَا یُنتَظَرُ بِأَوّلِکُم آخِرُکُم قال الرضی رحمه الله أقول إن هذاالکلام لووزن بعدکلام الله سبحانه و بعدکلام رسول الله ص بکل کلام لمال به راجحا وبرز علیه سابقا.فأما قوله ع تخففوا تلحقوا فما سمع کلام أقل منه مسموعا و لاأکثر محصولا و ماأبعد غورها من کلمهٔ وأنقع نطفتها من حکمهٔ و قدنبهنا فی کتاب الخصائص و علی عظم قدرها وشرف جوهرها -روایت-۱-۳۱۸ غایهٔ المکلفین هی الثواب أوالعقاب فیحتمل أن یکون أراد ذلک ویحتمل أن یکون أراد بالغایهٔ الموت وإنما جعل ذلک أمامنا لأن الإنسان کالسائر إلی الموت أوکالسائر إلی الجزاء فهما أمامه أی بین یدیه . [صفحه ۳۰۲] ثم قال و إن وراءکم الساعهٔ تحدوکم أی تسوقکم وإنما جعلها وراءنا لأنها إذاوجدت ساقت الناس إلی موقف الجزاء کمایسوق الراعی الإبل فلما کانت سائقهٔ لنا کانت کالشیء یحفز الإنسان من خلفه ویحرکه من ورائه إلی جههٔ ما بین یدیه . و لایجوز أن یقال إنما سماها وراءنا لأنها تکون بعدموتنا وخروجنا من الدنیا و ذلک أن الثواب والعقاب هذاشأنهما و قدجعلهما أمامنا. و أماالقطب الراوندی فإنه قال معنی قوله فإن الغایهٔ أمامکم یعنی أن الجنهٔ والنار خلفکم ومعنی قوله وراءکم الساعهٔ أی قدامکم . ولقائل أن یقول أماالوراء بمعنی القدام فقد ورد ولکن ماورد أمام بمعنی خلف و لاسمعنا ذلک . و أما قوله تخففوا تلحقوا فأصله الرجل یسعی و هو غیرمثقل بما یحمله یکون أجدر أن یلحق الذین سبقوه ومثله قوله نجا المخففون . و قوله ع فإنما ینتظر بأولکم آخرکم یرید إنما ینتظر ببعث الذین ماتوا فی أول الدهر مجیء من یخلقون ویموتون فی آخره کأمیر یرید إعطاء جنده إذاتکامل عرضهم إنما یعطی الأول منهم إذاانتهی عرض الأخیر. و هذاکلام فصیح جدا. والغور العمق والنطفهٔ ماصفا من الماء و ماأنقع هذاالماء أی ماأرواه للعطش [صفحه ۳۰۳]

۲۲- و من خطبهٔ له ع

اشاره

أَلَا وَ إِنّ الشّیطَانَ قَد ذَمَرَ حِزبَهُ وَ استَجلَبَ جَلَبَهُ لِیَعُودَ الجَورُ إِلَی أَوطَانِهِ وَ یَرجِعَ البَاطِلُ إِلَی نِصَابِهِ وَ اللّهِ مَا أَنکَرُوا عَلَیّ مُنکَراً وَ لَا جَعَلُوا بیَنیِ وَ بَینَهُم نَصَفاً وَ إِنّهُم لَیَطلُبُونَ حَقّاً هُم تَرَکُوهُ وَ دَماً هُم سَفَکُوهُ فَإِن کُنتُ شَرِیکَهُم فِیهِ فَإِنّ لَهُم لَنَصِیبَهُم مِنهُ وَ إِن کَانُوا وَلُوهُ دوُنیِ فَمَا التّبِعَةُ إِلّا عِندَهُم وَ إِنّ أَعظَمَ حُجّتِهِم لَعَلَی أَنفُسِهِم یَرتَضِعُونَ أُمّاً قَد فَطَمَت وَ یُحیُونَ بِدعَةً قَد أُمِیتَت یَا خَیبَةَ الداّعیِ مَن دَعَا وَ إِلَامَ أُجِیبَ وَ إنِیّ لَرَاضٍ بِحُجّةِ اللّهِ عَلَیهِم وَ عِلمِهِ فِیهِم فَإِن أَبَوا أَعطَیتُهُم حَدّ السّیفِ وَ کَفَی بِهِ شَافِیاً مِنَ البَاطِلِ وَ نَاصِراً لِلحَقّ وَ مِنَ العَجَبِ بَعثَتُهُم إلِیَّ أَن أَبرُزَ لِلطّعَانِ وَ أَن أَصبِرَ لِلجِلَادِ هَبِلَتهُمُ الهَبُولُ لَقَد کُنتُ وَ مَا أُهَدّدُ بِالحَربِ وَ لَا أُرَهّبُ بِالضّربِ وَ إنِیّ لَعَلَی یَقِینٍ مِن ربَیّ وَ غَیرِ شُبهَةٍ مِن دیِنیِ [صفحه ۳۰۴] یروی ذمر بالتخفیف وذمر بالتشدید وأصله الحض والحث والتشدید دلیل علی التکثیر. واستجلب جلبه الجلب بفتح اللام مایجلب کمایقال جمع جمعه ویروی جلبه وجلبه وهما بمعنی و هوالسحاب الرقیق ألذی لاماء فیه أی جمع قوما کالجهام ألذی لانفع فیه وروی لیعود الجور إلی قطابه والقطاب مزاج

الخمر بالماء أی لیعود الجور ممتزجا بالعدل کما کان ویجوز أن یعنی بالقطاب قطاب الجیب و هومدخل الرأس فیه أی لیعود الجور إلی لباسه وثوبه . و قال الراوندی قطابه أصله و لیس ذلک بمعروف فی اللغة. وروی الباطل بالنصب علی أن یکون یرجع متعدیا تقول رجعت زیدا إلی کذا والمعنی ویرد الجور الباطل إلی أوطانه . و قال الراوندی یعود أیضا مثل یرجع یکون لازما ومتعدیا وأجاز نصب الجور به و هذا غیرصحیح لأن عاد لم یأت متعدیا وإنما یعدی بالهمزة. والنصف ألذی ینصف . و قال الراوندی النصف النصفة والمعنی لایحتمله لأنه لامعنی لقوله و لاجعلوا بینی وبینهم إنصافا بل المعنی لم یجعلوا ذا انصاف بینی وبینهم .یرتضعون أما قدفطمت یقول یطلبون الشیء بعدفواته لأن الأم إذافطمت ولدها فقد انقضی إرضاعها. و قوله یاخیبة الداعی هاهنا کالنداء فی قوله تعالی یا حَسرَةً عَلَی العِبادِ و قوله یا حَسرَتَنا عَلی ما فَرّطنا فِیها أی یاخیبة احضری فهذا أوانک . –قرآن-۱۰۷۱-۱۰۹۵-قرآن-۱۱۰۴-۱۱۳۷ [صفحه ۳۰۵] وکلامه فی هذه الخطبة مع أصحاب الجمل والداعی هوأحد الثلاثة الرجلان والمرأة. ثم قال علی سبیل الاستصغار لهم والاستحقار من دعا و إلی ماذا أجیب أی أحقر بقوم دعاهم هذاالداعی وأقبح بالأمر ألذی أجابوه إلیه فما أفحشه وأرذله . و قال الراوندی یاخیبة الداعی تقدیره یاهؤلاء فحذف المنادی ثم قال خیبة الداعی أی خاب الداعی خیبة و هذاارتکاب ضرورة لاحاجة إلیها وإنما یحذف المنادی فی المواضع التی دل الدلیل فیها علی الحذف کقوله یافانظر أیمن الوادی علی إضم . وأیضا فإن المصدر ألذی لاعامل فیه غیرجائز حذف عامله وتقدیر حذفه تقدیر ما لادلیل علیه . وهبلته أمه بکسر الباء ثکلته . و قوله لقد کنت و ماأهدد بالحرب معناه مازلت لاأهدد بالحرب والواو زائدة و هذه کلمة فصیحة کثیرا ماتستعملها العرب و قدورد فی القرآن العزیز کان بمعنی مازال فی قوله وَ کانَ اللّهُ عَلِیماً حَکِیماً ونحو ذلک من الآی معنی ذلک لم یزل الله علیما حکیما و ألذی تأوله المرتضی رحمه الله تعالی فی تکملة الغرر والدرر کلام متکلف والوجه الصحیح ماذکرناه . و هذه الخطبة لیست من خطب صفین کماذکره الراوندی بل من خطب الجمل و قدذکر کثیرا منها أبومخنف رحمه الله تعالی –قرآن-۲۹۷-۳۲۸ قال حدثنامسافر بن عفیف بن أبی الأخنس . –روایت-۱-۲ [صفحه ۳۰۶] قال لمارجعت رسل علی ع من عندطلحة والزبیر وعائشة یؤذنونه بالحرب قام فحمد الله وأثنی علیه وصلی علی رسوله ص ثم قال أیها الناس إنی قدراقبت هؤلاء القوم کی یرعووا أویرجعوا ووبختهم بنکثهم وعرفتهم بغیهم فلم یستحیوا و قدبعثوا إلی أن أبرز للطعان وأصبر للجلاد وإنما تمنیک نفسک أمانی الباطل وتعدک الغرور ألا هبلتهم الهبول لقد کنت و ماأهدد بالحرب و لاأرهب بالضرب ولقد أنصف القارة من راماها فلیرعدوا ولیبرقوا فقد رأونی قدیما وعرفوا نکایتی فکیف رأونی أنا أبو الحسن ألذی فللت حد المشرکین وفرقت جماعتهم وبذلک القلب ألقی عدوی الیوم وإنی لعلی ماوعدنی ربی من النصر والتأیید و علی یقین من أمری و فی غیرشبهة من دینی أیها الناس إن الموت لایفوته المقیم و لایعجزه الهارب لیس عن الموت محید و لامحیص من لم یقتل مات إن أفضل الموت القتل و ألذی نفس علی بیده لألف ضربة بالسیف أهون من موتة واحدة علی الفراش أللهم إن طلحة نکث بیعتی وألب علی عثمان حتی قتله ثم عضهنی به ورمانی أللهم فلاتمهله أللهم إن الزبیر قطع رحمی ونکث بیعتی وظاهر علی عدوی فاکفنیه الیوم بما شئت ثم نزل –روایت-۸-۱۰۴۴ [صفحه ۳۰۷]

خطبة علی بالمدینة فی أول إمارته

واعلم أن کلام أمیر المؤمنین ع وکلام أصحابه وعماله فی واقعة الجمل کله یدور علی هذه المعانی التی اشتملت علیها ألفاظ هذاالفصل فمن ذلک الخطبة التی رواها أبو الحسن علی بن محمدالمدائنی عن عبد الله بن جنادة قال قدمت من الحجاز أرید العراق فی أول إمارة علی ع فمررت بمکة فاعتمرت ثم قدمت المدینة فدخلت مسجد رسول الله ص إذ نودی الصلاة جامعة

فاجتمع الناس وخرج علی ع متقلدا سیفه فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله وصلی علی رسوله ص ثم قال أما بعدفإنه لماقبض الله نبیه ص قلنا نحن أهله وورثته وعترته وأولیاؤه دون الناس لاینازعنا سلطانه أحد و لایطمع فی حقنا طامع إذ انبری لنا قومنا فغصبونا سلطان نبینا فصارت الإمرۀ لغیرنا وصرنا سوقۀ یطمع فینا الضعیف ویتعزز علینا الذلیل فبکت الأعین منا لذلک وخشنت الصدور وجزعت النفوس وایم الله لو لامخافۀ الفرقۀ بین المسلمین و أن یعود الکفر ویبور الدین لکنا علی غیر ماکنا لهم علیه فولی الأمر ولاۀ لم یألوا الناس خیرا ثم استخرجتمونی أیها الناس من بیتی فبایعتمونی علی شین منی لأمرکم وفراسۀ تصدقنی ما فی قلوب کثیر منکم وبایعنی هذان الرجلان فی أول من بایع تعلمون ذلک و قدنکثا وغدرا ونهضا إلی البصرۀ بعائشۀ لیفرقا جماعتکم ویلقیا بأسکم بینکم أللهم فخذهما بما عملا أخذۀ رابیۀ -روایت-۱-۲-روایت-۹۲-ادامه دارد [صفحه ۳۰۸] و لاتنعش لهما صرعۀ و لاتقل لهما عثرۀ و لاتمهلهما فواقا فإنهما یطلبان حقا ترکاه ودما سفکاه أللهم إنی أقتضیک وعدک فإنک قلت وقولک الحق ثُمّ بغُیِ َ عَلَیهِ لَیَنصُرَنّهُ اللّهُ أللهم فأنجز لی موعدک و لاتکلنی إلی نفسی إنک علی کل شیءقدیر ثم نزل -روایت-از قبل-۲۶۱

خطبته

عندمسیره للبصرۀ وروی الکلبی قال لماأراد علی ع المسیر إلی البصرۀ قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلی علی رسوله ص إن الله لماقبض نبیه استأثرت علینا قریش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس کافۀ فرأیت أن الصبر علی ذلک أفضل من تفریق کلمۀ المسلمین وسفک دمائهم و الناس حدیثو عهد بالإسلام والدین یمخض مخض الوطب یفسده أدنی وهن ویعکسه أقل خلف فولی الأمر قوم لم یألوا فی أمرهم اجتهادا ثم انتقلوا إلی دار الجزاء و الله ولی تمحیص سیئاتهم والعفو عن هفواتهم فما بال طلحۀ والزبیر ولیسا من هذاالأمر بسبیل لم یصبرا علی حولا و لاشهرا حتی وثبا ومرقا ونازعانی أمرا لم یجعل الله لهما إلیه سبیلا بعد أن بایعا طائعین غیرمکرهین یرتضعان أما قدفطمت ویحییان بدعۀ قدأمیتت أدم عثمان زعما و الله ماالتبعۀ إلاعندهم وفیهم و إن أعظم حجتهم لعلی -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-ادامه دارد [صفحه ۳۰۹] أنفسهم و أناراض بحجۀ الله علیهم وعمله فیهم فإن فاءا وأنابا فحظهما أحرزا وأنفسهما غنما وأعظم بهاغنیمۀ و إن أبیا أعطیتهما حد السیف وکفی به ناصرا لحق وشافیا لباطل ثم نزل -روایت-از قبل-۱۸۱

خطبته بذی قار

وروی أبومخنف عن زید بن صوحان قال شهدت علیا ع بذی قار و هومعتم بعمامۀ سوداء ملتف بساج یخطب فقال فی خطبۀ الحمد لله علی کل أمر وحال فی الغدو والآصال وأشهد أن لاإله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله ابتعثه رحمۀ للعباد وحیاۀ للبلاد حین امتلأت الأرض فتنۀ واضطرب حبلها و عبدالشیطان فی أکنافها واشتمل عدو الله إبلیس علی عقائد أهلها فکان محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ألذی أطفأ الله به نیرانها وأخمد به شرارها ونزع به أوتادها وأقام به میلها إمام الهدی و النبی المصطفی ص فلقد صدع بما أمر به وبلغ رسالات ربه فأصلح الله به ذات البین وآمن به السبل وحقن به الدماء وألف به بین ذوی الضغائن الواغرۀ فی الصدور حتی أتاه الیقین ثم قبضه الله إلیه حمیدا ثم استخلف الناس أبابکر فلم یأل جهده ثم استخلف أبوبکر عمر فلم یأل جهده ثم استخلف الناس عثمان فنال منکم ونلتم منه حتی إذا کان من أمره ما کان أتیتمونی لتبایعونی

لاحاجة لی فی ذلک ودخلت منزلی فاستخرجتمونی فقبضت یدی فبسطتموها وتداککتم علی حتی ظننت أنکم قاتلی و أن بعضکم قاتل بعض فبایعتمونی و أنا غیرمسرور بذلک و لاجذل -روایت-۱-۲-روایت-۴۰-ادامه دارد [صفحه ۳۱۰] و قدعلم الله سبحانه أنی کنت کارها للحکومهٔ بین أمهٔ محمدص ولقد سمعته یقول ما من وال یلی شیئا من أمر أمتی إلاأتی به یوم القیامهٔ مغلولهٔ یداه إلی عنقه علی رءوس الخلائق ثم ینشر کتابه فإن کان عادلا نجا و إن کان جائرا هوی حتی اجتمع علی ملؤکم وبایعنی طلحهٔ والزبیر و أناأعرف الغدر فی أوجههما والنکث فی أعینهما ثم استأذنانی فی العمرهٔ فأعلمتهما أن لیس العمرهٔ یریدان فسارا إلی مکهٔ واستخفا عائشهٔ وخدعاها وشخص معهما أبناء الطلقاء فقدموا البصرهٔ فقتلوا بهاالمسلمین وفعلوا المنکر و یاعجبا لاستقامتهما لأبی بکر وعمر وبغیهما علی وهما یعلمان أنی لست دون أحدهما و لوشئت أن أقول لقلت ولقد کان معاویهٔ کتب إلیهما من الشام کتابا یخدعهما فیه فکتماه عنی وخرجا یوهمان الطغام أنهما یطلبان بدم عثمان و الله ماأنکرا علی منکرا و لاجعلا بینی وبینهم نصفا و إن دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب منهما یاخیبهٔ الداعی إلام دعا وبما ذا أجیب و الله إنهما لعلی ضلالهٔ صماء وجهالهٔ عمیاء و إن الشیطان قدذمر لهما حزبه واستجلب منهما خیله ورجله لیعید الجور إلی أوطانه ویرد الباطل إلی نصابه ثم رفع یدیه فقال أللهم إن طلحهٔ والزبیر قطعانی وظلمانی وألبا علی ونکثا بیعتی فاحلل ماعقدا وانکث ماأبرما و لاتغفر لهما أبدا وأرهما المساءهٔ فیما عملا وأملا -روایت-از قبل-۱۱۷۰ . قال أبومخنف فقام إلیه الأشتر فقال الحمد لله ألذی من علینا فأفضل وأحسن إلینا فأجمل قدسمعنا کلامک یا أمیر المؤمنین ولقد أصبت ووفقت و أنت ابن عم نبینا وصهره ووصیه وأول مصدق به ومصل معه شهدت [صفحه ۳۱۱] مشاهده کلها فکان لک الفضل فیها علی جمیع الأمهٔ فمن اتبعک أصاب حظه واستبشر بفلجه و من عصاک ورغب عنک فإلی أمه الهاویهٔ لعمری یا أمیر المؤمنین ماأمر طلحهٔ والزبیر وعائشهٔ علینا بمخیل ولقد دخل الرجلان فیما دخلا فیه وفارقا علی غیرحدث أحدثت و لاجور صنعت فإن زعما أنهما یطلبان بدم عثمان فلیقیدا من أنفسهما فإنهما أول من ألب علیه وأغری الناس بدمه وأشهد الله لئن لم یدخلا فیما خرجا منه لنلحقنهما بعثمان فإن سیوفنا فی عواتقنا وقلوبنا فی صدورنا ونحن الیوم کماکنا أمس ثم قعد [صفحه ۳۱۲]

۲۳- و من خطبهٔ له ع

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّ الأَمرَ یَنزِلُ مِنَ السّمَاءِ إِلَی الأَرضِ کَقَطرِ المَطَرِ إِلَی کُلّ نَفسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِن زِیَادَهٍٔ أَو نُقصَانٍ فَإِن رَأَی أَحَدُکُم لِأَخِیهِ غَفِیرَهًٔ فِی أَهلٍ أَو مَالٍ أَو نَفسٍ فَلَا تَکُونَنّ لَهُ فِتنَهًٔ فَإِنّ المَرءَ المُسلِمَ مَا لَم یَغشَ دَنَاءَهًٔ تَظهَرُ فَیَخشَعُ لَهَا إِذَا ذُکِرَت وَ یُغرَی بِهَا لِئَامُ النّاسِ کَانَ کَالفَالِجِ الیَاسِرِ أَلّذِی یَنتَظِرُ أَوّلَ فَوزَهٍٔ مِن قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ المَغنَمَ وَ یُرفَعُ عَنهُ بِهَا المَغرَمُ وَ کَذَلِکَ المَرءُ المُسلِمُ البرَیِءُ مِنَ الخِیَانَهِٔ یَنتَظِرُ مِنَ اللّهِ إِحدَی الحُسنَیَینِ إِمّا داَعیِ‌َ اللّهِ فَمَا عِندَ اللّهِ خَیرٌ لَهُ وَ إِمّا رِزقَ اللّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهلٍ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِینُهُ وَ حَسَبُهُ إِنّ المَالَ وَ البَنِینَ حَرثُ الدّنیَا وَ العَمَلَ الصّالِحَ حَرثُ الآخِرَهِٔ وَ قَد یَجمَعُهُمَا اللّهُ تَعَالَی لِأَقوَامٍ فَاحذَرُوا مِنَ اللّهِ مَا حَذّرَکُم مِن نَفسِهِ وَ اخشَوهُ خَشیَهًٔ لَیسَت بِتَعذِیرٍ وَ اعمَلُوا فِی غَیرِ رِیَاءٍ وَ لَا سُمعَهٍٔ فَإِنّهُ مَن یَعمَل لِغَیرِ اللّهِ یَکِلهُ اللّهُ إِلَی مَن عَمِلَ لَهُ نَسأَلُ اللّهَ مَنَازِلَ الشّهَدَاءِ وَ مُعَایَشَهَٔ السّعَدَاءِ وَ مُرَافَقَهَٔ الأَنبِیَاءِ أَیّهَا النّاسُ إِنّهُ لَا یَستَغنِی الرّجُلُ وَ إِن کَانَ ذَا مَالٍ عَن عَشِیرَتِهِ وَ دِفَاعِهِم عَنهُ بِأَیدِیهِم وَ أَلسِنَتِهِم وَ هُم أَعظَمُ النّاسِ حَیطَهًٔ مِن وَرَائِهِ وَ أَلَمّهُم لِشَعَثِهِ وَ أَعطَفُهُم [صفحه ۳۱۳] عَلَیهِ عِندَ نَازِلَهٍٔ إِن نَزَلَت بِهِ وَ لِسَانُ الصّدقِ یَجعَلُهُ اللّهُ لِلمَرءِ فِی النّاسِ خَیرٌ لَهُ مِنَ المَالِ یُوَرّثُهُ غَیرَهُ وَ مِنهَا أَلَا لَا یَعدِلَنّ أَحَدُکُم عَنِ القَرَابَهِٔ یَرَی بِهَا الخَصَاصَهَٔ أَن

يَسُدّهَا بِالّذِي لَا يَزِيدُهُ إِن أَمسَكَهُ وَ لَا يَنقُصُهُ إِن أَهلَكَهُ وَ مَن يَقبِض يَدَهُ عَن عَشِيرَتِهِ فَإِنّمَا تُقبَضُ مِنهُ عَنهُم يَدٌ وَاحِدَةٌ وَ تُقبَضُ مِنهُم عَنهُ أَيدٍ كَثِيرَةٌ وَ مَن تَلِن حَاشِيَتُهُ يَستَدِم مِن قَومِهِ المَوَدّةَ قال الرضی رحمه الله أقول الغفيرة هاهنا الزيادة والكثرة من قولهم للجمع الكثير الجم الغفير والجماء الغفير ويروی عفوة من أهل أومال والعفوة الخيار من الشیء يقال أكلت عفوة الطعام أی خياره . و ماأحسن المعنی ألذی أراده ع بقوله و من يقبض يده عن عشيرته ... إلی تمام الكلام فإن الممسک خيره عن عشيرته إنما يمسک نفع يد واحدة فإذااحتاج إلی نصرتهم واضطر إلی مرافدتهم قعدوا عن نصره وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الأيدی الكثيرة وتناهض الأقدام الجمة -روايت-۱-۴۷۰ [صفحه ۳۱۴] الفالج الظافر الفائز فلج يفلج بالضم و فی المثل من يأت الحكم وحده يفلج والياسر ألذی يلعب بالقداح واليسر مثله والجمع أيسار و فی الكلام تقديم وتأخير تقديره كالياسر الفالج أی كاللاعب بالقداح المحظوظ منها و هو من باب تقديم الصفة علی الموصوف كقوله تعالی وَ غَرابِيبُ سُودٌ وحسن ذلک هاهنا أن اللفظتين صفتان و إن كانت إحداهما مرتبة علی الأخری . و قوله ليست بتعذير أی ليست بذات تعذير أی تقصير فحذف المضاف كقوله تعالی قُتِلَ أَصحابُ الأُخدُودِ النّارِ أی ذی النار. و قوله هم أعظم الناس حيطة كبيعة أی رعاية وكلاءة ويروی حيطة كغيبة وهی مصدر حاط أی تحننا وتعطفا. والخصاصة الفقر يقول القضاء والقدر ينزلان من السماء إلی الأرض كقطر المطر أی مبثوث فی جميع أقطار الأرض إلی كل نفس بما قسم لها من زيادة أونقصان فی المال والعمر والجاه والولد و غير ذلک فإذارأی أحدكم لأخيه زيادة فی رزق أوعمر أوولد و غير ذلک فلايكونن ذلک له فتنة تفضی به إلی الحسد فإن الإنسان المسلم إذا كان غيرمواقع لدناءة وقبيح يستحيی من ذكره بين الناس ويخشع إذاقرع به ويغری لئام الناس بهتک ستره به كاللاعب بالقداح المحظوظ منها ينتظر أول فوزة وغلبة من قداحه تجلب له نفعا وتدفع عنه ضرا كذلک من وصفنا حاله يصبر وينتظر إحدی الحسنيين إما أن يدعوه الله فيقبضه إليه ويستأثر به فالذی عند الله خير له وإما أن ينسأ فی أجله فيرزقه الله أهلا ومالا فيصبح و قداجتمع له ذلک مع حسبه ودينه ومروءته المحفوظة عليه . ثم قال المال والبنون حرث الدنيا و هو من قوله سبحانه المالُ وَ البَنُونَ -قرآن-۲۷۲-۲۸۹-قرآن-۴۴۲-۴۷۴-قرآن-۱۴۰۱-۱۴۱۹ الفالج الظافر الفائز فلج يفلج بالضم و فی المثل من يأت الحكم وحده يفلج والياسر ألذی يلعب بالقداح واليسر مثله والجمع أيسار و فی الكلام تقديم وتأخير تقديره كالياسر الفالج أی كاللاعب بالقداح المحظوظ منها و هو من باب تقديم الصفة علی الموصوف كقوله تعالی وَ غَرابِيبُ سُودٌ وحسن ذلک هاهنا أن اللفظتين صفتان و إن كانت إحداهما مرتبة علی الأخری . و قوله ليست بتعذير أی ليست بذات تعذير أی تقصير فحذف المضاف كقوله تعالی قُتِلَ أَصحابُ الأُخدُودِ النّارِ أی ذی النار. و قوله هم أعظم الناس حيطة كبيعة أی رعاية وكلاءة ويروی حيطة كغيبة وهی مصدر حاط أی تحننا وتعطفا. والخصاصة الفقر يقول القضاء والقدر ينزلان من السماء إلی الأرض كقطر المطر أی مبثوث فی جميع أقطار الأرض إلی كل نفس بما قسم لها من زيادة أونقصان فی المال والعمر والجاه والولد و غير ذلک فإذارأی أحدكم لأخيه زيادة فی رزق أوعمر أوولد و غير ذلک فلايكونن ذلک له فتنة تفضی به إلی الحسد فإن الإنسان المسلم إذا كان غيرمواقع لدناءة وقبيح يستحيی من ذكره بين الناس ويخشع إذاقرع به ويغری لئام الناس بهتک ستره به كاللاعب بالقداح المحظوظ منها ينتظر أول فوزة وغلبة من قداحه تجلب له نفعا وتدفع عنه ضرا كذلک من وصفنا حاله يصبر وينتظر إحدی الحسنيين إما أن يدعوه الله فيقبضه إليه ويستأثر به فالذی عند الله خير له وإما أن ينسأ فی أجله فيرزقه الله أهلا ومالا فيصبح و قداجتمع له ذلک مع حسبه ودينه ومروءته المحفوظة عليه . ثم قال المال والبنون حرث الدنيا و هو من قوله سبحانه المالُ وَ البَنُونَ زِينَةُ الحَياةِ الدّنيا و من قوله تعالی مَن كانَ يُرِيدُ حَرثَ الآخِرَةِ نَزِد لَهُ فِی حَرثِهِ وَ مَن كانَ يُرِيدُ حَرثَ الدّنيا نُؤتِهِ مِنها وَ ما لَهُ فِی الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ. قال و قديجمعهما الله لأقوام فإنه تعالی قديرزق الرجل الصالح مالا وبنين فتجمع له الدنيا والآخرة. ثم قال فاحذروا من الله ماحذركم من نفسه و ذلک لأنه تعالی قال فَاتّقُونِ و قال فَارهَبُونِ و قال فَلا تَخشَوُا النّاسَ وَ

اخشَونِ و غير ذلك من آيات التحذير. ثم قال ولتكن التقوى منكم أقصى نهايات جهدكم لاذات تقصيركم فإن العمل القاصر قاصر الثواب قاصر المنزلة -قرآن-۱-۲۵-قرآن-۴۵-۱۸۴-قرآن-۳۵۷-۳۶۶-قرآن-۳۷۴-۳۸۴-قرآن-۳۹۲-۴۲۳

فصل فی ذم الحاسد والحسد

واعلم أن مصدر هذاالكلام النهی عن الحسد و هو من أقبح الأخلاق المذمومة وروی ابن مسعود عن النبی ص ألا لاتعادوا نعم الله قيل يا رسول الله و من ألذی يعادی نعم الله قال الذين يحسدون الناس -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۱۳۱ . و كان ابن عمر يقول تعوذوا بالله من قدر وافق إرادة حسود. [صفحه ۳۱۶] قيل لأرسطو مابال الحسود أشد غما من المكروب قال لأنه يأخذ نصيبه من غموم الدنيا ويضاف إلی ذلك غمه بسرور الناس . و قال رسول الله ص استعينوا علی قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذی نعمة محسود -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۸۵ . و قال منصور الفقيه منافسة الفتی فيما يزول || علی نقصان همته دليل ومختار القليل أقل منه || و كل فوائد الدنيا قليل و من الكلام المروی عن أمير المؤمنين ع لله در الحسد ماأعدله بدأ بصاحبه فقتله -روايت-۱-۲-روايت-۴۶-۸۸ و من كلام عثمان بن عفان يكفيك من انتقامك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك . و قال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة فی كل شیء إلاشهادة بعضهم علی بعض فإنهم أشد تحاسدا من السوس فی الوبر. و قال أبوتمام و إذاأراد الله نشر فضيلة || طويت أتاح لها لسان حسود لو لااشتعال النار فيما جاورت || ما كان يعرف طيب عرف العود لو لامحاذرة العواقب لم تزل || للحاسد النعمی علی المحسود . وتذاكر قوم من ظرفاء البصرة الحسد فقال رجل منهم إن الناس ربما حسدوا علی الصلب فأنكروا ذلك ثم جاءهم بعد ذلك بأيام فقال إن الخليفة قدأمر بصلب [صفحه ۳۱۷] الأحنف بن قيس ومالك بن مسمع وحمدان الحجام فقالوا هذاالخبيث يصلب مع هذين الرئيسين فقال أ لم أقل لكم إن الناس يحسدون علی الصلب . وروی أنس بن مالك مرفوعا أن الحسد يأكل الحسنات كماتأكل النار الحطب -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-۷۷ و فی الكتب القديمة يقول الله عز و جل الحاسد عدو نعمتی متسخط لفعلی غيرراض بقسمتی -روايت-۱-۴-روايت-۲۳-۹۱ و قال الأصمعی رأيت أعرابيا قدبلغ مائة وعشرين سنة فقلت له ماأطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت . و قال بعضهم مارأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد. قال الشاعر تراه كأن الله يجدع أنفه || وأذنيه إن مولاه ثاب إلی وفر . و قال آخر قل للحسود إذاتنفس ضغنه || ياظالما وكأنه مظلوم . و من كلام الحكماء إياك والحسد فإنه يبين فيك و لايبين فی المحسود. و من كلامهم من دناءة الحاسد أنه يبدأ بالأقرب فالأقرب . وقيل لبعضهم لزمت البادية وتركت قومك وبلدك قال وهل بقی إلاحاسد نعمة أوشامت بمصيبة.بينا عبدالملك بن صالح يسير مع الرشيد فی موكبه إذ هتف هاتف يا أمير المؤمنين طأطئ من إشرافه وقصر من عنانه واشدد من شكاله و كان عبدالملك متهما [صفحه ۳۱۸] عندالرشيد بالطمع فی الخلافة فقال الرشيد ما يقول هذا فقال عبدالملك مقال حاسد ودسيس حاقد يا أمير المؤمنين قال قدصدقت نقص القوم وفضلتهم وتخلفوا وسبقتهم حتی برز شأوك وقصر عنك غيرك ففی صدورهم جمرات التخلف وحزازات التبلد قال عبدالملك فأضرمها يا أمير المؤمنين عليهم بالمزيد. و قال شاعر ياطالب العيش فی أمن و فی دعة || محضا بلا كدر صفوا بلا رنق خلص فؤادك من غل و من حسد || فالغل فی القلب مثل الغل فی العنق . و من كلام عبد الله بن المعتز إذازال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد علی غير شیء. و من كلامه الحاسد مغتاظ علی من لاذنب له بخيل بما لايملكه . و من كلامه لاراحة لحاسد و لاحياة لحريص . و من كلامه الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه و من كلامه ماذل قوم حتی ضعفوا و ماضعفوا حتی تفرقوا و ماتفرقوا حتی اختلفوا و مااختلفوا حتی تباغضوا و ماتباغضوا حتی تحاسدوا و ماتحاسدوا حتی استأثر بعضهم علی بعض . و قال الشاعر إن

يحسدونی فإنی غیرلائمهم || قبلی من الناس أهل الفضل قدحسدوا فدام لی ولهم مابی و مابهم || ومات أكثرنا غیظا بما یجد . [صفحه ۳۱۹] و من كلامهم ماخلا جسد عن حسد. وحد الحسد هو أن تغتاظ مما رزقه غیرك وتود أنه زال عنه وصار إلیك والغبطة ألا تغتاظ و لاتود زواله عنه وإنما تود أن ترزق مثله ولیست الغبطة بمذمومة. و قال الشاعر حسدوا الفتی إذ لم ینالوا سعیه || فالكل أعداء له وخصوم كضرائر الحسناء قلن لوجهها || حسدا وبغیا إنه لدمیم

فصل فی مدح الصبر وانتظار الفرج

واعلم أنه ع بعد أن نهی عن الحسد أمر بالصبر وانتظار الفرج من الله إما بموت مریح أوبظفر بالمطلوب . والصبر من المقامات الشریفة و قدوردت فیه آثار كثیرة روی عبد الله بن مسعود عن النبی ص أن الصبر نصف الإیمان والیقین الإیمان كله -روایت-۱-۲-روایت-۴۰-۸۷ وقالت عائشة لو كان الصبر رجلا لكان كریما. و قال علی ع الصبر إما صبر علی المصیبة أو علی الطاعة أو عن المعصیة و هذاالقسم الثالث أعلی درجة من القسمین الأولین -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۱۲۴ و عنه ع الحیاء زینة والتقوی كرم وخیر المراكب مركب الصبر -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۶۵ و عنه ع القناعة سیف لاینبو والصبر مطیة لاتكبو وأفضل العدة الصبر علی الشدة -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۸۱ قال الحسن ع جربنا وجرب المجربون فلم نر شیئا أنفع وجدانا و لاأضر فقدانا من الصبر تداوی به الأمور و لایداوی هوبغیره -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۱۲۷ . [صفحه ۳۲۰] و قال سعید بن حمید الكاتب لاتعتبن علی النوائب || فالدهر یرغم كل عاتب واصبر علی حدثانه || إن الأمور لها عواقب كم نعمة مطویة || لك بین أثناء النوائب ومسرة قدأقبلت || من حیث تنتظر المصائب . و من كلامهم الصبر مر لایتجرعه إلاحر. قال أعرابی كن حلو الصبر عندمرارة النازلة. و قال كسری لبزرجمهر ماعلامة الظفر بالأمور المطلوبة المستصعبة قال ملازمة الطلب والمحافظة علی الصبر وكتمان السر. و قال الأحنف بن قیس لست حلیما إنما أناصبور فأفادنی الصبر صفتی بالحلم . وسئل علی ع أی شیءأقرب إلی الكفر قال ذو فاقة لاصبر له -روایت-۱-۶۱ و من كلامه ع الصبر یناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۶۶ و قال أعشی همدان إن نلت لم أفرح بشیء نلته || و إذاسبقت به فلاأتلهف ومتی تصبك من الحوادث نكبة || فاصبر فكل غیابة تتكشف . والأمر یذكر بالأمر و هذاالبیت هو ألذی قاله له الحجاج یوم قتله ذكر ذلك أبوبكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباری فی الأمالی قال لماأتی الحجاج بأعشی همدان أسیرا و قد كان خرج مع ابن الأشعث قال له یا ابن اللخناء أنت القائل لعدو الرحمن یعنی عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . [صفحه ۳۲۱] یا ابن الأشج قریع كندة || لاأبالی فیك عتبا أنت الرئیس ابن الرئیس || و أنت أعلی الناس كعبا نبئت حجاج بن یوسف || خر من زلق فتبا فانهض هدیت لعله || یجلو بك الرحمن كربا وابعث عطیة فی الحروب || یكبهن علیه كبا . ثم قال عبدالرحمن خر من زلق فتب وخسر وانكب و مالقی ماأحب ورفع بهاصوته واهتز منكباه ودر ودجاه واحمرت عیناه و لم یبق فی المجلس إلا من هابه فقال أیها الأمیر و أناالقائل أبی الله إلا أن یتمم نوره || ویطفئ نار الكافرین فتخمدا وینزل ذلا بالعراق وأهله || كمانقضوا العهد الوثیق المؤكدا و مالبث الحجاج أن سل سیفه || علینا فولی جمعنا وتبددا .فالتفت الحجاج إلی من حضر فقال ماتقولون قالوا لقد أحسن أیها الأمیر ومحا بآخر قوله أوله فلیسعه حلمك فقال لاها الله إنه لم یرد ماظننتم وإنما أراد تحریض أصحابه ثم قال له ویلك ألست القائل إن نلت لم أفرح بشیء نلته || و إذاسبقت به فلاأتلهف ومتی تصبك من الحوادث نكبة || فاصبر فكل غیابة تتكشف . أما و الله لتظلمن علیك غیابة لاتنكشف أبدا ألست القائل فی عبدالرحمن و إذاسألت المجد أین محله || فالمجد بین محمد وسعید [صفحه ۳۲۲] بین الأشج و بین قیس نازل || بخ بخ لوالده وللمولود . و الله لایبخبخ بعدها أبدا یاحرسی اضرب عنقه . ومما جاء فی الصبر قیل

للأحنف إنك شيخ ضعيف و إن الصيام يهدك فقال إنى أعده لشر يوم طويل و إن الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله . و من كلامه من لم يصبر على كلمة سمع كلمات رب غيظ قدتجرعته مخافة ما هوأشد منه .يونس بن عبيد لوأمرنا بالجزع لصبرنا. ابن السماك المصيبة واحدة فإن جزع صاحبها منها صارت اثنتين يعنى فقد المصاب وفقد الثواب .الحارث بن أسد المحاسبى لكل شيءجوهر وجوهر الإنسان العقل وجوهر العقل الصبر. جابر بن عبد الله سئل رسول الله ص عن الإيمان فقال الصبر والسماحة -روايت-١-٢-روايت-٢١-٧٣ . و قال العتابى اصبر إذابدهتك نائبة || ماعال منقطع إلى الصبر الصبر أولى مااعتصمت به || ولنعم حشو جوانح الصدر و من كلام على ع الصبر مفتاح الظفر والتوكل على الله رسول الفرج -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٧٣ و من كلامه ع انتظار الفرج بالصبر عبادة -روايت-١-٢-روايت-١٨-٤٥ .أكثم بن صيفى الصبر على جرع الحمام أعذب من جنا الندم . [صفحه ٣٢٣] و من كلام بعض الزهاد واصبر على عمل لاغناء بك عن ثوابه واصبر عن عمل لاصبر على عقابك به . وكتب ابن العميد أقرأ فى الصبر سورا و لاأقرأ فى الجزع آية وأحفظ فى التماسك والتجلد قصائد و لاأحفظ فى التهافت قافية. و قال الشاعر و يوم كيوم البعث ما فيه حاكم || و لاعاصم إلاقنا ودروع حبست به نفسى على موقف الردى || حفاظا وأطراف الرماح شروع و مايستوى عندالملمات إن عرت || صبور على مكروهها وجزوع . أبوحية النميرى إنى رأيت و فى الأيام تجربة || للصبر عاقبة محمودة الأثر وقل من جد فى أمر يحاوله || واستصحب الصبر إلافاز بالظفر . ووصف الحسن البصرى عليا ع فقال كان لايجهل و إن جهل عليه حلم و لايظلم و إن ظلم غفر و لايبخل و إن بخلت الدنيا عليه صبر. عبدالعزيز بن زرارة الكلابى قدعشت فى الدهر أطوارا على طرق || شتى فقاسيت منه الحلو والبشعا كلا بلوت فلاالنعماء تبطرنى || و لاتخشعت من لأوائها جزعا لايملأ الأمر صدرى قبل موقعه || و لايضيق به صدرى إذاوقعا . و من كلام بعضهم من تبصر تصبر الصبر يفسح الفرج ويفتح المرتتج المحنة إذاتلقيت بالرضا والصبر كانت نعمة دائمة والنعمة إذاخلت من الشكر كانت محنة لازمة. [صفحه ٣٢٤] قيل لأبى مسلم صاحب الدولة بم أصبت ماأصبت قال ارتديت بالصبر واتزرت بالكتمان وحالفت الحزم وخالفت الهوى و لم أجعل العدو صديقا و لاالصديق عدوا.منصور النمرى فى الرشيد و ليس لأعباء الأمور إذاعرت || بمكترث لكن لهن صبور يرى ساكن الأطراف باسط وجهه || يريك الهوينى والأمور تطير من كلام أمير المؤمنين ع أوصيكم بخمس لوضربتم إليهن آباط الإبل كانت لذلك أهلا لايرجون أحدكم إلاربه و لايخافن إلاذنبه و لايستحين إذاسئل عما لايعلم أن يقول لاأعلم و لايستحيى إذاجهل أمرا أن يتعلمه وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فكما لاخير فى جسد لارأس له لاخير فى إيمان لاصبر معه -روايت-١-٢-روايت-٣٠-٣٣٥ و عنه ع لايعدم الصبور الظفر و إن طال به الزمان -روايت-١-٢-روايت-١٣-٥٦ .نهشل بن حرى و يوم كأن المصطلين بحرة || و إن لم يكن جمرا قيام على جمر صبرنا له حتى تجلى وإنما || تفرج أيام الكريهة بالصبر على ع اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين -روايت-١-٢-روايت-١١-٦٦ و عنه ع و إن كنت جازعا على ماتفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك -روايت-١-٢-روايت-١٣-٨٥ و فى كتابه ع ألذى كتبه إلى عقيل أخيه و لاتحسبن ابن أمك و لوأسلمه الناس متضرعا متخشعا و لامقرا للضيم واهنا و لاسلس الزمام للقائد و لاوطيء الظهر للراكب ولكنه كما قال أخو بنى سليم -روايت-١-٢-روايت-٤٥-ادامه دارد [صفحه ٣٢٥] فإن تسألينى كيف أنت فإننى || صبور على ريب الزمان صليب يعز على أن ترى بى كآبة || فيشمت عاد أويساء حبيب -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد

فصل فى الرياء والنهى عنه

-روایت-از قبل-۱-روایت-۲-ادامه دارد واعلم أنه ع بعد أن أمرنا بالصبر نهى عن الرياء فى العمل والرياء فى العمل منهى عنه بل العمل ذو الرياء ليس بعمل على الحقيقة لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى وأصحابنا المتكلمون يقولون ينبغى أن يعمل المكلف الواجب لأنه واجب ويجتنب القبيح لأنه قبيح و لا يفعل الطاعة ويترك المعصية رغبة فى الثواب وخوفا من العقاب فإن ذلك يخرج عمله من أن يكون طريقا إلى الثواب وشبهوه بالاعتذار فى الشيء فإن من يعتذر إليك من ذنب خوفا أن تعاقبه على ذلك الذنب لاندما على القبيح ألذى سبق منه لا يكون عذره مقبولا و لاذنبه عندك مغفورا و هذامقام جليل لايصل إليه إلاالأفراد من ألوف الألوف . و قدجاء فى الآثار من النهى عن الرياء والسمعة كثير -روایت-از قبل-۱-روایت-۲-ادامه دارد روى عن النبى ص أنه قال يؤتى فى يوم القيامة بالرجل قدعمل أعمال الخير كالجبال أو قال كجبال تهامة و له خطيئة واحدة فيقال إنما عملتها ليقال عنك فقد قيل وذاك ثوابك و هذه خطيئتك أدخلوه بها إلى جهنم -روایت-از قبل-۲۱۶ و قال ع ليست الصلاة قيامك وقعودك إنما الصلاة إخلاصك و أن تريد بها الله وحده -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۸۶ و قال حبيب الفارسى لو أن الله تعالى أقامنى يوم القيامة و قال هل تعد سجدة سجدت ليس للشيطان فيهانصيب لم أقدر على ذلك . [صفحه ۳۲۶] توصل عبد الله بن الزبير إلى امرأة عبد الله بن عمر وهى أخت المختار بن أبى عبيد الثقفى فى أن تكلم بعلها عبد الله بن عمر أن يبايعه فكلمته فى ذلك وذكرت صلاته وقيامه وصيامه فقال لها أ مارأيت البغلات الشهب التى كنا نراها تحت معاوية بالحجر إذاقدم مكة قالت بلى قال فإياها يطلب ابن الزبير بصومه وصلاته . و فى الخبر المرفوع أن أخوف ماأخاف على أمتى الرياء فى العمل ألا و إن الرياء فى العمل هوالشرك الخفى -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۱۰ صلى وصام لأمر كان يطلبه || حتى حواه فلاصلى و لاصاما

فصل فى الاعتضاد بالعشيرة والتكثر بالقبيلة

ثم إنه ع بعدنهيه عن الرياء وطلب السمعة أمر بالاعتضاد بالعشيرة والتكثر بالقبيلة فإن الإنسان لايستغنى عنهم و إن كان ذا مال و قدقالت الشعراء فى هذاالمعنى كثيرا فمن ذلك قول بعض شعراء الحماسة إذاالمرء لم يغضب له حين يغضب || فوارس إن قيل اركبوا الموت يركبوا و لم يحبه بالنصر قوم أعزة || مقاحيم فى الأمر ألذى يتهيب تهضمه أدنى العداة فلم يزل || و إن كان عضا بالظلامة يضرب فآخ لحال السلم من شئت واعلمن || بأن سوى مولاك فى الحرب أجنب ومولاك مولاك ألذى إن دعوته || أجابك طوعا والدماء تصبب فلاتخذل المولى و إن كان ظالما || فإن به تثأى الأمور وترأب . [صفحه ۳۲۷] و من شعر الحماسة أيضا أفيقوا بنى حزن وأهواؤنا معا || وأرحامنا موصولة لم تقضب لعمرى لرهط المرء خير بقية || عليه و إن عالوا به كل مركب إذاكنت فى قوم وأمك منهم || لتعزى إليهم فى خبيث وطيب و إن حدثتك النفس أنك قادر || على ماحوت أيدى الرجال فكذب . و من شعر الحماسة أيضا لعمرك ماأنصفتنى حين سمتنى || هواك مع المولى و أن لاهوى ليا إذاظلم المولى فزعت لظلمه || فحرق أحشائى وهرت كلابيا . و من شعر الحماسة أيضا و ماكنت أبغى العم يمشى على شفا || و إن بلغتنى من أذاه الجنادع ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه || لترجعه يوما إلى الرواجع وحسبك من ذل وسوء صنيعة || مناواة ذى القربى و أن قيل قاطع . و من شعر الحماسة أيضا ألا هل أتى الأنصار أن ابن بحدل || حميدا شفى كلبا فقرت عيونها فإنا وكلبا كاليدين متى تقع || شمالك فى الهيجا تعنها يمينها . [صفحه ۳۲۸] و من شعر الحماسة أيضا أخوك أخوك من ينأى وتدنو || مودته و إن دعى استجابا إذاحاربت حارب من تعادى || وزاد غناؤه منك اقترابا يواسى فى كريهته ويدنو || إذا مامضلع الحدثان نابا

فصل فی حسن الثناء وطیب الأحدوثة

ثم إنه ع ذکر أن لسان الصدق یجعله الله للمرء فی الناس خیرا له من المال یورثه غیره ولسان الصدق هو أن یذکر الإنسان بالخیر ویثنی علیه به قال سبحانه وَ اجعَل لِی لِسانَ صِدقٍ فِی الآخِرِینَ. و قدورد فی هذاالمعنی من النثر والنظم الکثیر الواسع فمن ذلک قول عمر لابنة هرم ما ألذی أعطی أبوک زهیرا قالت أعطاه مالا یفنی وثیابا تبلی قال لکن ماأعطاکم زهیر لایبلیه الدهر و لایفنیه الزمان . و من شعر الحماسة أیضا -قرآن-۱۶۱-۲۰۰ إذا أنت أعطیت الغنی ثم لم تجد || بفضل الغنی ألفیت ما لک حامد وقل غناء عنک مال جمعته || إذا کان میراثا وواراک لاحد . و قال یزید بن المهلب المال والحیاة أحب شیء إلی الإنسان والثناء الحسن أحب إلی منهما و لوأنی أعطیت ما لم یعطه أحد لأحببت أن یکون لی أذن أسمع بها مایقال فی غدا و قدمت کریما. وحکی أبوعثمان الجاحظ عن ابراهیم السندی قال قلت فی أیام ولایتی الکوفة [صفحه ۳۲۹] لرجل من وجوهها کان لایجف لبده و لایستریح قلمه و لاتسکن حرکته فی طلب حوائج الناس وإدخال السرور علی قلوبهم والرفق علی ضعفائهم و کان عفیف الطعمة خبرنی عما هون علیک النصب وقواک علی التعب فقال قد و الله سمعت غناء الأطیار بالأسحار علی أغصان الأشجار وسمعت خفق الأوتار وتجاوب العود والمزمار فما طربت من صوت قط طربی من ثناء حسن علی رجل محسن فقلت لله أبوک فلقد ملئت کرما. و قال حاتم أماوی إن یصبح صدای بقفرة || من الأرض لاماء لدی و لاخمر تری أن ماأنفقت لم یک ضرنی || و أن یدی مما بخلت به صفر أماوی مایغنی الثراء عن الفتی || إذاحشرجت یوما وضاق بهاالصدر .بعض المحدثین من اشتری بماله || حسن الثناء غبنا أفقره سماحه || و ذلک الفقر الغنی . و من أمثال الفرس کل مایؤکل ینتن و کل مایوهب یأرج . و قال أبوالطیب ذکر الفتی عمره الثانی وحاجته || ماقاته وفضول العیش أشغال

فصل فی مواساة الأهل وصلة الرحم

ثم إنه ع بعد أن قرظ الثناء والذکر الجمیل وفضله علی المال أمر بمواساة [صفحه ۳۳۰] الأهل وصلة الرحم و إن قل مایواسی به فقال ألا لایعدلن أحدکم عن القرابة إلی آخر الفصل و قد قال الناس فی هذاالمعنی فأکثروا فمن ذلک قول زهیر و من یک ذا فضل فیبخل بفضله || علی قومه یستغن عنه ویذمم . و قال عثمان إن عمر کان یمنع أقرباءه ابتغاء وجه الله و أناأعطیتهم ابتغاء وجه الله ولن تروا مثل عمر. أبوهریرة مرفوعا الرحم مشتقة من الرحمن والرحمن اسم من أسماء الله العظمی قال الله لها من وصلک وصلته و من قطعک قطعته -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۱۲۷ و فی الحدیث المشهور صلة الرحم تزید فی العمر -روایت-۱-۴-روایت-۲۴-۴۹ . و قال طرفة یهجو إنسانا بأنه یصل الأباعد ویقطع الأقارب و أنت علی الأدنی شمال عریة || شآمیة تزوی الوجوه بلیل و أنت علی الأقصی صبا غیرقرة || تذاءب منها مزرع ومسیل . و من شعر الحماسة لهم جل مالی إن تتابع لی غنی || و إن قل مالی لاأکلفهم رفدا و لاأحمل الحقد القدیم علیهم || و لیس رئیس القوم من یحمل الحقدا [صفحه ۳۳۱]

۲۴- و من خطبة له ع

وَ لَعَمرِی مَا عَلَیّ مِن قِتَالِ مَن خَالَفَ الحَقّ وَ خَابَطَ الغیَّ مِن إِدهَانٍ وَ لَا إِیهَانٍ فَاتّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ وَ فِرّوا إِلَی اللّهِ مِنَ اللّهِ وَ امضُوا

فِي أَلّذِي نَهَجَهُ لَكُم وَ قُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُم فعَلَيّ ضَامِنٌ لِفَلجِكُم آجِلًا إِن لَم تُمنَحُوهُ عَاجِلًا الإدهان المصانعة والمنافقة قال سبحانه وَدّوا لَو تُدهِنُ فَيُدهِنُونَ. والإيهان مصدر أوهنته أى أضعفته ويجوز وهنته بحذف الهمزة ونهجه أوضحه وجعله نهجا أى طريقا بينا وعصبه بكم ناطه بكم وجعله كالعصابة التى تشد بهاالرأس والفلج الفوز والظفر. و قوله وخابط الغى كأنه جعله والغى متخابطين يخبط أحدهما فى الآخر و ذلك أشد مبالغة من أن تقول خبط فى الغى لأن من يخبط ويخبطه غيره يكون أشد اضطرابا ممن يخبط و لايخبطه غيره و قوله وفروا إلى الله من الله أى اهربوا إلى رحمة الله من عذابه و قدنظر الفرزدق إلى هذا فقال -قرآن-۴۰-۷۰ إليك فررت منك و من زياد || و لم أحسب دمى لكم حلالا [صفحه ۳۳۲]

۲۵- و من خطبة له ع و قدتواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد

اشاره

وقدم عليه عاملاه على اليمن وهما عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران لماغلب عليهما بسر بن أرطاة فقام ع على المنبر ضجرا بتثاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له فى الرأى فقال مَا هيَ إِلّا الكُوفَةُ أَقبِضُهَا وَ أَبسُطُهَا إِن لَم يَكُن إِلّا أَنتِ تَهُبّ أَعَاصِيرُكِ فَقَبّحَكِ اللّهُ وَ تَمَثّلَ بِقَولِ الشّاعِرِ لَعَمرُ أَبِيكَ الخَيرِ يَا عَمرُو إِنّنِي || عَلَى وَضَرٍ مِن ذَا الإِنَاءِ قَلِيلِ ثُمّ قَالَ ع أُنبِئتُ بُسراً قَد اطّلَعَ اليَمَنَ وَ إِنّيَ وَ اللّهِ لَأَظُنّ أَنّ هَؤُلَاءِ القَومَ سَيُدَالُونَ مِنكُم بِاجتِمَاعِهِم عَلَى بَاطِلِهِم وَ تَفَرّقِكُم عَن حَقّكُم وَ بِمَعصِيَتِكُم إِمَامَكُم فِي الحَقّ وَ طَاعَتِهِم إِمَامَهُم فِي البَاطِلِ وَ بِأَدَائِهِمُ الأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِم وَ خِيَانَتِكُم وَ بِصَلَاحِهِم فِي بِلَادِهِم وَ فَسَادِكُم فَلَوِ ائتَمَنتُ أَحَدَكُم عَلَى قَعبٍ لَخَشِيتُ أَن يَذهَبَ بِعِلَاقَتِهِ أَللّهُمّ إِنّيَ قَد مَلِلتُهُم وَ مَلّونِي وَ سَئِمتُهُم وَ سَئِمُونِي فَأَبدِلنِي بِهِم خَيراً مِنهُم [صفحه ۳۳۳] وَ أَبدِلهُم بِي شَرّاً منِيّ أَللّهُمّ مِث قُلُوبَهُم كَمَا يُمَاثُ المِلحُ فِي المَاءِ أَمَا وَ اللّهِ لَوَدِدتُ أَنّ لِي بِكُم أَلفَ فَارِسٍ مِن بَنِي فِرَاسِ بنِ غَنمٍ هُنَالِكَ لَو دَعَوتَ أَتَاكَ مِنهُم || فَوَارِسُ مِثلُ أَرمِيَةِ الحَمِيمِ ثُمّ نَزَلَ ع مِنَ المِنبَرِ قال الرضى رحمه الله أقول الأرمية جمع رمى و هوالسحاب والحميم هاهنا وقت الصيف وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوقا لأنه لاماء فيه وإنما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء و ذلك لا يكون فى الأكثر إلازمان الشتاء وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذادعوا والإغاثة إذااستغيثوا والدليل على ذلك قوله -روايت-۱-۳۴۷ هنالك لودعوت أتاك منهم تواترات عليه الأخبار مثل ترادفت وتواصلت الناس من يطعن فى هذا و يقول التواتر لا يكون إلا مع فترات بين أوقات الإتيان و منه قوله سبحانه ثُمّ أَرسَلنا رُسُلَنا تَترا ليس المراد أنهم مترادفون بل بين كل نبيين فترة قالوا وأصل تترى من الواو واشتقاقها من الوتر و هوالفرد وعدوا هذاالموضع مما تغلط فيه الخاصة. -قرآن-۱۴۶-۱۷۳ [صفحه ۳۳۴]

نسب معاوية بن أبى سفيان وذكر بعض أخباره

ومعاوية هو أبو عبدالرحمن معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصى. وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصى وهى أم أخيه عتبة بن أبى سفيان فأما يزيد بن أبى سفيان و محمد بن أبى سفيان وعنبسة بن أبى سفيان وحنظلة بن أبى سفيان وعمرو بن أبى سفيان فمن أمهات شتى . و أبوسفيان هو ألذى قاد قريشا فى حروبها إلى النبى ص و هورئيس بنى عبدشمس بعدقتل عتبة بن ربيعة ببدر ذاك صاحب العير و هذاصاحب النفير وبهما يضرب

المثل فيقال للخامل لا فى العير و لا فى النفير. وروى الزبير بن بكار أن عبد الله بن يزيد بن معاوية جاء إلى أخيه خالد بن يزيد فى أيام عبدالملك فقال لقد هممت اليوم ياأخى أن أفتك بالوليد بن عبدالملك قال بئسما هممت به فى ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين فما ذاك قال إن خيلى مرت به فعبث بها وأصغرنى فقال خالد أناأكفيك فدخل على عبدالملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين إن الوليد مرت به خيل ابن عمه عبد الله فعبث بها وأصغره و كان عبدالملك مطرقا فرفع رأسه و قال إنّ المُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزّةَ أَهلِها أَذِلّةً وَ كَذلِكَ يَفعَلُونَ فقال خالدوَ إِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمّرناها تَدمِيراً فقال عبدالملك أ فى عبد الله تكلمنى و الله لقد دخل أمس على فما أقام لسانه لحنا قال -قرآن-٩٨٥-١٠٩١-قرآن-١١٠٢-١٢١٨ [صفحه ٣٣٥] خالد أفعلى الوليد تعول يا أمير المؤمنين قال عبدالملك إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان لا فقال خالد و إن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالدا لافالتفت الوليد إلى خالد و قال له اسكت ويحك فو الله ماتعد فى العير و لا فى النفير فقال اسمع يا أمير المؤمنين ثم التفت إلى الوليد فقال له ويحك فمن صاحب العير والنفير غيرجدى أبى سفيان صاحب العير وجدى عتبة صاحب النفير ولكن لو قلت غنيمات وحبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت . و هذا من الكلام المستحسن والألفاظ الفصيحة والجوابات المسكتة وإنما كان أبوسفيان صاحب العير لأنه هو ألذى قدم بالعير التى رام رسول الله ص وأصحابه أن يعترضوها وكانت قادمة من الشام إلى مكة تحمل العطر والبر فنذر بهم أبوسفيان فضرب وجوه العير إلى البحر فساحل بها حتى أنقذها منهم وكانت وقعة بدر العظمى لأجلها لأن قريشا أتاهم النذير بحالها وبخروج النبى ص بأصحابه من المدينة فى طلبها لينفروا و كان رئيس الجيش النافر لحمايتها عتبة بن ربيعة بن شمس جد معاوية لأمه . و أماغنيمات وحبيلات إلى آخر الكلام فإن رسول الله ص لماطرد الحكم بن أبى العاص إلى الطائف لأمور نقمها عليه أقام بالطائف فى حبلة ابتاعها وهى الكرمة و كان يرعى غنيمات اتخذها يشرب من لبنها فلما ولى أبوبكر شفع إليه عثمان فى أن يرده فلم يفعل فلما ولى عمر شفع إليه أيضا فلم يفعل فلما ولى هوالأمر رده والحكم جد عبدالملك فعيرهم خالد بن يزيد به . وبنو أمية صنفان الأعياص والعنابس فالأعياص العاص و أبوالعاص [صفحه ٣٣٦] والعيص و أبوالعيص والعنابس حرب و أبوحرب وسفيان و أبوسفيان فبنو مروان وعثمان من الأعياص ومعاوية وابنة من العنابس ولكل واحد من الصنفين المذكورين وشيعتهم كلام طويل واختلاف شديد فى تفضيل بعضهم على بعض . وكانت هند تذكر فى مكة بفجور وعهر. و قال الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار كان معاوية يعزى إلى أربعة إلى مسافر بن أبى عمرو و إلى عمارة بن الوليد بن المغيرة و إلى العباس بن عبدالمطلب و إلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد قال و قد كان أبوسفيان دميما قصيرا و كان الصباح عسيفا لأبى سفيان شابا وسيما فدعته هند إلى نفسها فغشيها. وقالوا إن عتبة بن أبى سفيان من الصباح أيضا وقالوا إنها كرهت أن تدعه فى منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك و فى هذاالمعنى يقول حسان أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين فى حياة رسول الله ص قبل عام الفتح لمن الصبى بجانب البطحا || فى الترب ملقى غيرذى مهد نجلت به بيضاء آنسة || من عبدشمس صلتة الخد . والذين نزهوا هندا عن هذاالقذف رووا غير هذافروى أبوعبيدة معمر بن المثنى أن هندا كانت تحت الفاكه بن المغيرة المخزومى و كان له بيت ضيافة يغشاه الناس فيدخلونه من غيرإذن فخلا ذلك البيت يوما فاضطجع فيه الفاكه وهند ثم قام الفاكه وترك هندا فى البيت لأمر عرض له ثم عاد إلى البيت فإذا رجل قدخرج من البيت فأقبل إلى هند فركلها برجله و قال من ألذى كان عندك فقالت لم يكن عندى [صفحه ٣٣٧] أحد وإنما كنت نائمة فقال الحقى بأهلك فقامت من فورها إلى أهلها فتكلم الناس فى ذلك فقال لها عتبة أبوها يابنية إن الناس قدأكثروا فى أمرك فأخبرينى بقصتك على الصحة فإن كان لك ذنب دسست إلى الفاكه من يقتله فتنقطع عنك القالة فحلفت أنها لاتعرف لنفسها جرما وإنه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه إنك قدرميت ابنتى بأمر عظيم فهل لك أن تحاكمنى إلى بعض الكهنة فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم وخرج عتبة فى جماعة من بنى

عبـدمناف وأخرج معه هنـدا ونسوة معها فلما شارفوا بلاد الكاهن تغيرت حال هند وتنكر أمرها واختطف لونها فرأى ذلك أبوها فقال لها إنى أرى مابك و ماذاك إلالمكروه عندك فهلا كان هذاقبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا قالت ياأبت إن ألذى رأيت منى ليس لمكروه عندى ولكنى أعلم أنكم تأتون بشرا يخطئ ويصيب و لاآمن أن يسمنى ميسما يكون على عارا عندنساء مكة قـال لهـا فـإنى سـأمتحنه قبـل المسألـة بأمر ثم صـفر بفرس له فأدلى ثم أخـذ حبـة بر فأدخلها فى إحليله وشـده بسير وتركه حتى إذاوردوا على الكـاهن أكرمهم ونحر لهم فقال عتبـة إنا قـدجئناك لأمر و قـدخبأت لك خبيئا أختبرك به فانظر ما هو فقال ثمرة فى كمرة فقال أبين من هـذا قال حبـة بر فى إحليل مهر قال صـدقت انظر الآن فى أمر هؤلاء النسوة فجعل يدنو من واحدة واحدة منهن و يقول انهضـى حتى صار إلى هند فضـرب على كتفها و قال انهضى غيررقحاء و لازانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب إليهـا الفاكه فأخـذها بيـده و قال قومى إلى بيتك فجـذبت يـدها من يـده وقالت إليك عنى فو الله لا كان منك و لا كان إلا من غيرك فتزوجهـا أبوسـفيان بن حرب .الرقحـاء البغى التى تكتسب بالفجور والرقاحـة التجارة. [صـفحه ٣٣٨] وولى معاويـة اثنتين وأربعين سـنة منها اثنتان وعشـرون سـنة ولى فيهاإمارة الشام منذ مات أخوه يزيد بن أبى سـفيان بعدخمس سـنين من خلافة عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين على ع فى سـنة أربعين ومنها عشـرون سـنة خليفة إلى أن مات فى سـنة ستين . ومر به إنسان و هوغلام يلعب مع الغلمان فقال إنى أظن هذاالغلام سـيسود قومه فقالت هند ثكلته إن كان لايسود إلاقومه . و لم يزل معاوية ذا همة عالية يطلب معـالى الأـمور ويرشـح نفسه للرئاسـة و كـان أحـد كتـاب رسـول الله ص واختلف فى كتـابته له كيف كـانت فالـذى عليه المحققون من أهل السيرة أن الوحى كان يكتبه على ع وزيـد بن ثابت وزيـد بن أرقم و أن حنظلـة بن الربيع التيمى ومعاويـة بن أبى سـفيان كانـا يكتبان له إلى الملوك و إلى رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يـديه ويكتبان مايجبى من أموال الصـدقات و مايقسم فى أربابها. و كان معاويـة على أس الـدهر مبغضا لعلى ع شديـد الانحراف عنه وكيف لايبغضه و قدقتل أخاه حنظلة يوم بدر وخاله الوليد بن عتبة وشرك عمه فى جده و هوعتبة أو فى عمه و هوشيبة على اختلاف الرواية وقتل من بنى عمه عبدشمس نفرا كثيرا من أعيانهم وأماثلهم ثم جاءت الطامـة الكبرى واقعة عثمان فنسـبها كلها إليه بشـبهة إمساكه عنه وانضواء كثير من قتلته إليه ع فتأكـدت البغضـة وثارت الأحقاد وتذكرت تلك الترات الأولى حتى أفضـى الأمر إلى ماأفضـى إليه . و قد كان معاوية مع عظم قـدر على ع فى النفوس واعتراف العرب بشجاعته و أنه البطـل ألـذى لايقام له يتهـدده وعثمان بعـدحى بالحرب والمنابـذة ويراسله من الشام رسائل خشنة حتى قال له فى وجهه مارواه أبوهلال العسكرى فى كتاب الأوائل قال [صفحه ٣٣٩] قدم معاوية المدينـة قدمة أيام عثمان فى أواخر خلافته فجلس عثمان يوما للناس فاعتذر من أمور نقمت عليه فقال إن رسول الله ص قبل توبة الكـافر وإنى رددت الحكم عمى لأـنه تـاب فقبلت تـوبته و لو كـان بينه و بين أبى بكر وعمر من الرحم مـابينى وبينه لآويـاه فـأما مانقمتم على أنى أعطيت من مال الله فإن الأمر إلى أحكم فى هذاالمال بما أراه صلاحا للأمة و إلا فلما ذا كنت خليفة فقطع عليه الكلام معاوية و قال للمسـلمين الحاضـرين عنده أيها المهاجرون قدعلمتم أنه ليس منكم رجل إلا و قد كان قبل الإسلام مغمورا فى قومه تقطع الأمور من دونه حتى بعث الله رسوله فسـبقتم إليه وأبطأ عنه أهل الشـرف والرئاسـة فسدتم بالسـبق لابغيره حتى إنه ليقال اليوم رهط فلان وآل فلان و لم يكونوا قبل شـيئا مـذكورا وسـيدوم لكم هـذاالأمر مااسـتقمتم فإن تركتم شـيخنا هذايموت على فراشه و إلاـخرج منكم و لاينفعكم سـبقكم وهجرتكم . فقال له على ع ما أنت و هـذا يا ابن اللخناء فقال معاويـة مهلا يا أبا الحسن عن ذكر أمى فمـا كـانت بـأخس نسائكم ولقـد صافحها رسول الله ص يوم أسـلمت و لم يصافح امرأة غيرها أما لوقالها غيرك فنهض على ع ليخرج مغضبا فقـال عثمـان اجلس فقـال له لاـأجلس فقال عزمت عليك لتجلسن فأبى وولى فأخـذ عثمان طرف ردائه فترك الرداء فى يـده وخرج فأتبعه عثمان بصـره فقال و الله لاتصل إليك و لا إلى أحـد من ولـدك . قال أسامـة بن زيد كنت حاضـرا هذاالمجلس فعجبت فى نفسى من تألى عثمان فذكرته لسعد بن أبى وقاص فقال لاتعجب فإنى سمعت رسول

الله ص يقول لاينالها على و لاولده -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٥۴ . قال أسامة فإني في الغد لفي المسجد و علي وطلحة والزبير وجماعة من المهاجرين جلوس إذ جاء معاوية فتآمروا بينهم ألا يوسعوا له فجاء حتى جلس بين أيديهم [صفحه ٣۴٠] فقال أتدرون لماذا جئت قالوا لا قال إني أقسم بالله إن لم تتركوا شيخكم يموت على فراشه لأعطيكم إلا هذاالسيف ثم قام فخرج . فقال علي ع لقد كنت أحسب أن عند هذاشيئا فقال له طلحة و أي شيء يكون عنده أعظم مما قال قاتله الله لقد رمى الغرض فأصاب و الله ماسمعت يا أبا الحسن كلمة هي أملأ لصدرك منها. ومعاوية مطعون في دينه عندشيوخنا رحمهم الله يرمى بالزندقة و قدذكرنا في نقض السفيانية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ مارواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعرض لرسول الله ص و ماتظاهر به من الجبر والإرجاء و لو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربته الإمام مايكفي في فساد حاله لاسيما على قواعد أصحابنا وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النار والخلود فيها إن لم تكفرها التوبة

بسر بن أرطاة ونسبه

و أمابسر بن أرطاة فهو بسر بن أرطاة وقيل ابن أبي أرطاة بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة.بعثه معاوية إلى اليمن في جيش كثيف وأمره أن يقتل كل من كان في طاعة علي ع فقتل خلقا كثيرا وقتل فيمن قتل ابني عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب وكانا غلامين صغيرين فقالت أمهما ترثيهما يا من أحس بنيي اللذين هما || كالدرتين تشظى عنهما الصدف . في أبيات مشهورة [صفحه ٣۴١]

عبيد الله بن العباس وبعض أخباره

و كان عبيد الله عامل علي ع على اليمن و هوعبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي أمه وأم إخوته عبد الله وقثم ومعبد و عبدالرحمن لبابة بنت الحارث بن حزن من بني عامر بن صعصعة ومات عبيد الله بالمدينة و كان جوادا وأعقب و من أولاده قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس ولاه أبو جعفرالمنصور المدينة و كان جوادا ممدوحا و له يقول ابن المولى أعفيت من كور و من رحلة || ياناق إن أدنيتني من قثم في وجهه نور و في باعه || طول و في العرنين منه شمم ويقال مارئي قبور إخوة أكثر تباعدا من قبور بني العباس رحمه الله تعالى قبر عبد الله بالطائف وقبر عبيد الله بالمدينة وقبر قثم بسمرقند وقبر عبدالرحمن بالشام وقبر معبد بإفريقية . ثم نعود إلى شرح الخطبة الأعاصير جمع إعصار وهي الريح المستديرة على نفسها قال الله تعالى فَأَصابَها إِعصارٌ فِيهِ نارٌ. والوضر بقية الدسم في الإناء و قداطلع اليمن أي غشيها وغزاها وأغار عليها. و قوله سيدالون منكم أي يغلبونكم وتكون لهم الدولة عليكم وماث زيد الملح في الماء أذابه . وبنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حي مشهور بالشجاعة منهم -قرآن-٩۶-١٢۴ [صفحه ٣۴٢] علقمة بن فراس و هوجذل الطعان ومنهم ربيعة بن مكدم بن حرثان بن جذيمة بن علقمة بن فراس الشجاع المشهور حامي الظعن حيا وميتا و لم يحم الحريم و هوميت أحد غيره عرض له فرسان من بني سليم ومعه ظعائن من أهله يحميهم وحده فطاعنهم فرماه نبيشة بن حبيب بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه في الأرض واعتمد عليه و هوثابت في سرجه لم يزل و لم يمل وأشار إلى الظعائن بالرواح فسرن حتى بلغن بيوت الحي وبنو سليم قيام إزاءه لايقدمون عليه ويظنونه حيا حتى قال قائل منهم إني لاأراه إلاميتا و لو كان حيا لتحرك إنه و الله لماثل راتب على هيئة واحدة لايرفع يده و لايحرك رأسه فلم يقدم أحد منهم على الدنو منه حتى رموا فرسه بسهم فشب من تحته فوقع و هوميت وفاتتهم

الظعائن . و قال الشاعر لايبعدن ربيعة بن مكدم || وسقى الغوادى قبره بذنوب نفرت قلوصى من حجارة حرة || بنيت على طلق اليدين وهوب لاتنفرى ياناق منه فإنه || شريب خمر مسعر لحروب لو لاالسفار و بعدخرق مهمة || لتركتها تجثو على العرقوب نعم الفتى أدى نبيشة بزه || يوم اللقاء نبيشة بن حبيب . و قوله ع ماهى إلاالكوفة أى ماملكتى إلاالكوفة أقبضها وأبسطها أى أتصرف فيها كمايتصرف الإنسان فى ثوبه يقبضه ويبسطه كمايريد. ثم قال على طريق صرف الخطاب فإن لم تكونى إلا أنت خرج من الغيبة إلى خطاب الحاضر كقوله تعالى الحَمدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ الرّحمنِ الرّحِيم مالِكِ يَوم الدّينِ إِيّاكَ نَعبُدُ وَ إِيّاكَ نَستَعِينُ يقول إن لم يكن لى من الدنيا ملك إلاملك الكوفة ذات الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله . -قرآن-٢٣٥-٣٤٣ [صفحه ٣٤٣] وشبه ما كان يحدث من أهلها من الاختلاف والشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب وإفسادها الأرض ثم ذكر علة إدالة أهل الشام من أهل العراق وهى اجتماع كلمتهم وطاعتهم لصاحبهم وأداؤهم الأمانة وإصلاحهم بلادهم

أهل العراق وخطب الحجاج فيهم

و قال أبوعثمان الجاحظ العلة فى عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة و مع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث و مع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء وإظهار عيوب الأمراء و أهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأى واحد لايرون النظر و لايسألون عن مغيب الأحوال . و مازال العراق موصوفا أهله بقلة الطاعة وبالشقاق على أولى الرئاسة. و من كلام الحجاج يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق أما و الله لألحونكم لحو العصا ولأعصبنكم عصب السلم ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل إنى أسمع لكم تكبيرا ليس بالتكبير ألذى يراد به الترغيب ولكنه تكبير الترهيب ألا إنها عجاجة تحتها قصف يابنى اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الإماء إنما مثلى ومثلكم كما قال ابن براقة وكنت إذاقوم غزونى غزوتهم || فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم [صفحه ٣٤٤] متى تجمع القلب الذكى وصارما || وأنفا حميا تجتنبك المظالم . و الله لاتقرع عصا عصا إلاجعلتها كأمس الذاهب . وكانت هذه الخطبة عقيب سماعه تكبيرا منكرا فى شوارع الكوفة فأشفق من الفتنة. ومما خطب به فى ذم أهل العراق بعدوقعة دير الجماجم . يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى الأمخاخ والأصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض ففرخ فحشاكم نفاقا وشقاقا وملأكم غدرا وخلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة أوتعظكم واقعة أويحجزكم إسلام أويعصمكم ميثاق ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر وسعيتم بالغدر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته و أناأرميكم بطرفى وأنتم تتسللون لواذا وتنهزمون سراعا ثم يوم الزاوية و ما يوم الزاوية بها كان فشلكم وكسلكم وتخاذلكم وتنازعكم وبراءة الله منكم ونكول وليكم عنكم إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أعطانها لايسأل المرء عن أخيه و لايلوى الأب على بنيه لماعضكم السلاح وقصمتكم الرماح ثم يوم دير الجماجم و ما يوم دير الجماجم [صفحه ٣٤٥] بهاكانت المعارك والملاحم بضرب يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله . يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق الكفرات بعدالفجرات والغدرات بعدالخترات والنزوة بعدالنزوات إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم و إن أمنتم أرجفتم و إن خفتم نافقتم لاتذكرون حسنة و لاتشكرون نعمة.هل استخفكم ناكث أواستغواكم غاو أواستفزكم عاص أواستنصركم ظالم أواستعضدكم خالع إلااتبعتموه وآويتموه ونصرتموه وزكيتموه . يا أهل العراق هل شغب شاغب أونعب ناعب أوزفر كاذب إلاكنتم أشياعه وأتباعه وحماته وأنصاره . يا أهل العراق أ لم تزجركم المواعظ أ لم تنبهكم الوقائع أ لم تردعكم الحوادث . ثم التفت إلى أهل الشام وهم حول المنبر فقال يا

أهل الشام إنما أنالكم كالظليم الرامح عن فراخه ينفى عنها القذر ويباعد عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذئاب . يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء. ثم نزل . [صفحه ۳۴۶] و من خطبة له فى هذاالمعنى و قدأراد الحج يا أهل الكوفة إنى أريد الحج و قداستخلفت عليكم ابنى محمدا وأوصيته بخلاف وصية رسول الله ص فى الأنصار فإنه أمر أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وإنى قدأوصيته ألا يقبل من محسنكم و لايتجاوز عن مسيئكم ألا وإنكم ستقولون بعدى لا‌أحسن الله له الصحابة ألا‌ وإنى معجل لكم الجواب لا‌أحسن الله لكم الخلافة. و من خطبة له فى هذاالمعنى يا أهل الكوفة إن الفتنة تلقح بالنجوى وتنتج بالشكوى وتحصد بالسيف أما و الله إن أبغضتمونى لاتضرونى و إن أحببتمونى لاتنفعونى و ما أنابالمستوحش لعداوتكم و لاالمستريح إلى مودتكم زعمتم أنى ساحر و قد قال الله تعالى وَ لا يُفلِحُ السّاحِرُ و قدأفلحت وزعمتم أنى أعلم الاسم الأكبر فلم تقاتلون من يعلم ما لاتعلمون . ثم التفت إلى أهل الشام فقال لأزواجكم أطيب من المسك ولأبناؤكم آنس بالقلب من الولد و ماأنتم إلا‌ كما قال أخو ذبيان -قرآن-۶۲۵-۶۴۷ إذاحاولت فى أسد فجورا || فإنى لست منك ولست منى هم درعى التى استلأمت فيها || إلى يوم النسار وهم مجنى . [صفحه ۳۴۷] ثم قال بل أنتم يا أهل الشام كما قال الله سبحانه وَ لَقَد سَبَقَت كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا المُرسَلِينَ إِنّهُم لَهُمُ المَنصُورُونَ وَ إِنّ جُندَنا لَهُمُ الغالِبُونَ. وخطب مرة بعدموت أخيه وابنه قال بلغنى أنكم تقولون يموت الحجاج ومات الحجاج فمه و ما كان ماذا و الله ماأرجو الخير كله إلا بعدالموت و مارضى الله البقاء إلالأهون المخلوقين عليه إبليس قالَ أَنظِرنِي إِلى يَومِ يُبعَثُونَ قالَ إِنّكَ مِنَ المُنظَرِينَ ثم قال يا أهل العراق أتيتكم و أناذو لمة وافرة أرفل فيهافما زال بى شقاقكم وعصيانكم حتى حص شعرى ثم كشف رأسه و هوأصلع و قال -قرآن-۵۵-۱۷۰-قرآن-۳۷۰-۴۳۶ من يك ذا لمة يكشفها || فإننى غيرضائرى زعرى لا‌يمنع المرء أن يسود و أن || يضرب بالسيف قلة الشعر .فأما قوله ع أللهم أبدلنى بهم خيرا منهم وأبدلهم بى شرا منى و لاخير فيهم و لاشر فيه ع فإن أفعل هاهنا بمنزلته فى قوله تعالى أَ فَمَن يُلقى فِي النّارِ خَيرٌ أَم مَن يَأتِي آمِناً يَومَ القِيامَةِ وبمنزلته فى قوله قُل أَ ذلِكَ خَيرٌ أَم جَنّةُ الخُلدِ. -قرآن-۱۳۸-۲۰۹-قرآن-۲۳۰-۲۶۶ [صفحه ۳۴۸] ويحتمل أن يكون ألذى تمناه ع من إبداله بهم خيرا منهم قوما صالحين ينصرونه ويوفقون لطاعته . ويحتمل أن يريد بذلك ما بعدالموت من مرافقة النبى ص . و قال القطب الراوندى بنو فراس بن غنم هم الروم و ليس بجيد والصحيح ماذكرناه . والبيت المتمثل به أخيرا لأبى جندب الهذلى وأول الأبيات ألا ياأم زنباع أقيمى || صدور العيس نحو بنى تميم . و هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ع بعدفراغه من صفين وانقضاء أمر الحكمين والخوارج وهى من أواخر خطبه ع .تم الجزء الأول من شرح نهج البلاغة بحمد الله و منه والحمد لله وحده العزيز وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

المجلد ۲

الجزء الثانى

تتمة الخطب والأوامر

تتمة خطبة ۲۵

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

بعث معاويهٔ بسر بن أرطاهٔ إلی الحجاز والیمن

فأما خبر بسر بن أرطاهٔ العامری من بنی عامر بن لؤی بن غالب وبعث معاویهٔ له لیغیر علی أعمال أمیر المؤمنین ع و ماعمله من سفک الدماء وأخذ الأموال فقد ذکر أرباب السیر أن ألذی هاج معاویهٔ علی تسریح بسر بن أرطاهٔ ویقال ابن أبی أرطاهٔ إلی الحجاز والیمن أن قوما بصنعاء کانوا من شیعهٔ عثمان یعظمون قتله لم یکن لهم نظام و لارأس فبایعوا لعلی ع علی ما فی أنفسهم وعامل علی ع علی صنعاء یومئذ عبید الله بن عباس وعامله علی الجند سعید بن نمران . فلما اختلف الناس علی علی ع بالعراق وقتل محمد بن أبی بکر بمصر وکثرت غارات أهل الشام تکلموا ودعوا إلی الطلب بدم عثمان فبلغ ذلک عبید الله بن عباس فأرسل إلی ناس من وجوههم فقال ما هذا ألذی بلغنی عنکم قالوا إنا لم نزل ننکر قتل عثمان ونری مجاهدهٔ من سعی علیه فحبسهم فکتبوا إلی من بالجند من أصحابهم فثاروا بسعید بن نمران فأخرجوه من الجند وأظهروا أمرهم وخرج إلیهم من کان بصنعاء وانضم إلیهم کل من کان علی رأیهم ولحق بهم قوم لم یکونوا علی رأیهم إرادهٔ أن یمنعوا الصدقهٔ والتقی عبید الله بن عباس وسعید بن نمران ومعهما شیعهٔ علی ع فقال ابن عباس لابن نمران و الله لقد اجتمع هؤلاء وإنهم لنا [صفحه ۴] لمقاربون و إن قاتلناهم لانعلم علی من تکون الدائرهٔ فهلم لنکتب إلی أمیر المؤمنین ع بخبرهم وقدحهم وبمنزلهم ألذی هم به .فکتبا إلی أمیر المؤمنین ع أما بعدفإنا نخبر أمیر المؤمنین أن شیعهٔ عثمان وثبوا بنا وأظهروا أن معاویهٔ قدشید أمره واتسق له أکثر الناس و أناسرنا إلیهم بشیعهٔ أمیر المؤمنین و من کان علی طاعته و أن ذلک أحمشهم وألبهم فعبئوا لنا وتداعوا علینا من کل أوب ونصرهم علینا من لم یکن له رأی فیهم إرادهٔ أن یمنع حق الله المفروض علیه و لیس یمنعنا من مناجزتهم إلاانتظار أمر أمیر المؤمنین أدام الله عزه وأیده وقضی له بالأقدار الصالحهٔ فی جمیع أموره و السلام . فلما وصل کتابهما ساء علیا ع وأغضبه و کتب إلیهما من علی أمیر المؤمنین إلی عبید الله بن العباس وسعید بن نمران سلام الله علیکما فإنی أحمدإلیکما الله ألذی لاإله إلا هو أما بعدفإنه أتانی کتابکما تذکران فیه خروج هذه الخارجهٔ وتعظمان من شأنها صغیرا وتکثران من عددها قلیلا و قدعلمت أن نخب أفئدتکما وصغر أنفسکما وشتات رأیکما وسوء تدبیرکما هو ألذی أفسد علیکما من لم یکن علیکما فاسدا وجزأ علیکما من کان عن لقائکما جبانا فإذاقدم رسولی علیکما فامضیا إلی القوم حتی تقرءا علیهم کتابی إلیهم وتدعواهم إلی حظهم وتقوی ربهم فإن أجابوا حمدنا الله وقبلناهم و إن حاربوا استعنا بالله علیهم ونابذناهم علی سواء إن الله لایحب الخائنین -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۶۱۷ قالوا و قال علی ع لیزید بن قیس الأرحبی أ لاتری إلی ماصنع قومک -روایت-۱-۲-روایت-۸-ادامه دارد [صفحه ۵] فقال إن ظنی یا أمیر المؤمنین بقومی لحسن فی طاعتک فإن شئت خرجت إلیهم فکفیتهم و إن شئت کتبت إلیهم فتنظر مایجیبونک فکتب علی ع إلیهم من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی من شاق وغدر من أهل الجند وصنعاء أما بعدفإنی أحمد الله ألذی لاإله إلا هو ألذی لایعقب له حکم و لایرد له قضاء و لایرد بأسه عن القوم المجرمین و قدبلغنی تجرؤکم وشقاقکم وإعراضکم عن دینکم بعدالطاعهٔ وإعطاء البیعهٔ فسألت أهل الدین الخالص والورع الصادق واللب الراجح عن بدء محرککم و مانویتم به و ماأحمشکم له فحدثت عن ذلک بما لم أر لکم فی شیء منه عذرا مبینا و لامقالا جمیلا و لاحجهٔ ظاهرهٔ فإذاأتاکم رسولی فتفرقوا وانصرفوا إلی رحالکم أعف عنکم وأصفح عن جاهلکم وأحفظ قاصیکم وأعمل فیکم بحکم الکتاب فإن لم تفعلوا فاستعدوا لقدوم جیش جم الفرسان عظیم الأرکان یقصد لمن طغی وعصی فتطحنوا کطحن الرحی فمن أحسن فلنفسه وَ مَن أَساءَ فَعَلَیها وَ ما رَبّکَ بِظَلّامٍ لِلعَبِیدِ -روایت-از قبل-۸۹۳ . ووجه الکتاب مع رجل من همدان فقدم علیهم بالکتاب

فلم يجيبوه إلى خير فقال لهم إنى تركت أمير المؤمنين يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبى فى جيش كثيف فلم يمنعه إلاانتظار جوابكم فقالوا نحن سامعون مطيعون إن عزل عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا.فرجع الهمدانى من عندهم إلى على ع فأخبره خبر القوم .قالوا وكتبت تلك العصابة حين جاءها كتاب على ع إلى معاوية يخبرونه وكتبوا فى كتابهم معاوى إلاتسرع السير نحونا || نبايع عليا أويزيد اليمانيا . [صفحه ۶] فلما قدم كتابهم دعا بسر بن أبى أرطاة و كان قاسى القلب فظا سفاكا للدماء لارأفة عنده و لارحمة فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهى إلى اليمن و قال له لاتنزل على بلد أهله على طاعة على إلابسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لانجاء لهم وأنك محيط بهم ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لى فمن أبى فاقتله واقتل شيعة على حيث كانوا. وروى ابراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات عن يزيد بن جابر الأزدى قال سمعت عبدالرحمن بن مسعدة الفزارى يحدث فى خلافة عبدالملك قال لمادخلت سنة أربعين تحدث الناس بالشام أن عليا ع يستنفر الناس بالعراق فلاينفرون معه وتذاكروا أن قداختلفت أهواؤهم ووقعت الفرقة بينهم قال فقمت فى نفر من أهل الشام إلى الوليد بن عقبة فقلنا له إن الناس لايشكون فى اختلاف الناس على على ع بالعراق فادخل إلى صاحبك فمره فليسر بنا إليهم قبل أن يجتمعوا بعدتفرقهم أويصلح لصاحبهم ما قدفسد عليه من أمره فقال بلى لقد قاولته فى ذلك وراجعته وعاتبته حتى لقد برم بى واستثقل طلعتى وايم الله على ذلك ماأدع أن أبلغه مامشيتم إلى فيه .فدخل عليه فخبره بمجيئنا إليه ومقالتنا له فأذن لنا فدخلنا عليه فقال ما هذاالخبر ألذى جاءنى به عنكم الوليد فقلنا هذاخبر فى الناس سائر فشمر للحرب وناهض الأعداء واهتبل الفرصة واغتنم الغرة فإنك لاتدرى متى تقدر على عدوك على مثل حالهم التى هم عليها و أن تسير إلى عدوك أعز لك من أن يسيروا إليك واعلم [صفحه ۷] و الله أنه لو لاتفرق الناس عن صاحبك لقد نهض إليك فقال لنا ماأستغنى عن رأيكم ومشورتكم ومتى أحتج إلى ذلك منكم أدعكم إن هؤلاء الذين تذكرون تفرقهم على صاحبهم واختلاف أهوائهم لم يبلغ ذلك عندى بهم أن أكون أطمع فى استئصالهم واجتياحهم و أن أسير إليهم مخاطرا بجندى لاأدرى على تكون الدائرة أم لى فإياكم واستبطائى فإنى آخذ بهم فى وجه هوأرفق بكم وأبلغ فى هلكتهم قدشننت عليهم الغارات من كل جانب فخيلى مرة بالجزيرة ومرة بالحجاز و قدفتح الله فيما بين ذلك مصر فأعز بفتحها ولينا وأذل به عدونا فأشراف أهل العراق لمايرون من حسن صنيع الله لنا يأتوننا على قلائصهم فى كل الأيام و هذامما يزيدكم الله به وينقصهم ويقويكم ويضعفهم ويعزكم ويذلهم فاصبروا و لاتعجلوا فإنى لورأيت فرصتى لاهتبلتها.فخرجنا من عنده ونحن نعرف الفصل فيما ذكر فجلسنا ناحية وبعث معاوية عندخروجنا من عنده إلى بسر بن أبى أرطاة فبعثه فى ثلاثة آلاف و قال سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل فى طاعتنا فإذادخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم وأخبرهم أنه لابراءة لهم عندك و لاعذر حتى إذاظنوا أنك موقع بهم فاكفف عنهم ثم سر حتى تدخل مكة و لاتعرض فيهالأحد وأرهب الناس عنك فيما بين المدينة ومكة واجعلها شردا حتى تأتى صنعاء والجند فإن لنا بهما شيعة و قدجاءنى كتابهم .فخرج بسر فى ذلك البعث حتى أتى دير مروان فعرضهم فسقط منهم أربعمائة فمضى فى ألفين وستمائة فقال الوليد بن عقبة أشرنا على معاوية برأينا أن يسير [صفحه ۸] إلى الكوفة فبعث الجيش إلى المدينة فمثلنا ومثله كما قال الأول أريها السها وترينى القمر.فبلغ ذلك معاوية فغضب و قال و الله لقد هممت بمساءة هذاالأحمق ألذى لايحسن التدبير و لايدرى سياسة الأمور ثم كف عنه قلت الوليد كان لشدة بغضه عليا ع القديم التالد لايرى الأناة فى حربه و لايستصلح الغارات على أطراف بلاده و لايشفى غيظه و لايبرد حزازات قلبه إلاباستئصاله نفسه بالجيوش وتسييرها إلى دار ملكه وسرير خلافته وهى الكوفة و أن يكون معاوية بنفسه هو ألذى يسير بالجيوش إليه ليكون ذلك أبلغ فى هلاك على ع واجتثاث أصل سلطانه ومعاوية كان يرى غير هذاالرأى ويعلم أن السير بالجيش للقاء على ع خطر عظيم فاقتضت المصلحة عنده و مايغلب على ظنه من حسن التدبير أن يثبت بمركزه بالشام فى جمهور

جيشه ويسرب الغارات على أعمال على ع وبلاده فتجوس خلال الديار وتضعفها فإذاأضعفتها أضعفت بيضة ملك على ع لأن ضعف الأطراف يوجب ضعف البيضة و إذاأضعفت البيضة كان على بلوغ إرادته والمسير حينئذ إن استصوب المسير أقدر. و لايلام الوليد على ما فى نفسه فإن عليا ع قتل أباه عقبة بن أبى معيط صبرا يوم بدر وسمى الفاسق بعد ذلك فى القرآن لنزاع وقع بينه وبينه [صفحه ۹] ثم جلده الحد فى خلافة عثمان وعزله عن الكوفة و كان عاملها وببعض هذا عندالعرب أرباب الدين والتقى تستحل المحارم وتستباح الدماء و لاتبقى مراقبة فى شفاء الغيظ لدين و لالعقاب و لالثواب فكيف الوليد المشتمل على الفسوق والفجور مجاهرا بذلك و كان من المؤلفة قلوبهم مطعونا فى نسبه مرميا بالإلحاد والزندقة. قال ابراهيم بن هلال روى عوانة عن الكلبى ولوط بن يحيى أن بسرا لماأسقط من جيشه سار بمن تخلف معه وكانوا إذاوردوا ماء أخذوا إبل أهل ذلك الماء فركبوها وقادوا خيولهم حتى يردوا الماء الآخر فيردون تلك الإبل ويركبون إبل هؤلاء فلم يزل يصنع ذلك حتى قرب إلى المدينة. قال و قدروى أن قضاعة استقبلتهم ينحرون لهم الجزر حتى دخلوا المدينة قال فدخلوها وعامل على ع عليها أبوأيوب الأنصارى صاحب منزل رسول الله ص فخرج عنها هاربا ودخل بسر المدينة فخطب الناس وشتمهم وتهددهم يومئذ وتوعدهم و قال شاهت الوجوه إن الله تعالى يقول وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا قَريَةً كانَت آمِنَةً مُطمَئِنّةً يَأتِيها رِزقُهاالآية و قدأوقع الله تعالى ذلك المثل بكم وجعلكم أهله كان بلدكم مهاجر النبى ص ومنزله و فيه قبره ومنازل الخلفاء من بعده فلم تشكروا نعمة ربكم و لم ترعوا حق نبيكم وقتل خليفة الله بين أظهركم فكنتم بين قاتل وخاذل ومتربص وشامت إن كانت للمؤمنين قلتم أ لم نكن معكم و إن كان للكافرين نصيب قلتم أ لم نستحوذ عليكم ونمنعكم من -قرآن-۸۷۴-۹۴۸ [صفحه ۱۰] المؤمنين ثم شتم الأنصار فقال يامعشر اليهود وأبناء العبيد بنى زريق وبنى النجار وبنى سلمة وبنى عبدالأشهل أما و الله لأوقعن بكم وقعة تشفى غليل صدور المؤمنين وآل عثمان أما و الله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة.فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ففزعوا إلى حويطب بن عبدالعزى ويقال إنه زوج أمه فصعد إليه المنبر فناشده و قال عترتك وأنصار رسول الله وليسوا بقتلة عثمان فلم يزل به حتى سكن ودعا الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه ونزل فأحرق دورا كثيرة منها دار زرارة بن حرون أحد بنى عمرو بن عوف ودار رفاعة بن رافع الزرقى ودار أبى أيوب الأنصارى وتفقد جابر بن عبد الله فقال ما لى لاأرى جابرا يابنى سلمة لاأمان لكم عندى أوتأتونى بجابر فعاذ جابر بأم سلمة رضى الله عنها فأرسلت إلى بسر بن أرطاة فقال لاأؤمنه حتى يبايع فقالت له أم سلمة اذهب فبايع وقالت لابنها عمر اذهب فبايع فذهبا فبايعاه . قال ابراهيم وروى الوليد بن كثير عن وهب بن كيسان قال سمعت جابر بن عبد الله الأنصارى يقول لماخفت بسرا وتواريت عنه قال لقومى لاأمان لكم عندى حتى يحضر جابر فأتونى وقالوا ننشدك الله لماانطلقت معنا فبايعت فحقنت دمك ودماء قومك فإنك إن لم تفعل قتلت مقاتلينا وسبيت ذرارينا فاستنظرتهم الليل فلما أمسيت دخلت على أم سلمة فأخبرتها الخبر فقالت يابنى انطلق فبايع احقن دمك ودماء قومك فإنى قدأمرت ابن أخى أن يذهب فيبايع وإنى لأعلم أنها بيعة ضلالة. [صفحه ۱۱] قال ابراهيم فأقام بسر بالمدينة أياما ثم قال لهم إنى قدعفوت عنكم و إن لم تكونوا لذلك بأهل ماقوم قتل إمامهم بين ظهرانيهم بأهل أن يكف عنهم العذاب ولئن نالكم العفو منى فى الدنيا إنى لأرجو ألا- تنالكم رحمة الله عز و جل فى الآ-خرة و قداستخلفت عليكم أباهريرة فإياكم وخلافه ثم خرج إلى مكة. قال ابراهيم روى الوليد بن هشام قال أقبل بسر فدخل المدينة فصعد منبر الرسول ص ثم قال يا أهل المدينة خضبتم لحاكم وقتلتم عثمان مخضوبا و الله لاأدع فى المسجد مخضوبا إلاقتلته ثم قال لأصحابه خذوا بأبواب المسجد و هويريد أن يستعرضهم فقام إليه عبد الله بن الزبير و أبوقيس أحد بنى عامر بن لؤى فطلبا إليه حتى كف عنهم وخرج إلى مكة فلما قرب منها هرب قثم بن العباس و كان عامل على ع ودخلها بسر فشتم أهل مكة وأنبهم ثم خرج عنها واستعمل عليها شيبة بن عثمان . قال ابراهيم و قدروى عوانة عن الكلبى أن بسرا لماخرج من المدينة إلى مكة قتل فى طريقه رجالا وأخذ أموالا وبلغ أهل مكة خبره فتنحى عنها عامة أهلها

وتراضى الناس بشيبة بن عثمان أميرا لماخرج قثم بن العباس عنها وخرج إلى بسر قوم من قريش فتلقوه فشتمهم ثم قال أما و الله لوتركت ورأيى فيكم لتركتكم و مافيكم روح تمشى على الأرض فقالوا ننشدك الله فى أهلك وعترتك فسكت ثم دخل وطاف بالبيت وصلى ركعتين ثم خطبهم فقال الحمد لله ألذى أعز دعوتنا وجمع ألفتنا وأذل عدونا بالقتل والتشريد هذا ابن أبى طالب بناحية العراق فى ضنك وضيق قدابتلاه الله بخطيئته وأسلمه بجريرته [صفحه ١٢] فتفرق عنه أصحابه ناقمين عليه وولى الأمر معاوية الطالب بدم عثمان فبايعوا و لاتجعلوا على أنفسكم سبيلا فبايعوا. وتفقد سعيد بن العاص فطلبه فلم يجده وأقام أياما ثم خطبهم فقال يا أهل مكة إنى قدصفحت عنكم فإياكم والخلاف فو الله إن فعلتم لأقصدن منكم إلى التى تبير الأصل وتحرب المال وتخرب الديار. ثم خرج إلى الطائف فكتب إليه المغيرة بن شعبة حين خرج من مكة إليها أما بعدفقد بلغنى مسيرك إلى الحجاز ونزولك مكة وشدتك على المريب وعفوك عن المسىء وإكرامك لأولى النهى فحمدت رأيك فى ذلك فدم على صالح ماكنت عليه فإن الله عز و جل لن يزيد بالخير أهله إلاخيرا جعلنا الله وإياك من الآمرين بالمعروف والقاصدين إلى الحق والذاكرين الله كثيرا قال ووجه رجلا- من قريش إلى تبالة و بهاقوم من شيعة على ع وأمره بقتلهم فأخذهم وكلم فيهم وقيل له هؤلاء قومك فكف عنهم حتى نأتيك بكتاب من بسر بأمانهم فحبسهم وخرج منيع الباهلى من عندهم إلى بسر و هوبالطائف يستشفع إليه فيهم فتحمل عليه بقوم من الطائف فكلموه فيهم وسألوه الكتاب بإطلاقهم فوعدهم ومطلهم بالكتاب حتى ظن أنه قدقتلهم القرشى المبعوث لقتلهم و أن كتابه لايصل إليهم حتى يقتلوا ثم كتب لهم فأتى منيع منزله و كان قدنزل على امرأة بالطائف ورحله عندها فلم يجدها فى منزلها فوطئ على ناقته بردائه وركب فسار يوم الجمعة وليلة السبت لم ينزل عن راحلته قط فأتاهم ضحوة و قدأخرج القوم ليقتلوا واستبطئ كتاب بسر فيهم فقدم رجل منهم فضربه رجل من أهل الشام فانقطع سيفه فقال الشاميون بعضهم لبعض شمسوا سيوفكم حتى تلين فهزوها وتبصر منيع [صفحه ١٣] الباهلى بريق السيوف فألمع بثوبه فقال القوم هذاراكب عنده خير فكفوا وقام به بعيره فنزل عنه وجاء على رجليه يشتد فدفع الكتاب إليهم فأطلقوا و كان الرجل المقدم ألذى ضرب بالسيف فانكسر السيف أخاه . قال ابراهيم وروى على بن مجاهد عن ابن إسحاق أن أهل مكة لمابلغهم ماصنع بسر خافوه وهربوا فخرج ابنا عبيد الله بن العباس وهما سليمان وداود وأمهما جويرية ابنة خالد بن قرظ الكنانية وتكنى أم حكيم وهم حلفاء بنى زهرة وهما غلامان مع أهل مكة فأضلوهما عندبئر ميمون بن الحضرمى وميمون هذا هوأخو العلاء بن الحضرمى وهجم عليهما بسر فأخذهما وذبحهما فقالت أمهما ها من أحس بابنى اللذين هما || كالدرتين تشظى عنهما الصدف ها من أحس بابنى اللذين هما || سمعى وقلبى فقلبى اليوم مختطف ها من أحس بابنى اللذين هما || مخ العظام فمخى اليوم مزدهف نبئت بسرا و ماصدقت مازعموا || من قولهم و من الإفك ألذى اقترفوا أنحى على ودجى ابنى مرهفة || مشحوذة وكذاك الإثم يقترف من دل والهة حرى مسلبة || على صبيين ضلا إذ مضى السلف . [صفحه ١٤] و قدروى أن اسمهما قثم و عبدالرحمن وروى أنهما ضلا فى أخوالهما من بنى كنانة وروى أن بسرا إنما قتلهما باليمن وأنهما ذبحا على درج صنعاء. وروى عبدالملك بن نوفل بن مساحق عن أبيه أن بسرا لمادخل الطائف و قدكلمه المغيرة قال له لقد صدقتنى ونصحتنى فبات بها وخرج منها وشيعه المغيرة ساعة ثم ودعه وانصرف عنه فخرج حتى مر ببنى كنانة وفيهم ابنا عبيد الله بن العباس وأمهما فلما انتهى بسر إليهم طلبهما فدخل رجل من بنى كنانة و كان أبوهما أوصاه بهما فأخذ السيف من بيته وخرج فقال له بسر ثكلتك أمك و الله ماكنا أردنا قتلك فلم عرضت نفسك للقتل قال أقتل دون جارى أعذر لى عند الله و الناس ثم شد على أصحاب بسر بالسيف حاسرا و هويرتجز آليت لايمنع حافات الدار || و لايموت مصلتا دون الجار إلافتى أروع غيرغدار .فضارب بسيفه حتى قتل ثم قدم الغلامان فقتلا فخرج نسوة من بنى كنانة فقالت امرأة منهن هذه الرجال يقتلها فما بال الولدان و الله ماكانوا يقتلون فى جاهلية و لاإسلام و الله إن سلطانا لايشتد إلابقتل الضرع الضعيف والشيخ الكبير ورفع الرحمة وقطع الأرحام لسلطان سوء فقال بسر و الله

لهممت أن أضع فيكن السيف قالت و الله إنه لأحب إلى إن فعلت . قال ابراهيم وخرج بسر من الطائف فأتى نجران فقتل عبد الله بن عبدالمدان وابنه مالكا و كان عبد الله هذاصهرا لعبيد الله بن العباس ثم جمعهم وقام فيهم و قال [صفحه ۱۵] يا أهل نجران يامعشر النصارى وإخوان القرود أما و الله إن بلغنى عنكم ماأكره لأعودن عليكم بالتى تقطع النسل وتهلك الحرث وتخرب الديار. وتهددهم طويلا ثم سار حتى بلغ أرحب فقتل أباكرب و كان يتشيع ويقال إنه سيد من كان بالبادية من همدان فقدمه فقتله . وأتى صنعاء و قدخرج عنها عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران و قداستخلف عبيد الله عليها عمرو بن أراكة الثقفى فمنع بسرا من دخولها وقاتله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوما وأتاه وفد مأرب فقتلهم فلم ينج منهم إلا رجل واحد ورجع إلى قومه فقال لهم أنعى قتلانا شيوخا وشبانا. قال ابراهيم و هذه الأبيات المشهورة لعبد الله بن أراكة الثقفى يرثى بهاابنه عمرا لعمرى لقد أردى ابن أرطاة فارسا || بصنعاء كالليث الهزبر أبى الأجر تعز فإن كان البكا رد هالكا || على أحد فاجهد بكاك على عمرو و لاتبك ميتا بعدميت أجنه || على وعباس وآل أبى بكر . قال وروى نمير بن وعلة عن أبى وداك قال كنت عند على ع لماقدم عليه سعيد بن نمران الكوفة فعتب عليه و على عبيد الله ألا يكونا قاتلا بسرا [صفحه ۱۶] فقال سعيد قد و الله قاتلت ولكن ابن عباس خذلنى وأبى أن يقاتل ولقد خلوت به حين دنا منا بسر فقلت إن ابن عمك لايرضى منى ومنك بدون الجد فى قتالهم قال لا و الله مالنا بهم طاقة و لايدان فقمت فى الناس فحمدت الله ثم قلت يا أهل اليمن من كان فى طاعتنا و على بيعة أمير المؤمنين ع فإلى إلى فأجابنى منهم عصابة فاستقدمت بهم فقاتلت قتالا ضعيفا وتفرق الناس عنى وانصرفت . قال ثم خرج بسر من صنعاء فأتى أهل جيشان وهم شيعة لعلى ع فقاتلهم وقاتلوه فهزمهم وقتلهم قتلا ذريعا ثم رجع إلى صنعاء فقتل بهامائة شيخ من أبناء فارس لأن ابنى عبيد الله بن العباس كانا مستترين فى بيت امرأة من أبنائهم تعرف بابنة بزرج . و قال الكلبى و أبومخنف فندب على ع أصحابه لبعث سرية فى إثر بسر فتثاقلوا وأجابه جارية بن قدامة السعدى فبعثه فى ألفين فشخص إلى البصرة ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن وسأل عن بسر فقيل أخذ فى بلاد بنى تميم فقال أخذ فى ديار قوم يمنعون أنفسهم وبلغ بسرا مسير جارية فانحدر إلى اليمامة وأغذ جارية بن قدامة السير مايلتفت إلى مدينة مر بها و لا أهل حصن و لايعرج على شىء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته أويسقط بعير رجل أوتحفى دابته فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجبال واتبعهم شيعة على ع وتداعت عليهم من كل جانب وأصابوا منهم وصمد نحو بسر وبسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى حتى أخرجه من أعمال على ع كلها. فلما فعل به ذلك أقام جارية بحرس نحوا من شهر حتى استراح وأراح أصحابه ووثب الناس ببسر فى طريقه لماانصرف من بين يدى جارية لسوء سيرته وفظاظته وظلمه وغشمه وأصاب بنو تميم ثقلا من ثقله فى بلاده وصحبه إلى معاوية ليبايعه على الطاعة ابن مجاعة [صفحه ۱۷] رئيس اليمامة فلما وصل بسر إلى معاوية قال يا أمير المؤمنين هذا ابن مجاعة قدأتيتك به فاقتله فقال معاوية تركته لم تقتله ثم جئتنى به فقلت اقتله لالعمرى لاأقتله ثم بايعه ووصله وأعاده إلى قومه . و قال بسر أحمد الله يا أمير المؤمنين أنى سرت فى هذاالجيش أقتل عدوك ذاهبا جائيا لم ينكب رجل منهم نكبة فقال معاوية الله قدفعل ذلك لا أنت . و كان ألذى قتل بسر فى وجهه ذلك ثلاثين ألفا وحرق قوما بالنار فقال يزيد بن مفرغ تعلق من أسماء ما قدتعلقا || ومثل ألذى لاقى من الشوق أرقا سقى هزم الأرعاد منبعج الكلى || منازلها من مسرقان فسرقا إلى الشرف الأعلى إلى رامهرمز || إلى قريات الشيخ من نهر أربقا إلى دشت بارين إلى الشط كله || إلى مجمع السلان من بطن دورقا إلى حيث يرفا من دجيل سفينه || إلى مجمع النهرين حيث تفرقا إلى حيث سار المرء بسر بجيشه || فقتل بسر مااستطاع وحرقا . وروى أبو الحسن المدائنى قال اجتمع عبيد الله بن العباس وبسر بن أرطاة يوما عندمعاوية بعدصلح الحسن ع فقال له ابن عباس أنت أمرت اللعين السيئ الفدم أن يقتل ابنى فقال ماأمرته بذلك ولوددت أنه لم يكن قتلهما فغضب بسر ونزع سيفه فألقاه و قال لمعاوية اقبض سيفك قلدتنيه وأمرتنى أن أخبط به الناس ففعلت

حتی إذابلغت ماأردت قلت لم أهو و لم آمر فقال خذ سیفک إلیک فلعمری [صفحه ۱۸] إنک ضعیف مائق حین تلقی السیف بین یدی رجل من بنی عبدمناف قدقتلت أمس ابنیه . فقال له عبید الله أتحسبنی یامعاویة قاتلا بسرا بأحد ابنی هوأحقر وألأم من ذلک ولکنی و الله لاأری لی مقنعا و لاأدرک ثأرا إلا أن أصیب بهما یزید و عبد الله .فتبسم معاویة و قال و ماذنب معاویة وابنی معاویة و الله ماعلمت و لاأمرت و لارضیت و لاهویت واحتملها منه لشرفه وسؤدده . قال ودعا علی ع علی بسر فقال أللهم إن بسرا باع دینه بالدنیا وانتهک محارمک وکانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندک أللهم فلاتمته حتی تسلبه عقله و لاتوجب له رحمتک و لاساعة من نهار أللهم العن بسرا وعمرا ومعاویة ولیحل علیهم غضبک ولتنزل بهم نقمتک ولیصبهم بأسک ورجزک ألذی لاترده عن القوم المجرمین -روایت-۱-۲-روایت-۸-۳۲۷ فلم یلبث بسر بعد ذلک إلایسیرا حتی وسوس وذهب عقله فکان یهذی بالسیف و یقول أعطونی سیفا أقتل به لایزال یردد ذلک حتی اتخذ له سیف من خشب وکانوا یدنون منه المرفقة فلایزال یضربها حتی یغشی علیه فلبث کذلک إلی أن مات . قلت کان مسلم بن عقبة لیزید و ماعمل بالمدینة فی وقعة الحرة کما کان بسر لمعاویة و ماعمل فی الحجاز والیمن و من أشبه أباه فما ظلم نبنی کماکانت أوائلنا || تبنی ونفعل مثل مافعلوا [صفحه ۱۹]

۲۶- و من خطبة له ع

اشاره

إِنّ اللّهَ تَعَالَی بَعَثَ مُحَمّداًص نَذِیراً لِلعَالَمِینَ وَ أَمِیناً عَلَی التّنزِیلِ وَ أَنتُم مَعشَرَ العَرَبِ عَلَی شَرّ دِینٍ وَ فِی شَرّ دَارٍ مُنِیخُونَ بَینَ حِجَارَةٍ خُشنٍ وَ حَیّاتٍ صُمّ تَشرَبُونَ الکَدِرَ وَ تَأکُلُونَ الجَشِبَ وَ تَسفِکُونَ دِمَاءَکُم وَ تَقطَعُونَ أَرحَامَکُم الأَصنَامُ فِیکُم مَنصُوبَةٌ وَ الآثَامُ بِکُم مَعصُوبَةٌ یجوز أن یعنی بقوله بین حجارة خشن وحیات صم الحقیقة لاالمجاز و ذلک أن البادیة بالحجاز ونجد وتهامة وغیرها من أرض العرب ذات حیات وحجارة خشن و قدیعنی بالحجارة الخشن الجبال أیضا أوالأصنام فیکون داخلا فی قسم الحقیقة إذافرضناه مرادا و یکون المعنی بذلک وصف ماکانوا علیه من البؤس وشظف العیشة وسوء الاختیار فی العبادة فأبدلهم الله تعالی بذلک الریف ولین المهاد وعبادة من یستحق العبادة. ویجوز أن یعنی به المجاز و هوالأحسن یقال للأعداء حیات والحیة الصماء أدهی من التی لیست بصماء لأنها لاتنزجر بالصوت ویقال للعدو أیضا إنه لحجر خشن المس إذا کان ألد الخصام . والجشب من الطعام الغلیظ الخشن . [صفحه ۲۰] و قال أبوالبختری وهب بن وهب القاضی کنت عندالرشید یوما واستدعی ماء مبردا بالثلج فلم یوجد فی الخزانة ثلج فاعتذر إلیه بذلک وأحضر إلیه ماء غیرمثلوج فضرب وجه الغلام بالکوز واستشاط غضبا فقلت له أقول یا أمیر المؤمنین و أناآمن فقال قل قلت یا أمیر المؤمنین قدرأیت ما کان من الغیر بالأمس یعنی زوال دولة بنی أمیة والدنیا غیردائمة و لاموثوق بها والحزم ألا تعود نفسک الترفه والنعمة بل تأکل اللین والجشب وتلبس الناعم والخشن وتشرب الحار والقار فنفحنی بیده و قال لا و الله لاأذهب إلی ماتذهب إلیه بل ألبس النعمة مالبستنی فإذانابت نوبة الدهر عدت إلی نصاب غیرخوار. و قوله والآثام بکم معصوبة استعارة کأنها مشدودة إلیهم . وعنی بقوله تسفکون دماءکم وتقطعون أرحامکم ماکانوا علیه فی الجاهلیة من الغارات والحروب وَ مِنهَا فَنَظَرتُ فَإِذَا لَیسَ لِی مُعِینٌ إِلّا أَهلُ بیَتیِ فَضَنِنتُ بِهِم عَنِ المَوتِ وَ أَغضَیتُ عَلَی القَذَی وَ شَرِبتُ عَلَی الشّجَا وَ صَبَرتُ عَلَی أَخذِ الکَظَمِ وَ عَلَی أَمَرّ مِن طَعمِ العَلقَمِ [صفحه ۲۱] الکظم بفتح الظاء مخرج النفس والجمع أکظام وضننت بالکسر بخلت وأغضیت علی کذا غضضت طرفی والشجا مایعترض فی الحلق

حديث السقيفة

اختلفت الروايات فی قصة السقيفة فالذی تقوله الشيعة و قد قال قوم من المحدثين بعضه ورووا كثيرا منه أن عليا ع امتنع من البيعة حتى أخرج كرها و أن الزبير بن العوام امتنع من البيعة و قال لاأبايع إلاعليا ع وكذلك أبوسفيان بن حرب وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس والعباس بن عبدالمطلب وبنوه و أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وجميع بنی هاشم وقالوا إن الزبير شهر سيفه فلما جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم قال فی جملة ما قال خذوا سيف هذافاضربوا به الحجر ويقال إنه أخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجرا فكسره وساقهم كلهم بين يديه إلى أبی بكر فحملهم على بيعته و لم يتخلف إلا علی ع وحده فإنه اعتصم ببيت فاطمة ع فتحاموا إخراجه منه قسرا وقامت فاطمة ع إلى باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه فتفرقوا وعلموا أنه بمفرده لايضر شيئا فتركوه . وقيل إنهم أخرجوه فيمن أخرج وحمل إلى أبی بكر فبايعه و قدروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبری كثيرا من هذا.فأما حديث التحريق و ماجرى مجراه من الأمور الفظيعة وقول من قال إنهم أخذوا عليا ع يقاد بعمامته و الناس حوله فأمر بعيد والشيعة تنفرد به على أن جماعة من أهل الحديث قدرووا نحوه وسنذكر ذلك . [صفحه ۲۲] و قال أبو جعفر إن الأنصار لمافاتها ماطلبت من الخلافة قالت أو قال بعضها لانبايع إلاعليا وذكر نحو هذا علی بن عبدالكريم المعروف بابن الأثير الموصلی فی تاريخه .فأما قوله لم يكن لی معين إلا أهل بيتی فضننت بهم عن الموت فقول مازال علی ع يقوله ولقد قاله عقيب وفاة رسول الله ص قال لووجدت أربعين ذوی عزم .ذكر ذلك نصر بن مزاحم فی كتاب صفين وذكره كثير من أرباب السيرة. و أما ألذی يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم فإنه ع امتنع من البيعة ستة أشهر ولزم بيته فلم يبايع حتى ماتت فاطمة ع فلما ماتت بايع طوعا. و فی صحيحی مسلم والبخاری كانت وجوه الناس إليه وفاطمة باقية بعد فلما ماتت فاطمة ع انصرفت وجوه الناس عنه وخرج من بيته فبايع أبابكر وكانت مدة بقائها بعدأبيها ع ستة أشهر. وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبری فی التاريخ عن ابن عباس رضی الله عنه قال قال لی عبدالرحمن بن عوف و قدحججنا مع عمر شهدت اليوم أمير المؤمنين بمنى و قال له رجل إنی سمعت فلانا يقول لو قدمات عمر لبايعت فلانا فقال عمر إنی لقائم العشية فی الناس أحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن [صفحه ۲۳] يغتصبوا الناس أمرهم قال عبدالرحمن فقلت يا أمير المؤمنين إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم وهم الذين يقربون من مجلسك ويغلبون عليه وأخاف أن تقول مقالة لايعونها و لايحفظونها فيطيروا بها ولكن أمهل حتى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله فتقول ما قلت متمكنا فيسمعوا مقالتك فقال و الله لأقومن بهاأول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس فلما قدمناها هجرت يوم الجمعة لحديث عبدالرحمن فلما جلس عمر على المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قال بعد أن ذكر الرجم وحد الزناء إنه بلغنی أن قائلا منكم يقول لومات أمير المؤمنين بايعت فلانا فلايغرن امرأ أن يقول إن بيعة أبی بكر كانت فلتة فلقد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها و ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبی بكر وإنه كان من خبرنا حين توفی رسول الله ص أن عليا والزبير تخلفا عنا فی بيت فاطمة و من معهما وتخلفت عنا الأنصار واجتمع المهاجرون إلى أبی بكر فقلت له انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار فانطلقنا نحوهم فلقينا رجلان صالحان من الأنصار قدشهدا بدرا أحدهما عويم بن ساعدة والثانی معن بن عدی فقالا ـ لنا ارجعوا فاقضوا أمركم بينكم فأتينا الأنصار وهم مجتمعون فی سقيفة [صفحه ۲۴] بنی ساعدة و بين أظهرهم رجل مزمل فقلت من هذاقالوا سعد بن عبادة وجع فقام رجل منهم فحمد الله وأثنى عليه فقال أما بعدفنحن الأنصار وكتيبة الإسلام وأنتم يامعشر قريش رهط نبينا قددفت إلينا دافة من قومكم فإذاأنتم تريدون أن تغصبونا الأمر. فلما سكت وكنت قدزورت فی نفسی مقالة أقولها بين يدی أبی بكر فلما ذهبت أتكلم قال أبوبكر على رسلك فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئا كنت زورت فی نفسی إلاجاء به أوبأحسن منه و قال يامعشر الأنصار إنكم لاتذكرون فضلا إلا وأنتم له أهل و إن

العرب لاتعرف هذاالأمر إلاالقريش أوسط العرب دارا ونسبا و قدرضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيدى ويد أبى عبيدة بن الجراح و الله ماكرهت من كلامه غيرها إن كنت لأقدم فتضرب عنقى فيما لايقربنى إلى إثم أحب إلى من أن أؤمر على قوم فيهم أبوبكر. فلما قضى أبوبكر كلامه قام رجل من الأنصار فقال أناجذيلها المحككك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير [صفحه ۲۵] وارتفعت الأصوات واللغط فلما خفت الاختلاف قلت لأبى بكر ابسط يدك أبايعك فبسط يده فبايعته وبايعه الناس ثم نزونا على سعد بن عبادة فقال قائلهم قتلتم سعدا فقلت اقتلوه قتله الله و أنا و الله ماوجدنا أمرا هوأقوى من بيعة أبى بكر خشيت إن فارقت القوم و لم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة فإما أن نبايعهم على ما لانرضى أونخالفهم فيكون فساد. هذاحديث متفق عليه من أهل السيرة و قدوردت الروايات فيه بزيادات روى المدائنى قال لماأخذ أبوبكر بيد عمر و أبى عبيدة و قال للناس قدرضيت لكم أحد هذين الرجلين قال أبوعبيدة لعمر امدد يدك نبايعك فقال عمر ما لك فى الإسلام فهة غيرها أتقول هذا و أبوبكر حاضر ثم قال للناس أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص للصلاة رضيك رسول الله ص لديننا أ فلانرضاك لدنيانا ثم مد يده إلى أبى بكر فبايعه . و هذه الرواية هى التى ذكرها قاضى القضاة رحمه الله تعالى فى كتاب المغنى. و قال الواقدى فى روايته فى حكاية كلام عمر و الله لأن أقدم فأنحر كماينحر البعير أحب إلى من أن أتقدم على أبى بكر. و قال شيخنا أبوالقاسم البلخى قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ إن الرجل ألذى قال لو قدمات عمر لبايعت فلانا عمار بن ياسر قال لو قدمات عمر لبايعت عليا ع فهذا القول هو ألذى هاج عمر أن خطب بما خطب به . و قال غيره من أهل الحديث إنما كان المعزوم على بيعته لومات عمر طلحة بن عبيد الله . [صفحه ۲۶] فأما حديث الفلتة فقد كان سبق من عمر أن قال إن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه . و هذاالخبر ألذى ذكرناه عن ابن عباس و عبدالرحمن بن عوف فيه حديث الفلتة ولكنه منسوق على ماقاله أولا أ لاتراه يقول فلايغرن امرأ أن يقول إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فلقد كانت كذلك فهذا يشعر بأنه قد كان قال من قبل إن بيعة أبى بكر كانت فلتة. و قدأكثر الناس فى حديث الفلتة وذكرها شيوخنا المتكلمون فقال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى الفلتة ليست الزلة والخطيئة بل هى البغتة و ماوقع فجأة من غيرروية و لامشاورة واستشهد بقول الشاعر من يأمن الحدثان بعد || صبيرة القرشى ماتا سبقت منيته المشيب || و كان ميتته افتلاتا .يعنى بغتة. و قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى ذكر الرياشى أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من حيث إن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته لأنهم كانوا إذادخلوا فى الأشهر الحرم لايطلبون الثار وذو القعدة من الأشهر الحرم فسموا ذلك اليوم فلتة لأنهم إذاأدركوا فيه ثأرهم فقد أدركوا ما كان يفوتهم فأراد عمر أن بيعة أبى بكر تداركها بعد أن كادت تفوت . و قوله وقى الله شرها دليل على تصويب البيعة لأن المراد بذلك أن الله تعالى دفع شر الاختلاف فيها. [صفحه ۲۷] فأما قوله فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه فالمراد من عاد إلى أن يبايع من غيرمشاورة و لاعدد يثبت صحة البيعة به و لاضرورة داعية إلى البيعة ثم بسط يده على المسلمين يدخلهم فى البيعة قهرا فاقتلوه . قال قاضى القضاة رحمه الله تعالى وهل يشك أحد فى تعظيم عمر لأبى بكر وطاعته إياه ومعلوم ضرورة من حال عمر إعظامه له والقول بإمامته والرضا بالبيعة والثناء عليه فكيف يجوز أن يترك مايعلم ضرورة لقول محتمل ذى وجوه وتأويلات وكيف يجوز أن تحمل هذه اللفظة من عمر على الذم والتخطئة وسوء القول . واعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ماجبله الله تعالى عليه من غلظ الطينة وجفاء الطبيعة و لاحيلة له فيهالأنه مجبول عليها لايستطيع تغييرها و لاريب عندنا أنه كان يتعاطى أن يتلطف و أن يخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة فينزع به الطبع الجاسى والغريزة الغليظة إلى أمثال هذه اللفظات و لايقصد بهاسوءا و لايريد بهاذما و لاتخطئة كماقدمنا من قبل فى اللفظة التى قالها فى مرض رسول الله ص وكاللفظات التى قالها عام الحديبية و غير ذلك و الله تعالى لايجازى المكلف إلابما نواه ولقد كانت نيته من أطهر النيات وأخلصها لله سبحانه وللمسلمين و من أنصف علم أن هذاالكلام حق و أنه يغنى عن تأويل شيخنا أبى على . ونحن من بعدنذكر

ماقاله المرتضى رحمه الله تعالى فى كتاب الشافى لماتكلم فى هذاالموضع قال أماماادعى من العلم الضرورى برضا عمر ببيعة أبى بكر وإمامته فالمعلوم ضرورة بلا شبهة أنه كان راضيا بإمامته و ليس كل من رضى شيئا [صفحه ۲۸] كان متدينا به معتقدا لصوابه فإن كثيرا من الناس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعة لما هوأضر منها و إن كانوا لايرونها صوابا و لوملكوا الاختيار لاختاروا غيرها و قدعلمنا أن معاوية كان راضيا ببيعة يزيد وولاية العهد له من بعده و لم يكن متدينا بذلك ومعتقدا صحته وإنما رضى عمر ببيعة أبى بكر من حيث كانت حاجزة عن بيعة أمير المؤمنين ع و لوملك الاختيار لكان مصير الأمر إليه أسر فى نفسه وأقر لعينه و إن ادعى أن المعلوم ضرورة تدين عمر بإمامة أبى بكر و أنه أولى بالإمامة منه فهذا مدفوع أشد دفع مع أنه قد كان يبدر من عمر فى وقت بعدآخر مايدل على ماأوردناه روى الهيثم بن عدى من عبد الله بن عياش الهمدانى عن سعيد بن جبير قال ذكر أبوبكر وعمر عند عبد الله بن عمر فقال رجل كانا و الله شمسى هذه الأمة ونوريها فقال ابن عمر و مايدريك قال الرجل أ و ليس قدائتلفا قال ابن عمر بل اختلفا لوكنتم تعلمون أشهد أنى كنت عند أبى يوما و قدأمرنى أن أحبس الناس عنه فاستأذن عليه عبدالرحمن بن أبى بكر فقال عمر دويبة سوء ولهو خير من أبيه فأوحشنى ذلك منه فقلت ياأبت عبدالرحمن خير من أبيه فقال و من ليس بخير من أبيه لاأم لك ائذن لعبد الرحمن فدخل عليه فكلمه فى الحطيئة الشاعر أن يرضى عنه و قد كان عمر حبسه فى شعر قاله فقال عمر إن فى الحطيئة أودا فدعنى أقومه بطول حبسه فألح عليه عبدالرحمن وأبى عمر [صفحه ۲۹] فخرج عبدالرحمن فأقبل على أبى و قال أ فى غفلة أنت إلى يومك هذاعما كان من تقدم أحيمق بنى تيم على وظلمه لى فقلت لاعلم لى بما كان من ذلك قال يابنى فما عسيت أن تعلم فقلت و الله لهو أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم قال إن ذلك لكذلك على رغم أبيك وسخطه قلت ياأبت أ فلاتجلى عن فعله بموقف فى الناس تبين ذلك لهم قال وكيف لى بذلك مع ماذكرت أنه أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم إذن يرضخ رأس أبيك بالجندل قال ابن عمر ثم تجاسر و الله فجسر فما دارت الجمعة حتى قام خطيبا فى الناس فقال أيها الناس إن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه . وروى الهيثم بن عدى عن مجالد بن سعيد قال غدوت يوما إلى الشعبى و اناأريد أن أسأله عن شيءبلغنى عن ابن مسعود أنه كان يقوله فأتيته و هو فى مسجد حيه و فى المسجد قوم ينتظرونه فخرج فتعرفت إليه و قلت أصلحك الله كان ابن مسعود يقول ماكنت محدثا قوما حديثا لاتبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة قال نعم كان ابن مسعود يقول ذلك و كان ابن عباس يقوله أيضا و كان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها أهلها ويصرفها عن غيرهم فبينا نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا فأخذنا فى ذكر أبى بكر وعمر فضحك الشعبى و قال لقد كان فى صدر عمر ضب على أبى بكر فقال الأزدى و الله مارأينا و لاسمعنا برجل قط كان أسلس قيادا لرجل [صفحه ۳۰] و لاأقول فيه بالجميل من عمر فى أبى بكر فأقبل على الشعبى و قال هذامما سألت عنه ثم أقبل على الرجل و قال ياأخا الأزد فكيف تصنع بالفلتة التى وقى الله شرها أترى عدوا يقول فى عدو يريد أن يهدم مابنى لنفسه فى الناس أكثر من قول عمر فى أبى بكر فقال الرجل سبحان الله أنت تقول ذلك يا أباعمرو فقال الشعبى أناأقوله قاله عمر بن الخطاب على رءوس الأشهاد فلمه أودع فنهض الرجل مغضبا و هويهمهم فى الكلام بشيء لم أفهمه قال مجالد فقلت للشعبى ماأحسب هذا الرجل إلاسينقل عنك هذاالكلام إلى الناس ويبثه فيهم قال إذن و الله لاأحفل به و شيء لم يحفل به عمر حين قام على رءوس الأشهاد من المهاجرين والأنصار أحفل به أناأذيعوه أنتم عنى أيضا مابدا لكم . وروى شريك بن عبد الله النخعى عن محمد بن عمرو بن مرة عن أبيه عن عبد الله بن سلمة عن أبى موسى الأشعرى قال حججت مع عمر فلما نزلنا وعظم الناس خرجت من رحلى أريده فلقينى المغيرة بن شعبة فرافقنى ثم قال أين تريد فقلت أمير المؤمنين فهل لك قال نعم فانطلقنا نريد رحل عمر فإنا لفى طريقنا إذ ذكرنا تولى عمر وقيامه بما هو فيه وحياطته على الإم ونهوضه بما قبله من ذلك ثم خرجنا إلى ذكر أبى بكر فقلت للمغيرة يا لك الخير لقد كان أبوبكر مسددا فى عمر لكأنه ينظر إلى قيامه من بعده وجده واجتهاده وغنائه فى

الإسلام فقال المغيرة لقد كان ذلك و إن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه و ما كان لهم فى ذلك من حظ فقلت له لا أبا لك و من القوم الذين كرهوا ذلك لعمر فقال المغيرة لله أنت كأنك [صفحه ۳۱] لاتعرف هذاالحى من قريش و ماخصوا به من الحسد فو الله لو كان هذاالحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره وللناس كلهم عشر فقلت مه يامغيرة فإن قريشا بانت بفضلها على الناس فلم نزل فى مثل ذلك حتى انتهينا إلى رحل عمر فلم نجده فسألنا عنه فقيل قدخرج آنفا فمضينا نقفو أثره حتى دخلنا المسجد فإذاعمر يطوف بالبيت فطفنا معه فلما فرغ دخل بينى و بين المغيرة فتوكأ على المغيرة و قال من أين جئتما فقلنا خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين فأتينا رحلك فقيل لنا خرج إلى المسجد فاتبعناك فقال اتبعكما الخير ثم نظر المغيرة إلى وتبسم فرمقه عمر فقال مم تبسمت أيها العبد فقال من حديث كنت أنا و أبو موسى فيه آنفا فى طريقنا إليك قال و ماذاك الحديث فقصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذكر حسد قريش وذكر من أراد صرف أبى بكر عن استخلاف عمر فتنفس الصعداء ثم قال ثكلتك أمك يامغيرة و ماتسعة أعشار الحسد بل وتسعة أعشار العشر و فى الناس كلهم عشر العشر بل وقريش شركاؤهم أيضا فيه وسكت مليا و هويتهادى بيننا ثم قال أ لاأخبركما بأحسد قريش كلها قلنا بلى يا أمير المؤمنين قال وعليكما ثيابكما قلنا نعم قال وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما قلنا يا أمير المؤمنين و مابال الثياب قال خوف الإذاعة منها قلنا له أتخاف الإذاعة من الثياب أنت و أنت من ملبس الثياب أخوف و ماالثياب أردت قال هوذاك ثم انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رحله فخلى أيدينا من يده ثم قال لاتريما ودخل فقلت للمغيرة لا أبا لك لقد عثرنا بكلامنا معه و ماكنا فيه و مانراه حبسنا إلاليذاكرنا إياها قال فإنا لكذلك إذ أخرج إذنه إلينا فقال ادخلا فدخلنا فوجدناه مستلقيا على برذعة برحل فلما رآنا تمثل بقول كعب بن زهير لاتفش سرك إلا عندذى ثقة || أولى وأفضل مااستودعت أسرارا [صفحه ۳۲] صدرا رحيبا وقلبا واسعا قمنا || ألا تخاف متى أودعت إظهارا .فعلمنا أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه فقلت أنا له يا أمير المؤمنين الزمنا وخصنا وصلنا قال بما ذا ياأخا الأشعرين فقلت بإفشاء سرك و أن تشركنا فى همتك فنعم المستشاران نحن لك قال إنكما كذلك فاسألا عما بدا لكما ثم قام إلى الباب ليغلقه فإذاالآذن ألذى أذن لنا عليه فى الحجرة فقال امض عنا لاأم لك فخرج وأغلق الباب خلفه ثم أقبل علينا فجلس معنا و قال سلا تخبرا قلنا نريد أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحسد قريش ألذى لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا فقال سألتما عن معضلة وسأخبركما فليكن عندكما فى ذمة منيعة وحرز مابقيت فإذامت فشأنكما و ماشئتما من إظهار أوكتمان قلنا فإن لك عندنا ذلك قال أبو موسى و أناأقول فى نفسى مايريد إلاالذين كرهوا استخلاف أبى بكر له كطلحة وغيره فإنهم قالوا لأبى بكر أتستخلف علينا فظا غليظا و إذا هويذهب إلى غير ما فى نفسى فعاد إلى التنفس ثم قال من تريانه قلنا و الله ماندرى إلاظنا قال و ماتظنان قلنا عساك تريد القوم الذين أرادوا أبابكر على صرف هذاالأمر عنك قال كلا و الله بل كان أبوبكر أعق و هو ألذى سألتما عنه كان و الله أحسد قريش كلها ثم أطرق طويلا فنظر المغيرة إلى ونظرت إليه وأطرقنا مليا لإطراقه وطال السكوت منا و منه حتى ظننا أنه قدندم على مابدا منه ثم قال وا لهفاه على ضئيل بنى تيم بن مرة لقد تقدمنى ظالما وخرج إلى منها آثما فقال المغيرة أماتقدمه عليك يا أمير المؤمنين ظالما فقد عرفناه كيف خرج إليك منها آثما قال ذاك لأنه لم يخرج إلى منها إلا بعديأس منها أما و الله لوكنت أطعت يزيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمظ من حلاوتها بشىء أبدا ولكنى قدمت وأخرت وصعدت وصوبت ونقضت وأبرمت فلم أجد إلاالإغضاء على مانشب به منها والتلهف على نفسى وأملت إنابته ورجوعه فو الله مافعل حتى نغر بهابشما [صفحه ۳۳] قال المغيرة فما منعك منها يا أمير المؤمنين و قدعرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها ثم أنت الآن تنقم وتتأسف قال ثكلتك أمك يامغيرة إنى كنت لأعدك من دهاة العرب كأنك كنت غائبا عما هناك إن الرجل ماكرنى فماكرته وألفانى أحذر من قطاة إنه لمارأى شغف الناس به وإقبالهم بوجوههم عليه أيقن أنهم لايريدون به بدلا فأحب لمارأى من حرص الناس عليه وميلهم إليه أن يعلم ماعندى وهل تنازعنى نفسى إليها وأحب أن يبلونى بإطماعى فيها والتعريض لى بها و قدعلم وعلمت

لوقبلت ماعرضه على لم يجب الناس إلى ذلك فألفانى قائما على أخمصى مستوفزا حذرا و لوأجبته إلى قبولها لم يسلم الناس إلى ذلك واختبأها ضغنا على فى قلبه و لم آمن غائلته و لو بعدحين مع مابدا لى من كراهة الناس لى أ ماسمعت نداءهم من كل ناحية عندعرضها على لانريد سواك يا أبابكر أنت لها فرددتها إليه عند ذلك فلقد رأيته التمع وجهه لذلك سرورا ولقد عاتبنى مرة على كلام بلغه عنى و ذلك لماقدم عليه بالأشعث أسيرا فمن عليه وأطلقه وزوجه أخته أم فروة فقلت للأشعث و هوقاعد بين يديه ياعدو الله أكفرت بعدإسلامك وارتددت ناكصا على عقبيك فنظر إلى نظرا علمت أنه يريد أن يكلمنى بكلام فى نفسه ثم لقينى بعد ذلك فى سكك المدينة فقال لى أنت صاحب الكلام يا ابن الخطاب فقلت نعم ياعدو الله و لك عندى شر من ذلك فقال بئس الجزاء هذا لى منك قلت وعلام تريد منى حسن الجزاء قال لأنفتى لك من اتباع هذا الرجل و الله ماجرأنى على الخلاف عليه إلاتقدمه عليك وتخلفك عنها و لوكنت صاحبها لمارأيت منى خلافا عليك قلت لقد كان ذلك فما تأمر الآن قال إنه ليس بوقت أمر بل وقت صبر ومضى ومضيت ولقى الأشعث الزبرقان بن بدر فذكر له ماجرى بينى وبينه فنقل ذلك إلى أبى بكر فأرسل إلى بعتاب مؤلم فأرسلت إليه أما و الله [صفحه ۳۴] لتكفن أولأقولن كلمة بالغة بى وبك فى الناس تحملها الركبان حيث ساروا و إن شئت استدمنا مانحن فيه عفوا فقال بل نستديمه وإنها لصائرة إليك بعدأيام فظننت أنه لايأتى عليه جمعة حتى يردها على فتغافل و الله ماذاكرنى بعد ذلك حرفا حتى هلك . ولقد مد فى أمدها عاضا على نواجذه حتى حضره الموت وأيس منها فكان منه مارأيتما فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافة و عن بنى هاشم خاصة وليكن منكما بحيث أمرتكما قوما إذاشئتما على بركة الله فقمنا ونحن نعجب من قوله فو الله ماأفشينا سره حتى هلك . قال المرتضى و ليس فى طعن عمر على أبى بكر مايؤدى إلى فساد خلافته إذ له أن يثبت إمامة نفسه بالإجماع لابنص أبى بكر عليه و أماالفلتة فإنها و إن كانت محتملة للبغتة كماقاله أبو على رحمه الله تعالى إلا أن قوله وقى الله شرها يخصصها بأن مخرجها مخرج الذم وكذلك قوله فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه و قوله المراد وقى الله شر الاختلاف فيهاعدول عن الظاهر لأن الشر فى الكلام مضاف إليها دون غيرها وأبعد من هذاالتأويل قوله إن المراد من عاد إلى مثلها من غيرضرورة وأكره المسلمين عليها فاقتلوه لأن ماجرى هذاالمجرى لا يكون مثلا لبيعة أبى بكر عندهم لأن كل ذلك ماجرى فيها على مذاهبهم و قد كان يجب على هذا أن يقول فمن عاد إلى خلافها فاقتلوه . و ليس له أن يقول إنما أراد بالمثل وجها واحدا و هووقوعها من غيرمشاورة لأن ذلك إنما تم فى أبى بكر خاصة بظهور أمره واشتهار فضله ولأنهم بادروا إلى العقد خوفا من الفتنة و ذلك لأنه غيرمنكر أن يتفق من ظهور فضل غير أبى بكر واشتهار أمره وخوف الفتنة مااتفق لأبى بكر فلايستحق قتلا و لاذما على أن قوله مثلها يقتضى وقوعها على الوجه ألذى وقعت عليه فكيف يكون ماوقع من غيرمشاورة لضرورة داعية وأسباب موجبة مثلا لماوقع بلا مشاورة و من غيرضرورة و لاأسباب و ألذى رواه عن أهل اللغة [صفحه ۳۵] من أن آخر يوم من شوال يسمى فلتة من حيث إن من لم يدرك فيه الثأر فإنه قول لانعرفه و ألذى نعرفه أنهم يسمون الليلة التى ينقضى بهاآخر الأشهر الحرم ويتم فلتة وهى آخر ليلة من ليالى الشهر لأنه ربما رأى الهلال قوم لتسع وعشرين و لم يبصره الباقون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غارون فلهذا سميت تلك الليلة فلتة على أنا قدبينا أن مجموع الكلام يقتضى ماذكرناه من المعنى لوسلم له ماروا عن أهل اللغة فى احتمال هذه اللفظة. قال و قدذكر صاحب كتاب العين أن الفلتة الأمر ألذى يقع على غيرإحكام فقد صح أنها موضوعة فى اللغة لهذا و إن جاز ألا تختص به بل تكون لفظة مشتركة. و بعدفلو كان عمر لم يرد بقوله توهين بيعة أبى بكر بل أراد ماظنه المخالفون لكان ذلك عائدا عليه بالنقص لأنه وضع كلامه فى غيرموضعه وأراد شيئا فعبر عن خلافه فليس يخرج هذاالخبر من أن يكون طعنا على أبى بكر إلاأن يكون طعنا على عمر. واعلم أنه لايبعد أن يقال إن الرضا والسخط والحب والبغض و ماشاكل ذلك من الأخلاق النفسانية و إن كانت أمورا باطنة فإنها قدتعلم ويضطر الحاضرون إلى تحصيلها بقرائن أحوال تفيدهم العلم الضرورى كمايعلم خوف الخائف وسرور المبتهج و قد

يكون الإنسان عاشقا لآخر فيعلم المخالطون لهما ضرورة أنه يعشقه لمايشاهدونه من قرائن الأحوال وكذلك يعلم من قرائن أحوال العابد المجتهد فى العبادة وصوم الهواجر وملازمة الأوراد وسهر الليل أنه يتدين بذلك فغير منكر أن يقول قاضى القضاة رحمه الله [صفحه ۳۶] تعالى إن المعلوم ضرورة من حال عمر تعظيم أبى بكر ورضاه بخلافته وتدينه بذلك فالذى اعترضه رحمه الله تعالى به غيروارد عليه و أماالأخبار التى رواها عن عمر فأخبار غريبة مارأيناها فى الكتب المدونة و ماوقفنا عليها إلا من كتاب المرتضى و كتاب آخر يعرف بكتاب المسترشد لمحمد بن جرير الطبرى و ليس هو محمد بن جرير صاحب التاريخ بل هو من رجال الشيعة وأظن أن أمه من بنى جرير من مدينة آمل طبرستان وبنو جرير الآمليون شيعة مستهترون بالتشيع فنسب إلى أخواله ويدل على ذلك شعر مروى له و هو بآمل مولدى وبنو جرير || فأخوالى ويحكى المرء خاله فمن يك رافضيا عن أبيه || فإنى رافضى عن كلاله . و أنت تعلم حال الأخبار الغريبة التى لاتوجد فى الكتب المدونة كيف هى فأما إنكاره ماذكره شيخنا أبو على رحمه الله تعالى من أن الفلتة هى آخر يوم من شوال و قوله إنا لانعرفه فليس الأمر كذلك بل هوتفسير صحيح ذكره الجوهرى فى كتاب الصحاح قال الفلتة آخر ليلة من كل شهر ويقال هى آخر يوم من الشهر ألذى بعده الشهر الحرام و هذايدل على أن آخر يوم من شوال يسمى فلتة وكذلك آخر يوم من جمادى الآخرة وإنما التفسير ألذى ذكره المرتضى غيرمعروف عند أهل اللغة. و أما ماذكره من إفساد حمل الفلتة فى الخبر على هذه الوجوه المتأولة فجيد إلا أن الإنصاف أن عمر لم يخرج الكلام مخرج الذم لأمر أبى بكر وإنما أراد باللفظة محض حقيقتها فى اللغة ذكر صاحب الصحاح أن الفلتة الأمر ألذى يعمل فجأة من [صفحه ۳۷] غيرتردد و لاتدبر وهكذا كانت بيعة أبى بكر لأن الأمر لم يكن فيهاشورى بين المسلمين وإنما وقعت بغتة لم تمحص فيهاالآراء و لم يتناظر فيهاالرجال وكانت كالشىء المستلب المنتهب و كان عمر يخاف أن يموت عن غيروصية أويقتل قتلا فيبايع أحد من المسلمين بغتة كبيعة أبى بكر فخطب بما خطب به و قال معتذرا إلا أنه ليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبى بكر. وأيضا قول المرتضى قديتفق من ظهور فضل غير أبى بكر وخوف الفتنة مثل مااتفق لأبى بكر فلايستحق القتل فإن لقائل أن يقول إن عمر لم يخاطب بهذا إلا أهل عصره و كان هورحمه الله يذهب إلى أنه ليس فيهم كأبى بكر و لا من يحتمل له أن يبايع فلتة كمااحتمل ذلك لأبى بكر فإن اتفق أن يكون فى عصر آخر بعدعصره من يظهر فضله و يكون فى زمانه كأبى بكر فى زمانه فهو غيرداخل فى نهى عمر وتحريمه . واعلم أن الشيعة لم تسلم لعمر أن بيعة أبى بكر كانت فلتة قال محمد بن هانئ المغربى ولكن أمرا كان أبرم بينهم || و إن قال قوم فلتة غيرمبرم . و قال آخر زعموها فلتة فاجئة || لا ورب البيت والركن المشيد إنما كانت أمورا نسجت || بينهم أسبابها نسج البرود . وروى أبو جعفرأيضا فى التاريخ أن رسول الله ص لماقبض اجتمعت الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة وأخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الخلافة و كان [صفحه ۳۸] مريضا فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرئاسة والخلافة فأجابوه ثم ترادوا الكلام فقالوا فإن أبى المهاجرون وقالوا نحن أولياؤه وعترته فقال قوم من الأنصار نقول منا أمير ومنكم أمير فقال سعد فهذا أول الوهن وسمع عمر الخبر فأتى منزل رسول الله ص و فيه أبوبكر فأرسل إليه أن اخرج إلى فأرسل أنى مشغول فأرسل إليه عمر أن اخرج فقد حدث أمر لابد أن تحضره فخرج فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبوعبيدة فتكلم أبوبكر فذكر قرب المهاجرين من رسول الله ص وأنهم أولياؤه وعترته ثم قال نحن الأمراء وأنتم الوزراء لانفتات عليكم بمشورة و لانقضى دونكم الأمور.فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يامعشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس فى ظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم و لايصدر أحد إلا عن رأيكم أنتم أهل العزة والمنعة وأولو العدد والكثرة وذوو البأس والنجدة وإنما ينظر الناس ماتصنعون فلاتختلفوا فتفسد عليكم أموركم فإن أبى هؤلاء إلا ماسمعتم فمنا أمير ومنهم أمير. فقال عمر هيهات لايجتمع سيفان فى غمد و الله لاترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم و لاتمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة منهم من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه وعشيرته . فقال الحباب بن المنذر يامعشر الأنصار

املکوا أیدیکم و لاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه فیذهبوا بنصیبکم من هذاالأمر فإن أبوا علیکم فأجلوهم من هذه البلاد فأنتم أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسیافکم دان الناس بهذا الدین أناجذیلها المحکک وعذیقها المرجب [صفحه ۳۹] أنا أبوشبل فی عریسة الأسد و الله إن شئتم لنعیدنها جذعة. فقال عمر إذن یقتلک الله قال بل إیاک یقتل . فقال أبوعبیدة یامعشر الأنصار إنکم أول من نصر وآزر فلاتکونوا أول من بدل و غیر.فقام بشیر بن سعد والد النعمان بن بشیر فقال یامعشر الأنصار ألا إن محمدا من قریش وقومه أولی به وایم الله لا-یرانی الله أنازعهم هذاالأمر. فقال أبوبکر هذاعمر و أبوعبیدة بایعوا أیهما شئتم فقالا- و الله لانتولی هذاالأمر علیک و أنت أفضل المهاجرین وخلیفة رسول الله ص فی الصلاة وهی أفضل الدین ابسط یدک فلما بسط یده لیبایعاه سبقهما إلیه بشیر بن سعد فبایعه فناداه الحباب بن المنذر یابشیر عققت عقاق أنفست علی ابن عمک الإمارة. فقال أسید بن حضیر رئیس الأوس لأصحابه و الله لئن لم تبایعوا لیکونن للخزرج علیکم الفضیلة أبدا فقاموا فبایعوا أبابکر.فانکسر علی سعد بن عبادة والخزرج مااجتمعوا علیه وأقبل الناس یبایعون أبابکر من کل جانب ثم حمل سعد بن عبادة إلی داره فبقی أیاما وأرسل إلیه أبوبکر لیبایع فقال لا و الله حتی أرمیکم بما فی کنانتی وأخضب سنان رمحی وأضرب بسیفی ماأطاعنی وأقاتلکم بأهل بیتی و من تبعنی و لواجتمع معکم الجن والإنس مابایعتکم حتی أعرض علی ربی. فقال عمر لاتدعه حتی یبایع فقال بشیر بن سعد إنه قدلج و لیس بمبایع لکم [صفحه ۴۰] حتی یقتل و لیس بمقتول حتی یقتل معه أهله وطائفة من عشیرته و لایضرکم ترکه إنما هو رجل واحد فترکوه . وجاءت أسلم فبایعت فقوی بهم جانب أبی بکر وبایعه الناس . و فی کتب غریب الحدیث فی تتمة کلام عمر فأیما رجل بایع رجلا بغیر مشورة من الناس فلایؤمر واحد منهما تغرة أن یقتلا.قالوا غرر تغریرا وتغرة کماقالوا حلل تحلیلا وتحلة وعلل تعلیلا- وتعلة وانتصب تغرة هاهنا لأنه مفعول له ومعنی الکلام أنه إذابایع واحد لآخر بغتة عن غیرشوری فلایؤمر واحد منهما لأنهما قدغررا بأنفسهما تغرة وعرضاهما لأن تقتلا. وروی جمیع أصحاب السیرة أن رسول الله ص لماتوفی کان أبوبکر فی منزله بالسنح فقال عمر بن الخطاب فقال مامات رسول الله ص و لایموت حتی یظهر دینه علی الدین کله ولیرجعن فلیقطعن أیدی رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته لاأسمع رجلا یقول مات رسول الله إلاضربته بسیفی فجاء أبوبکر وکشف عن وجه رسول الله ص و قال بأبی وأمی طبت حیا ومیتا و الله لایذیقک الله الموتتین أبدا ثم خرج و الناس حول عمر و هو یقول لهم إنه لم یمت ویحلف فقال له أیها الحالف علی رسلک ثم قال من کان یعبد محمدا فإن محمدا قدمات و من کان یعبد الله فإن الله حی لا-یموت قال الله تعالی إِنّکَ مَیّتٌ وَ إِنّهُم مَیّتُونَ و قال أَ فَإِن ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلی أَعقابِکُم قال عمر فو الله -قرآن-۱۱۰۸-۱۱۴۱-قرآن-۱۱۴۹-۱۱۹۹ [صفحه ۴۱] ماملکت نفسی حیث سمعتها أن سقطت إلی الأرض وعلمت أن رسول الله ص قدمات و قدتکلمت الشیعة فی هذاالموضع وقالوا إنه بلغ من قلة علمه أنه لم یعلم أن الموت یجوز علی رسول الله ص و أنه أسوة الأنبیاء فی ذلک و قال لماتلا أبوبکر الآیات أیقنت الآن بوفاته کأنی لم أسمع هذه الآیة فلو کان یحفظ القرآن أویتفکر فیه ما قال ذلک و من هذه حاله لایجوز أن یکون إماما. وأجاب قاضی القضاة رحمه الله تعالی فی المغنی عن هذا فقال إن عمر لم یمنع من جواز موته ع و لانفی کونه ممکنا ولکنه تأول فی ذلک قوله تعالی هُوَ الّذِی أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدی وَ دِینِ الحَقّ لِیُظهِرَهُ عَلَی الدّینِ کُلّهِ و قال کیف یموت و لم یظهرص علی الدین کله فقال أبوبکر إذاظهر دینه فقد ظهر هو وسیظهر دینه بعدوفاته .فحمل عمر قوله تعالی أَ فَإِن ماتَ علی تأخر الموت لا علی نفیه بالکلیة قال و لایجب فیمن ذهل عن بعض أحکام القرآن ألا یحفظ القرآن لأن الأمر لو کان کذلک لوجب ألا- یحفظ القرآن إلا- من عرف جمیع أحکامه علی أن حفظ جمیع القرآن غیرواجب و لایقدح الإخلال به فی الفضل . واعترض المرتضی رحمه الله تعالی فی کتاب الشافی هذاالکلام فقال لایخلو خلاف عمر فی وفاة رسول الله ص من أن یکون علی سبیل الإنکار لموته علی کل حال والاعتقاد أن الموت لایجوز علیه علی کل وجه أو یکون منکرا لموته فی -قرآن-۵۳۶-۶۲۲-قرآن-۷۵۲-۷۶۴ [صفحه ۴۲] تلک الحال من حیث لم یظهر علی الدین کله فإن

كـان الأول فهو مما لايجوز خلاف عاقل فيه والعلم بجواز الموت على جميع البشـر ضـرورى و ليس يحتاج فى حصول هـذاالعلم إلى تلاوة الآيات التى تلاها أبوبكر و إن كان الثانى فأول ما فيه أن هـذاالاختلاف لايليق بما احتـج به أبوبكر عليه من قوله إِنَّكَ مَيِّتٌلأـن عمر لم ينكر على هـذاالوجه جواز الموت عليه وصـحته وإنمـا خالف فى وقته فكان يجب أن يقول لأبى بكر و أى حجة فى هـذه الآيـات على فـإنى لم أمنع جواز موته وإنمـا منعت وقوع موته الآن وجوزته فى المسـتقبل والآيات إنما تـدل على جواز الموت فقط لا على تخصـيصه بحال معينـة. و بعـدفكيف دخلت هذه الشـبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق و من أين زعم أنه سيعود فيقطع أيـدى رجال وأرجلهم وكيف لم يحصل له من اليقين لمارأى من الواعيـة وكآبة الخلق وإغلاق الباب وصـراخ النساء مايـدفع به ذلك الوهم والشـبهة البعيدة فلم يحتج إلى موقف . و بعدفيجب إن كانت هذه شـبهته أن يقول فى مرض النبى ص و قـدرأى جزع أهله وخوفهم عليه الموت وقول أسامـة صـاحب الجيش لم أكن لأرحـل و أنت هكـذا وأسأل عنك الركب ياهؤلاء لاتخافوا و لاتجزعوا و لاتخف أنت ياأسامـة فإن رسول الله ص لايموت الآن لأنه لم يظهر على الـدين كله . و بعـدفليس هـذا من أحكام الكتاب التى يعـذر من لايعرفها على ماظن المعتـذر له . ونحن نقول إن عمر كان أجل قـدرا من أن يعتقد ماظهر عنه فى هـذه الواقعـة –قرآن–۲۹۹–۳۱۱ [صـفحه ۴۳] ولكنه لمـاعلم أن رسول الله ص قـدمات خـاف من وقوع فتنـة فى الإمـامة وتقلب أقوام عليهـا إمـا من الأنصار أوغيرهم وخاف أيضا من حـدوث ردة ورجوع عن الإسـلام فإنه كان ضـعيفا بعـد لم يتمكن وخـاف من ترات تشن ودمـاء تراق فـإن أكثر العرب كـان موتورا فى حيـاة رسول الله ص لقتـل من قتل أصـحابه منهم و فى مثل ذلك الحال تنتهز الفرصة وتهتبل الغرة فاقتضت المصـلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ماأظهره من كون رسول الله ص لم يمت وأوقع تلك الشـبهة فى قلوبهم فكسـر بهاشرة كثير منهم وظنوها حقا فثناهم بذلك عن حادث يحدثونه تخيلا منهم أن رسول الله ص مامات وإنما غاب كماغاب موسى عن قومه وهكذا كان عمر يقول لهم إنه قدغاب عنكم كماغاب موسى عن قومه وليعودن فليقطعن أيـدى قوم أرجفوا بموته . ومثل هذاالكلام يقع فى الوهم فيصد عن كثير من العزم أ لاترى أن الملك إذامات فى مدينة وقع فيهـا فى أكثر الأـمر نهب وفساد وتحريق و كل من فى نفسه حقـد على آخر بلغ منه غرضه إما بقتل أوجرح أونهب مال إلى أن تتمهـد قاعدة الملك ألذى يلى بعده فإذا كان فى المدينة وزير حازم الرأى كتم موت الملك وسـجن قوما ممن أرجف نداء بموته وأقـام فيهم السياسة وأشـاع أن الملـك حى و أن أوامره وكتبه نافـذة و لاـيزال يلزم ذلـك النـاموس إلى أن يمهـد قاعـدة الملك للوالى بعده وكذلك عمر أظهر ماأظهر حراسة للدين والدولة إلى أن جاء أبوبكر و كان غائبا بالسـنح و هومنزل بعيد عن المدينة فلما اجتمع بأبى بكر قوى به جأشه واشـتد به أزره وعظم طاعة الناس له وميلهم إليه فسكت حينئذ عن تلك الدعوى التى كان ادعاها لأنه قـدأمن بحضور أبى بكر من خطب يحـدث أوفساد يتجدد و كان أبوبكر محببا إلى الناس لاسـيما المهاجرين . [صفحه ۴۴] ويجوز عندالشيعة و عندأصحابنا أيضا أن يقول الإنسان كلاما ظاهر الكذب على جهة المعاريض فلاوصمة على عمر إذا كان حلف أن رسول الله ص لم يمت و لاوصـمة عليه فى قوله بعدحضور أبى بكر وتلاوة ماتلا كأنى لم أسـمعها أو قدتيقنت الآن وفاته ص لأنه أراد بهذا القول الأخير تشـييد القول الأول و كان هوالصواب و كان من سـيئ الرأى وقبيحه أن يقول إنما قلته تسكينا لكم و لم أقله عن اعتقاد فالذى بدا به حسن وصواب و ألذى ختم به أحسن وأصوب . وروى أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى فى كتاب السـقيفة عن عمر بن شـبة عن محمد بن منصور عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال كان النبى ص قـدبعث أباسـفيان ساعيا فرجع من سـعايته و قدمات رسول الله ص فلقيه قوم فسألهم فقالوا مات رسول الله ص فقال من ولى بعده قيل أبوبكر قال أبوفصـيل قالوا نعم قال فما فعل المستضـعفان على والعباس أما و ألـذى نفسـى بيـده لأرفعن لهما من أعضادهما. قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز وذكر الراوى و هو جعفر بن سـليمان أن أباسفيان قال شيئا آخر لم تحفظه الرواة فلما قدم المدينة قال إنى لأرى عجاجـة لايطفئها إلاالدم قال فكلم عمر أبابكر فقال إن أباسـفيان قدقدم و أنا لانأمن شـره فدع له ما فى يده فتركه

فرضى. وروى أحمد بن عبدالعزيز أن أباسفيان قال لمابويع عثمان كان هذاالأمر فى تيم وأنى لتيم هذاالأمر ثم صار إلى عدى فأبعد وأبعد ثم رجعت إلى منازلها واستقر الأمر قراره فتلقفوها تلقف الكرة. [صفحه ۴۵] قال أحمد بن عبدالعزيز وحدثنى المغيرة بن محمدالمهلبى قال ذاكرت إسماعيل بن إسحاق القاضى بهذا الحديث و أن أباسفيان قال لعثمان بأبى أنت أنفق و لاتكن كأبى حجر وتداولوها يابنى أمية تداول الولدان الكرة فو الله ما من جنة و لانار و كان الزبير حاضرا فقال عثمان لأبى سفيان اعزب فقال يابنى أهاهنا أحد قال الزبير نعم و الله لاكتمتها عليك قال فقال إسماعيل هذاباطل قلت وكيف ذلك قال ماأنكر هذا من أبى سفيان ولكن أنكر أن يكون سمعه عثمان و لم يضرب عنقه . وروى أحمد بن عبدالعزيز قال جاء أبوسفيان إلى على ع فقال وليتم على هذاالأمر أذل بيت فى قريش أ ما و الله لئن شئت لأملأنها على أبى فصيل خيلا ورجلا فقال على ع طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئا لاحاجة لنا إلى خيلك ورجلك لو لا أنارأينا أبابكر لها أهلا لماتركناه -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۲۹۰ وروى أحمد بن عبدالعزيز قال لمابويع لأبى بكر كان الزبير والمقداد يختلفان فى جماعة من الناس إلى على و هو فى بيت فاطمة فيتشاورون ويتراجعون أمورهم فخرج عمر حتى دخل على فاطمة ع و قال يابنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك و ما من أحد أحب إلينا منك بعدأبيك وايم الله ماذاك بمانعى إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم فلما خرج عمر جاءوها فقالت تعلمون أن عمر جاءنى وحلف لى بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت وايم الله ليمضين لماحلف له فانصرفوا عنا راشدين فلم يرجعوا إلى بيتها وذهبوا فبايعوا لأبى بكر. وروى أحمد وروى المبرد فى الكامل صدر هذاالخبر عن عبدالرحمن [صفحه ۴۶] بن عوف قال دخلت على أبى بكر أعوده فى مرضه ألذى مات فيه فسلمت وسألته كيف به فاستوى جالسا فقلت لقد أصبحت بحمد الله بارئا فقال أماإنى على ماترى لوجع وجعلتم لى معشر المهاجرين شغلا مع وجعى وجعلت لكم عهدا منى من بعدى واخترت لكم خيركم فى نفسى فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له ورأيتم الدنيا قدأقبلت و الله لتتخذن ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون ضجائع الصوف الأذربى كأن أحدكم على حسك السعدان و الله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غيرحد خير له من أن يسبح فى غمرة الدنيا وإنكم غدا لأول ضال بالناس يجورون عن الطريق يمينا وشمالا ياهادى الطريق جرت إنما هوالبجر أوالفجر فقال له عبدالرحمن لاتكثر على مابك فيهيضك و الله ماأردت إلاخيرا و إن صاحبك لذو خير و ما الناس إلارجلان رجل رأى مارأيت فلاخلاف عليك منه و رجل رأى غير ذلك وإنما يشير عليك برأيه فسكن وسكت هنيهة فقال عبدالرحمن ماأرى بك بأسا والحمد لله فلاتأس على الدنيا فو الله إن علمناك إلاصالحا مصلحا فقال أماإنى لاآسى إلا على ثلاث فعلتهن وددت أنى لم أفعلن وثلاث لم أفعلهن وددت أنى فعلتهن وثلاث وددت أنى سألت رسول الله ص عنهن فأما الثلاث التى فعلتها ووددت أنى لم أكن فعلتها فوددت أنى لم أكن كشفت [صفحه ۴۷] عن بيت فاطمة وتركته و لوأغلق على حرب ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين عمر أو أبى عبيدة فكان أميرا وكنت وزيرا ووددت أنى إذ أتيت بالفجاءة لم أكن أحرقته وكنت قتلته بالحديد أوأطلقته . و أماالثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث كنت ضربت عنقه فإنه يخيل إلى أنه لايرى شرا إلاأعان عليه ووددت أنى حيث وجهت خالدا إلى أهل الردة أقمت بذى القصة فإن ظفر المسلمون و إلاكنت ردءا لهم ووددت حيث وجهت خالدا إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق فأكون قدبسطت كلتا يدى اليمين والشمال فى سبيل الله . و أماالثلاث اللواتى وددت أنى كنت سألت رسول الله ص عنهن فوددت أنى سألته فيمن هذاالأمر فكنا لاننازعه أهله ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذاالأمر نصيب ووددت أنى سألته عن ميراث العمة وابنة الأخت فإن فى نفسى منهما حاجة. و من كتاب معاوية المشهور إلى على ع وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ويداك فى يدى ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبوبكر الصديق فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق إلادعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك وأدليت إليهم

بابنيك واستنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجبك منهم إلاأربعة أوخمسة ولعمرى لوكنت محقا لأجابوك ولكنك ادعيت باطلا. و قلت ما لاتعرف ورمت ما لايدرك ومهما نسيت فلاأنسى قولك لأبى سفيان لماحركك وهيجك لووجدت أربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم فما يوم المسلمين منك بواحد و لابغيك على الخلفاء بطريف و لامستبدع . [صفحه ۴۸] وسنذكر تمام هذاالكتاب وأوله عندانتهائنا إلى كتب على ع . وروى أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى عن أبى المنذر وهشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس قال كان بين العباس و على مباعدة فلقى ابن عباس عليا فقال إن كان لك فى النظر إلى عمك حاجة فأته و ماأراك تلقاه بعدها فوجم لها و قال تقدمنى واستأذن فتقدمته واستأذنت له فأذن فدخل فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وأقبل على ع على يده ورجله يقبلهما و يقول ياعم ارض عنى رضى الله عنك قال قدرضيت عنك . ثم قال يا ابن أخى قدأشرت عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل ورأيت فى عاقبتها ماكرهت وها أناذا أشير عليك برأى رابع فإن قبلته و إلانالك مانالك مما كان قبله قال و ماذاك ياعم قال أشرت عليك فى مرض رسول الله ص أن تسأله فإن كان الأمر فينا أعطاناه و إن كان فى غيرنا أوصى بنا فقلت أخشى إن منعناه لايعطيناه أحد بعده فمضت تلك فلما قبض رسول الله ص أتانا أبوسفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلى أن نبايعك و قلت لك ابسط يدك أبايعك ويبايعك هذاالشيخ فإنا إن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بنى عبدمناف و إذابايعك بنو عبدمناف لم يختلف عليك أحد من قريش و إذابايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب فقلت لنا بجهاز رسول الله ص شغل و هذاالأمر فليس نخشى عليه فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بنى ساعدة فقلت ياعم ما هذا قلت مادعوناك إليه فأبيت قلت سبحان الله أ و يكون هذا قلت نعم قلت أ فلايرد قلت لك وهل رد مثل هذاقط ثم أشرت عليك حين طعن عمر فقلت لاتدخل نفسك فى الشورى فإنك إن اعتزلتهم قدموك و إن ساويتهم تقدموك فدخلت معهم فكان مارأيت [صفحه ۴۹] ثم أناالآن أشير عليك برأى رابع فإن قبلته و إلانالك مانالك مما كان قبله إنى أرى أن هذا الرجل يعنى عثمان قدأخذ فى أمور و الله لكأنى بالعرب قدسارت إليه حتى ينحر فى بيته كماينحر الجمل و الله إن كان ذلك و أنت بالمدينة ألزمك الناس به و إذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئا إلا من بعدشر لاخير معه قال عبد الله بن عباس فلما كان يوم الجمل عرضت له و قدقتل طلحة و قدأكثر أهل الكوفة فى سبه وغمصه فقال على ع أما و الله لئن قالوا ذلك لقد كان كما قال أخو جعفى فتى كان يدنيه الغنى من صديقه || إذا ما هواستغنى ويبعده الفقر ثم قال و الله لكان عمى كان ينظر من وراء ستر رقيق و الله مانلت من هذاالأمر شيئا إلا بعدشر لاخير معه . وروى أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز عن حباب بن يزيد عن جرير بن المغيرة أن سلمان والزبير والأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليا ع بعد النبى ص فلما بويع أبوبكر قال سلمان أصبتم الخبرة وأخطأتم المعدن . قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد عمر بن شبة قال حدثنا على بن أبى هاشم قال حدثناعمر بن ثابت عن حبيب بن أبى ثابت قال قال سلمان يومئذ أصبتم ذا السن منكم وأخطأتم أهل بيت نبيكم لوجعلتموها فيهم مااختلف عليكم اثنان ولأكلتموها رغدا. قال أبوبكر وأخبرنا عمر بن شبة قال حدثنى محمد بن يحيى قال حدثناغسان [صفحه ۵۰] بن عبدالحميد قال لماأكثر الناس فى تخلف على ع عن بيعة أبى بكر واشتد أبوبكر وعمر عليه فى ذلك خرجت أم مسطح بن أثاثة فوقفت عندالقبر وقالت كانت أمور وأبناء وهنبثة || لوكنت شاهدها لم تكثر الخطب إنا فقدناك فقد الأرض وابلها || واختل قومك فاشهدهم و لاتغب . قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز وأخبرنا أبوزيد عمر بن شبة قال حدثنا ابراهيم بن المنذر عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبى الأسود قال غضب رجال من المهاجرين فى بيعة أبى بكر بغير مشورة وغضب على والزبير فدخلا بيت فاطمة ع معهما السلاح فجاء عمر فى عصابة منهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش وهما من بنى عبدالأشهل فصاحت فاطمة ع وناشدتهم الله فأخذوا سيفى على والزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا ثم قام أبوبكر فخطب الناس واعتذر إليهم و قال إن بيعتى كانت فلتة وقى الله شرها وخشيت الفتنة وايم الله ماحرصت عليها

يوما قط ولقد قلدت أمرا عظيما ما لى به طاقة و لايدان ولوددت أن أقوى الناس عليه مكانى وجعل يعتذر إليهم فقبل المهاجرون عذره و قال على والزبير ماغضبنا إلا فى المشورة وإنا لنرى أبابكر أحق الناس بهاإنه لصاحب الغار وإنا لنعرف له سنه ولقد أمره رسول الله ص بالصلاة بالناس و هوحى. قال أبوبكر و قدروى بإسناد آخر ذكره أن ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعة الذين حضروا مع عمر فى بيت فاطمة ع وثابت هذاأخو بنى الحارث بن الخزرج . [صفحه ۵۱] وروى أيضا أن محمد بن مسلمة كان معهم و أن محمدا هو ألذى كسر سيف الزبير. قال أبوبكر وحدثنى يعقوب بن شيبة عن أحمد بن أيوب عن ابراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن الزهرى عن عبد الله بن عباس قال خرج على ع على الناس من عند رسول الله ص فى مرضه فقال له الناس كيف أصبح رسول الله ص يا أباحسن قال أصبح بحمد الله بارئا قال فأخذ العباس بيد على ثم قال يا على أنت عبدالعصا بعدثلاث أحلف لقد رأيت الموت فى وجهه وإنى لأعرف الموت فى وجوه بنى عبدالمطلب فانطلق إلى رسول الله ص فاذكر له هذاالأمر إن كان فينا أعلمنا و إن كان فى غيرنا أوصى بنا فقال لاأفعل و الله إن منعناه اليوم لايؤتيناه الناس بعده قال فتوفى رسول الله ذلك اليوم -روايت-۱-۲-روايت-۱۳۰-۶۰۲ . و قال أبوبكر حدثنى المغيرة بن محمدالمهلبى من حفظه وعمر بن شبة من كتابه بإسناد رفعه إلى أبى سعيد الخدرى قال سمعت البراء بن عازب يقول لم أزل لبنى هاشم محبا فلما قبض رسول الله ص تخوفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذاالأمر عن بنى هاشم فأخذنى مايأخذ الواله العجول . ثم ذكر ما قدذكرناه نحن فى أول هذاالكتاب فى شرح قوله ع أما و الله لقد تقمصها فلان وزاد فيه فى هذه الرواية فمكثت أكابد ما فى نفسى فلما كان بليل خرجت إلى المسجد فلما صرت فيه تذكرت أنى كنت أسمع همهمة رسول الله ص بالقرآن فامتنعت من مكانى فخرجت إلى الفضاء فضاء بنى بياضة وأجد نفرا يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفونى و ماأعرفهم فدعونى إليهم فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسى و أباذر وحذيفة و أباالهيثم بن التيهان و إذاحذيفة يقول لهم و الله ليكونن ماأخبرتكم [صفحه ۵۲] به و الله ماكذبت و لاكذبت و إذاالقوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين . ثم قال ائتوا أبى بن كعب فقد علم كماعلمت قال فانطلقنا إلى أبى فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال من أنتم فكلمه المقداد فقال ماحاجتكم فقال له افتح عليك بابك فإن الأمر أعظم من أن يجرى من وراء حجاب قال ما أنابفاتح بابى و قدعرفت ماجئتم له كأنكم أردتم النظر فى هذاالعقد فقلنا نعم فقال أفيكم حذيفة فقلنا نعم قال فالقول ما قال وبالله ماأفتح عنى بابى حتى يجرى على ماهى جارية و لما يكون بعدها شر منها و إلى الله المشتكى . قال وبلغ الخبر أبابكر وعمر فأرسلا إلى أبى عبيدة والمغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأى فقال المغيرة أن تلقوا العباس فتجعلوا له فى هذاالأمر نصيبا فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية على و يكون لكم حجة عند الناس على على إذامال معكم العباس .فانطلقوا حتى دخلوا على العباس فى الليلة الثانية من وفاة رسول الله ص ثم ذكر خطبة أبى بكر وكلام عمر و ماأجابهما العباس به و قدذكرناه فيما تقدم من هذاالكتاب فى الجزء الأول وروى أبوبكر قال أخبرنا أحمد بن إسحاق بن صالح قال حدثنا عبد الله بن عمر عن حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال لماتوفى النبى ص اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فأتاهم أبوبكر وعمر و أبوعبيدة فقال الحباب [صفحه ۵۳] بن المنذر منا أمير ومنكم أميرإنا و الله مانفس هذاالأمر عليكم أيها الرهط ولكنا نخاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم فقال عمر بن الخطاب إذا كان ذلك قمت إن استطعت فتكلم أبوبكر فقال نحن الأمراء وأنتم الوزراء والأمر بيننا نصفان كشق الأبلمة فبويع و كان أول من بايعه بشير بن سعد والد النعمان بن بشير. فلما اجتمع الناس على أبى بكر قسم قسما بين نساء المهاجرين والأنصار فبعث إلى امرأة من بنى عدى بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت فقالت ما هذا قال قسم قسمه أبوبكر للنساء قالت أتراشوننى عن دينى ولله لاأقبل منه شيئا فردته عليه . قلت قرأت هذاالخبر على أبى جعفريحيى بن محمدالعلوى الحسينى المعروف بابن أبى زيد نقيب البصرة رحمه الله تعالى فى سنة عشر وستمائة من كتاب السقيفة لأحمد بن

عبدالعزيز الجوهری قال لقد صدقت فراسهٔ الحباب فإن ألذی خافه وقع یوم الحرهٔ وأخذ من الأنصار ثأر المشرکین یوم بدر ثم قال لی رحمه الله تعالی و من هذاخاف أیضا رسول الله ص علی ذریته وأهله فإنه کان ع قدوتر الناس وعلم أنه إن مات وترک ابنته وولدها سوقهٔ ورعیهٔ تحت أیدی الولاهٔ کانوا بعرض خطر عظیم فما زال یقرر لابن عمه قاعدهٔ الأمر بعده حفظا لدمه ودماء أهل بیته فإنهم إذاکانوا ولاهٔ الأمر کانت دماؤهم أقرب إلی الصیانهٔ والعصمهٔ مما إذاکانوا سوقهٔ تحت ید وال من غیرهم فلم یساعده القضاء والقدر و کان من الأمر ما کان ثم أفضی أمر ذریته فیما بعد إلی ما قدعلمت . [صفحه ۵۴] قال أبوبکر أحمد بن عبدالعزیز حدثنی یعقوب بن شیبهٔ بإسناد رفعه إلی طلحهٔ بن مصرف قال قلت لهذیل بن شرحبیل إن الناس یقولون إن رسول الله ص أوصی إلی علی ع فقال أبوبکر یتأمر علی وصی رسول الله ص ود أبوبکر أنه وجد من رسول الله ص عهدا فخزم أنفه . قلت هذاالحدیث قدخرجه الشیخان محمد بن إسماعیل البخاری ومسلم بن الحجاج القشیری فی صحیحیهما عن طلحهٔ بن مصرف قال سألت عبد الله بن أبی أوفی أوصی رسول الله ص قال لا قلت فکیف کتب علی المسلمین الوصیهٔ أوکیف أمر بالوصیهٔ و لم یوص قال أوصی بکتاب الله قال طلحهٔ ثم قال ابن أوفی ما کان أبوبکر یتأمر علی وصی رسول الله ص ود أبوبکر أنه وجد من رسول الله ص عهدا فخزم أنفه بخزامه . وروی الشیخان فی الصحیحین عن عائشهٔ أنه ذکر عندها أن رسول الله ص أوصی قالت ومتی أوصی و من یقول ذلک قیل إنهم یقولون قالت من یقوله لقد دعا بطست لیبول وإنه بین سحری ونحری فانخنث فی صدری فمات و ماشعرت . و فی الصحیحین أیضا خرجاه معا عن ابن عباس أنه کان یقول یوم الخمیس و ما یوم الخمیس ثم بکی حتی بل دمعه الحصی فقلنا یا ابن عباس و ما یوم الخمیس [صفحه ۵۵] قال اشتد برسول الله ص وجعه فقال ائتونی بکتاب أکتبه لکم لاتضلوا بعدی أبدا فتنازعوا فقال إنه لاینبغی عندی تنازع فقال قائل ماشأنه أهجر استفهموه فذهبوا یعیدون علیه فقال دعونی و ألذی أنا فیه خیر من ألذی أنتم فیه ثم أمر بثلاثهٔ أشیاء فقال أخرجوا المشرکین من جزیرهٔ العرب وأجیزوا الوفد بنحو ماکنت أجیزهم -روایت-۱-۲-روایت-۸-۳۲۵ وسئل ابن عباس عن الثالثهٔ فقال إما ألا- یکون تکلم بها وإما أن یکون قالها فنسیت . و فی الصحیحین أیضا خرجاه معا عن ابن عباس رحمه الله تعالی قال لمااحتضر رسول الله ص و فی البیت رجال منهم عمر بن الخطاب قال النبی ص هلم أکتب لکم کتابا لاتضلون بعده -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۵۵ فقال عمر إن رسول الله ص قدغلب علیه الوجع وعندکم القرآن حسبنا کتاب الله فاختلف القوم واختصموا فمنهم من یقول قربوا إلیه یکتب لکم کتابا لن تضلوا بعده ومنهم من یقول القول ماقاله عمر فلما أکثروا اللغو والاختلاف عنده ع قال لهم قوموا فقاموا فکان ابن عباس یقول إن الرزیهٔ کل الرزیهٔ ماحال بین رسول الله ص و بین أن یکتب لکم ذلک الکتاب . قال أبوبکر أحمد بن عبدالعزیز الجوهری وحدثنی أحمد بن إسحاق بن صالح قال حدثنی عبد الله بن عمر بن معاذ عن ابن عون قال حدثنی رجل من زریق [صفحه ۵۶] أن عمر کان یومئذ قال یعنی یوم بویع أبوبکر محتجزا یهرول بین یدی أبی بکر و یقول ألا إن الناس قدبایعوا أبابکر قال فجاء أبوبکر حتی جلس علی منبر رسول الله ص فحمد الله وأثنی علیه ثم قال أما بعدفإنی ولیتکم ولست بخیرکم ولکنه نزل القرآن وسنت السنن وعلمنا فتعلمنا أن أکیس الکیس التقی وأحمق الحمق الفجور و إن أقواکم عندی الضعیف حتی آخذ له بالحق وأضعفکم عندی القوی حتی آخذ منه الحق أیها الناس إنما أنامتبع ولست بمبتدع إذاأحسنت فأعینونی و إذازغت فقومونی. قال أبوبکر وحدثنی أبوزید عمر بن شبهٔ قال حدثنا أحمد بن معاویهٔ قال حدثنی النضر بن شمیل قال حدثنا محمد بن عمرو عن سلمهٔ بن عبدالرحمن قال لماجلس أبوبکر علی المنبر کان علی ع والزبیر وناس من بنی هاشم فی بیت فاطمهٔ فجاء عمر إلیهم فقال و ألذی نفسی بیده لتخرجن إلی البیعهٔ أولأحرقن البیت علیکم فخرج الزبیر مصلتا سیفه فاعتنقه رجل من الأنصار وزیاد بن لبید فبدر السیف فصاح به أبوبکر و هو علی المنبر اضرب به الحجر فدق به قال أبوعمرو بن حماس فلقد رأیت الحجر فیه تلک الضربهٔ ویقال هذه ضربهٔ سیف الزبیر ثم قال أبوبکر دعوهم فسیأتی الله بهم قال فخرجوا إلیه بعد ذلک فبایعوه . قال أبوبکر و

قـدروى فى روايـۀ أخرى أن سـعد بن أبى وقاص كان معهم فى بيت فاطمـۀ ع والمقـداد بن الأسود أيضا وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليا ع فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير بالسيف وخرجت فاطمۀ ع تبكى وتصيح فنهنهت من الناس وقالوا ليس عندنا معصيۀ و لاخلاف فى خير اجتمع عليه الناس وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن فى مصحف واحد ثم بايعوا أبابكر فاستمر الأمر واطمأن الناس . [صفحه ۵۷] قـال أبوبكر و حدثنا أبوزيـد عمر بن شبۀ قال أخبرنا أبوبكر الباهلى قال حدثناإسماعيل بن مجالد عن الشعبى قال سأل أبوبكر فقال أين الزبير فقيل عند على و قدتقلد سيفه فقال قم ياعمر قم ياخالد بن الوليد انطلقا حتى تأتيانى بهما فانطلقا فـدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج فقال عمر للزبير ما هذاالسيف فقال نبايع عليا فاخترطه عمر فضـرب به حجرا فكسـره ثم أخـذ بيـد الزبير فأقـامه ثم دفعه و قـال ياخالـد دونكه فأمسكه ثم قـال لعلى قم فبايع لأبى بكر فتلكأ واحتبس فأخـذ بيـده و قـال قم فـأبى أن يقوم فحمله ودفعه كمـادفع الزبير فـأخرجه ورأت فاطمـۀ ماصـنع بهمـا فقـامت على باب الحجرۀ وقـالت يـا أبـابكر ماأسـرع ماأغرتم على أهل بيت رسول الله و الله لاأكلم عمر حتى ألقى الله قال فمشـى إليها أبوبكر بعد ذلك وشـفع لعمر وطلب إليها فرضيت عنه . قال أبوبكر و حدثنا أبوزيد قال حدثنا محمد بن حاتم قال حدثناالحرامى قال حدثنا الحسين بن زيـد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن ابن عباس قال مر عمر بعلى وعنده ابن عباس بفناء داره فسلم فسألاه أين تريد فقـال مـالى بينبع قـال على أ فلانصـل جناحـك ونقوم معـك فقـال بلى فقال لابن عباس قم معه قال فشبـك أصابعه فى أصابعى ومضـى حتى إذاخلفنـا البقيع قـال يـا ابن عباس أما و الله إن كان صاحبك هـذاأولى الناس بالأمر بعـدوفاۀ رسول الله إلا أناخفناه على اثنتين قال ابن عباس فجاء بمنطق لم أجـد بـدا معه من مسألته عنه فقلت يا أمير المؤمنين ماهما قال خشيناه على حداثۀ سنه وحبه بنى عبـدالمطلب . قـال أبوبكر وحـدثنى أبوزيـد قال حـدثناهارون بن عمر بإسـناد رفعه إلى ابن عباس رحمه الله تعالى قال تفرق الناس ليلۀ الجابيۀ عن عمر فسار [صـفحه ۵۸] كل واحد مع إلفه ثم صادفت عمر تلك الليلۀ فى مسيرنا فحادثته فشكا إلى تخلف على عنه فقلت أ لم يعتذر إليك قال بلى فقلت هو مااعتذر به قال يا ابن عباس إن أول من ريثكم عن هذاالأمر أبوبكر إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافۀ والنبوۀ قلت لم ذاك يا أمير المؤمنين أ لم ننلهم خيرا قال بلى ولكنهم لوفعلوا لكنتم عليهم جحفا جحفا. قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيـد قال حـدثنا عبـدالعزيز بن الخطاب قال حدثنا على بن هشام مرفوعا إلى عاصم بن عمرو بن قتادۀ قال لقى على ع عمر فقال له على ع أنشدك الله هل استخلفك رسول الله ص قال لا قال فكيف تصنع أنت وصاحبك قال أماصاحبى فقد مضى لسبيله و أما أنافسأخلعها من عنقى إلى عنقك فقال جدع الله أنف من ينقذك منها لا ولكن جعلنى الله علما فإذاقمت فمن خالفنى ضل -روايت-۱-۲-روايت-۱۲۶-۳۹۲ قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيـد عن هارون بن عمر عن محمد بن سعيـد بن الفضل عن أبيه عن الحارث بن كعب عن عبـد الله بن أبى أوفى الخزاعى قال كان خالد بن سـعيد بن العاص من عمال رسول الله ص على اليمن فلمـا قبض رسول الله ص جـاء المدينـۀ و قـدبايع النـاس أبـابكر فاحتبس عن أبى بكر فلم يبايعه أياما و قـدبايع النـاس وأتى بنى هـاشم فقـال أنتم الظهر والبطن والشعار دون الـدثار والعصا دون اللحا فإذارضـيتم رضـينا و إذاسـخطتم سخطنا حـدثونى إن كنتم قـدبايعتم هذا الرجل قالوا نعم قال على برد ورضا من جماعتكم قالوا نعم قال [صـفحه ۵۹] فأنا أرضى وأبـايع إذابـايعتم أما و الله يابنى هاشم إنكم الطوال الشـجر الطيبو الثمر ثم إنه بايع أبابكر وبلغت أبابكر فلم يحفل بها واضـطغنها عليه عمر فلما ولاه أبوبكر الجند ألذى اسـتنفر إلى الشام قال له عمر أتولى خالدا و قدحبس عليك بيعته و قال لبنى هاشم ما قال و قـدجاء بورق من اليمن وعبيـد وحبشان ودروع ورماح مأرى أن توليه و مآمن خلافه فانصـرف عنه أبوبكر وولى أباعبيـدۀ بن الجراح ويزيد بن أبى سـفيان وشرحبيل بن حسنۀ. واعلم أن الآثار والأخبار فى هذاالباب كثيرۀ جدا و من تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هنـاك نص صـريح ومقطـوع به لاـتختلجه الشـكوك و لاـتتطرق إليه الاحتمالاـت كمـاتزعم الإماميـۀ فـإنهم يقولون إن الرسول ص نص على أمير المؤمنين ع نصا صـريحا جليا ليس بنص يوم الغـدير و لاخبر المنزلۀ و لا ماشابههما من الأخبار الواردۀ

من طرق العامة وغيرها بل نص عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك فسلموا عليه بها وصرح لهم فى كثير من المقامات بأنه خليفة عليهم من بعده وأمرهم بالسمع والطاعة له و لاريب أن المنصف إذاسمع ماجرى لهم بعدوفاة رسول الله ص يعلم قطعا أنه لم يكن هذاالنص ولكن قدسبق إلى النفوس والعقول أنه قد كان هناك تعريض وتلويح وكناية وقول غيرصريح وحكم غيرمبتوت ولعله ص كان يصده عن التصريح بذلك أمر يعلمه ومصلحة يراعيها أووقوف مع إذن الله تعالى فى ذلك .فأما امتناع على ع من البيعة حتى أخرج على الوجه ألذى أخرج عليه فقد [صفحه ۶۰] ذكره المحدثون ورواه أهل السير و قدذكرنا ماقاله الجوهرى فى هذاالباب و هو من رجال الحديث و من الثقات المأمونين و قدذكر غيره من هذاالنحو ما لايحصى كثرة.فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التى تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة ع و أنه ضربها بالسوط فصار فى عضدها كالدملج وبقى أثره إلى أن ماتت و أن عمر أضغطها بين الباب والجدار فصاحت ياأبتاه يا رسول الله وألقت جنينا ميتا وجعل فى عنق على ع حبل يقاد به و هويعتل وفاطمة خلفه تصرخ وتنادى بالويل والثبور وابناه حسن وحسين معهما يبكيان و أن عليا لماأحضر سألوه البيعة فامتنع فتهدد بالقتل فقال إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله فقالوا أما عبد الله فنعم و أماأخو رسول الله فلا و أنه طعن فيهم فى أوجههم بالنفاق وسطر صحيفة الغدر التى اجتمعوا عليها وبأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ص ليلة العقبة فكله لاأصل له عندأصحابنا و لايثبته أحد منهم و لارواه أهل الحديث و لايعرفونه وإنما هو شيءتنفرد الشيعة بنقله وَ مِنهَا وَ لَم يُبَايِع حَتّى شَرَطَ أَن يُؤتِيَهُ عَلَى البَيعَةِ ثَمَناً فَلَا ظَفِرَت يَدُ البَائِعِ وَ خَزِيَت أَمَانَةُ المُبتَاعِ فَخُذُوا لِلحَربِ أُهبَتَهَا وَ أَعِدّوا لَهَا عُدّتَهَا فَقَد شَبّ لَظَاهَا وَ عَلَا سَنَاهَا وَ استَشعِرُوا الصّبرَ فَإِنّهُ أَدعَى إِلَى النّصرِ هذافصل من كلام يذكر فيه ع عمرو بن العاص و قوله فلاظفرت يد البائع يعنى معاوية و قوله وخزيت أمانة المبتاع يعنى عمرا وخزيت أى [صفحه ۶۱] خسرت وهانت و فى أكثر النسخ فلاظفرت يد المبايع بميم المفاعلة والظاهر ماورويناه . و فى بعض النسخ فإنه أحزم للنصر من حزمت الشيء إذاشددته كأنه يشد النصر ويوثقه والرواية التى ذكرناها أحسن . والأهبة العدة وشب لظاها استعارة وأصله صعود طرف النار الأعلى والسنا بالقصر الضوء واستشعروا الصبر اتخذوه شعارا والشعار مايلى الجسد فى الثياب و هوألزم الثياب للجسد يقول لازموا الصبر كمايلزم الإنسان ثوبه ألذى يلى جلده لابد له منه و قديستغنى عن غيره من الثياب

قدوم عمرو بن العاص على معاوية

لمانزل على ع الكوفة بعدفراغه من أمر البصرة كتب إلى معاوية كتابا يدعوه إلى البيعة أرسل فيه جرير بن عبد الله البجلى فقدم عليه به الشام فقرأه واغتم بما فيه وذهبت به أفكاره كل مذهب وطاول جريرا بالجواب عن الكتاب حتى كلم قوما من أهل الشام فى الطلب بدم عثمان فأجابوه ووثقوا له وأحب الزيادة فى الاستظهار فاستشار أخاه عتبة بن أبى سفيان فقال له استعن بعمرو بن العاص فإنه من قدعلمت فى دهائه ورأيه و قداعتزل عثمان فى حياته و هولأمرك أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دينه فسيبيعك فإنه صاحب دنيا.فكتب إليه معاوية أما بعدفإنه كان من أمر على وطلحة والزبير ما قدبلغك و قدسقط إلينا مروان بن الحكم فى نفر من أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله فى بيعة على و قدحبست نفسى عليك فأقبل أذاكرك أمورا لاتعدم صلاح مغبتها إن شاء الله [صفحه ۶۲] فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنيه عبد الله بن عمرو و محمد بن عمرو فقال لهما ماتريان فقال عبد الله أرى أن رسول الله ص قبض و هوعنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان و أنت عنه غائب فقر فى منزلك فلست مجعولا خليفة و لاتزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشكتما أن تهلكا فتستويا فى عقابها و قال محمدأرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها و أن تصرم هذاالأمر و أنت فيه غافل تصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديها طالبا

بدم عثمان فإنه سيقوم بذلك بنو أمية. فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتنى بما هوخير لى فى دينى و أنت يا محمدفأمرتنى بما هوخير لى فى دنياى و أناناظر فلما جنه الليل رفع صوته وأهله يسمعون فقال تطاول ليلى بالهموم الطوارق || وخوف التى تجلو وجوه العوائق و إن ابن هند سألنى أن أزوره || وتلك التى فيهابنات البوائق أتاه جرير من على بخطة || أمرت عليه العيش ذات مضايق فإن نال منى مايؤمل رده || و إن لم ينله ذل ذل المطابق فو الله ماأدرى و ماكنت هكذا || أكون ومهما قادنى فهو سابقى أخادعه إن الخداع دنية || أم أعطيه من نفسى نصيحة وامق [صفحه ۶۳] أم أقعد فى بيتى و فى ذاك راحة || لشيخ يخاف الموت فى كل شارق و قد قال عبد الله قولا تعلقت || به النفس إن لم تقتطعنى عوائقى وخالفه فيه أخوه محمد || وإنى لصلب العود عندالحقائق فقال عبد الله رحل الشيخ ودعا عمرو غلامه وردان و كان داهيا ماردا فقال ارحل ياوردان ثم قال احطط ياوردان ثم قال ارحل ياوردان احطط ياوردان فقال له وردان خلطت أبا عبد الله أماإنك إن شئت أنبأتك بما فى قلبك قال هات ويحك قال اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت على معه الآخرة فى غيردنيا و فى الآخرة عوض من الدنيا ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة و ليس فى الدنيا عوض من الآخرة و أنت واقف بينهما قال قاتلك الله ماأخطأت ما فى قلبى فما ترى ياوردان قال أرى أن تقيم فى بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت فى عفو دينهم و إن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك قال الآن لماأشهرت العرب سيرى إلى معاوية فارتحل و هو يقول ياقاتل الله وردانا وقدحته || أبدى لعمرك ما فى النفس وردان لماتعرضت الدنيا عرضت لها || بحرص نفسى و فى الأطباع إدهان نفس تعف وأخرى الحرص يغلبها || والمرء يأكل تبنا و هوغرثان أما على فدين ليس يشركه || دنيا وذاك له دنيا وسلطان [صفحه ۶۴] فاخترت من طمعى دنيا على بصر || و مامعى بالذى أختار برهان إنى لأعرف ما فيها وأبصره || و فى أيضا لماأهواه ألوان لكن نفسى تحب العيش فى شرف || و ليس يرضى بذل العيش إنسان .فسار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه وكايد كل واحد منهما صاحبه . فقال له معاوية يوم دخل عليه أبا عبد الله طرقتنا فى ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيهاورد و لاصدر قال و ماذاك قال منها أن محمد بن أبى حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه و هو من آفات هذاالدين ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها أن عليا نزل الكوفة وتهيأ للمسير إلينا. فقال عمرو ليس كل ماذكرت عظيما أما ابن أبى حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج فى أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله أويأتيك به و إن قاتل لم يضرك و أماقيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة وسله الموادعة فإنه إليها سريع و أما على فلا و الله يامعاوية مايسوى العرب بينك وبينه فى شىء من الأشياء و إن له فى الحرب لحظا ما هولأحد من قريش وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه هكذا فى رواية نصر بن مزاحم عن محمد بن عبيد الله . وروى نصر أيضا عن عمر بن سعد قال قال معاوية لعمرو يا أبا عبد الله إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل ألذى عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرق [صفحه ۶۵] الجماعة وقطع الرحم فقال عمرو من هو قال على قال و الله يامعاوية ما أنت و على بحملى بعير ليس لك هجرته و لاسابقته و لاصحبته و لاجهاده و لافقهه و لاعلمه و و الله إن له مع ذلك لحظا فى الحرب ليس لأحد غيره ولكنى قدتعودت من الله تعالى إحسانا وبلاء جميلا فما تجعل لى إن شايعتك على حربه و أنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال حكمك فقال مصر طعمة فتلكأ عليه معاوية. قال نصر و فى حديث غيرعمر بن سعد فقال له معاوية يا أبا عبد الله إنى أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت فى هذاالأمر لغرض الدنيا قال عمرو دعنى عنك فقال معاوية إنى لوشئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت قال عمرو لالعمر الله مامثلى يخدع لأنا أكيس من ذلك قال معاوية ادن منى أسارك فدنا منه عمرو ليساره فعض معاوية أذنه و قال هذه خدعة هل ترى فى البيت أحدا ليس غيرى وغيرك . قلت قال شيخنا أبوالقاسم البلخى رحمه الله تعالى قول عمرو له دعنى عنك كناية عن الإلحاد بل تصريح به أى دع هذاالكلام لاأصل له فإن اعتقاد الآخرة وأنها لاتباع بعرض الدنيا من الخرافات . و قال رحمه الله تعالى و مازال عمرو بن العاص ملحدا ماتردد قط فى الإلحاد والزندقة و كان معاوية

مثله ويكفى من تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروى و أن معاوية عض أذن عمرو أين هذا من سيرة عمر وأين هذا من أخلاق علي ع وشدته فى ذات الله وهما مع ذلک يعيبانه بالدعابة. [صفحه ۶۶] قال نصر فأنشأ عمرو يقول معاوى لاأعطيك دينى و لم أنل || به منك دنيا فانظرن كيف تصنع فإن تعطنى مصرا فأربح بصفقة || أخذت بهاشيخا يضر وينفع و ماالدين والدنيا سواء وإننى || لآخذ ماتعطى ورأسى مقنع ولكننى أغضى الجفون وإننى || لأخدع نفسى والمخادع يخدع وأعطيك أمرا فيه للملك قوة || وألفى به إن زلت النعل أصرع وتمنعنى مصرا وليست برغبة || وإنى بذا الممنوع قدما لمولع . قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ كانت مصر فى نفس عمرو بن العاص لأنه هو ألذى فتحها فى سنة تسع عشرة من الهجرة فى خلافة عمر فكان لعظمها فى نفسه وجلالتها فى صدره و ما قدعرفه من أموالها وسعة الدنيا لايستعظم أن يجعلها ثمنا من دينه و هذامعنى قوله وإنى بذا الممنوع قدما لمولع . قال نصر فقال له معاوية يا أبا عبد الله أ ماتعلم أن مصر مثل العراق قال بلى ولكنها إنما تكون لى إذاكانت لك وإنما تكون لک إذاغلبت عليا على العراق . قال و قد كان أهل مصر بعثوا بطاعتهم إلى علي ع . فلما حضر عتبة بن أبى سفيان قال لمعاوية أ ماترضى أن تشترى عمرا بمصر [صفحه ۶۷] إن هى صفت لک ليتک لاتغلب على الشام فقال معاوية ياعتبة بت عندنا الليلة فلما جن الليل على عتبة رفع صوته ليسمع معاوية و قال أيها المانع سيفا لم يهز || إنما ملت على خز وقز إنما أنت خروف ماثل || بين ضرعين وصوف لم يجز أعط عمرا إن عمرا تارك || دينه اليوم لدنيا لم تحز يا لک الخير فخذ من دره || شخبه الأول وابعد ماغرز واسحب الذيل وبادر فوقها || وانتهزها إن عمرا ينتهز أعطه مصرا وزده مثلها || إنما مصر لمن عزفبز واترک الحرص عليها ضلة || واشبب النار لمقرور يكز إن مصرا لعلى أولنا || يغلب اليوم عليها من عجز . قال فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر فقال عمرو لى الله عليک بذلک شاهد قال نعم لک الله على بذلک إن فتح الله علينا الكوفة فقال عمرو وَاللّهُ عَلى ما نَقُولُ وَكِيلٌ.فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه ماصنعت قال أعطانا مصر طعمة قالا و مامصر فى ملک العرب قال لاأشبع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر. قال وكتب معاوية له بمصر كتابه وكتب على ألا ينقض شرط طاعة فكتب عمرو على ألا تنقض طاعة شرطا فكايد كل واحد منهما صاحبه . قلت قدذكر هذااللفظ أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل -قرآن-۱۶۴-۱۹۳ [صفحه ۶۸] و لم يفسره وتفسيره أن معاوية قال للكاتب اكتب على ألا ينقض شرط طاعة يريد أخذ إقرار عمرو له أنه قدبايعه على الطاعة بيعة مطلقة غيرمشروطة بشىء و هذه مكايدة له لأنه لوكتب ذلک لكان لمعاوية أن يرجع فى إعطائه مصر و لم يكن لعمرو أن يرجع عن طاعته ويحتج عليه برجوعه عن إعطائه مصر لأن مقتضى المشارطة المذكورة أن طاعة معاوية واجبة عليه مطلقا سواء أكانت مصر مسلمة إليه أم لا. فلما انتبه عمرو إلى هذه المكيدة منع الكاتب من أن يكتب ذلک و قال بل اكتب على ألا تنقض طاعة شرطا يريد أخذ إقرار معاوية له بأنه إذا كان أطاعه لاتنقض طاعته إياه ماشارطه عليه من تسليم مصر إليه و هذاأيضا مكايدة من عمرو لمعاوية ومنع له من أن يغدر بما أعطاه من مصر قال نصر و كان لعمرو بن العاص عم من بنى سهم أريب فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى و قال أ لاتخبرنى ياعمرو بأى رأى تعيش فى قريش أعطيت دينک وتمنيت دنيا غيرک أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية و على حى و أتراها إن صارت لمعاوية لايأخذها بالحرف ألذى قدمه فى الكتاب فقال عمرو يا ابن أخى إن الأمر لله دون على ومعاوية فقال الفتى ألا ياهند أخت بنى زياد || رمى عمرو بداهية البلاد رمى عمرو بأعور عبشمى || بعيد القعر مخشى الكياد له خدع يحار العقل منها || مزخرفة صوائد للفؤاد فشرط فى الكتاب عليه حرفا || يناديه بخدعته المنادى [صفحه ۶۹] وأثبت مثله عمرو عليه || كلا المرأين حية بطن واد ألا ياعمرو مأحرزت مصرا || و لاملت الغداة إلى الرشاد أبعت الدين بالدنيا خسارا || فأنت بذاک من شر العباد فلو كنت الغداة أخذت مصرا || ولكن دونها خرط القتاد وفدت إلى معاوية بن حرب || فكنت بهاكوافد قوم عاد وأعطيت ألذى أعطيت منها || بطرس فيه نضح من مداد أ لم تعرف أباحسن عليا || و مانالت يداه من الأعادى عدلت

به معاويـة بن حرب || فيا بعـدالبياض من السواد و يا بعـدالأصابع من سـهيل || و يا بعدالصـلاح من الفساد أتأمن أن تدال على خـدب || يحث الخيـل بالأسـل الحـداد ينادى بالنزال و أنت منه || قريب فانظرن من ذا تعادى . فقال عمرو يا ابن أخى لوكنت عنـد على لوسعنى ولكنى الآن عندمعاويـة قال الفتى إنک لو لم ترد معاويـة لم يردک ولكنک تريد دنياه و هويريد دينک وبلغ معاويـة قول الفتى فطلبه فهرب فلحق بعلى ع فحـدثه أمره فسر به وقربه . قـال وغضب مروان و قـال مابـالى لا ـأشترى كمـااشترى عمرو فقال معاويـة إنما يشترى الرجال لک فلما بلغ عليا ع ماصـنع معاوية قال -روايت-١-٢-روايت-٤٠-٤١ ياعجبا لقد سمعت منكرا || كذبا على الله يشيب الشعرا يسترق السمع ويعشى البصرا || ما كان يرضى أحمد لوأخبرا [صفحه ٧٠] أن يقرنوا وصيه والأبترا || شانى الرسول واللعين الأخزرا كلاهما فى جنده قدعسكرا || قدباع هذادينه فأفجرا من ذا بدنيا بيعه قدخسرا || بملک مصـر أن أصاب الظفرا إنى إذاالموت دنا وحضـرا || شـمرت ثوبى ودعوت قنبرا قـدم لوائى لاتؤخر حـذرا || لايـدفع الحذار ما قدقـدرا لمارأيت الموت موتا أحمرا || عبأت همدان وعبوا حميرا حى يمان يعظمون الخطرا || قرن إذاناطح قرنا كسـرا قل لابن حرب لاتـدب الخمرا || أرود قليلا أبد منک الضـجرا لاتحسبنى يا ابن هند غمرا || وسل بنا بدرا معا وخيبرا يوم جعلناكم ببدر جزرا || لو أن عنـدى يا ابن هند جعفرا أوحمزة القرم الهمام الأزهرا || رأت قريش نجم ليل ظهرا . قال نصـر فلما كتب الكتاب قال معاويـة لعمرو ماترى الآن قال أمض الرأى الأول فبعث مالک بن هبيرة الكنـدى فى طلب محمد بن أبى حذيفة فأدركه فقتله وبعث إلى قيصـر بالهـدايا فوادعه ثم قـال مـاترى فى على قال أرى فيه [صـفحه ٧١] خيرا إنه قـدأتاک فى طلب البيعـة خير أهل العراق و من عنـدخير الناس فى أنفس الناس ودعواک أهل الشام إلى رد هـذه البيعـة خطر شديد ورأس أهل الشام شـرحبيل بن السـمط الكنـدى و هوعـدو لجرير المرسل إليک فابعث إليه ووطن له ثقاتک فليفشوا فى الناس أن عليا قتل عثمان وليكونوا أهل رضا عندشـرحبيل فإنها كلمة جامعة لک أهل الشام على ماتحب و إن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشىء أبدا.فكتب إلى شرحبيل أن جرير بن عبـد الله قـدم علينا من عنـد على بن أبى طالب بأمر مفظع فاقدم . ودعا معاوية يزيد بن أسد وبسـر بن أرطاة وعمرو بن سفيان ومخارق بن الحارث الزبيـدى وحمزة بن مالک وحابس بن سـعد الطائى وهؤلاء رءوس قحطان واليمن وكانوا ثقـات معاويـة وخاصـته وبنى عم شـرحبيل بن السـمط فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أن عليا قتل عثمان فلما قـدم كتاب معاويـة على شرحبيـل و هوبحمص استشار أهل اليمن فاختلفوا عليه فقام إليه عبـدالرحمن بن غنم الأزدى و هوصاحب معاذ بن جبل وختنه و كان أفقه أهل الشام فقال ياشـرحبيل بن السـمط إن الله لم يزل يزيـدک خيرا منـذ هاجرت إلى اليوم وإنه لاينقطع المزيـد من الله حتى ينقطع الشـكر من النـاس و إن الله لا ـيغير مـابقوم حتى يغيروا مابأنفسـهم إنه قـدألقى إلى معاويـة أن عليـا قتل عثمان ولهـذا يريـدک فـإن كـان قتله فقـد بـايعه المهـاجرون والأنصـار وهم الحكـام على النـاس و إن لم يكن قتله فعلام تصـدق معاويـة عليه لاتهلكن نفسک وقومک فإن كرهت أن يذهب بحظها جرير فسـر إلى على فبايعه عن شامک وقومک فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية فكتب إليه عياض الثمالى و كان ناسـكا [صفحه ٧٢] ياشـرح يا ابن السمط إنک بالغ || بود على ماتريد من الأمر و ياشـرح إن الشام شامک ما بها || سواک فـدع عنک المضـلل من فهر فإن ابن هند ناصب لک خدعة || تكون علينا مثل راغية البكر فـإن نـال مـايرجو بنـا كـان ملكنـا || هنيئـا له والحرب قاصـمة الظهر فلاتبغين حرب العراق فإنها || تحرم أطهار النساء من الذعر و إن عليا خير من وطئ الثرى || من الهاشميين المداريک للوتر له فى رقاب الناس عهد وذمة || كعهد أبى حفص وعهد أبى بكر فبايع و لاترجع على العقب كافرا || أعيـذک بالله العزيز من الكفر و لاتسـمعن قول الطغاة فإنهم || يريدون أن يلقوک فى لجة البحر و ماذا عليهم أن تطاعن دونهم || عليا بأطراف المثقفة السـمر فإن غلبوا كانوا علينا أئمة || وكنا بحمد الله من ولد الطهر و إن غلبوا لم يصـل بالخطب غيرنا || و كان على حربنا آخر الـدهر يهون على عليا لؤى بن غالب || دماء بنى قحطان فى ملكهم تجرى فدع عنک عثمان بن عفان إنما || لک الخبر لاتدرى بأنک لاتدرى على أى حال كان مصرع جنبه || فلاتسمعن

قول الأعيور أوعمرو . قال فلما قدم شرحبيل على معاوية أمر الناس أن يتلقوه ويعظموه فلما [صفحه ۷۳] دخل على معاوية تكلم معاوية فحمد الله و أثنى عليه ثم قال ياشرحبيل إن جرير بن عبد الله قدم علينا يدعونا إلى بيعة على و على خير الناس لو لا أنه قتل عثمان بن عفان و قدحبست نفسى عليك وإنما أنا رجل من أهل الشام أرضى مارضوا وأكره ماكرهوا. فقال شرحبيل أخرج فأنظر فلقيه هؤلاء النفر الموطئون له فكلهم أخبره أن عليا قتل عثمان فرجع مغضبا إلى معاوية فقال يامعاوية أبى الناس إلا أن عليا قتل عثمان و الله إن بايعت له لنخرجنك من شامنا أولنقتلنك فقال معاوية ماكنت لأخالف عليكم ما أنا إلا رجل من أهل الشام قال فرد هذا الرجل إلى صاحبه إذن فعرف معاوية أن شرحبيل قدنفذت بصيرته فى حرب أهل العراق و أن الشام كله مع شرحبيل وكتب إلى على ع ماسنورده فيما بعد إن شاء الله تعالى [صفحه ۷۴]

۲۷- و من خطبة له ع

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّ الجِهَادَ بَابٌ مِن أَبوَابِ الجَنّةِ فَتَحَهُ اللّهُ لِخَاصّةِ أَولِيَائِهِ وَ هُوَ لِبَاسُ التّقوَى وَ دِرعُ اللّهِ الحَصِينَةُ وَ جُنّتُهُ الوَثِيقَةُ فَمَن تَرَكَهُ رَغبَةً عَنهُ أَلبَسَهُ اللّهُ ثَوبَ الذّلّ وَ شَمِلَهُ البَلَاءُ وَ دُيّثَ بِالصّغَارِ وَ القَمَاءَةِ وَ ضُرِبَ عَلَى قَلبِهِ بِالإِسهَابِ وَ أُدِيلَ الحَقّ مِنهُ بِتَضيِيعِ الجِهَادِ وَ سِيمَ الخَسفَ وَ مُنِعَ النّصَفَ أَلَا وَ إنِيّ قَد دَعَوتُكُم إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ القَومِ لَيلًا وَ نَهَاراً وَ سِرّاً وَ إِعلَاناً وَ قُلتُ لَكُم اغزُوهُم قَبلَ أَن يَغزُوكُم فَوَاللّهِ مَا غزُيِ‌َ قَومٌ قَطّ فِي عُقرِ دَارِهِم إِلّا ذَلّوا فَتَوَاكَلتُم وَ تَخَاذَلتُم حَتّى شُنّت عَلَيكُمُ الغَارَاتُ وَ مُلِكَت عَلَيكُمُ الأَوطَانُ فَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَد وَرَدَت خَيلُهُ الأَنبَارَ وَ قَد قَتَلَ حَسّانَ بنَ حَسّانَ البكَريِ‌ّ وَ أَزَالَ خَيلَكُم عَن مَسَالِحِهَا وَ لَقَد بلَغَنَيِ أَنّ الرّجُلَ مِنهُم كَانَ يَدخُلُ عَلَى المَرأَةِ المُسلِمَةِ وَ الأُخرَى المُعَاهِدَةِ فَينَتَزِعُ حِجلَهَا وَ قُلُبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ رُعُثَهَا مَا تَمتَنِعُ مِنهُ إِلّا بِالِاستِرجَاعِ وَ الِاستِرحَامِ ثُمّ انصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنهُم كَلمٌ وَ لَا أُرِيقَ لَهُم دَمٌ فَلَو أَنّ امرَأً مُسلِماً مَاتَ مِن بَعدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَل كَانَ بِهِ عنِديِ جَدِيراً فَيَا عَجَباً عَجَباً وَ اللّهِ يُمِيتُ القَلبَ وَ يَجلِبُ الهَمّ مِنَ اجتِمَاعِ هَؤُلَاءِ القَومِ عَلَى بَاطِلِهِم وَ تَفَرّقِكُم عَن حَقّكُم فَقُبحاً لَكُم وَ تَرَحاً حِينَ صِرتُم غَرَضاً يُرمَى يُغَارُ [صفحه ۷۵] عَلَيكُم وَ لَا تُغِيرُونَ وَ تُغزَونَ وَ لَا تَغزُونَ وَ يُعصَى اللّهُ وَ تَرضَونَ فَإِذَا أَمَرتُكُم بِالسّيرِ إِلَيهِم فِي أَيّامِ الحَرّ قُلتُم هَذِهِ حَمَارّةُ القَيظِ أَمهِلنَا يُسَبّخ عَنّا الحَرّ وَ إِذَا أَمَرتُكُم بِالسّيرِ إِلَيهِم فِي الشّتَاءِ قُلتُم هَذِهِ صَبَارّةُ القُرّ أَمهِلنَا يَنسَلِخ عَنّا البَردُ كُلّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الحَرّ وَ القُرّ فَإِذَا كُنتُم مِنَ الحَرّ وَ القُرّ تَفِرّونَ فَأَنتُم وَ اللّهِ مِنَ السّيفِ أَفَرّ يَا أَشبَاهَ الرّجَالِ وَ لَا رِجَالَ حُلُومُ الأَطفَالِ وَ عُقُولُ رَبّاتِ الحِجَالِ لَوَدِدتُ أنَيّ لَم أَرَكُم وَ لَم أَعرِفكُم مَعرِفَةً وَ اللّهِ جَرّت نَدَماً وَ أَعقَبَت سَدَماً قَاتَلَكُمُ اللّهُ لَقَد مَلَأتُم قلَبيِ قَيحاً وَ شَحَنتُم صدَريِ غَيظاً وَ جَرّعتمُوُنيِ نُغَبَ التّهمَامِ أَنفَاساً وَ أَفسَدتُم عَلَيّ رأَييِ بِالعِصيَانِ وَ الخِذلَانِ حَتّى لَقَد قَالَت قُرَيشٌ إِنّ ابنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَ لَكِن لَا عِلمَ لَهُ بِالحَربِ لِلّهِ أَبُوهُم وَ هَل أَحَدٌ مِنهُم أَشَدّ لَهَا مِرَاساً وَ أَقدَمُ فِيهَا مُقَاماً منِيّ لَقَد نَهَضتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغتُ العِشرِينَ وَ هَا أَنَا ذَا قَد ذَرّفتُ عَلَى السّتّينَ وَ لَكِن لَا رأَي‌َ لِمَن لَا يُطَاعُ هذه الخطبة من مشاهير خطبه ع قدذكرها كثير من الناس ورواها أبوالعباس المبرد فى أول الكامل وأسقط من هذه الرواية ألفاظا وزاد فيهاألفاظا و قال فى أولها إنه انتهى إلى على ع أن خيلا وردت الأنبار لمعاوية فقتلوا عاملا له [صفحه ۷۶] يقال له حسان بن حسان فخرج مغضبا يجر رداءه حتى أتى النخيلة واتبعه الناس فرقى رباوة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ص ثم قال أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل وسيما الخسف -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۰۴ . و قال فى شرح ذلك قوله وسيما الخسف هكذا حدثونا به وأظنه سيم الخسف من قوله تعالى

يَسُومُونَكَم سُوءَ العَذابِ و قال فإن نصرنا ماسمعناه فسيما الخسف تأويله علامة الخسف قال الله تعالى سِيماهُم فِي وُجُوهِهِم و قال يُعرَفُ المُجرِمُونَ بِسِيماهُم وسيما مقصور و فى معناه سيمياء ممدود قال الشاعر -قرآن-۹۳-۱۲۰-قرآن-۲۰۰-۲۲۲-قرآن-۲۳۰-۲۶۰ غلام رماه الله بالحسن يافعا || له سيمياء لاتشق على البصر . ونحن نقول إن السماع ألذى حكاه أبوالعباس غيرمرضى والصحيح ماتضمنه نهج البلاغة و هوسيم الخسف فعل ما لم يسم فاعله والخسف منصوب لأنه مفعول وتأويله أولى الخسف وكلف إياه والخسف الذل والمشقة. وأيضا فإن فى نهج البلاغة لايمكن أن يكون إلا كمااخترناه لأنه بين أفعال متعددة بنيت للمفعول به وهى ديث وضرب وأديل ومنع [صفحه ۷۷] و لايمكن أن يكون ما بين هذه الأفعال معطوفا عليها إلامثلها و لايجوز أن يكون اسما. و أما قوله ع و هولباس التقوى فهو لفظة مأخوذة من الكتاب العزيز قال الله سبحانه قَد أَنزَلنا عَلَيكُم لِباساً يُوارِي سَوآتِكُم وَ رِيشاً وَ لِباسُ التّقوى. والجنة مايجتن به أى يستتر كالدرع والحجفة. وتركه رغبة عنه أى زهدا فيه رغبت عن كذا ضد رغبت فى كذا. وديث بالصغار أى ذلل بعير مديث أى مذلل و منه الديوث ألذى لاغيرة له كأنه قدذلل حتى صار كذلك . والصغار الذل والضيم . والقماء بالمد مصدر قمؤ الرجل قماء وقماءة أى صار قميئا و هوالصغير الذليل فأما قمأ بفتح الميم فمعناه سمن ومصدره القموء والقموءة. وروى الراوندى وديث بالصغار والقما بالقصر و هو غيرمعروف . و قوله ع وضرب على قلبه بالإسهاب فالإسهاب هاهنا هوذهاب العقل ويمكن أن يكون من الإسهاب ألذى هوكثرة الكلام كأنه عوقب بأن يكثر كلامه فيما لافائدة تحته . قوله وأديل الحق منه بتضييع الجهاد قديظن ظان أنه يريد ع وأديل الحق منه بأن أضيع جهاده كالباءات المتقدمة وهى قوله وديث بالصغار وضرب على قلبه بالإسهاب و ليس كماظن بل المراد وأديل الحق منه -قرآن-۱۷۳-۲۴۸ [صفحه ۷۸] لأجل تضييعه الجهاد فالباء هاهنا للسببية كقوله تعالى ذلِكَ جَزَيناهُم بِبَغيِهِم. والنصف الإنصاف وعقر دارهم بالضم أصل دارهم والعقر الأصل و منه العقار للنخل كأنه أصل المال وتواكلتم من وكلت الأمر إليك ووكلته إلى أى لم يتوله أحد منا ولكن أحال به كل واحد على الآخر و منه رجل وكل أى عاجز يكل أمره إلى غيره وكذلك وكله . وتخاذلتم من الخذلان . وشنت عليكم الغارات فرقت و ما كان من ذلك متفرقا نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعددفعة فهو بالشين المعجمة و ما كان أرسالا غيرمتفرق فهو بالسين المهملة ويجوز شن الغارة وأشنها. والمسالح جمع مسلحة وهى كالثغر والمرقب -قرآن-۵۶-۸۲ و فى الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۵۹ والمعاهدة ذات العهد وهى الذمية والحجل الخلخال و من هذاقيل للفرس محجل وسمى القيد حجلا لأنه يكون مكان الخلخال ورعثها شنوفها جمع رعاث بكسر الراء ورعاث جمع رعثة فالأول مثل خمار وخمر والثانى مثل جفنة وجفان والقلب جمع قلب و هوالسوار المصمت والاسترجاع قوله إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيهِ راجِعُونَ والاسترحام أن تناشده الرحم وانصرفوا وافرين أى تامين وفر الشىء نفسه أى تم فهو وافر ووفرت الشىء متعد أى أتممته . و فى رواية المبرد موفورين قال من الوفر أى لم ينل أحد منهم بأن يرزأ فى بدن أومال . -قرآن-۲۷۸-۳۱۶ [صفحه ۷۹] و فى رواية المبرد أيضا فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولىوَ اتّخَذتُمُوهُ وَراءَكُم ظِهرِيّا -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۰۰ قال أى رميتم به وراء ظهوركم أى لم تلتفتوا إليه يقال فى المثل لاتجعل حاجتى منك بظهر أى لاتطرحها غيرناظر إليها قال الفرزدق تميم بن مر لاتكونن حاجتى || بظهر و لايعيا عليك جوابها و فى رواية المبرد أيضا مات من دون هذاأسفا -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۴۷ و فى رواية المبرد أيضا من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۶۱ أى من تعاونهم وتظاهرهم و فى رواية المبرد أيضا وفشلكم عن حقكم -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۴۴ الفشل الجبن والنكول عن الشىء فقبحا لكم وترحا دعاء بأن ينحيهم الله عن الخير و أن يخزيهم ويسوءهم . والغرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره ويسبخ عنا الحر أى يخف و فى الحديث أن عائشة أكثرت من الدعاء على سارق سرق منها شيئا فقال لها النبى ص لاتسبخى عنه بدعائك -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۱۰۸ . وصبارة الشتاء بتشديد الراء شدة برده و لم يرو المبرد هذه اللفظة وروى إذا قلت

لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذاأوان قر وصر و إن قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم عنا الحر -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۴۱ الصر شدة البرد قال تعالى كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرّ. و لم يرو المبرد حلوم الأطفال وروى عوضها ياطغام الأحلام و قال الطغام من لامعرفة عنده و منه قولهم طغام أهل الشام . ورباب الحجال النساء والحجال جمع حجلة وهى بيت يزين بالستور والثياب والأسرة -قرآن-۲۷-۵۱ [صفحه ۸۰] والسدم الحزن والغيظ والقيح ما يكون فى القرحة من صديدها وشحنتم ملأتم . والنغب جمع نغبة وهى الجرعة والتهمام بفتح التاء الهم وكذلك كل تفعال كالترداد والتكرار والتجوال إلاالتبيان والتلقاء فإنهما بالكسر. وأنفاسا أى جرعة بعدجرعة يقال أكرع فى الإناء نفسين أوثلاثة. وذرفت على الستين أى زدت ورواها المبرد نيفت . وروى المبرد فى آخرها فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال يا أمير المؤمنين إنى وأخى هذا كما قال الله تعالى رَبّ إِنيّ لا أَملِكُ إِلّا نفَسيِ وَ أخَيِفمرنا بأمرك فو الله لننتهين إليه و لوحال بيننا وبينه جمر الغضا وشوك القتاد فدعا لهما بخير و قال وأين تقعان مما أريد ثم نزل -قرآن-۴۳۶-۴۸۱

استطراد بذكر كلام لابن نباتة فى الجهاد

واعلم أن التحريض على الجهاد والحض عليه قد قال فيه الناس فأكثروا وكلهم أخذوا من كلام أمير المؤمنين ع فمن جيد ذلك ماقاله ابن نباتة الخطيب أيها الناس إلى كم تسمعون الذكر فلاتعون و إلى كم تقرعون بالزجر فلاتقلعون كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ وكأن قلوبكم بهااستكبار عن الحفظ وعدوكم يعمل [صفحه ۸۱] فى دياركم عمله ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله وصرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه وندبكم الرحمن إلى حقه فخالفتموه و هذه البهائم تناضل عن ذمارها و هذه الطير تموت حمية دون أوكارها بلا كتاب أنزل عليها و لا رسول أرسل إليها وأنتم أهل العقول والأفهام و أهل الشرائع والأحكام تندون من عدوكم نديد الإبل وتدرعون له مدارع العجز والفشل وأنتم و الله أولى بالغزو إليهم وأحرى بالمغار عليهم لأنكم أمناء الله على كتابه والمصدقون بعقابه وثوابه خصكم الله بالنجدة والبأس وجعلكم خير أمة أخرجت للناس فأين حمية الإيمان وأين بصيرة الإيقان وأين الإشفاق من لهب النيران وأين الثقة بضمان الرحمن فقد قال الله عز و جل فى القرآن بَلى إِن تَصبِرُوا وَ تَتّقُوافاشترط عليكم التقوى والصبر وضمن لكم المعونة والنصر أفتتهمونه فى ضمانه أم تشكون فى عدله وإحسانه فسابقوا رحمكم الله إلى الجهاد بقلوب نقية ونفوس أبية وأعمال رضية ووجوه مضية وخذوا بعزائم التشميز واكشفوا عن رءوسكم عار التقصير وهبوا نفوسكم لمن هوأملك بهامنكم و لاتركنوا إلى الجزع فإنه لايدفع الموت عنكم لا تَكُونُوا كَالّذِينَ كَفَرُوا وَ قالُوا لِإِخوانِهِم إِذا ضَرَبُوا فِي الأَرضِ أَو كانُوا غُزّى لَو كانُوا عِندَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوافالجهاد الجهاد أيها الموقنون والظفر الظفر أيها الصابرون والجنة الجنة أيها الراغبون والنار النار أيها الراهبون فإن الجهاد أثبت قواعد الإيمان وأوسع أبواب الرضوان وأرفع درجات الجنان و إن من ناصح الله لبين منزلتين مرغوب فيهما مجمع على تفضيلهما إما السعادة بالظفر فى العاجل وإما الفوز بالشهادة فى الأجل وأكره المنزلتين إليكم أعظمهما نعمة -قرآن-۶۵۸-۶۸۷-قرآن-۱۰۱۱-۱۱۵۲ [صفحه ۸۲] عليكم فانصروا الله فإن نصره حرز من الهلكات حريزوَ لَيَنصُرَنّ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنّ اللّهَ لقَوَيِّ عَزِيزٌ. هذاآخر خطبة ابن نباتة فانظر إليها و إلى خطبته ع بعين الإنصاف تجدها بالنسبة إليها كمخنث بالنسبة إلى فحل أوكسيف من رصاص بالإضافة إلى سيف من حديد وانظر ماعليها من أثر التوليد وشين التكلف وفجاجة كثير من الألفاظ أ لاترى إلى فجاجة قوله كأن أسماعكم تمج ودائع الوعظ وكأن قلوبكم بهااستكبار عن الحفظ وكذلك ليس يخفى نزول قوله تندون من عدوكم نديد الإبل وتدرعون له مدارع العجز والفشل . و فيهاكثير من هذاالجنس إذاتأمله الخبير عرفه و مع هذافهى مسروقة من كلام أمير المؤمنين ع أ لاترى أن قوله ع أما بعد فإن الجهاد باب من

أبواب الجنـة قدسـرقه ابن نباتـة فقال فإن الجهاد أثبت قواعـد الإيمان وأوسع أبواب الرضوان وأرفع درجات الجنان و قوله ع من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم سـرقه أيضا فقال صرخ بهم الشيطان إلى باطله فأجابوه وندبكم الرحمن إلى حقه فخـالفتموه و قوله ع قـدعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم إلى آخره سـرقه أيضا فقال كم تسـمعون الـذكر فلاتعون وتقرعون بالزجر فلاتقلعون و قوله ع حتى شـنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان سـرقه أيضا و قال وعدوكم يعمل فى دياركم عمله ويبلغ بتخلفكم عن جهاده أمله و أماباقى خطبـة ابن نباتـة فمسـروق من خطب لأمير المؤمنين ع أخر سيأتى ذكرها. -قرآن-٥٣-١١٧ [صفحه ٨٣] واعلم أنى أضـرب لـك مثلاـ تتخـذه دسـتورا فى كلاـم أمير المؤمنين ع وكلاـم الكتـاب والخطبـاء بعـده كابن نباتة والصـابى وغيرهمـا انظر نسبـة شـعر أبى تمام والبحترى و أبى نواس ومسـلم إلى شـعر إمرئ القيس والنابغـة وزهير والأعشـى هل إذاتأملت أشـعار هؤلاء وأشعار هؤلاء تجد نفسك حاكمة بتساوى القبيلين أوبتفضيل أبى نواس وأصحابه عليهم ماأظن أن ذلك مما تقوله أنت و لاقاله غيرك و لايقوله إلا من لايعرف علم البيان وماهية الفصاحة وكنه البلاغة وفضـيلة المطبوع على المصـنوع ومزيـة المتقـدم على المتأخر فـإذاأقررت من نفسـك بالفرق والفضل وعرفت فضل الفاضل ونقص الناقص فاعلم أن نسبـة كلام أمير المؤمنين ع إلى هؤلاـء هـذه النسبـة بـل أظهر لأنـك تجد فى شـعر إمرئ القيس وأصـحابه من التعجرف والكلام الحوشـى واللفظ الغريب المستكره شيئا كثيرا و لاتجد من ذلك فى كلام أمير المؤمنين ع شيئا وأكثر فساد الكلام ونزوله إنما هوباستعمال ذلك . فإن شئت أن تزداد استبصارا فانظر القرآن العزيز واعلم أن الناس قداتفقوا على أنه فى أعلى طبقات الفصاحة وتأمله تأملا شافيا وانظر إلى ماخص به من مزيـة الفصاحـة والبعد عن التقعير والتقعيب والكلام الوحشـى الغريب وانظر كلام أمير المؤمنين ع فإنك تجـده مشـتقا من ألفاظه ومقتضـبا من معانيه ومـذاهبه ومحـذوا به حذوه ومسـلوكا به فى منهاجه فهو و إن لم يكن نظيرا و لانـدا يصـلح أن يقـال إنه ليس بعـده كلاـم أفصـح منه و لاـأجزل و لاـأعلى و لاـأفخم و لاأنبل إلا أن يكون كلام ابن عمه ع و هذاأمر لايعلمه إلا من ثبتت له قدم راسـخة فى علم هذه الصـناعة و ليس كل الناس يصـلح لانتقاد الجوهر بل و لاالانتقاد الذهب ولكل صـناعة أهل ولكل عمل رجال . و من خطب ابن نباتة التى يحرض فيها على الجهاد [صفحه ٨٤] ألا و إن الجهاد كنز وفر الله منه أقسامكم وحرز طهر الله به أجسامكم و عزأظهر الله به إسـلامكم فإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم فانفروا رحمكم الله جميعا وثبات وشـنوا على أعـدائكم الغارات وتمسـكوا بعصم الإقدام ومعاقل الثبات وأخلصوا فى جهاد عدوكم حقائق النيات فإنه و الله ماغزى قوم فى عقر دارهم إلاذلوا و لاقعدوا عن صون ديارهم إلااضـمحلوا واعلموا أنه لايصلح الجهاد بغير اجتهاد كما لايصـلح السفر بغير زاد فقدموا مجاهدة القلوب قبل مشاهدة الحروب ومغالبة الأهواء قبل محاربة الأعداء وبادروا بإصلاح السرائر فإنها من أنفس العـدد والـذخائر واعتاضوا من حياة لابـد من فنائها بالحياة التى لاريب فى بقائها وكونوا ممن أطاع الله وشـمر فى مرضـاته وسـابقوا بالجهاد إلى تملك جناته فإن للجنـة بابا حـدوده تطهير الأعمال وتشـييده إنفاق الأموال وساحته زحف الرجال وطريقه غمغمة الأبطال ومفتاحه الثبات فى معترك القتال ومدخله من مشـرعة الصوارم والنبال .فلينظر الناظر فى هذاالكلام فإنه و إن كان قدأخذ من صـناعة البديع بنصـيب إلا أنه فى حضـيض الأرض وكلام أمير المؤمنين ع فى أوج السـماء فإنه لاينكر لزومه فيه لمـا لاـيلزمه اقتـدارا وقوة وكتابـة نحو قوله كنز فـإنه بإزاء حرز و عز و قوله مشاهـدة بإزاء قوله مجاهـدة ومغالبـة بإزاء محاربة وحـدوده بـإزاء تشـييده لكـن مثله بالقيـاس إلى كلاـم أمير المـؤمنين ع كـدار مبنيـة من اللبن والطين مموهـة الجـدران بـالنقوش والتصـاوير مزخرفـة بالـذهب مـن فـوق الجص والإسـفيداج بالقيـاس إلى دار مبنيـة بالصـخر الأـصم الصـلد المسبوك بينه عمد الرصاص والنحاس المـذاب وهى مكشوفة غيرمموهة و لامزخرفة فإن بين هاتين الدارين بونا بعيدا وفرقا عظيما وانظر قوله ماغزى قوم فى عقر دارهم إلاـذلوا كيف تصـيح من بين الخطبـة صـياحا وتنـادى على نفسـها نـداء فصيحا وتعلم سامعهـا أنها ليست من المعدن [صـفحه ٨٥] ألـذى خرج بـاقى الكلام منه و لا من الخاطر ألـذى صـدر ذلك السـجع عنه ولعمر الله لقـد جملت الخطبة

وحسنتها وزانتها و مامثلها فيها إلاكآيـة من الكتاب العزيز يتمثل بها فى رسالـة أوخطبـة فإنها تكون كاللؤلؤة المضـيئة تزهر وتنير وتقوم بنفسـها وتكتسـى الرسالـة بهارونقـا وتكتسب بهاديباجـة. و إذاأردت تحقيق ذلـك فـانظر إلى السـجعة الثانيـة التى تكلفها ليوازنها بها وهى قوله و لاقعـدوا عن صون ديارهم إلااضـمحلوا فإنك إذانظرت إليها وجـدت عليها من التكلف والغثاثة مايقوى عنـدك صـدق ماقلته لك . على أن فى كلام ابن نباتـة فى هـذاالفصل ما ليس بجيـد و هو قوله وحرز طهر الله به أجسامكم فإنه لايقـال فى الحرز إنه يطهر الأجسـام و لو قـال عوض طهر حصن الله به أجسامكم لكان أليق لكنه أراد أن يقول طهر ليكون بإزاء وفر وبإزاء أظهر فأداه حب التقابل إلى ما ليس بجيد

غارة سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار

فأما أخو غامد ألذى وردت خيله الأنبار فهو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدى وغامد قبيلة من اليمن وهى من الأزد أزد شنوءة واسم غامـد عمر بن عبـد الله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبـد الله بن مالك بن نصـر بن الأزد وسـمى غامـدا لأنه كان بين قومه شـر فأصـلحه وتغمـدهم بـذلك .روى ابراهيم بن محمـد بن سعيد بن هلالـل الثقفى فى كتـاب الغارات عن أبى الكنود قال حـدثنى سـفيان بن عوف الغامـدى قال دعانى معاوية فقال إنى باعثك فى جيش كثيف ذى أداة وجلادة فالزم لى جانب الفرات حتى تمر بهيت [صـفحه ٨٦] فتقطعهـا فإن وجـدت بهاجنـدا فأغر عليهم و إلافامض حتى تغير على الأنبار فإن لم تجـد بهاجنـدا فامض حتى توغل فى المدائن ثم أقبل إلى واتق أن تقرب الكوفة واعلم أنك إن أغرت على أهل الأنبار و أهل المدائن فكأنك أغرت على الكوفة إن هذه الغارات ياسـفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم وتفرح كل من له فينا هوى منهم وتدعو إلينا كل من خاف الدوائر فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك وأخرب كل مامررت به من القرى واحرب الأموال فإن حرب الأموال شبيه بالقتل و هوأوجع للقلب . قال فخرجت من عنده فعسـكرت وقام معاوية فى الناس فخطبهم فقال أيها الناس انتدبوا مع سفيان بن عوف فـإنه وجه عظيم فيه أجر سـريعة فيه أوبتكم إن شـاء الله ثم نزل . قال فو ألـذى لاإله غيره مامرت ثالثة حتى خرجت فى ستة آلاف ثم لزمت شاطئ الفرات فأغذذت السير حتى أمر بهيت فبلغهم أنى قدغشيتهم فقطعوا الفرات فمررت بها و ما بهاعريب كأنهـا لم تحلـل قط فوطئتها حتى أمر بصـندوداء ففروا فلم ألق بهاأحـدا فأمضـى حتى افتتـح الأنبار و قدنـذروا بى فخرج صاحب المسلحة إلى فوقف لى فلم أقـدم عليه حتى أخـذت غلمانـا من أهل القريـة فقلت لهم أخبرونى كم بالأنبار من أصـحاب على ع قالوا عدة رجال المسلحة خمسمائة ولكنهم قدتبددوا ورجعوا إلى الكوفة و لاندرى ألذى يكون فيها قد يكون مائتى رجل فنزلت فكتبت أصـحابى كتـائب ثم أخـذت أبعثهم إليه كتيبـة بعدكتيبـة فيقـاتلهم و الله ويصبر لهم ويطاردهم ويطاردونه فى الأزقـة فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحوا من مائتين [صـفحه ٨٧] وأتبعتهم الخيل فلما حملت عليهم الخيل وأمامها الرجال تمشـى لم يكن شيء حتى تفرقوا وقتـل صاحبهم فى نحو من ثلاثين رجلا وحملنا ما كان فى الأنبار من الأموال ثم انصـرفت فو الله ماغزوت غزاة كـانت أسلم و لاـأقر للعيون و لاأسـر للنفوس منها وبلغنى و الله أنها أرعبت الناس فلما عـدت إلى معاويـة حـدثته الحـديث على وجهه فقال كنت عندظنى بك لاتنزل فى بلد من بلدانى إلاقضـيت فيه مثل مايقضـى فيه أميره و إن أحببت توليته وليتك و ليس لأحـد من خلق الله عليـك أمر دونى. قـال فو الله مالبثنا إلايسيرا حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هرابا من عسـكر على ع . قال ابراهيم كان اسم عامل على ع على مسـلحة الأنبار أشرس بن حسان البكرى. وروى ابراهيم عن عبد الله بن قيس عن حبيب بن عفيف قال كنت مع أشرس بن حسان البكرى بالأنبار على مسلحتها إذ صبحنا سفيان بن عوف فى كتائب تلمع الأبصار منهـا فهالونـا و الله وعلمنا إذ رأيناهم أنه ليس لنا طاقـة بهم و لايـد فخرج إليهم صاحبنا و قـدتفرقنا فلم يلقهم نصـفنا وايم الله لقد

قاتلناهم فأحسنا قتالهم حتى كرهونا ثم نزل صاحبنا و هويتلو قوله تعالى فَمِنهُم مَن قَضى نَحبَهُ وَ مِنهُم مَن يَنتَظِرُ وَ ما بَدّلُوا تَبدِيلًا ثم قال لنا من كان لايريد لقاء الله و لايطيب نفسا بالموت فليخرج عن القرية مادمنا نقاتلهم فإن قتالنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار ثم نزل فى ثلاثين رجلا فهممت بالنزول معه ثم أبت نفسى واستقدم هو وأصحابه فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله وانصرفنا نحن منهزمين . -قرآن-١٠٢٣-١٠٩٦ [صفحه ٨٨] قال ابراهيم وقدم علج من أهل الأنبار على على ع فأخبره الخبر فصعد المنبر فخطب الناس و قال إن أخاكم البكرى قدأصيب بالأنبار و هومعتز لايخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفا أنكلتموهم عن العراق أبدا مابقوا. ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أويتكلم منهم متكلم فلم ينبس أحد منهم بكلمة فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشى راجلا- حتى أتى النخيلة و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا ارجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ماتكفوننى و لاتكفون أنفسكم فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله فرجع و هوواجم كئيب ودعا سعيد بن قيس الهمدانى فبعثه من النخيلة فى ثمانية آلاف و ذلك أنه خبر أن القوم جاءوا فى جمع كثيف .فخرج سعيد بن قيس على شاطئ الفرات فى طلب سفيان بن عوف حتى إذابلغ عانات سرح أمامه هانئ بن الخطاب الهمدانى فاتبع آثارهم حتى دخل أدانى أرض قنسرين و قدفاتوه فانصرف . قال ولبث على ع ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس و كان تلك الأيام عليلا- فلم يقو على القيام فى الناس بما يريده من القول فجلس بباب السدة التى تصل إلى المسجد ومعه ابناه حسن وحسين ع و عبد الله بن جعفر ودعا سعدا مولاه فدفع إليه الكتاب وأمره أن يقرأه على الناس فقام سعد بحيث يستمع على ع صوته ويسمع مايرد الناس عليه ثم قرأ هذه الخطبة التى نحن فى شرحها. [صفحه ٨٩] وذكر أن القائم إليه العارض نفسه عليه جندب بن عفيف الأزدى هو و ابن أخ له يقال له عبدالرحمن بن عبد الله بن عفيف . قال ثم أمر الحارث الأعور الهمدانى فنادى فى الناس أين من يشترى نفسه لربه ويبيع دنياه بآخرته أصبحوا غدا بالرحبة إن شاء الله و لايحضر إلاصادق النية فى السير معنا والجهاد لعدونا فأصبح و ليس بالرحبة إلادون ثلاثمائة فلما عرضهم قال لوكانوا ألفا كان لى فيهم رأى. وأتاه قوم يعتذرون فقال وَ جاءَ المُعَذّرُونَ وتخلف المكذبون ومكث أياما باديا حزنه شديد الكآبة ثم جمع الناس فخطبهم فقال أما بعدأيها الناس فو الله لأهل مصركم فى الأمصار أكثر من الأنصار فى العرب و ماكانوا يوم أعطوا رسول الله ص أن يمنعوه و من معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلاقبيلتين قريبا مولدهما ماهما بأقدم العرب ميلادا و لابأكثرهم عددا فلما آووا النبى ص وأصحابه ونصروا الله ودينه رمتهم العرب عن قوس واحدة فتحالفت عليهم اليهود وغزتهم القبائل قبيلة بعدقبيلة فتجردوا لنصرة دين الله وقطعوا مابينهم و بين العرب من الحبائل و مابينهم و بين اليهود من الحلف ونصبوا لأهل نجد وتهامة و أهل مكة واليمامة و أهل الحزن والسهل وأقاموا قناة الدين وصبروا تحت حماس الجلاد حتى دانت العرب لرسول الله ص ورأى منهم قرة العين قبل أن يقبضه الله عز و جل إليه وأنتم اليوم فى الناس أكثر من أولئك ذلك الزمان فى العرب .فقام إليه رجل آدم طوال فقال ما أنت بمحمد و لانحن بأولئك الذين -قرآن-٤٢٨-٤٤٨ [صفحه ٩٠] ذكرت فقال ع أحسن سمعا تحسن إجابة ثكلتكم الثواكل ماتزيدوننى إلاغما هل أخبرتكم أنى محمد وأنكم الأنصار إنما ضربت لكم مثلا- وإنما أرجو أن تتأسوا بهم . ثم قام رجل آخر فقال ماأحوج أمير المؤمنين اليوم وأصحابه إلى أصحاب النهروان ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا وقام رجل منهم فقال بأعلى صوته استبان فقد الأشتر على أهل العراق أشهد لو كان حيا لقل اللغط ولعلم كل امرئ ما يقول . فقال على ع هبلتكم الهوابل أناأوجب عليكم حقا من الأشتر وهل للأشتر عليكم من الحق إلاحق المسلم على المسلم .فقام حجر بن عدى الكندى وسعيد بن قيس الهمدانى فقالا لايسوؤك الله يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك نتبعه فو الله مانعظم جزعا على أموالنا إن نفدت و لا على عشائرنا إن قتلت فى طاعتك فقال تجهزوا للمسير إلى عدونا. فلما دخل منزله ودخل عليه وجوه أصحابه قال لهم أشيروا على برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد فقال له

سعید بن قیس یا أمیر المؤمنین أشیر علیک بالناصح الأریب الشجاع الصلیب معقل بن قیس التمیمی قال نعم . ثم دعاه فوجهه فسار فلم یقدم حتی أصیب أمیر المؤمنین ع [صفحه ۹۱]

۲۸- و من خطبة له ع

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّ الدّنیَا قَد أَدبَرَت وَ آذَنَت بِوَدَاعٍ وَ إِنّ الآخِرَةَ قَد أَقبَلَت وَ أَشرَفَت بِاطّلَاعٍ أَلَا وَ إِنّ الیَومَ المِضمَارَ وَ غَداً السّبَاقَ وَ السّبَقَةُ الجَنّةُ وَ الغَایَةُ النّارُ أَ فَلَا تَائِبٌ مِن خَطِیئَتِهِ قَبلَ مَنِیّتِهِ أَ لَا عَامِلٌ لِنَفسِهِ قَبلَ یَومِ بُؤسِهِ أَلَا وَ إِنّکُم فِی أَیّامِ أَمَلٍ مِن وَرَائِهِ أَجَلٌ فَمَن عَمِلَ فِی أَیّامِ أَمَلِهِ قَبلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَد نَفَعَهُ عَمَلُهُ وَ لَم یَضرُرهُ أَجَلُهُ وَ مَن قَصّرَ فِی أَیّامِ أَمَلِهِ قَبلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَد خَسِرَ عَمَلُهُ وَ ضَرّهُ أَجَلُهُ أَلَا فَاعمَلُوا فِی الرّغبَةِ کَمَا تَعمَلُونَ فِی الرّهبَةِ أَلَا وَ إِنّی لَم أَرَ کَالجَنّةِ نَامَ طَالِبُهَا وَ لَا کَالنّارِ نَامَ هَارِبُهَا أَلَا وَ إِنّهُ مَن لَا یَنفَعُهُ الحَقّ یَضُرّهُ البَاطِلُ وَ مَن لَا یَستَقِیمُ بِهِ الهُدَی یَجُرّ بِهِ الضّلَالُ إِلَی الرّدَی أَلَا وَ إِنّکُم قَد أُمِرتُم بِالظّعنِ وَ دُلِلتُم عَلَی الزّادِ وَ إِنّ أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَیکُم اتّبَاعُ الهَوَی وَ طُولُ الأَمَلِ فَتَزَوّدُوا فِی الدّنیَا مِنَ الدّنیَا مَا تُحرِزُونَ بِهِ أَنفُسَکُم غَداً [صفحه ۹۲] قال الرضی رحمه الله وأقول إنه لو کان کلام یأخذ بالأعناق إلی الزهد فی الدنیا ویضطر إلی عمل الآخرة لکان هذاالکلام وکفی به قاطعا لعلائق الآمال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار و من أعجبه قوله ع ألا و إن الیوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغایة النار فإن فیه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنی وصادق التمثیل وواقع التشبیه سرا عجیبا ومعنی لطیفا و هو قوله ع والسبقة الجنة والغایة النار فخالف بین اللفظین لاختلاف المعنیین و لم یقل السبقة النار کما قال السبقة الجنة لأن الاستباق إنما یکون إلی أمر محبوب وغرض مطلوب و هذه صفة الجنة و لیس هذاالمعنی موجودا فی النار نعوذ بالله منها فلم یجز أن یقول والسبقة النار بل قال والغایة النار لأن الغایة قدینتهی إلیها من لایسره الانتهاء إلیها و من یسره ذلک فصلح أن یعبر بها عن الأمرین معا فهی فی هذاالموضع کالمصیر والمآل قال الله تعالی قُل تَمَتّعُوا فَإِنّ مَصِیرَکُم إِلَی النّارِ و لایجوز فی هذاالموضع أن یقال فإن سبقتکم إلی النار فتأمل ذلک فباطنه عجیب وغوره بعید لطیف وکذلک أکثر کلامه ع . و فی بعض النسخ و قدجاء فی روایة أخری والسبقة الجنة بضم السین والسبقة عندهم اسم لمایجعل للسابق إذاسبق من مال أوعرض والمعنیان متقاربان لأن ذلک لا یکون جزاء علی فعل الأمر المذموم وإنما یکون جزاء علی فعل الأمر المحمود -روایت-۱-۱۲۲۷ [صفحه ۹۳] آذنت أعلمت والمضمار منصوب لأنه اسم إن والیوم ظرف وموضعه رفع لأنه خبر إن وظرف الزمان یجوز أن یکون خبرا عن الحدث والمضمار و هوالزمان ألذی تضمر فیه الخیل للسباق والضمر الهزال وخفة اللحم وإعراب قوله وغدا السباق علی هذاالوجه أیضا. ویجوز الرفع فی الموضعین علی أن تجعلهما خبر إن بأنفسهما. و قوله ع أ لاعامل لنفسه قبل یوم بؤسه أخذه ابن نباتة مصالتة فقال فی بعض خطبه أ لاعامل لنفسه قبل حلول رمسه -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۵۸ . قوله ألا فاعملوا فی الرغبة یقول لاریب أن أحدکم إذامسه الضر من مرض شدید أوخوف مقلق من عدو قاهر فإنه یکون شدید الإخلاص والعبادة و هذه حال من یخاف الغرق فی سفینة تتلاعب بهاالأمواج فهو ع أمر بأن یکون المکلف عاملا أیام عدم الخوف مثل عمله وإخلاصه وانقطاعه إلی الله أیام هذه العوارض . قوله لم أر کالجنة نام طالبها یقول إن من أعجب العجائب من یؤمن بالجنة کیف یطلبها وینام و من أعجب العجائب من یوقن بالنار کیف لایهرب منها وینام أی لاینبغی أن ینام طالب هذه و لاالهارب من هذه . و قدفسر الرضی رحمه الله تعالی معنی قوله والسبقة الجنة

ونحن نورد فی هذاالفصل نکتا من مواعظ الصالحين يرحمهم الله تناسب هذاالمأخذ فمما يؤثر عن أبی حازم الأعرج کان فی أيام بنی أمية قوله لعمر بن عبدالعزيز [صفحه ۹۴] و قد قال له يا أباحازم إنی أخاف الله مما قددخلت فيه فقال لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك ألا تخاف . وقيل له کيف يکون الناس يوم القيامة قال أماالعاصی فآبق قدم به علی مولاه و أماالمطيع فغائب قدم علی أهله . و من کلامه إنما بينی و بين الملوك يوم واحد أماأمس فلايجدون لذته و لاأجد شدته و أماغدا فإنی وإياهم منه علی خطر وإنما هواليوم فما عسی أن يکون . و من کلامه إذاتتابعت عليك نعم ربك و أنت تعصيه فاحذره . و قال له سليمان بن عبدالملك عظنی فقال عظم ربك أن يراك حيث نهاك أويفقدك حيث أمرك . وقيل له ماما لك قال شيئان لاعدم بی معهما الرضا عن الله والغنی عن الناس . و من کلامه عجبا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها کل يوم مرحلة ويترکون أن يعملوا لدار يرحلون إليها کل يوم مرحلة. و من کلامه إن عوفينا من شر ماأعطانا لم يضرنا فقد مازوی عنا. و من کلامه نحن لانريد أن نموت حتی نتوب ونحن لانتوب حتی نموت . و لماثقل عبدالملك رأی غسالا يلوی بيده ثوبا فقال وددت أنی کنت غسالا مثل هذاأعيش بما أکتسب يوما فيوما فذکر ذلك لأبی حازم فقال الحمد لله ألذی جعلهم عندالموت يتمنون مانحن فيه و لانتمنی عندالموت ماهم فيه . و من کلام غيره من الصالحين دخل سالم بن عبد الله بن عمر علی هشام بن عبدالملك [صفحه ۹۵] فی الکعبة فکلمه هشام ثم قال له سل حاجتك قال معاذ الله أن أسأل فی بيت الله غير الله . وقيل لرابعة القيسية لوکلمت أهلك أن يشتروا لك خادما يکفيك مئونة بيتك قالت إنی لأستحی أن أسأل الدنيا من يملکها فکيف من لايملکها. و قال بکر بن عبد الله أطفئوا نار الغضب بذکر نار جهنم .عامر بن عبدالقيس الدنيا والدة للموت ناقضة للمبرم مرتجعة للعطية و کل من فيهايجری إلی ما لايدری و کل مستقر فيها غيرراض بها و ذلك شهيد علی أنها ليست بدار قرار.باع عتبة بن عبد الله بن مسعود أرضا له بثمانين ألفا فتصدق بهافقيل له لوجعلت هذاالمال أوبعضه ذخرا لولدك قال بل أجعل هذاالمال ذخرا لی وأجعل الله تعالی ذخرا لولدی.رأی إياس بن قتادة شيبة فی لحيته فقال أری الموت يطلبنی وأرانی لاأفوته فلزم بيته وترك الاکتساب فقال له أهله تموت هزالا قال لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلی من أن أعيش منافقا سمينا.بکر بن عبد الله المزنی ماالدنيا ليت شعری أما مامضی منها فحلم و أما مابقی فأمانی.مورق العجلی خير من العجب بالطاعة ألا تأتی بالطاعة. و من کلامه ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل علی ربه . و من کلامه أوحی الله إلی الدنيا من خدمنی فاخدميه و من خدمك فاستخدميه . [صفحه ۹۶] قيل لرابعة هل عملت عملا ترين أنه يقبل منك قالت إن کان فخوفی أن يرد علی .نظر حبيب إلی مالك بن دينار و هويقسم صدقته علانية فقال ياأخی إن الکنوز لتستر فما بال هذايجهر به . قال عمرو بن عبيد للمنصور إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها و إن هذا ألذی أصبح اليوم فی يدك لو کان مما يبقی علی الناس لبقی فی يد من کان قبلك و لم يصر إليك فاحذر ليلة تمخض بيوم لاتری بعده إلا يوم القيامة فبکی المنصور و قال يا أباعثمان سل حاجة قال حاجتی ألا تعطينی حتی أسألك و لاتدعنی حتی أجيئك قال إذن لانلتقی أبدا قال فذاك أريد. کان يقال الدنيا جاهلة و من جهلها أنها لاتعطی أحدا مايستحقه إما أن تزيده وإما أن تنقصه .قيل لخالد بن صفوان من أبلغ الناس قال الحسن لقوله فضح الموت الدنيا.قيل لبعض الزهاد کيف سخط نفسك علی الدنيا قال أيقنت أنی خارج منها کرها فأحببت أن أخرج منها طوعا.مر ابراهيم بن أدهم بباب أبی جعفرالمنصور فنظر السلاح والحرس فقال المريب خائف .قيل لزاهد ماأصبرك علی الوحدة قال کلا أناأجالس ربی إذاشئت أن يناجينی قرأت کتابه و إذاشئت أن أناجيه صليت . کان يقال خف الله لقدرته عليك واستح منه لقربه منك [صفحه ۹۷] قال الرشيد للفضيل بن عياض ماأزهدك قال أنت ياهارون أزهد منی لأنی زهدت فی دنيا فانية وزهدت فی

آخرة باقية. و قال الفضيل ياربی إنی لأستحيی أن أقول توكلت عليک لوتوكلت عليک ماخفت إلامنک و لارجوت إلاإياک .عوتب بعض الزهاد علی كثرة التصدق بماله فقال لوأراد رجل أن ينتقل من دار إلی دار ماأظنه كان يترک فی الدار الأولی شيئا. قال بعض الملوک لبعض الزهاد ما لک لاتغشی بابی و أنت عبدی قال لوعلمت أيها الملک لعلمت أنک عبدعبدی لأنی أملک الهوی والهوی يملکک .دخل متظلم علی سليمان بن عبدالملک فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الأذان قال و ما يوم الأذان قال اليوم ألذی قال تعالی فيه فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم أَن لَعنَةُ اللّهِ عَلَی الظّالِمِينَفبكی سليمان وأزال ظلامته .سئل الفضيل بن عياض عن الزهد فقال يجمعه حرفان فی كتاب الله لِكَيلا تَأسَوا عَلی ما فاتَكُم وَ لا تَفرَحُوا بِما آتاكُم.كتب يحيی بن خالد من الحبس إلی الرشيد مايمر يوم من نعيمک إلاـ ويمر يوم من بؤسی وكلاهما إلی نفاد.قيل لحاتم الأصم علام بنيت أمرک قال علی أربع خصال علمت أن رزقی لايأكله غيری فلم أهتم به وعلمت أن عملی لاـيعمله غيری فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتينی بغتة فأنا أبادره وعلمت أنی بعين الله فی كل حال فاستحييت منه . -قرآن-۶۲۴-۶۸۷-قرآن-۷۸۲-۸۴۰ [صفحه ۹۸] نظر بعض الصالحين إلی رجل يفحش فی قوله فقال يا هذاإنما تملی علی حافظيک كتابا إلی ربک فانظر ماتودعه . كان يقال مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين لبعل واحد إن أرضی هذه أسخط الأخری .قيل لبعضهم مامثل الدنيا قال هی أقل من أن يكون لها مثل .دخل لص علی بعض الزهاد الصالحين فلم ير فی داره شيئا فقال له يا هذاأين متاعک قال حولته إلی الدار الأخری .قيل للربيع بن خيثم ياربيع مانراک تذم أحدا فقال ما أنا عن نفسی براض فأتحول من ذمی إلی ذم الناس إن الناس خافوا الله علی ذنوب العباد وأمنوه علی ذنوبهم . قال عيسی بن موسی لأبی شيبة القاضی لم لاتأتينا قال إن قربتنی فتنتنی و إن أقصيتنی أحزنتنی و ليس عندی ماأخافک عليه و لاعندک ماأرجوک له . من كلام بعض الزهاد تأمل ذا الغنی ماأشد نصبه وأقل راحته وأخس من ماله حظه وأشد من الأيام حذره هو بين سلطان يتهضمه وعدو يبغی عليه وحقوق تلزمه وأكفاء يحسدونه وولد يود فراقه قدبعث عليه غناه من سلطانه العنت و من أكفائه الحسد و من أعدائه البغی و من ذوی الحقوق الذم و من الولد الملالة. و من كلام سفيان الثوری يا ابن آدم جوارحک سلاح الله عليک بأيها شاء قتلک .ميمون بن مهران فی قوله تعالی وَ لا تَحسَبَنّ اللّهَ غافِلًا عَمّا يَعمَلُ الظّالِمُونَ قال إنها لتعزية للمظلوم ووعيد للظالم . -قرآن-۱۱۰۲-۱۱۵۸ [صفحه ۹۹] دخل عبدالوارث بن سعيد علی مريض يعوده فقال له مانمت منذ أربعين ليلة فقال يا هذاأحصيت ليالی البلاء فهل أحصيت ليالی الرخاء.بعضهم وا عجباه لمن يفرح بالدنيا فإنما هی عقوبة ذنب . ابن السماک خف الله حتی كأنک لم تطعه قط وارجه حتی كأنک لم تعصه قط.بعضهم العلماء أطباء هذاالخلق والدنيا داء هذاالخلق فإذا كان الطبيب يطلب الداء فمتی يبرئ غيره .قيل لمحمد بن واسع فلان زاهد قال و ماقدر الدنيا حتی يحمد من يزهد فيهارئی عبد الله بن المبارک واقفا بين مقبرة ومزبلة فقيل له ماأوقفک قال أنا بين كنزين من كنوز الدنيا فيهما عبرة هذاكنز الأموال و هذاكنز الرجال .قيل لبعضهم أتعبت نفسک فقال راحتها أطلب .دخل الإسكندر مدينة فتحها فسأل عمن بقی من أولاد الملوک بهافقيل رجل يسكن المقابر فدعا به فقال مادعاک إلی لزوم هذه المقابر فقال أحببت أن أميز بين عظام الملوک وعظام عبيدهم فوجدتها سواء فقال هل لک أن تتبعنی فأحيا شرفک وشرف آبائک إن كانت لک همة قال همتی عظيمة قال و ماهمتک قال حياة لاموت معها وشباب لاهرم معه وغنی لافقر معه وسرور لامكروه معه فقال ليس هذاعندی قال فدعنی ألتمسه ممن هوعنده .مات ابن لعمر بن ذر فقال لقد شغلنی الحزن لک يابنی عن الحزن عليک . كان يقال من هوان الدنيا علی الله ألاـ يعصی إلا فيها و لاينال ماعنده إلابتركها. و من كلام عبد الله بن شداد أری دواعی الموت لاتقلع وأری من مضی لايرجع [صفحه ۱۰۰] فلاتزهدن فی معروف فإن الدهر ذو صروف كم من راغب قد كان مرغوبا إليه والزمان ذو ألوان من يصحب الزمان ير الهوان و إن غلبت يوما علی المال فلاتغلبن علی الحيلة علی كل حال وكن أحسن ماتكون فی الظاهر حالاـ أقل ماتكون فی الباطن مآلا. كان يقال إن مما يعجل الله تعالی عقوبته الأمانة تخان والإحسان يكفر والرحم تقطع

والبغى على الناس .الربيع بن خيثم لوكانت الذنوب تفوح روائحها لم يجلس أحد إلى أحد.قيل لبعضهم كيف أصبحت قال آسفا على أمسى كارها ليومى متهما لغدى. وقيل لآخر لم تركت الدنيا قال أنفت من قليلها وأنف منى كثيرها و هذا كما قال بعضهم و قدقيل له لم لاتقول الشعر قال يأبانى جيده وآبى رديئه .بعض الصالحين لوأنزل الله تعالى كتابا أنى معذب رجلا واحدا خفت أن أكونه أو أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه .مطرف بن الشخير خير الأمور أوساطها وشر السير الحقحقة و هذاالكلام قدروى مرفوعا.يحيى بن معاذ أن لله عليك نعمتين فى السراء التذكر و فى الضراء التصبر فكن فى السراء عبدا شكورا و فى الضراء حرا صبورا.دخل ابن السماك على الرشيد فقال له عظنى ثم دعا بماء ليشربه فقال له ناشدتك الله لومنعك الله من شربه ماكنت فاعلا قال كنت أفتديه بنصف ملكى قال فاشربه فلما شرب قال ناشدتك الله لومنعك الله من خروجه ماكنت فاعلا قال كنت أفتديه بنصف ملكى قال إن ملكا يفتدى به شربة ماء لخليق ألا ينافس عليه . قال المنصور لعمرو بن عبيد رحمه الله تعالى عظنى قال بما رأيت أم بما سمعت [صفحه ١٠١] قال بما رأيت قال رأيت عمر بن عبدالعزيز و قدمات فخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضع قبره بدينارين وأصاب كل واحد من ولده دون الدينار ثم رأيت هشام بن عبدالملك و قدمات وخلف عشرة ذكور فأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار ورأيت رجلا من ولد عمر بن عبدالعزيز قدحمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من ولد هشام يسأل الناس ليتصدقوا عليه .حسان بن أبى سنان ما شىءأهون من ورع إذارابك شىءفدعه .مورق العجلى لقد سألت الله حاجة أربعين سنة ماقضاها و لايئست منها قيل و ماهى قال ترك ما لايعنينى.قتادة إن الله ليعطى العبد على نية الآخرة مايسأله من الدنيا و لايعطيه على نية الدنيا إلاالدنيا. من كلام محمد بن واسع ليس فى النار عذاب أشد على أهلها من علمهم بأنه ليس لكربهم تنفيس و لالضيقتهم ترفيه و لالعذابهم غاية و ليس فى الجنة نعيم أبلغ من علم أهلها بأن ذلك الملك لايزول عنهم . قال بعض الملوك لبعض الزهاد أذمم لى الدنيا قال أيها الملك هى الآخذة لماتعطى المورثة بعد ذلك الندم السالبة ماتكسو المورثة بعد ذلك الفضوح تسد بالأراذل مكان الأفاضل وبالعجزة مكان الحزمة تجد فى كل من كل خلفا وترضى بكل من كل بدلا تسكن دار كل قرن قرنا وتطعم سؤر كل قوم قوما. و من كلام الحجاج و كان مع غشمه وإلحاده واعظا بليغا مفوها خطب فقال أللهم أرنى الغى غيا فأتجنبه وأرنى الهدى هدى فأتبعه و لاتكلنى إلى نفسى فأضل [صفحه ١٠٢] ضلالا بعيدا و الله ماأحب أن مامضى من الدنيا بعمامتى هذه و لمابقى منها أشبه بما مضى من الماء بالماء و قال مالك بن دينار غدوت إلى الجمعة فجلست قريبا من المنبر فصعد الحجاج فسمعته يقول امرؤ زور عمله امرؤ حاسب نفسه امرؤ فكر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه امرؤ كان عندقلبه زاجر و عندهمه آمر امرؤ أخذ بعنان قلبه كماأخذ الرجل بخطام جمله فإن قاده إلى طاعة الله تبعه و إن قاده إلى معصية الله كفه إننا و الله ماخلقنا للفناء وإنما خلقنا للبقاء وإنما ننتقل من دار إلى دار. وخطب يوما فقال إن الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مئونة الدنيا فليته كفانا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا فقال الحسن ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق . و من الكلام المنسوب إليه وأكثر الناس يروونه عن أمير المؤمنين ع أيها الناس اقدعوا هذه الأنفس فإنها أسأل شىء إذاأعطيت وأبخل لشىء إذاسئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها إلى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فإنى رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله -روايت-١-٢-روايت-٢٥-٢٦٦ . و من كلامه أن امرأ أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيهاربه ويستغفر من ذنبه ويفكر فى معاده لجدير أن يطول حزنه ويتضاعف أسفه إن الله كتب على الدنيا الفناء و على الآخرة البقاء فلابقاء لماكتب عليه الفناء و لافناء لماكتب عليه البقاء فلايغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل . [صفحه ١٠٣] ونقلت من أمالى أبى أحمدالعسكرى رحمه الله تعالى قال خطب الحجاج يوما فقال أيها الناس قدأصبحتم فى أجل منقوص وعمل محفوظ رب دائب مضيع وساع لغيره والموت فى أعقابكم والنار بين أيديكم والجنة أمامكم خذوا من

أنفسكم لأنفسكم و من غناكم لفقركم ومما فى أيديكم لما بين أيديكم فكان ما قدمضى من الدنيا لم يكن و كان الأموات لم يكونوا أحياء و كل ماترونه فإنه ذاهب هذه شمس عاد وثمود وقرون كثيرة بين ذلكك هذه الشمس التى طلعت على التبابعة والأكاسرة وخزائنهم السائرة بين أيديهم وقصورهم المشيدة ثم طلعت على قبورهم أين الملوك الأولون أين الجبابرة المتكبرون المحاسب الله والصراط منصوب وجهنم تزفر وتتوقد و أهل الجنة ينعمون هم فى روضة يحبرون جعلنا الله وإياكم من الذين إِذا ذُكّرُوا بِآياتِ رَبّهِم لَم يَخِرّوا عَلَيها صُماً وَ عُمياناً. قال فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول أ لاتعجبون من هذاالفاجر يرقى عتبات المنبر فيتكلم بكلام الأنبياء وينزل فيفتك فتك الجبارين يوافق الله فى قوله ويخالفه فى فعله -قرآن-٧٠٥-٧٧٢

استطراد بلاغى فى الكلام على المقابلة

و أما ماذكره الرضى رحمه الله تعالى من المقابلة بين السبقة والغاية فنكته جيدة من علم البيان ونحن نذكر فيهاأبحاثا نافعة فنقول إما أن يقابل الشىء ضده أو ما ليس بضده .فالأول كالسواد والبياض و هوقسمان أحدهما مقابله فى اللفظ والمعنى . [صفحه ١٠۴] والثانى مقابله فى المعنى لا فى اللفظ. أماالأول فكقوله تعالى فَليَضحَكُوا قَلِيلًا وَ ليَبكُوا كَثِيراًفالضحك ضد البكاء والقليل ضد الكثير وكذلك قوله تعالى لِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُم وَ لا تَفرَحُوا بِما آتاكُم -قرآن-۶٧-١٠٨-قرآن-١۶۵-٢٢٣ و من كلام النبى ص خير المال عين ساهرة لعين نائمة -روايت-١-٢-روايت-٢۴-۵٨ و من كلام أمير المؤمنين ع لعثمان أن الحق ثقيل مرىء و أن الباطل خفيف وبىء و أنت رجل إن صدقت سخطت و إن كذبت رضيت -روايت-١-٢-روايت-٣٩-١٣٠ وكذلك قوله ع لماقالت الخوارج لاحكم إلالله كلمة حق أريد بهاباطل -روايت-١-٢-روايت-١٠-٧۶ و قال الحجاج لسعيد بن جبير لماأراد قتله مااسمك فقال سعيد بن جبير فقال بل شقى بن كسير. و قال ابن الأثير فى كتابه المسمى بالمثل السائر إن هذاالنوع من المقابلة غيرمختص بلغة العرب فإنه لمامات قباذ أحد ملوك الفرس قال وزيره حركنا بسكونه . و فى أول كتاب الفصول لبقراط فى الطب العمر قصير والصناعة طويلة و هذاالكتاب على لغة اليونان . قلت أى حاجة به إلى هذاالتكلف وهل هذه الدعوى من الأمور التى يجوز أن يعترى الشك والشبهة فيهاليأتى بحكاية مواضع من غيركلام العرب يحتج بها أ ليس كل قبيلة و كل أمة لها لغة تختص بها أ ليس الألفاظ دلالات على ما فى الأنفس [صفحه ١٠۵] من المعانى فإذاخطر فى النفس كلام يتضمن أمرين ضدين فلابد لصاحب ذلك الخاطر سواء أ كان عربيا أم فارسيا أم زنجيا أم حبشيا أن ينطق بلفظ يدل على تلك المعانى المتضادة و هذاأمر يعم العقلاء كلهم على أن تلك اللفظة التى قالها ماقيلت فى موت قباذ وإنما قيلت فى موت الإسكندر لماتكلمت الحكماء وهم حول تابوته بما تكلموا به من الحكم . ومما جاء من هذاالقسم من المقابلة فى الكتاب العزيز قوله تعالى فى صفة الواقعةخافِضَةٌ رافِعَةٌلأنها تخفض العاصين وترفع المطيعين . و قوله تعالى فَضُرِبَ بَينَهُم بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرّحمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذابُ. و قوله أَذِلّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الكافِرِينَ. و من هذاالباب -قرآن-۴٢٨-۴۴۴-قرآن-۴٩٨-۵٩١-قرآن-۶٠١-۶۵۴ قول النبى ص للأنصار إنكم لتكثرون عندالفزع وتقلون عندالطمع -روايت-١-٢-روايت-٢۴-۶٧ . ومما جاء من ذلك فى الشعر قول الفرزدق يهجو قبيلة جرير يستيقظون إلى نهيق حميرهم || وتنام أعينهم عن الأوتار . و قال آخر فلاالجود يفنى المال والجد مقبل || و لاالبخل يبقى المال والجد مدبر . [صفحه ١٠۶] و قال أبوتمام ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا || إلابحيث ترى المنايا سودا . وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا شرف على أولى الزمان وإنما || خلق المناسب ما يكون جديدا . و أماالقسم الثانى من القسم الأول و هومقابلة الشىء بضده بالمعنى لاباللفظ فكقول المقنع الكندى لهم جل مالى إن تتابع لى غنى || و إن قل مالى لاأكلفهم رفدا .فقوله إن تتابع لى غنى فى قوة قوله إن كثر مالى والكثرة ضد القلة فهو إذن

مقابل بـالمعنى لابااللفظ بعينه . و من هـذاالباب قول البحترى تقيض لى من حيث لاأعلم النوى || ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم .فقوله لاأعلم ليس ضدا لقوله أعلم لكنه نقيض له و فى قوة قوله أجهل والجهل ضد العلم . و من لطيف ماوقعت المقابلة به من هـذاالنوع قول أبى تمام مها الوحش إلا أن هاتا أوانس || قنا الخط إلا أن تلك ذوابل . [صـفحه ١٠٧] فقابل بين هاتا و بين تلك وهى مقابلة معنوية لالفظية لأن هاتا للحاضرة وتلك للغائبة والحضور ضد الغيبة. و أمامقابلة الشـىء لما ليس بضده فإما أن يكون مثلا أومخالفا. والأول على ضربين مقابلة المفرد بالمفرد ومقابلة الجملة بالجملة.مثال مقابلة المفرد بالمفرد قوله تعالى نَسُوا اللّهَ فَأَنساهُم أَنفُسَـهُم و قوله وَ مَكَرُوا مَكراً وَ مَكَرنا مَكراًهكذا قال نصر الله بن الأثير. قال و هذامراعى فى القرآن الكريم إذا كان جوابا كماتقدم من الآيتين وكقوله وَ جَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثلُها و قوله مَن كَفَرَ فَعَلَيهِ كُفرُهُ. قال و قد كان يجوز أن يقول من كفر فعليه ذنبه لكن الأحسن هوإعادة اللفظ فأما إذا كان غيرجواب لم تلزم فيه هـذه المراعاة اللفظيـة بل قدتقابل اللفظة بلفظة تفيد معناها و إن لم تكن هى بعينهـا نحـو قـوله تعـالى وَ وُفّيَت كُـلّ نَفسٍ مـا عَمِلَت وَ هُـوَ أَعلَمُ بِمـا يَفعَلُـونَ فقـال يفعلون و لم يقـل يعملون . وكـذلك قوله تعـالى فَفَزِعَ مِنهُم قالُوا لا تَخَف و لم يقل قالوا لاتفزع . وكـذلك قوله تعالى إِنّما كُنّا نَخُوضُ وَ نَلعَبُ قُل أَ بِاللّهِ وَ آياتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنتُم تَستَهزِؤُنَ و لم يقل كنتم تخوضون وتلعبون . -قرآن-٢٧٢-٣٠٦-قرآن-٣١٥-٣٥٠-قرآن-٤٥٩-٤٩٣-قرآن-٥٠٢-٥٢٩-قرآن-٧٤٥-٨٠٨-قرآن-٨٦١-٨٩١-قرآن-٩٣٧-١٠٢٧ [صفحه ١٠٨] قال ونحو ذلك من الأبيات الشـعرية قول أبى تمـام بسط الرجاء لنا برغم نوائب || كثرت بهن مصارع الآمال . فقال الآمال عوض الرجاء قال أبوالطيب إنى لأعلم واللبيب خبير || أن الحياة و إن حرصت غرور فقـال خبير و لم يقل عليم . قال وإنما حسن ذلك لأنه ليس بجواب وإنما هوكلام مبتـدأ. قلت الصـحيح أن هذه الآيات وهى قوله تعالى نَسُوا اللّهَ فَأَنساهُم أَنفُسَهُم و ماشابهها ليست من باب المقابلة التى نحن فى ذكرها وأنها نوع آخر و لوسـميت المماثلـة أوالمكافأة لكان أولى والـدليل على ذلك أن هـذا الرجل حـد المقابلـة فى أول الباب ألـذى ذكر هذاالبحث فيه فقال إنها ضد التجنيس لأن التجنيس أن يكون اللفظ واحدا مختلف المعنى و هذه لابد أن تتضـمن معنيين ضدين و إن كان التضاد مأخوذا فى حـدها فقـد خرجت هـذه الآيات من باب المقابلة وكانت نوعا آخر. وأيضا فإن قوله تعالى وَ مَكَرُوا مَكراً وَ مَكَرنا مَكراً ليس من سـلك الآيات الأخرى لأنه بالواو والآيات الأخرى بالفاء والفاء جواب والواو ليست بجواب . وأيضـا فإنا إذاتأملنا القرآن العزيز لم نجد ماذكره هذا الرجل مطردا قال تعالى أَمّا مَنِ استَغنى فَأَنتَ لَهُ تَصَدّى وَ ما عَلَيكَ أَلّا يَزّكّى وَ أَمّا مَن جاءَكَ يَسـعى وَ هُوَ يَخشـى فَأَنتَ عَنهُ تَلَهّيفلم يقل فى الثانية و أما من جاءك يسـعى و هوفقير. و قال تعالى فَأَمّا مَن أَعطى وَ اتّقى وَ صَـدّقَ بِالحُسـنى فَسَنُيَسّـِرُهُ لِليُسـرى وَ أَمّـا مَـن -قرآن-١٣٢-١٦٦-قرآن-٥٨٢-٦١٧-قرآن-٧٩٧-٩٢٥-قرآن-٩٩١-١٠٧٣ فقال خبير و لم يقل عليم . قال وإنما حسن ذلك لأنه ليس بجواب وإنما هوكلام مبتدأ. قلت الصـحيح أن هذه الآيات وهى قوله تعالى نَسُوا اللّهَ فَأَنسـاهُم أَنفُسَـهُم و ماشابههـا ليست من بـاب المقابلـة التى نحن فى ذكرهـا وأنهـا نوع آخر و لوسـميت المماثلة أوالمكافأة لكان أولى والـدليل على ذلك أن هـذا الرجل حـد المقابلـة فى أول الباب ألـذى ذكر هـذاالبحث فيه فقال إنها ضـد التجنيس لأن التجنيس أن يكون اللفظ واحدا مختلف المعنى و هذه لابد أن تتضـمن معنيين ضدين و إن كان التضاد مأخوذا فى حـدها فقـد خرجت هـذه الآيات من باب المقابلة وكانت نوعا آخر. وأيضا فإن قوله تعالى وَ مَكَرُوا مَكراً وَ مَكَرنا مَكراً ليس من سلك الآيات الأخرى لأنه بالواو والآيات الأخرى بالفاء والفاء جواب والواو ليست بجواب . وأيضا فإنا إذاتأملنا القرآن العزيز لم نجـد مـاذكره هـذا الرجـل مطردا قـال تعالى أَمّا مَنِ اسـتَغنى فَأَنتَ لَهُ تَصَـدّى وَ ما عَلَيكَ أَلّا يَزّكّى وَ أَمّا مَن جاءَكَ يَسـعى وَ هُوَ يَخشـى فَأَنتَ عَنهُ تَلَهّيفلم يقل فى الثانيـة و أما من جاءك يسـعى و هوفقير. و قال تعالى فَأَمّا مَن أَعطى وَ اتّقى وَ صَدّقَ بِالحُسـنى فَسَنُيَسّـِرُهُ لِليُسرى وَ أَمّا مَن بَخِلَ وَ استَغنى وَ كَذّبَ بِالحُسنى فَسَنُيَسّرُهُ لِلعُسريفقابل بين أعطى وبخل و لم يقابل بين اتقى واستغنى ومثل هذا فى القرآن العزيز كثير وأكثر من الكثير. و قدبان الآن أن التقسـيم الأول فاسد و أنه لامقابلة إلا بين الأضداد و مايجرى

مجراهـا. و أمامقابلـة الجملـة بالجملـة فى تقابـل المتماثلين فإنه إذاكانت إحـداهما فى معنى الأخرى وقعت المقابلـة والأغلب أن تقابل الجملة الماضـية بالماضـية والمستقبلة بالمستقبلة. و قدتقابل الجملة الماضية بالمستقبلة فمن ذلك قوله تعالى قُل إِن ضَلَلتُ فَإِنّما أَضِلّ عَلى نفَسـيِ وَ إِنِ اهتَـدَيتُ فَبِما يوُحيِ إِلَيّ ربَيّ فإن هـذاتقابل من جهـة المعنى لأنه لو كان من جهـة اللفظ لقال و إن اهتـديت فإنمـا أهتـدى لهـا. ووجه التقابـل المعنوى هو أن كـل ما على النفس فهو بهاأعنى كل ما هوعليها وبال وضـرر فهو منها وبسـببها لأنهـا الأمـارة بالسوء و كل مالها مما ينفعها فهو بهدايـة ربها وتوفيقه لها. و من ذلك قوله تعالى أَ لَم يَرَوا أَنّا جَعَلنَا اللّيلَ لِيَسـكُنُوا فِيهِ وَ النّهارَ مُبصِـراًفإنه لم يراع التقابل اللفظى و لوراعاه لقال والنهار ليبصـروا فيه وإنما المراعاة لجانب المعنى لأن معنى مبصـرا ليبصـروا فيه طرق التقلب فى الحاجـات . و أمامقابلـة المخالف فهو على وجهين .أحـدهما أن يكون بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقابل كقول القائل -قرآن-١-٦٢-قرآن-٤٨٥-٥٧٦-قرآن-٨٧٤-٩٤٨ يجزون مـن ظلم أهـل الظلم مغفرة || و من إساءة أهل السوء إحسانا . [صفحه ١١٠] فقابل الظلم بالمغفرة وهى مخالفة له ليست مثله و لاضده وإنما الظلم ضد العدل إلا أنه لماكـانت المغفرة قريبـة من العـدل حسـنت المقابلـة بينها و بين الظلم ونحو هـذا قوله تعالى أَشِـدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَينَهُم فإن الرحمـة ليست ضـدا للشدة وإنما ضد الشدة اللين إلا أنه لماكانت الرحمة سـببا للين حسـنت المقابلة بينها و بين الشدة. وكذلك قوله تعالى إِن تُصِـبكَ حَسَـنَةٌ تَسُؤهُم وَ إِن تُصِـبكَ مُصِـيبَةٌ يَقُولُوا فإن المصـيبة أخص من السيئة فالتقابل هاهنا من جهـة العموم والخصوص .الوجه الثانى ما كان بين المقابل والمقابل بعد و ذلك مما لايحسن استعماله كقول امرأة من العرب لابنها و قدتزوج بـامرأة غيرمحمودة -قرآن-١٨٠-٢٢٢-قرآن-٣٦٢-٤٢٥ تربص بهاالأيـام عـل صـروفها || سترمى بهـا فى جاحم متسعر فكم من كريم قـدمناه إلهه || بمذمومـة الأخلاق واسـعة الحر .فمذمومـة ليست فى مقابلـة واسـعة و لوكانت قالت بضـيقة الأخلاق كانت المقابلة صـحيحة والشـعر مسـتقيما وكذلك قول المتنبى لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها || سرور محب أومساءة مجرم .فالمقابلة الصـحيحة بين المحب والمبغض لا بين المحب والمجرم . قلت إن لقائل أن يقول هلا قلت فى هـذا ما قلت فى السـيئة والمصـيبة ألست القائل إن التقابل حسن بين المصـيبة والسـيئة لكنه تقابل العموم والخصوص و هـذاالموضع مثله أيضا لأن كل مبغض لك مجرم إليـك لأن مجرد البغضـة جرم ففيهمـا عمـوم وخصـوص .بـل لقائـل أن يقـول كـل مجرم مبغض و كـل مبغض مجرم و هذاصحيح مطرد [صفحه ١١١]

٢٩- و من خطبة له ع

اشاره

أَيّهَا النّاسُ المُجتَمِعَـةُ أَبدَانُهُم المُختَلِفَةُ أَهوَاؤُهُم كَلَامُكُم يوُهيِ الصّمّ الصّـِلَابَ وَ فِعلُكُم يُطمِعُ فِيكُمُ الأَعدَاءَ تَقُولُونَ فِي المَجَالِسِ كَيتَ وَ كَيتَ فَـإِذَا جَـاءَ القِتَـالُ قُلتُم حِيـدِي حَيَادِ مَا عَزّت دَعوَةُ مَن دَعَاكُم وَ لَا استَرَاحَ قَلبُ مَن قَاسَاكُم أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ دِفَاعَ ذيِ الـدّينِ المَطُولِ لَا يَمنَعُ الضّـيمَ الذّلِيلُ وَ لَا يُدرَكُ الحَقّ إِلّا بِالجِدّ أَيّ دَارٍ بَعدَ دَارِكُم تَمنَعُونَ وَ مَعَ أَيّ إِمَامٍ بَعديِ تُقَاتِلُونَ المَغرُورُ وَ اللّهِ مَن غَرَرتُمُوهُ وَ مَن فَازَ بِكُم فَقَـد فَازَ وَ اللّهِ بِالسّـهمِ الأَخيَبِ وَ مَن رَمَى بِكُم فَقَد رَمَى بِأَفوَقَ نَاصِلٍ أَصـبَحتُ وَ اللّهِ لَا أُصَدّقُ قَولَكُم وَ لَا أَطمَعُ فِي نَصـرِكُم وَ لَا أُوعِـدُ العَدُوّ بِكُم مَا بَالُكُم مَا دَوَاؤُكُم مَا طِبّكُم القَومُ رِجَالٌ أَمثَالُكُم أَ قَولًا بِغَيرِ عِلمٍ وَ غَفلَةً مِن غَيرِ وَرَعٍ وَ طَمَعاً فِي غَيرِ حَقّ حيـدى حيـاد كلمـة يقولهـا الهـارب الفـار وهى نظيرة قولهم فيحى فياح [صـفحه ١١٢] أى اتسعى وصـمى صـمام للداهية وأصلها من حاد عن الشيء أى انحرف وحياد مبنية على الكسر وكذلك ما كان من بابها نحو قولهم بدار

أی ليأخـذ كل واحـد قرنه وقولهم خراج فی لعبـة للصبيان أی اخرجوا. والباء فی قوله بأضاليل متعلقـة بأعاليل نفسـها أی يتعللون بالأضاليـل التی لاجـدوی لهـا. والسـهم الأفوق المكسور الفوق و هومـدخل الوتر والناصل ألـذی لانصل فيه يخاطبهم فيقول لهم أبـدانكم مجتمعـة وأهواؤكم مختلفـة متكلمون بما هو فی الشـدة والقوة يوهی الجبال الصم الصـلبة و عندالحرب يظهر أن ذلك الكلام لم يكن له ثمرة.تقولون فی المجالس كيت وكيت أی سـنفعل وسـنفعل وكيت وكيت كناية عن الحديث كماكنی بفلان عن العلم و لاتسـتعمل إلامكررة وهما مخففان من كيـة و قداسـتعملت علی الأصل وهی مبنيـة علی الفتـح و قـدروی أئمة العربية فيهـاالضم والكسـر أيضـا. فإذاجـاء القتـال فررتم وقلتم الفرار الفرار. ثم أخـذ فی الشـكوی فقـال من دعـاكم لم تعز دعوته و من قاساكم لم يسترح قلبه دأبكم التعلل بالأمور الباطلـة والأمانی الكاذبة وسألتمونی الإرجاء وتأخر الحرب كمن يمطل بدين لازم له والضـيم لايدفعه الذليل و لايدرك الحق إلابالجد فيه والاجتهاد وعدم الانكماش . وباقی الفصل ظاهر المعنی . [صـفحه ١١٣] و قوله القوم رجـال أمثـالكم مثـل قول الشـاعر قاتلوا القوم ياخزاع و لا || يـدخلكم من قتالهم فشل القوم أمثالكم لهم شـعر || فی الرأس لاينشرون إن قتلوا . و هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ع فی غارة الضحاك بن قيس ونحن نقصها هنا

غارة الضحاك بن قيس ونتف من أخباره

روی ابراهيم بن محمـد بن سـعيد بن هلال الثقفی فی كتاب الغارات قال كانت غارة الضـحاك بن قيس بعدالحكمين وقبل قتال النهروان و ذلك أن معاوية لمابلغه أن عليا ع بعدواقعة الحكمين تحمل إليه مقبلا هاله ذلك فخرج من دمشق معسكرا وبعث إلی كور الشـام فصاح بها أن عليا قـدسار إليكم وكتب إليهم نسـخة واحـدة فقرئت علی الناس . أما بعـدفإنا كنا كتبنا كتابا بيننا و بين علی وشـرطنا فيه شـروطا وحكمنـا رجلين يحكمـان علينـا و عليه بحكم الكتاب لايعـدوانه وجعلنا عهـد الله وميثاقه علی من نكث العهـد و لم يمض الحكم و إن حكمی ألذی كنت حكمته أثبتنی و إن حكمه خلعه و قدأقبل إليكم ظالمافَمَن نَكَثَ فَإِنّما يَنكُثُ عَلی نَفسِ‌هِتجهزوا للحرب بأحسن الجهاز وأعـدوا آلـة القتال وأقبلوا خفافا وثقالا يسـرنا الله وإياكم لصالح الأعمال -قرآن-٥٩٢-٦٣٣ [صـفحه ١١٤] فـاجتمع إليه الناس من كل كورة وأرادوا المسـير إلی صـفين فاسـتشارهم و قال إن عليا قـدخرج من الكوفة وعهـد العاهـد به أنه فارق النخيلـة. فقال حبيب بن مسـلمة فإنی أری أن نخرج حتی ننزل منزلنا ألذی كنا فيه فإنه منزل مبارك و قدمتعنا الله به وأعطانا من عدونا فيه النصف . و قال عمرو بن العاص إنی أری لك أن تسير بالجنود حتی توغلها فی سلطانهم من أرض الجزيرة فإن ذلك أقوی لجنـدك وأذل لأهل حربك فقال معاوية و الله إنی لأعرف أن ألذی تقول كماتقول ولكن الناس لايـطيقون ذلـك قـال عمرو إنها أرض رفيقـة فقال معاويـة إن جهـد الناس أن يبلغوا منزلهم ألـذی كانوا به يعنی صـفين .فمكثوا يجيلون الرأی يومين أوثلاثـة حتی قـدمت عليهم عيونهم أن عليا اختلف عليه أصـحابه ففارقته منهم فرقـة أنكرت أمر الحكومة و أنه قدرجع عنكم إليهم .فكبر الناس سـرورا لانصـرافه عنهم و ماألقی الله عز و جل من الخلاف بينهم فلم يزل معاوية معسكرا فی مكـانه منتظرا لمـا يكون من علی وأصـحابه وهل يقبل بالناس أم لافما برح حتی جاء الخبر أن عليا قـدقتل أولئك الخوارج و أنه أراد بعدقتلهم أن يقبل بالناس وأنهم اسـتنظروه ودافعوه فسـر بذلك هو و من قبله من الناس . قال وروی ابن أبی سـيف عن يزيد بن يزيـد بن جابر عن عبـدالرحمن بن مسعدة الفزاری قال جاءنا كتاب عمارة بن عقبـة بن أبی معيط و كان بالكوفة مقيما ونحن معسـكرون مع معاوية نتخوف أن يفرغ علی من الخوارج ثم يقبل إلينا ونحن نقول إن أقبل إلينا كان أفضل المكان ألذی نستقبله به المكان ألـذی لقيناه فيه العام الماضـی فكان فی كتاب عمارة بن عقبـة أما بعد فإن عليا خرج عليه قراء [صـفحه ١١٥] أصحابه ونسـاكهم فخرج إليهم فقتلهم و قدفسـد عليه جنـده و أهـل مصـره ووقعت بينهم العـداوة وتفرقوا أشـد الفرقـة وأحببت إعلامك

لتحمد الله و السلام . قال عبدالرحمن بن مسعدة فقرأه معاوية على وجه أخيه عتبة و على الوليد بن عقبة و على أبى الأعور السلمى ثم نظر إلى أخيه عتبة و إلى الوليد بن عقبة و قال للوليد لقد رضى أخوك أن يكون لنا عينا فضحك الوليد و قال إن فى ذلك أيضا لنفعا. وروى أبو جعفرالطبرى قال كان عمارة مقيما بالكوفة بعدقتل عثمان لم يهجه على ع و لم يذعره و كان يكتب إلى معاوية بالأخبار سرا. و من شعر الوليد لأخيه عمارة يحرضه إن يك ظنى فى عمارة صادقا || ينم ثم لايطلب بذحل و لاوتر يبيت وأوتار ابن عفان عنده || مخيمة بين الخورنق فالقصر تمشى رخى البال مستشزر القوى || كأنك لم تسمع بقتل أبى عمرو ألا إن خير الناس بعدثلاثة || قتيل التجيبى ألذى جاء من مصر . قال فأجابه الفضل بن العباس بن عتبة أتطلب ثأرا لست منه و لا له || و مالابن ذكوان الصفورى والوتر [صفحه ۱۱۶] كماافتخرت بنت الحمار بأمها || وتنسى أباها إذ تسامى أولو الفخر ألا إن خير الناس بعدنبيهم || وصى النبى المصطفى عنذى الذكر وأول من صلى وصنو نبيه || وأول من أردى الغواة لدى بدر أمامعنى قوله و مالابن ذكوان الصفورى فإن الوليد هو ابن عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبدشمس و قدذكر جماعة من النسابين أن ذكوان كان مولى لأمية بن عبدشمس فتبناه وكناه أباعمرو فبنوه موال وليسوا من بنى أمية لصلبه والصفورى منسوب إلى صفورية قرية من قرى الروم . قال ابراهيم بن هلال الثقفى فعند ذلك دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى و قال له سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها مااستطعت فمن وجدته من الأعراب فى طاعة على فأغر عليه و إن وجدت له مسلحة أوخيلا فأغر عليها و إذاأصبحت فى بلدة فأمس فى أخرى و لاتقيمن لخيل بلغك أنها قدسرحت إليك لتلقاها فتقاتلها فسرحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف .فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقى من الأعراب حتى مر بالثعلبية [صفحه ۱۱۷] فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم ثم أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الهذلى و هو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ص فقتله فى طريق الحاج عندالقطقطانة وقتل معه ناسا من أصحابه . قال فروى ابراهيم بن مبارك البجلى عن أبيه عن بكر بن عيسى عن أبى روق قال حدثنى أبى قال سمعت عليا ع و قدخرج إلى الناس و هو يقول على المنبر يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس و إلى جيوش لكم قدأصيب منهم طرف اخرجوا فقاتلوا عدوكم وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين .فردوا عليه ردا ضعيفا ورأى منهم عجزا وفشلا فقال و الله لوددت أن لى بكل ثمانية منكم رجلا منهم ويحكم اخرجوا معى ثم فروا عنى مابدا لكم فو الله ماأكره لقاء ربى على نيتى وبصيرتى و فى ذلك روح لى عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم ثم نزل .فخرج يمشى حتى بلغ الغريين ثم دعا حجر بن عدى الكندى فعقد له على أربعة آلاف . وروى محمد بن يعقوب الكلينى قال استصرخ أمير المؤمنين ع الناس عقيب غارة الضحاك بن قيس الفهرى على أطراف أعماله فتقاعدوا عنه فخطبهم فقال ماعزت دعوة من دعاكم || و لااستراح قلب من قاساكم الفصل إلى آخره . قال ابراهيم الثقفى فخرج حجر بن عدى حتى مر بالسماوة وهى أرض كلب [صفحه ۱۱۸] فلقى بهاإمرأ القيس بن عدى بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم الكلبى وهم أصهار الحسين بن على بن أبى طالب ع فكانوا أدلاءه فى الطريق و على المياه فلم يزل مغذا فى أثر الضحاك حتى لقيه بناحية تدمر فواقعه فاقتتلوا ساعة فقتل من أصحاب الضحاك تسعة عشر رجلا وقتل من أصحاب حجر رجلان وحجز الليل بينهم فمضى الضحاك فلما أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثرا و كان الضحاك يقول بعد أنا ابن قيس أنا أبوأنيس أناقاتل عمرو بن عميس . قال وكتب فى أثر هذه الوقعة عقيل بن أبى طالب إلى أخيه أمير المؤمنين ع حين بلغه خذلان أهل الكوفة وتقاعدهم به .لعبد الله على أمير المؤمنين ع من عقيل بن أبى طالب سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه و على كل حال إنى قدخرجت إلى مكة معتمرا فلقيت عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء فعرفت المنكر فى وجوههم فقلت إلى أين ياأبناء الشانئين أبمعاوية تلحقون عداوة و الله منكم قديما غيرمستنكرة تريدون بهاإطفاء نور الله وتبديل أمره فأسمعنى القوم وأسمعتهم فلما

قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ماشاء ثم انكفأ راجعا سالما فأف لحياة فى دهر جرأ عليك الضحاك و ماالضحاك فقع بقرقر و قدتوهمت حيث بلغنى ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك فاكتب إلى يا ابن أمى برأيك فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببنى أخيك [صفحه ۱۱۹] وولد أبيك فعشنا معك ماعشت ومتنا معك إذامت فو الله ماأحب أن أبقى فى الدنيا بعدك فواقا. وأقسم بالأعز الأجل أن عيشا نعيشه بعدك فى الحياة لغير هنىء و لامرىء و لانجيع و السلام عليك ورحمة الله وبركاته فكتب إليه ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبى طالب سلام الله عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعدكلأنا الله وإياك كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد قدوصل إلى كتابك مع عبدالرحمن بن عبيد الأزدى تذكر فيه أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبى سرح مقبلا من قديد فى نحو من أربعين فارسا من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة الغرب و أن ابن أبى سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله وبغاها عوجا فدع ابن أبى سرح ودع عنك قريشا وخلهم وتركاضهم فى الضلال وتجوالهم فى الشقاق ألا و إن العرب قدأجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله ص قبل اليوم فأصبحوا قدجهلوا حقه وجحدوا فضله وبادروه العداوة ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كل الجهد وجروا إليه جيش الأحزاب أللهم فاجز قريشا عنى الجوازى فقد قطعت رحمى وتظاهرت على ودفعتنى عن حقى وسلبتنى سلطان ابن أمى وسلمت ذلك إلى من ليس مثلى فى قرابتى من الرسول وسابقتى فى الإسلام إلا أن يدعى مدع ما لاأعرفه و لاأظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال فأما ماذكرته من غارة الضحاك على أهل الحيرة فهو أقل وأزل من أن يلم بها -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-ادامه دارد [صفحه ۱۲۰] أويدنو منها ولكنه قد كان أقبل فى جريدة خيل فأخذ على السماوة حتى مر بواقصة وشراف والقطقطانة مما والى ذلك الصقع فوجهت إليه جندا كثيفا من المسلمين فلما بلغه ذلك فر هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قدأمعن و كان ذلك حين طفلت الشمس للإياب فتناوشوا القتال قليلا كلا و لافلم يصبر لوقع المشرفية وولى هاربا وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلا ونجا جريضا بعد ماأخذ منه بالمخنق فلأيا بلأى مانجا فأما ماسألتنى أن أكتب لك برأيى فيما أنا فيه فإن رأيى جهاد المحلين حتى ألقى الله لايزيدنى كثرة الناس معى عزة و لاتفرقهم عنى وحشة لأننى محق و الله مع المحق و و الله ماأكره الموت على الحق و ماالخير كله إلا بعدالموت لمن كان محقا و أما ماعرضت به من مسيرك إلى ببنيك وبنى أبيك فلاحاجة لى فى ذلك فأقم راشدا محمودا فو الله ماأحب أن تهلكوا معى إن هلكت و لاتحسبن ابن أمك و لوأسلمه الناس متخشعا و لامتضرعا إنه لكما قال أخو بنى سليم -روايت-از قبل-۸۷۱ فإن تسألينى كيف أنت فإننى || صبور على ريب الزمان صليب يعز على أن ترى بى كآبة || فيشمت عاد أويساء حبيب . قال ابراهيم بن هلال الثقفى وذكر محمد بن مخنف أنه سمع الضحاك بن قيس بعد ذلك بزمان يخطب على منبر الكوفة و قد كان بلغه أن قوما من أهلها يشتمون عثمان [صفحه ۱۲۱] ويبرءون منه قال فسمعته يقول بلغنى أن رجالا منكم ضلالا يشتمون أئمة الهدى ويعيبون أسلافنا الصالحين أما و ألذى ليس له ند و لاشريك لئن لم تنتهوا عما يبلغنى عنكم لأضعن فيكم سيف زياد ثم لاتجدوننى ضعيف السورة و لاكليل الشفرة أماإنى لصاحبكم ألذى أغرت على بلادكم فكنت أول من غزاها فى الإسلام وشرب من ماء الثعلبية و من شاطئ الفرات أعاقب من شئت وأعفو عمن شئت لقد ذعرت المخدرات فى خدورهن و إن كانت المرأة ليبكى ابنها فلاترهبه و لاتسكته إلابذكر اسمى فاتقوا الله يا أهل العراق أناالضحاك بن قيس أنا أبوأنيس أناقاتل عمرو بن عميس فقام إليه عبدالرحمن بن عبيد فقال صدق الأمير وأحسن القول ماأعرفنا و الله بما ذكرت ولقد لقيناك بغربى تدمر فوجدناك شجاعا مجربا صبورا ثم جلس و قال أيفخر علينا بما صنع ببلادنا أول ماقدم وايم الله لأذكرنه أبغض مواطنه إليه قال فسكت الضحاك قليلا وكأنه خزى واستحيا ثم قال نعم كان ذلك اليوم فأخذه بكلام ثقيل ثم نزل . قال محمد بن مخنف فقلت لعبد الرحمن بن عبيد أوقيل له لقد اجترأت حين تذكره هذااليوم وتخبره أنك كنت فيمن لقيه فقال لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا. قال

وسأل الضحاك عبدالرحمن بن عبيد حين قدم الكوفة فقال لقد رأيت منكم بغربى تدمر رجلا ماكنت أرى أن فى الناس مثله حمل علينا فما كذب حتى ضرب الكتيبة التى أنا فيها فلما ذهب ليولى حملت عليه فطعنته فوقع ثم قام [صفحه ۱۲۲] فلم يضره شيئا ثم لم يلبث أن حمل علينا فى الكتيبة التى أنا فيهافصرع رجلا ثم ذهب لينصرف فحملت عليه فضربته على رأسه بالسيف فخيل إلى أن سيفى قدثبت فى عظم رأسه فضربنى فو الله ماصنع سيفه شيئا ثم ذهب فظننت أنه لن يعود فو الله ماراعنى إلا و قدعصب رأسه بعمامة ثم أقبل نحونا فقلت ثكلتك أمك أ مانهتك الأوليان عن الإقدام علينا قال إنهما لم تنهيانى إنما أحتسب هذا فى سبيل الله ثم حمل ليطعننى فطعنته وحمل أصحابه علينا فانفصلنا وحال الليل بيننا فقال له عبدالرحمن هذا يوم شهده هذايعنى ربيعة بن ماجد و هوفارس الحى و ماأظنه يخفى أمر هذا الرجل فقال له أتعرفه قال نعم قال من هو قال أنا قال فأرنى الضربة التى برأسك فأراه فإذاهى ضربة قدبرت العظم منكرة فقال له فما رأيك اليوم أ هوكرأيك يومئذ قال رأيى اليوم رأى الجماعة قال فما عليكم من بأس أنتم آمنون ما لم تظهروا خلافا ولكن العجب كيف نجوت من زياد لم يقتلك فيمن قتل أويسيرك فيمن سير فقال أماالتسيير فقد سيرنى و أماالقتل فقد عافانا الله منه . قال ابراهيم الثقفى وأصاب الضحاك فى هربه من حجر عطش شديد و ذلك لأن الجمل ألذى كان عليه ماؤه ضل فعطش وخفق برأسه خفقتين لنعاس أصابه فترك الطريق وانتبه و ليس معه إلا ـنفر يسير من أصحابه و ليس منهم أحد معه ماء فبعث رجالا ـ منهم فى جانب يلتمسون الماء و لا ـأنيس فكان الضحاك بعد ذلك يحكى قال فرأيت جادة فلزمتها فسمعت قائلا يقول دعانى الهوى فازددت شوقا وربما || دعانى الهوى من ساعة فأجيب وأرقنى بعدالمنام وربما || أرقت لسارى الهم حين يئوب [صفحه ۱۲۳] فإن أك قدأحببتكم ورأيتكم || فإنى بدارى عامر لغريب . قال وأشرف على رجل فقلت يا عبد الله اسقنى ماء فقال لا و الله حتى تعطينى ثمنه قلت و ماثمنه قال ديتك قلت أ ماترى عليك من الحق أن تقرى الضيف فتطعمه وتسقيه قال ربما فعلنا وربما بخلنا قال فقلت و الله ماأراك فعلت خيرا قط اسقنى قال ماأطيق قلت فإنى أحسن إليك وأكسوك قال لا و الله لاأنقص شربة من مائة دينار فقلت له ويحك اسقنى فقال ويحك أعطنى قلت لا و الله ماهى معى ولكنك تسقينى ثم تنطلق معى أعطيكها قال لا و الله قلت اسقنى وأرهنك فرسى حتى أوفيكها قال نعم ثم خرج بين يدى واتبعته فأشرفنا على أخبية وناس على ماء فقال لى مكانك حتى آتيك فقلت بل أجيء معك قال وساءه حيث رأيت الناس والماء فذهب يشتد حتى دخل بيتا ثم جاء بماء فى إناء فقال اشرب فقلت لاحاجة لى فيه ثم دنوت من القوم فقلت اسقونى ماء فقال شيخ لابنته اسقيه فقامت ابنته فجاءت بماء ولبن فقال ذلك الرجل نجيتك من العطش وتذهب بحقى و الله لاأفارقك حتى أستوفى منك حقى فقلت اجلس حتى أوفيك فجلس فنزلت فأخذت الماء واللبن من يد الفتاة فشربت واجتمع إلى أهل الماء فقلت لهم هذاألأم الناس فعل بى كذا وكذا و هذاالشيخ خير منه وأسدى استسقيته فلم يكلمنى وأمر ابنته فسقتنى و هوالآن يلزمنى بمائة دينار فشتمه أهل الحى ووقعوا به و لم يكن بأسرع من أن لحقنى قوم من أصحابى فسلموا على بالإمرة فارتاب الرجل وجزع وذهب يريد أن يقوم فقلت و الله لاتبرح حتى أوفيك المائة فجلس مايدرى ما ألذى أريد به فلما كثر جندى عندى سرحت إلى ثقلى فأتيت به ثم أمرت بالرجل فجلد مائة جلدة ودعوت الشيخ وابنته فأمرت لهما بمائة دينار وكسوتهما وكسوت أهل الماء [صفحه ۱۲۴] ثوبا ثوبا وحرمته فقال أهل الماء كان أيها الأمير أهلا لذلك وكنت لماأتيت من خير أهلا. فلما رجعت إلى معاوية وحدثته عجب و قال لقد رأيت فى سفرك هذاعجبا. ويذكر أهل النسب أن قيسا أباالضحاك بن قيس كان يبيع عسب الفحول فى الجاهلية ورووا أن عقيلا ـ رحمه الله تعالى قدم على أمير المؤمنين فوجده جالسا فى صحن المسجد بالكوفة فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته و كان عقيل قدكف بصره فقال وعليك السلام يا أبايزيد ثم التفت إلى ابنه الحسن ع فقال قم فأنزل عمك فقام فأنزله ثم عاد فقال اذهب فاشتر لعمك قميصا جديدا ورداء جديدا وإزارا جديدا ونعلا جديدا فذهب فاشترى له فغدا عقيل على على ع فى الثياب فقال السلام عليك يا

أمير المؤمنين قال وعليك السلام يا أبايزيد قال يا أمير المؤمنين ماأراك أصبت من الدنيا شيئا وإنى لاترضى نفسى من خلافتك بما رضيت به لنفسك فقال يا أبايزيد يخرج عطائى فأدفعه إليك -روايت-۱-۲-روايت-۹-۶۲۲ . فلما ارتحل عن أمير المؤمنين ع أتى معاوية فنصبت له كراسيه وأجلس جلساءه حوله فلما ورد عليه أمر له بمائة ألف فقبضها ثم غدا عليه يوما بعد ذلك و بعدوفاة أمير المؤمنين ع وبيعة الحسن لمعاوية وجلساء معاوية حوله فقال يا أبايزيد أخبرنى عن عسكرى وعسكر أخيك فقد وردت عليهما قال أخبرك مررت و الله [صفحه ۱۲۵] بعسكر أخى فإذاليل كليل رسول الله ص ونهار كنهار رسول الله ص إلا أن رسول الله ص ليس فى القوم مارأيت إلامصليا و لاسمعت إلاقارئا ومررت بعسكرك فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة ثم قال من هذا عن يمينك يامعاوية قال هذاعمرو بن العاص قال هذا ألذى اختصم فيه ستة نفر فغلب عليه جزار قريش فمن الآخر قال الضحاك بن قيس الفهرى قال أما و الله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس فمن هذاالآخر قال أبو موسى الأشعرى قال هذا ابن السراقة فلما رأى معاوية أنه قدأغضب جلساءه علم أنه إن استخبره عن نفسه قال فيه سوءا فأحب أن يسأله ليقول فيه مايعلمه من السوء فيذهب بذلك غضب جلسائه قال يا أبايزيد فما تقول فى قال دعنى من هذا قال لتقولن قال أتعرف حمامة قال و من حمامة يا أبايزيد قال قدأخبرتك ثم قام فمضى فأرسل معاوية إلى النسابة فدعاه فقال من حمامة قال و لى الأمان قال نعم قال حمامة جدتك أم أبى سفيان كانت بغيا فى الجاهلية صاحبة راية فقال معاوية لجلسائه قدساويتكم وزدت عليكم فلاتغضبوا [صفحه ۱۲۶]

۳۰- و من خطبة له ع فى معنى قتل عثمان

اشاره

لَو أَمَرتُ بِهِ لَكُنتُ قَاتِلًا أَو نَهَيتُ عَنهُ لَكُنتُ نَاصِراً غَيرَ أَنّ مَن نَصَرَهُ لَا يَستَطِيعُ أَن يَقُولَ خَذَلَهُ مَن أَنَا خَيرٌ مِنهُ وَ مَن خَذَلَهُ لَا يَستَطِيعُ أَن يَقُولَ نَصَرَهُ مَن هُوَ خَيرٌ مِنّي وَ أَنَا جَامِعٌ لَكُم أَمرَهُ استَأثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ وَ جَزِعتُم فَأَسَأتُمُ الجَزَعَ وَ لِلّهِ حُكمٌ وَاقِعٌ فِي المُستَأثِرِ وَ الجَازِعِ هذاالكلام بظاهره يقتضى أنه ماأمر بقتله و لانهى عنه فيكون دمه عنده فى حكم الأمور المباحة التى لايؤمر بها و لاينهى عنها غير أنه لايجوز أن يحمل الكلام على ظاهره لماثبت من عصمة دم عثمان وأيضا فقد ثبت فى السير والأخبار أنه كان ع ينهى الناس عن قتله فإذن يجب أن يحمل لفظ النهى على المنع كمايقال الأمير ينهى عن نهب أموال الرعية أى يمنع وحينئذ يستقيم الكلام لأنه ع ماأمر بقتله و لامنع عن قتله وإنما كان ينهى عنه باللسان و لايمنع عنه باليد. فإن قيل فالنهى عن المنكر واجب فهلا منع من قتله باليد.قيل إنما يجب المنع باليد عن المنكر إذا كان حسنا وإنما يكون الإنكار حسنا [صفحه ۱۲۷] إذا لم يغلب على ظن الناهى عن المنكر أن نهيه لايؤثر فإن غلب على ظنه أن نهيه لايؤثر قبح إنكار المنكر لأنه إن كان الغرض تعريف فاعل القبيح قبح ماأقدم عليه فذلك حاصل من دون الإنكار و إن كان الغرض ألا يقع المنكر فذلك غيرحاصل لأنه قدغلب على ظنه أن نهيه وإنكاره لايؤثر ولذلك لايحسن من الإنسان الإنكار على أصحاب المآصر ماهم عليه من أخذ المكوس لماغلب على الظن أن الإنكار لايؤثر و هذايقتضى أن يكون أمير المؤمنين ع قدغلب على ظنه أن إنكاره لايؤثر فلذلك لم ينكر. ولأجل اشتباه هذاالكلام على السامعين قال كعب بن جعيل شاعر أهل الشام الأبيات التى منها أرى الشام تكره أهل العراق || و أهل العراق لهم كارهونا و كل لصاحبه مبغض || يرى كل ما كان من ذاك دينا إذا مارمونا رميناهم || ودناهم مثل مايقرضونا وقالوا على إمام لنا || فقلنا رضينا ابن هند رضينا وقالوا نرى أن تدينوا لنا || فقلنا ألا لانرى أن ندينا و من دون ذلك خرط

القتاد || وطعن وضرب يقر العيونا [صفحه ۱۲۸] و كل يسر بما عنده || يرى غث ما فى يديه سمينا و ما فى على لمستعتب || مقال سوى ضمه المحدثينا وإيثاره اليوم أهل الذنوب || ورفع القصاص عن القاتلينا إذاسيل عنه حذا شبهة || وعمى الجواب على السائلينا فليس براض و لاساخط || و لا فى النهاة و لاالآمرينا و لا هوساء و لاسره || و لابد من بعض ذا أن يكونا . و هذاشعر خبيث منكر ومقصد عميق و ما قال هذاالشعر إلا بعد أن نقل إلى أهل الشام كلام كثير لأمير المؤمنين ع فى عثمان يجرى هذاالمجرى نحو قوله ماسرنى و لاساءنى وقيل له أرضيت بقتله فقال لم أرض فقيل له أسخطت قتله فقال لم أسخط و قوله تارة الله قتله و أنامعه و قوله تارة أخرى ماقتلت عثمان و لامالأت فى قتله و قوله تارة أخرى كنت رجلا من المسلمين أوردت إذ أوردوا وأصدرت إذ أصدروا. ولكل شيء من كلامه إذاصح عنه تأويل يعرفه أولو الألباب .فأما قوله غير أن من نصره فكلام معناه أن خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأن الذين نصروه كان أكثرهم فساقا كمروان بن الحكم وأضرابه وخذله المهاجرون والأنصار.فأما قوله و أناجامع لكم أمره إلى آخر الفصل فمعناه أنه فعل ما لايجوز وفعلتم ما لايجوز أما هوفاستأثر فأساء الأثرة أى استبد بالأمور فأساء فى الاستبداد و أماأنتم فجزعتم مما فعل أى حزنتم فأسأتم الجزع لأنكم قتلتموه و قد كان الواجب عليه أن [صفحه ۱۲۹] يرجع عن استئثاره و كان الواجب عليكم ألا تجعلوا جزاءه عما أذنب القتل بل الخلع والحبس وترتيب غيره فى الإمامة. ثم قال ولله حكم سيحكم به فيه وفيكم

اضطراب الأمر على عثمان ثم أخبار مقتله

ويجب أن نذكر فى هذاالموضع ابتداء اضطراب الأمر على عثمان إلى أن قتل . وأصح ماذكر فى ذلك ماأورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ . وخلاصة ذلك أن عثمان أحدث أحداثا مشهورة نقمها الناس عليه من تأمير بنى أمية و لاسيما الفساق منهم وأرباب السفه وقلة الدين وإخراج مال الفيء إليهم و ماجرى فى أمر عمار و أبى ذر و عبد الله بن مسعود و غير ذلك من الأمور التى جرت فى أواخر خلافته ثم اتفق أن الوليد بن عقبة لما كان عامله على الكوفة وشهد عليه بشرب الخمر صرفه وولى سعيد بن العاص مكانه فقدم سعيد الكوفة واستخلص من أهلها قوما يسمرون عنده فقال سعيد يوما إن السواد بستان للقريش وبنى أمية فقال الأشتر النخعى وتزعم أن السواد ألذى أفاءه الله على المسلمين بأسيافنا بستان لك ولقومك فقال صاحب شرطته أترد على الأمير مقالته وأغلظ له فقال الأشتر لمن كان حوله من النخع وغيرهم من أشراف الكوفة أ لاتسمعون فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطئوه وطأ عنيفا وجروا برجله فغلظ ذلك على سعيد وأبعد سماره فلم يأذن بعدلهم فجعلوا يشتمون سعيدا فى مجالسهم ثم تعدوا ذلك إلى شتم عثمان واجتمع إليهم ناس كثير حتى غلظ أمرهم فكتب سعيد إلى عثمان فى أمرهم فكتب إليه أن يسيرهم إلى الشام لئلا يفسدوا أهل الكوفة وكتب إلى معاوية و هووالى الشام أن نفرا من أهل الكوفة [صفحه ۱۳۰] قدهموا بإثارة الفتنة و قدسيرتهم إليك فانههم فإن آنست منهم رشدا فأحسن إليهم واردهم إلى بلادهم فلما قدموا على معاوية وكانوا الأشتر ومالك بن كعب الأرحبى والأسود بن يزيد النخعى وعلقمة بن قيس النخعى وصعصعة بن صوحان العبدى وغيرهم جمعهم يوما و قال لهم إنكم قوم من العرب ذوو أسنان وألسنة و قدأدركتم بالإسلام شرفا وغلبتم الأمم وحويتم مواريثهم و قدبلغنى أنكم ذممتم قريشا ونقمتم على الولاة فيها و لو لاقريش لكنتم أذلة إن أئمتكم لكم جنة فلاتفرقوا عن جنتكم إن أئمتكم ليصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم العتاب و الله لتنتهن أوليبتلينكم الله بمن يسومكم الخسف و لايحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم على الرعية فى حياتكم و بعدوفاتكم . فقال له صعصعة بن صوحان أماقريش فإنها لم تكن أكثر العرب و لاأمنعها فى الجاهلية و إن غيرها من العرب لأكثر منها كان وأمنع . فقال معاوية إنك

لخطيب القوم و لاأرى لك عقلاـ و قدعرفتكم الآن وعلمت أن ألذى أغراكم قلة العقول أعظم عليكم أمر الإسلام فتذكرنى الجاهلية أخزى الله قوما عظموا أمركم فقهوا عنى و لاأظنكم تفقهون إن قريشا لم تعز فى جاهلية و لاإسلام إلابالله وحده لم تكن بأكثر العرب و لاأشدها ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا وأمحضهم أنسابا وأكملهم مروءة و لم يمتنعوا فى الجاهلية و الناس يأكل بعضهم بعضا إلابالله فبوأهم حرما آمنا يتخطف الناس من حوله هل تعرفون عربا أوعجما أوسودا أوحمرا إلا و قدأصابهم الدهر فى بلدهم وحرمهم إلا ما كان من قريش فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلاجعل الله خده الأسفل حتى أراد الله تعالى أن يستنقذ من أكرمه باتباع دينه من هوان الدنيا وسوء مرد الآخرة فارتضى لذلك خير [صفحه ١٣١] خلقه ثم ارتضى له أصحابا و كان خيارهم قريشا ثم بنى هذاالملك عليهم وجعل هذه الخلافة فيهم فلايصلح الأمر إلابهم و قد كان الله يحوطهم فى الجاهلية وهم على كفرهم أفتراه لايحوطهم وهم على دينه أف لك ولأصحابك أما أنت ياصعصعة فإن قريتك شر القرى أنتنها نبتا وأعمقها واديا وألأمها جيرانا وأعرفها بالشر لم يسكنها شريف قط و لاوضيع إلاسب بهانزاع الأمم وعبيد فارس و أنت شر قومك أحين أبرزك الإسلام وخلطك بالناس أقبلت تبغى دين الله عوجا وتنزع إلى الغواية إنه لن يضر ذلك قريشا و لايضعهم و لايمنعهم من تأدية ماعليهم إن الشيطان عنكم لغير غافل قدعرفكم بالشر فأغراكم بالناس و هوصارعكم وإنكم لاتدركون بالشر أمرا إلافتح عليكم شر منه وأخزى قدأذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم لاينفع الله بكم أحدا أبدا و لايضره ولستم برجال منفعة و لامضرة فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم و لاتبطرنكم النعمة فإن البطر لايجر خيرا اذهبوا حيث شئتم فسأكتب إلى أمير المؤمنين فيكم . وكتب إلى عثمان أنه قدم على قوم ليست لهم عقول و لاأديان أضجرهم العدل لايريدون الله بشىء و لايتكلمون بحجة إنما همهم الفتنة و الله مبتليهم ثم فاضحهم وليسوا بالذين نخاف نكايتهم وليسوا بأكثر ممن له شغب ونكير. ثم أخرجهم من الشام . وروى أبو الحسن المدائنى أنه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيهاالمحاورات والمخاطبات بينهم و أن معاوية قال لهم فى جملة ماقاله إن قريشا قدعرفت أن أباسفيان [صفحه ١٣٢] كان أكرمها و ابن أكرمها إلا ماجعل الله لنبيه ص فإنه انتجبه وأكرمه و لو أن أباسفيان ولد الناس كلهم لكانوا حلماء. فقال له صعصعة بن صوحان كذبت قدولدهم خير من أبى سفيان من خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأمر الملائكة فسجدوا له فكان فيهم البر والفاجر والكيس والأحمق . قال و من المجالس التى دارت بينهم أن معاوية قال لهم أيها القوم ردوا خيرا أواسكتوا وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين فاطلبوه وأطيعونى. فقال له صعصعة لست بأهل ذلك و لاكرامة لك أن تطاع فى معصية الله . فقال إن أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوى الله وطاعة رسوله و أن تعتصموا بحبل الله جميعا و لاتفرقوا.فقالوا بل أمرت بالفرقة وخلاف ماجاء به النبى ص . فقال إن كنت فعلت فإنى الآن أتوب وآمركم بتقوى الله وطاعته ولزوم الجماعة و أن توقروا أئمتكم وتطيعوهم . فقال صعصعة إن كنت تبت فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإن فى المسلمين من هوأحق به منك ممن كان أبوه أحسن أثرا فى الإسلام من أبيك و هوأحسن قدما فى الإسلام منك . فقال معاوية إن لى فى الإسلام لقدما و إن كان غيرى أحسن قدما منى لكنه [صفحه ١٣٣] ليس فى زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه منى ولقد رأى عمر بن الخطاب ذلك فلو كان غيرى أقوى منى لم يكن عندعمر هوادة لى و لالغيرى و لم أحدث ماينبغى له أن أعتزل عملى فلو رأى ذلك أمير المؤمنين لكتب إلى بخط يده فاعتزلت عمله فمهلا فإن فى دون ماأنتم فيه مايأمر فيه الشيطان وينهى ولعمرى لوكانت الأمور تقضى على رأيكم وأهوائكم مااستقام الأمر لأهل الإسلام يوما و لاليلة فعاودوا الخير وقولوه فإن الله ذو سطوات وإنى خائف عليكم أن تتتابعوا إلى مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن فيحلكم ذلك دار الهون فى العاجل والآجل .فوثبوا على معاوية فأخذوا برأسه ولحيته فقال مه إن هذه ليست بأرض الكوفة و الله لورأى أهل الشام ماصنعتم بى و أناإمامهم ماملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى إن صنيعكم يشبه بعضه بعضا. ثم قام من عندهم وكتب إلى عثمان فى أمرهم فكتب إليه أن ردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة فردهم فأطلقوا ألسنتهم

فی ذمه وذم عثمان وعیبهما فکتب إلیه عثمان أن یسیرهم إلی حمص إلی عبدالرحمن بن خالد بن الولید فسیرهم إلیها. [صفحه ۱۳۴] وروی الواقدی قال لماسیر بالنفر الذین طردهم عثمان عن الکوفهٔ إلی حمص وهم الأشتر وثابت بن قیس الهمدانی وکمیل بن زیاد النخعی وزید بن صوحان وأخوه صعصعهٔ وجندب بن زهیر الغامدی وجندب بن کعب الأزدی وعروهٔ بن الجعد وعمرو بن الحمق الخزاعی و ابن الکواء جمعهم عبدالرحمن بن خالد بن الولید بعد أن أنزلهم أیاما وفرض لهم طعاما ثم قال لهم یابنی الشیطان لامرحبا بکم و لاأهلا قدرجع الشیطان محسورا وأنتم بعد فی بساط ضلالکم وغیکم جزی الله عبدالرحمن إن لم یؤذکم یامعشر من لاأدری أعرب هم أم عجم أتراکم تقولون لی ماقلتم لمعاویهٔ أنا ابن خالد بن الولید أنا ابن من عجمته العاجمات أنا ابن فاقئ عین الردهٔ و الله یا ابن صوحان لأطیرن بک طیرهٔ بعیدهٔ المهوی إن بلغنی أن أحدا ممن معی دق أنفک فأقنعت رأسک . قال فأقاموا عنده شهرا کلما رکب أمشاهم معه و یقول لصعصعهٔ یا ابن الخطیئهٔ إن من لم یصلحه الخیر أصلحه الشر ما لک لاتقول کماکنت تقول لسعید ومعاویهٔ فیقولون سنتوب إلی الله أقلنا أقالک الله فما زال ذاک دأبه ودأبهم حتی قال تاب الله علیکم فکتب إلی عثمان یسترضیه عنهم ویسأله فیهم فردهم إلی الکوفهٔ. قال أبو جعفر محمد بن جریر الطبری رحمه الله تعالی ثم إن سعید بن العاص قدم علی عثمان سنهٔ إحدی عشرهٔ من خلافته فلما دخل المدینهٔ اجتمع قوم من الصحابهٔ فذکروا سعیدا وأعماله وذکروا قرابات عثمان و ماسوغهم من مال المسلمین وعابوا أفعال عثمان فأرسلوا إلیه عامر بن عبدالقیس و کان متألها واسم أبیه عبد الله و هو من تمیم ثم من بنی العنبر فدخل علی عثمان فقال له إن ناسا من الصحابهٔ [صفحه ۱۳۵] اجتمعوا ونظروا فی أعمالک فوجدوک قدرکبت أمورا عظاما فاتق الله وتب إلیه فقال عثمان انظروا إلی هذازعم الناس أنه قارئ ثم هویجیء إلی فیکلمنی فیما لایعلمه و الله ماتدری أین الله فقال عامر بلی و الله إنی لأدری إن الله لبالمرصاد.فأخرجه عثمان وأرسل إلی عبد الله بن سعد بن سرح و إلی معاویهٔ وسعید بن العاص وعمرو بن العاص و عبد الله بن عامر و کان قداستقدم الأمراء من أعمالهم فشاورهم و قال إن لکل أمیروزراء ونصحاء وإنکم وزرائی ونصحائی و أهل ثقتی و قدصنع الناس ما قدرأیتم وطلبوا إلی أن أعزل عمالی و أن أرجع عن جمیع مایکرهون إلی مایحبون فاجتهدوا رأیکم . فقال عبد الله بن عامر أری لک یا أمیر المؤمنین أن تشغلهم عنک بالجهاد حتی یذلوا لک و لاتکون همهٔ أحدهم إلا فی نفسه و ما هو فیه من دبر دابته وقمل فروته . و قال سعید بن العاص احسم عنک الداء واقطع عنک ألذی تخاف إن لکل قوم قادهٔ متی یهلکوا یتفرقوا و لایجتمع لهم أمر. فقال عثمان إن هذالهو الرأی لو لا ما فیه و قال معاویهٔ أشیر علیک أن تأمر أمراء الأجناد فیکفیک کل رجل منهم ماقبله فأنا أکفیک أهل الشام . و قال عبد الله بن سعد إن الناس أهل طمع فأعطهم من هذاالمال تعطف علیک قلوبهم . فقال عمرو بن العاص یا أمیر المؤمنین إنک قدرکبت الناس ببنی أمیهٔ فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل أواعتزل فإن أبیت فاعزم عزما وامض قدما. [صفحه ۱۳۶] فقال له عثمان ما لک قمل فروک أ هذاجد منک .فسکت عمرو حتی تفرقوا ثم قال و الله یا أمیر المؤمنین لأنت أکرم علی من ذلک ولکنی علمت أن بالباب من یبلغ الناس قول کل رجل منا فأردت أن یبلغهم قولی فیثقوا بی فأقود إلیک خیرا وأدفع عنک شرا.فرد عثمان عماله إلی أعمالهم وأمرهم بتجهیز الناس فی البعوث وعزم علی أن یحرمهم أعطیاتهم لیطیعوه ورد سعید بن العاص إلی الکوفهٔ فتلقاه أهلها بالجرعهٔ وکانوا قدکرهوا إمارته وذموا سیرته فقالوا له ارجع إلی صاحبک فلاحاجهٔ لنا فیک فهم بأن یمضی لوجهه و لایرجع فکثر الناس علیه فقال له قائل ما هذا أترد السیل عن إدراجه و الله لایسکن الغوغاء إلاالمشرفیهٔ ویوشک أن تنتضی بعدالیوم ثم یتمنون ماهم الیوم فیه فلایرد علیهم فارجع إلی المدینهٔ فإن الکوفهٔ لیست لک بدار.فرجع إلی عثمان فأخبره بما فعلوا فأنفذ أبا موسی الأشعری أمیرا علی الکوفهٔ وکتب إلیهم أما بعدفقد أرسلت إلیکم أبا موسی الأشعری أمیرا وأعفیتکم من سعید و و الله لأفوضنکم عرضی ولأبذلن لکم صبری ولأستصلحنکم جهدی فلاتدعوا شیئا أحببتموه لایعصی الله فیه إلاسألتموه و لاشیئا کرهتموه لایعصی الله فیه إلااستعفیتم منه لأکون فیه عند ماأحببتم وکرهتم حتی لا یکون لکم علی الله

حجة و الله لنصبرن كماأمرنا وسيجزى الله الصابرين . [صفحه ۱۳۷] قال أبو جعفر فلما دخلت سنة خمس وثلاثين تكاتب أعداء عثمان وبنى أمية فى البلاد وحرض بعضهم بعضا على خلع عثمان عن الخلافة وعزل عماله عن الأمصار واتصل ذلك بعثمان فكتب إلى أهل الأمصار أما بعدفإنه رفع إلى أن أقواما منكم يشتمهم عمالى ويضربونهم فمن أصابه شىء من ذلك فليواف الموسم بمكة فليأخذ بحقه منى أو من عمالى فإنى قداستقدمتهم أوتصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين . ثم كاتب عماله واستقدمهم فلما قدموا عليه جمعهم و قال ماشكاية الناس منكم إنى لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم و مايعصب هذاالأمر إلابى فقالوا له و الله ماصدق من رفع إليك و لابر و لانعلم لهذا الأمر أصلا فقال عثمان فأشيروا على فقال سعيد بن العاص هذه أمور مصنوعة تلقى فى السر فيتحدث بها الناس ودواء ذلك السيف . و قال عبد الله بن سعد خذ من الناس ألذى عليهم إذاأعطيتهم ألذى لهم . و قال معاوية الرأى حسن الأدب . و قال عمرو بن العاص أرى لك أن تلزم طريق صاحبيك فتلين فى موضع اللين وتشتد فى موضع الشدة. فقال عثمان قدسمعت ماقلتم إن الأمر ألذى يخاف على هذه الأمة كائن لابد منه و إن بابه ألذى يغلق عليه ليفتحن فكفكفوهم باللين والمداراة إلا فى حدود الله فقد علم الله أنى لم آل الناس خيرا و إن رحى الفتنة لدائرة فطوبى لعثمان إن مات و لم يحركها سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم فإذاتعوطيت حقوق الله فلاتدهنوا فيها. [صفحه ۱۳۸] ثم نفر فقدم المدينة فدعا عليا وطلحة والزبير فحضروا وعنده معاوية فسكت عثمان و لم يتكلم وتكلم معاوية فحمد الله و قال أنتم أصحاب رسول الله ص وخيرته من خلقه وولاة أمر هذه الأمة لايطمع فيه أحد غيركم اخترتم صاحبكم عن غيرغلبة و لاطمع و قدكبر وولى عمره فلو انتظرتم به الهرم كان قريبا مع أنى أرجو أن يكون أكرم على الله أن يبلغه ذلك و قدفشت مقالة خفتها عليكم فما عبتم فيه من شىءفهذه يدى لكم به رهنا فلاتطمعوا الناس فى أمركم فو الله إن أطعتموهم لارأيتم أبدا منها إلاإدبارا. فقال على ع و ما لك وذاك لاأم لك فقال دع أمى فإنها ليست بشر أمهاتكم قدأسلمت وبايعت النبى ص وأجبنى عما أقول لك . فقال عثمان صدق ابن أخى أناأخبركم عنى وعما وليت إن صاحبى اللذين كانا قبلى ظلما أنفسهما و من كان منهما بسبيل احتسابا و إن رسول الله ص كان يعطى قرابته و أنا فى رهط أهل عيلة وقلة معاش فبسطت يدى فى شىء من ذلك لماأقوم به فيه فإن رأيتم ذلك خطأ فردوه فأمرى لأمركم تبع .قالوا أصبت وأحسنت إنك أعطيت عبد الله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا وأعطيت مروان خمسة عشر ألفا فاستعدها منهما فاستعادها فخرجوا راضين . قال أبو جعفر و قال معاوية لعثمان اخرج معى إلى الشام فإنهم على الطاعة [صفحه ۱۳۹] قبل أن يهجم عليك ما لاقبل لك به فقال لاأبيع جوار رسول الله ص بشىء و إن كان فيه قطع خيط عنقى قال فأبعث إليك جندا من الشام يقيم معك لنائبة إن نابت المدينة أوإياك فقال لاأضيق على جيران رسول الله ص فقال و الله لتغتالن فقال حسبى الله ونعم الوكيل . قال أبو جعفر وخرج معاوية من عندعثمان فمر على نفر من المهاجرين فيهم على ع وطلحة والزبير و على معاوية ثياب سفره و هوخارج إلى الشام فقام عليهم فقال إنكم تعلمون أن هذاالأمر كان الناس يتغالبون عليه حتى بعث الله نبيه فتفاضلوا بالسابقة والقدمة والجهاد فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم و الناس لهم تبع و إن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله إلى غيرهم و إن الله على البدل لقادر وإنى قدخلفت فيكم شيخنا فاستوصوا به خيرا وكانفوه تكونوا أسعد منه بذلك ثم ودعهم ومضى فقال على ع كنت أرى فى هذاخيرا فقال الزبير و الله ما كان أعظم قط فى صدرك وصدورنا منه اليوم . قلت من هذااليوم أنشب معاوية أظفاره فى الخلافة لأنه غلب على ظنه قتل عثمان ورأى أن الشام بيده و أن أهلها يطيعونه و أن له حجة يحتج بهاعليهم ويجعلها ذريعة إلى غرضه وهى قتل عثمان إذاقتل و أنه ليس فى أمراء عثمان أقوى منه و لاأقدر على تدبير الجيوش واستمالة العرب فبنى أمره من هذااليوم على الطمع فى الخلافة أ لاترى إلى قوله لصعصعة من قبل إنه ليس أحد أقوى منى على الإمارة و إن عمر [صفحه ۱۴۰] استعملنى ورضى سيرتى أ و لاترى إلى قوله للمهاجرين الأولين إن شرعتم فى أخذها بالتغالب وملتم على هذاالشيخ أخرجها الله منكم إلى غيركم و هو على الاستبدال قادر وإنما كان

يعنى نفسه و هويكنى عنها ولهذا تربض بنصرة عثمان لمااستنصره و لم يبعث إليه أحدا. وروى محمد بن عمر الواقدى رحمه الله تعالى قال لماأجلب الناس على عثمان وكثرت القالة فيه خرج ناس من مصر منهم عبدالرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر الليثى وسودان بن حمران السكونى وقتيرة بن وهب السكسكى وعليهم جميعا أبوحرب الغافقى وكانوا فى ألفين وخرج ناس من الكوفة منهم زيد بن صوحان العبدى ومالك الأشتر النخعى وزياد بن النضر الحارثى و عبد الله بن الأصم الغامدى فى ألفين وخرج ناس من أهل البصرة منهم حكيم بن جبلة العبدى وجماعة من أمرائهم وعليهم حرقوص بن زهير السعدى و ذلك فى شوال من سنة خمس وثلاثين وأظهروا أنهم يريدون الحج فلما كانوا من المدينة على ثلاث تقدم أهل البصرة فنزلوا ذا خشب و كان هواهم فى طلحة وتقدم أهل الكوفة فنزلوا الأعوص و كان هواهم فى الزبير وجاء أهل مصر فنزلوا المروة و كان هواهم فى على ع ودخل ناس منهم إلى المدينة يخبرون ما فى قلوب الناس لعثمان فلقوا جماعة من المهاجرين والأنصار ولقوا أزواج النبى ص وقالوا إنما نريد الحج ونستعفى من عمالنا. ثم لقى جماعة من المصريين علياع و هومتقلد سيفه عندأحجار الزيت [صفحه ١٤١] فسلموا عليه وعرضوا عليه أمرهم فصاح بهم وطردهم و قال لقد علم الصالحون أن جيش المروة وذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمدص .فانصرفوا عنه . وأتى البصريون طلحة فقال لهم مثل ذلك وأتى الكوفيون الزبير فقال لهم مثل ذلك فتفرقوا وخرجوا عن المدينة إلى أصحابهم . فلما أمن أهل المدينة منهم واطمأنوا إلى رجوعهم لم يشعروا إلا والتكبير فى نواحى المدينة و قدنزلوها وأحاطوا بعثمان ونادى مناديهم يا أهل المدينة من كف يده عن الحرب فهو آمن فحصروه فى منزله إلاـأنهم لم يمنعوا الناس من كلامه ولقائه فجاءهم جماعة من رؤساء المهاجرين وسألوهم ماشأنهم فقالوا لاحاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا لنولى غيره لم يزيدوهم على ذلك .فكتب عثمان إلى أهل الأمصار يستنجدهم ويأمرهم بتعجيل الشخوص إليه للمنع عنه ويعرفهم ما الناس فيه فخرج أهل الأمصار على الصعب والذلول فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى وبعث عبد الله بن سعد بن أبى سرح معاوية بن حديج وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو بعثه أبو موسى . وقام بالكوفة نفر يحرضون الناس على نصر عثمان وإعانة أهل المدينة منهم عقبة بن عمر و عبد الله بن أبى أوفى وحنظلة الكاتب و كل هؤلاء من الصحابة و من التابعين مسروق والأسود وشريح وغيرهم . وقام بالبصرة عمران بن الحصين وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة و من التابعين كعب بن سور وهرم بن حيان وغيرهما. [صفحه ١٤٢] وقام بالشام ومصر جماعة من الصحابة والتابعين . وخرج عثمان يوم الجمعة فصلى بالناس وقام على المنبر فقال ياهؤلاء الله الله فو الله إن أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمدص فامحوا الخطأ بالصواب .فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال نعم أناأعلم ذلك فأقعده حكيم بن جبلة وقام زيد بن ثابت فأقعده قتيرة بن وهب وثار القوم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فأدخل داره واستقتل نفر من أهل المدينة مع عثمان منهم سعد بن أبى وقاص و الحسن بن على ع وزيد بن ثابت و أبوهريرة فأرسل إليهم عثمان عزمت عليكم أن تنصرفوا فانصرفوا. وأقبل على وطلحة والزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرعته ويشكون إليه مايجدون لأجله و عندعثمان نفر من بنى أمية منهم مروان بن الحكم فقالوا لعلى ع أهلكتنا وصنعت هذا ألذى صنعت و الله إن بلغت هذاالأمر ألذى تريده لنمرن عليك الدنيا فقام مغضبا وخرج الجماعة الذين حضروا معه إلى منازلهم . وروى الواقدى قال صلى عثمان بعد ماوثبوا به فى المسجد شهرا كاملا ثم منعوه الصلاة وصلى بالناس أميرهم الغافقى. وروى المدائنى قال كان عثمان محصورا محاطا به و هويصلى بالناس فى المسجد و أهل مصر والكوفة والبصرة الحاضرون له يصلون خلفه وهم أدق فى عينه من التراب . [صفحه ١٤٣] قال أبو جعفر فى التاريخ ثم إن أهل المدينة تفرقوا عنه ولزموا بيوتهم لاـيخرج أحد منهم إلابسيفه يمتنع به فكان حصاره أربعين يوما. وروى الكلبى والواقدى والمدائنى أن محمد بن أبى بكر و محمد بن أبى حذيفة كانا بمصر يحرضان الناس على عثمان فسار محمد بن أبى بكر مع من سار إلى عثمان وأقام محمد بن أبى حذيفة بمصر ثم

غلب عليها لماسار عبد الله بن سعد بن أبى سرح عامل عثمان عنها إلى المدينة فى أثر المصريين بإذن عثمان له فلما كان بأيلة بلغه أن المصريين قدأحاطوا بعثمان و أنه مقتول و أن محمد بن أبى حذيفة قدغلب على مصر فعاد عبد الله إلى مصر فمنع عنها فأتى فلسطين فأقام بها حتى قتل عثمان . وروى الكلبى قال بعث عبد الله بن سعد بن أبى سرح رسولا من مصر إلى عثمان يخبره بنهوض من نهض من مصر إليه وأنهم قدأظهروا العمرة وقصدهم خلعه أوقتله فخطب عثمان الناس وأعلمهم حالهم و قال إنهم قدأسرعوا إلى الفتنة واستطالوا عمرى و الله إن فارقتهم ليتمنين كل منهم أن عمرى كان طال عليهم مكان كل يوم سنة مما يرون من الدماء المسفوكة والإحن والأثرة الظاهرة والأحكام المغيرة. وروى أبو جعفر قال كان عمرو بن العاص ممن يحرض على عثمان ويغرى به ولقد خطب عثمان يوما فى أواخر خلافته فصاح به عمرو بن العاص اتق الله ياعثمان فإنك قدركبت أمورا وركبناها معك فتب إلى الله نتب فناداه عثمان وإنك هاهنا يا ابن النابغة قملت و الله جبتك منذ نزعتك عن العمل فنودى من ناحية أخرى تب إلى الله ونودى من أخرى مثل ذلك فرفع يديه إلى السماء و قال أللهم إنى أول التائبين ثم نزل . [صفحه ۱۴۴] وروى أبو جعفر قال كان عمرو بن العاص شديد التحريض والتأليب على عثمان و كان يقول و الله إن كنت لألقى الراعى فأحرضه على عثمان فضلا عن الرؤساء والوجوه فلما سعر الشر بالمدينة خرج إلى منزله بفلسطين فبينا هوبقصره ومعه ابناه عبد الله و محمد وعندهم سلامة بن روح الجذامى إذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان فقال محصور فقال عمرو أنا أبو عبد الله قديضرط العير والمكواة فى النار ثم مر بهم راكب آخر فسألوه فقال قتل عثمان فقال عمرو أنا أبو عبد الله إذانكأت قرحة أدميتها فقال سلامة بن روح يامعشر قريش إنما كان بينكم و بين العرب باب فكسرتموه فقال نعم أردنا أن يخرج الحق من خاصرة الباطل ليكون الناس فى الأمر شرعا سواء. وروى أبو جعفر قال لمانزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون وعلم عثمان ذلك جاء إلى منزل على ع فدخل و قال يا ابن عم إن قرابتى قريبة و لى عليك حق و قدجاء ماترى من هؤلاء القوم وهم مصبحى و لك عند الناس قدر وهم يسمعون منك وأحب أن تركب إليهم فتردهم عنى فإن فى دخولهم على وهنا لأمرى وجرأة على فقال ع على أى شيءأردهم قال على أن أصير إلى ماأشرت به ورأيته لى فقال على ع إنى قدكلمتك مرة بعدأخرى فكل ذلك تخرج وتقول وتعد ثم ترجع و هذا من فعل مروان ومعاوية و ابن عامر و عبد الله بن سعد فإنك أطعتهم وعصيتنى قال عثمان فإنى أعصيهم وأطيعك .فأمر على ع الناس أن يركبوا معه فركب ثلاثون رجلا من المهاجرين [صفحه ۱۴۵] والأنصار منهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و أبوجهم العدوى وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص و عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد. و من الأنصار أبوأسيد الساعدى وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وغيرهم فأتوا المصريين فكلموهم فكان ألذى يكلمهم على و محمد بن مسلمة فسمعوا منهما ورجعوا أصحابهم يطلبون مصر ورجع على ع حتى دخل على عثمان فأشار عليه أن يتكلم بكلام يسمعه الناس منه ليسكنوا إلى مايعدهم به من النزوع و قال له إن البلاد قدتمخضت عليك و لاآمن أن يجيء ركب من جهة أخرى فتقول لى يا على اركب إليهم فإن لم أفعل رأيتنى قدقطعت رحمك واستخففت بحقك .فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها وأعطى الناس من نفسه التوبة و قال لهم أناأول من اتعظ وأستغفر الله عما فعلت وأتوب إليه فمثلى نزع وتاب فإذانزلت فليأتنى أشرافكم فليروا رأيهم وليذكر كل واحد ظلامته لأكشفها وحاجته لأقضيها فو الله لئن ردنى الحق عبدا لأستن بسنة العبيد ولأذلن ذل العبيد و ما عن الله مذهب إلا إليه و الله لأعطينكم الرضا ولأنحين مروان وذويه و لاأحتجب عنكم .فرق الناس له وبكوا حتى خضلوا لحاهم وبكى هوأيضا فلما نزل وجد مروان وسعيدا ونفرا من بنى أمية فى منزله قعودا لم يكونوا شهدوا خطبته ولكنها بلغتهم فلما جلس قال مروان يا أمير المؤمنين أأتكلم أم أسكت فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان لابل تسكت فأنتم و الله قاتلوه ومميتو أطفاله إنه قد قال مقالة لاينبغى له [صفحه ۱۴۶] أن ينزع عنها فقال لها مروان و ما أنت وذاك و الله لقد مات أبوك و مايحسن أن يتوضأ فقالت مهلا

يـامروان عن ذكر أبى إلابخير و الله لو لاـ أن أبـاك عم عثمـان و أنه ينـاله غمه وعيبه لأخبرتـك من أمره بما لاأكـذب فيه عليه .فأعرض عنه عثمـان ثم عـاد فقـال يا أمير المؤمنين أأتكلم أم أسكت فقال تكلم فقال بأبى أنت وأمى و الله لوددت أن مقالتك هـذه كانت و أنت ممتنع فكنت أول من رضـى بها وأعان عليها ولكنك قلت ما قلت و قدبلغ الحزام الطبيين وجاوز السيل الزبى وحين أعطى الخطـة الذليلـة الـذليل و الله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها مازدت على أن جرأت عليـك النـاس . فقـال عثمان قـد كان من قولى ما كان و إن الفائت لايرد و لم آل خيرا. فقال مروان إن الناس قـداجتمعوا ببابك أمثال الجبال قال ماشأنهم قال أنت دعوتهم إلى نفسك فهذا يذكر مظلمة و هذايطلب مالا و هذايسأل نزع عامل من عمالك عنه و هـذا مـاجنيت على خلافتـك و لواستمسـكت وصبرت كـان خيرا لـك قـال فـاخرج أنت إلى الناس فكلمهم فإنى أسـتحيى أن أكلمهم وأردهم .فخرج مروان إلى الناس و قـدركـب بعضـهم بعضا فقال ماشأنكم قـداجتمعتم كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اعزبوا عنا و الله إن رمتمونا لنمرن عليكم ماحلا ولنحلن بكم ما لايسركم و لاتحمدوا فيه غب رأيكم ارجعوا إلى منـازلكم فإنا و الله غيرمغلوبين على ما فى أيـدينا [صـفحه ١۴٧] فرجع الناس خائبين يشتمون عثمان ومروان وأتى بعضـهم عليا ع فأخبره الخبر فأقبل على ع على عبدالرحمن بن الأسود بن عبديغوث الزهرى فقال أحضرت خطبة عثمان قال نعم قال أحضـرت مقالة مروان للناس قال نعم فقال أى عباد الله ياالله للمسلمين إنى إن قعدت فى بيتى قال لى تركتنى وخذلتنى و إن تكلمت فبلغت له مايريد جاء مروان فتلعب به حتى قدصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعدكبر السن وصحبته الرسول ص وقام مغضـبا من فوره حتى دخـل على عثمـان فقـال له أ مايرضـى مروان منـك إلاـ أن يحرفك عن دينك وعقلك فأنت معه كجمل الظعينـة يقاد حيث يسار به و الله مامروان بـذى رأى فى دينه و لاعقله وإنى لأراه يوردك ثم لايصـدرك و ما أناعائـد بعدمقامى هـذالمعاتبتك أفسـدت شـرفك وغلبت على رأيك ثم نهض .فـدخلت نائلـة بنت الفرافصة فقالت قدسـمعت قول على لك وإنه ليس براجع إليك و لامعاود لك و قدأطعت مروان يقودك حيث يشاء قال فما أصـنع قالت تتقى الله وتتبع سنة صاحبيك فإنك متى أطعت مروان قتلـك و ليس لمروان عنـد النـاس قـدر و لاهيبـة و لامحبـة وإنمـا تركك الناس لمكانه وإنما رجع عنك أهل مصـر لقول على فأرسـل إليه فاستصـلحه فـإن له عنـد النـاس قـدما وإنه لايعصـى .فأرسـل إلى على فلم يـأته و قال قـدأعلمته أنى غيرعائـد. قال أبو جعفرفجاء عثمان إلى على بمنزله ليلا فاعتـذر إليه ووعـد من نفسه الجميل و قال إنى فاعل وإنى غيرفاعل فقال له على ع أ بعـد ماتكلمت على منبر رسول الله ص وأعطيت من نفسك ثم دخلت بيتك وخرج مروان [صـفحه ١۴٨] إلى الناس يشـتمهم على بابـك فخرج عثمـان من عنـده و هو يقول خـذلتنى يـا أبـا الحسن وجرأت الناس على فقال على ع و الله إنى لأكثر الناس ذبا عنك ولكنى كلما جئت بشـىء أظنه لك رضا جاء مروان بغيره فسـمعت قوله وتركت قولى. و لم يغـد على إلى نصـر عثمـان إلى أن منع الماء لمااشـتد الحصار عليه فغضب على من ذلك غضـبا شديـدا و قال لطلحـة أدخلوا عليه الروايا فكره طلحة ذلـك وسـاءه فلم يزل على ع حتى أدخـل المـاء إليه . وروى أبو جعفرأيضا أن عليا ع كان فى ماله بخيبر لماحصـر عثمان فقـدم المدينة و الناس مجتمعون على طلحة و كان لطلحة فى حصار عثمان أثر فلما قدم على ع أتاه عثمان و قال له أما بعد فإن لى حق الإسـلام وحق الإخاء والقرابة والصـهر و لو لم يكن من ذلك شيء وكنا فى جاهلية لكان عارا على بنى عبدمناف أن يبتز بنو تيم أمرهم يعنى طلحة فقال له على أناأكفيك فاذهب أنت . ثم خرج إلى المسـجد فرأى أسامـة بن زيـد فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحـة وهى مملوءة من الناس فقال له ياطلحـة ما هذاالأمر ألذى صـنعت بعثمان فقال يا أباحسن أ بعد أن مس الحزام الطبيين فانصـرف على ع حتى أتى بيت المال فقال افتحوه فلم يجـدوا المفاتيح فكسـر الباب وفرق ما فيه على الناس فانصـرف الناس من عندطلحة حتى بقى وحده وسـر عثمان بذلك وجاء طلحة فدخل على عثمان فقال يا أمير المؤمنين إنى أردت أمرا فحال الله بينى وبينه و قـدجئتك تائبـا فقـال و الله مـاجئت ولكن جئت مغلوبـا الله حسيبك ياطلحـة. [صـفحه ١۴٩] قـال أبو جعفر كـان عثمان

مستضعفا طمع فيه الناس وأعان على نفسه بأفعاله وباستيلاء بنى أمية عليه و كان ابتداء الجرأة عليه أن إبلا من إبل الصدقة قدم بها عليه فوهبها لبعض ولد الحكم بن أبى العاص فبلغ ذلك عبدالرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى داره فكان ذلك أول وهن دخل على خلافة عثمان . وقيل بل كان أول وهن دخل عليه أن عثمان مر بجبلة بن عمرو الساعدى و هو فى نادى قومه و فى يده جامعة فسلم فرد القوم عليه فقال جبلة لم تردون على رجل فعل كذا وفعل كذا ثم قال لعثمان و الله لأطرحن هذاالجامعة فى عنقك أولتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان و ابن عامر و ابن أبى سرح فمنهم من نزل القرآن بذمه ومنهم من أباح رسول الله ص دمه . وقيل إنه خطب يوما وبيده عصا كان رسول الله ص و أبوبكر وعمر يخطبون عليها فأخذها جهجاه الغفارى من يده وكسرها على ركبته فلما تكاثرت أحداثه وتكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق إن كنتم تريدون الجهاد فهلموا إلينا فإن دين محمد قدأفسده خليفتكم فاخلعوه فاختلفت عليه القلوب وجاء المصريون وغيرهم إلى المدينة حتى حدث ماحدث . وروى الواقدى والمدائنى و ابن الكلبى وغيرهم وذكره أبو جعفر فى التاريخ وذكره غيره من جميع المورخين أن عليا ع لمارد المصريين رجعوا بعدثلاثة أيام فأخرجوا صحيفة فى أنبوبة رصاص وقالوا وجدنا غلام عثمان بالموضع المعروف [صفحه ١٥٠] بالبويب على بعير من إبل الصدقة ففتشنا متاعه لأنا استربنا أمره فوجدنا فيه هذه الصحيفة مضمونها أمر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بجلد عبدالرحمن بن عديس وعمرو بن الحمق وحلق رءوسهما ولحاهما وحبسهما وصلب قوم آخرين من أهل مصر. وقيل إن ألذى أخذت منه الصحيفة أبوالأعور السلمى وإنهم لمارأوه وسألوه عن مسيره وهل معه كتاب فقال لافسألوه فى أى شىء هوفتغير كلامه فأخذوه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه وعادوا إلى المدينة وجاء الناس إلى على ع وسألوه أن يدخل إلى عثمان فيسأله عن هذه الحال فقام فجاء إليه فسأله فأقسم بالله ماكتبته و لاعلمته و لاأمرت به فقال محمد بن مسلمة صدق هذا من عمل مروان فقال لاأدرى و كان أهل مصر حضورا فقالوا أفيجترأ عليك ويبعث غلامك على جمل من إبل الصدقة وينقش على خاتمك ويبعث إلى عاملك بهذه الأمور العظيمة و أنت لاتدرى قال نعم قالوا إنك إما صادق أوكاذب فإن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لماأمرت به من قتلنا وعقوبتنا بغير حق و إن كنت صادقا فقد استحققت الخلع لضعفك عن هذاالأمر وغفلتك وخبث بطانتك و لاينبغى لنا أن نترك هذاالأمر بيد من تقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته فاخلع نفسك منه فقال لاأنزع قميصا ألبسنيه الله ولكنى أتوب وأنزع قالوا لو كان هذاأول ذنب تبت منه لقبلنا ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود ولسنا بمنصرفين حتى نخلعك أونقتلك أوتلحق أرواحنا بالله و إن منعك أصحابك وأهلك قاتلناهم حتى نخلص إليك فقال أما أن أبرأ من خلافة الله فالقتل أحب إلى من ذلك و أماقتالكم من يمنع عنى فإنى لاآمر أحدا بقتالكم فمن قاتلكم فبغير أمرى قاتل و لوأردت قتالكم لكتبت إلى الأجناد فقدموا [صفحه ١٥١] على أولحقت ببعض الأطراف وكثرت الأصوات واللغط فقام على فأخرج أهل مصر معه وخرج إلى منزله قال أبو جعفر وكتب عثمان إلى معاوية و ابن عامر وأمراء الأجناد يستنجدهم ويأمر بالعجل والبدار وإرسال الجنود إليه فتربص به معاوية فقام فى أهل الشام يزيد بن أسد القسرى جد خالد بن عبد الله بن يزيد أميرالعراق فتبعه خلق كثير فسار بهم إلى عثمان فلما كانوا بوادى القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا. وقيل بل أشخص معاوية من الشام حبيب بن مسلمة الفهرى وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمى فلما وصلوا الربذة ونزلت مقدمتهم الموضع المسمى صرارا بناحية المدينة أتاهم قتل عثمان فرجعوا و كان عثمان قداستشار نصحاءه فى أمره فأشاروا أن يرسل إلى على ع يطلب إليه أن يرد الناس ويعطيهم مايرضيهم ليطاولهم حتى تأتيه الأمداد فقال إنهم لايقبلون التعليل و قد كان منى فى المرة الأولى ما كان فقال مروان أعطهم ماسألوك وطاولهم ماطاولوك فإنهم قوم قدبغوا عليك و لاعهد لهم .فدعا عليا ع و قال له قدترى ما كان من الناس ولست آمنهم على دمى فارددهم عنى فإنى أعطيهم مايريدون من الحق من نفسى و من غيرى. فقال على إن الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك وإنهم لايرضون إلا [صفحه ١٥٢] بالرضا و قدكنت أعطيتهم من

قبل عهـدا فلم تف به فلاتغرر فی هذه المرئ فإنی معطیهم عنک الحق قال أعطهم فو الله لأفین لهم .فخرج علی ع إلی الناس فقال إنکم إنمـا تطلبون الحق و قـدأعطیتموه وإنه منصـفکم من نفسه فسـأله النـاس أن یسـتوثق لهم وقالوا إنا لانرضـی بقول دون فعل فـدخل علیه فأعلمه فقال اضـرب بینی و بین الناس أجلا فإنی لاأقـدر علی تبـدیل ماکرهوا فی یوم واحـد فقال علی ع أما ما کان بالمدینۀ فلاأجل فیه و أما ماغاب فأجله وصول أمرک قال نعم فأجلنی فیما بالمدینۀ ثلاثۀ أیام فأجابه إلی ذلک وکتب بینه و بین الناس کتابا علی رد کل مظلمۀ وعزل کل عامل کرهوه فکف الناس عنه وجعل یتأهب سـرا للقتال ویسـتعد بالسلاح واتخذ جندا فلمـا مضت الأیـام الثلاثـۀ و لم یغیر شـیئا ثـار به النـاس وخرج قوم إلی من بـذی خشب من المصـریین فـأعلموهم الحال فقـدموا المدینـۀ وتکـاثر الناس علیه وطلبوا منه عزل عماله ورد مظالمهم فکان جوابه لهم أنی إن کنت أسـتعمل من تریـدون لا من أرید فلست إذن فی شیء من الخلافۀ والأمر أمرکم فقالوا و الله لتفعلن أولتخلعن أولنقتلنک فأبی علیهم و قال لاأنزع سربالا سربلنیه الله فحصـروه وضیقوا الحصار علیه . وروی أبو جعفر لمااشتد علی عثمان الحصار أشرف علی الناس فقال یا أهل المدینۀ أستودعکم الله وأسأله أن یحسن علیکم الخلافـۀ من بعـدی ثم قال أنشـدکم الله هل تعلمون أنکم دعوتم الله عنـدمصاب عمر أن یختار لکم ویجمعکم علی خیرکم أفتقولون إن الله لم یستجب لکم وهنتم علیه وأنتم أهل حقه وأنصار نبیه أم تقولون هان علی الله [صفحه ۱۵۳] دینه فلم یبـال من ولی والـدین لم یتفرق أهله بعـدأم تقولون لم یکن أخـذ عن مشورۀ إنما کان مکابرۀ فوکل الله الأمـۀ إذ عصـته و لم یتشاوروا فی الإمامۀ إلی أنفسـها أم تقولون إن الله لم یعلم عاقبۀ أمری فمهلا مهلا لاتقتلونی وإنه لایحل إلاقتل ثلاثۀ زان بعـدإحصان أوکافر بعـدإیمان أوقاتل نفس بغیر حق أماإنکم إن قتلتمونی وضـعتم السـیف علی رقابکم ثم لایرفعه الله عنکم أبدا فقالوا أما ماذکرت من اسـتخارۀ الناس بعدعمر فإن کل مایصـنعه الله الخیرۀ ولکن الله جعلک بلیۀ ابتلی بهاعباده ولقد کانت لک قـدم وسابقۀ وکنت أهلا للولایۀ ولکن أحدثت ماتعلمه و لانترک الیوم إقامۀ الحق علیک مخافۀ الفتنۀ عاما قابلا و أماقولک لایحل دم إلاباحدی ثلاث فإنا نجد فی کتاب الله إباحۀ دم غیرالثلاثۀ دم من سـعی فی الأرض بالفساد ودم من بغی ثم قاتل علی بغیه ودم من حال دون شـیء من الحق ومنعه وقاتل دونه و قدبغیت ومنعت الحق وحلت دونه وکابرت علیه و لم تقد من نفسک من ظلمته و لا ـ من عمالـک و قدتمسـکت بالإمارۀ علینا والـذین یقومون دونک ویمنعونک إنما یمنعونک ویقاتلوننا لتسـمیتک بالإمارۀ فلو خلعت نفسک لانصـرفوا عن القتال معک .فسکت عثمان ولزم الدار وأمر أهل المدینۀ بالرجوع وأقسم علیهم فرجعوا إلا ـ الحسن بن علی و محمـد بن طلحـۀ و عبـد الله بن الزبیر وأشـباها لهم وکـانت مـدۀ الحصار أربعین یوما. قال أبو جعفر ثم إن محاصـری عثمـان أشـفقوا من وصول أجناد من الشام والبصـرۀ تمنعه فحالوا بین عثمان و بین الناس ومنعوه کل شـیء حتی الماء فأرسـل عثمان سـرا إلی علی ع و إلی أزواج النبی ص أنهم قـدمنعونا الماء فإن قـدرتم أن [صـفحه ۱۵۴] ترسـلوا إلینا ماء فافعلوا فجـاء علی ع فی الغلس وأم حبیبـۀ بنت أبی سـفیان فوقف علی ع علی الناس فوعظهم و قال أیها الناس إن ألـذی تفعلون لایشـبه أمر المؤمنین و لا ـ أمر الکافرین إن فارس والروم لتأسـر فتطعم وتسـقی فالله الله لاتقطعوا الماء عن الرجل فأغلظوا له وقالوا لانعم و لانعمـۀ عین فلما رأی منهم الجـد نزع عمامته عن رأسه ورمی بها إلی دار عثمان یعلمه أنه قـدنهض وعاد. و أماأم حبیبـۀ وکانت مشـتملۀ علی إداوۀ فضـربوا وجه بغلتها فقالت إن وصایا أیتام بنی أمیـۀ عنـد هـذا الرجل فأحببت أن أسأله عنها لئلا تهلک أموال الیتـامی فشـتموها وقـالوا أنت کاذبـۀ وقطعوا حبـل البغلـۀ بالسـیف فنفرت وکادت تسـقط عنها فتلقاها الناس فحملوها إلی منزلها. وروی أبو جعفر قال أشـرف عثمان علیهم یوما فقال أنشـدکم الله هل تعلمون أنی اشتریت بئر رومـۀ بمالی أسـتعذب بها وجعلت رشـائی فیهاکرجـل من المسـلمین قـالوا نعم قـال فلم تمنعوننی أن أشـرب منها حتی أفطر علی ماء البحر ثم قال أنشـدکم الله هل تعلمون أنی اشتریت أرض کـذا فزدتهـا فی المسـجد قـالوا نعم قال فهل علمتم أن أحـدا منع أن یصـلی فیه قبلی. [صـفحه ۱۵۵] وروی أبو جعفر عن عبـد الله بن عیاش بن أبی ربیعـۀ المخزومی قال دخلت علی عثمان فأخذ بیدی فأسـمعنی کلام من علی بابه

من الناس فمنهم من يقول ماتنتظرون به ومنهم من يقول لاتعجلوا فعساه ينزع ويراجع فبينا نحن إذ مر طلحة فقام إليه ابن عديس البلوى فناجاه ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه لاتتركوا أحدا يدخل إلى عثمان و لايخرج من عنده قال لى عثمان هذا ماأمر به طلحة أللهم اكفنى طلحة فإنه حمل هؤلاء القوم وألبهم على و الله إنى لأرجو أن يكون منها صفرا و أن يسفك دمه قال فأردت أن أخرج فمنعونى حتى أمرهم محمد بن أبى بكر فتركونى أخرج . قال أبو جعفر فلما طال الأمر وعلم المصريون قدأجرموا إليه جرما كجرم القتل و أنه لافرق بين قتله و بين ماأتوا إليه وخافوا على نفوسهم من تركه حيا راموا الدخول عليه من باب داره فأغلقوا الباب ومانعهم الحسن بن على و عبد الله بن الزبير و محمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص وجماعة معهم من أبناء الأنصار فزجرهم عثمان و قال أنتم فى حل من نصرتى فأبوا و لم يرجعوا. وقام رجل من أسلم يقال له نيار بن عياض و كان من الصحابة فنادى عثمان وأمره أن يخلع نفسه فبينا هويناشده ويسومه خلع نفسه رماه كثير بن الصلت الكندى و كان من أصحاب عثمان من أهل الدار بسهم فقتله فصاح المصريون وغيرهم عند ذلك ادفعوا إلينا قاتل ابن عياض لنقتله به فقال عثمان لم أكن لأدفع إليكم رجلا نصرنى وأنتم تريدون قتلى فثاروا إلى الباب فأغلق دونهم فجاءوا بنار فأحرقوه وأحرقوا السقيفة التى عليه فقال لمن عنده من أنصاره إن رسول الله ص عهد [صفحه ۱۵۶] إلى عهدا فأنا صابر عليه فأخرج على رجل يقاتل دونى ثم قال للحسن إن أباك الآن لفى أمر عظيم من أجلك فاخرج إليه أقسمت عليك لماخرجت إليه فلم يفعل ووقف محاميا عنه وخرج مروان بسيفه يجالد الناس فضربه رجل من بنى ليث على رقبته فأثبته وقطع إحدى علباويه فعاش مروان بعد ذلك أوقص وقام إليه عبيد بن رفاعة الزرقى ليذفف عليه فقامت دونه فاطمة أم ابراهيم بن عدى وكانت أرضعت مروان وأرضعت له فقالت له إن كنت تريد قتله فقد قتل و إن كنت إنما تريد أن تتلعب بلحمه فأقبح بذلك فتركه فخلصته وأدخلته بيتها فعرف لها بنو ذلك بعد واستعملوا ابنها ابراهيم و كان له منهم خاصة. وقتل المغيرة بن الأخنس بن شريق و هويحامى عن عثمان بالسيف واقتحم القوم الدار ودخل كثير منهم الدور المجاورة لها وتسوروا من دار عمرو بن حزم إليها حتى ملئوها وغلب الناس على عثمان وندبوا رجلا لقتله فدخل إليه البيت فقال له اخلعها وندعك فقال ويحك و الله ماكشفت عن امرأة فى جاهلية و لاإسلام و لاتعينت و لاتمنيت و لاوضعت يمينى على عورتى مذ بايعت رسول الله ولست بخالع قميصا كسانيه الله حتى يكرم أهل السعادة ويهين أهل الشقاوة.فخرج عنه فقالوا له ماصنعت قال إنى لم أستحل قتله فأدخلوا إليه رجلا من الصحابة فقال له لست بصاحبى إن النبى ص دعا لك أن يحفظك يوم كذا ولن تضيع فرجع عنه . [صفحه ۱۵۷] فأدخلوا إليه رجلا من قريش فقال له إن رسول الله ص استغفر لك يوم كذا فلن تقارف دما حراما فرجع عنه .فدخل عليه محمد بن أبى بكر فقال له عثمان ويحك أ على الله تغضب هل لى إليك جرم إلاأنى أخذت حق الله منك فأخذ محمدبلحيته و قال أخزاك الله يانعثل قال لست بنعثل لكنى عثمان و أمير المؤمنين فقال ماأغنى عنك معاوية وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن أخى دعها من يدك فما كان أبوك ليقبض عليها فقال لوعملت ماعملت فى حياة أبى لقبض عليها و ألذى أريد بك أشد من قبضى عليها فقال أستنصر الله عليك وأستعين به فتركه وخرج . وقيل بل طعن جبينه بمشقص كان فى يده فثار سودان بن حمران و أبوحرب الغافقى وقتيرة بن وهب السكسكى فضربه الغافقى بعمود كان فى يده وضرب المصحف برجله و كان فى حجره فنزل بين يديه وسال عليه الدم وجاء سودان ليضربه بالسيف فأكبت عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبية واتقت السيف بيدها وهى تصرخ فنفح أصابعها فأطنها فولت فغمز بعضهم أوراكها و قال إنها لكبيرة العجز وضرب سودان عثمان فقتله . وقيل بل قتله كنانة بن بشر التجيبى وقيل بل قتيرة بن وهب ودخل غلمان عثمان ومواليه فضرب أحدهم عنق سودان فقتله فوثب قتيرة بن وهب على ذلك الغلام [صفحه ۱۵۸] فقتله فوثب غلام آخر على قتيرة فقتله ونهبت دار عثمان وأخذ ما على نسائه و ما كان فى بيت المال و كان فيه غرارتان دراهم ووثب عمرو بن الحمق على صدر عثمان و به رمق فطعنه تسع طعنات و قال أماثلاث منها فإنى طعنتهن لله تعالى و أماست منها فلما كان فى

صـدرى عليه وأرادوا قطع رأسه فوقعت عليه زوجتاه نائلـة بنت الفرافصـة وأم البنين ابنة عيينة بن حصن الفزارى فصـحن وضـربن الوجوه فقال ابن عديس اتركوه وأقبل عمير بن ضابئ البرجمى فوثب عليه فكسـر ضـلعين من أضلاعه و قال له سجنت أبى حتى مات فى السـجن و كان قتله يوم الثامن عشـر من ذى الحجة من سـنة خمسـين وثلاثين وقيل بل فى أيام التشريق و كان عمره ستا وثمـانين سـنة. قـال أبو جعفر وبقى عثمان ثلاثـة أيام لايـدفن ثم إن حكيم بن حزام وجبير بن مطعم كلما عليا ع فى أن يأذن فى دفنه ففعـل فلمـا سـمع الناس بـذلك قعـد له قوم فى الطريق بالحجارة وخرج به ناس يسـير من أهله ومعهم الحسن بن على و ابن الزبير و أبوجهم بن حذيفـة بين المغرب والعشاء فأتوا به حائطا من حيطان المدينـة يعرف بحش كوكب و هوخارج البقيع فصـلوا عليه وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه فأرسل على ع فمنع من رجم سريره وكف الذين راموا منع الصلاة عليه ودفن فى حش كوكب فلما ظهر معاويـة على الأمر أمر بـذلك الحائط فهـدم وأدخل فى البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصـل بمقـابر المسـلمين بـالبقيع . وقيـل إن عثمان لم يغسل وإنه كفن فى ثيابه التى قتل فيها. [صـفحه ١٥٩] قال أبو جعفر وروى عن عـامر الشـعبى أنه قال ماقتل عمر بن الخطاب حتى ملته قريش واسـتطالت خلافته و قـد كان يعلم فتنتهم فحصـرهم فى المدينـة و قال لهم إن أخوف ماأخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد و إن كان الرجل ليسـتأذنه فى الغزو فيقول إن لك فى غزوك مع رسول الله ص مايكفيـك و هوخير لـك من غزوك اليوم وخير لـك من الغزو ألاـ ترى الـدنيا و لاتراك فكان يفعل هذابالمهاجرين من قريش و لم يكن يفعله بغيرهم من أهل مكة فلما ولى عثمان الخلافة خلى عنهم فانتشـروا فى البلاد وخالطهم الناس وأفضـى الأمر إلى ماأفضـى إليه و كان عثمان أحب إلى الرعيـة من عمر. قال أبو جعفر و كان أول منكر ظهر بالمدينـة فى خلافـة عثمان حين فاضت الـدنيا على العرب والمسـلمين طيران الحمام والمسابقـة بها والرمى عن الجلاهقات وهى قسـى البندق فاسـتعمل عثمـان عليهـا رجلاـ من بنى ليث فى سـنة ثمان من خلافته فقص الطيور وكسـر الجلاهقات . وروى أبو جعفر قال سأل رجل سـعيد بن المسـيب عن محمـد بن أبى حذيفـة مادعاه إلى الخروج على عثمان فقال كان يتيما فى حجر عثمان و كان والى أيتـام أهـل بيته ومحتمـل كلهم فسـأل عثمـان العمـل فقال يابنى لوكنت رضا لاسـتعملتك قال فأذن لى فأخرج فأطلب الرزق قال اذهب حيث شـئت وجهزه من عنـده وحمله وأعطـاه فلمـا وقع إلى مصـر كـان فيمن أعان عليه لأنه منعه الإمارة فقيل له فعمار بن ياسر قال [صفحه ١٦٠] كان بينه و بين العباس بن عتبة بن أبى لهب كلام فضربهما عثمان فأورث ذلك تعاديا بين عمار وعثمان و قـد كـان تقاذفا قبل ذلك . قال أبو جعفر وسـئل سالم بن عبـد الله عن محمـد بن أبى بكر مادعاه إلى ركوب عثمان فقال لزمه حق فأخذ عثمان من ظهره فغضب وغره أقوام فطمع لأنه كان من الإسـلام بمكان وكانت له دالة فصار مذمما بعد أن كان محمدا و كـان كعب بن ذى الحبكـة النهـدى يلعب بالنيرنجـات بالكوفـة فكتب عثمـان إلى الوليـد أن يـوجعه ضـربا فضـربه وسـيره إلى دنباونـد. و كـان ممن خرج إليه وسـار إليه وحبس ضـابئ بن الحـارث البرجمى لأـنه هجا قوما فنسـبهم إلى أن كلبهم يأتى أمهم فقال لهم فأمكم لاتتركوها وكلبكم || فإن عقوق الوالـدين كبير . [صـفحه ١٦١] فاسـتعدوا عليه عثمان فحبسه فمات فى السجن فلذلك حقد ابنه عمير عليه وكسـر أضلاعه بعدقتله . قال أبو جعفر و كان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا فقال طلحة له يوما قـدتهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك معونـة على مروءتك فلما حصـر عثمان قال على ع لطلحـة أنشدك الله إلاكففت عن عثمـان فقـال لا و الله حتى تعطى بنو أميـة الحق من أنفسـها فكان على ع يقول لحا الله ابن الصـعبة أعطاه عثمان ماأعطاه وفعل به مافعل [صفحه ١٦٢]

٣١– و من كلام له ع لماأنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير قبل وقوع الحرب يوم الجمل ليستفيئه إلى طاعته

اشاره

لَا تَلقَيَنّ طَلحَةَ فَإِنّکَ إِن تَلقَهُ تَجِدهُ کَالثّورِ عَاقِصاً قَرنَهُ یَرکَبُ الصّعبَ وَ یَقُولُ هُوَ الذّلُولُ وَ لَکِنِ القَ الزّبَیرَ فَإِنّهُ أَلیَنُ عَرِیکَةً فَقُل لَهُ یَقُولُ لَکَ ابنُ خَالِکَ عَرَفتَنِی بِالحِجَازِ وَ أَنکَرتَنِی بِالعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمّا بَدَا قال الرضی رحمه الله و هو ع أول من سمعت منه هذه الکلمة أعنی فما عدا مما بدا -روایت-۱-۸۴ لیستفیئه إلی طاعته أی یسترجعه فاء أی رجع و منه سمی الفیء للظل بعدالزوال وجاء فی روایة فإنک إن تلقه تلفه أی تجده ألفیته علی کذا أی وجدته . وعاقصا قرنه أی قدعطفه تیس أعقص أی قدالتوی قرناه علی أذنیه والفعل فیه عقص الثور قرنه بالفتح و قال القطب الراوندی عقص بالکسر و لیس بصحیح وإنما یقال عقص الرجل بالکسر إذاشح وساء خلقه فهو عقص . و قوله یرکب الصعب أی یستهین بالمستصعب من الأمور یصفه بشراسة [صفحه ۱۶۳] الخلق والبأو وکذلک کان طلحة و قدوصفه عمر بذلک ویقال إن طلحة أحدث یوم أحد عنده کبرا شدیدا لم یکن وذاک لأنه أغنی فی ذلک الیوم وأبلی بلاء حسنا. والعریکة هاهنا الطبیعة یقال فلان لین العریکة إذا کان سلسا. و قال الراوندی العریکة بقیة السنام ولقد صدق ولکن لیس هذاموضع ذاک . و قوله ع لابن عباس قل له یقول لک ابن خالک لطیف جدا و هو من باب الاستمالة والإذکار بالنسب والرحم أ لاتری أن له فی القلب من الموقع الداعی إلی الانقیاد ما لیس لقوله یقول لک أمیر المؤمنین و من هذاالباب قوله تعالی فی ذکر موسی وهارون وَ أَلقَی الأَلواحَ وَ أَخَذَ بِرَأسِ أَخِیهِ یَجُرّهُ إِلَیهِ قالَ ابنَ أُمّ إِنّ القَومَ استَضعَفُونِی وَ کادُوا یَقتُلُونَنِی فَلا تُشمِت بِیَ الأَعداءَ لمارأی هارون غضب موسی واحتدامه شرع معه فی الاستمالة والملاطفة فقال له ابنَ أُمّ وأذکره حق الأخوة و ذلک أدعی إلی عطفه علیه من أن یقول له یا موسی أو یاأیها النبی .فأما قوله فما عدا مما بدا فعدا بمعنی صرف قال الشاعر -قرآن-۵۴۷-۷۰۴-قرآن-۷۸۴-۷۹۲ وإنی عدانی أن أزورک محکم || متی ماأحرک فیه ساقی یصخب . و من هاهنا بمعنی عن و قدجاءت فی کثیر من کلامهم کذلک قال ابن قتیبة فی أدب الکاتب قالوا حدثنی فلان من فلان أی عن فلان ولهیت من کذا أی عنه ویصیر ترتیب الکلام وتقدیره فما صرفک عما بدا منک أی [صفحه ۱۶۴] ظهر والمعنی ما ألذی صدک عن طاعتی بعدإظهارک لها وحذف الضمیر المفعول المنصوب کثیر جدا کقوله تعالی وَ سئَل مَن أَرسَلنا مِن قَبلِکَ مِن رُسُلِنا أی أرسلناه و لابد من تقدیره کی لایبقی الموصول بلاعائد. و قال القطب الراوندی قوله فما عدا مما بدا له معنیان أحدهما ما ألذی منعک مما کان قدبدا منک من البیعة قبل هذه الحالة والثانی ما ألذی عاقک و یکون المفعول الثانی لعدا محذوفا یدل علیه الکلام أی ماعداک یرید ماشغلک و مامنعک مما کان بدا لک من نصرتی من البدا ألذی یبدو للإنسان ولقائل أن یقول لیس فی الوجه الثانی زیادة علی الوجه الأول إلازیادة فاسدة أماإنه لیس فیه زیادة فلأنه فسر فی الوجه الأول عدا بمعنی منع ثم فسره فی الوجه الثانی بمعنی عاق وفسر عاق بمنع وشغل فصار عدا فی الوجه الثانی مثل عدا فی الوجه الأول . و قوله مما کان بدا منک فسره فی الأول والثانی بتفسیر واحد فلم یبق بین الوجهین تفاوت و أماالزیادة الفاسدة فظنه أن عدا یتعدی إلی مفعولین و أنه قدحذف الثانی و هذا غیرصحیح لأن عدا لیس من الأفعال التی تتعدی إلی مفعولین بإجماع النحاة و من العجب تفسیره المفعول الثانی المحذوف علی زعمه بقوله أی ماعداک و هذاالمفعول المحذوف هاهنا هومفعول عدا ألذی لامفعول لها غیره فلایجوز أن یقال إنه أول و لاثان . ثم حکی القطب الراوندی حکایة معناها أن صفیة بنت عبدالمطلب أعتقت عبیدا ثم ماتت ثم مات العبید و لم یخلفوا وارثا إلاموالیهم وطلب علی ع میراث العبید بحق التعصیب وطلبه الزبیر بحق الإرث من أمه وتحاکما إلی عمر فقضی عمر بالمیراث للزبیر. -قرآن-۱۰۵-۱۴۹ [صفحه ۱۶۵] قال القطب الراوندی رحمه الله تعالی حکایة عن أمیر المؤمنین ع إنه قال هذاخلاف الشرع لأن ولاء معتق المرأة إذاکانت میتة یکون لعصبتها وهم العاقلة لالأولادها -روایت-۱-۲-روایت-۷۹-۱۷۰ . قلت هذه المسألة مختلف فیها بین الإمامیة فأبو عبد الله بن النعمان المعروف بالمفید یقول إن

الولاء لولدها و لايصحح هذاالخبر ويطعن فى راويه وغيره من فقهاء الإمامية كأبى جعفرالطوسى و من قال بقوله يذهبون إلى أن الولاء لعصبتها لالولدها ويصححون الخبر ويزعمون أن أمير المؤمنين ع سكت و لم ينازع على قاعدته فى التقية واستعمال المجاملة مع القوم .فأما مذاهب الفقهاء غيرالإمامية فإنها متفقة على أن الولاء للولد لاللعصبة كما هوقول المفيد رحمه الله تعالى . وروى جعفر بن محمدالصادق عن أبيه عن جده ع قال سألت ابن عباس رضى الله عنه عن ذلك فقال إنى قدأتيت الزبير فقلت له فقال قل له إنى أريد ماتريد كأنه يقول الملك لم يزدنى على ذلك فرجعت إلى على ع فأخبرته -روايت-۱-۲-روايت-۵۶-۲۲۶ . وروى محمد بن إسحاق والكلبى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدنى على أن قال قل له إنا مع الخوف الشديد لنطمع . [صفحه ۱۶۶] قال وسئل ابن عباس عما يعنى بقوله هذا فقال يقول إنا على الخوف لنطمع أن نلى من الأمر ماوليتم . و قدفسره قوم تفسيرا آخر وقالوا أراد إنا مع الخوف من الله لنطمع أن يغفر لنا هذاالذنب . قلت و على كلا التفسيرين لم يحصل جواب المسألة

من أخبار الزبير وابنه عبد الله

كان عبد الله بن الزبير هو ألذى يصلى بالناس فى أيام الجمل لأن طلحة والزبير تدافعا الصلاة فأمرت عائشة عبد الله أن يصلى قطعا لمنازعتهما فإن ظهروا كان الأمر إلى عائشة تستخلف من شاءت . و كان عبد الله بن الزبير يدعى أنه أحق بالخلافة من أبيه و من طلحة ويزعم أن عثمان يوم الدار أوصى بها إليه . واختلفت الرواية فى كيفية السلام على الزبير وطلحة فروى أنه كان يسلم على الزبير وحده بالإمرة فيقال السلام عليك أيها الأمير لأن عائشة ولته أمر الحرب . وروى أنه كان يسلم على كل واحد منهما بذلك . لمانزل على ع بالبصرة ووقف جيشه بإزاء جيش عائشة قال الزبير و الله ما كان أمر قط إلاعرفت أين أضع قدمى فيه إلا هذاالأمر فإنى لاأدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر فقال له ابنه عبد الله كلا ولكنك فرقت سيوف ابن أبى طالب وعرفت أن الموت الناقع تحت راياته فقال الزبير ما لك أخزاك الله من ولد ماأشأمك [صفحه ۱۶۷] كان أمير المؤمنين ع يقول مازال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد الله -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۸۶ .برز على ع بين الصفين حاسرا و قال ليبرز إلى الزبير فبرز إليه مدججا فقيل لعائشة قدبرز الزبير إلى على ع فصاحت وا زبيراه فقيل لها لابأس عليه منه إنه حاسر والزبير دارع فقال له ماحملك يا أبا عبد الله على ماصنعت قال أطلب بدم عثمان قال أنت وطلحة وليتماه وإنما نوبتك من ذلك أن تقيد به نفسك وتسلمها إلى ورثته ثم قال نشدتك الله أتذكر يوم مررت بى و رسول الله ص متكئ على يدك و هوجاء من بنى عمرو بن عوف فسلم على وضحك فى وجهى فضحكت إليه لم أزده على ذلك فقلت لايترك ابن أبى طالب يا رسول الله زهوه فقال لك مه إنه ليس بذى زهو أماإنك ستقاتله و أنت له ظالم فاسترجع الزبير و قال لقد كان ذلك ولكن الدهر أنسانيه ولأنصرفن عنك فرجع فأعتق عبده سرجس تحللا من يمين لزمته فى القتال ثم أتى عائشة فقال لها إنى ماوقفت موقفا قط و لاشهدت حربا إلا و لى فيه رأى وبصيرة إلا هذه الحرب وإنى لعلى شك من أمرى و ماأكاد أبصر موضع قدمى فقالت له يا أبا عبد الله أظنك فرقت سيوف ابن أبى طالب إنها و الله سيوف حداد معدة للجلاد تحملها فئة أنجاد ولئن فرقتها لقد فرقها الرجال قبلك قال كلا ولكنه ما قلت لك ثم انصرف . وروى فروة بن الحارث التميمى قال كنت فيمن اعتزل عن الحرب بوادى السباع مع الأحنف بن قيس وخرج ابن عم لى يقال له الجون مع عسكر البصرة فنهيته [صفحه ۱۶۸] فقال لاأرغب بنفسى عن نصرة أم المؤمنين وحوارى رسول الله فخرج معهم وإنى لجالس مع الأحنف يستنبئ الأخبار إذابالجون بن قتادة ابن عمى مقبلا فقمت إليه واعتنقته وسألته عن الخبر فقال أخبرك العجب خرجت و أنا لاأريد أن أبرح الحرب حتى يحكم الله بين الفريقين فبينا أناواقف مع الزبير إذ جاءه رجل

فقال أبشر أيها الأمير فإن عليا لمارأى ماأعد الله له من هذاالجمع نكص على عقبيه وتفرق عنه أصحابه وأتاه آخر فقال له مثل ذلك فقال الزبير ويحكم أبوحسن يرجع و الله لو لم يجد إلاالعرفج لدب إلينا فيه ثم أقبل رجل آخر فقال أيها الأمير إن نفرا من أصحاب على فارقوه ليدخلوا معنا منهم عمار بن ياسر فقال الزبير كلا ورب الكعبة إن عمارا لايفارقه أبدا فقال الرجل بلى و الله مرارا فلما رأى الزبير أن الرجل ليس براجع عن قوله بعث معه رجلا آخر و قال اذهبا فانظرا فعادا وقالا إن عمارا قدأتاك رسولا من عندصاحبه قال جون فسمعت و الله الزبير يقول وا انقطاع ظهراه وا جدع أنفاه وا سواد وجهاه ويكرر ذلك مرارا ثم أخذته رعدة شديدة فقلت و الله إن الزبير ليس بجبان وإنه لمن فرسان قريش المذكورين و إن لهذا الكلام لشأنا و لاأريد أن أشهد مشهدا يقول أميره هذه المقالة فرجعت إليكم فلم يكن إلاقليل حتى مر الزبير بنا متاركا للقوم فاتبعه عمير بن جرموز فقتله .أكثر الروايات على أن ابن جرموز قتل مع أصحاب النهر وجاء فى بعضها أنه عاش إلى أيام ولاية مصعب بن الزبير العراق و أنه لماقدم مصعب البصرة خافه ابن جرموز فهرب فقال مصعب ليظهر سالما وليأخذ عطاءه موفورا أيظن أنى أقتله بأبى عبد الله وأجعله فداء له فكان هذا من الكبر المستحسن . [صفحه ١٦٩] كان ابن جرموز يدعو لدنياه فقيل له هلا دعوت لآخرتك فقال أيست من الجنة.الزبير أول من شهر سيفه فى سبيل الله قيل له فى أول الدعوة قدقتل رسول الله فخرج و هوغلام يسعى بسيفه مشهورا. وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات قال لماسار على ع إلى البصرة بعث ابن عباس فقال ائت الزبير فاقرأ عليه السلام وقل له يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة فقال ابن عباس أ فلاآتى طلحة قال لا إذاتجده عاقصا قرنه فى حزن يقول هذاسهل . قال فأتيت الزبير فوجدته فى بيت يتروح فى يوم حار و عبد الله ابنه عنده فقال مرحبا بك يا ابن لبابة أجئت زائرا أم سفيرا قلت كلا إن ابن خالك يقرأ عليك السلام و يقول لك يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينة وأنكرتنا بالبصرة فقال علقتهم أنى خلقت عصبه || قتادة تعلقت بنشبه .لن أدعهم حتى أؤلف بينهم قال فأردت منه جوابا غير ذلك فقال لى ابنه عبد الله قل له بيننا وبينك دم خليفة ووصية خليفة واجتماع اثنين وانفراد واحد وأم مبرورة ومشاورة العشيرة قال فعلمت أنه ليس وراء هذاالكلام إلاالحرب فرجعت إلى على ع فأخبرته . [صفحه ١٧٠] قال الزبير بن بكار هذاالحديث كان يرويه عمى مصعب ثم تركه و قال إنى رأيت جدى أبا عبد الله الزبير بن العوام فى المنام و هويعتذر من يوم الجمل فقلت له كيف تعتذر منه و أنت القائل علقتهم أنى خلقت عصبه || قتادة تعلقت بنشبه .لن أدعهم حتى أؤلف بينهم فقال لم أقله

استطراد بلاغى فى الكلام على الاستدراج

واعلم أن فى علم البيان بابا يسمى باب الخداع والاستدراج يناسب مايذكره فيه علماء البيان قول أمير المؤمنين ع يقول لك ابن خالك عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق .قالوا و من ذلك قول الله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون وَ قالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ ربَيّ‌َ اللّهُ وَ قَد جاءَكُم بِالبَيّناتِ مِن رَبّكُم وَ إِن يَكُ كاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وَ إِن يَكُ صادِقاً يُصِبكُم بَعضُ ألّذِی يَعِدُكُم إِنّ اللّهَ لا يهَدیِ مَن هُوَ مُسرِفٌ كَذّابٌفإنه أخذ معهم فى الاحتجاج بطريق التقسيم فقال هذا الرجل إما أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه و لايتعداه وإما أن يكون صادقا فيصيبكم بعض مايعدكم به و لم يقل كل مايعدكم به مخادعة لهم وتلطفا واستمالة لقلوبهم كى لاينفروا منه لوأغلظ فى القول وأظهر لهم أنه يهضمه بعض حقه . وكذلك تقديم قسم الكذب على قسم الصدق كأنه رشاهم ذلك وجعله برطيلا لهم ليطمئنوا إلى نصحه . -قرآن-٢٣٤-٥١٨ [صفحه ١٧١] و من ذلك قول ابراهيم على ماحكاه تعالى عنه فى قوله إِذ قالَ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ وَ لا يُبصِرُ وَ لا يغُنیِ عَنكَ شَيئاً يا أَبَتِ إنِیّ قَد جاءنَیِ مِنَ العِلمِ ما لَم يَأتِكَ فَاتبّعِنیِ أَهدِكَ صِراطاً سَوِيّا يا أَبَتِ لا تَعبُدِ الشّيطانَ إِنّ الشّيطانَ كانَ لِلرّحمنِ عَصِيّا يا أَبَتِ إنِیّ

أَخافُ أَن يَمَسّکَ عَذابٌ مِنَ الرّحمنِ فَتَکُونَ لِلشّيطانِ وَلِيّافطلب منه فی مبدأ الأمر السبب فی عبادته الصنم والعلة لذلک ونبهه علی أن عبادة ما لايسمع و لايبصر و لايغنی عنه شيئا قبيحة ثم لم يقل له إنی قدتبحرت فی العلوم بل قال له قدحصل عندی نوع من العلم لم يحصل عندک و هذا من باب الأدب فی الخطاب ثم نبهه علی أن الشيطان عاص لله فلايجوز اتباعه ثم خوفه من عذاب الله إن اتبع الشيطان وخاطبه فی جميع ذلک بقوله يا أَبَتِاستعطافا واستدراجا کقول علی ع يقول لک ابن خالک فلم يجبه أبوه إلی ماأراد و لا قال له يابنی بل قال أَ راغِبٌ أَنتَ عَن آلِهَتِی يا إِبراهِيمُفخاطبه بالاسم وأتاه بهمزة الاستفهام المتضمنة للإنکار ثم توعده فقال لَئِن لَم تَنتَهِ لَأَرجُمَنّکَ وَ اهجُرنِي مَلِيّا.قالوا و من هذاالباب ماروی أن الحسين بن علی ع کلم معاوية فی أمر ابنه يزيد ونهاه عن أن يعهد إليه فأبی عليه معاوية حتی أغضب کل واحد منهما صاحبه فقال الحسين ع فی غضون کلامه أبی خير من أبيه وأمی خير من أمه فقال معاوية يا ابن أخی أماأمک فخير من أمه وکيف تقاس امرأة من کلب بابنة رسول الله ص و أماأبوه فحاکم أباک إلی الله تعالی فحکم لأبيه علی أبيک . -قرآن-۶۰-۴۰۶-قرآن-۷۸۵-۷۹۳-قرآن-۹۰۵-۹۴۷-قرآن-۱۰۲۰-۱۰۷۱ [صفحه ۱۷۲] قالوا و هذا من باب الاستدراج اللطيف لأن معاوية علم أنه إن أجابه بجواب يتضمن الدعوی لکونه خيرا من علی ع لم يلتفت أحد إليه و لم يکن له کلام يتعلق به لأن آثار علی ع فی الإسلام وشرفه وفضيلته تجل أن يقاس بهاأحد فعدل عن ذکر ذلک إلی التعلق بما تعلق به فکان الفلج له .ذکر هذاالخبر نصر الله بن الأثير فی کتابه المسمی بالمثل السائر فی باب الاستدراج . وعندی أن هذاخارج عن باب الاستدراج و أنه من باب الجوابات الإقناعية التی تسميها الحکماء الجدليات والخطابيات وهی أجوبة إذابحث عنها لم يکن وراءها تحقيق وکانت ببادئ النظر مسکتة للخصم صالحة لمصادمته فی مقام المجادلة. ومثل ذلک قول معاوية لأهل الشام حيث التحق به عقيل بن أبی طالب يا أهل الشام ماظنکم برجل لم يصلح لأخيه . و قوله لأهل الشام إن أبالهب المذموم فی القرآن باسمه عم علی بن أبی طالب فارتاع أهل الشام لذلک وشتموا عليا ولعنوه . و من ذلک قول عمر يوم السقيفة أيکم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص للصلاة. و من ذلک قول علی ع مجيبا لمن سأله کم بين السماء و الأرض فقال دعوة مستجابة -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-ادامه دارد [صفحه ۱۷۳] وجوابه أيضا لمن قال له کم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس -روايت-از قبل-۷۶ . و من ذلک قول أبی بکر و قد قال له عمر أقد خالدا بمالک بن نويرة سيف الله فلاأغمده . وکقوله و قدأشير عليه أيضا بأن يقيد من بعض أمرائه أناأقيد من وزعة الله ذکر ذلک صاحب الصحاح فی باب وزع . والجوابات الإقناعية کثيرة ولعلها جمهور مايتداوله الناس ويسکت به بعضهم بعضا [صفحه ۱۷۴]

۳۲- و من خطبة له ع

اشاره

أَيّهَا النّاسُ إِنّا قَد أَصبَحنَا فِی دَهرٍ عَنُودٍ وَ زَمَنٍ شَدِيدٍ يُعَدّ فِيهِ المُحسِنُ مُسِيئاً وَ يَزدَادُ الظّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لَا نَنتَفِعُ بِمَا عَلِمنَا وَ لَا نَسأَلُ عَمّا جَهِلنَا وَ لَا نَتَخَوّفُ قَارِعَةً حَتّی تَحُلّ بِنَا وَ النّاسُ عَلَی أَربَعَةِ أَصنَافٍ مِنهُم مَن لَا يَمنَعُهُ الفَسَادَ فِی الأَرضِ إِلّا مَهَانَةُ نَفسِهِ وَ کَلَالَةُ حَدّهِ وَ نَضِيضُ وَفرِهِ وَ مِنهُم المُصلِتُ بِسَيفِهِ وَ المُعلِنُ بَشَرّهِ وَ المُجلِبُ بِخَيلِهِ وَ رَجِلِهِ قَد أَشرَطَ نَفسَهُ وَ أَوبَقَ دِينَهُ لِحُطَامٍ يَنتَهِزُهُ أَو مِقنَبٍ يَقُودُهُ أَو مِنبَرٍ يَفرَعُهُ وَ لَبِئسَ المَتجَرُ أَن تَرَی الدّنيَا لِنَفسِکَ ثَمَناً وَ مِمّا لَکَ عِندَ اللّهِ عِوَضاً وَ مِنهُم مَن يَطلُبُ الدّنيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ وَ لَا يَطلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدّنيَا قَد طَامَنَ مِن شَخصِهِ وَ قَارَبَ مِن خَطوِهِ وَ شَمّرَ مِن ثَوبِهِ وَ زَخرَفَ مِن نَفسِهِ لِلأَمَانَةِ وَ

اتّخَذَ سِترَ اللّهِ ذَرِيعَةً إِلَى المَعصِيَةِ وَ مِنهُم مَن أَبعَدَهُ عَن طَلَبِ المُلكِ ضُئُولَةُ نَفسِهِ وَ انقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَرَتهُ الحَالُ عَلَى حَالِهِ فَتَحَلّى بِاسمِ القَنَاعَةِ وَ تَزَيّنَ بِلِبَاسِ أَهلِ الزّهَادَةِ وَ لَيسَ مِن ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَ لَا مَغدًى [صفحه ۱۷۵] وَ بَقِيَ رِجَالٌ غَضّ أَبصَارَهُم ذِكرُ المَرجِعِ وَ أَرَاقَ دُمُوعَهُم خَوفُ المَحشَرِ فَهُم بَينَ شَرِيدٍ نَادّ وَ خَائِفٍ مَقمُوعٍ وَ سَاكِتٍ مَكعُومٍ وَ دَاعٍ مُخلِصٍ وَ ثَكلَانَ مُوجَعٍ قَد أَخمَلَتهُمُ التّقِيّةُ وَ شَمِلَتهُمُ الذّلّةُ فَهُم فِي بَحرٍ أُجَاجٍ أَفوَاهُهُم ضَامِزَةٌ وَ قُلُوبُهُم قَرِحَةٌ قَد وَعَظُوا حَتّى مَلّوا وَ قُهِرُوا حَتّى ذَلّوا وَ قُتِلُوا حَتّى قَلّوا فَلتَكُنِ الدّنيَا فِي أَعيُنِكُم أَصغَرَ مِن حُثَالَةِ القَرَظِ وَ قُرَاضَةِ الجَلَمِ وَ اتّعِظُوا بِمَن كَانَ قَبلَكُم قَبلَ أَن يَتّعِظَ بِكُم مَن بَعدَكُم وَ ارفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنّهَا قَد رَفَضَت مَن كَانَ أَشغَفَ بِهَا مِنكُم قال الرضى رحمه الله و هذه الخطبة ربما نسبها من لاعلم له إلى معاوية وهى من كلام أمير المؤمنين ع ألذى لايشك فيه وأين الذهب من الرغام وأين العذب من الأجاج و قددل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ فإنه ذكر هذه الخطبة فى كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها إلى معاوية ثم تكلم من بعدها بكلام فى معناها جملته أنه قال و هذاالكلام بكلام على ع -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۷۶] أشبه وبمذهبه فى تصنيف الناس و فى الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال و من التقية والخوف أليق قال ومتى وجدنا معاوية فى حال من الأحوال يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ومذاهب العباد -روايت-از قبل-۱۹۴ دهر عنود جائر عند عن الطريق يعند بالضم أى عدل وجار ويمكن أن يكون من عنديعند بالكسر أى خالف ورد الحق و هويعرفه إلا أن اسم الفاعل المشهور فى ذلك عاند وعنيد و أماعنود فهو اسم فاعل من عنديعند بالضم . قوله وزمن شديد أى بخيل و منه قوله تعالى وَ إِنّهُ لِحُبّ الخَيرِ لَشَدِيدٌ أى وإنه لبخيل لأجل حب الخير والخير المال و قدروى وزمن كنود و هوالكفور قال تعالى إِنّ الإِنسانَ لِرَبّهِ لَكَنُودٌ. والقارعة الخطب ألذى يقرع أى يصيب . قوله ونضيض وفره أى قلة ماله و كان الأصل ونضاضة وفره ليكون المصدر فى مقابلة المصدر الأول و هوكلالة حده لكنه أخرجه على باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقولهم عليه سحق عمامة وجرد قطيفة وأخلاق ثياب . قوله والمجلب بخيله ورجله المجلب اسم فاعل من أجلب عليهم أى أعان عليهم . و الرجل جمع راجل كالركب جمع راكب والشرب جمع شارب و هذا من ألفاظ الكتاب العزيزوَ أَجلِب عَلَيهِم بِخَيلِكَ وَ رَجِلِكَ. -قرآن-۲۵۸-۲۹۱-قرآن-۳۸۲-۴۱۴-قرآن-۸۲۹-۸۶۸ [صفحه ۱۷۷] وأشرط نفسه أى هيأها وأعدها للفساد فى الأرض . وأوبق دينه أهلكه والحطام المال وأصله ماتكسر من اليبيس .ينتهزه يختلسه . والمقنب خيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين . ويفرعه يعلوه وطامن من شخصه أى خفض وقارب من خطوه لم يسرع ومشى رويدا. وشمر من ثوبه قصره وزخرف من نفسه حسن ونمق وزين والزخرف الذهب فى الأصل . وضئوله نفسه حقارتها والناد المنفرد والمكعوم من كعمت البعير إذاشددت فمه والأجاج الملح . وأفواههم ضامزة بالزاى أى ساكنة قال بشر بن أبى خازم لقد ضمزت بجرتها سليم || مخافتنا كماضمز الحمار . والقرظ ورق السلم يدبغ به وحثالته مايسقط منه . والجلم المقص تجز به أوبار الإبل وقراضته مايقع من قرضه وقطعه . فإن قيل بينوا لنا تفصيل هذه الأقسام الأربعة قيل القسم الأول من يقعد به عن طلب الإمرة قلة ماله وحقارته فى نفسه . والقسم الثانى من يشمر ويطلب الإمارة ويفسد فى الأرض ويكاشف . والقسم الثالث من يظهر ناموس الدين ويطلب به الدنيا. والقسم الرابع من لامال له أصلا و لايكاشف ويطلب الملك و لايطلب الدنيا [صفحه ۱۷۸] بالرياء والناموس بل تنقطع أسبابه كلها فيخلد إلى القناعة ويتحلى بحلية الزهادة فى اللذات الدنيوية لاطلبا للدنيا بل عجزا عن الحركة فيها و ليس بزاهد على الحقيقة. فإن قيل فهاهنا قسم خامس قدذكره ع وهم الأبرار الأتقياء الذين أراق دموعهم خوف الآخرة.قيل إنه ع إنما قال إن الناس على أربعة أصناف وعنى بهم من عدا المتقين ولهذا قال لماانقضى التقسيم وبقى رجال غض أبصارهم ذكر المرجع فأبان بذلك عن أن هؤلاء خارجون عن الأقسام الأربعة

فصل فى ذكر الآيات والأخبار الواردة فى ذم الرياء والشهرة

واعلم أن هـذه الخطبـة تتضـمن الـذم الكثير لمن يـدعى الآخرة من أهل زماننا وهم أهل الرياء والنفاق ولابسوا الصوف والثياب المرقوعـة لغير وجه الله . و قـدورد فى ذم الرياء شـىء كثير و قدذكرنا بعض ذلك فيما تقدم . و من الآيات الواردة فى ذلك قوله تعـالى يُراؤُنَ النّاسَ وَ لا يَذكُرُونَ اللّهَ إلّا قَلِيلًا. ومنها قوله تعالى فَمَن كانَ يَرجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلًا صالِحاً وَ لا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً. -قرآن-٢٥٥-٣٠٩-قرآن-٣٣٠-٤٢٦ [صفحه ١٧٩] ومنهـا قوله تعالى إِنّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنكُم جَزاءً وَ لا شُكُوراً. ومنها قوله تعالى الّذِينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهُونَ الّذِينَ هُم يُراؤُنَ وَ يَمنَعُونَ الماعُونَ -قرآن-٢٠-٩١-قرآن-١١٢-١٩١ و من الأخبـار النبويـة قوله ص و قـدسأله رجـل يـا رسول الله فيم النجاة فقال ألا تعمل بطاعـة الله وتريـد بها الناس -روايت-١-٢-روايت-٣٣-١١٩ و فى الحـديث من راءى راءى الله به و من سـمع سـمع الله به -روايت-١-٢-روايت-١٦-٦٧ و فى الحديث أن الله تعالى يقول للملائكة إن هذاالعمل لم يرد صاحبه به وجهى فاجعلوه فى سجين -روايت-١-٢-روايت-١٦-١٠٣ و قال ص إن أخوف ماأخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا و ماالشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله تعالى إذاجازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الـذين كنتم تراءونهم فى الـدنيا فـاطلبوا جزاءكم منهم -روايت-١-٢-روايت-١٣-٢١٣ و فى حـديث شداد بن أوس رأيت النبى ص يبكى فقلت يـا رسول الله مايبكيـك فقال إنى تخوفت على أمتى الشـرك أماإنهم لايعبـدون صـنما و لاشـمسا و لاقمرا ولكنهم يراءون بأعمـالهم -روايت-١-٢-روايت-٢٧-١٨٠ ورأى عمر رجلا يتخشع ويطـأطئ رقبتـه فى مشـيته فقـال له ياصاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع فى الرقاب . ورأى أبوأمامة رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده فقال له أنت أنت لو كان هذا فى بيتك . [صـفحه ١٨٠] و قـال على ع للمرائى أربع علامات يكسل إذا كان وحـده وينشط إذا كان فى الناس ويزيد فى العمـل إذاأثنى عليه وينقص منه إذا لم يثن عليه -روايت-١-٢-روايت-١٨-١٤٨ و قال رجل لعبادة بن الصامت أقاتل بسيفى فى سبيـل الله أريـد به وجهه ومحمـدة الناس قال لا شـىء لك فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شـىء لك ثم قال فى الثالثة يقول الله تعالى أناأغنى الأغنياء عن الشـرك الحديث . وضـرب عمر رجلا بالدرة ثم ظهر له أنه لم يأت جرما فقال له اقتص منى فقال بل أدعها لله و لك قال ماصـنعت شـيئا إما أن تـدعها لى فأعرف ذلك لك أوتـدعها لله وحده . و قال الحسن لقد صـحبت أقواما إن كان أحـدهم لتعرض له الكلمـة لونطق بهالنفعته ونفعت أصـحابه مايمنعه منها إلامخافـة الشـهرة و إن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلامخافـة الشـهرة. و قال الفضـيل كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لايعملون . و قال عكرمـة إن الله تعالى يعطى العبـد على نيته ما لايعطيه على عمله لأن النية لارياء فيها. و قال الحسن المرائى يريد أن يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد أن يقول الناس هذاصالح وكيف يقولون و قدحل من ربه محل الأردئاء فلابد لقلوب المؤمنين أن تعرفه . و قال قتادة إذاراءى العبـد قال الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبـدى يستهزئ بى. و قال الفضـيل من أراد أن ينظر مرائيا فلينظر إلى [صـفحه ١٨١] و قال محمد بن المبارك الصورى أظهر السـمت بالليل فإنه أشـرف من سمتك بالنهار فإن سمت النهار للمخلوقين وسـمت الليل لرب العالمين . و قال ابراهيم بن أدهم ماصدق الله من أحب أن يشتهر. و من الكلام المعزو إلى عيسى ابن مريم ع إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته وليمسح شفتيه لئلا يعلم الناس أنه صائم و إذاأعطى بيمينه فليخف عن شـماله و إذاصـلى فليرخ ستر بـابه فإن الله يقسم الثناء كمايقسم الرزق -روايت-١-٢-روايت-٤٦-٢٣٩ . و من كلام بعض الصالحين آخر مايخرج من رءوس الصـديقين حب الرئاسة. وروى أنس بن مالك عن رسول الله ص أنه قال يحسب المرء من الشـر إلا من عصـمه الله من السوء أن يشير النـاس إليه بالأصـابع فى دينه ودنيـاه إن الله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم -روايت-١-٢-روايت-٥٢-٢٠٨ و قال على ع تبذل لاتشـتهر و لاترفع شخصك لتذكر بعلم واسكت واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار -روايت-١-٢-روايت-١٨-١٠٥ و كان خالد بن معدان إذاكثرت حلقته قام مخافة الشهرة. ورأى طلحة بن مصـرف قوما يمشون معه نحو عشرة فقال فراش نار وذبان طمع . و قال سليمان بن حنظلة بينا نحن حوالى أبى بن كعب

نمشى إذ رآه عمر فعلاه بالدرة و قال له انظر من حولك إن ألذى أنت فيه ذلة للتابع فتنة للمتبوع . وخرج عبد الله بن مسعود من منزله فاتبعه قوم فالتفت إليهم و قال علام تتبعوننى فو الله لوتعلمون منى ماأغلق عليه بابى لماتبعنى منكم اثنان . و قال الحسن خفق النعال حول الرجال مما يثبت عليهم قلوب الحمقى . [صفحه ۱۸۲] وروى أن رجلا صحب الحسن فى طريق فلما فارقه قال أوصنى رحمك الله قال إن استطعت أن تعرف و لاتعرف وتمشى و لايمشى إليك وتسأل و لاتسأل فافعل . وخرج أيوب السختيانى فى سفر فشيعه قوم فقال لو لاأنى أعلم أن الله يعلم من قلبى أنى لهذا كاره لخشيت المقت من الله . وعوتب أيوب على تطويل قميصه فقال إن الشهرة كانت فيما مضى فى طوله وهى اليوم فى قصره . و قال بعضهم كنت مع أبى قلابة إذ دخل رجل عليه كساء فقال إياكم و هذاالحمار الناهق يشير به إلى طالب شهرة. و قال رجل لبشر بن الحارث أوصنى فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك . و كان حوشب يبكى و يقول بلغ اسمى المسجد الجامع . و قال بشر ماأعرف رجلا أحب أن يعرف إلاذهب دينه وافتضح . و قال أيضا لايجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس .فهذه الآثار قليل مما ورد عن الصالحين رحمهم الله فى ذم الرياء وكون الشهرة طريقا إلى الفتنة

فصل فى مدح الخمول والجنوح إلى العزلة

و قدصرح أمير المؤمنين ع فى مدح الأبرار وهم القسم الخامس بمدح الخمول فقال قدأخملتهم التقية يعنى الخوف . و قدورد فى الأخبار والآثار شيءكثير فى مدح الخمول . قال رسول الله ص رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-ادامه دارد [صفحه ۱۸۳] لوأقسم على الله لأبر قسمه -روايت-از قبل-۳۲ و فى رواية ابن مسعود رب ذى طمرين لايؤبه له و لوسأل الجنة لأعطيها -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۷۴ و فى الحديث أيضا عنه ص أ لاأدلكم على أهل الجنة كل ضعيف مستضعف لوأقسم على الله لأبره أ لاأدلكم على أهل النار كل متكبر جواظ -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۱۳۸ و عنه ص أن أهل الجنة الشعث الغبر الذين إذااستأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم و إذاخطبوا لم ينكحوا و إذاقالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره لوقسم نورهم يوم القيامة على الناس لوسعهم -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۲۰۸ وروى أن عمر دخل المسجد فإذابمعاذ بن جبل يبكى عندقبر رسول الله ص فقال مايبكيك قال سمعت رسول الله ص يقول إن اليسير من الرياء لشرك و إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذاغابوا لم يفتقدوا و إذاحضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة -روايت-۱-۲-روايت-۹-۲۷۸ و قال ابن مسعود كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون عند أهل السماء وتخفون عند أهل الأرض -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۵۷ و فى حديث أبى أمامة يرفعه قال الله تعالى إن أغبط أوليائى لعبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة و قدأحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر و كان غامضا فى الناس لايشار إليه بالأصابع -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۱۸۶ و فى الحديث السعيد من خمل صيته وقل تراثه وسهلت منيته و قلت بواكيه -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۷۷ [صفحه ۱۸۴] و قال الفضيل روى لى أن الله تعالى يقول فى بعض مايمن به على عبده أ لم أنعم عليك أ لم أسترك أ لم أخمل ذكرك -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۲۴ و كان الخليل بن أحمد يقول فى دعائه أللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى عندنفسى من أوضع خلقك واجعلنى عند الناس من أوسط خلقك و قال ابراهيم بن أدهم ماقرت عينى ليلة قط فى الدنيا إلامرة بت ليلة فى بعض مساجد قرى الشام و كان بى علة البطن فجرنى المؤذن برجلى حتى أخرجنى من المسجد. و قال الفضيل إن قدرت على ألا تعرف فافعل و ماعليك ألا تعرف و ماعليك ألا يثنى عليك و ماعليك أن تكون مذموما عند الناس إذاكنت محمودا عند الله تعالى . فإن قيل فما قولك فى شهرة الأنبياء والأئمة ع وأكابر الفقهاء

المجتهـدين قيل إن المذموم طلب الشهرة فأما وجودها من الله تعالى من غيرتكلف من العبد و لاطلب فليس بمذموم بل لابد من وجود إنسان يشتهر أمره فإن بطريقه ينصلح العالم ومثال ذلك الغرقى الـذين بينهم غريق ضعيف الأولى به ألا يعرفه أحد منهم لئلا يتعلق به فيهلك ويهلكوا معه فإن كان بينهم سابح قوى مشهور بالقوة فالأولى ألا يكون مجهولا بل ينبغى أن يعرف ليتعلقوا به فينجو هو ويتخلصوا من الغرق بطريقه [صفحه ۱۸۵]

۳۳– و من خطبة له ع

اشاره

قَالَ عَبدُ اللّهِ بنُ العَبّاسِ دَخَلتُ عَلَى أَمِيرِ المُؤمِنِينَ بذِي قَارٍ وَ هُوَ يَخصِفُ نَعلَهُ فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هَذَا النّعلِ فَقُلتُ لَا قِيمَةَ لَهَا فَقَالَ وَ اللّهِ لَهِيَ أَحَبّ إلِيَّ مِن إِمرَتِكُم إِلّا أَن أُقِيمَ حَقّاً أَو أَدفَعَ بَاطِلًا ثُمّ خَرَجَ فَخَطَبَ النّاسَ فَقَالَ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ بَعَثَ مُحَمّداً ص وَ لَيسَ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ يَقرَأُ كِتَاباً وَ لَا يدّعِي نُبُوّةً فَسَاقَ النّاسَ حَتّى بَوّأَهُم مَحَلّتَهُم وَ بَلّغَهُم مَنجَاتَهُم فَاستَقَامَت قَنَاتُهُم وَ اطمَأَنّت صَفَاتُهُم أَمَا وَ اللّهِ إِن كُنتُ لفَيِ سَاقَتِهَا حَتّى وَلّت بِحَذَافِيرِهَا مَا ضَعُفتُ وَ لَا جَبُنتُ وَ إِنّ مسَيِريِ هَذَا لِمِثلِهَا فَلَأَنقُبَنّ البَاطِلَ حَتّى يَخرُجَ الحَقّ مِن جَنبِهِ مَا لِي وَ لِقُرَيشٍ وَ اللّهِ لَقَد قَاتَلتُهُم كَافِرِينَ وَ لَأُقَاتِلَنّهُم مَفتُونِينَ وَ إنِيّ لَصَاحِبُهُم بِالأَمسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ اليَومَ وَ اللّهِ مَا تَنقِمُ مِنّا قُرَيشٌ إِلّا أَنّ اللّهَ اختَارَنَا عَلَيهِم فَأَدخَلنَاهُم فِي حَيّزِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الأَوّلُ أَدَمتَ لعَمَريِ شُربَكَ المَحضَ صَابِحاً || وَ أَكلَكَ بِالزّبدِ المُقَشّرَةَ البُجرَا وَ نَحنُ وَهَبنَاكَ العَلَاءَ وَ لَم تَكُن || عَلِيّاً وَ حُطنَا حَولَكَ الجُردَ وَ السّمرَا [صفحه ۱۸۶] ذو قار موضع قريب من البصرة و هوالمكان ألـذى كانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت العرب على الفرس قبل الإسلام . ويخصف نعله أى يخرزها. وبوأهم محلتهم أسكنهم منزلهم أى ضرب الناس بسيفه على الإسلام حتى أوصلهم إليه ومثله وبلغهم منجاتهم إلاـ أن فى هـذه الفاصلة ذكر النجاة مصرحا به .فاستقامت قناتهم استقاموا على الإسلام أى كانت قناتهم معوجة فاستقامت . واطمأنت صفاتهم كانت متقلقلة متزلزلة فاطمأنت واستقرت . و هذه كلها استعارات . ثم أقسم أنه كان فى ساقتها حتى تولت بحذافيرها الأصل فى ساقتها أن يكون جمع سائق كحائض وحاضة وحائك وحاكة ثم استعملت لفظة الساقة للأخير لأن السائق إنما يكون فى آخر الركب أوالجيش . وشبه ع أمر الجاهلية إما بعجاجة ثائرة أوبكتيبة مقبلة للحرب فقال إنى طردتها فولت بين يدى و لم أزل فى ساقتها أناأطردها وهى تنطرد أمامى حتى تولت بأسرها و لم يبق منها شىء ماعجزت عنها و لاجبنت منها. ثم قال و إن مسيرى هـذالمثلها فلأنقبن الباطل كأنه جعل الباطل كشىء قداشتمل على الحق واحتوى عليه وصار الحق فى طيه كالشىء الكامن المستتر فيه فأقسم لينقبن ذلك الباطل إلى أن يخرج الحق من جنبه و هذا من باب الاستعارة أيضا. [صفحه ۱۸۷] ثم قال لقد قاتلت قريشا كافرين ولأقاتلنهم مفتونين لأن الباغى على الإمام مفتون فاسق . و هـذاالكلام يؤكد قول أصحابنا إن أصحاب صفين والجمل ليسوا بكفار خلافا للإمامية فإنهم يزعمون أنهم كفار

خبر يوم ذى قار

روى أبومخنف عن الكلبى عن أبى صالح عن زيد بن على عن ابن عباس قال لمانزلنا مع على ع ذا قار قلت يا أمير المؤمنين ماأقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن فقال و الله ليأتينى منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا لايزيدون و لاينقصون –

روایت-۱-۲-روایت-۷۶-۲۵۰ . قال ابن عباس فدخلنی و الله من ذلک شک شدید فی قوله و قلت فی نفسی و الله إن قدموا لأعدنهم . قال أبومخنف فحدث ابن إسحاق عن عمه عبدالرحمن بن یسار قال نفر إلی علی ع إلی ذی قار من الکوفهٔ فی البحر والبر ستهٔ آلاف وخمسمائهٔ وستون رجلا أقام علی بذی قار خمسهٔ عشر یوما حتی سمع صهیل الخیل وشحیح البغال حوله قال فلما سار بهم منقلهٔ قال ابن عباس و الله لأعدنهم فإن کانوا کما قال و إلاأتممتهم من غیرهم فإن الناس قدکانوا سمعوا قوله قال فعرضتهم فو الله ماوجدتهم یزیدون رجلا و لاینقصون رجلا فقلت الله أکبر صدق الله ورسوله ثم سرنا. قال أبومخنف و لمابلغ حذیفهٔ بن الیمان أن علیا قدقدم ذا قار واستنفر الناس دعا [صفحه ۱۸۸] أصحابه فوعظهم وذکرهم الله وزهدهم فی الدنیا ورغبهم فی الآخرهٔ و قال لهم الحقوا بأمیر المؤمنین ووصی سید المرسلین فإن من الحق أن تنصروه و هذا الحسن ابنه وعمار قدقدما الکوفهٔ یستنفران الناس فانفروا. قال فنفر أصحاب حذیفهٔ إلی أمیر المؤمنین ومکث حذیفهٔ بعد ذلک خمس عشرهٔ لیلهٔ وتوفی رحمه الله تعالی قال أبومخنف و قال هاشم بن عتبهٔ المرقال یذکر نفورهم إلی علی ع وسرنا إلی خیر البریهٔ کلها || علی علمنا أنا إلی الله نرجع نوقره فی فضله ونجله || و فی الله مانرجو و مانتوقع ونخصف أخفاف المطی علی الوجا || و فی الله مانزجی و فی الله نوضع دلفنا بجمع آثروا الحق والهدی || إلی ذی تقی فی نصره نتسرع نکافح عنه والسیوف شهیرهٔ || تصافح أعناق الرجال فتقطع . قال أبومخنف فلما قدم أهل الکوفهٔ علی علی ع سلموا علیه وقالوا الحمد لله یا أمیر المؤمنین ألذی اختصنا بموازرتک وأکرمنا بنصرتک قدأجبناک طائعین غیرمکرهین فمرنا بأمرک . قال فقام فحمد الله وأثنی علیه وصلی علی رسوله و قال مرحبا بأهل الکوفهٔ بیوتات العرب ووجوهها و أهل الفضل وفرسانها وأشد العرب مودهٔ لرسول الله ص ولأهل بیته ولذلک بعثت إلیکم واستصرختکم عندنقض طلحهٔ والزبیر بیعتی عن غیرجور منی و لاحدث ولعمری لو لم تنصرونی بأهل الکوفهٔ لرجوت أن یکفینی الله غوغاء الناس وطغام أهل البصرهٔ مع أن عامهٔ من بها ووجوهها و أهل الفضل والدین قداعتزلوها ورغبوا عنها -روایت-۱-۲-روایت-۸-۴۱۸ فقام رءوس القبائل فخطبوا وبذلوا له النصر فأمرهم بالرحیل إلی البصرهٔ [صفحه ۱۸۹]

۳۴- و من خطبهٔ له ع فی استنفار الناس إلی أهل الشام

اشاره

أُفّ لَکُم لَقَد سَئِمتُ عِتَابَکُم أَ رَضِیتُم بِالحَیَاةِ الدّنیَا مِنَ الآخِرَةِ عِوَضاً وَ بِالذّلّ مِنَ العِزّ خَلَفاً إِذَا دَعَوتُکُم إِلَی جِهَادِ عَدُوّکُم دَارَت أَعیُنُکُم کَأَنّکُم مِنَ المَوتِ فِی غَمرَةٍ وَ مِنَ الذّهُولِ فِی سَکرَةٍ یُرتَجُ عَلَیکُم حوارِی فَتَعمَهُونَ فَکَأَنّ قُلُوبَکُم مَألُوسَةٌ فَأَنتُم لَا تَعقِلُونَ مَا أَنتُم لِی بِثِقَةٍ سَجِیسَ اللیّاَلِی وَ مَا أَنتُم بِرُکنٍ یُمَالُ بِکُم وَ لَا زَوَافِرِ عِزّ یُفتَقَرُ إِلَیکُم مَا أَنتُم إِلّا کَإِبِلٍ ضَلّ رُعَاتُهَا فَکُلّمَا جُمِعَت مِن جَانِبٍ انتَشَرَت مِن آخَرَ لَبِئسَ لَعَمرُ اللّهِ سُعرُ نَارِ الحَربِ أَنتُم تُکَادُونَ وَ لَا تَکِیدُونَ وَ تُنتَقَصُ أَطرَافُکُم فَلَا تَمتَعِضُونَ لَا یُنَامُ عَنکُم وَ أَنتُم فِی غَفلَةٍ سَاهُونَ غُلِبَ وَ اللّهِ المُتَخَاذِلُونَ وَ ایمُ اللّهِ إنِیّ لَأَظُنّ بِکُم أَن لَو حَمِسَ الوَغَی وَ استَحَرّ المَوتُ قَدِ انفَرَجتُم عَنِ ابنِ أَبِی طَالِبٍ انفِرَاجَ الرّأسِ وَ اللّهِ إِنّ امرَأً یُمَکّنُ عَدُوّهُ مِن نَفسِهِ یَعرُقُ لَحمَهُ وَ یَهشِمُ عَظمَهُ وَ یَفرِی جِلدَهُ لَعَظِیمٌ عَجزُهُ ضَعِیفٌ مَا ضُمّت عَلَیهِ جَوَانِحُ صَدرِهِ أَنتَ فَکُن ذَاکَ إِن شِئتَ فَأَمّا أَنَا فَوَاللّهِ دُونَ أَن أُعطِیَ ذَلِکَ ضَربٌ بِالمَشرَفِیّةِ تَطِیرُ مِنهُ فَرَاشُ الهَامِ وَ تَطِیحُ السّوَاعِدُ وَ الأَقدَامُ وَ یَفعَلُ اللّهُ بَعدَ ذَلِکَ مَا یَشَاءُ أَیّهَا النّاسُ إِنّ لِی عَلَیکُم حَقّاً وَ لَکُم عَلَیّ حَقّ فَأَمّا حَقّکُم عَلَیّ فَالنّصِیحَةُ [صفحه ۱۹۰] لَکُم وَ تَوفِیرُ فَیئِکُم عَلَیکُم وَ تَعلِیمُکُم کَیلَا تَجهَلُوا وَ تَأدِیبُکُم کَیمَا تَعلَمُوا وَ أَمّا حقَیّ عَلَیکُم فَالوَفَاءُ بِالبَیعَةِ وَ النّصِیحَةُ فِی المَشهَدِ وَ المَغِیبِ وَ الإِجَابَةُ حِینَ أَدعُوکُم وَ الطّاعَةُ حِینَ آمُرُکُم أف لکم کلمهٔ استقذار ومهانهٔ و فیهالغات

ويرتج يغلق والحوار المحاورة والمخاطبة وتعمهون من العمه و هوالتحير والتردد الماضي عمه بالكسر. و قوله دارت أعينكم من قوله تعالى يَنظُرُونَ إِلَيكَ نَظَرَ المغَشيِّ عَلَيهِ مِنَ المَوتِ و من قوله تَدُورُ أَعيُنُهُم كَالّذِي يُغشى عَلَيهِ مِنَ المَوتِ. وقلوبكم مألوسة من الألس بسكون اللام و هوالجنون واختلاط العقل . قوله ماأنتم لي بثقة سجيس الليالي كلمة تقال للأبد تقول لاأفعله سجيس الليالي وسجيس عجيس وسجيس الأوجس معنى ذلك كله الدهر والزمان وأبدا. قوله ماأنتم بركن يمال بكم أي لستم بركن يستند إليكم ويمال على العدو بعزكم وقوتكم . قوله و لازوافر عزجمع زافرة وزافرة الرجل أنصاره وعشيرته ويجوز أن يكون زوافر عز أي حوامل عززفرت الجمل أزفره زفرا أي حملته . قوله سعر نار الحرب جمع ساعر كقولك قوم كظم للغيظ جمع كاظم -قرآن-١٧٨-٢٣٤-قرآن-٢٤٧-٣٠١ [صفحه ١٩١] وتمتعضون تأنفون وتغضبون وحمس الوغى اشتد وأصل الوغى الصوت والجلبة ثم سميت الحرب نفسها وغى لما فيها من الأصوات والجلبة واستحر الموت أي اشتد. و قوله انفرجتم انفراج الرأس أي كماينفلق الرأس فيذهب نصفه يمنة ونصفه شامة والمشرفية السيوف المنسوبة إلى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف و لايقال مشارفي كما لايقال جعافري لمن ينسب إلى جعافر. وفراش الهام العظام الخفيفة تلي القحف . و قال الراوندي في تفسير قوله انفراج الرأس أراد به انفرجتم عني رأسا أي قطعا وعرفه بالألف واللام و هذا غيرصحيح لأن رأسا لايعرف قال و له تفسير آخر أن يكون المعنى انفراج رأس من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه . و هذاأيضا غيرصحيح لأنه لاخصوصية للرأس في ذلك فإن اليد و الرجل إذاأدنيتهما من شخص ثم حرفتهما عنه فقد انفرج ما بين ذلك العضو وبينه فأي معنى لتخصيص الرأس بالذكر.فأما قوله أنت فكن ذاك فإنه إنما خاطب من يمكن عدوه من نفسه كائنا من كان غيرمعين و لامخصص ولكن الرواية وردت بأنه خاطب بذلك الأشعث بن قيس فإنه روى أنه قال له ع و هويخطب ويلوم الناس على تثبيطهم وتقاعدهم هلا-فعلت فعل ابن عفان فقال له إن فعل ابن عفان لمخزاة على من لادين له و لاوثيقة معه إن امرأ أمكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رأيه مأفون عقله أنت فكن ذاك إن أحببت فأما أنافدون أن أعطى ذاك ضرب بالمشرفية الفصل . [صفحه ١٩٢] ويمكن أن تكون الرواية صحيحة والخطاب عام لكل من أمكن من نفسه فلامنافاة بينهما. و قدنظمت أنا هذه الألفاظ في أبيات كتبتها إلى صاحب لي في ضمن مكتوب اقتضاها وهي إن امرأ أمكن من نفسه || عدوه يجدع آرابه لايدفع الضيم و لاينكر الذل || و لايحصن جلبابه لفائل الرأي ضعيف القوى || قدصرم الخذلان أسبابه أنت فكن ذاك فإني امرؤ || لايرهب الخطب إذانابه إن قال دهر لم يطع أوشحا || له فم أدرد أنيابه أوسامه الخسف أبي وانتضى || دون مرام الخسف قرضابه أخزر غضبان شديد السطا || يقدر أن يترك مارابه .خطب أمير المؤمنين ع بهذه الخطبة بعدفراغه من أمر الخوارج و قد كان قام بالنهروان فحمد الله وأثنى عليه و قال أما بعد فإن الله قدأحسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم من أهل الشام .فقاموا إليه فقالوا يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا وانصلتت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا ارجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدتنا ولعل أمير المؤمنين يزيد في عددنا مثل من هلك منا فإنه أقوى لنا على عدونا. [صفحه ١٩٣] فكان جوابه ع ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم و لاترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين .فتلكئوا عليه وقالوا إن البرد شديد. فقال إنهم يجدون البرد كماتجدون فتلكئوا وأبوا فقال أف لكم إنها سنة جرت ثم تلا قوله تعالى قالُوا يا مُوسى إِنّ فِيها قَوماً جَبّارِينَ وَ إِنّا لَن نَدخُلَها حَتّى يَخرُجُوا مِنها فَإِن يَخرُجُوا مِنها فَإِنّا داخِلُونَ.فقام منهم ناس فقالوا يا أمير المؤمنين الجراح فاشية في الناس و كان أهل النهروان قدأكثروا الجراح في عسكر أمير المؤمنين ع فارجع إلى الكوفة فأقم بهاأياما ثم اخرج خار الله لك فرجع إلى الكوفة عن غيررضا -قرآن-٢٣٨-٣٦٦

أمر الناس بعدوقعة النهروان

وروى نصر بـن مزاحـم عـن عمر بن سـعد عن نمير بن وعلـة عن أبى وداك قـال لمـاكره القـوم المسـير إلى الشـام عقيب واقعة النهروان أقبـل بهم أمير المؤمنين فأنزلهم النخيلـة وأمر الناس أن يلزموا معسـكرهم ويوطنوا على الجهاد أنفسـهم و أن يقلوا زيارة النساء وأبنـائهم حتى يسـير بهم إلى عـدوهم و كـان ذلـك هوالرأى لوفعلوه لكنهم لم يفعلوا وأقبلوا يتسللون ويـدخلون الكوفة فتركوه ع و مـامعه من النـاس إلارجـال من وجوههم قليـل وبقى المعسـكر خاليا فلا من دخل الكوفـة خرج إليه و لا من أقام معه صبر فلما رأى ذلك دخل الكوفة. [صفحه ۱۹۴] قال نصر بن مزاحم فخطب الناس بالكوفة وهى أول خطبة خطبها بعدقدومه من حرب الخوارج فقال أيها الناس استعدوا لقتال عـدو فى جهادهم القربـة إلى الله عز و جل ودرك الوسـيلة عنـده قوم حيارى عن الحق لايبصـرونه موزعين بالجور والظلم لايعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون فى الطغيان ويتسكعون فى غمرة الضـلال فَأَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوّةٍ وَ مِن رِباطِ الخَيلِ وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا -روايت-۱-۲-روايت-۹۵-۴۳۰ . قال فلم ينفروا و لم ينشـروا فتركهم أياما ثم خطبهم فقال أف لكم لقـد سئمت عتابكم أرضـيتم بالحياة الـدنيا من الآخرة عوضـا الفصل ألـذى شـرحناه آنفا إلى آخره وزاد فيه أنتم أسود الشـرى فى الدعة وثعالب رواغة حين البأس إن أخا الحرب اليقظان ألا إن المغلوب مقهور ومسلوب . وروى الأعمش عن الحكم بن عتيبة عن قيس بن أبى حازم قال سمعت عليا ع على منبر الكوفة و هو يقول ياأبناء المهاجرين انفروا إلى أئمـة الكفر وبقيـة الأحزاب وأولياء الشـيطان انفروا إلى من يقاتل على دم حمال الخطايا فو الله ألذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لاينقص من أوزارهم شيئا -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۳-۳۲۱ قلت هـذاقيس بن أبى حازم و هو ألذى روى حديث إنكم لترون ربكم يوم القيامة كماترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته و قـدطعن مشايخنـا المتكلمون فيه وقـالوا إنه فـاسق و لاتقبـل روايته لأنه قال إنى سـمعت عليا يخطب على منبر الكوفـة [صـفحه ۱۹۵] و يقول انفروا إلى بقيـة الأـحزاب فأبغضـته ودخـل بغضه فى قلـبى و من يبغض عليـا ع لاتقبـل روايته . فـإن قيـل فمـا يقول مشـايخكم فى قوله ع انفروا إلى من يقاتـل على دم حمال الخطايا أ ليس هـذاطعنا منه ع فى عثمان قيل الأشـهر الأكثر فى الرواية صدر الحديث و أماعجز الحديث فليس بمشـهور تلك الشـهرة و إن صح حملناه على أنه أراد به معاوية وسـمى ناصـريه مقاتلين على دمه لأنهم يحامون عن دمه و من حامى عن دم إنسان فقد قاتل عليه . وروى أبونعيم الحافظ قال حدثنا أبوعاصم الثقفى قال جـاءت امرأة من بنى عبس إلى على ع و هويخطب بهـذه الخطبـة على منبر الكوفـة فقـالت يـا أمير المؤمنين ثلاـث بلبلن القلوب عليك قال و ماهن ويحك قالت رضاك بالقضـية وأخذك بالدنية وجزعك عندالبلية فقال إنما أنت امرأة فاذهبى فاجلسى على ذيلـك فقـالت لا و الله ما من جلوس إلاتحت ظلال السـيوف . وروى عمرو بن شـمر الجعفى عن جابر عن رفيع بن فرقـد البجلى قال سـمعت عليا ع يقول يا أهل الكوفة لقد ضـربتكم بالدرة التى أعظ بهاالسـفهاء فما أراكم تنتهون ولقد ضربتكم بالسياط التى أقيم بهاالحـدود فما أراكم ترعوون فلم يبق إلا أن أضـربكم بسـيفى وإنى لأعلم مايقومكم ولكنى لاأحب أن ألى ذلك منكم وا عجبـا لكم ولأهـل الشام أميرهم يعصـى الله وهم يطيعونه وأميركم يطيع الله وأنتم تعصونه و الله لوضـربت خيشوم المؤمن بسـيفى هذا على أن يبغضـنى ماأبغضـنى و لوسقت الدنيا بحذافيرها إلى الكافر لماأحبنى و ذلك أنه قضى ماقضى على لسان النبى الأمى أنه لايبغضنى -روايت-۱-۲-روايت-۸۶-ادامه دارد [صفحه ۱۹۶] مؤمن و لايحبنى كافر و قدخاب من حمل ظلما و الله لتصبرن يا أهل الكوفة على قتال عدوكم أوليسلطن الله عليكم قوما أنتم أولى بالحق منهم فليعذبنكم أفمن قتلة بالسيف تحيدون إلى موتة على الفراش و الله لموتة على الفراش أشد من ضـربة ألف سيف -روايت-از قبل-۲۵۱ . قلت ماأحسن قول أبى العيناء و قـد قال له المتوكل إلى متى تمـدح الناس وتهجوهم فقال ماأحسـنوا وأساءوا و هـذا أمير المؤمنين ع و هوسـيد البشـر بعـد رسول الله ص يمدح الكوفة وأهلها عقيب الانتصار على أصـحاب الجمل بما قدذكرنا بعضه وسـنذكر باقيه مدحا ليس باليسير و لابالمستصغر و يقول للكوفـة عنـدنظره إليهـا أهلا بك وبأهلك ماأرادك جبار بكيـد إلاقصـمه الله ويثنى عليها و على أهلها حسب ذمه للبصـرة

وعیبه لها ودعائه علیها و علی أهلها فلما خذله أهل الکوفهٔ یوم التحکیم وتقاعدوا عن نصره علی أهل الشام وخرج منهم الخوارج ومرق منهم المراق ثم استنفرهم بعدفلم ینفروا واستصرخهم فلم یصرخوا ورأی منهم دلائل الوهن وأمارات الفشل انقلب ذلک المدح ذما و ذلک الثناء استزادهٔ وتقریعا وتهجینا. و هذاأمر مرکوز فی طبیعهٔ البشر و قد کان رسول الله ص کذلک والقرآن العزیز أیضا کذلک أثنی علی الأنصار لمانهضوا وذمهم لماقعدوا فی غزاهٔ تبوک فقال فَرِحَ المُخَلّفُونَ بِمَقعَدِهِم خِلافَ رَسُولِ اللّهِ وَ کَرِهُوا أَن یُجاهِدُوا بِأَموالِهِم وَ أَنفُسِهِم فِی سَبِیلِ اللّهِالآیات إلی أن رضی الله عنهم فقال وَ عَلَی -قرآن-۸۵۲-۹۷۹-قرآن-۱۰۱۷-۱۰۲۴ . قلت ماأحسن قول أبی العیناء و قد قال له المتوکل إلی متی تمدح الناس وتهجوهم فقال ماأحسنوا وأساءوا و هذا أمیر المؤمنین ع و هوسید البشر بعد رسول الله ص یمدح الکوفهٔ وأهلها عقیب الانتصار علی أصحاب الجمل بما قدذکرنا بعضه وسنذکر باقیه مدحا لیس بالیسیر و لابالمستصغر و یقول للکوفهٔ عندنظره إلیها أهلا بک وبأهلک ماأرادک جبار بکید إلاقصمه الله ویثنی علیها و علی أهلها حسب ذمه للبصرهٔ وعیبه لها ودعائه علیها و علی أهلها فلما خذله أهل الکوفهٔ یوم التحکیم وتقاعدوا عن نصره علی أهل الشام وخرج منهم الخوارج ومرق منهم المراق ثم استنفرهم بعدفلم ینفروا واستصرخهم فلم یصرخوا ورأی منهم دلائل الوهن وأمارات الفشل انقلب ذلک المدح ذما و ذلک الثناء استزادهٔ وتقریعا وتهجینا. و هذاأمر مرکوز فی طبیعهٔ البشر و قد کان رسول الله ص کذلک والقرآن العزیز أیضا کذلک أثنی علی الأنصار لمانهضوا وذمهم لماقعدوا فی غزاهٔ تبوک فقال فَرِحَ المُخَلّفُونَ بِمَقعَدِهِم خِلافَ رَسُولِ اللّهِ وَ کَرِهُوا أَن یُجاهِدُوا بِأَموالِهِم وَ أَنفُسِهِم فِی سَبِیلِ اللّهِالآیات إلی أن رضی الله عنهم فقال وَ عَلَی الثّلاثَهِٔ الّذِینَ خُلّفُوا أی عن رسول الله حَتّی إِذا ضاقَت عَلَیهِمُ الأَرضُ بِما رَحُبَتالآیهٔ -قرآن-۱-۲۹-قرآن-۵۰-۹۶

مناقب علی وذکر طرف من أخباره فی عدله وزهده

روی علی بن محمد بن أبی سیف المدائنی عن فضیل بن الجعد قال آکد الأسباب فی تقاعد العرب عن أمیر المؤمنین ع أمر المال فإنه لم یکن یفضل شریفا علی مشروف و لاعربیا علی عجمی و لایصانع الرؤساء وأمراء القبائل کمایصنع الملوک و لایستمیل أحدا إلی نفسه و کان معاویهٔ بخلاف ذلک فترک الناس علیا والتحقوا بمعاویهٔ فشکا علی ع إلی الأشتر تخاذل أصحابه وفرار بعضهم إلی معاویهٔ فقال الأشتر یا أمیر المؤمنین إنا قاتلنا أهل البصرهٔ بأهل البصرهٔ و أهل الکوفهٔ ورأی الناس واحد و قداختلفوا بعد وتعادوا وضعفت النیهٔ وقل العدد و أنت تأخذهم بالعدل وتعمل فیهم بالحق وتنصف الوضیع من الشریف فلیس للشریف عندک فضل منزلهٔ علی الوضیع فضجت طائفهٔ ممن معک من الحق إذ عموا به واغتموا من العدل إذ صاروا فیه ورأوا صنائع معاویهٔ عند أهل الغناء والشرف فتاقت أنفس الناس إلی الدنیا وقل من لیس للدنیا بصاحب وأکثرهم یجتوی الحق ویشتری الباطل ویؤثر الدنیا فإن تبذل المال یا أمیر المؤمنین تمل إلیک أعناق الرجال وتصف نصیحتهم لک وتستخلص ودهم صنع الله لک یا أمیر المؤمنین وکبت أعداءک وفض جمعهم وأوهن کیدهم وشتت أمورهم إنه بما یعملون خبیر فقال علی ع -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-ادامه دارد [صفحه ۱۹۸] أما ماذکرت من عملنا وسیرتنا بالعدل فإن الله عز و جل یقول مَن عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفسِهِ وَ مَن أَساءَ فَعَلَیها وَ ما رَبّکَ بِظَلّامٍ لِلعَبِیدِ و أنا من أن أکون مقصرا فیما ذکرت أخوف و أما ماذکرت من أن الحق ثقل علیهم ففارقونا لذلک فقد علم الله أنهم لم یفارقونا من جور و لالجئوا إذ فارقونا إلی عدل و لم یلتمسوا إلادنیا زائلهٔ عنهم کأن قدفارقوها ولیسألن یوم القیامهٔ أللدنیا أرادوا أم لله عملوا و أما ماذکرت من بذل الأموال واصطناع الرجال فإنه لایسعنا أن نؤتی امرأ من الفیء أکثر من حقه و قد قال الله سبحانه و تعالی و قوله الحق کَم مِن فِئَهٍٔ قَلِیلَهٍٔ غَلَبَت فِئَهًٔ کَثِیرَهًٔ بِإِذنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ

الصّابِرِينَ و قدبعث الله محمداص وحده فكثره بعدالقلة وأعز فئته بعدالذلة و إن يرد الله أن يولينا هذاالأمر يذلل لنا صعبه ويسهل لنا حزنه و أناقابل من رأيك ما كان لله عز و جل رضا و أنت من آمن الناس عندى وأنصحهم لى وأوثقهم فى نفسى إن شاء الله -روايت-از قبل-۹۰۰ . وذكر الشعبى قال دخلت الرحبة بالكوفة و أناغلام فى غلمان فإذا أنابعلى ع قائما على صبرتين من ذهب وفضة ومعه مخفقة و هويطرد الناس بمخفقته ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس حتى لم يبق منه شىء ثم انصرف و لم يحمل إلى بيته قليلا- و لا-كثيرا فرجعت إلى أبى فقلت له لقد رأيت اليوم خير الناس أوأحمق الناس قال من هو يابنى قلت على بن أبى طالب أمير المؤمنين رأيته يصنع كذا فقصصت عليه فبكى و قال يابنى بل رأيت خير الناس . [صفحه ۱۹۹] وروى محمد بن فضيل عن هارون بن عنترة عن زاذان قال انطلقت مع قنبر غلام على ع فإذا هو يقول قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئا قال و ما هوويحك قال قم معى فانطلق به إلى بيته و إذابغرارة مملوءة من جامات ذهبا وفضة فقال يا أمير المؤمنين رأيتك لاتترك شيئا إلاقسمته فادخرت لك هذا من بيت المال فقال على ع ويحك ياقنبر لقد أحببت أن تدخل بيتى نارا عظيمة ثم سل سيفه وضربه ضربات كثيرة فانتثرت من بين إناء مقطوع نصفه وآخر ثلثه ونحو ذلك ثم دعا بالناس فقال اقسموه بالحصص ثم قام إلى بيت المال فقسم ماوجد فيه ثم رأى فى البيت إبرا ومسال فقال ولتقسموا هذافقالوا لاحاجة لنا فيه و قد كان على ع يأخذ من كل عامل مما يعمل فضحك و قال ليؤخذن شره مع خيره -روايت-۱-۲-روايت-۵۷-۶۹۵ . وروى عبدالرحمن بن عجلان قال كان على ع يقسم بين الناس الأبزار والحرف والكمون وكذا وكذا. وروى مجمع التيمى قال كان على ع يكنس بيت المال كل جمعة ويصلى فيه ركعتين و يقول ليشهد لى يوم القيامة -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۱۱۵ وروى بكر بن عيسى عن عاصم بن كليب الجرمى عن أبيه قال شهدت عليا ع و قدجاءه مال من الجبل فقام وقمنا معه وجاء الناس يزدحمون فأخذ حبالا فوصلها بيده وعقد بعضها إلى بعض ثم أدارها حول المال و قال لاأحل لأحد أن يجاوز هذاالحبل قال فقعد الناس كلهم من وراء الحبل ودخل هو فقال أين رءوس الأسباع وكانت الكوفة يومئذ أسباعا فجعلوا يحملون هذه الجوالق إلى هذه الجوالق و هذا إلى هذا حتى استوت القسمة سبعة أجزاء ووجد مع المتاع -روايت-۱-۲-روايت-۶۳-ادامه دارد [صفحه ۲۰۰] رغيف فقال اكسروه سبع كسر وضعوا على كل جزء كسرة ثم قال -روايت-از قبل-۶۳ هذاجناى وخياره فيه || إذ كل جان يده إلى فيه . ثم أقرع عليها ودفعها إلى رءوس الأسباع فجعل كل رجل منهم يدعو قومه فيحملون الجواليق -روايت-۱-۹۴ وروى مجمع عن أبى رجاء قال أخرج على ع سيفا إلى السوق فقال من يشترى منى هذافو ألذى نفس على بيده لو كان عندى ثمن إزار مابعته فقلت له أناأبيعك إزارا وأنسئك ثمنه إلى عطائك فدفعت إليه إزارا إلى عطائه فلما قبض عطاءه دفع إلى ثمن الإزار -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۲۵۹ وروى هارون بن سعيد قال قال عبد الله بن جعفر بن أبى طالب لعلى ع يا أمير المؤمنين لوأمرت لى بمعونة أونفقة فو الله ما لى نفقة إلا- أن أبيع دابتى فقال لا- و الله ماأجد لك شيئا إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۲۲۵ وروى بكر بن عيسى قال كان على ع يقول يا أهل الكوفة إذا أناخرجت من عندكم بغير راحلتى ورحلى وغلامى فلان فأنا خائن فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع و كان يطعم الناس منها الخبز واللحم ويأكل هوالثريد بالزيت -روايت-۱-۲-روايت-۴۶-۲۳۶ وروى أبوإسحاق الهمدانى أن امرأتين أتتا عليا ع إحداهما من العرب والأخرى من الموالى فسألتاه فدفع إليهما دراهم وطعاما بالسواء فقالت إحداهما -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-ادامه دارد [صفحه ۲۰۱] إنى امرأة من العرب و هذه من العجم فقال إنى و الله لاأجد لبنى إسماعيل فى هذاالفىء فضلا على بنى إسحاق -روايت-از قبل-۱۱۵ وروى معاوية بن عمار عن جعفر بن محمد ع قال مااعتلج على على ع أمران فى ذات الله إلاأخذ بأشدهما ولقد علمتم أنه كان يأكل يا أهل الكوفة عندكم من ماله بالمدينة و أن كان ليأخذ السويق فيجعله فى جراب ويختم عليه مخافة أن يزاد عليه من غيره و من كان أزهد فى الدنيا من على ع -روايت-۱-۲-روايت-۵۰-۲۹۳ وروى النضر بن منصور عن عقبة بن علقمة قال دخلت على على ع فإذا بين يديه لبن حامض

آذتنی حموضته وکسر یابسهٔ فقلت یا أمیر المؤمنین أتأکل مثل هذا فقال لی یا أباالجنوب کان رسول الله یأکل أیبس من هذا ویلبس أخشن من هذا وأشار إلی ثیابه فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألا ألحق به -روایت-۱-۲-روایت-۴۶-۳۰۱ وروی عمران بن مسلمهٔ عن سوید بن علقمهٔ قال دخلت علی علی ع بالکوفهٔ فإذا بین یدیه قعب لبن أجد ریحه من شدهٔ حموضته و فی یده رغیف تری قشار الشعیر علی وجهه و هویکسره ویستعین أحیانا برکبته و إذاجاریته فضهٔ قائمهٔ علی رأسه فقلت یافضهٔ أ ماتتقون الله فی هذاالشیخ أ لانخلتم دقیقه فقالت إنا نکره أن نؤجر ویأثم نحن قدأخذ علینا ألا ننخل له دقیقا ماصحبناه قال و علی ع لایسمع ماتقول فالتفت إلیها فقال ماتقولین قالت سله فقال لی ما قلت لها قال فقلت إنی قلت لها لونخلتم دقیقه فبکی ثم قال بأبی وأمی من لم یشبع ثلاثا متوالیهٔ من خبز بر حتی فارق الدنیا و لم ینخل دقیقه قال یعنی رسول الله ص -روایت-۱-۲-روایت-۴۷-۶۲۸ [صفحه ۲۰۲] وروی یوسف بن یعقوب عن صالح بیاع الأکسیهٔ أن جدته لقیت علیا ع بالکوفهٔ ومعه تمر یحمله فسلمت علیه وقالت له أعطنی یا أمیر المؤمنین هذاالتمر أحمله عنک إلی بیتک فقال أبوالعیال أحق بحمله قالت ثم قال لی أ لاتأکلین منه فقلت لاأرید قالت فانطلق به إلی منزله ثم رجع مرتدیا بتلک الشملهٔ و فیهاقشور التمر فصلی بالناس فیهاالجمعهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۴۸-۳۵۱ وروی محمد بن فضیل بن غزوان قال قیل لعلی ع کم تتصدق کم تخرج مالک أ لاتمسک قال إنی و الله لوأعلم أن الله تعالی قبل منی فرضا واحدا لأمسکت ولکنی و الله ماأدری أقبل منی سبحانه شیئا أم لا -روایت-۱-۲-روایت-۳۸-۲۱۲ روی عنبسهٔ العابد عن عبد الله بن الحسین بن الحسن قال أعتق علی ع فی حیاهٔ رسول الله ص ألف مملوک مما مجلت یداه وعرق جبینه ولقد ولی الخلافهٔ وأتته الأموال فما کان حلواه إلاالتمر و لاثیابه إلاالکرابیس -روایت-۱-۲-روایت-۶۲-۲۲۱ وروی العوام بن حوشب عن أبی صادق قال تزوج علی ع لیلی بنت مسعود النهشلیهٔ فضربت له فی داره حجلهٔ فجاء فهتکها و قال حسب أهل علی ماهم فیه -روایت-۱-۲-روایت-۴۵-۱۵۳ وروی حاتم بن إسماعیل المدنی عن جعفر بن محمد ع قال ابتاع علی ع فی خلافته قمیصا سملا بأربعهٔ دراهم ثم دعا الخیاط فمد کم القمیص وأمره بقطع ماجاوز الأصابع -روایت-۱-۲-روایت-۶۱-۱۷۱ . وإنما ذکرنا هذه الأخبار والروایات و إن کانت خارجهٔ عن مقصد الفصل لأن الحال اقتضی ذکرها من حیث أردنا أن نبین أن أمیر المؤمنین ع لم یکن [صفحه ۲۰۳] یذهب فی خلافته مذهب الملوک الذین یصانعون بالأموال ویصرفونها فی مصالح ملکهم وملاذ أنفسهم و أنه لم یکن من أهل الدنیا وإنما کان رجلا متألها صاحب حق لایرید بالله ورسوله بدلا. و روی علی بن محمد بن أبی یوسف المدائنی أن طائفهٔ من أصحاب علی ع مشوا إلیه فقالوا یا أمیر المؤمنین أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقریش علی الموالی والعجم واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره وإنما قالوا له ذلک لما کان معاویهٔ یصنع فی المال فقال لهم أتأمروننی أن أطلب النصر بالجور لا و الله لاأفعل ماطلعت شمس و مالاح فی السماء نجم و الله لو کان المال لی لواسیت بینهم فکیف وإنما هی أموالهم ثم سکت طویلا واجما ثم قال الأمر أسرع من ذلک قالها ثلاثا -روایت-۱-۲-روایت-۴۵-۵۰۱ [صفحه ۲۰۴]

۳۵- و من خطبهٔ له ع بعدالتحکیم

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ وَ إِن أَتَی الدّهرُ بِالخَطبِ الفَادِحِ وَ الحَدَثِ الجَلِیلِ وَ أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحدَهُ لَا شَرِیکَ لَهُ لَیسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَیرُهُ وَ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُص أَمّا بَعدُ فَإِنّ مَعصِیَةَ النّاصِحِ الشّفِیقِ العَالِمِ المُجَرّبِ تُورِثُ الحَسرَةَ وَ تُعقِبُ النّدَامَةَ وَ قَد کُنتُ أَمَرتُکُم

فِي هَذِهِ الحُكَومَةِ أمَرِي وَ نَخَلتُ لَكَم مَخزُونَ رأَيِي لَو كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمرٌ فَأَبَيتُم عَلَيّ إِبَاءَ المُخَالِفِينَ الجُفَاةِ وَ المُنَابِذِينَ العُصَاةِ حَتّى ارتَابَ النّاصِحُ بِنُصحِهِ وَ ضَنّ الزّنـدُ بِقَدحِهِ فَكُنتُ أَنَا وَ إِيّاكُم كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ أَمَرتُكُم أَمرِي بِمُنعَرَجِ اللّوَى || فَلَم تَستَبِينُوا النّصحَ إِلّا ضُحَى الغَدِ الخطب الفادح الثقيل ونخلت لكم أى أخلصته من نخلت الدقيق بالمنخل . و قوله الحمد لله و إن أتى الدهر أى أحمده على كل حال من السراء والضراء. و قوله لو كان يطاع لقصير أمر فهو قصير صاحب جذيمة وحديثة مع جذيمة و مع الزباء مشهور فضرب المثل لكل ناصح يعصى بقصير. [صفحه ۲۰۵] و قوله حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه يشير إلى نفسه يقول خالفتمونى حتى ظننت أن النصح ألذى نصحتكم به غيرنصح ولإطباقكم وإجماعكم على خلافى و هذاحق لأن ذا الرأى الصواب إذاكثر مخالفوه يشك فى نفسه . و أماضن الزند بقدحه فمعناه أنه لم يقدح لى بعد ذلك رأى صالح لشدة مالقيت منكم من الإباء والخلاف والعصيان و هذاأيضا حق لأن المشير الناصح إذااتهم واستغش عمى قلبه وفسد رأيه . وأخو هوازن صاحب الشعر هودريد بن الصمة والأبيات مذكورة فى الحماسة وأولها نصحت لعارض وأصحاب عارض || ورهط بنى السوداء والقوم شهدى فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج || سراتهم فى الفارسى المسرد أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى || فلم يستبينوا النصح إلاضحى الغد فلما عصونى كنت منهم و قدأرى || غوايتهم وأننى غيرمهتد و ما أنا إلا من غزية إن غوت || غويت و إن ترشد غزية أرشد . [صفحه ۲۰۶] و هذه الألفاظ من خطبة خطب بها ع بعدخديعة ابن العاص لأبى موسى وافتراقهما وقبل وقعة النهروان

قصة التحكيم ثم ظهور أمر الخوارج

ويجب أن نذكر فى هذاالفصل أمر التحكيم كيف كان و ما ألذى دعا إليه فنقول إن ألذى دعا إليه طلب أهل الشام له واعتصامهم به من سيوف أهل العراق فقد كانت أمارات القهر والغلبة لاحت ودلائل النصر والظفر وضحت فعدل أهل الشام عن القراع إلى الخداع و كان ذلك برأى عمرو بن العاص . و هذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير وهى الليلة العظيمة التى يضرب بهاالمثل . ونحن نذكر ماأورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفين فى هذاالمعنى فهو ثقة ثبت صحيح النقل غيرمنسوب إلى هوى و لاإدغال و هو من رجال أصحاب الحديث قال نصر حدثناعمرو بن شمر قال حدثنى أبوضرار قال حدثنى عمار بن ربيعة قال غلس على ع بالناس صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وقيل عاشر شهر صفر ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر العراق و الناس على راياتهم وأعلامهم وزحف إليهم أهل الشام و قدكانت الحرب أكلت الفريقين ولكنها [صفحه ۲۰۷] فى أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا فقد ملوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضعت أركانهم . قال فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب عليه السلاح لا يرى منه إلاعيناه وبيده الرمح فجعل يضرب رءوس أهل العراق بالقناة و يقول سووا صفوفكم رحمكم الله حتى إذاعدل الصفوف والرايات استقبلهم بوجهه وولى أهل الشام ظهره ثم حمد الله وأثنى عليه و قال الحمد لله ألذى جعل فينا ابن عم نبيه أقدمهم هجرة وأولهم إسلاما سيف من سيوف الله على أعدائه فانظروا إذاحمى الوطيس وثار القتام وتكسر المران وجالت الخيل بالأبطال فلاأسمع إلاغمغمة أوهمهمة فاتبعونى وكونوا فى أثرى. ثم حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثم رجع فإذا هوالأشتر. قال وخرج رجل من أهل الشام فنادى بين الصفين يا أبا الحسن يا على ابرز إلى فخرج إليه على ع حتى اختلفت أعناق دابتيهما بين الصفين فقال إن لك يا على لقدما فى الإسلام والهجرة فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخر هذه الحروب حتى ترى رأيك قال و ما هو قال ترجع إلى -روايت-۱-۲-روايت-۸-ادامه دارد [صفحه ۲۰۸] عراقك فنخلى بينك و بين العراق ونرجع نحن إلى شامنا فتخلى بيننا و بين الشام فقال على

ع قدعرفت ماعرضت إن هذه لنصيحة وشفقة ولقد أهمنى هذاالأمر وأسهرنى وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلاالقتال أوالكفر بما أنزل الله على محمد إن الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض وهم سكوت مذعنون لايأمرون بمعروف و لاينهون عن منكر فوجدت القتال أهون على من معالجة فى الأغلال فى جهنم -روايت-از قبل-۴۱۴ قال فرجع الرجل و هويسترجع وزحف الناس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنبل والحجارة حتى فنيت ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت واندقت ثم مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السامعون إلاوقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولا فى صدور الرجال من الصواعق و من جبال تهامة يدک بعضها بعضا وانکسفت الشمس بالنقع وثار القتام والقسطل وضلت الألوية والرايات وأخذ الأشتر يسير فيما بين الميمنة والميسرة فيأمر كل قبيلة أوكتيبة من القراء بالإقدام على التى تليها فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة من اليوم المذكور إلى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة فلم يزل الأشتر يفعل ذلک حتى أصبح والمعركة خلف ظهره وافترقوا عن سبعين ألف قتيل فى ذلک اليوم وتلک الليلة وهى ليلة الهرير المشهورة و كان الأشتر فى ميمنة الناس و ابن عباس فى الميسرة و على ع فى القلب و الناس يقتتلون . ثم استمر القتال من نصف الليل الثانى إلى ارتفاع الضحى والأشتر يقول لأصحابه [صفحه ۲۰۹] و هويزحف بهم نحو أهل الشام ازحفوا قيد رمحى هذا ويلقى رمحه فإذافعلوا ذلک قال ازحفوا قاب هذاالقوس فإذافعلوا ذلک سألهم مثل ذلک حتى مل أكثر الناس من الإقدام فلما رأى ذلک قال أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائر اليوم ثم دعا بفرسه وركز رايته وكانت مع حيان بن هوذة النخعى وسار بين الكتائب و هو يقول أ لا من يشترى نفسه لله ويقاتل مع الأشتر حتى يظهر أويلحق بالله فلايزال الرجل من الناس يخرج إليه فيقاتل معه . قال نصر وحدثنى عمرو قال حدثنى أبوضرار قال حدثنى عمار بن ربيعة قال مر بى الأشتر فأقبلت معه حتى رجع إلى المكان ألذى كان به فقام فى أصحابه فقال شدوا فدا لكم عمى وخالى شدة ترضون بها الله وتعزون بهاالدين إذا أناحملت فاحملوا ثم نزل وضرب وجه دابته و قال لصاحب رايته أقدم فتقدم بها ثم شد على القوم وشد معه أصحابه فضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عندالمعسكر قتالا شديدا وقتل صاحب رايتهم وأخذ على ع لمارأى الظفر قدجاء من قبله يمده بالرجال . وروى نصر عن رجاله قال لمابلغ القوم إلى مابلغوا إليه قام على ع خطيبا فحمد الله وأثنى عليه و قال -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-ادامه دارد [صفحه ۲۱۰] أيها الناس قدبلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قدرأيتم و لم يبق منهم إلاآخر نفس و إن الأمور إذاأقبلت اعتبر آخرها بأولها و قدصبر لكم القوم على غيردين حتى بلغنا منهم مابلغنا و أناغاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله -روايت-از قبل-۲۲۳ . قال فبلغ ذلک معاوية فدعا عمرو بن العاص و قال ياعمرو إنما هى الليلة حتى يغدو على علينا بالفيصل فما ترى . قال إن رجالک لايقومون لرجاله ولست مثله هويقاتلک على أمر و أنت تقاتله على غيره أنت تريد البقاء و هويريد الفناء و أهل العراق يخافون منک إن ظفرت بهم و أهل الشام لايخافون عليا إن ظفر بهم ولكن ألق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا و إن ردوه اختلفوا ادعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينک وبينهم فإنک بالغ به حاجتک فى القوم وإنى لم أزل أؤخر هذاالأمر لوقت حاجتک إليه .فعرف معاوية ذلک و قال له صدقت . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر بن عمير الأنصارى قال و الله لكأنى أسمع عليا يوم الهرير و ذلک بعد ماطحنت رحى مذحج فيما بينها و بين عک ولخم وجذام والأشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصى حتى استقلت الشمس وقام قائم الظهر و على ع يقول لأصحابه حتى متى نخلى بين هذين الحيين قدفنيا وأنتم وقوف تنظرون أ ماتخافون مقت الله ثم انفتل إلى القبلة ورفع -روايت-۱-۲-روايت-۶۱-ادامه دارد [صفحه ۲۱۱] يديه إلى الله عز و جل ونادى يا الله يارحمان يارحيم ياواحد ياأحد ياصمد يا الله ياإله محمد أللهم إليک نقلت الأقدام وأفضت القلوب ورفعت الأيدى ومدت الأعناق وشخصت الأبصار وطلبت الحوائج أللهم إنا نشكو إليک غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت أهوائنا ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين سيروا على بركة الله ثم نادى لاإله إلا الله و الله أكبر كلمة التقوى -روايت-از قبل-۳۹۲ . قال فلا و

ألذى بعث محمدا بالحق نبيا ماسمعنا رئيس قوم منذ خلق الله السموات و الأرض أصاب بيده فى يوم واحد ماأصاب إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحنيا فيقول معذرة إلى الله وإليكم من هذالقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزنى عنه أنى سمعت رسول الله ص يقول لاسيف إلاذو الفقار و لافتى إلا على و أناأقاتل به دونه ص -روايت-١-٢-روايت-٩-١٧٣ . قال فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به فى عرض الصف فلا و الله ماليث بأشد نكاية منه فى عدوه ع . قال نصر فحدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال سمعت تميم بن حذيم يقول لماأصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذاأشباه الرايات أمام أهل الشام فى وسط الفيلق [صفحه ٢١٢] حيال موقف على ومعاوية فلما أسفرنا إذاهى المصاحف قدربطت فى أطراف الرماح وهى عظام مصاحف العسكر و قدشدوا ثلاثة أرماح جميعا وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط. قال نصر و قال أبو جعفر و أبوالطفيل استقبلوا عليا بمائة مصحف ووضعوا فى كل مجنبة مائتى مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف . قال أبو جعفر ثم قام الطفيل بن أدهم حيال على ع وقام أبوشريح الجذامى حيال الميمنة وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة ثم نادوا يامعشر العرب الله الله فى النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك و أهل فارس غدا إذافنيتم الله الله فى دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم . فقال على ع أللهم إنك تعلم أنهم ماالكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين -روايت-١-٢-روايت-١٧-١١٠ فاختلف أصحاب على ع فى الرأى فطائفة قالت القتال وطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب و لايحل لنا الحرب و قددعينا إلى حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها. قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر قال حدثنا أبو جعفر محمد بن على بن الحسين قال لما كان اليوم الأعظم قال أصحاب معاوية و الله لانبرح اليوم العرصة حتى نموت أويفتح لنا و قال أصحاب على ع لانبرح اليوم العرصة حتى نموت أويفتح لنا فبادروا القتال غدوة فى يوم من أيام الشعرى طويل شديد -روايت-١-٢-روايت-٨٩-ادامه دارد [صفحه ٢١٣] الحر فتراموا حتى فنيت النبال وتطاعنوا حتى تقصفت الرماح ثم نزل القوم عن خيولهم ومشى بعضهم إلى بعض بالسيوف حتى كسرت جفونها وقام الفرسان فى الركب ثم اضطربوا بالسيوف وبعمد الحديد فلم يسمع السامعون إلاتغمغم القوم وصليل الحديد فى الهام وتكادم الأفواه وكسفت الشمس وثار القتام وضلت الألوية والرايات ومرت مواقيت أربع صلوات مايسجد فيهن لله إلاتكبيرا ونادت المشيخة فى تلك الغمرات يامعشر العرب الله الله فى الحرمات من النساء والبنات قال جابر فبكى أبو جعفر و هويحدثنا بهذا الحديث -روايت-از قبل-٥١٦ . قال نصر وأقبل الأشتر على فرس كميت محذوف و قدوضع مغفره على قربوس السرج و هوينادى اصبروا يامعشر المؤمنين فقد حمى الوطيس ورجعت الشمس من الكسوف واشتد القتال وأخذت السباع بعضها بعضا فهم كما قال الشاعر مضت واستأخر القرعاء عنها || وخلى بينهم إلاالوريع . قال يقول واحد لصاحبه فى تلك الحال أى رجل هذا لوكانت له نية فيقول له صاحبه و أى نية أعظم من هذه ثكلتك أمك وهبلتك إن رجلا كماترى قدسبح فى الدم و ماأضجرته الحرب و قدغلت هام الكماة من الحر وبلغت القلوب الحناجر و هو كماتراه جزعا يقول هذه المقالة أللهم لاتبقنا بعد هذا. قلت لله أم قامت عن الأشتر لو أن إنسانا يقسم أن الله تعالى ماخلق فى العرب [صفحه ٢١٤] و لا فى العجم أشجع منه إلاأستاذه ع لماخشيت عليه الإثم ولله در القائل و قدسئل عن الأشتر ماأقول فى رجل هزمت حياته أهل الشام وهزم موته أهل العراق . وبحق ما قال فيه أمير المؤمنين ع كان الأشتر لى كماكنت لرسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-٣١-٧١ قال نصر وروى الشعبى عن صعصعة قال و قد كان الأشعث بن قيس بدر منه قول ليلة الهرير نقله الناقلون إلى معاوية فاغتنمه وبنى عليه تدبيره و ذلك أن الأشعث خطب أصحابه من كندة تلك الليلة فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأستنصره وأستغفره وأستجيره وأستهديه وأستشيره وأستشهد به فإن من هداه الله فلامضل له و من يضلل الله فلاهادى له وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ص . ثم قال قدرأيتم يامعشر المسلمين ما قد كان فى يومكم هذاالماضى و ما قدفنى فيه من العرب فو

الله لقد بلغت من السن ماشاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذااليوم قط ألا فليبلغ الشاهد الغائب إنا نحن إن تواقفنا غدا إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات أما و الله ماأقول هذه المقالة جزعا من الحرب ولكنى رجل مسن أخاف على النساء والذرارى غدا إذافنينا أللهم إنك تعلم أنى قدنظرت لقومى ولأهل دينى فلم آل و ماتوفيقى إلابالله عليه توكلت و إليه أنيب والرأى يخطئ ويصيب [صفحه ۲۱۵] و إذاقضى الله أمرا أمضاه على ماأحب العباد أوكرهوا أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم . قال الشعبى قال صعصعة فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث فقال أصاب ورب الكعبة لئن نحن التقينا غدا لتميلن على ذرارى أهل الشام ونسائهم ولتميلن فارس على ذرارى أهل العراق ونسائهم إنما يبصر هذاذوو الأحلام والنهى ثم قال لأصحابه اربطوا المصاحف على أطراف القنا.فثار أهل الشام فى سواد الليل ينادون عن قول معاوية وأمره يا أهل العراق من لذرارينا إن قتلتمونا و من لذراريكم إذاقتلناكم الله الله فى البقية وأصبحوا و قدرفعوا المصاحف على رءوس الرماح و قدقلدوها الخيل و الناس على الرايات قداشتهوا مادعوا إليه ومصحف دمشق الأعظم يحمله عشرة رجال على رءوس الرماح وهم ينادون كتاب الله بيننا وبينكم . وأقبل أبوالأعور السلمى على برذون أبيض و قدوضع المصحف على رأسه ينادى يا أهل العراق كتاب الله بيننا وبينكم . قال فجاء عدى بن حاتم الطائى فقال يا أمير المؤمنين إنه لم يصب منا عصبة إلا و قدأصيب منهم مثلها و كل مقروح ولكنا أمثل بقية منهم و قدجزع القوم و ليس بعدالجزع إلا مانحب فناجزهم . وقام الأشتر فقال يا أمير المؤمنين إن معاوية لاخلف له من رجاله ولكن [صفحه ۲۱۶] بحمد الله لك الخلف و لو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك و لانصرك فاقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد. ثم قام عمرو بن الحمق فقال يا أمير المؤمنين إنا و الله ماأجبناك و لانصرناك على الباطل و لاأجبنا إلا الله و لاطلبنا إلاالحق و لودعانا غيرك إلى مادعوتنا إليه لاستشرى فيه اللجاج وطالت فيه النجوى و قدبلغ الحق مقطعه و ليس لنا معك رأى.فقام الأشعث بن قيس مغضبا فقال يا أمير المؤمنين إنا لك اليوم على ماكنا عليه أمس و ليس آخر أمرنا كأوله و ما من القوم أحد أحنى على أهل العراق و لاأوتر لأهل الشام منى فأجب القوم إلى كتاب الله عز و جل فإنك أحق به منهم و قدأحب الناس البقاء وكرهوا القتال . فقال على ع هذاأمر ينظر فيه .فتنادى الناس من كل جانب الموادعة. فقال على ع أيها الناس إنى أحق من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص و ابن أبى معيط و ابن أبى سرح و ابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين و لاقرآن إنى أعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم إنها كلمة حق يراد بهاباطل إنهم مارفعوها أنهم يعرفونها ويعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة أعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه و لم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۴۶ .فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنعين فى الحديد شاكى السلاح سيوفهم على [صفحه ۲۱۷] عواتقهم و قداسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكى وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعدفنادوه باسمه لابإمرة المؤمنين يا على أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه و إلاقتلناك كماقتلنا ابن عفان فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم فقال لهم ويحكم أناأول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه و ليس يحل لى و لايسعنى فى دينى أن أدعى إلى كتاب الله فلاأقبله إنى إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قدعصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكنى قدأعلمتكم أنهم قدكادوكم وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون قالوا فابعث إلى الأشتر ليأتينك و قد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله . قال نصر فحدثنى فضيل بن خديج عن رجل من النخع قال سأل مصعب ابراهيم بن الأشتر عن الحال كيف كانت فقال كنت عند على ع حين بعث إلى الأشتر ليأتيه و قد كان الأشتر أشرف على معسكر معاوية ليدخله فأرسل إليه على ع يزيد بن هانئ أن ائتنى فأتاه فأبلغه فقال الأشتر ائته فقل له ليس هذه بالساعة التى ينبغى لك أن تزيلنى عن موقفى [صفحه ۲۱۸] إنى قدرجوت الفتح فلاتعجلنى فرجع يزيد بن هانئ إلى على ع فأخبره فما هو إلا أن انتهى إلينا حتى ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح

والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار على أهل الشام فقال القوم لعلى و الله مانراک أمرته إلابالقتال قال أرأيتمونى ساررت رسولى إليه أ ليس إنما كلمته على رءوسكم علانيئ وأنتم تسمعون قالوا فابعث إليه فليأتک و إلافو الله اعتزلناک فقال ويحک يايزيد قل له أقبل إلى فإن الفتنئ قدوقعت فأتاه فأخبره فقال الأشتر أبرفع هذه المصاحف قال نعم قال أما و الله لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع خلافا وفرقئ إنها مشورئ ابن النابغئ ثم قال ليزيد بن هانئ ويحک أ لاترى إلى الفتح أ لاترى إلى مايلقون أ لاترى ألذى يصنع الله لنا أينبغى أن ندع هذا وننصرف عنه فقال له يزيد أتحب أنک ظفرت هاهنا و أن أمير المؤمنين بمكانه ألذى هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه قال سبحان الله لاـ و الله لاأحب ذلک قال فإنهم قدقالوا له وحلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتينک أولنقتلنک بأسيافنا كماقتلنا عثمان أولنسلمنک إلى عدوک .فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها و قد و الله تركوا ماأمر الله به فيها وتركوا سنئ من أنزلت عليه فلاتجيبوهم أمهلونى فواقا فإنى [صفحه ۲۱۹] قدأحسست بالفتح قالوا لانمهلک قال فأمهلونى عدوئ الفرس فإنى قدطمعت فى النصر قالوا إذن ندخل معک فى خطيئتک . قال فحدثونى عنكم و قدقتل أماثلكم وبقى أراذلكم متى كنتم محقين أحين كنتم تقتلون أهل الشام فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون أم أنتم الآن فى إمساككم عن القتال محقون فقتلاكم إذن الذين لاتنكرون فضلهم وأنهم خير منكم فى النار قالوا دعنا منک ياأشتر قاتلناهم فى الله وندع قتالهم فى الله إنا لسنا نطيعک فاجتنبنا فقال خدعتم و الله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم ياأصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادئ فى الدنيا وشوقا إلى لقاء الله فلاأرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ألا فقبحا ياأشباه النيب الجلالئ ماأنتم براءين بعدها عزا أبدا فابعدوا كما بعدالقوم الظالمون .فسبوه وسبهم وضربوا بسياطهم وجه دابته وضرب بسوطه وجوه دوابهم وصاح بهم على ع فكفوا و قال الأشتر يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف تصرع القوم فتصايحوا أن أمير المؤمنين قدقبل الحكومئ ورضى بحكم القرآن فقال الأشتر إن كان أمير المؤمنين قدقبل ورضى فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين فأقبل الناس يقولون قدرضى أمير المؤمنين قدقبل أمير المؤمنين و هوساكت لايبض بكلمئ مطرق إلى الأرض . ثم قال فسكت الناس كلهم فقال أيها الناس إن أمرى لم يزل معكم على ماأحب إلى أن أخذت منكم الحرب و قد و الله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوكم فلم تترک وإنها فيهم أنكى وأنهک ألاـ إنى كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم -روايت-۱-۲-روايت-۹-ادامه دارد [صفحه ۲۲۰] مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت منهيا و قدأحببتم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ماتكرهون ثم قعد -روايت-از قبل-۹۹ . قال نصر ثم تكلم رؤساء القبائل فكل قال مايراه ويهواه إما من الحرب أو من السلم فقام كردوس بن هانئ البكرى فقال أيها الناس إنا و الله ماتولينا معاويئ منذ تبرأنا منه و لاتبرأنا من على منذ توليناه و إن قتلانا لشهداء و إن أحياءنا لأبرار و إن عليا لعلى بينئ من ربه و ماأحدث إلاالإنصاف فمن سلم له نجا و من خالفه هلک ثم قام شقيق بن ثور البكرى فقال أيها الناس إنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم عليه وإنهم قددعونا اليوم إليه فإن رددناه عليهم حل لهم منا ماحل لنا منهم ولسنا نخاف أن يحيف الله علينا ورسوله ألا إن عليا ليس بالراجع الناكس و لاالشاک الواقف و هواليوم على ما كان عليه أمس و قدأكلتنا هذه الحرب و لانرى البقاء إلا فى الموادعئ. قال نصر ثم إن أهل الشام لماأبطأ عنهم علم حال أهل العراق هل أجابوا إلى الموادعئ أم لاجزعوا فقالوا يامعاويئ مانرى أهل العراق أجابوا إلى مادعوناهم إليه فأعدها جذعئ فإنک قدغمرت بدعائک القوم وأطمعتهم فيک .فدعا معاويئ عبد الله بن عمرو بن العاص فأمره أن يكلم أهل العراق ويستعلم له ماعندهم فأقبل حتى إذا كان بين الصفين نادى يا أهل العراق أنا عبد الله بن [صفحه ۲۲۱] عمرو بن العاص إنه قدكانت بيننا وبينكم أمور للدين أوالدنيا فإن تكن للدين فقد و الله أعذرنا وأعذرتم و إن تكن للدنيا فقد و الله أسرفنا وأسرفتم و قددعوناكم إلى أمر لودعوتمونا إليه لأجبناكم فإن يجمعنا وإياكم الرضا فذاک من الله فاغتنموا هذه الفرصئ عسى أن يعيش فيهاالمحترف

وينسى فيهاالقتيل فإن بقاء المهلك بعدالهالك قليل .فأجابه سعد بن قيس الهمدانى فقال أما بعد يا أهل الشام إنه قدكانت بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا وسميتموها غدرا وسرفا و قددعوتمونا اليوم إلى ماقاتلناكم عليه أمس و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم و أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم فيه بما أنزل الله سبحانه فالأمر فى أيدينا دونكم و إلافنحن نحن وأنتم أنتم .فقام الناس إلى على ع فقالوا له أجب القوم إلى المحاكمة قال ونادى إنسان من أهل الشام فى جوف الليل بشعر سمعه الناس و هو رءوس العراق أجيبوا الدعاء || فقد بلغت غاية الشده و قدأودت الحرب بالعالمين || و أهل الحفائظ والنجده فلسنا ولستم من المشركين || و لاالمجمعين على الرده ولكن أناس لقوا مثلهم || لنا عدة ولكم عده [صفحه ٢٢٢] فقاتل كل على وجهه || يقحمه الجد والحده فإن تقبلوها ففيها البقاء || وأمن الفريقين والبلده و إن تدفعوها ففيها الفناء || و كل بلاء إلى مده فحتى متى مخض هذاالسقاء || و لابد أن تخرج الزبده ثلاثة رهط هم أهلها || و إن يسكتوا تخمد الوقده سعيد بن قيس وكبش العراق || وذاك المسود من كنده . قال فأما المسود من كندة و هوالأشعث فإنه لم يرض بالسكوت بل كان من أعظم الناس قولا ـ فى إطفاء الحرب والركون إلى الموادعة و أماكبش العراق و هوالأشتر فلم يكن يرى إلاالحرب ولكنه سكت على مضض و أماسعيد بن قيس فكان تارة هكذا وتارة هكذا. وذكر ابن ديزيل الهمدانى فى كتاب صفين قال خرج عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ومعه لواء معاوية فارتجز فخرج إليه جارية بن قدامة السعدى فارتجز أيضا مجيبا له ثم اطعنا فلم يصنعا شيئا وانصرف كل واحد منهما عن صاحبه فقال عمرو بن العاص لعبد الرحمن اقحم يا ابن سيف الله فتقدم عبدالرحمن بلوائه وتقدم أصحابه فأقبل على ع على الأشتر فقال له قدبلغ لواء معاوية حيث [صفحه ٢٢٣] ترى فدونك القوم فأخذ الأشتر لواء على ع و قال إنى أناالأشتر معروف الشتر || إنى أناالأفعى العراقى الذكر لست ربيعيا ولست من مضر || لكننى من مذحج الشم الغرر .فضارب القوم حتى ردهم فانتدب له همام بن قبيصة الطائى و كان مع معاوية فشد عليه فى مذحج فانتصر عدى بن حاتم الطائى للأشتر فحمل عليه فى طىء فاشتد القتال جدا فدعا على ببغلة رسول الله ص فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله ونادى أيها الناس من يشرى نفسه لله إن هذا يوم له مابعده فانتدب معه ما بين عشرة آلاف إلى اثنى عشر ألفا فتقدمهم على ع و قال -روايت-١-٢٠٣ دبوا دبيب النمل لاتفوتوا || وأصبحوا أمركم أوبيتوا حتى تنالوا الثأر أوتموتوا . وحمل وحمل الناس كلهم حملة واحدة فلم يبق لأهل الشام صف إلاأزالوه حتى أفضوا إلى معاوية فدعا معاوية بفرسه ليفر عليه . و كان معاوية بعد ذلك يحدث فيقول لماوضعت رجلى فى الركاب ذكرت قول عمرو بن الإطنابة أبت لى عفتى وأبى بلائى || وأخذى الحمد بالثمن الربيح [صفحه ٢٢٤] وإقدامى على المكروه نفسى || وضربى هامة البطل المشيح وقولى كلما جشأت وجاشت || مكانك تحمدى أوتستريحى .فأخرجت رجلى من الركاب وأقمت ونظرت إلى عمرو فقلت له اليوم صبر وغدا فخر فقال صدقت . قال ابراهيم بن ديزيل روى عبد الله بن أبى بكر عن عبدالرحمن بن حاطب عن معاوية قال أخذت بمعرفة فرسى ووضعت رجلى فى الركاب للهرب حتى ذكرت شعر ابن الإطنابة فعدت إلى مقعدى فأصبت خير الدنيا وإنى لراج أن أصيب خير الآخرة. قال ابراهيم بن ديزيل فكان ذلك يوم الهرير ثم رفعت المصاحف بعده . وروى ابراهيم عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن ربيعة بن لقيط قال شهدنا صفين فمطرت السماء علينا دما عبيطا. و قال و فى حديث الليث بن سعد أن كانوا ليأخذونه بالصحاف والآنية و فى حديث ابن لهيعة حتى إن الصحاف والآنية لتمتلئ ونهريقها. قال ابراهيم وروى عبدالرحمن بن زياد عن الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عمن حدثه ممن حضر صفين أنهم مطروا دما عبيطا فتلقاه الناس بالقصاع والآنية و ذلك فى يوم الهرير وفزع أهل الشام وهموا أن يتفرقوا فقام عمرو بن العاص فيهم فقال أيها الناس إنما هذه آية من آيات الله فأصلح امرؤ مابينه و بين الله ثم لا عليه أن ينتطح هذان الجبلان فأخذوا فى القتال [صفحه ٢٢٥] قال ابراهيم وروى أبو عبد الله المكى قال حدثناسفيان بن عاصم بن كليب الحارثى عن أبيه قال أخبرنى ابن عباس قال لقد حدثنى معاوية أنه كان يومئذ قدقرب إليه

فرسا له أنثى بعيدة البطن من الأرض ليهرب عليها حتى أتاه آت من أهل العراق فقال له إنى تركت أصحاب على فى مثل ليلة الصدر من منى فأقمت قال فقلنا له فأخبرنا من هو ذلك الرجل فأبى و قال لاأخبركم من هو. قال نصر و ابراهيم أيضا وكتب معاوية إلى على ع أما بعد فإن هذاالأمر قدطال بيننا وبينك و كل واحد منا يرى أنه على الحق فيما يطلب من صاحبه ولن يعطى واحد منا الطاعة للآخر و قدقتل فيما بيننا بشر كثير و أناأتخوف أن يكون مابقى أشد مما مضى وإنا سوف نسأل عن ذلك الموطن و لايحاسب به غيرى وغيرك و قددعوتك إلى أمر لنا و لك فيه حياة وعذر وبراءة وصلاح للأمة وحقن للدماء وألفة للدين وذهاب للضغائن والفتن أن نحكم بينى وبينكم حكمين مرضيين أحدهما من أصحابى والآخر من أصحابك فيحكمان بيننا بما أنزل الله فهو خير لى و لك وأقطع لهذه الفتن فاتق الله فيما دعيت إليه وارض بحكم القرآن إن كنت من أهله و السلام . فكتب إليه على ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فإن أفضل ماشغل به المرء نفسه اتباع ماحسن به فعله واستوجب فضله وسلم من عيبه -روايت-١-٢-روايت-٢٢-ادامه دارد [صفحه ٢٢٦] و إن البغى والزور يزريان بالمرء فى دينه ودنياه فاحذر الدنيا فإنه لافرح فى شيءوصلت إليه منها ولقد علمت أنك غيرمدرك ماقضى فواته و قدرام قوم أمرا بغير الحق وتأولوه على الله جل و عزفأكذبهم ومتعهم قليلا ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ فاحذر يوما يغتبط فيه من حمد عاقبة عمله ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده و لم يحاده وغرته الدنيا واطمأن إليها ثم إنك قددعوتنى إلى حكم القرآن ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن و لاحكمه تريد و الله المستعان فقد أجبنا القرآن إلى حكمه ولسنا إياك أجبنا و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا -روايت-از قبل-٥٦٨ فكتب معاوية إلى على ع أما بعدعافانا الله وإياك فقد آن لك أن تجيب إلى ما فيه صلاحنا وألفة بيننا و قدفعلت ألذى فعلت و أناأعرف حقى ولكنى اشتريت بالعفو صلاح الأمة و لم أكثر فرحا بشيء جاء و لاذهب وإنما أدخلنى فى هذاالأمر القيام بالحق فيما بين الباغى والمبغى عليه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فدعوت إلى كتاب الله فيما بيننا وبينك فإنه لايجمعنا وإياك إلا هونحيى ماأحيا القرآن ونميت ماأمات القرآن و السلام . قال نصرفكتب على ع إلى عمرو بن العاص يعظه ويرشده -روايت-١-٢-روايت-١١-ادامه دارد [صفحه ٢٢٧] أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها ولن يصيب صاحبها منها شيئا إلافتحت له حرصا يزيده فيهارغبة ولن يستغنى صاحبها بما نال عما لم يبلغ و من وراء ذلك فراق ماجمع والسعيد من وعظ بغيره فلاتحبط أبا عبد الله أجرك و لاتجار معاوية فى باطله و السلام -روايت-از قبل-٢٥٢ فكتب إليه عمرو الجواب أما بعدأقول فالذى فيه صلاحنا وألفتنا الإنابة إلى الحق و قدجعلنا القرآن بيننا حكما وأجبنا إليه فصبر الرجل منا نفسه على ماحكم عليه القرآن وعذره الناس بعدالمحاجزة و السلام . فكتب إليه على ع أما بعد فإن ألذى أعجبك من الدنيا مما نازعتك إليه نفسك ووثقت به منها لمنقلب عنك ومفارق لك فلاتطمئن إلى الدنيا فإنها غرارة و لواعتبرت بما مضى لحفظت مابقى وانتفعت منها بما وعظت به و السلام -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٢٢٧ فأجابه عمرو أما بعدفقد أنصف من جعل القرآن إماما ودعا الناس إلى أحكامه فاصبر أباحسن فإنا غيرمنيليك إلا ماأنالك القرآن و السلام . قال نصر وجاء الأشعث إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين ماأرى الناس إلا قدرضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى مادعوهم إليه من حكم القرآن [صفحه ٢٢٨] فإن شئت أتيت معاوية فسألته مايريد ونظرت ما ألذى يسأل قال فأته إن شئت فأتاه فسأله يامعاوية لأى شيءرفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم إلى ماأمر الله به فيهافابعثوا رجلا منكم ترضون به ونبعث منا رجلا ونأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله و لايعدوانه ثم نتبع مااتفقا عليه فقال الأشعث هذا هوالحق . وانصرف إلى على ع فأخبره فبعث على ع قراء من أهل العراق وبعث معاوية قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصحف فنظروا فيه وتدارسوا واجتمعوا على أن يحيوا ماأحيا القرآن ويميتوا ماأمات القرآن ورجع كل فريق إلى صاحبه فقال أهل الشام إنا قدرضينا واخترنا عمرو بن العاص و قال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد قدرضينا نحن واخترنا أبا موسى الأشعرى فقال لهم على ع فإنى لاأرضى بأبى موسى و

لاأرى أن أوليه فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى فى عصابة من القراء إنا لانرضى إلا به فإنه قد كان حذرنا ماوقعنا فيه فقال على ع فإنه ليس لى برضا و قدفارقنى وخذل الناس عنى وهرب منى حتى أمنته بعدأشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك قالوا و الله مانبالى أكنت أنت أو ابن عباس و لانريد إلارجلا هومنك و من معاوية سواء ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر قال على ع فإنى أجعل الأشتر فقال الأشعث وهل سعر الأرض علينا إلاالأشتر وهل نحن إلا فى حكم الأشتر قال على ع و ماحكمه قال حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيف حتى يكون ماأردت و ماأراد. [صفحه ۲۲۹] قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر محمد بن على قال لماأراد الناس عليا أن يضع الحكمين قال لهم إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هوأوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنه لايصلح للقرشى إلامثله فعليكم بعبد الله بن العباس فارموه به فإن عمرا لايعقد عقدة إلاحلها عبد الله و لايحل عقدة إلاعقدها و لايبرم أمرا إلانقضه و لاينقض أمرا إلاأبرمه فقال الأشعث لا و الله لايحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة ولكن اجعل رجلا من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا من مضر فقال على ع إنى أخاف أن يخدع يمنيكم فإن عمرا ليس من الله فى شىء إذا كان له فى أمر هوى فقال الأشعث و الله لأن يحكما ببعض مانكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض مانحب فى حكمهما وهما مضريان -روايت-۱-۲-روايت-۷۱-۷۲۱ . قال وذكر الشعبى أيضا مثل ذلك . قال نصر فقال على ع قدأبيتم إلا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ماشئتم فبعثوا إلى أبى موسى و هوبأرض من أرض الشام يقال لها عرض قداعتزل القتال فأتاه مولى له فقال إن الناس قداصطلحوا فقال الحمد لله رب العالمين قال و قدجعلوك حكما فقال إنا لله وإنا إليه راجعون .فجاء أبو موسى حتى دخل عسكر على ع وجاء الأشتر عليا فقال يا أمير المؤمنين ألزنى بعمرو بن العاص فو ألذى لاإله غيره لئن ملأت عينى منه لأقتلنه [صفحه ۲۳۰] وجاء الأحنف بن قيس عليا فقال يا أمير المؤمنين إنك قدرميت بحجر الأرض و من حارب الله ورسوله أنف الإسلام وإنى قدعجمت هذا الرجل يعنى أبا موسى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وإنه لايصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون فى أكفهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم فإن شئت أن تجعلنى حكما فاجعلنى و إن شئت أن تجعلنى ثانيا أوثالثا فإن عمرا لايعقد عقدة إلاحللتها و لايحل عقدة إلاعقدت لك أشد منها.فعرض على ع ذلك على الناس فأبوه وقالوا لا يكون إلا أبا موسى . قال نصر مال الأحنف إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إنى خيرتك يوم الجمل أن آتيك فيمن أطاعنى أوأكف عنك بنى سعد فقلت كف قومك فكفى بكفك نصيرا فأقمت بأمرك و إن عبد الله بن قيس رجل قدحلبت أشطره فوجدته قريب القعر كليل المدية و هو رجل يمان وقومه مع معاوية و قدرميت بحجر الأرض وبمن حارب الله ورسوله و إن صاحب القوم من ينأى حتى يكون مع النجم ويدنو حتى يكون فى أكفهم فابعثنى فو الله لايحل عنك عقدة إلاعقدت لك أشد منها فإن قلت إنى لست من أصحاب رسول الله فابعث رجلا من أصحاب رسول الله وابعثنى معه . [صفحه ۲۳۱] فقال على ع إن القوم أتونى بعبد الله بن قيس مبرنسا فقالوا ابعث هذارضينا به و الله بالغ أمره . قال نصر وروى أن ابن الكواء قام إلى على ع فقال هذا عبد الله بن قيس وافد أهل اليمن إلى رسول الله ص وصاحب مقاسم أبى بكر وعامل عمر و قدرضى به القوم وعرضنا عليهم ابن عباس فزعموا أنه قريب القرابة منك ظنون فى أمرك .فبلغ ذلك أهل الشام فبعث أيمن بن خزيم الأسدى و كان معتزلا لمعاوية بهذه الأبيات و كان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق لو كان للقوم رأى يعصمون به || من الضلال رموكم بابن عباس لله در أبيه أيما رجل || ماامثله لفصال الخطب فى الناس لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن || لايهتدى ضرب أخماس لأسداس إن يخل عمرو به يقذفه فى لجج || يهوى به النجم تيسا بين أتياس أبلغ لديك عليا غيرعاتبه || قول امرئ لايرى بالحق من باس ماالأشعرى بمأمون أباحسن || فاعلم هديت و ليس العجز كالرأس فاصدم بصاحبك الأدنى زعيمهم || إن ابن عمك عباس هوالآسى . فلما بلغ الناس هذاالشعر طارت أهواء قوم من أولياء على ع وشيعته إلى ابن عباس وأبت القراء إلا أبا موسى . [صفحه ۲۳۲] قال نصر و

كان أيمن بن خزيم رجلا عابدا مجتهدا و قد كان معاوية جعل له فلسطين على أن يتابعه ويشايعه على قتال على ع فقال أيمن وبعث بها إليه ولست مقاتلا رجلا يصلى || على سلطان آخر من قريش له سلطانه و على إثمى || معاذ الله من سفه وطيش أأقتل مسلما فى غيرجرم || فليس بنافعى ماعشت عيشى . قال نصر فلما رضى أهل الشام بعمرو و أهل العراق بأبى موسى أخذوا فى سطر كتاب الموادعة وكانت صورته هذا ماتقاضى عليه على أمير المؤمنين ومعاوية بن أبى سفيان فقال معاوية بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته و قال عمرو بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هوأميركم فأما أميرنا فلا فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه فقال الأحنف لاتمح اسم أمير المؤمنين عنك فإنى أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدا فلاتمحها فقال على ع إن هذااليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله ص هذا ماصالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل لوأعلم أنك رسول الله لم أقاتلك و لم أخالفك إنى إذاظالم لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام و أنت رسوله ولكن اكتب من محمد بن عبد الله فقال لى رسول الله ص يا على إنى لرسول الله و أنا محمد بن عبد الله ولن يمحو عنى الرسالة كتابى لهم من محمد بن عبد الله فاكتبها وامح ماأراد محوه أما إن لك مثلها ستعطيها و أنت مضطهد -روايت-١-٢-روايت-١٧-٤٩٣ قال نصر و قدروى أن عمرو بن العاص عاد بالكتاب إلى على ع فطلب منه أن يمحو اسمه من إمرة المؤمنين فقص عليه و على من حضر قصة صلح الحديبية -روايت-١-٢-روايت-١١-ادامه دارد [صفحه ٢٣٣] قال إن ذلك الكتاب أناكتبته بيننا و بين المشركين واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله ص كتبه إلى آبائهم شبها ومثلا فقال عمرو سبحان الله أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون فقال على ع يا ابن النابغة ومتى لم تكن للكافرين وليا وللمسلمين عدوا فقام عمرو و قال و الله لايجمع بينى وبينك مجلس بعداليوم فقال على أما و الله إنى لأرجو أن يظهر الله عليك و على أصحابك -روايت-از قبل-٣٩٢ . وجاءت عصابة قدوضعت سيوفها على عواتقها فقالوا يا أمير المؤمنين مرنا بما شئت فقال لهم سهل بن حنيف أيها الناس اتهموا رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله ص يوم الحديبية و لونرى قتالا لقاتلنا. وزاد ابراهيم بن ديزيل لقد رأيتنى يوم أبى جندل يعنى الحديبية و لوأستطيع أن أرد أمر رسول الله ص لرددته ثم لم نر فى ذلك الصلح إلاخيرا. قال نصر و قدروى أبوإسحاق الشيبانى قال قرأت كتاب الصلح عندسعيد بن أبى بردة فى صحيفة صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها على خاتم على ع محمد رسول الله و على خاتم معاوية محمد رسول الله وقيل لعلى ع حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشام أتقر أنهم مؤمنون مسلمون فقال على ع ماأقر لمعاوية و لالأصحابه أنهم مؤمنون و لامسلمون ولكن يكتب معاوية ماشاء بما شاء ويقر بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمى نفسه بما شاء وأصحابه فكتبوا هذا ماتقاضى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان قاضى على بن أبى طالب [صفحه ٢٣٤] على أهل العراق و من كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معاوية بن أبى سفيان على أهل الشام و من كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين إننا ننزل عندحكم الله تعالى وكتابه و لايجمع بيننا إلاإياه و إن كتاب الله سبحانه و تعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيى ماأحيا القرآن ونميت ماأمات القرآن فإن وجد الحكمان ذلك فى كتاب الله اتبعاه و إن لم يجداه أخذا بالسنة العادلة غيرالمفرقة والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص و قدأخذ الحكمان من على ومعاوية و من الجندين أنهما آمنان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما والأمة لهما أنصار و على ألذى يقضيان عليه و على المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة و إن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم و على كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكمن بين الأمة بالحق لابالهوى وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكمان أن يعجلا الحكم عجلاه و إن توفى أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لايألو الحق والعدل و إن توفى أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ويحمدون طريقته أللهم إنا نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصحيفة وأراد فيهاإلحادا وظلما. قال نصر هذه رواية محمد بن على بن

الحسين والشعبى وروى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على هذه النسخة هذا ماتقاضى عليه ابن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله قضية على على أهل العراق و من كان من شيعته من شاهد أوغائب وقضية معاوية على أهل الشام و من كان من شيعته من شاهد أوغائب إننا رضينا أن ننزل عندحكم القرآن فيما حكم و أن نقف عندأمره فيما أمر فإنه لايجمع بيننا إلا ذلك وإنا جعلنا كتاب الله سبحانه حكما بيننا فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى [صفحه ٢٣٥] خاتمته نحيي ماأحيا القرآن ونميت ماأماته على ذلك تقاضينا و به تراضينا و إن عليا وشيعته رضوا أن يبعثوا عبد الله بن قيس ناظرا ومحاكما ورضى معاوية وشيعته أن يبعثوا عمرو بن العاص ناظرا ومحاكما على أنهم أخذوا عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ماأخذ الله على أحد من خلقه ليتخذان الكتاب إماما فيما بعثا إليه لايعدوانه إلى غيره ماوجداه فيه مسطورا و ما لم يجداه مسمى فى الكتاب رداه إلى سنة رسول الله ص الجامعة لايتعمدان لها خلافا و لايتبعان هوى و لايدخلان فى شبهة و قدأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على على ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به من كتاب الله وسنة نبيه و ليس لهما أن ينقضا ذلك و لايخالفاه إلى غيره وأنهما آمنان فى حكمهما على دمائهما وأموالهما وأهلهما ما لم يعدوا الحق رضى بذلك راض أوأنكره منكر و أن الأمة أنصار لهما على ماقضيا به من العدل فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة فأمير شيعته وأصحابه يختارون مكانه رجلا لايألون عن أهل المعدلة والإقساط على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق والحكم بكتاب الله وسنة رسوله و له مثل شرط صاحبه و إن مات أحد الأميرين قبل القضاء فلشيعته أن يولوا مكانه رجلا يرضون عدله و قدوقعت هذه القضية ومعها الأمن والتفاوض ووضع السلاح و السلام والموادعة و على الحكمين عهد الله وميثاقه ألا يألوا اجتهادا و لايتعمدا جورا و لايدخلا فى شبهة و لايعدوا حكم الكتاب فإن لم يقبلا برئت الأمة من حكمهما و لاعهد لهما و لاذمة و قدوجبت القضية على ما قدسمى فى هذاالكتاب من مواقع الشروط على الحكمين والأميرين والفريقين و الله أقرب شهيدا وأدنى حفيظا و الناس آمنون على أنفسهم وأهلهم وأموالهم إلى انقضاء مدة الأجل والسلاح موضوع والسبل مخلاة والشاهد والغائب من الفريقين سواء فى الأمن وللحكمين أن ينزلا ـ منزلا ـ عدلا بين أهل العراق والشام لايحضرهما فيه إلا من أحبا عن ملإ منهما وتراض [صفحه ٢٣٦] و إن المسلمين قدأجلوا هذين القاضيين إلى انسلاخ شهر رمضان فإن رأيا تعجيل الحكومة فيما وجها له عجلاها و إن أرادا تأخيرها بعدشهر رمضان إلى انقضاء الموسم فذلك إليهما و إن هما لم يحكما بكتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الموسم فالمسلمون على أمرهم الأول فى الحرب و لاشرط بين الفريقين و على الأمة عهد الله وميثاقه على التمام والوفاء بما فى هذاالكتاب وهم يد على من أراد فيه إلحادا وظلما أوحاول له نقضا وشهد فيه من أصحاب على عشرة و من أصحاب معاوية عشرة وتاريخ كتابته لليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين . قال نصر و حدثناعمرو بن سعيد قال حدثنى أبوجناب عن ربيعة الجرمى قال لماكتبت الصحيفة دعى لها الأشتر ليشهد مع الشهود عليه فقال لاصحبتنى يمينى و لانفعنى بعدها الشمال إن كتب لى فى هذه الصحيفة اسم على صلح أوموادعة أ ولست على بينة من أمرى ويقين من ضلالة عدوى أ ولستم قدرأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور فقال له رجل من الناس و الله مارأيت ظفرا و لاخورا هلم فأشهد على نفسك وأقرر بما كتب فى هذه الصحيفة فإنه لارغبة لك عن الناس فقال بلى و الله إن لى لرغبة عنك فى الدنيا للدنيا و فى الآخرة للآخرة ولقد سفك الله بسيفى هذادماء رجال ما أنت عندى بخير منهم و لاأحرم دما. قال نصر بن مزاحم الرجل هوالأشعث بن قيس قال فكأنما قصع على أنه الحميم ثم قال ولكنى قدرضيت بما يرضى به أمير المؤمنين ودخلت فيما دخل فيه وخرجت مما خرج منه فإنه لايدخل إلا فى الهدى والصواب . [صفحه ٢٣٧] قال نصر فحدثنا عمر بن سعد عن أبى جناب الكلبى عن إسماعيل بن شفيع عن سفيان بن سلمة قال فلما تم الكتاب وشهدت فيه الشهود وتراضى الناس خرج الأشعث ومعه ناس بنسخة الكتاب يقرؤها على الناس ويعرضها عليهم فمر به على صفوف من أهل الشام وهم على راياتهم فأسمعهم إياه فرضوا به ثم مر به على صفوف من أهل

العراق وهم على راياتهم فأسمعهم إياه فرضوا به حتى مر برايات عنزة و كان مع على ع من عنزة بصفين أربعة آلاف مجفف فلما مر بهم الأشعث يقرؤه عليهم قال فتيان منهم لاحكم إلالله ثم حملا على أهل الشام بسيوفهما فقاتلا حتى قتلا على باب رواق معاوية فهما أول من حكم واسماهما جعد ومعدان ثم مر بهما على مراد فقال صالح بن شقيق و كان من رءوسهم مالعلى فى الدماء قدحكم || لوقاتل الأحزاب يوما ماظلم . لاحكم إلالله و لوكره المشركون ثم مر على رايات بنى راسب فقرأها عليهم فقال رجل منهم لاحكم إلالله لانرضى و لانحكم الرجال فى دين الله ثم مر على رايات تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم لاحكم إلالله يقضى بالحق و هوخير الفاصلين فقال رجل منهم لآخر أما هذافقد طعن طعنة نافذة وخرج عروة بن أدية أخو مرداس بن أدية التميمى فقال أتحكمون الرجال فى أمر الله لاحكم إلالله فأين قتلانا ياأشعث ثم شد بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطأه وضرب عجز دابته ضربة خفيفة فصاح به الناس أن أملك يدك فكف ورجع الأشعث إلى قومه فمشى الأحنف إليه ومعقل بن قيس ومسعر بن فدكى ورجال من بنى تميم فتنصلوا واعتذروا فقبل منهم ذلك وانطلق إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إنى [صفحه ٢٣٨] عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام و أهل العراق فقالوا جميعا رضينا حتى مررت برايات بنى راسب ونبذ من الناس سواهم فقالوا لانرضى لاحكم إلالله فمل بأهل العراق و أهل الشام عليهم حتى نقتلهم فقال على ع هل هى غيرراية أورايتين ونبذ من الناس قال لا قال فدعهم . قال نصر فظن على ع أنهم قليلون لايعبأ بهم فما راعه إلاالنداء الناس من كل جهة و من كل ناحية لاحكم إلالله الحكم لله يا على لا لك لانرضى بأن يحكم الرجال فى دين الله إن الله قدأمضى حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أويدخلوا تحت حكمنا عليهم و قدكنا زللنا وأخطأنا حين رضينا بالحكمين و قدبان لنا زللنا وخطؤنا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت يا على كمارجعنا وتب إلى الله كماتبنا و إلابرئنا منك فقال على ع ويحكم أ بعدالرضا والميثاق والعهد نرجع أ ليس الله تعالى قد قال أَوفُوا بِالعُقُودِ و قال وَ أَوفُوا بِعَهدِ اللّهِ إِذا عاهَدتُم وَ لا تَنقُضُوا الأَيمانَ بَعدَ تَوكِيدِها وَ قَد جَعَلتُمُ اللّهَ عَلَيكُم كَفِيلًافأبى على أن يرجع وأبت الخوارج إلاتضليل التحكيم والطعن فيه فبرئت من على ع وبرئ على ع منهم . -قرآن-٧٨٠-٧٩٨-قرآن-٨٠٦-٩٢٩ قال نصر وقام إلى على ع محمد بن جريش فقال يا أمير المؤمنين أ ما إلى الرجوع عن هذاالكتاب سبيل فو الله إنى لأخاف أن يورث ذلا فقال على ع -روايت-١-٢-روايت-١١-ادامه دارد [صفحه ٢٣٩] أ بعد أن كتبناه ننقضه إن هذا لايحل -روايت-از قبل-٤٢ قال نصر وحدثنى عمر بن نمير بن وعلة عن أبى الوداك قال لماتداعى الناس إلى المصاحف وكتبت صحيفة الصلح والتحكيم قال على ع إنما فعلت مافعلت لمابدا فيكم من الخور والفشل عن الحرب فجاءت إليه همدان كأنها ركن حصير فيهم سعيد بن قيس وابنه عبدالرحمن غلام له ذؤابة فقال سعيد ها أناذا وقومى لانرد أمرك فقل ماشئت نعمله فقال أما لو كان هذاقبل سطر الصحيفة لأزلتهم عن عسكرهم أوتنفرد سالفتى قبل ذلك ولكن انصرفوا راشدين فلعمرى ماكنت لأعرض قبيلة واحدة للناس -روايت-١-٢-روايت-٦٠-٤٨٣ قال نصر وروى الشعبى أن عليا ع قال يوم صفين حين أقر الناس بالصلح إن هؤلاء القوم لم يكونوا لينيبوا إلى الحق و لاليجيبوا إلى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر و حتى يرجموا بالكتائب تقفوها الجلائب -روايت-١-٢-روايت-١١-ادامه دارد [صفحه ٢٤٠] و حتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس و حتى يدعوا الخيول فى نواحى أرضهم وبأحناء مساربهم ومسارحهم و حتى تشن عليهم الغارات من كل فج و حتى يلقاهم قوم صدق صبر لايزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم فى سبيل الله إلاجدا فى طاعة الله وحرصا على لقاء الله ولقد كنا مع رسول الله ص نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأخوالنا وأعمامنا لايزيدنا ذلك إلاإيمانا وتسليما ومضيا على أمض الألم وجدا على جهاد العدو والاستقلال بمبارزة الأقران ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما رآنا الله صدقا صبرا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر ولعمرى لوكنا نأتى مثل ألذى أتيتم ماقام الدين و لا عزالإسلام وايم الله لتحلبنها دما فاحفظوا

مـاأقول لكم -روايت-از قبل-۷۷۷ وروى نصـر عن عمرو بن شـمر عن فضـيل بن خديـج قال قيل لعلى ع لماكتبت الصـحيفة أن الأشتر لم يرض بمـا فى الصـحيفة و لا يرى إلاقتال القوم فقال على ع بلى إن الأشتر ليرضـى إذارضـيت و قدرضـيت ورضـيتم و لايصـلح الرجوع بعـدالرضا و لاالتبديل بعدالإقرار إلا أن يعصـى الله أويتعدى ما فى كتابه و أما ألذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنـا عليـه فليس مـن أولئـك و لا أعرفه على ذلـك وليـت فيكـم مثله اثنين بـل ليت فيكم مثله واحـدا يرى فى عـدوى مثـل رأيه إذالخفت مئونتكم على ورجوت أن يستقيم لى بعض أودكم -روايت-۱-۲-روايت-۵۱-۵۱۱ [صفحه ۲۴۱] قال نصر وروى أبو عبد الله زيد الأودى أن رجلا منهم يقال له عمرو بن أوس قاتل مع على ع يوم صفين فأسره معاوية فى أسرى كثيرة فقال له عمرو بن العاص اقتلهم فقال له عمرو بن أوس لاتقتلنى يامعاوية فإنك خالى فقامت إليه بنو أود فاستوهبوه فقال دعوه فلعمرى إن كان صادقـا فيما ادعاه من خئولتى إياه ليستغنين عن شـفاعتكم و إلافشـفاعتكم من ورائه ثم اسـتدناه فقال من أين أناخالك فو الله ما بين بنى عبدشـمس و بين أود من مصـاهرة قـال فـإن أخبرتك فعرفت فهو أمان عنـدك قال نعم قال أليست أم حبيبـة أختك أم المؤمنين فأنـا ابنها و أنت أخوها فأنت إذاخالى فقال معاويـة لله أبوه أ ما كان فى هؤلاء الأسـرى من يفطن إلى هـذاغيره ثم خلى سبيله . وروى ابراهيم بن الحسين بن على الكسائى المعروف بابن ديزيل الهمـدانى فى كتاب صـفين قال حـدثنا عبد الله بن عمر قال حـدثناعمرو بن محمد قال دعا معاوية بن أبى سـفيان عمرو بن العاص ليبعثه حكما فجاء و هومتحزم عليه ثيابه وسـيفه وحوله أخوه ونـاس من قريش فقال له معاويـة ياعمرو إن أهل الكوفـة أكرهوا عليا على أبى موسـى و هو لايريـده ونحن بك راضون و قدضم إليك رجل طويل اللسان كليل المدية و له بعدحظ من دين فإذا قال فدعه يقل ثم قل فأوجز واقطع المفصل و لاتلقه بكل رأيـك واعلم أن خب ء الرأى زيـادة فى العقـل فإن خوفك بأهل العراق فخوفه بأهل الشام و إن خوفك بعلى فخوفه بمعاويـة و إن [صفحه ۲۴۲] خوفك بمصر فخوفه باليمن و إن أتاك بالتفصيل فأته بالجمل فقال له عمرو يامعاوية أنت و على رجلا قريش و لم تنـل فى حربـك مـارجوت و لم تـأمن مـاخفت ذكرت أن لعبـد الله دينـا وصـاحب الـدين منصور وايم الله لأفنين عليه علله ولأسـتخرجن خبـأه ولكن إذاجـاءنى بالإيمـان والهجرة ومناقب على ماعسيت أن أقول قال قل ماترى فقال عمرو وهل تـدعنى و ماأرى وخرج مغضبا كأنه كره أن يوصى ثقة بنفسه و قال لأصحابه حين خرج إنما أراد معاوية أن يصغر أمر أبى موسى لأنه علم أنى خادعه غـدا فأحب أن يقول إن عمرا لم يخـدع أريبا فقد كدته بالخلاف عليه و قال فى ذلك يشـجعنى معاوية بن حرب || كأنى للحوادث مستكين وإنى عن معاويـة غنى || بحمـد الله و الله المعين وهون أمر عبـد الله عمدا || و قال له على ما كان دين فقلت له و لم أردد عليه || مقـالته وللشاكى أنين ترى أهل العراق يـذب عنهم || و عن جيرانهم رجل مهين فلو جهلوه لم يجهل على || وغث القول يحمله السـمين ولكن خطبه فيهم عظيم || وفضل المرء فيهم مستبين فإن أظفر فلم أظفر بوغد || و إن يظفر فقد قطع الوتين . فلما بلغ معاوية شعره غضب من ذلك و قال لو لامسيره لكان لى فيه رأى فقال له عبدالرحمن ابن أم الحكم أما و الله إن أمثاله فى قريش لكثير ولكنـك ألزمت نفسـك الحاجة إليه فألزمهـا الغنـاء عنه فقـال له معاويـة فـأجبه عن شـعره فقـال عبـدالرحمن يعيره بفراره من على يوم صـفين [صـفحه ۲۴۳] ألا يـاعمرو عمرو قبيـل سـهم || أ من طب أصابك ذا الجنون دع البغى ألـذى أصـبحت فيه || فإن البغى صاحبه لعين أ لم تهرب بنفسك من على || بصـفين و أنت بهاضـنين حذارا أن تلاقيك المنايـا || و كـل فتى سيدركه المنون ولسـنا عـائبين عليـك إلا || لقولـك إننى لاأسـتكين . قال نصـر ثم إن الناس أقبلوا على قتلاهم فدفنوهم قال و قد كان عمر بن الخطاب دعا فى خلافته حابس بن سعد الطائى فقال له إنى أريد أن أوليك قضاء حمص فكيف أنت صـانع قـال أجتهـد رأيى وأستشير جلسـائى قال فانطلق إليها فلم يمش إلايسيرا حتى رجع فقال يا أمير المؤمنين إنى رأيت رؤيا أحببت أن أقصـها عليك قال هاتها قال رأيت كأن الشـمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم وكأن القمر قدأقبل من المغرب ومعه جمع عظيم فقـال له عمر مع أيهمـا كنت قـال كنت مع القمر قال كنت مع الآيـة الممحوة اذهب فلا و الله لاتلى

لی عملا ورده فشهد مع معاویـة صـفین وکانت رایة طیء معه فقتل یومئذ فمر به عدی بن حاتم ومعه ابنه زید فرآه قتیلا فقال له یاأبت هذا و الله خالی قال نعم لعن الله خالک فبئس و الله المصـرع مصرعه فوقف زید و قال من قتل هذا الرجل مرارا فخرج إلیه رجل من بکر بن وائل طوال یخضب فقال أناقتلته فقال له کیف صـنعت به فجعل یخبره فطعنه زیـد بالرمـح فقتله و ذلک بعد أن وضـعت الحرب أوزارها فحمل علیه عدی أبوه یسبه ویشتم أمه و یقول یا ابن المائقة لست علی دین محمد إن لم أدفعک إلیهم فضـرب [صفحه ۲۴۴] زیـد فرسه فلحق بمعاویـة فأکرمه وحمله وأدنی مجلسه فرفع عـدی یـدیه فـدعا علیه و قال أللهم إن زیـدا قـدفارق المسـلمین ولحق بالملحـدین أللهم فارمه بسـهم من سـهامک لایشوی أو قال لایخطئ فإن رمیتک لاتنمی و الله لاأکلمه من رأسـی کلمـة أبدا و لایظلنی وإیاه سـقف أبدا و قال زید فی قتل البکری من مبلغ أبناء طی بأننی || ثأرت بخالی ثم لم أتأثم ترکت أخـا بکر ینوء بصـدره || بصـفین مخضوب الجبین من الـدم وذکرنی ثأری غـداة رأیته || فأوجرته رمحی فخر علی الفم لقـد غادرت أرماح بکر بن وائل || قتیلا عن الأهوال لیس بمحجم قتیلا یظل الحی یثنون بعـده || علیه بأیـد من نداه وأنعم لقد فجعت طی بحلم ونائـل || وصـاحب غارات ونهب مقسم لقـد کان خالی لیس خال کمثله || دفاعا لضـیم واحتمالا لمغرم . قال نصـر وروی الشعبی عن زیاد بن النضر أن علیا ع بعث أربعمائة علیهم شریح بن هانئ الحارثی ومعه عبد الله بن عباس یصلی بهم ویلی أمورهم ومعهم أبو موسـی الأشـعری وبعث معاویة عمرو بن العاص فی أربعمائة ثم إنهم [صفحه ۲۴۵] خلوا بین الحکمین فکـان رأی عبـد الله بن قیس أبو موسـی فی عبـد الله بن عمرو بن الخطاب و کان یقول و الله إن اسـتطعت لأحیین سـنة عمر. قال نصـر و فی حدیث محمد بن عبید الله عن الجرجانی قال لماأراد أبو موسـی المسیر قام إلیه شریح بن هانئ فأخذ بیده و قال یا أبا موسـی إنک قدنصبت لأمر عظیم لایجبر صدعه و لاتسـتقال فتنته ومهما تقل من شیءعلیک أو لک یثبت حقه وتر صحته و إن کان باطلا وإنه لابقاء لأهل العراق إن ملکهم معاویة و لابأس علی أهل الشام إن ملکهم علی و قدکانت منک تثبیطة أیام الکوفة والجمـل فـإن تشـفعها بمثلها یکن الظن بک یقینا والرجاء منک یأسا ثم قال له شـریح فی ذلک أبا موسـی رمیت بشـر خصم || فلاتضع العراق فـدتک نفسـی وأعط الحق شامهم وخذه || فإن الیوم فی مهل کأمس و إن غدا یجیء بما علیه || کذاک الدهر من سـعد ونحس و لایخـدعک عمرو إن عمرا || عـدو الله مطلع کل شـمس له خـدع یحار العقل منها || مموهـة مزخرفة بلبس فلاتجعل معاویـة بن حرب || کشـیخ فی الحوادث غیرنکس هـداه الله للإسـلام فردا || سوی عرس النبی و أی عرس . فقال أبو موسـی مـاینبغی لقوم اتهمونی أن یرسـلونی لأدفع عنهم باطلا أوأجر إلیهم حقا [صـفحه ۲۴۶] وروی المدائنی فی کتاب صـفین قـال لمـاأجمع أهـل العراق علی طلب أبی موسـی وأحضـروه للتحکیم علی کره من علی ع أتاه عبـد الله بن العباس وعنـده وجوه الناس وأشـرافهم فقال له یا أبا موسـی إن الناس لم یرضوا بک و لم یجتمعوا علیک لفضل لاتشارک فیه و ماأکثر أشباهک من المهـاجرین والأنصـار والمتقـدمین قبلک ولکن أهل العراق أبوا إلا أن یکون الحکم یمانیا ورأوا أن معظم أهل الشام یمان وایم الله إنی لأظن ذلک شـرا لک ولنا فإنه قـدضم إلیک داهیـة العرب و لیس فی معاویـة خلة یسـتحق بهاالخلافة فإن تقذف بحقک علی باطله تـدرک حاجتک منه و إن یطمع باطله فی حقک یـدرک حاجته منک واعلم یا أبا موسـی أن معاویة طلیق الإسـلام و أن أباه رأس الأحزاب و أنه یـدعی الخلافـة من غیرمشورة و لابیعة فإن زعم لک أن عمر وعثمان اسـتعملاه فلقد صدق اسـتعمله عمر و هوالوالی علیه بمنزلة الطبیب یحمیه مایشـتهی ویؤجره مایکره ثم اسـتعمله عثمان برأی عمر و ماأکثر من اسـتعملا ممن لم یـدع الخلافـة واعلم أن لعمرو مع کـل شیءیسـرک خبیئا یسوءک ومهما نسیت فلاتنس أن علیا بایعه القوم الـذین بایعوا أبابکر وعمر وعثمان وأنها بیعـة هـدی و أنه لم یقاتل إلاالعاصـین والناکثین فقال أبو موسـی رحمک الله و الله ما لی إمام غیر علی وإنی لواقف عند مارأی و إن حق الله أحب إلی من رضا معاویة و أهل الشام و ما أنت و ما أنا إلابالله . وروی البلاذری فی کتاب أنساب الأشـراف قال قیل لعبد الله بن عباس [صـفحه ۲۴۷] مـامنع علیـا أن یبعثک مع عمرو یوم التحکیم فقال منعه حاجز القـدر ومحنة

الابتلاء وقصر المدة أما و الله لوكنت لقعدت على مدارج أنفاسه ناقضا ماأبرم ومبرما مانقض أطير إذاأسف وأسف إذاطار ولكن قدسبق قدر وبقى أسف و مع اليوم غد والآخرة خير لأمير المؤمنين . وذكر البلاذرى أيضا قال قام عمرو بن العاص بالموسم فأطرى معاوية وبنى أمية وتناول بنى هاشم وذكر مشاهده بصفين و يوم أبى موسى فقام إليه ابن عباس فقال ياعمرو إنك بعت دينك من معاوية فأعطيته ما فى يدك ومناك ما فى يد غيره فكان ألذى أخذه منك فوق ألذى أعطاك و كان ألذى أخذت منه دون ماأعطيته و كل راض بما أخذ وأعطى فلما صارت مصر فى يدك تتبعك بالنقض عليك والتعقب لأمرك ثم بالعزل لك حتى لو أن نفسك فى يدك لأرسلتها وذكرت يومك مع أبى موسى فلاأراك فخرت إلابالغدر و لامنيت إلابالفجور والغش وذكرت مشاهدك بصفين فو الله ماثقلت علينا وطأتك و لانكأت فينا جرأتك ولقد كنت فيهاطويل اللسان قصير البنان آخر الحرب إذاأقبلت وأولها إذاأدبرت لك يدان يد لاتقبضها عن شر ويد لاتبسطها إلى خير ووجهان وجه مؤنس ووجه موحش ولعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لحرى حزنه على ماباع واشترى أما إن لك بيانا ولكن فيك خطل و إن لك لرأيا ولكن فيك فشل و إن أصغر عيب فيك لأعظم عيب فى غيرك . قال نصر و كان النجاشى الشاعر صديقا لأبى موسى فكتب إليه يحذره من عمرو بن العاص يؤمل أهل الشام عمرا وإننى || لآمل عبد الله عندالحقائق [صفحه ۲۴۸] و إن أبا موسى سيدرك حقنا || إذا مارمى عمرا بإحدى البوائق فلله مايرمى العراق وأهله || به منه إن لم يرمه بالصواعق .فكتب إليه أبو موسى إنى لأرجو أن ينجلى هذاالأمر و أنا فيه على رضا الله سبحانه . قال نصر ثم إن شريح بن هانئ جهز أبا موسى جهازا حسنا وعظم أمره فى الناس ليشرف فى قومه فقال الأعور الشنى فى ذلك يخاطب شريحا. زففت ابن قيس زفاف العروس || شريح إلى دومة الجندل و فى زفك الأشعرى البلاء || و مايقض من حادث ينزل و ماالأشعرى بذى إربة || و لاصاحب الخطة الفيصل و لاآخذا حظ أهل العراق || و لوقيل ها خذه لم يفعل يحاول عمرا وعمرو له || خدائع يأتى بها من على فإن يحكما بالهدى يتبعا || و إن يحكما بالهوى الأميل يكونا كتيسين فى قفرة || أكيلى نقيف من الحنظل . فقال شريح و الله لقد تعجلت رجال مساءتنا فى أبى موسى وطعنوا عليه بأسوإ الطعن وظنوا فيه ما الله عصمه منه إن شاء الله [صفحه ۲۴۹] قال وسار مع عمرو بن العاص شرحبيل بن السمط فى خيل عظيمة حتى إذاأمن عليه خيل أهل العراق ودعه ثم قال له ياعمرو إنك رجل قريش و إن معاوية لم يبعثك إلالعلمه أنك لاتؤتى من عجز و لامكيدة و قدعرفت أنى وطئت هذاالأمر لك ولصاحبك فكن عندظنى بك ثم انصرف وانصرف شريح بن هانئ حين أمن خيل أهل الشام على أبى موسى وودعه . و كان آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس أخذ بيده ثم قال له يا أبا موسى اعرف خطب هذاالأمر واعلم أن له مابعده وأنك إن أضعت العراق فلاعراق اتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك و إذالقيت غدا عمرا فلاتبدأه بالسلام فإنها و إن كانت سنة إلا أنه ليس من أهلها و لاتعطه يدك فإنها أمانة وإياك أن يقعدك على صدر الفراش فإنها خدعة و لاتلقه إلاوحده واحذر أن يكلمك فى بيت فيه مخدع تخبأ لك فيه الرجال والشهود ثم أراد أن يثور ما فى نفسه لعلى فقال له فإن لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلى فليختر أهل العراق من قريش الشام من شاءوا أوفليختر أهل الشام من قريش العراق من شاءوا. فقال أبو موسى قدسمعت ما قلت و لم ينكر ماقاله من زوال الأمر عن على .فرجع الأحنف إلى على ع فقال له أخرج أبو موسى و الله زبدة سقائه فى أول مخضه لاأرانا إلابعثنا رجلا لاينكر خلعك فقال على الله غالب على أمره . قال نصر وشاع وفشا أمر الأحنف و أبى موسى فى الناس فبعث الصلتان العبدى و هوبالكوفة إلى دومة الجندل بهذه الأبيات [صفحه ۲۵۰] لعمرك لاألفى مدى الدهر خالعا || عليا بقول الأشعرى و لاعمرو فإن يحكما بالحق نقبله منهما || و إلاأثرناها كراغية البكر ولسنا نقول الدهر ذاك إليهما || و فى ذاك لوقلناه قاصمة الظهر ولكن نقول الأمر والنهى كله || إليه و فى كفيه عاقبة الأمر و مااليوم إلامثل أمس وإننا || لفى وشل الضحضاح أولجة البحر . قال فلما سمع الناس قول الصلتان شحذهم ذلك على أبى موسى واستبطأه القوم وظنوا به الظنون ومكث الرجلان بدومة الجندل لايقولان

شيئا و كان سعد بن أبى وقاص قداعتزل عليا ومعاوية ونزل على ماء لبنى سليم بأرض البادية يتشوف الأخبار و كان رجلا له بأس ورأى ومكان فى قريش و لم يكن له هوى فى على و لا ـ فى معاوية فأقبل راكب يوضع من بعيد فإذا هوابنه عمر فقال له أبوه مهيم فقال التقى الناس بصفين فكان بينهم ما قدبلغك حتى تفانوا ثم حكموا عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص و قدحضر ناس من قريش عندهما و أنت من أصحاب رسول الله ص و من أهل الشورى و من قال له النبى ص اتقوا دعوته و لم تدخل فى شىءمما تكره الأمة فاحضر دومة الجندل فإنك صاحبها غدا فقال مهلا ياعمر إنى سمعت رسول الله ص يقول تكون بعدى فتنة خير الناس فيهاالتقى الخفى -روايت-١-٢-روايت-٣٤-٨٠ و هذاأمر لم أشهد أوله فلاأشهد آخره [صفحه ٢٥١] و لوكنت غامسا يدى فى هذاالأمر لغمستها مع على بن أبى طالب و قدرأيت أباك كيف وهب حقه من الشورى وكره الدخول فى الأمر فارتحل عمر و قداستبان له أمر أبيه . قال نصر و قد كان الأجناد أبطأت على معاوية فبعث إلى رجال من قريش كانوا كرهوا أن يعينوه فى حربه إن الحرب قدوضعت أوزارها والتقى هذان الرجلان فى دومة الجندل فاقدموا على .فأتاه عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عمر بن الخطاب و أبوالجهم بن حذيفة العدوى و عبدالرحمن بن الأسود بن عبديغوث الزهرى و عبد الله بن صفوان الجمحى وأتاه المغيرة بن شعبة و كان مقيما بالطائف لم يشهد الحرب فقال له يامغيرة ماترى قال يامعاوية لووسعنى أن أنصرك لنصرتك ولكن على أن آتيك بأمر الرجلين فرحل حتى أتى دومة الجندل فدخل على أبى موسى كالزائر له فقال يا أبا موسى ماتقول فيمن اعتزل هذاالأمر وكره الدماء قال أولئك خير الناس خفت ظهورهم من دمائهم وخمصت بطونهم من أموالهم ثم أتى عمرا فقال يا أبا عبد الله ماتقول فيمن اعتزل هذاالأمر وكره الدماء قال أولئك شرار الناس لم يعرفوا حقا و لم ينكروا باطلا فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له قدذقت الرجلين أما عبد الله [صفحه ٢٥٢] بن قيس فخالع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذاالأمر وهواه فى عبد الله بن عمر و أماعمرو بن العاص فهو صاحب ألذى تعرف و قدظن الناس أنه يرومها لنفسه و أنه لايرى أنك أحق بهذا الأمر منه قال نصر فى حديث عمرو بن شمر قال أقبل أبو موسى على عمرو فقال ياعمرو هل لك فى أمر هوللأمة صلاح ولصلحاء الناس رضا نولى هذاالأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب ألذى لم يدخل فى شىء من هذه الفتنة و لا هذه الفرقة قال و كان عبد الله بن عمرو بن العاص و عبد الله بن الزبير قريبين يسمعان هذاالكلام فقال عمرو فأين أنت يا أبا موسى عن معاوية فأبى عليه أبو موسى قال وشهدهم عبد الله بن هشام و عبدالرحمن بن الأسود بن عبديغوث و أبوالجهم بن حذيفة العدوى والمغيرة بن شعبة فقال عمرو ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال بلى قال اشهدوا ثم قال فما يمنعك من معاوية و هوولى عثمان و قد قال الله تعالى وَ مَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنا لِوَلِيِّهِ سُلطاناً ثم إن بيت معاوية من قريش ما قدعلمت فإن خشيت أن يقول الناس ولى معاوية وليست له سابقة فإن لك حجة أن تقول وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة الحسن التدبير و هوأخو أم حبيبة أم المؤمنين وزوج النبى ص و قدصحبه و هوأحد الصحابة ثم عرض له بالسلطان فقال له إن هوولى الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط مثلها فقال أبو موسى اتق الله ياعمرو أما ماذكرت من شرف معاوية فإن هذا -قرآن-٨١٢-٨٦٨ [صفحه ٢٥٣] الأمر ليس على الشرف يولاه أهله لو كان على الشرف كان أحق الناس بهذا الأمر أبرهة بن الصباح إنما هوللأهل الدين والفضل مع أنى لوكنت أعطيه أفضل قريش شرفا لأعطيته على بن أبى طالب و أماقولك إن معاوية ولى عثمان فوله هذاالأمر فإنى لم أكن أوليه إياه لنسبته من عثمان وأدع المهاجرين الأولين و أماتعريضك لى بالإمرة والسلطان فو الله لوخرج لى من سلطانه ماوليته و ماكنت أرتشى فى الله ولكنك إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطاب . قال نصر وحدثنى عمر بن سعد عن أبى جناب أن أبا موسى قال غيرمرة و الله إن استطعت لأحيين اسم عمر بن الخطاب قال فقال عمرو بن العاص إن كنت إنما تريد أن تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابنى عبد الله و أنت تعرف فضله وصلاحه فقال إن ابنك لرجل صدق ولكنك قدغمسته فى هذه الفتنة. قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن محمد بن إسحاق عن نافع قال قال أبو موسى لعمرو ياعمرو

إن شئت ولينا هذاالأمر الطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر فقال له عمرو يا أبا موسى إن هذاالأمر لايصلح له إلا رجل له ضرس يأكل ويطعم و إن عبد الله ليس هناک . قال نصر و قد كان فى أبى موسى غفلة فقال ابن الزبير لابن عمر اذهب إلى عمرو بن العاص فارشه فقال ابن عمر لا ـ و الله لا ـ أرشو عليها بشىء أبدا ماعشت ولكنه قال له إن العرب قدأسندت إليک أمرها بعد ماتقارعت بالسيوف وتطاعنت بالرماح فلاتردهم فى فتنة واتق الله . [صفحه ۲۵۴] قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن أزهر العبسى عن النضر بن صالح قال كنت مع شريح بن هانئ فى غزوة سجستان فحدثنى أن عليا ع أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص و قال له قل لعمرو إذالقيته إن عليا يقول لک إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه و إن نقصه و إن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه و إن زاده و الله ياعمرو إنک لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل أبأن أوتيت طمعا يسيرا صرت لله ولأوليائه عدوا فكان و الله ما قدأوتيت قدزال عنک فلاتكن للخائنين خصيما و لاللظالمين ظهيرا أماإنى أعلم أن يومک ألذى أنت فيه نادم هو يوم وفاتک وسوف تتمنى أنک لم تظهر لى عداوة و لم تأخذ على حكم الله رشوة قال شريح فأبلغته ذلک يوم لقيته فتمعر وجهه و قال متى كنت قابلا ـ مشورة على أومنيبا إلى رأيه أومعتدا بأمره فقلت و مايمنعک يا ابن النابغة أن تقبل من مولاک وسيد المسلمين بعدنبيهم مشورته لقد كان من هوخير منک أبوبكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه فقال إن مثلى لا ـ يكلم مثلک فقلت بأى أبويک ترغب عن كلامى بأبيک الوشيظ أم بأمک النابغة فقام من مكانه وقمت . قال نصر وروى أبوجناب الكلبى أن عمرا و أبا موسى لماالتقيا بدومة الجندل أخذ عمرو يقدم أبا موسى فى الكلام و يقول إنک صحبت رسول الله ص قبلى و أنت أكبر منى سنا فتكلم أنت ثم أتكلم أنافجعل ذلک سنة وعادة بينهما [صفحه ۲۵۵] وإنما كان مكرا وخديعة واغترارا له أن يقدمه فيبدأ بخلع على ثم يرى رأيه . و قال ابن ديزيل فى كتاب صفين أعطاه عمرو صدر المجلس و كان لايتكلم قبله وأعطاه التقدم فى الصلاة و فى الطعام لايأكل حتى يأكل و إذاخاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء و يقول له ياصاحب رسول الله حتى اطمأن إليه وظن أنه لايغشه . قال نصر فلما انمخضت الزبدة بينهما قال له عمرو أخبرنى مارأيک يا أبا موسى قال أرى أن أنخلع هذين الرجلين ونجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من شاءوا فقال عمرو الرأى و الله مارأيت فأقبلا ـ إلى الناس وهم مجتمعون فتكلم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن رأيي ورأى عمرو قداتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة فقال عمرو صدق ثم قال له تقدم يا أبا موسى فتكلم فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال له ويحک و الله إنى لأظنه خدعک إن كنتما قداتفقتما على أمر فقدمه قبلک ليتكلم به ثم تكلم أنت بعده فإنه رجل غدار و لاآمن أن يكون قدأعطاک الرضا فيما بينک وبينه فإذاقمت قمت به فى الناس خالفک و كان أبو موسى رجلا ـ مغفلا ـ فقال إيها عنک إنا قداتفقنا.فتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنا قدنظرنا فى أمر هذه الأمة فلم نر شيئا هوأصلح لأمرها و لاألم لشعثها من ألا تتباين أمورها و قدأجمع رأيى ورأى صاحبى على خلع على ومعاوية و أن يستقبل هذاالأمر فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورهم من أحبوا وإنى قدخلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا [صفحه ۲۵۶] أموركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ـ ثم تنحى .فقام عمرو بن العاص فى مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا قد قال ماسمعتم وخلع صاحبه و أناأخلع صاحبه كماخلعه وأثبت صاحبى معاوية فى الخلافة فإنه ولى عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه . فقال له أبو موسى ما لک لاوفقک الله قدغدرت وفجرت إنما مثلک كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث فقال له عمرو إنما مثلک كمثل الحمار يحمل أسفارا. وحمل شريح بن هانئ على عمرو فقنعه بالسوط وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهما فكان شريح يقول بعد ذلک ماندمت على شىءندامتى ألا أكون ضربت عمرا بالسيف بدل السوط أتى الدهر بما أتى به . والتمس أصحاب على ع أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكة و كان ابن عباس يقول قبح الله أبا موسى لقد حذرته وهديته إلى الرأى فما عقل و كان أبو موسى يقول لقد حذرنى ابن عباس غدرة الفاسق ولكنى اطمأننت إليه وظننت أنه

لايؤثر شيئا على نصيحة الأمة. قال نصر ورجع عمرو إلى منزله من دومة الجندل فكتب إلى معاوية أتتك الخلافة مزفوفة || هنيئا مريئا تقر العيونا [صفحه ۲۵۷] تزف إليك زفاف العروس || بأهون من طعنك الدارعينا و ماالأشعرى بصلد الزناد || و لاخامل الذكر فى الأشعرينا ولكن أتيحت له حية || يظل الشجاع لها مستكينا فقالوا و قلت وكنت امرأ || أجهجه بالخصم حتى يلينا فخذها ابن هند على بعدها || فقد دافع الله ماتحذرونا و قدصرف الله عن شامكم || عدوا مبينا وحربا زبونا . قال نصر فقام سعد بن قيس الهمدانى و قال و الله لواجتمعتما على الهدى مازدتمانا على مانحن الآن عليه و ماضلالكما بلازم لنا و مارجعتما إلابما بدأتما به وإنا اليوم لعلى ماكنا عليه أمس . وقام كردوس بن هانئ مغضبا فقال ألا ليت من يرضى من الناس كلهم || بعمرو و عبد الله فى لجة البحر رضينا بحكم الله لاحكم غيره || وبالله ربا و النبى وبالذكر وبالأصلع الهادى على إمامنا || رضينا بذاك الشيخ فى العسر واليسر رضينا به حيا وميتا وإنه || إمام هدى فى الحكم والنهى والأمر فمن قال لاقلنا بلى إن أمره || لأفضل مانعطاه فى ليلة القدر و مالابن هند بيعة فى رقابنا || و مابيننا غيرالمثقفة السمر [صفحه ۲۵۸] وضرب يزيل الهام عن مستقره || وهيهات هيهات الرضا آخر الدهر أبت لى أشياخ الأراقم سبة || أسب بها حتى أغيب فى القبر . وتكلم يزيد بن أسد القسرى و هو من قواد معاوية فقال يا أهل العراق اتقوا الله فإن أهون ماتردنا وإياكم إليه الحرب ماكنا عليه بالأمس و هوالفناء و قدشخصت الأبصار إلى الصلح وأشرفت الأنفس على الفناء وأصبح كل امرئ يبكى على قتيل مالكم رضيتم بأول أمر صاحبكم وكرهتم آخره إنه ليس لكم وحدكم الرضا. قال و قال بعض الأشعريين لأبى موسى أبا موسى خدعت وكنت شيخا || قريب القعر مدهوش الجنان رمى عمرو صفاتك يا ابن قيس || بأمر لاتنوء به اليدان و قدكنا نجمجم عن ظنون || فصرحت الظنون عن العيان فعض الكف من ندم و ماذا || يرد عليك عضك بالبنان . قال وشمت أهل الشام بأهل العراق و قال كعب بن جعيل شاعر معاوية كأن أبا موسى عشية أذرح || يطوف بلقمان الحكيم يواربه و لماتلاقوا فى تراث محمد || نمت بابن هند فى قريش مناسبه سعى بابن عفان ليدرك ثأره || وأولى عباد الله بالثأر طالبه [صفحه ۲۵۹] و قدغشيتنا فى الزبير غضاضة || وطلحة إذ قامت عليه نوادبه فرد ابن هند ملكه فى نصابه || و من غالب الأقدار فالله غالبه و مالابن هند من لؤى بن غالب || نظير و إن جاشت عليه أقاربه فهذاك ملك الشام واف سنامه || وهذاك ملك القوم قدجب غاربه يحاول عبد الله عمرا وإنه || ليضرب فى بحر عريض مذاهبه دحا دحوة فى صدره فهوت به || إلى أسفل الجب الظنون كواذبه . قال نصر و كان على ع لماخدع عمرو أبا موسى بالكوفة كان قددخلها منتظرا مايحكم به الحكمان فلما تم على أبى موسى ماتم من الحيلة غم ذلك عليا وساءه ووجم له وخطب الناس فقال الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل ... الخطبة التى ذكرها الرضى رحمه الله تعالى وهى التى نحن فى شرحها وزاد فى آخرها بعدالاستشهاد ببيت دريد ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قدنبذا حكم الكتاب وأحييا ماأمات واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة و لابينة و لاسنة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشد الله فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير وأصبحوا فى معسكركم يوم كذا -روايت-۱-۲۴۰ [صفحه ۲۶۰] قال نصر فكان على ع بعدالحكومة إذاصلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة وسلم قال أللهم العن معاوية وعمرا و أبا موسى وحبيب بن مسلمة و عبدالرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۹۴ فبلغ ذلك معاوية فكان إذاصلى لعن عليا وحسنا وحسينا و ابن عباس وقيس بن سعد بن عبادة والأشتر وزاد ابن ديزيل فى أصحاب معاوية أباالأعور السلمى. وروى ابن ديزيل أيضا أن أبا موسى كتب من مكة إلى على ع أما بعدفإنى قدبلغنى أنك تلعننى فى الصلاة ويؤمن خلفك الجاهلون وإنى أقول كما قال موسى ع رَبِّ بِما أَنعَمتَ عَلَيّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِلمُجرِمِينَ. -قرآن-۳۰۶-۳۶۷ وروى ابن ديزيل عن وكيع عن فضل بن مرزوق عن عطية عن عبدالرحمن بن حبيب عن على ع أنه قال يؤتى بى وبمعاوية يوم القيامة فنجىء ونختصم عندذى العرش فأينا فلج فلج أصحابه -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۱-۱۸۵ وروى أيضا عن عبدالرحمن بن نافع القارئ عن أبيه قال سئل

علی ع عن قتلی صفین فقال إنما الحساب علی و علی معاویة -روایت-۱-۲-روایت-۶۱-۱۲۵ وروی أیضا عن الأعمش عن موسی بن طریف عن عبایة قال سمعت علیا ع و هو یقول أناقسیم النار هذا لی و هذا لک -روایت-۱-۲-روایت-۸۲-۱۱۶ وروی أیضا عن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله ص لاتقوم الساعة حتی تقتتل فئتان عظیمتان دعوتهما واحدة فبینما هم کذلک مرقت منهم مارقة یقتلهم أولی الطائفتین بالحق -روایت-۱-۲-روایت-۶۰-۱۸۴ . [صفحه ۲۶۱] قال ابراهیم بن دیزیل و حدثناسعید بن کثیر عن عفیر قال حدثنا ابن لهیعة عن ابن هبیرة عن حنش الصنعانی قال جئت إلی أبی سعید الخدری و قدعمی فقلت أخبرنی عن هذه الخوارج فقال تأتوننا فنخبرکم ثم ترفعون ذلک إلی معاویة فیبعث إلینا بالکلام الشدید قال قلت أناحنش فقال مرحبا بک یاحنش المصری سمعت رسول الله ص یقول یخرج ناس یقرءون القرآن لایجاوز تراقیهم یمرقون من الدین کمایمرق السهم من الرمیة ینظر أحدکم فی نصله فلایری شیئا فینظر فی قذذه فلایری شیئا سبق الفرث والدم یصلی بقتالهم أولی الطائفتین بالله -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۲۳۷ فقال حنش فإن علیا صلی بقتالهم فقال أبوسعید و مایمنع علیا أن یکون أولی الطائفتین بالله . وذکر محمد بن القاسم بن بشار الأنباری فی أمالیه قال قال عبدالرحمن بن خالد بن الولید حضرت الحکومة فلما کان یوم الفصل جاء عبد الله بن عباس فقعد إلی جانب أبی موسی و قدنشر أذنیه حتی کاد أن ینطق بهما فعلمت أن الأمر لایتم لنا مادام هناک و أنه سیفسد علی عمرو حیلته فأعملت المکیدة فی أمره فجئت حتی قعدت عنده و قدشرع عمرو و أبو موسی فی الکلام فکلمت ابن عباس کلمة استطعمته جوابها فلم یجب فکلمته أخری فلم یجب فکلمته ثالثة فقال إنی لفی شغل عن حوارک الآن فجبهته و قلت یابنی هاشم لاتترکون بأوکم وکبرکم أبدا أما و الله لو لامکان النبوة لکان لی و لک شأن قال فحمی وغضب واضطرب فکره ورأیه وأسمعنی کلاما یسوء سماعه فأعرضت عنه وقمت فقعدت إلی جانب عمرو بن العاص فقلت قدکفیتک التقوالة إنی قدشغلت باله بما دار بینی وبینه فأحکم أنت أمرک قال [صفحه ۲۶۲] فذهل و الله ابن عباس عن الکلام الدائر بین الرجلین حتی قام أبو موسی فخلع علیا. وروی الزبیر بن بکار فی الموفقیات ورواه جمیع الناس ممن عنی بنقل الآثار والسیر عن الحسن البصری قال أربع خصال کن فی معاویة لو لم یکن فیه إلاواحدة منهن لکانت موبقة انتزاؤه علی هذه الأمة بالسفهاء حتی ابتزها أمرها بغیر مشورة منهم وفیهم بقایا الصحابة وذوو الفضیلة واستخلافه بعده ابنه یزید سکیرا خمیرا یلبس الحریر ویضرب بالطنابیر وادعاؤه زیادا و قد قال رسول الله ص الولد للفراش وللعاهر الحجر -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۵۶ وقتله حجر بن عدی وأصحابه فیا ویله من حجر وأصحاب حجر. وروی فی الموفقیات أیضا الخبر ألذی رواه المدائنی و قدذکرناه آنفا من کلام ابن عباس لأبی موسی و قوله إن الناس لم یرتضوک لفضل عندک لم تشارک فیه وذکر فی آخره فقال بعض شعراء قریش و الله ماکلم الأقوام من بشر || بعدالوصی علی کابن عباس أوصی ابن قیس بأمر فیه عصمته || لو کان فیها أبو موسی من الناس إنی أخاف علیه مکر صاحبه || أرجو رجاء مخوف شیب بالیاس . وذکر الزبیر أیضا فی الموفقیات أن یزید بن حجیة التیمی شهد الجمل وصفین ونهروان مع علی ع ثم ولاه الری ودستبی فسرق من أموالهما ولحق بمعاویة وهجا علیا وأصحابه ومدح معاویة وأصحابه فدعا علیه علی ع ورفع أصحابه أیدیهم فأمنوا وکتب إلیه رجل من بنی عمه کتابا یقبح إلیه [صفحه ۲۶۳] ماصنع و کان الکتاب شعرا فکتب یزید بن حجیة إلیه لوکنت أقول شعرا لأجبتک ولکن قد کان منکم خلال ثلاث لاترون معهن شیئا مما تحبون أماالأولی فإنکم سرتم إلی أهل الشام حتی إذادخلتم بلادهم وطعنتموهم بالرماح وأذقتموهم ألم الجراح رفعوا المصاحف فسخروا منکم وردوکم عنهم فو الله و و الله لادخلتموها بمثل تلک الشوکة والشدة أبدا والثانیة أن القوم بعثوا حکما وبعثتم حکما فأما حکمهم فأثبتهم و أماحکمکم فخلعکم ورجع صاحبهم یدعی أمیر المؤمنین ورجعتم متضاغنین والثالثة أن قراءکم وفقهاءکم وفرسانکم خالفوکم فعدوتم علیهم فقتلتموهم ثم کتب فی آخر الکتاب بیتین لعفان بن شرحبیل التمیمی أحببت أهل الشام من بین الملا || وبکیت من أسف علی عثمان أرضا مقدسة وقوما منهم || أهل الیقین وتابعو الفرقان وذکر

أبو أحمدالعسكرى فى كتاب الأمالى أن سعد بن أبى وقاص دخل على معاوية عام الجماعة فلم يسلم عليه بإمرة المؤمنين فقال له معاوية لوشئت أن تقول فى سلامك غير هذالقلت فقال سعد نحن المؤمنون و لم نؤمرك كأنك قدبهجت بما أنت فيه يامعاوية و الله مايسرنى ما أنت فيه وأنى هرقت المحجمة دم قال ولكنى و ابن عمك عليا يا أباإسحاق قدهرقنا أكثر من محجمة ومحجمتين هلم فاجلس معى على السرير فجلس معه فذكر له معاوية اعتزاله الحرب يعاتبه فقال سعد إنما كان مثلى ومثل الناس كقوم أصابتهم ظلمة فقال واحد منهم لبعيره إخ فأناخ حتى أضاء له الطريق [صفحه ۲۶۴] فقال معاوية و الله يا أباإسحاق ما فى كتاب الله إخ وإنما فيه وَ إِن طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنِينَ اقتَتَلُوا فَأَصلِحُوا بَينَهُما فَإِن بَغَت إِحداهُما عَلَى الأُخرى فَقاتِلُوا الّتِي تَبغِي حَتّى تفَيِءَ إِلى أَمرِ اللّهِفو الله ماقاتلت الباغية و لاالمبغى عليها فأفحمه . وزاد ابن ديزيل فى هذاالخبر زيادة ذكرها فى كتاب صفين قال فقال سعد أتأمرنى أن أقاتل رجلا قال له رسول الله ص -قرآن-۶۷-۲۳۰ أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى -روايت-۱-۵۷ فقال معاوية من سمع هذامعك قال فلان وفلان وأم سلمة فقال معاوية لوكنت سمعت هذا لماقاتلته [صفحه ۲۶۵]

۳۶- و من خطبة له ع فى تخويف أهل النهروان

اشاره

فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُم أَن تُصبِحُوا صَرعَى بِأَثنَاءِ هَذَا النّهَرِ وَ بِأَهضَامِ هَذَا الغَائِطِ عَلَى غَيرِ بَيّنَةٍ مِن رَبّكُم وَ لَا سُلطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُم قَد طَوّحَت بِكُمُ الدّارُ وَ احتَبَلَكُمُ المِقدَارُ وَ قَد كُنتُ نَهَيتُكُم عَن هَذِهِ الحُكُومَةِ فَأَبَيتُم عَلَيّ إِبَاءَ المُخَالِفِينَ حَتّى صَرَفتُ رأَيِي إِلَى هَوَاكُم وَ أَنتُم مَعَاشِرُ أَخِفّاءُ الهَامِ سُفَهَاءُ الأَحلَامِ وَ لَم آتِ لَا أَبَا لَكُم بُجراً وَ لَا أَرَدتُ بِكُم ضُرّاً الأهضام جمع هضم و هوالمطمئن من الوادى والغائط ماسفل من الأرض . واحتبلكم المقدار أوقعكم فى الحبالة. والبجر الداهية والأمر العظيم ويروى هجرا و هوالمستقبح من القول ويروى عرا والعر قروح فى مشافر الإبل ويستعار للداهية

أخبار الخوارج

قدتظافرت الأخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلى الخوارج من الثواب على لسان رسوله ص و فى الصحاح المتفق عليها أن -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۶۶] رسول الله ص بينا هويقسم قسما جاء رجل من بنى تميم يدعى ذا الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال ع قدعدلت فقال له ثانية اعدل يا محمدفإنك لم تعدل فقال ص ويلك و من يعدل إذا لم أعدل فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ائذن لى أضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضئ هذاقوم يمرقون من الدين كمايمرق السهم من الرمية ينظر أحدكم إلى نصله فلايجد شيئا فينظر إلى نضيه فلايجد شيئا ثم ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث والدم يخرجون على حين فرقة من الناس تحتقر صلاتكم فى جنب صلاتهم وصومكم عندصومهم يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود أو قال أدعج مخدج اليد إحدى يديه كأنها ثدى امرأة أوبضعة تدردر -روايت-از قبل-۶۳۵ و فى بعض الصحاح أن رسول الله ص قال لأبى بكر و قدغاب الرجل -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۶۷] عن عينه قم إلى هذافاقتله فقام ثم عاد و قال وجدته يصلى فقال لعمر مثل ذلك فعاد و قال وجدته يصلى فقال لعلى ع مثل ذلك فعاد فقال لم أجده فقال رسول الله ص لوقتل هذالكان أول فتنة وآخرها أماإنه سيخرج من ضئضئ هذاقوم -روايت-از قبل-۲۳۵ الحديث . و

فی بعض الصحاح یقتلهم أولی الفریقین بالحق . و فی مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال قالت لی عائشة إنک من ولدی و من أحبهم إلی فهل عندک علم من المخدج فقلت نعم قتله علی بن أبی طالب علی نهر یقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان بین لخاقیق وطرفاء قالت ابغنی علی ذلک بینة فأقمت رجالا شهدوا عندها بذلک قال فقلت لها سألتک بصاحب القبر ما ألذی سمعت من رسول الله ص فیهم فقالت نعم سمعته یقول إنهم شر الخلق والخلیقة یقتلهم خیر الخلق والخلیقة وأقربهم عند الله وسیلة -روایت-۱-۴۴۶ و فی کتاب صفین للواقدی عن علی ع لو لا أن تبطروا فتدعوا العمل لحدثتکم بما سبق علی لسان رسول الله ص لمن قتل هؤلاء -روایت-۱-۱۲۸ و فیه قال علی ع إذاحدثتکم عن رسول الله ص فلأن أخر من السماء أحب إلی من أن أکذب علی رسول الله ص و إذاحدثتکم فیما بیننا عن نفسی فإن الحرب خدعة وإنما أنا رجل محارب سمعت رسول الله ص یقول یخرج فی آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام قولهم من خیر -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۶۸] أقوال أهل البریة صلاتهم أکثر من صلاتکم وقراءتهم أکثر من قراءتکم لایجاوز إیمانهم تراقیهم أو قال حناجرهم یمرقون من الدین کمایمرق السهم من الرمیة فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم یوم القیامة -روایت-از قبل-۲۰۷ و فی کتاب صفین أیضا للمدائنی عن مسروق أن عائشة قالت له لماعرفت أن علیا ع قتل ذا الثدیة لعن الله عمرو بن العاص فإنه کتب إلی یخبرنی أنه قتله بالإسکندریة ألا إنه لیس یمنعنی ما فی نفسی أن أقول ماسمعته من رسول الله ص یقول یقتله خیر أمتی من بعدی -روایت-۱-۲۷ وذکر أبو جعفر محمد بن جریر الطبری فی التاریخ أن علیا ع لمادخل الکوفة دخلها معه کثیر من الخوارج وتخلف منهم بالنخیلة وغیرها خلق کثیر لم یدخلوها فدخل حرقوص بن زهیر السعدی وزرعة بن البرج الطائی وهما من رءوس الخوارج علی علی ع فقال له حرقوص تب من خطیئتک واخرج بنا إلی معاویة نجاهده فقال له علی ع إنی کنت نهیتکم عن الحکومة فأبیتم ثم الآن تجعلونها ذنبا أماإنها لیست بمعصیة ولکنها عجز من الرأی وضعف فی التدبیر و قدنهیتکم عنه فقال زرعة أما و الله لئن لم تتب من تحکیمک الرجال لأقتلنک أطلب بذلک وجه الله ورضوانه فقال علی ع بؤسا لک ماأشقاک کأنی بک قتیلا تسفی علیک الریاح قال زرعة وددت أنه کان ذلک . قال وخرج علی ع یخطب الناس فصاحوا به من جوانب المسجد [صفحه ۲۶۹] لاحکم إلالله وصاح به رجل منهم واضع إصبعه فی أذنیه فقال ولقد أوحی إلیک و إلی الذین من قبلک لئن أشرکت لیحبطن عملک ولتکونن من الخاسرین فقال له علی ع فاصبر إن وعد الله حق و لایستخفنک الذین لایوقنون . وروی ابن دیزیل فی کتاب صفین قال کانت الخوارج فی أول ماانصرفت عن رایات علی ع تهدد الناس قتلا قال فأتت طائفة منهم علی النهر إلی جانب قریة فخرج منها رجل مذعورا آخذا بثیابه فأدرکوه فقالوا له رعبناک قال أجل فقالوا له قدعرفناک أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ص قال نعم قالوا فما سمعت من أبیک یحدث عن رسول الله ص . قال ابن دیزیل فحدثهم أن رسول الله ص قال إن فتنة جائیة القاعد فیهاخیر من القائم -روایت-۱-۹۰ و قال غیره بل حدثهم أن طائفة تمرق من الدین کمایمرق السهم من الرمیة یقرءون القرآن صلاتهم أکثر من صلاتکم -روایت-۱-۱۱۶ الحدیث فضربوا رأسه فسال دمه فی النهر ماامذقر أی مااختلط بالماء کأنه شراک ثم دعوا بجاریة له حبلی فبقروا عما فی بطنها. وروی ابن دیزیل قال عزم علی ع علی الخروج من الکوفة إلی الحروریة و کان فی أصحابه منجم فقال له یا أمیر المؤمنین لاتسر فی هذه الساعة -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۷۰] وسر علی ثلاث ساعات مضین من النهار فإنک إن سرت فی هذه الساعة أصابک وأصحابک أذی وضر شدید و إن سرت فی الساعة التی أمرتک بهاظفرت وظهرت وأصبت ماطلبت فقال له علی ع أتدری ما فی بطن فرسی هذه أذکر هوأم أنثی قال إن حسبت علمت فقال علی ع من صدقک بهذا فقد کذب بالقرآن قال الله تعالی إِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعَةِ وَ یُنَزّلُ الغَیثَ وَ یَعلَمُ ما فِی الأَرحامِالآیة ثم قال ع إن محمداص ما کان یدعی علم ماادعیت علمه أتزعم أنک تهدی إلی الساعة التی یصیب النفع من سار فیها وتصرف عن الساعة التی یحیق السوء بمن سار فیهافمن صدقک بهذا فقد استغنی عن الاستعانة بالله جل ذکره فی

صرف المكروه عنه وينبغي للموقن بأمرك أن يوليك الحمد دون الله جل جلاله لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التى يصيب النفع من سار فيها وصرفته عن الساعة التى يحيق السوء بمن سار فيهافمن آمن بك فى هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدا وندا أللهم لاطير إلاطيرك و لاضر إلاضرك و لاإله غيرك ثم قال نخالف ونسير فى الساعة التى نهيتنا عنها ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إياكم والتعلم للنجوم إلا مايهتدى به فى ظلمات البر والبحر إنما المنجم كالكاهن والكاهن كالكافر والكافر فى النار أما و الله لئن بلغنى أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبدا مابقيت ولأحرمنك العطاء ما كان لى من سلطان ثم سار فى الساعة التى نهاه عنها المنجم فظفر بأهل النهر وظهر عليهم ثم قال لوسرنا فى الساعة التى أمرنا بهاالمنجم لقال الناس سار فى الساعة التى أمر بهاالمنجم فظفر وظهر أماإنه ما كان لمحمد ص منجم و لالنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفى ممن سواه -روايت-از قبل-١٥٨٠ [صفحه ٢٧١] قال فروى مسلم الضبى عن حبة العرنى قال لماانتهينا إليهم رمونا فقلنا لعلى ع يا أمير المؤمنين قدرمونا فقال لنا كفوا ثم رمونا فقال لنا ع كفوا ثم الثالثة فقال الآن طاب القتال احملوا عليهم . وروى أيضا عن قيس بن سعد بن عبادة أن عليا ع لماانتهى إليهم قال لهم أقيدونا بدم عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله فقال احملوا عليهم وذكر أبوهلال العسكرى فى كتاب الأوائل أن أول من قال لاحكم إلالله عروة بن حدير قالها بصفين وقيل زيد بن عاصم المحاربى قال و كان أميرهم أول مااعتزلوا ابن الكواء ثم بايعوا لعبد الله بن وهب الراسبى و كان أحد الخطباء فقال لهم عندبيعتهم إياه إياكم والرأى الفطير والكلام الفضيب دعوا لرأى يغب فإن غبوبه يكشف للمرء عن قضته وازدحام الجواب مضلة للصواب و ليس الرأى بالارتجال و لاالحزم بالاقتضاب فلاتدعونكم السلامة من خطأ موبق وغنيمة نلتموها من غيرصواب إلى معاودته والتماس الربح من جهته إن الرأى ليس بنهنهى و لا هو ماأعطتك البديهة و إن خمير الرأى خير من فطيره ورب شىءغابه خير من طريئه وتأخيره خير من تقديمه . وذكر المدائنى فى كتاب الخوارج قال لماخرج على ع إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممن كان على مقدمته يركض حتى انتهى إلى على ع [صفحه ٢٧٢] فقال البشرى يا أمير المؤمنين قال مابشراك قال إن القوم عبروا النهر لمابلغهم وصولك فأبشر فقد منحك الله أكتافهم فقال له آلله أنت رأيتهم قدعبروا قال نعم فأحلفه ثلاث مرات فى كلها يقول نعم فقال على ع و الله ماعبروه ولن يعبروه و إن مصارعهم لدون النطفة و ألذى فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الأثلاث و لاقصر بوازن حتى يقتلهم الله و قدخاب من افترى قال ثم أقبل فارس آخر يركض فقال كقول الأول فلم يكترث على ع بقوله وجاءت الفرسان تركض كلها تقول مثل ذلك فقام على ع فجال فى متن فرسه قال فيقول شاب من الناس و الله لأكونن قريبا منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذاالرمح فى عينه أيدعى علم الغيب فلما انتهى ع إلى النهر وجد القوم قدكسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيلهم وجثوا على ركبهم وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل فنزل ذلك الشاب فقال يا أمير المؤمنين إنى كنت شككتك فيك آنفا وإنى تائب إلى الله وإليك فاغفر لى فقال على ع إن الله هو ألذى يغفر الذنوب فاستغفره . وذكر أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد فى الكامل قال لماواقفهم على ع بالنهروان قال لاتبدءوهم بقتال حتى يبدءوكم فحمل منهم رجل على صف على ع فقتل منهم ثلاثة ثم قال أقتلهم و لاأرى عليا || و لوبدا أوجرته الخطيا .فخرج إليه على ع فضربه فقتله فلما خالطه سيفه قال ياحبذا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله بن وهب و الله ماأدرى إلى الجنة أم إلى النار فقال رجل منهم [صفحه ٢٧٣] من بنى سعد إنما حضرت اغترارا بهذا الرجل يعنى عبد الله وأراه قدشك واعتزل عن الحرب بجماعة من الناس ومال ألف منهم إلى جهة أبى أيوب الأنصارى و كان على ميمنة على ع فقال على ع لأصحابه احملوا عليهم فو الله لايقتل منكم عشرة و لايسلم منهم عشرة فحمل عليهم فطحنهم طحنا قتل من أصحابه ع تسعة وأفلت من الخوارج ثمانية وذكر أبوالعباس وذكر غيره أيضا أن أمير المؤمنين ع لماوجه إليهم عبد الله بن عباس ليناظرهم قال لهم ما ألذى نقمتم على أمير المؤمنين قالوا له قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم فى دين الله خرج من الإيمان فليتب

بعدإقراره بالكفر نعد إليه قال ابن عباس ماينبغى لمؤمن لم يشب إيمانه بشك أن يقر على نفسه بالكفر قالوا إنه حكم قال إن الله أمر بالتحكيم فى قتل صيد فقال يَحكُمُ بِهِ ذَوا عَدلٍ مِنكُمفكيف فى إمامۀ قدأشكلت على المسلمين فقالوا إنه حكم عليه فلم يرض فقال إن الحكومۀ كالإمامۀ ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لماخالفا نبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض اجعلوا احتجاج قريش حجۀ عليهم فإن هذا من الذين قال الله فيهم بَل هُم قَومٌ خَصِمُونَ و قال جل ثناؤه وَ تُنذِرَ بِهِ قَوماً لُدّا. قال أبوالعباس ويقال إن أول من حكم عروۀ بن أديۀ وأديۀ جدۀ له جاهليۀ و هوعروۀ بن حدير أحد بنى ربيعۀ بن حنظلۀ و قال قوم أول من حكم رجل من بنى -قرآن-۷۲۵-۷۵۴-قرآن-۱۰۰۹-۱۰۳۱-قرآن-۱۰۴۹-۱۰۷۶ [صفحه ۲۷۴] محارب بن خصفۀ بن قيس بن عيلان يقال له سعيد و لم يختلفوا فى اجتماعهم على عبد الله بن وهب الراسبى و أنه امتنع عليهم وأومأ إلى غيره فلم يقنعوا إلا به فكان إمام القوم و كان يوصف برأى فأما أول سيف سل من سيوف الخوارج فسيف عروۀ بن أديۀ وذاك أنه أقبل على الأشعث فقال له ما هذه الدنيۀ ياأشعث و ما هذاالتحكيم أشرط أوثق من شرط الله عز و جل ثم شهر عليه السيف والأشعث مول فضرب به عجز بغلته . قال أبوالعباس وعروۀ بن حدير هذا من النفر الذين نجوا من حرب النهروان فلم يزل باقيا مدۀ من أيام معاويۀ ثم أتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبى بكر وعمر فقال خيرا فقال له فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان و فى أبى تراب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل فى أمر على ع مثل ذلك إلى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاويۀ فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال له أولك لزنيۀ وآخرك لدعوۀ و أنت بعدعاص لربك فأمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال له صف لى أموره قال أأطنب أم أختصر قال بل اختصر قال ماأتيته بطعام بنهار قط و لافرشت له فراشا بليل قط. قال أبوالعباس وسبب تسميتهم الحرورية أن عليا ع لماناظرهم بعدمناظرۀ ابن عباس إياهم كان فيما قال لهم أ لاتعلمون أن هؤلاء القوم لمارفعوا المصاحف قلت لكم إن هذه مكيدۀ ووهن وإنهم لوقصدوا إلى حكم المصاحف لأتونى وسألونى التحكيم أفتعلمون أن أحدا كان أكره للتحكيم منى قالوا صدقت قال فهل تعلمون أنكم استكرهتمونى على ذلك حتى أجبتكم إليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ماحكما [صفحه ۲۷۵] بحكم الله فمتى خالفاه فأنا وأنتم من ذلك برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لايعدونى قالوا أللهم نعم قال و كان معهم فى ذلك الوقت ابن الكواء قال و هذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب وإنما ذبحوه فى الفرقۀ الثانيۀ بكسكر فقالوا له حكمت فى دين الله برأينا ونحن مقرون بأنا كنا كفرنا ولكنا الآن تائبون فأقر بمثل ماأقررنا به وتب ننهض معك إلى الشام فقال أ ماتعلمون أن الله تعالى قدأمر بالتحكيم فى شقاق بين الرجل وامرأته فقال سبحانه فَابعَثُوا حَكَماً مِن أَهلِهِ وَ حَكَماً مِن أَهلِها و فى صيد أصيب كأرنب يساوى نصف درهم فقال يَحكُمُ بِهِ ذَوا عَدلٍ مِنكُمفقالوا له فإن عمرا لماأبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ماكتبه عبد الله على أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافۀ وكتبت على بن أبى طالب فقد خلعت نفسك فقال لى فى رسول الله ص عليه أسوۀ حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتاب كتبه محمد رسول الله ص وسهيل بن عمرو و قال له لوأقررت بأنك رسول الله ماخالفتك ولكنى أقدمك لفضلك فاكتب محمد بن عبد الله فقال لى يا على امح رسول الله فقلت يا رسول الله لاتشجعنى نفسى على محو اسمك من النبوۀ قال فقضى عليه فمحاه بيده ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم إلى و قال يا على أماإنك ستسام مثلها فتعطى فرجع معه منهم ألفان من حروراء و قدكانوا تجمعوا بها فقال لهم على مانسميكم ثم قال أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء وروى جميع أهل السير كافۀ أن عليا ع لماطحن القوم طلب ذا الثديۀ طلبا -قرآن-۴۶۳-۵۱۵-قرآن-۵۶۲-۵۹۱ [صفحه ۲۷۶] شديدا وقلب القتلى ظهرا لبطن فلم يقدر عليه فساءه ذلك وجعل يقول و الله ماكذبت و لاكذبت اطلبوا الرجل وإنه لفى القوم فلم يزل يتطلبه حتى وجده و هو رجل مخدج اليد كأنها ثدى فى صدره . وروى ابراهيم بن ديزيل فى كتاب صفين عن الأعمش عن زيد بن وهب قال لماشجرهم على ع بالرماح قال اطلبوا ذا الثديۀ فطلبوه طلبا شديدا حتى وجدوه فى وهدۀ من الأرض تحت ناس من القتلى فأتى به و إذا رجل على

ثـديه مثل سبلات السنور فكبر على ع وكبر الناس معه سرورا بـذلك . وروى أيضا عن مسلم الضبى عن حبـة العرنى قال كان رجلا أسود منتن الريـح له ثـدى كثـدى المرأة إذامـدت كانت بطول اليد الأخرى و إذاتركت اجتمعت وتقلصت وصارت كثدى المرأة عليها شعرات مثل شوارب الهرة فلما وجدوه قطعوا يده ونصبوها على رمح ثم جعل على ع ينادى صدق الله وبلغ رسوله لم يزل يقول ذلـك هو وأصـحابه بعدالعصـر إلى أن غربت الشـمس أوكـادت . وروى ابن ديزيـل أيضا قال لماعيل صبر على ع فى طلب المخـدج قـال ائتـونى ببغلـة رسـول الله ص فركبهـا واتبعه النـاس فرأى القتلى و يقـول اقلبـوا فيقلبـون قتيلاـ عن قتيـل حتى استخرجوه فسجد على ع . وروى كثير من النـاس أنه لمادعـا بالبغلـة ليركبها قال ائتونى بهافإنها هادئـة فوقفت به على المخـدج فأخرجه من تحت قتلى كثيرين . وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جـده يزيـد بن رويم قال قال على ع [صـفحه ٢٧٧] يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثدية فلما طحن القوم ورام اسـتخراج ذى الثدية فأتبعه أمرنى أن أقطع له أربعة آلاف قصبة وركب بغلة رسول الله ص و قال اطرح على كل قتيل منهم قصبة فلم أزل كذلك و أنا بين يديه و هوراكب خلفى و الناس يتبعونه حتى بقيت فى يدى واحدة فنظرت إليه و إذاوجهه أربد و إذا هو يقول و الله ماكذبت و لاكذبت فإذاخرير ماء عندموضع داليـة فقال فتش هذافقتشـته فإذاقتيل قدصار فى الماء و إذارجله فى يدى فجذبتها و قلت هذه رجل إنسان فنزل عن البغلة مسـرعا فجـذب الرجل الأخرى وجررناه حتى صار على التراب فإذا هوالمخـدج فكبر على ع بأعلى صوته ثم سـجد فكبر الناس كلهم . و قـدروى كثير من المحـدثين أن النبى ص قـال لأصـحابه يومـا إن منكم من يقاتـل على تأويل القرآن كماقاتلت على تنزيله فقال أبوبكر أنا يا رسول الله فقال لا فقال عمر أنا يا رسول الله فقال لابل خاصف النعل وأشار إلى على ع -روايت-١-٢-روايت-٣٠-٢٣٦ و قـال أبوالعباس فى الكامل يقال إن أول من لفظ بالحكومـة و لم يشـد بها رجل من بنى سـعد بن زيـد مناة بن تميم بن مر من بنى صريم يقـال له الحجاج بن عبـد الله ويعرف بالبرك و هو ألـذى ضـرب آخرا معاويـة على أليته يقال إنه لماسـمع بـذكر الحكمين قال أيحكم أمير المؤمنين الرجال فى دين الله لاحكم إلالله فسمعه سامع فقال طعن و الله فأنفذ. قال أبوالعباس وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر [صفحه ٢٧٨] بن وائل كان من أصحاب على ع فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصـفين يحكم وحمل على أصـحاب معاويـة فكثروه فرجع إلى ناحية على ع فخرج إليه رجل من همدان فقتله فقال شاعر همدان و ما كان أغنى اليشـكرى عن التى || تصـلى بهاجمرا من النار حاميا غداة ينادى والرماح تنوشه || خلعت عليا بادئا ومعاويا قال أبوالعباس و قدروى المحدثون أن رجلا تلا بحضـرة على ع قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَـرِينَ أَعمالًا الَّذِينَ ضَلّ سَعيُهُم فِى الحَياةِ الدّنيا وَ هُم يَحسَـبُونَ أَنّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً فقال على ع أهل حروراء منهم -روايت-١-٢-روايت-١٩-٢٢٧ قال أبوالعباس و من شـعر أمير المؤمنين ع ألـذى لااختلاـف فيه أنه قـاله و كـان يردده أنهم لماساموه أنه يقر بالكفر ويتوب حتى يسـيروا معه إلى الشـام فقـال أ بعدصـحبة رسول الله ص والتفقه فى الـدين أرجع كـافرا ثم قـال -روايت-١-٢-روايت-١٩-٢٢٧ ياشاهـد الله على فاشـهد || أنى على دين النبى أحمـد من شـك فى الله فـإنى مهتـد وذكر أبوالعبـاس أيضـا فى الكامل أن عليا ع فى أول خروج القوم عليه دعا صعصـعة بن صوحان العبدى و قد كان وجهه إليهم وزياد بن النضـر الحارثى مع عبد الله بن عباس فقال لصعصعة بأى القوم رأيتهم أشـد إطافـة قال بيزيد بن قيس الأرحبى فركب على ع إلى حروراء فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضـرب يزيد بن قيس فصـلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه وأقبل [صفحه ٢٧٩] على الناس فقال هـذامقام من فلج فيه فلج يوم القيامة ثم كلمهم وناشدهم فقالوا إنا أذنبنا ذنبا عظيما بالتحكيم و قدتبنا فتب إلى الله كماتبنا نعد لك فقال على ع أناأستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاـف فلمـا استقروا بالكوفـة أشـاعوا أن عليا ع رجع عن التحكيم ورآه ضـلالا وقالوا إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يسـمن الكراع وتجبى الأموال ثم ينهض بنا إلى الشام فأتى الأشعث عليا ع فقال يا أمير المؤمنين إن الناس قدتحدثوا أنك رأيت الحكومـة ضـلالا والإقامـة عليها كفرا فقام على ع يخطب فقال من زعم أنى رجعت عن الحكومـة فقـد كـذب و من

رآها ضلالا فقد ضل فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت . قلت كل فساد كان فى خلافة على ع و كل اضطراب حدث فأصله الأشعث و لو لامحاقته أمير المؤمنين ع فى معنى الحكومة فى هذه المرة لم تكن حرب النهروان ولكان أمير المؤمنين ع ينهض بهم إلى معاوية ويملك الشام فإنه ص حاول أن يسلك معهم مسلك التعريض والمواربة و فى المثل النبوى صلوات الله على قائله الحرب خدعة -روايت-١-٢-روايت-٤٧-٥٩ وذاك أنهم قالوا له تب إلى الله [صفحه ٢٨٠] مما فعلت كماتبنا ننهض معك إلى حرب أهل الشام فقال لهم كلمة مجملة مرسلة يقولها الأنبياء والمعصومون وهى قوله أستغفر الله من كل ذنب فرضوا بها وعدوها إجابة لهم إلى سؤلهم وصفت له ع نياتهم واستخلص بهاضمائرهم من غير أن تتضمن تلك الكلمة اعترافا بكفر أوذنب فلم يتركه الأشعث وجاء إليه مستفسرا وكاشفا عن الحال وهاتكا ستر التورية والكناية ومخرجا لها من ظلمة الإجمال وستر الحيلة إلى تفسيرها بما يفسد التدبير ويوغر الصدور ويعيد الفتنة و لم يستفسره ع عنها إلابحضور من لايمكنه أن يجعلها معه هدنة على دخن و لاترقيقا عن صبوح وألجأه بتضييق الخناق عليه إلى أن يكشف ما فى نفسه و لايترك الكلمة على احتمالها و لايطويها على غرها فخطب بما صدع به عن صورة ماعنده مجاهرة فانتقض مادبره وعادت الخوارج إلى شبهتها الأولى وراجعوا التحكيم والمروق وهكذا الدول التى تظهر فيهاأمارات الانقضاء والزوال يتاح لها أمثال الأشعث من أولى الفساد فى الأرض سُنّةَ اللّهِ فِي الّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ وَ لَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبدِيلًا قال أبوالعباس ثم مضى القوم إلى النهروان و قدكانوا أرادوا المضى إلى المدائن فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا فى طريقهم مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم لأنه عندهم كافر إذ كان على خلاف معتقدهم واستوصوا بالنصرانى وقالوا احفظوا ذمة نبيكم -قرآن-٨٧٠-٩٥٢ [صفحه ٢٨١] قال أبوالعباس ونحو ذلك أن واصل بن عطاء رحمه الله تعالى أقبل فى رفقة فأحسوا بالخوارج فقال واصل لأهل الرفقة إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى وإياهم وكانوا قدأشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج إليهم فقالوا ما أنت وأصحابك فقال قوم مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله ويفهموا حدوده قالوا قدأجرناكم قال فعلمونا فجعلوا يعلمونهم أحكامهم و يقول واصل قدقبلت أنا و من معى قالوا فامضوا مصاحبين فقد صرتم إخواننا فقال بل تبلغوننا مأمننا لأن الله تعالى يقول وَ إِن أَحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ استَجارَكَ فَأَجِرهُ حَتّى يَسمَعَ كَلامَ اللّهِ ثُمّ أَبلِغهُ مَأمَنَهُ قال فينظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم المأمن . قال أبوالعباس ولقيهم عبد الله بن خباب فى عنقه مصحف على حمار ومعه امرأته وهى حامل فقالوا له إن هذا ألذى فى عنقك ليأمرنا بقتلك فقال لهم ماأحياه القرآن فأحيوه و ماأماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها فى فيه فصاحوا به فلفظها تورعا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه فقتله فقالوا هذافساد فى الأرض وأنكروا قتل الخنزير ثم قالوا لابن خباب حدثنا عن أبيك -قرآن-٤٨٩-٥٩٢ فقال إنى سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ص يقول ستكون بعدى فتنة -روايت-١-٢-روايت-٥٦-ادامه دارد [صفحه ٢٨٢] يموت فيهاقلب الرجل كمايموت بدنه يمسى مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول و لاتكن القاتل -روايت-از قبل-١٠٥ قالوا فما تقول فى أبى بكر وعمر فأثنى خيرا قالوا فما تقول فى على قبل التحكيم و فى عثمان فى السنين الست الأخيرة فأثنى خيرا قالوا فما تقول فى على بعدالتحكيم والحكومة قال إن عليا أعلم بالله وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة فقالوا إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائهم ثم قربوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه فذبحوه . قال أبوالعباس وساوموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هى لكم فقالوا ماكنا لنأخذها إلابثمن فقال وا عجباه أتقتلون مثل عبد الله بن خباب و لاتقبلون جنا نخلة إلابثمن . وروى أبوعبيدة معمر بن المثنى قال طعن واحد من الخوارج يوم النهروان فمشى فى الرمح و هوشاهر سيفه إلى أن وصل إلى طاعنه فضربه فقتله و هويقرأوَ عَجِلتُ إِلَيكَ رَبّ لِتَرضى. وروى أبوعبيدة أيضا قال استنطقهم على ع بقتل عبد الله بن خباب فأقروا به فقال انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة فتكتبوا كتائب وأقرت كل كتيبة بمثل ماأقرت به الأخرى من قتل ابن خباب وقالوا ولنقتلنك كماقتلناه فقال على و الله لوأقر أهل الدنيا كلهم بقتله هكذا و أناأقدر على

قتلهم به لقتلتهم ثم التفت إلى أصحابه فقال لهم شدوا عليهم فأنا أول من يشد عليهم وحمل -قرآن-۶۶۲-۶۹۲ [صفحه ۲۸۳] بذى الفقار حملة منكرة ثلاث مرات كل حملة يضرب به حتى يعوج متنه ثم يخرج فيسويه بركبتيه ثم يحمل به حتى أفناهم . وروى محمد بن حبيب قال خطب على ع الخوارج يوم النهر فقال لهم نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة نحن أفق الحجاز بنا يلحق البطيء وإلينا يرجع التائب أيها القوم إنى نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأهضام هذاالوادى -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۲۷۵ إلى آخر الفصل [صفحه ۲۸۴]

۳۷- و من كلام له ع يجرى مجرى الخطبة

اشاره

فَقُمتُ بِالأَمرِ حِينَ فَشِلُوا وَ تَطَلّعتُ حِينَ تَقَبّعُوا وَ نَطَقتُ حِينَ تَعتَعُوا وَ مَضَيتُ بِنُورِ اللّهِ حِينَ وَقَفُوا وَ كُنتُ أَخفَضَهُم صَوتاً وَ أَعلَاهُم فَوتاً فَطِرتُ بِعِنَانِهَا وَ استَبدَدتُ بِرِهَانِهَا كَالجَبَلِ لَا تُحَرّكُهُ القَوَاصِفُ وَ لَا تُزِيلُهُ العَوَاصِفُ لَم يَكُن لِأَحَدٍ فِيّ مَهمَزٌ وَ لَا لِقَائِلٍ فِيّ مَغمَزٌ الذّلِيلُ عِندِي عَزِيزٌ حَتّى آخُذَ الحَقّ لَهُ وَ القَوِيّ عِندِي ضَعِيفٌ حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنهُ رَضِينَا عَنِ اللّهِ قَضَاءَهُ وَ سَلّمنَاهُ لِلّهِ أَمرَهُ أَ تَرَانِي أَكذِبُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ‌ص وَ اللّهِ لَأَنَا أَوّلُ مَن صَدّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوّلَ مَن كَذَبَ عَلَيهِ فَنَظَرتُ فِي أَمرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَد سَبَقَت بَيعَتِي وَ إِذَا المِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيرِي هذه فصول أربعة لايمتزج بعضها ببعض و كل كلام منها ينحو به أمير المؤمنين ع نحوا غير ماينحوه بالآخر وإنما الرضى رحمه الله تعالى التقطها من كلام لأمير المؤمنين ع طويل منتشر قاله بعدوقعة النهروان ذكر فيه حاله منذ توفى رسول الله ص [صفحه ۲۸۵] و إلى آخر وقت فجعل الرضى رحمه الله تعالى ماالتقطه منه سردا وصار عندالسامع كأنه يقصد به مقصدا واحدا.فالفصل الأول و هو من أول الكلام إلى قوله واستبددت برهانها يذكر فيه مقاماته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أيام أحداث عثمان وكون المهاجرين كلهم لم ينكروا و لم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به وينهاه عنه فهذا هومعنى قوله فقمت بالأمر حين فشلوا أى قمت بإنكار المنكر حين فشل أصحاب محمدص عنه والفشل الخور والجبن . قال ونطقت حين تعتعوا يقال تعتع فلان إذاتردد فى كلامه من عى أوحصر قوله وتطلعت حين تقبعوا امرأة طلعة قبعة تطلع ثم تقبع رأسها أى تدخله كمايقبع القنفذ يدخل برأسه فى جلده و قدتقبع الرجل أى اختبأ وضده تطلع . قوله وكنت أخفضهم صوتا وأعلاهم فوتا يقول علوتهم وفتهم وشأوتهم سبقا و أنا مع ذلك خافض الصوت يشير إلى التواضع ونفى التكبر. و قوله فطرت بعنانها واستبددت برهانها يقول سبقتهم و هذاالكلام استعارة من مسابقة خيل الحلبة واستبددت بالرهان أى انفردت بالخطر ألذى وقع التراهن عليه .الفصل الثانى فيه ذكر حاله ع فى الخلافة بعدعثمان يقول كنت لماوليت الأمر كالجبل لاتحركه القواصف يعنى الرياح الشديدة ومثله العواصف . والمهمز موضع الهمز و هوالعيب وكذاك المغمز. [صفحه ۲۸۶] ثم قال الذليل عندى عزيز حتى آخذ الحق له والقوى عندى ضعيف حتى آخذ الحق منه هذاآخر الفصل الثانى يقول الذليل المظلوم أقوم بإعزازه ونصره وأقوى يده إلى أن آخذ الحق له ثم يعود بعد ذلك إلى الحالة التى كان عليها قبل أن أقوم بإعزازه ونصره والقوى الظالم أستضعفه وأقهره وأذله إلى أن آخذ الحق منه ثم يعود إلى الحالة التى كان عليها قبل أن أهتضمه لاستيفاء الحق .الفصل الثالث من قوله رضينا عن الله قضاءه إلى قوله فلاأكون أول من كذب عليه هذاكلام قاله ع لماتفرس فى قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبى ص من أخبار الملاحم والغائبات و قد كان شك منهم جماعة فى أقواله ومنهم من واجهه بالشك والتهمة

روى ابن هلال الثقفى فى كتاب الغارات عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل عن محمد بن على قال لما قال على ع سلونى قبل أن تفقدونى فو الله لاتسألوننى عن فئة تضل مائة وتهدى مائة إلاأنبأتكم بناعقتها وسائقتها قام إليه رجل فقال أخبرنى بما فى رأسى ولحيتى من طاقة شعر فقال له على ع و الله لقد حدثنى خليلى أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك و أن على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا يغويك و أن فى بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله ص و كان ابنه قاتل الحسين ع يومئذ طفلا يحبو و هوسنان بن أنس النخعى -روايت-١-٢-روايت-١٠٠-٥٣١ وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالى عن سويد بن غفلة أن عليا ع خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال يا أمير المؤمنين إنى مررت بوادى -روايت-١-٢-روايت-٦٠-ادامه دارد [صفحه ٢٨٧] القرى فوجدت خالد بن عرفطة قدمات فاستغفر له فقال ع و الله مامات و لايموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمار فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال يا أمير المؤمنين أناحبيب بن حمار وإنى لك شيعة ومحب فقال أنت حبيب بن حمار قال نعم فقال له ثانية و الله إنك لحبيب بن حمار فقال إى و الله قال أما و الله إنك لحاملها ولتحملنها ولتدخلن بها من هذاالباب وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة -روايت-از قبل-٤١٤ قال ثابت فو الله مامت حتى رأيت ابن زياد و قدبعث عمر بن سعد إلى الحسين بن على ع وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل . وروى محمد بن إسماعيل بن عمرو البجلى قال أخبرنا عمرو بن موسى الوجيهى عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث قال قال على ع على المنبر ماأحد جرت عليه المواسى إلا و قدأنزل الله فيه قرآنا فقام إليه رجل من مبغضيه فقال له فما أنزل الله تعالى فيك فقام الناس إليه يضربونه فقال دعوه أتقرأ سورة هود قال نعم قال فقرأ ع أَ فَمَن كانَ عَلي بَيّنَةٍ مِن رَبّهِ وَ يَتلُوهُ شاهِدٌ مِنهُ ثم قال ألذى كان على بينة من ربه محمدص والشاهد ألذى يتلوه أنا -روايت-١-٢-روايت-١٢٦-٤٧٦ وروى عثمان بن سعيد عن عبد الله بن بكير عن حكيم بن جبير قال خطب على ع فقال فى أثناء خطبته أنا عبد الله وأخو رسوله لايقولها أحد قبلى و لابعدى إلاكذب ورثت نبى الرحمة ونكحت سيدة نساء هذه الأمة و أناخاتم الوصيين -روايت-١-٢-روايت-٦٨-٢٣١ [صفحه ٢٨٨] فقال رجل من عبس و من لايحسن أن يقول مثل هذافلم يرجع إلى أهله حتى جن وصرع فسألوهم هل رأيتم به عرضا قبل هذاقالوا مارأينا به قبل هذاعرضا. وروى محمد بن جبلة الخياط عن عكرمة عن يزيد الأحمسى أن عليا ع كان جالسا فى مسجد الكوفة و بين يديه قوم منهم عمرو بن حريث إذ أقبلت امرأة مختمرة لاتعرف فوقفت فقالت لعلى ع يا من قتل الرجال وسفك الدماء وأيتم الصبيان وأرمل النساء فقال ع وإنها لهى هذه السلقلقة الجلعة المجعة وإنها لهى هذه شبيهة الرجال والنساء التى مارأت دما قط قال فولت هاربة منكسة رأسها فتبعها عمرو بن حريث فلما صارت بالرحبة قال لها و الله لقد سررت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل فادخلى منزلى حتى أهب لك وأكسوك فلما دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها فبكت وسألته ألا يكشفها وقالت أنا و الله كما قال لى ركب النساء وأنثيان كأنثى الرجال و مارأيت دما قط فتركها وأخرجها ثم جاء إلى على ع فأخبره فقال إن خليلى رسول الله ص أخبرنى بالمتمردين على من الرجال والمتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة -روايت-١-٢-روايت-٥٥-٨٦٠ قلت السلقلقة السليطة وأصله من السلق و هوالذئب والسلقة الذئبة والجلعة المجعة البذيئة اللسان والركب منبت العانة. وروى عثمان بن سعيد عن شريك بن عبد الله قال لمابلغ عليا ع أن الناس يتهمونه فيما يذكره من تقديم النبى ص وتفضيله إياه على الناس قال أنشد الله من بقى ممن لقى رسول الله ص وسمع مقاله فى يوم غدير خم إلاقام -روايت-١-٢-روايت-٥٢-ادامه دارد [صفحه ٢٨٩] فشهد بما سمع فقام ستة ممن عن يمينه من أصحاب رسول الله ص وستة ممن على شماله من الصحابة أيضا فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ص يقول

ذلک الیوم و هورافع بیدی علی ع من کنت مولاه فهذا علی مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه -روایت-از قبل-۳۰۹ وروی عثمان بن سعید عن یحیی التیمی عن الأعمش عن إسماعیل بن رجاء قال قام أعشی همدان و هوغلام یومئذ حدث إلی علی ع و هویخطب ویذکر الملاحم فقال یا أمیر المؤمنین ماأشبه هذاالحدیث بحدیث خرافة فقال علی ع إن کنت آثما فیما قلت یاغلام فرماک الله بغلام ثقیف ثم سکت فقام رجال فقالوا و من غلام ثقیف یا أمیر المؤمنین قال غلام یملک بلدتکم هذه لایترک لله حرمة إلاانتهکها یضرب عنق هذاالغلام بسیفه فقالوا کم یملک یا أمیر المؤمنین قال عشرین إن بلغها قالوا فیقتل قتلا أم یموت موتا قال بل یموت حتف أنفه بداء البطن یثقب سریره لکثرة مایخرج من جوفه -روایت-۱-۲-روایت-۷۷-۵۹۰ . قال إسماعیل بن رجاء فو الله لقد رأیت بعینی أعشی باهلة و قدأحضر فی جملة الأسری الذین أسروا من جیش عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث بین یدی الحجاج فقرعه ووبخه واستنشده شعره ألذی یحرض فیه عبدالرحمن علی الحرب ثم ضرب عنقه فی ذلک المجلس . وروی محمد بن علی الصواف عن الحسین بن سفیان عن أبیه عن شمیر بن سدیر الأزدی قال قال علی ع لعمرو بن الحمق الخزاعی أین نزلت یاعمرو قال -روایت-۱-۲-روایت-۹۱-ادامه دارد [صفحه ۲۹۰] فی قومی قال لاتنزلن فیهم قال فأنزل فی بنی کنانة جیراننا قال لا قال فأنزل فی ثقیف قال فما تصنع بالمعرة والمجرة قال و ماهما قال عنقان من نار یخرجان من ظهر الکوفة یأتی أحدهما علی تمیم وبکر بن وائل فقلما یفلت منه أحد ویأتی العنق الآخر فیأخذ علی الجانب الآخر من الکوفة فقل من یصیب منهم إنما یدخل الدار فیحرق البیت والبیتین قال فأین أنزل قال انزل فی بنی عمرو بن عامر من الأزد قال فقال قوم حضروا هذاالکلام مانراه إلاکاهنا یتحدث بحدیث الکهنة فقال یاعمرو إنک المقتول بعدی و إن رأسک لمنقول و هوأول رأس ینقل فی الإسلام والویل لقاتلک أماإنک لاتنزل بقوم إلاأسلموک برمتک إلا هذاالحی من بنی عمرو بن عامر من الأزد فإنهم لن یسلموک ولن یخذلوک -روایت-از قبل-۶۸۹ قال فو الله مامضت إلاأیام حتی تنقل عمرو بن الحمق فی خلافة معاویة فی بعض أحیاء العرب خائفا مذعورا حتی نزل فی قومه من بنی خزاعة فأسلموه فقتل وحمل رأسه من العراق إلی معاویة بالشام و هوأول رأس حمل فی الإسلام من بلد إلی بلد. وروی ابراهیم بن میمون الأزدی عن حبة العرنی قال کان جویریة بن مسهر العبدی صالحا و کان لعلی بن أبی طالب صدیقا و کان علی یحبه ونظر یوما إلیه و هویسیر فناداه یاجویریة الحق بی فإنی إذارأیتک هویتک -روایت-۱-۲-روایت-۵۶-۲۱۴ قال إسماعیل بن أبان فحدثنی الصباح عن مسلم عن حبة العرنی قال سرنا مع علی ع یوما فالتفت فإذاجویریة خلفه بعیدا فناداه یاجویریة الحق بی لا أبا لک أ لاتعلم أنی أهواک وأحبک قال فرکض نحوه فقال له إنی محدثک بأمور فاحفظها ثم اشترکا فی الحدیث سرا فقال له جویریة یا أمیر المؤمنین إنی رجل نسی فقال له إنی أعید علیک -روایت-۱-۲-روایت-۷۰-ادامه دارد [صفحه ۲۹۱] الحدیث لتحفظه ثم قال له فی آخر ماحدثه إیاه یاجویریة أحبب حبیبنا ماأحبنا فإذاأبغضنا فأبغضه وأبغض بغیضنا ماأبغضنا فإذاأحبنا فأحبه قال فکان ناس ممن یشک فی أمر علی ع یقولون أتراه جعل جویریة وصیه کمایدعی هو من وصیة رسول الله ص قال یقولون ذلک لشدة اختصاصه له حتی دخل علی علی ع یوما و هومضطجع وعنده قوم من أصحابه فناداه جویریة أیها النائم استیقظ فلتضربن علی رأسک ضربة تخضب منها لحیتک قال فتبسم أمیر المؤمنین ع قال وأحدثک یاجویریة بأمرک أما و ألذی نفسی بیده لتعتلن إلی العتل الزنیم فلیقطعن یدک ورجلک ولیصلبنک تحت جذع کافر -روایت-از قبل-۵۷۴ قال فو الله مامضت إلاأیام علی ذلک حتی أخذ زیاد جویریة فقطع یده ورجله وصلبه إلی جانب جذع ابن مکعبر و کان جذعا طویلا فصلبه علی جذع قصیر إلی جانبه وروی ابراهیم فی کتاب الغارات عن أحمد بن الحسن المیثمی قال کان میثم التمار مولی علی بن أبی طالب ع عبدا لامرأة من بنی أسد فاشتراه علی ع منها وأعتقه و قال له مااسمک فقال سالم فقال إن رسول الله ص أخبرنی أن اسمک ألذی سماک به أبوک فی العجم میثم فقال صدق الله ورسوله وصدقت یا أمیر المؤمنین فهو و الله اسمی قال فارجع إلی

اسمک ودع سالما فنحن نکنیک به فکناه أباسالم قال و قد کان قدأطلعه علی ع علی علم کثیر وأسرار خفیة من أسرار الوصیة فکان میثم یحدث ببعض ذلک فیشک فیه قوم من أهل الکوفة وینسبون علیا ع فی ذلک إلی المخرقة والإیهام والتدلیس حتی قال له یوما بمحضر من خلق کثیر من أصحابه وفیهم الشاک والمخلص یامیثم -روایت-۱-۲-روایت-۶۹-ادامه دارد [صفحه ۲۹۲] إنک تؤخذ بعدی وتصلب فإذا کان الیوم الثانی ابتدر منخراک وفمک دما حتی تخضب لحیتک فإذا کان الیوم الثالث طعنت بحربة یقضی علیک فانتظر ذلک والموضع ألذی تصلب فیه علی باب دار عمرو بن حریث إنک لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة یعنی الأرض ولأرینک النخلة التی تصلب علی جذعها -روایت-از قبل-۳۰۷ ثم أراه إیاها بعد ذلک بیومین و کان میثم یأتیها فیصلی عندها و یقول بورکت من نخلة لک خلقت و لی نبت فلم یزل یتعاهدها بعدقتل علی ع حتی قطعت فکان یرصد جذعها ویتعاهده ویتردد إلیه ویبصره و کان یلقی عمرو بن حریث فیقول له إنی مجاورک فأحسن جواری فلایعلم عمرو مایرید فیقول له أترید أن تشتری دار ابن مسعود أم دار ابن حکیم . قال وحج فی السنة التی قتل فیهافدخل علی أم سلمة رضی الله عنها فقالت له من أنت قال عراقی فاستنسبته فذکر لها أنه مولی علی بن أبی طالب فقالت أنت هیثم قال بل أنامیثم فقالت سبحان الله و الله لربما سمعت رسول الله ص یوصی بک علیا فی جوف اللیل فسألها عن الحسین بن علی فقالت هو فی حائط له قال أخبریه أنی قدأحببت السلام علیه ونحن ملتقون عندرب العالمین إن شاء الله و لاأقدر الیوم علی لقائه وأرید الرجوع فدعت بطیب فطیبت لحیته فقال لها أماإنها ستخضب بدم فقالت من أنبأک هذا قال أنبأنی سیدی فبکت أم سلمة وقالت له إنه لیس بسیدک وحدک هوسیدی وسید المسلمین ثم ودعته . [صفحه ۲۹۳] فقدم الکوفة فأخذ وأدخل علی عبید الله بن زیاد وقیل له هذا کان من آثر الناس عند أبی تراب قال ویحکم هذاالأعجمی قالوا نعم فقال له عبید الله أین ربک قال بالمرصاد قال قدبلغنی اختصاص أبی تراب لک قال قد کان بعض ذلک فما ترید قال وإنه لیقال إنه قدأخبرک بما سیلقاک قال نعم إنه أخبرنی قال ما ألذی أخبرک أنی صانع بک قال أخبرنی أنک تصلبنی عاشر عشرة و أناأقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة قال لأخالفنه قال ویحک کیف تخالفه إنما أخبر عن رسول الله ص وأخبر رسول الله عن جبرائیل وأخبر جبرائیل عن الله فکیف تخالف هؤلاء أما و الله لقد عرفت الموضع ألذی أصلب فیه أین هو من الکوفة وإنی لأول خلق الله ألجم فی الإسلام بلجام کمایلجم الخیل فحبسه وحبس معه المختار بن أبی عبیدة الثقفی فقال میثم للمختار وهما فی حبس ابن زیاد إنک تفلت وتخرج ثائرا بدم الحسین ع فتقتل هذاالجبار ألذی نحن فی سجنه وتطأ بقدمک هذه علی جبهته وخدیه فلما دعا عبید الله بن زیاد بالمختار لیقتله طلع البرید بکتاب یزید بن معاویة إلی عبید الله بن زیاد یأمره بتخلیة سبیله وذاک أن أخته کانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فسألت بعلها أن یشفع فیه إلی یزید فشفع فأمضی شفاعته وکتب بتخلیة سبیل المختار علی البرید فوافی البرید و قدأخرج لیضرب عنقه فأطلق و أمامیثم فأخرج بعده لیصلب و قال عبید الله لأمضین حکم أبی تراب فیه فلقیه رجل فقال له ما کان أغناک عن هذا یامیثم فتبسم و قال لها خلقت و لی غذیت فلما رفع علی الخشبة اجتمع الناس حوله علی باب عمرو بن حریث فقال عمرو لقد کان یقول لی إنی مجاورک فکان یأمر جاریته کل عشیة أن تکنس تحت خشبته وترشه وتجمر بالمجمر تحته فجعل میثم یحدث بفضائل بنی هاشم ومخازی [صفحه ۲۹۴] بنی أمیة و هومصلوب علی الخشبة فقیل لابن زیاد قدفضحکم هذاالعبد فقال ألجموه فألجم فکان أول خلق الله ألجم فی الإسلام فلما کان فی الیوم الثانی فاضت منخراه وفمه دما فلما کان فی الیوم الثالث طعن بحربة فمات . و کان قتل میثم قبل قدوم الحسین ع العراق بعشرة أیام . قال ابراهیم وحدثنی ابراهیم بن العباس النهدی حدثنی مبارک البجلی عن أبی بکر بن عیاش قال حدثنی المجالد عن الشعبی عن زیاد بن النضر الحارثی قال کنت عندزیاد و قدأتی برشید الهجری و کان من خواص أصحاب علی ع فقال له زیاد ما قال خلیلک لک إنا فاعلون بک قال تقطعون یدی ورجلی وتصلبوننی فقال زیاد أما و الله لأکذبن حدیثه خلوا سبیله فلما أراد أن یخرج قال ردوه

لانجد شيئا أصلح مما قال لک صاحبک إنک لاتزال تبغی لنا سوءا إن بقيت اقطعوا يديه ورجليه فقطعوا يديه ورجليه و هويتكلم فقال أصلبوه خنقا فی عنقه فقال رشيد قدبقی لی عندكم شیء ماأراكم فعلتموه فقال زياد اقطعوا لسانه فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال نفسوا عنی أتكلم كلمة واحدة فنفسوا عنه فقال هذا و الله تصديق خبر أمير المؤمنين أخبرنی بقطع لسانی فقطعوا لسانه وصلبوه . وروی أبوداود الطيالسی عن سليمان بن رزيق عن عبدالعزيز بن صهيب قال حدثنی أبوالعالية قال حدثنی مزرع صاحب علی بن أبی طالب ع أنه قال ليقبلن جيش حتی إذا كان بالبيداء خسف بهم قال أبوالعالية فقلت له إنک لتحدثنی بالغيب فقال احفظ ماأقوله لک فإنما حدثنی به الثقة علی بن أبی طالب وحدثنی أيضا شيئا آخر ليؤخذن رجل فليقتلن وليصلبن بين شرفتين من شرف المسجد فقلت له إنک لتحدثنی بالغيب فقال احفظ ماأقول لک قال أبوالعالية فو الله ماأتت [صفحه ۲۹۵] علينا جمعة حتی أخذ مزرع فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد. قلت حديث الخسف بالجيش قدخرجه البخاری ومسلم فی الصحيحين عن أم سلمة رضی الله عنها قالت سمعت رسول الله ص يقول يعوذ قوم بالبيت حتی إذاكانوا بالبيداء خسف بهم فقلت يا رسول الله لعل فيهم المكره أوالكاره فقال يخسف بهم ولكن يحشرون أو قال يبعثون علی نياتهم يوم القيامة قال فسئل أبو جعفر محمد بن علی أهی بيداء من الأرض فقال كلا و الله إنها بيداء المدينة -روايت-۱-۲-روايت-۶۳-۳۲۲ أخرج البخاری بعضه وأخرج مسلم الباقی. وروی محمد بن موسی العنزی قال كان مالک بن ضمرة الرؤاسی من أصحاب علی ع وممن استبطن من جهته علما كثيرا و كان أيضا قدصحب أباذر فأخذ من علمه و كان يقول فی أيام بنی أمية أللهم لاتجعلنی أشقی الثلاثة فيقال له و ماالثلاثة فيقول رجل يرمی من فوق طمار و رجل تقطع يداه ورجلاه ولسانه ويصلب و رجل يموت علی فراشه فكان من الناس من يهزأ به و يقول هذا من أكاذيب أبی تراب . قال و كان ألذی رمی به من طمار هانئ بن عروة و ألذی قطع وصلب رشيد الهجری ومات مالک علی فراشه .الفصل الرابع و هو من قوله فنظرت فی أمری إلی آخر الكلام هذه كلمات [صفحه ۲۹۶] مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعدوفاة رسول الله ص و أنه كان معهودا إليه ألا ينازع فی الأمر و لايثير فتنة بل يطلبه بالرفق فإن حصل له و إلاأمسک .هكذا كان يقول ع و قوله الحق وتأويل هذه الكلمات فنظرت فإذاطاعتی لرسول الله ص أی وجوب طاعتی فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه قدسبقت بيعتی للقوم أی وجوب طاعة رسول الله ص علی ووجوب امتثالی أمره سابق علی بيعتی للقوم فلاسبيل لی إلی الامتناع من البيعة لأنه ص أمرنی بها. و إذاالميثاق فی عنقی لغيری أی رسول الله ص أخذ علی الميثاق بترک الشقاق والمنازعة فلم يحل لی أن أتعدی أمره أوأخالف نهيه . فإن قيل فهذا تصريح بمذهب الإمامية قيل ليس الأمر كذلک بل هذاتصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحق بالإمامة و أنه لو لا مايعلمه الله ورسوله من أن الأصلح للمكلفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكا فرسول الله ص أخبره أن الإمامة حقه و أنه أولی بها من الناس أجمعين وأعلمه أن فی تقديم غيره وصبره علی التأخر عنها مصلحة للدين راجعة إلی المكلفين و أنه يجب عليه أن يمسک عن طلبها ويغضی عنها لمن هودون مرتبته فامتثل ماأمره به رسول الله ص و لم يخرجه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولی والأحق و قدصرح شيخنا أبوالقاسم البلخی رحمه الله تعالی بهذا وصرح به تلامذته وقالوا لونازع عقيب وفاة رسول الله ص وسل سيفه لحكمنا بهلاک كل [صفحه ۲۹۷] من خالفه وتقدم عليه كماحكمنا بهلاک من نازعه حين أظهر نفسه ولكنه مالک الأمر وصاحب الخلافة إذاطلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها و إذاأمسک عنها وجب علينا القول بعدالة من أغضی له عليها وحكمه فی ذلک حكم رسول الله ص لأنه قدثبت عنه فی الأخبار الصحيحة أنه قال علی مع الحق والحق مع علی يدور حيثما دار -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۷۷ و قال له غيرمرة حربک حربی وسلمک سلمی -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۴۶ . و هذاالمذهب هوأعدل المذاهب عندی و به أقول [صفحه ۲۹۸]

۳۸- و من خطبة له ع

وَ إِنّمَا سُمّيَتِ الشّبهَةُ شُبهَةً لِأَنّهَا تُشبِهُ الحَقّ فَأَمّا أَولِيَاءُ اللّهِ فَضِيَاؤُهُم فِيهَا اليَقِينُ وَ دَلِيلُهُم سَمتُ الهُدَى وَ أَمّا أَعدَاءُ اللّهِ فَدُعَاؤُهُم فِيهَا الضّلَالُ وَ دَلِيلُهُمُ العَمَى فَمَا يَنجُو مِنَ المَوتِ مَن خَافَهُ وَ لَا يُعطَى البَقَاءَ مَن أَحَبّهُ هذان فصلان أحدهما غيرملتئم مع الآخر بل مبتور عنه وإنما الرضى رحمه الله تعالى كان يلتقط الكلام التقاطا ومراده أن يأتى بفصيح كلامه ع و مايجرى مجرى الخطابة والكتابة فلهذا يقع فى الفصل الواحد الكلام ألذى لايناسب بعضه بعضا و قد قال الرضى ذلك فى خطبة الكتاب . أماالفصل الأول فهو الكلام فى الشبهة و لماذا سميت شبهة قال ع لأنها تشبه الحق و هذا هومحض مايقوله المتكلمون ولهذا يسمون مايحتج به أهل الحق دليلا ـ ويسمون مايحتج به أهل الباطل شبهة. قال فأما أولياء الله فضياؤهم فى حل الشبهة اليقين ودليلهم سمت الهدى و هذاحق لأن من اعتبر مقدمات الشبهة وراعى الأمور اليقينية وطلب المقدمات المعلومة قطعا انحلت الشبهة وظهر له فسادها من أين هو ثم قال و أماأعداء الله فدعاؤهم [صفحه ۲۹۹] الضلال ودليلهم العمى و هذاحق لأن المبطل ينظر فى الشبهة لانظر من راعى الأمور اليقينية ويحلل المقدمات إلى القضايا المعلومة بل يغلب عليه حب المذهب وعصبية أسلافه وإيثار نصره من قدألزم بنصرته فذاك هوالعمى والضلال اللذان أشار أمير المؤمنين إليهما فلاتنحل الشبهة له وتزداد عقيدته فسادا و قدذكرنا فى كتبنا الكلامية الكلام فى توليد النظر للعلم و أنه لايولد الجهل .الفصل الثانى قوله فما ينجو من الموت من خافه و لا ـيعطى البقاء من أحبه هذاكلام أجنبى عما تقدم و هومأخوذ من قوله تعالى قُل لَو كُنتُم فِي بُيُوتِكُم لَبَرَزَ الّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ القَتلُ إِلى مَضاجِعِهِم و قوله أَينَما تَكُونُوا يُدرِككُمُ المَوتُ و قوله فَإِذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَستَقدِمُونَ -قرآن-۵۱۱-۵۹۹-قرآن-۶۰۸-۶۴۳-قرآن-۶۵۲-۷۱۶ [صفحه ۳۰۰]

۳۹- و من خطبة له ع

اشاره

مُنِيتُ بِمَن لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرتُ وَ لَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوتُ لَا أَبَا لَكُم مَا تَنتَظِرُونَ بِنَصرِكُم رَبّكُم أَ مَا دِينٌ يَجمَعُكُم وَ لَا حَمِيّةَ تُحمِشُكُم أَقُومُ فِيكُم مُستَصرِخاً وَ أُنَادِيكُم مُتَغَوّثاً فَلَا تَسمَعُونَ لِي قَولًا وَ لَا تُطِيعُونَ لِي أَمراً حَتّى تَكشِفَ الأُمُورُ عَن عَوَاقِبِ المَسَاءَةِ فَمَا يُدرَكُ بِكُم ثَأرٌ وَ لَا يُبلَغُ بِكُم مَرَامٌ دَعَوتُكُم إِلَى نَصرِ إِخوَانِكُم فَجَرجَرتُم جَرجَرَةَ الجَمَلِ الأَسَرّ وَ تَثَاقَلتُم تَثَاقُلَ النّضوِ الأَدبَرِ ثُمّ خَرَجَ إِلَيّ مِنكُم جُنَيدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوتِ وَ هُم يَنظُرُونَ قال الرضى رحمه الله قوله ع متذائب أى مضطرب من قولهم تذاءبت الريح أى اضطرب هبوبها و منه سمى الذئب ذئبا لاضطراب مشيته -روايت-۱-۱۳۲ منيت أى بليت وتحمشكم تغضبكم أحمشه أى أغضبه والمستصرخ المستنصر والمتغوث القائل وا غوثاه . [صفحه ۳۰۱] والجرجرة صوت يردده البعير فى حنجرته وأكثر ما يكون ذلك عندالإعياء والتعب والجمل الأسر ألذى بكركرته دبرة والنضو البعير المهزول والأدبر ألذى به دبر و هوالمعقور من القتب وغيره . هذاالكلام خطب به أمير المؤمنين ع فى غارة النعمان بن بشير الأنصارى على عين التمر

أمر النعمان بن بشير مع على ومالك بن كعب الأرحبى

ذكر صاحب الغارات أن النعمان بن بشير قدم هو و أبوهريرة على على ع من عندمعاوية بعد أبى مسلم الخولانى يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان لعل الحرب أن تطفأ ويصطلح الناس وإنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان و أبى هريرة من عند على ع إلى الناس وهم لمعاوية عاذرون ولعلى لائمون و قدعلم معاوية أن عليا لايدفع قتلة عثمان إليه فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك و أن يظهر عذره فقال لهما ائتيا عليا فانشداه الله وسلاه بالله لمادفع إلينا قتلة عثمان فإنه قدآواهم ومنعهم ثم لاحرب بيننا وبينه فإن أبى فكونوا شهداء الله عليه . وأقبلا على الناس فأعلماهم ذلك فأتيا إلى على ع فدخلا عليه فقال له أبوهريرة يا أباحسن إن الله قدجعل لك فى الإسلام فضلا وشرفا أنت ابن عم محمد رسول الله ص و قدبعثنا إليك ابن عمك معاوية يسألك أمرا تسكن به هذه [صفحه ٣٠٢] الحرب ويصلح الله تعالى ذات البين أن تدفع إليه قتلة عثمان ابن عمه فيقتلهم به ويجمع الله تعالى أمرك وأمره ويصلح بينكم وتسلم هذه الأمة من الفتنة والفرقة ثم تكلم النعمان بنحو من ذلك .

فقال لهما دعا الكلام فى هذاحدثنى عنك يانعمان أنت أهدى قومك سبيلا يعنى الأنصار قال لا قال فكل قومك قداتبعنى إلاشذاذا منهم ثلاثة أوأربعة أفتكون أنت من الشذاذ فقال النعمان أصلحك الله إنما جئت لأكون معك وألزمك و قد كان معاوية سألنى أن أؤدى هذاالكلام ورجوت أن يكون لى موقف اجتمع فيه معك وطمعت أن يجرى الله تعالى بينكما صلحا فإذا كان غير ذلك رأيك فأنا ملازمك وكائن معك .فأما أبوهريرة فلحق بالشام وأقام النعمان عند على ع فأخبر أبوهريرة معاوية بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل وأقام النعمان بعده شهرا ثم خرج فارا من على ع حتى إذامر بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبى و كان عامل على ع عليها فأراد حبسه و قال له مامر بك بيننا قال إنما أنا رسول بلغت رسالة صاحبى ثم انصرفت فحبسه و قال كما أنت حتى أكتب إلى على فيك فناشده وعظم عليه أن يكتب إلى على فيه فأرسل النعمان إلى قرظة بن كعب الأنصارى و هوكاتب عين التمر يجبى خراجها لعلى ع فجاءه مسرعا فقال لمالك بن كعب خل سبيل ابن عمى يرحمك الله فقال ياقرظة اتق الله و لاتتكلم فى هذافإنه لو كان من عباد الأنصار ونساكهم لم يهرب من أمير المؤمنين إلى أميرالمنافقين .فلم يزل به يقسم عليه حتى خلى سبيله و قال له يا هذا لك الأمان اليوم والليلة [صفحه ٣٠٣] وغدا و الله إن أدركتك بعدها لأضربن عنقك فخرج مسرعا لايلوى على شىء وذهبت به راحلته فلم يدر أين يتسكع من الأرض ثلاثة أيام لايعلم أين هوفكان النعمان يحدث بعد ذلك يقول و الله ماعلمت أين أنا حتى سمعت قول قائلة تقول وهى تطحن شربت مع الجوزاء كأسا روية || وأخرى مع الشعرى إذا مااستقلت معتقة كانت قريش تصونها || فلما استحلوا قتل عثمان حلت .فعلمت أنى عندحى من أصحاب معاوية و إذاالماء لبنى القين فعلمت أنى قدانتهيت إلى الماء. ثم قدم على معاوية فخبره بما لقى و لم يزل معه مصاحبا لم يجاهد عليا ويتتبع قتلة عثمان حتى غزا الضحاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف إلى معاوية و قد كان معاوية قال قبل ذلك بشهرين أوثلاثة أ ما من رجل أبعث به بجريدة خيل حتى يغير على شاطئ الفرات فإن الله يرعب بها أهل العراق فقال له النعمان فابعثنى فإن لى فى قتالهم نية وهوى و كان النعمان عثمانيا قال فانتدب على اسم الله فانتدب وندب معه ألفى رجل وأوصاه أن يتجنب المدن والجماعات وألا يغير إلا على مصلحة و أن يعجل الرجوع .فأقبل النعمان بن بشير حتى دنا من عين التمر و بهامالك بن كعب الأرحبى ألذى جرى له معه ماجرى و مع مالك ألف رجل و قدأذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلامائة أونحوها فكتب مالك إلى على ع أما بعد فإن النعمان بن بشير قدنزل بى فى جمع كثيف فرأيك سددك الله تعالى وثبتك و السلام .

فوصل الكتاب إلى على ع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٣٠٤] اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم فإن النعمان بن بشير قدنزل به فى جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفا -روايت-از قبل-١٧۴ ثم نزل .فلم يخرجوا فأرسل إلى وجوههم وكبرائهم فأمرهم أن ينهضوا ويحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئا واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس أودونها فقام ع فقال ألا إنى منيت بمن

لا-يطيع الفصل ألـذى شـرحناه إلى آخره ثم نزل .فـدخل منزله فقام عـدى بن حاتم فقال هـذا و الله الخـذلان على هـذابايعنا أمير المؤمنين ثم دخـل إليه فقال يا أمير المؤمنين إن معى من طيئ ألف رجل لايعصوننى فإن شـئت أن أسير بهم سـرت قال ماكنت لأعرض قبيلـة واحدة من قبائل العرب للناس ولكن اخرج إلى النخيلة فعسكر بهم وفرض على ع لكل رجل سـبعمائة فاجتمع إليه ألف فـارس عـدا طيئا أصـحاب عـدى بن حاتم . وورد على على ع الخبر بهزيمـة النعمان بن بشـير ونصـرة مالك بن كعب فقرأ الكتـاب على أهـل الكوفة وحمـد الله وأثنى عليه ثم نظر إليهم و قـال هذابحمـد الله وذم أكـثركم .فأمـا خبر مالـك بن كعب مع النعمان بن بشير قال عبد الله بن حوزة الأزدى قال كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النعمان بن بشير و هو فى ألفين و مانحن إلامائـة فقال لنا قاتلوهم فى القرية واجعلوا الجدر فى ظهوركم و لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة واعلموا أن الله تعالى ينصـر العشـرة على المائـة والمائـة على الألف والقليل على الكثير ثم قال إن أقرب من هاهنا إلينا من شـيعة أمير المؤمنين وأنصاره وعماله قرظة بن كعب [صفحه ۳۰۵] ومخنف بن سليم فاركض إليهما فأعلمهما حالنا وقل لهما فلينصرانا مااستطاعا فأقبلت أركض و قدتركته وأصـحابه يرمون أصـحاب ابن بشـير بالنبـل فمررت بقرظـة فاستصـرخته فقـال إنمـا أناصـاحب خراج و ليس عنـدى من أعينه به فمضـيت إلى مخنف بن سـليم فأخبرته الخبر فسرح معى عبدالرحمن بن مخنف فى خمسين رجلا وقاتل مالك بن كعب النعمان وأصحابه إلى العصر فأتيناه و قدكسر هو وأصحابه جفون سيوفهم واستقبلوا الموت فلو أبطأنا عنهم هلكوا فما هو إلا أن رآنا أهل الشـام و قـدأقبلنا عليهـم فأخـذوا ينكصـون عنهـم ويرتفعـون ورآنـا مالـك وأصــحابه فشـدوا عليهـم حتى دفعوهـم عـن القرية فاستعرضـناهم فصـرعنا منهم رجالا- ثلاثـة وارتفع القوم عنـا وظنوا أن وراءنا مـددا و لوظنوا أنه ليس غيرنا لأقبلوا علينا ولأهلكونا وحال الليل بيننا وبينهم فانصرفوا إلى أرضهم وكتب مالك بن كعب إلى على ع أما بعدفإنه نزل بنا النعمان بن بشير فى جمع من أهل الشام كالظاهر علينا و كان عظم أصـحابى متفرقين وكنا للذى كان منهم آمنين فخرجنا إليهم رجالا مصـلتين فقاتلناهم حتى المسـاء واستصـرخنا مخنف بن سـليم فبعث إلينا رجالا من شـيعة أمير المؤمنين وولـده فنعم الفتى ونعم الأنصار كانوا فحملنا على عـدونا وشـددنا عليهم فأنزل الله علينا نصـره وهزم عدوه وأعز جنده والحمد لله رب العالمين و السـلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . [صـفحه ۳۰۶] وروى محمـد بن فرات الجرمى عن زيـد بن على ع قال قال على ع فى هـذه الخطبـة أيها الناس إنى دعوتكم إلى الحق فتوليتم عنى وضـربتكم بالـدرة فأعييتمونى أماإنه سـيليكم بعـدى ولاة لايرضون عنكم بـذلك حتى يعذبوكم بالسياط وبالحديد فأما أنا فلاأعذبكم بهما إنه من عذب الناس فى الدنيا عذبه الله فى الآخرة وآية ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحـل بين أظهركم فيأخـذ العمـال وعمـال العمـال رجـل يقـال له يوسف بن عمرو ويقوم عنـد ذلـك رجـل منـا أهل البيت فانصـروه فإنه داع إلى الحق –روايت–۱–۲–روايت–۸۳–۴۹۰ . قـال و كان الناس يتحـدثون أن ذلك الرجل هوزيـد ع [صـفحه ۳۰۷]

۴۰– و من كلام له ع للخوارج لماسمع قولهم لاحكم إلالله

اشاره

قَـالَ كَلِمَـةُ حَقّ يُرَادُ بِهَـا بَاطِلٌ نَعَم إِنّهُ لَا حُكمَ إِلّا لِلّهِ وَ لَكِنّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمرَةَ وَ إِنّهُ لَا بُـدّ لِلنّاسِ مِن أَمِيرٍ بَرّ أَو فَاجِرٍ يَعمَلُ فِى إِمرَتِهِ المُؤمِنُ وَ يَستَمتِعُ فِيهَا الكَافِرُ وَ يُبَلّغُ اللّهُ فِيهَا الأَجَلَ وَ يُجمَعُ بِهِ الفَىءُ وَ يُقَاتَلُ بِهِ العَدُوّ وَ تَأمَنُ بِهِ السّبُلُ وَ يُؤخَذُ بِهِ لِلضّعِيفِ مِنَ القَوِىّ حَتّى يَستَرِيـحَ بَرّ وَ يُستَرَاحَ مِن فَـاجِرٍ وَ فِى رِوَايَـةٍ أُخرَى أَنّهُ ع لَمّـا سَـمِعَ تَحكِيمَهُم قَالَ حُكمَ اللّهِ أَنتَظِرُ فِيكُم وَ قَالَ أَمّا

الإِمرَةُ البَرّةُ فَيَعمَلُ فِيهَا التقّيِ وَ أَمّا الإِمرَةُ الفَاجِرَةُ فَيَتَمَتّعُ فِيهَا الشقّيِ إِلَى أَن تَنقَطِعَ مُدّتُهُ وَ تُدرِكَهُ مَنِيّتُهُ

اختلاف الرأى فى القول بوجوب الإمامة

هذانص صريح منه ع بأن الإمامة واجبة و قداختلف الناس فى هذه [صفحه ٣٠٨] المسألة فقال المتكلمون كافة الإمامة واجبة إلا مايحكى عن أبى بكر الأصم من قدماء أصحابنا أنها غيرواجبة إذاتناصفت الأمة و لم تتظالم . و قال المتأخرون من أصحابنا إن هذاالقول منه غيرمخالف لما عليه الأمة لأنه إذا كان لايجوز فى العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال أللهم إلا أن يقول إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس و هذابعيد أن يقوله فأما طريق وجوب الإمامة ماهى فإن مشايخنا البصريين رحمهم الله يقولون طريق وجوبها الشرع و ليس فى العقل مايدل على وجوبها. و قال البغداديون و أبوعثمان الجاحظ من البصريين وشيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى إن العقل يدل على وجوب الرئاسة و هوقول الإمامية إلا أن الوجه ألذى منه يوجب أصحابنا الرئاسة غيرالوجه ألذى توجب الإمامية منه الرئاسة وذاك أن أصحابنا يوجبون الرئاسة على المكلفين من حيث كان فى الرئاسة مصالح دنيوية ودفع مضار دنيوية والإمامية يوجبون الرئاسة على الله تعالى من حيث كان فى الرئاسة لطف و بعدللمكلفين عن مواقعة القبائح العقلية. والظاهر من كلام أمير المؤمنين ع يطابق مايقوله أصحابنا أ لاتراه كيف علل قوله لابد للناس من أمير فقال فى تعليله يجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتؤمن به السبل ويؤخذ للضعيف من القوى و هذه كلها من مصالح الدنيا. فإن قيل ذكرتم أن الناس كافة قالوا بوجوب الإمام فكيف يقول أمير المؤمنين ع عن الخوارج إنهم يقولون لاإمرة.قيل إنهم كانوا فى بدء أمرهم يقولون ذلك ويذهبون إلى أنه لاحاجة إلى الإمام ثم رجعوا عن ذلك القول لماأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى. [صفحه ٣٠٩] فإن قيل فسروا لنا ألفاظ أمير المؤمنين ع قيل إن الألفاظ كلها ترجع إلى إمرة الفاجر. قال يعمل فيهاالمؤمن أى ليست بمانعة للمؤمن من العمل لأنه يمكنه أن يصلى ويصوم ويتصدق و إن كان الأمير فاجرا فى نفسه . ثم قال ويستمتع فيهاالكافر أى يتمتع بمدته كما قال سبحانه للكافرين قُل تَمَتّعُوا فَإِنّ مَصِيرَكُم إِلَى النّارِ. ويبلغ الله فيهاالأجل لأن إمارة الفاجر كإمارة البر فى أن المدة المضروبة فيهاتنتهى إلى الأجل المؤقت للإنسان . ثم قال ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوى و هذاكله يمكن حصوله فى إمارة الفاجر القوى فى نفسه -قرآن-٧٤-١١٩ و قد قال رسول الله ص إن الله ليؤيد هذاالدين بالرجل الفاجر -روايت-١-٢-روايت-٢٨-٦٩ و قداتفقت المعتزلة على أن أمراء بنى أمية كانوا فجارا عدا عثمان وعمر بن عبدالعزيز ويزيد بن الوليد و كان الفيء يجمع بهم والبلاد تفتح فى أيامهم والثغور الإسلامية محصنة محوطة والسبل آمنة والضعيف منصور على القوى الظالم و ماضر فجورهم شيئا فى هذه الأمور ثم قال ع فتكون هذه الأمور حاصلة إلى أن يستريح بر بموته أويستراح من فاجر بموته أوعزله .فأما الرواية الثانية فإنه قدجعل التقى يعمل فيهاللإمرة البرة خاصة. وباقى الكلام غنى عن الشرح [صفحه ٣١٠]

من أخبار الخوارج أيضا

وروى ابراهيم بن الحسن بن ديزيل المحدث فى كتاب صفين عن عبدالرحمن بن زياد عن خالد بن حميد المصرى عن عمر مولى غفرة قال لمارجع على ع من صفين إلى الكوفة أقام الخوارج حتى جموا ثم خرجوا إلى صحراء بالكوفة تسمى حروراء فنادوا لاحكم إلالله و لوكره المشركون ألا إن عليا ومعاوية أشركا فى حكم الله . فأرسل على ع إليهم عبد الله بن عباس فنظر فى

أمرهم وكلمهم ثم رجع إلى على ع فقال له مارأيت فقال ابن عباس و الله ماأدرى ماهم فقال له على ع رأيتهم منافقين قال و الله ماسيماهم بسيما المنافقين إن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون القرآن فقال على ع دعوهم ما لم يسفكوا دما أويغصبوا مالا وأرسل إليهم ما هذا ألذى أحدثتم و ماتريدون قالوا نريد أن نخرج نحن و أنت و من كان معنا بصفين ثلاث ليال ونتوب إلى الله من أمر الحكمين ثم نسير إلى معاوية فنقاتله حتى يحكم الله بيننا وبينه فقال على ع فهلا قلتم هذاحين بعثنا الحكمين وأخذنا منهم العهد وأعطيناهموه أ لاقلتم هذاحينئذ قالوا كنا قدطالت الحرب علينا واشتد البأس وكثر الجراح وخلا الكراع والسلاح فقال لهم أفحين اشتد البأس عليكم عاهدتم فلما وجدتم الجمام قلتم ننقض العهد إن رسول الله كان يفى للمشركين أفتأمرونني بنقضه -روايت-١-٨٣١ .فمكثوا مكانهم لايزال الواحد منهم يرجع إلى على ع و لايزال الآخر [صفحه ٣١١] يخرج من عند على ع فدخل واحد منهم على على ع بالمسجد و الناس حوله فصاح لاحكم إلالله و لوكره المشركون فتلفت الناس فنادى لاحكم إلالله و لوكره المتلفتون فرفع على ع رأسه إليه فقال لاحكم إلالله و لوكره أبوحسن فقال على ع إن أبا الحسن لايكره أن يكون الحكم لله ثم قال حكم الله أنتظر فيكم فقال له الناس هلا ملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء فأفنيتهم فقال إنهم لايفنون إنهم لفى أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة -روايت-١-٢-روايت-١٧-٢٣٣ روى أنس بن عياض المدنى قال حدثنى جعفر بن محمدالصادق ع عن أبيه عن جده أن عليا ع كان يوما يؤم الناس و هويجهر بالقراءة فجهر ابن الكواء من خلفه وَ لَقَد أُوحيَ إِلَيكَ وَ إِلَى الّذِينَ مِن قَبلِكَ لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنّ مِنَ الخاسِرينَ فلما جهر ابن الكواء و هوخلفه بهاسكت على فلما أنهاها ابن الكواء عاد على ع فأتم قراءته فلما شرع على ع فى القراءة أعاد ابن الكواء الجهر بتلك الآية فسكت على فلم يزالا كذلك يسكت هذا ويقرأ ذاك مرارا حتى قرأ على ع فَاصبِر إِنّ وَعدَ اللّهِ حَقّ وَ لا يَستَخِفّنّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَفسكت ابن الكواء وعاد ع إلى قراءته -روايت-١-٢-روايت-٨٢-٦١٤ [صفحه ٣١٢]

٤١- و من خطبة له ع

اشاره

إِنّ الوَفَاءَ تَوأَمُ الصّدقِ وَ لَا أَعلَمُ جُنّةً أَوقَى مِنهُ وَ مَا يَغدِرُ مَن عَلِمَ كَيفَ المَرجِعُ وَ لَقَد أَصبَحنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتّخَذَ أَكثَرُ أَهلِهِ الغَدرَ كَيساً وَ نَسَبَهُم أَهلُ الجَهلِ فِيهِ إِلَى حُسنِ الحِيلَةِ مَا لَهُم قَاتَلَهُمُ اللّهُ قَد يَرَى الحُوّلُ القُلّبُ وَجهَ الحِيلَةِ وَ دُونَهَا مَانِعٌ مِن أَمرِ اللّهِ وَ نَهيِهِ فَيَدَعُهَا رَأيَ عَينٍ بَعدَ القُدرَةِ عَلَيهَا وَ يَنتَهِزُ فُرصَتَهَا مَن لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدّينِ يقال هذاتوأم هذا و هذه توأمته وهما توأمان وإنما جعل الوفاء توأم الصدق لأن الوفاء صدق فى الحقيقة أ لاترى أنه قدعاهد على أمر وصدق فيه و لم يخلف وكأنهما أعم وأخص و كل وفاء صدق و ليس كل صدق وفاء فإن امتنع من حيث الاصطلاح تسمية الوفاء صدقا فلأمر آخر و هو أن الوفاء قد يكون بالفعل دون القول و لا يكون الصدق إلا فى القول لأنه نوع من أنواع الخبر والخبر قول . [صفحه ٣١٣] ثم قال و لاأعلم جنة أى درعا أوقى منه أى أشد وقاية وحفظا لأن الوفى محفوظ من الله مشكور بين الناس . ثم قال و مايغدر من علم كيف المرجع أى من علم الآخرة وطوى عليها عقيدته منعه ذلك أن يغدر لأن الغدر يحبط الإيمان . ثم ذكر أن الناس فى هذاالزمان ينسبون أصحاب الغدر إلى الكيس و هوالفطنة والذكاء فيقولون لمن يخدع ويغدر ولأرباب الجريرة والمكر هؤلاء أذكياء أكياس كماكانوا يقولون فى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وينسبون أرباب ذلك إلى حسن الحيلة وصحة التدبير. ثم قال مالهم قاتلهم الله دعاء عليهم . ثم قال قديرى الحول القلب وجه الحيلة ويمنعه عنها نهى الله تعالى عنها وتحريمه بعد أن قدر عليها

وأمكنه والحول القلب ألـذى قـدتحول وتقلب فى الأمـور وجرب وحنكته الخطوب والحوادث . ثم قال وينتهز فرصـتها أى يبادر إلى افتراصـها ويغتنمها من لاحريجـة له فى الـدين أى ليس بـذى حرج والتحرج التأثم والحريجـة التقوى و هذه كانت سـجيته ع وشـيمته ملـك أهـل الشـام المـاء عليه والشـريعة بصـفين وأرادوا قتله وقتل أهل العراق عطشا فضاربهم على الشـريعة حتى ملكها عليهم وطردهم عنهـا فقـال له أهل العراق اقتلهم بسـيوف العطش وامنعهم الماء وخـذهم قبضا بالأيـدى فقال إن فى حـد السـيف لغنى عن ذلـك وإنى لاأسـتحل منعهم المـاء فأفرج لهم عن الماء فوردوه ثم قاسـمهم الشـريعة شـطرين بينهم وبينه و كان الأشتر يستأذنه أن يبيت معاويـة فيقول -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٣١۴] إن رسـول الله ص نهى أن يـبيت المشـركون -روايت-از قبل-۴۵ وتوارث بنوه ع هذاالخلق الأبى.أراد المضاء أن يبيت عيسى بن موسى فمنعه ابراهيم بن عبد الله . وأرسل لماظهر بالبصرة إلى محمـد بن قحطبـة مولى باهلـة و كان قدولى لأبى جعفرالمنصور بعض أعمال بفارس فقال له هل عندك مال قال لا قال آلله قال آلله قال خلوا سبيله فخرج ابن قحطبـة و هو يقول بالفارسـة ليس هـذا من رجال أبى جعفر و قال لعبد الحميد بن لاحق بلغنى أن عنـدك مالا للظلمة يعنى آل أبى أيوب الموريانى كاتب المنصور فقال مالهم عندى مال قال تقسم بالله قال نعم فقال إن ظهر لهم عنـدك مال لأعدنك كذابا. وأرسل إلى طلحة الغدرى و كان للمنصور عنده مال بلغنا أن عندك مالا فأتنا به فقال أجل إن عنـدى مالا فإن أخـذته منى أغرمنيه أبو جعفرفأضـرب عنه . و كان لغير ابراهيم ع من آل أبى طالب من هـذاالنوع أخبار كثيرة و كان القوم أصـحاب دين ليسوا من الـدنيا بسبيل وإنما يطلبونها ليقيموا عمود الـدين بالإمرة فيهافلم يستقم لهم والـدنيا إلى أهلها أميل [صفحه ٣١۵]

الأخبار والأحاديث والآيات الواردة فى مدح الوفاء وذم الغدر

و من الأخبار النبويـة المرفوعـة فى ذم الغـدر ذمة المسـلمين واحدة فإن جارت عليهم أمة منهم فلاتخفروا جوارها فإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامـة -روايت-١-٢-روايت-۴۶-١۵١ وروى أبوهريرة قـال مر رسول الله ص برجـل يبيع طعامـا فسأله كيف تبيع فأخبره فأمر أباهريرة أن يـدخل فيه يـده فأدخلها فإذا هومبلول فقال رسول الله ص ليس منا من غش -روايت-١-٢-روايت-٢٣-١٧۴ قال بعض الملوك لرسول ورد إليه من ملك آخر أطلعنى على سر صاحبك فقال أيها الملك إنا لانستحسن الغدر وإنه لوحول ثواب الوفاء إليه لما كان فيه عوض من قبحه ولكان سـماجة اسـمه وبشاعة ذكره ناهيين عنه .مالك بن دينار كفى بالمرء خيانـة أن يكون أمينا للخونة.وقع جعفر بن يحيى على ظهر كتاب كتبه على بن عيسـى بن ماهان إلى الرشـيد يسعى فيه بالبرامكة فـدفعه الرشـيد إلى جعفريمن به عليه و قـال أجبه عنه فكتب فى ظـاهره حبب الله إليـك الوفاء ياأخى فقـد أبغضـته وبغض إليك الغـدر فقـد أحببته إنى نظرت إلى الأشـياء حتى أجـد لك فيهامشـبها فلم أجد فرجعت إليك فشـبهتك بك ولقد بلغ من حسـن ظنك بالأيام أن أملت السلامة مع البغى و ليس هذا من عاداتها و السلام . كان العهد فى عيسى بن موسى بن محمد بعدالمنصور بكتاب كتبه السـفاح فلما طالت أيام المنصور سامه أن يخلع نفسه من العهـد ويقدم محمدا المهدى عليه فكتب إليه عيسـى بدت لى أمارات من الغدر شـمتها || أرى مابدا منها سيمطركم دما [صفحه ٣١۶] و مـايعلم العالى متى هبطاته || و إن سار فى ريح الغرور مسلما أبوهريرة يرفعه أللهم إنى أعوذ بك من الجوع فبئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فبئست البطانة -روايت-١-٢-روايت-١٩-١٠٠ و عنـه مرفوعـا المكر والخديعـة والخيانـة فى النـار -روايـت-١-٢-روايت-١۶-۴٩ قـال مروان بـن محمـدلعبد الحميـد الكاتب عندزوال أمره أرى أن تصير إلى هؤلاء فلعلك أن تنفعنى فى مخلفى فقال وكيف لى بعلم الناس جميعا أن هذا عن رأيك إنهم ليقولون كلهم إنى غدرت بك ثم أنشد وغدرى ظاهر لاشك فيه || لمبصره وعذرى بالمغيب فلما ظفر به عبد

الله بن على قطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه . كان يقال لايغدر غادر إلالصغر همته عن الوفاء واتضاع قدره عن احتمال المكاره فى جنب نيل المكارم . من كلام أمير المؤمنين ع الوفاء لأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله تعالى -روايت-١-٢-روايت-٣٠-٩٤ . قلت هذاإنما يريد به إذا كان بينهما عهد ومشارطة فغدر أحد الفريقين وخاس بشرطه فإن للآخر أن يغدر بشرطه أيضا و لايفى به . و من شعر الحماسة واسم الشاعر العارق الطائى [صفحه ٣١٧] من مبلغ عمرو بن هند رسالة || إذااستحقبتها العيس جاءت من البعد أيوعدنى والرمل بينى وبينه || تبين رويدا ماأمامه من هند و من أجأ حولى رعان كأنها || قنابل خيل من كميت و من ورد غدرت بأمر كنت أنت اجتررتنا || إليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد . قال أبوبكر الصديق ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال سبحانه يا أَيّهَا النّاسُ إِنّما بَغيُكُم عَلى أَنفُسِكُم و قال فَمَن نَكَثَ فَإِنّما يَنكُثُ عَلى نَفسِهِ و قال وَ لا يَحِيقُ المَكرُ السّيّئُ إِلّا بِأَهلِهِ -قرآن-٨٢-١٣١-قرآن-١٣٩-١٨٠-قرآن-١٨٨-٢٣٣ [صفحه ٣١٨]

٤٢- و من خطبة له ع

أَيّهَا النّاسُ إِنّ أَخوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ اثنَتَانِ اتّبَاعُ الهَوَى وَ طُولُ الأَمَلِ فَأَمّا اتّبَاعُ الهَوَى فَيَصُدّ عَنِ الحَقّ وَ أَمّا طُولُ الأَمَلِ فيُنُسيِ الآخِرَةَ أَلَا وَ إِنّ الدّنيَا قَد وَلّت حَذّاءَ فَلَم يَبقَ مِنهَا إِلّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصطَبّهَا صَابّهَا أَلَا وَ إِنّ الآخِرَةَ قَد أَقبَلَت وَ لِكُلّ مِنهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الآخِرَةِ وَ لَا تَكُونُوا مِن أَبنَاءِ الدّنيَا فَإِنّ كُلّ وَلَدٍ سَيُلحَقُ بِأُمّهِ يَومَ القِيَامَةِ وَ إِنّ اليَومَ عَمَلٌ وَ لَا حِسَابَ وَ غَداً حِسَابٌ وَ لَا عَمَلَ قال الرضى رحمه الله أقول الحذاء السريعة و من الناس من يرويه جذاء بالجيم والذال أى انقطع درها وخيرها -روايت-١-١١١ الصبابة بقية الماء فى الإناء واصطبها صابها مثل قولك أبقاها مبقيها أوتركها تاركها ونحو ذلك يقول أخوف ماأخافه عليكم اتباع الهوى وطول الأمل أمااتباع الهوى فيصد عن الحق و هذاصحيح لاريب فيه لأن الهوى يعمى البصيرة و قدقيل [صفحه ٣١٩] حبك الشىء يعمى ويصم ولهذا قال بعض الصالحين رحم الله امرأ أهدى إلى عيوبى وذاك لأن الإنسان يحب نفسه و من أحب شيئا عمى عن عيوبه فلايكاد الإنسان يلمح عيب نفسه و قدقيل أرى كل إنسان يرى عيب غيره || ويعمى عن العيب ألذى هو فيه .فلهذا استعان الصالحون على معرفة عيوبهم بأقوال غيرهم علما منهم أن هوى النفس لذاتها يعميها عن أن تدرك عيبها و مازال الهوى مرديا قتالا ولهذا قال سبحانه وَ نَهَى النّفسَ عَنِ الهَوى -قرآن-١٦٣-١٩٠ و قال ص ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه -روايت-١-٢-روايت-١٣-٧٠ . و أنت إذاتأملت هلاك من هلك من المتكلمين كالمجبرة والمرجئة مع ذكائهم وفطنتهم واشتغالهم بالعلوم عرفت أنه لاسبب لهلاكهم إلاهوى الأنفس وحبهم الانتصار للمذهب ألذى قدألفوه و قدرأسوا بطريقه وصارت لهم الأتباع والتلامذة وأقبلت الدنيا عليهم وعدهم السلاطين علماء ورؤساء فيكرهون نقض ذلك كله وإبطاله ويحبون الانتصار لتلك المذاهب والآراء التى نشئوا عليها وعرفوا بها ووصلوا إلى ماوصلوا إليه بطريقها ويخافون عار الانتقال عن المذهب و أن يشتفى بهم الخصوم ويقرعهم الأعداء و من أنصف علم أن ألذى ذكرناه حق و أماطول الأمل فينسى الآخرة و هذاحق لأن الذهن إذاانصرف إلى الأمل ومد الإنسان فى مداه فإنه لايذكر الآخرة بل يصير مستغرق الوقت بأحوال الدنيا و مايرجو حصوله منها فى مستقبل الزمان . [صفحه ٣٢٠] و من كلام مسعر بن كدام كم من مستقبل يوما ليس يستكمله ومنتظر غدا ليس من أجله و لورأيتم الأجل ومسيره أبغضتم الأمل وغروره . و كان يقال تسويف الأمل غرار وتسويل المحال ضرار. و من الشعر المنسوب إلى على ع -روايت-١-٢-روايت-٣٦-٣٧ غر جهولا أمله || يموت من جا أجله و من دنا من حتفه || لم تغن عنه حيله و مابقاء آخر || قدغاب عنه أوله والمرء لايصحبه || فى القبر إلاعمله . و قال أبوالعتاهية لاتأمن الموت فى لحظ و لانفس || و لوتمنعت بالحجاب والحرس واعلم بأن سهام الموت قاصدة || لكل مدرع

منا ومترس مابال دينك ترضـى أن تدنسه || وثوب لبسك مغسول من الدنس ترجو النجاۀ و لم تسـلک مسالكها || إن السفينۀ لاـتجرى على اليبس و من الحـديث المرفوع أيهـا النـاس إن الأعمـال تطوى والأعمـار تفنى والأبـدان تبلى فى الـثرى و إن الليل والنهار يتراكضان تراكض الفرقـدين يقربان كل بعيـد ويخلقان كل جديد و فى ذلك ماألهى عن الأمل وأذكرك بحلول الأجل -روايت-١-٢-روايت-٢٥-٢٢٧ و قال بعض الصالحين بقاؤك إلى فناء وفناؤك إلى بقاء فخـذ من فنائك ألذى لايبقى لبقائك ألـذى لاـيفنى . و قـال بعضـهم اغتنم تنفس الأجل وإمكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل ودع تسويف الأمانى والأمل فإنك فى نفس معـدود وعمر محـدود ليس بممـدود. و قال بعضـهم اعمل عمل المرتحل فإن حادى الموت يحدوك ليوم لايعدوك [صفحه ٣٢١] ثم قال ع ألا إن الـدنيا قـدأدبرت حـذاء بالحاء والذال المعجمۀ وهى السـريعۀ وقطاۀ حذاء خف ريش ذنبها و رجل أحـذ أى خفيف اليـد و قـدروى قـدأدبرت جـذاء بالجيم أى قـدانقطع خيرها ودرها. ثم قال إن كل ولد سـيلحق بأمه يوم القيامۀ فكونوا من أبناء الآخرۀ لتلحقوا بها وتفوزوا و لاتكونوا من أبناء الـدنيا فتلحقوا بها وتخسـروا. ثم قال اليوم عمل و لاحساب وغـدا حساب و لاعمل و هذا من باب المقابلۀ فى علم البيان [صفحه ٣٢٢]

۴۳- و من كلام له ع و قدأشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعدإرساله إلى معاويۀ بجرير بن عبد الله البجلى

اشاره

إِنّ استـِعدَادِي لِحَربِ أَهلِ الشّامِ وَ جَرِيرٌ عِندَهُم إِغلَاقٌ لِلشّامِ وَ صَرفٌ لِأَهلِهِ عَن خَيرٍ إِن أَرَادُوهُ وَ لَكِن قَد وَقّتّ لِجَرِيرٍ وَقتاً لَا يُقِيمُ بَعـدَهُ إِلّا مَخدُوعاً أَو عَاصِـياً وَ الرّأيُ مَعَ الأَنَاةِ فَأَروِدُوا وَ لَا أَكرَهُ لَكُمُ الإِعدَادَ وَ لَقَد ضَـرَبتُ أَنفَ هَذَا الأَمرِ وَ عَينَهُ وَ قَلّبتُ ظَهرَهُ وَ بَطنَهُ فَلَم أَرَ فِيهِ إِلّا القِتَالَ أَوِ الكُفرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمّـدٌص إِنّهُ قَـد كَانَ عَلَى الأُمّـةِ وَالٍ أَحـدَثَ أَحدَاثاً وَ أَوجَدَ النّاسَ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمّ نَقَمُوا فَغَيّرُوا أرودوا أى ارفقوا أرود فى السير إروادا أى سار برفق والأنـاۀ التثبت والتـأنى ونهيه لهم عن الاستعداد و قوله بعـد و لاـأكره لكم الإعـداد غيرمتنـاقض لأـنه كره منهم إظهـار الاستعداد والجهر به و لم يكره الإعـداد فى السر و على وجه الخفـاء [صفحه ٣٢٣] والكتمـان ويمكن أن يقـال إنه كره استعداد نفسه و لم يكره إعـداد أصـحابه وهـذان متغايران و هـذاالوجه اختاره القطب الراونـدى. ولقائـل أن يقول التعليـل ألـذى علـل به ع يقتضـى كراهيـۀ الأـمرين معا و هو أن يتصل بأهل الشام الاستعداد فيرجعوا عن السـلم إلى الحرب بل ينبغى أن تكون كراهته لإعـداد جيشه وعسـكره خيولهم وآلات حربهم أولى لأن شـياع ذلك أعظم من شـياع استعداده وحـده لأنه وحـده يمكن أن يكتم استعداده و أمااستعداد العساكر العظيمۀ فلايمكن أن يكتم فيكون اتصاله وانتقاله إلى أهل الشام أسـرع فيكون إغلاق الشام عن باب خير إن أرادوه أقرب والوجه فى الجمع بين اللفظتين ماقدمناه . و أمـا قوله ع ضـربت أنف هـذاالأمر وعينه فمثل تقوله العرب إذاأرادت الاستقصاء فى البحث والتأمل والفكر وإنما خص الأنف والعين لأنهمـا صورۀ الوجه و ألـذى يتأمـل من الإنسـان إنمـا هووجهه . و أمـا قوله ليس إلاالقتال أوالكفر فلأن النهى عن المنكر واجب على الإمـام و لاـيجوز لـه الإقرار عليه فـإن تركه فسق ووجب عزله عن الإمامـۀ. و قـوله أوالكفر من بـاب المبالغـۀ وإنما هوالقتال أوالفسق فسـمى الفسق كفرا تغليظا وتشديـدا فى الزجر عنه . و قوله ع أوجـد الناس مقالا أى جعلهم واجدين له . و قال الراونـدى أوجـد هاهنـا بمعنى أغضب و هـذا غيرصـحيح لأنه لا شـىءينصب به مقالا إذا كان بمعنى أغضب والوالى المشار إليه عثمان [صفحه ٣٢۴]

ذكر ماأورده القاضى عبدالجبار من دفع ماتعلق به الناس على عثمان من الأحداث

يجب أن نـذكر هاهنا أحداثه و مايقوله أصحابنا فى تأويلاتها و ماتكلم به المرتضى فى كتاب الشافى فى هـذاالمعنى فنقول إن قاضى القضاة رحمه الله تعالى قال فى المغنى قبل الكلام فى تفصيل هـذه الأحداث كلاما مجملا معناه أن كل من تثبت عدالته ووجب توليه إما على القطع وإما على الظاهر فغير جائز أن يعدل فيه عن هـذه الطريقـة إلابأمر متيقن يقتضى العـدول عنها يبين ذلك أن من شاهدناه على مايوجب الظاهر توليه وتعظيمه يجب أن يبقى فيه على هـذه الطريقـة و إن غاب عنا و قدعرفنا أنه مع الغيبة يجوز أن يكون مستمرا على حالته ويجوز أن يكون منتقلا و لم يقـدح هذاالتجويز فى وجوب ماذكرناه . ثم قال فالحدث ألذى يوجب الانتقال عن التعظيم والتولى إذا كان من باب محتمل لم يجز الانتقال لأجله والأحوال المتقررة فى النفوس بالعادات والأحوال المعروفة فيمن نتولاه أقوى فى باب الإمارة من الأمور المتجددة فإن مثل فرقد السبخى ومالك بن دينار لوشوهدا فى دار فيهامنكر لقوى فى الظن حضورهما للتغيير والإنكار [صفحه ٣٢٥] أو على وجه الإكراه أوالغلط و لو كان الحاضر هناك من علم من حاله الاختلاط بالمنكر لجوز حضوره للفساد بل كان ذلك هوالظاهر من حاله . ثم قال واعلم أن الكلام فيما يـدعى من الحدث والتغير فيمن ثبت توليه قد يكون من وجهين أحدهما هل علم بـذلك أم لا. والثانى أنه مع يقين حصوله هل هوحـدث يؤثر فى العدالة أم لا. و لافرق بين تجويز ألا يكون حـدث أصلا و بين أن يعلم حـدوثه ويجوز ألا يكون حـدثا. ثم قال كل محتمل لوأخبر الفاعل أنه فعله على أحد الوجهين و كان يغلب على الظن صدقه لوجب تصديقه فإذاعرف من حاله المتقررة فى النفوس مايطابق ذلك جرى مجرى الإقرار بل ربما كان أقوى ومتى لم نسلك هذه الطريقة فى الأمور المشتبهة لم يصح فى أكثر من نتولاه ونعظمه أن تسلم حاله عندنا فإنا لورأينا من يظن به الخير يكلم امرأة حسناء فى الطريق لكان ذلك من باب المحتمل فإذا كان لوأخبر أنها أخته أوامرأته لوجب ألا نحول عن توليه فكـذلك إذا كان قدتقدم فى النفوس ستره وصلاحه فالواجب أن نحمله على هـذاالوجه . ثم قال وقول الإمام له مزية فى هـذاالباب لأنه آكد من غيره و أما ماينقل عن رسول الله ص فإنه و إن لم يكن مقطوعا به يؤثر فى هذاالباب و يكون أقوى مما تقدم . ثم قال و قدطعن الطاعنون فيه بأمور متنوعة مختلفة ونحن نقدم على تلك المطاعن كلاما مجملا يبين بطلانها على الجملة ثم نتكلم عن تفصيلها. [صفحه ٣٢٦] قال و ذلك أن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قد قال لوكانت هـذه الأحداث مما توجب طعنا على الحقيقة لوجب من الوقت ألذى ظهر ذلك من حاله أن يطلب المسلمون رجلا ينصب للإمامة و أن يكون ظهور ذلك عن عثمان كموته فإنه لاخلاف أنه متى ظهر من الإمام مايوجب خلعه أن الواجب على المسلمين إقامة إمام سواه فلما علمنا أن طلبهم لإقامة إمام إنما كان بعـدقتله و لم يكن من قبل والتمكن قائم علمنا بطلان ماأضيف إليه من الأحداث . قال و ليس لأحد أن يقول إنهم لم يتمكنوا من ذلك لأن المتعالم من حالهم أنهم حصروه ومنعوه من التمكن من نفسه و من التصرف فى سلطانه خصوصا والخصوم يدعون أن الجميع كانوا على قول واحد فى خلعه والبراءة منه . قال ومعلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع فى الأيام التى حوصر فيها وقتل بل كانت تحصل من قبل حالا بعدحال فلو كان ذلك يوجب الخلع والبراءة لماتأخر من المسلمين الإنكار عليه ولكان كبار الصحابة المقيمون بالمدينة أولى بـذلك من الواردين من البلاد لأن أهل العلم والفضل بإنكار ذلك أحق من غيرهم . قال فقد كان يجب على طريقتهم أن تحصل البراءة والخلع من أول الوقت ألذى حصل منه ماأوجب ذلك وألا ينتظر حصول غيره من الأحداث لأنه لووجب انتظار ذلك لم ينته إلى حد إلاـ وينتظر غيره . ثم ذكر أن إمساكهم عن ذلك إذاتيقنوا الأحداث منه يوجب نسبة الجميع إلى الخطإ والضلال و لايمكنهم أن يقولوا إن علمهم بذلك إنما حصل فى الوقت ألذى حصر ومنع لأن من جملة الأحداث التى يذكرونها ماتقدم عن هـذه الحال بل كلها أوجلها تقدم هـذاالوقت وإنما يمكنهم أن يتعلقوا فيما حدث فى هـذاالوقت بما يذكرونه من [

صفحه ۳۲۷] حديث الكتاب النافذ إلى ابن أبى سرح بالقتل و ماأوجب كون ذلک حدثايوجب كون غيره حدثا فكان يجب أن يفعلوا ذلک من قبل واحتمال المتقدم للتأويل كاحتمال المتأخر. ثم قال و بعدفليس يخلو من أن يدعوا أن طلب الخلع وقع من كل الأمة أو من بعضهم فإن ادعوا ذلک فى بعض الأمة فقد علمنا أن الإمامة إذاثبتت بالإجماع لم يجز إبطالها بلا خلاف لأن الخطأ جائز على بعض الأمة و إن ادعوا فى ذلک الإجماع لم يصح لأن من جملة أهل الإجماع عثمان و من كان ينصره و لايمكن إخراجه من الإجماع بأن يقال إنه كان على باطل لأن بالإجماع يتوصل إلى ذلک و لم يثبت . ثم قال على أن الظاهر من حال الصحابة أنها كانت بين فريقين أما من نصره فقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال لعثمان و من معه من الأنصار ائذن لنا بنصرک وروى مثل ذلک عن ابن عمر و أبى هريرة والمغيرة بن شعبة والباقون ممتنعون انتظارا لزوال العارض إلا أنه لوضيق عليهم الأمر فى الدفع ماقعدوا بل المتعالم من حالهم ذلک . ثم ذكر ماروى من إنفاذ أمير المؤمنين ع الحسن و الحسين ع إليه و أنه لماقتل لامهما ع على وصول القوم إليه ظنا منه أنهما قصرا. وذكر أن أصحاب الحديث يروون عن النبى ص أنه قال ستكون فتنة واختلاف و أن عثمان وأصحابه يومئذ على الهدى -روايت-۱-۲-روايت-۵۷-۱۱۶ و ماروى عن عائشة من قولها قتل و الله مظلوما. قال و لايمتنع أن يتعلق بأخبار الأحاديث فى ذلک لأنه ليس هناك أمر ظاهر يدفعه نحو دعواهم أن جميع الصحابة كانوا عليه لأن ذلک دعوى منهم و إن كان فيه رواية من جهة الآحاد و إذاتعارضت الروايات سقطت ووجب الرجوع إلى ماثبت من أحواله السليمة ووجوب توليه . [صفحه ۳۲۸] قال و لايجوز أن يعدل عن تعظيمه وصحة إمامته بأمور محتملة فلا شيءمما ذكروه إلا ويحتمل الوجه الصحيح . ثم ذكر أن للإمام أن يجتهد برأيه فى الأمور المنوطة به ويعمل فيها على غالب ظنه و قد يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبة مذمومة.فهذه جملة ماذكره قاضى القضاة رحمه الله تعالى فى المغنى من الكلام إجمالا فى دفع مايتعلق به على عثمان من الأحداث

رد المرتضى على ماأورده القاضى عبدالجبار من الدفاع عن عثمان

واعترض المرتضى رحمه الله تعالى فى الشافى فقال أما قوله من تثبت عدالته ووجب توليه إما قطعا أو على الظاهر فغير جائز أن يعدل فيه عن هذه الطريقة إلابأمر متيقن فغير مسلم لأن من نتولاه على الظاهر وثبتت عدالته عندنا من جهة غالب الظن يجب أن نرجع عن ولايته بما يقتضى غالب الظن دون اليقين ولهذا يؤثر فى جرح الشهود وسقوط عدالتهم أقوال الجارحين و إن كانت مظنونة غيرمعلومة و مايظهر من أنفسهم من الأفعال التى لها ظاهر يظن معه القبيح بهم حتى نرجع عما كنا عليه من القول بعدالتهم و إن لم يكن كل ذلک متيقنا وإنما يصح ماذكره فيمن ثبتت عدالته على القطع ووجب توليه على الباطن فلايجوز أن يؤثر فى حاله مايقتضى الظن لأن الظن لايقابل العلم والدلالة لاتقابل الأمارة. فإن قال لم أرد بقولى إلابأمر متيقن أن كونه حدثا متيقن وإنما أردت تيقن وقوع الفعل نفسه .قلنا الأمران سواء فى تأثير غلبة الظن فيهما ولهذا يؤثر فى عدالة من تقدمت [صفحه ۳۲۹] عدالته عندنا على سبيل الظن أقوال من يخبرنا عنه بارتكاب القبائح إذاكانوا عدولا و إن كانت أقوالهم لاتقتضى اليقين بل يحصل عندها غالب الظن وكيف لانرجع عن ولاية من توليناه على الظاهر بوقوع أفعال منه يقتضى ظاهرها خلاف الولاية ونحن إنما قلنا بعدالته فى الأصل على سبيل الظاهر و مع التجويز لأن يكون ماوقع منه فى الباطن قبيحا لايستحق به التولى والتعظيم أ لاترى أن من شاهدناه يلزم مجالس العلم ويكرر تلاوة القرآن ويدمن الصلاة والصيام والحج يجب أن نتولاه ونعظمه على الظاهر و إن جوزنا أن يكون جميع ماوقع منه مع خبث باطنه و أن غرضه فى فعله القبيح فلم نتوله إلا على الظاهر و مع التجويز فكيف لانرجع عن ولايته بما يقابل هذه الطريقة فأما من غاب عنا وتقدمت له أحوال تقتضى الولاية فيجب أن نستمر على ولايته و إن

جوزنا على الغيبـة أن يكون منتقلا عن الأحوال الجميلـة التى عهـدناها منه إلا أن هـذاتجويز محض لاظاهر معه يقابل ماتقدم من الظـاهر الجميـل و هوبخلاف ماذكرناه من مقابلـة الظاهر للظاهر و إن كان فى كل واحـد من الأمرين تجويز. قال و قـدأصاب فى قوله إن مايحتمـل لاينتقـل له عن التعظيم والتولى إن أراد بالاحتمـال مـا لاظـاهر له و أمـا مـا له ظاهر و مع ذلك يجوز أن يكون الأـمر فيه بخلاف ظاهره فإنه لايسمى محتملا و قـد يكون مؤثرا فيما ثبت من التولى على الظاهر على ماذكرناه . قال فأما قوله إن الأحوال المتقررة فى النفوس بالعادات فيمن نتولاه تؤثر ما لايؤثر غيرها وتقتضى حمل أفعاله على الصحة والتأول له فلاشك أن مـاذكره مؤثر وطريق قوى إلى غلبـة الظن إلاـ أنه ليس يقتضـى مـايتقرر فى نفوسـنا لبعض من نتولاـه على الظـاهر أن نتـأول كل مايشاهد منه من الأفعال التى لها ظاهر قبيح ونحمل الجميع على [صـفحه ٣٣٠] أجمـل الوجوه و إن كان بخلاف الظاهر بل ربما تبين الأمر فيما يقع منه من الأفعال التى ظاهرها القبيـح إلى أن تؤثر فى أحواله المقررة ونرجع بها عن ولايته ولهـذا نجد كثيرا من أهـل العدالـة المتقررة لهم فى النفوس ينسلخون منها حتى يلحقوا بمن لاتثبت له فى وقت من الأوقات عدالـة وإنما يكون ذلك بما يتوالى منهم ويتكرر من الأفعال القبيحة الظاهرة. قال فأما مااستشهد به من أن مثل مالك بن دينار لوشاهدناه فى دار فيهامنكر لقوى فى الظن حضوره لأجـل التغيير والإنكـار أو على وجه الإـكراه والغلـط و أن غيره يخـالفه فى هـذاالباب فصـحيح لايخالف ماذكرناه لأن مثل مالك بن دينار ممن تناصـرت أمارات عـدالته وشواهـد نزاهته حالا بعدحال لايجوز أن يقدح فيه فعل له ظاهر قبيـح بـل يجب لماتقـدم من حـاله أن نتـأول فعله ونخرجه عن ظاهره إلى أجمل وجوهه وإنما وجب ذلك لأن الظنون المتقـدمة أقوى وأولى بالترجيـح والغلبة فنجعلها قاضـية على الفعل والفعلين ولهذا متى توالت منه الأفعال القبيحة الظاهرة وتكررت قدحت فى حـاله وأثرت فى ولاـيته كيف لا يكون كـذلك وطريق ولايته فى الأصل هوالظن والظاهر و لابـد من قـدح الظاهر فى الظاهر وتـأثير الظن فى الظن على بعض الوجوه . قـال فأمـا قوله فـإن كـل محتمل لوأخبرنا عنه و هومما يغلب على الظن صـدقه أنه فعله على أحـد الوجهين وجب تصـديقه فمتى عرف من حـاله المتقررة فى النفوس مايطابق ذلك جرى مجرى الإخبار فأول ما فيه أن المحتمل هو ما لاظاهر له من الأفعال و ألذى يكون جواز كونه قبيحا كجواز كونه حسنا ومثل هذاالفعل لايقتضى ولاية [صفحه ٣٣١] و لاعداوة وإنما يقتضى الولاية ما له من الأفعال ظاهر جميل ويقتضى العداوة ما له ظاهر قبيح . فإن قال أردت بالمحتمل ما له ظـاهر لكنه يجوز أن يكون الأـمر بخلاـف ظـاهره .قيـل له مـاذكرته لايسـمى محتملا فإن كنت عنيته فقـد وضـعت العبارة فى غيرموضـعها و لاشك فى أنه إذا كان ممن لوأخبرنا بأنه فعل الفعل على أحد الوجهين لوجب تصديقه وحمل الفعل على خلاف ظـاهره فـإن الواجب لمـاتقرر له فى النفوس أن يتأول له ويعـدل بفعله عن الوجه القبيـح إلى الوجه الجميل إلا أنه متى توالت منه الأفعال التى لها ظواهر قبيحة فلابد أن تكون مؤثرة فى تصديقه متى خبرنا بأن غرضه فى الفعل خلاف ظاهره كماتكون مانعة من الابتـداء بالتأول . وضـربه المثل بأن من نراه يكلم امرأة حسـناء فى الطريق إذاأخبر أنها أخته أوامرأته فى أن تصـديقه واجب و لو لم يخبر بـذلك لحملنا كلامه لها على أجمل الوجوه لماتقـدم له فى النفوس صـحيح إلا أنه لابد من مراعاة ماتقدم ذكره من أنه قـديقوى الأمر لقوة الأمارات والظواهر إلى حـد لايجوز معه تصديقه و لاالتأول له و لو لا أن الأمر قدينتهى إلى ذلك لماصح أن يخرج أحـد عنـدنا من الولايـة إلى العـداوة و لاـ من العدالـة إلى خلافهـا لأنه لا شـىءمما يفعله الفساق المتهتكون إلا ويجوز أن يكون له باطن بخلاف الظاهر و مع ذلك فلايلتفت إلى هـذاالتجويز يبين صـحة ماذكرناه أنا لورأينا من يظن به الخير يكلم امرأة حسـناء فى الطريق ويـداعبها ويضاحكها لظننا به الجميل مرة ومرات ثم ينتهى الأمر إلى ألا نظنه وكـذلك لوشاهـدناه وبحضـرته المنكر لحملنـا حضوره على الغلـط أوالإـكراه أو غير ذلـك من الوجوه الجميلـة ثم لابـد من انتهاء الأمر إلى أن نظن به القبيـح و لانصدقه فى كلامه . [صفحه ٣٣٢] قال ثم نقول له أخبرنا عمن شاهـدناه من بعـد و هومفترش امرأة نعلم أنها ليست له بمحرم و أن لهـا فى الحـال زوجـا غيره و هوممن تقررت له فى النفوس عدالـة متقدمـة مـاذا يجب أن نظن به وهـل نرجع بهـذا الفعل عن

ولا-يته أم نحمله على أنه غالط ومتوهم أن المرأة زوجته أو على أنه مكره على الفعل أو غير ذلك من الوجوه الجميلة. فإن قال نرجع عن الولاية اعترف بخلاف ماقصده فى الكلام وقيل له أى فرق بين هذاالفعل و بين جميع ماعددناه من الأفعال وادعيت أن الواجب أن نعدل عن ظاهرها و ماجواز الجميل فى ذلك إلاكجواز الجميل فى هذاالفعل . و إن قال لاأرجع بهذا الفعل عن ولايته بل نؤوله على بعض الوجوه الجميلة.قيل له أرأيت لوتكرر هذاالفعل وتوالى هو وأمثاله حتى نشاهده حاضرا فى دور القمار ومجالس اللهو واللعب ونراه يشرب الخمر بعينها و كل هذامما يجوز أن يكون عليه مكرها و فى أنه القبيح بعينه غالطا أ كان يجب علينا الاستمرار على ولايته أم العدول عنها فإن قال نستمر ونتأول ارتكب ما لاشبهة فى فساده وألزم ما قدقدمنا ذكره من أنه لاطريق إلى الرجوع عن ولاية أحد و لوشاهدنا منه أعظم المناكير ووقف أيضا على أن طريق الولاية المتقدمة إذا كان الظن دون القطع فكيف لانرجع عنها لمثل هذاالطريق فلابد إذن من الرجوع إلى مابيناه وفصلناه فى هذاالباب . قال فأما قوله إن قول الإمام له مزية لأنه آكد من غيره فلامعنى له لأن قول الإمام على مذهبنا يجب أن يكون له مزية من حيث كان معصوما مأمون الباطن و على مذهبه إنما تثبت ولايته بالظاهر كماتثبت ولاية غيره من سائر المؤمنين فأى مزية له فى هذاالباب . [صفحه ٣٣٣] و قوله إن ماينقل عن الرسول و إن لم يكن مقطوعا عليه يؤثر فى هذاالباب و يكون أقوى مما تقدم غيرصحيح على إطلاقه لأن تأثير ماينقل إذا كان يقتضى غلبة الظن لاشبهة فيه فأما تقويته على غيره فلاوجه له و قد كان يجب أن يبين من أى الوجوه يكون أقوى .فهذه جملة مااعترض به المرتضى على الفصل الأول من كلام قاضى القضاة رحمه الله تعالى . تم الجزء الثانى من شرح نهج البلاغة

المجلد ٣

الجزء الثالث

تتمة الخطب والأوامر

تتمة خطبة ٤٣

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل الكريم واعلم أن ألذى ذكره المرتضى رحمه الله تعالى وأورده على قاضى القضاة جيد ولازم متى ادعى قاضى القضاة أن العدالة إذاثبتت ظنا أوقطعا لم يجز العدول عنها والتبرؤ إلابما يوجب القطع ويعلم به علما يقينيا زوالها فأما إذاادعى أن المعلوم لايزول إلابما يوجب العلم فلايرد عليه ماذكره المرتضى رحمه الله تعالى . و له أن يقول قدثبتت بالإجماع إمامة عثمان والإجماع دليل قطعى عندأصحابنا و كل من ثبتت إمامته ثبتت عدالته بالطريق التى بهاثبتت إمامته لأنه لايجوز أن تكون إمامته معلومة وشرائطها مظنونة لأن الموقوف على المظنون مظنون فتكون إمامته مظنونة و قدفرضناها معلومة و هذاخلف ومحال و إذاكانت عدالته معلومة لم يجز القول بانتفائها وزوالها إلابأمر معلوم . والأخبار التى رويت فى أحداثه أخبار آحاد لاتفيد العلم فلايجوز العدول عن المعلوم بهافهذا الكلام إذارتب هذاالترتيب اندفع به مااعترض به المرتضى رحمه الله تعالى [صفحه ۴]

فأما کلام المرتضی رحمه الله تعالی علی الفصل الثانی من کلام قاضی القضاة و هوالفصل المحکی عن شیخنا أبی علی رحمه الله تعالی فنحن نورده قال رحمه الله تعالی . أما قوله لو کان ماذکر من الأحداث قادحا لوجب من الوقت ألذی ظهرت الأحداث فیه أن یطلبوا رجلا ینصبونه فی الإمامة لأن ظهور الحدث کموته فلما رأیناهم طلبوا إماما بعدقتله دل علی بطلان ماأضافوه إلیه من الأحداث فلیس بشیء معتمد لأن تلک الأحداث و إن کانت مزیلة عندهم لإمامته وفاسخة لها ومقتضیة لأن یعقدوا لغیره الإمامة إلاـأنهم لم یکونوا قادرین علی أن یتفقوا علی نصب غیره مع تشبثه بالأمر خوفا من الفتنة والتنازع والتجاذب وأرادوا أن یخلع نفسه حتی تزول الشبهة وینشط من یصلح للأمر لقبول العقد والتکفل بالأمر و لیس یجری ذلک مجری موته لأن موته یحسم الطمع فی استمرار ولایته و لاتبقی شبهة فی خلو الزمان من إمام و لیس کذلک حدثه ألذی یسوغ فیه التأویل علی بعده وتبقی معه الشبهة فی استمرار أمره و لیس نقول إنهم لم یتمکنوا من ذلک کماسأل نفسه بل الوجه فی عدولهم ماذکرناه من إرادتهم حسم المواد وإزالة الشبهة وقطع أسباب الفتنة. [صفحه ۵] قال فأما قوله إنه معلوم من حال هذه الأحداث أنها لم تحصل أجمع فی الأیام التی حصر فیها وقتل بل کانت تقع حالا بعدحال فلو کانت توجب الخلع والبراءة لماتأخر من المسلمین الإنکار علیه ولکان المقیمون من الصحابة بالمدینة أولی بذلک من الواردین من البلاد فلاشک أن الأحداث لم تحصل فی وقت واحد إلاـ أنه غیرمنکر أن یکون نکیرهم إنما تأخر لأنهم تأولوا ماورد علیهم من أفعاله علی أجمل الوجوه حتی زاد الأمر وتفاقم و بعدالتأویل وتعذر التخریج و لم یبق للظن الجمیل طریق فحینئذ أنکروا و هذامستمر علی ماقدمنا ذکره من أن العدالة والطریقة الجمیلة یتأول لها فی الفعل والأفعال القلیلة بحسب ماتقدم من حسن الظن به ثم ینتهی الأمر بعد ذلک إلی بعدالتأویل والعمل علی الظاهر القبیح . قال علی أن الوجه الصحیح فی هذاالباب أن أهل الحق کانوا معتقدین بخلعه من أول حدث بل معتقدین أن إمامته لم تثبت وقتا من الأوقات وإنما منعهم من إظهار ما فی نفوسهم ماقدمناه من أسباب الخوف والتقیة لأن الاعتذار بالوجل کان عاما فلما تبین أمره حالا بعدحال وأعرضت الوجوه عنه وقل العاذر له قویت الکلمة فی خلعه و هذاإنما کان فی آخر الأمر دون أوله فلیس یقتضی الإمساک عنه إلی الوقت ألذی وقع الکلام فیه نسبة الخطأ إلی الجمیع علی ماظنه . قال فأما دفعه بأن تکون الأمة أجمعت علی خلعه بخروجه نفسه وخروج من کان فی حیزه عن القوم فلیس بشیء لأنه إذاثبت أن من عداه وعدا عبیده والرهیط من فجار أهله وفساقهم کمروان و من جری مجراه کانوا مجمعین علی خلعه فلاشبهة [صفحه ۶] فی أن الحق فی غیرحیزه لأنه لایجوز أن یکون هوالمصیب وجمیع الأمة مبطل وإنما یدعی أنه علی الحق لمن ینازع فی إجماع من عداه فأما مع التسلیم لذلک فلیس یبقی شبهة و مانجد مخالفینا یعتبرون فی باب الإجماع بإجماع الشذاذ والنفر القلیل الخارجین من الإجماع أ لاتری أنهم لایحفلون بخلاف سعد وأهله وولده فی بیعه أبی بکر لقلتهم وکثرة من بإزائهم ولذلک لایعتدون بخلاف من امتنع من بیعة أمیر المؤمنین ع ویجعلونه شاذا لاتأثیر بخلافه فکیف فارقوا هذه الطریقة فی خلع عثمان وهل هذا إلاتقلب وتلون . قلت أما إذااحتج أصحابنا علی إمامة أبی بکر بالإجماع فاعتراض حجتهم بخلاف سعد وولده وأهله اعتراض جید و لیس یقول أصحابنا فی جوابه هؤلاء شذاذ فلانحفل بخلافهم وإنما المعتبر بالکثرة التی بإزائهم وکیف یقولون هذا وحجتهم الإجماع و لاإجماع ولکنهم یجیبون عن ذلک بأن سعدا مات فی خلافة عمر فلم یبق من یخالف فی خلافة عمر فانعقد الإجماع علیها وبایع ولد سعد وأهله من قبل و إذاصحت خلافة عمر صحت خلافة أبی بکر لأنها فرع علیها ومحال أن یصح الفرع و یکون الأصل فاسدا فهکذا یجیب أصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد إذااحتجوا بالإجماع فأما إذااحتجوا بالاختیار فلایتوجه نحوهم الاعتراض بخلاف سعد وأهله وولده لأنه لیس من شرط ثبوت الإمامة بالاختیار إجماع الأمة علی الاختیار وإنما یکفی فیه بیعة خمسة من

أهل الحل والعقد على الترتيب ألـذى يرتب أصحابنا الدلالـة عليه وبهـذا الطريق يثبت عنـدهم إمامة على ع و لم يحفل بخلاف معاوية و أهل الشام فيها. [صفحه ٧] قال رحمه الله تعالى فأما قوله إن الصحابة كانت بين فريقين من نصره كزيد بن ثابت و ابن عمر وفلان وفلان والباقون ممتنعون انتظارا لزوال العارض ولأنه ماضيق عليهم الأمر فى الـدفع عنه فعجيب لأن الظاهر أن أنصاره هم الـذين كانوا معه فى الدار يقاتلون عنه ويدفعون الهاجمين عليه .فأما من كان فى منزله ماأغنى عنه فتيلا فلايعد ناصـرا وكيف يجوز ممن أراد نصـرته و كـان معتقـدا لصوابه وخطإ المطـالبين له بـالخلع أن يتوقف عن النصـرة طلبـا لزوال العارض وهل تراد النصرة إلالدفع العارض و بعدزواله لاحاجة إليها و ليس يحتاج فى نصرته إلى أن يضيق هوعليهم الأمر فيهابل من كان معتقدا لها لايحتـاج حمله إلى إذنه فيهـا و لايحفـل بنهيه عنها لأن المنكر مما قدتقـدم أمر الله تعالى بالنهى عنه فليس يحتاج فى إنكاره إلى أمر غيره . قـال فأمـا زيـد بن ثابت فقـد روى ميله إلى عثمان و مايغنى ذلك وبإزائه جميع المهاجرين والأنصار ولميله إليه سـبب معروف فإن الواقدى روى فى كتاب الدار أن مروان بن الحكم لماحصـر عثمان الحصـر الأخير أتى زيد بن ثابت فاستصحبه إلى عائشـة ليكلمها فى هذاالأمر فمضـيا إليها وهى عازمة على الحج فكلماها فى أن تقيم وتذب عنه فأقبلت على زيد بن ثابت فقالت و مامنعك يا ابن ثابت و لك الأشاريف قـداقتطعكها عثمان و لك كذا وكذا وأعطاك عثمان من بيت المال عشـرة آلاف دينار قـال زيـد فلم أرجع عليهـا حرفا واحـدا وأشارت إلى مروان بالقيام فقام مروان و هو يقول [صـفحه ٨] حرق قيس على البلاد || حتى إذااضـطرمت أجذما .فنادته عائشة و قدخرج من العتبة يا ابن الحكم أ على تمثل الأشعار قد و الله سمعت ما قلت أتراني فى شـك من صاحبك و ألـذى نفسى بيـده لوددت أنه الآن فى غرارة من غرائرى مخيط عليه فألقيه فى البحر الأخضـر قال زيـد بن ثابت فخرجنا من عندها على اليأس منها. وروى الواقدى أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار و هويدعوهم إلى نصـرة عثمان فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حبة المازنى فقال له و مايمنعك يازيد أن تذب عنه أعطاك عشرة آلاف دينار وحدائق من نخـل لم ترث عن أبيـك مثـل حديقـة منها.فأمـا ابن عمر فـإن الواقـدى روى أيضـا عنه أنه قال و الله ما كان فينا إلاخاذل أوقاتل والأمر على هذاأوضـح من أن يخفى .فأما ماذكره من إنفاذ أمير المؤمنين ع الحسن و الحسـين ع فإنما أنفـذهما إن كان أنفذهما ليمنعا من انتهاك حريمه وتعمـد قتله ومنع خرمه ونسائه من الطعام والشـراب و لم ينفذهما ليمنعا من مطالبته بالخلع وكيف و هو ع مصرح بأنه يستحق بإحداثه الخلع والقوم الذين سعوا فى ذلك إليه كانوا يغدون ويروحون ومعلوم منه ضرورة أنه كان مساعدا على خلعه ونقض أمره لاسـيما فى المرة الأخيرة فأمـا ادعـاؤه أنه ع لعن قتلته فهو يعلم مـا فى هـذا من الروايـات المختلفـة التى [صفحه ٩] هى أظهر من هذه الرواية و إن صـحت فيجوز أن تكون محمولة على لعن من قتله متعمدا قتله قاصدا إليه فإن ذلك لم يكن لهم .فأما ادعاؤه أن طلحة رجع لماناشـده عثمان يوم الدار فظاهر البطلان و غيرمعروف فى الرواية والظاهر المعروف أنه لم يكن على عثمـان أشـد من طلحة و لاأغلـظ منه . قـال و لوحكينـا من كلامه فيه ما قـدروى لأفنينا قطعـة كثيرة من هـذاالكتاب و قـدروى أن عثمان كان يقول يوم الـدار أللهم اكفنى طلحـة ويكرر ذلك علما بأنه أشد القوم عليه وروى أن طلحة كان عليه يوم الدار درع و هويرامى الناس و لم ينزع عن القتال حتى قتل الرجل .فأما ادعاؤه الرواية عن رسول الله ص سـتكون فتنة و أن عثمان وأصـحابه يومئذ على الهدى -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٧٢ فهو يعلم أن هـذه الروايـة الشاذة لاتكون فى مقابلة المعلوم ضـرورة من إجماع الأمـة على خلعه وخـذله وكلام وجوه المهاجرين والأنصار فيه وبإزاء هذه الرواية مايملأ الطروس عن النبى ص وغيره مما يتضمن ماتضمنته و لوكانت هذه الرواية معروفة لكان عثمان أولى الناس بالاحتجاج بها يوم الدار و قداحتج عليهم بكل غث وسـمين وقبل ذلك لماخوصم وطولب بأن يخلع نفسه ولاحتج بها عنه بعض أصـحابه وأنصاره و فى علمنا بأن شيئا من ذلك لم يكن دلالـة على أنهـا مصـنوعة موضوعـة.فأما مـارواه عن عائشـة من قولهـا قتـل و الله مظلومـا فـأقوال عائشـة فيه معروفـة ومعلومة وإخراجها قميص رسول الله ص وهى تقول هذاقميصه لم يبل و قدأبلى عثمان سـنته إلى غير ذلك مما لايحصـى كثرة. [صـفحه

١٠] فأما مدحها له وثناؤها عليه فإنما كانا عقيب علمها بانتقال الأمر إلى من انتقل إليه والسبب فيه معروف و قدوقفت عليه وقوبل بين كلامها فيه متقدما ومتأخرا.فأما قوله لايمتنع أن يتعلق بأخبار الآحاد فى ذلك لأنها فى مقابلة مايدعونه مما طريقه أيضا الآحاد فواضح البطلان لأن إطباق الصحابة و أهل المدينة إلا من كان فى الدار معه على خلافه فإنهم كانوا بين مجاهد ومقاتل مبارز و بين متقاعد خاذل معلوم ضرورة لكل من سمع الأخبار وكيف يدعى أنها من جهة الآحاد حتى يعارض بأخبار شاذة نادرة وهل هذا إلامكابرة ظاهرة.فأما قوله إنا لانعدل عن ولايته بأمور محتملة فقد مضى الكلام فى هذاالمعنى وقلنا إن المحتمل هو ما لاظاهر له ويتجاذبه أمور محتملة فأما ما له ظاهر فلايسمى محتملا و إن سماه بهذه التسمية فقد بينا أنه مما يعدل من أجله عن الولاية وفصلنا ذلك تفصيلا بينا. و أما قوله إن للإمام أن يجتهد برأيه فى الأمور المنوطة به و يكون مصيبا و إن أفضت إلى عاقبة مذمومة فأول ما فيه أنه ليس للإمام و لاغيره أن يجتهد فى الأحكام و لايجوز أن يعمل فيها إلا على النص ثم إذاسلمنا الاجتهاد فلاشك أن هاهنا أمورا لايسوغ فيهاالاجتهاد حتى يكون من خبرنا عنه بأنه اجتهد فيها غيرمصوب وتفصيل هذه الجملة يبين عندالكلام على ماتعاطاه من الإعذار عن أحداثه على جهة التفصيل . قلت الكلام فى هذاالموضع على سبيل الاستقصاء إنما يكون فى الكتب الكلامية المبسوطة فى مسألة الإمامة و ليس هذاموضع ذاك ولكن يكفى قاضى القضاة أن يقول [صفحه ١١] قدثبت بالإجماع صحة إمامة عثمان فلايجوز الرجوع عن هذاالإجماع إلابإجماع معلوم على خلعه وإباحة قتله و لم يجمع المسلمون على ذلك لأنه قد كان بالمدينة من ينكر ذلك و إن قلوا و قد كان أهل الأمصار ينكرون ذلك كالشام والبصرة والحجاز واليمن ومكة وخراسان وكثير من أهل الكوفة وهؤلاء مسلمون فيجب أن تعتبر أقوالهم فى الإجماع فإذا لم يدخلوا فيمن أجلب عليه لم ينعقد الإجماع على خلعه و لا على إباحة دمه فوجب البقاء على مااقتضاه الإجماع الأول

ذكر المطاعن التى طعن بها على عثمان والرد عليها

فأما الكلام فى المطاعن المفصلة التى طعن بها فيه فنحن نذكرها ونحكى ماذكره قاضى القضاة و مااعترضه به المرتضى رحمه الله تعالى .الطعن الأول قال قاضى القضاة فى المغنى فمما طعن به عليه قولهم إنه ولى أمور المسلمين من لايصلح لذلك و لايؤتمن عليه و من ظهر منه الفسق والفساد و من لاعلم عنده مراعاة منه لحرمة القرابة وعدولا عن مراعاة حرمة الدين والنظر للمسلمين حتى ظهر ذلك منه وتكرر و قد كان عمر حذره من ذلك حيث وصفه بأنه كلف بأقاربه و قال له إذاوليت هذاالأمر فلاتسلط بنى أبى معيط على رقاب الناس فوقع منه ماحذره إياه وعوتب فى ذلك فلم ينفع العتب و ذلك نحو استعماله الوليد بن عقبة وتقليده إياه [صفحه ١٢] حتى ظهر منه شرب الخمر واستعماله سعيد بن العاص حتى ظهرت منه الأمور التى عندها أخرجه أهل الكوفة وتوليته عبد الله بن أبى سرح و عبد الله بن عامر بن كريز حتى روى عنه فى أمر ابن أبى سرح أنه لماتظلم منه أهل مصر وصرفه عنهم بمحمد بن أبى بكر كاتبه بأن يستمر على ولايته فأبطن خلاف ماأظهر فعل من غرضه خلاف الدين ويقال إنه كاتبه بقتل محمد بن أبى بكر وغيره ممن يرد عليه وظفر بذلك الكتاب ولذلك عظم التظلم من بعد وكثر الجمع و كان سبب الحصار والقتل حتى كان من أمر مروان وتسلطه عليه و على أموره ماقتل بسببه و ذلك ظاهر لايمكن دفعه . قال رحمه الله تعالى وجوابنا عن ذلك أن نقول أما ماذكر من توليته من لايجوز أن يستعمل فقد علمنا أنه لايمكن أن يدعى أنه حين استعملهم علم من أحوالهم خلاف الستر والصلاح لأن ألذى ثبت عنهم من الأمور القبيحة حدث من بعد و لايمتنع كونهم فى الأول مستورين فى الحقيقة أومستورين عنده وإنما كان يجب تخطئته لواستعملهم وهم فى الحال لايصلحون لذلك . فإن قيل فلما علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم قيل كذلك فعل لأنه إنما استعمل الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر عنه [صفحه ١٣] فلما شهد عليه

بـذلك جلده الحد وصـرفه و قدروى مثله عن عمر فإنه ولى قدامهٔ بن مظعون بعض أعماله فشـهدوا عليه بشـرب الخمر أشخصـه وجلـده الحـد فإذاعـد ذلك فى فضائل عمر لم يجز أن يعد ماذكروه فى الوليد من معايب عثمان ويقال إنه لماأشـخصه أقام عليه الحـد بمشـهد أمير المؤمنين ع . و قداعتـذر من عزله سـعد بن أبى وقاص بالوليد بأن سـعدا شـكاه أهل الكوفهٔ فأداه اجتهاده إلى عزله بالوليـد.فأما سـعيد بن العاص فإنه عزله عن الكوفهٔ وولى مكانه أبا موسـى وكذلك عبد الله بن أبى سـرح عزله وولى مكانه محمـد بن أبى بكر و لم يظهر له من مروان مـايوجب أن يصـرفه عما كان مسـتعملا فيه و لو كان ذلك طعنا لوجب مثله فى كل من ولى و قـدعلمنا أن رسول الله ص ولى الوليـد بن عقبـهٔ فحـدث منه ماحـدث وحـدث من بعض أمراء أمير المؤمنين ع الخيانهٔ كالقعقاع بن شور لأنه ولاه على ميسان فأخذ مالها ولحق بمعاويهٔ وكذلك فعل الأشعث بن قيس بمال آذربيجان وولى أبا موسى الحكم فكـان منه مـا كـان و لايجب أن يعاب أحـد بفعل غيره و إذا لم يلحقه عيب فى ابتـداء ولايته فقـد زال العيب فيما بعـده .

وقولهم إنه قسم أكثر الولايـات فى أقاربه وزال عن طريقـهٔ الاحتياط للمسـلمين و قـد كان عمر حـذره من ذلك فليس بعيب لأن توليـهٔ الأقارب كتوليهٔ الأباعد فى أنه يحسن إذاكانوا على صـفات مخصوصهٔ و لوقيل إن تقديمهم أولى لم يمتنع إذا كان المولى لهم أشـد تمكنا من عزلهم والاسـتبدال بهم و قدولى أمير المؤمنين ع عبد الله بن العباس البصـرهٔ وعبيد الله بن العباس اليمن وقثم بن العبـاس مكـهٔ حتى قال مالك الأشتر عنـد ذلك [صـفحه ۱۴] على مـاذا قتلنـا الشـيخ أمس فيمـا يروى و لم يكن ذلك بعيب إذاأدى ماوجب عليه فى اجتهاده .فأما قولهم إنه كتب إلى ابن أبى سـرح حيث ولى محمـد بن أبى بكر بأنه يقتله ويقتل أصـحابه فقـد أنكر ذلك أشـد إنكار حتى حلف عليه و بين أن الكتاب ألـذى ظهر ليس كتابه و لاالغلام غلامه و لاالراحلـهٔ راحلته و كان فى جملـهٔ من خـاطبه فى ذلـك أمير المؤمنين ع فقبـل عـذره و ذلـك بين لأـن قول كل أحـد مقبول فى مثل ذلك و قـدعلم أن الكتـاب يجوز فيه التزوير فهو بمنزلـهٔ الخبر ألـذى يجوز فيه الكـذب . فإن قيل فقـد علم أن مروان هو ألـذى زور الكتاب لأنه هو ألـذى كان يكتب عنه فهلا أقام فيه الحـد.قيل ليس يجب بهذا القدر أن يقطع على أن مروان هو ألذى فعل ذلك لأنه و إن غلب ذلك فى الظن فلايجوز أن يحكم به و قـد كان القوم يسومونه تسليم مروان إليهم و ذلك ظلم لأن الواجب على الإمام أن يقيم الحد على من يستحقه أوالتأديب و لايحل له تسليمه إلى غيره فقد كان الواجب أن يثبتوا عنده مايوجب فى مروان الحد والتأديب ليفعله به و كـان إذا لم يفعـل والحال هـذه يسـتحق التعنيف و قـدذكر الفقهاء فى كتبهم أن الأمر بالقتل لايوجب قودا و لاديـهٔ و لاحـدا فلو ثبت فى مروان ماذكروه لم يسـتحق القتل و إن اسـتحق التعزير لكنه عدل عن تعزيره لأنه لم يثبت و قديجوز أن يكون عثمـان ظن أن هـذاالفعل فعـل بعض من يعـادى مروان تقبيحا لأمره لأن ذلك يجوز كمايجوز أن يكون من فعله و لايعلم كيف كان اجتهاده وظنه و بعد فإن هذاالحدث من أجل مانقموا عليه فإن كان شىء من ذلك يوجب خلع عثمان وقتله فليس إلا هذا و قـدعلمنا أن هـذاالأمر لوثبت مـا كـان يوجب القتـل لأـن الأـمر بالقتل لايوجب القتل سـيما قبل وقوع القتل المأمور به فنقول لهم لوثبت ذلك على عثمان أ كان يجب قتله فلايمكنهم ادعاء [صـفحه ۱۵] ذلك لأنه بخلاف الـدين و لابد أن يقولوا إن قتله ظلم وكـذلك حبسه فى الدار ومنعه من الماء فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك و أن يقال إن من لم يدفعهم وينكر عليهم يكون مخطئا. و فى القول بأن الصـحابهٔ اجتمعوا على ذلك كلهم تخطئهٔ لجميع أصحاب رسول الله ص و ذلك غيرجائز و قدعلم أيضا أن المسـتحق للقتل والخلع لايحل أن يمنع الطعام والشراب وعلم أن أمير المؤمنين ع لم يمنع أهل الشام من الماء فى صفين و قدتمكن من منعهم و كل ذلك يدل على كون عثمان مظلوما و أن ذلك من صـنع الجهال و أن أعيان الصحابهٔ كانوا كارهين لذلك وأيضا فإن قتله لووجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس و لاشبههٔ أن الذين أقدموا على قتله كانوا بهذه الصفهٔ و إذاصح أن قتله لم يكن لهم فمنعهم والنكير عليهم واجب . وأيضا فقـد علم أنه لم يكن من عثمان مايسـتحق به القتل من كفر بعـدإيمان أوزنى بعـدإحصان أوقتل نفس بغير حق و أنه لو كان منه مايوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام فقتله على كل حال منكر

وإنكـار المنكر واجب . و ليس لأحـد أن يقول إنه أبـاح قتل نفسه من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم لأنه لم يمتنع من ذلک بل أنصـفهم ونظر فى حـالهم ولأـنه لو لم يفعـل ذلک لم يحل لهم قتله لأنه إنما يحل قتل الظالم إذا کان على وجه الـدفع والمروى أنهم أحرقوا بـابه وهجموا عليه فى منزله وبعجوه بالسـيف والمشـاقص وضـربوا يـد زوجته لمـاوقعت عليه وانتهبوا متاع داره ومثل هـذه القتلهٔ لاتحل فى الکافر والمرتد فکيف يظن أن الصـحابهٔ لم ينکروا ذلک و لم يعدوه ظلما حتى يقال إنه مسـتحق من حيث لم يـدفع القوم عنه و قـدتظاهر الخبر بما جرى من تجمع القوم عليه وتوسط أمير المؤمنين ع لأمرهم و أنه [صـفحه ۱۶] بذل لهم ماأرادوه وأعتبهم وأشـهد على نفسه بذلک و أن الکتاب الموجود بعد ذلک المتضـمن لقتل القوم ووقف عليه وممن أوقفه عليه أمير المؤمنين ع فحلف أنه ماکتبه و لاأمر به فقال له فمن تتهم قال ماأتهم أحـدا و إن للناس لحيلا. والروايهٔ ظاهرهٔ أيضا بقوله إن کنت أخطـأت أوتعمـدت فـإنى تائب ومسـتغفر -روايت-۱-۲-روايت-۹-۵۴ فکيـف يجـوز والحـال هـذه أن تهتـک فيـه حرمهٔ الإسـلام وحرمهٔ البلد الحرام و لاشـبههٔ فى أن القتل على وجه الغيلهٔ لايحل فيمن يسـتحق القتل فکيف فيمن لايسـتحقه و لو لا أنه کان يمنع من محاربـهٔ القوم ظنا منه أن ذلک يؤدى إلى القتل الذريع لکثر أنصاره . و قدجاء فى الروايهٔ أن الأنصار بدأت معونته ونصـرته و أن أمير المؤمنين ع قـدبعث إليه ابنه الحسن ع فقـال له قل لأبيک فلتأتنى فأراد أمير المؤمنين ع المصـير إليه فمنعه من ذلک محمدابنه واستعان بالنساء عليه حتى جاء الصريخ بقتل عثمان فمد يده إلى القبلهٔ و قال أللهم إنى أبرأ إليک من دم عثمان . فـإن قـالوا إنهم اعتقـدوا أنه من المفسـدين فى الأـرض و أنه داخـل تحت آيـهٔ المحاربين .قيل فقـد کان يجب أن يتولى الإمام هـذاالفعل لأن ذلک يجرى مجرى الحـد وکيف يدعى ذلک والمشـهور عنه أنه کان يمنع من مقاتلتهم حتى روى أنه قال لعبيدهٔ ومواليه و قـدهموا بالقتال من أغمـد سـيفه فهو حر ولقد کان مؤثرا لنکير ذلک الأمر بما لايؤدى إلى إراقهٔ الدماء والفتنهٔ ولذلک لم يسـتعن بأصـحاب الرسول ص و إن کان لماشـتد الأمر أعانه من أعان لأن عنـد ذلک تجب النصـرهٔ والمعونهٔ فحيث [صـفحه ۱۷] کـانت الحـال متماسـکهٔ و کـان ينهى عن إنجاده وإعانته بالحرب امتنعوا وتوقفوا وحيث اشـتد الأمر أعانه ونصـره من أدرکه دون من لم يغلب ذلک فى ظنه .اعترض المرتضـى رحمه الله تعالى هـذاالکلام فقال أما قوله لم يکن عالما بحال الفسـقهٔ الـذين ولاـهم قبـل الولايـهٔ فلاتعويـل عليه لأـنه لم يول هؤلاـء النفر إلاـ وحالهم مشـهورهٔ فى الخلاعـهٔ والمجانـهٔ والتجرم والتهتک و لم يختلف اثنان فى أن الوليـد بن عقبـهٔ لم يسـتأنف التظاهر بشـرب الخمر والاسـتخفاف بالدين على اسـتقبال ولايته للکوفهٔ بل هذه کـانت سـنته والعـادهٔ المعروفـهٔ منه وکيف يخفى على عثمـان و هوقريبه ولصـيقه وأخوه لأـمه من حـاله ما لايخفى على الأجانب الأباعـد ولهـذا قـال له سـعد بن أبى وقـاص فى روايـهٔ الواقـدى و قـددخل الکوفـهٔ يا أباوهب أميرأم زائر قال بل أمير فقال سـعد ماأدرى أحمقت بعـدک أم کست بعدى قال ماحمقت بعدى و لاکست بعدک ولکن القوم ملکوا فاسـتأثروا فقال سـعد ماأراک إلاصادقا. و فى روايـهٔ أبى مخنف لوط بن يحيى الأزدى أن الوليد لمادخل الکوفهٔ مر على مجلس عمرو بن زرارهٔ النخعى فوقف فقال عمرو يامعشـر بنى أسد بئسـما استقبلنا به أخوکم ابن عفان أ من عدله أن ينزع عنا ابن أبى وقاص الهين اللين السهل القريب ويبعث بدله أخاه الوليد الأحمق الماجن الفاجر قديما وحديثا واستعظم الناس مقدمه وعزل سعد به وقالوا أراد عثمان کرامهٔ أخيه بهوان أمهٔ محمدص و هذاتحقيق ماذکرناه من أن حاله کانت مشـهورهٔ قبل الولايهٔ لاريب فيها عندأحد فکيف [صفحه ۱۸] يقال إنه کان مستورا حتى ظهر منه ماظهر و فى الوليد نزل قوله تعالى أَ فَمَن کانَ مُؤمِناً کَمَن کانَ فاسِـقاً لا يَستَوُونَفالمؤمن هاهنا أمير المؤمنين ع والفـاسق الوليـد على مـاذکره أهـل التأويـل و فيه نزل قوله تعـالى يـا أَيّهَا الّـذِينَ آمَنُوا إِن جاءَکُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهالَهٍٔ فَتُصبِحُوا عَلى ما فَعَلتُم نادِمِينَ والسبب فى ذلک أنه کذب على بنى المصطلق عند رسول الله ص وادعى أنهم منعوه الصدقـهٔ و لوقصصـنا مخازيه المتقدمـهٔ ومساويه لطال بهاالشرح . و أماشـربه الخمر بالکوفـهٔ وسـکره حتى دخل عليه [من دخل] وأخـذ خاتمه من إصـبعه و هو لايعلم فظاهر و قدسارت به الرکبان وکذلک کلامه فى الصـلاهٔ والتفاته إلى من يقتدى به

فيها و هوسكران و قوله لهم أأزيدكم فقالوا لا قدقضينا صلواتنا حتى قال الحطيئة فى ذلك . -قرآن-٧٢-١٢٦-قرآن-٢٢٥-٣٦٣ شهد الحطيئة يوم يلقى ربه || أن الوليد أحق بالعذر [صفحه ١٩] نادى و قدنفدت صلاتهم || أأزيدكم ثملا و مايدرى ليزيدهم خيرا و لوقبلوا || منه لقادهم على عشر فأبوا أباوهب و لوفعلوا || لقرنت بين الشفع والوتر حبسوا عنانك إذ جريت و لو || خلوا عنانك لم تزل تجرى . و قال فيه أيضا تكلم فى الصلاة وزاد فيها || علانية وجاهر بالنفاق ومج الخمر فى سنن المصلى || ونادى والجميع إلى افتراق أزيدكم على أن تحمدونى || فما لكم و ما لى من خلاق . و أما قوله إنه جلده الحد وعزله فبعد أى شىء كان ذلك و لم يعزله إلا بعد أن دافع ومانع واحتج عنه وناضل و لو لم يقهره أمير المؤمنين ع على رأيه لماعزله و لاأمكن من جلده و قدروى الواقدى أن عثمان لماجاءه الشهود يشهدون على الوليد بشرب الخمر أوعدهم وتهددهم . قال الواقدى ويقال إنه ضرب بعض الشهود أيضا أسواطا فأتوا أمير المؤمنين ع فشكوا إليه فأتى عثمان فقال عطلت الحدود وضربت قوما شهدوا على أخيك فقلبت الحكم و قد قال لك عمر لاتحمل بنى أمية وآل أبى معيط على رقاب الناس قال فما ترى قال أرى أن تعزله و لاتوليه شيئا من أمور المسلمين و أن تسأل عن الشهود فإن لم يكونوا أهل ظنة و لاعداوة أقمت على صاحبك الحد وتكلم فى مثل ذلك طلحة والزبير وعائشة وقالوا أقوالا شديدة وأخذته الألسن من كل جانب فحينئذ عزله ومكن من إقامة الحد عليه . [صفحه ٢٠] و قدروى الواقدى أن الشهود لماشهدوا عليه فى وجهه وأراد عثمان أن يحده ألبسه جبة خز وأدخله بيتا فجعل إذابعث إليه رجلا من قريش ليضربه قال له الوليد أنشدك الله أن تقطع رحمى وتغضب أمير المؤمنين فلما رأى على ع ذلك أخذ السوط ودخل عليه فجلده به فأى عذر لعثمان فى عزله وجلده بعد هذه الممانعة الطويلة والمدافعة الشديدة. وقصة الوليد مع الساحر ألذى كان يلعب بين يديه ويغر الناس بمكره وخديعته و أن جندب بن عبد الله الأزدى امتعض من ذلك ودخل عليه فقتله و قال له أحى نفسك إن كنت صادقا و أن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر حتى أنكر الأزد ذلك عليه فحبسه وطال حبسه حتى هرب من السجن معروفة مشهورة. فإن قيل فقد ولى رسول الله ص الوليد بن عقبة هذاصدقة بنى المصطلق وولاه عمر صدقة تغلب فكيف تدعون أن حاله فى أنه لايصلح للولاية ظاهرة.قلنا لاجرم إنه غر رسول الله ص وكذب على القوم حتى نزلت فيه الآية التى قدمنا ذكرها فعزله و ليس خطب ولاية الصدقة مثل خطب ولاية الكوفة.فأما عمر فإنه لمابلغه قوله إذا ماشددت الرأس منى بمشوذ || فويلك منى تغلب ابنة وائل عزله . و أماعزل أمير المؤمنين ع بعض أمرائه لماظهر من الحدث كالقعقاع بن شور وغيره وكذلك عزل عمر قدامة بن مظعون لماشهد عليه بشرب الخمر وجلده له فإنه لايشبه ماتقدم لأن كل واحد ممن ذكرناه لم يول إلا من هوحسن الظاهر عنده و عند الناس غيرمعروف باللعب و لامشهور بالفساد ثم لماظهر منه ماظهر [صفحه ٢١] لم يحام عنه و لاكذب الشهود عليه وكابرهم بل عزله مختارا غيرمضطر و كل هذا لم يجر فى أمراء عثمان و قدبينا كيف كان عزل الوليد وإقامة الحد عليه .فأما أبو موسى فإن أمير المؤمنين ع لم يوله الحكم مختارا لكنه غلب على رأيه وقهر على أمره و لارأى لمقهور.فأما قوله إن ولاية الأقارب كولاية الأباعد بل الأقارب أولى من حيث كان التمكن من عزلهم أشد وذكر تولية أمير المؤمنين ع أولاد العباس رحمه الله تعالى وغيرهم فليس بشىء لأن عثمان لم ينقم عليه تولية الأقارب من حيث كانوا أقارب بل من حيث كانوا أهل بيت الظنة والتهمة ولهذا حذره عمر وأشعر بأنه يحملهم على رقاب الناس و أمير المؤمنين ع لم يول من أقاربه متهما و لاظنينا وحين أحس من ابن العباس ببعض الريبة لم يمهله و لااحتمله وكاتبه بما هوشائع ظاهر و لو لم يجب على عثمان أن يعدل عن ولاية أقاربه إلا من حيث جعل عمر ذلك سبب عدوله عن النص عليه وشرط عليه يوم الشورى ألا يحمل أقاربه على رقاب الناس و لايؤثرهم لمكان القرابة بما لايؤثر به غيرهم لكان صارفا قويا فضلا عن أن ينضاف إلى ذلك ماانضاف من خصالهم الذميمة وطرائقهم القبيحة.فأما سعيد بن أبى العاص فإنه قال فى الكوفة إنما السواد بستان لقريش تأخذ منه ماشاءت وتترك حتى قالوا له أتجعل ماأفاء الله علينا بستانا لك ولقومك ونابذوه وأفضى الأمر

إلى تسييره من سير عن الكوفة والقصة مشهورة ثم انتهى الأمر إلى منع أهل الكوفة سعيدا من دخولها وتكلموا فيه و فيه عثمان كلاما ظاهرا حتى [صفحه ٢٢] كادوا يخلعون عثمان فاضطر حينئذ إلى إجابتهم إلى ولاية أبى موسى فلم يصرف سعيدا مختارا بل ماصرفه جملة وإنما صرفه أهل الكوفة عنهم .فأما قوله إنه أنكر الكتاب المتضمن لقتل محمد بن أبى بكر وأصحابه وحلف على أن الكتاب ليس بكتابه و لاالغلام غلامه و لاالراحلة راحلته و أن أمير المؤمنين ع قبل عذره فأول ما فيه أنه حكى القصة بخلاف ماجرت عليه لأن جميع من يروى هذه القصة ذكر أنه اعترف بالخاتم والغلام والراحلة وإنما أنكر أن يكون أمر بالكتابة لأنه روى أن القوم لماظفروا بالكتاب قدموا المدينة فجمعوا أمير المؤمنين ع وطلحة والزبير وسعدا وجماعة الأصحاب ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام فدخلوا على عثمان والكتاب مع أمير المؤمنين فقال له أ هذاالغلام غلامك قال نعم قال والبعير بعيرك قال نعم قال أفأنت كتبت هذاالكتاب قال لا وحلف بالله أنه ماكتب الكتاب و لاأمر به فقال له فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك و لاتعلم به . و فى رواية أخرى أنه لماواقفه عليه قال عثمان أماالخط فخط كاتبى و أماالخاتم فعلى خاتمى قال فمن تتهم قال أتهمك وأتهم كاتبى فخرج أمير المؤمنين ع مغضبا و هو يقول بل بأمرك ولزم داره و بعد عن توسط أمره حتى جرى عليه ماجرى . وأعجب الأمور قوله لأمير المؤمنين ع إنى أتهمك وتظاهره بذلك وتلقيه إياه فى وجهه بهذا القول مع بعده من التهمة والظنة فى كل شىء و فى أمره خاصة فإن القوم فى الدفعة الأولى أرادوا أن يعجلوا له ماأخبروه حتى قام أمير المؤمنين ع بأمره وتوسطه وأصلحه وأشار عليه بأن يقاربهم ويعينهم حتى انصرفوا عنه و هذا [صفحه ٢٣] فعل النصيح المشفق الحدب المتحنن و لو كان ع وحوشى من ذلك متهما عليه لما كان للتهمة عليه مجال فى أمر الكتاب خاصة لأن الكتاب بخط عدوه مروان و فى يد غلام عثمان ومحمول على بعيره ومختوم بخاتمه فأى ظن تعلق بأمير المؤمنين ع فى هذاالمكان لو لاالعداوة وقلة الشكر للنعمة. ولقد قال له المصريون لماجحد أن يكون الكتاب كتابه شيئا لازيادة عليه فى باب الحجة لأنهم قالوا له إذاكنت ماكتبت و لاأمرت به فأنت ضعيف من حيث تم عليك أن يكتب كاتبك بما تختمه بخاتمك وينفذه بيد غلامك و على بعيرك بغير أمرك و من تم عليه ذلك لايصلح أن يكون واليا على أمور المسلمين فاختلع عن الخلافة على كل حال . قال ولقد كان يجب على صاحب المغنى أن يستحيى من قوله إن أمير المؤمنين ع قبل عذره وكيف يقبل عذر من يتهمه ويستغشه و هو له ناصح و ماقاله أمير المؤمنين ع بعدسماع هذاالقول منه معروف . و قوله إن الكتاب يجوز فيه التزوير ليس بشىء لأنه لايجوز التزوير فى الكتاب والغلام والبعير و هذه الأمور إذاانضاف بعضها إلى بعض بعد فيهاالتزوير و قد كان يجب على كل حال أن يبحث عن القصة وعمن زور الكتاب وأنفذ الرسول و لاينام عن ذلك حتى يعرف من أين دهى وكيف تمت الحيلة عليه فيحترز من مثلها و لايغضى عن ذلك إغضاء ساتر له خائف من بحثه وكشفه .فأما قوله إنه و إن غلب على الظن أن مروان كتب الكتاب فإن الحكم بالظن لايجوز وتسليمه إلى القوم على ماسألوه إياه ظلم لأن الحد والأدب إذاوجب عليه فالإمام يقيمه دونهم فتعلل بما لايجدى لأنا لانعمل إلا على قوله فى أنه لم يعلم أن [صفحه ٢٤] مروان هو ألذى كتب الكتاب وإنما غلب على ظنه أ ما كان يستحق مروان بهذا الظن بعض التعنيف والزجر والتهديد أ و ما كان يجب مع وقوع التهمة عليه وقوة الأمارات فى أنه جالب الفتنة وسبب الفرقة أن يبعده عنه ويطرده من داره ويسلبه ما كان يخصه به من إكرامه و ما فى هذه الأمور أظهر من أن ينبه له .فأما قوله إن الأمر بالقتل لايوجب قودا و لادية سيما قبل وقوع القتل المأمور به فهب أن ذلك على ما قال أ ماأوجب الله تعالى على الأمر بقتل المسلمين تأديبا و لاتعزيرا و لاطردا و لاإبعادا. و قوله لم يثبت ذلك قدمضى ما فيه و بين أنه لم يستعمل فيه مايجب استعماله من البحث والكشف وتهديد المتهم وطرده وإبعاده والتبرؤ من التهمة بما يتبرأ به من مثلها.فأما قوله إن قتله ظلم وكذلك حبسه فى الدار ومنعه من الماء وإنه لواستحق القتل أوالخلع لايحل أن يمنع الطعام والشراب و قوله إن من لم يدفع عن ذلك من الصحابة يجب أن يكون مخطئا و

قوله إن قتله لوجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس فباطل لأن الذين قتلوه غيرمنكر أن يكونوا تعمدوا قتله وإنما طالبوه بأن يخلع نفسه لماظهر لهم من أحداثه ويعتزل عن الأمر اعتزالا يتمكنون معه من إقامة غيره فلج وصمم على الامتناع وأقام على أمر واحد فقصد القوم بحصره أن يلجئوه إلى خلع نفسه فاعتصم بداره واجتمع إليه نفر من أوباش بنى أمية يدفعون عنه ويرمون من دنا إلى الدار فانتهى الأمر إلى القتال بتدريج ثم إلى القتل و لم يكن القتال و لاالقتل مقصودين فى الأصل وإنما أفضى الأمر إليهما على ترتيب وجرى ذلك مجرى [صفحه ٢٥] ظالم غلب إنسانا على رحله أومتاعه فالواجب على المغلوب أن يمانعه ويدافعه ليخلص ماله من يده و لايقصد إلى إتلافه و لاقتله فإن أفضى الأمر إلى ذلك بلا قصد كان معذورا وإنما خاف القوم فى التأنى به والصبر عليه إلى أن يخلع نفسه من كتبه التى طارت فى الآفاق يستنصر عليهم ويستقدم الجيوش إليهم و لم يأمنوا أن يرد بعض من يدفع عنه فيؤدى ذلك إلى الفتنة الكبرى والبلية العظمى . و أمامنع الماء والطعام فما فعل ذلك إلاتضييقا عليه ليخرج ويحوج إلى الخلع الواجب عليه و قديستعمل فى الشريعة مثل ذلك فيمن لجأ إلى الحرم من ذوى الجنايات وتعذر إقامة الحد عليه لمكان الحرم على أن أمير المؤمنين ع قدأنكر منع الماء والطعام وأنفذ من مكن من حمل ذلك لأنه قد كان فى الدار من الحرم والنسوان والصبيان من لايحل منعه من الطعام والشراب و لو كان حكم المطالبة بالخلع والتجمع عليه والتضافر فيه حكم منع الطعام والشراب فى القبح والمنكر لأنكره أمير المؤمنين ع ومنع منه كمامنع من غيره فقد روى عنه ع أنه لمابلغه أن القوم قدمنعوا الدار من الماء قال لاأرى ذلك إن فى الدار صبيانا وعيالا لاأرى أن يقتل هؤلاء عطشا بجرم عثمان فصرح بالمعنى ألذى ذكرناه ومعلوم أن أمير المؤمنين ع ماأنكر المطالبة بالخلع بل كان مساعدا على ذلك ومشاورا فيه .فأما قوله إن قتل الظالم إنما يحل على سبيل الدفع فقد بينا أنه لاينكر أن يكون قتله وقع على ذلك الوجه لأنه فى تمسكه بالولاية عليهم و هو لايستحقها فى حكم الظالم لهم فمدافعته واجبة. [صفحه ٢٦] و أماقصة الكتاب الموجود فلم يحكها على الوجه و قدشرحنا نحن الرواية الواردة بها. و أما قوله إنه قال إن كنت أخطأت أوتعمدت فإنى تائب مستغفر فقد أجابه القوم عن هذا وقالوا هكذا قلت فى المرة الأولى وخطبت على المنبر بالتوبة والاستغفار ثم وجدنا كتابك بما يقتضى الإصرار على أقبح ماعتبنا منه فكيف نثق بتوبتك واستغفارك .فأما قوله إن القتل على وجه الغيلة لايحل فيمن يستحق القتل فكيف فيمن لايستحقه فقد بينا أنه لم يكن على سبيل الغيلة و أنه لايمتنع أن يكون إنما وقع على سبيل المدافعة.فأما ادعاؤه أنه منع من نصرته وأقسم على عبيده بترك القتال فقد كان ذلك لعمرى فى ابتداء الأمر ظنا منه أن الأمر ينصلح والقوم يرجعون عما هموا به فلما اشتد الأمر ووقع اليأس من الرجوع والنزوع لم يمنع أحدا من نصرته والمحاربة عنه وكيف يمنع من ذلك و قدبعث إلى أمير المؤمنين ع يستنصره ويستصرخه . و ألذى يدل على أنه لم يمنع فى الابتداء من محاربتهم إلااللوجه ألذى ذكرناه دون غيره أنه لاخلاف بين أهل الرواية غب عن نصرة الحاضر من يستدعى نصرة الغائب .فأما قوله إن أميفى أن كتبه تفرقت فى الآفاق يستنصر ويستدعى الجيوش فكيف يرر المؤمنين ع أراد أن يأتيه حتى منعه ابنه محمدفقول بعيد مما جاءت به الرواية جدا لأنه لاإشكال فى أن أمير المؤمنين ع لماواجهه عثمان بأنه يتهمه ويستغشه انصرف مغضبا عامدا على أنه لايأتيه أبدا قائلا فيه مايستحقه من الأقوال . [صفحه ٢٧] فأما قوله فى جواب سؤال من قال إنهم اعتقدوا فيه أنه من المفسدين فى الأرض و أن آية المحاربة تتناوله و أنه قد كان يجب أن يتولى الإمام ذلك الفعل بنفسه لأن ذلك يجرى مجرى الحد فطريف لأن الإمام يتولى مايجرى هذاالمجرى إذا كان منصوبا ثابتا و لم يكن على مذهب القوم هناك إمام يجوز أن يتولى مايجرى مجرى الحدود ومتى لم يكن إمام يقوم بالدفع عن الدين والذب عن الأمة جاز أن تتولى الأمة ذلك بنفوسها. قال و مارأيت أعجب من ادعاء مخالفينا أن أصحاب الرسول ص كانوا كارهين لماجرى على عثمان وأنهم كانوا يعتقدونه منكرا وظلما و هذايجرى عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر فى الأخبار وسماع ماورد من شرح هذه القصة لأنه معلوم أن مايكرهه جميع الصحابة أوأكثرهم فى دار عزهم وبحيث ينفذ أمرهم ونهيهم لايجوز أن يتم ومعلوم أن

نفرا من أهل مصر لايجوز أن يقدموا المدينة فيغلبوا جميع المسلمين على آرائهم ويفعلوا بإمامهم مايكرهونه بمرأى منهم ومسمع و هـذامعلوم بطلانه بالبداهـة والضـرورات قبل تصـفح الأخبار وتأملها و قـدروى الواقدى عن ابن أبى الزناد عن أبى جعفرالقارئ مولى بنى مخزوم قال كان المصـريون الذين حصـروا عثمان سـتمائة عليهم عبدالرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر الكندى وعمرو بن الحمق الخزاعى والـذين قـدموا المدينـة من الكوفـة مائتين عليهم مالك الأشتر النخعى والـذين قدموا من البصـرة مائة رجل رئيسهم حكيم بن جبلة العبدى و كان أصحاب النبى ص الذين خذلوه لايرون أن الأمر يبلغ به القتل ولعمرى لوقام بعضهم فحثا التراب فى وجوه أولئك لانصـرفوا و هـذه الروايـة تضـمنت من عـدد القوم الوافـدين فى هـذاالباب أكثر مما تضـمنه غيرها. وروى شعبة بن الحجاج عن سعد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال قلت له [صفحه ٢٨] كيف لم يمنع أصحاب رسول الله ص عن عثمان فقال إنما قتله أصـحاب رسول الله ص . وروى عن أبى سـعيد الخـدرى أنه سـئل عن مقتل عثمان هل شـهده أحد من أصـحاب رسول الله ص فقال نعم شـهده ثمانمائـة. وكيف يقال إن القوم كانوا كارهين وهؤلاء المصـريون كانوا يغـدون إلى كل واحـد منهم ويروحون ويشاورونه فيما يصـنعونه و هـذا عبدالرحمن بن عوف و هوعاقد الأمر لعثمان وجالبه إليه ومصيره فى يـده يقول على مـارواه الواقـدى و قـدذكر له عثمان فى مرضه ألـذى مات فيه عاجلوه قبل أن يتمادى فى ملكه فبلغ ذلك عثمان فبعث إلى بئر كان عبدالرحمن يسـقى منها نعمه فمنع منها ووصـى عبدالرحمن ألا يصلى عليه عثمان فصلى عليه الزبير أوسعد بن أبى وقـاص و قـد كـان حلف لماتتابعت أحـداث عثمان ألا يكلمه أبـدا. وروى الواقـدى قال لماتوفى أبوذر بالربـذة تـذاكر أمير المؤمنين ع و عبدالرحمن فعل عثمان فقال أمير المؤمنين ع له هذاعملك فقال عبدالرحمن فإذاشئت فخذ سيفك وآخذ سـيفى إنه خالف ماأعطانى.فأما محمد بن مسـلمة فإنه أرسل إليه عثمان يقول له عندقدوم المصـريين فى الدفعة الثانية اردد عنى فقال لا و الله لاأكـذب الله فى سـنة مرتين وإنما عنى بـذلك أنه كان أحـد من كلم المصـريين فى الدفعة الأولى وضـمن لهم عن عثمان الرضا. و فى رواية الواقدى أن محمد بن مسلمة كان يموت وعثمان محصور فيقال له عثمان مقتول فيقول هوقتل نفسه . [صفحه ٢٩] فأما كلام أمير المؤمنين ع وطلحـة والزبير وعائشـة وجميع الصـحابة واحدا واحدا فلو تعاطينا ذكره لطال به الشـرح و من أراد أن يقـف على أقوالهم مفصـلة و ماصـرحوا به من خلعه والإجلاـب عليه فعليه بكتـاب الواقـدى فقـد ذكر هو وغيره من ذلـك ما لازيادة عليه .الطعن الثانى كونه رد الحكم بن أبى العاص إلى المدينة و قد كان رسول الله ص طرده وامتنع أبوبكر من رده فصار بـذلك مخالفا للسـنة ولسـيرة من تقدمه مدعيا على رسول الله ص عاملا بدعواه من غيربينة. قال قاضـى القضاة رحمه الله وجوابنا عن ذلـك أن المروى فى الأخبار أنه لماعوتب فى ذلك ذكر أنه اسـتأذن رسول الله ص فيه وإنما لم يقبل أبوبكر وعمر قوله لأنه شاهـد واحـد وكـذلك روى عنهمـا فكأنهمـا جعلاـ ذلك بمنزلـة الحقوق التى تختص فلم يقبلا فيه خبر الواحـد وأجرياه مجرى الشـهادة فلمـا صـار الأمر إليه حكم بعلمه لأن للحاكم أن يحكم بعلمه فى هـذاالباب و فى غيره عندشـيخينا و لايفصـلان بين حد وحق و لاـ بين أن يكون العلم قبـل الولايـة أوحـال الولايـة ويقولان إنه أقوى من البينـة والإقرار. و قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى إنه لاوجه يقطع به على كـذب روايته فى إذن [صـفحه ٣٠] النبى ص فى رده و لابـد من تجويز كونه صادقـا و فى تجويز ذلك كونه معـذورا. فإن قيل الحاكم إنما يحكم بعلمه مع زوال التهمة و قدكانت التهمة فى رد الحكم قوية لقرابته .قيل الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه لأنه قدنصب منصبا يقتضـى زوال التهمة عنه وحمل أفعاله على الصحة ومتى طرقنا عليه التهمـة أدى إلى بطلان كثير من الأحكام و قـد قال الشـيخ أبو الحسـين الخياط رحمه الله تعالى إنه لو لم يكن فى رده إذن من رسول الله ص لجـاز أن يكون طريقه الاجتهـاد لأـن النفى إذا كـان صـلاحا فى الحـال لاـيمتنع أن يتغير حكمه باختلاف الأوقـات وتغير حـال المنفى و إذا كـان لأـبى بكر أن يسترد عمر من جيش أسامـة للحاجة إليه و إن كـان قـدأمر رسول الله ص بنفوذه من حيث تغيرت الحـال فغير ممتنع مثله فى الحكم .اعترض المرتضـى رحمه الله تعـالى على هـذا فقال أمادعواه أن عثمان

ادعى أن رسول الله ص أذن فى رد الحكم فشىء لم يسمع إلا من قاضى القضاة و لايدرى من أين نقله و لا فى أى كتاب وجده و ألذى رواه الناس كلهم خلاف ذلك روى الواقدى من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبى العاص لماقدم المدينة بعدالفتح أخرجه النبى ص إلى الطائف و قال لاتساكنى فى بلد أبدا فجاءه عثمان فكلمه فأبى ثم كان من أبى بكر مثل ذلك ثم كان من عمر مثل ذلك فلما قام عثمان أدخله ووصله وأكرمه فمشى فى ذلك على والزبير وطلحة وسعد و عبدالرحمن بن عوف [صفحه ۳۱] وعمار بن ياسر حتى دخلوا على عثمان فقالوا له إنك قدأدخلت هؤلاء القوم يعنون الحكم و من معه و قد كان النبى ص أخرجهم وإنا نذكرك الله والإسلام ومعادك فإن لك معادا ومنقلبا و قدأبت ذلك الولاة قبلك و لم يطمع أحد أن يكلمها فيهم و هذا شىءنخاف الله فيه عليك فقال عثمان إن قرابتهم منى ماتعلمون و قد كان رسول الله ص حيث كلمته أطعمنى فى أن يأذن لهم وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم و لم يضركم مكانهم شيئا و فى الناس من هوشر منهم فقال على ع لاأجد شرا منه و لامنهم ثم قال هل تعلم عمر يقول و الله ليحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس و الله إن فعل ليقتلنه فقال عثمان ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة مابينى وبينه وينال من المقدرة مانلت إلا قد كان سيدخله و فى الناس من هوشر منه قال فغضب على ع و قال و الله لتأتينا بشر من هذا إن سلمت وسترى ياعثمان غب ماتفعل ثم خرجوا من عنده . و هذا كماترى خلافماادعاه صاحب المغنى لأن الرجل لمااحتفل ادعى أن رسول الله ص كان أطعمه فى رده ثم صرح بأن رعايته فيه القرابة هى الموجبة لرده ومخالفة الرسول ع و قدروى من طرق مختلفة أن عثمان لماكلم أبابكر وعمر فى رد الحكم أغلظا له وزبراه و قال له عمر يخرجه رسول الله ص وتأمرنى أن أدخله و الله لوأدخلته لم آمن أن يقول قائل غيرعهد رسول الله ص و الله لأن أشق باثنتين كماتشق الأبلمة أحب إلى من أن أخالف لرسول الله أمرا وإياك يا ابن عفان أن تعاودنى فيه بعداليوم و مارأينا [صفحه ۳۲] عثمان قال فى جواب هذاالتعنيف والتوبيخ من أبى بكر وعمر إن عندى عهدا من رسول الله ص فيه لاأستحق معه عتابا و لاتهجينا وكيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله ص معظم له أن يأتى إلى عدو رسول الله ص مصرح بعداوته والوقيعة فيه حتى بلغ به الأمر إلى أن كان يحكى مشيته طرده رسول الله وأبعده ولعنه حتى صار مشهورا بأنه طريد رسول الله ص فيكرمه ويرده إلى حيث أخرج منه ويصله بالمال العظيم إما من مال المسلمين أو من ماله إن هذاالعظيم كبير قبل التصفح والتأمل والتعلل بالتأويل الباطل .فأما قول صاحب المغنى إن أبابكر وعمر لم يقبلا قوله لأنه شاهد واحد وجعلا ذلك بمنزلة الحقوق التى تخص فأول ما فيه أنه لم يشهد عندهما بشىء واحد فى باب الحكم على مارواه جميع الناس ثم ليس هذا من باب ألذى يحتاج فيه إلى الشاهدين بل هوبمنزلة كل مايقبل فيه أخبار الآحاد وكيف يجوز أن يجرى أبوبكر وعمر مجرى الحقوق ما ليس منها و قوله لابد من تجويز كونه صادقا فى روايته لأن القطع على كذب روايته لاسبيل إليه ليس بشىء لأنا قدبينا أنه لم يرو عن الرسول ص إذنا إنما ادعى أنه أطمعه فى ذلك و إذاجوزنا كونه صادقا فى هذه الرواية بل قطعنا على صدقه لم يكن معذورا.فأما قوله الواجب على غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه لانتصابه منصبا يزيل التهمة فأول ما فيه أن الحاكم لايجوز أن يحكم بعلمه مع التهمة والتهمة قدتكون لها أمارات وعلامات فما وقع منها عن أمارات وأسباب تتهم فى العادة كان مؤثرا و ما لم يكن كذلك فلاتأثير له والحكم هوعم عثمان وقريبه ونسيبه و من [صفحه ۳۳] قدتكلم فى رده مرة بعدأخرى ولوال بعدوال و هذه كلها أسباب التهمة فقد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه فى هذاالباب خاصة لتطرق التهمة إليه .فأما ماحكاه عن أبى الحسين الخياط من أن الرسول ص لو لم يأذن فى رده لجاز أن يرده إذاأداه اجتهاده إلى ذلك لأن الأحوال قدتتغير فظاهر البطلان لأن الرسول ع إذاحظر شيئا أوأباحه لم يكن لأحد أن يجتهد فى إباحة المحظور أوحظر المباح و من يجوز الاجتهاد فى الشريعة لايقدم على مثل هذالأنه إنما يجوز عندهم فيما لانص فيه و لوسوغنا الاجتهاد فى مخالفة ماتناوله النص لم يؤمن أن يؤدى اجتهاد مجتهد إلى تحليل الخمر وإسقاط الصلاة بأن تتغير الحال و هذاهدم للشريعة فأما الاستشهاد باسترداد عمر من جيش أسامة فالكلام فى

الأمرين واحد.الطعن الثالث أنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التى هى عدة المسلمين نحو ماروى أنه دفع إلى أربعة أنفس من قريش زوجهم بناته أربعمائة ألف دينار وأعطى مروان مائة ألف عندفتح إفريقية ويروى خمس إفريقية و غير ذلك و هذابخلاف سيرة من تقدمه فى القسمة على الناس بقدر الاستحقاق وإيثار الأباعد على الأقارب . قال قاضى القضاة وجوابنا عن ذلك أن من الظاهر المشهور أن عثمان كان عظيم اليسار كثير المال فلايمتنع أن يكون إنما أعطى أهل بيته من ماله و إذااحتمل ذلك وجب حمله على الصحة. و قد قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى أن ألذى روى من دفعه إلى ثلاثة نفر من قريش زوجهم بناته إلى كل واحد منهم مائة ألف دينار إنما هو من ماله و لارواية [صفحه ۳۴] تصح أنه أعطاهم ذلك من بيت المال و لوصح ذلك لكان لايمتنع أن يكون أعطاهم من بيت المال ليرد عوضه من ماله لأن للإمام عندالحاجة أن يفعل ذلك كما له أن يقرض غيره . و قال شيخنا أبو على أيضا أن ماروى من دفعه خمس إفريقية لمافتحت إلى مروان ليس بمحفوظ و لامنقول على وجه يجب قبوله وإنما يرويه من يقصد التشنيع و قد قال الشيخ أبو الحسين الخياط أن ابن أبى سرح لماغزا البحر ومعه مروان فى الجيش ففتح الله عليهم وغنموا غنيمة عظيمة اشترى مروان من ابن أبى سرح الخمس بمائة ألف وأعطاه أكثرها ثم قدم على عثمان بشيرا بالفتح و قدكانت قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب له مابقى عليه من المال وللإمام فعل مثل ذلك ترغيبا فى مثل هذه الأمور. قال و هذاالصنع كان منه فى السنة الأولى من إمامته و لم يبرأ أحد منه فيها فلاوجه للتعلق بذلك . وذكر أبو الحسين الخياط أيضا فيما أعطاه أقاربه أنه وصلهم لحاجتهم فلايمتنع مثله فى الإمام إذارآه صلاحا وذكر فى إقطاعه القطائع لبنى أمية أن الأئمة قدتحصل فى أيديهم الضياع لامالك لها ويعلمون أنها لابد فيهاممن يقوم بإصلاحها وعمارتها ويؤدى عنها مايجب من الحق فله أن يصرف من ذلك إلى من يقوم به و له أيضا أن يهد بعضها على بعض بحسب مايعلم من الصلاح والتألف وطريق ذلك الاجتهاد.اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذاالكلام فقال أما قوله يجوز أن يكون إنما أعطاهم من ماله فالرواية بخلاف ذلك و قدصرح الرجل بأنه كان يعطى من بيت المال [صفحه ۳۵] صلة لرحمه و لماعوتب على ذلك لم يعتذر عنه بهذا الضرب من العذر و لا قال إن هذه العطايا من مالى فلااعتراض لأحد فيهاروى الواقدى بإسناده عن المسور بن عتبة قال سمعت عثمان يقول إن أبابكر وعمر كانا يتأولان فى هذاالمال ظلف أنفسهما وذوى أرحامهما وإنى تأولت فيه صلة رحمى. وروى عنه أيضا أنه كان بحضرته زياد بن عبيد مولى الحارث بن كلدة الثقفى و قدبعث إليه أبو موسى بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده وأهله بالصحاف فبكى زياد فقال لاتبك فإن عمر كان يمنع أهله وذوى قرابته ابتغاء وجه الله و أناأعطى أهلى وولدى وقرابتى ابتغاء وجه الله . و قدروى هذاالمعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة. وروى الواقدى أيضا بإسناده قال قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبى العاص وروى أيضا أنه ولى الحكم بن أبى العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له حين أتاه بها وروى أبومخنف والواقدى أن الناس أنكروا على عثمان إعطاء سعيد بن العاص مائة ألف وكلمه على والزبير وطلحة وسعد و عبدالرحمن فى ذلك فقال إن له قرابة ورحما قالوا فما كان لأبى بكر وعمر قرابة وذوو رحم فقال إن أبابكر وعمر كان يحتسبان فى منع قرابتهما و أناأحتسب فى إعطاء قرابتى قالوا فهديهما و الله أحب إلينا من هديك . وروى أبومخنف أن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فأمر لعبد الله بثلاثمائة ألف ولكل واحد من القوم بمائة ألف [صفحه ۳۶] وصك بذلك على عبد الله بن الأرقم و كان خازن بيت المال فاستكثره ورد الصك به ويقال إنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا فأبى وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم فقال له عثمان إنما أنت خازن لنا فما حملك على مافعلت فقال ابن الأرقم كنت أرانى خازن المسلمين وإنما خازنك غلامك و الله لاإلى لك بيت المال أبدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر ويقال بل ألقاها إلى عثمان فرفعها إلى نائل مولاه . وروى الواقدى أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبد الله بن

الأرقم فى عقيب هذاالفعل ثلاثمائة ألف درهم فلما دخل بها عليه قال له يا أبا محمد إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول إنا قدشغلناك عن التجارة و لك ذوو رحم أهل حاجة ففرق هذاالمال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله بن الأرقم ما لى إليه حاجة و ماعملت لأن يثيبنى عثمان و الله إن كان هذا من بيت مال المسلمين مابلغ قدر عملى أن أعطى ثلاثمائة ألف ولئن كان من مال عثمان ماأحب أن أرزأه من ماله شيئا و ما فى هذه الأمور أوضح من أن يشار إليه وينبه عليه .فأما قوله و لوصح أنه أعطاهم من بيت المال لجاز أن يكون ذلك على طريق القرض فليس بشىء لأن الروايات أولا تخالف ماذكره و قد كان يجب لمانقم عليه وجوه الصحابة إعطاء أقاربه من بيت المال أن يقول لهم هذا على سبيل القرض و أناأرد عوضه و لا يقول ماتقدم ذكره من أننى أصل به رحمى على أنه ليس للإمام أن يقترض من بيت مال المسلمين إلا ماينصرف فى مصلحة لهم مهمة يعود عليهم نفعها أو فى سد خلة وفاقة لايتمكنون من القيام بالأمر معها فأما أن يقرض المال ليتسع به [صفحه ٣٧] ويمرح فيه مترفى بنى أمية وفساقهم فلاأحد يجيز ذلك .فأما قوله حاكيا عن أبى على إن دفعه خمس إفريقية إلى مروان ليس بمحفوظ و لامنقول فباطل لأن العلم بذلك يجرى مجرى العلم بسائر ماتقدم و من قرأ الأخبار علم ذلك على وجه لا يعترض فيه شك كمايعلم نظائره .روى الواقدى عن أسامة بن زيد عن نافع مولى الزبير عن عبد الله بن الزبير قال أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية فأصاب عبد الله بن سعد بن أبى سرح غنائم جليلة فاعطى عثمان مروان بن الحكم تلك الغنائم و هذا كماترى يتضمن الزيادة على إعطاء الخمس ويتجاوزه إلى إعطاء الأصل . وروى الواقدى عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسور قالت لمابنى مروان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه و كان المسور ممن دعاه فقال مروان و هويحدثهم و الله ماأنفقت فى دارى هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه فقال المسور لوأكلت طعامك وسكت كان خيرا لك لقد غزوت معنا إفريقية وإنك لأقلنا مالا ورقيقا وأعوانا وأخفنا ثقلا فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية وعملت على الصدقات فأخذت أموال المسلمين . وروى الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف أن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتى ألف درهم ومائتى ألف دينار وكلم عثمان فوهبها له فأنكر الناس ذلك على عثمان و هذابعينه هو ألذى اعترف به أبو الحسين الخياط واعتذر عنه بأن قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش فرأى عثمان أن يهب لمروان ثمن ماابتاعه من الخمس لماجاءه بشيرا بالفتح على سبيل الترغيب و هذاالاعتذار ليس بشىء لأن ألذى رويناه من الأخبار فى هذاالباب خال من البشارة وإنما يقتضى أنه سأله ترك ذلك عليه فتركه وابتدأ هوبصلته و لوأتى بشيرا بالفتح كماادعوا لماجاز أن يترك عليه خمس الغنيمة العائد نفعه على المسلمين [صفحه ٣٨] لأن تلك البشارة لاتبلغ إلى أن يستحق البشير بهامائتى ألف درهم و لااجتهاد فى مثل هذا و لافرق بين من جوز أن يؤدى الاجتهاد إلى مثله و من جوز أن يؤدى الاجتهاد إلى دفع أصل الغنيمة إلى البشير بها و من ارتكب ذلك ألزم جواز أن يؤدى الاجتهاد إلى إعطاء هذاالبشير جميع أموال المسلمين فى الشرق والغرب .فأما قوله إنه وصل بنى عمه لحاجتهم ورأى فى ذلك صلاحا فقد بينا أن صلاته لهم كانت أكثر مما تقتضيه الخلة والحاجة و أنه كان يصل فيهم المياسير ثم الصلاح ألذى زعم أنه رآه لايخلو إما أن يكون عائدا على المسلمين أو على أقاربه فإن كان على المسلمين فمعلوم ضرورة أنه لاصلاح لأحد من المسلمين فى إعطاء مروان مائتى ألف دينار والحكم بن أبى العاص ثلاثمائة ألف درهم و ابن أسيد ثلاثمائة ألف درهم إلى غير ماذكرنا بل على المسلمين فى ذلك غاية الضرر و إن أراد الصلاح الراجع إلى الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بفساد أمر المسلمين وينفعهم بما يضر به المسلمين . و أما قوله إن القطائع التى أقطعها بنى أمية إنما أقطعهم إياها لمصلحة تعود على المسلمين لأن تلك الضياع كانت خرابا لاعامر لها فسلمها إلى من يعمرها ويؤدى الحق عنه فأول ما فيه أنه لو كان الأمر على ماذكره و لم تكن هذه القطائع على سبيل الصلة والمعونة لأقاربه لماخفى ذلك على الحاضرين ولكانوا لايعدون ذلك من مثالبه و لايواقفونه عليه فى جملة ماواقفوه عليه من أحداثه ثم كان يجب لوفعلوا ذلك أن يكون جوابه بخلاف ماروى من جوابه لأنه كان يجب أن يقول لهم و أى منفعة

فی هذه القطائع عائدهٔ علی قرابتی حتی تعدوا ذلک من جملهٔ صلاتی لهم وإیصالی المنافع إلیهم وإنما جعلتهم فیهابمنزلهٔ الأکرهٔ الـذین ینتفع بهم أکثر من انتفاعهم أنفسـهم و ما کان [صـفحه ۳۹] یجب أن یقول ماتقـدمت روایته من أنی محتسب فی إعطاء قرابتی و أن ذلک علی سبیل الصـلهٔ لرحمی إلی غیر ذلک مما هوخال من المعنی ألذی ذکره .الطعن الرابع إنه حمی الحمی عن المسـلمین مع أن رسول الله ص جعلهم سواء فی المـاء والکلأـ قـال قاضـی القضـاهٔ وجوابنـا عن ذلک إنه لم یحم الکلأ لنفسه و لااسـتأثر به لکنه حماه لإبل الصدقهٔ التی منفعتها تعود علی المسـلمین و قـدروی عنه هـذاالکلام بعینه و أنه قال إنما فعلت ذلک لإبل الصدقهٔ و قدأطلقته الآن و أناأسـتغفر الله و لیس فی الاعتذار مایزید عن ذلک .اعترض المرتضی رحمه الله تعالی هذاالکلام فقـال أماأولا فالمروی بخلاف ماذکر لأن الواقـدی روی بإسـناده قال کان عثمان یحمی الربـذهٔ والشـرف والبقیع فکان لایـدخل الحمی بعیر له و لاـفرس و لاـلبنی أمیـهٔ حتی کـان آخر الزمان فکان یحمی الشـرف لإبله وکانت ألف بعیر ولإبل الحکم بن أبی العـاص ویحمی الربـذهٔ لإبـل الصدقـهٔ ویحمی البقیع لخیل المسـلمین وخیله وخیل بنی أمیـهٔ. قال علی أنه لو کان إنما حماه لإبل الصدقـهٔ لم یکن بـذلک مصـیبا لأن الله تعالی ورسوله أباحا الکلأ وجعلاه مشترکا فلیس لأحـد أن یغیر هـذه الإباحـهٔ و لو کان [صفحه ۴۰] فی هذاالفعل مصـیبا و أنه إنما حماه لمصلحهٔ تعود علی المسلمین لماجاز أن یستغفر الله منه ویعتذر لأن الاعتذار إنما یکون من الخطإ دون الصواب .الطعن الخامس إنه أعطی من بیت مال الصدقـهٔ المقاتلهٔ وغیرها و ذلک مما لایحل فی الدین قال قاضـی القضـاهٔ وجوابنـا عن ذلـک أنه إنمـا جـاز له ذلـک لعلمه بحاجـهٔ المقاتلـهٔ واسـتغناء أهـل الصدقـهٔ ففعل ذلک علی سبیل الإقراض و قـدفعل رسول الله ص مثله وللإمام فی مثل هـذه الأمور أن یفعل ماجری هذاالمجری لأن عندالحاجهٔ ربما یجوز له أن یقترض من النـاس فـأن یجوز له أن یتناول من مال فی یـده لیرد عوضه من المال الآخر أولی .اعترض المرتضـی رحمه الله تعالی هـذاالکلام فقال إن المال ألـذی جعل الله تعالی له جهـهٔ مخصوصهٔ لایجوز أن یعدل به عن جهته بالاجتهاد و لوکانت المصـلحهٔ فی ذلک موقوفـهٔ علی الحاجـهٔ لشـرطها الله تعالی فی هـذاالحکم لأنه سـبحانه أعلم بالمصالح واختلافها منا ولکان لایجعل لأهل الصدقـهٔ منها القسط مطلقا. و أما قوله إن الرسول ص فعل مثله فهی دعوی مجردهٔ من برهان و قد کان یجب أن یروی ماذکر فی ذلـک و أمـا ماذکره من الاقتراض فأین کان عثمان عن هذاالعـذر لماووقف علیه .الطعن السادس أنه ضـرب عبـد الله بن مسـعود حتی کسـر بعض أضـلاعه [صفحه ۴۱] قـال قاضـی القضاهٔ قال شـیخنا أبو علی رحمه الله تعالی لم یثبت عنـدنا و لاصح عنـدنا مایقـال من طعن عبـد الله علیه وإکفـاره له و ألـذی یصـح من ذلـک أن عبـد الله کره منه جمعه النـاس علی قراءهٔ زیـد بن ثـابت وإحراقه المصاحف وثقل ذلک علیه کمایثقل علی الواحـد منا تقدیم غیره علیه . و قدقیل إن بعض موالی عثمان ضـربه لماسـمع منه الوقیعـهٔ فی عثمـان و لوصـح أنه أمر بضـربهٔ لم یکن بـأن یکون طعنـا فی عثمان بأولی من أن یکون طعنا فی ابن مسـعود لأن للإمام تأدیب غیره و لیس لغیره الوقیعهٔ فیه إلا بعدالبیان و قدذکر الشـیخ أبو الحسـین الخیاط أن ابن مسعود إنما عابه لعزله إیاه و قدروی أن عثمان اعتذر إلیه فلم یقبل عذره و لماأحضـر إلیه عطاءه فی مرضه قال ابن مسعود منعتنی إیاه إذ کان ینفعنی وجئتنی به عنـدالموت لاـأقبله و أنه وسـط أم حبیبـهٔ زوج النبی ص لیزیـل ما فی نفسه فلم یجب و هـذایوجب ذم ابن مسـعود إذ لم یقبل النـدم ویوجب براءهٔ عثمان من هـذاالعیب لوصـح ماصـح مارووه من ضـربه .اعترض المرتضـی رحمه الله تعالی هـذاالکلام فقال المعلوم المروی خلاف ماذکره أبو علی و لایختلف أهل النقل فی طعن ابن مسـعود علی عثمان و قوله فیه أشـد الأقوال وأعظمها والعلم بذلک کالعلم بکل مایدعی فیه الضرورهٔ و قدروی کل من روی السیرهٔ من أصحاب الحدیث علی اختلاف طرقهم أن ابن مسـعود کـان یقول لیتنی وعثمـان برمـل عالـج یحثو علی وأحثو علیه حتی یموت الأـعجز منی و منه . ورووا أنه کـان یطعن علیه فیقـال له أ لاـخرجت علیه لیخرج معک فیقول لأن أزاول جبلا راسیا أحب إلی من أن أزاول ملکا مؤجلا. [صـفحه ۴۲] و کان یقوم کل یوم جمعـهٔ بالکوفـهٔ جاهرا معلنا أن أصـدق القول کتاب الله وأحسن الهـدی هـدی محمد وشـر الأمور محدثاتها و کل

محدث بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار وإنما كان يقول ذلك معرضا بعثمان حتى غضب الوليد بن عقبة من استمرار تعريضه ونهاه عن خطبته هذه فأبى أن ينتهى فكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان يستقدمه عليه . وروى أنه لماخرج عبد الله بن مسعود إلى المدينة مزعجا عن الكوفة خرج الناس معه يشيعونه وقالوا له يا أبا عبدالرحمن ارجع فو الله لانوصله إليك أبدا فإنا لانأمنه عليك فقال أمر سيكون و لاأحب أن أكون أول من فتحه . و قدروى عنه أيضا من طرق لاتحصى كثرة أنه كان يقول مايزن عثمان عند الله جناح ذباب وتعاطى ماروى عنه فى هذاالباب يطول و هوأظهر من أن يحتاج إلى الاستشهاد عليه و أنه بلغ من إصرار عبد الله على مظاهرته بالعداوة أن قال لماحضره الموت من يتقبل منى وصية أوصيه بها على ما فيهافسكت القوم وعرفوا ألذى يريد فأعادها فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى أناأقبلها فقال ابن مسعود ألا يصلى على عثمان قال ذلك لك فيقال إنه لمادفن جاء عثمان منكرا لذلك فقال له قائل أن عمارا ولى الأمر فقال لعمار ماحملك على أن لم تؤذنى فقال عهد إلى ألا- أوذنك فوقف على قبره وأثنى عليه ثم انصرف و هو يقول رفعتم و الله أيديكم عن خير من بقى فتمثل الزبير بقول الشاعر لاألفينك بعدالموت تندبنى || و فى حياتى مازودتنى زادى . و لمامرض ابن مسعود مرضه ألذى مات فيه أتاه عثمان عائدا فقال ماتشتكى فقال ذنوبى قال فما تشتهى قال رحمة بى قال أ لاأدعو لك طبيبا قال [صفحه ۴۳] الطبيب أمرضنى قال أ فلا-آمر لك بعطائك قال منعتنيه و أنامحتاج إليه وتعطينيه و أنامستغن عنه قال يكون لولدك قال رزقهم على الله تعالى قال استغفر لى يا أبا عبدالرحمن قال أسأل الله أن يأخذ لى منك حقى. قال وصاحب المغنى قدحكى بعض هذاالخبر فى آخر الفصل ألذى حكاه من كلامه و قال هذايوجب ذم ابن مسعود من حيث لم يقبل العذر و هذا منه طريف لأن مذهبه لايقتضى قبول كل عذر ظاهر وإنما يجب قبول العذر الصادق ألذى يغلب فى الظن أن الباطن فيه كالظاهر فمن أين لصاحب المغنى أن اعتذار عثمان إلى ابن مسعود كان مستوفيا للشرائط التى يجب معها القبول و إذاجاز ماذكرناه لم يكن على ابن مسعود لوم فى الامتناع من قبول عذره .فأما قوله إن عثمان لم يضربه وإنما ضربه بعض مواليه لماسمع وقيعته فيه فالأمر بخلاف ذلك و كل من قرأ الأخبار علم أن عثمان أمر بإخراجه عن المسجد على أعنف الوجوه وبأمره جرى ماجرى عليه و لو لم يكن بأمره ورضاه لوجب أن ينكر على مولاه كسر ضلعه ويعتذر إلى من عاتبه على فعله بابن مسعود بأن يقول إنى لم آمر بذلك و لارضيته من فاعله و قدأنكرت عليه فعله . و فى علمنا بأن ذلك لم يكن دليل على ماقلنا و قدروى الواقدى بإسناده وغيره أن ابن مسعود لمااستقدم المدينة دخلها ليلة جمعة فلما علم عثمان بدخوله قال أيها الناس إنه قدطرقكم الليلة دويبة من تمشى على طعامه يقيء ويسلح فقال ابن مسعود لست كذلك ولكننى صاحب رسول الله ص يوم بدر وصاحبه يوم أحد وصاحبه يوم بيعة الرضوان وصاحبه يوم الخندق وصاحبه يوم حنين قال وصاحت عائشة ياعثمان أتقول هذاالصاحب رسول الله ص فقال عثمان اسكتى ثم قال لعبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن عبدالعزى بن قصى أخرجه إخراجا عنيفا فأخذه [صفحه ۴۴] ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب مسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه فقال ابن مسعود قتلنى ابن زمعة الكافر بأمر عثمان و فى رواية أخرى أن ابن زمعة ألذى فعل به مافعل كان مولى لعثمان أسود مسدما طوالا و فى رواية أخرى أن فاعل ذلك يحموم مولى عثمان و فى رواية أنه لمااحتمله ليخرجه من المسجد ناداه عبد الله أنشدك الله ألا- تخرجنى من مسجد خليلىص . قال الراوى فكأنى أنظر إلى حموشة ساقى عبد الله بن مسعود ورجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسجد و هو ألذى يقول فيه رسول الله ص لساقا ابن أم عبدأثقل فى الميزان يوم القيامة من جبل أحد. و قدروى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطا فى دفنه أباذر و هذه قصة أخرى و ذلك أن أباذر رحمه الله تعالى لماحضرته الوفاة بالربذة و ليس معه إلاامرأته وغلامه عهد إليهما أن غسلانى ثم كفنانى ثم ضعانى على قارعة الطريق فأول ركب يمرون بكم قولوا لهم هذا أبوذر صاحب رسول الله ص فأعينونا على دفنه فلما مات فعلوا ذلك وأقبل ابن مسعود فى ركب من العراق

معتمرين فلم يرعهم إلاالجنازة على قارعـة الطريق قـدكادت الإبل تطؤها فقام إليهم العبـد فقال هذا أبوذر صاحب رسول الله ص فأعينونا على دفنه فانهل ابن مسعود باكيا و قال صدق رسول الله ص قال له تمشـى وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه قال فأما قوله إن ذلك ليس بأن يكون طعنا فى عثمان بأولى من أن يكون طعنا فى ابن مسعود فواضح البطلان وإنما كان طعنا فى عثمان دون ابن مسعود لأنه لاخلاف [صفحه ۴۵] بين الأمة فى طهارة ابن مسعود وفضله وإيمانه ومدح رسول الله ص وثنائه عليه و أنه مات على الجملة المحمودة منه و فى جميع هذاخلاف بين المسلمين فى عثمان .فأما قوله إن ابن مسعود كره جمع عثمان الناس على قراءة زيد وإحراقه المصاحف فلاشك أن عبد الله كره ذلك كماكرهه جماعة من أصحاب رسول الله ص وتكلموا فيه و قدذكر الرواة كلام كل واحد منهم فى ذلك مفصلا و ماكره عبد الله من ذلك إلامكروها و هو ألذى يقول رسول الله ص فى حقه من سره أن يقرأ القرآن غضا كماأنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۱۰۱ وروى عن ابن عباس رحمه الله تعالى أنه قال قراءة ابن أم عبدهى القراءة الأخيرة -روايت-۱-۲-روايت-۵۲-۸۹ إن رسول الله ص كان يعرض عليه القرآن فى كل سنة من شهر رمضان فلما كان العام ألذى توفى فيه عرض عليه دفعتين فشهد عبد الله مانسخ منه و ماصح فهى القراءة الأخيرة. وروى عن الأعمش قال قال ابن مسعود لقد أخذت القرآن من فى رسول الله ص سبعين سورة و إن زيد بن ثابت لغلام فى الكتاب له ذؤابة -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۱۳۷ .فأما حكايته عن أبى الحسين الخياط أن ابن مسعود إنما عاب عثمان لعزله إياه فعبد الله عند كل من عرفه بخلاف هذه الصورة وإنه لم يكن ممن يخرج على عثمان ويطعن فى إمامته بأمر يعود إلى منفعة الدنيا و إن كان عزله بما لاشبهة فيه فى دين و لاأمانة عيبا لاشك فيه [صفحه ۴۶] الطعن السابع أنه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة وأحرق المصاحف وأبطل ما لاشك أنه نزل من القرآن و أنه مأخوذ عن الرسول ص و لو كان ذلك مما يسوغ لسبق إليه رسول الله ص ولفعله أبوبكر وعمر. قال قاضى القضاة وجوابنا عن ذلك أن الوجه فى جمع القرآن على قراءة واحدة تحصين القرآن وضبطه وقطع المنازعة والاختلاف فيه وقولهم لو كان ذلك واجبا لفعله الرسول ص غيرلازم لأن الإمام إذافعله صار كأن الرسول ص فعله ولأن الأحوال فى ذلك تختلف و قدروى أن عمر كان عزم على ذلك فمات دونه و ليس لأحد أن يقول إن إحراقه المصاحف استخفاف بالدين و ذلك لأنه إذاجاز من الرسول ص أن يخرب المسجد ألذى بنى ضرارا وكفرا فغير ممتنع إحراق المصاحف .اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذاالكلام فقال إن اختلاف الناس فى القراءة ليس بموجب لماصنعه لأنهم يروون أن النبى ص قال نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۶۵ فهذا الاختلاف عندهم فى القرآن مباح مسند عن الرسول ص فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع فى الحروف ما هومباح فلو كان فى القراءة الواحدة تحصين القرآن كماادعى لماأباح النبى ص فى الأصل إلاالقراءة الواحدة لأنه أعلم بوجوه المصالح من جميع أمته من حيث كان مؤيدا بالوحى موفقا فى كل مايأتى ويذر و ليس له أن يقول حدث من الاختلاف فى أيام عثمان ما لم يكن فى أيام الرسول ص و لا ماأباحه و ذلك لأن الأمر [صفحه ۴۷] لو كان على هذاالوجب أن ينهى عن القراءة الحادثة والأمر المبتدع و لايحمله ماأحدث من القراءة على تحريم المتقدم بلا شبهة. و قوله إن الإمام إذافعل ذلك فكأن الرسول ص فعله تعلل بالباطل وكيف يكون كماادعى و هذاالاختلاف بعينه قد كان موجودا فى أيام الرسول ص فلو كان سبب الانتشار الزيادة فى القرآن و فى قطعه تحصين له لكان ع بالنهى عن هذاالاختلاف أولى من غيره أللهم إلا أن يقال حدث اختلاف لم يكن فقد قلنا فيه ماكفى . و أما قوله إن عمر قد كان عزم على ذلك فمات دونه فما سمعناه إلا منه و لوفعل ذلك أى فاعل كان لكان منكرا.فأما الاعتذار عن كون إحراق المصاحف لا يكون استخفافا بالدين بحمله إياه على تخريب مسجد الضرار فبين الأمرين بون بعيد لأن البنيان إنما يكون مسجدا وبيتا لله تعالى بنية البانى وقصده و لو لا ذلك لم يكن بعض البنيان بأن يكون مسجدا أولى من بعض و لما كان قصد البانى لذلك الموضع غيرالقربة والعبادة بل خلافها وضدها

من الفساد والمكيدة لم يكن فى الحقيقة مسجدا و إن سمى بذلك مجازا على ظاهر الأمر فهدمه لاحرج فيه و ليس كذلك ما بين الدفتين لأنه كلام الله تعالى الموقر المعظم ألذى يجب صيانته عن البذلة والاستخفاف فأى نسبة بين الأمرين .الطعن الثامن أنه أقدم عمار بن ياسر بالضرب حتى حدث به فتق ولهذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله و كان يقول قتلناه كافرا. [صفحه ۴۸] قال قاضى القضاة و قدأجاب شيخنا أبو على رحمه الله تعالى عن ذلك فقال إن ضرب عمار غيرثابت و لوثبت أنه ضربه للقول العظيم ألذى كان يقوله لم يجب أن يكون طعنا عليه لأن للإمام تأديب من يستحق التأديب ومما يبعد صحة ذلك أن عمارا لايجوز أن يكفره و لمايقع منه مايستوجب به الكفر لأن ألذى يكفر به الكافر معلوم ولأنه لو كان قدوقع ذلك لكان غيره من الصحابة أولى بذلك ولوجب أن يجتمعوا على خلعه ولوجب أن يكون قتله مباحا لهم بل كان يجب أن يقيموا إماما ليقتله على ماقدمناه و ليس لأحد أن يقول إنما كفره عمار من حيث وثب على الخلافة و لم يكن لها أهلا لأنا قدبينا القول فى ذلك ولأنه كان منصوبا لأبى بكر وعمر ماتقدم و قدبينا أن صحة إمامتهما تقتضى صحة إمامة عثمان . و قدروى أن عمارا نازع الحسن بن على ع فى أمر عثمان فقال عمار قتل عثمان كافرا و قال الحسن ع قتل مؤمنا وتعلق بعضهما ببعض فصارا إلى أمير المؤمنين ع فقال ماذا تريد من ابن أخيك فقال إنى قلت كذا و قال كذا فقال له أمير المؤمنين ع أتكفر برب كان يؤمن به عثمان فسكت عمار -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۲۹۳ و قدذكر الشيخ أبو الحسين الخياط أن عثمان لمانقم عليه ضربه عمارا احتج لنفسه فقال جاءنى سعد وعمار فأرسلا إلى أن ائتنا فإنا نريد أن نذاكرك أشياء فعلتها فأرسلت إليهما أنى مشغول فانصرفا فموعدكما يوم كذا فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف فأعدت الرسول إليه فأبى أن ينصرف فتناوله بغير أمرى و و الله ماأمرت به و لارضيت وها أنافليقتص منى. قال و هذا من أنصف قول وأعدله .اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذاالكلام فقال أماالدفع لضرب عمار فهو [صفحه ۴۹] كالإنكار لطلوع الشمس ظهورا وانتشارا و كل من قرأ الأخبار وتصفح السير يعلم من هذاالأمر ما لاتثنيه عنه مكابرة و لامدافعة و هذاالفعل أعنى ضرب عمار لم تختلف الرواة فيه وإنما اختلفوا فى سببه فروى عباس بن هشام الكلبى عن أبى مخنف فى إسناده أنه كان فى بيت المال بالمدينة سفط فيه حلى وجوهر فأخذ منه عثمان ماحلى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه فى ذلك وكلموه فيه بكل كلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال لنأخذن حاجتنا من هذاالفىء و إن رغمت به أنوف أقوام فقال له على ع إذن تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه فقال عمار أشهد الله أن أنفى أول راغم من ذلك فقال عثمان أ على يا ابن ياسر تجترئ خذوه فأخذ ودخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشى عليه ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة رضى الله تعالى عنها فلم يصل الظهر والعصر والمغرب فلما أفاق توضأ وصلى و قال الحمد لله ليس هذاأول يوم أوذينا فى الله تعالى فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومى و كان عمار حليفا لبنى مخزوم ياعثمان أما على فاتقيته و أمانحن فاجترأت علينا وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف أما و الله لئن مات لأقتلن به رجلا من بنى أمية عظيم الشأن فقال عثمان وإنك لهاهنا يا ابن القسرية قال فإنهما قسريتان وكانت أم هشام وجدته قسريتين من بجيلة فشتمه عثمان وأمر به فأخرج فأتى به أم سلمة رضى الله تعالى عنها فإذاهى قدغضبت لعمار وبلغ عائشة رضى الله تعالى عنها ماصنع بعمار فغضبت أيضا وأخرجت شعرا من شعر رسول الله ص ونعلا من نعاله وثوبا من ثيابه وقالت ماأسرع ماتركتم سنة نبيكم و هذاشعره وثوبه ونعله لم يبل بعد. [صفحه ۵۰] وروى آخرون أن السبب فى ذلك أن عثمان مر بقبر جديد فسأل عنه فقيل عبد الله بن مسعود فغضب على عمار لكتمانه إياه موته إذ كان المتولى للصلاة عليه والقيام بشأنه فعندها وطئ عثمان عمارا حتى أصابه الفتق . وروى آخرون أن المقداد وعمارا وطلحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله ص كتبوا كتابا عددوا فيه أحداث عثمان وخوفوه به وأعلموه أنهم مواثبوه إن لم يقلع فأخذ عمار الكتاب فأتاه به فقرأ منه صدرا ثم قال له أ على تقدم من بينهم فقال لأنى أنصحهم لك قال كذبت يا ابن سمية فقال أنا و الله ابن سمية و ابن ياسر فأمر عثمان غلمانا له فمدوا بيديه ورجليه ثم ضربه

عثمـان برجليـه وهى فى الخفين على مـذاكيره فأصـابه الفتـق و كـان ضـعيفا كـبيرا فغشـى عليه . قـال فضـرب عمـار على مـاترى غيرمختلف فيه بين الرواة وإنما اختلفوا فى سببه والخبر ألذى رواه صاحب المغنى وحكاه عن أبى الحسين الخياط مانعرفه وكتب السـيرة المعلومـة خالية منه و من نظيره و قد كان يجب أن يضـيفه إلى الموضع ألذى أخذ منه فإن قوله وقول من أسـند إليه ليس بحجة و لو كان صـحيحا لكان يجب أن يقول بدل قوله ها أنافليقتص منى إذا كان مأمر بذلك و لارضى عنه وإنما ضربه الغلام الجـانى فليقتص منه فإنه أولى وأعـدل . و بعـد فلاتنافى بين الروايتين لو كان مارواه معروفا لأنه يجوز أن يكون غلامه ضـربه فى حال وضربه هو فى حال أخرى والروايات إذا لم تتعارض لم يجز إسقاط شىءمنها.فأما قوله إن عمارا لايجوز أن يكفره و لم يقع منه مايوجب الكفر فإن تكفير عمار و غيرعمار له معروف و قـدجاءت به الروايات و قـدروى من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أن عمارا كان يقول ثلاثة يشـهدون على عثمان بالكفر و أناالرابع و أناشر [صفحه ٥١] الأربعـةوَ مَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ و أناأشـهد أنه قدحكم بغير ماأنزل الله . وروى عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له بأى شىءكفرتم عثمان فقال بثلاث جعل المال دولـة بين الأغنياء وجعل المهاجرين من أصـحاب رسول الله ص بمنزلة من حارب الله ورسوله وعمل بغير كتاب الله . وروى عن حذيفة أنه كان يقول ما فى عثمان بحمد الله أشك لكنى أشك فى قاتله لاأدرى أكافر قتل كافرا أم مؤمن خـاض إليه الفتنـة حـتى قتله و هوأفضـل المؤمنين إيمانـا فأمـا مـارواه من منازعـة الحسن ع عمـارا فى ذلـك وترافعهمـا إلى أمير المؤمنين ع فهو أولاـ غيردافع لكون عمـار مكفرا له بـل شاهـد بـذلك من قوله ع ثم إن كان الخبر صـحيحا فالوجه فيه أن عمارا كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين ع وعدوله عن أن يقضى بينهما بصريح من القول أنه متمسك بالتقية فأمسك عمار متابعة لغرضه .فأما قوله لايجوز أن يكفره من حيث وثب على الخلافة لأنه كان مصوبا لأبى بكر وعمر لماتقدم من كلامه فى ذلك فإنا لانسـلم له أن عمارا كان مصوبا لهما و ماتقـدم من كلامه قدتقدم كلامنا عليه .فأما قوله عن أبى على أنه لوثبت أنه ضـربه للقول العظيم ألذى كان يقوله فيه لم يكن طعنا لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك فقد كان يجب أن يستوحش صاحب كتاب المغنى أو من حكى كلامـه من أبى على وغيره من أن يعتـذر من ضـرب عمـار ووقـذه حتى لحقه من الغشـى مـاترك له الصـلاة ووطئه بالأقدام امتهانا واستخفافا بشىء من العذر –قرآن–٩–٧٣ [صفحه ٥٢] فلاعذر يسـمع من إيقاع نهاية المكروه بمن روى أن النبى ص قال فيه عمار جلـده ما بين العين والأنف ومتى تنكأ الجلـدة يدم الأنف –روايت–١–٢–روايت–٧–٩۴ وروى أنه قال ع مالهم ولعمار يـدعوهم إلى الجنـة ويـدعونه إلى النار –روايت–١–٢–روايت–٢٢–٧۴ روى العـوام بن حوشب عن سـلمة بن كهيـل عن علقمـة عن خالـد بن الوليد أن رسول الله ص قال من عادى عمارا عاداه الله و من أبغض عمارا أبغضه الله –روايت–١–٢–روايت–٩٢–١۵١ و أى كلاـم غليـظ سـمعه عثمـان من عمـار يسـتحق به ذلك المكروه العظيم ألـذى يجاوز مقـدار مافرضه الله تعالى فى الحدود وإنما كان عمار وغيره أثبتوا عليه أحداثه ومعايبه أحيانا على مايظهر من سـيئ أفعاله و قد كان يجب عليه أحد أمرين إما أن ينزع عمـا يواقف عليه من تلـك الأفعـال أويبين من عـذره عنهـا وبراءته منهـا مـايظهر ويشـتهر فـإن أقام مقيم بعـد ذلك على توبيخه وتفسـيقه زجره عن ذلـك بوعـظ أوغيره و لايقـدم على مايفعله الجبابرة والأكاسـرة من شـفاء الغيظ بغير ماأنزل الله تعالى وحكم به الطعن التاسع إقدامه على أبى ذر مع تقدمه فى الإسـلام حتى سـيره إلى الربذة ونفاه وقيل إنه ضربه . قال قاضى القضاة فى الجواب عن ذلـك أن شـيخنا أبـا على رحمه الله تعـالى قـال إن النـاس اختلفوا فى أمر أبى ذر رحمه الله تعالى وروى أنه قيل لأبى ذر عثمان أنزلك الربـذة فقال لابل اخترت لنفسـى ذلك . وروى أن معاوية كتب يشـكوه و هوبالشام فكتب عثمان إليه أن صر إلى المدينـة فلمـا صـار إليهـا قـال ماأخرجك إلى الشام قال لأنى سـمعت رسول الله ص –روايت–١–٢ [صـفحه ٥٣] يقول إذابلغت عمارة المدينة موضع كذا فاخرج عنها –روايت–٩–۵۵ فلذلك خرجت فقال فأى البلاد أحب إليك بعدالشام قال الربذة فقال صـر إليها. قال و إذاتكافأت الأخبار لم يكن لهم فى ذلك حجة و لوثبت ذلك لكان لايمتنع أن يخرجه إلى الربذة لصـلاح

يرجع إلى الـدين فلاـ يكون ظلما لأبى ذر بل يكون إشـفاقا عليه وخوفا من أن يناله من بعض أهل المدينـة مكروه فقـد روى أنه كان يغلظ فى القول ويخشن الكلام فيقول لم يبق أصـحاب محمـد على ماعهـد وينغر بهـذا القول فرأى إخراجه أصـلح لمايرجع إليه وإليهم و إلى الدين و قدروى أن عمر أخرج عن المدينة نصـر بن الحجاج لماخاف ناحيته و قدندب الله سـبحانه إلى خفض الجنـاح للمؤمنين و إلى القول اللين للكـافرين و بين للرسول ص أنه لواسـتعمل الفظاظـة لاـنفضوا من حوله فلمـا رأى عثمـان من خشونة كلام أبى ذر و ما كان يورده مما يخشـى منه التنغير فعل مافعل . قال و قدروى عن زيد بن وهب قال قلت لأبى ذر رحمه الله تعالى و هوبالربـذة ماأنزلك هـذاالمنزل قال أخبرك أنى كنت بالشام فى أيام معاويـة و قـدذكرت هذه الآيةوَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَ الفِضَّـةَ وَ لا يُنفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرهُم بِعَـذابٍ أَلِيم فقال معاويـة هذه فى أهل الكتاب فقلت هى فيهم وفينا فكتب معاوية إلى عثمان فى ذلك فكتب إلى أن أقدم على فقدمت عليه فانثال الناس إلى كأنهم لم يعرفونى فشكوت ذلك إلى عثمان فخيرنى و قـال انزل حيث شئت فنزلت الربـذة. -قرآن-۹۰۶-۱۰۱۴[صـفحه ۵۴] و قدذكر الشيخ أبو الحسـين الخياط قريبا مما تقـدم من أن إخراج أبى ذر إلى الربـذة كـان باختيـاره وروى فى ذلـك خبرا قـال وأقل مـا فى ذلك أن تختلف الأخبار فتطرح ويرجع إلى الأـمر الأول فى صـحة إمامـة عثمان وسـلامة أحواله .اعترض المرتضـى رحمه الله تعالى هـذاالكلام فقال أماقول أبى على إن الأخبار فى سـبب خروج أبى ذر إلى الربـذة متكافئة فمعاذ الله أن تتكافأ فى ذلك بل المعروف والظاهر أنه نفاه أولا إلى الشام ثم اسـتقدمه إلى المدينة لماشـكا منه معاوية ثم نفاه من المدينة إلى الربذة و قدروى جميع أهل السير على اختلاف طرقهم وأسانيـدهم أن عثمان لماأعطى مروان بن الحكم ماأعطاه وأعطى الحارث بن الحكم بن أبى العاص ثلاثمائة ألف درهم وأعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم جعل أبوذر يقول بشر الكانزين بعذاب أليم ويتلو قول الله تعالى وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لاـ يُنفِقُونَهـا فِي سَبِيـلِ اللّهِ فَبَشِّرهُم بِعَـذابٍ أَلِيمٍفرفع ذلـك مروان إلى عثمـان فأرسـل إلى أبى ذر نائلا مولاه أن انته عما يبلغنى عنك فقال أينهانى عثمان عن قراءة كتاب الله وعيب من ترك أمر الله فو الله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحب إلى وخير لى من أن أسـخط الله برضـاه فـأغضب عثمـان ذلك وأحفظه فتصابر. و قال يوما أيجوز للإمام أن يأخـذ من المال فإذاأيسـر قضـى فقال كعب الأحبـار لابأس بـذلك فقال له أبوذر يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا فقال عثمان قـدكثر أذاك لى وتولعك بأصـحابى الحق بالشـام فـأخرجه إليهـا فكان أبوذر ينكر على معاويـة أشـياء يفعلها فبعث إليه معاويـة ثلاثمائـة دينار فقال أبوذر إن كانت هـذه -قرآن-۷۵۶-۸۶۴[صفحه ۵۵] من عطائى ألذى حرمتمونيه عامى هذاقبلتها و إن كانت صـلة فلاحاجة لى فيها وردها عليه . وبنى معاوية الخضـراء بدمشق فقال أبوذر يامعاوية إن كانت هذه من مال الله فهى الخيانة و إن كانت من مالك فهو الإسـراف . و كان أبوذر رحمه الله تعـالى يقول و الله لقـد حـدثت أعمـال ماأعرفهـا و الله ماهى فى كتاب الله و لاسنة نبيه و الله إنى لأرى حقا يطفأ وباطلا يحيا وصادقا مكـذبا وأثرة بغير تقى وصالحا مسـتأثرا عليه فقال حبيب بن مسـلمة الفهرى لمعاويـة أن أباذر لمفسـد عليكم الشام فتدارك أهله إن كانت لكم حاجة فيه فكتب معاوية إلى عثمان فيه فكتب عثمان إلى معاوية أما بعدفاحمل جندبا إلى على أغلـظ مركب وأوعره فوجه به مع من سار به الليل والنهار وحمله على شارف ليس عليها إلاقتب حتى قـدم به المدينـة و قدسـقط لحم فخذيه من الجهد فلما قدم أبوذر المدينة بعث إليه عثمان أن الحق بأى أرض شئت فقال بمكة قال لا قال فبيت المقدس قال لاـ قـال فأحـد المصـرين قـال لاـ ولكننى مسيرك إلى الربـذة فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات . و فى روايـة الواقـدى أن أباذر لمادخـل على عثمـان قال له لاأنعم الله بك عينا ياجنيـدب فقال أبوذر أناجنيـدب وسـمانى رسول الله ص عبـد الله فاخترت اسـم رسول الله ألـذى سـمانى به على اسـمى فقـال عثمان أنت ألـذى تزعم أنانقول إن يـد الله مغلولـة و إن الله فقير ونحن أغنياء فقال أبوذر لوكنتم لاتزعمون لأنفقتم [صفحه ۵۶] مال الله على عباده ولكنى أشهد لسمعت رسول الله ص يقول إذابلغ بنو أبى العاص ثلاـثين رجلاـ جعلـوا مـال الله دولاـ وعبـاد الله خولاـ وديـن الله دخلاـ -روايت-۱-۲-روايت-۴۳-۱۳۳ فقـال عثمـان لمن حضـره

أسمعتموها من نبى الله فقالوا ماسمعناه فقال عثمان ويلك يا أباذر أتكذب على رسول الله فقال أبوذر لمن حضر أ ماتظنون أنى صدقت قالوا لا و الله ماندرى فقال عثمان ادعوا لى عليا فدعى فلما جاء قال عثمان لأبى ذر اقصص عليه حديثك فى بنى أبى العاص فحدثه فقال عثمان لعلى هل سمعت هذا من رسول الله ص فقال على ع لا و قدصدق أبوذر قال عثمان بم عرفت صدقه قال لأنى سمعت رسول الله ص يقول ماأظلت الخضراء و لاأقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۱۰۴ فقال جميع من حضر من أصحاب النبى ص لقد صدق أبوذر فقال أبوذر أحدثكم أنى سمعت هذا من رسول الله ص ثم تتهموننى ماكنت أظن أنى أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمدص . وروى الواقدى فى خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال رأيت أباذر يوم دخل به على عثمان فقال له أنت ألذى فعلت وفعلت فقال له أبوذر نصحتك فاستغششتنى ونصحت صاحبك فاستغشنى فقال عثمان كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قدانغلت الشام علينا فقال له أبوذر اتبع سنة صاحبيك لايكن لأحد عليك كلام قال عثمان ما لك و ذلك لاأم لك قال أبوذر و الله ماوجدت لى عذرا إلاالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فغضب عثمان و قال أشيروا على فى هذاالشيخ الكذاب إما أن أضربه أوأحبسه أوأقتله فإنه قدفرق جماعة المسلمين أوأنفيه من أرض الإسلام فتكلم على ع و كان حاضرا و قال أشير عليك [صفحه ۵۷] بما قاله مؤمن آل فرعون وَ إِن يَكُ كاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وَ إِن يَكُ صادِقاً يُصِبكُم بَعضُ ألّذِى يَعِدُكُم إِنّ اللّهَ لا يهَديِ مَن هُوَ مُسرِفٌ كَذّابٌ قال فأجابه عثمان بجواب غليظ لاأحب ذكره وأجابه ع بمثله قال ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أباذر أويكلموه فمكث كذلك أياما ثم أمر أن يؤتى به فلما أتى به وقف بين يديه قال ويحك ياعثمان أ مارأيت رسول الله ص ورأيت أبابكر وعمر هل رأيت هذاهديهم إنك لتبطش بى بطش جبار فقال اخرج عنا من بلادنا فقال أبوذر ماأبغض إلى جوارك فإلى أين أخرج قال حيث شئت قال فأخرج إلى الشام أرض الجهاد قال إنما جلبتك من الشام لما قدأفسدتها أفأردك إليها قال أفأخرج إلى العراق قال لا قال و لم قال تقدم على قوم أهل شبه وطعن فى الأئمة قال أفأخرج إلى مصر قال لا قال فإلى أين أخرج قال حيث شئت قال أبوذر فهو إذن التعرب بعدالهجرة أأخرج إلى نجد فقال عثمان الشرف الأبعد أقصى فأقصى امض على وجهك هذا و لاتعدون الربذة فخرج إليها. وروى الواقدى عن مالك بن أبى الرجال عن موسى بن ميسرة أن أباالأسود الدؤلى قال كنت أحب لقاء أبى ذر لأسأله عن سبب خروجه فنزلت الربذة فقلت له أ لاتخبرنى أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت مكرها فقال كنت فى ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى مدينة الرسول ع فقلت أصحابى ودار هجرتى فأخرجت منها إلى ماترى -قرآن-۲۸-۱۶۵ ثم قال بينا أناذات ليلة نائم فى المسجد إذ مر بى رسول الله ص فضربنى برجله و قال لاأراك نائما فى المسجد فقلت بأبى أنت -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-ادامه دارد [صفحه ۵۸] وأمى غلبتنى عينى فنمت فيه فقال كيف تصنع إذاأخرجوك منه فقلت إذن ألحق بالشام فإنها أرض مقدسة وأرض بقية الإسلام وأرض الجهاد فقال فكيف تصنع إذاأخرجت منها فقلت أرجع إلى المسجد قال فكيف تصنع إذاأخرجوك منه قلت آخذ سيفى فأضرب به فقال ص أ لاأدلك على خير من ذلك انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع فسمعت وأطعت و أناأسمع وأطيع و الله ليلقين الله عثمان و هوآثم فى جنبى. و كان يقول بالربذة ماترك الحق لى صديقا و كان يقول فيهاردنى عثمان بعدالهجرة أعرابيا. والأخبار فى هذاالباب أكثر من أن تحصر وأوسع من أن نذكرها و مايحمل نفسه على ادعاء أن أباذر خرج مختارا إلى الربذة إلامكابر ولسنا ننكر أن يكون ماأورده صاحب كتاب المغنى من أنه خرج مختارا قدروى إلا أنه من الشاذ النادر وبإزاء هذه الرواية الفذة كل الروايات التى تتضمن خلافها و من تصفح الأخبار علم أنها غيرمتكافئة على ماظن صاحب المغنى وكيف يجوز خروجه عن اختيار وإنما أشخص من الشام على الوجه ألذى أشخص عليه من خشونة المركب وقبح السير به للموجدة عليه ثم لماقدم منع الناس من كلامه وأغلظ له فى القول و كل هذا لايشبه أن يكون خروجه إلى الربذة باختياره وكيف يظن عاقل أن أباذر يختار الربذة منزلا مع جدبها وقحطها وبعدها

عن الخيرات و لم تكن بمنزل مثله .فأما قوله إنه أشفق عليه من أن يناله بعض أهل المدينة بمكروه من حيث كان يغلظ لهم القول فليس بشىء لأنه لم يكن فى أهل المدينة إلا من كان راضيا بقوله عاتبا بمثل عتبة إلاأنهم كانوا بين مجاهر بما فى نفسه ومخف ماعنده و ما فى أهل المدينة إلا -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ٥٩] من رثى لأبى ذر مما حدث عليه و من استفظعه و من رجع إلى كتب السيرة عرف ماذكرناه .فأما قوله أن عمر أخرج من المدينة نصر بن حجاج فيا بعد ما بين الأمرين و ماكنا نظن أن أحدا يسوى بين أبى ذر و هووجه الصحابة وعينهم و من أجمع المسلمون على توقيره وتعظيمه و أن رسول الله ص مدحه من صدق اللهجة بما لم يمدح به أحدا و بين نصر بن الحجاج الحدث ألذى كان خاف عمر من افتتان النساء بشبابه و لاحظ له فى فضل و لادين على أن عمر قدذم بإخراجه نصر بن الحجاج من غيرذنب كان منه فإذا كان من أخرج نصر بن حجاج مذموما فكيف من أخرج أباذر.فأما قوله إن الله تعالى والرسول قدندبا إلى خفض الجناح ولين القول للمؤمن والكافر فهو كما قال إلا أن هذاأدب كان ينبغى أن يتأدب به عثمان فى أبى ذر و لايقابله بالتكذيب و قدقطع رسول الله ص على صدقه و لايسمعه مكروه الكلام فإنما نصح له وأهدى إليه عيوبه وعاتبه على ما لونزع عنه لكان خيرا له فى الدنيا والآخرة.الطعن العاشر تعطيله الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فإنه قتل الهرمزان مسلما فلم يقده به و قد كان أمير المؤمنين ع يطلبه لذلك . قال قاضى القضاة فى الجواب عن ذلك أن شيخنا أبا على رحمه الله تعالى قال إنه لم يكن للهرمزان ولى يطلب بدمه والإمام ولى من لاولى له وللولى أن يعفو كما له أن يقتل و قدروى أنه سأل المسلمين أن يعفوا عنه فأجابوا عنه إلى ذلك . -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ٦٠] قال وإنما أراد عثمان بالعفو عنه مايعود إلى عزالدين لأنه خاف أن يبلغ العدو قتله فيقال قتلوا إمامهم وقتلوا ولده و لايعرفون الحال فى ذلك فيكون فيه شماتة و قد قال الشيخ أبو الحسين الخياط أن عامة المهاجرين أجمعوا على أنه لايقاد بالهرمزان وقالوا لعثمان هذادم سفك فى غيرولايتك و ليس له ولى يطلب به وأمره إلى الإمام فاقبل منه الدية فذلك صلاح للمسلمين -روايت-از قبل-٣٨٢ . قال و لم يثبت أن أمير المؤمنين ع كان يطلبه ليقتله بالهرمزان لأنه لايجوز قتل من عفا عنه ولى المقتول وإنما كان يطلبه ليضع من قدره ويصغر من شأنه . قال ويجوز أن يكون ماروى عن على ع من أنه قال لوكنت بدل عثمان لقتلته -روايت-١-٢-روايت-٣٦-٦٤ يعنى أنه كان يرى ذلك أقوى فى الاجتهاد وأقرب إلى التشدد فى دين الله سبحانه .اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذاالكلام قال أما قوله لم يكن للهرمزان ولى يطلب بدمه فالإمام يكون وليه و له أن يعفو عنه كما له أن يقتص فليس بمعتمد لأن الهرمزان رجل من أهل فارس و لم يكن له ولى حاضر يطالب بدمه و قد كان الواجب أن يبذل الإنصاف لأوليائه ويؤمنوا متى حضروا حتى أنه لو كان له ولى يريد المطالبة حضر وطالب ثم لو لم يكن له ولى لم يكن عثمان ولى دمه لأنه قتل فى أيام عمر فصار عمر ولى دمه و قدأوصى عمر على ماجاءت به الروايات الظاهرة بقتل ابنه عبيد الله إن لم تقم البينة العادلة على الهرمزان وجفينة أنهما أمرا أبالؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بقتله وكانت وصيته بذلك إلى أهل الشورى فقال أيكم ولى هذاالأمر فليفعل كذا وكذا مما ذكرناه فلما مات عمر طلب المسلمون إلى عثمان إمضاء [صفحه ٦١] الوصية فى عبيد الله بن عمر فدافع عن ذلك وعللهم و لو كان هوولى الدم على ماذكروا لم يكن له أن يعفو و أن يبطل حدا من حدود الله تعالى و أى شماتة للعدو فى إقامة حد من حدود الله تعالى وإنما الشماتة كلها من أعداء الإسلام فى تعطيل الحدود و أى حرج فى الجمع بين قتل الإمام وابنه حتى يقال كره أن ينتشر الخبر بأن الإمام وابنه قتلا وإنما قتل أحدهما ظلما والآخر عدلا أوأحدهما بغير أمر الله والآخر بأمره سبحانه . و قدروى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح أن أمير المؤمنين ع أتى عثمان بعد مااستخلف فكلمه فى عبيد الله و لم يكلمه أحد غيره فقال اقتل هذاالفاسق الخبيث ألذى قتل أميرا مسلما فقال عثمان قتلوا أباه بالأمس وأقتله اليوم وإنما هو رجل من أهل الأرض فلما أبى عليه مر عبيد الله على على ع فقال له إيه يافاسق أما و الله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لأضربن عنقك فلذلك

خرج مع معاوية عليه -روايت-۱-۲-روايت-۷۶-۴۴۲ وروى القناد عن الحسن بن عيسى بن زيد عن أبيه أن المسلمين لما قال عثمان إنى قدعفوت عن عبيد الله بن عمر قالوا ليس لک أن تعفو عنه قال بلى إنه ليس لجفينة والهرمزان قرابة من أهل الإسلام و أناولى أمر المسلمين و أناأولى بهما و قدعفوت فقال على ع إنه ليس كماتقول إنما أنت فى أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين إنه قتلهما فى إمرة غيرک و قدحكم الوالى ألذى قتلا فى إمارته بقتله و لو كان قتلهما فى إمارتک لم يكن لک العفو عنه فاتق الله فإن الله سائلک عن هذا -روايت-۱-۲-روايت-۵۳-۴۸۴ فلما رأى عثمان أن المسلمين قدأبوا إلاقتل عبيد الله أمره فارتحل إلى الكوفة وأقطعه بهادارا وأرضا وهى التى يقال لها كويفة بن عمر فعظم ذلک عندالمسلمين وأكبروه وكثر كلامهم فيه . [صفحه ۶۲] وروى عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع أنه قال ماأمسى عثمان يوم ولى حتى نقموا عليه فى أمر عبيد الله بن عمر حيث لم يقتله بالهرمزان -روايت-۱-۲-روايت-۸۱-۱۷۳ فأما قوله إن أمير المؤمنين ع لم يطلبه ليقتله بل ليضع من قدره فهو بخلاف ماصرح به ع من أنه إن تمكن ليضربن عنقه . و بعد فإن ولى الدم إذاعفا عنه على ماادعوا لم يكن لأحد أن يستخف به و لا يضع من قدره كما ليس له أن يقتله . و أما قوله إن أمير المؤمنين ع لا يجوز أن يتوعده مع عفو الإمام عنه فإنما يكون صحيحا لو كان ذلک العفو مؤثرا و قدبينا أنه غيرمؤثر. و أما قوله يجوز أن يكون ع رأى أن قتله أقوى فى الاجتهاد وأقرب إلى التشدد فى دين الله فلاشک أنه كذلک و هذابناء منه على أن كل مجتهد مصيب و قدبينا أن الأمر بخلاف ذلک و إذا كان اجتهاد أمير المؤمنين ع يقتضى قتله فهو ألذى لا يسوغ خلافه .الطعن الحادى عشر و هوإجمالى قالوا وجدنا أحوال الصحابة دالة على تصديقهم المطاعن فيه وبراءتهم منه والدليل على ذلک أنهم تركوه بعدقتله ثلاثة أيام لم يدفنوه و لاأنكروا على من أجلب عليه من أهل الأمصار بل أسلموه و لم يدفعوا عنه ولكنهم أعانوا عليه و لم يمنعوا من حصره و لا من منع الماء عنه و لا من قتله مع تمكنهم من خلاف ذلک و هذا من أقوى الدلائل على ماقلناه و لو لم يدل على أمره عندهم إلا ماروى عن على ع أنه قال الله قتله و أنامعه و أنه كان فى أصحابه ع من يصرح بأنه قتل [صفحه ۶۳] عثمان و مع ذلک لايقيدهم بل و لاينكر عليهم و كان أهل الشام يصرحون بأن مع أمير المؤمنين قتلة عثمان ويجعلون ذلک من أوكد الشبه و لاينكر ذلک عليهم مع أنانعلم أن أمير المؤمنين ع لوأراد أن يتعاضد هو وأصحابه على المنع عنه لماوقع فى حقه ماوقع فصار كفه وكف غيره عن ذلک من أدل الدلائل على أنهم صدقوا عليه مانسب إليه من الأحداث وأنهم لم يقبلوا منه ماجعله عذرا. وأجاب قاضى القضاة عن هذا فقال أماتركه بعدالقتل ثلاثة أيام لم يدفن فليس بثابت و لوصح لكان طعنا على من لزمه القيام به و قد قال شيخنا أبو على رحمه الله تعالى إنه لايمتنع أن يشتغلوا بإبرام البيعة لأمير المؤمنين ع خوفا على الإسلام من الفتنة فيؤخروا دفنه . قال وبعيد مع حضور قريش وقبائل العرب وسائر بنى أمية ومواليهم أن يترک عثمان و لايدفن هذه المدة وبعيد أن يكون أمير المؤمنين ع لايتقدم بدفنه و لومات فى جواره يهودى أونصرانى و لم يكن له من يواريه ماتركه أمير المؤمنين ألا يدفن فكيف يجوز مثل ذلک فى عثمان و قدروى أنه دفن فى تلک الليلة و هذا هوالأولى .فأما التعلق بأن الصحابة لم تنكر على القوم و لادفعت عنه فقد سبق القول فى ذلک والصحيح عن أمير المؤمنين ع أنه تبرأ من قتل عثمان ولعن قتلته فى البر والبحر والسهل والجبل وإنما كان يجرى من جيشه هذاالقول منه على جهة المجاز لأنا نعلم أن جميع من كان يقول نحن قتلناه لم يقتله لأن فى الخبر أن العدد الكثير كانوا يصرحون بذلک والذين دخلوا عليه وقتلوه اثنان أوثلاثة وإنما كانوا يقصدون بهذا القول أى احسبوا أناقتلناه فما لكم و ذلک أن الإمام هو ألذى يقوم بأمر القود و ليس للخارج عليه أن يطالب بذلک و لم يكن لأمير المؤمنين ع أن يقتل قتلته لوعرفهم ببينة أوإقرار وميزهم من غيرهم إلا عندمطالبة ولى الدم والذين كانوا أولياء [صفحه ۶۴] الدم لم يكونوا يطالبونه و لاكانت صفتهم صفة من يطالب لأنهم كانوا كلهم أوبعضهم يدعون أن عليا ع ليس بإمام و لايحل لولى الدم مع هذاالاعتقاد أن يطالب بالقود فلذلک لم يقتلهم ع هذا لوصح أنه كان يميزهم فكيف و ذلک غيرصحيح . فأما ماروى عنه من قوله ع قتله الله و

أنامعه -روايت-١-٢-روايت-٣٢-٥٤ فإن صح فمعناه مستقيم يريد أن الله أماته وسيميتنى وسائر العباد. ثم قال سائلا نفسه كيف يقول ذلك وعثمان مات مقتولا من جهة المكلفين وأجاب بأنه و إن قتل فالإماتة من قبل الله تعالى ويجوز أن يكون ماناله من الجراح لايوجب انتفاء الحياة لامحالة فإذامات صحت الإماتة على طريق الحقيقة.اعترض المرتضى رحمه الله تعالى هذاالكلام فقال أماتضعيفه أن يكون عثمان ترك بعدالقتل ثلاثة أيام لم يدفن فليس بحجة لأن ذلك قدرواه جماعة الرواة و ليس يخالف فى مثله أحد يعرف بالرواية و قدذكر ذلك الواقدى وغيره وروى أن أهل المدينة منعوا الصلاة عليه حتى حمل بين المغرب والعتمة و لم يشهد جنازته غيرمروان وثلاثة من مواليه و لماأحسوا بذلك رموه بالحجارة وذكروه بأسوإ الذكر و لم يقع التمكن من دفنه إلا بعد أن أنكر أمير المؤمنين ع المنع من دفنه وأمر أهله بتولى ذلك منه .فأما قوله إن ذلك إن صح كان طعنا على من لزمه القيام بأمره فليس الأمر على ماظنه بل يكون طعنا على عثمان من حيث لايجوز أن يمنع أهل المدينة و فيهاوجوه الصحابة من دفنه والصلاة عليه إلالاعتقاد قبيح أولأن أكثرهم وجمهورهم يعتقد ذلك و هذاطعن لاشبهة فيه واستبعاد صاحب المغنى لذلك مع ظهور الرواية به [صفحه ٦٥] لايلتفت إليه فأما أمير المؤمنين ع واستبعاد صاحب المغنى منه ألا يتقدم بدفنه فقد بينا أنه تقدم بذلك بعدمماكسة ومراوضة وأعجب من كل شيءقول صاحب المغنى إنهم أخروا دفنه تشاغلا بالبيعة لأمير المؤمنين ع و أى شغل فى البيعة لأمير المؤمنين يمنع من دفنه والدفن فرض على الكفاية لوقام به البعض وتشاغل الباقون بالبيعة لجاز و ليس الدفن و لاالبيعة أيضا مفتقرة إلى تشاغل جميع أهل المدينة بها.فأما قوله إنه قدروى أن عثمان دفن تلك الليلة فما تعرف هذه الرواية و قد كان يجب أن يسندها ويعزوها إلى راويها أوالكتاب ألذى أخذها منه فالذى ظهر فى الرواية هو ماذكرناه .فأما إحالته على ماتقدم فى معنى الإنكار من الصحابة على القوم المجلبين على عثمان فقد سبق القول فى ذلك .فأما روايته عن أمير المؤمنين ع تبرؤه من قتل عثمان ولعنه قتلته فى البر والبحر والسهل والجبل فلاشك فى أنه ع كان بريئا من قتله و قدروى عنه ع أنه قال و الله ماقتلت عثمان و لامالأت فى قتله -روايت-١-٢-روايت-٣٠-٧٤ والممالأة هى المعاونة والموازرة و قدصدق ع فى أنه ماقتل و لاوازر على القتل .فأما لعنه قتلته فضعيف فى الرواية و إن كان قدروى فأظهر منه مارواه الواقدى عن الحكم بن الصلت عن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه قال رأيت عليا ع على منبر رسول الله ص حين قتل و هو يقول ماأحببت قتله و لاكرهته و لاأمرت به و لانهيت عنه -روايت-١-٢-روايت-٨٠-١٩٣ و قدروى محمد بن سعد عن عفان بن جرير بن بشير عن أبى جلدة أنه سمع عليا -روايت-١-٢ [صفحه ٦٦] ع يقول و هويخطب فذكر عثمان و قال و الله ألذى لاإله إلا هو ماقتلته و لامالأت على قتله و لاساءنى -روايت-١٢-١١١ وروى ابن بشير عن عبيدة السلمانى قال سمعت عليا ع يقول من كان سائلى عن دم عثمان فإن الله قتله و أنامعه -روايت-١-٢-روايت-٦١-١١٧ و قدروى هذااللفظ من طرق كثيرة. و قدروى شعبة عن أبى حمزة الضبعى قال قلت لابن عباس إن أبى أخبرنى أنه سمع عليا يقول ألا من كان سائلى على دم عثمان فإن الله قتله و أنامعه فقال صدق أبوك هل تدرى مامعنى قوله إنما عنى الله قتله و أنا مع الله -روايت-١-٢-روايت-٩٥-٢٣١ . قال فإن قيل كيف يصح الجمع بين معانى هذه الأخبار.قلنا لاتنافى بينها لأنه ع تبرأ من مباشرة قتله والمؤازرة عليه ثم قال ماأمرت بذلك و لانهيت عنه يريد أن قاتليه لم يرجعوا إلى و لم يكن منى قول فى ذلك بأمر و لانهى فأما قوله الله قتله و أنامعه فيجوز أن يكون المراد به الله حكم بقتله وأوجبه و أناكذلك لأن من المعلوم أن الله تعالى لم يقتله على الحقيقة فإضافة القتل إليه لاتكون إلابمعنى الحكم والرضا و ليس يمتنع أن يكون مما حكم الله تعالى به ما لم يتوله بنفسه و لاآزر عليه و لاشايع فيه . فإن قال قائل هذاينافى ماروى عنه من قوله ماأحببت قتله و لاكرهته وكيف يكون من حكم الله وحكمه أن يقتل و هو لايحب قتله .قلنا يجوز أن يريد بقوله ماأحببت قتله و لاكرهته أن ذلك لم يكن منى على سبيل التفصيل و لاخطر لى ببال و إن كان على سبيل الجملة يحب قتل من غلب المسلمين [صفحه ٦٧] على أمورهم وطالبوه بأن يعتزل لأنه مستول عليهم بغير حق فامتنع من ذلك و يكون فائدة

هـذاالكلام التبرؤ من مباشـرة قتله والأمر به على سبيل التفصـيل أوالنهى عنه ويجوز أن يريـد أننى ماأحببت قتله إن كانوا تعمـدوا القتـل و لم يقع على سبيل الممانعـة و هو غيرمقصود ويريـد بقوله ماكرهته أنى لم أكرهه على كل حال و من كل وجه .فأما لعنه قتلته فقـد بينا أنه ليس بظاهر ظهور ماذكرناه و إن صـح فهو مشـروط بوقوع القتل على الوجه المحظور من تعمـد له وقصد إليه و غير ذلك على أن المتولى للقتل على ماصـحت به الروايـة كنانة بن بشـير التجيبى وسودان بن حمران المرادى و مامنهما من كان غرضه صـحيحا فى القتل و لا له أن يقـدم عليه فهو ملعون به فأما محمد بن أبى بكر فما تولى قتله وإنما روى أنه لماجثا بين يديه قابضا على لحيته قال له يا ابن أخى دع لحيتى فإن أباك لو كان حيا لم يقعـد منى هذاالمقعد فقال محمد أن أبى لو كان حيا ثم يراك تفعل ماتفعل لأنكره عليك ثم وجأه بجماعـة قـداح كانت فى يـده فحزت فى جلـده و لم تقطع وبادره من ذكرناه فى قتله بمـا كـان فيه قتله .فأمـا تـأويله قول أمير المؤمنين ع قتله الله و أنامعه على أن المراد به الله أماته وسـيميتنى فبعيـد من الصواب لأن لفظـة أنا لاتكون كناية عن المفعول وإنما تكون كناية عن الفاعل و لوأراد ماذكره لكان يقول وإياى معه و ليس له أن يقول إننا نجعل قوله و أنامعه مبتدأ محذوف الخبر و يكون تقدير الكلام و أنامعه مقتول و ذلك لأن هذاترك للظاهر وإحالة على ما ليس فيه والكلام إذاأمكن حمله على معنى يسـتقل ظاهره به من غيرتقدير وحذف كان أولى مما يتعلق بمحذوف على أنهم إذاجعلوه مبتـدأ وقـدروا خبرا لم يكونوا بأن يقـدروا مايوافق مذهبهم بأولى من تقدير خلافه ويجعل بدلا من لفظة المقتول المحذوفة لفظة معين أوظهير. [صـفحه ٦٨] و إذاتكافأ القولان فى التقـدير وتعارضا سـقطا ووجب الرجوع إلى ظاهر الخبر على أن عثمان مضـى مقتولا فكيف يقال إن الله تعالى أماته والقتل كاف فى انتفاء الحياة و ليس يحتاج معه إلى ناف للحياة يسمى موتا. وقول صاحب المغنى يجوز أن يكون مانـاله من الجراح لاـيوجب انتفـاء الحيـاة ليس بشـىء لأن المروى أنه ضـرب على رأسه بعمود عظيم من حديـد و أن أحـد قتلته قـال جلست على صـدره فوجـأته تسع طعنـات علمت أنه مات فى ثلاث ووجأته الست الأخر لما كان فى نفسـى عليه من الحنق . و بعد فإذا كان جائزا فمن أين علمه أمير المؤمنين ع حتى يقول إن الله أماته و إن الحياة لم تنتف بما فعله القاتلون وإنما انتفت بشـىء زاد على فعلهم من قبل الله تعالى مما لايعلمه على سبيل التفصـيل إلاعلام الغيوب سبحانه . والجواب عن هـذه المطـاعن على وجهين إجمالاـ وتفصـيلا أمـاالوجه الإجمالى فهو أننا لاننكر أن عثمان أحـدث أحـداثا أنكرها كثير من المسـلمين ولكنـا نـدعى مع ذلـك أنهـا لم تبلغ درجـة الفسق و لاأحبطت ثوابه وأنها من الصـغائر التى وقعت مكفرة و ذلك لأنا قـدعلمنا أنه مغفور له و أنه من أهل الجنة لثلاثة أوجه .أحدها أنه من أهل بدر و قد قال رسول الله ص إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشـئتم فقد غفرت لكم –روايت–١–٢–روايت–٢٨–٩٢ و لايقال إن عثمان لم يشـهد بـدرا لأنا نقول صـدقتم أنه لم يشـهدها ولكنه تخلف على رقية ابنة رسول الله ص [صفحه ٦٩] بالمدينة لمرضـها وضرب له رسول الله ص بسهمه وأجره باتفاق سائر الناس . وثانيها أنه من أهل بيعة الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم لَقَد رَضِيَ اللّهُ عَنِ المُؤمِنِينَ إِذ يُبايِعُونَكَ تَحتَ الشّجَرَةِ و لايقال إنه لم يشـهد البيعة تحت الشـجرة لأنا نقول صدقتم أنه لم يشـهدها ولكنه كان رسول الله ص أرسله إلى أهل مكة ولأجله كانت بيعـة الرضوان حيث أرجف بأن قريشا قتلت عثمان –قرآن–١٤٠–٢١٢ فقال رسول الله ص إن كانوا قتلوه لأضـرمنها عليهم نـارا ثم جلس تحت الشـجرة وبـايع النـاس على الموت ثم قـال إن كان عثمان حيا فأنا أبايع عنه فصـفح بشـماله على يمينه و قال شمـالى خير من يمين عثمـان –روايت–١–٢–روايت–٢٤–٢٠٩ روى ذلـك جميع أربـاب أهـل السـيرة متفقا عليه . وثالثها أنه من جملـة العشـرة الـذين تظاهرت الأخبـار بـأنهم من أهـل الجنـة. و إذاكـانت الوجوه الثلاثـة دالـة على أنه مغفور له و أن الله تعالى قدرضى عنه و هو من أهل الجنة بطل أن يكون فاسقا لأن الفاسق يخرج عندنا من الإيمان ويحبط ثوابه ويحكم له بالنار و لايغفر له و لايرضـى عنه و لاـيرى الجنـة و لايـدخلها فـاقتضت هـذه الوجوه الصـحيحة الثابتـة أن يحكم بأن كل ماوقع منه فهو من باب الصـغائر المكفرة توفيقا بين هذه الوجوه و بين روايات الأحداث المذكورة. و أماالوجه التفصـيلى فهو مذكور فى كتب أصـحابنا

المطولة فی الإمامة فليطلب من مظانه فإنهم قداستقصوا فی الجواب عن هذه المطاعن استقصاء لامزيد عليه [صفحه ۷۰]

بيعة جرير بن عبد الله البجلی لعلی

فأما خبر جرير بن عبد الله البجلی وبعث أمير المؤمنين ع إياه إلی معاوية فنحن نذكره نقلا من كتاب صفين لنصر بن مزاحم بن بشار المنقری ونذكر حال أمير المؤمنين ع منذ قدم الكوفة بعدوقعة الجمل ومراسلته معاوية وغيره ومراسلة معاوية له ولغيره و ما كان من ذلک فی مبدأ حالتهما إلی أن سار علی ع إلی صفين . قال نصر حدثنی محمد بن عبيد الله عن الجرجانی قال لماقدم علی ع الكوفة بعدانقضاء أمر الجمل كاتب العمال فكتب إلی جرير بن عبد الله البجلی مع زحر بن قيس الجعفی و كان جرير عاملا لعثمان علی ثغر همذان أما بعدفإِنّ اللّهَ لا يُغَيّرُ ما بِقَومٍ حَتّی يُغَيّرُوا ما بِأَنفُسِهِم وَ إِذا أَرادَ اللّهُ بِقَومٍ سُوءاً فَلا مَرَدّ لَهُ وَ ما لَهُم مِن دُونِهِ مِن والٍ وإنی أخبرک عن نبإ من سرنا إليه من جموع طلحة والزبير عندنكثهم بيعتی و ماصنعوا بعاملی عثمان بن حنيف إنی نهضت من المدينة بالمهاجرين والأنصار حتی إذاكنت بالعذيب بعثت إلی أهل الكوفة الحسن بن علی و عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن عبادة فاستنفرتهم فأجابوا فسرت بهم حتی نزلت بظهر البصرة فأعذرت فی -روايت-۱-۲-روايت-۵۵- ادامه دارد [صفحه ۷۱] الدعاء وأقلت العثرة وناشدتهم عهد بيعتهم فأبوا إلاقتالی فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين إلی مصرهم وسألونی ماكنت دعوتهم إليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت السيف واستعملت عليهم عبد الله بن العباس وسرت إلی الكوفة و قدبعثت إليک زحر بن قيس فاسأله عما بدا لک و السلام -روايت-از قبل-۳۰۴ . قال فلما قرأ جرير الكتاب قام فقال أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علی بن أبی طالب ع و هوالمأمون علی الدين والدنيا و قد كان من أمره وأمر عدوه مانحمد الله عليه و قدبايعه الناس الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان و لوجعل هذاالأمر شوری بين المسلمين كان أحقهم بهاألا و إن البقاء فی الجماعة والفناء فی الفرقة و إن عليا حاملكم علی الحق مااستقمتم فإن ملتم أقام ميلكم فقال الناس سمعا وطاعة رضينا رضينا.فكتب جرير إلی علی ع جواب كتابه بالطاعة. قال نصر و كان مع علی رجل من طيئ ابن أخت لجرير فحمل زحر بن قيس شعرا له إلی خاله جرير و هو جرير بن عبد الله لاتردد الهدی || وبايع عليا إننی لک ناصح فإن عليا خير من وطیء الحصی || سوی أحمد والموت غاد ورائح ودع عنک قول الناكثين فإنما || أولاک أباعمرو كلاب نوابح وبايع إذابايعته بنصيحة || و لايک منها من ضميرک قادح فإنک إن تطلب بهاالدين تعطه || و إن تطلب الدنيا فإنک رابح [صفحه ۷۲] و إن قلت عثمان بن عفان حقه || علی عظيم والشكور مناصح فحق علی إذ وليک كحقه || وشكرک ماأوليت فی الناس صالح و إن قلت لاأرضی عليا إمامنا || فدع عنک بحرا ضل فيه السوابح أبی الله إلا أنه خير دهره || وأفضل من ضمت عليه الأباطح قال نصر ثم إن جريرا قام فی أهل همذان خطيبا فقال الحمد لله ألذی اختار لنفسه الحمد وتولاه دون خلقه لاشريک له فی الحمد و لانظير له فی المجد و لاإله إلا الله وحده الدائم القائم إله السماء و الأرض وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالنور الواضح والحق الناطق داعيا إلی الخير وقائدا إلی الهدی ثم قال أيها الناس إن عليا قدكتب إليكم كتابا لايقال بعده إلارجيع من القول ولكن لابد من رد الكلام إن الناس بايعوا عليا بالمدينة عن غيرمحاباة له ببيعتهم لعلمه بكتاب الله وسنن الحق و إن طلحة والزبير نقضا بيعته علی غيرمحاباة حدثت وألبا عليه الناس ثم لم يرضيا حتی نصبا له الحرب وأخرجا أم المؤمنين فلقيهما فأعذر فی الدعاء وأحسن فی البقية وحمل الناس علی مايعرفون فهذا عيان ماغاب عنكم و إن سألتم الزيادة زدناكم و لاقوة إلابالله ثم قال أتانا كتاب علی فلم || ترد الكتاب بأرض العجم و لم نعص ما فيه لماأتی || و لمانذم و لمانلم ونحن ولاة علی ثغرنا || نضيم العزيز ونحمی الذمم نساقيهم الموت عنداللقاء || بكأس المنايا ونشفی القرم [صفحه ۷۳] فصلی الإله علی أحمد || رسول

المليك تمام النعم رسول المليك و من بعده || خليفتنا القائم المدعم عليا عنيت وصـى النبى || نجالد عنه غواة الأمم له الفضل والسبق والمكرمات || وبيت النبوة لايهتضم قال نصر فسر الناس بخطبة جرير وشعره . و قال ابن الأزور القسرى فى جرير يمدحه بـذلك لعمر أبيك والأنباء تنمى || لقـد جلى بخطبته جرير و قال مقالـة جـدعت رجالا || من الحيين خطبهم كبير بدا بك قبل أمته على || ومخـك إن رددت الحق رير أتـاك بـأمره زحر بن قيس || وزحر بالتى حـدثت خبير فكنت لماأتاك به سـميعا || وكدت إليه من فرح تطير فأنت بما سعدت به ولى || و أنت لماتعد له نصير وأحرزت الثواب ورب حاد || حدا بالركب ليس له بعير

بيعة الأشعث لعلى

قال نصـر وكتب على ع إلى الأشـعث و كان عامل عثمان على آذربيجان [صفحه ٧۴] يدعوه إلى البيعة والطاعة وكتب جرير بن عبـد الله البجلى إلى الأشـعث يحضه على طاعـة أمير المؤمنين ع وقبول كتابه أما بعـدفإنى أتتنى بيعـة على فقبلتها و لم أجـد إلى دفعهـا سبيلاـ لأـنى نظرت فيمـا غاب عنى من أمر عثمان فلم أجـده يلزمني و قدشـهد المهاجرون والأنصار فكان أوفق أمرهم فيه الوقوف فأقبل بيعته فإنك لاتنقلب إلى خير منه واعلم أن بيعة على خير من مصارع أهل البصرة و السلام . قال نصر فقبل الأشعث البيعة وسـمع وأطاع وأقبل جرير سائرا من ثغر همذان حتى ورد على ع الكوفة فبايعه ودخل فيما دخل فيه الناس من طاعته ولزوم أمره

دعوة على معاوية إلى البيعة والطاعة ورد معاوية عليه

قال نصـر فلما أراد على ع أن يبعث إلى معاوية رسولا قال له جرير ابعثني يا أمير المؤمنين إليه فإنه لم يزل لى مستخصا وودا آتيه فأدعوه على أن يسـلم لك هـذاالأمر ويجامعك على الحق على أن يكون أميرا من أمرائك وعاملا من عمالك ماعمل بطاعة الله واتبع مـا فى كتـاب الله وأدعو أهـل الشـام إلى طاعتـك وولايتـك فجلهم قومى و أهل بلادى و قـدرجوت ألا يعصونى. فقال له الأـشتر لاـتبعثه و لاتصـدقه فو الله إنى لأظن هواه هواهم ونيته نيتهم . فقال له على ع دعه حتى ننظر مايرجع به إلينا فبعثه على ع و قال له ع حين أراد أن يبعثه إن حولى من أصـحاب رسول الله ص من من أهل الرأى والـدين من قدرأيت و قداخترتك عليهم لقول رسـول الله فيـك -روايت-١-ادامه دارد [صـفحه ٧۵] إنـك مـن خير ذى يمن ائت معاويـة بكتـابى فـإن دخـل فيمـا دخـل فيه المسلمون و إلافانبـذ إليه وأعلمه إنى لاأرضـى به أميرا و أن العامـة لاترضـى به خليفة -روايت-از قبل-١۵٣ .فانطلق جرير حتى أتى الشـام ونزل بمعاويـة فلما دخل عليه حمـد الله وأثنى عليه و قال أما بعـد يامعاويـة فإنه قـداجتمع لابن عمك أهل الحرمين و أهل المصـرين و أهل الحجاز و أهل اليمن و أهل مصر و أهل العروض والعروض عمان و أهل البحرين واليمامة فلم يبق إلا هذه الحصون التى أنت فيها لوسال عليها سـيل من أوديته غرقها و قـدأتيتك أدعوك إلى مايرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل ودفع إليه كتاب على ع و فيه أما بعد فإن بيعتى بالمدينة لزمتك و أنت بالشام لأنه بايعنى القوم الذين بايعوا أبابكر وعمر وعثمان على مابويعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار و لاللغائب أن يرد وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار إذااجتمعوا على رجل فسموه إمامـا كان ذلك لله رضا فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أورغبـة ردوه إلى ماخرج منه فإن أبى قاتلوه على اتباع سبيل المؤمنين وولاه الله ماتولى ويصـليه جهنم وساءت مصيرا و إن طلحة والزبير بايعانى ثم نقضا بيعتى فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على

ذلـک حتی جـاء الحق وظهر أمر الله وهم كـارهون فادخـل فيمـا دخـل فيه المسلمون فـإن أحب الأمور إلى فيک العافيـة إلا أن تتعرض للبلاء فـإن تعرضت له قاتلتک واستعنت بالله عليک . و قـدأكثرت فی قتلـة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلى أحملـک -روايت-١-٢-روايت-١٠-ادامه دارد [صـفحه ٧۶] وإيـاهم على كتاب الله فأما تلک التی تريـدها فخـدعة الصبی عن اللبن ولعمری لئن نظرت بعقلک دون هواک لتجـدنی أبرأ قريش من دم عثمان واعلم أنک من الطلقاء الـذين لايحل لهم الخلافة و لاتعرض فيهم الشوری و قدأرسلت إليک و إلى من قبلک جرير بن عبد الله البجلی و هو من أهل الإيمان والهجرة فبـايع و لاقوة إلابالله -روايت-از قبل-٣٣١ . فلمـا قرأ الكتـاب قـام جرير فخطب فقال الحمـد لله المحمود بالعوائـد والمأمول منه الزوائد المرتجی منه الثواب المستعان على النوائب أحمده وأستعينه فی الأمور التی تحير دونها الألباب وتضمحل عندها الأسباب وأشـهد أن لاإله إلا الله وحـده لاشـريک له كل شـیءهالک إلاوجهه له الحكم و إليه ترجعون وأشـهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بعـدفترة من الرسل الماضـية والقرون الخاليـة وأبـدان الباليـة والجبلـة الطاغيـة فبلغ الرسالـة ونصح للأمة وأدى الحق ألذی استودعه الله وأمره بأدائه إلى أمته ص من رسول ومبتعث ومنتجب .أيها الناس إن أمر عثمان قـدأعيا من شـهده فكيف بمن غاب عنه و إن النـاس بـايعوا عليـا غيرواتر و لاموتور و كان طلحـة والزبير ممن بايعاه ثم نكثا بيعته على غيرحـدث ألا و إن هذاالـدين لايحتمل الفتن ألا و إن العرب لاتحتمل الفتن و قدكانت بالبصرة أمس روعة ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلابقاء للناس [صفحه ٧٧] و قدبايعت الأمة عليا و لوملكنا و الله الأمور لم نختر لها غيره و من خالف هذااستعتب فادخل يامعاوية فيما دخل فيه الناس . فـإن قلت استعملنی عثمان ثم لم يعزلنی فإن هـذاقول لوجاز لم يقم لله دين و كان لكل امرئ ما فی يـديه ولكن الله جعل للآخر من الولاة حق الأول وجعل الأمور موطأة ينسـخ بعضـها بعضا ثم قعد. قال نصـر فقال معاوية أنظر وتنظر وأسـتطلع رأی أهل الشام .فمضت أيام وأمر معاوية مناديا ينادی الصـلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر ثم قال الحمد لله ألذی جعل الدعائم للإسلام أركانا والشـرائع للإيمان برهانا يتوقـد قبسه فی الأرض المقدسـة جعلها الله محل الأنبياء والصالحين من عباده فأحلهم أرض الشام ورضـيهم لها ورضـيها لهم لماسبق فی مكنون علمه من طاعتهم ومناصـحتهم خلفاءه والقوام بأمره والذابين عن دينه وحرماته ثم جعلهم لهـذه الأمة نظاما و فی سبيل الخيرات أعلاما يردع الله بهم الناكثين ويجمع بهم ألفة المؤمنين و الله نسـتعين على ماتشـعب من أمر المسلمين بعدالالتئام وتباعد بعدالقرب أللهم انصرنا على أقوام يوقظون نائمنا ويخيفون آمننا ويريدون إراقة دمائنا وإخافة سبلنا و قـدعلم الله أنا لانريـد لهم عقابا و لانهتک لهم حجابا و لانوطئهم زلقا غير أن الله الحميد كسانا [صـفحه ٧٨] من الكرامة ثوبا لن ننزعه طوعا ماجاوب الصدى وسـقط الندى وعرف الهدى حملهم على ذلک البغی والحسد فنستعين الله عليهم أيها الناس قـدعلمتم أنی خليفـة أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب وخليفـة أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم وأنی لم أقم رجلا منكم على خزايـة قط وأنی ولی عثمان و قـدقتل مظلوما و الله تعالى يقول وَ مَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنا لِوَلِيّهِ سُـلطاناً فَلا يُسـرِف فِی القَتلِ إِنّهُ كانَ مَنصُوراً و أناأحب أن تعلمونی ذات أنفسكم فی قتل عثمان .فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان وبايعوه على ذلک وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديه أموالهم وأنفسـهم حتی يدركوا بثأره أوتلتحق أرواحهم بالله . قال نصـر فلما أمسی معاويـة اغتم بما هو فيه وجنة الليل وعنده أهل بيته فقال -قرآن-٣٢٢-۴٢۴ تطاول ليلی واعترتنی وساوسی || لآت أتی بالترهات البسابس أتانی جرير والحوادث جمـة || بتلک التی فيهااجتـداع المعاطس أكايده والسـيف بينی وبينه || ولست لأثواب الدنیء بلابس إن الشـام أعطت طاعـة يمنيـة || تواصـفها أشـياخها فی المجالس فإن يفعلوا أصـدم عليا بجبهـة || تفت عليه كل رطب ويـابس وإنی لأرجو خير مانال نائل || و ما أنا من ملک العراق بآيس و منه قول النبی ص ليس فی الجبهـة صدقـة -روايت-١-٢-روايت-٢۴-۴۵ أی زكـاة. [صـفحه ٧٩] قـال نصر فاسـتحثه جرير بالبيعة فقـال ياجرير إنها ليست بخلسـة وإنه أمر له مابعـده فـأبلعنی ريقی حتی أنظر ودعـا ثقـاته فأشـار عليه أخوه بعمرو بن العاص و قال له إنه من قـدعرفت و قـداعتزل عثمان فی حياته و

هولأمرک أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دينه . و قدذكرنا فيما تقدم خبر استدعائه عمرا و ماشرط له من ولايهٔ مصر واستقدامه شرحبيل بن السمط رئيس اليمنيهٔ وشيخها والمقدم عليها وتدسيس الرجال إليه يغرونه بعلی ع ويشهدون عنده أنه قتل عثمان حتى ملئوا صدره وقلبه حقدا وترهٔ وإحنهٔ على علی ع وأصحابه بما لاحاجهٔ إلى إعادته . قال نصر فحدثنی محمد بن عبيد الله عن الجرجانی قال جاء شرحبيل إلى حصين بن نمير فقال ابعث إلى جرير فليأتنا فبعث حصين بن نمير إلى جرير أن زرنا فعندنا شرحبيل فاجتمعا عندحصين فتكلم شرحبيل [صفحه ۸۰] فقال ياجرير أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا فی لهوات الأسد وأردت أن تخلط الشام بالعراق وأطريت عليا و هوقاتل عثمان و الله سائلک عما قلت يوم القيامهٔ.فأقبل عليه جرير و قال ياشرحبيل أماقولک إنی جئت بأمر ملفف فكيف يكون ملففا و قداجتمع عليه المهاجرون والأنصار وقوتل على رده طلحهٔ والزبير. و أماقولک إنی ألقيک فی لهوات الأسد ففی لهواتها ألقيت نفسک . و أماخلط أهل الشام بأهل العراق فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل . و أماقولک إن عليا قتل عثمان فو الله ما فی يديک من ذلک إلاالقذف بالغيب من مكان بعيد ولكنک ملت إلى الدنيا و شیء كان فی نفسک على زمن سعد بن أبی وقاص .فبلغ ماقالاه إلى معاويهٔ فبعث إلى جرير فزجره قال نصر وكتب إلى شرحبيل كتاب لايعرف كاتبه فيه . شرحبيل يا ابن السمط لاتتبع الهوى || فما لک فی الدنيا من الدين من بدل و لاتک كالمجری إلى شر غايهٔ || فقد خرق السربال واستنوق الجمل وقل لابن حرب ما لک اليوم خلهٔ || تروم بها مارمت واقطع له الأمل شرحبيل إن الحق قدجد جده || فكن فيه مأمون الأديم من النغل وأرود و لاتفرط بشیء نخافه || عليک و لاتعجل فلاخير فی العجل [صفحه ۸۱] مقال ابن هند فی علی عضيهٔ || ولله فی صدر بن أبی طالب أجل و ما من علی فی ابن عفان سقطهٔ || بقول و لامالا عليه و لاقتل و ما كان إلالازما قعر بيته || إلى أن أتى عثمان فی داره الأجل فمن قال قولا غير هذافحسبه || من الزور والبهتان بعض ألذی احتمل وصی رسول الله من دون أهله || و من باسمه فی فضله يضرب المثل . قال نصر فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر و قال هذه نصيحهٔ لی فی دينی و لا و الله لاأعجل فی هذاالأمر بشیء و فی نفسی منه حاجهٔ وكاد يحول عن نصر معاويهٔ ويتوقف فلفق له معاويهٔ الرجال يدخلون إليه ويخرجون ويعظمون عنده قتل عثمان ويرمون به عليا ويقيمون الشهادهٔ الباطلهٔ والكتب المختلقهٔ حتى أعادوا رأيه وشحذوا عزمه . [صفحه ۸۲] قال نصر و حدثناعمر بن سعد بإسناده قال بعث معاويهٔ إلى شرحبيل بن السمط إنه قد كان من إجابتک إلى الحق و ماوقع فيه أجرک على الله وقبله عنک صلحاء الناس ماعلمت و إن هذاالأمر ألذی نحن فيه لايتم إلابرضا العامهٔ فسر فی مدائن الشام وناد فيهم بأن عليا قتل عثمان و أنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه .فسار شرحبيل فبدأ بأهل حمص فقام فيهم خطيبا و كان مأمونا فی أهل الشام ناسكا متألها فقال أيها الناس إن عليا قتل عثمان فغضب له قوم من أصحاب رسول الله ص فلقيهم فهزم الجمع وقتل صلحاءهم وغلب على الأرض فلم يبق إلاالشام و هوواضع سيفه على عاتقه ثم خائض غمرات الموت حتى يأتيكم أويحدث الله أمرا و لانجد أحدا أقوى على قتاله من معاويهٔ فجدوا وانهضوا.فأجابه الناس كلهم إلاناسا من أهل حمص فإنهم قالوا له بيوتنا قبورنا ومساجدنا و أنت أعلم بما ترى . قال وجعل شرحبيل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها لايأتی على قوم إلاقبلوا [صفحه ۸۳] ماأتاهم به فبعث إليه النجاشی بن الحارث و كان له صديقا. شرحبيل ماللدين فارقت ديننا || ولكن لبغض المالكی جرير وشحناء دبت بين سعد وبينه || فأصبحت كالحادی بغير بعير و ما أنت إذ كانت بجيلهٔ عاتبت || قريشا فيا لله بعدنصير أتفصل أمرا غبت عنه بشبههٔ || و قدحار فيه عقل كل بصير بقول رجال لم يكونوا أئمهٔ || و لاللتی لقوكها بحضور و ماقول قوم غائبين تقاذفوا || من الغيب مادلاهم بغرور وتترک أن الناس أعطوا عهودهم || عليا على أنس به وسرور إذاقيل هاتوا واحدا يقتدی به || نظيرا له لم يفصحوا بنظير لعلک أن تشقی الغداهٔ بحربه || فليس ألذی قدجئته بصغير . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن نمير بن وعلهٔ عن الشعبی أن شرحبيل بن السمط بن الأسود بن جبلهٔ الكندی دخل على معاويهٔ فقال له أنت عامل أمير المؤمنين و ابن عمه ونحن المؤمنون

فإن كنت رجلا تجاهد عليا وقتلة عثمان حتى ندرك ثارنا أوتذهب أرواحنا استعملناك علينا و إلاعزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان أونهلك . فقال جرير بن عبد الله و كان حاضرا مهلا ياشرحبيل فإن الله قدحقن الدماء و لم الشعث وجمع أمر الأمة ودنا من هذه الأمة سكون فإياك أن تفسد بين الناس [صفحه ۸۴] وأمسك عن هذاالقول قبل أن يشيع ويظهر عنك قول لاتستطيع رده فقال لا و الله لاأسرة أبدا ثم قام فتكلم به فقال الناس صدق صدق القول ما قال والرأى مارأى فأيس جرير عند ذلك من معاوية و من عوام أهل الشام . قال نصر وحدثنى محمد بن عبيد الله عن الجرجانى قال كان معاوية قدأتى جريرا قبل ذلك فى منزله فقال له ياجرير إنى قدرأيت رأيا قال هاته قال اكتب إلى صاحبك يجعل لى الشام ومصر جباية فإذاحضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده فى عنقى بيعة وأسلم له هذاالأمر واكتب إليه بالخلافة فقال جرير اكتب ماأردت أكتب معك .فكتب معاوية بذلك إلى على فكتب على ع إلى جرير أما بعدفإنما أراد معاوية ألا يكون لى فى عنقه بيعة و أن يختار من أمره ماأحب وأراد أن يريثك ويبطئك حتى يذوق أهل الشام و أن المغيرة بن شعبة قد كان أشار على أن أستعمل معاوية على الشام و أناحينئذ بالمدينة فأبيت ذلك عليه و لم يكن الله ليرانى أتخذ المضلين عضدا فإن بايعك الرجل و إلافأقبل و السلام -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۳۳۸ . قال نصر وفشا كتاب معاوية فى العرب فبعث إليه الوليد بن عقبة معاوى إن الشام شامك فاعتصم || بشامك لاتدخل عليك الأفاعيا وحام عليها بالصوارم والقنا || و لاتك موهون الذراعين وانيا و إن عليا ناظر ماتجيبه || فأهد له حربا تشيب النواصيا [صفحه ۸۵] و إلافسلم إن فى السلم راحة || لمن لايريد الحرب فاختر معاويا و إن كتابا يا ابن حرب كتبته || على طمع يزجى إليك الدواهيا سألت عليا فيه مالن تناله || و لونلته لم يبق إلالياليا وسوف ترى منه التى ليس بعدها || بقاء فلاتكثر عليك الأمانيا أمثل على تعتريه بخدعة || و قد كان ماجربت من قبل كافيا . قال وكتب الوليد بن عقبة إلى معاوية أيضا يوقظه ويشير عليه بالحرب وألا يكتب جواب جرير معاوى إن الملك قدجب غاربه || و أنت بما فى كفك اليوم صاحبه أتاك كتاب من على بخطه || هى الفصل فاختر سلمه أوتحاربه فلاترج عندالواترين مودة || و لاتأمن اليوم ألذى أنت راهبه وحاربه إن حاربت حرب ابن حرة || و إلافسلم لاتدب عقاربه فإن عليا غيرساحب ذيله || على خدعة ماسوغ الماء شاربه و لاقابل ما لايريد و هذه || يقوم بهايوما عليه نوادبه فلاتدعن الملك والأمر مقبل || وتطلب ماأعيت عليك مذاهبه فإن كنت تنوى أن تجيب كتابه || فقبح ممليه وقبح كاتبه و إن كنت تنوى أن ترد كتابه || و أنت بأمر لامحالة راكبه فألق إلى الحى اليمانين كلمة || تنال بهاالأمر ألذى أنت طالبه تقول أمير المؤمنين أصابه || عدو ومالأهم عليه أقاربه أفانين منهم قائل ومحرض || بلا ترة كانت وآخر سالبه [صفحه ۸۶] وكنت أميرا قبل بالشام فيكم || فحسبى وإياكم من الحق واجبه فجيئوا و من أرسى ثبيرا مكانه || ندافع بحرا لاترد غواربه فأقلل وأكثر مالها اليوم صاحب || سواك فصرح لست ممن تواربه . قال نصر وخرج جرير يوما يتجسس الأخبار فإذا هوبغلام يتغنى على قعود له هو يقول حكيم وعمار الشجا و محمد || وأشتر والمكشوح جروا الدواهيا و قد كان فيهاللزبير عجاجة || وصاحبه الأدنى أثاروا الدواهيا فأما على فاستجار ببيته || فلاآمر فيها و لم يك ناهيا فقل فى جميع الناس ماشئت بعده || فلو قلت أخطأ الناس لم تك خاطيا و إن قلت عم القوم فيه بفتنة || فحسبك من ذاك ألذى كان كافيا فقولا لأصحاب النبى محمد || وخصا الرجال الأقربين الأدانيا أيقتل عثمان بن عفان بينكم || على غير شىء ليس إلاتعاميا فلانوم حتى نستبيح حريمكم || ونخضب من أهل الشنان العواليا . فقال جرير يا ابن أخى من أنت فقال غلام من قريش وأصلى من ثقيف أنا ابن المغيرة بن الأخنس بن شريق قتل أبى مع عثمان يوم الدار فعجب جرير [صفحه ۸۷] من شعره و قوله وكتب بذلك إلى على ع فقال على و الله ماأخطأ الغلام شيئا. قال نصر و فى حديث صالح بن صدقة قال أبطأ جرير عندمعاوية حتى اتهمه الناس و قال على ع قدوقت لجرير وقتا لايقيم بعده إلامخدوعا أوعاصيا وأبطأ على على حتى أيس منه . قال و فى حديث محمد وصالح بن صدقة قالا فكتب على ع إلى جرير بعد ذلك إذاأتاك كتابى هذافاحمل

معاوية على الفصل ثم خيره وخذه بالجواب بين حرب مخزية أوسلم محظية فإن اختار الحرب فانبذ إليه و إن اختار السلم فخذه ببيعته و السلام -روايت-۱-۲-روايت-۷۶-۲۴۴ . قال فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فأقرأه الكتاب و قال له يامعاوية إنه لايطبع على قلب إلابذنب و لايشرح صدر إلابتوبة و لاأظن قلبك إلامطبوعا عليه أراك قدوقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئا فى يد غيرك . فقال معاوية ألقاك بالفصل فى أول مجلس إن شاء الله . فلما بايع معاوية أهل الشام بعد أن ذاقهم قال ياجرير الحق بصاحبك وكتب إليه بالحرب وكتب فى أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل أرى الشام تكره أهل العراق || و أهل العراق لهم كارهونا [صفحه ۸۸] و قدذكرنا هذاالشعر فيما تقدم . و قال أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الكامل إن عليا ع لماأراد أن يبعث جريرا إلى معاوية قال و الله يا أمير المؤمنين ماأدخرك من نصرتى شيئا و ماأطمع لك فى معاوية فقال على ع إنما قصدى حجة أقيمها عليه فلما أتى جرير معاوية دافعه بالبيعة فقال له جرير إن المنافق لايصلى حتى لايجد من الصلاة بدا فقال معاوية إنها ليست بخدعة الصبى عن اللبن فأبلغنى ريقى إنه أمر له مابعده . قال وكتب مع جرير إلى على ع جوابا عن كتابه إليه من معاوية بن صخر إلى على بن أبى طالب أما بعدفلعمرى لوبايعك القوم الذين بايعوك و أنت برىء من دم عثمان كنت كأبى بكر وعمر وعثمان ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف و قدأبى أهل الشام إلاقتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمرى ليس حججك على كحججك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك و لم أبايعك و ماحجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأن أهل البصرة أطاعوك و لم يطعك أهل الشام فأما شرفك فى الإسلام وقرابتك من النبى ص وموضعك من قريش فلست أدفعه . [صفحه ۸۹] ثم كتب فى آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل ألذى أوله أرى الشام تكره أهل العراق || و أهل العراق لهم كارهونا قال أبوالعباس المبرد رحمه الله تعالى فكتب إليه على ع جوابا عن كتابه هذا من أمير المؤمنين على بن أبى طالب إلى معاوية بن صخر بن حرب أما بعدفإنه أتانى منك كتاب امرئ ليس له بصر يهديه و لاقائد يرشده دعاه الهوى فأجابه وقاده الضلال فاتبعه زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ماكنت إلارجلا من المهاجرين أوردت كماأوردوا وأصدرت كماأصدروا و ما كان الله ليجمعهم على الضلال و لاليضربهم بالعمى و بعدفما أنت وعثمان إنما أنت رجل من بنى أمية وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إلى و أماتمييزك بينك و بين طلحة والزبير و بين أهل الشام و أهل البصرة فلعمرى ماالأمر فيما هناك إلاسواء لأنها بيعة شاملة لايستثنى فيهاالخيار و لايستأنف فيهاالنظر و أماشرفى فى الإسلام وقرابتى من رسول الله ص وموضعى من قريش فلعمرى لواستطعت دفعه لدفعته -روايت-۱-۲-روايت-۸۳-۸۷۱ . قال ثم دعا النجاشى أحد بنى الحارث بن كعب فقال له إن ابن جعيل شاعر أهل الشام و أنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل فقال يا أمير المؤمنين أسمعنى قوله قال إذن أسمعك شعر شاعر ثم أسمعه فقال النجاشى يجيبه [صفحه ۹۰] دعا يامعاوى مالن يكونا || فقد حقق الله ماتحذرونا أتاكم على بأهل العراق || و أهل الحجاز فما تصنعونا على كل جرداء خيفانة || وأشعث نهد يسر العيونا عليها فوارس مخشية || كأسد العرين حمين العرينا يرون الطعان خلال العجاج || وضرب الفوارس فى النقع دينا هم هزموا الجمع جمع الزبير || وطلحة والمعشر الناكثينا وآلوا يمينا على حلفة || لنهدى إلى الشام حربا زبونا تشيب النواهد قبل المشيب || وتلقى الحوامل منها الجنينا فإن تكرهوا الملك ملك العراق || فقد رضى القوم ماتكرهونا فقل للمضلل من وائل || و من جعل الغث يوما سمينا جعلتم عليا وأشياعه || نظير ابن هند أ ماتستحونا إلى أفضل الناس بعدالرسول || وصنو الرسول من العالمينا وصهر الرسول و من مثله || إذا كان يوم يشيب القرونا . قلت أبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات وأخبث مقصدا وأدهى وأحسن . وزاد نصر بن مزاحم فى هذه الرسالة بعد قوله و لاليضربهم بالعمى و ماألبت فتلزمنى خطيئة الأمر و لاقتلت فيجب على القصاص و أماقولك إن [صفحه ۹۱] أهل الشام هم الحكام على أهل

الحجاز فهات رجلا- من أهل الشام يقبل فى الشورى أوتحل له الخلافة فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون والأنصار و إلاأتيتك به من قريش الحجاز و أماولوعك بى فى أمر عثمان فما قلت ذلك عن حق العيان و لايقين الخبر. و هذه الزيادة التى ذكرها نصر بن مزاحم تقتضى أنه كان فى كتاب معاوية إليه ع أن أهل الشام هم الحكام على أهل الحجاز و ماوجدنا هذاالكلام فى كتابه

أخبار متفرقة

وروى نصر بن مزاحم قال لماقتل عثمان ضربت الركبان إلى الشام بقتله فبينا معاوية يوما إذاأقبل رجل متلفف فكشف عن وجهه و قال لمعاوية يا أمير المؤمنين أتعرفنى قال نعم أنت الحجاج بن خزيمة بن الصمة فأين تريد قال إليك القربان نعى ابن عفان ثم قال إن بنى عمك عبدالمطلب || هم قتلوا شيخكم غيركذب و أنت أولى الناس بالوثب فثب || واغضب معاوى للإله واحتسب وسر بنا سير الجرير المتلئب || وانهض بأهل الشام ترشد وتصب ثم اهزز الصعدة للشأس الشغب . قال يعنى عليا ع قلت المتلئب المستقيم المطرد يقال هذاقياس متلئب أى مستمر مطرد [صفحه ٩٢] ويقال مكان شأس أى غليظ صلب والشغب الهائج للشر و من رواه للشاسى بالياء فأصله الشاصى بالصاد و هوالمرتفع يقال شصا السحاب إذاارتفع فأبدل الصاد سينا ومراده هنا نسبة على ع إلى التيه والترفع عن الناس . قال نصر فقال له معاوية أفيك مهز فقال نعم فقال أخبر الناس فقال الحجاج يا أمير المؤمنين و لم يخاطب معاوية بأمير المؤمنين قبلها إنى كنت فيمن خرج مع يزيد بن أسد القسرى مغيثا لعثمان فقدمت أنا وزفر بن الحارث فلقينا رجلا- زعم أنه ممن قتل عثمان فقتلناه وإنى أخبرك يا أمير المؤمنين إنك لتقوى على على بدون مايقوى به عليك لأن معك قوما لا-يقولون إذا قلت و لايسألون إذاأمرت و إن مع على قوما يقولون إذا قال ويسألون إذاأمر فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه واعلم أنه لايرضى على إلابالرضا و إن رضاه سخطك ولست و على سواء على لايرضى بالعراق دون الشام و أنت ترضى بالشام دون العراق . قال نصر فضاق معاوية صدرا بما أتاه وندم على خذلان عثمان و قال أتانى أمر فيه للنفس غمة || و فيه بكاء للعيون طويل و فيه فناء شامل وخزاية || و فيه اجتداع للأنوف أصيل مصاب أمير المؤمنين وهدة || تكاد لها صم الجبال تزول فلله عينا من رأى مثل هالك || أصيب بلا ذنب وذاك جليل تداعت عليه بالمدينة عصبة || فريقان منهم قاتل وخذول دعاهم فصموا عنه عنددعائه || وذاك على ما فى النفوس دليل ندمت على ما كان من تبعى الهوى || وقصرى فيه حسرة وعويل [صفحه ٩٣] سأبغى أباعمرو بكل مثقف || وبيض لها فى الدار عين صليل تركتك للقوم الذين هم هم || شجاك فما ذا بعدذاك أقول فلست مقيما ماحييت ببلدة || أجر بهاذيلى و أنت قتيل فلانوم حتى تشجر الخيل بالقنا || ويشفى من القوم الغواة غليل ونطحنهم طحن الرحى بثفالها || وذاك بما أسدوا إليك قليل فأما التى فيهامودة بيننا || فليس إليها ماحييت سبيل سألقحها حربا عوانا ملحة || وإنى بها من عامنا لكفيل قال نصر وافتخر الحجاج على أهل الشام بما كان من تسليمه على معاوية بأمره المؤمنين . قال نصر و حدثناصالح بن صدقة عن ابن إسحاق عن خالد الخزاعى وغيره ممن لايتهم أن عثمان لماقتل وأتى معاوية بكتاب على ع بعزله عن الشام صعد المنبر ونادى فى الناس أن يحضروا فحضروا فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا أهل الشام قدعلمتم أنى خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وخليفة عثمان و قدقتل و أنا ابن عمه ووليه و الله تعالى يقول وَ مَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنا لِوَلِيّهِ سُلطاناً و أناأحب أن تعلمونى ما فى نفوسكم من قتل خليفتكم . -قرآن-٤٦٥-٥٢١ [صفحه ٩٤] فقام مرة بن كعب و فى المسجد يومئذ أربعمائة رجل من أصحاب النبى ص أونحوها فقال و الله لقد قمت مقامى هذا وإنى لأعلم أن فيكم من هوأقدم صحبة لرسول الله ص منى ولكنى شهدت رسول الله

ص نصف النهار فی یوم شدید الحر و هو یقول لتکونن فتنة حاضرة فمر رجل مقنع فقال رسول الله و هذاالمقنع یومئذ علی الهدی فقمت فأخذت بمنکبه وحسرت عن رأسه فإذاعثمان فأقبلت بوجهه علی رسول الله ص و قلت هذا یا رسول الله فقال نعم فأصفق أهل الشام مع معاویة حینئذ وبایعوه علی الطلب بدم عثمان أمیرا لایطمع فی الخلافة ثم الأمر شوری . وروی ابراهیم بن الحسن بن دیزیل فی کتاب صفین عن أبی بکر بن عبد الله الهذلی أن الولید بن عقبة کتب إلی معاویة یستبطئه فی الطلب بدم عثمان ویحرضه وینهاه عن قطع الوقت بالمکاتبة ألا أبلغ معاویة بن حرب || فإنک من أخی ثقة ملیم قطعت الدهر کالسدم المعنی || تهدر فی دمشق و لاتریم [صفحه ۹۵] فإنک والکتاب إلی علی || کدابغة و قدحلم الأدیم لک الویلات أقحمها علیهم || فخیر الطالبی الترة الغشوم . قال فکتب معاویة إلیه الجواب بیتا من شعر أوس بن حجر ومستعجب مما یری من أناتنا || و لوزبنته الحرب لم یترمرم . وروی ابن دیزیل قال لماعزم علی ع علی المسیر إلی الشام دعا رجلا فأمره أن یتجهز ویسیر إلی دمشق فإذادخل أناخ راحلته بباب المسجد و لایلقی من ثیاب سفره شیئا فإن الناس إذارأوه علیه آثار الغربة سألوه فلیقل لهم ترکت علیا قدنهد إلیکم بأهل العراق فانظر ما یکون من أمرهم ففعل الرجل ذلک فاجتمع الناس وسألوه فقال لهم فکثروا علیه یسألونه فأرسل [صفحه ۹۶] إلیه معاویة بالأعور السلمی یسأله فأتاه فسأله فقال له فأتی معاویة فأخبره فنادی الصلاة جامعة ثم قام فخطب الناس و قال لهم إن علیا قدنهد إلیکم فی أهل العراق فما ترون فضرب الناس بأذقانهم علی صدورهم لایتکلمون فقام ذو الکلاع الحمیری فقال علیک ام رأی وعلینا ام فعال وهی لغة حمیر.فنزل ونادی فی الناس بالخروج إلی معسکرهم وعاد إلی علی ع فأخبره فنادی الصلاة جامعة ثم قام فخطب الناس فأخبرهم أنه قدم علیه رسول کان بعثه إلی الشام وأخبره أن معاویة قدنهد إلی العراق فی أهل الشام فما الرأی. قال فاضطرب أهل المسجد هذا یقول الرأی کذا و هذا یقول الرأی کذا وکثر اللغط واللجب فلم یفهم علی ع من کلامهم شیئا و لم یدر المصیب من المخطئ فنزل عن المنبر و هو یقول إنا لله وإنا إلیه راجعون ذهب بها ابن آکلة الأکباد یعنی معاویة. وروی ابن دیزیل عن عقبة بن مکرم عن یونس بن بکیر عن الأعمش قال کان أبومریم صدیقا لعلی ع فسمع بما کان فیه علی ع من اختلاف أصحابه علیه فجاءه فلم یرع علیا ع إلا و هوقائم علی رأسه بالعراق فقال له أبامریم ماجاء بک نحوی قال ماجاء بی غیرک عهدی بک لوولیت أمر الأمة کفیتهم ثم سمعت بما أنت فیه من الاختلاف فقال یا أبامریم إنی منیت بشرار خلق الله أریدهم علی الأمر ألذی هوالرأی فلایتبعوننی. [صفحه ۹۷] وروی ابن دیزیل عن عبد الله بن عمر عن زید بن الحباب عن علاء بن جریر العنبری عن الحکم بن عمیر الثمالی وکانت أمه بنت أبی سفیان بن حرب قال قال رسول الله ص لأصحابه ذات یوم کیف بک یا أبابکر إذاولیت قال لا یکون ذلک أبدا قال فکیف بک یاعمر إذاولیت فقال آکل حجرا لقد لقیت إذن شرا قال فکیف بک یاعثمان إذاولیت قال آکل وأطعم وأقسم و لاأظلم قال فکیف بک یا علی إذاولیت قال آکل الفوت وأحمی الجمرة وأقسم التمرة وأخفی الصور قال أی العورة فقال ص أماإنکم کلکم سیلی وسیری الله أعمالکم ثم قال یامعاویة کیف بک إذاولیت قال الله ورسوله أعلم فقال أنت رأس الحطم ومفتاح الظلم حصبا وحقبا تتخذ الحسن قبیحا والسیئة حسنة یربو فیهاالصغیر ویهرم فیهاالکبیر أجلک یسیر وظلمک عظیم -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۲-۷۲۰ . وروی ابن دیزیل أیضا عن عمر بن عون عن هشیم عن أبی فلج عن عمرو بن میمون قال قال عبد الله بن مسعود کیف أنتم إذالقیتکم فتنة یهرم فیهاالکبیر ویربو فیهاالصغیر تجری بین الناس ویتخذونها سنة فإذاغیرت قیل هذامنکر. وروی ابن دیزیل قال حدثنا الحسن بن الربیع البجلی عن أبی إسحاق الفزاری عن حمید الطویل عن أنس بن مالک فی قوله تعالی فَإِمّا نَذهَبَنّ بِکَ فَإِنّا مِنهُم مُنتَقِمُونَ أَو نُرِیَنّکَ ألّذِی وَعَدناهُم فَإِنّا عَلَیهِم مُقتَدِرُونَ قال أکرم الله تعالی نبیه ع أن یریه فی أمته مایکره رفعه إلیه وبقیت النقمة. -قرآن-۳۵۳-۴۶۵ [صفحه ۹۸] قال ابن دیزیل و حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثناعمرو بن محمد قال أخبرنا أسباط عن السدی عن أبی المنهال عن أبی هریرة قال قال رسول الله ص سألت ربی لأمتی ثلاث خلال فأعطانی اثنتین ومنعنی واحدة سألته ألا

تكفر أمتى صفقة واحدة فأعطانيها وسألته ألا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها -روايت-١-٢-روايت-١٥١-٣٥٢ . قال ابن ديزيل و حدثنايحيى بن عبد الله الكرابيسى قال حدثنا أبوكريب قال حدثنا أبومعاوية عن عمار بن زريق عن عمار الدهنى عن سالم بن أبى الجعد قال جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال إن الله تعالى قدآمننا أن يظلمنا و لم يؤمنا أن يفتننا أرأيت إذاأنزلت فتنة كيف أصنع فقال عليك كتاب الله تعالى قال أفرأيت إن جاء قوم كلهم يدعو إلى كتاب الله تعالى فقال ابن مسعود سمعت رسول الله ص يقول إذااختلف الناس كان ابن سمية مع الحق -روايت-١-٢-روايت-٤٦-٨٧ وروى ابن ديزيل قال حدثنايحيى بن زكريا قال حدثنا على بن القاسم عن سعيد بن طارق عن عثمان بن القاسم عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ص أ لاأدلكم على ما إن تساءلتم عليه لم تهلكوا إن وليكم الله و إن إمامكم على بن أبى طالب فناصحوه وصدقوه فإن جبريل أخبرنى بذلك -روايت-١-٢-روايت-١٥١-٢٨٩ . فإن قلت هذانص صريح فى الإمامة فما ألذى تصنع المعتزلة بذلك . قلت يجوز أن يريد أنه إمامهم فى الفتاوى والأحكام الشرعية لا فى الخلافة. وأيضا فإنا قدشرحنا من قول شيوخنا البغداديين مامحصله إن الإمامة كانت لعلى [صفحه ٩٩] ع إن رغب فيها ونازع عليها و إن أقرها فى غيره وسكت عنها تولينا ذلك الغير وقلنا بصحة خلافته و أمير المؤمنين ع لم ينازع الأئمة الثلاثة و لاجرد السيف و لااستنجد بالناس عليهم فدل ذلك على إقراره لهم على ماكانوا فيه فلذلك توليناهم وقلنا فيهم بالطهارة والخير والصلاح و لوحاربهم وجرد السيف عليهم واستصرخ العرب على حربهم لقلنا فيهم ماقلناه فيمن عامله هذه المعاملة من التفسيق والتضليل . قال ابن ديزيل و حدثناعمرو بن الربيع قال حدثناالسرى بن شيبان عن عبدالكريم أن عمر بن الخطاب قال لماطعن ياأصحاب محمدتناصحوا فإنكم إن لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان . قلت إن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد أحد الإمامية قال فى بعض كتبه إنما أراد عمر بهذا القول إغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة وإطماعهما فيهالأن معاوية كان عامله وأميره على الشام وعمرو بن العاص عامله وأميره على مصر وخاف أن يضعف عثمان عنها و أن تصير إلى على ع فألقى هذه الكلمة إلى الناس لتنقل إليهما وهما بمصر والشام فيتغلبا على هذين الإقليمين إن أفضت إلى على ع . و هذاعندى من باب الاستنباطات التى يوجبها الشنآن والحنق وعمر كان أتقى لله من أن يخطر له هذا ولكنه من فراسته الصادقة التى كان يعلم بهاكثيرا من الأمور المستقبلة كما قال عبد الله بن عباس فى وصفه و الله ما كان أوس بن حجر عنى أحدا سواه بقوله الألمعى ألذى يظن بك الظن || كان قدرأى و قدسمعا [صفحه ١٠٠] وروى ابن ديزيل عن عفان بن مسلم عن وهب بن خالد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى الأشعث عن مرة بن كعب قال ذكر رسول الله ص فتنة فقربها فمر رجل قدتقنع بثوبه فقال ع هذا وأصحابه يومئذ على الحق فقمت إليه فأخذت بمنكبه فقلت هو هذا فقال نعم فإذا هوعثمان بن عفان -روايت-١-٢-روايت-١١٣-٢٧٧ . قلت هذاالحديث قدرواه كثير من محققى أصحاب الحديث ورواه محمد بن إسماعيل البخارى فى تاريخه الكبير بعدة روايات و ليس لقائل أن يقول فهذا الحديث إذاصححتموه كان حجة للسفيانية لأنا نقول الخبر يتضمن أن عثمان وأصحابه على الحق و هذامذهبنا لأنا نذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما و أنه وناصريه يوم الدار على الحق و أن القوم الذين قتلوه لم يكونوا على الحق فأما معاوية و أهل الشام الذين حاربوا عليا ع بصفين فليسوا بداخلين فى الخبر و لا فى ألفاظ الخبر لفظ عموم يتعلق به أ لاترى أنه ليس فيه كل من أظهر الانتصار لعثمان فى حياته و بعدوفاته فهو على الحق وإنما خلاصته أنه ستقوم فتنة يكون عثمان فيها وأصحابه على الحق ونحن لانأبى ذلك بل هومذهبنا. وروى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين قال لماقدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص إن الله قدأحيا لك عمر بن الخطاب بالشام بقدوم عبيد الله بن عمر و قدرأيت أن أقيمه خطيبا يشهد على على بقتل عثمان وينال منه فقال الرأى مارأيت فبعث إليه فأتاه فقال له معاوية يا ابن أخى إن لك [صفحه ١٠١] اسم أبيك فانظر بمل ء عينيك وأنطق بمل ء فيك فأنت المأمون المصدق فاصعد

المنبر واشتم عليا واشهد عليه أنه قتل عثمان . فقال أيها الأمير أماشتمه فإن أباه أبوطالب وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم فما عسى أن أقول فى حسبه و أمابأسه فهو الشجاع المطرق و أماأيامه فما قدعرفت ولكنى ملزمه دم عثمان فقال عمرو بن العاص قد وأبيك إذن نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله بن عمر قال معاوية أما و الله لو لاقتله الهرمزان ومخافته عليا على نفسه ماأتانا أبدا أ لا-ترى إلى تقريظه عليا فقال عمرو يامعاوية إن لم تغلب فاخلب قال وخرج حديثهما إلى عبيد الله فلما قام خطيبا تكلم بحاجته فلما انتهى إلى أمر على أمسك و لم يقل شيئا فلما نزل بعث إليه معاوية يا ابن أخى إنك بين عى وخيانة فبعث إليه إنى كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان وعرفت أن الناس محتملوها عنى فتركتها. قال فهجره معاوية واستخف به وفسقه فقال عبيد الله معاوى لم أحرض بخطبة خاطب || و لم أك عيا فى لؤى بن غالب ولكننى زاولت نفسا أبية || على قذف شيخ بالعراقين غائب وقذفى عليا بابن عفان جهرة || كذاب و ماطبى سجايا المكاذب ولكنه قدقرب القوم جهده || ودبوا حواليه دبيب العقارب فما قال أحسنتم و لا قدأسأتم || وأطرق إطراق الشجاع المواثب [صفحه ١٠٢] فأما ابن عفان فأشهد أنه || أصيب بريئا لابسا ثوب تائب و قد كان فيهاللزبير عجاجة || وطلحة فيهاجاهد غيرلاعب و قدأظهرا من بعد ذلك توبة || فيا ليت شعرى ماهما فى العواقب . قال فلما بلغ معاوية شعره بعث إليه فأرضاه و قال حسبى هذامنك . وروى نصر عن عبيد الله بن موسى قال سمعت سفيان بن سعيد المعروف بسفيان الثورى يقول ماأشك أن طلحة والزبير بايعا عليا و مانقما عليه جورا فى حكم و لااستئثارا بفىء و ماقاتل عليا أحد إلا و على أولى بالحق منه . وروى نصر بن مزاحم أن عليا ع قدم من البصرة فى غرة شهر رجب من سنة ست وثلاثين إلى الكوفة وأقام بهاسبعة عشر شهرا تجرى الكتب بينه و بين معاوية وعمرو بن العاص حتى سار إلى الشام . قال نصر و قدروى من طريق أبى الكنود وغيره أنه قدم الكوفة بعدوقعة الجمل لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ست وثلاثين . قال نصرفدخل الكوفة ومعه أشراف الناس من أهل البصرة وغيرهم فاستقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم فدعوا له بالبركة وقالوا يا أمير المؤمنين أين تنزل أتنزل القصر قال لا ولكنى أنزل الرحبة فنزلها وأقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال -روايت-١-٢-روايت-١١-ادامه دارد [صفحه ١٠٣] أما بعد يا أهل الكوفة فإن لكم فى الإسلام فضلا ما لم تبدلوا وتغيروا دعوتكم إلى الحق فأجبتم وبدأتم بالمنكر فغيرتم ألا إن فضلكم فيما بينكم و بين الله فأما فى الأحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم ممن أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ألا إن أخوف ماأخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل أمااتباع الهوى فيصد عن الحق و أماطول الأمل فينسى الآخرة ألا إن الدنيا قدترحلت مدبرة و إن الآخرة قدترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة اليوم عمل و لاحساب وغدا حساب و لاعمل الحمد لله ألذى نصر وليه وخذل عدوه وأعز الصادق المحق وأذل الناكث المبطل عليكم بتقوى الله وطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المستحلين المدعين المقابلين إلينا يتفضلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا وينازعوننا حقنا ويباعدوننا عنه فقد ذاقوا وبال مااجترحوا فسوف يلقون غيا ألا إنه قدقعد عن نصرتى رجال منكم و أناعليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم مايكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عندالفرقة فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعى و كان صاحب شرطته فقال و الله إنى لأرى الهجر وسماع المكروه لهم قليلا و الله لوأمرتنا لنقتلنهم فقال على ع سبحان الله يامال جزت المدى وعدوت الحد فأغرقت فى النزع فقال يا أمير المؤمنين لبعض الغشم أبلغ فى أمر ينوبك من مهادنة الأعادى فقال على ع ليس هكذا قضى الله يامال قال سبحانه النَّفسَ بِالنَّفسِ-فما بال ذكر الغشم -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ١٠٤] و قال تعالى وَ مَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنا لِوَلِيِّهِ سُلطاناً فَلا يُسرِف فِي القَتلِ والإسراف فى القتل أن تقتل غيرقاتلك فقد نهى الله عنه وذاك هوالغشم فقام إليه أبوبردة بن عوف الأزدى و كان ممن تخلف عنه فقال يا أمير المؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير علام قتلوا أو قال بم قتلوا فقال على ع قتلوا بما قتلوا شيعتى وعمالى وقتلوا أخا ربيعة العبدى فى عصابة

من المسلمين قالوا إنا لاننكث كمانكثتم و لانغدر كماغدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم فسألتهم أن يدفعوا إلى قتلة إخوانى أقتلهم بهم ثم كتاب الله حكم بينى وبينهم فأبوا على وقاتلونى و فى أعناقهم بيعتى ودماء قريب من ألف رجل من شيعتى فقتلتهم أ فى شك أنت من ذلك فقال قدكنت فى شك فأما الآن فقد عرفت واستبان لى خطأ القوم وأنك المهتدى المصيب -روايت-از قبل-۷۶۴ . قال نصر و كان أشياخ الحى يذكرون أنه كان عثمانيا و قدشهد على ذلك صفين مع على ع ولكنه بعد مارجع كان يكاتب معاوية فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة و كان عليه كريما. قال ثم إن عليا ع تهيأ لينزل وقام رجال ليتكلموا فلما رأوه نزل جلسوا وسكتوا. قال ونزل على ع بالكوفة على جعدة بن هبيرة المخزومى. قلت جعدة ابن أخته أم هانئ بنت أبى طالب كانت تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى فأولدها جعدة و كان شريفا. [صفحه ۱۰۵] قال نصر و لماقدم على ع إلى الكوفة نزل على باب المسجد فدخل فصلى ثم تحول فجلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان نزل الكوفة فقال قائل استأثر الله به فقال على ع إن الله تبارك و تعالى لايستأثر بأحد من خلقه إنما أراد الله جل ذكره بالموت إعزاز نفسه وإذلال خلقه وقرأكُنتُم أَمواتاً فَأَحياكُم ثُمّ يُمِيتُكُم ثُمّ يُحيِيكُم قال نصر فلما لحقه ع ثقله قالوا أننزل القصر فقال قصر الخبال لاتنزلوا فيه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۲۶۴ قال نصر ودخل سليمان بن صرد الخزاعى على على ع مرجعه من البصرة فعاتبه وعذله و قال له ارتبت وتربصت وراوغت و قدكنت من أوثق الناس فى نفسى وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتى فما قعد بك عن أهل بيت نبيك و مازهدك فى نصرتهم فقال يا أمير المؤمنين لاتردن الأمور على أعقابها و لاتؤنبنى بما مضى منها واستبق مودتى تخلص لك نصيحتى فقد بقيت أمور تعرف فيهاعدوك من وليك فسكت عنه وجلس سليمان قليلا ثم نهض فخرج إلى الحسن بن على ع و هوقاعد فى باب المسجد فقال أ لاأعجبك من أمير المؤمنين و مالقيت منه من التوبيخ والتبكيت فقال الحسن إنما يعاتب من ترجى مودته ونصيحته فقال لقد وثبت أمور ستشرع فيهاالقنا وتنتضى فيهاالسيوف ويحتاج فيها إلى أشباهى فلا -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-ادامه دارد [صفحه ۱۰۶] تستغشوا عتبى و لاتتهموا نصحى فقال الحسن رحمك الله ما أنت عندنا بظنين -روايت-از قبل-۷۷ قال نصر ودخل عليه سعيد بن قيس الأزدى فسلم عليه فقال وعليك السلام و إن كنت من المتربصين قال حاش لله يا أمير المؤمنين فإنى لست من أولئك فقال لعل الله فعل ذلك -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۷۸ . قال نصر و حدثناعمر بن سعد قال حدثنايحيى بن سعيد عن محمد بن مخنف قال دخلت مع أبى على على ع مقدمه من البصرة و هوعام بلغت الحلم فإذا بين يديه رجال يؤنبهم و يقول لهم مأبطأ بكم عنى وأنتم أشراف قومكم و الله إن كان من ضعف النية وتقصير البصيرة إنكم لبور و إن كان من شك فى فضلى ومظاهرة على إنكم لعدو -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۱۶۱ .فقالوا حاش لله يا أمير المؤمنين نحن سلمك وحرب عدوك ثم اعتذر القوم فمنهم من ذكر عذرا ومنهم من اعتل بمرض ومنهم من ذكر غيبة فنظرت إليهم فعرفتهم فإذا عبد الله المعتم العبسى وحنظلة بن الربيع التميمى وكلاهما كانت له صحبة و إذا أبوبردة بن عوف الأزدى و إذاغريب بن شرحبيل الهمدانى. قال ونظر على ع إلى أبى فقال ولكن مخنف بن مسلم وقومه لم يتخلفوا و لم يكن مثلهم كمثل القوم الذين قال الله تعالى فيهم وَ إِنّ مِنكُم لَمَن لَيُبَطّئَنّ فَإِن -روايت-۱-۲-روايت-۹-ادامه دارد [صفحه ۱۰۷] أَصابَتكُم مُصِيبَةٌ قالَ قَد أَنعَمَ اللّهُ عَلَيّ إِذ لَم أَكُن مَعَهُم شَهِيداً وَ لَئِن أَصابَكُم فَضلٌ مِنَ اللّهِ لَيَقُولَنّ كَأَن لَم تَكُن بَينَكُم وَ بَينَهُ مَوَدّةٌ يا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُم فَأَفُوزَ فَوزاً عَظِيماً -روايت-از قبل-۲۳۱ . قال نصر ثم إن عليا ع مكث بالكوفة فقال الشنى فى ذلك [شن بن عبدالقيس] قل لهذا الإمام قدخبت الحرب || وتمت بذلك النعماء وفرغنا من حرب من نقض العهد || وبالشام حية صماء تنفث السم مالمن نهشته || فارمها قبل أن تعض شفاء إنه و ألذى يحج له الناس || و من دون بيته البيداء لضعيف النخاع إن رمى اليوم || بخيل كأنها أشلاء تتبارى بكل أصيد كالفحل || بكفيه صعدة سمراء إن تذره فما معاوية الدهر || بمعطيك مأأراك تشاء ولنيل السماء أقرب من ذاك || ونجم العيوق والعواء فأعد بالحد والحديد إليهم || ليس و الله غيرذاك دواء . [صفحه ۱۰۸] قال نصر وأتم

على ع صلاته يوم دخل الكوفة فلما كانت الجمعة خطب الناس فقال الحمد لله ألذى أحمده وأستعينه وأستهديه وأعوذ بالله من الضلالة من يهد الله فلامضل له و من يضلل فلاهادى له وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله انتجبه لأمره واختصه بنبوته أكرم خلقه عليه وأحبهم إليه فبلغ رسالة ربه ونصح لأمته وأدى ألذى عليه أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خير ماتواصى به عباد الله وأقربه إلى رضوان الله وخيره فى عواقب الأمور عند الله وبتقوى الله أمرتم وللإحسان والطاعة خلقتم فاحذروا من الله ماحذركم من نفسه فإنه حذر بأسا شديدا واخشوا خشية ليست بتعذير واعملوا فى غيررياء و لاسمعة فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى ماعمل له و من عمل لله مخلصا تولى الله أجره أشفقوا من عذاب الله فإنه لم يخلقكم عبثا و لم يترك شيئا من أمركم سدى قدسمى آثاركم وعلم أعمالكم وكتب آجالكم فلاتغتروا بالدنيا فإنها غرارة لأهلها مغرور من اغتر بها و إلى فناء ماهى و إن الآخرة هى دار الحيوان لوكانوا يعلمون أسأل الله منازل الشهداء ومرافقة الأنبياء ومعيشة السعداء فإنما نحن به و له -روايت-١-٢-روايت-١١-١٠٦٣ . قال نصر ثم استعمل على ع العمال وفرقهم فى البلاد وكتب إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلى ماتقدم ذكره [صفحه ١٠٩] قال نصر و قال معاوية لعمرو بن العاص أيام كان جرير عنده ينتظر جوابه إننى قدرأيت أن نلقى إلى أهل مكة و أهل المدينة كتابا نذكر فيه أمر عثمان فإما أن ندرك به حاجتنا أونكف القوم عنا فقال له عمرو إنما تكتب إلى ثلاثة نفر رجل راض بعلى فلايزيده كتابك إلابصيرة فيه أو رجل يهوى عثمان فلن يزيده كتابك على ما هو عليه أو رجل معتزل فلست فى نفسه بأوثق من على . قال على ذاك فكتبا أما بعدفإنه مهما غاب عنا من الأمور فلم يغب عنا أن عليا قتل عثمان والدليل على ذلك مكان قتلته منه وإنما نطلب قتلته حتى يدفعوا إلينا فنقتلهم بكتاب الله عز و جل فإن دفعهم على إلينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ماجعلها عليه عمر بن الخطاب فأما الخلافة فلسنا نطلبها فأعينونا على أمرنا هذا وانهضوا من ناحيتكم فإن أيدينا وأيديكم إذااجتمعت على أمر واحد هاب على ما هو فيه و السلام .فكتب إليهما عبد الله بن عمر أما بعدفلعمرى لقد أخطأتما موضع النصرة وتناولتماها من مكان بعيد و مازاد الله من شك فى هذاالأمر بكتابكما إلاشكا و ماأنتما والمشورة و ماأنتما والخلافة أما أنت يامعاوية فطليق و أما أنت ياعمرو فظنين ألا فكفا أنفسكما فليس لكم فينا ولى و لانصير و السلام . قال نصر وكتب رجل من الأنصار إليهما مع كتاب عبد الله بن عمر [صفحه ١١٠] معاوى إن الحق أبلج واضح || و ليس بما ربصت أنت و لاعمرو نصبت ابن عفان لنا اليوم خدعة || كمانصب الشيخان إذ قضى الأمر .يعنى طلحة والزبير رحمهما الله فهذا كهذاك البلا حذو نعله || سواء كرقراق يغر به السفر رميتم عليا بالذى لايضيره || و إن عظمت فيه المكيدة والمكر و ماذنبه إن نال عثمان معشر || أتوه من الأحياء تجمعهم مصر فثار إليه المسلمون ببيعة || علانية ما كان فيهالهم قسر وبايعه الشيخان ثم تحملا || إلى العمرة العظمى وباطنها الغدر فكان ألذى قد كان مما اقتصاصه || يطول فيا لله ماأحدث الدهر و ماأنتما والنصر منا وأنتما || بعيثا حروب مايبوخ لها جمر و ماأنتما لله در أبيكما || وذكركما الشورى و قدوضح الفجر . قال نصر وقام عدى بن حاتم الطائى إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إن عندى رجلا لايوازى به رجل و هويريد أن يزور ابن عمه حابس بن سعد الطائى بالشام فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام فقال على [صفحه ١١١] ع نعم فأمره عدى بذلك و كان اسم الرجل خفاف بن عبد الله .فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام وحابس سيد طيء بهافحدث خفاف حابسا أنه شهد عثمان بالمدينة وسار مع على إلى الكوفة و كان لخفاف لسان وهيئة وشعر فغدا حابس بخفاف إلى معاوية فقال إن هذا ابن عم لى قدم الكوفة مع على وشهد عثمان بالمدينة و هوثقة فقال له معاوية هات حدثنا عن عثمان فقال نعم حصره المكشوح وحكم فيه حكيم ووليه عمار وتجرد فى أمره ثلاثة نفر عدى بن حاتم والأشتر النخعى وعمرو بن الحمق وجد فى أمره رجلان وطلحة والزبير وأبرأ الناس منه على قال ثم مه قال ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش حتى ضاعت النعل وسقط الرداء ووطئ الشيخ و لم يذكر عثمان و لم يذكر له ثم تهيأ للمسير وخف معه

المهاجرون والأنصار وكره القتال معه ثلاثة نفر سعد بن مالك و عبد الله بن عمر و محمد بن مسلمة فلم يستكره أحدا واستغنى بمن خف معه عمن ثقل ثم سار حتى أتى جبل طيء فأتته منا جماعة كان ضاربا بهم الناس حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة فسرح رجالا إلى الكوفة يدعونهم فأجابوا دعوته فسار إلى البصرة فإذاهى فى كفه ثم قدم الكوفة فحمل إليه الصبى ودبت إليه العجوز وخرجت إليه العروس فرحا به وشوقا إليه وتركته و ليس له همة إلاالشام .فذعر معاوية من قوله و قال حابس أيها الأمير لقد أسمعنى شعرا غير به حالى فى عثمان وعظم به عليا عندى. [صفحه ١١٢] فقال معاوية أسمعنيه ياخفاف فأنشده شعرا أوله قلت والليل ساقط الأكناف || ولجنبى عن الفراش تجاف .يذكر فيه حال عثمان وقتله و فيه إطالة عدلنا عن ذكره ... و من جملته قدمضى مامضى ومر به الدهر || كمامر ذاهب الأسلاف إننى و ألذى يحج له الناس || على لحق البطون عجاف تتبارى مثل القسى من النبع || بشعث مثل السهام نحاف أرهب اليوم إن أتاكم على || صيحة مثل صيحة الأحقاف إنه الليث غاديا وشجاع || مطرق نافث بسم زعاف واضع السيف فوق عاتقه الأيمن || يفرى به شئون القحاف سوم الخيل ثم قال لقوم || بايعوه إلى الطعان خفاف استعدوا لحرب طاغية الشام || فلبوه كاليدين اللطاف ثم قالوا أنت الجناح لك الريش || القدامى ونحن منه الخوافى فانظر اليوم قبل بادرة القوم || بسلم تهم أم بخلاف . قال فانكسر معاوية و قال ياحابس إنى لأظن هذاعينا لعلى أخرجه عنك لئلا يفسد علينا أهل الشام . [صفحه ١١٣] قال نصر و حدثناعطية بن غنى عن زياد بن رستم قال كتب معاوية إلى عبد الله بن عمر خاصة و إلى سعد بن أبى وقاص و إلى محمد بن مسلمة دون كتابه إلى أهل المدينة فكان كتابه إلى عبد الله بن عمر أما بعدفإنه لم يكن أحد من قريش أحب إلى أن يجتمع عليه الناس بعدقتل عثمان منك ثم ذكرت خذلك إياه وطعنك على أنصاره فتغيرت لك و قدهون ذلك على خلافك على على ومحا عنك بعض ما كان منك فأعنا رحمك الله على حق هذاالخليفة المظلوم فإنى لست أريد الإمارة عليك ولكنى أريدها لك فإن أبيت كانت شورى بين المسلمين .فأجابه عبد الله بن عمر أما بعد فإن الرأى ألذى أطمعك فى هو ألذى صيرك إلى ماصيرك إليه اترك عليا فى المهاجرين والأنصار وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين وأتبعك و أمازعمك أنى طعنت على على فلعمرى ما أناكعلى فى الإيمان والهجرة ومكانه من رسول الله ص ونكايته فى المشركين ولكنى عهد إلى فى هذاالأمر عهد ففزعت فيه إلى الوقوف و قلت إن كان هذاهدى ففضل تركته و إن كان ضلالا فشر نجوت منه فأغن عنا نفسك و السلام . [صفحه ١١۴] قال و كان كتاب معاوية إلى سعد أما بعد فإن أحق الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش الذين أثبتوا حقه واختاروه على غيره و قدنصره طلحة والزبير وهما شريكان فى الأمر ونظيراك فى الإسلام وخفت لذلك أم المؤمنين فلاتكرهن مارضوا و لاتردن ماقبلوا فإنا نردها شورى بين المسلمين .فأجابه سعد أما بعد فإن عمر لم يدخل فى الشورى إلا من تحل له الخلافة من قريش فلم يكن أحد منا أحق بها من صاحبه إلابإجماعنا عليه إلا أن عليا كان فيه مافينا و لم يكن فينا ما فيه و هذاأمر قدكرهت أوله وكرهت آخره فأما طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما لكان خيرا لهما و الله يغفر لأم المؤمنين ماأتت و السلام . قال و كان كتاب معاوية إلى محمد بن مسلمة أما بعدفإنى لم أكتب إليك و أناأرجو مبايعتك ولكنى أردت أن أذكرك النعمة التى خرجت منها والشك ألذى صرت إليه إنك فارس الأنصار وعدة المهاجرين و قدادعيت على رسول الله ص أمرا لم تستطع إلا أن تمضى عليه و هو أنه نهاك عن قتال أهل القبلة أ فلانهيت أهل القبلة عن قتال بعضهم بعضا [صفحه ١١۵] فقد كان عليك أن تكره لهم ماكره رسول الله ص أ لم تر عثمان و أهل الدار من أهل القبلة فأما قومك فقد عصوا الله وخذلوا عثمان و الله سائلهم وسائلك عما كان يوم القيامة و السلام . قال فكتب إليه محمد بن مسلمة أما بعدفقد اعتزل هذاالأمر من ليس فى يده من رسول الله ص مثل ألذى فى يده قدأخبرنى رسول الله ص بالذى هوكائن قبل أن يكون فلما كان كسرت سيفى وجلست فى بيتى واتهمت الرأى على الدين إذ لم يصح لى معروف آمر به و لامنكر أنهى عنه و أما أنت فلعمرى ماطلبت إلاالدنيا و لااتبعت إلاالهوى و إن

تنصر عثمان ميتا فقد خذلته حيا و السلام

مفارقة جرير بن عبد الله البجلى لعلى

قدأتينا على ماأردنا ذكره من حال أمير المؤمنين ع مذ قدم من حرب البصرة إلى الكوفة و ماجرى بينه و بين معاوية من المراسلات و ماجرى بين معاوية و بين غيره من الصحابة من الاستنجاد والاستصراخ و ماأجابوه به ونحن نذكر الآن ماجرى لجرير بن عبد الله عندعوده إلى أمير المؤمنين من تهمة الشيعة له بممالأة معاوية عليهم ومفارقته جنبة أمير المؤمنين . قال نصر بن مزاحم حدثناصالح بن صدقة بإسناده قال قال لمارجع جرير [صفحه ۱۱۶] إلى على ع كثر قول الناس فى التهمة لجرير فى أمر معاوية فاجتمع جرير والأشتر عند على ع فقال الأشتر أما و الله يا أمير المؤمنين أن لوكنت أرسلتنى إلى معاوية لكنت خيرا لك من هذا ألذى أرخى خناقه وأقام عنده حتى لم يدع بابا يرجو فتحه إلافتحه و لابابا يخاف أمره إلاسده . فقال جرير لوكنت و الله أتيتهم لقتلوك وخوفه بعمرو وذى الكلاع وحوشب و قال إنهم يزعمون أنك من قتلة عثمان . فقال الأشتر و الله لوأتيتهم ياجرير لم يعينى جوابها و لم يثقل على محملها ولحملت معاوية على خطة أعجله فيها عن الفكر. قال فائتهم إذا قال الآن و قدأفسدتهم ووقع بينهم الشر. وروى نصر عن نمير بن وعلة عن الشعبى قال اجتمع جرير والأشتر عند على ع فقال الأشتر أ ليس قدنهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرا وأخبرتك بعداوته وغشه وأقبل الأشتر يشتمه و يقول ياأخا بجيلة إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان و الله ما أنت بأهل أن تترك تمشى فوق الأرض إنما أتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم و أنت و الله منهم و لاأرى سعيك إلالهم لئن أطاعنى فيك أمير المؤمنين ليحبسنك وأشباهك فى حبس لاتخرجون منه حتى تستتم هذه الأمور ويهلكك الله الظالمين . قال جرير وددت و الله أن لوكنت مكانى بعثت إذن و الله لم ترجع . [صفحه ۱۱۷] قال فلما سمع جرير مثل ذلك من قوله فارق عليا ع فلحق بقرقيسياء ولحق به ناس من قسر من قومه فلم يشهد صفين من قسر غيرتسعة عشر رجلا ولكن شهدها من أحمس سبعمائة رجل . قال نصر و قال الأشتر فيما كان من تخويف من جرير إياه بعمرو وحوشب وذى الكلاع لعمرك ياجرير لقول عمرو || وصاحبه معاوى بالشام وذى كلع وحوشب ذى ظليم || أخف على من ريش النعام إذااجتمعوا على فخل عنهم || و عن باز مخالبه دوامى ولست بخائف ماخوفونى || وكيف أخاف أحلام النيام وهمهم ألذى حاموا عليه || من الدنيا وهمى ماأمامى فإن أسلم أعممهم بحرب || يشيب لهولها رأس الغلام و إن أهلك فقد قدمت أمرا || أفوز بفلجه يوم الخصام و قدزادوا على وأوعدونى || و من ذا مات من خوف الكلام

نسب جرير بن عبد الله البجلى وبعض أخباره

وذكر ابن قتيبة فى المعارف أن جريرا قدم على رسول الله ص [صفحه ۱۱۸] سنة عشر من الهجرة فى شهر رمضان فبايعه وأسلم و كان جرير صبيح الوجه جميلا قال رسول الله ص كأن على وجهه مسحة ملك -روايت-۱-۷۶ و كان عمر يقول جرير يوسف هذه الأمة و كان طوالا يفتل فى ذروة البعير من طوله وكانت نعله ذراعا و كان يخضب لحيته بالزعفران من الليل ويغسلها إذاأصبح فتخرج مثل لون التبر واعتزل عليا ع ومعاوية وأقام بالجزيرة ونواحيها حتى توفى بالشراة سنة أربع وخمسين فى ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة.فأما نسبه فقد ذكره ابن الكلبى فى جمهرة الأنساب فقال هوجرير بن عبد الله بن جابر بن مالك بن نضر بن ثعلب بن جشم بن عويف بن حرب بن على بن مالك بن سعد بن بدير بن قسر واسمه ملك بن عبقر بن أنمار بن

أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن زيـد بن كهلاـن . ويـذكر أهـل السـير أن عليـا ع هـدم دار جرير ودور قوم ممن خرج معه حيث فـارق عليـا ع منهم أبوأراكـة بن مالـك بن عـامر القسـرى كان ختنه على ابنته وموضع داره بالكوفـة كان يعرف بـدار أبى أراكة قديما ولعله اليوم نسى ذلك الاسم [صفحه ١١٩]

٤٤- و من كلام له ع لماهرب مصقلة بن هبيرة الشيبانى إلى معاوية

اشاره

و كان قدابتاع سبى بنى ناجية من عامل أمير المؤمنين ع وأعتقه فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام فقال قَبَحَ اللّهُ مَصـقَلَةَ فَعَلَ فِعلَ السّادَةِ وَ فَرّ فِرَارَ العَبِيدِ فَمَا أَنطَقَ مَادِحَهُ حَتّى أَسكَتَهُ وَ لَا صَدّقَ وَاصِفَهُ حَتّى بَكّتَهُ وَ لَو أَقَامَ لَأَخَذنَا مَيسُورَهُ وَ انتَظَرنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ خـاس به يخيس ويخـوس أى غـدر به وخـاس فلاـن بالعهـد أى نكث . وقبـح الله فلانـا أى نحاه عن الخير فهـو مقبوح . والتبكيت كالتقريع والتعنيف والوفور مصـدر وفر المال أى تم ويجيء متعـديا ويروى موفوره والموفور التام و قدأخذ هذاالمعنى بعض الشـعراء فقال يا من مدحناه فأكذبنا || بفعاله وأثابنا خجلا بردا قشـيبا من مدائحنا || سـربلت فاردده لنا سـملا إن التجارب تهتك المستور من || أبنائها وتبهرج الرجلا [صفحه ١٢٠]

نسب بنى ناجية

فأما القول فى نسب بنى ناجية فإنهم ينسـبون أنفسـهم إلى سامة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركـة بن إلياس بن مضـر بن نزار بن معـد بن عـدنان وقريش تدفعهم عن هذاالنسب ويسـمونهم بنى ناجية وهى أمهم وهى امرأة سامـة بن لؤى بن غـالب ويقولون إن سامـة خرج إلى ناحيـة البحرين مغاضـبا لأـخيه كعب بن لؤى فى مماظة كانت بينهما فطأطأت ناقته رأسـها لتأخـذ العشب فعلق بمشـفرها أفعى ثم عطفت على قتبها فحكته به فدب الأفعى على القتب حتى نهش ساق سامـة فقتله فقال أخوه كعب بن لؤى يرثيه عين جودى لسامـة بن لؤى || علقت ساق سامة العلاقه رب كأس هرقتها ابن لؤى || حذر الموت لم تكن مهراقه .قالوا وكانت معه امرأته ناجية فلما مات تزوجت رجلا فى البحرين فولدت منه الحارث ومات أبوه و هوصـغير فلما ترعرع طمعت أمه أن تلحقه بقريش فأخبرته أنه ابن سامـة بن لؤى بن غالب فرحل من البحرين إلى مكـة ومعه أمه فأخبر كعب بن لؤى أنه ابن أخيه سامـة فعرف كعب أمه ناجيـة فظن أنه صادق فى دعواه فقبله ومكث عنـده مـدة حتى قدم مكة ركب من البحرين فرأوا الحارث فسلموا عليه وحادثوه فسألهم كعب بن لؤى من أين يعرفونه فقالوا هذا ابن رجل من بلدنا يعرف بفلاـن وشـرحوا له خبره فنفـاه كعب عن مكـة ونفى أمه فرجعـا إلى البحرين فكانـا هناك وتزوج الحارث فأعقب هـذاالعقب . [صفحه ١٢١] و قـال هؤلاـء إنه روى عن رسول الله ص أنه قـال عمى سامـة لم يعقب -روايت-١-٢-روايت-٤١-٦٠ . وزعم ابن الكلبى أن سامة بن لؤى ولد غالب بن سامة والحارث بن سامة وأم غالب بن سامة ناجية ثم هلك سامة فخلف عليها ابنه الحارث بن سامـة نكـاح مقت ثم هلك ابنا سامـة و لم يعقبا و إن قوما من بنى ناجيـة بن جرم بن ربان بن علاف ادعوا أنهم بنو سامـة بن لؤى و أن أمهم ناجية هذه ونسبوها هذاالنسب وانتموا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم على ع على مصقلة بن هبيرة و هذا هوقول الهيثم بن عـدى كل هـذاذكره أبوالفرج الأصـفهانى فى كتاب الأغانى الكبير. ووجدت أنا فى جمهرة النسب لابن الكلبى

كلاما قدصرح فيه بأن سامة بن لؤى أعقب فقال ولد سامة بن لؤى الحارث وأمه هند بنت تيم وغالب بن سامة وأمه ناجية بنت جرم بن ربان من قضاعة فهلك غالب بعد أبيه و هو ابن اثنتى عشرة سنة فولد الحارث بن سامة لؤيا وعبيدة وربيعة وسعدا وأمهم سلمى بنت ثيم بن شيبان بن محارب بن فهر و عبدالبيت وأمه ناجية بنت جرم خلف عليها الحارث بعد أبيه بنكاح مقت فهم الذين قتلهم على ع . قال أبوالفرج الأصفهانى أماالزبير بن بكار فإنه أدخلهم فى قريش وهم قريش العازبة قال وإنما سموا العازبة لأنهم عزبوا عن قومهم فنسبوا إلى أمهم ناجية بنت جرم بن ربان بن علاف و هوأول من اتخذ الرحال العلافية فنسبت إليه [صفحه ١٢٢] واسم ناجية ليلى وإنما سميت ناجية لأنها سارت مع سامة فى مفازة فعطشت فاستسقته فقال لها الماء بين يديك و هويريها السراب حتى أتت إلى الماء فشربت فسميت ناجية. قال أبوالفرج وللزبير بن بكار فى إدخالهم فى قريش مذهب و هومخالفة أمير المؤمنين على ع وميله إليهم لإجماعهم على بغضه ع حسب المشهور المأثور من مذهب الزبير فى ذلك

نسب على بن الجهم وذكر طائفة من أخباره وشعره

و من المنتسبين إلى سامة بن لؤى على بن الجهم الشاعر و هو على بن الجهم بن بدر بن جهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة بن كراز بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن الحارث بن عبدالبيت بن سامة بن لؤى بن غالب .هكذا ينسب نفسه و كان مبغضا لعلى ع ينحو نحو مروان بن أبى حفصة فى هجاء الطالبيين وذم الشيعة و هوالقائل ورافضة تقول بشعب رضوى || إمام خاب ذلك من إمام إمام من له عشرون ألفا || من الأتراك مشرعة السهام . و قدهجاه أبوعبادة البحترى فقال فيه إذا ماحصلت عليا قريش || فلا فى العير أنت و لاالنفير و لوأعطاك ربك ماتمنى || لزاد الخلق فى عظم الأيور [صفحه ١٢٣] و ماالجهم بن بدر حين يعزى || من الأقمار ثم و لاالبدور علام هجوت مجتهدا عليا || بما لفقت من كذب وزور أ ما لك فى استك الوجعاء شغل || يكفك عن أذى أهل القبور . وسمع أبوالعيناء على بن الجهم يوما يطعن على أمير المؤمنين فقال له أناأدرى لم تطعن على أمير المؤمنين فقال أتعنى قصة بيعة أهلى من مصقلة بن هبيرة قال لا أنت أوضع من ذلك ولكنه ع قتل الفاعل من قوم لوط والمفعول به و أنت أسفلهما و من شعر على بن الجهم لماحبسه المتوكل أ لم تر مظهرين على عتبا || وهم بالأمس إخوان الصفاء فلما أن بليت غدوا وراحوا || على أشد أسباب البلاء أبت أخطارهم أن ينصرونى || بمال أوبجاه أوثراء وخافوا أن يقال لهم خذلتم || صديقا فادعوا قدم الجفاء تظافرت الروافض والنصارى || و أهل الاعتزال على هجائى [صفحه ١٢٤] وعابونى و ماذنبى إليهم || سوى علمى بأولاد الزناء .يعنى بالروافض نجاح بن مسلمة والنصارى بختيشوع و أهل الاعتزال على بن يحيى بن المنجم . قال أبوالفرج و كان على بن الجهم من الحشوية شديد النصب عدوا للتوحيد والعدل فلما سخط المتوكل على أحمد بن أبى دواد وكفاه شمت به على بن الجهم فهجاه و قال فيه يا أحمد بن أبى دواد دعوة || بعثت عليك جنادلا وحديدا ما هذه البدع التى سميتها || بالجهل منك العدل والتوحيدا أفسدت أمر الدين حين وليته || ورميته بأبى الوليد وليدا . [صفحه ١٢٥] أبوالوليد بن أحمد بن أبى دواد و كان رتبه قاضيا لامحكما جلدا و لامستطرفا || كهلا و لامستحدثا محمودا شرها إذاذكر المكارم والعلا || ذكر القلايا مبدئا ومعيدا ويود لومسخت ربيعة كلها || وبنو أياد صحفة وثريدا و إذاتربع فى المجالس خلته || ضبعا وخلت بنى أبيه قرودا و إذاتبسم ضاحكا شبهته || شرقا تعجل شربه مردودا لاأصبحت بالخير عين أبصرت || تلك المناخر والثنايا السودا . و قال يهجوه لمافلج لم يبق منك سوى خيالك لامعا || فوق الفراش ممهدا بوساد فرحت بمصرعك البرية كلها || من كان منهم موقنا بمعاد كم مجلس لله قدعطلته || كى لايحدث فيه بالإسناد ولكم مصابيح لنا أطفأتها || حتى تحيد عن الطريق الهادى ولكم كريمة معشر أرملتها || ومحدث أوثقت فى الأقياد إن الأسارى فى السجون تفرجوا || لماأتتك

مواكب العواد وغدا لمصرعك الطبيب فلم يجد || لدواء دائك حيلة المرتاد فذق الهوان معجلا ومؤجلا || و الله رب العرش بالمرصاد لازال فالجك ألذى بك دائما || وفجعت قبل الموت بالأولاد . [صفحه ۱۲۶] وروى أبوالفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى فى ترجمة مروان بن أبى حفصة الأصغر أن على بن الجهم خطب امرأة من قريش فلم يزوجوه وبلغ المتوكل ذلك فسأل عن السبب فحدث بقصة بنى سامة بن لؤى و أن أبابكر وعمر لم يدخلاهم فى قريش و أن عثمان أدخلهم فيها و أن عليا ع أخرجهم منها فارتدوا و أنه قتل من ارتد منهم وسبى بقيتهم فباعهم من مصقلة بن هبيرة فضحك المتوكل وبعث إلى على بن الجهم فأحضره وأخبره بما قال القوم و كان فيهم مروان بن أبى حفصة المكنى أباالسمط و هومروان الأصغر و كان المتوكل يغريه بعلى بن الجهم ويضعه على هجائه وثلبه فيضحك منهما فقال مروان إن جهما حين تنسبه || ليس من عجم و لاعرب لج فى شتمى بلا سبب || سارق للشعر والنسب من أناس يدعون أبا || ما له فى الناس من عقب .فغضب على بن الجهم و لم يجبه لأنه كان يستحقره فأومأ إليه المتوكل أن يزيده فقال أأنتم يا ابن جهم من قريش || و قدباعوكم ممن تريد أترجو أن تكاثرنا جهارا || بأصلكم و قدبيع الجدود .فلم يجبه ابن الجهم فقال فيه أيضا على تعرضت لى ضله || لجهلك بالشعر ياماثق تروم قريشا وأنسابها || و أنت لأنسابها سارق فإن كان سامة جدا لكم || فأمك منى إذاطالق [صفحه ۱۲۷]

نسب مصقلة بن هبيرة

فأما نسب مصقلة بن هبيرة فإن ابن الكلبى قدذكره فى جمهرة النسب فقال هومصقلة بن هبيرة بن شبل بن يثربى بن إمرئ القيس بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان

خبر بنى ناجية مع على

و أماخبر بنى ناجية مع أمير المؤمنين ع فقد ذكره ابراهيم بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات قال حدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان عن نصر بن مزاحم قال حدثنى عمر بن سعد عمن حدثه ممن أدرك أمر بنى ناجية قال لمابايع أهل البصرة عليا بعدالهزيمة دخلوا فى الطاعة غيربنى ناجية فإنهم عسكروا فبعث إليهم على ع رجلا من أصحابه فى خيل ليقاتلهم فأتاهم فقال مابالكم عسكرتم و قددخل الناس فى الطاعة غيركم فافترقوا ثلاث فرق فرقه قالوا كنا نصارى فأسلمنا ودخلنا فيما دخل الناس فيه من الفتنة ونحن نبايع كمابايع الناس فأمرهم فاعتزلوا وفرقة قالوا كنا نصارى فلم نسلم وخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا قهرونا فاخرجونا كرها فخرجنا معهم فهزموا فنحن ندخل فيما دخل الناس فيه ونعطيكم الجزية كماأعطيناهم فقال اعتزلوا فاعتزلوا وفرقة قالوا كنا نصارى فأسلمنا فلم يعجبنا الإسلام فرجعنا إلى النصرانية فنحن نعطيكم الجزية كماأعطاكم النصارى فقال لهم توبوا وارجعوا إلى الإسلام فأبوا فقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وقدم بهم على على ع [صفحه ۱۲۸]

قصة الخريت بن راشد الناجى وخروجه على على

قال ابن هلال الثقفى وروى محمد بن عبد الله بن عثمان عن أبى سيف عن الحارث بن كعب الأزدى عن عمه عبد الله بن قعين

الأزدى قال كان الخريت بن راشد الناجى أحد بنى ناجية قدشهد مع على ع صفين فجاء إلى على ع بعدانقضاء صفين و بعدتحكيم الحكمين فى ثلاثين من أصحابه يمشى بينهم حتى قام بين يديه فقال لا و الله لاأطيع أمرك و لاأصلى خلفك وإنى غدا لمفارق لك فقال له ثكلتك أمك إذاتنقض عهدك وتعصى ربك و لاتضر إلاانفسك أخبرنى لم تفعل ذلك قال لأنك حكمت فى الكتاب وضعفت عن الحق إذ جد الجد وركنت إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم فأنا عليك راد وعليهم ناقم ولكم جميعا مباين . فقال له على ع ويحك هلم إلى أدارسك وأناظرك فى السنن وأفاتحك أمورا من الحق أناأعلم بهامنك فلعلك تعرف ما أنت الآن له منكر وتبصر ما أنت الآن عنه عم و به جاهل فقال الخريت فإنى غاد عليك غدا فقال على ع اغد و لايستهوينك الشيطان و لايتقحمن بك رأى السوء و لايستخفنك الجهلاء الذين لايعلمون فو الله إن استرشدتنى واستنصحتنى وقبلت منى لأهدينك سبيل الرشاد -روايت-١-٢-روايت-١٤١-٩٩٥ .فخرج الخريت من عنده منصرفا إلى أهله . قال عبد الله بن قعين فعجلت فى أثره مسرعا و كان لى من بنى عمه صديق فأردت أن ألقى ابن عمه فى ذلك فأعلمه بما كان من قوله لأمير المؤمنين وآمر ابن عمه أن يشتد بلسانه عليه و أن يأمره بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته ويخبره أن ذلك خير له فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة. قال فخرجت حتى انتهيت إلى منزله و قدسبقنى فقمت عند باب دار فيهارجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخوله على أمير المؤمنين ع فو الله مارجع [صفحه ١٢٩] و لاندم على ما قال لأمير المؤمنين و مارد عليه ولكنه قال لهم ياهؤلاء إنى قدرأيت أن أفارق هذا الرجل و قدفارقته على أن أرجع إليه من غد و لاأرى إلاالمفارقة فقال له أكثر أصحابه لاتفعل حتى تأتيه فإن أتاك بأمر تعرفه قبلت منه و إن كانت الأخرى فما أقدرك على فراقه قال لهم نعم مارأيتم قال فاستأذنت عليهم فأذنوا لى فأقبلت على ابن عمه و هومدرك بن الريان الناجى و كان من كبراء العرب فقلت له إن لك على حقا لإحسانك وودك وحق المسلم على المسلم إن ابن عمك كان منه ما قدذكر لك فأخل به فاردد عليه رأيه وعظم عليه ماأتى واعلم أنى خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتلك ونفسه وعشيرته فقال جزاك الله خيرا من أخ إن أراد فراق أمير المؤمنين ع ففى ذلك هلاكه و إن اختار مناصحته والإقامة معه ففى ذلك حظه ورشده . قال فأردت الرجوع إلى على ع لأعلمه ألذى كان ثم اطمأننت إلى قول صاحبى فرجعت إلى منزلى فبت ثم أصبحت فلما ارتفع النهار أتيت أمير المؤمنين ع فجلست عنده ساعة و أناأريد أن أحدثه بالذى كان على خلوة فأطلت الجلوس و لايزداد الناس إلاكثرة فدنوت منه فجلست وراءه فأصغى إلى برأسه فأخبرته بما سمعته من الخريت و ما قلت لابن عمه و مارد على فقال ع دعه فإن قبل الحق ورجع عرفنا له ذلك وقبلناه منه فقلت يا أمير المؤمنين فلم لاتأخذه الآن فتستوثق منه فقال إنا لوفعلنا هذابكل من يتهم من الناس ملأنا السجون منهم و لاأرانى يسعنى الوثوب بالناس والحبس لهم وعقوبتهم حتى يظهروا لى الخلاف . قال فسكت عنه وتنحيت فجلست مع أصحابى هنيهة فقال لى ع [صفحه ١٣٠] ادن منى فدنوت فقال لى مسرا اذهب إلى منزل الرجل فاعلم مافعل فإنه قل يوم لم يكن يأتينى فيه قبل هذه الساعة فأتيت إلى منزله فإذا ليس فى منزله منهم ديار فدرت على أبواب دور أخرى كان فيهاطائفة من أصحابه فإذا ليس فيهاداع و لامجيب فأقبلت إلى أمير المؤمنين ع فقال لى حين رآنى أوطنوا فأقاموا أم جبنوا فظعنوا قلت لابل ظعنوا فقال أبعدهم الله كمابعدت ثمود أما و الله لو قدأشرعت لهم الأسنة وصبت على هامهم السيوف لقد ندموا إن الشيطان قداستهواهم وأضلهم و هوغدا متبرئ منهم ومخل عنهم فقام إليه زياد بن خصفة فقال يا أمير المؤمنين إنه لو لم يكن من مضرة هؤلاء إلافراقهم إيانا لم يعظم فقدهم علينا فإنهم قلما يزيدون فى عددنا لوأقاموا معنا وقلما ينقصون من عددنا بخروجهم منا ولكنا نخاف أن يفسدوا علينا جماعة كثيرة ممن يقدمون عليهم من أهل طاعتك فائذن لى فى اتباعهم حتى أردهم عليك إن شاء الله . فقال له ع فاخرج فى آثارهم راشدا فلما ذهب ليخرج قال له وهل تدرى أين توجه القوم قال لا و الله ولكنى أخرج فأسأل وأتبع الأثر فقال اخرج رحمك الله حتى تنزل دير أبى موسى ثم لاتبرحه حتى يأتيك أمرى فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين بارزين للناس فى جماعة فإن عمالى ستكتب إلى

بذلك و إن كانوا متفرقين مستخفين فذلك أخفى لهم وسأكتب إلى من حولى من عمالى فيهم . فكتب نسخة واحدة وأخرجها إلى العمال من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من العمال أما بعد فإن رجالا لنا عندهم تبعة خرجوا هرابا نظنهم خرجوا نحو بلاد البصرة فاسأل عنهم أهل بلادك واجعل عليهم العيون فى كل ناحية من أرضك ثم اكتب إلى بما ينتهى إليك عنهم و السلام -روايت-١-٢-روايت-٣٩-٣٠۴ . [صفحه ١٣١] فخرج زياد بن خصفة حتى أتى داره وجمع أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر بكر بن وائل إن أمير المؤمنين ندبنى لأمر من أموره مهم له وأمرنى بالانكماش فيه بالعشيرة حتى آتى أمره وأنتم شيعته وأنصاره وأوثق حى من أحياء العرب فى نفسه فانتدبوا معى الساعة وعجلوا فو الله ما كان إلاساعة حتى اجتمع إليه مائة وثلاثون رجلا فقال اكتفينا لانريد أكثر من هؤلاء فخرج حتى قطع الجسر ثم أتى دير أبى موسى فنزله فأقام به بقية يومه ذلك ينتظر أمر أمير المؤمنين ع . قال ابراهيم بن هلال فحدثنى محمد بن عبد الله عن ابن أبى سيف عن أبى الصلت التيمى عن أبى سعيد عن عبد الله بن وأل التيمى قال إنى لعند أمير المؤمنين إذافيج قدجاءه يسعى بكتاب من قرظة بن كعب بن عمرو الأنصارى و كان أحد عماله فيه لعبد الله على أمير المؤمنين من قرظة بن كعب سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعدفإنى أخبر أمير المؤمنين أن خيلا مرت من قبل الكوفة متوجهة نحو نفر و أن رجلا من دهاقين أسفل الفرات قدأسلم وصلى يقال له زاذان فروخ أقبل من عندأخوال له فلقوه فقالوا له أمسلم أنت أم كافر قال بل مسلم قالوا فما تقول فى على قال أقول فيه خيرا أقول إنه أمير المؤمنين ع وسيد البشر ووصى رسول الله ص فقالوا كفرت ياعدو الله ثم حملت عليه عصابة منهم فقطعوه بأسيافهم وأخذوا معه رجلا من أهل الذمة يهوديا فقالوا له مادينك قال يهودى فقالوا [صفحه ١٣٢] خلوا سبيل هذا لاسبيل لكم عليه فأقبل إلينا ذلك الذمى فأخبرنا الخبر و قدسألت عنهم فلم يخبرنى أحد عنهم بشىء فليكتب إلى أمير المؤمنين فيهم برأى أنته إليه إن شاء الله . فكتب إليه أمير المؤمنين ع أما بعدفقد فهمت ماذكرت من أمر العصابة التى مرت بعملك فقتلت البر المسلم وأمن عندهم المخالف المشرك و أن أولئك قوم استهواهم الشيطان فضلوا كالذين حسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا فأسمع بهم وأبصر يوم تخبر أعمالهم فالزم عملك وأقبل على خراجك فإنك كماذكرت فى طاعتك ونصيحتك و السلام -روايت-١-٢-روايت-٣٢-٣٣۵ قال فكتب على ع إلى زياد بن خصفة مع عبد الله بن وأل التيمى كتابا نسخته أما بعدفقد كنت أمرتك أن تنزل دير أبى موسى حتى يأتيك أمرى و ذلك أنى لم أكن علمت أين توجه القوم و قدبلغنى أنهم أخذوا نحو قرية من قرى السواد فاتبع آثارهم وسل عنهم فإنهم قدقتلوا رجلا من أهل السواد مسلما مصليا فإذا أنت لحقت بهم فارددهم إلى فإن أبوا فناجزهم واستعن بالله عليهم فإنهم قدفارقوا الحق وسفكوا الدم الحرام وأخافوا السبيل و السلام -روايت-١-٢-روايت-٨-۴۵٢ . قال عبد الله بن وأل فأخذت الكتاب منه ع و أنايومئذ شاب فمضيت به غيربعيد ثم رجعت إليه فقلت يا أمير المؤمنين أ لاأمضى مع زياد بن خصفة إلى عدوك إذادفعت إليه كتابك فقال يا ابن أخى افعل فو الله إنى لأرجو أن تكون من أعوانى على الحق وأنصارى على القوم الظالمين قال فو الله ماأحب أن لى بمقالته [صفحه ١٣٣] تلك حمر النعم فقلت له يا أمير المؤمنين أنا و الله كذلك من أولئك أنا و الله حيث تحب . ثم مضيت إلى زياد بالكتاب و أنا على فرس رائع كريم و على السلاح فقال لى زياد يا ابن أخى و الله ما لى عنك من غنى وإنى أحب أن تكون معى فى وجهى هذافقلت إنى قداستأذنت أمير المؤمنين فى ذلك فأذن لى فسر بذلك ثم خرجنا حتى أتينا الموضع ألذى كانوا فيه فسألنا عنهم فقيل أخذوا نحو المدائن فلحقناهم وهم نزول بالمدائن و قدأقاموا بهايوما وليلة و قداستراحوا وعلفوا خيولهم فهم جامون مريحون وأتيناهم و قدتقطعنا ولغبنا ونصنا فلما رأونا وثبوا على خيولهم فاستووا عليها فجئنا حتى انتهينا إليهم فنادى الخريت بن راشد ياعميان القلوب والأبصار أ مع الله وكتابه أنتم أم مع القوم الظالمين فقال له زياد بن خصفة بل مع الله وكتابه وسنة رسوله و مع من الله ورسوله وكتابه آثر عنده من الدنيا ثوابا و لوأنها منذ يوم خلقت إلى يوم تفنى لآثر الله عليها أيها العمى الأبصار الصم الأسماع . فقال الخريت فأخبرونا ماتريدون

فقال لـه زيـاد و كـان مجربـا رفيقـا قـدترى مابنـا من النصب واللغـوب و ألـذى جئنـا له لايصـلح فيه الكلام علانيـة على رءوس أصحابك ولكن تنزلون وننزل ثم نخلو جميعا فنتذاكر أمرنا وننظر فيه فإن رأيت فيما جئنا له حظا لنفسك قبلته و إن رأيت فيما أسمع منك أمرا أرجو فيه العافية لنا و لك لم أرده عليك . فقال الخريت انزل فنزل فأقبل إلينا زياد فقال انزلوا على هذاالماء فأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فنزلنا به فما هو إلا أن نزلنا فتفرقنا فتحلقنا عشرة وتسعة وثمانية وسبعة تضع كل حلقة طعامها بين أيديها لتأكل ثم تقوم إلى الماء فتشرب . [صفحه ١٣٤] و قال لنا زياد علقوا على خيولكم فعلقنا عليها مخاليها ووقف زياد فى خمسة فوارس أحدهم عبد الله بن وأل بيننا و بين القوم وانطلق القوم فتنحوا فنزلوا وأقبل إلينا زياد فلما رأى تفرقنا وتحلقنا قال سبحان الله أنتم أصحاب حرب و الله لو أن هؤلاء جاءوكم الساعة على هذه الحالة ماأرادوا من غرتكم أفضل من أعمالكم التى أنتم عليها عجلوا قوموا إلى خيولكم فأسرعنا فمنا من يتوضأ ومنا من يشرب ومنا من يسقى فرسه حتى إذافرغنا من ذلك أتينا زيادا و إن فى يده لعرقا ينهسه فنهس منه نهستين أوثلاثة ثم أتى بإداوة فيهاماء فشرب ثم ألقى العرق من يده و قال ياهؤلاء إنا قدلقينا العدو و إن القوم لفى عدتكم ولقد حزرتهم فما أظن أحد الفريقين يزيد على الآخر خمسة نفر فإنى أرى أمركم وأمرهم سيصير إلى القتال فإن كان ذلك فلاتكونوا أعجز الفريقين . ثم قال ليأخذ كل رجل منكم بعنان فرسه فإذادنوت منهم وكلمت صاحبهم فإن تابعنى على ماأريد و إلا فإذادعوتكم فاستووا على متون خيلكم ثم أقبلوا معا غيرمتفرقين ثم استقدم أمامنا و أنامعه فسمعت رجلا من القوم يقول جاءكم القوم وهم كالون معيون وأنتم جامون مريحون فتركتموهم حتى نزلوا فأكلوا وشربوا وأراحوا دوابهم هذا و الله سوء الرأى. قال ودعا زياد صاحبهم الخريت فقال له اعتزل ننظر فى أمرنا فأقبل إليه فى خمسة نفر فقلت لزياد أدعو لك ثلاثة نفر من أصحابنا حتى نلقاهم فى عددهم فقال ادع من أحببت فدعوت له ثلاثة فكنا خمسة وهم خمسة. فقال له زياد ما ألذى نقمت على أمير المؤمنين وعلينا حتى فارقتنا فقال لم أرض [صفحه ١٣٥] صاحبكم إماما و لم أرض بسيرتكم سيرة فرأيت أن أعتزل وأكون مع من يدعو إلى الشورى بين الناس فإذااجتمع الناس على رجل هولجميع الأمة رضا كنت مع الناس . فقال زياد ويحك وهل يجتمع الناس على رجل يدانى عليا عالما بالله وبكتابه وسنة رسوله مع قرابته وسابقته فى الإسلام فقال الخريت هو ماأقول لك فقال ففيم قتلتم الرجل المسلم فقال الخريت ما أناقتلته قتلته طائفة من أصحابى قال فادفعهم إلينا قال ماإلى ذلك من سبيل قال أوهكذا أنت فاعل قال هو ماتسمع . قال فدعونا أصحابنا ودعا الخريت أصحابه ثم اقتتلنا فو الله مارأيت قتالا مثله منذ خلقنى الله لقد تطاعنا بالرماح حتى لم يبق فى أيدينا رمح ثم اضطربنا بالسيوف حتى انحنت وعقرت عامه خيلنا وخيلهم وكثرت الجراح فيما بيننا وبينهم وقتل منا رجلان مولى لزياد كانت معه رأيته يدعى سويدا و رجل من الأبناء يدعى واقد بن بكر وصرع منهم خمسة نفر وحال الليل بيننا وبينهم و قد و الله كرهونا وكرهناهم وهرونا وهررناهم و قدجرح زياد وجرحت ثم إنا بتنا فى جانب وتنحوا فمكثوا ساعة من الليل ثم مضوا فذهبوا وأصبحنا فوجدناهم قدذهبوا فو الله ماكرهنا ذلك فمضينا حتى أتينا البصرة وبلغنا أنهم أتوا الأهواز فنزلوا فى جانب منها وتلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مائتين كانوا معهم بالكوفة لم يكن لهم من القوة ماينهضون به معهم حين نهضوا فاتبعوهم من بعدلحوقهم بالأهواز فأقاموا معهم . قال وكتب زياد بن خصفة إلى على ع أما بعدفإنا لقينا عدو الله الناجى وأصحابه بالمدائن فدعوناهم إلى الهدى والحق وكلمة [صفحه ١٣٦] السواء فتولوا عن الحق وأخذتهم العزة بالإثم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فقصدونا وصمدنا صمدهم فاقتتلنا قتالا شديدا ما بين قائم الظهر إلى أن دلكت الشمس واستشهد منا رجلان صالحان وأصيب منهم خمسة نفر وخلوا لنا المعركة و قدفشت فينا وفيهم الجراح ثم إن القوم لماأدركوا الليل خرجوا من تحته متنكرين إلى أرض الأهواز و قدبلغنى أنهم نزلوا من الأهواز جانبا ونحن بالبصرة نداوى جراحنا وننتظر أمرك رحمك الله و السلام . فلما أتاه الكتاب قرأه على الناس فقام إليه معقل بن قيس الرياحى فقال أصلحك الله يا أمير المؤمنين إنما كان ينبغى أن يكون مكان كل رجل من

هؤلاء الذين بعثتهم فى طلبهم عشرة من المسلمين فإذالحقوهم استأصلوا شأفتهم وقطعوا دابرهم فأما أن تلقاهم بأعدادهم فلعمرى ليصبرن لهم فإنهم قوم عرب والعدة تصبر للعدة فيقاتلون كل القتال . قال فقال ع له تجهز يامعقل إليهم وندب معه ألفين من أهل الكوفة فيهم يزيد بن معقل -روايت-۱-۲-روايت-۸-۹۴ وكتب إلى عبد الله بن العباس بالبصرة رحمه الله تعالى أما بعدفابعث رجلا من قبلك صليبا شجاعا معروفا بالصلاح فى ألفى رجل من أهل البصرة فليتبع معقل بن قيس فإذاخرج من أرض البصرة فهو أميرأصحابه حتى يلقى معقلا فإذالقيه فمعقل أميرالفريقين فليسمع منه وليطعه و لايخالفه ومر زياد بن خصفة فليقبل إلينا فنعم المرء زياد ونعم القبيل قبيله و السلام -روايت-۱-۲-روايت-۶۲-۳۶۹ [صفحه ۱۳۷] قال وكتب ع إلى زياد بن خصفة أما بعدفقد بلغنى كتابك وفهمت ماذكرت به الناجى وأصحابه الذين طبع الله على قلوبهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فهم حيارى عمون يحسبون أنهم يحسنون صنعا ووصفت مابلغ بك وبهم الأمر فأما أنت وأصحابك فلله سعيكم و عليه جزاؤكم وأيسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدنيا التى يقبل الجاهلون بأنفسهم عليها فما عندكم ينفد و ما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون و أماعدوكم الذين لقيتم فحسبهم خروجهم من الهدى وارتكاسهم فى الضلالة وردهم الحق وجماحهم فى التيه فذرهم و مايفترون ودعهم فى طغيانهم يعمهون فأسمع بهم وأبصر فكأنك بهم عن قليل بين أسير وقتيل فأقبل إلينا أنت وأصحابك مأجورين فقد أطعتم وسمعتم وأحسنتم البلاء و السلام -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۷۳۱ . قال ونزل الناجى جانبا من الأهواز واجتمع إليه علوج كثير من أهلها ممن أراد كسر الخراج و من اللصوص وطائفة أخرى من الأعراب ترى رأيه . قال ابراهيم بن هلال فحدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنى ابن أبى سيف عن الحارث بن كعب عن عبد الله بن قعين قال كنت أنا وأخى كعب بن قعين فى ذلك الجيش مع معقل بن قيس فلما أراد الخروج أتى أمير المؤمنين ع يودعه فقال يامعقل بن قيس اتق الله مااستطعت فإنه وصية الله للمؤمنين لاتبغ على أهل القبلة و لاتظلم أهل الذمة و لاتتكبر فإن الله لايحب المتكبرين -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۵۵ فقال معقل الله المستعان فقال خير مستعان . [صفحه ۱۳۸] ثم قام فخرج وخرجنا معه حتى نزل الأهواز فأقمنا ننتظر بعث البصرة فأبطأ علينا فقام معقل فقال أيها الناس إنا قدانتظرنا أهل البصرة و قدأبطئوا علينا و ليس بنا بحمد الله قلة و لاوحشة إلى الناس فسيروا بنا إلى هذاالعدو القليل الذليل فإنى أرجو أن ينصركم الله ويهلكهم فقام إليه أخى كعب بن قعين فقال أصبت إن شاء الله رأينا رأيك وإنى لأرجو أن ينصرنا الله عليهم و إن كانت الأخرى فإن فى الموت على الحق لتعزية عن الدنيا فقال سيروا على بركة الله فسرنا فو الله مازال معقل بن قيس لى ولأخى مكرما وادا مايعدل بنا أحدا من الجند و لايزال يقول لأخى كيف قلت إن فى الموت على الحق لتعزية عن الدنيا صدقت و الله وأحسنت ووفقت وفقك الله قال فو الله ماسرنا يوما و إذابفيج يشتد بصحيفة فى يده . من عبد الله بن عباس إلى معقل بن قيس أما بعد فإن أدركك رسولى بالمكان ألذى كنت مقيما به أوأدركك و قدشخصت منه فلاتبرحن من المكان ألذى ينتهى إليك رسولى و أنت فيه حتى يقدم عليك بعثنا ألذى وجهناه إليك فقد وجهت إليك خالد بن معدان الطائى و هو من أهل الدين والصلاح والنجدة فاسمع منه وأعرف ذلك له إن شاء الله و السلام . قال فقرأه معقل بن قيس على أصحابه فسروا به وحمدوا الله و قد كان ذلك الوجه هالهم وأقمنا حتى قدم علينا خالد بن معدان الطائى وجاءنا حتى دخل على صاحبنا فسلم عليه بالإمرة واجتمعنا جميعا فى عسكر واحد ثم خرجنا إلى الناجى وأصحابه فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامهرمز يريدون قلعة حصينة وجاءنا أهل البلد فأخبرونا بذلك فخرجنا فى آثارهم فلحقناهم و قددنوا من الجبل فصففنا لهم ثم أقبلنا نحوهم فجعل معقل على ميمنته يزيد بن المعقل الأزدى و على ميسرته منجاب بن راشد الضبى ووقف [صفحه ۱۳۹] الخريت بن راشد الناجى بمن معه من العرب فكانوا ميمنة وجعل أهل البلد والعلوج و من أراد كسر الخراج وجماعة من الأكراد ميسرة. قال وسار فينا معقل يحرضنا و يقول ياعباد الله لاتبدءوا القوم وغضوا الأبصار وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب وأبشروا فى قتالهم بالأجر العظيم إنما تقاتلون مارقة مرقت وعلوجا

منعوا الخراج ولصوصا وأكرادا فما تنتظرون فإذاحملت فشدوا شدة رجل واحد. قال فمر فی الصف یکلمهم یقول هذه المقالة حتی إذامر بالناس کلهم أقبل فوقف وسط الصف فی القلب ونظرنا إليه مایصنع فحرک رأسه تحریکتین ثم حمل فی الثالثة وحملنا معه جمیعا فو الله ماصبروا لنا ساعة حتی ولوا وانهزموا وقتلنا سبعین عربیا من بنی ناجیة و من بعض من اتبعه من العرب ونحو ثلاثمائة من العلوج والأكراد. قال کعب ونظرت فإذاصدیقی مدرک بن الریان قتیلا. وخرج الخریت منهزما حتی لحق بسیف من أسیاف البحر و بهاجماعة من قومه کثیر فما زال یسیر فیهم ویدعوهم إلی خلاف علی ع ویزین لهم فراقه ویخبرهم أن الهدی فی حربه ومخالفته حتی اتبعه منهم ناس کثیر. وأقام معقل بن قیس بأرض الأهواز وکتب إلی أمیر المؤمنین ع بالفتح وکنت أنا ألذی قدم بالکتاب علیه و کان فی الکتاب لعبد الله علی أمیر المؤمنین من معقل بن قیس سلام علیک فإنی أحمدإلیک الله ألذی لاإله إلا هو أما بعدفإنا لقینا المارقین و قداستظهروا علینا بالمشرکین [صفحه ۱۴۰] فقتلنا منهم ناسا کثیرا و لم نعد فیهم سیرتک فلم نقتل منهم مدبرا و لاأسیرا و لم نذفف منهم علی جریح و قدنصرک الله والمسلمین والحمد لله رب العالمین . قال فلما قدمت بالکتاب علی علی ع قرأه علی أصحابه واستشارهم فی الرأی فاجتمع رأی عامتهم علی قول واحد قالوا نری أن تکتب إلی معقل بن قیس یتبع آثارهم و لایزال فی طلبهم حتی یقتلهم أوینفیهم من أرض الإسلام فإنا لانأمن أن یفسدوا علیک الناس . قال فردنی إلیه وکتب معی أما بعدفالحمد لله علی تأییده أولیاءه وخذله أعداءه جزاک الله والمسلمین خیرا فقد أحسنتم البلاء وقضیتم ماعلیکم فاسأل عن أخی بنی ناجیة فإن بلغک أنه استقر فی بلد من البلدان فسر إلیه حتی تقتله أوتنفیه فإنه لم یزل للمسلمین عدوا وللفاسقین ولیا و السلام -روایت-۱-۲-روایت-۸-۳۰۱ . قال فسأل معقل عن مسیره والمکان ألذی انتهی إلیه فنبئ بمکانه بسیف البحر بفارس و أنه قدرد قومه عن طاعة علی ع وأفسد من قبله من عبدالقیس و من والاهم من سائر العرب و کان قومه قدمنعوا الصدقة عام صفین ومنعوها فی ذلک العام أیضا فسار إلیهم معقل بن قیس فی ذلک الجیش من أهل الکوفة والبصرة فأخذوا علی أرض فارس حتی انتهوا إلی أسیاف البحر فلما سمع الخریت بن راشد بمسیره أقبل علی من کان معه من أصحابه ممن یری رأی الخوارج فأسر إلیهم إنی أری رأیکم و أن علیا ما کان ینبغی له أن یحکم الرجال فی دین الله و قال لمن یری رأی عثمان وأصحابه أنا علی رأیکم و إن عثمان قتل مظلوما معقولا و قال لمن منع الصدقة [صفحه ۱۴۱] شدوا أیدیکم علی صدقاتکم ثم صلوا بهاأرحامکم وعودوا إن شئتم علی فقرائکم فأرضی کل طائفة بضرب من القول و کان فیهم نصاری کثیر و قدکانوا أسلموا فلما رأوا ذلک الاختلاف قالوا و الله لدیننا ألذی خرجنا منه خیر وأهدی من دین هؤلاء الذین لاینهاهم دینهم عن سفک الدماء وإخافة السبل فرجعوا إلی دینهم .فلقی الخریت أولئک فقال ویحکم إنه لاینجیکم من القتل إلاالصبر لهؤلاء القوم ولقتالهم أتدرون ماحکم علی فیمن أسلم من النصاری ثم رجع إلی النصرانیة لا و الله لایسمع له قولا و لایری له عذرا و لایقبل منه توبة و لایدعوه إلیها و إن حکمه فیه أن یضرب عنقه ساعة یستمکن منه فما زال حتی خدعهم وجاءهم من کان من بنی ناجیة فی تلک الناحیة و من غیرهم فاجتمع إلیه ناس کثیر و کان منکرا داهیا. قال فلما رجع معقل قرأ علی أصحابه کتابا من علی ع فیه من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی من قرئ علیه کتابی هذا من المسلمین و المؤمنین والمارقین والنصاری والمرتدین سلام علی من اتبع الهدی وآمن بالله ورسوله وکتابه والبعث بعدالموت وافیا بعهد الله و لم یکن من الخائنین أما بعدفإنی أدعوکم إلی کتاب الله وسنة نبیه و أن أعمل فیکم بالحق وبما أمر الله تعالی فی کتابه فمن رجع منکم إلی رحله وکف یده واعتزل هذاالمارق الهالک المحارب ألذی حارب الله ورسوله والمسلمین وسعی فی الأرض فسادا فله الأمان علی ماله ودمه و من تابعه علی حربنا والخروج من طاعتنا استعنا بالله علیه وجعلناه بیننا وبینه وکفی بالله ولیا و السلام -روایت-۱-۲-روایت-۸-۶۱۸ . قال فأخرج معقل رایة أمان فنصبها و قال من أتاها من الناس فهو آمن إلاالخریت وأصحابه الذین نابذوا أول مرة فتفرق عن الخریت کل من کان معه من غیرقومه وعبأ معقل بن قیس أصحابه ثم زحف بهم نحوه و قدحضر مع الخریت

جميع [صفحه ۱۴۲] قومه مسلمهم ونصرانيهم ومانعی الصدقة منهم فجعل مسلميهم يمنة والنصاری ومانعی الصدقة يسرة وجعل يقول لقومه امنعوا اليوم حريمكم وقاتلوا عن نسائكم وأولادكم و الله لئن ظهروا عليكم ليقتلنكم وليسلبنكم . فقال له رجل من قومه هذا و الله ماجرته علينا يدک ولسانک فقال لهم قاتلوا فقد سبق السيف العذل . قال وسار معقل بن قيس يحرض أصحابه فيما بين الميمنة والميسرة و يقول أيها الناس ماتدرون ماسيق إليكم فی هذاالموقف من الأجر العظيم إن الله ساقكم إلی قوم منعوا الصدقة وارتدوا عن الإسلام ونكثوا البيعة ظلما وعدوانا إنی شهيد لمن قتل منكم بالجنة و من عاش بأن الله يقر عينه بالفتح والغنيمة ففعل ذلک حتی مر بالناس أجمعين ثم وقف فی القلب برايته وبعث إلی يزيد بن المعقل الأزدی و هو فی الميمنة أن احمل عليهم فحمل فثبتوا له فقاتل طويلا وقاتلوه ثم رجع حتی وقف موقفه ألذی كان فيه من الميمنة ثم بعث إلی المنجاب بن راشد الضبی و هو فی الميسرة أن احمل عليهم فحمل فثبتوا له فقاتل طويلا وقاتلوه ثم رجع حتی وقف موقفه ألذی كان فی الميسرة ثم بعث معقل إلی ميمنته وميسرته إذاحملت فاحملوا جميعا ثم أجری فرسه وضربها وحمل أصحابه فصبروا لهم ساعة.

ثم إن النعمان بن صهبان الراسبی بصر بالخريت فحمل عليه فصرعه عن فرسه ثم نزل إليه و قدجرحه فاختلفا بينهما ضربتين فقتله النعمان وقتل معه فی المعركة سبعون ومائة وذهب الباقون فی الأرض يمينا وشمالا وبعث معقل الخيل إلی رحالهم فسبی من أدرک فيهارجالا ونساء وصبيانا ثم نظر فيهم فمن كان مسلما خلاه وأخذ [صفحه ۱۴۳] بيعته وخلی سبيل عياله و من كان ارتد عن الإسلام عرض عليه الرجوع إلی الإسلام و إلاالقتل فأسلموا فخلی سبيلهم وسبيل عيالاتهم إلاشيخا منهم نصرانيا يقال له الرماحس بن منصور فإنه قال و الله مازلت مصيبا مذ عقلت إلا فی خروجی من دينی دين الصدق إلی دينكم دين السوء لا و الله لاأدع دينی و لاأقرب دينكم ماحييت .فقدمه معقل فضرب عنقه وجمع الناس فقال أدوا ماعليكم فی هذه السنين من الصدقة فأخذ من المسلمين عقالين وعمد إلی النصاری وعيالاتهم فاحتملهم معه وأقبل المسلمون الذين كانوا معهم يشيعونهم فأمر معقل بردهم فلما ذهبوا لينصرفوا تصايحوا ودعا الرجال والنساء بعضهم إلی بعض . قال فلقد رحمتهم رحمة مارحمتها أحدا قبلهم و لابعدهم وكتب معقل إلی علی ع أما بعدفإنی أخبر أمير المؤمنين عن جنده و عن عدوه إنا دفعنا إلی عدونا بأسياف البحر فوجدنا بهاقبائل ذات حد وعدد و قدجمعوا لنا فدعوناهم إلی الجماعة والطاعة و إلی حكم الكتاب والسنة وقرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين ع ورفعنا لهم راية أمان فمالت إلينا طائفة منهم وثبتت طائفة أخری فقبلنا أمر التی أقبلت وصمدنا إلی التی أدبرت فضرب الله وجوههم ونصرنا عليهم فأما من كان مسلما فإنا مننا عليه وأخذنا بيعته لأمير المؤمنين وأخذنا منهم الصدقة التی كانت عليهم و أما من ارتد فعرضنا عليهم الرجوع إلی الإسلام و إلاقتلناهم فرجعوا إلی الإسلام غير رجل واحد فقتلناه و أماالنصاری فإنا سبيناهم وأقبلنا بهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الذمة كی لايمنعوا الجزية و لايجترئوا علی قتال أهل القبلة وهم للصغار والذلة [صفحه ۱۴۴] أهل رحمک الله يا أمير المؤمنين وعليک الصلاة و السلام وأوجب لک جنات النعيم و السلام .

قال ثم أقبل بالأساری حتی مر علی مصقلة بن هبيرة الشيبانی و هوعامل لعلی ع علی أردشيرخرة وهم خمسمائة إنسان فبكی إليه النساء والصبيان وتصايح الرجال يا أباالفضل ياحامل الثقل يامؤی الضعيف وفكاک العصاة امنن علينا فاشترنا وأعتقنا فقال مصقلة أقسم بالله لأتصدقن عليهم إن الله يجزی المتصدقين فبلغ قوله معقل بن قيس فقال و الله لوأعلمه قالها توجعا لهم وإزراء علی لضربت عنقه و إن كان فی ذلک فناء بنی تميم وبكر بن وائل . ثم إن مصقلة بعث ذهل بن الحارث الذهلی إلی معقل فقال بعنی نصاری ناجية فقال أبيعكهم بألف ألف درهم فأبی عليه فلم يزل يراوده حتی باعه إياهم بخمسمائة ألف درهم ودفعهم إليه و قال عجل بالمال إلی أمير المؤمنين ع فقال مصقلة أناباعث الآن بصدر منه ثم أتبعک بصدر آخر ثم كذلک حتی لايبقی منه شیء وأقبل معقل إلی أمير المؤمنين ع فأخبره بما كان من الأمر فقال له أحسنت وأصبت ووفقت . وانتظر علی ع مصقلة أن يبعث بالمال فأبطأ به وبلغ عليا ع أن مصقلة خلی الأساری و لم يسألهم أن يعينوه فی فكاک أنفسهم بشیء فقال ماأری مصقلة إلا

قدحمل حمالة و لاأراكم إلاسترونه عن قريب مبلدحا ثم كتب إليه -روايت-١-٢-روايت-١٧-ادامه دارد [صفحه ١۴۵] أما بعد فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم فابعث بها إلى حين يأتيك رسولى و إلافأقبل إلى حين تنظر فى كتابى فإنى قدتقدمت إلى رسولى ألا يدعك ساعة واحدة تقيم بعدقدومه عليك إلا أن تبعث بالمال و السلام -روايت-از قبل-٢٩٩ . و كان الرسول أبوجرة الحنفى فقال له أبوجرة إن تبعث بهذا المال و إلافاشخص معى إلى أمير المؤمنين فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البصرة و كان العمال يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عباس فيكون ابن عباس هو ألذى يبعث به إلى أمير المؤمنين ع ثم أقبل من البصرة حتى أتى عليا ع بالكوفة فأقره أياما لم يذكر له شيئا ثم سأله المال فأدى إليه مائتى ألف درهم وعجز عن الباقى. قال فروى ابن أبى سيف عن أبى الصلت عن ذهل بن الحارث قال دعانى مصقلة إلى رحله فقدم عشاء فطعمنا منه ثم قال و الله إن أمير المؤمنين ع يسألنى هذاالمال و و الله ماأقدر عليه فقلت له لوشئت لم يمض عليك جمعة حتى تجمع هذاالمال فقال ماكنت لأحملها قومى و لاأطلب فيها إلى أحد. ثم قال و الله لو أن ابن هند مطالبى بها أو ابن عفان لتركها لى أ لم تر إلى عثمان كيف أعطى الأشعث مائة ألف درهم من خراج آذربيجان فى كل سنة فقلت إن هذا لايرى ذلك الرأى و ما هوبتارك لك شيئا فسكت ساعة وسكت عنه فما مكث ليلة واحدة بعد هذاالكلام حتى لحق بمعاوية.فبلغ ذلك عليا ع فقال ما له ترحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر أماإنه لوأقام فعجز مازدنا على حبسه فإن وجدنا له شيئا أخذناه [صفحه ١۴۶] و إن لم نجد له مالا- تركناه ثم سار على ع إلى داره فهدمها. و كان أخوه نعيم بن هبيرة الشيبانى شيعة لعلى ع مناصحا فكتب إليه مصقلة من الشام مع رجل من نصارى تغلب يقال له حلوان أما بعدفإنى كلمت معاوية فيك فوعدك الكرامة ومناك الإمارة فأقبل ساعة تلقى رسولى و السلام .فأخذه مالك بن كعب الأرحبى فسرح به إلى على ع فأخذ كتابه فقرأه ثم قدمه فقطع يده فمات وكتب نعيم إلى أخيه مصقلة شعرا لم يرده عليه لاترمين هداك الله معترضا || بالظن منك فما بالى وحلوانا ذاك الحريص على مانال من طمع || و هوالبعيد فلايورثك أحزانا ماذا أردت إلى إرساله سفها || ترجو سقاط امرئ لم يلف وسنانا عرضته لعلى إنه أسد || يمشى العرضنة من آساد خفانا قدكنت فى خير مصطاف ومرتبع || تحمى العراق وتدعى خير شيبانا حتى تقحمت أمرا كنت تكرهه || للراكبين له سرا وإعلانا لوكنت أديت مال الله مصطبرا || للحق زكيت أحيانا وموتانا لكن لحقت بأهل الشام ملتمسا || فضل ابن هند فذاك الرأى أشجانا فاليوم تقرع سن العجز من ندم || ماذا تقول و قد كان ألذى كانا أصبحت تبغضك الأحياء قاطبة || لم يرفع الله بالعصيان إنسانا [صفحه ١۴٧] فلما بلغ الكتاب إليه علم أن النصرانى قدهلك و لم يلبث التغلبيون إلاقليلا حتى بلغهم هلاك صاحبهم فأتوا مصقلة فقالوا أنت أهلكت صاحبنا فإما أن تجيئنا به وإما أن تديه فقال أما أن أجيء به فلست أستطيع ذلك و أما أن أديه فنعم فوداه . قال ابراهيم وحدثنى ابن أبى سيف عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال قيل لعلى ع حين هرب مصقلة اردد الذين سبوا و لم تستوف أثمانهم فى الرق فقال ليس ذلك فى القضاء بحق قدعتقوا إذ أعتقهم ألذى اشتراهم وصار مالى دينا على ألذى اشتراهم . وروى ابراهيم أيضا عن ابراهيم بن ميمون عن عمرو بن القاسم بن حبيب التمار عن عمار الدهنى قال لماهرب مصقلة قال أصحاب على ع له يا أمير المؤمنين فيئنا قال إنه قدصار على غريم من الغرماء فاطلبوه . و قال ظبيان بن عمارة أحد بنى سعد بن زيد مناة فى بنى ناجية هلا صبرت للقراع ناجيا || والمرهفات تختلى الهواديا والطعن فى نحوركم تواليا || وصائبات الأسهم القواضيا . و قال ظبيان أيضا ألا فاصبروا للطعن والضرب ناجيا || وللمرهفات يختلين الهواديا فقد صب رب الناس خزيا عليكم || وصيركم من بعد عزمواليا [صفحه ١۴٨] سما لكم بالخيل جردا عواديا || أخو ثقة لايبرح الدهر غازيا فصبحكم فى رحلكم وخيولكم || بضرب يرى منه المدجج هاويا فأصبحتم من بعد عز وكثرة || عبيد العصا لاتمنعون الذراريا قال ابراهيم بن هلال وروى عبدالرحمن بن حبيب عن أبيه أنه لمابلغ عليا ع مصاب بنى ناجية وقتل صاحبهم قال هوت أمه ما

كـان أنقص عقله وأجرأه إنه جاءنى مرة فقـال إن فى أصحابك رجالا قدخشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم فقلت إنى لاآخذ على التهمـة و لاأعـاقب على الظن و لاأقاتل إلا من خالفنى وناصبنى وأظهر العـداوة لى ثم لست مقاتله حتى أدعوه وأعـذر إليه فإن تاب ورجع قبلنا منه و إن أبى إلاالاعتزام على حربنا استعنا بالله عليه وناجزناه فكف عنى ماشاء الله ثم جاءنى مرة أخرى فقال لى إنى قدخشيت أن يفسـد عليـك عبـد الله بن وهب وزيـد بن حصـين الطائى إنى سـمعتهما يـذكرانك بأشياء لوسـمعتهما لم تفارقهمـا حتى تقتلهمـا أوتوثقهمـا فلايزالان بمحبسك أبـدا فقلت له إنى مستشيرك فيهما فما ذا تأمرنى به قال إنى آمرك أن تـدعو بهما فتضـرب رقابهما فعلمت أنه لاورع له و لاعقل فقلت له و الله ماأظن لك ورعا و لاعقلا لقـد كان ينبغى لك أن تعلم أنى لاأقتـل من لم يقـاتلنى و لم يظهر لى عـداوته للـذى كنت أعلمتكه من رأيى حيث جئتنى فى المرة الأولى ولقـد كان ينبغى لك لوأردت قتلهم أن تقول لى اتق الله بم تسـتحل قتلهم و لم يقتلوا أحدا و لم ينابذوك و لم يخرجوا من طاعتك -روايت-١-٢-روايت-٦٢-١١٠٧ .فأما مايقوله الفقهاء فى مثل هذاالسبى فقبل أن نذكر ذلك نقول إن الرواية قد [صـفحه ١٤٩] اختلفت فى المرتـدين من بنى ناجيـة فالروايـة الأولى التى رواها محمد بن عبد الله بن عثمان عن نصر بن مزاحم تتضـمن أن الأمير ألذى من قبل على ع قتل مقاتلـة المرتدين منهم بعدامتناعهم من العود إلى الإسـلام وسبى ذراريهم فقدم بها على على ع فعلى هذه الرواية يكون الذين اشتراهم مصـقلة ذرارى أهل الردة. والرواية الثانية التى رواها محمد بن عبد الله عن ابن أبى سـيف تتضمن أن معقل بن قيس الأمير من قبل على ع لم يقتل من المرتـدين من بنى ناجيـة إلارجلا واحـدا و أماالباقون فرجعوا إلى الإسـلام والاسترقاق إنما كان للنصارى الذين ساعدوا فى الحرب وشـهروا السيف على جيش الإمام وليسوا مرتدين بل نصارى فى الأصل وهم الذين اشتراهم مصـقلة. فـإن كانت الروايـة الأولى هى الصـحيحة ففيها إشـكال لأن المرتـدين لايجوز عنـدالفقهاء استرقاقهم و لاأعرف خلافا فى هذه المسألة و لاأظن الإمامية أيضا تخالف فيها وإنما ذهب أبوحنيفة إلى أن المرأة المرتدة إذالحقت بدار الحرب جاز استرقاقهـا وسـائر الفقهـاء على خلافـه و لم يختلفوا فى أن الـذكور البـالغين من المرتـدين لايجوز استرقـاقهم فلاأعلم كيف وقع استرقاق المرتـدين من بنى ناجيـة على هـذه الروايـة على أنى أرى أن الرواية المذكورة لم يصـرح فيهاباسترقاقهم و لابأنهم بيعوا على مصـقلة لأن لفـظ الراوى فـأبوا فقتـل مقـاتلتهم وسـبى ذراريهم فقـدم بهم على على ع و ليس فى الروايـة ذكر استرقـاقهم و لابيعهم على مصـقلة بل فيها ماينافى بيعهم على مصـقلة و هو قوله فقـدم بهم على على ع فإن مصـقلة ابتاع السبى من الطريق فى أردشـيرخرة قبل قـدومه على على ع ولفظ الخبر فقـدم بهم على على ع . وإنما يبقى الأشـكال على هذه الرواية أن يقال إذا كان قدقدم بهم على على ع [صـفحه ١٥٠] فمصـقلة من اشترى و لايمكن دفع كون مصـقلة اشترى قوما فى الجملة فإن الخبر بذلك مشـهور جدا يكاد يكون متواترا. فإن قيل فما قولكم فيما إذاارتد البالغون من الرجال والنساء ثم أولدوا ذرية صـغارا بعدالردة هل يجوز استرقـاق الأولاد فـإن كـان يجوز فهلا حملتم الخبر عليه قيل إذاارتـد الزوجان فحملت منه فى حال الردة وأتت بولـد كان محكوما بكفره لأنه ولد بين كافرين . وهل يجوز استرقاقه فيه للشافعى قولان و أما أبوحنيفة فقال إن ولد فى دار الإسـلام لم يجز استرقـاقه و إن ولـد فى دار الحرب جـاز استرقـاقه فـإن كـان استرقـاق هؤلاء الذريـة موافقـا لأحـد قولى الشـافعى فلعله ذاك . و أماالروايـة الثانيـة فإن كانت هى الصـحيحة و هوالأولى فالفقه فى المسألـة أن الـذمى إذاحارب المسـلمين فقد نقض عهده فصار كالمشركين الذين فى دار الحرب فإذاظفر به الإمام جاز استرقاقه وبيعه وكذلك إذاامتنع من أداء الجزية أوامتنع من التزام أحكام الإسـلام . واختلف الفقهاء فى أمور سبعة هل ينتقض بهاعهدهم ويجوز استرقاقهم أم لا وهى أن يزنى الذمى بمسلمة أويصيبها بـاسم نكـاح أويفتن مسـلما عن دينه أويقطع الطريق على المسـلمين أويؤوى للكفـار عينـا أويـدل على عورات المسـلمين أويقتل مسلما.فأصحاب الشافعى يقولون إن شـرط عليهم فى عقـد الذمـة الكف عن ذلك فهل ينقض عهدهم بفعله فيه وجهان و إن لم يشترط ذلك فى عقـد الذمـة لم ينتقض عهـدهم بـذلك . و قال الطحاوى من أصحاب أبى حنيفـة ينتقض عهدهم بذلك سواء

شورطوا عن [صفحه ۱۵۱] الکف عنه فی عقد الذمهٔ أو لم یشارطوا علیه .فنصاری بنی ناجیهٔ علی هذه الروایهٔ قدانتقض عهدهم بحرب المسلمین فأبیحت دماؤهم وجاز للإمام قتلهم وجاز له استرقاقهم کالمشرکین الأصلیین فی دار الحرب و أمااسترقاق أبی بکر بن أبی قحافهٔ لأهل الردهٔ وسبیه ذراریهم فإن صح کان مخالفا لما یقول الفقهاء من تحریم استرقاق المرتدین إلا أن یقولوا إنه لم یسب المرتدین وإنما سبی من ساعدهم وأعانهم فی الحرب من المشرکین الأصلیین و فی هذاالموضع نظر [صفحه ۱۵۲]

۴۵– و من خطبهٔ له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ غَیرَ مَقنُوطٍ مِن رَحمَتِهِ وَ لَا مَخلُوّ مِن نِعمَتِهِ وَ لَا مَأیُوسٍ مِن مَغفِرَتِهِ وَ لَا مُستَنکَفٍ عَن عِبَادَتِهِ ألّذِی لَا تَبرَحُ مِنهُ رَحمَهٌ وَ لَا تُفقَدُ لَهُ نِعمَهٌ وَ الدّنیَا دَارٌ مُنِیَ لَهَا الفَنَاءُ وَ لِأَهلِهَا مِنهَا الجَلَاءُ وَ هیَ حُلوَهٌ خَضِرَهٌ وَ قَد عَجِلَت لِلطّالِبِ وَ التَبَسَت بِقَلبِ النّاظِرِ فَارتَحِلُوا مِنهَا بِأَحسَنِ مَا بِحَضرَتِکُم مِنَ الزّادِ وَ لَا تَسأَلُوا فِیهَا فَوقَ الکَفَافِ وَ لَا تَطلُبُوا مِنهَا أَکثَرَ مِنَ البَلَاغِ منی لها الفناء أی قدر والجلاء بفتح الجیم الخروج عن الوطن قال سبحانه وَ لَو لا أَن کَتَبَ اللّهُ عَلَیهِمُ الجَلاءَ. وحلوهٔ خضرهٔ مأخوذ من –قرآن-۷۴-۱۱۹ قول رسول الله ص إن الدنیا حلوهٔ خضرهٔ و إن الله مستخلفکم فیهافناظر کیف تعملون –روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۸۷ . والکفاف من الرزق قدر القوت و هو ماکف عن الناس أی أغنی . والبلاغ والبلغهٔ من العیش مایتبلغ به . [صفحه ۱۵۳] واعلم أن هذاالفصل یشتمل علی فصلین من کلام أمیر المؤمنین ع أحدهما حمد الله والثناء علیه إلی قوله و لاتفقد له نعمهٔ والفصل الثانی ذکر الدنیا إلی آخر الکلام وأحدهما غیرمختلط بالآخر و لامنسوق علیه ولکن الرضی رحمهٔ الله تعالی یلتقط کلام أمیر المؤمنین ع التقاطا و لا یقف مع الکلام المتوالی لأن غرضه ذکر فصاحته ع لا غیر و لوأتی بخطبه کلها علی وجهها لکانت أضعاف کتابه ألذی جمعه

فصل بلاغی فی الموازنهٔ والسجع

فأما الفصل الأول فمشتمل من علم البیان علی باب کبیر یعرف بالموازنهٔ و ذلک غیرمقنوط فإنه وازنه فی الفقرهٔ الثانیهٔ بقوله و لامخلو أ لاتری أن کل واحدهٔ منهما علی وزن مفعول ثم قال فی الفقرهٔ الثالثهٔ و لامأیوس فجاء بها علی وزن مفعول أیضا و لم یمکنه فی الفقرهٔ الرابعهٔ ماأمکنه فی الأولی فقال و لامستنکف فجاء به علی وزن مستفعل و هو و إن کان خارجا عن الوزن فإنه غیرخارج عن المفعولیهٔ لأن مستفعل مفعول فی الحقیقهٔ کقولک زید مستحسن أ لاتری أن مستحسنا من استحسنه فهو أیضا غیرخارج عن المفعولیهٔ. ثم وازن ع بین قوله لاتبرح و قوله لاتفقد و بین رحمهٔ ونعمهٔ فأعطت هذه الموازنات الکلام من الطلاوهٔ والصنعهٔ ما لاتجده علیه لو قال الحمد لله غیرمخلو من نعمته و لامبعد من رحمته لأن مبعد بوزن مفعل و هو غیرمطابق و لامماثل لمفعول بل هوبناء آخر. وکذلک لو قال لاتزول منه رحمهٔ فإن تزول لیست فی المماثلهٔ والموازنهٔ [صفحه ۱۵۴] لتفقد کتبرح أ لاتری أنها معتلهٔ وتلک صحیحهٔ وکذلک لو قال لاتبرح منه رحمهٔ و لایفقد له أنعام فإن أنعاما لیس فی وزن رحمهٔ والموازنهٔ مطلوبهٔ فی الکلام ألذی یقصد فیه الفصاحهٔ لأجل الاعتدال ألذی هومطلوب الطبع فی جمیع الأشیاء والموازنهٔ أعم من السجع لأن السجع تماثل أجزاء الفواصل لوأوردها علی حرف واحد نحو القریب والغریب والنسیب و ماأشبه ذلک و أماالموازنهٔ فنحو

القریب والشدید والجلیل و ما کان علی هذاالوزن و إن لم یکن الحرف الآخر بعینه واحدا و کل سجع موازنهٔ و لیس کل موازنهٔ سجعا ومثال الموازنهٔ فی الکتاب العزیزوَ آتَیناهُمَا الکِتابَ المُستَبِینَ وَ هَدَیناهُمَا الصِّراطَ المُستَقِیمَ و قوله تعالی لِیَکُونُوا لَهُم عِزّا ثم قال وَ یَکُونُونَ عَلَیهِم ضِدّا ثم قال تَؤُزّهُم أَزّا ثم قال نَعُدّ لَهُم عَدّافهذه الموازنهٔ. ومما جاء من المثال فی الشعر قوله -قرآن-۵۴۰-۶۱۳-قرآن-۶۲۹-۶۵۱-قرآن-۶۶۱-۶۸۸-قرآن-۶۹۸-۷۱۲-قرآن-۷۲۲-۷۳۹ بأشدهم بأسا علی أعدائهم || وأعزهم فقدا علی الأصحاب .فقوله وأعزهم بإزاء أشدهم و قوله فقدا بإزاء بأسا. والموازنهٔ کثیرهٔ فی الکلام وهی فی کتاب الله تعالی أکثر

نبذ من کلام الحکماء فی مدح القناعهٔ وذم الطمع

فأما الفصل الثانی فیشتمل علی التحذیر من الدنیا و علی الأمر بالقناعهٔ والرضا بالکفاف فأما التحذیر من الدنیا فقد ذکرنا ونذکر منه مایحضرنا و أماالقناعهٔ فقد ورد فیها شیءکثیر. [صفحه ۱۵۵] قال رسول الله ص لأخوین من الأنصار لاتیئسا من روح الله ماتهزهزت رءوسکما فإن أحدکم یولد لاقشر علیه ثم یکسوه الله ویرزقه -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-۱۳۴ و عنه ص ویعزی إلی أمیر المؤمنین ع القناعهٔ کنز لاینفد -روایت-۱-۲-روایت-۴۳-۶۲ و مایقال إنه من کلام لقمان الحکیم کفی بالقناعهٔ عزا وبطیب النفس نعیما -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-۸۰ و من کلام عیسی ع اتخذوا البیوت منازل والمساجد مساکن وکلوا من بقل البریهٔ واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنیا بسلام لعمری لقد انقطعتم إلی غیر الله فما ضیعکم أفتخافون الضیعهٔ إذاانقطعتم إلیه -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۲۱۲ . و فی بعض الکتب الإلهیهٔ القدیمهٔ یقول الله تعالی یا ابن آدم أتخاف أن أقتلک بطاعتی هزلا و أنت تتفتق بمعصیتی سمنا -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۹۲ . قال أبووائل ذهبت أنا وصاحب لی إلی سلمان الفارسی فجلسنا عنده فقال لو لا أن رسول الله ص نهی عن التکلف لتکلفت لکم ثم جاء بخبز وملح ساذج لاأبزار علیه فقال صاحبی لو کان لنا فی ملحنا هذاسعتر فبعث سلمان بمطهرته فرهنها علی سعتر فلما أکلنا قال صاحبی الحمد لله ألذی قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لوقنعت بما رزقک لم تکن مطهرتی مرهونهٔ.عباد بن منصور لقد کان بالبصرهٔ من هوأفقه من عمرو بن عبید وأفصح ولکنه کان أصبرهم عن الدینار والدرهم فساد أهل البصرهٔ. قال خالد بن صفوان لعمرو بن عبید لم لاتأخذ منی فقال لایأخذ أحد من أحد إلاذل له و أناأکره أن أذل لغیر الله . [صفحه ۱۵۶] کان معاش عمرو بن عبید من دار ورثها کان یأخذ أجرتها فی کل شهر دینارا واحدا فیتبلغ به .الخلیل بن أحمد کان الناس یکتسبون الرغائب بعلمه و هو بین أخصاص البصرهٔ لایلتفت إلی الدنیا و لایطلبها.وهب بن منبه أرملت مرهٔ حتی کدت أقنط فأتانی آت فی المنام ومعه شبه لوزهٔ فقال افضض ففضضتها فإذاحریرهٔ فیهاثلاثهٔ أسطر لاینبغی لمن عقل عن الله أمره وعرف لله عدله أن یستبطئ الله فی رزقه فقنعت وصبرت ثم أعطانی الله فأکثر. قیل للحسن ع إن أباذر کان یقول الفقر أحب إلی من الغنی والسقم أحب إلی من الصحهٔ فقال رحم الله أباذر أما أنافأقول من اتکل إلی حسن الاختیار من الله لم یتمن أنه فی غیرالحال التی اختارها الله له لعمری یا ابن آدم الطیر لاتأکل رغدا و لاتخبأ لغد و أنت تأکل رغدا وتخبأ لغد فالطیر أحسن ظنا منک بالله عز و جل -روایت-۱-۳۲۹ حبس عمر بن عبدالعزیز الغذاء عن مسلمهٔ حتی برح به الجوع ثم دعا بسویق فسقاه فلما فرغ منه لم یقدر علی الأکل فقال یامسلمهٔ إذاکفاک من الدنیا مارأیت فعلام التهافت فی النار. عبدالواحد بن زید ماأحسب شیئا من الأعمال یتقدم الصبر إلاالرضا والقناعهٔ و لاأعلم درجهٔ أرفع من الرضا و هورأس المحبهٔ. قال ابن شبرمهٔ فی محمد بن واسع لو أن إنسانا اکتفی بالتراب لاکتفی به . یقال من جملهٔ ماأوحی الله تعالی إلی موسی ع قل لعبادی المتسخطین لرزقی إیاکم أن أغضب فأبسط علیکم الدنیا -روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۱۱۷ . [صفحه ۱۵۷] کان لبعض الملوک ندیم فسکر ففاتته الصلاهٔ فجاءت جاریهٔ له بجمرهٔ نار فوضعتها علی رجله فانتبه مذعورا فقالت إنک لم تصبر علی نار الدنیا

فكيف تصبر على نار الآخرة فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة وقعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل و ابن عيينة فإذاتحت رأسه لبنة و ليس تحت جنبه حصير فقالا له إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلاعوضه خيرا منه فما عوضك قال القناعة والرضا بما أنا فيه .أصابت داود الطائى ضائقة شديدة فجاء حماد بن أبى حنيفة بأربعمائة درهم من تركة أبيه فقال داود هى لعمرى من مال رجل ماأقدم عليه أحدا فى زهده وورعه وطيب كسبه و لوكنت قابلا من أحد شيئا لقبلتها إعظاما للميت وإيجابا للحى ولكنى أحب أن أعيش فى عزالقناعة.سفيان الثورى ماأكلت طعام أحد قط إلاهنت عليه .مسعر بن كدام من صبر على الخل والبقل لم يستعبد.فضيل أصل الزهد الرضا بما رزقك الله أ لاتراه كيف يصنع بعبده ماتصنع الوالدة الشفيقة بولدها تطعمه مرة خبيصا ومرة صبرا تريد بذلك ما هوأصلح له . المسيح ع أنا ألذى كببت الدنيا على وجهها وقدرتها بقدرها ليس لى ولد يموت و لابيت يخرب وسادى الحجر وفراشى المدر وسراجى القمر -روايت-١-٢-روايت-١٣-١٣٥ أمير المؤمنين ع أكل تمر دقل ثم شرب عليه ماء ومسح بطنه -روايت-١-٢-روايت-٢١-٦٤ و قال من أدخلته بطنه النار فأبعده الله ثم أنشد -روايت-١-٢-روايت-١٠-٥٦ فإنك إن أعطيت بطنك سؤله || وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا [صفحه ١٥٨] فى الحديث الصحيح المرفوع إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا فى الطلب -روايت-١-٢-روايت-٣١-١١٦ . من كلام الحكماء من ظفر بالقناعة فقد ظفر بالكيمياء الأعظم . الحسن الحريص الراغب والقانع الزاهد كلاهما مستوف أجله مستكمل أكله غيرمزداد و لامنتقص مما قدر له فعلام التقحم فى النار. ابن مسعود رفعه إنه ليس أحد بأكيس من أحد قدكتب النصيب والأجل وقسمت المعيشة والعمل و الناس يجرون منهما إلى منتهى معلوم -روايت-١-٢-روايت-١٩-١٣١ المسيح ع انظروا إلى طير السماء تغدو وتروح ليس معها شيء من أرزاقها لاتحرث و لاتحصد و الله يرزقها فإن زعمتم أنكم أوسع بطونا من الطير فهذه الوحوش من البقر والحمر لاتحرث و لاتحصد و الله يرزقها -روايت-١-٢-روايت-١٣-٢٠١ .سويد بن غفلة كان إذاقيل له قدولى فلان يقول حسبى كسرتى وملحى.وفد عروة بن أذينة على هشام بن عبدالملك فشكا إليه خلته فقال له ألست القائل لقد علمت و ماالإشراف من خلقى || أن ألذى هورزقى سوف يأتينى أسعى له فيعنينى تطلبه || و لوقعدت أتانى لايعنينى .فكيف خرجت من الحجاز إلى الشام تطلب الرزق ثم اشتغل عنه فخرج وقعد على ناقته ونصها راجعا إلى الحجاز فذكره هشام فى الليل فسأل عنه فقيل إنه رجع إلى الحجاز فتذمر وندم و قال رجل قال حكمة ووفد على مستجديا فجبهته [صفحه ١٥٩] ورددته ثم وجه إليه بألفى درهم فجاء الرسول و هوبالمدينة فدفعها إليه فقال له قل لأمير المؤمنين كيف رأيت سعيت فأكديت وقعدت فى منزلى فأتانى رزقى.عمر بن الخطاب تعلم أن الطمع فقر و أن اليأس غنى و من يئس من شيءاستغنى عنه أهدى لرسول الله ص طائران فأكل أحدهما عشية فلما أصبح طلب غداء فأتته بعض أزواجه بالطائر الآخر فقال أ لم أنهك أن ترفعى شيئا لغد فإن من خلق الغد خلق رزقه -روايت-١-١٦٨ و فى الحديث المرفوع قدأفلح من رزق كفافا وقنعه الله بما آتاه -روايت-١-٢-روايت-٢٥-٧٠ من حكمة سليمان ع قدجربنا لين العيش وشدته فوجدنا أهنأه أدناه -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٧١ وهب فى قوله تعالى فَلَنُحيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال القناعة.بعض حكماء الشعراء -قرآن-٢٢-٥٢ فلاتجزع إذاأعسرت يوما || فقد أيسرت فى الدهر الطويل و لاتظنن بربك ظن سوء || فإن الله أولى بالجميل و إن العسر يتبعه يسار || وقيل الله أصدق كل قيل و لو أن العقول تجر رزقا || لكان المال عندذوى العقول عائشة قال لى رسول الله ص إن أردت اللحوق بى فيكفيك من الدنيا زاد الراكب و لاتخلقى ثوبا حتى ترقعيه وإياك ومجالسة الأغنياء -روايت-١-٢-روايت-٣٢-١٣٦ [صفحه ١٦٠] يقال إن جبرائيل ع جاء إلى رسول الله ص بمفاتيح خزائن الدنيا فقال لاحاجة لى فيهابل جوعتان وشبعة -روايت-١-٢-روايت-٨-١٠٨ .وجد مكتوبا على صخرة عادية يا ابن آدم لست ببالغ أملك و لاسابق أجلك و لامغلوب على رزقك و لامرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك . الحسين بن الضحاك ياروح من عظمت قناعته || حسم المطامع من غد وغد من لم يكن لله متهما || لم يمس محتاجا إلى أحد أوحى الله

تعالی إلی بعض أنبیائه أتدری لم رزقت الأحمق قال لا قال لیعلم العاقل أن طلب الرزق لیس بالاحتمال -روایت-۱-۱۱۹ قنط یوسف بن یعقوب ع فی الجب لجوع اعتراه فأوحی إلیه انظر إلی حائط البئر فنظر فانفرج الحائط عن ذرة علی صخرة معها طعامها فقیل له أترانی لاأغفل عن هذه الذرة وأغفل عنک و أنت نبی ابن نبی -روایت-۱-۱۹۹ دخل علی ع المسجد و قال لرجل أمسک علی بغلتی فخلع لجامها وذهب به فخرج علی ع بعد ماقضی صلاته وبیده درهمان لیدفعهما إلیه مکافأة له فوجد البغلة عطلا. فدفع إلی أحد غلمانه الدرهمین لیشتری بهما لجاما فصادف الغلام اللجام المسروق فی السوق قدباعه الرجل بدرهمین فأخذه بالدرهمین وعاد إلی مولاه فقال علی ع إن العبد لیحرم نفسه الرزق الحلال بترک الصبر -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۶۱] و لایزاد علی ماقدر له -روایت-از قبل-۲۷ سلیمان بن المهاجر البجلی کسوت جمیل الصبر وجهی فصانه || به الله عن غشیان کل بخیل فلم یتبذلنی البخیل و لم أقم || علی بابه یوما مقام ذلیل و إن قلیلا یستر الوجه أن یری || إلی الناس مبذولا لغیر قلیل .وقف بعض الملوک علی سقراط و هو فی المشرقة فقال له سل حاجتک قال حاجتی أن تزیل عنی ظلک فقد منعتنی الرفق بالشمس فأحضر له ذهبا وکسوة دیباج فقال إنه لاحاجة بسقراط إلی حجارة الأرض ولعاب الدود إنما حاجته إلی أمر یصحبه حیثما توجه .صلی معروف الکرخی خلف إمام فلما انفتل سأل ذلک الإمام معروفا من أین تأکل قال اصبر علی حتی أعید ماصلیته خلفک قال لماذا قال لأن من شک فی الرزق شک فی الرازق قال الشاعر و لاتهلکن النفس وجدا وحسرة || علی الشیء أسداه لغیرک قادرة و لاتیأسن من صالح أن تناله || و إن کان نهبا بین أید تبادره فإنک لاتعطی أمرا حظ نفسه || و لا.تمنع الشق ألذی الغیث ناصره قال عمر بن الخطاب لعلی بن أبی طالب قدمللت الناس وأحببت أن ألحق بصاحبی فقال إن سرک اللحوق بهما فقصر أملک و کل دون الشبع واخصف النعل وکن کمیش الإزار مرقوع القمیص تلحق بهما -روایت-۱-۱۹۴ . [صفحه ۱۶۲] و قال بعض شعراء العجم غلا السعر فی بغداد من بعدرخصة || وإنی فی الحالین بالله واثق فلست أخاف الضیق و الله واسع || غناه و لاالحرمان و الله رازق قیل لعلی ع لوسد علی رجل باب بیت وترک فیه من أین کان یأتیه رزقه قال من حیث کان یأتیه أجله -روایت-۱-۱۰۵ . قال بعض الشعراء صبرت النفس لاأجز || ع من حادثة الدهر رأیت الرزق لایکسب || بالعرف و لاالنکر و لابالسلف الأمثل || أهل الفضل والذکر و لابالسمر اللدن || و لابالخذم البتر و لابالعقل والدین || و لاالجاه و لاالقدر و لایدرک بالطیش || و لاالجهل و لاالهذر ولکن قسم تجری || بما ندری و لاندری .جاء فتح بن شخرف إلی منزله بعدالعشاء فلم یجد عندهم مایتعشی به و لاوجد دهنا للسراج وهم فی الظلمة فجلس لیلة یبکی من الفرح و یقول بأی ید قدکانت منی بأی طاعة تنعم علی بأن أترک علی مثل هذه الحال .لقی هرم بن حیان أویسا القرنی فقال السلام علیک یاأویس بن عامر فقال وعلیک السلام یاهرم بن حیان فقال هرم أماإنی عرفتک بالصفة فکیف عرفتنی قال إن أرواح المؤمنین لتشام کماتشام الخیل فیعرف بعضها بعضا قال أوصنی [صفحه ۱۶۳] قال علیک بسیف البحر قال فمن أین المعاش قال أف لک خالطت الشک الموعظة أتفر إلی الله بدینک وتتهمه فی رزقک .منصور الفقیه الموت أسهل عندی || بین القنا والأسنه والخیل تجری سراعا || مقطعات الأعنه من أن یکون لنذل || علی فضل و منه .أعرابی أتیئس أن یقارنک النجاح || فأین الله والقدر المتاح قال رجل لرسول الله ص أوصنی قال إیاک والطمع فإنه فقر حاضر وعلیک بالیأس مما فی أیدی الناس -روایت-۱-۱۰۱ .حکیم أحسن الأحوال حال یغبطک بها من دونک و لایحقرک لها من فوقک . أبوالعلاء المعری فإن کنت تهوی العیش فابغ توسطا || فعند التناهی یقصر المتطاول توقی البدور النقص وهی أهلة || ویدرکها النقصان وهی کوامل .خالد بن صفوان کن أحسن ماتکون فی الظاهر حالا أقل ماتکون فی الباطن مالا فإن الکریم من کرمت عندالحاجة خلته واللئیم من لؤمت عندالفاقة طعمته . [صفحه ۱۶۴] شعر وکم ملک جانبته من کراهة || لإغلاق باب أولتشدید حاجب ولی فی غنی نفسی مراد ومذهب || إذاأبهمت دونی وجوه المذاهب .بعض الحکماء ینبغی للعاقل أن یکون فی دنیاه کالمدعو إلی الولیمة إن أتته صحفة تناولها و

إن جازته لم يرصدها و لم يطلبها [صفحه ۱۶۵]

۴۶– و من كلام له ع

اشاره

أللّهُمّ إِنِیّ أَعُوذُ بِکَ مِن وَعثَاءِ السّفَرِ وَ کَآبَةِ المُنقَلَبِ وَ سُوءِ المَنظَرِ فِی الأَهلِ وَ المَالِ وَ الوَلَدِ أللّهُمّ أَنتَ الصّاحِبُ فِی السّفَرِ وَ أَنتَ الخَلِیفَةُ فِی الأَهلِ وَ لَا یَجمَعُهُمَا غَیرُکَ لِأَنّ المُستَخلَفَ لَا یَکُونُ مُستَصحَباً وَ المُستَصحَبُ لَا یَکُونُ مُستَخلَفاً قال الرضی رحمه الله وابتداء هذاالكلام مروی عن رسول الله ص و قدقفاه أمير المؤمنين ع بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام من قوله و لايجمعهما غيرك إلى آخر الفصل –روايت–۱–۱۷۲ وعثاء السفر مشقته وأصل الوعث المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام ويشق على من يمشى فيه أوعث القوم أى وقعوا فى الوعث والكآبة الحزن والمنقلب مصدر من انقلب منقلبا أى رجع وسوء المنظر قبح المرأى . [صفحه ۱۶۶] وصدر الكلام مروى عن رسول الله ص فى المسانيد الصحيحة وختمه أمير المؤمنين ع وتممه بقوله و لايجمعهما غيرك و هوالصحيح لأن من يستصحب لا يكون مستخلفا فإنه مستحيل أن يكون الشيء الواحد فى المكانين مقيما وسائرا وإنما تصح هذه القضية فى الأجسام لأن الجسم الواحد لا يكون فى جهتين فى وقت واحد فأما ما ليس بجسم و هوالبارئ سبحانه فإنه فى كل مكان لا على معنى أن ذاته ليست مكانية وإنما المراد علمه وإحاطته ونفوذ حكمه وقضائه وقدره فقد صدق ع أنه المستخلف و أنه المستصحب و أن الأمرين مجتمعان له جل اسمه . و هذاالدعاء دعا به أمير المؤمنين ع بعدوضع رجله فى الركاب من منزله بالكوفة متوجها إلى الشام لحرب معاوية وأصحابه ذكره نصر بن مزاحم فى كتاب صفين وذكره غيره أيضا من رواة السيرة

أدعية على

عندخروجه من الكوفة لحرب معاوية قال نصر لماوضع على ع رجله فى ركاب دابته يوم خرج من الكوفة إلى صفين قال بسم الله فلما جلس على ظهرها قال سبحان ألذى سخر لنا هذا و ماكنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون أللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر –روايت–۱–۲–روايت–۱۱–۲۱۹ إلى آخر الفصل وزاد فيه نصر و من الحيرة بعداليقين قال ثم خرج أمامه الحر بن سهم بن طريف و هويرتجز و يقول يافرسی سيرى وأمى الشاما || وقطعى الحزون والأعلاما ونابذى من خالف الإماما || إنى لأرجو إن لقينا العاما [صفحه ۱۶۷] جمع بنى أمية الطغاما || أن نقتل العاصى والهماما و أن نزيل من رجال هاما قال و قال حبيب بن مالك و هو على شرطة على ع و هوآخذ بعنان دابته يا أمير المؤمنين أتخرج بالمسلمين فيصيبوا أجر الجهاد بالقتال وتخلفنى بالكوفة لحشر الرجال فقال ع إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئا إلاكنت شريكهم فيه و أنت هاهنا أعظم غناء عنهم منك لوكنت معهم فخرج على ع حتى إذاحاذى الكوفة صلى ركعتين –روايت–۱–۲–روايت–۸–۳۲۳ . قال و حدثناعمرو بن خالد عن أبى الحسين زيد بن على ع عن آبائه أن عليا ع خرج و هويريد صفين حتى إذاقطع النهر أمر مناديه فنادى بالصلاة فتقدم فصلى ركعتين حتى إذاقضى الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال أيها الناس ألا من كان مشيعا أومقيما فليتم الصلاة فإنا قوم سفر ألا و من صحبنا فلايصومن المفروض والصلاة المفروضة ركعتان –روايت–۱–۲–روايت–۹–۱۳۳ . قال نصر ثم خرج حتى نزل دير

أبی موسی و هو من الکوفة علی فرسخین فصلی به العصر فلما انصرف من الصلاة قال سبحان الله ذی الطول والنعم سبحان الله ذی القدرة والإفضال أسأل الله الرضا بقضائه والعمل بطاعته والإنابة إلی أمره إنه سمیع الدعاء -روایت-۱-۲-روایت-۸-۱۵۰ . قال نصر ثم خرج ع حتی نزل علی شاطئ نرس بین موضع حمام أبی بردة وحمام عمر فصلی بالناس المغرب فلما انصرف قال الحمد لله ألذی یولج -روایت-۱-۲-روایت-۸-ادامه دارد [صفحه ۱۶۸] اللیل فی النهار ویولج النهار فی اللیل والحمد لله کلما وقب لیل وغسق والحمد لله کلما لاح نجم وخفق -روایت-از قبل-۱۱۰ . ثم أقام حتی صلی الغداة ثم شخص حتی بلغ إلی قبة قبین و فیهانخل طوال إلی جانب البیعة من وراء النهر فلما رآها قال والنخل باسقات لها طلع نضید ثم أقحم دابته النهر فعبر إلی تلک البیعة فنزلها ومکث قدر الغداء. قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن محمد بن مخنف بن سلیم قال إنی لأنظر إلی أبی و هویسایر علیا ع و علی یقول له إن بابل أرض قدخسف بها -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۴۶ فحرک دابتک لعلنا نصلی العصر خارجا منها فحرک دابته وحرک الناس دوابهم فی أثره فلما جاز جسر الفرات نزل فصلی بالناس العصر قال حدثنی عمر بن عبد الله بن یعلی بن مرة الثقفی عن أبیه عن عبدخیر قال کنت مع علی أسیر فی أرض بابل قال وحضرت الصلاة صلاة العصر قال فجعلنا لانأتی مکانا إلارأیناه أفیح من الآخر قال حتی أتینا علی مکان أحسن مارأینا و قدکادت الشمس أن تغیب قال فنزل علی ع فنزلت معه قال فدعا الله فرجعت الشمس کمقدارها من صلاة العصر قال فصلیت العصر ثم غابت الشمس ثم خرج حتی أتی دیر کعب ثم خرج منه فبات بساباط فأتاه دهاقینها یعرضون علیه النزل والطعام فقال لا-لیس ذلک لنا علیکم فلما أصبح و هوبمظلم ساباط [صفحه ۱۶۹] قرأأَ تَبنُونَ بِکُلّ رِیعٍ آیَةً تَعبَثُونَ. قال نصر وبلغ عمرو بن العاص مسیره فقال -قرآن-۵-۴۵ لاتحسبنی یا علی غافلا- || لأوردن الکوفة القنابلا- بجمعی العام وجمعی قابلا- . قال فبلغ ذلک علیا ع فقال -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۰ لأوردن العاصی ابن العاصی || سبعین ألفا عاقدی النواصی مستحقبین حلق الدلاص || قدجنبوا الخیل مع القلاص أسود غیل حین لامناص

نزول علی بکربلاء

قال نصر و حدثنامنصور بن سلام التمیمی قال حدثناحیان التیمی عن أبی عبیدة عن هرثمة بن سلیم قال غزونا مع علی ع صفین فلما نزل بکربلاء صلی بنا فلما سلم رفع إلیه من تربتها فشمها ثم قال واها لک یاتربة لیحشرن منک قوم یدخلون الجنة بغیر حساب -روایت-۱-۲-روایت-۱۰۳-۲۵۷ . قال فلما رجع هرثمة من غزاته إلی امرأته جرداء بنت سمیر وکانت من شیعة علی ع حدثها هرثمة فیما حدث فقال لها ألا أعجبک من صدیقک أبی حسن [صفحه ۱۷۰] قال لمانزلنا کربلاء و قدأخذ حفنة من تربتها فشمها و قال واها لک أیتها التربة لیحشرن منک قوم یدخلون الجنة بغیر حساب -روایت-۱-۲-روایت-۸-۱۲۴ و ماعلمه بالغیب فقالت المرأة له دعنا منک أیها الرجل فإن أمیر المؤمنین ع لم یقل إلاحقا. قال فلما بعث عبید الله بن زیاد البعث ألذی بعثه إلی الحسین ع کنت فی الخیل التی بعث إلیهم فلما انتهیت إلی الحسین ع وأصحابه عرفت المنزل ألذی نزلنا فیه مع علی ع والبقعة التی رفع إلیه من تربتها والقول ألذی قاله فکرهت مسیری فأقبلت علی فرسی حتی وقفت علی الحسین ع فسلمت علیه وحدثته بالذی سمعت من أبیه فی هذاالمنزل فقال الحسین أمعنا أم علینا فقلت یا ابن رسول الله لامعک و لاعلیک ترکت ولدی وعیالی أخاف علیهم من ابن زیاد فقال الحسین ع فول هربا حتی لاتری مقتلنا فو ألذی نفس حسین بیده لایری الیوم مقتلنا أحد ثم لایعیننا إلادخل النار -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۲۴۵ . قال فأقبلت فی الأرض أشتد هربا حتی خفی علی مقتلهم . قال نصر و حدثنامصعب قال حدثناالأجلح بن عبد الله الکندی عن أبی جحیفة قال جاء عروة البارقی إلی سعد بن وهب فسأله فقال حدیث

حدثناه عن علی بن أبی طالب قال نعم بعثنی مخنف بن سلیم إلی علی عندتوجهه إلی صفین فأتیته بکربلاء فوجدته یشیر بیده و یقول هاهنا هاهنا فقال له -روایت-۱-۲-روایت-۱۲۸-ادامه دارد [صفحه ۱۷۱] رجل و ماذاک یا أمیر المؤمنین فقال ثقل لآل محمدینزل هاهنا فویل لهم منکم وویل لکم منهم فقال له الرجل مامعنی هذاالکلام یا أمیر المؤمنین قال ویل لهم منکم تقتلونهم وویل لکم منهم یدخلکم الله بقتلهم النار -روایت-از قبل-۲۲۸ قال نصر و قدروی هذاالکلام علی وجه آخر أنه ع قال فویل لکم منهم وویل لکم علیهم فقال الرجل أماویل لنا منهم فقد عرفناه فویل لنا علیهم مامعناه فقال ترونهم یقتلون لاتستطیعون نصرتهم -روایت-۱-۲-روایت-۵۷-۲۰۲ قال نصر و حدثناسعید بن حکیم العبسی عن الحسن بن کثیر عن أبیه أن علیا ع أتی کربلاء فوقف بهافقیل له یا أمیر المؤمنین هذه کربلاء فقال ذات کرب وبلاء ثم أومأ بیده إلی مکان فقال هاهنا موضع رحالهم ومناخ رکابهم ثم أومأ بیده إلی مکان آخر فقال هاهنا مراق دمائهم ثم مضی إلی ساباط -روایت-۱-۲-روایت-۶۹-۲۹۶

خروج علی لحرب معاویة و مادار بینه و بین أصحابه

وینبغی أن نذکر هاهنا ابتداء عزمه علی مفارقة الکوفة والمسیر إلی الشام و ماخاطب به أصحابه و ماخاطبوه به و ماکاتب به العمال وکاتبوه جوابا عن کتبه وجمیع ذلک منقول من کتاب نصر بن مزاحم . قال نصر حدثناعمر بن سعد عن إسماعیل بن أبی خالد عن عبدالرحمن بن عبید أبی الکنود قال لماأراد علی ع المسیر إلی الشام دعا من کان معه من المهاجرین والأنصار فجمعهم ثم حمد الله وأثنی علیه و قال أما بعدفإنکم میامین -روایت-۱-۲-روایت-۹۱-ادامه دارد [صفحه ۱۷۲] الرأی مراجیح الحلم مبارکو الأمر ومقاویل بالحق و قدعزمنا علی المسیر إلی عدونا وعدوکم فأشیروا علینا برأیکم -روایت-از قبل-۱۱۵ .فقام هاشم بن عتبة بن أبی وقاص فحمد الله وأثنی علیه و قال أما بعد یا أمیر المؤمنین فأنا بالقوم جد خبیر هم لک ولأشیاعک أعداء وهم لمن یطلب حرث الدنیا أولیاء وهم مقاتلوک ومجادلوک لایبقون جهدا مشاحة علی الدنیا وضنا بما فی أیدیهم منها لیس لهم إربة غیرها إلا مایخدعون به الجهال من طلب دم ابن عفان کذبوا لیس لدمه ینفرون ولکن الدنیا یطلبون انهض بنا إلیهم فإن أجابوا إلی الحق فلیس بعدالحق إلاالضلال و إن أبوا إلاالشقاق فذاک ظنی بهم و الله ماأراهم یبایعون و قدبقی فیهم أحد ممن یطاع إذانهی ویسمع إذاأمر. قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الحارث بن حصیرة عن عبدالرحمن بن عبید أبی الکنود أن عمار بن یاسر قام فحمد الله وأثنی علیه و قال یا أمیر المؤمنین إن استطعت ألا تقیم یوما واحدا فافعل اشخص بنا قبل استعار نار الفجرة واجتماع رأیهم علی الصدود والفرقة وادعهم إلی حظهم ورشدهم فإن قبلوا سعدوا و إن أبوا إلاحربنا فو الله إن سفک دمائهم والجد فی جهادهم لقربة عند الله وکرامة منه ثم قام قیس بن سعد بن عبادة فحمد الله وأثنی علیه ثم قال یا أمیر المؤمنین انکمش بنا إلی عدونا و لاتعرج فو الله لجهادهم أحب إلی من جهاد الترک [صفحه ۱۷۳] والروم لإدهانهم فی دین الله واستذلالهم أولیاء الله من أصحاب محمدص من المهاجرین والأنصار والتابعین بإحسان إذاغضبوا علی رجل حبسوه وضربوه وحرموه وسیروه وفیئنا لهم فی أنفسهم حلال ونحن لهم فیما یزعمون قطین قال یعنی رقیق فقال أشیاخ الأنصار منهم خزیمة بن ثابت و أبوأیوب وغیرهما لم تقدمت أشیاخ قومک وبدأتهم بالکلام یاقیس فقال أماإنی عارف بفضلکم معظم لشأنکم ولکنی وجدت فی نفسی الضغن ألذی فی صدورکم جاش حین ذکرت الأحزاب . فقال بعضهم لبعض لیقم رجل منکم فلیجب أمیر المؤمنین عن جماعتکم فقام سهل بن حنیف فحمد الله وأثنی علیه ثم قال یا أمیر المؤمنین نحن سلم لمن سالمت وحرب لمن حاربت ورأینا رأیک ونحن یمینک و قدرأینا أن تقوم بهذا الأمر فی أهل الکوفة فتأمرهم بالشخوص وتخبرهم بما صنع لهم فی ذلک من الفضل فإنهم أهل البلد وهم الناس فإن استقاموا لک استقام لک ألذی ترید وتطلب فأما نحن فلیس علیک خلاف منا متی

دعوتنا أجبناك ومتى أمرتنا أطعناك . قال نصر فحدثنا عمر بن سعد عن أبى مخنف عن زكريا بن الحارث عن أبى خشيش عن معبد قال قام على ع خطيبا على منبره فكنت تحت المنبر أسمع تحريضه الناس وأمره لهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام فسمعته يقول -روايت-۱-۲-روايت-۹۰-ادامه دارد [صفحه ۱۷۴] سيروا إلى أعداء الله سيروا إلى أعداء القرآن والسنن سيروا إلى بقية الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار -روايت-از قبل-۱۰۵ فقام رجل من بنى فزارة فقال له أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كماسرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلتهم كلا ها الله إذا لانفعل ذلك .فقام الأشتر فقال من هذاالمارق .فهرب الفزارى واشتد الناس على أثره فلحق فى مكان من السوق تباع فيه البراذين فوطئوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتى قتل فأتى على ع فقيل له يا أمير المؤمنين قتل الرجل قال و من قتله قالوا قتلته همدان ومعهم شوب من الناس فقال قتيل عمية لايدرى من قتله ديته من بيت مال المسلمين -روايت-۱-۱۷۴ فقال بعض بنى تيم اللات بن ثعلبة أعوذ بربى أن تكون منيتى || كمامات فى سوق البراذين أربد تعاوره همدان خفق نعالهم || إذارفعت عنه يد وضعت يد .فقام الأشتر فقال يا أمير المؤمنين لايهدنك مارأيت و لايؤيسنك من نصرنا ماسمعت من مقالة هذاالشقى الخائن إن جميع من ترى من الناس شيعتك لايرغبون بأنفسهم عن نفسك و لايحبون البقاء بعدك فإن شئت فسر بنا إلى عدوك فو الله ماينجو من الموت من خافه و لايعطى البقاء من أحبه وإنا لعلى بينة من ربنا و إن أنفسنا لن تموت حتى يأتى أجلها وكيف لانقاتل قوما هم كماوصف أمير المؤمنين و قدوثبت عصابة منهم على طائفة من المسلمين بالأمس وباعوا خلاقهم بعرض من الدنيا يسير. [صفحه ۱۷۵] فقال على ع الطريق مشترك و الناس فى الحق سواء و من اجتهد رأيه فى نصيحة العامة فقد قضى ما عليه ثم نزل فدخل منزله -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۲۷ . قال نصر و حدثناعمر بن سعد قال حدثنى أبوزهير العبسى عن النضر بن صالح أن عبد الله بن المعتم العبسى وحنظلة بن الربيع التميمى لماأمر على ع الناس بالمسير إلى الشام دخلا عليه فى رجال كثير من غطفان وبنى تميم فقال له حنظلة يا أمير المؤمنين إنا قدمشينا إليك فى نصيحة فاقبلها ورأينا لك رأيا فلاتردنه علينا فإنا نظرنا لك ولمن معك أقم وكاتب هذا الرجل و لاتعجل إلى قتال أهل الشام فإنا و الله ماندرى و لاتدرى لمن تكون الغلبة إذاالتقيتم و لا على من تكون الدبرة. و قال ابن المعتم مثل قوله وتكلم القوم الذين دخلوا معهما بمثل كلامهما فحمد على ع الله وأثنى ثم قال أما بعد فإن الله وارث العباد والبلاد ورب السموات السبع والأرضين السبع و إليه ترجعون يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء أماالدبرة فإنها على الضالين العاصين ظفروا أوظفر بهم وايم الله إنى لأسمع كلام قوم ماأراهم يعرفون معروفا و لاينكرون منكرا -روايت-۱-۳۳۱ .فقام إليه معقل بن قيس الرياحى فقال يا أمير المؤمنين إن هؤلاء و الله ماآثروك بنصح و لادخلوا عليك إلابغش فاحذرهم فإنهم أدنى العدو. و قال له مالك بن حبيب إنه بلغنى يا أمير المؤمنين أن حنظلة هذايكاتب معاوية فادفعه إلينا نحبسه حتى تنقضى غزاتك وتنصرف . [صفحه ۱۷۶] وقام من بنى عبس قائد بن بكير وعياش بن ربيعة العبسيان فقالا يا أمير المؤمنين إن صاحبنا عبد الله بن المعتم قدبلغنا أنه يكاتب معاوية فاحبسه أومكنا من حبسه حتى تنقضى غزاتك ثم تنصرف .فقالا هذاجزاء لمن نظر لكم وأشار عليكم بالرأى فيما بينكم و بين عدوكم . فقال لهما على ع الله بينى وبينكم و إليه أكلكم و به أستظهر عليكم اذهبوا حيث شئتم -روايت-۱-۹۰ قال نصر وبعث على ع إلى حنظلة بن الربيع المعروف بحنظلة الكاتب و هو من الصحابة فقال له ياحنظلة أنت على أم لى فقال لا لك و لاعليك قال فما تريد قال اشخص إلى الرها فإنه فرج من الفروج اصمد له حتى ينقضى هذاالأمر -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۲۲۹ .فغضب من قوله خيار بنى عمرو بن تميم وهم رهطه فقال إنكم و الله لاتغرونى من دينى دعونى فأنا أعلم منكم فقالوا و الله إن لم تخرج مع هذا الرجل لاندع فلانة تخرج معك لأم ولده و لاولدها ولئن أردت ذلك لنقتلنك .فأعانه ناس من قومه واخترطوا سيوفهم فقال أجلونى حتى أنظر ودخل منزله وأغلق بابه حتى إذاأمسى هرب إلى معاوية وخرج من بعده إليه من قومه رجال كثير وهرب ابن المعتم أيضا

حتى أتى معاوية فى أحد عشر رجلا من قومه . و أماحنظلة فخرج إلى معاوية فى ثلاثة وعشرين رجلا من قومه لكنهما لم يقاتلا مع معاوية واعتزلا الفريقين جميعا. [صفحه ١٧٧] و قال وأمر على ع بهدم دار حنظلة فهدمت هدمها عريفهم شبث بن ربعى وبكر بن تميم فقال حنظلة بهجوهما أيا راكبا إما عرضت فبلغن || مغلغلة عنى سراة بنى عمرو فأوصيكم بالله والبر والتقى || و لاتنظروا فى النائبات إلى بكر و لاشبث ذى المنخرين كأنه || أزب جمال قدرغا ليلة النفر . و قال أيضا يحرض معاوية بن أبى سفيان أبلغ معاوية بن حرب خطة || ولكل سائلة تسيل قرار لاتقبلن دنية ترضونها || فى الأمر حتى تقتل الأنصار و كماتبوء دماؤهم بدمائكم || و كماتهدم بالديار ديار وترى نساؤهم يجلن حواسرا || ولهن من ثكل الرجال جؤار . قال نصر حدثناعمر بن سعد عن سعد بن طريف عن أبى المجاهد عن المحل بن خليفة قال قام عدى بن حاتم الطائى بين يدى على ع فحمد الله وأثنى عليه و قال يا أمير المؤمنين ما قلت إلابعلم و لادعوت إلا إلى حق و لاأمرت إلابرشد ولكن إذارأيت أن تستأنى هؤلاء القوم وتستديمهم حتى تأتيهم كتبك ويقدم عليهم رسلك فعلت فإن يقبلوا يصيبوا رشدهم والعافية أوسع لنا ولهم [صفحه ١٧٨] و إن يتمادوا فى الشقاق و لاينزعوا عن الغى فسر إليهم و قدقدمنا إليهم بالعذر ودعوناهم إلى ما فى أيدينا من الحق فو الله لهم من الحق أبعد و على الله أهون من قوم قاتلناهم أمس بناحية البصرة لمادعوناهم إلى الحق فتركوه ناوجناهم براكاء القتال حتى بلغنا منهم مانحب وبلغ الله منهم رضاه .فقام زيد بن حصين الطائى و كان من أصحاب البرانس المجتهدين فقال الحمد لله حتى يرضى و لاإله إلا الله ربنا أما بعدفو الله إن كنا فى شك من قتال من خالفنا و لاتصلح لنا النية فى قتالهم حتى نستديمهم ونستأنيهم ماالأعمال إلا فى تباب و لاالسعى إلا فى ضلال و الله تعالى يقول وَ أَمّا بِنِعمَةِ رَبّكَ فَحَدّثإننا و الله ماارتبنا طرفة عين فيمن يتبعونه فكيف بأتباعه القاسية قلوبهم القليل من الإسلام حظهم أعوان الظلمة وأصحاب الجور والعدوان ليسوا من المهاجرين و لاالأنصار و لاالتابعين بإحسان .فقام رجل من طيئ فقال يازيد بن حصين أكلام سيدنا عدى بن حاتم تهجن فقال زيد ماأنتم بأعرف بحق عدى منى ولكنى لاأدع القول بالحق و إن سخط الناس . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الحارث بن حصين قال دخل أبوزينب -قرآن-٥٨٧-٦١٩[صفحه ١٧٩] بن عوف على على ع فقال يا أمير المؤمنين لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا وأعظمنا فى الخير نصيبا ولئن كنا على ضلال إنك لأثقلنا ظهرا وأعظمنا وزرا قدأمرتنا بالمسير إلى هذاالعدو و قدقطعنا ماببيننا وبينهم من الولاية وأظهرنا لهم العداوة نريد بذلك مايعلمه الله تعالى من طاعتك أ ليس ألذى نحن عليه هوالحق المبين و ألذى عليه عدونا هوالحوب الكبير. فقال ع بلى شهدت أنك إن مضيت معنا ناصرا لدعوتنا صحيح النية فى نصرنا قدقطعت منهم الولاية وأظهرت لهم العداوة كمازعمت فإنك ولى الله تسبح فى رضوانه وتركض فى طاعته فأبشر أبازينب -روايت-١-٢-روايت-١٢-١٩٤ . و قال له عمار بن ياسر اثبت أبازينب و لاتشك فى الأحزاب أعداء الله ورسوله . فقال أبوزينب ماأحب أن لى شاهدين من هذه الأمة شهدا لى عما سألت من هذاالأمر ألذى أهمنى مكانكما. قال وخرج عمار بن ياسر و هو يقول سيروا إلى الأحزاب أعداء النبى || سيروا فخير الناس أتباع على هذاأوان طاب سل المشرفى || وقودنا الخيل وهز السمهرى . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن أبى روق قال دخل يزيد بن قيس الأرحبى على على ع فقال يا أمير المؤمنين نحن أولو جهاز وعدة وأكثر [صفحه ١٨٠] الناس أهل قوة و من ليس به ضعف و لاعلة فمر مناديك فليناد الناس يخرجوا إلى معسكرهم بالنخيلة فإن أخا الحرب ليس بالسئوم و لاالنئوم و لا من إذاأمكنته الفرص أجلها واستشار فيها و لا من يؤخر عمل الحرب فى اليوم لغد و بعدغد. فقال زياد بن النضر لقد نصح لك يزيد بن قيس يا أمير المؤمنين و قال مايعرف فتوكل على الله وثق به واشخص بنا إلى هذاالعدو راشدا معانا فإن يرد الله بهم خيرا لايتركوك رغبة عنك إلى من ليس له مثل سابقتك وقدمك و إلاينيبوا ويقبلوا ويأبوا إلاحربنا نجد حربهم علينا هينا ونرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم بالأمس . ثم قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى فقال يا أمير المؤمنين إن القوم لوكانوا الله يريدون ولله يعملون ماخالفونا ولكن القوم إنما يقاتلوننا

فرارا من الأسوة وحبا للأثرة وضنا بسلطانهم وكرها لفراق دنياهم التى فى أيديهم و على إحن فى نفوسهم وعداوة يجدونها فى صدورهم لوقائع أوقعتها يا أمير المؤمنين بهم قديمة قتلت فيهاآباءهم وأعوانهم . ثم التفت إلى الناس فقال كيف يبايع معاوية عليا و قدقتل أخاه حنظلة وخاله الوليد وجده عتبة فى موقف واحد و الله ماأظنهم يفعلون ولن يستقيموا لكم دون أن تقصف فيهم قنا المران وتقطع على هامهم السيوف وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون أمور جمة بين الفريقين . [صفحه ۱۸۱] قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الحارث بن حصين عن عبد الله بن شريک قال خرج حجر بن عدى وعمرو بن الحمق يظهران البراءة من أهل الشام فأرسل على ع إليهما أن كفا عما يبلغنى عنكما فأتياه فقالا يا أمير المؤمنين ألسنا محقين قال بلى قالا أ وليسوا مبطلين قال بلى قالا فلم منعتنا من شتمهم قال كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتتبرءون ولكن لووصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا و من أعمالهم كذا وكذا كان أصوب فى القول وأبلغ فى العذر وقلتم مكان لعنكم إياهم وبراءتكم منهم أللهم احقن دماءهم ودماءنا وأصلح ذات بينهم وبيننا واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوى عن الغى والعدوان منهم من لهج به لكان أحب إلى وخيرا لكم فقالا يا أمير المؤمنين نقبل عظتک ونتأدب بأدبک -روايت-۱-۲-روايت-۷۷-۷۴۴ . قال نصر و قال له عمرو بن الحمق يومئذ و الله يا أمير المؤمنين إنى ماأحببتک و لابايعتک على قرابة بينى وبينک و لاإرادة مال تؤتينيه و لاالتماس سلطان ترفع ذكرى به ولكننى أحببتک بخصال خمس إنک ابن عم رسول الله ص ووصيه و أبوالذرية التى بقيت فينا من رسول الله ص وأسبق الناس إلى الإسلام وأعظم المهاجرين سهما فى الجهاد فلو أنى كلفت نقل الجبال الرواسى ونزح البحور الطوامى حتى يأتى على يومى فى أمر أقوى به وليک وأهين عدوک مارأيت أنى قدأديت فيه كل ألذى يحق على من حقک . فقال على ع أللهم نور قلبه بالتقى واهده إلى صراطک المستقيم -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-ادامه دارد [صفحه ۱۸۲] ليت أن فى جندى مائة مثلک -روايت-از قبل-۳۲ فقال حجر إذا و الله يا أمير المؤمنين صح جندک وقل فيهم من يغشک . قال نصر وقام حجر بن عدى فقال يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها وننتجها قدضارستنا وضارسناها ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ورأى مجرب وبأس محمود وأزمتنا منقادة لک بالسمع والطاعة فإن شرقت شرقنا و إن غربت غربنا و ماأمرتنا به من أمر فعلنا فقال على ع أ كل قومک يرى مثل رأيک قال مارأيت منهم إلاحسنا و هذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة فقال له على ع خيرا -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۴۱ .
قال نصر حدثناعمر بن سعد قال كتب ع إلى عماله حينئذ يستفزهم فكتب إلى مخنف بن سليم سلام عليک فإنى أحمدإليک الله ألذى لاإله إلا هو أما بعد فإن جهاد من صدف عن الحق رغبة عنه وعب فى نعاس العمى والضلال اختيارا له فريضة على العارفين إن الله يرضى عمن أرضاه ويسخط على من عصاه وإنا قدهممنا بالسير إلى هؤلاء القوم الذين عملوا فى عباد الله بغير ماأنزل الله واستأثروا بالفىء وعطلوا الحدود وأماتوا الحق وأظهروا فى الأرض الفساد واتخذوا الفاسقين وليجة من دون المؤمنين فإذاولى لله أعظم أحداثهم أبغضوه وأقصوه وحرموه و إذاظالم ساعدهم على ظلمهم أحبوه وأدنوه وبروه فقد أصروا على الظلم وأجمعوا على الخلاف وقديما ماصدوا عن الحق وتعاونوا على الإثم وكانوا ظالمين فإذاأتيت بكتابى هذافاستخلف على عملک أوثق أصحابک فى نفسک وأقبل إلينا لعلک تلقى معنا هذاالعدو -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-ادامه دارد [صفحه ۱۸۳] المحل فتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجامع الحق وتباين الباطل فإنه لاغناء بنا و لابک عن أجر الجهاد وحسبنا الله ونعم الوكيل -روايت-از قبل-۱۳۹ . وكتبه عبيد الله بن أبى رافع فى سنة سبع وثلاثين . قال فاستعمل مخنف على أصبهان الحارث بن أبى الحارث بن الربيع واستعمل على همذان سعيد بن وهب وكلاهما من قومه وأقبل حتى شهد مع على ع صفين . قال نصر وكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى على ع يذكر له اختلاف أهل البصرة فكتب إليه على ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس أما بعدفقد قدم على رسولک وقرأت كتابک تذكر فيه حال أهل البصرة واختلافهم بعدانصرافى عنهم

وسأخبرك عن القوم وهم بين مقيم لرغبة يرجوها أوخائف من عقوبة يخشاها فأرغب راغبهم بالعدل عليه والإنصاف له والإحسان إليه واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وانته إلى أمرى و لاتعده وأحسن إلى هذاالحى من ربيعة و كل من قبلك فأحسن إليه مااستطعت إن شاء الله -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٤۴۴ . قال نصر وكتب إلى أمراء أعماله كلهم بنحو ماكتب به إلى مخنف بن سليم وأقام ينتظرهم . قال فحدثنا عمر بن سعد عن أبى روق قال قال زياد بن النضر الحارثى لعبد الله بن بديل إن يومنا اليوم عصبصب مايصبر عليه إلا كل مشيع القلب الصادق [صفحه ۱۸۴] النية رابط الجأش وايم الله ماأظن ذلك اليوم يبقى منهم و لامنا إلاالرذال . فقال عبد الله بن بديل أنا و الله أظن ذلك فبلغ كلامهما عليا ع فقال لهما ليكن هذاالكلام مخزونا فى صدوركما لاتظهراه و لايسمعه منكما سامع إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين و كل آتيه منيته كماكتب الله له فطوبى للمجاهدين فى سبيله والمقتولين فى طاعته -روايت-١-٢-روايت-١٣-٢١۵ . قال نصر فلما سمع هاشم بن عتبة ماقالاه أتى عليا ع فقال سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وعملوا فى عباد الله بغير رضا الله فأحلوا حرامه وحرموا حلاله واستوى بهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومناهم الأمانى حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى وحبب إليهم الدنيا فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيهاكرغبتنا فى الآخرة وانتجاز موعد ربنا و أنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله ص رحما وأفضل الناس سابقة وقدما وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل ألذى نعلم ولكن كتب عليهم الشقاء ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة وقلوبنا منشرحة لك ببذل النصيحة وأنفسنا تنصرك على من خالفك وتولى الأمر دونك جذلة و الله ماأحب أن لى ما على الأرض مما أقلت و لا ماتحت السماء مما أظلت وأنى واليت عدوا لك أوعاديت وليا لك فقال ع أللهم ارزقه الشهادة فى سبيلك والمرافقة لنبيك -روايت-١-٢-روايت-١٢-۶١ قال نصر ثم إن عليا ع صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد فبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم قال -روايت-١-٢-روايت-١١-ادامه دارد [صفحه ۱۸۵] إن الله قدأكرمكم بدينه وخلقكم لعبادته فانصبوا أنفسكم فى أداء حقه وتنجزوا موعوده واعلموا أن الله جعل أمراس الإسلام متينة وعراه وثيقة ثم جعل الطاعة حظ الأنفس ورضا الرب وغنيمة الأكياس عندتفريط العجزة و قدحملت أمر أسودها وأحمرها و لاقوة إلابالله ونحن سائرون إن شاء الله إلى من سفه نفسه وتناول ما ليس له و ما لايدركه معاوية وجنده الفئة الطاغية الباغية يقودهم إبليس ويبرق لهم ببارق تسويفه ويدليهم بغروره وأنتم أعلم الناس بالحلال والحرام فاستغنوا بما علمتم واحذروا ماحذركم الله من الشيطان وارغبوا فيما عنده من الأجر والكرامة واعلموا أن المسلوب من سلب دينه وأمانته والمغرور من آثر الضلالة على الهدى فلاأعرفن أحدا منكم تقاعس عنى و قال فى غيرى كفاية فإن الذود إلى الذود إبل و من لايذد عن حوضه يتهدم ثم إنى آمركم بالشدة فى الأمر والجهاد فى سبيل الله وألا تغتابوا مسلما وانتظروا للنصر العاجل من الله إن شاء الله -روايت-از قبل-٨٧۴ قال نصر ثم قام ابنه الحسن بن على ع فقال الحمد لله لاإله غيره و لاشريك له ثم قال إن مما عظم الله عليكم من حقه وأسبغ عليكم من نعمه ما لايحصى ذكره و لايؤدى شكره و لايبلغه قول و لاصفة ونحن إنما غضبنا لله ولكم إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلااشتد أمرهم واستحكمت عقدتهم فاحتشدوا فى قتال عدوكم معاوية وجنوده و لاتخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب و إن الإقدام على الأسنة نخوة وعصمة لم يتمنع قوم قط إلارفع الله عنهم العلة وكفاهم جوائح الذلة وهداهم إلى معالم الملة ثم أنشد -روايت-١-٢-روايت-١١-ادامه دارد [صفحه ۱۸۶] والصلح تأخذ منه مارضيت به || والحرب يكفيك من أنفاسها جرع -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد ثم قام الحسين بن على ع فحمد الله وأثنى عليه و قال يا أهل الكوفة أنتم الأحبة الكرماء والشعار دون الدثار جدوا فى إطفاء مادثر بينكم وتسهيل ماتوعر عليكم ألا إن الحرب شرها ذريع وطعمها فظيع فمن أخذ لها أهبتها واستعد لها عدتها و لم يألم كلومها قبل حلولها فذاك صاحبها و من عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيهافذاك قمن ألا ينفع قومه و أن يهلك نفسه نسأل الله بقوته أن يدعمكم بالفيئة ثم

نزل -روایت-از قبل-۴۲۲ قال نصر فأجاب عليا ع إلى السير جل الناس إلا أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه فيهم عبيدة السلماني وأصحابه فقالوا له إنا نخرج معكم و لانترك عسكركم ونعسكر على حدة حتى ننظر فى أمركم وأمر أهل الشام فمن رأيناه أراد ما لايحل له أوبدا لنا منه بغى كنا عليه فقال لهم على ع مرحبا وأهلا هذا هوالفقه فى الدين والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو خائن جبار -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۳۷۱ . وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود منهم الربيع بن خثيم وهم يومئذ أربعمائة رجل فقالوا يا أمير المؤمنين إنا قدشككنا فى هذاالقتال على معرفتنا بفضلك و لاغناء بنا و لابك و لابالمسلمين عمن يقاتل العدو فولنا بعض هذه الثغور نكمن ثم نقاتل عن أهله فوجه على ع بالربيع بن خثيم على ثغر الرى فكان أول لواء عقده ع بالكوفة لواء الربيع بن خثيم . [صفحه ۱۸۷] قال نصر وحدثنى عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر أن عليا ع لم يبرح النخيلة حتى قدم عليه ابن عباس بأهل البصرة قال و كان كتاب على ع إلى ابن عباس أما بعدفاشخص إلى بمن قبلك من المسلمين و المؤمنين وذكرهم بلائى عندهم وعفوى عنهم فى الحرب وأعلمهم ألذى لهم فى ذلك من الفضل و السلام -روایت-۱-۱۵۰ قال فلما وصل كتابه إلى ابن عباس بالبصرة قام فى الناس فقرأ عليهم الكتاب وحمد الله وأثنى عليه و قال أيها الناس استعدوا للشخوص إلى إمامكم وانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فإنكم تقاتلون المحلين القاسطين الذين لايقرءون القرآن و لايعرفون حكم الكتاب و لايدينون دين الحق مع أمير المؤمنين و ابن عم رسول الله الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر والصادع بالحق والقيم بالهدى والحاكم بحكم الكتاب ألذى لايرتشى فى الحكم و لايداهن الفجار و لاتأخذه فى الله لومة لائم -روایت-۱-۲-روایت-۸-۵۱۳ .فقام إليه الأحنف بن قيس فقال نعم و الله لنجيبنك ولنخرجن معك على العسر واليسر والرضا والكره نحتسب فى ذلك الأجر ونأمل به من الله العظيم حسن الثواب . وقام خالد بن المعمر السدوسى فقال سمعنا وأطعنا فمتى استنفرتنا نفرنا ومتى دعوتنا أجبنا. وقام عمرو بن مرجوم العبدى فقال وفق الله أمير المؤمنين وجمع له أمر المسلمين [صفحه ۱۸۸] ولعن المحلين القاسطين لايقرءون القرآن نحن و الله عليهم حنقون ولهم فى الله مفارقون فمتى أردتنا صحبك خيلنا ورجالنا إن شاء الله . قال وأجاب الناس إلى المسير ونشطوا وخفوا فاستعمل ابن عباس على البصرة أباالأسود الدؤلى وخرج حتى قدم على على ع بالنخيلة

كتاب محمد بن أبى بكر إلى معاوية وجوابه عليه

قال نصر وكتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية من محمد بن أبى بكر إلى الغاوى معاوية بن صخر سلام على أهل طاعة الله ممن هوسلم لأهل ولاية الله أما بعد فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقا بلا عبث و لاضعف فى قوته لاحاجة به إلى خلقهم ولكنه خلقهم عبيدا وجعل منهم شقيا وسعيدا وغويا ورشيدا ثم اختارهم على علمه فاصطفى وانتخب منهم محمداص فاختصه برسالته واختاره لوحيه وائتمنه على أمره وبعثه رسولا مصدقا لما بين يديه من الكتب ودليلا على الشرائع فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة والموعظة الحسنة فكان أول من أجاب وأناب وصدق ووافق فأسلم وسلم أخوه و ابن عمه على بن أبى طالب ع فصدقه بالغيب المكتوم وآثره على كل حميم ووقاه كل هول وواساه بنفسه فى كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الأزل ومقامات الروع حتى برز سابقا [صفحه ۱۸۹] لانظير له فى جهاده و لامقارب له فى فعله و قدرأيتك تساميه و أنت أنت و هو هوالسابق المبرز فى كل خير أول الناس إسلاما وأصدق الناس نية وأطيب الناس ذرية وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عم و أنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل وتجتهدان على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فى ذلك القبائل على هذامات أبوك و على ذلك خلفته والشاهد

عليك بـذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقيـة الأحزاب ورءوس النفاق والشـقاق لرسول الله ص والشاهد لعلى مع فضـله وسابقته القديمـة أنصـاره الـذين ذكرهم الله تعـالى فى القرآن ففضـلهم وأثنى عليهم من المهـاجرين والأنصـار فهم معه كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسـيافهم ويهريقون دماءهم دونه يرون الفضل فى اتباعه والشقاق والعصيان فى خلافه فكيف يا لك الويل تعدل نفسك بعلى و هووارث رسول الله ص ووصـيه و أبوولده وأول الناس له اتباعا وآخرهم به عهدا يخبره بسـره ويشـركه فى أمره و أنت عـدوه و ابن عـدوه فتمتع مااسـتطعت بباطلـك وليمـددك لـك ابن العاص فى غوايتك فكان أجلك قدانقضـى وكيـدك قـدوهى وسوف تسـتبين لمن تكون العاقبـة العليا واعلم أنك إنما تكايـد ربك ألذى قدأمنت كيده وأيست من روحه و هو لك بالمرصـاد و أنت منه فى غرور وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغناء و السـلام على من اتبع الهـدى .فكتب إليه معاويـة من معاوية بن أبى سفيان إلى الزارى على أبيه محمد بن أبى بكر سلام على أهل طاعة الله أما بعدفقد أتانى كتابك تذكر فيه ما الله أهله فى قدرته وسـلطانه و ماأصـفى به نبيه مع كلام ألفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ولأبيك فيه تعنيف ذكرت حق [صفحه ۱۹۰] ابن أبى طـالب وقـديم سـابقته وقرابته من نبى الله ونصـرته له ومواسـاته إياه فى كل خوف وهول واحتجاجك على وفخرك بفضـل غيرك لابفضـلك فاحمـد إلهـا صـرف ذلـك الفضـل عنك وجعله لغيرك فقـد كنا وأبوك معنا فى حياة نبينا نرى حق ابن أبى طالب لازما لنا وفضـله مبرزا علينا فلما اختار الله لنبيه ماعنده وأتم له ماوعده وأظهر دعوته وأفلج حجته قبضه الله إليه فكان أبوك وفـاروقه أول من ابتزه وخـالفه على ذلك اتفقا واتسـقا ثم دعواه إلى أنفسـهما فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الهموم وأرادا به العظيم فبايعهمـا وسـلم لهمـا لايشـركانه فى أمرهمـا و لايطلعانه على سـرهما حتى قبضا وانقضـى أمرهما ثم أقاما بعـدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدى بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه الأقاصى من أهل المعاصى وبطنتما وظهرتما وكشـفتما له عـداوتكما وغلكمـا حتى بلغتما منه مناكما فخـذ حـذرك يا ابن أبى بكر فسترى وبال أمرك وقس شبرك بفترك تقصـر عن أن تساوى أوتوازى من يزن الجبال حلمه و لاتلين على قسـر قناته و لايدرك ذو مدى أناته أبوك مهد له مهاده وبنى ملكه وشاده فإن يكن مانحن فيه صوابا فأبوك أوله و إن يكن جورا فأبوك أسه ونحن شـركاؤه فبهداه أخذنا وبفعله اقتدينا رأينا أباك فعل مافعل فاحتذينا مثاله واقتدينا بفعاله فعب أباك بما بدا لك أودع و السلام على من أناب ورجع من غوايته وناب . قال وأمر على ع الحارث الأعور أن ينادى فى الناس اخرجوا إلى معسـكركم [صفحه ۱۹۱] بالنخيلة فنادى الحارث فى الناس بذلك وبعث إلى مالك بن حبيب اليربوعى صاحب شرطته يأمره أن يحشر الناس إلى المعسكر ودعا عقبة بن عمرو الأنصارى فاستخلفه على الكوفة و كان أصـغر أصـحاب العقبة السبعين ثم خرج ع وخرج الناس معه . قال نصر ودعا على ع زياد بن النضر وشريح بن هـانئ وكانا على مذحـج والأشـعريين فقال يازياد اتق الله فى كل ممسـى ومصـبح وخف على نفسك الـدنيا الغرور لاتأمنها على حـال واعلم أنـك إن لم تزعهـا عن كثير مما تحب مخافـة مكروهـة سـمت بك الأهواء إلى كثير من الضـرر فكن لنفسك مانعا وازعا من البغى والظلم والعـدوان فإنى قـدوليتك هذاالجند فلاتسـتطيلن عليهم إن خيركم عند الله أتقاكم تعلم من عالمهم وعلم جاهلهم واحلم عن سـفيههم فإنك إنما تـدرك الخير بالحلم وكف الأذى والجهل -روايت-١-٢-روايت-١١-٤٨٥ . فقال زياد أوصـيت يا أمير المؤمنين حافظا لوصـيتك مؤديا لأربك يرى الرشد فى نفاذ أمرك والغى فى تضييع عهدك .فأمرهما أن يأخذا فى طريق واحـد و لايختلفا وبعثهما فى اثنى عشـر ألفا على مقدمته و كل واحد منهما على جماعة من ذلك الجيش فأخذ شـريح يعـتزل بمن معه من أصـحابه على حـدة و لايـقرب زيـادا فكتب زيـاد إلى على ع مع مولى له يقـال له شوذب لعبـد الله على أمير المؤمنين من زياد بن النضـر سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعدفإنك وليتنى أمر [صفحه ۱۹۲] الناس و إن شـريحا لايرى بى عليه طاعة و لاحقا و ذلك من فعله بى استخفاف بأمرك وترك لعهدك و السلام . وكتب شريح بن هانئ إلى على ع لعبد الله على أمير المؤمنين من شـريح بن هانئ سلام عليك فإنى أحمد الله إليك ألذى لاإله إلا هو أما بعد فإن زياد

بن النضـر حين أشـركته فى أمرك ووليته جندا من جنودك طغى واسـتكبر ومال به العجب والخيلاء والزهو إلى ما لايرضـى الله تعـالى به من القول والفعـل فـإن رأى أمير المؤمنين ع أن يعزله عنـا ويبعث مكـانه من يحب فليفعـل فإنـا له كـارهون و السـلام . فكتب على ع إليهما من عبد الله على أمير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هانئ سلام عليكما فإنى أحمدإليكما الله ألذى لاإله إلا هو أما بعـدفإنى قـدوليت مقدمتى زياد بن النضـر وأمرته عليها وشـريح بن هانئ على طائفة منها أمير فإن انتهى جمعكما إلى بـأس فزياد بن النضـر على الناس كلهم و إن افترقتما فكل واحـد منكما أميرالطائفـة التى وليناه أمرها واعلما أن مقدمـة القوم عيونهم وعيون المقدمـة طلائعهم فإذاأنتما خرجتما من بلادكما فلاتسأما من توجيه الطلائع و من نفض الشـعاب والشـجر والخمر فى كـل جانب كى لايغتركما عـدو أو يكون لهم كمين و لاتسيرن الكتائب والقبائل من لـدن الصـباح إلى المساء إلا على تعبئة فإن دهمكم عـدو أوغشـيكم مكروه كنتم قدتقـدمتم فى التعبئـة فإذانزلتم بعـدو أونزل بكم فليكن معسـكركم فى قبل الأشـراف أوسفاح -روايت-١-٢-روايت-٢٢-ادامه دارد [صفحه ١٩٣] الجبال وأثناء الأنهار كيما يكون ذلك لكم ردءا وتكون مقاتلتكم من وجه واحد أواثنين واجعلوا رقباءكما فى صياصـى الجبال وبأعالى الأشراف ومناكب الأنهار يرون لكم كى لايأتيكم عدو من مكان مخافـة أوأمن وإياكم والتفرق فإذانزلتم فانزلوا جميعا و إذارحلتم فارحلوا جميعا فإذاغشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسـة ولتكن رماتكم من وراء ترسـكم ورماحكم يلونهم و ماأقمتم فكـذلك فافعلوا كى لاتصاب لكم غفلة و لاتلفى لكم غرة فمـا قوم يحفون عسـكرهم برماحهم وترسـتهم من ليل أونهار إلاكانوا كأنهم فى حصون واحرسا عسـكركما بأنفسـكما وإياكما أن تذوقا نوما حتى تصـبحا إلاغرارا أومضمضة ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكما وليكن كل يوم عنـدى خبركمـا و رسول من قبلكمـا فـإنى و لاـ شـىء إلاـ ماشاء الله حثيث السـير فى أثركما عليكما فى جريكما بالتؤدة وإياكما والعجلـة إلا أن تمكنكما فرصـة بعدالإعذار والحجة وإياكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكما إلا أن تبدءا أويأتيكما أمرى إن شاء الله -روايت-از قبل-٩٠٨ . قال نصـر وكتب على ع إلى أمراء الأجناد و كان قدقسم عسـكره أسباعا فجعل على كل سبع أميرا فجعل سعد بن مسـعود الثقفى على قيس و عبدالقيس ومعقل بن قيس اليربوعى على تميم وضبة والرباب وقريش [صفحه ١٩٤] وكنانة وأسـد ومخنف بن سـليم على الأزد وبجيلـة وخثعم والأنصار وخزاعـة وحجر بن عـدى الكنـدى على كندة وحضـرموت وقضاعة وزياد بن النضـر على مذحج والأشـعريين وسعيد بن مرة الهمدانى على همدان و من معهم من حمير وعدى بن حاتم الطائى على طيئ تجمعهم الدعوة مع مذحج وتختلف الرايتان راية مذحج مع زياد بن النضر وراية طيئ مع عدى بن حاتـم هذه عساكر الكوفة و أماعساكر البصـرة فخالد بن معمر السدوسـى على بكر بن وائل وعمرو بن مرجوم العبدى على عبدالقيس و ابن شـيمان الأزدى على الأـزد والأـحنف على تميم وضـبة والربـاب وشـريك بن الأعور الحارثى على أهل العاليـة أما بعـدفإنى أبرأ إليكم من معرة الجنود إلا من جوعـة إلى شـبعة و من فقر إلى غنى أوعمى إلى هـدى فإن ذلك عليهم فأغربوا الناس عن الظلم والعدوان وخذوا على أيـدى سـفهائكم واحترسوا أن تعملوا أعمالاـ لايرضـى الله بهاعنـا فيرد بهاعلينـا وعليكم دعاءنا فإنه تعالى يقول ما يَعبَؤُا بِكُم ربَىّ لَو لاـ دُعـاؤُكُم و إن الله إذامقت قومـا من السـماء هلكوا فى الأرض فلاتألوا أنفسـكم خيرا و لاالجنـد حسن سـيرة و لاالرعية معونـة و لادين الله قوة وأبلوا فى سبيله مااسـتوجب عليكم فإن الله قداصـطنع عندنا وعندكم مايجب علينا أن نشـكره بجهدنا و أن ننصره مابلغت قوتنا و لاقوة إلابالله -روايت-١-٥٨٠ [صفحه ١٩٥] وكتب ع إلى جنوده يخبرهم بالـذى لهم وعليهم أما بعد فإن الله جعلكم فى الحق جميعا سواء أسودكم وأحمركم وجعلكم من الوالى وجعل الوالى منكم بمنزلة الوالد من الولد وبمنزلة الولد مـن الوالـد ألـذى لاـيكفيه منعـه إيـاهم طلب عـدوه والتهمـة به ماسـمعتم وأطعتم وقضـيتم ألـذى عليكم فحقكم عليه إنصـافكم والتعـديل بينكم والكف عن فيئكم فإذافعـل معكم ذلـك وجبت عليكم طـاعته فيمـا وافق الحق ونصـرته والـدفع عن سـلطان الله فـإنكم وزعـة الله فى الأـرض فكونوا له أعوانـا ولـدينه أنصارا و لاتفسـدوا فى الأرض بعدإصـلاحها إن الله لايحب المفسـدين -

روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۵۵۰ قال نصر و حدثناعمر بن سعد قال حدثناسعد بن طریف عن الأصبغ بن نباته قال قال علی ع ما یقول الناس فی هذاالقبر و فی النخیلة وبالنخیلة قبر عظیم یدفن الیهود موتاهم حوله فقال الحسن بن علی ع یقولون هذاقبر هود لماعصاه قومه جاء فمات هاهنا فقال کذبوا لأنا أعلم به منهم هذاقبر یهودا بن یعقوب بن إسحاق بن ابراهیم بکر یعقوب ثم قال أهاهنا أحد من مهرة فأتی بشیخ کبیر فقال أین منزلک قال علی شاطئ البحر قال أین أنت من الجبل قال أناقریب منه قال فما یقول قومک فیه قال یقولون إن فیه قبر ساحر قال کذبوا ذاک قبر هود النبی ع و هذاقبر یهودا بن یعقوب ثم قال -روایت-۱-۲-روایت-۹۱-ادامه دارد [صفحه ۱۹۶]ع یحشر من ظهر الکوفة سبعون ألفا علی غرة الشمس یدخلون الجنة بغیر حساب -روایت-از قبل-۷۶ . قال نصر فلما نزل علی ع النخیلة متوجها إلی الشام وبلغ معاویة خبره و هویومئذ بدمشق قدألبس منبر دمشق قمیص عثمان مختضبا بالدم وحول المنبر سبعون ألف شیخ یبکون حوله لاتجف دموعهم علی عثمان خطبهم و قال یا أهل الشام قدکنتم تکذبوننی فی علی و قداستبان لکم أمره و الله ماقتل خلیفتکم غیره و هوأمر بقتله وألب الناس علیه وآوی قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه و قدخرج بهم قاصدا بلادکم ودیارکم لإبادتکم یا أهل الشام الله الله فی دم عثمان فأنا ولیه وأحق من طلب بدمه و قدجعل الله لولی المقتول ظلما سلطانا فانصروا خلیفتکم المظلوم فقد صنع القوم به ماتعلمون قتلوه ظلما وبغیا و قدأمر الله تعالی بقتال الفئة الباغیة حتی تفیء إلی أمر الله ثم نزل . قال نصر فأعطوه الطاعة وانقادوا له وجمع إلیه أطرافه واستعد للقاء علی ع [صفحه ۱۹۷]

۴۷- و من کلام له ع فی ذکر الکوفة

اشاره

کَأَنّیِ بِکِ یَا کُوفَةُ تُمَدّینَ مَدّ الأَدِیمِ العکُاَظیِ‌ّ تُعرَکِینَ بِالنّوَازِلِ وَ تُرکَبِینَ بِالزّلَازِلِ وَ إنِیّ لَأَعلَمُ أَنّهُ مَا أَرَادَ بِکِ جَبّارٌ سُوءاً إِلّا ابتَلَاهُ اللّهُ بِشَاغِلٍ أَو رَمَاهُ بِقَاتِلٍ عکاظ اسم سوق للعرب بناحیة مکة کانوا یجتمعون بها فی کل سنة یقیمون شهرا ویتبایعون ویتناشدون شعرا ویتفاخرون قال أبوذؤیب إذابنی القباب علی عکاظ || وقام البیع واجتمع الألوف . فلما جاء الإسلام هدم ذلک وأکثر ما کان یباع الأدیم بهافنسب إلیها. والأدیم واحد والجمع أدم کماقالوا أفیق للجلد ألذی لم تتم دباغته وجمعه أفق و قدیجمع أدیم علی آدمة کماقالوا رغیف وأرغفة. والزلازل هاهنا الأمور المزعجة والخطوب المحرکة. [صفحه ۱۹۸] و قوله ع تمدین مد الأدیم استعارة لماینالها من العسف والخبط و قوله تعرکین من عرکت القوم الحرب إذامارستهم حتی أتعبتهم

فصل فی ذکر فضل الکوفة

و قدجاء فی فضل الکوفة عن أهل البیت ع شیءکثیر نحو قول أمیر المؤمنین ع نعمت المدرة -روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۳۸ و قوله ع إنه یحشر من ظهرها یوم القیامة سبعون ألفا وجوههم علی صورة القمر -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۸۰ و قوله ع هذه مدینتنا ومحلتنا ومقر شیعتنا -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۴۷ وقول جعفر بن محمد ع أللهم ارم من رماها وعاد من عاداها -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۶۲ و قوله ع تربة تحبنا ونحبها -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۳۲ .فأما ماهم به الملوک وأرباب السلطان فیها من السوء ودفاع الله تعالی عنها فکثیر. قال المنصور لجعفر بن محمد ع إنی قدهممت أن أبعث إلی الکوفة من ینقض منازلها

ویجمر نخلها ویستصفی أموالها ویقتل أهل الریبهٔ منها فأشر علی فقال یا أمیر المؤمنین إن المرء لیقتدی بسلفه و لک أسلاف ثلاثهٔ سلیمان أعطی فشکر وأیوب ابتلی فصبر ویوسف قدر فغفر فاقتد بأیهم شئت فصمت قلیلا ثم قال قدغفرت -روایت-۱-۳۱۰ . [صفحه ۱۹۹] وروی أبوالفرج عبدالرحمن بن علی بن الجوزی فی کتاب المنتظم أن زیادا لماحصبه أهل الکوفهٔ و هویخطب علی المنبر قطع أیدی ثمانین منهم وهم أن یخرب دورهم ویجمر نخلهم فجمعهم حتی ملأ بهم المسجد والرحبهٔ یعرضهم علی البراءهٔ من علی ع وعلم أنهم سیمتنعون فیحتج بذلک علی استئصالهم وإخراب بلدهم . قال عبدالرحمن بن السائب الأنصاری فإنی لمع نفر من قومی و الناس یومئذ فی أمر عظیم إذ هومت تهویمه فرأیت شیئا أقبل طویل العنق مثل عنق البعیر أهدر أهدل فقلت ما أنت فقال أناالنقاد ذو الرقبهٔ بعثت إلی صاحب هذاالقصر فاستیقظت فزعا فقلت لأصحابی هل رأیتم مارأیت قالوا لافأخبرتهم وخرج علینا خارج من القصر فقال انصرفوا فإن الأمیر یقول لکم إنی عنکم الیوم مشغول و إذابالطاعون قدضربه فکان یقول إنی لأجد فی النصف من جسدی حر النار حتی مات فقال عبدالرحمن بن السائب ما کان منتهیا عما أراد بنا || حتی تناوله النقاد ذو الرقبهٔ فاثبت الشق منه ضربهٔ عظمت || کماتناول ظلما صاحب الرحبهٔ . قلت قدیظن ظان أن قوله صاحب الرحبهٔ یمکن أن یحتج به من قال إن قبر أمیر المؤمنین ع فی رحبهٔ المسجد بالکوفهٔ و لاحجهٔ فی ذلک لأن أمیر المؤمنین کان یجلس معظم زمانه فی رحبهٔ المسجد یحکم بین الناس فجاز أن ینسب إلیه بهذا الاعتبار [صفحه ۲۰۰]

۴۸- و من خطبهٔ له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ کُلّمَا وَقَبَ لَیلٌ وَ غَسَقَ وَ الحَمدُ لِلّهِ کُلّمَا لَاحَ نَجمٌ وَ خَفَقَ وَ الحَمدُ لِلّهِ غَیرَ مَفقُودِ الإِنعَامِ وَ لَا مُکَافَإِ الإِفضَالِ أَمّا بَعدُ فَقَد بَعَثتُ مقُدَمّتَیِ وَ أَمَرتُهُم بِلُزُومِ هَذَا المِلطَاطِ حَتّی یَأتِیَهُم أمَرِی وَ قَد رَأَیتُ أَن أَقطَعَ هَذِهِ النّطفَةَ إِلَی شِرذِمَةٍ مِنکُم مُوطِنِینَ أَکنَافَ دِجلَةَ فَأُنهِضَهُم مَعَکُم إِلَی عَدُوّکُم وَ أَجعَلَهُم مِن أَمدَادِ القُوّةِ لَکُم قال الرضی رحمه الله یعنی ع بالملطاط هاهنا السمت ألذی أمرهم بلزومه و هوشاطئ الفرات ویقال ذلک أیضا لشاطئ البحر وأصله مااستوی من الأرض ویعنی بالنطفهٔ ماء الفرات و هو من غریب العبارات وعجیبها وقب اللیل أی دخل قال الله تعالی وَ مِن شَرّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ. وغسق أی أظلم وخفق النجم أی غاب . -قرآن-۲۴۴-۲۷۳ [صفحه ۲۰۱] ومقدمهٔ الجیش بکسر الدال أوله و مایتقدم منه علی جمهور العسکر ومقدمهٔ الإنسان بفتح الدال صدره والملطاط حافهٔ الوادی وشفیرهٔ وساحل البحر قال رؤبهٔ نحن جمعنا الناس بالملطاط . قال الأصمعی یعنی به ساحل البحر وقول ابن مسعود هذاالملطاط طریق بقیهٔ المؤمنین هرابا من الدجال یعنی به شاطئ الفرات .فأما قول الرضی رحمه الله تعالی الملطاط السمت ألذی أمرهم بلزومه و هوشاطئ الفرات ویقال ذلک لشاطئ البحر فلامعنی له لأنه لافرق بین شاطئ الفرات وشاطئ البحر وکلاهما أمر واحد و کان الواجب أن یقول الملطاط السمت فی الأرض ویقال أیضا لشاطئ البحر. والشرذمهٔ نفر قلیلون . وموطنین أکناف دجلهٔ أی قدجعلوا أکنافها وطنا أوطنت البقعهٔ والأکناف الجوانب واحدها کنف والأمداد جمع مدد و هو مایمد به الجیش تقویهٔ له . و هذه الخطبهٔ خطب بها أمیر المؤمنین ع و هوبالنخیلهٔ خارجا من الکوفهٔ ومتوجها إلی صفین لخمس بقین من شوال سنهٔ سبع وثلاثین ذکرها جماعهٔ من أصحاب السیر وزادوا فیها قدأمرت علی المصر عقبهٔ بن عمرو الأنصاری و لم آلکم و لانفسی فإیاکم والتخلف والتربص فإنی قدخلفت مالک بن حبیب الیربوعی وأمرته ألا یترک متخلفا إلاألحقه بکم عاجلا إن شاء الله -روایت-۱-۱۸۸ . [صفحه ۲۰۲] وروی نصر بن مزاحم عوض قوله فأنهضهم معکم إلی

عـدوكم فأنهضـهم معكم إلى عـدو الله قـال نصـر فقـام إليه معقـل بن قيس الريـاحى فقال يا أمير المؤمنين و الله مايتخلف عنك إلاظنين و لايتربص بك إلامنافق فمر مالك بن حبيب فليضـرب أعناق المتخلفين فقال قدأمرته بأمرى و ليس بمقصـر إن شاء الله -روايت-١-٢-روايت-١١-٢١٧

أخبار على فى جيشه و هو فى طريقه إلى صفين

قال نصـر بن مزاحم ثم سار ع حتى انتهى إلى مدينة بهرسير و إذا رجل من أصحابه يقال له حر بن سهم بن طريف من بنى ربيعة بن مالك ينظر إلى آثار كسرى ويتمثل بقول الأسود بن يعفر جرت الرياح على محل ديارهم || فكأنما كانوا على ميعاد فقال له ع ألا قلت كَم تَرَكُوا مِن جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ وَ نَعمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ كَذلِكَ وَ أَورَثناها قَوماً آخَرِينَ فَما بَكَت عَلَيهِمُ السّماءُ وَ الأَرضُ وَ ما كانُوا مُنظَرِينَ إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا مورثين و لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم وكفر النعم لاتحل بكم النقم انزلوا بهذه الفجوة -روايت-١-٢-روايت-١٦-٣٦٦ . [صفحه ٢٠٣] قال نصر و حدثناعمر بن سعـد عن مسـلم الأعور عن حبـة العرنى قال أمر على ع الحارث الأعور فصاح فى أهل المـدائن من كان من المقاتلة فليواف أمير المؤمنين ع صـلاة العصـر فوافوه فى تلك السـاعـة فحمـد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعـدفإنى قدتعجبت من تخلفكم عن دعوتكم وانقطـاعكم عن أهـل مصـركم فى هـذه المسـاكن الظالم أهلها الهالك أكثر ساكنيها لامعروف يأمرون به و لامنكر ينهون عنه -روايت-١-٢-روايت-١٢-١٧٧ .قـالوا يـا أمير المؤمنين إنـا ننتظر أمرك مرنـا بما أحببت فسار وخلف عليهم عـدى بن حاتم أقام عليهم ثلاثا ثم خرج فى ثمانمائـة رجل منهم وخلف ابنه زيـدا بعده فلحقه فى أربعمائـة رجل منهم . وجاء على ع حتى مر بالأنبار فاستقبله بنو خشـنوشك دهاقينها قال نصـر الكلمـة فارسيـة أصـلها خش أى الطيب قال فلما اسـتقبلوه نزلوا عن خيولهم ثم جاءوا يشتـدون معه و بين يـديه ومعهم براذين قدأوقفوها فى طريقه فقال ما هذه الدواب التى معكم و ماأردتم بهذا ألذى صـنعتم قالوا أما هذا ألذى صـنعنا فهو خلق منا نعظم به الأمراء و أما هذه البراذين فهدية لك و قدصـنعنا للمسـلمين طعاما وهيأنا لدوابكم علفا كثيرا. فقال ع أما هـذا ألذى زعمتم أنه فيكم خلق تعظمون به الأمراء فو الله ماينفع ذلك الأمراء وإنكم لتشقـون به على أنفسـكم وأبـدانكم فلاتعودوا -روايت-١-٢-روايت-١٢-ادامـه دارد [صـفحه ٢٠٤] له و أمـادوابكم هـذه فـإن أحببتم أن آخـذها منكم وأحسـبها لكم من خراجكم أخـذناها منكم و أماطعـامكم ألـذى صـنعتم لنـا فإنا نكره أن نأكل من أموالكم إلابثمن قالوا يا أمير المؤمنين نحن نقومه ثم نقبـل ثمنه قال إذا لاتقومونه قيمته نحن نكتفى بما هودونه قالوا يا أمير المؤمنين فإن لنا من العرب موالى ومعـارف أتمنعنـا أن نهـدى لهم أوتمنعهم أن يقبلوا منـا فقـال كـل العرب لكم موال و ليس ينبغى لأحـد من المسـلمين أن يقبل هـديتكم و إن غصـبكم أحـد فأعلمونـا قـالوا يـا أمير المؤمنين إنـا نحب أن تقبـل هـديتنا وكرامتنا قال ويحكم فنحن أغنى منكم وتركهم وسـار -روايت-از قبل-٥٦٣ . قال نصـر و حـدثنا عبـدالعزيز بن سـياه قال حدثناحبيب بن أبى ثابت قال حدثنا أبوسـعيد التيمى المعروف بعقيصـى قـال كنـا مع على ع فى مسـيره إلى الشام حتى إذاكنا بظهر الكوفـة من جانب هـذاالسواد عطش الناس واحتـاجوا إلى المـاء فانطلق بنا على ع حتى أتى بنا إلى صـخرة ضـرس فى الأرض كأنها ربضـة عنز فأمرنا فاقتلعناها فخرج لنا من تحتهـا مـاء فشـرب النـاس منه وارتووا ثم أمرنـا فأكفأناهـا عليه وسـار النـاس حتى إذامضـى قليلاـ قـال ع أمنكم أحـد يعلم مكان هـذاالماء ألـذى شـربتم منه قـالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فانطلقوا إليه فانطلق منا رجال ركبانا ومشاة فاقتصـصنا الطريق إليه حتى انتهينـا إلى المكـان ألـذى نرى أنه فيه فطلبنـاه فلم نقـدر على شـىء حتى إذاعيـل علينـا انطلقنا إلى دير قريب [صـفحه ٢٠٥] منا فسألناهم أين هذاالماء ألذى عندكم قالوا ليس قربنا ماء فقلنا بلى إنا شـربنا منه قالوا أنتم شـربتم منه قلنا نعم فقال صاحب الدير و

الله مابنى هذاالدير إلابذلك الماء و مااستخرجه إلانبى أووصى نبى. قال نصر ثم مضى ع حتى نزل بأرض الجزيرة فاستقبله بنو تغلب والنمر بن قاسط بجزور فقال ع ليزيد بن قيس الأرحبى يايزيد قال لبيك يا أمير المؤمنين قال هؤلاء قومك من طعامهم فاطعم و من شرابهم فاشرب -روايت-١-٢-روايت-١١-٢٠٧ . قال ثم سار حتى أتى الرقة و جل أهلها عثمانية فروا من الكوفة إلى معاوية فأغلقوا أبوابها دونه وتحصنوا و كان أميرهم سماك بن مخرقة الأسدى فى طاعة معاوية و قد كان فارق عليا ع فى نحو من مائة رجل من بنى أسد ثم كاتب معاوية وأقام بالرقة حتى لحق به سبعمائة رجل . قال نصر فروى حبة أن عليا ع لمانزل على الرقة نزل بموضع يقال له البليخ على جانب الفرات فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلى ع إن عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا كتبه أصحاب عيسى ابن مريم أعرضه عليك قال نعم فقرأ الراهب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ألذى قضى فيما قضى وسطر فيما كتب أنه باعث فى الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويدلهم على سبيل الله لافظ و لاغليظ و لاصخاب فى الأسواق و لايجزى بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشر و فى كل صعود وهبوط تذل ألسنتهم [صفحه ٢٠٦] بالتكبير والتهليل والتسبيح وينصره الله على من ناواه فإذاتوفاه الله اختلفت أمته من بعده ثم اجتمعت فلبثت ماشاء الله ثم اختلفت فيمر رجل من أمته بشاطئ هذاالفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضى بالحق و لايركس الحكم الدنيا أهون عليه من الرماد فى يوم عصفت به الريح والموت أهون عليه من شرب الماء على الظمآن يخاف الله فى السر وينصح له فى العلانية لايخاف فى الله لومة لائم فمن أدرك ذلك النبى من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنة و من أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة. ثم قال له أنامصاحبك فلاأفارقك حتى يصيبنى ماأصابك فبكى ع ثم قال الحمد لله ألذى لم أكن عنده منسيا الحمد لله ألذى ذكرنى عنده فى كتب الأبرار -روايت-١-٢-روايت-١٢-٩٤ .فمضى الراهب معه فكان فيما ذكروا يتغدى مع أمير المؤمنين ويتعشى حتى أصيب يوم صفين فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال ع اطلبوه فلما وجدوه صلى عليه ودفنه و قال هذامنا أهل البيت واستغفر له مرارا -روايت-١-٢-روايت-١١-٩١ .روى هذاالخبر نصر بن مزاحم فى كتاب صفين عن عمر بن سعد عن مسلم الأعور عن حبة العرنى ورواه أيضا ابراهيم بن ديزيل الهمدانى بهذا الإسناد عن حبة أيضا فى كتاب صفين . وروى ابن ديزيل فى هذاالكتاب قال حدثنى يحيى بن سليمان حدثنى يحيى بن عبدالملك بن حميد بن عتيبة عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه و محمد -روايت-١-٢ [صفحه ٢٠٧] بن فضيل عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبى سعيد الخدرى رحمه الله قال كنا مع رسول الله ص فانقطع شسع نعله فألقاها إلى على ع يصلحها ثم قال إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كماقاتلت على تنزيله فقال أبوبكر الصديق أنا هو يا رسول الله فقال لا- فقال عمر بن الخطاب أنا هو يا رسول الله قال لا ولكنه ذاكم خاصف النعل -روايت-٨١-٣٤٦ ويد على ع على نعل النبى ص يصلحها. قال أبوسعيد فأتيت عليا ع فبشرته بذلك فلم يحفل به كأنه شىء قد كان علمه من قبل . وروى ابن ديزيل فى هذاالكتاب أيضا عن يحيى بن سليمان عن ابن فضيل عن ابراهيم الهجرى عن أبى صادق قال قدم علينا أبوأيوب الأنصارى العراق فأهدت له الأزد جزرا فبعثوها معى فدخلت إليه فسلمت عليه و قلت له يا أباأيوب قدكرمك الله عز و جل بصحبة نبيه ص ونزوله عليك فما لى أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتلهم هؤلاء مرة وهؤلاء مرة قال إن رسول الله ص عهد إلينا أن نقاتل مع على الناكثين فقد قاتلناهم وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعنى معاوية وأصحابه وعهد إلينا أن نقاتل معه المارقين و لم أرهم بعد. وروى ابن ديزيل أيضا فى هذاالكتاب عن يحيى عن يعلى بن عبيد الحنفى عن إسماعيل السدى عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله ص و هو -روايت-١-٢-روايت-١١٤-ادامه دارد [صفحه ٢٠٨] فى الحجرة يوحى إليه ونحن ننتظره حتى اشتد الحر فجاء على بن أبى طالب ومعه فاطمة وحسن وحسين ع فقعدوا فى ظل حائط ينتظرونه فلما خرج رسول الله ص رآهم فأتاهم ووقفنا نحن مكاننا ثم جاء إلينا و هويظلهم بثوبه ممسكا بطرف الثوب و على ممسك بطرفه الآخر و هو يقول

ألل‍هم إنی أحبهم فأحبهم أللهم إنی سلم لمن سالمهم وحرب لمن حاربهم قال فقال ذلک ثلاث مرات -روایت-از قبل-۳۷۷ قال ابراهیم فی الکتاب المذکور و حدثنایحیی بن سلیمان قال حدثنا ابن فضیل قال حدثنا الحسن بن الحکم النخعی عن رباح بن الحارث النخعی قال کنت جالسا عند علی ع إذ قدم علیه قوم متلثمون فقالوا السلام علیک یامولانا فقال لهم أ ولستم قوما عربا قالوا بلی ولکنا سمعنا رسول الله ص یقول یوم غدیر خم من کنت مولاه فعلی مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله قال فلقد رأیت علیا ع ضحک حتی بدت نواجذه ثم قال اشهدوا -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۰-۴۶۸ . ثم إن القوم مضوا إلی رحالهم فتبعتهم فقلت لرجل منهم من القوم قالوا نحن رهط من الأنصار وذاک یعنون رجلا منهم أبوأیوب صاحب منزل رسول الله ص قال فأتیته فصافحته . قال نصر وحدثنی عمر بن سعد عن نمیر بن وعلة عن أبی الوداک أن علیا ع بعث من المدائن معقل بن قیس الریاحی فی ثلاث آلاف و قال له خذ علی -روایت-۱-۲-روایت-۶۲-ادامه دارد [صفحه ۲۰۹] الموصل ثم نصیبین ثم القنی بالرقة فإنی موافیها وسکن الناس وأمنهم و لاتقاتل إلا من قاتلک وسر البردین وغور بالناس أقم اللیل ورفه فی السیر و لاتسر أول اللیل فإن الله جعله سکنا أرح فیه بدنک وجندک وظهرک فإذا کان السحر أوحین یتبلج الفجر فسر -روایت-از قبل-۲۶۰ .فسار حتی أتی الحدیثة وهی إذ ذاک منزل الناس وإنما بنی مدینة الموصل بعد ذلک محمد بن مروان فإذابکبشین ینتطحان و مع معقل بن قیس رجل من خثعم یقال له شداد بن أبی ربیعة قتل بعد ذلک مع الحروریة فأخذ یقول إیه إیه فقال معقل ماتقول فجاء رجلان نحو الکبشین فأخذ کل واحد منهما کبشا وانصرفا فقال الخثعمی لمعقل لاتغلبون و لاتغلبون فقال معقل من أین علمت قال أ ماأبصرت الکبشین أحدهما مشرق والآخر مغرب التقیا فاقتتلا وانتطحا فلم یزل کل واحد من مصاحبه منتصفا حتی أتی کل واحد منهما صاحبه فانطلق به فقال معقل أ و یکون خیرا مما تقول یاأخا خثعم ثم مضی حتی وافی علیا ع بالرقة. قال نصر وقالت طائفة من أصحاب علی ع له یا أمیر المؤمنین اکتب إلی معاویة و من قبله من قومک فإن الحجة لاتزداد علیهم بذلک إلاعظما فکتب إلیهم ع بسم الله الرحمن الرحیم من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی معاویة و من قبله من قریش -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-ادامه دارد [صفحه ۲۱۰] سلام علیکم فإنی أحمدإلیکم الله ألذی لاإله إلا هو أما بعد فإن لله عبادا آمنوا بالتنزیل وعرفوا التأویل وفقهوا فی الدین و بین الله فضلهم فی القرآن الحکیم وأنتم فی ذلک الزمان أعداء للرسول تکذبون بالکتاب مجمعون علی حرب المسلمین من ثقفتم منهم حبستموه أوعذبتموه أوقتلتموه حتی أراد الله تعالی إعزاز دینه وإظهار أمره فدخلت العرب فی الدین أفواجا وأسلمت له هذه الأمة طوعا وکرها فکنتم فیمن دخل فی هذاالدین إما رغبة وإما رهبة علی حین فاز أهل السبق بسبقهم وفاز المهاجرون الأولون بفضلهم و لاینبغی لمن لیست له مثل سوابقهم فی الدین و لافضائلهم فی الإسلام أن ینازعهم الأمر ألذی هم أهله وأولی به فیجور ویظلم و لاینبغی لمن کان له عقل أن یجهل قدره ویعدو طوره ویشقی نفسه بالتماس ما لیس بأهله فإن أولی الناس بأمر هذه الأمة قدیما وحدیثا أقربها من الرسول وأعلمها بالکتاب وأفقهها فی الدین أولها إسلاما وأفضلها جهادا وأشدها بما تحمله الأئمة من أمر الأمة اضطلاعا فاتقوا الله ألذی إلیه ترجعون و لاتلبسوا الحق بالباطل وتکتموا الحق وأنتم تعلمون واعلموا أن خیار عباد الله الذین یعملون بما یعلمون و أن شرارهم الجهال الذین ینازعون بالجهل أهل العلم فإن للعالم بعلمه فضلا و إن الجاهل لایزداد بمنازعته العالم إلاجهلا ألا وإنی أدعوکم إلی کتاب الله وسنة نبیه وحقن دماء هذه الأمة فإن قبلتم أصبتم رشدکم واهتدیتم لحظکم و إن أبیتم إلاالفرقة وشق عصا هذه الأمة لم تزدادوا من الله إلابعدا و لایزداد الرب علیکم إلاسخطا و السلام -روایت-از قبل-۱۴۰۲ .فکتب إلیه معاویة جواب هذاالکتاب سطرا واحدا و هو أما بعدفإنه [صفحه ۲۱۱] لیس بینی و بین قیس عتاب || غیرطعن الکلی وضرب الرقاب فقال علی ع لماأتاه هذاالجواب إِنّکَ لا تَهدِی مَن أَحبَبتَ وَ لکِنّ اللّهَ یَهدِی مَن یَشاءُ وَ هُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِینَ -روایت-۱-۲-روایت-۳۷-۱۳۴ قال نصر و قال علی ع لأهل الرقة جسروا لی جسرا أعبر علیه من هذاالمکان إلی الشام -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۸۹ فأبوا و قدکانوا

ضموا السفن إليهم فنهض من عندهم ليعبر على جسر منبج وخلف عليهم الأشتر فقال يا أهل هذاالحصن إنى أقسم بالله إن مضى أمير المؤمنين ع و لم تجسروا له عندمدينتكم حتى يعبر منها لأجردن فيكم السيف فلأقتلن مقاتلكم ولأخربن أرضكم ولآخذن أموالكم .فلقى بعضهم بعضا فقالوا إن الأشتر يفى بما حلف عليه وإنما خلفه على عندنا ليأتينا بشر فبعثوا إليه إنا ناصبون لكم جسرا فأقبلوا فأرسل الأشتر إلى على ع فجاء ونصبوا له الجسر فعبر الأثقال والرجال وأمر الأشتر فوقف فى ثلاثة آلاف فارس حتى لم يبق من الناس أحد إلاعبر ثم عبر آخر الناس رجلا. قال نصر وازدحمت الخيل حين عبرت فسقطت قلنسوة عبد الله بن أبى الحصين فنزل فأخذها وركب ثم سقطت قلنسوة عبد الله بن الحجاج فنزل فأخذها ثم ركب فقال لصاحبه فإن يك ظن الزاجرى الطير صادقا || كمازعموا أقتل وشيكا وتقتل . فقال عبد الله بن أبى الحصين ما شيءأحب إلى مما ذكرت فقتلا معا يوم صفين . [صفحه ٢١٢] قال نصر فلما قطع على ع الفرات دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسرحهما أمامه نحو معاوية على حالهما ألذى كانا عليه حين خرجا من الكوفة فى اثنى عشر ألفا و قدكانا حيث سرحهما من الكوفة مقدمة له أخذا على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلى الكوفة حتى بلغا عانات فبلغهم أخذ على ع طريق الجزيرة وعلما أن معاوية قدأقبل فى جنود الشام من دمشق لاستقباله فقالا ـ و الله ما هذابرأى أن نسير وبيننا و بين أمير المؤمنين هذاالبحر و مالنا خير فى أن نلقى جموع الشام فى قلة من العدد منقطعين عن المدد فذهبوا ليعبروا من عانات فمنعهم أهلها وحبسوا عنهم السفن فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت ولحقوا عليا ع بقرية دون قرقيسيا فلما لحقوا عليا ع عجب و قال مقدمتى تأتى من ورائى فقام له زياد وشريح وأخبراه بالرأى ألذى رأيا فقال قدأصبتما رشدكما فلما عبروا الفرات قدمهما أمامه نحو معاوية فلما انتهيا إلى معاوية لقيهما أبوالأعور السلمى فى جنود من أهل الشام و هو على مقدمة معاوية فدعواه إلى الدخول فى طاعة أمير المؤمنين ع فأبى فبعثوا إلى على ع إنا قدلقينا أباالأعور السلمى بسور الروم فى جند من أهل الشام فدعوناه وأصحابه إلى الدخول فى طاعتك فأبى علينا فمرنا بأمرك .فأرسل على ع إلى الأشتر فقال يامال إن زيادا وشريحا أرسلا إلى يعلماننى أنهما لقيا أباالأعور السلمى فى جند من أهل الشام بسور الروم ونبأنى الرسول أنه تركهم متواقفين فالنجاء النجاء إلى أصحابك فإذاأتيتهم فأنت عليهم وإياك أن تبدأ القوم بقتال إن لم يبدءوك وألقهم واسمع منهم و لايجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل -روايت-١-٢-روايت-٩-ادامه دارد [صفحه ٢١٣] دعائهم والإعذار إليهم مرة بعدمرة واجعل على ميمنتك زيادا و على ميسرتك شريحا وقف من أصحابك وسطا و لاتدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب و لاتتباعد عنهم تباعد من يهاب الناس حتى أقدم عليك فإنى حثيث السير إليك إن شاء الله -روايت-از قبل-٢٣٩ قال وكتب على ع إليهما و كان الرسول الحارث بن جمهان الجعفى أما بعدفإنى قدأمرت عليكما مالكا فاسمعا له وأطيعا أمره و هوممن لايخاف رهقه و لاسقاطه و لابطؤه عما الإسراع إليه أحزم و لاإسراعه إلى ماالبطء عنه أمثل و قدأمرته بمثل ألذى أمرتكما ألا يبدأ القوم بقتال حتى يلقاهم ويدعوهم ويعذر إليهم إن شاء الله -روايت-١-٢٦٣ . قال فخرج الأشتر حتى قدم على القوم فاتبع ماأمره به على ع وكف عن القتال فلم يزالوا متواقفين حتى إذا كان عندالمساء حمل عليهم أبوالأعور فثبتوا له واضطربوا ساعة ثم إن أهل الشام انصرفوا ثم خرج هاشم بن عتبة فى خيل ورجال حسن عدتها وعددها فخرج إليهم أبوالأعور السلمى فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال وصبر بعضهم لبعض ثم انصرفوا وبكر عليهم الأشتر فقتل من أهل الشام عبد الله بن المنذر التنوخى قتله ظبيان بن عمارة التميمى و ما هويومئذ إلافتى حديث السن و إن كان الشامى لفارس أهل الشام وأخذ الأشتر يقول ويحكم أرونى أباالأعور. ثم إن أباالأعور دعا الناس فرجعوا نحوه فوقف على تل من وراء المكان ألذى كان فيه أول مرة وجاء الأشتر حتى صف أصحابه فى المكان ألذى كان فيه أبوالأعور أول مرة فقال الأشتر لسنان بن مالك النخعى انطلق إلى أبوالأعور فادعه إلى المبارزة [صفحه ٢١٤] فقال إلى مبارزتى أم إلى مبارزتك فقال أ و لوأمرتك بمبارزته فعلت قال نعم و ألذى لاإله إلا هو لوأمرتنى أن أعترض صفهم بسيفى لفعلت حتى أضربه بالسيف فقال يا

ابن أخی أطال الله بقاءک قد و الله ازددت فیک رغبهٔ لا ماأمرتک بمبارزته إنما أمرتک أن تدعوه لمبارزتی فإنه لایبارز إن کان ذلک من شأنه إلاذوی الأسنان والکفاءهٔ والشرف و أنت بحمد الله من أهل الکفاءهٔ والشرف ولکنک حدیث السن و لیس یبارز الأحداث فاذهب فادعه إلی مبارزتی.فأتاهم فقال أنا رسول فآمنونی فجاء حتی انتهی إلی أبی الأعور. قال نصر فحدثنی عمر بن سعد عن أبی زهیر العبسی عن صالح بن سنان عن أبیه قال فقلت له إن الأشتر یدعوک إلی المبارزهٔ قال فسکت عنی طویلا ثم قال إن خفهٔ الأشتر وسوء رأیه وهوانه دعاه إلی إجلاء عمال عثمان وافترائه علیه یقبح محاسنه ویجهل حقه ویظهر عداوته و من خفهٔ الأشتر وسوء رأیه أنه سار إلی عثمان فی داره وقراره فقتله فیمن قتله وأصبح متبعا بدمه لاحاجهٔ لی فی مبارزته .فقلت إنک قدتکلمت فاسمع حتی أجیبک فقال لاحاجهٔ لی فی جوابک و لاالاستماع منک اذهب عنی وصاح بی أصحابه فانصرفت عنه و لوسمع لأسمعته عذر صاحبی وحجته .فرجعت إلی الأشتر فأخبرته أنه قدأبی المبارزهٔ فقال لنفسه نظر. قال فتواقفنا فإذاهم قدانصرفوا قال وصبحنا علی ع غدوهٔ سائرا نحو معاویهٔ فإذا أبوالأعور قدسبق إلی سهولهٔ الأرض وسعهٔ المنزل وشریعهٔ الماء مکان [صفحه ۲۱۵] أفیح و کان أبوالأعور علی مقدمهٔ معاویهٔ واسمه سفیان بن عمرو و قدجعل علی ساقته بسر بن أرطاهٔ العامری و علی الخیل عبید الله بن عمر بن الخطاب ودفع اللواء إلی عبدالرحمن بن خالد بن الولید وجعل علی میمنته حبیب بن مسلمهٔ الفهری و علی رجالته من المیمنهٔ یزید بن زحر الضبی و علی المیسرهٔ عبد الله بن عمرو بن العاص و علی الرجالهٔ من المیسرهٔ حابس بن سعید الطائی و علی خیل دمشق الضحاک بن قیس الفهری و علی رجالهٔ أهل دمشق یزید بن أسد بن کرز البجلی و علی أهل حمص ذا الکلاع و علی أهل فلسطین مسلمهٔ بن مخلد و کان وصول علی ع إلی صفین لثمان بقین من المحرم من سنهٔ سبع وثلاثین [صفحه ۲۱۶]

۴۹- و من خطبهٔ له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ أَلّذِی بَطَنَ خَفِیّاتِ الأَمُوُرِ وَ دَلّت عَلَیهِ أَعلَامُ الظّهُورِ وَ امتَنَعَ عَلَی عَینِ البَصِیرِ فَلَا عَینُ مَن لَم یَرَهُ تُنکِرُهُ وَ لَا قَلبُ مَن أَثبَتَهُ یُبصِرُهُ سَبَقَ فِی العُلُوّ فَلَا شَیءَ أَعلَی مِنهُ وَ قَرُبَ فِی الدّنُوّ فَلَا شَیءَ أَقرَبُ مِنهُ فَلَا استِعلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَن شَیءٍ مِن خَلقِهِ وَ لَا قُربُهُ سَاوَاهُم فِی المَکَانِ بِهِ لَم یُطلِعِ العُقُولَ عَلَی تَحدِیدِ صِفَتِهِ وَ لَم یَحجُبهَا عَن وَاجِبِ مَعرِفَتِهِ فَهُوَ أَلّذِی تَشهَدُ لَهُ أَعلَامُ الوُجُودِ عَلَی إِقرَارِ قَلبِ ذیِ الجُحُودِ تَعَالَی اللّهُ عَمّا یَقُولُهُ المُشَبّهُونَ بِهِ وَ الجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً کَبِیراً بطنت سر فلان أی أخفیته . والأعلام جمع علم و هوالمنار یهتدی به ثم جعل لکل مادل علی شیءفقیل لمعجزات الأنبیاء أعلام لدلالتها علی نبوتهم و قوله ع أعلام الظهور أی الأدلهٔ الظاهرهٔ الواضحهٔ. و قوله فیما بعدأعلام الوجود أی الأدلهٔ الموجودهٔ والدلالهٔ هی الوجود نفسه وسیأتی شرح ذلک . و قوله وامتنع علی عین البصیر یقول إنه سبحانه لیس بمرئی بالعین و مع [صفحه ۲۱۷] ذلک فلایمکن من لم یره بعینه أن ینکره لدلالهٔ کل شیء علیه بل لدلالته سبحانه علی نفسه . ثم قال و لاقلب من أثبته یبصره أی لاسبیل لمن أثبت وجوده أن یحیط علما بجمیع أحواله ومعلوماته ومصنوعاته أوأراد أنه لاتعلم حقیقهٔ ذاته کماقاله قوم من المحققین . و قدروی هذاالکلام علی وجه آخر قالوا فی الخطبهٔ فلاقلب من لم یره ینکره و لاعین من أثبته تبصره و هذا غیرمحتاج إلی تفسیر لوضوحه . و قوله ع فلااستعلاؤه باعده أی لیس علوه و لاقربه کمانعقله من العلو والقرب المکانیین بل هوعلو وقرب خارج من ذلک فلیس علوه یقتضی بعده بالمکان عن الأجسام و لاقربه یقتضی مساواته إیاها فی الحاجهٔ إلی المکان والجهه. والباء فی به متعلقهٔ بساواهم معناه و لاقربه ساواهم به

فی الحاجة إلی المکان أی لم یقتض قربه مماثلته ومساواته إیاهم فی ذلک

فصول فی العلم الإلهی

و هذاالفصل یشتمل علی عدة مباحث من العلم الإلهی أولها کونه تعالی عالما بالأمور الخفیة. والثانی کونه تعالی مدلولا علیه بالأمور الظاهرة یعنی أفعاله . والثالث أن هویته تعالی غیرمعلومة للبشر. والرابع نفی تشبیهه بشیء من مخلوقاته . [صفحه ۲۱۸] والخامس بیان أن الجاحد لإثباته مکابر بلسانه وعارف به بقلبه . ونحن نذکر القول فی جمیع ذلک علی سبیل اقتصاص المذاهب والأقوال ونحیل فی البرهان علی الحق من ذلک وبطلان شبه المخالفین فیه علی ما هومذکور فی کتبنا الکلامیة إذ لیس هذاالکتاب موضوعا لذلک و إن کنا قد لانخلی بعض فصوله من إشارة إلی الدلیل موجزة وتلویح إلی الشبهة لطیف فنقول أما

الفصل الأول و هوالکلام فی کونه تعالی عالما بالأمور الخفیة

فاعلم أن أمیر المؤمنین ع إنما قال بطن خفیات الأمور و هذاالقدر من الکلام یقتضی کونه تعالی عالما یعلم الأمور الخفیة الباطنة و هذامنقسم قسمین أحدهما أن یعلم الأمور الخفیة الحاضرة. والثانی أن یعلم الأمور الخفیة المستقبلة. والکلام من حیث إطلاقه یحتمل الأمرین فنحمله علیهما معا فقد خالف فی کل واحدة من المسألتین قوم فمن الناس من نفی کونه عالما بالمستقبلات و من الناس من نفی کونه عالما بالأمور الحاضرة سواء کانت خفیة أوظاهرة و هذایقتضینا أن نشرح أقوال العقلاء فی هذه المسائل فنقول إن الناس فیها علی أقوال القول الأول قول جمهور المتکلمین و هو أن الباریء سبحانه یعلم کل معلوم الماضی والحاضر والمستقبل ظاهرها وباطنها ومحسوسها و غیرمحسوسها فهو تعالی العالم بما کان و ما هوحاضر و ماسیکون و ما لم یکن أن لو کان کیف کان یکون کقوله [صفحه ۲۱۹] تعالی وَ لَو رُدّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنهُفهذا علم بأمر مقدر علی تقدیر وقوع أصله ألذی قدعلم أنه لا یکون .القول الثانی قول من زعم أنه تعالی لایعلم الأمور المستقبلة وشبهوه بکونه مدرکا قالوا کما أنه لایدرک المستقبلات فکذلک لا یعلم المستقبلات و هوقول هشام بن الحکم .القول الثالث قول من زعم أنه لایعلم الأمور الحاضرة و هذاالقول نقیض القول الثانی وشبهوه بکونه قادرا قالوا کما أنه لایقدر علی الموجود فکذلک لا یعلم الموجود ونسب ابن الراوندی هذاالقول إلی معمر بن عباد أحد شیوخنا وأصحابنا یکذبونه فی ذلک ویدفعون الحکایة عنه .القول الرابع قول من زعم أنه تعالی لایعلم نفسه خاصة ویعلم کل ماعدا ذاته ونسب ابن الراوندی هذه المقالة إلی معمر أیضا و قال إنه یقول إن العالم غیرالمعلوم والشیء لا یکون غیرنفسه وأصحابنا یکذبون ابن الراوندی فی هذه الحکایة وینزهون معمرا عنها.القول الخامس قول من قال إنه تعالی لم یکن فیما لم یزل عالما بشیء أصلا وإنما أحدث لنفسه علما علم به الأشیاء و هوقول جهم بن صفوان .القول السادس قول من قال إنه تعالی لایعلم کل المعلومات علی تفاصیلها وإنما یعلم ذلک إجمالا وهؤلاء یسمون المسترسلیة لأنهم یقولون یسترسل علمه علی المعلومات -قرآن-۸-۴۷ [صفحه ۲۲۰] إجمالا لاتفصیلا و هومذهب الجوینی من متکلمی الأشعریة.القول السابع قول من قال إنه تعالی یعلم المعلومات المفصلة ما لم یفض القول به إلی محال وزعموا أن القول بأنه یعلم کل شیءیفضی إلی محال و هو أن یعلم ویعلم أنه یعلم وهلم جرا إلی ما لانهایة له وکذلک المحال لازم إذاقیل إنه یعلم الفروع وفروع الفروع ولوازمها ولوازم لوازمها إلی ما لانهایة له قالوا ومحال اجتماع کل هذه العلوم غیرالمتناهیة فی الوجود و هذامذهب

أبی البرکات البغدادی صاحب المعتبر.القول الثامن قول من زعم أنه تعالی لایعلم الشخصیات الجزئیة وإنما یعلم الکلیات التی لایجوز علیها التغییر کالعلم بأن کل إنسان حیوان ویعلم نفسه أیضا و هذامذهب أرسطو وناصری قوله من الفلاسفة کابن سینا وغیره .القول التاسع قول من زعم أنه تعالی لایعلم شیئا أصلا لاکلیا و لاجزئیا وإنما وجد العالم عنه لخصوصیة ذاته فقط من غیر أن یعلمه کما أن المغناطیس یجذب الحدید لقوة فیه من غیر أن یعلم بالجذب و هذاقول قوم من قدماء الفلاسفة.فهذا تفصیل المذاهب فی هذه المسألة. واعلم أن حجة المتکلمین علی کونه عالما بکل شیء‌إنما تتضح بعدإثبات حدوث العالم و أنه فعله بالاختیار فحینئذ لابد من کونه عالما لأنه لو لم یکن عالما بشیء أصلا لماصح أن یحدث العالم علی طریق الاختیار لأن الإحداث علی طریق الاختیار إنما یکون بالغرض والداعی و ذلک یقتضی کونه عالما فإذاثبت أنه عالم بشیء أفسدوا حینئذ أن یکون عالما بمعنی اقتضی له العالمیة أوبأمر خارج عن ذاته مختارا کان أو غیرمختار [صفحه ۲۲۱] فحینئذ ثبت لهم أنه إنما علم لأنه هذه الذات المخصوصة لالشیء أزید منها فإذا کان لهم ذلک وجب أن یکون عالما بکل معلوم لأن الأمر ألذی أوجب کونه عالما بأمر ما هوذاته یوجب کونه عالما بغیره من الأمور لأن نسبة ذاته إلی الکل نسبة واحدة.فأما الجواب عن شبه المخالفین فمذکور فی المواضع المختصة بذلک فلیطلب من کتبنا الکلامیة

الفصل الثانی فی تفسیر قوله ع ودلت علیه أعلام الظهور

فنقول إن ألذی یستدل به علی إثبات الصانع یمکن أن یکون من وجهین وکلاهما یصدق علیه أنه أعلام الظهور أحدهما الوجود والثانی الموجود. أماالاستدلال علیه بالوجود نفسه فهی طریقة المدققین من الفلاسفة فإنهم استدلوا علی أن مسمی الوجود مشترک و أنه زائد علی ماهیات الممکنات و أن وجود الباری‌ء لایصح أن یکون زائدا علی ماهیته فتکون ماهیته وجودا و لایجوز أن تکون ماهیته عاریة عن الوجود فلم یبق إلا أن تکون ماهیته هی الوجود نفسه وأثبتوا وجوب ذلک الوجود واستحالة تطرق العدم بوجه مافلم یفتقروا فی إثبات الباری‌ء إلی تأمل أمر غیرنفس الوجود. و أماالاستدلال علیه بالموجود لابالوجود نفسه فهو الاستدلال علیه بأفعاله وهی طریقة المتکلمین قالوا کل ما لم یعلم بالبدیهة و لابالحس فإنما یعلم بآثاره الصادرة عنه والباری‌ء تعالی کذلک فالطریق إلیه لیس إلاأفعاله فاستدلوا علیه بالعالم وقالوا تارة العالم محدث و کل محدث له محدث وقالوا تارة أخری العالم ممکن فله مؤثر [صفحه ۲۲۲] و قال ابن سینا إن الطریقة الأولی وهی الاستدلال علیه بالوجود نفسه أعلی وأشرف لأنه لم یحتج فیها إلی الاحتجاج بأمر خارج عن ذاته واستنبط آیة من الکتاب العزیز فی هذاالمعنی وهی قوله تعالی سَنُرِیهِم آیاتِنا فِی الآفاقِ وَ فِی أَنفُسِهِم حَتّی یَتَبَیّنَ لَهُم أَنّهُ الحَقّ. قال ابن سینا أقول إن هذاحکم لقوم یعنی المتکلمین وغیرهم ممن یستدل علیه تعالی بأفعاله وتمام الآیةأَ وَ لَم یَکفِ بِرَبّکَ أَنّهُ عَلی کُلّ شَیءٍ شَهِیدٌ. قال هذاحکم الصدیقین الذین یستشهدون به لا علیه یعنی الذین استدلوا علیه بنفس الوجود و لم یفتقروا إلی التعلق بأفعاله فی إثبات ربوبیته –قرآن–۲۰۱–۲۸۵–قرآن–۳۹۶–۴۵۰

الفصل الثالث فی أن هویته تعالی غیرهویة البشر

و ذلک معنی قوله ع وامتنع علی عین البصیر و قوله و لاقلب من أثبته یبصره و قوله و لم یطلع العقول علی تحدید صفته فنقول إن جمهور المتکلمین زعموا أنانعرف حقیقة ذات الإله و لم یتحاشوا من القول بأنه تعالی لایعلم من ذاته إلا مانعلمه نحن منها

وذهب ضرار بن عمرو أن الله تعالى ماهيـة لايعلمها إلا هو و هـذا هومـذهب [صـفحه ۲۲۳] الفلاسـفة و قدحكى عن أبى حنيفة وأصحابه أيضا و هوالظاهر من كلام أمير المؤمنين ع فى هذاالفصل

الفصل الرابع فى نفى التشبيه عنه تعالى

و هومعنى قوله ع بعد وقرب أى فى حال واحدة و ذلك يقتضى نفى كونه تعالى جسما وكذلك قوله ع فلااستعلاؤه باعده و لاقربه ساواهم فى المكان به فنقول إن مذهب جمهور المتكلمين نفى التشبيه و هذاالقول يتنوع أنواعا.النوع الأول نفى كونه تعالى جسما مركبا أوجوهرا فردا غيرمركب والمراد بالجوهر هاهنا الجرم والحجم و هوقول المعتزلة وأكثر محققى المتكلمين من سائر الفرق و إليه ذهبت الفلاسفة أيضا. و قال قوم من مستضعفى المتكلمين خلاف ذلك فذهب هشام بن الحكم إلى أنه تعالى جسم مركب كهذه الأجسام واختلفت الحكاية عنه فروى عنه أنه قال إنه يشبر نفسه سبعة أشبار وروى عنه أنه قال إنه على هيئة السبيكة وروى عنه أنه قال إنه على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة من حيث أتيتها رأيتها على هيئة واحدة وروى عنه أيضا قال إنه ذو صورة وأصحابه من الشيعة يدفعون اليوم هذه الحكايات عنه ويزعمون أنه لم يزد على قوله أنه جسم لاكالأجسام و أنه إنما أراد بإطلاق هذااللفظ عليه إثباته . [صفحه ۲۲۴] وصدقوا عنه أنه كان يطلق عليه كونه نورا لقول الله سبحانه اللّهُ نُورُ السّماواتِ وَ الأَرضِ مَثَلُ نُورِهِ. وحكى عن محمد بن النعمان الأحول المعروف بشيطان الطاق وهشام بن سالم المعروف بالجواليقى و أبى مالك بن الحضرمى أنه نور على صورة الإنسان وأنكروا مع ذلك أن يكون جسما و هذه مناقضة ظاهرة. وحكى عن على بن ميثم مثله و قدحكى عنه أنه كان يقول بالصورة والجسم . وحكى عن مقاتل بن سليمان وداود الجواربى ونعيم بن حماد المصرى أنه فى صورة الإنسان و أنه لحم ودم و له جوارح وأعضاء من يد و رجل ولسان ورأس وعينين و هو مع ذلك لايشبه غيره و لايشبهه غيره وافقهم على ذلك جماعة من العامة و من لانظر له . وحكى عن داود الجواربى أنه قال اعفونى من الفرج واللحية وسلونى عما وراء ذلك وحكى عنه أنه قال هوأجوف من فيه إلى صدره و ماسوى ذلك مصمت . وحكى أبوعيسى الوراق أن هشام بن سالم الجواليقى كان يقول إن له وفرة سوداء. وذهب جماعة من هؤلاء إلى القول بالمؤانسة والخلوة والمجالسة والمحادثة. وسئل بعضهم عن معنى قوله تعالى فِى مَقعَدِ صِدقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقتَدِرٍ فقال يقعد معه على سريره ويغلفه بيده . و قال بعضهم سألت معاذا العنبرى فقلت أ له وجه فقال نعم حتى عددت -قرآن-۶۳-۱۱۱-قرآن-۹۷۵-۱۰۱۵ [صفحه ۲۲۵] جميع الأعضاء من أنف وفم وصدر وبطن واستحييت أن أذكر الفرج فأومأت بيدى إلى فرجى فقال نعم فقلت أذكر أم أنثى فقال ذكر. ويقال إن ابن خزيمة أشكل عليه القول فى أنه أذكر أم أنثى فقال له بعض أصحابه إن هذامذكور فى القرآن و هو قوله تعالى وَ لَيسَ الذّكَرُ كَالأُنثى فقال أفدت وأجدت وأودعه كتابه . ودخل إنسان على معاذ بن معاذ يوم عيد و بين يديه لحم فى طبيخ سكباج فسأله عن البارئ تعالى فى جملة ماسأله فقال هو و الله مثل هذا ألذى بين يدى لحم ودم . وشهد بعض المعتزلة عندمعاذ بن معاذ فقال له لقد هممت أن أسقطك لو لاأنى سمعتك تلعن حماد بن سلمة فقال أماحماد فلم ألعنه ولكنى ألعن من يقول إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء إلى الأرض على جمل أحمر فى هودج من ذهب فإن كان حماد يروى هذا أويقوله فعليه لعنة الله فقال أخرجوه فأخرج . و قال بعضهم خرجنا يوم عيد إلى المصلى فإذاجماعة بين يدى أمير والطبول تضرب والأعلام تخفق فقال واحد من خلفنا أللهم لاطبل إلاطبلك فقل له لاتقل هكذا فليس لله تعالى طبل فبكى و قال أرأيتم هويجىء وحده و لايضرب بين يديه طبل و لاينصب على رأسه علم فإذن هودون الأمير. وروى بعضهم أنه تعالى أجرى خيلا فخلق نفسه من مثلها. وروى قوم منهم أنه نظر فى المرآة فرأى صورة نفسه فخلق آدم عليها. ورووا أنه

يضحک حتی تبدو نواجذه . -قرآن-۲۵۶-۲۸۲ [صفحه ۲۲۶] ورووا أنه أمرد جعد قطط فی رجليه نعلان من ذهب و أنه فی روضة خضراء علی كرسی تحمله الملائكة. ورووا أنه يضع رجلا علی رجل ويستلقی فإنها جلسة الرب . ورووا أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه و أنه اشتكی عينه فعادته الملائكة و أنه يتصور بصورة آدم ويحاسب الناس فی القيامة و له حجاب من الملائكة يحجبونه . ورووا عن النبی ص أنه قال رأيت ربی فی أحسن صورة فسألته عما يختلف فيه الملأ الأعلی فوضع يده بين كتفی فوجدت بردها فعلمت مااختلفوا فيه -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۱۵۱ . ورووا أنه ينزل إلی السماء الدنيا فی نصف شعبان و أنه جالس علی العرش قدفضل منه أربع أصابع من كل جانب و أنه يأتی الناس يوم القيامة فيقول أناربكم فيقولون نعوذ بالله منک فيقول لهم أفتعرفونه إن رأيتموه فيقولون بيننا وبينه علامة فيكشف لهم عن ساقه و قدتحول فی الصورة التی يعرفونها فيخرون له سجدا. ورووا أنه يأتی فی غمام فوقه هواء وتحته هواء. و كان بطبرستان قاص من المشبهة يقص علی الناس فقال يوما فی قصصه إن يوم القيامة تجیء فاطمة بنت محمدمعها قميص الحسين ابنها تلتمس القصاص من يزيد بن معاوية فإذارآها الله تعالی من بعيد دعا يزيد و هو بين يديه فقال له ادخل تحت قوائم العرش لاتظفر بک فاطمة فيدخل ويختبئ وتحضر فاطمة فتتظلم وتبكی فيقول سبحانه انظری يافاطمة إلی قدمی ويخرجها إليها و به جرح من سهم نمرود [صفحه ۲۲۷] فيقول هذاجرح نمرود فی قدمی و قدعفوت عنه أ فلاتعفين أنت عن يزيد فتقول هی أشهد يارب أنی قدعفوت عنه . وذهب بعض متكلمی المجسمة إلی أن الباریء تعالی مركب من أعضاء علی حروف المعجم . و قال بعضهم إنه ينزل علی حمار فی صورة غلام أمرد فی رجليه نعلان من ذهب و علی وجهه فراش من ذهب يتطاير. و قال بعضهم إنه فی صورة غلام أمرد صبيح الوجه عليه كساء أسود ملتحف به . وسمعت أنا فی عصری هذا من قال فی قوله تعالی وَ تَرَی المَلائِكَةَ حَافّينَ مِن حَولِ العَرشِإنهم قيام علی رأسه بسيوفهم وأسلحتهم فقال له آخر علی سبيل التهكم به يحرسونه من المعتزلة أن يفتكوا به فغضب و قال هذاإلحاد. ورووا أن النار تزفر وتتغيظ تغيظا شديدا فلاتسكن حتی يضع قدمه فيهافتقول قط قط أی حسبی حسبی ويرفعون هذاالخبر مسندا و قدذكر شبيه به فی الصحاح . وروی فی الكتب الصحاح أيضا أن الله خلق آدم علی صورته وقيل إن فی التوراة نحو ذلک فی السفر الأول . واعلم أن أهل التوحيد يتأولون مايحتمل التأويل من هذه الروايات علی وجوه محتملة غيرمستبعدة و ما لايحتمل التأويل منها يقطعون ببطلانه وبأنه موضوع وللاستقصاء فی هذاالمعنی موضع غير هذاالموضع . وحكی أبوإسحاق النظام و محمد بن عيسی برغوث أن قوما قالوا إنه تعالی الفضاء نفسه و ليس بجسم لأن الجسم يحتاج إلی مكان ونفسه مكان الأشياء. -قرآن-۴۳۳-۴۸۰ [صفحه ۲۲۸] و قال برغوث وطائفة منهم يقولون هوالفضاء نفسه و هوجسم تحل الأشياء فيه و ليس بذی غاية و لانهاية واحتجوا بقوله تعالی وَ جاهِدُوا فِی اللّهِ حَقّ جِهادِهِ.فأما من قال إنه جسم لاكالأجسام علی معنی أنه بخلاف العرض ألذی يستحيل أن يتوهم منه فعل ونفوا عنه معنی الجسمية وإنما أطلقوا هذه اللفظة لمعنی أنه شیء لاكالأشياء وذات لاكالذوات فأمرهم سهل لأن خلافهم فی العبارة وهم علی بن منصور والسكاک ويونس بن عبدالرحمن والفضل بن شاذان و كل هؤلاء من قدماء رجال الشيعة و قد قال بهذا القول ابن كرام وأصحابه قالوا معنی قولنا فيه سبحانه أنه جسم أنه قائم بذاته لابغيره . والمتعصبون لهشام بن الحكم من الشيعة فی وقتنا هذايزعمون أنه لم يقل بالتجسيم المعنوی وإنما قال إنه جسم لاكالأجسام بالمعنی ألذی ذكرناه عن يونس والسكاک وغيرهما و إن كان الحسن بن موسی النوبختی و هو من فضلاء الشيعة قدروی عنه التجسيم المحض فی كتاب الآراء والديانات .النوع الثانی نفی الأعضاء والجوارح عنه سبحانه فالذی يذهب إليه المعتزلة وسائر المحققين من المتكلمين نفی ذلک عنه و قدتأولوا ماورد فی القرآن العزيز من ذلک من نحو قوله تعالی لِما خَلَقتُ بِيدَیّ و قوله سبحانه عَلی ما فَرّطتُ فِی جَنبِ اللّهِ و غير ذلک وحملوه علی وجوه صحيحة جائزة فی اللغة العربية. وأطلقت الكرامية عليه سبحانه لفظ اليدين والوجه وقالوا لانتجاوز الإطلاق -قرآن-۱۲۵-۱۶۰-قرآن-۱۰۶۱-۱۰۸۲-قرآن-۱۰۹۸-۱۱۲۹ [صفحه ۲۲۹] و لانفسر ذلک و لانتأوله وإنما نقتصر علی

إطلاق ماورد به النص . وأثبت الأشعرى اليدين صفة قائمة بالبارئ سبحانه وكذلك الوجه من غيرتجسيم . وقالت المجسمة إن لله تعالى يدين هما عضوان له وكذلك الوجه والعين وأثبتوا له رجلين قدفضلتا عن عرشه وساقين يكشف عنهما يوم القيامة وقدما يضعها فى جهنم فتمتلئ وأثبتوا له ذلك معنى لالفظا وحقيقة لامجازا.فأما أحمد بن حنبل فلم يثبت عنه تشبيه و لاتجسيم أصلا وإنما كان يقول بترك التأويل فقط ويطلق ماأطلقه الكتاب والسنة و لايخوض فى تأويله ويقف على قوله تعالى وَ ما يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلّا اللّهُ وأكثر المحصلين من أصحابه على هذاالقول .النوع الثالث نفى الجهة عنه سبحانه فالذى يذهب إليه المعتزلة وجمهور المحققين من المتكلمين أنه سبحانه ليس فى جهة و لامكان و أن ذلك من توابع الجسمية أوالعرضية اللاحقة بالجسمية فإذاانتفى عنه كونه جسما وكونه عرضا لم يكن فى جهة أصلا و إلى هذاالقول يذهب الفلاسفة. وذهبت الكرامية والحشوية إلى أن الله تعالى فى جهة فوق و إليه ذهب هشام بن الحكم و على بن منصور ويونس بن عبدالرحمن وهشام بن سالم الجواليقى وكثير من أهل الحديث . وذهب محمد بن الهيصم متكلم الكرامية إلى أنه تعالى ذات موجودة منفردة بنفسها عن سائر الموجودات لاتحل شيئا حلول الأعراض و لاتمازج شيئا ممازجة الأجسام -قرآن-٥٢٦-٥٦٢ [صفحه ٢٣٠] بل هومباين للمخلوقين إلا أنه فى جهة فوق وبينه و بين العرش بعد لايتناهى .هكذا يحكى المتكلمون عنه و لم أره فى شىء من تصانيفه وأحالوا ذلك لأن ما لايتناهى لا يكون محصورا بين حاصرين و أناأستبعد عنه هذه الحكاية لأنه كان أذكى من أن يذهب عليه فساد هذاالقول وحقيقة مذهب مثبتى المكان أنه سبحانه متمكن على العرش كمايتمكن الملك على سريره فقيل لبعض هؤلاء أ هوأكبر من العرش أم أصغر أم مساو له فقال بل أكبر من العرش فقيل له فكيف يحمله فقال كماتحمل رجلا الكركى جسم الكركى وجسمه أكبر من رجليه ومنهم من يجعله مساويا للعرش فى المقدار و لايمتنع كثير منهم من إطلاق القول بأن أطرافه تفضل عن العرش و قدسمعت أنا من قال منهم إنه مستو على عرشه كما أنامستو على هذه الدكة ورجلاه على الكرسى ألذى وسع السموات و الأرض والكرسى تحت العرش كمايجعل اليوم الناس تحت أسرتهم كراسى يستريحون بوضع أرجلهم عليها. و قال هؤلاء كلهم إنه تعالى ينزل ويصعد حقيقة لامجازا وإنه يتحرك وينزل فمن ذلك نزوله إلى السماء الدنيا كماورد فى الخبر و من ذلك إتيانه ومجيئه كمانطق به الكتاب العزيز فى قوله سبحانه هَل يَنظُرُونَ إِلّا أَن يَأتِيَهُمُ اللّهُ فِى ظُلَلٍ مِنَ الغَمامِ و قوله وَ جاءَ رَبُّكَ وَ المَلَكُ صَفّا صَفّا. وأطلق ابن الهيصم عليه هذه الألفاظ اتباعا لماورد فى الكتاب والسنة و قال لاأقول بمعانيها و لاأعتقد حركته الحقيقية وإنما أرسلها إرسالا كماوردت و أماغيره فاعتقد معانيها حقيقة و قال ابن الهيصم فى كتاب المقالات إن أكثر الحشوية يجيز عليه تعالى العدو والهرولة. -قرآن-١٠٤٧-١١١٤-قرآن-١١٢٣-١١٦٠ [صفحه ٢٣١] و قال قوم منهم إنه تعالى يجوز أن ينزل فيطوف البلدان ويدور فى السكك . و قال بعض الأشعريين إن سائلا سأل السكاك فقال إذاأجزت عليه الحركة فهلا أجزت عليه أن يطفر فقال لايجوز عليه الطفر لأن الطفر إنما يكون فرارا من ضد أواتصالا بشكل فقال له فالحركة أيضا كذلك فلم يأت بفرق .فأما القول بأنه تعالى فى كل مكان فإن المعتزلة يقولون ذلك وتريد به أنه و إن لم يكن فى مكان أصلا فإنه عالم بما فى كل مكان ومدبر لما فى كل مكان وكأنه موجود فى جميع الأمكنة لإحاطته بالجميع . و قال قوم من قدماء الفلاسفة إن البارئ تعالى روح شديد فى غاية اللطافة و فى غاية القوة ينفذ فى كل العالم وهؤلاء يطلقون عليه أنه فى كل مكان حقيقة لاتأويلا و من هؤلاء من أوضح هذاالقول و قال إنه تعالى سار فى هذاالعالم سريان نفس الواحد منا فى بدنه فكما أن كل بدن منا له نفس سارية فيه تدبره كذلك البارئ سبحانه هونفس العالم وسار فى كل جزء من العالم فهو إذا فى كل مكان بهذا الاعتبار لأن النفس فى كل جزء من البدن . وحكى الحسن بن موسى النوبختى عن أهل الرواق من الفلاسفة أن الجوهر الإلهى سبحانه روح نارى عقلى ليس له صورة لكنه قادر على أن يتصور بأى صورة شاء ويتشبه بالكل وينفذ فى الكل بذاته وقوته لابعلمه وتدبيره .النوع الرابع نفى كونه عرضا حالا فى المحل فالذى تذهب إليه المعتزلة وأكثر المسلمين والفلاسفة

نفى ذلـك القول باستحالته عليه سبحانه لوجوب وجوده وكون كـل حال فى الأجسام ممكنا بل حادثا. [صـفحه ۲۳۲] وذهبت الحلوليـة من أهـل الملـة وغيرهـا إلى أنه تعالى يحل فى بعض الأجسام دون بعض كمايشاء سبحانه و إلى هـذاالقول ذهب أكثر الغلاـة فى أمير المـؤمنين ومنهم من قـال بانتقـاله من أمير المؤمنين ع إلى أولاـده ومنهم من قـال بانتقـاله من أولاـده إلى قوم من شيعته وأوليائه واتبعهم على هذه المقالة قوم من المتصوفة كالحلاجية والبسطامية وغيرهم . وذهبت النسـطورية من النصارى إلى حلول الكلمـة فى بـدن عيسـى ع كحلول السواد فى الجسم .فأمـا اليعقوبيـة من النصـارى فلاتثبت الحلول وإنما تثبت الاتحاد بين الجوهر الإلـهى والجوهر الجسـمانى و هوأشـد بعـدا من الحلول .النوع الخـامس فى نفى كونه تعالى محلا لشـىء ذهبت المعتزلة وأكثر أهل الملة والفلاسـفة إلى نفى ذلك والقول باستحالته على ذاته سبحانه . وذهبت الكرامية إلى أن الحوادث تحل فى ذاته فإذاأحـدث جسـما أحـدث معنى حالاـ فى ذاته و هوالإحـداث فحـدث ذلك الجسم مقارنا لـذلك المعنى أوعقيبه قالوا و ذلك المعنى هوقـول كن و هوالمسـمى خلقـا والخلـق غيرالمخلـوق قـال الله تعـالى مـا أَشـهَدتُهُم خَلقَ السّـماواتِ وَ الأَرضِ وَ لاـ خَلقَ أَنفُسِـهِمقالوا لكنه قدأشهدنا ذواتها فدل على أن خلقها غيرها. -قرآن-۹۳۶-۱۰۰۰ [صفحه ۲۳۳] وصرح ابن الهيصم فى كتاب المقالاـت بقيام الحوادث بـذات البارئ فقال إنه تعالى إذاأمر أونهى أوأراد شيئا كان أمره ونهيه وإراداته كائنـة بعـد أن لم تكن وهى قائمـة به لأن قوله منه يسـمع وكـذلك إرادته منه توجـد. قال و ليس قيام الحوادث بذاته دليلا على حدوثه وإنما يدل على الحدوث تعاقب الأضداد التى لايصح أن يتعطل منها والبارئ تعالى لاتتعاقب عليه الأضداد. وذهب أبوالبركات البغدادى صاحب المعتبر إلى أن الحوادث تقوم بـذات البارئ سـبحانه وإنه لايصـح إثبات الإلهيـة إلابذلك و قال إن المتكلمين ينزهونه عن ذلك والتنزيه عن هـذاالتنزيه هوالـواجب . وذهب أصـحابنا وأكـثر المتكلمين إلى أن ذلـك لايصـح فى حق واجب الوجود و أنه دليل على إمكان ذاته بل على حدوثها وأجازوا مع ذلك عليه أن يتجدد له صـفات يعنون الأحوال لاالمعانى نحو كونه مدركا بعد أن لم يكن وكقول أبى الحسين أنه يتجدد له عالمية بما وجد و كان من قبل عالما بأنه سيوجد وإحدى هاتين الصفتين غيرالأخرى . وقـالوا إن الصـفات والأحوال قيل مفرد عن المعانى والمحال إنما هوحلول المعانى فى ذاته لاتجـدد الصـفات لـذاته وللكلام فى هذاالباب موضع هوأليق به .النوع السادس فى نفى اتحاده تعالى بغيره ذهب أكثر العقلاء إلى اسـتحالة ذلك وذهبت اليعقوبية من النصارى إلى أن الكلمة اتحدت بعيسـى فصارت جوهرا من جوهرين أحدهما إلهى والآخر جسـمانى و قدأجاز الاتحاد فى نفس الأمر لا فى ذات [صـفحه ۲۳۴] البـارئ قوم من قـدماء الفلاسـفة منهم فرفريوس وأجازه أيضا منهم من ذهب إلى أن النفس إنما تعقـل المعقولاـت لاتحادهـا بـالجوهر المفـارق المفيض للنفوس على الأبـدان و هوالمسـمى بالعقـل الفعال .النوع السابع فى نفى الأعراض الجسـمانية عنه من التعب والاستراحة والألم واللذة والغم والسرور ونحو ذلك . وذهبت المعتزلة وأكثر العقلاء من أهل الملة وغيرهم إلى نفى ذلك والقول باسـتحالته عليه سـبحانه . وذهبت الفلاسـفة إلى جواز اللذة عليه وقالوا إنه يلتذ بإدراك ذاته وكمـاله لأـن إدراك الكمال هواللـذة أوسبب اللـذة و هو تعالى أكمل الموجودات وإدراكه أكمل الإدراكات و إلى هـذاالقول ذهب محمدالغزالى من الأشـعرية. وحكى ابن الراوندى عن الجاحظ أن أحد قدماء المعتزلة ويعرف بأبى شـعيب كان يجوز عليه تعـالى السـرور والغم والغيرة والأـسف ويـذكر فى ذلـك ماروى عن النبى ص أنه قال لاأحـد أغير من الله وإنه تعالى يفرح بتوبة عبده ويسر بها -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۸۸ . و قال تعالى فَلَمّا آسَـفُونا انتَقَمنا مِنهُم و قال مقال المتحسـر على الشـىءيا حَسرَةً عَلَى العِبـادِ وحكى عنه أيضـا أنه يجوز عليه أن يتعب ويستريـح ويحتـج بقوله وَ مـا مَسّـنا مِن لُغُوبٍ. -قرآن-۱۶-۴۸-قرآن-۸۰-۱۰۴-قرآن-۱۶۷-۱۹۰ [صفحه ۲۳۵] و هذه الألفاظ كلها عندأصـحابنا متأولة محمولة على محامل صـحيحة تشتمل على شرحها الكتب المبسوطة.النوع الثامن فى أنه تعالى ليس بمتلون لم يصـرح أحد من العقلاء قاطبة بأن الله تعالى متلون وإنما ذهب قوم من أهل التشبيه والتجسـيم إلى أنه نور فإذاأبصـرته العيون وأدركته أبصـرت شخصا نورانيا مضيئا لم يزيدوا على ذلك و لم يصرحوا

بإثبات اللون بهذه العبارة و إن كان كل مضيء ملونا.النوع التاسع فى أنه تعالى لايشتهى و لاينفر ذهب شيوخنا المتكلمون إلى أنه سبحانه لايصح عليه الشهوة والنفرة لأنهما إنما يصحان على مايقبل الزيادة والنقصان بطريق الاغتذاء والنمو والبارئ سبحانه و تعالى يتعالى عن ذلک و ماعرفت لأحد من الناس خلافا فى ذلک أللهم إلا أن يطلق هاتان اللفظتان على مسمى الإرادة والكراهية على سبيل المجاز.النوع العاشر فى أن البارئ تعالى غيرمتناهى الذات قالت المعتزلة لما كان البارئ تعالى ليس بجسم وجسمانى وكانت النهاية من لواحق الأشياء ذوات المقادير يقال هذاالجسم متناه أى ذو طرف .قلنا إن ذات البارئ تعالى غيرمتناهية لا على معنى أن امتداد ذاته غيرمتناه فإنه سبحانه ليس بذى امتداد بل بمعنى أن الموضوع ألذى يصدق عليه النهاية ليس بمتحقق فى حقه سبحانه فقلنا إن ذاته غيرمتناهية كما يقول المهندس إن النقطة غيرمتناهية لا على معنى أن لها امتدادا غيرمتناه فإنها ليست بممتدة أصلا بل على معنى أن الأمر [صفحه ۲۳۶] ألذى تصدق عليه النهاية و هوالامتداد لايصدق عليها فإذن صدق عليها أنها غيرمتناهية و هذاقول الفلاسفة وأكثر المحققين . وقالت الكرامية البارئ تعالى ذات واحدة منفردة عن العالم قائمة بنفسها مباينة للموجودات متناهية فى ذاتها و إن كنا لانطلق عليها هذااللفظ لما فيه من إيهام انقطاع وجودها وتصرم بقائها. وأطلق هشام بن الحكم وأصحابه عليه تعالى القول بأنه متناهى الذات غيرمتناهى القدرة. و قال الجاحظ إن لى قوما زعموا أنه تعالى ذاهب فى الجهات الست التى لانهاية لها.النوع الحادى عشر فى أنه تعالى لاتصح رؤيته قالت المعتزلة رؤية البارئ تعالى مستحيلة فى الدنيا والآخرة وإنما يصح أن يرى المقابل ذو الجهة. وقالت الكرامية والحنابلة والأشعرية تصح رؤيته ويرى فى الآخرة يراه المؤمنون ثم اختلفوا فقالت الكرامية والحنابلة يرى فى جهة فوق وحكى عن مضر وكهمس و أحمدالجبى أنهم أجازوا رؤيته فى الدنيا وملامسته ومصافحته وزعموا أن المخلصين يعانقونه متى شاءوا ويسمون الحبية. وحكى شيخنا أبو الحسين فى التصفح عن أيوب السجستانى من المرجئة أن البارئ تعالى تصح رؤيته ولمسه . وذهب قوم إلى أنهم لا يزالون يرون الله تعالى و أن الناس كلهم كافرهم ومؤمنهم يرونه ولكن لايعرفونه . [صفحه ۲۳۷] و قال من ترفع عن هذه الطبقة منهم لايجوز أن يرى بعين خلقت للفناء وإنما يرى فى الآخرة بعين خلقت للبقاء. و قال كثير من هؤلاء إن محمداص رأى ربه بعينى رأسه ليلة المعراج . ورووا عن كعب الأحبار أن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى و محمد ع . ورووا عن المبارك بن فضالة أن الحسن كان يحلف بالله قدرأى محمدربه . وتعلق كثير منهم بقوله تعالى وَ لَقَد رَآهُ نَزلَةً أُخرى وقالوا كلمه موسى ع مرتين ورآه محمدص مرتين . وأنكر ابن الهيصم مع اعتقاده أقوال الكرامية ذلک و قال إن محمداص لم يره ولكنه سوف يراه فى الآخرة. قال و إلى هذاالقول ذهبت عائشة و أبوذر وقتادة و قدروى مثله عن ابن عباس و ابن مسعود. واختلف من قال إنه يرى فى الآخرة هل يجوز أن يراه الكافر فقال أكثرهم إن الكفار لايرونه لأن رؤيته كرامة والكافر لاكرامة له وقالت السالمية وبعض الحشوية إن الكفار يرونه يوم القيامة و هوقول محمد بن إسحاق بن خزيمة ذكر ذلک عنه محمد بن الهيصم .فأما الأشعرى وأصحابه فإنهم لم يقولوا كما قال هؤلاء إنه يرى كمايرى الواحد منا بل قالوا يرى و ليس فوقا و لاتحتا و لايمينا و لاشمالا و لاأماما و لاوراء و لا يرى كله و لابعضه و لا هو فى مقابلة الرائى و لامنحرفا عنه و لاتصح الإشارة إليه إذارئى -قرآن-۳۶۶-۳۹۳ [صفحه ۲۳۸] و هو مع ذلک يرى ويبصر وأجازوا أيضا عليه أن تسمع ذاته و أن تشم وتذاق وتحس لا على طريق الاتصال بل تتعلق هذه الإدراكات كلها بذاته تعلقا عاريا عن الاتصال وأنكرت الكرامية ذلک و لم يجيزوا عليه إلاإدراک البصر وحده وناقضهم شيخنا أبو الحسين فى التصفح وألزمهم أحد أمرين إما نفى الجميع أوإثبات إدراكه من جميع الجهات كمايقوله الأشعرية. وذهب ضرار بن عمرو إلى أن الله تعالى يرى يوم القيامة بحاسة سادسة لابهذا البصر وقيل ذلک عن جماعة غيره . و قال قوم يجوز أن يحول الله تعالى قوة القلب إلى العين فيعلم الله تعالى بهافيكون ذلک الإدراک علما باعتبار أنه بقوة القلب ورؤية باعتبار أنه قدوقع بالمعنى الحال فى العين .فهذه الأنواع الأحد عشر هى الأقوال والمذاهب التى يشتمل قوله ع بنفى التشبيه عليها وسيأتى من كلامه

ع فى نفى التشبيه ما هوأشد تصريحا من الألفاظ التى نحن فى شرحها

الفصل الخامس فى بيان أن الجاحد له مكابر بلسانه ومثبت له بقلبه

و هومعنى قوله ع فهو ألـذى تشـهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذى الجحود. لاشـبهة فى أن العلم بافتقار المتغير إلى المغير ضرورى والعلـم بـأن المتغير ليس هـوالمغير [صـفحه ٢٣٩] إمـا أن يكون ضـروريا أوقريبـا من الضـرورى فإذا قدشـهدت أعلام الوجود على أن الجاحـد لإثبـات الصـانع إنمـا هوجاحـد بلسـانه لا بقلبه لأن العقلاء لايجحـدون الأوليـات بقلوبهم و إن كـابروا بألسـنتهم و لم يذهب أحد من العقلاء إلى نفى الصانع سبحانه . و أماالقائلون بأن العالم وجد عن طبيعة و أن الطبيعة هى المدبرة له والقائلون بتصادم الأجزاء فى الخلاء ألذى لانهاية له حتى حصل منها هذاالعالم والقائلون بأن أصل العالم وأساس بنيته هوالنور والظلمة والقائلون بأن مبادئ العالم هى الأعداد المجردة والقائلون بالهيولى القديمة التى منها حدث العالم والقائلون بعشق النفس للهيولى حتى تكونت منهـا هـذه الأجسام فكل هؤلاء أثبتوا الصانع وإنما اختلفوا فى ماهيته وكيفيـة فعله . و قال قاضـى القضاة إن أحـدا من العقلاء لم يـذهب إلى نفى الصانع للعالم بالكليـة ولكن قوما من الوراقين اجتمعوا ووضـعوا بينهم مقالة لم يذهب أحد إليهـا وهى أن العـالم قـديم لم يزل على هيئته هـذه و لا إله للعالم و لاصانع أصـلا وإنما هوهكـذا مازال و لايزال من غيرصانع و لامؤثر. قال وأخـذ ابن الراوندى هذه المقالة فنصـرها فى كتابه المعروف بكتاب التاج قال فأما الفلاسـفة القدماء والمتأخرون فلم ينفوا الصـانع وإنمـا نفوا كونه فاعلا بالاختيـار وتلـك مسألـة أخرى قـال والقول بنفى الصـانع قريب من القول بالسفسـطة بل هو هوبعينه لأن من شـك فى المحسوس أعـذر ممن قال إن المتحركات تتحرك من غيرمحرك حركها. وقول قاضـى القضاة هـذا هومحض كلام أمير المؤمنين ع وعينه و ليس قول الجاحـظ هو هـذالأن الجاحـظ يـذهب إلى أن جميع المعارف والعلوم الإلهية ضرورية ونحن ماادعينا فى هذاالمقام إلا أن العلم بإثبات الصانع فقط هوالضرورى فأين أحد القولين من الآخر [صفحه ٢٤٠]

٥٠- و من خطبة له ع

إِنّمَا بَدءُ وُقُوعِ الفِتَنِ أَهوَاءٌ تُتّبَعُ وَ أَحكَامٌ تُبتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللّهِ وَ يَتَوَلّى عَلَيهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيرِ دِينِ اللّهِ فَلَو أَنّ البَاطِلَ خَلَصَ مِن مِزَاجِ الحَقّ لَم يَخفَ عَلَى المُرتَادِينَ وَ لَو أَنّ الحَقّ خَلَصَ مِن لَبسِ البَاطِلِ انقَطَعَت عَنهُ أَلسُنُ المُعَانِدِينَ وَ لَكِن يُؤخَذُ مِن هَذَا ضِغثٌ وَ مِن هَذَا ضِغثٌ فَيُمزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَستَولِي الشّيطَانُ عَلَى أَولِيَائِهِ وَ يَنجُو الّذِينَ سَبَقَت لَهُم مِنَ اللّهِ الحُسنَى المرتاد الطالب والضـغث من الحشـيش القبضـة منه قال الله تعالى وَ خُذ بِيَدِكَ ضِغثاً. يقول ع إن المذاهب الباطلة والآراء الفاسدة التى يفتتن الناس بهاأصـلها اتباع الأهواء وابتـداع الأحكام التى لم تعرف يخالف فيهاالكتاب وتحمل العصبيـة والهوى على تولى أقوام قـالوا بهـا على غيروثيقـة من الـدين ومسـتند وقـوع هـذه الشـبهات امـتزاج الحـق بالباطـل فى النظر ألـذى هوالطريق إلى اسـتعلام المجهولات فلـو أن النظر تخلص مقـدماته وترتب قضايـاه من قضايـا باطلـة لكـان الواقع عنه هوالعلم المحض وانقطع عنه ألسـن المخـالفين وكـذلك لو كـان النظر تخلص مقـدماته من قضايـا صـحيحة بـأن كان كله مبنيا -قرآن-٦٥-٨٦ [صـفحه ٢٤١] على الفساد لظهر فساده لطلبة الحق وإنما يقع الاشتباه لامتزاج قضاياه الصادقة بالقضايا الكاذبة.مثال ذلك احتجاج من أجاز الرؤية بأن البارئ تعالى ذات موجودة و كل موجود يصـح أن يرى فإحـدى المقدمتين حق والأخرى باطل فالتبس أمر النتيجة على كثير من النـاس . ومثـال ما يكون المقـدمتان جميعا باطلتين قول قوم من الباطنيـة البارئ لاموجود و لامعـدوم و كل ما لا يكون موجودا و

لامعدوما يصح أن يكون حيا قادرا فالبارئ تعالى يصح أن يكون حيا قادرا فهاتان المقدمتان جميعا باطلتان لاجرم أن هذه المقالة مرغوب عنها عندالعقلاء. ومثال ماتكون مقدماته حقا كلها العالم متغير و كل متغير ممكن فالعالم ممكن فهذا مما لاخلاف فيه بين العقلاء. فإن قيل فما معنى قوله ع فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى أ ليس هذاإشعارا بقول المجبرة وتلويحا به .قيل لاإشعار فى ذلك بالجبر ومراده ع أنه إذاامتزج فى النظر الحق بالباطل وتركبت المقدمات من قضايا صحيحة وفاسدة تمكن الشيطان من الإضلال والإغواء ووسوس إلى المكلف وخيل له النتيجة الباطلة وأماله إليها وزينها عنده بخلاف ما إذاكانت المقدمات حقا كلها فإنه لايقدر الشيطان على أن يخيل له مايخالف العقل الصريح و لا يكون له مجال فى تزيين الباطل عنده أ لاترى أن الأوليات لاسبيل للإنسان إلى جحدها وإنكارها لابتخييل الشيطان و لابغير ذلك . [صفحه ۲۴۲] ومعنى قوله على أوليائه أى على من عنده استعداد للجهل وتمرن على اتباع الهوى وزهد فى تحقيق الأمور العقلية على وجهها تقليدا للأسلاف ومحبة لأتباع المذهب المألوف فذاك هو ألذى يستولى عليه الشيطان ويضله وينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى وهم الذين يتبعون محض العقل و لايركنون إلى التقليد ويسلكون مسلك التحقيق وينظرون النظر الدقيق يجتهدون فى البحث عن مقدمات أنظارهم و ليس فى هذاالكلام تصريح بالجبر و لاإشعار به على وجه من الوجوه و هذاواضح . وحمل الراوندى قوله ع فلو أن الباطل خلص إلى آخره على أن المراد به نفى القياس فى الشرع قال لأن القائسين يحملون المسكوت عنه على المنطوق فيمتزج المجهول بالمعلوم فيلتبس ويظن لامتزاج بعضه ببعض حقا و هذا غيرمستقيم لأن لفظ الخطبة أن الحق يمتزج بالباطل وأصحاب القياس لايسلمون أن استخراج العلة من الحكم المعلوم باطل بل يقولون إنه حق و إن الدليل الدال على ورود العبارة بالقياس قدأمنهم من كونه باطلا. واعلم أن هذاالكلام ألذى قاله ع حق إذاتأملته و إن لم تفسره على ماقدمناه من التفسير فإن الذين ضلوا من مقلدة اليهود والنصارى وأرباب المقالات الفاسدة من أهل الملة الإسلامية وغيرها إنما ضل أكثرهم بتقليد الأسلاف و من يحسن الظن فيه من الرؤساء وأرباب المذاهب وإنما قلدهم الأتباع لماشاهدوا من إصلاح ظواهرهم ورفضهم الدنيا وزهدهم فيها وإقبالهم على العبادة وتمسكهم بالدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وشدتهم فى ذات الله وجهادهم فى سبيله وقوتهم فى [صفحه ۲۴۳] مذاهبهم وصلابتهم فى عقائدهم فاعتقد الأتباع والخلف والقرون التى جاءت بعدهم أن هؤلاء يجب اتباعهم وتحرم مخالفتهم و أن الحق معهم و أن مخالفهم مبتدع ضال فقلدوهم فى جميع مانقل إليهم عنهم ووقع الضلال والغلط بذلك لأن الباطل استتر وانغمر بما مازجه من الحق الغالب الظاهر المشاهد عيانا أوالحكم الظاهر ولولاه لماتروج الباطل و لا كان له قبول أصلا [صفحه ۲۴۴]

۵۱– و من كلام له ع لماغلب أصحاب معاوية أصحابه ع على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء

اشاره

قَدِ استَطعَمُوكُمُ القِتَالَ فَأَقِرّوا عَلَى مَذَلّةٍ وَ تَأخِيرِ مَحَلّةٍ أَو رَوّوا السّيُوفَ مِنَ الدّمَاءِ تَروَوا مِنَ المَاءِ فَالمَوتُ فِي حَيَاتِكُم مَقهُورِينَ وَ الحَيَاةُ فِي مَوتِكُم قَاهِرِينَ أَلَا وَ إِنّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الغُوَاةِ وَ عَمّسَ عَلَيهِمُ الخَبَرَ حَتّى جَعَلُوا نُحُورَهُم أَغرَاضَ المَنِيّةِ استطعموكم القتال كلمة مجازية ومعناها طلبوا القتال منكم كأنه جعل القتال شيئا يستطعم أى يطلب أكله و فى الحديث إذااستطعمكم الإمام فأطعموه يعنى إمام الصلاة أى إذاارتج فاستفتحكم فافتحوا عليه وتقول فلان يستطعمنى الحديث أى يستدعيه منى ويطلبه . واللمة بالتخفيف جماعة قليلة. وعمس عليهم الخبر يجوز بالتشديد ويجوز بالتخفيف والتشديد يعطى الكثرة ويفيدها ومعناه

أبهم عليهم الخبر وجعله مظلما ليل عماس أى مظلم و قدعمس الليل نفسه [صفحه ۲۴۵] بالكسر إذاأظلم وعمسه غيره وعمست عليه عمسا إذاأريته أنك لاتعرف الأمر و أنت به عارف . والأغراض جمع غرض و هوالهدف . و قوله فأقروا على مذلة وتأخير محلة أى أثبتوا على الذل وتأخر المرتبة والمنزلة أوفافعلوا كذا وكذا. ونحو قوله ع فالموت فى حياتكم مقهورين قول أبى نصر بن نباتة و الحسين ألذى رأى الموت فى العز حياة والعيش فى الذل قتلا. و قال التهامي و من فاته نيل العلا بعلومه || وأقلامه فليبغها بحسامه فموت الفتى فى العز مثل حياته || وعيشته فى الذل مثل حمامه

الأشعار الواردة فى الإباء والأنف من احتمال الضيم

والأشعار فى الإباء الأنف من احتمال الضيم والذل والتحريض على الحرب كثيرة ونحن نذكر منها هاهنا طرفا فمن ذلك قول عمرو بن براقة الهمدانى وكيف ينام الليل من جل ماله || حسام كلون الملح أبيض صارم كذبتم وبيت الله لاتأخذونها || مراغمة مادام للسيف قائم و من يطلب المال الممنع بالقنا || يعش ماجدا أوتخترمه الخوارم . [صفحه ۲۴۶] ومثله و من يطلب المال الممنع بالقنا || يعش ماجدا أويؤذ فيما يمارس . و قال حرب بن مسعر عطفت عليه المهر عطفة باسل || كمى و من لا-يظلم الناس يظلم فأوجرته لدن الكعوب مثقفا || فخر صريعا لليدين وللفم . و قال الحارث بن الأرقم و ماضاق صدرى ياسليمى بسخطكم || ولكننى فى الحادثات صليب تروك لدار الخسف والضيم منكر || بصير بفعل المكرمات أريب إذاسامنى السلطان ذلا أبيته || و لم أعط خسفا ماأقام عسيب . و قال العباس بن مرداس السلمى بأبى فوارس لايعرى صواهلها || أن يقبلوا الخسف من ملك و إن عظما لا والسيوف بأيدينا مجردة || لا كان منا غداة الروع منهزما . و قال وهب بن الحارث لاتحسبنى كأقوام عبثت بهم || لن يأنفوا الذل حتى تأنف الحمر لاتعلقنى قذاة لست فاعلها || واحذر شباتى فقدما ينفع الحذر فقد علمت بأنى غيرمهتضم || حتى يلوح ببطن الراحة الشعر . و قال المسيب بن علس أبلغ ضبيعة أن البلاد || فيهالذى قوة مغضب [صفحه ۲۴۷] و قديقعد القوم فى دارهم || إذا لم يضاموا و إن أجدبوا ويرتحل القوم عندالهوان || عن دارهم بعد ماأخصبوا و قد كان سامة فى قومه || له مطعم و له مشرب فساموه خسفا فلم يرضه || و فى الأرض عن ضيمهم مهرب . و قال آخر إن الهوان حمار القوم يعرفه || والحر ينكره والرسلة الأجد و لايقيم على خسف يراد به || إلاالأذلان عير الحى والوتد هذا على الخسف مشدود برمته || وذا يشج فلايأوى له أحد فإن أقمتم على ضيم يراد بكم || فإن رحلى له وال ومعتمد و فى البلاد إذا ماخفت بادرة || مكروهة عن ولاة السوء مفتقد . و قال بعض بنى أسد إنى امرؤ من بنى خزيمة لا || أطعم خسفا لناعب نعبا لست بمعط ظلامة أبدا || عجما و لاأتقى بهاعربا .دخل مويلك السدوسى إلى البصرة يبيع إبلا فأخذ عامل الصدقة بعضها فخرج إلى البادية و قال ناق إنى أرى المقام على الضيم || عظيما فى قبة الإسلام قدأرانى و لى من العامل النصف || بحد السنان أوبالحسام [صفحه ۲۴۸] ووثقت بالدنيا و أنت || ترى جماعتها شتاتا وعزمت ويك على الحياة || وطولها عزما بتاتا يا من رأى أبويه فيمن || قدرأى كانا فماتا هل فيهما لك عبرة || أم خلت إن لك انفلاتا و من ألذى طلب التفلت || من منيته ففاتا كل تصبحه المنية || أوتبيته بياتا . و له أرى الدنيا لمن هى فى يديه || عذابا كلما كثرت لديه تهين المكرمين لها بصغر || وتكرم كل من هانت عليه إذااستغنيت عن شيءفدعه || وخذ ما أنت محتاج إليه . و له أ لم تر ريب الدهر فى كل ساعة || له عارض فيه المنية تلمع أيا بانى الدنيا لغيرك تبتنى || و ياجامع الدنيا لغيرك تجمع أرى المرء وثابا على كل فرصة || وللمرء يوما لامحالة مصرع ينازل ما لايملك الملك غيره || متى تنقضى حاجات من ليس يشبع و أى امرئ فى غاية ليس نفسه || إلى غاية أخرى سواها تطلع . و له سل الأيام عن أمم تقضت || ستخبرك المعالم والرسوم [صفحه ۲۴۹] و إلاحساما يبهر العين لمحه || كصاعقة فى عارض

أباةُ الضيم وأخبارهم

سيـد أهل الإباء ألذى علم الناس الحميةُ والموت تحت ظلال السيـوف اختيارا له على الدنيةُ أبو عبد الله الحسـين بن على بن أبى طالب ع عرض عليه الأمان وأصـحابه فأنف من الذل وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان إن لم يقتله فاختار الموت على ذلك . وسـمعت النقيب أبازيـد يحيى بن زيـد العلوى البصـرى يقول كان أبيات أبى تمام فى محمد بن حميد الطائى ماقيلت إلا فى الحسين ع و قـد كان فوت الموت سـهلا فرده || إليه الحفاظ المر والخلق الوعر ونفس تعاف الضـيم حتى كأنه || هوالكفر يوم الروع أودونه الكفر فـأثبت فى مسـتنقع الموت رجله || و قـال لهـا من تحت أخمصك الحشـر تردى ثياب الموت حمرا فما أتى || لها الليل إلا وهى من سندس خضر . لمافر أصحاب مصعب عنه وتخلف فى نفر يسير من أصحابه كسر جفن سيفه وأنشد فـإن الألـى بـالطف من آل هـاشم || تأسوا فسـنوا للكرام التأسـيا فعلم أصـحابه أنه قداسـتقتل . و من كلام الحسـين ع يوم الطف المنقول عنه نقله عنه زين العابـدين على ابنه ع ألا و إن الـدعى بن الـدعى قدخيرنا بين اثنتين السلةُ -روايت-١-٢-روايت-٨٦- ادامه دارد [صـفحه ٢٥٠] أوالذلـةُ وهيهـات منا الذلـةُ يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وحجز طهرت وأنوف حميةُ ونفوس أبيةُ -روايت-از قبل-١١٥ . و هـذانحو قول أبيه ع و قدذكرناه فيما تقدم إن امرأ أمكن عدوا من نفسه يعرق لحمه ويفرى جلـده ويهشم عظمه لعظيم عجزه ضـعيف ماضـمت عليه جوانـح صدره فكن أنت ذاك إن شـئت فأما أنافدون أن أعطى ذلك ضـرب بالمشـرفيةُ تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والأقدام -روايت-١-٢٢٣ . و قال العباس بن مرداس السـلمى مقال امرئ يهـدى إليـك نصـيحةُ || إذامعشـر جـادوا بعرضـك فابخـل و إن بوءوك منزلاـ غيرطائـل || غليظـا فلاـتنزل به وتحول و لاتطعمن مايعلفونك إنهم || أتوك على قرباهم بالمثمل أراك إذا قدصرت للقوم ناضحا || يقال له بالغرب أدبر وأقبل فخذها فليست للعزيز بخطةُ || و فيهامقام لامرئ متذلل . [صفحه ٢٥١] و له أيضا فحارب فإن مولاك حارد نصره || ففى السيف مولى نصـره لايحـارد . و قـال مالـك بن حريم الهمـدانى وكنت إذاقوم غزونى غزوتهم || فهل أنا فى ذا يال همـدان ظالم متى تجمع القلب الـذكى وصارمـا || وأنفـا حميـا تجتنبـك المظـالم . و قـال رشـيد بن رميض العنزى بـاتوا نياما و ابن هنـد لم ينم || بات يقاسـيها غلام كالزلم خدلـج الساقين خفاق القـدم || قـدلفها الليل بسواق حطم ليس براعى إبل و لاغنم || و لابجزار على ظهر وضم من يلقنى يود كمـاأودت إرم . و قـال آخر ولست بمبتاع الحياة بسبةُ || و لامرتق من خشـيةُ الموت سـلما و لمارأيت الود ليس بنافعى || عمـدت إلى الأمر ألذى كان أحزما . [صـفحه ٢٥٢] و من أباةُ الضـيم يزيـد بن المهلب كان يزيد بن عبدالملك يشنؤه قبل خلافته لأسباب ليس هذاموضع ذكرها فلما أفضت إليه الخلافةُ خلعه يزيد بن المهلب ونزع يده من طاعته وعلم أنه إن ظفر به قتله ونـاله من الهوان مااالقتـل دونه فـدخل البصـرةُ وملكها عنوةُ وحبس عـدى بن أرطاةُ عامل يزيـد بن عبـدالملك عليها فسـرح إليه يزيـد بن عبـدالملك جيشا كثيفا ويشـتمل على ثمانين ألفا من أهل الشام والجزيرةُ وبعث مع الجيش أخاه مسـلمةُ بن عبـدالملك و كان أعرف الناس بقيادةُ الجيوش وتـدبيرها وأيمن الناس نقيبه فى الحرب وضم إليه ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبـدالملك فسار يزيد بن المهلب من البصـرةُ فقدم واسط فأقام بهاأياما ثم سار عنها فنزل العقر واشـتملت جريدةُ جيشه على مائةُ وعشـرين ألفا وقدم مسـلمةُ بجيوش الشام فلما تراءى العسـكران وشـبت الحرب أمر مسلمةُ قائدا من قواده أن يحرق الجسور التى كان عقـدها يزيـد بن المهلب فأحرقها فلما رأى أهل العراق الدخان قدعلا انهزموا فقيل ليزيد بن المهلب قدانهزم الناس قال ومم انهزموا هـل كـان قتـال ينهزم النـاس من مثله فقيـل له إن مسـلمةُ أحرق الجسور فلم يثبتوا فقـال قبحهم الله بق دخن عليه فطار ثم

وقف ومعه أصحابه فقال اضربوا وجوه المنهزمين ففعلوا ذلك حتى كثروا عليه واستقبله منهم أمثال الجبال فقال دعوهم قبحهم الله غنم عدا فى نواحيها الذئب و كان يزيد لايحدث نفسه بالفرار و قد كان أتاه يزيد بن الحكم بن أبى العاص الثقفى بواسط فقال له فعش ملكا أومت كريما فإن تمت || وسيفك مشهور بكفك تعذر . فقال ماشعرت فقال [صفحه ۲۵۳] إن بنى مروان قدباد ملكهم || فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر . فقال أما هذافعسى فلما رأى يزيد انهزام أصحابه نزل عن فرسه وكسر جفن سيفه واستقتل فأتاه آت فقال إن أخاك حبيبا قدقتل فزاده ذلك بصيرة فى توطينه نفسه على القتل و قال لاخير فى العيش بعدحبيب و الله لقد كنت أبغض الحياة بعدالهزيمة و قدازددت لها بغضا امضوا قدما فعلم أصحابه أنه مستميت فتسلل عنه من يكره القتال وبقى معه جماعة خشية فهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها و هويقصد مسلمة بن عبدالملك لايريد غيره فلما دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب وحالت خيول أهل الشام بينهما وعطفت على يزيد بن المهلب فجالدهم بالسيف مصلتا حتى قتل وحمل رأسه إلى مسلمة وقتل معه أخوه محمد بن المهلب و كان أخوهما المفضل بن المهلب يقاتل أهل الشام فى جهة أخرى و لايعلم بقتل أخويه يزيد و محمدفأتاه أخوه عبدالملك بن المهلب و قال له ماتصنع و قدقتل يزيد و محمد وقبلهما قتل حبيب و قدانهزم الناس . و قدروى أنه لم يأته بالخبر على وجهه وخاف أن يخبره بذلك فيستقتل ويقتل فقال له إن الأمير قدانحدر إلى واسط فاقتص أثره فانحدر المفضل حينئذ فلما علم بقتل إخوته حلف ألا يكلم أخاه عبدالملك أبدا وكانت عين المفضل قدأصيبت من قبل فى حرب الخوارج فقال فضحنى عبدالملك فضحه الله ماعذرى إذارآنى الناس فقالوا شيخ أعور مهزوم ألا صدقنى فقتلت ثم قال و لاخير فى طعن الصناديد بالقنا || و لا فى لقاء الناس بعديزيد فلما اجتمع من بقى من آل المهلب بالبصرة بعدالكسرة أخرجوا عدى بن أرطاة أميرالبصرة من الحبس فقتلوه وحملوا عيالهم فى السفن البحرية ولججوا فى البحر فبعث إليهم مسلمة بن عبدالملك بعثا عليه قائد من قواده فأدركهم فى قنديبل فحاربهم [صفحه ۲۵۴] وحاربوه وتقدم بنو المهلب بأسيافهم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وهم المفضل بن المهلب وزياد بن المهلب ومروان بن المهلب و عبدالملك بن المهلب ومعاوية بن يزيد بن المهلب والمنهال بن أبى عيينة بن المهلب وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب وحملت رءوسهم إلى مسلمة بن عبدالملك و فى أذن كل واحد منهم رقعة فيهااسمه واستؤسر الباقون فى الوقعة فحملوا إلى يزيد بن عبدالملك بالشام وهم أحد عشر رجلا فلما دخلوا عليه قام كثير بن أبى جمعة فأنشد حليم إذا مانال عاقب مجملا || أشد العقاب أوعفا لم يثرب فعفوا أمير المؤمنين وحسبة || فما تأته من صالح لك يكتب أساءوا فإن تصفح فإنك قادر || وأفضل حلم حسبة حلم مغضب . فقال يزيد أطت بك الرحم يا أباصخر لو لاأنهم قدحوا فى الملك لعفوت عنهم ثم أمر بقتلهم فقتلوا وبقى منهم صبى صغير فقال اقتلونى فلست بصغير فقال يزيد بن عبدالملك انظروا هل أنبت فقال أناأعلم بنفسى قداحتلمت ووطئت النساء فاقتلونى فلاخير فى العيش بعدأهلى فأمر به فقتل . قال أبوعبيدة معمر بن المثنى وأسماء الأسارى الذين قتلوا صبرا وهم أحد عشر مهلبيا المعارك و عبد الله والمغيرة والمفضل والمنجاب بنو يزيد بن المهلب ودريد والحجاج وغسان وشبيب والفضل بنو المفضل بن المهلب لصلبه والفضل بن قبيصة بن المهلب قال و لم يبق بعد هذه الوقعة الثانية لأهل المهلب باقية إلا أبوعيينة بن المهلب وعمر بن يزيد بن المهلب وعثمان بن المفضل بن المهلب فإنهم لحقوا برتبيل ثم أومنوا بعد ذلك . [صفحه ۲۵۵] و قال الرضى الموسوى رحمه الله تعالى ألا لله بادرة الطلاب || وعزم لايروع بالعتاب و كل مشمر البردين يهوى || هوى المصلتات إلى الرقاب أعاتبه على بعدالتنائى || فيعذلنى على قرب الإياب رأيت العجز يخضع لليالى || ويرضى عن نوائبها الغضاب وآمل أن تطاوعنى الليالى || وينشب فى المنى ظفرى ونابى و لو لاصولة الأقدار دونى || هجمت على العلا من كل باب . و قال أيضا لايبذ الهموم إلاغلام || يركب الهول والحسام رديف مايذل الزمان بالفقر حرا || كيفما كان فالشريف شريف . و قال أيضا رحمه الله تعالى ولست أضل فى طرق المعالى || ونار العز عالية الشعاع ودون المجد رأى مستطيل || وباع غيرمجبوب الذراع

ويعجبنى البعاد كان قلبى || يحدث عن عدى بن الرقاع فرد نهى العلاء بلا رقيب || وشمر فى الأمور بلا نزاع و لاتغرك قعقعة الأعادى || فذاك الصخر خر من اليفاع ونحن أحق بالدنيا ولكن || تخيرت القطوف على الوساع . [صفحه ۲۵۶] و قال حارثة بن بدر الغدانى أهان وأقصى ثم ينتصحوننى || و من ذا ألذى يعطى نصيحته قسرا رأيت أكف المصلتين عليكم || ملاء وكفى من عطائكم صفرا متى تسألونى ما على وتمنعوا || ألذى لى لاأستطيع فى ذلكم صبرا . و قال بعض الخوارج تعيرنى بالحرب عرسى و مادرت || بأنى لها فى كل ماأمرت ضد لحا الله قوما يقعدون وعندهم || سيوف و لم يعصب بأيديهم قد . و قال الأعشى أبالموت خشتنى عباد وإنما || رأيت منايا القوم يسعى دليلها و ماموتة إن متها غيرعاجز || بعار إذا ماغالت النفس غولها . و قال آخر فلاأسمعن فيكم بأمر هضيمة || وضيم و لاتسمع به هامتى بعدى فإن السنان يركب المرء حده || من الضيم أويعدو على الأسد الورد . ومثله إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته || على طرف الهجران إن كان يعقل ويركب حد السيف من أن تضيمه || إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل . [صفحه ۲۵۷] و قال آخر كرهوا الموت فاستبيح حماهم || وأقاموا فعل اللئيم الذليل أ من الموت تهربون فإن || الموت الذليل غيرجميل . و قال بشامة بن الغدير و إن التى سامكم قومكم || هم جعلوها عليكم عدولا أخزى الحياة وكره الممات || فكلا أراه طعاما وبيلا فإن لم يكن غيرإحداهما || فسيروا إلى الموت سيرا جميلا و لاتقعدوا وبكم منة || كفى بالحوادث للمرء غولا . قال يزيد بن المهلب فى حرب جرجان لأخيه أبى عيينة ماأحسن منظر رأيت فى هذه الحرب قال سيف بن أبى سبرة وبيضته و كان عبد الله بن أبى سبرة حمل على غلام تركى قدأفرج الناس له وصدوا عنه لبأسه وشجاعته فتضاربا ضربتين فقتله ابن أبى سبرة بعد أن ضربه التركى فى رأسه فنشب سيفه فى بيضة ابن أبى سبرة فعاد إلى الصف وسيفه مصبوغ بدم التركى وسيف التركى ناشب فى بيضته كجزء منها يلمع فقال الناس هذاكوكب الذنب وعجبوا من منظره . و قال هدبة بن خشرم وإنى إذ ماالموت لم يك دونه || قدى الشبر أحمى الأنف أن أتأخرا ولكننى أعطى الحفيظة حقها || فأعرف معروفا وأنكر منكرا . و قال آخر إنى أناالمرء لايغضى على ترة || و لايقر على ضيم إذاغشما [صفحه ۲۵۸] ألقى المنية خوفا أن يقال فتى || أمسى و قدثبت الصفان منهزما . و قال آخر قوض خيامك والتمس بلدا || تنأى عن الغاشيك بالظلم أوشد شدة بيهس فعسى || أن يتقوك بصفحة السلم .استنصر سبيع بن الخطيم التيمى من بنى تيم اللات بن ثعلبة زيد الفوارس الضبى فنصره فقال نبهت زيدا فلم أفزع إلى وكل || رث السلاح و لا فى الحى مغمور سالت عليه شعاب الحى حين دعا || أنصاره بوجوه كالدنانير . و قال أبوطالب بن عبدالمطلب كذبتم وبيت الله نخلى محمدا || و لمانطاعن دونه ونناضل وننصره حتى نصرع حوله || ونذهل عن أبنائنا والحلائل . لمابرز على وحمزة وعبيدة ع يوم بدر إلى عتبة وشيبة والوليد قتل على ع الوليد وقتل حمزة شيبة على اختلاف فى رواية ذلك هل كان شيبة قرنه أم عتبة وتجالد عبيدة وعتبة بسيفيهما فجرح عبيدة عتبة فى رأسه وقطع عتبة ساق عبيدة فكر على وحمزة ع على صاحبهما فاستنقذاه من عتبة وخبطاه بسيفيهما حتى قتلاه واحتملا صاحبهما فوضعاه بين يدى رسول الله ص فى العريش و هويجود بنفسه و إن مخ ساقه ليسيل فقال يا رسول الله لو كان أبوطالب حيا لعلم أنى أولى منه بقوله [صفحه ۲۵۹] كذبتم وبيت الله نخلى محمدا || و لمانطاعن دونه ونناضل وننصره حتى نصرع حوله || ونذهل عن أبنائنا والحلائل و قال أللهم أنجز لى ماوعدتنى أللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الأرض -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۸۲. لماقدم جيش الحرة إلى المدينة و على الجيش مسلم بن عقبة المرى أباح المدينة ثلاثا واستعرض أهلها بالسيف جزرا كمايجزر القصاب الغنم حتى ساخت الأقدام فى الدم وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين على أنه عبدقن لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية هكذا كانت صورة المبايعة يوم الحرة إلا على بن الحسين بن على ع فإنه أعظمه وأجلسه معه على سريره وأخذ بيعته على أنه أخو أمير المؤمنين يزيد بن معاوية و ابن عمه دفعا له عما بايع عليه غيره و كان ذلك بوصاة من يزيد بن معاوية له فهرب على بن عبد الله

بن العباس رحمه الله تعالى إلى أخواله من كندة فحموه من مسلم بن عقبة وقالوا لايبايع ابن أختنا إلا على مابايع عليه ابن عمه على بن الحسين فأبى مسلم بن عقبة ذلك و قال إنى لم أفعل مافعلت إلابوصاة أمير المؤمنين و لو لا ذلك لقتلته فإن أهل هذاالبيت أجدر بالقتل أولأخذت بيعته على ماأخذت عليه بيعة غيره وسفر السفراء بينه وبينهم حتى وقع الاتفاق على أن يبايع و يقول أناأبايع لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية وألتزم طاعته و لا يقول غير ذلك فقال على بن عبد الله بن العباس أبى العباس رأس بنى قصى || وأخوالى الملوك بنو وليعه هم منعوا ذمارى يوم جاءت || كتائب مسرف وبنو اللكيعه [صفحه ٢٦٠] أراد بى التى لا عز فيها || فحالت دونه أيد منيعه .مسرف كناية عن مسلم وأم على بن عبد الله بن العباس زرعة بنت مشرح بن معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية بن كندة. قال الحسين بن الحمام ولست بمبتاع الحياة بسبة || و لامرتق من خشية الموت سلما تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد || لنفسى حياة مثل أن أتقدما فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما نفلق هاما من رجال أعزة || علينا وهم كانوا أعق وأظلما أبى لابن سلمى أنه غيرخالد || ملاقى المنايا أى صرف تيمما . ابن سلمى يعنى نفسه وسلمى أمه . و قال الطرماح بن حكيم و مامنعت دار و لا عزأهلها || من الناس إلابالقنا والقنابل . و قال آخر و إن التى حدثتها فى أنوفنا || وأعناقنا من الإباء كماهيا . و قال آخر فإن تكن الأيام فينا تبدلت || ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل فما لينت منا قناة صليبة || و لاذللتنا للتى ليس تجمل ولكن رحلناها نفوسا كريمة || تحمل ما لايستطاع فتحمل . [صفحه ٢٦١] و قال آخر إذاجانب أعياك فاعمد لجانب || فإنك لاق فى البلاد معولا . و قال أبوالنشناش إذاالمرء لم يسرح سواما و لم يرح || سواما و لم تعطف عليه أقاربه فللموت خير للفتى من قعوده || عديما و من مولى تدب عقاربه و لم أر مثل الهم ضاجعه الفتى || و لا ـكسواد الليل أخفق طالبه فعش معدما أومت كريما فإننى || أرى الموت لاينجو من الموت هاربه .وفد يحيى بن عروة بن الزبير على عبدالملك فجلس يوما على بابه ينتظر إذنه فجرى ذكر عبد الله بن الزبير فنال منه حاجب عبدالملك فلطم يحيى وجهه حتى أدمى أنفه فدخل على عبدالملك ودمه يجرى من أنفه فقال من ضربك قال يحيى بن عروة قال أدخله و كان عبدالملك متكئا فجلس فلما دخل قال ماحملك على ماصنعت بحاجبى قال يا أمير المؤمنين إن عمى عبد الله كان أحسن جوارا لعمتك منك لنا و الله إن كان ليوصى أهل ناحيته ألا يسمعوها قذعا و لايذكروكم عندها إلابخير و إن كان ليقول لها من سب أهلك فقد سب أهله فأنا و الله المعم المخول تفرقت العرب بين عمى وخالى فكنت كما قال الأول يداه أصابت هذه حتف هذه || فلم تجد الأخرى عليها مقدما .فرجع عبدالملك إلى متكئه و لم يزل يعرف منه الزيادة فى إكرام يحيى بعدها. [صفحه ٢٦٢] وأم يحيى هذه ابنة الحكم بن أبى العاص عمة عبدالملك بن مروان . و قال سعيد بن عمر الحرشى أميرخراسان فلست لعامر إن لم ترونى || أمام الخيل أطعن بالعوالى وأضرب هامة الجبار منهم || بماضى الغرب حودث بالصقال فما أنا فى الحروب بمستكين || و لاأخشى مصاولة الرجال أبى لى والدى من كل ذم || وخالى حين يذكر خير خال . قال عبد الله بن الزبير لماخطب حين أتاه نعى مصعب أما بعدفإنه أتانا من العراق خبر أفرحنا وأحزننا أتانا خبر قتل المصعب فأما ألذى أحزننا فلوعة يجدها الحميم عندفراق حميمه ثم يرعوى بعدها ذو اللب إلى حسن الصبر وكرم العزاء. و أما ألذى أفرحنا فإن ذلك كان له شهادة و كان لنا و له خيرة إنا و الله مانموت حبجا كمايموت آل أبى العاص مانموت إلاقتلا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف فإن يهلك المصعب فإن فى آل الزبير لخلفا. وخطب مرة أخرى فذكره فقال لوددت و الله أن الأرض قاءتنى عنده حين لفظ غصته وقضى نحبه شعر خذيه فجريه ضباع وأبشرى || بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره . [صفحه ٢٦٣] و قال الشداخ بن يعمر الكنانى قاتلوا القوم ياخزاع و لا || يدخلكم من قتالهم فشل القوم أمثالكم لهم شعر || فى الرأس لاينشرون إن قتلوا . و قال يحيى بن منصور الحنفى و لمانأت عنا العشيرة كلها || أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر فما أسلمتنا عند يوم كريهة || و لانحن أغضينا الجفون على وتر .قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك أقتلتم ذرية رسول الله ص فقال عضضت

بالجندل إنک لوشهدت ماشهدنا لفعلت مافعلنا ثارت علينا عصابة أيديها فی مقابض سيوفها کالأسود الضارية تحطم الفرسان يمينا وشمالا وتلقی أنفسها علی الموت لاتقبل الأمان و لاترغب فی المال و لايحول حائل بينها و بين الورود علی حياض المنية أوالاستيلاء علی الملک فلو کففنا عنها رويدا لأتت علی نفوس العسکر بحذافيرها فما کنا فاعلين لاأم لک .السخاء من باب الشجاعة والشجاعة من باب السخاء لأن الشجاعة إنفاق العمر وبذله فکانت سخاء والسخاء إقدام علی إتلاف ما هوعديل المهجة فکان شجاعة أبوتمام فی تفضيل الشجاعة علی السخاء کم بين قوم إنما نفقاتهم || مال وقوم ينفقون نفوسا . [صفحه ۲۶۴] قيل لشيخنا أبی عبد الله البصری رحمه الله تعالی أتجد فی النصوص مايدل علی تفضيل علی ع بمعنی کثرة الثواب لابمعنی کثرة مناقبه فإن ذاک أمر مفروغ منه فذکر حديث الطائر المشوی و أن المحبة من الله تعالی إرادة الثواب فقيل له قدسبقک الشيخ أبو علی رحمه الله تعالی إلی هذافهل تجد غير ذلک قال نعم قول الله تعالی إِنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِی سَبِيلِهِ صَفّا کَأَنّهُم بُنيانٌ مَرصُوصٌ فإذا کان أصل المحبة لمن ثبت کثبوت البنيان المرصوص فکل من زاد ثباته زادت المحبة له ومعلوم أن عليا ع مافر فی زحف قط وفر غيره فی غيرموطن . و قال أبوتمام -قرآن-۳۳۳-۴۱۸ السيف أصدق أنباء من الکتب || فی حده الحد بين الجد واللعب بيض الصفائح لاسود الصحائف فی || متونهن جلاء الشک والريب والعلم فی شهب الأرماح لامعة || بين الخميسين لا فی السبعة الشهب . و قال أبوالطيب المتنبی حتی رجعت وأقلامی قوائل لی || المجد للسيف ليس المجد للقلم [صفحه ۲۶۵] اکتب بنا أبدا بعدالکتاب به || فإنما نحن للأسياف کالخدم أسمعتنی ودوائی ماأشرت به || فإن غفلت فدائی قلة الفهم من اقتضی بسوی الهندی حاجته || أجاب کل سؤال عن هل بلم . قال عطاف بن محمدالألوسی أمکابد الزفرات مؤصدة || تلتذ خوف القطع بالشلل صرف همومک تنتدب همما || فالسکر يعقب نشوة الثمل ولليلة الميلاد مفرحة || تنسی الحوامل أشهر الحبل سر فی البلاد تخوضها لججا || فالدر ليس يصاب فی الوشل واجعل لصبوتک الظبا سکنا || والدور أکوارا علی الإبل والعيش والوطن الممهد فی || غرب الحسام وغارب الجمل واشدد عليک وخذ إليک ودع || ضعة الخمول وفترة الکسل وارم العداة بکل صائبة || ماالرمی موقوفا علی ثعل لاتحسب النکبات منقصة || قديستجاد السيف بالفلل . و قال عروة بن الورد لحا الله صعلوکا إذاجن ليله || مصافی المشاش آلفا کل مجزر [صفحه ۲۶۶] يعد الغنی من نفسه کل ليلة || أصاب قراها من صديق ميسر ينام عشاء ثم يصبح ناعسا || يحت الحصی من جنبه المتعفر يعين نساء الحی مايستعنه || ويمسی طليحا کالبعير المحسر ولکن صعلوکا صفيحة وجهه || کضوء شهاب القابس المتنور مطلا علی أعدائه يزجرونه || بساحتهم زجر المنيح المشهر و إن قعدوا لايأمنون اقترابه || تشوف أهل الغائب المتنظر فذلک إن يلق المنية يلقها || حميدا و إن يستغن يوما فأجدر . و قال آخر ولست بمولی سوءة أدعی لها || فإن لسوآت الأمور مواليا وسيان عندی أن أموت و أن أری || کبعض رجال يوطنون المخازيا ولن يجد الناس الصديق و لاالعدا || أديمی إذاعدوا أديمی واهيا و إن نجاری بابن غنم مخالف || نجار لئام فابغنی من ورائيا ولست بهياب لمن لايهابنی || ولست أری للمرء ما لايری ليا إذاالمرء لم يحببک إلاتکرها || عراض العلوق لم يکن ذاک باقيا . [صفحه ۲۶۷] نهار بن توسعة فی يزيد بن المهلب و ماکنا نؤمل من أمير || کماکنا نؤمل من يزيد فأخطأ ظننا فيه وقدما || زهدنا فی معاشرة الزهيد إذا لم يعطنا نصفا أمير || مشينا نحوه مشی الأسود . کان هدبة اليشکری و هو ابن عم شوذب الخارجی اليشکری شجاعا مقداما و کان ابن عمه بسطام الملقب شوذبا الخارج فی خلافة عمر بن عبدالعزيز ويزيد بن عبدالملک فأرسل إليه يزيد بن عبدالملک جيشا کثيفا فحاربه فانکشفت الخوارج وثبت هدبة وأبی الفرار فقاتل حتی قتل فقال أيوب بن خولی يرثيه فيا هدب للهيجا و ياهدب للندی || و ياهدب للخصم الألد يحاربه و ياهدب کم من ملحم قدأجبته || و قدأسلمته للرماح کتائبه تزودت من دنياک درعا ومغفرا || وعضبا حساما لم تخنک مضاربه وأجرد محبوک السراة کأنه || إذاانفض وافی الريش حجن مخالبه .کانت وصايا ابراهيم الإمام وکتبه ترد إلی أبی مسلم بخراسان إن استطعت ألا تدع بخراسان

أحدا يتكلم بالعربية إلا وقتلته فافعل وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه [صفحه ۲۶۸] فاقتله وعليك بمضر فإنهم العدو القريب الدار فأبد خضراءهم و لاتدع على الأرض منهم ديارا. قال المتنبى لايسلم الشرف الرفيع من الأذى || حتى يراق على جوانبه الدم . و له و من عرف الأيام معرفتى بها || وبالناس روى رمحه غيرراحم فليس بمرحوم إذاظفروا به || و لا فى الردى الجارى عليهم بآثم . و قال المتنبى أيضا ردى حياض الردى يانفس واطرحى || حياض خوف الردى للشاء والنعم إن لم أذرك على الأرماح سائلة || فلادعيت ابن أم المجد والكرم . و من أباة الضيم قتيبة بن مسلم الباهلى أميرخراسان و ماوراء النهر لم يصنع أحد صنيعه فى فتح بلاد الترك و كان الوليد بن عبدالملك أراد أن ينزع أخاه سليمان بن عبدالملك من العهد بعده ويجعله فى ابنه عبدالعزيز بن الوليد فأجابه إلى ذلك قتيبة بن مسلم وجماعة من الأمراء فلما مات الوليد قبل إتمام ذلك وقام سليمان بالأمر بعده و كان [صفحه ۲۶۹] قتيبة أشد الناس فى أمر سليمان وخلعه عن العهد علم أنه سيعزله عن خراسان ويوليها يزيد بن المهلب لود كان بينه و بين سليمان فكتب قتيبة إليه كتابا يهنئه بالخلافة ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك وللوليد بعده و أنه على مثل ذلك إن لم يعزله عن خراسان وكتب إليه كتابا آخر يذكره فيه بفتوحه وآثاره ونكايته فى الترك وعظم قدره عندملوكهم وهيبة العجم والعرب له وعظم صيته فيهم ويذم آل المهلب ويحلف له بالله لئن استعمل يزيد بن المهلب خراسان ليخلعنه وليملأنها عليه خيلا ورجلا وكتب كتابا ثالثا فيه خلع سليمان وبعث بالكتب الثلاثة مع رجل من قومه من باهلة يثق به و قال له ادفع الكتاب الأول إليه فإن كان يزيد بن المهلب حاضرا عنده فقرأ الكتاب ثم دفعه إلى يزيد فادفع إليه هذاالثانى فإن قرأه وألقاه إليه أيضا فادفع إليه الثالث و إن قرأ الكتاب الأول و لم يدفعه إلى يزيد فاحتبس الكتابين الآخرين معك .فقدم الرسول على سليمان ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب فدفع إليه الكتاب الأول فقرأ وألقاه إلى يزيد فدفع إليه الكتاب الثانى فقرأه وألقاه إلى يزيد أيضا فدفع إليه الكتاب الثالث فقرأه وتغير لونه وطواه وأمسكه بيده وأمر بإنزال الرسول وإكرامه ثم أحضره ليلا ودفع إليه جائزته وأعطاه عهد قتيبة على خراسان و كان ذلك مكيدة من سليمان يسكنه ليطمئن ثم يعزله وبعث مع رسوله رسولا فلما كان بحلوان بلغه خلع قتيبة سليمان بن عبدالملك فرجع رسول سليمان إليه فلما اختلفت العرب على قتيبة حين أبدى صفحته لسليمان وخلع ربقة الطاعة بايعوا وكيع بن أبى سود التميمى على أمارة خراسان وكانت أمراء القبائل قدتنكرت لقتيبة لإذلاله إياهم واستهانته بهم واستطالته عليهم وكرهوا إمارته فكانت بيعة وكيع فى أول الأمر [صفحه ۲۷۰] سرا ثم ظهر لقتيبة أمره فأرسل إليه يدعوه فوجده قدطلا رجله بمغرة وعلق فى عنقه خرزا وعنده رجلان يرقيان رجله فقال للرسول قدترى مابرجلى فرجع وأخبر قتيبة فأعاده إليه فقال قل له ليأتينى محمولا قال لاأستطيع فقال قتيبة لصاحب شرطته انطلق إلى وكيع فأتنى به فإن أبى فاضرب عنقه وائتنى برأسه ووجه معه خيلا فقال وكيع لصاحب الشرطة البث قليلا تلحق الكتائب وقام فلبس سلاحه ونادى فى الناس فأتوه فخرج فتلقاه رجل فقال ممن أنت فقال من بنى أسد فقال مااسمك فقال ضرغام فقال ابن من قال ابن ليث فتيمن به وأعطاه رايته وأتاه الناس إرسالا من كل وجه فتقدم بهم و هو يقول قرم إذاحمل مكروهة || شد الشراسيف لها والحزيم . واجتمع إلى قتيبة أهله وثقاته وأكثر العرب ألسنتهم له وقلوبهم عليه فأمر قتيبة رجلا فنادى أين بنو عامر و قد كان قتيبة جفاهم فى أيام سلطانه فقال له مجفر بن جزء الكلابى نادهم حيث وضعتهم فقال قتيبة أنشدكم الله والرحم وذاك لأن باهلة وعامرا من قيس عيلان فقال مجفر أنت قطعتها قال فلكم العتبى فقال مجفر لاأقالنا الله إذا فقال قتيبة يانفس صبرا على ما كان من ألم || إذ لم أجد لفضول العيش أقرانا . ثم دعا ببرذون له مدرب ليركبه فجعل يمنعه الركوب حتى أعيا فلما رأى ذلك [صفحه ۲۷۱] عاد إلى سريره فجلس و قال دعوه فإن هذاأمر يراد وجاء حيان النبطى و هويومئذ أميرالموالى وعدتهم سبعة آلاف و كان واجدا على قتيبة فقال له عبد الله بن مسلم أخو قتيبة احمل ياحيان فقال لم يأن بعد فقال له ناولنى قوسك فقال حيان ليس هذابيوم قوس ثم قال حيان لابنه إذ رأيتنى قدحولت قلنسوتى ومضيت نحو عسكر وكيع فمل بمن معك من العجم إلى فلما حول حيان قلنسوته ومضى نحو عسكر

وكيع مالت الموالى معه بأسرها فبعث قتيبة أخاه صالح بن مسلم إلى الناس فرماه رجل من بنى ضبة فأصاب رأسه فحمل إلى قتيبة ورأسه مائل فوضعه على مصلاه وجلس عندرأسه ساعة وتهايج الناس وأقبل عبدالرحمن بن مسلم أخو قتيبة نحوهم فرماه الغوغاء و أهل السوق فقتلوه وأشير على قتيبة بالانصراف فقال الموت أهون من الفرار وأحرق وكيع موضعا كانت فيه إبل قتيبة ودوابه وزحف بمن معه حتى دنا منه فقاتل دونه رجل من أهله قتالا شديدا فقال له قتيبة أنج بنفسك فإن مثلك يضن به عن القتل قال بئسما جزيتك به أيها الأمير إذا و قدأطعمتنى الجردق وألبستنى النمرق وتقدم الناس حتى بلغوا فسطاط قتيبة فأشار عليه نصحاؤه بالهرب فقال إذالست لمسلم بن عمرو ثم خرج إليهم بسيفه يجالدهم فجرح جراحات كثيرة حتى ارتث وسقط فأكبوا عليه فاحتزوا رأسه وقتل معه من إخوته عبدالرحمن و عبد الله وصالح والحصين و عبدالكريم ومسلم وقتل معه جماعة من أهله وعدة من قتل معه من أهله وإخوته أحد عشر رجلا وصعد وكيع بن أبى سود المنبر وأنشد من ينك العير ينك نياكا . [صفحه ٢٧٢] إن قتيبة أراد قتلى و أناقتال الأقران ثم أنشد قدجربونى ثم جربونى || من غلوتين و من المئين حتى إذاشبت وشيبونى || خلوا عنانى ثم سيبونى حذار منى وتنكبونى || فإننى رام لمن يرمينى . ثم قال أنا أبومطرف يكررها مرارا ثم قال أنا ابن خندف تنمينى قبائلها || للصالحات وعمى قيس عيلانا . ثم أخذ بلحيته و قال إنى لأقتلن ثم لأقتلن ولأصلبن ثم لأصلبن إن مرزبانكم هذا ابن الزانية قدأغلى أسعاركم و الله لئن لم يصر القفيز بأربعة دراهم لأصلبنه صلوا على نبيكم . ثم نزل وطلب رأس قتيبة وخاتمه فقيل له إن الأزد أخذته فخرج مشهرا و قال و الله ألذى لاإله إلا هو لاأبرح حتى أوتى بالرأس أويذهب رأسى معه فقال له الحصين بن المنذر يا أبامطرف فإنك تؤتى به ثم ذهب إلى الأزد فأخذ الرأس وأتاه به فسيره إلى سليمان بن عبدالملك فأدخل عليه ومعه رءوس إخوته وأهله وعنده الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابى فقال أساءك هذا ياهذيل قال لوساءنى لساء ناسا كثيرا فقال سليمان ماأردت هذاكله وإنما قال سليمان ذلك للهذيل لأن قيس عيلان تجمع كلابا وباهلة قالوا ماولى خراسان أحد كقتيبة بن مسلم و لوكانت باهلة فى الدناءة والضعة واللؤم إلى أقصى غاية لكان لها بقتيبة الفخر على قبائل العرب . [صفحه ٢٧٣] قال رؤساء خراسان من العجم لماقتل قتيبة يامعشر العرب قتلتم قتيبة و الله لو كان منا ثم مات لجعلناه فى تابوت فكنا نستفتح به إذاغزونا. و قال الأصبهبذ يامعشر العرب قتلتم قتيبة ويزيد بن المهلب لقد جئتم شيئا إدا فقيل له أيهما كان أعظم عندكم وأهيب قال لو كان قتيبة بأقصى حجرة فى المغرب مكبلا بالحديد والقيود ويزيد معنا فى بلدنا وال علينا لكان قتيبة أهيب فى صدورنا وأعظم . و قال عبدالرحمن بن جماعة الباهلى يرثى قتيبة كأن أباحفص قتيبة لم يسر || بجيش إلى جيش و لم يعل منبرا و لم تخفق الرايات والجيش حوله || صفوفا و لم يشهد له الناس عسكرا دعته المنايا فاستجاب لربه || وراح إلى الجنات عفا مطهرا فما رزئ الإسلام بعد محمد || بمثل أبى حفص فبكيه عبهرا و فى الحديث الصحيح أن من خير الناس رجلا ممسكا بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة طار إليها -روايت-١-٢-روايت-٢۴-١٠۵ .كتب أبوبكر إلى خالد بن الوليد واعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فإذالقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك الحياة و لاتغسل الشهداء من دمائهم فإن دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة. [صفحه ٢٧۴] عمر لاتزالون أصحاء مانزعتم ونزوتم يزيد مانزعتم فى القوس ونزوتم على الخيل بعض الخوارج و من يخش أظفار المنايا فإننا || لبسنا لهن السابغات من الصبر و إن كريه الموت عذب مذاقه || إذا مامزجناه بطيب من الذكر .حفص منصور بن عمار فى قصصه على الغزو والجهاد فطرحت فى المجلس صرة فيها شىءففتحت فإذا فيهاضفيرتا امرأة و قدكتبت رأيتك يا ابن عمار تحض على الجهاد و و الله إنى لاأملك لنفسى مالا_ و لاأملك سوى ضفيرتى هاتين و قدألقيتهما إليك فتالله إلاجعلتهما قيد فرس غاز فى سبيل الله فلعل الله أن يرحمنى بذلك .فارتج المجلس بالبكاء والضجيج .لبعض شعراء العجم وا سوءتا لامرئ شبيبته || فى عنفوان وماؤه خضل راض بنزر المعاش مضطهد || على تراث الآباء يتكل لاحفظ الله ذاك من رجل || و لارعاه مأأطت الإبل كلا وربى حتى تكون فتى || قدنهكته الأسفار والرحل

مشمرا يطلب الرئاسة أو || يضرب يوما بهلكه المثل حتى متى تتبع الرجال و لا || تتبع يوما لأمك الهبل . [صفحه ٢٧٥] عبد الله بن ثعلبة الأزدى فلئن عمرت لأشفين || النفس من تلك المساعى ولأعلمن البطن أن || الزاد ليس بمستطاع أماالنهار فقد أرى || قومى بمرقبة يفاع فى قرة هلك وشوك || مثل أنياب الأفاعى ترد السباع معى فتحسبنى || السباع من السباع .مجير الجراد أبوحنبل حارثة بن مر الطائى أجار جرادا نزل به ومنع من صيده حتى طار من أرضه فسمى مجير الجراد. و قال هلال بن معاوية الطائى وبالجبلين لنا معقل || صعدنا إليه بصم الصعاد ملكناه فى أوليات الزمان || من قبل نوح و من قبل عاد ومنا ابن مر أبوحنبل || أجار من الناس رجل الجراد وزيد لنا ولنا حاتم || غياث الورى فى السنين الشداد . و قال يحيى بن منصور الحنفى و لمانأت عنا العشيرة كلها || أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر فما أسلمتنا عند يوم كريهة || و لانحن أغضينا الجفون على وتر . [صفحه ٢٧٦] و قال آخر أرق لأرحام أراها قريبة || لحار بن كعب لالجرم وراسب و وإنا نرى أقدامنا فى نعالهم || وآنفنا بين اللحى والحواجب وأقدامنا يوم الوغى وإباءنا || إذا ماأبينا لاندر لعاصب .حاصرت الترك مدينة برذعة من أعمال آذربيجان فى أيام هشام بن عبدالملك حصارا شديدا واستضعفتها وكادت تملكها وتوجه إليها لمعاونتها سعيد الحرشى من قبل هشام بن عبدالملك فى جيوش كثيفة وعلم الترك بقربه منهم فخافوا وأرسل سعيد واحدا من أصحابه إلى أهل برذعة سرا يعرفهم وصوله ويأمرهم بالصبر خوفا ألا يدركهم فسار الرجل ولقيه قوم من الترك فأخذوه وسألوه عن حاله فكتمهم فعذبوه فأخبرهم وصدقهم فقالوا إن فعلت مانأمرك به أطلقناك و إلاقتلناك فقال ماتريدون قالوا أنت عارف بأصحابك ببرذعة وهم يعرفونك فإذاوصلت تحت السور فنادهم إنه ليس خلفى مدد و لا- من يكشف مابكم وإنما بعثت جاسوسا فأجابهم إلى ذلك فلما صار تحت سورها وقف حيث يسمع أهلها كلامه و قال لهم أتعرفوننى قالوا نعم أنت فلان بن فلان قال فإن سعيدا الحرشى قدوصل إلى مكان كذا فى مائة ألف سيف و هويأمركم بالصبر وحفظ البلد و هومصبحكم أوممسيكم فرفع أهل برذعة أصواتهم بالتكبير وقتلت الترك ذلك الرجل ورحلوا عنها ووصل سعيد فوجد أبوابها مفتوحة وأهلها سالمين . و قال الراجز من كان ينوى أهله فلارجع || فر من الموت و فى الموت وقع . [صفحه ٢٧٧] أشرف معاوية يوما فرأى عسكر على ع بصفين فهاله فقال من طلب عظيما خاطر بعظيمته . و قال الكلحبة إذاالمرء لم يغش المكارة أوشكت || حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا . و من شعر الحماسة أقول لها و قدطارت شعاعا || من الأبطال ويحك لاتراعى فإنك لوسألت بقاء يوم || على الأجل ألذى لك لم تطاعى فصبرا فى مجال الموت صبرا || فما نيل الخلود بمستطاع و لاثوب البقاء بثوب عز || فيطوى عن أخى الخنع اليراع سبيل الموت غاية كل حى || فداعيه لأهل الأرض داع و من لايعتبط يسأم ويهرم || وتسلمه المنون إلى انقطاع و ماللمرء خير فى حياة || إذا ماعد من سقط المتاع . و منه أيضا و فى الشر نجاة حين لاينجيك إحسان . و منه أيضا و لم ندر إن جضنا عن الموت جيضة || كم العمر باق والمدى متطاول . [صفحه ٢٧٨] و منه أيضا و لا-يكشف الغماء إلا- ابن حرة || يرى غمرات الموت ثم يزورها . و منه أيضا فلاتحسبى أنى تخشعت بعدكم || لشيء و لاأنى من الموت أفرق و لا أن نفسى يزدهيها وعيدكم || و لاأننى بالمشى فى القيد أخرق . و منه أيضا سأغسل عنى العار بالسيف جالبا || على قضاء الله ما كان جالبا وأذهل عن دارى وأجعل هدمها || لعرضى من باقى المذمة حاجبا ويصغر فى عينى تلادى إذاانثنت || يمينى بإدراك ألذى كنت طالبا فإن تهدموا بالغر دارى فإنها || تراث كريم لايبالى العواقبا أخى عزمات لايطيع على ألذى || يهم به من مفظع الأمر عاتبا إذاهم ألقى بين عينيه عزمه || ونكب عن ذكر العواقب جانبا فيا لرزام رشحوا بى مقدما || إلى الموت خواضا إليه السباسبا إذاهم لم تردع عزيمة همه || و لم يأت مايأتى من الأمر هائبا و لم يستشر فى أمره غيرنفسه || و لم يرض إلاقائم السيف صاحبا . و منه أيضا هما خطتا إما إسار ومنة || وإما دم والقتل بالحر أجدر . [صفحه ٢٧٩] و منه أيضا و أنالقوم لانرى القتل سبة || إذا مارأته عامر وسلول يقصر حب الموت آجالنا لنا || وتكرهه آجالهم فتطول و مامات منا سيد حتف أنفه || و لاطل منا حيث كان قتيل تسيل على حد الظبات نفوسنا

|| وليست على غيرالسيوف تسيل . و منه أيضا لايركنن أحد إلى الإحجام || يوم الوغى متخوفا لحمام فلقد أرانى للرماح دريئة || من عن يمينى تارة وأمامى حتى خضبت بما تحدر من دمى || أكناف سرجى أوعنان لجامى ثم انصرفت و قدأصبت و لم أصب || جذع البصيرة قارح الأقدام . و منه أيضا وإنى لدى الحرب الضروس موكل || بإقدام نفس لاأريد بقاءها متى يأت هذاالموت لاتلف حاجة || لنفسى إلا قدقضيت قضاءها .كتب عبدالحميد بن يحيى عن مروان بن محمد إلى أبى مسلم كتابا حمل على جمل لعظمه وكثرته وقيل إنه لم يكن فى الطول إلى هذه الغاية و قدحمل على جمل تعظيما لأمره و قال لمروان بن محمد إن قرأه خاليا نخب قلبه و إن قرأه فى ملإ من [صفحه ٢٨٠] أصحابه ثبطهم وخذلهم فلما وصل إلى أبى مسلم أحرقه بالنار و لم يقرأه وكتب على بياض كان على رأسه وأعاده إلى مروان محا السيف أسطار البلاغة وانتحت || إليك ليوث الغاب من كل جانب فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة || يهون عليها العتب من كل عاتب . ويقال إن أول الكتاب كان لوأراد الله بالنملة صلاحا لماأنبت لها جناحا وكتب أبومسلم إلى نصر بن سيار و هوأول كتاب صدر عن أبى مسلم إلى نصر و ذلك حين لبس السواد وأعلن بالدعوة فى شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة أما بعد فإن الله جل ثناؤه ذكر أقواما فقال وَ أَقسَمُوا بِاللّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءَهُم نَذِيرٌ لَيَكُونُنّ أَهدى مِن إِحدَى الأُمَمِ فَلَمّا جاءَهُم نَذِيرٌ ما زادَهُم إِلّا نُفُوراً استِكباراً فِي الأَرضِ وَ مَكرَ السّيّئِ وَ لا يَحِيقُ المَكرُ السّيّئُ إِلّا بِأَهلِهِ فَهَل يَنظُرُونَ إِلّا سُنّتَ الأَوّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنّتِ اللّهِ تَبدِيلًا وَ لَن تَجِدَ لِسُنّتِ اللّهِ تَحوِيلًا. فلما ورد الكتاب إلى نصر تعاظمه أمره وكسر له إحدى عينيه و قال إن لهذا الكتاب لأخوات وكتب إلى مروان يستصرخه و إلى يزيد بن هبيرة يستنجده فقعدا عنه حتى أفضى ذلك إلى خروج الأمر عن بنى عبدشمس .الرضى الموسوى رحمه الله تعالى -قرآن-٢٧٠-٦٢٦ سأمضى للتى لاعيب فيها || و إن لم أستفد إلاعناء [صفحه ٢٨١] وأطلب غاية إن طوحت بى || أصابت بى الحمام أوالعلاء نمانى من أباة الضيم آب || أفاض على تلك الكبرياء ومنا كل أغلب مستميت || إذا أنت لددته بالذل قاء إذا ماضيم نمر صفحتيه || وقام على براثنه إباء ونأبى أن ينال النصف منا || و أن نعطى مقارعنا السواء و لو كان العداء يسوغ فينا || لماسمنا الورى إلاالعداء . و له سيقطعك المهند ماتمنى || ويعطيك المثقف ماتشاء و ماينجى من الغمرات إلا || طعان أوضراب أورماء . و من أهل الإباء الذين كرهوا الدنية واختاروا عليها المنية عبد الله بن الزبير تفرق عنه لماحاربه الحجاج بمكة وحصره فى الحرم عامة أصحابه وخرج كثير منهم إلى الحجاج فى الأمان حتى حمزة وخبيب ابناه فدخل عبد الله على أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وكانت قدكف بصرها وهى عجوز كبيرة فقال لها خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى و لم يبق معى إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من ساعة والقوم يعطوننى من الدنيا ماسألت فما رأيك فقالت أنت يابنى أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق و إليه تدعو فامض له فقد قتل أكثر أصحابك فلاتمكن من رقبتك يتلاعب بهاغلمان بنى أمية و إن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت [صفحه ٢٨٢] نفسك وأهلكت من قتل معك و إن كنت قاتلت على الحق فما وهن أصحابك إلاضعفت فليس هذافعل الأحرار و لا أهل الدين وكم خلودك فى الدنيا القتل أحسن .فدنا عبد الله منها فقبل رأسها و قال هذا و الله رأيى و الله ماركنت إلى الدنيا و لاأحببت الحياة فيها و مادعانى إلى الخروج إلاالغضب لله تعالى عز و جل أن تستحل محارمه ولكننى أحببت أن أعلم رأيك فقد زدتنى بصيرة فانظرى ياأماه أنى مقتول يومى هذا فلايشتد جزعك وسلمى لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر و لاعملا بفاحشة و لم يجر فى حكم الله و لم يظلم مسلما و لامعاهدا و لابلغنى ظلم عن عامل من عمالى فرضيت به بل أنكرته و لم يكن شىءعندى آثر من رضا الله . أللهم إنى لاأقول هذاتزكية لنفسى أنت أعلم بى ولكنى أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى فقالت إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى فاخرج لأنظر إلى ماذا يصير أمرك فقال جزاك الله خيرا ياأمى فلاتدعى الدعاء لى حيا وميتا قالت لاأدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق ثم قالت أللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل و ذلك النحيب فى الظلماء و ذلك الصوم فى هواجر مكة والمدينة وبره

بأبيه وبى أللهم إنى قدأسلمت لأمرك ورضيت بما قضيت فيه فأثبنى عليه ثواب الصابرين . و قدروى فى قصة عبد الله مع أمه أسماء رواية أخرى أنه لمادخل عليها و عليه الدرع والمغفر وهى عمياء لاتبصر وقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها قالت هذاوداع فلاتبعد فقال نعم إنما جئت مودعا إنى لأرى هذااليوم آخر أيامى من الدنيا واعلمى ياأمى أنى إذاقتلت فإنما أنالحم لايضرنى ماصنع بى فقالت صدقت يابنى أقم على بصيرتك و لاتمكن ابن أبى عقيل منك ادن منى لأودعك فدنا منها فقبلته [صفحه ٢٨٣] وعانقته فوجدت مس الدرع فقالت ما هذاصنع من يريد ماتريد فقال إنما لبسته لأشد منك قالت إنه لايشد منى ثم انصرف عنها و هو يقول إنى إذاأعرف يومى أصبر || إذ بعضهم يعرف ثم ينكر . وأقام أهل الشام على كل باب من أبواب الحرم رجالا ـ وقائدا فكان لأهل حمص الباب ألذى يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بنى شيبة ولأهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب جمع ولأهل قنسرين باب بنى سهم وخرج ابن الزبير فمرة يحمل هاهنا ومرة يحمل هاهنا وكأنه أسد لايقدم عليه الرجال وأرسلت إليه زوجته أأخرج فأقاتل معك فقال لا وأنشد كتب القتل والقتال علينا || و على المحصنات جر الذيول . فلما كان الليل قام يصلى إلى قريب السحر ثم أغفى محتبيا بحمائل سيفه ثم قام فتوضأ وصلى وقرأن وَ القَلَمِ وَ ما يَسطُرُونَ ثم قال بعدانقضاء صلاته من كان عنى سائلا فإنى فى الرعيل الأول ثم أنشد -قرآن-١٠١-١٣١ ولست بمبتاع الحياة بسبة || و لامرتق من خشية الموت سلما . ثم حمل حتى بلغ الحجون فرمى بآجرة فأصابت وجهه فدمى فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه أنشد ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما . ثم حمل على أهل الشام فغاص فيهم واعتوروه بأسيافهم حتى سقط وجاء الحجاج [صفحه ٢٨٤] فوقف عليه و هوميت ومعه طارق بن عمرو فقال ماولدت النساء أذكر من هذا وبعث برأسه إلى المدينة فنصب بها ثم حمل إلى عبدالملك . أبوالطيب المتنبى أطاعن خيلا من فوارسها الدهر || وحيدا و ماقولى كذا ومعى الصبر وأشجع منى كل يوم سلامتى || و ماثبتت إلا و فى نفسها أمر تمرست بالآفات حتى تركتها || تقول أمات الموت أم ذعر الذعر وأقدمت إقدام الأبى كأن لى || سوى مهجتى أو كان لى عندها وتر ذر النفس تأخذ حظها قبل بينها || فمفترق جاران دارهما العمر و لاتحسبن المجد زقا وقينة || فما المجد إلاالسيف والفتكة البكر وتضريب هامات الملوك و أن ترى || لك الهبوات السود والعسكر المجر وتركك فى الدنيا دويا كأنما || تداول سمع المرء أنمله العشر . و قال ابن حيوس ولست كمن أخنى عليه زمانه || فظل على أحداثه يتعتب تلذ له الشكوى و إن لم يفد بها || صلاحا كمايلتذ بالحك أجرب ولكننى أحمى ذمارى بعزمة || تنوب مناب السيف والسيف مقضب [صفحه ٢٨٥] و ليس الفتى من لم تسم جسمه الظبا || ويحطم فيه من قنا الخط أكعب . و له أيضا أخفق المترف الجنوح إلى الخفض || وفاز المخاطر المقدام و إذا ماالسيوف لم تشهد الحرب || فسيان صارم وكهام . وممن تقبل مذاهب الأسلاف فى إباء الضيم وكراهية الذل واختار القتل على ذلك و أن يموت كريما أبو الحسين زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أمه أم ولد و كان السبب فى خروجه وخلعه طاعة بنى مروان أنه كان يخاصم عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ع فى صدقات على ع هذايخاصم عن بنى حسين و هذا عن بنى حسن فتنازعا يوما عندخالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكم أميرالمدينة فأغلظ كل واحد منهما لصاحبه فسر خالد بن عبدالملك بذلك وأعجبه سبابهما و قال لهما حين سكتا اغدوا على فلست بابن عبدالملك إن لم أفصل بينكما غدا فباتت المدينة تغلى كالمرجل فمن قائل يقول قال زيد كذا وقائل يقول قال عبد الله كذا فلما كان الغد جلس خالد فى المسجد وجمع الناس فمن بين شامت ومغموم ودعا بهما و هويحب أن يتشاتما فذهب عبد الله يتكلم فقال زيد لاتعجل يا أبا محمدأعتق زيد مايملك إن خاصمك إلى خالد أبدا ثم أقبل على خالد فقال له أجمعت ذرية رسول الله ص لأمر ما كان يجمعهم عليه أبوبكر و لاعمر فقال خالد أ مالهذا السفيه أحد يكلمه .فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم فقال يا ابن أبى تراب و يا ابن [صفحه ٢٨٦] حسين السفيه أ ماترى عليك لوال حقا و لاطاعة فقال زيد اسكت أيها القحطانى فإنا لانجيب مثلك فقال الأنصارى

و لم ترغب عنى فو الله إنى لخير منک و أبى خير من أبيک وأمى خير من أمک فتضاحک زيد و قال يامعشر قريش هذاالدين قدذهب أفذهبت الأحساب فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال كذبت أيها القحطانى و الله لهو خير منک نفسا و أبا و أما ومحتدا وتناوله بكلام كثير وأخذ كفا من الحصى فضرب به الأرض و قال إنه و الله مالنا على هذا من صبر وقام .فقام زيد أيضا وشخص من فوره إلى هشام بن عبدالملک فجعل هشام لايأذن له وزيد يرفع إليه القصص وكلما رفع إليه قصة كتب هشام فى أسفلها ارجع إلى أرضک فيقول زيد و الله لاأرجع إلى ابن الحارث أبدا ثم أذن له بعدحبس طويل وهشام فى علية له فرقى زيد إليها و قدأمر هشام خادما له أن يتبعه حيث لايراه زيد ويسمع ما يقول فصعد زيد و كان بادنا فوقف فى بعض الدرجة فسمعه الخادم و هو يقول ماأحب الحياة إلا من ذل فأخبر الخادم هشاما بذلک فلما قعد زيد بين يدى هشام وحدثه حلف له على شىء فقال هشام لاأصدقک فقال زيد إن الله لايرفع أحدا عن أن يرضى بالله و لم يضع أحدا عن أن يرضى بذلک منه قال له هشام إنه بلغنى أنک تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناک لأنک ابن أمة فقال زيد إن لک جوابا قال تكلم قال إنه ليس أحد أولى بالله و لاأرفع درجة عنده من نبى ابتعثه و هوإسماعيل بن ابراهيم و هو ابن أمة قداختاره الله لنبوته وأخرج منه خير البشر فقال هشام فما يصنع أخوک البقرة فغضب زيد حتى كاد يخرج من إهابه ثم قال سماه رسول الله ص الباقر وتسميه أنت البقرة لشد مااختلفتما لتخالفنه فى الآخرة كماخالفته فى الدنيا فيرد الجنة وترد النار. [صفحه ۲۸۷] فقال هشام خذوا بيد هذاالأحمق المائق فأخرجوه فأخذ الغلمان بيده فأقاموه فقال هشام احملوا هذاالخائن الأهوج إلى عامله فقال زيد و الله لئن حملتنى إليه لاأجتمع أنا و أنت حيين وليموتن الأعجل منا فأخرج زيد وأشخص إلى المدينة ومعه نفر يسيرونه حتى طردوه عن حدود الشام فلما فارقوه عدل إلى العراق ودخل الكوفة وبايع لنفسه فأعطاه البيعة أكثر أهلها والعامل عليها و على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفى فكان بينهما من الحرب ما هومذكور فى كتب التواريخ وخذل أهل الكوفة زيدا وتخلف معه ممن تابعه نفر يسير وأبلى بنفسه بلاء حسنا وجهادا عظيما حتى أتاه سهم غرب فأصاب جانب جبهته اليسرى فثبت فى دماغه فحين نزع منه مات ع .عنف محمد بن عمر بن على بن أبى طالب ع زيدا لماخرج وحذره القتل و قال له إن أهل العراق خذلوا أباک عليا وحسنا وحسينا ع وإنک مقتول وإنهم خاذلوک فلم يثن ذلک عزمه وتمثل بكرت تخوفنى الحتوف كأننى || أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل فأجبتها إن المنية منهل || لابد أن أسقى بذاک المنهل إن المنية لوتمثل مثلت || مثلى إذانزلوا بضيق المنزل فاقنى حياءک لا أبا لک واعلمى || أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل . [صفحه ۲۸۸] العلوى البصرى صاحب الزنج يقول و إذاتنازعنى أقول لها قرى || موت الملوک على صعود المنبر ما قدقضى سيكون فاصطبرى له || و لک الأمان من الذى لم يقدر . و قال أيضا إنى وقومى فى أنساب قومهم || كمسجد الخيف فى بحبوحة الخيف ماعلق السيف منا بابن عاشرة || إلا وعزمته أمضى من السيف .بعض الطالبيين وإنا لتصبح أسيافنا || إذا ماانتضين ليوم سفوک منابرهن بطون الأكف || وأغمادهن رءوس الملوک .بعض الخوارج يصف أصحابه وهم الأسود لدى العرين بسالة || و من الخشوع كأنهم أحبار يمضون قدكسروا الجفون إلى الدعا || متبسمين وفيهم استبشار فكأنما أعداؤهم أحبابهم || فرحا إذاخطر القنا الخطار يردون حومات الحمام وإنها || تالله عندنفوسهم لصغار ولقد مضوا و أناالحبيب إليهم || وهم لدى أحبة أبرار قدر يخلفنى ويمضيهم به || يالهف كيف يفوتنى المقدار و فى الحديث المرفوع خلقان يحبهما الله الشجاعة والسخاء -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۶۰ . كان بشر بن المعتمر من قدماء شيوخنا رحمه الله تعالى يقول بتفضيل على ع [صفحه ۲۸۹] و يقول كان أشجعهم وأسخاهم و منه سرى القول بالتفضيل إلى أصحابنا البغداديين قاطبة و فى كثير من البصريين .دخل النضر بن راشد العبدى على امرأته فى حرب الترک بخراسان فى ولاية الجنيد بن عبدالرحمن المرى فى خلافة هشام بن عبدالملک و الناس يقتتلون فقال لها كيف تكونين إذاأتيت بى فى لبد قتيلا مضرجا بالدماء فشقت جيبها ودعت بالويل فقال حسبک لوأعولت على كل أنثى لعصيتها شوقا إلى الجنة ثم

خرج فقاتل حتى قتل وحمل إلى امرأته فى لبد ودمه يقطر من خلاله . قال أبوالطيب المتنبى إذاغامرت فى شرف مروم || فلاتقنع بما دون النجوم فطعم الموت فى أمر حقير || كطعم الموت فى أمر عظيم يرى الجبناء إن الجبن حزم || وتلك خديعة الطبع اللئيم و كل شجاعة فى المرء تغنى || و لامثل الشجاعة فى الحكيم . و قال إذا لم تجد مايبتر العمر قاعدا || فقم واطلب الشىء ألذى يبتر العمرا . و قال أهم بشىء والليالى كأنها || تطاردنى عن كونه وأطارد وحيدا من الخلان فى كل بلدة || إذاعظم المطلوب قل المساعد . [صفحه ٢٩٠] قيل لأبى مسلم فى أيام صباه نراك تنظر إلى السماء كثيرا كأنك تسترق السمع أوتنتظر نزول الوحى قال لا ولكن لى همة عالية ونفس تتطلع إلى معالى الأمور مع عيش كعيش الهمج والرعاع وحال متناهية فى الاتضاع قيل فما ألذى يشفى علتك ويروى غلتك قال الملك قيل فاطلب الملك قال إن الملك لايطلب هكذا قيل فما تصنع و أنت تذوب حسرا وتموت كمدا قال سأجعل بعض عقلى جهلا- وأطلب به ما لايطلب إلابالجهل وأحرس بالباقى ما لايحرس إلابالعقل فأعيش بين تدبير ضدين فإن الخمول أخو العدم والشهرة أخت الكون . قال ابن حيوس أمواتهم بالذكر كالأحياء || ولحيهم فضل على الأحياء نزلوا على حكم المروءة وامتطوا || بالبأس ظهر العزة القعساء والعز لايبقى لغير معود || أن يكشف الغماء بالغماء لاتحسب الضراء ضراء إذا || أفضت بصاحبها إلى السراء . و قال وهى الرئاسة لاتبوح بسرها || إلالأروع لايباح ذماره يحمى حماه قلبه ولسانه || وتذود عنه يمينه ويساره لاالعذل ناهيه و لاالحرص ألذى || أمر النفوس بشحها أماره فليعلم الساعى ليبلغ ذا المدى || أن الطريق كثيرة أخطاره . [صفحه ٢٩١] كان ثابت قطنة فى خيل عبد الله بن بسطام فى فتح شكند من بلاد الترك فى أيام هشام بن عبدالملك فاشتدت شوكة الترك وانحاز كثير من المسلمين واستؤسر منهم خلق فقال ثابت و الله لاينظر إلى بنو أمية غدا مشدودا فى الحديد أطلب الفداء أللهم إنى كنت ضيف ابن بسطام البارحة فاجعلنى ضيفك الليلة ثم حمل وحمل معه جماعة فكسرتهم الترك فرجع أصحابه وثبت هوفرمى برذونه فشب وضربه فأقدم فصرع ثابت وارتث فقال أللهم إنك استجبت دعوتى و أناالآن ضيفك فاجعل قراى الجنة فنزل تركى فأجهز عليه . قال يزيد بن المهلب لابنه خالد و قدأمره على جيش فى حرب جرجان يابنى إن غلبت على الحياة فلاتغلبن على الموت وإياك أن أراك غدا عندى مهزوما. عن النبى ص الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف -روايت-١-٢-روايت-١٧-٦٥ كمايقال المنية و لاالدنية والنار و لاالعار والسيف و لاالحيف . قال سيف بن ذى يزن حين أعانه بوهرز الديلمى و من معه لأنوشروان أيها الملك أين تقع ثلاثة آلاف من خمسين ألفا فقال ياأعرابى كثير الحطب يكفيه قليل النار. لماحبس مروان بن محمد ابراهيم الإمام خرج أبوالعباس السفاح وأخوه أبو جعفر و عبدالوهاب و محمدابنا ابراهيم الإمام وعيسى وصالح وإسماعيل و عبد الله و عبدالصمد أبناء على بن عبد الله بن العباس وعيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس من الحميمة من أرض السراة يطلبون الكوفة و قد كان داود بن على بن عبد الله بن العباس وابنه موسى بن داود بالعراق فخرجا يطلبان الشام فتلقاهما أبوالعباس و أهل بيته بدومة الجندل فسألهم داود عن [صفحه ٢٩٢] خروجهم فأخبروه أنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ويدعوا إلى البيعة لأبى العباس فقال يا أباالعباس يظهر أمرك الآن بالكوفة ومروان بن محمدشيخ بنى أمية بحران مطل على العراق فى جيوش أهل الشام والجزيرة ويزيد بن عمر بن هبيرة شيخ العرب بالعراق فى فرسان العرب فقال ياعم من أحب الحياة ذل ثم تمثل بقول الأعشى فما ميتة إن متها غيرعاجز || بعار إذا ماغالت النفس غولها . فقال داود لابنه موسى صدق ابن عمك ارجع بنا معه فإما أن نهلك أونموت كراما. و كان عيسى بن موسى يقول بعد ذلك إذاذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة إن ثلاثة عشر رجلا خرجوا من ديارهم وأهليهم يطلبون ماطلبنا لعظيمة هممهم كبيرة نفوسهم شديدة قلوبهم . أبوالطيب المتنبى و إذاكانت النفوس كبارا || تعبت فى مرادها الأجسام . و له إلى أى حين أنت فى زى محرم || و حتى متى فى شقوة و إلى كم و إلاتمت تحت السيوف مكرما || تمت وتقاسى الذل غيرمكرم فثب واثقا بالله وثبة ماجد || يرى الموت فى الهيجا

جنی النحل فی الفم . [صفحه ۲۹۳] و قال آخر إن تقتلونی فآجال الرجال كما || حدثت قتل و مابالقتل من عار و إن سلمت لوقت بعده فعسی || و كل شیء إلی حد ومقدار .خطب الحجاج فشكا سوء ضاعهٔ أهل العراق فقام إلیه جامع المحاربی فقال أیها الأمیر دع مایباعدهم منك إلی مایقربهم إلیك والتمس العافیهٔ ممن دونك تعطها ممن فوقك فلو أحبوك لأطاعوك إنهم ماشنئوك بنسبك و لالبأوك ولكن لإیقاعك بعدوعیدك ووعیدك بعدوعدك . فقال الحجاج ماأرانی أرد بنی اللكیعهٔ إلی طاعتی إلابالسیف فقال جامع أیها الأمیر إن السیف إذالاقی السیف ذهب الخیار فقال الحجاج الخیار یومئذ لله فقال أجل ولكنك لاتدری لمن یجعله الله فقال یاهناه إیها فإنك من محارب فقال جامع وللحرب سمینا فكنا محاربا || إذا ماالقنا أمسی من الطعن أحمرا . و من الشعر الجید فی تحسین الإباء والحمیهٔ والتحریض علی النهوض والحرب وطلب الملك والرئاسهٔ قصیدهٔ عمارهٔ الیمنی شاعر المصریین فی فخر الدین تورانشاه بن أیوب التی یغریه فیهابالنهوض إلی الیمن والاستیلاء علی ملكها وصادفت هذه القصیدهٔ محلا قابلا وملك تورانشاه الیمن بما هزت هذه القصیدهٔ من عطفه وحركت من عزمه وأولها [صفحه ۲۹۴] العلم مذ كان محتاج إلی العلم || وشفرهٔ السیف تستغنی عن القلم وخیر خیلك إن غامرت فی شرف || عزم یفرق بین الساق والقدم إن المعالی عروس غیرواصلهٔ || ما لم تخلق رادءیها بنضح دم تری مسامع فخر الدین تسمع ما || أملاه خاطر أفكاری علی قلمی فإن أصبت فلی حظ المصیب و إن || أخطأت قصدك فاعذرنی و لاتلم كم تترك البیض فی الأجفان ظامئهٔ || إلی الموارد فی الأعناق والقمم ومقلهٔ المجد نحو العزم شاخصهٔ || فاترك قعودك عن إدراكها وقم فعمك الملك المنصور سومها || من الفرات إلی مصر بلا سأم واخلق لنفسك أمرا لاتضاف به || إلی سواك وأور النار فی العلم وانه المشیرین إن لجت نصیحتهم || أو لافأنعم علی العمیان بالصمم واعزم وصمم فقد طالت و قدسمجت || قضیهٔ لفظتها ألسن الأمم فرب أمر یهاب الناس غایته || والأمر أهون فیه من ید لفم فكیف إن نهضت فیما هممت به || أسد تسیر من الخطی فی أجم لایدرك المجد إلا كل مقتحم || فی موج ملتطم أوفوج مضطرم لاینقض الخطوهٔ الأولی بثانیهٔ || و لایفكر فی العقبی من الندم كأنما السیف أفتاه بقتلهم || فی فتح مكهٔ حل القتل فی الحرم و لم یراعوا لعثمان و لاعمر || و لا الحسین ذمام الأشهر الحرم فما تروم سوی فتح صوارمه || یضحكن فی كل یوم عابس البهم حتی كأن لسان السیف فی یده || یروی الشریعهٔ عن عاد و عن إرم [صفحه ۲۹۵] هذا ابن تومرت قدكانت بدایته || فیما یقول الوری لحما علی وضم و قدترقی إلی أن صار طالعهٔ || من الكواكب بالأنفاس والكظم و كان أول هذاالدین من رجل || سعی إلی أن دعوه سید الأمم .كذب لم یظهر الدین الحنیف المقدس علی الأدیان بسعی البشر بل بالتأیید الإلهی والسر الربانی صلوات الله وسلامه علی القائم به والمتحمل له والبدر یبدو هلالا ثم یكشف بالأنوار || ماسترته شملهٔ الظلم والغیث فهو كما قدقیل أوله || قطر وبدء خراب السد بالعرم تنمو قوی الشیء بالتدریج إن رزقت || لطفا ویقوی شرار النار بالضرم حاسب ضمیرك عن رأی أتاك وقل || نصیحهٔ وردت من غیرمتهم أقسمت ما أنت ممن جل همته || ماراق من نعم أورق من نعم وإنما أنت مرجو لواحدهٔ || بنی بهاالدهر مجدا غیرمنهدم كأننی باللیالی وهی هاتفهٔ || قدصم سمع رجال دونها وعمی وبالعلی كلما لاقتك قائلهٔ || أهلا بمنشر آمالی من الرمم . و من أباهٔ الضیم الذین اختاروا القتل علی الأسر والموت علی الدنیهٔ مصعب بن الزبیر كان أمیرالعراقین من قبل عبد الله بن الزبیر و كان قدكسر جیوش عبدالملك مرارا وأعیاه أمره فخرج إلیه من الشام بنفسه فلیم فی ذلك وقیل له إنك تغرر بنفسك وخلافتك فقال إنه لایقوم لحرب مصعب غیری هذاأمر یحتاج إلی أن یقوم به شجاع ذو رأی وربما بعثت شجاعا و لارأی له أوذا رأی و لاشجاعهٔ عنده و أنابصیر بالحرب شجاع بالسیف فلما أجمع علی الخروج إلی حرب مصعب جاءته [صفحه ۲۹۶] امرأته عاتكهٔ بنت یزید بن معاویهٔ فالتزمته وبكت لفراقه وبكی جواریها حولها فقال عبدالملك قاتل الله ابن أبی جمعهٔ كأنه شاهد هذه الصورهٔ حیث یقول إذاهم بالأعداء لم یثن عزمه || حصان علیها نظم در یزینها نهته فلما لم تر النهی عاقه || بكت فبكی مما عراها قطینها .فسار عبدالملك حتی إذا كان

بمسكن من أرض العراق و قددنا منه عسكر مصعب تقاعد بمصعب أصحابه وقواده وخذلوه فقال لابنه عيسى الحق بمكة فانج بنفسك وأخبر عمك عبد الله بما صنع أهل العراق بى ودعنى فإنى مقتول فقال لاتتحدث نساء قريش أنى فررت عنك ولكن أقاتل دونك حتى نقتل فالفرار عار و لاعار فى القتل ثم قاتل دونه حتى قتل وخف من يحامى عن مصعب من أهل العراق وأيقن بالقتل فأنفذ عبدالملك إليه أخاه محمد بن مروان فأعطاه الأمان وولاية العراقين أبدا مادام حيا وألفى ألف درهم صلة فأبى و قال إن مثلى لاينصرف عن هذاالمكان إلاغالبا أومقتولا فشد عليه أهل الشام ورموه بالنبل فأثخنوه وطعنه زائدة بن قيس بن قدامة السعدى ونادى يالثارات المختار فوقع إلى الأرض فنزل إليه عبدالملك بن زياد بن ظبيان فاحتز رأسه وحمله إلى عبدالملك . لماحمل رأس مصعب إلى عبدالملك بكى و قال لقد كان أحب الناس إلى وأشدهم مودة لى ولكن الملك عقيم .كتب مصعب إلى سكينة بنت الحسين ع وكانت زوجته لماشخص إلى حرب عبدالملك وهى بالكوفة بعدليال من فراقها و كان عزيزا إن أبيت وبيننا || حجاب فقد أصبحت منى على عشر [صفحه ٢٩٧] وأبكاهما و الله للعين فاعلمى || إذاازددت مثليها فصرت على شهر وأنكى لقلبى منهما اليوم أننى || أخاف بألا نلتقى آخر الدهر . ثم أرسل إليها وأشخصها فشهدت معه حرب عبدالملك فدخل عليها يوم قتل و قدنزع ثيابه ثم لبس غلالة وتوشح بثوب واحد و هومحتضن سيفه فعلمت أنه غيرراجع فصاحت وا حزناه عليك يامصعب فالتفت إليها و قال إن كل هذا فى قلبك قالت و ماأخفى أكثر قال لوكنت أعلم هذالكان لى و لك شأن ثم خرج فلم يرجع . فقال عبدالملك يوما لجلسائه من أشجع الناس فقالوا قطرى شبيب فلان وفلان قال عبدالملك بل رجل جمع بين سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة وأمة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز وقلابة ابنة زبان بن أنيف الكلبى سيد العرب وولى العراقين خمس سنين فأصاب كذا وكذا ألف درهم وأعطى الأمان على ذلك كله و على ولايته وماله فأبى ومشى بسيفه إلى الموت حتى قتل ذاك مصعب بن الزبير لا من قطع الجسور مرة هاهنا ومرة هاهنا.سئل سالم بن عبد الله بن عمر أى ابنى الزبير أشجع فقال كلاهما جاءه الموت و هوينظر إليه . لماوضع رأس مصعب بين يدى عبدالملك أنشد لقد أردى الفوارس يوم حسى || غلاما غيرمناع المتاع و لافرح بخير إن أتاه || و لاهلع من الحدثان لاع و لاوقافة والخيل تردى || و لاخال كأنبوب اليراع [صفحه ٢٩٨] كان ابن ظبيان يقول ماندمت على شيءندمى على ألا أكون لماحملت إلى عبدالملك رأس مصعب فسجد قتلته فى سجدته فأكون قدقتلت ملكى العرب فى يوم واحد. قال رجل لعبد الله بن ظبيان بما ذا تحتج عند الله عز و جل غدا و قدقتلت مصعبا قال إن تركت أحتج كنت أخطب من صعصعة بن صوحان . كان مصعب لماخرج إلى حرب عبدالملك سأل عن الحسين بن على ع وكيف كان قتله فجعل عروة بن المغيرة يحدث عن ذلك فقال متمثلا بقول سليمان بن قتة و إن الألى بالطف من آل هاشم || تأسوا فسنوا للكرام التأسيا . قال عروة فعلمت أن مصعبا لايفر. لما كان يوم السبخة وعسكر الحجاج بإزاء شبيب قال له الناس أيها الأمير لوتنحيت عن هذه السبخة فإنها منتنة الريح قال ماتنحوننى و الله إليه أنتن وهل ترك مصعب لكريم مفرا ثم أنشد قول الكلحبة إذاالمرء لم يغش الكريهة أوشكت || حبال الهوينى بالفتى أن تقطعا . وروى أبوالفرج فى كتاب الأغانى خطبة عبد الله بن الزبير فى قتل مصعب برواية هى أتم مما ذكرناه نحن فيما تقدم قال لماأتى خبر المصعب إلى مكة أضرب عبد الله بن الزبير عن ذكره أياما حتى تحدث به جميع أهل مكة فى الطريق ثم صعد المنبر فجلس عليه مليا لايتكلم فنظر الناس إليه و إن الكآبة على وجهه لبادية و إن [صفحه ٢٩٩] جبينه ليرشح عرقا فقال واحد لآخر ما له لايتكلم أتراه يهاب النطق فو الله إنه لخطيب فما تراه يهاب قال أراه يريد أن يذكر قتل المصعب سيد العرب فهو يقطع بذلك فابتدأ فقال الحمد لله ألذى له الخلق والأمر ملك الدنيا والآخرة يعز من يشاء ويذل من يشاء إلا أنه لايذل من كان الحق معه و إن كان مفردا ضعيفا و لايعز من كان الباطل معه و إن كان ذا عدد وكثرة ثم قال أتانا خبر من العراق بلد الغدر والشقاق فساءنا وسرنا أتانا أن مصعبا قتل رحمه الله فأما ألذى أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه عندالمصيبة ثم

يرعوى ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر و أما ألذى سرنا منه فإن قتله كان له شهادة و إن الله جاعل لنا و له فى ذلك الخيرة ألا إن أهل العراق باعوه بأقل الأثمان وأخسرها وأسلموه إسلام النعم المخطمة فقتل و إن قتل لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيار الصالحين وإنا و الله مانموت حتف آنافنا مانموت إلاقتلا قتلا وقعصا قعصا بين قصد الرماح وتحت ظلال السيوف ليس كماتموت بنو مروان و الله ماقتل منهم رجل فى جاهلية و لاإسلام وإنما الدنيا عارية من الملك القهار ألذى لايزول سلطانه و لايبيد ملكه فإن تقبل الدنيا على لاآخذها أخذ اللئيم البطر و إن تدبر عنى لاأبكى عليها بكاء الخرف المهتر ثم نزل . [صفحه ٣٠٠] و قال الطرماح بن حكيم و كان يرى رأى الخوارج وإنى لمقتاد جوادى فقاذف || به وبنفسى اليوم إحدى المتالف لأكسب مالا أوأءوب إلى غنى || من الله يكفينى عداة الخلائف فيا رب إن حانت وفاتى فلاتكن || على شرجع يعلى بخضر المطارف ولكن قبرى بطن نسر مقيله || بجو السماء فى نسور عواكف وأمسى شهيدا ثاويا فى عصابة || يصابون فى فج من الأرض خائف فوارس أشتات يؤلف بينهم || هدى الله نزالون عندالمواقف . قال ابن شبرمة مررت يوما فى بعض شوارع الكوفة فإذابنعش حوله رجال و عليه مطرف خز أخضر فسألت عنه فقيل الطرماح فعلمت أن الله تعالى لم يستجب له . و قال محمد بن هانئ و لم أجد الإنسان إلا ابن سعيه || فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا وبالهمة العلياء ترقى إلى العلا || فمن كان أعلى همه كان أظهرا و لم يتأخر من أراد تقدما || و لم يتقدم من أراد تأخرا .الرضى الموسوى رحمه الله تعالى و من أخرته نفسه مات عاجزا || و من قدمته نفسه مات سيدا . [صفحه ٣٠١] و له رحمه الله مامقامى على الهوان وعندى || مقول صارم وأنف حمى وإباء محلق بى عن الضيم || كمازاغ طائر وحشى . أبوالطيب المتنبى تقولين ما فى الناس مثلك عاشق || جدى مثل من أحبته تجدى مثلى محب كنى بالبيض عن مرهفاته || وبالحسن فى أجسامهن عن الصقل وبالسمر عن سمر القنا غيرأننى || جناها أحبائى وأطرافها رسلى عدمت فؤادا لم يبت فيه فضلة || لغير ثنايا الغر والحدق النجل تريدين إدراك المعالى رخيصة || و لابد دون الشهد من أبر النحل . ابن الهبارية الهمم العلية والمهج الأبية تقرب المنية منك أوالأمنية. أبوتمام فتى النكبات من يأوى إذا ما || قطفن به إلى خلق وساع يثير عجاجة فى كل فج || يهيم بهاعدى بن الرقاع يخوض مع السباع الماء حتى || لتحسبه السباع من السباع [صفحه ٣٠٢] فلب العزم إن حاولت يوما || بأن تستطيع غيرالمستطاع فلم تركب كناجية المهارى || و لم تركب همومك كالزماع . و له أيضا إن خيرا مما رأيت من الصفح || عن النائبات والإغماض غربة تقتدى بغربة قيس || بن زهير والحارث بن مضاض غرضى نكبتين مافتلا رأيا || فخافا عليه نكث انتقاض من أبن البيوت أصبح فى ثوب || من العيش ليس بالفضفاض صلتان أعداؤه حيث حلوا || فى حديث من ذكره مستفاض والفتى من تعرقته الليالى || والفيافى كالحية النضناض كل يوم له بصرف الليالى || فتكة مثل فتكة البراض . و له أيضا إن ترينى ترى حساما صقيلا || مشرفيا من السيوف الحداد ثانى الليل ثالث البيد والسير || نديم النجوم ترب السهاد أخذ هذااللفظ أبوعبادة البحترى فقال ياانديمى بالسواجير من شمس || بن عمرو وبحتر بن عتود [صفحه ٣٠٣] اطلبا ثالثا سواى فإنى || رابع العيس والدجى والبيد لست بالعاجز الضعيف و لاالقائل || يوما إن الغنى بالجدود و إذااستصعبت مقادة أمر || سهلته أيدى المهارى القود . و قال الرضى رحمه الله تعالى و لم أر كالرجاء اليوم شيئا || تذل له الجماجم والرقاب وبعض العدم مأثرة وفخر || وبعض المال منقصة وعاب بنانى والعنان إذانبت بى || ربا أرض ورجلى والركاب و قدعرفت توقلى الليالى || كماعرفت توقلى العقاب لأمنع جانبا وأفيد عزا || و عزالموت ما عزالجناب إذاهول دعاك فلاتهبه || فلم يبق الذين أبوا وهابوا كليب عافصته يد وأودى || عتيبة يوم أقعصه ذؤاب سواء من أقل التراب منا || و من وارى معالمه التراب و إن مزايل العيش اعتباطا || مساو للذين بقوا وشابوا وأولنا العناء إذاطلعنا || إلى الدنيا وآخرنا الذهاب إلى كم ذا التردد فى الأمانى || وكم يلوى بناظرى السراب و لانقع يثار و لاقتام || و لاطعن يشب و لاضراب [صفحه ٣٠٤] و لاخيل معقدة النواصى || يموج على شكائمها اللعاب عليها كل ملتهب الحواشى || يصيب من العدو و لايصاب

سأخطبها بحد السيف فعلا || إذا لم يغن قول أوخطاب وآخذها و إن رغمت أنوف || مغالبة و إن ذلت رقاب .قعد سليمان بن عبدالملک يعرض ويفرض فأقبل فتى من بنى عبس وسيم فأعجبه فقال ماسمک قال سليمان قال ابن من قال ابن عبدالملک فأعرض عنه وجعل يفرض لمن دونه فعلم الفتى أنه كره موافقة اسمه واسم أبيه فقال يا أمير المؤمنين لاعدمت اسمک و لاشقى اسم يوافق اسمک فافرض فإنما أناسيف بيدک إن ضربت به قطعت و إن أمرتنى أطعت وسهم فى كنانتک أشتد إن أرسلت وأنفذ حيث وجهت فقال له سليمان و هويروزه ويختبره ماقولک يافتى لولقيت عدوا قال أقول حسبى الله ونعم الوكيل قال سليمان أكنت مكتفيا بهذا لولقيت عدوک دون ضرب شديد قال الفتى إنما سألتنى يا أمير المؤمنين ما أنت قائل فأخبرتک و لوسألتنى ما أنت فاعل لأنبأتک أنه لو كان ذلک لضربت بالسيف حتى يتعقف ولطعنت بالرمح حتى يتقصف ولعلمت إن ألمت فإنهم يألمون ولرجوت من الله ما لايرجون فأعجب سليمان به وألحقه فى العطاء بالأشراف وتمثل إذا مااتقى الله الفتى ثم لم يكن || على أهله كلا فقد كمل الفتى . [صفحه ۳۰۵] السر تحت قوله ثم لم يكن على أهله كلاـ يقال فى المثل لاتكن كلا على أهلک فتهلک .عدى بن زيد فهل من خالد إما هلكنا || وهل بالموت ياللناس عار .الرضى الموسوى رحمه الله تعالى إذا لم يكن إلاالحمام فإننى || سأكرم نفسى عن مقال اللوائم وألبسها حمراء تضفو ذيولها || من الدم بعدا عن لباس الملاوم فمن قبل مااختار ابن الأشعث عيشه || على شرف عال رفيع الدعائم فطار ذميما قدتقلد عارها || بشر جناح يوم دير الجماجم وجاءهم يجرى البريد برأسه || و لم يغن إيغال به فى الهزائم و قدحاص من خوف الردى كل حيصة || فلم ينج والأقدار ضربة لازم و هذايزيد بن المهلب نافرت || به الذل أعراق الجدود الأكارم فقال و قد عن الفرار أوالردى || لحا الله أخزى ذكرة فى المواسم و ماغمرات الموت إلاانغماسة || و لاذى المنايا غيرتهويم نائم [صفحه ۳۰۶] رأى أن هذاالسيف أهون محملا || من العار يبقى وسمه فى المخاطم و ماقلد البيض المباتير عنقه || سوى الخوف من تقليدها بالأداهم فعاف الدنايا وامتطى الموت شامخا || بمارن عز لايذل لخاطم و قدحلقت خوف الهوان بمصعب || قوادم آباء كرام المقادم على حين أعطوه الأمان فعافه || وخير فاختار الردى غيرنادم و فى خدره غراء من آل طلحة || علاقة قلب للنديم المخالم تحبب أيام الحياة وإنها || لأعذب من طعم الخلود لطاعم ففارقها والملک لمارآهما || يجران إذلال النفوس الكرائم و لماألاح الحوفزان من الردى || حذاه المخازى رمح قيس بن عاصم وغادرها شنعاء إن ذكرت له || من العار طأطأ رأس خزيان واجم كذاک منى بعدالفرار أمية || بشقشقة لوثاء من آل دارم وسل لها سل الحسام ابن معمر || فكر على أعقاب ناب بصارم يردد ذكرى كل نجد وغائر || وألجم خوفى كل باع وظالم وهددنى الأعداء فى المهد لم يحن || نهوضى و لم تقطع عقود تمائمى وعندى يوم لويزيد ومسلم || بدا لهما لاستصغرا يوم واقم على العز مت لامیتة مستكينة || تزيل عن الدنيا بشم المراغم وخاطر على الجلى خطار ابن حرة || و إن زاحم الأمر العظيم فزاحم . [صفحه ۳۰۷] و من أباة الضيم ومؤثرى الموت على الحياة الذليلة محمد و ابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع لماأحاطت عساكر عيسى بن موسى بمحمد و هوبالمدينة قيل له أنج بنفسک فإن لک خيلا مضمرة ونجائب سابقة فاقعد عليها والتحق بمكة أوباليمن قال إنى إذالعبد وخرج إلى الحرب يباشرها بنفسه وبمواليه فلما أمسى تلک الليلة وأيقن بالقتل أشير عليه بالاستتار فقال إذن يستعرض عيسى أهل المدينة بالسيف فيكون لهم يوم كيوم الحرة لاـ و الله لاأحفظ نفسى بهلاک أهل المدينة بل أجعل دمى دون دمائهم فبذل له عيسى الأمان على نفسه وأهله وأمواله فأبى ونهد إلى الناس بسيفه لايقاربه أحد إلاقتله لا و الله مايبقى شيئا و إن أشبه خلق الله به فيما ذكر هوحمزة بن عبدالمطلب ورمى بالسهام ودهمته الخيل فوقف إلى ناحية جدار وتحاماه الناس فوجد الموت فتحامل على سيفه فكسره فالزيدية تزعم أنه كان سيف رسول الله ص ذا الفقار. وروى أبوالفرج الأصفهانى فى كتاب مقال الطالبيين أن محمدا ع قال لأخته ذلک اليوم إنى فى هذااليوم على قتال هؤلاء فإن زالت الشمس وأمطرت السماء فإنى مقتول و إن زالت الشمس و لم تمطر السماء وهبت الريح

فإنی أظفر بالقوم فأججی التنانیر وهیئی هـذه الکتب یعنی کتب البیعـۀ الواردۀ علیه من الآفاق فإن زالت الشـمس ومطرت السـماء فاطرحی هذه الکتب فی التنانیر فإن قدرتم علی بدنی [صـفحه ۳۰۸] فخذوه و إن لم تقدروا علی رأسـی فخذوا سائر بدنی فأتوا به ظلۀ بنی بلیۀ علی مقدار أربعۀ أذرع أوخمسۀ منها فاحفروا لی حفیرۀ وادفنونی فیهافمطرت السماء وقت الزوال وقتل محمد ع و کان عنـدهم مشـهورا أن آیـۀ قتل النفس الزکیـۀ أن یسـیل دم بالمدینۀ حتی یدخل بیت عاتکۀ فکانوا یعجبون کیف یسـیل الدم حتی یـدخل ذلک البیت فأمطرت السـماء ذلک الیوم وسال الـدم بالمطر حتی دخل بیت عاتکـۀ وأخذ جسده فحفر له حفیرۀ فی الموضع ألـذی حـده لهم فوقعوا علی صـخرۀ فأخرجوهـا فـإذا فیهـامکتوب هـذاقبر الحسن بن علی بن أبی طـالب ع فقالت زینب أخت محمـد ع رحم الله أخی کـان أعلم حیث أوصـی أن یـدفن فی هـذاالموضع . وروی أبوالفرج قـال قـدم علی المنصور قادم فقـال هرب محمـد فقـال له کـذبت إنـا أهـل البیت لانفر. و أما ابراهیم ع فروی أبوالفرج عن المفضل بن محمـدالضبی قال کان ابراهیم بن عبد الله بن الحسن متواریا عندی بالبصـرۀ وکنت أخرج وأترکه فقال لی إذاخرجت ضاق صدری فأخرج إلی شیئا من کتبک أتفرج به فأخرجت إلیه کتبا من الشـعر فاختار منها القصائد السـبعین التی صدرت بها کتاب المفضـلیات ثم أتممت علیها باقی الکتاب . فلما خرج خرجت معه فلما صار بالمربـد مربد سـلیمان بن علی وقف علیهم وأمنهم واستسـقی ماء فأتی به فشـرب فأخرج إلیه صبیان من صبیانهم فضـمهم إلیه [صـفحه ۳۰۹] و قـال هؤلاـء و الله منـا ونحن منهم لحمنا ودمنا ولکن آباءهم انتزوا علی أمرنا وابتزوا حقوقنا وسـفکوا دماءنا ثم تمثل مهلا بنی عمنا ظلامتنا || إن بنا سورۀ من الغلق لمثلکم نحمل السیوف و لا || تغمز أحسابنا من الرقق إنی لأنمی إذاانتمیت إلی || عزعزیز ومعشـر صدق بیض سـباط کان أعینهم || تکحل یوم الهیاج بالعلق .فقلت له ماأجود هذه الأبیات وأفحلها فلمن هی فقال هذه یقولها ضـرار بن الخطاب الفهری یوم عبر الخندق علی رسول الله ص وتمثل بها علی بن أبی طالب یوم صـفین و الحسـین یوم الطف وزید بن علی یوم السبخۀ ویحیی بن زید یوم الجوزجان فتطیرت له من تمثله بأبیات لم یتمثل بهاأحـد إلاقتل ثم سـرنا إلی باخمری فلما قرب منها أتاه نعی أخیه محمدفتغیر لونه وجرض بریقه ثم أجهش باکیـا و قـال أللهم إن کنت تعلم أن محمـدا خرج یطلب مرضاتک ویؤثر أن تکون کلمتک العلیا وأمرک المتبع المطاع فـاغفر له وارحمه وارض عنه واجعل مانقلته إلیه من الآخرۀ خیرا مما نقلته عنه من الـدنیا ثم انفجر باکیا ثم تمثل أباالمنازل یاخیر الفوارس من || یفجع بمثلک فی الدنیا فقد فجعا الله یعلم إنی لوخشیتهم || أوآنس القلب من خوف لهم فزعا لم یقتلوک و لم أسـلم أخی لهم || حتی نعیش جمیعـا أونموت معا . قال المفضل فجعلت أعزیه وأعاتبه علی ماظهر من جزعه فقال إنی و الله فی هذا کما قال درید بن الصمۀ [صفحه ۳۱۰] یقول ألا تبکی أخاک و قدأری || مکان البکا لکن بنیت علی الصبر لمقتل عبد الله والهالک ألـذی || علی الشـرف الأعلی قتیل أبی بکر و عبـدیغوث تحجل الطیر حوله || و جل مصابا جثو قبر علی قبر فأما ترینا لاتزال دماؤنا || لـدی واتر یسـعی بهاآخر الـدهر فإنا للحم السـیف غیرنکیرۀ || ونلحمه طورا و لیس بذی نکر یغار علینا واترین فیشـتفی || بنا إن أصـبنا أونغیر علی وتر بذاک قسـمنا الدهر شـطرین بیننا || فما ینقضـی إلا ونحن علی شـطر . قال المفضل ثم ظهرت لنـا جیوش أبی جعفرمثـل الجراد فتمثل ابراهیم ع قوله إن یقتلونی لاتصب أرماحهم || ثأری ویسـعی القوم سـعیا جاهـدا نبئت أن بنی جذیمـۀ أجمعت || أمرا تـدبره لتقتـل خالـدا أرمی الطریق و إن رصـدت بضـیقه || وأنـازل البطـل الکمی الحاردا .فقلت له من یقول هذاالشـعر یا ابن رسول الله فقال یقوله خالـد بن جعفر بن کلاب یوم شـعب جبلـۀ و هـذاالیوم ألـذی لقیت فیه قیس تمیمـا قـال وأقبلت عساکر أبی جعفرفطعن رجلا وطعنه آخر فقلت له أتباشـر القتال بنفسک وإنما العسـکر منوط بک فقال إلیک یاأخا بنی ضـبۀ فإنی لکما قال عویف القوافی ألمت سـعاد وإلمامها || أحادیث نفس وأحلامها محجبۀ من بنی مالک || تطاول فی المجد أعلامها [صفحه ۳۱۱] و إن لنا أصل جرثومۀ || ترد الحوادث أیامها ترد الکتیبۀ مفلولۀ || بهاأفنها و بهاذامها . والتحمت الحرب واشـتدت فقال یامفضل احکنی بشـیء فـذکرت أبیاتا لعویف القوافی لما کان ذکره هو من شـعره فأنشـدته ألا

أيهـا النـاهى فزارة بعـد ما || أجـدت لسـير إما أنت ظالم أبى كل حر أن يبيت بوتره || وتمنع منه النوم إذ أنت نائم أقول لفتيان كرام تروحوا || على الجرد فى أفواههن الشـكائم قفوا وقفـة من يحى لا ـيخز بعـدها || و من يخترم لا ـتتبعه اللوائم وهل أنت إن باعـدت نفسك عنهم || لتسـلم فيما بعد ذلك سالم . فقال أعد وتبينت من وجهه أنه يسـتقتل فانتهبت و قلت أو غير ذلك فقال لابل أعـد الأبيات فأعـدتها فتمطى فى ركابيه فقطعهما وحمل فغاب عنى وأتاه سـهم عائر فقتله و كان آخر عهـدى به ع قلت فى هذاالخبر مايحتاج إلى تفسير أما قوله إن بنا سورة من الغلق .فالغلق الضجر وضيق الصدر والحدة يقال احتد فلان فنشب فى حدته وغلق والسورة الوثوب يقال إن لغضـبه لسورة وإنه لسوار أى وثاب معربد وسورة الشـراب وثوبه فى الرأس وكذلك سورة السـم وسورة السـلطان سـطوته واعتداؤه . و أما قوله لمثلكم نحمل السـيوف فمعناه أن غيركم ليس بكف ء لنا لنحمل له السيوف وإنما نحملها لكم لأنكم أكفاؤنا فنحن نحاربكم على الملك والرئاسـة و إن كانت أحسابنا واحـدة وهى شـريفة لامغمز فيها. [صـفحه ۳۱۲] والرقق بفتـح الراء الضـعف و منه قول الشاعر لم تلق فى عظمها وهنا و لارققا . و قوله تكحل يوم الهياج بالعلق .فالعلق الدم يريـد أن عيونهم حمر لشـدة الغيـظ والغضب فكأنهـا كحلت بالـدم . و قوله لكن بنيت على الصبر أى خلقت وبنيت بنيـة تقتضـى الصبر والشـرف لأـعلى العـالى وبنو أبى بكر بن كلاـب من قيس عيلاـن ثم أحـد بنى عـامر بن صعصـعة. و أمـا قوله إن يقتلونى لا ـتصب أرمـاحهم .فمعنـاه أنهم إن قتلونى ثم حاولوا أن يصـيبوا رجلا آخر مثلى يصـلح أن يكون لى نظيرا و أن يجعل دمه بواء لدمى وسـعوا فى ذلك سـعيا جاهدا فإنهم لم يجدوا و لم يقدروا عليه . و قوله أرمى الطريق ... البيت يقول أسلك الطريق الضيق و لوجعل على فيه الرصد لقتلى. والحارد المنفرد فى شجاعته ألذى لامثل له

غلبة معاوية على الماء بصفين ثم غلبة على عليه بعد ذلك

فأما حديث الماء وغلب أصـحاب معاوية على شـريعة الفرات بصـفين فنحن نذكره من كتاب صـفين لنصـر بن مزاحم . قال نصـر كان أبوالأعور السـلمى على مقدمـة معاويـة و كان قـدناوش مقدمة [صـفحه ۳۱۳] على ع وعليهـا الأشتر النخعى مناوشـة ليسـت بالعظيمة و قدذكرنا ذلك فيما سـبق من هذاالكتاب وانصرف أبوالأعور عن الحرب راجعا فسبق إلى الماء فغلب عليه فى الموضع المعروف بقناصـرين إلى جـانب صـفين وسـاق الأـشتر يتبعه فوجـده غالبا على الماء و كان فى أربعـة آلاف من مستبصـرى أهل العراق فصـدموا أباالأـعور وأزالوه عن المـاء فأقبـل معاويـة فى جميع الفيلق بقضه وقضـيضه فلمـا رآهم الأـشتر انحاز إلى على ع وغلب معاوية و أهل الشام على الماء وحالوا بين أهل العراق وبينه وأقبل على ع فى جموعه فطلب موضعا لعسكره وأمر الناس أن يضـعوا أثقالهم وهم أكثر من مائة ألف فارس فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس على ع على خيولهم إلى جهة معاوية يتطاعنون ويرمون بالسـهام ومعاوية بعد لم ينزل فناوشهم أهل الشام القتال فاقتتلوا هويا. قال نصر فحدثنى عمر بن سعد عن سعد بن طريف عن الأصـبغ بن نباته فكتب معاويـة إلى على ع عافانا الله وإياك ماأحسن العـدل والإنصاف من عمل || وأقبح الطيش ثم النفش فى الرجل . وكتب بعده اربط حمارك لاتنزع سويته || إذايرد وقيد العير مكروب ليست ترى السيد زيدا فى نفوسهم || كمايراه بنو كوز ومرهوب إن تسألوا الحق نعط الحق سائله || والدرع محقبة والسـيف مقروب أوتأنفون فإنا معشر أنف || لانطعم الضيم إن السم مشروب . [صـفحه ۳۱۴] فـأمر على ع أن يوزع النـاس عن القتـال حتى أخـذ أهـل الشام مصافهم ثم قال أيها الناس إن هـذاموقف من نطـف فيه نطف يوم القيامـة و من فلـج فيه فلـج يوم القيامـة -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۹۷ ثم قـال لمارأى نزول معاوية بصفين -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۴۱ لقـد أتانا كاشـرا عن نابه || يهمط الناس على اعتزابه فليأتينا الـدهر بما أتى به قال نصـر وكتب على ع إلى معاويـة جواب كتابه أما بعـد -روايت-۱-۲-روايت-۴۹-۵۸ فإن للحرب عراما شـررا || إن عليها قائـدا

عشـنزرا ينصف من أحجر أوتنمرا || على نواحيها مزجا زمجرا إذاونين ساعة تغشمرا . وكتب بعده -روايت-١-١٥ أ لم تر قومى إن دعـاهم أخوهم || أجـابوا و إن يغضب على القوم يغضـبوا هم حفظوا غيبى كمـاكنت حافظا || لقومى أخرى مثلها إن يغيبوا بنو الحرب لم تقعـد بهم أمهـاتهم || وآبـاؤهم آبـاء صـدق فأنجبوا قال قـدتراجع الناس كل من الفريقين إلى معسـكرهم وذهب شبـاب من الناس إلى أن يسـتقوا فمنعهم أهل الشام . قلت فى هـذه الألفاظ ماينبغى أن يشـرح . [صـفحه ٣١٥] قوله فاقتتلوا هويا بفتـح الهاء أى قطعـة من الزمان وذهب هوى من الليل أى فريق منه . والنفش كثرة الكلام والـدعاوى وأصـله من نفش الصوف . والسويـة كسـاء محشـو بثمـام ونحوه كالبرذعـة وكرب القيـد إذاضـيقه على المقيـد وقيـد مكروب أى ضـيق يقول لاـتنزع برذعة حمارك عنه واربطه وقيده و إلاأعيد إليك وقيده ضـيق و هذامثل ضربه لعلى ع يأمره فيه بأن يردع جيشه عن التسرع والعجلة فى الحرب . وزيد المذكور فى الشعر هوزيد بن حصـين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك بن بكر بن سـعد بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و هوالمعروف بزيد الخيل و كان فارسهم وبنو السيد من ضبة أيضا وهم بنو السـيد بن مالك بن بكر بن سـعد بن ضـبة بن أد بن طابخة ... إلى آخر النسب وبنو السيد بنو عم زيـد الفوارس لأنه من بنى ذهل بن مالك وهؤلاء بنو السـيد بن مالك وبينهم عداوة النسب يقول إن بنى السـيد لايرون زيدا فى نفوسـهم كماتراه أهله الأدنون منه نسبا وهم بنو كوز وبنو مرهوب فأما بنو كوز فإنهم بنو كوز بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالـك و أمـابنو مرهوب فـإنهم بنو مرهوب بن عبيـد بن هـاجر بن كعب بن بجالـة بن ذهل بن مالك يقول نحن لانعظم زيـدا و لانعتقـد فيه من الفضـيلة مايعتقـده أهله وبنو عمه الأـدنون والمثـل لعلى ع أى نحن لاـنرى فى على مايراه أهل العراق من تعظيمه وتبجيله . و قوله والدرع محقبة والسـيف مقروب . أى والدرع بحالها فى حقابها و هو مايشد به فى غلافها والسـيف بحاله أى فى قرابه [صفحه ٣١٦] و هوجفنه يقال حقبت الدرع وقربت السـيف كلاهما ثلاثيان يقول إن سألتم الحق أعطيناكموه من غيرحاجة إلى الحرب بل نجيبكم إليه والـدروع بحالها لم تلبس والسـيوف فى أجفانها لم تشـهر. و أماإثبات النون فى تأنفون فإن الأصوب حـذفها لعطف الكلمة على المجزوم قبلها ولكنه اسـتأنف و لم يعطف كأنه قال أ وكنتم تأنفون يقول و إن أنفتم وأبيتم إلاالحرب فإنا نأنف مثلكم أيضا لانطعم الضـيم و لانقبله ثم قال إن السم مشـروب أى إن السم قدنشـربه و لانشرب الضيم أى نختار الموت على الضـيم والذلة ويروى و إن أنفتم فإنا معشـر أنف || لانطعم الضـيم إن الضـيم مرهوب . والشعر لعبد الله بن عنمة الضبى من بنى السـيد و من جملته و قـدأروح أمـام الحى يقـدمنى || صـافى الأـديم كميت اللون منسوب محنب مثـل شـاة الربل محتفز || بالقصـريين على أولاه مصـبوب يبـذ ملجمه هاد له تلع || كأنه من جـذوع العين مشذوب فذاك ذخرى إذا ماخيلهم ركضت || إلى المثوب أومقاء سـرحوب .فأما قوله ع هـذاموقف من نطف فيه نطف يوم القيامـة أى من تلطخ [صـفحه ٣١٧] فيه بعيب من فرار أونكول عن العـدو يقال نطف فلان بالكسـر إذاتدنس بعيب ونطف أيضا إذافسد يقول من فسدت حاله اليوم فى هذاالجهاد فسـدت حاله غـدا عند الله . قوله من فلج فيه بفتح اللام أى من ظهر وفاز وكذلك يكون غدا عند الله يقال فلج زيد على خصـمه بالفتـح يفلـج بضم اللام أى ظهرت حجته عليه و فى المثل من يأت الحكم وحده يفلج . قوله يهمط الناس أى يقهرهم ويخبطهم وأصـله الأخـذ بغير تقـدير. و قـوله على اعـتزابه أى على بعـده عن الإمـارة والولايـة على النـاس والعرام بـالضم الشـراسة والهوج والعشنزر الشديد القوى. وأحجر ظلم الناس حتى ألجأهم إلى أن دخلوا حجرهم أوبيوتهم وتنمر أى تنكر حتى صار كالنمر يقول هذاالقائـد الشديـد القوى ينصف من يظلم الناس ويتنكر لهم أى ينصف منه فحـذف حرف الجر كقوله وَ اختارَ مُوسـى قَومَهُ أى من قومه والمزج بكسـر الميم السـريع النفوذ وأصـله الرمـح القصـير كالمزراق . و رجل زمجر أى مانع حوزته والميم زائدة و من رواهـا زمخرا بالخـاء عنى به المرتفع العالى الشأن وجعل الميم زائـدة أيضا من زخر الوادى أى علا وارتفع . وغشـمر السـيل أقبل والغشـمرة إثبات الأمر بغير تثبيت يقول إذاأبطأن ساقهن سوقا عنيفا. والأبيات البائيـة لربيعة بن مقروم الطائى. قال نصـر حدثناعمر

بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن -قرآن-٧٢١-٧٤٣ [صفحه ٣١٨] الأحمر قال لماقدمنا على معاوية و أهل الشام بصفين وجدناهم قدنزلوا منزلا اختاروه مستويا بساطا واسعا وأخذوا الشريعة فهى فى أيديهم و قدصف عليها أبوالأعور الخيل والرجالة وقدم الرامية ومعهم أصحاب الرماح والدرق و على رءوسهم البيض و قدأجمعوا أن يمنعونا الماء ففزعنا إلى أمير المؤمنين ع فأخبرناه بذلك فدعا صعصعة بن صوحان فقال ائت معاوية وقل له إنا سرنا إليك مسيرنا هذا و أناكره لقتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك وبدأتنا بالحرب ونحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك و هذه أخرى قدفعلتموها قدحلتم بين الناس و بين الماء فخل بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم وفيما قدمنا له وقدمتم له و إن كان أحب إليك أن ندع ماجئنا له وندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هوالشارب فعلنا -روايت-١-٢-روايت-٩-٤٢٥ . فلما مضى صعصعة برسالته إلى معاوية قال معاوية لأصحابه ماترون فقال الوليد بن عقبة أمنعهم الماء كمامنعوه ابن عفان حصروه أربعين يوما يمنعونه برد الماء ولين الطعام أقتلهم عطشا قتلهم الله . و قال عمرو بن العاص خل بين القوم و بين الماء فإنهم لن يعطشوا و أنت ريان ولكن لغير الماء فانظر فيما بينك وبينهم .فأعاد الوليد مقالته . و قال عبد الله بن سعيد بن أبى سرح و كان أخا عثمان من الرضاعة أمنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا و كان رجوعهم هزيمتهم أمنعهم الماء منعهم [صفحه ٣١٩] الله يوم القيامة فقال صعصعة بن صوحان إنما يمنعه الله يوم القيامة الفجرة الكفرة شربة الخمر ضربك وضرب هذاالفاسق يعنى الوليد بن عقبة.فتواثبوا إليه يشتمونه ويتهددونه فقال معاوية كفوا عن الرجل فإنما هو رسول . قال عبد الله بن عوف بن أحمر إن صعصعة لمارجع إلينا حدثنابما قال معاوية و ما كان منه و مارده عليه قلنا و ما ألذى رده عليك معاوية قال لماأردت الانصراف من عنده قلت ماترد على قال سيأتيكم رأيى قال فو الله ماراعنا إلاتسوية الرجال والصفوف والخيل فأرسل إلى أبى الأعور امنعهم الماء فازدلفنا و الله إليهم فارتمينا وأطعنا بالرماح واضطربنا بالسيوف فطال ذلك بيننا وبينهم حتى صار الماء فى أيدينا فقلنا لا و الله لانسقيهم فأرسل إلينا على ع أن خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى معسكركم وخلوا بينهم و بين الماء فإن الله قدنصركم عليهم بظلمهم وبغيهم -روايت-١-٢-روايت-٢٣-١٣٨ . وروى نصر بن محمد بن عبد الله قال قام ذلك اليوم رجل من أهل الشام من السكون يعرف بالشليل بن عمر إلى معاوية فقال اسمع اليوم ما يقول الشليل || إن قولى قول له تأويل امنع الماء من صحاب على || أن يذوقوه فالذليل ذليل واقتل القوم مثل ماقتل الشيخ || صدى فالقصاص أمر جميل إننا و ألذى تساق له البدن || هدايا كأنهن الفيول لو على وصحبه وردوا الماء || لماذقتموه حتى تقولوا [صفحه ٣٢٠] قدرضينا بأمركم وعلينا || بعدذاك الرضا جلاد ثقيل فامنع القوم ماءكم ليس للقوم || بقاء و إن يكن فقليل . فقال معاوية أما أنت فندرى ماتقول و هوالرأى ولكن عمرا لايدرى فقال عمرو خل بينهم و بين الماء فإن عليا لم يكن ليظمأ و أنت ريان و فى يده أعنة الخيل و هوينظر إلى الفرات حتى يشرب أويموت و أنت تعلم أنه الشجاع المطرق ومعه أهل العراق و أهل الحجاز و قدسمعته أنامرارا و هو يقول لواستمكنت من أربعين رجلا يعنى فى الأمر الأول -روايت-١-٢-روايت-٣٤-٨٤ . وروى نصر قال لماغلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبة و قال معاوية يا أهل الشام هذا و الله أول الظفر لاسقانى الله و لا أباسفيان أن شربوا منه أبدا حتى يقتلوا بأجمعهم عليه وتباشر أهل الشام فقام إلى معاوية رجل من أهل الشام همدانى ناسك يتأله ويكثر العبادة يعرف بمعرى بن أقبل و كان صديقا لعمرو بن العاص وأخا له فقال يامعاوية سبحان الله لأن سبقتم القوم إلى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعوهم الماء أما و الله لوسبقوكم إليه لسقوكم منه أ ليس أعظم ماتنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات فينزلوا على فرضة أخرى ويجازوكم بما صنعتم أ ماتعلمون أن فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف و من لاذنب له هذا و الله أول الجور لقد شجعت الجبان ونصرت المرتاب وحملت من لايريد قتالك على كتفيك فأغلظ له معاوية و قال لعمرو اكفنى صديقك فأتاه عمرو فأغلظ له فقال الهمدانى فى ذلك شعرا لعمر أبى معاوية بن حرب || وعمرو مالدائمها دواء [صفحه ٣٢١] سوى طعن

يحار العقل فيه || وضرب حين تختلط الدماء ولست بتابع دين ابن هند || طوال الدهر ماأرسى حراء لقد ذهب العتاب فلاعتاب || و قدذهب الولاء فلاولاء وقولى فى حوادث كل خطب || على عمرو وصاحبه العفاء ألا لله دركَ يا ابن هند || لقد برح الخفاء فلاخفاء أتحمون الفرات على رجال || و فى أيديهم الأسل الظماء و فى الأعناق أسياف حداد || كأن القوم عندهم نساء أترجو أن يجاوركم على || بلا ماء وللأحزاب ماء دعاهم دعوة فأجاب قوم || كجرب الإبل خالطها الهناء . قال ثم سار الهمدانى فى سواد الليل حتى لحق بعلى ع . قال ومكث أصحاب على ع بغير ماء واغتم على ع بما فيه أهل العراق . قال نصر و حدثنا محمد بن عبد الله عن الجرجانى قال لمااغتم على بما فيه أهل العراق من العطش خرج ليلا قبل رايات مذحج فإذا رجل ينشد شعرا أيمنعنا القوم ماء الفرات || وفينا الرماح وفينا الحجف وفينا الشوازب مثل الوشيج || وفينا السيوف وفينا الزغف [صفحه ٣٢٢] وفينا على له سورة || إذاخوفوه الردى لم يخف ونحن الذين غداة الزبير || وطلحة خضنا غمار التلف فما بالنا أمس أسد العرين || و مابالنا اليوم شاء النجف فما للعراق و مالِلحجاز || سوى الشام خصم فصكوا الهدف وثوروا عليهم كبزل الجمال || دوين الذميل وفوق القطف فإما تفوزوا بماء الفرات || ومنا ومنهم عليه جيف وإما تموتوا على طاعة || تحل الجنان وتحبو الشرف و إلافأنتم عبيد العصا || و عبدالعصا مستذل نطف . قال فحرك ذلك عليا ع ثم مضى إلى رايات كندة فإذاإنسان ينشد إلى جانب منزل الأشعث و هو يقول لئن لم يجل الأشعث اليوم كربة || من الموت فيهاالنفوس تعنت فنشرب من ماء الفرات بسيفه || فهبنا أناسا قبل ذاك فموتوا فإن أنت لم تجمع لنا اليوم أمرنا || وتنض التى فيهاعليك المذلة [صفحه ٣٢٣] فمن ذا ألذى تثنى الخناصر باسمه || سواك و من هذا إليه التلفت وهل من بقاء بعد يوم وليلة || نظل خفوتا والعدو يصوت هلموا إلى ماء الفرات ودونه || صدور العوالى والصفيح المشتت و أنت امرؤ من عصبة يمنية || و كل امرئ من سنخه حين ينبت . قال فلما سمع الأشعث قول الرجل قام فأتى عليا ع فقال يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات و أنت فينا والسيوف فى أيدينا خل عنا و عن القوم فو الله لانرجع حتى نرده أونموت ومر الأشتر فليعل بخيله ويقف حيث تأمره فقال على ع ذلك إليكم .فرجع الأشعث فنادى فى الناس من كان يريد الماء أوالموت فميعاده موضع كذا فإنى ناهض فأتاه اثنا عشر ألفا من كندة وأفناء قحطان واضعى سيوفهم على عواتقهم فشد عليه سلاحه ونهض بهم حتى كاد يخالط أهل الشام وجعل يلقى رمحه و يقول لأصحابه بأبى وأمى أنتم تقدموا إليهم قاب رمحى هذافلم يزل ذلك دأبه حتى خالط القوم وحسر عن رأسه ونادى أناالأشعث بن قيس خلوا عن الماء فنادى أبوالأعور أما و الله حتى لاتأخذنا وإياكم السيوف فقال الأشعث [صفحه ٣٢٤] قد و الله أظنها دنت منا ومنكم و كان الأشتر قد تعالى بخيله حيث أمره على فبعث إليه الأشعث أقحم الخيل فأقحمها حتى وضعت سنابكها فى الفرات وأخذت أهل الشام السيوف فولوا مدبرين . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر وزيد بن الحسن قال فنادى الأشعث عمرو بن العاص فقال ويحك يا ابن العاص خل بيننا و بين الماء فو الله لئن لم تفعل لتأخذنا وإياكم السيوف فقال عمرو و الله لانخلى عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم فيعلم ربنا أينا أصبر اليوم فترجل الأشعث والأشتر وذوو البصائر من أصحاب على ع وترجل معهما اثنا عشر ألفا فحملوا على عمرو و أبى الأعور و من معهما من أهل الشام فأزالوهم عن الماء حتى غمست خيل على ع سنابكها فى الماء. قال نصر فروى عمر بن سعد أن عليا ع قال ذلك اليوم هذا يوم نصرتم فيه بالحمية -روايت-١-٢-روايت-٥٥-٨٣ . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر قال سمعت تميما الناجى يقول سمعت الأشعث يقول حال عمرو بن العاص بيننا و بين الفرات فقلت له ويحك ياعمرو أما و الله إن كنت لأظن لك رأيا فإذا أنت لاعقل لك أترانا نخليك والماء تربت يداك أ ماعلمت أنامعشر عرب ثكلتك أمك وهبلتك لقد رمت أمرا عظيما فقال لى عمرو أما و الله لتعلمن اليوم أناسنفى بالعهد ونحكم العقد ونلقاكم [صفحه ٣٢٥] بصبر وجد فنادى به الأشتر يا ابن العاص أما و الله لقد نزلنا هذه الفرضة وإنا لنريد القتال على البصائر والدين و ماقتالنا سائر اليوم إلاحمية. ثم كبر الأشتر وكبرنا معه وحملنا فما ثار الغبار حتى انهزم أهل

الشام .قالوا فلقى عمرو بن العاص بعدانقضاء صفين الأشعث فقال له ياأخا كندة أما و الله لقد أبصرت صواب قولك يوم الماء ولكن كنت مقهورا على ذلك الرأى فكابرتك بالتهدد والوعيد والحرب خدعة. قال نصر ولقد كان من رأى عمرو التخلية بين أهل العراق والماء ورجع معاوية بأخرة إلى قوله بعداختلاط القوم فى الحرب فإن عمرا فيما روينا أرسل إلى معاوية أن خل بين القوم و بين الماء أترى القوم يموتون عطشا وهم ينظرون إلى الماء فأرسل معاوية إلى يزيد بن أسد القسرى أن خل بين القوم و بين الماء يا أبا عبد الله فقال يزيد و كان شديد العثمانية كلا و الله لنقتلنهم عطشا كماقتلوا أمير المؤمنين . قال فحدثنا عمرو بن شمر عن جابر قال خطب على ع يوم الماء فقال أما بعد فإن القوم قدبدءوكم بالظلم وفاتحوكم بالبغى واستقبلوكم بالعدوان و قداستطعموكم القتال حيث منعوكم الماء فأقروا على مذلة وتأخير مهلة -روايت-۱-۲-روايت-۶۷-۲۱۵ ... الفصل إلى آخره . قال نصر و كان قدبلغ أهل الشام أن علياع جعل للناس إن فتح الشام أن يقسم بينهم التبر والذهب وهما الأحمران و أن يعطى كلا منهم خمسمائة كماأعطاهم بالبصرة فنادى ذلك اليوم منادى أهل الشام يا أهل العراق لماذا نزلتم بعجاج [صفحه ۳۲۶] من الأرض نحن أزد شنوءة لاأزد عمان يا أهل العراق لاخمس إلاجندل الأحرين || والخمس قدتجشمك الأمرين . قال نصر فحدثنى عمرو بن شمر عن إسماعيل السدى عن بكر بن تغلب قال حدثنى من سمع الأشعث يوم الفرات و قد كان له غناء عظيم من أهل العراق وقتل رجالا من أهل الشام بيده و هو يقول و الله إن كنت لكارها قتال أهل الصلاة ولكن معى من هوأقدم منى فى الإسلام وأعلم بالكتاب والسنة فهو ألذى يسخى بنفسه . [صفحه ۳۲۷] قال نصر وحمل ظبيان بن عمارة التميمى على أهل الشام و هو يقول هل لك ياظبيان من بقاء || فى ساكنى الأرض بغير ماء لا وإله الأرض والسماء || فاضرب وجوه الغدر الأعداء بالسيف عندحمس الهيجاء || حتى يجيبوك إلى السواء . قال فضربهم و الله حتى خلوا له الماء. قال نصر ودعا الأشتر بالحارث بن همام النخعى ثم الصهبانى فأعطاه لواءه و قال له ياحارث لو لاأنى أعلم أنك تصبر عندالموت لأخذت لوائى منك و لم أحبك بكرامتى فقال و الله يامالك لأسرنك أولأموتن فاتبعنى ثم تقدم باللواء وارتجز فقال ياأخا الخيرات ياخير النخع || وصاحب النصر إذاعم الفزع وكاشف الخطب إذاالأمر وقع || ما أنت فى الحرب العوان بالجذع قدجزع القوم وعموا بالجزع || وجرعوا الغيظ وغصوا بالجرع إن تسقنا الماء فليست بالبدع || أونعطش اليوم فجند مقتطع ماشئت خذ منها و ماشئت فدع . فقال الأشتر ادن منى ياحارث فدنا منه فقبل رأسه فقال لايتبع رأسه اليوم إلاخير ثم صاح الأشتر فى أصحابه فدتكم نفسى شدوا شدة المحرج الراجى للفرج فإذانالتكم الرماح فالتووا فيها فإذاعضتكم السيوف فليعض الرجل على نواجذه فإنه أشد لشئون الرأس ثم استقبلوا القوم بهامكم . [صفحه ۳۲۸] قال و كان الأشتر يومئذ على فرس له محذوف أدهم كأنه حلك الغراب وقتل بيده من أهل الشام من فرسانهم وصناديدهم سبعة صالح بن فيروز العكى ومالك بن أدهم السلمانى ورياح بن عتيك الغسانى والأجلح بن منصور الكندى و كان فارس أهل الشام و ابراهيم بن وضاح الجمحى وزامل بن عبيد الحزامى و محمد بن روضة الجمحى. قال نصر فأول قتيل قتله الأشتر بيده ذلك اليوم صالح بن فيروز ارتجز على الأشتر و قال له ياصاحب الطرف الحصان الأدهم || أقدم إذاشئت علينا أقدم أنا ابن ذى العز وذى التكرم || سيد عك كل عك فاعلم . قال و كان صالح مشهورا بالشدة والبأس فارتجز عليه الأشتر فقال له أنا ابن خير مذحج مركبا || وخيرها نفسا و أما و أبا آليت لاأرجع حتى أضربا || بسيفى المصقول ضربا معجبا . ثم شد عليه فقتله فخرج إليه مالك بن أدهم السلمانى و هو من مشهوريهم أيضا فحمل على الأشتر بالرمح فلما رهقه التوى الأشتر على فرسه ومار السنان فأخطأه ثم استوى على فرسه وشد على الشامى فقتله طعنا بالرمح ثم قتل بعده رياح بن عتيك و ابراهيم بن وضاح ثم برز إليه زامل بن عقيل و كان فارسا فطعن الأشتر فى موضع الجوشن فصرعه عن فرسه و لم يصب مقتلا وشد عليه الأشتر بالسيف راجلا فكشف قوائم فرسه وارتجز عليه فقال [صفحه ۳۲۹] لابد من قتلى أو من قتلكا || قتلت منكم أربعا من قبلكا كلهم كانوا حماة مثلكا . ثم ضربه بالسيف وهما راجلان فقتله ثم خرج إليه محمد بن روضة فقال و

هويضرب فى أهل العراق ضربا منكرا ياساكنى الكوفة يا أهل الفتن || ياقاتلى عثمان ذاك المؤتمن أورث قلبى قتله طول الحزن || أضربكم و لاأرى أباحسن .فشد عليه الأشتر فقتله و قال لايبعد الله سوى عثمانا || وأنزل الله بكم هوانا و لايسلى عنكم الأحزانا . ثم برز إليه الأجلح بن منصور الكندى و كان من شجعان العرب وفرسانها و هو على فرس له اسمه لاحق فلما استقبله الأشتر كره لقاءه واستحيا أن يرجع عنه فتضاربا بسيفيهما فسبقه الأشتر بالضربة فقتله فقالت أخته ترثيه ألا فابكى أخا ثقة || فقد و الله أبكينا لقتل الماجد القمقام || لامثل له فينا أتانا اليوم مقتله || فقد جزت نواصينا كريم ماجد الجدين || يشفى من أعادينا شفانا الله من أهل || العراق فقد أبادونا أ مايخشون ربهم || و لم يرعوا له دينا . [صفحه ۳۳۰] قال وبلغ شعرها عليا ع فقال أماإنهن ليس بملكهن مارأيتم من الجزع أماإنهم قدأضروا بنسائهم فتركوهن أيامى حزانى بائسات قاتل الله معاوية أللهم حمله آثامهم وأوزارا وأثقالا مع أثقاله أللهم لاتعف عنه -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۹۱ . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن الشعبى عن الحارث بن أدهم و عن صعصعة قال أقبل الأشتر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء و هو يقول لاتذكروا ما قدمضى وفاة || و الله ربى الباعث الأمواتا من بعد ماصاروا كذا رفاتا || لأوردن خيلى الفراتا شعث النواصى أويقال ماتا . قال و كان لواء الأشعث بن قيس مع معاوية بن الحارث فقال له الأشعث لله أبوك ليست النخع بخير من كندة قدم لواءك فإن الحظ لمن سبق فتقدم لواء الأشعث وحملت الرجال بعضها على بعض وحمل فى ذلك اليوم أبوالأعور السلمى وحمل الأشتر عليه فلم ينتصف أحدهما من صاحبه وحمل شرحبيل بن السمط على الأشعث فكانا كذلك وحمل حوشب ذو ظليم على الأشعث أيضا وانفصلا و لم ينل أحدهما من صاحبه أمرا فما زالوا كذلك حتى انكشف أهل الشام عن الماء وملك أهل العراق المشرعة. قال نصر فحدثنا محمد بن عبد الله عن الجرجانى قال قال عمرو بن العاص لمعاوية لماملك أهل العراق الماء ماظنك يامعاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كمامنعتهم [صفحه ۳۳۱] أمس أتراك تضاربهم عليه كماضاربوك عليه ماأغنى عنك أن تكشف لهم السوأة فقال معاوية دع عنك مامضى فما ظنك بعلى قال ظنى أنه لايستحل منك مااستحللت منه و أن ألذى جاء له غيرالماء قال فقال له معاوية قولا أغضبه فقال عمرو أمرتك أمرا فسخفته || وخالفنى ابن أبى سرحة وأغمضت فى الرأى إغماضة || و لم تر فى الحرب كالفسحة فكيف رأيت كباش العراق || أ لم ينطحوا جمعنا نطحة فإن ينطحونا غدا مثلها || نكن كالزبيرى أوطلحة أظن لها اليوم مابعدها || وميعاد مابيننا صبحه و إن أخروها لمابعدها || فقد قدموا الخبط والنفحة و قدشرب القوم ماء الفرات || وقلدك الأشتر الفضحة قال نصر فقال أصحاب على ع له امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كمامنعوك فقال لاخلوا بينهم وبينه لاأفعل مافعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فإن أجابوا و إلافى حد السيف مايغنى إن شاء الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۲۲۸ . قال فو الله ماأمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام وروايا هم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء مايؤذى إنسان إنسانا [صفحه ۳۳۲]

۵۲- و من خطبة له ع

اشاره

و قدتقدم مختارها برواية ونذكر مانذكره هنا برواية أخرى لتغاير الروايتين أَلَا وَ إِنّ الدّنيَا قَد تَصَرّمَت وَ آذَنَت بِانقِضَاءٍ وَ تَنَكّرَ مَعرُوفُهَا وَ أَدبَرَت حَذّاءَ فهَيِ‌َ تَحفِزُ بِالفَنَاءِ سُكّانَهَا وَ تَحدُو بِالمَوتِ جِيرَانَهَا وَ قَد أَمَرّ فِيهَا مَا كَانَ حُلواً وَ كَدِرَ مِنهَا مَا كَانَ صَفواً فَلَم يَبقَ مِنهَا إِلّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ أَو جُرعَةٌ كَجُرعَةِ المَقلَةِ لَو تَمَزّزَهَا الصّديَانُ لَم يَنقَع فَأَزمِعُوا عِبَادَ اللّهِ الرّحِيلَ عَن هَذِهِ الدّارِ

المَقدُورِ عَلَى أَهلِهَا الزّوَالُ وَ لَا يَغلِبَنّكَم فِيهَا الأَمَلُ وَ لَا يَطُولَنّ عَلَيكَم فِيهَا الأَمَدُ فَوَاللّهِ لَو حَنَنتُم حَنِينَ الوُلّهِ العِجَالِ وَ دَعَوتُم بِهَدِيلِ الحَمَامِ وَ جَأَرتُم جُؤَارَ مُتَبَتّلِي الرّهبَانِ وَ خَرَجتُم إِلَى اللّهِ مِنَ الأَموَالِ وَ الأَولَادِ التِمَاسَ القُربَةِ إِلَيهِ فِي ارتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِندَهُ أَو غُفرَانِ سَيّئَةٍ أَحصَتهَا كُتُبُهُ وَ حَفِظَتهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرجُو لَكُم مِن ثَوَابِهِ وَ أَخَافُ عَلَيكُم مِن عِقَابِهِ وَ بِاللّهِ لَو انمَاثَت قُلُوبُكُم انمِيَاثاً وَ سَالَت عُيُونُكُم مِن رَغبَةٍ إِلَيهِ أَو رَهبَةٍ مِنهُ دَماً ثُمّ عُمّرتُم فِي الدّنيَا مَا الدّنيَا بَاقِيَةٌ مَا جَزَت أَعمَالُكُم وَ لَو لَم تُبقُوا شَيئاً مِن جُهدِكُم أَنعُمَهُ عَلَيكُمُ العِظَامَ وَ هُدَاهُ إِيّاكُم لِلإِيمَانِ [صفحه ٣٣٣] تصرمت انقطعت وفنيت وآذنت بانقضاء أعلمت بذلك آذنته بكذا أى أعلمته وتنكر معروفها جهل منها ما كان معروفا. والحذاء السريعة الذهاب ورحم حذاء مقطوعة غيرموصولة و من رواه جذاء بالجيم أراد منقطعة الدر والخير. وتحفز بالفناء سكانها تعجلهم وتسوقهم وأمر الشىء صار مرا وكدر الماء بكسر الدال ويجوز كدر بضمها والمصدر من الأول كدرا و من الثانى كدورة. والسملة بفتح الميم البقية من الماء تبقى فى الإناء والمقلة بفتح الميم وتسكين القاف حصاة القسم التى تلقى فى الماء ليعرف قدر مايسقى كل واحد منهم و ذلك عندقلة الماء فى المفاوز قال قذفوا سيدهم فى ورطة || قذفك المقلة وسط المعترك . والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان . و لم ينقع لم يرو و هذايمكن أن يكون لازما ويمكن أن يكون متعديا تقول نقع الرجل بالماء أى روى وشفى غليله ينقع ونقع الماء الصدى ينقع أى سكنه .فأزمعوا الرحيل أى اعزموا عليه يقال أزمعت الأمر و لايجوز أزمعت على الأمر وأجازه الفراء. قوله المقدور على أهلها الزوال أى المكتوب قال واعلم بأن ذا الجلال قدقدر || فى الصحف الأولى ألذى كان سطر . [صفحه ٣٣٤] أى كتب والوله العجال النوق الوالهة الفاقدة أولادها الواحدة عجول والوله ذهاب العقل وفقد التمييز وهديل الحمام صوت نوحه والجؤار صوت مرتفع والمتبتل المنقطع عن الدنيا وانماث القلب أى ذاب . و قوله و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم اعتراض فى الكلام . وأنعمه منصوب لأنه مفعول جزت . و فى هذاالكلام تلويح وإشارة إلى مذهب البغداديين من أصحابنا فى أن الثواب على فعل الطاعة غيرواجب لأنه شكر النعمة فلايقتضى وجوب ثواب آخر و هو قوله ع لوانماثت قلوبكم انمياثا ... إلى آخر الفصل . وأصحابنا البصريون لايذهبون إلى ذلك بل يقولون إن الثواب واجب على الحكيم سبحانه لأنه قدكلفنا مايشق علينا وتكليف المشاق كإنزال المشاق فكما اقتضت الآلام والمشاق النازلة بنا من جهته سبحانه أعواضا مستحقه عليه تعالى عن إنزالها بنا كذلك تقتضى التكليفات الشاقة ثوابا مستحقا عليه تعالى عن إلزامه إيانا بهاقالوا فأما ماسلف من نعمه علينا فهو تفضل منه تعالى و لايجوز فى الحكمة أن يتفضل الحكيم على غيره بأمر من الأمور ثم يلزمه أفعالا شاقة ويجعلها بإزاء ذلك التفضل إلا إذا كان فى تلك الأمور منافع عائدة على ذلك الحكيم فكان ماسلف من المنافع جاريا مجرى الأجرة كمن يدفع درهما إلى إنسان ليخيط له ثوبا والبارئ تعالى منزه عن المنافع ونعمه علينا منزهة أن تجرى مجرى الأجرة على تكليفنا المشاق . وأيضا فقد يتساوى اثنان من الناس فى النعم المنعم بهاعليهما ويختلفان فى التكاليف [صفحه ٣٣٥] فلو كان التكليف لأجل مامضى من النعم لوجب أن يقدر بحسبها فإن قيل فعلى ماذا يحمل كلام أمير المؤمنين ع و فيه إشارة إلى مذهب البغداديين .قيل إنه ع لم يصرح بمذهب البغداديين ولكنه قال لوعبدتموه بأقصى ماينتهى الجهد إليه و ماوفيتم بشكر أنعمه و هذاحق غيرمختلف فيه لأن نعم البارئ تعالى لاتقوم العباد بشكرها و إن بالغوا فى عبادته والخضوع له والإخلاص فى طاعته و لايقتضى صدق هذه القضية وصحتها صحة مذهب البغداديين فى أن الثواب على الله تعالى غيرواجب لأن التكليف إنما كان باعتبار أنه شكر النعمة السالفة

ماقيل من الأشعار فى ذم الدنيا

فأما ماقاله الناس فى ذم الدنيا وغرورها وحوادثها وخطوبها وتنكرها لأهلها والشكوى منها والعتاب لها والموعظة بها وتصرمها

وتقلبها فكثير من ذلك قول بعضهم هى الدنيا تقول بمل ء فيها || حذار حذار من بطشى وفتكى فلايغركم حسن ابتسامى || فقولى مضحك والفعل مبك . و قال آخر تنح عن الدنيا و لاتطلبنها || و لاتخطبن قتالة من تناكح فليس يفى مرجوها بمخوفها || ومكروهها إما تأملت راجح لقد قال فيهاالقائلون فأكثروا || وعندى لها وصف لعمرك صالح سلاف قصاراها ذعاف ومركب || شهى إذااستلذذته فهو جامح وشخص جميل يعجب الناس حسنه || ولكن له أفعال سوء قبائح . [صفحه ۳۳۶] و قال أبوالطيب أبدا تسترد ماتهب الدنيا || فيا ليت جودها كان بخلا وهى معشوقه على الغدر لاتحفظ || عهدا و لاتتم وصلا كل دمع يسيل منها عليها || وبفك اليدين عنها تخلى شيم الغانيات فيها و لاأدرى || لذا أنث اسمها الناس أم لا . و قال آخر إنما الدنيا عوار || والعوارى مسترده شدة بعدرخاء || ورخاء بعدشده . و قال محمد بن هانئ المغربى و ما الناس إلاظاعن فمودع || وثاو قريح الجفن يبكى لراحل فما الدهر إلاكالزمان ألذى مضى || و لانحن إلاكالقرون الأوائل نساق من الدنيا إلى غيردائم || ونبكى من الدنيا على غيرطائل فما عاجل نرجوه إلاكآجل || و لاآجل نخشاه إلاكعاجل . و قال ابن المظفر المغربى دنياك دار غرور || ونعمة مستعاره ودار أكل وشرب || ومكسب وتجاره ورأس مالك نفس || فخف عليها الخساره [صفحه ۳۳۷] و لاتبعها بأكل || وطيب عرف وشاره فإن ملك سليمان || لايفى بشراره . و قال أبوالعتاهية ألا إنما التقوى هى البر والكرم || وحبك للدنيا هوالفقر والعدم و ليس على عبدتقى غضاضة || إذاصحح التقوى و إن حاك أوحجم . و قال أيضا تعلقت بآمال || طوال أى آمال وأقبلت على الدنيا || ملحا أى إقبال أيا هذاتجهز لفراق || الأهل والمال فلابد من الموت || على حال من الحال . و قال أيضا سكن يبقى له سكن || مابهذا يؤذن الزمن نحن فى دار يخبرنا || ببلاها ناطق لسن دار سوء لم يدم فرح || لامرئ فيها و لاحزن فى سبيل الله أنفسنا || كلنا بالموت مرتهن كل نفس عندموتتها || حظها من مالها الكفن إن مال المرء ليس له || منه إلاذكره الحسن . [صفحه ۳۳۸] و قال أيضا ألا إننا كلنا بائد || و أى بنى آدم خالد وبدؤهم كان من ربهم || و كل إلى ربه عائد فوا عجبا كيف يعصى الإله || أم كيف يجحده الجاحد و فى كل شىء له آية || تدل على أنه الواحد . و قال الرضى الموسوى ياآمن الأيام بادر صرفها || واعلم بأن الطالبين حثاث خذ من ثرائك مااستطعت فإنما || شركاؤك الأيام والوراث لم يقض حق المال إلامعشر || نظروا الزمان يعيث فيه فعاثوا تحثو على عيب الغنى يد الغنى || والفقر عن عيب الفتى بحاث المال مال المرء مابلغت به || الشهوات أودفعت به الأحداث ما كان منه فاضلا عن قوته || فليعلمن بأنه ميراث ما لى إلى الدنيا الدنية حاجة || فليجن ساحر كيدها النفاث طلقتها ألفا لأحسم داءها || وطلاق من عزم الطلاق ثلاث وثباتها مرهوبة وعداتها || مكذوبة وحبالها أنكاث أم المصائب لاتزال تروعنا || منها ذكور حوادث وإناث إنى لأعجب للذين تمسكوا || بحبائل الدنيا وهن رثاث كنزوا الكنوز واعقلوا شهواتهم || فالأرض تشبع والبطون غراث أتراهم لم يعلموا أن التقى || أزوادنا وديارنا الأجداث . [صفحه ۳۳۹] و قال آخر هذه الدنيا إذاصرفت || وجهها لم تنفع الحيل و إذا ماأقبلت لعم || بصرته كيف يفتعل و إذا ماأدبرت لذكى || غاب عنه السهل والجبل فهى كالدولاب دائرة || ترتقى طورا وتستفل فى زمان صار ثعلبة || أسدا واستذاب الحمل فالذنابى فيه ناصية || والنواصى خشع ذلل فاصبرى يانفس واحتملى || إن نفس الحر تحتمل . و قال أبوالطيب نعد المشرفية والعوالى || وتقتلنا المنون بلا قتال ونرتبط السوابق مقربات || و ماينجين من خبب الليالى و من لم يعشق الدنيا قديما || ولكن لاسبيل إلى الوصال نصيبك فى حياتك من حبيب || نصيبك فى منامك من خيال رمانى الدهر بالأرزاء حتى || فؤادى فى غشاء من نبال فصرت إذاأصابتنى سهام || تكسرت النصال على النصال وهان فما أبالى بالرزايا || لأنى ماانتفعت بأن أبالى يدفن بعضنا بعضا ويمشى || أواخرنا على هام الأوالى وكم عين مقبلة النواحى || كحيل فى الجنادل والرمال [صفحه ۳۴۰] ومغض كان لايغضى لخطب || وبال كان يفكر فى الهزال . و قال أبوالعتاهية فى أرجوزته المشهورة فى ذم الدنيا و فيهاأنواع مختلفة من الحكمة مازالت الدنيا لنا دار أذى || ممزوجة الصفو بألوان القذى الخير والشر بهاأزواج || لذا نتاج ولذا

نتاج من لك بالمحض و ليس محض || يخبث بعض ويطيب بعض لكل إنسان طبيعتان || خير وشر وهما ضدان والخير والشر إذا ماعدا || بينهما بون بعيد جدا إنك لوتستنشق الشحيحا || وجدته أنتن شيءريحا حسبك مما تبتغيه القوت || ماأكثر القوت لمن يموت الفقر فيما جاوز الكفافا || من اتقى الله رجا وخافا هي المقادير فلمني أوفذر || إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر لكل مايؤذي و إن قل ألم || ماأطول الليل على من لم ينم ماانتفع المرء بمثل عقله || وخير ذخر المرء حسن فعله إن الفساد ضده الصلاح || ورب جد جره المزاح من جعل النمام عينا هلكا || مبلغك الشر كباغيه لكا إن الشباب والفراغ والجده || مفسدۀ للمرء أي مفسده يغنيك عن كل قبيح تركه || قديوهن الرأي الأصيل شكه ماعيش من آفته بقاه || نغص عيشا ناعما فناه [صفحه ۳۴۱] يارب من أسخطنا بجهده || قدسرنا الله بغير حمده ماتطلع الشمس و لاتغيب || إلاالأمر شأنه عجيب لكل شيءقدر وجوهر || وأوسط وأصغر وأكبر و كل شيءلاحق بجوهره || أصغره متصل بأكبره من لك بالمحض و كل ممتزج || وساوس في الصدر منك تعتلج عجبت واستغرقني السكوت || حتى كأني حائر مبهوت إذاقضى الله فكيف أصنع || والصمت إن ضاق الكلام أوسع . و قال أيضا كل على الدنيا له حرص || والحادثات لنا بهاقرص و كان من واروه في جدث || لم يبد منه لناظر شخص يهوى من الدنيا زيادتها || وزيادۀ الدنيا هي النقص ليد المنيۀ في تلطفها || عن ذخر كل نفيسۀ فحص . و قال أيضا أبلغ الدهر في مواعظه بل || زاد فيهن لي من الإبلاغ أي عيش يكون أطيب من عيش || كفاف قوت بقدر البلاغ غصبتني الأيام أهلي ومالي || وشبابي وصحتي وفراغي صاحب البغي ليس يسلم منه || و على نفسه بغى كل باغ رب ذي نعمۀ تعرض منها || حائل بينه و بين المساغ . [صفحه ۳۴۲] و قال ابن المعتز حمدا لربي وذما للزمان فما || أقل في هذه الدنيا مسراتي كفت يدي أملي عن كل مطلب || وأغلقت بابها من دون حاجاتي . و له أيضا ألست ترى ياصاح ماأعجب الدهرا || فذما له لكن للخالق الشكرا لقد حبب الموت البقاء ألذي أرى || فيا حبذا مني لمن سكن القبرا وسبحان ربي راضيا بقضائه || و كان اتقائي الشر يغري بي الشرا . و له قل لدنياك قدتمكنت مني || فافعلي ماأردت أن تفعلي بي واخرقي كيف شئت خرق جهول || إن عندي لك اصطبار لبيب . و قال أبوالعلاء المعري والدهر إبرام ونقض وتفريق || وجمع ونهار وليل لو قال لي صاحبه سمه || ماجزت عن ناجيۀ أوبديل . و قال آخر والدهر لايبقى على حالۀ || لابد أن يدبر أويقبلا . و قال أبوالطيب ما لي وللدنيا طلابي نجومها || ومسعاي منها في شدوق الأراقم . [صفحه ۳۴۳] و قال آخر لعمرك ماالأيام إلامعارۀ || فما اسطعت من معروفها فتزود . و قال آخر لعمرك ماالأيام إلا كماترى || رزيۀ مال أوفراق حبيب .الوزير المهلبي أ لاموت يباع فأشتريه || فهذا العيش ما لاخير فيه أ لارحم المهيمن نفس حر || تصدق بالممات على أخيه . و له أشكو إلى الله أحداثا من الزمن || يبرينني مثل بري القدح بالسفن لم يبق بالعيش لي إلامرارته || إذاتذوقته والحلو منه فني لاتحسبن نعما سرتك صحبتها || إلامفاتيح أبواب من الحزن .عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ألا أيها الدهر ألذي قدمللته || سألتك إلا ماسللت حياتي فقد وجلال الله حببت جاهدا || إلي على كره الممات مماتي . و له أ لم تر أن الدهر يهدم مابني || ويسلب ماأعطى ويفسد ماأسدى فمن سره ألا يرى مايسوءه || فلايتخذ شيئا يخاف له فقدا .البحتري كان الليالي أغريت حادثاتها || بحب ألذي نأبى وبغض ألذي نهوى [صفحه ۳۴۴] و من عرف الأيام لم ير خفضها || نعيما و لم يعدد مضرتها بلوى . أبوبكر الخوارزمي ماأثقل الدهر على من ركبه || حدثني عنه لسان التجربه لاتشكر الدهر لخير سببه || فإنه لم يتعمد بالهبه وإنما أخطأ فيك مذهبه || كالسيل قديسقى مكانا أخربه والسم يستشفى به من شربه . و قال آخر يسعى الفتى في صلاح العيش مجتهدا || والدهر ماعاش في إفساده ساعي .آخر يغر الفتى مر الليالي سليمۀ || وهن به عما قليل عواثر .آخر إذا ماالدهر جر على أناس || كلاكله أناخ بآخرينا فقل للشامتين بنا أفيقوا || سيلقى الشامتون كمالقينا .آخر قل لمن أنكر حالا منكره || ورأى من دهره ماحيره ليس بالمنكر ماأنكرته || كل من عاش رأى ما لم يره . ابن الرومي سكن الزمان وتحت سكنته || دفع من الحركات والبطش [صفحه ۳۴۵] كالأفعوان تراه منبطحا ||

بالأرض ثم يثور للنهش . أبوالطيب أنالفى زمن ترك القبيح به || من أكثر الناس إحسان وإجمال ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته || ماقاته وفضول العيش أشغال . و قال آخر جار الزمان علينا فى تصرفه || و أى حر عليه الدهر لم يجر عندى من الدهر ما لو أن أيسره || يلقى على الفلك الدوار لم يدر .آخر هذاالزمان ألذى كنا نحاذره || فيما يحدث كعب و ابن مسعود إن دام هذا و لم تعقب له غير || لم يبک ميت و لم يفرح بمولود .آخر يازمانا ألبس || الأحرار ذلا ومهانه لست عندى بزمان || إنما أنت زمانه أجنون ماتراه || منک يبدو أم مجانه .الرضى الموسوى تأبى الليالى أن تديما || بؤسا لخلق أونعيما والمرء بالإقبال يبلغ || وادعا خطرا جسيما فإذاانقضى إقباله || رجع الشفيع له خصيما [صفحه ۳۴۶] و هوالزمان إذانبا || سلب ألذى أعطى قديما كالريح ترجع عاصفا || من بعد مابدأت نسيما . أبوعثمان الخالدى ألفت من حادثات الدهر أكبرها || فما أعادى على أحداثها الصغر تزيدنى قسوة الأيام طيب نثا || كأننى المسک بين الفهر والحجر .السرى الرفاء تنكد هذاالدهر فيما يرومه || على أنه فيما نحاذره ندب فسير ألذى نرجوه سير مقيد || وسير ألذى نخشى غوائله وثب . ابن الرومى ألا إن فى الدنيا عجائب جمة || وأعجبها ألا يشيب وليدها إذاذل فى الدنيا الأعزاء واكتست || أذلتها عزا وساد مسودها هناک فلاجادت سماء بصوبها || و لاأمرعت أرض و لااخضر عودها أرى الناس مخسوفا بهم غيرأنهم || على الأرض لم يقلب عليهم صعيدها و ماالخسف أن يلفى أسافل بلدة || أعاليها بل أن يسود عبيدها .السرى الرفاء لنا من الدهر خصم لانطالبه || فما على الدهر لوكفت نوائبه يرتد عنه جريحا من يسالمه || فكيف يسلم منه من يحاربه و لوأمنت ألذى تجنى أراقمه || على هان ألذى تجنى عقاربه . [صفحه ۳۴۷] أبوفراس بن حمدان تصفحت أحوال الزمان و لم يكن || إلى غيرشاک للزمان وصول أ كل خليل هكذا غيرمنصف || و كل زمان بالكرام بخيل . ابن الرومى رأيت الدهر يرفع كل وغد || ويخفض كل ذى شيم شريفه كمثل البحر يغرق فيه حى || و لاينفک تطفو فيه جيفه أوالميزان يخفض كل واف || ويرفع كل ذى زنة خفيفه . ابن نباتة وأصغر عيب فى زمانک أنه || به العلم جهل والعفاف فسوق وكيف يسر الحر فيه بمطلب || و ما فيه شيءبالسرور حقيق . أبوالعتاهية لتجذبنى يد الدنيا بقوتها || إلى المنايا و إن نازعتها رسنى لله دنيا أناس دائبين لها || قدارتعوا فى غياض الغى والفتن كسائمات رواع تبتغى سمنا || وحتفها لودرت فى ذلک السمن . و له أيضا أنساک محياک المماتا || فطلبت فى الدنيا الثباتا . [صفحه ۳۴۸] و قال يزيد بن مفرغ الحميرى لاذعرت السوام فى فلق الصبح || مغيرا و لادعيت يزيدا يوم أعطى من المخافة ضيما || والمنايا يرصدننى أن أحيدا . و قال آخر لاتحسبينى ياأمامة || عاجزا دنسا ثيابه إنى إذاخفت الهوان || مشيع ذلل ركابه .مثله قول عنترة ذلل ركابى حيث شئت مشايعى || لبى وأحفزه برأى مبرم . و قال آخر أخشية الموت در دركم || أعطيتم القوم فوق ماسألوا إنا لعمر الإله نأبى ألذى قالوا || و لماتقصف الأسل نقبل ضيما ونحن نعرفه || مادام منا بظهرها رجل . و قال آخر ورب يوم حبست النفس مكرهة || فيه لأكبت أعداء أحاشيها آبى وآنف من أشياء آخذها || رث القوى وضعيف القوم يعطيها .مثله للشداخ أبينا فلانعطى مليكا ظلامة || و لاسوقة إلاالوشيج المقوما [صفحه ۳۴۹] تروم الخلد فى دار التفانى || وكم قدرام قبلک ماتروم لأمر ماتصرمت الليالى || وأمر ماتقلبت النجوم تنام و لم تنم عنک المنايا || تنبه للمنية يانئوم إلى ديان يوم الدين نمضى || و عند الله تجتمع الخصوم .حسبنا الله وحده وصلواته على خيرته من خلقه سيدنا محمد وآله الطاهرين تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله فى ذكر يوم النحر وصفة الأضحية

المجلد ۴

الجزء الرابع

تتمة الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل الحكيم وصلى الله على رسوله الكريم

تتمة الخطبة الثانية والخمسين

اشاره

وَ مِنهَا فِي ذِكرِ يَومِ النّحرِ وَ صِفَةِ الأُضحِيّةِ وَ مِن تَمَامِ الأُضحِيّةِ استِشرَافُ أُذُنِهَا وَ سَلَامَةُ عَينِهَا فَإِذَا سَلِمَتِ الأُذُنُ وَ العَينُ سَلِمَتِ الأُضحِيّةُ وَ تَمّت وَ لَو كَانَت عَضبَاءَ القَرنِ تَجُرّ رِجلَهَا إِلَى المَنسَكِ قال الرضى رحمه الله والمنسك هاهنا المذبح -روايت-١-٤٨ الأضحية مايذبح يوم النحر و مايجرى مجراه أيام التشريق من النعم واستشراف أذنها انتصابها وارتفاعها أذن شرفاء أى منتصبة. والعضباء المكسورة القرن والتى تجر رجلها إلى المنسك كناية عن العرجاء ويجوز المنسك بفتح السين وكسرها

اختلاف الفقهاء فى حكم الأضحية

واختلف الفقهاء فى وجوب الأضحية فقال أبوحنيفة هى واجبة على المقيمين من أهل [صفحه ۴] الأمصار ويعتبر فى وجوبها النصاب و به قال مالك والثورى إلا أن مالكا لم يعتبر الإقامة. و قال الشافعى الأضحية سنة مؤكدة و به قال أبويوسف و محمد و أحمد. واختلفوا فى العمياء هل تجزئ أم لافأكثر الفقهاء على أنها لاتجزئ وكلام أمير المؤمنين ع فى هذاالفصل يقتضى ذلك لأنه قال إذاسلمت العين سلمت الأضحية فيقتضى أنه إذا لم تسلم العين لم تسلم الأضحية ومعنى انتفاء سلامة الأضحية انتفاء أجزائها. وحكى عن بعض أهل الظاهر أنه قال تجزئ العمياء. و قال محمد بن النعمان المعروف بالمفيد رضى الله تعالى عنه أحد فقهاء الشيعة فى كتابه المعروف بالمقنعة إن الصادق ع سئل عن الرجل يهدى الهدى أوالأضحية وهى سمينة فيصيبها مرض أوتفقأ عينها أوتنكسر فتبلغ يوم النحر وهى حية أتجزئ عنه فقال نعم -روايت-١-١۴۶ .فأما الأذن فقال أحمد لايجوز التضحية بمقطوعة الأذن وكلام أمير المؤمنين ع يقتضى ذلك و قال سائر الفقهاء تجزئ إلا أنه مكروه . و أماالعضباء فأكثر الفقهاء على أنها تجزئ إلا أنه مكروه وكلام أمير المؤمنين ع يقتضى ذلك وكذلك الحكم فى الجلحاء وهى التى لم يخلق لها قرن والقصماء وهى التى انكسر غلاف قرنها والشرفاء وهى التى انثقبت أذنها من الكى والخرقاء وهى التى شقت أذنها طولا. و قال مالك إن كانت العضباء يخرج من قرنها دم لم تجزئ. و قال أحمد والنخعى لاتجوز التضحية بالعضباء. [صفحه ۵] فأما العرجاء التى كنى عنها بقوله تجر رجلها إلى المنسك فأكثر الفقهاء على أنها لاتجزئ وكلام أمير المؤمنين ع يقتضى أنها تجزئ و قدنقل أصحاب الشافعى عنه فى أحد قوليه أن الأضحية إذاكانت مريضة مرضا يسيرا أجزأت . و قال الماوردى من الشافعية فى كتابه المعروف بالحاوى إن عجزت عن أن تجر رجلها خلقة أجزأت و إن كان ذلك عن مرض لم تجزئ [صفحه ۶]

۵۳- و من كلام له ع فى ذكر البيعة

اشاره

فَتَدَاکّوا عَلَيّ تَدَاکّ الإِبِلِ الهِيمِ يَومَ وِردِهَا وَ قَد أَرسَلَهَا رَاعِيهَا وَ خُلِعَت مَثَانِيهَا حَتّي ظَنَنتُ أَنّهُم قَاتِلِيّ أَو بَعضُهُم قَاتِلُ بَعضٍ لدَيَّ وَ قَد قَلّبتُ هَذَا الأَمرَ بَطنَهُ وَ ظَهرَهُ حَتّي منَعَنَي النّومَ فَمَا وجَدَتنُي يسَعَنُي إِلّا قِتَالُهُم أَوِ الجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌص فَكَانَت مُعَالَجَةُ القِتَالِ أَهوَنَ عَلَيّ مِن مُعَالَجَةِ العِقَابِ وَ مَوتَاتُ الدّنيَا أَهوَنَ عَلَيّ مِن مَوتَاتِ الآخِرَةِ تـداكوا ازدحموا والهيم العطاش و يوم وردها يوم شربها الماء والمثانى الحبال جمع مثناة ومثناة بالفتح والكسر و هوالحبل . وجهاد البغاة واجب على الإمام إذاوجد أنصارا فإذاأخل بذلك أخل بواجب واستحق العقاب . فإن قيل إنه ع قال لم يسعنى إلاقتالهم أوالجحود بما جاء به محمدص -روايت-١-٢-روايت-١٥-۶۶ فكيف يكون تارك الواجب جاحدا لماجاء به النبى ص .قيل إنه فى حكم الجاحد لأنه مخالف وعاص لاسيما على مذهبنا فى أن تارك الواجب يخلد فى النار و إن لم يجحد النبوة [صفحه ٧]

بيعة على وأمر المتخلفين عنها

اختلف الناس فى بيعة أمير المؤمنين ع فالذى عليه أكثر الناس وجمهور أرباب السير أن طلحة والزبير بايعاه طائعين غيرمكرهين ثم تغيرت عزائمهما وفسدت نياتهما وغدرا به . و قال الزبيريون منهم عبد الله بن مصعب والزبير بن بكار وشيعتهم و من وافق قولهم من بنى تيم بن مرة أرباب العصبية لطلحة إنهما بايعا مكرهين و إن الزبير كان يقول بايعت واللج على قفى واللج سيف الأشتر وقفى لغة هذلية إذاأضافوا المقصور إلى أنفسهم قلبوا الألف ياء وأدغموا إحدى الياءين فى الأخرى فيقولون قدوافق ذلك هوى أى هواى و هذه عصى أى عصاى. وذكر صاحب كتاب الأوائل أن الأشتر جاء إلى على ع حين قتل عثمان فقال قم فبايع الناس فقد اجتمعوا لك ورغبوا فيك و الله لئن نكلت عنها لتعصرن عليها عينيك مرة رابعة فجاء حتى دخل بئر سكن واجتمع الناس وحضر طلحة والزبير لايشكان أن الأمر شورى فقال الأشتر أتنتظرون أحدا قم ياطلحة فبايع فتقاعس فقال قم يا ابن الصعبة وسل سيفه فقام طلحة يجر رجله حتى بايع فقال قائل أول من بايعه أشل لايتم أمره ثم لايتم قال قم يازبير و الله لاينازع أحد إلا وضربت قرطة بهذا السيف فقام الزبير فبايع ثم انثال الناس عليه فبايعوا. وقيل أول من بايعه الأشتر ألقى خميصة كانت عليه واخترط سيفه وجذب يد على ع فبايعه و قال للزبير وطلحة قوما فبايعا و إلاكنتما الليلة عندعثمان فقاما يعثران فى ثيابهما لايرجوان نجاة حتى صفقا بأيديهما على يده ثم قام بعدهما البصريون [صفحه ٨] وأولهم عبدالرحمن بن عديس البلوى فبايعوا و قال له عبدالرحمن خذها إليك واعلمن أباحسن || أنانمر الأمر إمرار الرسن . و قدذكرنا نحن فى شرح الفصل ألذى فيه أن الزبير أقر بالبيعة وادعى الوليجة أن بيعة أمير المؤمنين لم تقع إلا عن رضا جميع أهل المدينة أولهم طلحة والزبير وذكرنا فى ذلك مايبطل رواية الزبير. وذكر أبومخنف فى كتاب الجمل أن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا فى مسجد رسول الله ص لينظروا من يولونه أمرهم حتى غص المسجد بأهله فاتفق رأى عمار و أبى الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن عجلان و أبى أيوب خالد بن يزيد على إقعاد أمير المؤمنين ع فى الخلافة و كان أشدهم تهالكا عليه عمار فقال لهم أيها الأنصار قدسار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه وأنتم على شرف من الوقوع فى مثله إن لم تنظروا لأنفسكم و إن عليا أولى الناس بهذا الأمر لفضله وسابقته فقالوا رضينا به حينئذ وقالوا بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين أيها الناس إنا لن نألوكم خيرا وأنفسنا إن شاء الله و إن عليا من قدعلمتم و مانعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه و لاأولى به فقال الناس بأجمعهم قدرضينا و هوعندنا ماذكرتم وأفضل . وقاموا كلهم فأتوا عليا ع فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده فقبضها فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم على

وردها حتی کاد بعضهم یقتل بعضا فلما رأی منهم مارأی سألهم أن تکون بیعته فی المسجد ظاهرهٔ للناس و قال إن کرهنی رجل واحد من الناس لم أدخل فی هذاالأمر.فنهض الناس معه حتی دخل المسجد فکان أول من بایعه طلحهٔ فقال قبیصهٔ بن ذؤیب الأسدی تخوفت ألا یتم له أمره لأن أول ید بایعته شلاء ثم بایعه الزبیر [صفحه ۹] وبایعه المسلمون بالمدینهٔ إلا محمد بن مسلمهٔ و عبد الله بن عمر وأسامهٔ بن زید وسعد بن أبی وقاص وکعب بن مالک وحسان بن ثابت و عبد الله بن سلام .فأمر بإحضار عبد الله بن عمر فقال له بایع قال لاأبایع حتی یبایع جمیع الناس فقال له ع فأعطنی حمیلا ألا تبرح قال و لاأعطیک حمیلا فقال الأشتر یا أمیر المؤمنین إن هذا قدأمن سوطک وسیفک فدعنی أضرب عنقه فقال لست أرید ذلک منه علی کره خلوا سبیله فلما انصرف قال أمیر المؤمنین لقد کان صغیرا و هوسیئ الخلق و هو فی کبره أسوأ خلقا. ثم أتی بسعد بن أبی وقاص فقال له بایع فقال یا أبا الحسن خلنی فإذا لم یبق غیری بایعتک فو الله لایأتیک من قبلی أمر تکرهه أبدا فقال صدق خلوا سبیله . ثم بعث إلی محمد بن مسلمهٔ فلما أتاه قال له بایع قال إن رسول الله ص أمرنی إذااختلف الناس وصاروا هکذا وشبک بین أصابعه أن أخرج بسیفی فأضرب به عرض أحد فإذاتقطع أتیت منزلی فکنت فیه لاأبرحه حتی تأتینی ید خاطیهٔ أومنیهٔ قاضیهٔ فقال له ع فانطلق إذافکن کماأمرت به . ثم بعث إلی أسامهٔ بن زید فلما جاء قال له بایع فقال إنی مولاک و لاخلاف منی علیک وستأتیک بیعتی إذاسکن الناس فأمره بالانصراف و لم یبعث إلی أحد غیره . وقیل له أ لاتبعث إلی حسان بن ثابت وکعب بن مالک و عبد الله بن سلام فقال لاحاجهٔ لنا فیمن لاحاجهٔ له فینا -روایت-۱-۱۱۵ .فأما أصحابنا فإنهم یذکرون فی کتبهم أن هؤلاء الرهط إنما اعتذروا بما اعتذروا به [صفحه ۱۰] لماندبهم إلی الشخوص معه لحرب أصحاب الجمل وأنهم لم یتخلفوا عن البیعهٔ وإنما تخلفوا عن الحرب . وروی شیخنا أبو الحسین رحمه الله تعالی فی کتاب الغرر أنهم لمااعتذروا إلیه بهذه الأعذار قال لهم ما کل مفتون یعاتب أعندکم شک فی بیعتی قالوا لا قال فإذابایعتم فقد قاتلتم وأعفاهم من حضور الحرب -روایت-۱-۲-روایت-۶۰-۲۰۹ .
فإن قیل رویتم أنه قال إن کرهنی رجل واحد من الناس لم أدخل فی هذاالأمر ثم رویتم أن جماعهٔ من أعیان المسلمین کرهوا و لم یقف مع کراهتهم .قیل إنما مراده ع أنه متی وقع الاختلاف قبل البیعهٔ نفضت یدی عن الأمر و لم أدخل فیه فأما إذابویع ثم خالف ناس بعدالبیعهٔ فلایجوز له أن یرجع عن الأمر ویترکه لأن الإمامهٔ تثبت بالبیعهٔ و إذاثبتت لم یجز له ترکها. وروی أبومخنف عن ابن عباس قال لمادخل علی ع المسجد وجاء الناس لیبایعوه خفت أن یتکلم بعض أهل الشنئان لعلی ع ممن قتل أباه أوأخاه أوذا قرابته فی حیاهٔ رسول الله ص فیزهد علی فی الأمر ویترکه فکنت أرصد ذلک وأتخوفه فلم یتکلم أحد حتی بایعه الناس کلهم راضین مسلمین غیرمکرهین . لمابایع الناس علیا ع وتخلف عبد الله بن عمر وکلمه علی ع فی البیعهٔ فامتنع علیه أتاه فی الیوم الثانی فقال إنی لک ناصح إن بیعتک لم یرض بهاکلهم فلو نظرت لدینک ورددت الأمر شوری بین المسلمین فقال علی ع ویحک وهل ما کان عن طلب منی له أ لم یبلغک صنیعهم قم عنی یاأحمق ما أنت و هذاالکلام [صفحه ۱۱] فلما خرج أتی علیا فی الیوم الثالث آت فقال إن ابن عمر قدخرج إلی مکهٔ یفسد الناس علیک فأمر بالبعث فی أثره فجاءت أم کلثوم ابنته فسألته وضرعت إلیه فیه وقالت یا أمیر المؤمنین إنما خرج إلی مکهٔ لیقیم بها وإنه لیس بصاحب سلطان و لا هو من رجال هذاالشأن وطلبت إلیه أن یقبل شفاعتها فی أمره لأنه ابن بعلها فأجابها وکف عن البعثهٔ إلیه و قال دعوه و ماأراده [صفحه ۱۲]

۵۴- و من کلام له ع و قداستبطأ أصحابه إذنه لهم فی القتال بصفین

اشاره

أَمّا قَولُكَم أَ كُلّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ المَوتِ فَوَاللّهِ مَا أُبَالِي دَخَلتُ إِلَي المَوتِ أَو خَرَجَ المَوتُ إِلَيّ وَ أَمّا قَولُكَم شَكّاً فِي أَهلِ الشّامِ فَوَاللّهِ مَا دَفَعتُ الحَربَ يَوماً إِلّا وَ أَنَا أَطمَعُ أَن تَلحَقَ بيِ طَائِفَةٌ فَتَهتَدِيَ بيِ وَ تَعشُوَ إِلَي ضَوئِي فَهُوَ أَحَبّ إِلَيّ مِن أَن أَقتُلَهَا عَلَي ضَلَالِهَا وَ إِن كَانَت تَبُوءُ بِآثَامِهَا من رواه أ كل ذلك بالنصب فمفعول فعل مقدر أى تفعل كل ذلك وكراهية منصوب لأنه مفعول له و من رواه أ كل ذلك بالرفع أجاز فى كراهية الرفع والنصب أماالرفع فإنه يجعل كل مبتدأ وكراهية خبره و أماالنصب فيجعلها مفعولا له كماقلنا فى الرواية الأولى ويجعل خبر المبتدأ محذوفا وتقديره أ كل هذامفعول أوتفعله كراهية للموت ثم أقسم إنه لايبالى أتعرض هوللموت حتى يموت أم جاءه الموت ابتداء من غير أن يتعرض له . وعشا إلى النار يعشو استدل عليها ببصر ضعيف قال متى تأته تعشو إلى ضوء ناره || تجد خير نار عندها خير موقد . [صفحه ١٣] و هذاالكلام استعارة شبه من عساه يلحق به من أهل الشام بمن يعشو ليلا إلى النار و ذلك لأن بصائر أهل الشام ضعيفة فهم من الاهتداء بهداه ع كمن يعشو ببصر ضعيف إلى النار فى الليل قال ذاك أحب إلى من أن أقتلهم على ضلالهم و إن كنت لوقتلتهم على هذه الحالة لباءوا بآثامهم أى رجعوا قال سبحانه إِنِيّ أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثمِي وَ إِثمِكَ أى ترجع -قرآن-٣٠٦-٣٥٢

من أخبار يوم صفين

لماملك أمير المؤمنين ع الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه واستمالة لقلوبهم وإظهارا للمعدلة وحسن السيرة فيهم مكث أياما لايرسل إلى معاوية و لايأتيه من عندمعاوية أحد واستبطأ أهل العراق إذنه لهم فى القتال وقالوا يا أمير المؤمنين خلفنا ذرارينا ونساءنا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطنا ائذن لنا فى القتال فإن الناس قدقالوا قال لهم ع ماقالوا فقال منهم قائل إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية للموت و إن من الناس من يظن أنك فى شك من قتال أهل الشام فقال ع ومتى كنت كارها للحرب قط إن من العجب حبى لها غلاما ويفعا وكراهيتى لها شيخا بعدنفاد العمر وقرب الوقت و أماشكى فى القوم فلو شككت فيهم لشككت فى أهل البصرة و الله لقد ضربت هذاالأمر ظهرا وبطنا فما وجدت يسعنى إلاالقتال أو أن أعصى الله ورسوله ولكنى أستأنى بالقوم عسى أن يهتدوا أوتهتدى منهم طائفة فإن -روايت-١-٢-روايت-١٢-ادامه دارد [صفحه ١٤] رسول الله ص قال لى يوم خيبر لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس -روايت-از قبل-٩٦ قال نصر بن مزاحم حدثنا محمد بن عبيد الله عن الجرجانى قال فبعث على ع إلى معاوية بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى وسعيد بن قيس الهمدانى وشبث بن الربعى التميمى فقال ائتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله عز و جل و إلى الطاعة والجماعة و إلى اتباع أمر الله سبحانه فقال له شبث يا أمير المؤمنين أ لاتطمعه فى سلطان توليه إياه ومنزلة يكون له بهاأثره عندك إن هوبايعك فقال ائتوه الآن والقوه واحتجوا عليه وانظروا مارأيه فى هذا.فأتوه فدخلوا عليه فحمد أبوعمرو بن محصن الله وأثنى عليه و قال أما بعد يامعاوية فإن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة و إن الله مجازيك بعملك ومحاسبك بما قدمت يداك وإننى أنشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها بينها فقطع معاوية عليه الكلام و قال فهلا أوصيت صاحبك فقال سبحان الله إن صاحبى لايوصى إن صاحبى ليس مثلك صاحبى أحق الناس بهذا الأمر فى الفضل والدين والسابقة فى الإسلام والقرابة من الرسول قال معاوية فتقول ماذا قال أدعوك إلى تقوى ربك وإجابة ابن عمك إلى مايدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك فى دينك وخير لك فى عاقبة أمرك قال ويطل دم عثمان لا والرحمن لاأفعل ذلك أبدا. [صفحه ١٥] فذهب سعيد بن قيس يتكلم فبدره شبث بن الربعى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعاوية قدفهمت مارددت على ابن محصن إنه لايخفى علينا ماتقر و ماتطلب إنك لاتجد شيئا تستغوى به الناس و لاشيئا تستميل به

أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلاـ أن قلت لهم قتل إمامكم مظلوما فهلموا نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام رذال و قدعلمنا أنك أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى تطلب ورب مبتغ أمرا وطالب له يحول الله دونه وربما أوتى المتمنى أمنيته وربما لم يؤتها و و الله ما لك فى واحدة منهما خير و الله لئن أخطأك ماترجو أنك لشر العرب حالا ولئن أصبت ماتتمناه لاتصيبه حتى تستحق صلى النار فاتق الله يامعاوية ودع ما أنت عليه و لاتنازع الأمر أهله .فحمد معاوية الله وأثنى عليه و قال أما بعد فإن أول ماعرفت به سفهك وخفة حلمك قطعك على هذاالحسيب الشريف سيد قومه منطقه ثم عتبت بعدفيما لاـعلم لك به ولقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابى الجلف الجافى فى كل ماوصفت وذكرت انصرفوا من عندى فإنه ليس بينى وبينكم إلاالسيف . وغضب فخرج القوم وشبث يقول أعلينا تهول بالسيف أما و الله لنجعلنه إليك فأتوا عليا ع فأخبروه بالذى كان من قوله و ذلك فى شهر ربيع الآـخر. قال نصر وخرج قراء أهل العراق وقراء أهل الشام فعسكروا ناحية صفين ثلاثين ألفا. [صفحه ۱۶] قال وعسكر على ع على الماء وعسكر معاوية فوقه على الماء أيضا ومشت القراء فيما بين على ع ومعاوية منهم عبيدة السلمانى وعلقمة بن قيس النخعى و عبد الله بن عتبة وعامر بن عبدالقيس و قد كان فى بعض تلك السواحل فانصرف إلى عسكر على ع فدخلوا على معاوية فقالوا يامعاوية ما ألذى تطلب قال أطلب بدم عثمان قالوا ممن تطلب بدم عثمان قال أطلبه من على قالوا و على قتله قال نعم هوقتله وآوى قتلته فانصرفوا من عنده فدخلوا على على ع فقالوا إن معاوية يزعم أنك قتلت عثمان قال أللهم لكذب فيما قال لم أقتله .فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال لهم إنه إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالأ فرجعوا إلى على فقالوا إن معاوية يزعم أنك إن لم تكن قلت بيدك فقد أمرت ومالأت على قتل عثمان فقال أللهم لكذب فيما قال فرجعوا إلى معاوية فقالوا إن عليا يزعم أنه لم يفعل فقال معاوية إن كان صادقا فليقدنا من قتلة عثمان فإنهم فى عسكره وجنده وأصحابه وعضده فرجعوا إلى على ع فقالوا إن معاوية يقول لك إن كنت صادقا فادفع إلينا قتلة عثمان أومكنا منهم فقال لهم إن القوم تأولوا عليه القرآن ووقعت الفرقة فقتلوه فى سلطانه و ليس على ضربهم قود فخصم على معاوية. قلت على ضربهم هاهنا على مثلهم يقال زيد ضرب عمرو و من ضربه أى مثله و من صنفه و لاأدرى لم عدل ع عن الحجة بما هوأوضح من هذاالكلام و هو أن يقول إن الذين باشروا قتله بأيديهم كانوا اثنين وهما قتيرة بن وهب وسودان بن حمران وكلاهما قتل يوم الدار قتلهما عبيد عثمان والباقون الذين هم جندى وعضدى [صفحه ۱۷] كماتزعمون لم يقتلوا بأيديهم وإنما أغروا به وحصروه وأجلبوا عليه وهجموا على داره كمحمد بن أبى بكر والأشتر وعمرو بن الحمق وغيرهم و ليس على مثل هؤلاء قود. قال نصر فقال لهم معاوية إن كان الأمر كماتزعمون فلم ابتز الأمر دوننا على غيرمشورة منا و لاـممن هاهنا معنا فقال على ع إن الناس تبع المهاجرين والأنصار وهم شهود للمسلمين فى البلاد على ولاتهم وأمراء دينهم فرضوا بى وبايعونى ولست أستحل أن أدع ضرب معاوية يحكم بيده على الأمة ويركبهم ويشق عصاهم .فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال ليس كما يقول فما بال من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا فى هذاالأمر ويؤامروا فيه .فانصرفوا إلى على ع فأخبروه بقوله فقال ويحكم هذاللبدريين دون الصحابة ليس فى الأرض بدرى إلا و قدبايعنى و هومعى أو قدقام ورضى فلايغرنكم معاوية من أنفسكم ودينكم . قال نصر فتراسلوا بذلك ثلاثة أشهر ربيع الآخر وجماديين وهم مع ذلك يفزعون الفزعة فيما بينهما فيزحف بعضهم إلى بعض وتحجز القراء بينهم . قال فزعوا فى ثلاثة أشهر خمسا وثمانين فزعة كل فزعة يزحف بعضهم إلى بعض وتحجز القراء بينهم لا يكون بينهم قتال . قال نصر وخرج أبوأمامة الباهلى و أبوالدرداء فدخلا على معاوية وكانا معه فقالا يامعاوية علام تقاتل هذا الرجل فو الله لهو أقدم منك إسلاما وأحق بهذا [صفحه ۱۸] الأمر وأقرب من رسول الله ص فعلام تقاتله فقال أقاتله على دم عثمان وإنه آوى قتلته فقولوا له فليقدنا من قتلته و أناأول من بايعه من أهل الشام .فانطلقوا إلى على ع فأخبروه بقول معاوية فقال إنما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفا أوأكثر متسربلين الحديد لايرى منهم إلاالحدق فقالوا كلنا قتله فإن شاءوا فليروموا ذلك منا فرجع

أبوأمامهٔ و أبوالدرداء فلم يشهدا شيئا من القتال . قال نصر حتى إذا كان رجب وخشى معاويهٔ أن يتابع القراء عليا ع أخذ فى المكر وأخذ يحتال للقراء لكيما يحجموا ويكفوا حتى ينظروا. قال فكتب فى سهم من عبد الله الناصح إنى أخبركم أن معاويهٔ يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم فخذوا حذركم ثم رمى بالسهم فى عسكر على ع فوقع السهم فى يد رجل فقرأه ثم أقرأه صاحبه فلما قرأه وقرأته الناس وأقرأه من أقبل وأدبر قالوا هذاأخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاويهٔ فلم يزل السهم يقرأ ويرتفع حتى رفع إلى على ع و قدبعث معاويهٔ مائتى رجل من العملهٔ إلى عاقول من النهر بأيديهم المرور والزبل يحفرون فيهابحيال عسكر على ع فقال على ع ويحكم إن ألذى يعالج معاويهٔ لايستقيم له و لايقوى عليه إنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتهوا عن ذلک فقالوا له لاندعهم و الله يحفرون فقال على ع لاتكونوا ضعفى ويحكم لاتغلبونى على رأيى فقالوا و الله لنرتحلن فإن شئت فارتحل و إن شئت فأقم فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم مليا وارتحل على ع فى أخريات الناس و هو يقول [صفحه ١٩] فلو أنى أطعت عصمت قومى || إلى ركن اليمامهٔ أوشمام ولكنى متى أبرمت أمرا || منيت بخلف آراء الطغام . قال وارتحل معاويهٔ حتى نزل معسكر على ع ألذى كان فيه فدعا على ع الأشتر فقال أ لم تغلبنى على رأيى أنت والأشعث فدونكما فقال الأشعث أناأكفيک يا أمير المؤمنين سأداوى ماأفسدت اليوم من ذلک فجمع كندهٔ فقال لهم يامعشر كندهٔ لاتفضحونى اليوم و لاتخزونى فإنى إنما أقارع بكم أهل الشام فخرجوا معه رجاله يمشون وبيده رمح له يلقيه على الأرض و يقول امشوا قيد رمحى هذافيمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه ويمشون معه رجاله حتى لقى معاويهٔ وسط بنى سليم واقفا على الماء و قدجاءه أدانى عسكره فاقتتلوا قتالا شديدا على الماء ساعهٔ وانتهى أوائل أهل العراق فنزلوا وأقبل الأشتر فى خيل من أهل العراق فحمل على معاويهٔ والأشعث يحارب فى ناحيهٔ أخرى فانحاز معاويهٔ فى بنى سليم فرد وجوه إبله قدر ثلاثهٔ فراسخ ثم نزل ووضع أهل الشام أثقالهم والأشعث يهدر و يقول أرضيتک يا أمير المؤمنين ثم تمثل بقول طرفهٔ بن العبد ففداء لبنى سعد على || ماأصاب الناس من خير وشر ماأقلت قدماى إنهم || نعم الساعون فى الحى الشطر ولقد كنت عليكم عاتبا || فعقبتم بذنوب غيرمر [صفحه ٢٠] كنت فيكم كالمغطى رأسه || فانجلى اليوم قناعى وخمر سادرا أحسب غيى رشدا || فتناهيت و قدصابت بقر . و قال الأشتر يا أمير المؤمنين قدغلب الله لک على الماء فقال على ع أنتما كما قال الشاعر تلاقين قيسا وأشياعه || فيوقد للحرب نارا فنارا أخو الحرب إن لقحت بازلا || سما للعلا وأجل الخطارا . قال نصر فكان كل واحد من على ومعاويهٔ يخرج الرجل الشريف فى جماعهٔ فيقاتل مثله وكانوا يكرهون أن يتزاحفوا بجميع الفيلق مخافهٔ الاستئصال والهلاک فاقتتل الناس ذا الحجهٔ كله فلما انقضى تداعوا إلى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضى المحرم لعل الله أن يجرى صلحا أوإجماعا فكف الناس فى المحرم بعضهم عن بعض . قال نصر حدثناعمر بن سعد عن أبى المجاهد عن المحل بن خليفهٔ قال لماتوادعوا فى المحرم اختلفت الرسل فيما بين الرجلين رجاء الصلح فأرسل على ع إلى معاويهٔ عدى بن حاتم الطائى وشبث بن ربعى التميمى ويزيد بن قيس وزياد بن خصفهٔ فلما دخلوا عليه حمد الله تعالى عدى بن حاتم الطائى وأثنى عليه ثم قال أما بعدفإنا أتيناک لندعوک إلى أمر يجمع الله فيه كلمتنا وأمتنا ويحقن به دماء [صفحه ٢١] المسلمين ندعوک إلى أفضل الناس سابقهٔ وأحسنهم فى الإسلام آثارا و قداجتمع إليه الناس و قدأرشدهم الله بالذى رأوا وأتوا فلم يبق أحد غيرک و غير من معک فانته يامعاويهٔ من قبل أن يصيبک الله وأصحابک بمثل يوم الجمل . فقال له معاويهٔ كأنک إنما جئت مهددا و لم تأت مصلحا هيهات ياعدى إنى لابن حرب مايقعقع لى بالشنان أما و الله إنک من المجلبين على عثمان وإنک لمن قتلته وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله . فقال له شبث بن ربعى وزياد بن خصفهٔ وتنازعا كلاما واحدا أتيناک فيما يصلحنا وإياک فأقبلت تضرب لنا الأمثال دع ما لاينفع من القول والفعل وأجبنا فيما يعمنا وإياک نفعه . وتكلم يزيد بن قيس الأرحبى فقال إنا لم نأتک إلالنبلغک مابعثنا به إليک ولنؤدى عنک ماسمعنا منک و لم ندع أن ننصح لک و أن نذكر ماظننا أن لنا عليک به حجهٔ أو أنه راجع بک إلى الألفهٔ والجماعهٔ إن

صاحبنا من قدعرفت وعرف المسلمون فضله و لاأظنه يخفى عليك إن أهل الدين والفضل لايعدلونک بعلی و لايميلون بينک وبينه فاتق الله يامعاويهٔ و لاتخالف عليا فإنا و الله مارأينا رجلا قط أعمل بالتقوى و لاأزهد فی الدنيا و لاأجمع لخصال الخير كلها منه .فحمد الله معاويهٔ وأثنى عليه و قال أما بعدفإنكم دعوتم إلى الجماعهٔ والطاعهٔ فأما الجماعهٔ التی دعوتم إليها فنعما هی و أماالطاعهٔ لصاحبكم فإنا لانراها إن صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثأرنا وقتلتنا وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن [صفحه ۲۲] لانرد ذلک عليه أرأيتم قتلهٔ صاحبنا ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعهٔ والجماعهٔ. فقال له شبث بن ربعی أيسرک بالله يامعاويهٔ إن أمكنت من عمار بن ياسر فقتلته قال و مايمنعنی من ذلک و الله لوأمكننی صاحبكم من ابن سميهٔ ماقتلته بعثمان ولكنی كنت أقتله بنائل مولى عثمان . فقال شبث وإله السماء ماعدلت معدلا و لا- و ألذی لا-إله إلا- هو لاتصل إلى قتل ابن ياسر حتى تندر الهام عن كواهل الرجال وتضيق الأرض الفضاء عليک برحبها. فقال معاويهٔ إنه إذا كان ذلک كانت عليک أضيق . ثم رجع القوم عن معاويهٔ فبعث إلى زياد بن خصفهٔ من بينهم فأدخل عليه فحمد معاويهٔ الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد ياأخا ربيعهٔ فإن عليا قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قتلهٔ صاحبنا وإنی أسألک النصرهٔ بأسرتک وعشيرتک و لک علی عهد الله وميثاقه إذاظهرت أن أوليک أی المصرين أحببت . قال أبوالمجاهد فسمعت زياد بن خصفهٔ يحدث بهذا الحديث . قال فلما قضى معاويهٔ كلامه حمدت الله وأثنيت عليه ثم قلت أما بعدفإنی لعلی بينهٔ من ربی وبما أنعم علی فلن أكون ظهيرا للمجرمين ثم قمت . فقال معاويهٔ لعمرو بن العاص و كان إلى جانبه مالهم عضبهم الله ماقلبهم إلاقلب رجل واحد. قال نصر و حدثناسليمان بن أبی راشد عن عبدالرحمن بن عبيد أبی الكنود [صفحه ۲۳] قال بعث معاويهٔ حبيب بن مسلمهٔ الفهری إلى علی بن أبی طالب ع وبعث معه شرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس السلمی فدخلوا على علی ع فتكلم حبيب بن مسلمهٔ فحمد الله وأثنى عليه و قال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفهٔ مهديا يعمل بكتاب الله ويثيب إلى أمر الله فاستسقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلهٔ عثمان نقتلهم به فإن قلت إنک لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم هذاشورى بينهم يولی الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم . فقال له علی و ما أنت لاأم لک والولايهٔ والعزل والدخول فی هذاالأمر اسكت فإنک لست هناک و لابأهل لذاک فقام حبيب بن مسلمهٔ و قال أما و الله لترينی حيث تكره فقال له ع و ما أنت و لوأجلبت بخيلک ورجلک اذهب فصوب وصعد مابدا لک فلا-أبقى الله عليک إن أبقيت . فقال شرحبيل بن السمط إن كلمتک فلعمری ماكلامی لک إلانحو كلام صاحبی فهل لی عندک جواب غيرالجواب ألذی أجبته به فقال نعم قال فقله فحمد الله علی ع وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمداص فأنقذ به من الضلالهٔ ونعش به من الهلكهٔ وجمع به بعدالفرقهٔ ثم قبضه الله إليه و قدأدى ما عليه فاستخلف الناس أبابكر ثم استخلف أبوبكر عمر فأحسنا السيرهٔ وعدلا فی الأمهٔ ووجدنا -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۴] عليهما أن توليا الأمر دوننا ونحن آل الرسول وأحق بالأمر فغفرنا ذلک لهما ثم ولی أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فسار إليه ناس فقتلوه ثم أتانی الناس و أنامعتزل أمرهم فقالوا لی بايع فأبيت عليهم فقالوا لی بايع فإن الأمهٔ لاترضى إلابک وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس فبايعتهم فلم يرعنی إلاشقاق رجلين قدبايعا وخلاف معاويهٔ إيای ألذی لم يجعل الله له سابقهٔ فی الدين و لاسلف صدق فی الإسلام طليق ابن طليق وحزب من الأحزاب لم يزل لله ولرسوله وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلا فی الإسلام كارهين مكرهين فيا عجبا لكم ولإجلابكم معه وانقيادكم له وتدعون آل بيت نبيكم الذين لاينبغی لكم شقاقهم و لاخلافهم و لاتعدلوا بهم أحدا من الناس إنی أدعوكم إلى كتاب ربكم وسنهٔ نبيكم وإماتهٔ الباطل وإحياء معالم الدين أقول قولی هذا وأستغفر الله لنا ولكل مؤمن ومؤمنهٔ ومسلم ومسلمهٔ -روايت-از قبل-۸۳۹ فقال له شرحبيل ومعن بن يزيد أتشهد أن عثمان قتل مظلوما فقال لهما إنی لاأقول ذلک قالا- فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن برآء منه ثم قاما فانصرفا. فقال علی ع إِنَّکَ لا تُسمِعُ المَوتی وَ لا تُسمِعُ الصُّمَّ

الـدّعاءَ إذا وَلّوا مُـدبِرِينَ وَ ما أَنتَ بِهادِي العُمىِ عَن ضَـلالَتِهِم إِن تُـسـمِعُ إِلّا مَن يُؤمِنُ بِآياتِنا فَهُم مُسلِمُونَ ثم أقبل على أصـحابه فقال لايكن هؤلاء فى ضـلالتهم بأولى بالجـد منكم فى حقكم وطاعـة إمامكم -روايت-١-٢-روايت-١٧-٢٩٣ ثم مكث الناس متوادعين إلى انسلاخ المحرم فلما انسلخ المحرم واستقبل الناس صـفرا من سنة سبع وثلاثين بعث على ع نفرا من أصحابه حتى إذاكانوا [صفحه ٢٥] من معسـكر معاوية بحيث يسمعونهم الصوت قام مرثد بن الحارث الجشمى فنادى عندغروب الشمس يا أهل الشام إن أمير المؤمنين عليا وأصحاب رسول الله ص يقولون لكم إنا لم نكف عنكم شـكا فى أمركم و لاإبقاء عليكم وإنما كففنـا عنكم لخروج المحرم و قدانسـلخ وإنـا قدنبـذنا إليكم على سواء إن الله لا‌يحب الخـائنين . قـال فتحـاجز الناس وثاروا إلى أمرائهم . قـال نصـر فأما روايـة عمرو بن شـمر عن جابر عن أبى الزبير أن نـداء مرثـد بن الحارث الجشـمى كانت صورته يا أهل الشـام ألا‌ـ إن أمير المؤمنين يقول لكم إنى قداسـتدمتكم واسـتأنيت بكم لتراجعوا الحق وتثوبوا إليه واحتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه فلم تتناهوا عن طغيان و لم تجيبوا إلى حق وإنى قدنبذت إليكم على سواء إن الله لايحب الخائنين . قال فثار الناس إلى أمرائهم ورؤسـائهم . قـال نصـر وخرج معاويـة وعمرو بن العـاص يكتبـان الكتـائب ويعبيـان العساكر وأوقـدوا النيران وجاءوا بالشـموع وبات على ع تلك الليلة كلها يعبئ الناس ويكتب الكتائب ويدور فى الناس ويحرضـهم . قال نصـر حدثناعمر بن سـعد بإسـناده عن عبـد الله بن جنـدب عن أبيه أن عليـا ع كان يأمرنا فى كل موطن لقينا معه عـدوه فيقول -روايت-١-٢-روايت-٦٩- ادامه دارد [صـفحه ٢٦] لاتقاتلوا القوم حتى يبـدءوكم فهى حجـة أخرى لكم عليهم فإذاقاتلتموهم فهزمتموهم فلاتقتلوا مـدبرا و لا‌ـتجهزوا على جريـح و لاتكشـفوا عورة و لا‌ـتمثلوا بقتيل فإذاوصـلتم إلى رحال القوم فلاتهتكوا سترا و لاتـدخلوا دارا إلابإذن و لاتأخذوا شيئا من أموالهم إلا ماوجدتم فى عسكرهم و لاتهيجوا امرأة و إن شتمن أعراضكم وتناولن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعـاف القوى والأ‌ـنفس والعقول ولقـد كنا وإنا لنؤمر بالكف عنهن وهن مشـركات و إن كان الرجل ليتناول المرأة فى الجاهلية بالهراوة أوالحديـد فيعير بهاعقبه من بعـده -روايت-از قبل-٥١٣ قال نصـر و حدثناعمر بن سـعد عن إسـماعيل بن يزيد يعنى ابن أبى خالـد عن أبى صـادق أن عليـا ع حرض الناس فى حروبه فقال عباد الله اتقوا الله وغضوا أبصاركم واخفضوا الأصوات وأقلوا الكلام ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة والمعانقة وفَاثبُتُوا وَ اذكُرُوا اللّهَ كَثِيراً لَعَلّكُم تُفلِحُونَوَ لا تَنازَعُوا فَتَفشَلُوا وَ تَـذهَبَ رِيحُكُـم وَ اصبِرُوا إِنّ اللّـهَ مَـعَ الصّـابِرِينَ أللهـم ألهمهم الصبر وأنزل عليهم النصر وأعظم لهم الأ‌ـجر -روايت-١-٢- روايت-٨٣-٤٥٧ . قال نصـر و كان ترتيب عسـكر على ع بموجب مارواه لنا عمرو بن شمر عن جابر عن محمد بن على وزيد بن حسن و محمد بن عبدالمطلب أنه جعل على الخيل عمار بن ياسـر و على الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى ودفع اللواء [صفحه ٢٧] إلى هاشم بن عتبـة بن أبى وقاص الزهرى وجعل على الميمنة الأشـعث بن قيس و على الميسـرة عبد الله بن العباس وجعل على رجالـة الميمنـة سـليمان بن صـرد الخزاعى و على رجالـة الميسـرة الحارث بن مرة العبدى وجعل القلب مضـر الكوفة والبصـرة وجعل على ميمنـة القلب اليمن و على ميسـرته ربيعـة وعقـد ألوية القبائل فأعطاها قوما منهم بأعيانهم وجعلهم رؤساءهم وأمراءهم وجعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس و على كندة حجر بن عدى الكندى و على بكر البصـرة الحصـين بن المنذر الرقاشى و على تميم البصرة الأحنف بن قيس و على خزاعة عمرو بن الحمق و على بكر الكوفة نعيم بن هبيرة و على سعد البصـرة وربابها جارية بن قدامة السعدى و على بجيلة رفاعة بن شداد و على ذهل الكوفة رويما الشيبانى أويزيد بن رويم و على عمرو البصـرة وحنظلتها أعين بن ضبيعة و على قضاعة وطيئ عدى بن حاتم الطائى و على لهازم الكوفة عبد الله بن حجل العجلى و على تميم الكوفـة عمير بن عطارد و على الأزد واليمن جنـدب بن زهير و على ذهل البصـرة خالد بن المعمر السدوسى و على عمرو الكوفـة وحنظلتها شـبث بن ربعى و على همـدان سـعيد بن قيس و على لهازم البصـرة حريث بن جابر الجعفى و على سـعد الكوفـة وربابها الطفيل أباصـريمة و على مذحج الأشتر بن الحارث النخعى و على عبدالقيس الكوفة صعصعة بن صوحان و على

عبدالقيس البصرة عمرو بن حنظلة و على قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل البكائى و على قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمى و على قيس البصرة قبيصة بن شداد الهلالى و على اللفيف من القواصى القاسم بن حنظلة الجهنى. و أمامعاوية فاستعمل على الخيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب و على الرجالة مسلم بن عقبة المرى وجعل على الميمنة عبد الله بن عمرو بن العاص و على الميسرة حبيب [صفحه ۲۸] بن مسلمة الفهرى وأعطى اللواء عبدالرحمن بن خالد بن الوليد وجعل على أهل دمشق وهم القلب الضحاك بن قيس الفهرى و على أهل حمص وهم الميمنة ذا الكلاع الحميرى و على أهل قنسرين وهم فى الميمنة أيضا زفر بن الحارث الكلابى و على أهل الأردن وهم الميسرة سفيان بن عمرو أباالأعور السلمى و على أهل فلسطين وهم فى الميسرة أيضا مسلمة بن مخلد و على رجالة أهل دمشق بسر بن أبى أرطاة العامرى بن لؤى بن غالب و على رجالة أهل حمص حوشبا ذا ظليم و على رجالة قيس طريف بن حابس الألهانى و على رجالة الأردن عبدالرحمن بن قيس القينى و على رجالة أهل فلسطين الحارث بن خالد الأزدى و على رجالة قيس دمشق همام بن قبيصة و على قضاعة حمص وإيادها بلال بن أبى هبيرة الأزدى وحاتم بن المعتمر الباهلى و على رجالة الميمنة حابس بن سعيد الطائى و على قضاعة دمشق حسان بن بحدل الكلبى و على قضاعة عباد بن يزيد الكلبى و على كندة دمشق حسان بن حوى السكسكى و على كندة حمص يزيد بن هبيرة السكونى و على سائر اليمن يزيد بن أسد البجلى و على حمير وحضرموت اليمان بن غفير و على قضاعة الأردن حبيش بن دلجة القينى و على كنانة فلسطين شريكا الكنانى و على مذحج الأردن المخارق بن الحارث الزبيدى و على جذام فلسطين ولخمها ناتل بن قيس الجذامى و على همدان الأردن حمزة بن مالك الهمدانى و على الخثعم حمل بن عبد الله الخثعمى و على غسان الأردن يزيد بن الحارث و على جميع القواصى القعقاع بن أبرهة الكلاعى أصيب فى المبارزة أول يوم تراءت فيه الفئتان . قال نصر فأما رواية الشعبى التى رواها عنه إسماعيل بن أبى عميرة فإن عليا [صفحه ۲۹] ع بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى و على ميسرته عبد الله بن العباس و على خيل الكوفة الأشتر و على البصرة سهل بن حنيف و على رجالة الكوفة عمار بن ياسر و على رجالة أهل البصرة قيس بن سعد كان قدأقبل من مصر إلى صفين وجعل معه هاشم بن عتبة وجعل مسعود بن فدكى التميمى على قراء أهل البصرة و أماقراء أهل الكوفة فصاروا إلى عبد الله بن بديل وعمار بن ياسر. قال نصر و أماترتيب عسكر الشام فيما رواه لنا عمر بن سعد عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن القاسم مولى يزيد بن معاوية فإن معاوية بعث على ميمنته ذا الكلاع و على ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرى و على مقدمته من يوم أقبل من دمشق أباالأعور السلمى و كان على خيل دمشق كلها عمرو بن العاص ومعه خيول أهل الشام بأسرها وجعل مسلم بن عقبة المرى على رجالة دمشق والضحاك بن قيس على سائر الرجالة بعد. قال نصر وتبايع رجال من أهل الشام على الموت وتحالفوا عليه وعقلوا أنفسهم بالعمائم وكانوا صفوفا خمسة معقلين كانوا يخرجون فيصطفون أحد عشر صفا ويخرج أهل العراق فيصطفون أحد عشر صفا أيضا. قال نصر فخرجوا أول يوم من صفر من سنة سبع وثلاثين و هو يوم الأربعاء فاقتتلوا و على من خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر و على أهل الشام حبيب بن مسلمة [صفحه ۳۰] فاقتتلوا قتالا شديدا جل النهار ثم تراجعوا و قدانتصف بعضهم من بعض ثم خرج فى اليوم الثانى هاشم بن عتبة فى خيل ورجال حسن عددها وعدتها فخرج إليه من أهل الشام أبوالأعور السلمى فاقتتلوا يومهم ذلك تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال . ثم انصرفوا و قدصبر القوم بعضهم لبعض وخرج فى اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتتل الناس كأشد قتال كان وجعل عمار يقول يا أهل الشام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى إلى النبى ص فأسلم و هو و الله فيما يرى راهب غيرراغب ثم قبض الله رسوله وإنا و الله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم ألا وإنه معاوية فقاتلوه والعنوه فإنه ممن يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله . قال و كان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل فى الخيل فحمل فصبروا له

وشـد عمار فى الرجالهٔ فأزال عمرو بن العاص عن موقفه وبارز يومئذ زياد بن النضـر أخا له من بنى عامر يعرف بمعاويهٔ بن عمرو العقيلى وأمهمـا هنـد الزبيديـهٔ فانصـرف كـل واحـد منهمـا عن صـاحبه بعـدالمبارزهٔ سالما ورجع الناس يومهم ذلک . قال نصـر وحدثنى أبو عبدالرحمن المسـعودى قال حدثنى يونس بن الأرقم عمن حدثه من شـيوخ بكر بن وائل قال كنا مع على ع بصـفين فرفع عمرو بن العـاص شـقهٔ خميصـهٔ سوداء فى رأس رمـح فقال ناس هـذالواء عقـده له رسول الله ص فلم يزالوا يتحـدثون حتى وصـل ذلـک إلى على ع فقال –روايت–١–٢–روايت–١١٠–ادامه دارد [صـفحه ٣١] أتـدرون ماأمر هـذااللواء إن عدو الله عمرا أخرج له رسول الله ص هـذه الشـقهٔ فقـال من يأخـذها بمـا فيهـا فقـال عمرو و مـا فيهـا يا رسول الله قال فيهاألا تقاتل بهامسـلما و لاتقربها من كافر فأخذها فقد و الله قربها من المشـركين وقاتل بهااليوم المسلمين و ألذى فلق الحبهٔ وبرأ النسمهٔ ماأسلموا ولكنهم استسـلموا وأسـروا الكفر فلما وجـدوا عليه أعوانا أظهروه –روايت–از قبل–٣٥١ وروى نصـر عن أبى عبدالرحمن المسـعودى عن يونس بن الأرقم عن عوف بن عبد الله عن عمرو بن هند البجلى عن أبيه قال لمانظر على ع إلى رايات معاويهٔ و أهل الشام قال و ألـذى فلق الحبهٔ وبرأ النسـمهٔ ماأسـلموا ولكن استسـلموا وأسـروا الكفر فلما وجدوا عليه أعوانا رجعوا إلى عداوتهم لنا إلاأنهم لم يتركوا الصلاهٔ –روايت–١–٢–روايت–١٢٣–٣١۴ وروى نصـر عن عبـدالعزيز بن سياه عن حبيب بن أبى ثـابت قال لما كان قتال صفين قـال رجل لعمار يا أبااليقظان أ لـم يقل رسول الله ص قاتلوا الناس حتى يسـلموا فإذاأسـلموا عصـموا منى دماءهم وأموالهم قال بلى ولكن و الله ماأسـلموا ولكن استسـلموا وأسـروا الكفر حتى وجـدوا عليه أعوانا –روايت–١–٢–روايت–۶۴–٢٨۶ . وروى نصـر عن عبـدالعزيز عن حبيب بن أبى ثابت عن منذر الثورى قال قال محمد بن الحنفيهٔ لماأتاهم رسول الله ص من أعلى الوادى و من أسفله [صفحه ٣٢] وملأ الأوديهٔ كتائب يعنى يوم فتح مكهٔ استسـلموا حتى وجدوا أعوانا. وروى نصـر عن الحكم بن ظهير عن إسـماعيل عن الحسن قـال و حـدثناالحكم أيضا عن عاصم بن أبى النجود عن زر بن حبيش عن عبـد الله بن مسـعود قال قال رسول الله ص إذارأيتم معاويهٔ بن أبى سفيان يخطب على منبرى فاضربوا عنقه –روايت–١–٢–روايت–١۶۵–٢٢٩ فقال الحسن فو الله مافعلوا و لاأفلحوا [صفحه ٣٣]

۵۵– و من كلام له ع

اشاره

وَ لَقَـد كُنّا مَعَ رَسُولِ اللّهِص نَقتُلُ آبَاءَنَا وَ أَبنَاءَنَا وَ إِخوَانَنَا وَ أَعمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِکَ إِلّا إِيمَاناً وَ تَسلِيماً وَ مُضِيّاً عَلَى اللّقمِ وَ صَبراً عَلَى مَضَضِ الأَلَمِ وَ جِدّاً فِي جِهَادِ العَدُوّ وَ لَقَد كَانَ الرّجُلُ مِنّا وَ الآخَرُ مِن عَدُوّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الفَحلَينِ يَتَخَالَسَانِ أَنفُسَهُمَا أَيّهُمَا يسَقيِ صَاحِبَهُ كَأسَ المَنُونِ فَمَرّةً لَنَا مِن عَدُوّنَا وَ مَرّةً لِعَدُوّنَا مِنّا فَلَمّا رَأَى اللّهُ صِدقَنَا أَنزَلَ بِعَدُوّنَا الكَبتَ وَ أَنزَلَ عَلَينَا النّصرَ حَتّى استَقَرّ الإِسلَامُ مُلقِياً جِرَانَهُ وَ مُتَبَوّئاً أَوطَانَهُ وَ لعَمَرِي لَو كُنّا نأَتيِ مَا أَتَيتُم مَا قَامَ لِلدّينِ عَمُودٌ وَ لَا اخضَرّ لِلإِيمَانِ عُودٌ وَ ايمُ اللّهِ لَتَحتَلِبُنّهَا دَماً وَ لَتُتبِعُنّهَا نَدَماً لقم الطريق الجادهٔ الواضـحهٔ منها والمضـض لـذع الألم وبرحاؤه والتصاول أن يحمل كل واحـد من القرنين على صـاحبه والتخـالس التسـالب والانتهـاب والكبت الإذلاـل وجران البعير مقـدم عنقه وتبـوأت المنزل نزلته ويقـال لمن أسـرف فى الأـمر لتحتلبن دما وأصـله الناقـهٔ يفرط فى حلبها فيحلب الحالب الـدم . [صـفحه ٣۴] و هـذه ألفاظ مجازيـهٔ من باب الاسـتعارهٔ وهى. قوله اسـتقر الإسـلام ملقيـا جرانه أى ثابتـا متمكنـا كـالبعير يلقى جرانه على الأـرض . و قوله متبوئـا أوطانه جعله كـالجسم المسـتقر فى وطنه ومكـانه . و قوله ماقـام للـدين عمود جعله كالبيت القائم على العمـد. و قوله و لااخضـر للإيمان عود

جعله كالشجرة ذات الفروع والأغصان .فأما قتلهم الأقارب فى ذات الله فكثير قتل على ع الجم الغفير من بنى عبدمناف وبنى عبدالدار فى يوم بدر وأحد وهم عشيرته وبنو عمه وقتل عمر بن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هشام بن المغيرة وقتل حمزة بن عبدالمطلب شيبة بن ربيعة يوم بدر و هو ابن عمه لأنهما ابنا عبدمناف ومثل ذلك كثير مذكور فى كتب السيرة. و أماكون الرجل منهم وقرنه يتصاولان ويتخالسان فإن الحال كذلك كانت بارز على ع الوليد بن عتبة وبارز طلحة بن أبى طلحة وبارز عمرو بن عبدود وقتل هؤلاء الأقران مبارزة وبارز كثيرا من الأبطال غيرهم وقتلهم وبارز جماعة من شجعان الصحابة جماعة من المشركين فمنهم من قتل ومنهم من قتل وكتب المغازى تتضمن تفصيل ذلك

فتنة عبد الله بن الحضرمى بالبصرة

و هذاالكلام قاله أمير المؤمنين ع فى قصة ابن الحضرمى حيث قدم البصرة من قبل معاوية واستنهض أمير المؤمنين ع أصحابه إلى البصرة فتقاعدوا. قال أبوإسحاق ابراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى فى كتاب الغارات [صفحه ٣٥] حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا الحسن بن على الزعفرانى عن محمد بن عبد الله بن عثمان عن ابن أبى سيف عن يزيد بن حارثة الأزدى عن عمرو بن محصن أن معاوية لماأصاب محمد بن أبى بكر بمصر وظهر عليها دعا عبد الله بن عامر الحضرمى فقال له سر إلى البصرة فإن جل أهلها يرون رأينا فى عثمان ويعظمون قتله و قدقتلوا فى الطلب بدمه فهم موتورون حنقون لماأصابهم ودوا لويجدون من يدعوهم ويجمعهم وينهض بهم فى الطلب بدم عثمان واحذر ربيعة وانزل فى مضر وتودد الأزد فإن الأزد كلها معك إلاقليلا منهم وإنهم إن شاء الله غيرمخالفيك . فقال عبد الله بن الحضرمى له إنا سهم فى كنانتك و أنا من قدجربت وعدو أهل حربك وظهيرك على قتلة عثمان فوجهنى إليهم متى شئت فقال اخرج غدا إن شاء الله فودعه وخرج من عنده . فلما كان الليل جلس معاوية وأصحابه يتحدثون فقال لهم معاوية فى أى منزل ينزل القمر الليلة فقالوا بسعد الذابح فكره معاوية ذلك وأرسل إليه ألا تبرح حتى يأتيك أمرى فأقام . ورأى معاوية أن يكتب إلى عمرو بن العاص و هويومئذ بمصر عامله عليها يستطلع رأيه فى ذلك فكتب إليه و قد كان تسمى بإمرة المؤمنين بعد يوم صفين و بعدتحكيم الحكمين من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص سلام عليك أما بعدفإنى قدرأيت رأيا هممت بإمضائه و لم يخذلنى عنه [صفحه ٣٦] إلااستطلاع رأيك فإن توافقنى أحمد الله وأمضه و إن تخالفنى فإنى أستخير الله وأستهديه إنى نظرت فى أمر أهل البصرة فوجدت معظم أهلها لنا وليا ولعلى وشيعته عدوا و قدأوقع بهم على الوقعة التى علمت فأحقاد تلك الدماء ثابتة فى صدورهم لاتبرح و لاتريم و قدعلمت أن قتلنا ابن أبى بكر ووقعتنا بأهل مصر قدأطفأت نيران أصحاب على فى الآفاق ورفعت رءوس أشياعنا أينما كانوا من البلاد و قدبلغ من كان بالبصرة على مثل رأينا من ذلك مابلغ الناس و ليس أحد ممن يرى رأينا أكثر عددا و لاأضر خلافا على على من أولئك فقد رأيت أن أبعث إليهم عبد الله بن عامر الحضرمى فينزل فى مضر ويتودد الأزد ويحذر ربيعة ويبتغى دم ابن عفان ويذكرهم وقعة على بهم التى أهلكت صالحى إخوانهم وآبائهم وأبنائهم فقد رجوت عند ذلك أن يفسد على على وشيعته ذلك الفرج من الأرض ومتى يؤتوا من خلفهم وأمامهم يضل سعيهم ويبطل كيدهم فهذا رأيى فما رأيك فلاتحبس رسولى إلاقدر مضى الساعة التى ينتظر فيهاجواب كتابى هذاأرشدنا الله وإياك و السلام عليك ورحمة الله وبركاته .فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية. أما بعدفقد بلغنى رسولك وكتابك فقرأته وفهمت رأيك ألذى رأيته فعجبت له و قلت إن ألذى ألقاه فى روعك وجعله فى نفسك هوالثائر بابن عفان والطالب بدمه وإنه لم يك منك و لامنا منذ نهضنا فى هذه الحروب وبادينا أهلها و لارأى الناس رأيا أضر على عدوك و لاأسر لوليك من هذاالأمر ألذى ألهمته فامض رأيك مسددا فقد وجهت الصليب

الأريب الناصح غيرالظنين و السلام . [صفحه ٣٧] فلما جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضرمى و قد كان ظن حين تركه معاوية أياما لايأمره بالشخوص أن معاوية قدرجع عن إشخاصه إلى ذلك الوجه فقال يا ابن الحضرمى سر على بركة الله إلى أهل البصرة فانزل فى مضر واحذر ربيعة وتودد الأزد وانع ابن عفان وذكرهم الوقعة التى أهلكتهم و من لمن سمع وأطاع دنيا لاتفنى وأثرة لايفقدها حتى يفقدنا أونفقده .فودعه ثم خرج من عنده و قددفع إليه كتابا وأمره إذاقدم أن يقرأه على الناس . قال عمرو بن محصن فكنت معه حين خرج فلما خرجنا سرنا ماشاء الله أن نسير فسنح لنا ظبى أعضب عن شمائلنا فنظرت إليه فو الله لرأيت الكراهية فى وجهه ثم مضينا حتى نزلنا البصرة فى بنى تميم فسمع بقدومنا أهل البصرة فجاءنا كل من يرى رأى عثمان فاجتمع إلينا رءوس أهلها فحمد الله ابن الحضرمى وأثنى عليه ثم قال أما بعدأيها الناس فإن إمامكم إمام الهدى عثمان بن عفان قتله على بن أبى طالب ظلما فطلبتم بدمه وقاتلتم من قتله فجزاكم الله من أهل مصر خيرا و قدأصيب منكم الملأ الأخيار و قدجاءكم الله بإخوان لكم لهم بأس يتقى وعدد لايحصى فلقوا عدوكم الذين قتلوكم فبلغوا الغاية التى أرادوا صابرين ورجعوا و قدنالوا ماطلبوا فمالئوهم وساعدوهم وتذكروا ثاركم لتشفوا صدوركم من عدوكم .فقام إليه الضحاك بن عبد الله الهلالى فقال قبح الله ماجئتنا به و مادعوتنا إليه جئتنا و الله بمثل ماجاء به صاحباك طلحة والزبير أتيانا و قدبايعنا عليا واجتمعنا له فكلمتنا واحدة ونحن على سبيل مستقيم فدعوانا إلى الفرقة وقاما فينا بزخرف القول حتى ضربنا بعضنا ببعض عدوانا وظلما فاقتتلنا على ذلك وايم الله ماسلمنا من عظيم وبال [صفحه ٣٨] ذلك ونحن الآن مجمعون على بيعة هذاالعبد الصالح ألذى أقال العثرة وعفا عن المسىء وأخذ بيعة غائبنا وشاهدنا أفتأمرنا الآن أن نختلع أسيافنا من أغمادها ثم يضرب بعضنا بعضا ليكون معاوية أميرا وتكون له وزيرا ونعدل بهذا الأمر عن على و الله ليوم من أيام على مع رسول الله ص خير من بلاء معاوية وآل معاوية لوبقوا فى الدنيا ماالدنيا باقية.فقام عبد الله بن خازم السلمى فقال للضحاك اسكت فلست بأهل أن تتكلم فى أمر العامة ثم أقبل على ابن الحضرمى فقال نحن يدك وأنصارك والقول ما قلت و قدفهمنا عنك فادعنا أنى شئت فقال الضحاك لابن خازم يا ابن السوداء و الله لايعز من نصرت و لايذل بخذلانك من خذلت فتشاتما. قال صاحب كتاب الغارات والضحاك هذا هو ألذى يقول ياأيهذا السائلى عن نسبى || بين ثقيف وهلال منصبى أمى أسماء وضحاك أبى . قال و هوالقائل فى بنى العباس ماولدت من ناقة لفحل || فى جبل نعلمه وسهل كستة من بطن أم الفضل || أكرم بها من كهلة وكهل عم النبى المصطفى ذى الفضل || وخاتم الأنبياء بعدالرسل . قال فقام عبدالرحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثم التيمى فقال عباد الله إنا لم ندعكم إلى الاختلاف والفرقة و لانريد أن تقتتلوا و لاتتنابزوا ولكنا إنما ندعوكم إلى أن تجمعوا كلمتكم وتوازروا إخوانكم الذين هم على رأيكم و أن تلموا شعثكم [صفحه ٣٩] وتصلحوا ذات بينكم فمهلا مهلا رحمكم الله استمعوا لهذا الكتاب وأطيعوا ألذى يقرأ عليكم .ففضوا كتاب معاوية و إذا فيه من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى من قرئ كتاب هذا عليه من المؤمنين والمسلمين من أهل البصرة.سلام عليكم أما بعد فإن سفك الدماء بغير حلها وقتل النفوس التى حرم الله قتلها هلاك موبق وخسران مبين لايقبل الله ممن سفكها صرفا و لاعدلا و قدرأيتم رحمكم الله آثار ابن عفان وسيرته وحبه للعافية ومعدلته وسده للثغور وإعطاءه فى الحقوق وإنصافه للمظلوم وحبه الضعيف حتى توثب عليه المتوثبون وتظاهر عليه الظالمون فقتلوه مسلما محرما ظمآن صائما لم يسفك فيهم دما و لم يقتل منهم أحدا و لايطلبونه بضربة سيف و لاسوط وإنما ندعوكم أيها المسلمون إلى الطلب بدمه و إلى قتال من قتله فإنا وإياكم على أمر هدى واضح وسبيل مستقيم إنكم إن جامعتمونا طفئت النائرة واجتمعت الكلمة واستقام أمر هذه الأمة وأقر الظالمون المتوثبون الذين قتلوا إمامهم بغير حق فأخذوا بجرائرهم و ماقدمت أيديهم إن لكم أن أعمل فيكم بالكتاب و أن أعطيكم فى السنة عطاءين و لاأحتمل فضلا من فيئكم عنكم أبدا.فسارعوا إلى ماتدعون إليه رحمكم الله و قدبعثت إليكم رجلا من الصالحين كان من أمناء خليفتكم المظلوم ابن عفان وعماله وأعوانه على الهدى والحق جعلنا الله وإياكم ممن يجيب إلى

الحق ويعرفه وينكر الباطل ويجحده و السلام عليكم ورحمة الله . قال فلما قرئ عليهم الكتاب قال معظمهم سمعنا وأطعنا. قال وروى محمد بن عبد الله بن عثمان عن على عن أبى زهير عن أبى منقر الشيبانى قال قال الأحنف لماقرئ عليهم كتاب معاوية أما أنا فلاناقة لى فى هذا و لاجمل وأعتزل أمرهم ذلك . [صفحه ۴۰] و قال عمرو بن مرجوم من عبدالقيس أيها الناس الزموا طاعتكم و لاتنكثوا بيعتكم فتقع بكم واقعة وتصيبكم قارعة و لايكن بعدها لكم بقية ألا إنى قدنصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين . قال ابراهيم بن هلال وروى محمد بن عبد الله عن ابن أبى سيف عن الأسود بن قيس عن ثعلبة بن عباد أن ألذى كان سدد لمعاوية رأيه فى تسريح ابن الحضرمى كتاب كتبه إليه عباس بن ضحاك العبدى و هوممن كان يرى رأى عثمان ويخالف قومه فى حبهم عليا ع ونصرتهم إياه و كان الكتاب . أما بعدفقد بلغنا وقعتك بأهل مصر الذين بغوا على إمامهم وقتلوا خليفتهم طمعا وبغيا فقرت بذلك العيون وشفيت بذلك النفوس وبردت أفئدة أقوام كانوا لقتل عثمان كارهين ولعدوه مفارقين ولكم موالين وبك راضين فإن رأيت أن تبعث إلينا أميرا طيبا ذكيا ذا عفاف ودين إلى الطلب بدم عثمان فعلت فإنى لاإخال الناس إلامجمعين عليك و إن ابن عباس غائب عن المصر و السلام . قال فلما قرأ معاوية كتابه قال لاعزمت رأيا سوى ماكتبت به إلى هذا وكتب إليه جوابه . أما بعدفقد قرأت كتابك فعرفت نصيحتك وقبلت مشورتك رحمك الله وسددك اثبت هداك الله على رأيك الرشيد فكأنك بالرجل ألذى سألت قدأتاك وكأنك بالجيش قدأطل عليك فسررت وحبيت و السلام . قال ابراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنى على بن أبى سيف عن أبى زهير [صفحه ۴۱] قال لمانزل ابن الحضرمى فى بنى تميم أرسل إلى الرءوس فأتوه فقال لهم أجيبونى إلى الحق وانصرونى على هذاالأمر. قال و إن الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عبيد قداستخلفه عبد الله بن عباس وقدم على على ع إلى الكوفة يعزيه عن محمد بن أبى بكر قال فقام إليه ابن ضحاك فقال إى و ألذى له أسعى وإياه أخشى لننصرنك بأسيافنا وأيدينا. وقام المثنى بن مخرمة العبدى فقال لا و ألذى لاإله إلا هولئن لم ترجع إلى مكانك ألذى أقبلت منه لنجاهدنك بأسيافنا وأيدينا ونبالنا وأسنة رماحنا نحن ندع ابن عم رسول الله ص وسيد المسلمين وندخل فى طاعة حزب من الأحزاب طاغ و الله لا يكون ذلك أبدا حتى نسير كتيبة ونفلق السيوف بالهام .فأقبل ابن الحضرمى على صبرة بن شيمان الأزدى فقال ياصبرة أنت رأس قومك وعظيم من عظماء العرب وأحد الطلبة بدم عثمان رأينا رأيك ورأيك رأينا وبلاء القوم عندك فى نفسك وعشيرتك ما قدذقت ورأيت فانصرنى وكن من دونى فقال له إن أنت أتيتنى فنزلت فى دارى نصرتك ومنعتك فقال إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن أنزل فى قومه من مضر فقال اتبع ماأمرك به . وانصرف من عنده وأقبل الناس إلى ابن الحضرمى وكثر تبعه ففزع لذلك زياد وهاله و هو فى دار الإمارة فبعث إلى الحضين بن المنذر ومالك بن مسمع فدعاهما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعدفإنكم أنصار أمير المؤمنين وشيعته وثقته و قدجاءكم هذا الرجل بما قدبلغكم فأجيرونى حتى يأتينى أمر أمير المؤمنين ورأيه .فأما مالك بن مسمع فقال هذاأمر فيه نظر أرجع إلى من ورائى وأنظر وأستشير فى ذلك . و أماالحضين بن المنذر فقال نعم نحن فاعلون ولن نخذلك ولن نسلمك . [صفحه ۴۲] فلم ير زياد من القوم مايطمئن إليه فبعث إلى صبرة بن شيمان الأزدى فقال يا ابن شيمان أنت سيد قومك وأحد عظماء هذاالمصر فإن يكن فيه أحد هوأعظم أهله فأنت ذاك أ فلاتجيرنى وتمنعنى وتمنع بيت مال المسلمين فإنما أناأمين عليه فقال بلى إن تحملت حتى تنزل فى دارى منعتك فقال إنى فاعل .فارتحل ليلا حتى نزل دار صبرة بن شيمان وكتب إلى عبد الله بن عباس و لم يكن معاوية ادعى زيادا بعدلأنه إنما ادعاه بعدوفاة على ع .للأمير عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد.سلام عليك أما بعد فإن عبد الله بن عامر بن الحضرمى أقبل من قبل معاوية حتى نزل فى بنى تميم ونعى ابن عفان ودعا إلى حرب فبايعه جل أهل البصرة فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبرة بن شيمان وقومه لنفسى ولبيت مال المسلمين ورحلت من قصر الإمارة فنزلت فيهم و إن الأزد معى وشيعة أمير المؤمنين من فرسان القبائل تختلف إلى وشيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمى والقصر خال منا ومنهم فارفع

ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه وأعجل إلى بالذى ترى أن يكون منه فيه و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال فرفع ذلك ابن عباس إلى على ع وشاع فى الناس بالكوفة ما كان من ذلك وكانت بنو تميم وقيس و من يرى رأى عثمان قدأمروا ابن الحضرمى أن يسير إلى قصر الإمارة حين خلاه زياد فلما تهيأ لذلك ودعا أصحابه ركبت الأزد وبعثت إليه وإليهم إنا و الله لاندعكم تأتون القصر فتنزلون فيه من لانرضى و من نحن له كارهون حتى يأتى رجل لنا ولكم رضا فأبى أصحاب ابن الحضرمى إلا أن يسيروا إلى القصر وأبت الأزد إلا أن يمنعوهم فركب الأحنف فقال لأصحاب ابن الحضرمى إنكم و الله [صفحه ۴۳] ماأنتم أحق بقصر الإمارة من القوم و مالكم أن تؤمروا عليهم من يكرهونه فانصرفوا عنهم ففعلوا ثم جاء إلى الأزد فقال إنه لم يكن ماتكرهون و لايؤتى إلا ماتحبون فانصرفوا رحمكم الله ففعلوا. قال ابراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى سيف عن الكلبى أن ابن الحضرمى لماأتى البصرة ودخلها نزل فى بنى تميم فى دار سنبيل ودعا بنى تميم وأخلاط مضر فقال زياد لأبى الأسود الدؤلى أ ماترى ماصغى أهل البصرة إلى معاوية و ما فى الأزد لى مطمع فقال إن كنت تركتهم لم ينصروك و إن أصبحت فيهم منعوك .فخرج زياد من ليلته فأتى صبرة بن شيمان الحدانى الأزدى فأجاره و قال له حين أصبح يازياد إنه ليس حسنا بنا أن تقيم فينا مختفيا أكثر من يومك هذافأعد له منبرا وسريرا فى مسجد الحدان وجعل له شرطا وصلى بهم الجمعة فى مسجد الحدان . وغلب ابن الحضرمى على مايليه من البصرة وجباها وأجمعت الأزد على زياد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر الأزد إنكم كنتم أعدائى فأصبحتم أوليائى وأولى الناس بى وإنى لوكنت فى بنى تميم و ابن الحضرمى فيكم لم أطمع فيه أبدا وأنتم دونه فلايطمع ابن الحضرمى فى وأنتم دونى و ليس ابن آكلة الأكباد فى بقية الأحزاب وأولياء الشيطان بأدنى إلى الغلبة من أمير المؤمنين فى المهاجرين والأنصار و قدأصبحت فيكم مضمونا وأمانة مؤداة و قدرأينا وقعتكم يوم الجمل فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل فإنكم لاتحمدون إلا على النجدة و لاتعذرون على الجبن .فقام شيمان أبوصبرة و لم يكن شهد يوم الجمل و كان غائبا فقال يامعشر الأزد [صفحه ۴۴] ماأبقت عواقب الجمل عليكم إلاسوء الذكر و قدكنتم أمس على على ع فكونوا اليوم له واعلموا أن إسلامكم له ذل وخذلانكم إياه عار وأنتم حى مضماركم الصبر وعاقبتكم الوفاء فإن سار القوم بصاحبهم فسيروا بصاحبكم و إن استمدوا معاوية فاستمدوا عليا ع و إن وادعوكم فوادعوهم . ثم قام صبرة ابنه فقال يامعشر الأزد إنا قلنا يوم الجمل نمنع مصرنا ونطيع أمنا نطلب دم خليفتنا المظلوم فجددنا فى القتال وأقمنا بعدانهزام الناس حتى قتل منا من لاخير فينا بعده و هذازياد جاركم اليوم والجار مضمون ولسنا نخاف من على مانخاف من معاوية فهبوا لنا أنفسكم وامنعوا جاركم أوفأبلغوه مأمنه .فقالت الأزد إنما نحن لكم تبع فأجيروه فضحك زياد و قال ياصبرة أتخشون ألا تقوموا لبنى تميم فقال صبرة إن جاءونا بالأحنف جئناهم بأبى صبرة و إن جاءونا بالحباب جئت أنا و إن كان فيهم شباب كثير فقال زياد إنما كنت مازحا. فلما رأت بنو تميم أن الأزد قدقامت دون زياد بعثت إليهم أخرجوا صاحبكم ونحن نخرج صاحبنا فأى الأميرين غلب على أومعاوية دخلنا فى طاعته و لانهلك عامتنا.فبعث إليهم أبوصبرة إنما كان هذايرجى عندنا قبل أن نجيره ولعمرى ماقتل زياد وإخراجه إلاسواء وإنكم لتعلمون أنا لم نجره إلاكرما فالهوا عن هذا. قال وروى أبوالكنود أن شبث بن ربعى قال لعلى ع يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذاالحى من تميم فادعهم إلى طاعتك ولزوم بيعتك و لاتسلط عليهم أزد عمان البعداء البغضاء فإن واحدا من قومك خير لك من عشرة من غيرهم . [صفحه ۴۵] فقال له مخنف بن سليم الأزدى إن البعيد البغيض من عصى الله وخالف أمير المؤمنين وهم قومك و إن الحبيب القريب من أطاع الله ونصر أمير المؤمنين وهم قومى وأحدهم خير لأمير المؤمنين من عشرة من قومك . فقال أمير المؤمنين ع مه تناهوا أيها الناس وليردعكم الإسلام ووقاره عن التباغى والتهاذى ولتجتمع كلمتكم والزموا دين الله ألذى لايقبل من أحد غيره وكلمة الإخلاص التى هى قوام الدين وحجة الله على الكافرين واذكروا إذ كنتم قليلا مشركين متباغضين متفرقين فألف بينكم بالإسلام فكثرتم واجتمعتم وتحاببتم فلاتفرقوا بعدإذ اجتمعتم و لاتتباغضوا بعدإذ

تحابېتم و إذارأيتم الناس بينهم النائرة و قدتداعوا إلى العشائر والقبائل فاقصدوا لهامهم ووجوههم بالسيف حتى يفزعوا إلى الله و إلى كتابه وسنة نبيه فأما تلك الحمية من خطرات الشياطين فانتهوا عنها لا أبالكم تفلحوا وتنجحوا -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٦٠٠ ثم إنه ع دعا أعين بن ضبيعة المجاشعي و قال ياأعين أ لم يبلغك أن قومك وثبوا على عاملي مع ابن الحضرمي بالبصرة يدعون إلى فراقي وشقاقي ويساعدون الضلال القاسطين على فقال لاتسأ يا أمير المؤمنين و لايكن ماتكره ابعثني إليهم فأنا لك زعيم بطاعتهم وتفريق جماعتهم ونفي ابن الحضرمي من البصرة أوقتله قال فاخرج الساعة.فخرج من عنده ومضى حتى قدم البصرة. [صفحه ۴۶] هذه رواية ابن هلال صاحب كتاب الغارات . وروى الواقدي أن عليا ع استنفر بني تميم أياما لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي ويرد عادية بني تميم الذين أجاروه بهافلم يجبه أحد فخطبهم و قال أ ليس من العجب أن ينصرني الأزد وتخذلني مضر وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي وخلاف تميم البصرة علي و أن أستنجد بطائفة منها تشخص إلى إخوانها فتدعوهم إلى الرشاد فإن أجابت و إلافالمنابذة والحرب فكأني أخاطب صما بكما لايفقهون حوارا و لايجيبون نداء كل هذاجبنا عن البأس وحبا للحياة لقد كنا مع رسول الله ص نقتل آباءنا وأبناءنا -روايت-١-٢-روايت-١٨-٥١٨ الفصل إلى آخره . قال فقام إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي فقال أنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذاالخطب وأتكفل لك بقتل ابن الحضرمي أوإخراجه عن البصرة فأمره بالتهيؤ للشخوص فشخص حتى قدم البصرة. قال ابراهيم بن هلال فلما قدمها دخل على زياد و هوبالأزد مقيم فرحب به وأجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له علي ع و مارد عليه و ما ألذي عليه رأيه فإنه إذ يكلمه جاءه كتاب من علي ع فيه من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيدسلام عليك أما بعدفإني قدبعثت أعين بن ضبيعة ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فارقب ما يكون منه فإن فعل وبلغ من ذلك مايظن به و كان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو مانحب و إن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والعصيان -روايت-١-٢-روايت-۵۴-ادامه دارد [صفحه ۴۷] فانبذ بمن أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم فإن ظهرت فهو ماظننت و إلافطاولهم وماطلهم فكان كتائب المسلمين قدأطلت عليك فقتل الله المفسدين الظالمين ونصر المؤمنين المحقين و السلام -روايت-از قبل-١٩٠ . فلما قرأه زياد أقرأه أعين بن ضبيعة فقال له إني لأرجو أن يكفى هذاالأمر إن شاء الله ثم خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ياقوم على ماذا تقتلون أنفسكم وتهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار وإني و الله ماجئتكم حتى عبيت إليكم الجنود فإن تنيبوا إلى الحق يقبل منكم ويكف عنكم و إن أبيتم فهو و الله استئصالكم وبواركم .فقالوا بل نسمع ونطيع فقال انهضوا الآن على بركة الله عز و جل فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي فخرجوا إليه مع ابن الحضرمي فصافوه وواقفهم عامة يومه يناشدهم الله و يقول ياقوم لاتنكثوا بيعتكم و لاتخالفوا إمامكم و لاتجعلوا على أنفسكم سبيلا فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله بكم عندنكثكم بيعتكم وخلافكم .فكفوا عنه و لم يكن بينه وبينهم قتال وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه فانصرف عنهم و هومنهم منتصف فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظن الناس أنهم خوارج فضربوه بأسيافهم و هو على فراشه و لايظن أن ألذي كان يكون فخرج يشتد عريانا فلحقوه في الطريق فقتلوه فأراد زياد أن يناهض ابن الحضرمي حين قتل أعين بجماعة من معه من الأزد وغيرهم من شيعة علي ع فأرسل بنو تميم إلى الأزد و الله ماعرضنا لجاركم إذ أجرتموه و لالمال هو له و لالأحد ليس على رأينا فما تريدون [صفحه ۴۸] إلى حربنا و إلى جارنا فكان الأزد عند ذلك كرهت قتالهم .فكتب زياد إلى علي ع أما بعد يا أمير المؤمنين فإن أعين بن ضبيعة قدم علينا من قبلك بجد ومناصحة وصدق ويقين فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثهم على الطاعة والجماعة وحذرهم الخلاف والفرقة ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فواقفهم عامة النهار فهال أهل الخلاف تقدمه وتصدع عن ابن الحضرمي كثير ممن كان يريد نصرته فكان كذلك حتى أمسى فأتى في رحله فبيته نفر من هذه الخارجة المارقة فأصيب رحمه الله تعالى فأردت أن أناهض ابن الحضرمي عند ذلك فحدث أمر قدأمرت صاحب كتابي هذا أن يذكره

لأمير المؤمنين و قدرأيت إن رأى أمير المؤمنين مارأيت أن يبعث إليهم جارية بن قدامة فإنه نافذ البصيرة ومطاع فى العشيرة شديد على عدو أمير المؤمنين فإن يقدم يفرق بينهم بإذن الله و السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فلما جاء الكتاب دعا جارية بن قدامة فقال له يا ابن قدامة تمنع الأزد عاملى وبيت مالى وتشاقنى مضر وتنابذنى وبنا ابتدأها الله تعالى بالكرامة وعرفها الهدى وتداعوا إلى المعشر الذين حادوا الله ورسوله وأرادوا إطفاء نور الله سبحانه حتى علت كلمة الله وهلك الكافرون -روايت-۱-۲۷۶ . فقال يا أمير المؤمنين ابعثنى إليهم واستعن بالله عليهم قال قدبعثتك إليهم واستعنت بالله عليهم . قال ابراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنى ابن أبى السيف عن سليمان بن أبى راشد عن كعب بن قعين قال خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة [صفحه ۴۹] فى خمسين رجلا من بنى تميم ما كان فيهم يمانى غيرى وكنت شديد التشيع فقلت لجارية إن شئت كنت معك و إن شئت ملت إلى قومى فقال بل معى فو الله لوددت أن الطير والبهائم تنصرنى عليهم فضلا عن الإنس . قال وروى كعب بن قعين أن عليا ع كتب مع جارية كتابا و قال أقرئه على أصحابك قال فمضينا معه فلما دخلنا البصرة بدأ بزياد فرحب به وأجلسه إلى جانبه وناجاه ساعة وساءله ثم خرج فكان أفضل ماأوصاه به أن قال احذر على نفسك واتق أن تلقى مالقى صاحبك القادم قبلك . وخرج جارية من عنده فقام فى الأزد فقال جزاكم الله من حى خيرا ماأعظم غناءكم وأحسن بلاءكم وأطوعكم لأميركم لقد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره ودعوتم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه ثم قرأ عليهم و على من كان معه من شيعة على ع وغيرهم كتاب على ع فإذا فيه من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابى هذا من ساكنى البصرة من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم أما بعد فإن الله حليم ذو أناة لايعجل بالعقوبة قبل البينة و لايأخذ المذنب عندأول وهلة ولكنه يقبل التوبة ويستديم الأناة ويرضى بالإنابة ليكون أعظم للحجة وأبلغ فى المعذرة و قد كان من شقاق جلكم أيها الناس مااستحققتم أن تعاقبوا عليه فعفوت عن مجرمكم ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم وأخذت بيعتكم فإن تفوا ببيعتى وتقبلوا نصيحتى وتستقيموا على طاعتى أعمل -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۵۰] فيكم بالكتاب والسنة وقصد الحق وأقم فيكم سبيل الهدى فو الله ماأعلم أن واليا بعد محمدص أعلم بذلك منى و لاأعمل بقولى أقول قولى هذاصادقا غيرذام لمن مضى و لامنتقصا لأعمالهم و إن خبطت بكم الأهواء المردية وسفه الرأى الجائر إلى منابذتى تريدون خلافى فها أناذا قربت جيادى ورحلت ركابى وايم الله لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل عندها إلاكلعقة لاعق وإنى لظان ألا تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلا و قدقدمت هذاالكتاب إليكم حجة عليكم ولن أكتب إليكم من بعده كتابا إن أنتم استغششتم نصيحتى ونابذتم رسولى حتى أكون أناالشاخص نحوكم إن شاء الله تعالى و السلام -روايت-از قبل-۶۴۰ . قال فلما قرئ الكتاب على الناس قام صبرة بن شيمان فقال سمعنا وأطعنا ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب ولمن سالم سلم إن كفيت ياجارية قومك بقومك فذاك و إن أحببت أن ننصرك نصرناك . وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ونحوه فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه ومضى نحو بنى تميم .فقام زياد فى الأزد فقال يامعشر الأزد إن هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا اليوم حربا وإنكم كنتم حربا فأصبحتم سلما وإنى و الله مااخترتكم إلا على التجربة و لاأقمت فيكم إلا على الأمل فما رضيتم أن أجرتمونى حتى نصبتم لى منبرا وسريرا وجعلتم لى شرطا وأعوانا ومناديا وجمعة فما فقدت بحضرتكم شيئا إلا هذاالدرهم لاأجبيه اليوم فإن لم أجبه اليوم أجبه غدا إن شاء الله واعلموا أن حربكم اليوم معاوية أيسر عليكم فى الدنيا والدين من حربكم أمس عليا و قدقدم عليكم جارية بن قدامة وإنما أرسله على [صفحه ۵۱] ليصدع أمر قومه و الله ما هوبالأمير المطاع و لوأدرك أمله فى قومه لرجع إلى أمير المؤمنين أولكان لى تبعا وأنتم الهامة العظمى والجمرة الحامية فقدموه إلى قومه فإن اضطر إلى نصركم فسيروا إليه إن رأيتم ذلك .فقام أبوصبرة شيمان فقال يازياد إنى و الله لوشهدت قومى يوم الجمل رجوت ألا يقاتلوا عليا و قدمضى الأمر بما فيه و هو يوم بيوم وأمر بأمر و الله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسيئ والتوبة مع الحق والعفو

مع النـدم و لوكـانت هـذه فتنـة لـدعونا القوم إلى إبطـال الـدماء واستئناف الأمور ولكنها جماعـة دماؤها حرام وجروحها قصاص ونحن معـك نحب مـاأحببت .فعجب زيـاد من كلامـه و قـال ماأظن فى الناس مثل هـذا. ثم قام صبرة ابنه فقال إنا و الله ماأصـبنا بمصـيبة فى دين و لادنيا كماأصـبنا أمس يوم الجمل وإنا لنرجو اليوم أن نمحص ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين و أما أنت يازيـاد فو الله مـاأدركت أملـك فينـا و لاأدركنـا أملنـا فيـك دون ردك إلى دارك ونحن رادوك إليهـا غـدا إن شـاء الله تعالى فإذافعلنا فلايكن أحد أولى بك منا فإنك إلاتفعل لم تأت مايشـبهك وإنا و الله نخاف من حرب على فى الآخرة ما لانخاف من حرب معاوية فى الدنيا فقدم هواك وأخر هوانا فنحن معك وطوعك . ثم قام خنقر الحمانى فقال أيها الأمير إنك لورضـيت منا بما ترضـى به من غيرنا لم نرض ذلك لأنفسـنا سر بنا إلى القوم إن شئت وايم الله مالقينا قوما قط إلااكتفينا بعفونا دون جهدنا إلا مـا كان أمس . [صـفحه ۵۲] قـال ابراهيم فأمـا جاريـة فإنه كلم قومه فلم يجيبوه وخرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعـد أن شـتموه وأسمعوه فأرسل إلى زياد والأزد يستصرخهم ويأمرهم أن يسيروا إليه فسارت الأزد بزياد وخرج إليهم ابن الحضرمى و على خيله عبد الله بن خازم السـلمى فاقتتلوا ساعة وأقبل شريك بن الأعور الحارثى و كان من شيعة على ع وصديقا لجارية بن قدامة فقال أ لاأقاتـل معـك عـدوك فقـال بلى فما لبثت بنو تميم أن هزموهم واضـطروهم إلى دار سـنبيل السـعدى فحصـروا ابن الحضـرمى وحدوه فأتى رجل من بنى تميم ومعه عبد الله بن خازم السـلمى فجاءت أمه وهى سوداء حبشية اسمها عجلى فنادته فأشرف عليها فقـالت يابنى انزل إلى فأبى فكشـفت رأسـها وأبـدت قناعها وسألته النزول فأبى فقالت و الله لتنزلن أولأتعرين وأهوت بيـدها إلى ثيابها فلما رأى ذلك نزل فـذهبت به وأحاط جاريـة وزياد بالـدار و قال جارية على بالنار فقالت الأزد لسـنا من الحريق بالنار فى شىء وهم قومك و أنت أعلم فحرق جارية الدار عليهم فهلك ابن الحضـرمى فى سـبعين رجلا أحدهم عبدالرحمن بن عمير بن عثمان القرشـى التيمى وسـمى جارية منذ ذلك اليوم محرقا وسارت الأزد بزياد حتى أوطنوه قصـر الإمارة ومعه بيت المال وقالت له هـل بقى علينـا من جوارك شـىء قـال لاقـالوا فبرئنـا منه فقال نعم فانصـرفوا عنه وكتب زياد إلى أمير المؤمنين ع أما بعـد فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضـرمى بمن نصره وأعانه من الأزد ففضه واضطره إلى دار من دور البصـرة فى عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله تعالى بينهما فقتل ابن الحضرمى وأصحابه منهم من أحرق بالنار ومنهم من ألقى عليه جدار ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه ومنهم من قتل بالسـيف وسلم [صفحه ۵۳] منهم نفر أنابوا وتابوا فصـفح عنهم وبعـدا لمن عصـى وغوى و السـلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فلما وصل كتاب زياد قرأه على ع على الناس و كان زياد قدأنفذه مع ظبيان بن عمارة فسـر على ع بذلك وسـر أصحابه وأثنى على جارية و على الأزد وذم البصرة فقال إنها أول القرى خرابا أماغرقا و أماحرقا حتى يبقى مسـجدها كجؤجؤ سـفينة ثم قال لظبيان أين منزلك منها فقال مكان كذا فقال عليك بضواحيها –روايت–۱–۲–روايت–۹–۱۴۷ . و قال ابن العرنـدس الأزدى يـذكر تحريق ابن الحضـرمى ويعير تميما بـذلك رددنـا زيـادا إلى داره || وجـار تميم ينـادى الشـجب لحـا الله قومـا شووا جارهم || لعمرى لبئس الشواء الشـصب ينادى الخناق وأبناءها || و قدشيطوا رأسها باللهب . والخناق لقب قوم بنى تميم [صفحه ۵۴]

۵۶– و من كلام له ع لأصحابه

اشاره

أَمَا إِنّهُ سَيَظهَرُ عَلَيكُم بعَـدِي رَجُـلٌ رَحبُ البُلعُوم مُنـدَحِقُ البَطنِ يَأكُلُ مَـا يَجِـدُ وَ يَطلُبُ مَـا لَا يَجِـدُ فَاقتُلُوهُ وَ لَن تَقتُلُوهُ أَلَا وَ إِنّهُ

سَيَأمُرُكُم بسِبَبّ وَ البَرَاءَةِ مِنِيّ فَأَمّا السّبّ فسَبُوّنِي فَإِنّهُ لِي زَكَاةٌ وَ لَكَم نَجَاةٌ وَ أَمّا البَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرّءُوا مِنِيّ فَإِنِيّ وُلِدتُ عَلَى الفِطرَةِ وَ سَبَقتُ إِلَى الإِيمَانِ وَ الهِجرَةِ مندحق البطن بارزها والدحوق من النوق التى يخرج رحمها عندالولادة وسيظهر سيغلب ورحب البلعوم واسعه . وكثير من الناس يذهب إلى أنه ع عنى زيادا وكثير منهم يقول إنه عنى الحجاج و قال قوم إنه عنى المغيرة بن شعبة والأشبه عندى أنه عنى معاوية لأنه كان موصوفا بالنهم وكثرة الأكل و كان بطينا يقعد بطنه إذاجلس على فخذيه و كان معاوية جوادا بالمال والصلات وبخيلا على الطعام يقال إنه مازح أعرابيا على طعامه و قدقدم بين يديه خروف فأمعن الأعرابى فى أكله فقال له ماذنبه إليك أنطحك أبوه فقال الأعرابى و ماحنوك عليه أأرضعتك أمه . و قال لأعرابى يأكل بين يديه و قداستعظم أكله أ لاأبغيك سكينا فقال [صفحه ۵۵] كل امرئ سكينه فى رأسه فقال مااسمك قال لقيم قال منها أتيت . كان معاوية يأكل فيكثر ثم يقول ارفعوا فو الله ماشبعت ولكن مللت وتعبت .تظاهرت الأخبار أن رسول الله ص دعا على معاوية لمابعث إليه يستدعيه فوجده يأكل ثم بعث فوجده يأكل فقال أللهم لاتشبع بطنه -روايت-۱-۱۱۸ قال الشاعر وصاحب لى بطنه كالهاوية || كأن فى أحشائه معاوية . و فى هذاالفصل مسائل الأولى فى تفسير قوله ع فاقتلوه ولن تقتلوه فنقول إنه لاتنافى بين الأمر بالشيء والإخبار عن أنه لايقع كماأخبر الحكيم سبحانه عن أن أبالهب لايؤمن وأمره بالإيمان و كما قال تعالى فَتَمَنّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صادِقِينَ ثم قال وَ لا يَتَمَنّونَهُ أَبَداً وأكثر التكليفات على هذاالمنهاج -قرآن-۲۱۹-۲۵۸-قرآن-۲۶۸-۲۹۴

مسألة كلامية فى الأمر بالشيء مع العلم بأنه لايقع

واعلم أن أهل العدل والمجبرة لم يختلفوا فى أنه تعالى قديأمر بما يعلم أنه لايقع أويخبر عن أنه لايقع وإنما اختلفوا هل يصح أن يريد مايعلم أنه لايقع أويخبر عنه أنه لايقع فقال أصحابنا يصح ذلك و قال المجبرة لايصح لأن إرادة مايعلم المريد أنه لايقع قضية متناقضة لأن تحت قولنا أراد مفهوم أن ذلك المراد مما يمكن حصوله لأن إرادة المحال ممتنعة وتحت قولنا إنه يعلم أنه لايقع مفهوم أن ذلك المراد مما لايمكن حصوله لأنا قد [صفحه ۵۶] فرضنا أنه لايقع و ما لايقع لايمكن حصوله مع فرض كونه لايقع فقال لهم أصحابنا هذايلزمكم فى الأمر لأنكم قدأجزتم أن يأمر بما يعلم أنه لايقع فقالوا فى الجواب نحن عندنا أنه يأمر بما لايريد فإذاأمر بما يعلم أنه لايقع أويخبر عن أنه لايقع كان ذلك الأمر أمرا عاريا عن الإرادة والمحال إنما نشأ من إرادة ماعلم المريد أنه لايقع وهاهنا لاإرادة.فقيل لهم هب أنكم ذهبتم إلى أن الأمر قديعرى من الإرادة مع كونه أمرا ألستم تقولون أن الأمر يدل على الطلب والطلب شيءآخر غيرالإرادة وتقولون إن ذلك الطلب قائم بذات البارئ فنحن نلزمكم فى الطلب القائم بذات البارئ ألذى لايجوز أن يعرى الأمر منه ماألزمتمونا فى الإرادة. ونقول لكم كيف يجوز أن يطلب الطالب مايعلم أنه لايقع أ ليس تحت قولنا طلب مفهوم أن ذلك المطلوب مما يمكن وقوعه فالحال فى الطلب كالحال فى الإرادة حذو النعل بالنعل ولنا فى هذاالموضع أبحاث دقيقة ذكرناها فى كتبنا الكلامية

فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لعلى

المسألة الثانية فى قوله ع يأمركم بسبى والبراءة منى فنقول إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب على ع والبراءة منه . وخطب بذلك على منابر الإسلام وصار ذلك سنة فى أيام بنى أمية إلى أن قام عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه فأزاله وذكر شيخنا أبوعثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول فى آخر خطبة الجمعة أللهم إن أباتراب ألحد فى دينك وصد عن سبيلك

[صفحه ۵۷] فالعنه لعنا وبيلا وعذبه عذابا أليما وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبدالعزيز. وذكر أبوعثمان أيضا أن هشام بن عبدالملك لماحج خطب بالموسم فقام إليه إنسان فقال يا أمير المؤمنين إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبى تراب فقال اكفف فما لهذا جئنا. وذكر المبرد فى الكامل أن خالد بن عبد الله القسرى لما كان أميرالعراق فى خلافة هشام كان يلعن عليا ع على المنبر فيقول أللهم العن على بن أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم صهر رسول الله ص على ابنته و أبا الحسن و الحسين ثم يقبل على الناس فيقول هل كنيت . وروى أبوعثمان أيضا أن قوما من بنى أمية قالوا لمعاوية يا أمير المؤمنين إنك قدبلغت ماأملت فلو كففت عن لعن هذا الرجل فقال لا و الله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير و لايذكر له ذاكر فضلا. و قال أبوعثمان أيضا و ما كان عبدالملك مع فضله وأناته وسداده ورجحانه ممن يخفى عليه فضل على ع و أن لعنه على رءوس الأشهاد و فى أعطاف الخطب و على صهوات المنابر مما يعود عليه نقصه ويرجع إليه وهنه لأنهما جميعا من بنى عبدمناف والأصل واحد والجرثومة منبت لهما وشرف على ع وفضله عائد عليه ومحسوب له ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيد مافعله الأسلاف و أن يقرر فى أنفس الناس أن بنى هاشم لاحظ لهم فى هذاالأمر و أن سيدهم ألذى به يصولون وبفخره يفخرون [صفحه ۵۸] هذاحاله و هذامقداره فيكون من ينتمى إليه ويدلى به عن الأمر أبعد و عن الوصول إليه أشحط وأنزح . وروى أهل السيرة أن الوليد بن عبدالملك فى خلافته ذكر عليا ع فقال لعنه الله بالجر كان لص ابن لص .فعجب الناس من لحنه فيما لايلحن فيه أحد و من نسبته عليا ع إلى اللصوصية وقالوا ماندرى أيهما أعجب و كان الوليد لحانا. وأمر المغيرة بن شعبة و هويومئذ أميرالكوفة من قبل معاوية حجر بن عدى أن يقوم فى الناس فليلعن عليا ع فأبى ذلك فتوعده فقام فقال أيها الناس إن أميركم أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه فقال أهل الكوفة لعنه الله وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد. وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من على ع ولعنه و أن يقتل كل من امتنع من ذلك ويخرب منزله فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون فمات لارحمه الله بعدثلاثة أيام و ذلك فى خلافة معاوية. و كان الحجاج لعنه الله يلعن عليا ع ويأمر بلعنه و قال له متعرض به يوما و هوراكب أيها الأمير إن أهلى عقونى فسمونى عليا فغير اسمى وصلنى بما أتبلغ به فإنى فقير فقال للطف ماتوصلت به قدسميتك كذا ووليتك العمل الفلانى فاشخص إليه .فأما عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه فإنه قال كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود فمر بى يوما و أناألعب مع الصبيان ونحن نلعن عليا. [صفحه ۵۹] فكره ذلك ودخل المسجد فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردى فلما رآنى قام فصلى وأطال فى الصلاة شبه المعرض عنى حتى أحسست منه بذلك فلما انفتل من صلاته كلح فى وجهى فقلت له مابال الشيخ فقال لى يابنى أنت اللاعن عليا منذ اليوم قلت نعم قال فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم فقلت ياأبت وهل كان على من أهل بدر فقال ويحك وهل كانت بدر كلها إلا له فقلت لاأعود فقال الله أنك لاتعود قلت نعم فلم ألعنه بعدها ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة و أبى يخطب يوم الجمعة و هوحينئذ أميرالمدينة فكنت أسمع أبى يمر فى خطبه تهدر شقاشقه حتى يأتى إلى لعن على ع فيجمجم ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به فكنت أعجب من ذلك فقلت له يوما ياأبت أنت أفصح الناس وأخطبهم فما بالى أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذامررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عليا فقال يابنى إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم لوعلموا من فضل هذا الرجل مايعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد فوقرت كلمته فى صدرى مع ما كان قاله لى معلمى أيام صغرى فأعطيت الله عهدا لئن كان لى فى هذاالأمر نصيب لأغيرنه فلما من الله على بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه إِنّ اللّهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَ الإِحسانِ وَ إِيتاءِ ذِي القُربى وَ يَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَ المُنكَرِ وَ البَغيِ يَعِظُكُم لَعَلّكُم تَذَكّرُونَ وكتب به إلى الآفاق فصار سنة. و قال كثير بن عبدالرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه السب -قرآن-۱۱۱۰-۱۲۵۶ وليت فلم تشتم عليا و لم تخف || بريا و لم تقبل إساءة مجرم وكفرت بالعفو الذنوب مع ألذى || أتيت فأضحى راضيا كل مسلم [صفحه ۶۰] ألا إنما

یکفی الفتی بعدزیغه || من الأود البادی ثقاف المقوم و مازلت تواقا إلی کل غایة || بلغت بهاأعلی العلاء المقدم فلما أتاک الأمر عفوا و لم یکن || لطالب دنیا بعده من تکلم ترکت ألذی یفنی لأن کان بائدا || وآثرت مایبقی برأی مصمم . و قال الرضی أبو الحسن رحمه الله تعالی یا ابن عبدالعزیز لوبکت العین || فتی من أمیة لبکیتک غیرأنی أقول أنک قدطبت || و إن لم یطب و لم یزک بیتک أنت نزهتنا عن السب والقذف || فلو أمکن الجزاء جزیتک و لوأنی رأیت قبرک لاستحییت || من أن أری و ماحییتک وقلیل أن لوبذلت دماء || البدن صرفا علی الذرا وسقیتک دیر سمعان فیک مأوی أبی حفص || بودی لوأننی آویتک دیر سمعان لاأغبک غیث || خیر میت من آل مروان میتک أنت بالذکر بین عینی وقلبی || إن تدانیت منک أو إن نأیتک و إذاحرک الحشا خاطر منک || توهمت أننی قدرأیتک وعجیب أنی قلیت بنی مروان || طرا وأننی ماقلیتک قرب العدل منک لمانأی الجور || بهم فاجتویتهم واجتبیتک فلو أنی ملکت دفعا لمانابک || من طارق الردی لفدیتک . [صفحه ۶۱] وروی ابن الکلبی عن أبیه عن عبدالرحمن بن السائب قال قال الحجاج یوما لعبد الله بن هانئ و هو رجل من بنی أود حی من قحطان و کان شریفا فی قومه قدشهد مع الحجاج مشاهده کلها و کان من أنصاره وشیعته و الله ماکافأتک بعد ثم أرسل إلی أسماء بن خارجة سید بنی فزارة أن زوج عبد الله بن هانئ بابنتک فقال لا و الله و لاکرامة فدعا بالسیاط فلما رأی الشر قال نعم أزوجه ثم بعث إلی سعید بن قیس الهمدانی رئیس الیمانیة زوج ابنتک من عبد الله بن أود فقال و من أود لا و الله لاأزوجه و لاکرامة فقال علی بالسیف فقال دعنی حتی أشاور أهلی فشاورهم فقالوا زوجه و لاتعرض نفسک لهذا الفاسق فزوجه فقال الحجاج لعبد الله قدزوجتک بنت سید فزارة وبنت سید همدان وعظیم کهلان و ماأود هناک فقال لاتقل أصلح الله الأمیر ذاک فإن لنا مناقب لیست لأحد من العرب قال و ماهی قال ماسب أمیر المؤمنین عبدالملک فی ناد لنا قط قال منقبة و الله قال وشهد منا صفین مع أمیر المؤمنین معاویة سبعون رجلا ماشهد منا مع أبی تراب إلا رجل واحد و کان و الله ماعلمته امرأ سوء قال منقبة و الله قال ومنا نسوة نذرن إن قتل الحسین بن علی أن تنحر کل واحدة عشر قلائص ففعلن قال منقبة و الله قال و مامنا رجل عرض علیه شتم أبی تراب ولعنه إلافعل وزاد ابنیه حسنا وحسینا وأمهما فاطمة قال منقبة و الله قال و ماأحد من العرب له من الصباحة والملاحة مالنا فضحک الحجاج و قال أما هذه یا أباهانئ فدعها و کان عبد الله دمیما شدید الأدمة مجدورا فی رأسه عجر مائل الشدق أحول قبیح الوجه شدید الحول . و کان عبد الله بن الزبیر یبغض علیا ع وینتقصه وینال من عرضه . [صفحه ۶۲] وروی عمر بن شبة و ابن الکلبی والواقدی وغیرهم من رواة السیر أنه مکث أیام ادعائه الخلافة أربعین جمعة لایصلی فیها علی النبی ص و قال لایمنعنی من ذکره إلا أن تشمخ رجال بآنافها. و فی روایة محمد بن حبیب و أبی عبیدة معمر بن المثنی أن له أهیل سوء ینغضون رءوسهم عندذکره . وروی سعید بن جبیر أن عبد الله بن الزبیر قال لعبد الله بن عباس ماحدیث أسمعه عنک قال و ما هو قال تأنیبی وذمی فقال إنی سمعت رسول الله ص یقول بئس المرء المسلم یشبع ویجوع جاره -روایت-۱-۲-روایت-۹-۷۸ فقال ابن الزبیر إنی لأکتم بغضکم أهل هذاالبیت منذ أربعین سنة وذکر تمام الحدیث . وروی عمر بن شبة أیضا عن سعید بن جبیر قال خطب عبد الله بن الزبیر فنال من علی ع فبلغ ذلک محمد بن الحنفیة فجاء إلیه و هویخطب فوضع له کرسی فقطع علیه خطبته و قال یامعشر العرب شاهت الوجوه أینتقص علی وأنتم حضور إن علیا کان ید الله علی أعداء الله وصاعقة من أمره أرسله علی الکافرین والجاحدین لحقه فقتلهم بکفرهم فشنئوه وأبغضوه وأضمروا له الشنف والحسد و ابن عمه ص حی بعد لم یمت فلما نقله الله إلی جواره وأحب له ماعنده أظهرت له رجال أحقادها وشفت أضغانها فمنهم من ابتز حقه ومنهم من ائتمر به لیقتله ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطیل فإن یکن لذریته وناصری دعوته دولة تنشر عظامهم وتحفر علی أجسادهم والأبدان منهم یومئذ بالیة بعد أن تقتل الأحیاء منهم وتذل رقابهم فیکون الله عزاسمه قدعذبهم بأیدینا وأخزاهم ونصرنا علیهم وشفا صدورنا منهم إنه و الله مایشتم علیا إلاکافر یسر شتم رسول الله ص ویخاف أن یبوح به [صفحه ۶۳] فیکنی بشتم علی ع عنه أمانه قدتخطت المنیة

منکم من امتد عمره وسمع قول رسول الله ص فیه لایحبک إلامؤمن و لایبغضک إلامنافق -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۶۶ وَ سَيَعلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَفعاد ابن الزبیر إلی خطبته و قال عذرت بنی الفواطم یتکلمون فما بال ابن أم حنیفة فقال محمد یا ابن أم رومان و ما لی لاأتکلم وهل فاتنی من الفواطم إلاواحدة و لم یفتنی فخرها لأنها أم أخوی أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ بن مخزوم جده رسول الله ص و أنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم کافلة رسول الله ص والقائمة مقام أمه أما و الله لو لاخدیجة بنت خویلد ماترکت فی بنی أسد بن عبدالعزی عظما إلاهشمته ثم قام فانصرف -قرآن-۱-۵۸

فصل فی ذکر الأحادیث الموضوعة فی ذم علی

وذکر شیخنا أبو جعفرالإسکافی رحمه الله تعالی و کان من المتحققین بموالاة علی ع والمبالغین فی تفضیله و إن کان القول بالتفضیل عاما شائعا فی البغدادیین من أصحابنا کافة إلا أن أبا جعفرأشدهم فی ذلک قولا وأخلصهم فیه اعتقادا أن معاویة وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعین علی روایة أخبار قبیحة فی علی ع تقتضی الطعن فیه والبراءة منه وجعل لهم علی ذلک جعلا یرغب فی مثله فاختلقوا ماأرضاه منهم أبوهریرة وعمرو بن العاص والمغیرة بن شعبة و من التابعین عروة بن الزبیر. روی الزهری أن عروة بن الزبیر حدثه قال حدثتنی عائشة قالت کنت عند -روایت-۱-۲-روایت-۶۳-ادامه دارد [صفحه ۶۴] رسول الله إذ أقبل العباس و علی فقال یاعائشة إن هذین یموتان علی غیرملتی أو قال دینی -روایت-از قبل-۹۶ . وروی عبدالرزاق عن معمر قال کان عندالزهری حدیثان عن عروة عن عائشة فی علی ع فسألته عنهما یوما فقال ماتصنع بهما وبحدیثهما الله أعلم بهما إنی لأتهمهما فی بنی هاشم . قال فأما الحدیث الأول فقد ذکرناه و أماالحدیث الثانی فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته قالت کنت عند النبی ص إذ أقبل العباس و علی فقال یاعائشة إن سرک أن تنظری إلی رجلین من أهل النار فانظری إلی هذین قدطلعا فنظرت فإذاالعباس و علی بن أبی طالب -روایت-۱-۲-روایت-۸-۱۷۲ . و أماعمرو بن العاص فروی عنه الحدیث ألذی أخرجه البخاری ومسلم فی صحیحیهما مسندا متصلا بعمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ص یقول إن آل أبی طالب لیسوا لی بأولیاء إنما ولیی الله وصالح المؤمنین -روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۱۰۳ و أما أبوهریرة فروی عنه الحدیث ألذی معناه أن علیا ع خطب ابنة أبی جهل فی حیاة رسول الله ص فأسخطه فخطب علی المنبر و قال لاها الله لاتجتمع ابنة ولی الله وابنة عدو الله أبی جهل إن فاطمة بضعة منی یؤذینی مایؤذیها فإن کان علی یرید ابنة أبی جهل فلیفارق ابنتی ولیفعل مایرید -روایت-۱-۲۹۰ أوکلاما هذامعناه والحدیث مشهور من روایة الکرابیسی. قلت هذاالحدیث أیضا مخرج فی صحیحی مسلم والبخاری عن المسور بن مخرمة الزهری و قدذکره المرتضی فی کتابه المسمی تنزیه الأنبیاء والأئمة وذکر أنه روایة [صفحه ۶۵] حسین الکرابیسی و أنه مشهور بالانحراف عن أهل البیت ع وعداوتهم والمناصبة لهم فلاتقبل روایته . ولشیاع هذاالخبر وانتشاره ذکره مروان بن أبی حفصة فی قصیدة یمدح بهاالرشید ویذکر فیهاولد فاطمة ع وینحی علیهم ویذمهم و قدبالغ حین ذم علیا ع ونال منه وأولها سلام علی جمل وهیهات من جمل || و یاحبذا جمل و إن صرمت حبلی . یقول فیها علی أبوکم کان أفضل منکم || أباه ذوو الشوری وکانوا ذوی الفضل وساء رسول الله إذ ساء بنته || بخطبته بنت اللعین أبی جهل فذم رسول الله صهر أبیکم || علی منبر بالمنطق الصادع الفضل وحکم فیهاحاکمین أبوکم || هما خلعاه خلع ذی النعل للنعل و قدباعها من بعده الحسن ابنه || فقد أبطلت دعواکم الرثة الحبل وخلیتموها وهی فی غیرأهلها || وطالبتموها حین صارت إلی أهل . و قدروی هذاالخبر علی وجوه مختلفة و فیه زیادات متفاوتة فمن الناس من یروی فیه مهما ذممنا من صهر فإنا لم نذم صهر أبی العاص بن الربیع و من الناس من یروی فیه ألا إن بنی المغیرة أرسلوا إلی علی لیزوجوه کریمتهم و غیر ذلک . وعندی أن هذاالخبر لوصح لم یکن علی أمیر

المؤمنين فيه غضاضة و لاقدح لأن [صفحه ۶۶] الأمة مجمعة على أنه لونكح ابنة أبى جهل مضافا إلى نكاح فاطمة ع لجاز لأنه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع فابنة أبى جهل المشار إليها كانت مسلمة لأن هذه القصة كانت بعدفتح مكة وإسلام أهلها طوعا وكرها ورواة الخبر موافقون على ذلك فلم يبق إلا أنه إن كان هذاالخبر صحيحا فإن رسول الله ص لمارأى فاطمة ع قدغارت وأدركها مايدرك النساء عاتب عليا ع عتاب الأهل و كمايستثبت الوالد رأى الولد ويستعطفه إلى رضا أهله وصلح زوجته ولعل الواقع كان بعض هذاالكلام فحرف وزيد فيه و لوتأملت أحوال النبى ص مع زوجاته و ما كان يجرى بينه وبينهن من الغضب تارة والصلح أخرى والسخط تارة والرضا أخرى حتى بلغ الأمر إلى الطلاق مرة و إلى الإيلاء مرة و إلى الهجر والقطيعة مرة وتدبرت ماورد فى الروايات الصحيحة مما كن يلقينه ع به ويسمعنه إياه لعلمت أن ألذى عاب الحسدة والشائنون عليا ع به بالنسبة إلى تلك الأحوال قطرة من البحر المحيط و لو لم يكن إلاقصة مارية و ماجرى بين رسول الله ص و بين تينك الامرأتين من الأحوال والأقوال حتى أنزل فيهما قرآن يتلى فى المحاريب ويكتب فى المصاحف وقيل لهما ما لايقال للإسكندر ملك الدنيا لو كان حيا منابذا لرسول الله ص وَ إِن تَظاهَرا عَلَيهِ فَإِنّ اللّهَ هُوَ مَولاهُ وَ جِبرِيلُ وَ صالِحُ المُؤمِنِينَ وَ المَلائِكَةُ بَعدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ ثم أردف بعد ذلك بالوعيد والتخويف عَسى رَبّهُ إِن طَلّقَكُنّالآيات بتمامها ثم ضرب لهما مثلا امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا بعليهمافَلَم يُغنِيا عَنهُما مِنَ اللّهِ شَيئاً وتمام الآية معلوم فهل ماروى فى الخبر من تعصب فاطمة على على ع -قرآن-۱۱۱۱-۱۲۳۱-قرآن-۱۲۶۷-۱۲۹۲-قرآن-۱۳۷۰-۱۴۰۹ [صفحه ۶۷] وغيرتها من تعريض بنى المغيرة له بنكاح عقيلتهم إذاقويس إلى هذه الأحوال وغيرها مما كان يجرى إلاكنسبة التأفيف إلى حرب البسوس ولكن صاحب الهوى والعصبية لاعلاج له . ثم نعود إلى حكاية كلام شيخنا أبى جعفرالإسكافى رحمه الله تعالى قال أبو جعفر وروى الأعمش قال لماقدم أبوهريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مرارا و قال يا أهل العراق أتزعمون أنى أكذب على الله و على رسوله وأحرق نفسى بالنار و الله لقد سمعت رسول الله ص يقول إن لكل نبى حرما و إن حرمى بالمدينة ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيهاحدثا فعليه لعنة الله والملائكة و الناس أجمعين -روايت-۱-۲-روايت-۴۱-۱۶۳ وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه أمارة المدينة. قلت أما قوله ما بين عير إلى ثور فالظاهر أنه غلط من الراوى لأن ثورا بمكة و هوجبل يقال له ثور أطحل و فيه الغار ألذى دخله النبى ص و أبوبكر وإنما قيل أطحل لأن أطحل بن عبدمناف بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان كان يسكنه وقيل اسم الجبل أطحل فأضيف ثور إليه و هوثور بن عبدمناف والصواب ما بين عير إلى أحد.فأما قول أبى هريرة أن عليا ع أحدث فى المدينة فحاش لله كان على ع أتقى لله من ذلك و الله لقد نصر عثمان نصرا لو كان المحصور جعفر بن أبى طالب لم يبذل له إلامثله . قال أبو جعفر و أبوهريرة مدخول عندشيوخنا غيرمرضى الرواية ضربه عمر [صفحه ۶۸] بالدرة و قال قدأكثرت من الرواية وأحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله ص . وروى سفيان الثورى عن منصور عن ابراهيم التيمى قال كانوا لايأخذون عن أبى هريرة إلا ما كان من ذكر جنة أونار. وروى أبوأسامة عن الأعمش قال كان ابراهيم صحيح الحديث فكنت إذاسمعت الحديث أتيته فعرضته عليه فأتيته يوما بأحاديث من حديث أبى صالح عن أبى هريرة فقال دعنى من أبى هريرة إنهم كانوا يتركون كثيرا من حديثه . و قدروى عن على ع أنه قال ألا إن أكذب الناس أو قال أكذب الأحياء على رسول الله ص أبوهريرة الدوسى. وروى أبويوسف قال قلت لأبى حنيفة الخبر يجىء عن رسول الله ص يخالف قياسنا ماتصنع به قال إذاجاءت به الرواة الثقات عملنا به وتركنا الرأى فقلت ماتقول فى رواية أبى بكر وعمر فقال ناهيك بهما فقلت على وعثمان قال كذلك فلما رآنى أعد الصحابة قال والصحابة كلهم عدول ماعدا رجالا- ثم عد منهم أباهريرة وأنس بن مالك . وروى سفيان الثورى عن عبدالرحمن بن القاسم عن عمر بن عبدالغفار أن أباهريرة لماقدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس

الناس إليه فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال يا أباهريرة أنشدك الله أسمعت رسول الله ص يقول لعلی بن أبی طالب أللهم وال من والاه وعاد من عاداه -روايت-١-٢-روايت-٤٣-٨٠ فقال أللهم نعم قال فأشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قام عنه . [صفحه ٦٩] وروت الرواة أن أباهريرة كان يؤاكل الصبيان فی الطريق ويلعب معهم و كان يخطب و هو أميرالمدينة فيقول الحمد لله ألذی جعل الدين قياما و أباهريرة إماما يضحك الناس بذلک و كان يمشی و هو أميرالمدينة فی السوق فإذاانتهی إلی رجل يمشی أمامه ضرب برجليه الأرض و يقول الطريق الطريق قدجاء الأمير يعنی نفسه . قلت قدذكر ابن قتيبة هذاكله فی كتاب المعارف فی ترجمة أبی هريرة و قوله فيه حجة لأنه غيرمتهم عليه . قال أبو جعفر و كان المغيرة بن شعبة يلعن عليا ع لعنا صريحا علی منبر الكوفة و كان بلغه عن علی ع فی أيام عمر أنه قال لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره يعنی واقعة الزناء بالمرأة التی شهد عليه فيها أبوبكرة ونكل زياد عن الشهادة فكان يبغضه لذاک ولغيره من أحوال اجتمعت فی نفسه . قال و قدتظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذه الزمع عندذكر علی ع فيسبه ويضرب بإحدی يديه علی الأخری و يقول و مايغنی أنه لم يخالف إلی مانهی عنه و قدأراق من دماء المسلمين ماأراق . قال و قد كان فی المحدثين من يبغضه ع ويروی فيه الأحاديث المنكرة منهم حريز بن عثمان كان يبغضه وينتقصه ويروی فيه أخبارا مكذوبة و قدروی [صفحه ٧٠] المحدثون أن حريزا رؤی فی المنام بعدموته فقيل له مافعل الله بک قال كاد يغفر لی لو لابغض علی . قلت قدروی أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهری فی كتاب السقيفة قال حدثنی أبو جعفر بن الجنيد قال حدثنی ابراهيم بن الجنيد قال حدثنی محفوظ بن المفضل بن عمر قال حدثنی أبوالبهلول يوسف بن يعقوب قال حدثناحمزة بن حسان و كان مولی لبنی أمية و كان مؤذنا عشرين سنة وحج غيرحجة وأثنی أبوالبهلول عليه خيرا قال حضرت حريز بن عثمان وذكر علی بن أبی طالب فقال ذاک ألذی أحل حرم رسول الله ص حتی كاد يقع . قال محفوظ قلت ليحيی بن صالح الوحاظی قدرويت عن مشايخ من نظراء حريز فما بالک لم تحمل عن حريز قال إنی أتيته فناولنی كتابا فإذا فيه حدثنی فلان عن فلان إن النبی ص لماحضرته الوفاة أوصی أن تقطع يد علی بن أبی طالب ع -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٩٦ فرددت الكتاب و لم أستحل أن أكتب عنه شيئا. قال أبوبكر وحدثنی أبو جعفر قال حدثنی ابراهيم قال حدثنی محمد بن عاصم صاحب الخانات قال قال لنا حريز بن عثمان أنتم يا أهل العراق تحبون علی بن أبی طالب ع ونحن نبغضه قالوا لم قال لأنه قتل أجدادی. قال محمد بن عاصم و كان حريز بن عثمان نازلا علينا. قال أبو جعفررحمه الله تعالی و كان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالقليل النزر منها ويرضی معاوية بذكر علی بن أبی طالب ع قال يوما فی مجلس معاوية إن عليا لم ينكحه رسول الله ابنته حبا ولكنه أراد أن يكافئ بذلک إحسان أبی طالب إليه . [صفحه ٧١] قال و قدصح عندنا أن المغيرة لعنه علی منبر العراق مرات لاتحصی ويروی أنه لمامات ودفنوه أقبل رجل راكب ظليما فوقف قريبا منه ثم قال أ من رسم دار من مغيرة تعرف || عليها زوانی الإنس والجن تعزف فإن كنت قدلاقيت فرعون بعدنا || وهامان فاعلم أن ذا العرش منصف . قال فطلبوه فغاب عنهم و لم يروا أحدا فعلموا أنه من الجن . قال فأما مروان بن الحكم فأحقر وأقل من أن يذكر فی الصحابة الذين قدغمصناهم وأوضحنا سوء رأينا فيهم لأنه كان مجاهرا بالإلحاد هو وأبوه الحكم بن أبی العاص وهما الطريدان اللعينان كان أبوه عدو رسول الله ص يحكيه فی مشيه ويغمز عليه عينه ويدلع له لسانه ويتهكم به ويتهانف عليه هذا و هو فی قبضته وتحت يده و فی دار دعوته بالمدينة و هويعلم أنه قادر علی قتله أی وقت شاء من ليل أونهار فهل يكون هذا إلا من شانئ شديد البغضة ومستحكم العداوة حتی أفضی أمره إلی أن طرده رسول الله ص عن المدينة وسيره إلی الطائف . و أمامروان ابنه فأخبث عقيدة وأعظم إلحادا وكفرا و هو ألذی خطب يوم وصل إليه رأس الحسين ع إلی المدينة و هويومئذ أميرها و قدحمل الرأس علی يديه فقال ياحبذا بردک فی اليدين || وحمرة تجری علی الخدين كأنما بت بمسجدين . [صفحه ٧٢] ثم رمی بالرأس نحو قبر النبی و قال يا محمد يوم بيوم بدر و هذاالقول مشتق من الشعر ألذی تمثل به يزيد بن معاوية و هوشعر ابن

الزبعرى يوم وصل الرأس إليه . والخبر مشهور. قلت هكذا قال شيخنا أبو جعفر والصحيح أن مروان لم يكن أميرالمدينة يومئذ بل كان أميرها عمرو بن سعيد بن العاص و لم يحمل إليه الرأس وإنما كتب إليه عبيد الله بن زياد يبشره بقتل الحسين ع فقرأ كتابه على المنبر وأنشد الرجز المذكور وأومأ إلى القبر قائلا يوم بيوم بدر فأنكر عليه قوله قوم من الأنصار.ذكر ذلك أبوعبيدة فى كتاب المثالب . قال وروى الواقدى أن معاوية لماعاد من العراق إلى الشام بعدبيعة الحسن ع واجتماع الناس إليه خطب فقال أيها الناس إن رسول الله ص قال لى إنك ستلى الخلافة من بعدى فاختر الأرض المقدسة فإن فيهاالأبدال -روايت-١-٢-روايت-٣١-٩٧ و قداخترتكم فالعنوا أباتراب فلعنوه فلما كان من الغد كتب كتابا ثم جمعهم فقرأه عليهم و فيه هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية صاحب وحى الله ألذى بعث محمدا نبيا و كان أميا لايقرأ و لايكتب فاصطفى له من أهله وزيرا كاتبا أمينا فكان الوحى ينزل على محمد و أناأكتبه و هو لايعلم ماأكتب فلم يكن بينى و بين الله أحد من خلقه فقال له الحاضرون كلهم صدقت يا أمير المؤمنين . [صفحه ٧٣] قال أبو جعفر و قدروى أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت فى على بن أبى طالب وَ مِنَ النّاسِ مَن يُعجِبُكَ قَولُهُ فِي الحَياةِ الدّنيا وَ يُشهِدُ اللّهَ عَلى ما فِي قَلبِهِ وَ هُوَ أَلَدّ الخِصامِ وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِي الأَرضِ لِيُفسِدَ فِيها وَ يُهلِكَ الحَرثَ وَ النّسلَ وَ اللّهُ لا يُحِبّ الفَسادَ و أن الآية الثانية نزلت فى ابن ملجم وهى قوله تعالى وَ مِنَ النّاسِ مَن يَشرِي نَفسَهُ ابتِغاءَ مَرضاتِ اللّهِفلم يقبل فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك . قال و قدصح أن بنى أمية منعوا من إظهار فضائل على ع وعاقبوا على ذلك الراوى له حتى أن الرجل إذاروى عنه حديثا لايتعلق بفضله بل بشرائع الدين لايتجاسر على ذكر اسمه فيقول عن أبى زينب . وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال وددت أن أترك فأحدث بفضائل على بن أبى طالب ع يوما إلى الليل و أن عنقى هذه ضربت بالسيف . قال فالأحاديث الواردة فى فضله لو لم تكن فى الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة لانقطع نقلها للخوف والتقية من بنى مروان مع طول المدة وشدة العداوة. و لو لا أن لله تعالى فى هذا الرجل سرا يعلمه من يعلمه لم يرو فى فضله حديث و لاعرفت له منقبة أ لاترى أن رئيس قرية لوسخط على واحد من أهلها ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخمل ذكره ونسى اسمه وصار و هوموجود معدوما و هوحى ميتا هذه خلاصة ماذكره شيخنا أبو جعفررحمه الله تعالى فى هذاالمعنى فى كتاب التفضيل -قرآن-١٢٣-٣٥٠-قرآن-٤٠٨-٤٦۶ [صفحه ٧۴]

فصل فى ذكر المنحرفين عن على

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن على ع قائلين فيه السوء ومنهم من كتم مناقبه وأعان أعداءه ميلا مع الدنيا وإيثارا للعاجلة فمنهم أنس بن مالك ناشد على ع الناس فى رحبة القصر أو قال رحبة الجامع بالكوفة أيكم سمع رسول الله ص يقول من كنت مولاه فعلى مولاه -روايت-١-١٢٣ فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا بها وأنس بن مالك فى القوم لم يقم فقال له ياأنس مايمنعك أن تقوم فتشهد ولقد حضرتها فقال يا أمير المؤمنين كبرت ونسيت فقال أللهم إن كان كاذبا فارمه بهابيضاء لاتواريها الغمامة -روايت-١-٢-روايت-٩-۶۵ قال طلحة بن عمير فو الله لقد رأيت الوضح به بعد ذلك أبيض بين عينيه . وروى عثمان بن مطرف أن رجلا سأل أنس بن مالك فى آخر عمره عن على بن أبى طالب فقال إنى آليت ألا أكتم حديثا سئلت عنه فى على بعد يوم الرحبة ذاك رأس المتقين يوم القيامة سمعته و الله من نبيكم -روايت-١-٢-روايت-٢۵-٢١٢ وروى أبوإسرائيل عن الحكم عن أبى سليمان المؤذن أن عليا ع نشد الناس من سمع رسول الله ص يقول من كنت مولاه فعلى مولاه فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم فلم يشهد و كان يعلمها فدعا على ع عليه بذهاب البصر

فعمی -روایت-۱-۲-روایت-۵۵-۲۲۷ فکان یحدث الناس بالحدیث بعد ماکف بصره .قالوا و کان الأشعث بن قیس الکندی وجریر بن عبد الله البجلی یبغضانه وهدم علی ع دار جریر بن عبد الله . قال إسماعیل بن جریر هدم علی دارنا مرتین . [صفحه ۷۵] وروی الحارث بن حصین أن رسول الله ص دفع إلی جریر بن عبد الله نعلین نعاله و قال احتفظ بهما فإن ذهابهما ذهاب دینک -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۱۲۷ فلما کان یوم الجمل ذهبت إحداهما فلما أرسله علی ع إلی معاویة ذهبت الأخری ثم فارق علیا واعتزل الحرب . وروی أهل السیرة أن الأشعث خطب إلی علی ع ابنته فزبره و قال یا ابن الحائک أغرک ابن أبی قحافة -روایت-۱-۲-روایت-۱۰-۴۷ وروی أبوبکر الهذلی عن الزهری عن عبید الله بن عدی بن الخیار بن نوفل بن عبدمناف قال قام الأشعث إلی علی ع فقال إن الناس یزعمون أن رسول الله ص عهد إلیک عهدا لم یعهده إلی غیرک فقال إنه عهد إلی ما فی قراب سیفی لم یعهد إلی غیر ذلک فقال الأشعث هذه إن قلتها فهی علیک لا لک دعها ترحل عنک فقال له و ماعلمک بما علی مما لی منافق ابن کافر حائک ابن حائک إنی لأجد منک بنة الغزل ثم التفت إلی عبید الله بن عدی بن الخیار فقال یاعبید الله إنک لتسمع خلافا وتری عجبا ثم أنشد -روایت-۱-۲-روایت-۹۴-۵۰۷ أصبحت هزءا لراعی الضأن أتبعه || ماذا یریبک منی راعی الضأن . و قدذکرنا فی بعض الروایات المتقدمات أن سبب قوله هذه علیک لا لک أمر آخر والروایات تختلف . وروی یحیی بن عیسی الرملی عن الأعمش أن جریرا والأشعث خرجا إلی جبان الکوفة فمر بهما ضب یعدو وهما فی ذم علی ع فنادیاه یا أباحسل هلم [صفحه ۷۶] یدک نبایعک بالخلافة فبلغ علیا ع قولهما فقال أماإنهما یحشران یوم القیامة وإمامهما ضب -روایت-۱-۲-روایت-۹-۵۲ . و کان أبومسعود الأنصاری منحرفا عنه ع روی شریک عن عثمان بن أبی زرعة عن زید بن وهب قال تذاکرنا القیام إذامرت الجنازة عند علی ع فقال أبومسعود الأنصاری قدکنا نقوم فقال علی ع ذاک وأنتم یومئذ یهود -روایت-۱-۲-روایت-۵۶-۱۷۳ وروی شعبة عن عبید بن الحسن عن عبدالرحمن بن معقل قال حضرت علیا ع و قدسأله رجل عن امرأة توفی عنها زوجها وهی حامل فقال تتربص أبعد الأجلین فقال رجل فإن أبامسعود یقول وضعها انقضاء عدتها فقال علی ع إن فروجا لایعلم -روایت-۱-۲-روایت-۶۲-۲۳۴ فبلغ قوله أبامسعود فقال بلی و الله إنی لأعلم أن الآخر شر. وروی المنهال عن نعیم بن دجاجة قال کنت جالسا عند علی ع إذ جاء أبومسعود فقال علی ع جاءکم فروج فجاء فجلس فقال له علی ع بلغنی أنک تفتی الناس قال نعم وأخبرهم أن الآخر شر قال فهل سمعت من رسول الله ص شیئا قال نعم سمعته یقول لایأتی علی الناس سنة مائة و علی الأرض عین تطرف قال أخطأت استک الحفرة وغلطت فی أول ظنک إنما عنی من حضره یومئذ وهل الرخاء إلا بعدالمائة -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-۳۹۵ . [صفحه ۷۷] وروی جماعة من أهل السیر أن علیا ع کان یقول عن کعب الأحبار إنه لکذاب -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۸۰ و کان کعب منحرفا عن علی ع و کان النعمان بن بشیر الأنصاری منحرفا عنه وعدوا له وخاض الدماء مع معاویة خوضا و کان من أمراء یزید ابنه حتی قتل و هو علی حاله . و قدروی أن عمران بن الحصین کان من المنحرفین عنه ع و أن علیا سیره إلی المدائن و ذلک أنه کان یقول إن مات علی فلاأدری ماموته و إن قتل فعسی أنی إن قتل رجوت له . و من الناس من یجعل عمران فی الشیعة. و کان سمرة بن جندب من شرطة زیاد روی عبدالملک بن حکیم عن الحسن قال جاء رجل من أهل خراسان إلی البصرة فترک مالا کان معه فی بیت المال وأخذ براءة ثم دخل المسجد فصلی رکعتین فأخذه سمرة بن جندب واتهمه برأی الخوارج فقدمه فضرب عنقه و هویومئذ علی شرطة زیاد فنظروا فیما معه فإذاالبراءة بخط بیت المال فقال أبوبکرة یاسمرة أ ماسمعت الله تعالی یقول قَد أَفلَحَ مَن تَزَکّی وَ ذَکَرَ اسمَ رَبّهِ فَصَلّی فقال أخوک أمرنی بذلک . وروی الأعمش عن أبی صالح قال قیل لنا قدقدم رجل من أصحاب رسول الله ص فأتیناه فإذا هوسمرة بن جندب و إذا عندإحدی رجلیه خمر و عندالأخری ثلج فقلنا ما هذاقالوا به النقرس و إذاقوم قدأتوه فقالوا یاسمرة -قرآن-۷۵۰-۸۰۲ [صفحه ۷۸] ماتقول لربک غدا تؤتی بالرجل فیقال لک هو من الخوارج فتأمر بقتله ثم تؤتی بآخر فیقال لک

ليس ألـذى قتلته بخارجي ذاك فتى وجـدناه ماضيا فى حاجته فشبه علينا وإنما الخارجى هذافتأمر بقتل الثانى فقال سـمرة و أى بأس فى ذلك إن كان من أهل الجنة مضـى إلى الجنة و إن كان من أهل النار مضى إلى النار. وروى واصل مولى أبى عيينة عن جعفر بن محمـد بن على ع عن آبائه قال كان لسـمرة بن جنـدب نخل فى بسـتان رجل من الأنصار فكان يؤذيه فشـكا الأنصارى ذلك إلى رسول الله ص فبعث إلى سمرة فدعاه فقال له بع نخلك من هذا وخذ ثمنه قال لاأفعل قال فخذ نخلا مكان نخلك قال لاأفعل قال فاشتر منه بستانه قال لاأفعل قال فاترك لى هـذاالنخل و لك الجنة قال لاأفعل فقال ص للأنصارى اذهب فاقطع نخله فإنه لاحق له فيه -روايت-١-٢-روايت-٧۶-۴٣١ . وروى شـريك قال أخبرنا عبـد الله بن سـعد عن حجر بن عـدى قال قـدمت المدينـة فجلست إلى أبى هريرة فقال ممن أنت قلت من أهل البصـرة قال مافعل سـمرة بن جنـدب قلت هوحى قال ماأحـد أحب إلى طول حيـاة منه قلت و لم ذاك قـال إن رسول الله ص قال لى و له ولحذيفـة بن اليمان آخركم موتا فى النار -روايت-١-٢-روايت-٨-٨٣ فسبقنا حذيفـة و أناالآن أتمنى أن أسـبقه قال فبقى سـمرة بن جندب حتى شـهد مقتل الحسـين . وروى أحمد بن بشـير عن مسعر بن كدام قال كان سمرة بن جندب أيام مسير [صفحه ٧٩] الحسـين ع إلى الكوفة على شرطة عبيد الله بن زياد و كان يحرض الناس على الخروج إلى الحسـين ع وقتاله . و من المنحرفين عنه المبغضين له عبد الله بن الزبير و قدذكرناه آنفا كان على ع يقول مازال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبـد الله فأفسـده -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٨٣ . و عبد الله هو ألذى حمل الزبير على الحرب و هو ألـذى زين لعائشـة مسيرها إلى البصـرة و كـان سـبابا فاحشا يبغض بنى هاشم ويلعن ويسب على بن أبى طـالب ع و كـان على ع يقنـت فى صـلاة الفجر و فى صـلاة المغرب ويلعن معاويـة وعمر والمغيرة والوليـد بن عقبـة و أباالأـعور والضحاك بن قيس وبسر بن أرطاة وحبيب بن مسلمة و أبا موسى الأشعرى ومروان بن الحكم و كان هؤلاء يقنتون عليه ويلعنونه . وروى شـيخنا أبو عبد الله البصـرى المتكلم رحمه الله تعالى عن نصـر بن عاصم الليثى عن أبيه قال أتيت مسجد رسول الله ص و النـاس يقولون نعوذ بـالله من غضب الله وغضب رسوله فقلت مـا هـذاقالوا معاويـة قـام السـاعـة فأخـذ بيـد أبى سـفيان فخرجـا من المسـجد فقال رسول الله ص لعن الله التابع والمتبوع رب يوم لأمتى من معاويـة ذى الأسـتاه -روايت-١-٢-روايت-٢۴-٩٠ و قال روى العلاء بن حريز القشـيرى أن رسول الله ص قال لمعاويـة لتتخـذن يامعاويـة البدعـة سنة والقبح حسـنا أكلك كثير وظلمك عظيم -روايت-١-٢-روايت-٣٨-١٣۵ قال وروى الحارث بن حصيرة عن أبى صادق عن ربيعة بن ناجذ قال قال -روايت-١-٢ [صفحه ٨٠] على ع نحن وآل أبى سـفيان قوم تعـادوا فى الأـمر والأمر يعود كمابـدا -روايت-١١-٧٢ . قلت و قـدذكرنا نحن فى تلخيص نقض السفيانية ما فيه كفاية فى هذاالباب . وروى صاحب كتاب الغارات عن أبى صادق عن جندب بن عبد الله قال ذكر المغيرة بن شـعبة عنـد على ع وجـده مع معاويـة قال و ماالمغيرة إنما كان إسـلامه لفجرة وغـدرة غـدرها بنفر من قومه فتك بهم وركبها منهم فهرب منهم فأتى النبى ص كالعائذ بالإسـلام و الله مارأى أحد عليه منذ ادعى الإسـلام خضوعا و لاخشوعا ألا وإنه يكون من ثقيف فراعنـة قبل يوم القيامـة يجانبون الحق ويسـعرون نيران الحرب ويوازرون الظالمين ألا إن ثقيفا قوم غدر لايوفون بعهـد يبغضون العرب كأنهم ليسوا منهم ولرب صالح قد كان منهم فمنهم عروة بن مسـعود و أبوعبيد بن مسـعود المستشـهد يوم قس النـاطف و إن الصالـح فى ثقيـف لغريب -روايت-١-٢-روايت-٧١-۶٠٨ . قـال شـيخنا أبوالقاسم البلخى من المعلوم ألـذى لاريب فيه لاشـتهار الخبر به وإطباق الناس عليه أن الوليد بن عقبة بن أبى معيط كان يبغض عليا ويشتمه و أنه هو ألذى لاحاه فى حيـاة رسول الله ص ونابـذه و قـال له أناأثبت منك جنانا وأحـد سـنانا فقال له على ع اسـكت يافاسق فأنزل الله تعالى فيهماأَ فَمَن كـانَ مُؤمِنـاً كَمَن كانَ فاسِـقاً لا يَسـتَوُونَالآيات المتلوة وسـمى الوليـد بحسب ذلك فى حياة رسول الله ص الفاسق فكان لايعرف إلابالوليـد الفاسق . -قرآن-٣٠۴-٣۵٨ [صـفحه ٨١] و هـذه الآيـة من الآيـات التى نزل فيهـاالقرآن بموافقـة على ع كمـانزل فى مواضع بموافقـة عمر وسـماه الله تعالى فاسـقا فى آية أخرى و هو قوله تعالى إِن جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا وسـبب نزولها مشـهور و

هوكذبه على بنى المصطلق وادعاؤه أنهم منعوا الزكاة وشهروا السيف حتى أمر النبى ص بالتجهز للمسير إليهم فأنزل الله تعالى فى تكذيبه وبراءة ساحة القوم هذه الآية. و كان الوليد مذموما معيبا عند رسول الله ص يشنؤه ويعرض عنه و كان الوليد يبغض رسول الله ص أيضا ويشنؤه وأبوه عقبة بن أبى معيط هوالعدو الأزرق بمكة و ألذى كان يؤذى رسول الله ص فى نفسه وأهله وأخباره فى ذلك مشهورة فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه وورث ابنه الوليد الشنئان والبغضة لمحمد وأهله فلم يزل عليهما إلى أن مات . قال الشيخ أبوالقاسم و هوأحد الصبية الذين قال أبوعقبة فيهم و قدقدم ليضرب عنقه من للصبية يا محمد فقال النار اضربوا عنقه . قال وللوليد شعر يقصد فيه الرد على رسول الله ص حيث -قرآن-١٤٩-١٨٨ قال إن تولوها عليا تجدوه هاديا مهديا -روايت-١-٤١ قال و ذلك أن عليا ع لماقتل قصد بنوه أن يخفوا قبره خوفا من بنى أمية أن يحدثوا فى قبره حدثا فأوهموا الناس فى موضع قبره تلك الليلة وهى ليلة دفنه إيهامات مختلفة فشدوا على جمل تابوتا موثقا بالحبال يفوح منه روائح الكافور وأخرجوه من الكوفة فى سواد الليل صحبة ثقاتهم يوهمون أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عندفاطمة ع وأخرجوا بغلا و عليه جنازة مغطاة [صفحه ٨٢] يوهمون أنهم يدفنونه بالحيرة وحفروا حفائر عدة منها بالمسجد ومنها برحبة القصر قصر الإمارة ومنها فى حجرة من دور آل جعدة بن هبيرة المخزومى ومنها فى أصل دار عبد الله بن يزيد القسرى بحذاء باب الوراقين مما يلى قبلة المسجد ومنها فى الكناسة ومنها فى الثوية فعمى على الناس موضع قبره و لم يعلم دفنه على الحقيقة إلابنوه والخواص المخلصون من أصحابه فإنهم خرجوا به ع وقت السحر فى الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان فدفنوه على النجف بالموضع المعروف بالغرى بوصاة منه ع إليهم فى ذلك وعهد كان عهد به إليهم وعمى موضع قبره على الناس واختلفت الأراجيف فى صبيحة ذلك اليوم اختلافا شديدا وافترقت الأقوال فى موضع قبره الشريف وتشعبت وادعى قوم أن جماعة من طيئ وقعوا على جمل فى تلك الليلة و قدأضله أصحابه ببلادهم و عليه صندوق فظنوا فيه مالا فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلبوا به فدفنوا الصندوق بما فيه ونحروا البعير وأكلوه وشاع ذلك فى بنى أمية وشيعتهم واعتقدوه حقا فقال الوليد بن عقبة من أبيات يذكره ع فيها فإن يك قدضل البعير بحمله || فما كان مهديا و لا كان هاديا . وروى الشيخ أبوالقاسم البلخى أيضا عن جرير بن عبدالحميد عن مغيرة الضبى قال مر ناس بالحسن بن على ع وهم يريدون عيادة الوليد بن عقبة و هو فى علة له شديدة فأتاه الحسن ع معهم عائدا فقال للحسن أتوب إلى الله تعالى مما كان بينى و بين جميع الناس إلا ما كان بينى و بين أبيك فإنى لاأتوب منه . قال شيخنا أبوالقاسم البلخى وأكد بغضه له ضربه إياه الحد فى ولاية عثمان وعزله عن الكوفة. [صفحه ٨٣] و قداتفقت الأخبار الصحيحة التى لاريب فيها عندالمحدثين على أن النبى ص قال لايبغضك إلامنافق و لايحبك إلامؤمن -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٦١ قال وروى حبة العرنى عن على ع أنه قال إن الله عز و جل أخذ ميثاق كل مؤمن على حبى وميثاق كل منافق على بغضى فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ماأبغضنى و لوصببت الدنيا على المنافق ماأحبنى -روايت-١-٢-روايت-٤٨-٢٠٤ وروى عبدالكريم بن هلال عن أسلم المكى عن أبى الطفيل قال سمعت عليا ع و هو يقول لوضربت خياشيم المؤمن بالسيف ماأبغضنى و لونثرت على المنافق ذهبا وفضة ماأحبنى إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبى وميثاق المنافقين ببغضى فلايبغضنى مؤمن و لايحبنى منافق أبدا -روايت-١-٢-روايت-٩٠-٢٧٦ . قال الشيخ أبوالقاسم البلخى و قدروى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة قالوا ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ص إلاببغض على بن أبى طالب .ذكر ابراهيم بن هلال صاحب كتاب الغارات فيمن فارق عليا ع والتحق بمعاوية يزيد بن حجية التيمى من بنى تيم بن ثعلبة بن بكر بن وائل و كان ع قداستعمله على الرى ودستبنى فكسر الخوارج واحتجن المال لنفسه فحبسه على ع وجعل معه سعدا مولاه فقرب يزيد ركائبه وسعد نائم فالتحق بمعاوية و قال [صفحه ٨٤] خادعت سعدا وارتمت بى ركائبى || إلى الشام واخترت ألذى هوأفضل وغادرت سعدا نائما فى عباءة || وسعد غلام مستهام مضلل . ثم خرج حتى أتى الرقة وكذلك كان يصنع من يفارق عليا ع يبدأ بالرقة حتى يستأذن معاوية فى القدوم عليه

وكـانت الرقـۀ والرهـا وقرقيسيا وحران مـن حيز معاويـۀ وعليهـا الضـحاك بن قيس وكـانت هيت وعانـات ونصـيبين ودارا وآمد وسـنجار من حيز على ع وعليهـا الأـشتر وكانـا يقتتلاـن فى كل شـهر. و قال يزيـد بن حجيـۀ و هوبالرقـۀ يهجو عليا ع ياطول ليلى بالرقات لم أنم || من غيرعشق صـبت نفسـى و لاسقم لكن لذكر أمور جمۀ طرقت || أخشى على الأصل منها زلۀ القدم أخشى عليا عليهم أن يكون لهم || مثل العقور ألـذى عفى على إرم . و بعـد ذلك ما لانذكره . قال ابراهيم بن هلال و قد كان زياد بن خصـفۀ التيمى قال لعلى ع يوم هرب يزيد بن حجيۀ ابعثنى يا أمير المؤمنين فى أثره أرده إليك فبلغ قوله يزيد بن حجيۀ فقال فى ذلك أبلغ زيادا أننى قـدكفيته || أمورى وخليت ألـذى هوعاتبه و باب شديد موثق قدفتحته || عليك و قدأعيت عليك مذاهبه هبلت أ ماترجو غنائى ومشـهدى || إذ الخصم لم يوجـد له من يجاذبه [صـفحه ۸۵] فـأقسم لو لا أن أمك أمنا || وأنك مولى ماطفقت أعاتبه وأقسم لوأدركتنى مارددتنى || كلانا قداصطفت إليه جلائبه . قال ابن هلال وكتب إلى العراق شعرا يذم فيه عليا ع ويخبره أنه من أعـدائه فـدعا عليه و قـال لأصـحابه عقيب الصـلاۀ ارفعوا أيـديكم فـادعوا عليه فـدعا عليه وأمن أصـحابه . قـال أبوالصلت التيمى كان دعاؤه عليه أللهم إن يزيد بن حجيۀ هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين فاكفنا مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۵۴ . قال ورفع القوم أيـديهم يؤمنون و كان فى المسـجد عفاق بن شـرحبيل بن أبى رهم التيمى شيخا كبيرا و كان يعـد ممن شـهد على حجر بن عـدى حتى قتله معاويـۀ فقال عفاق على من يـدعو القوم قالوا على يزيـد بن حجيـۀ فقال تربت أيـديكم أ على أشـرافنا تـدعون فقاموا إليه فضـربوه حتى كاد يهلك وقام زياد بن خصـفۀ و كان من شيعـۀ على ع فقال دعوا لى ابن عمى فقال على ع دعوا للرجل ابن عمه فتركه الناس فأخـذ زياد بيده فأخرجه من المسـجد وجعل يمشـى معه يمسـح التراب عن وجهه وعفاق يقول و الله لاأحبكم ماسعيت ومشـيت و الله لاأحبكم مااختلفت الدرۀ والجرۀ وزياد يقول ذلك أضـر لك ذلك شـر لك . و قال زياد بن خصـفۀ يذكر ضـرب الناس عفاقا دعوت عفاقا للهدى فاستغشنى || وولى فريـا قوله و هومغضب و لو لادفـاعى عن عفـاق ومشـهدى || هوت بعفاق عوض عنقاء مغرب [صـفحه ۸۶] أنبئه أن الهـدى فى اتباعنـا || فيـأبى ويضـريه المراء فيشـغب فـإن لايشايعنـا عفـاق فإننـا || على الحق ماغنى الحمام المطرب سـيغنى الإله عن عفاق وسـعيه || إذابعثت للناس جأواء تحرب قبائل من حيى معـد ومثلها || يمانيـۀ لاتنثنى حين تنـدب لهم عدد مثل التراب وطاعۀ || تود وبأس فى الوغى لايؤنب . فقال له عفاق لوكنت شاعرا لأجبتك ولكنى أخبركم عن ثلاث خصال كن منكم و الله ماأرى أن تصـيبوا بعدهن شيئا مما يسـركم . أماواحدۀ فإنكم سـرتم إلى أهل الشام حتى إذادخلتم عليهم بلادهم قاتلتموهم فلما ظن القوم أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف فسخروا بكم فردوكم عنهم فلا و الله لاتدخلونها بمثل ذلك الجد والحد والعدد ألذى دخلتم به أبـدا. و أماالثانيۀ فإنكم بعثتم حكما وبعث القوم حكما فأما حكمكم فخلعكم و أماحكمهم فأثبتهم فرجع صاحبهم يدعى أمير المؤمنين ورجعتم متلاـعنين متباغضـين فـو الله لاـيزال القـوم فى علاـء و لاـتزالون فى سـفال . و أماالثالثـۀ فـإنه خـالفكم قراؤكم وفرسانكم فعـدوتم عليهم فـذبحتموهم بأيـديكم فو الله لاتزالون بعـدها متضعضـعين . قال و كان يمر عليهم بعـدفيقول أللهم إنى منهم برىء ولاـبن عفـان ولى فيقولون أللهم إنـا لعلى أولياء و من ابن عفان برآء ومنك ياعفاق . [صـفحه ۸۷] قال فأخذ لايقلع فـدعوا رجلا منهم له سـجاعۀ كسـجاعۀ الكهان فقالوا ويحك أ ماتكفينا بسـجعك وخطبك هـذا فقال كفيتكم فمر عفاق عليهم فقـال كمـا كـان يقول فلم يمهله أن قـال له أللهم اقتـل عفاقـا فـإنه أسـر نفاقـا وأظهر شـقاقا و بين فراقا وتلون أخلاقا. فقال عفاق ويحكم من سـلط على هـذا قال الله بعثنى إليك وسـلطنى عليك لأقطع لسانك وأنصل سـنامك وأطرد شـيطانك . قال فلم يك يمر عليهم بعـدإنما يمر على مزينۀ. وممن فارقه ع عبد الله بن عبدالرحمن بن مسعود بن أوس بن إدريس بن معتب الثقفى شـهد مع على ع صـفين و كـان فى أول أمره مع معاويـۀ ثم صـار إلى على ع ثم رجـع بعـد إلى معاويـۀ و كـان على ع يسـميه الهجنع والهجنـع الطويـل . ومنهم القعقـاع بن شور اسـتعمله على ع على كسـكر فنقم منه أمورا منهـا أنه تزوج امرأۀ فأصـدقها مائـۀ ألف

درهم فهرب إلى معاوية. ومنهم النجاشی الشاعر من بنی الحارث بن کعب کان شاعر أهل العراق بصفین و کان علی ع یأمره بمحاربة شعراء أهل الشام مثل کعب بن جعیل وغیره فشرب الخمر بالکوفة فحده علی ع فغضب ولحق بمعاویة وهجا علیا ع . [صفحه ۸۸] حدث ابن الکلبی عن عوانة قال خرج النجاشی فی أول یوم من شهر رمضان فمر بأبی سمال الأسدی و هوقاعد بفناء داره فقال له أین ترید قال أردت الکناسة فقال هل لک فی رءوس وألیات قدوضعت فی التنور من أول اللیل فأصبحت قدأینعت و قدتهرأت قال ویحک فی أول یوم من رمضان قال دعنا مما لانعرف قال ثم مه قال أسقیک من شراب کالورس یطیب النفس ویجری فی العرق ویزید فی الطرق یهضم الطعام ویسهل للفدم الکلام فنزل فتغدیا ثم أتاه بنبیذ فشرباه فلما کان آخر النهار علت أصواتهما ولهما جار من شیعة علی ع فأتاه فأخبره بقصتهما فأرسل إلیهما قوما فأحاطوا بالدار فأما أبوسمال فوثب إلی دور بنی أسد فأفلت وأخذ النجاشی فأتی ع به فلما أصبح أقامه فی سراویل فضربه ثمانین ثم زاده عشرین سوطا فقال یا أمیر المؤمنین أماالحد فقد عرفته فما هذه العلاوة قال لجراءتک علی الله وإفطارک فی شهر رمضان ثم أقامه فی سراویله للناس فجعل الصبیان یصیحون به خرئ النجاشی خرئ النجاشی وجعل یقول کلا إنها یمانیة وکاؤها شعر. قال ومر به هند بن عاصم السلولی فطرح علیه مطرفا فجعل الناس یمرون به ویطرحون علیه المطارف حتی اجتمعت علیه مطارف کثیرة فمدح بنی سلول فقال إذا الله حیا صالحا من عباده || تقیا فحیا الله هند بن عاصم و کل سلولی إذا مادعوته || سریع إلی داعی العلا والمکارم هم البیض أقداما ودیباج أوجه || جلوها إذااسودت وجوه الملائم و لایأکل الکلب السروق نعالهم || و لایبتغی المخ ألذی فی الجماجم . [صفحه ۸۹] ثم لحق معاویة وهجا علیا ع فقال أ لا من مبلغ عنی علیا || بأنی قدأمنت فلاأخاف عمدت لمستقر الحق لما || رأیت أمورکم فیهااختلاف . وروی عبدالملک بن قریب الأصمعی عن ابن أبی الزناد قال دخل النجاشی علی معاویة و قدأذن للناس عامة فقال لحاجبه ادع النجاشی والنجاشی بین یدیه ولکن اقتحمته عینه فقال ها أناذا النجاشی بین یدیک یا أمیر المؤمنین إن الرجال لیست بأجسامها إنما لک من الرجل أصغراه قلبه ولسانه قال ویحک أنت القائل ونجا ابن حرب سابح ذو علالة || أجش هزیم والرماح دوانی إذا قلت أطراف الرماح تنوشه || مرته به الساقان والقدمان . ثم ضرب بیده إلی ثدیه فقال ویحک إن مثلی لاتعدو به الخیل فقال یا أمیر المؤمنین إنی لم أعنک إنما عنیت عتبة. وروی صاحب کتاب الغارات أن علیا ع لماحد النجاشی غضبت الیمانیة لذلک و کان أخصهم به طارق بن عبد الله بن کعب النهدی فدخل علیه فقال یا أمیر المؤمنین ماکنا نری أن أهل المعصیة والطاعة و أهل الفرقة والجماعة عندولاة العدل ومعادن الفضل سیان فی الجزاء حتی رأینا ما کان من صنیعک بأخی الحارث [صفحه ۹۰] فأوغرت صدورنا وشتت أمورنا وحملتنا علی الجادة التی کنا نری أن سبیل من رکبها النار فقال علی ع وَ إِنّها لَکَبِیرَةٌ إِلّا عَلَی الخاشِعِینَ یاأخا نهد وهل هو إلا رجل من المسلمین انتهک حرمة من حرم الله فأقمنا علیه حدا کان کفارته إن الله تعالی یقول وَ لا یَجرِمَنّکُم شَنَآنُ قَومٍ عَلی أَلّا تَعدِلُوا اعدِلُوا هُوَ أَقرَبُ لِلتّقوی -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۲۶۳ قال فخرج طارق من عنده فلقیه الأشتر فقال یاطارق أنت القائل لأمیر المؤمنین أوغرت صدورنا وشتت أمورنا قال طارق نعم أناقائلها قال و الله ماذاک کما قلت إن صدورنا له لسامعة و إن أمورنا له لجامعة فغضب طارق و قال ستعلم یاأشتر أنه غیر ما قلت فلما جنه اللیل همس هو والنجاشی إلی معاویة فلما قدما علیه دخل آذنه فأخبره بقدومهما وعنده وجوه أهل الشام منهم عمرو بن مرة الجهنی وعمرو بن صیفی وغیرهما فلما دخلا نظر إلی طارق و قال مرحبا بالمورق غصنه والمعرق أصله المسود غیرالمسود من رجل کانت منه هفوة ونبوة باتباعه صاحب الفتنة ورأس الضلالة والشبهة ألذی اغترز فی رکاب الفتنة حتی استوی علی رجلها ثم أوجف فی عشوة ظلمتها وتیه ضلالتها واتبعه رجرجة من الناس وأشابة من الحثالة لاأفئدة لهم أَ فَلا یَتَدَبّرُونَ القُرآنَ أَم عَلی قُلُوبٍ أَقفالُها.فقام طارق فقال یامعاویة إنی متکلم فلایسخطک ثم قال و هومتکئ علی سیفه إن المحمود علی کل حال رب علا فوق عباده فهم منه بمنظر ومسمع بعث فیهم -قرآن-۷۱۴-۷۷۰ [صفحه ۹۱] رسولا منهم یتلو کتابا لم یکن من قبله و لایخطه

بيمينه إِذاً لَارتابَ المُبطِلُونَفعليه السلام من رسول كان بالمؤمنين برا رحيما أما بعد فإن ماكنا نوضع فيما أوضعنا فيه بين يدى إمام تقى عادل مع رجال من أصحاب رسول الله ص أتقياء مرشدين مازالوا منارا للهدى ومعالم للدين خلفا عن سلف مهتدين أهل دين لادنيا كل الخير فيهم واتبعهم من الناس ملوك وأقيال و أهل بيوتات وشرف ليسوا بناكثين و لاقاسطين فلم يكن رغبة من رغب عنهم و عن صحبتهم إلالمرارة الحق حيث جرعوها ولوعورته حيث سلكوها وغلبت عليهم دنيا مؤثرة و هومتبع و كان أمر الله قدرا مقدورا و قدفارق الإسلام قبلنا جبلة بن الأيهم فرارا من الضيم وأنفا من الذلة فلاتفخرن يامعاوية إن شددنا نحوك الرحال وأوضعنا إليك الركاب أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولجميع المسلمين .فعظم على معاوية ماسمعه وغضب لكنه أمسك و قال يا عبد الله إنا لم نرد بما قلناه أن نوردك مشرع ظمأ و لا أن نصدرك عن مكرع رى ولكن القول قديجرى بصاحبه إلى غير ماينطوى عليه من الفعل ثم أجلسه معه على سريره ودعا له بمقطعات وبرود فصبها عليه وأقبل نحوه بوجهه يحدثه حتى قام . وقام معه عمرو بن مرة وعمرو بن صيفى الجهنيان فأقبلا عليه بأشد العتاب وأمضه يلومانه فى خطبته و ماواجه به معاوية. فقال طارق و الله ماقمت بما سمعتماه حتى خيل لى أن بطن الأرض خير لى من ظهرها عندسماعى ماأظهر من العيب والنقص لمن هوخير منه فى الدنيا والآخرة و مازهت به نفسه وملكه عجبه وعاب أصحاب رسول الله ص واستنقصهم فقمت مقاما أوجب الله على فيه إلاـأقول إلاحقا و أى خير فيمن لاينظر مايصير إليه غدا -قرآن-٥٩-٨٥ [صفحه ٩٢] فبلغ عليا ع قوله فقال لوقتل النهدى يومئذ لقتل شهيدا -روايت-١-٢-روايت-٩-٤٣ . و قال معاوية للهيثم بن الأسود أبى العريان و كان عثمانيا وكانت امرأته علوية الرأى تكتب بأخبار معاوية فى أعنة الخيل وتدفعها إلى عسكر على ع بصفين فيدفعونها إليه فقال معاوية بعدالتحكيم ياهيثم أهل العراق كانوا أنصح لعلى فى صفين أم أهل الشام لى فقال أهل العراق قبل أن يضربوا بالبلاء كانوا أنصح لصاحبهم قال كيف قلت ذلك قال لأن القوم ناصحوه على الدين وناصحك أهل الشام على الدنيا و أهل الدين أصبر وهم أهل بصيرة وإنما أهل الدنيا أهل طمع ثم و الله مالبث أهل العراق أن نبذوا الدين وراء ظهورهم ونظروا إلى الدنيا فالتحقوا بك . فقال معاوية فما ألذى يمنع الأشعث أن يقدم علينا فيطلب ماقبلنا قال إن الأشعث يكرم نفسه أن يكون رأسا فى الحرب وذنبا فى الطمع . و من المفارقين لعلى ع أخوه عقيل بن أبى طالب قدم على أمير المؤمنين بالكوفة يسترفده فعرض عليه عطاءه فقال إنما أريد من بيت المال فقال تقيم إلى يوم الجمعة فلما صلى ع الجمعة قال له ماتقول فيمن خان هؤلاء أجمعين قال بئس الرجل قال فإنك أمرتنى أن أخونهم وأعطيك فلما خرج من عنده شخص إلى معاوية فأمر له يوم قدومه بمائة ألف درهم و قال له يا أبايزيد أناخير لك أم على قال وجدت عليا أنظر لنفسه منه لى ووجدتك أنظر لى منك لنفسك . و قال معاوية لعقيل إن فيكم يابنى هاشم لينا قال أجل إن فينا لينا من غير [صفحه ٩٣] ضعف وعزا من غيرعنف و إن لينكم يامعاوية غدر وسلمكم كفر فقال معاوية و لاـ كل هذا يا أبايزيد. و قال الوليد بن عقبة لعقيل فى مجلس معاوية غلبك أخوك يا أبايزيد على الثروة قال نعم وسبقنى وإياك إلى الجنة قال أما و الله إن شدقيه لمضمومان من دم عثمان فقال و ما أنت وقريش و الله ما أنت فينا إلاكنطيح التيس فغضب الوليد و قال و الله لو أن أهل الأرض اشتركوا فى قتله لأرهقوا صعودا و إن أخاك لأشد هذه الأمة عذابا فقال صه و الله إنا لنرغب بعبد من عبيده عن صحبة أبيك عقبة بن أبى معيط. و قال معاوية يوما وعنده عمرو بن العاص و قدأقبل عقيل لأضحكنك من عقيل فلما سلم قال معاوية مرحبا برجل عمه أبولهب فقال عقيل وأهلا برجل عمته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد لأن امرأة أبى لهب أم جميل بنت حرب بن أمية. قال معاوية يا أبايزيد ماظنك بعمك أبى لهب قال إذادخلت النار فخذ على يسارك تجده مفترشا عمتك حمالة الحطب أفناكح فى النار خير أم منكوح قال كلاهما شر و الله . وممن فارقه ع حنظلة الكاتب خرج هو وجرير بن عبد الله البجلى من الكوفة إلى قرقيسيا وقالا لانقيم ببلدة يعاب فيهاعثمان . [صفحه ٩٤] وممن فارقه وائل بن حجر الحضرمى وخبره مذكور فى قصة بسر بن أرطاة. وروى صاحب كتاب الغارات عن إسماعيل بن حكيم عن

أبی مسعود الجریری قال کان ثلاثة من أهل البصرة یتواصلون علی بغض علی ع مطرف بن عبد الله بن الشخیر والعلاء بن زیاد و عبد الله بن شـفیق . قال صاحب کتاب الغارات و کان مطرف عابدا ناسـکا و قدروی هشام بن حسان عن ابن سیرین أن عمار بن یاسـر دخل علی أبی مسعود وعنده ابن الشخیر فذکر علیا بما لایجوز أن یذکر به فقال عمار یافاسق وإنک لهاهنا فقال أبومسعود أذکرک الله یا أباالیقظان فی ضـیفی. قال وأکثر مبغضیه ع أهل البصرة کانوا عثمانیة وکانت فی أنفسهم أحقاد یوم الجمل و کان هو ع قلیل التألف للناس شدیدا فی دین الله لایبالی مع علمه بالدین واتباعه الحق من سـخط و من رضی. قال و قدروی یونس بن أرقم عن یزیـد بن أرقم عن أبی ناجیـة مولی أم هانئ قال کنت عنـد علی ع فأتاه رجل علیه زی السـفر فقال یا أمیر المؤمنین إنی أتیتک من بلدة مارأیت لک بهامحبا قال من أین أتیت قال من البصرة قال أماإنهم لویستطیعون أن یحبونی لأحبونی إنی وشیعتی فی میثاق الله لایزاد فینا رجل و لاینقص إلی یوم القیامة -روایت-۱-۲-روایت-۸۴-۳۴۳ . وروی أبوغسان البصری قال بنی عبید الله بن زیاد أربعة مساجد بالبصـرة تقوم علی بغض علی بن أبی طالب والوقیعة فیه مسجد بنی عدی ومسجد بنی مجاشع [صفحه ۹۵] ومسـجد کان فی العلافین علی فرضة البصرة ومسجد فی الأزد. ومما قیل عنه إنه یبغض علیا ع ویذمه الحسن بن أبی الحسن البصـری أبوسعید وروی عنه حماد بن سلمة أنه قال لو کان علی یأکل الحشف بالمدینة لکان خیرا له مما دخل فیه ورواه عنه أنه کان من المخذلین عن نصـرته . وروی عنه أن علیا ع رآه و هویتوضأ للصلاة و کان ذا وسوسة فصب علی أعضائه ماء کثیرا فقال له أرقت مـاء کثیرا یاحسن فقال ماأراق أمیر المؤمنین من دماء المسـلمین أکثر قال أ وساءک ذلک قال نعم قال فلازلت مسوأ -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۲۱۹ .قـالوا فمـا زال الحسن عابسـا قاطبـا مهمومـا إلی أن مات .فأما أصـحابنا فإنهم یـدفعون ذلک عنه وینکرونـه ویقولـون إنـه کـان مـن محـبی علی بـن أبی طـالب ع والمعظمین له . وروی أبـوعمر بن عبـدالبر المحـدث فی کتـابه المعروف بالاستیعاب فی معرفة الصـحاب أن إنسانا سأل الحسن عن علی ع فقال کان و الله سـهما صائبا من مرامی الله علی عدوه وربـانی هـذه الأمـة وذا فضـلها وذا سابقتهـا وذا قرابتهـا من رسول الله ص لم یکن بالنؤمـة عن أمر الله و لابالملومـة فی دین الله و لابالسـروقة لمـال الله أعطی القرآن عزائمه ففـاز منه بریـاض مونقـة ذلـک علی بن أبی طـالب یـالکع . وروی الواقـدی قال سـئل الحسن عن علی ع و کـان یظن به الانـحراف عنه و لم یکن کمـایظن فقـال ماأقول فیمن جمع الخصال الأربع ائتمانه علی براءة [صفحه ۹۶] و ما قال له الرسول فی غزاة تبوک فلو کان غیرالنبوة شـیءیفوته لاستثناه وقول النبی ص الثقلان کتاب الله وعترتی -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۴۸ وإنه لم یؤمر علیه أمیرقـط و قـدأمرت الأـمراء علی غیره . وروی أبـان بن عیاش قال سألت الحسـن البصـری عن علی ع فقال ماأقول فیه کانت له السابقـة والفضل والعلم والحکمـة والفقه والرأی والصـحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة إن علیا کان فی أمره علیا رحم الله علیا وصلی علیه فقلت یا أباسعید أتقول صلی علیه لغیر النبی فقال ترحم علی المسـلمین إذاذکروا وصـل علی النبی وآله و علی خیر آله فقلت أ هوخیر من حمزة و جعفر قال نعم قلت وخیر من فاطمـة وابنیها قـال نعم و الله إنه خیر آل محمـدکلهم و من یشـک أنه خیر منهم و قـد قـال رسول الله ص وأبوهمـا خیر منهمـا -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۴۷ و لم یجر علیه اسم شـرک و لاشـرب خمر و قد قال رسول الله ص لفاطمة ع زوجتک خیر أمتی -روایت-۱-۲-روایت-۳۷-۵۴ فلو کـان فی أمته خیر منه لاسـتثناه ولقـد آخی رسول الله ص بین أصـحابه فآخی بین علی ونفسه فرسول الله ص خیر النـاس نفسـا وخیرهم أخـا فقلت یـا أباسـعید فمـا هـذا الـذی یقال عنک إنک قلته فی علی فقال یا ابن أخی احقن دمی من هؤلاء الجبابرة و لو لا ذلک لشالت بی الخشب . قال شـیخنا أبو جعفرالإسکافی رحمه الله تعالی ووجدته أیضا فی کتاب الغارات لإبراهیم بن هلال الثقفی و قد کان بالکوفة من فقهائها من یعادی علیا ویبغضه مع غلبة التشیع علی الکوفة فمنهم مرة الهمدانی. [صفحه ۹۷] وروی أبونعیم الفضل بن دکین عن فطر بن خلیفة قال سـمعت مرة یقول لأن یکون علی جملا یستقی علیه أهله خیر له مما کان علیه . وروی إسـماعیل بن بهرام عن إسـماعیل بن محمـد عن عمرو بن مرة قال قیل لمرة الهمدانی کیف تخلفت عن

على قال سبقنا بحسناته وابتلينا بسيئاته . قال إسماعيل بن بهرام و قدروينا عنه أنه قال أشد فحشا من هذا ولكنا نتورع عن ذكره . وروى الفضل بن دكين عن الحسن بن صالح قال لم يصل أبوصادق على مرة الهمدانى. قال الفضل بن دكين وسمعت أن أباصادق قال فى أيام حياة مرة و الله لايظلنى وإياه سقف بيت أبدا. قال و لمامات لم يحضره عمرو بن شرحبيل قال لاأحضره لشىء كان فى قلبه على على بن أبى طالب . قال ابراهيم بن هلال فحدثنا المسعودى عن عبد الله بن نمير بهذا الحديث قال ثم كان عبد الله بن نمير يقول وكذلك أنا و الله لومات رجل فى نفسه شىء على على ع لم أحضره و لم أصل عليه . ومنهم الأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع روى سلمة بن كهيل أنهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج رسول الله ص فيقعان فى على ع فأما الأسود فمات على ذلك و أمامسروق فلم يمت حتى كان لايصلى لله تعالى صلاة [صفحه ۹۸] إلاصلى بعدها على على بن أبى طالب ع لحديث سمعه من عائشة فى فضله . وروى أبونعيم الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن ليث بن أبى سليم قال كان مسروق يقول كان على كحاطب ليل قال فلم يمت مسروق حتى رجع عن رأيه هذا. وروى سلمة بن كهيل قال دخلت أنا وزبيد اليمامى على امرأة مسروق بعدموته فحدثتنا قالت كان مسروق والأسود بن يزيد يفرطان فى سب على بن أبى طالب ثم مامات مسروق حتى سمعته يصلى عليه و أماالأسود فمضى لشأنه . قال فسألناها لم ذلك قالت شىءسمعه من عائشة ترويه عن النبى ص فيمن أصاب الخوارج . وروى أبونعيم عن عمرو بن ثابت عن أبى إسحاق قال ثلاثة لايؤمنون على على بن أبى طالب مسروق ومرة وشريح . وروى أن الشعبى رابعهم . وروى عن هيثم عن مجالد عن الشعبى أن مسروقا ندم على إبطائه عن على بن أبى طالب ع . وروى الأعمش عن ابراهيم التيمى قال قال على ع لشريح و قدقضى قضية نقم عليه أمرها و الله لأنفينك إلى بانقيا شهرين تقضى بين اليهود -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-۱۴۳ قال ثم قتل على ع ومضى دهر فلما قام المختار بن أبى عبيد قال لشريح ما قال لك أمير المؤمنين ع يوم كذا قال إنه قال لى كذا قال فلا و الله لاتقعد حتى تخرج إلى بانقيا تقضى بين اليهود فسيره إليها فقضى بين اليهود شهرين . [صفحه ۹۹] ومنهم أبووائل شقيق بن سلمة كان عثمانيا يقع فى على ع ويقال إنه كان يرى رأى الخوارج و لم يختلف فى أنه خرج معهم و أنه عاد إلى على ع منيبا مقلعا.روى خلف بن خليفة قال قال أبووائل خرجنا أربعة آلاف فخرج إلينا على فما زال يكلمنا حتى رجع منا ألفان . وروى صاحب كتاب الغارات عن عثمان بن أبى شيبة عن الفضل بن دكين عن سفيان الثورى قال سمعت أباوائل يقول شهدت صفين وبئس الصفوف كانت . قال و قدروى أبوبكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود قال كان أبووائل عثمانيا و كان زر بن حبيش علويا. و من المبغضين القالين أبوبردة بن أبى موسى الأشعرى ورث البغضة له لا عن كلالة. وروى عبدالرحمن بن جندب قال قال أبوبردة لزياد أشهد أن حجر بن عدى قدكفر بالله كفرة أصلع قال عبدالرحمن إنما عنى بذلك نسبة الكفر إلى على بن أبى طالب ع لأنه كان أصلع . قال و قدروى عبدالرحمن المسعودى عن ابن عياش المنتوف قال رأيت أبابردة قال لأبى العادية الجهنى قاتل عمار بن ياسر أ أنت قتلت عمار بن ياسر قال نعم قال ناولنى يدك فقبلها و قال لاتمسك النار أبدا. [صفحه ۱۰۰] وروى أبونعيم عن هشام بن المغيرة عن الغضبان بن يزيد قال رأيت أبابردة قال لأبى العادية قاتل عمار بن ياسر مرحبا بأخى هاهنا فأجلسه إلى جانبه . و من المنحرفين عنه ع أبو عبدالرحمن السلمى القارئ روى صاحب كتاب الغارات عن عطاء بن السائب قال قال رجل لأبى عبدالرحمن السلمى أنشدك بالله إن سألتك لتخبرنى قال نعم فلما أكد عليه قال بالله هل أبغضت عليا إلا يوم قسم المال فى الكوفة فلم يصلك و لا أهل بيتك منه بشىء قال أماإذ أنشدتنى بالله فلقد كان كذلك . قال وروى أبوعمر الضرير عن أبى عوانة قال كان بين عبدالرحمن بن عطية و بين أبى عبدالرحمن السلمى شىء فى أمر على ع فأقبل أبو عبدالرحمن على حيان فقال هل تدرى ماجرأ صاحبك على الدماء يعنى عليا قال و ماجرأه لا أبالغيرك قال حدثنا أن رسول الله ص قال لأهل بدر اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۷۸ أوكلاما هذامعناه . و كان عبد الله بن عكيم عثمانيا و كان عبدالرحمن بن أبى ليلى علويا

فروی موسی الجهنی عن ابنهٔ عبد الله بن عکیم قالت تحدثا یوما فسمعت أبی یقول لعبد الرحمن أما إن صاحبک لوصبر لأتاه الناس . و کان سهم بن طریف عثمانیا و کان علی بن ربیعهٔ علویا فضرب أمیرالکوفهٔ علی الناس بعثا وضرب علی سهم بن طریف معهم فقال سهم لعلی بن ربیعهٔ اذهب إلی الأمیر فکلمه فی أمری لیعفینی فأتی علی بن ربیعهٔ الأمیر فقال أصلحک الله [صفحه ۱۰۱] إن سهما أعمی فأعفه قال قدأعفیته فلما التقیا قال قدأخبرت الأمیر أنک أعمی وإنما عنیت عمی القلب . و کان قیس بن أبی حازم یبغض علیا ع روی وکیع عن إسماعیل بن أبی خالد عن قیس بن أبی حازم قال أتیت علیا ع لیکلم لی عثمان فی حاجهٔ فأبی فأبغضته . قلت وشیوخنا المتکلمون رحمهم الله یسقطون روایته عن النبی ص إنکم لترون ربکم کماترون القمر لیلهٔ البدر -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۶۲ ویقولون إنه کان یبغض علیا ع فکان فاسقا ونقلوا عنه أنه قال سمعت علیا ع یخطب علی المنبر و یقول انفروا إلی بقیهٔ الأحزاب -روایت-۱-۲-روایت-۵۰-۷۵ فدخل بغضه فی قلبی. و کان سعید بن المسیب منحرفا عنه ع وجبهه عمر بن علی ع فی وجهه بکلام شدید.روی عبدالرحمن بن الأسود عن أبی داود الهمدانی قال شهدت سعید بن المسیب وأقبل عمر بن علی بن أبی طالب ع فقال له سعید یا ابن أخی ماأراک تکثر غشیان مسجد رسول الله ص کمایفعل إخوتک وبنو أعمامک فقال عمر یا ابن المسیب أکلما دخلت المسجد أجیء فأشهدک فقال سعید ماأحب أن تغضب سمعت أباک یقول إن لی من الله مقاما لهو خیر لبنی عبدالمطلب مما علی الأرض من شیء -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۹۳ فقال عمر و أناسمعت أبی یقول ماکلمهٔ حکمهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۳۴-ادامه دارد [صفحه ۱۰۲] فی قلب منافق فیخرج من الدنیا حتی یتکلم بها -روایت-از قبل-۵۰ فقال سعید یا ابن أخی جعلتنی منافقا قال هو ماأقول لک ثم انصرف . و کان الزهری من المنحرفین عنه ع . وروی جریر بن عبدالحمید عن محمد بن شیبهٔ قال شهدت مسجد المدینهٔ فإذاالزهری وعروهٔ بن الزبیر جالسان یذکران علیا ع فنالا منه فبلغ ذلک علی بن الحسین ع فجاء حتی وقف علیهما فقال أما أنت یاعروهٔ فإن أبی حاکم أباک إلی الله فحکم لأبی علی أبیک و أما أنت یازهری فلو کنت بمکهٔ لأریتک کبر أبیک -روایت-۱-۲-روایت-۵۰-۳۰۷ . و قدروی من طرق کثیرهٔ أن عروهٔ بن الزبیر کان یقول لم یکن أحد من أصحاب رسول الله ص یزهو إلا علی بن أبی طالب وأسامهٔ بن زید. وروی عاصم بن أبی عامر البجلی عن یحیی بن عروهٔ قال کان أبی إذاذکر علیا نال منه . و قال لی مرهٔ یابنی و الله ماأحجم الناس عنه إلاطلبا للدنیا لقد بعث إلیه أسامهٔ بن زید أن ابعث إلی بعطائی فو الله إنک لتعلم أنک لوکنت فی فم أسد لدخلت معک فکتب إلیه أن هذاالمال لمن جاهد علیه ولکن لی مالا بالمدینهٔ فأصب منه ماشئت . قال یحیی فکنت أعجب من وصفه إیاه بما وصفه به و من عیبه له وانحرافه عنه . و کان زید بن ثابت عثمانیا شدیدا فی ذلک و کان عمرو بن ثابت عثمانیا من أعداء علی ع ومبغضیه وعمرو بن ثابت هو ألذی روی عن أبی أیوب الأنصاری حدیث ستهٔ أیام من شوال . [صفحه ۱۰۳] روی عن عمرو أنه کان یرکب ویدور القری بالشام ویجمع أهلها و یقول أیها الناس إن علیا کان رجلا منافقا أراد أن ینخس برسول الله ص لیلهٔ العقبهٔ فالعنوه فیلعنه أهل تلک القریهٔ ثم یسیر إلی القریهٔ الأخری فیأمرهم بمثل ذلک و کان فی أیام معاویهٔ. و کان مکحول من المبغضین له ع روی زهیر بن معاویهٔ عن الحسن بن الحر قال لقیت مکحولا فإذا هومطبوع یعنی مملوءا بغضا لعلی ع فلم أزل به حتی لان وسکن . وروی المحدثون عن حماد بن زید أنه قال أری أن أصحاب علی أشد حبا له من أصحاب العجل لعجلهم و هذاکلام شنیع . وروی عن شبابهٔ بن سوار أنه ذکر عنده ولد علی ع وطلبهم الخلافهٔ فقال و الله لایصلون إلیها أبدا و الله مااستقامت لعلی و لافرح بهایوما فکیف تصیر إلی ولده هیهات هیهات لا و الله لایذوق طعم الخلافهٔ من رضی بقتل عثمان . و قال شیخنا أبو جعفرالإسکافی کان أهل البصرهٔ کلهم یبغضونه وکثیر من أهل الکوفهٔ وکثیر من أهل المدینهٔ و أما أهل مکهٔ فکلهم کانوا یبغضونه قاطبهٔ وکانت قریش کلها علی خلافه و کان جمهور الخلق مع بنی أمیهٔ علیه . وروی عبدالملک بن عمیر عن عبدالرحمن بن أبی بکرهٔ قال سمعت علیا ع و هو یقول مالقی أحد من الناس مالقیت ثم بکی ع -روایت-۱-۲-روایت-۸۴-

۱۲۶ وروی الشعبی عن شریح بن هانئ قال قال علی ع أللهم إنی أستعدیک -روایت-۱-۲-روایت-۵۳-ادامه دارد [صفحه ۱۰۴] علی قریش فإنهم قطعوا رحمی وأصغوا إنائی وصغروا عظیم منزلتی وأجمعوا علی منازعتی -روایت-از قبل-۸۸ وروی جابر عن أبی الطفیل قال سمعت علیا ع یقول أللهم إنی أستعدیک علی قریش فإنهم قطعوا رحمی وغصبونی حقی وأجمعوا علی منازعتی أمرا کنت أولی به ثم قالوا إن من الحق أن نأخذه و من الحق أن نترکه -روایت-۱-۲-روایت-۵۴-۲۱۲ وروی المسیب بن نجبة الفزاری قال قال علی ع من وجدتموه من بنی أمیة فی ماء فغطوا علی صماخه حتی یدخل الماء فی فیه -روایت-۱-۲-روایت-۵۲-۱۲۷ . وروی عمرو بن دینار عن ابن أبی ملیکة عن المسور بن مخرمة قال لقی عبدالرحمن بن عوف عمر بن الخطاب فقال أ لم نکن نقرأ من جملة القرآن قاتلوهم فی آخر الأمر کماقاتلتموهم فی أوله قال بلی ولکن ذاک إذا کان الأمراء بنی أمیة والوزراء بنی مخزوم . وروی أبوعمر النهدی قال سمعت علی بن الحسین یقول مابمکة والمدینة عشرون رجلا یحبنا -روایت-۱-۲-روایت-۵۷-۹۲ وروی سفیان الثوری عن عمرو بن مرة عن أبی البختری قال أثنی رجل علی علی بن أبی طالب فی وجهه و کان یبغضه فقال علی أنادون ماتقول وفوق ما فی نفسک -روایت-۱-۲-روایت-۶۱-۱۶۳ وروی أبوغسان النهدی قال دخل قوم من الشیعة علی علی ع فی الرحبة و هو علی حصیر خلق فقال ماجاء بکم قالوا حبک یا أمیر المؤمنین قال أماإنه من أحبنی رآنی حیث یحب أن یرانی و من أبغضنی رآنی حیث یکره أن یرانی ثم قال ما عبد الله أحد قبلی إلانبیه ع ولقد هجم أبوطالب علینا و أنا و هوساجدان فقال أ وفعلتموها ثم قال لی و أناغلام ویحک انصر ابن عمک ویحک لاتخذله -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-ادامه دارد [صفحه ۱۰۵] وجعل یحثنی علی مؤازرته ومکانفته فقال له رسول الله ص أ فلاتصلی أنت معنا یاعم فقال لاأفعل یا ابن أخی لاتعلونی استی ثم انصرف -روایت-از قبل-۱۴۲ وروی جعفر بن الأحمر عن مسلم الأعور عن حبة العرنی قال قال علی ع من أحبنی کان معی أماإنک لوصمت الدهر کله وقمت اللیل کله ثم قتلت بین الصفا والمروة أو قال بین الرکن والمقام لمابعثک الله إلا مع هواک بالغا مابلغ إن فی جنة ففی جنة و إن فی نار ففی نار -روایت-۱-۲-روایت-۷۳-۲۷۵ وروی جابر الجعفی عن علی ع أنه قال من أحبنا أهل البیت فلیستعد عدة للبلاء -روایت-۱-۲-روایت-۴۴-۸۴ وروی أبوالأحوص عن أبی حیان عن علی ع یهلک فی رجلان محب غال ومبغض قال -روایت-۱-۲-روایت-۴۶-۸۴ وروی حماد بن صالح عن أیوب عن کهمس أن علیا ع قال یهلک فی ثلاثة اللاعن والمستمع المقر وحامل الوزر و هوالملک المترف ألذی یتقرب إلیه بلعنتی ویبرأ عنده من دینی وینتقص عنده حسبی وإنما حسبی حسب رسول الله ص ودینی دینه وینجو فی ثلاثة من أحبنی و من أحب محبی و من عادی عدوی فمن أشرب قلبه بغضی أوألب علی بغضی أوانتقصنی فلیعلم أن الله عدوه وخصمه و الله عدو للکافرین -روایت-۱-۲-روایت-۵۷-۳۹۹ وروی محمد بن الصلت عن محمد بن الحنفیة قال من أحبنا نفعه الله بحبنا و لو کان أسیرا بالدیلم -روایت-۱-۲-روایت-۴۹-۱۰۰ وروی أبوصادق عن ربیعة بن ناجد عن علی ع قال قال لی رسول الله ص إن فیک لشبها من عیسی ابن مریم أحبته النصاری حتی أنزلته بالمنزلة التی لیست له وأبغضته الیهود حتی بهتت أمه -روایت-۱-۲-روایت-۵۲-۱۹۴ [صفحه ۱۰۶] وروی صاحب کتاب الغارات حدیث البراءة علی غیرالوجه المذکور فی کتاب نهج البلاغة قال أخبرنا یوسف بن کلیب المسعودی عن یحیی بن سلیمان العبدی عن أبی مریم الأنصاری عن محمد بن علی الباقر ع قال خطب علی ع علی منبر الکوفة فقال سیعرض علیکم سبی وستذبحون علیه فإن عرض علیکم سبی فسبونی و إن عرض علیکم البراءة منی فإنی علی دین محمدص و لم یقل فلاتبرءوا منی -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۷-۲۹۹ و قال أیضا حدثنی أحمد بن مفضل قال حدثنی الحسن بن صالح عن جعفر بن محمد ع قال قال علی ع و الله لتذبحن علی سبی وأشار بیده إلی حلقه ثم قال فإن أمروکم بسبی فسبونی و إن أمروکم أن تبرءوا منی فإنی علی دین محمدص و لم ینههم عن إظهار البراءة -روایت-۱-۲-روایت-۱۰۱-۲۶۳ وروی شیخنا أبوالقاسم البلخی رحمه الله تعالی عن سلمة بن کهیل عن المسیب بن نجبة قال بینا علی ع

يخطب إذ قام أعرابی فصاح وا مظلمتاه فاستدناه علی ع فلما دنا قال له إنما لک مظلمهٔ واحدهٔ و أنا قدظلمت عدد المدر والوبر -روايت-١-٢-روايت-٩۴-٢٣٢ قال و فی روايهٔ عباد بن يعقوب إنه دعاه فقال له ويحک و أنا و الله مظلوم أيضا هات فلندع علی من ظلمنا -روايت-١-٢-روايت-٣۴-١١١ وروی سدير الصيرفی عن أبی جعفر محمد بن علی قال اشتكی علی ع شكاهٔ فعاده أبوبكر وعمر وخرجا من عنده فأتيا النبی ص فسألهما من أين جئتما قالا عدنا عليا قال كيف رأيتماه قال رأيناه يخاف عليه مما به فقال كلا إنه لن يموت حتی يوسع غدرا وبغيا وليكونن فی هذه الأمهٔ عبرهٔ يعتبر به الناس من بعده -روايت-١-٢-روايت-۵۶-٣٠٩ [صفحه ١٠٧] وروی عثمان بن سعيد عن عبد الله بن الغنوی أن عليا ع خطب بالرحبهٔ فقال أيها الناس إنكم قدأبيتم إلا أن أقولها ورب السماء و الأرض إن من عهد النبی الأمی إلی أن الأمهٔ ستغدر بک بعدی -روايت-١-٢-روايت-٧٨-١٩٣ وروی هيثم بن بشير عن إسماعيل بن سالم مثله و قدروی أكثر أهل الحديث هذاالخبر بهذا اللفظ أوبقريب منه . وروی أبو جعفرالإسكافی أيضا أن النبی ص دخل علی فاطمهٔ ع فوجد عليا نائما فذهبت تنبهه فقال دعيه فرب سهر له بعدی طويل ورب جفوهٔ لأهل بيتی من أجله شديدهٔ فبكت فقال لاتبكی فإنكما معی و فی موقف الكرامهٔ عندی -روايت-١-٢-روايت-٣٢-٢٢٢ وروی الناس كافهٔ أن رسول الله ص قال له هذاوليی و أناوليه عاديت من عاداه وسالمت من سالمه -روايت-١-٢-روايت-٢٠-١٠۴ وروی أيضا محمد بن عبيد الله بن أبی رافع عن زيد بن علی بن الحسين ع قال قال رسول الله ص لعلی ع عدوک عدوی وعدوی عدو الله عز و جل -روايت-١-٢-روايت-٨٣-١۴٩ وروی يونس بن حباب عن أنس بن مالک قال كنا مع رسول الله ص و علی بن أبی طالب معنا فمررنا بحديقهٔ فقال علی يا رسول الله أ لاتری ماأحسن هذه الحديقهٔ فقال إن حديقتک فی الجنهٔ أحسن منها حتی مررنا بسبع حدائق يقول علی ما قال ويجيبه رسول الله ص بما أجابه ثم إن رسول الله ص وقف فوقفنا فوضع رأسه علی رأس علی وبكی فقال علی مايبكيک يا رسول الله قال ضغائن فی صدور قوم لايبدونها لک حتی يفقدونی -روايت-١-٢-روايت-۴۶-ادامه دارد [صفحه ١٠٨] فقال يا رسول الله أ فلاأضع سيفی علی عاتقی فأبيد خضراءهم قال بل تصبر قال فإن صبرت قال تلاقی جهدا قال أ فی سلامهٔ من دينی قال نعم قال فإذا لاأبالی -روايت-از قبل-١۶٣ وروی جابر الجعفی عن محمد بن علی ع قال قال علی ع مارأيت منذ بعث الله محمداص رخاء لقد أخافتنی قريش صغيرا وأنصبتنی كبيرا حتی قبض الله رسوله فكانت الطامهٔ الكبری وَ اللّهُ المُستَعانُ عَلی ما تَصِفُونَ -روايت-١-٢-روايت-۶١-٢٢٠ وروی صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن أنس بن مالک قال سمعت رسول الله ص يقول سيظهر علی الناس رجل من أمتی عظيم السرم واسع البلعوم يأكل و لايشبع يحمل وزر الثقلين يطلب الإمارهٔ يوما فإذاأدركتموه فابقروا بطنه قال و كان فی يد رسول الله ص قضيب قدوضع طرفه فی بطن معاويهٔ -روايت-١-٢-روايت-٨٨-٢٩۶ . قلت هذاالخبر مرفوع مناسب لماقاله علی ع فی نهج البلاغهٔ ومؤكد لاختيارنا أن المراد به معاويهٔ دون ماقاله كثير من الناس إنه زياد والمغيرهٔ. وروی جعفر بن سليمان الضبعی عن أبی هارون العبدی عن أبی سعيد الخدری قال ذكر رسول الله ص يوما لعلی مايلقی بعده من العنت فأطال فقال له ع أنشدک الله والرحم يا رسول الله لمادعوت الله أن يقبضنی إليه قبلک قال كيف أسأله فی أجل مؤجل قال يا رسول الله فعلام أقاتل من أمرتنی بقتاله قال علی الحدث فی الدين -روايت-١-٢-روايت-٨٢-٣٣۵ وروی الأعمش عن عمار الدهنی عن أبی صالح الحنفی عن علی ع قال -روايت-١-٢-روايت-٧٢-ادامه دارد [صفحه ١٠٩] قال لنا يوما لقد رأيت الليلهٔ رسول الله ص فی المنام فشكوت إليه مالقيت حتی بكيت فقال لی انظر فنظرت فإذاجلاميد و إذارجلان مصفدان قال الأعمش هما معاويهٔ وعمرو بن العاص قال فجعلت أرضخ رءوسهما ثم تعود ثم أرضخ ثم تعود حتی انتبهت -روايت-از قبل-٢۴٣ وروی نحو هذاالحديث عمرو بن مرهٔ عن أبی عبد الله بن سلمهٔ عن علی ع قال رأيت الليلهٔ رسول الله ص فشكوت إليه فقال هذه جهنم فانظر من فيها فإذامعاويهٔ وعمرو بن العاص معلقين بأرجلهما منكسين ترضخ رءوسهما بالحجارهٔ أو قال تشدخ -روايت-١-٢-روايت-٨٠-٢٣٩ وروی قيس بن

الربيع عن يحيى بن هانئ المرادى عن رجل من قومه يقال له رياد بن فلان قال كنا فى بيت مع على ع نحن شيعته وخواصه فالتفت فلم ينكر منا أحدا فقال إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم ويسملون أعينكم فقال رجل منا و أنت حى يا أمير المؤمنين قال أعاذنى الله من ذلك فالتفت فإذاواحد يبكى فقال له يا ابن الحمقاء أتريد اللذات فى الدنيا والدرجات فى الآخرة إنما وعد الله الصابرين -روايت-١-٢-روايت-٩٨-٤٢٤ وروى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبى جعفر محمد بن على ع قال كان على ع إذاصلى الفجر لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس فإذاطلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم الفقه والقرآن و كان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك فقام يوما فمر برجل فرماه بكلمة هجر قال لم يسمه محمد بن على ع فرجع عوده على بدئه حتى صعد المنبر وأمر فنودى الصلاة جامعة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس إنه ليس شىءأحب إلى الله و لاأعم نفعا من -روايت-١-٢-روايت-٧٠-ادامه دارد [صفحه ١١٠] حلم إمام وفقهه و لا شىءأبغض إلى الله و لاأعم ضررا من جهل إمام وخرقه ألا وإنه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ ألا وإنه من أنصف من نفسه لم يزده الله إلاعزا ألا و إن الذل فى طاعة الله أقرب إلى الله من التعزز فى معصيته ثم قال أين المتكلم آنفا فلم يستطع الإنكار فقال ها أناذا يا أمير المؤمنين فقال أماإنى لوأشاء لقلت فقال إن تعف وتصفح فأنت أهل ذلك قال قدعفوت وصفحت فقيل لمحمد بن على ع ماأراد أن يقول قال أراد أن ينسبه -روايت-از قبل-٤٨٥ وروى زرارة أيضا قال قيل لجعفر بن محمد ع إن قوما هاهنا ينتقصون عليا ع قال بم ينتقصونه لا أبالهم وهل فيه موضع نقيصة و الله ماعرض لعلى أمران قط كلاهما لله طاعة إلاعمل بأشدهما وأشقهما عليه ولقد كان يعمل العمل كأنه قائم بين الجنة والنار ينظر إلى ثواب هؤلاء فيعمل له وينظر إلى عقاب هؤلاء فيعمل له و إن كان ليقوم إلى الصلاة فإذا قال وجهت وجهى تغير لونه حتى يعرف ذلك فى وجهه ولقد أعتق ألف عبد من كد يده كل منهم يعرق فيه جبينه وتحفى فيه كفه ولقد بشر بعين نبعت فى ماله مثل عنق الجزور فقال بشر الوارث بشر ثم جعلها صدقة على الفقراء والمساكين و ابن السبيل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ليصرف الله النار عن وجهه ويصرف وجهه عن النار -روايت-١-٢-روايت-٢٥-٦٨٥ وروى القناد عن أبى مريم الأنصارى عن على ع لايحبنى كافر و لاولد زنا -روايت-١-٢-روايت-٥٢-٧٩ . وروى جعفر بن زياد عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى قال كنا بنور إيماننا نحب على بن أبى طالب ع فمن أحبه عرفنا أنه منا [صفحه ١١١]

فصل فى معنى قول على فسبونى فإنه لى زكاة

المسألة الثالثة فى معنى قوله ع فسبونى فإنه لى زكاة ولكم نجاة فنقول إنه أباح لهم سبه عندالإكراه لأن الله تعالى قدأباح عندالإكراه التلفظ بكلمة الكفر فقال إِلّا مَن أُكرِهَ وَ قَلبُهُ مُطمَئِنّ بِالإِيمانِ والتلفظ بكلمة الكفر أعظم من التلفظ بسب الإمام .فأما قوله فإنه لى زكاة ولكم نجاة فمعناه أنكم تنجون من القتل إذاأظهرتم ذلك ومعنى الزكاة يحتمل أمرين أحدهما ماورد فى الأخبار النبوية أن سب المؤمن زكاة له وزيادة فى حسناته . والثانى أن يريد به أن سبهم لى لاينقص فى الدنيا من قدرى بل أزيد به شرفا وعلو قدر وشياع ذكر وهكذا كان فإن الله تعالى جعل الأسباب التى حاول أعداؤه بهاالغض منه عللا لانتشار صيته فى مشارق الأرض ومغاربها. و قدلمح هذاالمعنى أبونصر بن نباته فقال للشريف الجليل محمد بن عمر العلوى -قرآن-١٦٩-٢١٨ وأبوك الوصى أول من شاد || منار الهدى وصام وصلى نشرت حبله قريش فأعطته || إلى صبحة القيامة فتلا . واحتذيت أناحذوه فقلت لأبى المظفر هبة الله بن موسى الموسوى رحمه الله تعالى فى قصيده أذكر فيهاأباه أمك الدرة التى أنجبت من || جوهر المجد راضيا مرضيا وأبوك الإمام موسى كظيم || الغيظ حتى يعيده منسيا [صفحه ١١٢] وأبوه تاج الهدى جعفرالصادق

|| وحيا عن الغيوب وحيا وأبوه محمدباقر العلم || مضى لنا هاديا مهديا وأبوه السجاد أتقى عباد || الله لله مخلصا ووفيا و الحسين ألذى تخير أن || يقضى عزيزا و لايعيش دنيا وأبوه الوصى أول من || طاف ولبى سبعا وساق الهديا طامنت مجده قريش فأعطته || إلى سدرة السماء رقيا أخملت صيته فطار إلى أن || ملأ الأفق ضجة ودويا و أبوطالب كفيل أبى || القاسم كهلا ويافعا وفتيا ولشيخ البطحاء تاج معد || شيبة الحمد هل علمت سميا و أبوعمر العلا هاشم الجود || و من مثل هاشم بشريا وأبوه الهمام عبدمناف || قل تقل صادقا وتبدى بديا ثم زيد أعنى قصى ألذى لم || يك عن ذروة العلاء قصيا نسب إن تلفع النسب المحض || لفاعا كان السليب العريا و إذاأظلمت مناسخة الأحساب || يوما كان المنير الجليا يا له مجدة على قدم الدهر || و قديفضل العتيق الطريا . وذكرنا هاهنا ماقبل المعنى و مابعده لأن الشعر حديث والحديث كماقيل يأخذ بعضه برقاب بعض ولأن ماقبل المعنى و مابعده مكمل له وموضح مقصده . فإن قلت أى مناسبة بين لفظ الزكاة وانتشار الصيت والسمع . قلت لأن الزكاة هى النماء والزيادة و منه سميت الصدقة المخصوصة زكاة لأنها تنمى المال المزكى وانتشار الصيت نماء وزيادة [صفحه ١١٣]

فصل فى اختلاف الرأى فى معنى السب والبراءة

المسألة الرابعة أن يقال كيف قال ع فأما السب فسبونى فإنه لى زكاة ولكم نجاة و أماالبراءة فلاتبرءوا منى و أى فرق بين السب والبراءة وكيف أجاز لهم السب ومنعهم عن التبرؤ والسب أفحش من التبرؤ. والجواب أما ألذى يقوله أصحابنا فى ذلك فإنه لافرق عندهم بين سبه والتبرؤ منه فى أنهما حرام وفسق وكبيرة و أن المكره عليهما يجوز له فعلهما عندخوفه على نفسه كمايجوز له إظهار كلمة الكفر عندالخوف . ويجوز ألا يفعلهما و إن قتل إذاقصد بذلك إعزاز الدين كمايجوز له أن يسلم نفسه للقتل و لايظهر كلمة الكفر إعزازا للدين وإنما استفحش ع البراءة لأن هذه اللفظة ماوردت فى القرآن العزيز إلا عن المشركين أ لاترى إلى قوله تعالى بَراءَةٌ مِنَ اللّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى الّذِينَ عاهَدتُم مِنَ المُشرِكِينَ و قال تعالى أَنّ اللّهَ برَيِءٌ مِنَ المُشرِكِينَ وَ رَسُولُهُفقد صارت بحسب العرف الشرعى مطلقة على المشركين خاصة فإذن يحمل هذاالنهى على ترجيح تحريم لفظ البراءة على لفظ السب و إن كان حكمهما واحدا أ لاترى إن إلقاء المصحف فى القذر أفحش من إلقاء المصحف فى دن الشراب و إن كانا جميعا محرمين و كان حكمهما واحدا. -قرآن-٦٣٨-٧١٢-قرآن-٧٢٧-٧٧٧ فأما الإمامية فتروى عنه ع أنه قال إذاعرضتم على البراءة منا فمدوا الأعناق -روايت-١-٢-روايت-٤١-٨٣ ويقولون إنه لايجوز التبرؤ منه و إن كان الحالف صادقا و إن عليه الكفارة. [صفحه ١١٤] ويقولون إن حكم البراءة من الله تعالى و من الرسول و منه ع و من أحد الأئمة ع حكم واحد. ويقولون إن الإكراه على السب يبيح إظهاره و لايجوز الاستسلام للقتل معه و أماالإكراه على البراءة فإنه يجوز معه الاستسلام للقتل ويجوز أن يظهر التبرؤ والأولى أن يستسلم للقتل

فصل فى معنى قول على إنى ولدت على الفطرة

المسألة الخامسة أن يقال كيف علل نهيه لهم على البراءة منه ع بقوله فإنى ولدت على الفطرة فإن هذاالتعليل لايختص به ع لأن كل أحد يولد على الفطرة قال النبى ص كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه -روايت-١-٢-روايت-١٨-٧٦ والجواب أنه ع علل نهيه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وعلل وهى كونه ولد على الفطرة وكونه سبق إلى الإيمان والهجرة و

لم يعلل بآحاد هذاالمجموع ومراده هاهنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد فى الجاهلية لأنه ولد ع لثلاثين عاما مضت من عام الفيل و النبى ص أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل و قدجاء فى الأخبار الصحيحة أنه ص مكث قبل الرسالة سنين عشرا يسمع الصوت ويرى الضوء و لايخاطبه أحد و كان ذلك إرهاصا لرسالته ع فحكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته ص فالمولود فيها إذا كان فى حجره و هوالمتولى لتربيته مولود فى أيام كأيام النبوة و ليس بمولود فى جاهلية محضة ففارقت حاله حال من يدعى له من الصحابة مماثلته فى الفضل و قدروى أن السنة التى ولد فيها على [صفحه ١١٥] ع هى السنة التى بدئ فيهابرسالة رسول الله ص فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وكشف عن بصره فشاهد أنوارا وأشخاصا و لم يخاطب فيهابشىء و هذه السنة هى السنة التى ابتدأ فيهابالتبتل والانقطاع والعزلة فى جبل حراء فلم يزل به حتى كوشف بالرسالة وأنزل عليه الوحى و كان رسول الله ص يتيمن بتلك السنة وبولادة على ع فيها ويسميها سنة الخير وسنة البركة و قال لأهله ليلة ولادته و فيهاشاهد ماشاهد من الكرامات والقدرة الإلهية و لم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئا لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله علينا به أبوابا كثيرة من النعمة والرحمة -روايت-١-٧٧ و كان كما قال ص فإنه ع كان ناصره والمحامى عنه وكاشف الغماء عن وجهه وبسيفه ثبت دين الإسلام ورست دعائمه وتمهدت قواعده . و فى المسألة تفسير آخر و هو أن يعنى بقوله ع فإنى ولدت على الفطرة -روايت-١-٢-روايت-١٢-٣٥ أى على الفطرة التى لم تتغير و لم تحل و ذلك أن معنى قول النبى ص كل مولود يولد على الفطرة -روايت-١-٢-روايت-١٧-٤٣ أن كل مولود فإن الله تعالى قدهيأه بالعقل ألذى خلقه فيه وبصحة الحواس والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل و لم يجعل فيه مانعا يمنعه عن ذلك ولكن التربية والعقيدة فى الوالدين والإلف لاعتقادهما وحسن الظن فيهما يصده عما فطر عليه و أمير المؤمنين ع دون غيره ولد على الفطرة التى لم تحل و لم يصد عن مقتضاها مانع لا من جانب الأبوين و لا من جهة غيرهما وغيره ولد على الفطرة ولكنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها. ويمكن أن يفسر بأنه ع أراد بالفطرة العصمة و أنه منذ ولد لم يواقع قبيحا [صفحه ١١٦] و لا كان كافرا طرفة عين قط و لامخطئا و لاغالطا فى شىء من الأشياء المتعلقة بالدين و هذاتفسير الإمامية

فصل فيما قيل من سبق على إلى الإسلام

المسألة السادسة أن يقال كيف قال وسبقت إلى الإيمان و قد قال قوم من الناس إن أبابكر سبقه و قال قوم إن زيد بن حارثة سبقه . والجواب أن أكثر أهل الحديث وأكثر المحققين من أهل السيرة رووا أنه ع أول من أسلم ونحن نذكر كلام أبى عمر يوسف بن عبدالبر المحدث فى كتابه المعروف بالإستيعاب . قال أبوعمر فى ترجمة على ع المروى عن سلمان و أبى ذر والمقداد وخباب و أبى سعيد الخدرى وزيد بن أسلم أن عليا ع أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره . قال أبوعمر و قال ابن إسحاق أول من آمن بالله وبمحمد رسول الله ص على بن أبى طالب ع و هوقول ابن شهاب إلا أنه قال من الرجال بعدخديجة. قال أبوعمر و حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا أحمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن جرير قال حدثنا على بن عبد الله الدهقان قال حدثنا محمد بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال لعلى ع أربع خصال ليست -روايت-١-٢-روايت-١٩٥-ادامه دارد [صفحه ١١٧] لأحد غيره هوأول عربى وعجمى صلى مع رسول الله ص و هو ألذى كان معه لواؤه فى كل زحف و هو ألذى صبر معه يوم فر عنه غيره و هو ألذى غسله وأدخله قبره -روايت-از قبل-١٦٣ قال أبوعمر وروى عن سلمان الفارسى أنه قال أول هذه الأمة ورودا على نبيهاص الحوض أولها إسلاما على بن أبى طالب -روايت-١-٢-روايت-٥٠-١٢٢ و قدروى هذاالحديث مرفوعا عن سلمان عن النبى ص أنه قال أول هذه الأمة ورودا على الحوض أولها إسلاما على بن أبى

طالب -روايت-۱-۲-روايت-۳۷-۱۰۱ . قال أبوعمر ورفعه أولى لأن مثله لايدرك بالرأى. قال أبوعمر فأما إسناد المرفوع فإن أحمد بن قاسم قال حدثناقاسم بن أصبغ قال حدثنا ابن الحارث بن أبى أسامة قال حدثنى يحيى بن هاشم قال حدثناسفيان الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى صادق عن حنش بن المعتمر عن عليم الكندى عن سلمان الفارسى قال قال رسول الله ص أولكم واردا على الحوض أولكم إسلاما على بن أبى طالب -روايت-۱-۲-روايت-۲۴۶-۳۰۳ قال أبوعمر وروى أبوداود الطيالسى قال حدثنا أبوعوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال أول من صلى مع النبى ص بعدخديجة على بن أبى طالب -روايت-۱-۲-روايت-۱۱۴-۱۶۹ قال أبوعمر و حدثنا عبدالوارث بن سفيان قال حدثناقاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدثنا الحسن بن حماد قال حدثنا أبوعوانة عن أبى بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال كان على أول من آمن من الناس بعدخديجة -روايت-۱-۲-روايت-۱۹۷-۲۴۰ . قال أبوعمر هذاالإسناد لامطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته و قدعارض [صفحه ۱۱۸] ماذكرنا فى باب أبى بكر الصديق عن ابن عباس والصحيح فى أمر أبى بكر أنه أول من أظهر إسلامه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۶۷ كذلك قاله مجاهد وغيره قالوا ومنعه قومه . قال أبوعمر اتفق ابن شهاب و عبد الله بن محمد بن عقيل وقتادة و ابن إسحاق على أن أول من أسلم من الرجال على واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به ثم على بعد. وروى عن أبى رافع مثل ذلك . قال أبوعمر و حدثنا عبدالوارث قال حدثناقاسم قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا عبد السلام بن صالح قال حدثنا عبدالعزيز بن محمدالدراوردى قال حدثناعمر مولى غفرة قال سئل محمد بن كعب القرظى عن أول من أسلم على أم أبى بكر فقال سبحان الله على أولهما إسلاما وإنما شبه على الناس لأن عليا أخفى إسلامه من أبى طالب وأسلم أبوبكر فأظهر إسلامه . قال أبوعمر و لاشك عندنا أن عليا أولهما إسلاما ذكر عبدالرزاق فى جامعه عن معمر عن قتادة عن الحسن وغيره قالوا أول من أسلم بعدخديجة على بن أبى طالب ع . وروى معمر عن عثمان الجزرى عن مقسم عن ابن عباس قال أول من أسلم على بن أبى طالب -روايت-۱-۲-روايت-۶۰-۹۳ قال أبوعمر وروى ابن فضيل عن الأجلح عن حبة بن جوين العرنى قال سمعت عليا ع يقول لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين -روايت-۱-۲-روايت-۹۰-۱۴۹ قال أبوعمر وروى شعبة عن سلمة بن كهيل عن حبة العرنى قال سمعت عليا يقول إنا أول من صلى مع رسول الله ص -روايت-۱-۲-روايت-۷۹-۱۱۵ [صفحه ۱۱۹] قال أبوعمر و قدروى سالم بن أبى الجعد قال قلت لابن الحنفية أبوبكر كان أولهما إسلاما قال لا. قال أبوعمر وروى مسلم الملائى عن أنس بن مالك قال استنبئ النبى ص يوم الإثنين وصلى على يوم الثلاثاء. قال أبوعمر و قال زيد بن أرقم أول من آمن بالله بعد رسول الله ص على بن أبى طالب . قال و قدروى حديث زيد بن أرقم من وجوه ذكرها النسائى وأسلم بن موسى وغيرهما منها ما حدثنا به عبدالوارث قال حدثناقاسم قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا على بن الجعد قال حدثناشعبة قال أخبرنى عمرو بن مرة قال سمعت أباحمزة الأنصارى قال سمعت زيد بن أرقم يقول أول من صلى مع رسول الله ص على بن أبى طالب . قال أبوعمر و حدثنا عبدالوارث حدثناقاسم حدثنا أحمد بن زهير بن حرب حدثنا أبى قال حدثنايعقوب بن ابراهيم بن سعد قال حدثنا ابن إسحاق قال حدثنايحيى بن أبى الأشعث عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندى عن أبيه عن جده قال كنت امرأ تاجرا فقدمت الحج فأتيت العباس بن عبدالمطلب لأبتاع منه بعض التجارة و كان امرأ تاجرا فو الله إنى لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها قدمالت قام يصلى ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء ألذى خرج منه ذلك الرجل فقامت خلفه تصلى ثم خرج غلام حين راهق الحلم من ذلك الخباء فقام معه يصلى فقلت للعباس ما هذا ياعباس قال هذا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ابن أخى قلت من هذه المرأة [صفحه ۱۲۰] قال امرأته خديجة بنت خويلد قلت ما هذاالفتى قال على بن أبى طالب ابن عمه قلت ما هذا ألذى يصنع قال يصلى و هويزعم أنه نبى و لم يتبعه على أمره إلاامرأته و ابن عمه هذاالغلام و هويزعم أنه سيفتح على أمته

كنوز كسرى وقيصر قال فكان عفيف الكندى يقول و قدأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه لو كان الله رزقنى الإسلام يومئذ كنت أكون ثانيا مع على . قال أبوعمر و قدذكرنا هذاالحديث من طرق فى باب عفيف الكندى من هذاالكتاب . قال أبوعمر ولقد قال على ع صليت مع رسول الله ص كذا وكذا لايصلى معه غيرى إلاخديجة -روايت-١-٢-روايت-٣٣-٩٤ .فهذه الروايات والأخبار كلها ذكرها أبوعمر يوسف بن عبدالبر فى الكتاب المذكور وهى كماتراها تكاد تكون إجماعا. قال أبوعمر وإنما الاختلاف فى كمية سنه ع يوم أسلم ذكر الحسن بن على الحلوانى فى كتاب المعرفة له قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنااللیث بن سعد عن أبى الأسود محمد بن عبدالرحمن أنه بلغه أن عليا والزبير أسلما وهما ابنا ثمانى سنين كذا يقول أبوالأسود يتيم عروة وذكره أيضا ابن أبى خيثمة عن قتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد عن أبى الأسود وذكره عمر بن شبة عن الحزامى عن أبى وهب عن الليث عن أبى الأسود قال الليث وهاجرا وهما ابنا ثمان عشرة سنة. قال أبوعمر و لاأعلم أحدا قال بقول أبى الأسود هذا. قال أبوعمر وروى الحسن بن على الحلوانى قال حدثنا عبدالرزاق قال حدثنامعمر عن قتادة عن الحسن قال أسلم على و هو ابن خمس عشرة سنة [صفحه ١٢١] قال أبوعمر وأخبرنا أبوالقاسم خلف بن قاسم بن سهل قال حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن إسماعيل الطوسى قال أخبرنا أبوالعباس محمد بن إسحاق بن ابراهيم السراج قال حدثنا محمد بن مسعود قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن قال أسلم على و هوأول من أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة أوست عشرة سنة. قال أبوعمر قال ابن وضاح و مارأيت أحدا قط أعلم بالحديث من محمد بن مسعود و لابالرأى من سحنون . قال أبوعمر قال ابن إسحاق أول ذكر آمن بالله ورسوله على بن أبى طالب ع و هويومئذ ابن عشر سنين . قال أبوعمر والروايات فى مبلغ سنه ع مختلفة قيل أسلم و هو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن اثنتى عشرة سنة وقيل ابن خمس عشرة سنة وقيل ابن ست عشرة وقيل ابن عشر وقيل ابن ثمان . قال أبوعمر وذكر عمر بن شبة عن المدائنى عن ابن جعدة عن نافع عن ابن عمر قال أسلم على و هو ابن ثلاث عشرة سنة. قال وأخبرنا ابراهيم بن المنذر الحرامى قال حدثنا محمد بن طلحة قال حدثنى جدى إسحاق بن يحيى عن طلحة قال كان على بن أبى طالب ع والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص أعمارا واحدة. قال وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عبدالمؤمن قال حدثناإسماعيل بن على الخطبى قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنى أبى قال حدثناحجين أبوعمر قال حدثناحبان عن معروف عن أبى معشر قال كان على ع وطلحة والزبير فى سن واحدة. [صفحه ١٢٢] قال وروى عبدالرزاق عن الحسن وغيره أن أول من أسلم بعدخديجة على بن أبى طالب ع و هو ابن خمس عشرة سنة أوست عشرة. قال أبوعمر وروى أبوزيد عمر بن شبة قال حدثناشريح بن النعمان قال حدثناالفرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عمر قال أسلم على و هو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفى و هو ابن ثلاث وستين سنة. قال أبوعمر هذاأصح ماقيل فى ذلك و الله أعلم .انتهى حكاية كلام أبى عمر فى كتاب الإستيعاب . واعلم أن شيوخنا المتكلمين لايكادون يختلفون فى أن أول الناس إسلاما على بن أبى طالب ع إلا من عساه خالف فى ذلك من أوائل البصريين فأما ألذى تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بأنه أسبق الناس إلى الإيمان لاتكاد تجد اليوم فى تصانيفهم و عندمتكلميهم والمحققين منهم خلافا فى ذلك . واعلم أن أمير المؤمنين ع مازال يدعى ذلك لنفسه ويفتخر به ويجعله فى أفضليته على غيره ويصرح بذلك و قد قال غيرمرة أناالصديق الأكبر والفاروق الأول أسلمت قبل إسلام أبى بكر وصليت قبل صلاته . وروى عنه هذاالكلام بعينه أبو محمد بن قتيبة فى كتاب المعارف و هو غيرمتهم فى أمره . و من الشعر المروى عنه ع فى هذاالمعنى الأبيات التى أولها -روايت-١-٢-روايت-٦٦-٦٧ محمد النبى أخى وصهرى || وحمزة سيد الشهداء عمى و من جملتها -روايت-١-١٤ سبقتكم إلى الإسلام طرا || غلاما مابلغت أوان حلمى [صفحه ١٢٣] والأخبار الواردة فى هذاالباب كثيرة جدا لايتسع هذاالكتاب لذكرها فلتطلب من مظانها. و من تأمل كتب السير والتواريخ عرف من ذلك ماقلناه .فأما الذاهبون إلى أن أبابكر أقدمهما إسلاما فنفر قليلون ونحن نذكر ماأورده ابن عبدالبر أيضا فى كتاب

الإستيعاب فی ترجمة أبی بكر. قال أبوعمر حدثنی خالد بن القاسم قال حدثنا أحمد بن محبوب قال حدثنا محمد بن عبدوس قال حدثنا أبوبكر بن أبی شيبة قال حدثناشيخ لنا قال أخبرنا مجالد عن الشعبی قال سألت ابن عباس أوسئل أی الناس كان أول إسلاما فقال أ ماسمعت قول حسان بن ثابت إذاتذكرت شجوا من أخی ثقة || فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا خير البرية أتقاها وأعدلها || بعد النبی وأوفاها بما حملا والثانی التالی المحمود مشهده || وأول الناس منهم صدق الرسلا ويروی أن النبی ص قال لحسان هل قلت فی أبی بكر شيئا قال نعم وأنشده هذه الأبيات و فيهابيت رابع -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۱۰۹ وثانی اثنين فی الغار المنيف و قد || طاف العدو به إذ صعدوا الجبلا فسر بذلك رسول الله ص و قال أحسنت ياحسان و قدروی فيهابيت خامس -روايت-۱-۷۱ و كان حب رسول الله قدعلموا || من البرية لم يعدل به رجلا [صفحه ۱۲۴] و قال أبوعمر وروی شعبة عن عمرو بن مرة عن ابراهيم النخعی قال أول من أسلم أبوبكر. قال وروی الجريری عن أبی نصر قال قال أبوبكر لعلی ع أناأسلمت قبلك فی حديث ذكره فلم ينكره عليه . قال أبوعمر و قال فيه أبومحجن الثقفی وسميت صديقا و كل مهاجر || سواك يسمی باسمه غيرمنكر سبقت إلی الإسلام و الله شاهد || وكنت جليسا بالعريش المشهر وبالغار إذ سميت خلا وصاحبا || وكنت رفيقا للنبی المطهر قال أبوعمر وروينا من وجوه عن أبی أمامة الباهلی قال حدثنی عمرو بن عبسة قال أتيت رسول الله ص و هونازل بعكاظ فقلت يا رسول الله ص من اتبعك علی هذاالأمر فقال حر و عبد أبوبكر وبلال قال فأسلمت عند ذلك -روايت-۱-۲-روايت-۸۳-۲۱۷ وذكر الحديث . هذامجموع ماذكره أبوعمر بن عبدالبر فی هذاالباب فی ترجمة أبی بكر ومعلوم أنه لانسبة لهذه الروايات إلی الروايات التی ذكرها فی ترجمة علی ع الدالة علی سبقه و لاريب أن الصحيح ماذكره أبوعمر أن عليا ع كان هوالسابق و أن أبابكر هوأول من أظهر إسلامه فظن أن السبق له . و أمازيد بن حارثة فإن أباعمر بن عبدالبر رضی الله تعالی عنه ذكر فی كتاب الإستيعاب أيضا فی ترجمة زيد بن حارثة قال ذكر معمر بن شبة فی جامعه عن الزهری أنه قال ماعلمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة. [صفحه ۱۲۵] قال عبدالرزاق و ماأعلم أحدا ذكره غيرالزهری. و لم يذكر صاحب الإستيعاب مايدل علی سبق زيد إلا هذه الرواية واستغربها فدل مجموع ماذكرناه أن عليا ع أول الناس إسلاما و أن المخالف فی ذلك شاذ والشاذ لايعتد به

فصل فيما ذكر من سبق علی إلی الهجرة

المسألة السابعة أن يقال كيف قال إنه سبق إلی الهجرة ومعلوم أن جماعة من المسلمين هاجروا قبله منهم عثمان بن مظعون وغيره و قدهاجر أبوبكر قبله لأنه هاجر فی صحبة النبی ص وتخلف علی ع عنهما فبات علی فراش رسول الله ص ومكث أياما يرد الودائع التی كانت عنده ثم هاجر بعد ذلك . والجواب أنه ع لم يقل وسبقت كل الناس إلی الهجرة وإنما قال وسبقت فقط و لايدل ذلك علی سبقه للناس كافة و لاشبهة أنه سبق معظم المهاجرين إلی الهجرة و لم يهاجر قبله أحد إلانفر يسير جدا. وأيضا فقد قلنا إنه علل أفضليته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع أمور منها ولادته علی الفطرة ومنها سبقه إلی الإيمان ومنها سبقه إلی الهجرة و هذه الأمور الثلاثة لم تجتمع لأحد غيره فكان بمجموعها متميزا عن كل أحد من الناس . وأيضا فإن اللام فی الهجرة يجوز ألا تكون للمعهود السابق بل تكون للجنس و أمير المؤمنين ع سبق أبابكر وغيره إلی الهجرة التی قبل هجرة المدينة فإن النبی ص هاجر عن مكة مرارا يطوف علی أحياء العرب وينتقل من [صفحه ۱۲۶] أرض قوم إلی غيرها و كان علی ع معه دون غيره . أماهجرته إلی بنی شيبان فما اختلف أحد من أهل السيرة أن عليا ع كان معه هو و أبوبكر وأنهم غابوا عن مكة ثلاثة عشر يوما وعادوا إليها لما لم يجدوا عندبنی شيبان ماأرادوه من النصرة. وروی المدائنی فی كتاب الأمثال عن المفضل الضبی أن

رسول الله ص لماخرج عن مكة يعرض نفسه على قبائل العرب خرج إلى ربيعة ومعه على ع و أبوبكر فدفعوا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبوبكر و كان نسابة فسلم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال أ من هامتها أم من لهازمها قالوا من هامتها العظمى فقال من أى هامتها العظمى أنتم قالوا من ذهل الأكبر قال أفمنكم عوف ألذى يقال له لاحر بوادى عوف قالوا لا ـ قال أفمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء قالوا لا قال أفمنكم جساس حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال أفمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال أفمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال أفأنتم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فلستم إذن ذهلا الأكبر أنتم ذهل الأصغر فقام إليه غلام قدبقل وجهه اسمه دغفل فقال إن على سائلنا أن نسأله || والعب ء لاتعرفه أوتحمله . [صفحه ١٢٧] يا هذاإنك قدسألتنا فأجبناك و لم نكتمك شيئا فمن الرجل قال من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فمن أى قريش أنت قال من تيم بن مرة قال أمكنت و الله الرامى من الثغرة أمنكم قصى بن كلاب ألذى جمع القبائل من فهر فكان يدعى مجمعا قال لا قال أفمنكم هاشم ألذى هشم لقومه الثريد قال لا قال أفمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء قال لا قال أفمن المفيضين بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الندوة أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا قال أفمن أهل السقاية قال لا قال فاجتذب أبوبكر زمام ناقته ورجع إلى رسول الله ص هاربا من الغلام فقال دغفل صادف درء السيل درء يصدعه . أما و الله لوثبت لأخبرتك أنك من زمعات قريش فتبسم رسول الله ص و قال على ع لأبى بكر لقد وقعت يا أبابكر من الأعرابى على باقعة –روايت–١–٢–روايت–٢٧–٧٠ قال أجل إن لكل طامة طامة والبلاء موكل بالمنطق فذهبت مثلا. و أماهجرته ص إلى الطائف فكان معه على ع وزيد بن [صفحه ١٢٨] حارثة فى رواية أبى الحسن المدائنى و لم يكن معهم أبوبكر و أمارواية محمد بن إسحاق فإنه قال كان معه زيد بن حارثة وحده وغاب رسول الله ص عن مكة فى هذه الهجرة أربعين يوما ودخل إليها فى جوار مطعم بن عدى. و أماهجرته ص إلى بنى عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عيلان فإنه لم يكن معه إلا على ع وحده و ذلك عقيب وفاة أبى طالب أوحى إليه ص أخرج منها فقد مات ناصرك فخرج إلى بنى عامر بن صعصعة ومعه على ع وحده فعرض نفسه عليهم وسألهم النصر وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه فعادا ع إلى مكة وكانت مدة غيبته فى هذه الهجرة عشرة أيام وهى أول هجرة هاجرهاص بنفسه .فأما أول هجرة هاجرها أصحابه و لم يهاجر بنفسه فهجرة الحبشة هاجر فيهاكثير من أصحابه ع إلى بلاد الحبشة فى البحر منهم جعفر بن أبى طالب ع فغابوا عنه سنين ثم قدم عليه منهم من سلم وطالت أيامه و كان قدوم جعفر عليه عام فتح خيبر فقال ص ماأدرى بأيهما أناأسر أبقدوم جعفرأم بفتح خيبر –روايت–١–٢–روايت–١٢–٦٢ [صفحه ١٢٩]

٥٧– و من كلام له ع كلم به الخوارج

اشاره

أَصَابَكُم حَاصِبٌ وَ لَا بقَيِ‌َ مِنكُم آبِرٌ أَ بَعدَ إِيمَانِي بِاللّهِ وَ جِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللّهِ‌ص أَشهَدُ عَلَي نفَسيِ‌ بِالكُفرِ لَقَد ضَلَلتُ إِذاً وَ مَا أَنَا مِنَ المُهتَدِينَ فَأُوبُوا شَرّ مَآبٍ وَ ارجِعُوا عَلَي أَثَرِ الأَعقَابِ أَمَا إِنّكُم سَتَلقَونَ بعَديِ‌ ذُلّا شَامِلًا وَ سَيفاً قَاطِعاً وَ أَثَرَةً يَتّخِذُهَا الظّالِمُونَ فِيكُم سُنّةً قال الرضى رحمه الله قوله ع و لابقى منكم آبر يروى على ثلاثة أوجه أحدها أن يكون كماذكرناه آبر بالراء من قولهم رجل آبر للذى يأبر النخل أى يصلحه . ويروى آثر بالثاء بثلاث نقط يراد به ألذى يأثر الحديث أى يرويه ويحكيه و هوأصح الوجوه عندى كأنه ع قال لابقى منكم مخبر. ويروى آبز بالزاى المعجمة و هوالواثب والهالك أيضا يقال له آبز –

روايت-١-٣٥۶ [صفحه ١٣٠] الحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء و هوصغار الحصى ويقال لها أيضا حصبة قال لبيد جرت عليها إذ خوت من أهلها || أذيالها كل عصوف حصبه .فأما التفسيرات التى فسر بهاالرضى رحمه الله تعالى قوله ع آبر فيمكن أن يزاد فيهافيقال يجوز أن يريد بقوله و لابقى منكم آبر أى نمام يفسد ذات البين والمئبرة النميمة وأبر فلان أى نم والآبر أيضا من يبغى القوم الغوائل خفية مأخوذ من أبرت الكلب إذاأطعمته الإبرة فى الخبز و فى الحديث المؤمن كالكلب المأبور -روايت-١-٢-روايت-١۶-۴٠ ويجوز أن يكون أصله هابر أى من يضرب بالسيف فيقطع وأبدلت الهاء همزة كماقالوا فى آل أهل و إن صحت الرواية الأخرى آثر بالثاء بثلاث نقط فيمكن أن يريد به ساجى باطن خف البعير وكانوا يسجون باطن الخف بحديدة ليقتص أثره رجل آثر وبعير مأثور. و قوله ع فأوبوا شر مآب أى ارجعوا شر مرجع والأعقاب جمع عقب بكسر القاف و هومؤخر القدم و هذاكله دعاء عليهم قال لهم أولا- أصابكم حاصب و هذا من دعاء العرب قال تميم بن أبى مقبل فإذاخلت من أهلها وقطينها || فأصابها الحصباء والسفان . ثم قال لهم ثانيا لابقى منكم مخبر ثم قال لهم ثالثا ارجعوا شر مرجع ثم قال لهم رابعا عودوا على أثر الأعقاب و هومأخوذ من قوله تعالى وَ نُرَدّ -قرآن-١۴٣-١۵١ . ثم قال لهم ثانيا لابقى منكم مخبر ثم قال لهم ثالثا ارجعوا شر مرجع ثم قال لهم رابعا عودوا على أثر الأعقاب و هومأخوذ من قوله تعالى وَ نُرَدّ عَلى أَعقابِنا بَعدَ إِذ هَدانَا اللّهُ والمراد انعكاس حالهم وعودهم من العز إلى الذل و من الهداية إلى الضلال . و قوله ع وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة فالأثرة هاهنا الاستبداد عليهم بالفىء والغنائم واطراح جانبهم -قرآن-١-۴٠ و قال النبى ص للأنصار ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى -روايت-١-٢-روايت-٢٧-۶۶ [صفحه ١٣٢]

أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم

واعلم أن الخوارج على أمير المؤمنين ع كانوا أصحابه وأنصاره فى الجمل وصفين قبل التحكيم و هذه المخاطبة لهم و هذاالدعاء عليهم و هذاالإخبار عن مستقبل حالهم و قدوقع ذلك فإن الله تعالى سلط على الخوارج بعده الذل الشامل والسيف القاطع والأثرة من السلطان و مازالت حالهم تضمحل حتى أفناهم الله تعالى وأفنى جمهورهم ولقد كان لهم من سيف المهلب بن أبى صفرة وبنيه الحتف القاضى والموت الزؤام . ونحن نذكر من أخبار الخوارج وحروبهم هاهنا طرفا

عروة بن حدير

فمنهم عروة بن حدير أحد بنى ربيعة بن حنظلة من بنى تميم ويعرف بعروة بن أدية وأدية جدة له جاهلية و كان له أصحاب و وأتباع وشيعة فقتله زياد فى خلافة معاوية صبرا

نجدة بن عويمر الحنفى

ومنهم نجدة بن عويمر الحنفى كان من رؤسائهم و له مقالة مفردة من مقالة الخوارج [صفحه ١٣٣] و له أتباع وأصحاب وإليهم أشار الصلتان العبدى بقوله أرى أمة شهرت سيفها || و قدزيد فى سوطها الأصبحى بنجدية أوحررية || وأزرق يدعو إلى أزرقى فملتنا أننا مسلمون || على دين صديقنا و النبى أشاب الصغير وأفنى || الكبير مر الغداة وكر العشى إذاليلة أهرمت يومها

|| أتی بعد ذلک یوم فتی نروح ونغدو لحاجاتنا || وحاجة من عاش لاتنقضی تموت مع المرء حاجاته || وتبقی له حاجة مابقی . و کان نجدة یصلی بمکة بحذاء عبد الله بن الزبیر فی جمعة[فی کل جمعة] و عبد الله یطلب الخلافة فیمسکان عن القتال من أجل الحرم . و قال الراعی یخاطب عبدالملک إنی حلفت علی یمین برة || لاأکذب الیوم الخلیفة قیلا ما إن أتیت أباخبیب وافدا || یوما أرید لبیعتی تبدیلا و لماأتیت نجیدة بن عویمر || أبغی الهدی فیزیدنی تضلیلا من نعمة الرحمن لا من حیلتی || أنی أعد له علی فضولا . واستولی نجدة علی الیمامة وعظم أمره حتی ملک الیمن والطائف وعمان والبحرین ووادی تمیم وعامر ثم إن أصحابه نقموا علیه أحکاما أحدثها فی مذهبهم منها قوله إن [صفحه ۱۳۴] المخطئ بعدالاجتهاد معذور و إن الدین أمران معرفة الله ومعرفة رسوله و ماسوی ذلک فالناس معذورون بجهله إلی أن تقوم علیهم الحجة فمن استحل محرما من طریق الاجتهاد فهو معذور حتی أن من تزوج أخته أوأمه مستحلا لذلک بجهالة فهو معذور ومؤمن فخلعوه وجعلوا اختیار الإمام إلیه فاختار لهم أبافدیک أحد بنی قیس بن ثعلبة فجعله رئیسهم ثم إن أبافدیک أنفذ إلی نجدة بعد من قتله ثم تولاه بعدقتله طوائف من أصحابه بعد أن تفرقوا علیه وقالوا قتل مظلوما

المستورد بن سعد التمیمی

ومنهم المستورد بن سعد أحد بنی تمیم کان ممن شهد یوم النخیلة ونجا بنفسه فیمن نجا من سیف علی ع ثم خرج بعد ذلک بمدة علی المغیرة بن شعبة و هووالی الکوفة لمعاویة بن أبی سفیان فی جماعة من الخوارج فوجه المغیرة إلیه معقل بن قیس الریاحی فلما تواقفا دعاه المستورد إلی المبارزة و قال له علام تقتل الناس بینی وبینک فقال معقل النصف سألت فأقسم علیه أصحابه فقال ماکنت لآبی علیه فخرج إلیه فاختلفا ضربتین خر کل واحد منهما من ضربة صاحبه قتیلا. و کان المستورد ناسکا کثیر الصلاة و له آداب وحکم مأثارة

حوثرة الأسدی

ومنهم حوثرة الأسدی خرج علی معاویة فی عام الجماعة فی عصابة من الخوارج فبعث إلیه معاویة جیشا من أهل الکوفة فلما نظر حوثرة إلیهم قال لهم یاأعداء الله أنتم بالأمس تقاتلون معاویة لتهدوا سلطانه وأنتم الیوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه فلما [صفحه ۱۳۵] التحمت الحرب قتل حوثرة قتله رجل من طیئ وفضت جموعه

قریب بن مرة وزحاف الطائی

ومنهم قریب بن مرة الأزدی وزحاف الطائی کانا عابدین مجتهدین من أهل البصرة فخرجا فی أیام معاویة فی إمارة زیاد واختلف الناس أیهما کان الرئیس فاعترضا الناس فلقیا شیخا ناسکا من بنی ضبیعة من ربیعة بن نزار فقتلاه و کان یقال له رؤبة الضبعی وتنادی الناس فخرج رجل من بنی قطیعة من الأزد و فی یده السیف فناداه الناس من ظهور البیوت الحروریة أنج بنفسک فنادوه لسنا حروریة نحن الشرط فوقف فقتلوه فبلغ أبابلال مرداس بن أدیة خبرهما فقال قریب لاقربه الله وزحاف لاعفا الله عنه رکباها عشواء مظلمة یرید اعتراضهما الناس ثم جعلا لایمران بقبیلة إلاقتلا من وجدا حتی مرا علی بنی علی بن سود من الأزد

وكـانوا رماة كان فيهم مائـة يجيـدون الرمى فرموهم رميا شديـدا فصاحوا يابنى على البقيا لارماء بيننا فقال رجل من بنى على بن سود لا شـيءللقوم سوى السـهام || مشـحوذة فى غلس الظلام .فعرد عنهم الخوارج وخافوا الطلب واشتقوا مقبرة بنى يشكر حتى نفـذوا إلى مزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضـر وغيرها فجاءهم ثمانون وخرجت إليهم بنو طاحية من بنو سود وقبائل من مزينة وغيرها فاستقتلت الخوارج وحاربت حتى قتلت عن آخرها وقتل قريب وزحاف . [صفحه ۱۳۶] ومنهم أبوبلال مرداس بن أدية و هوأخو عروة بن حدير ألذى ذكرناه أولا خرج فى أيام عبيد الله بن زياد وأنفذ إليه ابن زياد عباس بن أخضـر المازنى فقتله وقتل أصـحابه وحمل رأسه إلى ابن زياد و كان أبوبلال عابـدا ناسـكا شاعرا و من قـدماء أصـحابنا من يـدعيه لما كان يـذهب إليه من العدل وإنكار المنكر و من قدماء الشيعة من يدعيه أيضا

نافع بن الأزرق الحنفى

ومنهم نافع بن الأزرق الحنفى و كان شـجاعا مقـدما فى فقه الخوارج و إليه تنسب الأزارقـة و كان يفتى بأن الدار دار كفر وأنهم جميعـا فى النـار و كـل من فيهاكـافر إلاـ من أظهر إيمـانه و لايحل للمؤمنين أن يجيبوا داعيا منهم إلى الصـلاة و لا أن يأكلوا من ذبائحهم و لا أن يناكحوهم و لايتوارث الخارجى وغيره وهم مثل كفار العرب وعبـدة الأوثان لايقبل منهم إلاالإسـلام أوالسـيف والقعد بمنزلتهم والتقية لاتحل لأن الله تعالى يقول إِذا فَرِيقٌ مِنهُم يَخشَونَ النّاسَ كَخَشيَةِ اللّهِ أَو أَشَدّ خَشيَةً و قال فيمن كان على خلافهم يُجاهِـدُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وَ لا يَخافُونَ لَومَةَ لائِمٍفتفرق عنه جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر واحتج نجدة بقول الله تعـالى وَ قـالَ رَجُـلٌ مُؤمِنٌ مِن آلِ فِرعَونَ يَكتُمُ إِيمانَهُفسار نجـدة وأصـحابه إلى اليمامـة وأضـاف نـافع إلى مقالته التى قـدمناها استحلاله الغدر بأمانته لمن خالفه فكتب نجدة إليه -قرآن-۴۳۵-۵۰۶-قرآن-۵۳۶-۵۹۶-قرآن-۶۷۵-۷۳۱ [صفحه ۱۳۷] أما بعد فإن عهدى بك و أنت لليتيم كالأب الرحيم وللضـعيف كالأخ البر تعاضد قوى المسلمين وتصنع للأخرق منهم لاتأخذك فى الله لومـة لائم و لاترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصـحابك أ و لاتتذكر قولك لو لاأنى أعلم أن للإمام العادل مثل أجر رعيته مـاتوليت أمر رجلين من المسـلمين فلمـا شـريت نفسك فى طاعـة ربك ابتغاء مرضاته وأصبت من الحق فصه وصبرت على مره تجرد لـك الشـيطان و لم يكن أحـد أثقـل عليه وطأة منك و من أصـحابك فاسـتمالك واسـتهواك وأغواك فغويت وأكفرت الذين عذرهم الله تعالى فى كتابه من قعدة المسـلمين وضـعفتهم قال الله عز و جل و قوله الحق ووعده الصدق لَيسَ عَلَى الضّعَفاءِ وَ لا عَلَى المَرضـى وَ لا عَلَى الّذِينَ لا يَجِدُونَ ما يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذا نَصَـحُوا لِلّهِ وَ رَسُولِهِ ثم سـماهم تعالى أحسن الأسـماء فقال ما عَلَى المُحسِـنِينَ مِن سَبِيـلٍ ثم استحللت قتـل الأطفـال و قـدنهى رسول الله ص عن قتلهم و قـال الله جل ثناؤه وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى و قال سبحانه فى القعـدة خيرا فقال وَ فَضّلَ اللّهُ المُجاهِدِينَ عَلَى القاعِدِينَ أَجراً عَظِيماًفتفضـيله المجاهدين على القاعدين لايـدفع منزلـة من هودون المجاهـدين أ و ماسـمعت قوله تعـالى لاـ يَسـتَوِي القاعِـدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضّـرَرِفجعلهم من المؤمنين وفضـل عليهم المجاهـدين بأعمـالهم ثم إنك لاتؤدى أمانـة إلى من خالفك و الله تعالى قـدأمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها فاتق الله فى نفسك واتق يوما لايجزى فيه والـد عن ولده و لامولود هوجاز عن والده شـيئا فإن الله بالمرصاد وحكمه العدل و قوله الفصل و السلام -قرآن-۵۹۳-۷۲۳-قرآن-۷۶۰-۷۹۲-قرآن-۸۷۶-۹۰۸-قرآن-۹۴۴-۱۰۰۷-قرآن-۱۱۰۲-۱۱۶۶ [صفحه ۱۳۸] فكتب إليه نـافع أمـا بعـدأتانى كتابك تعظنى فيه وتـذكرنى وتنصـح لى وتزجرنى وتصف ماكنت عليه من الحق و ماكنت أوثره من الصواب و أناأسأل الله أن يجعلنى من القوم الـذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وعبت على مـادنت به من إكفـار القعـدة وقتل الأطفال واسـتحلال الأمانـة من المخالفين وسأفسـر لك إن شاء الله . أماهؤلاء القعـدة فليسوا كمن ذكرت ممن كان

على عهـد رسول الله ص لأنهم كانوا بمكـة مقهورين محصورين لايجـدون إلى الهرب سبيلا و لا إلى الاتصال بالمسـلمين طريقا وهؤلاء قـدتفقهوا فى الـدين وقرءوا القرآن والطريق لهم نهـج واضـح و قـدعرفت مـا قـال الله تعالى فيمن كان مثلهم إذ قالواكُنّا مُستَضعَفِينَ فِى الأَرضِ فقال أَ لَم تَكُن أَرضُ اللّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها و قال سبحانه فَرِحَ المُخَلّفُونَ بِمَقعَدِهِم خِلافَ رَسُولِ اللّهِ وَ كَرِهُوا أَن يُجاهِدُوا بِأَموالِهِم وَ أَنفُسِهِم فِى سَبِيلِ اللّهِ و قال وَ جاءَ المُعَذّرُونَ مِنَ الأَعرابِ لِيُؤذَنَ لَهُمفخبر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله ثم قال سَيُصِيبُ الّذِينَ كَفَرُوا مِنهُم عَذابٌ أَلِيمٌفانظر إلى أسمائهم وسماتهم . و أماالأطفال فإن نوحا نبى الله كان أعلم بـالله منى ومنـك و قـد قـال رَبّ لا تَذَر عَلَى الأَرضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً إِنّكَ إِن تَذَرهُم يُضِلّوا عِبادَكَ وَ لا يَلِدُوا إِلّا فاجِراً كَفّاراًفسماهم بـالكفر وهم أطفـال وقبـل أن يولـدوا فكيف كـان ذلك -قرآن-٦٠٧-٦٣٧-قرآن-٦٤٤-٦٩٦-قرآن-٧١١-٨٣٨-قرآن-٨٤٦-٨٩٧-قرآن-٩٤٨-٩٩٦-قرآن-١٠٩٧-١٢٢٥ [صفحه ١٣٩] فى قـوم نـوح و لا تقوله فى قومنـا و الله تعـالى يقـول أَ كُفّارُكُم خَيرٌ مِن أُولئِكُم أَم لَكُم بَراءَةٌ فِى الزّبُرِ وهؤلاء كمشركى العرب لايقبـل منهـم جزيـة و ليس بيننـا وبينهـم إلاالسيـف أوالإسـلام . و أمااستحلال أمانـات من خالفنـا فإن الله تعالى أحل لنا أموالهم كماأحل دماءهم لنا فـدماؤهم حلال طلق وأموالهم فىء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فإنه لاعذر لك إلابالتوبة ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا وترك مانهجناه لك من مقالتنا و السلام على من أقر بالحق وعمل به . وكتب إلى من بالبصرة من المحكمـة أما بعـد فإن الله اصـطفى لكم الدين فلاتموتن إلا وأنتم مسلمون إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا و قدندبكم الله عز و جل إلى الجهاد فقال وَ قاتِلُوا المُشرِكِينَ كَافّةً و لم يجعل لكم فى التخلف عـذرا فى حال من الأحوال فقال انفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالًا وإنما عذر الضعفاء والمرضى والذين لايجدون ماينفقون و من كانت إقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يَستَوِي القاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضّرَرِ وَ المُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللّهِ فلاتغتروا وتطمئنوا إلى الـدنيا فإنها غرارة مكارة لذتها نافدة ونعيمها بائد حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حبرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة تسره و لاشارب منها شربة تؤنقه إلا ودنـا بهادرجـة إلى أجله وتباعـد بهامسافـة من أمله وإنمـا جعلها الله دار المتزود منها إلى النعيم المقيم والعيش السليم فليس يرضى بهاحازم دارا و لاحكيم قرارا فاتقوا الله وتزودوا -قرآن-٥٥-١١٩-قرآن-٧٣١-٧٦٢-قرآن-٨٢١-٨٤٧-قرآن-٩٦٦-١٠٦٦ [صفحه ١٤٠] فإن خير الزاد التقوى و السـلام على من اتبع الهـدى . فلما أظهر نافع مقالته هذه وانفرد عن الخوارج بهاأقام فى أصحابه بالأهواز يستعرض الناس ويقتل الأطفال ويأخذ الأموال ويجبى الخراج وفشا عماله بالسواد فارتاع لذلك أهل البصرة واجتمع منهم عشرة آلاف إلى الأحنف وسألوه أن يؤمر عليهم أميرا يحميهم من الخوارج ويجاهـد بهم فأتى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبـدالمطلب و هوالمسـمى ببـة فسأله أن يؤمر عليهم وببة يومئذ أميرالبصرة من قبل ابن الزبير فأمر عليهم مسـلم بن عبيس بن كريز و كان دينا شـجاعا فلما خرج بهم من جسـر البصـرة أقبل عليهم و قال أيها الناس إنى ماخرجت لامتيار ذهب و لافضـة وإنى لأحـارب قومـا إن ظفرت بهم فمـا وراءهم إلاالسـيوف والرمـاح فمن كان شأنه الجهاد فلينهض و من أحب الحيـاة فليرجع .فرجع نفر يسـير ومضـى البـاقون معه فلمـا صـاروا بـدولاب خرج إليهم نـافع وأصـحابه فـاقتتلوا قتالا شديـدا حتى تكسـرت الرمـاح وعقرت الخيل وكثر الجراح والقتل وتضاربوا بالسـيوف والعمـد فقتل ابن عبيس أمير أهل البصـرة وقتل نافع بن الأزرق أميرالخوارج وادعى قتله سلامة الباهلى و كان نافع قداستخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى اليربوعى واستخلف ابن عبيس الربيع بن عمرو الأجذم الغدانى اليربوعى فكان الرئيسان من بنى يربوع فاقتتلوا بعدقتل ابن عبيس ونافع قتالا شديدا نيفا وعشـرين يومـا حتى قـال الربيع لأصـحابه إنى رأيت البارحـة كأن يـدى [صـفحه ١٤١] التى أصيبت بكابـل انحطت من السـماء فاستشـلتنى فلما كان الغـد قاتلهم إلى الليل ثم عاودهم القتال فقتل فتـدافع أهل البصـرة الرايـة حتى خافوا العطب إذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن رباب الحميرى فأباها فقيل له أ لاترى رؤساء العرب قـداختاروك من بينهم فقال إنها مشئومة

لايأخـذها أحد إلاقتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل القوم بدولاب حتى التقى بعمران بن الحارث الراسبى و ذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضـربتين فخرا ميتين . وقام حارثة بن بدر الغدانى بأمر أهل البصـرة بعده وثبت بإزاء الخوارج يناوشهم القتال مناوشة خفيفـة ويزجى الأوقات انتظارا لقـدوم أمير من قبل ببـة يلى حرب الخوارج و هذه الحرب تسـمى حرب دولاب وهى من حروب الخوارج المشهورة انتصف فيهاالخوارج من المسلمين وانتصف المسلمون منهم فلم يكن فيهاغالب و لامغلوب

عبيد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعى

ومنهم عبيد الله بن بشـير بن الماحوز اليربوعى قام بأمر الخوارج يوم دولاب بعدقتل نافع بن الأزرق وقام بأمر أهل البصرة عمر بن عبيـد الله بن معمر التيمى ولاه عبـد الله بن الزبير ذلك ولقيه كتابه بالإمارة و هويريد الحج و قدصار إلى بعض الطريق فرجع فأقام بالبصـرة وولى أخاه عثمان بن عبيد الله بن معمر محاربة الأزارقة فخرج إليهم فى اثنى عشـر ألفا فلقيه أهل البصرة الذين كانوا فى وجه الأزارقـة ومعهم حارثـة بن بـدر الغـدانى يقوم بـأمرهم عن غيرولايـة و كـان ابن الماحوز حينئـذ فى سوق الأهواز فلما عبر [صفحه ١٤٢] عثمـان إليهم دجيلا نهضت إليه الخوارج فقال عثمان لحارثه ماالخوارج إلا ماأرى فقال حارثـة حسـبك بهؤلاء قال لاـجرم لاأتغـدى حتى أنـاجزهم فقـال حارثـة إن هؤلاـء القوم لايقـاتلون بالتعسف فأبق على نفسك وجنـدك فقال أبيتم يا أهل العراق إلاجبنا و أنت ياحارثة ماعلمك بالحرب أنت و الله بغير هذاأعلم يعرض له بالشـراب و كان حارثة بن بدر صاحب شراب فغضب حارثـة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه إلى أن غربت الشـمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخـذ حارثـة بن بـدر الرايـة وصاح بالناس أناحارثـة بن بـدر فثاب إليه قوم فعبر بهم دجيلا وبلغ قتل عثمان البصـرة فقال شاعر من بنى تميم مضـى ابن عبيس صـابرا غيرعـاجز || وأعقبنـا هـذاالحجازى عثمان فأرعـد من قبل اللقاء ابن معمر || وأبرق والبرق اليمانى خوان فضـحت قريشا غثها وسـمينها || وقيل بنو تيم بن مرة عزلان فلو لا ابن بـدر للعراقين لم يقم || بما قام فيه للعراقين إنسان إذاقيل من حامى الحقيقـة أومأت || إليه معـد بالأكف وقحطان . ووصل الخبر إلى عبـد الله بن الزبير بمكـة فكتب إلى عمر بن عبيـد الله بن معمر بعزله وولى الحارث بن عبـد الله بن أبى ربيعة المخزومى المعروف بالقباع البصـرة فقدمها فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمـدد فـأراد توليته فقال له رجل من بكر بن [صـفحه ١٤٣] وائل إن حارثـة ليس بـذلك إنما هوصاحب شـراب و كان حارثة مسـتهترا بالشـراب معـاقرا للخمر و فيه يقول رجـل من قومه أ لم تر أن حارثـة بن بـدر || يصـلى و هوأكفر من حمـار أ لم تر أن للفتيـان حظا || وحظك فى البغايا والعقار .فكتب إليه القباع تكفى حربهم إن شاء الله فأقام حارثـة يـدافعهم حتى تفرق أصـحابه عنه وبقى فى خف منهم فأقـام بنهر تيرى فعبرت إليه الخوارج فهرب من تخلف معه من أصـحابه وخرج يركض حتى أتى دجيلا فجلس فى سـفينة واتبعه جماعـة من أصـحابه فكانوا معه فيها ووافاه رجل من بنى تميم عليه سـلاحه والخوارج وراءه و قدتوسـط حارثـة دجيلا فصاح به ياحارثة ليس مثلى يضـيع فقال للملاح قرب فقرب إلى جرف و لافرضة هناك فطفر بسـلاحه فى السـفينة فساخت بالقوم جميعا وهلك حارثة. وروى أبوالفرج الأصـفهانى فى كتاب الأغانى الكبير أن حارثة لماعقدوا له الرئاسة وسـلموا إليه الرايـة أمرهم بالثبات و قال لهم إذافتـح الله عليكم فللعرب زيادة فريضتين وللموالى زيادة فريضـة وندب الناس فالتقوا و ليس بأحـد منهم طرق قـدفشت فيهم الجراحات و ماتطأ الخيل إلا على القتلى فبينا هم كذلك إذ أقبل جمع [صـفحه ١٤٤] من الشراة من جهـة اليمامـة يقول المكثر إنهم مائتان والمقلل إنهم أربعون فاجتمعوا وهم مريحون مع أصـحابهم فصاروا كوكبة واحدة فلما رآهم حارثـة بن بـدر ركض برايته منهزمـا و قـال لأصـحابه كرنبوا ودولبوا || أوحيث شـئتم فـاذهبوا . و قـال أير الحمار فريضـة لعبيـدكم || والخصـيتان فريضـة الأـعراب . قال كرنبوا أى اطلبوا كرنبى وهى قريـة قريبـة من الأهواز ودولبوا اطلبوا دولاب وهى

ضيعة بينها و بين الأهواز أربعة فراسخ . قال فتتابع الناس على أثره منهزمين وتبعتهم الخوارج فألقى الناس أنفسهم فى الماء فغرق منهم بدجيل الأهواز خلق كثير

الزبير بن على السليطى وظهور أمر المهلب

ومنهم الزبير بن على السليطى التميمى كان على مقدمة ابن الماحوز و كان ابن الماحوز يخاطب بالخلافة ويخاطب الزبير بالإمارة ووصل الزبير بعدهلاك حارثة بن بدر وهرب أصحابه إلى البصرة فخافه الناس خوفا شديدا وضج أهل البصرة إلى الأحنف فأتى القباع فقال أصلح الله الأمير إن هذاالعدو قدغلبنا على سوادنا وفيئنا فلم يبق إلا أن يحصرنا فى بلدنا حتى نموت هزالا قال فسموا إلى رجلا يلى الحرب فقال الأحنف لاأرى لها رجلا إلاالمهلب بن أبى صفرة فقال أ و هذارأى [صفحه ۱۴۵] جميع أهل البصرة اجتمعوا إلى فى غد لأنظر وجاء الزبير حتى نزل على البصرة وعقد الجسر ليعبر إليها فخرج أكثر أهل البصرة إليه وانضم إلى الزبير جميع كور الأهواز وأهلها رغبة ورهبة فوافاه البصريون فى السفن و على الدواب فاسودت بهم الأرض فقال الزبير لمارآهم أبى قومنا إلاكفرا وقطع الجسر وأقام الخوارج بإزائهم واجتمع الناس عندالقباع وخافوا الخوارج خوفا شديدا وكانوا ثلاث فرق سمى قوم المهلب وسمى قوم مالك بن مسمع وسمى قوم زياد بن عمرو بن أشرف العتكى فاختبر القباع ما عندمالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن الحرب وعاد إليه من أشار بهما وقالوا قدرجعنا عن رأينا مانرى لها إلاالمهلب فوجه إليه القباع فأتاه فقال له يا أباسعيد قدترى ما قدرهقنا من هذاالعدو و قدأجمع أهل مصرك عليك و قال له الأحنف يا أباسعيد أنا و الله ماآثرناك ولكنا لم نر من يقوم مقامك . ثم قال القباع وأومأ إلى الأحنف أن هذاالشيخ لم يسمك إلاإيثارا للدين والبقيا و كل من فى مصرك ماد عينه إليك راج أن يكشف الله عنه هذه الغمة بك فقال المهلب لاحول و لاقوة إلابالله إنى عندنفسى لدون ماوصفتم ولست آبى مادعوتم إليه لكن لى شروطا أشترطها قالوا قل قال على أن أنتخب من أحببت قال الأحنف ذاك لك قال و لى إمرة كل بلد أغلب عليه قالوا لك ذلك قال و لى فىء كل بلد أظفر به قال الأحنف ليس ذاك لك و لالنا إنما هوفىء للمسلمين فإن سلبتهم إياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك أن تعطى أصحابك من فىء كل بلد تغلب عليه ماأحببت وتنفق منه على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب لاحول و لاقوة إلابالله فمن لى بذلك قال الأحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال قدقبلت فكتبوا بينهم بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الجعفى وانتخب المهلب من جميع الأخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا فى بيت المال [صفحه ۱۴۶] فلم يكن إلامائتى ألف درهم فعجزت فبعث المهلب إلى التجار فقال إن تجاراتكم منذ حول قدفسدت بانقطاع مواد الأهواز وفارس عنكم فهلموا فبايعونى واخرجوا معى أوفكم حقوقكم فبايعوه وتاجروه فأخذ منهم من المال ماأصلح به عسكره واتخذ لأصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض و كان أكثر أصحابه رجالة حتى إذاصار بحذاء القوم أمر بسفن فأصلحت وأحضرت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشط خاضت إليهم الخوارج فحاربوهم وحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا وصار هو وأصحابه على الشط فحاربوا الخوارج فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الأزد إن العراق وأهله لم يخبروا || مثل المهلب فى الحروب فسلموا أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة || وأقل تهليلا إذا ماأحجموا . وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى من فرسان تميم وشجعانهم و من شعر عطية يدعى رجال للعطاء وإنما || يدعى عطية للطعان الأجرد . و قال فيه شاعر من بنى تميم و مافارس إلاعطية فوقه || إذاالحرب أبدت عن نواجذها الفما به هزم الله الأزارق بعد ما || أباحوا من المصرين حلا ومحرما .فأقام

المهلب أربعين ليلة يجبى الخراج بكور دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه [صفحه ١٤٧] فأسرع الناس إليه رغبة فى مجاهدة العدو وطمعا فى الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدى و عبد الله بن رباح ومعاوية بن قرة المزنى و كان يقول لوجاءت الديلم من هاهنا والحرورية من هاهنا لحاربت الحرورية وجاءه أبوعمران الجونى و كان يروى عن كعب أن قتيل الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أبواب . ثم أتى المهلب إلى نهر تيرى فتنحوا عنه إلى الأهواز وأقام المهلب يجبى ماحواليه من الكور و قدس الجواسيس إلى عسكر الخوارج يأتونه بأخبارهم و من فى عسكرهم و إذاحشوه ما بين قصاب وحداد وداعر فخطب المهلب الناس وذكر لهم ذلك و قال أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم و لم يزل مقيما حتى فهمهم وأحكم أمرهم وقوى أصحابه وكثرت الفرسان فى عسكره وتتام أصحابه عشرين ألفا. ثم مضى يؤم كور الأهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبى صفرة على نهر تيرى وجعل المغيرة على مقدمته فسار حتى قاربهم فناوشهم وناوشوه فانكشف عن المغيرة بعض أصحابه وثبت المغيرة نفسه بقية يومه وليلته يوقد النيران ثم غاداهم فإذاالقوم قدأوقدوا النيران فى بقية متاعهم وارتحلوا عن سوق الأهواز فدخلها المغيرة و قدجاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الأهواز وكتب بذلك إلى الحارث القباع كتابا يقول فيه . أما بعدفإنا مذ خرجنا نؤم العدو فى نعم من فضل الله متصلة علينا ونقم متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون إلى أن حللنا سوق الأهواز والحمد لله رب العالمين الذى من عنده النصر و هوالعزيز الحكيم [صفحه ١٤٨] فكتب إليه الحارث هنيئا لك أخا الأزد الشرف فى الدنيا والأجر فى الآخرة إن شاء الله . فقال المهلب لأصحابه ماأجفى أهل الحجاز أ ماترونه عرف اسمى وكنيتى واسم أبى قالوا و كان المهلب يبث الأحراس فى الأمن كمايبثهم فى الخوف ويذكى العيون فى الأمصار كمايذكيها فى الصحارى ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوفهم البيات و إن بعد منه العدو و يقول احذروا أن تكادوا كماتكيدون و لاتقولوا هزمناهم وغلبناهم والقوم خائفون وجلون فإن الضرورة تفتح باب الحيلة. ثم قام فيهم خطيبا فقال أيها الناس قدعرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم إن قدروا عليكم فتنوكم فى دينكم وسفكوا دماءكم فقاتلوهم على ماقاتلهم عليه أولكم على بن أبى طالب لقد لقيهم الصابر المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصى المخالف حارثة بن بدر فقتلوا جميعا وقتلوا فالقوهم بحد وجد فإنما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطئوا حريمكم . ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله بن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبى صفرة من سبى الجاهلية فى خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق إلى نهر تيرى و بهاالمعارك بن أبى صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى [صفحه ١٤٩] الخبر إلى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى و قدخرج واقد منها فاستنزل عمه فدفنه وسكن الناس واستخلف بها ورجع إلى أبيه و قدنزل بسولاف والخوارج بهافواقعهم وجعل على بنى تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبدالرحمن الإسكاف فجعل يحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لأصحابه يامعشر المهاجرين هل لكم فى قتلة فيهاالجنة فحمل جماعة منهم على الإسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراحات فذبب بسيفه ثم جعل يحثو فى وجوههم التراب والمهلب غيرحاضر فقتل ثم حضر المهلب فأعلم فقال للحريش ولعطية العنبرى أسلمتما سيد أهل العراق لم تعيناه و لم تستنقذاه حسدا له لأنه رجل من الموالى ووبخهما. وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فقلته فحمل عليه المهلب فطعنه فقتله ومال الخوارج بأجمعهم على العسكر فانهزم الناس وقتل منهم سبعون رجلا وثبت المهلب وابنه المغيرة يومئذ وعرف مكانه . ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة و يقول الأزد بل كان يرد المنهزمة ويحمى أدبارهم وبنو تميم تزعم أنه فر و قال شاعرهم بسولاف أضعت دماء قومى || وطرت على مواشكة درور . و قال آخر من بنى تميم تبعنا الأعور الكذاب طوعا || يزجى كل أربعة حمارا [صفحه ١٥٠] فيا ندمى على تركى عطائى

|| معاينة وأطلبه ضمارا إذاالرحمن يسر لى قفولا || فحرق فى قرى سولاف نارا . قوله الأعور الكذاب يعنى به المهلب كانت عينه عارت بسهم أصابها وسموه الكذاب لأنه كان فقيها و كان يتأول ماورد فى الأثر من أن كل كذب يكتب كذبا إلاثلاثة الكذب فى الصلح بين رجلين وكذب الرجل لامرأته بوعد وكذب الرجل فى الحرب بتوعد وتهدد قالوا وجاء عنه ص إنما أنت رجل فخذل عنا مااستطعت -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۵۵ و قال إنما الحرب خدعة -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۲۷ فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشد به من أمر المسلمين ماضعف ويضعف به من أمر الخوارج مااشتد و كان حى من الأزد يقال لهم الندب إذارأوا المهلب رائحا إليهم قالوا راح ليكذب و فيه يقول رجل منهم أنت الفتى كل الفتى || لوكنت تصدق ماتقول .فبات المهلب فى ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصاروا فى أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال و الله مابكم من قلة و ماذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطبع والطمع فإن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فسيروا إلى عدوكم على بركة الله .فقام إليه الحريش بن هلال فقال أنشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك فإن فى أصحابك جراحا و قدأثخنتهم هذه الجولة.فقبل منه ومضى المهلب فى عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا [صفحه ۱۵۱] يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذاالمنزل فارتحل فعبر دجيلا وصار إلى عاقول لايؤتى إلا من جهة واحدة فأقام به وأقام الناس ثلاثا مستريحين . و فى يقوم سولاف يقول ابن قيس الرقيات ألا طرقت من آل مية طارقه || على أنها معشوقة الدل عاشقه تراءت وأرض السوس بينى وبينها || ورستاق سولاف حمته الأزارقه إذانحن شئنا صادفتنا عصابة || حرورية فيها من الموت بارقه أجازت عينا العسكرين كليهما || فباتت لنا دون اللحاف معانقه .فأقام المهلب فى ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسلى وسلبرى فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لأصحابه ماتنتظرون بعدوكم و قدهزمتموهم بالأمس وكسرتم حدهم فقال له واقد مولى أبى صفرة يا أمير المؤمنين إنما تفرق عنهم أهل الضعف والجبن وبقى أهل النجدة والقوة فإن أصبتهم لم يكن ظفرا هينا لأنى أراهم لايصابون حتى يصيبوا و إن غلبوا ذهب الدين فقال أصحابه نافق واقد فقال ابن الماحوز لاتعجلوا على أخيكم فإنه إنما قال هذانظرا لكم . ثم وجه الزبير بن على إلى عسكر المهلب لينظر ماحالهم فأتاهم فى مائتين فحزرهم ورجع وأمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى إذاأصبح ركب إليهم فى تعبئة فالتقوا بسلى وسلبرى فتصافوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتكئوا عليها وأخرج إليهم المهلب أعدادهم ففعلوا مثل مافعلوا لايرعون إلاالصلاة حتى إذاأمسوا رجع كل قوم إلى معسكرهم ففعلوا هكذا ثلاثة أيام . [صفحه ۱۵۲] ثم إن الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء الفرسان فجالوا ساعة ثم إن رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلب فطعنه فحمل الخوارج بأجمعهم كماصنعوا يوم سولاف فضعضعوا الناس وفقد المهلب وثبت المغيرة فى جمع أكثرهم أهل عمان . ثم نجم المهلب فى مائة و قدانغمس كماه فى الدم و على رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوة قزا و قدتمزقت و إن حشوها ليتطاير و هويلهث و ذلك فى وقت الظهر فلم يزل يحاربهم حتى أتى الليل وكثر القتلى فى الفريقين فلما كان الغد غاداهم و قد كان وجه بالأمس رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فهم من الأزد من ثقاته وأصحابه يرد المنهزمين فمر به عامر بن مسمع فرده فقال إن الأمير أذن لى فى الانصراف فبعث إلى المهلب فأعلمه فقال دعه فلاحاجة لى فى مثله من أهل الجبن والضعف ثم غاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف و قدتفرق عنه أكثر الناس و قال لأصحابه مابكم من قلة أيعجز أحدكم أن يلقى رمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة واتبعه قوم ثم قال المهلب لأصحابه أعدوا مخالى فيهاحجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فإنها تصد الفارس وتصرع الراجل ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجد والصبر ويطمعهم فى العدو ففعل ذلك حتى مر ببنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فنادى فيهم فضربوه فدعا المهلب بسيدهم و هومعاوية بن عمرو فجعل يركله برجله فقال أصلح الله الأمير اعفنى من أم كيسان والأزد تسمى الركبة أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا واقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج ونادى مناد

منهم ألا إن المهلب قدقتل [صفحه ۱۵۳] فركب المهلب برذونا وردا وأقبل يركض بين الصفين و إن إحدى يديه لفی القباء و مايشعر لها و هويصيح أناالمهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قدارتاعوا وظنوا أن أميرهم قدقتل و كل الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده إنك تغرر بنفسك فزبره وزجره وصاح يابنی سلمة آمركم فتعصوننی فتقدم وتقدم الناس فاجتلدوا أشد جلاد حتى إذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج و لم يشعر المهلب بقتله فقال لأصحابه ابغوا لی رجلا جلدا يطوف فی القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا إنا لم نر قط رجلا أشد منه فجعل يطوف ومعه النيران فجعل إذامر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه و إذامر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب يأمرهم بالاحتراس حتى إذا كان فی نصف الليل وجه رجلا من اليحمد فی عشرة فصاروا إلى عسكر الخوارج فإذاهم قدتحملوا إلى أرجان فرجع إلى المهلب فأعلمه فقال لهم أناالساعة أشد خوفا احذروا البيات . ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لأصحابه يوما إن هؤلاء الخوارج قديئسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيات فإن يكن ذلك فاجعلوا شعاركم حم لاينصرون فإن رسول الله ص كان يأمر بها. ويروى أنه كان شعار أصحاب علی بن أبی طالب ع . فلما أصبح القوم غدوا على القتلى فأصابوا ابن الماحوز قتيلا ففی ذلك يقول رجل من الخوارج [صفحه ۱۵۴] بسلی وسلبرى مصارع فتية || كرام وعقرى من كميت و من ورد . و قال آخر بسلی وسلبرى جماجم فتية || كرام وصرعى لم توسد خدودها . و قال رجل من موالی المهلب لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فصرعته ثم رميت به رجلا فأصبت به أصل أذنه فصرعته ثم أخذت الحجر وصرعت به ثالثا و فی ذلك يقول رجل من الخوارج أتانا بأحجار ليقتلنا بها || وهل يقتل الأبطال ويحك بالحجر . و قال رجل من أصحاب المهلب فی يوم سلی وسلبرى وقتل ابن الماحوز و يوم سلی وسلبرى أحاط بهم || منا صواعق لاتبقی و لاتذر حتى تركنا عبيد الله منجدلا || كماتجدل جذع مال منقعر . ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلی حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح ياأمتاه فصاح به المهلب لاكثر الله منك فی المسلمين فضحك الخارجی و قال أمك خير لك منی صاحبا || تسقيك محضا وتعل رائبا . و كان المغيرة بن المهلب إذانظر إلى الرماح قدتشاجرت فی وجهه نكس على [صفحه ۱۵۵] قربوس السرج وحمل من تحتها فبرأها بسيفه وأثر فی أصحابها فتحوميت الميمنة من أجله و كان أشد ماتكون الحرب استعارا أشد ما يكون تبسما و كان المهلب يقول ماشهد معی حربا قط إلارأيت البشرى فی وجهه . و قال رجل من الخوارج فی هذااليوم فإن تك قتلى يوم سلی تتابعت || فكم غادرت أسيافنا من قماقم غداة نكر المشرقية فيهم || بسولاف يوم المأزق المتلاحم .فكتب المهلب إلى الحارث بن عبد الله بن أبی ربيعة القباع . أما بعدفإنا لقينا الأزارقة المارقة بحد وجد فكانت فی الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها و السلام .فكتب إليه القباع قدقرأت كتابك ياأخا الأزد فرأيتك قدوهب لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك إن شاء الله ثواب الآخرة وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسلمين وهاد [صفحه ۱۵۶] أركان المشركين وذا الرئاسة وأخا السياسة فاستدم الله بشكره يتمم عليكم نعمه و السلام . وكتب إليه أهل البصرة يهنئونه و لم يكتب إليه الأحنف ولكن قال اقرءوا عليه السلام وقولوا إنا لك على مافارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب وينظر فی تضاعيفها ويلتمس كتاب الأحنف فلايراه فلما لم يره قال لأصحابه أ ماكتب أبوبحر فقال له الرسول إنه حملنی إليك رسالة فأبلغه فقال هذاأحب إلی من هذه الكتب . واجتمعت الخوارج بأرجان فبايعوا الزبير بن علی و هو من بنی سليط بن يربوع من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بينا فقال لهم اجتمعوا فاجتمعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمدرسوله ص ثم أقبل عليهم فقال إن البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر و هو على الكافرين عقوبة وخزی و إن يصب منكم أمير المؤمنين فما صار إليه خير مما خلف و قدأصبتم منهم

مسلم بن عبيس وربيعا الأجذم والحجاج بن رباب وحارثة بن بدر وأشجيتم المهلب وقتلتم أخاه المعارك و الله يقول لإخوانكم المؤمنين إِن يَمسَسكُم قَرحٌ فَقَد مَسّ القَومَ قَرحٌ مِثلُهُ وَ تِلكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَينَ النّاسِ-فيوم سلى كان لكم بلاء وتمحيصا و يوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا-فلا-تغلبن على الشكر فى حينه والصبر فى وقته وثقوا بأنكم المستخلفون فى الأرض والعاقبة للمتقين . ثم تحمل للمحاربة نحو المهلب فنفحهم المهلب نفحة فرجعوا وأكمنوا للمهلب فى غمض من غموض الأرض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب -قرآن-٩١٥-١٠١٠ [صفحه ١٥٧] يوما يطيف بعسكره ويتفقد سواده فوقف على جبل فقال إن من التدبير لهذه المارقة أن تكون قدأكمنت فى سفح هذاالجبل كمينا فبعث المهلب عشرة فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا بهم قطعوا القنطرة ونجوا وانكشفت الشمس فصاحوا ياأعداء الله لوقامت القيامة لجددنا ونحن فى جهادكم . ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب إلى ناحية أصبهان ثم كر راجعا إلى أرجان و قدجمع جموعا و كان المهلب يقول كأنى بالزبير و قدجمع لكم فلاترهبوهم فتنخب قلوبكم و لاتغفلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاءوه من أرجان فلقوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربهم فظهر عليهم ظهورا بينا ففى ذلك يقول رجل من بنى يربوع سقى الله المهلب كل غيث || من الوسمى ينتحر انتحارا فما وهن المهلب يوم جاءت || عوابس خيلهم تبغى الغوارا . و قال المهلب يومئذ ماوقفت فى مضيق من الحرب إلارأيت أمامى رجالا-من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم يجالدون و كان لحاهم أذناب العقاعق وكانوا صبروا معه فى غيرمواطن . و قال رجل من أصحاب المهلب من بنى تميم [صفحه ١٥٨] ألا يا من لصب مستهام || قريح القلب قدمل المزونا لهان على المهلب مالقينا || إذا ماراح مسرورا بطينا يجر السابرى ونحن شعث || كأن جلودنا كسيت طحينا . وحمل يومئذ الحارث بن هلال على قيس الإكاف و كان من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدق صلبه و قال قيس الإكاف غداة الروع يعلمنى || ثبت المقام إذالاقيت أقرانى . و قد كان بعض جيش المهلب يوم سلى وسلبرى صاروا إلى البصرة فذكروا أن المهلب قدأصيب فهم أهل البصرة بالنقلة إلى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناس وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك قال الأحنف البصرة بصرة المهلب وقدم رجل من كندة يعرف بابن أرقم فنعى ابن عم له و قال إنى رأيت رجلا من الخوارج و قدمكن رمحه من صلبه فلم ينشب أن قدم المنعى سالما فقيل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لماأحسست برمحه بين كتفى صحت به البقية فرفعه وتلابَقِيّتُ اللّهِ خَيرٌ لَكُم إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ ووجه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الأزد برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز إلى الحارث بن عبد الله فلما صار بكربج دينار لقيته إخوة عبيد الله حبيب و عبدالملك و على بنو بشير بن الماحوز -قرآن-٤٦٥-٥١٣ [صفحه ١٥٩] فقالوا ماالخبر و هو لايعرفهم فقال قتل الله ابن الماحوز المارق و هذارأسه معى فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا رأس أخيهم عبيد الله فلما ولى الحجاج دخل عليه على بن بشير و كان وسيما جسيما فقال من هذافخبره فقتله ووهب ابنه الأزهر وابنته لأهل الأزدى المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلة فوهبوهما لها. قال أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الكامل و لم يزل المهلب يقاتل الخوارج فى ولاية الحارث القباع حتى عزل وولى مصعب بن الزبير فكتب إلى المهلب أن أقدم على واستخلف ابنك المغيرة ففعل بعد أن جمع الناس و قال لهم إنى قداستخلفت المغيرة عليكم و هو أبوصغيركم رقة ورحمة و ابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فو الله ماأردت صوابا قط إلاسبقنى إليه . ثم مضى إلى مصعب فكتب مصعب إلى المغيرة بولايته وكتب إليه أنك إن لم تكن كأبيك فإنك كاف لماوليت فشمر وائتزر وجد واجتهد. ثم شخص المصعب إلى المزار فقتل أحمر بن شميط ثم أتى الكوفة فقتل المختار و قال للمهلب أشر على برجل أجعله بينى و بين عبدالملك فقال له اذكر واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمى أوزياد بن عمرو بن الأشرف العتكى أوداود بن قحذم قال أ وتكفينى أنت قال أكفيك إن شاء الله فشخص فولاه الموصل فخرج إليها وصار مصعب إلى البصرة لينفر إلى أخيه بمكة فشاور الناس فيمن يستكفيه [صفحه ١٦٠] أمر الخوارج فقال قوم ول عبد الله بن أبى بكرة و قال قوم

ول عمر بن عبيد الله بن معمر و قال قوم ليس لهم إلاالمهلب فارده إليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الأمر بينهم فقال قطرى بن الفجاءة المازنى و لم يكن أمروه عليهم بعد إن جاءكم عبد الله بن أبى بكرة أتاكم سيد سمح كريم جواد مضيع لعسكره و إن جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم فارس شجاع بطل جاد يقاتل لدينه ولملكه وبطبيعة لم أر مثلها لأحد فقد شهدته فى وقائع فما نودى فى القوم لحرب إلا كان أول فارس حتى يشد على قرنه ويضربه و إن رد المهلب فهو من قدعرفتموه إذاأخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده إذاأرسلتموه ويرسله إذامددتموه لايبدؤكم إلا أن تبدءوه إلا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم .فولى مصعب عليهم عمر بن عبيد الله بن معمر ولاه فارس والخوارج بأرجان يومئذ وعليهم الزبير بن على السليطى فشخص إليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم منها فألحقهم بأصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولى حرب الخوارج عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمع الخوارج له وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسار إليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن أبى حسان الأزدى إن المهلب كان يذكى العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة و هو على أبعد من هذه المسافة منهم . فقال عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك وأقام هناك فلما كان ذات ليلة بيته الخوارج فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشىء فأقبل على مالك بن أبى حسان فقال كيف رأيت فقال قدسلم الله و لم يكونوا [صفحه ۱۶۱] يطمعون فى مثلها من المهلب فقال أماإنكم لوناصحتمونى مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفى هذاالعدو ولكنكم تقولون قرشى حجازى بعيد الدار خيره لغيرنا فتقاتلون معى تعذيرا ثم زحف إلى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم إلى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبر وتقدم ابنه عبيد الله بن عمر وأمه من بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قتل فقال قطرى للخوارج لاتقاتلوا عمر اليوم فإنه موتور قدقتلتم ابنه و لم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى إلى القوم و كان مع ابنه النعمان بن عباد فصاح به عمر يانعمان أين ابنى قال أحتسبه فقد استشهد صابرا مقبلا غيرمدبر فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ثم حمل على الخوارج حملة لم ير مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا فى وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطرى فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارج وانتهبها فلما استقروا ورأى مانزل بهم قال أ لم أشر عليكم بالانصراف فجعلوه حينئذ من وجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم فى ذلك الوقت الفزر بن مهزم العبدى فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطرى و قال إنى مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فأجاب إليها فخلوا عنه ففى ذلك يقول فى كلمة له فشدوا وثاقى ثم ألجوا خصومتى || إلى قطرى ذى الجبين المفلق وحاجتهم فى دينهم فحججتهم || و مادينهم غيرالهوى والتخلق . ثم رجعوا وتكانفوا وعادوا إلى ناحية أرجان فسار إليهم عمر بن عبيد الله وكتب إلى مصعب [صفحه ۱۶۲] أما بعدفإنى لقيت الأزارقة فرزق الله عز و جل عبيد الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا بعدعليهم الظفر فتفرقوا شذر مذر وبلغنى عنهم عودة فيممتهم وبالله أستعين و عليه أتوكل .فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ومجاعة بن سعر فالتقوا فألح عليهم عمر حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمد إلى أربعة عشر رجلا من مذكوريهم وشجعانهم و فى يده عمود فجعل لايضرب رجلا منهم ضربة إلاصرعه فركض إليه قطرى على فرس طمر وعمر على مهر فاستعلاه قطرى بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصر به مجاعة فأسرع إليه فصاحت الخوارج يا أبانعامة إن عدو الله قدرهقك فانحط قطرى على قربوسه وطعنه مجاعة و على قطرى درعان فهتكهما وأسرع السنان فى رأس قطرى فكشط جلده ونجا وارتحل القوم إلى أصفهان فأقاموا برهة ثم رجعوا إلى الأهواز و قدارتحل عمر بن عبيد الله إلى إصطخر فأمر مجاعة فجبى الخراج أسبوعا فقال له كم جبيت قال تسعمائة ألف فقال هى لك . و قال يزيد بن الحكم لمجاعة ودعاك دعوة مرهق فأجبته || عمر و قدنسى الحياة وضاعا فرددت عادية الكتيبة عن فتى || قدكاد يترك لحمه أوزاعا . قال ثم عزل مصعب بن الزبير وولى عبد الله بن الزبير العراق ابنه حمزة [صفحه ۱۶۳] بن عبد الله بن الزبير فمكث قليلا ثم أعيد مصعب إلى العراق والخوارج

بـأطراف أصـبهان والوالی علیهـا عتـاب بن ورقـاء الریـاحی فأقام الخوارج هناک یجبون شـیئا من القری ثم أقبلوا إلی الأهواز من ناحیهٔ فارس فکتب مصـعب إلی عمر بن عبید الله ماأنصفتنا أقمت بفارس تجبی الخراج ومثل هذاالعدو یجتاز بک لاتحاربه و الله لوقـاتلت ثم هزمت لکان أعـذر لک . وخرج مصـعب من البصـرهٔ یریـدهم وأقبل عمر بن عبیـد الله یریـدهم فتنحی الخوارج إلی السوس ثم أتوا إلی المـدائن وبسـطوا فی القتل فجعلوا یقتلون النساء والصبیان حتی أتوا المذار فقتلوا أحمر طیئ و کان شـجاعا و کـان من فرسـان عبیـد الله بن الحر و فی ذلـک یقول الشـاعر ترکتم فتی الفتیـان أحمر طیئ || بساباط لم یعطف علیه خلیل . ثم خرجوا عامـدین إلی الکوفـهٔ فلمـا خـالطوا سوادها وو الیها الحارث القباع تثاقل عن الخروج و کان جبانا فـذمره ابراهیم بن الأشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتی أتی النخیلهٔ ففی ذلک یقول الشاعر إن القباع سار سیرا نکرا || یسـیر یوما ویقیم عشرا . وجعل یعـد النـاس بـالخروج و لایخرج والخوارج یعیثون حتی أخـذوا امرأهٔ فقتلوا أباها بین یـدیها وکانت جمیلـهٔ ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون من ینشأ فی الحلیـهٔ و هو فی الخصام غیرمبین فقال قائل منهم دعوها فقالوا قـدفتنتک ثم قـدموها فقتلوها. [صـفحه ۱۶۴] وقربوا امرأهٔ أخری وهم بإزاء القباع والجسـر معقود بینهم فقطعه القباع و هو فی سـتهٔ آلاف والمرأهٔ تستغیث به وهی تقبل وتقول علامـ تقتلـوننی فـو الله مافسـقت و لاـکفرت و لاـزنیت و النـاس یتفلتون إلی القتـال والقبـاع یمنعهم . فلمـا خـاف أن یعصوه أمر عندذاک بقطع الجسر فأقام بین دبیری ودباها خمسهٔ أیام والخوارج بقربه و هو یقول للناس فی کل یوم إذالقیتم العدو غدا فأثبتوا أقـدامکم واصبروا فـإن أول الحرب الترامی ثم إشـراع الرمـاح ثم السلهٔ فثکلت رجلاـ أمه فر من الزحف . فقال بعضـهم لماأکثر علیهم أماالصفهٔ فقد سمعناها فمتی یقع الفعل . و قال الراجز إن القباع سار سیرا ملسا || بین دباها ودبیری خمسا . وأخذ الخوارج حـاجتهم و کـان شأن القباع التحصن منهم ثم انصـرفوا ورجع إلی الکوفـهٔ وساروا من فورهم إلی أصـبهان فبعث عتاب بن ورقاء الریـاحی إلی الزبیر بـن علی أنـا ابـن عمـک ولسـت أراک تقصـد فی انصـرافک من کـل حرب غیری فبعث إلیه الزبیر إن أدنی الفاسـقین وأبعـدهم فی الحق سواء.فأقـام الخوارج یغـادون عتـاب بن ورقاء القتال ویراوحونه حتی طال علیهم المقام و لم یظفروا بکبیر شیء فلما کثر علیهم ذلک انصرفوا لایمرون بقریهٔ بین أصبهان والأهواز إلااستباحوها وقتلوا من فیها وشاور المصعب الناس فیهم فأجمع رأیهم علی [صـفحه ۱۶۵] المهلب فبلغ الخوارج مشـاورتهم فقـال لهم قطری إن جـاءکم عتاب بن ورقاء فهو فاتک یطلع فی أول المقنب و لاـیظفر بکثیر و إن جـاءکم عمر بن عبیـد الله ففـارس یقـدم إمـا علیه وإما له و إن جاءکم المهلب فرجل لایناجزکم حتی تناجزوه ویأخـذ منکم و لایعطیکم فهو البلاء الملازم والمکروه الـدائم . وعزم مصـعب علی توجیه المهلب و أن یشخص هولحرب عبدالملک فلما أحس به الزبیر خرج إلی الری و بهایزید بن الحارث بن رویم فحاربه ثم حصره فلما طال علیه الحصار خرج إلیه فکان الظفر للخوارج فقتل یزیـد بن الحارث بن رویم ونادی یزیـد ابنه حوشـبا ففر عنه و عن أمه لطیفـهٔ و کان علی بن أبی طالب ع دخل علی الحارث بن رویم یعود ابنه یزیـد فقال عنـدی جاریـهٔ لطیفهٔ الخدمهٔ أبعث بهاإلیک فسـماها یزید لطیفهٔ فقتلت مع بعلها یزید یومئذ و قال الشاعر مواقفنا فی کل یوم کریههٔ || أسـر وأشـفی من مواقف حوشب دعاه أبوه والرماح شوارع || فلم یسـتجب بل راغ ترواغ ثعلب و لو کان شـهم النفس أوذا حفیظهٔ || رأی مارأی فی الموت عیسـی بن مصـعب . و قال آخر نجا حلیلته وأسـلم شـیخه || نصب الأسـنهٔ حوشب بن یزیـد . [صـفحه ۱۶۶] قال ثم انحط الزبیر علی أصـفهان فحصـر بهاعتـاب بن ورقـاء سـبعهٔ أشـهر وعتـاب یحـاربه فی بعضـهن فلما طال به الحصار قال لأصـحابه ماتنتظرون و الله ماتؤتون من قلهٔ وإنکم لفرسان عشائرکم ولقـد حاربتموهم مرارا فانتصـفتم منهم و مابقی مع هـذاالحصار إلا أن تفنی ذخائرکم فیموت أحـدکم فیـدفنه أخوه ثم یموت أخوه فلایجد من یدفنه فقاتلوا القوم وبکم قوهٔ من قبل أن یضـعف أحدکم عن أن یمشـی إلی قرنه . فلما أصبح صلی بهم الصبح ثم خرج إلی الخوارج وهم غارون و قدنصب لواء لجاریهٔ له یقال لها یاسمین فقال من أراد البقاء فلیلحق بلواء یاسمین و من أراد الجهاد فلیخرج معی فخرج فی ألفین وسبعمائهٔ فارس فلم یشعر بهم الخوارج حتی غشوهم فقاتلوهم بجد

لم تر الخوارج منهم مثله فعقروا منهم خلقـا كثيرا وقتل الزبير بن على وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففى ذلک يقول القائل و يوم بجى تلافيته || و لولاک لاصطلم العسكر . و قال آخر خرجت من المدينة مستميتا || و لم أک فى كتيبة ياسمينا [صفحه ۱۶۷] أ ليس من الفضائل أن قومى || غدوا مستلئمين مجاهدينا . قال وتزعم الرواة أنهم فى أيام حصارهم كانوا يتواقفون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم و كان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح ويكنى أباهريرة إذاتحاجز القوم مع المساء نادى بالخوارج والزبير بن على يا ابن أبى الماحوز والأشرار || كيف ترون ياكلاب النار شد أبى هريرة الهرار || يهركم بالليل والنهار أ لم تروا جيا على المضمار || تمسى من الرحمن فى جوار .فغاظهم ذلک فكمن له عبيدة بن هلال فضربه بالسيف واحتمله أصحابه وظنت الخوارج أنه قدقتل فكانوا إذاتواقفوا نادوهم مافعل الهرار فيقولون ما به من بأس حتى أبل من علته فخرج إليهم فقال ياأعداء الله أترون بى بأسا فصاحوا به قدكنا نرى أنک قدلحقت بأمک الهاوية إلى النار الحامية

قطرى بن الفجاءة المازنى

ومنهم قطرى بن الفجاءة المازنى قال أبوالعباس لماقتل الزبير بن على أدارت الخوارج أمرها فأرادوا تولية عبيدة بن هلال فقال أدلكم على من هوخير لكم منى من يطاعن فى قبل ويحمى فى دبر عليكم [صفحه ۱۶۸] بقطرى بن الفجاءة المازنى فبايعوه وقالوا يا أمير المؤمنين امض بنا إلى فارس فقال إن بفارس عمر بن عبيد الله بن معمر ولكن نسير إلى الأهواز فإن خرج مصعب من البصرة دخلناها فأتوا الأهواز ثم ترفعوا عنها على إيذج و كان المصعب قدعزم على الخروج إلى باجميرا و قال لأصحابه إن قطريا لمطل علينا و إن خرجنا عن البصرة دخلها فبعث إلى المهلب فقال اكفنا هذاالعدو فخرج إليهم المهلب فلما أحس به قطرى يمم نحو كرمان وأقام المهلب بالأهواز ثم كر عليه قطرى و قداستعد وكانت الخوارج فى حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحصانة الجنن فحاربهم المهلب فدفعهم فصاروا إلى رامهرمز و كان الحارث بن عميرة الهمدانى قدصار إلى المهلب مراغما لعتاب بن ورقاء ويقال إنه لم يرضه عن قتله الزبير بن على و كان الحارث بن عميرة هو ألذى قتله وخاض إليه أصحابه ففى ذلک يقول أعشى همدان إن المكارم أكملت أسبابها || لابن الليوث الغر من همدان للفارس الحامى الحقيقة معلما || زاد الرفاق وفارس الفرسان [صفحه ۱۶۹] الحارث بن عميرة الليث ألذى || يحمى العراق إلى قرى نجران ود الأزراق لويصاب بطعنة || ويموت من فرسانهم مائتان . قال أبوالعباس وخرج مصعب إلى باجميرا ثم أتى الخوارج خبر مقتله بمسكن و لم يأت المهلب وأصحابه فتواقفوا يوما برامهرمز على الخندق فناداهم الخوارج ماتقولون فى مصعب قالوا إمام هدى قالوا فما تقولون فى عبدالملک قالوا ضال مضل فلما كان بعديومين أتى المهلب قتل المصعب و إن أهل العراق قداجتمعوا على عبدالملک وورد عليه كتاب عبدالملک بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارج ماتقولون فى المصعب قالوا لانخبركم قالوا فما تقولون فى عبدالملک قالوا إمام هدى قالوا ياأعداء الله بالأمس ضال مضل واليوم إمام هدى ياعبيد الدنيا عليكم لعنة الله . وروى أبوالفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى الكبير قال كان الشراة والمسلمون فى حرب المهلب وقطرى يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أمر الدين و غير ذلک على أمان وسكون لايهيج بعضهم بعضا فتواقف يوما عبيدة بن هلال اليشكرى و أبوحزابة التميمى فقال عبيدة يا أباحزابة إنى أسألک عن أشياء أفتصدقنى عنها فى الجواب قال نعم إن ضمنت لى مثل ذلک قال قدفعلت قال فسل عما بدا لک قال ماتقولون فى أئمتكم قال يبيحون الدم الحرام قال ويحک فكيف فعلهم فى المال قال يحبونه من غيرحله وينفقونه فى غيروجهه قال فكيف فعلهم فى اليتيم قال يظلمونه ماله ويمنعونه حقه وينيكون أمه قال ويحک يا أباحزابة أمثل

هؤلاء تتبع قال قدأجبتك فاسمع سؤالى ودع عتابى على رأيى [صفحه ۱۷۰] قال سل قال أى الخمر أطيب خمر السهل أم خمر الجبل قال ويحك أمثلى يسأل عن هذا قال قدأوجبت على نفسك أن تجيب قال أماإذ أبيت فإن خمر الجبل أقوى وأسكر وخمر السهل أحسن وأسلس قال فأى الزوانى أفره أزوانى رامهرمز أم زوانى أرجان قال ويحك إن مثلى لايسأل عن هذا قال لابد من الجواب أوتغدر. قال أماإذ أبيت فزوانى رامهرمز أرق أبشارا وزوانى أرجان أحسن أبدانا قال فأى الرجلين أشعر جرير أم الفرزدق قال عليك وعليهما لعنة الله قال لابد أن تجيب قال أيهما ألذى يقول وطوى الطراد مع القياد بطونها || طى التجار بحضرموت برودا قال جرير قال فهو أشعرهما. قال أبوالفرج و قد كان الناس تجادلوا فى أمر جرير والفرزدق فى عسكر المهلب حتى تواثبوا وصاروا إليه محكمين له فى ذلك فقال أتريدون أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمضغانى ماكنت لأحكم بينهما ولكنى أدلكم على من يحكم بينهما ثم يهون عليه سبابهما عليكم بالشراة فاسألوهم إذاتواقفتم فلما تواقفوا سأل أبوحزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب . وروى أبوالفرج أن امرأة من الخوارج كانت مع قطرى بن الفجاءة يقال لها أم حكيم وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجها وأحسنهم بالدين تمسكا وخطبها [صفحه ۱۷۱] جماعة منهم فردتهم و لم تجبهم فأخبر من شاهدها فى الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترتجز فتقول أحمل رأسا قدسئمت حمله || و قدمللت دهنه وغسله أ لافتى يحمل عنى ثقله . والخوارج يفدونها بالآباء والأمهات فما رأينا قبلها و لابعدها مثلها. وروى أبوالفرج قال كان عبيدة بن هلال إذاتكاف الناس ناداهم ليخرج إلى بعضكم فيخرج إليه فتيان من عسكر المهلب فيقول لهم أيما أحب إليكم أقرأ عليكم القرآن أم أنشدكم الشعر فيقولون له أماالقرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ولكن تنشدنا فيقول يافسقة قد و الله علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لايزال ينشدهم ويستنشدهم حتى يملوا ويفترقوا. قال أبوالعباس وولى خالد بن عبد الله بن أسيد فقدم فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأشير عليه بألا يفعل وقيل له إنما أمن أهل هذاالمصر لأن المهلب بالأهواز وعمر بن عبيد الله بفارس فقد تنحى عمر و إن نحيت المهلب لم تأمن على البصرة فأبى إلاعزله فقدم المهلب البصرة وخرج خالد إلى الأهواز فاستصحبه فلما صار بكربج دينار لقيه قطرى فمنعه حط أثقاله وحاربه ثلاثين يوما. ثم أقام قطرى بإزائه وخندق على نفسه فقال المهلب لخالد إن قطريا ليس [صفحه ۱۷۲] بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا إلى شق نهر تيرى واتبعه قطرى فصار إلى مدينة نهر تيرى فبنى سورها وخندق عليها فقال المهلب لخالد خندق على نفسك فإنى لاآمن البيات فقال يا أباسعيد الأمر أعجل من ذاك فقال المهلب لبعض ولده إنى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خندق علينا فخندق المهلب على نفسه وأمر بسفنه ففرغت وأبى خالد أن يفرغ سفنه فقال المهلب لفيروز حصين صر معنا فقال يا أباسعيد إن الحزم ماتقول غيرإنى أكره أن أفارق أصحابى قال فكن بقربنا قال أما هذه فنعم . و قد كان عبدالملك كتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمد خالدا بجيش كثيف أميره عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ففعل فقدم عليه عبدالرحمن فأقام قطرى يغاديهم القتال ويراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لمولى أبى عيينة سر إلى ذلك الناوس فبت عليه كل ليلة فمتى أحسست خبرا للخوارج أوحركة أوصهيل خيل فأعجل إلينا.فجاءه ليلة فقال قدتحرك القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطرى سفنا فيهاحطب وأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج فى أدبارها حتى خالطهم لايمر برجل إلاقتله و لابدابة إلاعقرها و لابفسطاط إلاهتكه فأمر المهلب يزيد ابنه فخرج فى مائة فارس فقاتل وأبلى عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث يومئذ بلاء حسنا وخرج فيروز حصين فى مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو و من معه فأثر أثرا جميلا وصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين فى [صفحه ۱۷۳] الخندق فأخذ بيده رجل من الأزد فاستنقذه فوهب له فيروز عشرة آلاف وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل لايرى إلاقتيلا أوجريحا فقال للمهلب يا أباسعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فإن لم تفعل عادوا إليك فقال اكفنى أمر الخندق فجمع له الأخماس فلم يبق شريف إلاعمل فيه فصاح بهم الخوارج و الله لو لا هذاالساحر

المزونى لكان الله قددمر عليكم وكانت الخوارج تسمى المهلب الساحر لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيجدون المهلب قدسبق إلى نقض تدبيرهم . و قال أعشى همدان لابن الأشعث يذكره بلاء القحطانية عنده فى كلمة طويلة و يوم أهوازك لاتنسه || ليس الثنا والذكر بالبائد . ثم مضى قطرى إلى كرمان وانصرف خالد إلى البصرة وأقام قطرى بكرمان شهرا ثم عمد لفارس فخرج خالد إلى الأهواز وندب الناس للرحيل فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذاالمصر إنى قدوليت أخى قتال الأزارقة.فولى أخاه عبدالعزيز واستخلف المهلب على الأهواز فى ثلاثمائة ومضى عبدالعزيز والخوارج بدرابجرد و هو فى ثلاثين ألفا فجعل عبدالعزيز يقول فى طريقه يزعم أهل البصرة أن هذاالأمر لايتم إلابالمهلب سيعلمون . قال صقعب بن يزيد فلما خرج عبدالعزيز عن الأهواز جاءنى كردوس [صفحه ١٧٤] حاجب المهلب فدعانى فجئت إلى المهلب و هو فى سطح و عليه ثياب هروية فقال ياصقعب أناضائع كأنى أنظر إلى هزيمة عبدالعزيز وأخشى أن توافينى الأزارقة و لاجند معى فابعث رجلا من قبلك يأتينى بخبرهم سابقا إلى به فوجهت رجلا من قبلى يقال له عمران بن فلان و قلت له اصحب عسكر عبدالعزيز واكتب إلى بخبر يوم فيوم فجعلت أورده على المهلب فلما قاربهم عبدالعزيز وقف وقفة فقال له الناس هذامنزل فينبغى أن تنزل فيه أيها الأمير حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا فقال كلا الأمر قريب فنزل الناس عن غيرأمره فلم يستتم النزول حتى ورد عليه سعد الطلائع فى خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبدالعزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة واتبعهم فقال له الناس لاتتبعهم فإنا على غيرتعبية فأبى فلم يزل فى آثارهم حتى اقتحموا عقبة فاقتحمها وراءهم و الناس ينهونه ويأبى و كان قدجعل على بنى تميم عبس بن طلق الصريمى الملقب عبس الطعان و على بكر بن وائل مقاتل بن مسمع و على شرطته رجلا من بنى ضبيعة بن ربيعة بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم و كان لهم فى بطن العقبة كمين فلما صاروا من ورائها خرج عليهم الكمين وعطف سعد الطلائع فترجل عبس بن طلق فقتل وقتل مقاتل بن مسمع وقتل الضبيعى صاحب شرطة عبدالعزيز وانحاز عبدالعزيز واتبعهم الخوارج فرسخين يقتلونهم كيف شاءوا و كان عبدالعزيز قدأخرج معه أم حفص بنت المنذر بن الجارود امرأته فسبوا النساء يومئذ وأخذوا أسارى لاتحصى فقذفوهم فى غار بعد أن شدوهم وثاقا ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه . و قال بعض من حضر ذلك اليوم رأيت عبدالعزيز و إن ثلاثين رجلا ليضربونه [صفحه ١٧٥] بسيوفهم فما تحيك فى جنبه ونودى على السبى يومئذ فغولى بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا و كان ذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ففرضوا لكل رجل منهم خمسمائة فكاد ذلك الرجل يأخذ أم حفص فشق ذلك على قطرى و قال ماينبغى لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا إن هذه لفتنة فوثب عليها أبوالحديد العبدى فقتلها فأتى به قطرى فقال مهيم يا أباالحديد فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين تزايدوا فى هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطرى أحسنت فقال رجل من الخوارج كفانا فتنة عظمت وجلت || بحمد الله سيف أبى الحديد إهاب المسلمون بها وقالوا || على فرط الهوى هل من مزيد فزاد أبوالحديد بنصل سيف || رقيق الحد فعل فتى رشيد . و كان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا و كان يحب أن يلقاه فى صدر مبارزة فلحقه عمرو القنا يومئذ و هومنهزم فضحك منه و قال متمثلا- تمنانى ليلقانى لقيط || أعام لك ابن صعصعة بن سعد . ثم صاح به أنج يا أباالمصدى و كان العلاء بن مطرف قدحمل معه امرأتين [صفحه ١٧٦] إحداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والأخرى بنت عمه يقال لها فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وحملها أولا وتخلص بابنة عمه فقال فى ذلك ألست كريما إذ أقول لفتيتى || قفوا فاحملوها قبل بنت عقيل و لو لم يكن عودى نضارا لأصبحت || تجر على المتنين أم جميل . قال الصقعب بن يزيد وبعثنى المهلب لآتيه بالخبر فصرت إلى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحس خبرا فسرت مهجرا إلى أن أمسيت فلما أمسينا وأظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ماوراءك قال الشر قلت فأين عبدالعزيز قال أمامك فلما كان آخر الليل إذا أنابزهاء خمسين فارسا معهم لواء فقلت لواء من هذاقالوا لواء عبدالعزيز فتقدمت إليه فسلمت عليه و قلت أصلح الله

الأمير لايكبرن عليك ما كان فإنك كنت فى شر جند وأخبثه قال لى أ وكنت معنا قلت لا ولكن كأنى شاهد أمرك ثم أقبلت إلى المهلب وتركته فقال لى ماوراءك قلت مايسرك هزم الرجل وفل جيشه فقال ويحك و مايسرنى من هزيمة رجل من قريش وفل جيش من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أوسرك فوجه رجلا إلى خالد يخبره بسلامة أخيه قال الرجل فلما خبرت خالدا قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبنى فقال لى خالد و الله لقد هممت أن أضرب عنقك فقلت أصلح الله الأمير إن كنت كاذبا فاقتلنى و إن كنت صادقا فأعطنى مطرف هذاالمتكلم فقال خالد لبئس ماأخطرت به دمك فما برحت حتى دخل عليه بعض الفل وقدم عبدالعزيز سوق الأهواز فأكرمه المهلب وكساه وقدم معه على خالد واستخلف المهلب ابنه حبيبا و قال له [صفحه ١٧٧] تجسس الأخبار فإن أحسست بخيل الأزارقة قريبا منك فانصرف إلى البصرة على نهر تيرى فلما أحس حبيب بهم دخل البصرة وأعلم خالدا بدخوله فغضب وخاف حبيب منه فاستتر فى بنى عامر بن صعصعة وتزوج هناك فى استتاره الهلالية وهى أم ابنه عباد بن حبيب و قال الشاعر لخالد يفيل رأيه بعث غلاما من قريش فروقة || وتترك ذا الرأى الأصيل المهلبا أبى الذم واختار الوفاء وأحكمت || قواه و قدساس الأمور وجربا . و قال الحارث بن خالد المخزومى فر عبدالعزيز إذ راء عيسى || و ابن داود نازلا قطريا عاهد الله إن نجا ملمنايا || ليعودن بعدها حرميا يسكن الخل والصفاح فغورينا || مرارا ومرة نجديا حيث لايشهد القتال و لا || يسمع يوما لكر خيل دويا . وكتب خالد إلى عبدالملك بعذر عبدالعزيز و قال للمهلب ماترى أمير المؤمنين صانعا بى قال يعزلك قال أتراه قاطعا رحمى قال نعم قدأتته هزيمة أمية أخيك ففعل يعنى هرب أمية من سجستان فكتب عبدالملك إلى خالد [صفحه ١٧٨] أما بعدفإنى كنت حددت لك حدا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى وراءك واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الأزارقة فقبح الله هذارأيا أتبعث غلاما غرا لم يجرب الأمور والحروب للحرب وتترك سيدا شجاعا مدبرا حازما قدمارس الحروب ففلج فشغلته بالجباية أما لوكافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيرى ما لابقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فكفتنى عنك و قدجعلت عقوبتك عزلك و السلام قال وولى بشر بن مروان الإمارة و هوبالكوفة وكتب إليه أما بعدفإنك أخو أمير المؤمنين يجمعك وإياه مروان بن الحكم و إن خالدا لامجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب بى أبى صفرة فوله حرب الأزارقة فإنه سيد بطل مجرب وامدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل و السلام فشق على بشر ماأمره به فى المهلب و قال و الله لأقتلنه فقال له موسى بن نصير أيها الأمير إن للمهلب حفاظا ووفاء وبلاء. وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى بن نصير وعكرمة بن ربعى إلى المهلب أن يتلقاه لقاء لايعرفه به فتلقاه المهلب على بغل وسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال مافعل أميركم المهلب قالوا قدتلقاك أيها الأمير و هوشاك فهم بشر أن يولى حرب الأزارقة عمر بن عبيد الله بن معمر وشد عزمه أسماء [صفحه ١٧٩] بن خارجة و قال له إنما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب إلى أمير المؤمنين فأعلمه علة المهلب فكتب إليه بذلك و أن بالبصرة من يغنى غناءه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم إليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما قرأ عبدالملك الكتاب خلا بعبد الله فقال له إن لك دينا ورأيا وحزما فمن لقتال هؤلاء الأزارقة قال المهلب قال إنه عليل قال ليست علته بمانعة فقال عبدالملك لقد أراد بشر أن يفعل مافعل خالد فكتب إليه يعزم عليه أن يولى المهلب الحرب فوجه إليه فقال أناعليل و لايمكننى الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين إليه فجعل ينتخب فعزم عليه بشر بالخروج فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم عليه ألا يقيم بعدثالثة و قدأخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج المهلب حتى صار إلى شهار طاق فأتاه شيخ من بنى تميم فقال أصلح الله الأمير إن سنى ماترى فهبنى لعيالى فقال على أن تقول للأمير إذاخطب فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد و أنت تحبس عنه أشرافنا و أهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر و ما أنت وذاك ثم أعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتى بشرا فيقول له أيها الأمير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر و ما أنت وذاك

فقال نصيحة حضرتنى للأمير والمسلمين و لاأعود إلى مثلها فأمده بشر بالشرطة والمقاتلة وكتب إلى خليفته على الكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه بهم مددا للمهلب [صفحه ١٨٠] فلما أتاه الكتاب بعث إلى عبدالرحمن بن مخنف الأزدى يعقد له واختار من كل ربع ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير بن عبد الله البجلى و على ربع تميم وهمدان محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى و على ربع كندة محمد بن إسحاق بن الأشعث بن قيس الكندى و على ربع مذحج وأسد زحر بن قيس المذحجى فقدموا على بشر بن مروان فخلا بعبد الرحمن بن مخنف و قال له قدعرفت رأيى فيك وثقتى بك فكن عندظنى بك وانظر إلى هذاالمزونى فخالفه فى أمره وأفسد عليه رأيه .فخرج عبدالرحمن و هو يقول ماأعجب ماطلب منى هذاالغلام يأمرنى أن أصغر شأن شيخ من مشايخ أهلى وسيد من ساداتهم فلحق بالمهلب . فلما أحس الأزارقة بدنو المهلب منهم انكشفوا عن الفرات فأتبعهم المهلب إلى سوق الأهواز فنفاهم عنها ثم اتبعهم إلى رامهرمز فهزمهم عنها فدخلوا فارس وأبلى يزيد ابنه فى وقائعه هذه بلاء شديدا تقدم فيه و هو ابن إحدى وعشرين سنة. فلما صار القوم إلى فارس وجه إليهم ابنه المغيرة فقال له عبدالرحمن بن صالح أيها الأمير إنه ليس لك برأى قتل هذه الأكلب ولئن و الله قتلتهم لتقعدن فى بيتك ولكن طاولهم و كل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برامهرمز إلاشهرا حتى أتاه موت بشر بن مروان .فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه إلى إسحاق بن الأشعث و ابن زحر فاستحلفهما ألا يبرحا فحلفا له و لم يفيا وجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا [صفحه ١٨١] بسوق الأهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال إنكم لستم كأهل الكوفة إنما تذبون عن مصركم وأموالكم وحرمكم .فأقام منهم قوم وتسلل منهم قوم كثير. و كان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجه مولى له بكتاب منه إلى من بالأهواز يحلف بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا إلى مراكزهم وانصرفوا عصاة لايظفر بأحد إلاقتله فجاءهم مولاه فجعل يقرأ عليهم الكتاب و لايرى فى وجوههم قبولا فقال إنى أرى وجوها ماالقبول من شأنها فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما فى الكتاب وانصرف إلى صاحبك فإنك لاتدرى ما فى أنفسنا وجعلوا يستحثونه بقراءته ثم قصدوا قصد الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا إلى خليفة بشر يسألونه أن يأذن لهم فى دخول الكوفة فأبى فدخلوها بغير إذن .فلم يزل المهلب و من معه من قواده و ابن مخنف فى عدد قليل فلم يلبثوا أن ولى الحجاج العراق .فدخل الكوفة قبل البصرة و ذلك فى سنة خمس وسبعين فخطبهم الخطبة المشهورة وتهددهم ثم نزل فقال لوجوه أهلها ماكانت الولاة تفعل بالعصاة قالوا كانت تضرب وتحبس فقال ولكن ليس لهم عندى إلاالسيف إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون و لوساغت المعصية لأهلها ماقوتل عدو و لاجبى فىء و لا عزدين . ثم جلس لتوجيه الناس فقال قدأجلتكم ثلاثا وأقسم بالله لايتخلف أحد من [صفحه ١٨٢] أصحاب ابن مخنف بعدها إلاقتلته ثم قال لصاحب حرسه ولصاحب شرطته إذامضت ثلاثة أيام فاشحذا سيوفكما فجاءه عمير بن ضابئ البرجمى بابنه فقال أصلح الله الأمير إن هذاأنفع لكم منى و هوأشد بنى تميم أبدانا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا و أناشيخ كبير عليل واستشهد جلساءه فقال له الحجاج إن عذرك لواضح و إن ضعفك لبين ولكنى أكره أن يجترئ بك الناس على و بعدفأنت ابن ضابئ صاحب عثمان وأمر به فقتل فاحتمل الناس و إن أحدهم ليتبع بزاده وسلاحه ففى ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدى أقول لعبد الله يوم لقيته || أرى الأمر أمسى منصبا متشعبا [صفحه ١٨٣] تجهز فإما أن تزور ابن ضابئ || عميرا وإما أن تزور المهلبا هما خطتا خسف نجاؤك منهما || ركوبك حوليا من الثلج أشهبا فما إن أرى الحجاج يغمد سيفه || مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيبا فأضحى و لوكانت خراسان دونه || رآها مكان السوق أوهى أقربا . وهرب سوار بن المضرب السعدى من الحجاج و قال أقاتلى الحجاج إن لم أزر له || دراب وأترك عندهند فؤاديا . فى قصيدة مشهورة له .فخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان أشد عليهم إلحاحا و قد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه وأتاه رجل من بنى يشكر و كان شيخا أعور يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا

الكرسفة فقال [صفحه ۱۸۴] أصلح الله الأمير إن بی فتقا و قدعذرنی بشر بن مروان و قدرددت العطاء فقال إنک عندی لصادق ثم أمر به فضربت عنقه ففی ذلک یقول کعب الأشقری أوالفرزدق لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة || تقرقر منها بطن کل عریف . ویروی عن أبی البئر قال إنا لنتغدی معه یوما إذ جاءه رجل من بنی سلیم برجل یقوده فقال أصلح الله الأمیر إن هذاعاص فقال له الرجل أنشدک الله أیها الأمیر فی دمی فو الله ماقبضت دیوانا قط و لاشهدت عسکرا قط وإنی لحائک أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسیف سجد فلحقه السیف و هوساجد فأمسکنا عن الأکل فأقبل علینا و قال ما لی أراکم قدصفرت أیدیکم واصفرت وجوهکم وحد نظرکم من قتل رجل واحد ألا إن العاصی یجمع خلالا یخل بمرکزه ویعصی أمیره ویغر المسلمین و هوأجیر لهم وإنما یأخذ الأجرة لمایعمل والوالی مخیر فیه إن شاء قتل و إن شاء عفا. ثم کتب إلی المهلب أما بعد فإن بشرا استکره نفسه علیک وأراک غناه عنک و أناأریک حاجتی إلیک فأرنی الجد فی قتال عدوک و من خفته علی المعصیة ممن قبلک فاقتله [صفحه ۱۸۵] فإنی قاتل من قبلی و من کان عندی ممن هرب عنک فأعلمنی مکانه فإنی أری أن آخذ السمی بالسمی والولی بالولی.فکتب إلیه المهلب لیس قبلی إلامطیع و إن الناس إذاخافوا العقوبة کبروا الذنب و إذاأمنوا العقوبة صغروا الذنب و إذایئسوا من العفو أکفرهم ذلک فهب لی هؤلاء الذین سمیتهم عصاة فإنهم فرسان أبطال أرجو أن یقتل الله بهم العدو ونادم علی ذنبه . فلما رأی المهلب کثرة الناس عنده قال الیوم قوتل هذاالعدو. و لمارأی ذلک قطری قال لأصحابه انهضوا بنا نرید السردن فنتحصن فیها فقال عبیدة بن هلال أوتأتی سابور فتأخذ منها مانرید وتصیر إلی کرمان فأتوا سابور وخرج المهلب فی آثارهم فأتی أرجان وخاف أن یکونوا قدتحصنوا بالسردن ولیست بمدینة ولکنها جبال محدقة منیعة فلم یصب بهاأحدا فخرج فعسکر بکازرون واستعدوا لقتاله فخندق علی نفسه ووجه إلی عبدالرحمن [صفحه ۱۸۶] بن مخنف خندق علی نفسک فوجه إلیه خنادقنا سیوفنا فوجه المهلب إلیه إنی لا آمن علیک البیات فقال ابنه جعفرذاک أهون علینا من ضرطة جمل فأقبل المهلب علی ابنه المغیرة فقال لم یصیبوا الرأی و لم یأخذوا بالوثیقة. فلما أصبح القوم عاودوه الحرب فبعث إلی ابن مخنف یستمده فأمده بجماعة جعل علیهم ابنه جعفرا فجاءوا وعلیهم أقبیة بیض جدد فأبلوا یومئذ حتی عرف مکانهم المهلب وأبلی بنوه یومئذ کبلاء الکوفیین أوأشد. ثم أتی رئیس من الخوارج یقال له صالح بن مخراق و هوینتخب قوما من جلة العسکر حتی بلغ أربعمائة فقال لابنه المغیرة مأراه یعد هؤلاء إلاللبیات . وانکشفت الخوارج والأمر للمهلب علیهم و قدکثر فیهم الجراح والقتل و قد کان الحجاج یتفقد العصاة ویوجه الرجال و کان یحبسهم نهارا ویفتح الحبس لیلا فیتسلل الرجال إلی ناحیة المهلب و کان الحجاج لایعلم فإذارأی إسراعهم تمثل إن لها لسائقا عشنزرا || إذاوثبن وثبة تغشمرا . ثم کتب الحجاج إلی المهلب یستحثه أما بعدفإنه قدبلغنی أنک قدأقبلت علی جبایة الخراج وترکت قتال العدو وإنی ولیتک و أناأری مکان عبد الله بن حکیم المجاشعی وعباد بن الحصین الحبطی واخترتک و أنت من أهل عمان ثم رجل من الأزد فالقهم یوم کذا فی مکان کذا و إلاأشرعت إلیک صدر الرمح . [صفحه ۱۸۷] فشاور المهلب بنیه فقالوا أیها الأمیر لاتغلظ علیه فی الجواب .فکتب إلیه ورد إلی کتابک تزعم أنی أقبلت علی جبایة الخراج وترکت قتال العدو و من عجز عن جبایة الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنک ولیتنی و أنت تری مکان عبد الله بن حکیم وعباد بن الحصین و لوولیتهما لکانا مستحقین لذلک لفضلهما وغنائهما وبطشهما وزعمت أنک اخترتنی و أنا رجل من الأزد ولعمری إن شرا من الأزد لقبیلة تنازعتها ثلاث قبائل لم تستقر فی واحدة منهن وزعمت أنی إن لم ألقهم یوم کذا فی مکان کذا أشرعت إلی صدر الرمح لوفعلت لقلبت لک ظهر المجن و السلام . قال ثم کانت الوقعة بینه و بین الخوارج عقیب هذاالکتاب . فلما انصرف الخوارج تلک اللیلة قال لابنه المغیرة إنی أخاف البیات علی بنی تمیم فانهض إلیهم فکن فیهم فأتاهم المغیرة فقال له الحریش بن هلال یا أباحاتم أیخاف الأمیر أن یؤتی من ناحیتنا قل له فلیبت آمنا فإنا کافوه ماقبلنا إن شاء الله . فلما انتصف اللیل و قدرجع المغیرة إلی أبیه سری صالح بن مخراق فی القوم الذین کان أعدهم للبیات إلی

ناحية بنى تميم ومعه عبيدة بن هلال و هو يقول إنى لمذك للشراة نارها || ومانع ممن أتاها دارها وغاسل بالسيف عنها عارها . [صفحه ۱۸۸] فوجد بنى تميم أيقاظا متحارسين وخرج إليهم الحريش بن هلال و هو يقول وجدتمونا وقرا أنجادا || لاكشفا ميلا ـ و لاأوغادا . ثم حمل على الخوارج فرجعوا عنه فاتبعهم ثم صاح بهم إلى أين ياكلاب النار فقالوا إنما أعدت لك ولأصحابك فقال الحريش كل مملوك لى حر إن لم تدخلوا النار مادخلها مجوسى فيما بين سفوان وخراسان . ثم قال بعضهم لبعض نأتى عسكر ابن مخنف فإنه لاخندق عليه و قدبعث فرسانهم اليوم مع المهلب و قدزعموا أناأهون عليهم من ضرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه إلا و قدخالطوهم فى عسكرهم . و كان ابن مخنف شريفا و فيه يقول رجل من بنى عامر لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل تروح وتغدو كل يوم معظما || كأنك فينا مخنف و ابن مخنف .فترجل عبدالرحمن تلك الليلة يجالدهم حتى قتل وقتل معه سبعون رجلا من القراء فيهم نفر من أصحاب على بن أبى طالب ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب و جعفر بن عبدالرحمن بن مخنف عندالمهلب فجاءهم مغيثا فقاتل حتى ارتث ووجه المهلب إليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على عبدالرحمن بن مخنف وأصحابه وصار جنده فى جند المهلب فضمهم إلى ابنه حبيب فعيرهم البصريون وسموا جعفرا خضفة الجمل . [صفحه ۱۸۹] و قال رجل منهم لجعفر بن عبدالرحمن بن مخنف تركت أصحابكم تدمى نحورهم || وجئت تسعى إلينا خضفة الجمل .فلام المهلب أهل البصرة و قال بئسما قلتم و الله مافروا و لاجبنوا ولكنهم خالفوا أميرهم أ فلاتذكرون فراركم بدولاب عنى وفراركم بدارس عن عثمان . ووجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه فى مناجزة القوم وكتب إليه إنك تحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلب لأصحابه حركوهم فخرج فرسان من أصحابه فخرج إليهم من الخوارج جمع كثير فاقتتلوا إلى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أ ماتملون فقالوا لا حتى تملوا فقالوا فمن أنتم قالوا تميم فقالت الخوارج ونحن تميم أيضا فلما أمسوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج إليهم من الخوارج عشرة واحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدميه فيهاكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره وقام مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارج ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم قالوا لهم ويلكم من أنتم قالوا تميم قالوا ونحن [صفحه ۱۹۰] تميم أيضا فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج فقال له مهيم قال رأيت أيها الأمير قوما لايعين عليهم إلا الله . وكتب المهلب جواب الحجاج إنى منتظر بهم إحدى ثلاث موتا ذريعا أوجوعا مضرا أواختلافا من أهوائهم . و كان المهلب لايتكل فى الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين عليه بولده وبمن يحل محلهم فى الثقة عنده . قال أبوحرملة العبدى يهجو المهلب و كان فى عسكره عدمتك يامهلب من أمير || أ ماتندى يمينك للفقير بدولاب أضعت دماء قومى || وطرت على مواشكة درور . فقال له المهلب ويحك و الله إنى لاقيكم بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداء الأمير فذاك الذى نكره منك ماكلنا يحب الموت قال ويحك وهل عنه من محيص قال لا ولكنا نكره التعجيل و أنت تقدم عليه إقداما قال المهلب ويلك أ ماسمعت قول الكلحبة اليربوعى فقلت لكأس ألجميها فإنما || نزلنا الكثيب من زرود لنفزعا . [صفحه ۱۹۱] فقال بلى قدسمعت ولكن قولى أحب إلى منه و لماوقفتم غدوة وعدوكم || إلى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى وطرت و لم أحفل ملامة جاهل || يساقى المنايا بالردينية السمر . فقال المهلب بئس حشو الكتيبة أنت و الله يا أباحرملة إن شئت أذنت لك فانصرفت إلى أهلك قال بل أقيم معك أيها الأمير فوهب له المهلب وأعطاه فقال يمدحه يرى حتما عليه أبوسعيد || جلاد القوم فى أولى النفير إذانادى الشراة أباسعيد || مشى فى رفل محكمة القتير . قال و كان المهلب يقول مايسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع مكان بيهس بن صهيب فيقال له أيها الأمير بيهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأى محكم العقل وذو الرأى حذر سئول فأنا آمن أن يغتفل و لو كان مكانه ألف شجاع لخلت أنهم ينشامون حيث يحتاج إليهم . قال ومطرت السماء مطرا شديدا وهم بسابور و بين المهلب و بين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا أمر هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام إلى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من

أصحابه دعانا الأمير إلى ضبط العقبة والحظ [صفحه ١٩٢] فی ذلک لنا فلم نطعه ولبس سلاحه واتبعه جماعة من العسكر فصاروا إليه فإذاالمهلب والمغيرة و لاثالث لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك إن شاء الله فلما أصبحوا إذاهم بالشراة على العقبة فخرج إليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه تزلق ويلقاه مدرک فی جماعة معه حتى ردوهم عن العقبة فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس إذ الشراة قدأكبوا فقال المهلب سبحان الله أ فی مثل هذااليوم يامغيرة اكفنيهم فخرج إليهم المغيرة وأمامه سعد بن نجد القردوسی و كان سعد مقدما فی شجاعته و كان الحجاج إذاظن برجل أن نفسه قدأعجبته قال له لوكنت سعد بن نجد القردوسی ماعدا فخرج أمام المغيرة و مع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس ويرتجز فيقول نحن صبحناكم غداة النحر || بالخيل أمثال الوشيج تجری .فخرج إليه سعد بن نجد القردوسی من الأزد فتجاولا ساعة ثم طعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع المغيرة يومئذ فحامی عليه سعد بن نجد ودينار السجستانی وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عندسقطة المغيرة حتى صاروا إلى المهلب فقالوا قتل المغيرة فأتاه دينار السجستانی فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوک كان بحضرته . [صفحه ١٩٣] قال ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطئه فی مناجزة القوم وكتب إليه أما بعدفإنک جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم و أنت أعز ناصرا وأكثر عددا و ماأظن بک مع هذامعصية و لاجبنا ولكنک اتخذتهم أكلا و كان بقاؤهم أيسر عليک من قتالهم فناجزهم و إلاأنكرتنی و السلام . فقال المهلب للجراح يا أباعقبة و الله ماتركت حيلة إلااحتلتها و لامكيدة إلاأعملتها و ماالعجب من إبطاء النصرة وتراخی الظفر ولكن العجب أن يكون الرأی لمن يملكه دون من يبصره . ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال فلايزالون كذلک إلى العصر وينصرف أصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له الجراح قدأعذرت .فكتب المهلب إلى الحجاج أتانی كتابک تستبطئنی فی لقاء القوم على أنک لاتظن بی معصية و لاجبنا و قدعاتبتنی معاتبة الجبان وأوعدتنی وعيد العاصی فسل الجراح و السلام . فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاک قال و الله أيها الأمير مارأيت مثله قط و لاظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون إلى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف [صفحه ١٩٤] ويتخابطون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئا رواح قوم تلک عادتهم وتجارتهم . فقال الحجاج لشد مامدحته أباعقبة فقال الحق أولى . وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فإذاأراد الضرب أوالطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب بضرب الركب من الحديد فهو أول من أمر بطبعها و فی ذلک يقول عمران بن عصام العنزی ضربوا الدراهم فی إمارتهم || وضربت للحدثان والحرب حلقا ترى منها مرافقهم || كمناكب الجمالة الجرب . قال وكتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحی من بنی رياح بن يربوع و هووالی أصفهان يأمره بالمسير إلى المهلب و أن يضم إليه جند عبدالرحمن بن مخنف فكل بلد يدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أميرالجماعة فيه و أنت على أهل الكوفة فإذادخلتم بلدا فتحه أهل الكوفة فأنت أميرالجماعة والمهلب على أهل البصرة.فقدم عتاب فی إحدى جماديين من سنة ست وسبعين على المهلب و هوبسابور وهی من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج بأيديهم كرمان وهم بإزاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحی. [صفحه ١٩٥] قال ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستحثانه لمناجزة القوم أحدهما يقال له زياد بن عبدالرحمن من بنی عامر بن صعصعة والآخر من آل أبی عقيل من رهط الحجاج فضم المهلب زيادا إلى ابنه حبيب وضم الثقفی إلى ابنه يزيد و قال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة وغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبدالرحمن العامری وفقد الثقفی ثم باكروهم فی اليوم الثانی و قدوجد الثقفی فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم ويتجاوزهم والثقفی يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدی ألا ياأصبحانی قبل عوق العوائق || وقبل اختراط القوم مثل العقائق غداة

حبيب فى الحديد يقودنا || يخوض المنايا فى ظلال الخوافق حرون إذا ماالحرب طار شرارها || وهاج عجاج النقع فوق المفارق فمن مبلغ الحجاج أن أمينه || زيادا أطاحته رماح الأزارق .فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب بن يزيد فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالمصير إليه ليوجهه إلى شبيب وكتب إلى المهلب يأمره أن يرزق الجند فرزق أهل البصرة وأبى أن يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنابيارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال له عتاب قد كان يبلغنى أنك شجاع فرأيتك جبانا و كان يبلغنى أنك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكنك معم مخول . [صفحه ١٩٦] فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب نعيم بن هبيرة ابن أخى مصقلة بن هبيرة على عتاب فشتمه و قد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره واغتبط به فلم يزل يؤكده وغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة مشى بين أبيه و بين عتاب و قال لعتاب يا أباورقاء إن الأمير يصير إلى كل ماتحب وسأل أباه أن يرزق أهل الكوفة ففعل فصلح الأمر فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب و كان عتاب يقول إنى لأعرف فضله على أبيه . و قال رجل من الأزد من بنى أياد بن سود ألا أبلغ أباورقاء عنا || فلو لاأننا كنا غضابا على الشيخ المهلب إذ جفانا || للاقت خيلكم منا ضرابا . قال و كان المهلب يقول لبنيه لاتبدءوا الخوارج بقتال حتى يبدءوكم ويبغوا عليكم فإنهم إذابغوا عليكم نصرتم عليهم .فشخص عتاب إلى الحجاج فى سنة سبع وسبعين فوجهه إلى شبيب فقتله شبيب . وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وافترقت كلمتهم و كان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الأزارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بهاأصحاب المهلب فرفع ذلك إلى المهلب فقال أناأكفيكموه إن شاء الله فوجه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى فقال له ألق هذاالكتاب فى العسكر والدراهم واحذر على نفسك و كان الحداد يقال له أبزى فمضى الرجل و كان فى الكتاب أما بعد فإن نصالك قدوصلت إلى و قدوجهت إليك بألف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال . [صفحه ١٩٧] فوقع الكتاب إلى قطرى فدعا بأبزى فقال ما هذاالكتاب قال لاأدرى قال فما هذه الدراهم قال لاأعلم فأمر به فقتل فجاءه عبدربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غيرثقة و لاتبين قال قطرى فما حال هذه الألف قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال قطرى إن قتل رجل فى صلاح الناس غيرمنكر وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحا و ليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبدربه فى جماعة معه و لم يفارقوه . وبلغ ذلك المهلب فدس إليهم رجلا نصرانيا جعل له جعلا يرغب فى مثله و قال له إذارأيت قطريا فاسجد له فإذانهاك فقل إنما سجدت لك ففعل ذلك النصرانى فقال قطرى إنما السجود لله تعالى فقال ماسجدت إلا لك فقال رجل من الخوارج إنه قدعبدك من دون الله وتلاإِنّكُم وَ ما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّمَ أَنتُم لَها وارِدُونَ فقال قطرى إن النصارى قدعبدوا عيسى ابن مريم فما ضر عيسى ذلك شيئا فقام رجل من الخوارج إلى النصرانى فقتله فأنكر قطرى ذلك عليه وأنكر قوم من الخوارج إنكاره . وبلغ المهلب ذلك فوجه إليهم رجلا يسألهم فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغ الآخر إليكم فامتحنتموه فلم يجز المحنة ماتقولون فيهما فقال بعضهم أماالميت فمؤمن من أهل الجنة و أما ألذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيز المحنة. و قال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيز المحنة فكثر الاختلاف . وخرج قطرى إلى حدود إصطخر فأقام شهرا والقوم فى اختلافهم ثم أقبل فقال –قرآن-٧١٠-٧٨٨[صفحه ١٩٨] لهم صالح بن مخراق ياقوم إنكم أقررتم عين عدوكم وأطمعتموه فيكم بما يظهر من خلافكم فعودوا إلى سلامة القلوب واجتماع الكلمة. وخرج عمرو القنا و هو من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم فنادى ياأيها المحلون هل لكم فى الطراد فقد طال عهدى به ثم قال أ لم تر أنامذ ثلاثين ليلة || جديب وأعداء الكتاب على خفض .فتهايج القوم وأسرع بعضهم إلى بعض وكانت الوقعة وأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار فى وسط الأزارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف و عليه ساعد

حديـد فوضع يـده على رأسه فلم يعمل السـيف فيه شـيئا واسـتنقذه فرسان من الأزد بعد أن صـرع و كان ألذى صـرعه عبيدة بن هلال بن يشكر بن بكر بن وائل و كان يقول يومئذ أنا ابن خير قومه هلال || شيخ على دين أبى بلال وذاك دينى آخر الليالى . فقـال رجـل للمغيرة كنـا نعجب كيف تصـرع والآـن نعجب كيف تنجو و قـال المهلب لبنيه إن سـرحكم لغـار ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحـدا قالوا لافلم يسـتتم الكلام حتى أتاه آت فقال إن صالـح بن مخراق قدأغار على السـرح فشق على المهلب و قال كل أمر لا إليه بنفسى فهو ضائع وتذمر عليهم فقال له بشر بن المغيرة أرح نفسك فإن كنت إنما تريد مثلك فو الله مايعدل خيرنا شسع نعلك [صفحه ١٩٩] فقال خذوا عليهم الطريق فبادر بشـر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب فسـبق بشر إلى الطريق فإذا رجل أسود من الأزارقـة يشل السـرح و هو يقول نحن قمعناكم بشل السـرح || و قـدنكانا القرح بعدالقرح . ولحقه المفضـل ومدرك فصاحا برجل من طيئ اكفنا الأسود فاعتوره الطائى وبشـر بن المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الأزارقة من همدان واستردا السـرح . قـال و كان عياش الكنـدى شـجاعا بئيسا فأبلى يومئـذ فلما مات على فراشه بعـد ذلك قال المهلب لاوألت نفس الجبان بعـدعياش و قـال المهلب مـارأيت تالله كهؤلاء القوم كلما انتقص منهم يزيـد فيهم . ووجه الحجاج رجلين إلى المهلب يسـتحثانه بالقتال أحدهما من كلب والآخر من سـليم فقال المهلب متمثلا بشـعر لأوس بن حجر ومسـتعجب مما يرى من أناتنا || و لوزبنته الحرب لم يترمرم . فقـال المهلب ليزيـد ابنه حرك القوم فحركهم فتهـايجوا و ذلـك فى قريـة من قرى إصـطخر فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصـحاب المهلب وطعنه فشك فخذه بالسـرج فقال المهلب للسـلمى والكلبى كيف يقاتل قوم هذاطعنهم وحمل [صفحه ٢٠٠] يزيـد عليهم و قدجاء الرقاد و هو من فرسان المهلب و هوأحد بنى مالك بن ربيعة على فرس له أدهم و به نيف وعشـرون جراحـة و قدوضع عليها القطن فلما حمل يزيد ولى الجمع وحماهم فارسان منهم فقال يزيد لقيس الخشـنى مولى العتيـك من لهـذين قـال أنافحمـل عليهمـا فعطف عليه أحـدهما فطعنه قيس فصرعه وحمل عليه الآخر فتعانقا فسـقطا جميعا إلى الأـرض فصـاح قيس الخشـنى اقتلونـا جميعـا فحملت خيـل هؤلاء وخيـل هؤلاـء فحجزوا بينهمـا فإذامعـانق قيس امرأة فقام قيس مسـتحييا فقـال له يزيـد يا أبابشـر أما أنت فبارزتها على أنها رجل فقال أرأيت لوقتلت أ ما كان يقال قتلته امرأة وأبلى يومئـذ ابن المنجب السدوسـى فقال غلام له يقال له خلاج و الله لوددنا أنافضـنا عسـكرهم حتى نصـير إلى مسـتقرهم فاسـتلب مما هناك جـاريتين فقـال له مولاـه ابن المنجب وكيف تمنيت ويحـك اثنتين فقـال لأعطيـك إحـداهما وآخـذ الأـخرى فقال ابن المنجب أخلاـج إنـك لن تعـانق طفلـة || شـرقا بهاالجـادى كالتمثال حتى تلاقى فى الكتيبـة معلما || عمرو القنا وعبيـدة بن هلال وترى المقعطر فى الفوارس مقدما || فى عصبة نشطوا على الضلال [صفحه ٢٠١] أو أن يعلمك المهلب غزوه || وترى جبالا قددنت لجبال . قال و كان بـدر بن الهذيل من أصـحاب المهلب شـجاعا و كان لحانة كان إذاأحس بالخوارج ينادى ياخيل الله اركبى و إليه يشـير القائل و إذاطلبت إلى المهلب حاجـة || عرضت توابع دونه وعبيـد العبـد كردس وبـدر مثله || وعلاج باب الأحمرين شديـد . قـال و كان بشـر بن المغيرة بن أبى صـفرة أبلى يومئـذ بلاء حسـنا عرف مكانه فيه وكانت بينه و بين المهلب جفوة فقال لبنيه يـابنى عم إنى قدقصـرت عن شـكاة العـاتب وجـاوزت شـكاة المسـتعتب حتى كأنى لاموصول و لامحروم فاجعلوا لى فرجة أعيش بها وهبونى امرأ رجوتم نصـره أوخفتم لسانه فرجعوا له ووصـلوه وكلموا فيه المهلب فوصـله . وولى الحجاج كردما فارس ووجهه إليهـا والحرب قائمـة فقـال رجـل من أصـحاب المهلب و لورآهـا كردم لكردمـا || كردمـة العير أحس الضـيغما .فكتب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن إصـطخر ودارابجرد لأرزاق الجنـد ففعل و قـد كان قطرى هـدم مدينة إصـطخر لأن أهلهـا كـانوا يكـاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينـة فسا فاشتراها منه آزاذ مرد بن الهربـذ بمائـة ألف درهم [صـفحه ٢٠٢] فلم يهـدمها فواقعه وجه المهلب فهزمه فنفـاه إلى كرمـان واتبعه المغيرة ابنه و قـد كـان دفع إليه سـيفا وجه به الحجـاج إلى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه إلى المغيرة بعد ماتقلده فرجع به المغيرة إليه و قدماه فسر المهلب و قال مايسرنى أن يكون

كنت دفعته إلى غيرك من ولـدى و قـال له اكفنى جبايـة خراج هاتين الكورتين وضم إليه الرقاد فجعلا يجبيان و لايعطيان الجند شيئا ففى ذلـك يقول رجـل من بنى تميم فى كلمـة له و لوعلم ابن يوسف مانلاقى || من الآفات والكرب الشـداد لفاضت عينه جزعا علينا || وأصـلح مااستطاع من الفساد ألا قل للأمير جزيت خيرا || أرحنا من مغيرة والرقاد فما رزق الجنود بهم قفيزا || و قـدساست مطـامير الحصاد . أى وقع فيهاالسوس . قال ثم حاربهم المهلب بالسـيرجان حتى نفاهم عنها إلى جيرفت واتبعهم ونزل قريبا منهم . ثم اختلفت كلمـة الخوارج و كان سـبب ذلك أن عبيدة بن هلال اتهم بامرأة رجل نجار رأوه يدخل مرارا إليها بغير إذن فـأتى قطريـا فـذكروا ذلـك له فقـال لهم إن عبيـدة من الـدين بحيث علمتم و من الجهـاد بحيث رأيتم فقـالوا إنا لانقار على الفاحشة فقال [صفحه ٢٠٣] انصرفوا ثم بعث إلى عبيدة فأخبره و قال له أنا لاأقار على الفاحشة فقال بهتونى يا أمير المؤمنين فما ترى قال إنى جامع بينك وبينهم فلاتخضع خضوع المـذنب و لاتتطاول تطاول البرىء فجمع بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسـم الله الرحمن الرحيم إِنّ الّذِينَ جاؤُ بِالإِفكِ عُصبَةٌ مِنكُم... حتى تلا الآيات فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه وقالوا اسـتغفر لنا ففعل فقال عبـدربه الصـغير مولى بنى قيس بن ثعلبـة و الله لقد خدعكم فتابع عبدربه منهم ناس كثير و لم يظهروا و لم يجدوا على عبيدة فى إقامة الحد ثبتا. و كان قطرى قداستعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا إن عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطرى إنى اسـتعملته و له ضياع وتجارات فأوغر ذلك صدورهم وبلغ المهلب ذلك فقال اختلافهم أشـد عليهم منى ثم قالوا لقطرى أ لاتخرج بنا إلى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قدكذب وارتد فاتبعوه يوما فأحس بالشـر ودخل دارا مع جماعة من أصحابه فاجتمعوا عليه وصاحوا اخرج إلينا يادابة فخرج إليهم فقال أرجعتم بعدى كفارا قالوا أ ولست دابة قال الله تعالى وَ ما مِن دَابّةٍ فِى الأَرضِ إِلّا عَلَى اللّهِ رِزقُها ولكنك قـدكفرت بقولك أنا قدرجعنا كفارا فتب إلى الله فشاور عبيدة فى ذلك فقال له إن تبت لم يقبلوا منك فقل إنى استفهمت فقلت أرجعتم بعدى كفارا فقال لهم ذلك فقبلوا منه فرجع إلى منزله - قرآن-٢٥٠-٢٩٢-قرآن-١٠١٠-١٠٦٥ [صفحه ٢٠٤]

عبدربه الصغير

ومنهم عبدربه الصـغير أحد موالى قيس بن ثعلبة. لمااختلفت الخوارج على قطرى بايعه منهم جمع كثير و كان قطرى قدعزم على أن يبايع للمقعطر العبدى ويخلع نفسه فجعله أميرالجيش فى الحرب قبل أن يعهد إليه بالخلافة فكرهه القوم وأبوه و قال صالح بن مخراق عنهم و عن نفسه ابغ لنـا غيرالمقعطر فقال لهم قطرى إنى أرى طول العهـد قـدغيركم وأنتم بصـدد عـدو فاتقوا الله وأقبلوا على شـأنكم واستعدوا للقـاء القوم فقـال صالـح إن النـاس قبلنا قـدسألوا عثمان بن عفان أن يعزل سـعيد بن العاصـى عنهم ففعل ويجب على الإمام أن يعفى الرعيـة مما كرهت فأبى قطرى أن يعزل المقعطر فقال له القوم فإنا قدخلعناك وبايعنا عبدربه الصـغير و كان عبدربه هذامعلم كتاب و كان عبدربه الكبير بائع رمان وكلاهما من موالى قيس بن ثعلبة فانفصل إلى عبدربه الصغير أكثر من شطرهم وجلهم الموالى والعجم و كان منهم هناك ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق و قال لقطرى هذه نفخة من نفخات الشـيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا إلى عدونا وعدوك فأبى قطرى إلاللمقعطر وحمل فتى من الشراة على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأوجره الرمح .فنشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم إلى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا فـأجلت الحرب عن ألفى قتيـل فلمـا كـان الغـد عـاودوا الحرب فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب عن المدينـة فأقام عبـدربه بها وصار قطرى خارجا من [صـفحه ٢٠٥] مدينـة جيرفت بـإزائهم فقال له عبيـدة بن هلال يا أمير المؤمنين إن أقمت لم آمن هـذه العبيـد عليك إلا أن تخندق على نفسك فخندق على باب المدينة وجعل يناوشـهم وارتحل المهلب و كان منهم على

ليلۀ و رسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الأمير عاجلهم قبل أن يصطلحوا فقال المهلب إنهم لن يصطلحوا ولكن دعهم فإنهم سيصيرون إلى حال لايفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطرى فقل إنى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذافظهر خطؤه أيقيم بين المهلب و عبدربه يغاديه القتال هذا ويراوحه هذافنمى الكلام إلى قطرى فقال صدق تنحوا بنا عن هذاالموضع فإن اتبعنا المهلب قاتلناه و إن أقام على عبدربه رأيتم فيه ماتحبون . فقال له الصلت بن مرۀ يا أمير المؤمنين إن كنت إنما تريد الله فأقدم على القوم و إن كنت إنما تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا ثم قال قل للمحلين قدقرت عيونكم || بفرقۀ القوم والبغضاء والهرب كنا أناسا على دين فغيرنا || طول الجدال وخلط الجد باللعب ما كان أغنى رجالا قل جيشهم || عن الجدال وأغناهم عن الخطب إنى لأهونكم فى الأرض مضطربا || ما لى سوى فرسى والرمح من نشب . ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ماكنا نطمع منه فيه . وارتحل قطرى وبلغ ذلك المهلب فقال لهزيم بن أبى طحمۀ المجاشعى إنى لاآمن أن يكون كاذبا بترك موضعه اذهب فتعرف الخبر فمضى الهزيم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى المعسكر إلاعبدا وعلجا مريضين فسألهما عن قطرى وأصحابه فقالا [صفحه ۲۰۶] مضوا يرتادون غير هذاالمنزل فرجع هزيم إلى المهلب فأخبره فارتحل حتى نزل خندق قطرى فجعل يقاتل عبدربه أحيانا بالغداۀ وأحيانا بالعشى فقال رجل من سدوس يقال له المعتق و كان فارسا ليت الحرائر بالعراق شهدننا || ورأيننا بالسفح ذى الأجبال فنكحن أهل الجد من فرساننا || والضاربين جماجم الأبطال . ووجه المهلب يزيد ابنه إلى الحجاج يخبره بأنه قدنزل منزل قطرى و أنه مقيم على عبدربه ويسأله أن يوجه فى أثر قطرى رجلاـ جلدا فسر بذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب إلى المهلب يستحثه لمناجزۀ القوم مع عبيد بن موهب . أما بعدفإنك تتراخى عن الحرب حتى تأتيك رسلى فيرجعون بعذرك و ذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى وتحمل الكال ثم تلقاهم فتحمل منهم ثقل مايحتملون منك من وحشۀ القتل وألم الجراح و لوكنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قدحسم والقرن قدقصم ولعمرى ما أنت والقوم سواء لأن من ورائك رجالاـ وأمامك أموالا و ليس للقوم إلا مانعهد و لايدرك الوجيف بالدبيب و لاالظفر بالتعذير. فلما ورد عليه الكتاب قال لأصحابه ياقوم إن الله قدأراحكم من أمور أربعۀ قطرى بن الفجاءۀ وصالح بن مخراق وعبيدۀ بن هلال وسعد بن الطلائع وإنما بين أيديكم عبدربه الصغير فى خشار من خشار الشيطان تقتلونهم إن شاء الله تعالى . [صفحه ۲۰۷] فكانوا يتغادون القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون فكأنما انصرفوا عن مجلس كانوا يتحدثون فيه يضحك بعضهم إلى بعض فقال عبيد بن موهب للمهلب قدبان عذرك فاكتب فإنى مخبر الأمير.فكتب إلى الحجاج أما بعدفإنى لم أعط رسلك على قول الحق أجرا و لم أحتج منهم عن المشاهدۀ إلى تلقين ذكرت إنى أجم القوم و لابد من وقت راحۀ يستريح فيه الغالب ويحتال فيه المغلوب وذكرت أن فى الجمام ماينسى القتلى وتبرأ منه الجراح هيهات أن ينسى مابيننا وبينهم تأبى ذلك قتلى لم تجن وقروح لم تتقرب ونحن والقوم على حالۀ وهم يرقبون منا حالات إن طمعوا حاربوا و إن ملوا وقفوا و إن يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم إذاقاتلوا ونتحرز إذاوقفوا ونطلب إذاهربوا فإن تركتنى والرأى كان القرن مقصوما والداء بإذن الله محسوما و إن أعجلتنى لم أطعك و لم أعصك وجعلت وجهى إلى بابك وأعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس . قال و لمااشتد الحصار على عبدربه قال لأصحابه لاتفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال فإن المسلم لايفتقر مع الإسلام إلى غيره والمسلم إذاصح توحيده عزبربه و قدأراحكم الله من غلظۀ قطرى وعجلۀ صالح بن مخراق ونخوته واختلاط عبيدۀ بن هلال ووكلكم إلى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونيۀ وانتقلوا عن منزلكم هذافمن قتل منكم قتل شهيدا و من سلم من القتل فهو المحروم . [صفحه ۲۰۸] قال وورد فى ذلك الوقت على المهلب عبيد بن أبى ربيعۀ بن أبى الصلت الثقفى من عندالحجاج يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال للمهلب خالفت وصيۀ الأمير وآثرت المدافعۀ والمطاولۀ فقال له المهلب و الله ماتركت جهدا. فلما كان العشى خرجت الأزارقۀ و قدحملوا حريمهم وأموالهم وخف متاعهم لينتقلوا فقال المهلب

لأصحابه الزموا مصافكم وأشرعوا رماحكم ودعوهم والذهاب فقال له عبيدة بن أبى ربيعة هذالعمرى أيسر عليك فغضب و قال للناس ردوهم عن وجههم و قال لبنيه تفرقوا فى الناس و قال لعبيدة بن أبى ربيعة كن مع يزيد فخذه بالمحاربة أشد الأخذ و قال لأحد الأمينين كن مع المغيرة و لاترخص له فى الفتور.فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عقرت الخيل وصرع الفرسان وقتلت الرجالة وجعلت الخوارج تقاتل عن القدح يؤخذ منها والسوط والعلف والحشيش أشد قتال . وسقط رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل و ذلك مع المغرب والمرادى يرتجز و يقول الليل ليل فيه ويل ويل || قدسال بالقوم الشراة السيل إن جاز للأعداء فينا قول . [صفحه ٢٠٩] فلما عظم الخطب فى ذلك الرمح بعث المهلب إلى المغيرة خل لهم عن الرمح عليهم لعنة الله فخلوا لهم عنه ومضت الخوارج فنزلت على أربعة فراسخ من جيرفت فدخلها المهلب وأمر بجمع ما كان لهم من متاع و ماخلفوه من دقيق وجثم عليه و هو والثقفى والأمينان ثم اتبعهم فوجدهم قدنزلوا على ماء وعين لايشرب منها أحد إلاقوى يأتى الرجل بالدلو قدشدها فى طرف رمحه فيستقى بها وهناك قرية فيهاأهلها فغاداهم القتال وضم الثقفى إلى ابنه يزيد وأحد الأمينين إلى المغيرة فاقتتل القوم إلى نصف النهار. و قال المهلب لأبى علقمة العبدى و كان شجاعا و كان عاتيا هازلا أمددنا يا أباعلقمة بخيل اليحمد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال أيها الأمير إن جماجمهم ليست بفخار فتعار و لاأعناقهم كرادى فتنبت . و قال لحبيب بن أوس كر على القوم فلم يفعل و قال يقول لى الأمير بغير علم || تقدم حين جد به المراس فما لى إن أطعتك من حياة || و ما لى غير هذاالرأس رأس . و قال لمعن بن المغيرة بن أبى صفرة احمل فقال لا إلا أن تزوجنى ابنتك أم مالك فقال قدزوجتك فحمل على الخوارج فكشفهم وطعن فيهم و قال ليت من يشترى الحياة بمال || ملكة كان عندنا فيرانا [صفحه ٢١٠] نصل الكر عنداك بطعن || إن للموت عندنا ألوانا . قوله ملكة أى تزويجا ونكاحا. قال ثم جال الناس جولة عندحملة حملها عليهم الخوارج فالتفت المهلب فقال للمغيرة ابنه مافعل الأمين ألذى كان معك قال قتل وهرب الثقفى فقال ليزيد مافعل عبيد بن أبى ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الأمين الآخر للمغيرة أنت قتلت صاحبى فلما كان العشى رجع الثقفى فقال رجل من بنى عامر بن صعصعة مازلت ياثقفى تخطب بيننا || وتغمنا بوصية الحجاج حتى إذا ماالموت أقبل زاخرا || وسقى لنا صرفا بغير مزاج وليت ياثقفى غيرمناظر || تنساب بين أحزة وفجاج ليست مقارعة الكماة لدى الوغى || شرب المدامة فى إناء زجاج . فقال المهلب للأمين الآخر ينبغى أن تتوجه مع ابنى حبيب فى ألف رجل حتى تبيتوا عسكرهم فقال ماتريد أيها الأمير إلا أن تقتلنى كمافعلت بصاحبى فضحك المهلب و قال ذاك إليك و لم يكن للقوم خنادق فكان كل حذرا من صاحبه غير أن الطعام والعدة مع المهلب و هو فى زهاء ثلاثين ألفا فلما أصبح أشرف على واد فإذا هوبرجل معه رمح مكسور مخضوب بالدم و هوينشد وإنى لأعفى ذا الخمار وصنعتى || إذاراح أطواء بنى الأصاغر [صفحه ٢١١] أخادعهم عنه ليغبق دونهم || وأعلم غيرالظن أنى مغاور كأنى وأبدان السلاح عشية || يمر بنا فى بطن فيحان طائر . فقال له أتميمى أنت قال نعم قال أحنظلى قال نعم قال أيربوعى قال نعم قال أ من آل نويرة قال نعم أناولد مالك بن نويرة قال قدعرفتك بالشعر. قال أبوالعباس وذو الخمار فرس مالك بن نويرة. قال فمكثوا أياما يتحاربون ودوابهم مسرجة و لاخنادق لهم حتى ضعف الفريقان فلما كان الليلة التى قتل فى صبيحتها عبدربه جمع أصحابه فقال يامعشر المهاجرين إن قطريا وعبيدة هربا طلبا للبقاء و لاسبيل إلى البقاء فالقوا عدوكم غدا فإن غلبوكم على الحياة فلايغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله فى الدنيا يهبها لكم فى الآخرة. فلما أصبحوا غادوا المهلب فاقتتلوا قتالا شديدا أنسى ما كان قبله و قال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعنى على الموت فبايعه أربعون رجلا من الأزد فصرع بعضهم وقتل بعضهم وجرح بعضهم . [صفحه ٢١٢] و قال عبد الله بن رزام الحارثى للمهلب احملوا فقال المهلب أعرابى مجنون و كان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى خرج من ناحية أخرى ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو

القنـا و لم يترجـل هو و لاأصـحابه وهم زهـاء أربعمائـة فقـال موتوا على ظهور دوابكم كراما و لاتعقروهـا فقـالوا إنا إذاكنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الأرض الأرض و قال لبنيه تفرقوا فى الناس ليروا وجوهكم ونادت الخوارج ألا إن العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وقاتل يزيـد بين يدى أبيه قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يابنى إنى أرى موطنا لاينجو فيه إلاـ من صبر و مـامر بى يوم مثـل هذامنـذ مارست الحروب . وكسـرت الخوارج أجفان سـيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبدربه مقتولا.فهرب عمرو القنا وأصـحابه واسـتأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجريح من الخوارج ومأسور وأمر المهلب أن يـدفع كل جريـح إلى عشـيرته وظفر بعسـكرهم فحوى ما فيه ثم انصـرف إلى جيرفت فقال الحمـد لله ألذى ردنا إلى الخفض والدعة فما كان عيشنا ذلك العيش . ثم نظر المهلب إلى قوم فى عسـكره و لم يعرفهم فقال ماأشد عادة السـلاح ناولنى درعى فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صيرهم إليه قال ماأنتم قالوا جئنا لنطلب غرتك للفتك بك فأمر بهم فقتلوا [صفحه ٢١٣]

طرف من أخبار المهلب وبينه

ووجه كعب بن معـدان الأشـقرى ومرة بن بليد الأزدى فوردا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده ياحفص إنى عدانى عنكم السـفر . فقـال الحجـاج أشـاعر أم خطيب قال شاعر فأنشـده القصـيدة فأقبل عليه الحجاج و قال خبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة سـيدهم وفارسـهم وكفى بيزيد فارسا شـجاعا [صـفحه ٢١٤] وجوادهم وسـخيهم قبيصـة و لايسـتحى الشـجاع أن يفر من مـدرك و عبـدالملك سم نـاقع وحبيب موت ذعـاف و محمـدليث غـاب وكفـاك بالفضل نجـدة فقال له فكيف خلفت جماعة النـاس قـال خلفتهم بخير قـدأدركوا مـاأملوا وأمنوا ماخـافوا قـال فكيف كـان بنو المهلب فيهم قـال كـانوا حماة السـرح فإذاأليلوا ففرسـان البيـات قـال فأيهم كان أنجـد قال كانوا كالحلقـة المفرغـة لايـدرى أين طرفاها قال فكيف كنتم أنتم وعـدوكم قال كنا إذاأخـذنا عفونا و إذاأخـذوا يئسـنا منهم و إذااجتهـدنا واجتهـدوا طمعنا فيهم قال الحجاج إن العاقبة للمتقين فكيف أفلتكم قطرى قال كـدناه وظن أن قـدكادنا بأن صـرنا منه إلى التى نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان حرب الحاضـر آثر عندنا من اتباع الفل قال فكيف كـان المهلب لكم وكنتم له قـال كان لنا منه شـفقة الوالـد و له منا بر الولـد قال فكيف كان اغتباط الناس به قال نشأ فيهم الأمن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لى هذاالجواب قال لايعلم الغيب إلا الله قال هكذا و الله تكون الرجال المهلب كان أعلم بـذلك حيث بعثك . هذه روايـة أبى العباس . وروى أبوالفرج فى الأغانى أن كعبا لماأوفده المهلب إلى الحجاج أنشده قصـيدته التى أولهـا [صـفحه ٢١٥] يـاحفص إنى عـدانى عنكم السـفر || و قدسـهرت وآذى عينى السـهر .يـذكر فيهـاحروب المهلب مع الخوارج ويصف وقائعه فيهم فى بلد وهى طويلة و من جملتها كنا نهون قبل اليوم شأنهم || حتى تفاقم أمر كان يحتقر لماوهنا و قدحلوا بساحتنا || واسـتنفر الناس تارات فما نفروا نادى امرؤ لاخلاف فى عشـيرته || عنه و ليس به عن مثله قصـر خبوا كمينهم بالسـفح إذ نزلوا || بكازرون فما عزوا و لانصـروا باتت كتائبنا تردى مسـمومة || حول المهلب حتى نور القمر هناك ولوا خزايا بعـد مـاهزموا || وحـال دونهم الأنهـار والجـدر تـأبى علينـا حزازات النفوس فمـا || نبقى عليهم و لايبقون إن قـدروا .فضـحك الحجاج و قال إنك لمنصف ياكعب ثم قال له كيف كانت حالكم مع عـدوكم قال كنا إذالقيناهم بعفونا وعفوهم يئسـنا منهم و إذالقيناهم بجدنا وجدهم طمعنا فيهم قال فكيف كان بنو المهلب قال حماة الحريم نهارا وفرسان الليل تيقظا قال فأين السـماع من العيـان قال السـماع دون العيان قال [صـفحه ٢١٦] صـفهم لى رجلا رجلا قال المغيرة فارسـهم وسـيدهم نار ذاكية وصـعدة عالية وكفى بيزيد فارسا شـجاعا ليث غاب وبحر جم العباب وجوادهم قبيصة ليث المغار وحامى الذمار و لايستحى الشجاع أن يفر من مـدرك وكيف لايفر من مـدرك وكيف لايفر من الموت الحاضـر والأسـد الخادر و عبـدالملك سم ناقع وسـيف قاطع وحبيب

الموت الـذعاف طود شامخ وبحر باذخ و أبوعيينة البطل الهمام والسيف الحسام وكفاك بالمفضل نجدة ليث هدار وبحر مواز و محمـدليث غـاب وحسـام ضـراب قال فأيهم أفضل قال هم كالحلقـة المفرغـة لايعرف طرفاها قال فكيف جماعـة الناس قال على أحسن حـال أرضاهم العـدل وأغناهم النفل قال فكيف رضاهم بالمهلب قال أحسن رضا لايعـدمون منه إشـفاق الوالـد و لايعـدم منهم بر الولـد وذكر تمام الحديث . و قال إن الحجاج أمر له بعشـرين ألف درهم وحمله على فرس وأوفده على عبدالملك فأمر له بعشـرين ألفـا أخرى . قـال أبوالفرج وكعب الأشـقرى من شـعراء المهلب ومادحيه و هوشاعر مجيـد قال عبـدالملك بن مروان للشـعراء تشـبهوننى مرة بالأسد ومرة بالبازى ألا قلتم كما قال كعب الأشـقرى للمهلب وولده براك الله حين براك بحرا || وفجر منك أنهارا غزارا [صفحه ٢١٧] بنوك السابقون إلى المعالى || إذا ماأعظم الناس الخطارا كأنهم نجوم حول بـدر || تكمل إذ تكمـل فاسـتدارا ملـوك ينزلـون بكـل ثغر || إذا ماالهـام يـوم الروع طـارا رزان فى الخطوب ترى عليهم || من الشـيخ الشـمائل والنجارا نجوم يهتدى بهم إذا ما || أخو الغمرات فى الظلماء حارا . قال أبوالفرج و هذاالشعر من قصيدة لكعب يمدح بهاالمهلب ويـذكر الخوارج ومنهـا سـلوا أهـل الأباطـح من قريش || عن المجـد المؤثل أين صارا [صـفحه ٢١٨] لقوم الأـزد فى الغمرات أمضـى || وأوفى ذمـة وأعز جـارا هم قـادوا الجياد على وجاها || من الأمصار يقـذفن المهارا إلى كرمان يحملن المنايا || بكل ثنية يوقدن نارا شوازب مأأصبنا الثار حتى || رددناها مكلمة مرارا غداة تركن مصرع عبدرب || نثرن عليه من رهج غبارا و يوم الزحف بالأهواز ظلنا || نروى منهم الأسل الحرارا فقرت أعين كانت حزينا || قليلا نومها إلاغرارا و لو لاالشـيخ بالمصرين ينفى || عدوهم لقد نزلوا الديارا ولكن قارع الأبطال حتى || أصابوا الأمن واحتلوا القرارا [صـفحه ٢١٩] إذاوهنوا وحل بهم عظيم || يـدق العظم كـان لهم جبارا ومبهمـة يحيـد الناس عنها || تشب الموت شـد لها إزارا شـهاب تنجلى الظلماء عنه || يرى فى كل مظلمـة منـارا براك الله حين براك بحرا || وفجر منـك أنهارا غزارا .الأبيات المتقدمـة. قال أبوالفرج وحـدثنى محمـد بن خلف وكيع بإسـناد ذكره أن الحجاج لماكتب إلى المهلب يأمره بمناجزة الخوارج حينئذ ويسـتبطئه ويضـعفه ويعجزه من تأخيره أمرهم ومطـاولته لهم قال المهلب لرسوله قل له إنما البلاء أن يكون الأمر لمن يملكه لالمن يعرفه فإن كنت نصـبتنى لحرب هؤلاء القوم على أن أدبرهـا كمـاأرى فـإذاأمكنتنى فرصـة انتهزتهـا و إن لم تمكنى توقفت فأنـا أدبر ذلك بما يصـلحه و إن أردت أن أعمل برأيـك و أناحاضـر و أنت غائب فإن كان صوابا فلك و إن كان خطأ فعلى فابعث من رأيت مكانى وكتب من فوره بـذلك إلى عبـدالملك فكتب عبـدالملك إلى الحجاج لاتعارض المهلب فيما يراه و لاتعجله ودعه يدبر أمره . قال وقام كعب الأشـقرى إلى المهلب فأنشـده بحضـرة رسول الحجـاج إن ابن يوسف غره من أمركم || خفض المقـام بجانب الأمصار لوشـهد الصـفين حيث تلاقيا || ضاقت عليه رحيبـة الأقطار من أرض سابور الجنود وخيلنا || مثل القـداح بريتها بشـفار [صـفحه ٢٢٠] من كل صنديد يرى بلبانه || وقع الظبات مع القنا الخطار لرأى معاودة الرباع غنيمة || أزمان كان محالف الإقتار فدع الحروب لشيبها وشبابها || وعليـك كـل غريرة معطـار .فبلغت أبيـاته الحجـاج فكتب إلى المهلب يـأمره بإشـخاص كعب الأشـقرى إليه فـأعلم المهلب كعبا بـذلك وأوفـده إلى عبـدالملك من ليلته وكتب إليه يسـتوهبه منه فقـدم كعب على عبدالملك برسالة المهلب فاسـتنطقه فأعجبه وأوفـده إلى الحجـاج وكتب إليه يقسم عليه أن يصـفح ويعفو عمـا بلغه من شعره فلمـا دخـل قال إيه ياكعب لرأى معاودة الرباع غنيمة . فقال أيها الأمير و الله لوددت فى بعض ماشاهدته من تلك الحروب و مأأوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاما أوحائكا قال أولى لك لو لاقسم أمير المؤمنين مانفعك ماتقول الحق بصاحبك ورده إلى المهلب . قال أبوالعباس و كان كتاب المهلب إلى الحجاج ألذى بشره فيه بالظفر والنصر بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافى بالإسلام فقد ماسواه الحاكم بألا ينقطع المزيد من فضـله حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد [صفحه ٢٢١] فقد كان من أمرنا ما قدبلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسـرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسـرهم على اشـتداد شوكتهم فقد كان علا أمرهم حتى

ارتاعت له الفتاة ونوم به الرضيع فانتهزت الفرصة منهم فى وقت إمكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلک حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .فكتب إليه الحجاج أما بعدفقد فعل الله بالمسلمين خيرا وأراحهم من بأس الجلاد وثقل الجهاد ولقد كنت أعلم بما قبلک فالحمد لله رب العالمين فإذاورد عليک كتابى فأقسم فى المجاهدين فيئهم ونفل الناس على قدر بلائهم وفضل من رأيت تفضيله و إن كانت بقيت من القوم بقية فخلف خيلا تقوم بإزائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهما من ولدک و لاترخص لأحد فى اللحاق بمنزلة دون أن تقدم بهم على وعجل القدوم إن شاء الله .فولى المهلب يزيد ابنه كرمان و قال له يابنى إنک اليوم لست كماكنت إنما لک من كرمان مافضل عن الحجاج ولن تحتمل إلا على مااحتمل عليه أبوک فأحسن إلى من تبعک و إن أنكرت من إنسان شيئا فوجه إلى وتفضل على قومک إن شاء الله . [صفحه ٢٢٢] ثم قدم المهلب على الحجاج فأجلسه إلى جانبه وأظهر بره وإكرامه و قال يا أهل العراق أنتم عبيد قن للمهلب ثم قال أنت و الله كمالقيط فقلدوا أمركم لله دركم || رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا لايطعم النوم إلاريث يبعثه || هم يكاد حشاه يقصم الضلعا لامترفا إن رخاء العيش ساعده || و لا إذاعض مكروه به خشعا مازال يحلب هذاالدهر أشطره || يكون متبعا طورا ومتبعا حتى استمرت على شزر مريرته || مستحكم الرأى لاقحما و لاضرعا . وروى أنه قام إليه رجل فقال أصلح الله الأمير و الله لكأنى أسمع الساعة قطريا و هو يقول لأصحابه المهلب و الله كما قال لقيط الأيادى ثم أنشد هذاالشعر فسر الحجاج حتى امتلأ سرورا فقال المهلب أما و الله ماكنا أشد من عدونا و لاأحد ولكن دمغ الحق الباطل وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للمتقين و كان ماكرهناه من المطاولة خيرا لنا مما أحببناه من المعاجلة. [صفحه ٢٢٣] فقال الحجاج صدقت اذكر لى القوم الذين أبلوا وصف لى بلاءهم فأمر الناس فكتبوا ذلک إلى الحجاج فقال لهم المهلب ماذخر الله لكم خير لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله فذكرهم المهلب على مراتبهم فى البلاء وتفاضلهم فى الغناء وقدم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضل و عبدالملک ومحمدا و قال و الله لوواحد يقدمهم فى البلاء لقدمته عليهم و لو لا أن أظلمهم لآخرتهم فقال الحجاج صدقت و ما أنت أعلم بهم منى و إن حضرت وغبت إنهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة والرقاد وأشباههما. فقال الحجاج من الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذافارس العرب فقال الرقاد للحجاج أيها الأمير إنى كنت أقاتل مع غيرالمهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمنى الصبر ويجعلنى أسوة نفسه وولده ويجازينى على البلاء صرت أنا وأصحابى فرسانا.فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب ألفين ألفين وفعل بالرقاد وبجماعة شبيها بذلک . و قال يزيد بن حبناء من الأزارقة دعى اللوم إن العيش ليس بدائم || و لاتعجلى باللوم ياأم عاصم فإن عجلت منک الملامة فاسمعى || مقالة معنى بحقک عالم و لاتعذلينا فى الهدية إنما || تكون الهدايا من فضول المغانم [صفحه ٢٢٤] و ليس بمهد من يكون نهاره || جلادا ويمسى ليله غيرنائم يريد ثواب الله يوما بطعنه || غموس كشدق العنبرى بن سالم أبيت وسربالى دلاص حصينة || ومغفرها والسيف فوق الحيازم حلفت برب الواقفين عشية || لدى عرفات حلفة غيرآثم لقد كان فى القوم الذين لقيتهم || بسابور شغل عن بزوز اللطائم توقد فى أيديهم زاعبية || ومرهفة تفرى شئون الجماجم . و قال المغيرة الحنظلى من أصحاب المهلب إنى امرؤ كفنى ربى وأكرمنى || عن الأمور التى فى غبها وخم وإنما أناإنسان أعيش كما || عاشت رجال وعاشت قبلها أمم ماعاقنى عن قفول الجند إذ قفلوا || عى بما صنعوا حولى و لاصمم و لوأردت قفولا ماتجهمنى || إذن الأمير و لاالكتاب إذ رقموا إن المهلب إن أشتق لرؤيته || أوأمتدحه فإن الناس قدعلموا أنه الأريب ألذى ترجى نوافله || والمستنير ألذى تجلى به الظلم والقائل الفاعل الميمون طائره || أبوسعيد إذا ماعدت النعم أزمان كرمان إذ غص الحديد بهم || وإذ تمنى رجال أنهم هزموا . [صفحه ٢٢٥] و قال حبيب بن عوف من قواد المهلب أباسعيد جزاک الله صالحة || فقد كفيت و لم تعنف على أحد داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا || وكنت كالوالد الحانى على الولد . و قال عبيدة بن

هلال الخارجی یذکر رجلا من أصحابه یهوی فترفعه الرماح کأنه || شلو تنشب فی مخالب ضار یهوی صریعا والرماح تنوشه || إن الشراة قصیرة الأعمار

شبیب بن یزید الشیبانی

ومنهم شبیب بن یزید الشیبانی و کان فی ابتداء أمره یصحب صالح بن مسرح أحد الخوارج الصفریة و کان ناسکا مصفر الوجه صاحب عبادة و له أصحاب یقرئهم القرآن ویفقههم ویقص علیهم ویقدم الکوفة فیقیم بهاالشهر والشهرین و کان بأرض الموصل والجزیرة و کان إذافرغ من التحمید والصلاة علی النبی ص ذکر أبابکر فأثنی علیه وثنی بعمر ثم ذکر عثمان و ما کان من أحداثه ثم علیا ع وتحکیمه الرجال فی دین الله ویتبرأ من عثمان و علی ثم [صفحه ۲۲۶] یدعو إلی مجاهدة أئمة الضلال و قال تیسروا یاإخوانی للخروج من دار الفناء إلی دار البقاء واللحاق بإخواننا المؤمنین الذین باعوا الدنیا بالآخرة و لاتجزعوا من القتل فی الله فإن القتل أیسر من الموت والموت نازل بکم مفرق بینکم و بین آبائکم وإخوانکم وأبنائکم وحلائلکم ودنیاکم و إن اشتد لذلک جزعکم ألا فبیعوا أنفسکم طائعین وأموالکم تدخلوا الجنة وأشباه هذا من الکلام . و کان فیمن یحضره من أهل الکوفة سوید والبطین فقال یوما لأصحابه ماذا تنتظرون مایزید أئمة الجور إلاعتوا وعلوا وتباعدا من الحق وجراءة علی الرب فراسلوا إخوانکم حتی یأتوکم وننظر فی أمورنا مانحن صانعون و أی وقت إن خرجنا نحن خارجون .فبینا هوکذلک إذ أتاه المحلل بن وائل بکتاب من شبیب بن یزید و قدکتب إلی صالح أما بعدفقد أردت الشخوص و قدکنت دعوتنی إلی أمر أستجیب لک فإن کان ذلک من شأنک فإنک شیخ المسلمین و لم یعدل بک منا أحد و إن أردت تأخیر ذلک أعلمنی فإن الآجال غادیة ورائحة و لاآمن أن تخترمنی المنیة و لماأجاهد الظالمین فیا له غبنا و یا له فضلا جعلنا الله وإیاکم ممن یرید الله بعلمه ورضوانه والنظر إلی وجهه ومرافقة الصالحین فی دار السلام و السلام علیک . [صفحه ۲۲۷] فأجابه صالح بجواب جمیل یقول فیه إنه لم یمنعنی من الخروج مع ما أنا فیه من الاستعداد إلاانتظارک فأقدم علینا ثم اخرج بنا فإنک ممن لاتقضی الأمور دونه و السلام علیک . فلما ورد کتابه علی شبیب دعا القراء من أصحابه فجمعهم إلیه منهم أخوه مصاد بن یزید والمحلل بن وائل والصقر بن حاتم و ابراهیم بن حجر وجماعة مثلهم ثم خرج حتی قدم علی صالح بن مسرح و هوبدارات أرض الموصل فبث صالح رسله وواعدهم بالخروج فی هلال صفر لیلة الأربعاء سنة ست وتسعین .فاجتمع بعضهم إلی بعض واجتمعوا عنده تلک اللیلة فحدث فروة بن لقیط قال إنی لمعهم تلک اللیلة عندصالح و کان رأیی استعراض الناس لمارأیت من المکر والفساد فی الأرض فقمت إلیه فقلت یا أمیر المؤمنین کیف تری السیرة فی هؤلاء الظلمة أنقتلهم قبل الدعاء أم ندعوهم قبل القتال فإنی أخبرک برأیی فیهم قبل أن تخبرنی بذلک إنا نخرج علی قوم طاغین قدترکوا أمر الله أوراضین بذلک فأری أن نضع السیف فقال لابل ندعوهم ولعمری لایجیبک إلا من یری رأیک ولیقاتلنک من یزری علیک والدعاء أقطع لحجتهم وأبلغ فی الحجة علیهم لک فقلت [صفحه ۲۲۸] وکیف تری فیمن قاتلنا فظفرنا به و ماتقول فی دمائهم وأموالهم فقال إن قتلنا وغنمنا فلنا و إن تجاوزنا وعفونا فموسع علینا. ثم قال صالح لأصحابه لیلته تلک اتقوا الله عباد الله و لاتعجلوا إلی قتال أحد من الناس إلا أن یکونوا قوما یریدونکم وینصبون لکم فإنکم إنما خرجتم غضبا لله حیث انتهکت محارمه وعصی فی الأرض وسفکت الدماء بغیر حقها وأخذت الأموال غصبا فلاتعیبوا علی قوم أعمالا ثم تعملونها فإن کل ماأنتم عاملون أنتم عنه مسئولون و إن عظمکم رجالة و هذه دواب لمحمد بن مروان فی هذاالرستاق وابدءوا بهافاحملوا علیها راجلکم وتقووا بها علی عدوکم .ففعلوا ذلک وتحصن منهم أهل دارا. وبلغ خبرهم محمد بن مروان و هویومئذ أمیرالجزیرة فاستخف بأمرهم وبعث إلیهم عدی بن عمیرة فی خمسمائة

و كان صالح فى مائة وعشرة فقال عدى أصلح الله [صفحه ۲۲۹] الأمير تبعثنى إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة ومعه رجال سموا لى كانوا يعازوننا و إن الرجل منهم خير من مائة فارس فى خمسمائة فقال له إنى أزيدك خمسمائة فسر إليهم فى ألف فارس .فسار من حران فى ألف رجل وكأنما يساقون إلى الموت و كان عدى رجلا ناسكا فلما نزل دوغان نزل بالناس وأنفذ إلى صالح بن مسرح رجلا دسه إليه فقال إن عديا بعثنى إليك يسألك أن تخرج عن هذاالبلد وتأتى بلدا آخر فتقاتل أهله فإنى للقتال كاره فقال له صالح ارجع إليه فقل له إن كنت ترى رأينا فأرنا من ذلك مانعرف ثم نحن مدلجون عنك و إن كنت على رأى الجبابرة وأئمة السوء رأينا رأينا فإما بدأنا بك و إلارحلنا إلى غيرك .فانصرف إليه الرسول فأبلغه فقال له عدى ارجع إليه فقل له إنى و الله لا أرى رأيك ولكنى أكره قتالك وقتال غيرك من المسلمين . فقال صالح لأصحابه اركبوا فركبوا واحتبس الرجل عنده ومضى بأصحابه حتى أتى عديا فى سوق دوغان و هوقائم يصلى الضحى فلم يشعر إلاالخيل طالعة عليهم فلما دنا صالح منهم رآهم على غيرتعبئة و قدتنادوا وبعضهم يجول فى بعض فأمر شبيبا فحمل عليهم فى كتيبة ثم أمر سويدا فحمل فى كتيبة فكانت هزيمتهم [صفحه ۲۳۰] وأتى عدى بدابته فركبها ومضى على وجهه واحتوى صالح على عسكره و ما فيه وذهب فل عدى حتى لحقوا بمحمد بن مروان فغضب ثم دعا بخالد بن جزء السلمى فبعثه فى ألف وخمسمائة ودعا الحارث بن جعونة فى ألف وخمسمائة و قال لهما اخرجا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة وعجلا الخروج وأغذا السير فأيكما سبق فهو الأمير على صاحبه فخرجا وأغذا فى السير وجعلا يسألان عن صالح فقيل لهما توجه نحو آمد فاتبعاه حتى انتهيا إليه بأمد فنزلا ليلا وخندقا وهما متساندان كل واحد منهما على حدته فوجه صالح شبيبا إلى الحارث بن جعونة فى شطر أصحابه وتوجه هونحو خالد السلمى فاقتتلوا أشد قتال اقتتله قوم حتى حجز بينهم الليل و قدانتصف بعضهم من بعض .فتحدث بعض أصحاب صالح قال كنا إذاحملنا عليهم استقبلنا رجالهم بالرماح ونضحنا رماتهم بالنبل وخيلهم تطاردنا فى خلال ذلك فانصرفنا عندالليل و قدكرهناهم وكرهونا فلما رجعنا وصلينا وتروحنا وأكلنا من الكسر دعانا صالح و قال ياأخلائى ماذا ترون فقال شبيب إنا إن قاتلنا هؤلاء القوم وهم معتصمون بخندقهم لم ننل منهم طائلا والرأى أن نرحل عنهم فقال صالح و أناأرى ذلك فخرجوا من تحت ليلتهم حتى قطعوا أرض الجزيرة وأرض الموصل ومضوا حتى قطعوا أرض الدسكرة فلما بلغ ذلك الحجاج سرح عليهم الحارث بن عميرة فى ثلاثة آلاف [صفحه ۲۳۱] فسار وخرج صالح نحو جلولاء وخانقين واتبعه الحارث حتى انتهى إلى قرية يقال لها المدبج وصالح يومئذ فى تسعين رجلا فعبى الحارث بن عميرة أصحابه ميمنة وميسرة وجعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس و هو فى كردوس وشبيب فى ميمنة فى كردوس وسويد بن سليم فى كردوس فى ميسرته فى كل كردوس منهم ثلاثون رجلا فلما شد عليهم الحارث بن عميرة انكشف سويد بن سليم وثبت صالح فقتل وضارب شبيب حتى صرع عن فرسه فوقع بين رجاله فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح فوجده قتيلا فنادى إلى يامعشر المسلمين فلاذوا به فقال لأصحابه ليجعل كل رجل منكم ظهره إلى ظهر صاحبه وليطاعن عدوه إذاقدم عليه حتى ندخل هذاالحصن ونرى رأينا.ففعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا مع شبيب وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسيا و قال لأصحابه أحرقوا الباب فإذاصار جمرا فدعوه فإنهم لايقدرون على الخروج حتى نصبح فنقتلهم ففعلوا ذلك بالباب ثم انصرفوا إلى معسكرهم . فقال شبيب لأصحابه ياهؤلاء ماتنتظرون فو الله إن صبحوكم غدوة إنه لهلاككم فقالوا له مرنا بأمرك فقال لهم إن الليل أخفى للويل بايعونى إن شئتم أوبايعوا من شئتم منكم ثم اخرجوا بنا حتى نشد عليهم فى عسكرهم فإنهم آمنون منكم وإنى أرجو أن ينصركم الله عليهم قالوا ابسط يدك فبايعوه فلما جاءوا [صفحه ۲۳۲] إلى الباب وجدوه جمرا فأتوه باللبود فبلوها بالماء ثم ألقوها عليه وخرجوا فلم يشعر الحارث بن عميرة إلا وشبيب وأصحابه يضربونهم بالسيوف فى جوف عسكرهم فضارب الحارث حتى صرع واحتمله أصحابه وانهزموا وخلوا لهم المعسكر و ما فيه ومضوا حتى نزلوا المدائن و كان ذلك الجيش أول جيش هزمه شبيب

دخول شبيب الكوفة وأمره مع الحجاج

ثم ارتفع فى أدانى أرض الموصل ثم ارتفع إلى نحو آذربيجان يجبى الخراج و كان سفيان بن أبى العالية قدأمر أن يحارب صاحب طبرستان فأمر بالقفول نحو شبيب و أن يصالح صاحب طبرستان فصالحه فأقبل فى ألف فارس و قدورد عليه كتاب من الحجاج . أما بعدفأقم بالدسكرة فيمن معك حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة قاتل صالح بن مسرح ثم سر إلى شبيب حتى تناجزه .ففعل سفيان ذلك ونزل إلى الدسكرة حتى أتوه وخرج مرتحلاـ فى طلب شبيب فارتفع شبيب عنهم كأنه يكره قتالهم ولقاءهم و قدأكمن لهم أخاه مصادا فى خمسين رجلا فى هضم من الأرض فلما رأوا شبيبا جمع أصحابه ومضى فى سفح من الجبل [صفحه ٢٣٣] مشرقا قالوا هرب عدو الله واتبعوه فقال لهم عدى بن عميرة الشيبانى أيها الناس لاتعجلوا عليهم حتى نضرب فى الأرض ونستبرئها فإن يكونوا أكمنوا كمينا حذرناه و إلا كان طلبهم بين أيدينا لن يفوتنا فلم يسمعوا منه فأسرعوا فى آثارهم . فلما رأى شبيب أنهم قدجازوا الكمين عطف عليهم فحمل من أمامهم وخرج الكمين من ورائهم فلم يقاتل أحد وإنما كانت الهزيمة وثبت سفيان بن أبى العالية فى مائتى رجل فقاتل قتالا شديدا حتى انتصف من شبيب فقال سويد بن سليم لأصحابه أمنكم أحد يعرف أميرالقوم ابن أبى العالية فقال له شبيب أنا من أعرف الناس به أ ماترى صاحب الفرس الأغر الذى دونه المرامية فإنه هو فإن كنت تريده فأمهله قليلا. ثم قال ياقعنب اخرج فى عشرين فأتهم من ورائهم فخرج قعنب فى عشرين فارتفع عليهم فلما رأوه يريد أن يأتيهم من ورائهم جعلوا ينتقصون ويتسللون وحمل سويد بن سليم على سفيان بن أبى العالية يطاعنه فلم تصنع رماحهما شيئا ثم اضطربا بسيفهما ثم اعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا إلى الأرض يعتركان ثم تحاجزا وحمل عليهم شبيب فانكشف من كان مع سفيان ونزل غلام له يقال له غزوان عن برذونه و قال لسفيان اركب يامولاى فركب سفيان وأحاط به أصحاب شبيب فقاتل دونه غزوان حتى قتل و كان معه رايته وأقبل سفيان منهزما حتى انتهى [صفحه ٢٣٤] إلى بابل مهروذ فنزل بها وكتب إلى الحجاج و كان الحجاج أمر سورة بن أبجر أن يلحق بسفيان فكاتب سورة سفيان و قال له انتظرنى فلم يفعل وعجل نحو الخوارج فلما عرف الحجاج خبر سفيان وقرأ كتابه قال للناس من صنع كماصنع هذا وأبلى كماأبلى فقد أحسن ثم كتب إليه يعذره و يقول إذاخف عليك الوجع فأقبل مأجورا إلى أهلك وكتب إلى سورة بن أبجر. أما بعد يا ابن أم سورة فما كنت خليقا أن تجترئ على ترك عهدى وخذلان جندى فإذاأتاك كتابى فابعث رجلا ممن معك صليبا إلى المدائن فلينتخب من جندها خمسمائة رجل ثم ليقدم بهم عليك ثم سر بهم حتى تلقى هذه المارقة واحزم أمرك وكد عدوك فإن أفضل أمر الحروب حسن المكيدة و السلام . فلما أتى سورة كتاب الحجاج بعث عدى بن عمير إلى المدائن و كان بهاألف فارس فانتخب منهم خمسمائة ثم رحل بهم حتى قدم على سورة ببابل مهروذ [صفحه ٢٣٥] فخرج بهم فى طلب شبيب وخرج شبيب يجول فى جوخى وسورة فى طلبه فجاء شبيب إلى المدائن فتحصن منه أهلها فانتهب المدائن الأولى وأصاب دواب من دواب الجند وقتل من ظهر له و لم يدخل البيوت ثم أتى فقيل له هذاسورة قدأقبل إليك فخرج فى أصحابه حتى انتهى إلى النهروان فنزلوا به وتوضئوا وصلوا ثم أتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم على بن أبى طالب فاستغفروا لهم وتبرءوا من على وأصحابه وبكوا فأطالوا البكاء ثم عبروا جسر النهروان فنزلوا جانبه الشرقى وجاء سورة حتى نزل بنفطرانا وجاءته عيونه فأخبروه بمنزل شبيب بالنهروان فدعا سورة رءوس أصحابه فقال لهم إن الخوارج قلما يلقون فى صحراء أو على ظهر إلاانتصفوا و قدحدثت أنهم لايزيدون على مائة رجل و قدرأيت أن انتخبكم وأسير فى ثلاثمائة رجل منكم من أقويائكم وشجعانكم فأبيتهم فإنهم آيسون من بياتكم وإنى و الله أرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم فى النهروان من قبل فقالوا اصنع ماأحببت .فاستعمل على عسكره حازم بن قدامة وانتخب ثلاثمائة من شجعان أصحابه ثم أقبل بهم حتى قرب من النهروان وبات و قدأذكى الحرس ثم بيتهم فلما دنا أصحاب

سورة منهم نـذروا بهم فاستووا على خيولهم وتعبوا تعبيتهم فلمـا انتهى إليهم سورة وأصـحابه أصـابوهم و قدنـذروا فحمل عليهم سورة فصاح شبيب بأصـحابه فحمل عليهم [صـفحه ۲۳۶] حتى تركوا له العرصـة وحمـل شبيب وجعل يضـرب و يقول من ينك العير ينـك نياكـا .فرجع سورة مفلولا قـدهزم فرسانه و أهل القوة من أصـحابه وأقبل نحو المـدائن وتبعه شبيب حتى انتهى سورة إلى بيوت المـدائن وانتهى شـبيب إليهم و قـددخل النـاس الـبيوت وخرج ابن أبى عصـيفير و هو أميرالمـدائن يومئـذ فى جمـاعة فلقيهم فى شوارع المـدائن ورماهم الناس بالنبل والحجارة من فوق البيوت . ثم سار شبيب إلى تكريت فبينا ذلك الجند بالمدائن إذ أرجف الناس فقالوا هـذاشبيب قدأقبل يريد أن يبيت أهل المدائن فارتحل عامة الجند فلحقوا بالكوفة و إن شبيبا بتكريت فلما أتى الحجاج الخبر قال قبح الله سورة ضيع العسكر وخرج يبيت الخوارج و الله لأسوءنه . [صفحه ۲۳۷] ثم دعا الحجاج بالجزل و هوعثمان بن سـعيد فقال له تيسر للخروج إلى هذه المارقة فإذالقيتهم فلاتعجل عجلة الخرق النزق و لاتحجم إحجام الوانى الفرق أفهمت قال نعم أصـلح الله الأمير قـدفهمت قال فاخرج وعسـكر بدير عبدالرحمن حتى يخرج الناس إليك فقال أصـلح الله الأمير لاتبعث معى أحدا من الجند المهزوم المفلول فإن الرعب قددخل قلوبهم و قدخشيت ألا ينفعك والمسلمين منهم أحد قال ذلك لك و لاأراك إلا قدأحسـنت الرأى ووفقت ثم دعا أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث وأخرجوا أربعة آلاف من الناس وعجلوا فجمعت العرفاء وجلس أصـحاب الدواوين وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف فأمرهم باللحاق بالعسكر ثم نودى فيهم بالرحيل فارتحلوا ونادى منادى الحجاج أن برئت الذمة من رجل أصبناه من بعث الجزل متخلفا.فمضى بهم الجزل و قدقدم بين يـديه عياض بن أبى لينـة الكنـدى على مقـدمته فخرج حتى أتى المـدائن فأقام بهاثلاثا ثم خرج وبعث إليه ابن أبى عصـيفير بفرس وبرذون وألفى درهم ووضع للنـاس من الحطب والعلف ماكفـاهم ثلاثـة أيـام وأصـاب النـاس ماشـاءوا من ذلـك . ثم إن الجزل خرج بالنـاس أثر شبيب فطلبه فى أرض جوخى فجعل شبيب يريه الهيبـة فيخرج من رسـتاق إلى رسـتاق و من طسوج إلى طسوج و لا ـيقيم له [صـفحه ۲۳۸] يريـد بـذلك أن يفرق الجزل أصـحابه ويتعجل إليه فيلقاه فى عدد يسـير على غيرتعبئة فجعل الجزل لايسـير إلا على تعبئة و لاينزل إلاخندق على نفسه وأصحابه فلما طال ذلك على شبيب دعا يوما أصحابه وهم مائة وستون رجلا هو فى أربعين ومصاد أخوه فى أربعين وسويد بن سـليم فى أربعين والمحلل بن وائل فى أربعين و قدأتته عيونه فأخبرته أن الجزل بن سـعيد قدنزل ببئر سعيد فقال لأخيه وللأمراء الذين ذكرناهم إنى أريد أن أبيت الليلة هذاالعسكر فأتهم أنت يامصاد من قبـل حلوان وسآتيهم أنـا من أمـامهم من قبـل الكوفـة وائتهم أنت ياسويـد من قبل المشـرق وائتهم أنت يامحلل من قبل المغرب وليلـج كـل امرئ منكم على الجـانب ألـذى يحمـل عليه و لا ـتقلعوا عنهم حتى يـأتيكم أمرى. قـال فروة بن لقيـط وكنت أنـا فى الأربعين الذين كانوا معه فقال لجماعتنا تيسـروا وليسـر كل امرئ منكم مع أميره ولينظر مايأمره به أميره فليتبعه فلما قضمت دوابنا و ذلك أول ماهـدأت العيون خرجنا حتى انتهينا إلى دير الخرارة فإذاالقوم عليهم مسلحة ابن أبى لينة فما هو إلا أن رآهم مصاد أخو شـبيب حتى حمـل عليهم فى أربعين رجلاـ و كـان شبيب أراد أن يرتفع عليهم حتى يـأتيهم من ورائهم كمـاأمره . [صـفحه ۲۳۹] فلمـا لقى هؤلاـء قـاتلهم فصبروا له ساعـة وقاتلوه ثم إنا دفعنا إليهم جميعا فهزمناهم وأخـذوا الطريق الأعظم و ليس بينهم و بين عسـكرهم بدير يزدجرد إلانحو ميل فقال لنا شبيب اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم إن استطعتم فاتبعنـاهم ملظيـن بهـم ملحين عليهم مـانرفه عنهم وهم منهزمـون مـالهم همـة إلاعسـكرهم .فمنعهم أصـحابهم أن يـدخلوا عليهم ورشـقوهم بالنبل وكانت لهم عيون قـدأتتهم فأخبرتهم بمكاننا و كان الجزل قدخنـدق عليهم وتحرز ووضع هذه المسـلحة الذين لقينـاهم بـدير الخرارة ووضع مسلحة أخرى مما يلى حلوان . فلما اجتمعت المسالـح ورشـقوهم بالنبل ومنعونا من خنـدقهم رأى شبيب أنه لايصل إليهم فقال لأصـحابه سيروا ودعوهم فلما سار عنهم أخذ على طريق حلوان حتى كان منهم على سبعة أميال قال لأصـحابه انزلوا فاقضـموا دوابكم وقيلوا وتروحوا فصـلوا ركعتين ثم اركبوا ففعلوا ذلك ثم أقبل بهم راجعا إلى عسـكر الكوفـة و

قال سيروا على تعبيتكم التى عبأتكم عليها أول الليل وأطيفوا بعسكرهم كماأمرتكم فأقبلنا معه و قدأدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم وأمنوا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل فانتهينا إليهم قبيل الصبح وأحطنا بعسكرهم وصحنا بهم من كل ناحيهٔ فقاتلونا ورمونا بالنبل فقال شبيب لأخيه مصاد و كان يقاتلهم من الجانب [صفحه ۲۴۰] ألذى يلى الكوفهٔ خل لهم سبيل [طريق]الكوفهٔ فخلى لهم وقاتلناهم من تلك الوجوه الثلاثهٔ الأخرى إلى الصبح ثم سرنا وتركناهم لأنا لم نظفر بهم فلما سار شبيب سار الجزل فى أثره يطلبه وجعل لايسير إلا على تعبيهٔ وترتيب و لاينزل إلا على خندق و أماشيب فضرب فى أرض جوخى وترك الجزل فطال أمره على الحجاج فكتب إلى الجزل كتابا قرئ على الناس و هو أما بعدفإنى بعثتك فى فرسان أهل المصر ووجوه الناس وأمرتك باتباع هذه المارقهٔ وألا تقلع عنها حتى تقتلها وتفنيها فجعلت التعريس فى القرى والتخييم فى الخنادق أهون عليك من المضى لمناهضتهم ومناجزتهم و السلام . قال فشق كتاب الحجاج على الجزل وأرجف الناس بأمره وقالوا سيعزله فما لبث الناس أن بعث الحجاج سعيد بن المجالد أميرا بدله وعهد إليه إذالقى المارقهٔ أن يزحف إليهم و لايناظرهم و لايطاولهم و لايصنع صنع الجزل و كان الجزل يومئذ قدانتهى فى طلب شبيب إلى النهروان و قدلزم عسكره وخندق عليهم فجاء سعيد حتى دخل عسكر أهل الكوفهٔ أميرا فقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفهٔ إنكم قدعجزتم ووهنتم وأغضبتم عليكم أميركم أنتم فى طلب هذه الأعاريب العجف منذ شهرين قدأخربوا بلادكم وكسروا خراجكم وأنتم [صفحه ۲۴۱] حذرون فى جوف هذه الخنادق لاتزايلونها إلا أن يبلغكم أنهم قدارتحلوا عنكم ونزلوا بلدا سوى بلدكم اخرجوا على اسم الله إليهم . ثم خرج وخرج الناس معه فقال له الجزل ماتريد أن تصنع قال أقدم على شبيب وأصحابه فى هذه الخيل فقال له الجزل أقم أنت فى جماعهٔ الناس فارسهم وراجلهم و لاتفرق أصحابك ودعنى أصحر له فإن ذلك خير لك وشر لهم . فقال سعيد بل تقف أنت فى الصف و أناأصحر له فقال الجزل إنى برىء من رأيك هذاسمع الله و من حضر من المسلمين فقال سعيد هورأيى إن أصبت فيه فالله وفقنى و إن أخطأت فيه فأنتم برآء.فوقف الجزل فى صف أهل الكوفهٔ و قدأخرجهم من الخندق وجعل على ميمنتهم عياض بن أبى لينهٔ الكندى و على ميسرتهم عبدالرحمن بن عوف أباحميد الراسبى ووقف الجزل فى جماعتهم واستقدم سعيد بن مجالد فخرج وأخرج الناس معه و قدأخذ شبيب إلى براز الروز فنزل قطفتا وأمر دهقانها أن يشوى لهم غنما ويعد لهم غداء ففعل وأغلق مدينهٔ قطفتا و لم يفرغ [صفحه ۲۴۲] الدهقان من طعامه حتى أحاط بها ابن مجالد فصعد الدهقان ثم نزل و قدتغير لونه فقال شبيب مابالك قال قدجاءك جمع عظيم قال أبلغ شواؤك قال لا قال دعه يبلغ ثم أشرف الدهقان إشرافهٔ أخرى ثم نزل فقال قدأحاطوا بالجوسق قال هات شواءك فجعل يأكل غيرمكترث بهم و لافزع فلما فرغ قال لأصحابه قوموا إلى الصلاهٔ وقام فتوضأ فصلى بأصحابه صلاهٔ الأولى ولبس درعه وتقلد سيفه وأخذ عموده الحديد ثم قال أسرجوا لى بغلتى فقال أخوه أ فى مثل هذااليوم تركب بغلهٔ قال نعم أسرجوها فركبها ثم قال يافلان أنت على الميمنهٔ و أنت يافلان على الميسرهٔ و أنت يامصاد يعنى أخاه على القلب وأمر الدهقان ففتح الباب فى وجوههم .فخرج إليهم و هويحكم وحمل حملهٔ عظيمهٔ فجعل سعيد وأصحابه يرجعون القهقرى حتى صار بينهم و بين الدير ميل وشبيب يصيح أتاكم الموت الزؤام فاثبتوا وسعيد يصيح يامعشر همدان إلى إلى أنا ابن ذى مران فقال شبيب لمصاد ويحك استعرضهم استعراضا فإنهم قدتقطعوا وإنى حامل على أميرهم وأثكلنيك الله إن لم أثكله ولده ثم حمل على سعيد فعلاه بالعمود فسقط ميتا وانهزم أصحابه و لم يقتل يومئذ من الخوارج إلا رجل واحد. وانتهى قتل سعيد إلى الجزل فناداهم أيها الناس إلى إلى وصاح عياض بن أبى لينهٔ أيها الناس إن يكن أميركم هذاالقادم هلك فهذا أميركم الميمون النقيبهٔ أقبلوا إليه فمنهم من أقبل إليه ومنهم من ركب فرسه منهزما وقاتل الجزل يومئذ قتالا شديدا حتى صرع وحامى عنه خالد بن نهيك وعياض بن أبى لينهٔ حتى استنقذاه [صفحه ۲۴۳] مرتثا وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفهٔ وأتى بالجزل جريحا حتى دخل المدائن فكتب إلى الحجاج أما بعدفإنى أخبر الأمير أصلحه الله أنى خرجت

فيمن قبلی من الجند ألذی وجهنی فيه إلی عدوه و قدكنت حفظت عهد الأمير إلی فيهم ورأيه فكنت أخرج إلی المارقين إذارأيت الفرصة وأحبس الناس عنهم إذاخشيت الورطة فلم أزل كذلك أدير الأمر وأرفق فی التدبير و قدأرادنی العدو بكل مكيدة فلم يصب منی غرة حتی قدم علی سعيد بن مجالد فأمرته بالتؤدة ونهيته عن العجلة وأمرته ألا يقاتلهم إلا فی جماعة الناس عامة فعصانی وتعجل إليهم فی الخيل فأشهدت الله عليه و أهل المصرين إنی برىء من رأيه ألذی رأی وإنی لاأهوی ألذی صنع فمضی فقتل تجاوز الله عنه ودفع الناس إلی فنزلت ودعوتهم إلی نفسی ورفعت رايتی وقاتلت حتی صرعت فحملنی أصحابی من بين القتلی فما أفقت إلا و أنا علی أيديهم علی رأس ميل من المعركة و أنااليوم بالمدائن و فی جراحات قديموت الإنسان من دونها و قديعافی من مثلها فليسأل الأمير أصلحه الله عن نصيحتی له ولجنده و عن مكايدتی عدوه و عن موقفی يوم البأس فإنه سيبين له عند ذلك أنی صدقته ونصحت له و السلام .فكتب إليه الحجاج [صفحه ۲۴۴] أما بعدفقد أتانی كتابك وقرأته وفهمت كل ماذكرته فيه من أمر سعيد وأمر نفسك و قدصدقتك فی نصيحتك لأميرك وحيطتك علی أهل مصرك وشدتك علی عدوك و قدرضيت عجلة سعيد وتؤدتك فأما عجلته فإنها أفضت به إلی الجنة و أماتؤدتك فإنها ما لم تدع الفرصة إذاأمكنت حزم و قدأحسنت وأصبت وأجرت و أنت عندی من أهل السمع والطاعة والنصيحة و قدأشخصت إليك حيان بن أبجر الطبيب ليداويك ويعالج جراحاتك و قدبعثت إليك بألفی درهم نفقة تصرفها فی حاجتك و ماينوبك و السلام . وبعث عبد الله بن أبی عصيفير والی المدائن إلی الجزل بألف درهم و كان يعوده ويتعاهده بالألطاف والهدايا. و أماشبيب فأقبل حتی قطع دجلة عندالكرخ وأخذ بأصحابه نحو الكوفة وبلغ الحجاج مكانه بحمام أعين فبعث إليه سويد بن عبدالرحمن السعدی فجهزه بألفی فارس منتخبين و قال له اخرج إلی شبيب فالقه و لاتتبعه فخرج بالناس بالسبخة وبلغه أن شبيبا قدأقبل فسار نحوه كأنما يساق إلی الموت هو وأصحابه وأمر الحجاج عثمان بن قطن فعسكر بالناس فی السبخة ونادی ألا برئت الذمة من رجل من هذاالجند بات الليلة بالكوفة و لم يخرج إلی عثمان بن قطن بالسبخة فبينا سويد بن عبدالرحمن يسير فی الألفين الذين معه و هويعبيهم ويحرضهم إذ قيل له [صفحه ۲۴۵] قدغشيك شبيب فنزل ونزل معه جل أصحابه وقدم رايته فأخبر أن شبيبا لماعلم بمكانه تركه ووجد مخاضة فعبر الفرات يريد الكوفة من غيرالوجه ألذی سويد بن عبدالرحمن به ثم قيل أ ماتراهم فنادی فی أصحابه فركبوا فی آثارهم فأتی شبيب دار الرزق فنزلها وقيل له إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون فلما بلغهم مكان شبيب ماج الناس بعضهم إلی بعض وجالوا وهموا بدخول الكوفة حتی قيل هذاسويد بن عبدالرحمن فی آثارهم قدلحقهم و هويقاتلهم فی الخيل ومضی شبيب حتی أخذ علی شاطئ الفرات ثم أخذ علی الأنبار ثم دخل دقوقاء ثم ارتفع إلی أدانی آذربيجان . وخرج الحجاج من الكوفة إلی البصرة حيث بعدشبيب واستخلف علی الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة فما شعر الناس إلابكتاب من مادارست دهقان بابل مهروز إلی عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادی [صفحه ۲۴۶] أتانی يذكر أن شبيبا يريد أن يدخل الكوفة فی أول هذاالشهر المستقبل وأحببت إعلامك ذلك لتری رأيك وإنی لم ألبث بعد ذلك إذ جاءنی اثنان من جيرانی فحدثانی أن شبيبا قدنزل خانيجار.فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلی الحجاج إلی البصرة فلما قرأ الحجاج أقبل جادا إلی الكوفة وأقبل شبيب يسير حتی انتهی إلی قرية حربی علی شاطئ دجلة فعبرها و قال لأصحابه ياهؤلاء إن الحجاج ليس بالكوفة و ليس دون أخذها شیء إن شاء الله فسيروا بنا فخرج يبادر الحجاج إلی الكوفة وكتب عروة إلی الحجاج إن شبيبا قدأقبل مسرعا يريد الكوفة فالعجل العجل .فطوی الحجاج المنازل مسابقا لشبيب إلی الكوفة فسبقه ونزلها صلاة العصر ونزل شبيب السبخة صلاة العشاء الآخرة فأصاب هو وأصحابه من الطعام شيئا يسيرا ثم ركبوا خيولهم فدخل شبيب الكوفة فی أصحابه حتی انتهی إلی السوق وشد حتی ضرب باب القصر بعموده فحدث جماعة أنهم رأوا أثر ضربة شبيب بالعمود بباب القصر ثم أقبل حتی وقف عند باب المصطبة وأنشد [صفحه ۲۴۷] وكأن حافرها بكل ثنية || فرق يكيل به شحيح معدم . ثم

أقحم هو وأصحابه المسجد الجامع و لايفارقه قوم يصلون فيه فقتل منهم جماعة ومر هوبدار حوشب و كان هو على شرطة الحجاج فوقف على بابه فى جماعة فقالوا إن الأمير يعنون الحجاج يدعو حوشبا و قدأخرج ميمون غلامه برذونه ليركب فكأنه أنكرهم فظنوا أنه قداتهمهم فأراد أن يدخل إلى صاحبه فقالوا له كما أنت حتى يخرج صاحبك إليك فسمع حوشب الكلام فأنكر القوم وذهب لينصرف فعجلوا نحوه فأغلق الباب دونه فقتلوا غلامه ميمونا وأخذوا برذونه ومضوا حتى مروا بالجحاف بن نبيط الشيبانى من رهط حوشب فقال له سويد انزل إلينا فقال ماتصنع بنزولى فقال انزل إنى لم أقضك ثمن البكرة التى ابتعتها منك بالبادية فقال الجحاف بئس ساعة القضاء هذه وبئس المكان لقضاء الدين هذاويحك أ ماذكرت أداء أمانتك إلا والليل مظلم و أنت على متن فرسك قبح الله ياسويد دينا لايصلح و لايتم إلابقتل الأنفس وسفك الدماء ثم مروا بمسجد بنى ذهل فلقوا ذهل بن الحارث و كان يصلى فى مسجد قومه فيطيل الصلاة إلى الليل فصادفوه منصرفا إلى منزله فقتلوه ثم خرجوا متوجهين نحو الردمة وأمر الحجاج المنادى ياخيل الله اركبى وأبشرى و هوفوق باب القصر وهناك مصباح مع غلام له قائم . [صفحه ۲۴۸] و كان أول من جاء من الناس عثمان بن قطن ومعه مواليه وناس من أهله و قال أعلموا الأمير مكانى أناعثمان بن قطن فليأمرنى بأمره فناداه الغلام صاحب المصباح قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير وجاء الناس من كل جانب وبات عثمان مكانه فيمن اجتمع إليه من الناس حتى أصبح . و قد كان عبدالملك بن مروان بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان وكتب له عهده عليها وكتب إلى الحجاج إذاقدم عليك محمد بن موسى الكوفة فجهز معه ألفى رجل وعجل سراحه إلى سجستان . فلما قدم الكوفة جعل يتجهز فقال له أصحابه ونصحاؤه تعجل أيها الرجل إلى عملك فإنك لاتدرى مايحدث وعرض أمر شبيب حينئذ ودخوله الكوفة فقيل للحجاج إن محمد بن موسى إن سار إلى سجستان مع نجدته وصهره لأمير المؤمنين عبدالملك فلجأ إليه أحد ممن تطلبه منعك منه قال فما الحيلة قالوا أن تذكر له أن شبيبا فى طريقه و قدأعياك وأنك ترجو أن يريح الله منه على يده فيكون له ذكر ذلك وشهرته .فكتب إليه الحجاج إنك عامل على كل بلد مررت به و هذاشبيب فى طريقك تجاهده و من معه و لك أجره وذكره وصيته ثم تمضى إلى عملك فاستجاب له . وبعث الحجاج بشر بن غالب الأسدى فى ألفى رجل وزياد بن قدامة فى ألفين و أباالضريس مولى تميم فى ألف من الموالى وأعين صاحب حمام أعين مولى لبشر بن مروان فى ألف وجماعة غيرهم فاجتمعت تلك الأمراء فى أسفل الفرات وترك شبيب الوجه ألذى فيه جماعة هؤلاء القواد وأخذ نحو القادسية فوجه الحجاج زحر بن قيس [صفحه ۲۴۹] فى جريدة خيل نقاوة عدتها ألف وثمانمائة فارس و قال له اتبع شبيبا حتى تواقعه حيثما أدركته فخرج زحر بن قيس حتى انتهى إلى السيلحين وبلغ شبيبا مسيره إليه فأقبل نحوه فالتقيا و قدجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كناز و كان شجاعا و على ميسرته عدى بن عدى بن عميرة الكندى وجمع شبيب خيله كلها كبكبة واحدة ثم اعترض بهاالصف يوجف وجيفا حتى انتهى إلى زحر بن قيس فنزل زحر فقاتل حتى صرع وانهزم أصحابه وظن أنه قدقتل . فلما كان الليل وأصابه البرد قام يمشى حتى دخل قرية فبات بها وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه أربع عشرة ضربة فمكث أياما ثم أتى الحجاج و على وجهه وجراحه القطن فأجلسه معه على السرير و قال أصحاب شبيب لشبيب [صفحه ۲۵۰] وهم يظنون أنهم قدقتلوا زحرا قدهزمنا جندهم وقتلنا أميرا من أمرائهم عظيما فانصرف بنا الآن موفورين فقال لهم إن قتلكم هذا الرجل وهزيمتكم هذاالجند قدأرعب هؤلاء الأمراء فاقصدوا بنا قصدهم فو الله لئن نحن قتلناهم مادون قتل الحجاج وأخذ الكوفة شيءفقالوا له نحن طوع لأمرك ورأيك فانقض بهم جادا حتى أتى ناحية عين التمر واستخبر عن القوم فعرف اجتماعهم فى روذبار فى أسفل الفرات على رأس أربعة وعشرين فرسخا من الكوفة. وبلغ الحجاج مسير شبيب إليهم فبعث إليهم إن جمعكم قتال فأمير الناس زائدة بن قدامة.فانتهى إليهم شبيب وفيهم سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة و قدعبى كل أميرأصحابه على حدة و هوواقف فى أصحابه فأشرف شبيب على الناس و هو على فرس أغر كميت فنظر إلى تعبيتهم ثم رجع إلى أصحابه وأقبل فى

ثلاث كتائب يزحف بها حتى إذادنا من الناس مضت كتيبة فيهاسويد بن سليم . [صفحه ۲۵۱] فوقفت بإزاء ميمنة زائدة بن قدامة و فيهازياد بن عمرو العتكى ومضت كتيبة فيهامصاد أخو شبيب فوقفت بإزاء الميسرة و فيهابشر بن غالب الأسدى وجاء شبيب فى كتيبة حتى وقف مقابل القوم فى القلب فخرج زائدة بن قدامة يسير فى الناس بين الميمنة والميسرة يحرض الناس و يقول عباد الله إنكم الطيبون الكثيرون و قدنزل بكم الخبيثون القليلون فاصبروا جعلت لكم الفداء إنما هى حملتان أوثلاث ثم هوالنصر ليس دونه شيء أ لاترونهم و الله لايكونون مائتى رجل إنما هم أكلة رأس وهم السراق المراق إنما جاءوكم ليهريقوا دماءكم ويأخذوا فيئكم فلايكونوا على أخذه أقوى منكم على منعه وهم قليل وأنتم كثير وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة غضوا الأبصار واستقبلوهم بالأسنة و لاتحملوا عليهم حتى آمركم . ثم انصرف إلى موقفه فحمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو العتكى فكشف صفه وثبت زياد قليلا ثم ارتفع سويد عنهم يسيرا ثم كر عليهم ثانية. فقال فروة بن لقيط الخارجى اطعنا ذلك اليوم ساعة فصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا ولقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشد العرب قتالا وأشجعهم و هوواقف لايعرض لهم ثم ارتفعنا عنهم فإذاهم يتقوضون فقال بعض أصحابنا لبعض أ لاترونهم يتقوضون احملوا عليهم فأرسل إلينا شبيب خلوهم لاتحملوا عليهم حتى يخفوا فتركناهم قليلا ثم حملنا عليهم الثالثة فانهزموا فنظرت إلى زياد بن عمرو وإنه ليضرب بالسيوف و ما من سيف يضرب به [صفحه ۲۵۲] إلانبا عنه ولقد اعتوره أكثر من عشرين سيفا و هومجفف فما ضره شيءمنها ثم انهزم . وانتهينا إلى محمد بن موسى بن طلحة أميرسجستان عندالمغرب و هوقائم فى أصحابه فقاتلناه قتالا شديدا وصبر لنا. ثم إن مصادا حمل على بشر بن غالب فى الميسرة فصبر وكرم وأبلى ونزل معه رجال من أهل البصرة نحو خمسين فضاربوا بأسيافهم حتى قتلوا ثم انهزم أصحابه فشددنا على أبى الضريس فهزمناه ثم انتهينا إلى موقف أعين ثم شددنا على أعين فهزمناهم حتى انتهينا إلى زائدة بن قدامة فلما انتهوا إليه نزل ونادى يا أهل الإسلام الأرض الأرض ألا لايكونون على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم فقاتلوا عامة الليل إلى السحر. ثم إن شبيبا شد على زائدة بن قدامة فى جماعة من أصحابه فقتله وقتل ربضة حوله من أهل الحفاظ ونادى شبيب فى أصحابه ارفعوا السيف وادعوهم إلى البيعة فدعوهم عندالفجر إلى البيعة. قال عبدالرحمن بن جندب فكنت فيمن تقدم فبايعه بالخلافة و هوواقف على [صفحه ۲۵۳] فرس أغر كميت وخيله واقفة دونه و كل من جاء ليبايعه ينزع سيفه عن عاتقه ويؤخذ سلاحه ثم يدنو من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ثم يبايع فإنا كذلك إذ أضاء الفجر و محمد بن موسى بن طلحة فى أقصى العسكر مع أصحابه و كان الحجاج قدجعل موقفه آخر الناس وزائدة بن قدامة بين يديه ومقام محمد بن موسى مقام الأمير على الجماعة كلها فأمر محمدمؤذنه فأذن فلما سمع شبيب الأذان قال ما هذاقيل هذا ابن طلحة لم يبرح قال ظننت أن حمقه وخيلاءه سيحملانه على هذانحوا هؤلاء عنا وانزلوا بنا فلنصل فنزل وأذن هو ثم استقدم فصلى بأصحابه وقرأوَيلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ وأَ رَأَيتَ ألّذِي يُكَذّبُ بِالدّينِ ثم سلم وركب وأرسل إلى محمد بن موسى بن طلحة إنك امرؤ مخدوع قداتقى بك الحجاج المنية و أنت لى جار بالكوفة و لك حق فانطلق لماأمرت به و لك الله ألا أسوءك فأبى محاربته فأعاد عليه الرسول فأبى إلاقتاله فقال له شبيب كأنى بأصحابك لوالتقت حلقتا البطان قدأسلموك وصرعت مصرع أمثالك فأطعنى وانصرف -قرآن-۵۴۹-۵۷۸-قرآن-۵۸۱-۶۱۶ [صفحه ۲۵۴] لشأنك فإنى أنفس بك عن القتل فأبى وخرج بنفسه ودعا إلى البراز فبرز له البطين ثم قعنب بن سويد و هويأبى إلاشبيبا فقالوا لشبيب إنه قدرغب عنا إليك قال فما ظنكم بمن يرغب عن الأشراف ثم برز له و قال له أنشدك الله يا محمد فى دمك فإن لك جوارا فأبى إلاقتاله فحمل عليه بعموده الحديد و كان فيه اثنا عشر رطلا فهشم رأسه وبيضة كانت عليه فقتله ونزل إليه فكفنه ودفنه وتتبع ماغنم الخوارج من عسكره فبعث به إلى أهله واعتذر إلى أصحابه و قال هوجارى بالكوفة و لى أن أهب ماغنمت فقال له أصحابه مادون الكوفة الآن أحد يمنعك فنظر فإذاأصحابه قدفشا فيهم الجراح فقال ليس عليكم أكثر مما قدفعلتم . وخرج بهم على نفر ثم خرج بهم نحو بغداد يطلب خانيجار

وبلغ الحجاج أن شبيبا قدأخذ نحو نفر فظن أنه يريد المدائن وهى باب الكوفة و من أخذ المدائن كان ما فى يديه من أرض الكوفة أكثر فهال ذلك الحجاج وبعث إلى عثمان بن قطن فسرحه إلى المدائن وولاه منبرها والصلاة ومعونة جوخى كلها وخراج الأستان فجاء مسرعا حتى نزل المدائن وعزل الحجاج ابن أبى عصيفير عن المدائن و كان الجزل مقيما بهايداوى جراحاته و كان ابن أبى عصيفير يعوده ويكرمه ويلطفه فلما قدم عثمان بن قطن لم يكن يتعاهده و لايلطفه بشىء فكان الجزل يقول أللهم زد ابن أبى عصيفير فضلا وكرما وزد عثمان بن قطن ضيقا وبخلا. [صفحه ٢٥٥] ثم إن الحجاج دعا عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فقال له انتخب الناس فأخرج ستمائة من قومه من كندة وأخرج من سائر الناس ستة آلاف واستحثه الحجاج على الشخوص فخرج بعسكره بدير عبدالرحمن فلما استتموا هناك كتب إليهم الحجاج كتابا قرئ عليهم . أما بعدفقد اعتدتم عادة الأذلاء ووليتم الدبر يوم الزحف دأب الكافرين و قدصفحت عنكم مرة بعدمرة وتارة بعدأخرى وإنى أقسم بالله قسما صادقا لئن عدتم لذلك لأوقعن بكم إيقاعا يكون أشد عليكم من هذاالعدو ألذى تنهزمون منه فى بطون الأودية والشعاب وتستترون منه بأثناء الأنهار والواد الجبال فليخف من كان له معقول على نفسه و لايجعل عليها سبيلا فقد أعذر من أنذر و السلام . وارتحل عبدالرحمن بالناس حتى مر بالمدائن فنزل بهايوما ليشترى أصحابه منها حوائجهم ثم نادى فى الناس بالرحيل وأقبل حتى دخل على عثمان بن قطن مودعا ثم أتى الجزل عائدا فسأله عن جراحته وحادثه فقال الجزل يا ابن عم إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب وأحلاس الخيل و الله لكأنما خلقوا من ضلوعها ثم ربوا على ظهورها ثم هم أسد الأجم الفارس منهم أشد من مائة إن لم يبدأ به [صفحه ٢٥٦] بدأ هو و إن هجهج أقدم وإنى قدقاتلتهم وبلوتهم فإذاأصحرت لهم انتصفوا منى و كان لهم الفضل على و إذاخندقت أوقاتلت فى مضيق نلت منهم ماأحب وكانت لى عليهم فلاتلقهم و أنت تستطيع إلا و أنت فى تعبية أوخندق ثم ودعه و قال له هذه فرسى الفسيفساء خذها فيها لاتجارى فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب فلما دنا منه ارتفع شبيب عنه إلى دقوقاء وشهرزور فخرج عبدالرحمن فى طلبه حتى إذا كان على تخوم تلك الأرض أقام و قال إنما هو فى أرض الموصل فليقاتل أميرالموصل وأهلها عن بلادهم أوفليدعوا. وبلغ ذلك الحجاج فكتب إليه أما بعدفاطلب شبيبا واسلك فى أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أوتنفيه عن الأرض فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين والجند جنده و السلام . فلما قرأ عبدالرحمن كتاب الحجاج خرج فى طلب شبيب فكان شبيب يدعه حتى إذادنا منه ليبيته فيجده قدخندق وحذر فيمضى ويتركه فيتبعه عبدالرحمن فإذابلغ شبيبا أنه قدتحمل وسار يطلبه كر فى الخيل نحوه فإذاانتهى إليه وجده قدصف خيله ورجالته المرامية فلايصيب له غرة و لاغفلة فيمضى ويدعه . و لمارأى شبيب أنه لايصيب غرته و لايصل إليه صار يخرج كلما دنا منه عبدالرحمن حتى ينزل على مسيرة عشرين فرسخا ثم يقيم فى أرض غليظة وعرة فيجىء عبدالرحمن فى ثقله وخيله حتى إذادنا من شبيب ارتحل فسار عشرين أوخمسة عشر فرسخا فنزل منزلا غليظا خشنا ثم يقيم حتى يبلغ عبدالرحمن ذلك المنزل ثم يرتحل فعذب العسكر وشق عليهم وأحفى دوابهم ولقوا منه كل بلاء. [صفحه ٢٥٧] فلم يزل عبدالرحمن يتبعه حتى صار إلى خانقين وجلولاء ثم أقبل على تامرا فصار إلى البت ونزل على تخوم الموصل ليس بينه و بين الكوفة إلانهر حولايا وجاء عبدالرحمن حتى نزل بشرقى حولايا وهم فى راذان الأعلى من أرض جوخى ونزل فى عواقيل من النهر ونزلها عبدالرحمن حيث نزلها وهى تعجبه يرى أنها مثل الخندق الحصين .فأرسل شبيب إلى عبدالرحمن أن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم فإن رأيتم أن توادعونا حتى تمضى هذه الأيام فعلتم فأجابه عبدالرحمن إلى ذلك و لم يكن شىءأحب إلى عبدالرحمن من المطاولة والموادعة فكتب عثمان بن قطن إلى الحجاج أما بعدفإنى أخبر الأمير أصلحه الله أن عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث قدحفر جوخى كلها عليه خندقا واحدا وخلى شبيبا وكسر خراجها فهو يأكل أهلها و السلام .فكتب إليه الحجاج قدفهمت ماذكرت و قدلعمرى فعل عبدالرحمن فسر إلى الناس فأنت أميرهم وعاجل المارقة حتى تلقاهم فإن الله إن شاء ناصرك عليهم و السلام . وبعث الحجاج على المدائن مطرف بن

المغيرة بن شعبة وخرج عثمان حتى قدم على [صفحه ۲۵۸] عبدالرحمن و من معه وهم معسكرون على نهر حولايا قريبا من البت و ذلك يوم التروية عشاء فنادى فى الناس و هو على تلعة أيها الناس اخرجوا إلى عدوكم فوثبوا إليه وقالوا ننشدك الله هذاالمساء قدغشينا و الناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال فبت الليلة ثم اخرج على تعبية فجعل يقول لأناجزنهم الليلة ولتكونن الفرصة لى أولهم فأتاه عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث فأخذ بعنان بغلته وناشده الله لمانزل و قال له عقيل بن شداد السلونى إن ألذى تريده من مناجزتهم الساعة أنت فاعله غدا و هوخير لك وللناس إن هذه ساعة ريح قداشتدت مساء فانزل ثم أبكر بنا غدوة.فنزل وسفت عليه الريح وشق عليه الغبار فاستدعى صاحب الخراج علوجا فبنوا له قبة فبات فيها ثم أصبح فخرج بالناس فاستقبلتهم ريح شديدة وغبرة فصاح الناس إليه وقالوا ننشدك الله ألا تخرج بنا فى هذااليوم فإن الريح علينا فأقام ذلك اليوم . و كان شبيب يخرج إليهم فلما رآهم لايخرجون إليه أقام فلما كان الغد خرج عثمان يعبئ الناس على أرباعهم وسألهم من كان على ميمنتكم وميسرتكم فقالوا خالد بن نهيك بن قيس الكندى على ميسرتنا وعقيل بن شداد السلونى على ميمنتنا فدعاهما و قال لهما قفا فى مواقفكما التى كنتما بهافقد وليتكما المجنبتين فاثبتا و لاتفرا فو الله لاأزول حتى تزول نخيل راذان عن أصولها فقالا نحن و الله ألذى لاإله إلا هو لانفر حتى نظفر أونقتل فقال لهما جزاكما الله خيرا ثم أقام حتى صلى بالناس الغداة ثم خرج بالخيل فنزل يمشى فى الرجال وخرج شبيب ومعه يومئذ مائة وأحد وثمانون رجلا فقطع إليهم النهر و كان هو فى ميمنة أصحابه وجعل على الميسرة سويد بن سليم وجعل فى القلب مصادا أخاه وزحفوا و كان عثمان بن قطن يقول لأصحابه فيكثر قل لن [صفحه ۲۵۹] ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أوالقتل و إذا لاتمتعون إلاقليلا. ثم قال شبيب لأصحابه إنى حامل على ميسرتهم مما يلى النهر فإذاهزمتها فليحمل صاحب ميسرتى على ميمنتهم و لايبرح صاحب القلب حتى يأتيه أمرى ثم حمل فى ميمنة أصحابه مما يلى النهر على ميسرة عثمان بن قطن فانهزموا ونزل عقيل بن شداد مع طائفة من أهل الحفاظ فقاتل حتى قتل وقتلوا معه . ودخل شبيب عسكرهم وحمل سويد بن سليم فى ميسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن فهزمها وعليها خالد بن نهيك الكندى فنزل خالد وقاتل قتالا شديدا فحمل عليه شبيب من ورائه فلم ينثن حتى علاه بالسيف فقتله ومشى عثمان بن قطن و قدنزلت معه العرفاء والفرسان وأشراف الناس نحو القلب و فيه أخو شبيب فى نحو من ستين رجلا فلما دنا منهم عثمان شد عليهم فى الأشراف و أهل الصبر فضربهم مصاد وأصحابه حتى فرقوا بينهم وحمل شبيب من ورائهم بالخيل فما شعروا إلا والرماح فى أكتافهم تكبهم لوجوههم وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا فى خيله وقاتل عثمان فأحسن القتال . ثم إن الخوارج شدوا عليهم فأحاطوا بعثمان وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف فاستدار لها وسقط و قال و كان أمر الله قدرا مقدورا فقتل وقتل معه العرفاء ووجوه الناس وقتل من كندة يومئذ مائة وعشرون رجلا وقتل من سائر الناس نحو ألف ووقع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الأرض فعرفه [صفحه ۲۶۰] ابن أبى سبرة فنزل وأركبه وصار رديفا له و قال له عبدالرحمن ناد فى الناس ألحقوا بدير ابن أبى مريم فنادى بذلك وانطلقا ذاهبين وأمر شبيب أصحابه فرفعوا عن الناس السيف ودعاهم إلى البيعة فأتاه من بقى من الرجال فبايعوه وبات عبدالرحمن بدير اليعار فأتاه فارسان ليلا فخلا به أحدهما يناجيه طويلا وقام الآخر قريبا منهما ثم مضيا و لم يعرفا فتحدث الناس أن المناجى له كان شبيبا و أن ألذى كان يرقبهما كان مصادا أخاه واتهم عبدالرحمن بمكاتبة شبيب من قبل . ثم خرج عبدالرحمن آخر الليل فسار حتى أتى دير ابن أبى مريم فإذا هوبالناس قبله قدسبقوه و قدوضع لهم ابن أبى سبرة صبر الشعير وألقت كأنها القصور ونحر لهم من الجزور ماشاءوا واجتمع الناس إلى عبدالرحمن فقالوا له إن علم شبيب بمكانك أتاك فكنت له غنيمة قدتفرق الناس عنك وقتل خيارهم فالحق أيها الرجل بالكوفة.فخرج وخرج معه الناس حتى دخل الكوفة مستترا من الحجاج إلى أن أخذ له الأمان بعد ذلك . ثم إن شبيبا اشتد عليه الحر و على أصحابه فأتى ماه بهراذان فصيف بهاثلاثة أشهر وأتاه ناس ممن كان يطلب الدنيا والغنيمة كثير ولحق به ناس ممن كان يطلبهم [صفحه ۲۶۱] الحجاج

بمـال وتبعـة فمنهم رجـل يقـال له الحر بن عبـد الله بن عوف كـان قتل دهقانين من أهل نهر درقيط كانا أساءا إليه ولحق بشبيب حتى شـهد معه مواطنه إلى أن هلك و له مقام عندالحجاج وكلام سـلم به من القتل و هو أن الحجاج بعدهلاك شبيب أمن كل من خرج إليه ممن كـان يطلبهم الحجـاج بمـال أوتبعـة فخرج إليه الحر فيمن خرج فجاء أهل الـدهقانين يسـتعدون عليه الحجاج فأحضـره و قـال ياعـدو الله قتلت رجلين من أهـل الخراج فقـال قـد كـان أصـلحك الله منى ما هوأعظم من هـذا قال و ما هو قال خروجى عن الطاعة وفراقى الجماعة ثم إنك أمنت كل من خرج عليك و هذاأمانى وكتابك لى . فقال الحجاج قدلعمرى فعلت ذلـك أولى لـك وخلى سـبيله . ثم لمابـاخ الحر وسـكن عن شبيب خرج من مـاه نهروان فى نحو من ثمانمائـة رجـل فأقبـل نحو المـدائن وعليها المطرف بن المغيرة بن شـعبة فجاء حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان فكتب ماذراسب و هوعظيم بابل مهروذ إلى الحجـاج يخبره خبر شبيب وقـدومه إلى قنـاطر حذيفـة فقـام الحجـاج فى النـاس وخطبهم و قـال أيهـا النـاس لتقاتلن عن بلادكم وفيئكم أولأبعثن إلى قوم هم أطوع وأسـمع وأصبر على البلاء منكم فيقاتلون عـدوكم ويأكلون فيئكم يعنى جنـد الشام .فقام إليه الناس من كل جانب يقولون بل نحن نقاتلهم ونغيث الأمير ليندبنا إليهم فإنا حيث يسـره . [صفحه ۲۶۲] وقام إليه زهرة بن حوية و هويومئـذ شـيخ كبير لايسـتتم قائما حتى يؤخذ بيده فقال أصـلح الله الأمير إنك إنما تبعث الناس متقطعين فاسـتنفر إليهم الناس كافة وابعث عليهم رجلا متينا شـجاعا مجربا يرى الفرار هضـما وعارا والصبر مجدا وكرما فقال الحجاج فأنت ذاك فاخرج . فقال أصـلح الله الأـمير إنما يصـلح لهـذا الموقف رجل يحمل الرمـح والـدرع ويهز السـيف ويثبت على متن الفرس و أنا لاأطيق ذلك قدضعفت وضعف بصرى ولكن ابعثنى مع أميرتعتمده فأكون فى عسكره وأشير عليه برأيى. فقال جزاك الله عن الإسلام والطاعة خيرا لقـد نصـحت وصـدقت و أنامخرج الناس كافـة ألا فسـيروا أيها الناس .فانصـرف الناس يتجهزون وينتشـرون و لايدرون من أميرهم . وكتب الحجاج إلى عبـدالملك أما بعدفإنى أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيبا قدشارف المدائن وإنما يريد الكوفة و قدعجز أهل العراق عن قتاله فى مواطن كثيرة فى كلها تقتل أمراؤهم ويفل خيولهم وأجنادهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى جنـدا من جنـد الشام ليقاتلوا عـدوهم ويأكلوا بلادهم فعل إن شاء الله . فلما أتى عبدالملك كتابه بعث إليه سـفيان بن الأبرد فى أربعة آلاف وبعث إليه حبيب بن عبدالرحمن الحكمى من مذحج فى ألفين وسرحهم نحوه حين أتاه الكتاب . [صفحه ۲۶۳] و قد كان الحجاج بعث إلى عتاب بن ورقاء الرياحى ليأتيه و كان على خيل الكوفة مع المهلب ودعا الحجاج أشراف أهل الكوفة منهم زهرة بن حوية وقبيصة بن والق فقال من ترون أن أبعث على هذاالجيش قالوا رأيك أيها الأمير أفضل قال إنى قدبعثت إلى عتاب بن ورقاء و هوقادم عليكم الليلة فيكون هو ألذى يسير بالناس فقال زهرة بن حوية أصلح الله الأمير رميتهم بحجرهم لا و الله لايرجع إليك حتى يظفر أويقتل . فقال قبيصة بن والق وإنى مشـير عليك أيها الأمير برأى اجتهدته نصيحة لك ولأمير المؤمنين ولعامـة المسـلمين إن الناس قدتحـدثوا أن جيشا قـدوصل إليك من الشام لأن أهل الكوفة قدهزموا وهان عليهم الفرار والعار من الهزيمـة فكأنمـا قلـوبهم فى صـدور قوم آخرين فـإن رأيت أن تبعث إلى الجيش ألـذى قدأمـددت به من أهـل الشـام فليأخـذوا حـذرهم و لاـيثبتوا بمنزل إلاـ وهم يرون أنهم يبيتون فعلت فإن فعلت فإنك إنما تحارب حولا قلبا محلالا مظعانا إن شبيبا بينا هو فى أرض إذا هو فى أخرى و لاـآمن أن يـأتيهم وهم غـارون فـإن يهلكوا يهلـك العراق كله . فقـال الحجاج لله أبوك مـاأحسـن مارأيت و ماأصـح ماأشـرت به فبعث إلى الجيش الوارد عليه من الشام كتابا قرءوه و قـدنزلوا هيت و هو أما بعد فإذاحاذيتم هيت فـدعوا طريق الفرات والأنبار وخـذوا على عين التمر حتى تقـدموا الكوفة إن شاء الله .فأقبل القوم سـراعا وقدم عتاب بن ورقاء فى الليلة التى قال الحجاج إنه فيهاقادم فأمره الحجاج فخرج بالناس وعسـكر بحمام أعين وأقبل شبيب حتى انتهى [صفحه ۲۶۴] إلى كلواذا فقطع منهـا دجلـة وأقبـل حتى نزل بهرسـير وصار بينه و بين مطرف بن المغيرة بن شـعبة جسـر دجلـة فقطع مطرف الجسـر ورأى رأيـا صالحـا كـاد به شبيبـا حتى حبسه عن وجهه و ذلـك أنه بعث إليه أن ابعث إلى رجالاـ من فقهـاء أصـحابك وقرائهم

وأظهر له أنه يريد أن يدارسهم القرآن وينظر فيما يدعون إليه فإن وجد حقا اتبعه فبعث إليه شبيب رجالا فيهم قعنب وسويد والمحلل ووصاهم ألا يدخلوا السفينة حتى يرجع رسوله من عندمطرف وأرسل إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك ووجوه فرسانك بعدة أصحابى ليكونوا رهنا فى يدى حتى ترد على أصحابى فقال مطرف لرسوله القه وقل له كيف آمنك الآن على أصحابى إذ أبعثهم إليك و أنت لاتأمننى على أصحابك فأبلغه الرسول فقال قل له قدعلمت أنا لانستحل الغدر فى ديننا وأنتم قوم غدر تستحلون الغدر وتفعلونه فبعث إليه مطرف جماعة من وجوه أصحابه فلما صاروا فى يد شبيب سرح إليه أصحابه فعبروا إليه فى السفينة فأتوه فمكثوا أربعة أيام يتناظرون و لم يتفقوا على شىء فلما تبين لشبيب أن مطرفا كاده و أنه غيرمتابع له تعبى للمسير وجمع إليه أصحابه و قال لهم إن هذاالثقفى قطعنى عن رأيى منذ أربعة أيام و ذلك أنى هممت أن أخرج فى جريدة من الخيل حتى ألقى هذاالجيش المقبل من الشام وأرجو أن أصادف غرتهم قبل أن يحذروا وكنت ألقاهم منقطعين عن المصر ليس عليهم أميركالحجاج يستندون إليه و لالهم مصر كالكوفة يعتصمون به و قدجاءنى عيون أن أوائلهم قددخلوا عين التمر فهم الآن قدشارفوا الكوفة وجاءنى أيضا عيون من نحو عتاب أنه نزل بحمام أعين بجماعة أهل الكوفة و أهل البصرة فما أقرب مابيننا وبينهم فتيسروا بنا للمسير إلى عتاب . [صفحه ۲۶۵] و كان عتاب حينئذ قدأخرج معه خمسين ألفا من المقاتلة وهددهم الحجاج إن هربوا كعادة أهل الكوفة وتوعدهم وعرض شبيب أصحابه بالمدائن فكانوا ألف رجل فخطبهم و قال يامعشر المسلمين إن الله عز و جل كان ينصركم وأنتم مائة ومائتان واليوم فأنتم مئون ومئون ألا وإنى مصل الظهر ثم سائر بكم إن شاء الله .فصلى الظهر ثم نادى فى الناس فتخلف عنه بعضهم . قال فروة بن لقيط فلما جاز ساباط ونزلنا معه قص علينا وذكرنا بأيام الله وزهدنا فى الدنيا ورغبنا فى الآخرة ثم أذن مؤذنه فصلى بنا العصر ثم أقبل حتى أشرف على عتاب بن ورقاء فلما رأى جيش عتاب نزل من ساعته وأمر مؤذنه فأذن ثم تقدم فصلى بأصحابه صلاة المغرب وخرج عتاب بالناس كلهم فعبأهم و كان قدخندق على نفسه مذ يوم نزل . وجعل على ميمنته محمد بن عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الهمدانى قال له يا ابن أخى إنك شريف فاصبر وصابر فقال أما أنافو الله لأقاتلن ماثبت معى إنسان . و قال لقبيصة بن والق التغلبى اكفنى الميسرة فقال أناشيخ كبير غايتى أن أثبت تحت رايتى أ ماترانى لاأستطيع القيام إلا أن أقام وأخى نعيم بن عليم ذو غناء فابعثه على الميسرة فبعثه عليها وبعث حنظلة بن الحارث الرياحى ابن عمه وشيخ [صفحه ۲۶۶] أهل بيته على الرجالة وبعث معه ثلاثة صفوف صف فيه الرجالة ومعهم السيوف وصف هم أصحاب الرماح وصف فيه المرامية. ثم سار عتاب بين الميمنة والميسرة يمر بأهل راية راية فيحرض من تحتها على الصبر و من كلامه يومئذ إن أعظم الناس نصيبا من الجنة الشهداء و ليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى أ لاترون عدوكم هذايستعرض المسلمين بسيفه لايرى ذلك إلاقربة لهم فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار فلم يجبه أحد فقال أين القصاص يقصون على الناس ويحرضونهم فلم يتكلم أحد فقال أين من يروى شعر عنترة فيحرك الناس فلم يجبه أحد و لارد عليه كلمة فقال لاحول و لاقوة إلابالله و الله لكأنى بكم و قدتفرقتم عن عتاب وتركتموه تسفى فى استه الريح ثم أقبل حتى جلس فى القلب ومعه زهرة بن حوية و عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . وأقبل شبيب فى ستمائة و قدتخلف عنه من الناس أربعمائة فقال إنه لم يتخلف عنى إلا من لاأحب أن أراه معى فبعث سويد بن سليم فى مائتين إلى الميسرة وبعث المحلل بن وائل فى مائتين إلى القلب ومضى هو فى مائتين إلى الميمنة و ذلك بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات همدان . فقال رايات طالما نصرت الحق وطالما نصرت الباطل لها فى كل نصيب أنا أبوالمدلة اثبتوا إن شئتم ثم حمل عليهم وهم على مسناة أمام الخندق ففضهم وثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق .فجاء شبيب فوقف عليه و قال لأصحابه مثل هذا قوله تعالى وَ اتلُ عَلَيهِم -قرآن-۱۳۱۵-۱۳۳۰ أهل بيته على الرجالة وبعث معه ثلاثة صفوف صف فيه الرجالة ومعهم السيوف وصف هم أصحاب الرماح وصف فيه المرامية. ثم سار عتاب بين الميمنة والميسرة يمر بأهل راية راية فيحرض من تحتها على الصبر و من كلامه

يومئذ إن أعظم الناس نصيبا من الجنة الشهداء و ليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى أ لاترون عدوكم هذايستعرض المسلمين بسيفه لايرى ذلك إلاقربة لهم فهم شرار أهل الأرض وكلاب أهل النار فلم يجبه أحد فقال أين القصاص يقصون على الناس ويحرضونهم فلم يتكلم أحد فقال أين من يروى شعر عنترة فيحرك الناس فلم يجبه أحد و لارد عليه كلمة فقال لاحول و لاقوة إلابالله و الله لكأنى بكم و قدتفرقتم عن عتاب وتركتموه تسفى فى استه الريح ثم أقبل حتى جلس فى القلب ومعه زهرة بن حوية و عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث . وأقبل شبيب فى ستمائة و قدتخلف عنه من الناس أربعمائة فقال إنه لم يتخلف عنى إلا من لاأحب أن أراه معى فبعث سويد بن سليم فى مائتين إلى الميسرة وبعث المحلل بن وائل فى مائتين إلى القلب ومضى هو فى مائتين إلى الميمنة و ذلك بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر فناداهم لمن هذه الرايات قالوا رايات همدان . فقال رايات طالما نصرت الحق وطالما نصرت الباطل لها فى كل نصيب أنا أبوالمدلة اثبتوا إن شئتم ثم حمل عليهم وهم على مسناة أمام الخندق ففضهم وثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق .فجاء شبيب فوقف عليه و قال لأصحابه مثل هذا قوله تعالى وَ اتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الّذِى آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ -قرآن-١-٩٢ . ثم حمل على الميسرة ففضها وصمد نحو القلب وعتاب جالس على طنفسة هو وزهرة بن حوية فغشيهم شبيب فانفض الناس عن عتاب وتركوه فقال عتاب يازهرة هذا يوم كثر فيه العدد وقل فيه الغناء لهفى على خمسمائة فارس من وجوه الناس أ لاصابر لعدوه أ لامواس بنفسه فمضى الناس على وجوههم فلما دنا منه شبيب وثب إليه فى عصابة قليلة صبرت معه فقال له بعضهم إن عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث قدهرب وانصفق معه ناس كثير فقال أماإنه قدفر قبل اليوم و مارأيت مثل ذلك الفتى مايبالى ماصنع ثم قاتلهم ساعة و هو يقول مارأيت كاليوم قط موطنا لم أبل بمثله أقل ناصرا و لاأكثرها ربا خاذلا فرآه رجل من بنى تغلب من أصحاب شبيب و كان أصاب دما فى قومه والتحق بشبيب فقال إنى لأظن هذاالمتكلم عتاب بن ورقاء فحمل عليه فطعنه فوقع وقتل ووطئت الخيل زهرة بن حوية فأخذ يذبب بسيفه و هوشيخ كبير لايستطيع أن ينهض فجاءه الفضل بن عامر الشيبانى فقتله وانتهى إليه شبيب فوجده صريعا فعرفه فقال من قتل هذا قال الفضل أناقتلته فقال شبيب هذازهرة بن حوية أما و الله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قدحسن فيه بلاؤك وعظم فيه غناؤك ولرب خيل للمشركين هزمتها وسرية لهم ذعرتها ومدينة لهم فتحتها ثم كان فى علم الله أن تقتل ناصرا للظالمين . وقتل يومئذ وجوه العرب من عسكر العراق فى المعركة واستمكن شبيب من أهل العسكر فقال ارفعوا عنهم السيف ودعاهم إلى البيعة فبايعه الناس عامة من ساعتهم واحتوى على جميع ما فى العسكر وبعث إلى أخيه و هوبالمدائن فأتاه فأقام بموضع المعركة يومين ودخل سفيان بن الأبرد الكلبى وحبيب بن عبدالرحمن فيمن معهما [صفحه ٢٦٨] إلى الكوفة فشدوا ظهر الحجاج واستغنى بهم عن أهل العراق ووصلته أخبار عتاب وعسكره فصعد المنبر فقال يا أهل الكوفة لاأعز الله من أراد بكم العز و لانصر من أراد منكم النصر اخرجوا عنا فلاتشهدوا معنا قتال عدونا والحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى و لايقاتلن معنا إلا من لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء. وخرج شبيب يريد الكوفة فانتهى إلى سورا فقال لأصحابه أيكم يأتينى برأس عاملها فانتدب إليه قطين وقعنب وسويد ورجلان من أصحاب شبيب فكانوا خمسة وساروا حتى انتهوا إلى دار الخراج والعمال فيهافقالوا أجيبوا الأمير فقال الناس أى أميرقالوا أمير قدخرج من قبل الحجاج يريد هذاالفاسق شبيبا فاغتر بذلك عامل سورا فخرج إليهم فلما خالطهم شهروا السيوف وحكموا وخبطوه بها حتى قتلوه وقبضوا ماوجدوا فى دار الخراج من مال ولحقوا بشبيب . فلما رأى شبيب البدر قال أتيتمونا بفتنة المسلمين هلم ياغلام الحربة فخرق بهاالبدر وأمر أن تنخس الدواب التى كانت البدر عليها فمرت رائحة والمال يتناثر من البدر حتى وردت الصراة فقال إن كان بقى شىءفاقذفوه فى الماء. و قال سفيان بن الأبرد للحجاج ابعثنى إلى شبيب أستقبله قبل أن يرد الكوفة فقال لا ماأحب أن نفترق حتى ألقاه فى جماعتكم والكوفة فى ظهرنا وأقبل شبيب حتى نزل حمام أعين ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبى زرعة بن مسعود الثقفى فوجهه فى ناس لم يكونوا

شهـدوا يوم عتـاب فخرج فى ألف رجل حتى انتهى إلى شبيب ليـدفعه عن الكوفـة فلما رآه شبيب حمل عليه فقتله وفل أصـحابه فجـاءوا حتى دخلوا [صـفحه ۲۶۹] الكوفـة وبعث شـبيب البطين فى عشـرة فوارس يرتـادون له منزلا ـ على شـاطئ الفرات فى دار الرزق فوجه الحجاج حوشب بن يزيـد فى جمع من أهل الكوفـة فأخذوا بأفواه السـكك فقاتلهم البطين فلم يقو عليهم فبعث إلى شبيب فأمده بفوارس من أصـحابه فعقروا فرس حوشب وهزموه فنجا بنفسه ومضى البطين إلى دار الرزق فى أصحابه ونزل شبيب بها و لم يوجه إليه الحجاج أحدا فابتنى مسجدا فى أقصـى السبخة وأقام ثلاثا لم يوجه إليه الحجاج أحدا و لايخرج إليه من أهل الكوفـة و لا من أهل الشام أحـد وكانت امرأته غزالـة نذرت أن تصـلى فى مسـجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما بالبقرة وآل عمران .فجاء شبيب مع امرأته حتى أوفت بنذرها فى المسـجد وأشير على الحجاج أن يخرج بنفسه إليه فقال لقتيبة بن مسـلم إنى خارج فاخرج أنت فارتد لى معسكرا فخرج وعاد فقال وجدت المدى سهلا فسر أيها الأمير على اسم الله والطائر الميمون فخرج الحجاج بنفسه ومر على مكان فيه كناسـة وأقـذار فقال ألقوا لى هنا بساطا فقيل له إن الموضع قـذر فقال ماتدعونى إليه أقذر الأرض تحته طيبة والسـماء فوقه طيبة. ووقف هناك وأخرج مولى له يعرف بأبى الورد و عليه تجفاف وأحاط به غلمان كثير وقيل هذاالحجاج فحمل عليه شبيب فقتله و قال إن يكن الحجاج فقـد أرحت الناس منه ودلف الحجاج نحوه حينئـذ و على ميمنته مطر بن ناجيـة و على ميسـرته خالد بن عتاب بن ورقاء و هو فى زهاء أربعة آلاف فقيل له أيها الأمير لانعرف [صفحه ۲۷۰] شبيبا بمكانك فتنكر وأخفى مكـانه وتشـبه به مولى آخر للحجـاج فى هيئته وزيه فحمـل عليه شبيب فضربه بـالعمود فقتله ويقال إنه قال لماسـقط أخ بالخاء المعجمـة فقال شبيب قاتل الله ابن أم الحجاج اتقى الموت بالعبيد و ذلك أن العرب تقول عندالتأوه أح بالحاء المهملة. ثم تشبه بالحجاج أعين صاحب حمام أعين ولبس لبسته فحمل عليه شبيب فقتله فقال الحجاج على بالبغل لأركبه فأتى ببغل محجل وقيل أيها الأمير أصـلحك الله إن الأعاجم كانت تتطير أن تركب مثل هذاالبغل فى مثل هذااليوم فقال أدنوه منى فإنه أغر محجل و هذا يوم أغر محجل فركبه ثم سار فى الناس يمينا وشـمالا ثم قال اطرحوا لى عباءة فطرحت له فنزل فجلس عليها ثم قال ائتونى بكرسـى فـأتى به فقـام فجلس عليه ثم نـادى أهـل الشام فقال يا أهل الشام يا أهل السـمع والطاعـة لايغلبن باطل هؤلاء الأرجاس حقكم غضوا الأبصار واجثوا على الركب واسـتقبلوا القوم بأطراف الأسـنة فجثوا على الركب وكأنهم حرة سوداء. ومنذ هذاالوقت ركـدت ريـح شبيب وأذن الله تعـالى فى إدبـار أمره وانقضاء أيامه فأقبل حتى إذادنا من أهل الشام عبى أصـحابه ثلاثـة كراديس كتيبـة معه وكتيبة مع سويد بن سـليم وكتيبة مع المحلل بن وائل و قال لسويد احمل عليهم فى خيلك فحمل عليهم فثبتوا له حتى إذاغشـى أطراف أسـنتهم وثبوا فى وجهه فقاتلهم طويلا فصبروا له ثم طاعنوه قـدما قدما حتى ألحقوه بأصـحابه . فلما رأى شبيب صبرهم نادى ياسويد احمل فى خيلك فى هذه الرايات الأخرى لعلك تزيل أهلها فتأتى الحجاج من ورائه ونحمل نحن عليه من أمامه فحمل سويد على تلك الرايات وهى بين جدران الكوفة فرمى بالحجارة من سطوح البيوت و من أفواه السـكك فانصرف و لم يظفروا. [صفحه ۲۷۱] ورماه عروة بن المغيرة بن شعبة بالسهام و قد كان الحجاج جعله فى ثلاثمائة رام من أهل الشام ردءا له كى لا ـ يؤتى من ورائه فصاح شبيب فى أصـحابه . يا أهل الإسـلام إنما شـريتم لله و من يكن شـراؤه لله لم يضـره ماأصابه من ألم وأذى لله أبوكم الصبر الصبر شدة كشداتكم الكريمة فى مواطنكم المشهورة.فشدوا شدة عظيمة فلم يزل أهل الشام عن مراكزهم فقال شبيب الأرض دبوا دبيبا تحت تراسـكم حتى إذاصارت أسنة أصحاب الحجاج فوقها فأذلقوها صعدا وادخلوا تحتها واضربوا سوقهم وأقـدامهم وهى الهزيمـة بإذن الله فأقبلوا يدبون دبيبا تحت الحجف صـمدا صـمدا نحو أصـحاب الحجاج . فقال خالد بن عتـاب بن ورقـاء أيهـا الأـمير أناموتور و لاأتهم فى نصـيحتى فأذن لى حتى آتيهم من ورائهم فأغير على معسـكرهم وثقلهم فقال افعل ذلك فخرج فى جمع من مواليه وشاكريته وبنى عمه حتى صار من ورائهم فالتقى بمصاد أخى شبيب فقتله وقتل غزالة امرأة شبيب وألقى النـار فى معسـكرهم والتفت شبيب والحجـاج فشاهـدا النار فأما الحجاج فكبر وكبر أصـحابه و أماشبيب فوثب هو و

كل راجل من أصحابه على خيولهم مرعوبين فقال الحجاج لأصحابه شدوا عليهم فقد أتاهم ماأرعبهم فشدوا عليهم فهزموهم وتخلف شبيب فى خاصة الناس حتى خرج من الجسر وتبعه خيل الحجاج وغشيه النعاس فجعل يخفق برأسه والخيل تطلبه . قال أصغر الخارجى كنت معه ذلك اليوم فقلت يا أمير المؤمنين التفت [صفحه ۲۷۲] فانظر من خلفك فالتفت غيرمكترث وجعل يخفق برأسه قال ودنوا منا فقلت يا أمير المؤمنين قددنا القوم منك فالتفت و الله ثانية غيرمكترث بهم وجعل يخفق برأسه وبعث الحجاج خيلا تركض تقول دعوه يذهب فى حرق الله فتركوه وانصرفوا عنه . ومضى شبيب بأصحابه حتى قطعوا جسر المدائن فدخلوا ديرا هناك وخالد بن عتاب يقفوهم فحصرهم فى الدير فخرج شبيب إليه فهزمه وأصحابه نحوا من فرسخين حتى ألقى خالد نفسه فى دجلة هو وأصحابه بخيولهم فمر به شبيب فرآه فى دجلة ولواؤه فى يده فقال قاتله الله فارسا وقاتل فرسه فرس هذاأشد الناس قوة وفرسه أقوى فرس فى الأرض وانصرف فقيل له بعدانصرافه إن الفارس ألذى رأيت هوخالد بن عتاب بن ورقاء فقال معرق فى الشجاعة لوعلمت لأقحمت خلفه و لودخل النار. ثم دخل الحجاج الكوفة بعدهزيمة شبيب فصعد المنبر و قال و الله ماقوتل شبيب قط قبل اليوم ولى هاربا وترك امرأته يكسر فى استها القصب . ثم دعا حبيب بن عبدالرحمن فبعثه فى أثره فى ثلاثة آلاف من أهل الشام و قال احذر بياته وحيثما لقيته فنازله فإن الله تعالى قدفل حده وقصم نابه فخرج حبيب فى أثره حتى نزل الأنبار وبعث الحجاج إلى العمال أن دسوا إلى أصحاب شبيب من جاءنا منكم فهو آمن فكان كل من ليست له بصيرة فى دين الخوارج ممن هزه القتال وكرهه ذلك اليوم يجىء فيؤمن وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شبيب من جاءنا فهو آمن فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه . [صفحه ۲۷۳] وبلغ شبيبا منزل حبيب بن عبدالرحمن بالأنبار فأقبل بأصحابه حتى دنا منه فقال يزيد السكسكى كنت مع أهل الشام بالأنبار ليلة جاءنا شبيب فبيتنا فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبدالرحمن فجعلنا أرباعا وجعل على كل ربع أميرا و قال لنا ليحم كل ربع منكم جانبه فإن قتل هذاالربع فلايعنهم الربع الآخر فإنه بلغنى أن الخوارج منكم قريب فوطنوا أنفسكم على أنكم مبيتون فمقاتلون قال فما زلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب تلك الليلة فبيتنا فشد على ربع منا فصابرهم طويلا فما زالت قدم إنسان منهم ثم تركهم وأقبل إلى ربع آخر فقاتلهم طويلا فلم يظفر بشىء ثم طاف بنا يحمل علينا ربعا ربعا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ولصق بنا حتى قلنا لايفارقنا ثم ترجل فنازلنا راجلا نزالا طويلاـ هو وأصحابه فسقطت و الله بيننا وبينهم الأيدى والأرجل وفقئت الأعين وكثرت القتلى فقتلنا منهم نحو ثلاثين وقتلوا منا نحو مائة وايم الله لوكانوا أكثر من مائتى رجل لأهلكونا ثم فارقونا و قدمللناهم وملونا وكرهناهم وكرهونا ولقد رأيت الرجل منا يضرب الرجل منهم بالسيف فما يضره من الإعياء والضعف ولقد رأيت الرجل منا يقاتل جالسا ينفخ بسيفه مايستطيع أن يقوم من الإعياء والبهر حتى ركب شبيب و قال لأصحابه الذين نزلوا معه اركبوا وتوجه بهم منصرفا عنا. فقال فروة بن لقيط الخارجى و كان شهد معه مواطنه كلها قال لنا ليلتئذ و قدرأى [صفحه ۲۷۴] بنا كآبة ظاهرة وجراحات شديدة ماأشد هذا ألذى بنا لوكنا نطلب الدنيا و ماأيسر هذا فى طاعة الله وثوابه فقال أصحابه صدقت يا أمير المؤمنين . قال فروة بن لقيط وسمعته تلك الليلة يحدث سويد بن سليم و يقول له لقد قتلت منهم أمس رجلين من أشجع الناس خرجت عشية أمس طليعة لكم فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم فاشترى أحدهم حاجته وخرج قبل أصحابه فخرجت معه فقال لى أراك لم تشتر علفا فقلت إن لى رفقاء قدكفونى ذلك ثم قلت له أين ترى عدونا هذانزل فقال بلغنى أنه قدنزل قريبا منا وايم الله لوددت أنى لقيت شبيبهم هذا قلت أفتحب ذلك قال إى و الله قلت فخذ حذرك فأنا و الله شبيب وانتضيت السيف فخر و الله ميتا فقلت له ارتفع ويحك وذهبت أنظر فإذا هو قدمات فانصرفت راجعا فاستقبلت الآخر خارجا من القرية فقال أين تذهب هذه الساعة التى يرجع فيها الناس إلى معسكرهم فلم أكلمه ومضيت فنفرت بى فرسى وذهبت تتمطر فإذا به فى أثرى حتى لحقنى فعطفت عليه و قلت مابالك قال أظنك و الله من عدونا قلت أجل و الله قال إذا لاـتبرح حتى أقتلك أوتقتلنى فحملت عليه وحمل على فاضطربنا

بسيفينا ساعة فو الله مافضلته فى شدة نفس و لاإقدام إلا أن سيفى كان أقطع من سيفه فقتلته . وبلغ شبيبا أن جند الشام ألذى مع حبيب حملوا معهم حجرا وحلفوا لايفرون حتى يفر هذاالحجر فأراد أن يكذبهم فعمد إلى أربعة أفراس وربط فى أذنابها ترسة [صفحه ۲۷۵] فى ذنب كل فرس ترسين ثم ندب ثمانية نفر من أصحابه وغلاما له يقال له حيان كان شجاعا فاتكا وأمره أن يحمل معه إداوة من ماء ثم سار ليلا حتى أتى ناحية من عسكر أهل الشام فأمر أصحابه أن يكونوا فى نواحى العسكر الأربع و أن يكون مع كل رجلين فرس ثم يلبسوها الحديد حتى تجد حره ثم يخلوها فى العسكر وواعدهم تلعة قريبة من العسكر و قال من نجا منكم فإن موعده التلعة فكره أصحابه الإقدام على ماأمرهم فنزل بنفسه حتى صنع بالخيل ماأمرهم به حتى دخلت فى العسكر ودخل هويتلوها ويشد خلفها شدا محكما فتفرقت فى نواحى العسكر واضطرب الناس فضرب بعضهم بعضا وماجوا ونادى حبيب بن عبدالرحمن ويحكم إنها مكيدة فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر ففعلوا وحصل شبيب بينهم فلزم الأرض معهم حتى رآهم قدسكنوا و قدأصابته ضربة عمود أوهنته . فلما هدأ الناس ورجعوا إلى مراكزهم خرج فى غمارهم حتى أتى التلعة فإذامولاه حيان فقال أفرغ ويحك على رأسى من هذه الإداوة فلما مد رأسه ليصب عليه من الماء هم حيان بضرب عنقه و قال لنفسه لاأجد مكرمة لى و لاذكرا أرفع من هذا فى هذه الخلوة و هوأمانى من الحجاج فأخذته الرعدة حين هم بما هم به فلما أبطأ عليه قال له ويحك ماانتظارك بحلها ناولنيها وتناول السكين من موزجه فخرقها به ثم ناوله إياها فأفرغ عليه من الماء فكان حيان بعد ذلك يقول لقد هممت فأخذتنى الرعدة فجبنت عنه و ماكنت أعهد نفسى جبانا. ثم إن الحجاج أخرج الناس إلى شبيب وقسم فيهم أموالا عظيمة وأعطى الجرحى و كل ذى بلاء وأمر سفيان بن الأبرد أن يسير بهم فشق ذلك على حبيب [صفحه ۲۷۶] بن عبدالرحمن و قال تبعث سفيان إلى رجل قدفللته وقتلت فرسانه و كان شبيب قدأقام بكرمان حتى جبر واستراش هو وأصحابه فمضى سفيان بالرجال واستقبله شبيب بدجيل الأهواز و عليه جسر معقود فعبر إلى سفيان فوجده قدنزل بالرجال وجعل مهاصر بن صيفى على خيله وبشر بن حسان الفهرى على ميمنته وعمر بن هبيرة الفزارى على ميسرته وأقبل شبيب فى ثلاثة كراديس هو فى كتيبة وسويد بن سليم فى كتيبة وقعنب فى كتيبة وخلف المحلل فى عسكره فلما حمل سويد و هو فى ميمنته على ميسرة سفيان وقعنب و هو فى ميسرته على ميمنة سفيان حمل هو على سفيان ثم اضطربوا مليا حتى رجعت الخوارج إلى مكانها ألذى كانوا فيه . فقال يزيد السكسكى و كان من أصحاب سفيان يومئذ كر علينا شبيب وأصحابه أكثر من ثلاثين كرة و لايزول من صفنا أحد فقال لنا سفيان لاتحملوا عليهم متفرقين ولكن لتزحف عليهم الرجال زحفا ففعلنا و مازلنا نطاعنهم حتى اضطررناهم إلى الجسر فقاتلونا عليه أشد قتال يكون لقوم قط ثم نزل شبيب ونزل معه نحو مائة رجل فما هو إلا أن نزلوا حتى أوقعوا بنا من الضرب والطعن شيئا مارأينا مثله قط و لاظنناه يكون فلما رأى سفيان أنه لايقدر عليهم و لايأمن ظفرهم دعا الرماة فقال ارشقوهم بالنبل و ذلك عندالمساء و كان الالتقاء ذلك اليوم نصف النهار فرشقهم أصحابه و قد كان سفيان صفهم على حدة وعليهم أمير فلما رشقوهم شدوا عليهم فشددنا نحن وشغلناهم عنهم فلما رأوا ذلك ركب شبيب وأصحابه وكروا على أصحاب النبل كرة شديدة صرعوا منهم فيهاأكثر من ثلاثين راميا ثم عطف علينا يطاعننا بالرماح حتى اختلط الظلام ثم انصرف عنا فقال سفيان بن الأبرد لأصحابه [صفحه ۲۷۷] ياقوم دعوهم لاتتبعوهم ياقوم دعوهم لاتتبعوهم حتى نصبحهم قال فكففنا عنهم و ليس شىءأحب إلينا من أن ينصرفوا عنا. قال فروة بن لقيط الخارجى فلما انتهينا إلى الجسر قال شبيب اعبروا معاشر المسلمين فإذاأصبحنا باكرناهم إن شاء الله تعالى قال فعبرنا أمامه وتخلف فى آخرنا وأقبل يعبر الجسر وتحته حصان جموح و بين يديه فرس أنثى ماذيانة فنزا حصانه عليها و هو على الجسر فاضطربت الماذيانة وزل حافر فرس شبيب عن حرف السفينة فسقط فى الماء فسمعناه يقول لماسقط ليقضى الله أمرا كان مفعولا واغتمس فى الماء ثم ارتفع فقال ذلك تقدير العزيز العليم ثم اغتمس فى الماء فلم يرتفع .هكذا روى أكثر الناس و قال قوم إنه كان مع شبيب رجال كثير بايعوه فى الوقائع التى كان يهزم

الجیش فیها و کانت بیعتهم إیاه علی غیربصیرة و قد کان أصاب عشائرهم وساداتهم فهم منه موتورون فلما تخلف فی أخریات الناس یومئذ قال بعضهم لبعض هل لکم أن نقطع به الجسر فندرک ثارنا الساعة فقالوا هذا هوالرأی فقطعوا الجسر فمالت به السفینة ففزع حصانه ونفر فسقط فی الماء وغرق . والروایة الأولی أشهر فحدث قوم من أصحاب سفیان قالوا سمعنا صوت الخوارج یقولون غرق أمیر المؤمنین فعبرنا إلی عسکرهم فإذا هو لیس فیه صافر و لاأثر فنزلنا فیه وطلبنا شبیبا حتی استخرجناه من الماء و علیه الدرع فیزعم الناس أنهم [صفحه ۲۷۸] شقوا بطنه وأخرجوا قلبه فکان مجتمعا صلبا کالصخرة و أنه کان یضرب به الأرض فینبو ویثب قامة الإنسان . ویحکی أن أم شبیب کانت لاتصدق أحدا نعاه إلیها و قد کان قیل لها مرارا إنه قدقتل فلاتقبل فلما قیل لها إنه قدغرق بکت فقیل لها فی ذلک فقالت رأیت فی المنام حین ولدته أنه خرج من فرجی نار ملأت الآفاق ثم سقطت فی ماء فخمدت فعلمت أنه لایهلک إلابالغرق

المجلد ۵

الجزء الخامس

تتمة الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم والحمد لله رب العالمین والصلاة و السلام علی خیر خلقه محمد وآله أجمعین

۵۸– و قال ع لماعزم علی حرب الخوارج وقیل له إن القوم قدعبروا جسر النهروان

اشاره

مَصَارِعُهُم دُونَ النّطفَةِ وَ اللّهِ لَا یُفلِتُ مِنهُم عَشَرَةٌ وَ لَا یَهلِکُ مِنکُم عَشَرَةٌ قال الرضی رحمه الله یعنی بالنطفة ماء النهر وهی أفصح کنایة عن الماء و إن کان کثیرا جما و قدأشرنا إلی ذلک فیما تقدم عندمضی ماأشبهه -روایت-۱-۱۴۱ هذاالخبر من الأخبار التی تکاد تکون متواترة لاشتهاره ونقل الناس کافة له و هو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغیوب . والأخبار علی قسمین أحدهما الأخبار المجملة و لاإعجاز فیهانحو أن یقول الرجل لأصحابه إنکم [صفحه ۴] ستنصرون علی هذه الفئة التی تلقونها غدا فإن نصر جعل ذلک حجة له عندأصحابه وسماها معجزة و إن لم ینصر قال لهم تغیرت نیاتکم وشککتم فی قولی فمنعکم الله نصره ونحو ذلک من القول ولأنه قدجرت العادة أن الملوک والرؤساء یعدون أصحابهم بالظفر والنصر ویمنونهم الدول فلایدل وقوع مایقع من ذلک علی إخبار عن غیب یتضمن إعجاز. والقسم الثانی فی الأخبار المفصلة عن الغیوب مثل هذاالخبر فإنه لایحتمل التلبیس لتقییده بالعدد المعین فی أصحابه و فی الخوارج ووقوع الأمر بعدالحرب بموجبه من غیرزیادة و لانقصان و ذلک أمر إلهی عرفه من جهة رسول الله ص وعرفه رسول الله ص من من جهة الله سبحانه والقوة البشریة تقصر عن إدراک مثل هذا ولقد کان له من هذاالباب ما لم یکن لغیره . وبمقتضی ماشاهد الناس من معجزاته وأحواله المنافیة لقوی البشر غلا فیه من غلا حتی نسب إلی أن الجوهر الإلهی حل فی بدنه کماقالت النصاری فی عیسی ع و قدأخبره النبی ص بذلک فقال یهلک فیک

رجلان محب غال ومبغض قال -روايت-۱-۲-روايت-۹-۴۹ قال له تارة أخرى و ألذى نفسى بيده لو لاأنى أشفق أن يقول طوائف من أمتى فيك ماقالت النصارى فى ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالا لاتمر بملإ من الناس إلاأخذوا التراب من تحت قدميك للبركة -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۲۰۴ [صفحه ۵]

ذكر الخبر عن ظهور الغلاة

وأول من جهر بالغلو فى أيامه عبد الله بن سبإ قام إليه و هويخطب فقال له أنت أنت وجعل يكررها فقال له ويلك من أنا فقال أنت الله فأمر بأخذه وأخذ قوم كانوا معه على رأيه . وروى أبوالعباس أحمد بن عبيد الله عن عمار الثقفى عن على بن محمد بن سليمان النوفلى عن أبيه و عن غيره من مشيخته أن عليا قال يهلك فى رجلان محب مطر يضعنى غيرموضعى ويمدحنى بما ليس فى ومبغض مفتر يرمينى بما أنا منه برىء -روايت-۱-۲-روايت-۱۳۸-۲۴۰ . و قال أبوالعباس و هذاتأويل الحديث المروى عن النبى ص فيه و هو قوله إن فيك مثلا من عيسى ابن مريم أحبته النصارى فرفعته فوق قدره وأبغضته اليهود حتى بهتت أمه -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۰۸ . قال أبوالعباس و قد كان على عثر على قوم خرجوا من محبته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا بربهم وجحدوا ماجاء به نبيهم واتخذوه ربا وإلها وقالوا أنت خالقنا ورازقنا فاستتابهم وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيهاطمعا فى رجوعهم فأبوا فحرقهم بالنار و قال -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۱۱ أ لاترون قدحفرت حفرا || إنى إذارأيت أمرا منكرا وقدت نارى ودعوت قنبرا . [صفحه ۶] وروى أصحابنا فى كتب المقالات أنه لماحرقهم صاحوا إليه الآن ظهر لنا ظهورا بينا أنك أنت الإله لأن ابن عمك ألذى أرسلته قال لايعذب بالنار إلارب النار -روايت-۱-۲-روايت-۸-۳۷ وروى أبوالعباس عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصى عن على بن محمدالنوفلى عن أبيه ومشيخته أن عليا مر بهم وهم يأكلون فى شهر رمضان نهارا فقال أسفر أم مرضى قالوا و لاواحدة منهما قال أفمن أهل الكتاب أنتم قالوا لا قال فما بال الأكل فى شهر رمضان نهارا قالوا أنت أنت لم يزيدوه على ذلك ففهم مرادهم فنزل عن فرسه فألصق خده بالتراب ثم قال ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على أمرهم فنهض عنهم ثم قال شدوهم وثاقا و على بالفعلة والنار والحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل إحداهما سربا والأخرى مكشوفة وألقى الحطب فى المكشوفة وفتح بينهما فتحا وألقى النار فى الحطب فدخن عليهم وجعل يهتف بهم ويناشدهم ارجعوا إلى الإسلام فأبوا فأمر بالحطب والنار وألقى عليهم فاحترقوا -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۳-۷۷۳ فقال الشاعر لترم بى المنية حيث شاءت || إذا لم ترم بى فى الحفرتين إذا ماحشتا حطبا بنار || فذاك الموت نقدا غيردين قال فلم يبرح واقفا عليهم حتى صاروا حمما. قال أبوالعباس ثم إن جماعة من أصحاب على منهم عبد الله بن عباس شفعوا فى عبد الله بن سبإ خاصة وقالوا يا أمير المؤمنين إنه قدتاب فاعف عنه فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألا يقيم بالكوفة فقال أين أذهب قال المدائن فنفاه إلى المدائن [صفحه ۷] فلما قتل أمير المؤمنين ع أظهر مقالته وصارت له طائفة وفرقة يصدقونه ويتبعونه و قال لمابلغه قتل على و الله لوجئتمونا بدماغه فى سبعين صرة لعلمنا أنه لم يمت و لايموت حتى يسوق العرب بعصاه فلما بلغ ابن عباس ذلك قال لوعلمنا أنه يرجع لماتزوجنا نساءه و لاقسمنا ميراثه . قال أصحاب المقالات واجتمع إلى عبد الله بن سبإ بالمدائن جماعة على هذاالقول منهم عبد الله بن صبرة الهمدانى و عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى وآخرون غيرهما وتفاقم أمرهم . وشاع بين الناس قولهم وصار لهم دعوة يدعون إليها وشبهة يرجعون إليها وهى ماظهر وشاع بين الناس من إخباره بالمغيبات حالا بعدحال فقالوا إن ذلك لايمكن أن يكون إلا من الله تعالى أومن حلت ذات الإله فى جسده ولعمرى إنه لايقدر على ذلك إلابإقدار الله تعالى إياه عليه ولكن لايلزم من إقداره إياه عليه أن يكون هوالإله

أوتكون ذات الإله حالة فيه وتعلق بعضهم بشبهة ضعيفة نحو قول عمر و قدفقأ على عين إنسان ألحد فى الحرم ماأقول فى يد الله فقأت عينا فى حرم الله ونحو قول على و الله ماقلعت باب خيبر بقوة جسدانية بل بقوة إلهية -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۶۶ قول رسول الله ص لاإله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۸۸ و ألذى هزم الأحزاب هو على بن أبى طالب لأنه قتل بارعهم وفارسهم عمرا لمااقتحموا الخندق فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مفلولين من غيرحرب سوى قتل فارسهم و قدأومأ بعض شعراء الإمامية إلى هذه المقالة فجعلها من فضائله و ذلك قوله إذاكنتم ممن يروم لحاقه || فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب [صفحه ۸] وكيف فررتم يوم أحد وخيبر || و يوم حنين مهربا بعدمهرب أ لم تشهدوا يوم الإخاء وبيعة || الغدير و كل حضر غيرغيب فكيف غدا صنو النفيلى ويحه || أميرا على صنو النبى المرجب وكيف علا من لايطأ ثوب أحمد || على من علا من أحمدفوق منكب إمام هدى ردت له الشمس جهرة || فصلى أداء عصره بعدمغرب و من قبله أفنى سليمان خيله || رجاء فلم يبلغ بهانيل مطلب يجل عن الأفهام كنه صفاته || ويرجع عنها الذهن رجعة أخيب فليس بيان القول عنه بكاشف || غطاء و لافصل الخطاب بمعرب وحق لقبر ضم أعضاء حيدر || وغودر منه فى صفيح مغيب [صفحه ۹] يكون ثراه سر قدس ممنع || وحصباؤه من نور وحى محجب وتغشاه من نور الإله غمامة || تغاديه من قدس الجلال بصيب وتنقض أسراب النجوم عواكفا || على حجرتيه كوكب بعدكوكب فلولاك لم ينج ابن متى و لاخبا || سعير لإبراهيم بعدتلهب و لافلق البحر ابن عمران || بالعصا و لافرت الأحزاب عن أهل يثرب و لاقبلت من عابد صلواته || و لاغفر الرحمن زلة مذنب و لم يغل فيك المسلمون جهالة || ولكن لسر فى علاك مغيب . وقالوا أيضا إن بكريا وشيعيا تجادلا واحتكما إلى بعض أهل الذمة ممن لاهوى له مع أحد الرجلين فى التفضيل فأنشدهما كم بين من شك فى عقيدته || و بين من قيل إنه الله

طرق الإخبار عن الغيوب

فأما الإخبار عن الغيوب فلمعترض أن يقول قديقع الإخبار عن الغيوب من طريق النجوم فإن المنجمين قداتفقوا على أن شكلا من أشكال الطالع إذاوقع لمولود اقتضى أن يكون صاحبه متمكنا من الإخبار عن الغيوب . و قديقع الإخبار عن الغيوب من الكهان كمايحكى عن سطيح وشق وسواد بن قارب وغيرهم . [صفحه ۱۰] و قديقع الإخبار عن الغيوب لأصحاب زجر الطير والبهائم كمايحكى عن بنى لهب فى الجاهلية. و قديقع الإخبار عن الغيوب للقافة كمايحكى عن بنى مدلج . و قديخبر أرباب النيرنجات وأرباب السحر والطلسمات بالمغيبات و قديقع الإخبار عن الغيوب لأرباب النفس الناطقة القوية الصافية التى تتصل مادتها الروحانية على ماتقوله الفلاسفة و قديقع الإخبار عن الغيوب بطريق المنامات الصادقة على مارآه أكثر الناس و قدوردت الشريعة نصا به . و قديقع الإخبار عن الغيوب بأمر صناعى يشبه الطبيعى كمارأيناه عن أبى البيان وابنه . و قديقع الإخبار عن الغيوب بواسطة إعلام ذلك الغيب إنسانا آخر لنفسه بنفس ذلك المخبر اتحاد أوكالاتحاد و ذلك كمايحكى أبوالبركات بن ملكا الطبيب فى كتاب المعتبر قال والمرأة العمياء التى رأيناها ببغداد وتكررت مشاهدتنا لها منذ مدة مديدة قدرها مايقارب ثلاثين سنة وهى على ذلك إلى الآن تعرض عليها الخبايا فتدل عليها بأنواعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها غريبها ومألوفها دقيقها [صفحه ۱۱] وجليلها تجيب على أثر السؤال من غيرتوقف و لااستعانة بشىء من الأشياء إلاأنها كانت تلتمس أن ترى ألذى يسأل عنه أبوها أويسمعه فى بعض الأوقات دون بعض و عندقوم دون قوم فيتصور فى أمرها أن ألذى تقوله بإشارة من أبيها و كان ألذى تقوله يبلغ من الكثرة إلى مايزيد على عشرين كلمة إذاقيل بصريح الكلام ألذى هوالطريق الأخصر وإنما كان أبوها يقول

إذارأی مایراه من أشیاء کثیرة مختلفة الأنواع والأشکال فی مدة واحدة کلمة واحدة وأقصاه کلمتان وهی التی یکررها فی کل قول و مع کل مایسمع ویری سلها وسلها تخبرک أوقولی له أوقولی یاصغیرة. قال أبوالبرکات ولقد عاندته یوما وحاققته فی ألا یتکلم البتة وأریته عدة أشیاء فقال لفظة واحدة فقلت له الشرط أملک فاغتاظ واحتد طیشه عن أن یملک نفسه فباح بخبیئته قال ومثلک یظن أننی أشرت إلی هذاکله بهذه اللفظة فاسمع الآن ثم التفت إلیها وأخذ یشیر بإصبعه إلی شیء و هو یقول تلک الکلمة وهی تقول هذاکذا و هذاکذا علی الاتصال من غیرتوقف و هو یقول تلک الکلمة لازیادة علیها وهی لفظة واحدة بلحن واحد وهیئة واحدة حتی ضجرنا واشتد تعجبنا ورأینا أن هذه الإشارة لوکانت تتضمن هذه الأشیاء لکانت أعجب من کل ماتقوله العمیاء. قال أبوالبرکات و من عجیب ماشاهدناه من أمرها أن أباها کان یغلط فی شیءیعتقده علی خلاف ما هو به فتخبر هی عنه علی معتقد أبیها کان نفسها هی نفسه . قال أبوالبرکات ورأیناها تقول ما لایعلمه أبوها من خبیئة فی الخبیئة التی اطلع علیها أبوها فکانت تطلع علی ما قدعلمه أبوها و علی ما لم یعلمه أبوها و هذاأعجب وأعجب . [صفحه ۱۲] قال أبوالبرکات وحکایاتها أکثر من أن تعد و عند کل أحد من الناس من حدیثها ما لیس عندالآخر لأنها کانت تقول من ذلک علی الاتصال لشخص شخص جوابا بحسب السؤال . قال و مازلت أقول إن من یأتی بعدنا لایصدق مارأیناه منها فإن قلت لی أرید أن تفیدنی العلة فی معرفة المغیبات هذه قلت لک العلة التی تصلح فی جواب لم فی نسبة المحمول إلی الموضوع تکون الحد الأوسط فی القیاس و هذه فالعلة الفاعلة الموجبة لذلک فیهاهی نفسها بقوتها وخاصتها فما ألذی أقوله فی هذا وهل لی أن أجعل ما لیس بعلة علة. واعلم أنا لاننکر أن یکون فی نوع البشر أشخاص یخبرون عن الغیوب ولکن کل ذلک مستند إلی الباریء سبحانه بإقداره وتمکینه وتهیئة أسبابه فإن کان المخبر عن الغیوب ممن یدعی النبوة لم یجز أن یکون ذلک إلاباذن الله سبحانه وتمکینه و أن یرید به تعالی استدلال المکلفین علی صدق مدعی النبوة لأنه لو کان کاذبا لکان یجوز أن یمکن الله تعالی الجن من تعلیمه ذلک إضلالا للمکلفین وکذلک لایجوز أن یمکن سبحانه الکاذب فی ادعاء النبوة من الإخبار عن الغیب بطریق السحر وتسخیر الکواکب والطلسمات و لابالزجر و لابالقیافة و لابغیر ذلک من الطرق المذکورة لما فیه من استفساد البشر وإغوائهم . و أما إذا لم یکن المخبر عن الغیوب مدعیا للنبوة نظر فی حاله فإن کان ذلک من الصالحین الأتقیاء نسب ذلک إلی أنه کرامة أظهرها الله تعالی علی یده إبانة له وتمییزا [صفحه ۱۳] من غیره کما فی حق علی ع و إن لم یکن کذلک أمکن أن یکون ساحرا أوکاهنا أونحو ذلک . وبالجملة فصاحب هذه الخاصیة أفضل وأشرف ممن لاتکون فیه من حیث اختصاصه بها فإن کان للإنسان العاری منها مزیة أخری یختص بهاتوازیها أوتزید علیها فنرجع إلی التمییل والترجیح بینهما و إلافالمختص بهذه الخاصیة أرجح وأعظم من الخالی منها علی جمیع الأحوال [صفحه ۱۴]

۵۹– و قال لماقتل الخوارج

اشاره

وقیل له یا أمیر المؤمنین هلک القوم بأجمعهم کَلّا وَ اللّهِ إِنّهُم نُطَفٌ فِی أَصلَابِ الرّجَالِ وَ قَرَارَاتِ النّسَاءِ وَ کُلّمَا نَجَمَ مِنهُم قَرنٌ قُطِعَ حَتّی یَکُونَ آخِرُهُم لُصُوصاً سَلّابِینَ نجم ظهر وطلع قرارات النساء کنایة لطیفة عن الأرحام . و من الکنایات اللطیفة الجاریة هذاالمجری قوله تعالی أَو لامَستُمُ النّساءَیعنی الجماع . و قوله تعالی إِنّ هذا أَخِی لَهُ تِسعٌ وَ تِسعُونَ نَعجَةً. و قوله شَهِدَ عَلَیهِم سَمعُهُم وَ أَبصارُهُم وَ جُلُودُهُمیعنی الفروج –قرآن–۱۱۰–۱۳۱–قرآن–۱۶۱–۲۰۶–قرآن–۲۱۶–۲۶۷ [صفحه ۱۵] وقول رسول الله

ص للحادى يأنجشة رفقا بالقوارير –روايت–١–٥٣ يعنى النساء

الكنایة والرموز والتعریض مع ذکر مثل منها

والکنایة إبدال لفظة یستحی من ذکرها أویستهجن ذکرها أویتطیر بها ویقتضی الحال رفضها لأمر من الأمور بلفظة لیس فیها ذلک المانع و من هذاالباب قول إمرئ القیس سموت إلیها بعد مانام أهلها || سمو حباب الماء حالا علی حال فقالت لک الویلات إنک فاضحی || ألست تری السمار و الناس أحوالی فلما تنازعنا الحدیث وأسمحت || هصرت بغصن ذی شماریخ میال فصرنا إلی الحسنی ورق کلامنا || ورضت فذلت صعبة أی إذلال . قوله فصرنا إلی الحسنی کنایة عن الرفث ومقدمات الجماع . و قال ابن قتیبة تمازح معاویة والأحنف فما رئی مازحان أوقر منهما قال [صفحه ١٦] معاویة یا أبابحر ماالشیء الملفف فی البجاد فقال السخینة یا أمیر المؤمنین وإنما کنی معاویة عن رمی بنی تمیم بالنهم وحب الأکل بقول القائل إذا مامات میت من تمیم || فسرک أن یعیش فجیء بزاد بخبز أوبتمر أوبسمن || أوالشیء الملفف فی البجاد تراه یطوف فی الآفاق حرصا || لیأکل رأس لقمان بن عاد . وأراد الشاعر وطب اللبن فقال الأحنف هوالسخینة یا أمیر المؤمنین لأن قریشا کانت تعیر بأکل السخینة قبل الإسلام لأن أکثر زمانها کان زمان قحط والسخینة مایسخن بالنار ویذر علیه دقیق وغلب ذلک علی قریش حتی سمیت سخینة قال حسان زعمت سخینة أن ستغلب ربها || ولیغلبن مغالب الغلاب .فعبر کل واحد من معاویة والأحنف عما أراده بلفظ غیرمستهجن و لامستقبح وعلم کل واحد منهما مراد صاحبه و لم یفهم الحاضرون مادار بینهما و هذا من باب التعریض و هوقریب من الکنایة. و من کنایات الکتاب العزیز أیضا قوله تعالی وَ أَورَثَکُم أَرضَ‌هُم وَ دِیارَهُم وَ أَموالَهُم وَ أَرضاً لَم تَطَؤُها کنی بذلک عن مناکح النساء. ومنها قوله تعالی نِساؤُکُم حَرثٌ لَکُم فَأتُوا حَرثَکُم أَنّی شِئتُم‌کنی عن مواقع النسل بمواقع الحرث . -قرآن–٢٢٩–٣٠٠–قرآن–٣٤٨–٣٩٨ [صفحه ١٧] ومما ورد فی الأخبار النبویة فی هذاالباب الخبر ألذی فیه أن المرأة قالت للرجل القاعد منها مقعد القابلة لایحل لک أن تفض الخاتم إلابحقه فقام عنها وترکها. و قدأخذ الصاحب بن عباد هذه اللفظة فقال لأبی العلاء الأسدی الأصفهانی و قددخل بزوجة له بکر قلبی علی الجمرة یا أباالعلا || فهل فتحت الموضع المقفلا وهل فضضت الکیس عن ختمه || وهل کحلت الناظر الأحولا . وأنشد الفرزدق فی سلیمان بن عبدالملک شعرا قال فیه دفعن إلی لم یطمثن قبلی || وهن أصح من بیض النعام فبتن بجانبی مصرعات || وبت أفض أغلاق الختام .فاستنکر سلیمان ذلک و کان غیورا جدا و قال له قدأقررت بالزنا فلأجلدنک فقال یا أمیر المؤمنین إنی شاعر و إن الله یقول فی الشعراءوَ أَنّهُم یَقُولُونَ ما لا یَفعَلُونَ و قد قلت ما لم أفعل قال سلیمان نجوت بها. -قرآن–١٣٧–١٧٤ و من الأخبار النبویة أیضا قوله ع فی الشهادة علی الزنا حتی تشاهد المیل فی المکحلة –روایت–١–٨٦ [صفحه ١٨] ومنها قوله ع للمرأة التی استفتته فی ألذی استخلت له و لم یستطع جماعها لا حتی تذوقی عسیلته ویذوق عسیلتک –روایت–١–١١٥ . ومنها قول المرأة التی شکت إلی عائشة زوجها أنه یطمح بصره إلی غیرها إنی عزمت علی أن أقید الجمل إشارة إلی ربطه . ومنها قول عمر یا رسول الله هلکت قال و ماأهلکک قال حولت رحلی فقال ع أقبل وأدبر واتق الحیضة –روایت–١–١٠٢ ففهم ص ماأراد. ورأی عبد الله بن سلام علی إنسان ثوبا معصفرا فقال لو أن ثوبک فی تنور أهلک لکان خیرا لک فذهب الرجل فأحرق ثوبه فی تنور أهله وظن أنه أراد الظاهر و لم یرد ابن سلام ذلک وإنما أراد لوصرف ثمنه فی دقیق یخبزه فی تنور أهله . و من ذلک قوله ص إیاکم وخضراء الدمن –روایت–١–٤٢ والدمن جمع دمنة وهی المزبلة فیهاالبعر تنبت نباتا أخضر وکنی بذلک عن المرأة الحسناء فی منبت السوء. و من ذلک قولهم إیاک وعقیلة الملح لأن الدرة تکون فی الماء الملح ومرادهم النهی عن المرأة الحسناء وأهلها أهل سوء. و من ذلک قولهم لبس

له جلد النمر وقلب له ظهر المجن و قال أبونواس لأذود الطير عن شجر || قدبلوت المر من ثمره . [صفحه ١٩] و قدفسر قوم قوله تعالى وَ إِذا مَرّوا بِاللّغوِ مَرّوا كِراماًفقالوا أراد و إذاعبروا عن اللفظ بما يقبح ذكره كنوا عنه فسمى التعبير عن الشيء مرورا به وسمى الكناية عنه كرما. و من ذلك أن بنت أعرابية صرخت وقالت لسعتنى العقرب فقالت أمها أين فقالت موضع لايضع الراقى فيه أنفه كنت بذلك عن السوأة. و من هذاالباب قوله سبحانه مَا المَسِيحُ ابنُ مَريَمَ إِلّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرّسُلُ وَ أُمّهُ صِدّيقَةٌ كانا يَأكُلانِ الطّعامَ قال كثير من المفسرين هوكناية عن الغائط لأنه يكون من الطعام فكنى عنه إذا هو منه مسبب كماكنوا عن السمة بالنار فقالوا مانار تلك أى ماسمتها و منه قول الشاعر -قرآن-٢٧-٦٥-قرآن-٣٤٢-٤٥٦ قدوسموا آبالهم بالنار || والنار قدتشفى من الأوار . و هذا من أبيات المعانى يقول هم أهل عز ومنعة فسقى راعيهم إبلهم بالسمات التى على الإبل وعلم المزاحمون له فى الماء أنه لاطاقة لهم بمنازعتهم عليه لعزهم فكانت السمات سببا لسقيها والأوار العطش فكنى سبحانه بقوله يَأكُلانِ الطّعامَ عن إتيان الغائط لما كان أكل الطعام سببا له كماكنى الشاعر بالنار عن السمة لماكانت النار سبب السمة. -قرآن-٢٣٠-٢٤٧ [صفحه ٢٠] و من هذاالباب قوله سبحانه وَ كَيفَ تَأخُذُونَهُ وَ قَد أَفضى بَعضُكُم إِلى بَعضٍكنى بالإفضاء عن الجماع . -قرآن-٣٠-٨٣ و من الأحاديث النبوية من كشف قناع امرأة وجب عليه مهرها -روايت-١-٦١ كنى عن الدخول بهابكشف القناع لأنه يكشف فى تلك الحالة غالبا. والعرب تقول فى الكناية عن العفة ماوضعت مومسة عنده قناعا. و من حديث عائشة كان رسول الله ص يصيب من رءوس نسائه و هوصائم -روايت-١-٧٠ كنت بذلك عن القبلة. و من ذلك قوله تعالى هُنّ لِباسٌ لَكُم وَ أَنتُم لِباسٌ لَهُنّكنى بذلك عن الجماع والمخالطة. و قال النابغة الجعدى -قرآن-٤٦-٨٦ إذا ماالضجيع ثنى عطفها || تثنت فكانت عليه لباسا . و قدكنت العرب عن المرأة بالريحان وبالسرحة قال ابن الرقيات لاأشم الريحان إلا بعينى || كرما إنما تشم الكلاب أى أقنع من النساء بالنظر و لاأرتكب منهن محرما. و قال حميد بن ثور الهلالى أبى الله إلا أن سرحة مالك || على كل أفنان العضاه تروق فيا طيب رياها وبرد ظلالها || إذاحان من حامى النهار وديق [صفحه ٢١] وهل أنا إن عللت نفسى بسرحة || من السرح مسدود على طريق والسرحة الشجرة. و قال أعرابى وكنى عن امرأتين أيا نخلتى أود إذا كان فيكما || جنى فانظرا من تطعمان جناكما و يانخلتى أود إذاهبت الصبا || وأمسيت مقرورا ذكرت ذراكما و من الأخبار النبوية قوله ع من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايسقين ماءه زرع غيره -روايت-١-٩٤ أراد النهى عن نكاح الحبائل لأنه إذاوطئها فقد سقى ماءه زرع غيره . و قال ص لخوات بن جبير مافعل جملك ياخوات يمازحه فقال قيده الإسلام يا رسول الله -روايت-١-٩٠ لأن خواتا فى الجاهلية كان يغشى البيوت و يقول شرد جملى و أناأطلبه وإنما يطلب النساء والخلوة بهن وخوات هذا هوصاحب ذات النحيين . و من كنايات القرآن العزيز قوله تعالى وَ لا يَأتِينَ بِبُهتانٍ يَفتَرِينَهُ بَينَ أَيدِيهِنّ وَ أَرجُلِهِنّكنى بذلك عن الزنا لأن الرجل يكون فى تلك الحال بين يدى المرأة ورجليها. و منه فى الحديث إذاقعد الرجل بين شعبها الأربع . -قرآن-١٧٧-٢٤٥ [صفحه ٢٢] و قدفسر قوم قوله تعالى وَ امرَأَتُهُ حَمّالَةَ الحَطَبِ عن النميمة والعرب تقول لمن ينم ويشى يوقد بين الناس الحطب الرطب . و قال الشاعر يذكر امرأة -قرآن-٢٧-٥٨ من البيض لم تصطد على خيل لامة || و لم تمش بين الناس بالحطب الرطب أى لم تؤخذ على أمر تلام عليه و لم تفسد بين الحى بالكذب والنميمة. ومما ورد نظير ممازحة معاوية والأحنف من التعريضات أن أباغسان المسمعى مر بأبى غفار السدوسى فقال ياغفار مافعل الدرهمان فقال لحقا بالدرهم أراد بالدرهمين قول الأخطل فإن تبخل سدوس بدرهميها || فإن الريح طيبة قبول . وأراد الآخر قول بشار و فى جحدر لؤم و فى آل مسمع || صلاح ولكن درهم القوم كوكب . و كان محمد بن عقال المجاشعى عنديزيد بن مزيد الشيبانى وعنده سيوف تعرض عليه فدفع سيفا منها إلى يد محمد فقال كيف ترى هذاالسيف فقال نحن أبصر بالتمر منا بالسيوف أراد يزيد قول جرير فى الفرزدق بسيف أبى رغوان سيف مجاشع || ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم ضربت به عندالإمام فأرعشت || يداك وقالوا محدث غيرصارم . [صفحه ٢٣] وأراد محمدقول مروان

بن أبی حفصة لقد أفسدت أسنان بکر بن وائل || من التمر ما لوأصلحته لمارها . و قال محمد بن عمیر بن عطاء التمیمی لشریک النمیری و علی یده صقر لیس فی الجوارح أحب إلی من البازی فقال شریک إذا کان یصید القطا أراد محمدقول جریر أناالبازی المطل علی نمیر || أتیح من السماء لها انصبابا . وأراد شریک قول الطرماح تمیم بطرق اللؤم أهدی من القطا || و لوسلکت سبل المکارم ضلت . ودخل عبد الله بن ثعلبة المحاربی علی عبدالملک بن یزید الهلالی و هویومئذ والی أرمینیة فقال له ماذا لقینا اللیلة من شیوخ محارب منعونا النوم بضوضائهم ولغطهم فقال عبد الله بن ثعلبة إنهم أصلح الله الأمیر أضلوا اللیلة برقعا فکانوا یطلبونه أراد عبدالملک قول الشاعر تکش بلا شیءشیوخ محارب || و ماخلتها کانت تریش و لاتبری ضفادع فی ظلماء لیل تجاوبت || فدل علیها صوتها حیة البحر . وأراد عبد الله قول القائل لکل هلالی من اللؤم برقع || ولابن یزید برقع وجلال . [صفحه ۲۴] وروی أبوبکر بن درید فی کتاب الأمالی عن أبی حاتم عن العتبی عن أبیه أنه عرض علی معاویة فرس وعنده عبدالرحمن بن الحکم بن أبی العاص فقال کیف تری هذاالفرس یا أبامطرف قال أراه أجش هزیما قال معاویة أجل لکنه لایطلع علی الکنائن قال یا أمیر المؤمنین مااستوجبت منک هذاالجواب کله قال قدعوضتک عنه عشرین ألفا. قال أبوبکر بن درید أراد عبدالرحمن التعریض بمعاویة بما قاله النجاشی فی أیام صفین ونجا ابن حرب سابح ذو علالة || أجش هزیم والرماح دوانی إذا قلت أطراف الرماح تنوشه || مرته له الساقان والقدمان .فلم یحتمل معاویة منه هذاالمزاح و قال لکنه لایطلع علی الکنائن لأن عبدالرحمن کان یتهم بنساء إخوته . وروی ابن درید أیضا فی کتاب الأمالی عن أبی حاتم النخعی أن النجاشی دخل علی معاویة فقال له کیف قلت ونجا ابن حرب سابح و قدعلمت أن الخیل لاتجری بمثلی فرارا قال إنما عنیت عتبة أخاک وعتبة جالس فلم یقل معاویة و لاعتبة شیئا. [صفحه ۲۵] وورد إلی البصرة غلام من بنی فقعس کان یجلس فی المربد فینشد شعرا ویجمع الناس إلیه فذکر ذلک للفرزدق فقال لأسوءنه فجاء إلیه فسمع شیئا من شعره فحسده علیه فقال ممن أنت قال من بنی فقعس قال کیف ترکت القنان فقال مقابل لصاف فقال یاغلام هل أنجدت أمک قال بل أنجد أبی . قال أبوالعباس المبرد أراد الفرزدق قول الشاعر ضمن القنان لفقعس سوآتها || إن القنان لفقعس لمعمر . والقنان جبل فی بلاد فقعس یرید أن هذاالجبل یستر سوآتهم وأراد الغلام قول أبی المهوش و إذایسرک من تمیم خلة || فلما یسوءک من تمیم أکثر أکلت أسید والهجیم ودارم || أیر الحمار وخصیتیه العنبر قدکنت أحسبهم أسود خفیة || فإذالصاف یبیض فیه الحمر . ولصاف جبل فی بلاد بنی تمیم وأراد بقوله هل أنجدت أمک أی إن کانت [صفحه ۲۶] أنجدت فقد أصابها أبی فخرجت تشبهنی فقال بل أنجد أبی یرید بل أبی أصاب أمک فوجدها بغیا. قال عبد الله بن سوار کنا علی مائدة إسحاق بن عیسی بن علی الهاشمی فأتینا بحریرة قدعملت بالسکر والسمن والدقیق فقال معد بن غیلان العبدی یاحبذا السخینة ماأکلت أیها الأمیر سخینة ألذ من هذه فقال إلاأنها تولد الریاح فی الجوف کثیرا فقال إن المعایب لاتذکر علی الخوان .أراد معد ماکانت العرب تعیر به قریشا فی الجاهلیة من أکل السخینة و قدقدمنا ذکره وأراد إسحاق بن عیسی مایعیر به عبدالقیس من الفسو قال الشاعر و عبدالقیس مصفر لحاها || کان فساءها قطع الضباب . و کان سنان بن أحمس النمیری یسایر الأمیر عمر بن هبیرة الفزاری و هو علی بغلة له فتقدمت البغلة علی فرس الأمیر فقال اغضض بغلتک یاسنان فقال أیها الأمیر إنها مکتوبة فضحک الأمیر أراد عمر بن هبیرة قول جریر فغض الطرف إنک من نمیر || فلاکعبا بلغت و لاکلابا . وأراد سنان قول ابن داره لاتأمنن فزاریا خلوت به || علی قلوصک واکتبها بأسیار . [صفحه ۲۷] وکانت فزارة تعیر بإتیان الإبل ولذلک قال الفرزدق یهجو عمر بن هبیرة هذا ویخاطب یزید بن عبدالملک أمیر المؤمنین و أنت بر || تقی لست بالجشع الحریص أأطعمت العراق ورافدیه || فزاریا أحذ ید القمیص تفنق بالعراق أبوالمثنی || وعلم قومه أکل الخبیص و لم یک قبلها راعی مخاض || لتأمنه علی ورکی قلوص .الرافدان دجلة والفرات وأحذ ید القمیص کنایة عن السرقة والخیانة وتفنق تنعم وسمن وجاریة فنق أی سمینة. والبیت الآخر کنایة عن إتیان الإبل ألذی کانوا یعیرون به .

وروى أبوعبيدة عن عبد الله بن عبدالأعلى قال كنا نتغدى مع الأمير عمر بن هبيرة فأحضر طباخه جام خبيص فكرهه للبيت المذكور السابق إلاـ أن جلده أدركه فقال ضعه ياغلام قاتل الله الفرزدق لقد جعلنى أرى الخبيص فأستحى منه . قال المبرد و قديسير البيت فى واحد ويرى أثره عليه أبدا كقول أبى العتاهية [صفحه ۲۸] فى عبد الله بن معن بن زائدة فما تصنع بالسيف || إذا لم تك قتالا فكسر حلية السيف || وصغها لك خلخالا . و كان عبد الله بن معن إذاتقلد السيف ورأى من يرمقه بان أثره عليه فظهر الخجل منه . ومثل ذلك مايحكى أن جريرا قال و الله لقد قلت فى بنى تغلب بيتا لوطعنوا بعدها بالرماح فى أستاههم ماحكوها و هو والتغلبى إذاتنحنح للقرى || حك استه وتمثل الأمثالا . وحكى أبوعبيدة عن يونس قال قال عبدالملك بن مروان يوما وعنده رجال هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا لوأنهم افتدوا منه بأموالهم فقال أسماء بن خارجة الفزارى نحن يا أمير المؤمنين قال و ما هو قال قول الحارث بن ظالم المرى و ماقومى بثعلبة بن سعد || و لابفزارة الشعر الرقابا .فو الله يا أمير المؤمنين إنى لألبس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قدبدا منها. [صفحه ۲۹] و قال هانئ بن قبيصة النميرى نحن يا أمير المؤمنين قال و ما هو قال قول جرير فغض الطرف إنك من نمير || فلاكعبا بلغت و لاكلابا . كان النميرى يا أمير المؤمنين إذاقيل له ممن أنت قال من نمير فصار يقول بعد هذاالبيت من عامر بن صعصعة. ومثل ذلك مايروى أن النجاشى لماهجا بنى العجلان بقوله إذا الله عادى أهل لؤم وقلة || فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل قبيلة لايغدرون بذمة || و لايظلمون الناس حبة خردل و لايردون الماء إلاعشية || إذاصدر الوراد عن كل منهل و ماسمى العجلان إلالقوله || خذ القعب فاحلب أيها العبد واعجل .فكان الرجل منهم إذاسئل عن نسبه يقول من بنى كعب وترك أن يقول عجلانى. و كان عبدالملك بن عمير القاضى يقول و الله إن التنحنح والسعال ليأخذنى و أنا فى الخلاء فأرده حياء من قول القائل إذاذات دل كلمته لحاجة || فهم بأن يقضى تنحنح أوسعل . [صفحه ۳۰] و من التعريضات اللطيفة ماروى أن المفضل بن محمدالضبى بعث بأضحية هزيل إلى شاعر فلما لقيه سأله عنها فقال كانت قليله الدم فضحك المفضل و قال مهلا يا أبافلان أراد الشاعر قول القائل و لوذبح الضبى بالسيف لم تجد || من اللؤم للضبى لحما و لادما . وروى ابن الأعرابى فى الأمالى قال رأى عقال بن شبة بن عقال المجاشعى على إصبع ابن عنبس وضحا فقال ما هذاالبياض على إصبعك يا أباالجراح فقال سلح النعامة يا ابن أخى أراد قول جرير فضح العشيرة يوم يسلح قائما || سلح النعامة شبة بن عقال . و كان شبة بن عقال قدبرز يوم الطوانة مع العباس بن الوليد بن عبدالملك إلى رجل من الروم فحمل عليه الرومى فنكص وأحدث فبلغ ذلك جريرا باليمامة فقال فيه ذلك . ولقى الفرزدق مخنثا يحمل قماشه كأنه يتحول من دار إلى دار فقال أين راحت عمتنا فقال قدنفاها الأغر يا أبافراس يريد قول جرير فى الفرزدق نفاك الأغر ابن عبدالعزيز || وحقك تنفى من المسجد . [صفحه ۳۱] و ذلك أن الفرزدق ورد المدينة والأمير عليها عمر بن عبدالعزيز فأكرمه حمزة بن عبد الله بن الزبير وأعطاه وقعد عنه عبد الله بن عمرو بن عفان وقصر به فمدح الفرزدق حمزة بن عبد الله وهجا عبد الله فقال ماأنتم من هاشم فى سرها || فاذهب إليك و لابنى العوام قوم لهم شرف البطاح وأنتم || وضر البلاط موطئوا الأقدام . فلما تناشد الناس ذلك بعث إليه عمر بن عبدالعزيز فأمره أن يخرج عن المدينة و قال له إن وجدتك فيها بعدثلاث عاقبتك فقال الفرزدق ماأرانى إلاـكثمود حين قيل لهم تَمَتَّعُوا فِى دارِكُم ثَلاثَةَ أَيّامٍ فقال جرير يهجوه -قرآن-۱۶۹-۲۰۷ نفاك الأغر ابن عبدالعزيز || وحقك تنفى من المسجد وسميت نفسك أشقى ثمود || فقالوا ضللت و لم تهتد و قدأجلوا حين حل العذاب || ثلاث ليال إلى الموعد وجدنا الفرزدق بالموسمين || خبيث المداخل والمشهد . وحكى أبوعبيدة قال بينا نحن على أشراف الكوفة وقوف إذ جاء أسماء بن خارجة الفزارى فوقف وأقبل ابن مكعبر الضبى فوقف متنحيا عنه فأخذ أسماء خاتما كان فى يده فصه فيروز أزرق فدفعه إلى غلامه وأشار إليه أن يدفعه إلى ابن مكعبر فأخذ ابن مكعبر شسع نعله فربطه بالخاتم وأعاده إلى أسماء فتمازحا و لم يفهم أحد من الناس ماأرادا أراد أسماء بن خارجة قول الشاعر لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر || كذا كل

ضبی من اللؤم أزرق . [صفحه ۳۲] وأراد ابن مکعبر قول الشاعر لاتأمنن فزاریا خلوت به || علی قلوصک واکتبها بأسیار . وکانت فزارۀ تعیر بإتیان الإبل وعیرت أیضا بأکل جردان الحمار لأن رجلا منهم کان فی سفر فجاع فاستطعم قوما فدفعوا إلیه جردان الحمار فشواه وأکله فأکثرت الشعراء ذکرهم بذلک و قال الفرزدق جهز إذاکنت مرتادا ومنتجعا || إلی فزارۀ عیرا تحمل الکمرا إن الفزاری لویعمی فیطعمه || أیر الحمار طبیب أبرأ البصرا إن الفزاری لایشفیه من قرم || أطایب العیر حتی ینهش الذکرا . و فی کتب الأمثال أنه اصطحب ثلاثۀ فزاری وتغلبی ومری و کان اسم التغلبی مرقمۀ فصادوا حمارا وغاب عنهما الفزاری لحاجۀ فقالوا نخبأ له جردانه نضحک منه وأکلوا سائره فلما جاء دفعا إلیه الجردان وقالا هذانصیبک فنهسه فإذا هوصلب فعرف أنهم عرضوا له بما تعاب به فزارۀ فاستل سیفه و قال لتأکلانه ودفعه إلی مرقمۀ فأبی أن یأکله فضربه فقتله فقال المری طاح مرقمۀ قال و أنت إن لم تلقمه فأکله . وذکر أبوعبیدۀ أن إنسانا قال لمالک بن أسماء بن خارجۀ الفزاری اقض دینی أیها الأمیر فإن علی دینا قال ما لک عندی إلا ماضرب به الحمار بطنه فقال له عبید بن أبی محجن [صفحه ۳۳] بارک الله لکم یابنی فزارۀ فی أیر الحمار إن جعتم أکلتموه و إن أصابکم غرم قضیتموه به . ویحکی أن بنی فزارۀ وبنی هلال بن عامر بن صعصعۀ تنافروا إلی أنس بن مدرک الخثعمی وتراضوا به فقالت بنو هلال أکلتم یابنی فزارۀ أیر الحمار فقالت بنو فزارۀ وأنتم مدرتم الحوض بسلحکم فقضی أنس لبنی فزارۀ علی بنی هلال فأخذ الفزاریون منهم مائۀ بعیر کانوا تخاطروا علیها و فی مادر یقول الشاعر لقد جللت خزیا هلال بن عامر || بنی عامر طرا بسلحۀ مادر فأف لکم لاتذکروا الفخر بعدها || بنی عامر أنتم شرار المعاشر . وذکر أبوالعباس محمد بن یزید المبرد فی کتاب الکامل أن قتیبۀ بن مسلم لمافتح سمرقند أفضی إلی أثاث لم یر مثله وآلات لم یسمع مثلها فأراد أن یری الناس عظیم مافتح الله علیه ویعرفهم أقدار القوم الذین ظهر علیهم فأمر بدار ففرشت و فی صحنها قدور یرتقی إلیها بالسلالیم فإذابالحضین بن المنذر بن الحارث بن وعلۀ الرقاشی قدأقبل و الناس جلوس علی مراتبهم والحضین شیخ کبیر فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لأخیه قتیبۀ ائذن لی فی معاتبته قال لاترده فإنه خبیث الجواب فأبی عبد الله إلا أن یأذن له و کان عبد الله یضعف و کان قدتسور حائطا إلی امرأۀ قبل ذلک فأقبل علی الحضین فقال أ من الباب دخلت یا أباساسان قال أجل أسن عمک عن تسور [صفحه ۳۴] الحیطان قال أرأیت هذه القدور قال هی أعظم من ألا تری قال ماأحسب بکر بن وائل رأی مثلها قال أجل و لاعیلان و لورآها سمی شبعان و لم یسم عیلان فقال عبد الله أتعرف یا أباساسان ألذی یقول عزلنا وأمرنا وبکر بن وائل || تجر خصاها تبتغی من تحالف . فقال أعرفه وأعرف ألذی یقول فأدی الغرم من نادی مشیرا || و من کانت له أسری کلاب وخیبۀ من یخیب علی غنی || وباهلۀ بن أعصر والرباب . فقال أفتعرف ألذی یقول کأن فقاح الأزد حول ابن مسمع || و قدعرقت أفواه بکر بن وائل . قال نعم وأعرف ألذی یقول قوم قتیبۀ أمهم وأبوهم || لو لاقتیبۀ أصبحوا فی مجهل . قال أماالشعر فأراک ترویه فهل تقرأ من القرآن شیئا قال نعم أقرأ الأکثر الأطیب هَل أَتی عَلَی الإِنسانِ حِینٌ مِنَ الدّهرِ لَم یَکُن شَیئاً مَذکُوراً - قرآن-۸۵-۱۵۴ [صفحه ۳۵] فأغضبه فقال و الله لقد بلغنی أن امرأۀ الحضین حملت إلیه وهی حبلی من غیره قال فما تحرک الشیخ عن هیأته الأولی بل قال علی رسله و ما یکون تلد غلاما علی فراشی فیقال فلان ابن الحضین کمایقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتیبۀ علی عبد الله و قال له لایبعد الله غیرک . وغرضنا من هذه الحکایۀ الأدبیۀ المستحسنۀ قول الحضین تعریضا بفاحشۀ عبد الله أجل أسن عمک عن تسور الحیطان . ویحکی أن أباالعیناء أهدی إلی أبی علی البصیر و قدولد له مولود حجرا یذهب فی ذلک إلی قوله ع الولد للفراش وللعاهر الحجر -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۴۰ فاستخرج أبو علی ذلک بفطنته وذکائه ثم ولد بعدأیام لأبی العیناء مولود فقال له فی أی وقت ولد لک قال وقت السحر فقال اطرد قیاسه وخرج فی الوقت ألذی یخرج فیه أمثاله یعنی السؤال یعرض بأن أباالعیناء شحاذ و أن ولده خرج یشبهه . و من التعریضات والرموز بالفعل دون القول ماذکره مؤرج بن عمرو السدوسی فی کتاب الأمثال أن الأحوص بن جعفرالکلابی أتاه آت من قومه فقال أن رجلا لانعرفه جاءنا فلما دنا

منا حيث نراه نزل عن راحلته فعلق على شجرة وطبا من لبن ووضع فی بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وحزمة من شوک ثم أثار راحلته فاستوى عليها وذهب و كان أيام حرب تميم وقيس عيلان فنظر الأحوص فی ذلک فعی به فقال أرسلوا إلى قيس بن زهير فأتوا قيسا فجاءوا به إليه فقال له أ لم تک أخبرتنی أنه لايرد [صفحه ۳۶] عليک أمر إلاعرفت ما فيه ما لم تر نواصی الخيل قال ماخبرک فأعلمه فقال قد بين الصبح لذی عينين هذا رجل قدأخذت عليه العهود ألا يكلمكم و لايرسل إليكم و أنه قدجاء فأنذركم أماالحنظلة فإنه يخبركم أنه قدأتاكم بنو حنظلة و أماالصرة من التراب فإنه يزعم أنهم عدد كثير و أماالشوک فيخبركم أن لهم شوكة و أماالوطب فإنه يدلكم على قرب القوم وبعدهم فذوقوه فإن كان حليبا فالقوم قريب و إن كان قارصا فالقوم بعيد و إن كان المسيخ لاحلوا و لاحامضا فالقوم لاقريب و لابعيد فقاموا إلى الوطب فوجدوه حليبا فبادروا الاستعداد وغشيتهم الخيل فوجدتهم مستعدين . و من الكنايات بل الرموز الدقيقة ماحكی أن قتيبة بن مسلم دخل على الحجاج و بين يديه كتاب قدورد إليه من عبدالملک و هويقرؤه و لايعلم معناه و هومفكر فقال ما ألذی أحزن الأمير قال كتاب ورد من أمير المؤمنين لاأعلم معناه فقال إن رأى الأمير إعلامی به فناوله إياه و فيه أما بعدفإنک سالم و السلام . فقال قتيبة ما لی إن استخرجت لک ماأراد به قال ولاية خراسان قال إنه مايسرک أيها الأمير ويقر عينک إنما أراد قول الشاعر يديروننی عن سالم وأديرهم || وجلدة بين العين والأنف سالم أی أنت عندی مثل سالم عند هذاالشاعر فولاه خراسان .حكی الجاحظ فی كتاب البيان والتبيين قال خطب الوليد بن عبدالملک فقال [صفحه ۳۷] أمير المؤمنين عبدالملک قال إن الحجاج جلدة ما بين عينی وأنفی ألا وإنی أقول إن الحجاج جلدة وجهی كله . و على ذكر هذاالبيت حكی أن رجلا كان يسقی جلساءه شرابا صرفا غيرممزوج و كان يحتاج إلى المزج لقوته فجعل يغنی لهم يديروننی عن سالم وأديرهم || وجلدة بين العين والأنف سالم . فقال له واحد منهم يا أبافلان لونقلت ما من غنائک إلى شرابک لصلح غناؤنا ونبيذنا جميعا. ويشبه حكاية قتيبة والحجاج كتاب عبدالملک إلى الحجاج جوابا عن كتاب كتبه إليه يغلظ فيه أمر الخوارج ويذكر فيه حال قطری وغيره وشدة شوكتهم فكتب إليه عبدالملک أوصيک بما أوصى به البكری زيدا و السلام .فلم يفهم الحجاج ماأراد عبدالملک فاستعلم ذلک من كثير من العلماء بأخبار العرب فلم يعلموه فقال من جاءنی بتفسيره فله عشرة آلاف درهم وورد رجل من أهل الحجاز يتظلم من بعض العمال فقال له قائل أتعلم ماأوصى به البكری زيدا قال نعم أعلمه فقيل له فأت الأمير فأخبره و لک عشرة آلاف درهم فدخل عليه فسأله فقال نعم أيها الأمير إنه يعنی قوله أقول لزيد لاتترتر فإنهم || يرون المنايا دون قتلک أوقتلی فإن وضعوا حربا فضعها و إن أبوا || فعرضة نار الحرب مثلک أومثلی و إن رفعوا الحرب العوان التی ترى || فشب وقود النار بالحطب الجزل . فقال الحجاج أصاب أمير المؤمنين فيما أوصانی وأصاب البكری فيما أوصى به زيدا وأصبت أيها الأعرابی ودفع إليه الدراهم . [صفحه ۳۸] وكتب إلى المهلب أن أمير المؤمنين أوصانی بما أوصى به البكری زيدا و أناأوصيک بذلک وبما أوصى به الحارث بن كعب بنيه .فنظر المهلب فی وصية الحارث بن كعب فإذا فيها يابنی كونوا جميعا و لاتكونوا شيعا فتفرقوا وبزوا قبل أن تبزوا الموت فی قوة و عزخير من الحياة فی ذل وعجز. فقال المهلب صدق البكری وأصاب وصدق الحارث وأصاب . واعلم أن كثيرا مما ذكرناه داخل فی باب التعريض وخارج عن باب الكناية وإنما ذكرناه لمشابهة الكناية وكونهما كالنوعين تحت جنس عام وسنذكر كلاما كليا فيهما إذاانتهينا إلى آخر الفصل إن شاء الله . و من الكنايات قول أبی نواس وناظرة إلى من النقاب || تلاحظنی بطرف مستراب كشفت قناعها فإذاعجوز || مموهة المفارق بالخضاب فما زالت تجشمنی طويلا || وتأخذ فی أحاديث التصابی تحاول أن يقوم أبوزياد || ودون قيامه شيب الغراب أتت بجرابها تكتال فيه || فقامت وهی فارغة الجراب . والكناية فی البيت الأخير وهی ظاهرة ومنها قول أبی تمام ما لی رأيت ترابكم بئس الثرى || ما لی أرى أطوادكم تتهدم . [صفحه ۳۹] فكنى ببئس الثرى عن تنكر ذات بينهم وبتهدم الأطواد عن خفة حلومهم وطيش عقولهم . ومنها قول أبی الطيب وشر ماقنصته راحتی قنص

|| شهب البزاة سواء فيه والرخم .كنى بذلك عن سيف الدولة و أنه يساوى بينه و بين غيره من أراذل الشعراء وخامليهم فى الصلة والقرب . و قال الأقيشر لرجل ماأراد الشاعر بقوله ولقد غدوت بمشرف يافوخه || مثل الهراوة ماؤه يتفصد أرن يسيل من المراح لعابه || ويكاد جلد إهابه يتقدد . قال إنه يصف فرسا فقال حملك الله على مثله وهذان البيتان من لطيف الكناية ورشيقها وإنما عنى العضو. وقريب من هذه الكناية قول سعيد بن عبدالرحمن بن حسان و هوغلام يختلف إلى عبدالصمد بن عبدالأعلى مؤدب ولد هشام بن عبدالملك و قدجمشه عبدالصمد فأغضبه فدخل إلى هشام فقال له إنه و الله لو لا أنت لم || ينج منى سالما عبدالصمد . [صفحه ۴۰] فقال هشام و لم ذلك قال إنه قدرام منى خطة || لم يرمها قبله منى أحد . قال هشام و ماهى ويحك قال رام جهلا بى وجهلا بأبى || يدخل الأفعى إلى بيت الأسد .فضحك هشام و قال لوضربته لم أنكر عليك . و من هذاالباب قول أبى نواس إذا ماكنت جار أبى حسين || فنم ويداك فى طرف السلاح فإن له نساء سارقات || إذا مابتن أطراف الرماح سرقن و قدنزلت عليه عضوى || فلم أظفر به حتى الصباح فجاء و قدتخدش جانباه || يئن إلى من ألم الجراح . والكناية فى قوله أطراف الرماح و فى قوله فى طرف السلاح . و من الكناية الحسنة قول الفرزدق يرثى امرأته و قدماتت بجمع وجفن سلاح قدرزئت فلم أنح || عليه و لم أبعث عليه البواكيا و فى جوفه من دارم ذو حفيظة || لو أن المنايا أخطأته لياليا . [صفحه ۴۱] أخذه الرضى رحمه الله تعالى فقال يرثى امرأة إن لم تكن نصلا فغمد نصول || غالته أحداث الزمان بغول أو لم تكن بأبى شبول ضيغم || تدمى أظافره فأم شبول . و من الكنايات مايروى أن رجلا من خواص كسرى أحب الملك امرأته فكان يختلف إليها سرا وتختلف إليه فعلم بذلك فهجرها وترك فراشها فأخبرت كسرى فقال له يوما بلغنى أن لك عينا عذبة وأنك لاتشرب منها فقال بلغنى أيها الملك أن الأسد يردها فخفته فتركتها له فاستحسن ذلك منه ووصله . و من الكنايات الحسنة قول حاتم و ماتشتكينى جارتى غيرأننى || إذاغاب عنها بعلها لاأزورها سيبلغها خيرى ويرجع بعلها || إليها و لم يسبل على ستورها .فكنى بإسبال الستر عن الفعل لأنه يقع عنده غالبا.فأما قول عمر من أرخى سترا أوأغلق بابا فقد وجب عليه المهر -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۵۹ فيمكن أن يكنى بذلك عن الجماع نفسه ويمكن أن يكنى به عن الخلوة فقط و هومذهب أبى حنيفة و هوالظاهر من اللفظ لأمرين أحدهما قوله أغلق بابا فإنه لوأراد الكناية لم يحسن الترديد بأو وثانيهما أنه قد كان مقررا عندهم أن الجماع نفسه يوجب كمال المهر فلم يكن به حاجة إلى ذكر ذلك . ويشبه قول حاتم فى الكناية المقدم ذكرها قول بشار بن بشر [صفحه ۴۲] وإنى لعف عن زيارة جارتى || وإنى لمشنوء إلى اغتيابها و لم أك طلابا أحاديث سرها || و لاعالما من أى حوك ثيابها إذاغاب عنها بعلها لم أكن لها || زءورا و لم تنبح على كلابها . و قال الأخطل فى ضد ذلك يهجو رجلا ويرميه بالزنا سبنتى يظل الكلب يمضغ ثوبه || له فى ديار الغانيات طريق .السبنتى النمر يريد أنه جرىء وقح و أن الكلب لأنسه به وكثرة اختلافه إلى جاراته يعرفه ويمضغ ثوبه يطلب مايطعمه والعفيف ينكره الكلب و لايأنس به ثم أكد ذلك بأنه قدصار له بكثرة تردده إلى ديار النساء طريق معروف . و من جيد الكناية عن العفة قول عقيل بن علفة المرى ولست بسائل جارات بيتى || أغياب رجالك أم شهود [صفحه ۴۳] و لاملق لذى الودعات سوطى || ألاعبه وريبته أريد . و من جيد ذلك ومختاره قول مسكين الدارمى نارى ونار الجار واحدة || و إليه قبلى تنزل القدر ماضر جارا لى أجاوره || ألا يكون لبابة ستر أعمى إذا ماجارتى برزت || حتى يوارى جارتى الخدر . والعرب تكنى عن الفرج بالإزار فتقول هوعفيف الإزار وبالذيل فتقول هوطاهر الذيل وإنما كنوا بهما لأن الذيل والإزار لابد من رفعهما عندالفعل و قدكنوا بالإزار عن الزوجة فى قول الشاعر أ لاأبلغ أبابشر رسولا || فدا لك من أخى ثقة إزارى .يريد به زوجتى أوكنى بالإزار هاهنا عن نفسه . و قال زهير [صفحه ۴۴] الحافظون ذمام عهدهم || والطيبون معاقد الأزر الستر دون الفاحشات و لا- || يلقاك دون الخير من ستر . ويقولون فى الكناية عن العفيف ماوضعت مومسة عنده قناعها و لارفع عن مومسة ذيلا. و قدأحسن ابن طباطبا فى قوله فطربت طربة فاسق متهتك || وعففت عفة

ناسک متحرج الله يعلم كيف كانت عفتى || ما بين خلخال هناك ودملج . و من الكنايـة عن العفـة قول ابن ميادة و مانلت منها محرما غيرأننى || أقبل بساما من الثغر أفلجا وألثم فاها آخـذا بقرونها || وأترک حاجات النفوس تحرجا .فكنى عن الفعل نفسه بحاجات النفوس كماكنى أبونواس عنه بذلک العمل فى قوله مر بنا والعيون ترمقه || تجرح منه مواضع القبل [صفحه ۴۵] أفرغ فى قالب الجمال فما || يصلح إلالـذلک العمل . و كماكنى عنه ابن المعتز بقوله وزارنى فى ظلام الليل مستترا || يستعجل الخطو من خوف و من حـذر ولاح ضوء هلال كاد يفضحه || مثل القلامـة قدقصت من الظفر فقمت أفرش خدى فى الطريق له || ذلاـ وأسحب أذيالى على الأثر فكان ما كان مما لست أذكره || فظن خيرا و لاتسأل عن الخبر . ومما تطيروا من ذكره فكنوا عنه قولهم مات فإنهم عبروا عنه بعبارات مختلفة داخلة فى باب الكناية نحو قولهم لعق إصبعه وقالوا اصفرت أنامله لأن اصفرار الأنامل من صفات الموتى قال الشاعر فقربانى بأبى أنتما || من وطنى قبل اصفرار البنان وقبل منعاى إلى نسوة || منزلها حران والرقتان . و قال لبيد و كل أناس سوف تدخل بينهم || دويهية تصفر منها الأنامل يعنى الموت . ويقولون فى الكناية عنه صک لفلاـن على أبى يحيى و أبـويحيى كنيـة المـوت كنى عنه بضـده كمـاكنوا عن الأـسود بالأـبيض و قال الخوارزمى سريعة موت العاشقين كأنما || يغار عليهم من هواها أبويحيى [صفحه ۴۶] وكنى رسول الله ص عنه بهاذم اللذات فقال أكثروا من ذكر هاذم اللذات -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۷ . و قال أبوالعتاهية رأيت المنايا قسمت بين أنفس || ونفسى سيأتى بينهن نصيبها فيا هاذم اللـذات مامنک مهرب || تحاذر نفسى منک ماسيصيبها . وقالوا حلقت به العنقاء وحلقت به عنقاء مغرب قال فلو لادفاعى اليوم عنک لحلقت || بشلوک بين القوم عنقاء مغرب . وقالوا فيه زل الشراک عن قدمه قال لايسلمون العداة جارهم || حتى يزل الشراک عن قدمه أى حتى يموت فيستغنى عن لبس النعل .فأما قولهم زلت نعله فيكنى به تارة عن غلطه وخطئه وتارة عن سوء حاله واختلال أمره بالفقر و هذاالمعنى الأخير أراده الشاعر بقوله سأشكر عمرا ماتراخت منيتى || أيادى لم تمنن و إن هى جلت [صفحه ۴۷] فتى غيرمحجوب الغنى عن صديقه || و لاـمظهر الشكوى إذاالنعل زلت رأى خلتى من حيث يخفى مكانها || فكانت قذى عينيه حتى تجلت . ويقولون فيه شالت نعامته قال ياليت أمى قدشالت نعامتها || أيما إلى جنة أيما إلى نار ليست بشبعى و لوأوردتها هجرا || و لابريا و لوحلت بـذى قار أى لايشبعها كثرة التمر و لونزلت هجر وهجر كثيرة النخل و لاتروى و لونزلت ذا قار و هوموضع كثير الماء. قال ابن دريد والنعامة خط باطن القدم فى هذه الكناية. ويقال أيضا للقوم قدتفرقوا بجلاء عن منازلهم شالت نعامتهم و ذلک لأن النعامة خفيفة الطيران عن وجه الأرض كأنهم خفوا عن منزلهم . و قال ابن السكيت يقال لمن يغضب ثم يسكن شالت نعامته ثم وقعت وقالوا أيضا فى الكناية عن الموت مضى لسبيله واستأثر الله به ونقله إلى جواره ودعى فأجاب وقضى نحبه والنحب النذر كأنهم رأوا أن الموت لما كان حتما فى الأعناق كان نذرا. وقالوا فى الدعاء عليه اقتضاه الله بذنبه إشارة إلى هذا وقالوا ضحا ظله ومعناه صار ظله شمسا و إذاصار الظل شمسا فقد عدم صاحبه . ويقولون أيضا خلى فلان مكانه وأنشد ثعلب للعتبى فى السرى بن عبد الله كان ألذى يأتى السرى لحاجة || أباح إليه بالذى جاء يطلب إذا ما ابن عبد الله خلى مكانه || فقد حلقت بالجود عنقاء مغرب . [صفحه ۴۸] و قال دريد بن الصمة فإن يک عبد الله خلى مكانه || فما كان وقافا و لاطائش اليد . وكثير ممن لاـيفهم يعتقد أنه أراد بقوله خلى مكانه فر و لو كان كذلک لكان هجاء. ويقولون وقع فى حياض غتيم و هواسم للموت . ويقولون طار من ماله الثمين يريدون الثمن يقال ثمن وثمين وسبع وسبيع و ذلک لأن الميت ترث زوجته من ماله الثمن غالبا قال الشاعر يذكر جوده بماله ويخاطب امرأته فلا وأبيک لاأولى عليها || لتمنع طالبا منها اليمين فإنى لست منک ولست منى || إذا ماطار من مالى الثمين أى إذامت فأخذت ثمنک من تركتى. وقالوا لحق باللطيف الخبير قال و من الناس من يحبک حبا || ظاهر الود ليس بالتقصير فإذا ماسألته ربع فلس || ألحق الود باللطيف الخبير . و قال أبوالعلاء لاتسل عن عداک أين استقروا || لحق القوم باللطيف الخبير . [صفحه ۴۹] ويقولون قرض رباطه أى كاد يموت جهدا وعطشا.

وقالوا فى الـدعاء عليه لاعـد من نفره أى إذاعد قومه فلاعد معهم وإنما يكون كذلك إذامات قال إمرؤ القيس فهو لاتنمى رميته || ما له لاعـد من نفره . و هـذاإنما يريـد به وصـفه والتعجب منه لا أنه يـدعو عليه حقيقـة كماتقول لمن يجيد الطعن شـلت يده ماأحـذقه . وقالوا فى الكنايـة عن الـدفن أضـلوه وأضـلوا به قال الله تعالى وَ قالُوا أَ إِذا ضَـلَلنا فِى الأَرضِ أَ إِنّا لَفِى خَلقٍ جَدِيدٍ أى إذادفنـا فى الأرض . و قال المخبل السـعدى -قرآن-١٧٣-٢٣٩ أضـلت بنو قيس بن سـعد عميدها || وسيدها فى الدهر قيس بن عاصم . ويقولون للمقتول ركب الأشـقر كنايـة عن الـدم و إليه أشار الحارث بن هشام المخزومى فى شـعره ألـذى يعتـذر به عن فراره يوم بـدر عن أخيه أبى جهـل بن هشـام حين قتـل الله يعلم مـاتركت قتالهم || حتى علوا فرسـى بأشـقر مزبـد [صـفحه ٥٠] وعلمت أنى إن أقاتل واحـدا || أقتل و لايضـرر عـدوى مشـهدى فصـددت عنهم والأحبـة فيهم || طمعا لهم بعقاب يوم مرصـد .أراد بدم أشقر فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه كناية عنه والعرب تقيم الصفة مقام الموصوف كثيرا كقوله تعالى وَ حَمَلناهُ عَلى ذاتِ أَلـواحٍ وَ دُسُرٍ أى على سـفينة ذات ألـواح وكقول عنـترة -قرآن-١١٧-١٥٦ تمكو فريصـته كشـدق الأعلم أى كشدق الإنسان الأعلم أوالبعير الأعلم . ويقولون ترك فلان بجعجاع أى قتل قال أبوقيس بن الأسلت من يذق الحرب يجد طعمها || مرا وتتركه بجعجـاع أى تتركه قتيلاـ مخلى بالفضـاء. وممـا كنوا عنه قولهم للمقيـد هومحمول على الأدهم والأدهم القيـد قال الشاعر أوعدنى بالسـجن والأداهم || رجلى ورجلى شـثنة المناسم . و قال الحجاج للغضبان بن القبعثرى لأحملنك على الأدهم فتجاهل عليه و قال مثل الأمير حمل على الأدهم والأشـهب . [صـفحه ٥١] و قدكنوا عن القيد أيضا بالأسـمر أنشد ابن عرفة لبعضـهم فما وجـد صـعلوك بصـنعاء موثق || بساقيه من سـمر القيود كبول قليل الموالى مسـلم بجريرة || له بعدنومات العيون غليل يقول له البواب أنت معـذب || غـداة غـد أورائـح فقتيل بأكثر من وجـدى بكم يوم راعنى || فراق حبيب ما إليه سبيل و هـذا من لطيف شعر العرب وتشبيههـا. و من كناياتهم عنه ركب ردعه وأصـله فى السـهم يرمى به فيرتـدع نصـله فيه يقال ارتـدع السـهم إذارجع النصل فى السـنخ متجاوزا فقولهم ركب ردعه أى وقص فدخل عنقه فى صدره قال الشاعر و هو من شعر الحماسة تقول وصكت صدرها بيمينها || أبعلى هذابالرحا المتقاعس فقلت لها لاتعجلى وتبينى || بلاى إذاالتفت على الفوارس ألست أرد القرن يركب ردعه || و فيه سـنان ذو غرارين يـابس لعمر أبيـك الخير إنى لخـادم || لضـيفى وإنى إن ركبت لفـارس . وأنشـد الجاحـظ فى كتـاب البيـان والتبيين لبعض الخوارج ومسوم للموت يركب ردعه || بين الأسـنة والقنا الخطار يـدنو وترفعه الرماح كأنه || شـلو تنشب فى مخالب ضارى [صـفحه ٥٢] فثوى صـريعا والرماح تنوشه || إن الشـراة قصـيرة الأعمار . و قـدتطيرت العرب من لفظة البرص فكنوا عنه بالوضـح فقـالوا جذيمـة الوضـاح يريـدون الأـبرص وكنى عنه بالأـبرش أيضـا و كـل أبيض عنـدالعرب وضاح ويسـمون اللبن وضـحا يقولون ماأكثر الوضح عندبنى فلان . ومما تفاءلوا به قولهم للفلاة التى يظن فيهاالهلاك مفازة اشتقاقا من الفوز و هوالنجاة و قال بعض المحـدثين أحب الفأل حين رأى كثيرا || أبوه عن اقتناء المجد عاجز فسـماه لقلته كثيرا || كتلقيب المهالـك بالمفـاوز .فأمـا من قـال إن المفـازة مفعلـة من فوز الرجـل أى هلك فإنه يخرج هـذه اللفظـة من باب الكنايات . و من هذاتسميتهم اللديغ سليما قال كأنى من تذكر ماألاقى || إذا ماأظلم الليل البهيم سليم مل منه أقربوه || وأسلمه المجاور والحميم . [صفحه ٥٣] و قال أبوتمام فى الشـيب شـعلة فى المفارق اسـتودعتنى || فى صميم الأحشاء ثكلا صميما تستثير الهموم مااكتن منها || صـعدا وهى تسـتثير الهموما دقة فى الحياة تدعى جلالا || مثلما سـمى اللديغ سـليما غرة بهمة ألا إنما كنت || أغرا أيام كنت بهيمـا حلمتنى زعمتم وأرانى || قبـل هـذاالتحليم كنت حليما . و من هـذاقولهم للأعور ممتع كأنهم أرادوا أنه قـدمتع ببقاء إحـدى عينيه و لم يحرم ضوءهما معا. و من كناياتهم على العكس قولهم للأسود يا أباالبيضاء وللأسود أيضا ياكافور وللأبيض يا أباالجون وللأقرع يا أباالجعد. وسـموا الغراب أعور لحدة بصره قال ابن ميادة إلاطرقتنا أم عمرو ودونها || فياف من البيداء يعشى غرابها [صفحه ٥٤] خص الغراب بـذلك لحـدة نظره أى فكيف غيره . ومما جاء فى تحسـين اللفظ ماروى أن المنصور كان فى

بستان داره والربيع بين يديه فقال له ما هذه الشجرة فقال وفاق يا أمير المؤمنين وكانت شجرة خلاف فاستحسن منه ذلك . ومثل هذاالاستحسان الرشيد قول عبدالملك بن صالح و قدأهدى إليه باكورة فاكهة فى أطباق خيزران بعثت إلى أمير المؤمنين فى أطباق قضبان تحمل من جنايا باكورة بستانه ماراج وأينع فقال الرشيد لمن حضر ماأحسن ماكنى عن اسم أمنا. ويقال إن عبدالملك سبق بهذه الكناية و إن الهادى قال لابن دأب و فى يده عصا ماجنس هذه فقال من أصول القنا يعنى الخيزران والخيزران أم الهادى والرشيد معا. وشبيه بذلك مايقال إن الحسن بن سهل كان فى يده ضغث من أطراف الأراك فسأله المأمون عنه ما هذه فقال محاسنك يا أمير المؤمنين تجنبا لأن يقول مساوئك و هذالطيف . و من الكنايات اللطيفة أن عبدالملك بعث الشعبى إلى أخيه عبدالعزيز بن مروان و هو أميرمصر يومئذ ليسبر أخلاقه وسياسته ويعود إليه فيخبره بحاله فلما عاد سأله فقال وجدته أحوج الناس إلى بقائك يا أمير المؤمنين و كان عبدالعزيز يضعف . و من الألفاظ التى جاءت عن رسول الله ص من باب الكنايات قوله ص بعثت إلى الأسود والأحمر -روايت-١-٢-روايت-١٢-٣٧ يريد إلى العرب والعجم فكنى عن العرب بالسود و عن العجم بالحمر والعرب تسمى العجمى أحمر لأن الشقرة تغلب عليه . [صفحه ٥٥] قال ابن قتيبة خطب إلى عقيل بن علفة المرى ابنته هشام بن إسماعيل المخزومى و كان والى المدينة وخال هشام بن عبدالملك فرده لأنه كان أبيض شديد البياض و كان عقيل أعرابيا جافيا غيورا مفرط الغيرة و قال رددت صحيفة القرشى لما || أبت أعراقه إلااحمرارا فرده لأنه توسم فيه أن بعض أعراقه ينزع إلى العجم لمارأى من بياض لونه وشقرته . و منه قول جرير يذكر العجم يسموننا الأعراب والعرب اسمنا || وأسماؤهم فينا رقاب المزاود وإنما يسمونهم رقاب المزاود لأنها حمراء. و من كناياتهم تعبيرهم عن المفاخرة بالمساجلة وأصلها من السجل وهى الدلو الملىء كان الرجلان يستقيان فأيهما غلب صاحبه كان الفوز والفخر له قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبدالمطلب و أناالأخضر من يعرفنى || أخضر الجلدة من بيت العرب من يساجلنى يساجل ماجدا || يملأ الدلو إلى عقد الكرب برسول الله وابنى عمه || وبعباس بن عبدالمطلب . ويقال إن الفرزدق مر بالفضل و هوينشد من يساجلنى فقال أناأساجلك [صفحه ٥٦] ونزع ثيابه فقال الفضل برسول الله و ابن عمه فلبس الفرزدق ثيابه و قال أعض الله من يساجلك بما نفت المواسى من بظر أمه ورواها أبوبكر بن دريد بما أبقت المواسى. و قدنزل القرآن العزيز على مخرج كلام العرب فى المساجلة فقال تبارك و تعالى فَإِنّ لِلّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثلَ ذَنُوبِ أَصحابِهِمالذنوب الدلو والمراد ماذكرناه . و قال المبرد المراد بقوله و أناالأخضر أى الأسمر والأسود والعرب كانت تفتخر بالسمرة والسواد وكانت تكره الحمرة والشقرة وتقول إنهما من ألوان العجم . و قال ابن دريد مراده أن بيتى ربيع أبدا مخصب كثير الخير لأن الخصب مع الخضرة و قال الشاعر -قرآن-٢٥٢-٣١٠ قوم إذااخضرت نعالهم || يتناهقون تناهق الحمر . أى إذاأعشبت الأرض اخضرت نعالهم من وطئهم إياها فأغار بعضهم على بعض والتناهق هاهنا أصواتهم حين ينادون للغارة ويدعو بعضهم بعضا ونظير هذاالبيت قول الآخر قوم إذانبت الربيع لهم || نبتت عداوتهم مع البقل . أى إذاأخصبوا وشبعوا غزا بعضهم بعضا ومثله قول الآخر يا ابن هشام أهلك الناس اللبن || فكلهم يغدو بسيف وقرن . أى تسفهوا لمارأوا من كثرة اللبن والخصب فأفسدوا فى الأرض وأغار بعضهم على بعض والقرن الجعبة. [صفحه ٥٧] وقيل لبعضهم متى يخاف من شر بنى فلان فقال إذاألبنوا. و من الكنايات الداخلة فى باب الإيماء قول الشاعر فتى لايرى قدالقميص بخصره || ولكنما يوهى القميص عواتقه . لما كان سلامة القميص من الخرق فى موضع الخصر تابعا لدقة الخصر ووهنه فى الكاهل تابعا لعظم الكاهل ذكر مادل بهما على دقة خصر هذاالممدوح وعظم كاهله و منه قول مسلم بن الوليد فرعاء فى فرعها ليل على قمر || على قضيب على حقف النقا الدهس كأن قلبى وشاحاها إذاخطرت || وقلبها قلبها فى الصمت والخرس تجرى محبتها فى قلب عاشقها || مجرى السلامة فى أعضاء منتكس . فلما كان قلق الوشاح تابعا لدقة الخصر ذكره دالا به عليه . و من هذاالباب قول القائل إذاغرد المكاء فى غيرروضة || فويل لأهل الشاء والحمرات

.أومأ بـذلك إلى الجـدب لأـن المكـاء يألف الرياض فإذاأجـدبت الأرض سـقط فى غيرروضـة وغرد فالويل حينئـذ لأهل الشاء والحمر. و منه قول القائـل لعمرى لنعم الحى حى بنى كعب || إذاجعـل الخلخـال فى موضع القلب . [صـفحه ۵۸] القلب السوار يقول نعم الحى هؤلاـء إذاريع النـاس وخـافوا حتى إن المرأة لشـدة خوفهـا تلبس الخلخال مكان السوار فاختصـر الكلام اختصارا شديدا. و منه قول الأفوه الأودى إن بنى أود هم ماهم || للحرب أوللجدب عام الشموس .أشار إلى الجدب وقلة السحب والمطر أى الأيـام التى كلهـا أيام شـمس وصـحو لاغيم فيها و لامطر.فقـد ذكرنا من الكنايات والتعريضات و مايـدخل فى ذلك ويجرى مجراه من باب الإيماء والرمز قطعة صالحة وسـنذكر شيئا آخر من ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى إذامررنا فى شرح كلامه ع بما يقتضيه ويستدعيه [صفحه ۵۹]

حقيقة الكناية والتعريض والفرق بينهما

و قـد كنا وعـدنا أن نـذكر كلاما كليا فى حقيقـة الكناية والتعريض والفرق بينهما فنقول الكناية قسم من أقسام المجاز و هوإبدال لفظـة عرض فى النطق بهامانع بلفظـة لامانع عن النطق بهاكقوله ع قرارات النساء لماوجـد الناس قدتواضـعوا على اسـتهجان لفظة أرحام النساء. و أماالتعريض فقـد يكون بغير اللفظ كـدفع أسـماء بن خارجة الفص الفيروز الأزرق من يده إلى ابن معكبر الضبى ادكـارا له بقول الشـاعر كـذا كل ضبى من اللؤم أزرق .فالتعريض إذا هوالتنبيه بفعل أولفظ على معنى اقتضت الحال العـدول عن التصـريح به . و أناأحكى هاهنا كلام نصـر الله بن محمد بن الأثير الجزرى فى كتابه المسـمى بالمثل السائر فى الكناية والتعريض وأذكر ماعندى فيه قال خلط أرباب هذه الصناعة الكناية بالتعريض و لم يفصلوا بينهما فقال ابن سنان إن قول إمرئ القيس فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا || ورضت فذلت صعبة أى إذلال [صفحه ۶۰] من باب الكناية والصحيح أنه من باب التعريض . قال و قـد قال الغانمى والعسـكرى و ابن حمـدون وغيرهم نحو ذلك ومزجوا أحد القسـمين بالآخر. قال و قدحد قوم الكناية فقالوا هى اللفظ الدال على الشىء بغير الوضع الحقيقى بوصف جامع بين الكناية والمكنى عنه كاللمس والجماع فإن الجماع اسم لموضوع حقيقى واللمس كنايـة عنه وبينهما وصف جامع إذ الجماع لمس وزيادة فكان دالا عليه بالوضع المجازى. قال و هذاالحـد فاسـد لأنه يجوز أن يكون حدا للتشبيه والمشـبه فإن التشبيه هواللفظ الدال على الوضع الحقيقى الجامع بين المشـبه والمشبه به فى صفة من الأوصـاف أ لاـترى إذاقلنـا زيـد أسـد كـان ذلـك لفظا دالا على غيرالوضع الحقيقى بوصف جامع بين زيـد والأسـد و ذلك الوصف هوالشـجاعة. قـال و أماأصـحاب أصول الفقه فقالوا فى حـد الكنايـة إنها اللفظ المحتمل ومعناه أنها اللفظ ألـذى يحتمل الدلالة على المعنى و على خلافه . و هذامنقوض بالألفاظ المفردة المشتركة وبكثير من الأقوال المركبة المحتملة للشـىء وخلافه وليست بكنايـات . قـال وعنـدى أن الكنايـات لابـد أن يتجاذبها جانبا حقيقـة ومجاز ومتى أفردت جاز حملها على الجانبين معا أ لاترى أن اللمس فى قوله سبحانه أَو لامَستُمُ النّساءَ -قرآن-۱۰۶۲-۱۰۸۳ [صفحه ۶۱] يجوز حمله على الحقيقـة والمجاز و كل منهمـا يصـح بـه المعنى و لايختـل ولهـذا قـال الشـافعى إن ملامسـة المرأة تنقض الوضـوء والطهـارة. وذهـب غيره إلى أن المراد باللمس فى الآيـة الجماع و هوالكناية المجازية فكل موضع يرد فيه الكناية فسبيله هذاالسبيل و ليس التشبيه بهذه الصورة و لاغيره من أقسـام المجـاز لأـنه لاـيجوز حمله إلاـ على جانب المجاز خاصـة و لوحمل على جانب الحقيقـة لاسـتحال المعنى أ لاترى أنا إذاقلنا زيد أسد لم يصح أن يحمل إلا على الجهة المجازية وهى التشبيه بالأسد فى شـجاعته و لايجوز حمله على الجهة الحقيقية لأن زيـدا لا يكون سـبعا ذا أنياب ومخالب فقـد صار إذن حد الكناية أنها اللفظ الدال على معنى يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز. قال والدليل على ذلك أن الكناية فى أصل الوضع أن تتكلم بشىء وتريد غيره يقال

كنيت بكـذا عن كـذا فهى تـدل على مـاتكلمت به و على مـاأردته من غيره فلاـيخلو إمـا أن يكون فى لفـظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقـة أو فى لفـظ تجـاذبه جانبـا مجـاز ومجـاز أو فى لفظ لايتجاذبه أمر و ليس لنا قسم رابع . والثانى باطل لأن ذاك هواللفظ المشترك فإن أطلق من غيرقرينة مخصصة كان مبهما غيرمفهوم و إن كان معه قرينة صار مخصصا لشىء بعينه والكناية أن تتكلم بشـىء وتريـد غيره و ذلـك مخـالف للفظ المشترك إذاأضـيف إليه القرينـة لأنه يختص بشـىء واحـد بعينه و لايتعـداه إلى غيره والثالث باطل أيضا لأن المجاز لابد له من حقيقة ينقل عنها لأنه فرع عليها. [صـفحه ۶۲] و ذلك اللفظ الدال على المجاز إما أن يكون للحقيقـة شـركة فى الدلالـة عليه أو لا يكون لها شـركة فى الدلالـة عليه كان اللفظ الواحـد قددل على ثلاثة أشـياء أحدها الحقيقـة والآـخران المجـازان . و هـذامخالف لأصـل الوضع لأـن أصـل الوضع أن تتكلم بشـىء و أنت تريـد غيره وهاهنـا يكون قدتكلمت بشىء و أنت تريد شيئين غيرين و إن لم يكن للحقيقة شركة فى الدلالة كان ذلك مخالفا لأصل الوضع أيضا إذ أصل الوضع أن تتكلم بشـىء و أنت تريـد غيره فيكون ألـذى تكلمت به دالا على غيره و إذاأخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شـركة فى الدلالـة لم يكن ألـذى تكلمت به و هذامحال فثبت إذن أن الكناية هى أن تتكلم بالحقيقة و أنت تريد المجاز. قال و هذامما لم يسـبقنى إليه أحد. ثم قال قديأتى من الكلام مايجوز أن يكون كناية ويجوز أن يكون اسـتعارة ويختلف ذلك باختلاف النظر إليه بمفرده والنظر إلى مابعده كقول نصـر بن سيار فى أبياته المشـهورة التى يحرض بها على بنى أمية عندخروج أبى مسلم أرى خلل الرماد وميض جمر || ويوشك أن يكون له ضـرام فإن النار بالزندين تورى || و إن الحرب أولها كلام [صـفحه ۶۳] أقول من التعجب ليت شـعرى || أأيقـاظ أميـة أم نيـام .فالبيت الأول لوورد بمفرده لكان كنايـة لأنه لايجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز فإذانظرنا إلى الأبيات بجملتها كان البيت الأول المذكور اسـتعارة لاكناية. ثم أخذ فى الفرق بين الكناية والتعريض فقال التعريض هواللفظ الدال على الشىء من طريق المفهوم لابالوضع الحقيقى و لابالمجازى فإنك إذا قلت لمن تتوقع معروفه وصلته بغير طلب أنامحتـاج و لاـ شـىء فى يـدى و أناعريـان والبرد قـدآذانى فـإن هـذا وأشـباهه تعريض بالطلب و ليس اللفظ موضوعا للطلب لاحقيقـة و لامجازا وإنما يـدل عليه من طريق المفهوم بخلاف قوله أَو لامَستُمُ النّساءَ و على هـذاورد تفسـير التعريض فى خطبـة النكاح كقولك للمرأة أنت جميلـة أوإنك خلية و أناعزب فإن هذا وشـبهه لايدل على طلب النكاح بالحقيقة و لابالمجاز والتعريض أخفى من الكناية لأن دلالة الكناية وضـعية من جهة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم المركب وليست وضعية وإنما يسـمى التعريض تعريضا لأن المعنى فيه يفهم من عرض اللفظ المفهوم أى من جانبه . -قرآن-۵۲۳-۵۴۴ [صفحه ۶۴] قال واعلم أن الكناية تشتمل على اللفظ المفرد واللفظ المركب فتأتى على هذامرة و على هذاأخرى و أماالتعريض فإنه يختص باللفظ المركب و لايـأتى فى اللفـظ المفرد البتـة لأـنه لاـيفهم المعنى فيه من جهـة الحقيقـة و لاـ من جهـة المجـاز بـل من جهـة التلويح والإشارة و هـذاأمر لايسـتقل به اللفظ المفرد ويحتاج فى الدلالـة عليه إلى اللفظ المركب . قال فقـد ظهر فيما قلنا فى البيت ألذى ذكره ابن سـنان مثـال الكنايـة ومثـال التعريض هوبيت إمرئ القيس لأن غرض الشاعر منه أن يـذكر الجماع إلا أنه لم يـذكره بل ذكر كلاما آخر ففهم الجماع من عرضه لأن المصير إلى الحسـنى ورقـة الكلام لايدلان على الجماع لاحقيقة و لامجازا. ثم ذكر أن من باب الكنايـة قوله سـبحانه أَنزَلَ مِنَ السّـماءِ ماءً فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحتَمَلَ السّـيلُ زَبَداً رابِياً وَ مِمّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ فِى النّارِ ...الآية قال كنى بالماء عن العلم وبالأودية عن القلوب وبالزبد عن الضـلال . قال و قدتحقق مااخترعناه وقدرناه من هذه الآية لأنه يجوز حملها على جانب الحقيقـة كمايجوز حملها على جانب المجاز. قال و قدأخطأ الفراء حيث زعم أن قوله سـبحانه و تعالى وَ إِن كـانَ مَكرُهُم لِتَزُولَ مِنهُ الجِبالُكنايـة عن أمر النبى ص و أنه كنى عنه بالجبـال قـال ووجه الخطـأ أنه لايجوز أن يتجاذب اللفظ هاهنا جانبا الحقيقة والمجاز لأن مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال الحقيقية فالآية إذا من باب المجاز لا من باب الكناية. -قرآن-۶۵۷-۷۹۰-قرآن-۱۰۳۷-۱۰۸۱ [صـفحه ۶۵] قـال و من الكنايـات المستحسـنة قوله ع للحـادى بالنساء ياأنجشـة رفقا بالقوارير -

روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۵۱ . وقول امرأة لرجل قعد منها مقعد القابلة لایحل لک أن تفض الخاتم إلابحقه . وقول بدیل بن ورقاء الخزاعی لرسول الله ص إن قریشا قدنزلت علی ماء الحدیبیة معها العوذ المطافیل وإنهم صادوک عن البیت . قال فهذه کنایة عن النساء والصبیان لأن العوذ المطافیل الإبل الحدیثات النتاج ومعها أولادها. و من الکنایة ماورد فی شهادة الزنا أن یشهد علیه برؤیة المیل فی المکحلة. ومنها قول عمر لرسول الله ص هلکت یا رسول الله قال و ماأهلکک قال حولت رحلی البارحة - روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۹۵ قال أشار بذلک إلی الإتیان فی غیرالمأتی. ومنها قول ابن سلام لمن رأی علیه ثوبا معصفرا لو أن ثوبک فی تنور أهلک لکان خیرا لک . قال و من الکنایات المستقبحة قول الرضی یرثی امرأة إن لم تکن نصلا فغمد نصول لأن الوهم یسبق فی هذاالموضع إلی مایقبح وإنما سرقه من قول الفرزدق فی امرأته و قدماتت بجمع وجفن سلاح قدرزئت فلم أنح || علیه و لم أبعث علیه البواکیا [صفحه ۶۶] و فی جوفه من دارم ذو حفیظة || لو أن المنایا أخطأته لیالیا فأخذه الرضی فأفسده و لم یحسن تصریفه . قال فأما أمثلة التعریض فکثیرة منها قوله تعالی فَقالَ المَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِن قَومِهِ ما نَراکَ إِلّا بَشَراً مِثلَنا وَ ما نَراکَ اتَّبَعَکَ إِلّا الَّذِینَ هُم أَراذِلُنا بادِیَ الرَّأیِ وَ ما نَری لَکُم عَلَینا مِن فَضلٍ بَل نَظُنُّکُم کاذِبِینَفقوله ما نَراکَ إِلّا بَشَراً مِثلَناتعریض بأنهم أحق بالنبوة و أن الله تعالی لوأراد أن یجعلها فی واحد من البشر لجعلها فیهم فقالوا هب إنک واحد من الملأ وموازیهم فی المنزلة فما جعلک أحق بالنبوة منهم أ لاتری إلی قوله وَ ما نَری لَکُم عَلَینا مِن فَضلٍ. هذه خلاصة ماذکره ابن الأثیر فی هذاالباب . واعلم أنا قدتکلمنا علیه فی کثیر من هذاالموضع فی کتابنا ألذی أفردناه للنقض علیه و هوالکتاب المسمی بالفلک الدائر علی المثل السائر فقلنا أولا أنه اختار حد الکنایة وشرع یبرهن علی التحدید والحدود لایبرهن علیها و لاهی من باب الدعاوی التی تحتاج إلی الأدلة لأن من وضع لفظ الکنایة لمفهوم مخصوص لایحتاج إلی دلیل کمن وضع لفظ الجدار للحائط لایحتاج إلی دلیل . ثم یقال له لم قلت إنه لابد من أن یتردد لفظ الکنایة بین محملی حقیقة ومجاز و لم لایتردد بین مجازین و مااستدللت به علی ذلک لامعنی له .... أماأولا فلأنک أردت أن تقول إما أن تکون للفظة الدالة علی المجازین شرکة فی الدلالة علی الحقیقة أو لا یکون لها فی الدلالة علی الحقیقة شرکة لأن کلامک هکذا یقتضی و لاینتظم إلا إذا قلت هکذا فلم تقله و قلت إما أن یکون للحقیقة شرکة فی -قرآن-۹۱-۲۹۶-قرآن-۳۰۳-۳۳۳-قرآن-۵۲۶-۵۵۹ [صفحه ۶۷] اللفظ الدال علی المجازین و هذاقلب للکلام الصحیح وعکس له . و أماثانیا فلم قلت إنه لا یکون للفظة الدالة علی المجازین شرکة فی الدلالة علی الحقیقة التی هی أصل لهما فأما قولک هذافیقتضی أن یکون الإنسان متکلما بشیء و هویرید شیئین غیره وأصل الوضع أن یتکلم بشیء و هویرید غیره فلیس معنی قولهم الکنایة أن تتکلم بشیء و أنت ترید غیره أنک ترید شیئا واحدا غیره کلا- لیس هذا هوالمقصود بل المقصود أن تتکلم بشیء و أنت ترید ما هومغایر له و إن أردت شیئا واحدا أوشیئین أوثلاثة أشیاء أو مازاد فقد أردت ما هومغایر له لأن کل مغایر لمادل علیه ظاهر لفظک فلیس فی لفظه غیر مایقتضی الوحدة والإفراد. و أماثالثا فلم لایجوز أن یکون للفظ الدال علی المجازین شرکة فی الدلالة علی الحقیقة أصلا بل یدل علی المجازین فقط فأما قولک إذاخرجت الحقیقة عن أن یکون لها فی ذلک شرکة لم یکن ألذی تکلمت به دالا- علی ماتکلمت به و هومحال ومرادک بهذا الکلام المقلوب أنه إذاخرجت اللفظة عن أن یکون لها شرکة فی الدلالة علی الحقیقة التی هی موضوعة لها فی الأصل لم یکن ماتکلم به الإنسان دالا علی ماتکلم به و هوحقیقة و لادالا أیضا علی ماتکلم به و هومجاز لأنه إذا لم یدل علی الحقیقة وهی الأصل لم یجز أن یدل علی المجاز ألذی هوالفرع لأن انتفاء الدلالة علی الأصل یوجب انتفاء الدلالة علی الفرع وهکذا یجب أن یتأول استدلاله و إلا- لم یکن له معنی محصل لأن اللفظ هوالدال علی مفهوماته و لیس المفهوم دالا- علی اللفظ و لا له شرکة فی الدلالة علیه و لا علی مفهوم آخر یعترض اللفظ بتقدیر انتقال اللفظ أللهم إلا أن یکون دلالة عقلیة وکلامنا فی الألفاظ ودلالتها. [صفحه ۶۸] فإذاأصلحنا کلامه علی ماینبغی قلنا له فی الاعتراض علیه لم قلت إنه إذاخرج اللفظ عن أن یکون له شرکة فی

الدلالـة على الحقيقـة لم يكن مـاتكلم به الإنسان دالا على ماتكلم به و لم لايجوز أن يكون للحقيقـة مجازان قـدكثر اسـتعمالهما حتى نسيت تلك الحقيقـة فإذاتكلم الإنسان بـذلك اللفظ كان دالا به على أحـد ذينك المجازين و لا يكون له تعرض مابتلك الحقيقـة فلا يكون ألـذى تكلم به غيردال على ماتكلم به لأن حقيقـة تلك اللفظـة قـدصارت ملغاة منسـية فلا يكون عدم إرادتها موجبا أن يكون اللفظ ألذى يتكلم به المتكلم غيردال على ماتكلم به لأنها قدخرجت بترك الاستعمال عن أن تكون هى ماتكلم به المتكلم . ثم يقـال إنـك منعت أن يكون قولنـا زيـد أسـد كنايـة و قلت لأـنه لايجوز أن يحمل أحـد هـذااللفظ على أن زيـدا هوالسـبع ذو الأنياب والمخالب ومنعت من قول الفراء إن الجبال فى قوله لِتَزُولَ مِنهُ الجِبالُكناية عن دعوة محمدص وشـريعته لأن أحـدا لايعتقـد و لايتصور أن مكر البشـر يزيل الجبال الحقيقية عن أماكنها ومنعت من قول من قال إن قول الشاعر -قرآن-۷۹۴-۸۱۷ و لوسـكتوا أثنت عليك الحقائب من باب الكنايـة لأن أحـدا لايتصور أن الحقائب وهى جمادات تثنى وتشـكر. و قلت لابد أن يصـح حمـل لفـظ الكنايـة على محملى الحقيقـة والمجـاز ثـم قلت إن [صـفحه ۶۹] قـول عبـد الله بن سـلام لصـاحب الثوب المعصـفر لوأنـك جعلت ثوبك فى تنور أهلك كنايـة وقول الرضـى فى امرأة ماتت إن لم تكن نصـلا فغمـد نصول كنايـة و إن كانت مستقبحة وقول النبى ص ياأنجشـة رفقا بالقوارير -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۴۳ و هويحـدو بالنساء كناية فهل يجيز عاقل قط أويتصور فى الأذهان أن تكون المرأة غمدا للسيف وهل يحمل أحد قط قوله للحادى رفقا بالقوارير على أنه يمكن أن يكون نهـاه عن العنف بالزجـاج أويحمـل أحـد قـط قول ابن سـلام على أنه أراد إحراق الثوب بالنـار أويحمـل قط أحـد قوله الميل فى المكحلة على حقيقتهـا أويحمـل قـط أحـد قوله لايحـل لك فض الخاتم على حقيقته وهل يشك عاقل قط فى أن هـذه الألفاظ ليست دائرة بين المحملين دوران اللمس والجماع والمصافحـة و هـذه مناقضة ظاهرة و لاجواب عنها إلاباإخراج هذه المواضع من باب الكنايـة أوبحـذف ذلك الشـرط ألذى اشترطته فى حد الكناية.فأما ماذكره حكاية عن غيره فى حد الكناية بأنها اللفظ الدال على الشـىء بغير الوضع الحقيقى بوصف جـامع بين الكنايـة والمكنى عنه و قوله هذاالحـد هوحـد التشبيه فلايجوز أن يكون حد الكناية.فلقائل أن يقول إذاقلنا زيد أسد كان ذلك لفظا دالا على غيرالوضع الحقيقى و ذلك المدلول هوبعينه الوصف المشترك بين المشـبه والمشـبه به أ لاترى أن المدلول هوالشـجاعة وهى المشترك بين زيد والأسد وأصحاب الحد قالوا فى حدهم الكناية هى اللفظ الدال على الشـىء بغير الوضع الحقيقى باعتبار وصف جامع بينهما فجعلوا المدلول أمرا [صـفحه ۷۰] والوصف الجامع أمرا آخر باعتباره وقت الدلالة أ لاترى أن لفظلامَسـتُمُيدل على الجماع ألذى لم يوضع لفظلامَسـتُمُ له وإنما يدل عليه باعتبار أمر آخر هوكون الملامسـة مقدمـة الجماع ومفضـية إليه فقد تغاير إذن حد التشبيه وحد الكناية و لم يكن أحدهما هوالآخر.فأما قوله إن الكنايـة قـدتكون بـالمفردات والتعريض لاـ يكون بـالمفردات فـدعوى و ذلك أن اللفظ المفرد لاينتظم منه فائـدة وإنما تفيد الجملة المركبة من مبتدأ وخبر أو من فعل وفاعل والكناية والتعريض فى هذاالباب سواء وأقل مايمكن أن يقيد فى الكناية قولك لامست هنـدا وكـذلك أقل مايمكن أن يفيد فى التعريض أناعزب كما قدذكره هو فى أمثلة التعريض فإن قال أردت أنه قديقال اللمس يصـلح أن يكنى به عن الجماع واللمس لفظ مفرد قيل له و قديقال التعزب يصلح أن يعرض به فى طلب النكاح .فأما قوله إن بيت نصر بن سيار إذانظر إليه لمفرده صـلح أن يكون كناية وإنما يخرجه عن كونه كناية ضم الأبيات التى بعده إليه ويدخله فى بـاب الاسـتعارة فلزم عليه أن يخرج قول عمر حولت رحلى عن بـاب الكنايـة بمـا انضم إليه من قوله هلكت -قرآن-۶۵-۷۳-قرآن-۱۰۹-۱۱۷ وبما أجابه رسول الله ص من قوله أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۷۲ وبقرينة الحال و كان يجب إلاتـذكر هـذه اللفظة فى أمثلة الكنايات .فأما بيت إمرئ القيس فلاوجه لإسـقاطه من باب الكناية وإدخاله فى باب [صفحه ۷۱] التعريض إلافيما اعتمـد عليه من أن من شـرط الكنايـة أن يتجاذبها جانبا حقيقـة ومجاز و قدبينا بطلان اشتراط ذلك فبطـل مايتفرع عليه . و أماقول بـديل بن ورقاء معها العوذ المطافيل فإنه ليس بكنايـة عن النساء والأولاد كمازعم بل أراد به الإبل

ونتاجها فإن كتب السير كلها متفقة على أن قريشا لم يخرج معها فى سنة الحديبية نساؤها وأولادها و لم يحارب رسول الله ص قوما أحضروا معهم نساءهم وأولادهم إلاهوازن يوم حنين و إذا لم يكن لهذا الوجه حقيقة و لاوجود فقد بطل حمل اللفظ عليه .فأما مازرى به على الرضى رحمه الله تعالى من قوله إن لم تكن نصلا فغمد نصول و قوله هذامما يسبق الوهم فيه إلى مايستقبح واستحسانه شعر الفرزدق و قوله إن الرضى أخذه منه فأساء الأخذ فالوهم ألذى يسبق إلى بيت الرضى يسبق مثله إلى بيت الفرزدق لأنه قدجعل هذه المرأة جفن السلاح فإن كان الوهم يسبق هناك إلى قبيح فهاهنا أيضا يسبق إلى مثله . و أماالآية التى مثل بها على التعريض فإنه قال إن قوله تعالى ما نَراكَ إِلّا بَشَراً مِثلَناتعريض بأنهم أحق بالنبوة منه و لم يبين ذلك وإنما قال فحوى الكلام أنهم قالوا له هب إنك واحد من الملإ وموازيهم فى المنزلة فما جعلك أحق بالنبوة منهم أ لاترى إلى قوله وَ ما نَرى لَكُم عَلَينا مِن فَضلٍ و هذاالكلام لايقتضىماادعاه أولا من التعريض لأنه ادعى أن قوله ما نَراكَ إِلّا بَشَراً مِثلَناتعريض بأنهم أحق بالنبوة منه و ماقرره به يقتضى مساواته لهم و لايقتضى كونهم أحق بالنبوة منه فبطل دعوى الأحقية التى زعم أن التعريض إنما كان بها. -قرآن-٣٤٩-٣٧٩-قرآن-٥٥٩-٥٩٢-قرآن-٦٦٣-٦٩٣ [صفحه ٧٢] فأما قوله تعالى أَنزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً فَسالَت أَودِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحتَمَلَ السّيلُ زَبَداً و قوله إن هذا من باب الكناية وإنه تعالى كنى به عن العلم والضلال وقلوب البشر فبعيد والحكيم سبحانه لايجوز أن يخاطب قوما بلغتهم فيعمى عليهم و أن يصطلح هونفسه على ألفاظ لايفهمون المراد بها وإنما يعلمها هووحده أ لاترى أنه لايجوز أن يحمل قوله تعالى وَ لَقَد زَيّنّا السّماءَ الدّنيا بِمَصابِيحَ وَ جَعَلناها رُجُوماً لِلشّياطِينِ على أنه أراد أنازينا رءوس البشر بالحواس الباطنة والظاهرة المجعولة فيها وجعلناها بالقوى الفكرية والخيالية المركبة فى الدماغ راجمة وطاردة للشبه المضلة و إن من حمل كلام الحكيم سبحانه على ذلك فقد نسبه إلى الإلغاز والتعمية و ذلك يقدح فى حكمته تعالى والمراد بالآية المقدم ذكرها ظاهرها والمتكلف لحملها على غيرها سخيف العقل ويؤكد ذلك قوله تعالى وَ مِمّا يُوقِدُونَ عَلَيهِ فِي النّارِ ابتِغاءَ حِليَةٍ أَو مَتاعٍ زَبَدٌ مِثلُهُ أفترى الحكيم سبحانه يقول إن للذهب والفضة زبدا مثل الجهل والضلال ويبين ذلك قوله كَذلِكَ يَضرِبُ اللّهُ الأَمثالَفضرب سبحانه الماء ألذى يبقى فى الأرض فينتفع به الناس والزبد ألذى يعلو فوق الماء فيذهب جفاء مثلا للحق والباطل كماصرح به سبحانه فقال كَذلِكَ يَضرِبُ اللّهُ الحَقّ وَ الباطِلَ و لوكانت هذه الآية من باب الكنايات و قدكنى سبحانه بالأودية عن القلوب وبالماء ألذى أنزله من السماء عن العلم وبالزبد عن الضلال لماجعل تعالى هذه الألفاظ أمثالا فإن الكناية خارجة عن باب المثل ولهذا لاتقول إن قوله تعالى أَو لامَستُمُ النّساءَ من باب المثل ولهذا أفرد هذا الرجل فى كتابه بابا آخر غير باب الكناية سماه باب المثل وجعلهما قسمين متغايرين فى علم البيان والأمر فى هذا -قرآن-١٨-٩٩-قرآن-٣٦٧-٤٤٦-قرآن-٨٠٧-٨٨٨-قرآن-٩٧٩-١٠١٠-قرآن-١١٥٥-١١٩٥-قرآن-١٤٢٨-١٤٤٩ [صفحه ٧٣] الموضع واضح ولكن هذا الرجل كان يحب هذه الترهات ويذهب وقته فيها و قداستقصينا فى مناقضته والرد عليه فى كتابنا ألذى أشرنا إليه .فأما قوله ع كلما نجم منهم قرن قطع فاستعارة حسنة يريد كلما ظهر منهم قوم استؤصلوا فعبر عن ذلك بلفظة قرن كمايقطع قرن الشاة إذانجم و قدصح إخباره ع عنهم أنهم لم يهلكوا بأجمعهم فى وقعة النهروان وأنها دعوة سيدعو إليها قوم لم يخلقوا بعد وهكذا وقع وصح إخباره ع أيضا أنه سيكون آخرهم لصوصا سلابين فإن دعوة الخوارج اضمحلت ورجالها فنيت حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطاع طريق متظاهرين بالفسوق والفساد فى الأرض

مقتل الوليد بن طريف الخارجى ورثاء أخته له

فممن انتهى أمره منهم إلى ذلك الوليد بن طريف الشيبانى فى أيام الرشيد بن المهدى فأشخص إليه يزيد بن مزيد الشيبانى فقتله

وحمل رأسه إلى الرشيد وقالت أخته ترثيه وتذكر أنه كان من أهل التقى والدين على قاعدة شعراء الخوارج و لم يكن الوليد كمازعمت أيا شجر الخابور ما لك مورقا || كأنك لم تجزع على ابن طريف فتى لايحب الزاد إلا من التقى || و لاالمال إلا من قنا وسيوف [صفحه ۷۴] و لاالذخر إلا كل جرداء شطبة || و كل رقيق الشفرتين خفيف فقدناك فقدان الربيع وليتنا || فديناك من ساداتنا بألوف . و قال مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن مزيد ويذكر قتله الوليد والمارق ابن طريف قددلفت له || بعارض للمنايا مسبل هطل لو أن شيئا بكى مما أطاف به || فاز الوليد بقدح الناضل الخصل ما كان جمعهم لمالقيتهم || إلاكرجل جراد ريع منجفل فاسلم يزيد فما فى الملك من أود || إذاسلمت و لا فى الدين من خلل

خروج ابن عمرو الخثعمى وأمره مع محمد بن يوسف الطائى

ثم خرج فى أيام المتوكل ابن عمرو الخثعمى بالجزيرة فقطع الطريق وأخاف السبيل وتسمى بالخلافة فحاربه أبوسعيد محمد بن يوسف الطائى الثغرى الصامتى فقتل كثيرا من أصحابه وأسر كثيرا منهم ونجا بنفسه هاربا فمدحه أبوعبادة البحترى وذكر ذلك فقال كنا نكفر من أمية عصبة || طلبوا الخلافة فجرة وفسوقا ونلوم طلحة والزبير كليهما || ونعنف الصديق والفاروقا ونقول تيم أقربت وعديها || أمرا بعيدا حيث كان سحيقا وهم قريش الأبطحون إذاانتموا || طابوا أصولا فى العلا وعروقا [صفحه ۷۵] حتى غدت جشم بن بكر تبتغى || إرث النبى وتدعيه حقوقا جاءوا براعيهم ليتخذوا به || عمدا إلى قطع الطريق طريقا عقدوا عمامته برأس قناته || ورأوه برا فاستحال عقوقا وأقام ينفذ فى الجزيرة حكمه || ويظن وعد الكاذبين صدوقا حتى إذا ماالحية الذكر انكفى || من أرزن حربا يمج حريقا غضبان يلقى الشمس منه بهامة || يعشى العيون تألقا وبروقا أوفى عليه فظل من دهش || يظن البر بحرا والفضاء مضيقا غدرت أمانيه به وتمزقت || عنه غيابة سكره تمزيقا طلعت جيادك من ربا الجودى قد || حملن من دفع المنون وسوقا فدعا فريقا من سيوفك حتفهم || وشددت فى عقد الحديد فريقا ومضى ابن عمرو قدأساء بعمره || ظنا ينزق مهره تنزيقا فاجتاز دجلة خائضا وكأنها || قعب على باب الكحيل أريقا لوخاضها عمليق أوعوج إذا || ماجوزت عوجا و لاعمليقا لو لااضطراب الخوف فى أحشائه || رسب العباب به فمات غريقا لونفسته الخيل لفتة ناظر || ملأ البلاد زلازلا وفتوقا لثنى صدور الخيل تكشف كربة || ولوى رماح الخط تفرج ضيقا ولبكرت بكر وراحت تغلب || فى نصر دعوته إليه طروقا حتى يعود الذئب ليثا ضيغما || والغصن ساقا والقرارة نيقا [صفحه ۷۶] هيهات مارس فليقا متيقظا || قلقا إذاسكن البليد رشيقا مستسلفا جعل الغبوق صبوحه || ومرى صبوح غد فكان غبوقا . و هذه القصيدة من ناصع شعر البحترى ومختاره

ذكر جماعة ممن كان يرى رأى الخوارج

و قدخرج بعدهذين جماعة من الخوارج بأعمال كرمان وجماعة أخرى من أهل عمان لانباهة لهم و قدذكرهم أبوإسحاق الصابى فى الكتاب التاجى وكلهم بمعزل عن طرائق سلفهم وإنما وكدهم وقصدهم إخافة السبيل والفساد فى الأرض واكتساب الأموال من غيرحلها و لاحاجة لنا إلى الإطالة بذكرهم و من المشهورين برأى الخوارج الذين تم بهم صدق قول أمير المؤمنين ع إنهم نطف فى أصلاب الرجال وقرارات النساء عكرمة مولى ابن عباس ومالك بن أنس الأصبحى الفقيه يروى عنه أنه كان يذكر عليا ع وعثمان وطلحة والزبير فيقول و الله مااقتتلوا إلا على الثريد الأعفر. ومنهم المنذر بن الجارود العبدى ومنهم يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج . وروى أن الحجاج أتى بامرأة من الخوارج وبحضرته مولاه يزيد بن أبى مسلم و كان يستسر برأى

الخوارج فكلم الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد الأمير ويلك يكلمك فقالت بل الويل لك أيها الفاسق الردىء والردىء عندالخوارج هو ألذى يعلم الحق من قولهم ويكتمه . ومنهم صالح بن عبدالرحمن صاحب ديوان العراق . وممن ينسب إلى هذاالرأى من السلف جابر بن زيد وعمرو بن دينار ومجاهد. وممن ينسب إليه بعد هذه الطبقة أبوعبيدة معمر بن المثنى التيمى يقال إنه كان يرى رأى الصفرية. [صفحه ۷۷] ومنهم اليمان بن رباب و كان على رأى البيهسية و عبد الله بن يزيد و محمد بن حرب ويحيى بن كامل وهؤلاء إباضية. و قدنسب إلى هذاالمذهب أيضا من قبل أبوهارون العبدى و أبوالشعثاء وإسماعيل بن سميع وهبيرة بن بريم . وزعم ابن قتيبة أن ابن هبيرة كان من غلاة الشيعة. ونسب أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد إلى رأى الخوارج لإطنابه فى كتاب المعروف ب الكامل فى ذكرهم وظهور الميل منه إليهم [صفحه ۷۸]

۶۰- و قال ع فى الخوارج

اشاره

لَا تُقَاتِلُوا الخَوَارِجَ بعَدِي فَلَيسَ مَن طَلَبَ الحَقّ فَأَخطَأَهُ كَمَن طَلَبَ البَاطِلَ فَأَدرَكَهُ قال الرضى رحمه الله يعنى معاوية وأصحابه - روايت-۱-۴۶ مراده أن الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم وكانوا يطلبون الحق ولهم فى الجملة تمسك بالدين ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها و إن أخطئوا فيها و أمامعاوية فلم يكن يطلب الحق وإنما كان ذا باطل لايحامى عن اعتقاد قدبناه على شبهة وأحواله كانت تدل على ذلك فإنه لم يكن من أرباب الدين و لاظهر عنه نسك و لاصلاح حال و كان مترفا يذهب مال الفىء فى مآربه وتمهيد ملكه ويصانع به عن سلطانه وكانت أحواله كلها مؤذنة بانسلاخه عن العدالة وإصراره على الباطل و إذا كان كذلك لم يجز أن ينصر المسلمون سلطانه وتحارب الخوارج عليه و إن كانوا أهل ضلال لأنهم أحسن حالا منه فإنهم كانوا ينهون عن المنكر ويرون الخروج على أئمة الجور واجبا. و عندأصحابنا أن الخروج على أئمة الجور واجب و عندأصحابنا أيضا أن الفاسق المتغلب [صفحه ۷۹] بغير شبهة يعتمد عليها لايجوز أن ينصر على من يخرج عليه ممن ينتمى إلى الدين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بل يجب أن ينصر الخارجون عليه و إن كانوا ضالين فى عقيدة اعتقدوها بشبهة دينية دخلت عليهم لأنهم أعدل منه وأقرب إلى الحق و لاريب فى تلزم الخوارج بالدين كما لاريب فى أن معاوية لم يظهر عنه مثل ذلك [صفحه ۸۰]

عود إلى أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم

ذكر أبوالعباس المبرد فى الكتاب الكامل أن عروة بن أدية أحد بنى ربيعة بن حنظلة ويقال إنه أول من حكم حضر حرب النهروان ونجا فيهافيمن نجا فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية ثم أخذ فأتى به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبى بكر وعمر فقال خيرا فقال له فما تقول فى عثمان و فى أبى تراب فتولى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل فى أمر على ع مثل ذلك إلى أن حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لريبة وآخرك لدعوة و أنت بعدعاص ربك فأمر فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لى أموره فقال أأطنب أم أختصر قال بل اختصر قال ماأتيته بطعام فى نهار قط و لافرشت له فراشا فى ليل قط. قال وحدثت أن واصل بن عطاء أباحذيفة أقبل فى رفقة فأحسوا

بـالخوارج فقـال واصـل لأهـل الرفقـة إن هـذا ليس من شـأنكم فاعتزلوا ودعونى وإياهم و قـد كانوا قدأشـرفوا على العطب فقالوا شأنـك فخرج إليهم فقـالوا مـا أنت وأصـحابك فقـال قوم مشـركون مسـتجيرون بكم ليسـمعوا كلاـم الله ويفهموا حـدوده فقالوا قـدأجرناكم قـال فعلمونـا فجعلوا يعلمونهم أحكـامهم وواصـل يقول قـدقبلت أنا و من معى قالوا فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا فقـال ليس ذاك إليكم قـال الله و عز و جـل وَ إِن أَحَـدٌ مِنَ الْمُشـرِكِينَ اسـتَجارَکَ فَأَجِرهُ حَتّى يَسـمَعَ کَلامَ اللّهِ ثُمّ أَبلِغهُ مَأمَنَهُ – قرآن–۱۱۲۶–۱۲۲۹ [صفحه ۸۱] فأبلغونـا مأمننـا فنظر بعضـهم إلى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم المأمن . و قال أبوالعباس أتى عبدالملك بن مروان برجل من الخوارج فبحثه فرأى منه ماشاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى منه ماشاء أدبا وذهنا فرغب فيه فاستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصـرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال تغنيك الأولى عن الثانية و قـد قلت وسـمعت فاسـمع أقـل قال قل فجعل يبسط من قول الخوارج ويزين له من مـذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينـة ومعان قريبة فقال عبدالملك بعد ذلك على معرفته وفضله لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة إنما خلقت لهم وأنى أولى العباد بالجهاد منهم ثم رجعت إلى ماثبت الله على من الحجة وقرر فى قلبى من الحق فقلت له الدنيا والآخرة لله و قدسلطنا الله فى الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيبنـا إلى مـانقول و الله لأقتلنك إن لم تطع فأنا فى ذلك إذ دخل على بابنى مروان . قال أبوالعباس و كان مروان أخا يزيـد بن عبـدالملك لأمه أمهما عاتكـة بنت يزيـد بن معاوية و كان أبيا عزيز النفس فدخل به على أبيه فى هذاالوقت باكيا [صفحه ۸۲] لضـرب المؤدب إياه فشق ذلك على عبـدالملك فأقبل عليه الخارجى و قال له دعه يبك فإنه أرحب لشدقه وأصـح لـدماغه وأذهب لصوته وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذاحضـرته طاعة واسـتدعى عبرتها.فأعجب ذلك من قوله عبدالملك و قال له متعجبا أ مايشـغلك ما أنت فيه ويعرضك عن هذا فقال ماينبغى أن يشغل المؤمن عن قول الحق شىءفأمر بحبسه وصفح عن قتله و قال بعدمعتـذرا إليه لو لا أن تفسـد بألفاظك أكثر رعيتى ماحبسـتك ثم قال عبـدالملك لقد شـككنى ووهمنى حتى مالت بى عصمة الله و غيربعيد أن يستهوى من بعدى

مرداس بن حدير

قال أبوالعباس و كان من المجتهـدين من الخوارج البلجاء وهى امرأة من بنى حرام بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . و كان مرداس بن حـدير أبوبلال أحـد بنى ربيعـة بن حنظلة ناسـكا تعظمه الخوارج و كان كثير الصواب فى لفظه مجتهدا فلقيه غيلان بن خرشـة الضبى فقال يا أبابلال إنى سـمعت الأمير البارحـة يعنى عبيـد الله بن زياد يـذكر البلجاء وأحسـبها سـتؤخذ فمضـى إليها أبوبلال فقال إن الله قدوسع على المؤمنين فى التقية فاستترى فإن هذا [صفحه ۸۳] المسرف على نفسه الجبار العنيد قدذكرك قالت إن يأخذنى فهو أشقى به فأما أنافما أحب أن يعنت إنسان بسببى فوجه إليها عبيد الله بن زياد فأتى بهافقطع يديها ورجليهـا ورمى بهـا فى السوق فمر بهـا أبوبلال و الناس مجتمعون فقال ما هـذاقالوا البلجاء فعرج إليها فنظر ثم عض على لحيته و قال لنفسه لهذه أطيب نفسا من بقية الدنيا منك يامرداس . قال ثم إن عبيد الله أخذ مرداسا فحبسه فرأى صاحب السـجن منه شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له إنى أرى لك مذهبا حسـنا وإنى لأحب أن أوليك معروفا أفرأيتك إن تركتك تنصرف ليلا إلى بيتـك أتدلـج إلى قـال نعم فكـان يفعـل ذلـك به . ولـج عبيـد الله فى حبس الخوارج وقتلهم وكلم فى بعضـهم فأبى و قال أقمع النفـاق قبـل أن ينجم لكلاـم هؤلاـء أسـرع إلى القلوب من النـار إلى اليراع . فلمـا كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من الشـرطة فقال ابن زياد ماأدرى ماأصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله لأقتلن من فى حبسى منهم وأخرج السـجان مرداسا إلى منزله كما كان يفعل فأتى مرداسا الخبر فلما كان فى السحر تهيأ للرجوع إلى السجن فقال له أهله اتق الله فى

نفسک فإنک إذارجعت قتلت فأبی و قال و الله ماکنت لألقی الله غادرا فرجع إلی السجان فقال إنی قدعلمت ماعزم علیه صاحبک قال أعلمت ثم جئت . [صفحه ۸۴] قال أبوالعباس ویروی أن مرداسا مر بأعرابی یهنأ بعیرا له فهرج البعیر فسقط مرداس مغشیا علیه فظن الأعرابی أنه صرع فقرأ فی أذنه فلما أفاق قال له الأعرابی إنی قرأت فی أذنک فقال مرداس لیس بی ماخفته علی ولکنی رأیت بعیرا هرج من القطران فذکرت به قطران جهنم فأصابنی مارأیت فقال الأعرابی لاجرم و الله لاأفارقک أبدا. قال أبوالعباس و کان مرداس قدشهد مع علی ع صفین ثم أنکر التحکیم وشهد النهروان ونجا فیمن نجا ثم حبسه ابن زیاد کماذکرناه وخرج من حبسه فرأی جد ابن زیاد فی طلب الشراۀ فعزم علی الخروج فقال لأصحابه إنه و الله مایسعنا المقام مع هؤلاء الظالمین تجری علینا أحکامهم مجانبین للعدل مفارقین للقصد و الله إن الصبر علی هذاالعظیم و إن تجرید السیف وإخافۀ الناس لعظیم ولکنا ننتبذ عنهم و لانجرد سیفا و لانقاتل إلا من قاتلنا فاجتمع إلیه أصحابه زهاء ثلاثین رجلا منهم حریث بن حجل وکهمس بن طلق الصریمی وأرادوا أن یولوا أمرهم حریثا فأبی فولوا أمرهم مرداسا فلما مضی بأصحابه لقیه عبد الله بن رباح الأنصاری و کان له صدیقا فقال یاأخی أین ترید قال أرید أن أهرب بدینی ودین أصحابی من أحکام هؤلاء الجورۀ فقال أعلم بکم أحد قال لا قال فارجع قال أ وتخاف علی نکرا قال نعم و أن یؤتی بک قال لاتخف فإنی لاأجرد سیفا و لاأخیف أحدا و لاأقاتل إلا من قاتلنی. ثم مضی حتی نزل آسک وهی ما بین رامهرمز وأرجان فمر به مال یحمل إلی ابن [صفحه ۸۵] زیاد و قدقارب أصحابه الأربعین فحط ذلک المال وأخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ورد الباقی علی الرسل و قال قولوا لصاحبکم إنا قبضنا أعطیاتنا فقال بعض أصحابه علام ندع الباقی فقال إنهم یقیمون هذاالفیء کمایقیمون الصلاۀ فلانقاتلهم علی الصلاۀ. قال أبوالعباس ولأبی بلال مرداس فی الخروج أشعار اخترت منها قوله أ بعد ابن وهب ذی النزاهۀ والتقی || و من خاض فی تلک الحروب المهالکا أحب بقاء أوأرجی سلامۀ || و قدقتلوا زید بن حصن ومالکا فیا رب سلم نیتی وبصیرتی || وهب لی التقی حتی ألاقی أولئکا . قال أبوالعباس ثم إن عبید الله بن زیاد ندب جیشا إلی خراسان فحکی بعض من کان فی ذلک الجیش قال مررنا بآسک فإذانحن بهم ستۀ وثلاثین رجلا فصاح بنا أبوبلال أقاصدون لقتالنا أنتم قال وکنت أنا وأخی قددخلنا زربا فوقف أخی ببابه فقال السلام علیکم فقال مرداس وعلیکم السلام ثم قال لأخی أجئتم لقتالنا قال لاإنما نرید خراسان قال فأبلغوا من لقیتم أنا لم نخرج لنفسد فی الأرض و لالنروع أحدا ولکن هربا من الظلم ولسنا نقاتل إلا من یقاتلنا و لانأخذ من الفیء إلاأعطیاتنا ثم قال أندب لنا أحد قلنا نعم أسلم بن زرعۀ الکلابی قال فمتی ترونه یصل إلینا قلنا یوم کذا وکذا فقال أبوبلال حسبنا الله ونعم الوکیل . قال أبوالعباس وجهز عبید الله بن زیاد أسلم بن زرعۀ فی أسرع مدۀ ووجهه إلیهم [صفحه ۸۶] فی ألفین و قدتتام أصحاب مرداس أربعین رجلا فلما صار أسلم إلیهم صاح به أبوبلال اتق الله یاأسلم فإنا لانرید فسادا فی الأرض و لانحتجر فیئا فما ألذی ترید قال أرید أن أردکم إلی ابن زیاد قال إذن یقتلنا قال و إن قتلکم قال تشرک فی دمائنا قال إنی أدین بأنه محق وأنتم مبطلون فصاح به حریث بن حجل أ هومحق و هویطیع الفجرۀ و هوأحدهم ویقتل بالظنۀ ویخص بالفیء ویجور فی الحکم أ ماعلمت أنه قتل بابن سعاد أربعۀ برآء و أناأحد قتلته و قدوضعت فی بطنه دراهم کانت معه . ثم حملوا علی أسلم حملۀ رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غیرقتال وکاد یأسره معبد أحد الخوارج فلما عاد إلی ابن زیاد غضب علیه غضبا شدیدا و قال ویلک أتمضی فی ألفین فتهزم بهم من حملۀ أربعین فکان أسلم یقول لأن یذمنی ابن زیاد و أناحی أحب إلی أن یمدحنی و أناميت . و کان إذاخرج إلی السوق أومر بصبیان صاحوا به أبوبلال وراءک وربما صاحوا به یامعبد خذه حتی شکا إلی ابن زیاد فأمر الشرط أن یکفوا الناس عنه ففی ذلک یقول عیسی بن فاتک من بنی تیم اللات بن ثعلبۀ أحد الخوارج فلما أصبحوا صلوا وقاموا || إلی الجرد العتاق مسومینا فلما استجمعوا حملوا علیهم || فظل ذوو الجعائل یقتلونا بقیۀ یومهم حتی أتاهم || سواد اللیل فیه یراوغونا یقول نصیرهم لماأتاهم || فإن القوم ولوا هاربینا أألفا مؤمن فیکم زعمتم || ویهزمکم بآسک أربعونا [

صفحه ۸۷] كذبتم ليس ذاك كمازعمتم || ولكن الخوارج مؤمنونا هم الفئة القليلة غيرشك || على الفئة الكثيرة ينصرونا . قال أبوالعباس أماقول حريث بن حجل أ ماعلمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برآء و أناأحد قتلته فابن سعاد هوالمثلم بن مسروح الباهلى وسعاد اسم أمه و كان من خبره أنه ذكر لعبيد الله بن زياد رجل من سدوس يقال له خالد بن عباد أو ابن عبادة و كان من نساك الخوارج فوجه إليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثور فكذب عنه و قال هوصهرى و فى ضمنى فخلى عنه فلم يزل الرجل يتفقده حتى تغيب فأتى ابن زياد فأخبره فلم يزل يبعث إلى خالد بن عباد حتى ظفر به فأخذه فقال أين كنت فى غيبتك هذه قال كنت عندقوم يذكرون الله ويسبحونه ويذكرون أئمة الجور فيتبرءون منهم قال ادللنى عليهم قال إذن يسعدوا وتشقى و لم أكن لأروعهم قال فما تقول فى أبى بكر وعمر فقال خيرا قال فما تقول فى عثمان و فى معاوية أتتولاهما فقال إن كانا وليين لله فلست معاديهما فأراغه مرارا ليرجع عن قوله فلم يفعل فعزم على قتله فأمر بإخراجه إلى رحبة تعرف برحبة الرسى وقتله بهافجعل الشرطة يتفادون من قتله ويروغون عنه توقيا لأنه كان متقشفا عليه أثر العبادة حتى أتى المثلم بن مسروح الباهلى و كان من الشرطة فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج أن يقتلوه و كان مغرما باللقاح يتبعها فيشتريها من مظانها وهم فى تفقده فدسوا إليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه ردع [صفحه ۸۸] زعفران فلقيه بالمربد و هويسأل عن لقحة صفى فقال له الفتى إن كنت تبتغى فعندى مايغنيك عن غيره فامض معى فمضى المثلم معه على فرسه يمشى الفتى أمامه حتى أتى به بنى سعد فدخل دارا و قال له أدخل على فرسك فلما دخل وتوغل فى الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمى فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه فى بطنه ودفناه فى ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه فى الليل فأصيب فى الغد فى المربد وتجسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا بنى سدوس به فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسية يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات و قال مأدرى ماأصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكان المثلم حتى خرج مرداس وأصحابه فلما واقفهم ابن زرعة الكلابى صاح بهم حريث و قال أهاهنا من باهلة أحد قالوا نعم قال ياأعداء الله أخذتم للمثلم من بنى سدوس أربع ديات و أناقتلته وجعلت دراهم كانت معه فى بطنه و هو فى موضع كذا مدفون فلما انهزم ابن زرعة وأصحابه صاروا إلى الدار فأصابوا أشلاءه ففى ذلك يقول أبوالأسود وآليت لاأغدو إلى رب لقحة || أساومه حتى يئوب المثلم . [صفحه ۸۹] قال أبوالعباس فأما ما كان من مرداس فإن عبيد الله بن زياد ندب إليه الناس فاختار عباد بن أخضر المازنى و ليس بابن أخضر بل هوعباد بن علقمة المازنى و كان أخضر زوج أمه وغلب عليه فوجهه إلى مرداس وأصحابه فى أربعة آلاف فارس وكانت الخوارج قدتنحت من موضعها بدارابجرد من أرض فارس فصار إليهم عباد فكان التقاؤهم فى يوم جمعة فناداه أبوبلال اخرج إلى ياعباد فإنى أريد أن أحاورك فخرج إليه فقال ما ألذى تبغى قال أن آخذ بأقفيتكم فأردكم إلى الأمير عبيد الله بن زياد قال أ و غير ذلك إن نرجع فإنا لانخيف سبيلا و لانذعر مسلما و لانحارب إلا من يحاربنا و لانجبى إلا ماحمينا فقال عباد الأمر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد ضال فقال لهم أنتم أولى بالضلال منه و ما من ذاك من بد. قال وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذاقالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب بينهم فأخذت الخوارج القعقاع أسيرا فأتوا به أبابلال فقال له من أنت قال ما أنا من أعدائك إنما قدمت للحج فحملت وغررت فأطلقه فرجع إلى عباد وأصلح من شأنه وحمل على الخوارج ثانية و هو يقول أقاتلهم و ليس على بعث || نشاطا ليس هذابالنشاط أكر على الحروريين مهرى || لأحملهم على وضح الصراط .فحمل عليه حريت بن حجل السدوسى وكهمس بن طلق الصريمى فأسراه وقتلاه و لم يأتيا به أبابلال و لم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت صلاة الجمعة فناداهم أبوبلال ياقوم هذاوقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم [صفحه ۹۰] أجمعون بأسلحتهم وعمدوا للصلاة فأسرع عباد و من معه وقضوا صلاتهم والحرورية مبطئون فيهم ما بين راكع وساجد وقائم فى الصلاة وقاعد حتى

مال عليهم عباد و من معه فقتلوهم جميعا وأتى برأس أبى بلال . قال ويرى الشراة أن مرداسا أبابلال لماعقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه فقال أللهم إن كان مانحن فيه حقا فأرنا آيةً فرجف البيت . و قال آخرون فارتفع السقف . ويقال إن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لأبى العالية الرياحى يعجبه من الآية ويرغبه فى مذهب القوم فقال أبوالعالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة من الله . قال فلما فرغ عباد من الجماعة أقبل بهم فصلب رءوسهم وفيهم داود بن شبيب و كان ناسكا وفيهم حبيبة البكرى من عبدالقيس و كان مجتهدا ويروى عنه أنه قال لماعزمت على الخروج فكرت فى بناتى فقلت ذات ليلة لأمسكن عن نفقتهن حتى أنظر فلما كان فى جوف الليل استسقت بنية لى فقالت ياأبت اسقنى فلم أجبها وأعادت فقامت أخت لها فسقتها فعلمت أن الله عز و جل غيرمضيعهن فأتممت عزمى. و كان فى القوم كهمس و كان من أبر الناس بأمه فقال لها يا أمه لو لامكانك لخرجت فقالت يابنى وهبتك لله .ففى مقتلهم يقول عيسى بن فاتك الخطى ألا فى الله لا فى الناس سالت || بداود وإخوته الجذوع مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا || تحوم عليهم طير وقوع إذا ماالليل أظلم كابدوه || فيسفر عنهم وهم ركوع أطار الخوف نومهم فقاموا || و أهل الأرض فى الدنيا هجوع . [صفحه ۹۱] و قال عمران بن حطان ياعين بكى لمرداس ومصرعه || يارب مرداس اجعلنى كمرداس تركتنى هائما أبكى لمرزئه || فى منزل موحش من بعدإيناس أنكرت بعدك من قدكنت أعرفه || ما الناس بعدك يامرداس بالناس إما شربت بكأس دار أولها || على القرون فذاقوا جرعة الكأس فكل من لم يذقها شاربا عجلا || يسقى بأنفاس ورد بعدأنفاس . و قال أيضا لقد زاد الحياة إلى بغضا || وحبا للخروج أبوبلال أحاذر أن أموت على فراشى || وأرجو الموت تحت ذرا العوالى فمن يك همه الدنيا فإنى || لها و الله رب البيت قال

عمران بن حطان

و قال أبوالعباس وعمران هذاأحد بنى عمرو بن يسار بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عك بن بكر بن وائل و كان رأس القعد من الصفرية وفقيههم وخطيبهم وشاعرهم وشعره هذابخلاف شعر أبى خالد القنانى و كان من قعد الخوارج أيضا و قد كان كتب قطرى بن الفجاءة المازنى يلومه على القعود [صفحه ۹۲] أباخالد أيقن فلست بخالد || و ماجعل الرحمن عذرا لقاعد أتزعم أن الخارجى على الهدى || وأنتم مقيم بين لص وجاحد .فكتب إليه أبوخالد لقد زاد الحياة إلى حبا || بناتى إنهن من الضعاف أحاذر أن يرين الفقر بعدى || و أن يشربن رنقا بعدصاف و أن يعرين إن كسى الجوارى || فتنبو العين عن كرم عجاف و لو لاذاك قدسومت مهرى || و فى الرحمن للضعفاء كاف . و قال أبوالعباس ومما حدثنى به العباس بن أبى الفرج الرياشى عن محمد بن سلام أن عمران بن حطان لماطرده الحجاج جعل يتنقل فى القبائل و كان إذانزل بحى انتسب نسبا يقرب منهم ففى ذلك يقول نزلنا فى بنى سعد بن زيد || و فى عك وعامر عوبثان و فى لخم و فى أدد بن عمرو || و فى بكر وحى بنى الغدان . ثم خرج حتى لقى روح بن زنباع الجذامى و كان روح يقرى الأضياف و كان مسايرا لعبد الملك بن مروان أثيرا عنده و قال ابن عبدالملك فيه من أعطى مثل ماأعطى أبوزرعة أعطى فقه الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام . وانتمى عمران إليه أنه من الأزد فكان روح لايسمع شعرا نادرا و لاحديثا غريبا [صفحه ۹۳] عند عبدالملك فيسأل عنه عمران إلاعرفه وزاد فيه فقال روح لعبد الملك إن لى ضيفا ماأسمع من أمير المؤمنين خبرا و لاشعرا إلاعرفه وزاد فيه فقال أخبرنى ببعض أخباره فأخبره وأنشده فقال إن اللغة لغة عدنانية و لاأحسبه إلاعمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة البيتين اللذين أولهما ياضربة ....فلم يدر عبدالملك لمن هما فرجع روح فسأل عمران عنهما فقال هذاالشعر لعمران بن حطان يمدح عبدالرحمن بن ملجم فرجع روح إليه فأخبره فقال ضيفك عمران بن حطان فاذهب فجئنى به فرجع إليه فقال أمير المؤمنين قدأحب أن يراك فقال له

عمران قدأردت أن أسألك ذاك فاستحييت منك فاذهب فإنى بالأثر فرجع روح إلى عبدالملك فخبره فقال أماإنك سترجع فلاتجده فرجع فوجد عمران قداحتمل وخلف رقعة فيها ياروح كم من أخى مثوى نزلت به || قدظن ظنك من لخم وغسان حتى ذا خفته زايلت منزله || من بعد ماقيل عمران بن حطان قدكنت جارك حولا لايروعنى || فيه طوارق من إنس و لاجان حتى أردت بى العظمى فأدركنى || ماأدرك الناس من خوف ابن مروان فاعذر أخاك ابن زنباع فإن له || فى الحادثات هنات ذات ألوان يوما يمان إذالاقيت ذا يمن || و إن لقيت معديا فعدنانى لوكنت مستغفرا يوما لطاغية || كنت المقدم فى سرى وإعلانى لكن أبت ذاك آيات مطهرة || عندالتلاوة فى طه وعمران [صفحه ۹۴] . ثم ارتحل حتى نزل بزفر بن الحارث أحد بنى عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا و كان عمران يطيل الصلاة فكان غلمان بنى عامر يضحكون منه فأتاه رجل ممن كان عندروح فسلم عليه فدعاه زفر فقال له من هذا فقال رجل من الأزد رأيته ضيفا لروح بن زنباع فقال له زفر يا هذاأزديا مرة وأوزاعيا أخرى إن كنت خائفا أمناك و إن كنت فقيرا جبرناك فلما أمسى خلف فى منزله رقعة وهرب فوجدوا فيها إن التى أصبحت يعيا بهازفر || أعيت عياء على روح بن زنباع مازال يسألنى حولا لأخبره || و الناس ما بين مخدوع وخداع حتى إذاانقطعت منى وسائله || كف السؤال و لم يولع بإهلاع فاكفف لسانك عن لومى ومسألتى || ماذا تريد إلى شيخ بلا راع فاكفف كماكف عنى إننى رجل || إما صميم وإما فقعة القاع [صفحه ۹۵] أماالصلاة فإنى غيرتاركها || كل امرئ للذى يعنى به ساع أكرم بروح بن زنباع وأسرته || قوم دعا أوليهم للعلا داع جاورتهم سنة مما أسر به || عرضى صحيح ونومى غيرتهجاع فاعمل فإنك منعى بواحدة || حسب اللبيب بهذا الشيب من داع . ثم ارتحل حتى أتى عمان فوجدهم يعظمون أمر أبى بلال ويظهر فيهم فأظهر أمره فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب فيه إلى أهل عمان فهرب حتى أتى قوما من الأزد فى سواد الكوفة فنزل بهم فلم يزل عندهم حتى مات و فى نزوله فيهم يقول نزلنا بحمد الله فى خير منزل || نسر بما فيه من الأنس والخفر نزلنا بقوم يجمع الله شملهم || و ليس لهم دعوى سوى المجد يعتصر من الأزد إن الأزد أكرم أسوة || يمانية طابوا إذاانتسب البشر فأصبحت فيهم آمنا لاكمعشر || أتونى فقالوا من ربيعة أومضر أم الحى قحطان فتلكم سفاهة || كما قال لى روح وصاحبه زفر و مامنهما إلايسر بنسبة || تقربنى منه و إن كان ذا نفر فنحن عباد الله و الله واحد || وأولى عباد الله بالله من شكر . [صفحه ۹۶] قال أبوالعباس و من الخوارج من مشى فى الرمح و هو فى صدره خارجا من ظهره حتى خالط طاعنه فضربه بالسيف فقتله و هو يقول وعجلت إليك رب لترضى . ومنهم ألذى سأل عليا ع يوم النهروان المبارزة فى قوله أطعنهم و لاأرى عليا || و لوبدا أوجرته الخطيا .فخرج إليه على فضربه بالسيف فقتله فلما خالطه السيف قال ياحبذا الروحة إلى الجنة. ومنهم ابن ملجم وقطع الحسن بن على يديه ورجليه و هو فى ذلك يذكر الله ثم عمد إلى لسانه فقطعه فجزع فقيل له فى ذلك قال أحببت ألا يزال لسانى رطبا من ذكر الله . ومنهم القوم الذين وثب رجل منهم على رطبة سقطت من نخلة فوضعها فى فيه فلفظها تورعا. ومنهم أبوبلال مرداس ألذى ينحله من الفرق لتقشفه وتصرمه وصحة عبادته وصلابة نيته . أماالمعتزلة فتنتحله وتقول إنه خرج منكرا لجور السلطان داعيا إلى الحق وإنه من أهل العدل ويحتجون لذلك بقوله لزياد و قد كان قال فى خطبته على المنبر و الله لآخذن المحسن بالمسىء والحاضر بالغائب والصحيح بالسقيم فقام إليه مرداس فقال قدسمعنا ما قلت أيها الإنسان و ماهكذا قال الله تعالى لنبيه ابراهيم إذ يقول [صفحه ۹۷] وَ اِبراهِيمَ أَلّذِى وَفّى أَلّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى ثم خرج عليه عقيب هذااليوم . و أماالشيعة فتنتحله وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن على إنى و الله لست من الخوارج و لاأرى رأيهم وإنى على دين أبيك ابراهيم

-قرآن-۱-۶۰

ومنهم المستورد أحـد بنى سـعد بن زيد بن مناة كان ناسـكا مجتهدا و هوأحد من ترأس على الخوارج فى أيام على و له الخطبة المشـهورة التى أولهـا أن رسول الله ص أتانـا بالعـدل تخفق رايـاته وتلمع معالمه فبلغنا عن ربه ونصـح لأمته حتى قبضه الله تعالى مخيرا مختـارا. ونجـا يـوم النخيلـة من سـيف على فخرج بعدمـدة على المغيرة بن شـعبة و هووالى الكوفـة فبـارزه معقـل بن قيس الريـاحى فاختلفـا ضـربتين فخر كل واحـد منهما ميتا. و من كلام المسـتورد لوملكت الـدنيا بحـذافيرها ثم دعيت إلى أن أسـتفيد بهاخطيئة مافعلت . و من كلامه إذاأفضيت بسرى إلى صديقى فأفشاه لم ألمه لأنى كنت أولى بحفظه . و من كلامه كن أحرص على حفظ سـرك منك على حقن دمك . و كان يقول أول مايدل على عيب عائب الناس معرفته بالعيوب و لايعيب إلامعيب . [صفحه ۹۸] و كان يقول المال غيرباق عليك فاشتر به من الحمد والأجر مايبقى عليك

حوثرة الأسدى

قال أبوالعباس وخرج من الخوارج على معاوية بعدقتل على حوثرة الأسدى وحابس الطائى خرجا فى جمعهما فصارا إلى مواضـع أصـحاب النخيلة ومعاوية يومئذ بالكوفة قددخلها فى عام الجماعة و قدنزل الحسن بن على وخرج يريد المدينة فوجه إليه معاوية و قـدتجاوز فى طريقـه يسـأله أن يكـون المتـولى لمحاربـة الخـوارج فكـان جـواب الحسـن و الله لقـد كففت عنـك لحقن دمـاء المسـلمين و ماأحسب ذاك يسـعنى أفأقاتل عنك قوما أنت و الله أولى بالقتال منهم . قلت هذاموافق لقول أبيه لاتقاتلوا الخوارج بعـدى فليس من طلب الحق فأخطأه مثل من طلب الباطل فأدركه و هوالحق ألـذى لايعـدل عنه و به يقول أصـحابنا فإن الخوارج عنـدهم أعـذر من معاويـة وأقل ضـلالا ومعاوية أولى بأن يحارب منهم . قال أبوالعباس فلما رجع الجواب إلى معاوية أرسل إلى حوثرة الأسـدى أبـاه و قـال له اذهب فاكفنى أمر ابنك فصار إليه أبوه فـدعاه إلى الرجوع فأبى فماراه فصـمم فقال يابنى أجيئك بابنك فلعلك تراه فتحن إليه فقال ياأبت أنا و الله إلى طعنـة نافـذة أتقلب فيها على كعوب الرمـح أشوق منى إلى ابنى. [صـفحه ۹۹] فرجع إلى معاويـة فأخبره فقال يا أباحوثرة لقـد عتا بحق هذاجـدا ثم وجه إليه جيشا أكثره أهل الكوفة فلما نظر إليهم حوثرة قال لهم ياأعداء الله أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدوا سـلطانه فخرج إليه أبوه فدعاه إلى البراز فقال ياأبت لك فى غيرى مندوحة و لى فى غيرك مذهب ثم حمل على القوم و هو يقول أكرر على هذى الجموع حوثرة || فعن قليل ماتنال المغفرة .فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فلما رأى أثر السجود قدلوح جبهته ندم على قتله

الرهين المرادى

و قال الرهين المرادى أحـد فقهاء الخوارج ونساكها يانفس قدطال فى الدنيا مراوغتى || لاتأمنن لصـرف الدهر تنغيصا إنى لبائع مـايفنى لباقيـة || إن لم يعقنى رجـاء العيش تربيصـا وأسأل الله بيع النفس محتسـبا || حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصـا و ابن المنيـح ومرداسـا وإخوته || إذ فـارقوا هـذه الـدنيا مخاميصـا . قال أبوالعباس وأكثرهم لم يكن يبالى بالقتل وشـيمتهم اسـتعذاب الموت والاسـتهانة بالمنيـة. ومنهم الهازئ بالأمراء و قدقـدم إلى السـيف ولى زياد شـيبان بن عبد الله الأشـعرى صاحب مقبرة بنى شيبان باب عثمان و مايليه بالبصـرة فجد فى طلب الخوارج وأخافهم فلم [صفحه ۱۰۰] يزل على ذلك حتى أتاه ليلـة و هومتكئ ببـاب داره رجلاـن من الخوارج فضـرباه بأسـيافهما فقتلاـه فـأتى زيـاد بعـد ذلك برجل من الخوارج فقال اذهبوا به فاقتلوه متكئا كماقتل شيبان متكئا فصاح به الخارجى ياعدلاه يهزأ به

عباد بن أخضر المازنى

قال و أماعباد بن أخضر قاتل أبى بلال مرداس بن أدية و قدذكرنا قصته فإنه لم يزل بعدقتله مرداسا محمودا فى المصر موصوفا بما كان منه حتى ائتمر جماعة من الخوارج أن يقتلوه فذمر بعضهم بعضا على ذلك فجلسوا له يوم جمعة بعد أن أقبل على بغلته وابنه رديفه فقام إليه رجل منهم فقال له أسألك عن مسألة قال قل قال رأيت رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان و لم يعد عليه السلطان لجوره ألولى ذلك المقتول أن يقتل القاتل إن قدر عليه فقال بل يرفعه إلى السلطان قال إن السلطان لايعدى عليه لمكانه منه ولعظم جاهه عنده قال أخاف عليه إن فتك به فتك به السلطان قال دع ماتخافه من السلطان أيلحقه تبعة فيما بينه و بين الله قال لافحكم هو وأصحابه ثم خبطوه بأسيافهم ورمى عباد بابنه فنجا وتنادى الناس قتل عباد فاجتمعوا فأخذوا أفواه الطرق و كان مقتل عباد فى سكة بنى مازن عندمسجد بنى كليب بن يربوع فجاء معبد بن أخضر أخو عباد و هومعبد [صفحه ١٠١] بن علقمة وأخضر زوج أمهما فى جماعة من بنى مازن وصاحوا بالناس دعونا وثارنا فأحجم الناس فتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يفلت منهم أحد إلاعبيدة بن هلال فإنه خرق خصا ونفذ فيه ففى ذلك يقول الفرزدق لقد أدرك الأوتار غيرذميمة || إذاذم طلاب الترات الأخاضر هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر || فنالوا التى مافوقها نال ثائر أقادوا به أسدا لها فى اقتحامها || إذابرزت نحو الحروب بصائر . ثم هجا كليب بن يربوع رهط جرير بن الخطفى لأنه قتل بحضرة مسجدهم و لم ينصروه فقال فى كلمته هذه كفعل كليب إذ أخلت بجارها || ونصر اللئيم معتم و هوحاضر و مالكليب حين تذكر أول || و مالكليب حين تذكر آخر . قال و كان مقتل عباد بن أخضر وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفته على البصرة عبيد الله بن أبى بكرة فكتب إليه يأمره ألا يدع أحدا يعرف بهذا الرأى إلاحبسه فجد فى طلب من تغيب عنه وجعل يتبعهم ويأخذهم فإذاشفع إليه أحد منهم كفله إلى أن يقدم به على ابن زياد حتى أتوه بعروة بن أدية فأطلقه و قال أناكفيلك فلما قدم ابن زياد أخذ من فى الحبس فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجى و من لم يأت بمن كفل به منهم قتله . ثم قال لابن أبى بكرة هات عروة بن أدية قال لاأقدر عليه قال إذا و الله أقتلك فإنك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دل عليه فى سرب العلاء بن سوية المنقرى فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه كتابه فقال إنا قدأصبناه فى شرب [صفحه ١٠٢] العلاء فتهانف به عبيد الله و قال صحفت ولؤمت إنما هو فى سرب العلاء ولوددت أنه كان ممن شرب النبيذ فلما أقيم عروة بين يديه قال لم جهزت أخاك على يعنى أبابلال فقال و الله لقد كنت به ضنينا و كان لى عزا ولقد أردت له ماأريد لنفسى فعزم عزما فمضى عليه و ماأحب لنفسى إلاالمقام وترك الخروج فقال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما و الله لأمثلن بك قال اختر لنفسك من القصاص ماشئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال له كيف ترى قال أفسدت على دنياى وأفسدت عليك آخرتك فأمر به فصلب على باب داره

أبوالوازع الراسبى

قال أبوالعباس و كان أبوالوازع الراسبى من مجتهدى الخوارج ونساكها و كان يذم نفسه ويلومها على القعود و كان شاعرا و كان يفعل ذلك بأصحابه فأتى نافع بن الأزرق و هو فى جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وفساد العامة و كان نافع ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبوالوازع فقال له يانافع إنك [صفحه ١٠٣] أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال نافع يا

أباالوازع إنما ننتظر الفرص إلى أن تجمع من أصحابك من تنكئ به عدوك فقال أبوالوازع لسانك لاتنكى به القوم إنما || تنال بكفيك النجاة من الكرب فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر || عسى الله أن يجزى غوى بنى حرب .يعنى معاوية ثم قال و الله لألومك ونفسى ألوم ولأغدون غدوة لاأنثنى بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوارتهم فشاوره فى السيف فحمده ثم قال اشحذه فشحذه حتى إذارضيه خبط به الصيقل فقتله وحمل على الناس فهربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط ستره فشدخه وأمر ابن زياد بصلبه

عمران بن الحارث الراسبى

قال أبوالعباس و من نساكهم الذين قتلوا فى الحرب عمران بن الحارث الراسبى قتل يوم دولاب التقى هو والحجاج بن باب الحميرى و كان الأمير يومئذ على أهل البصرة وصاحب رايتهم فاختلفا ضربتين فخرا ميتين فقالت أم عمران ترثيه الله أيد عمرانا وطهره || و كان يدعو الله فى السحر [صفحه ۱۰۴] يدعوه سرا وإعلانا ليرزقه || شهادة بيدى ملحادة غدر ولى صحابته عن حر ملحمة || وشد عمران كالضرغامة الذكر . قال وممن قتل من رؤسائهم يوم دولاب نافع بن الأزرق و كان خليفتهم خاطبوه بإمرة المؤمنين فقال رجل منهم يرثيه شمت ابن بدر والحوادث جمة || والجائرون بنافع بن الأزرق والموت حتم لامحالة واقع || من لايصبحه نهارا يطرق فئن أمير المؤمنين أصابه || ريب المنون فمن يصبه يغلق . و قال قطرى بن الفجاءة يذكر يوم دولاب لعمرك إنى فى الحياة لزاهد || و فى العيش ما لم ألق أم حكيم من الخفرات البيض لم ير مثلها || شفاء لذى بث و لالسقيم [صفحه ۱۰۵] لعمرك إنى يوم ألطم وجهها || على نائبات الدهر جد لئيم فلو شهدتنا يوم دولاب شاهدت || طعان فتى فى الحرب غيرذميم غداة طفت علماء بكر بن وائل || وعجنا صدور الخيل نحو تميم و كان بعبد القيس أول جدنا || وأحلافها من يحصب وسليم وظلت شيوخ الأزد فى حومة الوغى || تعوم فمن مستنزل وهزيم فلم أر يوما كان أكثر مقعصا || يمج دما من فائظ وكليم وضاربة خدا كريما على فتى || أغر نجيب الأمهات كريم [صفحه ۱۰۶] أصيب بدولاب و لم تك موطنا || له أرض دولاب وأرض حميم فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا || تبيح الكفار كل حريم رأت فتية باعوا الإله نفوسهم || بجنات عدن عنده ونعيم

عبد الله بن يحيى طالب الحق

و من رؤساء الخوارج وكبارهم عبد الله بن يحيى الكندى الملقب طالب الحق وصاحبه المختار بن عوف الأزدى صاحب وقعة قديد ونحن نذكر ماذكره أبوالفرج الأصفهانى من قصتهما فى كتاب الأغانى مختصرا محذوفا منه ما لاحاجة بنا فى هذاالموضع إليه . قال أبوالفرج كان عبد الله بن يحيى من حضرموت و كان مجتهدا عابدا و كان يقول قبل أن يخرج لقينى رجل فأطال النظر إلى و قال ممن أنت قلت من كندة فقال من أيهم فقلت من بنى شيطان فقال و الله لتملكن وتبلغن وادى القرى و ذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك و قدذهبت و أناأتخوف ما قال وأستخير الله .فرأى باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة فى الناس قبيحة فقال لأصحابه إنه لايحل لنا المقام على مانرى و لاالصبر عليه وكتب إلى جماعة من الإباضية بالبصرة وغيرها يشاورهم فى الخروج فكتبوا إليه إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل [صفحه ۱۰۷] فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدرى متى يأتى أجلك ولله بقية خير من عباده يبعثهم إذاشاء بنصر دينه ويختص بالشهادة منهم من يشاء. وشخص إليه أبوحمزة المختار بن

عوف الأزدى وبلج بن عقبة المسعودى فى رجال من الإباضية فقدموا عليه حضرموت فحرضوه على الخروج وأتوه بكتب أصحابه يوصونه ويوصون أصحابه إذاخرجتم فلاتغلوا و لاتغدروا واقتدوا بسلفكم الصالحين وسيروا بسيرتهم فقد علمتم أن ألذى أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم .فدعا عبد الله أصحابه فبايعوه وقصدوا دار الإمارة و على حضرموت يومئذ ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندى فأخذه فحبسه يوما ثم أطلقه فأتى صنعاء وأقام عبد الله بحضرموت وكثر جمعه وسموه طالب الحق . وكتب إلى من كان من أصحابه بصنعاء أنى قادم عليكم ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمى وتوجه إلى صنعاء و ذلك فى سنة تسع وعشرين ومائة فى ألفين والعامل على صنعاء يومئذ القاسم بن عمرو أخو يوسف بن عمرو الثقفى فجرت بينه و بين عبد الله بن يحيى حروب ومناوشات كانت الدولة فيها والنصرة لعبد الله بن يحيى فدخل إلى صنعاء وجمع ما فيها من الخزائن والأموال فأحرزها. فلما استولى على بلاد اليمن خطب فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وذكر وحذر ثم قال إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما الإسلام ديننا و محمدنبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلالا ـ لا ـ نبتغى به بدلا و لانشترى به ثمنا وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا و لاحول و لاقوة إلابالله و إلى الله المشتكى و عليه المعول من زنى فهو كافر و من سرق فهو كافر و من شرب الخمر فهو كافر و من شك فى أنه كافر فهو كافر ندعوكم إلى فرائض بينات وآيات محكمات [صفحه ۱۰۸] وآثار نقتدى بها ونشهد أن الله صادق فيما وعد وعدل فيما حكم وندعو إلى توحيد الرب واليقين بالوعد والوعيد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة ولأعداء الله أيها الناس إن من رحمة الله أن جعل فى كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون على الألم فى جنب الله ويقتلون على الحق فى سالف الأيام شهداء فما نسيهم ربهم و ما كان ربك نسيا أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ماوكلتم بالقيام عليه وقابلوا الله حسنا فى أمره وزجره أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم . قال وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهرا يحسن السيرة فى الناس ويلين جانبه لهم ويكف الأذى عنهم وكثر جمعه وأتته الشراة من كل جانب فلما كان فى وقت الحج وجه أباحمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة والأمير عليهم أبوحمزة فى ألف وأمره أن يقيم بمكة إذاصدر الناس ويوجه بلجا إلى الشام فأقبل المختار إلى مكة يوم التروية وعليها و على المدينة عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك فى خلافة مروان بن محمد بن مروان وأم عبدالواحد بنت عبد الله بن خالد بن أسيد فكره عبدالواحد قتالهم وفزع الناس منهم حين رأوهم و قدطلعوا عليهم بعرفة ومعهم أعلام سود فى رءوس الرماح وقالوا لهم مالكم و ماحالكم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبرى منهم فراسلهم عبدالواحد فى ألا ـ يعطلوا على الناس حجتهم فقال أبوحمزة نحن بحجنا أضن و عليه أشح فصالحهم على أنهم جميعا آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر الناس النفر الأخير وأصبحوا من الغد ووقفوا بحيال عبدالواحد بعرفة ودفع عبدالواحد بالناس فلما كانوا بمنى قيل لعبد الواحد قدأخطأت فيهم و لوحملت عليهم الحاج ماكانوا إلاأكلة رأس . [صفحه ۱۰۹] وبعث عبدالواحد إلى أبى حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب و محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان و عبدالرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص العمرى وربيعة بن عبدالرحمن ورجالا ـ أمثالهم فلما قربوا من أبى حمزة أخذتهم مسالحه فأدخلوا على أبى حمزة فوجدوه جالسا و عليه إزار قطرى قدربطه بحوره فى قفاه فلما دنوا تقدم إليه عبد الله بن الحسن العلوى و محمد بن عبد الله العثمانى فنسبهما فلما انتسبا له عبس فى وجوههما وأظهر الكراهية لهما ثم تقدم إليه بعدهما البكرى والعمرى فنسبهما فانتسبا له فهش إليهما وتبسم فى وجوههما و قال و الله ماخرجنا إلالنسير سيرة أبويكما فقال له عبد الله بن حسن و الله ماجئناك لتفاخر بين آبائنا ولكن الأمير بعثنا إليك برسالة و هذاربيعة يخبركها فلما أخبره ربيعة قال له إن الأمير يخاف نقض العهد قال معاذ الله أن ننقض العهد أونخيس به و الله لاأفعل و لوقطعت رقبتى هذه ولكن إلى أن تنقضى الهدنة بيننا وبينكم .فخرجوا من عنده فأبلغوا عبدالواحد فلما كان النفر

الأخير نفر عبدالواحـد وخلى مكۀ لأبى حمزۀ فدخل بغير قتال فقال بعض الشعراء يهجو عبدالواحد زار الحجيج عصابۀ قدخالفوا || دين الإلـه ففر عبدالواحـد ترک الإمـارۀ والمواسم هاربـا || ومضـى يخبـط كالبعير الشارد فلو أن والـده تخير أمه || لصـفت خلائقه بعرق الوالد . [صفحه ١١٠] ثم مضى عبدالواحد حتى دخل المدينۀ ودعا بالديوان فضرب على الناس البعث وزادهم فى العطاء عشرۀ عشرۀ واستعمل على الجيش عبدالعزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فخرجوا فلقيتهم جزر منحورۀ فتشاءم النـاس بهـا فلما كانوا بالعقيق علق لواء عبـدالعزيز بسـمرۀ فانكسـر الرمـح فتشاءموا بـذلک أيضا. ثم ساروا حتى نزلوا قديـدا فنزل بهاقوم معتزلون ليسوا بأصـحاب حرب وأكثرهم تجار أغمار قدخرجوا فى المصبغات والثياب الناعمۀ واللهو لايظنون أن للخوارج شوكـۀ و لايشـكون فى أنهم فى أيـديهم . و قـال رجـل منهم من قريش لوشـاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء ولكنهم داهنوا فى دين الله و الله لنظفرن ولنسـيرن إلى أهل الطائف فلنسبينهم ثم قال من يشترى منى من سبى أهل الطائف . قال أبوالفرج فكان هذا الرجـل أول المنهزمين فلمـا وصـل المدينـۀ ودخـل داره أراد أن يقول لجـاريته أغلقى البـاب قـال لهـا غـاق باق دهشا فلقبه أهل المدينۀ بعد ذلک غاق باق و لم تفهم الجاريۀ قوله حتى أومأ إليها بيده فأغلقت الباب . قال و كان عبدالعزيز يعرض الجيش بذى الحليفـۀ فمر به أميـۀ بن عنبسـۀ بن سـعيد بن العـاص فرحب به وضـحک إليه ثم مر به عمـارۀ بن حمزۀ بن مصـعب بن الزبير فلم يكلمه و لم يلتفت إليه فقال له عمران بن عبـد الله بن مطيع و كان ابن خالته أماهما ابنتا عبد الله بن خالد بن أسـيد سـبحان الله مر بک شـيخ من شيوخ قريش فلم تنظر [صفحه ١١١] إليه و لم تكلمه ومر بک غلام من بنى أميۀ فضـحكت إليه ولاطفته أما و الله لوالتقى الجمعـان لعلمت أيهما أصبر. قال فكان أميـۀ بن عنبـۀ أول من انهزم وركـب فرسه ومضـى و قال لغلامه يامجيب أما و الله لئن أحرزت هـذه الأـكلب من بنى الشـراۀ إنى لعـاجز. و أماعمـارۀ بن حمزۀ بن مصـعب بن الزبير فقاتـل يومئـذ حتى قتل و كان يحمـل ويتمثـل وإنى إذاضن الأـمير بإذنه || على الإذن من نفسـى إذاشـئت قادر والشـعر للأغر بن حماد اليشـكرى. قال فلما بلغ أباحمزۀ إقبال أهل المدينـۀ إليه اسـتخلف على مكـۀ أبرهـۀ بن الصـباح وشـخص إليهم و على مقدمته بلج بن عقبۀ. فلما كان فى الليلۀ التى وافاهم فى صبيحتها و أهل المدينۀ نزول بقديد قال لأصـحابه إنكم ملاقو القوم غدا وأميرهم فيما بلغنى ابن عثمان أول من خالف سـنۀ الخلفاء وبـدل سـنۀ رسول الله ص و قدوضح الصـبح لذى عينين فأكثروا ذكر الله وتلاوۀ القرآن ووطنوا أنفسـكم على الموت وصـبحهم غداۀ الخميس لتسع خلون من صفر سنۀ ثلاثين ومائۀ. قال أبوالفرج و قال عبدالعزيز لغلامه فى تلک الليلۀ ابغنا علفا قال هوغال فقال ويحک البواكى علينا غـدا أغلى وأرسل أبوحمزۀ إليهم بلـج بن عتبۀ ليدعوهم فأتاهم فى ثلاثين راكبا فـذكرهم الله وسـألهم أن يكفوا عنهم و قـال لهم خلوا سبيلنـا إلى الشام لنسير [صـفحه ١١٢] إلى مـن ظلمكم وجـار فى الحكم عليكم و لاـتجعلوا حـدنا بكم فإنـا لانريـد قتالكم فشـتمهم أهل المدينـۀ وقالوا ياأعـداء الله أنحن نخليكم ونترككم تفسـدون فى الأـرض .فقـالت الخوارج ياأعـداء الله أنحن نفسـد فى الأـرض إنمـا خرجنا لنكف الفساد ونقاتل من قاتلنا منكم واسـتأثر بالفىء فانظروا لأنفسـكم واخلعوا من لم يجعل الله له طاعۀ فإنه لاطاعۀ لمخلوق فى معصـيۀ الخالق فادخلوا فى السـلم وعاونوا أهل الحق .فناداه عبـدالعزيز ماتقول فى عثمان قال قـدبرئ منه المسـلمون قبلى وإنا متبع آثارهم ومقتد بهم قال ارجع إلى أصـحابک فليس بيننا وبينكم إلاالسـيف فرجع إلى أبى حمزۀ فأخبره فقال كفوا عنهم و لاتقاتلوهم حتى يبـدءوكم بالقتال فواقفوهم و لم يقاتلوهم فرمى رجـل من أهـل المدينـۀ بسـهم فى عسـكر أبى حمزۀ فجرح منهم رجلاـ فقال أبوحمزۀ شأنكم الآن فقـد حل قتالهم فحملوا عليهم فثبت بعضـهم لبعض ورايۀ قريش مع ابراهيم بن عبد الله بن مطيع ثم انكشف أهل المدينۀ فلم يتبعوهم و كان على عامتهم صخر بن الجهم بن حذيفـۀ العدوى فكبر وكبر الناس معه فقاتلوا قليلا ثم انهزموا فلم يبعدوا حتى كبر ثانيۀ فثبت معه ناس وقاتلوا ثم انهزموا هزيمـۀ لم يبق بعدها منهم باقيۀ فقال على بن الحصـين لأبى حمزۀ اتبع آثار القوم أودعنى أتبعهم فأقتل المدبر وأذفف على الجريـح فـإن هؤلاء شـر علينا من أهل الشام و لو قـدجاءک أهل الشام غـدا لرأيت من هؤلاء ماتكره قال لاأفعل و لاأخالف

سيرة أسلافنا. وأخذ جماعة منهم أسرا وأراد إطلاقهم فمنعه على بن الحصين و قال إن لكل [صفحه ۱۱۳] زمان سيرة وهؤلاء لم يؤسروا وهم هراب وإنما أسروا وهم يقاتلون و لوقتلوا فى ذلك الوقت لم يحرم قتلهم فهكذا الآن قتلهم حلال ودعا بهم فكان إذارأى رجلا من قريش قتله و إذارأى رجلا من الأنصار أطلقه . قال أبوالفرج و ذلك لأن قريشا كانوا أكثر الجيش وبهم كانت الشوكة وأتى محمد بن عبدالعزيز بن عمرو بن عثمان فنسبه فقال أنا رجل من الأنصار فسأل الأنصار فأقرت بذلك فأطلقه فلما ولى قال و الله إنى لأعلم أنه قرشى ولكن قدأطلقته . قال و قدبلغت قتلى قديد ألفين ومائتين وثلاثين رجلا منهم من قريش أربعمائة وخمسون رجلا و من الأنصار ثمانون رجلا و من الموالى وسائر الناس ألف وسبعمائة رجل . قال و كان فى قتلى قريش من بنى أسد بن عبدالعزى بن قصى أربعون رجلا قال وقتل يومئذ أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان خرج مقنعا فلم يكلم أحدا وقاتل حتى قتل ودخل بلج المدينة بغير حرب فدخلوا فى طاعته وكف عنهم ورجع إلى ملكه و كان على شرطته أبوبكر بن عبد الله بن عمر من آل سراقة فكان أهل المدينة يقولون لعن الله السراقى ولعن الله بلجا العراقى وقالت نائحة أهل المدينة تبكيهم ماللزمان و ماليه || أفنت قديد رجاليه فلأبكين سريرة || ولأبكين علانية ولأبكين على قديد || بسوء ماأولانيه ولأعوين إذاخلوت || مع الكلاب العاوية [صفحه ۱۱۴]

أبوحمزة الشارى

قال أبوالفرج و لماسار عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك إلى الشام وخلف المدينة لبلج أقبل أبوحمزة من مكة حتى دخلها فرقى المنبر فحمد الله و قال يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فأسأتم لعمرى و الله القول فيهم وسألناكم هل يقتلون بالظن فقلتم نعم وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام فقلتم نعم فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم فأنشدوا الله وحده أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم فقلتم لانفعل فقلنا لكم تعالوا نحن وأنتم نلقاهم فإن نظهر نحن وأنتم يأت من يقيم لنا كتاب الله وسنة نبيه ويعدل فى أحكامكم ويحملكم على سنة نبيكم فأبيتم وقاتلتمونا فقاتلناكم وقتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم يا أهل المدينة مررت بكم فى زمن الأحول هشام بن عبدالملك و قدأصابتكم عاهة فى ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم فكتب بوضعه عن قوم من ذوى اليسار منكم فزاد الغنى غنى والفقير فقرا وقلتم جزاه الله خيرا فلاجزاه خيرا و لاجزاكم . قال أبوالفرج فأما خطبتا أبى حمزة المشهورتان اللتان خطب بهما فى المدينة فإن إحداهما قوله تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا و لابطرا و لاعبثا و لالهوا و لالدولة ملك نريد أن نخوض فيه و لالثأر قديم نيل منا ولكنا لمارأينا مصابيح الحق قدأطفئت ومعالم العدل قدعطلت وعنف القائم بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعى الله وَ مَن لا يُجِب داعيَ اللّهِ فَلَيسَ بِمُعجِزٍ فِي الأَرضِ – قرآن-۱۳۴۷-۱۴۰۶ [صفحه ۱۱۵] فأقبلنا من قبائل شتى النفر منا على البعير الواحد و عليه زادهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون فى الأرض فآوانا الله وأيدنا بنصره وأصبحنا و الله المحمود من أهل فضله ونعمته ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فدعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان فشتان لعمر الله ما بين الغى والرشد ثم أقبلوا يزفون ويهرعون قدضرب الشيطان فيهم بجرانه وصدق عليهم إبليس ظنه وأقبل أنصار الله عصائب وكتائب بكل مهند ذى رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون . وايم الله يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان فيسحتكم الله بعذاب من عنده أوبأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين . يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلامشركا عباد وثن أوكافرا من أهل الكتاب أوإماما جائرا. يا أهل المدينة من يزعم أن الله تعالى كلف نفسا فوق طاقتها وسألها عما لم يؤتها فهو لنا حرب . يا أهل المدينة

أخبرونى عن ثمانيۀ أسهم فرضها الله فى كتابه على القوى والضعيف فجاء تاسع ليس له منها سهم فأخذها جميعا لنفسه مكابرا محاربا لربه ماتقولون فيه وفيمن عاونه على فعله . يا أهل المدينۀ بلغنى أنكم تنتقصون أصحابى قلتم هم شباب أحداث وأعراب جفاۀ ويحكم يا أهل المدينۀ وهل كان أصحاب رسول الله ص إلاشبابا [صفحه ۱۱۶] أحداثا نعم و الله إن أصحابى لشباب مكتهلون فى شبابهم غضيضۀ عن الشر أعينهم ثقيلۀ عن الباطل أقدامهم قدباعوا أنفسا تموت غدا بأنفس لاتموت أبدا قدخلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم محنيۀ أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآيۀ خوف شهقوا خوفا من النار وكلما مروا بآيۀ رجاء شهقوا شوقا إلى الجنۀ و إذانظروا إلى السيوف و قدانتضيت و إلى الرماح و قدأشرعت و إلى السهام و قدفوقت وأرعدت الكتيبۀ بصواعق الموت استخفوا وعيدها عندوعيد الله وانغمسوا فيهافطوبى لهم وحسن مآب فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بهاصاحبها من خشيۀ الله وكم من يد قدأبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعا وساجدا فى طاعۀ الله أقول قولى هذا وأستغفر الله و ماتوفيقى إلابالله عليه توكلت و إليه أنيب . و أماالخطبۀ الثانيۀ فقوله يا أهل المدينۀ ما لى رأيت رسم الدين فيكم عافيا وآثاره دارسۀ لاتقبلون عليه عظۀ و لاتفقهون من أهله حجۀ قدبليت فيكم جدته وانطمست عنكم سنته ترون معروفه منكرا والمنكر من غيره معروفا فإذاانكشفت لكم العبر وأوضحت لكم النذر عميت عنها أبصاركم وصمت عنها آذانكم ساهين فى غمرۀ لاهين فى غفلۀ تنبسط قلوبكم للباطل إذانشر وتنقبض عن الحق إذاذكر مستوحشۀ من العلم مستأنسۀ بالجهل كلما وردت عليها موعظۀ زادتها عن الحق نفورا تحملون قلوبا فى صدوركم كالحجارۀ أوأشد قسوۀ من الحجارۀ فهى لاتلين بكتاب الله ألذى لوأنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشيۀ الله . [صفحه ۱۱۷] يا أهل المدينۀ إنه لاتغنى عنكم صحۀ أبدانكم إذاسقمت قلوبكم قدجعل الله لكل شيءسببا غالبا عليه لينقاد إليه مطيع أمره فجعل القلوب غالبۀ على الأبدان فإذامالت القلوب ميلا كانت الأبدان لها تبعا و إن القلوب لاتلين لأهلها إلابصحتها و لايصححها إلاالمعرفۀ بالله وقوۀ النيۀ ونفاذ البصيرۀ و لواستشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت فى طاعۀ الله أبدانكم . يا أهل المدينۀ داركم دار الهجرۀ ومثوى الرسول ص لمانبت به داره وضاق به قراره وآذاه الأعداء وتجهمت له فنقله الله إليكم بل إلى قوم لعمرى لم يكونوا أمثالكم متوازرين مع الحق على الباطل مختارين الأجل على العاجل يصبرون للضراء رجاء ثوابها فنصروا الله وجاهدوا فى سبيله وآزروا رسوله ص واتبعوا النور ألذى أنزل معه وآثروا الله على أنفسهم و لو كان بهم خصاصۀ فقال الله تعالى لهم ولأمثالهم ولمن اهتدى بهديهم وَ مَن يُوقَ شُحّ نَفسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ وأنتم أبناؤهم و من بقى من خلفهم تتركون أن تقتدوا بهم أوتأخذوا بسنتهم عمى القلوب صم الآذان اتبعتم الهوى فأرداكم عن الهدى وأسهاكم عن مواعظ القرآن لاتزجركم فتنزجرون و لاتعظكم فتتعظون و لاتوقظكم فتستيقظون لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم ماسرتم سيرتهم و لاحفظتم وصيتهم و لااحتذيتم مثالهم لوشقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف العذاب عنكم أ لاترون إلى خلافۀ الله وإمامۀ المسلمين كيف أضيعت حتى تداولها بنو مروان أهل بيت اللعنۀ وطرداء رسول الله وقوم من الطلقاء ليسوا من المهاجرين و لاالأنصار و لاالتابعين بإحسان فأكلوا مال الله أكلا وتلعبوا بدين الله لعبا واتخذوا عباد الله عبيدا يورث الأكبر منهم ذلك الأصغر فيا لها -قرآن-۷۹۴-۸۴۷ [صفحه ۱۱۸] أمۀ ماأضعفها وأضيعها ومضوا على ذلك من سيئ أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله قدنبذوه وراء ظهورهم فالعنوهم لعنهم الله لعنا كمايستحقونه . ولقد ولى منهم عمر بن عبدالعزيز فاجتهد و لم يكد وعجز عن ألذى أظهر حتى مضى لسبيله قال و لم يذكره بخير و لابشر ثم قال وولى بعده يزيد بن عبدالملك غلام سفيه ضعيف غيرمأمون على شيء من أمور المسلمين لم يبلغ أشده و لم يؤنس رشده و قد قال الله عز و جل فَإِن آنَستُم مِنهُم رُشداً فَادفَعُوا إِلَيهِم أَموالَهُم وأمر أمۀ محمدص وأحكامها وفروجها ودمائها أعظم عند الله من مال اليتيم و إن كان عند الله عظيما غلام مأبون فى فرجه وبطنه يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس بردين قدحيكا من غيرحلهما وصرفت أثمانهما فى غيروجهها بعد أن ضربت فيهما الأبشار وحلقت فيهما

الأشعار استحل ما لم يحله الله لعبد صالح و لانبى مرسل فأجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره يغنيانه بمزامير الشيطان ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها حتى إذاأخذت منه مأخذها وخالطت روحه ولحمه ودمه وغلبت سورتها على عقله مزق برديه ثم التفت إليهما فقال أتأذنان لى بأن أطير نعم فطر إلى النار طر إلى لعنة الله طر إلى حيث لايردك الله . ثم ذكر بنى أمية وأعمالهم فقال أصابوا إمرة ضائعة وقوما طغاما جهالا لايقومون لله بحق و لايفرقون بين الضلالة والهدى ويرون أن بنى أمية أرباب لهم فملكوا الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية بطشهم بطش الجبابرة يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب ويأخذون بالظن ويعطلون الحدود بالشفاعات ويؤمنون الخونة ويعصون ذوى -قرآن-٤١٠-٤٦٧ [صفحه ١١٩] الأمانة ويتناولون الصدقة من غيرفرضها ويضعونها غيرموضعها فتلك الفرقة الحاكمة بغير ماأنزل الله فالعنوهم لعنهم الله . قال ثم ذكر شيعة آل أبى طالب فقال و أماإخواننا من الشيعة وليسوا بإخواننا فى الدين لكنى سمعت الله يقول يا أَيّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وَ أُنثى وَ جَعَلناكُم شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوافإنها فرقة تظاهرت بكتاب الله وآثرت الفرقة على الله لايرجعون إلى نظر نافذ فى القرآن و لاعقل بالغ فى الفقه و لاتفتيش عن حقيقة الثواب قدقلدوا أمورهم أهواءهم وجعلوا دينهم العصبية لحزب لزموه وأطاعوه فى جميع مايقوله لهم غيا كان أورشدا ضلالة كان أوهدى ينتظرون الدول فى رجعة الموتى ويؤمنون بالبعث قبل الساعة ويدعون علم الغيب لمخلوقين لا-يعلم واحدهم ما فى بيته بل لايعلم ماينطوى عليه ثوبه أويحويه جسمه ينقمون المعاصى على أهلها ويعملون بها و لايعلمون المخرج منها جفاة فى دينهم قليلة عقولهم قدقلدوا أهل بيت من العرب دينهم وزعموا أن موالا-تهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة قاتلهم الله أنى يؤفكون .فأى الفرق يا أهل المدينة تتبعون أم بأى مذاهبهم تقتدون ولقد بلغنى مقالكم فى أصحابى و ماعبتموه من حداثة أسنانهم ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله ص إلاأحداثا نعم إنهم لشباب مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة فى الباطل أرجلهم أنضاء عبادة قدنظر الله إليهم فى جوف الليل محنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بآية فيهاذكر الجنة بكى شوقا وكلما مر بآية فيهاذكر النار شهق خوفا كأن زفير جهنم بين أذنيه قدأكلت الأرض جباههم وركبهم -قرآن-٢٣٢-٣٣٤ [صفحه ١٢٠] ووصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم مصفرة ألوانهم ناحلة أبدانهم من طول القيام وكثرة الصيام يوفون بعهد الله منجزون لوعد الله قدشروا أنفسهم فى طاعة الله حتى إذاالتقت الكتيبتان وأبرقت سيوفهما وفوقت سهامهما وأشرعت رماحهما لقوا شبا الأسنة وزجاج السهام وظبى السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم فمضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه واختضبت محاسن وجهه بالدماء وعفر جبينه بالتراب والثرى وانحطت عليه الطير من السماء ومزقته سباع الأرض فكم من عين فى منقار طائر طالما بكى بهاصاحبها فى جوف الليل من خوف الله وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قدفلق بعمد الحديد. ثم بكى فقال آه آه على فراق الإخوان رحمة الله تعالى على تلك الأبدان أللهم أدخل أرواحها الجنان . قال أبوالفرج وسار أبوحمزة وخلف بالمدينة المفضل الأزدى فى جماعة من أصحابه وبعث مروان بن محمد عبدالملك بن عطية السعدى فى أربعة آلاف من أهل الشام فيهم فرسان عسكره ووجوههم لحرب أبى حمزة و عبد الله بن يحيى طالب الحق وأمر ابن عطية بالجد فى المسير وأعطى كل رجل من الجيش مائة دينار وفرسا عربيا وبغلا لثقله فخرج ابن عطية حتى إذا كان بالمعلى فكان رجل من أهل وادى القرى يقال له العلاء [صفحه ١٢١] بن أفلح أبى الغيث يقول لقينى فى ذلك اليوم و أناغلام رجل من أصحاب ابن عطية فقال لى مااسمك ياغلام فقلت العلاء فقال ابن من قلت ابن أفلح قال أعربى أم مولى فقلت مولى قال مولى من قلت مولى أبى الغيث قال فأين نحن قلت بالمعلى قال فأين نحن غدا قلت بغالب قال فما كلمنى حتى أردفنى خلفه ومضى حتى أدخلنى على ابن عطية و قال له أيها الأمير سل الغلام مااسمه فسأل و أناأرد عليه القول فسر بذلك ووهب لى دراهم . قال أبوالفرج وقدم أبوحمزة وأمامه بلج بن عقبة فى ستمائة رجل ليقاتل عبدالملك بن عطية فلقيه بوادى القرى لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة فتواقفوا ودعاهم بلج إلى الكتاب والسنة

وذكر بنى أمية وظلمهم فشتمه أهل الشام وقالوا ياأعداء الله أنتم أحق بهذا ممن ذكرتم فحمل بلج وأصحابه عليهم وانكشفت طائفة من أهل الشام وثبت ابن عطية فى عصبة صبروا معه فناداهم يا أهل الشام يا أهل الحفاظ ناضلوا عن دينكم وأميركم واصبروا وقاتلوا قتالا شديدا فقتل بلج وأكثر أصحابه وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به فقاتلهم ابن عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين رجلا ونجا منهم ثلاثون .فرجعوا إلى أبى حمزة و هوبالمدينة و قداغتموا وجزعوا من ذلك الخبر وقالوا فررنا من الزحف فقال لهم أبوحمزة لاتجزعوا فإنا لكم فئة وإلى تحيزتم . وخرج أبوحمزة إلى مكة فدعا عمر بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب أهل المدينة إلى قتال المفضل خليفة أبى حمزة على المدينة فلم يجد أحدا لأن القتل قد كان أسرع فى الناس وخرج وجوه أهل البلد عنه فاجتمع إلى عمر البربر والزنوج و أهل السوق والعبيد [صفحه ١٢٢] فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامة أصحابه وهرب الباقون فلم يبق منهم أحد فقال فى ذلك سهيل مولى زينب بنت الحكم بن أبى العاص ليت مروان رآنا || يوم الإثنين عشية إذ غسلنا العار عنا || وانتضينا المشرفية . قال فلما قدم ابن عطية أتاه عمر بن عبدالرحمن فقال له أصلحك الله إنى جمعت قضى وقضيضى فقاتلت هؤلاء الشراة فلقبه أهل المدينة قضى وقضيضى. قال أبوالفرج وأقام ابن عطية بالمدينة شهرا و أبوحمزة مقيم بمكة ثم توجه إليه فقال على بن الحصين العبدى لأبى حمزة إنى كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل الأسرى فلم تفعل حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين معه بالمدينة و أناأشير عليك الآن أن تضع السيف فى أهل مكة فإنهم كفرة فجرة و لو قدقدم ابن عطية لكانوا أشد عليك من أهل المدينة فقال لاأرى ذلك لأنهم قددخلوا فى الطاعة وأقروا بالحكم ووجب لهم حق الولاية. فقال إنهم سيغدرون فقال فَمَن نَكَثَ فَإِنّما يَنكُثُ عَلى نَفسِهِ. وقدم ابن عطية مكة فصير أصحابه فرقتين ولقى الخوارج من وجهين فكان هوبإزاء أبى حمزة فى أسفل مكة وجعل طائفة أخرى بالأبطح بإزاء أبرهة بن الصباح فقتل أبرهة كمن له ابن هبار و هو على خيل دمشق فقتله عندبئر ميمون والتقى ابن عطية بأبى حمزة فخرج أهل مكة بأجمعهم مع ابن عطية وتكاثر الناس على أبى حمزة فقتل على فم الشعب وقتلت معه امرأته وهى ترتجز -قرآن-٦١٦-٦٥٧ أناالجديعاء وبنت الأعلم || من سأل عن اسمى فاسمى مريم [صفحه ١٢٣] بعت سوارى بعضب مخذم . وقتلت الخوارج قتلا ذريعا وأسر منهم أربعمائة فقال لهم ابن عطية ويلكم مادعاكم إلى الخروج مع هذافقالوا ضمن لنا الكنة يريدون الجنة فقتلهم كلهم وصلب أباحمزة وأبرهة بن الصباح على شعب الخيف ودخل على بن الحصين دارا من دور قريش فأحدق أهل الشام بهافأحرقوها فرمى بنفسه عليهم وقاتل فأسر وقتل وصلب مع أبى حمزة فلم يزالوا مصلوبين حتى أفضى الأمر إلى بنى هاشم فأنزلوا فى خلافة أبى العباس . قال أبوالفرج وذكر ابن الماجشون أن ابن عطية لماالتقى بأبى حمزة قال أبوحمزة لأصحابه لاتقاتلوهم حتى تختبروهم فصاحوا فقالوا يا أهل الشام ماتقولون فى القرآن والعمل به فقال ابن عطية نضعه فى جوف الجوالق قالوا فما تقولون فى اليتيم قالوا نأكل ماله ونفجر بأمه فى أشياء بلغنى أنهم سئلوا عنها فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم حتى أمسوا فصاحت الشراة ويحك يا ابن عطية إن الله جل و عز قدجعل الليل سكنا فاسكن ونسكن فأبى وقاتلهم حتى أفناهم . قال و لماخرج أبوحمزة من المدينة خطب فقال يا أهل المدينة إنا خارجون لحرب مروان فإن نظهر عليه نعدل فى أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم و إن يكن ماتمنيتم لنا فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون [صفحه ١٢٤] قال و قد كان اتبعه على رأيه قوم من أهل المدينة وبايعوه منهم بشكست النحوى فلما جاءهم قتله وثب الناس على أصحابه فقتلوهم و كان ممن قتلوه بشكست النحوى طلبوه فرقى فى درجة دار فلحقوه فأنزلوه وقتلوه و هويصيح ياعباد الله فيم تقتلوننى فقيل فيه لقد كان بشكست عبدالعزيز || من أهل القراءة والمسجد فبعدا لبشكست عبدالعزيز || و أماالقرآن فلاتبعد . قال أبوالفرج وحدثنى بعض أصحابنا أنه رأى رجلا واقفا على سطح يرمى بالحجارة قوم أبى حمزة بمكة فقيل له ويلك أتدرى من ترمى مع اختلاط الناس فقال و الله ماأبالى من رميت إنما يقع حجرى فى شام أوشار و الله ماأبالى أيهما قتلت . قال أبوالفرج وخرج ابن عطية إلى الطائف وأتى قتل أبى

حمزة إلى عبد الله بن يحيى طالب الحق و هوبصنعاء فأقبل فى أصحابه يريد حرب ابن عطية فشخص ابن عطية إليه والتقوا فقتل بين الفريقين جمع كثير وترجل عبد الله بن يحيى فى ألف رجل فقاتلوا حتى قتلوا كلهم وقتل عبد الله بن يحيى وبعث ابن عطية رأسه إلى مروان بن محمد و قال أبوصخر الهذلى يذكر ذلك قتلنا عبيدا و ألذى يكتنى الكنى || أباحمزة القارئ المصلى اليمانيا وأبرهة الكندى خاضت رماحنا || وبلجا منحناه السيوف المواضيا [صفحه ١٢٥] و ماتركت أسيافنا منذ جردت || لمروان جبارا على الأرض عاصيا . و قال عمرو بن الحصين العنبرى يرثى أباحمزة وغيره من الشراة و هذه القصيدة من مختار شعر العرب هبت قبيل تبلج الفجر || هند تقول ودمعها يجرى إذ أبصرت عينى وأدمعها || تنهل واكفة على النحر أنى اعتراك وكنت عهدى لا || سرب الدموع وكنت ذا صبر أقذى بعينك لايفاوقها || أم عائر أم مالها تذرى أم ذكر إخوان فجعت بهم || سلكوا سبيلهم على قدر فأجبتها بل ذكر مصرعهم || لاغيره عبراتها تمرى يارب أسلكنى سبيلهم || ذا العرش واشدد بالتقى أزرى فى فتية صبروا نفوسهم || للمشرفية والقنا السمر تالله ما فى الدهر مثلهم || حتى أكون رهينة القبر أوفى بذمتهم إذاعقدوا || وأعف عندالعسر واليسر متأهبون لكل صالحة || ناهون من لاقوا عن النكر صمت إذاحضروا مجالسهم || من غيرماعى بهم يزرى إلاتجيئهم فإنهم || رجف القلوب بحضرة الذكر [صفحه ١٢٦] متأوهون كأن جمر غضا || للموت بين ضلوعهم يسرى فهم كأن بهم جرى مرض || أومسهم طرف من السحر لاليلهم ليل فيلبسهم || فيه غواشى النوم بالسكر إلاكرى خلسا وآونة || حذر العقاب فهم على ذعر كم من أخ لك قدفجعت به || قوام ليلته إلى الفجر متأوها يتلو قوارع من || آى الكتاب مفزع الصدر ظمآن وقدة كل هاجرة || تراكا لذته على قدر رفاض ماتهوى النفوس إذا || رغب النفوس دعت إلى المرز ومبرأ من كل سيئة || عف الهوى ذا مرة شزر والمصطلى بالحرب يوقدها || بحسامه فى فتية زهر يختاضها بأفل ذى شطب || عضب المضارب ظاهر الأثر لا شيءيلقاه أسر له || من طعنة فى ثغرة النحر منهارة منه تجيش بما || كانت عواصم جوفه تجرى [صفحه ١٢٧] لخليلك المختار أذك به || من مغتد فى الله أومسرى خواض غمرة كل متلفة || فى الله تحت العثير الكدر نزال ذى النجوات مختضبا || بنجيعه بالطعنة الشزر و ابن الحصين وهل له شبه || فى العرف أنى كان والنكر بشهامة لم تحن أضلعه || لذوى أحزته على غدر طلق اللسان بكل محكمة || رآب صدع العظم ذى الكسر لم ينفكك فى جوفه حزن || تغلى حرارته وتستشرى ترقى وآونة يخفضها || بتنفس الصعداء والزفر ومخالطى بلج وخالصتى || سهم العدو وجابر الكسر نكل الخصوم إذاهم شغبوا || وسداد ثلمة عورة الثغر والخائض الغمرات يخطر فى || وسط الأعادى أيما خطر بمشطب أو غيرذى شطب || هام العدا بذبابه يفرى وأخيك أبرهة الهجان أخى الحرب || العوان وموقد الجمر والضارب الأخدود ليس لها || حد ينهنهها عن السحر وولى حكمهم فجعت به || عمرو فوا كبدى على عمرو قوال محكمة وذو فهم || عف الهوى متثبت الأمر ومسيب فاذكر وصيته || لاتنس إما كنت ذا ذكر [صفحه ١٢٨] فكلاهما قد كان مختشعا || لله ذا تقوى وذا بر فى مخبتين و لم أسمهم || كانوا ندى وهم أولو نصرى وهم مساعر فى الوغى رجح || وخيار من يمشى على العفر حتى وفوا لله حيث لقوا || بعهود لاكذب و لاغدر فتخالسوا مهجات أنفسهم || وعداتهم بقواضب بتر وأسنة أثبتن فى لدن || خطية بأكفهم زهر تحت العجاج وفوقهم خرق || يخفقن من سود و من حمر فتوقدت نيران حربهم || ما بين أعلى البيت والحجر وتصرعت عنهم فوارسهم || لم يغمضوا عينا على وتر صرعى فخاوية بيوتهم || وخوامع بجسومهم تفرى . قال أبوالفرج وأقام ابن عطية بحضرموت بعدظفره بالخوارج حتى أتاه كتاب مروان يأمره بالتعجيل إلى مكة فيحج بالناس فشخص إلى مكة متعجلا مخفا فى تسعة عشر فارسا وندم مروان على ماكتبه و قال قتلت ابن عطية وسوف يخرج متعجلا مخفا من اليمن ليلحق الحج فيقتله الخوارج فكان كما قال صادفه فى طريقه جماعة متلففة فمن كان منهم إباضيا قال ماتنتظر أن ندرك ثأر إخواننا و من لم يكن منهم إباضيا ظن أنه إباضى منهزم من ابن عطية فصمد له سعيد وجمانة ابنا الأخنس [صفحه ١٢٩] الكنديان فى جماعة من قومهما وكانوا على رأى

الخوارج فعطف ابن عطية على سعيد فضربه بالسيف وطعنه جمانة فصرعه فنزل إليه سعيد فقعد على صدره فقال له ابن عطية هل لك فی أن تكون أكرم العرب أسيرا فقال سعيد ياعدو الله أتظن الله يهملك أوتطمع فی الحياة و قدقتلت طالب الحق و أباحمزة وبلجا وأبرهة فذبحه وقتل أصحابه أجمعون .فهذا يسير مما هومعلوم من حال هذه الطائفة فی خشونتها فی الدين وتلزمها بناموسه و إن كانت فی أصل العقيدة على ضلال وهكذا قال النبی ص عنهم تستحقر صلاة أحدكم فی جنب صلاتهم وصيام أحدكم فی جنب صيامهم -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۸ ومعلوم أن معاوية و من بعده من بنی أمية لم تكن هذه الطريقة طريقتهم و لا هذه السنة سنتهم وأنهم كانوا أهل دنيا وأصحاب لعب ولهو وانغماس فی اللذات وقلة مبالاة بالدين ومنهم من هومرمی بالزندقة والإلحاد

أخبار متفرقة عن معاوية

و قدطعن كثير من أصحابنا فی دين معاوية و لم يقتصروا على تفسيقه وقالوا عنه إنه كان ملحدا لايعتقد النبوة ونقلوا عنه فی فلتات كلامه وسقطات ألفاظه مايدل على ذلك . وروى الزبير بن بكار فی الموفقيات و هو غيرمتهم على معاوية و لامنسوب إلى اعتقاد الشيعة لما هومعلوم من حاله من مجانبة علی ع والانحراف عنه قال المطرف بن المغيرة بن شعبة دخلت مع أبی على معاوية و كان أبی يأتيه فيتحدث معه ثم ينصرف إلی فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيته مغتما فانتظرته ساعة وظننت أنه لأمر حدث [صفحه ۱۳۰] فينا فقلت ما لی أراك مغتما منذ الليلة فقال يابنی جئت من عندأكفر الناس وأخبثهم قلت و ماذاك قال قلت له و قدخلوت به إنك قدبلغت سنا يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلا وبسطت خيرا فإنك قدكبرت و لونظرت إلى إخوتك من بنی هاشم فوصلت أرحامهم فو الله ماعندهم اليوم شیءتخافه و إن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه فقال هيهات هيهات أی ذكر أرجو بقاءه ملك أخو تيم فعدل وفعل مافعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبوبكر ثم ملك أخو عدی فاجتهد وشمر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر و إن ابن أبی كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فأی عملی يبقى و أی ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك لا و الله إلادفنا دفنا. و أماأفعاله المجانبة للعدالة الظاهرة من لبسه الحرير وشربه فی آنية الذهب والفضة حتى أنكر عليه ذلك أبوالدرداء فقال له إنی سمعت رسول الله ص يقول إن الشارب فيهاليجرجر فی جوفه نار جهنم -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۷۶ و قال معاوية أما أنا فلاأرى بذلك بأسا فقال أبوالدرداء من عذيری من معاوية أناأخبره عن الرسول ص و هويخبرنی عن رأيه لاأساكنك بأرض أبدا.نقل هذاالخبر المحدثون والفقهاء فی كتبهم فی باب الاحتجاج على أن خبر الواحد معمول به فی الشرع و هذاالخبر يقدح فی عدالته كمايقدح أيضا فی عقيدته لأن من قال فی مقابلة خبر قدروی عن رسول الله ص أما أنا فلاأرى بأسا فيما حرمه رسول الله ص ليس بصحيح العقيدة و من المعلوم أيضا من حاله استئثاره بمال الفیء وضربه من لاحد عليه وإسقاط الحد عمن يستحق إقامة الحد عليه وحكمه [صفحه ۱۳۱] برأيه فی الرعية و فی دين الله واستلحاقه زيادا و هويعلم قول رسول الله ص الولد للفراش وللعاهر الحجر -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۵۰ وقتله حجر بن عدی وأصحابه و لم يجب عليهم القتل ومهانته لأبی ذر الغفاری وجبهه وشتمه وإشخاصه إلى المدينة على قتب بعير وطاء لإنكاره عليه ولعنه عليا وحسنا وحسينا و عبد الله بن عباس على منابر الإسلام وعهده بالخلافة إلى ابنه يزيد مع ظهور فسقه وشربه المسكر جهارا ولعبه بالنرد ونومه بين القيان المغنيات واصطباحه معهن ولعبه بالطنبور بينهن وتطريقه بنی أمية للوثوب على مقام رسول الله ص وخلافته حتى أفضت إلى يزيد بن عبدالملك والوليد بن يزيد المفتضحين الفاسقين صاحب حبابة وسلامة والآخر رامی

المصحف بالسهام وصاحب الأشعار فى الزندقة والإلحاد. و لاريب أن الخوارج إنما برىء أهل الدين والحق منهم لأنهم فارقوا عليا وبرئوا منه و ماعدا ذلك من عقائدهم نحو القول بتخليد الفاسق فى النار والقول بالخروج على أمراء الجور و غير ذلك من أقاويلهم فإن أصحابنا يقولون بها ويذهبون إليها فلم يبق مايقتضى البراءة منهم إلابراءتهم من على و قد كان معاوية يلعنه على رءوس الأشهاد و على المنابر فى الجمع والأعياد فى المدينة ومكة و فى سائر مدن الإسلام فقد شارك الخوارج فى الأمر المكروه منهم وامتازوا عليه بإظهار الدين والتلزم بقوانين الشريعة والاجتهاد فى العبادة وإنكار المنكرات وكانوا أحق بأن ينصروا عليه من أن ينصر عليهم فوضح بذلك قول أمير المؤمنين لاتقاتلوا الخوارج بعدى يعنى فى ملك معاوية ومما يؤكد هذاالمعنى أن عبد الله بن الزبير استنصر على يزيد بن معاوية بالخوارج واستدعاهم إلى ملكه فقال فيه الشاعر يا ابن الزبير أتهوى فتية قتلوا || ظلما أباك و لماتنزع الشكك ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية || ياطيب ذاك الدم الزاكى ألذى سفكوا . فقال ابن الزبير لوشايعنى الترك والديلم على محاربة بنى أمية لشايعتهم وانتصرت بهم [صفحه ١٣٢]

٦١- و من كلام له ع لماخوف من الغيلة

اشاره

وَ إِنّ عَلَيّ مِنَ اللّهِ جُنّةً حَصِينَةً فَإِذَا جَاءَ يَومِي انفَرَجَت عنَيّ وَ أَسلَمَتنِي فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السّهمُ وَ لَا يَبرَأُ الكَلمُ الغيلة القتل على غيرعلم و لاشعور والجنة الدرع و مايجن به أى يستتر من ترس وغيره وطاش السهم إذاصدف عن الغرض والكلم الجرح ويعنى بالجنة هاهنا الأجل و على هذاالمعنى الشعر المنسوب إليه ع من أى يومى من الموت أفر || أ يوم لم يقدر أم يوم قدر فيوم لايقدر لاأرهبه || و يوم قدقدر لايغنى الحذر . و منه قول صاحب الزنج و إذاتنازعنى أقول لها قرى || موت يريحك أوصعود المنبر ما قدقضى سيكون فاصطبرى له || و لك الأمان من ألذى لم يقدر . ومثله قدعلم المستأخرون فى الوهل || أن الفرار لايزيد فى الأجل . والأصل فى هذاكله قوله تعالى وَ ما كانَ لِنَفسٍ أَن تَمُوتَ إِلّا بِإِذنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجّلًا -قرآن-٣٥-١٠٣ [صفحه ١٣٣] و قوله تعالى فَإِذا جاءَ أَجَلُهُم لا يَستَأخِرُونَ ساعَةً وَ لا يَستَقدِمُونَ. و قوله سبحانه تَوَفّتهُ رُسُلُنا وَ هُم لا يُفَرّطُونَ و فى القرآن العزيز كثير من ذلك -قرآن-١٦-٨٠-قرآن-٩٧-١٣٦

اختلاف الناس فى الآجال

واختلف الناس فى الآجال فقالت الفلاسفة والأطباء لاأجل مضروب لأحد من الحيوان كله من البشر و لا من غيرهم والموت عندهم على ضربين قسرى وطبيعي.فالقسرى الموت بعارض إما من خارج الجسد كالمتردى والغريق والمقتول ونحو ذلك أو من داخل الجسد كمايعرض من الأمراض القاتلة مثل السل والاستسقاء والسرسام ونحو ذلك . والموت الطبيعى ما يكون بوقوف القوة الغاذية التى تورد على البدن عوض مايتحلل منه و هذه القوة المستخدمة للقوى الأربع الجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة والبدن لايزال فى التحلل دائما من الحركات الخارجية و من الأفكار والهموم وملاقاة الشمس والريح والعوارض الطارئة و من الجوع والعطش والقوة الغاذية تورد على البدن عوض الأجزاء المتحللة فتصرفها فى الغذاء المتناول واستخدام القوى الأربع المذكورة. ومنتهى بقاء هذه القوة فى الأعم الأغلب للإنسان مائة وعشرون سنة و قدرأيت فى كتب بعض الحكماء أنها تبقى مائة

وستين سنة و لايصدق هؤلاء بما يروى من بقاء المعمرين فأما أهل الملل فيصدقون بذلك . [صفحه ۱۳۴] واختلف المتكلمون فى الآجال فقالت المعتزلة ينبغى أولاـ أن نحقق مفهوم قولنا أجل ليكون البحث فى التصديق بعدتحقق التصور فالأجل عندنا هوالوقت ألذى يعلم الله أن حياة ذلك الإنسان أوالحيوان تبطل فيه كما أن أجل الدين هوالوقت ألذى يحل فيه فإذاسألنا سائل فقال هل للناس آجال مضروبة قلنا له ماتعنى بذلك أتريد هل يعلم الله تعالى الأوقات التى تبطل فيهاحياة الناس أم تريد بذلك أنه هل يراد بطلان حياة كل حى فى الوقت ألذى بطلت حياته فيه . فإن قال عنيت الأول قيل له نعم للناس آجال مضروبة بمعنى معلومة فإن الله تعالى عالم بكل شىء. و إن قال عنيت الثانى قيل لايجوز عندنا إطلاق القول بذلك لأنه قدتبطل حياة نبى أوولى بقتل ظالم والبارئ تعالى لايريد عندنا ذلك . فإن قيل فهل تقولون إن كل حيوان يموت وتبطل حياته بأجله قيل نعم لأن الله قدعلم الوقت ألذى تبطل حياته فيه فليس تبطل حياته إلا فى ذلك الوقت لالأن العلم ساق إلى ذلك بل إنما تبطل حياته بالأمر ألذى اقتضى بطلانه والبارئ تعالى يعلم الأشياء على ماهى عليه فإن بطلت حياته بقتل ظالم فذلك ظلم وجور و إن بطلت حياته من قبل الله تعالى فذلك حكمة وصواب و قد يكون ذلك لطفا لبعض المكلفين . واختلف الناس لو لم يقتل القاتل المقتول هل كان يجوز أن يبقيه الله تعالى فقطع الشيخ أبوالهذيل على موته لو لم يقتله القاتل و إليه ذهب الكرامية قال محمد بن الهيصم مذهبنا أن الله تعالى قدأجل لكل نفس أجلا لن ينقضى عمره دون بلوغه و لايتأخر عنه ومعنى الأجل هوالوقت ألذى علم الله أن الإنسان يموت فيه وكتب ذلك فى اللوح المحفوظ و ليس يجوز أن يكون الله تعالى قدأجل له أجلا ثم يقتل قبل بلوغه أويخترم دونه و لا أن [صفحه ۱۳۵] يتأخر عما أجل له ليس على معنى أن القاتل مضطر إلى قتله حتى لايمكنه الامتناع منه بل هوقادر على أن يمتنع من قتله ولكنه لايمتنع منه إذ كان المعلوم أنه يقتله لأجله بعينه وكتب ذلك عليه . و لوتوهمنا فى التقدير أنه يمتنع من قتله لكان الإنسان يموت لأجل ذلك لأنهما أمران مؤجلان بأجل واحد فأحدهما قتل القاتل إياه والثانى تصرم مدة عمره وحلول الموت به فلو قدرنا امتناع القاتل من قتله لكان لايجب بذلك ألا يقع المؤجل الثانى ألذى هوحلول الموت به بل كان يجب أن يموت بأجله . قال وبيان ذلك من كتاب الله توبيخه المنافقين على قولهم لَو كانُوا عِندَنا ما ماتُوا وَ ما قُتِلُوا فقال تعالى لهم قُل فَادرَؤُا عَن أَنفُسِكُمُ المَوتَ إِن كُنتُم صادِقِينَفدل على أنهم لوتجنبوا مصارع القتل لم يكونوا ليدرءوا بذلك الموت عن أنفسهم . وقالت الأشعرية والجهمية والجبرية كافة إنها آجال مضروبة محدودة و إذاأجل الأجل و كان فى المعلوم أن بعض الناس يقتله وجب وقوع القتل منه لامحالة و ليس يقدر القاتل على الامتناع من قتله وتقدير انتفاء القتل ليقال كيف كانت تكون الحال تقدير أمر محال كتقدير عدم القديم وإثبات الشريك وتقدير الأمور المستحيلة لغو وخلف من القول . و قال قوم من أصحابنا البغداديين رحمهم الله بالقطع على حياته لو لم يقتله القاتل و هذاعكس مذهب أبى الهذيل و من وافقه وقالوا لو كان المقتول يموت فى ذلك الوقت لو لم يقتله القاتل لما كان القاتل مسيئا إليه إذ لم يفوت عليه حياة لو لم يبطلها لبقيت و لمااستحق -قرآن-۵۷۲-۶۱۴-قرآن-۶۳۲-۶۸۹ [صفحه ۱۳۶] القود ولكان ذابح الشاة بغير إذن مالكها قدأحسن إلى مالكها لأنه لو لم يذبحها لماتت فلم يكن ينتفع بلحمها.قالوا و ألذى احتج به من كونهما مؤجلين بأجل واحد فلو قدرنا انتفاء أحد الأمرين فى ذلك الوقت لم يجب انتفاء الآخر ليس بشىء لأن أحدهما علة الآخر فإذاقدرنا انتفاء العلة وجب أن ينتفى فى ذلك التقدير انتفاء المعلول فالعلة قتل القاتل والمعلول بطلان الحياة وإنما كان يستمر ويصلح ماذكروه لو لم يكن بين الأمرين علية العلية والمعلولية.قالوا والآية التى تعلقوا فيها لاتدل على قولهم لأنه تعالى لم ينكر ذلك القول إنكار حاكم بأنهم لو لم يقتلوا لماتوا بل قال كل حى ميت أى لابد من الموت إما معجلاـ وإما مؤجلا.قالوا فإذا قال لنا قائل إذاقلتم إنه يبقى لو لم يقتله القاتل ألستم تكونون قدقلتم إن القاتل قدقطع عليه أجله .قلنا له إنما يكون قاطعا عليه أجله لوقتله قبل الوقت ألذى علم الله تعالى أن حياته تبطل فيه و ليس الأمر كذلك لأن الوقت ألذى علم الله تعالى أن حياته تبطل فيه هوالوقت ألذى قتله فيه القاتل و لم يقتله القاتل

قبل ذلك فيكون قـدقطع عليه أجله .قالوا فإذا قال لنا فهل تقولون إنه قطع عليه عمره .قلنا له إن الزمان ألذى كان يعيش فيه لو لم يقتله القاتل لايسمى عمرا إلا على طريق المجاز باعتبار التقدير ولسنا نطلق ذلك إلامقيدا لئلا يوهم وإنما قلنا إنا نقطع على أنه لو لم يقتل لم يمت و لانطلق غير ذلک . [صفحه ۱۳۷] و قال قدماء الشيعهٔ الآجال تزيد وتنقص ومعنى الأجل الوقت ألذى علم الله تعـالى أن الإنسـان يموت فيه إن لم يقتـل قبـل ذلـک أو لم يفعـل فعلاـ يسـتحق به الزيـادهٔ والنقصـان فى عمره .قالوا وربما يقتل الإنسان ألذى ضـرب له من الأجل خمسون سـنهٔ و هو ابن عشـرين سنهٔ وربما يفعل من الأفعال مايستحق به الزيادهٔ فيبلغ مائهٔ سنهٔ أويسـتحق به النقيصـهٔ فيموت و هو ابن ثلاـثين سـنهٔ.قالوا فممـا يقتضـى الزيـادهٔ صـلهٔ الرحم وممـا يقتضـى النقيصـهٔ الزنا وعقوق الوالـدين وتعلقوا بقوله تعـالى وَ مـا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَ لاـ يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلّا فِى كِتابٍ. وربما قال قوم منهم إن الله تعالى يضـرب الأجل لزيـد خمسـين سـنهٔ أو مايشاء فيرجع عن ذلک فيما بعـد ويجعله أربعين أوثلاثين أو مايشاء وبنوه على قولهم فى البـداء. و قال أصـحابنا هـذايوجب أن يكون الله تعالى قـدأجل الآجال على التخمين دون التحقيق حيث أجل لزيـد خمسـين فقتل لعشـرين وأفسدوا أن يعلم الله تعالى الشـىء بشرط و أن يبدو له فيما يقضيه ويقدره بما هومشهور فى كتبهم . وقالوا فى الآيهٔ إن المراد بها أن ينقص سـبحانه بعض النـاس عن مقـدار أجـل المعمر بـأن يكون انتقص منه عمرا ليس أنه ينقص من عمر ذلـک المعمر.فـأما مشايخنـا أبو على و أبوهاشم فتوقفا فى هـذه المسألـهٔ وشـكا فى حياهٔ المقتول وموته وقالا لايجوز أن يبقى لو لم يقتل ويجوز أن يموت قالاـ لأـن حياته وموته مقـدوران لله عز و جل و ليس فى العقل مايـدل على قبـح واحـد منهما و لا فى الشـرع مايـدل على حصول واحـد منهما فوجب الشک فيهما إذ لادليل يـدل على واحـد منهما. -قرآن-۴۷۶-۵۴۶ [صفحه ۱۳۸] قالوا فأما احتجاج القـاطعين على موته فقـد ظهر فسـاده بما حكى من الجواب عنه .قالوا ومما يـدل على بطلانه من الكتاب العزيز قوله تعالى وَ لَكُم فِى القِصـاصِ حَيـاةٌ يـا أُولِي الأَلبـابِفحكم سـبحانه بـأن إثبـاته القصـاص ممـا يزجر القاتل عن القتل فتـدوم حياهٔ المقتول فلو كان المقتول يموت لو لم يقتله القاتل ما كان فى إثبات القصاص حياهٔ.قالوا و أمااحتجاج البغـداديين على القطع على حياته بما حكى عنهم فلاحجـهٔ فيه أمـاإلزام القاتـل القود والغرامـهٔ فلأنا غيرقاطعين على موت المقتول لو لم يقتل بل يجوز أن يبقى ويغلب ذلک على ظنوننـا لأـن الظـاهر من حال الحيوان الصـحيح ألا يموت فى ساعته و لا بعـدساعته وساعات فنحن نلزم القاتل القود والغرامهٔ لأـن الظـاهر أنه أبطل ما لو لم يبطله لبقى. وأيضا فموت المقتول لو لم يقتله القاتل لايخرج القاتل من كونه مسـيئا لأنه هو ألـذى تولى إبطـال الحيـاهٔ أ لاترى أن زيـدا لوقتل عمرا لكان مسـيئا إليه و إن كان المعلوم أنه لو لم يقتله لقتله خالـد فى ذلک الوقت . وأيضـا فلو لم يقتـل القاتـل المقتول و لم يذبـح الشـاهٔ حتى ماتـا لكـان يسـتحق المقتول ومالـک الشـاهٔ من الأعواض على البارئ سبحـانه أكثر مما يسـتحقانه على القاتل والذابـح فقـد أساء القاتل والذابـح حيث فوتا على المقتول ومالک الشاهٔ زيادهٔ الأعواض .فأمـا شـيخنا أبو الحسـين فاختـار الشـک أيضـا فى الأـمرين إلاـ فى صورهٔ واحـدهٔ فـإنه قطع فيها على دوام الحياهٔ وهى أن الظالم قـديقتل فى الوقت الواحـد الأـلوف الكثيرهٔ فى المكان الواحـد و لم تجر العادهٔ بموت مثلهم فى حالـهٔ واحـدهٔ فى المكان الواحد واتفـاق ذلک نقض العادهٔ و ذلک لايجوز. -قرآن-۱۳۸-۱۸۶ [صفحه ۱۳۹] قـال الشـيخ ليس يمتنع أن يقال فى مثل هؤلاء إنه يقطع على أن جميعهم ماكانوا يموتون فى ذلک المكان فى ذلک الوقت لو لم يقتلهم القاتل إن كان الوقت وقتا لايجوز انتقاض العادات فيه ولكن يجوز أن يموت بعضـهم دون بعض لأنه ليس فى موت الواحـد والاثنين فى وقت واحـد فى مكان واحد نقض عـادهٔ و لاـيمتنع هـذاالفرض من موتهم بـأجمعهم فى زمـان نبى من الأنبيـاء. و قـدذكرت فى كتبى المبسوطـهٔ فى علم الكلام فى هذاالباب ما ليس هذاالشرح موضوعا لاستقصائه [صفحه ۱۴۰]

۶۲- و من خطبهٔ له ع

أَلَا إِنّ الدّنيَا دَارٌ لَا يُسلَمُ مِنهَا إِلّا فِيهَا وَ لَا يُنجَى بشِيَءٍ كَانَ لَهَا ابتلُيَ النّاسُ بِهَا فِتنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنهَا لَهَا أَخرجُوا مِنهُ وَ حُوسِبُوا عَلَيهِ وَ مَا أَخَذُوهُ مِنهَا لِغَيرِهَا قَدِمُوا عَلَيهِ وَ أَقَامُوا فِيهِ فَإِنّهَا عِندَ ذوَيِ العُقُولِ كفَيَءِ الظّلّ بَينَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتّى قَلَصَ وَ زَائِداً حَتّى نَقَصَ
تقدير الكلام أن الدنيا دار لايسلم من عقاب ذنوبها إلا فيها و هذاحق لأن العقاب المستحق إنما يسقط بأحد أمرين إما بثواب على طاعات تفضل على ذلك العقاب المستحق أوبتوبة كاملة الشروط. وكلا الأمرين لايصح من المكلفين إيقاعه إلا فى الدنيا فإن الآخرة ليست دار تكليف ليصح من الإنسان فيهاعمل الطاعة والتوبة عن المعصية السالفة فقد ثبت إذا أن الدنيا دار لايسلم منها إلا فيها. إن قيل بينوا أن الآخرة ليست بدار تكليف .قيل قد بين الشيوخ ذلك بوجهين أحدهما الإجماع على المنع من تجويز استحقاق ثواب أوعقاب فى الآخرة. والثانى أن الثواب يجب أن يكون خالصا من المشاق والتكليف يستلزم المشقة لأنها شرط فى صحته فبطل أن يجوز استحقاق ثواب فى الآخرة للمكلفين المثابين فى الآخرة [صفحه ١٤١] لأجل تكاليفهم فى الآخرة و أماالمعاقبون فلو كانوا مكلفين لجاز وقوع التوبة منهم وسقوط العقاب بها و هذامعلوم فساده ضرورة من دين الرسول ع . وهاهنا اعتراضان أحدهما أن يقال فما قولكم فى قوله تعالى كُلُوا وَ اشرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسلَفتُم و هذاأمر وخطاب لأهل الجنة والأمر تكليف . والثانى أن الإجماع حاصل على أن أهل الجنة يشكرون الله تعالى والشكر عبادة و ذلك يستدعى استحقاق الثواب . والجواب عن الأول أن قوله كُلُوا وَ اشرَبُوا عندشيخنا أبى على رحمه الله تعالى ليس بأمر على الحقيقة و إن كانت له صورته كما فى قوله تعالى كُونُوا حِجارَةً أَو حَدِيداً. و أماالشيخ أبوهاشم فعنده أن قوله كُلُوا وَ اشرَبُواأمر لكنه زائد فى سرور أهل الجنة إذاعلموا أن الله تعالى أراد منهم الأكل وأمرهم به ولكنه ليس بتكليف لأن الأمر إنما يكون تكليفا إذاانضمت إليه المشقة. و أماالجواب عن الثانى فإن الشكر ألذى بالقلب رجوعه إلى الاعتقادات و الله تعالى يفعل فى أهل الجنة المعارف كلها فلاوجوب إذاعليهم و أماالشكر باللسان فيجوز أن يكون لهم فيه لذة فيكون بذلك غيرمناف للثواب الحاصل لهم . وبهذا الوجه نجيب عن قول من يقول أ ليس زبانية النار يعالجون أهل العذاب فى جهنم أعاذنا الله منها وهل هذا إلامحض تكليف لأنا نقول إنه يجوز أن يكون للزبانية فى ذلك لذة عظيمة فلايثبت التكليف معها كما لا يكون الإنسان مكلفا فى الدنيا بما يخلص إليه شهوته و لامشقة عليه فيه . -قرآن-٢٠٩-٢٥٠-قرآن-٤٣٥-٤٥٢-قرآن-٥٥٣-٥٨١-قرآن-٦٢١-٦٣٨ [صفحه ١٤٢] إن قيل هذاالجواب ينبئ على أن معارف أهل الآخرة ضرورية لأنكم أجبتم عن مسألة الشكر بأن الله تعالى يفعل المعارف فى أهل الجنة فدللوا على ذلك بل يجب عليكم أن تدللوا أولا على أن أهل الآخرة يعرفون الله تعالى .قيل أماالدليل على أنهم يعرفونه تعالى فإن المثاب لابد أن يعلم وصول الثواب إليه على الوجه ألذى استحقه و لايصح ذلك إلا مع المعرفة بالله تعالى ليعلم أن مافعله به هو ألذى لمستحقه والقول فى المعاقب كالقول فى المثاب . وأيضا فإن من شرط الثواب مقارنة التعظيم والتبجيل له من فاعل الثواب لأن تعظيم غيرفاعل الثواب لايؤثر والتعظيم لايعلم إلا مع العلم بالقصد إلى التعظيم ويستحيل أن يعلموا قصده تعالى و لايعلموه والقول فى العقاب وكون الاستحقاق والإهانة تقارنه تجرى هذاالمجرى .فأما بيان أن هذه المعرفة ضرورية فلأنها لوكانت من فعلهم لكانت إما أن تقع عن نظر يتحرون فيه ويلجئون إليه أو عن تذكر نظر أوبأن يلجئوا إلى نفس المعرفة من غيرتقدم نظر والأول باطل لأن ذلك تكليف و فيه مشقة و قدبينا سقوط التكليف فى الآخرة و لايجوز أن يلجئوا إلى النظر لأنهم لوألجئوا إلى النظر لكان إلجاؤهم إلى المعرفة أولا وإلجاؤهم إلى المعرفة يمنع من إلجائهم إلى النظر و لايجوز وقوعها عندتذكر النظر لأن المتذكر للنظر تعرض له الشبه ويلزمه دفعها و فى ذلك عود الأمر إلى التكليف و ليس معاينة الآيات بمانع عن وقوع الشبه كما لم تمنع معاينة المعجزات والأعلام عن وقوعها و لايجوز أن يكون الإلجاء إلى المعرفة لأن الإلجاء إلى أفعال القلوب لايصح إلا من الله تعالى فيجب أن يكون الملجأ إلى المعرفة عارفا بهذه القضية و فى ذلك استغناؤه بتقدم هذه المعرفة على الإلجاء إليها. إن قيل إذاقلتم إنهم مضطرون إلى المعارف فهل تقولون إنهم مضطرون إلى الأفعال . [صفحه ١٤٣] قيل لالأنه تعالى قال وَ

فاكِهَةٍ مِمّا يَتَخَيَّرُونَ ولأن من تدبر ترغيبات القرآن فی الجنة والثواب علم قطعا أن أهل الجنة غيرمضطرين إلی أفعالهم كمايضطر المرتعش إلی الرعشة. إن قيل فإذاكانوا غيرمضطرين فلم يمنعهم من وقوع القبيح منهم .قيل لأن الله تعالی قدخلق فيهم علما بأنهم متی حاولوا القبيح منعوا منه و هـذايمنع من الإقـدام علی القبيـح بطريق الإلجاء. ويمكن أيضا أن يعلمهم استغناءهم بالحسن عن القبيـح مع ما فی القبيح من المضـرة فيكونون ملجئين إلی ألا يفعلوا القبيح .فأما قوله ع و لاينجی بشـیء كان لها فمعناه أن أفعال المكلف التی يفعلها لأغراضه الدنيوية ليست طريقا إلی النجاة فی الآخرة كمن ينفق ماله رئاء الناس وليست طرق النجاة إلاأفعال البر التی يقصد فيهاوجه الله تعالی لا غير و قدأوضح ع ذلك بقوله فما أخذوه منها لها أخرجوا منه وحوسبوا عليه و ماأخذوه منها لغيرهـا قـدموا عليه وأقـاموا فيه .فمثـال الأول من يكتسب الأمـوال ويـدخرها لملاـذه ومثـال الثـانی من يكسـبها لينفقها فی سبيل الخيرات والمعروف . ثم قال ع وإنها عنـدذوی العقول كفیء الظل ... إلی آخر الفصل وإنما قال كفیء الظل لأن العرب تضـيف الشـیء إلی نفسه قال تأبط شرا –قرآن–۲۵–۵۵ إذاحـاص عينيه كری النوم لم يزل || له كالئ من قلب شـيحان فاتك . [صـفحه ۱۴۴] ويمكن أن يقـال الظل أعم من الفیء لأن الفیء لا يكون إلا بعـدالزوال و كل فیء ظل و ليس كل ظل فيئا فلما كان فيهما تغـاير معنوی بهـذا الاعتبـار صـحت الإضافـة. والسـابغ التـام وقلص أی انقبض . و قوله ع بينـا تراه أصـل بينا بين فأشـبعت الفتحة فصارت بينا علی وزن فعلی ثم تقول بينما فتزيد ما والمعنی واحد تقول بينا نحن نرقبه أتانا أی بين أوقات رقبتنا إياه أتانا والجمل تضـاف إليها أسـماء الزمان كقولك أتيتك زمن الحجاج أمير ثم حـذفت المضاف ألـذی هوأوقات وولی الظرف ألـذی هو بين الجملـة التی أقيمت مقام المضاف إليه كقوله وَ سئَلِ القَريَةَ. و كان الأصـمعی يخفض ببينا إذاصـلح فی موضـعه بين وينشد بيت أبی ذؤيب بـالجر –قرآن–۵۴۵–۵۶۲ بينـا تعنقه الكمـأة وروغه || يومـا أتيـح له جریء سـلفع . وغيره يرفع ما بعـدبينا وبينما علی الابتداء والخبر وينشد هذاالبيت علی الرفع . و هذاالمعنی متداول قال الشاعر ألا إنما الدنيا كظل غمامة || أظلت يسـيرا ثم خفت فولت . و قال ظل الغمام وأحلام المنام فما || تدوم يوما لمخلوق علی حال [صفحه ۱۴۵]

۶۳– و من خطبة له ع

اشاره

فَـاتّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُم بِأَعمَالِكُم وَ ابتَاعُوا مَا يَبقَی لَكُم بِمَا يَزُولُ عَنكُم وَ تَرَحّلُوا فَقَـد جُـدّ بِكُم وَ اسـتَعِدّوا لِلمَوتِ فَقَـد أَظَلّكُم وَ كُونُوا قَومـاً صِـيحَ بِهِم فَانتَبَهُوا وَ عَلِمُوا أَنّ الـدّنيَا لَيسَت لَهُم بِـدَارٍ فَاستَبدَلُوا فَإِنّ اللّهَ سُـبحَانَهُ لَم يَخلُقكُم عَبَثاً وَ لَم يَترُككُم سُدًی وَ مَا بَينَ أَحَدِكُم وَ بَينَ الجَنّةِ أَوِ النّارِ إِلّا المَوتُ أَن يَنزِلَ بِهِ وَ إِنّ غَايَةً تَنقُصُـهَا اللّحظَـةُ وَ تَهدِمُهَا السّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَـرِ المُـدّةِ وَ إِنّ غَائِباً يَحـدُوهُ الجَدِيدَانِ اللّيلُ وَ النّهَارُ لَحَرِيّ بِسُرعَةِ الأَوبَةِ وَ إِنّ قَادِماً يَقدَمُ بِالفَوزِ أَوِ الشّقوَةِ لَمُستَحِقّ لِأَفضَـلِ العُـدّةِ فَتَزَوّدُوا فِی الـدّنيَا مِنَ الـدّنيَا مَا تُحرِزُونَ بِهِ أَنفُسَـكُم غَـداً فَاتّقَی عَبـدٌ رَبّهُ نَصَـحَ نَفسَهُ وَ قَدّمَ تَوبَتَهُ وَ غَلَبَ شَـهوَتَهُ فَإِنّ أَجَلَهُ مَستُورٌ عَنهُ وَ أَمَلَهُ خَـادِعٌ لَهُ وَ الشّـيطَانُ مُوَكّـلٌ بِهِ يُزَيّنُ لَهُ المَعصِـيَةَ لِيَركَبَهَا وَ يُمَنّيهِ التّوبَـةَ لِيُسَوّفَهَا إِذَا هَجَمَت مَنِيّتُهُ عَلَيهِ أَغفَلَ مَا يَكُونُ عَنهَـا فَيَـا لَهَا حَسـرَةً عَلَی ذِي غَفلَـةٍ أَن يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيهِ حُجّـةً وَ أَن تُؤَدّيَهُ أَيّامُهُ إِلَی الشّـقوَةِ نَسأَلُ اللّهَ سُـبحَانَهُ أَن يَجعَلَنَا وَ إِيّاكُم مِمّن لَا تُبطِرُهُ نِعمَةٌ وَ لَا تُقَصّـرُ بِهِ عَن طَاعَةِ رَبّهِ غَايَةٌ وَ لَا تَحُلّ بِهِ بَعدَ المَوتِ نَدَامَةٌ وَ لَا كَآبَةٌ [صـفحه ۱۴۶] بادروا آجالكم بأعمالكم أی سابقوها وعاجلوها البـدار العجلـة وابتاعوا الآخرة الباقيـة بالـدنيا الفانيـة الزائلـة. و قوله فقـد جد بكم أی حثثتم علی الرحيل يقال جـد الرحيل و قدجـد بفلان إذاأزعج وحث علی الرحيل . واسـتعدوا للموت يمكن أن يكون بمعنی أعدوا فقد جاء

استفعل بمعنى أفعل كقولهم استجاب له أى أجابه . ويمكن أن يكون بمعنى الطلب كماتقول استطعم أى طلب الطعام فيكون بالاعتبار الأول كأنه قال أعدوا للموت عدة وبمعنى الاعتبار الثانى كأنه قال اطلبوا للموت عدة. وأظلكم قرب منكم كأنه ألقى عليهم ظله و هذا من باب الاستعارة. والعبث اللعب أو ما لاغرض فيه أو ما لاغرض صحيح فيه . و قوله و لم يترككم سدى أى مهملين . و قوله أن ينزل به موضعه رفع لأنه بدل من الموت والغائب المشار إليه هوالموت . ويحدوه الجديدان يسوقه الليل والنهار وقيل الغائب هنا هوالإنسان يسوقه الجديدان إلى الدار التى هى داره الحقيقية وهى الآخرة و هو فى الدنيا غائب على الحقيقة عن داره التى خلق لها والأول أظهر. و قوله فتزودوا فى الدنيا من الدنيا كلام فصيح لأن الأمر ألذى به يتمكن المكلف من إحراز نفسه فى الآخرة إنما هويكتسبه فى الدنيا منها و هوالتقوى والإخلاص والإيمان . والفاء فى قوله فاتقى عبدربه لبيان ماهية الأمر ألذى يحرز الإنسان به نفسه [صفحه ۱۴۷] ولتفصيل أقسامه وأنواعه كماتقول فعل اليوم فلان أفعالا جميلة فأعطى فلانا وصفح عن فلان وفعل كذا و قدروى اتقى عبدربه بلا فاء بتقدير هلا ومعناه التحضيض . و قدروى ليسوفها بكسر الواو وفتحها والضمير فى الرواية الأولى يرجع إلى نفسه و قدتقدم ذكرها قبل بكلمات يسيرة ويجوز أن يعنى به ليسوف التوبة كأنه جعلها مخاطبة يقول لها سوف أوقعك والتسويف أن يقول فى نفسه سوف أفعل وأكثر مايستعمل للوعد ألذى لانجاز له و من روى بفتح الواو جعله فعل ما لم يسم فاعله وتقديره ويمنيه الشيطان التوبة أى يجعلها فى أمنيته ليكون مسوفا إياها أى يعد من المسوفين المخدوعين . و قوله فيا لها حسرة يجوز أن يكون نادى الحسرة وفتحة اللام على أصل نداء المدعو كقولك ياللرجال و يكون المعنى هذاوقتك أيتها الحسرة فاحضرى ويجوز أن يكون المدعو غيرالحسرة كأنه قال ياللرجال للحسرة فتكون لامها مكسورة نحو الأصل لأنها المدعو إليه إلاأنها لماكانت للضمير فتحت أى أدعوكم أيها الرجال لتقضوا العجب من هذه الحسرة

عظة للحسن البصرى

و هذاالكلام من مواعظ أمير المؤمنين البالغة ونحوه من كلام الحسن البصرى ذكره شيخنا أبوعثمان فى البيان والتبيين [صفحه ۱۴۸] ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا و لاتبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا و إذارأيت الناس فى الخير فقاسمهم فيه و إذارأيتهم فى الشر فلاتغبطهم عليه البقاء هاهنا قليل والبقاء هناك طويل أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم و قدأسرع بخياركم فما تنتظرون المعاينة فكأن قدهيهات هيهات ذهبت الدنيا بحاليها وبقيت الأعمال قلائد فى الأعناق فيا لها موعظة لووافقت من القلوب حياة ألا إنه لاأمة بعدأمتكم و لانبى بعدنبيكم و لا كتاب بعدكتابكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم من رأى محمدا ص فقد رآه غاديا رائحا لم يضع لبنة على لبنة و لاقصبة على قصبة رفع له علم فسما إليه فالوحى الوحى النجاء النجاء على ماذا تعرجون ذهب أماثلكم وأنتم ترذلون كل يوم فما تنتظرون . إن الله بعث محمدا على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته وأنزل إليه كتابه و كان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض فآتاه فيهاقوتا وبلغة ثم قال لَقَد كانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌفركن أقوام إلى غيرعيشته وسخطوا مارضى له ربه فأبعدهم وأسحقهم . يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله امرأ نظر فتفكر وتفكر فاعتبر واعتبر -قرآن-۹۳۱-۹۸۲ [صفحه ۱۴۹] فأبصر وأبصر فأقصر فقد أبصر أقوام و لم يقصروا ثم هلكوا فلم يدركوا ماطلبوا و لارجعوا إلى مافارقوا. يا ابن آدم اذكر قوله عز و جل وَ كُلّ إِنسانٍ أَلزَمناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخرِجُ لَهُ يَومَ القِيامَةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنشُوراً اقرَأ كِتابَكَ كَفى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسِيباًعدل و الله عليك من جعلك حسيب نفسك .خذوا صفوة الدنيا ودعوا كدرها ودعوا مايريبكم إلى ما لايريبكم ظهر الجفاء و قلت العلماء

وعفت السنة وشاعت البدعة لقد صحبت أقواما ماكانت صحبتهم إلاقرة عين لكل مسلم وجلاء الصدور ولقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها وكانوا مما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها. ما لی أسمع حسيسا و لاأری أنيسا ذهب الناس وبقی النسناس لوتكاشفتم ماتدافنتم تهاديتم الأطباق و لم تتهادوا النصائح أعدوا الجواب فإنكم مسئولون إن المؤمن من لايأخذ دينه عن رأيه ولكن عن ربه ألا- إن الحق قدأجهد أهله وحال بينهم و بين شهواتهم و مايصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة و لايكره لقاء الله إلامقيم علی مايسخطه إن الإيمان ليس بالتمني و لابالتشهي ولكن ماوقر فی القلوب وصدقته الأعمال . و هذاكلام حسن وموعظة بالغة إلا أنه فی الجزالة والفصاحة دون كلام أمير المؤمنين ع بطبقات –قرآن-١٣٣-٢٩٤ [صفحه ١٥٠]

من خطب عمر بن عبدالعزيز

و من خطب عمر بن عبدالعزيز إن لكل سفر زادا لامحالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلی الآخرة فكونوا كمن عاين ماأعد الله تعالی من ثوابه وعقابه فرغبوا ورهبوا و لايطولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه و الله مابسط من لايدری لعله لايصبح بعدإمسائه و لايمسی بعدإصباحه وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا فكم رأينا وأنتم من كان بالدنيا مغترا فأصبح فی حبائل خطوبها ومناياها أسيرا وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة فأما من لا-يبرأ من كلم إلاأصابه جارح من ناحية أخری فكيف يفرح أعوذ بالله أن أخبركم بما أنهی عنه نفسی فتخيب صفقتی وتظهر عورتی وتبدو مسكنتی فی يوم يبدو فيه الغنی والفقير والموازين منصوبة والجوارح ناطقة لقد عنيتم بأمر لوعنيت به النجوم لانكدرت و لوعنيت به الجبال لذابت أو الأرض لانفطرت أ ماتعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلی أحدهما. و من خطب عمر بن عبدالعزيز أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا و لم تتركوا سدی و إن لكم معادا يبين الله لكم فيه الحكم والفصل بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التی وسعت كل شیء وحرم الجنة التی عرضها السموات و الأرض . [صفحه ١٥١] واعلموا أن الأمان لمن خاف الله وباع قليلا بكثير وفانيا بباق أ لاترون أنكم فی أسلاب الهالكين وسيسلبها بعدكم الباقون حتی ترد إلی خير الوارثين ثم إنكم فی كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلی الله عز و جل قدقضی نحبه وبلغ أجله تغيبونه فی صدع من الأرض ثم تدعونه غيرممهد و لاموسد قدصرم الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب وصار فی التراب غنيا عما ترك فقيرا إلی ماقدم

من خطب ابن نباتة

و من خطب ابن نباتة الجيدة فی ذكر الموت أيها الناس ماأسلس قياد من كان الموت جريره وأبعد سداد من كان هواه أميره وأسرع فطام من كانت الدنيا ظئره وأمنع جناب من أضحت التقوی ظهيره فاتقوا الله عباد الله حق تقواه وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه وتأهبوا لوثبات المنون فإنها كامنة فی الحركات والسكون بينما تری المرء مسرورا بشبابه مغرورا بإعجابه مغمورا بسعة اكتسابه مستورا عما خلق له لمايغری به إذ أسعرت فيه الأسقام شهابها وكدرت له الأيام شرابها وحومت عليه المنية عقابها وأعلقت فيه ظفرها ونابها فسرت فيه أوجاعه وتنكرت عليه طباعه وأظل رحيله ووداعه وقل عنه منعه ودفاعه فأصبح ذا بصر حائر وقلب طائر ونفس غابر فی قطب هلاك دائر قدأيقن بمفارقة أهله ووطنه وأذعن بانتزاع روحه عن بدنه حتی إذاتحقق منه اليأس

وحل به المحذور والبأس أومأ إلى خاص عواده موصيا لهم بأصاغر أولاده جزعا عليهم من ظفر أعدائه وحساده [صفحه ۱۵۲] والنفس بالسياق تجذب والموت بالفراق يقرب العيون لهول مصرعه تسكب والحامة عليه تعدد وتندب حتى تجلى له ملك الموت من حجبه فقضى فيه قضاء أمر ربه فعافه الجليس وأوحش منه الأنيس وزود من ماله كفنا وحصر فى الأرض بعمله مرتهنا وحيدا على كثرة الجيران بعيدا على قرب المكان مقيما بين قوم كانوا فزالوا وحوت عليهم الحادثات فحالوا لايخبرون بما إليه آلوا و لوقدروا على المقال لقالوا قدشربوا من الموت كأسا مرة و لم يفقدوا من أعمالهم ذرة وآلى عليهم الدهر ألية برة ألا يجعل لهم الدنيا كرة كأنهم لم يكونوا للعيون قرة و لم يعدوا فى الأحياء مرة أسكتهم ألذى أنطقهم وأبادهم ألذى خلقهم وسيوجدهم كماخلقهم ويجمعهم كمافرقهم يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الله الظالمين لنار جهنم وقودايَومَ تَجِدُ كُلّ نَفسٍ ما عَمِلَت مِن خَيرٍ مُحضَراً وَ ما عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدّ لَو أَنّ بَينَها وَ بَينَهُ أَمَداً بَعِيداً -قرآن-۷۱۶-۸۴۴[صفحه ۱۵۳]

۶۴- و من خطبة له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ أَلّذِى لَم يَسبِق لَهُ حَالٌ حَالًا فَيَكُونَ أَوّلًا قَبلَ أَن يَكُونَ آخِراً وَ يَكُونَ ظَاهِراً قَبلَ أَن يَكُونَ بَاطِناً كُلّ مُسَمّى بِالوَحدَةِ غَيرَهُ قَلِيلٌ وَ كُلّ عَزِيزٍ غَيرَهُ ذَلِيلٌ وَ كُلّ قوَيِّ غَيرَهُ ضَعِيفٌ وَ كُلّ مَالِكٍ غَيرَهُ مَملُوكٌ وَ كُلّ عَالِمٍ غَيرَهُ مُتَعَلّمٌ وَ كُلّ قَادِرٍ غَيرَهُ يَقدِرُ وَ يَعجِزُ وَ كُلّ سَمِيعٍ غَيرَهُ يَصَمّ عَن لَطِيفِ الأَصوَاتِ وَ يُصِمّهُ كَبِيرُهَا وَ يَذهَبُ عَنهُ مَا بَعُدَ مِنهَا وَ كُلّ بَصِيرٍ غَيرَهُ يَعمَى عَن خفَيِّ الأَلوَانِ وَ لَطِيفِ الأَجسَامِ وَ كُلّ ظَاهِرٍ غَيرَهُ غَيرُ بَاطِنٍ وَ كُلّ بَاطِنٍ غَيرَهُ غَيرُ ظَاهِرٍ لَم يَخلُق مَا خَلَقَهُ لِتَشدِيدِ سُلطَانٍ وَ لَا تَخَوّفٍ مِن عَوَاقِبِ زَمَانٍ وَ لَا استِعَانَةٍ عَلَى نِدّ مُثَاوِرٍ وَ لَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ وَ لَا ضِدّ مُنَافِرٍ وَ لَكِن خَلَائِقُ مَربُوبُونَ وَ عِبَادٌ دَاخِرُونَ لَم يَحلُل فِى الأَشيَاءِ فَيُقَالَ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ وَ لَم يَنأَ عَنهَا فَيُقَالَ هُوَ مِنهَا بَائِنٌ لَم يَؤُدهُ خَلقُ مَا ابتَدَأَ وَ لَا تَدبِيرُ مَا ذَرَأَ وَ لَا وَقَفَ بِهِ عَجزٌ عَمّا خَلَقَ وَ لَا وَلَجَت عَلَيهِ شُبهَةٌ فِيمَا قَضَى وَ قَدّرَ بَل قَضَاءٌ مُتقَنٌ وَ عِلمٌ مُحكَمٌ وَ أَمرٌ مُبرَمٌ المَأمُولُ مَعَ النّقَمِ المَرهُوبُ مَعَ النّعَمِ يصم بفتح الصاد لأن الماضى صممت يازيد والصمم فساد حاسة السمع ويصمه بكسرها يحدث الصمم عنده وأصممت زيدا. [صفحه ۱۵۴] والند المثل والنظير والمثاور المواثب والشريك المكاثر المفتخر بالكثرة والضد المنافر المحاكم فى الحسب نافرت زيدا فنفرته أى غلبته ومربوبون مملوكون وداخرون ذليلون خاضعون . و لم ينأ لم يبعد و لم يؤده لم يتعبه وذرأ خلق وولجت عليه الشبهة بفتح اللام أى دخلت والمرهوب المخوف .فأما قوله ألذى لم يسبق له حال حالا فيكون أولا قبل أن يكون آخرا فيمكن تفسيره على وجهين أحدهما أن معنى كونه أولا أنه لم يزل موجودا و لا شىء من الأشياء بموجود أصلا ومعنى كونه آخرا أنه باق لايزال و كل شيء من الأشياء يعدم عدما محضا حسب عدمه فيما مضى وذاته سبحانه ذات يجب لها اجتماع استحقاق هذين الاعتبارين معا فى كل حال فلاحال قط إلا ويصدق على ذاته أنه يجب كونها مستحقة للأولية والآخرية بالاعتبار المذكور استحقاقا ذاتيا ضروريا و ذلك الاستحقاق ليس على وجه وصف الترتيب بل مع خلاف غيره من الموجودات الجسمانية فإن غيره مما يبقى زمانين فصاعدا إذانسبناه إلى مايبقى دون زمان بقائه لم يكن استحقاقه الأولية والآخرية بالنسبة إليه على هذاالوصف بل إما يكون استحقاقا بالكلية بأن يكون استحقاقا قريبا فيكون إنما يصدق عليه أحدهما لأن الآخر لم يصدق عليه أويكونا معا يصدقان عليه مجتمعين غيرمرتبين لكن ليس ذلك لذات الموصوف بالأولية والآخرية بل إنما ذلك الاستحقاق لأمر خارج عن ذاته .الوجه الثانى أن يريد بهذا الكلام أنه تعالى لايجوز أن يكون موردا للصفات المتعاقبة على مايذهب إليه قوم من أهل

التوحيد قالوا لأنه واجب لذاته والواجب لذاته [صفحه ١٥٥] واجب من جميع جهاته إذ لوفرضنا جواز اتصافه بأمر جديد ثبوتى أوسلبى لقلنا إن ذاته لاتكفى فى تحققه و لوقلنا ذلك لقلنا إن حصول ذلك الأمر أوسلبه عنه يتوقف على حصول أمر خارج عن ذاته أو على عدم أمر خارج عن ذاته فتكون ذاته لامحالة متوقفة على حضور ذلك الحصول أوالسلب والمتوقف على المتوقف على الغير متوقف على الغير و كل متوقف على الغير ممكن والواجب لا يكون ممكنا فيكون معنى الكلام على هذاالتفسير نفى كونه تعالى ذا صفة بكونه أولا وآخرا بل إنما المرجع بذلك إلى إضافات لاوجود لها فى الأعيان و لا يكون ذلك من أحوال ذاته الراجعة إليها كالعالمية ونحوها لأن تلك أحوال ثابتة ونحن إنما ننفى عنه بهذه الحجة الأحوال المتعاقبة. و أما قوله أو يكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا فإن للباطل والظاهر تفسيرا على وجهين أحدهما أنه ظاهر بمعنى أن أدلة وجوده وأعلام ثبوته وإلهيته جلية واضحة ومعنى كونه باطنا أنه غيرمدرك بالحواس الظاهرة بل بقوة أخرى باطنة وهى القوة العقلية. وثانيهما أنانعنى بالظاهر الغالب يقال ظهر فلان على بنى فلان أى غلبهم ومعنى الباطن العالم يقال بطنت سر فلان أى علمته والقول فى نفيه عنه سبحانه أن يكون ظاهرا قبل كونه باطنا كالقول فيما تقدم من نفيه عنه سبحانه كونه أولا قبل كونه آخرا. و أما قوله كل مسمى بالوحدة غيره قليل فلأن الواحد أقل العدد ومعنى كونه واحدا يباين ذلك لأن معنى كونه واحدا إما نفى الثانى فى الإلهية أوكونه يستحيل عليها الانقسام و على كلا التفسيرين يسلب عنها مفهوم القلة. هذا إذافسرنا كلامه على التفسير الحقيقى و إن فسرناه على قاعدة البلاغة وصناعة [صفحه ١٥٦] الخطابة كان ظاهرا لأن الناس يستحقرون القليل لقلته ويستعظمون الكثير لكثرته قال الشاعر تجمعتم من كل أوب ووجهة || على واحد لازلتم قرن واحد . و أما قوله و كل عزيز غيره ذليل فهو حق لأن غيره من الملوك و إن كان عزيزا فهو ذليل فى قبضة القضاء والقدر و هذا هوتفسير قوله و كل قوى غيره ضعيف و كل مالك غيره مملوك . و أما قوله و كل عالم غيره متعلم فهو حق لأنه سبحانه مفيض العلوم على النفوس فهو المعلم الأول جلت قدرته . و أما قوله و كل قادر غيره يقدر ويعجز فهو حق لأنه تعالى قادر لذاته ويستحيل عليه العجز وغيره قادر لأمر خارج عن ذاته أمالقدرة كماقاله قوم أولبنية وتركيب كماقاله قوم آخرون والعجز على من عداه غيرممتنع و عليه مستحيل . و أما قوله ع و كل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعدمنها فحق لأن كل ذى سمع من الأجسام يضعف سمعه عن إدراك خفى الأصوات ويتأثر من شديدها وقويها لأنه يسمع بآلة جسمانية والآلة الجسمانية ذات قوة متناهية واقفة عندحد محدود والبارى تعالى بخلاف ذلك . واعلم أن أصحابنا اختلفوا فى كونه تعالى مدركا للمسموعات والمبصرات فقال شيخنا أبو على و أبوهاشم وأصحابهما إن كونه مدركا صفة زائدة على كونه عالما وقالا إنا نصف البارى تعالى فيما لم يزل بأنه سميع بصير و لانصفه بأنه سامع مبصر ومعنى كونه سامعا مبصرا أنه مدرك للمسموعات والمبصرات . [صفحه ١٥٧] و قال شيخنا أبوالقاسم و أبو الحسين وأصحابهما أن معنى كونه تعالى مدركا هو أنه عالم بالمدركات و لاصفة له زائدة على صفته بكونه عالما و هذاالبحث مشروح فى كتبى الكلامية لتقرير الطريقين و فى شرح الغرر وغيرهما. والقول فى شرح قوله و كل بصير غيره يعمى عن خفى الألوان ولطيف الأجسام كالقول فيما تقدم فى إدراك السمع . و أما قوله و كل ظاهر غيره غيرباطن و كل باطن غيره غيرظاهر فحق لأن كل ظاهر غيره على التفسير الأول فليس بباطن كالشمس والقمر وغيرهما من الألوان الظاهرة فإنها ليست إنما تدرك بالقوة العقلية بل بالحواس الظاهرة و أما هوسبحانه فإنه أظهر وجودا من الشمس لكن ذلك الظهور لم يمكن إدراكه بالقوى الحاسة الظاهرة بل بأمر آخر إما خفى فى باطن هذاالجسد أومفارق ليس فى الجسد و لا فى جهة أخرى غيرجهة الجسد. و أما على التفسير الثانى فلأن كل ملك ظاهر على رعيته أو على خصومه وقاهر لهم ليس بعالم ببواطنهم و ليس مطلعا على سرائرهم والبارئ تعالى بخلاف ذلك و إذافهمت شرح القضية الأولى فهمت شرح الثانية وهى قوله و كل باطن غيره غيرظاهر

اختلاف الأقوال فی خلق العالم

فأما قوله لم یخلق ماخلقه لتشدید سلطانه إلی قوله عباد داخرون فاعلم أن [صفحه ۱۵۸] الناس اختلفوا فی کمیة خلقه تعالی للعالم ماهی علی أقوال القول الأول قول الفلاسفة قال محمد بن زکریا الرازی عن أرسطاطالیس إنه زعم أن العالم کان عن الباریء تعالی لأن جوهره وذاته جوهر وذات مسخرة للمعدوم أن یکون مسخرا موجودا. قال وزعم ابن قیس أن علة وجود العالم وجود الباریء. قال و علی کلا القولین یکون العالم قدیما أما علی قول أرسطو فلأن جوهر ذات الباریء لما کان قدیما لم یزل وجب أن یکون أثرها ومعلولها قدیما و أما علی قول ابن قیس فلأن الباریء موجود لم یزل لأن وجوده من لوازم ذاته فوجب أن یکون فیضه وأثره أیضا لم یزل هکذا. قال ابن زکریا فأما ألذی یقول أصحاب أرسطاطالیس الآن فی زماننا فهو أن العالم لم یجب عن الله سبحانه عن قصد و لاغرض لأن کل من فعل فعلا لغرض کان حصول ذلک الغرض له أولی من لاحصوله فیکون کاملا لحصول ذلک الغرض وواجب الوجود لایجوز أن یکون کاملا بأمر خارج عن ذاته لأن الکامل لا من ذاته ناقص من ذاته .قالوا لکن تمثل نظام العالم فی علم واجب الوجود یقتضی فیض ذلک النظام منه قالوا و هذامعنی قول الحکماء الأوائل إن علمه تعالی فعلی لاانفعالی و إن العلم علی قسمین أحدهما ما یکون المعلوم سببا له والثانی ما یکون هوسبب المعلوم مثال الأول أن نشاهد صورة فنعلمها ومثال الثانی أن یتصور الصائغ أوالنجار أوالبناء کیفیة العمل فیوقعه فی الخارج علی حسب ماتصوره . [صفحه ۱۵۹] قالوا وعلمه تعالی من القسم الثانی و هذا هوالمعنی المعبر عنه بالعنایة و هوإحاطة علم الأول الحق سبحانه بالکل وبالواجب أن یکون علیه الکل حتی یکون علی أحسن النظام وبأن ذلک واجب عن إحاطته فیکون الموجود وفق المعلوم من غیرانبعاث قصد وطلب عن الأول الحق سبحانه فعلمه تعالی بکیفیة الصواب فی ترتیب الکل هوالمنبع لفیضان الوجود فی الکل .القول الثانی قول حکاه أبوالقاسم البلخی عن قدماء الفلاسفة و إلیه کان یذهب محمد بن زکریا الرازی من المتأخرین . و هو أن علة خلق الباریء للعالم تنبیه النفس علی أن ماتراه من الهیولی وتریده غیرممکن لترفض محبتها إیاها وعشقها لها وتعود إلی عالمها الأول غیرمشتاقة إلی هذاالعالم . واعلم أن هذاالقول هوالقول المحکی عن الحرنانیة أصحاب القدماء الخمسة وحقیقة مذهبهم إثبات قدماء خمسة اثنان منهم حیان فاعلان وهما الباریء تعالی والنفس ومرادهم بالنفس ذات هی مبدأ لسائر النفوس التی فی العالم کالأرواح البشریة والقوی النباتیة والنفوس الفلکیة ویسمون هذه الذات النفس الکلیة وواحد من الخمسة منفعل غیرحی و هوالهیولی واثنان لاحیان و لافاعلان و لامنفعلان وهما الدهر والقضاء قالوا والباریء تعالی هومبدأ العلوم والمنفعلات و هوقائم العلم والحکمة کما أن النفس مبدأ الأرواح والنفوس فالعلوم والمنفعلات تفیض من الباریء سبحانه فیض النور عن قرص الشمس والنفوس والأرواح تفیض عن النفس الکلیة فیض النور عن القرص إلا أن النفوس جاهلة لاتعرف الأشیاء إلا علی أحد وجهین إما أن یفیض فیض الباریء تعالی علیها تعقلا وإدراکا وإما أن تمارس غیرها وتمازجه فتعرف ماتعرف باعتبار الممارسة والمخالطة معرفة ناقصة و کان الباریء تعالی فی الأزل عالما بأن النفس تمیل إلی التعلق بالهیولی [صفحه ۱۶۰] وتعشقها وتطلب اللذة الجسمانیة وتکره مفارقة الأجسام وتنسی نفسها و لما کان الباریء سبحانه قائم العلم والحکمة اقتضت حکمته ترکب الهیولی لماتعلقت النفس بهاضروبا مختلفة من التراکیب فجعل منها أفلاکا وعناصر وحیوانات ونباتات فأفاض علی النفوس تعقلا وشعورا جعله سببا لتذکرها عالمها الأول ومعرفتها أنها مادامت فی هذاالعالم مخالطة للهیولی لم تنفک عن الآلام فیصیر ذلک مقتضیا شوقها إلی عالمها الأول ألذی لها فیه اللذات الخالیة عن الآلام ورفضها هذاالعالم ألذی هوسبب أذاها ومضرتها.القول الثالث قول المجوس إن الغرض من خلق العالم أن یتحصن الخالق جل اسمه من العدو و أن یجعل العالم شبکة له لیوقع العدو فیه ویجعله فی ربط ووثاق والعدو عندهم هوالشیطان وبعضهم یعتقد قدمه وبعضهم حدوثه . قال قوم منهم إن الباریء تعالی استوحش ففکر

فكرة رديئة فتولد منها الشيطان . و قال آخرون بل شك شكا رديئا فتولد الشيطان من شكه . و قال آخرون بل تولد من عفونة رديئة قديمة وزعموا أن الشيطان حارب البارئ سبحانه و كان فى الظلم لم يزل بمعزل عن سلطان البارئ سبحانه فلم يزل يزحف حتى رأى النور فوثب وثبة عظيمة فصار فى سلطان الله تعالى فى النور وأدخل معه الآفات والبلايا والسرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك و الأرض والعناصر شبكة له و هو فيهامحبوس لايمكنه الرجوع إلى سلطانه الأول وصار فى الظلمة فهو أبدا يضطرب ويرمى الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياه الله رماه الشيطان بالموت و من أصحه رماه الشيطان بالسقم و من سره رماه بالحزن والكآبة فلايزال كذلك و كل يوم ينتقص سلطانه وقوته لأن الله تعالى يحتال له كل يوم ويضعفه إلى أن تذهب قوته كلها [صفحه ۱۶۱] وتجمد وتصير جمادا لاحراك به فيضعه الله تعالى حينئذ فى الجو والجو عندهم هوالظلمة و لامنتهى له فيصير فى الجو جمادا جامدا هوائيا ويجمع الله تعالى أهل الأديان فيعذبهم بقدر مايطهرهم ويصفيهم من طاعة الشيطان ويغسلهم من الأدناس ثم يدخلهم الجنة وهى جنة لاأكل فيها و لاشرب و لاتمتع ولكنها موضع لذة وسرور.القول الرابع قول المانوية و هو أن النور لانهاية له من جهة فوق و أما من جهة تحت فله نهاية والظلمة لانهاية لها من جهة أسفل و أما من جهة فوق فلها نهاية و كان النور والظلمة هكذا قبل خلق العالم وبينهما فرجة و أن بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأسرته الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فحارب الظلمة ليستخلص المأسورين من تلك الأجزاء وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة فاقتضت حكمة نور الأنوار و هوالبارئ سبحانه عندهم أن عمل الأرض من لحوم القتلى والجبال من عظامهم والبحار من صديدهم ودمائهم والسماء من جلودهم وخلق الشمس والقمر وسيرهما لاستقصاء ما فى هذاالعالم من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة وجعل حول هذاالعالم خندقا خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستقصى فهو لايزال يزيد ويتضاعف ويكثر فى هذاالخندق و هوظلام صرف قداستقصى نوره و أماالنور المستخلص فيلحق بعدالاستقصاء بعالم الأنوار من فوق فلاتزال الأفلاك متحركة والعالم مستمرا إلى أن يتم استقصاء النور الممتزج وحينئذ يبقى من النور الممتزج شيءيسير فينعقد بالظلمة لاتقدر النيران على استقصائه فعند ذلك تسقط الأجسام العالية وهى الأفلاك على الأجسام السافلة وهى الأرضون وتثور نار وتضطرم فى تلك الأسافل [صفحه ۱۶۲] وهى المسماة بجهنم و يكون الاضطرام مقدار ألف وأربعمائة سنة فتحلل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور الممتزجة بأجزاء الظلمة التى عجز الشمس والقمر عن استقصائها فيرتفع إلى عالم الأنوار ويبطل العالم حينئذ ويعود النور كله إلى حالة الأولى قبل الامتزاج فكذلك الظلمة.القول الخامس قول متكلمى الإسلام و هو على وجوه أولها قول جمهور أصحابنا إن الله تعالى إنما خلق العالم للإحسان إليهم والإنعام على الحيوان لأن خلقه حيا نعمة عليه لأن حقيقة النعمة موجودة فيه و ذلك أن النعمة هى المنفعة المفعولة للإحسان ووجود الجسم حيا منفعة مفعولة للإحسان أمابيان كون ذلك منفعة فلأن المنفعة هى اللذة والسرور ودفع المضار المخوفة و ماأدى إلى ذلك وصححه أ لاترى أن من أشرف على أن يهوى من جبل فمنعه بعض الناس من ذلك فإنه يكون منعما عليه و من سر غيره بأمر وأوصل إليه لذة يكون قدأنعم عليه و من دفع إلى غيره مالا يكون قدأنعم عليه لأنه قدمكنه بدفعه إليه من الانتفاع وصححه له و لاريب أن وجودنا أحياء يصحح لنا اللذات ويمكننا منها لأنا لو لم نكن أحياء لم يصح ذلك فينا قالوا وإنما قلنا إن هذه المنفعة مفعولة للإحسان لأنها إما أن تكون مفعولة لالغرض أولغرض والأول باطل لأن مايفعل لالغرض عبث والبارئ سبحانه لايصح أن تكون أفعاله عبثا لأنه حكيم . و أماالثانى فإما أن يكون ذلك الغرض عائدا عليه سبحانه بنفع أودفع ضرر أويعود على غيره والأول باطل لأنه غنى لذاته يستحيل عليه المنافع والمضار و لايجوز أن يفعله لمضرة يوصلها إلى غيره لأن القصد إلى الإضرار بالحيوان من غيراستحقاق و لامنفعة يوصل إليها بالمضرة قبيح تعالى الله عنه فثبت أنه سبحانه إنما خلق الحيوان [صفحه ۱۶۳] لنفعه و أما غيرالحيوان فلو لم يفعله لينفع به الحيوان لكان خلقه عبثا والبارئ تعالى لايجوز عليه العبث فإذاجميع ما فى العالم إنما خلقه لينفع به الحيوان .فهذا

هوالكلام فی علة خلق العالم عندهم و أماالكلام فی وجه حسن تكليف الإنسان فذاك مقام آخر لسنا الآن فی بيانه و لاالحاجة داعية إليه . وثانيها قول قوم من أصحابنا البغداديين إنه خلق الخلق ليظهر به لأرباب العقول صفاته الحميدة وقدرته علی كل ممكن وعلمه بكل معلوم و مايستحقه من الثناء والحمد قالوا و قدورد الخبر أنه تعالی قال كنت كنزا لاأعرف فأحببت أن أعرف -روايت-١-٦٧ و هذاالقول ليس بعيدا. وثالثها للمجبرة إنه خلق الخلق لالغرض أصلا و لايقال لم كان كل شیءلعلة و لاعلة لفعله ومذهب الأشعری وأصحابه أن إرادته القديمة تعلقت بإيجاد العالم فی الحال التی وجد فيهالذاتها و لالغرض و لالداع و ما كان يجوز ألا يوجد العالم حيث وجد لأن الإرادة القديمة لايجوز أن تتقلب وتتغير حقيقتها وكذلك القول عندهم فی أجزاء العالم المجددة من الحركات والسكنات والأجسام وسائر الأعراض . ورابعها قول بعض المتكلمين إن الباری‌ء تعالی إنما فعل العالم لأنه ملتذ بأن يفعل وأجاز أرباب هذاالقول عليه اللذة والسرور والابتهاج قالوا والباری‌ء سبحانه و إن كان قبل أن يخلق العالم ملتذا بكونه قادرا علی خلق العالم إلا أن لذة الفعل أقوی من لذة القدرة علی الفعل كان يلتذ بأنه قادر علی أن يكتب خطا مستحسنا أويبنی بيتا محكما فإنه إذاأخرج تلك الصناعة من القوة إلی الفعل كانت لذته أتم وأعظم قالوا و لم يثبت بالدليل العقلی استحالة اللذة عليه و قدورد فی الآثار النبوية أن الله تعالی يسر واتفقت الفلاسفة علی أنه ملتذ بذاته وكماله . [صفحه ١٦٤] وعندی فی هذاالقول نظر و لی فی اللذة والألم رسالة مفردة و أما قوله لم يحلل فی الأشياء فيقال لا هو فيهاكائن و لامنها مباين فينبغی أن يحمل علی أنه أراد أنه لم ينأ عن الأشياء نأيا مكانيا فيقال هوبائن بالمكان هكذا ينبغی أن يكون مراده لأنه لايجوز إطلاق القول بأنه ليس ببائن عن الأشياء وكيف والمجرد بالضرورة بائن عن ذی الوضع ولكنها بينونة بالذات لابالجهة والمسلمون كلهم متفقون علی أنه تعالی يستحيل أن يحل فی شیء إلا من اعتزی إلی الإسلام من الحلولية كالذين قالوا بحلوله فی علی وولده وكالذين قالوا بحلوله فی أشخاص يعتقدون فيهاإظهاره كالحلاجية وغيرهم والدليل علی استحالة حلوله سبحانه فی الأجسام أنه لوصح أن يحل فيها لم يعقل منفردا بنفسه أبدا كما أن السواد لايعقل كونه غيرحال فی الجسم لأنه لويعقل غيرحال فی الجسم لم يكن سوادا و لايجوز أن يكون الله تعالی حالا أبدا و لا أن يلاقی الجسم إذ ذلك يستلزم قدم الأجسام و قدثبت أنها حادثة.فأما قوله لم يؤده خلقماابتدأ إلی قوله عما خلق فهو حق لأنه تعالی قادر لذاته والقادر لذاته لايتعب و لايعجز لأنه ليس بجسم و لاقادر بقدرة يقف مقدورها عندحد وغاية بل إنما يقدر علی شیءلأنه تعالی ذات مخصوصة يجب لها أن تقدر علی الممكنات فيكون كل ممكن داخلا تحت هذه القضية الكلية والذات التی تكون هكذا لاتعجز و لاتقف مقدوراتها عندحد وغاية أصلا ويستحيل عليها التعب لأنها ليست ذات أعضاء وأجزاء. و أما قوله و لاولجت عليه شبهة إلی قوله وأمر مبرم فحق لأنه تعالی عالم لذاته أی إنما علم ماعلمه لابمعنی أن يتعلق بمعلوم دون معلوم بل إنما علم أی شیءأشرت إليه لأنه ذات مخصوصة ونسبة تلك الذات إلی غير ذلك الشیء المشار إليه [صفحه ١٦٥] كنسبتها إلی المشار إليه فكانت عالمة بكل معلوم واستحال دخول الشبهة عليها فيما يقضيه ويقدره . و أما قوله المأمول مع النقم المرهوب مع النعم فمعنی لطيف و إليه وقعت الإشارة بقوله تعالی أَ فَأَمِنَ أَهلُ القُری أَن يَأتِيَهُم بَأسُنا بَياتاً وَ هُم نائِمُونَ أَ وَ أَمِنَ أَهلُ القُری أَن يَأتِيَهُم بَأسُنا ضُحًی وَ هُم يَلعَبُونَ و قوله سبحانه سَنَستَدرِجُهُم مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ و قوله تعالی فَإِنّ مَعَ العُسرِ يُسراً إِنّ مَعَ العُسرِ يُسراً و قوله سبحانه فَعَسی أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَ يَجعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراً و إليه نظر الشاعر فی قوله -قرآن-١٩٥-٣٣٩-قرآن-٣٥٥-٣٩٣-قرآن-٤٠٩-٤٥٩-قرآن-٤٧٥-٥٤١ من عاش لاقی مايسوء || من الأمور و مايسر ولرب حتف فوقه || ذهب وياقوت ودر . و قال البحتری يسرك الشیء قديسوء وكم || نوه يوما بخامل لقبه لاييئس المرء أن ينجيه || مايحسب الناس أنه عطبه . و قال آخر رب غم يدب تحت سرور || وسرور يأتی من المحذور . و قال سعيد بن حميد كم نعمة مطوية || لك بين أثناء النوائب [صفحه ١٦٦] ومسرة قدأقبلت || من حيث تنتظر المصائب . و قال آخر أنتظر الروح وأسبابه || أيأس ماكنت من الروح . و قال آخر ربما تجزع النفوس من الأمر

|| له فرجة كحل العقال . و قال آخر العسر أكرمه ليسر بعده || ولأجل عين ألف عين تكرم والمرء يكره يومه ولعله || يأتيه فيه سعادة لاتعلم . و قال الحلاج ولربما هاج الكبير || من الأمور لك الصغير ولرب أمر قدتضيق || به الصدور و لايصير . و قال آخر ياراقد الليل مسرورا بأوله || إن الحوادث قديطرقن أسحارا . و قال آخر كم مرة حفت بك المكاره || خار لك الله و أنت كاره . و من شعرى ألذى أناجي به البارئ سبحانه فى خلواتي و هوفن أطويه وأكتمه عن الناس وإنما ذكرت بعضه فى هذاالموضع لأن المعنى ساق إليه والحديث ذو شجون يا من جفاني فوجدى بعده عدم || هبنى أسأت فأين العفو والكرم [صفحه ١٦٧] أناالمرابط دون الناس فاجف وصل || واقبل وعاقب وحاسب لست انهزم إن المحب إذاصحت محبته || فما لوقع المواضى عنده ألم وحق فضلك مااستيأست من نعم || تسرى إلي و إن حلت بى النقم و لاـأمنت نكالا منك أرهبه || و إن ترادفت الآلاء والنعم حاشاك تعرض عمن فى حشاشته || نار لحبك طول الدهر تضطرم أ لم تقل إن من يدنو إلى قدر الذراع || أدنو له باعا وأبتسم و الله و الله لوعاقبتني حقبا || بالنار تأكلني حطما وتلتهم ماحلت عن حبك الباقى فليس على || حال بمنصرم والدهر ينصرم [صفحه ١٦٨]

۶۵- و من كلام له ع كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صفين

اشاره

مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ استَشعِرُوا الخَشيَةَ وَ تَجَلبَبُوا السّكِينَةَ وَ عَضّوا عَلَى النّوَاجِذِ فَإِنّهُ أَنبَى لِلسّيُوفِ عَنِ الهَامِ وَ أَكمِلُوا اللّامَةَ وَ قَلقِلُوا السّيُوفَ فِي أَغمَادِهَا قَبلَ سَلّهَا وَ الحَظُوا الخَزرَ وَ اطعُنُوا الشّزرَ وَ نَافِحُوا بِالظّبَى وَ صِلُوا السّيُوفَ بِالخُطَا وَ اعلَمُوا أَنّكُم بِعَينِ اللّهِ وَ مَعَ ابنِ عَمّ رَسُولِ اللّهِ فَعَاوِدُوا الكَرّ وَ استَحيُوا مِنَ الفَرّ فَإِنّهُ عَارٌ فِي الأَعقَابِ وَ نَارٌ يَومَ الحِسَابِ وَ طِيبُوا عَن أَنفُسِكُم نَفساً وَ امشُوا إِلَى المَوتِ مَشياً سُجُحاً وَ عَلَيكُم بِهَذَا السّوَادِ الأَعظَمِ وَ الرّوَاقِ المُطَنّبِ فَاضرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنّ الشّيطَانَ كَامِنٌ فِي كِسرِهِ وَ قَد قَدّمَ لِلوَثبَةِ يَداً وَ أَخّرَ لِلنّكُوصِ رِجلًا فَصَمداً صَمداً حَتّى يَنجَلِيَ لَكُم عَمُودُ الحَقّ وَ أَنتُمُ الأَعلَونَ وَ اللّهُ مَعَكُم وَ لَن يَتِرَكُم أَعمَالَكُم قوله استشعروا الخشية أى اجعلوا الخوف من الله تعالى من شعاركم والشعار من الثياب ما يكون دون الدثار و هويلى الجلد و هوألصق ثياب الجسد و هذه استعارة حسنة والمراد بذلك أمرهم بملازمة الخشية والتقوى كما أن الجلد يلازم الشعار. [صفحه ١٦٩] قوله وتجلببوا السكينة أى اجعلوا السكينة والحلم والوقار جلبابا لكم والجلباب الثوب المشتمل على البدن . قوله وعضوا على النواجذ جمع ناجذ و هوأقصى الأضراس وللإنسان أربعة نواجذ فى كل شق والنواجذ بعدالأرحاء ويسمى الناجذ ضرس الحلم لأنه ينبت بعدالبلوغ وكمال العقل ويقال إن العاض على نواجذه ينبو السيف عن هامته نبوا ما و هذامما يساعد التعليل الطبيعى عليه و ذلك أنه إذاعض على نواجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماغه وزال عنها الاسترخاء فكانت على مقاومة السيف أقدر و كان تأثير السيف فيهاأقل . و قوله فإنه أنبى الضمير راجع إلى المصدر ألذى دل الفعل عليه تقديره فإن العض أنبى كقولهم من فعل خيرا كان له خيرا أى كان فعله خيرا وأنبى أفعل من نبا السيف إذا لم يقطع . قال الراوندى هذاكلام ليس على حقيقته بل هوكناية عن الأمر بتسكين القلب وترك اضطرابه واستيلاء الرعدة عليه إلى أن قال ذلك أشد إبعادا لسيف العدو عن هامتكم . قوله وأكملوا اللأمة اللأمة بالهمزة الدرع والهمزة ساكنة على فعلة مثل النأمة للصوت وإكمالها أن يزاد عليها البيضة والسواعد ونحوها ويجوز أن يعبر باللأمة عن جميع أداة الحرب كالدرع والرمح والسيف يريد أكملوا السلاح ألذى تحاربون العدو به . قوله وقلقلوا السيوف فى أغمادها قبل سلها يوم الحرب لئلا يدوم مكثها فى الأجفان فتلحج فيهافيستصعب

سلها وقت الحاجة إليها. و قوله والحظوا الخزر الخزر أن ينظر الإنسان بعينه وكأنه ينظر بمؤخرها وهى أمارة الغضب و ألذى أعرفه الخزر بالتحريك قال الشاعر [صفحه ١٧٠] إذاتخازرت و مابى من خزر || ثم كسرت العين و مابى من عور ألفيتنى ألوى بعيد المستمر || أحمل ماحملت من خير وشر . فإن كان قدجاء مسكنا فتسكينه جائز للسجعة الثانية وهى قوله واطعنوا الشزر والطعن شزرا هوالطعن عن اليمين والشمال و لايسمى الطعن تجاه الإنسان شزرا وأكثر ماتستعمل لفظة الشزر فى الطعن لما كان عن اليمين خاصة وكذلك إدارة الرحى وخزرا وشزرا صفتان لمصدرين محذوفين تقديره الحظوا لحظا خزرا واطعنوا طعنا شزرا وعين اطعنوا مضمومة يقال طعنت بالرمح اطعن بالضم وطعنت فى نسبه أطعن بالفتح أى قدحت قال يطوف بى عكب فى معد || ويطعن بالصملة فى قفيا . قوله نافحوا بالظبى أى ضاربوا نفحة بالسيف أى ضربة ونفحت الناقة برجلها أى ضربت والظبى جمع ظبة وهى طرف السيف . قوله وصلوا السيوف بالخطا مثل قول الشاعر إذاقصرت أسيافنا كان وصلها || خطانا إلى أعدائنا فنضارب .قالوا بكسر نضارب لأنه معطوف على موضع جزاء الشرط ألذى هو إذا. و قال آخر نصل السيوف إذاقصرن بخطونا || يوما ونلحقها إذا لم تلحق . وأنشدنى شيخنا أبوالقاسم الحسين بن عبد الله العكبرى و لم يسم قائله ووجدته بعدلنابغة بنى الحارث بن كعب إن تسألى عنا سمى فإنه || يسمو إلى قحم العلا أدنانا [صفحه ١٧١] وتبيت جارتنا حصانا عفة || ترضى ويأخذ حقه مولانا ونقوم إن رق المنون بسحرة || لوصاة والدنا ألذى أوصانا ألا نفر إذاالكتيبة أقبلت || حتى تدور رحاهم ورحانا وتعيش فى أحلامنا أشياخنا || مردا و ماوصل الوجوه لحانا و إذاالسيوف قصرن طولها لنا || حتى تناول مانريد خطانا . و قال حميد بن ثور الهلالى إلى أن نزلنا بالفضاء و مالنا || به معقل إلاالرماح الشواجر ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا || إذاظن أن المرء ذا السيف قاصر . و هذه الأبيات من قطعة لحميد جيدة و من جملتها قضى الله فى بعض المكاره للفتى || برشد و فى بعض الهوى مايحاذر أ لم تعلمى أنى إذاالإلف قادنى || إلى الجور لاانقاد والإلف جائر و قدكنت فى بعض الصباوة أتقى || أمورا وأخشى أن تدور الدوائر وأعلم أنى أن تغطيت مرة || من الدهر مكشوف غطائى فناظر . و من المعنى ألذى نحن فى ذكره ماروى أن رجلا من الأزد رفع إلى المهلب سيفا له فقال ياعم كيف ترى سيفى هذا فقال إنه لجيد لو لا أنه قصير قال أطوله ياعم بخطوتى فقال و الله يا ابن أخى أن المشى إلى الصين أو إلى آذربيجان على أنياب الأفاعى أسهل من تلك الخطوة و لم يقل المهلب ذلك جبنا بل قال ماتوجبه الصورة إذ كانت [صفحه ١٧٢] تلك الخطوة قريبة للموت قال أبوسعد المخزومى فى هذاالمعنى رب نار رفعتها ودجى الليل || على الأرض مسبل الطيلسان وأمون نحرتها لضيوف || وألوف نقدتهن لجانى وحروب شهدتها جامع القلب || فلم تنكر الكماة مكانى و إذا ماالحسام كان قصيرا || طولته إلى العدو بنانى . من الناس من يرويها فى ديوانه لجانى بالجيم أى حملت الحمالة عنه ومنهم من يرويها بالحاء يعنى الخمار. و من المعنى المذكور أولا قول بعض الشعراء يمدح صخر بن عمرو بن الشريد الأسلمى إن ابن عمرو بن الشريد || له فخار لايرام وحجا إذاعدم الحجا || وندى إذابخل الغمام يصل الحسام بخطوة || فى الروع إن قصر الحسام . ومثله قول الراجز يخطو إذا ماقصر العضب الذكر || خطوا ترى منه المنايا تبتدر . ومثله وإنا لقوم مانرى القتل سبة || إذا مارأته عامر وسلول يقصر ذكر الموت آجالنا لنا || وتكرهه آجالهم فتطول . ومنها و إن قصرت أسيافنا كان وصلها || خطانا إلى أعدائنا فتطول . [صفحه ١٧٣] ومثله قول وداك بن ثميل المازنى مقاديم وصالون فى الروع خطوهم || بكل رقيق الشفرتين يمانى إذااستنجدوا لم يسألوا من دعاهم || لأية حرب أم بأى مكان . و قال آخر إذاالكماة تنحوا أن يصيبهم || حد السيوف وصلناها بأيدينا . و قال آخر وصلنا الرقاق المرهفات بخطونا || على الهول حتى أمكنتنا المضارب . و قال بعض الرجاز الطاعنون فى النحور والكلى || والواصلون للسيوف بالخطا . قوله ع واعلموا أنكم بعين الله أى يراكم ويعلم أعمالكم والباء هاهنا كالباء فى قوله أنت بمرأى منى ومسمع . قوله فعاودوا الكر أى إذاكررتم على العدو كره فلاتقتصروا عليها بل كروا كرة أخرى بعدها ثم قال لهم واستحيوا من الفرار فإنه عار فى الأعقاب أى

فی الأولاد فإن الأبناء یعیرون بفرار الآباء ویجوز أن یرید بالأعقاب جمع عقب و هوالعاقبة و مایئول إلیه الأمر قال سبحانه خَيرٌ ثَواباً وَ خَيرٌ عُقباً أی خیر عاقبة فیعنی علی هذاالوجه أن الفرار عار فی عاقبة أمرکم و مایتحدث به الناس فی مستقبل الزمان عنکم . ثم قال ونار یوم الحساب لأن الفرار من الزحف ذنب عظیم و هو عند -قرآن-۳۸۷-۴۱۵ [صفحه ۱۷۴] أصحابنا المعتزلة من الکبائر قال الله تعالی وَ مَن يُوَلِّهِم يَومَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَو مُتَحَيِّزاً إِلي فِئَةٍ فَقَد باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأواهُ جَهَنَّمُ والجهاد بین یدی الإمام کالجهاد بین یدی الرسول ع . قوله ع وطیبوا عن أنفسکم نفسا لمانصب نفسا علی التمییز وحده لأن التمییز لا یکون إلاواحدا و إن کان فی معنی الجمع تقول انعموا بالا و لاتضیقوا ذرعا وأبقی الأنفس علی جمعها لما لم یکن به حاجة إلی توحیدها یقول وطنوا أنفسکم علی الموت و لاتکرهوه وهونوه علیکم تقول طبت عن مالی نفسا إذاهونت ذهابه . و قوله وامشوا إلی الموت مشیا سجحا أی سهلا والسجاحة السهولة یقال فی أخلاق فلان سجاحة و من رواه سمحا أراد سهلا أیضا. والسواد الأعظم یعنی به جمهور أهل الشام . قوله والرواق المطنب یرید به مضرب معاویة ذا الأطناب و کان معاویة فی مضرب علیه قبة عالیة وحوله صنادید أهل الشام وثبجه وسطه وثبج الإنسان ما بین کاهله إلی ظهره . والکسر جانب الخباء و قوله فإن الشیطان کامن فی کسره یحتمل وجهین أحدهما أن یعنی به الشیطان الحقیقی و هوإبلیس والثانی أن یعنی به معاویة والثانی هوالأظهر للقرینة التی تؤیده وهی قوله قدقدم للوثبة یدا وأخر للنکوص رجلا أی إن جبنتم وثب و إن شجعتم نکص أی تأخر وفر و من حمله علی الوجه الأول جعله من باب المجاز أی إن إبلیس کالإنسان ألذی یعتوره دواع مختلفة بحسب المتجددات فإن أنتم صدقتم عدوکم القتال فر عنکم بفرار عدوکم و إن تخاذلتم وتواکلتم طمع فیکم بطمعه وأقدم علیکم بإقدامه . -قرآن-۴۶-۱۸۷ [صفحه ۱۷۵] و قوله ع فصمدا صمدا أی اصمدوا صمدا صمدا صمدت لفلان أی قصدت له . و قوله حتی ینجلی لکم عمود الحق أی یسطع نوره وضوءه و هذا من باب الاستعارة والواو فی قوله وأنتم الأعلون واو الحال . ولن یترکم أعمالکم أی لن ینقصکم وهاهنا مضاف محذوف تقدیره جزاء أعمالکم و هو من کلام الله تعالی رصع به خطبته ع . و هذاالکلام خطب به أمیر المؤمنین ع فی الیوم ألذی کانت عشیته لیلة الهریر فی کثیر من الروایات . و فی روایة نصر بن مزاحم أنه خطب به فی أول أیام اللقاء والحرب بصفین و ذلک فی صفر من سنة سبع وثلاثین .

من أخبار یوم صفین

قال نصر کان علی ع یرکب بغلة له یستلذها قبل أن یلتقی الفئتان بصفین فلما حضرت الحرب وبات تلک اللیلة یعبئ الکتائب حتی أصبح قال ائتونی بفرس فأتی بفرس له ذنوب أدهم یقاد بشطنین یبحث الأرض بیدیه جمیعا له حمحمة -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-ادامه دارد [صفحه ۱۷۶] وصهیل فرکبه و قال سبحان ألذی سخر لنا هذا و ماکنا له مقرنین لاحول و لاقوة إلابالله العلی العظیم -روایت-از قبل-۱۰۶ قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر الجعفی قال کان علی ع إذاسار إلی قتال ذکر اسم الله قبل أن یرکب کان یقول الحمد لله علی نعمه علینا وفضله سبحان ألذی سخر لنا هذا و ماکنا له مقرنین وإنا إلی ربنا لمنقلبون ثم یستقبل القبلة ویرفع یدیه إلی السماء و یقول أللهم إلیک نقلت الأقدام وأتعبت الأبدان وأفضت القلوب ورفعت الأیدی وشخصت الأبصاررَبَّنَا افتَح بَينَنا وَ بَينَ قَومِنا بِالحَقِّ وَ أَنتَ خَيرُ الفاتِحِينَ ثم یقول سیروا علی برکة الله ثم یقول الله أکبر الله أکبر لاإله إلا الله الله أکبر یا الله یاأحد یاصمد یارب محمداکفف عنا بأس الظالمین الحمد لله رب العالمین الرحمن الرحیم مالک یوم الدین إیاک نعبد وإیاک نستعین بسم الله الرحمن الرحیم و لاحول و لاقوة إلابالله العلی العظیم قال وکانت هذه الکلمات شعاره بصفین -روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۷۶۸ قال وروی سعد بن طریف عن الأصبغ بن نباتة قال ما کان علی ع فی قتال إلانادی

یاکهیعص -روایت-۱-۲-روایت-۵۲-۹۶ قال نصر و حدثناقیس بن الربیع عن عبدالواحد بن حسان العجلی عمن حدثه أنه سمع علیا ع یقول یوم لقائه أهل الشام بصفین أللهم إلیک رفعت الأبصار وبسطت الأیدی ونقلت الأقدام ودعت الألسن وأفضت القلوب وتحوکم إلیک فی الأعمال فاحکم بیننا وبینهم بالحق و أنت خیر الفاتحین أللهم إنا نشکو إلیک غیبة -روایت-۱-۲-روایت-۷۶-ادامه دارد [صفحه ۱۷۷] نبینا وقلة عددنا وکثرة عدونا وتشتت أهوائنا وشدة الزمان وظهور الفتن فأعنا علی ذلک بفتح منک تعجله ونصر تعز به سلطان الحق وتظهره -روایت-از قبل-۱۳۹ قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن سلام بن سوید عن علی ع فی قوله وَ أَلزَمَهُم کَلِمَةَ التّقوی قال هی لاإله إلا الله و فی قوله الله أکبر قال هی آیة النصر -روایت-۱-۲-روایت-۵۸-۱۶۴ قال سلام کانت شعاره ع یقولها فی الحرب ثم یحمل فیورد و الله من اتبعه و من حاده حیاض الموت . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن عبدالرحمن بن جندب عن أبیه قال لما کان غداة الخمیس لسبع خلون من صفر من سنة سبع وثلاثین صلی علی ع الغداة فغلس مارأیت علیا غلس بالغداة أشد من تغلیسه یومئذ وخرج بالناس إلی أهل الشام فزحف نحوهم و کان هویبدؤهم فیسیر إلیهم فإذارأوه قدزحف استقبلوه بزحوفهم . قال نصر فحدثنی عمر بن سعد عن مالک بن أعین عن زید بن وهب قال لماخرج علی ع إلیهم غداة ذلک الیوم فاستقبلوه رفع یدیه إلی السماء و قال أللهم رب هذاالسقف المحفوظ المکفوف ألذی جعلته محیطا باللیل والنهار وجعلت فیه مجری الشمس والقمر ومنازل الکواکب والنجوم وجعلت سکانه سبطا من الملائکة لایسأمون العبادة ورب هذه الأرض التی جعلتها قرارا للأنام والهوام والأنعام و ما لایحصی مما یری ومما لایری من خلقک العظیم ورب الفلک التی تجری فی البحر المحیط بما ینفع الناس ورب السحاب المسخر بین السماء و الأرض ورب البحر -روایت-۱-۲-روایت-۶۸-ادامه دارد [صفحه ۱۷۸] المسجور المحیط بالعالمین ورب الجبال الرواسی التی جعلتها للأرض أوتادا وللخلق متاعا إن أظهرتنا علی عدونا فجنبنا البغی وسددنا للحق و إن أظهرتهم علینا فارزقنا الشهادة واعصم بقیة أصحابی من الفتنة -روایت-از قبل-۲۰۶ . قال فلما رأوه قدأقبل تقدموا إلیه بزحوفهم و کان علی میمنته یومئذ عبد الله بن بدیل بن ورقاء الخزاعی و علی میسرته عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب وقراء العراق مع ثلاثة نفر عمار بن یاسر وقیس بن سعد بن عبادة و عبد الله بن بدیل و الناس علی رایاتهم ومراکزهم و علی ع فی القلب فی أهل المدینة جمهورهم الأنصار ومعه من خزاعة و من کنانة عدد حسن . قال نصر و کان علی ع رجلا ربعة أدعج العینین کان وجهه القمر لیلة البدر حسنا ضخم البطن عریض المسربة شثن الکفین ضخم الکسور کأن عنقه إبریق فضة أصلع من خلفه شعر خفیف لمنکبه مشاش کمشاش الأسد الضاری إذامشی تکفأ ومار به جسده ولظهره سنام کسنام الثور لایبین عضده من ساعده قدأدمجت إدماجا لم یمسک بذراع رجل قط إلاأمسک بنفسه فلم یستطع أن یتنفس ولونه إلی سمرة ما و هوأذلف الأنف إذامشی إلی الحرب هرول قدأیده الله تعالی فی حروبه بالنصر والظفر. [صفحه ۱۷۹] قال نصر ورفع معاویة قبة عظیمة وألقی علیها الکرابیس وجلس تحتها. قال نصر و قد کان لهم قبل هذاالیوم أیام ثلاثة وهی الرابع من صفر هذا والیوم الخامس والیوم السادس کانت فیهامناوشات وقتال لیس بذلک الکثیر فأما الیوم الرابع فأن محمد بن الحنفیة ع خرج فی جمع من أهل العراق فأخرج إلیه معاویة عبید الله بن عمر بن الخطاب فی جمع من أهل الشام فاقتتلوا ثم إن عبید الله بن عمر أرسل إلی محمد بن الحنفیة أن اخرج إلی أبارزک فقال نعم ثم خرج إلیه فبصر بهما علی ع فقال من هذان المتبارزان قیل محمد بن الحنفیة وعبید الله بن عمر فحرک دابته ثم دعا محمدا إلیه فجاءه فقال أمسک دابتی فأمسکها فمشی راجلا بیده سیفه نحو عبید الله و قال له أناأبارزک فهلم إلی فقال عبید الله لاحاجة بی إلی مبارزتک قال بلی فهلم إلی قال لاأبارزک ثم رجع إلی صفه فرجع علی ع فقال ابن الحنفیة یاأبت لم منعتنی من مبارزته فو الله لوترکتنی لرجوت أن أقتله قال یابنی لوبارزته أناقتلته و لوبارزته أنت لرجوت لک أن تقتله و ماکنت آمن أن یقتلک فقال یاأبت أتبرز بنفسک إلی هذاالفاسق اللئیم عدو الله و الله لوأبوه یسألک المبارزة لرغبت بک عنه فقال یابنی لاتذکر أباه و لاتقل

فيه إلاخيرا رحم الله أباه . قال نصر و أمااليوم الخامس فإنه خرج فيه عبد الله بن العباس فخرج إليه الوليد بن عقبة فأكثر من سب بنى عبدالمطلب و قال يا ابن عباس قطعتم [صفحه ۱۸۰] أرحامكم وقتلتم إمامكم فكيف رأيتم صنع الله بكم لم تعطوا ماطلبتم و لم تدركوا ماأملتم و الله إن شاء مهلككم وناصرنا عليكم فأرسل إليه عبد الله بن العباس أن ابرز إلى فأبى أن يفعل وقاتل ابن عباس ذلك اليوم قتالا شديدا ثم انصرفوا و كل غيرغالب . قال نصر وخرج فى ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميرى فلحق بعلى ع فى ناس من قراء أهل الشام ففت ذلك فى عضد معاوية وعمرو بن العاص و قال عمرو يامعاوية إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلا له من محمدص قرابة قريبة ورحم ماسة وقدم فى الإسلام لايعتد أحد بمثله وحده فى الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمدص وإنه قدسار إليك بأصحاب محمدالمعدودين وفرسانهم وقرائهم وأشرافهم وقدمائهم فى الإسلام ولهم فى النفوس مهابة فبادر بأهل الشام مخاشن الأوعار ومضايق العياض واحملهم على الجهد وائتهم من باب الطمع قبل أن ترفههم فيحدث عندهم طول المقام مللا فتظهر فيهم كآبة الخذلان ومهما نسيت فلاتنس أنك على باطل و أن عليا على حق فبادر الأمر قبل اضطرابه عليك فقام معاوية فى أهل الشام خطيبا فقال أيها الناس أعيرونا جماجمكم وأنفسكم لاتقتتلوا و لاتتجادلوا فإن اليوم يوم خطار و يوم حقيقة وحفاظ إنكم لعلى حق وبأيديكم حجة إنما تقاتلون من نكث البيعة وسفك الدم الحرام فليس له فى السماء عاذر.قدموا أصحاب السلاح المستلئمة وأخروا الحاسر واحملوا بأجمعكم فقد بلغ الحق مقطعه وإنما هوظالم ومظلوم . [صفحه ۱۸۱] قال نصر وخطب على ع أصحابه فيما حدثنا به عمر بن سعد عن أبى يحيى عن محمد بن طلحة عن أبى سنان عن أبيه قال كأنى أنظر إليه متوكئا على قوسه و قدجمع أصحاب رسول الله ص عنده فهم يلونه كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون معه فحمد الله وأثنى عليه و قال أما بعد فإن الخيلاء من التجبر و إن النخوة من التكبر و إن الشيطان عدو حاضر يعدكم الباطل ألا إن المسلم أخو المسلم فلاتنابذوا و لاتخاذلوا ألا إن شرائع الدين واحدة وسبله قاصده من أخذ بهالحق و من فارقها محق و من تركها مرق ليس المسلم بالخائن إذااؤتمن و لابالمخلف إذاوعد و لابالكذاب إذانطق نحن أهل بيت الرحمة وقولنا الصدق وفعلنا القصد ومنا خاتم النبيين وفينا قادة الإسلام وفينا حملة الكتاب ألا إنا ندعوكم إلى الله و إلى رسوله و إلى جهاد عدوه والشدة فى أمره وابتغاء مرضاته وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وتوفير الفىء على أهله ألا و إن من أعجب العجائب أن معاوية بن أبى سفيان الأموى وعمرو بن العاص السهمى أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما ولقد علمتم أنى لم أخالف رسول الله ص قط و لم أعصه فى أمر أقيه بنفسى فى المواطن التى ينكص فيهاالأبطال وترعد فيهاالفرائص بنجدة أكرمنى الله سبحانه بها و له الحمد ولقد قبض رسول الله ص و إن رأسه لفى حجرى ولقد وليت غسله بيدى وحدى تقلبه الملائكة المقربون معى وايم الله مااختلفت أمة قط بعدنبيها إلاظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ماشاء الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۱۷-۱۳۵۷ [صفحه ۱۸۲] قال أبوسنان الأسلمى فأشهد لقد سمعت عمار بن ياسر يقول للناس أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم أن الأمة لم تستقم عليه أولا وأنها لن تستقيم عليه آخرا -روايت-۱-۲-روايت-۶۷-۱۵۵ . قال ثم تفرق الناس و قدنفذت أبصارهم فى قتال عدوهم فتأهبوا واستعدوا قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب أن عليا ع قال فى هذه الليلة حتى متى لاناهض القوم بأجمعنا ثم قام فى الناس فقال الحمد لله ألذى لايبرم مانقض و لاينقض ماأبرم و لوشاء مااختلف اثنان من هذه الأمة و لا من خلقه و لاتنازع البشر فى شىء من أمره و لاجحد المفضول ذا الفضل فضله و قدساقتنا وهؤلاء القوم الأقدار حتى لفت بيننا فى هذاالموضع ونحن من ربنا بمرأى ومسمع و لوشاء لعجل النقمة ولكان منه النصر حتى يكذب الله الظالم ويعلم الحق أين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال والآخرة دار الجزاء والقرارلِيَجزِيَ الّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَ يَجزِيَ الّذِينَ أَحسَنُوا بِالحُسنَيألا إنكم لاقوا العدو غدا إن شاء الله فأطيلوا الليلة القيام وأكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله الصبر والنصر وألقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين -روايت-۱-۲-روايت-۶۲-۷۸۵ . قال فوثب الناس إلى

رماحهم وسيوفهم ونبالهم يصلحونها وخرج ع فعبى الناس ليلته تلك كلها حتى أصبح وعقد الألوية وأمر الأمراء وكتب الكتائب وبعث إلى أهل الشام مناديا نادى فيهم اغدوا على مصافكم فضج أهل الشام فى معسكرهم واجتمعوا إلى معاوية فعبى خيله وعقد ألويته وأمر أمراءه وكتب كتائبه وأحاط به أهل حمص فى راياتهم وعليهم أبوالأعور السلمى و أهل الأردن فى راياتهم عليهم عمرو بن العاص و أهل قنسرين وعليهم زفر بن الحارث الكلابى و أهل دمشق وهم القلب [صفحه ۱۸۳] وعليهم الضحاک بن قيس الفهرى فأطافوا كلهم بمعاوية و كان أهل الشام أكثر من أهل العراق بالضعف وسار أبوالأعور وعمرو بن العاص و من معهما حتى وقفا بحيال أهل العراق فنظرا إليهم واستقلا جمعهم وطمعا فيهم ونصب لمعاوية منبر فقعد عليه فى قبة ضربها ألقى عليها الثياب والأرائک وأحاط به أهل يمن و قال لايقربن هذاالمنبر أحد لاتعرفونه إلاقتلتموه كائنا من كان . قال نصر وأرسل عمرو إلى معاوية قدعرفت مابيننا من العهد والعقد فاعصب برأسى هذاالأمر وأرسل إلى أبى الأعور فنحه عنى ودعنى والقوم فأرسل معاوية إلى أبى الأعور أن لأبى عبد الله رأيا وتجربة ليست لى و لا لک و قدوليته أعنة الخيل فسر أنت حتى تقف بخيلک على تل كذا ودعه والقوم .فسار أبوالأعور وبقى عمرو بن العاص فيمن معه واقفا بإزاء عسكر العراق فنادى عمرو ابنيه عبد الله ومحمدا فقال لهما قدما هؤلاء الدرع وأخرا هؤلاء الحسر وأقيما الصف قص الشارب فإن هؤلاء قدجاءوا بخطة قدبلغت السماء.فمشيا برايتهما فعدلا الصفوف وسار بينهما عمرو فأحسن الصف ثانية ثم حمل قيسا وكليبا وكنانة على الخيول و رجل سائر الناس . قال نصر وبات كعب بن جعيل التغلبى شاعر أهل الشام تلک الليلة يرتجز وينشد أصبحت الأمة فى أمر عجب || والملک مجموع غدا لمن غلب أقول قولا صادقا غيركذب || إن غدا يهلک أعلام العرب غدا نلاقى ربنا فنحتسب || غدا يصيرون رمادا قدذهب [صفحه ۱۸۴] بعدالجمال والحياء والحسب || يارب لاتشمت بنا و لاتصب من خلع الأنداد طرا والصلب . قال نصر و قال معاوية من فى ميسرة أهل العراق فقيل ربيعة فلم يجد فى الشام ربيعة فجاء بحمير فجعلها بإزاء ربيعة على قرعة أقرعها بين حمير وعک فقال ذو الكلاع الحميرى باستک من سهم لم تبغ الضراب كأنه أنف عن أن تكون حمير بإزاء ربيعة فبلغ ذلک حجدرا الحنفى فحلف بالله إن عاينه ليقتلنه أوليموتن دونه فجاءت حمير حتى وقفت بإزاء ربيعة وجعل السكاسک والسكون بإزاء كندة وعليهما الأشعث بن قيس وجعل بإزاء همدان العراق الأزد وبإزاء مذحج العراق عكا. و قال راجز من أهل الشام ويل لأم مذحج من عک || وأمهم قائمة تبكى نصكهم بالسيف أى صک || فلارجال كرجال عک . قال وطرحت عک حجرا بين أيديهم وقالوا لانفر حتى يفر هذاالحكر بالكاف وعک تقلب الجيم كافا وصف القلب خمسة صفوف وفعل أهل العراق أيضا مثل ذلک ونادى عمرو بن العاص بأعلى صوته ياأيها الجند الصليب الإيمان || قوموا قياما واستعينوا الرحمن إنى أتانى خبر ذو ألوان || إن عليا قتل ابن عفان ردوا علينا شيخنا كما كان . [صفحه ۱۸۵] فرد عليه أهل العراق وقالوا أبت سيوف مذحج وهمدان || بأن ترد نعثلا كما كان خلقا جديدا مثل خلق الرحمن || ذلک شأن قدمضى وذا شان . ثم نادى عمرو بن العاص ثانية برفع صوته ردوا علينا شيخنا ثم بجل || أو لاتكونوا جزرا من الأسل .فرد عليه أهل العراق كيف نرد نعثلا و قدقحل || نحن ضربنا رأسه حتى انجفل وأبدل الله به خير بدل || أعلم بالدين وأزكى بالعمل . و قال ابراهيم بن أوس بن عبيدة من أهل الشام لله در كتائب جاءتكم || تبكى فوارسها على عثمان تسعون ألفا ليس فيهم قاسط || يتلون كل مفصل ومثان يسلون حق الله لايعدونه || ومجيبكم للملک والسلطان فأتوا ببينة على ماجئتم || أو لافحسبكم من العدوان وأتوا بما يمحو قصاص خليفة || لله ليس بكاذب خوان . [صفحه ۱۸۶] قال نصر وبات على ع ليلته يعبئ الناس حتى إذاأصبح زحف بهم وخرج إليه معاوية فى أهل الشام فجعل يقول من هذه القبيلة و من هذه القبيلة يعنى قبائل أهل الشام فيسمون له حتى إذاعرفهم وعرف مراكزهم قال للأزد اكفونى الأزد و قال لخثعم اكفونى خثعما وأمر كل قبيلة من العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلاقبيلة ليس منهم بالعراق إلاالقليل مثل بجيلة فإن لخما كانت بإزائها ثم تناهض القوم يوم الأربعاء سادس صفر واقتتلوا إلى آخر نهارهم

وانصـرفوا عنـدالمساء و كل غيرغالب . قال نصـر فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديدا والخطب عظيما و كان عبد الله بن بديل الخزاعى على ميمنۀ العراق فزحف نحو حبيب بن مسـلمۀ و هو على ميسـرۀ أهل الشام فلم يزل يحوزه ويكشف خيله حتى اضـطر بهم إلى قبـۀ معاويـۀ وقت الظهر. قال نصـر فحدثنا عمر بن سـعد قال حدثنامالک بن أعين عن زيد بن وهب أن عبد الله بن بديل قـام فى أصـحابه فخطبهم فقال ألا إن معاويـۀ ادعى ما ليس له ونازع الأمر أهله و من ليس مثله وجادل بالباطل ليـدحض به الحق وصـال عليكـم بالأـعراب والأـحزاب وزيـن لهـم الضـلالۀ وزرع فى قلـوبهم حب الفتنـۀ ولبس عليهم الأـمور وزادهم رجسـا إلى رجسـهم وأنتم و الله على نور وبرهـان مبين قـاتلوا الطغـاۀ الجفاۀ قاتلوهم و لاتخشوهـم وكيف تخشونهم و فى أيـديكم كتاب من ربكم ظاهر مبين أَ تَخشَونَهُم فَاللّهُ أَحَقّ أَن تَخشَوهُ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ قاتِلُوهُم يُعَـذّبهُمُ اللّهُ بِأَيـدِيكُم -قرآن-۱۲۰۶-۱۳۱۲ قال نصر وبات على ع ليلته يعبئ الناس حتى إذاأصـبح زحف بهم وخرج إليه معاويـۀ فى أهل الشام فجعل يقول من هذه القبيلۀ و من هذه القبيلـۀ يعنى قبائـل أهـل الشـام فيسـمون له حتى إذاعرفهم وعرف مراكزهم قـال للأزد اكفونى الأزد و قال لخثعم اكفونى خثعما وأمر كل قبيلۀ من العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام إلاقبيلۀ ليس منهم بالعراق إلاالقليل مثل بجيلۀ فإن لخما كانت بإزائها ثم تناهض القوم يوم الأربعاء سادس صـفر واقتتلوا إلى آخر نهارهم وانصـرفوا عندالمساء و كل غيرغالب . قال نصر فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديـدا والخطب عظيما و كان عبـد الله بن بـديل الخزاعى على ميمنـۀ العراق فزحف نحو حبيب بن مسـلمۀ و هو على ميسـرۀ أهل الشام فلم يزل يحوزه ويكشف خيله حتى اضـطر بهم إلى قبۀ معاويۀ وقت الظهر. قال نصـر فحدثنا عمر بن سعد قال حـدثنامالک بن أعين عن زيـد بن وهب أن عبـد الله بن بـديل قام فى أصـحابه فخطبهم فقال ألا إن معاويـۀ ادعى ما ليس له ونازع الأمر أهله و من ليس مثله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالأعراب والأحزاب وزين لهم الضلالۀ وزرع فى قلوبهم حب الفتنـۀ ولبس عليهم الأمور وزادهم رجسا إلى رجسـهم وأنتم و الله على نور وبرهان مبين قاتلوا الطغاۀ الجفاۀ قاتلوهم و لاـتخشوهم وكيـف تخشـونهم و فى أيـديكم كتـاب من ربكم ظـاهر مـبين أَ تَخشَـونَهُم فَـاللّهُ أَحَقّ أَن تَخشَوهُ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ قاتِلُوهُم يُعَـذّبهُمُ اللّهُ بِأَيـدِيكُم وَ يُخزِهِم وَ يَنصُـركُم عَلَيهِم وَ يَشفِ صُـدُورَ قَومٍ مُؤمِنِينَ ولقد قاتلتهم مع النبى ص و الله ماهم فى هـذه بأزكى و لاأتقى و لاأبر انهضوا إلى عـدو الله وعـدوكم . قال نصـر و حـدثناعمر بن سـعد قال حـدثنى عبدالرحمن عن أبى عمرو عن أبيه أن عليا ع خطب فى ليلۀ هذااليوم فقال معاشـر المسـلمين استشـعروا الخشـيۀ وتجلببوا السكينۀ وعضوا على النواجذ فـإنه أنبى للسـيوف عن الهـام ... الفصـل بطوله إلى آخره و هوالمـذكور فى الكتـاب . -قرآن-۱-۶۸ وروى نصـر أيضا بالإسناد المـذكور أن عليا ع خطب ذلک اليوم و قال أيها الناس إن الله تعالى ذكره قددلكم على تجارۀ تنجيكم من العذاب وتشـفى بكم على الخير إيمـان بالله ورسوله وجهاد فى سبيله وجعل ثوابه مغفرۀ الـذنوب ومساكن طيبـۀ فى جنات عـدن ورضوان من الله أكبر وأخبركم بالذى يحب فقال إِنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَـفّا كَأَنّهُم بُنيانٌ مَرصُوصٌفسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقـدموا الـدارع وأخروا الحاسـر وعضـوا على الأضـراس فـإنه أنـبى للسـيوف عن الهـام وأربـط للجـأش وأسـكن للقلـوب وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل وأولى بالوقار والتووا فى أطراف الرماح فإنه أمور للأسـنۀ ورايتكم فلاتميلوها و لاتزيلوها و لاتجعلوها إلاأيدى شـجعانكم المانعى الذمار والصبر عندنزول الحقائق أهل الحفاظ -روايت-۱-۲-روايت-۳۵-ادامه دارد [صفحه ۱۸۸] الـذين يحفون برايتكم ويكتنفونها يضـربون خلفها وأمامها و لاتضـيعوها أجزاء كل امرئ وقذ قرنه وواسـى أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكسب بذلک من الإثم ويأتى به دناءۀ أنى هذا وكيف يكون هكذا هذايقاتل اثنين و هـذاممسک يـده قـدخلى قرنه إلى أخيه هاربا منه أوقائما ينظر إليه من يفعل هذايمقته الله فلاتعرضوا لمقت الله فإنما مردكم إلى الله قـال الله تعـالى لقـوم عـابهم لَن يَنفَعَكُمُ الفِرارُ إِن فَرَرتُم مِنَ المَوتِ أَوِ القَتـلِ وَ إِذاً لا ـ تُمَتّعُونَ إِلّـا قَلِيلًـا وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلۀ لاتسـلمون من سـيف الآخرۀ استعينوا بالصدق والصبر فإنه بعدالصبر ينزل النصر -روايت-از قبل-۶۳۹ . قال نصر و

حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن الشعبى عن مالك بن قدامة الأرحبى قال قام سعيد بن قيس يخطب أصحابه بقناصرين فقال الحمد لله ألذى هدانا لدينه وأورثنا كتابه وامتن علينا بنبيه فجعله رحمة للعالمين وسيدا للمرسلين وقائدا للمؤمنين وخاتما للنبيين وحجة الله العظيم على الماضين والغابرين ثم كان فيما قضى الله وقدره و له الحمد على ماأحببنا وكرهنا أن ضمنا وعدونا بقناصرين فلايجمل بنا اليوم الحياص و ليس هذاأوان انصراف ولات حين مناص و قدخصنا الله منه برحمة لانستطيع أداء شكرها و لانقدر قدرها إن أصحاب محمدالمصطفين الأخيار معنا [صفحه ۱۸۹] و فى حيز فو الله ألذى هوبالعباد بصير أن لو كان قائدنا رجلا مجدعا إلا أن معنا من البدريين سبعين رجلا لكان ينبغى لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبينا بدرى صدق صلى صغيرا وجاهد مع نبيكم كثيرا ومعاوية طليق من وثاق الإسار و ابن طليق ألا إنه أغوى جفاة فأوردهم النار وأوردهم العار و الله محل بهم الذل والصغار ألا إنكم ستلقون عدوكم غدا فعليكم بتقوى الله من الجد والحزم والصدق والصبر فإن الله مع الصابرين ألا إنكم تفوزون بقتلهم ويشقون بقتلكم و الله لايقتل رجل منكم رجلا منهم إلاأدخل الله القاتل جنات عدن وأدخل المقتول نارا تلظى لا يُفَتَّرُ عَنهُم وَ هُم فِيهِ مُبلِسُونَعصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وجعلنا وإياكم ممن أطاعه واتقاه وأستغفر الله العظيم لى ولكم وللمؤمنين . ثم قال الشعبى ولقد صدق فعله ما قال فى خطبته . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر وزيد بن الحسن قالا طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوى صفوف أهل الشام فقال له عمرو على أن لى حكمى أن قتل الله ابن أبى طالب واستوثقت لك البلاد فقال أ ليس حكمك فى مصر قال وهل مصر تكون عوضا عن الجنة وقتل ابن أبى طالب ثمنا لعذاب النار ألذى لا يُفَتَّرُ عَنهُم وَ هُم فِيهِ مُبلِسُونَ فقال معاوية إن لك حكمك أبا عبد الله إن قتل ابن أبى طالب رويدا لايسمع أهل الشام كلامك فقام عمرو -قرآن-۵۹۸-۶۳۹-قرآن-۱۱۲۰-۱۱۶۱ [صفحه ۱۹۰] فقال معاشر أهل الشام سووا صفوفكم قص الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة فقد بلغ الحق مقطعه فلم يبق إلاظالم أومظلوم . قال نصر وأقبل أبوالهيثم بن التيهان و كان من أصحاب رسول الله ص بدريا نقيبا عقبيا يسوى صفوف أهل العراق و يقول يامعشر أهل العراق إنه ليس بينكم و بين الفتح فى العاجل والجنة فى الآجل إلاساعة من النهار فأرسوا أقدامكم وسووا صفوفكم وأعيروا ربكم جماجمكم استعينوا بالله إلهكم وجاهدوا عدو الله وعدوكم واقتلوهم قتلهم الله وأبادهم واصبروا فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن الفضل بن أدهم عن أبيه أن الأشتر قام يخطب الناس بقناصرين و هويومئذ على فرس أدهم مثل حلك الغراب فقال الحمد لله ألذى خلق السموات العلى الرّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى لَهُ ما فِى السّماواتِ وَ ما فِى الأَرضِ وَ ما بَينَهُما وَ ما تَحتَ الثّرىأحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء حمدا كثيرا بكرة وأصيلا من هداه الله فقد اهتدى و من يضلل فقد غوى أرسل محمدا بالصواب والهدى فأظهره على الدين كله و لوكره المشركون صلى الله عليه وسلم ثم قد كان مما قضى الله سبحانه وقدر أن ساقتنا المقادير إلى أهل هذه البلدة من الأرض فلفت بيننا و بين عدو الله وعدونا فنحن بحمد الله ونعمه و منه وفضله قريرة أعيننا طيبة أنفسنا نرجو بقتالهم حسن الثواب والأمن من العقاب معنا ابن عم نبينا وسيف من سيوف الله على بن أبى طالب صلى مع رسول الله لم يسبقه إلى الصلاة -روايت-۱-۲-روايت-۶۷-ادامه دارد [صفحه ۱۹۱] ذكر حتى كان شيخا لم تكن له صبوة و لانبوة و لاهفوة و لاسقطة فقيه فى دين الله تعالى عالم بحدود الله ذو رأى أصيل وصبر جميل وعفاف قديم فاتقوا الله وعليكم بالحزم والجد واعلموا أنكم على الحق و أن القوم على الباطل إنما تقاتلون معاوية وأنتم مع البدريين قريب من مائة بدرى سوى من حولكم من أصحاب محمدأكثر مامعكم رايات قدكانت مع رسول الله و مع معاوية رايات قدكانت مع المشركين على رسول الله فما يشك فى قتال هؤلاء إلاميت القلب أنتم على إحدى الحسنيين إما الفتح وإما الشهادة عصمنا الله وإياكم بما عصم به من أطاعه واتقاه وألهمنا وإياكم طاعته وتقواه وأستغفر الله لى ولكم -روايت-از قبل-۶۱۳ . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن الشعبى عن صعصعة بن صوحان عن

زامل بـن عمرو الجـذامی قـال طلب معاويـۀ إلی ذی الكلاـع أن يخطب النـاس ويحرضـهم علی قتـال علی ع و من معه من أهل العراق فعقـد فرسه و كـان من أعظم أصـحاب معاويـۀ خطرا وخطب النـاس فقـال الحمـد لله حمـدا كثيرا ناميا واضـحا منيرا بكرۀ وأصـيلا أحمده وأسـتعينه وأومن به وأتوكل عليه وكفی بالله وكيلا وأشـهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريک له وأشهد أن محمدا عبـده ورسوله أرسـله بالفرقان إماما وبالهـدی ودين الحق حين ظهرت المعاصـی ودرست الطاعۀ وامتلأت الأرض جورا وضـلالۀ واضـطرمت الدنيا نيرانا وفتنۀ وورک عدو الله إبليس علی أن يكون قد عبد فی أكنافها واستولی علی جميع أهلها فكان محمدص هو ألـذی أطفأ الله به نيرانهـا ونزع به أوتادهـا وأوهن به [صـفحه ۱۹۲] قوی إبليس وآيسه ممـا كـان قـدطمع فيه من ظفره بهم وأظهره علی الـدين كله و لوكره المشـركون ثم كـان من قضـاء الله أن ضم بيننـا و بين أهل ديننا بصـفين وإنا لنعلم أن فيهم قوما قـدكانت لهم مع رسول الله ص سابقـۀ ذات شأن وخطر عظيم ولكنی ضـربت الأمر ظهرا وبطنا فلم أر يسـعنی أن يهدر دم عثمان صهر نبيناص ألذی جهز جيش العسـرۀ وألحق فی مصـلی رسول الله ص بيتا وبنی سـقايۀ بايع له نبی الله بيده اليمنی علی اليسـری واختصه بكريمتيه أم كلثوم ورقيۀ فإن كان قدأذنب ذنبا فقد أذنب من هوخير منه قال الله سبحانه لنبيه لِيَغفِرَ لَکَ اللّهُ ما تَقَدّمَ مِن ذَنبِکَ وَ ما تَأَخّرَ وقتل موسـی نفسا ثم اسـتغفر الله فغفر له و قدأذنب نوح ثم اسـتغفر الله فغفر له و قدأذنب أبوكم آدم ثم استغفر الله فغفر له و لم يعر أحـدكم من الـذنوب وإنا لنعلم أنه قدكانت لابن أبی طالب سابقۀ حسـنۀ مع رسول الله ص فإن لم يكن مالأ علی قتل عثمان فلقـد خذله وإنه لأخوه فی دينه و ابن عمه وسـلفه و ابن عمته ثم قدأقبلوا من عراقهم حتی نزلوا شامكم وبلادكم وبيضتكم وإنما عامتهم بين قاتل وخاذل فاستعينوا بالله واصبروا فلقد ابتليتم أيتها الأمۀ ولقد رأيت فی منامی فی ليلتی هذه لكانا و أهل العراق اعتورنا مصـحفا نضـربه بسـيوفنا ونحن فی ذلک جميعا نادی ويحكم الله و مع أنا و الله لانفارق العرصـۀ حتی نموت فعليكم بتقوی الله ولتكن النيات لله فإنی -قرآن-۵۳۹-۵۹۸ سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ص يقول إنما يبعث المقتتلون علی النيات -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-۸۹ أفرغ الله علينـا وعليكم الصبر وأعز لنا ولكم النصـر و كان لنا ولكم فی كل أمر وأسـتغفر الله لی ولكـم . [صـفحه ۱۹۳] قال نصـر و حـدثناعمرو بن شـمر عن ابن عامر عن صعصـعۀ العبـدی عن أبرهـۀ بن الصـباح قال قام يزيـد بن أسـد البجلی فی أهل الشام يخطب الناس بصـفين و عليه قباء من خز وعمامـۀ سوداء آخـذا بقائم سـيفه واضـعا نصل السـيف فی الأرض متوكئا عليه قال صعصـعۀ فذكر لی أبرهۀ أنه كان يومئذ من أجمل العرب وأكرمها وأبلغها فقال الحمد لله الواحد الفرد ذی الطول والجلال العزيز الجبار الحكيم الغفار الكبير المتعال ذی العطاء والفعال والسـخاء والنوال والبهاء والجمال والمن والإفضال مالک اليوم ألـذی لابيع فيه و لاخلال أحمـده علی حسن البلاء وتظاهر النعماء و فی كل حال من شدۀ أورخاء أحمده علی نعمه التؤام وآلائه العظام حمدا يسـتنير بالليل والنهار وأشـهد أن لاإله إلا الله وحده لاشـريک له كلمۀ النجاۀ فی الحياۀ و عندالوفاۀ و فيهاالخلاص يوم القصاص وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبی المصطفی وإمام الهدی ص ثم كان من قضـاء الله أن جمعنـا و أهـل ديننـا فی هـذه الرقعـۀ من الأـرض و الله يعلم أنی كنت كارهـا لـذلک ولكنهم لم يبلعونـا ريقنا و لم يتركونا نرتاد لأنفسـنا وننظر لمعادنا حتی نزلوا بين أظهرنا و فی حريمنا وبيضـتنا و قدعلمنا أن فی القوم أحلاما وطغاما ولسنا نأمن من طغامهم علی ذرارينا ونسائنا ولقـد كنا نحب ألا نقاتل أهل ديننا فأخرجونا حتی صارت الأمور إلی أن قاتلناهم غـدا حميۀ فإنا لله وإنا إليه راجعون والحمـد لله رب العالمين . [صـفحه ۱۹۴] أما و ألـذی بعث محمدا بالرسالۀ لوددت أنی مت منذ سـنۀ ولكن الله إذاأراد أمرا لم يسـتطع العباد رده فنسـتعين بالله العظيم وأسـتغفر الله لی ولكم . قال نصـر و حدثناعمرو عن أبی روق الهمدانی أن يزيد بن قيس الأرحبی حرض أهل العراق بصـفين يومئذ فقال إن المسلم السليم من سلم دينه ورأيه و إن هؤلاء القوم و الله ما أن يقاتلوننـا علی إقامـۀ دين رأونـا ضـيعناه و لاـ علی إحيـاء حق رأونـا أمتناه و لايقاتلوننا إلا علی هـذه الـدنيا ليكونوا فيهاجبابرۀ وملوكا و لوظهروا عليكم لاأراهم الله ظهورا و لاسرورا إذاوليكم مثل سعيد والوليد و عبد الله بن عامر السفيه يحدث أحدهم فی

مجلسه بـذيت وذيت ويأخـذ مـال الله و يقول لا إثم على فيه كأنمـا أعطى تراثه من أبيه كيف إنمـا هومال الله أفاءه علينا بأسـيافنا ورماحنـا قـاتلوا عبـاد الله القوم الظـالمين الحـاكمين بغير ماأنزل الله و لاتأخـذكم فيهم لومـة لائم إنهم أن يظهروا عليكم يفسـدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قدعرفتم وجربتم و الله ماأرادوا باجتماعهم عليكم إلاشـرا وأستغفر الله العظيم لى ولكم . قال نصر وارتجز عمرو بن العـاص وأرسل بها إلى على [صـفحه ١٩٥] لاتأمننا بعـدها أباحسن || إنا نمر الأمر إمرار الرسن ويروى خـذها إليك واعلمن أباحسن لتصبحن مثلها أم لبن || طاحنـة تـدقكم دق الحفن . قال فأجابه شاعر من شـعراء أهل العراق ألا احذروا فى حربكم أبـاحسن || ليثـا أباشـبلين محـذور فطن يـدقكم دق المهاريس الطحن || لتغبنن ياجاهلا أى غبن حتى تغض الكف أوتقرع سن . قال نصـر فحدثنا عمرو بن شمر عن جابر عن الشعبى أن أول فارسين التقيا فى هذااليوم و هواليوم السابع من صفر و كـان مـن الأيـام العظيمـة فى صـفين ذا أهـوال شديـدة حجر الخير وحجر الشـر أمـاحجر الخير فهـو حجر بن عـدى صـاحب أمير المؤمنين على بن أبى طـالب ع و أمـاحجر الشـر فابن عمه كلاهما من كنـدة و كان من أصـحاب معاويـة فأطعنا برمحيهما وخرج رجل من بنى أسـد يقال له خزيمـة من عسـكر معاوية فضـرب حجر بن عدى ضـربة برمحه فحمل أصـحاب على ع فقتلوا خزيمة الأسـدى ونجا حجر الشر هاربا فالتحق بصف معاويـة ثم برز حجر الشـر [صـفحه ١٩٦] ثانيـة فـبرز إليه الحكم بن أزهر من أهل العراق فقتله حجر الشـر فخرج إليه رفاعـة بن ظالم الحميرى من صف العراق فقتله وعاد إلى أصـحابه يقول الحمـد لله ألـذى قتل حجر الشر بالحكم بن أزهر. ثم إن عليا ع دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان فى يده إلى أهل الشام فقال من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما فى هذاالمصـحف فسـكت الناس وأقبل فتى اسـمه سـعيد فقال أناصاحبه فأعاد القول ثانية فسـكت الناس وتقـدم الفتى فقال أناصاحبه فسـلمه إليه فقبضه بيـده ثم أتاهم فأنشـدهم الله ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه فقال على ع لعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة و عليه يومئذ سـيفان ودرعان فجعل يضـرب بسـيفه قدما و يقول لم يبق غيرالصبر والتوكل || والترس والرمح وسيف مقصل ثم التمشى فى الرعيل الأول || مشى الجمال فى حياض المنهل .فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه إلى الموت فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بديل وبعث إلى حبيب بن مسـلمة الفهرى و هو فى الميسـرة أن يحمـل عليه بجميع من معه واختلـط النـاس واضـطرم الفيلقـان ميمنـة أهـل العراق وميسـرة أهل الشام وأقبل عبـد الله بن بـديل يضـرب الناس بسـيفه قدما حتى أزال معاوية عن موقفه وجعل ينادى ياثارات عثمان وإنما يعنى أخا له قـدقتل وظن معاويـة وأصـحابه أنه يعنى عثمان بن عفان وتراجع معاويـة عن مكانه القهقرى كثيرا وأشـفق على نفسه وأرسـل إلى حبيب بن مسـلمة مرة ثانيـة وثالثـة يسـتنجده ويستصـرخه ويحمل حبيب حملـة [صـفحه ١٩٧] شديدة بميسـرة معاويـة على ميمنـة العراق فكشـفها حتـى لم يبـق مع ابن بـديل إلا نحو مائـة إنسـان من القراء فاسـتند بعضـهم إلى بعض يحمون أنفسهم ولجج ابن بديل فى الناس وصمم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه و مع معاوية عبد الله بن عـامر واقفـا فنادى معاويـة فى الناس ويلكم الصـخر والحجارة إذاعجزتم عن السـلاح فرضـخه الناس بالصـخر والحجارة حتى أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه . وجاء معاوية و عبد الله بن عامر حتى وقفا عليه فأما عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحم عليه و كـان له أخـا صـديقا من قبل فقال معاويـة اكشف عن وجهه فقال لا و الله لايمثل به و فى روح فقال معاوية اكشـف عن وجهه فإنـا لانمثـل به قـدوهبناه لـك فكشف ابن عـامر عن وجهه فقـال معاويـة هـذاكبش القوم ورب الكعبـة أللهم أظفرنى بالأشتر النخعى والأشـعث الكنـدى و الله مامثل هذا إلا كما قال الشاعر أخو الحرب إن عضت به الحرب عضـها || و إن شمرت عن ساقهـا الحرب شـمرا ويحمى إذا مـاالموت كـان لقاؤه || قـدى الشبر يحمى الأنف أن يتأخرا كليث هزبر كان يحمى ذماره || رمته المنايا قصدها فتقطرا . ثم قال إن نساء خزاعة لوقدرت على أن تقاتلنى فضـلا عن رجالها لفعلت . قال نصر فحدثنا عمرو عن أبى روق قـال استعلى أهـل الشـام عنـدقتل ابن بـديل على أهـل العراق يومئـذ وانكشف أهـل العراق من قبـل الميمنة

وأجفلوا إجفالا [صفحه ۱۹۸] شديدا فأمر على ع سهل بن حنيف فاستقدم من كان معه ليرفد الميمنة ويعضدها فاستقبلهم جموع أهل الشام فى خيل عظيمة فحملت عليهم فألحقتهم بالميمنة وكانت ميمنة أهل العراق متصلة بموقف على ع فى القلب فى أهل اليمن فلما انكشفوا انتهت الهزيمة إلى على ع فانصرف يمشى نحو الميسرة فانكشف مضر عن الميسرة أيضا فلم يبق مع على ع من أهل العراق إلاربيعة وحدها فى الميسرة. قال نصر فحدثنا عمرو قال حدثنامالک بن أعين عن زيد بن وهب قال لقد مر على ع يومئذ ومعه بنوه نحو الميسرة ومعه ربيعة وحدها وإنى لأرى النبل يمر بين عاتقه ومنكبيه و ما من بنيه إلا من يقيه بنفسه فيكره على ع ذلک فيتقدم عليه ويحول بينه و بين أهل الشام ويأخذه بيده إذافعل ذلک فيلقيه من ورائه ويبصر به أحمر مولى بنى أمية و كان شجاعا و قال على ع ورب الكعبة قتلنى الله إن لم أقتلك فأقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى على ع فاختلفا ضربتين فقتله أحمر وخالط عليا ليضربه بالسيف وينتهزه على فتقع يده فى جيب درعه فجذبه عن فرسه فحمله على عاتقه فو الله لكأنى أنظر إلى رجلى أحمر تختلفان على عنق على ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه وشد ابنا على حسين و محمدفضرباه بأسيافهما حتى برد فكأنى أنظر إلى على قائما وشبلاه يضربان الرجل حتى إذاأتيا عليه أقبلا- على أبيهما و الحسن قائم معه فقال له على يابنى مامنعک أن تفعل كمافعل أخواک فقال كفيانى يا أمير المؤمنين . [صفحه ۱۹۹] قال ثم إن أهل الشام دنوا منه يريدونه و الله مايزيده قربهم منه ودنوهم إليه سرعة فى مشيته فقال له الحسن ماضرک لوأسرعت حتى تنتهى إلى الذين صبروا لعدوک من أصحابک قال يعنى ربيعة الميسرة فقال على يابنى إن لأبيک يوما لن يعدوه و لايبطئ به عندالسعى و لايقربه إليه الوقوف إن أباک لايبالى أن وقع على الموت أووقع الموت عليه . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن أبى إسحاق قال خرج على ع يوما من أيام صفين و فى يده عنزة فمر على سعيد بن قيس الهمدانى فقال له سعد أ ماتخشى يا أمير المؤمنين أن يغتالک أحد و أنت قرب عدوک فقال على ع إنه ليس من أحد إلا- و عليه من الله حفظة يحفظونه من أن يتردى فى قليب أويخر عليه حائط أوتصيبه آفة فإذاجاء القدر خلوا بينه وبينه -روايت-۱-۲-روايت-۵۸-۳۵۸ . قال نصر و حدثناعمرو عن فضيل بن خديج قال لماانهزمت ميمنة العراق يومئذ أقبل على ع نحو الميسرة يركض يستثيب الناس ويستوقفهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفزع فمر بالأشتر فقال يامالک قال لبيک يا أمير المؤمنين قال ائت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت ألذى لن تعجزوه إلى الحياة التى لا-تبقى لكم -روايت-۱-۱۵۷ فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم الكلمات وناداهم إلى أيها الناس أنامالک بن الحارث يكررها فلم يلو أحد منهم عليه وظن أن [صفحه ۲۰۰] الأشتر أعرف فى الناس من مالک بن الحارث فجعل ينادى ألا أيها الناس فأنا الأشتر فانقلب نحوه طائفة وذهبت عنه طائفة فقال عضضتم بهن أباكم ماأقبح و الله مافعلتم اليوم أيها الناس غضوا الأبصار وعضوا على النواجذ واستقبلوا القوم بهامكم وشدوا عليهم شدة قوم موتورين بآبائهم وأبنائهم وإخوانهم حنقا على عدوهم قدوطنوا على الموت أنفسهم كى لايسبقوا بثأر إن هؤلاء القوم و الله لن يقاتلوكم إلا عن دينكم ليطفئوا السنة ويحيوا البدعة ويدخلوكم فى أمر قدأخرجكم الله منه بحسن البصيرة فطيبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم فإن الفرار فيه سلب العز والغلبة على الفىء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة وسخط الله وأليم عقابه . ثم قال أيها الناس أخلصوا إلى مذحجا فاجتمعت إليه مذحج فقال لهم عضضتم بصم الجندل ولله ماأرضيتم اليوم ربكم و لانصحتم له فى عدوه وكيف ذلک وأنتم أبناء الحرب وأصحاب الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الأقران ومذحج الطعان الذين لم يكونوا سبقوا بثأرهم و لم تطل دماؤهم و لم يعرفوا فى موطن من المواطن بخسف وأنتم سادة مصركم وأعز حى فى قومكم و ماتفعلوا فى هذااليوم فهو مأثور بعداليوم فاتقوا مأثور الحديث فى غد واصدقوا عدوكم اللقاء فإن الله مع الصابرين و ألذى نفس مالک بيده ما من هؤلاء وأشار بيده إلى أهل الشام رجل على مثل جناح البعوضة من دين الله لله أنتم ماأحسنتم اليوم القراع احبسوا سواد وجهى يرجع فيه دمى عليكم هذاالسواد الأعظم فإن الله لو قدفضه تبعه من بجانبيه كمايتبع السيل مقدمه . [صفحه

٢٠١] فقالوا خذ بنا حيث أحببت فصمد بهم نحو عظمهم واستقبله أشباههم من همدان وهم نحو ثمانمائة مقاتل قدانهزموا آخر الناس وكانوا قدصبروا فى ميمنة على ع حتى قتل منهم مائة وثمانون رجلا وأصيب منهم أحد عشر رئيسا كلما قتل منهم رئيس أخذ الراية آخر وهم بنو شريح الهمدانيون وغيرهم من رؤساء العشيرة فأول من أصيب منهم كريب بن شريح وشرحبيل بن شريح ومرثد بن شريح وهبيرة بن شريح وهريم بن شريح وشهر بن شريح وشمر بن شريح قتل هؤلاء الإخوة الستة فى وقت واحد. ثم أخذ الراية سفيان بن زيد ثم كرب بن زيد ثم عبد بن زيد فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة أيضا ثم أخذ الراية عمير بن بشر ثم أخوه الحارث بن بشر فقتلا جميعا ثم أخذ الراية أبوالقلوص وهب بن كريب فقال له رجل من قومه انصرف يرحمك الله بهذه الراية ترحها الله فقد قتل الناس حولها فلاتقتل نفسك و لا من بقى معك فانصرفوا وهم يقولون ليت لنا عديدا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نستقدم نحن وهم فلاننصرف حتى نظفر أونقتل فمروا بالأشتر وهم يقولون هذاالقول فقال لهم الأشتر أناأحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبدا حتى نظفر أونهلك فوقفوا معه على هذه النية والعزيمة فهذا معنى قول كعب بن جعيل وهمدان زرق تبتغى من تحالف . قال وزحف الأشتر نحو الميمنة وثاب إليه أناس تراجعوا من أهل الصبر والوفاء [صفحه ٢٠٢] والحياء فأخذ لايصمد لكتيبة إلاكشفها و لالجمع إلاحازه ورده فإنه لكذلك إذامر بزياد بن النضر مستلحما فقال الأشتر هذا و الله الصبر الجميل هذا و الله الفعل الكريم إلى و قد كان هو وأصحابه فى ميمنة العراق فتقدم فرفع رايته لهم فصبروا وقاتل حتى صرع ثم لم يلبث الأشتر إلايسيرا كلا شىء حتى مر بهم يزيد بن قيس الأرحبى مستلحما أيضا محمولا فقال الأشتر من هذاقالوا يزيد بن قيس لماصرع زياد بن النضر دفع رايته لأهل الميمنة فقاتل تحتها حتى صرع فقال الأشتر هذا و الله الصبر الجميل هذا و الله الفعل الكريم أ لايستحيى الرجل أن ينصرف أيقتل و لم يقتل و لم يشف به على القتل . قال نصر و حدثناعمرو عن الحارث بن الصباح قال كان بيد الأشتر يومئذ صفيحة له يمانية إذاطأطأها خلت فيهاماء ينصب و إذارفعها يكاد يعشى البصر شعاعها ومر يضرب الناس بهاقدما و يقول الغمرات ثم ينجلينا . [صفحه ٢٠٣] قال فبصر به الحارث بن جمهان الجعفى والأشتر مقنع فى الحديد فلم يعرفه فدنا منه و قال له جزاك الله منذ اليوم عن أمير المؤمنين و عن جماعة المسلمين خيرا فعرفه الأشتر فقال يا ابن جمهان أمثلك يتخلف اليوم عن مثل موطنى هذافتأمله ابن جمهان فعرفه و كان الأشتر من أعظم الرجال وأطولهم إلا أن فى لحمه خفة قليلة فقال له جعلت فداك لا و الله ماعلمت مكانك حتى الساعة و لا و الله لاأفارقك حتى أموت . قال نصر و حدثناعمرو عن الحارث بن الصباح قال رأى الأشتر يومئذ منقذا وحميرا ابنى قيس اليقظيان فقال منقذ لحمير ما فى العرب رجل مثل هذا إن كان مارأى من قتاله على نية فقال له حمير وهل النية إلا ماترى قال إنى أخاف أن يكون يحاول ملكا. قال نصر و حدثناعمرو عن فضيل بن خديج عن مولى الأشتر قال لمااجتمع مع الأشتر عظم من كان انهزم من الميمنة حرضهم فقال لهم عضوا على النواجذ من الأضراس واستقبلوا القوم بهامكم فإن الفرار من الزحف فيه ذهاب العز والغلبة على الفىء وذل المحيا والممات وعار الدنيا والآخرة. [صفحه ٢٠٤] ثم حمل على صفوف أهل الشام حتى كشفهم فألحقهم بمضارب معاوية و ذلك بين العصر والمغرب . قال نصر و حدثناعمرو عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب أن عليا ع لمارأى ميمنته قدعادت إلى موقفها ومصافها وكشفت من بإزائها حتى ضاربوهم فى مواقفهم ومراكزهم أقبل حتى انتهى إليهم فقال إنى قدرأيت جولتكم وانحيازكم من صفوفكم يحوزكم الجفاة الطغاة وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم وعمار الليل بتلاوة القرآن و أهل دعوة الحق إذ ضل الخاطئون فلو لاإقبالكم بعدإدباركم وكركم بعدانحيازكم وجب عليكم ماوجب على المولى يوم الزحف دبره وكنتم فيما أرى من الهالكين ولقد هون على بعض وجدى وشفى بعض لاعج نفسى إنى رأيتكم بأخرة حزتموهم كماحازوكم وأزلتموهم عن مصافهم كماأزالوكم تحشونهم بالسيوف يركب أولهم آخرهم كالإبل المطرودة الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة وثبتكم الله باليقين وليعلم المنهزم أنه يسخط ربه ويوبق نفسه و فى الفرار موجدة الله عليه والذل اللازم له وفساد العيش و أن

الفار لايزيد الفرار فى عمره و لايرضى ربه فموت الرجل محقا قبل إتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها والإصرار عليها -روايت-۱-۲-روايت-۵۶-۹۸۱ . قال نصر و حدثناعمرو قال حدثنا أبوعلقمة الخثعمى أن عبد الله بن حنش الخثعمى رأس خثعم الشام أرسل إلى أبى كعب الخثعمى رأس خثعم العراق إن شئت تواقفنا فلم نقتتل فإن ظهر صاحبكم كنا معكم و إن ظهر صاحبنا كنتم معنا و لايقتل [صفحه ۲۰۵] بعضنا بعضا فأبى أبوكعب ذلك فلما التقت خثعم وخثعم وزحف الناس بعضهم إلى بعض قال عبد الله بن حنش لقومه يامعشر خثعم إنا قدعرضنا على قومنا من أهل العراق الموادعة صلة لأرحامها وحفظا لحقها فأبوا إلاقتالنا و قدبدءونا بالقطيعة فكفوا أيديكم عنهم حفظا لحقهم أبدا ماكفوا عنكم فإن قاتلوكم فقاتلوهم فخرج رجل من أصحابه فقال إنهم قدردوا عليك رأيك وأقبلوا إليك يقاتلونك ثم برز فنادى رجل يا أهل العراق فغضب عبد الله بن حنش قال أللهم قيض له وهب بن مسعود يعنى رجلا من خثعم الكوفة كان شجاعا يعرفونه فى الجاهلية لم يبارزه رجل قط إلاقتله فخرج إليه وهب بن مسعود فقتله ثم اضطربوا ساعة واقتتلوا أشد قتال فجعل أبوكعب يقول لأصحابه يامعشر خثعم خدموا أى اضربوا موضع الخدمة وهى الخلخال يعنى اضربوهم فى سوقهم فناداه عبد الله بن حنش يا أباكعب الكل قومك فأنصف قال إى و الله وأعظم واشتد قتالهم فحمل شمر بن عبد الله الخثعمى من خثعم الشام على أبى كعب فطعنه فقتله ثم انصرف يبكى و يقول يرحمك الله أباكعب لقد قتلتك فى طاعة قوم أنت أمس بى رحما منهم وأحب إلى منهم نفسا ولكنى و الله لاأدرى ماأقول و لاأرى الشيطان إلا قدفتننا و لاأرى قريشا إلا و قدلعبت بنا قال ووثب كعب بن أبى كعب إلى راية أبيه فأخذها ففقئت عينه وصرع ثم أخذها شريح بن مالك الخثعمى فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم نحو ثمانين رجلا وأصيب من خثعم الشام مثلهم ثم ردها شريح بن مالك بعد ذلك إلى كعب بن أبى كعب . قال نصر و حدثناعمرو قال حدثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر أن راية بجيلة فى صفين مع أهل العراق كانت فى أحمس مع أبى شداد قيس بن المكشوح بن [صفحه ۲۰۶] هلال بن الحارث بن عمرو بن عوف بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار قالت له بجيلة خذ رايتنا فقال غيرى خير لكم منى قالوا لانريد غيرك قال فو الله لئن أعطيتمونيها لاأنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب قالوا و كان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس فقالوا اصنع ماشئت فأخذها ثم زحف بها وهم حوله يضربون الناس حتى انتهى إلى صاحب الترس المذهب و هو فى خيل عظيمة من أصحاب معاوية و كان عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فاقتتل الناس هناك قتالا شديدا وشد أبوشداد بسيفه نحو صاحب الترس فتعرض له رومى من دونه لمعاوية فضرب قدم أبى شداد فقطعها وضرب أبوشداد ذلك الرومى فقتله وأسرعت إليه الأسنة فقتل فأخذ الراية بعده عبد الله بن قلع الأحمسى وارتجز و قال لايبعد الله أباشداد || حيث أجاب دعوة المنادى وشد بالسيف على الأعادى || نعم الفتى كان لدى الطراد و فى طعان الخيل والجلاد . ثم قاتل حتى قتل فأخذها بعده أخوه عبدالرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل ثم أخذها عفيف بن إياس الأحمسى فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس . [صفحه ۲۰۷] قال نصر و حدثناعمرو قال حدثنا عبد السلام قال قتل يومئذ من بنى أحمس حازم بن أبى حازم أخو قيس بن أبى حازم ونعيم بن شهيد بن التغلبية فأتى سميه ابن عمه نعيم بن الحارث بن التغلبية معاوية و كان من أصحابه فقال إن هذاالقتيل ابن عمى فهبه لى أدفنه فقال لاتدفنوهم فليسوا لذلك بأهل و الله ماقدرنا على دفن عثمان بينهم إلاسرا قال و الله لتأذنن لى فى دفنه أولألحقن بهم ولأدعنك قال ويحك ترى أشياخ العرب لانواريهم و أنت تسألنى فى دفن ابن عمك ادفنه إن شئت أودعه فأتاه فدفنه . قال نصر و حدثناعمرو قال حدثنا أبوزهير العبسى عن النضر بن صالح أن راية غطفان العراق كانت مع عياش بن شريك بن حارثة بن جندب بن زيد بن خلف بن رواحة فخرج رجل من آل ذى الكلاع فسأل المبارزة فبرز إليه قائد بن بكير العبسى فبارزه فشد عليه الكلاعى فأوهطه فقال أبوسليم عياش بن شريك لقومه إنى مبارز هذا الرجل فإن أصبت فرأسكم الأسود بن حبيب بن جمانة بن قيس بن زهير فإن أصيب فرأسكم هرم بن شتير بن عمرو بن جندب فإن أصيب فرأسكم

عبـد الله بن ضـرار من بنى حنظلـة بن رواحـة ثم مشـى نحو الكلاعى فلحقه هرم بن شتير فأخذ بظهره و قال ليمسک رحم لاتبرز إلى هـذاالطوال فقـال هبلتک الهبول وهل هو إلاالموت قال وهل الفرار إلا منه قال وهل منه بـد و الله لأقتلنه أوليلحقنى [صـفحه ۲۰۸] بقائـد بن بکير فبرز له ومعه حجفـة من جلود الإبل فدنا منه فإذاالحديد مفرغ على الکلاعى لايبين من نحره إلامثل شـراک النعـل من عنقه بين بيضـته ودرعه فضـربه الکلاعى فقطع جحفته إلاـنحوا من شبر فضـربه عياش على ذلک الموضع فقطع نخاعه فقتله وخرج ابن الکلاعى ثائرا بأبيه فقتله بکير بن وائل . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن الصلت بن زهير النهدى أن رايـة بنى نهد بالعراق أخذها مسـروق بن الهيثم بن سـلمـة فقتل ثم أخذها صخر بن سمى فارتث ثم أخذها على بن عمير فقاتل حتى ارتث ثم أخـذها عبـد الله بن کعب فقتل ثم أخـذها سـلمـة بن خـذيم بن جرثومـة فارتث وصـرع ثم أخذها عبد الله بن عمرو بن کبشـة فارتث ثم أخـذها أبومسـبح بن عمرو فقتل ثم أخـذها عبـد الله بن النزال فقتل ثم أخـذها ابن أخيه عبـدالرحمن بن زهير فقتل ثم أخذها مولاه مخارق فقتل حتى صارت إلى عبدالرحمن بن مخنف الأزدى. قال نصر فحدثنا عمرو قال حدثناالصلت بن زهير قال حـدثنى عبـدالرحمن بن مخنف قال صـرع يزيـد بن المغفل إلى جنبى فقتلت قاتله وقمت على رأسه ثم صـرع أبوزينب بن عروة فقتلت قاتله وقمت على رأسه وجاءنى سـفيان بن عوف فقال أقتلتم يزيد بن المغفل فقلت إى و الله [صفحه ۲۰۹] إنه لهذا ألذى ترانى قائمـا على رأسه قال و من أنت حياک الله قلت أنا عبـدالرحمن بن مخنف فقال الشـريف الکريم حياک الله ومرحبا بک يا ابن عم أ فلاتـدفعه إلى فأنا عمه سـفيان بن عوف بن المغفل فقلت مرحبا بک أماالآن فنحن أحق به منک ولسـنا بدافعيه إليک و أما ماعـدا ذلک فلعمرى أنت عمه ووارثه . قال نصـر حـدثناعمرو قال حـدثناالحارث بن حصـين عن أشـياخ الأزد أن مخنف بن سليم خطب لمانـدبت أزد العراق إلى قتـال أزد الشـام فقـال الحمـد لله والصـلاة على محمـدرسوله ثم قال إن من الخطب الجليل والبلاء العظيم إنا صرفنا إلى قومنا وصرفوا إلينا و الله ماهى إلاأيدينا نقطعها بأيدينا و ماهى إلاأجنحتنا نحذفها بأسيافنا فإن نحن لم نفعل لم نناصـح صاحبنا و لم نواس جماعتنا و إن نحن فعلنا فعزنا آلمنا ونارنا أخمـدنا. و قال جندب بن زهير الأزدى و الله لوکنا آباؤهم ولـدناهم أوکانوا آباؤنا ولدونا ثم خرجوا عن جماعتنا وطعنوا على إمامنا ووازروا الظالمين الحاکمين بغير الحق على أهل ملتنا ودينناماافترقنا بعـد إن اجتمعنا حتى يرجعوا عما هم عليه ويدخلوا فيما ندعوهم إليه أوتکثر القتلى بيننا وبينهم . فقال مخنف أعزبک الله فى التيه و الله ماعلمتک صـغيرا و لا إلاکبيرا مشـئوما و الله ماميلنا فى الرأى بين أمرين قط أيهما نأتى وأيهما نـدع فى جاهلية و لاإسلام [صفحه ۲۱۰] إلااخترت أعسـرهما وأنکدهما أللهم أن تعافينا أحب إلى من أن تبتلينا أللهم أعط کل رجل منا ماسألـک .فتقـدم جنـدب بن زهير فبـارز أزديـا من أزد الشام فقتله الشامى. قال نصـر و حـدثناعمرو عن الحارث بن حصـين عن أشياخ الحى أن عتبـة بن جويرة قـال يوم صـفين لأهله وأصـحابه ألا إن مرعى الـدنيا قدأصـبح هشـيما وأصـبح شـجرها حصـيدا وجديدها سـملا وحلوها مرا ألا وإنى أنبئکم نبأ امرئ صادق أنى قدسـئمت الدنيا وعزفت نفسـى عنها ولقد کنت أتمنى الشـهادة وأتعرض لهـا فى کل حين فأبى الله إلا أن يبلغنى هـذااليوم إلا وإنى متعرض ساعتى هـذه لها و قـدطمعت ألا أحرمها فما تنظرون عباد الله من جهاد أعداء الله أخوف الموت القادم عليکم الذاهب بنفوسـکم أو من ضـربة کف أوجبين بالسـيف أتستبدلون الدنيا بـالنظر إلى وجه الله ومرافقـة النبيين والصـديقين والشـهداء والصالحين فى دار القرار ما هـذابالرأى السديـد. ثم قال ياإخوتاه إنى قـدبعت هذه الدار بالدار التى أمامها و هذاوجهى إليها لايبرح الله وجوهکم و لايقطع أرحامکم .فتبعه أخواه عبد الله وعوف فقالا لانطلب ورق العيش دونک قبح الله الدنيا بعدک أللهم إنا نحتسب أنفسـنا عندک .فاسـتقدموا جميعا وقاتلوا حتى قتلوا. [صـفحه ۲۱۱] قال نصـر و حـدثناعمرو قال حدثنى رجل من آل الصـلت بن خارجة أن تميما لماذهبت لتهزم ذلک اليوم ناداهم مالک بن حرى النهشـلى ضاع الضـراب اليوم و ألـذى إنا له عبد يابنى تميم فقالوا أ لاترى الناس قدانهزموا فقال ويحکم أفرارا واعتذارا ثم نادى بالأحساب فجعل يکررها فقال له قوم منهم أتنادى بنـداء الجاهلية إن هذا لايحل فقال الفرار ويلکم أقبح إن لم تقاتلوا على

الدين واليقين فقاتلوا على الأحساب ثم جعل يقاتل ويرتجز فيقول إن تميما أخلفت عنك ابن مر || و قدأراهم وهم الحى الصبر فإن يفروا أويخيموا لاـأفر .فقتل مالك ذلك اليوم أخوه نهشل بن حرى التميمى يرثيه تطاول هذااالليل ماكاد ينجلى || كليل التمام مايريد انصراما وبت بذكرى مالك بكآبة || أؤرق من بعدالعشاء نياما أبى جزعى فى مالك غيرذكره || فلاتعذلينى إن جزعت أماما فأبكى أخى مادام صوت حمامة || يؤرق من وادى البطاح حماما وأبعث أنواحا عليه بسحرة || وتذرف عيناى الدموع سجاما وأدعو سراة الحى تبكى لمالك || وأبعث نوحا يلتدمن قياما يقلن ثوى رب السماحة والحجا || وذو عزة يأبى بها أن يضاما وفارس خيل لاتنازل خيله || إذااضطرمت نار العدو ضراما وأحيا عن الفحشاء من ذات كلة || يرى مايهاب الصالحون حراما [صفحه ٢١٢] وأجرأ من ليث بخفان مخدر || وأمضى إذارام الرجال صداما . و قال أيضا يرثيه بكى الفتى الأبيض البهلول سنته || عندالنداء فلانكسا و لاورعا بكى على مالك الأضياف إذ نزلوا || حين الشتاء و عزالرسل فانقطعا و لم يجد لقراهم غيرمربعة || من العشار تزجى تحتها ربعا أهوى لها السيف صلتا وهى راتعة || فأوهن السيف عظم الساق فانجذعا فجاءهم بعدرفد الناس أطيبها || وأشبعت منهم من نام واضطجعا يافارس الروع يوم الروع قدعلموا || وصاحب العزم لانكسا و لاطبعا ومدرك التبل فى الأعداء يطلبه || و إن طلبت بتبل عنده منعا قالوا أخوك أتى الناعى بمصرعه || فانشق قلبى غدة القول فانصدعا ثم ارعوى القلب شيئا بعدطربته || والنفس تعلم أن قدأثبتت وجعا . قال نصر و حدثناعمرو قال حدثنى يونس بن أبى إسحاق قال قال لنا أدهم [صفحه ٢١٣] بن محرز الباهلى ونحن معه بأذرح هل رأى أحد منكم شمر بن ذى الجوشن فقال عبد الله بن كبار النهدى وسعيد بن حازم البلوى نحن رأيناه قال فهل رأيتما ضربة بوجهه قالا نعم قال أنا و الله ضربته تلك الضربة بصفين . قال نصر و حدثناعمرو قال قد كان خرج أدهم بن محرز من أصحاب معاوية إلى شمر بن ذى الجوشن فى هذااليوم فاختلفا ضربتين فضربه أدهم على جبينه فأسرع فيه السيف حتى خالط العظم وضربه شمر فلم يصنع شيئا فرجع إلى عسكره فشرب ماء وأخذ رمحا ثم أقبل و هو يقول إنى زعيم لأخى باهله || بطعنة إن لم أمت عاجله وضربة تحت الوغى فاصله || شبيهة بالقتل أوقاتله . ثم حمل على أدهم و هويعرف وجهه وأدهم ثابت له لم ينصرف فطعنه فوقع عن فرسه وحال أصحابه دونه فانصرف شمر و قال هذه بتلك . قال نصر وخرج سويد بن قيس بن يزيد الأرحبى من عسكر معاوية يسأل المبارزة فخرج إليه من عسكر العراق أبوالعمرطة قيس بن عمرو بن عمير بن يزيد و هو ابن عم سويد و كان كل منهما لايعرف صاحبه فلما تقاربا تعارفا وتواقفا وتساءلاـ ودعا كل واحد منهما صاحبه إلى دينه فقال أبوالعمرطة أما أنافو الله ألذى لاإله إلا هولئن استطعت لأضربن بسيفى هذه القبة البيضاء يعنى القبة التى كان فيهامعاوية ثم انصرف كل واحد منهما إلى أصحابه . [صفحه ٢١٤] قال نصر ثم خرج رجل من عسكر الشام من أزد شنوءه يسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق فقتله الأزدى فخرج إليه الأشتر فما ألبثه أن قتله فقال قائل كان هذاريحا فصارت إعصارا. قال نصر و قال رجل من أصحاب على ع أما و الله لأحملن على معاوية حتى أقتله فركب فرسا ثم ضربه حتى قام على سنابكه ثم دفعه فلم ينهنهه شىء عن الوقوف على رأس معاوية فهرب معاوية ودخل خباء فنزل الرجل عن فرسه ودخل عليه فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر فخرج الرجل فى أثره فاستصرخ معاوية بالناس فأحاطوا به وحالوا بينهما فقال معاوية ويحكم إن السيوف لم يؤذن لها فى هذا و لو لا ذلك لم يصل إليكم فعليكم بالحجارة فرضخوه بالحجارة حتى همد فعاد معاوية إلى مجلسه قال نصر وحمل رجل من أصحاب على ع يدعى أباأيوب و ليس بأبى أيوب الأنصارى على صف أهل الشام ثم رجع فوافق رجلا من أهل الشام صادرا قدحمل على صف أهل العراق ثم رجع فاختلفا ضربتين فنفحه أبوأيوب بالسيف فأبان عنقه فثبت رأسه على جسده كما هو وكذب الناس أن يكون هوضربه فأرابهم ذلك حتى إذاأدخلته فرسه فى صف أهل الشام ندر رأسه ووقع ميتا فقال على ع و الله لأنا من ثبات رأس الرجل أشد تعجبا من الضربة و إن كان إليها ينتهى وصف الواصفين . وجاء أبوأيوب فوقف بين يدى على ع فقال له أنت و الله كما قال الشاعر وعلمنا

الضـرب آباؤنـا || ونحن نعلم أيضـا بنينـا . قال نصـر فلما انقضـى هـذااليوم بما فيه أصـبحوا فى اليوم الثامن من صـفين والفيلقان متقابلان فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة فخرج إليه رجل من أهل العراق [صفحه ٢١٥] فاقتتلا بين الصفين قتالا شديدا ثـم إن العراقى اعتنقـه فوقعـا جميعـا وغـار الفرسـان ثم إن العراقى قهره فجلس على صـدره وكشـف المغفر عنه يريـد ذبحه فـإذا هوأخوه لأبيه وأمه فصـاح به أصـحاب على ع ويحـك أجهز عليه قال إنه أخى قالوا فاتركه قال لا و الله حتى يأذن أمير المؤمنين فأخبر على ع بـذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه فقام فعاد إلى صف معاويـة. قال نصـر و حـدثنا محمد بن عبيد الله عن الجرجانى قال كان فارس معاوية ألذى يعده لكل مبارز ولكل عظيم حريث مولاه و كان يلبس سـلاح معاوية متشـبها به فإذاقاتل قال الناس ذاک معاويـة و إن معاويـة دعـاه فقال له ياحريث اتق عليا وضع رمحك حيث شئت فأتاه عمرو بن العاص فقال ياحريث إنک و الله لوكنت قرشيا لأحب لک معاوية أن تقتل عليا ولكن كره أن يكون لک حظها فإن رأيت فرصة فاقتحم قال وخرج على ع فى هذااليوم أمام الخيل فحمل عليه حريث . قال نصـر فحدثنى عمرو بن شـمر عن جابر قال برز حريث مولى معاوية هذااليوم و كان شديـدا أيـدا ذا بأس لايرام فصاح يا على هل لک فى المبارزة فأقـدم أباحسن إن شـئت فأقبل على ع و هو يقول -روايت-١-٢-روايت-٤٤-١٩٢ أنا على و ابن عبدالمطلب || نحن لعمر الله أولى بالكتب [صـفحه ٢١٦] منا النبى المصطفى غيركذب || أهل اللواء والمقام والحجب نحن نصـرناه على كل العرب ثم خالطه فما أمهله أن ضـربه ضربة واحدة فقطعه نصفين -روايت-١-٥٧ .

قال نصـر فحـدثنا محمد بن عبيد الله قال حدثنى الجرجانى قال جزع معاوية على حريث جزعا شديدا وعاتب عمرا فى إغرائه إياه بعلى ع و قـال فى ذلک شـعرا حريث أ لم تعلم وجهلک ضائر || بأن عليا للفوارس قاهر و أن عليا لم يبارزه فارس || من الناس إلاأقصـدته الأظافر أمرتک أمرا حازما فعصـيتنى || فجـدک إذ لم تقبل النصـح عاثر ودلاک عمرو والحوادث جمـة || غرورا و ماجرت عليک المقادر وظن حريث أن عمرا نصـيحه || و قديهلک الإنسان من لايحاذر . قال نصر فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصـين السكسـكى فنـادى يـا أباحسن هلم إلى المبارزة فأومأ ع إلى سـعيد بن قيس الهمـدانى فبارزه فضـربه بالسـيف فقتله . [صفحه ٢١٧] و قال نصـر و كان لهمدان بلاء عظيم فى نصـره على ع فى صـفين و من الشعر ألذى لايشک أن قائله على ع لكثرة الرواة له -روايت-١-٢-روايت-١٣-١٢٣ دعوت فلبانى من القوم عصـبة || فوارس من همـدان غيرلئام فوارس من همدان ليسوا بعزل || غداة الوغى من شاكر وشبام بكل ردينى وعضب تخاله || إذااختلف الأقوام شعل ضرام لهمدان أخلاق كرام تزينهم || وبأس إذالاقوا وحـد خصام وجد وصدق فى الحروب ونجدة || وقول إذاقالوا بغير أثام متى تأتهم فى دارهم تستضـيفهم || تبت ناعمـا فى خدمـة وطعـام جزى الله همـدان الجنـان فإنها || سـمام العـدا فى كل يوم زحام فلو كنت بوابا على باب جنـة || لقلت لهمدان ادخلوا بسـلام قال نصـر فحدثنى عمرو بن شـمر قال ثم قام على ع بين الصفين ونادى يامعاوية يكررها فقال معاوية سلوه ماشـأنه قـال أحب أن يظهر لى فـأكلمه كلمـة واحـدة فبرز معاويـة ومعه عمرو بن العـاص فلمـا قاربـاه لم يلتفت إلى عمرو و قـال لمعاوية ويحک علام يقتل الناس بينى وبينک ويضرب بعضهم بعضا ابرز إلى فأينا قتل صاحبه فالأمر له فالتفت معاوية إلى عمرو فقـال مـاترى يـا أبا عبـد الله قال قدأنصـفک الرجل واعلم أنک إن نكلت عنه لم يزل سـبه عليک و على عقبک مابقى على ظهر الأرض عربى فقال معاويـة يا ابن العاص ليس مثلى يخدع عن نفسه و الله مابارز ابن أبى طالب شـجاع قط إلا وسـقى الأرض من دمه ثم انصرف معاوية راجعا حتى انتهى إلى [صفحه ٢١٨] آخر الصفوف وعمرو معه فلما رأى على ع ذلک ضحک وعاد إلى موقفه . قـال نصـر و فى حـديث الجرجـانى أن معاويـة قال لعمرو ويحک ماأحمقک تـدعونى إلى مبارزته ودونى عک وجـذام والأشـعرون . قال نصـر قال وحقدها معاوية على عمرو باطنا و قال له ظاهرا ماأظنک قلت ماقلته يا أبا عبد الله إلامازحا فلما جلس معاويـة مجلسه أقبـل عمرو يمشـى حتى جلس إلى جـانبه فقـال معاويـة يـاعمرو إنک قدقشـرت لى العصا || برضـاک لى وسـط العجاج برازى ياعمرو إنک قدأشـرت بظنـة || حسب المبارز خطفـة من بازى ولقـد ظننتک قلت مزحـة مازح || والهزل يحمله

مقـال الهـازى فإذا ألـذى منتک نفسک حاکیا || قتلی جزاک بما نویت الجازی ولقـد کشـفت قناعها مذمومـۀ || ولقـد لبسـت بهاثیـاب الخـازی . فقـال عمرو أیهـا الرجـل أتجبن عن خصـمک وتتهم نصـیحک و قال مجیبا له معاوی إن نکلت عن البراز || وخفت فإنها أم المخازی معاوی مااجترمت إلیک ذنبا || و لا أنا فی ألذی حدثت خازی [صفحه ۲۱۹] و ماذنبی بأن نادی علی || وکبش القوم یـدعی للبراز و لوبـارزته بـارزت لیثـا || حدیـد النـاب یخطف کـل بازی وتزعم أننی أضـمرت غشا || جزانی بالـذی أضـمرت جـازی . وروی ابن قتیبـۀ فی کتـابه المسـمی عیون الأخبار قال قال أبوالأغر التمیمی بینا أناواقف بصـفین مر بی العباس بن ربیعۀ بن الحارث بن عبدالمطلب مکفرا بالسلاح وعیناه تبصان من تحت المغفر کأنهما عینا أرقم وبیده صفیحۀ یمانیۀ یقلبها و هو علی فرس له صـعب فبینا هویمغثه ویلین من عریکته هتف به هاتف من أهل الشام یعرف بعرار بن أدهم یاعباس هلم إلی البراز قـال العبـاس فالنزول إذافإنه إیاس من القفول فنزل الشامی و هو یقول إن ترکبوا فرکوب الخیل عادتنا || أوتنزلون فإنا معشـر نزل . وثنی العباس رجله و هو یقول ویصـد عنک مخیلۀ الرجل العریض || موضـحۀ عن العظم بحسام سـیفک أولسانک والکلم || الأصـیل کـأرغب الکلم . ثم عصب فضـلات درعه فی حجزته ودفع فرسه إلی غلامـ له أسود یقـال له أسـلم [صـفحه ۲۲۰] کأنی و الله أنظر إلی فلافل شعره ثم دلف کل واحـد منهما إلی صاحبه فـذکرت قول أبی ذؤیب فتنازلا وتواقفت خیلاهما || وکلاهمـا بطـل اللقـاء مخـدع . وکفت النـاس أعنـۀ خیولهم ینظرون مـا یکون من الرجلین فتکافحا بسـیفیهما ملیا من نهارهما لایصل واحد منهما إلی صاحبه لکمال لأمته إلی أن لحظ العباس وهنا فی درع الشامی فأهوی إلیه بیده فهتکه إلی ثندوته ثم عاد لمجاولته و قدأصـحر له مفتق الدرع فضـربه العباس ضـربۀ انتظم بهاجوانح صدره فخر الشامی لوجهه وکبر الناس تکبیرۀ ارتجت لها الأرض من تحتهم وسما العباس فی الناس فإذاقائل یقول من ورائیقاتِلُوهُم یُعَذّبهُمُ اللّهُ بِأَیدِیکُم وَ یُخزِهِم وَ یَنصُرکُم عَلَیهِم وَ یَشـفِ صُـدُورَ قَومٍ مُؤمِنِینَ وَ یُـذهِب غَیـظَ قُلُوبِهِم وَ یَتُوبُ اللّهُ عَلی مَن یَشاءُفـالتفت فـإذا أمیر المؤمنین فقـال لی یـا أباالأـغر من المنازل لعدونا قلت هذا ابن أخیکم هذاالعباس بن ربیعۀ فقال وإنه لهو یاعباس أ لم أنهک و ابن عباس أن تخلا بمراکزکما و أن تباشـرا حربا قال إن ذلک کان قال فما عـدا مما بـدا قال یا أمیر المؤمنین أفأدعی إلی البراز فلاأجیب قال نعم طاعۀ إمامک أولی من إجابۀ عدوک ثم تغیظ واستطار حتی قلت الساعۀ الساعۀ ثم سـکن وتطامن -قرآن-۴۱۰-۵۷۹ ورفع یـدیه مبتهلا فقال أللهم اشـکر للعبـاس مقامه واغفر ذنبه إنی قـدغفرت له فاغفر له -روایت-۱-۹۱ قـال ولهف معاویـۀ علی عرار و قال متی ینتطـح فحل لمثله أیطـل دمه لاها الله إذاألا رجل یشـری نفسه لله یطلب بـدم عرار فانتـدب له رجلان من لخم [صـفحه ۲۲۱] فقال لهما اذهبا فأیکما قتل العباس برازا فله کـذا فأتیاه فـدعواه للبراز فقال إن لی سـیدا أرید أن أؤامره فأتی علیا ع فأخبره الخبر فقال ع و الله لود معاویۀ أنه مابقی من بنی هاشم نافخ ضرمۀ إلاطعن فی بطنه إطفاء لنور الله ویأبی الله إلا أن یتم نوره و لوکره المشرکون أما و الله لیملکنهم منا رجال ورجال یسومونهم الخسف حتی یحتفروا الآبار ویتکففوا الناس ویتوکلوا علی المساحی ثم قال یاعباس ناقلنی سلاحک بسـلاحی -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۰۴ فنـاقله ووثب علی فرس العبـاس وقصـد اللخمیین فمـا شـکا أنه هوفقالا إذن لـک صاحبک فحرج أن یقول نعم فقال إذن للـذین یقاتلون بأنهم ظلموا و إن الله علی نصـرهم لقـدیر فبرز إلیه أحـدهما فکأنما اختطفه ثم برز له الآـخر فـألحقه بالأـول ثم أقبـل و هو یقول الشـهر الحرام بالشـهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتـدی علیکم فاعتدوا علیه بمثل مااعتدی علیکم ثم قال یاعباس خذ سـلاحک وهات سلاحی فإن عاد لک أحد فعد إلی. قال فنمی الخبر إلی معاویۀ فقال قبح الله اللجاج إنه لقعود مارکبته قط إلاخذلت . فقال عمرو بن العاص المخذول و الله اللخمیان لا أنت فقال اسکت أیهـا الرجل ولیست هـذه من ساعاتک قال و إن لم یکن فرحم الله اللخمیین و مأأراه یفعل قال فإن ذاک و الله أخسـر لصـفقتک وأضـیق لحجزتک . قال قدعلمت ذاک و لو لامصـر لرکبت المنجاۀ منها قال هی أعمتک ولولاها ألفیت بصـیرا. [صـفحه ۲۲۲] قـال نصـر بن مزاحم و حـدثناعمرو قـال حـدثنی فضـیل بن خدیـج قال خرج رجل من أهل الشام یـدعو إلی المبارزۀ فخرج إلیه

عبدالرحمن بن محرز الكندى ثم الطمحى فتجاولا ساعة ثم إن عبدالرحمن حمل على الشامى فطعنه فى نقرة نحره فصرعه ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحه فإذا هو عبدأسود فقال إنا لله أخطرت نفسى بعبد أسود قال وخرج رجل من عك فسأل البراز فخرج إليه قيس بن فهران الكندى فما ألبثه أن طعنه فقتله و قال لقد علمت عك بصفين أننا || إذا ماتلاقى الخيل نطعنها شزرا ونحمل رايات القتال بحقها || فنوردها بيضا ونصدرها حمرا . قال وحمل عبد الله بن الطفيل البكائى على صفوف أهل الشام فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم يقال له قيس بن فهد الحنظلى اليربوعى فوضع الرمح بين كتفى عبد الله فاعترضه يزيد بن معاوية البكائى ابن عم عبد الله بن الطفيل فوضع الرمح بين كتفى التميمى و قال و الله لئن طعنته لأطعننك فقال عليك عهد الله لئن رفعت السنان عن ظهر صاحبك لترفعنه عن ظهرى قال نعم لك العهد والميثاق بذلك فرفع السنان عن ظهر عبد الله فرفع يزيد السنان عن التميمى فوقف التميمى و قال ليزيد ممن أنت قال من بنى عامر قال جعلنى الله فداكم أينما لقيناكم كراما أما و الله إنى لآخر أحد عشر رجلا من بنى تميم قتلتموهم اليوم . قال نصر فبعد ذلك بدهر عتب يزيد على عبد الله بن الطفيل فأذكره ماصنع معه يوم صفين فقال [صفحه ٢٢٣] ألم ترنى حاميت عنك مناصحا || بصفين إذ خلاك كل حميم ونهنهت عنك الحنظلى و قدأتى || على سابح ذى ميعة وهزيم . قال نصر وخرج ابن مقيدة الحمار الأسدى و كان ذا بأس وشجاعة و هو من فرسان الشام فطلب البراز فقام المقطع العامرى و كان شيخا كبيرا فقال على ع له اقعد فقال يا أمير المؤمنين لاتردنى إما أن يقتلنى فأتعجل الجنة وأستريح من الحياة الدنيا فى الكبر والهرم أوأقتله فأريحك منه . و قال له ع ماسمك فقال المقطع قال مامعنى ذلك قال كنت أدعى هشيما فأصابتنى جراحة منكرة فدعيت المقطع منها فقال له ع اخرج إليه وأقدم عليه أللهم انصر المقطع على ابن مقيدة الحمار فحمل على ابن مقيدة الحمار فأدهشه لشدة الحملة فهرب و هويتبعه حتى مر بمضرب معاوية حيث يراه والمقطع على أثره فجاوزا معاوية بكثير فلما رجع المقطع ورجع ابن مقيدة الحمار ناداه معاوية لقد شمص بك العراقى قال أماإنه قدفعل أيها الأمير ثم عاد المقطع فوقف فى موقفه . قال نصر فلما كان عام الجماعة وبايع الناس معاوية سأل عن المقطع العامرى حتى أدخل عليه و هوشيخ كبير فلما رآه قال آه لو لاأنك على مثل هذه الحال لماأفلت منى قال نشدتك الله إلاقتلتنى وأرحتنى من بؤس الحياة وأدنيتنى إلى لقاء الله قال إنى لاأقتلك و إن بى إليك لحاجة قال ماهى قال أحب أن تؤاخينى قال أنا وإياكم افترقنا فى الله فلانجتمع حتى يحكم الله بيننا فى الآخرة. [صفحه ٢٢٤] قال فزوجنى ابنتك قال قدمنعتك ما هوأهون على من ذلك قال فاقبل منى صلة قال لاحاجة لى فيما قبلك . قال فخرج من عنده و لم يقبل منه شيئا. قال نصر ثم التقى الناس فاقتتلوا قتالا شديدا وحاربت طيئ مع أمير المؤمنين ع حربا عظيما وتداعت وارتجزت فقتل منها أبطال كثيرون وفقئت عين بشر بن العوس الطائى و كان من رجال طيئ وفرسانها فكان يذكر بعد ذلك أيام صفين فيقول وددت أنى كنت قتلت يومئذ ووددت أن عينى هذه الصحيحة فقئت أيضا و قال ألا ليت عينى هذه مثل هذه || و لم امش بين الناس إلابقائد و ياليت رجلى ثم طنت بنصفها || و ياليت كفى ثم طاحت بساعدى و ياليتنى لم أبق بعدمطرف || وسعد و بعدالمستنير بن خالد فوارس لم تغد الحواضن مثلهم || إذاهى أبدت عن خدام الخرائد . قال نصر وأبلت محارب يومئذ مع أمير المؤمنين ع بلاء حسنا و كان عنتر بن عبيد بن خالد بن المحاربى أشجع الناس يومئذ فلما رأى أصحابه متفرقين ناداهم يامعشر قيس أطاعة الشيطان أبر عندكم من طاعة الرحمن ألا إن الفرار فيه معصية الله وسخطه و إن الصبر فيه طاعة ورضوانه أفتختارون سخط الله على رضوانه ومعصيته على طاعته ألا إنما الراحة بعدالموت لمن مات محتسبا لنفسه ثم يرتجز فيقول لاوألت نفس امرئ ولى الدبر || أنا ألذى لاأنثنى و لاأفر [صفحه ٢٢٥] و لايرى مع المعازيل الغدر وقاتل حتى ارتث . قال نصر وقاتلت النخع مع على ع ذلك اليوم قتالا شديدا وقطعت رجل علقمة بن قيس النخعى وقتل أخوه أبى بن قيس فكان علقمة يقول بعد ماأحب أن رجلى أصح ماكانت لماأرجو بها من حسن الثواب و كان يقول لقد كنت أحب أن أبصر أخى فى نومى فرأيته فقلت له ياأخى ما ألذى قدمتم عليه فقال لى

التقينا نحن و أهل الشام بين يدى الله سبحانه فاحتججنا عنده فحججناهم فما سررت بشىء منذ عقلت سرورى بتلك الرؤيا. قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن سويد بن حبة البصرى عن الحضين بن المنذر الرقاشى قال إن ناسا أتوا عليا ع قبل الوقعة فى هذااليوم فقالوا له إنا لانرى خالد بن المعمر السدوسى إلا قدكاتب معاوية و قدخشينا أن يلتحق به ويبايعه فبعث إليه على ع و إلى رجال من أشراف ربيعة فجمعهم فحمد الله وأثنى عليه و قال يامعشر ربيعة أنتم أنصارى ومجيبو دعوتى و من أوثق أحياء العرب فى نفسى و قدبلغنى أن معاوية قدكاتب صاحبكم هذا و هوخالد بن المعمر و قدأتيت به وجمعتكم لأشهدكم عليه وتسمعوا منى و منه ثم أقبل عليه فقال ياخالد بن المعمر إن كان مابلغنى عنك حقا فإنى أشهد من حضرنى من المسلمين أنك آمن حتى تلحق بالعراق أوبالحجاز أوبأرض لاسلطان لمعاوية فيها و إن كنت مكذوبا عليك فأبر صدورنا بإيمان نطمئن إليها فحلف له -روايت-١-٢-روايت-٨٨-ادامه دارد [صفحه ٢٢٦] خالد بالله مافعل و قال رجال منا كثير و الله يا أمير المؤمنين لونعلم أنه فعل لقتلناه -روايت-از قبل-٩٤ . و قال شقيق بن ثور السدوسى ماوفق الله خالد بن المعمر حين ينصر معاوية و أهل الشام على على و أهل العراق وربيعة فقال له زياد بن خصفة يا أمير المؤمنين استوثق من ابن المعمر بالأيمان لايغدر بك فاستوثق منه ثم انصرفوا. فلما تصاف الناس فى هذااليوم وحمل بعضهم على بعض تضعضعت ميمنة أهل العراق فجاءنا على ع ومعه بنوه حتى انتهى إلينا فنادى بصوت عال جهير لمن هذه الرايات فقلنا رايات ربيعة فقال بل هى رايات الله عصم الله أهلها وصبرهم وثبت أقدامهم ثم قال لى و أناحامل راية ربيعة يومئذ يافتى أ لاتدنى رايتك هذه ذراعا فقلت بلى و الله وعشرة أذرع ثم ملت بهاهكذا فأدنيتها فقال لى حسبك مكانك . قال نصر و حدثناعمرو قال حدثنى يزيد بن أبى الصلت التيمى قال سمعت أشياخ الحى من بنى تيم بن ثعلبة يقولون كانت راية ربيعة كلها كوفيتها وبصريتها مع خالد بن المعمر السدوسى من ربيعة البصرة ثم نافسه فى الراية شقيق بن ثور من بكر بن وائل من أهل الكوفة فاصطلحا على أن يوليا الراية لحضين بن المنذر الرقاشى و هو من أهل البصرة أيضا وقالوا هذافتى له حسب تعطيه الراية إلى أن نرى رأينا و كان الحضين يومئذ شابا حدث السن . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر قال أقبل الحضين بن المنذر يومئذ و هوغلام يزحف براية ربيعة وكانت حمراء فأعجب عليا ع زحفه وثباته فقال -روايت-١-٢-روايت-٣٥-ادامه دارد [صفحه ٢٢٧] لمن راية حمراء يخفق ظلها || إذاقيل قدمها حضين تقدما ويدنو بها فى الصف حتى يزيرها || حمام المنايا تقطر الموت والدما تراه إذا ما كان يوم عظيمة || أبى فيه إلاعزة وتكرما جزى الله قوما صابروا فى لقائهم || لدى الناس حرا ماأعف وأكرما وأحزم صبرا يوم يدعى إلى الوغى || إذا كان أصوات الكماة تغمغما ربيعة أعنى إنهم أهل نجدة || وبأس إذالاقوا خميسا عرمرما و قدصبرت عك ولخم وحمير || لمذحج حتى لم يفارق دم دما ونادت جذام يال مذحج ويحكم || جزى الله شرا أينا كان أظلما أ ماتتقون الله فى حرماتكم || و ماقرب الرحمن منها وعظما أذقنا ابن حرب طعننا وضرابنا || بأسيافنا حتى تولى وأحجما وفر ينادى الزبرقان وظالما || ونادى كلاعا والكريب وأنعما وعمرا وسفيانا وجهما ومالكا || وحوشب والغاوى شريحا وأظلما وكرز بن تيهان وعمرو بن جحدر || وصباحا القينى يدعو وأسلما -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد . قلت هكذا روى نصر بن مزاحم وسائر الرواة رووا له ع الأبيات الستة الأولى ورووا باقى الأبيات من قوله و قدصبرت عك للحضين بن المنذر صاحب الراية. قال نصر وأقبل ذو الكلاع فى حمير و من لف لفها ومعهم عبيد الله بن عمر -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ٢٢٨] بن الخطاب فى أربعة آلاف من قراء أهل الشام وذو الكلاع فى حمير فى الميمنة وعبيد الله فى القراء فى الميسرة فحملوا على ربيعة وهم فى ميسرة أهل العراق وفيهم عبيد الله بن العباس حملة شديدة فتضعضعت رايات ربيعة. ثم إن أهل الشام انصرفوا فلم يمكثوا إلاقليلا حتى كروا ثانية وعبيد الله بن عمر فى أوائلهم يقول يا أهل الشام هذاالحى من العراق قتله عثمان بن عفان وأنصار على بن أبى طالب ولئن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم من عثمان وهلك على و أهل العراق فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت لهم ربيعة وصبرت صبرا حسنا إلاقليلا من

الضعفاء.فأما أهل الرايات وذوو البصائر منهم والحفاظ فثبتوا وقاتلوا قتالا شديدا و أماخالد بن المعمر فإنه لمارأى بعض أصحابه قدانصرفوا انصرف معهم فلما رأى أهل الرايات ثابتين صابرين رجع إليهم وصاح بمن انهزم وأمرهم بالرجوع فكان من يتهمه من قومه يقول إنه فر فلما رآنا قدثبتنا رجع إلينا و قال هو لمارأيت رجالا منا قدانهزموا رأيت أن أستقبلهم ثم أردهم إلى الحرب فجاء بأمر مشتبه . قال نصر و كان فی جملة ربيعة من عنزة وحدها أربعة آلاف مجفف . قلت لاريب عندعلماء السيرة أن خالد بن المعمر كان له باطن سوء مع معاوية و أنه انهزم هذااليوم ليكسر الميسرة على على ع ذكر ذلك الكلبى والواقدى وغيرهما ويدل على باطنه هذا أنه لمااستظهرت ربيعة على معاوية و على صفوف أهل الشام فی اليوم الثانى من هذاأرسل معاوية إلى خالد بن المعمر أن كف عنى و لك إمارة خراسان -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد [صفحه ۲۲۹] مابقيت فكف عنه فرجع بربيعة و قدشارفوا أخذه من مضربه وسيأتى ذكر ذلك . قال نصر فلما رجع خالد بن المعمر واستوت صفوف ربيعة كماكانت خطبهم فقال يامعشر ربيعة إن الله تعالى قدأتى بكل رجل منكم من منبته ومسقط رأسه فجمعكم فی هذاالمكان جمعا لم تجتمعوا مثله قط منذ أفرشكم الله الأرض وإنكم إن تمسكوا أيديكم وتنكلوا عن عدوكم وتحولوا عن مصافكم لايرضى الرب فعلكم و لاتعدموا معيرا يقول فضحت ربيعة الذمار وخاموا عن القتال وأتيت من قبلهم العرب فإياكم أن يتشاءم بكم اليوم المسلمون وإنكم إن تمضوا مقدمين وتصبروا محتسبين فإن الإقدام منكم عادة والصبر منكم سجية فاصبروا ونيتكم صادقة تؤجروا فإن ثواب من نوى ما عند الله شرف الدنيا وكرامة الآخرة و الله لايضيع أجر من أحسن عملا.فقام إليه رجل من ربيعة و قال قدضاع و الله أمر ربيعة حين جعلت أمرها إليك تأمرنا ألا نحول و لانزول حتى نقتل أنفسنا ونسفك دماءنا.فقام إليه رجال من قومه فتناولوه بقسيهم ولكزوه بأيديهم وقالوا لخالد بن المعمر أخرجوا هذا من بينكم فإن هذا أن بقى فيكم ضركم و إن خرج منكم لم ينقصكم عددا هذا ألذى لاينقص العدد و لايملأ البلد ترحك الله من خطيب قوم لقد جنبك الخير قبح الله ماجئت به . -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد [صفحه ۲۳۰] قال نصر واشتد القتال بين ربيعة وحمير وعبيد الله بن عمر حتى كثرت القتلى وجعل عبيد الله يحمل و يقول أناالطيب ابن الطيب فتقول له ربيعة بل أنت الخبيث ابن الطيب . ثم خرج نحو خمسمائة فارس أوأكثر من أصحاب على ع على رءوسهم البيض وهم غائصون فی الحديد لايرى منهم إلاالحدق وخرج إليهم من أهل الشام نحوهم فی العدة فاقتتلوا بين الصفين و الناس وقوف تحت راياتهم فلم يرجع من هؤلاء و لا من هؤلاء مخبر لاعراقى و لاشامى قتلوا جميعا بين الصفين . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن تميم قال نادى منادى أهل الشام ألا إن معنا الطيب ابن الطيب عبيد الله بن عمر فنادى منادى أهل العراق بل هوالخبيث ابن الطيب ونادى منادى أهل العراق ألا إن معنا الطيب ابن الطيب محمد بن أبى بكر فنادى منادى أهل الشام بل الخبيث ابن الطيب . قال نصر و كان بصفين تل تلقى عليه جماجم الرجال فكان يدعى تل الجماجم فقال عقبة بن مسلم الرقاشى من أهل الشام -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد و لم أر فرسانا أشد حفيظة || وامنع منا يوم تل الجماجم غداة غدا أهل العراق كأنهم || نعام تلاقى فی فجاج المخارم إذا قلت قدولوا تثوب كتيبة || ململمة فی البيض شمط المقادم وقالوا لنا هذا على فبايعوا || فقلنا صه بل بالسيوف الصوارم -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد . -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد [صفحه ۲۳۱] و قال شبث بن ربعى التميمى -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد وقفنا لديهم يوم صفين بالقنا || لدن غدوة حتى هوت لغروب وولى ابن حرب والرماح تنوشه || و قدأرضت الأسياف كل غضوب نجالدهم طورا وطورا نشلهم || على كل محبوك السراة شبوب فلم أر فرسانا أشد حفيظة || إذاغشى الآفاق رهج جنوب أكر وأحمى بالغطاريف والقنا || و كل حديد الشفرتين قضوب -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد . قال نصر ثم ذهب هذااليوم بما فيه فأصبحوا فی اليوم التاسع من صفر و قدخطب معاوية أهل الشام وحرضهم فقال إنه قدنزل بكم من الأمر ماترون وحضركم ماحضركم فإذانهدتم إليهم إن شاء الله فقدموا الدارع وأخروا الحاسر وصفوا الخيل

وأجنبوها وكونوا كقص الشارب وأعيرونا جماجمكم ساعة فإنما هوظالم أومظلوم و قدبلغ الحق مقطعه . قال نصر وروى الشعبى قال قام معاويـة فخطب الناس بصـفين فى هـذااليوم فقال الحمد لله ألذى دنا فى علوه وعلا فى دنوه وظهر وبطن وارتفع فوق كل ذى -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ٢٣٢] منظر هوالأول والآخر والظاهر والباطن يقضـى فيفصل ويقدر فيغفر ويفعل مايشاء إذاأراد أمرا أمضاه و إذاعزم على شـىءقضاه لايؤامر أحـدا فيما يملك و لايسأل عما يفعل وهم يسألون والحمد لله رب العـالمين على ماأحببنـا وكرهنا و قـد كان فيما قضاه الله إن ساقتنا المقادير إلى هـذه البقعـة من الأرض ولف بيننا و بين أهل العراق فنحن من الله بمنظر و قـد قـال الله سـبحانه وَ لَو شـاءَ اللّهُ مَا اقتَتَلُوا وَ لكِنّ اللّهَ يَفعَلُ ما يُرِيـدُ.انظروا يا أهل الشام إنكم غـدا تلقون أهـل العراق فكونوا على إحـدى ثلاـث خصـال إمـا أن تكونوا قومـا طلبتم مـا عنـد الله فى قتـال قوم بغوا عليكم فأقبلوا من بلادهم حتى نزلوا فى بيضـتكم وإما أن تكونوا قوما تطلبون بـدم خليفتكم وصـهر نبيكم وإما أن تكونوا قوما تـذبون عن نسائكم وأبنائكم فعليكم بتقوى الله والصبر الجميل أسأل الله لنا ولكم النصر و أن يفتح بيننا و بين قومنا بالحق و هوخير الفاتحين .فقام ذو الكلاـع فقـال يامعاويـة إنـا نحن الصبر الكرام لاننثنى عنـدالخصام بنو الملوك العظام ذوى النهى والأحلام لايقربون الآثام . فقال معاوية صدقت . -روايت-از قبل-٤٣٩ [صفحه ٢٣٣] قال نصر وكانت التعبية فى هذااليوم كالتعبية فى ألذى قبله وحمل عبيد الله بن عمر فى قراء أهل الشام ومعه ذو الكلاع فى حمير على ربيعـة وهى فى ميسـرة على ع فقاتلوا قتالا شديدا فأتى زياد بن خصـفة إلى عبـدالقيس فقال لهم لابكر بن وائل بعـداليوم إن ذا الكلاع وعبيـد الله أبادا ربيعـة فانهضوا لهم و إلاهلكوا فركبت عبدالقيس وجاءت كأنها غمامـة سوداء فشدت أزر الميسـرة فعظم القتال فقتل ذو الكلاع الحميرى قتله رجل من بكر بن وائل اسـمه خندف وتضعضـعت أركان حمير وثبتت بعـدقتل ذى الكلاع تحارب مع عبيـد الله بن عمر وأرسل عبيد الله إلى الحسن بن على ع أن لى إليك حاجـة فالقنى فلقيه الحسن ع فقال له عبيـد الله إن أباك قدوتر قريشا أولا وآخرا و قدشـنئه الناس فهل لك فى خلعه و أن تتولى أنت هـذاالأمر فقال كلا و الله لا يكون ذلك ثم قال يا ابن الخطاب و الله لكأنى أنظر إليك مقتولا فى يومك أوغدك أما إن الشيطان قـدزين لـك وخـدعك حتى أخرجـك مخلقـا بـالخلوق ترى نسـاء أهل الشام موقفك وسيصـرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلا. قال نصر فو الله ما كان إلابياض ذلك اليوم حتى قتل عبيد الله و هو فى كتيبة رقطاء وكانت تدعى الخضرية كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضـر فمر الحسن ع فإذا رجل متوسد برجل قتيل قدركز رمحه فى عينه وربط فرسه برجله فقال الحسـن ع لمن معه انظروا من هـذا فـإذا رجل من همـدان و إذاالقتيل عبيـد الله بن عمر بن الخطاب قـدقتله الهمـدانى فى أول الليل وبات عليه حتى أصـبح . قال نصـر و قـداختلف الرواة فى قاتل عبيد الله فقالت همدان نحن قتلناه قتله هانئ بن الخطاب الهمدانى وركز رمحه فى عينه وذكر الحـديث وقـالت حضـرموت نحن قتلنـاه قتله مالك بن عمرو الحضـرمى وقالت بكر بن وائل نحن قتلناه قتله محرز [صفحه ٢٣٤] بن الصـحصح من بنى تيم اللات بن ثعلبة وأخذ سـيفه الوشاح . فلما كان عام الجماعة طلب معاوية السيف من ربيعة الكوفة فقالوا إنما قتله رجل من ربيعة البصـرة يقال له محرز بن الصحصح فبعث إليه معاوية فأخذ السيف منه . قال نصر و قـدروى أن قاتله حريث بن جابر الحنفى و كان رئيس بنى حنيفـة يوم صـفين مع على ع حمل عبيد الله بن عمر على صف بنى حنيفة و هو يقول أناعبيـد الله ينمينى عمر || خير قريش من مضـى و من غبر إلا رسول الله والشـيخ الأغر || قـدأبطأت عن نصـر عثمان مضـر والربعيون فلاأسـقوا المطر || وسارع الحى اليمانون الغرر والخير فى الناس قديما يبتدر .فحمل عليه حريث بن جابر الحنفى و قـال قـدسارعت فى نصـرها ربيعـة || فى الحق والحق لها شـريعة فاكفف فلست تارك الوقيعـة || فى العصـبة السامعة المطيعة حتى تذوق كأسـها الفظيعة وطعنه فصـرعه . قال نصر فقال كعب بن جعيل التغلبى يرثى عبيد الله و كان كعب شاعر أهل الشـام ألاـ إنمـا تبكى العيون لفـارس || بصـفين أجلت خيله و هوواقف تبـدل من أسـماء أسـياف وائـل || و أى فتى لوأخطأته المتالف [صفحه ٢٣٥] تركتم عبيد الله فى القاع مسـلما || يمج دماء والعروق نوازف ينوء وتغشاه شآبيب من دم || كمالاح فى

جيب القميص الكفائف دعاهن فاستسمعن من أين صوته || فأقبلن شتى والعيون ذوارف تحللن عنه زر درع حصينة || وينكر منه بعدذاك معارف وقرت تميم سعدها وربابها || وخالفت الخضراء فيمن يخالف و قدصبرت حول ابن عم محمد || لدى الموت شهباء المناكب شارف بمرج ترى الرايات فيه كأنها || إذاجنحت للطعن طير عواكف فما برحوا حتى رأى الله صبرهم || و حتى أسرت بالأكف المصاحف جزى الله قتلانا بصفين خير ما || أثيب عباد غادرتها المواقف . قلت هذاالشعر نظمه كعب بن جعيل بعدرفع المصاحف وتحكيم الحكمين يذكر فيه مامضى لهم من الحرب على عادة شعراء العرب والضمير فى قوله دعاهن فاستسمعن من أين صوته يرجع إلى نساء عبيد الله وكانت تحته أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى وبحرية بنت هانئ بن قبيصة الشيبانى و كان عبيد الله قدأخرجهما معه إلى الحرب ذلك اليوم لينظرا إلى قتاله فوقفتا راجلتين و إلى أسماء بنت عطارد أشار كعب بن جعيل بقوله تبدل من أسماء أسياف وائل . والشعر يدل على أن ربيعة قتلته لاهمدان و لاحضرموت . ويدل أيضا على ذلك مارواه ابراهيم بن ديزيل الهمدانى فى كتاب صفين قال شدت [صفحه ٢٣٦] ربيعة الكوفة وعليها زياد بن خصفة على عبيد الله بن عمر ذلك اليوم و كان معاوية قدأقرع بين الناس فخرج سهم عبيد الله بن عمر على ربيعة فقتلته فلما ضرب فسطاط زياد بن خصفة بقى طنب من الأطناب لم يجدوا له وتدا فشدوه برجل عبيد الله بن عمر و كان ناحية فجروه حتى ربطوا الطنب برجله وأقبلت امرأتاه حتى وقفتا عليه فبكتا عليه وصاحتا فخرج زياد بن خصفة فقيل له هذه بحرية ابنة هانئ بن قبيصة الشيبانى ابنة عمك فقال لها ماحاجتك ياابنة أخى قالت تدفع زوجى إلى فقال نعم خذيه فجيء ببغل فحملته عليه فذكروا أن يديه ورجليه خطتا بالأرض عن ظهر البغل . قال نصر ومما رثى به كعب بن جعيل عبيد الله بن عمر قوله يقول عبيد الله لمابدت له || سحابة موت تقطر الحتف والدما ألا يالقومى فاصبروا إن صبركم || أعف وأحجى عفة وتكرما فلما تدانى القوم خر مجدلا || صريعا تلاقى الترب كفيه والفما وخلف أطفالا يتامى أذلة || وعرسا عليه تسكب الدمع أيما حلالا لها الخطاب لايمنعنهم || و قد كان يحمى غيره أن تكلما . و قال الصلتان العبدى يذكر مقتل عبيد الله و أن حريث بن جابر الحنفى قتله ألا ياعبيد الله مازلت مولعا || ببكر لها تهدى القرى والتهددا وكنت سفيها قدتعودت عادة || و كل امرئ جار على ماتعودا فأصبحت مسلوبا على شر آلة || صريع القنا تحت العجاجة مفردا [صفحه ٢٣٧] تشق عليك جيبها ابنة هانئ || مسلبة تبدى الشجا والتلددا وكانت ترى ذا الأمر قبل عيانه || ولكن حكم الله أهدى لك الردى وقالت عبيد الله لاتأت وائلا || فقلت لها لاتعجلى وانظرى غدا فقد جاء ما قدمسها فتسلبت || عليك وأمسى الجيب منها مقددا حباك أخو الهيجا حريث بن جابر || بجياشة تحكى بهاالنهر مزبدا كان حماة الحى بكر بن وائل || بذى الرمث أسد قدتبوأن غرقدا . قال نصر فأما ذو الكلاع فقد ذكرنا مقتله و أن قاتله خندف البكرى. و حدثناعمرو بن شمر عن جابر قال لماحمل ذو الكلاع ذلك اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صفوف أهل العراق ناداهم أبوشجاع الحميرى و كان من ذوى البصائر مع على ع فقال يامعشر حمير تبت أيديكم أترون معاوية خيرا من على ع أضل الله سعيكم ثم أنت ياذا الكلاع قدكنا نرى أن لك نية فى الدين فقال ذو الكلاع إيها يا أباشجاع و الله إنى لأعلم مامعاوية بأفضل من على ع ولكنى أقاتل على دم عثمان قال فأصيب ذو الكلاع حينئذ قتله خندف بن بكر البكرى فى المعركة. قال نصر فحدثنا عمرو قال حدثناالحارث بن حصيرة أن ابن ذى الكلاع [صفحه ٢٣٨] أرسل إلى الأشعث بن قيس رسولا يسأله أن يسلم إليه جثة أبيه فقال الأشعث إنى أخاف أن يتهمنى أمير المؤمنين فى أمره فأطلبه من سعيد بن قيس فهو فى الميمنة فذهب إلى معاوية فاستأذنه أن يدخل إلى عسكر على ع يطلب أباه بين القتلى فقال له إن عليا قدمنع أن يدخل أحد منا إلى معسكره يخاف أن يفسد عليه جنده فخرج ابن ذى الكلاع فأرسل إلى سعيد بن قيس الهمدانى يستأذنه فى ذلك فقال سعيد إنا لانمنعك من دخول العسكر إن أمير المؤمنين لايبالى من دخل منكم إلى معسكره فأدخل فدخل من قبل الميمنة فطاف فلم يجده ثم أتى الميسرة فطاف فلم يجده ثم وجده و قدربطت رجله بطنب من أطناب بعض فساطيط العسكر

فجاء فوقف على باب الفسطاط فقال السلام عليكم يا أهل البيت فقيل له وعليك السلام فقال أتأذنون لنا فى طنب من أطناب فسطاطكم ومعه عبدأسود لم يكن معه غيره فقالوا قدأذنا لكم وقالوا له معذرة إلى الله وإليكم أماإنه لو لابغيه علينا ماصنعنا به ماترون فنزل ابنه إليه فوجده قدانتفخ و كان من أعظم الناس خلقا فلم يطق احتماله فقال هل من فتى معوان فخرج إليه خندف البكرى فقال تنحوا عنه فقال ابنه و من ألذى يحمله إذاتنحينا عنه قال يحمله قاتله فاحتمله خندف حتى رمى به على ظهر بغل ثم شده بالحبال فانطلقا به . قال نصر و قال معاوية لماقتل ذو الكلاع لأنا أشد فرحا بقتل ذى الكلاع منى بفتح مصر لوفتحتها قال لأن ذا الكلاع كان يحجر على معاوية فى أشياء كان يأمر بها. قال نصر فلما قتل ذو الكلاع اشتدت الحرب وشدت عك ولخم وجذام والأشعريون من أهل الشام على مذحج من أهل العراق جعلهم معاوية بإزائهم ونادى منادى عك [صفحه ٢٣٩] ويل لأم مذحج من عك || لنتركن أمهم تبكى نقتلهم بالطعن ثم الصك || بكل قرن باسل مصك فلارجال كرجال عك .فنادى منادى مذحج يالمذحج خدموا أى اضربوا السوق مواضع الخدمة وهى الخلاخيل فاعترضت مذحج سوق القوم فكان فيه بوار عامتهم ونادى منادى جذام حين طحنت رحى القوم وخاضت الخيل والرجال فى الدماء. الله الله فى جذام أ لاتذكرون الأرحام أفنيتم لخما الكرام والأشعرين وآل ذى حمام أين النهى والأحلام هذى النساء تبكى الأعلام . ونادى منادى عك ياعك أين المفر اليوم تعلم ماالخبر لأنكم قوم صبر كونوا كمجتمع المدر لاتشمتن بكم مضر حتى يحول ذا الخبر. ونادى منادى الأشعريين يامذحج من للنساء غدا إذاأفناكم الردى الله الله فى الحرمات أ ماتذكرون نساءكم والبنات أ ماتذكرون فارس والروم والأتراك لقد أذن الله فيكم بالهلاك . قال والقوم ينحر بعضهم بعضا ويتكادمون بالأفواه . قال نصر وحدثنى عمرو بن الزبير لقد سمعت الحضين بن المنذر يقول أعطانى [صفحه ٢٤٠] على ع ذلك اليوم راية ربيعة و قال باسم الله سر ياحضين واعلم أنه لاتخفق على رأسك راية مثلها أبدا هذه راية رسول الله ص قال فجاء أبوعرفاء جبلة بن عطية الذهلى إلى الحضين و قال هل لك أن تعطينى الراية أحملها لك فيكون لك ذكرها و يكون لى أجرها فقال الحضين و ماغناى ياعم عن أجرها مع ذكرها قال إنه لاغنى بك عن ذلك ولكن أعرها عمك ساعة فما أسرع ماترجع إليك قال الحضين فقلت إنه قداستقتل وإنه يريد أن يموت مجاهدا فقلت له خذها فأخذها ثم قال لأصحابه إن عمل الجنة كره كله وثقيل و إن عمل النار خف كله وخبيث إن الجنة لايدخلها إلاالصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأمره و ليس شيءمما افترض الله على العباد أشد من الجهاد هوأفضل الأعمال ثوابا عند الله فإذارأيتمونى قدشددت فشدوا ويحكم أ ماتشتاقون إلى الجنة أ ماتحبون أن يغفر الله لكم فشد وشدوا معه فقاتلوا قتالا شديدا فقتل أبوعرفاء رحمه الله تعالى وشدت ربيعة بعده شدة عظيمة على صفوف أهل الشام فنقضتها و قال مجزاة بن ثور أضربهم و لاأرى معاوية || الأبرج العين العظيم الحاويه هوت به فى النار أم هاويه || جاوره فيهاكلاب عاويه أغوى طغاما لاهدته هاديه . قال نصر و كان حريث بن جابر يومئذ نازلا بين الصفين فى قبة له حمراء يسقى أهل العراق اللبن والماء والسويق ويطعمهم اللحم والثريد فمن شاء أكل و من شاء شرب ففى ذلك يقول شاعرهم فلو كان بالدهنا حريث بن جابر || لأصبح بحرا بالمفازة جاريا . [صفحه ٢٤١] قلت هذاحريث بن جابر هو ألذى كتب معاوية إلى زياد فى أمره بعدعام الجماعة وحريث عامل لزياد على همدان أما بعدفاعزل حريث بن جابر عن عمله فما ذكرت مواقفه بصفين إلاكانت حزازة فى صدرى فكتب إليه زياد خفض عليك يا أمير المؤمنين فإن حريثا قدبلغ من الشرف مبلغا لاتزيده الولاية و لاينقصه العزل . قال نصر فاضطرب الناس يومئذ بالسيوف حتى تقطعت وتكسرت وصارت كالمناجل وتطاعنوا بالرماح حتى تقصفت وتناثرت أسنتها ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب يحثو بعضهم التراب فى وجه بعض ثم تعانقوا وتكادموا بالأفواه ثم تراموا بالصخر والحجارة ثم تحاجزوا فكان الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشام فيقول كيف آخذ إلى رايات بنى فلان فيقولون هاهنا لاهداك الله ويمر الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول كيف آخذ إلى راية بنى فلان فيقولون هاهنا لاحفظك الله و لاعافاك . قال نصر و قال معاوية

لعمرو بن العاص أ ماترى يا أبا عبد الله إلى ما قددفعنا كيف ترى أهل العراق غدا صانعين إنا لبمعرض خطر عظيم فقال له إن أصبحت غدا ربيعة وهم متعطفون حول على ع تعطف الإبل حول فحلها لقيت منهم جلادا صادقا وبأسا شديدا وكانت التى لايتعزى لها فقال معاوية أيجوز أنك تخوفنا يا أبا عبد الله قال إنك سألتنى فأجبتك فلما أصبحوا فى اليوم العاشر أصبحوا وربيعة محدقة بعلى ع إحداق بياض العين بسوادها. [صفحه ۲۴۲] قال نصر فحدثنى عمرو قال لماأصبح على ع هذااليوم جاء فوقف بين رايات ربيعة فقال عتاب بن لقيط البكرى من بنى قيس بن ثعلبة يامعشر ربيعة حاموا عن على منذ اليوم فإن أصيب فيكم افتضحتم أ لاترونه قائما تحت راياتكم و قال لهم شقيق بن ثور يامعشر ربيعة ليس لكم عذر عندالعرب إن وصل إلى على وفيكم رجل حى فامنعوه اليوم واصدقوا عدوكم اللقاء فإنه حمد الحياة تكسبونه فتعاهدت ربيعة وتحالفت بالأيمان العظيمة منها تابع سبعة آلاف على ألا- ينظر رجل منهم خلفه حتى يردوا سرادق معاوية فقاتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا لم يكن قبله مثله وأقبلوا نحو سرادق معاوية فلما نظر إليهم قدأقبلوا قال إذا قلت قدولت ربيعة أقبلت || كتائب منها كالجبال تجالد . ثم قال لعمرو ياعمرو ماترى قال أرى ألا تحنث أخوالى اليوم فقام معاوية وخلى لهم سرادقه ورحله وخرج فارا عنه لائذا ببعض مضارب العسكر فى أخريات الناس فدخله وانتهبت ربيعة سرادقه ورحله وبعث إلى خالد بن المعمر إنك قدظفرت و لك إمرة خراسان أن لم تتم فقطع خالد القتال و لم يتمه و قال لربيعة قدبرت أيمانكم فحسبكم فلما كان عام الجماعة وبايع الناس معاوية أمره معاوية على خراسان وبعثه إليها فمات قبل أن يبلغها. قال نصر فى حديث عمرو بن سعد أن عليا ع صلى بهم هذااليوم صلاة الغداة ثم زحف بهم فلما أبصروه قدخرج استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالا شديدا ثم إن خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب على ع ألف رجل أوأكثر فأحاطوا بهم وحالوا بينهم و بين أصحابهم فلم يروهم فنادى [صفحه ۲۴۳] على ع يومئذ أ لا رجل يشرى نفسه لله ويبيع دنياه بآخرته فأتاه رجل من جعف يقال له عبدالعزيز بن الحارث على فرس أدهم كأنه غراب مقنع فى الحديد لايرى منه إلاعيناه فقال يا أمير المؤمنين مرنى بأمرك فو الله لاتأمرنى بشىء إلاصنعته فقال على ع سمحت بأمر لايطاق حفيظة || وصدقا وإخوان الوفاء قليل جزاك إله الناس خيرا فإنه || لعمرك فضل ماهناك جزيل يا أباالحارث شد الله ركنك احمل على أهل الشام حتى تأتى أصحابك فتقول لهم إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام و يقول لكم هللوا وكبروا من ناحيتكم ونهلل نحن ونكبر من هاهنا واحملوا من جانبكم ونحمل نحن من جانبنا على أهل الشام فضرب الجعفى فرسه حتى إذاأقامه على أطراف سنابكه حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب على ع فطاعنهم ساعة وقاتلهم فأفرجوا له حتى خلص إلى أصحابه فلما رأوه استبشروا به وفرحوا وقالوا مافعل أمير المؤمنين قال صالح يقرئكم السلام و يقول لكم هللوا وكبروا واحملوا حملة شديدة من جانبكم ونهلل نحن ونكبر ونحمل من جانبنا ففعلوا ماأمرهم به وهللوا وكبروا وهلل على ع وكبر هو وأصحابه وحمل على أهل الشام وحملوا هم من وسط أهل الشام فانفرج القوم عنهم وخرجوا و ماأصيب منهم رجل واحد ولقد قتل من فرسان الشام يومئذ زهاء سبعمائة إنسان قال على ع من أعظم الناس اليوم غناء فقالوا أنت يا أمير المؤمنين فقال كلا ولكنه الجعفى. [صفحه ۲۴۴] قال نصر و كان على ع لايعدل بربيعة أحدا من الناس فشق ذلك على مضر وأظهروا لهم القبيح وأبدوا ذات أنفسهم فقال الحضين بن المنذر الرقاشى شعرا أغضبهم به من جملته أرى مضرا صارت ربيعة دونها || شعار أمير المؤمنين وذا الفضل فأبدوا لنا مما تجن صدورهم || هوالسوء والبغضاء والحقد والغل فأبلوا بلانا أوأقروا بفضلنا || ولن تلحقونا الدهر ماحنت الإبل .فقام أبوالطفيل عامر بن واثلة الكنانى وعمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمى وقبيصة بن جابر الأسدى و عبد الله بن الطفيل العامرى فى وجوه قبائلهم فأتوا عليا ع فتكلم أبوالطفيل فقال أنا و الله يا أمير المؤمنين مانحسد قوما خصهم الله منك بخير و إن هذاالحى من ربيعة قدظنوا أنهم أولى بك منا فاعفهم عن القتال أياما واجعل لكل امرئ منا يوما يقاتل فيه فإنا إذااجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا فقال على ع نعم أعطيكم ماطلبتم وأمر ربيعة أن تكف عن القتال وكانت بإزاء اليمن من صفوف

أهـل الشام فغـدا أبوالطفيل عامر بن واثلـة فى قومه من كنانـة وهم جماعـة عظيمـة فتقـدم أمام الخيل و يقول طاعنوا وضاربوا ثم حمـل وارتجز فقـال قـدضاربت فى حربهـا كنـانه || و الله يجزيهـا به جنـانه من أفرغ الصبر عليه زانه || أوغلب الجبن عليه شـانه أوكفر الله فقد أهانه || غدا يعض من عصـى بنانه . [صـفحه ۲۴۵] فاقتتلوا قتالا شديدا ثم انصـرف أبوالطفيل إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إنك أنبأتنا أن أشـرف القتل الشـهادة وأحظى الأمر الصبر و قـد و الله صبرنا حتى أصـبنا فقتيلنا شـهيد وحينا سـعيد فليطلب من بقى ثأر من مضى فإنا و إن كنا قدذهب صفونا وبقى كدرنا فإن لنا دينا لايميل به الهوى ويقينا لاتزحمه الشبهة فأثنى على ع عليه خيرا. ثم غدا فى اليوم الثانى عمير بن عطارد بجماعة من بنى تميم و هويومئذ سـيد مضـر الكوفة فقال ياقوم إنى أتبع آثـار أبى الطفيـل فاتبعوا آثار كنانـة ثم قـدم رايته وارتجز فقال قـدضاربت فى حربها تميم || إن تميما خطبها عظيم لها حـديث ولهـا قـديم || إن الكريم نسله كريم دين قويم وهوى سـليم || إن لم تردهم رايتى فلوموا . ثم طعن برايته حتى خضـبها وقـاتل أصـحابه قتالاـ شديـدا حتى أمسوا وانصـرف عمير إلى على ع و عليه سـلاحه فقال يا أمير المؤمنين قـد كان ظنى بالناس حسـنا و قـدرأيت منهم فوق ظنى بهم قاتلوا من كل جهـة وبلغوا من عفوهم جهـد عـدوهم وهم لهم إن شاء الله . ثم غـدا فى اليوم الثالث قبيصـة بن جابر الأسـدى فى بنى أسـد و قال لأصـحابه يابنى أسـد أما أنا فلاأقصـر دون صاحبى و أماأنتم فـذاك إليكم ثم تقدم برايته و قـال قـدحافظت فى حربها بنو أسـد || مامثلها تحت العجاج من أحـد [صـفحه ۲۴۶] أقرب من يمن وأنـأى من نكـد || كأننا ركنا ثبير أوأحـد لسـنا بأوباش و لابيض البلـد || لكننا المحـة من ولد معد .فقاتل القوم إلى أن دخل الليل ثم انصـرفوا. ثم غدا فى اليوم الرابع عبد الله بن الطفيل العامرى فى جماعة هوازن فحارب بهم حتى الليل ثم انصـرفوا. قال نصـر فانتصفوا المضرية من الربعية وظهر أثرها وعرف بلاؤها و قال أبوالطفيل وحامت كنانة فى حربها || وحامت تميم وحامت أسد وحامت هوازن يوم اللقا || فما خام منا ومنهم أحد لقينا الفوارس يوم الخميس || والعيد والسبت ثم الأحد لقينا قبائل أنسابهم || إلى حضرموت و أهل الجنـد فأمـدادهم خلف آذانهم || و ليس لنا من سوانا مدد فلما تنادوا بآبائهم || دعونا معدا ونعم المعد فظلنا نفلق هاماتهم || و لم نك فيهاببيض البلد ونعم الفوارس يوم اللقا || فقل فى عديد وقل فى عدد وقل فى طعان كفرغ الدلاء || وضرب عظيم كنار الوفد ولكن عصـفنا بهم عصـفة || و فى الحرب يمن و فيهانكد طحنا الفوارس وسط العجاج || وسقنا الزعانف سوق النقد [صفحه ۲۴۷] وقلنا على لنا والد || ونحن له طاعة كالولد . قال نصر و حدثناعمرو عن الأشعث بن سويد عن كردوس قال كتب عقبـة بن مسعود عامـل على على الكوفـة إلى سـليمان بن صـرد الخزاعى و هو مع على بصـفين أمـا بعـدفإنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أويعيـدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذاأبدا فعليك بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين و السـلام . قال نصـر و حدثناعمرو بن سـعد وعمرو بن شـمر عن جـابر عن أبى جعفر قـال قام على ع فخطب الناس بصـفين فقال الحمـد لله على نعمه الفاضـلة على جميع من خلق من البر والفـاجر و على حججه البالغـة على خلقه من أطاعه فيهم و من عصاه أن يرحم فبفضـله و منه و إن عـذب فبمـا كسـبت أيـديهم و إن الله ليس بظلاـم للعبيـد أحمـده على حسن البلاـء وتظـاهر النعمـاء وأسـتعينه على مانابنا من أمر الـدنيا والآخرة وأتوكل عليه وكفى بالله وكيلا ثم إنى أشـهد أن لاإله إلا الله وحده لاشـريك له وأشـهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ارتضاه لذلك و كان أهله واصطفاه لتبليغ رسالته وجعله رحمة منه على خلقه فكان علمه فيه رءوفا -روايت-۱-۲-روايت-۷۰-ادامه دارد [صـفحه ۲۴۸] رحيما أكرم خلق الله حسـبا وأجملهم منظرا وأسـخاهم نفسا وأبرهم لوالد وأوصـلهم لرحم وأفضـلهم علما وأثقلهم حلما وأوفاهم لعهد وآمنهم على عقد لم يتعلق عليه مسلم و لاكافر بمظلمة قط بل كان يظلم فيغفر ويقـدر فيصـفح حتى مضـى ص مطيعـا لله صـابرا على ماأصابه مجاهـدا فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ص فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض البر والفاجر ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعـة الله وينهاكم عن معصـيته و قدعهد إلى رسول الله عهـدا فلست أحيـد عنه و قدحضـرتم عدوكم وعلمتم أن رئيسـهم منافق يدعوهم إلى النار و ابن عم نبيكم معكم و بين أظهركم

يدعوكم إلى الجنة و إلى طاعة ربكم والعمل بسنة نبيكم و لاسواء من صلى قبل كل ذكر لم يسبقنى بصلاة مع رسول الله أحد و أنا من أهل بدر ومعاوية طليق و ابن طليق و الله أنا على الحق وإنهم على الباطل فلايجتمعن على باطلهم وتتفرقوا عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدى غيركم فقام أصحابه فقالوا يا أمير المؤمنين انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذاشئت فو الله مانريد بك بدلا بل نموت معك ونحيا معك فقال لهم و ألذى نفسى بيده لنظر إلى النبى ص أضرب بين يديه بسيفى هذا فقال لاسيف إلاذو الفقار و لافتى إلا على و قال لى يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلاـ أنه لانبى بعدى -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد [صفحه ۲۴۹] وموتك وحياتك يا على معى و الله ماكذب و لاكذبت و لاضل و لاضللت و لاضل بى و لانسيت ماعهد إلى وإنى على بينة من ربى و على الطريق الواضح ألقطه لقطا -روايت-از قبل-۱۶۳ . ثم نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الأحمر و ماكانت صلاة القوم فى ذلك اليوم إلاـتكبيرا. قال و حدثناعمرو بن شمر عن جابر عن الشعبى عن صعصعة بن صوحان قال برز فى بعض أيام صفين رجل من حمير من آل ذى يزن اسمه كريب بن الصباح ليس فى الشام يومئذ رجل أشهر بالبأس والنجدة منه فنادى من يبارز فخرج إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدى فقتله ثم نادى من يبارز فخرج إليه الحارث بن الجلاح فقتله ثم نادى من يبارز فخرج إليه عابد بن مسروق الهمدانى فقتله ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض وقام عليها بغيا واعتداء ونادى من يبارز فخرج إليه على وناداه ويحك ياكريب إنى أحذرك الله وبأسه ونقمته وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله ويحك لايدخلنك معاوية النار فكان جوابه له أن قال ماأكثر ما قدسمعت منك هذه المقالة و لاحاجة لنا فيهاأقدم إذاشئت من يشترى سيفى و هذاأثره فقال على لاحول و لاقوة إلابالله ثم مشى إليه فلم يمهله أن ضربه ضربة خر منها قتيلا يشحط فى دمه ثم نادى من يبرز فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميرى فقتله ثم نادى من يبرز فبرز إليه المطاع بن مطلب العنسى [صفحه ۲۵۰] فقتله ثم نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحد فنادى يامعشر المسلمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ويحك يامعاوية هلم إلى فبارزنى و لاـيقتلن الناس فيما بيننا فقال عمرو بن العاص اغتنمه منتهزا قدقتل ثلاثة من أبطال العرب وإنى أطمع أن يظفرك الله به فقال معاوية و الله لن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدى اذهب إليك عنى فليس مثلى يخدع . قال نصر و حدثناعمرو قال حدثناخالد بن عبدالواحد الجريرى قال حدثنى من سمع عمرو بن العاص قبل الوقعة العظمى بصفين و هويحرض أهل الشام و قد كان منحنيا على قوس فقال الحمد لله العظيم فى شأنه القوى فى سلطانه العلى فى مكانه الواضح فى برهانه أحمده على حسن البلاء وتظاهر النعماء فى كل رزية من بلاء أوشدة أورخاء وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له و أن محمدا عبده ورسوله ثم إنا نحتسب عند الله رب العالمين ماأصبح فى أمة محمدص من اشتعال نيرانها واضطراب حبلها ووقوع بأسها بينها فإنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين أ و لاتعلمون أن صلاتنا وصلاتهم وصيامنا وصيامهم وحجنا وحجهم وقتلنا وقتلهم [صفحه ۲۵۱] وديننا ودينهم واحد ولكن الأهواء مختلفة أللهم أصلح هذه الأمة بما أصلحت به أولها واحفظ فى مابينها مع أن القوم قدوطئوا بلادكم ونعوا عليكم فجدوا فى قتال عدوكم واستعينوا بالله ربكم وحافظوا على حرماتكم ثم جلس قال نصر وخطب عبد الله بن العباس أهل العراق يومئذ فقال الحمد لله رب العالمين ألذى دحا تحتنا سبعا وسمك فوقنا سبعا وخلق فيما بينهن خلقا وأنزل لنا منهن رزقا ثم جعل كل شىءقدرا يبلى ويفنى غيروجهه الحى القيوم ألذى يحيا ويبقى إن الله تعالى بعث أنبياء ورسلا فجعلهم حججا على عباده عذرا أونذرا لايطاع إلابعلمه وإذنه يمن بالطاعة على من يشاء من عباده ثم يثيب عليها ويعصى بعلم منه فيعفو ويغفر بحلمه لايقدر قدره و لايبلغ شىءمكانه أحصى كل شىءعددا وأحاط بكل شىءعلما وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إمام الهدى و النبى المصطفى و قدساقنا قدر الله إلى ماترون حتى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة وانتشر من أمرها أن معاوية بن

أبی سفیان وجد من طغام الناس أعوانا علی علی ابن عم رسول الله وصهره وأول ذكر صلی معه بدری قدشهد مع رسول الله ص كل مشاهدۀ التی فیهاالفضل ومعاویۀ مشرک كان یعبد الأصنام و ألذی ملک الملک وحده وبان به و كان أهله لقد قاتل علی بن أبی طالب مع رسول الله و هو یقول صدق الله ورسوله ومعاویۀ یقول كذب الله ورسوله فعلیكم بتقوی الله والجد والحزم والصبر و الله إنا لنعلم -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-ادامه دارد [صفحه ۲۵۲] إنكم لعلی حق و إن القوم لعلی باطل فلایكونن أولی بالجد علی باطلهم منكم فی حقكم وإنا لنعلم أن الله سیعذبهم بأیدیكم أوبأیدی غیركم أللهم أعنا و لاتخذلنا وانصرنا علی عدونا و لاتحل عنا وافتح بیننا و بین قومنا بالحق و أنت خیر الفاتحین -روایت-از قبل-۲۵۲ قال نصر و حدثناعمرو قال حدثنا عبدالرحمن بن جندب عن جندب بن عبد الله قال قام عمار یوم صفین فقال انهضوا معی عباد الله إلی قوم یزعمون أنهم یطلبون بدم ظالم إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان فقال هؤلاء الذین لایبالون إذاسلمت لهم دنیاهم و لودرس هذاالدین لم قتلتموه فقلنا لإحداثه فقالوا إنه لم یحدث شیئا و ذلک لأنه مكنهم من الدنیا فهم یأكلونها ویرعونها و لایبالون لوانهدمت الجبال و الله ماأظنهم یطلبون بدم ولكن القوم ذاقوا الدنیا فاستحلوها واستمرءوها وعلموا أن صاحب الحق لوولیهم لحال بینهم و بین مایأكلون ویرعون منها إن القوم لم یكن لهم سابقۀ فی الإسلام یستحقون بهاالطاعۀ والولایۀ فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوما لیكونوا بذلک جبابرۀ وملوكا تلک مكیدۀ قدبلغوا بها ماترون ولولاها مابایعهم من الناس رجل أللهم إن تنصرنا فطالما نصرت و إن تجعل -روایت-۱-۲-روایت-۸۲-ادامه دارد [صفحه ۲۵۳] لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا لعبادک العذاب الألیم ثم مضی ومضی معه أصحابه فدنا من عمرو بن العاص فقال یاعمرو بعت دینک بمصر فتبا لک وطالما بغیت للإسلام عوجا ثم قال أللهم إنک تعلم أنی لوأعلم أن رضاک فی أن أقذف بنفسی فی هذاالبحر لفعلت أللهم إنک تعلم أنی لوأعلم أن رضاک أن أضع ظبۀ سیفی فی بطنی ثم انحنی علیه حتی یخرج من ظهری لفعلت أللهم إنی أعلم مما علمتنی أنی لاأعمل عملا صالحا هذاالیوم هوأرضی من جهاد هؤلاء الفاسقین و لوأعلم الیوم عملا هوأرضی لک منه لفعلته -روایت-از قبل-۵۱۲ . قال نصر وحدثنی عمرو بن سعید عن الشعبی قال نادی عمار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له بعت دینک بالدنیا من عدو الله وعدو الإسلام معاویۀ وطلبت هوی أبیک الفاسق فقال لا ولكنی أطلب بدم عثمان الشهید المظلوم قال كلا أشهد علی علمی فیک أنک أصبحت لاتطلب بشیء من فعلک وجه الله وأنک إن لم تقتل [صفحه ۲۵۴] الیوم فستموت غدا فانظر إذاأعطی الله العباد علی نیاتهم مانیتک . وروی ابن دیزیل فی كتاب صفین عن صیف الضبی قال سمعت الصعب بن حكیم بن شریک بن نملۀ المحاربی یروی عن أبیه عن جده شریک قال كان الناس من أهل العراق و أهل الشام یقتتلون أیام صفین ویتزایلون فلایستطیع الرجل أن یرجع إلی مكانه حتی یسفر الغبار عنه فاقتتلوا یوما وتزایلوا وأسفر الغبار فإذا علی تحت رایتنا یعنی بنی محارب فقال هل من ماء فأتیته بإداوۀ فخنثتها له لیشرب فقال لاإنا نهینا أن نشرب من أفواه الأسقیۀ -روایت-۱-۲-روایت-۹-۹۸ ثم علق سیفه وإنه لمخضب بالدم من ظبته إلی قائمه فصببت له علی یدیه فغسلهما حتی أنقاهما ثم شرب بیدیه حتی إذاروی رفع رأسه ثم قال أین مضر فقلت أنت فیهم یا أمیر المؤمنین فقال من أنتم بارک الله فیكم فقلنا نحن بنو محارب فعرف موقفه ثم رجع إلی موضعه . قلت خنثت الإداوۀ إذاثنیت فاها إلی خارج وإنما نهی رسول الله ص عن اختناث الأسقیۀ لأن رجلا اختنث سقاء فشرب فدخل إلی جوفه حیۀ كانت فی السقاء. قال ابن دیزیل وروی إسماعیل بن أبی أویس قال حدثنی عبدالملک بن قدامۀ بن ابراهیم بن حاطب الجمحی عن عمرو بن شعیب عن أبیه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال لی رسول الله ص كیف بک یا عبد الله إذابقیت فی حثالۀ من الناس قدمرجت عهودهم ومواثیقهم وكانوا هكذا وخالف بین أصابعه فقلت تأمرنی بأمرک یا رسول الله قال تأخذ مما تعرف وتدع ماتنكر وتعمل بخاصۀ نفسک وتدع الناس وهوام أمرهم -روایت-۱-۲-روایت-۱۷۶-۴۲۳ . قال فلما كان یوم صفین قال له أبوه عمرو بن العاص یا عبد الله اخرج فقاتل فقال [صفحه

۲۵۵] يأبتاه أتأمرنى أن أخرج فأقاتل و قدسمعت ماسمعت يوم عهد إلى رسول الله ص ماعهد فقال أنشدک الله يا عبد الله أ لم يکن آخر ماعهد إليک رسول الله ص أن أخذ بيدک فوضعها فى يدى فقال أطع أباک فقال أللهم بلى قال فإنى أعزم عليک أن تخرج فتقاتل فخرج عبد الله بن عمرو فقاتل يومئذ متقلدا سيفين قال و إن من شعر عبد الله بن عمرو بعد ذلک يذکر عليا بصفين فلو شهدت جمل مقامى ومشهدى || بصفين يوما شاب منها الذوائب عشيۀ جا أهل العراق کأنهم || سحاب ربيع رفعته الجنائب إذا قلت قدولت سراعا بدت لنا || کتائب منهم وارجحنت کتائب وجئناهم فرادى کأن صفوفنا || من البحر مد موجه متراکب فدارت رحانا واستدارت رحاهم || سراۀ النهار ماتولى المناکب فقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا || فقلنا بلى إنا نرى أن تضاربوا .

وروى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان الجعفى قال حدثنامسهر بن عبدالملک بن سلع الهمدانى قال حدثنى أبى عن عبدخير الهمدانى قال کنت أنا و عبدخير فى سفر قلت يا أباعمارۀ حدثنى عن بعض ماکنتم فيه بصفين فقال لى يا ابن أخى و ماسؤالک فقلت أحببت أن أسمع منک شيئا فقال يا ابن أخى إنا کنا لنصلى الفجر فنصف ويصف أهل الشام ونشرع الرماح إليهم ويشرعون بهانحونا أما لودخلت تحتها لأظلتک و الله يا ابن أخى إنا کنا لنقف ويقفون فى الحرب لانفتر و لايفترون حتى نصلى [صفحه ۲۵۶] العشاء الآخرۀ مايعرف الرجل منا طول ذلک اليوم من عن يمينه و لا من عن يساره من شدۀ الظلمۀ والنقع إلاابقرع الحديد بعضه على بعض فيبرز منه شعاع کشعاع الشمس فيعرف الرجل من عن يمينه و من عن يساره حتى إذاصلينا العشاء الآخرۀ جررنا قتلانا إلينا فتوسدناهم حتى نصبح وجروا قتلاهم فتوسدوهم حتى يصبحوا قال قلت له يا أباعمارۀ هذا و الله الصبر.

وروى ابن ديزيل قال کان عمرو بن العاص إذامر عليه رجل من أصحاب على فسأل عنه فأخبر به فقال يرى على ومعاويۀ أنهما بريئان من دم هذا. قال ابن ديزيل وروى ابن وهب عن مالک بن أنس قال جلس عمرو بن العاص بصفين فى رواق و کان أهل العراق يدفنون قتلاهم و أهل الشام يجعلون قتلاهم فى العباء والأکسيۀ يحملونهم فيها إلى مدافنهم فکلما مر عليه برجل قال من هذافيقال فلان فقال عمرو کم من رجل أحسن فى الله عظيم الحال لم ينج من قتله فلان وفلان قال يعنى عليا ومعاويۀ. قلت ليت شعرى لم برأ نفسه و کان رأسا فى الفتنۀ بل لولاه لم تکن ولکن الله تعالى أنطقه بهذا الکلام وأشباهه ليظهر بذلک شکه و أنه لم يکن على بصيرۀ من أمره . وروى نصر بن مزاحم قال حدثنى يحيى بن يعلى قال حدثنى صباح المزنى عن الحارث بن حصن عن زيد بن أبى رجاء عن أسماء بن حکيم الفزارى قال کنا بصفين مع على تحت رايۀ عمار بن ياسر ارتفاع الضحى و قداستظللنا برداء أحمر إذ أقبل رجل يستقرى الصف حتى انتهى إلينا فقال أيکم عمار بن ياسر فقال عمار أناعمار قال أبواليقظان قال نعم قال إن لى إليک حاجۀ أفأنطق بها [صفحه ۲۵۷] سرا أوعلانيۀ قال اختر لنفسک أيهما شئت قال لابل علانيۀ قال فانطق قال إنى خرجت من أهلى مستبصرا فى الحق ألذى نحن عليه لاأشک فى ضلالۀ هؤلاء القوم وأنهم على الباطل فلم أزل على ذلک مستبصرا حتى ليلتى هذه فإنى رأيت فى منامى مناديا تقدم فأذن وشهد أن لاإله إلا الله و أن محمدا رسول الله ص ونادى بالصلاۀ ونادى مناديهم مثل ذلک ثم أقيمت الصلاۀ فصلينا صلاۀ واحدۀ وتلونا کتابا واحدا ودعونا دعوۀ واحدۀ فأدرکنى الشک فى ليلتى هذه فبت بليلۀ لايعلمها إلا الله تعالى حتى أصبحت فأتيت أمير المؤمنين فذکرت ذلک له فقال هل لقيت عمار بن ياسر قلت لا قال فالقه فانظر ماذا يقول لک عمار فاتبعه فجئتک لذلک فقال عمار تعرف صاحب الرايۀ السوداء المقابلۀ لى فإنها رايۀ عمرو بن العاص قاتلتها مع رسول الله ص ثلاث مرات و هذه الرابعۀ فما هى بخيرهن و لاأبرهن بل هى شرهن وأفجرهن أشهدت بدرا وأحدا و يوم حنين أوشهدها أب لک فيخبرک عنها قال لا قال فإن مراکزنا اليوم على مراکز رايات رسول الله ص يوم بدر و يوم أحد و يوم حنين و إن مراکز رايات هؤلاء على مراکز رايات المشرکين من الأحزاب فهل ترى هذاالعسکر و من فيه و الله لوددت أن جميع من فيه ممن أقبل مع معاويۀ يريد قتالنا مفارقا للذى نحن عليه کانوا خلقا واحدا فقطعته وذبحته و الله لدماؤهم جميعا أحل من دم عصفور أفترى دم عصفور حراما قال لابل حلال قال فإنهم حلال کذلک أترانى بينت لک قال قدبينت لى

قال فاختر أی ذلک أحببت . [صفحه ۲۵۸] فانصرف الرجل فدعاه عمار ثم قال أماإنهم سیضربونکم بأسیافهم حتی یرتاب المبطلون منکم فیقولوا لو لم یکونوا علی حق ماأظهروا علینا و الله ماهم من الحق علی مایقذی عین ذباب و الله لوضربونا بأسیافهم حتی یبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا علی حق وأنهم علی باطل . قال نصر و حدثنایحیی بن یعلی عن الأصبغ بن نباتة قال جاء رجل إلی علی فقال یا أمیر المؤمنین هؤلاء القوم الذین نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد فما ذا نسمیهم قال سمهم بما سماهم الله فی کتابه قال ما کل ما فی الکتاب أعلمه قال أ ماسمعت الله تعالی یقول تِلکَ الرّسُلُ فَضّلنا بَعضَهُم عَلی بَعضٍ إلی قوله وَ لَو شاءَ اللّهُ مَا اقتَتَلَ الّذِینَ مِن بَعدِهِم مِن بَعدِ ما جاءَتهُمُ البَیّناتُ وَ لکِنِ اختَلَفُوا فَمِنهُم مَن آمَنَ وَ مِنهُم مَن کَفَرَ فلما وقع الاختلاف کنا نحن أولی بالله وبالکتاب وبالنبی وبالحق فنحن الذین آمنوا وهم الذین کفروا وشاء الله قتالهم فقاتلهم بمشیئته وإرادته -روایت-۱-۲-روایت-۵۸-۶۵۲

المجلد ۶

الجزء السادس

تتمة الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم الحمد لله رب العالمین والصلاة و السلام علی خیر خلقه محمد وآله الطاهرین

۶۶- و من کلام له ع فی معنی الأنصار

اشاره

قَالُوا لَمّا انتَهَت إِلَی أَمِیرِ المُؤمِنِینَ ع أَنبَاءُ السّقِیفَةِ بَعدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللّهِ ص قَالَ ع مَا قَالَتِ الأَنصَارُ قَالُوا قَالَت مِنّا أَمِیرٌ وَ مِنکُم أَمِیرٌ قَالَ ع فَهَلّا احتَجَجتُم عَلَیهِم بِأَنّ رَسُولَ اللّهِ ص وَصّی بِأَن یُحسَنَ إِلَی مُحسِنِهِم وَ یُتَجَاوَزَ عَن مُسِیئِهِم قَالُوا وَ مَا فِی هَذَا مِنَ الحُجّةِ عَلَیهِم فَقَالَ ع لَو کَانَ الإِمَامَةُ فِیهِم لَم تَکُنِ الوَصِیّةُ بِهِم ثُمّ قَالَ ع فَمَا ذَا قَالَت قُرَیشٌ قَالُوا احتَجّت بِأَنّهَا شَجَرَةُ الرّسُولِ ص فَقَالَ ع [صفحه ۴] احتَجّوا بِالشّجَرَةِ وَ أَضَاعُوا الثّمَرَةَ قدذکرنا فیما تقدم طرفا من أخبار السقیفة فأما هذاالخبر الوارد فی الوصیة بالأنصار فهو خبر صحیح أخرجه الشیخان محمد بن إسماعیل البخاری ومسلم بن الحجاج القشیری فی مسندیهما عن أنس بن مالک قال مر أبوبکر والعباس رضی الله تعالی عنهما بمجلس من الأنصار فی مرض رسول الله ص وهم یبکون فقالا مایبکیکم قالوا ذکرنا محاسن رسول الله ص فدخلا علی النبی ص وأخبراه بذلک فخرج ص و قدعصب علی رأسه حاشیة برده فصعد المنبر و لم یصعده بعد ذلک الیوم فحمد الله وأثنی علیه ثم قال أوصیکم بالأنصار فإنهم کرشی وعیبتی و قدقضوا ألذی علیهم وبقی ألذی لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسیئهم -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۱۲۶ .فأما کیفیة الاحتجاج علی الأنصار فقد ذکرها علی ع وهی أنه لو کان ص ممن یجعل الإمامة فیهم لأوصی إلیهم و لم یوص بهم . و إلی هذانظر عمرو بن سعید بن العاص و هوالمسمی بالأشدق فإن أباه لمامات خلفه غلاما فدخل إلی معاویة فقال إلی من أوصی بک أبوک فقال إن أبی أوصی إلی و

لم یوص بی فاستحسن معاویة منه ذلک فقال إن هذاالغلام لأشدق فسمی الأشدق .فأما قول أمیر المؤمنین احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة فکلام قدتکرر منه [صفحه ۵]ع أمثاله نحو قوله إذااحتج علیهم المهاجرون بالقرب من رسول الله ص کانت الحجة لنا علی المهاجرین بذلک قائمة فإن فلجت حجتهم کانت لنا دونهم و إلافالأنصار علی دعوتهم -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۱۶۹ . ونحو هذاالمعنی قول العباس لأبی بکر و أماقولک نحن شجرة رسول الله ص فإنکم جیرانها ونحن أغصانها

یوم السقیفة

ونحن نذکر خبر السقیفة روی أبوبکر أحمد بن عبدالعزیز الجوهری فی کتاب السقیفة قال أخبرنی أحمد بن إسحاق قال حدثنا أحمد بن سیار قال حدثناسعید بن کثیر بن عفیر الأنصاری أن النبی ص لماقبض اجتمعت الأنصار فی سقیفة بنی ساعدة فقالوا إن رسول الله ص قدقبض فقال سعد بن عبادة لابنه قیس أولبعض بنیه إنی لاأستطیع أن أسمع الناس کلامی لمرضی ولکن تلق منی قولی فأسمعهم فکان سعد یتکلم ویستمع ابنه ویرفع به صوته لیسمع قومه فکان من قوله بعدحمد الله والثناء علیه أن قال إن لکم سابقة إلی الدین وفضیلة فی الإسلام لیست لقبیلة من العرب أن رسول الله ص لبث فی قومه بضع عشرة سنة یدعوهم إلی عبادة الرحمن وخلع الأوثان فما آمن به من قومه إلاقلیل و الله ماکانوا یقدرون أن یمنعوا رسول الله [صفحه ۶] و لایعزوا دینه و لایدفعوا عنه عداه حتی أراد الله بکم خیر الفضیلة وساق إلیکم الکرامة وخصکم بدینه ورزقکم الإیمان به وبرسوله والإعزاز لدینه والجهاد لأعدائه فکنتم أشد الناس علی من تخلف عنه منکم وأثقله علی عدوه من غیرکم حتی استقاموا لأمر الله طوعا وکرها وأعطی البعید المقادة صاغرا داخرا حتی أنجز الله لنبیکم الوعد ودانت لأسیافکم العرب ثم توفاه الله تعالی و هوعنکم راض وبکم قریر عین فشدوا یدیکم بهذا الأمر فإنکم أحق الناس وأولاهم به .فأجابوا جمیعا أن وفقت فی الرأی وأصبت فی القول ولن نعدو ماأمرت نولیک هذاالأمر فأنت لنا مقنع ولصالح المؤمنین رضا. ثم إنهم ترادوا الکلام بینهم فقالوا إن أبت مهاجرة قریش فقالوا نحن المهاجرون وأصحاب رسول الله ص الأولون ونحن عشیرته وأولیاؤه فعلام تنازعوننا هذاالأمر من بعده فقالت طائفة منهم إذانقول منا أمیر ومنکم أمیرلن نرضی بدون هذامنهم أبدا لنا فی الإیواء والنصرة مالهم فی الهجرة ولنا فی کتاب الله مالهم فلیسوا یعدون شیئا إلا ونعد مثله و لیس من رأینا الاستئثار علیهم فمنا أمیر ومنهم أمیر. فقال سعد بن عبادة هذاأول الوهن . وأتی الخبر عمر فأتی منزل رسول الله ص فوجد أبابکر فی الدار وعلیا فی جهاز رسول الله ص و کان ألذی أتاه بالخبر معن بن عدی فأخذ بید عمر و قال قم فقال عمر إنی عنک مشغول فقال إنه لابد من قیام فقام معه فقال له إن هذاالحی من الأنصار قداجتمعوا فی سقیفة بنی ساعدة معهم سعد بن عبادة یدورون حوله ویقولون أنت المرجی ونجلک المرجی و ثم أناس من [صفحه ۷] أشرافهم و قدخشیت الفتنة فانظر یاعمر ماذا تری واذکر لإخوتک من المهاجرین واختاروا لأنفسکم فإنی انظر إلی باب فتنة قدفتح الساعة إلا أن یغلقه الله ففزع عمر أشد الفزع حتی أتی أبابکر فأخذ بیده فقال قم فقال أبوبکر إنی عنک مشغول فقال عمر لابد من قیام وسنرجع إن شاء الله .فقام أبوبکر مع عمر فحدثه الحدیث ففزع أبوبکر أشد الفزع وخرجا مسرعین إلی سقیفة بنی ساعدة و فیهارجال من أشراف الأنصار ومعهم سعد بن عبادة و هومریض بین أظهرهم فأراد عمر أن یتکلم ویمهد لأبی بکر و قال خشیت أن یقصر أبوبکر عن بعض الکلام فلما نبس عمر کفه أبوبکر و قال علی رسلک فتلق الکلام ثم تکلم بعدکلامی بما بدا لک فتشهد أبوبکر ثم قال . إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدی ودین الحق فدعا إلی الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصینا إلی مادعانا إلیه وکنا معاشر المسلمین المهاجرین أول الناس إسلاما و الناس لنا فی ذلک تبع ونحن عشیرة رسول الله ص وأوسط العرب أنسابا لیس من قبائل العرب إلا ولقریش فیهاولادة وأنتم أنصار الله وأنتم نصرتم رسول الله ص ثم

أنتم وزراء رسول الله ص وإخواننا فى كتاب الله وشركاؤنا فى الدين وفيما كنا فيه من خير فأنتم أحب الناس إلينا وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لماساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين وأحق الناس ألا تحسدوهم فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة وأحق الناس ألا يكون انتفاض هذاالدين واختلاطه على أيديكم و أناأدعوكم إلى أبى عبيدة وعمر فكلاهما قدرضيت لهذا الأمر وكلاهما أراه له أهلا. [صفحه ٨] فقال عمر و أبوعبيدة ماينبغى لأحد من الناس أن يكون فوقك أنت صاحب الغار ثانى اثنين وأمرك رسول الله بالصلاة فأنت أحق الناس بهذا الأمر. فقال الأنصار و الله مانحسدكم على خير ساقه الله إليكم و لاأحد أحب إلينا و لاأرضى عندنا منكم ولكنا نشفق فيما بعد هذااليوم ونحذر أن يغلب على هذاالأمر من ليس منا و لامنكم فلو جعلتم اليوم رجلا منكم بايعنا ورضينا على أنه إذاهلك اخترنا واحدا من الأنصار فإذاهلك كان آخر من المهاجرين أبدا مابقيت هذه الأمة كان ذلك أجدر أن نعدل فى أمة محمدص فيشفق الأنصارى أن يزيغ فيقبض عليه القرشى ويشفق القرشى أن يزيغ فيقبض عليه الأنصارى.فقام أبوبكر فقال إن رسول الله ص لمابعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه وخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومه و لم يستوحشوا لكثرة عدوهم فهم أول من عبد الله فى الأرض وهم أول من آمن برسول الله وهم أولياؤه وعترته وأحق الناس بالأمر بعده لاينازعهم فيه إلاظالم و ليس أحد بعدالمهاجرين فضلا وقدما فى الإسلام مثلكم فنحن الأمراء وأنتم الوزراء لانمتاز دونكم بمشورة و لانقضى دونكم الأمور.فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يامعشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم إنما الناس فى فيئكم وظلكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم و لايصدر الناس إلا عن أمركم أنتم أهل الإيواء والنصرة وإليكم كانت الهجرة وأنتم أصحاب الدار والإيمان و الله ما عبد الله علانية إلاعندكم و فى بلادكم [صفحه ٩] و لاجمعت الصلاة إلا فى مساجدكم و لاعرف الإيمان إلا من أسيافكم فاملكوا عليكم أمركم فإن أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير. فقال عمر هيهات لايجتمع سيفان فى غمد إن العرب لاترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم و ليس تمتنع العرب أن تولى أمرها من كانت النبوة فيهم وأولو الأمر منهم لنا بذلك الحجة الظاهرة على من خالفنا والسلطان المبين على من نازعنا من ذا يخاصمنا فى سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلامدل بباطل أومتجانف لإثم أومتورط فى هلكة.فقام الحباب و قال يامعشر الأنصار لاتسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من الأمر فإن أبوا عليكم ماأعطيتموهم فاجلوهم عن بلادكم وتولوا هذاالأمر عليهم فأنتم أولى الناس بهذا الأمر إنه دان لهذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له أناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب إن شئتم لنعيدنها جذعة و الله لايرد أحد على ماأقول إلاحطمت أنفه بالسيف . قال فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي مااجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة و كان حاسدا له و كان من سادة الخزرج قام فقال أيها الأنصار إنا و إن كنا ذوى سابقة فإنا لم نرد بجهادنا وإسلامنا إلارضا ربنا وطاعة نبينا و لاينبغى لنا أن نستطيل بذلك على الناس و لانبتغى به عوضا [صفحه ١٠] من الدنيا إن محمداص رجل من قريش وقومه أحق بميراث أمره وايم الله لايرانى الله أنازعهم هذاالأمر فاتقوا الله و لاتنازعوهم و لاتخالفوهم .فقام أبوبكر و قال هذاعمر و أبوعبيدة بايعوا أيهما شئتم فقالا و الله لانتولى هذاالأمر عليك و أنت أفضل المهاجرين وثانى اثنين وخليفة رسول الله ص على الصلاة والصلاة أفضل الدين ابسط يدك نبايعك . فلما بسط يده وذهبا يبايعانه سبقهما بشير بن سعد فبايعه فناداه الحباب بن المنذر يابشير عقك عقاق و الله مااضطرك إلى هذاالأمر إلاالحسد لابن عمك . و لمارأت الأوس أن رئيسا من رؤساء الخزرج قدبايع قام أسيد بن حضير و هورئيس الأوس فبايع حسدا لسعد أيضا ومنافسة له أن يلى الأمر فبايعت الأوس كلها لمابايع أسيد وحمل سعد بن عبادة و هومريض فأدخل إلى منزله فامتنع من البيعة فى ذلك اليوم وفيما بعده وأراد عمر أن يكرهه عليها فأشير عليه ألا يفعل و أنه لايبايع حتى يقتل و أنه لايقتل حتى يقتل أهله و لايقتل أهله حتى يقتل الخزرج و إن حوربت الخزرج كانت الأوس معها. وفسد الأمر فتركوه فكان لايصلى بصلاتهم و لايجمع بجماعتهم و لايقضى بقضائهم و

لووجد أعوانا لضاربهم فلم يزل كذلك حتى مات أبوبكر ثم لقى عمر فى خلافته و هو على فرس وعمر على بعير فقال له عمر هيهات ياسعد فقال سعد هيهات ياعمر فقال أنت صاحب من أنت صاحبه قال نعم أناذاك ثم قال لعمر و الله ماجاورنى أحد هوأبغض إلى جوارا منك قال عمر فإنه من كره جوار رجل انتقل عنه فقال سعد إنى لأرجو أن أخليها لك عاجلا إلى جوار من هوأحب إلى [صفحه ١١] جوارا منك و من أصحابك فلم يلبث سعد بعد ذلك إلاقليلا حتى خرج إلى الشام فمات بحوران و لم يبايع لأحد لالأبى بكر و لالعمر و لالغيرهما. قال وكثر الناس على أبى بكر فبايعه معظم المسلمين فى ذلك اليوم واجتمعت بنو هاشم إلى بيت على بن أبى طالب ومعهم الزبير و كان يعد نفسه رجلا من بنى هاشم كان على يقول مازال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا. واجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان واجتمعت بنو زهرة إلى سعد و عبدالرحمن فأقبل عمر إليهم و أبوعبيدة فقال ما لى أراكم ملتاثين قوموا فبايعوا أبابكر فقد بايع له الناس وبايعه الأنصار فقام عثمان و من معه وقام سعد و عبدالرحمن و من معهما فبايعوا أبابكر. وذهب عمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة منهم أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم فقال لهم انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه وخرج إليهم الزبير بسيفه فقال عمر عليكم الكلب فوثب عليه سلمة بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار ثم انطلقوا به وبعلى ومعهما بنو هاشم و على يقول أنا عبد الله وأخو رسول الله ص حتى انتهوا به إلى أبى بكر فقيل له بايع فقال أناأحق بهذا الأمر منكم لاأبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى أخذتم هذاالأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة و أناأحتج عليكم بمثل مااحتججتم به على الأنصار فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم واعرفوا لنا من الأمر مثل ماعرفت الأنصار لكم و إلافبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون -روايت-١-٢-روايت-١٦-٤٤٣ . فقال عمر إنك لست متروكا حتى تبايع فقال له على احلب ياعمر حلبا لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا ألا و الله لاأقبل قولك و لاأبايعه فقال له أبوبكر [صفحه ١٢] فإن لم تبايعنى لم أكرهك فقال له أبوعبيدة يا أبا الحسن إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور و لاأرى أبابكر إلاأقوى على هذاالأمر منك وأشد احتمالا له واضطلاعا به فسلم له هذاالأمر وارض به فإنك إن تعش ويطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق و به حقيق فى فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك . فقال على يامعشر المهاجرين الله الله لاتخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم و لاتدفعوا أهله عن مقامه فى الناس وحقه فو الله يامعشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم أ ما كان منا القارئ لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية و الله إنه لفينا فلاتتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا -روايت-١-٢-روايت-١٤-٣٦٠ . فقال بشير بن سعد لو كان هذاالكلام سمعته منك الأنصار يا على قبل بيعتهم لأبى بكر مااختلف عليك اثنان ولكنهم قدبايعوا وانصرف على إلى منزله و لم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع . قلت هذاالحديث يدل على بطلان مايدعى من النص على أمير المؤمنين وغيره لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به و لم يجر للنص ذكر وإنما كان الاحتجاج منه و من أبى بكر و من الأنصار بالسوابق والفضائل والقرب فلو كان هناك نص على أمير المؤمنين أو على أبى بكر لاحتج به أبوبكر أيضا على الأنصار ولاحتج به أمير المؤمنين على أبى بكر فإن هذاالخبر وغيره من الأخبار المستفيضة يدل على أنه قد كان كاشفهم وهتك القناع بينه وبينهم أ لاتراه كيف نسبهم إلى التعدى عليه وظلمه وتمنع من طاعتهم [صفحه ١٣] وأسمعهم من الكلام أشده وأغلظه فلو كان هناك نص لذكره أوذكره بعض من كان من شيعته وحزبه لأنه لاعطر بعدعروس . و هذاأيضا يدل على أن الخبر المروى فى أبى بكر فى صحيحى البخارى ومسلم غيرصحيح و هو ماروى من قوله ع لعائشة فى مرضه ادعى لى أباك حتى أكتب لأبى بكر كتابا فإنى أخاف أن يقول قائل أويتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون إلا أبابكر -روايت-١-٢-روايت-٤٣-١٦١ و هذا هونص مذهب المعتزلة. و قال أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى أيضا حدثنا أحمد و قال حدثنا ابن عفير قال حدثنا أبوعوف عبد الله بن عبدالرحمن عن أبى جعفر محمد بن على رضى الله عنهما أن عليا حمل فاطمة

على حمار وسار بهاليلا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة الانتصار له فكانوا يقولون يابنت رسول الله قدمضت بيعتنا لهذا الرجل لو كان ابن عمك سبق إلينا أبابكر ماعدلنا به فقال على أكنت أترك رسول الله ميتا فى بيته لاأجهزه وأخرج إلى الناس أنازعهم فى سلطانه وقالت فاطمة ماصنع أبوحسن إلا ما كان ينبغى له وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه -روايت-۱-۲-روايت-۱۶۳-۵۴۹ و قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز و حدثنا أحمد قال حدثنى سعيد بن كثير قال حدثنى ابن لهيعة أن رسول الله ص لمامات و أبوذر غائب وقدم و قدولى أبوبكر فقال أصبتم قناعه وتركتم قرابه لوجعلتم هذاالأمر فى أهل بيت نبيكم لمااختلف عليكم اثنان -روايت-۱-۲-روايت-۹۴-۲۵۴ [صفحه ۱۴] قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد عمر بن شبة قال حدثنا أبوقبيصة محمد بن حرب قال لماتوفى النبى ص وجرى فى السقيفة ماجرى تمثل على -روايت-۱-۲-روايت-۷۹-۱۳۴ وأصبح أقوام يقولون مااشتهوا || ويطغون لماغال زيدا غوائله

قصيدة أبى القاسم المغربى وتعصبه للأنصار على قريش

وحدثنى أبو جعفريحيى بن محمد بن زيد العلوى نقيب البصرة قال لماقدم أبوالقاسم على بن الحسين المغربى من مصر إلى بغداد استكتبه شرف الدولة أبو على بن بويه و هويومئذ سلطان الحضرة و أميرالأمراء بها والقادر خليفة ففسدت الحال بينه و بين القادر واتفق لأبى القاسم المغربى أعداء سوء أوحشوا القادر منه وأوهموه أنه مع شرف الدولة فى القبض عليه وخلعه من الخلافة فأطلق لسانه فى ذكره بالقبيح وأوصل القول فيه والشكوى منه ونسبه إلى الرفض وسب السلف و إلى كفران النعمة و أنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعدإحسانه إليه . قال النقيب أبو جعفررحمه الله تعالى فأما الرفض فنعم و أماإحسان الحاكم إليه فلا كان الحاكم قتل أباه وعمه وأخا من إخوته وأفلت منه أبوالقاسم بخديعة الدين و لوظفر به لألحقه بهم . قال أبو جعفر و كان أبوالقاسم المغربى ينسب فى الأزد ويتعصب لقحطان على عدنان وللأنصار على قريش و كان غاليا فى ذلك مع تشيعه و كان أديبا فاضلا شاعرا مترسلا وكثير الفنون عالما وانحدر مع شرف الدولة إلى واسط فاتفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع قدجمعه من خطه وشعره وكلامه مسود أتحفه به بعض من كان يشنأ أباالقاسم ويريد كيده فوجد القادر فى ذلك المجموع قصيدة من شعره فيهاتعصب شديد للأنصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الإلحاد والزندقة لإفراط غلوه [صفحه ۱۵] و فيهاتصريح بالرفض مع ذلك فوجدها القادر تمرة الغراب وأبرزها إلى ديوان الخلافة فقرئ المجموع والقصيدة بمحضر من أعيان الناس من الأشراف والقضاة والمعدلين والفقهاء ويشهد أكثرهم أنه خطه وأنهم يعرفونه كمايعرفون وجهه وأمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك فإلى أن وصل الكتاب إلى شرف الدولة بما جرى اتصل الخبر بأبى القاسم قبل وصول الكتاب إلى شرف الدولة فهرب ليلا ومعه بعض غلمانه وجارية كان يهواها ويتحظاها ومضى إلى البطيحة ثم منها إلى الموصل ثم إلى الشام ومات فى طريقه فأوصى أن تحمل جثته إلى مشهد على فحملت فى تابوت ومعها خفراء العرب حتى دفن بالمشهد بالقرب منه ع . وكنت برهة أسأل النقيب أبا جعفر عن القصيدة و هويدافعنى بها حتى أملأها على بعدحين و قدأوردت هاهنا بعضها لأنى لم أستجز و لم أستحل إيرادها على وجهها فمن جملتها و هويذكر فى أولها رسول الله ص و يقول إنه لو لاالأنصار لم تستقم لدعوته دعامة و لاأرست له قاعدة فى أبيات فاحشة كرهنا ذكرها نحن الذين بنا استجار فلم يضع || فينا وأصبح فى أعز جوار بسيوفنا أمست سخينة بركا || فى بدرها كنحائر الجزار ولنحن فى أحد سمحنا دونه || بنفوسنا للموت خوف العار فنجا بمهجته فلو لاذبنا || عنه تنشب فى مخالب ضار وحمية السعدين بل بحماية السدين || يوم الجحفل الجرار فى الخندق المشهور إذ ألقى بها || بيد ورام دفاعها بثمار قالا ـ معاذ الله إن هضيمه || لم نعطها فى سالف الأعصار [صفحه ۱۶] ماعندنا إلاالسيوف

وأقبلا || نحو الحتوف بهابدار بدار ولنا بيوم حنين آثار متى || تذكر فهن كرائم الآثار لماتصدع جمعه فغدا بنا || مستصرخا بعقيرة وجؤار عطفت عليه كماتنا فتحصنت || منا جموع هوازن بفرار وفدته من أبناء قيلة عصبة || شروى النقير وجنة البقار أفنحن أولى بالخلافة بعده || أم عبدتيم حاملو الأوزار ماالأمر إلاأمرنا وبسعدنا || زفت عروس الملك غيرنوار لكنما حسد النفوس وشحها || وتذكر الأذحال والأوتار أفضى إلى هرج ومرج فانبرت || عشواء خابطة بغير نهار وتداولتها أربع لو لا أبو || حسن لقلت لؤمت من إستار من عاجز ضرع و من ذى غلظة || جاف و من ذى لوثة خوار ثم ارتدى المحروم فضل ردائها || فغلت مراجل إحنة ونفار فتأكلت تلك الجذى وتلمظت || تلك الظبا ورقا أجيج النار تالله لوألقوا إليه زمامها || لمشى بهم سجحا بغير عثار و لوأنها حلت بساحة مجده || بادى بدا سكنت بدار قرار هوكالنبى فضيلة لكن ذا || من حظه كاس و هذاعار والفضل ليس بنافع أربابه || إلابمسعدة من الأقدار ثم امتطاها عبدشمس فاغتدت || هزؤا وبدل ربحها بخسار وتنقلت فى عصبة أموية || ليسوا بأطهار و لاأبرار [صفحه ١٧] ما بين مأفون إلى متزندق || ومداهن ومضاعف وحمار .فهذه الأبيات هى نظيف القصيدة التقطناها وحذفنا الفاحش و فى الملتقط المذكور أيضا ما لايجوز و هو قوله نحن الذين بنا استجار و قوله ألقى بهابيد و قوله فنجا بمهجته البيت و قوله عن أبى بكر عبدتيم و قوله لو لا على لقلت فى الأربعة أنهم إستار لؤم وذكره الثلاثة رضى الله عنهم بما ذكرهم ونسبهم إليه و قوله إن عليا كالنبى فى الفضيلة و قوله إن النبوة حظ أعطيه وحرمه على ع .فأما قوله فى بنى أمية ما بين مأفون البيت فمأخوذ من قول عبدالملك بن مروان و قدخطب فذكر الخلفاء من بنى أمية قبله فقال إنى و الله لست بالخليفة المستضعف و لابالخليفة المداهن و لابالخليفة المأفون عنى بالمستضعف عثمان وبالمداهن معاوية وبالمأفون يزيد بن معاوية فزاد هذاالشاعر فيهم اثنين وهما المتزندق و هوالوليد بن يزيد بن عبدالملك والحمار و هومروان بن محمد بن مروان

أمر المهاجرين والأنصار بعدبيعة أبى بكر

وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات قال لمابايع بشير بن سعد أبابكر وازدحم الناس على أبى بكر فبايعوه مر أبوسفيان بن حرب بالبيت ألذى فيه على بن أبى طالب ع فوقف وأنشد بنى هاشم لاتطمعوا الناس فيكم || و لاسيما تيم بن مرة أوعدى فما الأمر إلافيكم وإليكم || و ليس لها إلا أبوحسن على [صفحه ١٨] أباحسن فاشدد بهاكف حازم || فإنك بالأمر ألذى يرتجى ملى و أى امرئ يرمى قصيا ورأيها || منبع الحمى و الناس من غالب قصى فقال على لأبى سفيان إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه و قدعهد إلى رسول الله ص عهدا فأنا عليه -روايت-١-٢-روايت-٢٦-١٠٠ فتركه أبوسفيان وعدل إلى العباس بن عبدالمطلب فى منزله فقال يا أباالفضل أنت أحق بميراث ابن أخيك امدد يدك لأبايعك فلايختلف عليك الناس بعدبيعتى إياك فضحك العباس و قال يا أباسفيان يدفعها على ويطلبها العباس فرجع أبوسفيان خائبا. قال الزبير وذكر محمد بن إسحاق أن الأوس تزعم أن أول من بايع أبابكر بشير بن سعد وتزعم الخزرج أن أول من بايع أسيد بن حضير. قلت بشير بن سعد خزرجى وأسيد بن حضير أوسى وإنما تدافع الفريقان الروايتين تفاديا عن سعد بن عبادة وكراهية كل حى منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة صاحبه فالخزرج هم أهله وقرابته لايقرون أن بشير بن سعد هوأول من بايع أبابكر وأبطل أمر سعد بن عبادة ويحيلون بذلك على أسيد بن حضير لأنه من الأوس أعداء الخزرج و أماالأوس فتكره أيضا أن ينسب أسيد إلى أنه أول من نقض أمر سعد بن عبادة كى لايرموه بالحسد للخزرج لأن سعد بن عبادة خزرجى فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته وهم الخزرج ويقولون إن أول من بايع أبابكر ونقض دعوة سعد بن عبادة بشير بن سعد و كان بشير أعور. و ألذى ثبت عندى أن أول من بايعه عمر ثم بشير بن سعد ثم أسيد بن حضير ثم أبوعبيدة بن الجراح ثم سالم مولى أبى حذيفة. [صفحه ١٩] قال الزبير و قد كان مالأ أبابكر وعمر

على نقض أمر سعد وإفساد حاله رجلان من الأنصار ممن شهد بدرا وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عدى. قلت كان هذان الرجلان ذوى حب لأبى بكر فى حياة رسول الله ص واتفق مع ذلک بغض وشحناء كانت بينهما و بين سعد بن عبادة ولها سبب مذكور فى كتاب القبائل لأبى عبيدة معمر بن المثنى فليطلب من هناک . وعويم بن ساعدة هوالقائل لمانصب الأنصار سعدا يامعشر الخزرج إن كان هذاالأمر فيكم دون قريش فعرفونا ذلک وبرهنوا حتى نبايعكم عليه و إن كان لهم دونكم فسلموا إليهم فو الله ماهلک رسول الله ص حتى عرفنا أن أبابكر خليفة حين أمره أن يصلى بالناس فشتمه الأنصار وأخرجوه فانطلق مسرعا حتى التحق بأبى بكر فشحذ عزمه على طلب الخلافة.ذكر هذابعينه الزبير بن بكار فى الموفقيات . وذكر المدائنى والواقدى أن معن بن عدى اتفق هو وعويم بن ساعدة على تحريض أبى بكر وعمر على طلب الأمر وصرفه عن الأنصار قالا ـ و كان معن بن عدى يشخصهما إشخاصا ويسوقهما سوقا عنيفا إلى السقيفة مبادرة إلى الأمر قبل فواته . قال الزبير بن بكار فلما بويع أبوبكر أقبلت الجماعة التى بايعته تزفه زفا إلى مسجد رسول الله ص فلما كان آخر النهار افترقوا إلى منازلهم فاجتمع قوم من الأنصار وقوم من المهاجرين فتعاتبوا فيما بينهم فقال عبدالرحمن بن عوف يامعشر الأنصار إنكم و إن كنتم أولى فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم مثل أبى بكر و لاعمر و لا على و لا أبى عبيدة فقال زيد بن أرقم إنا لاننكر فضل من ذكرت [صفحه ۲۰] يا عبدالرحمن و إن منا لسيد الأنصار سعد بن عبادة و من أمر الله رسوله أن يقرئه السلام و أن يأخذ عنه القرآن أبى بن كعب و من يجىء يوم القيامة أمام العلماء معاذ بن جبل و من أمضى رسول الله ص شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت وإنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لوطلب هذاالأمر لم ينازعه فيه أحد على بن أبى طالب . قال الزبير فلما كان من الغد قام أبوبكر فخطب الناس و قال أيها الناس إنى وليت أمركم ولست بخيركم فإذاأحسنت فأعينونى و إن أسأت فقومونى إن لى شيطانا يعترينى فإياكم وإياى إذاغضبت لاأوثر فى أشعاركم وأبشاركم الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى حتى أرد إليه حقه والقوى ضعيف حتى آخذ الحق منه إنه لايدع قوم الجهاد إلاضربهم الله بالذل و لاتشيع فى قوم الفاحشة إلاعمهم البلاء أطيعونى ماأطعت الله فإذاعصيت فلاطاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله . قال ابن أبى عبرة القرشى شكرا لمن هوبالثناء حقيق || ذهب اللجاج وبويع الصديق من بعد مازلت بسعد نعله || ورجا رجاء دونه العيوق حفت به الأنصار عاصب رأسه || فأتاهم الصديق والفاروق و أبوعبيدة والذين إليهم || نفس المؤمل للقاء تتوق كنا نقول لها على والرضا || عمر وأولاهم بذاک عتيق فدعت قريش باسمه فأجابها || إن المنوه باسمه الموثوق قل للألى طلبوا الخلافة زلة || لم يخط مثل خطاهم مخلوق إن الخلافة فى قريش مالكم || فيها ورب محمدمعروق [صفحه ۲۱] . وروى الزبير بن بكار قال روى محمد بن إسحاق أن أبابكر لمابويع افتخرت تيم بن مرة قال و كان عامة المهاجرين و جل الأنصار لايشكون أن عليا هوصاحب الأمر بعد رسول الله ص فقال الفضل بن العباس يامعشر قريش وخصوصا يابنى تيم إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة ونحن أهلها دونكم و لوطلبنا هذاالأمر ألذى نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا حسدا منهم لنا وحقدا علينا وإنا لنعلم أن عندصاحبنا عهدا هوينتهى إليه . و قال بعض ولد أبى لهب بن عبدالمطلب بن هاشم شعرا ماكنت أحسب أن الأمر منصرف || عن هاشم ثم منها عن أبى حسن أ ليس أول من صلى لقبلتكم || وأعلم الناس بالقرآن والسنن وأقرب الناس عهدا بالنبى و من || جبريل عون له فى الغسل والكفن ما فيه مافيهم لايمترون به || و ليس فى القوم ما فيه من الحسن ماذا ألذى ردهم عنه فنعلمه || ها إن ذا غبننا من أعظم الغبن . قال الزبير فبعث إليه على فنهاه وأمره ألا يعود و قال سلامة الدين أحب إلينا من غيره -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۴۳ . [صفحه ۲۲] قال الزبير و كان خالد بن الوليد شيعة لأبى بكر و من المنحرفين عن على فقام خطيبا فقال أيها الناس إنا رمينا فى بدء هذاالدين بأمر ثقل علينا و الله محمله وصعب علينا مرتقاه وكنا كأنا فيه على أوتار ثم و الله مالبثنا أن خف علينا ثقله وذل لنا صعبه وعجبنا ممن شک فيه بعدعجبنا ممن آمن به حتى أمرنا بما كنا ننهى عنه ونهينا عما كنا نأمر به و لا و الله ماسبقنا إليه بالعقول

ولكنه التوفيق ألاـ و إن الوحى لم ينقطع حتى أحكم و لم يـذهب النبى ص فنسـتبدل بعـده نبيـا و لا بعـدالوحى وحيا ونحن اليوم أكثر منـا أمس ونحن أمس خير منـا اليوم من دخـل فى هذاالـدين كـان ثوابه على حسب عمله و من تركه رددنـاه إليه وإنه و الله ماصـاحب الأـمر يعنى أبـابكر بالمسـئول عنه و لاـالمختلف فيه و لاـالخفى الشـخص و لاـالمغموز القنـاۀ.فعجب الناس من كلامه ومـدحه حزن بن أبى وهب المخزومى و هو ألـذى سـماه رسول الله ص سـهلا و هوجـد سـعيد بن المسيب الفقيه و قـال وقامت رجال من قريش كثيره || فلم يك منهم فى الرجال كخالد ترقى فلم يزاق به صدر نعله || وكف فلم يعرض لتلك الأوابد فجاء بهاغراء كالبـدر ضوءها || فسـميتها فى الحسن أم القلائد أخالد لاتعدم لؤى بن غالب || قيامك فيها عندقذف الجلامد كساك الوليد بن المغيرۀ مجده || وعلمك الأشـياخ ضرب القماحد تقارع فى الإسلام عن صلب دينه || و فى الشرك عن أحساب جد ووالد [صفحه ٢٣] وكنت لمخزوم بن يقظۀ جنـۀ || يعـدك فيهاماجدا و ابن ماجد إذا ماسـما فى حربها ألف فارس || عدلت بألف عنـدتلك الشدائـد و من يك فى الحرب المثيرۀ واحـدا || فما أنت فى الحرب العوان بواحـد إذاناب أمر فى قريش مخلج || تشيب له رءوس العـذارى النواهـد توليت منه مايخاف و إن تغب || يقولوا جميعا حظنا غيرشاهد . قال الزبير و حدثنا محمد بن موسـى الأنصارى المعروف بابن مخرمۀ قال حدثنى ابراهيم بن سـعد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهرى قال لمابويع أبوبكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضا وذكروا على بن أبى طالب وهتفوا باسمه وإنه فى داره لم يخرج إليهم وجزع لذلك المهاجرون وكثر فى ذلك الكلام . و كان أشد قريش على الأنصار نفر فيهم وهم سـهيل بن عمرو أحـد بنى عامر بن لؤى والحارث بن هشام وعكرمـۀ بن أبى جهل المخزوميان وهؤلاء أشـراف قريش الـذين حاربوا النبى ص ثم دخلوا فى الإسـلام وكلهم موتور قـدوتره الأنصـار أماسـهيل بن عمرو فأسـره مالك بن الـدخشم يوم بـدر و أماالحارث بن هشام فضـربه عروۀ بن عمرو فجرحه يوم بدر و هوفار عن أخيه و أماعكرمۀ بن أبى جهل فقتل أباه ابنا عفراء وسـلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيـد و فى أنفسـهم ذلـك . فلمـا اعـتزلت الأنصـار تجمـع هؤلاـء فقـام سـهيل بن عمرو فقـال يامعشـر قريش إن هؤلاـء القوم قدسـماهم الله الأنصـار وأثنى عليهم فى القرآن فلهم بـذلك حـظ عظيم وشـأن غالب و قـددعوا إلى أنفسـهم و إلى على بن أبى طالب و على [صفحه ٢۴] فى بيته لوشاء لردهم فادعوهم إلى صاحبكم و إلى تجديد بيعته فإن أجابوكم و إلاقاتلوهم فو الله إنى لأـرجو الله أن ينصـركم عليهم كمانصـرتم بهم . ثم قـام الحـارث بن هشـام فقال إن تكن الأنصار تبوأت الـدار والإيمان من قبل ونقلوا رسول الله ص إلى دورهم من دورنا فآووا ونصـروا ثم مارضوا حتى قاسـمونا الأموال وكفونا العمل فإنهم قدلهجوا بأمر إن ثبتوا عليه فإنهم قدخرجوا مما وسموا به و ليس بيننا وبينهم معاتبۀ إلاالسيف و إن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولى بهم والمظنون معهم . ثم قام عكرمـۀ بن أبى جهل فقال و الله لو لا قول رسول الله ص الأئمـۀ من قريش -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٣٨ ماأنكرنا أمره الأنصـار ولكـانوا لها أهلا ولكنه قول لاشك فيه و لاخيار و قـدعجلت الأنصار علينا و الله ماقبضـنا عليهم الأمر و لاأخرجناهم من الشورى و إن ألـذى هم فيه من فلتـات الأـمور ونزغـات الشـيطان و مـا لاـيبلغه المنى و لايحمله الأمل أعـذروا إلى القوم فإن أبوا فقـاتلوهم فو الله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحـد لصـير الله هـذاالأمر فيه . قال وحضـر أبوسـفيان بن حرب فقال يامعشـر قريش إنه ليس للأنصار أن يتفضـلوا على الناس حتى يقروا بفضـلنا عليهم فإن تفضلوا فحسبنا حيث انتهى بها و إلافحسبهم حيث انتهى بهم وايم الله لئن بطروا المعيشۀ وكفروا النعمۀ لنضربنهم على الإسلام كماضربوا عليه فأما على بن أبى طالب فأهل و الله أن يسود على قريش وتطيعه الأنصار. فلما بلغ الأنصار قول هؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شـماس فقال يامعشـر الأنصار إنمـا يكبر عليكم هـذاالقول لوقـاله أهـل الـدين من قريش فأمـا إذا كـان من أهل الـدنيا لاسـيما من أقوام كلهم موتور فلايكبرن عليكم إنما الرأى [صفحه ٢۵] والقول مع الأخيار المهاجرين فإن تكلمت رجال قريش والـذين هم أهل الآخرۀ مثل كلام هؤلاء فعند ذلك قولوا ماأحببتم و إلافأمسكوا. و قال حسان بن ثابت يذكر ذلك تنادى سهيل و ابن حرب وحارث || وعكرمۀ الشانى

لنا ابن أبی جهل قتلنا أباه وانتزعنا سلاحه || فأصبح بالبطحا أذل من النعل فأما سهيل فاحتواه ابن دخشم || أسيرا ذليلا لايمر و لايحلی وصخر بن حرب قدقتلنا رجاله || غداة لوا بدر فمرجله يغلی وراكضنا تحت العجاجة حارث || علی ظهر جرداء كباسقه النخل يقبلها طورا وطورا يحثها || ويعدلها بالنفس والمال والأهل أولئك رهط من قريش تبايعوا || علی خطة ليست من الخطط الفضل وأعجب منهم قابلو ذاك منهم || كانا اشتملنا من قريش علی ذحل وكلهم ثان عن الحق عطفه || يقول اقتلوا الأنصار يابئس من فعل نصرنا وآوينا النبی و لم نخف || صروف الليالی والبلاء علی رجل بذلنا لهم أنصاف مال أكفنا || كقسمة أيسار الجزور من الفضل و من بعدذاك المال أنصاف دورنا || وكنا أناسا لانعير بالبخل ونحمی ذمار الحی فهر بن مالك || ونوقد نار الحرب بالحطب الجزل فكان جزاء الفضل منا عليهم || جهالتهم حمقا و ماذاك بالعدل فبلغ شعر حسان قريشا فغضبوا وأمروا ابن أبی عزة شاعرهم أن يجيبه فقال معشر الأنصار خافوا ربكم || واستجيروا الله من شر الفتن إننی أرهب حربا لاقحا || يشرق المرضع فيهاباللبن جرها سعد وسعد فتنة || ليت سعد بن عباد لم يكن خلف برهوت خفيا شخصه || بين بصری ذی رعين وجدن [صفحه ۲۶] ليس ماقدر سعد كائنا || ماجری البحر و مادام حضن ليس بالقاطع منا شعرة || كيف يرجی خير أمر لم يحن ليس بالمدرك منها أبدا || غيرأضغاث أمانی الوسن . قال الزبير لمااجتمع جمهور الناس لأبی بكر أكرمت قريش معن بن عدی وعويم بن ساعدة و كان لهما فضل قديم فی الإسلام فاجتمعت الأنصار لهما فی مجلس ودعوهما فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما إلی المهاجرين وأكبروا فعلهما فی ذلك فتكلم معن فقال يامعشر الأنصار إن ألذی أراد الله بكم خير مما أردتم بأنفسكم و قد كان منكم أمر عظيم البلاء وصغرته العاقبة فلو كان لكم علی قريش مالقريش عليكم ثم أردتموهم لماأرادوكم به لم آمن عليهم منكم مثل من آمن عليكم منهم فإن تعرفوا الخطأ فقد خرجتم منه و إلافأنتم فيه . قلت قوله و قد كان منكم أمر عظيم البلاء وصغرته العاقبة يعنی عاقبة الكف والإمساك يقول قد كان منكم أمر عظيم و هودعوی الخلافة لأنفسكم وإنما جعل البلاء معظما له لأنه لو لم يتعقبه الإمساك لأحدث فتنة عظيمة وإنما صغره سكونهم ورجوعهم إلی بيعة المهاجرين . و قوله و كان لكم علی قريش إلی آخر الكلام معناه لو كان لكم الفضل علی قريش كفضل قريش عليكم وادعت قريش الخلافة لها ثم أردتم منهم الرجوع عن دعواهم وجرت بينكم وبينهم من المنازعة مثل هذه المنازعة التی جرت الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم وتقدموا علی سفك دمائهم و لم يحصل لی من سكون النفس إلی [صفحه ۲۷] حلمكم عنهم وصبركم عليهم مثل ما أناآمن عليكم منهم فإنهم صبروا وحلموا و لم يقدموا علی استباحة حربكم والدخول فی دمائكم . قال الزبير ثم تكلم عويم بن ساعدة فقال يامعشر الأنصار إن من نعم الله عليكم أنه تعالی لم يرد بكم ماأردتم بأنفسكم فاحمدوا الله علی حسن البلاء وطول العافية وصرف هذه البلية عنكم و قدنظرت فی أول فتنتكم وآخرها فوجدتها جاءت من الأمانی والحسد واحذروا النقم فوددت أن الله صير إليكم هذاالأمر بحقه فكنا نعيش فيه .فوثبت عليهما الأنصار فاغلظوا لهما وفحشوا عليهما وانبری لهما فروة بن عمرو فقال أنسيتما قولكما لقريش إنا قدخلفنا وراءنا قوما قدحلت دماؤهم بفتنتهم هذا و الله ما لايغفر و لاينسی قدتصرف الحية عن وجهها وسمها فی نابها فقال معن فی ذلك وقالت لی الأنصار إنك لم تصب || فقلت أ ما لی فی الكلام نصيب فقالوا بلی قل مابدا لك راشدا || فقلت ومثلی بالجواب طبيب تركتكم و الله لمارأيتكم || تيوسا لها بالحرتين نبيب تنادون بالأمر ألذی النجم دونه || ألا كل شیء ماسواه قريب فقلت لكم قول الشفيق عليكم || وللقلب من خوف البلاء وجيب دعوا الركض واثنوا من أعنة بغيكم || ودبوا فسير القاصدين دبيب وخلوا قريشا والأمور وبايعوا || لمن بايعوه ترشدوا وتصيبوا [صفحه ۲۸] أراكم أخذتم حقكم بأكفكم || و ما الناس إلامخطئ ومصيب فلما أبيتم زلت عنكم إليهم || وكنت كأنی يوم ذاك غريب فإن كان هذاالأمر ذنبی إليكم || فلی فيكم بعدالذنوب ذنوب فلاتبعثوا منی الكلام فإننی || إذاشئت يوما شاعر وخطيب وإنی لحلو تعترينی مرارة || وملح أجاج تارة وشروب لكل امرئ عندی ألذی

هوأهله || أفانين شتى والرجال ضروب . و قال عويم بن ساعدة فى ذلك وقالت لى الأنصار أضعاف قولهم || لمعن وذاك القول جهل من الجهل فقلت دعونى لا أبالأبيكم || فإنى أخوكم صاحب الخطر الفصل أناصاحب القول ألذى تعرفونه || أقطع أنفاس الرجال على مهل فإن تسكتوا أسكت و فى الصمت راحة || و إن تنطقوا أصمت مقالتكم تبلى و مالمت نفسى فى الخلاف عليكم || و إن كنتم مستجمعين على عذلى أريد بذاك الله لا شىءغيره || و ما عندرب الناس من درج الفضل و ما لى رحم فى قريش قريبة || و لادارها دارى و لاأصلها أصلى ولكنهم قوم علينا أئمة || أدين لهم ماأنفذت قدمى نعلى و كان أحق الناس أن تقنعوا به || ويحتملوا من جاء فى قوله مثلى لأنى أخف الناس فيما يسركم || وفيما يسوء لاأمر و لاأحلى . قال فروة بن عمر و كان ممن تخلف عن بيعة أبى بكر و كان ممن جاهد مع [صفحه ۲۹] رسول الله وقاد فرسين فى سبيل الله و كان يتصدق من نخله بألف وسق فى كل عام و كان سيدا و هو من أصحاب على وممن شهد معه يوم الجمل قال فذكر معنا وعويما وعاتبهما على قولهما خلفنا وراءنا قوما قدحلت دماؤهم بفتنتهم ألا قل لمعن إذاجئته || وذاك ألذى شيخه ساعده بأن المقال ألذى قلتما || خفيف علينا سوى واحده مقالكم إن من خلفنا || مراض قلوبهم فاسده حلال الدماء على فتنة || فيا بئسما ربت الوالده فلم تأخذا قدر أثمانها || و لم تستفيدا بهافائده لقد كذب الله ماقلتما || و قديكذب الرائد الواعده . قال الزبير ثم إن الأنصار أصلحوا بين هذين الرجلين و بين أصحابهما ثم اجتمعت جماعة من قريش يوما وفيهم ناس من الأنصار وأخلاط من المهاجرين و ذلك بعدانصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة فاتفق ذلك عندقدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه فجاء إليهم فأفاضوا فى ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الأمر فقال عمرو بن العاص و الله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة و لمادفع الله عنهم أعظم كادوا و الله أن يحلوا حبل الإسلام كماقاتلوا عليه ويخرجوا منه من أدخلوا فيه و الله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله ص الأئمة من قريش -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۳۸ ثم ادعوها لقد هلكوا وأهلكوا و إن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين و لاكأبى بكر و لاالمدينة [صفحه ۳۰] كمكة ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء و لوقاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة فلم يجبه أحد وانصرف إلى منزله و قدظفر فقال ألا قل لأوس إذاجئتها || وقل كلما جئت للخزرج تمنيتم الملك فى يثرب || فأنزلت القدر لم تنضج وأخدجتم الأمر قبل التمام || وأعجب بذا المعجل المخدج تريدون نتج الحيال العشار || و لم تلقحوه فلم ينتج عجبت لسعد وأصحابه || و لو لم يهيجوه لم يهتج رجا الخزرجى رجاء السراب || و قديخلف المرء مايرتجى فكان كمنح على كفه || بكف يقطعها أهوج . فلما بلغ الأنصار مقالته وشعره بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان و كان رجلا أحمر قصيرا تزدريه العيون و كان سيدا فخما فأتى عمرا و هو فى جماعة من قريش فقال و الله ياعمرو ماكرهتم من حربنا إلا ماكرهنا من حربكم و ما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه إن كان النبى ص قال الأئمة من قريش فقد قال لوسلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۱۰۹ و الله ماأخرجناكم من الأمر إذ قلنا منا أمير ومنكم أمير و أما من ذكرت فأبو بكر لعمرى خير من سعد لكن سعدا فى الأنصار أطوع من أبى بكر فى قريش فأما المهاجرون والأنصار فلافرق بينهم أبدا ولكنك يا ابن العاص وترت بنى عبدمناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه ووترت بنى مخزوم بإهلاك عمارة بن الوليد ثم انصرف فقال [صفحه ۳۱] فقل لقريش نحن أصحاب مكة || و يوم حنين والفوارس فى بدر وأصحاب أحد والنضير وخيبر || ونحن رجعنا من قريظة بالذكر و يوم بأرض الشام أدخل جعفر || وزيد و عبد الله فى علق يجرى و فى كل يوم ينكر الكلب أهله || نطاعن فيه بالمثقفة السمر ونضرب فى نقع العجاجة أرؤسا || ببيض كأمثال البروق إذاتسرى نصرنا وآوينا النبى و لم نخف || صروف الليالى والعظيم من الأمر وقلنا لقوم هاجروا قبل مرحبا || وأهلا وسهلا قدأمنتم من الفقر نقاسمكم أموالنا وبيوتنا || كقسمة أيسار الجزور على الشطر ونكفيكم الأمر ألذى تكرهونه || وكنا أناسا نذهب العسر باليسر وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم || عتيق بن عثمان حلال أبابكر و أهل أبوبكر لها خير قائم

|| و إن عليا كان أخلق بالأمر و كان هوانا فى على وإنه || لأهل لها ياعمرو من حيث لاتدرى فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى || وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر وصى النبى المصطفى و ابن عمه || وقاتل فرسان الضلالة والكفر و هذابحمد الله يهدى من العمى || ويفتح آذانا ثقلن من الوقر نجى رسول الله فى الغار وحده || وصاحبه الصديق فى سالف الدهر فلو لااتقاء الله لم تذهبوا بها || ولكن هذاالخير أجمع للصبر و لم نرض إلابالرضا ولربما || ضربنا بأيدينا إلى أسفل القدر . فلما انتهى شعر النعمان وكلامه إلى قريش غضب كثير منها وألفى ذلك قدوم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن و كان رسول الله استعمله عليها و كان له ولأخيه أثر قديم [صفحه ۳۲] عظيم فى الإسلام وهما من أول من أسلم من قريش ولهما عبادة وفضل فغضب للأنصار وشتم عمرو بن العاص و قال يامعشر قريش إن عمرا دخل فى الإسلام حين لم يجد بدا من الدخول فيه فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه و إن من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار و الله ماحاربناهم للدين و لاللدنيا لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا و مابذلنا دماءنا لله فيهم وقاسمونا ديارهم وأموالهم و مافعلنا مثل ذلك بهم وآثرونا على الفقر وحرمناهم على الغنى ولقد وصى رسول الله بهم وعزاهم عن جفوة السلطان فأعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع والسلطان الجانى. قلت هذاخالد بن سعيد بن العاص هو ألذى امتنع من بيعة أبى بكر و قال لاأبايع إلاعليا و قدذكرنا خبره فيما تقدم . و أما قوله فى الأنصار وعزاهم عن جفوة السلطان فإشارة إلى قول النبى ص ستلقون بعدى أثرة فاصبروا حتى تقدموا على الحوض -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۶۶ و هذاالخبر هو ألذى يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به و ذلك أن النعمان بن بشير الأنصارى جاء فى جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم و قالوا لقد صدق رسول الله ص فى قوله لنا ستلقون بعدى أثرة فقد لقيناها قال معاوية فما ذا قال لكم قالوا قال لنا فاصبروا حتى تردوا على الحوض -روايت-۱-۲-روايت-۴۵-۱۴۶ قال فافعلوا ماأمركم به عساكم تلاقونه غدا عندالحوض كماأخبركم وحرمهم و لم يعطهم شيئا. قال الزبير و قال خالد بن سعيد بن العاص فى ذلك تفوه عمرو بالذى لانريده || وصرح للأنصار عن شنأة البغض فإن تكن الأنصار زلت فإننا || نقيل و لانجزيهم بالقرض [صفحه ۳۳] فلاتقطعن ياعمرو ما كان بيننا || و لاتحملن ياعمرو بعضا على بعض أتنسى لهم ياعمرو ما كان منهم || ليالى جئناهم من النفل والفرض وقسمتنا الأموال كاللحم بالمدى || وقسمتنا الأوطان كل به يقضى ليالى كل الناس بالكفر جهرة || ثقال علينا مجمعون على البغض فساووا وآووا وانتهينا إلى المنى || وقر قرارانا من الأمن والخفض . قال الزبير ثم إن رجالا من سفهاء قريش ومثيرى الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص فقالوا له إنك لسان قريش ورجلها فى الجاهلية والإسلام فلاتدع الأنصار و ماقالت وأكثروا عليه من ذلك فراح إلى المسجد و فيه ناس من قريش وغيرهم فتكلم و قال إن الأنصار ترى لنفسها ما ليس لها وايم الله لوددت أن الله خلى عنا وعنهم وقضى فيهم وفينا بما أحب ولنحن الذين أفسدنا على أنفسنا أحرزناهم عن كل مكروه وقدمناهم إلى كل محبوب حتى أمنوا المخوف فلما جاز لهم ذلك صغروا حقنا و لم يراعوا ماأعظمنا من حقوقهم . ثم التفت فرأى الفضل بن العباس بن عبدالمطلب وندم على قوله للخئولة التى بين ولد عبدالمطلب و بين الأنصار ولأن الأنصار كانت تعظم عليا وتهتف باسمه حينئذ فقال الفضل ياعمرو إنه ليس لنا أن نكتم ماسمعنا منك و ليس لنا أن نجيبك و أبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل . ثم رجع الفضل إلى على فحدثه فغضب وشتم عمرا و قال آذى الله ورسوله ثم قام فأتى المسجد فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلم مغضبا فقال يامعشر قريش إن حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق و قدقضوا ماعليهم -روايت-۱-۲-روايت-۹-ادامه دارد [صفحه ۳۴] وبقى ماعليكم واذكروا أن الله رغب لنبيكم عن مكة فنقله إلى المدينة وكره له قريشا فنقله إلى الأنصار ثم قدمنا عليهم دارهم فقاسمونا الأموال وكفونا العمل فصرنا منهم بين بذل الغنى وإيثار الفقير ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم و قدأنزل الله تعالى فيهم آية من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نعم فقال وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّارَ وَ الإِيمانَ مِن قَبلِهِم يُحِبّونَ مَن هاجَرَ إِلَيهِم وَ لا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِم حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَ يُؤثِرُونَ عَلى أَنفُسِهِم وَ لَو

كانَ بِهِم خَصاصَـةٌ وَ مَن يُوقَ شُحّ نَفسِهِ فَأولئِکَ هُمُ المُفلِحُونَ.ألا و إن عمرو بن العاص قدقام مقاما آذی فيه الميت والحی ساء به الواتر وسر به الموتور فاستحق من المستمع الجواب و من الغائب المقت وإنه من أحب الله ورسوله أحب الأنصار فليكفف عمرو عنا نفسه –روايت–از قبل–٧۶۵ . قال الزبير فمشت قريش عند ذلک إلی عمرو بن العاص فقالوا أيها الرجل أما إذاغضب علی فاكفف . و قال خزيمة بن ثابت الأنصاری يخاطب قريشا أيا ل قريش أصلحوا ذات بيننا || وبينكم قدطال حبل التماحک فلاخير فيكم بعدنا فارفقوا بنا || و لاخير فينا بعدفهر بن مالک كلانا علی الأعداء كف طويلة || إذا كان يوم فيه جب الحوارک فلاتذكروا ما كان منا ومنكم || ففی ذكر ما قد كان مشی التساوک قال الزبير و قال علی للفضل يافضل انصر الأنصار بلسانک ويدک فإنهم منک وإنک منهم –روايت–١–٢–روايت–١۴–٩١ فقال الفضل قلت ياعمرو مقالا فاحشا || إن تعد ياعمرو و الله فلک [صفحه ٣۵] إنما الأنصار سيف قاطع || من تصبه ظبة السيف هلک وسيوف قاطع مضربها || وسهام الله فی يوم الحلک نصروا الدين وآووا أهله || منزل رحب ورزق مشترک و إذاالحرب تلظت نارها || بركوا فيها إذاالموت برک ودخل الفضل علی علی فأسمعه شعره ففرح به و قال وريت بک زنادی يافضل أنت شاعر قريش وفتاها فأظهر شعرک وابعث به إلی الأنصار فلما بلغ ذلک الأنصار قالت لاأحد يجيب إلاحسان الحسام فبعثوا إلی حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل فقال كيف أصنع بجوابه إن لم أتحر قوافيه فضحنی فرويدا حتی أقفو أثره فی القوافی فقال له خزيمة بن ثابت اذكر عليا وآله يكفک عن كل شیء فقال جزی الله عنا والجزاء بكفه || أباحسن عنا و من كأبی حسن سبقت قريشا بالذی أنت أهله || فصدرک مشروح وقلبک ممتحن تمنت رجال من قريش أعزة || مكانک هيهات الهزال من السمن و أنت من الإسلام فی كل موطن || بمنزلة الدلو البطين من الرسن غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة || أمات بهاالتقوی وأحيا بهاالإحن فكنت المرجی من لؤی بن غالب || لما كان منهم و الذی كان لم يكن حفظت رسول الله فينا وعهده || إليک و من أولی به منک من و من ألست أخاه فی الهدی ووصيه || وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن فحقک مادامت بنجد وشيجة || عظيم علينا ثم بعد علی اليمن قال الزبير وبعثت الأنصار بهذا الشعر إلی علی بن أبی طالب فخرج إلی المسجد –روايت–١–٢–روايت–١۴–ادامه دارد [صفحه ٣۶] و قال لمن به من قريش وغيرهم يامعشر قريش إن الله جعل الأنصار أنصارا فأثنی عليهم فی الكتاب فلاخير فيكم بعدهم إنه لايزال سفيه من سفهاء قريش وتره الإسلام ودفعه عن الحق وأطفأ شرفه وفضل غيره عليه يقوم مقاما فاحشا فيذكر الأنصار فاتقوا الله وارعوا حقهم فو الله لوزالوا لزلت معهم لأن رسول الله قال لهم أزول معكم حيثما زلتم –روايت–از قبل–٣۵٣ فقال المسلمون جميعا رحمک الله يا أبا الحسن قلت قولاـ صادقا. قال الزبير وترک عمرو بن العاص المدينة وخرج عنها حتی رضی عنه علی والمهاجرون قال الزبير ثم إن الوليد بن عقبة بن أبی معيط و كان يبغض الأنصار لأنهم أسروا أباه يوم بدر وضربوا عنقه بين يدی رسول الله قام يشتم الأنصار وذكرهم بالهجر فقال إن الأنصار لتری لها من الحق علينا ما لانراه و الله لئن كانوا آووا لقد عزوا بنا ولئن كانوا آسوا لقد منوا علينا و الله مانستطيع مودتهم لأنه لايزال قائل منهم يذكر ذلنا بمكة وعزنا بالمدينة و لاينفكون يعيرون موتانا ويغيظون أحياءنا فإن أجبناهم قالوا غضبت قريش علی غاربها ولكن قدهون علی ذلک منهم حرصهم علی الدين أمس واعتذارهم من الذنب اليوم ثم قال تباذخت الأنصار فی الناس باسمها || ونسبتها فی الأزد عمرو بن عامر وقالوا لنا حق عظيم ومنة || علی كل باد من معد وحاضر فإن يک للأنصار فضل فلم تنل || بحرمته الأنصار فضل المهاجر و إن تكن الأنصار آوت وقاسمت || معايشها من جاء قسمة جازر فقد أفسدت ما كان منها بمنها || و ماذاک فعل الأكرمين الأكابر إذا قال حسان وكعب قصيدة || بشتم قريش غنيت فی المعاشر وسار بهاالركبان فی كل وجهة || وأعمل فيها كل خف وحافر [صفحه ٣٧] فهذا لنا من كل صاحب خطبة || يقوم بهامنكم و من كل شاعر و أهل بأن يهجو بكل قصيدة || و أهل بأن يرموا بنبل فواقر . قال ففشا شعره فی الناس فغضبت الأنصار وغضب لها من قريش قوم منهم ضرار بن الخطاب الفهری وزيد بن الخطاب ويزيد بن أبی سفيان فبعثوا

إلى الوليـد فجاء.فتكلم زيد بن الخطاب فقال يا ابن عقبهٔ بن أبى معيط أما و الله لوكنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديـارهم وأموالهم يبتغون فضـلا من الله ورضوانا لأحببت الأنصار ولكنك من الجفاهٔ فى الإسـلام البطاء عنه الـذين دخلوا فيه بعد أن ظهر أمر الله وهم كـارهون إنا نعلم أناأتيناهم ونحن فقراء فأغنونا ثم أصـبنا الغنى فكفوا عنا و لم يرزءونا شـيئا فأما ذكرهم ذلهٔ قريش بمكـهٔ وعزهـا بالمدينـهٔ فكـذلك كنـا وكـذلك قـال الله تعـالى وَ اذكُرُوا إِذ أَنتُم قَلِيلٌ مُستَضعَفُونَ فِى الأَرضِ تَخافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُفنصـرنا الله تعالى بهم وآوانا إلى مدينتهم . و أماغضـبك لقريش فإنا لاننصر كافرا و لانواد ملحدا و لافاسقا ولقد قلت وقـالوا فقطعـك الخطيب وألجمـك الشـاعر. و أمـاذكرك ألـذى كـان بالأمـس فـدع المهاجرين والأنصار فإنك لست من ألسـنتهم فى الرضـا و لانحن من أيـديهم فى الغضب . وتكلم يزيـد بن أبى سـفيان فقال يا ابن عقبـهٔ الأنصار أحق بالغضب لقتلى أحـد فاكفف لسانك فإن من قتله الحق لايغضب له . وتكلم ضـرار بن الخطاب فقال أما و الله لو لا -قرآن-۵۸۸-۶۸۰ أن رسول الله ص قـال -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-ادامه دارد [صـفحه ۳۸] الأئمـهٔ من قريش -روايت-از قبل-۱۸ لقلنا الأئمـهٔ من الأنصار ولكن جـاء أمر غلب الرأى فـاقمع شـرتك أيهـا الرجـل و لا-تكن امرأ سوء فـإن الله لم يفرق بين الأنصـار والمهاجرين فى الـدنيا وكذلك الله لايفرق بينهم فى الآخرهٔ. وأقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبهٔ وشعره فدخل المسجد و فيه قوم من قريش فقـال يامعشـر قريش إن أعظم ذنبنـا إليكم قتلنا كفاركم وحمايتنا رسول الله ص و إن كنتم تنقمون منا منـهٔ كانت بالأمس فقـد كفى الله شـرها فمـا لنـا و مـالكم و الله مايمنعنـا من قتـالكم الجبن و لا من جوابكم العى إنا لحى فعال ومقال ولكنا قلنا إنها حرب أولهـا عار وآخرها ذل فأغضـينا عليها عيوننا وسـحبنا ذيولنا حتى نرى وتروا فإن قلتم قلنا و إن سـكتم سـكتنا.فلم يجبه أحد من قريش ثم سـكت كل من الفريقين عن صاحبه ورضـى القوم أجمعون وقطعوا الخلاف والعصبيهٔ.انتهى ماذكره الزبير بن بكار فى الموفقيـات ونعـود الآـن إلى ذكر مـاأورده أبـوبكر أحمـد بن عبـدالعزيز الجوهرى فى كتـاب السـقيفهٔ. قـال أبوبكر حـدثنى أبويوسف يعقوب بن شـيبهٔ عن بحر بن آدم عن رجـاله عن سـالم بن عبيـد قال لماتوفى رسول الله وقالت الأنصار منا أمير ومنكم أميرأخـذ عمر بيـد أبى بكر و قال سـيفان فى غمـد واحد إذا لايصلحان ثم قال من له هذه الثلاث ثانيَ اثنَينِ إِذ هُما فِى الغارِ من هماإِذ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحزَن من صاحبه إِنّ اللّهَ مَعَنا مع من ثم بسط يده إلى أبى بكر فبايعه فبايعه الناس أحسن بيعهٔ وأجملها. -قرآن-۱۱۰۱-۱۱۳۵-قرآن-۱۱۴۳-۱۱۷۴-قرآن-۱۱۸۵-۱۲۰۲ [صفحه ۳۹] قال أبوبكر حدثنا أحمد بن عبدالجبار العطاردى عن أبى بكر بن عياش عن زيد بن عبد الله قال إن الله تعالى نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد ع خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر فى قلوب الأمم بعدقلبه فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه فما رأى المسـلمون حسنا فهو عند الله حسن و مارأى المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ . قال أبوبكر بن عياش و قدرأى المسلمون أن يولوا أبابكر بعد النبى ص فكانت ولايته حسـنهٔ. قال أبوبكر و حدثنايعقوب بن شـيبهٔ قال لماقبض رسول الله ص و قال الأنصار منا أمير ومنكـم أمير قـال عمر أيهـا النـاس أيكـم يطيب نفسـا أن يتقـدم قـدمين قـدمهما رسـول الله ص فى الصـلاهٔ رضـيك الله لـديننا أ فلانرضاك لـدنيانا قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيـد عمر بن شـبهٔ قال حدثنى زيد بن يحيى الأنماطى قال حدثناصـخر بن جويريهٔ عن عبـدالرحمن بن القـاسم عن أبيه قـال أخـذ أبوبكر بيـد عمر ويـد رجل من المهاجرين يرونه أباعبيـدهٔ حتى انطلقوا إلى الأنصار و قداجتمعوا عندسعد فى سقيفهٔ بنى ساعدهٔ فقال عمر قلت لأبى بكر دعنى أتكلم وخشيت جد أبى بكر و كان ذا جد فقال أبوبكر لابل أناأتكلم فما هو و الله إلا أن انتهينا إليهم فما كان فى نفسى شىءأريد أن أقوله إلاأتى أبوبكر عليه فقال لهم يامعشر الأنصارماينكر حقكم مسلم إنا و الله ماأصبنا خيرا قط إلاشركتمونا [صفحه ۴۰] فيه لقد آويتم ونصرتم وآزرتم وواسيتم ولكن قدعلمتم أن العرب لا-تقر و لا-تطيع إلالا-مرئ من قريش هم رهـط النبى ص أوسط العرب وشـيجهٔ رحم وأوسط الناس دارا وأعرب الناس ألسـنا وأصـبح الناس أوجها و قدعرفتم بلاء ابن الخطاب فى الإسلام وقدمه هلم فلنبايعه . قال عمر بل إياك نبايع قال عمر فكنت

أول الناس مد يده إلى أبى بكر فبايعه إلارجلا من الأنصار أدخل يده بين يدى ويد أبى بكر فبايعه قبلى ووطئ الناس فراش سعد فقيل قتلتم سعدا فقال عمر قتل الله سعدا فوثب رجل من الأنصار فقال أناجذيلها المحكك وعذيقها المرجب فأخذ ووطئ فى بطنه ودسوا فى فيه التراب . قال أبوبكر وحدثنى يعقوب عن محمد بن جعفر عن محمد بن إسماعيل عن مختار اليمان عن عيسى بن زيد قال لمابويع أبوبكر جاء أبوسفيان إلى على فقال أغلبكم على هذاالأمر أذل بيت من قريش وأقلها أما و الله لئن شئت لأملأنها على أبى فصيل خيلا ورجلا ولأسدنها عليه من أقطارها فقال على يا أباسفيان طالما كدت الإسلام وأهله فما ضرهم شيئا أمسك عليك فإنا رأينا أبابكر لها أهلا. قال أبوبكر و حدثنايعقوب عن رجاله قال لمابويع أبوبكر تخلف على فلم يبايع فقيل لأبى بكر إنه كره إمارتك فبعث إليه أكرهت إمارتى قال لا ـ ولكن القرآن خشيت أن يزاد فيه فحلفت ألا ـ أرتدى رداء حتى أجمعه أللهم إلا إلى صلاة الجمعة. [صفحه ۴۱] فقال أبوبكر لقد أحسنت قال فكتبه ع كماأنزل بناسخه ومنسوخه . قال أبوبكر حدثنايعقوب عن أبى النضر عن محمد بن راشد عن مكحول أن رسول الله ص استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل فقدم بعد ماقبض رسول الله ص و قدبايع الناس أبابكر فدعاه إلى البيعة فأبى فقال عمر دعنى وإياه فمنعه أبوبكر حتى مضت عليه سنة ثم مر به أبوبكر و هوجالس على بابه فناداه خالد يا أبابكر هل لك فى البيعة قال نعم قال فادن فدنا منه فبايعه خالد و هوقاعد على بابه . قال أبوبكر و حدثنا أبويوسف يعقوب بن شيبة عن خالد بن مخلد عن يحيى بن عمر قال حدثنى أبو جعفرالباقر قال جاء أعرابى إلى أبى بكر على عهد رسول الله ص و قال له أوصنى فقال لاتأمر على اثنين ثم إن الأعرابى شخص إلى الربذة فبلغه بعد ذلك وفاة رسول الله ص فسأل عن أمر الناس من وليه فقيل أبوبكر فقدم الأعرابى إلى المدينة فقال لأبى بكر ألست أمرتنى ألا ـ أتأمر على اثنين قال بلى قال فما بالك فقال أبوبكر لم أجد لها أحدا غيرى أحق منى قال ثم رفع أبو جعفرالباقر يديه وخفضهما فقال صدق صدق -روايت-۱-۲-روايت-۱۱۰-۵۱۱ . قال أبوبكر و قدروى هذاالخبر برواية أتم من هذه الرواية حدثنايعقوب بن شيبة قال حدثنايحيى بن حماد قال حدثنا أبوعوانة عن سليمان الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن رافع بن أبى رافع الطائى قال بعث رسول الله ص جيشا فأمر عليهم عمرو بن العاص وفيهم أبوبكر وعمر وأمرهم [صفحه ۴۲] أن يستنفروا من مروا به فمروا علينا فاستنفرونا فنفرنا معهم فى غزاة ذات السلاسل وهى التى تفخر بها أهل الشام فيقولون استعمل رسول الله ص عمرو بن العاص على جيش فيه أبوبكر وعمر قال فقلت و الله لأختارن فى هذه الغزاة لنفسى رجلا من أصحاب رسول الله ص أستهديه فإنى لست أستطيع إتيان المدينة فاخترت أبابكر و لم آل و كان له كساء فدكى يخله عليه إذاركب ويلبسه إذانزل و هو ألذى عيرته به هوازن بعد النبى ص وقالوا لانبايع ذا الخلال قال فلما قضينا غزاتنا قلت له يا أبابكر إنى قدصحبتك و إن لى عليك حقا فعلمنى شيئا أنتفع به فقال قدكنت أريد ذلك لو لم تقل لى تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتحج البيت وتصوم شهر رمضان و لاتتأمر على رجلين فقلت أماالعبادات فقد عرفتها أرأيت نهيك لى عن الإمارة وهل يصيب الناس الخير والشر إلابالإمارة فقال إنك استجهدتنى فجهدت لك إن الناس دخلوا فى الإسلام طوعا وكرها فأجارهم الله من الظلم فهم جيران الله وعواد الله و فى ذمة الله فمن يظلم منكم إنما يحقر ربه و الله إن أحدكم ليأخذ شويهة جاره أوبعيره فيظل عمله بأسا بجاره و الله من وراء جاره قال فلم يلبث إلاقليلا حتى أتتنا وفاة رسول الله ص فسألت من استخلف بعده قيل أبوبكر قلت أصاحبى ألذى كان ينهانى عن الإمارة فشددت على راحلتى فأتيت المدينة فجعلت أطلب خلوته حتى قدرت عليها فقلت أتعرفنى أنافلان بن فلان أتعرف وصية أوصيتنى بها قال نعم إن رسول الله قبض و الناس حديثو عهد بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا و أن أصحابى حملونيها فما زال يعتذر إلى حتى عذرته وصار من أمرى بعد أن صرت عريفا. قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد عمر بن شبة عن رجاله عن الشعبى قال قام الحسن بن على ع إلى أبى بكر و هويخطب على المنبر فقال له انزل عن منبر أبى فقال -روايت-۱-۲-روايت-۶۷-ادامه دارد [صفحه ۴۳] أبوبكر صدقت و الله

إنه لمنبر أبيک لامنبر أبی فبعث علی إلی أبی بکر إنه غلام حدث وإنا لم نأمره فقال أبوبکر صدقت إنا لم نتهمک -روایت-از قبل-۱۳۹ . قال أبوبکر وروی أبوزید عن حباب بن یزید عن جریر عن المغیرة أن سلمان والزبیر وبعض الأنصار کان هواهم أن یبایعوا علیا بعد النبی ص فلما بویع أبوبکر قال سلمان للصحابة أصبتم الخیر ولکن أخطأتم المعدن قال و فی روایة أخری أصبتم ذا السن منکم ولکنکم أخطأتم أهل بیت نبیکم أما لوجعلتموها فیهم مااختلف منکم اثنان ولأکلتموها رغدا. قلت هذاالخبر هو ألذی رواه المتکلمون فی باب الإمامة عن سلمان أنه قال کردید ونکردید تفسره الشیعة فتقول أراد أسلمتم و ماأسلمتم ویفسره أصحابنا فیقولون معناه أخطأتم وأصبتم . قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثنا محمد بن یحیی قال حدثناغسان بن عبدالحمید قال لماأکثر فی تخلف علی عن البیعة واشتد أبوبکر وعمر فی ذلک خرجت أم مسطح بن أثاثة فوقفت عندقبر النبی ص ونادته یا رسول الله قد کان بعدک أنباء وهینمة || لوکنت شاهدها لم تکثر الخطب إنا فقدناک فقد الأرض وابلها || فاختل قومک فاشهدهم و لاتغب . قال أبوبکر أحمد بن عبدالعزیز وسمعت أبازید عمر بن شبة یحدث رجلا بحدیث لم أحفظ إسناده قال مر المغیرة بن شعبة بأبی بکر وعمر وهما جالسان علی باب النبی حین قبض فقال مایقعدکما قالا ننتظر هذا الرجل یخرج فنبایعه یعنیان علیا فقال أتریدون أن تنظروا حبل الحبلة من أهل هذاالبیت وسعوها فی قریش تتسع . [صفحه ۴۴] قال فقاما إلی سقیفة بنی ساعدة أوکلاما هذامعناه . قال أبوبکر وأخبرنا أبو جعفر محمد بن عبدالملک الواسطی عن یزید بن هارون عن سفیان بن حسین عن الزهری عن أنس بن مالک قال لمامرض رسول الله مرضه ألذی مات فیه أتاه بلال یؤذنه بالصلاة فقال بعدمرتین یابلال قدأبلغت فمن شاء فلیصل بالناس و من شاء فلیدع -روایت-۱-۲-روایت-۱۳۰-۲۷۰ . قال ورفعت الستور عن رسول الله فنظرنا إلیه کأنه ورقة بیضاء و علیه خمیصة له فرجع إلیه بلال فقال مروا أبابکر فلیصل بالناس قال فما رأیناه بعد ذلک ع . و قال أبوبکر وحدثنی أبو الحسن علی بن سلیمان النوفلی قال سمعت أبیا یقول ذکر سعد بن عبادة یوما علیا بعد یوم السقیفة فذکر أمرا من أمره نسیه أبو الحسن یوجب ولایته فقال له ابنه قیس بن سعد أنت سمعت رسول الله ص یقول هذاالکلام فی علی بن أبی طالب ثم تطلب الخلافة و یقول أصحابک منا أمیر ومنکم أمیر لاکلمتک و الله من رأسی بعد هذاکلمة أبدا. قال أبوبکر وحدثنی أبو الحسن علی بن سلیمان النوفلی قال حدثنی أبی قال حدثنی شریک بن عبد الله عن إسماعیل بن خالد عن زید بن علی بن الحسین عن أبیه عن جده قال قال علی کنت مع الأنصار لرسول الله ص علی السمع والطاعة له فی المحبوب والمکروه فلما عزالإسلام وکثر أهله قال یا علی زد فیها علی أن تمنعوا رسول الله و أهل بیته مما تمنعون منه أنفسکم وذراریکم قال فحملها علی ظهور القوم فوفی بها من وفی وهلک من هلک -روایت-۱-۲-روایت-۱۸۷-۴۴۴ مارواه أبوالفرج الأصفهانی فی کتاب مقاتل الطالبیین أن -روایت-۱-۲-روایت-۵۹-ادامه دارد [صفحه ۴۵] جعفر بن محمد ع وقف مستترا فی خفیة یشاهد المحامل التی حمل علیها عبد الله بن الحسن وأهله فی القیود والحدید من المدینة إلی العراق فلما مروا به بکی و قال ماوفت الأنصار و لاأبناء الأنصار لرسول الله ص بایعهم علی أن یمعنوا محمدا وأبناءه وأهله وذریته مما یمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذراریهم فلم یفوا أللهم اشدد وطأتک علی الأنصار -روایت-از قبل-۳۵۸ قال أبوبکر و حدثنا أبوسعید عبدالرحمن بن محمد قال حدثنا أحمد بن الحکم قال حدثنا عبد الله بن وهب عن لیث بن سعد قال تخلف علی عن بیعة أبی بکر فأخرج ملبیا یمضی به رکضا و هو یقول معاشر المسلمین علام تضرب عنق رجل من المسلمین لم یتخلف لخلاف وإنما تخلف لحاجة فما مر بمجلس من المجالس إلایقال له انطلق فبایع -روایت-۱-۲-روایت-۱۲۶-۳۲۸ قال أبوبکر و حدثنا علی بن جریر الطائی قال حدثنا ابن فضل عن الأجلح عن حبیب بن ثعلبة بن یزید قال سمعت علیا یقول أما ورب السماء و الأرض ثلاثا إنه لعهد النبی الأمی إلی لتغدرن بک الأمة من بعدی -روایت-۱-۲-روایت-۱۲۲-۲۰۸ . قال أبوبکر و حدثنا أبوزید عمر بن شبة بإسناد رفعه إلی ابن عباس قال إنی لأماشی عمر فی سکة من سکک المدینة یده فی یدی فقال یا ابن عباس ماأظن صاحبک إلامظلوما

فقلت فی نفسی و الله لایسبقنی بهافقلت یا أمیر المؤمنین فاردد إلیه ظلامته فانتزع یده من یدی ثم مر یهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال لی یا ابن عباس ماأظن القوم منعهم من صاحبک إلاأنهم استصغروه فقلت فی نفسی هذه شر من الأولی فقلت و الله ماا‌ستصغره الله حین أمره أن یأخذ سورة براءة من أبی بکر [صفحه ۴۶]

ذکر أمر فاطمة مع أبی بکر

فأما مارواه البخاری ومسلم فی الصحیحین من کیفیة المبایعة لأبی بکر بهذا اللفظ ألذی أورده علیک ولإسناد إلی عائشة أن فاطمة والعباس أتیا أبابکر یلتمسان میراثهما من النبی ص وهما حینئذ یطلبان أرضه من فدک وسهمه من خیبر فقال لهما أبوبکر إنی سمعت رسول الله ص یقول إنا معشر الأنبیاء لانورث ماترکناه صدقة إنما یأکل آل محمد من هذاالمال -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۲۵۵ وإنی و الله لاأدع أمرا رأیت رسول الله ص یصنعه إلاصنعته فهجرته فاطمة و لم تکلمه فی ذلک حتی ماتت فدفنها علی لیلا و لم یؤذن بها أبابکر و کان لعلی وجه من الناس فی حیاة فاطمة فلما توفیت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن علی فمکثت فاطمة ستة أشهر ثم توفیت فقال رجل للزهری و هوالراوی لهذا الخبر عن عائشة فلم یبایعه علی ستة أشهر قال و لاأحد من بنی هاشم حتی بایعه علی فلما رأی ذلک ضرع إلی مبایعة أبی بکر فأرسل إلی أبی بکر أن ائتنا و لایأت معک أحد وکره أن یأتیه عمر لماعرف من شدته فقال عمر لاتأتهم وحدک فقال أبوبکر و الله لآتینهم وحدی و ماعسی أن یصنعوا بی فانطلق أبوبکر حتی دخل علی علی و قدجمع بنی هاشم عنده فقام علی فحمد الله وأثنی علیه بما هوأهله ثم قال أما بعدفإنه لم یمنعنا أن نبایعک یا أبابکر إنکار لفضلک و لامنافسة لخیر ساقه الله إلیک ولکنا کنا نری أن لنا فی هذاالأمر حقا فاستبددتم به علینا -روایت-۱-۲۰۴ وذکر قرابته من رسول الله ص وحقه فلم یزل علی یذکر ذلک حتی بکی أبوبکر فلما صمت علی تشهد أبوبکر فحمد الله وأثنی علیه بما هوأهله ثم قال أما بعد [صفحه ۴۷] فو الله لقرابة رسول الله ص أحب إلی أن أصلها من قرابتی وإنی و الله ماآلوکم من هذه الأموال التی کانت بینی وبینکم إلاالخیر ولکنی سمعت رسول الله ص یقول لانورث ماترکناه صدقة وإنما یأکل آل محمد فی هذاالمال -روایت-۱-۲-روایت-۳۷-۹۶ وإنی و الله لاأترک أمرا صنعه رسول الله ص إلاصنعته إن شاء الله قال علی موعدک العشیة للبیعة فلما صلی أبوبکر الظهر أقبل علی الناس ثم عذر علیا ببعض مااعتذر به ثم قام علی فعظم من حق أبی بکر وذکر فضله وسابقته ثم مضی إلی أبی بکر فبایعه فأقبل الناس إلی علی فقالوا أصبت وأحسنت و کان علی قریبا إلی الناس حین قارب الأمر بالمعروف . وروی أبوبکر أحمد بن عبدالعزیز قال حدثنی أبوزید عمر بن شبة قال حدثنی ابراهیم بن المنذر قال حدثنا ابن وهب عن ابن لهیعة عن أبی الأسود قال غضب رجال من المهاجرین فی بیعة أبی بکر بغیر مشورة وغضب علی والزبیر فدخلا بیت فاطمة معهما السلاح فجاء عمر فی عصابة فیهم أسید بن حضیر وسلمة بن سلامة بن قریش وهما من بنی عبدالأشهل فاقتحما الدار فصاحت فاطمة وناشدتهما الله فأخذوا سیفیهما فضربوا بهما الحجر حتی کسروهما فأخرجهما عمر یسوقهما حتی بایعا. ثم قام أبوبکر فخطب الناس فاعتذر إلیهم و قال إن بیعتی کانت فلتة وقی الله شرها وخشیت الفتنة وایم الله ماحرصت علیها یوما قط و لاسألتها الله فی سر و لاعلانیة قط ولقد قلدت أمرا عظیما ما لی به طاقة و لایدان ولقد وددت أن أقوی الناس علیه مکانی. [صفحه ۴۸] فقبل المهاجرون و قال علی والزبیر ماغضبنا إلا فی المشورة وإنا لنری أبابکر أحق الناس بهاإنه لصاحب الغار وثانی اثنین وإنا لنعرف له سنه ولقد أمره رسول الله ص بالصلاة و هوحی. قال أبوبکر وذکر ابن شهاب بن ثابت أن قیس بن شماس أخا بنی الحارث من الخزرج کان مع الجماعة الذین دخلوا بیت فاطمة. قال وروی سعد بن ابراهیم أن عبدالرحمن بن عوف کان مع عمر ذلک الیوم و أن محمد بن مسلمة کان معهم و أنه هو ألذی کسر سیف الزبیر. قال أبوبکر

وحدثنی أبوزید عمر بن شبۀ عن رجاله قال جاء عمر إلی بیت فاطمۀ فی رجال من الأنصار ونفر قلیل من المهاجرین فقال و ألذی نفسی بیده لتخرجن إلی البیعۀ أولأحرقن البیت علیکم فخرج إلیه الزبیر مصلتا بالسیف فاعتنقه زیاد بن لبید الأنصاری و رجل آخر فندر السیف من یده فضرب به عمر الحجر فکسره ثم أخرجهم بتلابیبهم یساقون سوقا عنیفا حتی بایعوا أبابکر. قال أبوزید وروی النضر بن شمیل قال حمل سیف الزبیر لماندر من یده إلی أبی بکر و هو علی المنبر یخطب فقال اضربوا به الحجر قال أبوعمرو بن حماس ولقد رأیت الحجر و فیه تلک الضربۀ و الناس یقولون هذاأثر ضربۀ سیف الزبیر. قال أبوبکر وأخبرنی أبوبکر الباهلی عن إسماعیل بن مجالد عن الشعبی قال قال أبوبکر یاعمر أین خالد بن الولید قال هو هذا فقال انطلقا إلیهما یعنی علیا والزبیر فأتیانی بهما فانطلقا فدخل عمر ووقف خالد علی الباب من خارج فقال عمر للزبیر ما هذاالسیف قال أعددته لأبایع علیا قال و کان فی البیت ناس کثیر منهم المقداد بن الأسود وجمهور الهاشمیین فاخترط عمر السیف فضرب به صخرۀ فی البیت [صفحه ۴۹] فکسره ثم أخذ بید الزبیر فأقامه ثم دفعه فأخرجه و قال یاخالد دونک هذافأمسکه خالد و کان خارج البیت مع خالد جمع کثیر من الناس أرسلهم أبوبکر ردءا لهما ثم دخل عمر فقال لعلی قم فبایع فتلکأ واحتبس فأخذ بیده و قال قم فأبی أن یقوم فحمله ودفعه کمادفع الزبیر ثم أمسکهما خالد وساقهما عمر و من معه سوقا عنیفا واجتمع الناس ینظرون وامتلأت شوارع المدینۀ بالرجال ورأت فاطمۀ ماصنع عمر فصرخت وولولت واجتمع معها نساء کثیر من الهاشمیات وغیرهن فخرجت إلی باب حجرتها ونادت یا أبابکر ماأسرع ماأغرتم علی أهل بیت رسول الله و الله لاأکلم عمر حتی ألقی الله –روایت–۱–۲۰۴ . قال فلما بایع علی والزبیر وهدأت تلک الفورۀ مشی إلیها أبوبکر بعد ذلک فشفع لعمر وطلب إلیها فرضیت عنه . قال أبوبکر وحدثنی المؤمل بن جعفر قال حدثنی محمد بن میمون قال حدثنی داود بن المبارک قال أتینا عبد الله بن موسی بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علی بن أبی طالب ع ونحن راجعون من الحج فی جماعۀ فسألناه عن مسائل وکنت أحد من سأله فسألته عن أبی بکر وعمر فقال أجیبک بما أجاب به جدی عبد الله بن الحسن فإنه سئل عنهما فقال کانت أمنا صدیقۀ ابنۀ نبی مرسل وماتت وهی غضبی علی قوم فنحن غضاب لغضبها. قلت قدأخذ هذاالمعنی بعض شعراء الطالبیین من أهل الحجاز أنشدنیه النقیب جلال الدین عبدالحمید بن محمد بن عبدالحمید العلوی قال أنشدنی هذاالشاعر لنفسه وذهب عنی اسمه قال یا أباحفص الهوینی و ماکنت || ملیا بذاک لو لاالحمام [صفحه ۵۰] أتموت البتول غضبی ونرضی || ماکذا یصنع البنون الکرام .یخاطب عمر و یقول له مهلا ورویدا یاعمر أی ارفق واتئد و لاتعنف بنا و ماکنت ملیا أی و ماکنت أهلا لأن تخاطب بهذا وتستعطف و لاکنت قادرا علی ولوج دار فاطمۀ علی ذلک الوجه ألذی ولجتها علیه لو لا أن أباها ألذی کان بیتها یحترم ویصان لأجله مات فطمع فیها من لم یکن یطمع ثم قال أتموت أمنا وهی غضبی ونرضی نحن إذالسنا بکرام فإن الولد الکریم یرضی لرضا أبیه وأمه ویغضب لغضبهما. والصحیح عندی أنها ماتت وهی واجدۀ علی أبی بکر وعمر وأنها أوصت ألا یصلیا علیها و ذلک عندأصحابنا من الأمور المغفورۀ لهما و کان الأولی بهما إکرامها واحترام منزلها لکنهما خافا الفرقۀ وأشفقا من الفتنۀ ففعلا ما هوالأصلح بحسب ظنهما وکانا من الدین وقوۀ الیقین بمکان مکین لاشک فی ذلک والأمور الماضیۀ یتعذر الوقوف علی عللها وأسبابها و لایعلم حقائقها إلا من قدشاهدها ولابسها بل لعل الحاضرین المشاهدین لها یعلمون باطن الأمر فلایجوز العدول عن حسن الاعتقاد فیهما بما جری و الله ولی المغفرۀ والعفو فإن هذا لوثبت أنه خطأ لم یکن کبیرۀ بل کان من باب الصغائر التی لاتقتضی التبرؤ و لاتوجب زوال التولی. قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید عمر بن شبۀ قال حدثنا محمد بن حاتم عن رجاله عن ابن عباس قال مر عمر بعلی و أنامعه بفناء داره فسلم علیه فقال له علی أین ترید قال البقیع قال أ فلاتصل صاحبک ویقوم معک قال بلی فقال لی علی قم معه فقمت فمشیت إلی جانبه فشبک أصابعه فی أصابعی ومشینا قلیلا حتی إذاخلفنا البقیع قال لی یا ابن عباس أما و الله إن صاحبک هذاالأولی الناس بالأمر بعد رسول الله ص إلا أناخفناه علی اثنین قال ابن عباس فجاء بکلام لم أجد بدا من [صفحه

۵۱] مسألته عنه فقلت ماهما يا أمير المؤمنين قال خفناه على حداثة سنه وحبه بنى عبدالمطلب . قال أبوبكر وحدثنى أبوزيد قال حدثنى محمد بن عباد قال حدثنى أخى سعيد بن عباد عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبى بكر الصديق أنه قال ليتنى لم أكشف بيت فاطمة و لوأعلن على الحرب . قال أبوبكر و حدثنا الحسن بن الربيع عن عبدالرزاق عن معمر عن الزهرى عن على بن عبد الله بن العباس عن أبيه قال لماحضرت رسول الله ص الوفاة و فى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله ص ائتونى بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لاتضلون بعدى -روايت-۱-۲-روايت-۱۲۴-۲۶۶ فقال عمر كلمة معناها أن الوجع قدغلب على رسول الله ص ثم قال عندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف من فى البيت واختصموا فمن قائل يقول القول ما قال رسول الله ص و من قائل يقول القول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف غضب رسول الله فقال قوموا إنه لاينبغى لنبى أن يختلف عنده هكذا -روايت-۱-۲-روايت-۹-۵۶ فقاموا فمات رسول الله ص فى ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ماحال بيننا و بين كتاب رسول الله ص -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۸۶ يعنى الاختلاف واللغط. قلت هذاالحديث قدخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيرى فى صحيحيهما واتفق المحدثون كافة على روايته . قال أبوبكر و حدثنا أبوزيد عن رجاله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله -روايت-۱-۲ [صفحه ۵۲] ص إن تولوها أبابكر تجدوه ضعيفا فى بدنه قويا فى أمر الله و إن تولوها عمر تجدوه قويا فى بدنه قويا فى أمر الله و إن تولوها عليا و ماأراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يحملكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم -روايت-۶-۲۱۹ قال أبوبكر و حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح عن أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الأنصارى عن رجاله عن عبد الله بن عبدالرحمن أن رسول الله ص فى مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والأنصار منهم أبوبكر وعمر و أبوعبيدة بن الجراح و عبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وأمره أن يغير على مؤتة حيث قتل أبوه زيد و أن يغزو وادى فلسطين فتثاقل أسامة وتثاقل الجيش بتثاقله وجعل رسول الله ص فى مرضه يثقل ويخف ويؤكد القول فى تنفيذ ذلك البعث حتى قال له أسامة بأبى أنت وأمى أتأذن لى أن أمكث أياما حتى يشفيك الله تعالى فقال اخرج وسر على بركة الله فقال يا رسول الله إن أناخرجت و أنت على هذه الحال خرجت و فى قلبى قرحة منك فقال سر على النصر والعافية فقال يا رسول الله إنى أكره أن أسأل عنك الركبان فقال انفذ لماأمرتك به ثم أغمى على رسول الله ص وقام أسامة فتجهز للخروج فلما أفاق رسول الله ص سأل عن أسامة والبعث فأخبر أنهم يتجهزون فجعل يقول انفذوا بعث أسامة لعن الله من تخلف عنه وكرر ذلك -روايت-۱-۲-روايت-۱۲۹-۹۷۴ فخرج أسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه حتى إذا كان بالجرف نزل ومعه أبوبكر وعمر وأكثر المهاجرين و من الأنصار أسيد بن حضير وبشير بن سعد وغيرهم من الوجوه فجاءه رسول أم أيمن يقول له ادخل فإن رسول الله يموت فقام من فوره فدخل المدينة واللواء معه فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله و رسول الله قدمات فى تلك الساعة. قال فما كان أبوبكر وعمر يخاطبان أسامة إلى أن ماتا إلابالأمير [صفحه ۵۳]

۶۷- و من كلام له ع لماقلد محمد بن أبى بكر مصر فملكت عليه وقتل

اشاره

وَ قَد أَرَدتُ تَولِيَةَ مِصرَ هَاشِمَ بنَ عُتبَةَ وَ لَو وَلّيتُهُ إِيّاهَا لَمَا خَلّى لَهُمُ العَرصَةَ وَ لَا أَنهَزَهُمُ الفُرصَةَ بِلَا ذَمّ لِمُحَمّدِ بنِ أَبِى بَكرٍ فَلَقَد كَانَ إِلَيّ حَبِيباً وَ كَانَ لِى رَبِيباً

ذكر محمد بن أبى بكر وذكر ولده

أم محمـد بن أبى بكر أسـماء بنت عميس بن النعمـان بن كعب بن مالـك بن قحافـة بن خثعم كـانت تحت جعفر بن أبى طالب وهاجرت معه إلى الحبشـة فولـدت له هناك عبـد الله بن جعفرالجواد ثم قتل عنها يوم مؤتة فخلف عليها أبوبكر الصديق فأولدها محمدا ثم مات عنها فخلف عليها على بن أبى طالب و كان محمدربيبه وخريجه وجاريا عنده مجرى أولاده رضع الولاء والتشيع مـذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف له أبا غير على و لايعتقـد لأحد فضيـلة غيره حتى قال على ع محمدابنى من صلب أبى بكر -روايت-١-٢-روايت-١۶-۴٣ و كان يكنى أباالقاسم فى قول ابن قتيبة و قال غيره بل كان يكنى أبا عبدالرحمن . [صـفحه ۵۴] و كـان محمـد من نسـاك قريش و كـان ممن أعان على عثمان فى يوم الـدار واختلف هل باشـر قتل عثمان أم لا و من ولد محمـدالقاسم بن محمـد بن أبى بكر فقيه الحجاز وفاضـلها و من ولـد القاسم عبـدالرحمن بن القاسم بن محمـد كان من فضـلاء قريش ويكنى أبا محمـد و من ولـد القاسم أيضا أم فروة تزوجها الباقر أبو جعفر محمد بن على فأولدها الصادق أبا عبد الله جعفر بن محمـد ع و إلى أم فروة أشار الرضـى أبو الحسن بقوله يفاخرنا قوم بمن لم نلدهم || بتيم إذاعد السوابق أوعدى وينسون من لوقـدموه لقـدموا || عذار جواد فى الجياد مقلد فتى هاشم بعد النبى وباعها || لمرمى علا أونيل مجد وسؤدد و لو لا على ماعلوا سرواتهـا || و لا-جعجعوا فيهـابمرعى ومورد أخـذنا عليكم بالنبى وفاطم || طلاع المساعى من مقام ومقعـد وطلنا بسـبطى أحمد ووصيه || رقاب الورى من متهمين ومنجد وحزنا عتيقا و هوغاية فخركم || بمولد بنت القاسم بن محمد فجد نبى ثم جد خليفة || فأكرم بجـدينا عتيق و أحمـد و ماافتخرت بعد النبى بغيره || يد صـفقت يوم البياع على يد . قوله و لو لا على ماعلوا سـرواتها البيت ينظر فيه إلى قول المأمون فى أبيات يمـدح فيهاعليا أولها الأم على حبى الوصـى أبا الحسن || و ذلك عندى من أعاجيب ذا الزمن . والبيت المنظور إليه منها قوله [صفحه ۵۵] ولولاه ماعدت لهاشم إمرة || و كان مدى الأيام يعصى ويمتهن

هاشم بن عتبة بن أبى وقاص ونسبه

و أماهـاشم بن عتبـة بن أبى وقـاص مالـك بن أهيب بن عبـدمناف بن زهرة بن كلاـب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب فعمه سعـد بن أبى وقاص أحـد العشـرة وأبوه عتبة بن أبى وقاص ألذى كسـر رباعية رسول الله ص يوم أحد وكلم شـفتيه وشج وجهه فجعل يمسـح الـدم عن وجهه و يقول كيف يفلـح قوم خضـبوا وجه نبيهم بالـدم و هويدعوهـم إلى ربهم -روايت-١-٢-روايت-١١-٧۴ فـأنزل الله عز و جل لَيسَ لَکَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ أَو يَتُوبَ عَلَيهِم أَو يُعَـذِّبَهُم فَإِنَّهُم ظالِمُونَ. و قال حسان بن ثابت فى ذلك اليوم -قرآن-٢٢-١٠٧ إذا الله حيـا معشـرا بفعالهم || ونصـرهم الرحمن رب المشارق فهـدك ربى ياعتيب بن مالك || ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق بسـطت يمينا للنبى محمد || فدميت فاه قطعت بالبوارق فهلا ذكرت الله والمنزل ألذى || تصير إليه عندإحدى الصـعائق فمن عاذرى من عبدعذرة بعد ما || هوى فى دجوجى شديد المضايق [صـفحه ۵۶] وأورث عارا فى الحياة لأهله || و فى النار يوم البعث أم البوائق . وإنما قال عبدعـذرة لأن عتبة بن أبى وقاص وإخوته وأقاربه فى نسـبهم كلام ذكر قوم من أهل النسب أنهم من عـذرة وأنهم أدعياء فى قريش ولهم خبر معروف وقصـة مـذكورة فى كتب النسب . وتنازع عبـد الله بن مسـعود وسـعد بن أبى وقاص فى أيام عثمان فى أمر فاختصـما فقال سـعد لعبد الله اسكت يا عبدهذيل فقال له عبد الله اسكت يا عبدعذرة. وهاشم بن عتبة هوالمرقال سـمى المرقال لأنه كان يرقل فى الحرب إرقالا و هو من شيعه على وسنفصل مقتله إذاانتهينا إلى فصـل من كلاـمه يتضـمن ذكر صـفين .فأما قوله لماخلى لهم العرصـة فيعنى عرصـة مصـر و قـد كان محمـدرحمه الله تعالى

لماضاق علیه الأمر ترک لهم مصر وظن أنه بالفرار ینجو بنفسه فلم ینج وأخذ وقتل . و قوله و لاأنهزهم الفرصهٔ أی و لاجعلهم للفرصهٔ منتهزین والهمزهٔ للتعدیهٔ یقال أنهزت الفرصهٔ إذاأنهزتها غیری. ونحن نذکر فی هذاالموضع ابتداء أمر الذین ولاهم علی ع مصر إلی أن ننتهی إلی کیفیهٔ ملک معاویهٔ لها وقتل محمد بن أبی بکر وننقل ذلک من کتاب ابراهیم بن سعد بن هلال الثقفی و هو کتاب الغارات [صفحه ۵۷]

ولایهٔ قیس بن سعد علی مصر ثم عزله

قال ابراهیم حدثنا محمد بن عبد الله بن عثمان الثقفی قال حدثنی علی بن محمد بن أبی سیف عن الکلبی أن محمد بن أبی حذیفهٔ بن عتبهٔ بن ربیعهٔ بن عبدشمس هو ألذی حرض المصریین علی قتل عثمان وندبهم إلیه و کان حینئذ بمصر فلما ساروا إلی عثمان وحصروه وثب هوبمصر علی عامل عثمان علیها و هو عبد الله بن سعد بن أبی سرح أحد بنی عامر بن لؤی فطرده عنها وصلی بالناس فخرج ابن أبی سرح من مصر ونزل علی تخوم أرضها مما یلی فلسطین وانتظر ما یکون من أمر عثمان فطلع علیه راکب فقال له یا عبد الله ماوراءک ماخبر الناس بالمدینهٔ قال قتل المسلمون عثمان فقال ابن أبی سرح إنا لله وإنا إلیه راجعون ثم صنعوا ماذا یا عبد الله قال بایعوا ابن عم رسول الله علی بن أبی طالب فقال ثانیهٔ إنا لله وإنا إلیه راجعون فقال الرجل أری أن ولایهٔ علی عدلت عندک قتل عثمان قال أجل فنظر إلیه متأملا له فعرفه فقال أظنک عبد الله بن سعد بن أبی سرح أمیرمصر قال أجل قال إن کانت لک فی الحیاهٔ حاجهٔ فالنجاء النجاء فإن رأی علی فیک و فی أصحابک إن ظفر بکم قتلکم أونفاکم عن بلاد المسلمین و هذا أمیرتقدم بعدی علیکم قال و من الأمیر قال قیس بن سعد بن عبادهٔ فقال ابن أبی سرح أبعد الله ابن أبی حذیفهٔ فإنه بغی علی ابن عمه وسعی علیه و قد کان کفله ورباه وأحسن إلیه وأمن جواره فجهز الرجال إلیه حتی قتل ووثب علی عامله . وخرج ابن أبی سرح حتی قدم علی معاویهٔ بدمشق . قال ابراهیم و کان قیس بن سعد بن عبادهٔ من شیعهٔ علی ومناصحیه فلما ولی الخلافهٔ قال له سر إلی مصر فقد ولیتکها واخرج إلی ظاهر المدینهٔ واجمع ثقاتک و من -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-ادامه دارد [صفحه ۵۸] أحببت أن یصحبک حتی تأتی مصر ومعک جند فإن ذلک أرعب لعدوک وأعز لولیک فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلی المحسن واشتد علی المریب وارفق بالعامهٔ والخاصهٔ فالرفق یمن . فقال قیس رحمک الله یا أمیر المؤمنین قدفهمت ماذکرت فأما الجند فإنی أدعه لک فإذااحتجت إلیهم کانوا قریبا منک و إن أردت بعثهم إلی وجه من وجوهک کان لک عدهٔ ولکنی أسیر إلی مصر بنفسی و أهل بیتی و أما ماأوصیتنی به من الرفق والإحسان فالله تعالی هوالمستعان علی ذلک قال فخرج قیس فی سبعهٔ نفر من أهله حتی دخل مصر فصعد المنبر وأمر بکتاب معه یقرأ علی الناس فیه من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی من بلغه کتابی هذا من المسلمین سلام علیکم فإنی أحمد الله إلیکم ألذی لاإله إلا هو أما بعد فإن الله بحسن صنعه وقدره وتدبیره اختار الإسلام دینا لنفسه وملائکته ورسله وبعث به أنبیاءه إلی عباده فکان مما أکرم الله عز و جل به هذه الأمهٔ وخصهم به من الفضل أن بعث محمداص إلیهم فعلمهم الکتاب والحکمهٔ والسنهٔ والفرائض وأدبهم لکیما یهتدوا وجمعهم لکیلا یتفرقوا وزکاهم لکیما یتطهروا فلما قضی من ذلک ما علیه قبضه الله إلیه فعلیه صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه ثم إن المسلمین من بعده استخلفوا أمیرین منهم صالحین فعملا بالکتاب والسنهٔ وأحییا السیرهٔ و لم یعدوا السنهٔ ثم توفیا رحمهما الله فولی بعدهما وال أحدث أحداثا فوجدت الأمهٔ علیه مقالا فقالوا ثم نقموا فغیروا ثم جاءونی فبایعونی و أناأستهدی الله الهدی وأستعینه علی التقوی ألا-و إن لکم علینا العمل بکتاب الله وسنهٔ رسوله والقیام بحقه والنصح لکم بالغیب و الله المستعان علی ماتصفون وحسبنا الله ونعم الوکیل -روایت-از قبل-۱-روایت-۲-ادامه دارد [صفحه ۵۹] و قدبعثت لکم قیس بن

سعد الأنصاری أمیرا فوازروه وأعینوه علی الحق و قدأمرته بالإحسان إلی محسنکم والشدة علی مریبکم والرفق بعوامکم وخواصکم و هوممن أرضی هدیه وأرجو صلاحه ونصحه نسأل الله لنا ولکم عملا زاکیا وثوابا جزیلا ورحمة واسعة و السلام علیکم ورحمة الله وبرکاته -روایت-از قبل-٢٨٧ . وکتبه عبد الله بن أبی رافع فی صفر سنة ست وثلاثین . قال ابراهیم فلما فرغ من قراءة الکتاب قام قیس خطیبا فحمد الله وأثنی علیه و قال الحمد لله ألذی جاء بالحق وأمات الباطل وکبت الظالمین أیها الناس إنا بایعنا خیر من نعلم من بعدنبینا محمدص فقوموا فبایعوا علی کتاب الله وسنة رسوله فإن نحن لم نعمل بکتاب الله وسنة رسوله فلابیعة لنا علیکم .فقام الناس فبایعوا واستقامت مصر وأعمالها لقیس وبعث علیها عماله إلا أن قریة منها قدأعظم أهلها قتل عثمان و بها رجل من بنی کنانة یقال له یزید بن الحارث فبعث إلی قیس إنا لانأتیک فابعث عمالک فالأرض أرضک ولکن أقرنا علی حالنا حتی ننظر إلی مایصیر أمر الناس . ووثب محمد بن مسلمة بن مخلد بن صامت الأنصاری فنعی عثمان ودعا إلی الطلب بدمه فأرسل إلیه قیس ویحک أ علی تثب و الله ماأحب أن لی ملک الشام ومصر وأنی قتلتک فاحقن دمک فأرسل إلیه مسلمة إنی کاف عنک مادمت أنت والی مصر. و کان قیس بن سعد ذا رأی وحزم فبعث إلی الذین اعتزلوا أنی لاأکرهکم علی البیعة ولکنی أدعکم وأکف عنکم فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد وجبی الخراج و لیس أحد ینازعه . [صفحه ٦٠] قال ابراهیم وخرج علی ع إلی الجمل وقیس علی مصر ورجع من البصرة إلی الکوفة و هوبمکانه فکان أثقل خلق الله علی معاویة لقرب مصر وأعمالها من الشام ومخافة أن یقبل علی بأهل العراق ویقبل إلیه قیس بأهل مصر فیقع بینهما.فکتب معاویة إلی قیس و علی یومئذ بالکوفة قبل أن یسیر إلی صفین من معاویة بن أبی سفیان إلی قیس بن سعد سلام علیک فإنی أحمدإلیک الله ألذی لاإله إلا هو. أما بعدفإنکم إن کنتم نقمتم علی عثمان فی أثرة رأیتموها أوضربة سوط ضربها أو فی شتمه رجلا أوتعییره واحدا أو فی استعماله الفتیان من أهله فإنکم قدعلمتم إن کنتم تعلمون أن دمه لم یحل لکم بذلک فقد رکبتم عظیما من الأمر وجئتم شیئا إدا فتب یاقیس إلی ربک إن کنت من المجلبین علی عثمان إن کانت التوبة قبل الموت تغنی شیئا و أماصاحبک فقد استیقنا أنه أغری الناس بقتله وحملهم علی قتله حتی قتلوه و أنه لم یسلم من دمه عظم قومک فإن استطعت یاقیس أن تکون ممن یطلب بدم عثمان فافعل وتابعنا علی علی فی أمرنا هذا و لک سلطان العراقین إن أناظفرت مابقیت ولمن أحببت من أهل بیتک سلطان الحجاز مادام لی سلطان وسلنی عن غیر هذاмما تحب فإنک لاتسألنی شیئا إلاأتیته واکتب إلی رأیک فیما کتبت إلیک . فلما جاء إلیه کتاب معاویة أحب أن یدافعه و لایبدی له أمره و لایعجل له حربه فکتب إلیه أما بعدفقد وصل إلی کتابک وفهمت ألذی ذکرت من أمر عثمان و ذلک أمر لم أقاربه وذکرت أن صاحبی هو ألذی أغری الناس بعثمان ودسهم إلیه حتی قتلوه و هذاأمر لم أطلع علیه وذکرت لی أن عظم عشیرتی لم تسلم من دم عثمان فلعمری إن أولی [صفحه ٦١] الناس کان فی أمره عشیرتی و أما ماسألتنی من مبایعتک علی الطلب بدمه و ماعرضته علی فقد فهمته و هذاأمر لی نظر فیه وفکر و لیس هذاмما یعجل إلی مثله و أناکاف عنک و لیس یأتیک من قبلی شیءتکرهه حتی تری ونری إن شاء الله تعالی و السلام علیک ورحمة الله وبرکاته . قال ابراهیم فلما قرأ معاویة کتابه لم یره إلامقاربا مباعدا و لم یأمن أن یکون له فی ذلک مخادعا مکایدا فکتب إلیه أما بعدفقد قرأت کتابک فلم أرک تدنو فأعدک سلما و لم أرک تتباعد فأعدک حربا أراک کحبل الجرور و لیس مثلی یصانع بالخداع و لایخدع بالمکاید ومعه عدد الرجال وأعنة الخیل فإن قبلت ألذی عرضت علیک فلک ماأعطیتک و إن أنت لم تفعل ملأت مصر علیک خیلا ورجلا و السلام . فلما قرأ قیس کتابه وعلم أنه لایقبل منه المدافعة والمطاولة أظهر له ما فی نفسه فکتب إلیه من قیس بن سعد إلی معاویة بن أبی سفیان أما بعدفالعجب من استسقاطک رأیی والطمع فی أن تسومنی لا_ أبالغیرک الخروج من طاعة أولی الناس بالأمر وأقولهم بالحق وأهداهم سبیلا وأقربهم من رسول الله وسیلة وتأمرنی بالدخول فی طاعتک وطاعة أبعد الناس من هذاالأمر وأقولهم بالزور وأضلهم سبیلا وأدناهم من رسول الله وسیلة ولدیک قوم ضالون مضلون طواغیت

من طواغيت إبليس و أماقولك إنك تملأ على مصر خيلا ورجلا فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنك لذو جد و السلام . فلما أتى معاوية كتاب قيس أيس وثقل مكانه عليه و كان أن يكون مكانه غيره أحب إليه لمايعلم من قوته وتأبيه ونجدته واشتداد أمره على معاوية فأظهر للناس أن [صفحه ۶۲] قيسا قدبايعكم فادعوا الله له وقرأ عليهم كتابه ألذى لان فيه وقاربه واختلق كتابا نسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام .للأمير معاوية بن أبى سفيان من قيس بن سعد. أما بعد إن قتل عثمان كان حدثا فى الإسلام عظيما و قدنظرت لنفسى ودينى فلم أر يسعنى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما محرما برا تقيا فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا ألا وإنى قدألقيت إليكم بالسلام وأجبتك إلى قتال قتلة إمام الهدى المظلوم فاطلب منى ماأحببت من الأموال والرجال أعجله إليك إن شاء الله و السلام على الأمير ورحمة الله وبركاته . قال فشاع فى الشام كلها أن قيسا صالح معاوية وأتت عيون على بن أبى طالب إليه بذلك فأعظمه وأكبره وتعجب له ودعا ابنيه حسنا وحسينا وابنه محمدا و عبد الله بن جعفرفأعلمهم بذلك و قال مارأيكم فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين دع مايريبك إلى ما لايريبك اعزل قيسا عن مصر قال على و الله إنى غيرمصدق بهذا على قيس فقال عبد الله اعزله يا أمير المؤمنين فإن كان ما قدقيل حقا فلايعتزل لك أن عزلته قال وإنهم لكذلك إذ جاءهم كتاب من قيس بن سعد فيه أما بعدفإنى أخبر يا أمير المؤمنين أكرمك الله وأعزك إن قبلى رجالا معتزلين سألونى أن أكف عنهم وأدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويرون و قدرأيت أن أكف عنهم و لاأعجل بحربهم و أن أتألفهم فيما بين ذلك لعل الله أن يقبل بقلوبهم ويفرقهم عن ضلالتهم إن شاء الله و السلام . فقال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين إنك إن أطعته فى تركهم واعتزالهم استشرى الأمر وتفاقمت الفتنة وقعد عن بيعتك كثير ممن تريده على الدخول فيها ولكن مره بقتالهم فكتب إليه -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-ادامه دارد [صفحه ۶۳] أما بعدفسر إلى القوم الذين ذكرت فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون و إلافناجزهم و السلام -روايت-از قبل-۹۶ قال فلما أتى هذاالكتاب قيسا فقرأه لم يتمالك أن كتب إلى على أما بعد يا أمير المؤمنين تأمرنى بقتال قوم كافين عنك و لم يمدوا يدا للفتنة و لاأرصدوا لها فأطعنى يا أمير المؤمنين وكف عنهم فإن الرأى تركهم و السلام . فلما أتاه هذاالكتاب قال عبد الله بن جعفر يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبى بكر إلى مصر يكفك أمرها واعزل قيسا فو الله لبلغنى أن قيسا يقول إن سلطانا لايتم إلابقتل مسلمة بن مخلد لسلطان سوء و الله ماأحب أن لى سلطان الشام مع سلطان مصر وأننى قتلت ابن مخلد و كان عبد الله بن جعفرأخا محمد بن أبى بكر لأمه و كان يحب أن يكون له إمرة وسلطان فاستعمل على ع محمد بن أبى بكر على مصر لمحبة له ولهوى عبد الله بن جعفرأخيه فيه وكتب معه كتابا إلى أهل مصر فسار حتى قدمها فقال له قيس مابال أمير المؤمنين ماغيره أدخل أحد بينى وبينه قال لا و هذاالسلطان سلطانك و كان بينهما نسب كان تحت قيس قريبة بنت أبى قحافة أخت أبى بكر الصديق فكان قيس زوج عمته فقال قيس لا و الله لاأقيم معك ساعة واحدة وغضب حين عزله على عنها وخرج منها مقبلا إلى المدينة و لم يمض إلى على بالكوفة. قال ابراهيم و كان قيس مع شجاعته ونجدته جوادا مفضالا فحدثنى على بن محمد بن أبى سيف عن هاشم عن عروة عن أبيه قال لماخرج قيس بن سعد من مصر فمر بأهل بيت من بلقين فنزل بمائهم فنحر له صاحب المنزل جزورا وأتاه بها فلما كان الغد نحر له أخرى ثم حبستهم السماء اليوم الثالث فنحر لهم ثالثة ثم إن السماء أقلعت [صفحه ۶۴] فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عشرين ثوبا من ثياب مصر وأربعة آلاف درهم عندامرأة الرجل و قال لها إذاجاء صاحبك فادفعى هذه إليه ثم رحل فما أتت عليه إلاساعة حتى لحقه الرجل صاحب المنزل على فرس ومعه رمح والثياب والدراهم بين يديه فقال ياهؤلاء خذوا ثيابكم ودراهمكم فقال قيس انصرف أيها الرجل فإنا لم نكن لنأخذها قال و الله لتأخذنها فقال قيس لله أبوك أ لم تكرمنا وتحسن ضيافتنا فكافأناك فليس بهذا بأس فقال الرجل إنا لانأخذ لقرى الأضياف ثمنا و الله لاآخذها أبدا فقال قيس أماإذ أبى ألا يأخذها فخذوها فو الله مافضلنى رجل من العرب غيره . قال ابراهيم و قال أبوالمنذر مر قيس فى طريقه برجل من بلى يقال له

الأسود بن فلان فأكرمه فلما أراد قيس أن يرتحل وضع عندامرأته ثيابا ودراهم فلما جاء الرجل دفعته إليه فلحقه فقال ما أنابائع ضيافتي و الله لتأخذن هذا أولأنفذن الرمح بين جنبيك فقال قيس ويحكم خذوه . قال ابراهيم ثم أقبل قيس حتى قدم المدينة فجاءه حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له نزعك على بن أبى طالب و قدقتلت عثمان فبقى عليك الإثم و لم يحسن لك الشكر فزجره قيس و قال ياأعمى القلب ياأعمى البصر و الله لو لاألقى بين رهطى ورهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده . قال ابراهيم ثم إن قيسا وسهل بن حنيف خرجا حتى قدما على على الكوفة فخبره قيس الخبر و ما كان بمصر فصدقه وشهد مع على صفين هو وسهل بن حنيف قال ابراهيم و كان قيس طوالا أطول الناس وأمدهم قامة و كان سناطا أصلع شيخا شجاعا مجربا مناصحا لعلى ولولده و لم يزل على ذلك إلى أن مات . [صفحه ۶۵] قال ابراهيم حدثنى أبوغسان قال أخبرنى على بن أبى سيف قال كان قيس بن سعد مع أبى بكر وعمر فى سفر فى حياة رسول الله ص فكان ينفق عليهما و على غيرهما ويفضل فقال له أبوبكر إن هذا لايقوم به مال أبيك فأمسك يدك فلما قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبى بكر أردت أن تبخل ابنى إنا لقوم لانستطيع البخل . قال و كان قيس بن سعد يقول فى دعائه أللهم ارزقنى حمدا ومجدا وشكرا فإنه لاحمد إلابفعال و لامجد إلابمال أللهم وسع على فإن القليل لايسعنى و لاأسعه

ولاية محمد بن أبى بكر على مصر وأخبار مقتله

قال ابراهيم و كان عهد على إلى محمد بن أبى بكر ألذى قرئ بمصر هذا ماعهد عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبى بكر حين ولاه مصر أمره بتقوى الله فى السر والعلانية وخوف الله تعالى فى المغيب والمشهد وأمره باللين على المسلم والغلظ على الفاجر وبالعدل على أهل الذمة وبالإنصاف للمظلوم وبالشدة على الظالم وبالعفو عن الناس وبالإحسان مااستطاع و الله يجزى المحسنين وأمره أن يدعو من قبله إلى الطاعة والجماعة فإن لهم فى ذلك من العاقبة وعظم المثوبة ما لايقدر قدره و لايعرف كنهه وأمره أن يجبى خراج الأرض على ماكانت تجبى عليه من قبل و لاينتقص و لايبتدع ثم يقسمه بين أهله كماكانوا يقسمونه عليه من قبل و إن تكن لهم حاجة يواس بينهم فى مجلسه ووجهه ليكون القريب والبعيد عنده على سواء وأمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و لايتبع الهوى و لايخاف فى الله لومة لائم فإن الله مع من اتقاه وآثر طاعته على من سواه - روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۸۸۷ [صفحه ۶۶] وكتبه عبد الله بن أبى رافع مولى رسول الله لغرة شهر رمضان سنة ست وثلاثين . قال ابراهيم ثم قام محمد بن أبى بكر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه و قال أما بعدفالحمد لله ألذى هدانا وإياكم لمااختلف فيه من الحق وبصرنا وإياكم كثيرا مما عمى عنده الجاهلون ألا و إن أمير المؤمنين ولانى أموركم وعهد إلى بما سمعتم وأوصانى بكثير منه مشافهة ولن آلوكم خيرا مااستطعت و ماتوفيقى إلابالله عليه توكلت و إليه أنيب فإن يكن ماترون آثارى وأعمالى طاعة لله وتقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فإنه هوالهادى إليه فإن رأيتم من ذلك عملا بغير الحق فارفعوه إلى وعاتبونى عليه فإنى بذلك أسعد وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح العمل . قال ابراهيم وحدثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدى عن الحسن بن ابراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب على ع إلى أهل مصر لمابعث محمد بن أبى بكر إليهم كتابا يخاطبهم به ويخاطب محمدا أيضا فيه أما بعدفإنى أوصيكم بتقوى الله فى سر أمركم وعلانيته و على أى حال كنتم عليها وليعلم المرء منكم أن الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فمن استطاع أن يؤثر مايبقى على مايفنى فليفعل فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى رزقنا الله وإياكم بصرا لمابصرنا وفهما لمافهمنا حتى لانقصر عما أمرنا و لانتعدى إلى مانهانا واعلم يا محمدإنك و إن كنت محتاجا إلى نصيبك من الدنيا إلاأنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج فإن عرض لك أمران أحدهما

للآخرة والآخر للـدنيا فابدأ بأمر الآخرة ولتعظم رغبتك فى الخير ولتحسن فيه نيتك فإن الله عز و جل يعطى العبد على قدر نيته و إذاأحب الخير وأهله و لم يعمله كـان إن شـاء الله كمن عمله فـإن رسـول الله ص قـال حين رجع من تبوك إن بالمدينـة لأقواما ماسرتم من مسير و لاهبطتم من واد إلا -روايت-١-٢-روايت-٢٣٠-ادامه دارد [صفحه ۶٧] كانوا معكم ماحبسهم إلاالمرض يقول كانت لهم نيـة ثم اعلم يا محمـدإنى قدوليتك أعظم أجنادى أهل مصر ووليتك ماوليتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك وتحذر فيه على دينك و لو كان ساعة من نهار فإن استطعت ألا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل فـإن فى الله خلفـا مـن غيره و ليس فى شـىءخلف منـه فاشـتد على الظـالم ولـن لأهـل الخير وقربهـم إليـك واجعلهـم بطـانتك وإخوانك و السلام -روايت-از قبل-۴٠٢ قال ابراهيم حدثنى يحيى بن صالح عن مالك بن خالد عن الحسن بن ابراهيم عن عبد الله بن الحسن بن الحسن قال كتب على إلى محمد بن أبى بكر و أهل مصر أما بعدفإنى أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسئولون فأنتم به رهن و إليه صائرون فإن الله عز و جل يقول كُلّ نَفسٍ بِما كَسَبَت رَهِينَةٌ و قال وَ يُحَذّرُكُمُ اللّهُ نَفسَهُ وَ إِلَى اللّهِ المَصِيرُ و قـال فَوَ رَبّكَ لَنَسئَلَنّهُم أَجمَعِينَ عَمّا كانُوا يَعمَلُونَفاعلموا عباد الله أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير فـإن يعـذب فنحن الظالمون و إن يغفر ويرحم فهو أرحم الراحمين واعلموا أن أقرب ما يكون العبـد إلى الرحمـة والمغفرة حينما يعمل بطاعـة الله ومناصحته فى التوبة فعليكم بتقوى الله عز و جل فإنها تجمع من الخير ما لايجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لايـدرك بغيرها خير الـدنيا وخير الآخرة يقول الله سبحانه وَ قِيلَ لِلّذِينَ اتّقَوا ما ذا أَنزَلَ رَبّكُم قالُوا خَيراً لِلّذِينَ أَحسَنُوا فِي هذِهِ الدّنيا حَسَنَةٌ وَ لَدارُ الآخِرَةِ خَيرٌ وَ لَنِعمَ دارُ المُتّقِينَ واعلموا عباد الله أن المؤمنين المتقين قدذهبوا بعاجل الخير وآجله شركوا أهل الدنيا فى دنياهم -روايت-١-٢-روايت-١٢٠-ادامه دارد [صفحه ۶٨] و لم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم يقول الله عز و جل قُل مَن حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التّيِ أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطّيّباتِ مِنَ الرّزقِ قُل هيِ‌َ لِلّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدّنيا خالِصَةً يَومَ القِيامَةِسكنوا الدنيا بأفضل ماسكنت وأكلوها بأفضل ماأكلت شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم فأكلوا من أفضل مايأكلون وشربوا من أفضل مايشربون ويلبسون من أفضل مايلبسون ويسكنون من أفضل مايسكنون أصابوا لذة أهل الدنيا مع أهل الدنيا مع أنهم غدا من جيران الله عز و جل يتمنون عليه لايرد لهم دعوة و لاينقص لهم لـذة أما فى هـذا مايشـتاق إليه من كان له عقل واعلموا عباد الله أنكم إذااتقيتم ربكم وحفظتم نبيكم فى أهـل بيته فقـد عبـدتموه بأفضـل ما عبـد وذكرتموه بأفضل ماذكر وشكرتموه بأفضل ماشكر وأخـذتم بأفضل الصبر وجاهـدتم بأفضل الجهاد و إن كان غيركم أطول صـلاة منكم وأكثر صـياما إذاكنتم أتقى لله وأنصح لأولياء الله من آل محمـدص وأخشع واحـذروا عباد الله الموت ونزوله وخذوله فإنه يدخل بأمر عظيم خير لا يكون معه شر أبدا أوشر لا يكون معه خير أبـدا و ليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أى المنزلتين يصير إلى الجنة أم إلى النار أعدو هولله أم ولى له فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنة وشرع له طريقها ونظر إلى ماأعد الله عز و جل لأوليائه فيهافرغ من كل شـغل ووضـع عنه كـل ثقل و إن كان عـدوا فتحت له أبواب النار وسـهل له طريقها ونظر إلى ماأعـد الله فيهالأهلها واسـتقبل كل مكروه وفارق كـل سـرور قـال الله تعالى الّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالمِيِ أَنفُسِهِم فَأَلقَوُا السّلَمَ ما كُنّا نَعمَلُ مِن سُوءٍ بَلى إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما كُنتُم تَعمَلُونَ فَادخُلُوا أَبوابَ جَهَنّمَ خالِدِينَ فِيها فَلَبِئسَ مَثوَى المُتَكَبّرِينَ واعلموا عباد الله أن الموت ليس منه فوت فاحذروه وأعدوا له عدته فإنكم -روايت-از قبل-١۶٧٨ [صفحه ۶٩] طرداء للموت إن قمتم أخـذكم و إن هربتم أدرككم و هوألزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم والـدنيا تطوى من خلفكم فـأكثروا ذكر الموت عنـد ماتنـازعكم إليه أنفسكم من الشـهوات فإنه كفى بالموت واعظا قال رسول الله ص أكثروا ذكر الموت فإنه هادم اللـذات واعلموا عباد الله أن ما بعدالموت أشد من الموت لمن لم يغفر الله له ويرحمه واحـذروا القبر وضـمته وضـيقه وظلمته فإنه ألـذى يتكلم كل يوم أنابيت التراب و أنابيت الغربة و أنابيت الدود والقبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار إن المسـلم إذامات قالت له الأرض مرحبا وأهلا قدكنت ممن أحب أن تمشى على

ظهری فإذ ولیتک فستعلم کیف صنعی بک فیتسع له مد بصره و إذادفن الکافر قالت له الأرض لامرحبا و لاأهلا قدکنت ممن أبغض أن تمشی علی ظهری فإذ ولیتک فستعلم کیف صنعی بک فتنضم علیه حتی تلتقی أضلاعه واعلموا أن المعیشة الضنک التی قال سبحانه فَإِنّ لَهُ مَعِیشَةً ضَنکاًهی عذاب القبر فإنه یسلط علی الکافر فی قبره حیات عظام تنهش لحمه حتی یبعث لو أن تنینا منها نفخ الأرض ماأنبت الزرع أبدا اعلموا عباد الله أن أنفسکم وأجسادکم الرقیقة الناعمة التی یکفیها الیسیر من العقاب ضعیفة عن هذا فإن استطعتم أن ترحموا أنفسکم وأجسادکم مما لاطاقة لکم به و لاصبر لکم علیه فتعملوا بما أحب الله سبحانه وتترکوا ماکره فافعلوا و لاحول و لاقوة إلابالله واعلموا عباد الله أن ما بعدالقبر أشد من القبر یوم یشیب فیه الصغیر ویسکر فیه - روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۷۰] الکبیر وتذهل کل مرضعة عما أرضعت واحذروا یوما عبوسا قمطریرا کان شره مستطیرا أما إن شر ذلک الیوم وفزعه استطار حتی فزعت منه الملائکة الذین لیست لهم ذنوب والسبع الشداد والجبال الأوتاد والأرضون المهاد وانشقت السماء فهی یومئذ واهیة وتغیرت فکانت وردة کالدهان وکانت الجبال سرابا بعد ماکانت صما صلابا یقول الله سبحانه وَ نُفِخَ فِی الصّورِ فَصَعِقَ مَن فِی السّماواتِ وَ مَن فِی الأَرضِ إِلّا مَن شاءَ اللّهُفکیف بمن یعصیه بالسمع والبصر واللسان والید والفرج والبطن إن لم یغفر الله ویرحم واعلموا عباد الله أن ما بعد ذلک الیوم أشد وأدهی نار قعرها بعید وحرها شدید وعذابها جدید ومقامعها حدید وشرابها صدید لایفتر عذابها و لایموت ساکنها دار لیست لله سبحانه فیهارحمة و لایسمع فیهادعوة و مع هذارحمة الله التی وسعت کل شیء لاتعجز عن العباد وجنة عرضها کعرض السماء و الأرض خیر لا یکون بعده شر أبدا وشهوة لاتنفد أبدا ولذة لاتفنی أبدا ومجمع لایتفرق أبدا قوم قدجاوروا الرحمن وقام بین أیدیهم الغلمان بصحاف من ذهب فیهاالفاکهة والریحان و إن أهل الجنة یزورون الجبار سبحانه فی کل جمعة فیکون أقربهم منه علی منابر من نور والذین یلونهم علی منابر من یاقوت والذین یلونهم علی منابر من مسک فبینا هم کذلک ینظرون الله جل جلاله وینظر الله فی وجوههم إذ أقبلت سحابة تغشاهم فتمطر علیهم من النعمة واللذة والسرور والبهجة ما لایعلمه إلا الله سبحانه و مع هذا ما هوأفضل منه رضوان الله الأکبر أماإنا لو لم نخوف إلاببعض ماخوفنا به لکنا محقوقین أن یشتد خوفنا مما لاطاقة -روایت-از قبل-۱۴۱۱ [صفحه ۷۱] لنا به و لاصبر لقوتنا علیه و أن یشتد شوقنا إلی ما لاغنی لنا عنه و لابد لنا منه فإن استطعتم عباد الله أن یشتد خوفکم من ربکم فافعلوا فإن العبد إنما تکون طاعته علی قدر خوفه و إن أحسن الناس لله طاعة أشدهم له خوفا وانظر یا محمدصلاتک کیف تصلیها فإنما أنت إمام ینبغی لک أن تتمها و أن تخففها و أن تصلیها لوقتها فإنه لیس من إمام یصلی بقوم فیکون فی صلاته وصلاتهم نقص إلا کان إثم ذلک علیه و لاینقص من صلاتهم شیئا واعلم أن کل شیء من عملک یتبع صلاتک فمن ضیع الصلاة فهو لغیرها أشد تضییعا ووضوءک من تمام الصلاة فأت به علی وجهه فالوضوء نصف الإیمان أسأل الله ألذی یری و لایری و هوبالمنظر الأعلی أن یجعلنا وإیاک من المتقین الذین لاخوف علیهم و لاهم یحزنون فإن استطعتم یا أهل مصر أن تصدق أقوالکم أفعالکم و أن یتوافق سرکم وعلانیتکم و لاتخالف ألسنتکم قلوبکم فافعلوا عصمنا الله وإیاکم بالهدی وسلک بنا وبکم المحجة الوسطی وإیاکم ودعوة الکذاب ابن هند وتأملوا واعلموا أنه لاسوی إمام الهدی وإمام الردی ووصی النبی وعدو النبی جعلنا الله وإیاکم ممن یحب ویرضی ولقد سمعت رسول الله ص یقول إنی لاأخاف علی أمتی مؤمنا و لامشرکا أماالمؤمن فیمنعه الله بإیمانه و أماالمشرک فیخزیه الله بشرکه ولکنی أخاف علیهم کل منافق اللسان یقول ماتعرفون ویفعل ماتنکرون واعلم یا محمد أن أفضل الفقه الورع فی دین الله والعمل بطاعته فعلیک بالتقوی فی سر أمرک وعلانیته أوصیک بسبع هن جوامع الإسلام اخش الله و لاتخش الناس فی الله وخیر القول ماصدقه العمل و لاتقض فی أمر واحد بقضاءین مختلفین فیتناقض - روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۷۲] أمرک وتزیغ عن الحق وأحب لعامة رعیتک ماتحبه لنفسک واکره لهم ماتکره لنفسک وأصلح أحوال رعیتک وخض الغمرات إلی الحق و لاتخف لومة لائم وانصح لمن استشارک واجعل نفسک أسوة لقریب

المسلمين وبعيدهم جعل الله خلتنا وودنا خلة المتقين وود المخلصين وجمع بيننا وبينكم فى دار الرضوان إخوانا على سرر متقابلين إن شاء الله -روايت-از قبل-٣٣٩ . قال ابراهيم بن سعد الثقفى فحدثنى عبد الله بن محمد بن عثمان عن على بن محمد بن أبى سيف عن أصحابه أن عليا لماكتب إلى محمد بن أبى بكر هذاالكتاب كان ينظر فيه ويتأدب بأدبه فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية فكان معاوية ينظر فى هذاالكتاب ويتعجب منه فقال الوليد بن عقبة و هو عندمعاوية و قدرأى إعجابه به مر بهذه الأحاديث أن تحرق فقال معاوية مه لارأى لک فقال الوليد أفمن الرأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبى تراب عندک تتعلم منها قال معاوية ويحک أتأمرنى أن أحرق علما مثل هذا و الله ماسمعت بعلم هوأجمع منه و لاأحكم فقال الوليد إن كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله فقال لو لا أن أباتراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال إنا لانقول إن هذه من كتب على بن أبى طالب ولكن نقول هذه من كتب أبى بكر الصديق كانت عندابنه محمدفنحن ننظر فيها ونأخذ منها. قال فلم تزل تلک الكتب فى خزائن بنى أمية حتى ولى عمر بن عبدالعزيز فهو ألذى أظهر أنها من أحاديث على بن أبى طالب ع . قلت الأليق أن يكون الكتاب ألذى كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه [صفحه ٧٣] ويفتى به ويقضى بقضاياه وأحكامه هوعهد على ع إلى الأشتر فإنه نسيج وحده و منه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة و هذاالعهد صار إلى معاوية لماسم الأشتر ومات قبل وصوله إلى مصر فكان ينظر فيه ويعجب منه وحقيق من مثله أن يقتنى فى خزائن الملوک . قال ابراهيم فلما بلغ عليا ع أن ذلک الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزنا. وحدثنى بكر بن بكار عن قيس بن الربيع عن ميسرة بن حبيب عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال صلى بنا على ع فلما انصرف قال -روايت-١-٢-روايت-١٠٢-١٣٦ لقد عثرت عثرة لاأعتذر || سوف أكيس بعدها وأستمر وأجمع الأمر الشتيت المنتشر فقلنا مابالک يا أمير المؤمنين فقال إنى استعملت محمد بن أبى بكر على مصر فكتب إلى أنه لاعلم لى بالسنة فكتبت إليه كتابا فيه أدب وسنة فقتل وأخذ الكتاب -روايت-١-١٦١ قال ابراهيم فحدثنى عبد الله محمد عن ابن أبى سيف المدائنى قال فلم يلبث محمد بن أبى بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئک المعتزلين الذين كان قيس بن سعد موادعا لهم فقال ياهؤلاء أما أن تدخلوا فى طاعتنا و أما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه أنا لانفعل فدعنا حتى ننظر إلى مايصير إليه أمر الناس فلاتعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم ثم كانت وقعة صفين وهم لمحمد هائبون فلما أتاهم خبر معاوية و أهل الشام ثم صار الأمر إلى الحكومة و أن عليا و أهل العراق قدقفلوا عن معاوية والشام إلى عراقهم اجترءوا على محمد بن أبى بكر وأظهروا المنابذة له فلما رأى محمد ذلک بعث إليهم ابن جمهان البلوى ومعه يزيد بن الحارث الكنانى فقاتلاهم [صفحه ٧٤] فقتلوهما ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضا وخرج معاوية بن حديج من السكاسک يدعو إلى الطلب بدم عثمان فأجابه القوم وناس كثير آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبى بكر فبلغ عليا توثبهم عليه فقال ماأرى لمصر إلاأحد الرجلين صاحبنا ألذى عزلنا بالأمس يعنى قيس بن سعد بن عبادة أومالک بن الحارث الأشتر و كان على حين رجع عن صفين رد الأشتر إلى عمله بالجزيرة و قال لقيس بن سعد أقم أنت معى على شرطتى حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم اخرج إلى آذربيجان فكان قيس مقيما على شرطته فلما أن انقضى أمر الحكومة كتب على إلى الأشتر و هويومئذ بنصيبين أما بعدفإنک ممن أستظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسد به الثغر المخوف و قدكنت وليت محمد بن أبى بكر مصر فخرجت عليه خوارج و هوغلام حدث السن ليس بذى تجربة للحروب فاقدم على لننظر فيما ينبغى واستخلف على عملک أهل الثقة والنصيحة من أصحابک و السلام -روايت-١-٢-روايت-٤٢-٣٢١ .فأقبل الأشتر إلى على واستخلف على عمله شبيب بن عامر الأزدى و هوجد الكرمانى ألذى كان بخراسان صاحب نصر بن سيار فلما دخل الأشتر على على حدثه حديث مصر وخبره خبر أهلها و قال له ليس لها غيرک فاخرج إليها رحمک الله فإنى لاأوصيک اكتفاء برأيک واستعن بالله على ماأهمک واخلط الشدة باللين وارفق ما

كـان الرفق أبلغ واعتزم على الشـدهٔ حين لاـيغنى عنك إلاالشـدهٔ.فخرج الأشتر من عنـده فأتى برحله وأتت معاويـهٔ عيونه فأخبروه بولايـهٔ الأشتر مصـر فعظم ذلك عليه و قد كان طمع فى مصـر فعلم أن الأشتر إن قدم عليها كان أشد عليه من محمد بن أبى بكر فبعث إلى رجل من أهل الخراج يثق به و قال له إن الأشتر قـدولى مصـر فإن كفيتنيه لم آخـذ منك خراجا مابقيت وبقيت فاحتل فى هلاكه ماقـدرت عليه . [صـفحه ۷۵] فخرج الأـشتر حتى انتهى إلى القلزم حيث تركب السـفن من مصـر إلى الحجـاز فأقام به فقـال له ذلـك الرجـل و كـان ذلك المكان مكانه أيها الأمير هـذامنزل فيه طعام وعلف و أنا رجل من أهل الخراج فأقم واسترح وأتاه بالطعام حتى إذ طعم سـقاه شـربهٔ عسل قدجعل فيهاسما فلما شربها مات . قال ابراهيم و قد كان أمير المؤمنين كتب على يد الأـشتر كتابا إلى أهـل مصـر روى ذلـك الشـعبى عن صعصـعهٔ بن صوحـان من عبـد الله على أمير المـؤمنين إلى من بمصـر من المسـلمين سـلام الله عليكم فـإنى أحمـد الله إليكم ألـذى لاـإله إلاـ هو أما بعـدفإنى قـدبعثت إليكم عبـدا من عباد الله لاينام أيام الخوف و لاينكـل عن الأعـداء حـذار الـدوائر لانأكل من قـدم و لاواه فى عزم من أشـد عباد الله بأسا وأكرمهم حسـبا أضـر على الفجـار من حريق النـار وأبعـد النـاس من دنس أوعـار و هومالك بن الحارث الأشتر حسام صارم لانابى الضـريبهٔ و لاكليل الحد حليم فى السـلم رزين فى الحرب ذو رأى أصـيل وصبر جميل فاسـمعوا له وأطيعوا أمره فإن أمركم بالنفر فانفروا و إن أمركم أن تقيموا فأقيموا فإنه لايقدم و لايحجم إلابأمرى و قدآثرتكم به على نفسـى نصـيحهٔ لكم وشدهٔ شـكيمه على عدوكم عصـمكم الله بالهـدى وثبتكم بـالتقوى ووفقنـا وإياكم لمايحب ويرضـى و السـلام عليكم ورحمـهٔ الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۷۵-۸۶۳ . قال ابراهيم وروى جابر عن الشـعبى قال هلك الأشتر حين أتى عقبهٔ أفيق . قال ابراهيم و حدثناوطبهٔ بن العلاء بن المنهال الغنوى عن أبيه عن عاصم [صـفحه ۷۶] بن كليب عن أبيه أن عليـا لمـابعث الأـشتر إلى مصـر واليا عليها وبلغ معاويـهٔ خبره بعث رسولا يتبع الأـشتر إلى مصـر وأمره باغتيـاله فحمـل معه مزودين فيهمـا شـراب وصـحب الأشتر فاستسـقى الأشتر يوما فسـقاه من أحـدهما ثم استسقى يوما آخر منه فسقاه من الآخر و فيه سم فشربه فمالت عنقه وطلب الرجل ففاتهم . قال ابراهيم و حدثنامحرز بن هشام عن جرير بن عبدالحميـد عن مغيرهٔ الضبى أن معاويهٔ دس للأشتر مولى لآل عمر فلم يزل المولى يذكر للأشتر فضل على وبنى هاشـم حتى اطمأن إليه واسـتأنس به فقـدم الأشتر يوما ثقله أوتقـدم ثقله فاستسـقى ماء فقال له مولى آل عمر وهل لك فى شـربهٔ سويق فسـقاه شـربهٔ سويق فيهاسم فمات . و قد كان معاويهٔ قال لأهل الشام لمادس إليه مولى آل عمر ادعوا على الأشتر فدعوا عليه فلما بلغه موته قال أ لاترون كيف استجيب لكم . قال ابراهيم قدروى من بعض الوجوه أن الأشتر قتل بمصر بعدقتال شديد. والصحيح أنه سـقى سـما فمـات قبـل أن يبلغ مصـر. قـال ابراهيم و حـدثنا محمـد بن عبـد الله بن عثمـان عن على بن محمـد بن أبى سـيف المـدائنى أن معاويـهٔ أقبـل يقول لأهل الشام أيها الناس إن عليا قـدوجه الأشتر إلى مصـر فادعوا الله أن يكفيكموه فكانوا يـدعون عليه فى دبر كل صـلاهٔ وأقبل ألـذى سـقاه السم إلى معاويـهٔ فأخبره بهلاك الأشتر فقام معاويـهٔ فى الناس خطيبا فقال أما بعدفإنه كان لعلى بن أبى طالب يدان يمينان فقطعت إحداهما يوم صفين و هوعمار بن ياسر و قدقطعت الأخرى اليوم و هومالك الأشتر. [صفحه ۷۷] قال ابراهيم فلما بلغ عليا موت الأشتر قال إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين أللهم إنى أحتسبه عندك فإن موته من مصائب الدهر ثم قال رحم الله مالكا فلقد وفى بعهده وقضـى نحبه ولقى ربه مع أنا قدوطنا أنفسنا أن نصبر على كل مصـيبهٔ بعـدمصابنا برسول الله ص فإنهـا من أعظم المصـيبات -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۳۱۱ . قـال ابراهيم و حـدثنا محمـد بن هشـام المرادى عن جرير بن عبدالحميـد عن مغيرهٔ الضبى قـال لم يزل أمر على شديـدا حتى مـات الأـشتر و كـان الأشتر بالكوفهٔ أسود من الأحنف بالبصرهٔ. قال ابراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن ابن أبى سـيف المدائنى عن جماعهٔ من أشـياخ النخع قالوا دخلنـا على أمير المؤمنين حين بلغه موت الأـشتر فوجـدناه يتلهف ويتـأسف عليه ثم قال لله در مالك و مامالك لو كان من جبل لكـان فنـدا و لو كـان من حجر لكـان صـلدا أمـا و الله ليهـدن موتك عالما وليفرحن عالما على مثل مالك فلتبك البواكى وهل

مرجو كمالك وهل موجود كمالك -روايت-١-٢-روايت-١٠۴-٣٨٠ . قال علقمة بن قيس النخعى فما زال على يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا وعرف ذلك فى وجهه أياما. قال ابراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى قال حدثنامولى للأشتر قال لماهلك الأشتر أصيب فى ثقله رسالة على إلى أهل مصر من عبد الله أمير المؤمنين إلى النفر من المسلمين الذين غضبوا لله إذ عصى فى الأرض وضرب الجور برواقه على البر والفاجر فلاحق يستراح إليه و لامنكر يتناهى عنه سلام عليكم فإنى أحمدإليكم الله ألذى لاإله إلا هو -روايت-١-٢-روايت-٨۵-ادامه دارد [صفحه ٧٨] أما بعدفقد وجهت إليكم عبدا من عباد الله لاينام فى الخوف و لاينكل من الأعداء حذار الدوائر أشد على الكافرين من حريق النار و هومالك بن الحارث الأشتر أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لانابى الضريبة و لاكليل الحد فإن أمركم أن تقيموا فأقيموا و إن أمركم أن تنفروا فانفروا و إن أمركم أن تحجموا فأحجموا فإنه لايقدم و لايحجم إلابأمرى و قدآثرتكم به على نفسى لنصيحته وشدة شكيمته على عدوه عصمكم الله بالحق وثبتكم بالتقوى و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته -روايت-از قبل-۵٠٠ قال ابراهيم و حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى عن رجاله أن محمد بن أبى بكر لمابلغه أن عليا قدوجه الأشتر إلى مصر شق عليه فكتب ع إليه عندمهلك الأشتر أما بعدفقد بلغنى موجدتك من تسريح الأشتر إلى عملك و لم أفعل ذلك استبطاء لك عن الجهاد و لااستزادة لك منى فى الجد و لونزعت ماحوت يداك من سلطانك لوليتك ما هوأيسر مئونة عليك وأعجب ولاية إليك ألا إن الرجل ألذى وليته مصر كان رجلا لنا مناصحا و هو على عدونا شديد فرحمة الله عليه فقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب وأحسن له المآب فاصحر لعدوك وشمر للحرب وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وأكثر ذكر الله والاستعانة به والخوف منه يكفك ماهمك ويعنك على ماولاك أعاننا الله وإياك على ما لاينال إلابرحمته و السلام -روايت-١-٢-روايت-۶٧-٧۶٢ . قال فكتب محمد بن أبى بكر إليه جوابه [صفحه ٧٩] إلى عبد الله أمير المؤمنين من محمد بن أبى بكر.سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعدفقد انتهى إلى كتاب أمير المؤمنين وفهمته وعرفت ما فيه و ليس أحد من الناس أشد على عدو أمير المؤمنين و لاأرأف وأرق لوليه منى و قدخرجت فعسكرت وأمنت الناس إلا من نصب لنا حربا وأظهر لنا خلافا و أناأتبع أمر أمير المؤمنين وحافظ ولاجئ إليه وقائم به و الله المستعان على كل حال و السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . قال ابراهيم فحدث محمد بن عبد الله بن عثمان عن ابن سيف المدائنى عن أبى جهضم الأزدى أن أهل الشام لماانصرفوا عن صفين كانوا ينتظرون مايأتى به الحكمان فلما انصرفا وتفرقا وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة لم يزدد معاوية إلاقوة واختلف أهل العراق على على بن أبى طالب فلم يكن هم معاوية إلامصر و قد كان لأهلها هائبا لقربهم منه وشدتهم على من كان على رأى عثمان و قد كان علم أن بهاقوما قدساءهم قتل عثمان وخالفوا عليا مع أنه كان يرجو أن يكون له فيهامعاونة إذاظهر عليها على حرب على لوفور خراجها فدعا معاوية من كان معه من قريش وهم عمرو بن العاص السهمى وحبيب بن مسلمة الفهرى وبسر بن أبى أرطاة العامرى والضحاك بن قيس الفهرى و عبدالرحمن بن خالد بن الوليد المخزومى ودعا من غيرقريش نحو شرحبيل بن السمط الحميرى و أبى الأعور السلمى وحمزة بن مالك الهمدانى فقال أتدرون لماذا دعوتكم قالوا لا قال فإنى دعوتكم لأمر هو لى مهم وأرجو أن يكون الله عز و جل قدأعان عليه فقال له القوم أو من قال له منهم إن الله لم يطلع على غيبه أحدا ولسنا ندرى ماتريد فقال عمرو بن العاص أرى و الله أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها وعدد أهلها قدأهمك [صفحه ٨٠] فدعوتنا تسألنا عن رأينا فى ذلك فإن كنت لذلك دعوتنا و له جمعتنا فاعزم واصرم ونعم الرأى مارأيت إن فى افتتاحها عزك و عزأصحابك وذل عدوك وكبت أهل الخلاف عليك . قال معاوية أهمك ماأهمك يا ابن العاص و ذلك أن عمرا كان بايع معاوية على قتال على و أن مصر له طعمه مابقى فأقبل معاوية على أصحابه و قال إن هذايعنى ابن العاص قدظن وحقق ظنه قالوا ولكنا لاندرى ولعل أبا عبد الله قدأصاب

فقال عمرو و أنا أبو عبد الله إن أفضل الظنون ماشابه اليقين . ثم إن معاوية حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعدفقد رأيتم كيف صنع الله لكم فى حربكم هذه على عدوكم ولقد جاءوكم وهم لايشكون أنهم يستأصلون بيضتكم ويجوزون بلادكم ماكانوا يرون إلا أنكم فى أيديهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكفاكم مئونتهم . وحاكمتموهم إلى الله فحكم لكم عليهم ثم جمع كلمتنا وأصلح ذات بيننا وجعلهم أعداء متفرقين يشهد بعضهم على بعض بالكفر ويسفك بعضهم دم بعض و الله إنى لأرجو أن يتم الله لنا هذاالأمر و قدرأيت أن أحاول حرب مصر فما ذا ترون . فقال عمرو بن العاص قدأخبرتك عما سألت وأشرت عليك بما سمعت . فقال معاوية ماترون فقالوا نرى مارأى عمرو بن العاص فقال معاوية إن عمرا قدعزم وصرم بما قال و لم يفسر كيف ينبغى أن نصنع . قال عمرو فإنى مشير عليك بما تصنع أرى أن تبعث جيشا كثيفا عليهم رجل صارم تأمنه وتثق به فيأتى مصر فيدخلها فإنه سيأتينا من كان على مثل رأينا من أهلها فنظاهره على من كان من عدونا فإن اجتمع بهاجندك و من كان بها من شيعتك على من بها من أهل حربك رجوت الله أن يعز نصرك ويظهر فلجك . [صفحه ٨١] فقال معاوية هل عندك شىء غير هذانعمله فيما بيننا وبينهم قبل هذا قال ماأعلمه . قال معاوية فإن رأيى غير هذاأرى أن نكاتب من كان بها من شيعتنا و من كان بها من عدونا فأما شيعتنا فنأمرهم بالثبات على أمرهم ونمنيهم قدومنا عليهم و أما من كان بها من عدونا فندعوهم إلى صلحنا ونمنيهم شكرنا ونخوفهم حربنا فإن صلح لنا ماقبلهم من غيرحرب و لاقتال فذلك ماأحببنا و إلافحربهم من وراء ذلك .إنك يا ابن العاص لامرؤ بورك لك فى العجلة وبورك لى فى التؤدة. قال عمرو فاعمل بما أراك الله فو الله ماأرى أمرك وأمرهم يصير إلا إلى الحرب . قال فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلد الأنصارى و إلى معاوية بن حديج الكندى وكانا قدخالفا عليا أما بعد فإن الله عز و جل قدابتعثكما لأمر عظيم أعظم به أجركما ورفع درجتكما ومرتبتكما فى المسلمين طلبتما بدم الخليفة المظلوم وغضبتما لله إذ ترك حكم الكتاب وجاهدتما أهل الظلم والعدوان فأبشرا برضوان الله وعاجلا نصرة أولياء الله والمواساة لكما فى دار الدنيا وسلطاننا حتى ينتهى ذلك إلى مايرضيكما ويؤدى به حقكما فالزما أمركما وجاهدا عدوكما وادعوا المدبرين منكما إلى هداكما فكان الجيش قدأظل عليكما فاندفع كل ماتكرهان ودام كل ماتهويان و السلام عليكما ورحمة الله . وبعث بالكتاب مع مولى له يقال له سبيع فخرج بكتابه حتى قدم به عليهما بمصر [صفحه ٨٢] و محمد بن أبى بكر يومئذ أميرها قدناصبه هؤلاء النفر الحرب وهم هائبون الإقدام عليه فدفع الكتاب إلى مسلمة بن مخلد فقرأه فقال الق به معاوية بن حديج ثم القنى به حتى أجيب عنى و عنه فانطلق الرسول بكتاب معاوية فأقرأه إياه ثم قال له إن مسلمة قدأمرنى أن أرد الكتاب إليه لكى يجيب عنك و عنه قال قل له فليفعل فأتى مسلمة بالكتاب فكتب الجواب عنه و عن معاوية بن حديج أما بعد فإن هذاالأمر ألذى قدندبنا له أنفسنا وابتغيا الله به على عدونا أمر نرجو به ثواب ربنا والنصر على من خالفنا وتعجيل النقمة على من سعى على إمامنا وطأطأ الركض فى مهادنا ونحن بهذه الأرض قدنفينا من كان بها من أهل البغى وأنهضنا من كان بها من أهل القسط والعدل و قدذكرت موازرتك فى سلطانك وذات يدك وبالله إنه لا من أجل مال نهضنا و لاإياه أردنا فإن يجمع الله لنا مانريد ونطلب أويرينا ماتمنينا فإن الدنيا والآخرة لله رب العالمين و قديثوبهما الله جميعا عالما من خلقه كما قال فى كتابه فَآتاهُمُ اللّهُ ثَوابَ الدّنيا وَ حُسنَ ثَوابِ الآخِرَةِ وَ اللّهُ يُحِبّ المُحسِنِينَعجل لنا بخيلك ورجلك فإن عدونا قد كان علينا جريئا وكنا فيهم قليلا و قدأصبحوا لنا هائبين وأصبحنا لهم منابذين فإن يأتنا مدد من قبلك يفتح الله عليك و لاقوة إلاباالله و هوحسبنا ونعم الوكيل . قال فجاء هذاالكتاب معاوية و هويومئذ بفلسطين فدعا النفر الذين سميناهم من قريش وغيرهم وأقرأهم الكتاب و قال لهم ماذا ترون قالوا نرى أن تبعث إليهم جيشا من قبلك فأنت مفتتحها إن شاء الله بإذن الله . قال معاوية فتجهز إليها يا أبا عبد الله يعنى عمرو بن العاص فبعثه فى ستة آلاف -قرآن-٩٠٥-٩٩١ [صفحه ٨٣] فخرج يسير وخرج معه معاوية يودعه فقال له معاوية عندوداعه إياه أوصيك بتقوى الله ياعمرو وبالرفق فإنه يمن وبالتؤدة فإن العجلة من الشيطان وبأن

تقبل من أقبل وتعفو عمن أدبر أنظره فإن تاب وأناب قبلت منه و إن أبى فإن السطوة بعدالمعرفة أبلغ فى الحجة وأحسن فى العاقبة وادع الناس إلى الصلح والجماعة فإن أنت ظفرت فليكن أنصارك أبر الناس عندك و كل الناس فأول حسنا. قال فسار عمرو فى الجيش حتى دنا من مصر فاجتمعت إليه العثمانية فأقام وكتب إلى محمد بن أبى بكر أما بعدفتنح عنى بدمك يا ابن أبى بكر فإنى لاأحب أن يصيبك منى ظفر و إن الناس بهذه البلاد قداجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك وهم مسلموك لو قدالتقت حلقتا البطان فاخرج منها فإنى لك من الناصحين و السلام . قال وبعث عمرو إلى محمد مع هذاالكتاب كتاب معاوية إليه و هو أما بعد فإن غب الظلم والبغى عظيم الوبال و إن سفك الدم الحرام لايسلم صاحبه من النقمة فى الدنيا والتبعة الموبقة فى الآخرة و مانعلم أحدا كان أعظم على عثمان بغيا و لاأسوأ له عيبا و لاأشد عليه خلافا منك سعيت عليه فى الساعين وساعدت عليه مع المساعدين وسفكت دمه مع السافكين ثم تظن أنى نائم عنك فتأتى بلده فتأمن فيها و جل أهلها أنصارى يرون رأيى ويرفضون قولك ويستصرخوننى عليك و قدبعثت إليك قوما حناقا عليك يسفكون دمك ويتقربون إلى الله عز و جل بجهادك و قدأعطوا الله عهدا ليقتلنك و لو لم يكن منهم إليك ماقالوا لقتلك الله بأيديهم أوبأيدى غيرهم من أوليائه و أناأحذرك وأنذرك فإن الله مقيد منك ومقتص لوليه وخليفته بظلمك له وبغيك عليه [صفحه ۸۴] ووقيعتك فيه وعداوتك يوم الدار عليه تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه و مع هذافإنى أكره قتلك و لاأحب أن أتولى ذلك منك ولن يسلمك الله من النقمة أين كنت أبدا فتنح وانج بنفسك و السلام . قال فطوى محمد بن أبى بكر كتابيهما وبعث بهما إلى على ع وكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فإن العاصى ابن العاص قدنزل أدانى مصر واجتمع إليه من أهل البلد من كان يرى رأيهم و هو فى جيش جرار و قدرأيت ممن قبلى بعض الفشل فإن كان لك فى أرض مصر حاجة فامددنى بالأموال والرجال و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . قال فكتب إليه على أما بعدفقد أتانى رسولك بكتابك تذكر أن ابن العاص قدنزل فى جيش جرار و أن من كان على مثل رأيه قدخرج إليه وخروج من كان يرى رأيه خير لك من إقامته عندك وذكرت أنك قدرأيت ممن قبلك فشلا فلاتفشل و إن فشلوا حصن قريتك واضمم إليك شيعتك وأذك الحرس فى عسكرك واندب إلى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والتجربة والبأس و أنانادب إليك الناس على الصعب والذلول فاصبر لعدوك وامض على بصيرتك وقاتلهم على نيتك وجاهدهم محتسبا لله سبحانه و إن كانت فئتك أقل الفئتين فإن الله تعالى يعين القليل ويخذل الكثير و قدقرأت كتابى الفاجرين المتحابين على المعصية والمتلائمين على الضلالة والمرتشيين على الحكومة والمتكبرين على أهل الدين الذين استمتعوا بخلاقهم كمااستمتع الذين من -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-ادامه دارد [صفحه ۸۵] قبلهم بخلاقهم فلايضرنك إرعادهما وإبراقهما وأجبهما إن كنت لم تجبهما بما هما أهله فإنك تجد مقالا ماشئت و السلام -روايت-از قبل-۱۲۰ قال فكتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية جواب كتابه أما بعدفقد أتانى كتابك تذكر من أمر عثمان أمرا لاأعتذر إليك منه وتأمرنى بالتنحى عنك كأنك لى ناصح وتخوفنى بالحرب كأنك على شفيق و أناأرجو أن تكون الدائرة عليكم و أن يهلككم الله فى الوقعة و أن ينزل بكم الذل و أن تولوا الدبر فإن يكن لكم الأمر فى الدنيا فكم وكم لعمرى من ظالم قدنصرتم وكم من مؤمن قدقتلتم ومثلتم به و إلى الله المصير و إليه ترد الأمور و هوأرحم الراحمين و الله المستعان على ماتصفون . قال وكتب محمد بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص جواب كتابه أما بعدفهمت كتابك وعلمت ماذكرت زعمت أنك تكره أن يصيبنى منك ظفر فأشهد بالله إنك لمن المبطلين وزعمت أنك ناصح لى وأقسم أنك عندى ظنين و قدزعمت أن أهل البلد قدرفضونى وندموا على اتباعى فأولئك حزبك وحزب الشيطان الرجيم وحسبنا الله رب العالمين ونعم الوكيل وتوكلت على الله العزيز الرحيم رب العرش العظيم . قال ابراهيم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى قال فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمد بن أبى بكر فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يامعشر المؤمنين فإن القوم الذين كانوا ينتهكون

الحرمة ويغشون الضلالة ويستطيلون بالجبرية قدنصبوا لكم العداوة وساروا إليكم بالجنود فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم فى الله انتدبوا رحمكم الله مع [صفحه ٨٦] كنانة بن بشر ثم ندب معه نحو ألفى رجل وتخلف محمد فى ألفين واستقبل عمرو بن العاص كنانة و هو على مقدمة محمد فلما دنا عمرو من كنانة سرح إليه الكتائب كتيبة بعدكتيبة فلم تأته من كتائب الشام كتيبة إلاشد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو ففعل ذلك مرارا فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاوية بن حديج الكندى فأتاه فى مثل الدهم فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه ونزل معه أصحابه فضاربهم بسيفه و هو يقول وَ ما كانَ لِنَفسٍ أَن تَمُوتَ إِلّا بِإِذنِ اللّهِ كِتاباً مُؤَجّلًا.فلم يزل يضاربهم بالسيف حتى استشهد رحمه الله . قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى عن محمد بن يوسف أن عمرو بن العاص لماقتل كنانة أقبل نحو محمد بن أبى بكر و قدتفرق عنه أصحابه فخرج محمدمتمهلا فمضى فى طريقه حتى انتهى إلى خربة فآوى إليها وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج معاوية بن حديج فى طلب محمد حتى انتهى إلى علوج على قارعة الطريق فسألهم هل مر بهم أحد ينكرونه قالوا لا قال أحدهم إنى دخلت تلك الخربة فإذا أنابرجل جالس قال ابن حديج هو هو ورب الكعبة فانطلقوا يركضون حتى دخلوا على محمدفاستخرجوه و قدكاد يموت عطشا فأقبلوا به نحو الفسطاط. قال ووثب أخوه عبدالرحمن بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص و كان فى جنده فقال لا و الله لايقتل أخى صبرا ابعث إلى معاوية بن حديج فانهه فأرسل عمرو بن العاص أن ائتنى بمحمد فقال معاوية أقتلتم كنانة بن بشر ابن عمى وأخلى عن محمد. -قرآن-٤٢٨-٤٩٦ [صفحه ٨٧] هيهات أَ كُفّارُكُم خَيرٌ مِن أُولئِكُم أَم لَكُم بَراءَةٌ فِي الزّبُرِ فقال محمداسقونى قطرة من الماء فقال له معاوية بن حديج لاسقانى الله إن سقيتك قطرة أبدا إنكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما فسقاه الله من الرحيق المختوم و الله لأقتلنك يا ابن أبى بكر و أنت ظمآن ويسقيك الله من الحميم والغسلين فقال له محمد يا ابن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك و لا إلى عثمان إنما ذلك إلى الله يسقى أولياءه ويظمئ أعداءه وهم أنت وقرناؤك و من تولاك وتوليته و الله لو كان سيفى فى يدى مابلغتم منى مابلغتم فقال له معاوية بن حديج أتدرى ماأصنع بك أدخلك جوف هذاالحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار قال إن فعلتم ذاك بى فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله وايم الله إنى لأرجو أن يجعل الله هذه النار التى تخوفنى بهابردا وسلاما كماجعلها الله على ابراهيم خليله و أن يجعلها عليك و على أوليائك كماجعلها على نمرود وأوليائه وإنى لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية و هذا وأشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى كلما خبت زادها الله عليكم سعيرا فقال له معاوية بن حديج إنى لاأقتلك ظلما إنما أقتلك بعثمان بن عفان قال محمد و ما أنت وعثمان رجل عمل بالجور وبدل حكم الله والقرآن و قد قال الله عز و جل وَ مَن لَم يَحكُم بِما أَنزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافِرُونَفَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَفَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَفنقمنا عليه أشياء عملها فأردنا أن يخلع من الخلافة علنا فلم يفعل فقتله من قتله من الناس . -قرآن-٧-٧١-قرآن-١١٦٨-١٢٣٢-قرآن-١٢٣٣-١٢٦٠-قرآن-١٢٦١-١٢٨٧ [صفحه ٨٨] فغضب معاوية بن حديج فقدمه فضرب عنقه ثم ألقاه فى جوف حمار وأحرقه بالنار. فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت فى دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية بن حديج وقبضت عيال محمدأخيها وولده إليها فكان القاسم بن محمد من عيالها. قال و كان ابن حديج ملعونا خبيثا يسب على بن أبى طالب ع . قال ابراهيم وحدثنى عمرو بن حماد بن طلحة القناد عن على بن هاشم عن أبيه عن داود بن أبى عوف قال دخل معاوية بن حديج على الحسن بن على فى مسجد المدينة فقال له الحسن ويلك يامعاوية أنت ألذى تسب أمير المؤمنين عليا ع أما و الله لئن رأيته يوم القيامة و ماأظنك تراه لترينه كاشفا عن ساق يضرب وجوه أمثالك عن الحوض ضرب غرائب الإبل -روايت-١-٢-روايت-١٠٧-٣٥٥ قال ابراهيم وحدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائنى عن عبدالملك بن عمير عن عبد الله بن شداد قال حلفت عائشة لاتأكل شواء أبدا بعدقتل محمدفلم تأكل شواء حتى لحقت بالله و ماعثرت قط إلاقالت تعس معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن

العاص ومعاوية بن حديج . قال ابراهيم و قدروى هاشم أن أسماء بنت عميس لماجاءها نعى محمدابنها و ماصنع به قامت إلى مسجدها وكظمت غيظها حتى تشخبت دما. قال ابراهيم وروى ابن عائشة التيمى عن رجاله عن كثير النواء أن أبابكر خرج [صفحه ۸۹] فى حياة رسول الله ص فى غزاة فرأت أسماء بنت عميس وهى تحته كأن أبابكر مخضب بالحناء رأسه ولحيته و عليه ثياب بيض فجاءت إلى عائشة فأخبرتها فقالت إن صدقت رؤياك فقد قتل أبوبكر إن خضابه الدم و إن ثيابه أكفانه ثم بكت فدخل النبى ص وهى كذلك فقال ماأبكاها فقالوا يا رسول الله ماأبكاها أحد ولكن أسماء ذكرت رؤيا رأتها لأبى بكر فأخبر النبى ص فقال ليس كماعبرت عائشة ولكن يرجع أبوبكر صالحا فيلقى أسماء فتحمل منه بغلام فتسميه محمدا يجعله الله غيظا على الكافرين والمنافقين -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۴۳ . قال فكان كماأخبرص . قال ابراهيم حدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنى قال فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبى سفيان عندقتل محمد بن أبى بكر وكنانة بن بشر أما بعدفإنا لقينا محمد بن أبى بكر وكنانة بن بشر فى جموع من أهل مصر فدعوناهم إلى الكتاب والسنة فعصوا الحق فتهولوا فى الضلال فجاهدناهم واستنصرنا الله جل و عزعليهم فضرب الله وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم فقتل محمد بن أبى بكر وكنانة بن بشر والحمد لله رب العالمين . قال ابراهيم وحدثنى محمد بن عبد الله عن المدائنى عن الحارث بن كعب بن عبد الله بن قعين عن حبيب بن عبد الله قال و الله إنى لعند على جالس إذ جاءه عبد الله بن معين وكعب بن عبد الله من قبل محمد بن أبى بكر يستصرخانه قبل الوقعة فقام على فنادى فى الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى -روايت-۱-۲-روايت-۱۲۷-ادامه دارد [صفحه ۹۰] عليه وذكر رسول الله ص فصلى عليه ثم قال أما بعدفهذا صريخ محمد بن أبى بكر وإخوانكم من أهل مصر قدسار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدو من والاه وولى من عادى الله فلايكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم فكأنكم بهم و قدبدءوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر عباد الله إن مصر أعظم من الشام وخير أهلا فلاتغلبوا على مصر فإن بقاء مصر فى أيديكم عزلكم وكبت لعدوكم اخرجوا إلى الجرعة قال والجرعة بين الحيرة والكوفة لنتوافى هناك كلنا غدا إن شاء الله -روايت-از قبل-۵۵۷ . قال فلما كان الغد خرج يمشى فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشى بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هوكئيب حزين فقال الحمد لله على ماقضى من أمر وقدر من فعل وابتلانى بكم أيها الفرقة التى لاتطيع إذاأمرتها و لاتجيب إذادعوتها لا أبالغيركم ماذا تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت خير من الذل فى هذه الدنيا لغير الحق و الله إن جاءنى الموت وليأتينى لتجدننى لصحبتكم جدا قال أ لادين يجمعكم أ لاحمية تغضبكم أ لاتسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أ و ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام الظلمة فيتبعونه على غيرعطاء و لامعونة ويجيبونه فى السنة المرة والمرتين والثلاث إلى أى وجه شاء ثم أناأدعوكم وأنتم أولو النهى وبقية الناس تختلفون وتفترقون عنى وتعصوننى وتخالفون على -روايت-۱-۲-روايت-۹-ادامه دارد [صفحه ۹۱] فقام إليه مالك بن كعب الأرحبى فقال يا أمير المؤمنين اندب الناس معى فإنه لاعطر بعدعروس و إن الأجر لايأتى إلابالكرة ثم التفت إلى الناس و قال اتقوا الله وأجيبوا دعوة إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوكم إنا نسير إليهم يا أمير المؤمنين فأمر على سعدا مولاه أن ينادى ألا سيروا مع مالك بن كعب إلى مصر و كان وجها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهرا فلما اجتمع له منهم مااجتمع خرج بهم مالك بن كعب فعسكر بظاهر الكوفة وخرج معه على فنظر فإذاجميع من خرج نحو من ألفين فقال على سيروا و الله ماأنتم ماإخالكم تدركون القوم حتى ينقضى أمرهم -روايت-از قبل-۵۵۷ .فخرج مالك بهم وسار خمس ليال وقدم الحجاج بن غزية الأنصارى على على وقدم عليه عبدالرحمن بن المسيب الفزارى من الشام فأما الفزارى فكان عينا لعلى ع لاينام و أماالأنصارى فكان مع محمد بن أبى بكر فحدثه الأنصارى بما عاين وشاهد وأخبره بهلاك محمد وأخبره الفزارى أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرى من قبل عمرو بن العاص يتبع بعضها

بعضا بفتح مصر وقتل محمد بن أبی بکر و حتی أذن معاویة بقتله علی المنبر و قال یا أمیر المؤمنین مارأیت یوما قط سرورا مثل سرور رأیته بالشام حین أتاهم قتل محمد بن أبی بکر فقال علی أما إن حزننا علی قتله علی قدر سرورهم به لابل یزید أضعافا - روایت-۱-۱۸۰ . قال فسرح علی عبدالرحمن بن شریح إلی مالک بن کعب فرده من الطریق قال وحزن علی علی محمد بن أبی بکر حتی رئی ذلک فیه وتبین فی وجهه وقام فی الناس خطیبا فحمد الله وأثنی علیه ثم قال ألا و إن مصر قدافتتحها الفجرة - روایت-۱-۲-روایت-۸-ادامه دارد [صفحه ۹۲] أولیاء الجور والظلم الذین صدوا عن سبیل الله وبغوا الإسلام عوجا ألا و إن محمد بن أبی بکر قداستشهد رحمة الله علیه و عند الله نحتسبه أما و الله لقد کان ماعلمت ینتظر القضاء ویعمل للجزاء ویبغض شکل الفاجر ویحب سمت المؤمن إنی و الله لاألوم نفسی علی تقصیر و لاعجز وإنی بمقاساة الحرب لجد بصیر إنی لأقدم علی الحرب وأعرف وجه الحزم وأقوم بالرأی المصیب فأستصرخکم معلنا وأنادیکم مستغیثا فلاتسمعون لی قولا و لاتطیعون إلی أمرا حتی تصیر الأمور إلی عواقب المساءة وأنتم القوم لایدرک بکم الثأر و لاتنقض بکم الأوتار دعوتکم إلی غیاث إخوانکم منذ بضع وخمسین لیلة فجرجرتم علی جرجرة الجمل الأسر وتثاقلتم إلی الأرض تثاقل من لانیة له فی الجهاد و لارأی له فی الاکتساب للأجر ثم خرج إلی منکم جنید متذائب ضعیف کأنما یساقون إلی الموت وهم ینظرون فأف لکم ثم نزل فدخل رحله -روایت-از قبل-۸۱۳ قال ابراهیم فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائنی قال کتب علی إلی عبد الله بن عباس و هو علی البصرة من عبد الله علی أمیر المؤمنین ع إلی عبد الله بن عباس سلام علیک ورحمة الله وبرکاته أما بعد فإن مصر قدافتتحت و قداستشهد محمد بن أبی بکر فعند الله عز و جل تحتسبه و قدکنت کتبت إلی الناس وتقدمت إلیهم فی بدء الأمر وأمرتهم بإغاثته -روایت-۱-۲-روایت-۱۷۰-ادامه دارد [صفحه ۹۳] قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الآتی کارها ومنهم المتعلل کاذبا ومنهم القاعد خاذلا۔ أسأل الله أن یجعل لی منهم فرجا و أن یریحنی منهم عاجلا فو الله لو لاطمعی عندلقاء عدوی فی الشهادة وتوطینی نفسی عند ذلک لأحببت ألا أبقی مع هؤلاء یوما واحدا عزم الله لنا و لک علی تقواه وهداه إنه علی کل شیءقدیر و السلام علیک ورحمة الله وبرکاته -روایت-از قبل-۳۷۰ . قال فکتب إلیه عبد الله بن عباس لعبد الله علی أمیر المؤمنین من عبد الله بن عباس سلام علی أمیر المؤمنین ورحمة الله وبرکاته . أما بعدفقد بلغنی کتابک تذکر فیه افتتاح مصر وهلاک محمد بن أبی بکر وإنک سألت الله ربک أن یجعل لک من رعیتک التی ابتلیت بهافرجا ومخرجا و أناأسأل الله أن یعلی کلمتک و أن یغشیک بالملائکة عاجلا۔ واعلم أن الله صانع لک ومعز دعوتک وکابت عدوک وأخبرک یا أمیر المؤمنین أن الناس ربما تباطئوا ثم نشطوا فارفق بهم یا أمیر المؤمنین ودارهم ومنهم واستعن بالله علیهم کفاک الله الهم و السلام علیک ورحمة الله وبرکاته . قال ابراهیم وروی عن المدائنی أن عبد الله بن عباس قدم من البصرة علی علی فعزاه عن محمد بن أبی بکر. وروی المدائنی أن علیا قال رحم الله محمدا کان غلاما حدثا لقد کنت أردت أن أولی المرقال هاشم بن عتبة مصر فإنه و الله لوولیها لماخلی لابن العاص وأعوانه العرصة و لاقتل إلا وسیفه فی یده بلا ذم لمحمد فلقد أجهد نفسه فقضی ما علیه -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-۲۴۶ [صفحه ۹۴] قال المدائنی وقیل لعلی ع لقد جزعت علی محمد بن أبی بکر یا أمیر المؤمنین فقال و مایمنعنی أنه کان لی ربیبا و کان لبنی أخا وکنت له والدا أعده ولدا -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۶۱

خطبة للإمام علی بعدمقتل محمد بن أبی بکر

وروی ابراهیم عن رجاله عن عبدالرحمن بن جندب عن أبیه قال خطب علی ع بعدفتح مصر وقتل محمد بن أبی بکر فقال أما بعد فإن الله بعث محمدا نذیرا للعالمین وأمینا علی التنزیل وشهیدا علی هذه الأمة وأنتم معاشر العرب یومئذ علی شر دین و فی

شر دار منيخون على حجارة خشن وحيات صم وشوک مبثوث فی البلاد تشربون الماء الخبيث وتأكلون الطعام الخبيث تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل سبلكم خائفة والأصنام فيكم منصوبة و لايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون .فمن الله عز و جل عليكم بمحمد فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنن وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دمائكم وصلاح ذات البين و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و أن توفوا بالعهد و لاتنقضوا الأيمان بعدتوكيدها و أن تعاطفوا وتباروا وتراحموا ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتباغی والتقاذف و عن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان وتقدم إليكم فيما يتلى عليكم ألا تزنوا و لاتربوا و لاتأكلوا أموال -روايت-۱-۲-روايت-۱۲۰-ادامه دارد [صفحه ۹۵] اليتامى ظلما و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و لاتعثوا فی الأرض مفسدين و لاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين و كل خير يدنى إلى الجنة ويباعد عن النار أمركم به و كل شر يدنى إلى النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه فلما استكمل مدته توفاه الله إليه سعيدا حميدا فيا لها مصيبة خصت الأقربين وعمت المسلمين ماأصيبوا قبلها بمثلها ولن يعاينوا بعدها أختها فلما مضى لسبيله ص تنازع المسلمون الأمر بعده فو الله ما كان يلقى فی روعی و لايخطر على بالی أن العرب تعدل هذاالأمر بعد محمد عن أهل بيته و لاأنهم منحوه عنی من بعده فما راعنی إلاانثيال الناس على أبی بكر وإجفالهم إليه ليبايعوه فأمسكت يدی ورأيت أنی أحق بمقام محمدص فی الناس ممن تولى الأمر من بعده فلبثت بذاک ماشاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمدص فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلما وهدما يكون المصاب بهما على أعظم من فوات ولاية أموركم التی إنما هی متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كمايزول السراب و كمايتقشع السحاب فمشيت عند ذلک إلى أبی بكر فبايعته ونهضت فی تلک الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت كلمة الله هی العليا و لوكره الكافرون فتولى أبوبكر تلک الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد وصحبته مناصحا وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا و ماطمعت أن لوحدث به حادث و أناحی أن يرد إلى الأمر ألذی نازعته فيه طمع مستيقن و لايئست منه يأس من لايرجوه و لو لاخاصة ما كان بينه و بين عمر لظننت أنه لايدفعها عنی فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا وناصحنا -روايت-از قبل-۱۴۵۹ [صفحه ۹۶] وتولى عمر الأمر فكان مرضی السيرة ميمون النقيبة حتى إذااحتضر فقلت فی نفسی لن يعدلها عنی ليس يدافعها عنی فجعلنی سادس ستة فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايتی عليهم كانوا يسمعون عندوفاة رسول الله ص لجاج أبی بكر وأقول يامعشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين بدين الحق فخشی القوم إن أناوليت عليهم ألا يكون لهم من الأمر نصيب مابقوا فأجمعوا إجماعا واحدا فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجونی منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلی ثم قالوا هلم فبايع و إلاجاهدناک فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا فقال قائلهم يا ابن أبی طالب إنک على هذاالأمر لحريص فقلت أنتم أحرص منی وأبعد أينا أحرص أنا ألذی طلبت ميراثی وحقی ألذی جعلنی الله ورسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهی دونه وتحولون بينی وبينه فبهتوا و الله لايهدی القوم الظالمين أللهم إنی أستعديک على قريش فإنهم قطعوا رحمی وأضاعوا إيای وصغروا عظيم منزلتی وأجمعوا على منازعتی حقا كنت أولى به منهم فسلبونيه ثم قالوا ألا إن فی الحق أن تأخذه و فی الحق أن تمنعه فاصبر كمدا أومت أسفا حنقا فنظرت فإذا ليس معی رافد و لاذاب و لاناصر و لاساعد إلا أهل بيتی فضننت بهم عن المنية وأغضيت على القذى وتجرعت ريقی على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار حتى إذانقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتمونی لتبايعونی فأبيت عليكم وأمسكت يدی فنازعتمونی ودافعتمونی وبسطتم يدی فكففتها ومددتموها فقبضتها وازدحمتم على حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أوأنكم قاتلی فقلتم بايعنا لانجد غيرک و لانرضى إلابک بايعنا -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۹۷] لانفترق و لاتختلف كلمتنا فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتی فمن بايع طوعا قبلته و من أبى لم

أكرهه وتركته فبايعنى فيمن بايعنى طلحة والزبير و لوأبيا ماأكرهتهما كما لم أكره غيرهما فما لبثا إلايسيرا حتى بلغنى أنهما خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة فى جيش مامنهم رجل إلا قدأعطانى الطاعة وسمح لى بالبيعة فقدما على عاملى وخزان بيت مالى و على أهل مصرى الذين كلهم على بيعتى و فى طاعتى فشتتوا كلمتهم وأفسدوا جماعتهم ثم وثبوا على شيعتى من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة صبرا ومنهم طائفة غضبوا لله و لى فشهروا سيوفهم وضربوا بها حتى لقوا الله عز و جل صادقين فو الله لو لم يصيبوا منهم إلارجلا واحدا متعمدين لقتله لحل لى به قتل ذلك الجيش بأسره فدع ماأنهم قدقتلوا من المسلمين أكثر من العدة التى دخلوا بهاعليهم و قدأدال الله منهم فبعدا للقوم الظالمين ثم إنى نظرت فى أمر أهل الشام فإذاأعراب أحزاب و أهل طمع جفاة طغاة يجتمعون من كل أوب من كان ينبغى أن يؤدب و أن يولى عليه ويؤخذ على يده ليسوا من الأنصار و لاالمهاجرين و لاالتابعين بإحسان فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة والجماعة فأبوا إلاشقاقا وفراقا ونهضوا فى وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل ويشجرونهم بالرماح فهناك نهدت إليهم بالمسلمين فقاتلتهم فلما عضهم السلاح ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيهافأنبأتكم أنهم ليسوا بأهل دين و لاقرآن وأنهم رفعوها مكيدة وخديعة ووهنا وضعفا فامضوا على حقكم وقتالكم فأبيتم على وقلتم اقبل منهم فإن أجابوا إلى ما فى الكتاب جامعونا على مانحن عليه من – روايت-از قبل-١۴۴۶ [صفحه ٩٨] الحق و إن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم فقبلت منهم وكففت عنهم إذ ونيتم وأبيتم فكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين يحييان ماأحيا القرآن ويميتان ماأمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا ما فى القرآن وخالفا ما فى الكتاب فجنبهما الله السداد ودلاهما فى الضلالة فانحرفت فرقة منا فتركناهم ماتركونا حتى إذاعثوا فى الأرض يقتلون ويفسدون أتيناهم فقلنا ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ثم كتاب الله بيننا وبينكم قالوا كلنا قتلهم وكلنا استحل دماءهم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع الظالمين فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم فقلتم كلت سيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا وعاد أكثرها قصدا فارجع بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فإذارجعت زدت فى مقاتلتنا عدة من هلك منا وفارقنا فإن ذلك أقوى لنا على عدونا فأقبلت بكم حتى إذاأطللتم على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة و أن تلزموا معسكركم و أن تضموا قواصيكم و أن توطنوا على الجهاد أنفسكم و لاتكثروا زيارة أبنائكم ونسائكم فإن أهل الحرب المصابروها و أهل التشمير فيهاالذين لاينقادون من سهر ليلهم و لاظمإ نهارهم و لاخمص بطونهم و لانصب أبدانهم فنزلت طائفة منكم معى معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من بقى منكم صبر وثبت و لا من دخل المصر عاد ورجع فنظرت إلى معسكرى و ليس فيه خمسون رجلا فلما رأيت ماأتيتم دخلت إليكم فلم أقدر على أن تخرجوا معى إلى يومنا هذافما تنتظرون أ ماترون أطرافكم قدانتقصت و إلى مصر قدفتحت و إلى شيعتى بها قدقتلت و إلى مسالحكم تعرى و إلى بلادكم تغزى وأنتم ذوو عدد كثير -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٩٩] وشوكة وبأس شديد فما بالكم لله أنتم من أين تؤتون و مالكم تؤفكون وأنى تسحرون و لوأنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا إلا أن القوم تراجعوا وتناشبوا وتناصحوا وأنتم قدونيتم وتغاششتم وافترقتم ما إن أنتم إن ألممتم عندى على هذابسعداء فانتهوا بأجمعكم وأجمعوا على حقكم وتجردوا لحرب عدوكم و قدأبدت الرغوة عن الصريح و بين الصبح لذى عينين إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء وأولى الجفاء و من أسلم كرها و كان لرسول الله ص أنف الإسلام كله حربا أعداء الله والسنة والقرآن و أهل البدع والأحداث و من كان بوائقه تتقى و كان عن الإسلام منحرفا أكلة الرشا وعبدة الدنيا لقد أنهى إلى أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى أعطاه وشرط له أن يؤتيه ماهى أعظم مما فى يده من سلطانه ألا صفرت يد هذاالبائع دينه بالدنيا وخزيت أمانة هذاالمشترى نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين و إن فيهم من قدشرب فيكم الخمر وجلد الحد يعرف بالفساد فى الدين والفعل السيئ و إن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له رضيخه فهؤلاء قادة القوم و من تركت ذكر مساوئه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هوشر ويود هؤلاء الذين ذكرت

لوولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر والفساد والفجور والتسلط بجبرية واتبعوا الهوى وحكموا بغير الحق ولأنتم على ما كان فيكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدى سبيلا۔ فيكم العلماء والفقهاء والنجباء والحكماء وحملة الكتاب والمتهجدون بالأسحار وعمار المساجد بتلاوة القرآن أ فلاتسخطون وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأشرار الأراذل منكم -روايت-از قبل-١٣٨۴ [صفحه ١٠٠] فاسمعوا قولى وأطيعوا أمرى فو الله لئن أطعتمونى لاتغوون و إن عصيتمونى لاترشدون خذوا للحرب أهبتها وأعدوا لها عدتها فقد شبت نارها وعلا سنانها وتجرد لكم فيهاالفاسقون كى يعذبوا عباد الله ويطفئوا نور الله ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء بأولى فى الجد فى غيهم وضلالتهم من أهل البر والزهادة والإخبات فى حقهم وطاعة ربهم إنى و الله لولقيتهم فردا وهم ملأ الأرض ماباليت و لااستوحشت وإنى من ضلالتهم التى هم فيها والهدى ألذى نحن عليه لعلى ثقة وبينة ويقين وبصيرة وإنى إلى لقاء ربى لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر ولكن أسفا يعترينى وحزنا يخامرنى أن يلى أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا۔ وعباده خولا۔ والفاسقين حزبا وايم الله لو لا ذلك لماأكثرت تأنيبكم وتحريضكم ولتركتكم إذ ونيتم وأبيتم حتى ألقاهم بنفسى متى حم لى لقاؤهم فو الله إنى لعلى الحق وإنى للشهادة لمحب فانفروا خفافا وثقالا۔ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون و لاتثاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف وتبوءوا بالذل ويكن نصيبكم الخسران إن أخا الحرب اليقظان و من ضعف أودى و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهين أللهم اجمعنا وإياهم على الهدى وزهدنا وإياهم فى الدنيا واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولى -روايت-١-١١٩۴

خبر مقتل محمد بن أبى حذيفة

قال ابراهيم وحدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان عن المدائنى أن محمد بن أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبدشمس أصيب لمافتح عمرو بن العاص مصر فبعث به [صفحه ١٠١] إلى معاوية بن أبى سفيان و هويومئذ بفلسطين فحبسه معاوية فى سجن له فمكث فيه غيركثير ثم هرب و كان ابن خال معاوية فأرى معاوية الناس أنه كره انفلاته من السجن و كان يحب أن ينجو فقال لأهل الشام من يطلبه فقال رجل من خثعم يقال له عبيد الله بن عمرو بن ظلام و كان شجاعا و كان عثمانيا أناأطلبه فخرج فى خيل فلحقه بحوارين . و قددخل بغار هناك فجاءت حمر فدخلته فلما رأت الرجل فى الغار فزعت ونفرت فقال حمارون كانوا قريبا من الغار إن لهذه الحمر لشأنا مانفرها من هذاالغار إلاأمر فذهبوا ينظرون فإذاهم به فخرجوا به فوافاهم عبد الله بن عمرو بن ظلام فسألهم ووصفه لهم فقالوا ها هو هذافجاء حتى استخرجه وكره أن يصير به إلى معاوية فيخلى سبيله فضرب عنقه رحمه الله تعالى [صفحه ١٠٢]

۶٨- و من كلام له ع فى ذم أصحابه

اشاره

كَم أُدَارِيكُم كَمَا تُدَارَى البِكَارُ العَمِدَةُ وَ الثّيَابُ المُتَدَاعِيَةُ كُلّمَا حِيصَت مِن جَانِبٍ تَهَتّكَت مِن آخَرَ كُلّمَا أَطَلّ عَلَيكُم مِنسَرٌ مِن مَنَاسِرِ أَهلِ الشّامِ أَغلَقَ كُلّ رَجُلٍ مِنكُم بَابَهُ وَ انجَحَرَ انجِحَارَ الضّبّةِ فِي جُحرِهَا وَ الضّبُعِ فِي وِجَارِهَا الذّلِيلُ وَ اللّهِ مَن نَصَرتُمُوهُ وَ مَن رمُيَ بِكُم فَقَد رمُيَ بِأَفوَقَ نَاصِلٍ إِنّكُم وَ اللّهِ لَكَثِيرٌ فِي البَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحتَ الرّايَاتِ وَ إنِيّ لَعَالِمٌ بِمَا يُصلِحُكُم وَ يُقِيمُ أَوَدَكُم وَ

لَكِنِّيَ وَ اللّهِ لَا أَرَى إِصلَاحَكم بِإِفسَادِ نفَسيِ أَضرَعَ اللّهُ خُدُودَكُم وَ أَتعَسَ جُدُودَكُم لَا تَعرِفُونَ الحَقّ كَمَعرِفَتِكُمُ البَاطِلَ وَ لَا تُبطِلُونَ البَاطِلَ كَإِبطَالِكُمُ الحَقّ البكار جمع بكر و هوالفتى من الإبل والعمدة التى قدانشدخت أسنمتها من داخل وظاهرها صحيح و ذلك لكثرة ركوبها. والثياب المتداعية الأسمال التى قدأخلقت وإنما سميت متداعية لأن بعضها يتخرق فيدعو بعضها إلى مثل حاله . وحيصت خيطت والحوص الخياطة وتهتكت تخرقت [صفحه ١٠٣] وأطل عليكم أى أشرف وروى أظل بالظاء المعجمة والمعنى واحد. ومنسر قطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير والأفصح منسر بكسر الميم وفتح السين ويجوز منسر بفتح الميم وكسر السين . وانجحر استتر فى بيته أجحرت الضب إذاألجأته إلى جحره فانجحر. والضبة أنثى الضباب وإنما أوقع التشبيه على الضبة مبالغة فى وصفهم بالجبن والفرار لأن الأنثى أجبن وأذل من الذكر والوجار بيت الضبع . والسهم الأفوق الناصل المكسور الفوق المنزوع النصل والفوق موضع الوتر من السهم يقال نصل السهم إذاخرج منه النصل فهو ناصل و هذامثل يضرب لمن استنجد بمن لاينجده . والباحات جمع باحة وهى ساحة الدار والأود العوج أود الشيء بكسر الواو يأود أودا أى أعوج وتأود أى تعوج وأضرع الله خدودكم أذل وجوهكم .ضرع الرجل ذل وأضرعه غيره و منه المثل الحمى أضرعته لك . وأتعس جدودكم أى أحال حظوظكم وسعودكم وأهلكها فجعلها إدبارا ونحسا. والتعس الهلاك وأصله الكب و هوضد الانتعاش تعس الرجل بفتح العين يتعس تعسا يقول كم أداريكم كمايدارى راكب البعير بعيره المنفضخ السنام و كمايدارى لابس الثوب السمل ثوبه المتداعى ألذى كلما خيط منه جانب تمزق جانب . ثم ذكر خبثهم وذلهم وقلة انتصار من ينتصر بهم وأنهم كثير فى الصورة قليل فى المعنى ثم قال إنى عالم بما يصلحكم يقول إنما يصلحكم فى السياسة السيف وصدق فإن كثيرا لايصلح إلا عليه كمافعل الحجاج بالجيش ألذى تقاعد بالمهلب [صفحه ١٠٤] فإنه نادى مناديه من وجدناه بعدثالثة لم يلتحق بالمهلب فقد حل لنا دمه ثم قتل عمير بن ضابئ وغيره فخرج الناس يهرعون إلى المهلب . و أمير المؤمنين لم يكن ليستحل من دماء أصحابه مايستحله من يريد الدنيا وسياسة الملك وانتظام الدولة قال ع لكنى لاأرى إصلاحكم بإفساد نفسى -روايت-١-٢-روايت-١١-٤٦ أى بإفساد دينى عند الله تعالى . فإن قلت أليست نصرة الإمام واجبة عليهم فلم لايقتلهم إذ أخلوا بهذا الواجب قلت ليس كل إخلال بواجب يكون عقوبته القتل كمن أخل بالحج وأيضا فإنه كان يعلم أن عاقبة القتل فسادهم عليه واضطرابهم فلو أسرع فى قتلهم لشغبوا عليه شغبا يفضى إلى أن يقتلوه ويقتلوا أولاده أويسلموه ويسلموهم إلى معاوية ومتى علم هذا أوغلب على ظنه لم يجز له أن يسوسهم بالقتل ألذى يفضى إلى هذه المفسدة فلو ساسهم بالقتل والحال هذه لكان آثما عند الله تعالى ومواقعا للقبيح و فى ذلك إفساد دينه كما قال لاتعرفون الحق كمعرفتكم الباطل إلى آخر الفصل فكأنه قال لاتعتقدون الصواب والحق كماتعتقدون الخطأ والباطل أى اعتقادكم الحق قليل واعتقادكم الباطل كثير فعبر عن الاعتقاد العام بالمعرفة الخاصة وهى نوع تحت جنسه مجازا. ثم قال و لاتسرعون فى نقض الباطل سرعتكم فى نقض الحق وهدمه

طائفة من الأشعار الواردة فى ذم الجبن

واعلم أن الهجاء بالجبن والذل الفرق كثير جدا ونظير قوله إنكم لكثير فى الباحات قليل تحت الرايات قول معدان الطائى فأما ألذى يحصيهم فمكثر || و أما ألذى يطريهم فمقلل . [صفحه ١٠٥] ونحو قول قراد بن حنش و هو من شعر الحماسة وأنتم سماء يعجب الناس رزها || بآبدة تنحى شديد وئيدها تقطع أطناب البيوت بحاصب || وأكذب شيءبرقها ورعودها فويلمها خيلا بهاء وشارة || إذالاقت الأعداء لو لاصدودها . و من شعر الحماسة فى هذاالمعنى لقد كان فيكم لووفيتم بجاركم || لحى ورقاب عردة ومناخر من الصهب أثناء وجذعا كأنها || عذارى عليها شارة ومعاجر . و من الهجاء بالجبن والفرار قول بعض بنى طيئ

يهجو حاتما و هو من شعر الحماسة أيضا لعمرى و ماعمرى على بهين || لبئس الفتى المدعو بالليل حاتم غداة أتى كالثور أحرج فاتقى || بجبهته أقتاله و هوقائم كأن بصحراء المريط نعامة || تبادرها جنح الظلام نعائم أعارتك رجليها وهافى لبها || و قدجردت بيض المتون صوارم [صفحه ١٠٦] ونظير المعنى الأول أيضا قول بعضهم من شعر الحماسة كاثر بسعد إن سعدا كثيرة || و لاترج من سعد وفاء و لانصرا يروعك من سعد بن عمرو جسومها || وتزهد فيهاحين تقتلها خبرا . و منه قول عويف القوافى و ماأمكم تحت الخوافق والقنا || بثكلى و لازهراء من نسوة زهر ألستم أقل الناس عندلوائهم || وأكثرهم عندالذبيحة والقدر . وممن حسن الجبن والفرار بعض الشعراء فى قوله أضحت تشجعنى هند و قدعلمت || أن الشجاعة مقرون بهاالعطب لا و ألذى حجت الأنصار كعبته || مايشتهى الموت عندى من له أرب للحرب قوم أضل الله سعيهم || إذادعتهم إلى حوماتها وثبوا ولست منهم و لاأهوى فعالهم || لاالقتل يعجبنى منها و لاالسلب . و من هذاقول أيمن بن خريم الأسدى إن للفتنة ميطا بينا || ووريد الميط منها يعتدل فإذا كان عطاء فابتدر || و إذا كان قتال فاعتزل إنما يسعرها جهالها || حطب النار فدعها تشتعل . وممن عرف بالجبن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد عيره عبدالملك بن مروان فقال [صفحه ١٠٧] إذاصوت العصفور طار فؤاده || وليث حديد الناب عندالثرائد . و قال آخر يطير فؤاده من نبح كلب || ويكفيه من الزجر الصفير . و قال آخر و لوأنها عصفورة لحسبتها || مسومة تدعو عبيدا وأزنما

أخبار الجبناء وذكر نوادرهم

و من أخبار الجبناء مارواه ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار قال رأى عمرو بن العاص معاوية يوما فضحك و قال مم تضحك يا أمير المؤمنين أضحك الله سنك قال أضحك من حضور ذهنك عندإبدائك سوءتك يوم ابن أبى طالب و الله لقد وجدته منانا كريما و لوشاء أن يقتلك لقتلك فقال عمرو يا أمير المؤمنين أما و الله إنى لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فأحولت عيناك وانفتح سحرك وبدا منك ماأكره ذكره لك فمن نفسك فاضحك أوفدع قال ابن قتيبة وقدم الحجاج على الوليد بن عبدالملك و عليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة فبعثت أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان إلى الوليد وهى تحته يومئذ من هذاالأعرابى المستلئم فى الصلاح عندك على خلوة و أنت فى غلالة [صفحه ١٠٨] فأرسل إليها الوليد أنه الحجاج فأعادت عليه الرسول و الله لأن يخلو بك ملك الموت أحب إلى من أن يخلو بك الحجاج فضحك وأخبر الحجاج بقولها و هويمازحه فقال الحجاج يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلاتطلعها على سرك ومكايدة عدوك . فلما انصرف الحجاج ودخل الوليد على امرأته أخبرها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين حاجتى إليك اليوم أن تأمره غدا أن يأتينى مستلئما ففعل ذلك وأتاها الحجاج فحجبته ثم أدخلته و لم تأذن له فى القعود فلم يزل قائما ثم قالت إيه ياحجاج أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتلك ابن الزبير و ابن الأشعث أما و الله لو لا أن الله علم أنك شر خلقه ماابتلاك برمى الكعبة الحرام و لابقتل ابن ذات النطاقين أول مولود فى الإسلام و أمانهيك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته وأوطاره فإن كن ينفرجن عن مثلك فما أحقه بالقبول منك و إن كن ينفرجن عن مثله فهو غيرقابل لقولك أما و الله لونفض نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن فبعنه فى أعطية أهل الشام حين كنت فى أضيق من القرن قدأظلتك الرماح وأثخنك الكفاح وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم فأنجاك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه قاتل الله القائل حين ينظر إليك وسنان غزالة بين كتفيك أسد على و فى الحروب نعامة || ربداء تنفر من صفير الصافر هلا برزت إلى غزالة فى الوغى || أم كان قلبك فى جناحى طائر . ثم قالت لجواريها أخرجنه فاخرج . [صفحه ١٠٩] و من طريف حكايات

الجبناء ماذكره ابن قتيبة أيضا فى الكتاب المذكور قال كان بالبصرة شيخ من بنى نهشل بن دارم يقال له عروة بن مرثد ويكنى أباالأعز ينزل فى بنى أخت له من الأزد فى سكة بنى مازن فخرج رجالهم إلى ضياعهم فى شهر رمضان وخرج النساء يصلين فى مسجدهم و لم يبق فى الدار إلاإماء فدخل كلب يتعسس فرأى بيتا مفتوحا فدخله وانصفق الباب عليه فسمع بعض الإماء الحركة فظنوا أنه لص دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبى الأعز فأخبرته فقال أبوالأعز إلام يبتغى اللص عندنا وأخذ عصاه وجاء حتى وقف بباب البيت و قال إيه يافلان أما و الله إنى بك لعارف فهل أنت من لصوص بنى مازن شربت حامضا خبيثا حتى إذادارت فى رأسك منتك نفسك الأمانى و قلت أطرق دور بنى عمرو والرجال خلوف والنساء يصلين فى مسجدهن فأسرقهم سوءة لك و الله مايفعل هذاولد الأحرار وايم الله لتخرجن أولأهتفن هتفة مشئومة يلتقى فيهاالحيان عمرو وحنظلة وتجىء سعد عدد الحصى وتسيل عليك الرجال من هنا وهنا ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود. فلما رأى أنه لايجيبه أخذه باللين فقال اخرج بأبى أنت مستورا و الله ماأراك تعرفنى و لوعرفتنى لقنعت بقولى واطمأننت إلى ابن أختى البار الوصول أنافديتك أبوالأعز النهشلى و أناخال القوم وجلدة بين أعينهم لايعصوننى و لاتضار الليلة و أنت فى ذمتى وعندى قوصرتان أهداهما إلى ابن أختى البار الوصول فخذ إحداهما فانبذها حلالا من الله ورسوله . و كان الكلب إذاسمع الكلام أطرق و إذاسكت أبوالأعز وثب يريد المخرج فتهانف أبوالأعز ثم تضاحك و قال ياألأم الناس وأوضعهم أ لاأرانى لك منذ الليلة [صفحه ١١٠] فى واد و أنت لى فى واد آخر أقبلت السوداء والبيضاء فتصيح وتطرق فإذاسكت عنك وثبت تريد الخروج و الله لتخرجن أولألجن عليك البيت . فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت أعرابى مجنون و الله ماأرى فى البيت شيئا فدفعت الباب فخرج الكلب شاردا وحاد عنه أبوالأعز ساقطا على قفاه شائلة رجلاه و قال تالله مارأيت كالليلة هذه ماأراه إلاكلبا و لوعلمت بحاله لولجت عليه . ونظير هذه الحكاية حكاية أبى حية النميرى و كان جبانا قيل كان لأبى حية سيف ليس بينه و بين الخشب فرق كان يسميه لعاب المنية فحكى عنه بعض جيرانه أنه قال أشرفت عليه ليلة و قدانتضاه و هوواقف بباب بيت فى داره و قدسمع فيه حسا و هو يقول أيها المغتر بنا المجترئ علينا بئس و الله مااخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية ألذى سمعت به مشهورة صولته و لاتخاف نبوته اخرج بالعفو عنك لاأدخل بالعقوبة عليك إنى و الله إن أدع قيسا تملأ الفضاء عليك خيلا ورجلا سبحان الله ماأكثرها وأطيبها و الله ما أنت ببعيد من تابعها والرسوب فى تيار لجتها. و قال وهبت ريح ففتحت الباب فخرج كلب يشتد فلبط بأبى حية وأربد وشغر برجليه وتبادرت إليه نساء الحى فقلن يا أباحية لتفرخ روعتك إنما هوكلب فجلس و هو يقول الحمد لله ألذى مسخك كلبا وكفانى حربا. وخرج مغيرة بن سعيد العجلى فى ثلاثين رجلا ظهر الكوفة فعطعطوا وخالد بن عبد الله القسرى أميرالعراق يخطب على المنبر فعرق واضطرب وتحير وجعل يقول أطعمونى ماء فهجاه ابن نوفل فقال [صفحه ١١١] أخالد لاجزاك الله خيرا || وأيرى فى حرامك من أمير تروم الفخر فى أعراب قسر || كأنك من سراة بنى جرير جرير من ذوى يمن أصيل || كريم الأصل ذو خطر كبير وأمك علجة وأبوك وغد || و ماالأذناب عدل للصدور وكنت لدى المغيرة عبدسوء || تبول من المخافة للزئير لأعلاج ثمانية وشيخ || كبير السن ليس بذى ضرير صرخت من المخافة أطعمونى || شرابا ثم بلت على السرير . و قال آخر يعيره بذلك بل المنابر من خوف و من دهش || واستطعم الماء لماجد فى الهرب . و من كلام ابن المقفع فى ذم الجبن الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر فيما رأيت وسمعت من قتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا وانظر من يطلب إليك بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطية أم من يطلب ذلك بالشره والحرص [صفحه ١١٢]

٦٩- و قال ع فى سحرة اليوم ألذى ضرب فيه

اشاره

مَلَكَتنِي عيَنِي وَ أَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللّهِص فَقُلتُ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا ذَا لَقِيتُ مِن أُمّتِكَ مِنَ الأَوَدِ وَ اللّدَدِ فَقَالَ ادعُ عَلَيهِم فَقُلتُ أَبدَلَنِيَ اللّهُ بِهِم خَيراً مِنهُم وَ أَبدَلَهُم بِي شَرّاً لَهُم منِيّ قال الرضی رحمه الله يعنى بالأود الاعوجاج وباللدد الخصام و هذا من أفصح الكلام -روايت-۱-۸۶ قوله ملكتنى عينى من فصيح الكلام يريد غلبنى النوم قوله فسنح لى رسول الله ص يريد مر بى كماتسنح الظباء والطير يمر بك ويعترض لك . وذا هاهنا بمعنى ألذى كقوله تعالى ما ذا تَرى أى ما ألذى ترى يقول قلت له ما ألذى لقيت من أمتك و ماهاهنا استفهامية كأى ويقال ذلك فيما يستعظم أمره كقوله سبحانه القارِعَةُ مَا القارِعَةُ وشرا هاهنا لايدل على أن فيه شرا كقوله قُل أَ ذلِكَ خَيرٌ أَم جَنّةُ الخُلدِ لايدل على أن فى النار خيرا -قرآن-۱۷۷-۱۸۶-قرآن-۳۱۲-۳۳۶-قرآن-۳۷۹-۴۱۵ [صفحه ۱۱۳]

خبر مقتل الإمام علی كرم الله وجهه

ويجب أن نذكر فى هذاالموضع مقتله ع وأصح ماورد فى ذلك ماذكره أبوالفرج على بن الحسين الأصفهانى فى كتاب مقاتل الطالبيين . قال أبوالفرج على بن الحسين بعدأسانيد ذكرها مختلفة متفرقة تجتمع على معنى واحد نحن ذاكروه إن نفرا من الخوارج اجتمعوا بمكة فتذاكروا أمر المسلمين فعابوهم وعابوا أعمالهم عليهم وذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم و قال بعضهم لبعض لو أناشرينا أنفسنا لله عز و جل فأتينا أئمة الضلال وطلبنا غرتهم وأرحنا منهم العباد والبلاد وثأرنا بإخواننا الشهداء بالنهروان .فتعاقدوا عندانقضاء الحج فقال عبدالرحمن بن ملجم أناأكفيكم عليا و قال واحد أناأكفيكم معاوية و قال الثالث أناأكفيكم عمرو بن العاص فتعاقدوا وتواثقوا على الوفاء وألا ينكل أحد منهم عن صاحبه ألذى يتوجه إليه و لا عن قتله واتعدوا لشهر رمضان فى الليلة التى قتل فيها ابن ملجم عليا. قال أبوالفرج قال أبومخنف قال أبوزهير العبسى الرجلان الآخران البرك بن عبد الله التميمى و هوصاحب معاوية وعمرو بن بكر التميمى و هوصاحب عمرو بن العاص . قال فأما صاحب معاوية فإنه قصده فلما وقعت عينه عليه ضربه فوقعت ضربته على أليته وأخذ فجاء الطبيب إليه فنظر إلى الضربة فقال إن السيف مسموم فاختر إما أن أحمى لك حديدة فأجعلها فى الضربة فتبرأ وإما أن أسقيك دواء فتبرأ وينقطع نسلك فقال أماالنار فلاأطيقها و أماالنسل ففى يزيد و عبد الله ماتقر عينى وحسبى بهما.فسقاه الدواء فعوفى وعالج جرحه حتى التأم و لم يولد له بعد ذلك . [صفحه ۱۱۴] و قال له البرك بن عبد الله إن لك عندى بشارة قال و ماهى فأخبره خبر صاحبه و قال له إن عليا قتل فى هذه الليلة فاحتبسنى عندك فإن قتل فأنت ولى ماتراه فى أمرى و إن لم يقتل أعطيتك العهود والمواثيق أن أمضى إليه فأقتله ثم أعود إليك فأضع يدى فى يدك حتى تحكم فى بما ترى فحبسه عنده فلما أتى الخبر أن عليا قتل فى تلك الليلة خلى سبيله . هذه رواية إسماعيل بن راشد و قال غيره من الرواة بل قتله من وقته . و أماصاحب عمرو بن العاص فإنه وافاه فى تلك الليلة و قدوجد علة فأخذ دواء واستخلف رجلا يصلى بالناس يقال له خارجة بن أبى حبيبة أحد بنى عامر بن لؤى فخرج للصلاة فشد عمرو بن بكر فضربه بالسيف فأثبته وأخذ الرجل فأتى به عمرو بن العاص فقتله ودخل من غد إلى خارجة و هويجود بنفسه فقال أما و الله يا أبا عبد الله ماأراد غيرك قال عمرو ولكن الله أراد خارجة. و أما ابن ملجم فإنه قتل عليا تلك الليلة. قال أبوالفرج وحدثنى محمد بن الحسن الأشنانداني وغيره قال أخبرنى على بن المنذر الطريقى قال حدثنا ابن فضيل قال حدثنافطر عن أبى الطفيل قال جمع على ع الناس للبيعة فجاء عبدالرحمن بن ملجم فرده على مرتين أوثلاثا ثم مد يده فبايعه فقال له على مايحبس أشقاها فو ألذى نفسى

بیده لتخضبن هذه من هذه ثم أنشد -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۳-۳۲۸ اشدد حیازیمک للموت || فإن الموت لاقیکا و لاتجزع من الموت || إذاحل بوادیکا قال أبوالفرج -روایت-۱-۲ [صفحه ۱۱۵] و قدروی لنا من طرق غیر هذه أن علیا أعطی الناس فلما بلغ ابن ملجم أعطاه و قال له -روایت-۳۳-۹۳ أرید حیاته ویرید قتلی || عذیرک من خلیلک من مراد قال أبوالفرج وحدثنی أحمد بن عیسی العجلی بإسناد ذکره فی الکتاب إلی أبی زهیر العبسی قال کان ابن ملجم من مراد وعداده فی کندة فأقبل حتی قدم الکوفة فلقی بهاأصحابه وکتمهم أمره وطوی عنهم ماتعاقد هو وأصحابه علیه بمکة من قتل أمراء المسلمین مخافة أن ینتشر وزار رجلا من أصحابه ذات یوم من بنی تیم الرباب فصادف عنده قطام بنت الأخضر من بنی تیم الرباب و کان علی قتل أخاها وأباها بالنهروان وکانت من أجمل نساء أهل زمانها فلما رآها شغف بها واشتد إعجابه فخطبها فقالت له ما ألذی تسمی لی من الصداق فقال احتکمی مابدا لک فقالت أحتکم علیک ثلاثة آلاف درهم ووصیفا وخادما و أن تقتل علی بن أبی طالب . فقال لها لک جمیع ماسألت و أماقتل علی فأنی لی بذلک قالت تلتمس غرته فإن أنت قتلته شفیت نفسی وهنأک العیش معی و إن قتلت فما عند الله خیر لک من الدنیا فقال لها أما و الله ماأقدمنی هذاالمصر و قدکنت هاربا منه لآمن أهله إلا ماسألتنی من قتل علی .قالت له فأنا طالبة لک بعض من یساعدک علی هذا ویقویک ثم بعثت إلی وردان بن مجالد أحد بنی تیم الرباب فخبرته الخبر وسألته معاونة ابن ملجم فتحمل لها ذلک وخرج ابن ملجم فأتی رجلا من أشجع یقال له شبیب بن بجرة و قال له یاشبیب هل لک فی شرف الدنیا والآخرة قال و ماذاک قال تساعدنی علی قتل علی و کان شبیب علی رأی الخوارج فقال له هبلتک الهبول لقد جئت شیئا إدا وکیف تقدر ویحک علی ذلک قال ابن ملجم نکمن له فی المسجد الأعظم [صفحه ۱۱۶] فإذاخرج لصلاة الفجر فتکنا به وشفینا أنفسنا منه وأدرکنا ثأرنا فلم یزل به حتی أجابه .فأقبل به حتی دخلا علی قطام وهی معتکفة فی المسجد الأعظم قدضربت لها قبة فقالا لها قدأجمع رأینا علی قتل هذا الرجل قالت لهما فإذاأردتما ذلک فالقیانی فی هذاالموضع فانصرفا من عندها فلبثا أیاما ثم أتیاها ومعهما وردان بن مجالد ألذی کلفته مساعدة ابن ملجم و ذلک فی لیلة الجمعة لتسع عشرة لیلة خلت من رمضان سنة أربعین . قال أبوالفرج هکذا فی روایة أبی مخنف و فی روایة أبی عبدالرحمن السلمی أنها کانت لیلة سبع عشرة من شهر رمضان فقال لها ابن ملجم هذه اللیلة هی التی وعدت فیهاصاحبی ووعدانی أن یقتل کل واحد منا صاحبه ألذی یتوجه إلیه . قلت إنما تواعدوا بمکة عبدالرحمن والبرک وعمرو علی هذه اللیلة لأنهم یعتقدون أن قتل ولاة الجور قربة إلی الله وأحری القربات ماتقرب به فی الأوقات الشریفة المبارکة. و لماکانت لیلة الجمعة التاسعة عشرة من شهر رمضان لیلة شریفة یرجی أن تکون لیلة القدر عینوها لفعل مایعتقدونه قربة إلی الله فلیعجب المتعجب من العقائد کیف تسری فی القلوب وتغلب علی العقول حتی یرتکب الناس عظائم الأمور وأهوال الخطوب لأجلها قال أبوالفرج فدعت لهم بحریر فعصبت به صدورهم وتقلدوا سیوفهم ومضوا فجلسوا مقابل السدة التی کان یخرج منها علی ع إلی الصلاة. [صفحه ۱۱۷] قال أبوالفرج و قد کان ابن ملجم أتی الأشعث بن قیس فی هذه اللیلة فخلا به فی بعض نواحی المسجد ومر بهما حجر بن عدی فسمع الأشعث و هو یقول لابن ملجم النجاء النجاء بحاجتک فقد فضحک الصبح قال له حجر قتلته یاأعور وخرج مبادرا إلی علی و قدسبقه ابن ملجم فضربه فأقبل حجر و الناس یقولون قتل أمیر المؤمنین . قال أبوالفرج وللأشعث بن قیس فی انحرافه عن أمیر المؤمنین أخبار یطول شرحها منها حدیث حدثنیه محمد بن الحسین الأشناندانی قال حدثنی إسماعیل بن موسی قال حدثنا علی بن مسهر عن الأجلح عن موسی بن أبی النعمان قال جاء الأشعث إلی علی یستأذن علیه فرده قنبر فأدمی الأشعث أنفه فخرج علی و هو یقول ما لی و لک یاأشعث أما و الله لوبعبد ثقیف تمرست لاقشعرت شعیراتک قیل یا أمیر المؤمنین و من عبدثقیف قال غلام لهم لایبقی أهل بیت من العرب إلاأدخلهم ذلا قیل یا أمیر المؤمنین کم یلی أوکم یمکث قال عشرین إن بلغها -روایت-۱-۲-روایت-۱۴۷-۴۶۴ قال أبوالفرج وحدثنی محمد بن الحسین أیضا بإسناد ذکره أن الأشعث دخل علی علی فکلمه

فأغلظ على له فعرض له الأشعث أنه سيفتک به فقال له على أبالموت تخوفنى أوتهددنى فو الله ماأبالى وقعت على الموت أووقع الموت على -روايت-۱-۲-روايت-۶۰-۲۳۵ . قال أبوالفرج قال أبومخنف فحدثنى أبى عن عبد الله بن محمدالأزدى قال إنى لأصلى تلک الليلة فى المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر كانوا يصلون فى ذلک الشهر من أول الليل إلى آخره إذ نظرت إلى رجال يصلون قريبا من السدة قياما وقعودا وركوعا وسجودا مايسأمون إذ خرج عليهم على بن أبى طالب الفجر فأقبل ينادى الصلاة الصلاة فرأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول الحكم لله يا على لا لک [صفحه ۱۱۸] ثم رأيت بريق سيف آخر وسمعت صوت على ع يقول لايفوتنكم الرجل . قال أبوالفرج فأما بريق السيف الأول فإنه كان شبيب بن بجرة ضربه فأخطأه ووقعت ضربته فى الطاق و أمابريق السيف الثانى فإنه ابن ملجم ضربه فأثبت الضربة فى وسط رأسه وشد الناس عليهما من كل ناحية حتى أخذوهما. قال أبومخنف فهمدان تذكر أن رجلا منهم يكنى أباأدماء أخذ ابن ملجم . و قال غيرهم بل أخذه المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب طرح عليه قطيفة ثم صرعه وأخذ السيف من يده وجاء به . قال و أماشبيب بن بجرة فإنه خرج هاربا فأخذه رجل فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقتله فرأى الناس يقصدون نحوه فخشى أن يعجلوا عليه فوثب عن صدره وخلاه وطرح السيف عن يده و أماشبيب بن بجرة ففاته فخرج هاربا حتى دخل منزله فدخل عليه ابن عم له فرآه يحل الحرير عن صدره فقال له ما هذاالعلک قتلت أمير المؤمنين فأراد أن يقول لا فقال نعم فمضى ابن عمه فاشتمل على سيفه ثم دخل عليه فضربه حتى قتله . قال أبومخنف فحدثنى أبى عن عبد الله بن محمدالأزدى قال أدخل ابن ملجم على على ع ودخلت عليه فيمن دخل فسمعت عليا يقول النفس بالنفس إن أنامت فاقتلوه كماقتلنى و إن سلمت رأيت فيه رأيى فقال ابن ملجم ولقد اشتريته بألف يعنى السيف وسممته بألف فإن خاننى فأبعده الله قال فنادته أم كلثوم ياعدو الله قتلت أمير المؤمنين قال إنما قتلت أباک قالت ياعدو الله إنى لأرجو -روايت-۱-۲-روايت-۶۵-ادامه دارد [صفحه ۱۱۹] ألا يكون عليه بأس قال فأراک إنما تبكين عليا إذا و الله لقد ضربته ضربة لوقسمت بين أهل الأرض لأهلكتهم -روايت-از قبل-۱۱۲ . قال أبوالفرج وأخرج ابن ملجم من بين يديه و هو يقول نحن ضربنا يابنة الخير إذ طغى || أباحسن مأمومة فتفطرا ونحن حللنا ملكه من نظامه || بضربة سيف إذ علا وتجبرا ونحن كرام فى الصباح أعزة || إذاالمرء بالموت ارتدى وتأزرا . قال وانصرف الناس من صلاة الصبح فأحدقوا بابن ملجم ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم السباع ويقولون ياعدو الله ماذا صنعت أهلكت أمة محمد وقتلت خير الناس وإنه لصامت ماينطق . قال أبوالفرج وروى أبومخنف عن أبى الطفيل أن صعصعة بن صوحان استأذن على على ع و قدأتاه عائدا لماضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن فقال صعصعة للآذن قل له يرحمک الله يا أمير المؤمنين حيا وميتا فلقد كان الله فى صدرک عظما ولقد كنت بذات الله عليما فأبلغه الآذن مقالته فقال قل له و أنت يرحمک الله فلقد كنت خفيف المئونة كثير المعونة -روايت-۱-۲-روايت-۴۹-۳۵۸ . قال أبوالفرج ثم جمع له أطباء الكوفة فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكونى و كان متطببا صاحب كرسى يعالج الجراحات و كان من الأربعين غلاما الذين كان خالد بن الوليد أصابهم فى عين التمر فسباهم فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة فاستخرج منها عرقا وأدخله فى الجرح ثم نفخه ثم [صفحه ۱۲۰] استخرجه و إذا عليه بياض الدماغ فقال يا أمير المؤمنين اعهد عهدک فإن عدو الله قدوصلت ضربته إلى أم رأسک فدعا على ع عند ذلک بدواة وصحيفة وكتب وصيته هذا ماأوصى به أمير المؤمنين على بن أبى طالب أوصى بأنه يشهد أن لاإله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لوكره المشركون صلوات الله وبركاته عليه إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريک له وبذلک أمرت و أناأول المسلمين أوصيک ياحسن وجميع ولدى و أهل بيتى و من بلغه كتابى هذابتقوى الله ربنا وربكم و لاتموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا و لاتفرقوا فإنى سمعت رسول الله يقول صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام و إن المبيرة حالقة الدين إفساد

ذات البين و لاقوة إلابالله العلى العظيم انظروا إلى ذوى أرحامكم فصلوها يهون الله عليكم الحساب و الله الله فى الأيتام فلاتغيرن أفواههم بجفوتكم و الله الله فى جيرانكم فإنها وصية رسول الله ص فما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم الله و الله الله فى القرآن فلايسبقنكم بالعمل به غيركم و الله الله فى الصلاة فإنها عماد دينكم و الله الله فى صيام شهر رمضان فإنه جنة من النار و الله الله فى الجهاد بأموالكم وأنفسكم و الله الله فى زكاة أموالكم فإنها تطفئ غضب ربكم و الله الله فى أهل بيت نبيكم فلايظلمن بين أظهركم و الله الله فى أصحاب نبيكم فإن رسول الله ص أوصى بهم و الله الله فى الفقراء والمساكين فأشركوهم فى معايشكم و الله الله فيما ملكت أيمانكم فإنه كانت آخر وصية رسول الله ص إذ قال أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم ثم الصلاة الصلاة لاتخافوا فى الله لومة لائم يكفكم من بغى عليكم و من أرادكم بسوء قولوا للناس حسنا كماأمركم الله به و لاتتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيتولى ذلك غيركم وتدعون فلايستجاب لكم عليكم بالتواضع والتباذل والتبار وإياكم والتقاطع والتفرق -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۲۱] والتدابر تعاونوا على البر والتقوى و لاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيه أستودعكم الله خير مستودع وعليكم سلام الله ورحمته -روايت-از قبل-۲۰۴ . قلت قوله و الله الله فى الأيتام فلاتغيرن أفواههم بجفوتكم يحتمل تفسيرين أحدهما لاتجيعوهم فإن الجائع يخلف فمه وتتغير نكهته والثانى لاتحوجوهم إلى تكرار الطلب والسؤال فإن السائل ينضب ريقه وتنشف لهواته ويتغير ريح فمه . و قوله حكاية عن رسول الله ص أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم يعنى به الحيوان الناطق والحيوان الأعجم . قال أبوالفرج وحدثنى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى بإسناد ذكره فى الكتاب عن أبى عبدالرحمن السلمى قال قال لى الحسن بن على ع خرجت و أبى يصلى فى المسجد فقال لى يابنى إنى بت الليلة أوقظ أهلى لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فملكتنى عيناى فسنح لى رسول الله ص فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد فقال لى ادع عليهم فقلت أللهم أبدلنى بهم خيرا منهم وأبدلهم بى من هوشر منى قال الحسن ع وجاء ابن أبى الساج فأذنه بالصلاة فخرج فخرجت خلفه فاعتوره الرجلان فأما أحدهما فوقعت ضربته فى الطاق و أماالآخر فأثبتها فى رأسه -روايت-۱-۲-روايت-۱۴۱-۶۱۳ . قال أبوالفرج قال حدثنى أحمد بن عيسى قال حدثنا الحسين بن نصر قال [صفحه ۱۲۲] حدثنازيد بن المعدل عن يحيى بن شعيب عن أبى مخنف عن فضيل بن خديج عن الأسود الكندى والأجلح قالا توفى على ع و هو ابن أربع وستين سنة فى عام أربعين من الهجرة ليلة لإحدى وعشرين ليلة الأحد مضت من شهر رمضان وولى غسله ابنه الحسن و عبد الله بن العباس وكفن فى ثلاثة أثواب ليس فيهاقميص وصلى عليه ابنه الحسن فكبر عليه خمس تكبيرات ودفن بالرحبة مما يلى أبواب كندة عندصلاة الصبح . هذه رواية أبى مخنف . قال أبوالفرج وحدثنى أحمد بن سعيد قال حدثنايحيى بن الحسن العلوى قال حدثنايعقوب بن زيد عن ابن أبى عمير عن الحسن بن على الخلال عن جده قال قلت للحسين بن على ع أين دفنتم أمير المؤمنين ع قال خرجنا به ليلا من منزله حتى مررنا به على منزل الأشعث بن قيس ثم خرجنا به إلى الظهر بجنب الغرى -روايت-۱-۲-روايت-۱۵۵-۳۱۳ . قلت و هذه الرواية هى الحق وعليها العمل و قدقلنا فيما تقدم إن أبناء الناس أعرف بقبور آبائهم من غيرهم من الأجانب و هذاالقبر ألذى بالغرى هو ألذى كان بنو على يزورونه قديما وحديثا ويقولون هذاقبر أبينا لايشك أحد فى ذلك من الشيعة و لا من غيرهم أعنى بنى على من ظهر الحسن و الحسين وغيرهما من سلالته المتقدمين منهم والمتأخرين مازاروا و لاوقفوا إلا على هذاالقبر بعينه . و قدروى أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى فى تاريخه المعروف بالمنتظم وفاة [صفحه ۱۲۳] أبى الغنائم محمد بن على بن ميمون النرسى المعروف بأبى لجوده قراءته قال توفى أبوالغنائم هذا فى سنة عشر وخمسمائة و كان محدثا من أهل الكوفة ثقة حافظا و كان من قوام الليل و من أهل السنة و كان يقول مابالكوفة من هو على مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث غيرى و كان يقول مات بالكوفة ثلاثمائة صحابى ليس قبر أحد منهم معروفا إلاقبر أمير المؤمنين و هو هذاالقبر ألذى

يزوره النـاس الآـن جاء جعفر بن محمـد ع وأبوه محمـد بن على بن الحسـين ع إليه فزاراه و لم يكن إذ ذاك قبرا معروفـا ظاهرا وإنما كان به سـرح عضاه حتى جاء محمـد بن زيد الداعى صاحب الديلم فأظهر القبر. وسألت بعض من أثق به من عقلاء شـيوخ أهـل الكوفـة عمـا ذكره الخطيب أبوبكر فى تـاريخه أن قومـا يقولون إن هـذاالقبر ألـذى تزوره الشـيعة إلى جـانب الغرى هوقـبر المغيرة بن شـعبة فقـال غلطوا فى ذلـك قـبر المغيرة وقبر زيـاد بالثويـة من أرض الكوفـة ونحن نعرفهمـا وننقـل ذلـك عن آبـائنا وأجـدادنا وأنشـدنى قول الشاعر يرثى زيادا و قـدذكره أبوتمام فى الحماسة صـلى الإله على قبر وطهره || عندالثوية يسـفى فوقه المور زفت إليه قريش نعش سـيدها || فالحلم والجود فيه اليوم مقبور أباالمغيرة والـدنيا مفجعة || و إن من غرت الدنيا لمغرور [صفحه ۱۲۴] قـد كان عنـدك للمعروف معرفـة || و كان عندك للمنكور تنكير وكنت تغشـى وتعطى المال من سـعة || فاليوم قبرك أضـحى و هومهجور و الناس بعدك قدخفت حلومهم || كأنما نفخت فيه الأعاصـير . وسألت قطب الدين نقيب الطالبيين أبا عبـد الله الحسـين بن الأقساسـى رحمه الله تعالى عن ذلك فقال صـدق من أخبرك نحن وأهلها كافـة نعرف مقابر ثقيف إلى الثويـة وهى إلى اليوم معروفـة وقبر المغيرة فيها إلاأنها لاتعرف و قدابتلعها السبخ وزبد الأرض وفورانها فطمست واختلط بعضـها ببعض . ثم قـال إن شـئت أن تتحقق أن قبر المغيرة فى مقـابر ثقيف فانظر إلى كتاب الأغانى لأبى الفرج على بن الحسـين والمح ماقـاله فى ترجمـة المغيرة و أنه مـدفون فى مقـابر ثقيف ويكفيـك قول أبى الفرج فـإنه الناقـد البصـير والطبيب الخبير فتصـفحت ترجمة المغيرة فى الكتاب المذكور فوجدت الأمر كماقاله النقيب . قال أبوالفرج كان مصـقلة بن هبيرة الشـيبانى قدلاحى المغيرة فى شـىء كان بينهما منازعـة فضـرع له المغيرة وتواضع فى كلامه حتى طمع فيه مصـقلة فاسـتعلى عليه وشـتمه و قال إنى لأعرف شبهى فى عروة ابنك فأشـهد المغيرة على قوله هذاشـهودا ثم قدمه إلى شـريح القاضـى فأقام عليه البينة فضربه شريح الحد وآلى مصـقلة ألا يقيم ببلـدة فيهاالمغيرة فلم يـدخل الكوفة حتى مات المغيرة فدخلها فتلقاه قومه فسـلموا عليه فما فرغ من السـلام حتى سـألهم عن مقـابر ثقيف فأرشـدوه إليها فجعل قوم من مواليه [صـفحه ۱۲۵] يلتقطون الحجـارة فقال لهم ما هـذافقالوا نظن أنك تريـد أن ترجم قبر المغيرة فقال ألقوا ما فى أيـديكم فانطلق حتى وقف على قبره ثم قال و الله لقـد كنت ماعلمت نافعا لصديقك ضـارا لعـدوك و مامثلك إلا كما قال مهلهل فى كليب أخيه إن تحت الأحجار حزما وعزما || وخصـيما ألـد ذا معلاق حيـة فى الوجار أربـد لاينفع || منه السـليم نفثـة راق . قال أبوالفرج فأما ابن ملجم فإن الحسن بن على بعـددفنه أمير المؤمنين دعا به وأمر بضـرب عنقه فقال له إن رأيت أن تأخـذ على العهود أن أرجع إليك حتى أضع يـدى فى يـدك بعد أن أمضـى إلى الشام فأنظر ماصـنع صاحبى بمعاوية فإن كان قتله و إلاقتلته ثم عدت إليك حتى تحكم فى حكمك فقال هيهات و الله لاتشـرب الماء البارد حتى تلحق روحك بالنار ثم ضـرب عنقه واسـتوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعيـة جثته منه فوهبها لها فأحرقتها بالنار. و قال ابن أبى ميـاس الفزارى و هو من الخوارج فلم أر مهرا ساقه ذو سـماحة || كمهر قطام من غنى ومعـدم ثلاثـة آلاف و عبـد وقينـة || وضرب على بالحسام المصمم فلامهر أغلى من على و إن غلا || و لافتك إلادون فتك ابن ملجم . و قال عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب وهز على بالعراقين لحية || مصـيبتها جلت على كل مسـلم و قال سيأتيها من الله نازل || ويخضبها أشقى البرية بالدم فعاجله بالسيف شلت يمينه || لشؤم قطام عندذاك ابن ملجم [صفحه ۱۲۶] فيا ضربة من خاسر ضل سعيه || تبوأ منها مقعدا فى جهنم ففاز أمير المؤمنين بحظه || و إن طرقت إحـدى الليالى بمعظم ألا إنما الـدنيا بلاء وفتنة || حلاوتها شـيبت بصاب وعلقم . قال أبوالفرج وأنشـدنى عمى الحسن بن محمـد قال أنشـدنى محمد بن سـعد لبعض بنى عبدالمطلب يرثى عليا و لم يذكر اسـمه ياقبر سيدنا المجن سماحة || صلى الإله عليك ياقبر ماضر قبرا أنت ساكنه || ألا يحل بأرضه القطر فلينـدين سماح كفك بالثرى || وليورقن بجنبك الصخر و الله لوبك لم أجد أحدا || إلاقتلت لفاتنى الوتر [صفحه ۱۲۷]

۷۰- و من كلام له ع فى ذم أهل العراق

اشاره

أَمّا بَعدُ يَا أَهلَ العِرَاقِ فَإِنّمَا أَنتُم كَالمَرأَةِ الحَامِلِ حَمَلَت فَلَمّا أَتَمّت أَملَصَت وَ مَاتَ قَيّمُهَا وَ طَالَ تَأَيّمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبعَدُهَا. أَمَا وَ اللّهِ مَا أَتَيتُكُمُ اختِيَاراً وَ لَكِن جِئتُ إِلَيكُم سَوقاً وَ لَقَد بلَغَنَي أَنّكُم تَقُولُونَ عَلِيّ يَكذِبُ قَاتَلَكُمُ اللّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَن أَكذِبُ أَ عَلَى اللّهِ فَأَنَا أَوّلُ مَن آمَنَ بِهِ أَم عَلَى نَبِيّهِ فَأَنَا أَوّلُ مَن صَدّقَ بِهِ كَلّا وَ اللّهِ لَكِنّهَا لَهجَةٌ غِبتُم عَنهَا وَ لَم تَكُونُوا مِن أَهلِهَا وَيلُمّهِ كَيلًا بِغَيرِ ثَمَنٍ لَو كَانَ لَهُ وِعَاءٌ وَ لَتَعلَمُنّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ أملصت الحامل ألقت ولدها سقاطا وقيمها بعلها وتأيمها خلوها عن الأزواج يقول لماشارفتم استئصال أهل الشام وظهرت أمارات الظفر لكم ودلائل الفتح نكصتم وجنحتم إلى السلم والإجابة إلى التحكيم عندرفع المصاحف فكنتم كالمرأة الحامل لماأتمت أشهر حملها ألقت ولدها إلقاء غيرطبيعى نحو أن تلقيه لسقطة أوضربة أوعارض يقتضى أن تلقيه هالكا. ثم لم يكتف لهم بذلك حتى قال ومات بعلها وطال تأيمها وورثها أبعدها أى لم يكن لها ولد و هوأقرب المخلفين إلى الميت و لم يكن لها بعل فورثها الأباعد عنها [صفحه ۱۲۸] كالسافلين من بنى عم وكالمولاة تموت من غيرولد و لا من يجرى مجراه فيرثها مولاها و لانسب بينها وبينه . ثم أقسم أنه لم يأتهم اختيارا ولكن المقادير ساقته إليهم سوقا يعنى اضطرارا. وصدق ع لأنه لو لا يوم الجمل لم يحتج إلى الخروج من المدينة إلى العراق وإنما استنجد بأهل الكوفة على أهل البصرة اضطرارا إليهم لأنه لم يكن جيشه الحجازى وافيا بأهل البصرة الذين أصفقوا على حربه ونكث بيعته و لم يكن خروجه عن المدينة وهى دار الهجرة ومفارقته لقبر رسول الله ص وقبر فاطمة عن إيثار ومحبة ولكن الأحوال تحكم وتسوق الناس إلى ما لايختارونه ابتداء. و قدروى هذاالكلام على وجه آخر ماأتيتكم اختيارا و لاجئت إليكم شوقا بالشين المعجمة. ثم قال بلغنى أنكم تقولون يكذب و كان كثيرا مايخبر عن الملاحم والكائنات ويومئ إلى أمور أخبره بها رسول الله ص فيقول المنافقون من أصحابه يكذب كما كان المنافقون الأولون فى حياة رسول الله ص يقولون عنه يكذب . وروى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن رجاله قال خطب على ع فقال و الله لوأمرتكم فجمعتم من خياركم مائة ثم لوشئت لحدثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس لاأخبرتكم إلاحقا ثم لتخرجن فلتزعمن أنى أكذب الناس وأفجرهم -روايت-۱-۲-روايت-۷۳-۲۳۰ و قدروى صاحب هذاالكتاب وغيره من الرواة أنه قال إن أمرنا صعب مستصعب لايحمله إلاملك مقرب أونبى مرسل أو عبدامتحن الله قلبه للإيمان -روايت-۱-۲-روايت-۵۶-۱۴۸ . [صفحه ۱۲۹] و هذاالكلام منه كلام عارف عالم بأن فى الناس من لايصدقه فيما يقول و هذاأمر مركوز فى الجبلة البشرية و هواستبعاد الأمور الغريبة وتكذيب الأخبار بها و إذاتأملت أحواله فى خلافته كلها وجدتها هى مختصرة من أحوال رسول الله ص فى حياته كأنها نسخة منتسخة منها فى حربه وسلمه وسيرته وأخلاقه وكثرة شكايته من المنافقين من أصحابه والمخالفين لأمره و إذاأردت أن تعلم ذلك علما واضحا فاقرأ سورة براءة ففيها الجم الغفير من المعنى ألذى أشرنا إليه

ذكر مطاعن النظام على الإمام على والرد عليه

واعلم أن النظام لماتكلم فى كتاب النكت وانتصر لكون الإجماع ليس بحجة اضطر إلى ذكر عيوب الصحابة فذكر لكل منهم عيبا ووجه إلى كل واحد منهم طعنا و قال فى على إنه لماحارب الخوارج يوم النهروان كان يرفع رأسه إلى السماء تارة ينظر

إليها ثم يطرق إلى الأرض فينظر إليها تارة أخرى يوهم أصحابه أنه يوحى إليه ثم يقول ماكذبت و لاكذبت فلما فرغ من قتالهم وأديل عليهم ووضعت الحرب أوزارها قال الحسن ابنه يا أمير المؤمنين أ كان رسول الله ص تقدم إليك فى أمر هؤلاء بشىء فقال لا ولكن رسول الله ص أمرنى بكل حق و من الحق أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين -روايت-١-١٨٧ . قال النظام و قوله ماكذبت و لاكذبت ورفعه رأسه أحيانا إلى السماء وأطراقه إلى الأرض إيهام أمالنزول الوحى عليه أولأنه قدأوصى من قبل فى شأن الخوارج بأمر ثم هو يقول ماأوصى فيهم على خصوصيتهم بأمر وإنما أوصى بكل الحق وقتالهم من الحق . [صفحه ١٣٠] و هذاعجيب طريف .فنقول إن النظام أخطأ عندنا فى تعريضه بهذا الرجل خطأ قبيحا و قال قولا منكرا نستغفر الله له من عقابه ونسأله عفوه عنه وليست الرواية التى رواها عن الحسن وسؤاله لأبيه وجوابه له بصحيحة و لامعروفة والمشهور المعروف المنقول نقلا يكاد يبلغ درجة المتواتر من الأخبار ماروى عن رسول الله ص فى معنى الخوارج بأعيانهم وذكرهم بصفاتهم و قوله ص لعلى ع إنك مقاتلهم وقاتلهم و إن المخدج ذا الثدية منهم وإنك ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين -روايت-١-٢-روايت-٢٢-١٢٦ فجعلهم أصنافا ثلاثة حسب ماوقعت الحال عليه و هذا من معجزات الرسول ص وإخباره عن الغيوب المفصلة فما أعلم من أى كتاب نقل النظام هذه الرواية و لا عن أى محدث رواها ولقد كان رحمه الله تعالى بعيدا عن معرفة الأخبار والسير منصبا فكره مجهدا نفسه فى الأمور النظرية الدقيقة كمسألة الجزء ومداخلة الأجسام وغيرهما و لم يكن الحديث والسير من فنونه و لا- من علومه و لاريب أنه سمعها ممن لايوثق بقوله فنقلها كماسمعها.فأما كونه ع كان ينظر تارة إلى السماء وتارة إلى الأرض و قوله ماكذبت و لاكذبت فصحيح وموثوق بنقله لاستقامته وشهرته وكثرة رواته والوجه فى ذلك أنه استبطأ وجود المخدج حيث طلبه فى جملة القتلى فلما طال الزمان وأشفق من دخول شبهة على أصحابه لما كان قدمه إليهم من الأخبار قلق واهتم وجعل يكرر قوله ماكذبت و لاكذبت أى ماكذبت على رسول الله ص و لاكذبنى رسول الله ص فيما أخبرنى به .فأما رفعه رأسه إلى السماء تارة وأطراقه إلى الأرض أخرى فإنه حيث كان يرفع [صفحه ١٣١] رأسه كان يدعو ويتضرع إلى الله فى تعجيل الظفر بالمخدج وحيث يطرق كان يغلبه الهم والفكر فيطرق . ثم حين يقول ماكذبت و لاكذبت كيف ينتظر نزول الوحى فإن من نزل عليه الوحى لايحتاج أن يسند الخبر إلى غيره و يقول ماكذبت فيما أخبرتكم به عن رسول الله ص . ومما طعن به النظام عليه أنه ع قال إذاحدثتكم عن رسول الله ص فهو كماحدثتكم فو الله لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أكذب على رسول الله ص و إذاسمعتمونى أحدثكم فيما بينى وبينكم فإنما الحرب خدعة -روايت-١-٢-روايت-١٦-١٩١ . قال النظام هذايجرى مجرى التدليس فى الحديث و لو لم يحدثهم عن رسول الله ص بالمعاريض و على طريق الإيهام لمااعتذر من ذلك .فنقول فى الجواب إن النظام قدوهم وانعكس عليه مقصد أمير المؤمنين و ذلك أنه ع لشدة ورعه أراد أن يفصل للسامعين بين مايخبر به عن نفسه و بين مايرويه عن رسول الله ص و ذلك لأن الضرورة ربما تدعوه إلى استعماله المعاريض لاسيما فى الحرب المبنية على الخديعة والرأى فقال لهم كلما أقول لكم قال لى رسول الله ص فاعلموا أنه سليم من المعاريض خال من الرمز والكناية لأنى لاأستجيز و لاأستحل أن أعمى أوألغز فى حديث رسول الله ص . و ماحدثتكم به عن نفسى فربما أستعمل فيه المعاريض لأن الحرب خدعة. [صفحه ١٣٢] و هذاكلام رجل قداستعمل التقوى والورع فى جميع أموره وبلغ من تعظيم أمر الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام وإجلال قدره واحترام حديثه ألا يرويه إلابألفاظه لابمعانيه و لابأمر يقتضى فيه إلباسا وتعمية و لو كان مضطرا إلى ذلك ترجيحا للجانب ألذى على جانب مصلحته فى خاص نفسه فأما إذا هو قال كلاما يبتدئ به من نفسه فإنه قديستعمل فيه المعاريض إذااقتضت الحكمة والتدبير ذلك فقد كان رسول الله ص باتفاق الرواة كافة إذاأراد أن يغزو وجها ورى عنه بغيره و لماخرج ع من المدينة لفتح مكة قال لأصحابه كلاما يقتضى أنه يقصد بنى بكر بن عبدمناة من كنانة فلم يعلموا حقيقة حاله حتى شارف مكة و قال حين هاجر وصحبه أبوبكر الصديق لأعرابى لقيهما من أين أنت وممن أنت فلما انتسب لهما

قـال له الأـعرابى أما أنافقـد اطلعتكما طلع أمرى فممن أنت فقال من ماء لم يزده على ذلك فجعل الأعرابى يفكر و يقول من أى مـاء من مـاء بنى فلاـن من ماء بنى فلان فتركه و لم يفسـر له وإنما أراد ع أنه مخلوق من نطفـة.فأما قول النظام لو لم يحـدث عن رسول الله ص بالمعـاريض لمااعتـذر من ذلك فليس فى كلامه اعتـذار ولكنه نفى أن يـدخل المعاريض فى روايته وأجازها فيما يبتـدئ به عن نفسه و ليس يتضـمن هذااعتـذارا و قوله لأن أخر من السـماء يدل على أنه مافعل ذلك و لايفعله . ثم قال على من أكـذب يقول كيف أكـذب على الله و أنـاأول المؤمنين به وكيف أكـذب على رسول الله و أنـاأول المصـدقين به أخرجه مخرج الاسـتبعاد لـدعواهم وزعمهم . فـإن قلت كـيف يمكن أن يكون المكلف ألـذى هو من أتبـاع الرسول كاذبـا على الله إلابواسـطة إخباره عن الرسول لأنه لاوصلة و لاواسطة بينه و بين الله تعالى إلاالرسول . [صفحه ١٣٣] و إذا لم يمكن كذبه على الله إلابكذبه على الرسول لم يبق لتقسـيم الكـذب و قوله أفأنـا أكـذب على الله أو على رسوله معنى . قلت يمكن أن يكـذب الكاذب على الله دون أن يكون كاذبـا على الرسول و إن كـان من أتبـاع الرسول نحو أن يقول كنت مع الرسول ص ليلـة فى مقبرة فأحيا الله تعالى فلانا الميت فقام و قال كذا أو يقول كنت معه يوم كذا فسـمعت مناديا يناديه من السماء افعل كذا أونحو ذلك من الأخبار بأمور لاتسـتند إلى حـديث الرسول . ثم قـال ع كلا و الله أى لا و الله وقيل إن كلا بمعنى حقا وإنه إثبات . قال ولكنها لهجـة غبتم عنها اللهجـة بفتـح الجيم وهى آلـة النطـق يقـال له هوفصـيح اللهجـة وصـادق اللهجـة ويمكن أن يعنى بهالهجـة رسول الله ص فيقول شهـدت وغبتم ويمكن أن يعنى بهالهجته هوفيقول إنها لهجـة غبتم عن منافعها وأعـدمتم أنفسـكم ثمن مناصـحتها. ثم قال ويلمه الضمير راجع إلى مادل عليه معنى الكلام من العلم لأنه لماذكر اللهجـة وشهوده إياها وغيوبتهم عنها دل ذلك على علم له خصه به الرسول ع فقال ويلمه و هـذه كلمـة تقال للتعجب والاسـتعظام يقال ويلمه فارسا وتكتب موصولـة كماهى بهذه الصورة وأصـله ويل أمه مرادهم التعظيم والمـدح و إن كان اللفظ موضوعا لضد ذلك كقوله ع فاظفر بذات الدين تربت يداك -روايت-١-٢-روايت-١٢-٤٣ وكقولهم للرجل يصـفونه ويقرظونه لا أبا له . و قال الحسن البصـرى و هويذكر عليا ع ويصف كونه على الحق [صفحه ١٣٤] فى جميع أموره حتى قال فلما شارف الظفر وافق على التحكيم و ما لك فى التحكيم والحق فى يديك لا أبا لك . قـال أبوالعبـاس المبرد هى كلمـة فيهاجفـاء وخشونـة كانت الأعراب تسـتعملها فيمن يسـتعظمون أمره قال و لماأنشـد سـليمان بن عبـدالملك قول بعض الأعراب رب العباد مالنا و مالكا || قـدكنت تسـقينا فما بدا لكا أنزل علينا الغيث لا أبالكا . قال أشـهد أنه لاأب له و لاصاحبة و لاولد فأخرجها أحسن مخرج . ثم قال ع كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء انتصب كيلا لأنه مصدر فى موضـع الحـال ويمكـن أن ينتصب على التمييز كقـولهم لله دره فارسـا يقـول أناأكيـل لكم العلم والحكمـة كيلاـ و لاـأطلب لـذلك ثمنا لووجـدت وعاء أى حاملا للعلم و هـذامثل قوله ع ها إن بين جنبى علما جما لوأجد له حملة -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٦٢ . ثم ختم الفصل بقوله تعالى وَ لَتَعلَمُنّ نَبَأَهُ بَعدَ حِينٍ و هوأحسن ماختم هذاالكلام به -قرآن-٣١-٦٥

خطبة الإمام على بعد يوم النهروان

وروى المدائنى فى كتاب صـفين قال خطب على ع بعدانقضاء أمر النهروان فذكر طرفا من الملاحم قال إذاكثرت فيكم الأخلاط واسـتولت الأنباط دنا خراب العراق ذاك إذابنيت مدينة ذات أثل وأنهار فإذاغلت فيهاالأسعار وشيد فيهاالبنيان وحكم فيهاالفساق واشـتد البلاـء وتفـاخر الغوغاء دنا خسوف البيـداء وطاب الهرب والجلاء وسـتكون قبل الجلاء أمور يشـيب منها الصـغير ويعطب الكبير ويخرس الفصيح -روايت-١-٢-روايت-١٠٢-ادامه دارد [صـفحه ١٣٥] ويبهت اللبيب يعاجلون بالسـيف صلتا و قدكانوا قبل ذلك فى غضارة من عيشهم يمرحون فيا لها مصيبة حينئذ من البلاء العقيم والبكاء الطويل والويل والعويل وشدة الصريخ فى

ذلـک أمر الله و هوکائن وقتا یریـج فیا بن حرهٔ الإماء متی تنتظر أبشـر بنصـر قریب من رب رحیم ألا فویل للمتکبرین عنـدحصاد الحاصدین وقتل الفاسـقین عصاه ذی العرش العظیم فبأبی وأمی من عدهٔ قلیلهٔ أسماؤهم فی الأرض مجهولهٔ قددنا حینئذ ظهورهم و لوشـئت لأـخبرتکم بمـا یأتی و یکون من حوادث دهرکم ونوائب زمانکم وبلایا أیامکم وغمرات ساعاتکم ولکنه أفضـیه إلی من أفضـیه إلیه مخافـهٔ علیکم ونظرا لکم علما منی بما هوکائن و ما یکون من البلاء الشامل ذلک عندتمرد الأشـرار وطاعهٔ أولی الخسـار ذاک أوان الحتف والـدمار ذاک أدبـار أمرکم وانقطاع أصـلکم وتشـتت ألفتکم وإنما یکون ذلک عنـدظهور العصـیان وانتشار الفسوق حیث یکون الضـرب بالسـیف أهون علی المؤمنین من اکتساب درهم حلال حین لاتنال المعیشـهٔ إلابمعصـیهٔ الله فی سـمائه حیـن تسـکرون من غیرشـراب وتحلفـون من غیراضـطرار وتظلمـون من غیرمنفعـهٔ وتکـذبون من غیرإحراج تتفکهـون بالفسوق وتبادرون بالمعصـیهٔ قولکم البهتان وحـدیثکم الزور وأعمالکم الغرور فعند ذلک لاتأمنون البیات فیا له من بیات ماأشـد ظلمته و من صائح ماأفظع صوته ذلک بیات لاینمی صاحبه فعند ذلک تقتلون وبأنواع البلاء تضـربون وبالسـیف تحصدون و إلی النار تصـیرون ویعضـکم البلاء کمایعض الغارب القتب یاعجبا کل العجب بین جمادی ورجب من جمع أشـتات وحصـد نبات و من أصوات بعدها أصوات ثم قال سـبق القضاء سـبق القضاء -روایت-از قبل-۱-روایت-۲-ادامه دارد [صـفحه ۱۳۶] قال رجل من أهل البصرهٔ لرجل من أهل الکوفهٔ إلی جانبه أشهد أنه کاذب علی الله ورسوله قال الکوفی و مایدریک قال فو الله مانزل علی من المنبر حتی فلج الرجل فحمل إلی منزله فی شق محمل فمات من لیلته -روایت-از قبل-۲۱۳

من خطب الإمام علی أیضا

وروی المـدائنی أیضـا قـال خطب علی ع فقـال لوکسـرت لی الوسـادهٔ لحکمت بین أهـل التـوراهٔ بتـوراتهم و بین أهـل الإـنجیل بـإنجیلهم و بین أهـل الفرقـان بفرقانهم و ما من آیـهٔ فی کتاب الله أنزلت فی سـهل أوجبل إلا و أناعالم متی أنزلت وفیمن أنزلت فقال رجل من القعود تحت منبره یالله وللـدعوی الکاذبهٔ و قال آخر إلی جانبه أشـهد أنک أنت الله رب العالمین -روایت-۱-۲-روایت-۴۷-۳۶۳ قـال المـدائنی فانظر إلی هـذاالتناقض والتباین فیه وروی المـدائنی أیضا قال خطب علی ع فـذکر الملاحم فقال سلونی قبل أن تفقـدونی أما و الله لتشـغرن الفتنهٔ الصـماء برجلها وتطأ فی خطامها یالها من فتنهٔ شـبت نارها بالحطب الجزل مقبلهٔ من شـرق الأرض رافعـهٔ ذیلها داعیـهٔ ویلها بدجلـهٔ أوحولها ذاک إذااسـتدار الفلک وقلتم مات أوهلک بأی واد سـلک فقال قوم تحت منبره لله أبوه ماأفصحه کاذبا -روایت-۱-۲-روایت-۶۰-۳۴۰ وروی صاحب کتاب الغارات عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث -روایت-۱-۲ [صفحه ۱۳۷] قال سـمعت علیا یقول علی المنبر ماأحـد جرت علیه المواسـی إلا و قدأنزل الله فیه قرآنـا فقـام إلیه رجل فقال یا أمیر المؤمنین فما أنزل الله تعالی فیک قال یریـد تکـذیبه فقام الناس إلیه یلکزونه فی صـدره وجنبه فقال دعوه أقرأت سورهٔ هود قال نعم قال أقرأت قوله سـبحانه أَ فَمَن کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِن رَبِّهِ وَ یَتلُوهُ شاهِدٌ مِنهُ قال نعم قال صاحب البینهٔ محمد والتالی الشاهد أنا -روایت-۳۵-۳۹۳ [صفحه ۱۳۸]

۷۱- و من خطبهٔ له ع علم فیها الناس الصلاهٔ علی النبی ص

اشاره

أَللّهُمّ دَاحِيَ المَدحُوّاتِ وَ دَاعِمَ المَسمُوكَاتِ وَ جَابِلَ القُلُوبِ عَلَى فِطَرَاتِهَا شَقِيّهَا وَ سَعِيدِهَا اجعَل شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَ نَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمّدٍ عَبدِكَ وَ رَسُولِكَ الخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَ الفَاتِحِ لِمَا انغَلَقَ وَ المُعلِنِ الحَقّ بِالحَقّ وَ الدّافِعِ جَيشَاتِ الأَبَاطِيلِ وَ الدّامِغِ صَولَاتِ الأَضَالِيلِ كَمَا حُمّلَ فَاضطَلَعَ قَائِماً بِأَمرِكَ مُستَوفِزاً فِي مَرضَاتِكَ غَيرَ نَاكِلٍ عَن قُدُمٍ وَ لَا وَاهٍ فِي عَزمٍ وَاعِياً لِوَحيِكَ حَافِظاً لِعَهدِكَ مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمرِكَ حَتّى أَورَى قَبَسَ القَابِسِ وَ أَضَاءَ الطّرِيقَ لِلخَابِطِ وَ هُدِيَت بِهِ القُلُوبُ بَعدَ خَوضَاتِ الفِتَنِ وَ الآثَامِ وَ أَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعلَامِ وَ نَيّرَاتِ الأَحكَامِ فَهُوَ أَمِينُكَ المَأمُونُ وَ خَازِنُ عِلمِكَ المَخزُونِ وَ شَهِيدُكَ يَومَ الدّينِ وَ بَعِيثُكَ بِالحَقّ وَ رَسُولُكَ إِلَى الخَلقِ أَللّهُمّ افسَح لَهُ مَفسَحاً فِي ظِلّكَ وَ اجزِهِ مُضَاعَفَاتِ الخَيرِ مِن فَضلِكَ أَللّهُمّ وَ أَعلِ عَلَى بِنَاءِ البَانِينَ بِنَاءَهُ وَ أَكرِم لَدَيكَ مَنزِلَتَهُ وَ أَتمِم لَهُ نُورَهُ وَ اجزِهِ مِنِ ابتِعَاثِكَ لَهُ مَقبُولَ الشّهَادَةِ مَرضِيّ المَقَالَةِ ذَا مَنطِقٍ عَدلٍ وَ خُطبَةٍ فَصلٍ أَللّهُمّ اجمَع بَينَنَا وَ بَينَهُ فِي بَردِ العَيشِ وَ قَرَارِ النّعمَةِ وَ مُنَى الشّهَوَاتِ وَ أَهوَاءِ اللّذّاتِ وَ رَخَاءِ الدّعَةِ وَ مُنتَهَى الطّمَأنِينَةِ وَ تُحَفِ الكَرَامَةِ [صفحه ۱۳۹] دحوت الرغيف دحوا بسطته والمدحوات هنا الأرضون . فإن قلت قدثبت أن الأرض كرية فكيف تكون بسيطة والبسيط هوالمسطح والكرى لا يكون مسطحا. قلت الأرض بجملتها شكل كرة و ذلك لايمنع أن تكون كل قطعة منها مبسوطة تصلح لأن تكون مستقرا ومجالا للبشر وغيرهم من الحيوان فإن المراد بانبساطها هاهنا ليس هوالسطح الحقيقى ألذى لايوجد فى الكرة بل كون كل قطعة منها صالحة لأن يتصرف عليها الحيوان لايعنى به غير ذلك . وداحى المدحوات ينتصب لأنه منادى مضاف تقديره ياباسط الأرضين المبسوطات قوله وداعم المسموكات أى حافظ السموات المرفوعات دعمت الشيء إذاحفظته من الهوى بدعامه والمسموك المرفوع قال إن ألذى سمك السماء بنى لنا || بيتا دعائمه أعز وأطول . ويجوز أن يكون عنى بكونها مسموكة كونها ثخينة وسمك الجسم هوالبعد ألذى يعبر عنه المتكلمون بالعمق و هوقسيم الطول والعرض و لا شيءأعظم ثخنا من الأفلاك . فإن قلت كيف قال إنه تعالى دعم السموات وهى بغير عمد. قلت إذا كان حافظا لها من الهوى بقدرته وقوته فقد صدق عليه كونه داعما لها لأن قوته الحافظة تجرى مجرى الدعامة. قوله وجابل القلوب أى خالقها والجبل الخلق وجبلة الإنسان خلقته وفطراتها بكسر الفاء وفتح الطاء جمع فطرة ويجوز كسر الطاء كماقالوا فى سدرة سدرات وسدرات والفطرة الحالة التى يفطر الله عليها الإنسان أى يخلقه عليها خاليا من الآراء [صفحه ۱۴۰] والديانات والعقائد والأهوية وهى مايقتضيه محض العقل وإنما يختار الإنسان بسوء نظره مايفضى به إلى الشقوة و هذامعنى قول النبى ص كل مولود يولد على الفطرة فإنما أبواه يهودانه أوينصرانه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۷۶ قوله شقيها وسعيدها بدل من القلوب وتقدير الكلام وجابل الشقى من القلوب والسعيد على مافطرت عليه . والنوامى الزوائد والخاتم لماسبق أى لماسبق من الملل والفاتح لماانغلق من أمر الجاهلية والمعلن الحق بالحق أى المظهر للحق ألذى هوخلاف الباطل بالحق أى بالحرب والخصومة يقال حاق فلان فلانا فحقه أى خاصمه فخصمه ويقال ما فيه حق أى خصومة. قوله والدافع جيشات الأباطيل جمع جيشة من جاشت القدر إذاارتفع غليانها. والأباطيل جمع باطل على غيرقياس والمراد أنه قامع مانجم من الباطل . والدامغ المهلك من دمغه أى شجه حتى بلغ الدماغ و مع ذلك يكون الهلاك . والصولات جمع صولة وهى السطوة والأضاليل جمع ضلال على غيرقياس . قوله كماحمل أى لأجل أنه يحمل والعرب تستعمل هذه الكاف بمعنى التعليل قال الشاعر فقلت له أباالملحاء خذها || كماأوسعتنا بغيا وعدوا أى هذه الضربة لبغيك علينا وتعديك . و قوله كماحمل يعنى حمل أعباء الرسالة فاضطلع أى نهض بهاقويا فرس ضليع أى قوى وهى الضلاعة أى القوة.مستوفزا أى غبر بطيء بل يحث نفسه ويجهدها فى رضا الله سبحانه والوفز العجلة والمستوفز المستعجل . [صفحه ۱۴۱] غيرناكل عن قدم أى غيرجبان و لامتأخر عن إقدام والمقدام المتقدم يقال مضى قدما أى تقدم وسار و لم يعرج . قوله و لاواه فى عزم وهى أى ضعف والواهى الضعيف .واعيا لوحيك أى فاهما وعيت الحديث أى فهمته وعقلته .ماضيا على نفاذ أمرك فى الكلام حذف تقديره ماضيا مصرا على نفاذ أمرك كقوله تعالى فِي تِسعِ آياتٍ إِلى فِرعَونَ و لم يقل مرسلا لأن

الكلام يـدل بعضه على بعض . و قوله حتى أورى قبس القابس يقال ورى الزند يرى أى خرج ناره وأوريته أنا والقبس شـعله من النـار والمراد بـالقبس هاهنا نور الحق والقابس ألـذى يطلب النار يقال قبست منه نارا وأقبسـنى نارا أى أعطانيها. و قال الراونـدى أقبست الرجـل علمـا وقبسـته نـارا أعطيته فـإن كنت طلبتها له قلت أقبسـته نارا. و قال الكسائى أقبسـته نارا وعلما سواء قال ويجوز قبسته بغير همزة فيهما. قوله وأضاء الطريق للخابط أى جعل الطريق للخابط مضيئة والخابط ألذى يسير ليلا على غيرجادة واضحة. و هذه الألفاظ كلها استعارات ومجازات . وخوضات الفتن جمع خوضة وهى المرة الواحدة من خضت الماء والوحل أخوضـهما وتقـدير الكلام وهـديت به القلوب إلى الأعلام الموضـحة بعد أن خاضت فى الفتن أطوارا والأعلام جمع علم و هو مايسـتدل به على الطريق كالمنارة ونحوها. والموضـحة التى توضح للناس الأمور وتكشفها والنيرات ذوات النور. قوله فهو أمينك المأمون أى أمينـك على وحيـك والمـأمون من ألقـاب رسول الله ص قـال كعب بن زهير –قرآن-۳۰۴-۳۳۲ [صـفحه ۱۴۲] سقاك أبوبكر بكأس روية || وانهلك المأمون منها وعلكا . وخازن علمك المخزون بالجر صـفة علمك والعلم الإلهى المخزون هو مااطلع الله تعالى عليه ورسوله من الأمور الخفيـة التى لاتتعلق بالأحكام الشـرعية كالملاحم وأحكام الآخرة و غير ذلك لأن الأمور الشـرعية لاـيجوز أن تكون مخزونـة عن المكلفين . و قوله وشـهيدك يوم الـدين أى شاهـدك قـال سـبحانه فَكَيفَ إِذا جِئنـا مِن كُلّ أُمّةٍ بِشَـهِيدٍ وَ جِئنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَـهِيداً. والبعيث المبعوث فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريـح وصـريع ومفسـحا مصدر أى وسع له مفسـحا. و قوله فى ظلك يمكن أن يكون مجازا كقولهم فلان يشـملنى بظله أى بإحسانه وبره ويمكن أن يكون حقيقة ويعنى به الظل الممـدود ألـذى ذكره الله تعالى فقال وَ ظِلّ مَمـدُودٍ وَ ماءٍ مَسـكُوبٍ. و قوله وأعل على بناء البانين بناءه أى اجعل منزلته فى دار الثواب أعلى المنـازل . وأتمم له نوره من قوله تعـالى رَبّنـا أَتمِم لَنا نُورَنا و قـدروى أنه تطفأ سائر الأنوار إلانور محمـدص ثم يعطى المخلصون من أصـحابه أنوارا يسيرة يبصـرون بهامواطئ الأقدام فيدعون إلى الله تعالى بزيادة تلك الأنوار وإتمامها ثم إن الله تعـالى يتم نور محمـدص فيسـتطيل حتى يملأـ الآفـاق فـذلك هوإتمـام نوره ص . قوله من ابتعاثـك له أى فى الآخرة.مقبول الشـهادة أى مصـدقا فيمـا يشـهد به على أمته و على غيرهـا من الأـمم . –قرآن-۲۹۴-۳۷۳-قرآن-۶۲۳-۶۵۵-قرآن-۷۷۷-۸۰۲ [صفحه ۱۴۳] و قوله ذا منطق عـدل أى عـادل و هومصـدر أقيم مقـام اسم الفاعـل كقولك رجل فطر وصوم أى مفطر وصائم . و قوله وخطبـة فصـل أى يخطب خطبـة فاصـلة يوم القيامـة كقوله تعـالى إِنّهُ لَقَولٌ فَصلٌ وَ ما هُوَ بِالهَزلِ أى فاصل يفصل بين الحق والباطل و هـذا هوالمقام المحمود ألـذى ذكره الله تعالى فى الكتاب فقال عَسـى أَن يَبعَثَكَ رَبّكَ مَقاماً مَحمُوداً و هو ألذى يشار إليه فى الدعوات فى قولهم أللهم آت محمدا الوسـيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود. قوله فى برد العيش تقول العرب عيش بـارد ومعيشـة باردة أى لاحرب فيها و لانزاع لأن البرد والسـكون متلازمان كتلازم الحر والحركـة. وقرار النعمـة أى مسـتقرها يقال هذاقرار السـيل أى مسـتقره و من أمثالهم لكل سائلة قرار. ومنى الشـهوات ماتتعلق به الشـهوات من الأمانى وأهواء اللـذات ماتهواه النفوس وتسـتلذه والرخاء المصدر من قولك رجل رخى البال فهو بين الرخاء أى واسع الحال . والدعة السـكون والطمأنينـة وأصـلها الواو. ومنتهى الطمأنينـة غايتهـا التى ليس بعـدها غايـة. والتحف جمع تحفـة وهى مـايكرم به الإنسان من البر واللطف ويجوز فتح الحاء –قرآن-۱۶۷-۲۰۷-قرآن-۳۰۷-۳۴۹

معنى الصلاة على النبى والخلاف فى جواز الصلاة على غيره

فإن قلت مامعنى الصلاة على الرسول ص التى قال الله تعالى فيها [صفحه ۱۴۴] إِنّ اللّهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلّونَ عَلَى النّبِيّ يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا صَـلّوا عَلَيهِ وَ سَـلّمُوا تَسلِيماً. قلت الصـلاة من الله تعـالى هى الإكرام والتبجيل ورفع المنزلـة والصـلاة منا على النبى ص هى

الدعاء له بذلك فقوله سبحانه هُوَ أَلّذِی یصَلّیِ عَلَیکَم أی هو ألذی یرفع منازلکم فی الآخرة و قوله وَ مَلائِکَتُهُ أی یدعون لکم بذلک . وقیل جعلوا لکونهم مستجابی الدعوة کأنهم فاعلون التعظیم للمؤمن ورفع المنزلة ونظیره قوله حیاک الله أی أحیاک الله وأبقاک وحییتک أی دعوت لک بأن یحییک لأنک لاعتمادک علی إجابة دعوتک ووثوقک بذلک کأنک تحییه وتبقیه علی الحقیقة وهکذا القول فی قوله سبحانه إِنّ اللّهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلّونَ عَلَی النّبِیّ. و قداختلف فی الصلاة علی النبی ص هل هی واجبة أم لا.فمن الناس من لم یقل بوجوبها وجعل الأمر فی هذه الآیة للندب ومنهم من قال إنها واجبة. واختلفوا فی حال وجوبها فمنهم من أوجبها کلما جری ذکره -قرآن-۱-۱۱۷-قرآن-۲۴۴-۲۷۲-قرآن-۳۱۸-۳۳۲-قرآن-۶۲۸-۶۷۹ و فی الحدیث من ذکرت عنده فلم یصل علی دخل النار وأبعده الله -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۷۱ ومنهم من قال تجب فی کل مجلس مرة واحدة و إن تکرر ذکره ومنهم من أوجبها فی العمر مرة واحدة وکذلک قال فی إظهار الشهادتین . واختلف أیضا فی وجوبها فی الصلاة المفروضة فأبو حنیفة وأصحابه لایوجبونها فیها وروی عن ابراهیم النخعی أنهم کانوا یکتفون یعنی الصحابة عنها بالتشهد و هو السلام علیک أیها النبی ورحمة الله وبرکاته وأوجبها الشافعی وأصحابه واختلف أصحابه فی وجوب الصلاة علی آل محمدص فالأکثرون علی أنها واجبة وأنها شرط فی صحة الصلاة. [صفحه ۱۴۵] فإن قلت فما تقول فی الصلاة علی الصحابة والصالحین من المسلمین . قلت القیاس جواز الصلاة علی کل مؤمن لقوله تعالی هُوَ أَلّذِی یصَلّیِ عَلَیکُم وَ مَلائِکَتُهُ و قوله وَ صَلّ عَلَیهِم إِنّ صَلاتَکَ سَکَنٌ لَهُم و قوله أُولئِکَ عَلَیهِم صَلَواتٌ مِن رَبّهِم وَ رَحمَةٌ ولکن العلماء قالوا إذاذکر أحد من المسلمین تبعا للنبی ع فلاکلام فی جواز ذلک و أما إذاأفردوا أوذکر أحد منهم فأکثر الناس کرهوا الصلاة علیه لأن ذلک شعار رسول الله فلایشرکه فیه غیره . و أماأصحابنا من البغدادیین فلهم اصطلاح آخر و هوأنهم یکرهون إذاذکروا علیا ع أن یقولوا صلی الله علیه و لایکرهون أن یقولوا صلوات الله علیه وجعلوا اللفظة الأولی مختصة بالرسول ص وجعلوا اللفظة الثانیة مشترکة فیهابینهما ع و لم یطلقوا لفظ الصلاة علی أحد من المسلمین إلا علی علی وحده -قرآن-۱۱۹-۱۶۳-قرآن-۱۷۲-۲۱۴-قرآن-۲۲۳-۲۷۱ [صفحه ۱۴۶]

۷۲- و من کلام له ع قاله لمروان بن الحکم بالبصرة

اشاره

قَالُوا أُخِذَ مَروَانُ بنُ الحَکَمِ أَسِیراً یَومَ الجَمَلِ فَاستَشفَعَ الحَسَنَ وَ الحُسَینَ ع إِلَی أَمِیرِ المُؤمِنِینَ ع فَکَلّمَاهُ فِیهِ فَخَلّی سَبِیلَهُ فَقَالَا لَهُ یُبَایِعُکَ یَا أَمِیرَ المُؤمِنِینَ قَالَ ع أَ وَ لَم یُبَایِعنِی بَعدَ قَتلِ عُثمَانَ لَا حَاجَةَ لِی فِی بَیعَتِهِ إِنّهَا کَفّ یَهُودِیّةٌ لَو بَایَعَنِی بِیَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبّتِهِ أَمَا إِنّ لَهُ إِمرَةً کَلَعقَةِ الکَلبِ أَنفَهُ وَ هُوَ أَبُو الأَکبُشِ الأَربَعَةِ وَ سَتَلقَی الأُمّةُ مِنهُ وَ مِن وُلدِهِ یَوماً أَحمَرَ قدروی هذاالخبر من طرق کثیرة ورویت فیه زیادة لم یذکرها صاحب نهج البلاغة وهی قوله ع فی مروان یحمل رایة ضلالة بعد مایشیب صدغاه و إن له إمرة -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۷۷ إلی آخر الکلام . و قوله فاستشفع الحسن و الحسین إلی أمیر المؤمنین ع هوالوجه یقال استشفعت فلانا إلی فلان أی سألته أن یشفع لی إلیه وتشفعت إلی فلان فی فلان فشفعنی فیه تشفیعا وقول الناس استشفعت بفلان إلی فلان بالباء لیس بذلک الجید. وقول أمیر المؤمنین ع أ و لم یبایعنی بعدقتل عثمان أی و قدغدر وهکذا لوبایعنی الآن . [صفحه ۱۴۷] ومعنی قوله إنها کف یهودیة أی غادرة والیهود تنسب إلی الغدر والخبث و قال تعالی لَتَجِدَنّ أَشَدّ النّاسِ عَداوَةً لِلّذِینَ آمَنُوا الیَهُودَ. والسبة الاست بفتح السین سبه یسبه أی طعنه فی الموضع ومعنی الکلام محمول علی وجهین .أحدهما أن

يكون ذكر السبة إهانة له وغلظة عليه والعرب تسلك مثل ذلك فى خطبها وكلامها قال المتوكل لأبى العيناء إلى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ماأحسنوا وأساءوا ثم قال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى رضى عن واحد فمدحه وسخط على آخر فهجاه وهجا أمه قال نِعمَ العَبدُ إِنَّهُ أَوّابٌ و قال عُتُلّ بَعدَ ذلِكَ زَنِيمٍ والزنيم ولد الزنا.الوجه الثانى أن يريد بالكلام حقيقة لامجازا و ذلك لأن الغادر من العرب كان إذاعزم على الغدر بعدعهد قدعاهده أوعقد قدعقده حبق استهزاء بما كان قدأظهره من اليمين والعهد وسخرية وتهكما. والإمرة الولاية بكسر الهمزة و قوله كلعقة الكلب أنفه يريد قصر المدة وكذلك كانت مدة خلافة مروان فإنه ولى تسعة أشهر. والأكبش الأربعة بنو عبدالملك الوليد وسليمان ويزيد وهشام و لم يل الخلافة من بنى أمية و لا من غيرهم أربعة إخوة إلاهؤلاء. و كل الناس فسروا الأكبش الأربعة بمن ذكرناه وعندى أنه يجوز أن يعنى به –قرآن-٨٤-١٤٥-قرآن-٥٠٥-٥٣٢-قرآن-٥٤٠-٥٦٥ [صفحه ١٤٨] بنى مروان لصلبه وهم عبدالملك و عبدالعزيز وبشر و محمد وكانوا كباشا أبطالا أنجادا أما عبدالملك فولى الخلافة و أمابشر فولى العراق و أما محمدفولى الجزيرة و أما عبدالعزيز فولى مصر ولكل منهم آثار مشهورة و هذاالتفسير أولى لأن الوليد وإخوته أبناء ابنه وهؤلاء بنوه لصلبه . ويقال لليوم الشديد يوم أحمر وللسنة ذات الجدب سنة حمراء. و كل ماأخبر به أمير المؤمنين ع فى هذاالكلام وقع كماأخبر به وكذلك قوله يحمل راية ضلالة بعد مايشيب صدغاه فإنه ولى الخلافة و هو ابن خمسة وستين فى أعدل الروايات

مروان بن الحكم ونسبه وأخباره

ونحن ذاكرون فى هذاالموضع نسبه وجملا من أمره وولايته للخلافة ووفاته على سبيل الاختصار. هومروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكنانى يكنى أبا عبدالملك ولد على عهد رسول الله ص منذ سنة اثنتين من الهجرة وقيل عام الخندق وقيل يوم أحد وقيل غير ذلك و قال قوم بل ولد بمكة وقيل ولد بالطائف ذكر ذلك كله أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب . قال أبوعمر وممن قال بولادته يوم أحد مالك بن أنس و على قوله يكون [صفحه ١٤٩] رسول الله ص قدتوفى وعمره ثمان سنين أونحوها. وقيل إنه لمانفى مع أبيه إلى الطائف كان طفلا لايعقل وإنه لم ير رسول الله ص و كان الحكم أبوه قدطرده رسول الله عن المدينة وسيره إلى الطائف فلم يزل بها حتى ولى عثمان فرده إلى المدينة فقدمها هو وولده فى خلافة عثمان وتوفى فاستكتبه عثمان وضمه إليه فاستولى عليه إلى أن قتل . والحكم بن أبى العاص هوعم عثمان بن عفان كان من مسلمة الفتح و من المؤلفة قلوبهم وتوفى الحكم فى خلافة عثمان قبل قتله بشهور. واختلف فى السبب الموجب لنفى رسول الله ص فقيل إنه كان يتحيل ويستخفى ويتسمع مايسره رسول الله ص إلى أكابر الصحابة فى مشركى قريش وسائر الكفار والمنافقين ويفشى ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه . وقيل كان يتجسس على رسول الله ص و هو عندنسائه ويسترق السمع ويصغى إلى مايجرى هناك مما لايجوز الاطلاع عليه ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء. وقيل كان يحكيه فى بعض مشيته وبعض حركاته فقد قيل إن النبى ص كان إذامشى يتكفأ و كان الحكم بن أبى العاص يحكيه و كان شانئا له مبغضا حاسدا فالتفت رسول الله ص يوما فرآه يمشى خلفه يحكيه فى مشيته [صفحه ١٥٠] فقال له كذلك فلتكن ياحكم فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ فذكر ذلك عبدالرحمن بن حسان بن ثابت فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجوه إن اللعين أبوك فارم عظامه || إن ترم ترم مخلجا مجنونا يمشى خميص البطن من عمل التقى || ويظل من عمل الخبيث بطينا . قال صاحب الإستيعاب أماقول عبدالرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فإنه روى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبى خيثمة وغيره أنها قالت لمروان إذ قال فى أخيها عبدالرحمن إنه أنزل فيه وَ الَّذِى قالَ لِوالِدَيهِ أُفّ لَكُما أَ

تعَـدِانِنِى أَن أَخرَجَ وَ قَـد خَلَـتِ القُرُونُ مِن قَبلِى وَ هُما يَستَغِيثانِ اللّهَ وَيلَكَ آمِن إنّ وَعدَ اللّهِ حَقّ فَيَقُولُ ما هذا إلّا أَساطِيرُ الأوّلِينَ أما أنت يامروان فأشهد أن رسول الله ص لعن أباك و أنت فى صلبه . -قرآن-١٨٧-٣٩٧ وروى صاحب كتاب الإستيعاب بإسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ص قال يدخل عليكم رجل لعين قال عبد الله وكنت قدرأيت أبى يلبس ثيابه ليقبـل إلى رسول الله ص فلم أزل مشـفقا أن يكون أول من يـدخل فـدخل الحكم بن أبى العـاص -روايت-١-٢-روايت-١٠٠-٢٦٢ قال صاحب الإستيعاب ونظر على ع يوما إلى مروان فقال له ويل لك وويل لأمة محمدمنك و من بنيك إذاشاب صدغاك -روايت-١-٢-روايت-٢٤-١١٧ و كان مروان يدعى [صـفحه ١٥١] خيط باطل قيل لأنه كان طويلا مضـطربا. وضرب يوم الدار على قفاه فخر لفيه فلما بويع له بالخلافة قال فيه أخوه عبدالرحمن بن الحكم و كان ماجنا شاعرا محسـنا و كان لايرى رأى مروان فو الله ماأدرى وإنى لسائل || حليلة مضـرب القفا كيف تصـنع لحا الله قوما أمروا خيط باطل || على الناس يعطى مايشاء ويمنع . وقيل إنما قال له أخوه عبدالرحمن ذلك حين ولاه معاوية إمرة المدينة و كان كثيرا مايهجوه و من شـعره فيه وهبت نصيبى منك يامرو كله || لعمرو ومروان الطويل وخالـد ورب ابن أم زائـد غيرناقص || و أنت ابن أم ناقص غيرزائد . و قال مالك بن الريب يهجو مروان بن الحكم لعمرك مـامروان يقضـى أمورنـا || ولكن مايقضـى لنـا بنت جعفر فيـا ليتها كانت علينا أميره || وليتك يـامروان أمسيت ذاحر . و من شـعر أخيه عبـدالرحمن فيه ألاـ من يبلغن مروان عنى || رسولاـ والرسول من البيان بأنك لن ترى طردا لحر || كإلصـاق به بعض الهوان وهـل حـدثت قبلى عن كريم || معين فى الحوادث أومعـان يقيم بـدار مضـيعة إذا لم || يكن حيران أوخفق الجنان [صـفحه ١٥٢] فلاتقـذف بى الرجوين إنى || أقل القوم من يغنى مكانى سأكفيك ألذى اسـتكفيت منى || بـأمر لاتخـالجه اليـدان فلـو أنابمنزلـة جرينـا || جريـت و أنـت مضـطرب العنـان و لـو لاـ أن أم أبيـك أمى || و أن من قـدهجاك فقـد هجـانى لقـد جـاهرت بالبغضاء إنى || إلى أمر الجهارة والعلان . و لماصار أمر الخلافـة إلى معاويـة ولى مروان المدينة ثم جمع له إلى المدينة مكة والطائف ثم عزله وولى سـعيد بن العاص فلما مات يزيد بن معاوية وولى ابنه أبوليلى معاوية بن يزيـد فى سـنة أربع وستين عـاش فى الخلافـة أربعين يوما ومات فقالت له أمه أم خالـد بنت أبى هاشم بن عتبـة بن ربيعـة بن عبدشـمس اجعل الخلافـة من بعـدك لأخيك فأبى و قال لا يكون لى مرها ولكم حلوها فوثب مروان عليها وأنشد إنى أرى فتنة تغلى مراجلهـا || والملـك بعـد أبى ليلى لمن غلبـا . وذكر أبوالفرج على بن الحسين الأصـفهانى فى كتـاب الأغـانى أن معاوية لماعزل مروان بن الحكم عن إمرة المدينـة والحجاز وولى مكانه سـعيد بن العاص وجه مروان أخاه عبـدالرحمن بن الحكم أمامه إلى معاويـة و قال له ألقه قبلى فعاتبه لى واستصـلحه . قال أبوالفرج و قـدروى أن عبـدالرحمن كان بـدمشق يومئـذ فلما بلغه خبر عزل مروان وقدومه إلى الشام خرج وتلقاه و قال له أقم حتى أدخل إلى أخيك فإن كان عزلك عن موجدة دخلت إليه منفردا و إن كـان عن غيرموجـدة دخلت إليه مع الناس [صـفحه ١٥٣] فأقام مروان ومضـى عبـدالرحمن فلما قـدم على معاوية دخل إليه و هويعشى الناس فأنشده أتتك العيس تنفخ فى براها || تكشف عن مناكبها القطوع بأبيض من أمية مضرحى || كأن جبينه سيف صنيع . فقال له معاوية أزائرا جئت أم مفاخرا مكابرا فقال أى ذلك شـئت فقال ماأشاء من ذلك شـيئا وأراد معاوية أن يقطعه عن كلامه ألذى عن له فقال له على أى ظهر جئتنا فقال على فرس قال ماصفته قال أجش هزيم يعرض بقول النجاشى فى معاوية يوم صفين ونجـا ابن حرب سابـح ذو علالـة || أجش هزيم والرمـاح دوان إذا قلت أطراف الرماح تناله || مرته له الساقان والقـدمان .فغضب معاوية و قال إلا أنه لايركبه صاحبه فى الظلم إلى الريب و لا هوممن يتسور على جاراته و لايتوثب بعدهجعة الناس على كنائنه و كان عبـدالرحمن يتهم بـذلك فى امرأة أخيه فخجل عبـدالرحمن و قال يا أمير المؤمنين ماحملك على عزل ابن عمك الخيانـة أوجبت ذلك أم لرأى رأيته وتـدبير استصـلحته قال بل لتـدبير استصـلحته قال فلابأس بـذلك فخرج من عنده فلقى أخاه مروان فأخبره بما دار بينه و بين معاوية فاستشاط غيظا و قال لعبد الرحمن قبحك الله ماأضعفك عرضت للرجل بما أغضبه حتى

إذاانتصر [صفحه ۱۵۴] منک أحجمت عنه ثم لبس حلته ورکب فرسه وتقلد سیفه ودخل علی معاویة فقال له حین رآه وتبین الغضب فی وجهه مرحبا بأبی عبدالملک لقد زرتنا عنداشتیاق منا إلیک فقال لاها الله مازرتک لذلک و لاقدمت علیک فألفیتک إلاعاقا قاطعا و الله ماأنصفتنا و لاجزیتنا جزاءنا لقد کانت السابقة من بنی عبدشمس لآل أبی العاص والصهر عن رسول الله ص لهم والخلافة منهم فوصلوکم یابنی حرب وشرفوکم وولوکم فما عزلوکم و لاآثروا علیکم حتی إذاولیتم وأفضی الأمر إلیکم أبیتم إلاأثرة وسوء صنیعة وقبح قطیعة فرویدا رویدا فقد بلغ بنو الحکم وبنو بنیه نیفا وعشرین وإنما هی أیام قلائل حتی یکملوا أربعین ثم یعلم امرؤ ما یکون منهم حینئذ ثم هم للجزاء بالحسنی والسوء بالمرصاد. قال أبوالفرج هذارمز إلی قول رسول الله ص إذابلغ بنو أبی العاص أربعین رجلاـ اتخذوا مال الله دولاـ وعباد الله خولا -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۹۷ فکان بنو أبی العاص یذکرون أنهم سیلون أمر الأمة إذابلغوا هذه العدة. قال أبوالفرج فقال له معاویة مهلا أبا عبدالملک إنی لم أعزلک عن خیانة وإنما عزلتک لثلاثة لو لم یکن منهن إلاواحدة لأوجبت عزلک إحداهن أنی أمرتک علی عبد الله بن عامر وبینکما مابینکما فلن تستطیع أن تشتفی منه والثانیة کراهیتک لإمرة زیاد والثالثة أن ابنتی رملة استعدتک علی زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال مروان أما ابن عامر فإنی لاأنتصر منه فی سلطانی ولکن إذاتساوت الأقدام علم أین موقعه و أماکراهتی لإمرة زیاد فإن سائر بنی أمیة کرهوه وجعل الله لنا فی ذلک الکره خیرا کثیرا و أمااستعداء رملة علی عمرو فو الله إنه لیأتی علی سنة أوأکثر [صفحه ۱۵۵] وعندی بنت عثمان فما أکشف لها ثوبا یعرض بأن رملة إنما تستعدی علی عمرو بن عثمان طلب النکاح فغضب معاویة فقال یا ابن الوزغ لست هناک فقال مروان هو ما قلت لک وإنی الآن لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة و قدکاد ولد أبی أن یکملوا العدة یعنی أربعین و لو قدبلغوها لعلمت أین تقع منی فانخزل معاویة و قال فإن أک فی شرارکم قلیلا || فإنی فی خیارکم کثیر بغاث الطیر أکثرها فراخا || وأم الصقر مقلات نزور . ثم استخذی معاویة فی ید مروان وخضع و قال لک العتبی و أنارادک إلی عملک فوثب مروان و قال کلا وعیشک لارأیتنی عائدا وخرج . فقال الأحنف لمعاویة مارأیت قط لک سقطة مثلها ما هذاالخضوع لمروان و أی شیء یکون منه و من بنی أبیه إذابلغوا أربعین و ما ألذی تخشاه منهم فقال ادن منی أخبرک ذلک فدنا الأحنف منه فقال له إن الحکم بن أبی العاص کان أحد من قدم مع أختی أم حبیبة لمازفت إلی رسول الله ص و هویتولی نقلها إلیه فجعل رسول الله ص یحد النظر إلیه فلما خرج من عنده قیل یا رسول الله لقد أحددت النظر إلی الحکم فقال ابن المخزومیة ذاک رجل إذابلغ بنو أبیه ثلاثین أوأربعین ملکوا الأمر من بعدی فو الله لقد تلقاها مروان من عین صافیة فقال الأحنف رویدا یا أمیر المؤمنین لایسمع هذامنک أحد فإنک تضع من قدرک وقدر ولدک بعدک و إن یقض الله أمرا یکن فقال [صفحه ۱۵۶] معاویة اکتمها یا أبابحر علی إذافقد لعمرک صدقت ونصحت . وذکر شیخنا أبوعثمان الجاحظ فی کتاب مفاخرة هاشم و عبدشمس أن مروان کان یضعف و أنه کان ینشد یوم مرج راهط والرءوس تندر عن کواهلها و ماضرهم غیرحین النفوس || أی غلامی قریش غلب . قال و هذاحمق شدید وضعف عظیم قال وإنما ساد مروان وذکر بابنه عبدالملک کماساد بنوه و لم یکن فی نفسه هناک .فأما خلافة مروان فذکر أبو جعفر محمد بن جریر الطبری فی التاریخ أن عبد الله بن الزبیر لماأخرج بنی أمیة عن الحجاز إلی الشام فی خلافة یزید بن معاویة خرجوا وفیهم مروان وابنه عبدالملک و لم تطل مدة یزید فتوفی ومات ابنه بعده بأیام یسیرة و کان من رأی مروان أن یدخل إلی ابن الزبیر بمکة فیبایعه بالخلافة فقدم عبید الله بن زیاد و قدأخرجه أهل البصرة عنها بعدوفاة یزید فاجتمع هو وبنو أمیة وأخبروه بما قدأجمع علیه مروان فجاء إلیه و قال استجبت لک یا أبا عبدالملک فما یرید أنت کبیر قریش وسیدها تصنع ماتصنع وتشخص إلی أبی خبیب فتبایعه بالخلافة فقال مروان مافات شیء بعدفقام مروان واجتمع إلیه بنو أمیة وموالیهم وعبید الله بن زیاد وکثیر من أهل الیمن وکثیر من کلب فقدم دمشق وعلیها الضحاک بن قیس الفهری قدبایعه الناس علی أن یصلی بهم ویقیم لهم أمرهم حتی یجتمع [صفحه ۱۵۷] الناس علی

إمـام و كـان هوى الضـحاك مع ابن الزبير إلاـ أنه لم يبـايع له بعـد و كـان زفر بن الحارث الكلابى بقنسـرين يخطب لابن الزبير والنعمان بن بشير الأنصارى بحمص يخطب لابن الزبير و كان حسان بن مالك بن بحـدل الكلبى بفلسـطين يهوى هوى بنى أمية ثم من بينهم بنى حرب لأـنه كـان عاملاـ لمعاويـة ثم ليزيـد بن معاويـة من بعـده و كـان حسـان بن مالـك مطاعا فى قومه عظيما عندهم فخرج عن فلسـطين يريد الأردن واستخلف على فلسطين روح بن زنباع الجذامى فوثب عليه بعدشخوص حسان بن مالك وناتل بن قيس الجذامى أيضا فأخرجه عن فلسـطين وخطب لابن الزبير و كان له فيه هوى فاستوثقت الشام كلها لابن الزبير ماعدا الأردن فإن حسان بن مالك الكلبى كان يهوى هوى بنى أميـة ويدعو إليهم فقام فى أهل الأردن فخطبهم و قال لهم ماشـهادتكم على ابن الزبير وقتلى المدينة بالحرة قالوا نشـهد أن ابن الزبير كان منافقا و أن قتلى أهل المدينة بالحرة فى النار قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرة قالوا نشهد أن يزيد بن معاوية كان مؤمنا و كان قتلانا بالحرة فى الجنة قال و أناأشهد أنه إن كان دين يزيـد بن معاوية و هوحى حقا إنه اليوم لعلى حق هو وشـيعته و إن كان ابن الزبير يومئذ هو وشـيعته على باطل إنه اليوم وشـيعته على باطل قـالوا صـدقت نحن نبايعك على أن نقاتل معك من خالفك من الناس وأطاع ابن الزبير على أن تجنبنا ولاية هذين الغلامين ابنى يزيد بن معاوية وهما خالد و عبد الله فإنهما حديثة أسنانهما ونحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ ونأتيهم بصبى. قـال و قـد كـان الضـحاك بن قيس يوالى ابن الزبير باطنا ويهوى هواه ويمنعه إظهار ذلك بـدمشق والبيعـة له أن بنى أميـة وكلبا كانوا بحضـرته وكلب أخوال يزيد [صفحه ۱۵۸] بن معاوية وبنيه ويطلبون الإمرة لهم فكان الضـحاك يعمل فى ذلك سـرا وبلغ حسان بن مالك بن بحـدل ماأجمع عليه الضـحاك فكتب إليه كتابا يعظم فيه حق بنى أميـة ويذكر الطاعة والجماعة وحسن بلاء بنى أميـة عنـده وصـنيعهم إليه ويـدعوه إلى بيعتهم وطاعتهم ويـذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشـتمه ويذكر أن منافق قدخلع خليفتين وأمره أن يقرأ كتابه على الناس ثم دعا رجلا من كلب يقال له ناغضة فسـرح بالكتاب معه إلى الضـحاك بن قيس وكتب حسان نسـخة ذلك الكتاب ودفعه إلى ناغضة و قال له إن قرأ الضحاك كتابى على الناس و إلافقم أنت واقرأ هذاالكتاب عليهم وكتب حسان إلى بنى أميـة يأمرهم أن يحضـروا ذلك فقدم ناغضة بالكتاب على الضـحاك فدفعه إليه ودفع كتاب بنى أمية إليهم سـرا. فلما كان يوم الجمعـة وصـعد الضـحاك على المنبر وقـدم إليه ناغضة فقال أصـلح الله الأمير ادع بكتاب حسان فاقرأه على الناس فقال له الضحاك اجلس فجلس ثم قام ثانية فتكلم مثل ذلك فقال له اجلس فجلس ثم قام ثالثة و كان كالثانية والأولى فلما رآه ناغضـة لايقرأ الكتاب أخرج الكتاب ألـذى معه فقرأه على الناس فقام الوليـد بن عتبـة بن أبى سـفيان فصـدق حسان وكذب ابن الزبير وشـتمه وقام يزيـد بن أبى النمس الغسانى فصـدق مقالة حسان وكتابه وشـتم ابن الزبير وقام سـفيان بن أبرد الكلبى فصدق مقالة حسان وشـتم ابن الزبير وقام عمر بن يزيد الحكمى فشـتم حسان وأثنى على ابن الزبير فاضـطرب الناس ونزل الضـحاك بن قيس فأمر بالوليـد بن عتبـة وسـفيان بن الأبرد ويزيـد بن أبى النمس الـذين كانوا صـدقوا حسان وشـتموا ابن الزبير فحبسوا وجال الناس بعضـهم فى بعض ووثبت كلب على عمر بن يزيـد الحكمى فضـربوه وخرقوا ثيابه و قـد كان قام خالـد بن يزيد بن معاوية فصـعد مرقـاتين من المنبر و هويومئـذ غلاـم . والضـحاك بن قيس فوق المنبر فتكلم بكلاـم أوجز فيه لم يسـمع بمثله ثم نزل . [صفحه ۱۵۹] فلما دخل الضحاك بن قيس داره جاءت كلب إلى السجن فأخرجوا سفيان بن أبرد الكلبى وجاءت غسان فأخرجوا يزيـد بن أبى النمس و قال الوليـد بن عتبـة لوكنت من كلب أوغسان لأخرجت فجاء ابنا يزيـد بن معاويـة خالد و عبد الله ومعهما أخوالهمـا من كلب فـأخرجوه من السـجن . ثم إن الضـحاك بن قيس خرج إلى مسجد دمشق فجلس فيه وذكر يزيـد بن معاوية فوقع فيه فقام إليه سـنان من كلب ومعه عصا فضربه بها و الناس جلوس حلقا متقلدى السيوف فقام بعضهم إلى بعض فى المسجد فـاقتتلوا فكـانت قيس عيلاـن قاطبـة تـدعو إلى ابـن الزبير ومعهمـا الضـحاك وكلـب تـدعو إلى بنى أميـة ثـم إلى خالـد بن يزيد فيتعصـبون له فدخل الضـحاك دار الإمارة وأصبح الناس فلم يخرج الضـحاك إلى صـلاة الفجر. فلما ارتفع النهار بعث إلى بنى

أمية فدخلوا عليه فاعتذر إليهم وذكر حسن بلائهم عنده و أنه ليس يهوى شيئا يكرهونه ثم قال تكتبون إلى حسان ونكتب ويسير حسان من الأردن حتى ينزل الجابية ونسير نحن وأنتم حتى نوافيه بهافيجتمع رأى الناس على رجل منكم فرضيت بذلك بنو أمية وكتبوا إلى حسان و هوبالأردن وكتب إليه الضحاك يأمره بالموافاة فى الجابية وأخذ الناس فى الجهاز للرحيل . وخرج الضحاك بن قيس من دمشق وخرج الناس وخرجت بنو أمية وتوجهت الرايات يريدون الجابية فجاء ثور بن معن يزيد بن الأخنس السلمى إلى الضحاك فقال دعوتنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعناك على ذلك ثم أنت الآن تسير إلى هذاالأعرابى من كلب لتستخلف ابن أخته خالد بن يزيد بن معاوية فقال الضحاك فما الرأى قال الرأى أن [صفحه ١٦٠] نظهر ماكنا نسر وندعو إلى طاعة ابن الزبير ونقاتل عليها فمال الضحاك بمن معه من الناس وانخزل من بنى أمية و من معهم من قبائل اليمن فنزل مرج راهط. قال أبو جعفر واختلف فى أى وقت كانت الوقعة بمرج راهط فقال الواقدى كانت فى سنة خمس وستين و قال غيره فى سنة أربع وستين . قال أبو جعفر وسارت بنو أمية ولفيفها حتى وافوا حسان بالجابية فصلى بهم أربعين يوما و الناس يتشاورون وكتب الضحاك بن قيس من مرج راهط إلى النعمان بن بشير الأنصارى و هو على حمص يستنجده و إلى زفر بن الحارث و هو فى قنسرين و إلى ناتل بن قيس و هو على فلسطين ليستمدهم وكلهم على طاعة ابن الزبير فأمدوه فاجتمعت الأجناد إليه بمرج راهط و أماالذين بالجابية فكانت أهواؤهم مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكونى فكان يهوى هوى يزيد بن معاوية ويحب أن تكون الخلافة فى ولده و أماحصين بن نمير السكونى فكان يهوى هوى بنى أمية ويحب أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم فقال مالك بن هبيرة للحصين بن نمير هلم فلنبايع لهذا الغلام ألذى نحن ولدنا أباه و هو ابن أختنا فقد عرفت منزلتنا التى كانت من أبيه إنك إن تبايعه يحملك غدا على رقاب العرب يعنى خالد بن يزيد فقال الحصين لالعمر الله لايأتينا العرب بشيخ ونأتيها بصبى فقال مالك أظن هواك فى مروان و الله إن استخلفت مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها إن مروان أبوعشرة وأخو عشرة وعم عشرة فإن بايعتموه كنتم عبيدا لهم ولكن عليكم بابن أختكم خالد بن يزيد فقال الحصين إنى رأيت فى المنام قنديلا معلقا من السماء وإنه جاء كل من يمد عنقه إلى الخلافة ليتناوله فلم يصل إليه وجاء مروان فتناوله و الله لنستخلفنه . [صفحه ١٦١] فلما اجتمع رأيهم على بيعته واستمالوا حسان بن بحدل إليها قام روح بن زنباع الجذامى فحمد الله وأثنى عليه فقال أيها الناس إنكم تذكرون لهذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب وتذكرون صحبته لرسول الله ص وقدمه فى الإسلام و هو كماتذكرون لكنه رجل ضعيف و ليس صاحب أمة محمدبالضعيف و أما عبد الله بن الزبير و مايذكر الناس من أمره و أن أباه حوارى رسول الله ص وأمه أسماء بنت أبى بكر ذات النطاقين فهو لعمرى كماتذكرون ولكنه منافق قدخلع خليفتين يزيد وأباه معاوية وسفك الدماء وشق عصا المسلمين و ليس صاحب أمة محمدص بالمنافق و أمامروان بن الحكم فو الله ما كان فى الإسلام صدع قط إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع و هو ألذى قاتل عن عثمان بن عفان يوم الدار و ألذى قاتل على بن أبى طالب يوم الجمل وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبوا الصغير يعنى بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد.فاجتمع رأى الناس على البيعة لمروان ثم لخالد بن يزيد من بعده ثم لعمرو بن سعيد بن العاص بعدهما على أن تكون فى أيام خلافة مروان إمرة دمشق لعمرو بن سعيد وإمرة حمص لخالد بن يزيد فلما استقر الأمر على ذلك دعا حسان بن بحدل خالد بن يزيد فقال يا ابن أختى إن الناس قدأبوك لحداثة سنك وإنى و الله ماأريد هذاالأمر إلا لك ولأهل بيتك و ماأبايع مروان إلا نظرا لكم فقال خالد بل عجزت عنا فقال لا و الله لم أعجز عنك ولكن الرأى لك مارأيت . ثم إن حسان دعا مروان بن الحكم فقال له يامروان إن الناس كلهم لايرضون [صفحه ١٦٢] بك فما ترى فقال مروان إن يرد الله أن يعطينيها لم يمنعنها أحد من خلقه و إن يرد أن يمنعنيها لايعطينيها أحد من خلقه فقال حسان صدقت . ثم صعد حسان المنبر فقال أيها الناس إنى مستخلف فى غد أحدكم إن شاء الله فاجتمع الناس بكرة الغد ينتظرون فصعد حسان المنبر وبايع لمروان وبايع الناس وسار

مـن الجابيـة حـتى نزل بمرج راهـط حيث الضـحاك بن قيس نـازل فجعـل مروان على ميمنته عمرو بن سـعيد بن العـاص و على ميسرته عبيد الله بن زياد وجعل الضحاك على ميمنته زياد بن عمرو بن معاوية العتكى و على ميسرته ثور بن معن السلمى و كان يزيد بن أبى النمس الغسانى بدمشق لم يشـهد الجابية و كان مريضا فلما حصل الضـحاك بمرج راهط ثار بأهل دمشق فى عبيده وأهله فغلب عليهـا وأخرج عامـل الضـحاك منها وغلب على الخزائن وبيت المال وبايع لمروان وأمـده من دمشق بالرجال والمال والسـلاح فكـان ذلـك أول فتـح فتـح لمروان . ثم وقعت الحرب بين مروان والضـحاك فـاقتتلوا بمرج راهـط عشـرين ليلة فهزم أصـحاب الضـحاك وقتلوا وقتـل أشـراف النـاس من أهل الشام وقتلت قيس مقتلـة لم تقتل مثلها فى موطن قط وقتل ثور بن معن السـلمى ألذى رد الضحاك عن رأيه . قال أبو جعفر وروى أن بشير بن مروان كان صاحب الراية ذلك اليوم و أنه كان ينشد إن على الرئيس حقا حقا || أن يخضب الصـعدة أويندقا . وصـرع ذلك اليوم عبدالعزيز بن مروان ثم اسـتنقذ. قال ومر مروان برجل من محارب و هو فى نفر يسـير من أصحاب مروان فقال له [صفحه ١٦٣] لوانضممت إلى أصحابك رحمك الله فإنى أراك فى قلة فقال إن معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مددا أضـعاف من تأمرنا بالانضـمام إليهم قال فضـحك مروان وسـر بذلك و قال للنـاس ممن كـان حوله أ لاتسـتمعون قـال أبو جعفر و كـان قاتـل الضـحاك رجلاـ من كلب يقال له زحنـة بن عبـد الله فلما قتله وأحضر الرأس إلى مروان ظهرت عليه كآبة و قال الآن حين كبرت سنى ودق عظمى وصرت فى مثل ظم ء الحمار أقبلت أضرب الكتائب بعضها ببعض . قال أبو جعفر وروى أن مروان أنشد لمابويع ودعا إلى نفسه لمارأيت الأمر أمرا نهبا || سيرت غسان لهم وكلبـا والسكسـكيين رجالا غلبا || وطيئا تأباه إلاضربا والقين تمشـى فى الحديـد نكبا || و من تنوخ مشـمخرا صـعبا لايملكون الملك إلاغصـبا || و إن دنت قيس فقـل لاقربا قال أبو جعفر وخرج الناس منهزمين بعـدقتل الضـحاك فانتهى أهل حمص إلى حمص وعليهـا النعمان بن بشـير فلما عرف الخبر خرج هاربا ومعه ثقله وولـده وتحير ليلته كلها وأصـبح و هوبباب مدينـة حمص فرآه أهـل حمص فقتلوه وخرج زفر بن الحارث الكلابى من قنسـرين هاربا فلحق بقرقيسـياء وعليها عياض بن أسـلم الجرشـى فلم يمكنه من دخولهـا فحلف له زفر بالطلاـق والعتـاق أنه إذادخـل حمامها خرج منها و قال له إن لى حاجـة إلى دخول الحمام فلما دخلها لم يـدخل حمامها وأقام بها وأخرج عياضا [صـفحه ١٦٤] منهـا وتحصن فيها وثابت إليه قيس عيلان وخرج ناتل بن قيس الجذامى من فلسـطين هاربا فالتحق بابن الزبير بمكة وأطبق أهل الشام على مروان واسـتوثقوا له واستعمل عليهم عماله ففى ذلك يقول زفر بن الحارث أرينى سـلاحى لا أبا لك إننى || أرى الحرب لاتزداد إلاتماديا أتانى عن مروان بالغيب أنه || مريق دمى أوقـاطع من لسانيـا و فى العيس منجـاة و فى الأـرض مهرب || إذانحن رفعنـا لهن المبانيـا فقـد ينبت المرعى على دمن الثرى || وتبقى حزازات النفوس كماهيا أتـذهب كلب لم تنلها رماحنا || وتترك قتلى راهط هى ماهيا لعمرى لقـد أبقت وقيعة راهط || لحسـان صـدعا بينـا متنائيـا أ بعـد ابن عمرو و ابن معن تتايعـا || ومقتـل همـام أمنى الأمانيا و لم تر منى نبوة قبل هـذه || فرارى وتركى صاحبى ورائيا أيـذهب يوم واحـد إن أسأته || بصالح أيامى وحسن بلائيا فلاصـلح حتى تنحط الخيل بالقنا || وتثأر من نسوان كلب نسائيا . و قال زفر بن الحارث أيضا و هو من شـعر الحماسـة أ فى الله أمابحـدل و ابن بحدل || فيحيا و أما ابن الزبير فيقتل كذبتم وبيت الله لاتقتلونه || و لمايكن يوم أغر محجل [صـفحه ١٦٥] و لمايكن للمشرفية فوقكم || شعاع كقرن الشمس حين ترجل . و أماوفاة مروان والسبب فيها أنه كان قداستقر الأمر بعده لخالد بن يزيد بن معاوية على ماقدمنا ذكره فلما استوثق له الأمر أحب أن يبايع لعبد الملك و عبدالعزيز ابنيه فاسـتشار فى ذلك فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد وهى ابنة أبى هاشـم بن عتبـة بن ربيعة ليصـغر شأنه فلايرشح للخلافة فتزوجها ثم قال لخالد يوما فى كلام دار بينهما والمجلس غاص بأهله اسـكت يا ابن الرطبـة فقـال خالـد أنت لعمرى مؤتمن وخبير. ثم قام باكيا من مجلسه و كان غلاما حينئـذ فـدخل على أمه فأخبرها فقالت له لاـيعرفن ذلـك فيـك واسـكت فأنـا أكفيك أمره فلما دخل عليها مروان قال لها ما قال لك خالـد قالت و ماعساه يقول قال أ لم

يشكنى إليك قالت إن خالدا أشد إعظاما لك من أن يشتكيك فصدقها ثم مكثت أياما فنام عندها و قدواعدت جواريها وقمن إليه فجعلن الوسائد والبراذع عليه وجلسن عليه حتى خنقه و ذلك بدمشق فى شهر رمضان . و هو ابن ثلاث وستين سنة فى قول الواقدى. و أماهشام بن محمدالكلبى فقال ابن إحدى وثمانين سنة و قال كان ابن إحدى وثمانين عاش فى الخلافة تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر و كان فى أيام كتابته لعثمان بن عفان أكثر حكما وأشد تلطفا وتسلطا منه فى أيام خلافته و كان ذلك من أعظم الأسباب الداعية إلى خلع عثمان وقتله . و قد قال قوم إن الضحاك بن قيس لمانزل مرج راهط لم يدع إلى ابن الزبير وإنما دعا إلى نفسه وبويع بالخلافة و كان قرشيا والأكثر الأشهر أنه كان يدعو إلى ابن الزبير [صفحه ۱۶۶]

۷۳– و من كلام له ع لماعزموا على بيعة عثمان

اشاره

لَقَد عَلِمتُم أَنّيَ أَحَقّ بِهَا مِن غَيرِي وَ وَ اللّهِ لَأُسلِمَنّ مَا سَلِمَت أُمُورُ المُسلِمِينَ وَ لَم يَكُن فِيهَا جَورٌ إِلّا عَلَيّ خَاصّةً التِمَاساً لِأَجرِ ذَلِكَ وَ فَضلِهِ وَ زُهداً فِيمَا تَنَافَستُمُوهُ مِن زُخرُفِهِ وَ زِبرِجِهِ نافست فى الشىء منافسة ونفاسا إذارغبت فيه على وجه المباراة فى الكرم وتنافسوا فيه أى رغبوا. والزخرف الذهب ثم شبه به كل مموه مزور قال تعالى حَتّى إِذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخرُفَها والمزخرف المزين . والزبرج الزينة من وشى أوجوهر ونحو ذلك ويقال الزبرج الذهب أيضا. يقول لأهل الشورى إنكم تعلمون أنى أحق بالخلافة من غيرى وتعدلون عنى ثم أقسم ليسلمن وليتركن المخالفة لهم إذا كان فى تسليمه ونزوله عن حقه سلامة أمور المسلمين و لم يكن الجور والحيف إلا عليه خاصة و هذاكلام مثله ع لأنه إذاعلم أوغلب على ظنه أنه أن نازع وحارب دخل على الإسلام وهن وثلم لم يختر له المنازعة و إن كان –قرآن–۱۵۱–۱۸۷ [صفحه ۱۶۷] يطلب بالمنازعة ما هوحق و إن علم أوغلب على ظنه بالإمساك عن طلب حقه إنما يدخل الثلم والوهن عليه خاصة ويسلم الإسلام من الفتنة وجب عليه أن يغضى ويصبر على مأأتوا إليه من أخذ حقه وكف يده حراسة للإسلام من الفتنة. فإن قلت فهلا سلم إلى معاوية و إلى أصحاب الجمل وأغضى على اغتصاب حقه حفظا للإسلام من الفتنة. قلت إن الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل و من معاوية و أهل الشام لم يكن مقصورا عليه خاصة بل كان يعم الإسلام والمسلمين جميعا لأنهم لم يكونوا عنده ممن يصلح لرئاسة الأمة وتحمل أعباء الخلافة فلم يكن الشرط ألذى اشترطه متحققا و هو قوله و لم يكن فيه جور إلا على خاصة. و هذاالكلام يدل على أنه ع لم يكن يذهب إلى أن خلافة عثمان كانت تتضمن جورا على المسلمين والإسلام وإنما كانت تتضمن جورا عليه خاصة وأنها وقعت على جهة مخالفة الأولى لا على جهة الفساد الكلى والبطلان الأصلى و هذامحض مذهب أصحابنا

كلام لعلى قبل المبايعة لعثمان

ونحن نذكر فى هذاالموضع مااستفاض فى الروايات من مناشدته أصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه التى بان بهامنهم و من غيرهم قدروى الناس ذلك فأكثروا و ألذى صح عندنا أنه لم يكن الأمر كماروى من تلك التعديدات الطويلة ولكنه قال لهم بعد أن بايع عبدالرحمن والحاضرون عثمان وتلكا هو ع عن البيعة إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى –روايت–۱–۱۵۷ فى كلام قدذكره أهل السيرة و قدأوردنا بعضه فيما تقدم ثم قال لهم أنشدكم الله أفيكم أحد

آخى رسول الله ص بينه و بين نفسه حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيرى -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۶۸] فقالوا لا فقال أفيكم أحـد قال له رسول الله ص من كنت مولاه فهـذا مولاه غيرى فقالوا لا فقال أفيكم أحد قال له رسول الله ص أنت منى بمنزلـة هـارون من موسـى إلاـ أنه لاـنبى بعـدى غيرى قـالوا لاـ قـال أفيكم من اؤتمن على سورة براءة و قال له رسول الله ص إنه لايؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى غيرى قالوا لا قال أ لاتعلمون أن أصحاب رسول الله ص فروا عنه فى ماقط الحرب فى غيرموطن و مـافررت قـط قـالوا بلى قال أ لاتعلمون أنى أول الناس إسـلاما قالوا بلى قال فأينا أقرب إلى رسول الله ص نسـبا قالوا أنت فقطع عليه عبـدالرحمن بن عوف كلاـمه و قـال يا على قـدأبى الناس إلا على عثمان فلاتجعلن على نفسك سبيلا ثم قال يا أباطلحـة ما ألـذى أمرك به عمر قـال أن أقتـل من شق عصـا الجماعـة فقـال عبـدالرحمن لعلى بـايع اذن و إلاـكنت متبعـا غيرسبيل المؤمنين وأنفذنا فيك ماأمرنا به فقال لقد علمتم أنى أحق بها من غيرى و الله لأسـلمن -روايت-از قبل-۸۵۷ الفصل إلى آخره ثم مد يده فبايع [صفحه ۱۶۹]

۷۴- و من كلام له ع لمابلغه اتهام بنى أمية له بالمشاركة فى دم عثمان

أَ وَ لَم يَنهَ بَنِي أُمَيّةَ عِلمُهَا بيِ عَن قرَفيِ أَ وَ مَا وَزَعَ الجُهّالَ سَابِقَتيِ عَن تهُمَتَيِ وَ لَمَا وَعَظَهُمُ اللّهُ بِهِ أَبلَغُ مِن لسِاَنيِ أَنَا حَجِيجُ المَارِقِينَ وَ خَصِيمُ النّاكِثِينَ المُرتَابِينَ وَ عَلَى كِتَابِ اللّه تُعرَضُ الأَمثَالُ وَ بمَا فى الصّدُورِ تُجَازَى العِبَادُ القرف العيب قرفته بكـذا أى عبته ووزع كف وردع و منه قوله لابد للناس من وزعة جمع وازع أى من رؤساء وأمراء والتهمة بفتح الهاء هى اللغة الفصيحة وأصل التاء فيه واو. والحجيـج كالخصيم ذو الحجاج والخصومة يقول ع أ ما كان فى علم بنى أمية بحالى ماينهاها عن قرفى بدم عثمان وحاله التى أشار إليها وذكر أن علمهم بهايقتضى ألا يقرفوه بذلك هى منزلته فى الدين التى لامنزلة أعلى منها و مانطق به الكتـاب الصـادق من طهـارته وطهـارة بنيه وزوجته فى قوله إِنّما يُرِيـدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرّجسَ أَهلَ البَيتِ وَ يُطَهّرَكُم تَطهِيراً -قرآن-۴۷۰-۵۵۵ وقول النبى ص أنت منى بمنزلة هارون من موسـى -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۵۳ و ذلك يقتضى عصمته عن الدم الحرام [صفحه ۱۷۰] كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك وترادف الأقوال والأفعال من رسول الله ص فى أمره التى يضطر معها الحاضـرون لها والمشاهدون إياها إلى أن مثله لايجوز أن يسـعى فى إراقة دم أميرمسلم لم يحدث حدثا يستوجب به إحلال دمه . و هـذاالكلام صـحيح معقول وذاك أنانرى من يظهر ناموس الـدين ويواظب على نوافل العبادات ونشاهـد من ورعه وتقواه مايتقرر معه فى نفوسـنا استشـعاره الدين واعتقاده إياه فيصرفنا ذلك عن قرفه بالعيوب الفاحشة ونستبعد مع ذلك طعن من يطعن فيه وننكره ونابـاه ونكـذبه فكيف سـاغ لأعـداء أمير المؤمنين ع مع علمهم بمنزلته العاليـة فى الـدين التى لم يصل إليها أحـد من المسـلمين أن يطلقوا ألسنتهم فيه وينسبوه إلى قتل عثمان أوالممالاة عليه لاسيما و قداتصل بهم وثبت عندهم أنه كان من أنصاره لا من المجلبين عليه و أنه كان أحسن الجماعـة فيه قولا وفعلا. ثم قال أ لم تزع الجهال وتردعهم سابقتى عن تهمتى و هذاالكلام تأكيـد للقول الأول . ثم قال إن ألـذى وعظهم الله تعالى به فى القرآن من تحريم الغيبـة والقـذف وتشبيه ذلك بأكل لحم الميت أبلغ من وعظى لهم لأنه لاعظـة أبلغ من عظـة القرآن . ثم قال أناحجيـج المارقين وخصـيم المرتابين يعنى يوم القيامة روى عنه ع أنه قال أناأول من يجثو للحكومـة بين يـدى الله تعالى -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۷۲ و قـدروى عن النبى ص مثل ذلك مرفوعا فى قوله تعالى هذانِ خَصـمانِ اختَصَـمُوا فِى رَبّهِم و أنه ص سئل عنها فقال على وحمزة وعبيدة وعتبة وشيبة والوليد -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۵۸ وكـانت حـادثتهم أول حادثـة وقعت فيهامبـارزة أهـل الإيمان لأهل الشـرك و كان المقتول الأول بالمبارزة الوليد بن عتبة قتله على ع ضربه على رأسه فبدرت عيناه على وجنته [صفحه ۱۷۱] فقال النبى ص فيه و فى أصحابه ما قال و كان

على ع يكثر من قوله أناحجيج المارقين ويشير إلى هذاالمعنى . ثم أشار إلى ذلك بقوله على كتاب الله تعرض الأمثال يريد قوله تعالى هذانِ خَصمانِ اختَصَمُوا فِي رَبِّهِم. ثم قال وبما فى الصدور تجازى العباد إن كنت قتلت عثمان أومالأت عليه فإن الله تعالى سيجازينى بذلك و إلافسوف يجازى بالعقوبة والعذاب من اتهمنى به ونسبه إلى. و هذاالكلام يدل على مايقوله أصحابنا من تبرؤ أمير المؤمنين ع من دم عثمان و فيه رد وإبطال لمايزعمه الإمامية من كونه رضى به وأباحه و ليس يقول أصحابنا أنه ع لم يكن ساخطا أفعال عثمان ولكنهم يقولون إنه و إن سخطها وكرهها وأنكرها لم يكن مبيحا لدمه و لاممالئا على قتله و لايلزم من إنكار أفعال الإنسان إحلال دمه فقد لايبلغ الفعل فى القبح إلى أن يستحل به الدم كما فى كثير من المناهى -قرآن-١٨٧-٢٢٢ [صفحه ١٧٢]

٧٥- و من خطبة له ع

رَحِمَ اللّهُ امرَأً سَمِعَ حُكماً فَوَعَى وَ دعُيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا وَ أَخَذَ بِحُجزَةِ هَادٍ فَنَجَا رَاقَبَ رَبّهُ وَ خَافَ ذَنبَهُ قَدّمَ خَالِصاً وَ عَمِلَ صَالِحاً اكتَسَبَ مَذخُوراً وَ اجتَنَبَ مَحذُوراً رَمَى غَرَضاً وَ أَحرَزَ عِوَضاً كَابَرَ هَوَاهُ وَ كَذّبَ مُنَاهُ جَعَلَ الصّبرَ مَطِيّةَ نَجَاتِهِ وَ التّقوَى عُدّةَ وَفَاتِهِ رَكِبَ الطّرِيقَةَ الغَرّاءَ لَزِمَ المَحَجّةَ البَيضَاءَ اغتَنَمَ المَهَلَ وَ بَادَرَ الأَجَلَ وَ تَزَوّدَ مِنَ العَمَلِ الحكم هاهنا الحكمة قال سبحانه وَ آتَيناهُ الحُكمَ صَبِيّا ووعى حفظ وعيت الحديث أعيه وعيا وأذن واعية أى حافظة ودنا قرب والحجزة معقد الإزار وأخذ فلان بحجزة فلان إذااعتصم به ولجأ إليه . ثم حذف ع الواو فى اللفظات الأخر فلم يقل وراقب ربه و لا وقدم خالصا وكذلك إلى آخر اللفظات و هذانوع من الفصاحة كثير فى استعمالهم . واكتسب بمعنى كسب يقال كسبت الشىء واكتسبته بمعنى . والغرض مايرمى بالسهام يقول رحم الله امرأ رمى غرضا أى قصد الحق كمن يرمى غرضا يقصده لا من يرمى فى عمياء لايقصد شيئا بعينه . -قرآن-٣٢-٥٨ [صفحه ١٧٣] والعوض المحرز هاهنا هوالثواب . و قوله كابر هواه أى غالبه وروى كاثر بالثاء المنقوطة بالثلاث أى غالب هواه بكثرة عقله يقال كاثرناهم فكثرناهم أى غلبناهم بالكثرة. و قوله وكذب مناه أى أمنيته والطريقة الغراء البيضاء والمهل النظر والتؤدة [صفحه ١٧٤]

٧٦- و من كلام له ع

إِنّ بَنِي أُمَيّةَ لَيُفَوّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمّدٍص تَفوِيقاً وَ اللّهِ لَئِن بَقِيتُ لَهُم لَأَنفُضَنّهُم نَفضَ اللّحّامِ الوِذَامَ التّرِبَةَ قال الرضى رحمه الله ويروى التراب الوذمة و هو على القلب . و قوله ع ليفوقوننى أى يعطوننى من المال قليلا كفواق الناقة و هوالحلبة الواحدة من لبنها. والوذام التربة جمع وذمة وهى الحزة من الكرش أوالكبد تقع فى التراب فتنفض -روايت-١-٢٣۴ اعلم أن أصل هذاالخبر قدرواه أبوالفرج على بن الحسين الأصفهانى فى كتاب الأغانى بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش قال بعثنى سعيد بن العاص و هويومئذ أميرالكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى المدينة وبعث معى هدية إلى على ع وكتب إليه أنى لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلا إلى أمير المؤمنين فلما أتيت عليا ع وقرأ كتابه قال لشد مايحظر على بنو أمية تراث محمدص أما و الله لئن وليتها لأنفضنها نفض القصاب التراب الوذمة -روايت-١-٢-روايت-٨-١٠۶ . [صفحه ١٧۵] قال أبوالفرج و هذاخطأ إنما هوالوذام التربة. قال و قدحدثنى بذلك أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى عن أبى زيد عمر بن شبة بإسناد ذكره فى الكتاب أن سعيد بن العاص حيث كان أميرالكوفة بعث مع ابن أبى عائشة مولاه إلى على بن أبى طالب ع بصلة فقال على ع و الله لايزال غلام من غلمان بنى أمية يبعث إلينا مما أفاء الله على رسوله بمثل قوت الأرملة و الله لئن بقيت لأنفضنها نفض القصاب الوذام

۷۷- و من کلمات کان ع یدعو بها

اشاره

أَللّهُمّ اغفِر لِی مَا أَنتَ أَعلَمُ بِهِ مِنیّ فَإِن عُدتُ فَعُد عَلَیّ بِالمَغفِرَةِ أَللّهُمّ اغفِر لِی مَا وَأَیتُ مِن نَفسِی وَ لَم تَجِد لَهُ وَفَاءً عِندِی أَللّهُمّ اغفِر لِی مَا تَقَرّبتُ بِهِ إِلَیکَ بِلِسَانِی ثُمّ خَالَفَهُ قَلبِی أَللّهُمّ اغفِر لِی رَمَزَاتِ الأَلحَاظِ وَ سَقَطَاتِ الأَلفَاظِ وَ سَهَوَاتِ الجَنَانِ وَ هَفَوَاتِ اللّسَانِ وأیت أی وعدت والوأی الوعد ورمزات الألحاظ الإشارة بها والألحاظ جمع لحظ بفتح اللام و هومؤخر العین وسقطات الألفاظ لغوها وسهوات الجنان غفلاته والجنان القلب وهفوات اللسان زلاته . و فی هذاالموضع یقال مافائدة الدعاء عندکم والقدیم تعالی إنما یغفر الصغائر لأنها تقع مکفرة فلاحاجة إلی الدعاء بغفرانها و لایؤثر الدعاء أیضا فی أفعال الباری سبحانه لأنه إنما یفعل بحسب المصالح ویرزق المال والولد و غیر ذلک ویصرف المرض والجدب وغیرهما بحسب مایعلمه من المصلحة فلاتأثیر للدعاء فی شیء من ذلک . والجواب أنه لایمتنع أن یحسن الدعاء بما یعلم أن القدیم یفعله لامحالة و یکون وجه حسنه صدوره عن المکلف علی سبیل الانقطاع إلی الخالق سبحانه . [صفحه ۱۷۷] ویجوز أیضا أن یکون فی الدعاء نفسه مصلحة ولطف للمکلف لقد حسن منا الاستغفار للمؤمنین والصلاة علی الأنبیاء والملائکة. وأیضا فلیس کل أفعال الباریء سبحانه واجبة علیه بل معظمها مایصدر علی وجه الإحسان والتفضل فیجوز أن یفعله ویجوز ألا یفعله . فإن قلت فهل یسمی فعل الواجب ألذی لابد للقدیم تعالی من فعله إجابة لدعاء المکلف . قلت لا وإنما یسمی إجابة إذافعل سبحانه مایجوز أن یفعله ویجوز ألا یفعله کالتفضل وأیضا فإن اللطف والمصلحة قد یکون لطفا ومصلحة فی کل حال و قد یکون لطفا عندالدعاء و لو لاالدعاء لم یکن لطفا و لیس بممتنع فی القسم الثانی أن یسمی إجابة للدعاء لأن للدعاء علی کل حال تأثیرا فی فعله . فإن قیل أیجوز أن یدعو النبی ص بدعاء فلایستجاب له .قیل إن من شرط حسن الدعاء أن یعلم الداعی حسن ماطلبه بالدعاء وإنما یعلم حسنه بألا یکون فیه وجه قبح ظاهر و ماغاب عنه من وجوه القبح نحو کونه مفسدة یجب أن یشترطه فی دعائه ویطلب مایطلبه بشرط ألا یکون مفسدة و إن لم یظهر هذاالشرط فی دعائه وجب أن یضمره فی نفسه فمتی سأل النبی ربه تعالی أمرا فلم یفعله لم یجز أن یقال إنه ماأجیبت دعوته لأنه یکون قدسأل بشرط ألا یکون مفسدة فإذا لم یقع مایطلبه فلأن المطلوب قدعلم الله فیه من المفسدة ما لم یعلمه النبی ص فلایقال إنه ماأجیب دعاؤه لأن دعاءه کان مشروطا وإنما یصدق قولنا ماأجیب دعاؤه علی من طلب أمرا طلبا مطلقا غیرمشروط فلم یقع و النبی ص لایتحقق ذلک فی حقه [صفحه ۱۷۸]

من أدعیة رسول الله المأثورة

ونحن نذکر فی هذاالموضع جملة من الأدعیة المأثورة طلبا لبرکتها ولینتفع قاریء الکتاب بها کان من دعاء رسول الله ص إذاأصبح أن یقول أصبحنا وأصبح الملک والکبریاء والعظمة والجلال والخلق والأمر واللیل والنهار و مایسکن فیهما لله عز و جل وحده لاشریک له أللهم اجعل أول یومی هذاصلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا أللهم إنی أسألک خیر الدنیا والآخرة یاأرحم الراحمین أللهم اقسم لنا من خشیتک مایحول بیننا و بین معاصیک و من طاعتنا ماتبلغنا به رحمتک و من الیقین ماتهون به علینا

مصـیبات الدنیا أللهم متعنا بأسـماعنا وأبصارنا واجعلهما الوارث منا وانصـرنا علی من ظلمنا و لاتجعل مصـیبتنا فی دیننا و لاتجعل الدنیا أکبر همنا و لامبلغ علمنا و لاتسلط علینا من لایرحمنا -روایت-۱-۲-روایت-۵۰-۵۹۱

من أدعیة الصحیفة

و من دعاء أمیر المؤمنین ع و کان یـدعو به زین العابـدین علی بن الحسـین ع و هو من أدعیة الصـحیفة یا من یرحم من لایرحمه العبـاد و یـا من یقبـل من لاتقبله البلاد و یا من لایحتقر أهل الحاجـة إلیه یا من لایجبه بالرد أهل الإلحاح إلیه یا من لایخفی علیه صغیر مایتحف به و لایضـیع یسیر مایعمل له یا من یشکر علی القلیل ویجازی بالجلیل یا من یدنو إلی من دنا منه یا من یدعو إلی نفسه من أدبر عنه یا من لایغیر النعمة و لایبادر بالنقمة یا من یثمر الحسـنة حتی ینمیها ویتجاوز عن السـیئة حتی یعفیها انصرفت -روایت-۱-۲-روایت-۱۰۲-ادامه دارد [صـفحه ۱۷۹] دون مـدی کرمـک الحاجـات وامتلأـت ببعض جودک أوعیـة الطلبـات وتفسـخت دون بلوغ نعتک الصـفات فلک العلو الأعلی فوق کل عال والجلال الأمجد فوق کل جلال کل جلیل عندک حقیر و کـل شـریف فی جنب شـرفک صـغیر خـاب الوافـدون علی غیرک وخسـر المتعرضون إلا لک وضاع الملمون إلابک وأجـدب المنتجعون إلا من انتجع فضـلک لأنک ذو غایة قریبة من الراغبین وذو مجد مباح للسائلین لایخیب لدیک الآملون و لایخفق من عطائـک المتعرضـون و لایشـقی بنقمتـک المسـتغفرون رزقـک مبسوط لمن عصـاک وحلمـک معرض لمن نـاواک وعـادتک الإحسـان إلی المسیئین وسـنتک الإبقاء علی المعتـدین حتی لقـد غرتهم أناتک عن النزوع وصـدهم إمهالک عن الرجوع وإنما تـأنیت بهم لیفیئوا إلی أمرک وأمهلتهم ثقـة بـدوام ملکک فمن کان من أهل السـعادة ختمت له بها و من کان من أهل الشـقاوة خذلته لها.کلهم صائر إلی رحمتک وأمورهم آئلة إلی أمرک لم یهن علی طول مدتهم سـلطانک و لم تدحض لترک معاجلتهم حججک حجتک قائمـة وسـلطانک ثابت فالویل الـدائم لمن جنح عنک والخیبة الخاذلة لمن خاب أمله منک والشـقاء الأشـقی لمن اغتر بک ماأکثر تقلبه فی عـذابک و ماأعظم تردده فی عقابک و ماأبعد غایته من الفرج و ماأثبطه من سـهولة المخرج عدلا من قضائـک لاـتجور فیه وإنصافا من حکمک لاتحیف علیه قـدظاهرت الحجـج وأزلت الأعـذار وتقـدمت بالوعیـد وتلطفت فی الترغیب وضـربت الأمثال وأطلت الإمهال وأخرت و أنت تسـتطیع المعاجلة وتأنیت و أنت ملیء بالمبادرة لم تک أناتک عجزا و لاحلمـک وهنا و لاإمساکک لعلـة و لاانتظارک لمـداراة بل لتکون حجتک الأبلغ وکرمک الأکمل وإحسانک الأوفی ونعمتک الأتم -روایت-از قبل-۱-روایت-۲-ادامه دارد [صفحه ۱۸۰] کـل ذلـک کان و لم یزل و هوکائن لایزول نعمتک أجل من أن توصف بکلهـا ومجـدک أرفع من أن یحـد بکنهه وإحسـانک أکبر من أن یشـکر علی أقله فقـد أقصـرت ساکتـا عن تحمیـدک وتهیبت ممسـکا عن تمجیـدک لارغبـة یاإلهی عنک بل عجزا و لازهـدا فیما عنـدک بل تقصـیرا وها أناذا یاإلهی أؤمل بالوفادة وأسألـک حسن الرفـادة فاسـمع نـدائی واسـتجب دعائی و لاتختم عملی بخیبتی و لاتجبهنی بالرد فی مسألتی وأکرم من عنـدک منصـرفی إنک غیرضائق عما ترید و لاعاجز عما تشاء و أنت علی کل شـیءقدیر -روایت-از قبل-۴۸۱ و من أدعیته ع و هو من أدعیـة الصـحیفة أیضـا أللهـم یـا مـن برحمته یسـتغیث المـذنبون و یـا من إلی إحسـانه یفزع المضـطرون و یـا من لخیفته ینتحب الخاطئون یاأنس کل مسـتوحش غریب یافرج کل مکروب حریب یاعون کل مخـذول فریـد یاعائذ کل محتاج طرید أنت ألذی وسعت کل شیءرحمة وعلما و أنت ألذی جعلت لکل مخلوق فی نعمتک سهما و أنت ألذی عفوه أعلی من عقابه و أنت ألذی رحمته أمام غضـبه و أنت ألـذی إعطاؤه أکبر من منعه و أنت ألـذی وسع الخلائق کلهم بعفوه و أنت ألذی لایرغب فی غنی من أعطاه و أنت ألذی لایفرط فی عقاب من عصاه . و أنا یاسـیدی عبدک ألذی أمرته بالدعاء فقال لبیک وسـعدیک و أنا یاسیدی

عبدک ألذی أوقرت الخطایا ظهره و أنا ألذی أفنت الذنوب عمره و أنا ألذی بجهله عصاک و لم یکن أهلا منه لذلک فهل أنت یامولای راحم من دعاک فاجتهد فی الدعاء أم أنت غافر لمن بکی لک فأسرع فی البکاء أم أنت متجاوز عمن عفر لک وجهه متذللا أم أنت مغن من شکا إلیک فقره متوکلا -روایت-۱-۲-روایت-۴۶-ادامه دارد [صفحه ۱۸۱] أللهم فلاتخیب من لایجد معطیا غیرک و لاتخذل من لایستغنی عنک بأحد دونک أللهم لاتعرض عنی و قدأقبلت علیک و لاتحرمنی و قدرغبت إلیک و لاتجبهنی بالرد و قدانتصبت بین یدیک أنت ألذی وصفت نفسک بالرحمۀ و أنت ألذی سمیت نفسک بالعفو فارحمنی واعف عنی فقد تری یاسیدی فیض دموعی من خیفتک ووجیب قلبی من خشیتک وانتفاض جوارحی من هیبتک کل ذلک حیاء منک بسوء عملی وخجلا منک لکثرۀ ذنوبی قد کل لسانی عن مناجاتک وخمد صوتی عن الدعاء إلیک یاإلهی فکم من عیب سترته علی فلم تفضحنی وکم من ذنب غطیت علیه فلم تشهر بی وکم من عائبۀ ألممت بهافلم تهتک عنی سترها و لم تقلدنی مکروها شنارها و لم تبد علی محرمات سوآتها فمن یلتمس معایبی من جیرتی وحسدۀ نعمتک عندی ثم لم ینهنی ذلک حتی صرت إلی أسوإ ماعهدت منی فمن أجهل منی یاسیدی برشدک و من أغفل منی عن حظه منک و من أبعد منی من استصلاح نفسه حین أنفقت ماأجریت علی من رزقک فیما نهیتنی عنه من معصیتک و من أبعد غورا فی الباطل وأشد إقداما علی السوء منی حین أقف بین دعوتک ودعوۀ الشیطان فأتبع دعوته علی غیرعمی عن المعرفۀ به و لانسیان من حفظی له و أناحینئذ موقن أن منتهی دعوتک الجنۀ ومنتهی دعوته النار سبحانک فما أعجب ماأشهد به علی نفسی وأعدده من مکنون أمری وأعجب من ذلک أناتک عنی وإبطاؤک عن معاجلتی و لیس ذلک من کرمی علیک بل تأتیا منک بی وتفضلا منک علی لأن أرتدع عن خطئی ولأن عفوک أحب إلیک من عقوبتی بل أنا یاإلهی أکثر ذنوبا وأقبح آثارا وأشنع أفعالا وأشد فی الباطل تهورا وأضعف عندطاعتک تیقظا وأغفل لوعیدک انتباها من أن أحصی لک عیوبی وأقدر علی تعدید -روایت-از قبل-۱۵۰۶ [صفحه ۱۸۲] ذنوبی وإنما أوبخ بهذا نفسی طمعا فی رأفتک التی بهاإصلاح أمر المذنبین ورجاء لعصمتک التی بهافکاک رقاب الخاطئین أللهم و هذه رقبتی قدأرقتها الذنوب فأعتقها بعفوک و قدأثقلتها الخطایا فخفف عنها بمنک أللهم إنی لوبکیت حتی تسقط أشفار عینی وانتحبت حتی ینقطع صوتی وقمت لک حتی تنتشر قدمای ورکعت لک حتی ینجذع صلبی وسجدت لک حتی تتفقأ حدقتای وأکلت التراب طول عمری وشربت ماء الرماد آخر دهری وذکرتک فی خلال ذلک حتی یکل لسانی ثم لم أرفع طرفی إلی آفاق السماء استحیاء منک لمااستوجبت بذلک محو سیئۀ واحدۀ من سیئاتی فإن کنت تغفر لی حین أستوجب مغفرتک وتعفو عنی حین أستحق عفوک فإن ذلک غیرواجب لی بالاستحقاق و لا أنا أهل له علی الاستیجاب إذ کان جزائی منک من أول ماعصیتک النار فإن تعذبنی فإنک غیرظالم إلهی فإن تغمدتنی بسترک فلم تفضحنی وأمهلتنی بکرمک فلم تعاجلنی وحلمت عنی بتفضلک فلم تغیر نعمک علی و لم تکدر معروفک عندی فارحم طول تضرعی وشدۀ مسکنتی وسوء موقفی أللهم صل علی محمد وآل محمد وأنقذنی من المعاصی واستعملنی بالطاعۀ وارزقنی حسن الإنابۀ وطهرنی بالتوبۀ وأیدنی بالعصمۀ واستصلحنی بالعافیۀ وارزقنی حلاوۀ المغفرۀ واجعلنی طلیق عفوک واکتب لی أمانا من سخطک وبشرنی بذلک فی العاجل دون الآجل بشری أعرفها وعرفنی له علامۀ أتبینها أن ذلک لایضیق علیک فی وجدک و لایتکاءدک فی قدرتک و أنت علی کل شیءقدیر -روایت-۱-۱۲۹۴ و من أدعیته ع و هو من أدعیۀ الصحیفۀ -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-ادامه دارد [صفحه ۱۸۳] أللهم یاذا الملک المتأبد بالخلود والسلطان الممتنع بغیر جنود والمعز الباقی علی مر الدهور عزسلطانک عزا لاحد له و لامنتهی لآخره واستعلی ملکک علوا سقطت الأشیاء دون بلوغ أمده و لایبلغ أدنی مااستأثرت به من ذلک نعوت أقصی نعت الناعتین ضلت فیک الصفات وتفسخت دونک النعوت وحارت فی کبریائک لطائف الأوهام کذلک أنت الله فی أولیتک و علی ذلک أنت دائم لاتزول وکذلک أنت الله فی آخریتک وکذلک أنت ثابت لاتحول و أناالعبد الضعیف عملا

الجسيم أملاـ خرجت من يدى أسباب الوصلات إلى رحمتك وتقطعت عنى عصم الآمال إلا ما أنامعتصم به من عفوك قل عندى ماأعتد به من طاعتك وكثر عندى ماأبوء به من معصيتك ولن يفوتك عفو عن عبدك و إن أساء فاعف عنى أللهم قدأشرف على كل خطايا الأعمال علمك وانكشف كل مستور عندخبرك فلاينطوى عنك دقائق الأمور و لايعزب عنك خفايا السرائر و قدهربت إليك من صغائر ذنوب موبقة وكبائر أعمال مردية فلاشفيع يشفع لى إليك و لاخفير يؤمننى منك و لاحصن يحجبنى عنك و لاملاذ ألجأ إليه غيرك هذامقام العائذ بك ومحل المعترف لك فلايضيقن عنى فضلك و لايقصرن دونى عفوك و لاـأكون أخيب عبادك التائبين و لاأقنط وفودك الآملين واغفر لى إنك خير الغافرين أللهم إنك أمرتنى فغفلت ونهيتنى فركبت و هذامقام من استحيا لنفسه منك وسخط عليها ورضى عنك وتلقاك بنفس خاشعة وعين خاضعة وظهر مثقل من الخطايا واقفا بين الرغبة إليك والرهبة منك و أنت أولى من رجاه وأحق من خشيه واتقاه -روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ١٨۴] فأعطنى يارب مارجوت وأمنى ماحذرت وعد على بفضلك ورحمتك إنك أكرم المسئولين أللهم وإذ سترتنى بعفوك وتغمدتنى بفضلك فى دار الفناء فأجرنى من فضيحات دار البقاء عندمواقف الأشهاد من الملائكة المقربين والرسل المكرمين والشهداء الصالحين من جار كنت أكاتمه سيئاتى و من ذى رحم كنت أحتشم منه لسريراتى لم أثق بهم فى الستر على ووثقت بك فى المغفرة لى و أنت أولى من وثق به وأعطى من رغب إليه وأرأف من استرحم فارحمنى أللهم إنى أعوذ بك من نار تغلظت بها على من عصاك وأوعدت بها من ضارك وناواك وصدف عن رضاك و من نار نورها ظلمة وهينها صعب وقريبها بعيد و من نار يأكل بعضها بعضا ويصول بعضها على بعض و من نار تذر العظام رميما وتسقى أهلها حميما و من نار لاتبقى على من تضرع و لاترحم من استعطفها و لاتقدر على التخفيف عمن خشع لها واستبتل إليها تلقى سكانها بأحر مالديها من أليم النكال وشديد الوبال أللهم بك أعوذ من عقاربها الفاغرة أفواهها وحياتها الناهشة بأنيابها وشرابها ألذى يقطع الأمعاء ويذيب الأحشاء وأستهديك لماباعد عنها وأنقذ منها فأجرنى بفضل رحمتك وأقلنى عثرتى بحسن إقالتك و لاتخذلنى ياخير المجيرين أللهم صل على محمد وآل محمد إذاذكر الأبرار وصل على محمد وآل محمد مااختلف الليل والنهار صلاة لاينقطع مددها و لايحصى عددها صلاة تشحن الهواء وتملأ الأرض والسماء صل أللهم عليه وعليهم حتى ترضى وصل عليه وعليهم بعدالرضا صلاة لاحد لها و لامنتهى ياأرحم الراحمين -روايت-از قبل-١٣٣۴ [صفحه ١٨۵] و من دعائه ع و هو من أدعية الصحيفة أللهم إنى أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة وشكاسة الخلق وإلحاح الشهوة وملكة الحمية ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وتعاطى الكلفة وإيثار الباطل على الحق والإصرار على المآثم والاستكثار من المعصية والإقلال من الطاعة ومباهات المكثرين والإزراء على المقلين وسوء الولاية على من تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا و أن نعضد ظالما أونخذل ملهوفا أونروم ما ليس لنا بحق أونقول بغير علم ونعوذ بك أن ننطوى على غش لأحد و أن نعجب بأموالنا وأعمالنا و أن نمد فى آمالنا ونعوذ بك من سوء السريرة واحتقار الصغيرة و أن يستحوذ علينا الشيطان أويشتد لنا الزمان أويتهضمنا السلطان ونعوذ بك من حب الإسراف وفقدان الكفاف و من شماتة الأعداء والفقر إلى الأصدقاء و من عيشة فى شدة أوموت على غيرعدة ونعوذ أللهم بك من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى و من سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب أللهم أعذنا من كل ذلك برحمتك ومنك وجودك إنك على كل شيءقدير -روايت-١-٢-روايت-۴٠-٩۶٩ و من دعائه ع وتحميده وذكره النبى ص و هو من أدعية الصحيفة أيضاالحمد لله بكل ماحمده أدنى ملائكته إليه وأكرم خلقه عليه وأرضى حامديه لديه حمدا يفضل سائر الحمد كفضل ربنا جل جلاله على جميع خلقه ثم له الحمد مكان كل نعمة له علينا و على جميع عباده الماضين والباقين عدد ماأحاط به علمه و من جميع الأشياء أضعافا مضاعفة أبدا سرمدا إلى يوم القيامة و إلى ما لانهاية له -روايت-١-٢-روايت-٧١-ادامه دارد [صفحه ١٨۶] من بعدالقيامة حمدا لاغاية

لحده و لاحساب لعده و لامبلغ لأعداده و لاانقطاع لآماده حمدا يكون وصلة إلى طاعته وسببا إلى رضوانه وذريعة إلى مغفرته وطريقا إلى جنته وخفيرا من نقمته وأمنا من غضبه وظهيرا على طاعته وحاجزا عن معصيته وعونا على تأدية حقه ووظائفه حمدا نسعد به فى السعداء من أوليائه وننتظم به فى نظام الشهداء بسيوف أعدائه والحمد لله ألذى من علينا بنبيه محمدص دون الأمم الماضية والقرون السالفة لقدرته التى لاتعجز عن شيء و إن عظم و لايفوتها شيء و إن لطف أللهم فصل على محمدأمينك على وحيك ونجيك من خلقك وصفيك من عبادك إمام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة كمانصب لأمرك نفسه وعرض فيك للمكروه بدنه وكاشف فى الدعاء إليك حاسته وحارب فى رضاك أسرته وقطع فى نصرة دينك رحمه وأقصى الأدنين على عنودهم عنك وقرب الأقصين على استجابتهم لك ووالى فيك الأبعدين وعاند فيك الأقربين وأدأب نفسه فى تبليغ رسالتك وأتعبها فى الدعاء إلى ملتك وشغلها بالنصح لأهل دعوتك وهاجر إلى بلاد الغربة ومحل النأى عن موطن رحله وموضع رجله ومسقط رأسه ومأنس نفسه إرادة منه لإعزاز دينك واستنصارا على أهل الكفر بك حتى استتب له ماحاول فى أعدائك واستتم له مادبر فى أوليائك فنهد إلى المشركين بك مستفتحا بعونك ومتقويا على ضعفه بنصرك فغزاهم فى عقر ديارهم وهجم عليهم فى بحبوحة قرارهم حتى ظهر أمرك وعلت كلمتك و قدكره المشركون أللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك حتى لايساوى فى منزلة و لايكافأ فى مرتبة و لايوازيه لديك ملك مقرب و لانبى مرسل وعرفه فى أمته من - روايت-از قبل-١-روايت-٢-ادامه دارد [صفحه ١٨٧] حسن الشفاعة أجل ماوعدته ياناف العدة ياوافى القول يامبدل السيئات بأضعافها من الحسنات إنك ذو الفضل العظيم -روايت-از قبل-١١٨

من الأدعية المأثورة عن عيسى ع

و من الأدعية المروية عن عيسى ابن مريم ع أللهم أنت إله من فى السماء وإله من فى الأرض لاإله فيهما غيرك و أنت حكيم من فى السماء وحكيم من فى الأرض لاحكيم فيهما غيرك و أنت ملك من فى السماء وملك من فى الأرض لاملك فيهما غيرك قدرتك فى السماء كقدرتك فى الأرض وسلطانك فى السماء كسلطانك فى الأرض أسألك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم أن تفعل بى كذا وكذا -روايت-١-٢-روايت-٤٦-٣٩٧

من الأدعية المأثورة عن بعض الصالحين

و كان بعض الصالحين يدعو فيقول أللهم لاتدخلنا النار بعد أن أسكنت قلوبنا توحيدك وإنى لأرجو ألا تفعل و إن فعلت لتجمعن بيننا و بين قوم عاديناهم فيك و من دعاء بعضهم أللهم إنك لم تشرك فى خلقنا غيرك فلاتشرك فى الإحسان إلينا غيرك أللهم لارب لنا غيرك فلاتجعل حاجتنا عندغيرك أللهم إنا لانعبد غيرك فلاتسلط علينا غيرك قام أعرابى على قبر رسول الله ص فقال [صفحه ١٨٨] بأبى أنت وأمى يا رسول الله قلت فقبلنا وتلوت فوعينا ثم ظلمنا أنفسنا وقرأنا فيما أتيتنا به عن ربناوَ لَو أَنّهُم إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم جاؤُكَ فَاستَغفَرُوا اللّهَ وَ استَغفَرَ لَهُمُ الرّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحِيماً أللهم إنا قدجئنا رسولك ونحن نستغفرك ونسأل رسولك أن يستغفر لنا خطايانا فاغفر لنا وتب علينا.فيقال إن إنسانا حضر ذلك الدعاء فرأى تلك الليلة رسول الله ص فى منامه يقول له أبلغ الأعرابى أن الله قدغفر له . و من أدعية بعض الصالحين أللهم إنى لم آتك بعمل صالح قدمته و لاشفاعة مخلوق رجوته أتيتك مقرا بالظلم والإساءة على نفسى أتيتك بلا حجة أتيتك أرجو عظيم عفوك ألذى عدت

به على الخاطئين ثم لم يمنعك عكوفهم على عظيم الجرم أن جدت لهم بالمغفرة فيا صاحب العفو العظيم اغفر الذنب العظيم برحمتك ياأرحم الراحمين -قرآن-۱۰۴-۲۳۵ وروى أن عليا ع اعتمر فرأى رجلا متعلقا بأستار الكعبة و هو يقول يا من لايشغله سمع عن سمع يا من لاتقلقه المسائل و لايبرمه إلحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك وعذوبة عافيتك والفوز بالجنة والنجاة من النار فقال على ع و ألذى نفسى بيده إن قالها و عليه مثل السموات و الأرض من الذنوب قولا مخلصا ليغفرن له -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۳۴ . ودعا أعرابى عندالملتزم فقال أللهم إن لك على حقوقا فتصدق بها على و إن للناس قبلى تبعات فتحملها عنى و قدأوجبت لكل ضيف قرى و أناضيفك الليلة فاجعل قراى الجنة. [صفحه ۱۸۹] ودعا بعض الأعراب أيضا و قدخرج حاجا فقال أللهم إليك خرجت و ماعندك طلبت فلاتحرمنى خير ماعندك لشر ماعندى أللهم إن كنت لم ترحم تعبى ونصبى فإنها لمصيبة أصبت بها فلاتحرمنى أجر المصاب على المصيبة. ودعا بعضهم فقال أللهم إنك سترت علينا فى الدنيا ذنوبا كثيرة ونحن إلى سترها فى الآخرة أحوج فاغفر لنا. و من دعاء بعضهم أللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره واجعل القبر خير بيت نعمره واجعل مابعده خيرا لنا منه أللهم إليك عجت الأصوات بصنوف اللغات تسألك الحاجات وحاجتى إليك أن تذكرنى عندطول البلى إذانسينى أهل الدنيا. و قال بعضهم كنت أدعو الله بعدوفاة مالك بن دينار أن أراه فى منامى فرأيته بعدسنة فقلت يا أبايحيى علمنى كيف أدعو فقال قل أللهم يسر الجواز وسهل المجاز. و قال الشعبى حسدت عبدالملك بن مروان على دعاء كان يدعو به على المنبر يقول أللهم إن ذنوبى كثيرة جلت أن توصف وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى. و من دعاء بعض الزهاد أللهم إنى أعوذ بك من أهل يلهينى و من هوى يردينى و من عمل يخزينى و من صاحب يغوينى و من جار يؤذينى و من غنى يطغينى و من فقر ينسينى أللهم اجعلنا نستحييك ونتقيك ونخافك ونخشاك ونرجوك ونطيعك فى السر والعلانية أللهم استرنا بالمعافاة والغنى أستعين الله على أمورى وأستغفر الله لذنوبى وأعوذ بك من شر نفسى. ويروى أن رجلا أعمى جاء إلى رسول الله ص فشكا إليه ذهاب بصره فقال ص له قل ياسبوح ياقدوس يانور الأنوار يانور السموات و الأرض ياأول الأولين و ياآخر الآخرين و ياأرحم الراحمين أسألك -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-ادامه دارد [صفحه ۱۹۰] أن تغفر لى الذنوب التى تغير النعم والذنوب التى تنزل النقم والذنوب التى تهتك العصم والذنوب التى توجب البلاء والذنوب التى تقطع الرجاء والذنوب التى تحبس الدعاء والذنوب التى تكشف الغطاء والذنوب التى تعجل الفناء والذنوب التى تظلم الهواء وأسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم أن ترد على بصرى فدعا بذلك فرد عليه بصره -روايت-از قبل-۳۴۵ و من الآثار المنقولة أن الله تعالى غضب على أمة فأنزل عليهم العذاب و كان فيهم ثلاثة صالحون فخرجوا وابتهلوا إلى الله سبحانه فقام أحدهم فقال أللهم إنك أمرتنا أن نعتق أرقاءنا ونحن أرقاؤك فاعتقنا ثم جلس وقام الثانى فقال أللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا و قدظلمنا أنفسنا فاعف عنا ثم جلس وقام الثالث فقال أللهم أنا على ثقة أنك لم تخلق خلقا أوسع من مغفرتك فاجعل لنا فى سعتها نصيبا فرفع عنهم العذاب . قيل لسفيان بن عيينة ماحديث رويته عن رسول الله ص أفضل دعاء أعطيته أنا والنبيون قبلى أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له له الملك و له الحمد يحيى ويميت و هوحى لايموت بيده الخير و هو على كل شيءقدير -روايت-۱-۲-روايت-۵۸-۲۲۴ كأنهم لم يروه دعاء فقال ماتنكرون من هذا ثم روى لهم قول رسول الله ص من تشاغل بالثناء على الله أعطاه الله فوق رغبة السائلين -روايت-۱-۲-روايت-۳۶-۹۷ ثم قال هذاأمية بن أبى الصلت يقول لابن جدعان أأذكر حاجتى أم قدكفانى || حياؤك إن شيمتك الحياء إذاأثنى عليك المرء يوما || كفاه من تعرضه الثناء . و قال هذامخلوق يقول لمخلوق فما ظنكم برب العالمين . [صفحه ۱۹۱] و من دعائه ص أللهم إنى أعوذ بك من الفقر إلاإليك و من الذل إلا لك -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۷۶ و من دعائه ع أللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان القلوب مذروف الدموع قبل أن يكون الدمع دما وقرع الضرس ندما -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۱۲۳ و من دعائه ع أللهم طهر لسانى من الكذب وقلبى من

النفاق وعملی من الرياء وبصری من الخيانـة فإنک تعلم خائنـة الأعين و ماتخفی الصدور -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۱۴۲ ومما رواه أنس بن مالک لاتعجزوا عن الـدعاء فإنه لن يهلک مع الدعاء أحد -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۷۸ و من رواية جابر بن عبد الله لقد بارک الله للرجل فی الحاجة بکثرة الدعاء فيهاأعطيها أومنعها -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۹۷ أبوهريرة يرفعه أللهم أصلح لی فی دينی ألذی هوعصـمة أمری وأصـلح لی دنيای التی فيهامعاشـی وأصـلح لی آخرتی التی إليها معادی واجعل الحياة زيادة لی فی کل خير والموت راحة لی من کل شر -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۱۹۶ .قيل لأعرابی أتحسن أن تدعو ربک فقال نعم ثم دعـا فقـال أللهم إنـک مننت علينـا بالإسـلام من غير أن نسألک فلاتحرمنا الجنـة ونحن نسألک سـمعت أعرابيـة تقول فی دعائها يـاعريض الجفنـة يـا أباالمکـارم يـاأبيض الوجه فزجرها رجل فقالت دعونی أصف ربی بما يستحقه . و کان موسی بن جعفر ع يقـول فی سـجوده آخر الليـل إلهی عظـم الـذنب من عبـدک فليحسن العفـو من عنـدک -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-۱۰۵ .ذکر عنـدبعض الصالحين رجل قـدأصابه بلاء عظيم و هويـدعو فتبطئ عنه الإجابـة فقال بلغنی أن الله تعالی يقول کيف أرحم المبتلی من شـیءأرحمه به [صفحه ۱۹۲] قـال طاوس إنی لفی الحجر ليلـة إذ دخل علی بن الحسين ع فقلت رجل صالـح من أهل بيت صالح لأسـمعن دعاءه فسـمعته يقول فی أثناء دعائه عبدک بفنائک سائلک بفنائک مسکينک بفنائک فما دعوت بهن فی کرب إلاـ وفرج عنی -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۲۲۴ عمر بن ذر أللهم إن کنـا عصـيناک فقـد ترکنـا من معاصـيک أبغضـها إليک و هوالإشـراک و إن کنا قصـرنا عن بعض طاعتک فقد تمسکنا منها بأحبها إليک و هوشهادة أن لاإله إلا أنت و أن رسلک جاءت بالحق من عنـدک .أعرابی أللهم إنا نبات نعمتک فلاتجعلنا حصائـد نقمتک .بعضـهم أللهم إن کنت قـدبلغت أحدا من عبادک الصـالحين درجـة ببلاـء فبلغنيهـا بالعافية.حـج أعرابی فکـان لايسـتغفر إذاصـلی کمايستغفر النـاس فقيـل له فقـال کمـا أن ترکی الاسـتغفار مع ماأعلم من عفو الله ورحمته ضعف فکذلک استغفاری مع ماأعلم من إصراری لؤم . لماصاف قتيبة بن مسلم الترک وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقيل هو فی أقصـی الميمنة جانحا علی سـية قوسه مبصـبصا بإصـبعه نحو السماء فقال قتيبة لتلک الإصـبع القارورة أحب إلی من مائة ألف سـيف شـهير ورمح طرير.سـمع مطرف بن الشخير صيحة الناس بالدعاء فقال لقد هممت أن أحلـف أن الله غفر لهم ثم ذکرت أنی فيهم فکففت . کـان المـأمون إذارفعت المائـدة من بين يـديه يقـول الحمـد لله ألـذی جعـل أرزاقنا أکثر من أقواتنا. الحسن البصـری من دخل المقبرة فقال أللهم رب الأرواح العاليـة والأجساد الباليـة [صـفحه ۱۹۳] والعظام النخرة التی خرجت من الدنيا وهی مؤمنة بک أدخل عليهم روحا منک وسـلاما منی کتب الله له بعدد من ولد منذ زمن آدم إلی أن تقوم الساعـة حسـنات . علی ع الـدعاء سـلاح المؤمن وعمـاد الـدين ونور السـموات و الأرض -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۶۸ .قيـل إن فيما أنزله الله تعالی من الکتب القديمـة أن الله يبتلی العبـد و هويحبه ليسـمع دعاءه وتضـرعه . أبوهريرة اطلبوا الخير دهرکم کله وتعرضوا لنفحـات من رحمـة الله تعـالی فـإن لله تعـالی نفحات من رحمته يصـيب بها من يشاء من عباده واسـألوا الله أن يستر عوراتکم ويؤمن روعـاتکم .صـلی رجـل إلی جنب عبـد الله بن المبـارک فلمـا سـلم الإمـام سـلم وقام عجلا فجـذب عبـد الله بثوبه و قـال أ ما لک إلی ربک حاجـة.قيل لعمر بن عبـدالعزيز جزاک الله عن الإسـلام خيرا فقال لابل جزی الله الإسـلام عنی خيرا. علی ع الداعی بغير عمل کالرامی بغير وتر -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۷ . کان الزهری إذافرغ من الحديث تلاه فـدعا أللهم إنی أسألک خير ماأحاط به علمک فی الدنيا والآخرة وأعوذ بک من شـر ماأحاط به علمک فی الدنيا والآخرة. کـان زبيـد النـامی يسـتتبع الصبيـان إلی المسـجد و فی کمه الجوز و يقـول من يتبعنی منکم فـأعطيه خمس جـوزات فـإذادخلوا المسـجد قـال ارفعوا أيـديکم وقولوا أللهم اغفر لزبيـد فإذادعوا قال أللهم اسـتجب لهم فإنهم لم يـذنبوا. علی ع جعل فی يـديک مفاتيـح خزائنه بمـا أذن لـک فيه من مسألته فمتی شـئت اسـتفتحت بالـدعاء أبواب نعمته واسـتمطرت شآبيب رحمته فلايقنطنک إبطاء -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-ادامه دارد [صـفحه ۱۹۴] إجابته فإن العطيـة علی قـدر النية وربما أخرت عنک الإجابة ليکون

ذلک أعظم لأجر السائل وأجزل لعطاء الآمل وربما سألت الشیء فلاتؤتاه وأوتیت خیرا منه أوصرف عنک بما هو لک خیر واعلم أنه رب أمر قدطلبت فیه هلاک دینک لوأوتیته -روایت-از قبل-۲۳۷ و من الدعاء المرفوع أللهم من أراد بنا سوءا فأحط به ذلک السوء کإحاطة القلائد بترائب الولائد وأرسخه علی هامته کرسوخ السجیل علی قمم أصحاب الفیل -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۱۵۶ سمع عمر رجلا یقول فی دعائه أللهم اجعلنی من الأقلین فقال ماأردت بهذا قال قول الله عز و جل وَ ما آمَنَ مَعَهُ إِلّا قَلِیلٌ و قوله تعالی وَ قَلِیلٌ مِن عِبادِیَ الشّکُورُ فقال علیکم من الدعاء بما عرف -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-۲۱۴ . قال سعید بن المسیب مر بی صلة بن أشیم فقلت له ادع لی فقال رغبک الله فیما یبقی وزهدک فیما یفنی ووهب لک الیقین ألذی لاتسکن النفوس إلا إلیه و لاتعول إلا علیه . کان علی بن عیسی بن ماهان صاحب خراسان و فی أیامه عصام بن یوسف الزاهد فلقیه فی الطریق وسلم علیه علی فأعرض عنه و لم یرد علیه فوقف علی ورفع یدیه وأسبل عینیه و قال أللهم إن هذا الرجل یتقرب إلیک ببغضی و أناأتقرب إلیک بحبه فإن کنت غفرت له ببغضی فاغفر لی بحبه یاکریم ثم سار. قال الأصمعی سمعت أعرابیا یدعو و یقول أللهم إن کان رزقی فی السماء فأنزله و إن کان فی الأرض فأخرجه و إن کان بعیدا فقربه و إن کان قریبا فیسره و إن کان قلیلا فکثره و إن کان کثیرا فبارک لی فیه . [صفحه ۱۹۵] من دعاء عمرو بن عبید أللهم أغننی بالافتقار إلیک و لاتفقرنی بالاستغناء عنک أللهم أعنی علی الدنیا بالقناعة و علی الدین بالعصمة. شکا رجل إلی الحسن رحمه الله تعالی رجلا یظلمه فقال له إذاصلیت الرکعتین بعدالمغرب فاسجد وقل یاشدید القوی یاشدید المحال یاعزیز أذللت لعزک جمیع من خلقت فصل علی محمد وآل محمد واکفنی مئونة فلان بما شئت فدعا بهافلم یرعه إلاالواعیة باللیل فسأل فقیل مات فلان فجأة -روایت-۱-۲۸۶ قال موسی ع یارب إنک لتعطینی أکثر من أملی قال لأنک تکثر من قول ماشاء الله لاقوة إلابالله -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۰۳ . کان بعض الصالحین یقول قبل الصلاة یامحسن قدجاءک المسیء و قدأمرت المحسن أن یتجاوز عن المسیء فتجاوز عن قبیح ماعندی بجمیل ماعندک أللهم ارزقنی عمل الخائفین وخوف العاملین حتی أنعم بترک التنعم طمعا فیما وعدت وخوفا مما أوعدت . و من الأدعیة الجامعة أللهم أغننی بالعلم وزینی بالحلم وجملنی بالعافیة وکرمنی بالتقوی -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۹۵ . أحمد بن یوسف کاتب المأمون إذادخل علیه حیاة بتحیة أبرویز الملک عشت الدهر ونلت المنی وجنبت طاعة النساء. و من الدعاء المروی عن رسول الله ص أللهم اغفر لی ذنوبی وخطایای کلها أللهم أنعشنی وأجزنی وانصرنی واهدنی لصالح الأعمال والأخلاق -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-ادامه دارد [صفحه ۱۹۶] إنه لایهدی لصالحها و لایصرف عن سیئها إلا أنت أللهم إنی أسألک الثبات فی الأمر والعزیمة علی الرشد وأسألک شکر نعمتک وحسن عبادتک وأسألک قلبا سلیما ولسانا صادقا وأسألک من خیر ماتعلم وأعوذ بک من شر ماتعلم وأستغفرک لماتعلم إنک أنت علام الغیوب -روایت-از قبل-۲۶۰

آداب الدعاء

قالوا و من آداب الدعاء أن ترصد له الأوقات الشریفة کما بین الأذان والإقامة وکوقت السجود ووقت السحر ویستحب أن یدعو مستقبل القبلة رافعا یدیه لماروی سلمان عن النبی ص أن ربکم کریم یستحی من عبده إذارفع إلیه یدیه أن یردهما صفرا -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-۹۸ ویستحب أن یمسح بهما وجهه بعدالدعاء فإن ذلک قدروی عن رسول الله ص . ویکره أن یرفع بصره إلی السماء لقوله ع لینتهین أقوام عن رفع أبصارهم إلی السماء عندالدعاء أولتخطفن أبصارهم -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۸۵ و قدرخص فی ذلک للصدیقین والأئمة العادلین ویستحب أن یخفض صوته لقوله تعالی ادعُوا رَبّکُم تَضَرّعاً وَ خُفیَةً -قرآن-

۸۳-۱۱۷ و قدروی أن عمر سمع رجلاـ یجهر بالدعاء فقال لکن زکریا نادی ربه نداء خفیا -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۸۰ . ویکره أن یتکلف الکلام المسجوع ویستحب الإتیان بالمطبوع منه لقوله ص إیاکم والسجع فی الدعاء بحسب أحدکم أن یقول أللهم إنی أسألک الجنة و ماقرب إلیها من قول أوعمل وأعوذ بک من النار و ماقرب إلیها من قول أوعمل -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۱۶۳ . [صفحه ۱۹۷] وقیل فی الوصیة الصالحة ادع ربک بلسان الذلة والاحتقار لابلسان الفصاحة والتشدق . و قال سفیان بن عیینة لاـیمنعن أحدکم من الدعاء مایعلمه من نفسه فإن الله تعالی أجاب دعاء شر خلقه إبلیس حیث قال أَنظِرنِي. -قرآن-۲۰۵-۲۱۴ النبی ص إذاسأل أحدکم ربه مسألة فتعرف الإجابة فلیقل الحمد لله ألذی بنعمته تتم الصالحات و من أبطأ عنه شیء من ذاک فلیقل الحمد لله علی کل حال -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۱۵۹ . و من الآداب أن یفتتح بالذکر و إلایبتدئ بالمسألة کان رسول الله ص قبل أن یدعو یقول سبحان ربی العلی الوهاب -روایت-۱-۶۶ أبوسلیمان الدارانی من أراد أن یسأل الله تعالی حاجته فلیبدأ بالصلاة علی رسول الله ص ثم یسأل حاجته ثم یختم بالصلاة علی رسول الله ص فإن الله تعالی یقبل الصلاتین و هوأکرم من أن یدع مابینهما -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۲۱۳ و من دعاء علی ع أللهم صن وجهی بالیسار و لاتبذل جاهی بالإقتار فأسترزق طالبی رزقک وأستعطف شرار خلقک وأبتلی بحمد من أعطانی وأفتتن بذم من منعنی و أنت من وراء ذلک کله ولی الإعطاء والمنع إنک علی کل شیءقدیر -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۲۲۷ و من دعاء الحسن رحمه الله تعالی أللهم إنی أعوذ بک من قلب یعرف ولسان یصف وأعمال تخالف -روایت-۱-۲-روایت-۳۸-۱۰۰ و من دعاء أهل البیت ع و فیه رائحة من کلام أمیر المؤمنین ع ألذی نحن فی شرحه أللهم إنی أستغفرک لماتبت منه إلیک ثم عدت فیه وأستغفرک -روایت-۱-۲-روایت-۸۵-ادامه دارد [صفحه ۱۹۸] لماوعدتک من نفسی ثم أخلفتک وأستغفرک للنعم التی أنعمت بها علی فتقویت علی معصیتک وأستغفرک من کل ذنب تمکنت منه بعافیتک ونالته یدی بفضل نعمتک وانبسطت إلیه بسعة رزقک واحتجبت فیه عن الناس بسترک واتکلت فیه علی أکرم عفوک أللهم إنی أعوذ بک أن أقول حقا لیس فیه رضاک ألتمس به أحدا سواک وأعوذ بک أن أتزین للناس بشیء یشیننی عندک وأعوذ بک أن أکون عبرة لأحد من خلقک و أن یکون أحد من خلقک أسعد بما علمتنی منی وأعوذ بک أن أستعین بمعصیة لک علی ضر یصیبنی -روایت-از قبل-۴۹۱ . کان أبومسلم الخولانی إذاأهمه أمر قال یامالک یوم الدین إیاک نعبد وإیاک نستعین . و من دعاء علی ع أللهم إن تهت عن مسألتی وأعمیت عن طلبتی فدلنی علی مصالحی وخذ بقلبی إلی مراشدی أللهم احملنی علی عفوک و لاتحملنی علی عدلک -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۱۵۴ [صفحه ۱۹۹]

۷۸- و من کلام له ع قاله لبعض أصحابه لماعزم علی المسیر إلی الخوارج

اشاره

و قد قال له إن سرت یا أمیر المؤمنین فی هذاالوقت خشیت ألا تظفر بمرادک من طریق علم النجوم فَقَالَ ع أَ تَزعُمُ أَنّکَ تَهدِی إِلَی السّاعَةِ التّیِ مَن سَارَ فِیهَا صُرِفَ عَنهُ السّوءُ وَ تُخَوّفُ مِنَ السّاعَةِ التّیِ مَن سَارَ فِیهَا حَاقَ بِهِ الضّرّ فَمَن صَدّقَکَ بِهَذَا فَقَد کَذّبَ القُرآنَ وَ استَغنَی عَنِ الِاستِعَانَةِ بِاللّهِ فِی نَیلِ المَحبُوبِ وَ دَفعِ المَکرُوهِ وَ تَبتَغِی فِی قَولِکَ لِلعَامِلِ بِأَمرِکَ أَن یُولِیَکَ الحَمدَ دُونَ رَبّهِ لِأَنّکَ بِزَعمِکَ أَنتَ هَدَیتَهُ إِلَی السّاعَةِ التّیِ نَالَ فِیهَا النّفعَ وَ أَمِنَ الضّرّ ثُمّ أَقبَلَ ع عَلَی النّاسِ فَقَالَ أَیّهَا النّاسُ إِیّاکُم وَ تَعَلّمَ النّجُومِ إِلّا مَا یُهتَدَی بِهِ فِی بَرّ أَو بَحرٍ فَإِنّهَا تَدعُو إِلَی الکَهَانَةِ المُنَجّمُ کَالکَاهِنِ وَ الکَاهِنُ کَالسّاحِرِ وَ السّاحِرُ کَالکَافِرِ وَ الکَافِرُ فِی

النّارِ سِيْرُوا عَلَى اسمِ اللّهِ حاق به الضر أى أحاط به قال تعالى وَ لا يَحِيقُ المَكرُ السّيّئُ إلّا بِأَهلِهِ. ويوليك الحمد مضارع أولاك وأولاك معدى بالهمزة من ولى يقال ولى –قرآن–٣٧–٨٢ [صفحه ٢٠٠] الشىء ولاية وأوليته ذلك أى جعلته واليا له ومتسلطا عليه والكاهن واحد الكهان وهم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين بكثير من الغائبات

القول فى أحكام النجوم

واعلم أن الناس قداختلفوا فى أحكام النجوم فأنكرها جمهور المسلمين والمحققون من الحكماء ونحن نتكلم هاهنا فى ذلك ونبحث فيه بحثين بحثا كلاميا وبحثا حكميا. أماالبحث الكلامى هو أن يقال أما أن يذهب المنجمون إلى أن النجوم مؤثرة أوأمارات . والوجه الأول ينقسم قسمين أحدهما أن يقال إنها تفعل بالاختيار والثانى أن تفعل بالإيجاب . والقول بأنها تفعل بالاختيار باطل لأن المختار لابد أن يكون قادرا حيا والإجماع من المسلمين حاصل على أن الكواكب ليست حية و لاقادرة والإجماع حجة و قد بين المتكلمون أيضا أن من شرط الحياة الرطوبة و أن تكون الحرارة على قدر مخصوص متى أفرط امتنع حلول الحياة فى ذلك الجسم فإن النار على صرافتها يستحيل أن تكون حية و أن تحلها الحياة لعدم الرطوبة وإفراط الحرارة فيها واليبس والشمس أشد حرارة من النار لأنها على بعدها تؤثره النار على قربها و ذلك دليل على أن حرارتها أضعاف حرارة النار وبينوا أيضا أنها لوكانت حية قادرة لم يجز أن تفعل فى غيرها ابتداء لأن القادر بقدرة لايصح منه الاختراع وإنما يفعل فى غيره على سبيل التوليد و لابد من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه والكواكب غيرمماسة لنا فلاوصلة بينها وبيننا فيستحيل أن تكون فاعلة فينا. [صفحه ٢٠١] فإن ادعى مدع أن الوصلة هى الهواء فعن ذلك أجوبة أحدها أن الهواء لايجوز أن يكون وصلة وآلة فى الحركات الشديدة وحمل الأثقال لاسيما إذا لم يتموج . والثانى أنه كان يجب أن نحس بذلك ونعلم أن الهواء يحركنا ويصرفنا كمانعلم فى الجسم إذاحركنا وصرفنا بآلة موضع تحريكه لنا بتلك الآلة. والثالث أن فى الأفعال الحادثة فينا ما لايجوز أن يفعل بآلة و لايتولد عن سبب كالإرادات والاعتقادات ونحوها. و قددلل أصحابنا أيضا على إبطال كون الكواكب فاعلة للأفعال فينا بأن ذلك يقتضى سقوط الأمر والنهى والمدح والذم ويلزمهم مايلزم المجبرة و هذاالوجه يبطل كون الكواكب فاعلة فينا بالإيجاب كمايبطل كونها فاعلة بالاختيار. و أماالقول بأنها أمارات على مايحدث ويتجدد فيمكن أن ينصر بأن يقال لم لايجوز أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالا مخصوصة عندطلوع كوكب أوغروبه أواتصاله بكوكب آخر. والكلام على ذلك بأن يقال هذا غيرممتنع لوثبت سمع مقطوع به يقتضى ذلك فإن هذامما لايعلم بالعقل . فإن قالوا نعلم بالتجربة.قيل لهم التجربة إنما تكون حجة إذااستمرت واطردت وأنتم خطؤكم فيما تحكمون به أكثر من صوابكم فهلا نسبتم الصواب ألذى يقع منكم إلى الاتفاق والتخمين فقد رأينا من أصحاب الزرق والتخمين من يصيب أكثر مما يصيب المنجم و هو من غيرأصل صحيح و لاقاعدة معتمدة ومتى قلتم إنما أخطأ المنجم لغلطه فى تسيير الكواكب [صفحه ٢٠٢] قيل لكم و لم لا يكون سبب الإصابة اتفاقا وإنما يصح لكم هذاالتأويل والتخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غيرإصابة المنجم .فأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة فهلا كان دليل فسادها الخطاء فما أحدهما إلا فى مقابلة صاحبه . ومما قيل على أصحاب الأحكام إن قيل لهم فى شيءبعينه خذوا الطالع واحكموا أيؤخذ أم يترك فإن حكموا بأحدهما خولفوا وفعل خلاف ماأخبروا به و هذه المسألة قدأعضل عليهم جوابها. و قال بعض المتكلمين لبعض المنجمين أخبرنى لوفرضنا جادة مسلوكة وطريقا يمشى فيها الناس نهارا وليلا و فى تلك المحجة آبار متقاربة و بين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل وتوقف حتى يتخلص من السقوط فى بعض تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامة من يمشى بهذا الطريق من العميان كسلامة من يمشى فيه من

البصـراء والمفروض أن الطريق لايخلو طرفة عين من مشاة فيهاعميان ومبصرون وهل يجوز أن يكون عطب البصراء مقاربا لعطب العميـان . فقـال المنجم هـذامما لاـيجوز بل الواجب أن تكون سـلامة البصـراء أكثر من سـلامة العميان . فقال المتكلم فقـد بطل قولكم لأن مسألتنا نظير هذه الصورة فإن مثال البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم ويميزون مساعدها من مناحسـها ويتوقون بهـذه المعرفـة مضـار الوقت والحركات ويتخطونها ويعتمـدون منافعها ويقصـدونها ومثال العميان كل من لايحسن علم النجوم و لايقولون به من أهل العلم والعامـة وهم أضـعاف أضـعاف عدد المنجمين . [صـفحه ٢٠٣] ومثال الطريق ألـذى فيه الآبار الزمان ألذى مضـى ومر على الخلق أجمعين ومثال آباره مصائبه ومحنه . و قد كان يجب لوصح علم أحكام النجوم أن سلامة المنجمين أكثر ومصـائبهم أقـل لأـنهم يتوقون المحن ويتخطونها لعلمهم بهاقبل كونها و أن تكون محن المعرضـين عن علم أحكام النجوم على كثرتهم أوفر وأظهر حتى تكون سـلامة كل واحد منهم هى الطريقة الغريبة والمعلوم خلاف ذلك فإن السـلامة والمحن فى الجميع متقاربـة متناسـبة غيرمتفاوتـة. و أماالبحث الحكمى فى هـذاالموضع فهو أن الحادث فى عالم العناصـر عندحلول الكوكب المخصوص فى البرج المخصوص إما أن يكون المقتضـى له مجرد ذلك الكوكب أومجرد ذلك البرج أوحلول ذلك الكوكب فى ذلـك البرج فالأولاـن باطلان و إلالوجب أن يحـدث ذلك الأمر قبل أن يحـدث والثالث باطل أيضا لأنه إما أن يكون ذلك البرج مساويـا لغيره من البروج فى الماهيـة أومخالفا والأول يقتضـى حـدوث ذلك الحادث حال ما كان ذلك الكوكب حالا فى غيره من البروج لأن حكم الشـىء حكم مثله والثانى يقتضـى كون كرة البروج متخالفة الأجزاء فى أنفسـها ويلزم فى ذلك كونها مركبة و قدقامت الدلالة على أنه لا شـىء من الأفلاك بمركب . و قداعترض على هذاالدليل بوجهين أحدهما أنه لم لايجوز أن تختلف أفعـال الكواكب المتحيرة عنـدحلولها فى الـبروج لالاختلاـف الـبروج فى نفسـها بـل لاختلاـف مـا فى تلـك البروج من الكواكب الثابتة المختلفة الطبائع .الوجه الثانى لم لايجوز أن يقال الفلك التاسع مكوكب بكواكب صـغار لانراها [صـفحه ٢٠۴] لغايـة بعـدها عنا فإذاتحركت فى كرات تداويرها سامتت مواضع مخصوصة من كرة الكواكب الثابتة وهى فلك البروج فاختلفت آثار الكواكب المتحيرة عندحلولها فى البروج باعتبار اختلاف تلك الكواكب الصغيرة و لم لايجوز إثبات كرة بين الكرة الثامنة و بين الفلك الأطلس المدبر لجميع الأفلاك من المشـرق إلى المغرب وتكون تلك الكرة المتوسـطة بينهما بطيئة الحركة بحيث لاـتفى أعمارنـا بـالوقوف على حركتهـا وهى مكوكبـة بتلك الكواكب الصـغار المختلفـة الطبائع . وأجيب عن الأول بأنه لو كان الأـمر كمـاذكر لوجب أن تختلف بيوت الكواكب وأشـرافها وحـدودها عندحركـة الثوابت بحركـة فلكهـا حتى أنهـا تتقـدم على مواضـعها فى كل مائـة سـنة على رأى المتقـدمين أو فى كل ست وستين سـنة على رأى المتأخرين درجة واحدة لكن ليس الأمر كذلك فإن شـرف القمر كما أنه فى زماننا فى درجة الثالثة من الثور فكذلك كان عندالذين كانوا قبلنا بألف سنة وبألفى سنة. و أماالوجه الثـانى فلاـجواب عنه . واعلم أن الفلاسـفة قـدعولت فى إبطـال القـول بأحكـام النجوم على وجه واحـد و هو أن مبنى هـذاالعلم على التجربـة و لم توجـد التجربـة فيما يـدعيه أرباب علم النجوم فإن هاهنا أمورا لاتتكرر إلا فى الأعمار المتطاولة مثل الأـدوار والألوف التى زعم أبومعشـر أنها هى الأصل فى هـذاالعلم ومثل مماسـة جرم زحل للكرة المكوكبـة ومثل انطباق معـدل النهـار على دائرة فلك البروج فإنهم يزعمون أن ذلك يقتضـى حـدوث طوفان الماء وإحاطته بالأرض من جميع الجوانب مع أن هـذه الأمور لاتوجـد إلا فى ألوف الألوف من السـنين فكيف تصـح أمثال هـذه الأمور بالتجربـة. وأيضا فإنا إذارأينا حادثا حدث عنـدحلول كـوكب مخصوص فى برج مخصوص [صـفحه ٢٠۵] فكيف نعلم اسـتناد حـدوثه إلى ذلـك الحلول فـإن فى الفلك كواكب لاتحصـى فما ألـذى خصـص حـدوث ذلك الحـدوث بحلول ذلك الكوكب فى ذلك البرج لاغيره وبتقـدير أن يكون لحلوله تأثير فى ذلك فلايمكن الجزم قبل حلوله بأنه إذاحل فى البرج المـذكور لابـد أن يحـدث ذلك الحادث لجواز أن يوجد مايبطـل تـأثيره نحو أن يحـل كوكب آخر فى برج آخر فيـدفع تـأثيره ويبطل عمله أولعل المادة الأرضـية لاتكون مستعدة لقبول

تلك الصورة وحدوث الحادث كمايتوقف على حصول الفاعل يتوقف على حصول القابل و إذاوقع الشك فى هذه الأمور بطل القول بالجزم بعلم أحكام النجوم و هذه الحجة جيدة إن كان المنجمون يطلبون القطع فى علمهم .فإما أن كانوا يطلبون الظن فإن هذه الحجة لاتفسد قولهم .فأما أبوالبركات بن ملكا البغدادى صاحب كتاب المعتبر فإنه أبطل أحكام النجوم من وجه وأثبته من وجه . قال أما من يريد تطبيق علم أحكام النجوم على قاعدة العلم الطبيعى فإنه لاسبيل له إلى ذلك فإنا لانتعلق من أقوالهم إلاأحكام يحكمون بها من غيردليل نحو القول بحر الكواكب وبردها أورطوبتها ويبوستها واعتدالها كقولهم إن زحل بارد يابس والمشترى معتدل والاعتدال خير والإفراط شر وينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادة والشر يوجب منحسة و ماجانس ذلك مما لم يقل به علماء الطبيعيين و لم تنتجه مقدماتهم فى أنظارهم وإنما ألذى أنتجته هو أن الأجرام السماوية فعالة فيما تحويه وتشتمل عليه وتتحرك حوله فعلا على الإطلاق غيرمحدود بوقت و لامقدر بتقدير والقائلون بالأحكام ادعوا حصول علمهم بذلك من توقيف وتجربة لايطابق نظر الطبيعى. و إذا قلت بقول الطبيعى بحسب أنظاره أن المشترى سعد والمريخ نحس أو أن زحل [صفحه ٢٠٦] بارد يابس والمريخ حار يابس والحار والبارد من الملموسات و مادل على هذاالمس و مااستدل عليه بلمس كتأثيره فيما يلمسه فإن ذلك لم يظهر للحس فى غيرالشمس حيث تسخن الأرض بشعاعها و لو كان فى السمائيات شىء من طبائع الأضداد لكان الأولى أن تكون كلها حارة لأن كواكبها كلها منيرة. ومتى يقول الطبيعى بتقطيع الفلك وتقسيمه إلى أجزاء كماقسمه المنجمون قسمة وهمية إلى بروج ودرج ودقائق و ذلك جائز للمتوهم كجواز غيره و ليس بواجب فى الوجود و لاحاصل فنقلوا ذلك التوهم الجائز إلى الوجود الواجب فى أحكامهم و كان الأصل فيه على زعمهم حركة الشمس والأيام والشهور فحصلوا منها قسمة وهمية وجعلوها كالحاصلة الوجودية المثمرة بحدود وخطوط كان الشمس بحركتها من وقت إلى مثله خطت فى السماء خطوطا وأقامت فيهاجدرا أوحدودا أوغيرت فى أجزائها طباعا تغييرا يبقى فيتقى به القسمة إلى تلك الدرج والدقائق مع جواز الشمس عنها و ليس فى جوهر الفلك اختلاف يتميز به موضع عن موضع سوى الكواكب والكواكب تتحرك عن أمكنتها فبقيت الأمكنة على التشابه فبما ذا تتميز بروجه ودرجه ويبقى اختلافها بعدحركة المتحرك فى سمتها وكيف يقيس الطبيعى على هذه الأصول وينتج منها نتائج ويحكم بحسبها أحكاما وكيف له أن يقول بالحدود ويجعل خمس درجات من برج الكوكب وستا لآخر وأربعا لآخر ويختلف فيهاالبابليون والمصريون وجعلوا أرباب البيوت كأنها ملاك والبيوت كأنها أملاك تثبت لأربابها بصكوك وأحكام الأسد للشمس والسرطان للقمر و إذانظر الناظر وجد الأسد أسدا من جهة كواكب شكلوها بشكل الأسد ثم انقلبت عن مواضعها وبقى الموضع أسدا وجعلوا الأسد للشمس و قدذهبت منه الكواكب التى كان بهاأسدا كان ذلك الملك بيت للشمس مع انتقال الساكن وكذلك السرطان للقمر. [صفحه ٢٠٧] و من الدقائق فى العلم النجومى الدرجات المدارة والغربية والمظلمة والنيرة والزائدة فى السعادة ودرجات الآثار من جهة أنها أجزاء الفلك إن قطعوها و ماانقطعت و مع انتقال ماينتقل من الكواكب إليها وعنها ثم أنتجوا من ذلك نتائج أنظارهم من أعداد الدرج وأقسام الفلك فقالوا إن الكوكب ينظر إلى الكواكب من ستين درجة نظر تسديس لأنه سدس من الفلك و لاينظر إليه من خمسين و لا من سبعين و قد كان قبل الستين بعشر درج و هوأقرب من ستين وبعدها بعشر درج و هوأبعد من ستين لاينظر.فليت شعرى ما هذاالنظر أترى الكواكب تظهر للكوكب ثم تحتجب عنه ثم شعاعه يختلط بشعاعه عندحد لايختلط به قبله و لابعده . وكذلك التربيع من الربع ألذى هوتسعون درجة والتثليث من الثلث ألذى هومائة وعشرون درجة فلم لا يكون التخميس والتسبيع والتعشير على هذاالقياس ثم يقولون الحمل حار يابس نارى والثور بارد يابس أرضى والجوزاء حار رطب هوائى والسرطان بارد رطب مائى ما قال الطبيعى هذاقط و لا يقول به . و إذااحتجوا وقاسوا كانت مبادئ قياساتهم الحمل برج ينقلب لأن الشمس إذانزلت فيه ينقلب الزمان من الشتاء إلى الربيع والثور برج ثابت لأن الشمس إذانزلت فيه ثبت الربيع على ربيعته . والحق أنه لاينقلب الحمل و

لايثبت الثور بل هما على حالهما فى كل وقت ثم كيف يبقى دهره منقلبا مع خروج الشمس منه وحلولها فيه أتراها تخلف فيه أثرا أوتحيل منه طباعا وتبقى تلك الاستحالة إلى أن تعود فتجددها و لم لا يقول قائل إن السرطان حار يابس لأن الشمس إذانزلت فيه يشتد حر الزمان و مايجانس هذامما لايلزم لا هو و لاضده فليس فى الفلك اختلاف يعرفه الطبيعى إلابما فيه من الكواكب و هو فى نفسه [صفحه ٢٠٨] واحد متشابه الجوهر والطبع ولكنها أقوال قال بهاقائل فقبلها قائل ونقلها ناقل فحسن فيهاظن السامع واغتر بها من لاخبرة له و لاقدرة له على النظر. ثم حكم بهاالحاكمون بجيد ورديء وسلب وإيجاب وبت وتجوز فصادف بعضه موافقة الوجود فصدق فيعتبر به المعتبرون و لم يلتفتوا إلى ماكذب منه فيكذبوه بل عذروا وقالوا إنما هومنجم و ليس بنبى حتى يصدق فى كل ما يقول واعتذروا له بأن العلم أوسع من أن يحيط به أحد و لوأحاط به أحد لصدق فى كل شيء ولعمر الله إنه لوأحاط به علما صادقا لصدق والشأن فى أن يحيط به على الحقيقة لا أن يفرض فرضا ويتوهم وهما فينقله إلى الوجود وينسب إليه ويقيس عليه . قال و ألذى يصح من هذاالعلم ويلتفت إليه العقلاء هى أشياء غير هذه الخرافات التى لاأصل لها فما حصل توقيف أوتجربة حقيقة كالقرانات والمقابلة فإنها أيضا من جملة الاتصالات كالمقارنة من جهة أن تلك غاية القرب و هذه غاية البعد ونحو ممر كوكب من المتحيرة تحت كوكب من الثابتة ونحوه مايعرض للمتحيرة من رجوع واستقامة وارتفاع فى شمال وانخفاض فى جنوب وأمثال ذلك .فهذا كلام ابن ملكا كماتراه يبطل هذاالفن من وجه و يقول به من وجه . و قدوقفت لأبى جعفر محمد بن الحسين الصنعانى المعروف بالخازن صاحب كتاب زيج الصفائح على كلام فى هذاالباب مختصر له سماه كتاب العالمين أناذاكره فى هذاالموضع على وجهه لأنه كلام لابأس به قال إن بعض المصدقين بأحكام النجوم و كل المكذبين بها قدزاغوا عن طريق الحق والصواب فيها فإن الكثير من المصدقين بها قدأدخلوا فيها ما ليس منها وادعوا ما لم يمكن إدراكه بها حتى كثر فيهاخطؤهم وظهر كذبهم وصار ذلك سببا لتكذيب أكثر الناس بهذا العلم . [صفحه ٢٠٩] فأما المكذبون به فقد بلغوا من إنكار صحيحه ورد ظاهره إلى أن قالوا إنه لايصح منه شيءأصلا ونسبوا أهله إلى الرزق والاحتيال والخداع والتمويه فلذلك رأينا أن نبتدئ بتبيين صحة هذه الصناعة ليظهر فساد قول المكذبين لها بأسرها ثم نبين مايمكن إدراكه بهاليبطل دعوى المدعين فيها مايمتنع وجوده بها. أماالوجوه التى بهاتصح صناعة الأحكام فهى كثيرة منها مايظهر لجميع الناس من قبل الشمس فإن حدوث الصيف والشتاء و مايعرض فيهما من الحر والبرد والأمطار والرياح ونبات الأرض وخروج وقت الأشجار وحملها الثمار وحركة الحيوان إلى النسل والتوالد و غير ذلك مما يشاكله من الأحوال إنما يكون أكثر ذلك بحسب دنو الشمس من سمت الرءوس فى ناحية الشمال وتباعدها منه إلى ناحية الجنوب وبفضل قوة الشمس على قوة القمر وقوى سائر الكواكب ظهر ماقلنا لجميع الناس . و قدظهر لهم أيضا من قبل الشمس فى تغيير الهواء كل يوم عندطلوعها و عندتوسطها السماء و عندغروبها ما لاخفاء به من الآثار. و من هذه الوجوه مايظهر للفلاحين والملاحين بأدنى تفقد للأشياء التى تحدث فإنهم يعلمون أشياء كثيرة من الآثار التى يؤثرها القمر وأنوار الكواكب الثابتة كالمد والجزر وحركات الرياح والأمطار وأوقاتها عندالحدوث و مايوافق من أوقات الزراعات و ما لايوافق وأوقات اللقاح والنتاج . و قديظهر من آثار القمر فى الحيوان ألذى يتوالد فى الماء والرطوبات ما هومشهور لاينكر. ومنها جهات أخرى يعرفها المنجمون فقط على حسب فضل علمهم ودقة نظرهم فى هذا [صفحه ٢١٠] العلم وإذ قدوصفنا على سبيل الإجمال مايوجب حقيقة هذاالعلم فإنا نصف مايمكن إدراكه به أو لايمكن فنقول لماكانت تغيرات الهواء إنما تحدث بحسب أحوال الشمس والقمر والكواكب المتحيرة والثابتة صارت معرفة هذه التغيرات قدتدرك من النجوم مع سائر مايتبعها من الرياح والسحاب والأمطار والثلج والبرد والرعد والبرق لأن الأشياء التى تلى الأرض وتصل إليها هذه الآثار من الهواء المحيط بهاكانت الأعراض العامية التى تعرض فى هذه الأشياء تابعة لتلك الآثار مثل كثرة مياه الأنهار وقلتها وكثرة الثمار وقلتها وكثرة خصب الحيوان وقلته والجدوبة والقحط والوباء والأمراض التى تحدث فى الأجناس

والأنواع أو فى جنس دون جنس أو فى نوع دون نوع وسائر مايشاكل ذلك من الأحداث . و لماكانت أخلاق النفس تابعة لمزاج البدن وكانت الأحداث التى ذكرناها مغيرة لمزاج البدن صارت أيضا مغيرة للأخلاق ولأن المزاج الأول الأصلى هوالغالب على الإنسان فى الأمر الأكثر و كان المزاج الأصلى هو ألذى طبع عليه الإنسان فى وقت كونه فى الرحم و فى وقت مولده وخروجه إلى جو العالم صار وقت الكون ووقت المولد أدل الأشياء على مزاج الإنسان و على أحواله التابعة للمزاج مثل خلقة البدن وخلق النفس والمرض والصحة وسائر مايتبع ذلك فهذه الأشياء و مايشبهها من الأمور التى لاتشارك شيئا من الأفعال الإرادية فيه مما يمكن معرفته بالنجوم و أماالأشياء التى تشارك الأمور الإرادية بعض المشاركة فقد يمكن أن يصدق فيها هذاالعلم على الأمر الأكثر و إذا لم يستعمل فيه الإرادة جرى على ماتقود إليه الطبيعة. على أنه قديعرض الخطاء والغلط لأصحاب هذه الصناعة من أسباب كثيرة بعضها يختص بهذه الصناعة دون غيرها وبعضها يعمها وغيرها من الصنائع . [صفحه ٢١١] فأما مايعم فهو من قصور طبيعة الناس فى معرفة الصنائع أيا كانت عن بلوغ الغاية فيها حتى لايبقى وراءها غاية أخرى فكثرة الخطإ وقلته على حسب تقصير واحد واحد من الناس . و أما مايخص هذه الصناعة فهو كثير مايحتاج صاحبها إلى معرفته مما لايمكنه أن يعلم كثيرا منه إلابالحدس والتخمين فضلا عن لطف الاستنباط وحسن القياس ومما يحتاج إلى معرفة علم أحوال الفلك ومما يحدث فى كل واحد من تلك الأحوال فإن كل واحد منها له فعل خاص ثم يؤلف تلك الأحوال بعضها مع بعض على كثرة فنونها واختلافاتها ليحصل من جميع ذلك قوة واحدة وفعل واحد يكون عنه الحادث فى هذاالعالم و ذلك أمر عسير فمتى أغفل من ذلك شيء كان الخطأ الواقع بحسب الشيء ألذى سها عنه وترك استعماله . ثم من بعدتحصيل ماوصفناه ينبغى أن يعلم الحال التى عليها يوافى فى تلك القوة الواحدة الأشياء التى تعرض فيهاتلك الأحداث كأنه مثلا إذادل ما فى الفلك على حدوث حر وكانت الأشياء التى يعرض فيها مايعرض قدمر بهاقبل ذلك حر فحميت وسخنت أثر ذلك فيهاأثرا قويا فإن كان قدمر بهابرد قبل ذلك أثر ذلك فيهاأثرا ضعيفا و هذا شيءيحتاج إليه فى جميع الأحداث التى تعمل فى غيرها مما يناسب هذه المعرفة. و أماالأحداث التى تخص ناحية ناحية أوقوما قوما أوجنسا جنسا أومولودا واحدا من الناس فيحتاج مع معرفتها إلى أن يعلم أيضا أحوال البلاد والعادات والأغذية والأوباء وسائر مايشبه ذلك مما له فيه أثر وشركة مثل مايفعل الطبيب فى المعالجة و فى تقدمه المعرفة ثم من بعدتحصيل هذه الأشياء كلها ينبغى أن ينظر فى الأمر ألذى قداستدل على حدوثه هل هومما يمكن أن يرد أويتلافى بما يبطله أوبغيره من جهة [صفحه ٢١٢] الطب والحيل أم لاكأنه مثلا استدل على أنه يصيب هذاالإنسان حرارة يحم منها فينبغى أن يحكم بأنه يحم أن لم يتلاف تلك الحرارة بالتبريد فإنه إذافعل ذلك أنزل الأمور منازلها وأجراها مجاريها. ثم إن كان الحادث قويا لايمكن دفعه ببعض ماذكرنا فليس يلزم الحاجة إلى ماقلنا فإن الأمر يحدث لامحالة و ماقوى وشمل الناس فإنه لايمكن دفعه و لافسخه و إن أمكن فإنما يمكن فى بعض الناس دون بعض . و أماأكثرهم فإنه يجرى أمره على ما قدشمل وعم فقد يعم الناس حر الصيف و إن كان بعضهم يحتال فى صرفه بالأشياء التى تبرد وتنفى الحر.فهذه جملة ماينبغى أن يعلم ويعمل عليه أمور هذه الصناعة. قلت هذااعتراف بأن جميع الأحداث المتعلقة باختيار الإنسان وغيره من الحيوان لامدخل لعلم أحكام النجوم فيه فعلى هذا لايصح قول من يقول منهم لزيد مثلا إنك تتزوج أوتشترى فرسا أوتقتل عدوا أوتسافر إلى بلد ونحو ذلك و هوأكثر مايقولونه ويحكمون به . و أماالأمور الكلية الحادثة لابإرادة الحيوان واختياره فقد يكون لكلامهم فيه وجه من الطريق التى ذكرها وهى تعلق كثير من الأحداث بحركة الشمس والقمر إلا أن المعلوم ضرورة من دين رسول الله ص إبطال حكم النجوم وتحريم الاعتقاد بها والنهى والزجر عن تصديق المنجمين و هذامعنى قول أمير المؤمنين فى هذاالفصل فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله ثم أردف [صفحه ٢١٣] ذلك وأكده بقوله كان يجب أن يحمد المنجم دون البارى تعالى لأن المنجم هو ألذى هدى الإنسان إلى الساعة التى ينجح فيها وصده عن الساعة إلى يخفق ويكدى

فیهافهو المحسن إلیه إذا والمحسن یستحق الحمد والشکر و لیس للبارئ سبحانه إلی الإنسان فی هذاالإحسان المخصوص فوجب ألا یستحق الحمد علی ظفر الإنسان بطلبه لکن القول بذلک والتزامه کفر محض [صفحه ۲۱۴]

۷۹– و من کلام له ع بعدفراغه من حرب الجمل فی ذم النساء

اشاره

مَعَاشِرَ النّاسِ إِنّ النّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِیمَانِ نَوَاقِصُ الحُظُوظِ نَوَاقِصُ العُقُولِ فَأَمّا نُقصَانُ إِیمَانِهِنّ فَقُعُودُهُنّ عَنِ الصّلَاةِ وَ الصّیَامِ فِی أَیّامِ حَیضِهِنّ وَ أَمّا نُقصَانُ عُقُولِهِنّ فَشَهَادَةُ امرَأَتَینِ مِنهُنّ کَشَهَادَةِ الرّجُلِ الوَاحِدِ وَ أَمّا نُقصَانُ حُظُوظِهِنّ فَمَوَارِیثُهُنّ عَلَی الأَنصَافِ مِن مَوَارِیثِ الرّجَالِ فَاتّقُوا شِرَارَ النّسَاءِ وَ کُونُوا مِن خِیَارِهِنّ عَلَی حَذَرٍ وَ لَا تُطِیعُوهُنّ فِی المَعرُوفِ حَتّی لَا یَطمَعنَ فِی المُنکَرِ جعل ع نقصان الصلاة نقصانا فی الإیمان و هذا هوقول أصحابنا إن الأعمال من الإیمان و إن المقر بالتوحید والنبوة و هوتارک للعمل لیس بمؤمن . و قوله ع و لاتطیعوهن فی المعروف لیس بنهی عن فعل المعروف وإنما هونهی عن طاعتهن أی لاتفعلوه لأجل أمرهن لکم به بل افعلوه لأنه معروف والکلام ینحو نحو المثل المشهور لاتعط العبد کراعا فیأخذ ذراعا. و هذاالفصل کله رمز إلی عائشة و لایختلف أصحابنا فی أنها أخطأت فیما فعلت ثم تابت وماتت تائبة وإنها من أهل الجنة. [صفحه ۲۱۵] قال کل من صنف فی السیر والأخبار أن عائشة کانت من أشد الناس علی عثمان حتی إنها أخرجت ثوبا من ثیاب رسول الله ص فنصبته فی منزلها وکانت تقول للداخلین إلیها هذاثوب رسول الله ص لم یبل وعثمان قدأبلی سنته .قالوا أول من سمی عثمان نعثلا عائشة والنعثل الکثیر شعر اللحیة والجسد وکانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا. وروی المدائنی فی کتاب الجمل قال لماقتل عثمان کانت عائشة بمکة وبلغ قتله إلیها وهی بشراف فلم تشک فی أن طلحة هوصاحب الأمر وقالت بعدا لنعثل وسحقا إیه ذا الإصبع إیه أباشبل إیه یا ابن عم لکأنی أنظر إلی إصبعه و هویبایع له حثوا الإبل ودعدعوها. قال و قد کان طلحة حین قتل عثمان أخذ مفاتیح بیت المال وأخذ نجائب کانت لعثمان فی داره ثم فسد أمره فدفعها إلی علی بن أبی طالب ع

أخبار عائشة فی خروجها من مکة إلی البصرة بعدمقتل عثمان

و قال أبومخنف لوط بن یحیی الأزدی فی کتابه أن عائشة لمابلغها قتل عثمان وهی بمکة أقبلت مسرعة وهی تقول إیه ذا الإصبع لله أبوک أماإنهم وجدوا طلحة لها کفوا فلما انتهت إلی شراف استقبلها عبید بن أبی سلمة اللیثی فقالت له ماعندک قال قتل عثمان قالت ثم ماذا قال ثم حارت بهم الأمور إلی خیر محار بایعوا علیا فقالت لوددت أن السماء انطبقت علی الأرض إن تم هذاویحک انظر ماتقول قال هو ما قلت لک یاأم المؤمنین فولولت فقال لها ماشأنک یاأم المؤمنین [صفحه ۲۱۶] و الله ماأعرف بین لابتیها أحدا أولی بها منه و لاأحق و لاأری له نظیرا فی جمیع حالاته فلما ذا تکرهین ولایته قال فما ردت علیه جوابا. قال و قدروی من طرق مختلفة أن عائشة لمابلغها قتل عثمان وهی بمکة قالت أبعده الله ذلک بما قدمت یداه و ما الله بظلام للعبید. قال و قدروی قیس بن أبی حازم أنه حج فی العام ألذی قتل فیه عثمان و کان مع عائشة لمابلغها قتله فتحمل إلی المدینة قال فسمعها تقول فی بعض الطریق إیه ذا الإصبع و إذاذکرت عثمان قالت أبعده الله حتی أتاها خبر بیعة علی فقالت لوددت أن هذه وقعت علی هذه ثم أمرت برد رکائبها إلی مکة فردت معها ورأیتها فی سیرها إلی مکة تخاطب نفسها کأنها تخاطب أحدا قتلوا ابن

عفـان مظلومـا فقلت لهـا يـاأم المؤمنين أ لم أسـمعک آنفا تقولين أبعـده الله و قـدرأيتک قبل أشـد الناس عليه وأقبحهم فيه قولا فقالت لقـد کان ذلک ولکنی نظرت فی أمره فرأيتهم اسـتتابوه حتی إذاترکوه کالفضـة البيضاء أتوه صائما محرما فی شـهر حرام فقتلوه . قـال وروی من طرق أخری أنهـا قـالت لمابلغهـا قتله أبعـده الله قتله ذنبه وأقـاده الله بعمله يامعشـر قريش لاـيسومنکم قتل عثمان کماسام أحمر ثمود قومه أن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصـبع فلما جاءت الأخبار ببيعة علی ع قالت تعسوا تعسوا لايردون الأـمر فی تيم أبـدا.کتب طلحة والزبير إلی عائشـة وهی بمکـة کتابـا أن خـذلی الناس عن بيعـة علی وأظهری الطلب بـدم عثمان وحملا الکتاب مع ابن أختها عبد الله بن الزبير فلما قرأت الکتاب کاشـفت وأظهرت الطلب بدم عثمان وکانت أم سلمة رضی الله عنهـا بمکـة فی ذلـک العـام فلمـا رأت صـنع عائشـة قابلتهـا بنقيض ذلک وأظهرت موالاة علی ع ونصـرته علی مقتضـی العـداوة المرکوزة فی طباع الصـرتين . [صفحه ۲۱۷] قال أبومخنف جاءت عائشـة إلی أم سـلمة تخادعها علی الخروج للطلب بدم عثمان فقالت لها يابنت أبی أمية أنت أول مهاجرة من أزواج رسول الله ص و أنت کبيرة أمهات المؤمنين و کان رسول الله ص يقسم لنا من بيتک و کان جبريل أکثر ما يکون فی منزلک فقالت أم سـلمة لأمر ما قلت هـذه المقالـة فقالت عائشة إن عبد الله أخبرنی أن القوم اسـتتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما فی شـهر حرام و قدعزمت علی الخروج إلی البصـرة ومعی الزبير وطلحة فاخرجی معنا لعل الله أن يصـلح هذاالأمر علی أيدينا بنا فقالت أم سلمة إنک کنت بالأمس تحرضين علی عثمان وتقولين فيه أخبث القول و ما کان اسـمه عنـدک إلانعثلا وإنک لتعرفين منزلـة علی بن أبی طالب عنـد رسول الله ص أفأذکرک قالت نعم قالت أتذکرين يوم أقبـل ع ونحن معه حتی إذاهبـط من قديـد ذات الشـمال خلاـ بعلی ينـاجيه فأطـال فـأردت أن تهجمی عليهمـا فنهيتک فعصـيتنی فهجمـت عليهمـا فمـا لبثـت أن رجعت باکيـة فقلت ماشأنـک فقلت إنی هجمت عليهمـا وهمـا يتناجيـان فقلت لعلی ليس لی من رسول الله إلاـ يوم من تسـعة أيـام أفمـا تـدعنی يا ابن أبی طالب ويومی فأقبل رسول الله ص علی و هوغضـبان محمر الوجه فقال ارجعی وراءک و الله لايبغضه أحـد من أهل بيتی و لا من غيرهم من الناس إلا و هوخارج من الإيمان فرجعت نادمة ساقطة قالت عائشـة نعم أذکر ذلـک قالت وأذکرک أيضا کنت أنا و أنت مع رسول الله ص و أنت تغسـلين رأسه و أناأحيس له حيسا و کان الحيس يعجبه فرفع رأسه و قال ياليت شـعری أيتکن صاحبـة الجمل الأذنب تنبحها کلاب الحوأب فتکون ناکبـة -روايت-۱-۲- روايت-۸-ادامه دارد [صـفحه ۲۱۸] عن الصـراط فرفعت يـدی من الحيس فقلت أعوذ بـالله وبرسوله من ذلـک ثم ضـرب علی ظهرک و قـال إياک أن تکونيها ثم قال يابنت أبی أميـة إياک أن تکونيها ياحميراء أما أنافقـد أنـذرتک قالت عائشـة نعم أذکر هذاقالت وأذکرک أيضا کنت أنا و أنت مع رسول الله ص فی سـفر له و کان علی يتعاهد نعلی رسول الله ص فيخصـفها ويتعاهد أثوابه فيغسـلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذ يخصـفها وقعد فی ظل سمرة وجاء أبوک ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلی الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أراد ثم قالا يا رسول الله إنا لانـدری قـدر ماتصـحبنا فلو أعلمتنا من يسـتخلف علينا ليکون لنا بعـدک مفزعا فقال لهما أماإنی قـدأری مکانه و لوفعلت لتفرقتم عنه کماتفرقت بنو إسـرائيل عن هارون بن عمران فسکتا ثم خرجا فلما خرجنا إلی رسول الله ص قلت له وکنت أجرأ عليه منـا من کنت يـا رسول الله مسـتخلفا عليهم فقـال خـاصف النعـل فنظرنا فلم نر أحـدا إلاعليـا فقلت يا رسول الله ماأری إلاعليا فقال هوذاک فقالت عائشـة نعم أذکر ذلک فقالت فأی خروج تخرجين بعـد هـذافقالت إنما أخرج للإصـلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله فقالت أنت ورأيک فانصرفت عائشة عنها وکتبت أم سلمة بما قالت وقيل لها إلی علی ع -روايت-از قبل-۱۰۹۲ . فإن قلت فهذا نص صـريح فی إمامة علی ع فما تصنع أنت وأصحابک المعتزلة به قلت کلاـ إنه ليس بنص کمـاظننت لأـنه ص لم يقـل قداسـتخلفته وإنما قال لو قداسـتخلفت أحـدا لاسـتخلفته و ذلک لايقتضـی حصول الاستخلاف [صفحه ۲۱۹] ويجوز أن تکون مصلحة المکلفين متعلقة بالنص عليه لو کان النبی ص مأمورا بأن ينص علی إمـام بعينه من بعـده و أن يکـون من مصـلحتهم أن يختـاروا لأنفسـهم من شـاءوا إذاترکهم النـبی ص وآراءهم و لم يعين أحـدا.

وروى هشام بن محمدالكلبى فى كتاب الجمل أن أم سلمة كتبت إلى على ع من مكة أما بعد فإن طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أن يخرجوا بعائشة إلى البصرة ومعهم عبد الله بن عامر بن كريز ويذكرون أن عثمان قتل مظلوما وأنهم يطلبون بدمه و الله كافيهم بحوله وقوته و لو لا ـ مانهانا الله عنه من الخروج وأمرنا به من لزوم البيت لم أدع الخروج إليك والنصرة لك ولكنى باعثة نحوك ابنى عدل نفسى عمر بن أبى سلمة فاستوص به يا أمير المؤمنين خيرا. قال فلما قدم عمر على على ع أكرمه و لم يزل مقيما معه حتى شهد مشاهده كلها ووجهه أميرا على البحرين و قال لابن عم له بلغنى أن عمر يقول الشعر فابعث إلى من شعره فبعث إليه بأبيات له أولها جزتك أمير المؤمنين قرابة || رفعت بهاذكرى جزاء موفرا .فعجب على ع من شعره واستحسنه . و من الكلام المشهور ألذى قيل إن أم سلمة رحمها الله كتبت به إلى عائشة إنك جنة بين رسول الله ص و بين أمته و إن الحجاب دونك لمضروب على حرمته و قدجمع القرآن ذيلك فلاتندحيه وسكن عقيراك فلاتصحريها لوأذكرتك قوله من رسول الله ص تعرفينها لنهشت بهانهش الرقشاء المطرقة ماكنت [صفحه ٢٢٠] قائلة لرسول الله ص لولقيك ناصة قلوص قعودك من منهل إلى منهل قدتركت عهيداه وهتكت ستره إن عمود الدين لايقوم بالنساء وصدعه لايرأب بهن حماديات النساء خفض الأصوات وخفر الأعراض اجعلى قاعدة البيت قبرك حتى تلقينه و أنت على ذلك .فقالت عائشة ماأعرفنى بنصحك وأقبلنى لوعظك و ليس الأمر حيث تذهبين ما أنابعمية عن رأيك فإن أقم ففى غيرحرج و إن أخرج ففى إصلاح بين فئتين من المسلمين . و قدذكر هذاالحديث أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتابه المصنف فى غريب الحديث فى باب أم سلمة على ماأورده عليك قال لماأرادت عائشة الخروج إلى البصرة أتتها أم سلمة فقالت لها إنك سدة بين محمد رسول الله ص و بين أمته وحجابك مضروب على حرمته قدجمع القرآن ذيلك فلاتندحيه وسكن عقيراك فلاتصحريها الله من وراء هذه الأمة لوأراد رسول الله ص أن يعهد إليك عهدا علت علت بل قدنهاك عن الفرطة فى البلاد إن عمود الإسلام لايثأب بالنساء إن مال و لايرأب بهن إن صدع حماديات النساء غض الأطراف وخفر الأعراض وقصر الوهازة ماكنت قائلة لو أن رسول الله ص عارضك بعدالفلوات ناصة قلوصا من منهل إلى آخر إن بعين الله مهواك و على رسوله تردين و قدوجهت سدافته ويروى سجافته وتركت عهيداه لوسرت مسيرك هذا ثم قيل لى ادخلى الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداص هاتكة حجابا و قدضربه على اجعلى حصنك بيتك ووقاعة الستر قبرك حتى تلقينه و أنت على تلك أطوع ماتكونين لله [صفحه ٢٢١] بالرقبة وأنصر ماتكون للدين ماحلت عنه لوذكرتك قولا تعرفينه لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة.فقالت عائشة ماأقبلنى لوعظك و ليس الأمر كماتظنين ولنعم المسير مسير فزعت فيه إلى فئتان متناجزتان أوقالت متناحرتان إن أقعد ففى غيرحرج و إن أخرج فإلى ما لابد لى من الازدياد منه .تفسير غريب هذاالخبر السدة الباب و منه حديث رسول الله ص أنه ذكر أول من يرد عليه الحوض فقال الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لاتفتح لهم السدد و لاينكحون المتنعمات -روايت-١-٢-روايت-٣٠-١٤٣ وأرادت أم سلمة أنك باب بين النبى ص و بين الناس فمتى أصيب ذلك الباب بشىء فقد دخل على رسول الله ص فى حرمه وحوزته واستبيح ماحماه تقول فلاتكونى أنت سبب ذلك بالخروج ألذى لايجب عليك فتحوجى الناس إلى أن يفعلوا ذلك و هذامثل قول نعمان بن مقرن للمسلمين فى غزاة نهاوند ألا ـ وإنكم باب بين المسلمين والمشركين إن كسر ذلك الباب دخل عليهم منه . وقولها قدجمع القرآن ذيلك فلاتندحيه أى لاتفتحيه و لاتوسعيه بالحركة والخروج يقال ندحت الشىء إذاوسعته و منه يقال فلان فى مندوحة عن كذا أى فى سعة تريد قول الله تعالى وَ قَرنَ فِى بُيُوتِكُنّ و من روى تبدحيه بالباء فإنه من البداح و هوالمتسع من الأرض و هومعنى الأول . وسكن عقيراك من عقر الدار و هوأصلها أهل الحجاز يضمون العين و أهل نجد يفتحونها وعقير اسم مبنى من ذلك على صيغة التصغير ومثله مما جاء مصغرا الثريا والحميا و هوسورة الشراب قال ابن قتيبة و لم أسمع بعقيرا إلا فى هذاالحديث . -قرآن-٥٥٣-٥٧٦ [صفحه ٢٢٢] قولها فلاتصحريها أى لاتبرزيها وتجعليها بالصحراء يقال أصحر كمايقال أنجد وأسهل وأحزن . وقولها الله

من وراء هـذه الأمـة أى محيـط بهم وحافظ لهم وعـالم بأحوالهم كقوله تعالى وَ اللّهُ مِن وَرائِهِم مُحِيطٌقولها لوأراد رسول الله ص الجواب محـذوف أى لفعل ولعهـد و هـذاكقوله تعالى وَ لَو أَنّ قُرآناً سُيّرَت بِهِ الجِبالُ أَو قُطّعَت بِهِ الأَرضُ أى لكان هـذاالقرآن .قولهـا علت علت أى جرت فى هـذاالخروج وعـدلت عن الجواب والعول الميـل والجور قـال تعـالى ذلِكَ أَدنى أَلّا تَعُولُوا و من الناس من يرويه علت علت بكسـر العين أى ذهبت فى البلاد وأبعـدت السـير يقال عال فلان فى البلاد أى ذهب وأبعـد و منه قيل للذئب عيال .قولها عن الفرطة فى البلاد أى عن السفر والشخوص من الفرط و هوالسبق والتقدم و رجل فارط أتى الماء أى سابق .قولها لايثأب بالنساء أى لايرد بهن إن مال إلى استوائه من قولك ثأب فلان إلى كذا أى عاد إليه .قولها و لايرأب بهن إن صدع أى لايسـد بهن و لا يجمع والصـدع الشـق ويروى إن صـدع بفتـح الصـاد والـدال أجروه مجرى قولهم جبرت العظم فجبر.قولها حماديـات النسـاء يقـال حماداك أن تفعل كـذا مثل قصاراك أن تفعل كـذا أى جهـدك وغايتك . -قرآن-١٧٥-٢٠٥-قرآن-٢٨١-٣٤٦-قرآن-٤٥٨-٤٨٤ [صـفحه ٢٢٣] وغض الأـطراف جمعهـا وخفر الأـعراض الخفر الحيـاء والأـعراض جمـع عرض و هوالجسد يقال فلان طيب العرض أى طيب ريح البدن و من رواه الأعراض بكسـر الهمزة جعله مصدرا من أعرض عن كذا.قولها وقصـر الوهـازة قـال ابن قتيبـة سـألت عن هـذا فقـال لى من سـألته سألت عنه أعرابيا فصيحا فقال الوهازة الخطوة يقال للرجل إنه لمتوهز ومتوهر إذاوطئ وطئا ثقيلا.قولها ناصـة قلوصا أى رافعة لها فى السـير والنص الرفع و منه يقال حديث منصوص أى مرفوع والقلـوص من النوق الشابـة وهى بمنزلـة الفتـاة من النسـاء. والمنهـل المـاء ترده الإبـل .قولهـا إن بعين الله مهواك أى إن الله يرى سيرك وحركتـك والهـوى الانحـدار فى السـير من النجـد إلى الغور.قولهـا و على رسوله تردين أى تقـدمين فى القيامـة.قولها و قـدوجهت سـدافته السدافة الحجاب والستر هى من أسدف الليل إذاستر بظلمته كأنه أرخى سـتورا من الظلام ويروى بفتح السـين وكذلك القول فى سـجافته إنه يروى بكسر السين وفتحها والسدافة والسجافة بمعنى . ووجهت أى نظمتها بالخرز والوجيهة خرزة معروفـة وعادة العرب أن تنظم على المحمل خرزات إذا كان للنساء.قولها وتركت عهيداه لفظة مصـغرة مأخوذة من العهد مشابهة لماسـلف من قولهـا عقيراك وحماديات النساء.قولها ووقاعـة الستر أى موقعه على الأرض إذاأرسلته وهى الموقعـة أيضا وموقعة الطائر. [صفحه ٢٢٤] قولهـا حتى تلقينه و أنت على تلـك أى على تلك الحال فحـذف .قولها أطوع ماتكونين لله إذالزمته أطوع مبتدأ و إذالزمته خبر المبتدأ والضـمير فى لزمته راجع إلى العهد والأمر ألذى أمرت به .قولها لنهشت به نهش الرقشاء المطرقة أى لعضـك ونهشـك مـاأذكره لـك وأذكرك به كماتنهشـك أفعى رقشـاء والرقش فى ظهرهـا هوالنقط والجرادة أيضا رقشاء قال النابغـة فبت كأنى ساورتنى ضـئيلة || من الرقش فى أنيابها السم ناقع . والأفعى يوصف بالإطراق وكذلك الأسد والنمر و الرجل الشـجاع و كان معاوية يقول فى على ع الشـجاع المطرق و قال الشاعر وذكر أفعى أصم أعمى مايجيب الرقى || من طول إطراق وإسـبات .قولهـا فئتان متناجزتان أى تسـرع كل واحـدة منهما إلى نفوس الأخرى و من رواه متناحرتان أراد الحرب وطعن النحور بالأسـنة ورشـقها بالسـهام . وفزعت إلى فلاـن فى كـذا أى لـذت به والتجـأت إليه . وقولها إن أقعـد ففى غيرحرج أى فى غيرإثم وقولهـا فـإن أخرج فـإلى مـا لابـد لى من الازديـاد منه كلاـم من يعتقـد الفضـيلة فى الخروج أويعرف موقـع الخطإ ويصر عليه . لماعزمت عائشة على الخروج إلى البصـرة طلبوا لها بعيرا أيدا يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكرا و كان عظيم الخلق شديـدا فلما رأته أعجبها وأنشأ الجمال يحدثها بقوته وشدته و يقول فى أثناء كلامه عسـكر فلما سـمعت هذه اللفظة اسـترجعت وقـالت ردوه لاحاجـة لى فيه وذكرت حيث سـئلت أن رسـول الله [صـفحه ٢٢٥] ص ذكر لهـا هـذاالاسم ونهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها مايشبهه فغير لها بجلال غيرجلاله وقيل لها قدأصبنا لك أعظم منه خلقا وأشد قوة وأتيت به فرضيت . قال أبومخنف وأرسـلت إلى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فأتى أخته فعزم عليها فأقامت وحطت الرحال بعـد ماهمت .كتب الأشتر من المدينـة إلى عائشـة وهى بمكـة أما بعـدفإنك ظعينة رسول الله ص و

قدأمرک أن تقری فی بیتک فإن فعلت فهو خیر لک فإن أبیت إلا أن تأخذی منسأتک وتلقی جلبابک وتبدی للناس شعیراتک قاتلتک حتی أردک إلی بیتک والموضع ألـذی یرضاه لک ربک .فکتبت إلیه فی الجواب أما بعـدفإنک أول العرب شب الفتنة ودعا إلی الفرقة وخالف الأئمة وسعی فی قتل الخلیفة و قـدعلمت أنک لن تعجز الله حتی یصیبک منه بنقمة ینتصر بهامنک للخلیفة المظلوم و قدجاءنی کتابک وفهمت ما فیه وسیکفینیک الله و کل من أصبح مماثلا لک فی ضلالک وغیک إن شاء الله . و قـال أبومخنف لمـاانتهت عائشة فی مسیرها إلی الحوأب و هوماء لبنی عامر بن صعصعة نبحتها الکلاب حتی نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها أ لاترون ماأکثر کلاب الحوأب و ماأشد نباحها فأمسکت زمام بعیرها وقالت وإنها لکلاب الحوأب ردونی ردونی فإنی سمعت رسول الله ص یقول وذکرت الخبر فقال لها قائل مهلا یرحمک الله فقد جزنا ماء الحوأب فقالت فهل من شاهد فلفقوا لها خمسین أعرابیا جعلوا لهم جعلاـ فحلفوا لها أن هـذا لیس بماء الحوأب فسارت لوجهها. لماانتهت عائشة وطلحة والزبیر إلی حفر أبی موسی قریبا من البصرة أرسل [صفحه ۲۲۶] عثمان بن حنیف و هویومئذ عامل علی ع علی البصرة إلی القوم أباالأسود الـدؤلی یعلم له علمهم فجاء حتی دخل علی عائشة فسألها عن مسیرها فقالت أطلب بدم عثمان قال إنه لیس بالبصرة من قتلة عثمان أحد قالت صدقت ولکنهم مع علی بن أبی طالب بالمدینة وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله أنغضب لکم من سوط عثمان و لانغضب لعثمان من سیوفکم فقال لها ما أنت من السوط والسیف إنما أنت حبیس رسول الله ص أمرک أن تقری فی بیتک وتتلی کتاب ربک و لیس علی النساء قتال و لالهن الطلب بالدماء و إن علیا لأولی بعثمان منک وأمس رحما فإنهما ابنا عبدمناف فقالت لست بمنصرفة حتی أمضی لماقدمت له أفتظن یا أباالأسود أن أحدا یقدم علی قتالی قال أما و الله لتقاتلن قتالا أهونه الشدید. ثم قام فأتی الزبیر فقال یا أبا عبد الله عهد الناس بک و أنت یوم بویع أبوبکر آخذ بقائم سیفک تقول لاأحد أولی بهـذا الأمر من ابن أبی طالب وأین هذاالمقام من ذاک فذکر له دم عثمان قال أنت وصاحبک ولیتماه فیما بلغنا قال فانطلق إلی طلحة فاسمع ما یقول فـذهب إلی طلحة فوجده سادرا فی غیه مصرا علی الحرب والفتنة فرجع إلی عثمان بن حنیف فقال إنها الحرب فتأهب لها. لمانزل علی ع بالبصرة کتبت عائشة إلی زید بن صوحان العبدی من عائشة بنت أبی بکر الصدیق زوج النبی ص إلی ابنها الخالص زید بن صوحان أما بعدفأقم فی بیتک وخـذل الناس عن علی ولیبلغنی عنک ماأحب فإنک أوثق أهلی عندی و السلام .فکتب إلیها من زید بن صوحان إلی عائشة بنت أبی بکر أما بعد فإن الله أمرک بأمر وأمرنا بأمر أمرک أن تقری فی بیتک وأمرنا أن نجاهد و قدأتانی کتابک [صفحه ۲۲۷] فأمرتنی أن أصنع خلاف ماأمرنی الله فأکون قدصنعت ماأمرک الله به وصنعت ماأمرنی الله به فأمرک عندی غیرمطاع وکتابک غیرمجاب و السلام .روی هـذین الکتابین شیخنا أبوعثمان عمرو بن بحر عن شیخنا أبی سعید الحسن البصری. ورکبت عائشة یوم الحرب الجمل المسمی عسکرا فی هودج قدألبس الرفرف ثم ألبس جلود النمر ثم ألبس فوق ذلک دروع الحدید.الشعبی عن مسلم بن أبی بکرة عن أبیه أبی بکرة قال لماقدم طلحة والزبیر البصرة تقلدت سیفی و أناأرید نصرهما فدخلت علی عائشة و إذاهی تأمر وتنهی و إذاالأمر أمرها فذکرت حدیثا کنت سمعته عن رسول الله ص لن یفلح قوم تدبر أمرهم امرأة -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۵۵ و قدروی هذاالخبر علی صورة أخری أن قوما یخرجون بعدی فی فئة رأسها امرأة لایفلحون أبدا -روایت-۱-۲-روایت-۳۶-۹۳ . کان الجمل لواء عسکر البصرة لم یکن لواء غیره .خطبت عائشة و الناس قدأخذوا مصافهم للحرب فقالت أما بعدفإنا کنا نقمنا علی عثمان ضرب السوط وإمرة الفتیان ومرتع السحابة المحمیة ألا وإنکم استعتبتموه فأعتبکم فلما مصتموه کمایماص الثوب الرحیض عدوتم علیه فارتکبتم منه دما حراما وایم الله إن کان لأحصنکم فرجا وأتقاکم لله . [صفحه ۲۲۸] خطب علی ع لماتواقف الجمعان فقال لاتقاتلوا القوم حتی یبدءوکم فإنکم بحمد الله علی حجة وکفکم عنهم حتی یبدءوکم حجة أخری و إذاقاتلتموهم فلاتجهزوا علی جریح و إذاهزمتموهم فلاـتتبعوا مدبرا و لاتکشفوا عورة و لاـتمثلوا بقتیل و إذاوصلتم إلی رحال القوم فلاتهتکوا سترا و

لاتدخلوا دارا و لاتأخذوا من أموالهم شيئا و لاتهيجوا امرأة بأذى و إن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس والعقول لقد كنا نؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات و إن كان الرجل ليتناول المرأة بالهراوة والجريدة فيعير بها وعقبه من بعده -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۵۴۸ .قتل بنو ضبة حول الجمل فلم يبق فيهم إلا من لانفع عنده وأخذت الأزد بخطامه فقالت عائشة من أنتم قالوا الأزد قالت صبرا فإنما يصبر الأحرار مازلت أرى النصر مع بنی ضبة فلما فقدتهم أنكرته فحرضت الأزد بذلك فقاتلوا قتالا شديدا ورمى الجمل بالنبل حتى صارت القبة عليه كهيئة القنفذ. قال علی ع لمافنى الناس على خطام الجمل وقطعت الأيدى وسالت النفوس ادعوا لى الأشتر وعمارا فجاءا فقال اذهبا فاعقرا هذاالجمل فإن الحرب لايبوخ ضرامها مادام حيا إنهم قداتخذوه قبلة فذهبا ومعهما فتيان من مراد يعرف أحدهما بعمر بن عبد الله فما زالا يضربان الناس حتى خلصا إليه فضربه المرادی على عرقوبيه فأقعى و له رغاء ثم وقع لجنبه وفر الناس من حوله فنادى علی ع اقطعوا -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-ادامه دارد [صفحه ۲۲۹] أنساع الهودج ثم قال لمحمد بن أبی بكر اكفنى أختك فحملها محمد حتى أنزلها دار عبد الله بن خلف الخزاعی -روايت-از قبل-۱۱۱ .بعث علی عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة قال فأتيتها فدخلت عليها فلم يوضع لی شیءأجلس عليه فتناولت وسادة كانت فی رحلها فقعدت عليها فقالت يا ابن عباس أخطأت السنة قعدت على وسادتنا فی بيتنا بغير إذننا فقلت ليس هذابيتك ألذى أمرك الله أن تقرى فيه و لو كان بيتك ماقعدت على وسادتك إلابإذنك ثم قلت إن أمير المؤمنين أرسلنى إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة فقالت وأين أمير المؤمنين ذاك عمر فقلت عمر و علی قالت أبيت قلت أما و الله ما كان أبوك إلاقصير المدة عظيم المشقة قليل المنفعة ظاهر الشؤم بين النكد و ماعسى أن يكون أبوك و الله ما كان أمرك إلاكحلب شاة حتى صرت لاتأمرين و لاتنهين و لاتأخذين و لاتعطين و ماكنت إلا كما قال أخو بنی أسد مازال إهداء الصغائر بيننا || نث الحديث وكثرة الألقاب حتى نزلت كأن صوتك بينهم || فی كل نائبة طنين ذباب . قال فبكت حتى سمع نحيبها من وراء الحجاب ثم قالت إنی معجلة الرحيل إلى بلادی إن شاء الله تعالى و الله ما من بلد أبغض إلی من بلد أنتم فيه قلت و لم ذاك فو الله لقد جعلناك للمؤمنين أما وجعلنا أباك صديقا قالت يا ابن عباس أتمن علی برسول الله قلت ما لی لاأمن عليك بمن لو كان منك لمننت به علی . ثم أتيت عليا ع فأخبرته بقولها وقولی فسر بذلك و قال لی ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم و فی رواية أناكنت أعلم بك حيث بعثتك [صفحه ۲۳۰]

۸۰- و من كلام له ع

اشاره

أَيّهَا النّاسُ الزّهَادَةُ قِصَرُ الأَمَلِ وَ الشّكرُ عِندَ النّعَمِ وَ التّوَرّعُ عِندَ المَحَارِمِ فَإِن عَزَبَ ذَلِكَ عَنكُم فَلَا يَغلِبِ الحَرَامُ صَبرَكُم وَ لَا تَنسَوا عِندَ النّعَمِ شُكرَكُم فَقَد أَعذَرَ اللّهُ إِلَيكُم بِحُجَجٍ مُسفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَ كُتُبٍ بَارِزَةِ العُذرِ وَاضِحَةٍ فسرع لفظ الزهادة وهی الزهد بثلاثة أمور وهی قصر الأمل وشكر النعمة والورع عن المحارم فقال لايسمى الزاهد زاهدا حتى يستكمل هذه الأمور الثلاثة ثم قال فإن عزب ذلك عنكم أی بعدفأمران من الثلاثة لابد منهما وهما الورع وشكر النعم جعلهما آكد وأهم من قصر الأمل . واعلم أن الزهد فی العرف المشهور هوالإعراض عن متاع الدنيا وطيباتها لكنه لماكانت الأمور الثلاثة طريقا موطئة إلى ذلك أطلق ع لفظ الزهد عليها على وجه المجاز. و قوله فقد أعذر الله إليكم أی بالغ يقال أعذر فلان فی الأمر أی بالغ فيه ويقال ضرب فلان فأعذر أی أشرف على الهلاك وأصل اللفظة من العذر يريد أنه [صفحه ۲۳۱] قدأوضح لكم بالحجج النيرة المشرقة مايجب اجتنابه و

مایجب فعله فإن خالفتم استوجبتم العقوبهٔ فکان له فی تعذیبکم العذر

الآثار والأخبار الواردهٔ فی الزهد

والآثار الواردهٔ فی الزهـد کثیرهٔ قال رسول الله ص أفلح الزاهد فی الدنیا حظی بعز العاجلهٔ وبثواب الآخرهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۷۸ و قال ص من أصـبحت الدنیا همه وسدمه نزع الله الغنی من قلبه وصـیر الفقر بین عینیه و لم یأته من الدنیا إلا ماکتب له و من أصبحت الآخرهٔ همه وسدمه نزع الله الفقر عن قلبه وصیر الغنی بین عینیه وأتته الدنیا وهی راغمهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۲۳۱ و قال ع للضحاک بن سفیان ماطعامک قال اللحم واللبن قال ثم یصیر إلی ماذا قال إلی ماعلمت قال فإن الله ضرب مایخرج من ابن آدم مثلا للدنیا -روایت-۱-۱۵۱ . و کان الفضـیل بن عیاض یقول لأصـحابه إذافرغ من حدیثه انطلقوا حتی أریکم الدنیا فیجیء بهم إلی المزبلهٔ فیقول انظروا إلی عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلی ماترون . و من الکلام المنسوب إلی المسیح ع الدنیا قنطرهٔ فاعبروها و لاتعمروها -روایت-۱-۲-روایت-۴۰-۷۴ سئل رسول الله ص عن قوله سبحانه فَمَن یُرِدِ اللّهُ أَن یَهدِیَهُ - روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۳۲] یَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ فقال إذادخل النور القلب انفسح فذلک شرح الصدر فقیل أفلذلک علامهٔ یعرف بها قال نعم الإنابهٔ إلی دار الخلود والتجافی عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله -روایت-از قبل-۱۹۴ قالوا أوحی الله تعالی إلی نبی من الأنبیاء اتخذ الدنیا ظئرا واتخذ الآخرهٔ أما -روایت-۱-۸۱ .الشعبی ماأعلم لنا وللدنیا مثلا إلاقول کثیر أسیئی بنا أوأحسنی لاملومهٔ || لدینا و لامقلیهٔ إن تقلت .بعض الصالحین المستغنی عن الدنیا بالدنیا کالمطفئ النار بالتبن . و فی بعض الکتب القدیمهٔ الإلهیهٔ قال الله للدنیا من خدمنی فاخدمیه و من خدمک فاستخدمیه .دخل محمد بن واسع علی قتیبهٔ بن مسلم و علیه مدرعهٔ من صوف فقال ما هذه فسکت فأعاد علیه السؤال فقال أکره أن أقول زهدا فأزکی نفسی أوفقرا فأشکو ربی.قیل فی صفهٔ الدنیا والآخرهٔ هما کضرتین إن أرضیت إحداهما أسخطت الأخری .قیل لمحمد بن واسع إنک لترضی بالدون قال إنما رضی بالدون من رضی بالدنیا.خطب أعرابی کان عاملا لجعفر بن سلیمان علی ضریهٔ یوم جمعهٔ خطبهٔ لم یسمع أوجز منها و لاأفصح فقال إن الدنیا دار بلاغ و إن الآخرهٔ دار قرار فخذوا من ممرکم لمستقرکم و لاتهتکوا أستارکم عند من لاتخفی علیه أسرارکم وأخرجوا من الدنیا قلوبکم قبل أن تخرج منها أبدانکم ففیها جئتم ولغیرها خلقتم إن المرء إذاهلک قال الناس ماترک وقالت الملائکهٔ ماقدم فلله آثارکم قدموا بعضا یکن لکم [صفحه ۲۳۳] و لاتؤخروا کلا فیکون علیکم أقول قولی هذا وأستغفر الله والمدعو له الخلیفهٔ ثم الأمیر جعفر ونزل . أبوحازم الأعرج الدنیا کلها غموم فما کان فیهاسرورا فهو ربح . محمد بن الحنفیهٔ من عزت علیه نفسه هانت علیه الدنیا. قیل لعلی بن الحسین ع من أعظم الناس خطرا قال من لم یر الدنیا لنفسه خطرا - روایت-۱-۸۱ قال المسیح ع لأصحابه حب الدنیا رأس کل خطیئهٔ واقتناء المال فیهاداء عظیم قالوا له کیف ذلک قال لایسلم صاحبه من البغی والکبر قیل فإن سلم منهما قال یشغله إصلاحه عن ذکر الله -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۱۸۸ أشرف أبوالدرداء علی أهل دمشق فقال یا أهل دمشق تبنون ما لاتسکنون وتجمعون ما لاتأکلون وتأملون ما لاتدرکون أین من کان قبلکم بنوا شدیدا وأملوا بعیدا وجمعوا کثیرا فأصبحت مساکنهم قبورا وجمعهم بورا وأملهم غرورا. قال المأمون لوسئلت الدنیا عن نفسها لم تسطع أن تصف نفسها بأحسن من قول الشاعر إذاامتحن الدنیا لبیب تکشفت || له عن عدو فی ثیاب صدیق و قال رجل یا رسول الله کیف لی أن أعلم أمری قال إذاأردت شیئا من أمور الدنیا فعسر علیک فاعلم أنک بخیر و إذاأردت شیئا من أمر الدنیا فیسر لک فاعلم أنه شر لک -روایت-۱-۱۷۰ قال رجل لیونس بن عبید إن فلانا یعمل بعمل الحسن البصری فقال و الله ماأعرف أحدا یقول بقوله فکیف یعمل بعمله قیل فصفه لنا قال کان إذاأقبل [صفحه ۲۳۴] فکأنه أقبل من دفن حبیب و إذاجلس فکأنه

أسير أجلس لضرب عنقه و إذاذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له . و قال بعض الصالحين لرجل يافلان هل أنت على حال أنت فيهامستعد للموت قال لا قال فهل أنت عالم بأنك تنتقل إلى حال ترضى به قال لا قال أفتعلم بعدالموت دارا فيهامستعتب قال لا قال أفتأمن الموت أن يأتيك صباحا أومساء قال لا قال أفيرضى بهذه الحال عاقل و قال أبوالدرداء أضحكتنى ثلاث وأبكتنى ثلاث أضحكنى مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل و ليس بمغفول عنه وضاحك مل ء فيه لايدرى أراض عنه الله أم ساخط وأبكانى فراق محمد وحزبه وأبكانى هول الموت وأبكانى هول الموقف يوم تبدو السرائر حين لاأدرى أيؤخذ بى إلى جنة أم إلى نار. و كان عبد الله بن صغير يقول أتضحك ولعل أكفانك قدخرجت من عندالقصار و كان يقال من أتى الذنب ضاحكا دخل النار باكيا. و كان مالك بن دينار يقول وددت أن رزقى فى حصاة أمصها حتى أبول فلقد اختلفت إلى الخلاء حتى استحييت من ربى. و قال رسول الله ص لايبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما ليس به بأس حذرا عما به البأس -روايت-١-٢-روايت-٢٥-١٠٦ و قال المسيح ع بحق أقول لكم إن من طلب الفردوس فخبز الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب له كثير -روايت-١-٢-روايت-٢٠-١٠٩ . وأوصى ابن محرز رجلا فقال إن استطعت أن تعرف و لاتعرف وتسأل و لاتسأل وتمشى و لايمشى إليك فافعل . [صفحه ٢٣٥] و قال على ع طوبى لمن عرف الناس و لم يعرفوه تعجلت له منيته وقل تراثه وفقد باكياته -روايت-١-٢-روايت-١٨-٩٧ . و كان يقال فى الجوع ثلاث خصال حياة للقلب ومذلة للنفس ويورث العقل الدقيق من المعانى. و قال رجل لإبراهيم بن أدهم أريد أن تقبل منى دراهم قال إن كنت غنيا قبلتها منك و إن كنت فقيرا لم أقبلها قال فإنى غنى قال كم تملك قال ألفى درهم قال أفيسرك أن تكون أربعة آلاف قال نعم قال لست بغنى ودراهمك لاأقبلها. و كان أبوحازم الأعرج إذانظر إلى الفاكهة فى السوق قال موعدك الجنة إن شاء الله تعالى . ومر أبوحازم بالقصابين فقال له رجل منهم يا أباحازم هذاسمين فاشتر منه قال ليس عندى دراهم قال أناأنظرك قال فأفكر ساعة ثم قال أناأنظر نفسى.نزل الحجاج فى يوم حار على بعض المياه ودعا بالغداء و قال لحاجبه انظر من يتغدى معى واجهد ألا يكون من أهل الدنيا فرأى الحاجب أعرابيا نائما عليه شملة من شعر فضربه برجله و قال أجب الأمير فأتاه فدعاه الحجاج إلى الأكل فقال دعانى من هوخير من الأمير فأجبته قال من هو قال الله دعانى إلى الصوم فصمت قال أ فى هذااليوم الحار قال نار جهنم أشد حرا قال أفطر وتصوم غدا قال إن ضمنت لى البقاء إلى غد قال ليس ذلك إلى قال فكيف أدع عاجلا لآجل لاتقدر عليه قال إنه طعام طيب قال إنك لم تطيبه و لاالخباز ولكن العافية طيبته لك . و قال شبيب كنا سنة فى طريق مكة فجاء أعرابى فى يوم صائف شديد الحر [صفحه ٢٣٦] ومعه جارية سوداء وصحيفة فقال أفيكم كاتب قلنا نعم وحضر غداؤنا فقلنا له لودخلت فأصبت من طعامنا قال إنى صائم قلنا الحر وشدته وجفاء البادية فقال إن الدنيا كانت و لم أكن فيها وستكون و لاأكون فيها و ماأحب أن أغبن أمامى ثم نبذ إلينا الصحيفة فقال للكاتب اكتب و لاتزد على ماأمليه عليك هذا ماأعتق عبد الله بن عقيل الكلبى أعتق جارية له سوداء اسمها لؤلؤة ابتغاء وجه الله وجواز العقبة وإنه لاسبيل له عليها إلاسبيل الولاء والمنة لله علينا وعليها واحدة. قال الأصمعى فحدث بذلك الرشيد فأمر أن يعتق عنه ألف نسمة ويكتب لهم هذاالكتاب . و قال خالد بن صفوان بت ليلتى هذه أتمنى فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر فإذا ألذى يلقانى من ذلك رغيفان وكوزان وطمران . ورأى رجل رجلا من ولد معاوية يعمل على بعير له فقال هذا بعد ماكنتم فيه من الدنيا قال رحمك الله يا ابن أخى مافقدنا إلاالفضول . و قال الحسن يا ابن آدم إنما أنت أيام مجموعة كلما ذهب يوم ذهب بعضك . قال يونس الكاتب لوقيل بيت دريد فى زاهد كان به جديرا قليل التشكى للمصيبات ذاكر || من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد . و قال الحسن ماأطال عبدالأمل إلاأساء العمل . و قال رجل للفضيل بن عياض ماأعجب الأشياء قال قلب عرف الله ثم عصاه . قال وكيع ماأحسنت قط إلى أحد و لاأسأت إليه قيل كيف قال لأن الله تعالى قال إِن أَحسَنتُم أَحسَنتُم لِأَنفُسِكُم وَ إِن أَسَأتُم فَلَها -قرآن-٢٠٦-٢٦٤ [صفحه ٢٣٧] و قال الحسن لرجل إن استطعت ألا تسىء إلى أحد ممن تحبه فافعل

قال الرجل يا أباسعيد أ ويسيء المرء إلى من يحبه قال نعم نفسك أحب النفوس إليك فإذاعصيت الله فقد أسأت إليها. و كان مالك بن دينار إذامنع نفسه شيئا من الشهوات قال اصبرى فو الله مامنعك إلالكرامتك على . قام رسول الله ص الليل حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا و قدغفر الله ماتقدم من ذنبك و ماتأخر قال أ فلاأكون عبدا شكورا -روايت-۱-۱۴۸ . و قال عبد الله بن مسعود لا-يكونن أحدكم جيفة ليله قطرب نهاره . و كان يقال من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. و كان مالك بن دينار يقول فى قصصه مأأشد فطام الكبر وينشد أتروض عرسك بعد ماهرمت || و من العناء رياضة الهرم . و قال آخر إن كنت تؤمن بالقيامة || واجترأت على الخطيئة فلقد هلكت و إن || جحدت فذاك أعظم للبلية [صفحه ۲۳۸]

۸۱- و من كلام له ع فى صفة الدنيا

مَا أَصِفُ مِن دَارٍ أَوّلُهَا عَنَاءٌ وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ استَغنَى فِيهَا فُتِنَ وَ مَنِ افتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ وَ مَن سَاعَاهَا فَاتَتهُ وَ مَن قَعَدَ عَنهَا وَاتَتهُ وَ مَن أَبصَرَ بِهَا بَصّرَتهُ وَ مَن أَبصَرَ إِلَيهَا أَعمَتهُ قال الرضى رحمه الله أقول و إذاتأمل المتأمل قوله ع و من أبصر بهابصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لايبلغ غايته و لايدرك غوره لاسيما إذاقرن إليه قوله و من أبصر إليها أعمته فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا -روايت-۱-۲۷۳ العناء التعب وساعاها جاراها سعيا وواتته طاوعته . ونظر الرضى إلى قوله أولها عناء وآخرها فناء فقال وأولنا العناء إذاطلعنا || إلى الدنيا وآخرنا الذهاب . [صفحه ۲۳۹] ونظر إلى قوله ع فى حلالها حساب و فى حرامها عقاب بعض الشعراء فقال الدهر يومان فيوم مضى || عنك بما فيه و يوم جديد حلال يوميك حساب و فى || حرام يوميك عذاب شديد تجمع مايأكله وارث || و أنت فى القبر وحيد فريد إنى لغيرى واعظ تارك || نفسى وقولى من فعالى بعيد حلاوة الدنيا ولذاتها || تكلف العاقل ما لايريد . و من المعنى أيضا قول بعضهم حلالها حسرة تفضى إلى ندم || و فى المحارم منها الغنم منزور . ونظر الحسن البصرى إلى قوله ع من استغنى فيهافتن و من افتقر فيهاحزن فقال و قدجاءه إنسان يبشره بمولود له ذكر ليهنك الفارس يا أباسعيد فقال بل الراجل ثم قال لامرحبا بمن إن كان غنيا فتننى و إن كان فقيرا أحزننى و إن عاش كدنى و إن مات هدنى ثم لاأرضى بسعيى له سعيا و لابكدحى له كدحا حتى أهتم بما يصيبه بعدموتى و أنا فى حال لاينالنى بمساءته حزن و لابسروره جذل . ونظر ابن المعتز إلى قوله ع من ساعاها فاتته و من قعد عنها واتته فقال الدنيا كظلك كلما طلبته زاد منك بعدا. ونظرت إلى قوله ع و من أبصر بهابصرته و من أبصر إليها أعمته فقلت دنياك مثل الشمس تدنى إليك || الضوء لكن دعوة المهلك إن أنت أبصرت إلى نورها || تعش و إن تبصر به تدرك . [صفحه ۲۴۰] فإن قلت المسموع أبصرت زيدا و لم يسمع أبصرت إلى زيد قلت يجوز أن يكون قوله ع و من أبصر إليها أى و من أبصر متوجها إليها كقوله فِي تِسعِ آياتٍ إِلي فِرعَونَ و لم يقل مرسلا ويجوز أن يكون أقام ذلك مقام قوله نظر إليها لما كان مثله كماقالوا فى دخلت البيت ودخلت إلى البيت أجروه مجرى ولجت إلى البيت لما كان نظيره -قرآن-۱۳۵-۱۶۳ [صفحه ۲۴۱]

۸۲- و من خطبة له ع وتسمى بالغراء

اشاره

وهى من الخطب العجيبة الحَمدُ لِلّهِ أَلّذِى عَلَا بِحَولِهِ وَ دَنَا بِطَولِهِ مَانِحِ كُلّ غَنِيمَةٍ وَ فَضلٍ وَ كَاشِفِ كُلّ عَظِيمَةٍ وَ أَزلٍ أَحمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ وَ سَوَابِغِ نِعَمِهِ وَ أُومِنُ بِهِ أَوّلًا بَادِياً وَ أَستَهدِيهِ قَرِيباً هَادِياً وَ أَستَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً وَ أَتَوَكّلُ عَلَيهِ كَافِياً نَاصِراً وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرسَلَهُ لِإِنفَاذِ أَمرِهِ وَ إِنهَاءِ عُذرِهِ وَ تَقدِيمِ نُذُرِهِ الحول القوة والطول الإفضال والمانح المعطى والأزل بفتح الهمزة الضيق والحبس والعواطف جمع عاطفة وهى مايعطفك على الغير ويدنيه من معروفك والسوابغ التوام الكوامل سبغ الظل إذاعم وشمل . وأولا هاهنا منصوب على الظرفية كأنه قال قبل كل شىء والأول نقيض الآخر أصله أوءل على أفعل مهموز الوسط قلبت الهمزة واوا وأدغم يدل على ذلك قولهم هذاأول منك والإتيان بحرف الجر دليل على أنه أفعل كقولهم هذاأفضل منك وجمعه على أوائل وأوال أيضا على القلب و قال قوم أصله وول على فوعل فقلبت الواو الأولى همزة وإنما لم يجمع على ووال لاستثقالهم اجتماع الواوين وبينهما ألف الجمع . [صفحه ٢٤٢] و إذاجعلت الأول صفة لم تصرفه تقول لقيته عاما أول لاجتماع وزن الفعل وتقول مارأيته مذ عام أول كلاهما بغير تنوين فمن رفع جعله صفة لعام كأنه قال أول من عامنا و من نصب جعله كالظرف كأنه قال مذ عام قبل عامنا فإن قلت ابدأ بهذا أول ضممته على الغاية. والإنهاء الإبلاغ أنهيت إليه الخبر فانتهى أى بلغ والمعنى أن الله تعالى أعذر إلى خلقه وأنذرهم فإعذاره إليهم أن عرفهم بالحجج العقلية والسمعية أنهم إن عصوه استحقوا العقاب فأوضح عذره لهم فى عقوبته إياهم على عصيانه وإنذاره لهم تخويفه إياهم من عقابه و قدنظر البحترى إلى معنى قوله ع علا بحوله ودنا بطوله فقال دنوت تواضعا وعلوت قدرا || فشأناك انخفاض وارتفاع كذاك الشمس تبعد أن تسامى || ويدنو النور منها والشعاع . و فى هذاالفصل ضروب من البديع فمنها أن دنا فى مقابلة علا لفظا ومعنى وكذلك حوله وطوله . فإن قلت لاريب فى تقابل دنا وعلا من حيث المعنى واللفظ و أماحوله وطوله فإنهما يتناسبان لفظا وليسا متقابلين معنى لأنهما ليسا ضدين كما فى العلو والدنو. قلت بل فيهما معنى التضاد لأن الحول هوالقوة وهى مشعرة بالسطوة والقهر و منه منشأ الانتقام والطول الإفضال والتكرم و هونقيض الانتقام والبطش . فإن قلت أنت وأصحابك لاتقولون إن الله تعالى قادر بقدرة و هوعندكم قادر [صفحه ٢٤٣] لذاته فكيف تتأولون قوله ع ألذى علا بحوله أ ليس فى هذاإثبات قدرة له زائدة على ذاته و هذايخالف مذهبكم . قلت إن أصحابنا لا يمتنعون من إطلاق قولهم إن لله قوة وقدرة وحولا وحاش لله أن يذهب ذاهب منهم إلى منع ذلك ولكنهم يطلقونه ويعنون به حقيقته العرفية وهى كون الله تعالى قويا قادرا كمانقول نحن والمخالف إن لله وجودا وبقاء وقدما و لانعنى بذلك أن وجوده أوبقاءه أوقدمه معان زائدة على نفسه لكنا نعنى كلنا بإطلاق هذه الألفاظ عليه كونه موجودا أوباقيا أوقديما و هذا هوالعرف المستعمل فى قول الناس لاقوة لى على ذلك و لاقدرة لى على فلان لايعنون نفى المعنى بل يعنون كون الإنسان قادرا قويا على ذلك . ومنها أن مانحا فى وزن كاشف وغنيمة بإزاء عظيمة فى اللفظ وضدها فى المعنى وكذلك فضل وأزل . ومنها أن عواطف بإزاء سوابغ ونعمه بإزاء كرمه . ومنها و هوألطف مايستعمله أرباب هذاالصناعة أنه جعل قريبا هاديا مع قوله أستهديه لأن الدليل القريب منك أجدر بأن يهديك من البعيد النازح و لم يجعله مع قوله وأستعينه وجعل مع الاستعانة قاهرا قادرا لأن القادر القاهر يليق أن يستعان ويستنجد به و لم يجعله قادرا قاهرا مع التوكل عليه وجعل مع التوكل كافيا ناصرا لأن الكافى الناصر أهل لأن يتوكل عليه . و هذه اللطائف والدقائق من معجزاته ع التى فات بهاالبلغاء وأخرس الفصحاء [صفحه ٢٤٤] أُوصِيكُم عِبَادَ اللّهِ بِتَقوَى اللّهِ أَلّذِى ضَرَبَ لَكُمُ الأَمثَالَ وَ وَقّتَ لَكُمُ الآجَالَ وَ أَلبَسَكُمُ الرّيَاشَ وَ أَرفَغَ لَكُمُ المَعَاشَ وَ أَحَاطَ بِكُمُ الإِحصَاءَ وَ أَرصَدَ لَكُمُ الجَزَاءَ وَ آثَرَكُم بِالنّعَمِ السّوَابِغِ وَ الرّفَدِ الرّوَافِغِ وَ أَنذَرَكُم بِالحُجَجِ البَوَالِغِ فَأَحصَاكُم عَدَداً وَ وَظّفَ لَكُم مُدَداً فِي قَرَارِ خِبرَةٍ وَ دَارِ عِبرَةٍ أَنتُم مُختَبَرُونَ فِيهَا وَ مُحَاسَبُونَ عَلَيهَا وقت وأقت بمعنى أى جعل الآجال لوقت مقدر. والرياش والريش واحد و هواللباس قال تعالى يُوارِي سَوآتِكُم وَ رِيشاً. وقرئ ورياشا ويقال الرياش الخصب والغنى و منه ارتاش فلان حسنت حاله و يكون لفظ ألبسكم مجازا إن فسر بذلك . وأرفغ لكم المعاش أى جعله رفيغا أى واسعا مخصبا يقال رفغ

بالضم عيشه رفاغـة اتسع فهو رافغ ورفيغ وترفغ الرجل و هو فى رفاغيـة من العيش مخففا مثل رفاهية وثمانية. و قوله وأحاط بكم الإحصاء يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر فيه اللام والعامل فيه غيرلفظه كقوله يعجبه السخون ثم قال حبا و ليس - قرآن-۹۲-۱۱۹ [صفحه ۲۴۵] دخول اللام بمانع من ذلک تقول ضربته الضربة كماتقول ضربته ضربا ويجوز أن ينصب بأنه مفعول به و يكون ذلک على وجهين .أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أى جعل عليه حائطا فكأنه جعل الإحصاء والعد كالحائط المدار عليهم لأنهم لايبعدون منه و لايخرجون عنه . والثانى أن يكون من حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أى جمعها فأدخل الهمزة كأنه جعل الإحصاء يحوطهم ويجمعهم تقول ضربت زيدا وأضربته أى جعلته ذا ضرب فلذلک كأنه جعل ع الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول أوجعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثانى. ويمكن فيه وجه آخر و هو أن يكون الإحصاء مفعولا له و يكون فى الكلام محذوف تقديره وأحاط بكم حفظته وملائكته للإحصاء ودخول اللام فى المفعول له كثير كقوله والهول من تهول الهبور . قوله وأرصد يعنى أعد و فى الحديث إلا أن أرصده لدين على . وآثركم من الإيثار وأصله أن تقدم غيرک على نفسک فى منفعة أنت قادر على الاختصاص بها و هو فى هذاالموضع مجاز مستحسن . والرفد جمع رفدة مثل كسرة وكسر وفدرة وفدر والرفدة والرفد واحد وهى العطية والصلة ورفدت فلانا رفدا بالفتح والمضارع أرفده بكسر الفاء ويجوز أرفدته بالهمزة. والروافغ الواسعة والحجج البوالغ الظاهرة المبينة قال سبحانه فَلِلّهِ الحُجّةُ البالِغَةُ. -قرآن-۴۰۶-۴۳۳ [صفحه ۲۴۶] ووظف لكم مددا أى قدر و منه وظيفة الطعام . وقرار خبرة بكسر الخاء أى دار بلاء واختبار تقول خبرت زيدا أخبره خبرة بالضم فيهما وخبرة بالكسر إذابلوته واختبرته و منه قولهم صغر الخبر الخبر. ودار عبرة أى دار اعتبار واتعاظ والضمير فى فيها وعليها ليس واحدا فإنه فى فيهايرجع إلى الدار و فى عليها يرجع إلى النعم والرفد ويجوز أن يكون الضمير فى عليها عائدا إلى الدار على حذف المضاف أى على سكانها فَإِنّ الدّنيَا رَنِقٌ مَشرَبُهَا رَدِغٌ مَشرَعُهَا يُونِقُ مَنظَرُهَا وَ يُوبِقُ مَخبَرُهَا غُرُورٌ حَائِلٌ وَ ضَوءٌ آفِلٌ وَ ظِلّ زَائِلٌ وَ سِنَادٌ مَائِلٌ حَتّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا وَ اطمَأَنّ نَاكِرُهَا قَمَصَت بِأَرجُلِهَا وَ قَنَصَت بِأَحبُلِهَا وَ أَقصَدَت بِأَسهُمِهَا وَ أَعلَقَتِ المَرءَ أَوهَاقَ المَنِيّةِ قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنكِ المَضجَعِ وَ وَحشَةِ المَرجِعِ وَ مُعَايَنَةِ المَحَلّ وَ ثَوَابِ العَمَلِ. وَ كَذَلِكَ الخَلَفُ بِعَقبِ السّلَفِ لَا تُقلِعُ المَنِيّةُ اختِرَاماً وَ لَا يَرعَوِي البَاقُونَ اجتِرَاماً يَحتَذُونَ مِثَالًا وَ يَمضُونَ أَرسَالًا إِلَى غَايَةِ الِانتِهَاءِ وَ صَيّورِ الفَنَاءِ يقال عيش رنق بكسر النون أى كدر وماء رنق بالتسكين أى كدر والرنق بفتح النون مصدر قولک رنق الماء بالكسر ورنقته أناترنيقا أى كدرته والرواية [صفحه ۲۴۷] المشهورة فى هذاالفصل رنق مشربها بالكسر أقامه مقام قولهم عيش رنق و من رواه رنق مشربها بالسكون وهم الأقلون أجرى اللفظ على حقيقته . ويقال مشرع ردغ ذو طين ووحل روى الردغة بالتحريک ويجوز تسكين الدال والجمع رداغ وردغ . ويونق منظرها يعجب الناظر آنقنى الشىء أعجبنى ويوبق مخبرها يهلک وبق الرجل يبق وبوقا هلک والموبق مفعل منه كالموعد مفعل من وعد يعد و منه قوله سبحانه وَ جَعَلنا بَينَهُم مَوبِقاً و قدجاء وبق يبق بالكسر فيهما و هونادر كورث يرث وجاء أيضا وبق يوبق وبقا. والغرور بضم الغين مايغتر به من متاع الدنيا والغرور بالفتح الشيطان والحائل الزائل والآفل الغائب أفل غاب يأفل ويأفل أفولا. والسناد دعامة يسند بهاالسقف وناكرها فاعل من نكرت كذا أى أنكرته . وقمصت بأرجلها قمص الفرس وغيره يقمص ويقمص قمصا وقماصا أى استن و هو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجن برجليه و فى المثل المضروب لمن ذل بعدعزة مالعير من قماص . وجمع فقال بأرجلها وإنما للدابة رجلان إما لأن المثنى قديطلق عليه صيغة الجمع كما فى قولهم امرأة ذات أوراک ومآكم وهما وركان وإما لأنه أجرى اليدين والرجلين مجرى واحد فسماها كلها أرجلا و من رواه بالحاء فهو جمع رحل الناقة. وأقصدت قتلت مكانها من غيرتأخير. -قرآن-۳۹۹-۴۲۶ [صفحه ۲۴۸] والأوهاق جمع وهق بالتحريک و هوالحبل و قديسكن مثل نهر ونهر وأعلقت المرء الأوهاق جعلت الأوهاق عالقة به والضنک الضيق . والمضجع المصدر أوالمكان والفعل ضجع الرجل جنبه بالأرض بالفتح يضجع ضجوعا وضجعا فهو ضاجع ومثله أضجع .

والمرجع مصدر رجع و منه قوله تعالى ثُمَ إِلى رَبّكَم مَرجِعُكَم و هوشاذ لأن المصادر من فعل يفعل بكسر العين إنما يكون بالفتح . قوله ومعاينة المحل أى الموضع ألذى يحل به المكلف بعدالموت و لابد لكل مكلف أن يعلم عقيب الموت مصيره أما إلى جنة و أما إلى نار. و قوله ثواب العمل يريد جزاء العمل ومراده الجزاء الأعم الشامل للسعادة والشقاوة لاالجزاء الأخص ألذى هوجزاء الطاعة وسمى الأعم ثوابا على أصل الحقيقة اللغوية لأن الثواب فى اللغة الجزاء يقال قدأثاب فلان الشاعر لقصيدة كذا أى جازاه . و قوله وكذلك الخلف بعقب السلف الخلف المتأخرون والسلف المتقدمون وعقب هاهنا بالتسكين و هوبمعنى بعدجئت بعقب فلان أى بعده وأصله جرى الفرس بعدجريه يقال لهذا الفرس عقب حسن و قال ابن السكيت يقال جئت فى عقب شهر كذا بالضم إذاجئت بعد مايمضى كله وجئت فى عقب بكسر القاف إذاجئت و قدبقيت منه بقية و قدروى يعقب السلف أى يتبع . و قوله لاتقلع المنية أى لاتكف والاخترام إذهاب الأنفس واستئصالها. -قرآن-٢٧٨-٣٠٥ [صفحه ٢٤٩] وارعوى كف عن الأمر وأمسك وأصل فعله الماضى رعى يرعو أى كف عن الأمر وفلان حسن الرعوة والرعوة والرعوة والرعوى والارعواء والاجترام افتعال من الجرم و هوالذنب ومثله الجريمة يقال جرم وأجرم بمعنى . قوله يحتذون مثالا أى يقتدون وأصله من حذوت النعل بالنعل حذوا إذاقدرت كل واحدة على صاحبها. قوله ويمضون أرسالا بفتح الهمزة جمع رسل بفتح السين و هوالقطيع من الإبل أوالغنم يقال جاءت الخيل أرسالا أى قطيعا قطيعا. وصيور الأمر آخره و مايئول إليه حَتّى إِذَا تَصَرّمَتِ الأُمُورُ وَ تَقَضّتِ الدّهُورُ وَ أَزِفَ النّشُورُ أَخرَجَهُم مِن ضَرَائِحِ القُبُورِ وَ أَوكَارِ الطّيُورِ وَ أَوجِرَةِ السّبَاعِ وَ مَطَارِحِ المَهَالِكِ سِرَاعاً إِلَى أَمرِهِ مُهطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ رَعِيلًا صُمُوتاً قِيَاماً صُفُوفاً يَنفُذُهُمُ البَصَرُ وَ يُسمِعُهُمُ الداّعيِ عَلَيهِم لَبُوسُ الِاستِكَانَةِ وَ ضَرَعُ الِاستِسلَامِ وَ الذّلّةِ قَد ضَلّتِ الحِيَلُ وَ انقَطَعَ الأَمَلُ وَ هَوَتِ الأَفئِدَةُ كَاظِمَةً وَ خَشَعَتِ الأَصوَاتُ مُهَينِمَةً وَ أَلجَمَ العَرَقُ وَ عَظُمَ الشّفَقُ وَ أُرعِدَتِ الأَسمَاعُ لِزَبرَةِ الداّعيِ إِلَى فَصلِ الخِطَابِ وَ مُقَايَضَةِ الجَزَاءِ وَ نَكَالِ العِقَابِ وَ نَوَالِ الثّوَابَ [صفحه ٢٥٠] تصرمت الأمور تقطعت ومثله تقضت الدهور وأزف قرب ودنا يأزف أزفا و منه قوله تعالى أَزِفَتِ الآزِفَةُ أى القيامة الفاعل آزف . والضرائح جمع ضريح و هوالشق فى وسط القبر واللحد ما كان فى جانب القبر وضرحت ضرحا إذاحفرت الضريح . والأوكار جمع وكر بفتح الواو و هوعش الطائر وجمع الكثرة وكور وكر الطائر يكر وكرا أى دخل وكره والوكن بالفتح مثل الوكر أى العش . وأوجرة السباع جمع وجار بكسر الواو ويجوز فتحها و هوبيت السبع والضبع ونحوهما.مهطعين مسرعين والرعيل القطعة من الخيل . قوله ع ينفذهم البصر ويسمعهم الداعى أى هم مع كثرتهم لايخفى منهم أحد عن إدراك البارئ سبحانه وهم مع هذه الكثرة أيضا لايبقى منهم أحد إلا إذادعا داعى الموت سمع دعاءه ونداءه . واللبوس بفتح اللام مايلبس قال -قرآن-٨٨-١٠٥ البس لكل حالة لبوسها || إما نعيمها وإما بوسها . و منه قوله تعالى وَ عَلّمناهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لَكُميعنى الدروع . والاستكانة الخضوع والضرع والخشوع والضعف ضرع الرجل يضرع وأضرعه غيره . وكاظمة ساكتة كظم يكظم كظوما أى سكت وقوم كظم أى ساكتون . -قرآن-٢٢-٥٥ [صفحه ٢٥١] ومهينمة ذات هينمة وهى الصوت الخفى وألجم العرق صار لجاما و فى الحديث إن العرق ليجرى منهم حتى إن منهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ عنقه ومنهم من يلجمه وهم أعظمهم مشقة -روايت-١-٢-روايت-١٦-١٥٠ . و قال لى قائل ماأرى لقوله ع المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة -روايت-١-٢-روايت-١٢-٥٣ كثير فائدة لأن طول العنق جدا ليس مما يرغب فى مثله فذكرت له الخبر الوارد فى العرق و قلت إذا كان الإنسان شديد طول العنق كان عن إلجام العرق أبعد فظهرت فائدة الخبر. ويروى وأنجم العرق أى كثر ودام . والشفق والشفقة بمعنى و هوالاسم من الإشفاق و هوالخوف والحذر قال الشاعر تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا || والموت أكرم نزال على الحرم . وأرعدت الأسماع عرتها الرعدة وزبرة الداعى صدته و لايقال الصوت زبرة إلا إذاخالطه زجر وانتهار زبرته أزبره بالضم . و قوله إلى فصل الخطاب إلى هاهنا يتعلق بالداعى وفصل الخطاب بت الحكومة التى بين الله و بين عباده فى الموقف رزقنا الله المسامحة فيهابمنه وإنما

خص الأسماع بالرعدة لأنها تحدث من صوت الملك ألذى يدعو الناس إلى محاسبته . والمقايضة المعاوضة قايضت زيدا بالمتاع وهما قيضان كماقالوا بيعان . فإن قلت كيف يصح ماذكره المسلمون من حشر الأجساد وكيف يمكن ماأشار إليه ع من جمع الأجزاء البدنية من أوكار الطيور وأوجرة السباع ومعلوم أنه قديأكل الإنسان سبع ويأكل ذلك السبع إنسان آخر ويأكل هذاالإنسان طائر ثم يأكل الطائر إنسان آخر والمأكول يصير أجزاء من أجزاء بدن الآكل فإذاحشرت [صفحه ۲۵۲] الحيوانات كلها على ماتزعم المعتزلة فتلك الأجزاء المفروضة إما أن تحشر أجزاء من بنية الإنسان أوبنية السبع أومنهما معا فإن كان الأول وجب إلايحشر السبع و إن كان الثانى وجب ألا يحشر الإنسان والثالث محال عقلا لأن الجزء الواحد لا يكون فى موضعين . قلت إن فى بدن كل إنسان و كل حيوان أجزاء أصلية وأجزاء زائدة فالأجزاء الزائدة يمكن أن تصير أجزاء بدن حيوان إذااغتذى بها والأجزاء الأصلية لايمكن ذلك فيهابل يحرسها الله تعالى من الاستحالة والتغيير و إذا كان كذلك أمكن الحشر بأن تعاد الأجزاء الأصلية إلى موضعها الأول و لافساد فى استحالة الأجزاء الزائدة لأنه لايجب حشرها لأنها ليست أصل بنية المكلف فاندفع الأشكال و أما من يقول بالنفس الناطقة من أهل الملة فلايلزمه الجواب عن السؤال لأنه يقول إن الأنفس إذاأزف يوم القيامة خلقت لها أبدان غيرالأبدان الأولى لأن المكلف المطيع والعاصى المستحق للثواب والعقاب عندهم هوالنفس و أماالبدن فآلة لها نستعمله استعمال الكاتب للقلم والنجار للفأس عِبَادٌ مَخلُوقُونَ اقتِدَاراً وَ مَربُوبُونَ اقتِسَاراً وَ مَقبُوضُونَ احتِضَاراً وَ مُضَمّنُونَ أَجدَاثاً وَ كَائِنُونَ رُفَاتاً وَ مَبعُوثُونَ أَفرَاداً وَ مَدِينُونَ جَزَاءً وَ مُمَيّزُونَ حِسَاباً قَد أُمهِلُوا فِي طَلَبِ المَخرَجِ وَ هُدُوا سَبِيلَ المَنهَجِ وَ عُمّرُوا مَهَلَ المُستَعتَبِ وَ كُشِفَت عَنهُم سُدَفُ الرّيَبِ وَ خُلّوا لِمِضمَارِ الجِيَادِ وَ رَوِيّةِ الِارتِيَادِ وَ أَنَاةِ المُقتَبِسِ المُرتَادِ فِي مُدّةِ الأَجَلِ وَ مُضطَرَبِ المَهَلِ [صفحه ۲۵۳] مربوبون مملوكون والاقتسار الغلبة والقهر. والاحتضار حضور الملائكة عندالميت و هوحينئذ محتضر وكانت العرب تقول لبن محتضر أى فاسد ذو آفة يعنون أن الجن حضرته يقال اللبن محتضر فغط إناءك . والأجداث جمع جدث و هوالقبر واجتدث الرجل اتخذ جدثا ويقال جدف بالفاء. والرفات الحطام تقول منه رفت الشىء فهو مرفوت . ومدينون أى مجزيون والدين الجزاء و منه مالِكِ يَومِ الدّينِ. ومميزون حسابا من قوله تعالى وَ امتازُوا اليَومَ أَيّهَا المُجرِمُونَ و من قوله تعالى وَ كُنتُم أَزواجاً ثَلاثَةً كما أن قوله ومبعوثون أفرادا مأخوذ من قوله تعالى وَ لَقَد جِئتُمُونا فُرادى وأصل التمييز على الفصل والتبيين . قوله قدأمهلوا فى طلب المخرج أى انظروا ليفيئوا إلى الطاعة ويخلصوا التوبة لأن إخلاص التوبة هوالمخرج ألذى من سلكه خرج من ربقة المعصية ومثله قوله وهدوا سبيل المنهج والمنهج الطريق الواضح . والمستعتب المسترضى استعتبت زيدا إذااسترضيته عنى فأنا مستعتب له و هومستعتب وأعتبنى أى أرضانى وإنما ضرب المثل بمهل المستعتب لأن من يطلب رضاه فى مجرى العادة لايرهق بالتماس الرضا منه وإنما يمهل ليرضى بقلبه لابلسانه . والسدف جمع سدفة هى القطعة من الليل المظلم هذا فى لغة أهل نجد و أماغيرهم -قرآن-۳۶۰-۳۷۹-قرآن-۴۱۳-۴۵۲-قرآن-۴۷۲-۴۹۸-قرآن-۵۵۳-۵۷۸ [صفحه ۲۵۴] فيجعل السدفة الضوء و هذااللفظ من الأضداد وكذلك السدف بفتح السين والدال . و قدقيل السدفة اختلاط الضوء والظلمة كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار والسدف الصبح وإقباله وأسدف الليل أظلم وأسدف الصبح أضاء يقال أسدف الباب أى افتحه حتى يضىء البيت و فى لغة هوازن أسدفوا أى أسرجوا من السراج والريب الشبهة جمع ريبة. والمضمار الموضع ألذى تضمر فيه الخيل والمضمار أيضا المدة التى تضمر فيها. والتضمير أن تعلف الفرس حتى يسمن ثم ترده إلى قوته الأولى و ذلك فى أربعين يوما و قديطلق التضمير على نقيض ذلك و هوالتجويع حتى يهزل ويخف لحمه ضمر الفرس بالفتح يضمر بالضم ضمورا وجاء ضمر الفرس بالضم وأضمرته أنا وضمرته فاضطمر هو ولؤلؤ مضطمر فى وسطه بعض الانضمام رجل لطيف الجسم ضمير البطن وناقة ضامر وضامرة أيضا يقول مكنهم الحكيم سبحانه وخلاهم وأعمالهم كماتمكن الخيل التى تستبق فى المضمار ليعلم أيها أسبق . والروية الفكرة والارتياد الطلب ارتاد فلان الكلأ يرتاده ارتيادا طلبه ومثله راد الكلأ يروده رودا وريادا و فى الحديث

إذابال أحدكم فليرتد لبوله -روايت-١-٢-روايت-١۶-۴۶ أی فليطلب مكانا لينا أومنحدرا والرائد ألذی يرسله القوم فی طلب الكلإ و فی المثل الرائد لايكذب أهله والأناة التؤدة والانتظار مثل القناة. وتأنی فی الأمر ترفق واستأنی فلان بفلان أی انتظر به وجاء الأناء بالفتح والمد علی فعال قال الحطيئة وأكريت العشاء إلی سهيل || أوالشعری فطال بی الأناء . والمقتبس متعلم العلم هاهنا و لابد له من أناة ومهل ليبلغ حاجته فضرب مثلا وجاء [صفحه ٢۵۵] فی بعض الروايات ومقبوضون اختصارا بالخاء المعجمة و هوموت الشاب غضا أخضر أی مات شابا و كان فتيان يقولون لشيخ أجززت يا أبافلان فيقول أی بنی وتختضرون أجز الحشيش آن أن يجز و منه قيل للشيخ كاد يموت قدأجز والرواية الأولی أحسن لأنها أعم . و فی رواية لمضمار الخيار أی للمضمار ألذی يستبق فيه الأبرار الأتقياء إلی رضوان الله سبحانه فَيَا لَهَا أَمثَالًا صَائِبَةً وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً لَو صَادَفَت قُلُوباً زَاكِيَةً وَ أَسمَاعاً وَاعِيَةً وَ آرَاءً عَازِمَةً وَ أَلبَاباً حَازِمَةً فَاتّقُوا اللّهَ تَقِيّةَ مَن سَمِعَ فَخَشَعَ وَ اقتَرَفَ فَاعتَرَفَ وَ وَجِلَ فَعَمِلَ وَ حَاذَرَ فَبَادَرَ وَ أَيقَنَ فَأَحسَنَ وَ عُبّرَ فَاعتَبَرَ وَ حُذّرَ فَحَذِرَ وَ زُجِرَ فَازدَجَرَ وَ أَجَابَ فَأَنَابَ وَ رَاجَعَ فَتَابَ وَ اقتَدَی فَاحتَذَی وَ أُرِيَ فَرَأَی فَأَسرَعَ طَالِباً وَ نَجَا هَارِباً فَأَفَادَ ذَخِيرَةً وَ أَطَابَ سَرِيرَةً وَ عَمّرَ مَعَاداً وَ استَظهَرَ زَاداً لِيَومِ رَحِيلِهِ وَ وَجهِ سَبِيلِهِ وَ حَالِ حَاجَتِهِ وَ مَوطِنِ فَاقَتِهِ وَ قَدّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ فَاتّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُم لَهُ وَ احذَرُوا مِنهُ كُنهَ مَا حَذّرَكُم مِن نَفسِهِ وَ استَحِقّوا مِنهُ مَا أَعَدّ لَكُم بِالتّنَجّزِ لِصِدقِ مِيعَادِهِ وَ الحَذَرِ مِن هَولِ مَعَادِهِ صائبة غيرعادلة عن الصواب صاب السهم يصوب صوبة أی قصد و لم يجر [صفحه ٢۵۶] وصاب السهم القرطاس يصيبه صيبا لغة فی أصابه و فی المثل مع الخواطئ سهم صائب . وشافية تبرئ من مرض الجهل والهوی والقلوب الزاكية الطاهرة والأسماع الواعية الحافظة والآراء العازمة ذات العزم والألباب العقول والحازمة ذات الحزم والحزم ضبط الرجل أمره . وخشع الرجل أی خضع واقترف اكتسب ومثله قرف يقرف بالكسر يقال هويقرف لعياله أی يكسب . ووجل الرجل خاف وجلا بفتح الجيم ومستقبلة يوجل ويأجل وييجل وييجل بكسر الياء المضارعة. وبادر سارع وعبر أی أری العبر مرارا كثيرة لأن التشديد هاهنا دليل التكثير.فاعتبر أی فاتعظ والزجر النهی والمنع زجر أی منع وازدجر مطاوع ازدجر اللفظ فيهما واحد تقول ازدجرت زيدا عن كذا فازدجر هو و هذاغريب وإنما جاء مطاوع ازدجر فی زجر لأنهما كالشیء الواحد و فی بعض الروايات ازدجر فازدجر فلايحتاج مع هذه الرواية إلی تأويل . وأناب الرجل إلی الله أی أقبل وتاب واقتدی بزيد فعل مثل فعله واحتذی مثله . قوله ع فأفاد ذخيرة أی فاستفاد و هو من الأضداد أفدت المال زيدا أعطيته إياه وأفدت أنامالا أی استفدته واكتسبته . قوله ع فاتقوا الله عباد الله جهة ماخلقكم له نصب جهة بفعل مقدر تقديره واقصدوا جهة ماخلقكم له يعنی العبادة لأنه تعالی قال وَ ما خَلَقتُ الجِنّ وَ الإِنسَ إِلّا لِيَعبُدُونِفحذف الفعل واستغنی عنه بقوله فَاتّقُوا اللّهَلأن التقوی -قرآن-١١١٣-١١۶٢-قرآن-١١٩۵-١٢١٠ [صفحه ٢۵٧] ملازمة لقصد المكلف العبادة فدلت عليه واستغنی بها عن إظهاره . والكنه الغاية والنهاية تقول أعرفه كنه المعرفة أی نهايتها. ثم قال ع واستحقوا منه ماأعد لكم أی اجعلوا أنفسكم مستحقين لثوابه ألذی أعده لكم إن أطعتم . والباء فی بالتنجز متعلق باستحقوا ويقال فلان يتنجز الحاجة أی يستنجحها ويطلب تعجلها والناجز العاجل يقال ناجزا بناجز كقولك يدا بيد أی تعجيلا بتعجيل والتنجز من المكلفين بصدق ميعاد القديم سبحانه و هومواظبتهم علی فعل الواجب وتجنب القبيح و والحذر مجرور بالعطف علی التنجز لا علی الصدق لأنه لامعنی له وَ مِنهَا جَعَلَ لَكُم أَسمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا وَ أَبصَاراً لِتَجلُوَ عَن عَشَاهَا وَ أَشلَاءً جَامِعَةً لِأَعضَائِهَا مُلَائِمَةً لِأَحنَائِهَا فِي تَركِيبِ صُوَرِهَا وَ مُدَدِ عُمُرِهَا بِأَبدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرفَاقِهَا وَ قُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرزَاقِهَا فِي مُجَلّلَاتِ نِعَمِهِ وَ مُوجِبَاتِ مِنَنِهِ وَ حَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ وَ قَدّرَ لَكُم أَعمَاراً سَتَرَهَا عَنكُم وَ خَلّفَ لَكُم عِبَراً مِن آثَارِ المَاضِينَ قَبلَكُم مِن مُستَمتَعِ خَلَاقِهِم وَ مُستَفسَحِ خَنَاقِهِم أَرهَقَتهُمُ المَنَايَا دُونَ الآمَالِ وَ شَذّبَهُم عَنهَا تَخَرّمُ الآجَالِ لَم يَمهَدُوا فِي سَلَامَةِ الأَبدَانِ وَ لَم يَعتَبِرُوا فِي أُنُفِ الأَوَانِ [صفحه ٢۵٨] قوله لتعی ماعناها أی لتحفظ وتفهم ماأهمها و منه الأثر المرفوع من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه -روايت-١-٢-روايت-٢۴-۶۴ . ولتجلو أی لتكشف . و عن هاهنا زائدة ويجوز أن تكون بمعنی بعد كما قال لقحت حرب وائل

عن حيال . أى بعدحيال فيكون قدحذف المفعول وحذفه جائز لأنه فضله و يكون التقدير لتجلو الأذى بعدعشاها والعشى مقصور مصدر عشى بكسر الشين يعشى فهو عش إذاأبصر نهارا و لم يبصر ليلا. والأشلاء جمع شلو و هوالعضو. فإن قلت فأى معنى فى قوله أعضاء تجمع أعضاءها وكيف يجمع الشىء نفسه قلت أراد ع بالأشلاء هاهنا الأعضاء الظاهرة وبالأعضاء الجوارح الباطنة و لاريب أن الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة وتضمها والملاءمة الموافقة والأحناء الجوانب والجهات ووجه الموافقة والملاءمة أن كون اليد فى الجانب أولى من كونها فى الرأس أو فى أسفل القدم لأنها إذاكانت فى الجانب كان البطش وتناول مايراد ودفع مايؤذى أسهل وكذلك القول فى جعل العين فى الموضع ألذى جعلت به لأنها كديدبان السفينة البحرية و لوجعلت فى أم الرأس لم ينتفع بها هذاالحد من الانتفاع الآن و إذاتأملت سائر أدوات الجسد وأعضائه وجدتها كذلك . [صفحه ٢٥٩] ثم قال فى تركيب صورها كأنه قال مركبة أومصورة فأتى بلفظه فى كماتقول ركب بسلاحه و فى سلاحه أى متسلحا. و قوله بأرفاقها أى بمنافعها جمع رفق بكسر الراء مثل حمل وأحمال وأرفقت فلانا أى نفعته والمرفق من الأمر ماارتفقت به وانتفعت ويروى بأرماقها والرمق بقية الروح . ورائدة طالبة ومجللات النعم تجلل الناس أى تعمهم من قولهم سحاب مجلل أى يطبق الأرض و هذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقولك أنا فى سابغ ظلك وعميم فضلك كأنه قال فى نعمه المجللة وكذلك القول فى موجبات مننه أى فى مننه التى توجب الشكر. و فى هاهنا متعلقة بمحذوف والموضع نصب على الحال . ثم قال وحواجز عافيته الحواجز الموانع أى فى عافية تحجز وتمنع عنكم المضار. ويروى وحواجز بليته و قدفسر قوله حواجز عافيته على أن يراد به مايحجز العافية ويمنعها عن الزوال والعدم . قوله ع من مستمتع خلاقهم الخلاق النصيب قال تعالى وَ ما لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ و قال تعالى فَاستَمتَعتُم بِخَلاقِكُم كَمَا استَمتَعَ الّذِينَ مِن قَبلِكُم بِخَلاقِهِم وتقدير الكلام خلف لكم عبرا من القرون السالفة منها تمتعهم بنصيبهم من الدنيا ثم فناؤهم ومنها فسحة خناقهم وطول إمهالهم ثم كانت عاقبتهم الهلكة. وأرهقتهم المنايا أدركتهم مسرعة. -قرآن-٨٣٥-٨٦٩-قرآن-٨٨٤-٩٥٨ [صفحه ٢٦٠] والمرهق ألذى أدرك ليقتل وشذبهم عنها قطعهم وفرقهم من تشذيب الشجرة و هوتقشيرها. وتخرمت زيدا المنية استأصلته واقتطعته . ثم قال لم يمهدوا فى سلامة الأبدان أى لم يمهدوا لأنفسهم من تمهيد الأمور و هوتسويتها وإصلاحها. وأنف الأوان أوله يقال روضة أنف لم ترع قبل وكأس أنف لم يشرب بهاقبل فَهَل يَنتَظِرُ أَهلُ بَضَاضَةِ الشّبَابِ إِلّا حوَاَنيِ‌َ الهَرَمِ وَ أَهلُ غَضَارَةِ الصّحّةِ إِلّا نَوَازِلَ السّقَمِ وَ أَهلُ مُدّةِ البَقَاءِ إِلّا آونَةَ الفَنَاءِ مَعَ قُربِ الزّيَالِ وَ أُزُوفِ الِانتِقَالِ وَ عَلَزِ القَلَقِ وَ أَلَمِ المَضَضِ وَ غُصَصِ الجَرَضِ وَ تَلَفّتِ الِاستِغَاثَةِ بِنُصرَةِ الحَفَدَةِ وَ الأَقرِبَاءِ وَ الأَعِزّةِ وَ القُرَنَاءِ فَهَل دَفَعَتِ الأَقَارِبُ أَو نَفَعَتِ النّوَاحِبُ وَ قَد غُودِرَ فِي مَحَلّةِ الأَموَاتِ رَهِيناً وَ فِي ضِيقِ المَضجَعِ وَحِيداً قَد هَتَكَتِ الهَوَامّ جِلدَتَهُ وَ أَبلَتِ النّوَاهِكُ جِدّتَهُ وَ عَفَتِ العَوَاصِفُ آثَارَهُ وَ مَحَا الحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ وَ صَارَتِ الأَجسَادُ شَحِبَةً بَعدَ بَضّتِهَا وَ العِظَامُ نَخِرَةً بَعدَ قُوّتِهَا وَ الأَروَاحُ مُرتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعبَائِهَا مُوقِنَةً بِغَيبِ أَنبَائِهَا لَا تُستَزَادُ مِن صَالِحِ عَمَلِهَا وَ لَا تُستَعتَبُ مِن سَيّئِ زَلَلِهَا [صفحه ٢٦١] البضاضة مصدر من بضضت يا رجل بضضت بالفتح والكسر بضاضة وبضوضة و رجل بض أى ممتلئ البدن رقيق الجلد وامرأة بضة. وحوانى الهرم جمع حانية وهى العلة التى تحنى شطاط الجسد وتميله عن الاستقامة. والهرم الكبر والغضارة طيب العيش و منه المثل أباد الله غضراءهم أى خيرهم وخصبهم . وآونة الفناء جمع أوان و هوالحين كزمان وأزمنة وفلان يصنع ذلك الأمر آونة كقولك تارات أى يصنعه مرارا ويدعه مرارا. والزيال مصدر زايله مزايلة وزيالا أى فارقه . والأزوف مصدر أزف أى دنا. والعلز قلق وخفة وهلع يصيب الإنسان و قدعلز بالكسر وبات علزا أى وجعا قلقا والمضض الوجع أمضنى الجرح ومضنى لغتان و قدمضضت يا رجل بالكسر. والغصص جمع غصة وهى الشجا والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل تغص بالطعام فأنت غاص وغصان وأغصصته أنا. والجريض الريق يغص به جرض بريقه بالفتح يجرض بالكسر مثل كسر يكسر و هو أن يبلع ريقه على هم وحزن بالجهد والجريض الغصة و فى المثل حال [صفحه ٢٦٢] الجريض دون القريض وفلان يجرض

بنفسه إذا كان يموت وأجرضه الله بريقه أغصه . والحفدة الأعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد والباء فى بنصرة الحفدة متعلق بالاستعانة يقول إن الميت عندنزول الأمر به يتلفت مستغيثا بنصرة أهله وولده أى يستنصر يستصرخ بهم . والنواحب جمع ناحبة وهى الرافعة صوتها بالبكاء ويروى النوادب . والهوام جمع هامة وهى مايخاف ضرره من الأحناش كالعقارب والعناكب ونحوها والنواهك جمع ناهكة وهى ماينهك البدن أى يبليه . وعفت درست ويروى بالتشديد وشحبة هالكة والشحب الهلاك شحب الرجل بالكسر يشحب وجاء شحب بالفتح يشحب بالضم أى هلك وشحبة الله يشحبه يتعدى و لايتعدى . ونخرة بالية والأعباء الأثقال واحدها عب ء. و قال موقنة بغيب أنبائها لأن الميت يعلم بعدموته مايصير إليه حاله من جنة أونار. ثم قال إنها لاتكلف بعد ذلك زيادة فى العمل الصالح و لايطلب منها التوبة من العمل القبيح لأن التكليف قدبطل أَ وَ لَستُم أَبنَاءَ القَومِ وَ الآبَاءَ وَ إِخوَانَهُم وَ الأَقرِبَاءَ تَحتَذُونَ أَمثِلَتَهُم وَ تَركَبُونَ قِدّتَهُم وَ تَطَئُونَ جَادّتَهُم فَالقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَن حَظّهَا لَاهِيَةٌ عَن رُشدِهَا [صفحه ٢٦٣] سَالِكَةٌ فِي غَيرِ مِضمَارِهَا كَأَنّ المعَنيِّ سِوَاهَا وَ كَأَنّ الرّشدَ فِي إِحرَازِ دُنيَاهَا القدة بالدال المهملة وبكسر القاف الطريقة ويقال لكل فرقة من الناس إذاكانت ذات هوى على حدة قدة و منه قوله تعالى كُنّا طَرائِقَ قِدَداً و من رواه ويركبون قذتهم بالذال المعجمة وضم القاف أراد الواحدة من قذذ السهم وهى ريشة يقال حذو القذة بالقذة و يكون معنى وتركبون قذتهم تقتفون آثارهم وتشابهون بهم فى أفعالهم . ثم قال وتطئون جادتهم و هذه لفظة فصيحة جدا. ثم ذكر قساوة القلوب وضلالها عن رشدها و قال كأن المعنى سواها -قرآن-١٢٢-١٤٣ هذامثل قول النبى ص كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب -روايت-١-٢-روايت-٢٦-٩٠ وَ اعلَمُوا أَنّ مَجَازَكُم عَلَى الصّرَاطِ وَ مَزَالِقِ دَحضِهِ وَ أَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَ تَارَاتِ أَهوَالِهِ فَاتّقُوا اللّهَ عِبَادَ اللّهِ تَقِيّةَ ذيِ لُبّ شَغَلَ التّفَكّرُ قَلبَهُ وَ أَنصَبَ الخَوفُ بَدَنَهُ وَ أَسهَرَ التّهَجّدُ غِرَارَ نَومِهِ وَ أَظمَأَ الرّجَاءُ هَوَاجِرَ يَومِهِ وَ ظَلَفَ الزّهدُ شَهَوَاتِهِ [صفحه ٢٦٤] وَ أَوجَفَ الذّكرُ بِلِسَانِهِ وَ قَدّمَ الخَوفَ لِأَمَانِهِ وَ تَنَكّبَ المَخَالِجَ عَن وَضَحِ السّبِيلِ وَ سَلَكَ أَقصَدَ المَسَالِكِ إِلَى النّهجِ المَطلُوبِ وَ لَم تَفتِلهُ فَاتِلَاتُ الغُرُورِ وَ لَم تَعمَ عَلَيهِ مُشتَبِهَاتُ الأُمُورِ ظَافِراً بِفَرحَةِ البُشرَى وَ رَاحَةِ النّعمَى فِي أَنعَمِ نَومِهِ وَ آمَنِ يَومِهِ قَد عَبَرَ مَعبَرَ العَاجِلَةِ حَمِيداً وَ قَدّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً وَ بَادَرَ عَن وَجَلٍ وَ أَكمَشَ فِي مَهَلٍ وَ رَغِبَ فِي طَلَبٍ وَ ذَهَبَ عَن هَرَبٍ وَ رَاقَبَ فِي يَومِهِ غَدَهُ وَ رُبّمَا نَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ فَكَفَى بِالجَنّةِ ثَوَاباً وَ نَوَالًا وَ كَفَى بِالنّارِ عِقَاباً وَ وَبَالًا وَ كَفَى بِاللّهِ مُنتَقِماً وَ نَصِيراً وَ كَفَى بِالكِتَابِ حَجِيجاً وَ خَصِيماً و قال أصحابنا رحمهم الله تعالى الصراط الوارد ذكره فى الكتاب العزيز هوالطريق لأهل الجنة إلى الجنة ولأهل النار إلى النار بعدالمحاسبة قالوا لأن أهل الجنة ممرهم على باب النار فمن كان من أهل النار عدل به إليها وقذف فيها و من كان من أهل الجنة مر بالنار مرورا نجا منها إلى الجنة و هومعنى قوله تعالى وَ إِن مِنكُم إِلّا وارِدُهاالأ-ن ورودها هوالقرب منها والدنو إليها و قددل القرآن على سور مضروب بين مكان النار و بين الموضع ألذى يجتازون منه إلى الجنة فى قوله فَضُرِبَ بَينَهُم بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرّحمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذابُ. -قرآن-٣١٤-٣٤١-قرآن-٤٨٠-٥٧٣ [صفحه ٢٦٥] قالوا و لايصح ماروى فى بعض الأخبار أن الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف و أن المؤمن يقطعه كمرور البرق الخاطف والكافر يمشى عليه حبوا و أنه ينتفض بالذين عليه حتى تتزايل مفاصلهم قالوا لأن مثل ذلك لا يكون طريقا للماشى و لايتمكن من المشى عليه و لوأمكن لم يصح التكليف فى الآخرة ليؤمر العقلاء بالمرور عليه على وجه التعبد. ثم سأل أصحابنا أنفسهم فقالوا أى فائدة فى عمل هذاالسور و أى فائدة فى كون الطريق ألذى هوالصراط منتهيا إلى باب النار منفرجا منها إلى الجنة ألستم تعللون أفعال البارئ تعالى بالمصالح والآخرة ليست دار تكليف ليفعل فيها هذه الأفعال للمصالح . وأجابوا بأن شعور المكلفين فى الدنيا بهذه الأشياء مصالح لهم وألطاف فى الواجبات العقلية فإذاأعلم المكلفون بهاوجب إيقاعها على حسب ماوعدوا وأخبروا به لأن الله صادق لاخلف فى إخباره . وعندى أنه لايمتنع أن يكون الصراط على ماوردت به الأخبار و لامانع من ذلك قولهم لا يكون طريقا للماشى و لايتمكن من المشى عليه مسلم ولكن لم لايجوز أن يكون

فی جعله علی هـذاالوجه والإخبار عن کیفیته هـذه مصلحة للمکلفین فی الدنیا و لیس عدم تمکن الإنسان من المشـی علیه بمانع من إیقـاعه علی هـذاالوجه لأن المراد من هـذا وأمثاله هوالتخویف والزجر. و أماقولهم الآخرة لیست دار تکلیف فلقائل أن یقول لهم لم قلتم إنه تکلیف و لم لایجوز أن یکون المکلفون مضـطرین إلی سلوکه اضـطرارا فالمؤمن یخلق الله فیه الثبات والسـکینة والحرکة السریعة فینجو ویسلم والکافر یخلق فیه ضد ذلک فیهوی ویعطب و لامانع من ذلک . [صفحه ۲۶۶] یقال مکان دحض ودحض بالتحریک أی زلق وأدحضـته أناأزلقته فدحض هو. والأهاویل الأمور المفزعة وتارات أهواله کقوله دفعات أهواله وإنما جعل أهواله تارات لأن الأمور الهائلة إذااستمرت لم تکن فی الإزعاج والترویع کماتکون إذاطرأت تارة وسـکنت تارة. وانصب الخـوف بـدنه أتعب والنصـب التعب والتهجـد هنـا صـلاة اللیـل وأصـله السـهر و قـدجاء التهجـد بمعنی النـوم أیضـا و هـو من الأضداد.الغرار قلة النوم وأصله قلة لبن الناقة ویقال غارت الناقة تغار غرارا قل لبنها. فإن قلت کیف توصف قلة النوم بالسهر وإنما یوصف بالسـهر الإنسـان نفسه قلت هـذا من مجـازات کلامـهم کقولهم لیل ساهر ولیل نائم . والهواجر جمع هاجرة وهی نصـف النهار عنداشتداد الحر یقال قدهجر النهار وأتینا أهلنا مهجرین أی سائرین فی الهاجرة. وظلف منع وظلفت نفس فلان بالکسر عن کـذا أی کفت . وأوجف أسـرع کأنه جعل الـذکر لشدة تحریکه اللسان موجفا به کماتوجف الناقة براکبها والوجیف ضـرب من السـیر. ثم قـال وقـدم الخوف لأمـانه اللاـم هاهنـا لام التعلیل أی قـدم خوفه لیأمن والمخالـج الأمور المختلجـة أی الجاذبـة خلجه واختلجه أی جـذبه . وأقصد المسالک أقومها وطریق قاصد أی مسـتقیم . وفتله عن کذا أی رده وصرفه و هوقلب لفت . ویروی قـدعبر معبر العاجلـة حمیـدا وقدم زاد الآجلة سـعیدا. [صـفحه ۲۶۷] وأکمش أسـرع ومثلـه انکمش و رجـل کمش أی سـریع و قـدکمش بـالضم کماشـة فهو کمش وکمیش وکمشـته تکمیشا أعجلته . قوله ورغب فی طلب وذهب عن هرب أی ورغب فیما یطلب مثله وفر عما یهرب من مثله فأقام المصـدر مقام ذی المصـدر. ونظر قـدما أمامه أی ونظر ما بین یـدیه مقـدما لم ینثن و لم یعرج والدال مضـمومة هاهنا. قال الشاعر یذم امرأة تمضی إذازجرت عن سوأة قدما || کأنها هدم فی الجفر منقاض . و من رواه بالتسـکین جاز أن یعنی به هـذا و یکون قـدخفف کماقالوا حلم وحلم . وجاز أن یجعله مصدرا من قدم الرجل بالفتح یقدم قدما أی تقـدم قـال الله تعالی یَقـدُمُ قَومَهُ یَومَ القِیامَـةِ أی یتقـدمهم إلی ورودها کأنه قال ونظر بین یـدیه متقـدما لغیره وسابقا إیاه إلی ذلک والباء فی بالجنـة وبالنار وبالله وبالکتاب زائدة والتقدیر کفی الله وکفی الکتاب -قرآن-۱۶۱-۱۹۲ [صفحه ۲۶۸] أُوصِیکُم بِتَقوَی اللّهِ أَلّذِی أَعـذَرَ بِمَا أَنـذَرَ وَ احتَجّ بِمَا نَهَجَ وَ حَذّرَکُم عَدُوّاً نَفَذَ فِی الصّدُورِ خَفِیّاً وَ نَفَثَ فِی الآذَانِ نَجِیّاً فَأَضَلّ وَ أَردَی وَ وَعَدَ فَمَنّی وَ زَیّنَ سَیّئَاتِ الجَرَائِمِ وَ هَوّنَ مُوبِقَاتِ العَظَائِمِ حَتّی إِذَا استَدرَجَ قَرِینَتَهُ وَ استَغلَقَ رَهِینَتَهُ أَنکَرَ مَا زَیّنَ وَ استَعظَمَ مَا هَوّنَ وَ حَذّرَ مَا أَمّنَ أعـذر بما أنـذر ماهاهنا مصدریـة أی أعذر بإنذاره ویجوز أن تکون بمعنی ألذی . والعدو المذکور الشیطان . و قوله نفـذ فی الصـدور ونفث فی الآذان کلام صـحیح بـدیع و فی قوله نفذ فی الصدور مناسبة لقوله ص الشـیطان یجری من بنی آدم مجری الـدم -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۵۲ والنجی ألـذی یساره والجمع الأنجیـة قـال إنی إذا مـاالقوم کـانوا أنجیه . و قد یکون النجی جماعـة مثل الصـدیق قال الله تعالی خَلَصُوا نَجِیّا أی متناجین .القرینـة هاهنا الإنسان ألذی قارنه الشـیطان ولفظه لفظ التـأنیث و هومـذکر أراد القرین قـال تعـالی فَبِئسَ القَرِینُ ویجوز أن یکون أراد بالقرینـة النفس و یکون -قرآن-۵۶-۷۱-قرآن-۱۸۲-۱۹۸ [صفحه ۲۶۹] الضـمیر عائـدا إلی غیرمذکور لفظا لمادل المعنی علیه لأن قوله فأضل وأردی ووعد فمنی معناه أضـل الإنسان وأردی ووعـده فمنی فالمفعول محـذوف لفظا و إلیه رجع الضـمیر علی هـذاالوجه ویقال غلق الرهن إذا لم یفتکه الراهن فی الوقت المشـروط فاسـتحقه المرتهن . و هـذاالکلام مأخوذ من قوله تعالی وَ قالَ الشّیطانُ لَمّا قضُـیَ الأَمرُ إِنّ اللّهَ وَعَدَکُم وَعدَ الحَقّ وَ وَعَـدتُکُم فَأَخلَفتُکُم وَ مـا کـانَ لِی عَلَیکُم مِن سُـلطانٍ إِلّـا أَن دَعَوتُکُم فَاستَجَبتُم لِی فَلا تَلُومُونِی وَ لُومُوا أَنفُسَـکُم ما أَنَا بِمُصـرِخِکُم وَ ما أَنتُم بِمُصرِخِیّ‌الآیة -قرآن-۲۹۷-۵۶۰ وَ مِنهَـا فِی صِـفَةِ خَلقِ الإِنسَانِ أَم هَـذَا أَلّذِی أَنشَأَهُ فِی ظُلُمَاتِ الأَرحَامِ وَ

شُغُفِ الأستَارِ نُطفَةً دِهَاقاً وَ عَلَقَةً مِحَاقاً وَ جَنِيناً وَ رَاضِعاً وَ وَلِيداً وَ يَافِعاً ثُمّ مَنَحَهُ قَلباً حَافِظاً وَ لِسَاناً لَافِظاً وَ بَصَراً لَاحِظاً لِيَفهَمَ مُعتَبِراً وَ يُقَصّرَ مُزدَجِراً حَتّى إِذَا قَامَ اعتِدَالُهُ وَ استَوَى مِثَالُهُ نَفَرَ مُستَكبِراً وَ خَبَطَ سَادِراً مَاتِحاً فِي غَربِ هَوَاهُ كَادِحاً سَعياً لِدُنيَاهُ فِي لَذّاتِ طَرَبِهِ وَ بَدَوَاتِ أَرَبِهِ ثُمّ لَا يَحتَسِبُ رَزِيّةً وَ لَا يَخشَعُ تَقِيّةً فَمَاتَ فِي فِتنَتِهِ غَرِيراً وَ عَاشَ فِي هَفوَتِهِ يَسِيراً لَم يُفِد عِوَضاً وَ لَم يَقضِ مُفتَرَضاً دَهِمَتهُ فَجَعَاتُ المَنِيّةِ فِي غُبّرِ جِمَاحِهِ وَ سَنَنِ مِرَاحِهِ فَظَلّ سَادِراً وَ بَاتَ سَاهِراً فِي غَمَرَاتِ الآلَامِ وَ طَوَارِقِ الأَوجَاعِ وَ الأَسقَامِ بَينَ أَخٍ شَقِيقٍ وَ وَالِدٍ شَفِيقٍ [صفحه ٢٧٠] وَ دَاعِيَةٍ بِالوَيلِ جَزَعاً وَ لَادِمَةٍ لِلصّدرِ قَلَقاً وَ المَرءُ فِي سَكرَةٍ مُلهِثَةٍ وَ غَمرَةٍ كَارِثَةٍ وَ أَنّةٍ مُوجِعَةٍ وَ جَذبَةٍ مُكرِبَةٍ وَ سَوقَةٍ مُتعِبَةٍ ثُمّ أُدرِجَ فِي أَكفَانِهِ مُبلِساً وَ جُذِبَ مُنقَاداً سَلِساً ثُمّ أُلقِيَ عَلَى الأَعوَادِ رَجِيعَ وَصَبٍ وَ نِضوَ سَقَمٍ تَحمِلُهُ حَفَدَةُ الوِلدَانِ وَ حَشَدَةُ الإِخوَانِ إِلَى دَارِ غُربَتِهِ وَ مُنقَطَعِ زَورَتِهِ وَ مُفرَدِ وَحشَتِهِ حَتّى إِذَا انصَرَفَ المُشَيّعُ وَ رَجَعَ المُتَفَجّعُ أُقعِدَ فِي حُفرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهتَةِ السّؤَالِ وَ عَثرَةِ الِامتِحَانِ وَ أَعظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيّةً نُزُولُ الحَمِيمِ وَ تَصلِيَةُ الجَحِيمِ وَ فَورَاتُ السّعِيرِ وَ سَورَاتُ الزّفِيرِ لَا فَترَةٌ مُرِيحَةٌ وَ لَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ وَ لَا قُوّةٌ حَاجِزَةٌ وَ لَا مَوتَةٌ نَاجِزَةٌ وَ لَا سِنَةٌ مُسلِيَةٌ بَينَ أَطوَارِ المَوتَاتِ وَ عَذَابِ السّاعَاتِ إِنّا بِاللّهِ عَائِذُونَ أم هنا إما استفهامية على حقيقتها كأنه قال أعظكم وأذكركم بحال الشيطان وإغوائه أم بحال الإنسان منذ ابتدأ وجوده إلى حين مماته وإما أن تكون منقطعة بمعنى بل كأنه قال عادلا ـ وتاركا لماوعظهم به بل أتلو عليكم نبأ هذاالإنسان ألذى حاله كذا.الشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بفتح الشين وأصله غلاف القلب يقال شغفه الحب أى بلغ شغافه وقرئقَد شَغَفَها حُبّا. والدهاق المملوءة ويروى دفاقا من دفقت الماء أى صببته . قال وعلقة محاقا المحاق ثلاث ليال من آخر الشهر وسميت محاقا لأـن القمر يمتحق فيهن أى يخفى وتبطل صورته وإنما جعل العلقة محاقا هاهنا لأنها لم تحصل لها الصورة الإنسانية بعدفكانت ممحوة ممحوة ممحوقة. -قرآن-٣٥٧-٣٧٤[صفحه ٢٧١] واليافع الغلام المرتفع أيفع و هويافع و هذا من النوادر وغلام يفع ويفعة وغلمان أيفاع ويفعة أيضا. قوله وخبط سادرا خبط البعير إذاضرب بيديه إلى الأرض ومشى لايتوقى شيئا. والسادر المتحير والسادر أيضا ألذى لايهتم و لايبالى ماصنع والموضع يحتمل كلا التفسيرين . والماتح ألذى يستقى الماء من البئر و هو على رأسها والمائح ألذى نزل البئر إذاقل ماؤها فيملأ الدلاء وسئل بعض أئمة اللغة عن الفرق بين الماتح والمائح فقال اعتبر نقطتى الإعجام فالأعلى للأعلى والأدنى للأدنى والغرب الدلو العظيمة والكدح شدة السعى والحركة قال تعالى يا أَيّهَا الإِنسانُ إِنّكَ كادِحٌ إِلى رَبّكَ كَدحاً. قوله وبدوات أى مايخطر له من آرائه التى تختلف فيهادواعيه فتقدم وتحجم ومات غريرا أى شابا ويمكن أن يراد به أنه غيرمجرب للأمور. والهفوة الزلة هفا يهفو لم يفد عوضا أى لم يكتسب . وغبر جماحة بقاياه قال أبوكبير الهذلى -قرآن-٥٥١-٦٠٣ ومبرإ من كل غبر حيضة || وفساد مرضعة وداء مغيل . والجماح الشرة وارتكاب الهوى وسنن مراحه السنن الطريقة والمراح شدة الفرج والنشاط. قوله فظل سادرا السادر هاهنا غيرالسادر الأول لأنه هاهنا المغمى عليه كأنه [صفحه ٢٧٢] سكران وأصله من سدر البعير من شدة الحر وكثرة الطلاء بالقطران فيكون كالنائم لايحس ومراده ع هاهنا أنه بدأ به المرض ولادمة للصدر ضاربة له والتدام النساء ضربهن الصدور عندالنياحة سكرة ملهثة تجعل الإنسان لاهثا لشدتها لهث يلهث لهثانا ولهاثا ويروى ملهية بالياء أى تلهى الإنسان وتشغله . والكارثة فاعلة من كرثه الغم يكرثه بالضم أى اشتد عليه وبلغ منه غاية المشقة.الجذبة جذب الملك الروح من الجسد أوجذب الإنسان إذااحتضر ليسجى . والسوقة من سياق الروح عندالموت والمبلس ألذى ييئس من رحمة الله و منه سمى إبليس والإبلاس أيضا الانكسار والحزن والسلس السهل المقادة والأعواد خشب الجنازة ورجيع وصب الرجيع المعنى الكال والوصب الوجع وصب الرجل يوصب فهو واصب وأوصبه الله فهو موصب والموصب بالتشديد الكثير الأوجاع والنضو الهزيل وحشدة الإخوان جمع حاشد و هوالمتأهب المستعد ودار غربته قبره وكذلك منقطع زورته لأـن الزيارة تنقطع عنده . ومفرد وحشته نحو ذلك لانفراده بعمله واستيحاش الناس منه حتى إذاانصرف المشيع و هوالخارج مع جنازته أقعد فى حفرته هذاتصريح بعذاب القبر وسنذكر مايصلح ذكره فى هذاالموضع . والنجى المناجى ونزول

الحميم وتصلية الجحيم من الألفاظ الشريفة القرآنية. ثم نفى ع أن يكون فى العذاب فتور يجد الإنسان معه راحة أوسكون يزيح عنه الألم أى يزيله أو أن الإنسان يجد فى نفسه قوة تحجز بينه و بين الألم أى تمنع ويموت موتا ناجزا معجلا فيستريح أوينام فيسلو وقت نومه عما أصابه من الألم فى اليقظة كما فى دار الدنيا. [صفحه ٢٧٣] ثم قال بين أطوار الموتات و هذا فى ظاهره متناقض لأنه نفى الموت مطلقا ثم قال بين أطوار الموتات والجواب أنه أراد بالموتات الآلام العظيمة فسماها موتات لأن العرب تسمى المشقة العظيمة موتا كما قال إنما الميت ميت الأحياء . ويقولون الفقر الموت الأحمر واستعمالهم مثل ذلك كثير جدا. ثم قال إنا بالله عائذون عذت بفلان واستعذت به أى التجأت إليه

فصل فى ذكر القبر وسؤال منكر ونكير

واعلم أن لقاضى القضاة فى كتاب طبقات المعتزلة فى باب القبر وسؤال منكر ونكير كلاما أناأورد هاهنا بعضه قال رحمه الله تعالى إن عذاب القبر إنما أنكره ضرار بن عمرو و لما كان ضرار من أصحاب واصل بن عطاء ظن كثير من الناس أن ذلك مما أنكرته المعتزلة و ليس الأمر كذلك بل المعتزلة رجلان أحدهما يجوز عذاب القبر و لايقطع به وهم الأقلون والآخر يقطع على ذلك وهم أكثر أصحابنا لظهور الأخبار الواردة فيه وإنما تنكر المعتزلة قول طائفة من الجهلة إنهم يعذبون وهم موتى لأن العقل يمنع من ذلك و إذا كان الإنسان مع قرب العهد بموته و لمايدفن يعلمون أنه لايسمع و لايبصر و لايدرك و لايألم و لايلتذ فكيف يجوز عليه ذلك و هوميت فى قبره و ماروى من أن الموتى يسمعون لايصح إلا أن يراد به أن الله تعالى أحياهم وقوى حاسة سمعهم فسمعوا وهم أحياء. [صفحه ٢٧٤] قال رحمه الله تعالى وأنكر أيضا مشايخنا أن يكون عذاب القبر دائما فى كل حال لأن الأخبار إنما وردت بذلك فى الجملة فالذى يقال به هوقدر ماتقتضيه الأخبار دون مازاد عليه مما لادليل عليه ولذلك لسنا نوقت فى التعذيب وقتا و إن كان الأقرب فى الأخبار أنها الأوقات المقارنة للدفن و إن كان لانعنيها بأعيانها.هكذا قال قاضى القضاة و ألذى أعرفه أنا من مذهب كثير من شيوخنا قبل قاضى القضاة أن الأغلب أن يكون عذاب القبر بين النفختين . ثم إن قاضى القضاة سأل نفسه فقال إذاكانت الآخرة هى وقت المجازاة فكيف يعذب فى القبر فى أيام الدنيا. وأجاب بأن القليل من العقاب المستحق قديجوز أن يجعله الله فى الدنيا لبعض المصالح كمافعل فى تعجيل إقامة الحدود على من يستحقها فلايمنع منه تعالى أن يفعل ذلك بالإنسان إذا كان من أهل النار. ثم سأل نفسه فقال إذا كان بالموت قدزال عنه التكليف فكيف يقولون يكون ذلك من مصالحه . وأجاب بأنا لم نقل إن ذلك من مصالحه و هوميت وإنما نقول إنه مصلحة أن نعلم فى الدنيا ذلك من حال الموتى لأنه إذاتصور أنه مات عوجل بضرب من العقاب فى القبر كان أقرب إلى أن ينصرف عن كثير من المعاصى و قديجوز أن يكون ذلك لطفا للملائكة الذين يتولون هذاالتعذيب .فأما القول فى منكر ونكير فإنه سأل نفسه رحمه الله تعالى و قال كيف يجوز أن يسموا بأسماء الذم وعندكم أن الملائكة أفضل من الأنبياء. [صفحه ٢٧٥] وأجاب فقال إن التسمية إذاكانت لقبا لم يقع بهاذم لأن الذم إنما يقع لفائدة الاسم والألقاب كالإشارات لافائدة تحتها ولذا يلقب الرجل المسلم بظالم وكلب ونحو ذلك فيجوز أن يكون هذان الاسمان من باب الألقاب ويجوز أن يسميا بذلك من حيث يهجمان على الإنسان عندإكمال الله تعالى عقله على وجه ينكره ويرتاع منه فسميا منكرا ونكيرا. قال و قدروى فى المساءلة فى القبر أخبار كثيرة و كل ذلك مما لاقبح فيه بل يجوز أن يكون من مصالح المكلفين فلايصح المنع عنه . وجملة الأمر أن كل ماثبت من ذلك بالتواتر والإجماع و ليس بمستحيل فى القدرة و لاقبيح فى الحكمة يجب القول به و ماعداه مما وردت به آثار وأخبار آحاد يجب أن يجوز ويقال إنه مظنون ليس بمعلوم إذا لم يمنع منه الدليل عِبَادَ اللّهِ أَينَ الّذِينَ عُمّرُوا فَنَعِمُوا وَ عُلّمُوا فَفَهِمُوا وَ أُنظِرُوا فَلَهَوا وَ سُلّمُوا فَنَسُوا

أَمهِلُوا طَوِيلًا وَ مُنِحُوا جَمِيلًا وَ حُذِّرُوا أَلِيماً وَ وُعِدُوا جَسِيماً احذَرُوا الذّنُوبَ المُوَرّطَةَ وَ العُيُوبَ المُسخِطَةَ أُولِي الأَبصَارِ وَ الأَسمَاعِ وَ العَافِيَةِ وَ المَتَاعِ هَل مِن مَنَاصٍ أَو خَلَاصٍ أَو مَعَاذٍ أَو مَلَاذٍ أَو فِرَارٍ أَو مَحَارٍ فَأَنّى تُؤفَكُونَ أَم أَينَ تُصرَفُونَ أَم بِمَا ذَا تَغتَرّونَ وَ إِنّمَا حَظّ أَحَدِكُم مِنَ الأَرضِ ذَاتِ الطّولِ وَ العَرضِ قِيدُ قَدّهِ مُنعَفِراً عَلَى خَدّهِ الآنَ عِبَادَ اللّهِ وَ الخِنَاقُ مُهمَلٌ وَ الرّوحُ مُرسَلٌ فِي فَينَةِ الإِرشَادِ وَ رَاحَةِ [صفحه ۲۷۶] الأَجسَادِ وَ بَاحَةِ الِاحتِشَادِ وَ مَهَلِ البَقِيّةِ وَ أُنُفِ المَشِيّةِ وَ إِنظَارِ التّوبَةِ وَ انفِسَاحِ الحَوبَةِ قَبلَ الضّنكِ وَ المَضِيقِ وَ الرّوعِ وَ الزّهُوقِ وَ قَبلَ قُدُومِ الغَائِبِ المُنتَظَرِ وَ أَخذَةِ العَزِيزِ المُقتَدِرِ قال الرضى رحمه الله و فى الخبر أنه ع لماخطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود وبكت العيون ورجفت القلوب و من الناس من يسمى هذه الخطبة الغراء -روايت-۱-۱۵۳ نعم الرجل ينعم ضد قولك بئس وجاء شاذا نعم ينعم بالكسر وأنظروا أمهلوا والذنوب المورطة التى تلقى أصحابها فى الورطة وهى الهلاك قال رؤبة فأصبحوا فى ورطة الأوراط . وأصله أرض مطمئنة لاطريق فيها و قدأورطت زيدا وورطته توريطا فتورط ثم قال ع أولى الأبصار والأسماع ناداهم نداء ثانيا بعدالنداء ألذى فى أول الفصل و هو قوله عباد الله فقال يا من منحهم الله أبصارا وأسماعا وأعطاهم عافية ومتعهم متاعا هل من مناص و هوالملجأ والمفر يقال ناص عن قرنه مناصا أى فر وراوغ قال سبحانه وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ. -قرآن-۳۲۷-۳۴۶ [صفحه ۲۷۷] والمحار المرجع من حار يحور أى رجع قال تعالى إِنّهُ ظَنّ أَن لَن يَحُورَ. ويؤفكون يقلبون أفكه يأفكه عن كذا قلبه عنه إلى غيره ومثله يصرفون . وقيد قده مقدار قده يقال قرب منه قيد رمح وقاد رمح والمراد هاهنا هوالقبر لأنه بمقدار قامة الإنسان . والمنعفر ألذى قدلامس العفر و هوالتراب . ثم قال ع الآن والخناق مهمل تقديره اعملوا الآن وأنتم مخلون متمكنون لم يعقد الحبل فى أعناقكم و لم تقبض أرواحكم . والروح يذكر ويؤنث والفينة الوقت ويروى وفينة الارتياد و هوالطلب . وأنف المشية أول أوقات الإرادة والاختيار. قوله وانفساح الحوبة أى سعة وقت الحاجة والحوبة الحاجة والأرب قال الفرزدق -قرآن-۴۹-۷۵ فهب لى خنيسا واتخذ فيه منة || لحوبة أم مايسوغ شرابها . والغائب المنتظر هوالموت . قال شيخنا أبوعثمان رحمه الله تعالى حدثنى ثمامة قال سمعت جعفر بن يحيى و كان من أبلغ الناس وأفصحهم يقول الكتابة ضم اللفظة إلى أختها أ لم تسمعوا قول شاعر لشاعر و قدتفاخرا أناأشعر منك لأنى أقول البيت وأخاه و أنت تقول البيت و ابن عمه ثم قال وناهيك حسنا بقول على بن أبى طالب ع هل من مناص أوخلاص أومعاذ أوملاذ أوفرار أومحار. [صفحه ۲۷۸] قال أبوعثمان و كان جعفريعجب أيضا بقول على ع أين من جد واجتهد وجمع واحتشد وبنى فشيد وفرش فمهد وزخرف فنجد -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۱۱۹ قال أ لاترى أن كل لفظة منها آخذة بعنق قرينتها جاذبة إياها إلى نفسها دالة عليها بذاتها قال أبوعثمان فكان جعفريسميه فصيح قريش . واعلم أننا لايتخالجنا الشك فى أنه ع أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين إلا من كلام الله سبحانه وكلام رسول الله ص و ذلك لأن فضيلة الخطيب والكاتب فى خطابته وكتابته تعتمد على أمرين هما مفردات الألفاظ ومركباتها. أماالمفردات فأن تكون سهلة سلسة غيروحشية و لامعقدة وألفاظه ع كلها كذلك فأما المركبات فحسن المعنى وسرعة وصوله إلى الأفهام واشتماله على الصفات التى باعتبارها فضل بعض الكلام على بعض وتلك الصفات هى الصناعة التى سماها المتأخرون البديع من المقابلة والمطابقة وحسن التقسيم ورد آخر الكلام على صدره والترصيع والتسهيم والتوشيح والمماثلة والاستعارة ولطافة استعمال المجاز والموازنة والتكافؤ والتسميط والمشاكلة. و لاشبهة أن هذه الصفات كلها موجودة فى خطبه وكتبه مبثوثة متفرقة فى فرش كلامه ع و ليس يوجد هذان الأمران فى كلام أحد غيره فإن كان قدتعملها وأفكر فيها وأعمل رويته فى رصفها ونثرها فلقد أتى بالعجب العجاب ووجب [صفحه ۲۷۹] أن يكون إمام الناس كلهم فى ذلك لأنه ابتكره و لم يعرف من قبله و إن كان اقتضبها ابتداء وفاضت على لسانه مرتجلة وجاش بهاطبعه بديهة من غيررويه و لااعتمال فأعجب وأعجب . و على كلا الأمرين فلقد جاء مجليا والفصحاء تنقطع أنفاسهم على أثره وبحق ما قال معاوية لمحقن الضبى لما قال له جئتك من عندأعيا الناس يا ابن اللخناء ألعلى تقول هذا وهل سن الفصاحة لقريش

غيره . واعلم أن تكلف الاستدلال على أن الشمس مضيئة يتعب وصاحبه منسوب إلى السفه و ليس جاحد الأمور المعلومة علما ضروريا بأشد سفها ممن رام الاستدلال بالأدلة النظرية عليها [صفحه ۲۸۰]

۸۳– و من كلام له ع فی ذكر عمرو بن العاص

اشاره

عَجَباً لِابنِ النّابِغَةِ يَزعُمُ لِأَهلِ الشّامِ أَنّ فِيّ دُعَابَةً وَ أَنّي امرُؤٌ تِلعَابَةٌ أُعَافِسُ وَ أُمَارِسُ لَقَد قَالَ بَاطِلًا وَ نَطَقَ آثِماً أَمَا وَ شَرّ القَولِ الكَذِبُ إِنّهُ لَيَقُولُ فَيَكذِبُ وَ يَعِدُ فَيُخلِفُ وَ يُسأَلُ فَيَبخَلُ وَ يَسأَلُ فَيُلحِفُ وَ يَخُونُ العَهدَ وَ يَقطَعُ الإِلّ فَإِذَا كَانَ عِندَ الحَربِ فأَيَّ زَاجِرٍ وَ آمِرٍ هُوَ مَا لَم تَأخُذِ السّيُوفُ مَآخِذَهَا فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكبَرُ[أَكبَرَ]مَكِيدَتِهِ أَن يَمنَحَ القَومَ سَبّتَهُ أَمَا وَ اللّهِ إنِيّ لَيَمنَعُنِي مِنَ اللّعِبِ ذِكرُ المَوتِ وَ إِنّهُ لَيَمنَعُهُ مِن قَولِ الحَقّ نِسيَانُ الآخِرَةِ وَ إِنّهُ لَم يُبَايِع مُعَاوِيَةَ حَتّى شَرَطَ لَهُ أَن يُؤتِيَهُ أَتِيّةً وَ يَرضَخَ لَهُ عَلَى تَركِ الدّينِ رَضِيخَةً الدعابة المزاح دعب الرجل بالفتح و رجل تلعابة بكسر التاء كثير اللعب والتلعاب بالفتح مصدر لعب . والمعافسة المعالجة والمصارعة و منه الحديث عافسنا النساء والممارسة نحوه . يقول ع إن عمرا يقدح فی عند أهل الشام بالدعابة واللعب وأنی كثير [صفحه ۲۸۱] الممازحة حتى أنی ألاعب النساء وأغازلهن فعل المترف الفارغ القلب الذی تتقضى أوقاته بملاذ نفسه . ويلحف يلح فی السؤال قال تعالى لا يَسئَلُونَ النّاسَ إِلحافاً و منه المثل ليس للملحف مثل الرد. والإل العهد و لمااختلف اللفظان حسن التقسيم بهما و إن كان المعنى واحدا. ومعنى قوله ما لم تأخذ السيوف مآخذها أی ما لم تبلغ الحرب إلى أن تخالط الرءوس أی هومليء بالتحريض والإغراء قبل أن تلتحم الحرب فإذاالتحمت واشتدت فلايمكث وفعل فعلته التی فعل . والسبة الاست وسبه يسبه طعنه فی السبة. ويجوز رفع أكبر ونصبه فإن رفعت فهو الاسم و إن نصبت فهو الخبر. والأتية العطية والإيتاء الإعطاء ورضخ له رضخا أعطاه عطاء بالكثير وهی الرضيخة لمايعطى –قرآن–۱۳۹–۱۶۸

نسب عمرو بن العاص وطرف من أخباره

ونحن نذكر طرفا من نسب عمرو بن العاص وأخباره إلى حين وفاته إن شاء الله . هوعمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤی بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكنى أبا عبد الله ويقال أبو محمد. [صفحه ۲۸۲] أبوه العاص بن وائل أحد المستهزءين برسول الله ص والمكاشفين له بالعداوة والأذى و فيه و فی أصحابه أنزل قوله تعالى إِنّا كَفَيناكَ المُستَهزِئِينَ. ويلقب العاص بن وائل فی الإسلام بالأبتر لأنه قال لقريش سيموت هذاالأبتر غدا فينقطع ذكره يعنی رسول الله ص لأنه لم يكن له ص ولد ذكر يعقب منه فأنزل الله سبحانه إِنّ شانِئَكَ هُوَ الأَبتَرُ. و كان عمرو أحد من يؤذی رسول الله ص بمكة ويشتمه ويضع فی طريقه الحجارة لأنه كان ص يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبة و كان عمرو يجعل له الحجارة فی مسلكه ليعثر بها و هوأحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله ص لماخرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة فروعوها وقرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى أجهضت جنينا ميتا من أبی العاص بن الربيع بعلها فلما بلغ ذلك رسول الله ص نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنهم روى ذلك الواقدی. وروى الواقدی أيضا وغيره من أهل الحديث أن عمرو بن العاص هجا رسول الله ص هجاء كثيرا كان يعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون برسول الله إذامر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء –

قرآن-١٢٥-١٥٥-قرآن-٣٣٠-٣٥٧ فقال رسول الله ص و هويصلى بالحجر أللهم إن عمرو بن العاص هجانى ولست بشاعر فالعنه بعدد ماهجانى -روايت-١-٢-روايت-٤١-١٠٨ . وروى أهل الحديث أن النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص عهدوا إلى سلى جمل فرفعوه بينهم ووضعوه على رأس رسول الله ص و هوساجد بفناء الكعبة فسال عليه فصبر و لم يرفع رأسه وبكى فى سجوده ودعا عليهم [صفحه ٢٨٣] فجاءت ابنته فاطمة ع وهى باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه تبكى فرفع رأسه ص و قال أللهم عليك بقريش قالها ثلاثا ثم قال رافعا صوته إنى مظلوم فانتصر قالها ثلاثا -روايت-١-٢-روايت-١٠-٩٣ ثم قام فدخل منزله و ذلك بعدوفاة عمه أبى طالب بشهرين . ولشدة عداوة عمرو بن العاص لرسول الله ص أرسله أهل مكة إلى النجاشى ليزهده فى الدين وليطرد عن بلاده مهاجرة الحبشة وليقتل جعفر بن أبى طالب عنده إن أمكنه قتله فكان منه فى أمر جعفرهناك ما هومذكور مشهور فى السير وسنذكر بعضه .فأما النابغة فقد ذكر الزمخشرى فى كتاب ربيع الأبرار قال كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمى بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها فوقع عليها أبولهب بن عبدالمطلب وأمية بن خلف الجمحى وهشام بن المغيرة المخزومى و أبوسفيان بن حرب والعاص بن وائل السهمى فى طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه فقالت هو من العاص بن وائل وذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا و كان أشبه بأبى سفيان و فى ذلك يقول أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب فى عمرو بن العاص أبوك أبوسفيان لاشك قدبدت || لنا فيك منه بينات الشمائل . و قال أبوعمر بن عبدالبر صاحب كتاب الإستيعاب كان اسمها سلمى وتلقبت بالنابغة بنت حرملة من بنى جلان بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار [صفحه ٢٨٤] أصابها سباء فصارت إلى العاص بن وائل بعدجماعة من قريش فأولدها عمرا. قال أبوعمر يقال إنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرا و هو على المنبر من أمه فسأله فقال أمى سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بنى عنزة ثم أحد بنى جلان وأصابتها راح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى العاص بن وائل فولدت فأنجبت فإن كان جعل لك شىءفخذ. و قال المبرد فى كتاب الكامل اسمها ليلى وذكر هذاالخبر و قال إنها لم تكن فى موضع مرضى قال المبرد و قال المنذر بن الجارود مرة لعمرو بن العاص أى رجل أنت لو لا أن أمك أمك فقال إنى أحمد الله إليك لقد فكرت البارحة فيهافأقبلت أنقلها فى قبائل العرب ممن أحب أن تكون منها فما خطرت لى عبدالقيس على بال . و قال المبرد ودخل عمرو بن العاص مكة فرأى قوما من قريش قدجلسوا حلقة فلما رأوه رمقوه بأبصارهم فعدل إليهم فقال أحسبكم كنتم فى شىء من ذكرى قالوا أجل كنا نمثل بينك و بين أخيك هشام بن العاص أيكما أفضل فقال عمرو إن لهشام على أربعة أمه بنت هشام بن المغيرة وأمى من قدعرفتم و كان أحب إلى أبيه منى و قدعلمتم معرفة الوالد بولده وأسلم قبلى واستشهد وبقيت . وروى أبوعبيدة معمر بن المثنى فى كتاب الأنساب أن عمرا اختصم فيه يوم [صفحه ٢٨٥] ولادته رجلان أبوسفيان بن حرب والعاص بن وائل فقيل لتحكم أمه فقالت أمه إنه من العاص بن وائل فقال أبوسفيان أماإنى لاأشك أنى وضعته فى رحم أمه فأبت إلاالعاص .فقيل لها أبوسفيان أشرف نسبا فقالت إن العاص بن وائل كثير النفقة على و أبوسفيان شحيح .ففى ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئا له عن هجاء رسول الله ص أبوك أبوسفيان لاشك قدبدت || لنا فيك منه بينات الدلائل ففاخر به إما فخرت و لاتكن || تفاخر بالعاص الهجين بن وائل و إن التى فى ذاك ياعمرو حكمت || فقالت رجاء عندذاك لنائل من العاص عمرو تخبر الناس كلما || تجمعت الأقوام عندالمحافل

مفاخرة بين الحسن بن على ورجالات من قريش

وروى الزبير بن بكار فى كتاب المفاخرات قال اجتمع عندمعاويـة عمرو بن العاص والوليـد بن عقبـة بن أبى معيط وعتبـة بن أبى سفيـان بن حرب والمغيرة بن شـعبة و قـد كان بلغهم عن الحسن بن على ع قوارص وبلغه عنهم مثل ذلک فقالوا يا أمير المؤمنين إن الحسن قـدأحيا أبـاه وذكره و قـال فصـدق وأمر فـأطيع وخفقت له النعال و إن ذلک لرافعه إلى ما هوأعظم منه و لايزال يبلغنا عنه مايسوءنا. قال معاويـة فما تريدون قالوا ابعث عليه فليحضـر لنسبه ونسب أباه ونعيره ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلک و لايسـتطيع أن يغير علينا شـيئا من ذلک . [صفحه ۲۸۶] قال معاويـة إنى لاأرى ذلک و لاأفعله قالوا عزمنا عليک يا أمير المؤمنين لتفعلن فقـال ويحكم لاتفعلوا فو الله مارأيته قط جالسا عنـدى إلاخفت مقامه وعيبه لى قالوا ابعث إليه على كل حال قال إن بعثت إليه لأنصفنه منكم . فقال عمرو بن العاص أتخشى أن يأتى باطله على حقنا أويربى قوله على قولنا قال معاويۀ أماإنى إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله قالوا مره بذلک . قال أماإذ عصـيتمونى وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلک فلاتمرضوا له فى القول واعلموا أنهم أهـل بيت لايـعيبهم العـائب و لايـلصق بهم العـار ولكن اقـذفوه بحجره تقولون له إن أباک قتل عثمان وكره خلافۀ الخلفاء من قبله .فبعث إليه معاويـة فجاءه رسوله فقال إن أمير المؤمنين يـدعوک . قال من عنده فسـماهم له فقال الحسن ع مالهم خر عليهم السـقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشـعرون ثم قال ياجاريۀ ابغينى ثيابى أللهم إنى أعوذ بک من شرورهم وأدرأ بـک فى نحورهم وأسـتعين بـک عليهم فاكفنيهم كيف شـئت وأنى شـئت بحول منک وقوۀ ياأرحم الراحمين ثم قام فلما دخل على معاويـة أعظمه وأكرمه وأجلسه إلى جانبه و قدارتاد القوم وخطروا خطران الفحول بغيا فى أنفسـهم وعلوا ثم قال يا أبا محمـد إن هؤلاـء بعثوا إليـک وعصونى. فقـال الحسن ع سبحان الله الـدار دارک والإـذن فيهاإليـک و الله إن كنت أجبتهم إلى ماأرادوا و ما فى أنفسـهم إنى لأسـتحيى لک من الفحش و إن كانوا غلبوک على رأيک إنى لأسـتحيى لک من الضـعف فأيهما تقرر وأيهمـا تنكر أمـاإنى -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-ادامـه دارد [صـفحه ۲۸۷] لـوعلمت بمكـانهم جئت معى بمثلهم من بنى عبدالمطلب و ما لى أن أكون مسـتوحشا منک و لامنهم إن وليى الله و هويتولى الصالحين -روايت-از قبل-۱۳۴ . فقال معاويۀ يا هـذاإنى كرهت أن أدعـوک ولكن هؤلاـء حملـونى على ذلـک مع كراهـتى له و إن لـک منهم النصف ومنى وإنمـا دعونـاک لنقررک أن عثمان قتل مظلوما و أن أباک قتله فاسـتمع منهم ثم أجبهم و لاتمنعک وحدتک واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانک .فتكلم عمرو بن العاص فحمـد الله وصـلى على رسوله ثم ذكر عليا ع فلم يترک شـيئا يعيبه به إلاقاله و قال إنه شـتم أبابكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ثم بايعه مكرها وشـرک فى دم عمر وقتل عثمان ظلما وادعى من الخلافۀ ما ليس له . ثم ذكر الفتنۀ يعيره بهـا وأضـاف إليه مساوئ و قال إنكم يابنى عبـدالمطلب لم يكن الله ليعطيكم الملک على قتلكم الخلفاء واسـتحلالكم ماحرم الله من الـدماء وحرصـكم على الملک وإتيانكم ما لايحل ثم إنک ياحسن تحـدث نفسک أن الخلافـۀ صائرۀ إليک و ليس عنـدک عقل ذلک و لالبه كيف ترى الله سبحانه سلبک عقلک وتركک أحمق قريش يسخر منک ويهزأ بک و ذلک لسوء عمل أبيک وإنمـا دعونـاک لنسبک وأبـاک فأمـا أبوک فقـد تفرد الله به وكفانـا أمره و أمـا أنت فإنـک فى أيـدينا نختـار فيـک الخصال و لوقتلناک ما كان علينا إثم من الله و لاعيب من الناس فهل تسـتطيع أن ترد علينا وتكـذبنا فإن كنت ترى أناكذبنا فى شـىءفاردده علينـا فيمـا قلنا و إلافاعلم أنک وأباک ظالمان ثم تكلم الوليـد بن عقبـۀ بن أبى معيط فقال يابنى هاشم إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولـد كـان لكن فعرف حقكم وكنتم أصـهاره فنعم الصـهر كان لكم يكرمكم فكنتم [صـفحه ۲۸۸] أول من حسـده فقتله أبوک ظلمـا لاعـذر له و لاحجـۀ فكيف ترون الله طلب بـدمه وأنزلكم منزلتكم و الله إن بنى أميـۀ خير لبنى هاشم من بنى هاشـم لبنى أميـۀ و إن معاويـۀ خير لک من نفسک . ثم تكلم عتبۀ بن أبى سـفيان فقال ياحسن كان أبوک شـر قريش لقريش أسـفكها لـدمائها وأقطعهـا لأرحامهـا طويـل السـيف واللسـان يقتـل الحى ويعيـب الميـت وإنـک ممـن قتـل عثمـان ونحـن قـاتلوک بـه و أمارجـاؤک الخلافـۀ فلست فى زنـدها قادحـا و لاـ فى ميزانهـا راجحـا وإنكم يـابنى هاشم قتلتم عثمان و إن فى الحق أن نقتلک

وأخاك به فأما أبوك فقد كفانا الله أمره وأقاد منه و أما أنت فو الله ماعلينا لوقتلناك بعثمان إثم و لاعدوان . ثم تكلم المغيرة بن شعبة فشتم عليا و قال و الله ماأعيبه فى قضية يخون و لا فى حكم يميل ولكنه قتل عثمان ثم سكتوا. فتكلم الحسن بن على ع فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ص ثم قال أما بعد يامعاوية فما هؤلاء شتمونى ولكنك شتمتنى فحشا ألفته وسوء رأى عرفت به وخلقا سيئا ثبت عليه وبغيا علينا عداوة منك لمحمد وأهله ولكن اسمع يامعاوية واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هودون مافيكم أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن ألذى شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كلتيهما و أنت يامعاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى غواية وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان و أنت يامعاوية بإحداهما كافر وبالأخرى ناكث وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا وأنك يامعاوية وأباك -روايت-١-٢- روايت-٢٨-ادامه دارد [صفحه ٢٨٩] من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتستمالون بالأموال وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله ص يوم بدر و أن راية المشركين كانت مع معاوية و مع أبيه ثم لقيكم يوم أحد و يوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ص ومعك و مع أبيك راية الشرك و فى كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته ويصدق حديثه و رسول الله ص فى تلك المواطن كلها عنه راض وعليك و على أبيك ساخط وأنشدك الله يامعاوية أتذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر و أنت تسوقه وأخوك عتبة هذايقوده فرآكم رسول الله ص فقال أللهم العن الراكب والقائد والسائق أتنسى يامعاوية الشعر ألذى كتبته إلى أبيك لماهم أن يسلم تنهاه عن ذلك -روايت-از قبل-٦٥٩ ياصخر لاتسلمن يوما فتفضحنا || بعدالذين ببدر أصبحوا فرقا خالى وعمى وعم الأم ثالثهم || وحنظل الخير قدأهدى لنا الأرقا لاتركنن إلى أمر تكلفنا || والراقصات به فى مكة الخرقا فالموت أهون من قول العداة لقد || حاد ابن حرب عن العزى إذافرقا و الله لماأخفيت من أمرك أكبر مما أبديت وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله ص فأنزل فيه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللّهُ لَكُم و أن رسول الله ص بعث أكابر أصحابه إلى بنى قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا فبعث عليا بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله وفعل فى خيبر مثلها -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٩٠] ثم قال يامعاوية أظنك لاتعلم أنى أعلم مادعا به عليك رسول الله ص لماأراد أن يكتب كتابا إلى بنى خزيمة فبعث إليك ابن عباس فوجدك تأكل ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل فدعا عليك الرسول بجوعك ونهمك إلى أن تموت وأنتم أيها الرهط نشدتكم الله أ لاتعلمون أن رسول الله ص لعن أباسفيان فى سبعة مواطن لاتستطيعون ردها أولها يوم لقى رسول الله ص خارجا من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفا إلى الدين فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهم أن يبطش به فلعنه الله ورسوله وصرف عنه والثانية يوم العير إذ عرض لها رسول الله ص وهى جائية من الشام فطردها أبوسفيان وساحل بهافلم يظفر المسلمون بها ولعنه رسول الله ص ودعا عليه فكانت وقعة بدر لأجلها والثالثة يوم أحد حيث وقف تحت الجبل و رسول الله ص فى أعلاه و هوينادى أعل هبل مرارا فلعنه رسول الله ص عشر مرات ولعنه المسلمون والرابعة يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود فلعنه رسول الله وابتهل والخامسة يوم جاء أبوسفيان فى قريش فصدوا رسول الله ص عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ذلك يوم الحديبية فلعن رسول الله ص أباسفيان ولعن القادة والأتباع و قال ملعونون كلهم و ليس فيهم من يؤمن فقيل يا رسول الله أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة فقال لاتصيب اللعنة أحدا من الأتباع و أماالقادة فلايفلح منهم أحد -روايت-از قبل-١٢٥١ [صفحه ٢٩١] والسادسة يوم الجمل الأحمر والسابعة يوم وقفوا لرسول الله ص فى العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثنى عشر رجلا منهم أبوسفيان فهذا لك يامعاوية و أما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولا من عهر وسفاح فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزارها ألأمهم حسبا وأخبثهم منصبا ثم قام أبوك فقال أناشانئ محمدالأبتر فأنزل الله فيه ماأنزل وقاتلت رسول الله ص فى جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدته كيدك كله وكنت من أشد الناس له

تكـذيبا وعـداوة ثم خرجت تريـد النجاشـى مع أصـحاب السـفينة لتـأتى بجعفر وأصـحابه إلى أهـل مكـة فلما أخطأك مارجوت ورجعك الله خائبا وأكذبك واشيا جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشـى حسدا لماارتكب مع حليلتك ففضـحك الله وفضـح صاحبك فأنت عـدو بنى هاشم فى الجاهليـة والإسـلام ثم إنك تعلم و كل هؤلاء الرهط يعلمون أنـك هجوت رسول الله ص بسـبعين بيتـا من الشـعر فقـال رسول الله ص أللهم إنى لا أقول الشـعر و لا ينبغى لى أللهم العنه بكل حرف ألف لعنـة فعليـك إذا من الله مـا لايحصـى من اللعن و أمـاذكرت من أمر عثمـان فـأنت سـعرت عليه الـدنيا نارا ثم حلقت بفلسـطين فلمـا أتـاك قتله قلت أنا أبو عبـد الله إذانكأت قرحـة أدميتها ثم حبست نفسك إلى معاويـة وبعت دينك بـدنياه فلسنا نلومـك على بغض و لانعاتبـك على ود وبالله -روايت-١-ادامه دارد [صـفحه ٢٩٢] مانصـرت عثمان حيا و لاغضبت له مقتولا ويحـك يـا ابن العـاص ألست القائـل فى بنى هـاشم لمـاخرجت من مكـة إلى النجاشـى -روايت-از قبـل-١١٩ تقول ابنـتى أين هـذاالرحيل || و ماالسير منى بمسـتنكر فقلت ذرينى فإنى امرؤ || أريـد النجاشـى فى جعفر لأكويه عنـده كيـة || أقيم بهانخوة الأصعر وشانئ أحمـد من بينهم || وأقولهم فيه بالمنكر وأجرى إلى عتبة جاهدا || و لو كان كالذهب الأحمر و لاأنثنى عن بنى هاشم || و ماسطعت فى الغيب والمحضـر فإن قبل العتب منى له || و إلالويت له مشـفرى فهـذا جوابك هل سـمعته و أما أنت ياوليد فو الله ماألومك على بغض على و قدجلدك ثمانين فى الخمر وقتل أباك بين يدى رسول الله صبرا و أنت ألذى سماه الله الفـاسق وسـمى عليـا المؤمن حيث تفاخرتمـا فقلت له اسـكت يـا على فأنـا أشـجع منك جنانا وأطول منك لسانا فقال لك على اسـكت ياوليد فأنا مؤمن و أنت فاسق فأنزل الله تعالى فى موافقة قوله أَ فَمَن كانَ مُؤمِناً كَمَن كانَ فاسِقاً لا يَستَوُونَ ثم أنزل فيك على موافقـة قوله أيضـاإِن جاءَكُم فـاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُواويحك ياوليـد مهما نسيت فلاتنس قول الشاعر فيك و فيه -روايت-١-٥٣٥ أنزل الله والكتاب عزيز || فى على و فى الوليد قرآنا [صفحه ٢٩٣] فتبوأ الوليد إذ ذاك فسقا || و على مبوأ إيمانا ليس من كان مؤمنا عمرك الله || كمن كان فاسقا خوانا سوف يدعى الوليد بعدقليل || و على إلى الحساب عيانا فعلى يجزى بذاك جنانا || ووليـد يجزى بـذاك هوانـا رب جـد لعقبـة بن أبـان || لابس فى بلادنا تبانا و ما أنت وقريش إنما أنت علـج من أهل صـفورية وأقسم بالله لأنت أكبر فى الميلاد وأسن ممن تـدعى إليه و أما أنت ياعتبـة فو الله ما أنت بحصـيف فأجيبك و لاعاقل فأحاورك وأعاتبـك و ماعنـدك خير يرجى و لاشـر يتقى و ماعقلـك وعقل أمتك إلاسواء و مايضـر عليا لوسـببته على رءوس الأشـهاد و أماوعيـدك إياى بالقتل فهلا قتلت اللحيانى إذاوجدته على فراشك أماتستحيى من قول نصر بن حجاج فيك -روايت-١-٣٩٢ ياللرجال وحادث الأزمان || ولسـبة تخزى أباسـفيان نبئت عتبـة خانه فى عرسه || جبس لئيم الأصل من لحيان و بعد هذا ماأربأ بنفسـى عن ذكره لفحشه فكيف يخاف أحد سـيفك و لم تقتل فاضحك وكيف ألومك على بغض على و قدقتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر وشرك حمزة فى قتل جدك عتبة وأوحدك من أخيك حنظلة فى مقام واحد و أما أنت يامغيرة فلم تكن بخليق أن تقع فى هذا وشبهه وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكى فإنى طائرة عنك فقالت النخلة وهل علمت بك واقعة على فـأعلم بك طائرة عنى -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٩٤] و الله مانشـعر بعداوتك إيانا و لااغتممنا إذ علمنا بها و لايشـق علينـا كلامـك و إن حـد الله فى الزنـا لثابت عليك ولقـد درأ عمر عنك حقا الله سائلـة عنه ولقـد سألت رسول الله ص هل ينظر الرجـل إلى المرأة يريـد أن يتزوجها فقال لابأس بـذلك يامغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنك زان و أمافخركم علينا بالإمارة فإن الله تعـالى يقول وَ إِذا أَرَدنـا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمّرناها تَـدمِيراً. ثم قام الحسن فنفض ثوبه وانصرف -روايت-از قبل-٤٨٦ فتعلق عمرو بن العـاص بثوبه و قـال يـا أمير المـؤمنين قدشـهدت قـوله فى وقـذفه أمى بالزنـا و أنامطالب له بحـد القذف فقال معاوية خل عنه لاجزاك الله خيرا فتركه فقال معاوية قدأنبأتكم أنه ممن لاتطاق عارضـته ونهيتكم أن تسـبوه فعصيتمونى و الله ماقام حتى أظلم على البيت قوموا عنى فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن رأى

الناصح المشفق و الله المستعان

عمرو بن العاص ومعاوية

وروى الشعبى قال دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة و قد كان بلغ معاوية عنه ماكرهه فكره قضاءها وتشاغل فقال عمرو يامعاوية إن السخاء فطنة واللؤم تغافل والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين فقال معاوية ياعمرو بما ذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام فغضب عمرو و قال بأعظم حق وأوجبه إذ كنت فى بحر عجاج فلو لاعمرو لغرقت فى أقل مائه وأرقه ولكنى دفعتك فيه دفعة فصرت فى وسطه ثم دفعتك فيه أخرى فصرت فى أعلى المواضع منه فمضى حكمك ونفذ أمرك وانطلق [صفحه ٢٩٥] لسانك بعدتلجلجه وأضاء وجهك بعدظلمته وطمست لك الشمس بالعهن المنفوش وأظلمت لك القمر بالليلة المدلهمة.فتناوم معاوية وأطبق جفنيه مليا فخرج عمرو فاستوى معاوية جالسا و قال لجلسائه أرأيتم ماخرج من فم ذلك الرجل ما عليه لوعرض ففى التعريض مايكفى ولكنه جبهنى بكلامه ورمانى بسموم سهامه . فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين إن الحوائج لتقضى على ثلاث خصال إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا فتقضى له بحقه وإما أن يكون السائل لئيما فيصون الشريف نفسه عن لسانه فيقضى حاجته وإما أن يكون المسئول كريما فيقضيها لكرمه صغرت أوكبرت . فقال معاوية لله أبوك ماأحسن مانطقت وبعث إلى عمرو فأخبره وقضى حاجته ووصله بصلة جليلة فلما أخذها ولى منصرفا فقال معاويةفَإِن أُعطُوا مِنها رَضُوا وَ إِن لَم يُعطَوا مِنها إِذا هُم يَسخَطُونَفسمعها عمرو فالتفت إليه مغضبا و قال و الله يامعاوية لاأزال آخذ منك قهرا و لاأطيع لك أمرا وأحفر لك بئرا عميقا إذاوقعت فيه لم تدرك إلارميما فضحك معاوية فقال ماأريدك يا أبا عبد الله بالكلمة وإنما كانت آية تلوتها من كتاب الله عرضت بقلبى فاصنع ماشئت -قرآن-٦٩٥-٧٦٥

عبد الله بن جعفر وعمرو بن العاص فى مجلس معاوية

وروى المدائنى قال بينا معاوية يوما جالسا عنده عمرو بن العاص إذ قال الآذن قدجاء عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقال عمرو و الله لأسوءنه اليوم فقال معاوية لاتفعل يا أبا عبد الله فإنك لاتنصف منه ولعلك أن تظهر لنا من منقبته ما هوخفى عنا و ما لانحب أن نعلمه منه . [صفحه ٢٩٦] وغشيهم عبد الله بن جعفرفأدناه معاوية وقربه فمال عمرو إلى بعض جلساء معاوية فنال من على ع جهارا غيرساتر له وثلبه ثلبا قبيحا.فالتمع لون عبد الله بن جعفر واعتراه أفكل حتى أرعدت خصائله ثم نزل عن السرير كالفنيق فقال عمرو مه يا أبا جعفر فقال له عبد الله مه لاأم لك ثم قال أظن الحلم دل على قومى || و قديستجهل الرجل الحليم . ثم حسر عن ذراعيه و قال يامعاوية حتام نتجرع غيظك و إلى كم الصبر على مكروه قولك وسيئ أدبك وذميم أخلاقك هبلتك الهبول أ مايزجرك ذمام المجالسة عن القذع لجليسك إذا لم تكن لك حرمة من دينك تنهاك عما لايجوز لك أما و الله لوعطفتك أواصر الأرحام أوحاميت على سهمك من الإسلام ماأرعيت بنى الإماء المتك والعبيد الصك أعراض قومك . و مايجهل موضع الصفوة إلا أهل الجفوة وإنك لتعرف وشائظ قريش وصبوة غرائزها فلايدعونك تصويب مافرط من خطئك فى سفكك دماء المسلمين ومحاربة أمير المؤمنين إلى التمادى فيما قدوضح لك الصواب فى خلافه فاقصد لمنهج الحق فقد طال عمهك عن سبيل الرشد وخبطك فى بحور ظلمة الغى. [صفحه ٢٩٧] فإن أبيت إلاتتابعنا فى قبح اختيارك لنفسك فأعفنا من سوء القالة فينا إذاضمنا وإياك الندى وشأنك و ماتريد إذاخلوت و الله حسيبك فو الله لو لا ماجعل الله لنا فى يديك لماأتيناك

. ثم قال إنک إن کلفتنی ما لم أطق ساءک ماسرک منی من خلق . فقال معاویة یا أبا جعفرأقسمت علیک لتجلسن لعن الله من أخرج ضب صدرک من وجاره محمول لک ما قلت و لک عندنا ماأملت فلو لم یکن محمدک ومنصبک لکان خلقک وخلقک شافعین لک إلینا و أنت ابن ذی الجناحین وسید بنی هاشم . فقال عبد الله کلا بل سید بنی هاشم حسن وحسین لاینازعهما فی ذلک أحد. فقال أبا جعفرأقسمت علیک لماذکرت حاجة لک إلاقضیتها کائنة ماکانت و لوذهبت بجمیع ماأملک فقال أما فی هذاالمجلس فلا ثم انصرف .فأتبعه معاویة بصره و قال و الله لکأنه رسول الله ص مشیه وخلقه وخلقه وإنه لمن مشکاته ولوددت أنه أخی بنفیس ماأملک . ثم التفت إلی عمرو فقال أبا عبد الله ماتراه منعه من الکلام معک قال ما لاخفاء به عنک قال أظنک تقول إنه هاب جوابک لا و الله ولکنه ازدراک واستحقرک و لم یرک للکلام أهلا أ مارأیت إقباله علی دونک ذاهبا بنفسه عنک . فقال عمرو فهل لک أن تسمع ماأعددته لجوابه قال معاویة اذهب إلیک أبا عبد الله فلاة حین جواب سائر الیوم . ونهض معاویة وتفرق الناس [صفحه ۲۹۸]

عبد الله بن العباس ورجالات قریش فی مجلس معاویة

وروی المدائنی أیضا قال وفد عبد الله بن عباس علی معاویة مرة فقال معاویة لابنه یزید ولزیاد ابن سمیة وعتبة بن أبی سفیان ومروان بن الحکم وعمرو بن العاص والمغیرة بن شعبة وسعید بن العاص و عبدالرحمن ابن أم الحکم إنه قدطال العهد بعبد الله بن عباس و ما کان شجر بیننا وبینه و بین ابن عمه ولقد کان نصبه للتحکیم فدفع عنه فحرکوه علی الکلام لنبلغ حقیقة صفته ونقف علی کنه معرفته ونعرف ماصرف عنا من شبا حده وزوی عنا من دهاء رأیه فربما وصف المرء بغیر ما هو فیه وأعطی من النعت والاسم ما لایستحقه . ثم أرسل إلی عبد الله بن عباس فلما دخل واستقر به المجلس ابتدأه ابن أبی سفیان فقال یا ابن عباس مامنع علیا أن یوجه بک حکما فقال أما و الله لوفعل لقرن عمرا بصعبة من الإبل یوجع کفه مراسها ولأذهلت عقله وأجرضته بریقه وقدحت فی سویداء قلبه فلم یبرم أمرا و لم ینفض ترابا إلاکنت منه بمرأی ومسمع فإن أنکأه أدمیت قواه و إن أدمه فصمت عراه بغرب مقول لایقل حده وأصالة رأی کمتاح الأجل لاوزر منه أصدع به أدیمه وأفل به شبا حده وأشحذ به عزائم المتقین وأزیح به شبه الشاکین . فقال عمرو بن العاص هذا و الله یا أمیر المؤمنین نجوم أول الشر وأفول آخر الخیر و فی حسمه قطع مادته فبادره بالحملة وانتهز منه الفرصة واردع بالتنکیل به غیره وشرد به من خلفه . فقال ابن عباس یا ابن النابغة ضل و الله عقلک وسفه حلمک ونطق الشیطان علی لسانک هلا تولیت ذلک بنفسک یوم صفین حین دعیت نزال وتکافح الأبطال [صفحه ۲۹۹] وکثرت الجراح وتقصفت الرماح وبرزت إلی أمیر المؤمنین مصلولا فانکفأ نحوک بالسیف حاملا فلما رأیت الکواشر من الموت أعددت حیلة السلامة قبل لقائه والانکفاء عنه بعدإجابة دعائه فمنحته رجاء النجاة عورتک وکشفت له خوف بأسه سوأتک حذرا أن یصطلمک بسطوته ویلتهمک بحملته ثم أشرت علی معاویة کالناصح له بمبارزته وحسنت له التعرض لمکافحته رجاء أن تکتفی مئونته وتعدم صورته فعلم غل صدرک و ماانحنت علیه من النفاق أضلعک وعرف مقر سهمک فی غرضک .فاکفف غرب لسانک واقمع عوراء لفظک فإنک لمن أسد خادر وبحر زاخر إن تبرزت للأسد افترسک و إن عمت فی البحر قمسک . فقال مروان بن الحکم یا ابن عباس إنک لتصرف أنیابک وتوری نارک کأنک ترجو الغلبة وتؤمل العافیة و لو لاحلم أمیر المؤمنین عنکم لتناولکم بأقصر أنامله فأوردکم منهلا بعیدا صدره ولعمری لئن سطا بکم لیأخذن بعض حقه منکم ولئن عفا عن جرائرکم فقدیما مانسب إلی ذلک . فقال ابن عباس وإنک لتقول ذلک یاعدو الله وطرید رسول الله والمباح دمه والداخل بین عثمان ورعیته بما حملهم علی قطع أوداجه ورکوب أثباجه أما و الله لوطلب معاویة ثأره لأخذک به و

لونظر فی أمر عثمان لوجدک أوله وآخره . و أماقولک لی إنک لتصرف أنیابک وتوری نارک فسل معاویة وعمرا یخبراک لیلة الهریر کیف ثباتنا للمثلات واستخفافنا بالمعضلات وصدق جلادنا عندالمصاولة وصبرنا [صفحه ۳۰۰] علی اللأواء والمطاولة ومصافحتنا بجباهنا السیوف المرهفة ومباشرتنا بنحورنا حد الأسنة هل خمنا عن کرائم تلک المواقف أم لم نبذل مهجنا للمتالف و لیس لک إذ ذاک فیهامقام محمود و لا یوم مشهود و لاأثر معدود وإنهما شهدا ما لوشهدت لأقلقک فأربع علی ظلعک و لاتتعرض لما لیس لک فإنک کالمغروز فی صفد لایهبط برجل و لایرقی بید. فقال زیاد یا ابن عباس إنی لأعلم مامنع حسنا وحسینا من الوفود معک علی أمیر المؤمنین إلا ماسولت لهما أنفسهما وغرهما به من هو عندالبأساء سلمهما وایم الله لوولیتهما لأدأبا فی الرحلة إلی أمیر المؤمنین أنفسهما ولقل بمکانهما لبثهما. فقال ابن عباس إذن و الله یقصر دونهما باعک ویضیق بهما ذراعک و لورمت ذلک لوجدت من دونهما فئة صدقا صبرا علی البلاء لایخیمون عن اللقاء فلعرکوک بکلاکلهم ووطئوک بمناسمهم وأوجروک مشق رماحهم وشفار سیوفهم و وخز أسنتهم حتی تشهد بسوء ماأتیت وتتبین ضیاع الحزم فیما جنیت فحذار حذار من سوء النیة فتکافأ برد الأمنیة وتکون سببا لفساد هذین الحیین بعدصلاحهما وسعیا فی اختلافهما بعدائتلافهما حیث لایضرهما إبساسک و لایغنی عنهما إیناسک . فقال عبدالرحمن ابن أم الحکم لله در ابن ملجم فقد بلغ الأمل وأمن الوجل وأحد الشفرة والآن المهرة وأدرک الثأر ونفی العار وفاز بالمنزلة العلیا ورقی الدرجة القصوی . فقال ابن عباس أما و الله لقد کرع کأس حتفه بیده وعجل الله إلی النار بروحه [صفحه ۳۰۱] و لوأبدی لأمیر المؤمنین صفحته لخالطه الفحل القطم والسیف الخذم ولألعقه صابا وسقاه سما وألحقه بالولید وعتبة وحنظلة فکلهم کان أشد منه شکیمة وأمضی عزیمة ففری بالسیف هامهم ورملهم بدمائهم وقری الذئاب أشلاءهم وفرق بینهم و بین أحبائهم أولئک حصب جهنم هم لها واردون وهل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم رکزا و لاغرو إن ختل و لاوصمة إن قتل فإنا لکما قال درید بن الصمة فإنا للحم السیف غیرمکره || ونلحمه طورا و لیس بذی نکر یغار علینا واترین فیشتفی || بنا إن أصبنا أونغیر علی وتر . فقال المغیرة بن شعبة أما و الله لقد أشرت علی علی بالنصیحة فآثر رأیه ومضی علی غلوائه فکانت العاقبة علیه لا له وإنی لأحسب أن خلقه یقتدون بمنهجه . فقال ابن عباس کان و الله أمیر المؤمنین ع أعلم بوجوه الرأی ومعاقد الحزم وتصریف الأمور من أن یقبل مشورتک فیما نهی الله عنه وعنف علیه قال سبحانه لا تَجِدُ قَوماً یُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ الیَومِ الآخِرِ یُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ ولقد وقفک علی ذکر مبین وآیة متلوة قوله تعالی وَ ما کُنتُ مُتّخِذَ المُضِلّینَ -قرآن-۳۱۹-۴۱۳-قرآن-۴۶۳-۴۹۴ . فقال المغیرة بن شعبة أما و الله لقد أشرت علی علی بالنصیحة فآثر رأیه ومضی علی غلوائه فکانت العاقبة علیه لا له وإنی لأحسب أن خلقه یقتدون بمنهجه . فقال ابن عباس کان و الله أمیر المؤمنین ع أعلم بوجوه الرأی ومعاقد الحزم وتصریف الأمور من أن یقبل مشورتک فیما نهی الله عنه وعنف علیه قال سبحانه لا تَجِدُ قَوماً یُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ الیَومِ الآخِرِ یُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ ولقد وقفک علی ذکر مبین وآیة متلوة قوله تعالی وَ ما کُنتُ مُتّخِذَ المُضِلّینَ عَضُداً وهل کان یسوغ له أن یحکم فی دماء المسلمین وفیء المؤمنین من لیس بمأمون عنده و لاموثوق به فی نفسه هیهات هیهات هوأعلم بفرض الله وسنة رسوله أن یبطن خلاف مایظهر إلاللتقیة ولات حین تقیة مع وضوح الحق وثبوت الجنان وکثرة الأنصار یمضی کالسیف المصلت فی أمر الله مؤثرا لطاعة ربه والتقوی علی آراء أهل الدنیا. فقال یزید بن معاویة یا ابن عباس إنک لتنطق بلسان طلق ینبئ عن مکنون قلب حرق فاطو ما أنت علیه کشحا فقد محا ضوء حقنا ظلمة باطلکم . فقال ابن عباس مهلا یزید فو الله ماصفت القلوب لکم منذ تکدرت بالعداوة علیکم و لادنت بالمحبة إلیکم مذ نأت بالبغضاء عنکم لارضیت الیوم منکم ماسخطت بالأمس من أفعالکم و إن تدل الأیام نستقض ماسد عنا ونسترجعماابتز منا کیلا بکیل ووزنا بوزن و إن تکن الأخری فکفی بالله ولیا لنا ووکیلا علی المعتدین علینا. فقال معاویة إن فی نفسی منکم لحزازات یابنی هاشم وإنی لخلیق أن أدرک فیکم الثأر وأنفی العار فإن دماءنا قبلکم وظلامتنا فیکم . فقال ابن عباس و الله إن رمت ذلک یامعاویة لتثیرن

عليك أسدا مخدرة وأفاعى مطرقة لايفثؤها كثرة السلاح و لايعضها نكاية الجراح يضعون أسيافهم على عواتقهم يضربون قدما قدما من ناوأهم يهون عليهم نباح الكلاب وعواء الذئاب -قرآن-١-٨ [صفحه ٣٠٣] لايفاتون بوتر و لايسبقون إلى كريم ذكر قدوطنوا على الموت أنفسهم وسمت بهم إلى العلياء هممهم كماقالت الأزدية قوم إذاشهدوا الهياج فلا || ضرب ينهنههم و لازجر وكأنهم آساد غينة قد || غرثت وبل متونها القطر .فلتكونن منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك و كان أكبر همك سلامة حشاشة نفسك و لو لاطغام من أهل الشام وقوك بأنفسهم وبذلوا دونك مهجهم حتى إذاذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بحلول الدمار رفعوا المصاحف مستجيرين بها وعائذين بعصمتها لكنت شلوا مطروحا بالعراء تسفى عليك رياحها ويعتورك ذبابها. و ماأقول هذاأريد صرفك عن عزيمتك و لاإزالتك عن معقود نيتك لكن الرحم التى تعطف عليك والأوامر التى توجب صرف النصيحة إليك . فقال معاوية لله درك يا ابن عباس ماتكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل ورأى أصيل وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لمانقص عددهم و لو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قدكثرهم . ثم نهض فقام ابن عباس وانصرف . وروى أبوالعباس أحمد بن يحيى ثعلب فى أماليه أن عمرو بن العاص قال لعتبة بن أبى سفيان يوم الحكمين أ ماترى ابن عباس قدفتح عينيه ونشر أذنيه و لوقدر أن يتكلم بهما فعل و إن غفلة أصحابه لمجبورة بفطنته وهى ساعتنا الطولى فاكفنيه . قال عتبة بجهدى. [صفحه ٣٠٤] قال فقمت فقعدت إلى جانبه فلما أخذ القوم فى الكلام أقبلت عليه بالحديث فقرع يدى و قال ليست ساعة حديث قال فأظهرت غضبا و قلت يا ابن عباس إن ثقتك بأحلامنا أسرعت بك إلى أعراضنا و قد و الله تقدم من قبل العذر وكثر منا الصبر ثم أقذعته فجاش لى مرجله وارتفعت أصواتنا فجاء القوم فأخذوا بأيدينا فنحوه عنى ونحونى عنه فجئت فقربت من عمرو بن العاص فرمانى بمؤخر عينيه و قال ماصنعت فقلت كفيتك التقوالة فحمحم كمايحمحم الفرس للشعير قال وفات ابن عباس أول الكلام فكره أن يتكلم فى آخره . و قدذكرنا نحن هذاالخبر فيما تقدم فى أخبار صفين على وجه آخر غير هذاالوجه

عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص فى الحبشة

فأما خبر عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى أخى خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد ذكره ابن إسحاق فى كتاب المغازى قال كان عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل بعدمبعث رسول الله ص خرجا إلى أرض الحبشة على شركهما وكلاهما كان شاعرا عارما فاتكا. و كان عمارة بن الوليد رجلا جميلا وسيما تهواه النساء صاحب محادثة لهن فركبا البحر و مع عمرو بن العاص امرأته حتى إذاصاروا فى البحر ليالى أصابا من خمر معهما فلما انتشى عمارة قال لامرأة عمرو بن العاص قبلينى فقال لها عمرو قبلى ابن عمك فقبلته فهويها عمارة وجعل يراودها عن نفسها فامتنعت منه ثم إن عمرا جلس على منجاف [صفحه ٣٠٥] السفينة يبول فدفعه عمارة فى البحر فلما وقع عمرو سبح حتى أخذ بمنجاف السفينة فقال له عمارة أما و الله لوعلمت أنك سابح ماطرحتك ولكننى كنت أظن أنك لاتحسن السباحة فضغن عمرو عليه فى نفسه وعلم أنه كان أراد قتله ومضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرض الحبشة فلما نزلاها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل أن اخلعنى وتبرأ من جريرتى إلى بنى المغيرة وسائر بنى مخزوم وخشى على أبيه أن يتبع بجريرته فلما قدم الكتاب على العاص بن وائل مشى إلى رجال بنى المغيرة وبنى مخزوم فقال إن هذين الرجلين قدخرجا حيث علمتم وكلاهما فاتك صاحب شر غيرمأمونين على أنفسهما و لاأدرى ما يكون منهما وإنى أبرأ إليكم من عمرو وجريرته فقد خلعته فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم و أنت تخاف عمرا على عمارة ونحن فقد خلعنا عمارة وتبرأنا إليك من جريرته فحل بين الرجلين قال قدفعلت فخلعوهما وبرئ كل قوم من صاحبهم و مايجرى منه . قال فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عمارة بن الوليد أن دب لامرأة النجاشى و كان جميلا صبيحا

وسيما فأدخلته فاختلف إليها وجعل إذارجع من مـدخله ذلك يخبر عمرا بما كان من أمره فيقول عمرو لاأصـدقك أنك قدرت على هـذا إن شـأن هـذه المرأة أرفع من ذلـك فلما أكثر عليه عمارة بما كان يخبره و كان عمرو قـدعلم صـدقه وعرف أنه دخل عليها ورأى من حاله وهيئته و ماتصـنع المرأة به إذا كان معها وبيتوته عندها حتى يأتى إليه مع السـحر ماعرف به ذلك وكانا فى منزل واحـد ولكنـه كـان يريـد أن يـأتيه بشـىء لايسـتطاع دفعه إن هورفـع شـأنه إلى النجاشـى فقـال له فى بعض [صـفحه ٣٠٦] مايتذاكران من أمرها إن كنت صادقا فقل لها فلتدهنك بدهن النجاشـى ألذى لايدهن به غيره فإنى أعرفه وائتنى بشىء منه حتى أصـدقك قـال أفعـل .فجاء فى بعض مايـدخل إليها فسألها ذلك فـدهنته منه وأعطته شـيئا فى قارورة فلما شـمه عمرو عرفه فقال أشـهد أنك قدصدقت لقد أصـبت شـيئا ماأصاب أحد من العرب مثله قط ونلت من امرأة الملك شـيئا ماسمعنا بمثل هذا وكانوا أهل جاهلية وشـبانا و ذلك فى أنفسـهم فضل لمن أصابه وقدر عليه . ثم سـكت عنه حتى اطمأن ودخل على النجاشـى فقال أيها الملـك إن معى سـفيها من سـفهاء قريش و قدخشـيت أن يعرنى عنـدك أمره وأردت أن أعلمـك بشأنه وألا أرفع ذلك إليك حتى استـثبت أنه قـددخل على بعض نسائـك فـأكثر و هـذادهنك قـدأعطته وادهن به . فلمـا شم النجاشـى الـدهن قال صـدقت هـذادهنى ألـذى لاـ يكون إلاـ عنـدنسائى فلمـا أثبت أمره دعـا بعمـارة ودعا نسوة أخر فجردوه من ثيابه ثم أمرهن أن ينفخن فى إحليله ثم خلى سبيله .فخرج هاربـا فى الوحش فلم يزل فى أرض الحبشـة حتى كـانت خلافـة عمر بن الخطاب فخرج إليه رجال من بنى المغيرة منهم عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة و كان اسم عبد الله قبل أن يسلم بجيرا فلما أسـلم سماه رسول الله ص عبد الله فرصـدوه على مـاء بـأرض الحبشـة كان يرده مع الوحش فزعموا أنه أقبل فى حمر من حمر الوحش ليرد معها فلما وجـد ريح الإـنس هرب منه حـتى إذاأجهـده العطش ورد فشـرب حـتى تملأـ وخرجوا فى طلبه . [صـفحه ٣٠٧] قـال عبـد الله بن أبى ربيعة فسبقت إليه فالتزمته فجعل يقول أرسلنى أنى أموت إن أمسكتنى قال عبد الله فضبطته فمات فى يدى مكانه فواروه ثم انصرفوا. و كان شـعره فيما يزعمون قدغطى كل شـىء منه فقال عمرو بن العاص يذكر ما كان صنع به و ماأراد من امرأته تعلم عمار أن من شر سـنة || على المرء أن يـدعى ابن عم له ابنما أ أن كنت ذا بردين أحوى مرجلا || فلست براع لابن عمك محرما إذاالمرء لم يترك طعاما يحبه || و لم ينه قلبا غاويا حيث يمما قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت || إذاذكرت أمثالها تملأ الفما

أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبى طالب فى الحبشة

و أماخبر عمرو بن العاص فى شـخوصه إلى الحبشـة ليكيـد جعفر بن أبى طالب والمهاجرين من المؤمنين عندالنجاشـى فقد رواه كل من صنف فى السيرة قال محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى قال حدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى عن أبى بكر بن عبـدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى عن أم سـلمة بنت أبى أميـة بن المغيرة المخزومية زوجة رسول الله ص قالت لمانزلنا بأرض الحبشـة جاورنا بهاخير جار النجاشـى أمنا على ديننا وعبـدنا الله لانؤذى كماكنا نؤذى بمكـة و لانسـمع شـيئا نكرهه فلمـا بلغ ذلـك قريشـا ائتمروا [صـفحه ٣٠٨] بينهـم أن يبعثـوا إلى النجاشـى فى أمرنـا رجليـن منهم جلـدين و أن يهـدوا للنجاشـى هدايا مما يسـتطرف من متاع مكة و كان من أعجب مايأتيه منه الأدم فجمعوا أدما كثيرا و لم يتركوا من بطارقته بطريقا إلاأهـدوا إليه هدية ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى وعمرو بن العاص بن وائل السـهمى وأمروهما أمرهم وقـالوا لهمـا ادفعـا إلى كـل بطريق هـديته قبـل أن تكلما النجاشـى فيهم . ثم قـدما إلى النجاشـى ونحن عنـده فى خير دار عنـدخير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلادفعا إليه هـديته قبل أن يكلما النجاشـى ثم قالا للبطارقـة أنه قـدفر إلى بلد الملك منا غلمان سـفهاء فارقوا دين قومهم و لم يـدخلوا فى دينكم وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن و لاأنتم و قدبعثنا إلى الملك أشـراف

قومهم لنردهم إليهم فإذاكلمنـا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا و لايكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقـالوا لهمـا نعم . ثم إنهمـا قربـا هـدايا الملك إليه فقبلها منهم ثم كلماه فقالا له أيها الملك قـدفر إلى بلادك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم و لم يـدخلوا فى دينك جاءوا بـدين ابتـدعوه لانعرفه نحن و لا أنت و قدبعثنا فيهم إليك أشـراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاينوه منهم .قالت أم سلمهٔ و لم يكن شیءأبغض إلى عبـد الله بن أبى ربيعـهٔ وعمرو بن العاص من أن يسـمع النجاشـى كلامهم .فقالت بطارقـهٔ الملك وخواصه حوله صـدقا أيهـا الملـك قومهم أعلى بهم عينـا وأعلم [صـفحه ٣٠٩] بمـا عـابوا عليهم فليسـلمهم الملـك إليهما ليرادهم إلى بلادهم وقومهم .فغضب الملـك و قـال لاهـا الله إذا لاأسـلمهم إليهمـا و لاأخفر قوما جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على سواى حتى أدعوهم وأسـألهم عمـا يقول هـذان فى أمرهم فـإن كـانوا كمـايقولون أسـلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم و إن كانوا على غير ذلـك منعتهم منهم وأحسـنت جـوارهم ماجاورونى.قـالت ثم أرسـل إلى أصـحاب رسـول الله ص فـدعاهم فلمـا جـاءهم رسـوله اجتمعـوا ثـم قـال بعضـهم لبعض مـاتقولون للرجـل إذاجئتموه قـالوا نقول و الله ماعلمنـاه و مـاأمرنـا به نبينـاص كائنـا فى ذلـك ما هوكائن فلما جاءوه و قددعا النجاشـى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ما هذاالدين ألذى فارقتم فيه قومكم و لم تـدخلوا فى دينى و لا فى دين أحـد من هذه الملل قالت أم سـلمهٔ و كان ألذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له أيها الملك إنا كنا قوما فى جاهليـهٔ نعبـد الأصـنام ونأكل الميتـهٔ ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسـىء الجوار ويأكل القوى منا الضـعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله عز و جل علينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا عليه نحن وآباؤنـا من دونه من الحجارهٔ والأوثان وأمرنا بصـدق الحـديث وأداء الأمانـهٔ وصـلهٔ الرحم وحسن التجاور والكف عن المحـارم والـدماء ونهانـا عن سائر الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقـذف المحصـنهٔ وأمرنا أن نعبـد الله لانشـرك به شـيئا وبالصـلاهٔ وبالزكاهٔ والصيام . [صفحه ٣١٠] قـالت فعـدد عليه أمور الإسـلام كلها فصـدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من الله فعبـدنا الله وحـده فلم نشـرك به شيئا وحرمنا ماحرم علينا وأحللنا ماأحل لنا فعـدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادهٔ الأصـنام والأوثان عن عبادهٔ الله و أن نسـتحل ماكنا نسـتحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا و بين ديننا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك . فقال النجاشى فهل معك مما جاء به صاحبكم عن الله شـیء فقال جعفرنعم فقال اقرأه على فقرأ عليه صـدرا من كهيعص فبكى حتى اخضـلت لحيته وبكـت أسـاقفته حـتى أخضـلوا لحـاهم ثـم قـال النجاشـى و الله إن هـذا و ألـذى جـاء به عيسـى ليخرج من مشـكاهٔ واحـدهٔ و الله لاأسـلمكم إليهم .قالت أم سلمهٔ فلما خرج القوم من عنده قال عمرو بن العاص و الله لأعيبهم غدا عنده بما يستأصل به خضراءهم فقـال له عبـد الله بن أبى ربيعـهٔ و كـان أتقى الرجلين لاتفعـل فـإن لهم أرحامـا و إن كانوا قـدخالفوا قال و الله لأخبرنه غـدا أنهم يقولون فى عيسـى ابن مريم أنه عبـد ثم غـدا عليه من الغـد فقـال أيهـا الملـك إن هؤلاء يقولون فى عيسـى ابن مريم قولا عظيما فأرسـل إليهم فسـلهم عمـا يقولون فيه فأرسـل إليهم .قـالت أم سـلمهٔ فمـا نزل بنـا مثلهـا واجتمع المسـلمون و قال بعضـهم لبعض مـاتقولون فى عيسـى إذاسألكم عنه فقال جعفر بن أبى طالب نقول فيه و الله ما قال عز و جل و ماجاء به نبينا ع كائنا فى ذلك ما هوكـائن . فلمـا دخلوا عليه قـال لهم مـاتقولون فى عيسـى ابن مريم فقـال جعفرنقول إنه عبـد الله [صـفحه ٣١١] ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .قالت فضـرب النجاشى يديه على الأرض وأخذ منها عودا و قال ماعدا عيسى ابن مريم ما قال هـذاالعود.قالت فقد كانت بطارقته تناخرت حوله حين قال جعفر ما قال فقال لهم النجاشـى و إن تناخرتم . ثم قال للمسـلمين اذهبوا فأنتم سـيوم بأرضـى أى آمنون من سـبكم غرم ثم من سـبكم غرم ثم من سـبكم غرم ماأحب أن لى دبرا ذهبا وأنى آذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشهٔ الجبل ردوا عليهما هداياهما فلاحاجهٔ لى فيهافو الله ماأخذ الله منى الرشوهٔ حتى ردنى إلى ملكى

فآخـذ الرشوة فيه و ماأطاع الناس فى أفأطيعهم فيه .قالت فخرج الرجلان من عنـده مقبوحين مردودا عليهما ماجاءا به وأقمنا عنده فى خير دار مع خير جـار فو الله إنـا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشـة ينازعه فى ملكه .قالت أم سـلمة فو الله ماأصابنا خوف وحزن قـط كـان أشـد من خوف وحزن نزل بنا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشـى فيأتى رجل لايعرف من حقنا ما كان يعرف منه .قالت وسار إليه النجاشـى وبينهما عرض النيل فقال أصـحاب رسول الله ص من رجل يخرج حتى يحضـر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر فقال الزبير بن العوام أنا و كان من أحدث المسلمين سنا فنفخوا له قربة فجعلناها تحت صدره ثم سبح [صفحه ٣١٢] عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بهايلتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت ودعونا الله للنجاشى بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده فـو الله إنـا لعلى ذلـك متوقعون لمـا هوكـائن إذ طلع الزبير يسـعى ويلوح بثوبه و يقول ألا ـ أبشـروا فقـد ظهر النجاشـى وأهلك الله عـدوه .قالت فو الله ماأعلمنا فرحنا فرحـة مثلها قط ورجع النجاشـى و قـدأهلك الله عـدوه وتمكن ومكن له فى بلاده واسـتوثق له أمر الحبشـة فكنـا عنـده فى خير منزل ودار إلى أن رجعنا إلى رسول الله ص بمكـة. وروى عن عبـد الله بن جعفر بن محمـد ع أنه قال لقـد كاد عمرو بن العاص عمنا جعفرا بأرض الحبشـة عندالنجاشـى و عنـدكثير من رعيته بأنواع الكيـد ردها الله تعالى عنه بلطفه رماه بالقتل والسرق والزنا فلم يلصق به شىء من تلك العيوب لماشاهده القوم من طهارته وعبادته ونسكه وسيما النبوة عليه فلمـا نبا معوله عن صـفاته هيأ له سـما قـذفه إليه فى طعام فأرسل الله هرا كفأ تلك الصـحفة و قدمـد يـده نحو ثم مات لوقته و قدأكل منها فتبين لجعفر كيده وغائلته فلم يأكل بعدها عنده و مازال ابن الجزار عدوا لنا أهل البيت

أمر عمرو بن العاص فى صفين

و أماخبر عمرو فى صـفين واتقائه حملـة على ع بطرحه نفسه على الأرض وإبداء سوأته فقد ذكره كل من صـنف فى السـير كتابا وخصوصا الكتب الموضوعة لصـفين . [صفحه ٣١٣] قال نصـر بن مزاحم فى كتاب صفين قال حدثنا محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى عمرو و عن عبـدالرحمن بن حـاطب قـال كان عمرو بن العاص عـدوا للحارث بن نضـر الخثعمى و كان من أصـحاب على ع و كان على ع قدتهيبته فرسان الشام وملأ قلوبهم بشجاعته وامتنع كل منهم من الإقدام عليه و كان عمرو قلما جلس مجلسا إلاذكر فيه الحارث بن نضر الخثعمى وعابه فقال الحارث ليس عمرو بتارك ذكره الحارث || بالسوء أويلاقى عليا واضع السيف فوق منكبه الأيمن || لايحسب الفوارس شيا ليت عمرا يلقاه فى حومـة النقع || و قـدأمست السـيوف عصـيا حيث يدعو للحرب حاميـة القوم || إذا كـان بـالبراز مليا فالقه إن أردت مكرمـة الـدهر || أوالموت كل ذاك عليا .فشاعت هـذه الأبيات حتى بلغت عمرا فأقسم بالله ليلقين عليا و لومات ألف موتـة فلما اختلطت الصـفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدم على ع و هومخترط سـيفا [صفحه ٣١۴] معتقـل رمحـا فلمـا رهقه همز فرسه ليعلو عليه فـألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأـرض شاغرا برجليه كاشـفا عورته فانصرف عنه لافتا وجهه مستدبرا له فعد الناس ذلك من مكارمه وسؤدده وضرب بهاالمثل . قال نصر وحدثنى محمد بن إسحاق قال اجتمع عندمعاويـة فى بعض ليالى صـفين عمرو بن العاص وعتبة بن أبى سـفيان والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم و عبد الله بن عـامر و ابن طلحـة الطلحـات الخزاعى فقـال عتبـة إن أمرنا وأمر على بن أبى طالب لعجب مافينا إلاموتور مجتاح . أما أنافقتل جـدى عتبـة بن ربيعة وأخى حنظلة وشـرك فى دم عمى شـيبة يوم بدر. و أما أنت ياوليد فقتل أباك صبرا و أما أنت يا ابن عامر فصـرع أبـاك وسـلب عمك . و أما أنت يا ابن طلحـة فقتل أباك يوم الجمل وأيتم إخوتك و أما أنت يامروان فكما قال الشاعر وأفلتهن علبـاء جريضـا || و لوأدركنه صـفر الوطاب . فقال معاويـة هـذاالإقرار فأين الغير قال مروان و أى غيرتريـد قال أريـد أن تشجروه بالرماح قال و الله يامعاوية ماأراك إلاهاذيا أوهازئا و ماأرانا إلاثقلنا عليك فقال ابن عقبة يقول لنا معاوية بن حرب || أ

مافيكم لواتركم طلوب يشد على أبى حسن على || بأسمر لاتهجنه الكعوب [صفحه ۳۱۵] فيهتك مجمع اللبات منه || ونقع الحرب مطرد يئوب فقلت له أتلعب يا ابن هند || كأنك بيننا رجل غريب أتغرينا بحية بطن واد || إذانهشت فليس لها طبيب و ماضبع يدب ببطن واد || أتيح له به أسد مهيب بأضعف حيلة منا إذا ما || لقيناه ولقياه عجيب سوى عمرو وقته خصيتاه || و كان لقلبه منه وجيب كان القوم لماعاينوه || خلال النقع ليس لهم قلوب لعمر أبى معاوية بن حرب || و ماظنى ستلحقه العيوب لقد ناداه فى الهيجا على || فأسمعه ولكن لايجيب .فغضب عمرو و قال إن كان الوليد صادقا فليلق عليا أوفليقف حيث يسمع صوته . و قال عمرو يذكرنى الوليد دعا على || ونطق المرء يملؤه الوعيد متى تذكر مشاهده قريش || يطر من خوفه القلب الشديد فأما فى اللقاء فأين منه || معاوية بن حرب والوليد وعيرنى الوليد لقاء ليث || إذا ماشد هابته الأسود لقيت ولست أجهله عليا || و قدبلت من العلق اللبود فأطعنه ويطعنى خلاسا || و ماذا بعدطعنته أريد فرمها منه يا ابن أبى معيط || و أنت الفارس البطل النجيد وأقسم لوسمعت ندا على || لطار القلب وانتفخ الوريد [صفحه ۳۱۶] و لولاقيته شقت جيوب || عليك ولطمت فيك الخدود . وذكر أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب فى باب بسر بن أرطاة قال كان بسر من الأبطال الطغاة و كان مع معاوية بصفين فأمره أن يلقى عليا ع فى القتال و قال له إنى سمعتك تتمنى لقاءه فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة و لم يزل يشجعه ويمنيه حتى رأى عليا فى الحرب فقصده والتقيا فصرعه على ع وعرض له معه مثل ماعرض له مع عمرو بن العاص فى كشف السوأة. قال أبوعمر وذكر ابن الكلبى فى كتابه فى أخبار صفين أن بسر بن أرطاة بارز عليا يوم صفين فطعنه على ع فصرعه فانكشف له فكف عنه كماعرض له مثل ذلك مع عمرو بن العاص . قال وللشعراء فيهما أشعار مذكورة فى موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبى والمدائنى قول الحارث بن نضر الخثعمى و كان عدوا لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة أ فى كل يوم فارس لك ينتهى || وعورته وسط العجاجة باديه يكف لها عنه على سنانه || ويضحك منها فى الخلاء معاوية [صفحه ۳۱۷] بدت أمس من عمرو فقنع رأسه || وعورة بسر مثلها حذو حاذيه فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا || لنفسكما لاتلقيا الليث ثانيه و لاتحمدا إلاالحيا وخصاكما || هما كانتا و الله للنفس واقيه ولولاهما لم تنجوا من سنانه || وتلك بما فيها إلى العود ناهيه متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة || و فيها على فاتركا الخيل ناحيه وكونا بعيدا حيث لايبلغ القنا || نحوركما إن التجارب كافيه . وروى الواقدى قال قال معاوية يوما بعداستقرار الخلافة له لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله لاأراك إلاـ ويغلبنى الضحك قال بما ذا قال أذكر يوم حمل عليك أبوتراب فى صفين فأزريت نفسك فرقا من شبا سنانه وكشفت سوأتك له فقال عمرو أنامنك أشد ضحكا إنى لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك وربا لسانك فى فمك وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك وبدا منك ماأكره ذكره لك فقال معاوية لم يكن هذاكله وكيف يكون ودونى عك والأشعريون قال إنك لتعلم أن ألذى وصفت دون ماأصابك و قدنزل ذلك بك ودونك عك والأشعريون فكيف كانت حالك لوجمعكما مأقط الحرب فقال يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجد إن الجبن والفرار من على لاعار على أحد فيهما [صفحه ۳۱۸]

خبر إسلام عمرو بن العاص

فأما القول فى إسلام عمرو بن العاص فقد ذكره محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى قال حدثنى زيد بن أبى حبيب عن راشد مولى حبيب بن أبى أوس الثقفى عن حبيب بن أبى أوس قال حدثنى عمرو بن العاص من فيه قال لماانصرفنا مع الأحزاب من الخندق جمعت رجالاـ من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم و الله إنى لأرى أمر محمديعلو الأمور علوا منكرا وإنى قدرأيت رأيا فما ترون فيه فقالوا مارأيت فقلت أرى أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده فإن ظهر محمد على قومه أقمنا

عندالنجاشي فأن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد فإن ظهر قومنا فنحن من قدعرفوا فلن يأتنا منهم إلاخير قالوا إن هذاالرأى فقلت فاجمعوا مانهدى له و كان أحب مايأتيه من أرضنا الأدم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فو الله إنا لعنده إذ قدم عمرو بن أمية الضمرى و كان رسول الله ص بعثه إليه فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه . قال فدخل عليه ثم خرج من عنده فقلت لأصحابى هذاعمرو بن أمية لو قددخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه فإذافعلت ذلك رأت قريش أنى قدأجزأت عنها حين قتلت رسول محمد قال فدخلت عليه فسجدت له فقال مرحبا بصديقى [صفحه ٣١٩] أهديت إلى من بلادك شيئا قلت نعم أيها الملك قدأهديت لك أدما كثيرا ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له أيها الملك إنى قدرأيت رجلا خرج من عندك و هو رسول رجل عدو لنا فأعطنيه لأقتله فإنه قدأصاب من أشرافنا وخيارنا.فغضب الملك ثم مد يده فضرب بهاأنفه ضربة ظننت أنه قدكسره فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيهافرقا منه ثم قلت أيها الملك و الله لوظننت أنك تكره هذا ماسألتكه فقال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر ألذى كان يأتى موسى لتقتله فقلت أيها الملك أكذلك هو فقال إى و الله أطعنى ويحك واتبعه فإنه و الله لعلى حق وليظهرن على من خالفه كماظهر موسى على فرعون وجنوده قلت فبايعنى له على الإسلام فبسط يده فبايعته على الإسلام وخرجت عامدا لرسول الله ص فلما قدمت المدينة جئت إلى رسول الله ص و قدأسلم خالد بن الوليد و قد كان صحبنى فى الطريق إليه فقلت يا رسول الله أبايعك على أن تغفر لى ماتقدم من ذنبى و لم أذكر ماتأخر فقال بايع ياعمرو فإن الإسلام يجب ماقبله و إن الهجرة تجب ماقبلها -روايت-١-٢-روايت-٩-٧٣ فبايعته وأسلمت . وذكر أبوعمر فى الإستيعاب أن إسلامه كان سنة ثمان و أنه قدم وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة المدينة فلما رآهم رسول الله قال رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. قال و قدقيل إنه أسلم بين الحديبية وخيبر والقول الأول أصح

بعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل

قال أبوعمر وبعث رسول الله عمرا إلى ذات السلاسل من بلاد قضاعة فى ثلاثمائة وكانت أم العاص بن وائل من بلى فبعث رسول الله ص عمرا إلى أرض بلى [صفحه ٣٢٠] وعذرة يتألفهم بذلك ويدعوهم إلى الإسلام فسار حتى إذا كان على ماء أرض جذام يقال له السلاسل و قدسميت تلك الغزاة ذات السلاسل خاف فكتب إلى رسول الله ص يستنجد فأمده بجيش فيه مائتا فارس فيه أهل الشرف والسوابق من المهاجرين والأنصار فيهم أبوبكر وعمر وأمر عليهم أباعبيدة بن الجراح فلما قدموا على عمرو قال عمرو أناأميركم وإنما أنتم مددى فقال أبوعبيدة بل أنا أمير من معى و أنت أمير من معك فأبى عمرو ذلك فقال أبوعبيدة إن رسول الله ص عهد إلى فقال إذاقدمت إلى عمرو فتطاوعا و لاتختلفا فإن خالفتنى أطعتك قال عمرو فإنى أخالفك فسلم إليه أبوعبيدة وصلى خلفه فى الجيش كله و كان أميرا عليهم وكانوا خمسمائة

ولايات عمرو فى عهد الرسول والخلفاء

قال أبوعمر ثم ولاه رسول الله ص عمان فلم يزل عليها حتى قبض رسول الله ص وعمل لعمر وعثمان ومعاوية و كان عمر بن الخطاب ولاه بعدموت يزيد بن أبى سفيان فلسطين والأردن وولى معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء وولى سعيد بن عامر بن خذيم حمص ثم جمع الشام كلها لمعاوية وكتب إلى عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر فسار إليها فافتتحها فلم يزل عليها واليا حتى

مات عمر فأمره عثمان عليها أربع سنين ونحوها ثم عزله عنها وولاها عبد الله بن سعد العامرى. قال أبوعمر ثم إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الإسكندرية أنهم قدنقضوا العهد ألذى كان عاهدهم فعمد إليها فحارب أهلها وافتتحها وقتل المقاتلة وسبى الذرية فنقم ذلك عليه عثمان و لم يصح عنده نقضهم العهد فأمر برد السبى ألذى سبوا من القرى إلى مواضعهم وعزل عمرا عن مصر وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى [صفحه ٣٢١] مصر بدله فكان ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان فلما بدا بينهما من الشر مابدا اعتزل عمرو فى ناحية فلسطين بأهله و كان يأتى المدينة أحيانا فلما استقر الأمر لمعاوية بالشام بعثه إلى مصر بعدتحكيم الحكمين فافتتحها فلم يزل بها إلى أن مات أميرا عليها فى سنة ثلاث وأربعين وقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة ثمان وأربعين وقيل سنة إحدى وخمسين . قال أبوعمر والصحيح أنه مات فى سنة ثلاث وأربعين ومات يوم عيد الفطر من هذه السنة وعمره تسعون سنة ودفن بالمقطم من ناحية السفح وصلى عليه ابنه عبد الله ثم رجع فصلى بالناس صلاة العيد فولاه معاوية مكانه ثم عزله وولى مكانه أخاه عتبة بن أبى سفيان . قال أبوعمر و كان عمرو بن العاص من فرسان قريش وأبطالهم فى الجاهلية مذكورا فيهم بذلك و كان شاعرا حسن الشعر وأحد الدهاة المتقدمين فى الرأى والذكاء و كان عمر بن الخطاب إذااستضعف رجلا فى رأيه وعقله قال أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد يريد خالق الأضداد

نبذ من كلام عمرو بن العاص

ونقلت أنا من كتب متفرقة كلمات حكمية تنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها وأوردتها لأنى لاأجحد لفاضل فضله و إن كان دينه عندى غيرمرضى.فمن كلامه ثلاث لاأملهن جليسى مافهم عنى وثوبى ماسترنى ودابتى ماحملت رحلى. [صفحه ٣٢٢] و قال لعبد الله بن عباس بصفين إن هذاالأمر ألذى نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء و قدبلغ الأمر منا ومنكم ماترى و ماأبقت لنا هذه الحرب حياة و لاصبرا ولسنا نقول ليت الحرب عادت ولكنا نقول ليتها لم تكن كانت فافعل فيما بقى بغير مامضى فإنك رأس هذاالأمر بعد على وإنما هوآمر مطاع ومأمور مطيع ومبارز مأمون و أنت هو. و لمانصب معاوية قميص عثمان على المنبر وبكى أهل الشام حوله قال قدهممت أن أدعه على المنبر فقال له عمرو إنه ليس بقميص يوسف أنه إن طال نظرهم إليه وبحثوا عن السبب وقفوا على ما لاتحب أن يقفوا عليه ولكن لذعهم بالنظر إليه فى الأوقات . و قال ماوضعت سرى عندأحد فأفشاه فلمته لأنى أحق باللوم منه إذ كنت أضيق به صدرا منه . و قال ليس العاقل ألذى يعرف الخير من الشر لكن العاقل من يعرف خير الشرين . و قال عمر بن الخطاب لجلسائه يوما وعمرو فيهم ماأحسن الأشياء فقال كل منهم ماعنده فقال ماتقول أنت ياعمرو فقال الغمرات ثم ينجلينا و قال لعائشة لوددت أنك قتلت يوم الجمل قالت و لم لا أبا لك قال كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على على بن أبى طالب ع . و قال لبنيه يابنى اطلبوا العلم فإن استغنيتم كان جمالا و إن افتقرتم كان مالا. و من كلامه أميرعادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم وزلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لاتبقى و لاتذر واستراح من لاعقل له . [صفحه ٣٢٣] وكتب إليه عمر يسأله عن البحر فكتب إليه خلق عظيم يركبه خلق ضعيف .دود على عود بين غرق ونزق . و قال لعثمان و هويخطب على المنبر ياعثمان إنك قدركبت بهذه الأمة نهاية من الأمر وزغت فزاغوا فاعتدل أواعتزل . و من كلامه استوحش من الكريم الجائع و من اللئيم الشبعان فإن الكريم يصول إذاجاع واللئيم يصول إذاشبع . و قال جمع العجز إلى التوانى فنتج بينهما الندامة وجمع الجبن إلى الكسل فنتج بينهما الحرمان . وروى عبد الله بن عباس قال دخلت على عمرو بن العاص و قداحتضر فقلت يا أبا عبد الله كنت تقول أشتهى أنى أرى عاقلا يموت حتى أسأله كيف تجد فما ذا تجد قال أجد السماء كأنها مطبقة على الأرض و أنابينهما وأرانى كأنما

أتنفس من خرق إبرة ثم قال أللهم خذ منى حتى ترضى ثم رفع يده فقال أللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا فلابرئ فأعتذر و لاقوى فأنتصر ولكن لاإله إلا الله فجعل يرددها حتى فاض . و قدروى أبوعمر بن عبدالبر هذاالخبر فى كتاب الإستيعاب قال لماحضرت عمرو بن العاص الوفاة قال أللهم أمرتنى فلم آتمر وزجرتنى فلم أنزجر ووضع يده فى موضع الغل ثم قال أللهم لاقوى فأنتصر و لابرئ فأعتذر و لامستكبر بل مستغفر لاإله إلا أنت فلم يزل يرددها حتى مات . قال أبوعمر وحدثنى خلف بن قاسم قال حدثنى الحسن بن رشيق قال حدثناالطحاوى قال حدثناالمزنى قال سمعت الشافعى يقول دخل ابن عباس على عمرو بن العاص فى مرضه فسلم عليه فقال كيف أصبحت يا أبا عبد الله قال أصبحت و قدأصلحت من دنياى قليلا وأفسدت من دينى كثيرا فلو كان ألذى أصلحت هو ألذى [صفحه ٣٢۴] أفسدت و ألذى أفسدت هو ألذى أصلحت لفزت و لو كان ينفعنى أن أطلب طلبت و لو كان ينجينى أن أهرب هربت فقد صرت كالمنخنق بين السماء و الأرض لاأرقى بيدين و لاأهبط برجلين فعظنى بعظة أنتفع بها يا ابن أخى فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله صار ابن أخيك أخاك و لاتشاء أن تبلى إلابليت كيف يؤمر برحيل من هومقيم فقال عمرو على حينها من حين ابن بضع وثمانين تقنطنى من رحمة ربى أللهم إن ابن عباس يقنطنى من رحمتك فخذ منى حتى ترضى فقال ابن عباس هيهات أبا عبد الله أخذت جديدا وتعطى خلقا قال عمرو ما لى و لك يا ابن عباس ماأرسل كلمة إلاأرسلت نقيضها. وروى أبوعمر فى كتاب الإستيعاب أيضا عن رجال قدذكرهم وعددهم أن عمرا لماحضرته الوفاة قال له ابنه عبد الله و قدرآه يبكى لم تبكى أجزعا من الموت قال لا و الله ولكن لمابعده فقال له لقد كنت على خير فجعل يذكره صحبة رسول الله ص وفتوحه بالشام فقال له عمرو تركت أفضل من ذلك شهادة أن لاإله إلا الله إنى كنت على ثلاثة أطباق ليس منها طبق إلاعرفت نفسى فيه كنت أول أمرى كافرا فكنت أشد الناس على رسول الله ص فلو مت حينئذ وجبت لى النار فلما بايعت رسول الله ص كنت أشد الناس حياء منه فما ملأت منه عينى قط فلو مت يومئذ قال الناس هنيئا لعمرو أسلم و كان على خير ومات على خير أحواله فسرحوا له بالجنة ثم تلبثت بعد ذلك بالسلطان وبأشياء فلاأدرى [صفحه ٣٢۵] أ على أم لى فإذامت فلاتبكين على باكية و لايتبعنى نائح و لاتقربوا من قبرى نارا وشدوا على إزارى فإنى مخاصم وشنوا على التراب شنا فإن جنبى الأيمن ليس بأحق من جنبى الأيسر و لاتجعلوا فى قبرى خشبة و لاحجرا و إذاواريتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور وتقطيعها أستأنس بكم . فإن قلت فما ألذى يقوله أصحابك المعتزلة فى عمرو بن العاص قلت إنهم يحكمون على كل من شهد صفين بما يحكم به على الباغى الخارج على الإمام العادل ومذهبهم فى صاحب الكبيرة إذا لم يتب معلوم . فإن قلت أ ليس فى هذه الأخبار مايدل على توبته نحو قوله و لامستكبر بل مستغفر و قوله أللهم خذ منى حتى ترضى و قوله أمرت فعصيت ونهيت فركبت . و هذااعتراف وندم و هومعنى التوبة قلت إن قوله تعالى وَ لَيسَتِ التّوبَةُ لِلّذِينَ يَعمَلُونَ السّيّئاتِ حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قالَ إِنّي تُبتُ الآنَيمنع من كون هذاتوبة وشروط التوبة وأركانها معلومة و ليس هذاالاعتراف والتأسف منها فى شيء. و قال شيخنا أبو عبد الله أول من قال بالإرجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص كانا يزعمان أنه لايضر مع الإيمان معصية ولذلك قال معاوية لمن قال له حاربت من تعلم وارتكبت ماتعلم فقال وثقت بقوله تعالى إِنّ اللّهَ يَغفِرُ الذّنُوبَ جَمِيعاً -قرآن-۶۹۰-٨٠٢-قرآن-١١٠۴-١١۴١ [صفحه ٣٢۶] و إلى هذاالمعنى أشار عمرو بقوله لابنه تركت أفضل من ذلك شهادة أن لاإله إلا الله

فصل فى شرح مانسب إلى على من الدعابة

فأما ما كان يقوله عمرو بن العاص فى على ع لأهل الشام إن فيه دعابة يروم أن يعيبه بذلك عندهم فأصل ذلك كلمة قالها عمر

فتلقفها حتى جعلها أعداؤه عيبا له وطعنا عليه . قال أبوالعباس أحمد بن يحيى ثعلب فى كتاب الأمالى كان عبد الله بن عباس عندعمر فتنفس عمر نفسا عاليا قال ابن عباس حتى ظننت أن أضلاعه قدانفرجت فقلت له ماأخرج هذاالنفس منك يا أمير المؤمنين إلاهم شديد. قال إى و الله يا ابن عباس إنى فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذاالأمر بعدى ثم قال لعلك ترى صاحبك لها أهلا قلت و مايمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه قال صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة قلت فأين أنت من طلحة قال هوذو البأو بإصبعه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال رجل ضعيف لوصار الأمر إليه لوضع خاتمه فى يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس يلاطم فى البقيع فى صاع من بر قلت فسعد بن أبى وقاص قال صاحب مقنب وسلاح قلت فعثمان قال أوه أوه مرارا ثم قال و الله لئن وليها ليحملن بنى أبى معيط على رقاب الناس ثم لتنهضن إليه العرب فتقتله ثم قال يا ابن عباس إنه لايصلح لهذا الأمر إلاحصيف العقدة قليل الغرة لاتأخذه فى الله لومة لائم يكون شديدا من غيرعنف لينا من [صفحه ٣٢٧] غيرضعف جوادا من غيرسرف ممسكا من غيروكف قال ابن عباس وكانت هذه صفات عمر ثم أقبل على فقال إن أحراهم أن يحملهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك و الله لئن وليها ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم . واعلم أن الرجل ذا الخلق المخصوص لايرى الفضيلة إلا فى ذلك الخلق أ لاترى أن الرجل يبخل فيعتقد أن الفضيلة فى الإمساك والبخيل يعيب أهل السماح والجود وينسبهم إلى التبذير وإضاعة الحزم وكذلك الرجل الجواد يعيب البخلاء وينسبهم إلى ضيق النفس وسوء الظن وحب المال والجبان يعتقد أن الفضيلة فى الجبن ويعيب الشجاعة ويعتقد كونها خرقا وتغريرا بالنفس كما قال المتنبى يرى الجبناء أن الجبن حزم والشجاع يعيب الجبان وينسبه إلى الضعف ويعتقد أن الجبن ذل ومهانة وهكذا القول فى جميع الأخلاق والسجايا المقتسمة بين نوع الإنسان و لما كان عمر شديد الغلظة وعر الجانب خشن الملمس دائم العبوس كان يعتقد أن ذلك هوالفضيلة و أن خلافه نقص و لو كان سهلا طلقا مطبوعا على البشاشة وسماحة الخلق لكان يعتقد أن ذاك هوالفضيلة و أن خلافه نقص حتى لوقدرنا أن خلقه حاصل لعلى ع وخلق على حاصل له لقال فى على لو لاشراسة فيه .فهو غيرملوم عندى فيما قاله و لامنسوب إلى أنه أراد الغض من على والقدح [صفحه ٣٢٨] فيه ولكنه أخبر عن خلقه ظانا أن الخلافة لاتصلح إلالشديد الشكيمة العظيم الوعورة وبمقتضى ما كان يظنه من هذاالمعنى تمم خلافة أبى بكر بمشاركته إياه فى جميع تدابيراته وسياسته وسائر أحواله لرفق وسهولة كانت فى أخلاق أبى بكر وبمقتضى هذاالخلق المتمكن عنده كان يشير على رسول الله ص فى مقامات كثيرة وخطوب متعددة بقتل قوم كان يرى قتلهم و كان النبى ص يرى استبقاءهم واستصلاحهم فلم يقبل ع مشورته على هذاالخلق . و أماإشارته عليه يوم بدر بقتل الأسرى حيث أشار أبوبكر بالفداء فكان الصواب مع عمر ونزل القرآن بموافقته فلما كان فى اليوم الثانى و هو يوم الحديبية أشار بالحرب وكره الصلح فنزل القرآن بضد ذلك فليس كل وقت يصلح تجريد السيف و لا كل وقت يصلح إغماده والسياسة لاتجرى على منهاج واحد و لاتلزم نظاما واحدا. وجملة الأمر أنه رضى الله عنه لم يقصد عيب على ع و لا كان عنده معيبا و لامنقوصا أ لاترى أنه قال فى آخر الخبر أن أحراهم أن وليها أن يحملهم على كتاب الله وسنة رسوله لصاحبك ثم أكد ذلك بأن قال إن وليهم ليحملنهم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم فلو كان أطلق تلك اللفظة وعنى بها ماحملها عليه الخصوم لم يقل فى خاتمة كلامه ماقاله . و أنت إذاتأملت حال على ع فى أيام رسول الله ص وجدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدعابة والمزاح لأنه لم ينقل عنه شىء من ذلك أصلا لا فى كتب الشيعة و لا فى كتب المحدثين وكذلك إذاتأملت حاله فى أيام الخليفتين أبى بكر وعمر لم تجد فى كتب السيرة حديثا واحدا يمكن أن يتعلق به متعلق فى دعابته ومزاحه فكيف يظن [صفحه ٣٢٩] بعمر أنه نسبه إلى أمر لم ينقله عنه ناقل و لاندد به صديق وعدو وإنما أراد سهولة خلقه لاغير وظن أن ذلك مما يفضى به إلى ضعف إن ولى أمر الأمة لاعتقاده أن قوام هذاالأمر إنما هوبالوعورة بناء على ما قدألفته نفسه وطبعت عليه سجيته والحال فى أيام عثمان وأيام ولايته ع الأمر كالحال فيما تقدم فى أنه لم يظهر منه دعابة و

لامزاح يسمى الإنسان لأجله ذا دعابة ولعب و من تأمل كتب السير عرف صدق هذاالقول وعرف أن عمرو بن العاص أخذ كلمة عمر إذ لم يقصد بهاالعيب فجعلها عيبا وزاد عليها أنه كثير اللعب يعافس النساء ويمارسهن و أنه صاحب هزل . ولعمر الله لقد كان أبعد الناس من ذلك و أي وقت كان يتسع لعلي ع حتى يكون فيه على هذه الصفات فإن أزمانه كلها في العبادة والصلاة والذكر والفتاوى والعلم واختلاف الناس إليه في الأحكام وتفسير القرآن ونهاره كله أومعظمه مشغول بالصوم وليله كله أومعظمه مشغول بالصلاة هذا في أيام سلمه فأما أيام حربه فبالسيف الشهير والسنان الطرير وركوب الخيل وقود الجيش ومباشرة الحروب . ولقد صدق ع في قوله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت -روايت-١-٣٧ ولكن الرجل الشريف النبيل ألذى لايستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أويعدوا عليه وصمة لابد أن يحتالوا ويبذلوا جهدهم في تحصيل أمر ما و إن ضعف يجعلونه عذرا لأنفسهم في ذمه ويتوسلون به إلى أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقته والانحراف عنه و مازال المشركون والمنافقون يصنعون لرسول الله ص الموضوعات ينسبون إليه ما قدبرأه الله عنه من العيوب والمطاعن في حياته و بعدوفاته إلى زماننا هذا و مايزيده الله سبحانه إلارفعة وعلوا فغير منكر أن يعيب عليا ع عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه بما إذاتأمله المتأمل علم أنهم باعتمادهم عليه وتعلقهم به قداجتهدوا [صفحه ٣٣٠] في مدحه والثناء عليه لأنهم لووجدوا عيبا غير ذلك لذكروه و لوبالغ أمير المؤمنين وبذل جهده في أن يثني أعداؤه وشانئوه عليه من حيث لايعلمون لم يستطع إلى أن يجد إلى ذلك طريقا ألطف من هذه الطريق التي أسلكهم الله تعالى فيها وهداهم إلى منهاجها فظنوا أنهم يغضون منه وإنما أعلوا شأنه ويضعون من قدره وإنما رفعوا منزلته ومكانه

أقوال وحكايات في المزاح

ونحن نذكر من بعد ماجاء في الأحاديث الصحاح والآثار المستفيضة المتفق على نقلها مزاح رسول الله ص ومزاح الأشراف والأفاضل والأكابر من أصحابه والتابعين له ليعلم أن المزاح إذا لم يخرج عن القاعدة الشرعية لم يكن قبيحا. فأول ذلك مارواه الناس قاطبة أن رسول الله ص قال إني أمزح و لاأقول إلاحقا -روايت-١-٢-روايت-٥٧-٨٥ . وقيل لسفيان الثوري المزاح هجنة فقال بل هوسنة لقول رسول الله ص إني أمزح و لاأقول إلاالحق -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٥٣ وجاء في الخبر أن رسول الله ص قال لامرأة من الأنصار الحقي زوجك فإن في عينه بياضا فسعت نحوه مرعوبة فقال لها مادهاك فأخبرته فقال نعم إن في عيني بياضا لالسوء فخفضي عليك فهذا من مزاح رسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-١٧-٢١٥ وأتت عجوز من الأنصار إليه ع فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنة فقال إن الجنة لاتدخلها العجز فصاحت فتبسم ع فقال إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا -روايت-١-١٦٠ [صفحه ٣٣١] و في الخبر أيضا أن امرأة استحملته فقال إنا حاملوك إن شاء الله تعالى على ولد الناقة فجعلت تقول يا رسول الله و ماأصنع بولد الناقة وهل يستطيع أن يحملني و هويبتسم و يقول لاأحملك إلا عليه حتى قال لها أخيرا وهل يلد الإبل إلاالنوق -روايت-١-٢-روايت-١٩-٢٤٨ و في الخبر أنه ع مر ببلال و هونائم فضربه برجله و قال أنائمة أم عمرو فقال بلال مرعوبا فضرب بيده إلى مذاكيره فقال له مابالك قال ظننت أني تحولت امرأة قيل فلم يمزح رسول الله بعد هذه -روايت-١-٢-روايت-١٤-٢٠٥ و في الخبر أيضا أن نغرا كان لصبي من صبيان الأنصار فطار من يده فبكى الغلام فكان رسول الله ص يمر به فيقول يا أباعمير مافعل النغير والغلام يبكي -روايت-١-٢-روايت-١٩-١٥٧ و كان يمازح ابني بنته مزاحا مشهورا و كان يأخذ الحسين ع فيجعله على بطنه و هو ع نائم على ظهره و يقول له حزقة حزقة ترق عين بقة -روايت-١-٢-روايت-١٥-٣٩ و في الحديث الصحيح المتفق عليه أنه مر على أصحاب الدركلة وهم يلعبون ويرقصون فقال جدوا يابني أرفده حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة -روايت-١-٢-روايت-٣٨-١٥٦ . قال أهل اللغة الدركلة بكسر الدال والكاف لعبة للحبش

فيهاترقص وبنو أرفدة جنس من الحبش يرقصون . وجاء فی الخبر أنه سابق عائشة فسبقته ثم سابقها فسبقها فقال هذه بتلك -روايت-١-٢-روايت-١٧-٧٥ و فی الخبر أيضا أن أصحاب الزفافة وهم الراقصون كانوا يقمعون باب حجرة عائشة فتخرج إليهم مستمعة ومبصرة فيخرج هو ع من ورائها مستترا بها -روايت-١-٢-روايت-١٩-١۴۴ و كان نعيمان و هو من أهل بدر أولع الناس بالمزاح عند رسول الله ص -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٣٣٢] و كان يكثر الضحك فقال رسول الله ص يدخل الجنة و هويضحك -روايت-از قبل-۶٣ . وخرج نعيمان هو وسويبط بن عبدالعزی و أبوبكر الصديق فی تجارة قبل وفاة رسول الله ص بعامين و كان سويبط على الزاد فكان نعيمان يستطعمه فيقول حتی يجیء أبوبكر فمر بركب من نجران فباعه نعيمان منهم على أنه عبد له بعشر قلائص و قال لهم إنه ذو لسان ولهجة وعساه يقول لكم أناحر فقالوا لاعليك . وجاءوا إليه فوضعوا عمامته فی عنقه وذهبوا به فلما جاء أبوبكر أخبر بذلك فرده وأعاد القلائص إليهم فضحك رسول الله ص وأصحابه من ذلك سنة. وروی أن أعرابيا باع نعيمان عكة عسل فاشتراها منه فجاء بها إلی بيت عائشة فی يومها و قال خذوها فظن رسول الله ص أنه أهداها إليه ومضی نعيمان فنزل الأعرابی على الباب فلما طال قعوده نادی ياهؤلاء إما أن تعطونا ثمن العسل أوتردوه علينا فعلم رسول الله ص بالقصة وأعطی الأعرابی الثمن و قال لنعيمان ماحملك على مافعلت قال رأيتك يا رسول الله تحب العسل ورأيت العكة مع الأعرابی فضحك رسول الله ص و لم ينكر عليه . وسئل النخعی هل كان أصحاب رسول الله يضحكون ويمزحون فقال نعم والإيمان فی قلوبهم مثل الجبال الرواسی. وجاء فی الخبر أن يحيی ع لقی عيسی ع وعيسی متبسم فقال يحيی ع ما لی أراك لاهيا كأنك آمن فقال ع ما لی أراك عابسا -روايت-١-٢-روايت-١٧-ادامه دارد [صفحه ٣٣٣] كأنك آيس فقالا لانبرح حتی ينزل علينا الوحی فأوحی الله إليهما أحبكما إلی الطلق البسام أحسنكما ظنا بی -روايت-از قبل-١١٣ . وروی عن كبراء الصحابة رضی الله تعالی عنهم أنهم كانوا يتمازحون ويتناشدون الأشعار فإذاخاضوا فی الدين انقلبت حماليقهم وصاروا فی صور أخری . وروی أن عبد الله بن عمر قال لجاريته خلقنی خالق الخير وخلقك خالق الشر فبكت فقال لاعليك فإن الله تعالی هوخالق الخير و هوخالق الشر. قلت يعنی بالشر المرض والغلاء ونحوهما. و كان ابن سيرين ينشد نبئت أن فتاة كنت أخطبها || عرقوبها مثل شهر الصوم فی الطول . ثم يضحك حتی يسيل لعابه . وجاء عبدالرحمن بن عوف إلی باب عمر بن الخطاب فوجده مستلقيا على مرفقة له رافعا إحدی رجليه على الأخری منشدا بصوت عال وكيف ثوائی بالمدينة بعد ما || قضی وطرا منها جميل بن معمر . فلما دخل عبدالرحمن وجلس قال يا أبا محمدإنا إذاخلونا قلنا كما يقول الناس . و كان سعيد بن المسيب ينشد لقد أصبحت عرس الفرزدق جامحا || و لورضيت رمح استه لاستقرت ويضحك حتی يستغرق . و كان يقال لابأس بقليل المزاح يخرج منه الرجل عن حد العبوس . [صفحه ٣٣۴] و من كلام بعض الأدباء ونحن نحمد الله إليك فإن عقدة الإسلام فی قلوبنا صحيحة وأواخيه عندنا ثابتة و قداجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم و أن يشوبوا يقيننا بشكهم فعصم الله منهم وحال توفيقه دونهم ولنا بعدمذهب فی الدعابة جميل لايشوبه أذی و لاقذی يخرج بنا إلی الأنس من العبوس و إلی الاسترسال من القطوب ويلحقنا بأحرار الناس الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء وأنفوا من التشوف بالتصنع . و قال ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحداء فقال لی لابأس بذلك حدثنی عبيد الله بن عمر الليثی أنه كان لداود النبی ع معزفة قديضرب بها إذاقرأ الزبور فتجمع إليه الطير والوحش فيبكی ويبكی من حوله . و قال جابر بن عبد الله الجعفی رأيت الشعبی يقول لخياط يمازحه عندنا حب مكسور وأحب أن تخيطه فقال الخياط أحضر لی خيوطا من ريح لأخيطه لك . وسئل الشعبی هل يجوز أن يؤكل الجنی لوظفر به فقال ليتنا نخرج منه كفافا لالنا و لاعلينا. وسأل إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان فقال توفی البارحة أ ماشعرت فخرج يسترجع فلما رأی ابن سيرين جزعه قرأاللّهُ يَتَوَفّی الأَنفُسَ حِينَ مَوتِها. و كان زيد بن ثابت من أفكه الناس فی بيته وأرفثهم و قدأباح الله تعالی الرفث إلی النساء فقال أُحِلّ لَكُم لَيلَةَ الصّيامِ الرّفَثُ إِلی نِسائِكُم هُنّ لِباسٌ لَكُم -قرآن-٩٩١-

۱۰۳۰-قرآن-۱۱۳۱-۱۲۰۱ و من كلام بعض الأدباء ونحن نحمد الله إليك فإن عقدة الإسلام فى قلوبنا صحيحة وأواخيه عندنا ثابتة و قداجتهد قوم أن يدخلوا قلوبنا من مرض قلوبهم و أن يشوبوا يقيننا بشكهم فعصم الله منهم وحال توفيقه دونهم ولنا بعدمذهب فى الدعابة جميل لايشوبه أذى و لاقذى يخرج بنا إلى الأنس من العبوس و إلى الاسترسال من القطوب ويلحقنا بأحرار الناس الذين ارتفعوا عن لبسة الرياء وأنفوا من التشوف بالتصنع . و قال ابن جريج سألت عطاء عن القراءة على ألحان الغناء والحداء فقال لى لابأس بذلك حدثنى عبيد الله بن عمر الليثى أنه كان لداود النبى ع معزفة قديضرب بها إذاقرأ الزبور فتجمع إليه الطير والوحش فيبكى ويبكى من حوله . و قال جابر بن عبد الله الجعفى رأيت الشعبى يقول لخياط يمازحه عندنا حب مكسور وأحب أن تخيطه فقال الخياط أحضر لى خيوطا من ريح لأخيطه لك . وسئل الشعبى هل يجوز أن يؤكل الجنى لوظفر به فقال ليتنا نخرج منه كفافا لالنا و لاعلينا. وسأل إنسان محمد بن سيرين عن هشام بن حسان فقال توفى البارحة أ ماشعرت فخرج يسترجع فلما رأى ابن سيرين جزعه قرأاللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِها. و كان زيد بن ثابت من أفكه الناس فى بيته وأرفثهم و قدأباح الله تعالى الرفث إلى النساء فقال أُحِلّ لَكُم لَيلَةَ الصّيامِ الرّفَثُ إِلى نِسائِكُم هُنّ لِباسٌ لَكُم وَ أَنتُم لِباسٌ لَهُنّ و قال أهل اللغة الرفث القول الفاحش تخاطب به المرأة حال الجماع . ومر بالشعبى حمال على ظهره دن خل فوضع الدن و قال له ما كان اسم امرأة إبليس فقال الشعبى ذلك نكاح ماشهدناه . و قال عكرمة ختن ابن عباس بنيه فأرسلنى فدعوت اللعابين فلعبوا فأعطاهم أربعة دراهم . وتقدم رجلان إلى شريح فى خصومة فأقر أحدهما بما ادعى عليه و هو لايدرى فقضى شريح عليه فقال أصلحك الله أتقضى على بغير بينة قال بلى شهد عندى ثقة قال و من هو قال ابن أخت خالتك . -قرآن-۱-۲۴ وجاء فى الخبر أن النبى ص مر بصهيب و هوأرمد يأكل تمرا فنهاه فقال إنما آكله عن جانب العين الصحيحة يا رسول الله فضحك منه و لم ينكر عليه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۴۹ و فى الخبر أنه ص مر بحسان بن ثابت و قدرش أطماره وعنده جارية تغنيه -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۷۷ هل على ويحكما || إن لغوت من حرج فقال ص لاحرج إن شاء الله -روايت-۱-۳۱ . وقيل إن عبد الله بن جعفر قال لحسان بن ثابت فى أيام معاوية لوغنتك فلانة جاريتى صوت كذا لم تدرك ركابك فقال يا أبا جعفرفكلوا منها وأطعموا البائس الفقير. [صفحه ۳۳۶] و قال أسلم مولى عمر بن الخطاب مر بى عمر و أنا وعاصم نغنى غناء النصب فوقف و قال أعيدا على فأعدنا عليه وقلنا أينا أحسن صنعة يا أمير المؤمنين فقال مثلكما كحمارى العبادى قيل له أى حماريك شر فقال هذا ثم هذافقلت يا أمير المؤمنين أناالأول من الحمارين فقال أنت الثانى منهما. ومر نعيمان و هوبدرى بمخرمة بن نوفل فى خلافة عثمان و قدكف بصره فقال أ لايقودنى رجل حتى أبول فأخذ نعيمان بيده حتى صار به إلى مؤخر المسجد و قال هاهنا فبل فبال فصاح به الناس فقال من قادنى قيل نعيمان قال لله على أن أضربه بعصاى هذه فبلغ نعيمان فأتاه فقال بلغنى أنك أقسمت لتضربن نعيمان فهل لك فيه قال نعم قال قم فقام معه حتى وافى به عثمان بن عفان و هويصلى فقال دونك الرجل فجمع محرمة يديه فى العصا وضربه بهافصاح الناس ويلك أمير المؤمنين قال من قادنى قالوا نعيمان قال و ما لى ولنعيمان لاأعرض له أبدا. و كان طويس يتغنى فى عرس فدخل النعمان بن بشير الأنصارى العرس وطويس يغنيهم أجد بعمرة هجرانها || وتسخط أم شاننا شانها .فأشاروا إليه بالسكوت فقال النعمان دعوه إنه لم يقل بأسا إنما قال وعمرة من سروات النساء || تنفح بالمسك أردانها . وعمرة هذه أم النعمان و فيهاقيل هذاالنسيب . و قدروى عن جماعة من الصحابة والتابعين اللعب بالنرد والشطرنج ومنهم من روى عنهم شرب النبيذ وسماع الغناء المطرب . [صفحه ۳۳۷] فأما أمير المؤمنين على ع فإذانظرت إلى كتب الحديث والسير لم تجد أحدا من خلق الله عدوا و لاصديقا روى عنه شيئا من هذاالفن لاقولا و لافعلا و لم يكن جد أعظم من جده و لاوقار أتم من وقاره و ماهزل قط و لالعب و لافارق الحق والناموس الدينى سرا و لاجهرا وكيف يكون هازلا و من كلامه المشهور عنه مامزح امرؤ مزحة إلا ومج معها من عقله مجة -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۷۳ ولكنه خلق على سجية

لطيفـۀ وأخلاق سـهلۀ ووجه طلق وقول حسن وبشـر ظاهر و ذلک من فضائله ع وخصائصه التی منحه الله بشـرفها واختصه بمزیتها وإنما کانت غلظته وفظاظته فعلا لاقولا وضـربا بالسیف لاجبها بالقول وطعنا بالسنان لاعضها باللسان کما قال الشاعر وتسفه أیدینا ویحلم رأینا || ونشتم بالأفعال لابالتکلم

نبذ وأقول فی حسن الخلق ومدحه

فأما سوء الخلق فلم یکن من سـجایاه فقد قال النبی ص خصلتان لایجتمعان فی مؤمن البخل وسوء الخلق -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۶۸ و قـال الله تعـالی لنبیه ص وَ إِنّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ و قـال أیضـاوَ لَو کُنتَ فَظّا غَلِیظَ القَلبِ لَانفَضّوا مِن حَولِکَ. -قرآن-۳۰-۶۰-قرآن-۷۲-۱۲۸ وقیل لرسول الله ص ماالشؤم فقال سوء الخلق -روایت-۱-۴۹ . وصحب جابر رجلا فی طریق مکۀ فآذاه سوء خلقه فقـال جـابر إنی لأـرحمه نحن نفـارقه ویبقی معه سوء خلقه . [صـفحه ۳۳۸] وقیـل لعبـد الله بن جعفرکیف تجاور بنی زهرۀ و فی أخلاـقهم زعـارۀ قال لا یکون لی قبلهم شـیء إلاترکته و لایطلبون منی شیئا إلاأعطیتهم . و فی الحـدیث المرفوع أنه ص قال أ لاأنبئکم بشـر الناس قالوا بلی یا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وضـرب عبده ثم قال أ لاأنبئکم بشر من ذلک قالوا بلی قال من لم یقل عثرۀ و لایقبل معـذرۀ -روایت-۱-۲-روایت-۳۸-۲۱۲ . و قـال ابراهیم بن عباس الصولی لووزنت کلمۀ رسول الله ص بمحاسن الخلق کلها لرجحت قوله إنکم لن تسـعوا الناس بأموالکم فسعوهم بأخلاقکم -روایت-۱-۲-روایت-۹-۵۹ و فی الخبر المرفوع حسن الخلق زمام من رحمۀ الله فی أنف صاحبه والزمام بید الملک والملک یجره إلی الخیر والخیر یجره إلی الجنۀ وسوء الخلق زمام من عذاب الله فی أنف صاحبه والزمام بید الشیطان والشیطان یجره إلی الشر والشر یجره إلی النار -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۲۵۴ وروی الحسن بن علی ع عن النبی ص أن الرجـل یـدرک بحسن خلقه درجـۀ الصائم القائم وإنه لیکتب جبارا و لایملک إلاأهله -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-۱۳۰ وروی أبو موسـی الأشعری قال بینا رسول الله ص یمشی وامرأۀ بین یـدیه فقلت الطریق لرسول الله ص فقالت الطریق معرض إن شاء أخذ یمینا و إن شاء أخذ شـمالا فقال ص دعوها فإنها جبارۀ -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-۱۸۶ . و قال بعض السـلف الحسن الخلق ذو قرابۀ عندالأجانب والسـیئ الخلق أجنبی عندأهله . و من کلام الأحنف أ لاأخبرکم بالمحمـدۀ بلا مذمـۀ الخلق السـجیح والکف عن القبیـح أ لاأخبرکم بأدوأ الداء الخلق الدنیء واللسان البذیء. [صـفحه ۳۳۹] و فی الحـدیث المرفـوع أول مـایوضع فی المیزان الخلـق الحسـن -روایـت-۱-۲-روایت-۲۵-۶۴ وجاء مرفوعا أیضا المؤمن هین لین کالجمل الأنف إن قیـد انقاد و إن أنیـخ علی صـخرۀ استناخ -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۹۴ وجاء مرفوعا أیضا أ لاأخبرکم بأحبکم إلی وأقربکم منی مجالس یوم القیامۀ أحاسـنکم أخلاقا الموطئون أکنافا الذین یألفون ویؤلفون أ لاـأخبرکم بأبغضـکم إلی وأبعـدکم منی مجالس یوم القیامـۀ الثرثارون المتفیهقون -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۲۱۸ . أبورجاء العطاردی من سره أن یکون مؤمنا حقا فلیکن أذل من قعود کل من مر به ادعاه .فضیل بن عیاض لأن یصحبنی فاجر حسن الخلق أحب إلی من أن یصـحبنی عابـد سـیئ الخلق لأـن الفاسق إذاحسن خلقه خف علی الناس وأحبوه والعابـد إذاساء خلقه ثقل علی الناس ومقتوه . دخل فرقـد و محمـد بن واسع علی رجل یعودانه فجری ذکر العنف والرفق فروی فرقـد عن رسول الله ص أنه قیل له علی من حرمت النـار یـا رسول الله قال علی الهین اللین السـهل القریب فلم یجـد محمـد بن واسع بیاضا یکتب ذلک فیه فکتبه علی ساقه -روایت-۱-۲۴۷ . عبد الله بن الدارانی ماضرب عبدبعقوبۀ أعظم من قسوۀ القلب . عائشۀ قال رسول الله ص إذاأراد الله بأهـل بیت خیرا أدخل علیهم باب رفق -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۸۰ وعنهـا عنه ص من أعطی حظه من الرفـق أعطی حظه من خیر الـدنیا والآخرۀ -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۷۵ [صـفحه ۳۴۰] جریر بـن عبــد الله البحلی رفعـه أن الله لیعطی علی الرفــق ما

لايعطى على الخرق فإذاأحب الله عبدا أعطاه الرفق -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۱۱۷ و كان يقال مادخل الرفق فى شىء إلازانه . أبوعون الأنصارى ماتكلم الإنسان بكلمة عنيفة إلا و إلى جانبها كلمة ألين منها تجرى مجراها. سئلت عائشة عن خلق رسول الله ص فقالت كان خلقه القرآن خُذِ العَفوَ وَ أمُر بِالعُرفِ وَ أَعرِض عَنِ الجاهِلِينَ -روايت-۱-۱۱۷ . وسئل ابن المبارك عن حسن الخلق فقال بسط الوجه وكف الأذى وبذل الندى . ابن عباس أن الخلق الحسن يذيب الخطايا كماتذيب الشمس الجليد و أن الخلق السيئ يفسد العمل كمايفسد الخل العسل -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۱۱۹ على ع ما من شىء فى الميزان أثقل من خلق حسن -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۵۴ و عنه ع عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۴۵ و عنه ع مرفوعا عليكم بحسن الخلق فإنه فى الجنة وإياكم وسوء الخلق فإنه فى النار -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۸۹ . قال المنصور لأخيه أبى العباس فى بنى حسن لماأزمعوا الخروج عليه آنسهم يا أمير المؤمنين بالإحسان فإن استوحشوا فالشر يصلح مايعجز عنه الخير و لاتدع محمدا يمرح فى أعنة العقوق فقال أبوالعباس يا أبا جعفرإنه من شدد نفر و من لان ألف والتغافل من سجايا الكرام

فصل فى ذكر أسباب الغلظة والفظاظة

ونحن نذكر بعدكلاما كليا فى سبب الغلظة والفظاظة و هوالخلق المنافى للخلق ألذى كان عليه أمير المؤمنين فنقول [صفحه ۳۴۱] إنه قد يكون لأمر عائد إلى المزاج الجسمانى و قد يكون لأمر راجع إلى النفس فأما الأول فإنما يكون من غلبة الأخلاط السوداوية وترمدها وعدم صفاء الدم وكثرة كدرته وعكره فإذاغلظ الدم وثخن غلظ الروح النفسانى وثخن أيضا لأنه متولد من الدم فيحدث منه نوع مما يحدث لأصحاب الفطرة من الاستيحاش والنبوة عن الناس وعدم الاستئناس والبشاشة وصار صاحبه ذا جفاء وأخلاق غليظة ويشبه أن يكون هذاسببا ماديا فإن ألذى يقوى فى نفسى أن النفوس إن صحت وثبتت مختلفة بالذات . و أماالراجع إلى النفس فأن يجتمع عندها أسقاط وأنصباء من قوى مختلفة مذمومة نحو أن تكون القوة الغضبية عندها متوافرة وينضاف إليها تصور الكمال فى ذاتها وتوهم النقصان فى غيرها فيعتقد أن حركات غيره واقعة على غيرالصواب و أن الصواب ماتوهمه . وينضاف إلى ذلك قلة أدب النفس وعدم الضبط لها واستحقارها للغير ويقل التوقير له وينضاف إلى ذلك لجاج وضيق فى النفس وحدة واستشاطة وقلة صبر عليه فيتولد من مجموع هذه الأمور خلق دنى و هوالغلظة والفظاظة والوعورة والبادرة المكروهة وعدم حبه الناس ولقاؤهم بالأذى وقلة المراقبة لهم واستعمال القهر فى جميع الأمور وتناول الأمر من السماء و هوقادر على أن يتناوله من الأرض . و هذاالخلق خارج عن الاعتدال وداخل فى حيز الجور و لاينبغى أن يسمى بأسماء المدح وأعنى بذلك أن قوما يسمون هذاالنوع من العنف والخلق الوعر رجولية وشدة وشكيمة ويذهبون به مذهب قوة النفس وشجاعتها ألذى هوبالحقيقة مدح وشتان بين الخلقين فإن صاحب هذاالخلق ألذى ذممناه تصدر عنه أفعال كثيرة يجور فيها على نفسه ثم على إخوانه على الأقرب فالأقرب من معامليه حتى ينتهى إلى عبيده وحرمه فيكون عليهم سوط عذاب لايقيلهم عثرة و لايرحم لهم عبرة و إن كانوا برآء الذنوب غيرمجرمين و لامكتسبى سوء بل يتجرم عليهم ويهيج من أدنى سبب يجد به طريقا إليهم [صفحه ۳۴۲] حتى يبسط يده ولسانه وهم لايمتنعون منه و لايتجاسرون على رده عن أنفسهم بل يذعنون له ويقرون بذنوب لم يقترفوها استكفافا لعاديته وتسكينا لغضبه و هو فى ذلك يستمر على طريقته لايكف يدا و لالسانا. وأصل هذاالخلق ألذى ذكرناه أنه مركب من قوى مختلفة من شدة القوة الغضبية فهى الحاملة لصاحب هذاالخلق على مايصدر عنه من البادرة المكروهة والجبة والقحة و قدرأينا وشاهدنا من تشتد القوة الغضبية فيه فيتجاوز الغضب على نوع الإنسان إلى البهائم التى لاتعقل و إلى الأوانى التى لاتحس وربما قام إلى الحمار و إلى البرذون فضربهما ولكمهما وربما كسر الآنية لشدة غضبه وربما عض القفل إذاتعسر

عليه وربما كسر القلم إذاتعلقت به شعره من الدواة واجتهد فى إزالتها فلم تزل . ويحكى عن بعض ملوك اليونان المتقدمين أنه كـان يغضب على البحر إذاهـاج واضـطرب وتأخرت سـفنه عن النفوذ فيه فيقسم بمعبوده ليطمنه وليطرحن الجبال فيه حتى يصـير أرضـا ويقف بنفسه على البحر ويهـدده بـذلك ويزجره زجرا عنيفـا حتى تـدر أوداجه ويشـتد احمرار وجهه ومنهم من لايسـكن غضبه حتى يصب عليه ماء بارد أو حتى يبول ولهذا ورد فى الشريعة الأمر لمن اشتد غضبه أن يتوضأ للصلاة ويصلى. و كان عمر بن الخطـاب إذاغضب على واحـد من أهله لايسـكن غضـبه حتى يعض يـده عضا شديـدا حتى يـدميها. وذكر الزبير بن بكار فى الموفقيات أن سـرية جاءت لعبـد الرحمن أولعبيد الله [صـفحه ۳۴۳] بن عمر بن الخطـاب إليه تشـكوه فقـالت يا أمير المؤمنين أ لاتعـذرنى من أبى عيسـى قال و من أبوعيسـى قالت ابنك عبيد الله قال ويحك و قدتكنى بأبى عيسـى ثم دعاه فقال أيها اكتنيت بـأبى عيسـى فحـذر وفزع وأخـذ يـده فعضـها ثم ضـربه و قال ويلك وهل لعيسـى أب أتـدرى ماكنى العرب أبوسـلمة أبوحنظلة أبوعرفطة أبومرة. قال الزبير و كان عمر إذاغضب على بعض أهله لم يسكن غضبه حتى يعض يده عضا شديدا و كان عبد الله بن الزبير كـذلك ولقوة هـذاالخلق عنـده أضـمر عبد الله بن عباس فى خلافته إبطال القول بالعول وأظهره بعده فقيل له هلا قلت هذا فى أيام عمر فقال هبته و كان أميرا مهيبا. ولـذلك قال أيضا أبوسـفيان فى اسـتلحاق زياد أخاف من هـذاالعير الجالس أن يخرق على إهـابى فإذاهـابه أبوسـفيان و هو من بنى عبـدمناف فى المنزلـة التى تعلم وحوله بنو عبدشـمس وهم جمرة قريش فما ظنك بمن هودونه . و قـدعلمت حال جبلة بن الأيهم وارتداده عن الإسـلام لتهدده له ووعيده إياه أن يضـربه بالدرة وفساد الحال بينه و بين خالد بن الوليد بعد أن كان وليا مصافيا ومنحرفا عن غيره قاليا والشأن ألذى كان بينه و بين طلحة حتى هم أن يوقع به و حتى هم طلحـة أن يجـاهره وطلحـة هو ألـذى قال لأبى بكر عنـدموته ماذا تقول لربك و قـدوليت فينا فظا غليظا و هوالقائل له ياخليفة رسول الله إنا كنا لانحتمل شراسته و أنت حى تأخـذ على يديه فكيف يكون حالنا معه و أنت ميت و هوالخليفة. واعلم أنا لانريد بهـذا القول ذمه رضـى الله عنه وكيف نـذمه و هوأولى الناس بالمـدح [صـفحه ۳۴۴] والتعظيم ليمن نقيبته وبركـة خلافـته وكثرة الفتوح فى أيامه وانتظام أمور الإسـلام على يده ولكنا أردنا أن نشـرح حال العنف والرفق وحال سعة الخلق وضيقه وحال البشاشة والعبوس وحـال الطلاقـة والوعورة فنـذكر كـل واحـد منها ذكرا كليا لانخص به إنسانا بعينه فأما عمر فإنه و إن كان وعرا شديـدا خشـنا فقـد رزق من التوفيق والعنايـة الإلهيـة ونجـح المساعى وطاعـة الرعيـة ونفوذ الحكم وقوة الدين وحسن النية وصـحة الرأى مايربى محاسـنه ومحامـده على ما فى ذلك الخلق من نقص و ليس الكامل المطلق إلا الله تعالى وحـده .فأما حـديث الرضـيخة و ماجعل معاويـة لعمرو بن العاص من جعالة على مبايعته ونصـرته فقد تقدم ذكره فى أخبار صـفين المشـروحة فى هذاالكتاب من قبل [صفحه ۳۴۵]

۸۴– و من خطبة له ع

وَ أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحدَهُ لَا شَرِيکَ لَهُ الأَوّلُ لَا شَيءَ قَبلَهُ وَ الآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ لَا تَقَعُ الأَوهَامُ لَهُ عَلَي صِفَةٍ وَ لَا تُعقَدُ القُلُوبُ مِنهُ عَلَي كَيفِيّةٍ وَ لَا تَنَالُهُ التّجزِئَةُ وَ التّبعِيضُ وَ لَا تُحِيطُ بِهِ الأَبصَارُ وَ القُلُوبُ فى هـذاالفصل على قصـره ثمـانى مسائـل من مسائل التوحيد.الأولى أنه لاثانى له سبحانه فى الإلهية. والثانية أنه قديم لاأول له فإن قلت ليس يدل كلامه على القدم لأنه قال الأول لا شىءقبله فيوهم كونه غيرقـديم بأن يكون محـدثا و ليس قبله شـىءلأنه محدث عن عدم والعدم ليس بشـىء قلت إذا كان محدثا كان له محـدث فكان ذلك المحـدث قبله فثبت أنه متى صدق أنه ليس شـىءقبله صدق كونه قديما. والثالثة أنه أبدى لاانتهاء و لاانقضاء لـذاته . والرابعـة نفى الصـفات عنه أعنى المعانى. والخامسـة نفى كونه مكيفا لأن كيف إنما يسأل بها عن ذوى الهيئات

والأشكال و هومنزه عنها. والسادسة أنه غيرمتبعض لأنه ليس بجسم و لاعرض . [صفحه ۳۴۶] والسابعة أنه لايرى و لايدرك . والثامنة أن ماهيته غيرمعلومة و هومذهب الحكماء وكثير من المتكلمين من أصحابنا وغيرهم . وأدلة هذه المسائل مشروحة فی كتبنا الكلامية. واعلم أن التوحيد والعدل والمباحث الشريفة الإلهية ماعرفت إلا من كلام هذا الرجل و أن كلام غيره من أكابر الصحابة لم يتضمن شيئا من ذلک أصلا و لاكانوا يتصورونه و لوتصوروه لذكروه و هذه الفضيلة عندی أعظم فضائله ع وَ مِنهَا فَاتّعِظُوا عِبَادَ اللّهِ بِالعِبَرِ النّوَافِعِ وَ اعتَبِرُوا بِالآیِ السّوَاطِعِ وَ ازدَجِرُوا بِالنّذُرِ البَوَالِغِ وَ انتَفِعُوا بِالذّكرِ وَ المَوَاعِظِ فَكَأَن قَد عَلِقَتكُم مَخَالِبُ المَنِيّةِ وَ انقَطَعَت مِنكُم عَلَائِقُ الأُمنِيّةِ وَ دَهِمَتكُم مُفظِعَاتُ الأُمُورِ وَ السّيَاقَةُ إِلَی الوِردِ المَورُودِ فَكُلّ نَفسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَی مَحشَرِهَا وَ شَاهِدٌ يَشهَدُ عَلَيهَا بِعَمَلِهَا العبر جمع عبرة وهی مايعتبر به أی يتعظ والآی جمع آية ويجوز أن يريد [صفحه ۳۴۷] بهاآی القرآن ويجوز أن يريد بهاآيات الله فی خلقه و فی غرائب الحوادث فی العالم . والسواطع المشرقة المنيرة. والنذر جمع نذير و هوالمخوف والأحسن أن يكون النذر هاهنا هی الإنذارات نفسها لأنه قدوصف ذلک بالبوالغ وفواعل لاتكون فی الأكثر إلاصفة المؤنث . ومفظعات الأمور شدائدها الشنيعة أفظع الأمر فهو مفظع ويجوز فظع الأمر بالضم فظاعة فهو فظيع وأفظع الرجل علی ما لم يسم فاعله أی نزل به ذلک . و قوله والسياقة إلی الورد المورود يعنی الموت و قوله سائق وشهيد و قدفسر ع ذلک و قال سائق يسوقها إلی محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها و قد قال بعض المفسرين إن الآية لاتقتضی كونهما اثنين بل من الجائز أن يكون ملكا واحدا جامعا بين الأمرين كأنه قال وجاءت كل نفس معها ملک يسوقها ويشهد عليها وكلام أمير المؤمنين يحتمل ذلک أيضا لأنه لم يقل أحدهما لكن الأظهر فی الأخبار والآثار أنهما ملكان . فإن قلت إذا كان تعالی عالما بكل شیءفأی حاجة إلی الملائكة التی تكتب الأعمال كما قال سبحانه بَلی وَ رُسُلُنا لَدَيهِم يَكتُبُونَ و إذا كان تعالی أعدل العادلين فأی حاجة إلی ملک يشهد علی المكلف يوم القيامة و إذا كان قادرا لذاته فأی حاجة إلی ملک يسوق المكلف إلی المحشر قلت يجوز أن يكون فی تقرير مثل ذلک فی أنفس المكلفين فی الدنيا ألطاف ومصالح لهم فی أديانهم فيخاطبهم الله تعالی به -قرآن-۹۱۵-۹۵۰ [صفحه ۳۴۸] لوجوب اللطف فی حكمته و إذاخاطبهم به وجب فعله فی الآخرة لأن خبره سبحانه لايجوز الخلف عليه وَ مِنهَا فِی صِفَةِ الجَنّةِ دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ وَ مَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ لَا يَنقَطِعُ نَعِيمُهَا وَ لَا يَظعَنُ مُقِيمُهَا وَ لَا يَهرَمُ خَالِدُهَا وَ لَا يَبأَسُ سَاكِنُهَا الدرجات جمع درجة وهی الطبقات والمراتب ويقال لها درجات فی الجنة ودركات فی النار وإنما تفاضلت وتفاوتت بحسب الأعمال و لايجوز أن يقع ذلک تفضلا لأن التفضل بالثواب قبيح . فإن قلت فما قولک فی الحور والولدان والأطفال والمجانين قلت يكون الواصل إليهم نعيما ولذة لاشبهة فی ذلک ولكن لاثواب لهم و لاينالونه والثواب أمر أخص من المنافع والنعيم لأنه منافع يقترن بهاالتعظيم والتبجيل و هذاالأمر الأخص لايحسن إيصاله إلا إلی أرباب العمل . و قوله لاينقطع نعيمها و لايظعن مقيمها قول متفق عليه بين أهل الملة إلا مايحكی عن أبی الهذيل أن حركات أهل الجنة تنتهی إلی سكون دائم و قدنزهه قوم من أصحابنا عن هذاالقول وأكذبوا رواته و من أثبته منهم عنه زعم أنه لم يقل بانقطاع النعيم لكن بانقطاع الحركة مع دوام النعيم وإنما حمله علی ذلک أنه لمااستدل علی أن [صفحه ۳۴۹] الحركة الماضية يستحيل ألا يكون لها أول عورض بالحركات المستقبلة لأهل الجنة والنار فالتزم أنها متناهية وإنما استبعد هذا عنه لأنه كان أجل قدرا من أن يذهب عليه الفرق بين الصورتين . ويبأس مضارع بئس وجاء فيه يبئس بالكسر و هوشاذ كشذوذ يحسب وينعم ومعنی يبأس يصيبه البؤس و هوالشقاء [صفحه ۳۵۰]

۸۵- و من خطبة له ع

اشاره

قَد عَلِمَ السّرَائِرَ وَ خَبَرَ الضّمَائِرَ لَهُ الإِحَاطَةُ بِكُلّ شَيءٍ وَ الغَلَبَةُ لِكُلّ شَيءٍ وَ القُوّةُ عَلَى كُلّ شَيءٍ فَليَعمَلِ العَامِلُ مِنكُم فِي أَيّامِ مَهَلِهِ قَبلَ إِرهَاقِ أَجَلِهِ وَ فِي فَرَاغِهِ قَبلَ أَوَانِ شُغُلِهِ وَ فِي مُتَنَفّسِهِ قَبلَ أَن يُؤخَذَ بِكَظَمِهِ وَ ليُمَهّد لِنَفسِهِ وَ قَدَمِهِ وَ ليَتَزَوّد مِن دَارِ ظَعنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ فَاللّهَ اللّهَ أَيّهَا النّاسُ فِيمَا استَحفَظَكُم مِن كِتَابِهِ وَ استَودَعَكُم مِن حُقُوقِهِ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ لَم يَخلُقكُم عَبَثاً وَ لَم يَترُككُم سُدًى وَ لَم يَدَعكُم فِي جَهَالَةٍ وَ لَا عَمًى قَد سَمّى آثَارَكُم وَ عَلِمَ أَعمَالَكُم وَ كَتَبَ آجَالَكُم وَ أَنزَلَ عَلَيكُمُ الكِتَابَ تِبيَاناً لِكُلّ شَيءٍ وَ عَمّرَ فِيكُم نَبِيّهُ أَزمَاناً حَتّى أَكمَلَ لَهُ وَ لَكُم فِيمَا أَنزَلَ مِن كِتَابِهِ دِينَهُ ألّذِي رضَيِ لِنَفسِهِ وَ أَنهَى إِلَيكُم عَلَى لِسَانِهِ مَحَابّهُ مِنَ الأَعمَالِ وَ مَكَارِهَهُ وَ نَوَاهِيَهُ وَ أَوَامِرَهُ وَ أَلقَى إِلَيكُمُ المَعذِرَةَ وَ اتّخَذَ عَلَيكُمُ الحُجّةَ وَ قَدّمَ إِلَيكُم بِالوَعِيدِ وَ أَنذَرَكُم بَينَ يدَيَ عَذَابٍ شَدِيدٍ السرائر جمع سريرة و هو مايكتم من السر. وخبر الضمائر بفتح الباء امتحنها وابتلاها و من رواه بكسر الباء أراد علم والاسم [صفحه ۳۵۱] الخبر بضم الخاء و هوالعلم والضمائر جمع ضمير و هو ماتضمره وتكنه في نفسك . و في قوله له الإحاطة بكل شيء و قدبينها ثلاث مسائل في التوحيد إحداهن أنه تعالى عالم بكل المعلومات . والثانية أنه لاشريك له و إذاثبت كونه عالما بكل شيء كان في ضمن ذلك نفي الشريك لأن الشريك لا يكون مغلوبا. والثالثة أنه قادر على كل مايصح تعلق قادريته تعالى به . وأدلة هذه المسائل مذكورة في الكتب الكلامية. و قوله فليعمل العامل منكم إلى قوله وليتزود من دار ظعنه لدار إقامته مأخوذ من قول رسول الله ص في خطبته المشهورة وهي أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم و إن لكم غاية فانتهوا إلى غايتكم إن المؤمن بين مخافتين بين أجل قدمضى لايدري ما الله صانع به وأجل قدبقي لايدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه و من دنياه لآخرته و من الشبيبة قبل الهرم و من الحياة قبل الموت فو ألذي نفس محمدبيده ما بعدالموت من مستعتب و ما بعدالدنيا من دار إلاالجنة أوالنار -روايت-۱-۲-روايت-۸-۳۷۹ . والمهل المهلة والتؤدة والإرهاق مصدر أرهق تقول أرهقه قرنه في الحرب إرهاقا إذاغشيه ليقتله وزيد مرهق قال الشاعر تندى أكفهم و في أبياتهم || ثقة المجاور والمضاف المرهق . و في متنفسه أي في سعة وقته يقال أنت في نفس من أمرك أي في سعة. [صفحه ۳۵۲] والكظم بفتحهما مخرج النفس والجمع أكظام ويجوز ظعنه وظعنه بتحريك العين وتسكينها وقرئ بهمايَومَ ظَعنِكُم وظعنكم ونصب الله على الإغراء و هو أن تقدر فعلا ينصب المفعول به أي اتقوا الله وجعل تكرير اللفظ نائبا عن الفعل المقدر ودليلا عليه .استحفظكم من كتابه جعلكم حفظة له جمع حافظ.السدى المهمل ويجوز سدى بالفتح أسديت الإبل أهملتها و قوله قدسمى آثاركم يفسر بتفسيرين أحدهما قد بين لكم أعمالكم خيرها وشرها كقوله تعالى وَ هَدَيناهُ النّجدَينِ والثاني قدأعلى مآثركم أي رفع منازلكم إن أطعتم و يكون سمى بمعنى أسمى كما كان في الوجه الأول بمعنى أبان وأوضح . والتبيان بكسر التاء مصدر و هوشاذ لأن المصادر إنما تجيء على التفعال بفتحها مثل التذكار والتكرار و لم يأت بالكسر إلاحرفان وهما التبيان والتلقاء. و قوله حتى أكمل له ولكم دينه من قوله تعالى اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَ أَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمتَيِ. و قوله ألذي رضي لنفسه من قوله تعالى وَ لَيُمَكّنَنّ لَهُم دِينَهُمُ ألّذِي ارتَضى لَهُملأنه إذاارتضى لهم فقد ارتضاه لنفسه أي ارتضى أن ينسب إليه فيقال هذادين الحق وأنهى إليكم عرفكم وأعلمكم . ومحابه جمع محبة ومكارهه جمع مكرهة وهي ماتكره و في هذادلالة أن الله تعالى يحب الطاعة ويكره المعصية و هوخلاف قول المجبرة. -قرآن-۹۹-۱۱۲-قرآن-۴۵۰-۴۷۲-قرآن-۷۹۹-۸۶۰-قرآن-۹۰۴-۹۵۴ [صفحه ۳۵۳] والأوامر جمع آمر وأنكره قوم وقالوا هاهنا جمع أمر كالأحاوص جمع أحوص والأحامر جمع أحمر يعني الكلام الآمر لهم بالطاعات و هوالقرآن . والنواهي جمع ناهية كالسواري جمع سارية والغوادي جمع غادية يعني الآيات الناهية لهم عن المعاصي ويضعف أن يكون الأوامر والنواهي جمع أمر ونهي لأن فعلا لايجمع على أفاعل وفواعل و إن كان قال ذلك بعض الشواذ من

أهل الأدب . و قوله وألقى إليكم المعذرة كلام فصيح و هو من قوله تعالى أَلقى إِلَيكَمُ السّلامَ. وقدم إليكم بالوعيد وأنذركم بين يدى عذاب شديد أى أمامه وقبله مأخوذ أيضا من القرآن ومعنى قوله بين يدى عذاب شديد أى أمامه وقبله لأن ما بين يديك متقدم لك -قرآن-۴۴۲-۴۶۵ فَاستَدرِكُوا بَقِيّةَ أَيّامِكُم وَ اصبِرُوا لَهَا أَنفُسَكُم فَإِنّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الأَيّامِ التّي تَكُونُ مِنكُم فِيهَا الغَفلَةُ وَ التّشَاغُلُ عَنِ المَوعِظَةِ وَ لَا تُرَخّصُوا لِأَنفُسِكُم فَتَذهَبَ بِكُمُ الرّخَصُ مَذَاهِبَ الظّلَمَةِ وَ لَا تُدَاهِنُوا فَيَهجُمَ بِكُمُ الإِدهَانُ عَلَى المَعصِيَةِ عِبَادَ اللّهِ إِنّ أَنصَحَ النّاسِ لِنَفسِهِ أَطوَعُهُم لِرَبّهِ وَ إِنّ أَغَشّهُم لِنَفسِهِ أَعصَاهُم لِرَبّهِ وَ المَغبُونُ مَن غَبَنَ نَفسَهُ وَ المَغبُوطُ مَن سَلِمَ لَهُ دِينُهُ وَ السّعِيدُ مَن وُعِظَ بِغَيرِهِ وَ الشّقِيّ مَنِ انخَدَعَ لِهَوَاهُ وَ غُرُورِهِ [صفحه ۳۵۴] وَ اعلَمُوا أَنّ يَسِيرَ الرّيَاءِ شِركٌ وَ مُجَالَسَةَ أَهلِ الهَوَى مَنسَاةٌ لِلإِيمَانِ وَ مَحضَرَةٌ لِلشّيطَانِ جَانِبُوا الكَذِبَ فَإِنّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ الصّادِقُ عَلَى شَفَا مَنجَاةٍ وَ كَرَامَةٍ وَ الكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهوَاةٍ وَ مَهَانَةٍ وَ لَا تَحَاسَدُوا فَإِنّ الحَسَدَ يَأكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأكُلُ النّارُ الحَطَبَ وَ لَا تَبَاغَضُوا فَإِنّهَا الحَالِقَةُ وَ اعلَمُوا أَنّ الأَمَلَ يُسهِي العَقلَ وَ يُنسِي الذّكرَ فَأَكذِبُوا الأَمَلَ فَإِنّهُ غُرُورٌ وَ صَاحِبُهُ مَغرُورٌ قوله فاستدركوا بقية أيامكم يقال استدركت مافات وتداركت مافات بمعنى واصبروا لها أنفسكم مأخوذ من قوله تعالى وَ اصبِر نَفسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدعُونَ رَبّهُم بِالغَداةِ وَ العشَيِّ يقال صبر فلان نفسه على كذا أى حبسها عليه يتعدى فينصب قال عنترة -قرآن-۱۱۷-۱۸۷ فصبرت عارفة لذلك حرة || ترسو إذانفس الجبان تطلع و فى الحديث النبوى فى رجل أمسك رجلا وقتله الآخر فقال ع اقتلوا القاتل واصبروا الصابر -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۹۵ أى احبسوا ألذى أمسكه حتى يموت . والضمير فى فإنها قليل عائد إلى الأيام التى أمرهم باستدراكها يقول إن هذه الأيام التى قدبقيت من أعماركم قليلة بالنسبة والإضافة إلى الأيام التى تغفلون فيها عن الموعظة. [صفحه ۳۵۵] و قوله فإنها قليل فأخبر عن المؤنث بصيغة المذكر إنما معناه فإنها شيءقليل بحذف الموصوف كقوله وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً أى قبيلا رفيقا. ثم قال و لاترخصوا نهى عن الأخذ برخص المذاهب و ذلك لأنه لايجوز للواحد من العامة أن يقلد كلا من أئمة الاجتهاد فيما خف وسهل من الأحكام الشرعية أو لاتساهلوا أنفسكم فى ترك تشديد المعصية و لاتسامحوها وترخصوا إليها فى ارتكاب الصغائر والمحقرات من الذنوب فتهجم بكم على الكبائر لأن من مرن على أمر تدرج من صغيره إلى كبيره . والمداهنة النفاق والمصانعة والادهان مثله قال تعالى وَدّوا لَو تُدهِنُ فَيُدهِنُونَ. قوله إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه لأنه قدصانها عن العقاب وأوجب لها الثواب و ذلك غاية مايمكن من نصيحتها ونفعها. قوله و إن أغش الناس لنفسه أعصاهم لربه لأنه ألقاها فى الهلاك الدائم و ذلك أقصى مايمكن من غشها والإضرار بها. ثم قال والمغبون من غبن نفسه أى أحق الناس أن يسمى مغبونا من غبن نفسه يقال غبنته فى البيع غبنا بالتسكين أى خدعته و قدغبن فهو مغبون وغبن الرجل رأيه بالكسر غبنا بالتحريك فهو غبين أى ضعيف الرأى و فيه غبانة ولفظ الغبن يدل على أنه من باب غبن البيع والشراء لأنه قال والمغبون و لم يقل والغبين . والمغبوط ألذى يتمنى مثل حاله و ألذى يتمنى زوال حاله وانتقالها هوالحاسد -قرآن-۹۹-۱۲۵-قرآن-۵۳۱-۵۶۱ [صفحه ۳۵۶] والحسد مذموم والغبطة غيرمذمومة يقال غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغتبط هوكقولك منعته فامتنع وحبسته فاحتبس قال الشاعر وبينما المرء فى الأحياء مغتبط || إذ صار فى الرمس تعفوه الأعاصير .هكذا أنشدوه بكسر الباء وقالوا فيه مغتبط أى مغبوط. قوله والسعيد من وعظ بغيره مثل من الأمثال النبوية. و قدذكرنا فيما تقدم ماجاء فى ذم الرياء وتفسير كونه شركا. و قوله ع منسأة للإيمان أى داعية إلى نسيان الإيمان وإهماله والإيمان الاعتقاد والعمل . ومحضرة للشيطان موضع حضوره كقولك مسبعة أى موضع السباع ومفعاة أى موضع الأفاعى. ثم نهى عن الكذب و قال إنه مجانب للإيمان وكذا ورد فى الخبر المرفوع . وشفا منجاة أى حرف نجاة وخلاص وشفا الشيء حرفه قال تعالى وَ كُنتُم عَلى شَفا حُفرَةٍ مِنَ النّارِ وأشفى على الشيء وأشرف عليه بمعنى وأكثر مايقال ذلك فى المكروه يقال أشفى المريض على الموت و قداستعمله هاهنا فى غيرالمكروه . والشرف المكان العالى بفتح الشين وأشرفت عليه أى اطلعت من فوق . والمهواة موضع السقوط والمهانة الحقارة. ثم نهى عن

الحسـد و قال إنه يأكل الإيمان كماتأكل النار الحطب و قـدورد هـذاالكلام فى الأخبار المرفوعـة و قدتقدم منا كلام فى الحسـد وذكرنـا كثيرا مما جاء فيه . -قرآن-۴۷۶-۵۱۵ [صفحه ۳۵۷] ثم نهى عن المباغضـة و قال إنها الحالقة أى المستأصـلة التى تأتى على القوم كالحلق للشـعر. ثم نهى عن الأمل وطوله و قال إنه يورث العقل سـهوا وينسـى الـذكر ثم أمر بإكذاب الأمل ونهى عن الاعتمـاد عليه والسـكون إليه فـإنه من باب الغرور. و قـدذكرنا فى الأمل وطوله نكتا نافعـة فيما تقـدم ويجب أن نـذكر ماجاء فى النهى عن الكذب

فصل فى ذم الكذب وحقارة الكذابين

جاء فى الخبر عن رسول الله ص إذاكذب العبد كذبة تباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ماجاء به -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۱۰۰ و عنه ع إيـاكم والكـذب فإن الكـذب يهـدى إلى الفجور والفجور يهـدى إلى النار و إن الرجل ليكـذب ويتحرى الكـذب فيكتب عنـد الله كاذبـا وعليكم بالصـدق فـإن الصـدق يهـدى إلى البر و إن البر ليهـدى إلى الجنـة و إن الرجل ليصـدق ويتحرى الصدق فيكتب عند الله صادقا -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۲۶۱ وروى أن رجلا قال للنبى‌ص أنا يا رسول الله أستسـر بخلال أربع الزنـا وشـرب الخمر والسـرق والكـذب فـأيتهن شـئت تركتهـا لك قال دع الكـذب فلما ولى هم بالزنا فقال يسألنى فإن جحـدت نقضت مـاجعلت له و إن أقررت حـددت ثم هم بالسـرق ثم بشـرب الخمر ففكر فى مثـل ذلـك فرجع إليه فقـال قدأخـذت على السبيل كله فقـد تركتهن أجمع -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۳۰ قـال العباس بن عبـدالمطلب لابنه عبـد الله يابنى أنت أفقه منى و أناأعقل منك -روايت-۱-۲-روايت-۴۷-ادامه دارد [صفحه ۳۵۸] و إن هذا الرجل يدنيك يعنى عمر بن الخطاب فاحفظ عنى ثلاثـا لاتفشـين له سـرا و لاتغتابن عنـده أحـدا و لايطلعن منك على كذبـة قال عبـد الله فكانت هـذه الثلاث أحب إلى من ثلاث بدرات ياقوتا -روايت-از قبل-۱۹۴ قال الواثق لأحمـد بن أبى داود رحمه الله تعالى كان ابن الزيات عنـدى فـذكرك بكل قبيح قـال الحمـد لله ألـذى أحـوجه إلى الكـذب على ونزهنى عن الصـدق فى أمره . و كـان يقـال أمران لايكـاد أحـدهما ينفـك من الكـذب كـثرة المواعيـد وشـدة الاعتـذار. و من الحكم القديمـة إنمـا فضـل النـاطق على الأخـرس بـالنطق وزين المنطق الصـدق فالكـاذب شـر من الأخـرس . قـال الرشـيد للفضـل بن الربيع فى كلام جرى بينهمـا كـذبت فقال يا أمير المؤمنين وجه الكـذوب لايقابلـك ولسـانه لايحـاورك .قيل فى تفسير قوله تعالى وَ لَكُمُ الوَيلُ مِمّا تَصِ‌فُونَهى فى الكـذابين فالويل لكل كاذب إلى يوم القيامة. و من كلام بعض الصالحين لو لم أترك الكذب تأثما لتركته تكرما. أبوحيان الكذب شـعار خلق ومورد رنق وأدب سيئ وعادة فاحشـة وقل من استرسل معه إلاألفه وقل من ألفه إلاأتلفه والصـدق ملبس بهى ومنهل غـذى وشـعاع منبث وقل من اعتاده ومرن عليه إلاصـحبته السـكينة وأيـده التوفيق وخدمته القلوب بالمحبة ولحظته العيون بالمهابة. -قرآن-۴۹۱-۵۲۳ [صفحه ۳۵۹] ابن السـماك لاأدرى أوجر على ترك الكـذب أم لاأنى أتركه أنفة.يحيى بن خالد رأيت شـريب خمر نزع ولصا أقلع وصاحب فواحش ارتـدع و لم أر كاذبا رجع .قالوا فى تفسير هذا إن المولع بالكذب لايكاد يصبر عنه فقد عوتب إنسان عليه فقال لمعاتبه يـا ابن أخى لوتغرغرت به لماصبرت عنه . وقيل لكاذب معروف بالكـذب أصـدقت قط قال لو لاأنى أخاف أن أصـدق لقلت لا. وجـاء فى بعض الأخبار المرفوعـة قيل له يا رسول الله أ يكون المؤمن جبانا قال نعم قيل أفيكون بخيلا قال نعم قيل أفيكون كاذبا قال لا -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۱۴۲ و قـال ابن عباس الحـدث حـدثان حـدث من فيك وحـدث من فرجك -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۶۲ . و قال بعضهم من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لايعلمون أخذه شاعر فقال و من دعا الناس إلى ذمه || ذموه بالحق وبالباطل . و كان يقال خـذوا عن أهل الشـرف فإنهم قلما يكذبون . و قال بعض الصالحين لوصـحبنى رجل فقال

لی اشترط علی خصلهٔ واحدهٔ لاتزید علیها لقلت لاتکذب . و کان یقال خصلتان لایجتمعان الکذب والمروءة. کان یقال من شرف الصدق أن صاحبه یصدق علی عدوه و من دناءهٔ الکذب أن صاحبه یکذب و إن کان صادقا. [صفحه ۳۶۰] ومثل هذاقولهم من عرف بالصدق جاز کذبه و من عرف بالکذب لم یجز صدقه . وجاء فی الخبر المرفوع أن فی المعاریض لمندوحهٔ عن الکذب -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۶۲ . و قال ابن سیرین الکلام أوسع من أن یکذب ظریف . وقالوا فی قوله تعالی لا تُؤاخِذنِی بِما نَسِیتُ لم ینس ولکنه من معاریض الکلام وکذلک قالوا فی قول ابراهیم إِنِّی سَقِیمٌ. و قال العتبی إنی لأصدق فی صغار مایضرنی فکیف لاأصدق فی کبار ماینفعنی و قال بعض الشعراء -قرآن-۷۸-۱۰۴-قرآن-۱۶۹-۱۸۲ لایکذب المرء إلا من مهانته || أوعادهٔ السوء أو من قلهٔ الأدب لعض جیفهٔ کلب خیر رائحهٔ || من کذبهٔ المرء فی جد و فی لعب .شهد أعرابی عندمعاویهٔ بشهادهٔ فقال له کذبت فقال الکاذب و الله المتزمل فی ثیابک فقال معاویهٔ هذاجزاء من عجل . و قال معاویهٔ یوما للأحنف وحدثه حدیثا أتکذب فقال له الأحنف و الله ماکذبت منذ علمت أن الکذب یشین أهله . ودخل عبد الله بن الزبیر یوما علی معاویهٔ فقال له اسمع أبیاتا قلتها و کان واجدا علی معاویهٔ فقال هات فأنشده إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته || علی طرف الهجران إن کان یعقل ویرکب حد السیف من أن تضیمه || إذا لم یکن عن شفرهٔ السیف مزحل . فقال معاویهٔ لقد شعرت بعدنا یا أبابکر ثم لم یلبث معاویهٔ أن دخل علیه معن [صفحه ۳۶۱] بن أوس المزنی فقال أ قلت بعدنا شیئا قال نعم وأنشده لعمرك لاأدری وإنی لأوجل || علی أینا تعدو المنیهٔ أول . حتی صار إلی الأبیات التی أنشدها ابن الزبیر فقال معاویهٔ یا أبابکر أ ماذکرت آنفا أن هذاالشعر لك فقال أناأصلحت المعانی و هوألف الشعر و بعدفهو ظئری و ما قال من شیءفهو لی . و کان عبد الله بن الزبیر مسترضعا فی مزینهٔ. وروی أبوالعباس المبرد فی الکامل أن عمر بن عبدالعزیز کتب فی إشخاص إیاس بن معاویهٔ المزنی وعدی بن أرطاهٔ الفزاری أمیرالبصرهٔ وقاضیها إلیه فصار عدی إلی إیاس وقدر أنه یمزنه عندعمر بن عبدالعزیز ویثنی علیه فقال له یا أباوائلهٔ إن لنا حقا ورحما فقال إیاس أ علی الکذب تریدنی و الله مایسرنی أن کذبت کذبهٔ یغفرها الله لی و لایطلع علیها هذا وأومأ إلی ابنه و لی ماطلعت علیه الشمس . وروی أبوالعباس أیضا أن عمرو بن معدیکرب الزبیدی کان معروفا بالکذب . وقیل لخلف الأحمر و کان مولی لهم وشدید التعصب للیمن أ کان عمرو بن معدیکرب یکذب قال یکذب فی المقال ویصدق فی الفعال . [صفحه ۳۶۲] قال أبوالعباس فروی لنا أن أهل الکوفهٔ الأشراف کانوا یظهرون بالکناسهٔ فیرکبون علی دوابهم حتی تطردهم الشمس فوقف عمرو بن معدیکرب الزبیدی وخالد بن الصقعب النهدی وعمرو لایعرفه إنما یسمع باسمه فأقبل عمرو یحدثه فقال أغرنا مرهٔ علی بنی نهد فخرجوا مسترعفین بخالد بن الصقعب فحملت علیه فطعنته فأذریته ثم ملت علیه بالصمصامهٔ فأخذت رأسه فقال خالد بن الصقعب حلا أباثور إن قتیلك هوالمحدث فقال عمرو یا هذا إذاحدثت فاستمع فإنما نتحدث بمثل ماتستمع لنرهب به هذه المعدیهٔ. قوله مسترعفین أی مقدمین له و قوله حلا أباثور أی استثن یقال حلف و لم یتحلل أی لم یستثن والمعدیهٔ مضر وربیعهٔ وأیاد بنو معد بن عدنان وهم أعداء الیمن فی المفاخرهٔ والتکاثر [صفحه ۳۶۳]

۸۶- و من خطبهٔ له ع

اشاره

عِبَادَ اللّهِ إِنّ مِن أَحَبّ عِبَادِ اللّهِ إِلَیهِ عَبداً أَعَانَهُ اللّهُ عَلَی نَفسِهِ فَاستَشعَرَ الحُزنَ وَ تَجَلبَبَ الخَوفَ فَزَهَر مِصبَاحُ الهُدَی فِی قَلبِهِ وَ أَعَدّ القِرَی لِیَومِهِ النّازِلِ بِهِ فَقَرّبَ عَلَی نَفسِهِ البَعِیدَ وَ هَوّنَ الشّدِیدَ نَظَرَ فَأَبصَرَ وَ ذَکَرَ فَاستَکثَرَ وَ ارتَوَی مِن عَذبٍ فُرَاتٍ سُهّلَت لَهُ مَوَارِدُهُ

فَشَرِبَ نَهَلًا وَ سَلَکَ سَبِیلًا جَدَداً قَد خَلَعَ سَرَابِیلَ الشّهَوَاتِ وَ تَخَلّی عَنِ الهُمُوم إِلّا هَمّاً وَاحِداً انفَرَدَ بِهِ فَخَرَجَ مِن صِفَةِ العَمَی وَ مُشَارَکَةِ أَهلِ الهَوَی وَ صَارَ مِن مَفَاتِیحِ أَبوَابِ الهُدَی وَ مَغَالِیقِ أَبوَابِ الرّدَی قَد أَبصَرَ طَرِیقَهُ وَ سَلَکَ سَبِیلَهُ وَ عَرَفَ مَنَارَهُ وَ قَطَعَ غِمَارَهُ وَ استَمسَکَ مِنَ العُرَی بِأَوثَقِهَا وَ مِنَ الحِبَالِ بِأَمتَنِهَا فَهُوَ مِنَ الیَقِینِ عَلَی مِثلِ ضَوءِ الشّمسِ قَد نَصَبَ نَفسَهُ لِلّهِ سُبحَانَهُ فِی أَرفَعِ الأُمُورِ مِن إِصدَارِ کُلّ وَارِدٍ عَلَیهِ وَ تَصیِیرِ کُلّ فَرعٍ إِلَی أَصلِهِ مِصبَاحُ ظُلُمَاتٍ کَشّافُ عَشَوَاتٍ مِفتَاحُ مُبهَمَاتٍ دَفّاعُ مُعضِلَاتٍ دَلِیلُ فَلَوَاتٍ یَقُولُ فَیُفهِمُ وَ یَسکُتُ فَیَسلَمُ قَد أَخلَصَ لِلّهِ فَاستَخلَصَهُ فَهُوَ مِن مَعَادِنِ دِینِهِ وَ أَوتَادِ أَرضِهِ قَد أَلزَمَ [صفحه ۳۶۴] نَفسَهُ العَدلَ فَکَانَ أَوّلُ عَدلِهِ نفَیُ الهَوَی عَن نَفسِهِ یَصِفُ الحَقّ وَ یَعمَلُ بِهِ لَا یَدَعُ لِلخَیرِ غَایَةً إِلّا أَمّهَا وَ لَا مَظِنّةً إِلّا قَصَدَهَا قَد أَمکَنَ الکِتَابَ مِن زِمَامِهِ فَهُوَ قَائِدُهُ وَ إِمَامُهُ یَحُلّ حَیثُ حَلّ ثَقَلُهُ وَ یَنزِلُ حَیثُ کَانَ مَنزِلُهُ استشعر الحزن جعله کالشعار و هو مایلی الجسد من الثیاب وتجلبب الخوف جعله جلبابا أی ثوبا.زهر مصباح الهدی أضاء وأعد القری لیومه أی أعد ماقدمه من الطاعات قری لضیف الموت النازل به والفرات العذب . و قوله فشرب نهلا۔ یجوز أن یکون أراد بقوله نهلا۔ المصدر من نهل ینهل نهلا أی شرب حتی روی ویجوز أن یرید بالنهل الشرب الأول خاصة ویرید أنه اکتفی بما شربه أولا فلم یحتج إلی العلل . وطریق جدد لاعثار فیه لقوة أرضه وقطع غماره یقال بحر غمر أی کثیر الماء وبحار غمار واستمسک من العری بأوثقها أی من العقود الوثیقة قال تعالی فَقَدِ استَمسَکَ بِالعُروَةِ الوُثقی. ونصب نفسه لله أی أقامها.کشاف عشوات جمع عشوة وعشوة وعشوة بالحرکات الثلاث وهی الأمر الملتبس یقال أوطأنی عشوة. -قرآن-۵۴۳-۵۷۸ [صفحه ۳۶۵] والمعضلات جمع معضلة وهی الشدائد والأمور التی لایهتدی لوجهها.دلیل فلوات أی یهتدی به کمایهتدی الرکب فی الفلاة بدلیلهم .أمها قصدها ومظنة الشیء حیث یظن وجوده والثقل متاع المسافر وحشمه

فصل فی العباد والزهاد والعارفین وأحوالهم

واعلم أن هذاالکلام منه أخذ أصحاب علم الطریقة والحقیقة علمهم و هوتصریح بحال العارف ومکانته من الله تعالی . والعرفان درجة حال رفیعة شریفة جدا مناسبة للنبوة ویختص الله تعالی بها من یقربه إلیه من خلقه . والأولیاء علی طبقات ثلاث الطبقة الأولی حال العابد و هوصاحب الصلاة الکثیرة والصوم الدائم والحج والصدقة. والطبقة الثانیة حال الزاهد و هوالمعرض عن ملاذ الدنیا وطیباتها تقنعه الکسرة وتستره الخرقة لامال و لازوجة و لاولد. والطبقة الثالثة حال العارف و هوالواصل إلی الله سبحانه بنفسه لاببدنه والباریء سبحانه متمثل فی نفسه تمثل المعشوق فی ذات العاشق و هوأرفع الطبقات وبعده الزاهد. و أماالعابد فهو أدونها و ذلک لأن العابد معامل کالتاجر یعبد لیثاب ویتعب نفسه لیرتاح فهو یعطی من نفسه شیئا ویطلب ثمنه وعوضه و قد یکون العابد غنیا موسرا کثیر المال والولد فلیست حاله من أحوال الکمال . و أماالزاهد فإنه احتقر الدنیا وعروضها وقیناتها فخلصت نفسه من دناءة المطامع [صفحه ۳۶۶] وصار عزیزا ملکا لاسلطان علیه لنفسه و لالغیره فاستراح من الذل والهوان و لم یبق لنفسه شیءتشتاق إلیه بعدالموت فکان أقرب إلی السلامة والنجاة من العابد الغنی الموسر. و أماالعارف فإنه بالحال التی وصفناها ویستلزم مع وجودها أن یکون زاهدا لأنه لایتصور العرفان مع تعلق النفس بملاذ الدنیا وشهواتها نعم قدیحصل بعض العرفان لبعض العلماء الفضلاء مع تعلقهم بشهوات الدنیا ولکنهم لایکونون کاملین فی أحوالهم وإنما تحصل الحالة الکاملة لمن رفض الدنیا وتخلی عنها وتستلزم الحالة المذکورة أیضا أن یکون عابدا عبادة ما و لیس یشترط فی حصول حال العرفان أن یکون علی قدم عظیمة من العبادة بل الإکثار من العبادة حجاب کماقیل ولکن لابد من القیام بالفرائض و شیءیسیر من النوافل . واعلم أن العارف هوالعارف بالله تعالی وصفاته وملائکته ورسله وکتبه وبالحکمة المودعة فی نظام العالم لاسیما الأفلاک

والكواكب وتركيب طبقات العناصر والأحكام و فى تركيب الأبدان الإنسانية.فمن حصل له ذلك فهو العارف و إن لم يحصل له ذلك فهو ناقص العرفان و إن انضم إلى ذلك استشعاره جلال الله تعالى وعظمته ورياضة النفس والمجاهدة والصبر والرضا والتوكل فقد ارتفع طبقة أخرى فإن حصل له بعد ذلك الحب والوجد فقد ارتفع طبقة أخرى فإن حصل له بعد ذلك الإعراض عن كل شىءسوى الله و أن يصير مسلوبا عن الموجودات كلها فلايشعر إلابنفسه وبالله تعالى فقد ارتفع طبقة أخرى وهى أرفع طبقات . [صفحه ٣٦٧] وهناك طبقة أخرى يذكرونها وهى أن يسلب عن نفسه أيضا فلا يكون له شعور بهاأصلا وإنما يكون شاعرا بالقيوم الأول سبحانه لا غير و هذه درجة الاتحاد بأن تصير الذاتان ذاتا واحدة. و هذاقول قوم من الأوائل و من المتأخرين أيضا و هومقام صعب لاتثبت العقول لتصوره واكتناهه . واعلم أن هذه الصفات والشروط والنعوت التى ذكرها فى شرح حال العارف إنما يعنى بهانفسه ع و هو من الكلام ألذى له ظاهر وباطن فظاهره أن يشرح حال العارف المطلق وباطنه أن يشرح حال عارف معين و هونفسه ع وسيأتى فى آخر الخطبة مايدل على ذلك . ونحن نذكر الصفات التى أشار ع إليها واحدة واحدة فأولها أن يكون عبدا أعانه الله على نفسه ومعنى ذلك أن يخصه بألطاف يختار عندها الحسن ويتجنب القبيح فكأنه أقام النفس فى مقام العدو وأقام الألطاف مقام المعونة التى يمده الله سبحانه بهافيكسر عادية العدو المذكور وبهذا الاعتبار سمى قوم من المتكلمين اللطف عونا. وثانيها أن يستشعر الحزن أى يحزن على الأيام الماضية إن لم يكن اكتسب فيها من موجبات الاختصاص أضعاف مااكتسبه . وثالثها أن يتجلبب الخوف أى يخاف من الإعراض عنه بأن يصدر عنه مايمحوه من جريدة المخلصين . ورابعها أن يعد القرى لضعيف المنية و ذلك بإقامة وظائف العبادة. [صفحه ٣٦٨] وخامسها أن يقرب على نفسه البعيد و ذلك بأن يمثل الموت بين عينيه صباحا ومساء وألا يطيل الأمل . وسادسها أن يهون عليه الشدائد و ذلك باحتمال كلف المجاهدة ورياضة النفس على عمل المشاق . وسابعها أن يكون قدنظر فأبصر و ذلك بترتيب المقدمات المطابقة لمتعلقاتها ترتيبا صحيحا لتنتج العلم اليقينى. وثامنها أن يذكر الله تعالى فيستكثر من ذكره لأن ذكره سبحانه والإكثار منه يقتضى سكون النفس وطمأنينتها كما قال تعالى أَلا بِذِكرِ اللّهِ تَطمَئِنّ القُلُوبُ. وتاسعها أن يرتوى من حب الله تعالى و هوالعذب الفرات ألذى سهل موارده على من انتخبه الله وجعله أهلا للوصول إليه فشرب منه ونهل وسلك طريقا لاعثار فيه و لاوعث . وعاشرها أن يخلع سرابيل الشهوات لأن الشهوات تصدئ مرآة العقل فلاتنطبع المعقولات فيها كماينبغى وكذلك الغضب . وحادى عشرها أن يتخلى من الهموم كلها لأنها تزيدات وقواطع عن المطلوب إلاهما واحدا و هوهمه بمولاه ألذى لذته وسروره الاهتمام به والتفرد بمناجاته ومطالعة أنوار عزته فحينئذ يخرج عن صفة أهل العمى و من مشاركة أهل الهوى لأنه قدامتاز عنهم بهذه المرتبة والخاصية التى حصلت له فصار مفتاحا لباب الهدى ومغلاقا لباب الضلال والردى قدأبصر طريق الهدى وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره . -قرآن-٤٢٧-٤٦٥ [صفحه ٣٦٩] وثانى عشرها أن ينصب نفسه لله فى أرفع الأمور و هوالخلوة به ومقابلة أنوار جلاله بمرآة فكره حتى تتكيف نفسه بتلك الكيفية العظيمة الإشراق فهذا أرفع الأمور وأجلها وأعظمها و قدرمز فى هذاالفصل ومزجه بكلام خرج به إلى أمر آخر و هوفقه النفس فى الدين والأمور الشرعية النافعة للناس فى دنياهم وأخراهم أما فى دنياهم فلردع المفسد وكف الظالم و أما فى أخراهم فللفوز بالسعادة باعتبار امتثال الأوامر الإلهية فقال فى إصدار كل وارد عليه أى فى فتيا كل مستفت له وهداية كل مسترشد له فى الدين ثم قال وتصيير كل فرع إلى أصله ويمكن أن يحتج بهذا من قال بالقياس ويمكن أن يقال إنه لم يرد ذلك بل أراد تخريج الفروع العقلية وردها إلى أصولها كمايتكلف أصحابنا القول فى بيان حكمة القديم تعالى فى الآلام وذبح الحيوانات ردا له إلى أصل العدل و هوكونه تعالى لايفعل القبيح . وثالث عشرها أن يكون مصباحا لظلمات الضلال كشافا لعشوات الشبه مفتاحا لمبهمات الشكوك المستغلقة دفاعا لمعضلات الاحتجاجات العقلية الدقيقة الغامضة دليلا فى فلوات الأنظار الصعبة المشتبهة و لم يكن فى أصحاب محمدص أحد بهذه الصفة إلا هو. ورابع عشرها أن يقول مخاطبا لغيره فيفهمه

ماخاطبه به و أن يسكت فيسلم و ذلک لأنه ليس كل قائل مفهما و لا كل ساكت سالما. وخامش عشرها أن يكون قدأخلص لله فاستخلصه الله والإخلاص لله مقام عظيم جدا و هوينزه الأفعال عن الرياء وألا يمازج العبادة أمر لا يكون لله سبحانه ولهذا كان بعض الصالحين يصبح من طول العبادة نصبا قشفا فيكتحل ويدهن ليذهب بذلک أثر العبادة عنه . [صفحه ۳۷۰] و قوله فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه معادن دينه الذين يقتبس الدين منهم كمعادن الذهب والفضة وهى الأرضون التى يلتقط ذلک منها وأوتاد أرضه هم الذين لولاهم لمادت الأرض وارتجت بأهلها و هذا من باب الاستعارة الفصيحة و أهل هذاالعلم يقولون أوتاد الأرض جماعة من الصالحين ولهم فى الأوتاد والأبدال والأقطاب كلام مشهور فى كتبهم . وسادس عشرها أن يكون قدألزم نفسه العدل والعدالة ملكه تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقا لاتخلقا. وأقسام العدالة ثلاثة هى الأصول و ماعداها من الفضائل فروع عليها الأولى الشجاعة ويدخل فيهاالسخاء لأنه شجاعة وتهوين للمال كما أن الشجاعة الأصلية تهوين للنفس فالشجاع فى الحرب جواد بنفسه والجواد بالمال شجاع فى إنفاقه ولهذا قال الطائى أيقنت أن من السماح شجاعة || تدمى و أن من الشجاعة جودا . والثانية الفقه ويدخل فيهاالقناعة والزهد والعزلة. والثالثة الحكمة وهى أشرفها. و لم تحصل العدالة الكاملة لأحد من البشر بعد رسول الله ص إلالهذا الرجل و من أنصف علم صحة ذلک فإن شجاعته وجوده وعفته وقناعته وزهده يضرب بهاالأمثال . و أماالحكمة والبحث فى الأمور الإلهية فلم يكن من فن أحد من العرب و لانقل فى جهاد أكابرهم وأصاغرهم شىء من ذلک أصلا و هذافن كانت اليونان وأوائل الحكماء وأساطين الحكمة ينفردون به وأول من خاض فيه من العرب على ع ولهذا [صفحه ۳۷۱] تجد المباحث الدقيقة فى التوحيد والعدل مبثوثة عنه فى فرش كلامه وخطبه و لاتجد فى كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة من ذلک و لايتصورونه و لوفهموه لم يفهموه وأنى للعرب ذلک . ولهذا انتسب المتكلمون الذين لججوا فى بحار المعقولات إليه خاصة دون غيره وسموه أستاذهم ورئيسهم واجتذبته كل فرقة من الفرق إلى نفسها أ لاترى أن أصحابنا ينتمون إلى واصل بن عطاء وواصل تلميذ أبى هاشم بن محمد بن الحنفية و أبوهاشم تلميذ أبيه محمد و محمدتلميذ أبيه على ع .فأما الشيعة من الإمامية والزيدية والكيسانية فانتماؤهم إليه ظاهر. و أماالأشعرية فإنهم بأخرة ينتمون إليه أيضا لأن أبا الحسن الأشعرى تلميذ شيخنا أبى على رحمه الله تعالى و أبو على تلميذ أبى يعقوب الشحام و أبويعقوب تلميذ أبى الهذيل و أبوالهذيل تلميذ أبى عثمان الطويل و أبوعثمان الطويل تلميذ واصل بن عطاء فعاد الأمر إلى انتهاء الأشعرية إلى على ع . و أماالكرامية فإن ابن الهيصم ذكر فى كتاب المقالات أن أصل مقالتهم وعقيدتهم تنتهى إلى على ع من طريقين أحدهما بأنهم يسندون اعتقادهم عن شيخ بعدشيخ إلى أن ينتهى إلى سفيان الثورى ثم قال وسفيان الثورى من الزيدية ثم سأل نفسه فقال إذا كان شيخكم الأكبر ألذى تنتمون إليه كان زيديا فما بالكم لاتكونون زيدية وأجاب بأن سفيان الثورى رحمه الله تعالى و أن أشهر عنه الزيدية إلا أن تزيده إنما كان عبارة عن موالاة أهل البيت وإنكار ما كان بنو أمية عليه من الظلم وإجلال زيد بن على وتعظيمه وتصوينه فى أحكامه وأحواله و لم ينقل عن سفيان الثورى أنه طعن فى أحد من الصحابة. [صفحه ۳۷۲] الطريق الثانى أنه عد مشايخهم واحدا فواحدا حتى انتهى إلى علماء الكوفة من أصحاب على كسلمة بن كهيل وحبة العرنى وسالم بن الجعد والفضل بن دكين وشعبة والأعمش وعلقمة وهبيرة ابن مريم و أبى إسحاق الشعبى وغيرهم ثم قال وهؤلاء أخذوا العلم من على بن أبى طالب ع فهو رئيس الجماعة يعنى أصحابه وأقوالهم منقولة عنه ومأخوذة منه . و أماالخوارج فانتماؤهم إليه ظاهر أيضا مع طعنهم فيه لأنهم كانوا أصحابه و عنه مرقوا بعد أن تعلموا عنه واقتبسوا منه وهم شيعته وأنصاره بالجمل وصفين ولكن الشيطان ران على قلوبهم وأعمى بصائرهم . ثم إنه ع ذكر حال هذاالعارف العادل فقال أول عدله نفى الهوى عن نفسه و ذلک لأن من يأمر و لايأتمر وينهى و لاينتهى لاتؤثر عظته و لاينفع إرشاده ثم شرح ذلک فقال يصف الحق ويعمل به ثم قال لايدع للخير غاية إلاأمها و لامظنة إلاقصدها و ذلک لأن الخير لذته وسروره وراحته فمتى وجد إليه طريقا سلكها ثم قال قدأمكن الكتاب يعنى

القرآن من زمامه أی قدأطاع الأوامر الإلهیهٔ فالقرآن قائده وإمامه یحل حیث حل وینزل حیث نزل وَ آخَرُ قَد تَسَمّی عَالِماً وَ لَیسَ بِهِ فَاقتَبَسَ جَهَائِلَ مِن جُهّالٍ وَ أَضَالِیلَ مِن ضُلّالٍ وَ نَصَبَ لِلنّاسِ أَشرَاکاً مِن حَبَائِلِ غُرُورٍ وَ قَولِ زُورٍ قَد حَمَلَ الکِتَابَ عَلَی آرَائِهِ وَ عَطَفَ الحَقّ عَلَی أَهوَائِهِ یُؤَمّنُ النّاسَ مِنَ العَظَائِمِ وَ یُهَوّنُ کَبِیرَ الجَرَائِمِ یَقُولُ أَقِفُ عِندَ الشّبُهَاتِ وَ فِیهَا وَقَعَ وَ یَقُولُ أَعتَزِلُ البِدَعَ وَ بَینَهَا اضطَجَعَ فَالصّورَةُ [صفحه ۳۷۳] صُورَةُ إِنسَانٍ وَ القَلبُ قَلبُ حَیَوَانٍ لَا یَعرِفُ بَابَ الهُدَی فَیَتّبِعَهُ وَ لَا بَابَ العَمَی فَیَصُدّ عَنهُ وَ ذَلِکَ مَیّتُ الأَحیَاءِ فَأَینَ تَذهَبُونَ وَ أَنّی تُؤفَکُونَ وَ الأَعلَامُ قَائِمَةٌ وَ الآیَاتُ وَاضِحَةٌ وَ المَنَارُ مَنصُوبَةٌ فَأَینَ یُتَاهُ بِکُم وَ کَیفَ تَعمَهُونَ وَ بَینَکُم عِترَةُ نَبِیّکُم وَ هُم أَزِمّةُ الحَقّ وَ أَعلَامُ الدّینِ وَ أَلسِنَةُ الصّدقِ فَأَنزِلُوهُم بِأَحسَنِ مَنَازِلِ القُرآنِ وَ رِدُوهُم وُرُودَ الهِیمِ العِطَاشِ أَیّهَا النّاسُ خُذُوهَا عَن خَاتَمِ النّبِیّینَ‌ص إِنّهُ یَمُوتُ مِن مَاتَ مِنّا وَ لَیسَ بِمَیّتٍ وَ یَبلَی مَن بَلِیَ مِنّا وَ لَیسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعرِفُونَ فَإِنّ أَکثَرَ الحَقّ فِیمَا تُنکِرُونَ وَ أَعذِرُوا مَن لَا حُجّةَ لَکُم عَلَیهِ وَ هُوَ أَنَا أَ لَم أَعمَل فِیکُم بِالثّقَلِ الأَکبَرِ وَ أَترُک فِیکُمُ الثّقَلَ الأَصغَرَ قَد رَکَزتُ فِیکُم رَایَةَ الإِیمَانِ وَ وَقَفتُکُم عَلَی حُدُودِ الحَلَالِ وَ الحَرَامِ وَ أَلبَستُکُمُ العَافِیَةَ مِن عَدلِی وَ فَرَشتُکُمُ المَعرُوفَ مِن قَولِی وَ فِعلِی وَ أَرَیتُکُم کَرَائِمَ الأَخلَاقِ مِن نَفسِی فَلَا تَستَعمِلُوا الرّأیَ فِیمَا لَا یُدرِکُ قَعرَهُ البَصَرُ وَ لَا تَتَغَلغَلُ إِلَیهِ الفِکَرُ الجهائل جمع جهالهٔ کماقالوا علاقهٔ وعلائق والأضالیل الضلال جمع لاواحد له من لفظه . و قوله و قدحمل الکتاب علی آرائه یعنی قدفسر الکتاب وتأوله علی مقتضی هواه و قدأوضح ذلک بقوله وعطف الحق علی أهوائه . [صفحه ۳۷۴] و قوله یؤمن الناس من العظائم فیه تأکید لمذهب أصحابنا فی الوعید وتضعیف لمذهب المرجئهٔ الذین یؤمنون الناس من عظائم الذنوب ویمنونهم العفو مع الإصرار وترک التوبهٔ وجاء فی الخبر المرفوع المشهور الکیس من دان نفسه وعمل لما بعدالموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنی علی الله -روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۱۲۳ . و قوله یقول أقف عندالشبهات یعنی أن هذاالمدعی للعلم یقول لنفسه وللناس أناواقف عندأدنی شبههٔ تحرجا وتورعا کما قال ص دع مایریبک إلی ما لایریبک -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-۴۵ . ثم قال و فی الشبهات وقع أی بجهله لأن من لایعلم الشبههٔ ماهی کیف یقف عندها ویتخرج من الورطهٔ فیها و هو لایأمن من کونها غیرشبههٔ علی الحقیقهٔ. و قوله أعتزل البدع وبینها اضطجع إشارهٔ إلی تضعیف مذاهب العامهٔ والحشویهٔ الذین رفضوا النظر العقلی وقالوا نعتزل البدع . و قوله فالصورهٔ صورهٔ إنسان و مابعده فمراده بالحیوان هاهنا الحیوان الأخرس کالحمار والثور و لیس یرید العموم لأن الإنسان داخل فی الحیوان و هذامثل قوله تعالی إِن هُم إِلّا کَالأَنعامِ بَل هُم أَضَلّ سَبِیلًا. و قال الشاعر -قرآن-۴۴۳-۴۹۱ وکائن تری من صامت لک معجب || زیادته أونقصه فی التکلم لسان الفتی نصف ونصف فؤاده || فلم یبق إلاصورهٔ اللحم والدم . [صفحه ۳۷۵] قوله و ذلک میت الأحیاء کلمهٔ فصیحهٔ و قدأخذها شاعر فقال لیس من مات فاستراح بمیت || إنما المیت میت الأحیاء . إلا أن أمیر المؤمنین ع أراد لجهله والشاعر أراد لبؤسه . وتؤفکون تقلبون وتصرفون . والأعلام المعجزات هاهنا جمع علم وأصله الجبل أوالرایهٔ والمنارهٔ تنصب فی الفلاهٔ لیهتدی بها. و قوله فأین یتاه بکم أی أین یذهب بکم فی التیه ویقال أرض تیهاء یتحیر سالکها وتعمهون تتحیرون وتضلون . وعترهٔ رسول الله ص أهله الأدنون ونسله و لیس بصحیح قول من قال إنهم رهطه و إن بعدوا وإنما قال أبوبکر یوم السقیفهٔ أوبعده نحن عترهٔ رسول الله ص وبیضته التی فقئت عنه علی طریق المجاز لأنهم بالنسبهٔ إلی الأمصار عترهٔ له لا فی الحقیقهٔ أ لاتری أن العدنانی یفاخر القحطانی فیقول له أنا ابن عم رسول الله ص لیس یعنی أنه ابن عمه علی الحقیقهٔ بل هوبالإضافهٔ إلی القحطانی کأنه ابن عمه وإنما استعمل ذلک ونطق به مجازا فإن قدر مقدر أنه علی طریق حذف المضافات أی ابن ابن عم أب الأب إلی عدد کثیر فی البنین والآباء فکذلک أراد أبوبکر أنهم عترهٔ أجداده علی طریق حذف المضاف و قد بین رسول الله ص عترته من هی لما قال إنی تارک فیکم الثقلین -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۸ فقال عترتی أهل بیتی -روایت-۱-۲-روایت-۹-۲۶ و بین فی مقام آخر من أهل بیته حیث طرح علیهم کساء و قال حین نزلت إِنّما یُرِیدُ اللّهُ -قرآن-۷۴-۹۴ و بین فی مقام آخر من أهل بیته حیث طرح علیهم کساء و قال حین نزلت إِنّما

يُرِيدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكَمُ الرّجسَ أَهلَ البَيتِ -قرآن-١-٤٠ أللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم -روايت-١-٤٤ . فإن قلت فمن هى العترة التى عناها أمير المؤمنين ع بهذا الكلام . قلت نفسه وولداه والأصل فى الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له ونسبتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة و قدنبه النبى ص على ذلك بقوله وأبوكما خير منكما -روايت-١-٢-روايت-٩-٢٨ . و قوله وهم أزمة الحق جمع زمام كأنه جعل الحق دائرا معهم حيثما داروا وذاهبا معهم حيثما ذهبوا كما أن الناقة طوع زمامها و قدنبه الرسول ص على صدق هذه القضية بقوله وأدر الحق معه حيث دار -روايت-١-٢-روايت-٩-٣٥ . و قوله وألسنة الصدق من الألفاظ الشريفة القرآنية قال الله تعالى وَ اجعَل لِي لِسانَ صِدقٍ فِي الآخِرِينَ لما كان يصدر عنهم حكم و لاقول إلا و هوموافق للحق والصواب جعلهم كأنهم ألسنة صدق لايصدر عنها قول كاذب أصلا بل هى كالمطبوعة على الصدق . و قوله فأنزلوهم منازل القرآن تحته سر عظيم و ذلك أنه أمر المكلفين بأن يجروا العترة فى إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن . فإن قلت فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم فى ذلك . قلت نص أبو محمد بن متويه رحمه الله تعالى فى كتاب الكفاية على أن عليا ع معصوم و إن لم يكن واجب العصمة و لاالعصمة شرط فى الإمامة لكن أدلة النصوص قددلت على عصمته والقطع على باطنه ومغيبه و أن ذلك أمر اختص -قرآن-٧٠-١٠٩ [صفحه ٣٧٧] هو به دون غيره من الصحابة والفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و بين قولنا زيد واجب العصمة لأنه إمام و من شرط الإمام أن يكون معصوما فالاعتبار الأول مذهبنا والاعتبار الثانى مذهب الإمامية. ثم قال وردوهم ورود الهيم العطاش أى كونوا ذوى حرص وانكماش على أخذ العلم والدين منهم كحرص الهيم الظماء على ورود الماء. ثم قال أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين إلى قوله و ليس ببال هذاالموضع يحتاج إلى تلطف فى الشرح لأن لقائل أن يقول ظاهر هذاالكلام متناقض لأنه قال يموت من مات منا و ليس بميت و هذا كماتقول يتحرك المتحرك و ليس بمتحرك وكذلك قوله ويبلى من بلى منا و ليس ببال أ لاترى أنه سلب وإيجاب لشىء واحد فإن قلتم أراد بقاء النفس بعدموت الجسد كماقاله الأوائل وقوم من المتكلمين قيل لكم فلااختصاص للنبى و لالعلى بذلك بل هذه قضية عامة فى جميع البشر والكلام خرج مخرج التمدح والفخر.فنقول فى الجواب إن هذايمكن أن يحمل على وجهين أحدهما أن يكون النبى ص و على و من يتلوهما من أطائب العترة أحياء بأبدانهم التى كانت فى الدنيا بأعيانها قدرفعهم الله تعالى إلى ملكوت سماواته و على هذا لوقدرنا أن محتفرا احتفر تلك الأجداث الطاهرة عقب دفنهم لم يجد الأبدان فى الأرض و قدروى فى الخبر النبوىص مثل ذلك و هو قوله إن الأرض لم تسلط على وإنها لاتأكل لى لحما و لاتشرب لى دما -روايت-١-٢-روايت-٥٢-١١٦ نعم يبقى الأشكال فى قوله ويبلى من بلى منا و ليس ببال فإنه إن صح هذاالتفسير فى الكلام الأول و هو قوله يموت [صفحه ٣٧٨] من مات منا و ليس بميت فليس يصح فى القضية الثانية وهى حديث البلاء لأنها تقتضى أن الأبدان تبلى وذاك الإنسان لم يبل فأحوج هذاالأشكال إلى تقدير فاعل محذوف فيكون تقدير الكلام يموت من مات حال موته و ليس بميت فيما بعد ذلك من الأحوال والأوقات ويبلى كفن من بلى منا و ليس هوببال فحذف المضاف كقوله وَ إِلى مَديَنَ أى و إلى أهل مدين و لما كان الكفن كالجزء من الميت لاشتماله عليه عبر بأحدهما عن الآخر للمجاورة والاشتمال كماعبروا عن المطر بالسماء و عن الخارج المخصوص بالغائط و عن الخمر بالكأس ويجوز أن يحذف الفاعل كقوله تعالى حَتّى تَوارَت بِالحِجابِ وفَلَو لا إِذا بَلَغَتِ الحُلقُومَ وقول حاتم إذاحشرجت وحذف الفاعل كثير. والوجه الثانى أن أكثر المتكلمين ذهبوا إلى أن للإنسان الحى الفعال أجزاء أصلية فى هذه البنية المشاهدة وهى أقل مايمكن أن تأتلف منه البنية التى معها يصح كون الحى حيا وجعلوا الخطاب متوجها نحوها والتكليف واردا عليها و ماعداها من الأجزاء فهى فاضلة ليست داخلة فى حقيقة الإنسان و إذاصح ذلك جاز أن ينتزع الله تلك الأجزاء الأصلية من أبدان الأنبياء والأوصياء فيرفعها إليه بعد أن يخلق لها من الأجزاء الفاضلة عنها نظير ما كان لها فى الدار الأولى كماقاله من ذهب إلى قيامة

الأنفس والأبدان معا فتنعم عنده وتلتذ بضروب اللذات الجسمانية و يكون هذامخصوصا بهذه الشجرة -قرآن-٣٢٢-٣٣٦-قرآن-٥٦٠-٥٨٣-قرآن-٥٨٦-٦١٨ [صفحه ٣٧٩] المباركة دون غيرها و لاعجب فقد ورد فى حق الشهداء نحو ذلك فى قوله تعالى وَ لاـ تَحسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللّهِ أَمواتاً بَل أَحياءٌ عِندَ رَبّهِم يُرزَقُونَ. و على الوجه الأول لو أن محتفرا احتفر أجداثهم لوجد الأبدان فيها و إن لم يعلم أن أصول تلك البنى قدانتزعت منها ونقلت إلى الرفيق الأعلى و هذاالوجه لايحتاج إلى تقدير ماقدرناه أولا من الحذف لأن الجسد يبلى فى القبر إلاقدر ماانتزع منه ونقل إلى محل القدس وكذلك أيضا يصدق على الجسد أنه ميت و إن كان أصل بنيته لم يمت -قرآن-٧٩-١٧٦ و قدورد فى الخبر الصحيح أن أرواح الشهداء من المؤمنين فى حواصل طيور خضر تدور فى أفناء الجنان وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش -روايت-١-٢-روايت-٢٨-١٦٦ فإذاجاء هذا فى الشهداء فما ظنك بموالى الشهداء وساداتهم . فإن قلت فهل يجوز أن يتأول كلامه فيقال لعله أراد بقاء الذكر والصيت . قلت إنه لبعيد لأن غيرهم يشركهم فى ذلك ولأنه أخرج الكلام مخرج المستغرب المستعظم له . فإن قلت فهل يمكن أن يقال إن الضمير يعود إلى النبى ص لأنه قدذكره فى قوله خاتم النبيين فيكون التقدير أنه يموت من مات منا و النبى ص ليس بميت ويبلى من بلى منا و النبى ليس ببال . قلت هذاأبعد من الأول لأنه لوأراد ذلك لقال إن رسول الله ص لاتبليه الأرض و أنه الآن حى و لم يأت بهذا الكلام الموهم ولأنه فى سياق تعظيم العترة وتبجيل أمرها وفخره بنفسه وتمدحه بخصائصه ومزاياه فلايجوز أن يدخل فى غضون ذلك ما ليس منه . [صفحه ٣٨٠] فإن قلت فهل هذاالكلام منه أم قاله مرفوعا قلت بل ذكره مرفوعا أ لاتراه قال خذوها عن خاتم النبيين ثم نعود إلى التفسير فنقول إنه لما قال لهم ذلك علم أنه قال قولا عجيبا وذكر أمرا غريبا وعلم أنهم ينكرون ذلك ويعجبون منه فقال لهم فلاتقولوا ما لاتعرفون أى لاتكذبوا إخبارى و لاتكذبوا إخبار رسول الله لكم بهذا فتقولون ما لاتعلمون صحته ثم قال فإن أكثر الحق فى الأمور العجيبة التى تنكرونها كإحياء الموتى فى القيامة وكالصراط والميزان والنار والجنة وسائر أحوال الآخرة هذا إن كان خاطب من لايعتقد الإسلام فإن كان الخطاب لمن يعتقد الإسلام فإنه يعنى بذلك أن أكثرهم كانوا مرجئة ومشبهة ومجبرة و من يعتقد أفضلية غيره عليه و من يعتقد أنه شرك فى دم عثمان و من يعتقد أن معاوية صاحب حجة فى حربه أوشبهة يمكن أن يتعلق بهامتعلق و من يعتقد أنه أخطأ فى التحكيم إلى غير ذلك من ضروب الخطإ التى كان أكثرهم عليها. ثم قال وأعذروا من لاحجة لكم عليه و هو أنا يقول قدعدلت فيكم وأحسنت السيرة وأقمتكم على المحجة البيضاء حتى لم يبق لأحد منكم حجة يحتج بها على ثم شرح ذلك فقال عملت فيكم بالثقل الأكبر يعنى الكتاب وخلفت فيكم الأصغر يعنى ولديه لأنهما بقية الثقل الأصغر فجاز أن يطلق عليهما بعدذهاب من ذهب منه أنهما الثقل الأصغر وإنما سمى النبى ص الكتاب والعترة الثقلين لأن الثقل فى اللغة متاع المسافر وحشمه فكأنه ص لماشارف الانتقال إلى جوار ربه تعالى جعل نفسه كالمسافر ألذى ينتقل من منزل إلى منزل وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه لأنهما أخص الأشياء به . قوله وركزت فيكم راية الإيمان أى غرزتها وأثبتها و هذا من باب الاستعارة. [صفحه ٣٨١] وكذلك قوله ووقفتكم على حدود الحلال والحرام من باب الاستعارة أيضا مأخوذ من حدود الدار وهى الجهات الفاصلة بينها و بين غيرها. قوله وألبستكم العافية من عدلى استعارة فصيحة وأفصح منها قوله وفرشتكم المعروف من قولى وفعلى أى جعلته لكم فراشا وفرش هاهنا متعد إلى مفعولين يقال فرشته كذا أى أوسعته إياه . ثم نهاهم أن يستعملوا الرأى فيما ذكره لهم من خصائص العترة وعجائب مامنحها الله تعالى فقال إن أمرنا أمر صعب لاتهتدى إليه العقول و لاتدرك الأبصار قعره و لاتتغلغل الأفكار إليه -روايت-١-٢-روايت-٩-١٠٠ والتغلغل الدخول من تغلغل الماء بين الشجر إذاتخللها ودخل بين أصولها وَ مِنهَا حَتّى يَظُنّ الظّانّ أَنّ الدّنيَا مَعقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيّةَ تَمنَحُهُم دَرّهَا وَ تُورِدُهُم صَفوَهَا وَ لَا يُرفَعُ عَن هَذِهِ الأُمّةِ سَوطُهَا وَ لَا سَيفُهَا وَ كَذَبَ الظّانّ لِذَلِكَ بَل هيَ مَجّةٌ مِن لَذِيذِ العَيشِ يَتَطَعّمُونَهَا بُرهَةً ثُمّ يَلفِظُونَهَا جُملَةً معقولة محبوسة بعقال كماتعقل الناقة وتمنحهم تعطيهم والمنح

العطاء منح يمنح بالفتح والاسم المنحة بالكسر واستمنحت زيدا طلبت منحته . والدر فى الأصل اللبن جعل الدنيا كناقة معقولة عليهم تمنحهم لبنها ثم استعمل [صفحه ۳۸۲] الدر فى كل خير ونفع فقيل لادر درة أى لاكثر خيره ويقال فى المدح لله درة أى عمله . ومجة من لذيذ العيش مصدر مج الشراب من فيه أى رمى به وقذفه ويقال انمجت نقطة من القلم أى ترششت وشيخ ماج أى كبير يمج الريق و لايستطيع حبسه لكبره . ويتطعمونها أى يذوقونها وبرهة أى مدة من الزمان فيهاطول ولفظت الشيء من فمى ألفظه لفظا رميته و ذلك الشيء اللفاظة واللفاظ أى يلفظونها كلها لايبقى منها شيءمعهم . و هذه الخطبة طويلة و قدحذف الرضى رحمه الله تعالى منها كثيرا و من جملتها أما و ألذى فلق الحبة وبرأ النسمة لايرون ألذى ينتظرون حتى يهلك المتمنون ويضمحل المحلون ويتثبت المؤمنون وقليل ما يكون و الله و الله لاترون ألذى تنتظرون حتى لاتدعون الله إلاإشارة بأيديكم وإيماضا بحواجبكم و حتى لاتملكون من الأرض إلامواضع أقدامكم و حتى يكون موضع سلاحكم على ظهوركم فيومئذ لاينصرنى إلا الله بملائكته و من كتب على قلبه الإيمان و ألذى نفس على بيده لاتقوم عصابة تطلب لى أولغيرى حقا أوتدفع عنا ضيما إلاصرعتهم البلية حتى تقوم عصابة شهدت مع محمدص بدرا لايودى قتيلهم و لايداوى جريحهم و لاينعش صريعهم -روايت-۱-۵۵۸ ومنهالقد دعوتكم إلى الحق وتوليتم وضربتكم بالدرة فما استقمتم وستليكم -روايت-۱-۲-روايت-۹-ادامه دارد [صفحه ۳۸۳] بعدى ولاة يعذبونكم بالسياط والحديد وسيأتيكم غلاما ثقيف أخفش وجعبوب يقتلان ويظلمان وقليل مايمكنان -روايت-از قبل-۱۱۰ . قلت الأخفش الضعيف البصر خلقة والجعبوب القصير الذميم وهما الحجاج ويوسف بن عمر و فى كتاب عبدالملك إلى الحجاج قاتلك الله أخيفش العينين أصك الجاعرنين . و من كلام الحسن البصرى رحمه الله تعالى يذكر فيه الحجاج أتانا أعيمش أخيمش يمد بيد قصيرة البنان ماعرق فيهاعنان فى سبيل الله . و كان المثل يضرب بقصر يوسف بن عمر و كان يغضب إذاقيل له قصير فصل له الخياط ثوبا فأبقى منه فضلة كثيرة فقال له ما هذه قال فضلت من قميص الأمير فضربه مائة سوط فكان الخياطون بعد ذلك يفصلون له اليسير من الثوب ويأخذون الباقى لأنفسهم [صفحه ۳۸۴]

۸۷- و من خطبة له ع

أَمّا بَعدُ فَإِنّ لَم يَقصِم جبَاّرِي دَهرٍ قَطّ إِلّا بَعدَ تَمهِيلٍ وَ رَخَاءٍ وَ لَم يَجبُر عَظمَ أَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ إِلّا بَعدَ أَزلٍ وَ بَلَاءٍ وَ فِي دُونِ مَا استَقبَلتُم مِن عَتبٍ وَ مَا استَدبَرتُم مِن خَطبٍ مُعتَبَرٌ وَ مَا كُلّ ذيِ قَلبٍ بِلَبِيبٍ وَ لَا كُلّ ذيِ سَمعٍ بِسَمِيعٍ وَ لَا كُلّ ذيِ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ فَيَا عَجَباً وَ مَا لِيَ لَا أَعجَبُ مِن خَطَإِ هَذِهِ الفِرَقِ عَلَى اختِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقتَصّونَ أَثَرَ نَبِيّ وَ لَا يَقتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيّ وَ لَا يُؤمِنُونَ بِغَيبٍ وَ لَا يَعِفّونَ عَن عَيبٍ يَعمَلُونَ فِي الشّبُهَاتِ وَ يَسِيرُونَ فِي الشّهَوَاتِ المَعرُوفُ فِيهِم مَا عَرَفُوا وَ المُنكَرُ عِندَهُم مَا أَنكَرُوا مَفزَعُهُم فِي المُعضِلَاتِ إِلَى أَنفُسِهِم وَ تَعوِيلُهُم فِي المُهِمّاتِ عَلَى آرَائِهِم كَأَنّ كُلّ امرِئٍ مِنهُم إِمَامُ نَفسِهِ قَد أَخَذَ مِنهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَ أَسبَابٍ مُحكَمَاتٍ القصم بالقاف والصاد المهملة الكسر قصمته فانقصم وقصمته فتقصم و رجل أقصم الثنية أى مكسورها بين القصم بفتح الصاد. والتمهيل التأخير ويروى رجاء و هوالتأخير أيضا والرواية المشهورة ورخاء أى بعدإعطائهم من سعة العيش وخصب الحال مااقتضته المصلحة. [صفحه ۳۸۵] والأزل بفتح الهمزة الضيق ويقتصون يتبعون قال سبحانه و تعالى وَ قالَت لِأُختِهِ قُصّيهِ. ويعفون بكسر العين عففت عن كذا أعف عفا وعفة وعفافة أى كففت فأنا عف وعفيف وامرأة عفة وعفيفة و قدأعفه الله واستعف عن المسألة أى عف . وتعفف الرجل أى تكلف العفة ويروى و لايعفون عن عيب أى لايصفحون . ومفزعهم ملجؤهم وفيما يرى أى فيما يظن ويرى بفتح الياء أى فيما يراه هو وروى بعرا وثيقات . يقول إن عادة الله تعالى ألا يقصم الجبابرة إلا بعدالإمهال والاستدراج بإضافة النعم عليهم وألا يجير أولياءه وينصرهم إلا بعدبؤس وبلاء يمتحنهم به ثم قال

لأصحابه إن فى دون مااستقبلتم من عتب لمعتبر أى من مشقة يعنى بما استقبلوه مالاقوه فى مستقبل زمانهم من الشيب وولاة السوء وتنكر الوقت وسمى المشقة عتبا لأن العتب مصدر عتب عليه أى وجد عليه فجعل الزمان كالواجد عليهم القائم فى إنزال مشاقه بهم مقام الإنسان ذى الموجدة يعتب على صاحبه وروى من عتب بفتح التاء جمع عتبة يقال لقد حمل فلان على عتبة أى أمر كريه من البلاء و فى المثل ما فى هذاالأمر رتب و لاعتب أى شدة وروى أيضا من عنت و هوالأمر الشاق و مااستدبروه من خطب يعنى به ماتصرم عنهم من الحروب والوقائع التى قضوها ونضوها واستدبروها ويروى واستدبرتم من خصب و هورخاء العيش و هذايقتضى المعنى الأول أى و ماخلفتم وراءكم من الشباب والصحة وصفو العيشة. ثم قال ما كل ذى قلب بلبيب الكلام إلى آخره و هومأخوذ من قول الله -قرآن-٦٧-٩٢ [صفحه ٣٨٦] تعالى لَهُم قُلُوبٌ لا يَفقَهُونَ بِها وَ لَهُم أَعيُنٌ لا يُبصِرُونَ بِها وَ لَهُم آذانٌ لا يَسمَعُونَ بِها. ثم تعجب من اختلاف حجج الفرق فى الدين وخطئهم وكونهم لايتبعون أقوال الأنبياء و لاأقوال الأوصياء ثم نعى عليهم أحوالهم القبيحة فقال إنهم لايؤمنون بالغيب أى لايصدقون بما لم يشاهدوه و لايكفون عن الأمور القبيحة لكنهم يعملون فى الشبهات أى يعملون أعمالا داخلة فى الشبهات متوسطة لها ويسيرون فى الشهوات جعل الشهوات كالطريق التى يسير فيهاالإنسان . ثم قال المعروف فيهم ماعرفوه أى ليس المعروف عندهم مادل الدليل على كونه معروفا وصوابا وحقا بل المعروف عندهم ماذهبوا إلى أنه حق سواء كان حقا فى نفس الأمر أو لم يكن والمنكر عندهم ماأنكروه كماشرحناه فى المعروف . ثم قال إنهم لايستشيرون بعالم و لايستفتون فقيها فاضلا بل مفزعهم فى الأمور المشكلة إلى أنفسهم وآرائهم ولقد صدق ع فإن هذه صفات من يدعى العلم والفضل فى زماننا وقبله بدهر طويل و ذلك أنهم يأنفون من التعلم والاسترشاد فالبادئ منهم يعتقد فى نفسه أنه أفضل من البارع المنتهى ومتى ظفر الواحد منهم بمبادئ علم وحمله شرع فى التدريس والتصنيف فمنعه التزامه بذلك من التردد إلى أبواب العلماء وأنف من سؤالهم عن الأمور المشكلة فدام جهله إلى أن يموت . ثم قال كان كل واحد منهم إمام نفسه ويروى بحذف كان وإسقاطها و هوأحسن -قرآن-٨-١٠٩ [صفحه ٣٨٧]

٨٨- و من خطبة له ع

أَرسَلَهُ عَلَى حِينِ فَترَةٍ مِنَ الرّسُلِ وَ طُولِ هَجعَةٍ مِنَ الأُمَمِ وَ اعتِزَامٍ مِنَ الفِتَنِ وَ انتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ وَ تَلَظّ مِنَ الحُرُوبِ وَ الدّنيَا كَاسِفَةُ النّورِ ظَاهِرَةُ الغُرُورِ عَلَى حِينِ اصفِرَارٍ مِن وَرَقِهَا وَ إِيَاسٍ مِن ثَمَرِهَا وَ إِعوَارٍ مِن مَائِهَا قَد دَرَسَت مَنَارُ الهُدَى وَ ظَهَرَت أَعلَامُ الرّدَى فَهِيَ مُتَجَهّمَةٌ لِأَهلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا الفِتنَةُ وَ طَعَامُهَا الجِيفَةُ وَ شِعَارُهَا الخَوفُ وَ دِثَارُهَا السّيفُ.فَاعتَبِرُوا عِبَادَ اللّهِ وَ اذكُرُوا تِيكَ التّي آبَاؤُكُم وَ إِخوَانُكُم بِهَا مُرتَهَنُونَ وَ عَلَيهَا مُحَاسَبُونَ وَ لَعَمرِي مَا تَقَادَمَت بِكُم وَ لَا بِهِمُ العُهُودُ وَ لَا خَلَت فِيمَا بَينَكُم وَ بَينَهُمُ الأَحقَابُ وَ القُرُونُ وَ مَا أَنتُمُ اليَومَ مِن يَومَ كُنتُم فِي أَصلَابِهِم بِبَعِيدٍ. وَ اللّهِ مَا أَسمَعَكُمُ الرّسُولُ شَيئاً إِلّا وَ هَا أَنَا ذَا اليَومَ مُسمِعُكُمُوهُ وَ مَا أَسمَاعُكُم اليَومَ بِدُونِ أَسمَاعِكُم بِالأَمسِ وَ لَا شُقّت لَهُمُ الأَبصَارُ وَ لَا جُعِلَت لَهُمُ الأَفئِدَةُ فِي ذَلِكَ الزّمَانِ إِلّا وَ قَد أُعطِيتُم مِثلَهَا فِي هَذَا الزّمَانِ وَ وَ اللّهِ مَا بُصّرتُم بَعدَهُم شَيئاً جَهِلُوهُ وَ لَا أُصفِيتُم بِهِ وَ حُرِمُوهُ وَ لَقَد نَزَلَت بِكُمُ البَلِيّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا رِخواً بِطَانُهَا فَلَا يَغُرّنّكُم مَا أَصبَحَ فِيهِ أَهلُ الغُرُورِ فَإِنّمَا هُوَ ظِلّ مَمدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعدُودٍ [صفحه ٣٨٨] الفترة بين الرسل انقطاع الرسالة والوحى وكذلك كان إرسال محمدص لأن بين محمد و بين عهد المسيح ع عهدا طويلا أكثر الناس على أنه ستمائة سنة و لم يرسل فى تلك المدة رسول أللهم إلا مايقال عن خالد بن سنان العبسى و لم يكن نبيا و لامشهورا. والهجعة النومة ليلا والهجوع مثله وكذلك التهجاع بفتح التاء فأما الهجعة بكسر الهاء فهى الهيئة كالجلسة من الجلوس . قوله واعتزام من الفتن كأنه جعل الفتن معتزمة أى مريدة مصممة للشغب والهرج ويروى واعتراض ويروى واعترام بالراء المهملة من العرام وهى

الشرة والتلظی التلهب . وکاسفة النور قدذهب ضوءها کماتکسف الشمس ثم وصفها بالتغیر وذبول الحال فجعلها کالشجرة التی اصفر ورقها ویبس ثمرها وأعور ماؤها والإعوار ذهاب الماء فلاة عوراء لاماء بها و من رواه وإغوار من مائها بالغین المعجمة جعله من غار الماء أی ذهب و منه قوله تعالی أَ رَأَیتُم إِن أَصبَحَ ماؤُکُم غَوراً. ومتجهمة لأهلها کالحة فی وجوههم . ثم قال ثمرها الفتنة أی نتیجتها و مایتولد عنها وطعامها الجیفة یعنی أکل الجاهلیة المیتة أو یکون علی وجه الاستعارة أی أکلها خبیث ویروی الخیفة أی الخوف ثم جعل الخوف والسیف شعارها ودثارها فالشعار مایلی الجسد والدثار فوق -قرآن-٧٩٣-٨٣٠ [صفحه ٣٨٩] الشعار و هذا من بدیع الکلام و من جید الصناعة لأنه لما کان الخوف یتقدم السیف والسیف یتلوه جعل الخوف شعارا لأنه الأقرب إلی الجسد وجعل الدثار تالیا له . ثم قال واذکروا تیک کلمة إشارة إلی المؤنثة الغائبة فیمکن أن یعنی بهاالدنیا التی تقدم ذکرها و قدجعل آباءهم وإخوانهم مرتهنین بها ومحاسبین علیها والارتهان الاحتباس ویمکن أن یعنی بهاالأمانة التی عرضت علی الإنسان فحملها والمراد بالأمانة الطاعة والعبادة وفعل الواجب وتجنب القبیح و قال تیک و لم یجر ذکرها کما قال تعالی الم ذلِکَ الکِتابُ و لم یجر ذکره لأن الإشارة إلی مثل هذاأعظم وأهیب وأشد روعة فی صدر المخاطب من التصریح . قوله و لاخلت فیما بینکم وبینهم الأحقاب أی لم یطل العهد والأحقاب المدد المتطاولة والقرون الأمم من الناس . و قوله من یوم کنتم یروی بفتح المیم من یوم علی أنه مبنی إذ هومضاف إلیه الفعل المبنی ویروی بجرها بالإضافة علی اختلاف القولین فی علم العربیة. ثم اختلفت الروایة فی قوله و الله ماأسمعکم فروی بالکاف وروی أسمعهم وکذلک اختلفت الروایة فی قوله و ماأسماعکم الیوم بدون أسماعکم بالأمس فروی هکذا وروی بدون أسماعهم فمن رواه بهاء الغیبة فی الموضعین فالکلام منتظم لایحتاج إلی تأویل و من رواه بکاف الخطاب قال إنه خاطب به من صحب النبی ص وشاهده وسمع خطابه لأن أصحاب علی ع کانوا فریقین صحابة وتابعین ویعضد الروایة الأولی سیاق الکلام . و قوله و لاشقت لهم الأبصار إلا و قدأعطیتم مثلها. -قرآن-٥٠١-٥١٩ [صفحه ٣٩٠] وأصفیتم به منحتموه من الصفا و هو مایصطفیه الرئیس من المغنم لنفسه قبل القسمة یقال صفی وصفیة. وخلاصة هذاالکلام أن جمیع ما کان رسول الله ص قاله لأصحابه قد قلت مثله لکم فأطاع أولئک وعصیتم أنتم وحالکم مساویة لحالهم . قلت لو أن مجیبا منهم یجیبه لأمکن أن یقول له المخاطبون و إن کانوا نوعا واحدا متساویا إلا أن المخاطب مختلف الحال و ذلک لأنک و إن کنت ابن عمه فی النسب وأخاه ولحمه ودمه وفضائلک مشتقة من فضائله و أنت قبس من نوره وثانیه علی الحقیقة و لاثالث لکما إلاأنک لم ترزق القبول ألذی رزقه و لاانفعلت نفوس الناس لک حسب انفعالها له وتلک خاصیة النبوة التی امتاز بهاعنک فإنه کان لایسمع أحد کلامه إلاأحبه ومال إلیه ولذلک کانت قریش تسمی المسلمین قبل الهجرة الصباة ویقولون نخاف أن یصبو الولید بن المغیرة إلی دین محمدص ولئن صبا الولید و هوریحانة قریش لتصبون قریش بأجمعها وقالوا فیه ماکلامه إلاالسحر وإنه لیفعل بالألباب فوق ماتفعل الخمر ونهوا صبیانهم عن الجلوس إلیه لئلا یستمیلهم بکلامه وشمائله و کان إذاصلی فی الحجر وجهر یجعلون أصابعهم فی آذانهم خوفا أن یسحرهم ویستمیلهم بقراءته وبوعظه وتذکیره هذا هومعنی قوله تعالی جَعَلُوا أَصابِعَهُم فِی آذانِهِم وَ استَغشَوا ثِیابَهُم. ومعنی قوله وَ إِذا ذَکَرتَ رَبّکَ فِی القُرآنِ وَحدَهُ وَلّوا عَلی أَدبارِهِم نُفُوراًلأنهم کانوا یهربون إذاسمعوه یتلو القرآن خوفا أن یغیر عقائدهم فی أصنامهم ولهذا -قرآن-١١٠٩-١١٦٤-قرآن-١١٧٩-١٢٥٣ [صفحه ٣٩١] أسلم أکثر الناس بمجرد سماع کلامه ورؤیته ومشاهدة روائه ومنظره و ماذاقوه من حلاوة لفظه وسری کلامه فی آذانهم وملک قلوبهم وعقولهم حتی بذلوا المهج فی نصرته و هذا من أعظم معجزاته ع و هوالقبول ألذی منحه الله تعالی والطاعة التی جعلها فی قلوب الناس له و ذلک علی الحقیقة سر النبوة ألذی تفرد به ص فکیف یروم أمیر المؤمنین من الناس أن یکونوا معه کما کان آباؤهم وإخوانهم مع النبی ص مع اختلاف حال الرئیسین وتساوی الأثرین کمایعتبر فی تحققه تساوی حال المحلین یعتبر فی حقیقته أیضا تساوی حال العلتین . ثم نعود إلی التفسیر قال ولقد نزلت بکم

البلية أى المحنة العظيمة يعنى فتنة معاوية وبنى أمية. و قال جائلا خطامها لأن الناقة إذااضطرب زمامها استصعبت على راكبها ويسمى الزمام خطاما لكونه فى مقدم الأنف والخطم من كل دابة مقدم أنفها وفمها وإنما جعلها رخوا بطانها لتكون أصعب على راكبها لأنه إذااسترخى البطان كان الراكب فى معرض السقوط عنها وبطان القتب هوالحزام ألذى يجعل تحت بطن البعير. ثم نهاهم عن الاغترار بالدنيا ومتاعها و قال إنها ظل ممدود إلى أجل معدود وإنما جعلها كالظل لأنه ساكن فى رأى العين و هومتحرك فى الحقيقة لايزال يتقلص كما قال تعالى ثُمّ قَبَضناهُ إِلَينا قَبضاً يَسِيراً و هوأشبه شيءبأحوال الدنيا. و قال بعض الحكماء أهل الدنيا كركب سير بهم وهم نيام -قرآن-١١١٤-١١٥١ [صفحه ٣٩٢]

٨٩- و من خطبة له ع

الحَمدُ لِلّهِ المَعرُوفِ مِن غَيرِ رُؤيَةٍ وَ الخَالِقِ مِن غَيرِ رَوِيّةٍ أَلّذِى لَم يَزَل قَائِماً دَائِماً إِذ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبرَاجٍ وَ لَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرتَاجٍ وَ لَا لَيلٌ دَاجٍ وَ لَا بَحرٌ سَاجٍ وَ لَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ وَ لَا فَجّ ذُو اعوِجَاجٍ وَ لَا أَرضٌ ذَاتُ مِهَادٍ وَ لَا خَلقٌ ذُو اعتِمَادٍ وَ ذَلِكَ مُبتَدِعُ الخَلقِ وَ وَارِثُهُ وَ إِلَهُ الخَلقِ وَ رَازِقُهُ وَ الشّمسُ وَ القَمَرُ دَائِبَانِ فِى مَرضَاتِهِ يُبلِيَانِ كُلّ جَدِيدٍ وَ يُقَرّبَانِ كُلّ بَعِيدٍ الروية الفكرة وأصلها الهمز روأت فى الأمر و قدجاء مثلها كلمات يسيرة شاذة نحو البرية من برأ أى خلق والذرية من ذرأ أى خلق أيضا والدرية وهى مايستتر به الصائد أصله من درأت أى دفعت وفلان برى أصله بريء وصف الله تعالى بأنه يعرف من غير أن تتعلق الأبصار بذاته ويخلق من غيرتفكر وترو فيما يخلقه . لم يزل قائما القائم والقيوم بمعنى و هوالثابت ألذى لايزول ويعبر عنه فى الاصطلاح النظرى بالواجب الوجود و قديفسر القائم على معنى قولهم فلان قائم بأمر كذا أى وال وممسك له أن يضطرب . ثم قال هوموصوف بأنه قائم دائم من قبل أن يخلق العالم و هذايؤكد التفسير [صفحه ٣٩٣] الأول لأنه إذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلابالقوة لابالفعل كمايصدق عليه أنه سميع بصير فى الأزل أى إذاوجدت المسموعات والمبصرات سمعها وأبصرها و لوسمى قبل خلق الكلام متكلما على هذاالتفسير لم أستبعده و إن كان أصحابنا يأبونه . والأبراج الأركان فى اللغة العربية. فإن قلت فهل يطابق هذاالتفسير مايعتقده أصحاب الهيئة وكثير من الحكماء والمتكلمين أن السماء كرة لازاوية فيها و لاضلع . قلت نعم لامنافاة بين القولين لأن الفلك و إن كان كرة لكن فيه من المتممات مايجرى مجرى أركان الحصن أوالسور فصح إطلاق لفظه الأبراج عليه والمتممات أجسام فى حشو الفلك تخف فى موضع و الناس كلهم أثبتوها. فإن قلت فهل يجوز أن يحمل لفظ الأبراج على مايعتقده المنجمون و أهل الهيئة وكثير من الحكماء والمتكلمين من كون الفلك مقسوما باثنى عشر قسما كل قسم منها يسمى برجا. قلت لامانع من ذلك لأن هذاالمسمى كان معلوما متصورا قبل نزول القرآن و كان أهل الاصطلاح قدوضعوا هذااللفظ بإزائه فجاز أن ينزل القرآن بموجبه قال تعالى وَ السّماءِ ذاتِ البُرُوجِ وأخذها على ع منه فقال إذ لاسماء ذات أبراج وارتفع سماء لأنه مبتدأ وخبره محذوف وتقديره فى الوجود. ثم قال و لاحجب ذات إرتاج والإرتاج مصدر أرتج أى أغلق أى ذات إغلاق و من رواه ذات رتاج على فعال فالرتاج الباب المغلق ويبعد رواية من رواه -قرآن-٩٨٥-١٠١٠ [صفحه ٣٩٤] ذات أرتاج لأن فعالا قل أن يجمع على أفعال ويعنى بالحجب ذات الإرتاج حجب النور المضروبة بين عرشه العظيم و بين ملائكته ويجوز أن يريد بالحجب السموات أنفسها لأنها حجبت الشياطين عن أن تعلم ماالملائكة فيه . والليل الداجى المظلم والبحر الساجى الساكن والفجاج جمع فج و هوالطريق الواسع بين جبلين والمهاد الفراش . قوله و لاخلق ذو اعتماد أى و لامخلوق يسعى برجلين فيعتمد عليهما أويطير بجناحيه فيعتمد عليهما ويجوز أن يريد بالاعتماد هنا البطش والتصرف مبتدع الخلق مخرجه من العدم المحض كقوله تعالى بَدِيعُ السّماواتِ وَ الأَرضِ ودائبان تثنية دائب و هوالجاد المجتهد المتعب دأب فى

عمله أی جد وتعب دأبا ودءوبا فهو دءیب ودأبته أنا وسمی الشمس والقمر دائبین لتعاقبهما علی حال واحدة دائما لایفتران و لایسکنان وروی دائبین بالنصب علی الحال و یکون خبر المبتدأ یبلیان و هذه من الألفاظ القرآنیة -قرآن-٥٢٧-٥٥٥ قَسَمَ أَرزَاقَهُم وَ أَحصَی آثَارَهُم وَ أَعمَالَهُم وَ عَدَدَ أَنفُسِهِم وَ خَائِنَةَ أَعیُنِهِم وَ مَا تُخفِی صُدُورُهُم مِنَ الضَّمِیرِ وَ مُستَقَرَّهُم وَ مُستَودَعَهُم مِنَ الأَرحَامِ وَ الظُّهُورِ إِلَی أَن تَتَنَاهَی بِهِمُ الغَایَاتُ آثارهم یمکن أن یعنی به آثار وطئهم فی الأرض إیذانا بأنه تعالی عالم بکل معلوم [صفحه ٣٩٥] کماآذن قوله سبحانه وَ ما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا یَعلَمُهابذلک ویمکن أن یعنی به حرکاتهم وتصرفاتهم . وروی وعدد أنفاسهم علی الإضافة. وخائنة الأعین مایومئ به مسارقة وخفیة ومستقرهم أی فی الأرحام ومستودعهم أی فی الأصلاب و قدفسر ذلک فتکون من متعلقة بمستودعهم ومستقرهم علی إرادة تکررها ویمکن أن یقال أراد مستقرهم ومأواهم علی ظهر الأرض ومستودعهم فی بطنها بعدالموت وتکون من هاهنا بمعنی مذ أی مذ زمان کونهم فی الأرحام والظهور إلی أن تتناهی بهم الغایات أی إلی أن یحشروا فی القیامة و علی التأویل الأول یکون تناهی الغایات بهم عبارة عن کونهم أحیاء فی الدنیا -قرآن-٢٢-٦٣ هُوَ الَّذِی اشتَدَّت نِقمَتُهُ عَلَی أَعدَائِهِ فِی سَعَةِ رَحمَتِهِ وَ اتَّسَعَت رَحمَتُهُ لِأَولِیَائِهِ فِی شِدَّةِ نِقمَتِهِ قَاهِرُ مَن عَازَّهُ وَ مُدَمِّرُ مَن شَاقَّهُ وَ مُذِلُّ مَن نَاوَاهُ وَ غَالِبُ مَن عَادَاهُ مَن تَوَکَّلَ عَلَیهِ کَفَاهُ وَ مَن سَأَلَهُ أَعطَاهُ وَ مَن أَقرَضَهُ قَضَاهُ وَ مَن شَکَرَهُ جَزَاهُ عِبَادَ اللَّهِ زِنُوا أَنفُسَکُم مِن قَبلِ أَن تُوزَنُوا وَ حَاسِبُوهَا مِن قَبلِ أَن تُحَاسَبُوا وَ تَنَفَّسُوا قَبلَ ضِیقِ الخِنَاقِ وَ انقَادُوا قَبلَ عُنفِ السِّیَاقِ وَ اعلَمُوا أَنَّهُ مَن لَم یُعَن عَلَی نَفسِهِ حَتَّی یَکُونَ لَهُ مِنهَا وَاعِظٌ وَ زَاجِرٌ لَم یَکُن لَهُ مِن غَیرِهَا لَا زَاجِرٌ وَ لَا وَاعِظٌ [صفحه ٣٩٦] یجوز نقمة ونقمة مثل کلمة وکلمة ولبنة ولبنة ومعنی الکلام أنه مع کونه واسع الرحمة فی نفس الأمر و أنه أرحم الراحمین فإنه شدید النقمة علی أعدائه و مع کونه عظیم النقمة فی نفس الأمر وکونه شدید العقاب فإنه واسع الرحمة لأولیائه وعازه أی غالبه وعزه أی غلبه و منه وَ عَزَّنِی فِی الخِطابِ و فی المثل من عزبز أی من غلب سلب والمدمر المهلک دمره ودمر علیه بمعنی أی أهلکه وشاقه عاداه قیل إن أصله من الشق و هوالنصف لأن المعادی یأخذ فی شق والمعادی فی شق یقابله وناواه أی عاداه واللفظة مهموزة وإنما لینها لأجل القرینة السجعیة وأصلها ناوأت الرجل مناوأة ونواء ویقال فی المثل إذاناوأت الرجل فاصبر. قوله زنوا أنفسکم قبل أن توزنوا من الکلام الفصیح النادر اللطیف یقول اعتبروا أعمالکم وأنتم مختارون قادرون علی استدراک الفارط قبل أن یکون هذاالاعتبار فعل غیرکم وأنتم لاتقتدرون علی استدراک الفارط ومثله قوله وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا. ثم قال وتنفسوا قبل ضیق الخناق أی انتهزوا الفرصة واعملوا قبل أن یفوتکم الأمر ویجد بکم الرحیل ویقع الندم قال الشاعر -قرآن-٢٧٨-٣٠١ اختم وطینک رطب إن قدرت فکم || قدأمکن الختم أقواما فما ختموا . ثم قال وانقادوا قبل عنف السیاق هوالعنف بالضم و هوضد الرفق یقال عنف علیه وعنف به أیضا والعنیف ألذی لارفق له برکوب الخیل والجمع عنف واعتنفت الأمر أی أخذته بعنف یقول انقادوا أنتم من أنفسکم قبل أن تقادوا وتساقوا [صفحه ٣٩٧] بغیر اختیارکم سوقا عنیفا ثم قال من لم یعنه الله علی نفسه حتی یجعل له منها واعظا وزاجرا لم ینفعه الزجر والوعظ من غیرها أخذ هذاالمعنی شاعر فقال وأقصرت عما تعهدین وزاجر || من النفس خیر من عتاب العواذل . فإن قلت أ لیس فی هذاالکلام إشعار مابالجبر. قلت إنه لاخلاف بین أصحابنا فی أن لله تعالی ألطافا یفعلها بعباده فیقربهم من الواجب ویبعدهم من القبیح و من یعلم الله تعالی من حاله أنه لالطف له لأن کل مایعرض لطفا له فإنه لایؤثر فی حاله و لایزداد به إلاإصرارا علی القبیح والباطل فهو ألذی عناه أمیر المؤمنین ع بقوله من لم یعن علی نفسه لأنه ماقبل المعونة و لاانقاد إلی مقتضاها و قدروی واعلموا أنه من لم یعن علی نفسه بکسر العین أی من لم یعن الواعظین له والمنذرین علی نفسه و لم یکن معهم إلبا علیها وقاهرا لها لم ینتفع بالوعظ والزجر لأن هوی نفسه یغلب وعظ کل واعظ وزجر کل زاجر [صفحه ٣٩٨]

۹۰- و من خطبة له ع تعرف بخطبة الأشباح وهی من جلائل خطبة ع

اشاره

رَوَی مَسعَدَةُ بنُ صَدَقَةَ عَنِ الصّادِقِ جعفرِ بنِ مُحَمّدٍ ع أَنّهُ قَالَ خَطَبَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ بِهَذِهِ الخُطبَةِ عَلَی مِنبَرِ الكُوفَةِ وَ ذَلِكَ أَنّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ صِف لَنَا رَبّنَا مِثلَ مَا نَرَاهُ عِيَاناً لِنَزدَادَ لَهُ حُبّاً وَ بِهِ مَعرِفَةً فَغَضِبَ وَ نَادَی الصّلَاةَ جَامِعَةً فَاجتَمَعَ إِلَيهِ النّاسُ حَتّی غَصّ المَسجِدُ بِأَهلِهِ فَصَعِدَ المِنبَرَ وَ هُوَ مُغضَبٌ مُتَغَيّرُ اللّونِ فَحَمِدَ اللّهَ وَ أَثنَی عَلَيهِ وَ صَلّی عَلَی النّبِیّ ص ثُمّ قَالَ الحَمدُ لِلّهِ الّذِی لَا يَفِرُهُ المَنعُ وَ الجُمُودُ وَ لَا يُكدِيهِ الإِعطَاءُ وَ الجُودُ إِذ كُلّ مُعطٍ مُنتَقِصٌ سِوَاهُ وَ كُلّ مَانِعٍ مَذمُومٌ مَا خَلَاهُ وَ هُوَ المَنّانُ بِفَوَائِدِ النّعَمِ وَ عَوَائِدِ المَزِيدِ وَ القِسَمِ عِيَالُهُ الخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرزَاقَهُم وَ قَدّرَ أَقوَاتَهُم وَ نَهَجَ سَبِيلَ الرّاغِبِينَ إِلَيهِ وَ الطّالِبِينَ مَا لَدَيهِ وَ لَيسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجوَدَ مِنهُ بِمَا لَم يُسأَل الأَوّلُ الّذِی لَم يَكُن لَهُ قَبلٌ فَيَكُونَ شَیءٌ قَبلَهُ وَ الآخِرُ الّذِی لَم يَكُن لَهُ بَعدٌ فَيَكُونَ شَیءٌ بَعدَهُ وَ الرّادِعُ أَنَاسِیّ الأَبصَارِ عَن أَن تَنَالَهُ أَو تُدرِكَهُ مَا اختَلَفَ عَلَيهِ دَهرٌ فَيَختَلِفَ مِنهُ الحَالُ وَ لَا كَانَ فِی مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيهِ الِانتِقَالُ الأشباح الأشخاص والمراد بهم هاهنا الملائكة لأن الخطبة تتضمن ذكر الملائكة. [صفحه ۳۹۹] و قوله الصلاة جامعة منصوب بفعل مقدر أی احضروا الصلاة وأقيموا الصلاة وجامعة منصوب علی الحال من الصلاة. وغص المسجد بفتح الغين أی امتلأ والمسجد غاص بأهله ويقال رجل مغضب بفتح الضاد أی قدأغضب أی فعل به مايوجب غضبه . ويفره المنع يزيد فی ماله والموفور التام وفرت الشیء وفرا ووفر الشیء نفسه وفورا يتعدی و لايتعدی و فی أمثالهم يوفر ويحمد هو من قولك وفرته عرضه ووفرته ماله . و قوله و لايكديه الإعطاء أی لايفقره و لاينفد خزائنه يقال كدت الأرض تكد وفهی كادية إذاأبطأ نباتها وقل خيرها فهذا لازم فإذاعديته أتيت بالهمزة فقلت أكديت الأرض أی جعلتها كادية وتقول أكدی الرجل إذاقل خيره و قوله تعالی وَ أَعطی قَلِيلًا وَ أَكدی أی قطع القليل يقول إنه سبحانه قادر علی المقدورات و ليس كالملوك من البشر الذين إذاأعطوا نقصت خزائنهم و إن منعوا زادت و قدشرح ذلك و قال إذ كل معط منتقص أی منقوص ويجیء انتقص لازما ومتعديا تقول انتقص الشیء نفسه وانتقصت الشیء أی نقصته وكذلك نقص يجیء لازما ومتعديا. ثم قال و كل مانع مذموم غيره و ذلك لأنه تعالی إنما يمنع من تقتضی الحكمة والمصلحة منعه و ليس كمايمنع البشر وسأل رجل علی بن موسی الرضا عن الجواد فقال إن لكلامك وجهين فإن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد هو ألذی يؤدیماافترض الله عليه والبخيل هو ألذی يبخل بما افترض الله عليه و إن كنت تعنی الخالق -قرآن-۶۳۴-۶۵۹ [صفحه ۴۰۰] فهو الجواد إن أعطی و هوالجواد إن منع لأنه إن أعطی عبدا أعطاه ما ليس له و إن منعه منعه ما ليس له . قوله و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل فيه معنی لطيف وذاك لأن هذاالمعنی مما يختص بالبشر لأنهم يتحركون بالسؤال وتهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألهم إياه و أماالبارئ سبحانه فإن جوده ليس علی هذاالمنهاج لأن جوده عام فی جميع الأحوال . ثم ذكر أن وجوده تعالی ليس بزمانی فلايطلق عليه البعدية والقبلية كمايطلق علی الزمانيات وإنما لم يكن وجوده زمانيا لأنه لايقبل الحركة والزمان من لواحق الحركة وإنما لم تطلق عليه البعدية والقبلية إذ لم يكن زمانيا لأن قولنا فی الشیء إنه بعدالشیء الفلانی أی الموجود فی زمان حضر بعدتقضی زمان ذلك الشیء الفلانی وقولنا فی الشیء إنه قبل الشیء الفلانی أی إنه موجود فی زمان حضر و لم يحضر زمان ذلك الشیء الفلانی بعدفما ليس فی الزمان ليس يصدق عليه القبل والبعد الزمانيان فيكون تقدير الكلام علی هذاالأول ألذی لايصدق عليه القبلية الزمانية ليمكن أن يكون شیء ماقبله والآخر ألذی لايصدق عليه البعدية الزمانية ليمكن أن يكون شیء مابعده . و قديحمل الكلام علی وجه آخر أقرب متناولا من هذاالوجه و هو أن يكون أراد ألذی لم يكن محدثا أی موجودا قدسبقه عدم

فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء إما المؤثر فيه أوالزمان المقدم عليه و أنه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيما لايزال فيقال إنه ينقضى وينصرم و يكون بعده شىء من الأشياء إما الزمان أوغيره والوجه الأول أدق وألطف ويؤكد كونه مرادا قوله عقيبه مااختلف عليه دهر فيختلف منه الحال و ذلك لأن واجب الوجود أعلى من الدهر والزمان فنسبة ذاته إلى الدهر والزمان بجملته وتفصيل أجزائه نسبة متحدة. [صفحه ۴۰۱] فإن قلت إذا لم يكن قبل الأشياء بالزمان و لابعدها بالزمان فهو معها بالزمان لأنه لايبقى بعدنفى القبلية والبعدية إلاالمعية. قلت إنما يلزم ذلك فيما وجوده زمانى و أما ما ليس زمانيا لايلزم من نفى القبلية والبعدية إثبات المعية كما أنه ما لم يكن وجوده مكانيا لم يلزم من نفى كونه فوق العالم أوتحت العالم بالمكان أن يكون مع العالم بالمكان . ثم قال الرادع أناسى الأبصار عن أن تناله أوتدركه الأناسى جمع إنسان و هوالمثال الذى يرى فى السواد و هذااللفظ بظاهره يشعر بمذهب الأشعرية و هوقولهم إن الله تعالى خلق فى الأبصار مانعا عن إدراكه إلا أن الأدلة العقلية من جانبنا اقتضت تأويل هذااللفظ كماتأول شيوخنا قوله تعالى وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبّها ناظِرَةٌفقالوا إلى جنة ربها فنقول تقديره الرادع أناسى الأبصار أن تنال أنوار جلالته . فإن قلت أتثبتون له تعالى أنوارا يمكن أن تدركها الأبصار وهل هذا إلاقول بالتجسيم . قلت كلا لاتجسيم فى ذلك فكما أن له عرشا وكرسيا و ليس بجسم فكذلك أنوار عظيمة فوق العرش و ليس بجسم فكيف تنكر الأنوار و قدنطق الكتاب العزيز بها فى غيرموضع كقوله وَ أَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِ رَبّها وكقوله مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكاةٍ فِيها مِصباحٌ -قرآن-۶۵۳-۶۹۹-قرآن-۱۰۴۰-۱۰۷۴-قرآن-۱۰۸۳-۱۱۲۰ [صفحه ۴۰۲] وَ لَو وَهَبَ مَا تَنَفّسَت عَنهُ مَعَادِنُ الجِبَالِ وَ ضَحِكَت عَنهُ أَصدَافُ البِحَارِ مِن فِلِزّ اللّجَينِ وَ العِقيَانِ وَ نُثَارَةِ الدّرّ وَ حَصِيدِ المَرجَانِ مَا أَثّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ وَ لَا أَنفَدَ سَعَةَ مَا عِندَهُ وَ لَكَانَ عِندَهُ مِن ذَخَائِرِ الأَنعَامِ مَا لَا تُنفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ لِأَنّهُ الجَوَادُ ألّذِى لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السّائِلِينَ وَ لَا يُبَخّلُهُ إِلحَاحُ المُلِحّينَ هذاالكلام من تتمة الكلام الأول و هو قوله لايفره المنع و لايكديه الإعطاء والجود وتنفست عنه المعادن استعارة كأنها لماأخرجته وولدته كانت كالحيوان يتنفس فيخرج من صدره ورئته الهواء. وضحكت عنه الأصداف أى تفتحت عنه وانشقت يقال للطلع حين ينشق الضحك بفتح الضاد وإنما سمى الضاحك ضاحكا لأنه يفتح فاه والفلز اسم الأجسام الذائبة كالذهب والفضة والرصاص ونحوها واللجين اسم الفضة جاء مصغرا كالكميت والثريا والعقيان الذهب الخالص ويقال هو ماينبت نباتا و ليس مما يحصل من الحجارة ونثارة الدر ماتناثر منه كالسقاطة والنخالة وتأتى فعالة تارة للجيد المختار وتارة للساقط المتروك فالأول نحو الخلاصة والثانى نحو القلامة. وحصيد المرجان كأنه أراد المتبدد منه كمايتبدد الحب المحصود ويجوز أن يعنى به الصلب المحكم من قولهم شىءمستحصد أى مستحصف مستحكم يعنى أنه ليس برخو و لاهش ويروى وحصباء المرجان والحصباء الحصى وأرض حصبة ومحصبة [صفحه ۴۰۳] بالفتح ذات حصباء والمرجان صغار اللؤلؤ و قدقيل إنه هذاالحجر واستعمله بعض المتأخرين فقال أدمى لها المرجان صفحة خده || وبكى عليها اللؤلؤ المكنون . وتنفده تفنيه نفد الشىء أى فنى وأنفدته أنا ومطالب الأنام جمع مطلب و هوالمصدر من طلبت الشىء طلبا ومطلبا. ويغيضه بفتح حرف المضارعة ينقصه ويقال غاض الماء فهذا لازم وغاض الله الماء فهذا متعد وجاء أغاض الله الماء. والإلحاح مصدر ألح على الأمر أى أقام عليه دائما من ألح السحاب إذادام مطره وألح البعير حرن كماتقول خلأت الناقة وروى و لايبخله بالتخفيف تقول أبخلت زيدا أى صادفته بخيلا وأجبنته وجدته جبانا. و فى هذاالفصل من حسن الاستعارة وبديع الصنعة ما لاخفاء به فَانظُر أَيّهَا السّائِلُ فَمَا دَلّكَ القُرآنُ عَلَيهِ مِن صِفَتِهِ فَائتَمّ بِهِ وَ استَضِئ بِنُورِ هِدَايَتِهِ وَ مَا كَلّفَكَ الشّيطَانُ عِلمَهُ مِمّا لَيسَ فِي الكِتَابِ عَلَيكَ فَرضُهُ وَ لَا فِي سُنّةِ النّبِيّص وَ أَئِمّةِ الهُدَى أَثَرُهُ فَكِل عِلمَهُ إِلَى اللّهِ سُبحَانَهُ فَإِنّ ذَلِكَ مُنتَهَى حَقّ اللّهِ عَلَيكَ وَ اعلَم أَنّ الرّاسِخِينَ فِي العِلمِ هُمُ الّذِينَ أَغنَاهُم عَنِ اقتِحَامِ السّدَدِ المَضرُوبَةِ دُونَ الغُيُوبِ الإِقرَارُ بِجُملَةِ مَا جَهِلُوا تَفسِيرَهُ مِنَ الغَيبِ المَحجُوبِ فَمَدَحَ اللّهُ [صفحه ۴۰۴] اعتِرَافَهُم بِالعَجزِ عَن تَنَاوُلِ مَا لَم يُحِيطُوا بِهِ عِلماً وَ سَمّى تَركَهُمُ التّعَمّقَ فِيمَا لَم يُكَلّفهُمُ البَحثَ عَن كُنهِهِ رُسُوخاً فَاقتَصِر عَلَى ذَلِكَ وَ لَا تُقَدّر عَظَمَةَ اللّهِ سُبحَانَهُ عَلَى قَدرِ

عَقلِـكَ فَتَكُونَ مِنَ الهٰـالِكِينَ تقول ائتم فلاـن بفلاـن أى جعله إماما واقتـدى به فكـل علمه من وكله إلى كـذا وكلاـ ووكولاـ و هـذاالأمر موكول إلى رأيك والاقتحام الهجوم والدخول مغالبة والسدد المضـروبة جمع سدة وهى الرتاج . واعلم أن هذاالفصـل يمكن أن تتعلق به الحشوية المانعون من تأويل الآيات الواردة فى الصـفات القائلين بالجمود على الظواهر ويمكن أيضا أن يتعلق به من نفى النظر وحرمه أصـلا ونحن قبـل أن نحققه ونتكلم فيه نبـدأ بتفسير قوله تعـالى وَ ما يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلّا اللّهُ وَ الرّاسِـخُونَ فِي العِلمِفنقـول إن من النـاس من وقف على قوله إِلّـا اللّهُ ومنهم من لم يقف على ذلـك و هـذاالقول أقوى من الأـول لأـنه إذا كـان لايعلم تأويل المتشابه إلا الله لم يكن فى إنزاله ومخاطبـة المكلفين به فائـدة بل يكون كخطاب العربى بالزنجيـة ومعلوم أن ذلك عيب قبيـح . فـإن قلت فمـا ألـذى يكـون موضـع يَقُولُونَ من الإـعراب . قلت يمكن أن يكون نصبا على أنه حـال من الراسـخين ويمكن أن يكون كلاما مسـتأنفا أى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به . -قرآن-۴۲۸-۴۹۲-قرآن-۵۳۳-۵۴۴-قرآن-۷۸۹-۷۹۸ [صـفحه ۴۰۵] و قـدروى عن ابن عبـاس أنه تـأول آيـة فقـال قائـل من الصـحابةوَ مـا يَعلَمُ تَـأوِيلَهُ إِلّا اللّهُ فقال ابن عباس وَ الرّاسِـخُونَ فِي العِلمِ و أنـا من جملـة الراسـخين . ثم نعـود إلى تفسـير كلاـم أمير المـؤمنين ع فنقول إنه غضب وتغير وجهه لقول السائل صف لنا ربنا مثل مانراه عيانا و إذا هـذاالمعنى ينصـرف وصـية له بما أوصاه به من اتباع ماجاء فى القرآن والسـنة و ذلك لأـن العلم الحاصـل من رؤيـة الشـىء عيانا علم لايمكن أن يتعلق مثله بالله سـبحانه لأن ذاته تعالى لايمكـن أن تعلم من حيث هى هى كماتعلم المحسوسات أ لاترى أنا إذاعلمنا أنه صانع العالم و أنه قادر عالم حى سـميع بصير مريد و أنه ليس بجسم و لاجوهر و لاـعرض وعلمنا جميع الأمور السـلبية والإيجابيـة المتعلقـة به فإنما علمنا سـلوبا وإضافات و لاشك أن ماهيـة الموصوف مغايرة لماهيـة الصـفات والذوات المحسوسة بخلاف ذلك لأنا إذارأينا السواد فقد علمنا نفس حقيقة السواد لاصـفة من صـفات السواد وأيضا فإنا لوقـدرنا أن العلم بوجوده وصـفاته السـلبية والإيجابيـة يسـتلزم العلم بـذاته من حيث هى هى لم يكن عالما بـذاته علما جزئيـا لأـنه يمكن أن يصـدق هـذاالعلم على كثيرين على سبيل البـدل و إذاثبت أنه يسـتحيل أن يصـدق على كثيرين على سبيل البـدل ثبت أنه يسـتحيل أن يصـدق على كثيرين على سبيـل الجمع والعلم بـالمحسوس يسـتحيل أن يصـدق على كثيرين لا على سبيـل الجمع و لاـ على سبيـل البـدل فقـد بان أنه يسـتحيل أن يعلم الله تعالى كمايعلم الشـىء المرئى عيانا فأمير المؤمنين ع أنكر هذاالسؤال كماأنكره الله تعالى على بنى إسـرائيل لماطلبوا الرؤية قال تعالى وَ إِذ قُلتُم يا مُوسـى لَن نُؤمِنَ لَکَ حَتّى نَرَى اللّهَ جَهرَةً فَأَخَذَتكُمُ الصّاعِقَةُ. -قرآن-۶۰-۹۶-قرآن-۱۱۳-۱۳۹-قرآن-۱۴۳۶-۱۵۲۷ [صفحه ۴۰۶] ثم قال للسائل بعدغضبه واستحالة لونه وظهور أثر الإنكار عليه مادلك القرآن عليه من صـفته فخذ به فإن لم تجده فى الكتاب فأطلبه من السـنة و من مذاهب أئمة الحق فإن لم تجد ذلك فاعلم أن الشـيطان حينئذ قدكلفك علم ما لم يكلفك الله علمه و هذاحق لأن الكتاب والسـنة قدنطقا بصـفات الله من كونه عالما قادرا حيا مريدا سـميعا بصـيرا ونطقا أيضا بتنزيهه عن سـمات الحدوث كالجسـمية والحلول والجهة و مااستلزم الجهة كالرؤية فلاإنكار على من طلب فى مدارك العقول وجوها تعضد ماجاء به القرآن والسـنة وتوفق بين بعض الآيات وبعض وتحمل أحد اللفظين على الآخر إذاتناقضا فى الظاهر صيانة لكلام الحكيم عن التهافت والتعارض و أما ما لم يأت الكتاب والسنة فيه بشـىء فهو ألـذى حرم وحظر على المكلفين الفكر فيه كالكلام فى الماهية التى يذهب ضـرار المتكلم إليها وكإثبات صـفات زائدة على الصـفات المعقولة لذات البارئ سبحانه وهى على قسمين أحدهما ما لم يرد فيه نص كإثبات طائفة تعرف بالماتريدية صفـة سـموها التكوين زائـدة على القدرة والإرادة. والثانى ماورد فيه لفظ فأخطأ بعض أهل النظر فأثبت لأجل ذلك اللفظة صـفة غيرمعقولة للبارئ سبحانه نحو قول الأشعريين إن اليدين صفة من صفات الله والاستواء على العرش صفة من صفات الله و إن وجه الله صـفة من صـفاته أيضا ثم قال إن الراسخين فى العلم الذين غنوا بالإقرار بما عرفوه عن الولوج والتقحم فيما لم يعرفوه وهؤلاء هم أصـحابنا المعتزلة لاشـبهة فى ذلك أ لاترى أنهم يعللون أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح فإذاضاق عليهم الأمر فى تفصـيل

بعض المصالح فى بعض المواضع قالوا نعلم على الجملة أن لهذا وجه حكمة ومصلحة و إن كنا لانعرف تفصيل تلك المصلحة كمايقولون فى تكليف من يعلم الله تعالى منه أنه يكفر و كمايقولون فى اختصاص الحال التى حدث فيهاالعالم بحدوثه دون ماقبلها و مابعدها. [صفحه ۴۰۷] و قدتأول القطب الراوندى كلام أمير المؤمنين فى هذاالفصل فقال إنما أنكر على من يقول لم تعبد الله المكلفين بإقامة خمس صلوات وهلا كانت ستا أوأربعا و لم جعل الظهر أربع ركعات والصبح ركعتين وهلا عكس الحال و هذاالتأويل غيرصحيح لأنه ع إنما أخرج هذاالكلام مخرج المنكر على من سأله أن يصف له البارئ سبحانه و لم يكن السائل قدسأل عن العلة فى أعداد الصلاة وكمية أجزاء العبادات . ثم إنه ع قدصرح فى غضون الكلام بذلك فقال فانظر أيها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به و ما لم يدلك عليه فليس عليك أن تخوض فيه و هذاالكلام تصريح بأن البحث إنما هو فى النظر العقلى فى فن الكلام فلايجوز أن يحمل على ما هوبمعزل عنه . واعلم أننا نتساهل فى ألفاظ المتكلمين فنوردها بعباراتهم كقولهم فى المحسوسات والصواب المحسات لأنه لفظ المفعول من أحس الرباعى لكنا لمارأينا العدول عن ألفاظهم إذاخضنا فى مباحثهم مستهجنا عبرنا بعبارتهم على علم منا أن العربية لاتسوغها هُوَ القَادِرُ أَلّذِى إِذَا ارتَمَتِ الأَوهَامُ لِتُدرِكَ مُنقَطَعَ قُدرَتِهِ وَ حَاوَلَ الفِكرُ المُبَرّأُ مِن خَطرِ الوَسَاوِسِ أَن يَقَعَ عَلَيهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ وَ تَوَلّهَتِ القُلُوبُ إِلَيهِ لِتَجرِيَ فِي كَيفِيّةِ صِفَاتِهِ وَ غَمَضَت مَدَاخِلُ العُقُولِ فِي حَيثُ لَا تَبلُغُهُ الصّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلمِ ذَاتِهِ رَدَعَهَا وَ هيَ تَجُوبُ مهَاوِيَ سُدَفِ الغُيُوبِ مُتَخَلّصَةً إِلَيهِ سُبحَانَهُ فَرَجَعَت إِذ جُبِهَت مُعتَرِفَةً بِأَنّهُ لَا يُنَالُ بِجَورِ الِاعتِسَافِ كُنهُ مَعرِفَتِهِ وَ لَا تَخطُرُ بِبَالِ أُولِي الرّوِيّاتِ خَاطِرَةٌ مِن تَقدِيرِ جَلَالِ عِزّتِهِ [صفحه ۴۰۸] ارتمت الأوهام أى ترامت يقال ارتمى القوم بالنبل أى تراموا فشبه جولان الأوهام والأفكار وتعارضها بالترامى. وخطر الوساوس بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أى عرض فى قلبه وروى من خطرات الوساوس . وتولهت القلوب إليه اشتد عشقها حتى أصابها الوله و هوالحيرة. و قوله لتجرى فى كيفية صفاته أى لتصادف مجرى ومسلكا فى ذلك وغمضت مداخل العقول أى غمض دخولها ودق فى الأنظار العميقة التى لاتبلغ الصفات كنهها لدقتها وغموضها طالبة أن تنال معرفته تعالى . ولفظة ذات لفظة قدطال فيهاكلام كثير من أهل العربية فأنكر قوم إطلاقها على الله تعالى وإضافتها إليه أماإطلاقها فلأنها لفظة تأنيث والبارئ سبحانه منزه عن الأسماء والصفات المؤنثة و أماإضافتها فلأنها عين الشىء والشىء لايضاف إلى نفسه وأجاز آخرون إطلاقها فى البارئ تعالى وإضافتها إليه أمااستعمالها فلوجهين أحدهما أنها قدجاءت فى الشعر القديم قال خبيب الصحابى عندصلبه و ذلك فى ذات الإله و إن يشأ || يبارك على أوصال شلو موزع . ويروى ممزع و قال النابغة محلتهم ذات الإله ودينهم || قديم فما يخشون غيرالعواقب . والوجه الثانى أنها لفظة اصطلاحية فجاز استعمالها لا على أنها مؤنث ذو بل تستعمل [صفحه ۴۰۹] ارتجالا فى مسماها ألذى عبر عنه بهاأرباب النظر الإلهى كمااستعملوا لفظ الجوهر والعرض وغيرهما فى غير ما كان أهل العربية واللغة يستعملونها فيه . و أمامنعهم إضافتها إليه تعالى و أنه لايقال ذاته لأن الشىء لايضاف إلى نفسه فباطل بقولهم أخذته نفسه وأخذته عينه فإنه بالاتفاق جائز و فيه إضافة الشىء إلى نفسه . ثم نعود إلى التفسير قوله ع ردعها أى كفها وتجوب أى تقطع والمهاوى المهالك الواحدة مهواه بالفتح وهى ما بين جبلين أوحائطين ونحو ذلك والسدف جمع سدفة وهى القطعة من الليل المظلم وجبهت أى ردت وأصله من جبهته أى صككت جبهته والجور العدول عن الطريق والاعتساف قطع المسافة على غيرجادة معلومة. وخلاصة هذاالفصل أن العقول إذاحاولت أن تدرك متى ينقطع اقتداره على المقدرات نكصت عن ذلك لأنه قادر أبدا دائما على ما لايتناهى و إذاحاول الفكر ألذى قدصفا وخلا عن الوساوس والعوائق أن يدرك مغيبات علمه تعالى كل وحسر ورجع ناقصا أيضا و إذااشتد عشق النفوس له وتولهت نحوه لتسلك مسلكا تقف منه على كيفية صفاته عجزت عن ذلك و إذاتغلغلت العقول وغمضت مداخلها فى دقائق العلوم النظرية الإلهية التى لاتوصف لدقتها طالبة أن تعلم حقيقة ذاته تعالى انقطعت وأعيت وردها سبحانه و تعالى وهى تجول وتقطع ظلمات الغيب لتخلص إليه فارتدت حيث جبهها

وردعها مقرة معترفة بأن إدراكه ومعرفته لاتنال باعتساف المسافات التى بينها وبينه و إن أرباب الأفكار والرويات يتعذر عليهم أن يخطر لهم خاطر يطابق ما فى الخارج من تقدير جلال عزته و لابد من أخذ هذاالقيد فى الكلام لأن أرباب الأنظار [صفحه ۴۱۰] لابد أن تخطر لهم الخواطر فى تقدير جلال عزته ولكن تلك الخواطر لاتكون مطابقة لها فى الخارج لأنها خواطر مستندها الوهم لاالعقل الصريح و ذلك لأن الوهم قدألف الحسيات والمحسوسات فهو يعقل خواطر بحسب ماألفه من ذلك وجلال واجب الوجود أعلى وأعظم من أن يتطرق الوهم نحوه لأنه برىء من المحسوسات سبحانه و أماالعقل الصريح فلايدرك خصوصية ذاته لماتقدم . واعلم أن قوله تعالى فَارجِعِ البَصَرَ هَل تَرى مِن فُطُورٍ ثُمّ ارجِعِ البَصَرَ كَرّتَينِ يَنقَلِب إِلَيکَ البَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِيرٌ فيه إشارة إلى هذاالمعنى وكذلك قوله يَعلَمُ ما بَينَ أَيدِيهِم وَ ما خَلفَهُم وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِن عِلمِهِ -قرآن-۳۹۶-۵۱۴-قرآن-۵۵۴-۶۳۲ أَلّذِى ابتَدَعَ الخَلقَ عَلَى غَيرِ مِثَالٍ امتَثَلَهُ وَ لَا مِقدَارٍ احتَذَى عَلَيهِ مِن خَالِقٍ مَعبُودٍ كَانَ قَبلَهُ وَ أَرَانَا مِن مَلَكُوتِ قُدرَتِهِ وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَت بِهِ آثَارُ حِكمَتِهِ وَ اعتِرَافِ الحَاجَةِ مِنَ الخَلقِ إِلَى أَن يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوّتِهِ مَا دَلّنَا بِاضطِرَارِ قِيَامِ الحُجّةِ لَهُ عَلَى مَعرِفَتِهِ فَظَهَرَت فِي البَدَائِعِ التّي أَحدَثَهَا آثَارُ صَنعَتِهِ وَ أَعلَامُ حِكمَتِهِ فَصَارَ كُلّ مَا خَلَقَ حُجّةً لَهُ وَ دَلِيلًا عَلَيهِ وَ إِن كَانَ خَلقاً صَامِتاً فَحُجّتُهُ بِالتّدبِيرِ نَاطِقَةٌ وَ دَلَالَتُهُ عَلَى المُبدِعِ قَائِمَةٌ [صفحه ۴۱۱] المساك بكسر الميم مايمسک ويعصم به . و قوله ابتدع الخلق على غيرمثال امتثله يحتمل وجهين أحدهما أن يريد بامتثله مثله كماتقول صنعت واصطنعت بمعنى فيكون التقدير أنه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه فى خلق العالم ثم احتذى ذلك المثال وركب العالم على حسب ترتيبه كالصانع ألذى يصوغ حلقة من رصاص مثالا- ثم يصوغ حلقة من ذهب عليها وكالبناء يقدر ويفرض رسوما وتقديرات فى الأرض وخطوطا ثم يبنى بحسبها. والوجه الثانى أنه يريد بامتثله احتذاه وتقبله واتبعه والأصل فيه امتثال الأمر فى القول فنقل إلى احتذاء الترتيب العقلى فيكون التقدير أنه لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه واحتذاه وفعل نظيره كمايفعل التلميذ فى الصباغة والنجارة شيئا قدمثل له أستاذه صورته وهيئته . واعلم أن هذاأحد الأسئلة التى يذكرها أصحابنا فى باب كونه عالما لأنهم لمااستدلوا على كونه تعالى عالما بطريق إحكام العلم وإتقانه سألوا أنفسهم فقالوا لم لايجوز أن يكون القديم سبحانه أحدث العالم محتذيا لمثال مثله وهيئة اقتضاها والمحتذى لايجب كونه عالما بما يفعله أ لاترى أن من لايحسن الكتابة قديحتذى خطا مخصوصا فيكتب قريبا منه وكذلك من يطبع الشمع بالخاتم ثم يطبع فيه مثال الخاتم فهو فعل الطابع و لايجب كونه عالما. وأجاب أصحابنا عن ذلك فقالوا إن أول فعل محكم وقع منه ثم احتذى عليه يكفى فى ثبوت كونه عالما وأيضا فإن المحتذى ليست العالمية بمسلوبة عنه بل موصوف بها [صفحه ۴۱۲] أ لاترى أنه متصور صورة مايحتذيه ثم يوقع الفعل مشابها له فالمحتذى عالم فى الجملة ولكن علمه يحدث شيئا فشيئا.فأما معنى الفصل فظاهر يقول ع إنه ابتدع الخلق على غيرمثال قدمه لنفسه و لاقدم له غيره ليحتذى عليه وأرانا من عجائب صنعته و من اعتراف الموجودات كلها بأنها فقيرة محتاجة إلى أن يمسكها بقوته مادلنا على معرفته ضرورة و فى هذاإشارة إلى أن كل ممكن مفتقر إلى المؤثر و لماكانت الموجودات كلها غيره سبحانه ممكنة لم تكن غنية عنه سبحانه بل كانت فقيرة إليه لأنها لولاه مابقيت فهو سبحانه غنى عن كل شىء و لا شىء من الأشياء مطلقا بغنى عنه سبحانه و هذه من خصوصية الإلهية وأجل ماتدركه العقول من الأنظار المتعلقة بها. فإن قلت فى هذاالكلام إشعار بمذهب شيخكم أبى عثمان فى أن معرفته تعالى ضرورية. قلت يكاد أن يكون الكلام مشعرا بذلك إلا أنه غيردال عليه لأنه لم يقل مادلنا على معرفته باضطرار ولكن قال مادلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته فالاضطرار راجع إلى قيام الحجة لا إلى المعرفة. ثم قال ع وظهرت آثار صنعته ودلائل حكمته فى مخلوقاته فكانت وهى صامتة فى الصورة ناطقة فى المعنى بوجوده وربوبيته سبحانه و إلى هذاالمعنى نظر الشاعر فقال فو عجبا كيف يعصى الإله || أم كيف يجحده الجاحد و فى كل شىء له آية || تدل على أنه واحد . [صفحه ۴۱۳] و قال فى تفسير قوله تعالى وَ إِن مِن شَيءٍ إِلّا يُسَبّحُ بِحَمدِهِ وَ لكِن لا تَفقَهُونَ تَسبِيحَهُمإنه عبارة عن هذاالمعنى -قرآن-

۳۰-۱۰۴ فَأَشهَدُ أَنّ مَن شَبّهَکَ بِتَبَايُنِ أَعضَاءِ خَلقِکَ وَ تَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ المُحتَجِبَةِ لِتَدبِيرِ حِکمَتِکَ لَم يَعقِد غَيبَ ضَمِيرِهِ عَلَی مَعرِفَتِکَ وَ لَم يُبَاشِر قَلبَهُ اليَقِينُ بِأَنّهُ لَا نِدّ لَکَ وَ کَأَنّهُ لَم يَسمَع تَبَرّؤُ التّابِعِينَ عَنِ المَتبُوعِينَ إِذ يَقُولُونَتَاللّهِ إِن کُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذ نُسَوّيکُم بِرَبّ العالَمِينَکَذَبَ العَادِلُونَ بِکَ إِذ شَبّهُوکَ بِأَصنَامِهِم وَ نَحَلُوکَ حِليَةَ المَخلُوقِينَ بِأَوهَامِهِم وَ جَزّءُوکَ تَجزِئَةَ المُجَسّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِم وَ قَدّرُوکَ عَلَی الخِلقَةِ المُختَلِفَةِ القُوَی بِقَرَائِحِ عُقُولِهِم وَ أَشهَدُ أَنّ مَن سَاوَاکَ بِشَيءٍ مِن خَلقِکَ فَقَد عَدَلَ بِکَ وَ العَادِلُ بِکَ کَافِرٌ بِمَا تَنَزّلَت بِهِ مُحکَمَاتُ آيَاتِکَ وَ نَطَقَت عَنهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيّنَاتِکَ وَ أَنتَ اللّهُ الّذِی لَم تَتَنَاهَ فِی العُقُولِ فَتَکُونَ فِی مَهَبّ فِکرِهَا مُکَيّفاً وَ لَا فِی رَوِيّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحدُوداً مُصَرّفاً -قرآن-۳۰۸-۳۸۱ حقاق المفاصل جمع حقة وجاء فی جمعها حقاق وحقق وحق و لما قال بتباين أعضاء خلقک وتلاحم حقاق مفاصلهم فأوقع التلاحم فی مقابلة التباين صناعة وبديعا وروی [صفحه ۴۱۴] المحتجبة فمن قال المحتجة أراد أنها بما فيها من لطيف الصنعة کالمحتجة المستدلة علی التدبير الحکمی من لدنه سبحانه و من قال المحتجبة أراد المستترة لأن ترکيبها الباطن خفی محجوب . والند المثل والعادلون بک الذين جعلوا لک عديلا ونظيرا ونحلوک أعطوک وهی النحلة وروی لم يعقد علی ما لم يسم فاعله . وغيب ضميره بالرفع والقرائح جمع قريحة وهی القوة التی تستنبط بهاالمعقولات وأصله من قريحة البئر و هوأول مائها. ومعنی هذاالفصل أنه ع شهد بأن المجسم کافر و أنه لايعرف الله و أن من شبه الله بالمخلوقين ذوی الأعضاء المتباينة والمفاصل المتلاحمة لم يعرفه و لم يباشر قلبه اليقين فإنه لاند له و لامثل ثم أکد ذلک بآيات من کتاب الله تعالی وهی قوله تعالی فَکُبکِبُوا فِيها هُم وَ الغاوُونَ وَ جُنُودُ إِبلِيسَ أَجمَعُونَ قالُوا وَ هُم فِيها يَختَصِمُونَ تَاللّهِ إِن کُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ إِذ نُسَوّيکُم بِرَبّ العالَمِينَحکی سبحانه حکاية قول الکفار فی النار وهم التابعون للذين أغووهم من الشياطين وهم المتبوعون لقد کنا ضالين إذ سويناکم بالله تعالی وجعلناکم مثله ووجه الحجة أنه تعالی حکی ذلک حکاية منکر علی من زعم أن شيئا من الأشياء يجوز تسويته بالباری سبحانه فلو کان الباری سبحانه جسما مصورا لکان مشابها لسائر الأجسام المصورة فلم يکن لإنکاره علی من سواه بالمخلوقات معنی . ثم زاد ع فی تأکيد هذاالمعنی فقال کذب العادلون بک المثبتون لک نظيرا وشبيها يعنی المشبهة والمجسمة إذ قالوا إنک علی صورة آدم فشبهوک بالأصنام التی -قرآن-۶۸۲-۸۵۴ [صفحه ۴۱۵] کانت الجاهلية تعبدها وأعطوک حلية المخلوقين لمااقتضت أوهامهم ذلک من حيث لم يألفوا أن يکون القادر الفاعل العالم إلاجسما وجعلوک مرکبا ومتجزئا کماتتجزأ الأجسام وقدروک علی هذه الخلقة يعنی خلقة البشر المختلفة القوی لأنها مرکبة من عناصر مختلفة الطبائع ثم کرر الشهادة فقال أشهد أن من ساواک بغيرک وأثبت أنک جوهر أوجسم فهو عادل بک کافر وقالت تلک الخارجية للحجاج أشهد أنک قاسط عادل فلم يفهم أهل الشام حوله ماقالت حتی فسره لهم قال ع فمن يذهب إلی هذاالمذهب فهو کافر بالکتاب وبما دلت عليه حجج العقول ثم قال وإنک أنت الله أی وأشهد أنک أنت الله ألذی لم تحط العقول بک کإحاطتها بالأشياء المتناهية فتکون ذا کيفية. و قوله فی مهب فکرها استعارة حسنة ثم قال و لا فی رويات خواطرها أی فی أفکارها محدودا ذا حد مصرفا أی قابلا للحرکة والتغير. و قداستدل بعض المتکلمين علی نفی کون الباریء سبحانه جسما بما هومأخوذ من هذاالکلام فقال لوجاز أن يکون الباریء جسما لجاز أن يکون القمر هوإله للعالم لکن لايجوز أن يکون القمر إله العالم فلايجوز أن يکون الباریء جسما بيان الملازمة أنه لوجاز أن يکون الباریء سبحانه جسما لما کان بين الإلهية و بين الجسمية منافاة عقلية و إذا لم يکن بينهما منافاة عقلية أمکن اجتماعهما و إذاأمکن اجتماعهما جاز أن يکون القمر هوإله العالم لأنه لامانع من کونه إله العالم إلاکونه جسما يجوز عليه الحرکة والأفول ونقصان ضوئه تارة وامتلاؤه أخری فإذا لم يکن ذلک منافيا للإلهية جاز أن يکون القمر إله العالم وبيان الثانی إجماع المسلمين علی کفر من أجاز کون القمر إله العالم و إذاثبتت الملازمة وثبتت المقدمة الثانية فقد تمت الدلالة [صفحه ۴۱۶] وَ مِنهَا قَدّرَ مَا خَلَقَ فَأَحکَمَ تَقدِيرَهُ وَ دَبّرَهُ فَأَلطَفَ تَدبِيرَهُ وَ وَجّهَهُ لِوِجهَتِهِ فَلَم يَتَعَدّ حُدُودَ مَنزِلَتِهِ وَ لَم يَقصُر دُونَ الِانتِهَاءِ إِلَی غَايَتِهِ وَ لَم

يَستَصعِب إِذ أَمرَ بِالمضُيّ عَلَى إِرَادَتِهِ فَكَيفَ وَ إِنّمَا صَدَرَتِ الأُمُورُ عَن مَشِيئَتِهِ المُنشِئُ أَصنَافَ الأَشيَاءِ بِلَا رَوِيّةِ فِكرٍ آلَ إِلَيهَا وَ لَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضمَرَ عَلَيهَا وَ لَا تَجرِبَةٍ أَفَادَهَا مِن حَوَادِثِ الدّهُورِ وَ لَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ فَتَمّ خَلقَهُ بِأَمرِهِ وَ أَذعَنَ لِطَاعَتِهِ وَ أَجَابَ إِلَى دَعوَتِهِ لَم يَعتَرِض دُونَهُ رَيثُ المُبطِئِ وَ لَا أَنَاةُ المُتَلَكّئِ فَأَقَامَ مِنَ الأَشيَاءِ أَوَدَهَا وَ نَهَجَ حُدُودَهَا وَ لَاءَمَ بِقُدرَتِهِ بَينَ مُتَضَادّهَا وَ وَصَلَ أَسبَابَ قَرَائِنِهَا وَ فَرّقَهَا أَجنَاساً مُختَلِفَاتٍ فِي الحُدُودِ وَ الأَقدَارِ وَ الغَرَائِزِ وَ الهَيئَاتِ بَدَايَا خَلَائِقَ أَحكَمَ صُنعَهَا وَ فَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَ ابتَدَعَهَا الوجهة بالكسر الجهة التى يتوجه نحوها قال تعالى وَ لِكُلّ وِجهَةٌ هُوَ مُوَلّيها. والريث البطء والمتلكئ المتأخر والأود الاعوجاج ولاءم بين كذا وكذا أى جمع والقرائن هنا الأنفس واحدتها قرونة وقرينة يقال سمحت قرينته وقرونته أى أطاعته نفسه وذلت وتابعته على الأمر وبدايا هاهنا جمع بدية -قرآن-٥١-٨٢ [صفحه ٤١٧] وهى الحالة العجيبة أبدأ الرجل إذاجاء بالأمر البدىء أى المعجب والبدية أيضا الحالة المبتدأة المبتكرة و منه قولهم فعله بادئ ذى بدىء على وزن فعيل أى أول كل شىء ويمكن أن يحمل كلامه أيضا على هذاالوجه . و أماخلائق فيجوز أن يكون أضاف بدايا إليها ويجوز إلا يكون أضافه إليها بل جعلها بدلا من أجناسا ويروى برايا جمع برية يقول ع إنه تعالى قدر الأشياء التى خلقها فخلقها محكمة على حسب ماقدر وألطف تدبيرها أى جعله لطيفا وأمضى الأمور إلى غاياتها وحدودها المقدرة لها فهيأ الصقرة للاصطياد والخيل للركوب والطراد والسيف للقطع والقلم للكتابة والفلك للدوران ونحو ذلك و فى هذاإشارة إلى قول النبى ص كل ميسر لماخلق له -روايت-١-٢-روايت-١٧-٣٨ فلم تتعد هذه المخلوقات حدود منزلتها التى جعلت غايتها و لاقصرت دون الانتهاء إليها يقول لم تقف على الغاية و لاتجاوزتها ثم قال و لااستصعبت وامتنعت إذاأمرها بالمضى إلى تلك الغاية بمقتضى الإرادة الإلهية و هذاكله من باب المجاز كقوله تعالى فَقالَ لَها وَ لِلأَرضِ ائتِيا طَوعاً أَو كَرهاً قالَتا أَتَينا طائِعِينَ. وخلاصة ذلك الإبانة عن نفوذ إرادته ومشيئته . ثم علل نفى الاستصعاب فقال وكيف يستصعب وإنما صدرت عن مشيئته يقول إذاكانت مشيئته هى المقتضية لوجود هذه المخلوقات فكيف يستصعب عليه بلوغها إلى غاياتها التى جعلت لأجلها وأصل وجودها إنما هومشيئته فإذا كان أصل وجودها بمشيئته فكيف يستصعب عليه توجيهها لوجهتها و هوفرع من فروع وجودها وتابع له . -قرآن-٢٥٢-٣٢٤ [صفحه ٤١٨] ثم أعاد معانى القول الأول فقال إنه أنشأ الأشياء بغير روية و لافكرة و لاغريزة أضمر عليها خلق ماخلق عليها و لاتجربة أفادها أى استفادها من حوادث مرت عليه من قبل كماتكسب التجارب علوما لم تكن و لابمساعدة شريك أعانه عليها فتم خلقه بأمره إشارة إلى قوله و لم يستصعب إذ أمر بالمضى فلما أثبت هناك كونها أمرت أعاد لفظ الأمر هاهنا والكل مجاز ومعناه نفوذ إرادته و أنه إذاشاء أمرا استحال ألا يقع و هذاالمجاز هوالمجاز المستعمل فى قوله تعالى إِنّما أَمرُهُ إِذا أَرادَ شَيئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُتعبيرا بهذا اللفظ عن سرعة مواتاة الأمور له وانقيادها تحت قدرته . ثم قال ليس كالواحد منا يعترض دون مراده ريث وبطء وتأخير والتواء ثم قال وأقام العوج وأوضح الطريق وجمع بين الأمور المتضادة أ لاترى أنه جمع فى بدن الحيوانات والنبات بين الكيفيات المتباينة المتنافرة من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ووصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها لأن اعتدال المزاج أوالقرب من الاعتدال سبب بقاء الروح وفرقها أجناسا مختلفات الحدود والأقدار والخلق والأخلاق والأشكال أمور عجيبة بديعة مبتكرة الصنعة غيرمحتذ بهاحذو صانع سابق بل مخلوقة على غيرمثال قدأحكم سبحانه صنعها وخلقها على موجب ماأراد وأخرجها من العدم المحض إلى الوجود و هومعنى الابتداع فإن الخلق فى الاصطلاح النظرى على قسمين أحدهما صورة تخلق فى مادة والثانى ما لامادة له بل يكون وجود الثانى من الأول فقط من غيرتوسط المادة فالأول يسمى التكوين والثانى يسمى الإبداع ومرتبة الإبداع أعلى من مرتبة التكوين -قرآن-٤٦٢-٥٢٥ [صفحه ٤١٩] وَ مِنهَا فِي صِفَةِ السّمَاءِ وَ نَظَمَ بِلَا تَعلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا وَ لَاحَمَ صُدُوعَ انفِرَاجِهَا وَ وَشّجَ بَينَهَا وَ بَينَ أَزوَاجِهَا وَ ذَلّلَ لِلهَابِطِينَ بِأَمرِهِ وَ الصّاعِدِينَ بِأَعمَالِ خَلقِهِ حُزُونَةَ مِعرَاجِهَا وَ نَادَاهَا بَعدَ إِذ هيَ دُخَانٌ فَالتَحَمَت عُرَى أَشرَاجِهَا وَ فَتَقَ بَعدَ الِارتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبوَابِهَا وَ أَقَامَ رَصَداً مِنَ الشّهُبِ الثّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا وَ

أَمسَكَهَا مِن أَن تُمُورَ فِی خَرقِ الهَوَاءِ بِأَیدِهِ وَ أَمرَهَا أَن تَقِفَ مُستَسلِمَةً لِأَمرِهِ وَ جَعَلَ شَمسَهَا آیَةً مُبصِرَةً لِنَهَارِهَا وَ قَمَرَهَا آیَةً مَمحُوّةً مِن لَیلِهَا وَ أَجرَاهُمَا فِی مَنَاقِلِ مَجرَاهُمَا وَ قَدّرَ سَیرَهُمَا فِی مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا لِیُمَیّزَ بَینَ اللّیلِ وَ النّهَارِ بِهِمَا وَ لِیُعلَمَ عَدَدُ السّنِینَ وَ الحِسَابِ بِمَقَادِیرِهِمَا ثُمّ عَلّقَ فِی جَوّهَا فَلَکَهَا وَ نَاطَ بِهَا زِینَتَهَا مِن خَفِیّاتِ دَرَارِیّهَا وَ مَصَابِیحِ کَوَاکِبِهَا وَ رَمَی مُستَرِقِی السّمعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَ أَجرَاهَا عَلَی أَذلَالِ تَسخِیرِهَا مِن ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَ مَسِیرِ سَائِرِهَا وَ هُبُوطِهَا وَ صُعُودِهَا وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا الرهوات جمع رهوة وهی المکان المرتفع والمنخفض أیضا یجتمع فیه ماء المطر و هو من الأضداد والفرج جمع فرجة وهی المکان الخالی ولاحم ألصق والصدع الشق ووشج بالتشدید أی شبک ووشجت العروق والأغصان بالتخفیف اشتبکت وبیننا رحم واشجة أی مشتبکة. وأزواجها أقرانها وأشباهها قال تعالی وَ کُنتُم أَزواجاً ثَلاثَةً أی أصنافا ثلاثة. -قرآن-۲۹۲-۳۱۸ [صفحه ۴۲۰] والحزونة ضد السهولة وأشراجها جمع شرج و هوعرا العیبة وأشرجت العیبة أی أقفلت أشراجها وتسمی مجرة السماء شرجا تشبیها بشرج العیبة وأشراج الوادی ماانفسح منه واتسع . والارتتاق الارتتاج والنقاب جمع نقب و هوالطریق فی الجبل وتمور تتحرک وتذهب وتجیء قال تعالی یَومَ تَمُورُ السّماءُ مَوراً والأید القوة وناط بهاعلق والدراری الکواکب المضیئة نسبت إلی الدر لبیاضها واحدها دری ویجوز کسر الدال مثل بحر لجی ولجی. والثواقب المضیئات وتقول افعل ماأمرتک علی أذلاله أی علی وجهه ودعه فی أذلاله أی علی حاله وأمور الله جاریة علی أذلالها أی علی مجاریها وطرقها. یقول ع کانت السماء أول ماخلقت غیرمنتظمة الأجزاء بل بعضها أرفع وبعضها أخفض فنظمها سبحانه فجعلها بسیطا واحدا نظما اقتضته القدرة الإلهیة من غیرتعلیق أی لا- کماینظم الإنسان ثوبا مع ثوب أوعقدا مع عقد بالتعلیق والخیاطة وألصق تلک الفروج والشقوق فجعلها جسما متصلا وسطحا أملس لانتوات فیه و لافرج و لاصدوع بل جعل کل جزء منها ملتصقا بمثله وذلل للملائکة الهابطین بأمره والصاعدین بأعمال خلقه لأنهم الکتبة الحافظون لها حزونة العروج إلیها و هوالصعود. ثم قال وناداها بعدإذ هی روی بإضافة بعد إلی إذ وروی بضم بعد أی وناداها بعد ذلک إذ هی دخان والأول أحسن وأصوب لأنها علی الضم تکون دخانا بعدنظمه رهوات فروجها وملاحمة صدوعها والحال تقتضی أن دخانها قبل ذلک لابعده . -قرآن-۲۷۱-۲۹۹ [صفحه ۴۲۱] فإن قلت ما هذاالنداء قلت هو قوله ائتِیا طَوعاً أَو کَرهاًفهو أمر فی اللفظ ونداء فی المعنی و هو علی الحقیقة کنایة عن سرعة الإبداع ثم قال وفتق بعدالارتتاق صوامت أبوابها هذاصریح فی أن للسماء أبوابا وکذلک قوله علی نقابها و هومطابق لقوله سبحانه و تعالی لا تُفَتّحُ لَهُم أَبوابُ السّماءِ والقرآن العظیم وکلام هذاالإمام المعظم أولی بالاتباع من کلام الفلاسفة الذین أحالوا الخرق علی الفلک و أماإقامة الرصد من الشهب الثواقب فهو نص القرآن العزیزوَ أَنّا لَمَسنَا السّماءَ فَوَجَدناها مُلِئَت حَرَساً شَدِیداً وَ شُهُباً وَ أَنّا کُنّا نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسّمعِ فَمَن یَستَمِعِ الآنَ یَجِد لَهُ شِهاباً رَصَداً والقول بإحراق الشهب للشیاطین اتباعا لنص الکتاب أولی من قول الفلاسفة الذین أحالوا الانقضاض علی الکواکب . ثم قال وأمسکها علی الحرکة بقوته وأمرها بالوقوف فاستمسکت ووقفت ثم ذکره الشمس والقمر تذکرة مأخوذ من قول الله تعالی وَ جَعَلنَا اللّیلَ وَ النّهارَ آیَتَینِ فَمَحَونا آیَةَ اللّیلِ وَ جَعَلنا آیَةَ النّهارِ مُبصِرَةً. ثم ذکر الحکم فی جریان الشمس والقمر فی مجراهما تذکرة مأخوذ من قوله تعالی وَ الشّمسُ تَجرِی لِمُستَقَرّ لَها و قوله وَ القَمَرَ قَدّرناهُ مَنازِلَ و قوله وَ لِتَعلَمُوا عَدَدَ السّنِینَ وَ الحِسابَ. -قرآن-۳۸-۶۱-قرآن-۲۶۷-۳۰۰-قرآن-۴۶۹-۶۳۸-قرآن-۸۷۷-۹۷۶-قرآن-۱۰۵۶-۱۰۹۰-قرآن-۱۰۹۹-۱۱۲۸-قرآن-۱۱۳۷-۱۱۷۹ [صفحه ۴۲۲] ثم قال ثم علق فی جوها فلکها و هذایقتضی أن الفلک غیرالسماء و هوخلاف قول الجمهور و قد قال به قائلون ویمکن أن نفسر ذلک إذاأردنا موافقة قول الجمهور بأنه أراد بالفلک دائرة معدل النهار فإنها الدائرة العظمی فی الفلک الأعظم وهی فی الاصطلاح النظری تسمی فلکا. ثم ذکر أنه زین السماء الدنیا بالکواکب وأنها رجوم لمسترقی السمع و هومأخوذ من قوله تعالی إِنّا زَیّنّا السّماءَ الدّنیا بِزِینَةٍ الکَواکِبِ وَ حِفظاً مِن کُلّ شَیطانٍ مارِدٍ لا یَسّمّعُونَ إِلَی المَلَإِ الأَعلی وَ یُقذَفُونَ مِن کُلّ جانِبٍ دُحُوراً وَ لَهُم عَذابٌ واصِبٌ. ثم شرح حال الدنیا فقال من

ثبات ثابتها يعنى الكواكب التى فى كرة البروج ومسير سائرها يعنى الخمسة والنيرين لأنها سائرة دائما. ثم قال وصعودها وهبوطها و ذلك أن للكواكب السيارة صعودا فى الأوج وهبوطا فى الحضيض فالأول هوالبعد الأبعد عن المركز والثانى البعد الأقرب. فإن قلت ماباله ع قال ونحوسها وسعودها و هوالقائل لمن أشار عليه ألا يحارب فى يوم مخصوص المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر فى النار. قلت إنه ع إنما أنكر فى ذلك القول على من يزعم أن النجوم مؤثرة فى الأمور الجزئية كالذين يحكمون لأرباب المواليد وعليهم وكمن يحكم فى حرب أوسلم أوسفر أومقام بأنه للسعد أوالنحس و أنه لم ينكر على من قال إن النجوم تؤثر سعودا ونحوسا فى الأمور الكلية نحو أن تقتضى حرا أوبردا أوتدل على مرض عام -قرآن-٣٦٨-٥٥٢ [صفحه ٤٢٣] أوقحط عام أومطر دائم ونحو ذلك من الأمور التى لاتخص إنسانا بعينه و قدقدمنا فى ذلك الفصل مايدل على تصويب هذاالرأى وإفساد ماعداه وَ مِنهَا فِي صِفَةِ المَلَائِكَةِ ثُمّ خَلَقَ سُبحَانَهُ لِإِسكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَ عِمَارَةِ الصّفِيحِ الأَعلَى مِن مَلَكُوتِهِ خَلقاً بَدِيعاً مِن مَلَائِكَتِهِ وَ مَلَأَ بِهِم فُرُوجَ فِجَاجِهَا وَ حَشَى بِهِم فُتُوقَ أَجوَائِهَا وَ بَينَ فَجَوَاتِ تِلكَ الفُرُوجِ زَجَلُ المُسَبّحِينَ مِنهُم فِي حَظَائِرِ القُدُسِ وَ سُتُرَاتِ الحُجُبِ وَ سُرَادِقَاتِ المَجدِ وَ وَرَاءَ ذَلِكَ الرّجِيجِ ألّذِي تَستَكّ مِنهُ الأَسمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَردَعُ الأَبصَارَ عَن بُلُوغِهَا فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا. وَ أَنشَأَهُم عَلَى صُوَرٍ مُختَلِفَاتٍ وَ أَقدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولِي أَجنِحَةٍ تُسَبّحُ جَلَالَ عِزّتِهِ لَا يَنتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الخَلقِ مِن صُنعِهِ وَ لَا يَدّعُونَ أَنّهُم يَخلُقُونَ شَيئاً مَعَهُ مِمّا انفَرَدَ بِهِبَل عِبادٌ مُكرَمُونَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَ هُم بِأَمرِهِ يَعمَلُونَجَعَلَهُمُ اللّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهلَ الأَمَانَةِ عَلَى وَحيِهِ وَ حَمّلَهُم إِلَى المُرسَلِينَ وَدَائِعَ أَمرِهِ وَ نَهيِهِ وَ عَصَمَهُم مِن رَيبِ الشّبُهَاتِ فَمَا مِنهُم زَائِغٌ عَن سَبِيلِ مَرضَاتِهِ وَ أَمَدّهُم بِفَوَائِدِ المَعُونَةِ وَ أَشعَرَ قُلُوبَهُم تَوَاضُعَ إِخبَاتِ السّكِينَةِ وَ فَتَحَ لَهُم أَبوَاباً ذُلُلًا إِلَى تَمَاجِيدِهِ وَ نَصَبَ لَهُم مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعلَامِ تَوحِيدِهِ لَم تُثقِلهُم مُوصِرَاتُ الآثَامِ وَ لَم تَرتَحِلهُم عُقَبُ اللّيَالِي وَ الأَيّامِ وَ لَم تَرمِ الشّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِم وَ لَم تَعتَرِكِ الظّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِم وَ لَا قَدَحَت قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَينَهُم وَ لَا سَلَبَتهُمُ الحَيرَةُ مَا لَاقَ مِن مَعرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِم وَ مَا سَكَنَ مِن عَظَمَتِهِ -قرآن-٧٤٦-٨٢٠ [صفحه ٤٢٤] وَ هَيبَةِ جَلَالِهِ فِي أَثنَاءِ صُدُورِهِم وَ لَم تَطمَع فِيهِمُ الوَسَاوِسُ فَتَقتَرِعَ بِرَينِهَا عَلَى فِكرِهِم وَ مِنهُم مَن هُوَ فِي خَلقِ الغَمَامِ الدّلّحِ وَ فِي عِظَمِ الجِبَالِ الشّمّخِ وَ فِي قَترَةِ الظّلَامِ الأَيهَمِ وَ مِنهُم مَن قَد خَرَقَت أَقدَامُهُم تُخُومَ الأَرضِ السّفلَى فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَد نَفَذَت فِي مَخَارِقِ الهَوَاءِ وَ تَحتَهَا رِيحٌ هَفّافَةٌ تَحبِسُهَا عَلَى حَيثُ انتَهَت مِنَ الحُدُودِ المُتَنَاهِيَةِ قَدِ استَفرَغَتهُم أَشغَالُ عِبَادَتِهِ وَ وَصّلَت حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَينَهُم وَ بَينَ مَعرِفَتِهِ وَ قَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِهِ إِلَى الوَلَهِ إِلَيهِ وَ لَم تُجَاوِز رَغَبَاتُهُم مَا عِندَهُ إِلَى مَا عِندَ غَيرِهِ قَد ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعرِفَتِهِ وَ شَرِبُوا بِالكَأسِ الرّوِيّةِ مِن مَحَبّتِهِ وَ تَمَكّنَت مِن سُوَيدَاوَاتِ قُلُوبِهِم وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ فَحَنَوا بِطُولِ الطّاعَةِ اعتِدَالَ ظُهُورِهِم وَ لَم يُنفِد طُولُ الرّغبَةِ إِلَيهِ مَادّةَ تَضَرّعِهِم وَ لَا أَطلَقَ عَنهُم عَظِيمُ الزّلفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِم وَ لَم يَتَوَلّهُمُ الإِعجَابُ فَيَستَكثِرُوا مَا سَلَفَ مِنهُم وَ لَا تَرَكَت لَهُمُ استِكَانَةُ الإِجلَالِ نَصِيباً فِي تَعظِيمِ حَسَنَاتِهِم وَ لَم تَجرِ الفَتَرَاتُ فِيهِم عَلَى طُولِ دُءُوبِهِم وَ لَم تَغِض رَغَبَاتُهُم فَيُخَالِفُوا عَن رَجَاءِ رَبّهِم وَ لَم تَجِفّ لِطُولِ المُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلسِنَتِهِم وَ لَا مَلَكَتهُمُ الأَشغَالُ فَتَنقَطِعَ بِهَمسِ الجُؤَارِ إِلَيهِ أَصوَاتُهُم وَ لَم تَختَلِف فِي مَقَاوِمِ الطّاعَةِ مَنَاكِبُهُم وَ لَم يَثنُوا إِلَى رَاحَةِ التّقصِيرِ فِي أَمرِهِ رِقَابَهُم. وَ لَا تَعدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدّهِم بَلَادَةُ الغَفَلَاتِ وَ لَا تَنتَضِلُ فِي هِمَمِهِم خَدَائِعُ الشّهَوَاتِ قَدِ اتّخَذُوا ذَا العَرشِ ذَخِيرَةً لِيَومِ فَاقَتِهِم وَ يَمّمُوهُ عِندَ انقِطَاعِ الخَلقِ إِلَى المَخلُوقِينَ بِرَغبَتِهِم لَا يَقطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَرجِعُ بِهِمُ الِاستِهتَارُ [صفحه ٤٢٥] بِلُزُومِ طَاعَتِهِ إِلّا إِلَى مَوَادّ مِن قُلُوبِهِم غَيرِ مُنقَطِعَةٍ مِن رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ لَم تَنقَطِع أَسبَابُ الشّفَقَةِ مِنهُم فَيَنُوا فِي جِدّهِم وَ لَم تَأسِرهُمُ الأَطمَاعُ فَيُؤثِرُوا وَشِيكَ السّعيِ عَلَى اجتِهَادِهِم لَم يَستَعظِمُوا مَا مَضَى مِن أَعمَالِهِم وَ لَوِ استَعظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرّجَاءُ مِنهُم شَفَقَاتِ وَجَلِهِم وَ لَم يَختَلِفُوا فِي رَبّهِم بِاستِحوَاذِ الشّيطَانِ عَلَيهِم وَ لَم يُفَرّقهُم سُوءُ التّقَاطُعِ وَ لَا تَوَلّاهُم غِلّ التّحَاسُدِ وَ لَا تَشَعّبَتهُم مَصَارِفُ الرّيَبِ وَ لَا اقتَسَمَتهُم أَخيَافُ الهِمَمِ فَهُم أُسَرَاءُ إِيمَانٍ لَم يَفُكّهُم مِن رِبقَتِهِ زَيغٌ وَ لَا عُدُولٌ وَ لَا وَنًى وَ لَا فُتُورٌ وَ لَيسَ فِي أَطبَاقِ السّمَاءِ مَوضِعُ إِهَابٍ إِلّا وَ عَلَيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَو سَاعٍ حَافِدٌ يَزدَادُونَ عَلَى طُولِ الطّاعَةِ بِرَبّهِم عِلماً وَ تَزدَادُ عِزّةُ رَبّهِم

فِی قُلُوبِهِم عِظَماً هـذاموضع المثل إذاجاء نهر الله بطل نهر معقل إذاجاء هـذاالکلام الربانی واللفظ القدسـی بطلت فصاحـة العرب وکانت نسبـة الفصـیح من کلامها إلیه نسبة التراب إلی النضار الخالص و لوفرضنا أن العرب تقدر علی الألفاظ الفصیحة المناسبة أوالمقاربـة لهـذه الألفـاظ من أین لهم المـادة التی عبرت هـذه الألفاظ عنها و من أین تعرف الجاهلیـة بل الصـحابة المعاصـرون لرسول الله ص هـذه المعـانی الغامضـة السـمائیة لیتهیأ لها التعبیر عنها أماالجاهلیـة فإنهم إنما کانت تظهر فصاحتهم فی صـفة بعیر أوفرس أوحمـار وحش أوثور فلاة أوصـفة جبال أوفلوات ونحو ذلک و أماالصـحابة [صـفحه ۴۲۶] فالمذکورون منهم بفصاحة إنمـا کـان منتهی فصاحـة أحـدهم کلمات لاتتجاوز السـطرین أوالثلاثـة أما فی موعظـة تتضـمن ذکر الموت أوذم الـدنیا أویتعلق بحرب وقتـال من ترغیب أوترهیب فأمـا الکلاـم فی الملائکـة وصـفاتها وصورهـا وعباداتهـا وتسبیحها ومعرفتها بخالقها وحبها له وولهها إلیه و ماجری مجری ذلک مما تضمنه هذاالفصل علی طوله فإنه لم یکن معروفا عندهم علی هذاالتفصیل نعم ربما علموه جملـة غیرمقسـمة هذاالتقسـیم و لامرتبـة هذاالترتیب بما سـمعوه من ذکر الملائکة فی القرآن العظیم و أما من عنده علم من هذه المادة کعبـد الله بن سـلام وأمیـة بن أبی الصـلت وغیرهم فلم تکن لهم هـذه العبارة و لاقـدروا علی هـذه الفصاحة فثبت أن هذه الأمور الدقیقـة فی مثل هـذه العبارة الفصـیحة لم تحصل إلالعلی وحده وأقسم أن هذاالکلام إذاتأمله اللبیب اقشـعر جلده ورجف قلبه واستشـعر عظمة الله العظیم فی روعه وخلده وهام نحوه وغلب الوجد علیه وکاد أن یخرج من مسکه شوقا و أن یفارق هیکله صبابة ووجدا. ثم نعود إلی التفسیر فنقول الصـفیح الأعلی سـطح الفلک الأعظم ویقال لوجه کل شـیءعریض صـفیح وصـفحة. والفروج الأماکن الخالیة والفجاج جمع فج والفج الطریق الواسع بین جبلین أوحائطین وأجوائها جمع جو و هو مااتسع من الأودیة ویقـال لمـا بین السـماء و الأـرض جو ویروی أجوابها جمع جوبـة وهی الفرجـة فی السـحاب وغیره ویروی أجوازها جمع جوز و هووسط الشـیء والفجوات جمع فجوة وهی الفرجة بین الشـیئین تقول منه تفاجی الشیء إذاصار له فجوة و منه الفجاء و هوتباعد مـا بین عرقوبی البعیر. والزجـل الصوت وحظائر القـدس لفظـة وردت فی کلام رسول الله ص وأصل الحظیرة مایعمل شـبه البیت للإبل من الشـجر لیقیها البرد فسـمی [صـفحه ۴۲۷]ع تلـک المواطن الشـریفة المقدسـة العالیـة التی فوق الفلک حظائر القـدس والقدس بتسـکین الدال وضـمها الطهر والتقدیس التطهیر وتقدس تطهر و الأرض المقدسـة المطهرة وبیت المقدس أیضا والنسـبة إلیه قدسی ومقدسی والسترات جمع سترة والرجیج الزلزلة والاضطراب و منه ارتج البحر وتستک الأسماع تنسد قال النابغة ونبئت خیر الناس أنک لمتنی || وتلک التی تستـک منها المسامع .سبحات النور بضم السـین والباء عبارة عن جلالة الله تعالی وعظمته وتردع الأبصار تکفها وخاسـئة أی سادرة و منه یَنقَلِب إِلَیکَ البَصَرُ خاسِئاً وَ هُوَ حَسِیرٌ وخسا بصره خسا وخسوءا أی سدر. و قوله علی حـدودها أی تقف حیث تنتهی قوتها لأن قوتها متناهیـة فإذابلغت حـدها وقفت و قوله أولی أجنحـة من الألفاظ القرآنیـة. و قوله لاینتحلون ماظهر فی الخلق من صـنعه أی لایـدعون الإلهیـة لأنفسـهم و إن کان قوم من البشـر یدعونها لهم و قوله لایدعون أنهم یخلقون شـیئا معه مما انفرد به فیه إشارة إلی مـذهب أصـحابنا فی أن أفعال العباد مخلوقة لهم لأن فائدة هذاالقید و هو قوله انفرد به إنما تظهر بـذلک . و أماالآیات المقدسـة فالروایـة المشـهورةمُکرَمُونَ وقرئ مکرمون بالتشدیـد وقرئ لایسـبقونه بالضـم والمشـهور القراءة بالکسـر والمعنی أنهم یتبعون قوله و لایقولون شـیئا حتی یقوله فلایسـبق قولهم قوله وأراد أن یقول لایسـبقونه بقولهم فحـذف الضـمیر المضاف إلیه وأناب اللام منابه . -قرآن-۱۱۳-۱۶۱-قرآن-۶۳۹-۶۴۸ [صفحه ۴۲۸] ثم قـال وهم بأمره یعملون أی کمـا أن قولهم تابع لقوله فعملهم أیضا کـذلک فرع علی أمره لایعملون عملا ما لم یؤمروا به وجاء فی الخبر المرفوع عن رسول الله ص أنه رأی جبرائیل لیلة المعراج ساقطا کالحلس من خشـیة الله -روایت-۱-۲-روایت-۴۵-۱۰۶ والحلس الکساء الخفیف . والزائغ العادل عن الطریق والإخبات التـذلل والاستکانة وأبوابا ذللا أی سـهلة وطیئـة و منه دابـة ذلول وتماجیـده الثناء علیه بالمجد والمؤصـرات المثقلات والإصـر الثقل . وتقول ارتحلت البعیر أی رکبته والعقبة النوبة والجمع عقب ومعنی قوله و لم

ترتحلهم عقب الليالى والأيام أى لم تؤثر فيهم نوبات الليالى والأيام وكرورها كمايؤثر ارتحال الإنسان البعير فى ظهره ونوازعها شهواتها النازعة المحركة وروى نوازغها بالغين المعجمة من نزغ بينهم أى أفسد. و لم تعترك الظنون أى لم تزدحم الظنون على يقينهم ألذى عقدوه . والإحن جمع إحنة وهى الحقد يقول لم تقدح قوادح الحقد فى ضمائرهم . و مالاق أى ماالتصق وأثناء صدورهم جمع ثنى وهى التضاعيف والرين الدنس والغلبة قال تعالى كَلّا بَل رانَ عَلى قُلُوبِهِم. وتقترع من الاقتراع بالسهام بأن يتناوب كل من الوساوس عليها ويروى فيفترع بالفاء أى تعلو برينها فرعه أى علاه . والغمام جمع غمامة وهى السحابة والدلح الثقال جاء يدلح بجملة أى جاء مثقلا به والجبال الشمخ العالية الشاهقة. و قوله فى قترة الظلام أى سواده والأيهم لايهتدى فيه و منه –قرآن-٧١٤-٧٤٣ [صفحه ٤٢٩] فلاة يهماء والتخوم بضم التاء جمع تخم و هومنتهى الأرض أوالقرية مثل فلس وفلوس ويروى تخوم بفتح التاء على أنها واحد والجمع تخم مثل صبور وصبر. وريح هفافة أى ساكنة طيبة يقول كان أقدامهم التى خرقت الهواء إلى حضيض الأرض رايات بيض تحتها ريح ساكنة ليست مضطربة فتموج تلك الرايات بل هى ساكنة تحبسها حيث انتهت وجاء فى الخبر أن لإسرافيل جناحين أحدهما فى أقصى المشرق والآخر فى أقصى المغرب و أن العرش على كاهله و أنه ليتضاءل أحيانا لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع و هوالعصفور –روايت-١-٢-روايت-١٧-١٧٧ . ثم قال قداستفرغتهم أشغال عبادته تعالى أى جعلتهم فارغين إلامنها ويروى ووسلت حقائق الإيمان بالسين المشددة يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة والوسيلة مايتقرب به والجمع وسيل ووسائل ويقال وسلت إليه وتوسلت إليه بمعنى . وسويداوات القلوب جمع سويداء وهى حبة القلب والوشيجة فى الأصل عرق الشجرة وهى هنا استعارة وحنيت ضلعى أى عوجتها والربق جمع ربقة وهى الحبل . قوله و لم يتولهم الإعجاب أى لم يستول عليهم والدءوب الجد والاجتهاد والأسلات جمع أسلة وهى طرف اللسان ومستدقه والجؤار الصوت المرتفع والهمس الصوت الخفى يقول ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فيكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة لاتعدو من عدا عليه إذاقهره وظلمه و هوهاهنا استعارة. و لاتنتضل الخدائع فى هممهم استعارة أيضا من النضال و هوالمراماة بالسهام وذو العرش هو الله تعالى و هذه لفظة قرآنية قال سبحانه إِذاً لَابتَغَوا إِلى ذيِ العَرشِ –قرآن-٨٢٢-٨٥٥ . ثم قال قداستفرغتهم أشغال عبادته تعالى أى جعلتهم فارغين إلامنها ويروى ووسلت حقائق الإيمان بالسين المشددة يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة والوسيلة مايتقرب به والجمع وسيل ووسائل ويقال وسلت إليه وتوسلت إليه بمعنى . وسويداوات القلوب جمع سويداء وهى حبة القلب والوشيجة فى الأصل عرق الشجرة وهى هنا استعارة وحنيت ضلعى أى عوجتها والربق جمع ربقة وهى الحبل . قوله و لم يتولهم الإعجاب أى لم يستول عليهم والدءوب الجد والاجتهاد والأسلات جمع أسلة وهى طرف اللسان ومستدقه والجؤار الصوت المرتفع والهمس الصوت الخفى يقول ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فيكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة لاتعدو من عدا عليه إذاقهره وظلمه و هوهاهنا استعارة. و لاتنتضل الخدائع فى هممهم استعارة أيضا من النضال و هوالمراماة بالسهام وذو العرش هو الله تعالى و هذه لفظة قرآنية قال سبحانه إِذاً لَابتَغَوا إِلى ذيِ العَرشِ سَبِيلًايعنى لابتغوا إلى الله تعالى سبيلا و قال تعالى ذُو العَرشِ المَجِيدُ فَعّالٌ لِما يُرِيدُ والاستهتار مصدر استهتر فلان بكذا أى لازمه وأولع به . و قوله فينوا أى فيضعفوا ونى ينى والجد الاجتهاد والانكماش . ثم قال إنهم لايستعظمون عبادتهم و لو أن أحدا منهم استعظم عبادته لأذهب خوفه رجاءه ألذى يتولد من استعظام تلك العبادة يصفهم بعظم التقوى . والاستحواذ الغلبة والغل الحقد وتشعبتهم تقسمتهم وفرقتهم و منه قيل للمنية شعوب أى مفرقة وأخياف الهمم أى الهمم المختلفة وأصله من الخيف و هوكحل إحدى العينين دون الأخرى و منه المثل الناس أخياف أى مختلفون والإهاب الجلد والحافد المسرع و منه الدعاء أللهم إليك نسعى ونحفد. واعلم أنه ع إنما كرر وأكد صفاتهم بما وصفهم به ليكون ذلك مثالا يحتذى عليه أهل العرفان من البشر فإن أعلى درجات البشر أن يتشبه بالملك وخلاصة ذلك أمور.منها العبادة القائمة. ومنها ألا يدعى أحد لنفسه الحول والقوة بل لاحول و لاقوة. ومنها أن

يكون متواضعا ذا سكينة ووقار. ومنها أن يكون ذا يقين لاتقدح فيه الشكوك والشبهات . ومنها ألا يكون فى صدره إحنة على أحد من الناس . ومنها شدة التعظيم والهيبة لخالق الخلق تبارك اسمه . ومنها أن تستفرغه أشغال العبادة له عن غيرها من الأشغال . -قرآن-١-٩-قرآن-٦٠-١٠١ [صفحه ٤٣١] ومنها أنه لاتتجاوز رغباته مما عند الله تعالى إلى ما عندغيره سبحانه . ومنها أن يعقد ضميره وقلبه على محبة الله تعالى ويشرب بالكأس الروية من حبه . ومنها عظم التقوى بحيث يأمن كل شىءعدا الله و لايهاب أحدا إلا الله . ومنها الخشوع والخضوع والإخبت والذل لجلال عزته سبحانه . ومنها ألا يستكثر الطاعة والعمل و إن جل وعظم . ومنها عظم الرجاء الواقع فى مقابلة عظم الخوف فإن الله تعالى يحب أن يرجى كمايحب أن يخاف

أبحاث تتعلق بالملائكة

واعلم أنه يجب أن تعلم أبحاث متعددة تتعلق بالملائكة ويقصد فيهاقصد حكاية المذهب خاصة ونكل الاحتجاج والنظر إلى ما هومذكور فى كتبنا الكلامية.البحث الأول فى وجود الملائكة قال قوم من الباطنية السبيل إلى إثبات الملائكة هوالحس والمشاهدة و ذلك أن الملائكة عندهم أهل الباطن . وقالت الفلاسفة هى العقول المفارقة وهى جواهر مجردة عن المادة لاتعلق لها بالأجسام تدبيرا واحترزوا بذلك عن النفوس لأنها جواهر مفارقة إلاأنها تدبر الأبدان وزعموا أنهم أثبتوها نظرا. و قال أصحابنا المتكلمون الطريق إلى إثبات الملائكة الخبر الصادق المدلول على صدقه و فى المتكلمين من زعم أنه أثبت الملائكة بطريق نظرى و هو أنه لماوجد خلقا من طين وجب فى العقل أن يكون فى المخلوقات خلق من الهواء وخلق من النار فالمخلوق من الهواء هوالملك والمخلوق من النار الشيطان . [صفحه ٤٣٢] البحث الثانى فى بنية الملائكة وهيئة تركيبهم قال أصحابنا المتكلمون أن الملائكة أجسام لطاف وليسوا من لحم ودم وعظام كماخلق البشر من هذه الأشياء و قال أبوحفص المعود القرينسى من أصحابنا إن الملائكة من أجسام من لحم وعظم إنه لافرق بينهم و بين البشر وإنما لم يروا لبعد المسافة بيننا وبينهم . و قدتبعه على هذاالقول جماعة من معتزلة ماوراء النهر وهى مقالة ضعيفة لأن القرآن يشهد بخلافه فى قوله وَ رُسُلُنا لَدَيهِم يَكتُبُونَ و قوله إِذ يَتَلَقّى المُتَلَقّيانِ عَنِ اليَمِينِ وَ عَنِ الشّمالِ قَعِيدٌفلو كانوا أجساما كثيفة كأجسامنا لرأيناهم .البحث الثالث فى تكليف الملائكة حكى عن قوم من الحشوية أنهم يقولون إن الملائكة مضطرون الله جميع أفعالهم وليسوا مكلفين . و قال جمهور أهل النظر إنهم مكلفون . وحكى عن أبى إسحاق النظام إنه قال إن قوما من المعتزلة قالوا إنهم جبلوا على الطاعة لمخالفة خلقهم خلقة المكلفين وأنهم قالوا لوكانوا مكلفين لم يؤمن أن يعصوا فيما أمروا به و قد قال تعالى لا يَعصُونَ اللّهَ ما أَمَرَهُم وَ يَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ. و قال قوم إن أكثر الملائكة مكلفون و إن فيهم من ليس بمكلف بل هومسخر للملائكة المكلفين كما أن الحيوانات ما هو غيرمكلف بل هومسخر للبشر ومخلوق لمصالحهم .قالوا و لاننكر أن يكون الملائكة الذين ذكر منهم أنهم غلظ الأجسام وعظم الخلق والتركيب بحيث تبلغ أقدامهم إلى قرار الأرض قدجعلوا عمدا للسموات و الأرض فهم -قرآن-٤١١-٤٤١-قرآن-٤٥٠-٥١٧-قرآن-٩٢١-٩٧٩ [صفحه ٤٣٣] يحملونها بمنزلة الأساطين التى تحمل السقوف العالية و لم يرشحوا لأمر من الأمور سوى ذلك .البحث الرابع فيما يجوز من الملائكة و ما لايجوز قال شيخنا أبوالقاسم حكى أبو الحسن الخياط عن قدماء المعتزلة أنه لايجوز أن يعصى أحد من الملائكة و لم يذكر عنهم علة فى ذلك . و قال قوم إنهم لايعصون و لايجوز أن يعصوا لأنهم غيرمطيقين الشهوة والغضب فلاداعى لهم إلى المعصية والفاعل لايفعل إلابداع إلى الفعل . و قال قوم إنهم لايعصون لأنهم يشاهدون من عجائب صنع الله وآثار هيبته مايبهرهم عن فعل المعصية والقصد إليها وكذلك قال تعالى وَ هُم مِن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ. و قال قوم إنما لم يجز أن يعصوا لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لايعصون و لاينكر مع ذلك أن يكون

منهم من يتغير حاله ويتبدل بهاحالـة أخرى ويعصى على ماورد من خبر الملكين ببابل وخبر إبليس وإنما يسلب عنهم المعصية ماداموا على حالهم التى هى عليها. و قال شيوخنا أصحاب أبى هاشم رحمه الله تعالى إن المعصية تجوز عليهم كماتجوز علينا إلا أن الله تعالى علم أن لهم ألطافا يمتنعون معها من القبيح لفعلها فامتنعوا من فعل القبيح اختيارا فكانت حالهم كحال الأنبياء من البشر يقدرون على المعصية و لايفعلونها -قرآن-۵۴۴-۵۷۴ [صفحه ۴۳۴] اختيارا من أنفسهم باعتبار الألطاف المفعولة لهم و لو كان لإبليس أوفرعون أونمرود ألطاف يعلم الله تعالى إذافعلها فعلوا الواجب وامتنعوا من فعل القبيح لفعلها بهم ولكانوا معصومين كالأنبياء والملائكة لكنه تعالى علم أنهم لا-يؤمنون و لوفعل مهما فعل فلا-لطف فى المعلوم و هذاعندهم حكم عام لجميع المكلفين من الإ-نس والجن والملائكة.البحث الخامس فى أن أى القبيلين أفضل الملائكة أوالأنبياء قال أصحابنا نوع الملائكة أفضل من نوع البشر والملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كل ملك عندالإطلاق أفضل من محمدص بل بعض المقربين أفضل منه و هو ع أفضل من ملائكة أخرى غيرالأولين والمراد بالأفضل الأكثر ثوابا وكذلك القول فى موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء و ألذى يحكيه قوم من أرباب المقالات أن المعتزلة قالوا إن أدنى ملك فى السماء أفضل من محمدص ليس بصحيح عنهم . و قال أهل الحديث والأشعرية أن الأنبياء أفضل من الملائكة. و قال الشيعة الأنبياء أفضل من الملائكة والأئمة أفضل من الملائكة. و قال قوم منهم و من الحشوية إن المؤمنين أفضل من الملائكة.البحث السادس فى قدم الملائكة وحدوثهم أماالفلاسفة القائلون بأنهم العقول المفارقة فإنهم يذهبون إلى قدم الملائكة. و قال غيرهم من أهل الملل إنهم محدثون . و قال قوم من متأخرى الحكماء إن نفوس البشر إذافارقت الأبدان بالموت بقيت قائمة بأنفسها غيرمدبرة لشىء من الأبدان فإن كانت خيرة صالحة فهى الملائكة [صفحه ۴۳۵] و إن كانت شريرة رديئة الجوهر فهى الشياطين فالملائكة عندهؤلاء محدثون وعندهم أن هذه النفوس تساعد نفوسا أخرى متعلقة بتدبير الأبدان أما على الخير أو على الشر فما ينسب فى الكتب الإلهية إلى إغواء الشياطين للناس وإضلالهم فالمراد به تلك النفوس الشريرة و ماينسب فيها إلى إعانة الملائكة لهم على الخير والصلاح فالمراد به تلك النفوس الخيرة.البحث السابع فى إبليس أ هو من الملائكة أو ليس منها قال شيخنا أبوعثمان وجماعة من أصحابنا إنه من الملائكة ولذلك استثناه الله تعالى فقال فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلّهُم أَجمَعُونَ إِلّا إِبلِيسَ. و قال قوم إنه كان من الملائكة بدلالة هذه الآية لكن الله مسخه حيث خالف الأمر فهو بعدالمسخ خارج عن الملائكة و قد كان قبل ذلك ملكا قالوا ومعنى قوله كانَ مِنَ الجِنّ أى من خزان الجنة وروى ذلك عن ابن عباس قالوا ويحمل على معناه أنه صار من الجن فيكون كان بمعنى صار كقوله تعالى كَيفَ نُكَلّمُ مَن كانَ فِي المَهدِ صَبِيّا أى من صار لأنها لوكانت كان على حقيقتها لوجب إلايكلم بعضهم بعضا لأ-نهم كانوا صبيانا فى المهود.قالوا ومعنى صيرورته من الجن صيرورته ضالا كما أن الجن ضالون لأن الكفار بعضهم من بعض كما قال تعالى المُنافِقُونَ وَ المُنافِقاتُ بَعضُهُم مِن بَعضٍ. -قرآن-۴۹۴-۵۴۸-قرآن-۷۰۷-۷۲۲-قرآن-۸۴۴-۸۸۶-قرآن-۱۰۹۴-۱۱۴۱ [صفحه ۴۳۶] و قال معظم أصحابنا إن إبليس ليس من الملائكة و لا كان منها وإنما استثناه الله تعالى منهم لأ-نه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا- من خصوص الملائكة.البحث الثامن فى هاروت وماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا إنهما من الملائكة و إن القرآن العظيم قدصرح بذلك فى قوله وَ ما أُنزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ و إن ألذى أنزل عليهما هوعلم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا و من تجنبه أوتعلمه لايعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا قالوا و ما كان هذان الملكان يعلمان أحدا حتى ينبهاه وينهياه وينصحاه ويقولا له إِنّما نَحنُ فِتنَةٌ أى ابتلاء واختبار من الله فَلا تَكفُر و لاتتعلمه معتقدا أنه حق . وحكى عن الحسن البصرى أن هاروت وماروت علجان أقلفان من أهل بابل كانا يعلمان الناس السحر وقرأ الحسن على الملكين ببابل بكسر اللام . و قال قوم كانا من الملائكة فعصيا الله تعالى بالحيف فى الحكومة و قد كان استقضاهما فى الأرض وركب فيهما الشهوة

والغضب على نحو ماركب فى البشر امتحانا لهما لأنهما قدكانا عيرا البشر بالمعصية فلما عصيا حبسهما الله تعالى وعاقبهما بعذاب معجل وألهمهما كلاما إذاتكلما به سكن بعض مابهما من الألم و إن السحرة يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه ويفرقون به بين المرء وزوجه فإنهما يتقدمان إلى من يحضرهما عند مايتكلمان بالزجر عن العمل بذلك الكلام ويقولان إِنَّما نَحنُ -قرآن-٣٢٧-٣٨٥-قرآن-٦٣٤-٦٥٣-قرآن-٦٨٢-٦٩٢-قرآن-١٣٢١-١٣٣٢ و قال معظم أصحابنا إن إبليس ليس من الملائكة و لا كان منها وإنما استثناه الله تعالى منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فهو مستثنى من عموم المأمورين بالسجود لا من خصوص الملائكة.البحث الثامن فى هاروت وماروت هل هما من الملائكة أم لا قال جمهور أصحابنا إنهما من الملائكة و إن القرآن العظيم قدصرح بذلك فى قوله وَ ما أُنزِلَ عَلَى المَلَكَينِ بِبابِلَ هارُوتَ وَ مارُوتَ و إن ألذى أنزل عليهما هوعلم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس فمن تعلمه منهم وعمل به كان كافرا و من تجنبه أوتعلمه لاليعمل به ولكن ليتوقاه كان مؤمنا قالوا و ما كان هذان الملكان يعلمان أحدا حتى ينبهاه وينهياه وينصحاه ويقولا له إِنَّما نَحنُ فِتنَةٌ أى ابتلاء واختبار من الله فَلا تَكفُر و لاتتعلمه معتقدا أنه حق . وحكى عن الحسن البصرى أن هاروت وماروت علجان أقلفان من أهل بابل كانا يعلمان الناس السحر وقرأ الحسن على الملكين ببابل بكسر اللام . و قال قوم كانا من الملائكة فعصيا الله تعالى بالحيف فى الحكومة و قد كان استقضاهما فى الأرض وركب فيهما الشهوة والغضب على نحو ماركب فى البشر امتحانا لهما لأنهما قدكانا عيرا البشر بالمعصية فلما عصيا حبسهما الله تعالى وعاقبهما بعذاب معجل وألهمهما كلاما إذاتكلما به سكن بعض مابهما من الألم و إن السحرة يستمعون ذلك الكلام فيحفظونه ويفرقون به بين المرء وزوجه فإنهما يتقدمان إلى من يحضرهما عند مايتكلمان بالزجر عن العمل بذلك الكلام ويقولان إِنَّما نَحنُ فِتنَةٌ فَلا تَكفُر وهما لم يكفرا و لادعوا إلى السحر و إن عذابهما سيقطع و قدجاء فى الأخبار مايوافق هذا. و قال قوم من الحشوية إنهما شربا الخمر وقتلا النفس وزنيا بامرأة اسمها باهيد فمسخت وهى الزهرة التى فى السماء -قرآن-١-٢٠ وَ مِنهَا فِي صِفَةِ الأَرضِ وَ دَحوِهَا عَلَى المَاءِ كَبَسَ الأَرضَ عَلَى مَورِ أَموَاجٍ مُستَفحِلَةٍ وَ لُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ تَلتَطِمُ أَوَاذِيّ أَموَاجِهَا وَ تَصطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثبَاجِهَا وَ تَرغُو زَبَداً كَالفُحُولِ عِندَ هِيَاجِهَا فَخَضَعَ جِمَاحُ المَاءِ المُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَملِهَا وَ سَكَنَ هَيجُ ارتِمَائِهِ إِذ وَطِئَتهُ بِكَلكَلِهَا وَ ذَلّ مُستَخذِياً إِذ تَمَعّكَت عَلَيهِ بِكَوَاهِلِهَا فَأَصبَحَ بَعدَ اصطِخَابِ أَموَاجِهِ سَاجِياً مَقهُوراً وَ فِي حَكَمَةِ الذّلّ مُنقَاداً أَسِيراً وَ سَكَنَتِ الأَرضُ مَدحُوّةً فِي لُجّةِ تَيّارِهِ وَ رَدّت مِن نَخوَةِ بَأوِهِ وَ اعتِلَائِهِ وَ شُمُوخِ أَنفِهِ وَ سُمُوّ غُلَوَائِهِ وَ كَعَمَتهُ عَلَى كِظّةِ جَريَتِهِ فَهَمَدَ بَعدَ نَزَقَاتِهِ وَ لَبَدَ بَعدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ فَلَمّا سَكَنَ هَيجُ المَاءِ مِن تَحتِ أَكنَافِهَا وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ الجِبَالِ الشّمّخِ البُذّخِ عَلَى أَكتَافِهَا فَجّرَ يَنَابِيعَ العُيُونِ مِن عَرَانِينِ أُنُوفِهَا وَ فَرّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا وَ عَدّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرّاسِيَاتِ مِن جَلَامِيدِهَا وَ ذَوَاتِ الشّنَاخِيبِ الشّمّ مِن صَيَاخِيدِهَا فَسَكَنَت مِنَ المَيَدَانِ لِرُسُوبِ الجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا وَ تَغَلغُلِهَا مُتَسَرّبَةً فِي جَوبَاتِ خَيَاشِيمِهَا وَ رُكُوبِهَا أَعنَاقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وَ جَرَاثِيمِهَا وَ فَسَحَ [صفحه ٤٣٨] بَينَ الجَوّ وَ بَينَهَا وَ أَعَدّ الهَوَاءَ مُتَنَسّماً لِسَاكِنِهَا وَ أَخرَجَ إِلَيهَا أَهلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا ثُمّ لَم يَدَع جُرُزَ الأَرضِ التّي تَقصُرُ مِيَاهُ العُيُونِ عَن رَوَابِيهَا وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الأَنهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا حَتّى أَنشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحيِي مَوَاتَهَا وَ تَستَخرِجُ نَبَاتَهَا أَلّفَ غَمَامَهَا بَعدَ افتِرَاقِ لُمَعِهِ وَ تَبَايُنِ قَزَعِهِ حَتّى إِذَا تَمَخّضَت لُجّةُ المُزنِ فِيهِ وَ التَمَعَ بَرقُهُ فِي كُفَفِهِ وَ لَم يَنَم وَمِيضُهُ فِي كَنَهوَرِ رَبَابِهِ وَ مُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ أَرسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً قَد أَسَفّ هَيدَبُهُ يَمرِيهِ الجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ وَ دُفَعَ شَآبِيبِهِ. فَلَمّا أَلقَتِ السّحَابُ بَركَ بِوَانَيهَا وَ بَعَاعَ مَا استَقَلّت بِهِ مِنَ العِب ءِ المَحمُولِ عَلَيهَا أَخرَجَ بِهِ مِن هَوَامِدِ الأَرضِ النّبَاتَ وَ مِن زُعرِ الجِبَالِ الأَعشَابَ فَهِيَ تَبهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا وَ تَزدَهِي بِمَا أُلبِسَتهُ مِن رَيطِ أَزَاهِيرِهَا وَ حِليَةِ مَا سُمِطَت بِهِ مِن نَاضِرِ أَنوَارِهَا وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً لِلأَنَامِ وَ رِزقاً لِلأَنعَامِ وَ خَرَقَ الفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَ أَقَامَ المَنَارَ لِلسّالِكِينَ عَلَى جَوَادّ طُرُقِهَا كبس الأرض أى أدخلها فى الماء بقوة واعتماد شديد ويقال لضرب من التمر الكبيس لأنه يكبس حتى يتراص والمور مصدر مار أى ذهب وجاء ومستفحلة هائجة هيجان الفحول واستفحل الأمر تفاقم واشتد وزاخرة زخر الماء أى امتد جدا وارتفع .

والأواذى جمع آذى و هوالموج وتصطفق يضرب بعضها بعضا والأثباج هاهنا [صفحه ۴۳۹] أعالى الأمواج وأصل الثبج ما بين الكاهل إلى الظهر فنقل إلى هذاالموضع استعارة. وترغو تصوت صوت البعير والرغاء صوت ذات الخف و فى المثل كفى برغائها مناديا أى أن رغاء بعير المضيف يقوم مقام ندائه للضيافة والقرى وزبدا على هذامنصوب بفعل مقدر تقديره وترغو قاذفة زبدا والزبد مايظهر فوق السيل يقال قدأزبد البحر والسيل وبحر مزبد أى مالح يقذف بالزبد والفحول عندهياجها فحول الإبل إذاهاجت للضراب . وجماح الماء صعوده وغليانه وأصله من جماح الفرس و هو أن يعز فارسه ويغلبه والجموح من الرجال ألذى يركب هواه فلايمكن رده وخضع ذل وهيج الماء اضطرابه هاج هيجا وهياجا وهيجانا واهتاج وتهيج كله بمعنى أى ثار وهاجه غيره يتعدى و لايتعدى وهيج ارتمائه يعنى تقاذفه وتلاطمه يقال ارتمى القوم بالسهام وبالحجارة ارتماء وكلكلها صدرها وجاء كلكل وكلكال وربما جاء فى ضرورة الشعر مشددا قال كأن مهواها على الكلكل || موضع كفى راهب مصلى . والمستخذى الخاضع و قديهمز وقيل لأعرابى فى مجلس أبى زيد كيف تقول استخذأت ليتعرف منه الهمزة فقال العرب لاتستخذئ وهمزه وأكثر مايستعمل ملينا وأصله من خذا الشىء يخذو وخذوا أى استرخى ويجوز خذى بكسر الذال وأذن خذواء بينة الخذاء أى مسترخية. وتمعكت تمرغت مستعار من تمعك الدابة فى الأرض وقالوا معكت الأديم أى دلكته وكواهلها جمع كاهل و هو ما بين الكتفين ويسمى الحارك . [صفحه ۴۴۰] واصطخاب أمواجه افتعال من الصخب و هوالصياح والجلبة يقال صخب الرجل فهو صخبان واصطخب افتعل منه قال إن الضفادع فى الغدران تصطخب . والساجى الساكن والحكمة ماأحاط من اللجام بحنك الدابة وكانت العرب تتخذها من القد والأبق لأن الزينة لم تكن قصدهم قال زهير القائد الخيل منكوبا دوابرها || قدأحكمت حكمات القد والأبقا . واستعار الحكمة هاهنا فجعل للذل حكمة ينقاد الماء بها ويذل إليها. ومدحوة مبسوطة قال تعالى وَ الأَرضَ بَعدَ ذلِكَ دَحاها ويجوز أن تكون مدحوة هاهنا بمعنى مقذوفة مرمية يقال دحوت الحصاة أى قذفتها ويقال للاعب الجوز ادح وأبعد المدى والتيار أعظم الموج ولجته أعمقه والبأو الكبر والفخر تقول بأوت على القوم أبأى بأوا قال حاتم -قرآن-۹۵-۱۲۳ فما زادنا بأوا على ذى قرابة || غنانا و لاأزرى بأحسابنا الفقر . و هذاالكلام استعارة يقال كسرت الأرض سورة الماء الجامح كماتكسر سورة بأو الرجل المتكبر المفتخر والاعتلاء التيه والتكبر والشموخ العلو مصدر شمخ بأنفه أى تكبر والجبال الشوامخ الشاهقة والسمو العلو وسمو علوائه أى غلوه وتجاوزه الحد. [صفحه ۴۴۱] وكعمته أى شددت فمه لماهاج من الكعام و هو شىءيجعل فى فم البعير وبعير مكعوم . والكظة الجهد والثقل ألذى يعترى الإنسان عندالامتلاء من الطعام يقول كعمت الأرض الماء حال كونه مكظوظا لشدة امتلائه وكثرته وازدحام أمواجه فهمد أى سكن همدت النار تهمد بالضم همودا أى طفئت وذهبت البتة والخمود دون الهمود والنزقات الخفة والطيش نزق الرجل بالكسر ينزق نزقا والنزقات الدفعات من ذلك . ولبد الشىء بالأرض يلبد بالضم لبودا أى لصق بهاساكنا والزيفان التبختر فى المشى زاف البعير يزيف والزيافة من النوق المختالة ويروى ولبد بعدزفيان وثباته والزفيان شدة هبوب الريح يقال زفته الريح زفيانا أى طردته وناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم وأكنافها جوانبها وكنفا الطائر جناحاه ويقال صلاء مكنف أى أحيط به من جوانبه وتكنفه القوم واكتنفوه أحاطوا به . والجبال الشواهق العالية ومثله البذخ والعرنين أول الأنف تحت مجتمع الحاجبين والينابيع جمع ينبوع و هو ماانفجر من الأرض عن الماء والسهوب جمع سهب و هوالفلاة والبيد جمع بيداء وهى الفلاة أيضا. والأخاديد جمع أخدود و هوالشق فى الأرض قال تعالى قُتِلَ أَصحابُ الأُخدُودِ والراسيات الثقال والشناخيب رءوس الجبال والشم العالية والجلاميد الصخور واحدها جلمود والصياخيد جمع صيخود وهى الصخرة الصلبة. -قرآن-۱۰۴۸-۱۰۷۲ [صفحه ۴۴۲] والميدان التحرك والاضطراب وماد الرجل يميد أى تبختر ورسوب الجبال نزولها رسب الشىء فى الماء أى سفل فيه وسيف رسوب ينزل فى العظام . و قوله فى قطع أديمها جمع قطعة يريد فى أجزائها وأبعاضها ويروى فى قطع أديمها بضم القاف وفتح الطاء جمع قطعة وهى القطعة مفروزة من

الأـرض وحكى أن أعرابيـا قال ورثت من أبى قطعـة ويروى فى قطع أديمها بسـكون الطاء والقطع طنفسـة الرحل فنقل ذلك إلى هـذاالموضع استعارة كأنه جعل الأرض ناقـة وجعل لها قطعا وجعل الجبال ثابتة فى ذلك القطع . وأديم الأرض وجهها وظاهرها وتغلغل الماء فى الشجر دخوله وتخلله فى أصوله . وعروقه متسربة أى داخلة تسرب الثعلب أى دخل السرب وجوبات جمع جوبة وهى الفرجـة فى جبـل أوغيره وخياشـيمها جمع خيشوم و هوأقصـى الأـنف وتقول خشـمت الرجـل خشـما أى كسـرت خيشومه وجراثيمها جمع جرثومـة وهى أصل الشـجر. وفسـح أوسع ومتنسـما يعنى موضع النسـيم و الأرض الجرز التى لانبات فيهالانقطاع المطر عنهـا و هـذه من الألفـاظ القرآنيـة والروابى التلاـع و ماعلاـ من الأرض والجـداول الأنهار الصـغار جمع جـدول والـذريعة الوصـلة. وناشـئة سحاب مايبتدئ ظهوره والموات بفتح الميم القفر من الأرض واللمع جمع لمعة وهى القطعة من السحاب أوغيره وتباين قزعه القزع قطع من السـحاب رقيقة واحدها قزعة قال الشاعر [صفحه ۴۴۳] كأن رعاله قزع الجهام . و فى الحديث كأنهم قزع الخريف وتباينهـا افتراقهـا وتمخضت تحركت بقوة يقـال تمخض اللبن إذاتحرك فى الممخضـة وتمخض الولـد تحرك فى بطن الحامل والهاء فى فيه ترجع إلى المزن أى تحركت لجة المزن فى المزن نفسه أى تحرك من السحاب وسطه وثبجه . والتمع البرق ولمع أى أضاء وكففه جمع كفة والكفة كالدارة تكون فى السحاب . و كان الأصمعى يقول كل مااستطال فهو كفة بالضم نحو كفـة الثوب وهى حاشـيته وكفة الرمل والجمع كفاف و كل مااسـتدار فهو كفة بالكسـر نحو كفة الميزان وكفة الصائد وهى حبالته والجمع كفف ويقال أيضا كفة الميزان بالفتح والوميض الضياء واللمعان . و قوله لم ينم أى لم يفتر و لم ينقطع فاستعار له لفظة النوم والكنهور العظيم من السـحاب والرباب الغمام الأبيض ويقال إنه السـحاب ألـذى تراه كأنه دون السـحاب و قـد يكون أبيض و قـد يكون أسود و هوجمع والواحـدة ربابة و به سـميت المرأة الرباب . والمتراكم ألذى قدركب بعضه بعضا والميم بدل من البـاء وسـحا صـبا وسـحابة سـحوح وتسـحسح المـاء سـال ومطر سـحساح أى يسـح شديـدا ومتـداركا يلحق بعضه بعضـا من غيرانقطاع وأسف دنا من الأرض وهيدبه ماتهدب منه أى تدلى كمايتدلى هدب العين على أشـفارها ويمرى الجنوب و هوبمعنى يحلب ويسـتدر ويروى تمريه الجنوب . على أن يعـدى الفعـل إلى المفعولين كماتقول حلبت الناقـة لبنا ويروى تمترى الجنوب و هوبمعنى تمرى من مريت الفرس وامتريته إذااسـتخرجت بالسوط ماعنـده من الجرى وإنما [صـفحه ۴۴۴] خص الجنوب بذلك لأنها الريـح التى يكون عليها المطر والـدرر جمع درة وهى كثرة اللبن وسـيلانه وصـبه والأهاضـيب جمع هضاب والهضاب جمع هضب وهى حلبات القطر بعـدالقطر والـدفع جمع دفعة بالضم وهى كالدفقة من المطر بالضم أيضا والشآبيب جمع شؤبوب وهى رشـة قويـة من المطر تنزل دفعـة بشـدة والبرك الصـدر وبوانيها تثنيـة بوان على فعال بكسـر الفاء و هوعمود الخيمـة والجمع بون بـالضم قـال الشـاعر أصـبر من ذى ضاغـط عركرك || ألقى بوانى زوره للمـبرك . و من روى بوانيهـا أراد لواصـقها من قولك قوص بانية إذاالتصـقت بالوتر. والرواية الأولى أصح وبعاع السـحاب ثقله بالمطر قال إمرؤ القيس وألقى بصـحراء الغبيط بعاعه || نزول اليمـانى بالعيـاب المثقـل . والعب ء الثقـل واسـتقلت ارتفعت ونهضت وهوامـد الأـرض هى الأرضون التى لانبات بها وزعر الجبال جمع أزعر والمراد به قلـة العشب والخلى وأصـله من الزعر و هوقلـة الشـعر فى الرأس قال من يك ذا لمة يرجلها || فإننى غيرضائرى زعرى . و قدزعر الرجل يزعر قل شـعره وتبهج تسـر وتفرح تقول بهجنى أمر كذا بالفتح وأبهجنى معا أى سرنى و من رواه بضم الهاء أراد يحسن ويملـح من البهجـة وهى الحسن يقال بهـج الرجل بالضم بهاجة فهو بهيج أى حسن قال الله تعالى مِن كُلِّ زَوجٍ بَهِيجٍ وتقول قـدأبهجت الأرض بالهمزة أى بهـج نباتها وحسن . -قرآن-۲۲۷-۲۴۸ [صفحه ۴۴۵] وتزدهى أى تتكبر وهى اللغة التى حكاها ابن دريد قال تقول زها الرجل يزهو زهوا أى تكبر و على هذه اللغة تقول ازدهى الرجل يزدهى كماتقول من علا اعتلى يعتلى و من رمى ارتمى يرتمى و أما من رواها وتزدهى بما ألبسـته على ما لم يسم فاعله فهى اللغة المشهورة تقول زهى فلاـن علينـا وللعرب أحرف تتكلم بهـا على سبيـل المفعول به و إن كـانت بمعنى الفاعـل كقولهم عنى بالأـمر ونتجت الناقة

فتقول على هـذه اللغة فلان يزدهى بكذا. والريط جمع ريطة وهى الملاءة غيرذات لفقين والأزاهير النور ذو الألوان . وسـمطت به علق عليهـا السـموط جمع سـمط و هوالعقـد و من رواه شـمطت بالشـين المعجمـة أراد ماخالـط سواد الريـاض من النور الأبـيض كالأقحوان ونحوه فصارت الرياض كالشـعر الأشـمط والناضـر ذو النضارة وهى الحسن والطراوة. وبلاغا للأنام أى كفايـة والآفاق النواحى والمنار الأعلام

فصول متنوعة تتعلق بالخطبة

وينبغى أن نتكلم فى هـذاالموضع فى فصول .الفصـل الأـول فى كيفيـة ابتـداء خلق الأـرض .ظاهر كلام أمير المؤمنين ع أن الماء خلق قبـل الأـرض و قـدذكرنا فيمـا تقـدم أنه قول لبعض الحكماء و أنه موافق لما فى التوراة إلا أن فى كلامه ع فى هذاالموضع إشـكالا و ذلـك أن لقائـل أن يقول كلامـه يشـعر بـأن هيجـان الماء وغليانه وموجه [صـفحه ۴۴۶] سـكن بوضع الأـرض عليه و هذاخلاف مايشاهد وخلاف مايقتضـيه العقل لأن الماء الساكن إذاجعل فيه جسم ثقيل اضـطرب وتموج وصعد علوا فكيف الماء المتموج يسـكن بطرح الجسم الثقيـل فيه . والجواب أن الماء إذا كان تموجه من قبل ريـح هائجـة جاز أن يسـكن هيجانه بجسم يحول بينه و بين تلـك الريـح ولـذلك إذاجعلنـا فى الإنـاء ماء وروحناه بمروحـة تموجه فإنه يتحرك فإن جعلنا على سـطح الماء جسـما يملأـ حافـات الإناء وروحنا بالمروحـة فإن الماء لايتحرك لأن ذلك الجسم قـدحال بين الهواء المجتلب بالمروحـة و بين سطـح المـاء فمن الجـائز أن يكون الماء الأول هائجا لأجل ريـح محركـة له فإذاوضـعت الأرض عليه حال بين سطح الماء و بين تلك الريح و قدمر فى كلام أمير المؤمنين فى الخطبة الأولى ذكر هذه الريح فقال ريح اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها فأمرها بتصـفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضت مخض السـقاء وعصـفت به عصـفها بالفضاء.الفصل الثانى فى بيـان قوله ع فلمـا سـكن هيـج الماء من تحت أكنافها وحمل شواهق الجبال البـذخ على أكتافها فجر ينابيع العيون فيها وعـدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها. و ذلك لأن العامل فى لمايجب أن يكون أمرا مباينا لماأضيفت إليه مثاله لماقام زيد قام عمرو فقـام الثانيـة هى العاملـة فى لمـافيجوز أن تكون أمرا مباينـا لماأضـيف لما إليه و هوقيام زيـد وهاهنا قـد قال ع لماحمل الله تعالى شواهق الجبـال على الأـرض عـدل حركـات الأـرض بالجبال ومعلوم أن أحـد الأمرين هوالآخر. والجواب أنه ليس أحـد الأمرين هوالآخر بعينه بل الثانى معلول الأول وموجب [صفحه ۴۴۷] عنه لأن الأول هوحمل الجبال عليها والثانى تعديل حركاتها بالجبال المحمول عليها فكأنه قال حمل عليها الجبال فاقتضـى ذلك الحمل تعـديل حركاتها ومعلوم أن هـذاالكلام منتظم .الفصل الثالث فى قوله إن الجبـال هى المسـكنة للأـرض .فنقول إن هـذاالقول يخـالف قول الحكماء لأن سـكون الأرض عنـدالحكماء لم يكن لـذلك بـل لأنهـا تطلب المركز وهى حاصـلة فى حيزهـا الطبيعى لكنـا و إن كـان مخالفا لقول الحكماء فإنا نعتقـده دينا ومـذهبا ونعدل عن قول الحكماء لأن اتباع قوله ع أولى من اتباع أقوالهم .الفصل الرابع فى ذكر نظائر لماوصف به المطر والسـحاب .فمن ذلك مارواه عبدالرحمن ابن أخى الأصـمعى عن عمه قال سـئل أعرابى عن مطر فقال اسـتقل سد مع انتشار الطفل فشصا واحزأل ثـم اكفهرت أرجـاؤه واحمـومت ارحـاؤه وانزعرت فـوارقه وتضـاحكت بـوارقه واسـتطار وادقه وأرسـعت جـوبه وارتعـن هيـدبه وحسـكت أخلافه واسـتقلت أردافه وانتشـرت أكنـافه فالرعـد يرتجس والبرق يختلس والمـاء ينبجس فأترع الغـدر وأنبت الوجر وخلـط الأوعال بالآجال وقرن الصـيران بالرئال فللأوديـة هـدير وللشـراج خرير وللتلاع زفير وحط النبع والعنم من القلل الشم إلى القيعان الصـحم فلم يبق فى القلل إلامعصم [صفحه ۴۴۸] مجرنثم أوداحض محرجم و ذلـك من فضل رب العالمين على عباده المذنبين . قلت السد السـحاب ألذى يسد الأفق وأصل الجبل والطفل اختلاط الظلام وانتشاره حال غروب الشـمس وشـصا ارتفع

وعلا واحزأل انتصب واكفهرت أرجاؤه غلظت نواحيه وجوانبه وتراكمت واحمومت اسودت مع مخالطة حمرة وأرجاؤه أوساطه وانزعرت تفرقت والفوارق قطع من السحاب تتفرق عنه مثل فرق الإبل وهى النوق إذاأرادت الولادة فارقت الإبل وبعدت عنها حيث لاـترى وتضاحكت بوارقه لمعت واستطار انتشر والوادق ذو الودق و هومطر كبار وأرسعت جوبه أى تلاءمت فرجه والتحمت وارتعن استرخى وهيدبه ماتدلى منه وحسكت أخلافه امتلأت ضروعه وأرادفه مآخره وأكنافه نواحيه ويرتجس يصوت والرجس الصوت ويختلس يستلب البصر وينبجس ينصب فأترع الغدر ملأها جمع غدير وأنبت الوجر حفرها جمع وجار و هوبيت الضبع والآجال جمع إجل و هوقطيع البقر والصيران مثله جمع صوار والرئال جمع رأل و هوفرخ النعام والهدير الصوت والشراج جمع شرج و هومسيل الماء إلى الحرة وخرير الماء صوته وزفير التلاع أن تزفر بالماء لفرط امتلائها والنبع شجر والعنم شجر آخر وكلاهما لاـينبت إلاـ فى رءوس الجبال والشم العالية والصحم السود التى تضرب إلى الصفرة والمعصم المعتصم الملتجئ والمجرنثم المتقبض والداحض الزالق الواقع والمحرجم المصروع . و من ذلك ماروواه أبوحاتم عن الأصمعى قال سألت أعرابيا من بنى عامر بن صعصعة عن مطر أصاب بلادهم فقال نشأ عارضا فطلع ناهضا ثم ابتسم وامضا فاعتن فى الأقطار فأشجاها وامتد فى [صفحه ۴۴۹] الآفاق فغطاها ثم ارتجس فهمهم ثم دوى فأظلم فأرك ودث وبغش وطش ثم قطقط فأفرط ثم ديم فأغمط ثم ركد فأثجم ثم وبل فسجم وجاد فأنعم فقمس الربا وأفرط الزبى سيعا تباعا يريد انقشاعا حتى إذاارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك إلى حيث يشاء كماجلبه من حيث شاء. قلت العارض سحاب يعترض فى الأفق واعتن اعترض وأشجاها ملأها فكان كالشجى فى حلقها وارتجس صوت والهمهمة صوت الرعد ودوى أحدث دويا فأظلم أعدم الضوء من الأرض بتكاثفه فأرك أى مطر ركا والرك المطر الضعيف وكذلك الدث والبغش والطش وفوق ذلك القطقط وديم صار ديمة وهى المطر أياما لاـيقلع وأغمط أى دام وأثجم أقام ووبل جاء بالوابل و هوالمطر العظيم وسجم صب وأنعم بالغ وقمس غوص فى الماء وأفرط الزبى ملأها جمع زبية وهى حفيرة تحفر للوحوش فى مكان مرتفع والحزون جمع حزن و هو ماغلظ من الأرض والمتون جمع متن و هوالصلب من الأرض وتضحضحت صار فوقها ضحضاح من الماء و هوالرقيق . و من ذلك ماروواه أبوحاتم أيضا عن الأصمعى قال سألت أعرابيا عن مطر أصابهم بعدجدب فقال ارتاح لنا ربك بعد مااستولى اليأس على الظنون وخامر القلوب القنوط فأنشأ بنوء الجبهة قزعة كالقرص من قبل العين فاحزألت عندترجل النهار لأدهم السرار حتى إذانهضت فى الأفق طالعة أمر مسخرها الجنوب فتبسمت لها فانتثرت أحضانها واحمومت أركانها وبسق عنانها واكفهرت رحاها وانبعجت كلاها وذمرت [صفحه ۴۵۰] أخراها أولاها ثم استطارت عقائقها وارتعجت بوارقها وتعقعقت صواعقها ثم ارتعبت جوانبها وتداعت سواكبها ودرت حوالبها فكانت للأرض طبقا شج فهضب وعم فأحسب فعل القيعان وضحضح الغيطان وصوح الأضواج وأترع الشراج فالحمد لله ألذى جعل كفاء إساءتنا إحسانا وجزاء ظلمنا غفرانا. قلت نوء الجبهة محمود عندهم للمطر والقزعة القطعة الصغيرة من السحاب والقرص الترس والعين ما عن يمين قبلة العراق وترجل النهار انبساط الشمس والأدهم أحد ليالى السرار والأحضان النواحى واحمومت اسودت وبسق علاـ والعنان مايعترض من السحاب فى الأفق وانبعجت انفتقت وذمرت حضت والعقائق البروق وارتعجت اهتزت وارتعدت وطبقا أى غطت الأرض وهضب جاء بالمطر دفعة فدفعة وأحسب كفى وعل القيعان سقاها مرة بعدأخرى والغيطان جمع غائط و هو ماسفل من الأرض وصوح الأضواج هدم الأجواف وأترع الشراج ملأ المسيلات .
و من ذلك ماروواه ابن دريد عن عبدالرحمن عن عمه الأصمعى قال سمعت أعرابيا من بنى عامر يصف مطرا قال نشأ عندالقصر بنوء الغفر حيا عارضا ضاحكا وامضا فكلا و لا ما كان حتى شجيت به أقطار الهواء واحتجبت به السماء ثم أطرق فاكفهر وتراكم فادلهم وبسق فازلأم ثم حدت به الريح فخر والبرق مرتعج والرعد مبتوج والحدج مبتعج فأثجم ثلاثا متحيرا هثهاثا أخلافه حاشكة ودفعه متواشكة وسوامه متعاركة ثم ودع منجما وأقلع متهما محمود البلاء مترع النهاء مشكور النعماء بطول ذى الكبرياء.

قلت القصر العشى والغفر من نجوم الأسد والحيا الدانى من الأرض . و قوله كلا و لا أى فى زمان قصير جدا وشجيت به الأقطار صار كالشجى لها [صفحه ۴۵۱] وازلأم انتصب والمرتعج المتدارك والمبتوج العالى الصوت والحدج السحاب أول ماينشأ ويتبعج يشقق وأثجم دام متحيرا أى كأنه قدتحير لاوجه له يقصده والهثهاث المداخل وأخلافه حاشكة أى ضروعة ممتلئة ودفعه متواشكة أى مسرعة وسوامه متعاركة شبه قطع السحاب بسوام الإبل ومنجما مقلعا ومتهما يسير نحو تهامة

الفصل الخامس فى بيان أنه ع إمام أرباب صناعة البديع

و ذلك لأن هذاالفن لايوجد منه فى كلام غيره ممن تقدمه إلاألفاظ يسيرة غيرمقصودة ولكنها واقعة بالاتفاق كماوقع التجنيس فى القرآن العزيز اتفاقا غيرمقصود و ذلك نحو قوله يا أَسَىٰ عَلى يُوسُفَ و كماوقعت المقابلة أيضا غيرمقصودة فى قوله وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ المِيزانَ على أنها ليست مقابلة فى المعنى بل من اللفظ خاصة و لماتأمل العلماء شعر إمرئ القيس ووجدوا فيه من الاستعارة بيتا أوبيتين نحو قوله يصف الليل -قرآن-۱۷۵-۱۹۶-قرآن-۲۴۲-۲۸۱ فقلت له لماتمطى بصلبه || وأردف أعجازا وناء بكلكل . و قوله و إن يك قدساءتك منى خليقة || فسلى ثيابى من ثيابك تنسل و لم ينشدوا مثل ذلك فى أشعار الجاهلية حكموا له بأنه إمام الشعراء ورئيسهم . و هذاالفصل من كلام أمير المؤمنين ع قداشتمل من الاستعارة العجيبة وغيرها من أبواب البديع على ما لو كان موجودا فى ديوان شاعر مكثر أومترسل مكثر [صفحه ۴۵۲] لكان مستحق التقديم بذلك أ لاتراه كيف وصف الأمواج بأنها مستفحلة وأنها ترغو رغاء فحول الإبل ثم جعل الماء جماحا ثم وصفه بالخضوع وجعل للأرض كلكلا وجعلها واطئة للماء به ووصف الماء بالذل والاستخذاء لماجعل الأرض متمعكة عليه كمايتمعك الحمار أوالفرس وجعل لها كواهل وجعل للذل حكمة وجعل الماء فى حكمة الذل منقادا أسيرا وساجيا مقهورا وجعل الماء قد كان ذا نخوة وبأو واعتلاء فردته الأرض خاضعا مسكينا وطأطأت من شموخ أنفه وسمو غلوائه وجعلها كاعمة له وجعل الماء ذا كظة بامتلائه كماتعترى الكظة المستكثر من الأكل ثم جعله هامدا بعد أن كانت له نزقات ولابدا بعد أن كانت له وثبات ثم جعل للأرض أكتافا وعرانين وأنوفا وخياشيم ثم نفى النوم عن وميض البرق وجعل الجنوب مارية درر السحاب ثم جعل للسحاب صدرا وبوانا ثم جعل الأرض مبتهجة مسرورة مزدهاة وجعل لها ريطا من لباس الزهور وسموطا تحلى بهافيا لله وللعجب من قوم زعموا أن الكلام إنما يفضل بعضه بعضا لاشتماله على أمثال هذه الصنعة فإذاوجدوا فى مائه ورقة كلمتين أوثلاثا منها أقاموا القيامة ونفخوا فى الصور وملئوا الصحف بالاستحسان لذلك والاستظراف ثم يمرون على هذاالكلام المشحون كله بهذه الصنعة على ألطف وجه وأرصع وجه وأرشق عبارة وأدق معنى وأحسن مقصد ثم يحملهم الهوى والعصبية على السكوت عن تفضيله إذاأجملوا وأحسنوا و لم يتعصبوا لتفضيل غيره عليه على أنه لاعجب فإنه كلام على ع وحظ الكلام حظ المتكلم وأشبه امرأ بعض بزه

المجلد ۷

الجزء السابع

تتمة الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

تتمة خطبة ۰۹۰

اشاره

فَلَمّا مَهّدَ أَرضَهُ وَ أَنفَذَ أَمرَهُ اختَارَ آدَمَ ع خِيَرَةً مِن خَلقِهِ وَ جَعَلَهُ أَوّلَ جِبِلّتِهِ وَ أَسكَنَهُ جَنّتَهُ وَ أَرغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ وَ أَوعَزَ إِلَيهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنهُ وَ أَعلَمَهُ أَنّ فِي الإِقدَامِ عَلَيهِ التّعَرّضَ لِمَعصِيَتِهِ وَ المُخَاطَرَةَ بِمَنزِلَتِهِ فَأَقدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلمِهِ فَأَهبَطَهُ بَعدَ التّوبَةِ لِيَعمُرَ أَرضَهُ بِنَسلِهِ وَ لِيُقِيمَ الحُجّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَم يُخلِهِم بَعدَ أَن قَبَضَهُ مِمّا يُؤَكّدُ عَلَيهِم حُجّةَ رُبُوبِيّتِهِ وَ يَصِلُ بَينَهُم وَ بَينَ مَعرِفَتِهِ بَل تَعَاهَدَهُم بِالحُجَجِ عَلَى أَلسُنِ الخِيَرَةِ مِن أَنبِيَائِهِ وَ مُتَحَمّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ قَرناً فَقَرناً حَتّى تَمّت بِنَبِيّنَا مُحَمّدٍص حُجّتُهُ وَ بَلَغَ المَقطَعَ عُذُرُهُ وَ نُذُرُهُ مهد أرضه سواها وأصلحها و منه المهاد و هوالفراش ومهدت الفراش بالتخفيف مهدا أي بسطته ووطأته و قوله خيرة من خلقه على فعلة مثل عنبة الاسم [صفحه ۴] من قولك اختاره الله يقال محمدخيرة الله من خلقه ويجوز خيرة الله بالتسكين والاختيار الاصطفاء. والجبلة الخلق و منه قوله تعالى وَ اتّقُوا ألّذِي خَلَقَكُم وَ الجِبِلّةَ الأَوّلِينَ ويجوز الجبلة بالضم وقرأ بها الحسن البصري وقرئ قوله سبحانه وَ لَقَد أَضَلّ مِنكُم جِبِلّا كَثِيراً على وجوه فقرأ أهل المدينة بالكسر والتشديد وقرأ أبوعمرو جبلاـ كثيرا مثل قفل وقرأ الكسائي جبلا كثيرا بضم الباء مثل حلم وقرأ عيسى بن عمر جبلا بكسر الجيم وقرأ الحسن و ابن أبي إسحاق جبلاـ بالضم والتشديد. قوله وأرغد فيهاأكله أي جعل أكله و هوالمأكول رغدا أي واسعا طيبا قال سبحانه وَ كُلا مِنها رَغَداً حَيثُ شِئتُما وتقرأ رغدا ورغدا بكسر الغين وضمها وأرغد القوم أخصبوا وصاروا في رغد من العيش . قوله وأوعز إليه فيما نهاه عنه أي تقدم إليه بالإنذار ويجوز ووعز إليه بالتشديد توعيزا ويجوز التخفيف أيضا وعز إليه وعزا. والواو في وأعلمه عاطفة على وأوعز لاـ على نهاه . قوله موافاة لسابق علمه لاـيجوز أن ينتصب لأنه مفعول له و ذلك لأن المفعول له يكون عذرا وعلة للفعل و لايجوز أن يكون إقدام آدم على الشجرة لأجل الموافاة للعلم الإلهي السابق و لايستمر ذلك على مذاهبنا بل يجب أن ينصب موافاة على -قرآن-۱۳۴-۱۸۶-قرآن-۲۴۹-۲۸۷-قرآن-۵۷۸-۶۱۲ [صفحه ۵] المصدرية المحضة كأنه قال فوافى بالمعصية موافاة وطابق بهاسابق العلم مطابقة. قوله فأهبطه بعدالتوبة قداختلف الناس في ذلك فقال قوم بل أهبطه قبل التوبة ثم تاب عليه و هو في الأرض و قال قوم تاب قبل الهبوط و هوقول أمير المؤمنين ع ويدل عليه قوله تعالى فَتَلَقّى آدَمُ مِن رَبّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيهِ إِنّهُ هُوَ التّوّابُ الرّحِيمُ قُلنَا اهبِطُوا مِنها جَمِيعاًفأخبر عن أنه أهبطهم بعدتلقي الكلمات والتوبة و قال تعالى في موضع آخروَ طَفِقا يَخصِفانِ عَلَيهِما مِن وَرَقِ الجَنّةِ وَ ناداهُما رَبّهُما أَ لَم أَنهَكُما عَن تِلكُمَا الشّجَرَةِ وَ أَقُل لَكُما إِنّ الشّيطانَ لَكُما عَدُوّ مُبِينٌ قالاـ رَبّنا ظَلَمنا أَنفُسَنا وَ إِن لَم تَغفِر لَنا وَ تَرحَمنا لَنَكُونَنّ مِنَ الخاسِرِينَ قالَ اهبِطُوا بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوّ وَ لَكُم فِي الأَرضِ مُستَقَرّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ.فبين أن اعترافهما بالمعصية واستغفارهما كانا قبل أمرهما بالهبوط و قال في موضع آخروَ عَصى آدَمُ رَبّهُ فَغَوى ثُمّ اجتَباهُ رَبّهُ فَتابَ عَلَيهِ وَ هَدى قالَ اهبِطا مِنها جَمِيعاًفجعل الإهباط بعدالاجتباء والتوبة واحتج الأولون بقوله تعالى وَ لا تَقرَبا هذِهِ الشّجَرَةَ فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ فَأَزَلّهُمَا الشّيطانُ عَنها فَأَخرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ وَ قُلنَا اهبِطُوا بَعضُكُم لِبَعضٍ عَدُوّ وَ لَكُم فِي الأَرضِ مُستَقَرّ وَ مَتاعٌ إِلى حِينٍ فَتَلَقّى آدَمُ مِن رَبّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيهِقالوا فأخبر سبحانه عن أمره لهم بالهبوط عقيب إزلال الشيطان لهما ثم عقب الهبوط بفاء التعقيب في قوله فَتَلَقّى آدَمُ مِن رَبّهِ كَلِماتٍفدل على أن التوبة بعدالهبوط. -قرآن-۲۷۱-۳۸۳-قرآن-۴۵۸-۸۰۵-قرآن-۸۹۱-۹۸۸-قرآن-۱۰۵۲-۱۳۱۶-قرآن-۱۴۲۴-۱۴۵۸ [صفحه ۶] ويمكن أن يجاب عن هذافيقال إنه

تعالى لم يقل فقلنا اهبطوا بالفاء بل قال وَ قُلنَا اهبِطُوابالواو والواو لاتقتضى الترتيب و لو كان عوضها فاء لكانت صريحة فى أن الإهباط كان عقيب الزلة فأما الواو فلاتدل على ذلك بل يجوز أن تكون التوبة قبل الإهباط ويخبر عن الإهباط بالواو قبل أن يخبر عن التوبة. قوله ع وليقيم الحجة على عباده أى إذا كان أبوهم أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فأخلق بهاألا يدخلها ذو خطايا جمة و هذايؤكد مذهب أصحابنا فى الوعيد. ثم أخبر ع أن البارئ سبحانه ماأخلى عباده بعدقبض آدم وتوفيه مما يؤكد عليهم حجج الربوبية بل أرسل إليهم الرسل قرنا فقرنا بفتح القاف و هو أهل الزمان الواحد قال الشاعر -قرآن-٨٠-٩٧ إذا مامضى القرن ألذى أنت فيهم || وخلفت فى قرن فأنت غريب . وتعاهدهم بالحجج أى جدد العهد عندهم بها ويروى بل تعهدهم بالتشديد والتعهد التحفظ بالشيء تعهدت فلانا وتعهدت ضيعتى و هوأفصح من تعاهدت لأن التفاعل إنما يكون من شيئين وتقول فلان يتعهده صرع . قوله وبلغ المقطع عذره ونذره مقطع الشيء حيث ينقطع و لايبقى خلفه شيء منه أى لم يزل يبعث الأنبياء واحدا بعدواحد حتى بعث محمداص فتمت به حجته على الخلق أجمعين وبلغ الأمر مقطعه أى لم يبق بعده رسول ينتظر [صفحه ٧] وانتهت عذر الله تعالى ونذره فعذره ما بين للمكلفين من الإعذار فى عقوبته لهم إن عصوه ونذره ماأنذرهم به من الحوادث و من أنذرهم على لسانه من الرسل

القول فى عصمة الأنبياء

واعلم أن المتكلمين اختلفوا فى عصمة الأنبياء ونحن نذكر هاهنا طرفا من حكاية المذاهب فى هذه المسألة على سبيل الاقتصاص ونقل الآراء لا على سبيل الحجاج ونخص قصة آدم ع والشجرة بنوع من النظر إذ كانت هذه القصة مذكورة فى كلام أمير المؤمنين ع فى هذاالفصل فنقول اختلف الناس فى المعصوم ما هو فقال قوم المعصوم هو ألذى لايمكنه الإتيان بالمعاصى وهؤلاء هم الأقلون أهل النظر واختلفوا فى عدم التمكن كيف هو فقال قوم منهم المعصوم هوالمختص فى نفسه أوبدنه أوفيهما بخاصية تقضى امتناع إقدامه على المعاصى. و قال قوم منهم بل المعصوم مساو فى الخواص النفسية والبدنية لغير المعصوم وإنما العصمة هى القدرة على الطاعة أوعدم القدرة على المعصية و هذاقول الأشعرى نفسه و إن كان كثير من أصحابه قدخالفه فيه . و قال الأكثرون من أهل النظر بل المعصوم مختار متمكن من المعصية والطاعة. وفسروا العصمة بتفسيرين أحدهما أنها أمور يفعلها الله تعالى بالمكلف فتقتضى ألا يفعل المعصية اقتضاء [صفحه ٨] غيربالغ إلى حد الإيجاب وفسروا هذه الأمور فقالوا إنها أربعة أشياء أولها أن يكون لنفس الإنسان ملكة مانعة من الفجور داعية إلى العفة وثانيها العلم بمثالب المعصية ومناقب الطاعة وثالثها تأكيد ذلك العلم بالوحى والبيان من الله تعالى ورابعها أنه متى صدر عنه خطأ من باب النسيان والسهو لم يترك مهملا بل يعاقب وينبه ويضيق عليه العذر قالوا فإذااجتمعت هذه الأمور الأربعة كان الشخص معصوما عن المعاصى لامحالة لأن العفة إذاانضاف إليها العلم بما فى الطاعة من السعادة و ما فى المعصية من الشقاوة ثم أكد ذلك تتابع الوحى إليه وترادفه وتظاهر البيان عنده وتمم ذلك خوفه من العتاب على القدر القليل حصل من اجتماع هذه الأمور حقيقة العصمة. و قال أصحابنا العصمة لطف يمتنع المكلف عندفعله من القبيح اختيارا و قد يكون ذلك اللطف خارجا عن الأمور الأربعة المعدودة مثل أن يعلم الله تعالى أنه إن أنشأ سحابا أوأهب ريحا أوحرك جسما فإن زيدا يمتنع عن قبيح مخصوص اختيارا فإنه تعالى يجب عليه فعل ذلك و يكون هذااللطف عصمة لزيد و إن كان الإطلاق المشتهر فى العصمة إنما هولمجموع ألطاف يمتنع المكلف بها عن القبيح مدة زمان تكليفه . وينبغى أن يقع الكلام بعد هذه المقدمة فى ثلاثة فصول

الفصل الأول فى حال الأنبياء قبل البعثة و من ألذى يجوز أن يرسله الله تعالى إلى العباد

فالـذى عليه أصـحابنا المعتزلة رحمهم الله أنه يجب أن ينزه النبى قبل البعثة عما كان فيه تنفير عن الحق ألذى يدعو إليه وعما فيه غضاضة وعيب . [صفحه ۹] فالأول نحو أن يكون كافرا أوفاسـقا و ذلک لأنا نجد التائب العائد إلى الصـلاح بعد أن عهد الناس منه السـخف والمجون والفسق لا ـيقع أمره بـالمعروف ونهيه عن المنكر عنـد النـاس موقعهمـا ممن لم يعهـدوه إلا ـ على السـداد والصلاح . والثانى نحو أن يكون حجاما أوحائكا أومحترفا بحرفه يقذرها الناس ويستخفون بصاحبها إلا أن يكون المبعوث إليهم على خلاف ما هوالمعهود الآن بألا يكون من تعاطى ذلک مستهانا به عندهم . ووافق أصـحابنا فى هذاالقوم جمهور المتكلمين . و قـال قـوم من الخوارج يجوز أن يبعث الله تعـالى من كـان كـافرا قبـل الرسالـة و هوقول ابن فورک من الأشـعرية لكنه زعم أن هـذاالجائز لم يقع . و قال قوم من الحشويـة قـد كان محمدص كافرا قبل البعثة واحتجوا بقوله تعالى وَ وَجَدَکَ ضَالّا فَهَدى و قال برغوث المتكلم و هوأحـد النجاريـة لم يكن النبى ص مؤمنـا بـالله قبـل أن يبعثه لأـنه تعالى قال له ما کُنتَ تـدَرىِ مَا الكِتابُ وَ لَا الإِيمانُ. وروى عن السدى فى قوله تعالى وَ وَضَعنا عَنکَ وِزرَکَ أَلّذِى أَنقَضَ ظَهرَکَ قال وزره الشرک فإنه كان على دين قومه أربعين سنة. و قال بعض الكرامية فى قوله تعالى حكاية عن ابراهيم ص -قرآن-۶۷۴-۶۹۸-قرآن-۸۰۵-۸۵۰-قرآن-۸۸۵-۹۳۱ [صفحه ۱۰] قالَ أَسلَمتُإنه أسـلم يومئذ و لم يكن من قبل ذلک مسـلما ومثل ذلک قال اليمان بن رباب متكلم الخوارج . وحكى كثير من أرباب المقالات عن شيخنا أبى الهذيل و أبى على جواز أن يبعث الله تعالى من قدارتكب كبيرة قبل البعثة و لم أجد فى كتب أصحابنا حكاية هذاالمذهب عن الشيخ أبى الهذيل ووجدته عن أبى على ذكره أبو محمد بن متويه فى كتاب الكفاية فقال منع أهـل العـدل كلهم من تجويز بعثـة من كـان فاسـقا قبل النبوة إلا ماجرى فى كلام الشـيخ أبى على رحمه الله تعالى من ثبوت فصل بين البعثـة وقبلها فأجاز أن يكون قبل البعثـة مرتكبا لكبيرة ثم يتوب فيبعثه الله تعالى حينئـذ و هومذهب محكى عن عبد الله بن العبـاس الرامهرمزى ثم قـال الشـيخ أبو محمـدرحمه الله تعـالى والصـحيح من قول أبى على رحمه الله تعالى مثل مانختاره من التسويـة بين حـال البعثـة وقبلهـا فى المنع من جواز ذلک . و قال قوم من الأشـعرية و من أهل الظاهر وأرباب الحـديث إن ذلک جائز واقع واستدلوا بأحوال إخوة يوسف ومنع المانعون من ذلک من ثبوت نبوة إخوة يوسف ثم هؤلاء المجوزون منهم من جوز عليهم فعل الكبائر مطلقا ومنهم من جوز ذلک على سبيل الندرة ثم يتوبون عنه ويشـتهر حالهم بين الخلق بالصـلاح فأما لوفرضـنا إصـرارهم على الكبائر بحيث يصـيرون مشـهورين بالفسق والمعاصـى فإن ذلک لايجوز لأنه يفوت الغرض من إرسالهم ونبوتهم على هذاالتقـدير. وقالت الإماميـة لايجوز أن يبعث الله تعالى نبيا قدوقع منه قبيح قبل النبوة -قرآن-۱-۱۳ [صفحه ۱۱] لاصغيرا و لا ـكبيرا لاعمـدا و لاخطأ و لا على سبيل التأويل والشـبهة و هذاالمـذهب مما تفردوا به فإن أصـحابنا وغيرهم من المانعين للكبائر قبل النبوة لم يمنعوا وقوع الصـغائر منهم إذا لم تكن مسخفة منفرة.اطردت الإمامية هذاالقول فى الأئمة فجعلت حكمهم فى ذلک حكم الأنبياء فى وجوب العصمة المطلقة لهم قبل النبوة وبعدها

الفصل الثانى فى عصمة الأنبياء فى زمن النبوة عن الذنوب فى أفعالهم وتروكهم عدا مايتعلق بتبليغ الوحى والفتوى فى الأحكام

جوز قوم من الحشوية عليهم هذه الكبائر وهم أنبياء كالزنا واللواط وغيرهما وفيهم من جوز ذلک بشـرط الاستسرار دون الإعلان وفيهم من جوز ذلـک على الأحوال كلها. ومنع أصـحابنا المعتزلـة من وقوع الكبائر منهم ع أصـلا ومنعوا أيضا من وقوع الصـغائر المسـخفة منهم وجـوزوا وقـوع الصـغائر الـتى ليست بمسـخفه منهم ثم اختلفـوا فمنهم من جوز على النـبى الإقـدام على المعصـية

الصغيرة غيرالمسخفة عمدا و هوقول شيخنا أبى هاشم رحمه الله تعالى فإنه أجاز ذلك و قال إنه لايقدم ع على ذلك إلا على خوف ووجل و لايتجرأ على الله سبحانه . ومنهم من منع من تعمد إتيان الصغيرة و قال إنهم لايقدمون على الذنوب التى يعلمونها ذنوبا بل على سبيل التأويل ودخول الشبهة و هذاقول أبى على رحمه الله تعالى . [صفحه ۱۲] وحكى عن أبى إسحاق النظام و جعفر بن مبشر أن ذنوبهم لاتكون إلا على سبيل السهو والنسيان وأنهم مؤاخذون بذلك و إن كان موضوعا عن أمتهم لأن معرفتهم أقوى ودلائلهم أكثر وأخطارهم أعظم ويتهيأ لهم من التحفظ ما لايتهيأ لغيرهم . وقالت الإمامية لاتجوز عليهم الكبائر و لاالصغائر لاعمدا و لاخطأ و لاسهوا و لا على سبيل التأويل والشبهة وكذلك قولهم فى الأئمة والخلاف بيننا وبينهم فى الأنبياء يكاد يكون ساقطا لأن أصحابنا إنما يجوزون عليهم الصغائر لأنه لاعقاب عليها وإنما تقتضى نقصان الثواب المستحق على قاعدتهم فى مسألة الإحباط فقد اعترف إذاأصحابنا بأنه لايقع من الأنبياء مايستحقون به ذما و لاعقابا والإمامية إنما تنفى عن الأنبياء الصغائر والكبائر من حيث كان كل شيءمنها يستحق فاعله به الذم والعقاب لأن الإحباط باطل عندهم فإذا كان استحقاق الذم والعقاب يجب أن ينفى عن الأنبياء وجب أن ينفى عنهم سائر الذنوب فقد صار الخلاف إذامتعلقا بمسألة الإحباط وصارت هذه المسألة فرعا من فروعها. واعلم أن القول بجواز الصغائر على الأنبياء بالتأويل والشبهة على ماذهب إليه شيخنا أبو على رحمه الله تعالى إنما اقتضاه تفسيره لآيه آدم والشجرة وتكلفه إخراجها عن تعمد آدم للعصيان فقال إن آدم نهى عن نوع تلك الشجرة لا عن عينها بقوله تعالى وَ لا تَقرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ وأراد سبحانه نوعها المطلق فظن آدم أنه أراد خصوصية تلك الشجرة بعينها و قد كان أشير إليها فلم يأكل منها بعينها ولكنه أكل من شجرة أخرى من نوعها فأخطأ فى التأويل وأصحاب شيخنا أبى هاشم لايرضون هذاالمذهب ويقولون إن الإشكال باق بحاله لأن آدم أخل بالنظر على -قرآن-۱۱۷۵-۱۲۰۴ [صفحه ۱۳] هذاالقول فى أن المنهى عنه هل هوعين الشجرة أونوعها مع أنه قد كان مدلولا على ذلك لأنه لو لم يكن مدلولا على ذلك لكان تكليف الامتناع عن التناول تكليف ما لايطاق و إذادل على ذلك وجب عليه النظر و لاوجه يجب النظر لأجله إلاالخوف من تركه و إذا لم يكن بد من كونه خائفا فهو عالم إذابوجوب هذاالتأمل والنظر فإذاأخل به فقد وقعت منه المعصية مع علمه . و كما لايرضى أصحاب شيخنا أبى هاشم هذاالمذهب فكذلك لايرتضون مذهب النظام و جعفر بن مبشر و ذلك لأن القول بأن الأنبياء يؤاخذون على مايفعلونه سهوا متناقض لأن السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من كونه ذنبا مؤاخذا به ولهذا لايصح مؤاخذة المجنون والنائم والسهو فى كونه مؤثرا فى رفع التكليف جار مجرى فقد القدر والآلات والأدلة فلو جاز أن يخالف حال الأنبياء حال غيرهم فى صحة تكليفهم مع السهو جاز أن يخالف حالهم حال غيرهم فى صحة التكليف مع فقد القدر والآلات و ذلك باطل . واعلم أن الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قدتكلم فى كتابه المسمى بتنزيه الأنبياء والأئمة على هذه الآية وانتصر لمذهب الإمامية فيها وحاول صرفها عن ظاهرها وتأول اللفظ بتأويل مستكره غيرصحيح و أناأحكى كلامه هاهنا وأتكلم عليه نصرة لأصحابنا ونصرة أيضا لأمير المؤمنين ع فإنه قدصرح فى هذاالفصل بوقوع الذنب من آدم ع أ لاترى إلى قوله والمخاطرة بمنزلته وهل تكون هذه اللفظة إلا فى الذنب وكذلك سياقة الفصل من أوله إلى آخره إذاتأمله المنصف واطرح الهوى والتعصب ثم إنا نذكر كلام السيد الشريف المرتضى رحمه الله تعالى قال رحمه الله تعالى [صفحه ۱۴] أما قوله تعالى وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فإن المعصية مخالفة للأمر والأمر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالندب معا فلايمتنع على هذا أن يكون آدم مندوبا إلى ترك التناول من الشجرة فيكون بمواقعتها تاركا فرضا ونفلا و غيرفاعل قبيحا و ليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصيا كمايسمى بذلك تارك الواجب فإن تسمية من خالف ماأمر به سواء كان واجبا أونفلا بأنه عاص ظاهر ولهذا يقولون أمرت فلانا بكذا وكذا من الخير فعصانى وخالفنى و إن لم يكن ماأمر به واجبا.يقال له الكلام على هذاالتأويل من وجوه أولها أن ألفاظ الشرع يجب أن تحمل على حقائقها اللغوية ما لم يكن لها حقائق شرعية فإذا كان لها حقائق شرعية وجب أن تحمل

على عرف الشرع واصطلاحه كالصلاة والحج والنفاق والكفر ونحو ذلك من الألفاظ الشرعية وهكذا قال السيد المرتضى رحمه الله تعالى فى كتابه فى أصول الفقه المعروف بالذريعة فى باب كون الأمر للوجوب و هوالحق ألذى لامندوحة عنه و إذا كان لفظ العصيان فى الاصطلاح الشرعى موضوعا لمخالفة الأمر الإيجابى لم يجز العدول عنه وحمله على مخالفة الندب . ومعلوم أن لفظ العصيان فى العرف الشرعى لايطلق إلا على مخالفة الأمر المقتضى للوجوب فالقول بجواز حملها على مخالفة الأمر الندبى قول تبطله وتدفعه تلك القاعدة المقررة التى ثبتت بالاتفاق وبالدليل على أننا قبل أن نجيب بهذا الوجه نمنع أصلا أنه يجوز أن يقال لتارك النفل إنه عاص لا فى أصل اللغة و لا فى العرف و لا فى الشرع و ذلك لأن حقيقة النفل هو مايقال فيه للمكلف الأولى أن تفعل هذا و لك ألا تفعله ومعلوم أن -قرآن-١٨-٣٧[صفحه ١٥] تارك مثل ذلك لايطلق عليه أنه عاص ويبين ذلك أن لفظ العصيان فى اللغة موضوع للامتناع ولذلك سميت العصا عصا لأنه يمتنع بها و منه قولهم قدشق العصا أى خرج عن الربقة المانعة من الاختلاف والتفرق وتارك الندب لايمتنع من أمر لأن الأمر الندبى لايقتضى شيئا اقتضاء اللزوم بل معناه إن فعلت فهو أولى ويجوز ألا- تفعل فأى امتناع حدث إذاخولف أمر الندب سمى المخالف له عاصيا ويبين ذلك أيضا أن لفظ عاص اسم ذم فلا-يجوز إطلاقه على تارك الندب كما لايسمى فاسقا و إن كان الفسق فى أصل اللغة للخروج . ثم يسأل المرتضى رحمه الله تعالى عما سأل عنه نفسه فيقال له كيف يجوز أن يكون ترك الندب معصية أ و ليس هذايوجب أن يوصف الأنبياء بأنهم عصاة فى كل حال وأنهم لاينفكون عن المعصية لأنهم لايكادون ينفكون من ترك الندب . و قدأجاب رحمه الله تعالى عن هذا فقال وصف تارك الندب بأنه عاص توسع وتجوز والمجاز لايقاس عليه و لايعدى عن موضعه و لوقيل إنه حقيقة فى فاعل القبيح وتارك الأولى والأفضل لم يجز إطلاقه فى الأنبياء إلا مع التقييد لأن استعماله قدكثر فى فاعل القبائح فإطلاقه عن التقييد موهم .لكنا نقول إن أردت بوصفهم بأنهم عصاة أنهم فعلوا القبيح فلايجوز ذلك و إن أردت أنهم تركوا ما لوفعلوه لاستحقوا الثواب ولكان أولى فهم كذلك .كذلك يقال له ليس هذا من باب القياس على المجاز ألذى اختلف فيه أرباب أصول الفقه لأن من قال إذاترك زيد الندب فإنه يسمى عاصيا يلزمه أن يقول إن عمرا إذاترك الندب يسمى عاصيا و ليس هذاقياسا كما أن من قال لزيد البليد هذا [صفحه ١٦] حمار قال لعمرو البليد هذاحمار والقياس على المجاز ألذى اختلف الأصوليون فى جوازه خارج عن هذاالموضع . ومثال المسألة الأصولية المختلف فيهاوَ اخفِض لَهُما جَناحَ الذّلّهل يجوز أن يقال طأطئ لهما عنق الذل . و أما قوله لوسلمنا أنه حقيقة فى تارك الندب لم يجز إطلاقه فى حق الأنبياء لأنه يوهم العصيان بل يجب أن يقيد.فيقال له لكن البارئ سبحانه أطلقه و لم يقيده فى قوله وَ عَصى آدَمُفيلزمك أن يكون تعالى موهما وفاعلا للقبيح لأن إيهام القبيح قبيح . فإن قال الدلالة العقلية على استحالة المعاصى على الأنبياء تؤمن من الإيهام .قيل له وتلك الدلالة بعينها تؤمن من الإيهام فى قول القائل الأنبياء عصاة فهلا أجزت إطلاق ذلك . وثانيها أنه تعالى قال فَغَوى والغى الضلال . قال المرتضى رحمه الله تعالى معنى غوى هاهنا خاب لأنه نعلم أنه لوفعل ماندب إليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم فإذاخالف الأمر و لم يصر إلى ماندب إليه فقد خاب لامحالة من حيث لم يصر إلى الثواب ألذى كان يستحقه بالامتناع و لاشبهه فى أن لفظ غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر -قرآن-١٤٣-١٧١-قرآن-٣٨٧-٣٩٩-قرآن-٦٧٥-٦٨٠ فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره || و من يغو لايعدم على الغى لائما . [صفحه ١٧] يقال له ألست القائل فى مصنفاتك الكلامية إن المندوبات إنما ندب إليها لأنها كالمسهلات والميسرات لفعل الواجبات العقلية وأنها ليست ألطافا فى واجب عقلى و أن ثوابها يسير جدا بالإضافة إلى ثواب الواجب فإذا كان آدم ع ماأخل بشىء من الواجبات و لافعل شيئا من المقبحات فقد استحق من الثواب العظيم مايستحقر ثواب المندوب بالإضافة إليه ومثل هذا لايقال فيه لمن ترك المندوب إنه قدخاب أ لاترى أن من اكتسب مائة ألف قنطار من المال وترك بعد ذلك درهما واحدا كان يمكنه اكتسابه فلم يكتسبه لايقال إنه خاب . وثالثها أن ظاهر القرآن يخالف ماذكره

لأنه تعالى أخبر أن آدم منهى عن أكل الشجرة بقوله وَ لا تَقرَبا هـذِهِ الشّجَرَةَ فَتَكونا مِنَ الظّالِمِينَ و قوله أَ لَم أَنهَكما عَن تِلكَما الشّجَرَةِ و هذايوجب أنه قدعصى بأن فعل منهيا عنه والشريف المرتضى رحمه الله تعالى يقول إنه عصى بأن ترك مأمورا به . قال المرتضى رحمه الله تعالى مجيبا عن هـذا إن الأمر والنهى ليسا يختصان عنـدنا بصيغة ليس فيهااحتمال واشتراك و قديؤمر عندنا بلفظ النهى وينهى بلفظ الأمر وإنما يكون النهى نهيا بكراهة المنهى عنه فإذا قال تعالى لا تَقرَبا هذِهِ الشّجَرَةَ و لم يكره قربهما لم يكن فى الحقيقة ناهيا كما أنه تعالى لما قال اعمَلُوا ما شِئتُموَ إِذا حَلَلتُم فَاصطادُوا و لم يرد ذلك لم يكن أمرا به و إذا كان قدصحب قوله لا تَقرَبا هـذِهِ الشّجَرَةَإرادة ترك التناول وجب أن يكون هـذاالقول أمرا وإنما سماه منهيا وسمى -قرآن-٦٢٠-٦٧٧-قرآن-٦٨٦-٧٢٥-قرآن-١٠٦٢-١٠٨٨-قرآن-١١٥٧-١١٧٤-قرآن-١١٧٥-١٢٠١-قرآن-١٢٥٧-١٢٨٣ [صفحه ١٨] أمره له بأنه نهى من حيث كان فيه معنى النهى لأن فى النهى ترغيبا فى الامتناع من الفعل وتزهيدا فى الفعل نفسه و لما كان الأمر ترغيبا من فعل المأمور وتزهيدا فى تركه جاز أن يسمى نهيا. و قديتداخل هـذان الوضعان فى الشاهد فيقول أحدنا قدأمرت فلانا بألا يلقى الأمير وإنما يريد أنه نهاه عن لقائه و يقول نهيتك عن هجر زيد وإنما معناه أمرتك بمواصلته .يقال له هـذاخلاف الظاهر فلا يجوز المصير إليه إلابدلالة قاطعة تصرف اللفظ عن ظاهره ويكفى أصحاب أبى هاشم فى نصرة قولهم التمسك بالظاهر. واعلم أن بعض أصحابنا تأول هذه الآية و قال إن ذلك وقع من آدم ع قبل نبوته لأنه لو كان نبيا قبل إخراجه من الجنة لكان إما أن يكون مرسلا إلى نفسه و هوباطل أو إلى حواء و قد كان الخطاب يأتيها بغير واسطة لقوله تعالى وَ لا تَقرَبا أو إلى الملائكة و هـذاباطل لأن الملائكة رسل الله بدليل قوله جاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلًا والرسول لايحتاج إلى رسول آخر أو يكون رسولا و ليس هناك من يرسل إليه و هذامحال فثبت أن هذه الواقعة وقعت له ع قبل نبوته وإرساله -قرآن-٧٣١-٧٤٣-قرآن-٨٠٨-٨٣٤

الفصل الثالث فى خطئهم فى التبليغ والفتاوى

قال أصحابنا إن الأنبياء معصومون من كل خطإ يتعلق بالأداء والتبليغ فلايجوز [صفحه ١٩] عليهم الكذب و لاالتغيير و لاالتبديل و لاالكتمان و لاتأخر البيان عن وقت الحاجة و لاالغلط فيما يؤدونه عن الله تعالى و لاالسهو فيه و لاالإلغاز و لاالتعمية لأن كل ذلك إما أن ينقض دلالة المعجز على صدقه أويؤدى إلى تكليف ما لايطاق . و قال قوم من الكرامية والحشوية يجوز عليهم الخطأ فى أقوالهم كماجاز فى أفعالهم قالوا و قدأخطأ رسول الله ص فى التبليغ حيث قال تلك الغرانيق العلا || و إن شفاعتهن لترتجى . و قال قوم منهم يجوز الغلط على الأنبياء فيما لم تكن الحجة فيه مجرد خبرهم لأنه لا يكون فى ذلك إبطال حجة الله على خلقه كماوقع من النبى ص فى هـذه الصورة فإن قوله ذلك ليس بمبطل لحجة العقل فى أن الأصنام لايجوز تعظيمها و لاترجى شفاعتها فأما ما كان السبيل إليه مجرد السمع فلو أمكن الغلط فيه لبطلت الحجة بإخبارهم . و قال قوم منهم إن الأنبياء يجوز أن يخطئوا فى أقوالهم وأفعالهم إذا لم تجر تلك الأفعال مجرى بيان الوحى كبيانه ع لنا الشريعة و لايجوز عليه الخطأ فى حال البيان و إن كان يجوز عليه ذلك فى غيرحال البيان كماروى من خبر ذى اليدين حين سها النبى ص فى الصلاة وكذلك ما يكون منه من تبليغ وحى فإنه لايجوز عليه أن يخطئ فيه لأنه حجة الله على عباده فأما فى أقواله الخارجة عن التبليغ فيجوز [صفحه ٢٠] أن يخطئ كماروى عنه ص فى نهيه لأهل المدينة عن تأبير النخل .فأما أصحابنا المعتزلة فإنهم اختلفوا فى الخبر المروى عنه ع فى سورة النجم فمنهم من دفع الخبر أصلا و لم يقبله وطعن فى رواته ومنهم من اعترف بكونه قرآنا منزلا وهم فريقان أحدهما القائلون بأنه كان وصفا للملائكة فلما ظن المشركون أنه وصف آلهتهم رفع ونهى عن تلاوته وثانيهما القائلون إنه خارج على وجه الاستفهام بمعنى الإنكار فتوهم سامعوه أنه بمعنى التحقيق فنسخه الله تعالى ونهى عن تلاوته . ومنهم من قال

ليس بقرآن منزل بـل هوكلام تكلم به رسـول الله ص من قبـل نفسه على طريـق الإنكـار والهزء بقريش فظنـوا أنه يريـد التحقيق فنسخه الله بـأن بين خطأ ظنهم و هـذامعنى قوله وَ مـا أَرسَلنا مِن قَبلِکَ مِن رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلّا إِذا تَمَنّى أَلقَى الشّيطانُ فِي أُمنِيّتِهِ فَيَنسَخُ اللّهُ ما يُلقِي الشّيطانُ ثُمّ يُحكِمُ اللّهُ آياتِهِقالوا فإلقاء الشيطان هاهنا هوإلقاء الشبهة فی قلوب المشركين وإنما أضافه إلى أمنيته وهی تلاوته القرآن لأن بغرور الشيطان ووسوسته أضاف المشركون إلى تلاوته ع ما لم يرده بها. وأنكر أصحابنا الأخبار الواردة التی تقتضی الطعن على الرسول ص قالوا وكيف يجوز أن تصدق هذه الأخبار الآحاد على من قد قال الله تعالى له كَذلِکَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤادَکَ و قال له سَنُقرِئُکَ فَلا تَنسى و قال عنه وَ لَو تَقَوّلَ -قرآن-٦٧٠-٨٣٩-قرآن-١١٦٧-١١٩٨-قرآن-١٢١٠-١٢٣١-قرآن-١٢٤٤-١٢٥٨ أن يخطئ كماروى عنه ص فی نهيه لأهل المدينة عن تأبير النخل .فأما أصحابنا المعتزلة فإنهم اختلفوا فی الخبر المروی عنه ع فی سورة النجم فمنهم من دفع الخبر أصلا و لم يقبله وطعن فی رواته ومنهم من اعترف بكونه قرآنا منزلا وهم فريقان أحدهما القائلون بأنه كان وصفا للملائكة فلما ظن المشركون أنه وصف آلهتهم رفع ونهى عن تلاوته وثانيهما القائلون إنه خارج على وجه الاستفهام بمعنى الإنكار فتوهم سامعوه أنه بمعنى التحقيق فنسخه الله تعالى ونهى عن تلاوته . ومنهم من قال ليس بقرآن منزل بل هوكلام تكلم به رسول الله ص من قبل نفسه على طريق الإنكار والهزء بقريش فظنوا أنه يريد التحقيق فنسخه الله بأن بين خطأ ظنهم و هذامعنى قوله وَ ما أَرسَلنا مِن قَبلِکَ مِن رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلّا إِذا تَمَنّى أَلقَى الشّيطانُ فِي أُمنِيّتِهِ فَيَنسَخُ اللّهُ ما يُلقِي الشّيطانُ ثُمّ يُحكِمُ اللّهُ آياتِهِقالوا فإلقاء الشيطان هاهنا هوإلقاء الشبهة فی قلوب المشركين وإنما أضافه إلى أمنيته وهی تلاوته القرآن لأن بغرور الشيطان ووسوسته أضاف المشركون إلى تلاوته ع ما لم يرده بها. وأنكر أصحابنا الأخبار الواردة التی تقتضی الطعن على الرسول ص قالوا وكيف يجوز أن تصدق هذه الأخبار الآحاد على من قد قال الله تعالى له كَذلِکَ لِنُثَبّتَ بِهِ فُؤادَکَ و قال له سَنُقرِئُکَ فَلا تَنسى و قال عنه وَ لَو تَقَوّلَ عَلَينا بَعضَ الأَقاوِيلِ لَأَخَذنا مِنهُ بِاليَمِينِ ثُمّ لَقَطَعنا مِنهُ الوَتِينَ و أماخبر ذی اليدين وخبر تأبير النخل فقد تكلمنا عليهما فی كتبنا المصنفة فی أصول الفقه -قرآن-١-٨٥ وَ قَدّرَ الأَرزَاقَ فَكَثّرَهَا وَ قَلّلَهَا وَ قَسّمَهَا عَلَى الضّيقِ وَ السّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبتَلِيَ مَن أَرَادَ بِمَيسُورِهَا وَ مَعسُورِهَا وَ لِيَختَبِرَ بِذَلِکَ الشّكرَ وَ الصّبرَ مِن غَنِيّهَا وَ فَقِيرِهَا ثُمّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا وَ بِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا وَ بِفُرَجِ أَفرَاحِهَا غُصَصَ أَترَاحِهَا وَ خَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وَ قَصّرَهَا وَ قَدّمَهَا وَ أَخّرَهَا وَ وَصَلَ بِالمَوتِ أَسبَابَهَا وَ جَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشطَانِهَا وَ قَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقرَانِهَا الضيق والضيق لغتان فأما المصدر من ضاق فالضيق بالكسر لا غير وعدل فيها من التعديل و هوالتقويم وروى فعدل بالتخفيف من العدل نقيض الظلم . والميسور والمعسور مصدران و قال سيبويه هما صفتان و لايجیء عنده المصدر على وزن مفعول البتة ويتأول قولهم دعه إلى ميسوره و يقول كأنه قال دعه إلى أمر يوسر فيه وكذلك يتأول المعقول أيضا فيقول كأنه عقل له شیء أی حبس وأيد وسدد. ومعنى قوله ع ليبتلی من أراد بميسورها ومعسورها هومعنى قول النبی ص إن إعطاء هذاالمال فتنة وإمساكه فتنة -روايت-١-٢-روايت-١٧-٥٦ . [صفحه ٢٢] والعقابيل فی الأصل الحلأ و هوقروح صغار تخرج بالشفة من بقايا المرض والفاقة الفقر. وطوارق الآفات متجددات المصائب وأصل الطروق مايأتی ليلا والأتراح الغموم الواحد ترح وترحه ترتيحا أی حزنه . وخالجا جاذبا والخلج الجذب خلجه يخلجه بالكسر واختلجه و منه الخليج الحبل لأنه يجتذب به وسمى خليج البحر خليجا لأنه يجذب من معظم البحر. والأشطان الجبال واحدها شطن وشطنت الفرس أشطنه إذاشددته بالشطن . والقرائن الحبال جمع قرن و هو من شواذ الجموع قال الشاعر أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه || أن لدى الباب كالمشدود فی قرن . ومرائر القرائن جمع مرير و هو مالطف وطال منها واشتد فتله و هذاالكلام من باب الاستعارة عَالِمُ السّرّ مِن ضَمَائِرِ المُضمِرِينَ وَ نَجوَى المُتَخَافِتِينَ وَ خَوَاطِرِ رَجمِ الظّنُونِ وَ عُقَدِ عَزِيمَاتِ اليَقِينِ وَ مَسَارِقِ إِيمَاضِ الجُفُونِ وَ مَا ضَمِنَتهُ أَكنَانُ القُلُوبِ وَ غَيَابَاتُ الغُيُوبِ وَ مَا أَصغَت لاستِرَاقِهِ مَصَائِخُ الأَسمَاعِ وَ مَصَايِفِ الذّرّ وَ مَشَاتِي الهَوَامّ وَ رَجعِ الحَنِينِ مِنَ المُولَهَاتِ وَ هَمسِ الأَقدَامِ وَ مُنفَسَحِ الثّمَرَةِ مِن وَلَائِجِ غُلُفِ الأَكمَامِ وَ

مُنقَمَعِ الوُحُوشِ مِن غِيرَانِ الجِبَالِ وَ أَودِيَتِهَا وَ مُختَبَإِ البَعُوضِ بَينَ سُوقِ [صفحه ۲۳] الأَشجَارِ وَ أَلحِيَتِهَا وَ مَغرِزِ الأَورَاقِ مِنَ الأَفنَانِ وَ مَحَطِّ الأَمشَاجِ مِن مَسَارِبِ الأَصلَابِ وَ نَاشِئَةِ الغُيُومِ وَ مُتَلَاحِمِهَا وَ دُرُورِ قَطرِ السّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا وَ مَا تَسفِي الأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا وَ تَعفُو الأَمطَارُ بِسُيُولِهَا وَ عَومِ بَنَاتِ الأَرضِ فِي كُثبَانِ الرّمَالِ وَ مُستَقَرّ ذَوَاتِ الأَجنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الجِبَالِ وَ تَغرِيدِ ذَوَاتِ المَنطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الأَوكَارِ وَ مَا أَوعَبَتهُ الأَصدَافُ وَ حَضَنَت عَلَيهِ أَموَاجُ البِحَارِ وَ مَا غَشِيَتهُ سُدفَةُ لَيلٍ أَو ذَرّ عَلَيهِ شَارِقُ نَهَارٍ وَ مَا اعتَقَبَت عَلَيهِ أَطبَاقُ الدّيَاجِيرِ وَ سُبُحَاتُ النّورِ وَ أَثَرِ كُلّ خَطوَةٍ وَ حِسّ كُلّ حَرَكَةٍ وَ رَجعِ كُلّ كَلِمَةٍ وَ تَحرِيكِ كُلّ شَفَةٍ وَ مُستَقَرّ كُلّ نَسَمَةٍ وَ مِثقَالِ كُلّ ذَرّةٍ وَ هَمَاهِمِ كُلّ نَفسٍ هَامّةٍ وَ مَا عَلَيهَا مِن ثَمَرِ شَجَرَةٍ أَو سَاقِطِ وَرَقَةٍ أَو قَرَارَةِ نُطفَةٍ أَو نُقَاعَةِ دَمٍ وَ مُضغَةٍ أَو نَاشِئَةِ خَلقٍ وَ سُلَالَةٍ لَم يَلحَقهُ فِي ذَلِكَ كُلفَةٌ وَ لَا اعتَرَضَتهُ فِي حِفظِ مَا ابتَدَعَ مِن خَلقِهِ عَارِضَةٌ وَ لَا اعتَوَرَتهُ فِي تَنفِيذِ الأُمُورِ وَ تَدَابِيرِ المَخلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَ لَا فَترَةٌ بَل نَفَذَهُم عِلمُهُ وَ أَحصَاهُم عَدَدُهُ وَ وَسِعَهُم عَدلُهُ وَ غَمَرَهُم فَضلُهُ مَعَ تَقصِيرِهِم عَن كُنهِ مَا هُوَ أَهلُهُ لوسمع النضر بن كنانة هذاالكلام لقال لقائله ماقاله على بن العباس بن جريج لإسماعيل بن بلبل قالوا أبوالصقر من شيبان قلت لهم || كلا ولكن لعمرى منه شيبان وكم أب قدعلا بابن ذرا شرف || كماعلا برسول الله عدنان .إذ كان يفخر به على عدنان وقحطان بل كان يقر به عين أبيه ابراهيم خليل الرحمن [صفحه ۲۴] و يقول له إنه لم يعف ماشيدت من معالم التوحيد بل أخرج الله تعالى لك من ظهرى ولدا ابتدع من علوم التوحيد فى جاهلية العرب ما لم تبتدعه أنت فى جاهلية النبط بل لوسمع هذاالكلام أرسطوطاليس القائل بأنه تعالى لايعلم الجزئيات لخشع قلبه وقف شعره واضطرب فكره أ لاترى ما عليه من الرواء والمهابة والعظمة والفخامة والمتانة والجزالة مع ما قدأشرب من الحلاوة والطلاوة واللطف والسلاسة لاأرى كلاما يشبه هذا إلا أن يكون كلام الخالق سبحانه فإن هذاالكلام نبعة من تلك الشجرة وجدول من ذلك البحر وجذوة من تلك النار وكأنه شرح قوله تعالى وَ عِندَهُ مَفاتِحُ الغَيبِ لا يَعلَمُها إِلّا هُوَ وَ يَعلَمُ ما فِي البَرّ وَ البَحرِ وَ ما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا يَعلَمُها وَ لا حَبّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرضِ وَ لا رَطبٍ وَ لا يابِسٍ إِلّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ. ثم نعود إلى التفسير فنقول النجوى المسارة تقول انتجى القوم وتناجوا أى تساروا وانتجيت زيدا إذاخصصته بمناجاتك -قرآن-۵۶۲-۷۷۵ و منه الحديث أنه ص أطال النجوى مع على ع فقال قوم لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه فبلغه ذلك فقال إنىماانتجيته ولكن الله انتجاه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۴۵ ويقال للسر نفسه النجو يقال نجوته نجوا أى ساررته وكذلك ناجيته مناجاة وسمى ذلك الأمر المخصوص نجوى لأنه يستسر به فأما قوله تعالى وَ إِذ هُم نَجوىفجعلهم هم النجوى وإنما النجوى فعلهم فإنما هوكقولك قوم رضا وإنما الرضا فعلهم ويقال للذى تساره النجى على فعيل وجمعه أنجيه قال الشاعر -قرآن-۱۴۰-۱۵۵ [صفحه ۲۵] إنى إذا ماالقوم كانوا أنجيه و قد يكون النجى جماعة مثل الصديق قال الله تعالى خَلَصُوا نَجِيّا و قال الفراء قد يكون النجى والنجوى اسما ومصدرا. والمتخافتين الذين يسرون المنطق وهى المخافتة والتخافت والخفت قال الشاعر -قرآن-۵۵-۷۰ أخاطب جهرا إذ لهن تخافت || وشتان بين الجهر والمنطق الخفت . ورجم الظنون القول بالظن قال سبحانه رَجماً بِالغَيبِ و منه الحديث المرجم بالتشديد و هو ألذى لايدرى أحق هوأم باطل ويقال صار رجما أى لايوقف على حقيقة أمره . وعقد عزيمات اليقين العزائم التى يعقد القلب عليها وتطمئن النفس إليها. ومسارق إيماض الجفون ماتسترقه الأبصار حين تومض يقال أومض البصر والبرق إيماضا إذالمع لمعا خفيفا ويجوز ومض بغير همز يمض ومضا ووميضا وومضانا وأكنان القلوب غلفها والكن الستر والجمع أكنان قال تعالى جَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبالِ أَكناناً ويروى أكنة القلوب وهى الأغطية أيضا قال تعالى وَ جَعَلنا عَلى قُلُوبِهِم أَكِنّةً والواحد كنان قال عمر بن أبى ربيعة -قرآن-۴۲-۵۷-قرآن-۴۵۷-۴۹۱-قرآن-۵۴۲-۵۷۶ [صفحه ۲۶] تحت عين كناننا || ظل برد مرحل ويعنى بالذى ضمنته أكنان القلوب الضمائر. وغيابات الغيوب جمع غيابة وهى قعر البئر فى الأصل ثم نقلت إلى كل غامض خفى مثل غيابة و قدروى غبابات بالباء. وأصغت تسمعت ومالت نحوه ولاستراقه لاستماعه فى خفيه قال تعالى إِلّا مَنِ استَرَقَ السّمعَ. ومصائخ الأسماع خروقها التى يصيخ بها أى يتسمع . ومصايف الذر المواضع

التى يصيف الذر فيها أى يقيم الصيف يقال صاف بالمكان واصطاف بمعنى والموضع مصيف ومصطاف . والذر جمع ذرة وهى أصغر النمل . ومشاتى الهوام المواضع التى تشتو الهوام بهايقال شتوت بموضع كذا وتشتيت أى أقمت به الشتاء. والهوام جمع هامة و لايقع هذاالاسم إلا على المخوف من الأحناش . -قرآن-٢٣٢-٢٥٨ [صفحه ٢٧] ورجع الحنين ترجيعه وترديده والمولهات النوق والنساء اللواتى حيل بينهن و بين أولادهن . وهمس الأقدام صوت وطئها خفيا جدا قال تعالى فَلا تَسمَعُ إِلّا هَمساً و منه قول الراجز. -قرآن-١٤٢-١٦٦ فهن يمشين بنا هميسا والأسد الهموس الخفى الوطء. ومنفسح الثمرة أى موضع سعتها من الأكمام و قدروى متفسخ بالخاء المعجمة وتشديد السين وبتاء بعدالميم مصدرا من تفسخت الثمرة إذاانقطعت . والولائج المواضع الساترة والواحدة وليجة و هوكالكهف يستتر فيه المارة من مطر أوغيره ويقال أيضا فى جمعه ولج وأولاج . ومتقمع الوحوش موضع تقمعها واستتارها وسمى قمعة بن إلياس بن مضر بذلك لأنه انقمع فى بيته كمازعموا. وغيران الجبال جمع غار و هوكالكهف فى الجبل والمغار مثل الغار والمغارة مثله . ومختبأ البعوض موضع اختبائها واستتارها وسوق الأشجار جمع ساق وألحيتها جمع لحاء و هوالقشر. ومغرز الأوراق موضع غرزها فيها. [صفحه ٢٨] والأفنان جمع فنن و هوالغصن والأمشاج ماء الرجل يختلط بماء المرأة ودمها جمع مشيج كيتيم وأيتام ومحطها إما مصدر أومكان . ومسارب الأصلاب المواضع التى يتسرب المنى فيها من الصلب أى يسيل . وناشئة الغيوم أول ماينشأ منها و هوالنشىء أيضا وناشئة الليل فى قوله تعالى إِنّ ناشِئَةَ اللّيلِ هيَ أَشَدّ وَطئاًأول ساعاته ويقال هى ماينشأ فى الليل من الطاعات ومتلاحمها مايلتصق منها بعضها ببعض ويلتحم . ودرور قطر السحائب مصدر من در يدر أى سال وناقة درور أى كثيرة اللبن وسحاب درور أى كثير المطر ويقال إن لهذا السحاب لدرة أى صبا والجمع درور ومتراكمها المجتمع المتكاثف منها ركمت الشىء أركمه بالضم جمعته وألقيت بعضه على بعض ورمل ركام وسحاب ركام أى مجتمع . والأعاصير جمع إعصار وهى ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كالعمود و قال تعالى فَأَصابَها إِعصارٌ فِيهِ نارٌ. وتسفى من سفت الريح التراب سفيا إذاأذرته فهو سفى وذيولها هاهنا يريد به أطرافها و مالاحف الأرض منها. و ماتعفو الأمطار أى ماتدرس عفت الريح المنزل أى درسته وعفا المنزل نفسه يعفو درس يتعدى و لايتعدى . وبنات الأرض الهوام والحشرات التى تكون فى الرمال وعومها فيهاسباحتها ويقال لسير السفينة وسير الإبل أيضا عوم عمت فى الماء بضم أوله أعوم . -قرآن-٢٧٨-٣١٨-قرآن-٧٧٠-٧٩٨ [صفحه ٢٩] وكثبان الرمال جمع كثيب و هو ماانصب من الرمل واجتمع فى مكان واحد فصار تلا وكثبت الشىء أكثبه كثبا إذاجمعته وانكثب الرمل اجتمع . وشناخيب الجبال رءوسها واحدها شنخوب وذراها أعاليها جمع ذروة وذروة بالكسر والضم . والتغريد التطريب بالغناء والتغرد مثله وكذلك الغرد بفتحهما ويقال غرد الطائر فهو غرد إذاطرب بصوته . وذوات المنطق هاهنا الأطيار وسمى صوتها منطقا و إن كان لايطلق إلا على ألفاظ البشر مجازا. ودياجير جمع ديجور و هوالظلام والأوكار جمع وكر و هوعش الطائر ويجمع أيضا على وكور ووكر الطائر يكر وكرا أى دخل وكره . و قوله و ماأوعبته الأصداف أى من اللؤلؤ وحضنت عليه أمواج البحار أى ماضمته كماتحضن الأنثى من الطير بيضها و هو ما يكون فى لجة إما من سمك أوخشب أو مايحمله البحر من العنبر كالجماجم بين الأمواج و غير ذلك . وسدفة الليل ظلمته وجاء بالفتح وقيل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار. وغشيته غطته وذر عليه شارق نهار أى ماطلعت عليه الشمس وذرت الشمس تذر بالضم ذرورا طلعت وذر البقل إذاطلع من الأرض . وشرقت الشمس طلعت وأشرقت بالهمزة إذاأضاءت وصفت . واعتقبت تعاقبت وأطباق الدياجير أطباق الظلم وأطباقها جمع طبقة أى [صفحه ٣٠] أغطيتها أطبقت الشىء أى غطيته وجعلته مطبقا و قدتطبق هو و منه قولهم لوتطبقت السماء على الأرض لمافعلت كذا وسبحات النور عطف على أطباق الدياجير أى يعلم سبحانه ماتعاقب عليه الظلام والضياء وسبحات هاهنا ليس يعنى به مايعنى بقوله سبحان وجه ربنا لأنه هناك بمعنى مايسبح عليه النور أى يجرى من سبح الفرس و هوجريه ويقال فرس سابح . والخطوة ما بين القدمين

بـالضم وخطوت خطوة بالفتـح لأنـه المصـدر. ورجع كـل كلمـة ماترجع به من الكلام إلى نفسك وتردده فى فكرك . والنسـمة الإنسـان نفسه وجمعها نسم ومثقال كل ذرة أى وزن كل ذرة ومما يخطئ فيه العامـة قولهم للـدينار مثقال وإنما المثقال وزن كل شيء قال تعالى إِنّ اللّهَ لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرّةٍ. وهماهم كل نفس هامـة الهماهم جمع همهمـة وهى ترديد الصوت فى الصدر وحمار همهيم يهمهم فى صوته وهمهمت المرأة فى رأس الصبى و ذلك إذانومته بصوت ترققه له والنفس الهامـة ذات الهمـة التى تعزم على الأمر. قوله و ماعليها أى ما على الأرض فجاء بالضمير و لم يسبق ذكر صاحبه اعتمادا على فهم المخاطب كما قال تعالى كُلّ مَن عَلَيهـا فـانٍ. وقرارة النطفـة مايسـتقر فيه المـاء من الأمـاكن قال الشاعر -قرآن-٦٢٩-٦٦٥-قرآن-٩٨٨-١٠٠٨ وأنتـم قرارة كل معـدن سـوءة || ولكـل سائلـة تسيل قرار و منـه قـوله ع فى الخـوارج إن مصـارعهم النطفـة -روايت-١-٢-روايت-٣١-٥١ أى لايعبرون النهر ويجوز أن يريد بالنطفة المنى ويقويه ماذكره بعده من المضـغة. [صـفحه ٣١] والنقاعـة نقرة يجتمع فيهاالدم ومثله أنقوعة ويقال لوقبة الثريد أنقوعة. والمضغة قطعة اللحم والسلالة فى الأصل مااستل من الشيء وسميت النطفة سلالة الإنسان لأنها استـلت منه وكـذلك الولـد. والكلفة المشـقة واعتورته مثل عرته ونفذهم علمه تشبيه بنفوذ السـهم وعدى الفعل بنفسه و إن كان معـدى فى الأصل بحرف الجر كقولك اخترت الرجال زيدا أى من الرجال كأنه جعل علمه تعالى خارقا لهم ونافذا فيهم ويروى وأحصـاهم عـده بالتضـعيف أللّهُمّ أَنتَ أَهـلُ الوَصفِ الجَمِيلِ وَ التّعـدَادِ الكَثِيرِ إِن تُؤَمّل فَخَيرُ مَأمُولٍ وَ إِن تُرجَ فَخَيرُ مَرجُوّ أللّهُمّ فَقَـد بَسَـطتَ لِي فِيمَـا لَـا أَمـدَحُ بِهِ غَيرَكَ وَ لَا أُثنِي بِهِ عَلَى أَحَـدٍ سِوَاكَ وَ لَا أُوَجّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الخَيبَـةِ وَ مَوَاضِعِ الرّيبَـةِ وَ عَـدَلتَ بِلِسَـانِي عَن مَدَائِـحِ الآدَمِيّينَ وَ الثّنَاءِ عَلَى المَربُوبِينَ المَخلُوقِينَ أللّهُمّ وَ لِكُلّ مُثنٍ عَلَى مَن أَثنَى عَلَيهِ مَثُوبَـةٌ مِن جَزَاءٍ أَو عَارِفَـةٌ مِن عَطَـاءٍ وَ قَـد رَجَوتُـكَ دَلِيلًـا عَلَى ذَخَـائِرِ الرّحمَـةِ وَ كُنُوزِ المَغفِرَةِ أللّهُمّ وَ هَـذَا مَقَامُ مَن أَفرَدَكَ بِالتّوحِيـدِ ألّـذِي هُوَ لَكَ وَ لَم يَرَ مُسـتَحِقّاً لِهَـذِهِ المَحَامِدِ وَ المَمَادِحِ غَيرَكَ وَ بِي فَاقَةٌ إِلَيكَ لَا يَجبُرُ مَسـكَنَتَهَا إِلّا فَضـلُكَ وَ لَا يَنعَشُ مِن خَلّتِهَا إِلّا مَنّكَ وَ جُودُكَ فَهَب لَنَا فِي هَـذَا المَقَامِ رِضَاكَ وَ أَغنِنَا عَن مَدّ الأَيدِي إِلَى سِوَاكَ إِنّكَ عَلَى كُلّ شَـيءٍ قَدِيرٌ [صـفحه ٣٢] التعداد مصدر وخير خبر مبتدإ محذوف تقديره فأنت خير مأمول . ومعنى قوله قدبسـطت لى أى قدآتيتنى لسـنا وفصاحة وسعة منطق فلاأمدح غيرك و لا أحمـدسواك . ويعنى بمعادن الخيبـة البشـر لأن مادحهم ومؤملهم يخيب فى الأكثر وجعلهم مواضع الريبـة لأنهم لايوثق بهم فى حـال . ومعنى قوله ع و قـدرجوتك دليلاـ على ذخائر الرحمـة وكنوز المغفرة أنه راج منه أن يـدله على الأعمال التى ترضـيه سبحـانه ويسـتوجب بهـا منه الرحمـة والمغفرة وكأنه جعل تلك الأعمال التى يرجو أن يـدل عليها ذخائر للرحمـة وكنوزا. والفاقة الفقر وكـذلك المسـكنة. وينعش بالفتح يرفع والماضـى نعش و منه النعش لارتفاعه والمن العطاء والنعمة والمنان من أسـماء الله سبحانه [صفحه ٣٣]

٩١- و من كلام له ع لماأراده الناس على البيعة بعدقتل عثمان رضى الله عنه

اشاره

دعَوُنيِ وَ التَمِسُوا غَيرِي فَإِنّـا مُسـتَقبِلُونَ أَمراً لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلوَانٌ لَـا تَقُومُ لَهُ القُلُوبُ وَ لَـا تَثبُتُ عَلَيهِ العُقُولُ وَ إِنّ الآفَـاقَ قَـد أَغَامَت وَ المَحَجّـةَ قَـد تَنَكّرَت. وَ اعلَمُوا أَنّيَ إِن أَجَبتُكُم رَكِبتُ بِكُم مَـا أَعلَمُ وَ لَم أُصغِ إِلَى قَولِ القَائِلِ وَ عَتبِ العَاتِبِ وَ إِن تَرَكـتُمُونيِ فَأَنَا كَأَحَـدِكُم وَ لَعَلّيَ أَسـمَعُكُم وَ أَطوَعُكُم لِمَن وَلّيتُمُوهُ أَمرَكُم وَ أَنَـا لَكُم وَزِيراً خَيرٌ لَكُم منِيّ أَمِيراً فى أكثر النسـخ لمـااراده النـاس على البيعـة ووجـدت فى بعضـها أداره الناس على البيعـة فمن روى الأول جعل على متعلقـة بمحذوف وتقديره موافقا و من روى

الثانی جعلها متعلقهٔ بالفعل الظاهر نفسه و هوأداره تقول أدرت فلانا علی کذا وداورت فلانا علی کذا أی عالجته . و لاتقوم له القلوب أی لاتصبر وأغامت الآفاق غطاها الغیم أغامت وغامت وأغیمت وتغیمت کله بمعنی والمحجهٔ الطریق وتنکرت جهلت فلم تعرف ووزیرا وأمیرا منصوبان علی الحال . و هذاالکلام یحمله أصحابنا علی ظاهره ویقولون إنه ع لم یکن منصوصا [صفحه ۳۴] علیه بالإمامهٔ من جههٔ الرسول ص و إن کان أولی الناس بها وأحقهم بمنزلتها لأنه لو کان منصوصا علیه بالإمامهٔ من جههٔ الرسول ع لماجاز له أن یقول دعونی والتمسوا غیری و لا أن یقول ولعلی أسمعکم وأطوعکم لمن ولیتموه أمرکم و لا أن یقول و أنالکم وزیرا خیر منی لکم أمیرا وتحمله الإمامیهٔ علی وجه آخر فیقولون إن الذین أرادوه علی البیعهٔ هم کانوا العاقدین بیعهٔ الخلفاء من قبل و قد کان عثمان منعهم أومنع کثیرا منهم عن حقه من العطاء لأن بنی أمیهٔ استأصلوا الأموال فی أیام عثمان فلما قتل قالوا لعلی ع نبایعک علی أن تسیر فینا سیرهٔ أبی بکر وعمر لأنهما کانا لایستأثران بالمال لأنفسهما و لالأهلهما فطلبوا من علی ع البیعهٔ علی أن یقسم علیهم بیوت الأموال قسمهٔ أبی بکر وعمر فاستعفاهم وسألهم أن یطلبوا غیره ممن یسیر بسیرتهما و قال لهم کلاما تحته رمز و هو قوله إنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لاتقوم له القلوب و لاتثبت علیه العقول و إن الآفاق قدأغامت والمحجهٔ قدتنکرت .قالوا و هذاکلام له باطن وغور عمیق معناه الإخبار عن غیب یعلمه هو ویجهلونه هم و هوالإنذار بحرب المسلمین بعضهم لبعض واختلاف الکلمهٔ وظهور الفتنهٔ. ومعنی قوله له وجوه وألوان أنه موضع شبههٔ وتأویل فمن قائل یقول أصاب علی و من قائل یقول أخطأ وکذلک القول فی تصویب محاربیه من أهل الجمل وصفین والنهروان وتخطئتهم فإن المذاهب فیه وفیهم تشعبت وتفرقت جدا. ومعنی قوله الآفاق قدأغامت والمحجهٔ قدتنکرت أن الشبههٔ قداستولت علی العقول والقلوب وجهل أکثر الناس محجهٔ الحق أین هی فأنا لکم وزیرا عن رسول الله ص أفتی فیکم بشریعته وأحکامه خیر لکم منی أمیرا محجورا علیه [صفحه ۳۵] مدبرا بتدبیرکم فإنی أعلم أنه لاقدرهٔ لی أن أسیر فیکم بسیرهٔ رسول الله ص فی أصحابه مستقلا بالتدبیر لفساد أحوالکم وتعذر صلاحکم . و قدحمل بعضهم کلامه علی محمل آخر فقال هذاکلام مستزید شاک من أصحابه یقول لهم دعونی والتمسوا غیری علی طریق الضجر منهم والتبرم بهم والتسخط لأفعالهم لأنهم کانوا عدلوا عنه من قبل واختاروا علیه فلما طلبوه بعدأجابهم جواب المتسخط العاتب . وحمل قوم منهم الکلام علی وجه آخر فقالوا إنه أخرجه مخرج التهکم والسخریهٔ أی أنالکم وزیرا خیر منی لکم أمیرا فیما تعتقدونه کما قال سبحانه ذُق إِنّکَ أَنتَ العَزِیزُ الکَرِیمُ أی تزعم لنفسک ذلک وتعتقده . واعلم أن ماذکروه لیس ببعید أن یحمل الکلام علیه لو کان الدلیل قددل علی ذلک فأما إذا لم یدل علیه دلیل فلایجوز صرف اللفظ عن ظاهره ونحن نتمسک بالظاهر إلا أن تقوم دلالهٔ علی مذهبهم تصدنا عن حمل اللفظ عن ظاهره و لوجاز أن تصرف الألفاظ عن ظواهرها لغیر دلیل قاهر یصدف ویصد عنها لم یبق وثوق بکلام الله عز و جل وبکلام رسوله ع و قدذکرنا فیما تقدم کیفیهٔ الحال التی کانت بعدقتل عثمان والبیعهٔ العلویهٔ کیف وقعت -قرآن-۵۳۹-۵۷۴

فصل فیما کان من أمر طلحهٔ والزبیر

عندقسم المال ونحن نذکر هاهنا فی هذه القصهٔ ماذکره شیخنا أبو جعفرالإسکافی فی کتابه [صفحه ۳۶] ألذی نقض فیه کتاب العثمانیهٔ لشیخنا أبی عثمان فإن ألذی ذکره لم نورده نحن فیما تقدم . قال أبو جعفر لمااجتمعت الصحابهٔ فی مسجد رسول الله ص بعدقتل عثمان للنظر فی أمر الإمامهٔ أشار أبوالهیثم بن التیهان ورفاعهٔ بن رافع ومالک بن العجلان و أبوأیوب الأنصاری وعمار بن یاسر بعلی ع وذکروا فضله وسابقته وجهاده وقرابته فأجابهم الناس إلیه فقام کل واحد منهم خطیبا یذکر فضل علی ع فمنهم من فضله علی أهل عصره خاصهٔ ومنهم من فضله علی المسلمین کلهم کافهٔ ثم بویع وصعد المنبر فی الیوم الثانی من یوم

البيعة و هو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقين من ذى الحجة فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمدا فصلى عليه ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام ثم ذكر الدنيا فزهدهم فيها وذكر الآخرة فرغبهم إليها ثم قال أما بعدفإنه لماقبض رسول الله ص استخلف الناس أبابكر ثم استخلف أبوبكر عمر فعمل بطريقه ثم جعلها شورى بين ستة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ماأنكرتم وعرفتم ثم حصر وقتل ثم جئتمونى طائعين فطلبتم إلى وإنما أنا رجل منكم لى مالكم و على ماعليكم و قدفتح الله الباب بينكم و بين أهل القبلة وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم و لايحمل هذاالأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر وإنى حاملكم على منهج نبيكم ص ومنفذ فيكم ماأمرت به إن استقمتم لى وبالله المستعان ألا إن موضعى من رسول الله ص بعدوفاته كموضعى منه أيام حياته فامضوا لماتؤمرون به وقفوا عند ماتنهون عنه و لاتعجلوا فى أمر حتى نبينه لكم فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذرا ألا و إن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أنى كنت كارها للولاية على أمة محمد حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنى سمعت رسول الله ص يقول أيما وال ولى الأمر من بعدى أقيم على حد الصراط -روايت-١-٢-روايت-١٢-ادامه دارد [صفحه ٣٧] ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا- أنجاه الله بعدله و إن كان جائرا انتفض به الصراط حتى تتزايل مفاصله ثم يهوى إلى النار فيكون أول مايتقيها به أنفه وحر وجهه ولكنى لمااجتمع رأيكم لم يسعنى ترككم ثم التفت ع يمينا وشمالا فقال ألا- لايقولن رجال منكم غدا قدغمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا إذا مامنعتهم ماكانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون حرمنا ابن أبى طالب حقوقنا ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ص يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل فى ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لافضل فيه لأحد على أحد وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا و لاثوابا و ما عند الله خير للأبرار و إذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا فإن عندنا مالا نقسمه فيكم و لايتخلفن أحد منكم عربى و لاعجمى كان من أهل العطاء أو لم يكن إلاحضر إذا كان مسلما حرا أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ثم نزل -روايت-از قبل-١٢٠٩ . قال شيخنا أبو جعفر و كان هذاأول ماأنكروه من كلامه ع وأورثهم الضغن عليه وكرهوا إعطاءه وقسمه بالسوية فلما كان من الغد غدا وغدا الناس لقبض المال فقال لعبيد الله بن أبى رافع كاتبه ابدأ بالمهاجرين فنادهم وأعط كل [صفحه ٣٨] رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ثم ثن بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك و من يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك . فقال سهل بن حنيف يا أمير المؤمنين هذاغلامى بالأمس و قدأعتقته اليوم فقال نعطيه كمانعطيك فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير و لم يفضل أحدا على أحد وتخلف عن هذاالقسم يومئذ طلحة والزبير و عبد الله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها. قال وسمع عبيد الله بن أبى رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد ماخفى علينا أمس من كلام على مايريد فقال سعيد بن العاص والتفت إلى زيد بن ثابت إياك أعنى واسمعى ياجارة فقال عبيد الله بن أبى رافع لسعيد و عبد الله بن الزبير إن الله يقول فى كتابه وَ لكِنّ أَكثَرَكُم لِلحَقّ كارِهُونَ. ثم إن عبيد الله بن أبى رافع أخبر عليا ع بذلك فقال و الله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمنهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح قاتل الله ابن العاص لقد عرف من كلامى ونظرى إليه أمس أنى أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك . قال فبينا الناس فى المسجد بعدالصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن على ع ثم طلع مروان وسعيد و عبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم فتحدثوا نجيا ساعة ثم قام الوليد بن عقبة بن أبى معيط فجاء إلى على ع فقال يا أبا الحسن إنك قدوترتنا جميعا أما أنافقتلت أبى يوم بدر صبرا وخذلت أخى يوم الدار بالأمس و أماسعيد فقتلت أباه يوم بدر فى الحرب و كان ثور قريش و أمامروان فسخفت أباه عندعثمان إذ ضمه إليه ونحن

إخوتك -قرآن-۶۸۲-۷۱۸ [صفحه ۳۹] ونظراؤك من بنى عبدمناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ماأصبناه من المال فى أيام عثمان و أن تقتل قتلته وإنا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام . فقال أما ماذكرتم من وترى إياكم فالحق وتركم و أماوضعى عنكم ماأصبتم فليس لى أن أضع حق الله عنكم و لا-عن غيركم و أماقتلى قتلة عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ولكن لكم على إن خفتمونى أن أؤمنكم و إن خفتكم أن أسيركم -روايت-۱-۲-روايت-۹-۲۵۱ .فقام الوليد إلى أصحابه فحدثهم وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف فلما ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لأصحابه قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فإنه قدبلغنا عنهم ورأينا منهم مانكره من الخلاف والطعن على إمامهم و قددخل أهل الجفاء بينهم و بين الزبير والأعسر العاق يعنى طلحة.فقام أبوالهيثم وعمار و أبوأيوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم فدخلوا على على ع فقالوا يا أمير المؤمنين انظر فى أمرك وعاتب قومك هذاالحى من قريش فإنهم قدنقضوا عهدك وأخلفوا وعدك و قددعونا فى السر إلى رفضك هداك الله لرشدك وذاك لأنهم كرهوا الأسوة وفقدوا الأثرة و لماآسيت بينهم و بين الأعاجم أنكروا واستشاروا عدوك وعظموه وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتألفا لأهل الضلالة فرأيك .فخرج على ع فدخل المسجد وصعد المنبر مرتديا بطاق مؤتزرا ببرد قطرى متقلدا سيفا متوكئا على قوس فقال أما بعدفإنا نحمد الله ربنا وإلهنا وولينا وولى النعم علينا ألذى أصبحت نعمه علينا ظاهرة وباطنة امتنانا منه بغير حول منا و لاقوة ليبلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده و من كفر عذبه فأفضل الناس عند الله منزلة وأقربهم من الله وسيلة أطوعهم لأمره -روايت-۱-۲-روايت-۹-ادامه دارد [صفحه ۴۰] وأعملهم بطاعته وأتبعهم لسنة رسوله وأحياهم لكتابه ليس لأحد عندنا فضل إلابطاعة الله وطاعة الرسول هذا كتاب الله بين أظهرنا وعهد رسول الله وسيرته فينا لايجهل ذلك إلاجاهل عاند عن الحق منكر قال الله تعالى يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقناكُم مِن ذَكَرٍ وَ أُنثي وَ جَعَلناكُم شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنّ أَكرَمَكُم عِندَ اللّهِ أَتقاكُم ثم صاح بأعلى صوته أَطِيعُوا اللّهَ وَأطيعواالرّسُولَ فإن توليتم فَإِنّ اللّهَ لا يُحِبّ الكافِرِينَ ثم قال يامعشر المهاجرين والأنصار أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم بَلِ اللّهُ يَمُنّ عَلَيكُم أَن هَداكُم لِلإِيمانِ إِن كُنتُم صادِقِينَ ثم قال أنا أبو الحسن و كان يقولها إذاغضب ثم قال ألا إن هذه الدنيا التى أصبحتم تمنونها وترغبون فيها وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم و لامنزلكم ألذى خلقتم له فلاتغرنكم فقد حذرتكموها واستتموا نعم الله عليكم بالصبر لأنفسكم على طاعة الله والذل لحكمه جل ثناؤه فأما هذاالفىء فليس لأحد على أحد فيه أثرة و قدفرغ الله من قسمته فهو مال الله وأنتم عباد الله المسلمون و هذا كتاب الله به أقررنا و له أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتول كيف شاء فإن العامل بطاعة الله والحاكم بحكم الله لاوحشة عليه ثم نزل عن المنبر فصلى ركعتين ثم بعث بعمار بن ياسر و عبدالرحمن بن حنبل القرشى إلى طلحة والزبير وهما فى ناحية المسجد فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه ع فقال لهما نشدتكما الله هل جئتمانى طائعين للبيعة ودعوتمانى إليها و أناكاره لها قالا نعم فقال غيرمجبرين و لامقسورين فأسلمتما لى بيعتكما وأعطيتمانى عهدكما -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد [صفحه ۴۱] قالا-نعم قال فما دعاكما بعد إلى ماأرى قالا أعطيناك بيعتنا على ألا تقضى الأمور و لاتقطعها دوننا و أن تستشيرنا فى كل أمر و لاتستبد بذلك علينا ولنا من الفضل على غيرنا ما قدعلمت فأنت تقسم القسم وتقطع الأمر وتمضى الحكم بغير مشاورتنا و لاعلمنا فقال لقد نقمتما يسيرا وأرجأتما كثيرا فاستغفرا الله يغفر لكما أ لاتخبراننى أدفعتكما عن حق وجب لكما فظلمتكما إياه قالا معاذ الله قال فهل استأثرت من هذاالمال لنفسى بشىء قالا معاذ الله قال أفوقع حكم أوحق لأحد من المسلمين فجهلته أوضعفت عنه قالا-معاذ الله قال فما ألذى كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافى قالا-خلافك عمر بن الخطاب فى القسم أنك جعلت حقنا فى القسم كحق غيرنا وسويت بيننا و بين من لايماثلنا فيما أفاء الله تعالى علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا وأخذناه قسرا قهرا ممن لايرى الإسلام إلاكرها فقال فأما ماذكرتماه من الاستشارة بكما فو الله ماكانت لى فى الولاية رغبة ولكنكم دعوتمونى إليها وجعلتمونى عليها

فخفت أن أردكم فتختلف الأمة فلما أفضت إلى نظرت فى كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت مادلانى عليه واتبعته و لم أحتج إلى آرائكما فيه و لارأى غيركما و لووقع حكم ليس فى كتاب الله بيانه و لا فى السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه و أماالقسم والأسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء قدوجدت أنا وأنتما رسول الله ص يحكم بذلك و كتاب الله ناطق به و هوالكتاب ألذى لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و أماقولكما جعلت فيئنا و ماأفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا و بين غيرنا فقديما سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضلهم رسول الله ص فى القسم و لاآثرهم بالسبق و الله -روايت-از قبل-١٥٩٩ [صفحه ۴۲] سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم و ليس لكما و الله عندى و لالغيركما إلا هذاأخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر ثم قال رحم الله امرأ رأى حقا فأعان عليه ورأى جورا فرده و كان عونا للحق على من خالفه -روايت-١-٢۴٧ قال شيخنا أبو جعفر و قدروى أنهما قالا له وقت البيعة نبايعك على أناشركاؤك فى هذاالأمر فقال لهما لا ولكنكما شريكاى فى الفيء لاأستأثر عليكما و لا على عبدحبشى مجدع بدرهم فما دونه لا أنا و لاولداى هذان فإن أبيتما إلالفظ الشركة فإنما عونان لى عندالعجز والفاقة لا عندالقوة والاستقامة -روايت-١-٢-روايت-٣١-٢٩٧ . قال أبو جعفرفاشترطا ما لايجوز فى عقد الأمانة وشرط ع لهما مايجب فى الدين والشريعة. قال رحمه الله تعالى و قدروى أيضا أن الزبير قال فى ملإ من الناس هذاجزاؤنا من على قمنا له فى أمر عثمان حتى قتل فلما بلغ بنا ماأراد جعل فوقنا من كنا فوقه . و قال طلحة مااللوم إلاعلينا كنا معه أهل الشورى ثلاثة فكرهه أحدنا يعنى سعدا وبايعناه فأعطيناه ما فى أيدينا ومنعنا ما فى يده فأصبحنا قدأخطأنا اليوم مارجوناه أمس و لانرجو غدا ماأخطأنا اليوم . فإن قلت فإن أبابكر قسم بالسواء كماقسمه أمير المؤمنين ع و لم ينكروا ذلك كماأنكروه أيام أمير المؤمنين ع فما الفرق بين الحالتين . قلت إن أبابكر قسم محتذيا لقسم رسول الله ص فلما ولى عمر الخلافة وفضل قوما على قوم ألفوا ذلك ونسوا تلك القسمة الأولى وطالت أيام عمر [صفحه ۴۳] وأشربت قلوبهم حب المال وكثرة العطاء و أماالذين اهتضموا فقنعوا ومرنوا على القناعة و لم يخطر لأحد من الفريقين له أن هذه الحال تنتقض أوتتغير بوجه ما فلما ولى عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق القوم بذلك و من ألف أمرا أشق عليه فراقه وتغيير العادة فيه فلما ولى أمير المؤمنين ع أراد أن يرد الأمر إلى ما كان فى أيام رسول الله ص و أبى بكر و قدنسى ذلك ورفض وتخلل بين الزمانين اثنتان وعشرون سنة فشق ذلك عليهم وأنكروه وأكبروه حتى حدث ماحدث من نقض البيعة ومفارقة الطاعة ولله أمر هوبالغه [صفحه ۴۴]

۹۲- و من خطبة له ع

اشاره

أَمّا بَعدَ حَمدِ اللّهِ وَ الثّنَاءِ عَلَيهِ أَيّهَا النّاسُ فَإِنّي فَقَأتُ عَينَ الفِتنَةِ وَ لَم يَكُن لِيَجتَرِئَ عَلَيهَا أَحَدٌ غَيرِي بَعدَ أَن مَاجَ غَيهَبُهَا وَ اشتَدّ كَلَبُهَا فَاسأَلُونِي قَبلَ أَن تَفقِدُونِي فَوَالّذِي نفَسيِ بِيَدِهِ لَا تَسأَلُونَنِي عَن شَيءٍ فِيمَا بَينَكُم وَ بَينَ السّاعَةِ وَ لَا عَن فِئَةٍ تهَديِ مِائَةً وَ تُضِلّ مِائَةً إِلّا أَنبَأتُكُم بِنَاعِقِهَا وَ قَائِدِهَا وَ سَائِقِهَا وَ مُنَاخِ رِكَابِهَا وَ مَحَطّ رِحَالِهَا وَ مَن يُقتَلُ مِن أَهلِهَا قَتلًا وَ مَن يَمُوتُ مِنهُم مَوتاً وَ لَو قَد فَقَدتُمُونِي وَ نَزَلَت بِكُم كَرَائِهُ الأُمُورِ وَ حَوَازِبُ الخُطُوبِ لَأَطرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السّائِلِينَ وَ فَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ المَسئُولِينَ وَ ذَلِكَ إِذَا قَلّصَت حَربُكُم وَ شَمّرَت عَن سَاقٍ وَ كَانَتِ الدّنيَا عَلَيكُم ضِيقاً تَستَطِيلُونَ أَيّامَ البَلَاءِ عَلَيكُم حَتّي يَفتَحَ اللّهُ لِبَقِيّةِ الأَبرَارِ مِنكُم إِنّ الفِتَنَ إِذَا أَقبَلَت شَبّهَت وَ إِذَا أَدبَرَت نَبّهَت يُنكَرنَ مُقبِلَاتٍ وَ يُعرَفنَ مُدبِرَاتٍ يَحُمنَ حَومَ الرّيَاحِ يُصِبنَ بَلَداً وَ يُخطِئنَ بَلَداً أَلَا وَ إِنّ أَخوَفَ

الفِتَنِ عِندِي عَلَيكَم فِتنَةُ بنَي أُمَيّةَ فَإِنّهَا فِتنَةٌ عَميَاءُ مُظلِمَةٌ عَمّت خُطّتُهَا وَ خَصّت بَلِيّتُهَا وَ أَصَابَ البَلَاءُ مَن أَبصَرَ فِيهَا وَ أَخطَأَ البَلَاءُ مَن عمَيَ عَنهَا وَ ايمُ اللّهِ لَتَجِدُنّ بنَيِ أُمَيّةَ لَكُم أَربَابَ سُوءٍ بَعدِي كَالنّابِ الضّرُوسِ تَعذِمُ [صفحه ۴۵] بِفِيهَا وَ تَخبِطُ بِيَدِهَا وَ تَزبِنُ بِرِجلِهَا وَ تَمنَعُ دَرّهَا لَا يَزَالُونَ بِكُم حَتّى لَا يَترُكُوا مِنكُم إِلّا نَافِعاً لَهُم أَو غَيرَ ضَائِرٍ بِهِم وَ لَا يَزَالُ بَلَاؤُهُم عَنكُم حَتّى لَا يَكُونَ انتِصَارُ أَحَدِكُم مِنهُم إِلّا مِثلَ انتِصَارِ العَبدِ مِن رَبّهِ وَ الصّاحِبِ مِن مُستَصحِبِهِ تَرِدُ عَلَيكُم فِتنَتُهُم شَوهَاءَ مَخشِيّةً وَ قِطَعاً جَاهِلِيّةً لَيسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى وَ لَا عَلَمٌ يُرَى نَحنُ أَهلَ البَيتِ مِنهَا بِنَجَاةٍ وَ لَسنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ثُمّ يُفَرّجُهَا اللّهُ عَنكُم كَتَفرِيجِ الأَدِيمِ بِمَن يَسُومُهُم خَسفاً وَ يَسُوقُهُم عُنفاً وَ يَسقِيهِم بِكَأسٍ مُصَبّرَةٍ لَا يُعطِيهِم إِلّا السّيفَ وَ لَا يُحلِسُهُم إِلّا الخَوفَ فَعِندَ ذَلِكَ تَوَدّ قُرَيشٌ بِالدّنيَا وَ مَا فِيهَا لَو يَرَونَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَ لَو قَدرَ جَزرِ جَزُورٍ لِأَقبَلَ مِنهُم مَا أَطلُبُ اليَومَ بَعضَهُ فَلَا يُعطُونَنِيهِ فقأت عينه أى بخقتها وتفقأت السحابة عن مائها تشققت وتفقأ الدمل والقرح ومعنى فقئه ع عين الفتنة إقدامه عليها حتى أطفأ نارها كأنه جعل للفتنة عينا محدقة يهابها الناس فأقدم هوعليها ففقأ عينها فسكنت بعدحركتها وهيجانها و هذا من باب الاستعارة وإنما قال و لم يكن ليجترئ عليها أحد غيرى لأن الناس كلهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة و لايعلمون كيف يقاتلونهم هل يتبعون موليهم أم لا وهل يجهزون على جريحهم أم لا وهل يقسمون فيئهم أم لا وكانوا يستعظمون قتال من يؤذن كأذاننا ويصلى كصلاتنا واستعظموا أيضا حرب عائشة وحرب طلحة والزبير لمكانهم فى الإسلام وتوقف جماعتهم عن الدخول فى تلك الحرب كالأحنف بن قيس وغيره فلو لا أن عليا اجترأ على سل السيف فيها ماأقدم أحد عليها حتى [صفحه ۴۶] الحسن ع ابنه أشار عليه ألا يبرح عرصة المدينة ونهاه عن المسير إلى البصرة حتى قال له منكرا عليه إنكاره و لاتزال تخن خنين الأمة و قدروى ابن هلال صاحب كتاب الغارات أنه كلم أباه فى قتال أهل البصرة بكلام أغضبه فرماه ببيضة حديد عقرت ساقه فعولج منها شهرين . والغيهب الظلمة والجمع غياهب وإنما قال بعد ماماج غيهبها لأنه أراد بعد ماعم ضلالها فشمل فكنى عن الضلال بالغيهب وكنى عن العموم والشمول بالتموج لأن الظلمة إذاتموجت شملت أماكن كثيرة غيرالأماكن التى تشملها لوكانت ساكنة واشتد كلبها أى شرها وأذاها ويقال للقحط الشديد كلب وكذلك للقر الشديد. ثم قال ع سلونى قبل أن تفقدونى -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۳۹ روى صاحب كتاب الإستيعاب و هو أبوعمر محمد بن عبدالبر عن جماعة من الرواة والمحدثين قالوا لم يقل أحد من الصحابة رضى الله عنهم سلونى إلا على بن أبى طالب وروى شيخنا أبو جعفرالإسكافى فى كتاب نقض العثمانية عن على بن الجعد عن ابن شبرمة قال ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر سلونى إلا على بن أبى طالب ع . والفئة الطائفة والهاء عوض من الياء التى نقصت من وسطه وأصله فىء مثال فيع لأنه من فاء ويجمع على فئات مثل شيات وهبات ولدات . وناعقها الداعى إليها من نعيق الراعى بغنمه و هوصوته نعق ينعق بالكسر نعيقا ونعاقا أى صاح بها وزجرها قال الأخطل فانعق بضأنك ياجرير فإنما || منتك نفسك فى الخلاء ضلالا . [صفحه ۴۷] فأما الغراب فيقال نغق بالغين المعجمة ينغق بالكسر أيضا وحكى ابن كيسان نعق الغراب أيضا بعين غيرمعجمه . والركاب الإبل واحدتها راحلة و لاواحد لها من لفظها وجمعها ركب مثل كتاب وكتب ويقال زيت ركابى لأنه يحمل من الشام عليها. والمناخ بضم الميم ومحط بفتحها يجوز أن يكونا مصدرين و أن يكونا مكانين أماكون المناخ مصدرا فلأنه كالمقام ألذى بمعنى الإقامة و أماكون المحط مصدرا فلأنه كالمرد فى قوله سبحانه وَ أَنّ مَرَدّنا إِلَى اللّهِ و أماكونهما موضعين فلأن المناخ من أنخت الجمل لا من ناخ الجمل لأنه لم يأت والفعل إذاجاوز الثلاثة فالموضع منه يأتى مضموم الميم لأنه مشبه ببنات الأربعة نحو دحرج و هذامدحرجنا و من قال هذامقام بنى فلان أى موضع مقامهم جعله كماجعلناه نحن من أقام يقيم لا من قام يقوم و أماالمحط فإنه كالمقتل موضع القتل يقال مقتل الرجل بين فكيه ويقال للأعضاء التى إذاأصيب الإنسان فيهاهلك مقاتل ووجه المماثلة كونهما مضمومى العين -قرآن-۴۲۵-۴۵۳

فصل فی ذکر أمور غیبیهٔ أخبر بهاالإمام ثم تحققت

واعلم أنه ع قدأقسم فی هذاالفصل بالله ألذی نفسه بیده أنهم لایسألونه عن أمر یحدث بینهم و بین القیامهٔ إلاأخبرهم به و أنه ماصح من طائفهٔ من الناس یهتدی بهامائهٔ وتضل بهامائهٔ إلا و هومخبر لهم إن سألوه برعاتها وقائدها وسائقها ومواضع نزول رکابها وخیولها و من یقتل منها قتلا و من یموت منها موتا و هذه الدعوی لیست منه علیه ع ادعاء الربوبیهٔ و لاادعاء النبوهٔ ولکنه کان یقول إن رسول الله ص [صفحه ۴۸] أخبره بذلک ولقد امتحنا إخباره فوجدناه موافقا فاستدللنا بذلک علی صدق الدعوی المذکورهٔ کإخباره عن الضربهٔ یضرب بها فی رأسه فتخضب لحیته وإخباره عن قتل الحسین ابنه ع و ماقاله فی کربلاء حیث مر بها وإخباره بملک معاویهٔ الأمر من بعده وإخباره عن الحجاج و عن یوسف بن عمر و ماأخبر به من أمر الخوارج بالنهروان و ماقدمه إلی أصحابه من إخباره بقتل من یقتل منهم وصلب من یصلب وإخباره بقتال الناکثین والقاسطین والمارقین وإخباره بعدهٔ الجیش الوارد إلیه من الکوفهٔ لماشخص ع إلی البصرهٔ لحرب أهلها وإخباره عن عبد الله بن الزبیر و قوله فیه خب ضب یروم أمرا و لایدرکه ینصب حبالهٔ الدین لاصطیاد الدنیا و هو بعدمصلوب قریش وکإخباره عن هلاک البصرهٔ بالغرق وهلاکها تارهٔ أخری بالزنج و هو ألذی صحفه قوم فقالوا بالریح وکإخباره عن ظهور الرایات السود من خراسان وتنصیصه علی قوم من أهلها یعرفون ببنی رزیق بتقدیم المهملهٔ وهم آل مصعب الذین منهم طاهر بن الحسین وولده وإسحاق بن ابراهیم وکانوا هم وسلفهم دعاهٔ الدولهٔ العباسیهٔ وکإخباره عن الأئمهٔ الذین ظهروا من ولده بطبرستان کالناصر والداعی وغیرهما فی قوله ع و إن لآل محمدبالطالقان لکنزا سیظهره الله إذاشاء دعاؤه حتی یقوم بإذن الله فیدعو إلی دین الله -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۱۱۸ وکإخباره عن مقتل النفس الزکیهٔ بالمدینهٔ و قوله إنه یقتل عندأحجار الزیت وکقوله عن أخیه ابراهیم المقتول بباب حمزهٔ یقتل بعد أن یظهر ویقهر بعد أن یقهر و قوله فیه أیضا یأتیه سهم غرب یکون فیه منیته فیا بؤسا للرامی شلت یده ووهن عضده وکإخباره عن قتلی وج و قوله فیهم هم خیر أهل الأرض وکإخباره عن المملکهٔ العلویهٔ بالغرب وتصریحه بذکر کتامهٔ وهم الذین نصروا أبا عبد الله الداعی المعلم وکقوله و هویشیر إلی أبی عبد الله المهدی و هوأولهم ثم یظهر [صفحه ۴۹] صاحب القیروان الغض البض ذو النسب المحض المنتجب من سلالهٔ ذی البداء المسجی بالرداء و کان عبید الله المهدی أبیض مترفا مشربا بحمرهٔ رخص البدن تار الأطراف وذو البداء إسماعیل بن جعفر بن محمد ع و هوالمسجی بالرداء لأن أباه أبا عبد الله جعفرا سجاه بردائه لمامات وأدخل إلیه وجوه الشیعهٔ یشاهدونه لیعلموا موته وتزول عنهم الشبههٔ فی أمره . وکإخباره عن بنی بویه و قوله فیهم ویخرج من دیلمان بنو الصیاد إشارهٔ إلیهم و کان أبوهم صیاد السمک یصید منه بیده مایتقوت هو وعیاله بثمنه فأخرج الله تعالی من ولده لصلبه ملوکا ثلاثهٔ ونشر ذریتهم حتی ضربت الأمثال بملکهم وکقوله ع فیهم ثم یستشری أمرهم حتی یملکوا الزوراء ویخلعوا الخلفاء فقال له قائل فکم مدتهم یا أمیر المؤمنین فقال مائهٔ أوتزید قلیلا -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۱۴۱ وکقوله فیهم والمترف ابن الأجذم یقتله ابن عمه علی دجلهٔ و هوإشارهٔ إلی عزالدولهٔ بختیار بن معز الدولهٔ أبی الحسین و کان معز الدولهٔ أقطع الید قطعت یده للنکوص فی الحرب و کان ابنه عزالدول بختیار مترفا صاحب لهو وشرب وقتله عضد الدولهٔ فناخسرو ابن عمه بقصر الجص علی دجلهٔ فی الحرب وسلبه ملکه فأما خلعهم للخلفاء فإن معز الدولهٔ خلع المستکفی ورتب عوضه المطیع وبهاء الدولهٔ أبانصر بن عضد الدولهٔ خلع الطائع ورتب عوضه القادر وکانت مدهٔ ملکهم کماأخبر به ع . وکإخباره ع لعبد الله بن العباس رحمه الله تعالی عن انتقال الأمر إلی أولاده فإن علی بن عبد الله لماولد أخرجه أبوه عبد الله إلی علی ع فأخذه وتفل فی فیه [صفحه ۵۰] وحنکه بتمرهٔ قدلاکها ودفعه إلیه و قال خذ إلیک أباالأملاک هکذا الروایهٔ الصحیحهٔ وهی التی ذکرها أبوالعباس المبرد فی کتاب الکامل ولیست الروایهٔ التی یذکر فیهاالعدد بصحیحهٔ و لامنقولهٔ من کتاب معتمد علیه .

وكم له من الأخبار عن الغيوب الجارية هذاالمجرى مما لوأردنا استقصاءه لكسرنا له كراريس كثيرة وكتب السير تشتمل عليها مشروحة. فإن قلت لماذا غلا الناس فى أمير المؤمنين ع فادعوا فيه الإلهية لإخباره عن الغيوب التى شاهدوا صدقها عيانا و لم يغلوا فى رسول الله ص فيدعوا له الإلهية وأخباره عن الغيوب الصادقة قدسمعوها وعلموها يقينا و هو كان أولى بذلك لأنه الأصل المتبوع ومعجزاته أعظم وأخباره عن الغيوب أكثر قلت إن الذين صحبوا رسول الله ص وشاهدوا معجزاته وسمعوا أخباره عن الغيوب الصادقة عيانا كانوا أشد آراء وأعظم أحلاما وأوفر عقولا من تلك الطائفة الضعيفة العقول السخيفة الأحلام الذين رأوا أمير المؤمنين ع فى آخر أيامه كعبد الله بن سبإ وأصحابه فإنهم كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهورة فلاعجب عن مثلهم أن تستخفهم المعجزات فيعتقدوا فى صاحبها أن الجوهر الإلهى قدحله لاعتقادهم أنه لايصح من البشر هذا إلابالحلول و قدقيل إن جماعة من هؤلاء كانوا من نسل النصارى واليهود و قدكانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول فى أنبيائهم ورؤسائهم فاعتقدوا فيه ع مثل ذلك ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا إدخال الإلحاد فى دين الإسلام فذهبوا إلى ذلك و لوكانوا فى أيام رسول الله ص لقالوا فيه مثل هذه المقالة إضلالا لأهل [صفحه ٥١] الإسلام وقصدا لإيقاع الشبهة فى قلوبهم و لم يكن فى الصحابة مثل هؤلاء ولكن قد كان فيهم منافقون وزنادقة و لم يهتدوا إلى هذه الفتنة و لاخطر لهم مثل هذه المكيدة. ومما ينقدح لى من الفرق بين هؤلاء القوم و بين العرب الذين عاصروا رسول الله ص أن هؤلاء من العراق وساكنى الكوفة وطينة العراق مازالت تنبت أرباب الأهواء وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة و أهل هذاالإقليم أهل بصر وتدقيق ونظر وبحث عن الآراء والعقائد وشبه معترضة فى المذاهب و قد كان منهم فى أيام الأكاسرة مثل مانى وديصان ومزدك وغيرهم وليست طينة الحجاز هذه الطينة و لاأذهان أهل الحجاز هذه الأذهان والغالب على أهل الحجاز الجفاء والعجرفية وخشونة الطبع و من سكن المدن منهم كأهل مكة والمدينة والطائف فطباعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة و لم يكن فيهم من قبل حكيم و لافيلسوف و لاصاحب نظر وجدل و لاموقع شبهة و لامبتدع نحلة ولهذا نجد مقالة الغلاة طارئة وناشئة من حيث سكن على ع بالعراق والكوفة لا فى أيام مقامه بالمدينة وهى أكثر عمره .فهذا مالاح لى من الفرق بين الرجلين فى المعنى المقدم ذكره . فإن قلت لماذا قال عن فئة تهدى مائة و مافائدة التقييد بهذا العدد قلت لأن مادون المائة حقير تافه لايعتد به ليذكر ويخبر عنه فكأنه قال مائة فصاعدا. قوله ع كرائه الأمور جمع كريهة وهى الشدة فى الحرب وحوازب الخطوب جمع حازب وحزبه الأمر أى دهمه . [صفحه ٥٢] وفشل جبن فإن قلت أمافشل المسئول فمعلوم فما الوجه فى إطراق السائل قلت لشدة الأمر وصعوبته حتى أن السائل ليبهت ويدهش فيطرق و لايستطيع السؤال . قوله ع إذاقلصت حربكم يروى بالتشديد وبالتخفيف ويروى عن حربكم فمن رواه مشددا أراد انضمت واجتمعت و ذلك لأنه يكون أشد لها وأصعب من أن تتفرق فى مواطن متباعدة أ لاترى أن الجيوش إذااجتمعت كلها واصطدم الفيلقان كان الأمر أصعب وأفظع من أن تكون كل كتيبة من تلك الجيوش تحارب كتيبة أخرى فى بلاد متفرقة متباعدة و ذلك لأن اصطدام الفيلقين بأجمعهما هوالاستئصال ألذى لاشوى له و لابقيا بعده و من رواها بالتخفيف أراد كثرت وتزايدت من قولهم قلصت البئر أى ارتفع ماؤها إلى رأسها أودونه و هوماء قالص وقليص و من روى إذاقلصت عن حربكم أراد إذاقلصت كرائه الأمور وحوازب الخطوب عن حربكم أى انكشفت عنها والمضارع من قلص يقلص بالكسر. قوله وشمرت عن ساق استعارة وكناية يقال للجاد فى أمره قدشمر عن ساق و ذلك لأن سبوغ الذيل معثرة ويمكن أن يجرى اللفظ على حقيقته و ذلك أن قوله تعالى يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍفسروه فقالوا الساق الشدة فيكون قدأراد بقوله وشمرت عن ساق أى كشفت عن شدة ومشقة. ثم قال تستطيلون أيام البلاء و ذلك لأن أيام البؤس طويلة قال الشاعر -قرآن-٩٧٦-٩٩٧ [صفحه ٥٣] فأيام الهموم مقصصات || وأيام السرور تطير طيرا و قال أبوتمام ثم انبرت أيام هجر أردفت || بجوى أسى فكأنها أعوام . قوله ع إن الفتن إذاأقبلت شبهت معناه أن الفتن عندإقبالها وابتداء حدوثها يلتبس أمرها و

لايعلم الحق منها من الباطل إلى أن تنقضى وتدبر فحينئذ ينكشف حالها ويعلم ما كان مشتبها منها ثم أكد ع هذاالمعنى بقوله ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات ومثال ذلك فتنة الجمل وفتنة الخوارج كان كثير من الناس فيها فى مبدإ الأمر متوقفين واشتبه عليهم الحال و لم يعلموا موضع الحق إلى أن انقضت الفتنة ووضعت الحرب أوزارها وبان لهم صاحب الضلالة من صاحب الهداية. ثم وصف الفتن فقال إنها تحوم حوم الرياح يصبن بلدا ويخطئن بلدا حام الطائر وغيره حول الشىء يحوم حوما وحومانا أى دار. ثم ذكر أن أخوف مايخاف عليهم فتنة بنى أمية ومعنى قوله عمت خطتها وخصت بليتها أنها عمت الناس كافة من حيث كانت رئاسة شاملة لكل أحد ولكن حظ أهل البيت ع وشيعتهم من بليتها أعظم ونصيبهم فيهاأوفر. ومعنى قوله وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمى عنها أن العالم بارتكابهم المنكر مأثوم إذ لم ينكر والجاهل بذلك لاإثم عليه إذا لم ينههم عن المنكر لأن من لايعلم المنكر منكرا لايلزمه إنكاره و لايعنى بالمنكر هاهنا [صفحه ۵۴] ما كان منكرا من الاعتقادات و لا مايتعلق بالأمانة بل الزنى وشرب الخمر ونحوهما من الأفعال القبيحة. فإن قلت أى فرق بين الأمرين قلت لأن تلك يلحق الإثم من لايعلمها إذا كان متمكنا من العلم بها و هذه لايجب إنكارها إلا مع العلم بها و من لايعلمها لايلحقه الإثم إذا كان متمكنا من العلم بهافافترق الموضوعان . ثم أقسم ع فقال وايم الله وأصله وايمن الله واختلف النحويون فى هذه الكلمة فعند الأكثرين منهم أن ألفها ألف وصل و أن أيمن اسم وضع للقسم هكذا بألف وصل وبضم الميم والنون قالوا و لم يأت فى الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها وتدخل عليها اللام لتأكيد الابتداء فتقول ليمن الله فتذهب الألف قال الشاعر فقال فريق القوم لمانشدتهم || نعم وفريق ليمن الله ماندرى و هذاالاسم مرفوع بالابتداء وخبره محذوف والتقدير ليمن الله قسمى فإذاخاطبت قلت ليمنك و فى حديث عروة بن الزبير ليمنك لئن كنت ابتليت لقد عافيت ولئن كنت أخذت لقد أبقيت وتحذف نونه فيصير ايم الله بألف وصل مفتوحة و قدتكسر وربما حذفوا الياء فقالوا ام الله وربما أبقوا الميم وحدها مضمومة فقالوا م الله و قديكسرونها لماصارت حرفا شبهوها بالباء وربما قالوا من الله بضم الميم والنون و من الله بكسرهما و من الله بفتحهما وذهب أبوعبيد و ابن كيسان و ابن درستويه إلى أن أيمن جمع يمين والألف همزة قطع وإنما خففت [صفحه ۵۵] وطرحت فى الوصل لكثرة الاستعمال قالوا وكانت العرب تحلف باليمين فتقول يمين الله لاأفعل قال إمرؤ القيس فقلت يمين الله أبرح قاعدا || و لوقطعوا رأسى لديك وأوصالى قالوا واليمين تجمع على أيمن قال زهير فتجمع أيمن منا ومنكم || بمقسمة تمور بهاالدماء . ثم حلفوا به فقالوا أيمن الله ثم كثر فى كلامهم وخف على ألسنتهم حتى حذفوا منه النون كماحذفوا فى قوله لم يكن فقالوا لم يك فأقسم ع لأصحابه أنهم سيجدون بنى أمية بعده لهم أرباب سوء وصدق ص فيما قال فإنهم ساموهم سوء العذاب قتلا وصلبا وحبسا وتشريدا فى البلاد. ثم شبه بنى أمية بالناب الضروس والناب الناقة المسنة والجمع نيب تقول لاأفعله ماحنت النيب والضروس السيئة الخلق تعض حالبها. وتعذم بفيها تكدم والعذم الأكل بجفاء وفرس عذوم يعض بأسنانه . والزبن الدفع زبنت الناقة تزبن إذاضربت بثفناتها عندالحلب تدفع الحالب عنها والدر اللبن و فى المثل لادر دره الأصل لبنه ثم قيل لكل خير وناقة درور أى كثيرة اللبن . ثم قال لايزالون بكم قتلا وإفناء لكم حتى لايتركوا منكم إلا من ينفعهم إبقاؤه أو لايضرهم و لاينفعهم قال حتى يكون انتصار أحدكم منهم كانتصار العبد من مولاه أى لاانتصار لكم منهم لأن العبد لاينتصر من مولاه أبدا و قدجاء فى كلامه [صفحه ۵۶] ع فى غير هذاالموضع تتمة هذاالمعنى إن حضر أطاعه و إن غاب سبعه أى ثلبه وشتمه و هذه أمارة الذل كما قال أبوالطيب أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى || و لاأعاتبه صفحا وإهوانا وهكذا كنت فى أهلى و فى وطنى || إن النفيس نفيس أينما كانا . قال ع والصاحب من مستصحبه أى والتابع من متبوعه . والشوه جمع شوهاء وهى القبيحة الوجه شاهت الوجوه تشوه شوها قبحت وشوهه الله فهو مشوه وهى شوهاء و لايقال للذكر أشوه ومخشية مخوفة. وقطعا جاهلية شبهها بقطع السحاب لتراكمها على الناس وجعلها جاهلية لأنها كأفعال الجاهلية الذين لم يكن لهم دين يردعهم ويروى شوهاء وقطعاء أى نكراء كالمقطوعة اليد. قوله

نحن أهل البيت منها بمنجاة أی بمعزل والنجاة والنجوة المكان المرتفع ألذی تظن أنه نجاك و لایعلوه السیل ولسنا فیهابدعاة أی لسنا من أنصار تلك الدعوة و أهل البیت منصوب علی الاختصاص كقولهم نحن معشر العرب نفعل كذا ونحن آل فلان كرماء. قوله كتفریج الأدیم الأدیم الجلد وجمعه أدم مثل أفیق وأفق ویجمع أیضا علی آدمة كرغیف وأرغفة ووجه التشبیه أن الجلد ینكشف عما تحته فوعدهم ع بأن الله تعالی یكشف تلك الغماء كانكشاف الجلد عن اللحم بمن یسومهم خسفا ویولیهم ذلا. [صفحه ۵۷] والعنف بالضم ضد الرفق وكأس مصبرة ممزوجة بالصبر لهذا المر ویجوز أن یكون مصبرة مملوءة إلی أصبارها وهی جوانبها و فی المثل أخذها بأصبارها أی تامة الواحد صبر بالضم . ویحلسهم یلبسهم أحلست البعیر ألبسته الحلس و هوكساء رقیق یكون تحت البرذعة یقال له حلس وحلس مثل شبه وشبه . والجزور من الإبل یقع علی الذكر والأنثی وجزرها ذبحها. و هذاالكلام إخبار عن ظهور المسودة وانقراض ملك بنی أمیة ووقع الأمر بموجب إخباره ص حتی لقد صدق قوله لقد تود قریش الكلام إلی آخره فإن أرباب السیر كلهم نقلوا أن مروان بن محمد قال یوم الزاب لماشاهد عبد الله بن علی بن عبد الله بن العباس بإزائه فی صف خراسان لوددت أن علی بن أبی طالب تحت هذه الرایة بدلا من هذاالفتی والقصة طویلة وهی مشهورة. و هذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السیر وهی متداولة منقولة مستفیضة خطب بها علی ع بعدانقضاء أمر النهروان و فیهاألفاظ لم یوردها الرضی رحمه الله من ذلك قوله ع و لم یكن لیجترئ علیها غیری و لو لم أك فیكم ماقوتل أصحاب الجمل والنهروان وایم الله لو لا أن تتكلوا فتدعوا العمل لحدثتكم بما قضی الله عز و جل علی لسان نبیكم ص لمن قاتلهم مبصرا لضلالتهم عارفا للهدی ألذی نحن علیه سلونی قبل أن تفقدونی فإنی میت عن قریب أومقتول بل قتلا ماینتظر أشقاها أن یخضب هذه بدم وضرب بیده إلی لحیته -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۶۳ [صفحه ۵۸] ومنها فی ذكر بنی أمیة یظهر أهل باطلها علی أهل حقها حتی تملأ الأرض عدوانا وظلما وبدعا إلی أن یضع الله عز و جل جبروتها ویكسر عمدها وینزع أوتادها ألا وإنكم مدركوها فانصروا قوما كانوا أصحاب رایات بدر وحنین تؤجروا و لاتمالئوا علیهم عدوهم فتصرعكم البلیة وتحل بكم النقمة -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۲۸۲ ومنها إلامثل انتصار العبد من مولاه إذارآه أطاعه و إن تواری عنه شتمه وایم الله لوفرقوكم تحت كل حجر لجمعكم الله لشر یوم لهم -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۳۸ ومنها فانظروا أهل بیت نبیكم فإن لبدوا فالبدوا و إن استنصروكم فانصروهم فلیفرجن الله الفتنة برجل منا أهل البیت بأبی ابن خیرة الإماء لایعطیهم إلاالسیف هرجا هرجا موضوعا علی عاتقه ثمانیة أشهر حتی تقول قریش لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا یغریه الله ببنی أمیة حتی یجعلهم حطاما ورفاتامَلعُونِینَ أَینَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتّلُوا تَقتِیلًا سُنّةَ اللّهِ فِی الّذِینَ خَلَوا مِن قَبلُ وَ لَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللّهِ تَبدِیلًا -روایت-۱-۲-روایت-۹-۴۴۰ . فإن قیل لماذا قال و لو لم أك فیكم لماقوتل أهل الجمل و أهل النهروان و لم یذكر صفین قیل لأن الشبهة كانت فی أهل الجمل و أهل النهروان ظاهرة الالتباس لأن الزبیر وطلحة موعودان بالجنة وعائشة موعودة أن تكون زوجة رسول الله ص فی الآخرة كماهی زوجته فی الدنیا وحال طلحة والزبیر فی السبق والجهاد والهجرة معلومة وحال عائشة فی محبة الرسول ص لها وثنائه علیها ونزول القرآن فیهامعلومة و أما أهل النهروان فكانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد وعزوف عن الدنیا وإقبال علی أمور الآخرة وهم كانوا قراء أهل العراق وزهادهم و أمامعاویة فكان فاسقا مشهورا بقلة الدین والانحراف عن الإسلام وكذلك ناصره ومظاهره علی أمره عمرو بن العاص و من اتبعهما من طغام أهل الشام وأجلافهم وجهال الأعراب فلم یكن أمرهم خافیا فی جواز محاربتهم واستحلال قتالهم بخلاف حال من تقدم ذكره . [صفحه ۵۹] فإن قیل و من هذا الرجل الموعود به ألذی قال ع عنه بأبی ابن خیرة الإماء قیل أماالإمامیة فیزعمون أنه إمامهم الثانی عشر و أنه ابن أمة اسمها نرجس و أماأصحابنا فیزعمون أنه فاطمی یولد فی مستقبل الزمان لأم ولد و لیس بموجود الآن . فإن قیل فمن یكون من بنی أمیة فی ذلك الوقت موجودا حتی یقول ع فی أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم حتی یودوا لو أن علیا ع كان المتولی لأمرهم عوضا عنه .قیل أماالإمامیة فیقولون

بالرجعة ويزعمون أنه سيعاد قوم بأعيانهم من بنى أمية وغيرهم إذاظهر إمامهم المنتظر و أنه يقطع أيدى أقوام وأرجلهم ويسمل عيون بعضهم ويصلب قوما آخرين وينتقم من أعداء آل محمد ع المتقدمين والمتأخرين و أماأصحابنا فيزعمون أنه سيخلق الله تعالى فى آخر الزمان رجلا من ولد فاطمة ع ليس موجود الآن و أنه يملأ الأرض عدلا كماملئت جورا وظلما وينتقم من الظالمين وينكل بهم أشد النكال و أنه لأم ولد كما قدورد فى هذاالأثر و فى غيره من الآثار و أن اسمه محمدكاسم رسول الله ص و أنه إنما يظهر بعد أن يستولى على كثير من الإسلام ملك من أعقاب بنى أمية و هوالسفيانى الموعود به فى الخبر الصحيح من ولد أبى سفيان بن حرب بن أمية و أن الإمام الفاطمى يقتله ويقتل أشياعه من بنى أمية وغيرهم وحينئذ ينزل المسيح ع من السماء وتبدو أشراط الساعة وتظهر دابة الأرض ويبطل التكليف ويتحقق قيام الأجساد عندنفخ الصور كمانطق به الكتاب العزيز.
[صفحه ۶۰] فإن قيل فإنكم قلتم فيما تقدم أن الوعد إنما هوبالسفاح وبعمه عبد الله بن على والمسودة و ماقلتموه الآن مخالف لذلك .قيل إن ذلك التفسير هوتفسير ماذكره الرضى رحمه الله تعالى من كلام أمير المؤمنين ع فى نهج البلاغة و هذاالتفسير هوتفسير الزيادة التى لم يذكرها الرضى وهى قوله بأبى ابن خيرة الإماء و قوله لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا فلامناقضة بين التفسيرين [صفحه ۶۱]

۹۳– و من خطبة له ع

فَتَبَارَكَ اللّهُ ألّذِى لَا يَبلُغُهُ بُعدُ الهِمَمِ وَ لَا يَنَالُهُ حَدسُ الفِطَنِ الأَوّلُ ألّذِى لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنتَهِيَ وَ لَا آخِرَ لَهُ فَيَنقَضِيَ البركة كثرة الخير وزيادته وتبارك الله منه وبركت أى دعوت بالبركة وطعام بريك أى مبارك ويقال بارك الله لزيد و فى زيد و على زيد وبارك الله زيدا يتعدى بنفسه و منه قوله تعالى أَن بُورِكَ مَن فِي النّارِ ويحتمل تبارك الله معنيين أحدهما أن يراد تبارك خيره وزادت نعمته وإحسانه و هذادعاء وثانيهما أن يراد به تزايد وتعال فى ذاته وصفاته عن أن يقاس به غيره و هذاتمجيد. قوله ع لايبلغه بعدالهمم أى بعدالأفكار والأنظار عبر عنها بالهمم لمشابهتها إياها وحدس الفطن ظنها وتخمينها حدست أحدس بالكسر. ويسأل عن قوله لاغاية له فينتهى و لا آخر له فينقضى فيقال إنما تدخل الفاء فيما إذا كان الثانى غيرالأول وكقولهم ماتأتينا فتحدثنا و ليس الثانى هاهنا غيرالأول لأن الانقضاء هوالآخرية بعينها فكأنه قال لاآخر له فيكون له آخر و هذالغو وكذلك القول اللفظة فى الأولى . وينبغى أن يقال فى الجواب إن المراد لا آخر له بالإمكان والقوة فينقضى بالفعل فيما –قرآن–۱۸۶–۲۱۲ [صفحه ۶۲] لا يزال و لا هوأيضا ممكن الوجود فيما مضى فيلزم أن يكون وجوده مسبوقا بالعدم و هومعنى قوله فينتهى بل هوواجب الوجود فى حالين فيما مضى و فى المستقبل وهذان مفهومان متغايران وهما العدم وإمكان العدم فاندفع الإشكال فَاستَودَعَهُم فِي أَفضَلِ مُستَودَعٍ وَ أَقَرّهُم فِي خَيرِ مُستَقَرّ تَنَاسَخَتهُم كَرَائِمُ الأَصلَابِ إِلَى مُطَهّرَاتِ الأَرحَامِ كُلّمَا مَضَى مِنهُم سَلَفٌ قَامَ مِنهُم بِدِينِ اللّهِ خَلَفٌ حَتّى أَفضَت كَرَامَةُ اللّهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى إِلَى مُحَمّدٍص فَأَخرَجَهُ مِن أَفضَلِ المَعَادِنِ مَنبِتاً وَ أَعَزّ الأَرُومَاتِ مَغرِساً مِنَ الشّجَرَةِ التّي صَدَعَ مِنهَا أَنبِيَاءَهُ وَ انتَجَبَ مِنهَا أُمَنَاءَهُ عِترَتُهُ خَيرُ العِتَرِ وَ أُسرَتُهُ خَيرُ الأُسَرِ وَ شَجَرَتُهُ خَيرُ الشّجَرِ نَبَتَت فِي حَرَمٍ وَ بَسَقَت فِي كَرَمٍ لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَ ثَمَرٌ لَا يُنَالُ فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتّقَى وَ بَصِيرَةُ مَنِ اهتَدَى سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوؤُهُ وَ شِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ وَ زَندٌ بَرَقَ لَمعُهُ سِيرَتُهُ القَصدُ وَ سُنّتُهُ الرّشدُ وَ كَلَامُهُ الفَصلُ وَ حُكمُهُ العَدلُ أَرسَلَهُ عَلَى حِينِ فَترَةٍ مِنَ الرّسُلِ وَ هَفوَةٍ عَنِ العَمَلِ وَ غَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ تناسختهم أى تناقلتهم والتناسخ فى الميراث أن يموت ورثة بعدورثة وأصل الميراث [صفحه ۶۳] قائم لم يقسم كأن ذلك تناقل من واحد إلى آخر و منه نسخت الكتاب وانتسخته واستنسخته أى نقلت ما فيه ويروى تناسلتهم . والسلف المتقدمون والخلف الباقون ويقال خلف صدق بالتحريك وخلف سوء بالتسكين . وأفضت كرامة الله إلى محمدص أى انتهت

والأرومات جمع أرومة وهی الأصل ویقال أروم بغیر هاء وصدع شق وانتجب اصطفی والأسرة رهط الرجل . و قوله نبتت فی حرم یجوز أن یعنی به مکة ویجوز أن یعنی به المنعة والعز. وبسقت طالت ومعنی قوله وثمر لاینال لیس علی أن یرید به أن ثمرها لاینتفع به لأن ذلک لیس بمدح بل یرید به أن ثمرها لاینال قهرا و لایجنی غصبا ویجوز أن یرید بثمرها نفسه ع و من یجری مجراه من أهل البیت ع لأنهم ثمرة تلک الشجرة. و لاینال أی لاینال مساعیهم ومآثرهم و لایباریهم أحد و قدروی فی الحدیث عن النبی ص فی فضل قریش وبنی هاشم الکثیر المستفیض نحو قوله ع قدموا قریشا و لاتقدموها -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۶ قوله الأئمة من قریش -روایت-۱-۲-روایت-۹-۲۵ قوله إن الله اصطفی من العرب معدا واصطفی من معد بنی النضر بن کنانة واصطفی هاشما من بنی النضر واصطفانی من بنی هاشم -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۲۸ قوله إن جبرائیل ع قال لی یا محمد قدطفت الأرض شرقا وغربا فلم أجد فیهاأکرم منک و لابیتا أکرم من بنی هاشم -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۱۹ قوله نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلی الأرحام الزکیة -روایت-۱-۲-روایت-۹-۵۵ قوله ع إن الله تعالی لم یمسسنی بسفاح فی أرومتی منذ إسماعیل بن ابراهیم إلی عبد الله -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-ادامه دارد [صفحه ۶۴] بن عبدالمطلب -روایت-از قبل-۱۸ قوله ص سادة أهل محشر سادة أهل الدنیا أنا و علی وحسن وحسین وحمزة و جعفر -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۷۹ قوله و قدسمع رجلا ینشد -روایت-۱-۲-روایت-۹-۲۹ یاأیها الرجل المحول رحله || هلا نزلت بآل عبدالدار أهکذا قال یا أبابکر منکرا لماسمع فقال أبوبکر لا یا رسول الله إنه لم یقل هکذا ولکنه قال -روایت-۱-۹۷ یاأیها الرجل المحول رحله || هلا نزلت بآل عبدمناف عمرو العلا هشم الثرید لقومه || ورجال مکة مسنتون عجاف فسرص بذلک -روایت-۱-۱۳ قوله أذل الله من أذل قریشا قالها ثلاثا -روایت-۱-۲-روایت-۹-۴۶ کقوله -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۰ أنا النبی لاکذب || أنا ابن عبدالمطلب کقوله الناس تبع لقریش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم -روایت-۱-۲-روایت-۹-۵۹ کقوله أنا ابن الأکرمین -روایت-۱-۲-روایت-۹-۲۸ قوله لبنی هاشم و الله لایبغضکم أحد إلاأکبه الله علی منخریه فی النار -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۷۹ قوله مابال رجال یزعمون أن قرابتی غیرنافعة بلی إنها لنافعة وإنه لایبغض أحد أهلی إلاحرمه الله الجنة -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۱۲ . والأخبار الواردة فی فضائل قریش وبنی هاشم وشرفهم کثیرة جدا و لانری الإطالة هاهنا باستقصائها. وسطع الصبح یسطع سطوعا أی ارتفع والسطیع الصبح والزند العود تقدح به النار و هوالأعلی والزندة السفلی فیهاثقب وهی الأنثی فإذااجتمعا قیل زندان و لم یقل زندتان تغلیبا للتذکیر والجمع زناد وأزند وأزناد. والقصد الاعتدال وکلامه الفصل أی الفاصل والفارق بین الحق والباطل و هومصدر بمعنی الفاعل کقولک رجل عدل أی عادل . والهفوة الزلة هفا یهفو والغباوة الجهل وقلة الفطنة یقال غبیت عن الشیء وغبیت [صفحه ۶۵] الشیء أیضا أغبی غباوة إذا لم یفطن له وغبی علی الشیء کذلک إذا لم تعرفه وفلان غبی علی فعیل أی قلیل الفطنة اعمَلُوا رَحِمَکُمُ اللّهُ عَلَی أَعلَامٍ بَیّنَةٍ فَالطّرِیقُ نَهجٌ یَدعُو إِلَی دَارِ السّلَامِ وَ أَنتُم فِی دَارِ مُستَعتَبٍ عَلَی مَهَلٍ وَ فَرَاغٍ وَ الصّحُفُ مَنشُورَةٌ وَ الأَقلَامُ جَارِیَةٌ وَ الأَبدَانُ صَحِیحَةٌ وَ الأَلسُنُ مُطلَقَةٌ وَ التّوبَةُ مَسمُوعَةٌ وَ الأَعمَالُ مَقبُولَةٌ الطریق یذکر ویؤنث یقال هذاالطریق الأعظم و هذه الطریق العظمی والجمع أطرقة وطرق . وأعلام بینة أی منار واضح ونهج أی واضح ودار السلام الجنة ویروی والطریق نهج بالواو واو الحال . وأنتم فی دار مستعتب أی فی دار یمکنکم فیهااسترضاء الخالق سبحانه واستعتابه . ثم شرح ذلک فقال أنتم ممهلون متفرغون وصحف أعمالکم لم تطو بعد وأقلام الحفظة علیکم لم تجف بعد وأبدانکم صحیحة وألسنتکم مااعتقلت کماتعتقل ألسنة المحتضرین عندالموت وتوبتکم مسموعة وأعمالکم مقبولة لأنکم فی دار التکلیف لم تخرجوا منها [صفحه ۶۶]

۹۴- و من خطبة له ع

بَعَثَهُ وَ النّاسُ ضُلّالٌ فِى حَيرَةٍ وَ حَاطِبُونَ فِى فِتنَةٍ قَدِ استَهوَتهُمُ الأَهوَاءُ وَ استَزَلّتهُمُ الكِبرِيَاءُ وَ استَخَفّتهُمُ الجَاهِلِيّةُ الجَهلَاءُ حَيَارَى فِى زَلزَالٍ مِنَ الأَمرِ وَ بَلَاءٍ مِنَ الجَهلِ فَبَالَغَص فِى النّصِيحَةِ وَ مَضَى عَلَى الطّرِيقَةِ وَ دَعَا إِلَى الحِكمَةِ وَ المَوعِظَةِ الحَسَنَةِ حاطبون فى فتنة جمع حاطب و هو ألذى يجمع الحطب ويقال لمن يجمع بين الصواب والخطإ أويتكلم بالغث والسمين حاطب ليل لأنه لايبصر مايجمع فى حبله . ويروى خابطون . واستهوتهم الأهواء دعتهم إلى نفسها. واستزلتهم الكبرياء جعلتهم ذوى زلل وخطإ واستخفتهم الجاهلية جعلتهم ذوى خفة وطيش وخرق . والزلزال بالفتح الاسم بالكسر المصدر والزلازل الشدائد ومثله فى الكسر عندالاسمية والفتح عندالمصدر القلقال [صفحه ۶۷]

۹۵- و من خطبة له ع

الحَمدُ لِلّهِ الأَوّلِ فَلَا شَيءَ قَبلَهُ وَ الآخِرِ فَلَا شَيءَ بَعدَهُ وَ الظّاهِرِ فَلَا شَيءَ فَوقَهُ وَ البَاطِنِ فَلَا شَيءَ دُونَهُ تقدير الكلام والظاهر فلا شيءأجلى منه والباطن فلا شيءأخفى منه فلما كان الجلاء يستلزم العلو والفوقية والخفاء يستلزم الانخفاض والتحتية عبر عنهما بما يلازمهما و قدتقدم الكلام فى معنى الأول والآخر والظاهر والباطن . وذهب أكثر المتكلمين إلى أن الله تعالى يعدم أجزاء العالم ثم يعيدها وذهب قوم منهم إلى أن الإعادة إنما هى جمع الأجزاء بعدتفريقها لا غير. واحتج الأولون بقوله تعالى هُوَ الأَوّلُ وَ الآخِرُقالوا لما كان أولا بمعنى أنه الموجود و لاموجود معه وجب أن يكون آخرا بمعنى أنه سيئول الأمر إلى عدم كل شيء إلاذاته تعالى كما كان أولا والبحث المستقصى فى هذاالباب مشروح فى كتبنا الكلامية -قرآن-۴۰۱-۴۲۴ [صفحه ۶۸] وَ مِنهَا فِى ذِكرِ الرّسُولِص مُستَقَرّهُ خَيرُ مُستَقَرّ وَ مَنبِتُهُ أَشرَفُ مَنبِتٍ فِى مَعَادِنِ الكَرَامَةِ وَ مَمَاهِدِ السّلَامَةِ قَد صُرِفَت نَحوَهُ أَفئِدَةُ الأَبرَارِ وَ ثُنِيَت إِلَيهِ أَزِمّةُ الأَبصَارِ دَفَنَ اللّهُ بِهِ الضّغَائِنَ وَ أَطفَأَ بِهِ النّوَائِرَ أَلّفَ بِهِ إِخوَاناً وَ فَرّقَ بِهِ أَقرَاناً وَ أَعَزّ بِهِ الذّلّةَ وَ أَذَلّ بِهِ العِزّةَ كَلَامُهُ بَيَانٌ وَ صَمتُهُ لِسَانٌ المهاد الفراش و لما قال فى معادن وهى جمع معدن قال بحكم القرينة والازدواج ومماهد و إن لم يكن الواحد منها ممهدا كماقالوا الغدايا والعشايا ومأجورات ومأزوات ونحو ذلك ويعنى بالسلامة هاهنا البراءة من العيوب أى فى نسب طاهر غيرمأفون و لامعيب . ثم قال قدصرفت نحوه أى نحو الرسول ص و لم يقل من صرفها بل جعله فعلا لم يسم فاعله فإن شئت قلت الصارف لها هو الله تعالى لابالجبر كمايقوله الأشعرية بل بالتوفيق واللطف كمايقوله أصحابنا و إن شئت قلت صرفها أربابها. والضغائن جمع ضغينة وهى الحقد ضغنت على فلان بالكسر ضغنا والضغن الاسم كالضغينة و قدتضاغنوا واضطغنوا انطووا على الأحقاد ودفنها أكمنها وأخفاها وألف به إخوانا لأن الإسلام قدألف بين المتباعدين وفرق بين المتقاربين و قال [صفحه ۶۹] تعالى فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخواناًقطع ما بين حمزة و أبى لهب مع تقاربهما وألف بين على ع وعمار مع تباعدهما. قوله ع وصمته لسان لايعنى باللسان هاهنا الجارحة نفسها بل الكلام الصادر عنها كقول الأعشى -قرآن-۸-۳۹ إنى أتتنى لسان لاأسر بها قالوا فى تفسيره أراد الكلمة وجمعه على هذاألسن لأنه مؤنث كقولك ذراع وأذرع فأما جمع لسان للجارحة فألسنة لأنه مذكر كقولك حمار وأحمرة يقول ع إن كلام الرسول ص بيان والبيان إخراج الشيء من حيز الخفاء إلى حيز الوضوح وصمته ص كلام وقول مفيد أى أن صمته لايخلو من فائدة فكأنه كلام و هذا من باب التشبيه المحذوف الأداة كقولهم يده بحر ووجهه بدر [صفحه ۷۰]

۹۶- و من كلام له ع

وَ لَئِن أَمهَلَ اللّهُ الظّالِمَ فَلَن يَفُوتَ أَخذُهُ وَ هُوَ لَهُ بِالمِرصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَ بِمَوضِعِ الشّجَا مِن مَسَاغِ رِيقِهِ أَمَا وَ ألّذِى نَفسِي

بِيَدِهِ لَيَظهَرَنّ هَؤُلَاءِ القَومُ عَلَيكَم لَيسَ لِأَنّهُم أَولَى بِالحَقّ مِنكَم وَ لَكِن لِإِسرَاعِهِم إِلَى بَاطِلِهِم وَ إِبطَائِكَم عَن حقّيّ وَ لَقَد أَصبَحَتِ الأُمَمُ تَخَافُ ظُلمَ رُعَاتِهَا وَ أَصبَحتُ أَخَافُ ظُلمَ رعَيّتِي استَنفرتُكُم لِلجِهَادِ فَلَم تنفرُوا وَ أَسمَعتُكم فَلَم تسمَعُوا وَ دَعَوتُكُم سِرّاً وَ جَهراً فَلَم تَستَجِيبُوا وَ نَصَحتُ لَكُم فَلَم تَقبَلُوا شُهُودٌ كَغُيّابٍ وَ عَبِيدٌ كَأَربَابٍ أَتلُو عَلَيكُم الحِكَمَ فَتَنفِرُونَ مِنهَا وَ أَعِظُكُم بِالمَوعِظَةِ البَالِغَةِ فَتَتَفَرّقُونَ عَنهَا وَ أَحُثّكُم عَلَى جِهَادِ أَهلِ البغَيِ فَمَا آتيِ عَلَى آخِرِ قوَليِ حَتّى أَرَاكُم مُتَفَرّقِينَ أيَاَديِ سَبَا تَرجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُم وَ تَتَخَادَعُونَ عَن مَوَاعِظِكُم أُقَوّمُكُم غُدوَةً وَ تَرجِعُونَ إلِيَّ عَشِيّةً كَظَهرِ الحَنِيّةِ عَجَزَ المُقَوّمُ وَ أَعضَلَ المُقَوّمُ أَيّهَا القَومُ الشّاهِدَةُ أَبدَانُهُم الغَائِبَةُ عَنهُم عُقُولُهُم المُختَلِفَةُ أَهوَاؤُهُم المُبتَلَى بِهِم أُمَرَاؤُهُم صَاحِبُكُم يُطِيعُ اللّهَ وَ أَنتُم تَعصُونَهُ وَ صَاحِبُ أَهلِ الشّام يَعصِي اللّهَ وَ هُم يُطِيعُونَهُ لَوَدِدتُ وَ اللّهِ أَنّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُم صَرفَ الدّينَارِ بِالدّرهَمِ فَأَخَذَ منِيّ عَشَرَةَ مِنكُم وَ أَعطَانِي رَجُلًا مِنهُم [صفحه ۷۱] يَا أَهلَ الكُوفَةِ مُنِيتُ مِنكُم بِثَلَاثٍ وَ اثنَتَينِ صُمّ ذَوُو أَسمَاعٍ وَ بُكمٌ ذَوُو كَلَامٍ وَ عُميٌ ذَوُو أَبصَارٍ لَا أَحرَارُ صِدقٍ عِندَ اللّقَاءِ وَ لَا إِخوَانُ ثِقَةٍ عِندَ البَلَاءِ تَرِبَت أَيدِيكُم يَا أَشبَاهَ الإِبِلِ غَابَ عَنهَا رُعَاتُهَا كُلّمَا جُمِعَت مِن جَانِبٍ تَفَرّقَت مِن آخَرَ وَ اللّهِ لكَأَنَيّ بِكُم فِيمَا إِخَالُكُم أَن لَو حَمِسَ الوَغَى وَ حَمِيَ الضّرَابُ قَدِ انفَرَجتُم عَنِ ابنِ أَبِي طَالِبٍ انفِرَاجَ المَرأَةِ عَن قُبُلِهَا وَ إنِيّ لَعَلَى بَيّنَةٍ مِن ربَيّ وَ مِنهَاجٍ مِن نَبِيّيّ وَ إِنّي لَعَلَى الطّرِيقِ الوَاضِحِ أَلقُطُهُ لَقطاً أمهله أخره وأخذه فاعل والمفعول محذوف تقديره فلن يفوته والمرصاد الطريق وهى من ألفاظ الكتاب العزيز. ومجاز طريقه مسلكه وموضع جوازه والشجا ماينشب فى الحلق من عظم أوغيره وموضع الشجا هوالحلق نفسه ومساغ ريقه موضع الإساغة أسغت الشراب أوصلته إلى المعدة ويجوز سغت الشراب أسوغه وأسيغه وساغ الشراب نفسه يسوغ سوغا أى سهل مدخله فى الحلق يتعدى و لايتعدى و هذاالكلام من باب التوسع والمجاز لأن الله تعالى لايجوز عليه الحصول فى الجهات ولكنه كقوله تعالى وَ هُوَ مَعَكُم أَينَ ما كُنتُم و قوله وَ نَحنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِن حَبلِ الوَرِيدِ. -قرآن-۴۸۸-۵۱۸-قرآن-۵۲۷-۵۷۰ [صفحه ۷۲] ثم أقسم ع أن أهل الشام لابد أن يظهروا على أهل العراق و أن ذلك ليس لأنهم على الحق و أهل العراق على الباطل بل لأنهم أطوع لأميرهم ومدار النصرة فى الحرب إنما هو على طاعة الجيش وانتظام أمره لا على اعتقاد الحق فإنه ليس يغنى فى الحرب أن يكون الجيش محقا فى العقيدة إذا كان مختلف الآراء غيرمطيع لأمر المدبر له ولهذا تجد أهل الشرك كثيرا ماينتصرون على أهل التوحيد. ثم ذكر ع نكتة لطيفة فى هذاالمعنى فقال العادة أن الرعية تخاف ظلم الوالى و أناأخاف ظلم رعيتى و من تأمل أحواله ع فى خلافته علم أنه كان كالمحجور عليه لايتمكن من بلوغ ما فى نفسه و ذلك لأن العارفين بحقيقة حاله كانوا قليلين و كان السواد الأعظم لايعتقدون فيه الأمر ألذى يجب اعتقاده فيه ويرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه ويظنون أن الأفضلية إنما هى الخلافة ويقلد أخلافهم أسلافهم ويقولون لو لا أن الأوائل علموا فضل المتقدمين عليه لماقدموهم و لايرونه إلابعين التبعية لمن سبقه و أنه كان رعية لهم وأكثرهم إنما يحارب معه بالحمية وبنخوة العربية لابالدين والعقيدة و كان ع مدفوعا إلى مداراتهم ومقاربتهم و لم يكن قادرا على إظهار ماعنده أ لاترى إلى كتابه إلى قضاته فى الأمصار. و قوله فاقضوا كماكنتم تقضون حتى تكون للناس جماعة وأموت كمامات أصحابى -روايت-۱-۲-روايت-۹-۷۸ و هذاالكلام لايحتاج إلى تفسير ومعناه واضح و هو أنه قال لهم اتبعوا عادتكم الآن بعاجل الحال فى الأحكام والقضايا التى كنتم تقضون بها إلى أن يكون للناس جماعة أى إلى أن تسفر هذه الأمور والخطوب عن الاجتماع وزوال الفرقة وسكون الفتنة وحينئذ أعرفكم ماعندى فى هذه القضايا والأحكام التى قداستمررتم عليها. ثم قال أوأموت كمامات أصحابى فمن قائل يقول عنى بأصحابه الخلفاء المتقدمين [صفحه ۷۳] و من قائل يقول عنى بأصحابه شيعته كسلمان و أبى ذر والمقداد وعمار ونحوهم أ لاترى إلى قوله على المنبر فى أمهات الأولاد كان رأيى ورأى عمر ألا يبعن و أناأرى الآن بيعهن -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-۹۲ فقام عليه عبيدة السلمانى فقال له رأيك مع الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك فما أعاد عليه حرفا فهل يدل هذا على القوة والقهر أم على الضعف فى السلطان والرخاوة وهل كانت المصلحة والحكمة تقتضى فى ذلك

الوقت غيرالسكوت والإمساك أ لاترى أنه كان يقرأ فى صلاة الصبح وخلفه جماعة من أصحابه فقرأ واحد منهم رافعا صوته معارضا قراءة أمير المؤمنين ع إن الحكم إلاللّه يقضى بالحق و هوخير الفاصلين فلم يضطرب ع و لم يقطع صلاته و لم يلتفت وراءه ولكنه قرأ معارضا له على البديهةفَاصبِر إِنّ وَعدَ اللّهِ حَقّ وَ لا يَستَخِفّنّكَ الّذِينَ لا يُوقِنُونَ و هذاصبر عظيم وأناة عجيبة وتوفيق بين وبهذا ونحوه استدل أصحابنا المتكلمون على حسن سياسته وصحة تدبيره لأن من منى بهذه الرعية المختلفة الأهواء و هذاالجيش العاصى له المتمرد عليه ثم كسر بهم الأعداء وقتل بهم الرؤساء فليس يبلغ أحد فى حسن السياسة وصحة التدبير مبلغه و لايقدر أحد قدره و قد قال بعض المتكلمين من أصحابنا إن سياسة على ع إذاتأملها المنصف متدبرا لها بالإضافة إلى أحواله التى دفع إليها مع أصحابه جرت مجرى المعجزات لصعوبة الأمر وتعذره فإن أصحابه كانوا فرقتين إحداهما تذهب إلى أن عثمان قتل مظلوما وتتولاه وتبرأ من أعدائه والأخرى وهم جمهور أصحاب الحرب و أهل الغناء والبأس يعتقدون أن عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل و قد كان منهم من يصرح بتكفيره و كل من هاتين الفرقتين يزعم أن عليا ع موافق لها على رأيها وتطالبه فى كل وقت بأن يبدى مذهبه فى عثمان وتسأله أن يجيب بجواب واضح فى أمره و كان ع -قرآن-۴۹۱-۵۶۳ [صفحه ۷۴] يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى وأسلمته وتولت عنه وخذلته فأخذ ع يعتمد فى جوابه ويستعمل فى كلامه ماتظن به كل واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويماثل اعتقادها فتارة يقول الله قتله و أنامعه وتذهب الطائفة الموالية لعثمان إلى أنه أراد أن الله أماته وسيميتنى كماأماته وتذهب الطائفة الأخرى إلى أنه أراد أنه قتل عثمان مع قتل الله له أيضا وكذلك قوله تارة أخرى ماأمرت به و لانهيت عنه و قوله لوأمرت به لكنت قاتلا و لونهيت عنه لكنت ناصرا وأشياء من هذاالجنس مذكورة مروية عنه فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قبض ع و كل من الطائفتين موالية له معتقدة أن رأيه فى عثمان كرأيها فلو لم يكن له من السياسة إلا هذاالقدر مع كثرة خوض الناس حينئذ فى أمر عثمان والحاجة إلى ذكره فى كل مقام لكفاه فى الدلالة على أنه أعرف الناس بها وأحذقهم فيها وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير أحوال الرجال . ثم نعود إلى الشرح قوله ع ونصحت لكم هوالأفصح و عليه ورد لفظ القرآن وقول العامة نصحتك ليس بالأفصح . قوله وعبيد كأرباب يصفهم بالكبر والتيه . فإن قلت كيف قال عنهم إنهم عبيد وكانوا عربا صلبية قلت يريد أن أخلاقهم كأخلاق العبيد من الغدر والخلاف ودناءة الأنفس وفيهم مع ذلك كبر السادات والأرباب وتيههم فقد جمعوا خصال السوء كلها. وأيادى سبأ مثل يضرب للمتفرقين وأصله قوله تعالى عن أهل سبإَ مَزّقناهُم -قرآن-۱۲۶۳-۱۲۷۵ يعلم أنه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الأخرى وأسلمته وتولت عنه وخذلته فأخذ ع يعتمد فى جوابه ويستعمل فى كلامه ماتظن به كل واحدة من الفرقتين أنه يوافق رأيها ويماثل اعتقادها فتارة يقول الله قتله و أنامعه وتذهب الطائفة الموالية لعثمان إلى أنه أراد أن الله أماته وسيميتنى كماأماته وتذهب الطائفة الأخرى إلى أنه أراد أنه قتل عثمان مع قتل الله له أيضا وكذلك قوله تارة أخرى ماأمرت به و لانهيت عنه و قوله لوأمرت به لكنت قاتلا و لونهيت عنه لكنت ناصرا وأشياء من هذاالجنس مذكورة مروية عنه فلم يزل على هذه الوتيرة حتى قبض ع و كل من الطائفتين موالية له معتقدة أن رأيه فى عثمان كرأيها فلو لم يكن له من السياسة إلا هذاالقدر مع كثرة خوض الناس حينئذ فى أمر عثمان والحاجة إلى ذكره فى كل مقام لكفاه فى الدلالة على أنه أعرف الناس بها وأحذقهم فيها وأعلمهم بوجوه مخارج الكلام وتدبير أحوال الرجال . ثم نعود إلى الشرح قوله ع ونصحت لكم هوالأفصح و عليه ورد لفظ القرآن وقول العامة نصحتك ليس بالأفصح . قوله وعبيد كأرباب يصفهم بالكبر والتيه . فإن قلت كيف قال عنهم إنهم عبيد وكانوا عربا صلبية قلت يريد أن أخلاقهم كأخلاق العبيد من الغدر والخلاف ودناءة الأنفس وفيهم مع ذلك كبر السادات والأرباب وتيههم فقد جمعوا خصال السوء كلها. وأيادى سبأ مثل يضرب للمتفرقين وأصله قوله تعالى عن أهل سبإَ مَزّقناهُم كُلّ مُمَزّقٍ -قرآن-۱-۱۴ وسبأ مهموز و هوسبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال ذهبوا أيدى سبأ وأيادى سبأ الياء ساكنة وكذلك الألف وهكذا نقل المثل أى ذهبوا متفرقين وهما اسمان جعلا

واحـدا مثـل معـديكرب . قوله تتخـادعون عن مواعظكم أن تمسـكون عن الاتعـاظ والانزجار وتقلعون عن ذلك من قولهم كان فلان يعطى ثم خـدع أى أمسك وأقلع ويجوز أن يريـد تتلونون وتختلفون فى قبول الموعظة من قولهم خلق فلان خلق خادع أى متلون وسوق خادعة أى مختلفة متلونة و لايجوز أن يريد باللفظة المعنى المشهور منها لأنه إنما يقال فلان يتخادع لفلان إذا كان يريه أنه منخـدع له و ليس بمنخدع فى الحقيقة و هذا لايطابق معنى الكلام . والحنية القوس و قوله كظهر الحنية يريد اعوجاجهم كما أن ظهر القوس معوج وأعظل المقوم أى أعضل داؤه أى أعيا ويروى أيها الشاهـدة أبدانهم بحذف الموصوف . ثم أقسم أنه يود أن معاويـة صارفه بهم فأعطاه من أهل الشام واحدا وأخذ منه عشـرة صـرف الدينار بالدراهم أخذ هذااللفظ عبد الله بن الزبير لماوفد إليه أهل البصرة وفيهم الأحنف فتكلم منهم أبوحاضر الأسدى و كان خطيبا جميلا فقال له عبد الله بن الزبير اسكت فو الله لوددت أن لى بكل عشـرة من أهل العراق واحـدا من أهل الشام صـرف الدينار بالدراهم فقال يا أمير المؤمنين إن لنا و لك مثلا أفتـأذن فى ذكره قال نعم قال مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الأعشـى علقتها عرضا وعلقت رجلا || غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل [صفحه ٧٦] أحبـك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبـدالملك فما تصـنع ثم ذكر ع أنه منى أى بلى منهم بثلاث واثنتين إنما لم يقل بخمس لأن الثلاث إيجابيـة والاثنتين سـلبية فأحب أن يفرق بين الإثبات والنفى. ويروى لاأحرار صـدق عنـداللقاء جمع صادق و لاإخوان ثقـة عندالبلاء أى موثوق بهم .تربت أيديكم كلمة يدعى على الإنسان بها أى لاأصـبتم خيرا وأصل ترب أصابه التراب فكأنه يـدعو عليه بأن يفتقر حتى يلتصق بالتراب . قوله فما إخالكم أى فما أظنكم والأفصح كسـر الألـف و هوالسـماع وبنو أسـد يفتحونهـا و هوالقيـاس . قوله ألو أصـله أن لو ثم أدغمت النون فى الألف فصارت كلمـة واحـدة. وحمس الـوغى بكسـر الميـم اشـتد وعظـم فهـو حمس وأحمس بين الحمس والحماسـة. والـوغى فى الأصـل الأـصوات والجلبة وسـميت الحرب نفسها وغى لما فيها من ذلك . و قوله انفراج المرأة عن قبلها أى وقت الولادة. قوله ألقطه لقطا يريد أن الضلال غالب على الهدى فأنا ألتقط طريق الهدى من بين طريق الضـلال لقطا من هاهنا وهاهنا كمايسلك الإنسان طريقا دقيقة قداكتنفها الشـوك والعوسـج مـن جانبيهمـا كليهمـا فهـو يلتقـط النهـج التقاطـا انظُرُوا أَهـلَ بَيتِ نَبِيّكُم فَالزَمُوا سَـمتَهُم وَ اتّبِعُـوا أَثَرَهُم فَلَن يُخرِجُوكُم مِن هُـدًى وَ لَن يُعِيـدُوكُم فِي رَدًى فَإِن لَبَـدُوا فَالبُـدُوا وَ إِن نَهَضُوا فَانهَضُوا وَ لَا تَسـبِقُوهُم فَتَضِـلّوا وَ لَا تَتَأَخّرُوا عَنهُم فَتَهلِكُوا [صفحه ٧٧] لَقَد رَأَيتُ أَصحَابَ مُحَمّدٍص فَمَا أَرَى أَحَداً يُشبِهُهُم مِنكُم لَقَد كَانُوا يُصبِحُونَ شُعثاً غُبراً وَ قَد بَاتُوا سُجّداً وَ قِيَاماً يُرَاوِحُـونَ بَيـنَ جِبَـاهِهِم وَ خُـدُودِهِم وَ يَقِفُـونَ عَلَى مِثـلِ الجَمرِ مِن ذِكرِ مَعَـادِهِم كَأَنّ بَينَ أَعيُنِهِم رُكَبَ المِعزَى مِن طُـولِ سُجُودِهِم إِذَا ذُكِرَ اللّهُ هَمَلَت أَعيُنُهُم حَتّى تَبُـلّ جُيُوبَهُم وَ مَـادُوا كَمَـا يَمِيـدُ الشّـجَرُ يَومَ الرّيـحِ العَاصِفِ خَوفاً مِنَ العِقَابِ وَ رَجَاءً لِلثّوَابِ السـمت الطريق ولبد الشـىء بالأرض يلبد بالضم لبودا التصق بها ويصـبحون شعثا غبرا من قشف العبادة وقيام الليل وصوم النهار وهجر الملاذ فيراوحون بين جباههم وخدودهم تارة يسـجدون على الجباه وتارة يضـعون خدودهم على الأرض بعدالصلاة تـذللا وخضوعـا والمراوحـة بين العمل أن يعمل هـذامرة و هـذامرة ويراوح بين رجليه إذاقام على هـذه تارة و على هـذه أخرى . ويقـال معزى لهـذا الجنس من الغنم ومعز ومعيز وأمعوز ومعز بالتسـكين وواحـد المعز مـاعز كصـحب وصـاحب والأـنثى مـاعزة والجمع مواعز. وهملت أعينهم سـالت تهمـل وتهمـل . ويروى حتى تبـل جبـاههم أى يبل موضع السـجود فتبتل الجبهـة بملاقاته ومـادوا تحركوا واضـطربوا إما خوفا من العقاب كمايتحرك الرجل ويضـطرب أورجاء للثواب كمايتحرك النشوان من الطرب و كمايتحرك الجذل المسرور من الفرح [صفحه ٧٨]

٩٧- و من كلام له ع

وَ اللَّهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلَّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ وَ لَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ وَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَ نَبَا بِهِ سُوءُ رِعَتِهِمْ وَ حَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَ بَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ وَ حَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ وَ إِذَا غَابَ اغْتَابَهُ وَ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنُكُمْ بِاللَّهِ ظَنّاً فَإِنْ أَتَاكُمُ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا وَ إِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ تقدير الكلام لايزالون ظالمين فحذف الخبر و هومراد وسدت حتى و مابعدها مسد الخبر و لايصح ماذهب إليه بعض المفسرين من أن زال بمعنى تحرك وانتقل فلاتكون محتاجة إلى خبر بل تكون تامة فى نفسها لأن تلك مستقبلها يزول بالواو وهاهنا بالألف لايزالون فهى الناقصة التى لم تأت تامة قط ومثلها فى أنها لاتزال ناقصة ظل و مافتى و ليس . والمحرم ما لايحل انتهاكه وكذلك المحرمة بفتح الراء وضمها. وبيوت المدر هى البيوت المبنية فى القرى وبيوت الوبر مايتخذ فى البادية من وبر الإبل والوبر لها كالصوف للضأن وكالشعر للمعز. [صفحه ۷۹] و قدوبر البعير بالكسر فهو وبر وأوبر إذاكثر وبره ونبا به منزله إذاضره و لم يوافقه وكذلك نبا به فراشه فالفعل لازم فإذاأردت تعديته بالهمزة قلت قدأنبى فلان على منزلى أى جعله نابيا و إن عديته بحرف الجر قلت قدنبا بمنزلى فلان أى أنباه على و هو فى هذاالموضع معدى بحرف الجر. وسوء رعتهم أى سوء ورعهم أى تقواهم والورع بكسر الراء الرجل التقى ورع يرع بالكسر فيهما ورعا ورعة ويروى سوء رعيهم أى سوء سياستهم وإمرتهم ونصرة أحدكم من أحدهم أى انتصاره منه وانتقامه فهو مصدر مضاف إلى الفاعل و قدتقدم شرح هذاالمعنى و قدحمل قوم هذاالمصدر على الإضافة إلى المفعول وكذلك نصرة العبد وتقدير الكلام حتى يكون نصرة أحد هؤلاء الولاة لأحدكم كنصرة سيد العبد السيئ الطريقة إياه و من فى الموضعين مضافة إلى محذوف تقديره من جانب أحدهم و من جانب سيده و هذاضعيف لما فيه من الفصل بين العبد و بين قوله إذاشهد أطاعه و هوالكلام ألذى إذااستمر المعنى جعل حالا من العبد بقوله من سيده والضمير فى قوله فيهايرجع إلى غيرمذكور لفظا ولكنه كالمذكور يعنى الفتنة أى حتى يكون أعظمكم فى الفتنة غناء. ويروى برفع أعظمكم ونصب أحسنكم والأول أليق و هذاالكلام كله إشارة إلى بنى أمية [صفحه ۸۰]

۹۸- و من خطبة له ع

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ وَ نَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ وَ نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَ إِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا وَ الْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَ مَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ وَ أَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ وَ كَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا وَ مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ وَ طَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ وَ مُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْماً فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَ فَخْرِهَا وَ لَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَ نَعِيمِهَا وَ لَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَ بُؤْسِهَا فَإِنَّ عِزَّهَا وَ فَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ وَ زِينَتَهَا وَ نَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ وَ ضَرَّاءَهَا وَ بُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ وَ كُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ وَ كُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ أَ وَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ وَ فِي آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ تَبْصِرَةٌ وَ مُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ أَ وَ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ وَ إِلَى الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ أَ وَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُمْسُونَ وَ يُصْبِحُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى فَمَيِّتٌ يُبْكَى وَ آخَرُ يُعَزَّى وَ صَرِيعٌ مُبْتَلًى وَ عَائِدٌ يَعُودُ وَ آخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ وَ طَالِبٌ لِلدُّنْيَا [صفحه ۸۱] وَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ وَ غَافِلٌ وَ لَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ وَ عَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي أَلَا فَاذْكُرُوا هَاذِمَ اللَّذَّاتِ وَ مُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ وَ قَاطِعَ الْأُمْنِيَاتِ عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ وَ مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَ إِحْسَانِهِ لما كان الماضى معلوما جعل الحمد بإزائه لأن المجهول لايحمد عليه و لما كان المستقبل غيرمعلوم جعل الاستعانة بإزائه لأن الماضى لايستعان عليه ولقد ظرف وأبدع ع فى قوله ونسأله المعافاة فى الأديان كمانسأله المعافاة فى الأبدان

و ذلک أن للأدیان سقما وطبا وشفاء کما أن للأبدان سقما وطبا وشفاء قال محمود الوراق و إذامرضت من الذنوب فداوها || بالذکر إن الذکر خیر دواء والسقم فی الأبدان لیس بضائر || والسقم فی الأدیان شر بلاء . وقیل لأعرابی ماتشتکی قال ذنوبی قیل فما تشتهی قال الجنة قیل أ فلاندعو لک طبیبا قال الطبیب أمرضنی.سمعت عفیرة بنت الولید البصریة العابدة رجلا یقول ماأشد العمی علی من کان بصیرا فقالت عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الأجساد عمی القلوب عن الله أشد من عمی العین عن الدنیا وددت أن الله وهب لی کنه محبته و لم یبق منی جارحة إلاتبلها.قیل لحسان بن أبی سنان فی مرضه مامرضک قال مرض لایفهمه الأطباء قیل [صفحه ۸۲] و ما هو قال مرض الذنوب فقیل کیف تجدک الآن قال بخیر إن نجوت من النار قیل فما تشتهی قال لیلة طویلة بعیدة ما بین الطرفین أحییها بذکر الله . ابن شبرمة عجبت ممن یحتمی من الطعام مخافة الداء کیف لایحتمی من الذنوب مخافة النار قوله ع الدنیا التارکة لکم و إن لم تحبوا ترکها معنی حسن و منه قول أبی الطیب کل دمع یسیل منها علیها || وبفک الیدین عنها تخلی . والرفض الترک وإبل رفض متروکة ترعی حیث شاءت وقوم سفر أی مسافرون وأموا قصدوا والعلم الجبل أوالمنار فی الطریق یهتدی به . وکأن فی هذه المواضع کهی فی قوله کأنک بالدنیا لم تکن وکأنک بالآخرة لم تزل ماأقرب ذلک وأسرعه وتقدیر الکلام هاهنا کأنهم فی حال کونهم غیرقاطعین له قاطعون له وکأنهم فی حال کونهم غیربالغین له بالغون له لأنه لماقارب زمان إحدی الحالتین من زمان الأخری شبهوا وهم فی الحال الأولی بهم أنفسهم وهم علی الحال الثانیة. قوله ع وکم عسی المجری أجری فلان فرسه إلی الغایة إذاأرسلها ثم نقل ذلک إلی کل من یقصد بکلامه معنی أوبفعله غرضا فقیل فلان یجری بقوله إلی کذا أویجری بحرکته الفلانیة إلی کذا أی یقصد وینتهی بإرادته وأغراضه و لایعدوه و لایتجاوزه . والحثیث السریع ویحدوه یسوقه والمنافسة المحاسدة ونفست علیه بکذا أی ضننت والبؤس الشدة والنفاد الفناء. [صفحه ۸۳] و ما فی قوله علی أثر الماضی مایمضی الباقی إما زائدة أومصدریة و قدأخذ هذااللفظ الولید بن یزید بن عبدالملک یوم مات مسلمة بن عبدالملک قیل لمامات مسلمة بن عبدالملک واجتمع بنو أمیة ورؤساء العرب ینظرون جنازته خرج الولید بن یزید علی الناس و هونشوان ثمل یجر مطرف خز و هویندب مسلمة وموالیه حوله فوقف علی هشام فقال یا أمیر المؤمنین إن عقبی من بقی لحوق من مضی و قدأقفر بعدمسلمة الصید لمن رمی واختل الثغر فوهی وارتج الطود فهوی و علی أثر من سلف مایمضی من خلف فتزودوا فإن خیر الزاد التقوی . قوله ع عندمساورة الأعمال القبیحة العامل فی عند قوله اذکروا أی لیکن ذکرکم الموت وقت مساورتکم والمساورة المواثبة وسار إلیه یسور سورا وثب قال الأخطل یصف خمرا له لماأتوها بمصباح ومبزلهم || سارت إلیهم سئور الأبجل الضاری أی کوثوب العرق الذی قدفصد أوقطع فلایکاد ینقطع دمه ویقال إن لغضبه لسورة و هوسوار أی وثاب معربد [صفحه ۸۴]

۹۹- و من خطبة له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ النّاشِرِ فِی الخَلقِ فَضلَهُ وَ البَاسِطِ فِیهِم بِالجُودِ یَدَهُ نَحمَدُهُ فِی جَمِیعِ أُمُورِهِ وَ نَستَعِینُهُ عَلَی رِعَایَةِ حُقُوقِهِ وَ نَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ غَیرُهُ وَ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرسَلَهُ بِأَمرِهِ صَادِعاً وَ بِذِکرِهِ نَاطِقاً فَأَدّی أَمِیناً وَ مَضَی رَشِیداً وَ خَلّفَ فِینَا رَایَةَ الحَقّ مَن تَقَدّمَهَا مَرَقَ وَ مَن تَخَلّفَ عَنهَا زَهَقَ وَ مَن لَزِمَهَا لَحِقَ دَلِیلُهَا مَکِیثُ الکَلَامِ بَطِیءُ القِیَامِ سَرِیعٌ إِذَا قَامَ فَإِذَا أَنتُم أَلَنتُم لَهُ رِقَابَکُم وَ أَشَرتُم إِلَیهِ بِأَصَابِعِکُم جَاءَهُ المَوتُ فَذَهَبَ بِهِ فَلَبِثتُم بَعدَهُ مَا شَاءَ اللّهُ حَتّی یُطلِعَ اللّهُ لَکُم مَن یَجمَعُکُم وَ یَضُمّ نَشرَکُم فَلَا تَطمَعُوا فِی غَیرِ مُقبِلٍ

وَ لَا تَيأَسُوا مِن مُـدبِرٍ فَإِنّ المُدبِرَ عَسَـى أَن تَزِلّ بِهِ إِحدَى قَائِمَتَيهِ وَ تَثبُتَ الأُخرَى فَتَرجِعَا حَتّى تَثبُتَا جَمِيعاً أَلَا إِنّ مَثَلَ آلِ مُحَمّدٍص كَمَثَلِ نُجُومِ السّـمَاءِ إِذَا خَوَى نَجمٌ طَلَعَ نَجمٌ فَكَأَنّكُم قَد تَكَامَلَت مِنَ اللّهِ فِيكُمُ الصّـنَائِعُ وَ أَرَاكُم مَا كُنتُم تَأمُلُونَ يـده هاهنا نعمته يقال لفلان عنـدى يـد أى نعمـة وإحسان قال الشاعر فإن ترجع الأيام بينى وبينها || فإن لها عنـدى يدا لاأضـيعها . [صـفحه ۸۵] وصادعا أى مظهرا ومجاهرا للمشـركين قال تعالى فَاصـدَع بِما تُؤمَرُ وراية الحق الثقلان المخلفان بعد رسول الله ص وهما الكتاب والعترة. ومرق خرج أى فـارق الحق ومزق السـهم عن الرميـة خرج من جانبهـا الآخر و به سـميت الخوارق مارقـة. وزهقت نفسـه بالفتـح زهوقا أى خرجت قال تعالى وَ تَزهَقَ أَنفُسُـهُم وَ هُم كافِرُونَ وزهقت الناقـة إذاسـبقت وتقدمت أمام الركاب وزهق الباطل اضـمحل يقول ع من خالفهـا متقـدما لها أومتأخرا عنها فقـد خرج عن الحق و من لازمها فقـد أصاب الحق . ثم قال دليلها مكيث الكلاـم يعنى نفسه ع لأـنه المشـار إليه من العترة وأعلم النـاس بالكتـاب ومكيث الكلاـم بطيئه و رجل مكيث أى رزين والمكث اللبث والانتظار مكث ومكث بالفتـح والضم والاسم المكث والمكثة بالضم وكسـرها يعنى أنه ذو أناة وتؤدة ثم أكد ذلك بقوله بطىء القيام ثم قال سـريع إذاقام أى هومتأن متثبت فى أحواله فإذانهض جـد وبالغ و هـذاالمعنى كثير جدا قال أبوالطيب –قرآن-۴۷-۶۶–قرآن-۲۸۴-۳۲۱ و ما قلت للبـدر أنت اللجين || و لا قلت للشـمس أنت الـذهب فيقلق منه البعيـد الأناة || ويغضب منه البطىء الغضب يعنى سيف الدولة [صفحه ۸۶]

أقوال مأثورة فى مدح الأناة وذم العجلة

و من أمثالهم يريك الهوينى والأمور تطير يضـرب لمن ظاهره الأناة وباطنه إبرام الأمور وتنفيذها والحاضرون لايشعرون ويقولون لمن هوكذلك وَ تَرَى الجِبالَ تَحسَبُها جامِدَةً وَ هيَ تَمُرّ مَرّ السّحابِ. ووقع ذو الرئاستين إلى عامل له أن أسرع النار التهابا أسرعها خمودا فتأن فى أمرك –قرآن-۱۴۲-۲۰۷ ويقال إن آدم ع أوصـى ولـده عنـدموته فقال كل عمل تريدون أن تعملوه فتوقفوا فيه ساعة فإنى لوتوقفت لم يصـبنى ماأصابنى –روايت-۱-۲–روايت-۱۰-۱۲۷ .بعض الأعراب يوصـى ولـده إياكم والعجلة فإن أبى كان يكنيها أم الندم . و كان يقال من ورد عجلا صدر خجلا. و قال ابن هانى المغربى و كل أناة فى المواطن سؤدد || و لاكأناة من قدير محكم و من يتبين أن للصـفح موضـعا || من السـيف يصفح عن كثير ويحلم و ماالرأى إلا بعدطول تثبت || و لاالحزم إلا بعدطول تلوم . و قوله ع بطىء القيام سـريع إذاقام فيه شـبه من قول الشـنفرى مسـبل فى الحى أحوى رفل || و إذايغزو فسـمع أزل . و من أمثالهم فى مـدح الأناة وذم العجلـة أخطأ مسـتعجل أوكاد وأصاب متثبت أوكاد. [صـفحه ۸۷] ومنها و قـد يكون مع المسـتعجل الزلل . ومنها رب عجلة تهب ريثا و قال البحترى حليم إذاالقوم اسـتخفت حلومهم || وقور إذا ماحادث الدهر أجلبا . قال الأحنف لرجل سـبه فأفرط يا هـذاإنك منذ اليوم تحدو بجمل ثقال . و قال الشاعر أحلامنا تزن الجبال رجاحة || وتخالنا جنا إذا مانجهل

فصل فى مدح قلة الكلام وذم كثرته

فأمـا قوله ع مكيث الكلاـم فـإن قلـة الكلام من صـفات المـدح وكثرته من صـفات الـذم قالت جاريـة ابن السـماك له ماأحسـن كلامـك لو لاأنـك تكثر ترداده فقـال أردده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت فإلى أن يفهمه من لم يفهمه قـدمله من فهمه .بعث عبدالعزيز بن مروان بن الحكم إلى ابن أخيه الوليد بن عبدالملك قطيفة حمراء وكتب إليه أما بعدفقد بعثت إليك بقطيفة حمراء

حمراء حمراء فكتب إليه الوليد أما بعدفقد وصلت القطيفة و أنت ياعم أحمق أحمق أحمق . [صفحه ۸۸] و قال المعتضد لأحمد بن الطيب السرخسى طول لسانک دليل على قصر عقلک .قيل للعتابى ماالبلاغة قال كل من أفهمک حاجته من غيرإعادة و لاخلسة و لااستعانة فهو بليغ قيل له ماالاستعانة قال أ لاترى الرجل إذاحدث قال ياهناه واستمع إلى وافهم و ألست تفهم هذاكله عى وفساد.دخل على المأمون جماعة من بنى العباس فاستنطقهم فوجدهم لكنا مع يسار وهيئة و من تكلم منهم أكثر وهذر فكانت حاله أفحش من حال الساكتين فقال ماأبين الخلة فى هؤلاء لاخلة الأيدى بل خلة الألسنة والأحلام . وسئل على ع عن اللسان فقال معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل -روايت-۱-۶۷ .سمع خالد بن صفوان مكثارا يتكلم فقال له يا هذاليست البلاغة بخفة اللسان و لابكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة. قال أبوسفيان بن حرب لعبد الله بن الزبعرى ما لک لاتسهب فى شعرک قال حسبک من الشعر غرة لائحة أووصمة فاضحة. و فى خطبة كتاب البيان والتبيين لشيخنا أبى عثمان ونعوذ بک من شر السلاطة والهذر كمانعوذ بک من العى والحصر قال أحيحة بن الجلاح والصمت أجمل بالفتى || ما لم يكن عى يشينه والقول ذو خطل إذا || ما لم يكن لب يعينه . و قال الشاعر يرثى رجلا لقد وارى المقابر من شريک || كثير تحلم وقليل عاب [صفحه ۸۹] صموتا فى المجالس غيرعى || جديرا حين ينطق بالصواب و كان رسول الله ص يكره التشادق والإطالة والهذر و قال إياک والتشادق -روايت-۱-۷۶ و قال ص أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۴۹ وروى عمرو بن عبيد رحمه الله تعالى عن النبى ص أنامعاشر الأنبياء بكاءون قليلو الكلام -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-۹۶ رجل بكىء على فعيل . قال وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . وقيل للخليل و قداجتمع بابن المقفع كيف رأيته فقال لسانه أرجح من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال عقله أرجح من لسانه فكان عاقبتهما أن عاش الخليل مصونا مكرما وقتل ابن المقفع تلک القتلة. وسأل حفص بن سالم عمرو بن عبيد عن البلاغة فقال مابلغک الجنة وباعدک عن النار وبصرک مواقع رشدک وعواقب غيک قال ليس عن هذاأسأل فقال كانوا يخافون من فتنة القول و من سقطات الكلام و لايخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت . قال أبوعثمان الجاحظ و كان عمرو بن عبيد رحمه الله تعالى لايكاد يتكلم فإن تكلم لم يكد يطيل و كان يقول لاخير فى المتكلم إذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه و إذاأطال المتكلم الكلام عرضت له أسباب التكلف و لاخير فى شىءيأتيک بالتكلف . و قال بعض الشعراء و إذاخطبت على الرجال فلاتكن || خطل الكلام تقوله مختالا [صفحه ۹۰] واعلم بأن من السكوت إبانة || و من التكلف ما يكون خبالا . و كان يقال لسان العاقل من وراء قلبه فإذاأراد الكلام تفكر فإن كان له قال و إن كان عليه سكت وقلب الجاهل من وراء لسانه فإن هم بالكلام تكلم به . و قال سعد بن أبى وقاص لعمرو ابنه حين نطق مع القوم فبذهم و قد كان غضب عليه فكلموه فى الرضا عنه هذا ألذى أغضبنى عليه سمعت رسول الله ص يقول يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كماتلحس الأرض البقر بألسنتها -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۹۵ . و قال معاوية لعمرو بن العاص فى أبى موسى قدضم إليک رجل طويل اللسان قصير الرأى فأجد الحز وطبق المفصل و لاتلقه برأيک كله . و كان يقال لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب . و كان يقال مقتل الرجل بين فكيه وقيل بين لحييه . و كان يقال ما شىءبأحق بسجن من لسان . وقالوا اللسان سبع عقور. وأخذ أبوبكر بطرف لسانه و قال هذا ألذى أوردنى الموارد. لماأنكح ضرار بن عمرو ابنته من معبد بن زرارة أوصاها حين أخرجها إليه فقال أمسكى عليک الفضلين قالت و ماهما قال فضل الغلمة وفضل الكلام . وسئل أعرابى كان يجالس الشعبى عن طول صمته فقال أسمع فأعلم وأسكت فأسلم . و قال النبى ص وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلاحصائد ألسنتهم -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۷۶ [صفحه ۹۱] تكلم رجل فى مجلس النبى ص فخطل فى كلامه فقال ع ماأعطى العبد شرا من ذلاقة لسان -روايت-۱-۸۸ . قال عمر بن عبدالعزيز يوم بويع بالخلافة خالد بن عبد الله القسرى و قدأنشده متمثلا و إذاالدر زان حسن نحور || كان للدر حسن نحرک زينا إن صاحبكم أعطى مقولا

وحرم معقولا. وقيل لإياس بن عمر ادع لنا فقال أللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقالوا زدنا يا أباالرحمن فقال أعوذ بالله من الإسهاب . و كان القباع و هوالحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى مسهابا سريع الحديث كثيره فقال فيه أبوالأسود الدؤلى أمير المؤمنين جزيت خيرا || أرحنا من قباع بنى المغيرة بلوناه ولمناه فأعيا || علينا مايمر لنا مريره على أن الفتى نكح أكول || ومسهاب مذاهبه كثيره . و قال أبوالعتاهية كل امرئ فى نفسه || أعلى وأشرف من قرينه والصمت أجمل بالفتى || من منطق فى غيرحينه . و قال الشاعر وإياك إياك المراء فإنه || إلى الشر دعاء وللشر جالب و كان يقال العجلة قيد الكلام . [صفحه ۹۲] أطال خطيب بين يدى الإسكندر فزبره قال ليس حسن الخطبة على حسب طاقة الخاطب ولكن على حسب طاقة السامع . محمدالباقر ع إنى لأكره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلا على مقدار علمه كماأكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۳۰ .أطال ربيعة الرأى الكلام وعنده أعرابى فلما فرغ من كلامه قال للأعرابى ماتعدون العى والفهاهة فيكم قال ماكنت فيه أصلحك الله منذ اليوم و من كلام أمير المؤمنين ع إذاتم العقل نقص الكلام -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-۵۸ .واصل بن عطاء لأن يقول الله لى يوم القيامة هلا قلت أحب إلى من أن يقول لى لم قلت لأنى إذا قلت طالبنى بالبرهان و إذاسكت لم يطالبنى بشىء.نزل النعمان بن المنذر برابية فقال له رجل من أصحابه أبيت اللعن لوذبح رجل على رأس هذه الرابية إلى أين كان يبلغ دمه فقال النعمان المذبوح و الله أنت ولأنظرن إلى أين يبلغ دمك فذبحه فقال رجل رب كلمة تقول دعنى.أعرابى رب منطق صدع جمعا ورب سكوت شعب صدعا.قالت امرأة لبعلها ما لك إذاخرجت تطلقت وتحدثت و إذادخلت قعدت وسكت قال لأنى أدق عن جليلك وتجلين عن دقيقى.النخعى كانوا يتعلمون السكوت كمايتعلمون الكلام . على بن هشام لعمرك إن الحلم زين لأهله || و ماالحلم إلاعادة وتحلم إذا لم يكن صمت الفتى من بلادة || وعى فإن الصمت أهدى وأسلم .وهيب بن الورد إن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت والعاشرة العزلة عن الناس . [صفحه ۹۳] مكث الربيع بن خثيم عشرين سنة لايتكلم إلى أن قتل الحسين ع فسمعت منه كلمة واحدة قال لمابلغه ذلك أ و قدفعلوها ثم قال أللهم فاطر السماوات و الأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ثم عاد إلى السكوت حتى مات .الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب زعم ابن سلمى أن حلمى ضرنى || ماضر قبلى أهله الحلم إنا أناس من سجيتهم || صدق الحديث ورأيهم حتم لبسوا الحياء فإن نظرت حسبتهم || سقموا و لم يمسسهم سقم إنى وجدت العدم أكبره || عدم العقول و ذلك العدم والمرء أكثر عيبه ضررا || خطل اللسان وصمته حكم جاء فى الحديث المرفوع عن النبى ص إذارأيتم المؤمن صموتا فادنوا منه فإنه يلقى الحكمة -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۹۵ .سفيان بن عيينة من حرم العلم فليصمت فإن حرمها فالموت خير له . و كان يقال إذاطلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين ع فى الجمعة الثالثة من خلافته وكنى فيها عن حال نفسه وأعلمهم فيهاأنهم سيفارقونه ويفقدونه بعداجتماعهم عليه وطاعتهم له وهكذا وقع الأمر فإنه نقل أن أهل العراق لم يكونوا أشد اجتماعا عليه من الشهر ألذى قتل فيه ع . وجاء فى الأخبار أنه عقد للحسن ابنه ع على عشرة آلاف ولأبى أيوب [صفحه ۹۴] الأنصارى على عشرة آلاف ولفلان وفلان حتى اجتمع له مائة ألف سيف وأخرج مقدمته أمامه يريد الشام فضربه اللعين ابن ملجم و كان من أمره ما كان وانفضت تلك الجموع وكانت كالغنم فقد راعيها. ومعنى قوله ألنتم له رقابكم أطعتموه ومعنى أشرتم إليه بأصابعكم أعظمتموه وأجللتموه كالملك ألذى يشار إليه بالإصبع و لايخاطب باللسان ثم أخبرهم أنهم يلبثون بعده ماشاء الله و لم يحدد ذلك بوقت معين ثم يطلع الله لهم من يجمعهم ويضمهم يعنى من أهل البيت ع و هذاإشارة إلى المهدى ألذى يظهر فى آخر الوقت و عندأصحابنا أنه غيرموجود الآن وسيوجد و عندالإمامية أنه موجود الآن . قوله ع فلاتطمعوا فى غيرمقبل و لاتيأسوا من مدبر ظاهر هذاالكلام متناقض وتأويله أنه نهاهم عن أن يطمعوا فى صلاح أمورهم على يد رئيس غيرمستأنف الرئاسة و هومعنى مقبل أى قادم تقول سوف أفعل كذا فى الشهر

المقبل و فى السنة المقبلة أى القادمة يقول كل الرئاسات التى تشاهدونها فلاتطمعوا فى صلاح أموركم بشىء منها ولأن تنصلح أموركم على يد رئيس يقدم عليكم مستأنف الرئاسة خامل الذكر ليس أبوه بخليفة و لا كان هو و لاأبوه مشهورين بينكم برئاسة بل يتبع ويعلو أمره و لم يكن قبل معروفا هو و لاأهله الأدنون و هذه صفة المهدى الموعود به . ومعنى قوله و لاتيأسوا من مدبر أى و إذامات هذاالمهدى وخلفه بنوه بعده فاضطرب أمر أحدهم فلاتيأسوا وتتشككوا وتقولوا لعلنا أخطأنا فى اتباع هؤلاء فإن المضطرب الأمر منا ستثبت دعائمه وتنتظم أموره و إذازلت إحدى رجليه ثبتت [صفحه ٩٥] الأخرى فثبتت الأولى أيضا ويروى فلاتطعنوا فى عين مقبل أى لاتحاربوا أحدا منا و لاتيأسوا من إقبال من يدبر أمره منا. ثم ذكر ع أنهم كنجوم السماء كلما خوى نجم طلع نجم خوى مال للمغيب . ثم وعدهم بقرب الفرج فقال إن تكامل صنائع الله عندكم ورؤية ماتأملونه أمر قدقرب وقته وكأنكم به و قدحضر و كان و هذا على نمط المواعيد الإلهية بقيام الساعة فإن الكتب المنزلة كلها صرحت بقربها و إن كانت بعيدة عندنا لأن البعيد فى معلوم الله قريب و قد قال سبحانه إِنّهُم يَرَونَهُ بَعِيداً وَ نَراهُ قَرِيباً -قرآن-٤٧٠-٥١٤ [صفحه ٩٦]

١٠٠- و من خطبة له ع وهى من الخطب التى تشتمل على ذكر الملاحم

الحَمدُ لِلّهِ الأَوّلِ قَبلَ كُلّ أَوّلٍ وَ الآخِرِ بَعدَ كُلّ آخِرٍ وَ بِأَوّلِيّتِهِ وَجَبَ أَن لَا أَوّلَ لَهُ وَ بِآخِرِيّتِهِ وَجَبَ أَن لَا آخِرَ لَهُ يقول البارئ تعالى موجود قبل كل شىءيشير العقل إليه ويفرضه أول الموجودات وكذلك هوموجود بعد كل شىءيشير العقل إليه ويفرضه آخر مايبقى من جميع الموجودات فإن البارئ سبحانه بالاعتبار الأول يكون أولا قبل كل مايفرض أولا وبالاعتبار الثانى يكون آخرا بعد كل مايفرض آخرا.فأما قوله بأوليته وجب أن لاأول له إلى آخر الكلام فيمكن أن يفسر على وجهين أحدهما أنه تعالى لمافرضناه أولا مطلقا تبع هذاالفرض أن يكون قديما أزليا و هوالمعنى بقوله وجب أن لاأول وإنما تبعه ذلك لأنه لو لم يكن أزليا لكان محدثا فكان له محدث والمحدث متقدم على المحدث لكنا فرضناه أولا مطلقا أى لايتقدم عليه شىءفيلزم المحال والخلف وهكذا القول فى آخريته لأنا إذافرضناه آخرا مطلقا تبع هذاالفرض أن يكون مستحيل العدم و هوالمعنى بقوله وجب أن لاآخر له [صفحه ٩٧] وإنما تبعه ذلك لأنه لو لم يستحل عدمه لصح عدمه لكن كل صحيح وممكن فليفرض وقوعه لأنه لايلزم من فرض وقوعه محال مع فرضنا إياه صحيحا وممكنا لكن فرض تحقق عدمه محال لأنه لوعدم لماعدم بعداستمرار الوجودية إلابضد لكن الضد المعدم يبقى بعدتحقق عدم الضد المعدوم لاستحالة أن يعدمه ويعدم معه فى وقت واحد لأنه لو كان وقت عدم الطارئ هووقت عدم الضد المطروء عليه لامتنع عدم الضد المطروء عليه لأن حال عدمه ألذى هوالأثر المتجدد تكون العلة الموجبة للأثر معدومة والمعدوم يستحيل أن يكون مؤثرا البتة فثبت أن الضد الطارئ لابد أن يبقى بعدعدم المطروء عليه و لووقتا واحدا لكن بقاءه بعده و لووقتا واحدا يناقض فرضنا كون المطروء عليه آخرا مطلقا لأن الضد الطارئ قدبقى بعده فيلزم من الخلف والمحال مالزم فى المسألة الأولى . والتفسير الثانى ألا تكون الضمائر الأربعة راجعة إلى البارئ سبحانه بل يكون منها ضميران راجعين إلى غيره و يكون تقدير الكلام بأولية الأول ألذى فرضنا كون البارئ سابقا عليه علمنا أن البارئ لاأول له وبآخرية الآخر ألذى فرضنا أن البارئ متأخر عنه علمنا أن البارئ لاآخر له وإنما علمنا ذلك لأنه لو كان سبحانه أولا لأول الموجودات و له مع ذلك أول لزم التسلسل وإثبات محدثين ومحدثين إلى غيرنهاية و هذامحال . و لو كان سبحانه آخرا لآخر الموجودات و له مع ذلك آخر لزم التسلسل وإثبات أضداد تعدم ويعدمها غيرها إلى غيرنهاية و هذاأيضا محال وَ أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السّرّ الإِعلَانَ وَ القَلبُ اللّسَانَ [صفحه ٩٨] أَيّهَا النّاسُ لَا يَجرِمَنّكُم شِقَاقِي وَ لَا يَستَهوِيَنّكُم عِصيَانِي وَ لَا تَتَرَامَوا بِالأَبصَارِ عِندَ مَا تَسمَعُونَهُ منِيّ فوَاَلذّيِ فَلَقَ الحَبّةَ وَ بَرَأَ النّسَمَةَ إِنّ أَلّذِى أُنَبّئُكُم بِهِ عَنِ النّبِيّ الأُمُيّ‌ص وَ اللّهِ مَا كَذَبَ المُبَلّغُ

وَ لَا جَهِلَ السّامِعُ لكَأَنّي أَنظُرُ إِلَى ضِلّيلٍ قَد نَعَقَ بِالشّامِ وَ فَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَإِذَا فَغَرَت فَاغِرَتُهُ وَ اشتَدّت شَكِيمَتُهُ وَ ثَقُلَت فِي الأَرضِ وَطأَتُهُ عَضّتِ الفِتنَةُ أَبنَاءَهَا بِأَنيَابِهَا وَ مَاجَتِ الحَربُ بِأَموَاجِهَا وَ بَدَا مِنَ الأَيّامِ كُلُوحُهَا وَ مِنَ اللّيَالِي كُدُوحُهَا فَإِذَا أَينَعَ زَرعُهُ وَ قَامَ عَلَى يَنعِهِ وَ هَدَرَت شَقَاشِقُهُ وَ بَرَقَت بَوَارِقُهُ عُقِدَت رَايَاتُ الفِتَنِ المُعضِلَةِ وَ أَقبَلنَ كَاللّيلِ المُظلِمِ وَ البَحرِ المُلتَطِمِ هَذَا وَ كَم يَخرِقُ الكُوفَةَ مِن قَاصِفٍ وَ يَمُرّ عَلَيهَا مِن عَاصِفٍ وَ عَن قَلِيلٍ تَلتَفّ القُرُونُ بِالقُرُونِ وَ يُحصَدُ القَائِمُ وَ يُحطَمُ المَحصُودُ فى الكلام محذوف وتقديره لايجرمنكم شقاقى على أن تكذبونى والمفعول فضلة وحذفه كثير نحو قوله تعالى اللّهُ يَبسُطُ الرّزقَ لِمَن يَشاءُ وَ يَقدِرُفحذف العائد إلى الموصول ومنها قوله سبحانه لا عاصِمَ اليَومَ مِن أَمرِ اللّهِ إِلّا مَن رَحِمَ أى من رحمه و لابد من تقدير العائد إلى الموصول و قدقرئ قوله وَ ما عَمِلَتهُ أَيدِيهِم و ماعملت أيديهم بحذف المفعول . لايجرمنكم لايحملنكم وقيل لايكسبنكم و هو من الألفاظ القرآنية. -قرآن-١٠٧-١٥٢-قرآن-١٩٧-٢٤٧-قرآن-٣١٢-٣٣٦ [صفحه ٩٩] و لايستهوينكم أى لايستهيمنكم يجعلكم هائمين . و لاتتراموا بالأبصار أى لايلحظ بعضكم بعضا فعل المنكر المكذب . ثم أقسم بالذى فلق الحبة وبرأ النسمة فلق الحبة من البر أى شقها وأخرج منها الورق الأخضر قال تعالى إِنّ اللّهَ فالِقُ الحَبّ وَ النّوى. وبرأ النسمة أى خلق الإنسان و هذاالقسم لايزال أمير المؤمنين يقسم به و هو من مبتكراته ومبتدعاته . والمبلغ والسامع هونفسه ع يقول -قرآن-٢١٩-٢٥٣ ماكذبت على الرسول تعمدا و لاجهلت ماقاله فأنقل عنه غلطا -روايت-١-٦٢ . والضليل الكثير الضلال كالشريب والفسيق ونحوهما. و هذاكناية عن عبدالملك بن مروان لأن هذه الصفات والأمارات فيه أتم منها فى غيره لأنه قام بالشام حين دعا إلى نفسه و هومعنى نعيقه وفحصت راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه إلى العراق وقتل مصعبا وتارة لمااستخلف الأمراء على الكوفة كبشر بن مروان أخيه وغيره حتى انتهى الأمر إلى الحجاج و هوزمان اشتداد شكيمة عبدالملك وثقل وطأته وحينئذ صعب الأمر جدا وتفاقمت الفتن مع الخوارج و عبدالرحمن بن الأشعث فلما كمل أمر عبدالملك و هومعنى أينع زرعه هلك وعقدت رايات الفتن المعضلة من بعده كحروب أولاده مع بنى المهلب وكحروبهم مع زيد بن على ع وكالفتن الكائنة بالكوفة أيام يوسف بن عمر وخالد القسرى وعمر بن هبيرة وغيرهم و ماجرى فيها من الظلم واستئصال الأموال وذهاب النفوس . [صفحه ١٠٠] و قدقيل إنه كنى عن معاوية و ماحدث فى أيامه من الفتن و ماحدث بعده من فتنة يزيد وعبيد الله بن زياد وواقعة الحسين ع والأول أرجح لأن معاوية فى أيام أمير المؤمنين ع كان قدنعق بالشام ودعاهم إلى نفسه والكلام يدل على إنسان ينعق فيما بعد أ لاتراه يقول لكأنى أنظر إلى ضليل قدنعق بالشام ثم نعود إلى تفسير الألفاظ والغريب .النعيق صوت الراعى بغنمه وفحص براياته من قولهم ما له مفحص قطاة أى مجثمها كأنهم جعلوا ضواحى الكوفة مفحصا ومجثما لراياتهم . وكوفان اسم الكوفة والكوفة فى الأصل اسم الرملة الحمراء و بهاسميت الكوفة وضواحيها نواحيها القريبة منها البارزة عنها يريد رستاقها. وفغرت فاغرته فتح فاه و هذا من باب الاستعارة أى إذافتك فتح فاه وقتل كمايفتح الأسد فاه عندالافتراس والتأنيف للفتنة. والشكيمة فى الأصل حديدة معترضة فى اللجام فى فم الدابة ثم قالوا فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد المراس شديد النفس عسر الانقياد. وثقلت وطأته عظم جوره وظلمه وكلوح الأيام عبوسها والكدوح الآثار من الجراحات . والقروح الواحد الكدح أى الخدش . والمراد من قوله من الأيام ثم قال و من الليالى أن هذه الفتنة مستمرة الزمان كله لأن الزمان ليس إلاالنهار والليل . وأينع الزرع أدرك ونضج و هوالينع والينع بالفتح والضم مثل النضج والنضج [صفحه ١٠١] ويجوز ينع الزرع بغير همز ينع ينوعا و لم تسقط الياء فى المضارع لأنها تقوت بأختها وزرع ينيع ويانع مثل نضيج وناضج و قدروى أيضا هذاالموضع بحذف الهمز. و قوله ع وقام على ينعه الأحسن أن يكون ينع هاهنا جمع يانع كصاحب وصحب ذكر ذلك ابن كيسان ويجوز أن يكون أراد المصدر أى وقام على صفة وحالة هى نضجه وإدراكه . وهدرت شقاشقه قدمر تفسيره فى الشقشقية وبرقت بوارقه سيوفه ورماحه والمعضلة العسرة العلاج داء معضل . ويخرق الكوفة يقطعها والقاصف الريح القوية تكسر كل ماتمر عليه وتقصفه . ثم وعد ع بظهور دولة أخرى

فقال و عن قليل تلتف القرون بالقرون و هذاكنايـة عن الدولة العباسـية التى ظهرت على دولة بنى أمية والقرون الأجيال من الناس واحـدها قرن بالفتـح . ويحصـد القـائم ويحطم المحصود كنايـة عن قتل الأمراء من بنى أميـة فى الحرب ثم قتل المأسورين منهم صبرا فحصـد القـائم قتل المحاربـة وحطم الحصـيد القتل صبرا وهكـذا وقعت الحال مع عبـد الله بن على و أبى العباس السـفاح [صفحه ۱۰۲]

۱۰۱- و من خطبة له ع تجرى هذاالمجرى

وَ ذَلِكَ يَومٌ يَجمَعُ اللّهُ فِيهِ الأَوّلِينَ وَ الآخِرِينَ لِنِقَاشِ الحِسَابِ وَ جَزَاءِ الأَعمَالِ خُضُوعاً قِيَاماً قَد أَلجَمَهُمُ العَرَقُ وَ رَجَفَت بِهِمُ الأَرضُ فَأَحسَنُهُم حَالًا مَن وَجَدَ لِقَدَمَيهِ مَوضِعاً وَ لِنَفسِهِ مُتّسَعاً هذاشـرح حال يوم القيامة والنقاش مصدر ناقش أى استقصى فى الحسـاب و فى الحـديث من نوقش الحساب عـذب -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۳۹ . وألجمهـم العرق سـال منهم حتى بلـغ إلى موضع اللجام من الدابـة و هوالفم . ورجفت بهم تحركت واضـطربت رجف يرجف بالضم والرجفـة الزلزلة والرجاف من أسـماء البحر سـمى بـذلك لاضـطرابه . ثم وصف الزحام الشديـد الـذى يكون هناك فقال أحسن الناس حالا هناك من وجـد لقـدميه موضـعا و من وجـد مكانا يسعه وَ مِنهَا فِتَنٌ كَقِطَعِ اللّيلِ المُظلِمِ لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ وَ لَا تُرَدّ لَهَا رَايَةٌ تَأتِيكُم مَزمُومَةً مَرحُولَةً يَحفِزُهَا قَائِدُهَا وَ يَجهَدُهَا رَاكِبُهَا أَهلُهَا قَومٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُم قَلِيلٌ [صفحه ۱۰۳] سَلَبُهُم يُجَاهِدُهُم فِي اللّهِ قَومٌ أَذِلّةٌ عِندَ المُتَكَبّرِينَ فِي الأَرضِ مَجهُولُونَ وَ فِي السّمَاءِ مَعرُوفُونَ فَوَيلٌ لَكِ يَا بَصرَةُ عِندَ ذَلِكِ مِن جَيشٍ مِن نِقَمِ اللّهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَ لَا حِسّ وَ سَيُبتَلَى أَهلُكِ بِالمَوتِ الأَحمَرِ وَ الجُوعِ الأَغبَرِ قطع الليل جمع قطع و هوالظلمـة قال تعالى فَأَسرِ بِأَهلِكَ بِقِطعٍ مِنَ اللّيلِ. قوله لاتقوم لها قائمة أى لاتنهض بحربها فئة ناهضة أو لاتقوم لتلك الفتن قائمة من قوائم الخيل يعنى لاسبيل إلى قتال أهلها و لايقوم لها قلعة قائمة أوبنية قائمـة بـل تنهـدم . قوله و لايرد لها رايـة أى لاتنهزم و لاتفر لأنها إذافرت فقـد ردت على أعقابها. قوله مزمومـة مرحولـة أى تامة الأدوات كاملـة الآلات كالناقة التى عليها رحلها وزمامها قداسـتعدت لأن تركب .يحفزها يدفعها ويجهدها يحمل عليها فى السـير فوق طاقتهـا جهـدت دابتى بالفتـح ويجوز أجهـدت والمراد أن أربـاب تلـك الفتن يجتهـدون ويجـدون فى إضـرام نارهـا رجلا وفرسانا فالرجل كنى عنهم بالقائـد والفرسان كنى عنهم بالراكـب . والكلب الشـدة من البرد وغيره ومثله الكلبـة و قـدكلب الشـتاء وكلب القحـط وكلب العـدو والكلب أيضا الشـر دفعت عنك كلب فلان أى شـره وأذاه . -قرآن-۴۵-۸۲ [صفحه ۱۰۴] و قوله قليل سـلبهم أى همهم القتل لاالسـلب كما قال أبوتمام إن الأسود أسود الغاب همتها || يوم الكريهـة فى المسـلوب لاالسـلب ثم ذكر ع أن هؤلاء أرباب الفتن يجاهـدهم قوم أذلـة كما قال الله تعالى أَذِلّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الكافِرِينَ و ذلك من صـفات المؤمنين . ثم قال هم مجهولون عند أهل الأرض لخمولهم قبل هذاالجهاد ولكنهم معروفون عند أهل السماء و هذاإنذار بملحمة تجرى فى آخر الزمان و قـدأخبر النبى ص بنحو ذلك و قدفسـر هـذاالفصل قوم وقالوا إنه أشار به إلى الملائكـة لأنهم مجهولون فى الأرض معروفون فى السـماء واعتـذروا عن لفظة قوم فقالوا يجوز أن يقال فى الملائكة قوم كماقيل فى الجن قوم قال سـبحانه فَلَمّا قضُـِيَ وَلّوا إِلي قَومِهِم مُنـذِرِينَ إلا أن لفظ أذلة عندالمتكبرين يبعد هذاالتفسير. ثم أخبر بهلاك البصـرة بجيش من نقم الله لارهـج له و لاحس الرهـج الغبار وكنى بهـذا الجيش عن جـدب وطاعون يصـيب أهلها حتى يبيـدهم والموت الأحمر كناية عن الوبـاء والجوع .الأـغبر كنايـة عن المحـل وسـمى الموت الأـحمر لشـدته و منه -قرآن-۷۵-۱۲۸-قرآن-۵۱۱-۵۵۷ الحـديث كنا إذااحمر البـأس اتقينا برسول الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۴۹ ووصف الجوع بـأنه أغبر لأـن الجائع يرى الآفاق كأن عليها غبرة وظلامـا وفسـر قوم هـذاالكلام بوقعـة صـاحب الزنـج و هوبعيـد لأن جيشه كان ذا حس ورهـج ولأنه أنـذر البصـرة بهـذا الجيش

عندحـدوث تلك الفتن أ لاتراه قال فويل لك يابصـرة عند ذلك و لم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديدة على الصـفات التى ذكرها أمير المؤمنين ع [صفحه ۱۰۵]

۱۰۲- و من خطبة له ع

انظُرُوا إِلَى الـدّنيَا نَظَرَ الزّاهِـدِينَ فِيهَـا الصّـادِفِينَ عَنهَـا فَإِنّهَا وَ اللّهِ عَمّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثّاوِيَ السّاكِنَ وَ تَفجَعُ المُترَفَ الآمِنَ لَا يَرجِعُ مَا تَوَلّى مِنهَـا فَأَدبَرَ وَ لَا يُـدرَى مَا هُوَ آتٍ مِنهَا فَيُنتَظَرُ سُـرُورُهَا مَشُوبٌ بِالحُزنِ وَ جَلَـدُ الرّجَالِ فِيهَا إِلَى الضّعفِ وَ الوَهنِ فَلَا يَغُرّنّكُم كَثرَةُ مَا يُعجِبُكُم فِيهَا لِقِلّةِ مَا يَصحَبُكُم مِنهَا رَحِمَ اللّهُ امرَأً تَفَكّرَ فَاعتَبَرَ وَ اعتَبَرَ فَأَبصَرَ فَكَأَنّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدّنيَا عَن قَلِيلٍ لَم يَكُن وَ كَأَنّ مَـا هُوَ كَـائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمّا قَلِيلٍ لَم يَزَل وَ كُلّ مَعـدُودٍ مُنقَضٍ وَ كُلّ مُتَوَقّعٍ آتٍ وَ كُلّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ الصادفين عنها أى المعرضـين وامرأة صـدوف التى تعرض وجهها عليـك ثم تصـدف عنـك . وعما قليل عن قليل و مازائـدة. والثاوى المقيم ثوى يثوى ثواء وثويا مثل مضـى يمضـى مضاء ومضـيا ويجوز ثويت بالبصـرة وثويت البصـرة وجاء أثويت بالمكان لغـة فى ثويت قال الأعشـى [صفحه ۱۰۶] أثوى وقصـر ليله ليزودا || فمضت وأخلف من قتيلـة موعـدا . والمترف ألـذى قـدأترفته النعمة أى أطغته يقول ع لايعود على الناس ماأدبر وتولى عنهم من أحوالهم الماضـية كالشـباب والقوة و لايعلم حال المسـتقبل من صحة أومرض أوحياة أوموت لينتظر وينظر إلى هـذاالمعنى قول الشاعر وأضـيع العمر لاالماضـى انتفعت به || و لاحصـلت على علم من الباقى . ومشوب مخلوط شبته أشوبه فهو مشوب وجاء مشيب فى قول الشاعر وماء قدور فى القصاع مشيب .فبناه على شيب لم يسم فاعله و فى المثل هويشوب ويروب يضـرب لمن يخلط فى القول أوالعمل . والجلد الصـلابة والقوة والوهن الضـعف نفسه وإنما عطف للتأكيـد كقوله تعـالى لِكُـلّ جَعَلنـا مِنكُم شِـرعَةً وَ مِنهاجاً و قوله لا يَمَسّـنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسّـنا فِيها لُغُوبٌ. ثم نهى عن الاغترار بكثرة العجب من الـدنيا وعلـل حسن هـذاالنهى وقبـح الاـغترار بما نشاهـده عيانا من قلـة مايصـحب مفارقيها منها و قال الشاعر - قرآن-۱۷۱-۲۱۱-قرآن-۲۲۰-۲۷۲ فما تزود مما كان يجمعه || إلاحنوطا غداة البين فى خرق و غيرنفحة أعواد شببن له || وقل ذلـك من زاد لمنطلق ثم جعـل التفكر علـة الاعتبـار وجعـل الاعتبـار علـة الأبصار و هـذاحق لأن الفكر يوجب الاتعاظ والاتعاظ يوجب الكشف والمشاهـدة بالبصـيرة التى نورها الاتعاظ. [صـفحه ۱۰۷] ثم ذكر أن مـا هوكائن وموجود من الـدنيا سيصـير عن قليـل أى بعـدزمان قصـير معـدوما والزمـان القصـير هاهنا انقضاء الأجل وحضور الموت . ثم قال إن ألـذى هوكائن وموجود من الآـخرة سيصـير عن قليـل أى بعـدزمان قصـير أيضـا كـأنه لم يزل والزمان القصـير هاهنا هوحضور القيامـة وهى و إن كانت تأتى بعدزمان طويل إلا أن الميت لايحس بطوله و لافرق بين ألف ألف سـنة عنده إذاعاد حيا و بين يوم واحد لأن الشـعور بالبطء فى الزمان مشـروط بالعلم بالحركـة ويـدل على ذلك حال النائم ثم قال كل معدود منقض و هذاتنبيه بطريق الاسـتدلال النظرى على أن الدنيا زائلة ومنصـرفة و قداسـتدل المتكلمون بهذا على أن حركات الفلك يستحيل ألا يكون لها أول فقالوا لأنها داخلة تحت العدد و كل معدود يسـتحيل أن يكون غيرمتناه والكلام فى هذامذكور فى كتبنا العقلية. ثم ذكر أن كل مايتوقع لابد أن يأتى || و كـل ماسـيأتى فهو قريب وكأنه قـدأتى و هـذامثل قول قس بن ساعـدة الإيادى ما لى أرى الناس يـذهبون ثم لايرجعون أرضوا بالمقـام فأقـاموا أم تركوا هنـاك فنـاموا أقسم قس قسـما إن فى السـماء لخبرا و إن فى الأرض لعبرا سـقف مرفوع ومهاد موضوع ونجوم تمور وبحـار لاـتغور اسـمعوا أيهـا الناس وعوا من عاش مات و من مات فات و كل ما هوآت آت وَ مِنهَا العَالِمُ مَن عَرَفَ قَـدرَهُ وَ كَفَى بِالمَرءِ جَهلًا أَلّا يَعرِفَ قَـدرَهُ وَ إِنّ مِن أَبغَضِ الرّجَالِ إِلَى اللّهِ تَعَالَى لَعَبـداً وَكَلَهُ اللّهُ إِلَى نَفسِهِ جَائِراً عَن قَصدِ السّبِيلِ سَائِراً بِغَيرِ [صفحه ۱۰۸] دَلِيـلٍ إِن دُعِيَ إِلَى حَرثِ الـدّنيَا عَمِـلَ وَ إِن دُعِيَ إِلَى حَرثِ الآخِرَةِ كَسِلَ كَأَنّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيهِ وَ

كَأَنّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنهُ قوله ع العالم من عرف قدره من الأمثال المشهورة عنه ع و قد قال الناس بعده فى ذلك فأكثروا نحو قولهم إذاجهلت قدر نفسك فأنت لقدر غيرك أجهل ونحو قولهم من لم يعرف قدر نفسه فالناس أعذر منه إذا لم يعرفوه ونحو قول الشاعر أبى الطيب و من جهلت نفسه قدره || رأى غيره منه ما لايرى . ثم عبر عن هذاالمعنى بعبارة أخرى فصارت مثلا أيضا وهى قوله كفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره و من الكلام المروى عن أبى عبد الله الصادق ع مرفوعا ماهلك امرؤ عرف قدره -روايت-١-٢-روايت-۴۵-۶۹ رواه أبوالعباس المبرد عنه فى الكامل قال ثم قال أبو عبد الله ع و ماإخال رجلا يرفع نفسه فوق قدرها إلا من خلل فى عقله -روايت-١-٢-روايت-٣۴-٩۴ روى صاحب الكامل أيضا عن أبى جعفرالباقر ع قال لماحضرت الوفاة على بن الحسين ع أبى ضمنى إلى صدره ثم قال يابنى أوصيك بما أوصانى به أبى يوم قتل وبما ذكر لى أن أباه عليا ع أوصاه به يابنى عليك ببذل نفسك فإنه لايسر أباك بذل نفسه حمر النعم -روايت-١-٢-روايت-۵۴-٢۶٩ . و كان يقال من عرف قدره استراح . [صفحه ١٠٩] و فى الحديث المرفوع مارفع امرؤ نفسه فى الدنيا درجة إلاحطه الله تعالى فى الآخرة درجات -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٩۵ . و كان يقال من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه ثم ذكر ع أن من أبغض البشر إلى الله عبدا وكله الله إلى نفسه أى لم يمده بمعونته وألطافه لعلمه أنه لاينجع ذلك فيه و أنه لاينجذب إلى الخير والطاعة و لايؤثر شىء ما فى تحريك دواعيه إليها فيكله الله حينئذ إلى نفسه . والجائر العادل عن السمت و لما كان هذاالشقى خابطا فيما يعتقده ويذهب إليه مستندا إلى الجهل وفساد النظر جعله كالسائر بغير دليل . والحرث هاهنا كل مايفعل ليثمر فائدة فحرث الدنيا كالتجارة والزراعة وحرث الآخرة فعل الطاعات واجتناب المقبحات والمعاصى وسمى حرثا على جهة المجاز تشبيها بحرث الأرض و هو من الألفاظ القرآنية. وكسل الرجل بكسر السين يكسل أى يتثاقل عن الأمور فهو كسلان وقوم كسالى وكسالى بالفتح والضم . قال ع حتى كان ماعمله من أمور الدنيا هوالواجب عليه لحرصه وجده فيه و كان ماونى عنه أى فتر فيه من أمور الآخرة ساقط عنه و غيرواجب عليه لإهماله وتقصيره فيه وَ مِنهَا وَ ذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنجُو فِيهِ إِلّا كُلّ مُؤمِنٍ نُوَمَةٍ إِن شَهِدَ لَم يُعرَف وَ إِن غَابَ [صفحه ١١٠] لَم يُفتَقَد أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الهُدَى وَ أَعلَامُ السّرَى لَيسُوا بِالمَسَايِيحِ وَ لَا المَذَايِيعِ البُذُرِ أُولَئِكَ يَفتَحُ اللّهُ لَهُم أَبوَابَ رَحمَتِهِ وَ يَكشِفُ عَنهُم ضَرّاءَ نِقمَتِهِ أَيّهَا النّاسُ سَيَأتِي عَلَيكُم زَمَانٌ يُكفَأُ فِيهِ الإِسلَامُ كَمَا يُكفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيّهَا النّاسُ إِنّ اللّهَ قَد أَعَاذَكُم مِن أَن يَجُورَ عَلَيكُم وَ لَم يُعِذكُم مِن أَن يَبتَلِيَكُم وَ قَد قَالَ جَلّ مِن قَائِلٍإِنّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ وَ إِن كُنّا لَمُبتَلِينَ -قرآن-۴٣٩-۴٨۶ قال الرضى رحمه الله تعالى أما قوله ع كل مؤمن نومة فإنما أراد به الخامل الذكر القليل الشر والمساييح جمع مسياح و هو ألذى يسيح بين الناس بالفساد والنمائم والمذاييع جمع مذياع و هو ألذى إذاسمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوه بها والبذر جمع بذور و هو ألذى يكثر سفهه ويلغو منطقه -روايت-١-٢٩٢ شهد حضر وكفأت الإناء أى قلبته وكببته و قال ابن الأعرابى يجوز أكفأته أيضا والبذر جمع بذور مثل صبور وصبر و هو ألذى يذيع الأسرار و ليس كما قال الرضى رحمه الله تعالى فقد يكون الإنسان بذورا و إن لم يكثر سفهه و لم يلغ منطقه بأن يكون علنة مذياعا من غيرسفه و لالغو والضراء الشدة ومثلها البأساء وهما اسمان مؤنثان من غيرتذكير وأجاز الفراء أن يجمع على آضر وأبؤس كمايجمع النعماء على أنعم . [صفحه ١١١] واعلم أنه قدجاء فى التواضع وهضم النفس شىءكثير و من ذلك الحديث المرفوع من تواضع لله رفعه الله و من تكبر على الله وضعه -روايت-١-٢-روايت-١٩-٧٣ يقال إن الله تعالى قال لموسى إنما كلمتك لأن فى أخلاقك خلقا أحبه الله و هوالتواضع -روايت-١-٢-روايت-٨-٩۵ . ورأى محمد بن واسع ابنه يمشى الخيلاء فناداه فقال ويلك أتمشى هذه المشية وأبوك أبوك وأمك أمك أماأمك فأمة ابتعتها بمائتى درهم و أماأبوك فلاكثر الله فى الناس مثله . ومثل قوله ع كل مؤمن نومة إن شهد لم يعرف و إن غاب لم يفتقد -روايت-١-٢-روايت-١٢-۶٢ قول رسول الله ص رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لوأقسم على الله لأبر قسمه -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٨٩ . و قال عمر لابنه عبد الله التمس الرفعة بالتواضع والشرف بالدين والعفو من الله

بالعفو عن الناس وإياك والخيلاء فتضع من نفسك و لاتحقرن أحدا فإنك لاتدرى لعل من تزدريه عيناك أقرب إلى الله وسيلة منك . و قال الأحنف عجبت لمن جرى فى مجرى البول مرتين من فرجين كيف يتكبر و قدجاء فى كلام رسول الله ص مايناسب كلام أمير المؤمنين ع هذا إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذاغابوا لم يفتقدوا و إذاحضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة -روايت-١-١۴١ . و أماإفشاء السر وأذاعته فقد ورد فيه أيضا مايكثر و لو لم يرد فيه إلا قوله سبحانه وَ لا تُطِع كُلّ حَلّافٍ مَهِينٍ هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍلكفى . -قرآن-٨۵-١۴٢ [صفحه ١١٢] و فى الحديث المرفوع من أكل بأخيه أكلة أطعمه الله مثلها من نار جهنم -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٧۵ قيل فى تفسيره هو أن يسعى بأخيه ويجر نفعا بسعايته .الجنيد ستر ماعاينت أحسن من إشاعة ماظننت . عبدالرحمن بن عوف من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذى أتاها. قال رجل لعمرو بن عبيد إن عليا الأسوارى لم يزل منذ اليوم يذكرك بسوء و يقول الضال فقال عمرو يا هذا مارعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه و لاوفيتنى حقى حين أبلغتنى عن أخى ماأكرهه اعلم أن الموت يعمنا والبعث يحشرنا والقيامة تجمعنا و الله يحكم بيننا. و كان يقال من نم إليك نم عليك . وقالوا فى السعاة يكفيك أن الصدق محمود إلامنهم و إن أصدقهم أخبثهم .وشى واش برجل إلى الإسكندر فقال له أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل منه ما قال فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك . قال رجل لفيلسوف عابك فلان بكذا قال لقيتنى لقحتك بما لم يلقنى به لحيائه .عاب مصعب بن الزبير الأحنف عن شيءبلغه عنه فأنكره فقال أخبرنى بذلك الثقة فقال كلا أيها الأمير إن الثقة لاينم .عرض بعض عمال الفضل بن سهل عليه رقعة ساع فى طى كتاب كتبه إليه فوقع الفضل قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة و ليس من دل على قبيح كمن أجازه وعمل به فاطرد هذاالساعى عن عملك وأقصه عن بابك فإنه لو لم يكن فى سعايته كاذبا لكان فى صدقه لئيما إذ لم يرع الحرمة و لم يستر العورة و السلام . [صفحه ١١٣] صالح بن عبدالقدوس من يخبرك بشتم عن أخ || فهو الشاتم لا من شتمك ذاك شيء لم يواجهك به || إنما اللوم على من أعلمك كيف لم ينصرك إن كان أخا || ذا حفاظ عند من قدظلمك .طريح بن إسماعيل الثقفى إن يعلموا الخير يخفوه و إن علموا || شرا أذاعوا و إن لم يعلموا كذبوا . ومعنى قوله ع و إن غاب لم يفتقد أى لايقال ماصنع فلان و لاأين هو أى هوخامل لايعرف . و قوله أولئك يفتح الله بهم أبواب الرحمة ويكشف بهم ضراء النقمة وروى أولئك يفتح الله بهم أبواب رحمته ويكشف بهم ضراء نقمته أى ببركاتهم يكون الخير ويندفع الشر. ثم ذكر ع أنه سيأتى على الناس زمان تنقلب فيه الأمور الدينية إلى أضدادها ونقائضها و قدشهدنا ذلك عيانا. ثم أخبر ع أن الله لايجور على العباد لأنه تعالى عادل و لايظلم ولكنه يبتلى عباده أى يختبرهم ثم تلا قوله تعالى إِنّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ وَ إِن كُنّا لَمُبتَلِينَ والمراد أنه تعالى إذافسد الناس لايلجئهم إلى الصلاح لكن يتركهم واختيارهم امتحانا لهم فمن أحسن أثيب و من أساء عوقب -قرآن-۴٩۴-۵۴١ [صفحه ١١۴]

١٠٣- و من خطبة له ع

أَمّا بَعدُ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمّداًص وَ لَيسَ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ يَقرَأُ كِتَاباً وَ لَا يدَعّيِ نُبُوّةً وَ لَا وَحياً فَقَاتَلَ بِمَن أَطَاعَهُ مَن عَصَاهُ يَسُوقُهُم إِلَى مَنجَاتِهِم وَ يُبَادِرُ بِهِمُ السّاعَةَ أَن تَنزِلَ بِهِم يَحسِرُ الحَسِيرُ وَ يَقِفُ الكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيهِ حَتّى يُلحِقَهُ غَايَتَهُ إِلّا هَالِكاً لَا خَيرَ فِيهِ حَتّى أَرَاهُم مَنجَاتَهُم وَ بَوّأَهُم مَحَلّتَهُم فَاستَدَارَت رَحَاهُم وَ استَقَامَت قَنَاتُهُم وَ ايمُ اللّهِ لَقَد كُنتُ مِن سَاقَتِهَا حَتّى تَوَلّت بِحَذَافِيرِهَا وَ استَوسَقَت فِي قِيَادِهَا مَا ضَعُفتُ وَ لَا جَبُنتُ وَ لَا خُنتُ وَ لَا وَهَنتُ وَ ايمُ اللّهِ لَأَبقُرَنّ البَاطِلَ حَتّى أُخرِجَ الحَقّ مِن خَاصِرَتِهِ قال الرضى رحمه الله تعالى و قدتقدم مختار هذه الخطبة إلاأننى وجدتها فى هذه الرواية على خلاف ماسبق من زيادة

ونقصان فأوجبت الحال إثباتها ثانيـة -روايت-١-١٥۴ لقائـل أن يقول أ لم يكن فى العرب نبى قبل محمـد و هوخالـد بن سـنان العبسى وأيضا فقد كان فيهاهود وصالح وشعيب . [صفحه ١١۵] ونجيب هذاالقائل بأن مراده ع أنه لم يكن فى زمان محمدص و ماقاربه من ادعى النبوة فأما هود وصالـح وشـعيب فكانوا فى دهر قـديم جدا و أماخالد بن سـنان فلم يقرأ كتابا و لايدعى شـريعة وإنما كانت نبوة مشابهة لنبوة جماعة من أنبياء بنى إسرائيل الذين لم يكن لهم كتب و لاشرائع وإنما ينهون عن الشرك ويأمرون بالتوحيـد. ومنجـاتهم نجـاتهم نجوت من كـذا نجـاء ممـدود ونجا مقصور ومنجاة على مفعله و منه قولهم الصـدق منجاة. قوله ع ويبادر بهم الساعة كأنه كان يخاف أن تسـبقه القيامة فهو يبادرها بهدايتهم وإرشادهم قبل أن تقوم وهم على ضـلالهم . والحسير المعيا حسـر البعير بالفتح يحسـر بالكسـر حسورا واستحسـر مثله وحسـرته أنايتعدى و لايتعدى حسـرا فهو حسـير ويجوز أحسـرته بـالهمزة والجمع حسـرى مثـل قتيل وقتلى و منه حسـر البصـر أى كل يحسـر قال تعالى يَنقَلِب إِلَيكَ البَصَـرُ خاسِـئاً وَ هُوَ حَسِـيرٌ و هـذاالكلام من باب الاسـتعارة والمجاز يقول ع كان النبى ص لحرصه على الإسـلام وإشـفاقه على المسـلمين ورأفته بهم يلاحظ حال من تزلزل اعتقاده أوعرضت له شـبهة أوحـدث عنـده ريب و لايزال يوضـح له ويرشده حتى يزيل ماخامر سره من وساوس الشـيطان ويلحقه بالمخلصـين من المؤمنين و لم يكن ليقصـر فى مراعـاة أحـد من المكلفين فى هـذاالمعنى إلاـ من كان يعلم أنه لاـخير فيه أصـلا لعنـاده وإصـراره على الباطـل ومكـابرته للحق . ومعنى قوله حتى يلحقه غـايته حتى يوصـله إلى الغايـة التى هى الغرض بـالتكليف يعنى اعتقـاد الحق وسـكون النفس إلى الإسـلام و هوأيضـا معنى قـوله وبوأهم محلتهم . -قرآن-٧۵۴-٨٠٢ [صفحه ١١۶] ومعنى قوله فاسـتدارت رحاهم انتظم أمرهم لأن الرحى إنما تـدور إذاتكاملت أدواتها وآلاتها كلها و هوأيضا معنى قوله واسـتقامت قناتهم و كل هـذا من باب الاسـتعارة. ثم أقسم أنه ع كان من ساقتها الساقـة جمع سائق كقادة جمع قائـد وحاكة جمع حائك و هذاالضـمير المؤنث يرجع إلى غيرمـذكور لفظا والمراد الجاهليـة كأنه جعلها مثل كتيبـة مصادمـة لكتيبـة الإسـلام وجعل نفسه من الحاملين عليها بسـيفه حتى فرت وأدبرت وأتبعها يسوقها سوقا وهى موليـة بين يديه . حتى أدبرت بحذافيرها أى كلهـا عن آخرها. ثم أتى بضـمير آخر إلى غيرمـذكور لفظا و هو قوله واستوسـقت فى قيادها يعنى الملـة الإسـلامية أوالـدعوة أو مـايجرى هـذاالمجرى واستوسـقت اجتمعت يقول لماولت تلك الـدعوة الجاهليـة استوسـقت هـذه فى قيادها كماتسـتوسق الإبل المقودة إلى أعطانهـا ويجوز أن يعود هذاالضـمير الثـانى إلى المـذكور الأول و هوالجاهليـة أى ولت بحـذافيرها واجتمعت كلها تحت ذل المقـادة. ثم أقسم أنه ماضـعف يومئـذ و لاـوهن و لاـجبن و لاخان وليبقرن الباطل الآن حتى يخرج الحق من خاصـرته كـأنه جعـل الباطـل كالشـىء المشـتمل على الحق غالبا عليه ومحيطا به فإذابقر ظهر الحق الكامن فيه و قدتقـدم منا شـرح ذلك [صفحه ١١٧]

١٠۴- و من خطبة له ع

اشاره

حَتّى بَعَثَ اللّهُ مُحَمّداًص شَـهِيداً وَ بَشِيراً وَ نَذِيراً خَيرَ البَرِيّةِ طِفلًا وَ أَنجَبَهَا كَهلًا وَ أَطهَرَ المُطَهّرِينَ شِيمَةً وَ أَجوَدَ المُستَمطَرِينَ دِيمَةً فَمَا احلَولَت لَكُمُ الدّنيَا فِي لَذّتِهَا وَ لَا تَمَكّنتُم مِن رَضَاعِ أَخلَافِهَا إِلّا مِن بَعدِهِ صَادَفتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا قَلِقاً وَضِينُهَا قَد صَارَ حَرَامُهَا عِنـدَ أَقوَامٍ بِمَنزِلَـةِ السّـِدرِ المَخضُودِ وَ حَلَالُهَـا بَعِيـداً غَيرَ مَوجُودٍ وَ صَادَفتُمُوهَـا وَ اللّهِ ظِلّا مَمـدُوداً إِلَى أَجلٍ مَعـدُودٍ فَالأَرضُ لَكُم شَاغِرَةٌ وَ أَيدِيكُم فِيهَا مَبسُوطَةٌ وَ أَيدِي القَادَةِ عَنكُم مَكفُوفَةٌ وَ سُـيُوفُكُم عَلَيهِم مُسَـلّطَةٌ وَ سُـيُوفُهُم عَنكُم مَقبُوضَةٌ أَلَا وَ إِنّ لِكُلّ دَمٍ

ثَائِراً وَ لِكَلِّ حَقّ طَالِباً وَ إِنّ الثّائِرَ فِی دِمَائِنَا كَالحَاكِمِ فِی حَقّ نَفسِهِ وَ هُوَ اللّهُ الّذِی لَا يُعجِزُهُ مَن طَلَبَ وَ لَا يَفُوتُهُ مَن هَرَبَ فَأَقسِمُ بِاللّهِ يَا بَنِي أُمَيّةَ عَمّا قَلِيلٍ لَتَعرِفُنّهَا فِی أَيدِي غَيرِكُم وَ فِی دَارِ عَدُوّكُم معنى كون النبى ص شهيدا أنه يشهد على الأمة بما فعلته من طاعة وعصيان أنجبها أكرمها و رجل نجيب أى كريم بين النجابة والنجبة مثل الهمزة. [صفحه ۱۱۸] ويقال هونجبة القوم أى النجيب منهم وأنجب الرجل أى ولد ولدا نجيبا وامرأة منجبة ومنجاب تلد النجباء ونسوة مناجيب . والشيمة الخلق والديمة مطر يدوم والمستمطرون المستجدون والمستماحون واحلولت حلت و قدعداه حميد بن ثور فى قوله فلما أتى عامان بعدانفصاله || عن الضرع واحلولى دماثا يرودها و لم يجئ افعوعل متعديا إلا هذاالحرف وحرف آخر و هواعروريت الفرس و هوالرضاع بفتح الراء رضع الصبى أمه بكسر الضاد يرضعها رضاعا مثل سمع يسمع سماعا و أهل نجد يقولون رضع بالفتح يرضع بالكسر مثل ضرب يضرب ضربا و قال الأصمعى أخبرنى عيسى بن عمر أنه سمع العرب تنشد هذاالبيت وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها || أفاويق حتى مايدر لها ثعل بكسر الضاد والأخلاف للناقة بمنزلة الأطباء للكلبة واحدها خلف بالكسر و هوحلمة الضرع والخطام زمام الناقة خطمت البعير زممته وناقة مخطومة ونوق مخطمة. والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والتصدير للرحل والحزام للسرج و هوسيور تنسج مضاعفة بعضها على بعض يشد بهاالهودج منه إلى بطن البعير والجمع وضن . والمخضود ألذى خضد شوكة أى قطع . وشاغرة خالية شغر المكان أى خلا وبلدة شاغرة إذا لم تمتنع من غارة أحد والثائر طالب الثأر لايبقى على شيء حتى يدرك ثأره . [صفحه ۱۱۹] يقول ع مخاطبا لمن فى عصره من بقايا الصحابة ولغيرهم من التابعين الذين لم يدركوا عصر رسول الله ص إن الله بعث محمدا و هوأكرم الناس شيمة وأنداهم يدا وخيرهم طفلا ـ وأنجبهم كهلا ـ فصانه الله تعالى فى أيام حياته عن أن يفتح عليه الدنيا وأكرمه عن ذلك فلم تفتح عليكم البلاد و لادرت عليكم الأموال و لاأقبلت الدنيا نحوكم و مادالت الدولة لكم إلابعده فتمكنتم من أكلها والتمتع بها كمايتمكن الحالب من احتلاب الناقة فيحلبها وحلت لذاتها لكم واستطبتم العيشة ووجدتموها حلوة خضرة. ثم ذكر أنهم صادفوها يعنى الدنيا و قدصعبت على من يليها ولاية حق كماتستصعب الناقة على راكبها إذاكانت جائلة الخطام ليس زمامها بممكن راكبها من نفسه قلقة الوضين لايثبت هودجها تحت الراكب حرامها سهل التناول على من يريده كالسدر ألذى خضد عنه شوكه فصار ناعما أملس وحلالها غيرموجود لغلبة الحرام عليه وكونه صار مغمورا مستهلكا بالنسبة إليه و هذاإشارة إلى ما كان يقوله دائما من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر و أنه كان الأولى والأحق . فإن قلت إذاكانت الدنيا قلقة الوضين جائلة الخطام فهى صعبة الركوب و هذاضد قوله حرامها بمنزلة السدر المخضود لأنه من الأمثال المضروبة للسهولة قلت فحوى كلامه أن الدنيا جمحت به ع فألقته عن ظهرها بعد أن كان راكبا لها أوكالراكب لها لاستحقاقه ركوبها وأنها صارت بعده كالناقة التى خلعت زمامها أوأجالته فلايتمكن راكبها من قبضه واسترخى وضينها لشدة ما كان صدر عنها من النفار والتقحم حتى أذرت راكبها فصارت على حال لايركبها إلا من هوموصوف بركوب غيرطبيعى لأنه ركب ما لاينبغى أن يركب فالذين ولوا أمرها ولوه [صفحه ۱۲۰] على غيرالوجه كما أن راكب هذه الناقة يركبها على غيرالوجه ولهذا لم يقل فصار حرامها بمنزلة السدر المخضود بل قال عندأقوام فخصص . و هذاالكلام كله محمول عندأصحابنا على التألم من كون المتقدمين تركوا الأفضل كماقدمناه فى أول الكتاب . ثم ذكر ع أن الدنيا فانية وأنها ظل ممدود إلى أجل معدود ثم ذكر أن الأرض بهؤلاء السكان فيهاصورة خالية من معنى كما قال الشاعر ماأكثر الناس لابل ماأقلهم || الله يعلم أنى لم أقل فندا إنى لأفتح عينى ثم أغمضها || على كثير ولكن لاأرى أحدا . ثم أعاد الشكوى والتألم فقال أيديكم فى الدنيا مبسوطة وأيدى مستحقى الرئاسة ومستوجبى الأمر مكفوفة وسيوفكم مسلطة على أهل البيت الذين هم القادة والرؤساء وسيوفهم مقبوضة عنكم وكأنه كان يرمز إلى ماسيقع من قتل الحسين ع وأهله وكأنه يشاهد ذلك عيانا ويخطب عليه ويتكلم على الخاطر ألذى سنح له والأمر ألذى كان أخبر به ثم قال إن لكل دم ثائرا يطلب القود والثائر بدمائنا ليس إلا الله وحده ألذى لايعجزه مطلوب و لايفوته

هارب . ومعنى قوله ع كالحاكم فى حق نفسه أنه تعالى لايقصر فى طلب دمائنا كالحاكم ألذى يحكم لنفسه فيكون هوالقاضى و هوالخصم فإنه إذا كان كـذلك يكون مبالغا جـدا فى استيفاء حقوقه . ثم أقسم وخاطب بنى أميـة وصـرح بـذكرهم أنهم ليعرفن الـدنيا عن قليل فى أيدى غيرهم و فى دورهم و أن الملك سـينتزعه منهم أعداؤهم ووقع الأمر بموجب إخباره ع [صـفحه ١٢١] فإن الأمر بقى فى أيـدى بنى أميـة قريبا من تسـعين سـنة ثم عاد إلى البيت الهاشـمى وانتقم الله تعالى منهم على أيدى أشد الناس عداوة لهم

هزيمة مروان بن محمد فى موقعة الزاب ثم مقتله بعد ذلك

سـار عبـد الله بن على بن عبـد الله بن العبـاس فى جمع عظيم للقـاء مروان بن محمـد بن مروان و هوآخر خلفـاء الأـمويين فـالتقيا بالزاب من أرض الموصل ومروان فى جموع عظيمـة وأعـداد كثيرة فهزم مروان واسـتولى عبد الله بن على على عسـكره وقتل من أصـحابه خلقـا عظيمـا وفر مروان هاربـا حـتى أتى الشـام و عبـد الله يتبعـه فصـار إلى مصـر فـاتبعه عبـد الله بجنـوده فقتله ببوصـير الأشـمونين من صـعيد مصـر وقتل خواصه وبطانته كلها و قد كان عبد الله قتل من بنى أمية على نهر أبى فطرس من بلاد فلسـطين قريبا من ثمانين رجلا قتلهم مثلـة واحتـذى أخوه داود بن على بالحجاز فعله فقتل منهم قريبا من هـذه العـدة بأنواع المثل . و كان مع مروان حين قتل ابناه عبـد الله وعبيـد الله وكانا وليى عهـده فهربا فى خواصـهما إلى أسوان من صـعيد مصـر ثم صارا إلى بلاد النوبة ونالهم جهد شديد وضـر عظيم فهلك عبد الله بن مروان فى جماعة ممن كان معه قتلا وعطشا وضـرا وشاهد من بقى منهم أنواع الشدائـد وضـروب المكاره ووقع عبيـد الله فى عدة ممن نجا معه فى أرض البجه وقطعوا البحر إلى ساحل جدة وتنقل فيمن نجـا معه من أهله ومواليه فى البلاـد مسـتترين راضـين أن يعيشوا سوقـة بعـد أن كـانوا ملوكا فظفر بعبـد الله أيام السـفاح فحبس [صفحه ١٢٢] فلم يزل فى السـجن بقية أيام السفاح وأيام المنصور وأيام المهدى وأيام الهادى وبعض أيام الرشيد وأخرجه الرشيد و هوشـيخ ضـرير فسأله عن خبره فقال يا أمير المؤمنين حبست غلاما بصيرا وأخرجت شيخا ضريرا فقيل إنه هلك فى أيام الرشيد وقيل عاش إلى أن أدرك خلافة الأمين .شهد يوم الزاب مع مروان فى إحدى الروايتين ابراهيم بن الوليد بن عبدالملك المخلوع ألـذى خطب له بالخلافـة بعـدأخيه يزيد بن الوليد بن عبدالملك فقتل فيمن قتل و فى الرواية الثانية أن ابراهيم قتله مروان الحمار قبـل ذلـك . لماانهزم مروان يوم الزاب مضـى نحو الموصل فمنعه أهلها من الـدخول فأتى حران وكانت داره ومقامه و كان أهل حران حين أزيل لعن أمير المؤمنين عن المنابر فى أيام الجمع امتنعوا من إزالته وقالوا لاصـلاة إلابلعن أبى تراب فاتبعه عبد الله بن على بجنوده فلما شارفه خرج مروان عن حران هاربا بين يديه وعبر الفرات ونزل عبد الله بن على على حران فهدم قصر مروان بها و كـان قـدأنفق على بنـائه عشـرة آلاـف ألـف درهم واحتوى على خزائن مروان وأمواله فسـار مروان بـأهله وعـترته من بنى أمية وخواصه حتى نزل بنهر أبى فطرس وسار عبـد الله بن على حتى نزل دمشق فحاصـرها وعليها من قبل مروان الوليـد بن معاويـة بن عبدالملك بن مروان فى خمسين ألف مقاتل فألقى الله تعالى بينهم العصبية فى فضل نزار على اليمن وفضل اليمن على نزار فقتل الوليـد وقيل بل قتل فى حرب عبـد الله بن على وملك عبـد الله دمشق فأتى يزيد بن معاوية بن عبدالملك بن مروان و عبدالجبار بن يزيـد بن عبـدالملك بن مروان فحملهمـا مـأسورين إلى أبى العبـاس السـفاح فقتلهما وصـلبهما بالحيرة وقتل عبـد الله بن على بدمشق خلقا كثيرا من أصـحاب مروان وموالى بنى أمية وأتباعهم ونزل عبد الله على نهر [صـفحه ١٢٣] أبى فطرس فقتل من بنى أمية هناك بضعا وثمانين رجلا و ذلك فى ذى القعدة من سنة ثنتين وثلاثين ومائة

شعر عبد الله بن عمرو العبلى فى رثاء قومه

و فى قتلى نهر أبى فطرس وقتلى الزاب يقول أبوعدى عبد الله بن عمرو العبلى و كان أموى الرأى تقول أمامة لمارأت || نشوزى عن المضجع الأملس وقلة نومى على مضجعى || لدى هجعة الأعين النعس أبى ماعراك فقلت الهموم || عرين أباك فلاتبلسى عرين أباك فحبسنه || من الذل فى شر مامحبس لفقد الأحبة إذ نالها || سهام من الحدث المبئس رمتها المنون بلا نكل || و لاطائشات و لانكس بأسهمها المتلفات النفوس || متى ماتصب مهجة تخلس فصر عنهم بنواحى البلاد || فملقى بأرض و لم يرمس نقى أصيب وأثوابه || من العيب والعار لم تدنس وآخر قدرس فى حفرة || وآخر طار فلم يحسس أفاض المدامع قتلى كدى || وقتلى بكثوة لم ترمس وقتلى بوج وباللابتين || من يثرب خير ماأنفس [صفحه ۱۲۴] وبالزابيين نفوس ثوت || وقتلى بنهر أبى فطرس أولئك قومى أناخت بهم || نوائب من زمن متعس إذاركبوا زينوا الموكبين || و إن جلسوا زينة المجلس و إن عن ذكرهم لم ينم || أبوك وأوحش فى المأنس فذاك ألذى غالنى فاعلمى || و لاتسألى بامرئ متعس هم أضرعونى لريب الزمان || وهم ألصقوا الخد بالمعطس

أنفة بن مسلمة بن عبدالملك

وروى أبوالفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى قال نظر عبد الله بن على فى الحرب إلى فتى عليه أبهة الشرف و هويحارب مستقتلا فناداه يافتى لك الأمان و لوكنت مروان بن محمد قال إلاأكنه فلست بدونه فقال و لك الأمان و لوكنت من كنت فأطرق ثم أنشد لذل الحياة وكره الممات || وكلا أراه طعاما وبيلا و إن لم يكن غيرإحداهما || فسيرا إلى الموت سيرا جميلا . ثم قاتل حتى قتل فإذا هو ابن مسلمة بن عبدالملك [صفحه ۱۲۵]

مما قيل من الشعر فى التحريض على قتل بنى أمية

وروى أبوالفرج أيضا عن محمد بن خلف وكيع قال دخل سديف مولى آل أبى لهب على أبى العباس بالحيرة و أبوالعباس جالس على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسى وبنو أمية حوله على وسائد قدثنيت لهم وكانوا فى أيام دولتهم يجلسونهم والخليفة منهم على الأسرة ويجلس بنو هاشم على الكراسى فدخل الحاجب فقال يا أمير المؤمنين بالباب رجل حجازى أسود راكب على نجيب متلثم يستأذن و لايخبر باسمه ويحلف لايحسر اللثام عن وجهه حتى يرى أمير المؤمنين فقال هذاسديف مولانا أدخله فدخل فلما نظر إلى أبى العباس وبنو أمية حوله حسر اللثام عن وجهه ثم أنشد أصبح الملك ثابت الأساس || بالبهاليل من بنى العباس بالصدور المقدمين قديما || والبحور القماقم الرؤاس ياإمام المطهرين من الذم || و يارأس منتهى كل رأس أنت مهدى هاشم وفتاها || كم أناس رجوك بعدأناس لاتقيلن عبدشمس عثارا || واقطعن كل رقلة وغراس [صفحه ۱۲۶] أنزلوها بحيث أنزلها الله || بدار الهوان والإنعاس خوفها أظهر التودد منها || و بهامنكم كحز المواسى أقصهم أيها الخليفة واحسم || عنك بالسيف شأفة الأرجاس واذكرن مصرع الحسين وزيد || وقتيلا بجانب المهراس والقتيل ألذى بحران أمسى || ثاويا بين غربة وتناس فلقد ساءنى وساء سوائى || قربهم من نمارق وكراسى نعم كلب الهراش مولاك شبل || لونجا من حبائل الإفلاس . قال فتغير لون أبى العباس وأخذه زمع ورعدة فالتفت بعض ولد سليمان بن عبدالملك إلى آخر فيهم كان إلى جانبه

فقال قتلنا و الله العبد فأقبل أبوالعباس عليهم فقال يابنى الزوانى لاأرى قتلاكم من أهلى قدسلفوا وأنتم أحياء تتلذذون فى الدنيا خذوهم فأخذتهم الخراسانية بالكافر كوبات فأهمدوا إلا ما كان من عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز فإنه استجار بداود بن على و قال إن أبى لم يكن كآبائهم [صفحه ١٢٧] و قدعلمت صنيعته إليكم فأجاره واستوهبه من السفاح و قال له قدعلمت صنيع أبيه إلينا فوهبه له و قال لايرينى وجهه وليكن بحيث نأمنه وكتب إلى عماله فى الآفاق بقتل بنى أمية.فأما أبوالعباس المبرد فإنه روى فى الكامل هذاالشعر على غير هذاالوجه و لم ينسبه إلى سديف بل إلى شبل مولى بنى هاشم . قال أبوالعباس دخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على و قدأجلس ثمانين من بنى أمية على سمط الطعام فأنشده أصبح الملك ثابت الأساس || بالبهاليل من بنى العباس طلبوا وتر هاشم وشفوها || بعدميل من الزمان ويأس لاتقيلن عبدشمس عثارا || واقطعن كل رقلة وأواسى ذلها أظهر التودد منها || و بهامنكم كحز المواسى ولقد غاظنى وغاظ سوائى || قربها من نمارق وكراسى أنزلوها بحيث أنزلها الله || بدار الهوان والإتعاس واذكرا مصرع الحسين وزيد || وقتلا بجانب المهراس والقتيل ألذى بحران أضحى || ثاويا بين غربة وتناس نعم شبل الهراش مولاك شبل || لونجا من حبائل الإفلاس .فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ودعا [صفحه ١٢٨] بالطعام وإنه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا و قال لشبل لو لاأنك خلطت شعرك بالمسألة لأغنمتك أموالهم ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم . قال أبوالعباس الرقلة النخلة الطويلة والأواسى جمع آسية وهى أصل البناء كالأساس وقتيل المهراس حمزة ع والمهراس ماء بأحد وقتيل حران ابراهيم الإمام . قال أبوالعباس فأما سديف فإنه لم يقم هذاالمقام وإنما قام مقاما آخر دخل على أبى العباس السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبدالملك و قدأعطاه يده فقبلها وأدناه فأقبل على السفاح و قال له لايغرنك ماترى من رجال || إن تحت الضلوع داء دويا فضع السيف وارفع السوط حتى || لاترى فوق ظهرها أمويا . فقال سليمان ما لى و لك أيها الشيخ قتلتنى قتلك الله فقام أبوالعباس فدخل و إذاالمنديل قدألقى فى عنق سليمان ثم جر فقتل .فأما سليمان بن يزيد بن عبدالملك بن مروان فقتل بالبلقاء وحمل رأسه إلى عبد الله بن على

أخبار متفرقة فى انتقال الملك من بنى أمية إلى بنى العباس

وذكر صاحب مروج الذهب أنه أرسل عبد الله أخاه صالح بن على ومعه عامر بن إسماعيل أحد الشيعة الخراسانية إلى مصر فلحقوا مروان ببوصير فقتلوه وقتلوا كل من كان معه من أهله وبطانته وهجموا على الكنيسة التى فيهابناته ونساؤه فوجدوا خادما بيده سيف مشهور يسابقهم على الدخول فأخذوه وسألوه عن أمره فقال إن [صفحه ١٢٩] أمير المؤمنين أمرنى إن هوقتل أن أقتل بناته ونساءه كلهن قبل أن تصلوا إليهن فأرادوا قتله فقال لاتقتلونى فإنكم إن قتلتمونى فقدتم ميراث رسول الله ص فقالوا و ما هوفأخرجهم من القرية إلى كثبان من الرمل فقال اكشفوا هاهنا فإذاالبردة والقضيب وقعب مخضب قددفنها مروان ضنا بها أن تصير إلى بنى هاشم فوجه به عامر بن إسماعيل إلى صالح بن على فوجه به صالح إلى أخيه عبد الله فوجه به عبد الله إلى أبى العباس وتداوله خلفاء بنى العباس من بعد. وأدخل بنات مروان وحرمه ونساؤه على صالح بن على فتكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت ياعم أمير المؤمنين حفظ الله لك من أمرك ماتحب حفظه وأسعدك فى أحوالك كلها وعمك بخواص نعمه وشملك بالعافية فى الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك و ابن عمك فليسعنا من عدلكم ماوسعنا من جوركم قال إذا لانستبقى منكم أحدا لأنكم قدقتلتم ابراهيم الإمام وزيد بن على ويحيى بن زيد ومسلم بن عقيل وقتلتم خير أهل الأرض حسينا وإخوته وبنيه و أهل بيته وسقتم نساءه سبايا كمايساق ذرارى الروم على الأقتاب إلى الشام فقال ياعم أمير المؤمنين فليسعنا عفوكم إذا قال أما

هـذافنعم و إن أحببت زوجتـک من ابنی الفضـل بن صالـح قـالت یـاعم أمیر المؤمنین و أی ساعـۀ عرس تری بـل تلحقنـا بحران فحملهن إلی حران . کـان عبـدالرحمن بن حـبیب بن مسـلمۀ الفهری عامـل إفریقیـۀ لمروان فلمـا حـدثت الحادثـۀ هرب عبـد الله والعاص ابنا الولید بن یزید بن عبدالملک إلیه فاعتصما به فخاف [صفحه ۱۳۰] علی نفسه منهما ورأی میل الناس إلیهما فقتلهما و کان عبـدالرحمن بن معاویـۀ بن هشام بن عبدالملک یرید أن یقصده ویلتجئ إلیه فلما علم ماجری لابنی الولید بن یزید خاف منه فقطع المجاز بین إفریقیـۀ والأنـدلس ورکب البحر حتی حصل بالأندلس فالأمراء الذین ولوها کانوا من ولده . ثم زال أمرهم ودولتهم علی أیـدی بنی هـاشم أیضا وهم بنو حمود الحسـنیون من ولـد إدریس بن الحسن ع . لماقتل عامر بن إسـماعیل مروان ببوصـیر واحتوی علی عسـکره دخـل إلی الکنیسـۀ التی کـان فیهافقعـد علی فراشه وأکـل من طعامه فقالت له ابنـۀ مروان الکبری وتعرف بأم مروان یاعامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه حتی أقعـدک علیها تأکل من طعامه لیلۀ قتله محتویا علی أمره حاکما فی ملکه وحرمه وأهله لقادر أن یغیر ذلک فأنهی هذاالکلام إلی أبی العباس السفاح فاستهجن مافعله عامر بن إسماعیل وکتب إلیه أ مـا کـان لـک فی أدب الله مـایزجرک أن تقعـد فی مثـل تلـک الساعـۀ علی مهاد مروان وتأکل من طعامه أما و الله لو لا أن أمیر المؤمنین أنزل مافعلته علی غیراعتقاد منک لذلک و لانهم علی طعام لمسک من غضـبه وألیم أدبه ما یکون لک زاجرا ولغیرک واعظا فإذاأتاک کتاب أمیر المؤمنین فتقرب إلی الله بصدقۀ تطفئ بهاغضـبه وصـلاۀ تظهر فیهاالخشوع والاسـتکانۀ له وصم ثلاثۀ أیام وتب إلی الله من جمیع مایسـخطه ویغضـبه ومر جمیع أصحابک أن یصوموا مثل صیامک . و لماأتی أبوالعباس برأس مروان سجـد فأطال ثم رفع رأسه و قال الحمـد لله ألـذی [صـفحه ۱۳۱] لم یبق ثأرنـا قبلک وقبل رهطک الحمـد لله ألـذی أظفرنا بک وأظهرنـا علیک ماأبالی متی طرقنی الموت و قـدقتلت بالحسـین ع ألفا من بنی أمیـۀ وأحرقت شـلو هشام بابن عمی زیـد بن علی کماأحرقوا شـلوه وتمثل لویشـربون دمی لم یرو شاربهم || و لادماؤهم جمعا تروینی . ثم حول وجهه إلی القبلـۀ فسجد ثانیۀ ثم جلس فتمثـل أبی قومنـا أن ینصـفونا فأنصـفت || قواطع فی أیماننا تقطر الـدما إذاخالطت هام الرجال ترکتها || کبیض نعام فی الثری قـدتحطما ثم قال أمامروان فقتلناه بأخی ابراهیم وقتلنا سائر بنی أمیـۀ بحسـین و من قتل معه وبعده من بنی عمنا أبی طالب . وروی المسعودی فی کتاب مروج الذهب عن الهیثم بن عدی قال حدثنی عمرو بن هانئ الطائی قال خرجت مع عبد الله بن علی لنبش قبور بنی أمیـۀ فی أیام أبی العباس السـفاح فانتهینا إلی قبر هشام بن عبـدالملک فاسـتخرجناه صـحیحا مافقدنا منه إلاعرنین أنفه فضـربه عبد الله بن علی ثمانین سوطا ثم أحرقه واسـتخرجنا سـلیمان بن عبدالملک من أرض دابق فلم نجد منه شیئا إلاصلبه ورأسه وأضـلاعه فأحرقناه وفعلنا مثل ذلک بغیرهما من بنی أمیۀ وکانت قبورهم بقنسـرین ثم انتهینا إلی دمشق فاسـتخرجنا الولید بن عبـدالملک فمـا وجـدنا فی قبره قلیلاـ و لاـکثیرا واحتفرنا عن عبـدالملک فما وجـدنا إلاشـئون رأسه ثم احتفرنا عن یزیـد بن معاویـۀ فلم نجـد منه إلاعظما واحدا ووجدنا [صـفحه ۱۳۲] من موضع نحره إلی قـدمه خطـا واحـدا أسود کأنما خط بالرماد فی طول لحـده وتتبعنا قبورهم فی جمیع البلدان فأحرقنا ماوجدنا فیهامنهم . قلت قرأت هذاالخبر علی النقیب أبی جعفریحیی بن أبی زید العلوی بن عبد الله فی سـنۀ خمس وسـتمائۀ و قلت له أماإحراق هشام بإحراق زید فمفهوم فما معنی جلده ثمانین سوطا فقال رحمه الله تعالی أظن عبـد الله بن علی ذهب فی ذلک إلی حـد القـذف لأنه یقال إنه قال لزیـد یا ابن الزانیۀ لماسب أخاه محمدا الباقر ع فسبه زید و قال له سماه رسول الله ص الباقر وتسمیه أنت البقرۀ لشد مااختلفتما ولتخالفنه فی الآخرۀ کماخالفته فی الدنیا فیرد الجنۀ وترد النـار. و هذاالاسـتنباط لطیف . قـال مروان لکاتبه عبدالحمیـد بن یحیی حین أیقن بزوال ملکه قـداحتجت إلی أن تصیر مع عدوی وتظهر الغدر بی فإن إعجابهم ببلاغتک وحاجتهم إلی کتابتک تدعوهم إلی اصطناعک وتقریبک فإن استطعت أن تسـعی لتنفعنی فی حیاتی و إلافلن تعجز عن حفظ حرمی بعـدوفاتی فقال عبدالحمیـد إن ألذی أشـرت به هوأنفع الأمرین لی وأقبحهما بی و ماعندی إلاالصبر معک حتی یفتح الله لک أوأقتل بین یدیک ثم أنشد أسـر وفاء ثم أظهر غدرۀ || فمن لی بعذر

يوسع الناس ظاهره .فثبت على حاله و لم يصر إلى بنى هاشم حتى قتل مروان ثم قتل هوبعده صبرا. [صفحه ۱۳۳] و قال إسماعيل بن عبد الله القسرى دعانى مروان و قدانتهت به الهزيمة إلى حران فقال يا أباهاشم و ما كان يكنينى قبلها قدترى ماجاء من الأمر و أنت الموثوق به و لاعطر بعدعروس ماالرأى عندك فقلت يا أمير المؤمنين علام أجمعت قال ارتحل بموالى و من تبعنى حتى آتى الدرب وأميل إلى بعض مدن الروم فأنزلها وأكاتب ملك الروم وأستوثق منه فقد فعل ذلك جماعة من ملوك الأعاجم و ليس هذاعارا على الملوك فلايزال يأتينى من الأصحاب الخائف والهارب والطامع فيكثر من معى و لاأزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى وينصرنى على عدوى فلما رأيت ماأجمع عليه من ذلك و كان الرأى ورأيت آثاره فى قومه من نزار وعصبيته على قومى من قحطان غششته فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذاالرأى أن تحكم أهل الشرك فى بناتك وحرمك وهم الروم لاوفاء لهم و لايدرى ماتأتى به الأيام و إن حدث عليك حدث من أرض النصرانية و لايحدثن الله عليك إلاخيرا ضاع من بعدك ولكن اقطع الفرات واستنفر الشام جندا جندا فإنك فى كنف وعدة و لك فى كل جند صنائع وأصحاب إلى أن تأتى مصر فهى أكثر أرض الله مالا وخيلا ورجالا والشام أمامك وإفريقية خلفك فإن رأيت ماتحب انصرفت إلى الشام و إن كانت الأخرى مضيت إلى إفريقية فقال صدقت وأستخير الله فقطع الفرات و الله ماقطعه معه من قيس إلارجلان ابن حديد السلمى و كان أخاه من الرضاعة والكوثر بن الأسود الغنوى وغدر به سائر النزارية مع تعصبه لهم فلما اجتاز ببلاد قنسرين وخناصرة أوقعوا بساقته ووثب به أهل حمص وصار إلى دمشق فوثب به الحارث بن عبدالرحمن الحرشى ثم العقيلى ثم أتى الأردن فوثب به هاشم بن عمرو التميمى ثم مر بفلسطين فوثب به أهلها وعلم مروان أن إسماعيل بن عبد الله قدغشه فى الرأى و لم يمحضه النصيحة و أنه فرط فى مشورته إياه [صفحه ۱۳۴] إذ شاور رجلا من قحطان موتورا شانئا له و إن الرأى كان أول ألذى هم به من قطع الدرب والنزول ببعض مدن الروم ومكاتبته ملكها ولله أمر هوبالغه . لمانزل مروان بالزاب جرد من رجاله ممن اختاره من أهل الشام والجزيرة وغيرها مائة ألف فارس على مائة ألف قارح ثم نظر إليهم و قال إنها لعدة و لاتنفع العدة إذاانقضت المدة. لماأشرف عبد الله بن على يوم الزاب فى المسودة و فى أوائلهم البنود السود تحملها الرجال على الجمال البخت و قدجعل لها بدلا من القنا خشب الصفصاف والغرب قال مروان لمن قرب منه أ ماترون رماحهم كأنها النخل غلظا أ ماترون أعلامهم فوق هذه الإبل كأنها قطع الغمام السود فبينما هوينظرها ويعجب إذ طارت قطعة عظيمة من الغربان السود فنزلت على أول عسكر عبد الله بن على واتصل سوادها بسواد تلك الرايات والبنود ومروان ينظر فازداد تعجبه و قال أ ماترون إلى السواد قداتصل بالسواد حتى صار الكل كالسحب السود المتكاثفة ثم أقبل على رجل إلى جنبه فقال أ لاتعرفنى من صاحب جيشهم فقال عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب قال ويحك أ من ولد العباس هو قال نعم قال و الله لوددت أن على بن أبى طالب ع مكانه فى هذاالصف قال يا أمير المؤمنين أتقول هذالعلى مع شجاعته التى ملأ الدنيا ذكرها قال ويحك إن عليا مع شجاعته صاحب دين و إن الدين غيرالملك وإنا نروى عن قديمنا أنه لا شىءلعلى و لالولده فى هذا ثم قال من هو من ولد العباس [صفحه ۱۳۵] فإنى لاأثبت شخصه قال هو الرجل ألذى كان يخاصم بين يديك عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فقال أذكرنى صورته وحليته قال هو الرجل الأقنى الحديد العضل المعروق الوجه الخفيف اللحية الفصيح اللسان ألذى قلت لماسمعت كلامه يومئذ يرزق الله البيان من يشاء فقال وإنه لهو قال نعم فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أتعلم لم صيرت الأمر بعدى لولدى عبد الله وابنى محمدأكبر سنا منه قال لا قال إن آباءنا أخبرونا أن الأمر صائر بعدى إلى رجل اسمه عبد الله فوليته دونه . ثم بعث مروان بعد أن حدث صاحبه بهذا الحديث إلى عبد الله بن على سرا فقال يا ابن عم إن هذاالأمر صائر إليك فاتق الله واحفظنى فى حرمى فبعث إليه عبد الله أن الحق لنا فى دمك و أن الحق علينا فى حرمك . قلت إن مروان ظن أن الخلافة تكون لعبد الله بن على لأن اسمه عبد الله و لم يعلم أنها تكون لآخر اسمه عبد الله و هو أبوالعباس السفاح . كان العلاء بن رافع سبط

ذى الكلاع الحميرى مؤنسا لسليمان بن هشام بن عبدالملك لايكاد يفارقه و كان أمر المسودة بخراسان قدظهر ودنوا من العراق واشتد إرجاف الناس ونطق العدو بما أحب فى بنى أمية وأوليائهم . قال العلاء فإنى لمع سليمان و هويشرب تجاه رصافة أبيه و ذلك فى آخر أيام يزيد الناقص وعنده الحكم الوادى و هويغنيه بشعر العرجى إن الحبيب تروحت أجماله || أصلا فدمعك دائم إسباله فاقن الحياء فقد بكيت بعولة || لو كان ينفع باكيا إعواله [صفحه ۱۳۶] ياحبذا تلك الحمول وحبذا || شخص هناك وحبذا أمثاله .فأجاد ماشاء وشرب سليمان بن هشام بالرطل وشربنا معه حتى توسدنا أيدينا فلم أنتبه إلابتحريك سليمان إياى فقمت مسرعا و قلت ماشأن الأمير فقال على رسلك رأيت كأنى فى مسجد دمشق وكأن رجلا على يده حجر و على رأسه تاج أرى بصيص ما فيه من الجوهر و هورافع صوته بهذا الشعر أبنى أمية قددنا تشتيتكم || وذهاب ملككم و ليس براجع وينال صفوته عدو ظالم || كأسا لكم بسمام موت ناقع .فقلت أعيذ الأمير بالله وساوس الشيطان الرجيم هذا من أضغاث الأحلام ومما يقتضيه ويجلبه الفكر وسماع الأراجيف فقال الأمر كما قلت لك ثم وجم ساعة و قال ياحميرى بعيد مايأتى به الزمان قريب قال العلاء فو الله مااجتمعنا على شراب بعد ذلك اليوم .سئل بعض شيوخ بنى أمية عقيب زوال الملك عنهم ما كان سبب زوال ملككم فقال جار عمالنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فجلوا عنا وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا وأمضوا أمورا دوننا أخفوا علمها عنا وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا وطلبنا أعداءنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا و كان استتار الأخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا. كان سعيد بن عمر بن جعدة بن هبيرة المخزومى أحد وزراء مروان وسماره فلما ظهر [صفحه ۱۳۷] أمر أبى العباس السفاح انحاز إلى بنى هاشم ومت إليهم بأم هانئ بنت أبى طالب وكانت تحت هبيرة بن أبى وهب فأتت منه بجعدة فصار من خواص السفاح وبطانته فجلس السفاح يوما وأمر بإحضار رأس مروان و هوبالحيرة يومئذ ثم قال للحاضرين أيكم يعرف هذا فقال سعيد أناأعرفه هذارأس أبى عبدالملك مروان بن محمد بن مروان خليفتنا بالأمس رحمه الله تعالى قال سعيد فحدقت إلى الشيعة ورمتنى بأبصارها فقال لى أبوالعباس فى أى سنة كان مولده قلت سنة ست وسبعين فقام و قدتغير لونه غضبا على وتفرق الناس من المجلس وتحدثوا به فقلت زلة و الله لاتستقال و لاينساها القوم أبدا فأتيت منزلى فلم أزل باقى يومى أعهد وأوصى فلما كان الليل اغتسلت وتهيأت للصلاة و كان أبوالعباس إذاهم بأمر بعث فيه ليلا فلم أزل ساهرا حتى أصبحت وركبت بغلتى وأفكرت فيمن أقصد فى أمرى فلم أجد أحدا أولى من سليمان بن مجالد مولى بنى زهرة وكانت له من أبى العباس منزلة عظيمة و كان من شيعة القوم فأتيته فقلت له أذكرنى أمير المؤمنين البارحة قال نعم جرى ذكرك فقال هو ابن أختنا وفى لصاحبه ونحن لوأوليناه خيرا لكان لنا أشكر فشكرت لسليمان بن مجالد ماأخبرنى به وجزيته خيرا وانصرفت فلم أزل من أبى العباس على ماكنت عليه لاأرى منه إلاخيرا. وإنما ذلك المجلس إلى عبد الله بن على و إلى أبى جعفرالمنصور فأما عبد الله بن على فكتب إلى أبى العباس يغريه بى ويعاتبه على الإمساك عنى و يقول له إنه ليس مثل هذامما يحتمل وكتب إليه أبو جعفريعذر لى وضرب الدهر ضربه فأتى ذات يوم عند أبى العباس فنهض ونهضت فقال لى على رسلك يا ابن هبيرة فجلست فرفع الستر ودخل وثبت فى مجلسه قليلا ثم خرج فى ثوبى وشى ورداء وجبة فما رأيت و الله أحسن منه و لامما عليه قط فقال لى يا ابن هبيرة إنى ذاكر لك أمرا فلا [صفحه ۱۳۸] يخرجن من رأسك إلى أحد من الناس قلت نعم قال قدعلمت ماجعلنا من هذاالأمر وولاية العهد لمن قتل مروان وإنما قتله عمى عبد الله بجيشه وأصحابه ونفسه وتدبيره و أناشديد الفكر فى أمر أخى أبى جعفر فى فضله وعلمه وسنه وإيثاره لهذا الأمر كيف أخرجه عنه فقلت أصلح الله أمير المؤمنين إنى أحدثك حديثا تعتبر به وتستغنى بسماعه عن مشاورتى قال هاته فقلت كنا مع مسلمة بن عبدالملك عام الخليج بالقسطنطينية إذ ورد علينا كتاب عمر بن عبدالعزيز ينعى سليمان ومصير الأمر إليه فدخلت إليه فرمى الكتاب إلى فقرأته واسترجعت واندفع يبكى وأطال فقلت أصلح الله الأمير وأطال

بقاءه إن البكاء على الأمر الفائت عجز والموت منهل لابـد من ورده فقال ويحك إنى لست أبكى على أخى لكنى أبكى لخروج الأمر عن ولـد أبى إلى ولـد عمى فقال أبوالعباس حسبك فقد فهمت عنك ثم قال إذاشـئت فانهض فلما نهضت لم أمض بعيدا حتى قال لى يا ابن هبيرة فالتفت إليه فقال أماإنك قدكافأت أحدهما وأخذت بثأرك من الآخر قال سعيد فو الله ماأدرى من أى الأمرين أعجب من فطنته أم من ذكره . لماساير عبـد الله بن على فى آخر أيام بنى أميـة عبـد الله بن حسن بن حسن ومعهما داود بن على فقـال داود لعبـد الله بن الحسن لم لاتـأمر ابنيك بالظهور فقال عبـد الله بن حسن لم يأن لهما بعـدفالتفت إليه عبـد الله بن على فقـال أظنـك ترى أن ابنيـك قاتلاـ مروان فقـال عبـد الله بن حسن إنه ذلك قال هيهات ثم تمثل [صـفحه ١٣٩] سيكفيك الجعالـة مستميت || خفيف الحـاذ من فتيـان جرم أنـا و الله أقتـل مروان وأسـلبه ملكه لا أنت و لاولـداك . و قـدروى أبوالفرج الأصفهانى فى كتاب الأغانى روايةً أخرى فى سبب قتل السفاح لمن كان أمنه من بنى أميةٔ قال حدث الزبير بن بكار عن عمه أن السـفاح أنشد يوما قصـيدةً مدح بها وعنده قوم من بنى أميةٔ كان آمنهم على أنفسهم فأقبل على بعضهم فقال أين هذاما مدحتم به فقال هيهات لا يقول و الله أحد فيكم مثل قول ابن قيس الرقيات فينا مانقموا من بنى أميةٔ إلا || أنهم يحلمون إن غضبوا وأنهم معـدن الملوك فما || تصلـح إلاعليهم العرب . فقال له ياماص كذا من أمه و إن الخلافةٔ لفى نفسك بعدخذوهم فأخذوا وقتلوا. وروى أبوالفرج أيضـا أن أباالعباس دعا بالغـداء حين قتلوا وأمر ببساط فبسط عليهم وجلس فوقه يأكل وهم يضـطربون تحته فلما فرغ قـال ماأعلم أنى أكلت أكلـةً قط كانت أطيب و لاأهنأ فى نفسـى من هـذه فلما فرغ من الأكل قال جروهم بأرجلهم وألقوهم فى الطريق ليلعنهم النـاس أمواتـا كمـالعنوهم أحياء. [صـفحه ١٤٠] قـال فلقـد رأينا الكلاب تجرهم بأرجلهم وعليهم سـراويلات الوشـى حتى أنتنوا ثم حفرت لهم بئر فألقوا فيها. قال أبوالفرج وروى عمر بن شـبةٔ قال حـدثنى محمـد بن معن الغفارى عن معبد الأنبارى عن أبيه قال لماأقبل داود بن على من مكـةٔ أقبل معه بنو حسن جميعا وفيهم عبد الله بن حسن بن حسن وأخوه حسن بن الحسن ومعهم محمـد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان و هوأخو عبد الله بن الحسن لأمه فعمل داود مجلسا ببعض الطريق جلس فيه هو والهاشـميون كلهم وجلس الأمويون تحتهم فجاء ابن هرمةٔ فأنشده قصيدةً يقول فيها فلاعفا الله عن مروان مظلمةً || و لاأميـةٔ بئس المجلس النادى كانوا كعاد فأمسـى الله أهلكهم || بمثل ماأهلك الغاوين من عاد فلن يكـذبنى من هاشم أحد || فيما أقول و لوأكثرت تعـدادى . قال فنبـذ داود نحو عبـدالرحمن بن عنبسةٔ بن سـعيد بن العاص ضـحكةً كالكشـرةٔ فلما قاموا قال عبـد الله بـن الحسـن لأـخيه الحسـن بـن الحسن أ مـارأيت ضـحك داود إلى ابن عنبسـةٔ الحمـد لله ألـذى صـرفها عن أخى يعنى العثمانى قال فما هو إلا أن قـدم المدينةٔ حتى قتل ابن عنبسةٔ. قال أبوالفرج وحدثنى محمد بن معن قال حدثنى محمد بن عبد الله بن عمرو [صـفحه ١٤١] بن عثمـان قال اسـتحلف أخى عبـد الله بن الحسن داود بن على و قدحـج معه سـنةٔ اثنتين وثلاثين ومائةٔ بطلاق امرأته مليكـةٔ بنت داود بن الحسن ألا يقتل أخويه محمدا والقاسم ابنى عبد الله بن عمرو بن عثمان قال فكنت أختلف إليه آمنا و هويقتل بنى أميةٔ و كان يكره أن يرانى أهل خراسان و لايسـتطيع إلى سبيلا ليمينه فاسـتدنانى يوما فدنوت منه فقال ماأكثر الغفلـةٔ وأقل الحزمـةٔ فأخبرت بهاأخى عبد الله بن الحسن فقال يا ابن أم تغيب عن الرجل وأقل عنه فتغيب حتى مات . قلت إلا أن ذلك الـدين ألذى لم يقضه داود قضاه أبو جعفرالمنصور. وروى أبوالفرج فى الكتاب المذكور أن سديفا أنشد أباالعباس وعنده رجـال من بنى أميـةٔ فقـال يـا ابن عم النبى أنت ضـياء || استبنا بك اليقين الجليا فلما بلغ قوله جرد السـيف وارفع العفو حتى || لاـترى فوق ظهرهـا أمويا قطن البغض فى القـديم وأضـحى || ثابتا فى قلوبهم مطويا وهى طويلـةٔ فقال أبوالعباس ياسـديف خلق الإنسان من عجل ثم أنشد أبوالعباس متمثلا أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا || فلن تبيد وللآباء أبناء [صفحه ١٤٢] ثم أمر بمن عنده فقتلوا. وروى أبوالفرج أيضا عن على بن محمد بن سـليمان النوفلى عن أبيه عن عمومته أنهم حضـروا سـليمان بن على بالبصرةٔ و قدحضـر جماعةٔ من بنى أميةٔ عنده عليهم الثياب الموشاةٔ المرتفعةٔ قال أحد الرواةٔ المذكورين فكأنى أنظر إلى أحدهم و قدأسود

شيب فى عارضيه من الغالية فأمر بهم فقتلوا وجروا بأرجلهم فألقوا على الطريق و إن عليهم لسراويلات الوشى والكلاب تجرهم بأرجلهم . وروى أبوالفرج أيضا عن طارق بن المبارك عن أبيه قال جاءنى رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان قال يقول لک عمرو قدجاءت هذه الدولة و أناحديث السن كثير العيال منتشر الأموال فما أكون فى قبيلة إلاشهر أمرى وعرفت و قدعزمت على أن أخرج من الاستتار وأفدى حرمى بنفسى و أناصائر إلى باب الأمير سليمان بن على فصر إلى فوافيته فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشى مسدول فقلت ياسبحان الله ماتصنع الحداثة بأهلها أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لماتريد لقاءهم فيه فقال لا و الله ولكن ليس عندى ثوب إلاأشهر مما ترى فأعطيته طيلسانى وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبتيه فدخل إلى سليمان ثم خرج مسرورا فقلت له حدثنى ماجرى بينک و بين الأمير قال دخلت عليه و لم يرنى قط فقلت أصلح الله الأمير لفظتنى البلاد إليک ودلنى فضلک [صفحه ۱۴۳] عليک إما قتلتنى غانما وإما أمنتنى سالما فقال و من أنت حتى أعرفک فانتسبت له فقال مرحبا بک اقعد فتكلم سالما آمنا ثم أقبل على فقال حاجتک يا ابن أخى فقلت إن الحرم اللواتى أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قدخفن لخوفنا و من خاف خيف عليه فو الله ماأجابنى إلابدموعه على خديه ثم قال يا ابن أخى يحقن الله دمک ويحفظک فى حرمک ويوفر عليک مالک فو الله لوأمكننى ذلک فى جميع قومک لفعلت فكن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتنى رقاعک قال فو الله لقد كنت أكتب إليه كمايكتب الرجل إلى أبيه وعمه قال فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه فقال مهلا فإن ثيابنا إذافارقتنا لم ترجع إلينا. وروى أبوالفرج الأصفهانى قال أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى عن عمر بن شبة قال قال سديف لأبى العباس يحضه على بنى أمية ويذكر من قتل مروان وبنو أمية من أهله كيف بالعفو عنهم وقديما || قتلوكم وهتكوا الحرمات أين زيد وأين يحيى بن زيد || يالها من مصيبة وترات والإمام ألذى أصيب بحران || إمام الهدى ورأس الثقات قتلوا آل أحمد لاعفا الذنب || لمروان غافر السيئات . قال أبوالفرج وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال أنشدنى محمد بن يزيد المبرد لرجل من شيعة بنى العباس يحضهم على بنى أمية [صفحه ۱۴۴] إياكم أن تلينوا لاعتذارهم || فليس ذلک إلاالخوف والطمع لوأنهم أمنوا أبدوا عداوتهم || لكنهم قمعوا بالذل فانقمعوا أ ليس فى ألف شهر قدمضت لهم || سقيتم جرعا من بعدها جرع حتى إذا ماانقضت أيام مدتهم || متوا إليكم بالأرحام التى قطعوا هيهات لابد أن يسقوا بكأسهم || ريا و أن يحصدوا الزرع ألذى زرعوا إنا وإخواننا الأنصار شيعتكم || إذاتفرقت الأهواء والشيع . قال أبوالفرج وروى ابن المعتز فى قصة سديف مثل ماذكرناه من قبل إلا أنه قال فيها فلما أنشده ذلک التفت إليه أبوالغمر سليمان بن هشام فقال ياماص بظر أمه أتجبهنا بمثل هذا ونحن سروات الناس فغضب أبوالعباس و كان سليمان بن هشام صديقه قديما وحديثا يقضى حوائجه فى أيامهم ويبره فلم يلتفت إلى ذلک وصاح بالخراسانية خذوهم فقتلوهم جميعا إلاسليمان بن هشام فأقبل عليه أبوالعباس فقال يا أباالغمر ماأرى لک فى الحياة بعدهؤلاء خيرا قال لا و الله قال فاقتلوه و كان إلى جنبه فقتل وصلبوا فى بستانه حتى تأذى جلساؤه بريحهم فكلموه فى ذلک فقال و الله إن ريحهم عندى لألذ وأطيب من ريح المسک والعنبر غيظا عليهم وحنقا. قال أبوالفرج و كان أبوسعيد مولى فائد من مواليهم يعد فى موالى عثمان بن عفان واسم أبى سعيد ابراهيم و هو من شعرائهم الذين رثوهم وبكوا على دولتهم وأيامهم فمن شعره بعدزوال أمرهم [صفحه ۱۴۵] بكيت و ماذا يرد البكاء || وقل البكاء لقتلى كداء أصيبوا معا فتولوا معا || كذلک كانوا معا فى رخاء بكت لهم الأرض من بعدهم || وناحت عليهم نجوم السماء وكانوا ضياء فلما انقضى || الزمان بقومى تولى الضياء . و من شعره فيهم أثر الدهر فى رجالى فقلوا || بعدجمع فراح عظمى مهيضا ماتذكرتهم فتملک عينى || فيض دمع وحق لى أن تفيضا و من شعره فيهم أولئک قومى بعد عز وثروة || تداعوا فإلا تذرف العين أكمد كأنهم لأناس للموت غيرهم || و إن كان فيهم منصفا غيرمعتد و قال أبوالفرج ركب المأمون بدمشق يتصيد حتى بلغ جبل الثلج فوقف فى بعض الطريق على بركة عظيمة فى جوانبها أربع سروات لم ير أحسن منها فنزل هناک

وجعل ينظر إلى آثار بنى أمية ويعجب منها ويذكرهم ثم دعا بطبق عليه طعام فأكل وأمر علوية فغنى أولئك قومى بعد عز ومنعة || تفانوا فإلا تذرف العين أكمد و كان علوية من موالى بنى أمية فغضب المأمون و قال يا ابن الفاعلة أ لم يكن لك وقت تبكى فيه على قومك إلاـ هذاالوقت قال كيف لاـأبكى عليهم ومولاـكم زرياب كان فى أيام دولتهم يركب معهم فى مائة غلام و أنامولاـهم معكم أموت جوعا فقام المأمون [صفحه ۱۴۶] فركب وانصرف الناس وغضب على علوية عشرين يوما وكلم فيه فرضى عنه ووصله بعشرين ألف درهم . لماضرب عبد الله بن على أعناق بنى أمية قال له قائل من أصحابه هذا و الله جهد البلاء فقال عبد الله كلا ما هذا وشرطة حجام إلاسواء إنما جهد البلاء فقر مدقع بعدغنى موسع .خطب سليمان بن على لماقتل بنى أمية بالبصرة فقال وَ لَقَد كَتَبنا فِي الزّبُورِ مِن بَعدِ الذّكرِ أَنّ الأَرضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَقضاء فصل وقول مبرم فالحمد لله ألذى صدق عبده وأنجز وعده وبعدا للقوم الظالمين الذين اتخذوا الكعبة غرضا والدين هزوا والفيء إرثا والقرآن عضين لقد حاق بهم ماكانوا به يستهزئون وكأين ترى لهم من بئر معطلة وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم و ماربك بظلام للعبيد أمهلهم حتى اضطهدوا العترة ونبذوا السنة واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا.ضرب الوليد بن عبدالملك على بن عبد الله بن العباس بالسياط وشهره بين الناس يدار به على بعير ووجهه مما يلى ذنب البعير وصائح يصيح أمامه هذا على بن عبد الله الكذاب فقال له قائل و هو على تلك الحال ما ألذى نسبوك إليه من الكذب يا أبا محمد قال بلغهم قولى إن هذاالأمر سيكون فى ولدى و الله ليكونن فيهم -قرآن-۳۲۸-۴۲۰ [صفحه ۱۴۷] حتى يملكه عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه الذين كان وجوههم المجان المطرقة. وروى أن على بن عبد الله دخل على هشام ومعه ابنا ابنه الخليفتان أبوالعباس و أبو جعفرفكلمه فيما أراد ثم ولى فقال هشام إن هذاالشيخ قدخرف وأهتر يقول إن هذاالأمر سينتقل إلى ولده فسمع على بن عبد الله كلامه فالتفت إليه و قال إى و الله ليكونن ذلك وليملكن هذان . و قدروى أبوالعباس المبرد فى كتاب الكامل هذاالحديث فقال دخل على بن عبد الله بن العباس على سليمان بن عبدالملك فيما رواه محمد بن شجاع البلخى ومعه ابنا ابنه الخليفتان بعد أبوالعباس و أبو جعفرفأوسع له على سريره وبره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها قال واستوص بابنى هذين خيرا ففعل فشكره على بن عبد الله و قال وصلتك رحم فلما ولى قال سليمان لأصحابه إن هذاالشيخ قداختل وأسن وخلط وصار يقول إن هذاالأمر سينتقل إلى ولده فسمع ذلك على بن عبد الله فالتفت إليه و قال إى و الله ليكونن ذلك وليملكن هذان . قال أبوالعباس المبرد و فى هذه الرواية غلط لأن الخليفة فى ذلك الوقت لم يكن سليمان وإنما ينبغى أن يكون دخل على هشام لأـن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كان يحاول التزويج فى بنى الحارث بن كعب و لم يكن سليمان بن عبدالملك يأذن له فلما قام عمر بن عبدالعزيز جاء فقال إنى أردت أن أتزوج ابنة خالى من بنى الحارث [صفحه ۱۴۸] بن كعب فتأذن لى فقال عمر بن عبدالعزيز تزوج يرحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أباالعباس السفاح وعمر بن عبدالعزيز بعدسليمان و أبوالعباس ينبغى ألاـ يكون تهيأ لمثله أن يدخل على خليفة حتى يترعرع و لايتم مثل هذا إلا فى أيام هشام بن عبدالملك . قال أبوالعباس المبرد و قدجاءت الرواية أن أمير المؤمنين عليا ع لماولد لعبد الله بن العباس مولود فقده وقت صلاة الظهر فقال مابال ابن العباس لم يحضر قالوا ولد له ولد ذكر يا أمير المؤمنين قال فامضوا بنا إليه فأتاه فقال له شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ماسميته فقال يا أمير المؤمنين أ ويجوز لى أن أسميه حتى تسميه فقال أخرجه إلى فأخرجه فأخذه فحنكه ودعا له ثم رده إليه و قال خذ إليك أباالأملاك قدسميته عليا وكنيته أبا الحسن -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۴۶۱ قال فلما قدم معاوية خليفة قال لعبد الله بن العباس لاأجمع لك بين الاسم والكنية قدكنيته أبا محمدفجرت عليه . قلت سألت النقيب أبا جعفريحيى بن محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى فقلت له من أى طريق عرف بنو أمية أن الأمر سينتقل عنهم و أنه سيليه بنو هاشم وأول من يلى منهم يكون اسمه عبد الله و لم منعوهم عن مناكحة بنى الحارث بن كعب لعلمهم أن أول من يلى

الأمر من بنى هاشم تكون أمه حارثية وبأى طريق عرف بنو هاشم أن الأمر سيصير إليهم ويملكه عبيد أولادهم حتى عرفوا صاحب الأمر بعينه كما قدجاء فى هذاالخبر [صفحه ۱۴۹] فقال أصل هذاكله محمد بن الحنفية ثم ابنه عبد الله المكنى أباهاشم . قلت له أفكان محمد بن الحنفية مخصوصا من أمير المؤمنين ع بعلم يستأثر به على أخويه حسن وحسين ع قال لا ولكنهما كتما وأذاع ثم قال قدصحت الرواية عندنا عن أسلافنا و عن غيرهم من أرباب الحديث أن عليا ع لماقبض أتى محمدابنه أخويه حسنا وحسينا ع فقال لهما أعطيانى ميراثى من أبى فقالا له قدعلمت أن أباك لم يترك صفراء و لابيضاء فقال قدعلمت ذلك و ليس ميراث المال أطلب إنما أطلب ميراث العلم . قال أبو جعفررحمه الله تعالى فروى أبان بن عثمان عمن يروى له ذلك عن جعفر بن محمد ع قال فدفعا إليه صحيفة لوأطلعاه على أكثر منها لهلك فيهاذكر دولة بنى العباس -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۲-۱۷۵ .
قال أبو جعفر و قدروى أبو الحسن على بن محمدالنوفلى قال حدثنى عيسى بن على بن عبد الله بن العباس قال لماأردنا الهرب من مروان بن محمد لماقبض على ابراهيم الإمام جعلنا نسخة الصحيفة التى دفعها أبوهاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس وهى التى كان آباؤنا يسمونها صحيفة الدولة فى صندوق من نحاس صغير ثم دفناه تحت زيتونات بالشراة لم يكن بالشراة من الزيتون غيرهن فلما أفضى السلطان إلينا وملكنا الأمر أرسلنا إلى ذلك الموضع فبحث وحفر فلم يوجد فيه شىءفأمرنا بحفر جريب من الأرض فى ذلك الموضع حتى بلغ الحفر الماء و لم نجد شيئا. قال أبو جعفر و قد كان محمد بن الحنفية صرح بالأمر لعبد الله بن العباس وعرفه تفصيله و لم يكن أمير المؤمنين ع قدفصل لعبد الله بن العباس الأمر وإنما أخبره به [صفحه ۱۵۰] مجملا كقوله فى هذاالخبر خذ إليك أباالأملاك ونحو ذلك مما كان يعرض له به ولكن ألذى كشف القناع وأبرز المستور عليه هو محمد بن الحنفية. وكذلك أيضا ماوصل إلى بنى أمية من علم هذاالأمر فإنه وصل من جهة محمد بن الحنفية وأطلعهم على السر ألذى علمه ولكن لم يكشف لهم كشفه لبنى العباس فإن كشفه الأمر لبنى العباس كان أكمل . قال أبو جعفرفأما أبوهاشم فإنه قد كان أفضى بالأمر إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباس وأطلعه عليه وأوضحه له فلما حضرته الوفاة عقيب انصرافه من عندالوليد بن عبدالملك مر بالشراة و هومريض و محمد بن على بهافدفع إليه كتبه وجعله وصيه وأمر الشيعة بالاختلاف إليه . قال أبو جعفر وحضر وفاة أبى هاشم ثلاثة نفر من بنى هاشم محمد بن على هذا ومعاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب فلما مات خرج محمد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر من عنده و كل واحد منهما يدعى وصايته فأما عبد الله بن الحارث فلم يقل شيئا. قال أبو جعفررحمه الله تعالى وصدق محمد بن على أنه إليه أوصى أبوهاشم و إليه دفع كتاب الدولة وكذب معاوية بن عبد الله بن جعفرلكنه قرأ الكتاب فوجد لهم فيه ذكرا يسيرا فادعى الوصية بذلك فمات وخرج ابنه عبد الله بن معاوية يدعى وصاية أبيه ويدعى لأبيه وصاية أبى هاشم ويظهر الإنكار على بنى أمية و كان له فى ذلك شيعة يقولون بإمامته سرا حتى قتل .دخلت إحدى نساء بنى أمية على سليمان بن على و هويقتل بنى أمية بالبصرة [صفحه ۱۵۱] فقالت أيها الأمير إن العدل ليمل من الإكثار منه والإسراف فيه فكيف لاتمل أنت من الجور وقطيعة الرحم فأطرق ثم قال لها سننتم علينا القتل لاتنكرونه || فذوقوا كماذقنا على سالف الدهر ثم قال ياأمة الله وأول راض سنة من يسيرها . أ لم تحاربوا عليا وتدفعوا حقه أ لم تسموا حسنا وتنقضوا شرطه أ لم تقتلوا حسينا وتسيروا رأسه أ لم تقتلوا زيدا وتصلبوا جسده أ لم تقتلوا يحيى وتمثلوا به أ لم تلعنوا عليا على منابركم أ لم تضربوا أبانا على بن عبد الله بسياطكم أ لم تخنقوا الإمام بجراب النورة فى حبسكم ثم قال أ لك حاجة قالت قبض عمالك أموالى فأمر برد أموالها عليها.
لماسار مروان إلى الزاب حفر خندقا فسار إليه أبوعون عبد الله بن يزيد الأزدى و كان قحطبة بن شبيب قدوجهه وأمد أبوسلمة الخلال بأمداد كثيرة فكان بإزاء مروان ثم إن أباالعباس السفاح قال لأهله و هوبالكوفة حينئذ من يسير إلى مروان من أهل بيتى و له ولاية العهد إن قتله فقال عبد الله عمه أنا قال سر على بركة الله فسار فقدم على أبى عون فتحول له أبوعون عن سرادقه وخلاه

له بما فيه ثم سأل عبد الله عن مخاضة فى الزاب فدل عليها فأمر قائدا من قواده فعبرها فى خمسة آلاف فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا وتحاجزوا ورجع القائد بأصحابه فعبر المخاضة إلى عسكر عبد الله بن على وأصبح مروان فعقد جسرا وعبر بالجيش كله إلى [صفحه ۱۵۲] عبد الله بن على فكان ابنه عبد الله بن مروان فى مقدمته و على الميمنة الوليد بن معاوية بن عبدالملك بن مروان و على الميسرة عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان وعبأ عبد الله بن على جيشه وتراءى الجمعان فقال مروان لعبد العزيز بن عمر انظر فإن زالت الشمس اليوم و لم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى ابن مريم و إن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم أرسل إلى عبد الله بن على يسأله الكف عن القتال نهار ذلك اليوم فقال عبد الله كذب ابن زربى إنما يريد المدافعة إلى الزوال لا و الله لاتزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله ثم حرک أصحابه للقتال فنادى مروان فى أهل الشام لاتبدءوهم بالحرب فلم يسمع الوليد بن معاوية منه وحمل على ميسرة عبد الله بن على فغضب مروان وشتمه فلم يسمع له واضطرمت الحرب فأمر عبد الله الرماة أن ينزلوا ونادى الأرض الأرض فنزل الناس ورمت الرماة وأشرعت الرماح وجثوا على الركب فاشتد القتال فقال مروان لقضاعة انزلوا قالوا حتى تنزل كندة فقال لكندة انزلوا فقالوا حتى تنزل السكاسک فقال لبنى سليم انزلوا فقالوا حتى تنزل عامر فقال لتميم احملوا فقالوا حتى تحمل بنو أسد فقال لهوازن احملوا قالوا حتى تحمل غطفان فقال لصاحب شرطته احمل ويلک قال ماكنت لأجعل نفسى غرضا قال أما و الله لأسوأنک قال وددت أن أمير المؤمنين يقدر على ذلک فانهزم عسكر مروان وانهزم مروان معهم وقطع الجسر فكان من هلک غرقا أكثر ممن هلک تحت السيف واحتوى عبد الله بن على على عسكر مروان بما فيه وكتب إلى أبى العباس يخبره الواقعة. كان مروان سديد الرأى ميمون النقيبة حازما فلما ظهرت المسودة ولقيهم كان [صفحه ۱۵۳] مايدبر أمرا إلا كان فيه خلل ولقد وقف يوم الزاب وأمر بالأموال فأخرجت و قال للناس اصبروا وقاتلوا و هذه الأموال لكم فجعل ناس يصيبون من ذلک المال ويشتغلون به عن الحرب فقال لابنه عبد الله سر فى أصحابک فامنع من يتعرض لأخذ المال فمال عبد الله برايته ومعه أصحابه فتنادى الناس الهزيمة الهزيمة فانهزموا وركب أصحاب عبد الله بن على أكتافهم . لماقتل مروان ببوصير قال الحسن بن قحطبة أخرجوا إلى إحدى بنات مروان فأخرجوها إليه وهى ترعد قال لابأس عليک قالت و أى بأس أعظم من إخراجک إياى حاسرة و لم أر رجلا قبلک قط فأجلسها ووضع رأس مروان فى حجرها فصرخت واضطربت فقيل له ماأردت بهذا قال فعلت بهم فعلهم بزيد بن على لماقتلوه جعلوا رأسه فى حجر زينب بنت على بن الحسين ع .دخلت زوجة مروان بن محمد وهى عجوز كبيرة على الخيزران فى خلافة المهدى وعندها زينب بنت سليمان بن على فقالت لها زينب الحمد لله ألذى أزال نعمتک وصيرک عبرة أتذكرين ياعدوة الله حين أتاک نساؤنا يسألنک أن تكلمى صاحبک فى أمر ابراهيم بن محمدفلقيتهن ذلک اللقاء وأخرجتهن ذلک الإخراج فضحكت وقالت أى بنت عمى و أى شىءأعجبک من حسن صنيع الله بى عقيب ذلک حتى أردت أن تتأسى بى فيه ثم ولت خارجة.بويع أبوالعباس السفاح بالخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلون من شهر ربيع [صفحه ۱۵۴] الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فصعد المنبر بالكوفة فخطب فقال الحمد لله ألذى اصطفى الإسلام لنفسه وكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وخصنا برحم رسول الله ص وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته وأنزل بذلک كتابا يتلى فقال سبحانه قُل لا أَسئَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلّا المَوَدّةَ فِي القُربى فلما قبض رسول الله ص قام بالأمر أصحابه وَ أَمرُهُم شُورى بَينَهُمفعدلوا وخرجوا خماصا ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها واستأثروا بها وظلموا أهلها فأملى الله لهم حينا فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا فأنا السفاح المبيح والثائر المبير. و كان موعوكا فاشتدت عليه الوعكة فجلس على المنبر و لم يستطع الكلام فقام عمه داود بن على و كان بين يديه فقال يا أهل العراق إنا و الله ماخرجنا لنحفر نهرا و لالنكنز لجينا و لاعقيانا وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزاز الظالمين حقنا ولقد كانت أموركم تتصل بنا فترمضنا ونحن على فرشنا لكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس أن

نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فيكم بسنة رسول الله ص واعلموا أن هذاالأمر ليس بخارج عنا حتى نسلمه إلى عيسى ابن مريم . -قرآن-۳۲۱-۳۸۱-قرآن-۴۲۶-۴۵۱ [صفحه ۱۵۵] يا أهل الكوفة إنه لم يخطب على منبركم هذاخليفة حق إلا على بن أبى طالب و أمير المؤمنين هذافأحمد الله ألذى رد إليكم أموركم ثم نزل . و قدروى حديث خطبة داود بن على برواية أخرى وهى الأشهر قالوا لماصعد أبوالعباس منبر الكوفة حصر فلم يتكلم فقام داود بن على و كان تحت منبره حتى قام بين يديه تحته بمرقاة فاستقبل الناس و قال أيها الناس إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله ولأثر الفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال وحسبكم كتاب الله تمثلا فيكم و ابن عم رسول الله ص خليفة عليكم أقسم بالله قسما برا ماقام هذاالمقام أحد بعد رسول الله ص أحق به من على بن أبى طالب و أمير المؤمنين هذافليهمس هامسكم ولينطق ناطقكم ثم نزل . و من خطب داود التى خطب بها بعدقتل مروان شكرا شكرا أظن عدو الله أن لن يظفر به أرخى له فى زمامه حتى عثر فى فضل خطامه فالآن عاد الحق إلى نصابه وطلعت الشمس من مطلعها وأخذ القوس باريها وصار الأمر إلى النزعة ورجع الحق إلى مستقره أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة. وخطب عيسى بن على بن عبد الله بن العباس لماقتل مروان فقال الحمد لله ألذى لايفوته من طلب و لايعجزه من هرب خدعت و الله الأشقر نفسه إذ ظن أن الله ممهله ويأبى الله إلا أن يتم نوره و لوكره الكافرون فحتى متى و إلى متى [صفحه ۱۵۶] أما و الله لقد كرهتهم العيدان التى افترعوها وأمسكت السماء درها و الأرض ريعها وقحل الضرع وجفز الفنيق وأسمل جلباب الدين وأبطلت الحدود وأهدرت الدماء و كان ربك بالمرصاد فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها و لايخاف عقباها وملكنا الله أمركم عباد الله لينظر كيف تعملون فالشكر الشكر فإنه من دواعى المزيد أعاذنا الله وإياكم من مضلات الأهواء وبغتات الفتن فإنما نحن به و له . لماأمعن داود بن على فى قتل بنى أمية بالحجاز قال له عبد الله بن الحسن ع يا ابن عمى إذاأفرطت فى قتل أكفائك فمن تباهى بسلطانك و مايكفيك منهم أن يروك غاديا ورائحا فيما يسرك ويسوءهم كان داود بن على يمثل ببنى أمية يسمل العيون ويبقر البطون ويجدع الأنوف ويصطلم الآذان كان عبد الله بن على بنهر أبى فطرس يصلبهم منكسين ويسقيهم النورة والصبر والرماد والخل ويقطع الأيدى والأرجل و كان سليمان بن على بالبصرة يضرب الأعناق .خطب السفاح فى الجمعة الثانية بالكوفة فقال [صفحه ۱۵۷] ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود و الله لاأعدكم شيئا و لاأتوعدكم إلاوفيت بالوعد والوعيد ولأعملن اللين حتى لاتنفع إلاالشدة ولأغمدن السيف إلا فى إقامة حد أوبلوغ حق ولأعطينكم حتى أرى العطية ضياعا إن أهل بيت اللعنة والشجرة الملعونة فى القرآن كانوا لكم أعداء لايرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هوأشد منها و لايلى عليكم منهم وال إلاتمنيتم من كان قبله و إن كان لاخير فى جميعهم منعوكم الصلاة فى أوقاتها وطالبوكم بأدائها فى غيروقتها وأخذوا المدبر بالمقبل والجار بالجار وسلطوا شراركم على خياركم فقد محق الله جورهم وأزهق باطلهم بأهل بيت نبيكم فما نؤخر لكم عطاء و لانضيع لأحد منكم حقا و لانجهزكم فى بعث و لانخاطر بكم فى قتال و لانبذلكم دون أنفسنا و الله على مانقول وكيل بالوفاء والاجتهاد وعليكم بالسمع والطاعة. ثم نزل . كان يقال لوذهبت دولة بنى أمية على يد غيرمروان بن محمدلقيل لو كان لها مروان لماذهبت . كان يقال إن دولة بنى أمية آخرها خليفة أمه أمة فلذلك كانوا لايعهدون إلى بنى الإماء منهم و لوعهدوا إلى ابن أمة لكان مسلمة بن عبدالملك أولاهم بها و كان انقراض أمرهم على يد مروان وأمه أمة كانت لمصعب بن الزبير وهبها من ابراهيم بن الأشتر فأصابها محمد بن مروان يوم قتل ابن الأشتر فأخذها من ثقله فقيل إنها كانت حاملا بمروان فولدته على فراش محمد بن مروان ولذلك كان أهل خراسان ينادونه فى الحرب يا ابن الأشتر.قيل أيضا إنها كانت حاملا به من مصعب بن الزبير وإنه لم تطل مدتها عند [صفحه ۱۵۸] ابراهيم بن الأشتر حتى قتل فوضعت حملها على فراش محمد بن مروان ولذلك كانت المسودة تصيح به فى الحرب يا ابن مصعب ثم يقولون يا ابن الأشتر فيقول ماأبالى أى الفحلين غلب على لمابويع أبوالعباس جاءه ابن عياش المنتوف فقبل يده وبايعه و قال الحمد لله ألذى أبدلنا بحمار الجزيرة و ابن

أمۀ النخع ابن عم رسول الله ص و ابن عبدالمطلب . لماصعد السفاح منبر الكوفۀ يوم بيعته وخطب الناس قام إليه السيد الحميرى فأنشده دونكموها يابنى هاشم || فجددوا من آيها الطامسا دونكموها لاعلا كعب من || أمسى عليكم ملكها نافسا دونكموها فالبسوا تاجها || لاتعدموا منكم له لابسا خلافۀ الله وسلطانه || وعنصر كان لكم دارسا قدساسها من قبلكم ساسۀ || لم يتركوا رطبا و لايابسا لوخير المنبر فرسانه || مااختار إلامنكم فارسا والملك لوشوور فى سائس || لماارتضى غيركم سائسا لم يبق عبد الله بالشام من || آل أبى العاص امرأ عاطسا فلست من أن تملكوها إلى || هبوط عيسى منكم آيسا . قال داود بن على لإسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص بعدقتله من قتل من بنى [صفحه ۱۵۹] أميۀ هل علمت مافعلت بأصحابك قال نعم كانوا يدا فقطعتها وعضدا ففتت فيها ومرۀ فنقضتها وجناحا فحصصتها قال إنى لخليق أن ألحقك فيهم قال إنى إذالسعيد. لمااستوثق الأمر لأبى العباس السفاح وفد إليه عشرۀ من أمراء الشام فحلفوا له بالله وبطلاق نسائهم وبأيمان البيعۀ بأنهم لايعلمون إلى أن قتل مروان أن لرسول الله ص أهلا و لاقرابۀ إلابنى أميۀ. وروى أبو الحسن المدائنى قال حدثنى رجل قال كنت بالشام فجعلت لاأسمع أحدا يسمى أحدا أويناديه يا على أو ياحسن أو ياحسين وإنما أسمع معاويۀ والوليد ويزيد حتى مررت برجل فاستسقيته ماء فجعل ينادى يا على ياحسن ياحسين فقلت يا هذا إن أهل الشام لايسمون بهذه الأسماء قال صدقت إنهم يسمون أبناءهم بأسماء الخلفاء فإذالعن أحدهم ولده أوشتمه فقد لعن اسم بعدالخلفاء و أناسميت أولادى بأسماء أعداء الله فإذاشتمت أحدهم أولعنته فإنما ألعن أعداء الله .كانت أم ابراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس أمويۀ من ولد عثمان بن عفان . قال ابراهيم فدخلت على جدى عيسى بن موسى مع أبى موسى فقال لى جدى أتحب بنى أميۀ فقال له موسى أبى نعم إنهم أخواله فقال و الله لورأيت جدك [صفحه ۱۶۰] على بن عبد الله بن العباس يضرب بالسياط ماأحببتهم و لورأيت ابراهيم بن محمديكره على إدخال رأسه فى جراب النورۀ لماأحببتهم وسأحدثك حديثا إن شاء الله أن ينفعك به نفعك لماوجه سليمان بن عبدالملك ابنه أيوب بن سليمان إلى الطائف وجه معه جماعۀ فكنت أنا و محمد بن على بن عبد الله جدى معهم و أناحينئذ حديث السن و كان مع أيوب مؤدب له يؤدبه فدخلنا عليه يوما أنا وجدى و ذلك المؤدب يضربه فلما رآنا الغلام أقبل على مؤدبه فضربه فنظر بعضنا إلى بعض وقلنا ما له قاتله الله حين رآنا كره أن نشمت به ثم التفت أيوب إلينا فقال أ لاأخبركم يابنى هاشم بأعقلكم وأعقلنا أعقلنا من نشأ منا يبغضكم وأعقلكم من نشأ منكم يبغضنا وعلامۀ ذلك أنكم لم تسموا بمروان و لاالوليد و لا عبدالملك و لم نسم نحن بعلى و لابحسن و لابحسين . لماانتهى عامر بن إسماعيل و كان صالح بن على قدأنفذه لطلب مروان إلى بوصير مصر هرب مروان بين يديه فى نفر يسير من أهله وأصحابه و لم يكن قدتخلف معه كثير عدد فانتهوا فى غبش الصبح إلى قنطرۀ هناك على نهر عميق ليس للخيل عبور إلا على تلك القنطرۀ وعامر بن إسماعيل من ورائهم فصادف مروان على تلك القنطرۀ بغالا قداستقبلته تعبر القنطرۀ وعليها زقاق عسل فحبسته عن العبور حتى أدركه عامر بن إسماعيل ورهقه فلوى مروان دابته إليهم وحارب فقتل فلما بلغ صالح بن على ذلك قال إن لله جنودا من عسل . لمانقف رأس مروان ونفض مخه قطع لسانه وألقى مع لحم عنقه فجاء كلب فأخذ اللسان فقال قائل [صفحه ۱۶۱] إن من عبر الدنيا أن رأينا لسان مروان فى فم كلب .خطب أبومسلم بالمدينۀ فى السنۀ التى حج فيها فى خلافۀ السفاح فقال الحمد لله ألذى حمد نفسه واختار الإسلام دينا لعباده ثم أوحى إلى محمد رسول الله ص من ذلك ماأوحى واختاره من خلقه نفسه من أنفسهم وبيته من بيوتهم ثم أنزل عليه فى كتابه الناطق ألذى حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حقه قوله إِنّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرّجسَ أَهلَ البَيتِ وَ يُطَهّرَكُم تَطهِيراً ثم جعل الحق بعد محمد ع فى أهل بيته فصبر من صبر منهم بعدوفاۀ رسول الله ص على اللأواء والشدۀ وأغضى على الاستبداد والأثرۀ ثم إن قوما من أهل بيت الرسول ص جاهدوا على ملۀ نبيه وسنته بعدعصر من الزمان من عمل بطاعۀ الشيطان وعداوۀ الرحمن بين ظهرانى قوم آثروا العاجل على الآجل والفانى على الباقى إن رتق جور فتقوه أوفتق حق

رتقوه أهل خمور وماخور وطنابير ومزامير إن ذكروا لم يذكروا أوقدموا إلى الحق أدبروا وجعلوا الصدقات فى الشبهات والمغانم فى المحارم والفىء فى الغى هكذا كان زمانهم و به كان يعمل سلطانهم وزعموا أن غيرآل محمدأولى بالأمر منهم فلم وبم أيها الناس ألكم الفضل بالصحابة دون ذوى القرابة الشركاء فى النسب والورثة فى السلب مع ضربهم على الدين جاهلكم وإطعامهم فى الجدب جائعكم و الله مااخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة قط و مازلتم بعدنبيه تختارون تيميا مرة وعدويا مرة وأمويا مرة وأسديا مرة وسفيانيا مرة ومروانيا مرة -قرآن-٣٦٢-٤٤٧ [صفحه ١٦٢] حتى جاءكم من لاتعرفون اسمه و لابيته يضربكم بسيفه فأعطيتموها عنوة وأنتم صاغرون ألا- إن آل محمدأئمة الهدى ومنار سبيل التقى القادة الذادة السادة بنو عم رسول الله ومنزل جبريل بالتنزيل كم قصم الله بهم من جبار طاغ وفاسق باغ شيد الله بهم الهدى وجلا بهم العمى لم يسمع بمثل العباس وكيف لاتخضع له الأمم لواجب حق الحرمة أبو رسول الله بعد أبيه وإحدى يديه وجلده بين عينيه أمينه يوم العقبة وناصره بمكة ورسوله إلى أهلها وحاميه يوم حنين عندملتقى الفئتين لايخالف له رسما و لايعصى له حكما الشافع يوم نيق العقاب إلى رسول الله فى الأحزاب ها إن فى هذاأيها الناس لعبرة لأولى الأبصار. قلت الأسدى عبد الله بن الزبير و من لايعرفون اسمه و لابيته يعنى نفسه لأنه لم يكن معلوم النسب و قداختلف فيه هل هومولى أم عربى. و يوم العقبة يوم مبايعة الأنصار السبعين لرسول الله ص بمكة و يوم نيق العقاب يوم فتح مكة شفع العباس ذلك اليوم فى أبى سفيان و فى أهل مكة فعفا النبى ص عنهم .اجتمع عندالمنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه منهم عيسى بن موسى والعباس بن محمد وغيرهما فتذاكروا خلفاء بنى أمية والسبب ألذى به سلبوا عزهم فقال المنصور كان عبدالملك جبارا لايبالى ماصنع و كان الوليد لحانا مجنونا و كان سليمان همته بطنه وفرجه و كان عمر أعور بين عميان و كان هشام رجل القوم و لم يزل بنو أمية ضابطين لمامهد لهم من السلطان يحوطونه ويصونونه ويحفظونه ويحرسون ماوهب الله لهم منه مع تسنمهم معالى الأمور ورفضهم أدانيها حتى أفضى أمرهم إلى أحداث مترفين من أبنائهم فغمطوا النعمة و لم يشكروا العافية وأساءوا الرعاية فابتدأت النقمة منهم [صفحه ١٦٣] باستدراج الله إياهم آمنين مكره مطرحين صيانة الخلافة مستخفين بحق الرئاسة ضعيفين عن رسوم السياسة فسلبهم الله العزة وألبسهم الذلة وأزال عنهم النعمة.سأل المنصور ليلة عن عبد الله بن مروان بن محمد فقال له الربيع إنه فى سجن أمير المؤمنين حيا فقال المنصور قد كان بلغنى كلام خاطبه به ملك النوبة لماقدم دياره و أناأحب أن أسمعه من فيه فليؤمر بإحضاره فأحضر فلما دخل خاطب المنصور بالخلافة فأمره المنصور بالجلوس فجلس وللقيد فى رجليه خشخشة قال أحب أن تسمعنى كلاما قاله لك ملك النوبة حيث غشيت بلاده قال نعم قدمت إلى بلد النوبة فأقمت أياما فاتصل خبرنا بالملك فأرسل إلينا فرشا وبسطا وطعاما كثيرا وأفرد لنا منازل واسعة ثم جاءنى ومعه خمسون من أصحابه بأيديهم الحراب فقمت إليه فاستقبلته وتنحيت له عن صدر المجلس فلم يجلس فيه وقعد على الأرض فقلت له مامنعك من القعود على الفرش قال إنى ملك وحق الملك أن يتواضع لله ولعظمته إذارأى نعمه متجددة عنده و لمارأيت تجدد نعمة الله عندى بقصدكم بلادى واستجارتكم بى بعدعزكم وملككم قابلت هذه النعمة بما ترى من الخضوع والتواضع ثم سكت وسكت فلبثنا ماشاء الله لايتكلم و لاأتكلم وأصحابه قيام بالحراب على رأسه ثم قال لى لماذا شربتم الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا بجهلهم قال فلم وطئتم الزروع بدوابكم والفساد محرم عليكم فى كتابكم ودينكم قلت فعل ذلك أتباعنا وعمالنا جهلا منهم قال فلم لبستم الحرير والديباج والذهب و هومحرم عليكم فى كتابكم ودينكم قلت استعنا فى أعمالنا بقوم من [صفحه ١٦٤] أبناء العجم كتاب دخلوا فى ديننا فلبسوا ذلك اتباعا لسنة سلفهم على كره منا فأطرق مليا إلى الأرض يقلب يده وينكت الأرض ثم قال عبيدنا وأتباعنا وعمالنا وكتابنا ماالأمر كماذكرت ولكنكم قوم استحللتم ماحرم الله عليكم وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله العز وألبسكم الذل و إن له سبحانه فيكم لنقمة لم تبلغ غايتها بعد و أناخائف أن يحل بكم العذاب وأنتم بأرضى فينالنى معكم والضيافة ثلاث فاطلبوا مااحتجتم إليه وارتحلوا عن

أرضى.فأخذنا منه ماتزودنا به وارتحلنا عن بلده فعجب المنصور لذلك وأمر بإعادته إلى الحبس . و قدجاءنا فى بعض الروايات أن السفاح لماأراد أن يقتل القوم الذين انضموا إليه من بنى أمية جلس يوما على سرير بهاشمية الكوفة وجاء بنو أمية وغيرهم من بنى هاشم والقواد والكتاب فأجلسهم فى دار تتصل بداره وبينه وبينهم ستر مسدول ثم أخرج إليهم أباالجهم بن عطية وبيده كتاب ملصق فنادى بحيث يسمعون أين رسول الحسين بن على بن أبى طالب ع فلم يتكلم أحد فدخل ثم خرج ثانية فنادى أين رسول زيد بن على بن الحسين فلم يجبه أحد فدخل ثم خرج ثالثة فنادى أين رسول يحيى بن زيد بن على فلم يرد أحد عليه فدخل ثم خرج رابعة فنادى أين رسول ابراهيم بن محمدالإمام والقوم ينظر بعضهم إلى بعض و قدأيقنوا بالشر ثم دخل وخرج فقال لهم إن أمير المؤمنين يقول لكم هؤلاء أهلى ولحمى فما ذا صنعتم بهم ردوهم إلى أوفأقيدونى من أنفسكم فلم ينطقوا بحرف وخرجت الخراسانية بالأعمدة فشدخوهم عن آخرهم . [صفحه ١٦٥] قلت و هذاالمعنى مأخوذ من قول الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب لماقتل زيد بن على ع فى سنة اثنتين وعشرين ومائة فى خلافة هشام بن عبدالملك و ذلك أن هشاما كتب إلى عامله بالبصرة و هوالقاسم بن محمدالثقفى أن يشخص كل من بالعراق من بنى هاشم إلى المدينة خوفا من خروجهم وكتب إلى عامل المدينة أن يحبس قوما منهم و أن يعرضهم فى كل أسبوع مرة ويقيم لهم الكفلاء على ألا يخرجوا منها فقال الفضل بن عبدالرحمن من قصيدة له طويلة كلما حدثوا بأرض نقيقا || ضمنونا السجون أوسيرونا أشخصونا إلى المدينة أسرى || لاكفاهم ربى ألذى يحذرونا خلفوا أحمدالمطهر فينا || بالذى لايحب واستضعفونا قتلونا بغير ذنب إليهم || قاتل الله أمة قتلونا مارعوا حقنا و لاحفظوا فينا || وصاة الإله بالأقربينا جعلونا أدنى عدو إليهم || فهم فى دمائنا يسبحونا أنكروا حقنا وجاروا علينا || و على غيرإحنة أبغضونا غير أن النبى منا و أنا || لم نزل فى صلاتهم راغبينا إن دعونا إلى الهدى لم يجيبونا || وكانوا عن الهدى ناكبينا أوأمرنا بالعرف لم يسمعوا منا || وردوا نصيحة الناصحينا ولقدما مارد نصح ذوى الرأى || فلم يتبعهم الجاهلونا فعسى الله أن يديل أناسا || من أناس فيصبحوا ظاهرينا فتقر العيون من قوم سوء || قدأخافوا وقتلوا المؤمنينا [صفحه ١٦٦] ليت شعرى هل توجفن بى الخيل || عليها الكماة مستلئمينا من بنى هاشم و من كل حى || ينصرون الإسلام مستنصرينا فى أناس آباؤهم نصروا الدين || وكانوا لربهم ناصرينا تحكم المرهفات فى الهام منهم || بأكف المعاشر الثائرينا أين قتلى منا بغيتم عليهم || ثم قتلتموهم ظالمينا ارجعوا هاشما وردوا أبااليقظان || و ابن البديل فى آخرينا وارجعوا ذا الشهادتين وقتلى || أنتم فى قتالهم فاجرونا ثم ردوا حجرا وأصحاب حجر || يوم أنتم فى قتلهم معتدونا ثم ردوا أباعمير وردوا || لى رشيدا وميثما والذينا قتلوا بالطفوف يوم حسين || من بنى هاشم وردوا حسينا أين عمرو وأين بشر وقتلى || معهم بالعراء مايدفنونا ارجعوا عامرا وردوا زهيرا || ثم عثمان فارجعوا عازمينا وارجعوا الحر و ابن قين وقوما || قتلوا حين جاوزوا صفينا وارجعوا هانئا وردوا إلينا || مسلما والرواع فى آخرينا ثم ردوا زيدا إلينا وردوا || كل من قدقتلتم أجمعينا لن تردوهم إلينا ولسنا || منكم غيرذلكم قابلينا [صفحه ١٦٧] أَلَا إِنّ أَبصَرَ الأَبصَارِ مَا نَفَذَ فِي الخَيرِ طَرفُهُ أَلَا إِنّ أَسمَعَ الأَسمَاعِ مَا وَعَى التّذكِيرَ وَ قَبِلَهُ أَيّهَا النّاسُ استَصبِحُوا مِن شُعلَةِ مِصبَاحٍ وَاعِظٍ مُتّعِظٍ وَ امتَاحُوا مِن صَفيّ عَينٍ قَد رُوّقَت مِنَ الكَدَرِ عِبَادَ اللّهِ لَا تَركَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُم وَ لَا تَنقَادُوا إِلَى أَهوَائِكُم فَإِنّ النّازِلَ بِهَذَا المَنزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ يَنقُلُ الرّدَى عَلَى ظَهرِهِ مِن مَوضِعٍ إِلَى مَوضِعٍ لِرَأيٍ يُحدِثُهُ بَعدَ رَأيٍ يُرِيدُ أَن يُلصِقَ مَا لَا يَلتَصِقُ وَ يُقَرّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ فَاللّهَ اللّهَ أَن تَشكُوا إِلَى مَن لَا يُشكِي شَجوَكُم وَ لَا يَنقُضُ بِرَأيِهِ مَا قَد أَبرَمَ لَكُم إِنّهُ لَيسَ عَلَى الإِمَامِ إِلّا مَا حُمّلَ مِن أَمرِ رَبّهِ الإِبلَاغُ فِي المَوعِظَةِ وَ الِاجتِهَادُ فِي النّصِيحَةِ وَ الإِحيَاءُ لِلسّنّةِ وَ إِقَامَةُ الحُدُودِ عَلَى مُستَحِقّيهَا وَ إِصدَارُ السّهمَانِ عَلَى أَهلِهَا فَبَادِرُوا العِلمَ مِن قَبلِ تَصوِيحِ نَبتِهِ وَ مِن قَبلِ أَن تُشغَلُوا بِأَنفُسِكُم عَن مُستَثَارِ العِلمِ مِن عِندِ أَهلِهِ وَ انهَوا عَنِ المُنكَرِ وَ تَنَاهَوا عَنهُ فَإِنّمَا أُمِرتُم بِالنّهيِ بَعدَ التّنَاهِي هار الجرف يهور هورا وهئورا فهو هائر وقالوا هار خفضوه فى موضع الرفع كقاض وأرادوا هائر و هومقلوب من الثلاثى إلى الرباعى كماقلبوا شائك

السـلاح إلى شاكى السـلاح وهورته فتهور وانهار أى انهدم . [صفحه ١٦٨] وأشـكيت زيدا أزلت شكايته والشجو الهم والحزن . وصوح النبت أى جف أعلاه قال ولكن البلاد إذااقشـعرت || وصوح نبتها رعى الهشيم . يقول ع أشد العيون إدراكا مانفذ طرفها فى الخير وأشد الأسماع إدراكا ماحفظ الموعظة وقبلها. ثم أمر الناس أن يستصبحوا أى يسرجوا مصابيحهم من شعلة سراج متعظ فى نفسه واعظ لغيره وروى بالإضافة من شـعلة مصـباح واعظ بإضافة مصـباح إلى واعظ وإنما جعله متعظا واعظا لأن من لم يتعظ فى نفسه فبعيـد أن يتعـظ به غيره و ذلـك لأـن القبول لايحصل منه والأنفس تكون نافرة عنه و يكون داخلا فى حيز قوله تعالى أَ تَأمُرُونَ النّاسَ بِالبِرّ وَ تَنسَونَ أَنفُسَكُم و فى قول الشاعر –قرآن–٤٠١–٤٥٣ لاتنه عن خلق وتأتى مثله . وعنى بهذا المصباح نفسه ع . ثم أمرهم أن يمتاحوا من عين صافية قدانتفى عنها الكدر كمايروق الشراب بالراووق فيزول عنه كدرة والامتياح نزول البئر ومل ء الـدلاء منها ويكنى بهـذا أيضا عن نفسه ع . [صـفحه ١٦٩] ثم نهـاهم عن الانقيـاد لأـهوائهم والميل إلى جهالتهم و قال إن من يكون كـذلك فإنه على جانب جرف متهدم ولفظة هار من الألفاظ القرآنية. ثم قال و من يكون كذلك فهو أيضا ينقل الهلاك على ظهره من موضع إلى موضع ليحـدث رأيا فاسـدا بعـدرأى فاسـد أى هوساع فى ضـلال يروم أن يحتج لما لاسبيل إلى إثباته وينصر مذهبا لاانتصار له . ثم نهاهم وحذرهم أن يشكوا إلى من لايزيل شكايتهم و من لارأى له فى الدين و لابصيرة لينقض ما قدأبرمه الشيطان فى صدورهم لإغوائهم ويروى إلى من لايشـكى شـجوكم و من ينقض برأيه ما قدأبرم لكم و هذه الرواية أليق أى لاتشـكوا إلى من لايدفع عنكم ماتشـكون منه وإنما ينقض برأيه الفاسد ما قدأبرمه الحق والشرع لكم . ثم ذكر أنه ليس على الإمـام إلاـ مـا قدأوضـحه من الأـمور الخمسـة. ثم أمرهم بمبـادرة أخـذ العلم من أهله يعنى نفسه ع قبل أن يموت فيـذهب العلم وتصويح النبت كناية عن ذلك . ثم قال وقبل أن تشـغلوا بالفتن و مايحدث عليكم من خطوب الدنيا عن اسـتثارة العلم من معدنه واسـتنباطه من قرارته . ثم أمرهم بالنهى عن المنكر و أن يتناهوا عنه قبل أن ينهوا عنه و قال إنما النهى بعدالتناهى. [صفحه ١٧٠] و فى هـذاالموضع إشـكال و ذلك أن لقائل أن يقول النهى عن المنكر واجب على العـدل والفاسق فكيف قال إنما أمرتم بالنهى بعدالتناهى و قدروى أن الحسن البصـرى قال للشعبى هلا نهيت عن كذا فقال يا أباسعيد إنى أكره أن أقول ما لاأفعل قال الحسن غفر الله لك وأينا يقول مايفعل ود الشـيطان لوظفر منكم بهـذه فلم يأمر أحـد بمعروف و لم ينه عن منكر. والجواب أنه ع لم يرد أن وجـود النهى عن المنكر مشـروط بانتهـاء ذلـك النـاهى عن المنكر وإنمـا أراد أنى لم آمركم بـالنهى عن المنكر إلاـ بعـد أن أمرتكم بالانتهاء عن المنكر فالترتيب إنما هو فى أمره ع لهم بالحالتين المـذكورتين لا فى نهيهم وتناهيهم . فإن قلت فلما ذا قدم أمرهم بالانتهاء على أمرهم بالنهى قلت لأن إصلاح المرء نفسه أهم من الاعتناء بإصلاحه لغيره [صفحه ١٧١]

١٠٥– و من خطبة له ع

الحَمدُ لِلّهِ أَلّذِى شَرَعَ الإِسلَامَ فَسَهّلَ شَرَائِعَهُ لِمَن وَرَدَهُ وَ أَعَزّ أَركَانَهُ عَلَى مَن غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمناً لِمَن عَلِقَهُ وَ سِلماً لِمَن دَخَلَهُ وَ بُرهَاناً لِمَن تَكَلّمَ بِهِ وَ شَاهِداً لِمَن خَاصَمَ عَنهُ وَ نُوراً لِمَنِ استَضَاءَ بِهِ وَ فَهماً لِمَن عَقَلَ وَ لُبّاً لِمَن تَدَبّرَ وَ آيَةً لِمَن تَوَسّمَ وَ تَبصِرَةً لِمَن عَزَمَ وَ عِبرَةً لِمَنِ اتّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَن صَدّقَ وَ ثِقَةً لِمَن تَوَكّلَ وَ رَاحَةً لِمَن فَوّضَ وَ جُنّةً لِمَن صَبَرَ فَهُوَ أَبلَجُ المَنَاهِجِ وَ أَوضَحُ الوَلَائِجِ مُشرِفُ المَنَارِ مُشرِقُ الجَوَادّ مضُيِءُ المَصَابِيحِ كَرِيمُ المِضمَارِ رَفِيعُ الغَايَةِ جَامِعُ الحَلبَةِ مُتَنَافِسُ السّبقَةِ شَرِيفُ الفُرسَانِ التّصدِيقُ مِنهَاجُهُ وَ الصّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَ المَوتُ غَايَتُهُ وَ الدّنيا مِضمَارُهُ وَ القِيَامَةُ حَلبَتُهُ وَ الجَنّةُ سُبقَتُهُ هذا باب من الخطابة شريف و ذلك لأنه ناط بكل واحدة من اللفظات لفظة تناسـبها وتلائمها لونيطت بغيرها لماانطبقت عليها و لااسـتقرت فى قرارها أ لاتراه قال أمنا لمن علقه فالأـمن مرتب على الاعتلاـق وكـذلك فى سائر الفقر كالسـلم المرتب على الـدخول والبرهان المرتب على الكلام والشاهد

المرتب على الخصام والنور المرتب [صفحه ۱۷۲] على الاستضاءة إلى آخرها أ لاترى أنه لو قال وبرهانا لمن دخله ونورا لمن خاصم عنه وشاهدا لمن استضاء به لكان قدقرن باللفظة ما لايناسبها فكان قدخرج عن قانون الخطابة ودخل فى عيب ظاهر وتوسم تفرس والولائج جمع وليجة و هوالمدخل إلى الوادى وغيره . والجنة الترس وأبلج المناهج معروف الطريق . والحلبة الخيل المجموعة للمسابقة. والمضمار موضع تضمير الخيل وزمان تضميرها والغاية الراية المنصوبة و هوهاهنا خرقة تجعل على قصبة وتنصب فى آخر المدى ألذى تنتهى إليه المسابقة كأنه ع جعل الإسلام كخيل السباق التى مضمارها كريم وغايتها رفيعة عالية وحلبتها جامعة حاوية وسبقتها متنافس فيها وفرسانها أشراف . ثم وصفه بصفات أخرى فقال التصديق طريقه والصالحات أعلامه والموت غايته أى إن الدنيا سجن المؤمن وبالموت يخلص من ذلك السجن ويحظى بالسعادة الأبدية. قال والدنيا مضماره كأن الإنسان يجرى إلى غاية هى الموت وإنما جعلها مضمار الإسلام لأن المسلم يقطع دنياه لالدنياه بل لآخرته فالدنيا له كالمضمار للفرس إلى الغاية المعينة. قال والقيامة حلبته أى ذات حلبته فحذف المضاف كقوله تعالى هُم دَرَجاتٌ عِندَ اللّهِ أى ذوو درجات . ثم قال والجنة سبقته أى جزاء سبقته فحذف أيضا -قرآن-۱۰۲۴-۱۰۴۸ [صفحه ۱۷۳] مِنهَا فِى ذِكرِ النّبِيّص حَتّى أَورَى قَبَساً لقَابِسٍ وَ أَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ فَهُوَ أَمِينُكَ المَأمُونُ وَ شَهِيدُكَ يَومَ الدّينِ وَ بَعِيثُكَ نِعمَةً وَ رَسُولُكَ بِالحَقّ رَحمَةً أللّهُمّ اقسِم لَهُ مَقسَماً مِن عَدلِكَ وَ اجزِهِ مُضَعّفَاتِ الخَيرِ مِن فَضلِكَ أللّهُمّ وَ أَعلِ عَلَى بِنَاءِ البَانِينَ بِنَاءَهُ وَ أَكرِم لَدَيكَ نُزُلَهُ وَ شَرّف عِندَكَ مَنزِلَهُ وَ آتِهِ الوَسِيلَةَ وَ أَعطِهِ السّنَاءَ وَ الفَضِيلَةَ وَ احشُرنَا فِى زُمرَتِهِ غَيرَ خَزَايَا وَ لَا نَادِمِينَ وَ لَا نَاكِبِينَ وَ لَا نَاكِثِينَ وَ لَا ضَالّينَ وَ لَا مُضِلّينَ وَ لَا مَفتُونِينَ قال الرضى رحمه الله تعالى و قدمضى هذاالكلام فيما تقدم إلاأننا كررناه هاهنا لما فى الروايتين من الاختلاف -روايت-۱-۱۱۶ قبسا منصوب بالمفعولية أى أورى رسول الله ص قبسا والقبس شعلة من النار والقابس طالب الاستصباح منها والكلام مجاز والمراد الهداية فى الدين . وعلما منصوب أيضا بالمفعولية أى و أنا رسول الله ص علما.لحابس أى نصب لمن قدحبس ناقته ضلالا فهو يخبط لايدرى كيف يهتدى إلى المنهج علما يهتدى به . [صفحه ۱۷۴] فإن قلت فهل يجوز أن ينصب قبسا وعلما على أن يكون كل واحد منهما حالا- أى حتى أورى رسول الله فى حال كونه قبسا وأنار فى حال كونه علما قلت لم أسمع أورى الزند وإنما المسموع ورى وورى و لم يجئ أورى إلامتعديا أورى زيد زنده فإن حمل هاهنا على المتعدى احتيج إلى حذف المفعول ويصير تقديره حتى أورى رسول الله الزند حال كونه قبسا فيكون فيه نوع تكلف واستهجان . والبعيث المبعوث ومقسما نصيبا و إن جعلته مصدرا جاز. والنزول طعام الضيف والوسيلة مايتقرب به و قدفسر قولهم فى دعاء الأذان أللهم آته الوسيلة بأنها درجة رفيعة فى الجنة والسناء بالمد الشرف وزمرته جماعته . وخزايا جمع خزيان و هوالخجل المستحيى مثل سكران وسكارى وحيران وحيارى وغيران وغيارى . وناكبين أى عادلين عن الطريق وناكثين أى ناقضين للعهد. قلت سألت النقيب أبا جعفررحمه الله و كان منصفا بعيدا عن الهوى والعصبية عن هذاالموضع فقلت له قدوقفت على كلام الصحابة وخطبهم فلم أر فيها من يعظم رسول الله ص تعظيم هذا الرجل و لايدعو كدعائه فإنا قدوقفنا من نهج البلاغة و من غيره على فصول كثيرة مناسبة لهذا الفصل تدل على إجلال عظيم وتبجيل شديد منه لرسول الله ص فقال و من أين لغيره من الصحابة كلام مدون يتعلم منه كيفية ذكرهم للنبىص وهل وجد لهم إلاكلمات مبتدرة لاطائل تحتها ثم قال إن عليا ع كان قوى الإيمان برسول الله ص والتصديق له ثابت اليقين قاطعا بالأمر متحققا له و كان [صفحه ۱۷۵] مع ذلك يحب رسول الله ص لنسبته منه وتربيته له واختصاصه به من دون أصحابه و بعدفشرفه له لأنهما نفس واحدة فى جسمين الأب واحد والدار واحدة والأخلاق متناسبة فإذاعظمه فقد عظم نفسه و إذادعا إليه فقد دعا إلى نفسه ولقد كان يود أن تطبق دعوة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها لأن جمال ذلك لاحق به وعائد عليه فكيف لايعظمه ويبجله ويجتهد فى إعلاء كلمته .فقلت له قدكنت اليوم أنا و جعفر بن مكى الشاعر نتجاذب هذاالحديث فقال جعفر لم ينصر رسول الله ص أحد نصرة أبى طالب وبنيه له أما أبوطالب فكفله ورباه ثم

حماه من قريش عندإظهار الدعوة بعدإصفاقهم وإطباقهم على قتله و أماابنه جعفرفهاجر بجماعة من المسلمين إلى أرض الحبشة فنشر دعوته بها و أما على فإنه أقام عماد الملة بالمدينة ثم لم يمن أحد من القتل والهوان والتشريد بما منى به بنو أبى طالب أما جعفرفقتل يوم مؤتة و أما على فقتل بالكوفة بعد أن شرب نقيع الحنظل وتمنى الموت و لوتأخر قتل ابن ملجم لمات أسفا وكمدا ثم قتل ابناه بالسم والسيف وقتل بنوه الباقون مع أخيهم بالطف وحملت نساؤهم على الأقتاب سبايا إلى الشام ولقيت ذريتهم وأخلافهم بعد ذلك من القتل والصلب والتشريد فى البلاد والهوان والحبس والضرب ما لايحيط الوصف بكنهه فأى خير أصاب هذاالبيت من نصرته ومحبته وتعظيمه بالقول والفعل فقال رحمه الله وأصاب فيما قال فهلا قلت يَمُنّونَ عَلَيكَ أَن أَسلَمُوا قُل لا تَمُنّوا عَلَيّ إِسلامَكُم بَلِ اللّهُ يَمُنّ عَلَيكُم أَن هَداكُم لِلإِيمانِ إِن كُنتُم صادِقِينَ. ثم قال وهلا قلت له فقد نصرته الأنصار وبذلت مهجها دونه وقتلت بين يديه فى -قرآن-١٢٤٩-١٣٨٥ [صفحه ١٧٦] مواطن كثيرة وخصوصا يوم أحد ثم اهتضموا بعده واستؤثر عليهم ولقوا من المشاق والشدائد مايطول شرحه و لو لم يكن إلا يوم الحرة فإنه اليوم ألذى لم يكن فى العرب مثله و لاأصيب قوم قط بمثل ماأصيب به الأنصار ذلك اليوم ثم قال إن الله تعالى زوى الدنيا عن صالحى عباده و أهل الإخلاص له لأنه لم يرها ثمنا لعبادتهم و لا-كفؤا لإخلاصهم وأرجأ جزاءهم إلى دار أخرى غير هذه الدار فى مثلها يتنافس المتنافسون مِنهَا فِي خِطَابِ أَصحَابِهِ وَ قَد بَلَغتُم مِن كَرَامَةِ اللّهِ تَعَالَى لَكُم مَنزِلَةً تُكرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُم وَ تُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُم وَ يُعَظّمُكُم مَن لَا فَضلَ لَكُم عَلَيهِ وَ لَا يَدَ لَكُم عِندَهُ وَ يَهَابُكُم مَن لَا يَخَافُ لَكُم سَطوَةً وَ لَا لَكُم عَلَيهِ إِمرَةٌ وَ قَد تَرَونَ عُهُودَ اللّهِ مَنقُوضَةً فَلَا تَغضَبُونَ وَ أَنتُم لِنَقضِ ذِمَمِ آبَائِكُم تَأنَفُونَ وَ كَانَت أُمُورُ اللّهِ عَلَيكُم تَرِدُ وَ عَنكُم تَصدُرُ وَ إِلَيكُم تَرجِعُ فَمَكّنتُمُ الظّلَمَةَ مِن مَنزِلَتِكُم وَ أَلقَيتُم إِلَيهِم أَزِمّتَكُم وَ أَسلَمتُم أُمُورَ اللّهِ فِي أَيدِيهِم يَعمَلُونَ بِالشّبُهَاتِ وَ يَسِيرُونَ فِي الشّهَوَاتِ وَ ايمُ اللّهِ لَو فَرّقُوكُم تَحتَ كُلّ كَوكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللّهُ لِشَرّ يَومٍ لَهُم هذاخطاب لأصحابه الذين أسلموا مدنهم ونواحيهم إلى جيوش معاوية التى كان [صفحه ١٧٧] يغير بها على أطراف أعمال على ع كالأنبار وغيرها مما تقدم ذكرنا له قال لهم إن الله أكرمكم بالإسلام بعد أن كنتم مجوسا أوعباد أصنام وبلغتم من كرامته إياكم بالإسلام منزلة عظيمة أكرم بهاإماؤكم وعبيدكم و من كان مظنة المهنة والمذلة. ووصل بهاجيرانكم أى من التجأ إليكم من معاهد أوذمى فإن الله تعالى حفظ لهم ذمام المجاورة لكم حتى عصم دماءهم وأموالهم وصرتم إلى حال يعظمكم بها من لافضل لكم عليه و لانعمة لكم عنده كالروم والحبشة فإنهم عظموا مسلمى العرب لتقمصهم لباس الإسلام والدين ولزومهم ناموسه وإظهارهم شعاره . ويهابكم من لايخاف لكم سطوة و لالكم عليه إمرة كالملوك الذين فى أقاصى البلاد نحو الهند والصين وأمثالها و ذلك لأنهم هابوا دولة الإسلام و إن لم يخافوا سطوة سيفها لأنه شاع وذاع أنهم قوم صالحون إذادعوا الله استجاب لهم وأنهم يقهرون الأمم بالنصر السماوى وبالملائكة لابسيوفهم و لابأيديهم قيل إن العرب لماعبرت دجلة إلى القصر الأبيض الشرقى بالمدائن عبرتها فى أيام مدها وهى كالبحر الزاخر على خيولها وبأيديها رماحها و لادروع عليها و لابيض فهربت الفرس بعدرمى شديد منها للعرب بالسهام وهم يقدمون ويحملون و لاتهولهم السهام فقال فلاح نبطى بيده مسحاته و هويفتح الماء إلى زرعه لأسوار من الأساورة معروف بالبأس وجودة الرماية ويلكم أمثلكم فى سلاحكم يهرب من هؤلاء القوم الحاسرين ولذعه باللوم والتعنيف فقال له أقم مسحاتك فأقامها فرماها فخرق الحديد حتى عبر النصل إلى جانبها الآخر ثم قال انظر الآن ثم رمى بعض العرب المارين عليه عشرين سهما لم يصبه و لافرسه منها بسهم واحد وإنه لقريب منه غيربعيد ولقد كان بعض السهام يسقط بين يدى الأسوار فقال له بالفارسية أعلمت أن القوم مصنوع لهم قال نعم . [صفحه ١٧٨] ثم قال ع مالكم لاتغضبون وأنتم ترون عهود الله منقوضة و إن من العجب أن يغضب الإنسان ويأنف من نقض عهد أبيه و لايغضب و لايأنف لنقض عهود إلهه وخالقه . ثم قال لهم كانت الأحكام الشرعية إليكم ترد منى و من تعليمى إياكم وتثقيفى لكم ثم تصدر عنكم إلى من تعلمونه إياها من أتباعكم وتلامذتكم ثم يرجع إليكم بأن يتعلمها بنوكم وإخوتكم من هؤلاء الأتباع والتلامذة ففررتم من الزحف

لماأغارت جيوش الشام عليكم وأسلمتم منازلكم وبيوتكم وبلادكم إلى أعدائكم ومكنتم الظلمة من منزلتكم حتى حكموا فى دين الله بأهوائهم وعملوا بالشبهة لابالحجة واتسعوا فى شهواتهم ومآرب أنفسهم . ثم أقسم بالله إن أهل الشام لوفرقوكم تحت كل كوكب ليجمعنكم الله ليوم و هوشر يوم لهم وكنى بذلك عن ظهور المسودة وانتقامها من أهل الشام وبنى أمية وكانت المسودة المنتقمة منهم عراقية وخراسانية [صفحه ۱۷۹]

۱۰۶– و من كلام له ع فى بعض أيام صفين

وَ قَد رَأَيتُ جَولَتَكُم وَ انحِيَازَكُم عَن صُفُوفِكُم تَحُوزُكُمُ الجُفَاةُ الطّغَامُ وَ أَعرَابُ أَهلِ الشّامِ وَ أَنتُم لَهَامِيمُ العَرَبِ وَ يَآفِيخُ الشّرَفِ وَ الأَنفُ المُقَدّمُ وَ السّنَامُ الأَعظَمُ وَ لَقَد شَفَى وَحَاوِحَ صَدرِي أَن رَأَيتُكُم بِأَخَرَةٍ تَحُوزُونَهُم كَمَا حَازُوكُم وَ تُزِيلُونَهُم عَن مَوَاقِفِهِم كَمَا أَزَالُوكُم حَسّاً بِالنّصَالِ وَ شَجراً بِالرّمَاحِ تَركَبُ أُولَاهُم أُخرَاهُم كَالإِبِلِ الهِيمِ المَطرُودَةِ تُرمَى عَن حِيَاضِهَا وَ تُذَادُ عَن مَوَارِدِهَا جولتكم هزيمتكم فأجمل فى اللفظ وكنى عن اللفظ المنفر عادلا عنه إلى لفظ لاتنفير فيه كما قال تعالى كانا يَأكُلانِ الطّعامَقالوا هوكناية عن إتيان الغائط وإجمال فى اللفظ. وكذلك قوله وانحيازكم عن صفوفكم كناية عن الهرب أيضا و هو من قوله تعالى إِلّا مُتَحَرّفاً لِقِتالٍ أَو مُتَحَيّزاً إِلى فِئَةٍ. -قرآن-۱۰۳-۱۲۵-قرآن-۲۵۲-۳۰۵ [صفحه ۱۸۰] و هذا باب من أبواب البيان لطيف و هوحسن التوصل بإيراد كلام غيرمزعج عوضا عن لفظ يتضمن جبها وتقريعا. وتحوزكم تعدل بكم عن مراكزكم والجفاة جمع جاف و هوالفدم الغليظ والطغام الأوغاد واللهاميم جمع لهموم و هوالجواد من الناس والخيل قال الشاعر لاتحسبن بياضا فى منقصة || إن اللهاميم فى أقرابها بلق واليآفيخ جمع يافوخ و هومعظم الشىء تقول قدذهب يافوخ الليل أى أكثره ويجوز أن يريد به اليافوخ و هوأعلى الرأس وجمعه يآفيخ أيضا وأفخت الرجل ضربت يافوخه و هذاأليق لأنه ذكر بعده الأنف والسنام فحمل اليافوخ على العضو إذاأشبه . والوحاوح الحرق والحزازات ولقيته بأخرة على فعلة أى أخيرا. والحس القتل قال الله تعالى إِذ تَحُسّونَهُم بِإِذنِهِ. وشجرت زيدا بالرمح طعنته والتأنيث فى أولاهم وأخراهم للكتائب . والهيم العطاش وتذاد تصد وتمنع و قدروى الطغاة عوض الطغام . وروى حشأ بالهمز من حشأت الرجل أى أصبت حشاه . وروى بالنضال بالضاد المعجمة و هوالمناضلة والمراماة. و قدذكرنا نحن هذاالكلام فيما اقتصصناه من أخبار صفين فيما تقدم من هذاالكتاب -قرآن-۳۳۷-۳۶۲[صفحه ۱۸۱]

۱۰۷– و من خطبة له ع وهى من خطب الملاحم

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ المُتَجَلّيّ لِخَلقِهِ بِخَلقِهِ وَ الظّاهِرِ لِقُلُوبِهِم بِحُجّتِهِ خَلَقَ الخَلقَ مِن غَيرِ رَوِيّةٍ إِذ كَانَتِ الرّوِيّاتُ لَا تَلِيقُ إِلّا بِذَوِي الضّمَائِرِ وَ لَيسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفسِهِ خَرَقَ عِلمُهُ بَاطِنَ غَيبِ السّتُرَاتِ وَ أَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السّرِيرَاتِ الملاحم جمع ملحمة وهى الوقعة العظيمة فى الحرب و لماكانت دلائل إثبات الصانع ظاهرة ظهور الشمس وصفه ع بكونه ظهر وتجلى لخلقه ودلهم عليه بخلقه إياهم وإيجاده لهم . ثم أكد ذلك بقوله والظاهر لقلوبهم بحجته و لم يقل لعيونهم لأنه غيرمرئى ولكنه ظاهر للقلوب بما أودعها من الحجج الدالة عليه . ثم نفى عنه الروية والفكر والتمثيل بين خاطرين ليعمل على أحدهما لأن ذلك إنما يكون لأرباب الضمائر والقلوب أولى النوازع المختلفة والبواعث المتضادة. ثم وصفه بأن علمه محيط بالظاهر والباطن والماضى والمستقبل فقال إن علمه خرق باطن الغيوب المستورة وأحاط بالغامض من عقائد السرائر [صفحه ۱۸۲] مِنهَا فِي ذِكرِ النّبِيّص اختَارَهُ مِن شَجَرَةِ

الأنبِيَاءِ وَ مِشكَاةِ الضّيَاءِ وَ ذُؤَابَةِ العَليَاءِ وَ سُرّةِ البَطحَاءِ وَ مَصَابِيحِ الظّلمَةِ وَ يَنَابِيعِ الحِكمَةِ شجرة الأنبياء أولاد ابراهيم ع لأن أكثر الأنبياء منهم والمشكاة كوة غيرنافذة يجعل فيهاالمصباح والذؤابة طائفة من شعر الرأس وسرة البطحاء وسطها وبنو كعب بن لؤى يفخرون على بنى عامر بن لؤى بأنهم سكنوا البطاح وسكنت عامر بالجبال المحيطة بمكة وسكن معها بنو فهر بن مالك رهط أبى عبيدة بن الجراح وغيره قال الشاعر فحللت منها بالبطاح || وحل غيرك بالظواهر . و قال طريح بن إسماعيل أنت ابن مسلنطح البطاح و لم || تطرق عليك الحنى والولج . و قال بعض الطالبيين و أنا ابن معتلج البطاح إذاغدا || غيرى وراح على متون ظواهر [صفحه ١٨٣] يفتر عنى ركنها وحطيمها || كالجفن يفتح عن سواد الناظر كجبالها شرفى ومثل سهولها || خلقى ومثل ظبائهن مجاورى وَ مِنهَا طَبِيبٌ دَوّارٌ بِطِبّهِ قَد أَحكَمَ مَرَاهِمَهُ وَ أَحمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيثُ الحَاجَةُ إِلَيهِ مِن قُلُوبٍ عمُيٍ وَ آذَانٍ صُمّ وَ أَلسِنَةٍ بُكمٍ مُتَتَبّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الغَفلَةِ وَ مَوَاطِنَ الحَيرَةِ إنما قال دوار بطبه لأن الطبيب الدوار أكثر تجربة أو يكون عنى به أنه يدور على من يعالجه لأن الصالحين يدورون على مرضى القلوب فيعالجونهم ويقال إن المسيح رئى خارجا من بيت مومسة فقيل له ياسيدنا أمثلك يكون هاهنا فقال إنما يأتى الطبيب المرضى. والمراهم الأدوية المركبة للجراحات والقروح والمواسم حدائد يوسم بهاالخيل وغيرها. ثم ذكر أنه إنما يعالج بذلك من يحتاج إليه وهم أولو القلوب العمى والآذان الصم والألسنة البكم أى الخرس و هذاتقسيم صحيح حاصر لأن الضلال ومخالفة [صفحه ١٨٤] الحق يكون بثلاثة أمور إما بجهل القلب أوبعدم سماع المواعظ والحجج أوبالإمساك عن شهادة التوحيد وتلاوة الذكر فهذه أصول الضلال و أماأفعال المعاصى ففروع عليها

فصل فى التقسيم و ماورد فيه من الكلام

وصحة التقسيم باب من أبواب علم البيان و منه قوله سبحانه ثُمّ أَورَثنَا الكِتابَ الّذِينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا فَمِنهُم ظالِمٌ لِنَفسِهِ وَ مِنهُم مُقتَصِدٌ وَ مِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ. و هذه قسمة صحيحة لأن المكلفين إما كافر أومؤمن أوذو المنزلة بين المنزلتين هكذا قسم أصحابنا الآية على مذهبهم فى الوعيد. وغيرهم يقول العباد إما عاص ظالم لنفسه أومطيع مبادر إلى الخير أومقتصد بينهما. و من التقسيم أيضا قوله وَ كُنتُم أَزواجاً ثَلاثَةً فَأَصحابُ المَيمَنَةِ ما أَصحابُ المَيمَنَةِ وَ أَصحابُ المَشئَمَةِ ما أَصحابُ المَشئَمَةِ وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ ومثل ذلك . و قوله تعالى هُوَ ألّذِى يُرِيكُمُ البَرقَ خَوفاً وَ طَمَعاًلأن الناس عندرؤية البرق بين خائف وطامع . ووقف سائل على مجلس الحسن البصرى فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أوواسى من كفاف أوآثر من قلة فقال الحسن لم تترك لأحد عذرا. -قرآن-٦٣-١٩٢-قرآن-٤٢٥-٥٧١-قرآن-٥٩٩-٦٤٥ [صفحه ١٨٥] و من التقسيمات الفاسدة فى الشعر قول البحترى ذاك وادى الأراك فاحبس قليلا || مقصرا فى ملامة أومطيلا قف مشوقا أومسعدا أوحزينا || أومعينا أوعاذرا أوعذولا فالتقسيم فى البيت الأول صحيح و فى الثانى غيرصحيح لأن المشوق يكون حزينا والمسعد يكون معينا فكذلك يكون عاذرا و يكون مشوقا و يكون حزينا. و قدوقع المتنبى فى مثل ذلك فقال فافخر فإن الناس فيك ثلاثة || مستعظم أوحاسد أوجاهل فإن المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما. و من الأبيات التى ليس تقسيمها بصحيح ماورد فى شعر الحماسة و أنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا || فخنت وإما قلت قولا بلا علم فأنت من الأمر ألذى قدأتيته || بمنزلة بين الخيانة والإثم و ذلك لأن الخيانة أخص من الإثم والإثم شامل لها لأنه أعم منها فقد دخل أحد القسمين فى الآخر ويمكن أن يعتذر له فيقال عنى بالإثم الكذب نفسه وكذلك هوالمعنى أيضا بقوله قولا بلا علم كأنه قال له إما أن أكون أفشيت سرى إليك فخنتنى أو لم أفش فكذبت على فأنت فيما أتيت بين أن تكون خائنا أوكاذبا. ومما جاء من ذلك فى النثر قول بعضهم من جريح مضرج بدمائه أوهارب لايلتفت

إلى ورائه و ذلك أن الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا. و قد أجاد البحترى لماقسم هذاالمعنى و قال [صفحه ١٨٦] غادرتهم أيدى المنية صبحا || للقنا بين ركع وسجود فهم فرقتان بين قتيل || قبضت نفسه بحد الحديد أوأسير غدا له السجن لحدا || فهو حى فى حالة الملحود فرقة للسيوف ينفذ فيهاالحكم || قسرا وفرقة للقيود . و من ذلك قول بعض الأعراب النعم ثلاث نعمة فى حال كونها ونعمة ترجى مستقبلة ونعمة تأتى غيرمحتسبة فأبقى الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه و ذلك أنه أغفل النعمة الماضية وأيضا فإن النعمة التى تأتى غيرمحتسبة داخلة فى قسم النعمة المستقبلة. و قدصحح القسمة أبوتمام فقال جمعت لنا فرق الأمانى منكم || بأبر من روح الحياة وأوصل كالمزن من ماضى الرباب ومقبل || متنظر ومخيم متهلل فصنيعة فى يومها وصنيعة || قدأحولت وصنيعة لم تحول . فإن قلت فإن ماعنيت به فساد التقسيم على البحترى والمتنبى يلزمك مثله فيما شرحته لأن الأعمى القلب قد يكون أبكم اللسان أصم السمع . قلت إن الشاعرين ذكرا التقسيم بأو و أمير المؤمنين ع قسم بالواو والواو للجمع فغير منكر أن تجتمع الأقسام الوحد أو أن تعطى معنى الانفراد فقط فافترق الموضعان [صفحه ١٨٧] لَم يَستَضِيئُوا بِأَضوَاءِ الحِكمَةِ وَ لَم يَقدَحُوا بِزِنَادِ العُلُومِ الثّاقِبَةِ فَهُم فِي ذَلِكَ كَالأَنعَامِ السّائِمَةِ وَ الصّخُورِ القَاسِيَةِ قَدِ انجَابَتِ السّرَائِرُ لِأَهلِ البَصَائِرِ وَ وَضَحَت مَحَجّةُ الحَقّ لِخَابِطِهَا وَ أَسفَرَتِ السّاعَةُ عَن وَجهِهَا وَ ظَهَرَتِ العَلَامَةُ لِمُتَوَسّمِهَا مَا لِي أَرَاكُم أَشبَاحاً بِلَا أَروَاحٍ وَ أَروَاحاً بِلَا أَشبَاحٍ وَ نُسّاكاً بِلَا صَلَاحٍ وَ تُجّاراً بِلَا أَربَاحٍ وَ أَيقَاظاً نُوّماً وَ شُهُوداً غُيّباً وَ نَاظِرَةً عَميَاءَ وَ سَامِعَةً صَمّاءَ وَ نَاطِقَةً بَكمَاءَ انجابت انكشفت والمحجة الطريق والخابط السائر على غيرسبيل واضحة وأسفرت الساعة أضاءت وأشرقت و عن متعلقة بمحذوف وتقديره كاشفة عن وجهها. والمتوسم المتفرس أشباحا بلا أرواح أى أشخاصا لاأرواح لها و لاعقول وأرواحا بلا أشباح يمكن أن يريد به الخفة والطيش تشبيها بروح بلا جسد ويمكن أن يعنى به نقصهم لأن الروح غيرذات الجسد ناقصة عن الاعتمال والتحريك اللذين كانا من فعلها حيث كانت تدير الجسد. ونساكا بلا صلاح نسبهم إلى النفاق وتجارا بلا أرباح نسبهم إلى الرياء وإيقاع الأعمال على غيروجهها. ثم وصفهم بالأمور المتضادة ظاهرا وهى مجتمعة فى الحقيقة فقال أيقاظا نوما [صفحه ١٨٨] لأنهم أولو يقظة وهم غفول عن الحق كالنيام وكذلك باقيها قال تعالى فَإِنّها لا تَعمَى الأَبصارُ وَ لكِن تَعمَى القُلُوبُ التّيِ فِي الصّدُورِ -قرآن-٧٣-١٤٧ رَايَةُ ضَلَالٍ قَد قَامَت عَلَى قُطبِهَا وَ تَفَرّقَت بِشُعَبِهَا تَكِيلُكُم بِصَاعِهَا وَ تَخبِطُكُم بِبَاعِهَا قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ المِلّةِ قَائِمٌ عَلَى الضّلّةِ فَلَا يَبقَى يَومَئِذٍ مِنكُم إِلّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ القِدرِ أَو نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ العِكمِ تَعرُكُكُم عَركَ الأَدِيمِ وَ تَدُوسُكُم دَوسَ الحَصِيدِ وَ تَستَخلِصُ المُؤمِنَ مِن بَينِكُم استِخلَاصَ الطّيرِ الحَبّةَ البَطِينَةَ مِن بَينِ هَزِيلِ الحَبّ هذاكلام منقطع عما قبله لأن الشريف الرضى رحمه الله كان يلتقط الفصول التى فى الطبقة العليا من الفصاحة من كلام أمير المؤمنين ع فيذكرها ويتخطى ماقبلها و مابعدها و هو ع يذكر هاهنا مايحدث فى آخر الزمان من الفتن كظهور السفيانى وغيره . والقطب فى قوله ع قامت على قطبها الرئيس ألذى عليه يدور أمر الجيش والشعب القبيلة العظيمة و ليس التفرق للراية نفسها بل لنصارها وأصحابها فحذف المضاف ومعنى تفرقهم أنهم يدعون إلى تلك الدعوة المخصوصة فى بلاد متفرقة أى تفرق ذلك الجمع العظيم فى الأقطار داعين إلى أمر واحد ويروى بشعبها جمع شعبة [صفحه ١٨٩] وتقدير تكيلكم بصاعها تكيل لكم فحذف اللام كما فى قوله تعالى وَ إِذا كالُوهُم أَو وَزَنُوهُم أى كالوا لهم أووزنوا لهم والمعنى تحملكم على دينها ودعوتها وتعاملكم بما يعامل به من استجاب لها ويجوز أن يريد بقوله تكيلكم بصاعها يقهركم أربابها على الدخول فى أمرهم ويتلاعبون بكم ويرفعونكم ويضعونكم كمايفعل كيال البر به إذاكاله بصاعه . وتخبطكم بباعها تظلمكم وتعسفكم قائدها ليس على ملة الإسلام بل مقيم على الضلالة يقال ضلة لك وإنه ليلومنى ضلة إذا لم يوفق للرشاد فى عذله . والثفالة ماثفل فى القدر من الطبيخ والنفاضة ماسقط من الشىء المنفوض . والعكم العدل والعكم أيضا نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها. وعركت الشىء دلكته بقوة والحصيد الزرع المحصود. ومعنى استخلاص الفتنة المؤمن أنها تخصه بنكايتها وأذاها كماقيل المؤمن ملقى والكافر

موقى -قرآن-۶۸-۹۸ و فى الخبر المرفوع آفات الـدنيا أسـرع إلى المؤمن من النار فى يبيس العرفج -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۰ أَينَ تَـذهَبُ بِكُمُ المَـذَاهِبُ وَ تَتِيهُ بِكُمُ الغَيَـاهِبُ وَ تَخـدَعُكُمُ الكَوَاذِبُ وَ مِن أَينَ تُؤتَونَ وَ أَنّى تُؤفَكُونَ فَلِكُـلّ أَجَـلٍ كِتَابٌ وَ لِكُلّ غَيبَةٍ إِيَابٌ فَاستَمِعُوا مِن رَبّانِيّكُم وَ أَحضِـرُوهُ قُلُوبَكُم وَ استَيقِظُوا إِن هَتَفَ بِكُم [صفحه ۱۹۰] وَ لِيَصـدُق رَائِدٌ أَهلَهُ وَ لِيَجمَع شَملَهُ وَ لِيُحضِـر ذِهنَهُ فَلَقَـد فَلَقَ لَكُمُ الأَمرَ فَلقَ الخَرَزَةِ وَ قَرَفَهُ قَرفَ الصّـمغَةِ الغيـاهب الظلمات الواحـد غيهب وتتيه بكم تجعلكم تائهين عـدى الفعل اللازم بحرف الجر كماتقول فى ذهب ذهبت به والتائه المتحير. والكواذب هاهنا الأمانى فحـذف الموصوف وأبقى الصـفة كقوله إلابكفى كان من أرمى البشـر أى بكفى غلام هـذه صـفته . و قوله ولكل أجل كتاب أظنه منقطعا أيضا عن الأول مثل الفصل ألـذى تقـدم و قـد كان قبله ماينطبق عليه ويلتئم معه لامحالـة ويمكن على بعد أن يكون متصـلا بما هومذكور هاهنا. و قوله ولكل غيبـة إياب قـدقاله عبيد بن الأبرص واسـتثنى من العموم الموت فقال و كل ذى غيبة يئوب || وغائب الموت لايئوب و هورأى زنادقة العرب فأما أمير المؤمنين و هوثانى صاحب الشريعة التى جاءت بعود الموتى فإنه لايستثنى ويحمق عبيدا فى اسـتثنائه . والربانى ألذى أمرهم بالاسـتماع منه إنما يعنى به نفسه ع ويقال رجل [صـفحه ۱۹۱] ربـانى أى متأله عارف بالرب سبحـانه و فى وصف الحسن لأـمير المؤمنين ع كان و الله ربانى هـذه الأمـة وذا فضـلها وذا قرابتها وذا سابقتها. ثم قال وأحضـروه قلوبكم أى اجعلوا قلوبكم حاضـرة عنـده أى لاـتقنعوا لأنفسـكم بحضور الأجساد وغيبـة القلوب فإنكم لاتنتفعون بـذلك وهتف بكم صـاح والرائـد ألـذى يتقـدم المنتجعين لينظر لهم المـاء والكلأ و فى المثل الرائـد لايكـذب أهله . و قوله وليجمع شـمله أى وليجمع عزائمه وأفكـاره لينظر فقـد فلق هـذاالربانى لكم الأـمر أى شق ما كان مبهما وفتـح ما كان مغلقا كماتفلق الخرزة فيعرف باطنها. وقرفه أى قشـره كماتقشـر الصمغة عن عود الشجرة وتقلع فَعِندَ ذَلِكَ أَخَذَ البَاطِلُ مَآخِذَهُ وَ رَكِبَ الجَهلُ مَرَاكِبَهُ وَ عَظُمَتِ الطّاغِيَـةُ وَ قَلّتِ الدّاعِيَـةُ وَ صَالَ الـدّهرُ صِـيَالَ السّبُعِ العَقُورِ وَ هَـدَرَ فَنِيقُ البَاطِلِ بَعدَ كُظُومٍ وَ تَوَاخَى النّاسُ عَلَى الفُجُورِ وَ تَهَاجَرُوا عَلَى الـدّينِ وَ تَحَـابّوا عَلَى الكَـذِبِ وَ تَبَـاغَضُوا عَلَى الصّـِدقِ فَـإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ الوَلَـدُ غَيظاً وَ المَطَرُ قَيظاً وَ تَفِيضُ اللّئَامُ فَيضاً وَ تَغِيضُ الكِرَامُ غَيضاً وَ كَانَ أَهلُ ذَلِكَ الزّمَانِ ذِئَاباً وَ سَـلَاطِينُهُ سِـبَاعاً وَ أَوسَاطُهُ أَكَالًا وَ فُقَرَاؤُهُ أَموَاتاً وَ غَارَ الصّدقُ وَ فَاضَ الكَذِبُ وَ استُعمِلَتِ المَوَدّةُ بِاللّسَانِ وَ تَشَاجَرَ النّاسُ بِالقُلُوبِ وَ صَارَ الفُسُوقُ نَسَباً وَ العَفَافُ عَجَباً وَ لُبِسَ الإِسلَامُ لُبسَ الفَروِ مَقلُوباً [صفحه ۱۹۲] تقـول أخـذ الباطـل مأخـذه كمـاتقول عمـل عمله أى قوى سـلطانه وقهر ومثله ركب الجهـل مراكبه . وعظمت الطاغيـة أى الطغيان فاعلـة بمعنى المصـدر كقوله تعالى لَيسَ لِوَقعَتِها كاذِبَـةٌ أى تكذيب ويجوز أن تكون الطاغية هاهنا صـفة فاعل محذوف أى عظمت الفئـة الطاغيـة و قلت الداعيـة مثله أى الفرقـة الداعيـة. وصال حمل ووثب صولا وصولة يقال رب قول أشد من صول والصـيال والمصاولة هى المواثبة صايله صـيالا وصـيالة والفحلان يتصاولان أى يتواثبان . والفنيق فحل الإبل وهدر ردد صوته فى حنجرته وإبل هوادر وكذلك هدر بالتشديد تهديرا و فى المثل هوكالمهدر فى العنة يضـرب للرجل يصـيح ويجلب و ليس وراء ذلك شىءكالبعير ألذى يحبس فى العنة وهى الحظيرة ويمنع من الضراب و هويهدر و قال الوليد بن عقبة لمعاوية -قرآن-۱۵۵-۱۸۰ قطعـت الـدهر كالسـدم المعنى || تهـدر فى دمشـق و لاـتريم . والكظـوم الإمسـاك والسـكوت كظـم البعير يكظم كظـوما إذاأمسك الجرة و هوكـاظم وإبل كظوم لاتجتر وقوم كظم ساكتون . وتواخى الناس صاروا إخوة والأصل تآخى الناس فأبـدلت الهمزة واوا كـآزرته أى أعنته ووازرته . يقول اصـطلحوا على الفجور وتهاجروا على الـدين أى تعادوا وتقاطعوا. فإن قلت فإن من شعار الصالحين أن يهجروا فى الدين ويعادوا فيه [صـفحه ۱۹۳] قلت لم يذهب أمير المؤمنين حيث ظننت وإنما أراد أن صاحب الـدين مهجور عندهم لأن صاحب الدين مهجور وصاحب الفجور جار عندهم مجرى الأخ فى الحنو عليه والحب له لأنه صاحب فجور. ثم قـال كـان الولـد غيظا أى لكثرة عقوق الأبناء للآباء وصار المطر قيظا يقال إنه من علامات الساعـة وأشـراطها. وأوساطه أكالا أى طعاما يقال ماذقت أكالا و فى هـذاالموضع إشـكال لأنه لم ينقل هـذاالحرف إلا فى الجحـد خاصة كقولهم ما بهاصافر

فالأجود الروایة الأخری وهی آکالا بمد الهمزة علی أفعال جمع أکل و هو ماأکل کقفل وأقفال و قدروی أکالا بضم الهمزة علی فعال وقالوا إنه جمع أکل للمأکول کعرق وعراق وظئر وظؤار إلا أنه شاذ عن القیاس ووزن واحدهما مخالف لوزن واحد أکال لو کان جمعا یقول صار أوساط الناس طعمة للولاة وأصحاب السلاطین وکالفریسة للأسد. وغار الماء سفل لنقصه وفاض سال . وتشاجر الناس تنازعوا وهی المشاجرة وشجر بین القوم إذااختلف الأمر بینهم واشتجروا مثل تشاجروا. وصار الفسوق نسبا یصیر الفاسق صدیق الفاسق حتی یکون ذلک کالنسب بینهم و حتی یعجب الناس من العفاف لقلته وعدمه . ولبس الإسلام لبس الفرو وللعرب عادة بذلک وهی أن تجعل الخمل إلی الجسد وتظهر الجلد والمراد انعکاس الأحکام الإسلامیة فی ذلک الزمان [صفحه ۱۹۴]

۱۰۸– و من خطبة له ع

اشاره

کُلّ شَیءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَ کُلّ شَیءٍ قَائِمٌ بِهِ غِنَی کُلّ فَقِیرٍ وَ عِزّ کُلّ ذَلِیلٍ وَ قُوّةُ کُلّ ضَعِیفٍ وَ مَفزَعُ کُلّ مَلهُوفٍ مَن تَکَلّمَ سَمِعَ نُطقَهُ وَ مَن سَکَتَ عَلِمَ سِرّهُ وَ مَن عَاشَ فَعَلَیهِ رِزقُهُ وَ مَن مَاتَ فَإِلَیهِ مُنقَلَبُهُ لَم تَرَکَ العُیُونُ فَتُخبِرَ عَنکَ بَل کُنتَ قَبلَ الوَاصِفِینَ مِن خَلقِکَ لَم تَخلُقِ الخَلقَ لِوَحشَةٍ وَ لَا استَعمَلتَهُم لِمَنفَعَةٍ وَ لَا یَسبِقُکَ مَن طَلَبتَ وَ لَا یُفلِتُکَ مَن أَخَذتَ وَ لَا یَنقُصُ سُلطَانَکَ مَن عَصَاکَ وَ لَا یَزِیدُ فِی مُلکِکَ مَن أَطَاعَکَ وَ لَا یَرُدّ أَمرَکَ مَن سَخِطَ قَضَاءَکَ وَ لَا یَستَغنِی عَنکَ مَن تَوَلّی عَن أَمرِکَ کُلّ سِرّ عِندَکَ عَلَانِیَةٌ وَ کُلّ غَیبٍ عِندَکَ شَهَادَةٌ أَنتَ الأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَکَ وَ أَنتَ المُنتَهَی فَلَا مَحِیصَ عَنکَ وَ أَنتَ المَوعِدُ فَلَا مُنجِیَ مِنکَ إِلّا إِلَیکَ بِیَدِکَ نَاصِیَةُ کُلّ دَابّةٍ وَ إِلَیکَ مَصِیرُ کُلّ نَسَمَةٍ سُبحَانَکَ مَا أَعظَمَ شَأنَکَ سُبحَانَکَ مَا أَعظَمَ مَا نَرَی مِن خَلقِکَ وَ مَا أَصغَرَ عَظِیمَةٍ فِی جَنبِ قُدرَتِکَ وَ مَا أَهوَلَ مَا نَرَی مِن مَلَکُوتِکَ وَ مَا أَحقَرَ ذَلِکَ فِیمَا غَابَ عَنّا مِن سُلطَانِکَ وَ مَا أَسبَغَ نِعَمَکَ فِی الدّنیَا وَ مَا أَصغَرَهَا فِی نِعَمِ الآخِرَةِ [صفحه ۱۹۵] قال کل شیءخاضع لعظمة الله سبحانه و کل شیءقائم به و هذه هی صفته الخاصة أعنی کونه غنیا عن کل شیء و لا شیء من الأشیاء یغنی عنه أصلا. ثم قال غنی کل فقیر و عز کل ذلیل وقوة کل ضعیف ومفزع کل ملهوف . جاء فی الأثر من اعتز بغیر الله ذل و من تکثر بغیر الله قل –روایت–۱–۲–روایت–۱۵–۶۲ و کان یقال لیس فقیرا من استغنی بالله و قال الحسن وا عجبا للوط نبی الله قال لَو أَنّ لِی بِکُم قُوّةً أَو آوِی إِلی رُکنٍ شَدِیدٍ أتراه أراد رکنا أشد وأقوی من الله . واستدل العلماء علی ثبوت الصانع سبحانه بما دل علیه فحوی قوله ع ومفزع کل ملهوف و ذلک أن النفوس ببدائها تفزع عندالشدائد والخطوب الطارقة إلی الالتجاء إلی خالقها وبارئها أ لاتری راکبی السفینة عندتلاطم الأمواج کیف یجأرون إلیه سبحانه اضطرارا لااختیارا فدل ذلک علی أن العلم به مرکوز فی النفس قال سبحانه وَ إِذا مَسّکُمُ الضّرّ فِی البَحرِ ضَلّ مَن تَدعُونَ إِلّا إِیّاهُ. ثم قال ع من تکلم سمع نطقه و من سکت علم سره یعنی أنه یعلم ماظهر و مابطن . ثم قال و من عاش فعلیه رزقه و من مات فإلیه منقلبه أی هومدبر الدنیا والآخرة والحاکم فیهما. ثم انتقل عن الغیبة إلی الخطاب فقال لم ترک العیون –قرآن–۸۳–۱۳۶–قرآن–۴۹۸–۵۶۴[صفحه ۱۹۶]

فصل فی الکلام علی الالتفات

واعلم أن باب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب و من الخطاب إلى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان وأكثر مايقع ذلك إذااشتدت عناية المتكلم بذلك المعنى المنتقل إليه كقوله سبحانه الحَمدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ الرّحمنِ الرّحِيم مالِكِ يَوم الدّينِفأخبر عن غائب ثم انتقل إلى خطاب الحاضر فقال إِيّاكَ نَعبُدُ وَ إِيّاكَ نَستَعِينُقالوا لأن منزلة الحمد دون منزلة العبادة فإنك تحمد نظيرك و لاتعبده فجعل الحمد للغائب وجعل العبادة لحاضر يخاطب بالكاف لأن كاف الخطاب أشد تصريحا به سبحانه من الأخبار بلفظ الغيبة قالوا و لماانتهى إلى آخر السورة قال صِراطَ الّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمفأسند النعمة إلى مخاطب حاضر و قال فى الغضب غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمفأسنده إلى فاعل غيرمسمى و لامعين و هوأحسن من أن يكون قال لم تغضب عليهم و فى النعمة الذين أنعم عليهم . و من هذاالباب قوله تعالى وَ قالُوا اتّخَذَ الرّحمنُ وَلَداًفأخبر بقالوا عن غائبين ثم قال لَقَد جِئتُم شَيئاً إِدّافأتى بلفظ الخطاب استعظاما للأمر كالمنكر على قوم حاضرين عنده . و من الانتقال عن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى هُوَ ألّذِى يُسَيّرُكُم فِى البَرّ وَ البَحرِ حَتّى إِذا كُنتُم فِى الفُلكِ وَ جَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتها رِيحٌ عاصِفٌ ...الآية. -قرآن-١٩٠-٢٦٠-قرآن-٣٠٨-٣٤٤-قرآن-٥٧١-٦٠٣-قرآن-٦٤٩-٦٧٣-قرآن-٨١٧-٨٥٠-قرآن-٨٨٣-٩٠٧-قرآن-١٠٢٣-١١٧٣ [صفحه ١٩٧] وفائدة ذلك أنه صرف الكلام من خطاب الحاضرين إلى أخبار قوم آخرين بحالهم كأنه يعدد على أولئك ذنوبهم ويشرح لهؤلاء بغيهم وعنادهم الحق ويقبح عندهم مافعلوه و يقول أ لاتعجبون من حالهم كيف دعونا فلما رحمناهم واستجبنا دعاءهم عادوا إلى بغيهم و هذه الفائدة لوكانت الآية كلها على صيغة خطاب الحاضر مفقودة . قال ع مارأتك العيون فتخبر عنك كمايخبر الإنسان عما شاهده بل أنت أزلى قديم موجود قبل الواصفين لك . فإن قلت فأى منافاة بين هذين الأمرين أ ليس من الممكن أن يكون سبحانه قبل الواصفين له و مع ذلك يدرك بالأبصار إذاخلق خلقه ثم يصفونه رأى عين قلت بل هاهنا منافاة ظاهرة و ذلك لأنه إذا كان قديما لم يكن جسما و لاعرضا و ما ليس بجسم و لاعرض تستحيل رؤيته فيستحيل أن يخبر عنه على سبيل المشاهدة. ثم ذكر ع أنه لم يخلق الخلق لاستيحاشه وتفرده و لااستعملهم بالعبادة لنفعه و قدتقدم شرح هذا. ثم قال لاتطلب أحدا فيسبقك أى يفوتك و لايفلتك من أخذته . فإن قلت أى فائدة فى قوله و لايفلتك من أخذته لأن عدم الإفلات هوالأخذ فكأنه قال لايفلتك من لم يفلتك قلت المراد أن من أخذت لايستطيع أن يفلت كمايستطيع المأخوذون مع ملوك الدنيا أن يفلتوا بحيلة من الحيل . فإن قلت أفلت فعل لازم فما باله عداه . قلت تقدير الكلام لايفلت منك فحذف حرف الجر كماقالوا استجبتك أى استجبت لك قال [صفحه ١٩٨] فلم يستجبه عندذاك مجيب . وقالوا استغفرت الله الذنوب أى من الذنوب و قال الشاعر أستغفر الله ذنبا لست محصيه || رب العباد إليه الوجه والعمل قوله ع و لايرد أمرك من سخط قضاءك و لايستغنى عنك من تولى عن أمرك تحته سر عظيم و هوقول أصحابنا فى جواب قول المجبرة لووقع منا ما لايريده لاقتضى ذلك نقصه إنه لانقص فى ذلك لأنه لايريد الطاعات منا إرادة قهر وإلجاء و لوأرادها إرادة قهر لوقعت وغلبت إرادته إرادتنا ولكنه تعالى أراد منا أن نفعل نحن الطاعة اختيارا فلايدل عدم وقوعها منا على نقصه وضعفه كما لايدل بالاتفاق بيننا وبينكم عدم وقوع ماأمر به على ضعفه ونقصه . ثم قال ع كل سر عندك علانية أى لايختلف الحال عليه فى الإحاطة بالجهر والسر لأنه عالم لذاته ونسبة ذاته إلى كل الأمور واحدة. ثم قال أنت الأبد فلاأمد لك هذاكلام علوى شريف لايفهمه إلاالراسخون فى العلم و فيه سمة من قول النبى ص لاتسبوا الدهر فإن الدهر هو الله -روايت-١-٢-روايت-١٧-٥١ و فى مناجاة الحكماء لمحة منه أيضا و هوقولهم أنت الأزل السرمد و أنت الأبد ألذى لاينفد بل قولهم أنت الأبد ألذى لاينفد هو قوله أنت الأبد فلاأمد لك بعينه ونحن نشرحه هاهنا على موضوع هذاالكتاب فإنه كتاب أدب لا كتاب نظر فنقول إن له فى العربية محملين أحدهما أن المراد به أنت ذو الأبد كماقالوا رجل خال أى ذو خال والخال الخيلاء و رجل داء أى به داء و رجل [صفحه ١٩٩] مال أى ذو مال والمحمل الثانى أنه لما كان الأزل والأبد لاينفكان عن وجوده سبحانه جعله ع كأنه أحدهما بعينه كقولهم أنت الطلاق

لماأراد المبالغة فی البینونة جعلها کأنها الطلاق نفسه ومثله قول الشاعر فإن المندی رحلة فرکوب و قال أبوالفتح فی الدمشقیات استدل أبو علی علی صرف منی للموضع المخصوص بأنه مصدر منی یمنی قال فقلت له أتستدل بهذا علی أنه مذکر لأن المصدر إلی التذکیر فقال نعم فقلت فما تنکر ألا یکون فیه دلالة علیه لأنه لاینکر أن یکون مذکر سمی به البقعة المؤنثة فلاینصرف کامرأة سمیتها بحجر وجبل وشبع ومعی فقال إنما ذهبت إلی ذلک لأنه جعل کأنه المصدر بعینه لکثرة مایعانی فیه ذلک فقلت الآن نعم . و من هذاالباب قوله فإنما هی إقبال وإدبار . و قوله وهن من الإخلاف قبلک والمطل . و قوله فلامنجی منک إلاإلیک قدأخذه الفرزدق فقال لمعاویة إلیک فررت منک و من زیاد || و لم أحسب دمی لکما حلالا ثم استعظم واستهول خلقه ألذی یراه وملکوته ألذی یشاهده واستصغر واستحقر [صفحه ٢٠٠] ذلک بالإضافة إلی قدرته تعالی و إلی ماغاب عنا من سلطانه ثم تعجب من سبوغ نعمه تعالی فی الدنیا واستصغر ذلک بالنسبة إلی نعم الآخرة و هذاحق لأنه لانسبة للمتناهی إلی غیرالمتناهی مِنهَا مِن مَلَائِکَةٍ أَسکَنتَهُم سَمَاوَاتِکَ وَ رَفَعتَهُم عَن أَرضِکَ هُم أَعلَمُ خَلقِکَ بِکَ وَ أَخوَفُهُم لَکَ وَ أَقرَبُهُم مِنکَ لَم یَسکُنُوا الأَصلَابَ وَ لَم یُضَمّنُوا الأَرحَامَ وَ لَم یُخلَقُوا مِن مَاءٍ مَهِینٍ وَ لَم یَتَشَعّبهُم رَیبُ المَنُونِ وَ إِنّهُم عَلَی مَکَانِهِم مِنکَ وَ مَنزِلَتِهِم عِندَکَ وَ استِجمَاعِ أَهوَائِهِم فِیکَ وَ کَثرَةِ طَاعَتِهِم لَکَ وَ قِلّةِ غَفلَتِهِم عَن أَمرِکَ لَو عَایَنُوا کُنهَ مَا خفَیِ‌َ عَلَیهِم مِنکَ لَحَقّرُوا أَعمَالَهُم وَ لَزَرَوا عَلَی أَنفُسِهِم وَ لَعَرَفُوا أَنّهُم لَم یَعبُدُوکَ حَقّ عِبَادَتِکَ وَ لَم یُطِیعُوکَ حَقّ طَاعَتِکَ سُبحَانَکَ خَالِقاً وَ مَعبُوداً بِحُسنِ بَلَائِکَ عِندَ خَلقِکَ خَلَقتَ دَاراً وَ جَعَلتَ فِیهَا مَأدُبَةً مَشرَباً وَ مَطعَماً وَ أَزوَاجاً وَ خَدَماً وَ قُصُوراً وَ أَنهَاراً وَ زُرُوعاً وَ ثِمَاراً ثُمّ أَرسَلتَ دَاعِیاً یَدعُو إِلَیهَا فَلَا الدّاعیِ‌َ أَجَابُوا وَ لَا فِیمَا رَغّبتَ رَغِبُوا وَ لَا إِلَی مَا شَوّقتَ إِلَیهِ اشتَاقُوا أَقبَلُوا عَلَی جِیفَةٍ قَدِ افتَضَحُوا بِأَکلِهَا وَ اصطَلَحُوا عَلَی حُبّهَا وَ مَن عَشِقَ شَیئاً أَعشَی بَصَرَهُ وَ أَمرَضَ قَلبَهُ فَهُوَ یَنظُرُ بِعَینٍ غَیرِ صَحِیحَةٍ وَ یَسمَعُ بِأُذُنٍ غَیرِ سَمِیعَةٍ قَد خَرَقَتِ الشّهَوَاتُ عَقلَهُ وَ أَمَاتَتِ الدّنیَا قَلبَهُ وَ وَلِهَت عَلَیهَا نَفسُهُ فَهُوَ عَبدٌ لَهَا وَ لِمَن فِی یَدَیهِ شَیءٌ مِنهَا حَیثُمَا زَالَت زَالَ إِلَیهَا وَ حَیثُمَا أَقبَلَت أَقبَلَ عَلَیهَا لَا یَنزَجِرُ مِنَ اللّهِ بِزَاجِرٍ وَ لَا یَتّعِظُ مِنهُ بِوَاعِظٍ وَ هُوَ یَرَی المَأخُوذِینَ [صفحه ٢٠١] عَلَی الغِرّةِ حَیثُ لَا إِقَالَةَ لَهُم وَ لَا رَجعَةَ کَیفَ نَزَلَ بِهِم مَا کَانُوا یَجهَلُونَ وَ جَاءَهُم مِن فِرَاقِ الدّنیَا مَا کَانُوا یَأمَنُونَ وَ قَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَی مَا کَانُوا یُوعَدُونَ فَغَیرُ مَوصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِم اجتَمَعَت عَلَیهِم سَکرَةُ المَوتِ وَ حَسرَةُ الفَوتِ فَفَتَرَت لَهَا أَطرَافُهُم وَ تَغَیّرَت لَهَا أَلوَانُهُم ثُمّ ازدَادَ المَوتُ فِیهِم وُلُوجاً فَحِیلَ بَینَ أَحَدِهِم وَ بَینَ مَنطِقِهِ وَ إِنّهُ لَبَینَ أَهلِهِ یَنظُرُ بِبَصَرِهِ وَ یَسمَعُ بِأُذُنِهِ عَلَی صِحّةٍ مِن عَقلِهِ وَ بَقَاءٍ مِن لُبّهِ یُفَکّرُ فِیمَ أَفنَی عُمرَهُ وَ فِیمَ أَذهَبَ دَهرَهُ وَ یَتَذَکّرُ أَموَالًا جَمَعَهَا أَغمَضَ فِی مَطَالِبِهَا وَ أَخَذَهَا مِن مُصَرّحَاتِهَا وَ مُشتَبِهَاتِهَا قَد لَزِمَتهُ تَبِعَاتُ جَمعِهَا وَ أَشرَفَ عَلَی فِرَاقِهَا تَبقَی لِمَن وَرَاءَهُ یُنَعّمُونَ فِیهَا وَ یَتَمَتّعُونَ بِهَا فَیَکُونُ المَهنَأُ لِغَیرِهِ وَ العب ءُ عَلَی ظَهرِهِ وَ المَرءُ قَد غَلِقَت رُهُونُهُ بِهَا فَهُوَ یَعَضّ یَدَهُ نَدَامَةً عَلَی مَا أَصحَرَ لَهُ عِندَ المَوتِ مِن أَمرِهِ وَ یَزهَدُ فِیمَا کَانَ یَرغَبُ فِیهِ أَیّامَ عُمرِهِ وَ یَتَمَنّی أَنّ ألّذِی کَانَ یَغبِطُهُ بِهَا وَ یَحسُدُهُ عَلَیهَا قَد حَازَهَا دُونَهُ فَلَم یَزَلِ المَوتُ یُبَالِغُ فِی جَسَدِهِ حَتّی خَالَطَ سَمعَهُ فَصَارَ بَینَ أَهلِهِ لَا یَنطِقُ بِلِسَانِهِ وَ لَا یَسمَعُ بِسَمعِهِ یُرَدّدُ طَرفَهُ بِالنّظَرِ فِی وُجُوهِهِم یَرَی حَرَکَاتِ أَلسِنَتِهِم وَ لَا یَسمَعُ رَجعَ کَلَامِهِم ثُمّ ازدَادَ المَوتُ التِیَاطاً بِهِ فَقَبَضَ بَصَرَهُ کَمَا قَبَضَ سَمعَهُ وَ خَرَجَتِ الرّوحُ مِن جَسَدِهِ فَصَارَ جِیفَةً بَینَ أَهلِهِ قَد أُوحِشُوا مِن جَانِبِهِ وَ تَبَاعَدُوا مِن قُربِهِ لَا یُسعِدُ بَاکِیاً وَ لَا یُجِیبُ دَاعِیاً ثُمّ حَمَلُوهُ إِلَی مَخَطّ فِی الأَرضِ فَأَسلَمُوهُ فِیهِ إِلَی عَمَلِهِ وَ انقَطَعُوا عَن زَورَتِهِ حَتّی إِذَا بَلَغَ الکِتَابُ أَجَلَهُ وَ الأَمرُ مَقَادِیرَهُ وَ أُلحِقَ آخِرُ الخَلقِ بِأَوّلِهِ وَ جَاءَ مِن أَمرِ اللّهِ مَا یُرِیدُهُ مِن تَجدِیدِ خَلقِهِ أَمَادَ السّمَاءَ وَ فَطَرَهَا وَ أَرَجّ الأَرضَ وَ أَرجَفَهَا وَ قَلَعَ جِبَالَهَا وَ نَسَفَهَا وَ دَکّ بَعضُهَا بَعضاً مِن هَیبَةِ جَلَالَتِهِ وَ مَخُوفِ سَطوَتِهِ وَ أَخرَجَ مَن فِیهَا فَجَدّدَهُم بَعدَ إِخلَاقِهِم وَ جَمَعَهُم بَعدَ تَفَرّقِهِم ثُمّ مَیّزَهُم لِمَا یُرِیدُهُ مِن [صفحه ٢٠٢] مَسأَلَتِهِم عَن خَفَایَا الأَعمَالِ وَ خَبَایَا الأَفعَالِ وَ جَعَلَهُم فَرِیقَینِ أَنعَمَ عَلَی هَؤُلَاءِ وَ انتَقَمَ مِن هَؤُلَاءِ فَأَمّا أَهلُ الطّاعَةِ فَأَثَابَهُم بِجِوَارِهِ وَ خَلّدَهُم فِی دَارِهِ حَیثُ لَا یَظعَنُ النّزّالُ وَ لَا تَتَغَیّرُ بِهِمُ الحَالُ وَ لَا تَنُوبُهُمُ الأَفزَاعُ وَ لَا تَنَالُهُمُ الأَسقَامُ وَ لَا تَعرِضُ لَهُمُ الأَخطَارُ وَ لَا تُشخِصُهُمُ الأَسفَارُ وَ أَمّا أَهلُ المَعصِیَةِ فَأَنزَلَهُم شَرّ دَارٍ وَ غَلّ الأَیدیِ‌َ إِلَی

الأَعنَاقِ وَ قَرَنَ النوّاصِيَ بِالأَقدَامِ وَ أَلبَسَهُم سَرَابِيلَ القَطِرَانِ وَ مُقَطّعَاتِ النّيرَانِ فِي عَذَابٍ قَدِ اشتَدّ حَرّهُ وَ بَابٍ قَد أُطبِقَ عَلَي أَهلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَ لَجَبٌ وَ لَهَبٌ سَاطِعٌ وَ قَصِيفٌ هَائِلٌ لَا يَظعَنُ مُقِيمُهَا وَ لَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَ لَا تُفصَمُ كُبُولُهَا لَا مُدّةَ لِلدّارِ فَتَفنَي وَ لَا أَجَلَ لِلقَومِ فَيُقضَي هذاموضع المثل في كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار الخطب الوعظية الحسان كثيرة ولكن هذاحديث يأكل الأحاديث محاسن أصناف المغنين جمة || و ماقصبات السبق إلالمعبد . من أراد أن يتعلم الفصاحة والبلاغة ويعرف فضل الكلام بعضه علي بعض فليتأمل هذه الخطبة فإن نسبتها إلي كل فصيح من الكلام عدا كلام الله ورسوله نسبة الكواكب المنيرة الفلكية إلي الحجارة المظلمة الأرضية ثم لينظر الناظر إلي ماعليها من البهاء والجلالة والرواء والديباجة و ماتحدثه من الروعة والرهبة والمخافة والخشية حتي لوتليت علي زنديق ملحد مصمم علي اعتقاد نفي البعث والنشور لهدت قواه وأرعبت قلبه وأضعفت علي نفسه وزلزلت اعتقاده فجزي الله قائلها عن الإسلام أفضل [صفحه ٢٠٣] ماجزي به وليا من أوليائه فما أبلغ نصرته له تارة بيده وسيفه وتارة بلسانه ونطقه وتارة بقلبه وفكره إن قيل جهاد وحرب فهو سيد المجاهدين والمحاربين و إن قيل وعظ وتذكير فهو أبلغ الواعظين والمذكرين و إن قيل فقه وتفسير فهو رئيس الفقهاء والمفسرين و إن قيل عدل وتوحيد فهو إمام أهل العدل والموحدين ليس علي الله بمستنكر || أن يجمع العالم في واحد . ثم نعود إلي الشرح فنقول قوله ع أسكنتهم سماواتك لايقتضي أن جميع الملائكة في السماوات فإنه قدثبت أن الكرام الكاتبين في الأرض وإنما لم يقتض ذلك لأن قوله من ملائكة ليس من صيغ العموم فإنه نكرة في سياق الإثبات و قدقيل أيضا إن ملائكة الأرض تعرج إلي السماء ومسكنها بها ويتناوبون علي أهل الأرض . قوله هم أعلم خلقك بك ليس يعني به أنهم يعلمون من ماهيته تعالي ما لايعلمه البشر أما علي قول المتكلمين فلأن ذاته تعالي معلومة للبشر والعلم لايقبل الأشد والأضعف و أما علي قول الحكماء فلأن ذاته تعالي غيرمعلومة للبشر و لاللملائكة ويستحيل أن تكون معلومة لأحد منهم فلم يبق وجه يحمل عليه قوله ع هم أعلم خلقك بك إلاأنهم يعلمون من تفاصيل مخلوقاته وتدبيراته ما لايعلمه غيرهم كمايقال وزير الملك أعلم بالملك من الرعية ليس المراد أنه أعلم بذاته وماهيته بل بأفعاله وتدبيره ومراده وغرضه . قوله وأخوفهم لك لأن قوتي الشهوة والغضب مرفوعتان عنهم وهما منبع [صفحه ٢٠٤] الشر وبهما يقع الطمع والإقدام علي المعاصي وأيضا فإن منهم من يشاهد الجنة والنار عيانا فيكون أخوف لأنه ليس الخبر كالعيان . قوله وأقربهم منك لايريد القرب المكاني لأنه تعالي منزه عن المكان والجهة بل المراد كثرة الثواب وزيادة التعظيم والتبجيل و هذايدل علي صحة مذهب أصحابنا في أن الملائكة أفضل من الأنبياء. ثم نبه علي مزية لهم تقتضي أفضلية جنسهم علي جنس البشر بمعني الأشرفية لابمعني زيادة الثواب و هو قوله لم يسكنوا الأصلاب و لم يضمنوا الأرحام و لم يخلقوا من ماء مهين و لم يتشعبهم ريب المنون و هذه خصائص أربع فالأولي أنهم لم يسكنوا الأصلاب والبشر سكنوا الأصلاب و لاشبهة أن ماارتفع عن مخالطة الصورة اللحمية والدموية أشرف مما خالطها ومازجها. والثانية أنهم لم يضمنوا الأرحام و لاشبهة أن من لم يخرج من ذلك الموضع المستقذر أشرف ممن خرج منه و كان أحمد بن سهل بن هاشم بن الوليد بن كامكاو بن يزدجرد بن شهريار يفخر علي أبناء الملوك بأنه لم يخرج من بضع امرأة لأن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها عنه وأخرج قال أبوالريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية عن هذا الرجل أنه كان يتيه علي الناس و إذاشتم أحدا قال ابن البضع قال أبوالريحان وأول من اتفق له ذلك الملك المعروف بأغسطس ملك الروم و هوأول من سمي فيهم قيصر لأن تفسير قيصر بلغتهم شق عنه وأيامه تاريخ كما أن أيام الإسكندر تاريخ لعظمه وجلالته عندهم . والثالثة أنهم لم يخلقوا من ماء مهين و قدنص القرآن العزيز علي أنه مهين وكفي ذلك في تحقيره وضعته فهم لامحالة أشرف ممن خلق منه لاسيما و قدذهب كثير من العلماء إلي نجاسته . [صفحه ٢٠٥] والرابعة أنهم لايتشعبهم المنية و لاريب أن من لاتتطرق إليه الأسقام والأمراض و لايموت أشرف ممن هو في كل ساعة ولحظة بعرض سقام وبصدد موت وحمام . واعلم أن مسألة تفضيل الملائكة علي الأنبياء لها صورتان إحداهما

أن أفضـل بمعنى كونهم أكثر ثوابا والأخرى كونهم أفضل بمعنى أشـرف كماتقول إن الفلك أفضل من الأرض أى إن الجوهر ألـذى منه جسـمية الفلك أشـرف من الجوهر ألـذى منه جسـمية الأرض . و هـذه المزايا الأربع دالـة على تفضـيل الملائكة بهذا الاعتبار الثانى. قوله ع يتشعبهم ريب المنون أى يتقسـمهم والشـعب التفريق و منه قيل للمنية شعوب لأنها تفرق الجماعات وريب المنون حوادث الـدهر وأصل الريب ماراب الإنسان أى جاءه بما يكره والمنون الـدهر نفسه والمنون أيضا المنيـة لأنها تمن المدة أى تقطعهـا والمن القطع و منه قوله تعـالى لَهُم أَجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ. و قال لبيـد –قرآن-٧٥٧-٧٨٢ غبس كواسب لا ـيمن طعامها . ثم ذكر أنهم كثرة عبادتهم وإخلاصـهم لوعاينوا كنه ماخفى عليهم من البارئ تعالى لحقروا أعمالهم وزروا على أنفسهم أى عابوها تقول زريت على فلاـن أى عبته وأزريت بفلاـن أى قصرت به . [صـفحه ٢٠٦] فإن قلت ما هـذاالكنه ألـذى خفى عن الملائكة حتى قال لوعاينوه لحقروا عبادتهم ولعلموا أنهم قدقصـروا فيها قلت إن علوم الملائكـة بالبارئ تعالى نظريـة كعلوم البشـر والعلوم النظريـة دون العلوم الضـرورية فى الجلاـء والوضوح فـأمير المؤمنين ع يقول لوكـانت علومهم بـك وبصـفاتك إثباتيـة والسـلبية والإضافيـة ضـرورية عوض علومهم هـذه المتحققـة الآـن التى هى نظريـة و لاـنكشف لهم ما ليس الآن على حـد ذلك الكشـف والوضوح و لاشـبهة أن العبادة والخدمة على قدر المعرفة بالمعبود فكلما كان العابد به أعرف كانت عبادته له أعظم و لاشبهة أن العظيم عنـدالأعظم حقير. فـإن قلت فمـا معنى قوله واسـتجماع أهوائهم فيـك وهـل للملائكـة هوى وهل تسـتعمل الأهواء إلا فى الباطـل قلت الهوى الحب وميـل النفس و قـد يكون فى باطـل وحق وإنمـا يحمل على أحـدهما بالقرينـة والأهواء تسـتعمل فيهما ومعنى اسـتجماع أهوائهم فيه أن دواعيهم إلى طاعته وخـدمته لاتنازعها الصوارف وكانت مجتمعـة مائلة إلى شق واحد. فإن قلت البـاء فى قوله بحسن بلائـك بمـا ذا تتعلق قلت البـاء هاهنا للتعليل بمعنى اللام كقوله تعالى ذلِكَ بِأَنّهُم كانَت تَأتِيهِم رُسُلُهُم أى لأنهم فتكون متعلقـة بما فى سبحانك من معنى الفعل أى أسـبحك لحسن بلائك ويجوز أن تتعلق بمعبود أى يعبد لذلك . ثم قال خلقت دارا يعنى الجنـة والمأدبة والمأدبة بفتح الدال وضـمها الطعام ألذى يدعى الإنسان إليه أدب زيد القوم يأدبهم بالكسـر أى دعاهم إلى طعامه والآدب الـداعى إلى طعامه قال طرفة –قرآن-٩٨٦-١٠٢٦ [صفحه ٢٠٧] نحن فى المشتاة ندعو الجفلى || لاـترى الآـدب فينا ينتقر و فى هـذاالكلام دلالـة على أن الجنـة الآن مخلوقـة و هومـذهب أكثر أصـحابنا. ومعنى قوله وزروعا أى وغروسا من الشجر يقال زرعت الشجر كمايقال زرعت البر والشعير ويجوز أن يقال الزروع جمع زرع و هوالإنبات يقال زرعه الله أى أنبته و منه قوله تعالى أَ فَرَأَيتُم ما تَحرُثُونَ أَ أَنتُم تَزرَعُونَهُ أَم نَحنُ الزّارِعُونَ و لو قال قائل إن فى الجنـة زروعا من البر والقطنية لم يبعـد. قوله ثم أرسـلت داعيا يعنى الأنبياء وأقبلوا على جيفـة يعنى الـدنيا و من كلام الحسن رضـى الله عنه إنما يتهارشون على جيفة. و إلى قوله و من عشق شيئا أعشـى بصره نظر الشاعر فقال –قرآن-٢٥٥-٣٢٧ وعين الرضا عن كل عيب كليلـة || كما أن عين السـخط تبـدى المساويـا وقيل لحكيم مابال الناس لايرون عيب أنفسـهم كمايرون عيب غيرهم قال إن الإنسان عاشق لنفسـه والعاشق لايرى عيوب المعشوق . قـدخرقت الشـهوات عقله أى أفسدته كماتخرق الثوب فيفسد. و إلى قوله فهو عبدلها ولمن فى يديه شـىءمنها نظر ابن دريد فقال عبيد ذى المال و إن لم يطمعوا || من ماله فى نغبة تشـفى الصدى وهم لمن أملق أعداء و إن || شاركهم فيما أفاد وحوى . [صفحه ٢٠٨] و إلى قوله حيثما زالت زال إليها وحيثما أقبلت أقبل عليها نظر الشاعر فقال ما الناس إلاـ مع الـدنيا وصاحبهـا || فكيفمـا انقلبت يومـا به انقلبوا يعظمون أخا الـدنيا فإن وثبت || يوما عليه بما لايشتهى وثبوا . والغرة الاغترار والغفلـة والغار الغافل و قـداغتررت بالرجل واغتره زيـد أى أتاه على غرة منه ويجوز أن يعنى بقوله المأخوذين على الغرة الحداثة والشبيبة يقول كان ذلك فى غرارتى وغرتى أى فى حداثتى وصباى. قوله سكرة الموت وحسرة الفوت أى الحسرة على مافاتهم من الـدنيا ولـذتها والحسرة على مافاتهم من التوبة والندم واسـتدراك فارط المعاصـى. والولوج الدخول ولج يلج . قوله وبقاء من لبه أى لبه باق لم يعـدم ويروى ونقاء بالنون والنقاء النظافة أى لبه غيرمغمور.أغمض فى مطالبها أى تساهل فى دينه فى

اکتسابه إیاها أی کان یفنی نفسه بتأویلات ضعیفهٔ فی استحلال تلک المطالب والمکاسب فذاک هوالإغماض قال تعالی وَ لَستُم بِآخِذِیهِ إِلّا أَن تُغمِضُوا فِیهِ ویمکن أن یحمل علی وجه آخر و هو أنه قد کان یحتال بحیل غامضهٔ دقیقهٔ فی تلک المطالب حتی حصلها واکتسبها. قوله ع وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها أی من وجوه مباحهٔ وذوات شبههٔ و هذایؤکد المحمل الأول فی أغمض . والتبعات الآثام الواحدهٔ تبعهٔ ومثلها التباعهٔ قال -قرآن-۶۲۷-۶۷۲ [صفحه ۲۰۹] لم یحذروا من ربهم || سوء العواقب والتباعهْ . والمهنأ المصدر من هنئ الطعام وهنؤ بالکسر والضم مثل فقه وفقه فإن کسرت قلت یهنأ و إن ضممت قلت یهنؤ والمصدر هناءهٔ ومهنأ أی صار هنیئا وهنأنی الطعام یهنؤنی ویهنئنی و لانظیر له فی المهموز هنأ وهناء وهنئت الطعام أی تهنأت به و منه قوله تعالی فَکُلُوهُ هَنِیئاً مَرِیئاً. والعب ء الحمل والجمع أعباء. وغلق الرهن أی استحقه المرتهن و ذلک إذا لم یفتکک فی الوقت المشروط قال زهیر -قرآن-۲۵۶-۲۸۲ وفارقتک برهن لافکاک له || یوم الوداع فأمسی الرهن قدغلقا . فإن قلت فما معنی قوله ع قدغلقت رهونه بها فی هذاالموضع قلت لما کان قدشارف الرحیل وأشفی علی الفراق وصارت تلک الأموال التی جمعها مستحقهٔ لغیره و لم یبق له فیهاتصرف أشبهت الرهن ألذی غلق علی صاحبه فخرج عن کونه مستحقا له وصار مستحقا لغیره و هوالمرتهن . وأصحر انکشف وأصله الخروج إلی الصحراء والبروز من المکمن .رجع کلامهم مایتراجعونه بینهم من الکلام ازداد الموت التیاطا به أی التصاقا قدأوحشوا أی جعلوا مستوحشین والمستوحش المهموم الفزع ویروی أوحشوا من جانبه أی خلوا منه وأقفروا تقول قدأوحش المنزل من أهله أی أقفر. وخلا إلی مخط فی الأرض أی إلی خط سماه مخطا أوخطا لدقته یعنی اللحد [صفحه ۲۱۰] ویروی إلی محط بالحاء المهملهٔ و هوالمنزل وحط القوم أی نزلوا. وألحق آخر الخلق بأوله أی تساوی الکل فی شمول الموت والفناء لهم فالتحق الآخر بالأول .أماد السماء حرکها ویروی أمار والموران الحرکهٔ وفطرها شقها وأرج الأرض زلزلها تقول رجت الأرض وأرجها الله ویجوز رجها و قدروی رج الأرض بغیر همزهٔ و هوالأصح و علیه ورد القرآن إِذا رُجَّتِ الأَرضُ رَجّا.أرجفها جعلها راجفهٔ أی مرتعدهٔ متزلزلهٔ رجفت الأرض ترجف والرجفان الاضطراب الشدید وسمی البحر رجافا لاضطرابه قال الشاعر -قرآن-۳۳۵-۳۵۹ حتی تغیب الشمس فی الرجاف . ونسفها قلعها من أصولها ودک بعضها بعضا صدمه ودقه حتی یکسره ویسویه بالأرض و منه قوله سبحانه وَ حُمِلَتِ الأَرضُ وَ الجِبالُ فَدُکَّتا دَکَّهً واحِدَهً.میزهم أی فصل بینهم فجعلهم فریقین سعداء وأشقیاء و منه قوله تعالی وَ امتازُوا الیَومَ أَیُّهَا المُجرِمُونَ أی انفصلوا من أهل الطاعهْ.یظعن یرحل تنوبهم الأفزاع تعاودهم وتعرض لهم الأخطار جمع خطر و هو مایشرف به علی الهلکهْ. -قرآن-۱۰۰-۱۵۵-قرآن-۲۲۸-۲۶۷ [صفحه ۲۱۱] وتشخصهم الأسفار تخرجهم من منزل إلی منزل شخص الرجل وأشخصه غیره وغل الأیدی جعلها فی الأغلال جمع غل بالضم و هوالقید والقطران الهناء قطرت البعیر أی طلیته بالقطران قال کماقطر المهنوءهٔ الرجل الطالی وبعیر مقطور و هذا من الألفاظ القرآنیهٔ قال تعالی سَرابِیلُهُم مِن قَطِرانٍ وَ تَغشی وُجُوهَهُمُ النّارُ والمعنی أن النار إلی القطران سریعهٔ جدا. ومقطعات النیران أی ثیاب من النیران قدقطعت وفصلت لهم وقیل المقطعات قصار الثیاب والکلب الشدهٔ والجلب واللجب الصوت والقصیف الصوت الشدید. لایقصم کبولها لایکسر قیودها الواحد کبل . ثم ذکر أن عذابهم سرمدی و أنه لانهایهٔ له نعوذ بالله من عذاب ساعهٔ واحدهٔ فکیف من العذاب الأبدی -قرآن-۵۱-۱۰۴

موازنهٔ بین کلام الإمام علی وخطب ابن نباتهٔ

ونحن نذکر فی هذاالموضع فصولا من خطب الخطیب الفاضل عبدالرحیم بن نباتهٔ رحمه الله و هوالفائز بقصبات السبق من الخطباء وللناس غرام عظیم بخطبه وکلامه لیتأمل الناظر کلام أمیر المؤمنین ع فی خطبه ومواعظه وکلام هذاالخطیب المتأخر [

صفحه ۲۱۲] ألذی قدوقع الإجماع علی خطابته وحسنها و أن مواعظه هی الغایة التی لیس بعدها غایة فمن ذلک قوله أیها الناس تجهزوا فقد ضرب فیکم بوق الرحیل وابرزوا فقد قربت لکم نوق التحویل ودعوا التمسک بخدع الأباطیل والرکون إلی التسویف والتعلیل فقد سمعتم ماکرر الله علیکم من قصص أبناء القری و ماوعظکم به من مصارع من سلف من الوری مما لایعترض لذوی البصائر فیه شک و لامرا وأنتم معرضون عنه إعراضکم عما یختلق ویفتری حتی کان ماتعلمون منه أضغاث أحلام الکری وأیدی المنایا قدفصمت من أعمارکم أوثق العری وهجمت بکم علی هول مطلع کریه القری فالقهقری رحمکم الله عن حبائل العطب القهقری واقطعوا مفاوز الهلکات بمواصلة السری وقفوا علی أحداث المنزلین من شناخیب الذری المنجلین بوازع أم حبوکری المشغولین بما علیهم من الموت جری واکشفوا عن الوجوه المنعمة أطباق الثری تجدوا مابقی منها عبرة لمن یری فرحم الله امرأ رحم نفسه فبکاها وجعل منها إلیها مشتکاها قبل أن تعلق به خطاطیف المنون وتصدق فیه أراجیف الظنون وتشرق علیه بمائها مقل العیون ویلحق بمن دثر من القرون قبل أن یبدوا علی المناکب محمولا ویغدو إلی محل المصائب منقولا و یکون عن الواجب مسئولا وبالقدوم علی الطالب الغالب مشغولا هناک یرفع الحجاب ویوضع الکتاب وتقطع الأسباب وتذهب الأحساب ویمنع الإعتاب ویجمع من حق علیه العقاب و من وجب له الثواب فیضرب بینهم بسور له باب باطنه فیه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .فلینظر المنصف هذاالکلام و ما علیه من أثر التولید أولا بالنسبة إلی ذلک الکلام العربی المحض ثم لینظر فیما علیه من الکسل والرخاوة والفتور والبلادة حتی کأن ذلک [صفحه ۲۱۳] الکلام لعامر بن الطفیل مستلئما شکته راکبا جواده و هذاالکلام للدلال المدینی المخنث آخذا زمارته متأبطا دفه . والمح ما فی بوق الرحیل من السفسفة واللفظ العامی الغث واعلم أنهم کلهم عابوا علی أبی الطیب قوله فإن کان بعض الناس سیفا لدولة || ففی الناس بوقات لها وطبول وقالوا لاتدخل لفظة بوق فی کلام یفلح أبدا. والمح ما علی قوله القهقری القهقری متکررة من الهجنة وأهجن منها أم حبوکری وأین هذااللفظ الحوشی ألذی تفوح منه روائح الشیح والقیصوم وکأنه من أعرابی قح قدقدم من نجد لایفهم محاورة أهل الحضر و لا أهل الحضر یفهمون حواره من هذه الخطبة اللینة الألفاظ التی تکاد أن تتثنی من لینها وتتساقط من ضعفها ثم المح هذه الفقر والسجعات التی أولها القری ثم المر ثم یفتری إلی الکری ثم إلی قوله عبرة لمن یری هل تری تحت هذاالکلام معنی لطیفا أومقصدا رشیقا أوهل تجد اللفظ نفسه لفظا جزلا فصیحا أوعذبا معسولا وإنما هی ألفاظ قدضم بعضها إلی بعض والطائل تحتها قلیل جدا وتأمل لفظة مرا فإنها ممدودة فی اللغة فإن کان قصرها فقد رکب ضرورة مستهجنة و إن أراد جمع مریة فقد خرج [صفحه ۲۱۴] عن الصناعة لأنه یکون قدعطف الجمع المفرد فیصیر مثل قول القائل ماأخذت منه دینارا و لادراهم فی أنه لیس بالمستحسن فی فن البیان . و من ذلک قوله أیها الناس حصحص الحق فما من الحق مناص وأشخص الخلق فما لأحد من الخلق خلاص وأنتم علی مایباعدکم من الله حراص ولکم علی موارد الهلکة اغتصاص وفیکم عن مقاصد البرکة انتکاص کأن لیس أمامکم جزاء و لاقصاص ولجوارح الموت فی وحش نفوسکم اقتناص لیس بهاعلیها تأب و لااعتیاص .فلیتأمل أهل المعرفة بعلم الفصاحة والبیان هذاالکلام بعین الإنصاف یعلموا أن سطرا واحدا من کلام نهج البلاغة یساوی ألف سطر منه بل یزید ویربی علی ذلک فإن هذاالکلام ملزق علیه آثار کلفة وهجنة ظاهرة یعرفها العامی فضلا عن العالم . و من هذه الخطبة فاهجروا رحمکم الله وثیر المراقد وادخروا طیب المکتسب تخلصوا من انتقاد الناقد واغتنموا فسحة المهل قبل انسداد المقاصد واقتحموا سبل الآخرة علی قلة المرافق والمساعد.فهل یجد متصفح الکلام لهذا الفصل عذوبة أومعنی یمدح الکلام لأجله وهل هو إلاألفاظ مضموم بعضها إلی بعض لیس لها حاصل کماقیل فی شعر ذی الرمة بعر ظباء ونقط عروس و من ذلک قوله فیا له من واقع فی کرب الحشارج مصارع لسکرات الموت معالج حتی درج علی تلک المدارج وقدم بصحیفته علی ذی المعارج . [صفحه ۲۱۵] و غیرخاف ما فی هذاالکلام من التکلف . و من ذلک قوله فکأنکم بمنادی الرحیل قدنادی فی أهل الإقامة فاقتحموا بالصغار محجة القیامة یتلو

الأوائل منهم الأواخر ويتبع الأكابر منهم الأصاغر ويلتحق الغوامر من ديارهم بالغوامر حتى تبتلع جميعهم الحفر والمقابر. فإن هذاالكلام ركيك جدا لوقاله خطيب من خطباء قرى السواد لم يستحسن منه بل ترك واسترذل . ولعل عائبا يعيب علينا فيقول شرعتم فى المقايسة والموازنة بين كلام أمير المؤمنين ع و بين كلام ابن نباتة وهل هذا إلابمنزلة قول من يقول السيف أمضى من العصا و فى هذه غضاضة على السيف فنقول إنه قداشتملت كتب المتكلمين على المقايسة بين كلام الله تعالى و بين كلام البشر ليبينوا فضل القرآن وزيادة فصاحته على فصاحة كلام العرب نحو مقايستهم بين قوله تعالى وَ لَكُم فِي القِصاصِ حَياةٌ و بين قول القائل القتل أنفى للقتل ونحو مقايستهم بين قوله تعالى خُذِ العَفوَ وَ أمُر بِالعُرفِ وَ أَعرِض عَنِ الجاهِلِينَ و بين قول الشاعر -قرآن-٧٣٣-٧٦٠-قرآن-٨٣٣-٨٨٩ فإن عرضوا بالشر فاصفح تكرما || و إن كتموا عنك الحديث فلاتسل . ونحو إيرادهم كلام مسيلمة و أحمد بن سليمان المعرى و عبد الله بن المقفع فصلا فصلا والموازنة والمقايسة بين ذلك و بين القرآن المجيد وإيضاح أنه لايبلغ ذلك إلى درجة [صفحه ٢١٦] القرآن العزيز و لايقاربها فليس بمستنكر منا أن نذكر كلام ابن نباتة فى معرض إيرادنا كلام أمير المؤمنين ع لتظهر فضيلة كلامه ع بالنسبة إلى هذاالخطيب الفاضل ألذى قداتفق الناس على أنه أوحد عصره فى فنه . واعلم أنا لاننكر فضل ابن نباتة وحسن أكثر خطبه ولكن قوما من أهل العصبية والعناد يزعمون أن كلامه يساوى كلام أمير المؤمنين ع ويماثله و قدناظر بعضهم فى ذلك فأحببت أن أبين للناس فى هذاالكتاب أنه لانسبة لكلامه إلى كلام أمير المؤمنين ع و أنه بمنزلة شعر الأبله و ابن المعلم بالإضافة إلى زهير والنابغة. واعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق والحلو والأحلى والعالى والأعلى من الكلام أمر لايدرك إلابالذوق و لايمكن إقامة الدلالة المنطقية عليه و هوبمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء مشربة حمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العينين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأصلح و لايدرى لأى سبب كان ذلك ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف و لايمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الموضعين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة و أماالكلام فلايعرفه إلا أهل الذوق و ليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أوبالفقه كان من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم [صفحه ٢١٧] بذلك دربة وملكة تامة فإلى أولئك ينبغى أن ترجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض إن كنت عادما لذلك من نفسك مِنهَا فِي ذِكرِ النّبِيّ ص قَد حَقّرَ الدّنيَا وَ صَغّرَهَا وَ أَهوَنَ بِهَا وَ هَوّنَهَا وَ عَلِمَ أَنّ اللّهَ زَوَاهَا عَنهُ اختِيَاراً وَ بَسَطَهَا لِغَيرِهِ احتِقَاراً فَأَعرَضَ عَنِ الدّنيَا بِقَلبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكرَهَا مِن نَفسِهِ وَ أَحَبّ أَن تَغِيبَ زِينَتُهَا عَن عَينِهِ لِكَيلَا يَتّخِذَ مِنهَا رِيَاشاً أَو يَرجُوَ فِيهَا مَقَاماً بَلّغَ عَن رَبّهِ مُعذِراً وَ نَصَحَ لِأُمّتِهِ مُنذِراً وَ دَعَا إِلَى الجَنّةِ مُبَشّراً وَ خَوّفَ مِنَ النّارِ مُحَذّراً فعل مشدد للتكثير قتلت أكثر من قتلت فيقتضى قوله ع قدحقر الدنيا زيادة تحقير النبى ص لها و ذلك أبلغ فى الثناء عليه وتقريظه . قوله وصغرها أى وصغرها عندغيره ليكون قوله وأهون بها وهونها مطابقا له أى أهون هو بها وهونها عندغيره . وزواها قبضها قال ع زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها -روايت-١-٢-روايت-١١-٥١ . و قوله اختيارا أى قبض الدنيا عنه باختيار ورضا من النبى ص بذلك وعلم بما فيه من رفعة قدره ومنزلته فى الآخرة. [صفحه ٢١٨] والرياش والريش بمعنى و هواللباس الفاخر كالحرم والحرام واللبس واللباس وقرئ ورياشا ولباس التقوى ذلك خير ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حاله ومعذرا أى مبالغا أعذر فلان فى الأمر أى بالغ فيه نَحنُ شَجَرَةُ النّبُوّةِ وَ مَحَطّ الرّسَالَةِ وَ مُختَلَفُ المَلَائِكَةِ وَ مَعَادِنُ العِلمِ وَ يَنَابِيعُ الحُكمِ نَاصِرُنَا وَ مُحِبّنَا يَنتَظِرُ الرّحمَةَ وَ عَدُوّنَا وَ مُبغِضُنَا يَنتَظِرُ السّطوَةَ هذاالكلام غيرملتصق بالأول كل الالتصاق و هو من النمط ألذى ذكرناه مرارا لأن الرضى رحمه الله يقتضب فصولا من خطبة طويلة فيوردها إيرادا واحدا وبعضها منقطع عن البعض . قوله ع نحن شجرة النبوة كأنه جعل النبوة كثمرة أخرجتها شجرة بنى هاشم ومحط الرسالة منزلها ومختلف

الملائکـهٔ موضع اختلافهـا فی صـعودها ونزولها و إلی هـذاالمعنی نظر بعض الطالبیین فقال یفتخر علی بنی عم له لیسوا بفاطمیین هـل کـان یقتعـد البراق أبوکم || أم کـان جبریـل علیه ینزل أم هل یقول له الإله مشافها || بالوحی قم یاأیها المزمل . [صـفحه ۲۱۹] و قال آخر یمدح قوما فاطمیین ویطرقه الوحی وهنا وأنتم || ضجیعان بین یدی جبرئیلا یعنی حسنا ع وحسینا ع . واعلم أنه إن أراد بقوله نحن مختلف الملائکـهٔ جماعـهٔ من جملتهـا رسول الله ص فلاـریب فی صـحهٔ القضـیهٔ وصـدقها و إن أراد بهانفسـه وابنیه فهی أیضا صـحیحهٔ ولکن مـدلوله مستنبط فقد جاء فی الأخبار الصـحیحهٔ أنه قال یاجبریل إنه منی و أنا منه فقال جبریل و أنامنکما -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۹۳ روی أبوأیوب الأنصـاری مرفوعا لقـد صـلت الملائکـهٔ علی و علی علی سـبع سـنین لم تصل علی ثالث لنا -روایت-۱-۲-روایت-۳۳-۱۰۰ و ذلک قبل أن یظهر أمر الإسلام ویتسامع الناس به . و فی خطبهٔ الحسن بن علی ع لمـاقبض أبوه لقـد فـارقکم فی هـذه اللیلـهٔ رجل لم یسـبقه الأولون و لایـدرکه الآخرون کان یبعثه رسول الله ص للحرب وجبریل عن یمینه ومیکائیل عن یساره -روایت-۱-۲-روایت-۴۴-۱۸۵ جاء فی الحدیث أنه سمع یوم أحد صوت من الهواء من جهـهٔ السـماء یقول لاسـیف إلاذو الفقار و لافتی إلا علی و أن رسول الله ص قال هـذاصوت جبریل -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۴۹ .فأمـا قوله ومعـادن العلم وینـابیع الحکم یعنی الحکمـهٔ أوالحکم الشـرعی فإنه و إن عنی بهانفسه وذریته فإن الأمر فیهاظاهر جـدا قـال رسول الله ص أنامدینـهٔ العلم و علی بابهـا فمن أراد المدینـهٔ فلیـأت الباب -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۸۴ قال أقضاکم علی -روایت-۱-۲-روایت-۸-۲۱ والقضـاء أمر یسـتلزم علوما کثیرهٔ. و جاء فی الخبر أنه بعثه إلی الیمن قاضـیا فقال یا رسول الله إنهم کهول وذوو أسنان -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-ادامه دارد [صفحه ۲۲۰] و أنافتی وربما لم أصب فیما أحکم به بینهم فقال له اذهب فإن الله سیثبت قلبک ویهدی لسانک -روایت-از قبل-۱۰۰ . وجاء فی تفسیر قوله تعالی وَ تَعِیَها أُذُنٌ واعِیَهٌٔسألت الله أن یجعلها أذنک ففعل وجاء فی تفسیر قوله تعالی أَم یَحسُدُونَ النّاسَ عَلی ما آتاهُمُ اللّهُ مِن فَضلِهِأنها أنزلت فی علی ع و ماخص به من العلم وجاء فی تفسیر قوله تعالی أَ فَمَن کانَ عَلی بَیّنَهٍٔ مِن رَبّهِ وَ یَتلُوهُ شاهِدٌ مِنهُ أن الشاهد علی ع . و -قرآن-۲۹-۵۵-قرآن-۱۱۶-۱۷۲-قرآن-۲۴۵-۳۰۷ روی المحـدثون أنه قال لفاطمهٔ زوجتک أقدمهم سـلما وأعظمهم حلما وأعلمهم علما -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۸۲ روی المحـدثون أیضا عنه ع أنه قال من أراد أن ینظر إلی نوح فی عزمه و موسـی فی علمه وعیسـی فی ورعه فلینظر إلی علی بن أبی طـالب -روایت-۱-۲-روایت-۴۰-۱۳۹ . وبالجملـهٔ فحاله فی العلم حال رفیعـهٔ جدا لم یلحقه أحد فیها و لاقـاربه وحق له أن یصف نفسه بـأنه معـادن العلم وینـابیع الحکم فلاأحـد أحق بهـا منه بعـد رسول الله ص . فـإن قلت کیف قال عـدونا ومبغضـنا ینتظر السـطوهٔ ونحن نشاهـد أعـداءه ومبغضـیه لاینتظرونهـا قلت لماکـانت منتظرهٔ لهم ومعلوما بیقین حلولها بهم صاروا کالمنتظرین لها وأیضا فإنهم ینتظرون الموت لامحالهٔ ألذی کل إنسان ینتظره و لما کان الموت مقدمهٔ العقاب وطریقا إلیه جعل انتظاره انتظار ما یکون بعده [صفحه ۲۲۱]

۱۰۸- و من خطبهٔ له ع

إِنّ أَفضَـلَ مَـا تَوَسّـلَ بِهِ المُتَوَسّـلُونَ إِلَی اللّهِ سُـبحَانَهُ وَ تَعَـالَی الإِیمَـانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ الجِهَـادُ فِی سَـبِیلِهِ فَـإِنّهُ ذِروَهُٔ الإِسـلَامِ وَ کَلِمَهُٔ الإِخلَاصِ فَإِنّهَا الفِطرَهُٔ وَ إِقَامُ الصّـلَاهِٔ فَإِنّهَا المِلّـهُٔ وَ إِیتَاءُ الزّکَاهِٔ فَإِنّهَا فَرِیضَـهٌٔ وَاجِبَـهٌٔ وَ صَومُ شَـهرِ رَمَضَانَ فَإِنّهُ جُنّهٌٔ مِنَ العِقَابِ وَ حَجّ البَیتِ وَ اعتِمَـارُهُ فَإِنّهُمَا یَنفِیَانِ الفَقرَ وَ یَرحَضَانِ الـذّنبَ وَ صِـلَهُٔ الرّحِمِ فَإِنّهَا مَثرَاهٌٔ فِی المَالِ وَ مَنسَأَهٌٔ فِی الأَجَلِ وَ صَدَقَـهُٔ السّـرّ فَإِنّهَا تُکَفّرُ الخَطِیئَهَٔ وَ صَدَقَهُٔ العَلَانِیَهِٔ فَإِنّهَا تَدفَعُ مِیتَهَٔ السّوءِ وَ صَـنَائِعُ المَعرُوفِ فَإِنّهَا تقَـِی مَصَارِعَ الهَوَانِ أَفِیضُوا فِی ذِکرِ اللّهِ فَإِنّهُ أَحسَـنُ الـذّکرِ وَ ارغَبُوا فِیمَا وَعَـدَ المُتّقِینَ فَإِنّ وَعـدَهُ أَصـدَقُ الوَعـدِ وَ اقتَدُوا بِهَدیِ نَبِیّکُم فَإِنّهُ أَفضَلُ الهَدیِ وَ اسـتَنّوا بِسُـنّتِهِ فَإِنّهَا أَهدَی

السّنَنِ وَ تَعَلّمُوا القُرآنَ فَإنّهُ أَحسَنُ الحَدِيثِ وَ تَفَقّهُوا فِيهِ فَإِنّهُ رَبِيعُ القُلُوبِ وَ استَشفُوا بِنُورِهِ فَإِنّهُ شِفَاءُ الصّدُورِ وَ أَحسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنّهُ أَنفَعُ القَصَصِ وَ إِنّ العَالِمَ العَامِلَ بِغَيرِ عِلمِهِ كَالجَاهِلِ الحَائِرِ ألّذِى لَا يَستَفِيقُ مِن جَهلِهِ بَلِ الحُجّةُ عَلَيهِ أَعظَمُ وَ الحَسرَةُ لَهُ أَلزَمُ وَ هُوَ عِندَ اللّهِ أَلوَمُ ذكر ع ثمانية أشياء كل منها واجب . [صفحه ٢٢٢] أولها الإيمان بالله وبرسوله ويعنى بالإيمان هاهنا مجرد التصديق بالقلب مع قطع النظر عما عدا ذلك من التلفظ بالشهادة و من الأعمال الواجبة وترك القبائح و قدذهب إلى أن ماهية الإيمان هومجرد التصديق القلبى جماعة من المتكلمين و هو و إن لم يكن مذهب أصحابنا فإن لهم أن يقولوا إن أمير المؤمنين ع جاء بهذا اللفظ على أصل الوضع اللغوى لأن الإيمان فى أصل اللغة هوالتصديق قال سبحانه و تعالى وَ ما أَنتَ بِمُؤمِنٍ لَنا وَ لَو كُنّا صادِقِينَ أى لست بمصدق لنا لا إن كنا صادقين و لا إن كنا كاذبين ومجيئه ع به على أصل الوضع اللغوى لايبطل مذهبنا فى مسمى الإيمان لأنا نذهب إلى أن الشرع استجد لهذه اللفظة مسمى ثانيا كمانذهب إليه فى الصلاة والزكاة وغيرهما فلامنافاة إذا بين مذهبنا و بين ماأطلقه ع . وثانيها الجهاد فى سبيل الله وإنما قدمه على التلفظ بكلمتى الشهادة لأنه من باب دفع الضرر عن النفس ودفع الضرر عن النفس مقدم على سائر الأعمال المتعلقة بالجوارح والتلفظ بكلمتى الشهادة من أعمال الجوارح وإنما أخره عن الإيمان لأن الإيمان من أفعال القلوب فهو خارج عما يتقدم عليه ودفع الضرر من الأفعال المختصة بالجوارح وأيضا فإن الإيمان أصل الجهاد لأنه ما لم يعلم الإنسان على ماذا يجاهد لايجاهد وإنما جعله ذروة الإسلام أى أعلاه لأنه ما لم تتحصن دار الإسلام بالجهاد لايتمكن المسلمون من القيام بوظائف الإسلام فكان إذا من الإسلام بمنزلة الرأس من البدن . وثالثها كلمة الإخلاص يعنى شهادة أن لاإله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله قال فإنها الفطرة يعنى هى التى فطر الناس عليها والأصل الكلمة الأولى لأنها التوحيد وعليها فطر البشر كلهم والكلمة الثانية تبع لها فأجريت مجراها وإنما أخرت -قرآن-٤٠٧-٤٥٥ [صفحه ٢٢٣] هذه الخصلة عن الجهاد لأن الجهاد كان هوالسبب فى إظهار الناس لها ونطقهم بهافصار كالأصل بالنسبة إليها. ورابعها إقام الصلاة أى إدامتها والأصل أقام إقواما فحذفوا عين الفعل وتارة يعوضون عن العين المفتوحة هاء فيقولون إقامة قال فإنها الملة و هذامثل قول النبى ص الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين -روايت-١-٢-روايت-١٧-٦٣ . وخامسها إيتاء الزكاة وإنما أخرها عن الصلاة لأن الصلاة آكد افتراضا منها وإنما قال فى الزكاة فإنها فريضة واجبة لأن الفريضة لفظ يطلق على الجزء المعين المقدر فى السائمة باعتبار غيرالاعتبار ألذى يطلق به على صلاة الظهر لفظ الفريضة والاعتبار الأول من القطع والثانى من الوجوب و قال فإنها فريضة واجبة مثل أن يقول فإنها شىءمقتطع من المال موصوف بالوجوب . وسادسها صوم شهر رمضان و هوأضعف وجوبا من الزكاة وجعله جنة من العقاب أى سترة. وسابعها الحج والعمرة وهما دون فريضة الصوم و قال إنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب أى يغسلانه رحضت الثوب وثوب رحيض و هذاالكلام يدل على وجوب العمرة و قدذهب إليه كثير من الفقهاء العلماء. وثامنها صلة الرحم وهى واجبة وقطيعة الرحم محرمة قال فإنها مثراة فى المال أى تثريه وتكثره . ومنسأة فى الأجل أى تنسؤه وتؤخره ويقال نسأ الله فى أجلك ويجوز أنسأه بالهمزة. فإن قلت فما الحجة على تقديم وجوب الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج [صفحه ٢٢٤] قلت أماالصلاة فلأن تاركها يقتل و إن لم يجحد وجوبها وغيرها ليس كذلك وإنما قدمت الزكاة على الصوم لأن الله تعالى قرنها بالصلاة فى كثير من الكتاب العزيز و لم يذكر صوم شهر رمضان إلا فى موضع واحد وكثرة تأكيد الشىء وذكره دليل على أنه أهم وإنما قدم الصوم على الحج لأنه يتكرر وجوبه والحج لايجب فى العمر إلامرة واحدة فدل على أنه أهم عندالشارع من الحج . ثم قال ع وصدقة السر فخرج من الواجبات إلى النوافل قال فإنها تكفر الخطيئة والتكفير هوإسقاط عقاب مستحق بثواب أزيد منه أوتوبة وأصله فى اللغة الستر والتغطية و منه الكافر لأنه يغطى الحق وسمى البحر كافرا لتغطيته ماتحته وسمى الفلاح كافرا لأنه يغطى الحب فى الأرض المحروثة. ثم قال وصدقة العلانية فإنها تدفع ميتة السوء كالغرق والهدم وغيرها. قال وصنائع المعروف فإنها تقى مصارع الهوان كأسر الروم للمسلم أوكأخذ الظلمة لغير

المستحق للأخذ. ثم شرع فی وصایا أخر عددها والهدی السیرة و فی الحدیث واهدوا هدی عمار -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۳۲ یقال هدی فلان هدی فلان أی سار سیرته . وسمی القرآن حدیثا اتباعا لقول الله تعالی نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِیثِ کِتاباً مُتَشابِهاً واستدل أصحابنا بالآیة علی أنه محدث لأنه لافرق بین حدیث ومحدث فی اللغة فإن قالوا إنما أراد أحسن الکلام قلنا لعمری إنه کذلک ولکنه لایطلق علی الکلام القدیم لفظة حدیث لأنه إنما سمی الکلام والمحاورة والمخاطبة حدیثا لأنه أمر یتجدد حالا فحالا والقدیم لیس کذلک . -قرآن-۸۹-۱۳۲ [صفحه ۲۲۵] ثم قال تفقهوا فیه فإنه ربیع القلوب من هذاأخذ ابن عباس قوله إذاقرأت ألم حم وقعت فی روضات دمثات . ثم قال فإنه شفاء الصدور و هذا من الألفاظ القرآنیة. ثم سماه قصصا اتباعا لماورد فی القرآن من قوله نَحنُ نَقُصّ عَلَیکَ أَحسَنَ القَصَصِ. ثم ذکر أن العالم ألذی لایعمل بعلمه کالجاهل الحائر ألذی لایستفیق من جهله . ثم قال بل الحجة علیه أعظم لأنه یعلم الحق و لایعمل به فالحجة علیه أعظم من الحجة علی الجاهل و إن کانا جمیعا محجوجین أماأحدهما فبعلمه و أماالآخر فبتمکنه من أن یعلم . ثم قال والحسرة له ألزم لأنه عندالموت یتأسف ألا یکون عمل بما علم والجاهل لایأسف ذلک الأسف . ثم قال و هو عند الله ألوم أی أحق أن یلام لأن المتمکن عالم بالقوة و هذاعالم بالفعل فاستحقاقه اللوم والعقاب أشد -قرآن-۲۱۱-۲۴۷ [صفحه ۲۲۶]

۱۱۰– و من خطبة له ع

أَمّا بَعدُ فإَنِیّ أُحَذّرُکُمُ الدّنیَا فَإِنّهَا حُلوَةٌ خَضِرَةٌ حُفّت بِالشّهَوَاتِ وَ تَحَبّبَت بِالعَاجِلَةِ وَ رَاقَت بِالقَلِیلِ وَ تَحَلّت بِالآمَالِ وَ تَزَیّنَت بِالغُرُورِ لَا تَدُومُ حَبرَتُهَا وَ لَا تُؤمَنُ فَجعَتُهَا غَرّارَةٌ ضَرّارَةٌ حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ أَکّالَةٌ غَوّالَةٌ لَا تَعدُو إِذَا تَنَاهَت إِلَی أُمنِیّةِ أَهلِ الرّغبَةِ فِیهَا وَ الرّضَاءِ بِهَا أَن تَکُونَ کَمَا قَالَ اللّهُ تَعَالَیکَماءٍ أَنزَلناهُ مِنَ السّماءِ فَاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ فَأَصبَحَ هَشِیماً تَذرُوهُ الرّیاحُ وَ کانَ اللّهُ عَلی کُلّ شَیءٍ مُقتَدِراً لَم یَکُن امرُؤٌ مِنهَا فِی حَبرَةٍ إِلّا أَعقَبَتهُ بَعدَهَا عَبرَةً وَ لَم یَلقَ مِن سَرّائِهَا بَطناً إِلّا مَنَحَتهُ مِن ضَرّائِهَا ظَهراً وَ لَم تَطُلّهُ فِیهَا دِیمَةُ رَخَاءٍ إِلّا هَتَنَت عَلَیهِ مُزنَةُ بَلَاءٍ وَ حرَیِّ إِذَا أَصبَحَت لَهُ مُنتَصِرَةً أَن تُمسیِ لَهُ مُتَنَکّرَةً وَ إِن جَانِبٌ مِنهَا اعذَوذَبَ وَ احلَولَی أَمَرّ مِنهَا جَانِبٌ فَأَوبَی لَا یَنَالُ امرُؤٌ مِن غَضَارَتِهَا رَغَباً إِلّا أَرهَقَتهُ مِن نَوَائِبِهَا تَعَباً وَ لَا یُمسِی مِنهَا فِی جَنَاحِ أَمنٍ إِلّا أَصبَحَ عَلَی قَوَادِمِ خَوفٍ غَرّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِیهَا فَانِیَةٌ فَانٍ مَن عَلَیهَا لَا خَیرَ فِی شَیءٍ مِن أَزوَادِهَا إِلّا التّقوَی -قرآن-۴۳۹-۵۷۹ [صفحه ۲۲۷] مَن أَقَلّ مِنهَا استَکثَرَ مِمّا یُؤمِنُهُ وَ مَنِ استَکثَرَ مِنهَا استَکثَرَ مِمّا یُوبِقُهُ وَ زَالَ عَمّا قَلِیلٍ عَنهُ کَم مِن وَاثِقٍ بِهَا قَد فَجَعَتهُ وَ ذیِ طُمَأنِینَةٍ قَد صَرَعَتهُ وَ ذیِ أُبّهَةٍ قَد جَعَلَتهُ حَقِیراً وَ ذیِ نَخوَةٍ قَد رَدّتهُ ذَلِیلًا سُلطَانُهَا دُوَلٌ وَ عَیشُهَا رَنِقٌ وَ عَذبُهَا أُجَاجٌ وَ حُلوُهَا صَبِرٌ وَ غِذَاؤُهَا سِمَامٌ وَ أَسبَابُهَا رِمَامٌ حَیّهَا بِعَرَضِ مَوتٍ وَ صَحِیحُهَا بِعَرَضِ سُقمٍ مُلکُهَا مَسلُوبٌ وَ عَزِیزُهَا مَغلُوبٌ وَ مَوفُورُهَا مَنکُوبٌ وَ جَارُهَا مَحرُوبٌ أَ لَستُم فِی مَسَاکِنِ مَن کَانَ قَبلَکُم أَطوَلَ أَعمَاراً وَ أَبقَی آثَاراً وَ أَبعَدَ آمَالًا وَ أَعَدّ عَدِیداً وَ أَکثَفَ جُنُوداً تَعَبّدُوا لِلدّنیَا أَیّ تَعَبّدٍ وَ آثَرُوهَا أَیّ إِیثَارٍ ثُمّ ظَعَنُوا عَنهَا بِغَیرِ زَادٍ مُبَلّغٍ وَ لَا ظَهرٍ قَاطِعٍ فَهَل بَلَغَکُم أَنّ الدّنیَا سَخَت لَهُم نَفساً بِفِدیَةٍ أَو أَعَانَتهُم بِمَعُونَةٍ أَو أَحسَنَت لَهُم صُحبَةً بَل أَرهَقَتهُم بِالفَوَادِحِ وَ أَوهَقَتهُم بِالقَوَارِعِ وَ ضَعضَعَتهُم بِالنّوَائِبِ وَ عَفّرَتهُم لِلمَنَاخِرِ وَ وَطِئَتهُم بِالمَنَاسِمِ وَ أَعَانَت عَلَیهِم رَیبَ المَنُونِ فَقَد رَأَیتُم تَنَکّرَهَا لِمَن دَانَ لَهَا وَ آثَرَهَا وَ أَخلَدَ إِلَیهَا حِینَ ظَعَنُوا عَنهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ وَ هَل زَوّدَتهُم إِلّا السّغَبَ أَو أَحَلّتهُم إِلّا الضّنکَ أَو نَوّرَت لَهُم إِلّا الظّلمَةَ أَو أَعقَبَتهُم إِلّا النّدَامَةَ أَ فَهَذِهِ تُؤثِرُونَ أَم إِلَیهَا تَطمَئِنّونَ أَم عَلَیهَا تَحرِصُونَ فَبِئسَتِ الدّارُ لِمَن لَم یَتّهِمهَا وَ لَم یَکُن فِیهَا عَلَی وَجَلٍ مِنهَا فَاعلَمُوا وَ أَنتُم تَعلَمُونَ بِأَنّکُم تَارِکُوهَا وَ ظَاعِنُونَ عَنهَا وَ اتّعِظُوا فِیهَا بِالّذِینَ قَالُوامَن أَشَدّ مِنّا قُوّةًحُمِلُوا إِلَی قُبُورِهِم فَلَا یُدعَونَ رُکبَاناً وَ أُنزِلُوا -قرآن-۱۶۰۴-۱۶۲۶ [صفحه ۲۲۸] الأَجدَاثَ فَلَا یُدعَونَ ضِیفَاناً وَ جُعِلَ لَهُم مِنَ الصّفِیحِ أَجنَانٌ وَ مِنَ التّرَابِ أَکفَانٌ وَ مِنَ الرّفَاتِ جِیرَانٌ فَهُم جِیرَةٌ لَا یُجِیبُونَ دَاعِیاً وَ لَا یَمنَعُونَ ضَیماً وَ لَا

يُبَالُونَ مَندَبَةً إن جِيدُوا لَم يَفرَحُوا وَ إن قُحِطُوا لَم يَقنَطُوا جَمِيعٌ وَ هُم آحَادٌ وَ جِيرَةٌ وَ هُم أَبعَادٌ مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ وَ قَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ حُلَمَاءُ قَد ذَهَبَت أَضغَانُهُم وَ جُهَلَاءُ قَد مَاتَت أَحقَادُهُم لَا يُخشَى فَجعُهُم وَ لَا يُرجَى دَفعُهُم استَبدَلُوا بِظَهرِ الأَرضِ بَطناً وَ بِالسّعَةِ ضِيقاً وَ بِالأَهلِ غُربَةً وَ بِالنّورِ ظُلمَةً فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا حُفَاةً عُرَاةً قَد ظَعَنُوا عَنهَا بِأَعمَالِهِم إِلَى الحَيَاةِ الدّائِمَةِ وَ الدّارِ البَاقِيَةِ كَمَا قَالَ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَيكَما بَدَأنا أَوّلَ خَلقٍ نُعِيدُهُ وَعداً عَلَينا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ -قرآن-٧٦٨-٨٣٩ خضرة أى ناضرة و هذه اللفظة من الألفاظ النبوية قال النبى ص إن الدنيا حلوة خضرة و إن الله مستخلفكم فيهافناظر كيف تعملون -روايت-١-٢-روايت-١٨-٨٣ . وحفت بالشهوات كان الشهوات مستديرة حولها كمايحف الهودج بالثياب وحفوا حوله يحفون حفا أطافوا به قال الله تعالى وَ تَرَى المَلائِكَةَ حَافّينَ مِن حَولِ العَرشِ. قوله وتحببت بالعاجلة أى تحببت إلى الناس بكونها لذة عاجلة والنفوس مغرمة مولعة بحب العاجل فحذف الجار والمجرور القائم مقام المفعول . قوله وراقت بالقليل أى أعجبت أهلها وإنما أعجبتهم بأمر قليل ليس ببدائم . -قرآن-١٢٢-١٦٩ [صفحه ٢٢٩] قوله وتحلت بالآمال من الحلية أى تزينت عندأهلها بما يؤملون منها. قوله وتزينت بالغرور أى تزينت عند الناس بغرور لاحقيقة له . والحبرة السرور وحائلة متغيرة ونافدة فانية وبائدة منقضية وأكالة قتالة وغوالة مهلكة والغول ماغال أى أهلك و منه المثل الغضب غول الحلم . ثم قال إنها إذاتناهت إلى أمنية ذوى الرغبات فيها لاتتجاوز أن تكون كماوصفها الله تعالى به و هو قوله وَ اضرِب لَهُم مَثَلَ الحَياةِ الدّنيا كَماءٍ أَنزَلناهُ مِنَ السّماءِ فَاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ فَأَصبَحَ هَشِيماً تَذرُوهُ الرّياحُ وَ كانَ اللّهُ عَلى كُلّ شَيءٍ مُقتَدِراً.فاختلط أى فالتف بنبات الأرض وتكاثف به أى بسبب ذلك الماء وبنزوله عليه ويجوز أن يكون تقديره فاختلط بنبات الأرض لأنه لماغذاه وأنماه فقد صار مختلطا به و لما كان كل واحد من المختلطين مشاركا لصاحبه فى مسمى الاختلاط جاز فاختلط به نبات الأرض كمايجوز فاختلط هوبنبات الأرض . والهشيم ماتهشم وتحطم الواحدة هشيمة وتذروه الرياح تطيره و كان الله على مايشاء من الإنشاء والإفناء مقتدرا. قوله من يلق من سرائها بطنا إنما خص السراء بالبطن والضراء بالظهر لأن الملاقى لك بالبطن ملاق بالوجه فهو مقبل عليك والمعطيك ظهره مدبر عنك . وقيل لأن الترس بطنه إليك وظهره إلى عدوك وقيل لأن المشى فى بطون الأودية أسهل من السير على الظراب والآكام . وطله السحاب يطله إذاأمطره مطرا قليلا يقول إذاأعطت قليلا من الخير أعقبت ذلك بكثير من الشر لأن التهتان الكثير المطر هتن يهتن بالكسر هتنا وهتونا وتهتانا. -قرآن-٣٧٧-٥٥٦ [صفحه ٢٣٠] قوله وحرى أى جدير وخليق يقال بالحرى أن يكون هذاالأمر كذا و هذاالأمر محراة لذلك أى مقمنة مثل محجاة و ماأحراه مثل ماأحجاه وأحر به مثل أحج به وتقول هوحرى أن يفعل ذلك بالفتح أى جدير وقمين لايثنى و لايجمع قال الشاعر وهن حرى ألا يثبنك نقرة || و أنت حرى بالنار حين تثيب فإذا قلت هوحر بكسر الراء وحرى بتشديدها على فعيل ثنيت وجمعت فقلت هما حريان وحريان وحرون مثل عمون وأحراء أيضا و فى المشدد حريون وأحرياء وهى حرية وحرية وهن حريات وحريات وحرايا. فإن قلت فهلا قال وحرية إذاأصبحت لأنه يخبر عن الدنيا قلت أراد شأنها فذكر أى وشأنها خليق أن يفعل كذا. واعذوذب صار عذبا واحلولى صار حلوا و من هاهنا أخذ الشاعر قوله ألا- إنما الدنيا غضارة أيكة || إذااخضر منها جانب جف جانب فلاتكتحل عيناك منها بعبرة || على ذاهب منها فإنك ذاهب . وارتفع جانب المذكور بعد إن لأنه فاعل فعل مقدر يفسره الظاهر أى و إن اعذوذب جانب منها لأن إن تقتضى الفعل وتطلبه فهى كإذا فى قوله تعالى إِذَا السّماءُ انشَقّت. وأمر الشىء أى صار مرا وأوبى صار وبيا ولين الهمز لأجل السجع . والرغب مصدر رغبت فى الأمر رغبة ورغبا أى أردته . يقول لاينال الإنسان منها إرادته إلاأرهقته تعبا يقال أرهقه إثما أى حمله وكلفه . -قرآن-١٥٢-١٧٣ [صفحه ٢٣١] فإن قلت لم خص الأمن بالجناح والخوف بالقوادم قلت لأن القوادم مقاديم الريش والراكب عليها بعرض خطر عظيم وسقوط قريب والجناح يستر ويقى البرد والأذى قال أبونواس تغطيت من دهرى بظل جناحه || فصرت أرى دهرى و ليس يرانى فلو تسأل الأيام ماسمى لمادرت || وأين مكانى ماعرفن مكانى والهاء فى جناحه ترجع إلى الممدوح

بهـذا الشـعر. وتوبقه تهلكه والأبهـة الكبر والرنق بفتـح النون مصـدر رنق الماء أى تكـدر وبالكسـر الكدر و قدروى هاهنا بالفتح والكسـر فالكسر ظاهر والفتح على تقدير حذف المضاف أى ذو رنق . وماء أجاج قدجمع المرارة والملوحة أج الماء يؤج أجاجا والصبر بكسـر الباء هذاالنبات المر نفسه ثم سمى كل مر صبرا والسمام جمع سم لهذا القاتل يقال سم وسم بالفتح والضم والجمع سمام وسموم . ورمام بالية وأسبابها حبالها وموفورها وذو الوفر والثروة منها والمحروب المسلوب أى لاتحمى جارا و لاتمنعه . ثم أخـذ قوله تعـالى وَ سَـكَنتُم فِى مَسـاكِنِ الّـذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَـهُم وَ تَبَيّنَ لَكُم كَيفَ فَعَلنـا بِهِم وَ ضَـرَبنا لَكُمُ الأَمثالَ فقال ألسـتم فى مسـاكن من كـان قبلكم أطول أعمـارا نصب أطول بـأنه خبر كان و قـددلنا الكتاب الصادق على أنهم كانوا أطول –قرآن–۵۴۹–۶۶۷ [صـفحه ۲۳۲] أعمـارا بقوله فَلَبِثَ فِيهِم أَلفَ سَـنَةٍ إِلّـا خَمسِـينَ عاماً وثبت بالعيـان أنهم أبقى آثارا فإن من آثارهم الأهرام والإيـوان ومنارة الإسـكندرية و غير ذلك و أما بعـدالآمال فمرتب على طول الأعمار فكلما كانت أطول كانت الآمال أبعـد و إن عنى به علو الهمم فلاـريب أنهم كـانوا أعلى هممـا من أهل هـذاالزمان و قـد كان فيهم من ملك معمورة الأرض كلها وكـذلك القول فى أعـد عديـدا وأكثف جنودا والعديـد العـدو الكثير وأعـد منهم أى أكثر. قوله و لاـظهر قاطع أى قاطع لمسافة الطريق . والفوادح المثقلات فـدحه الدين أثقله ويروى بالقوادح بالقاف وهى آفة تظهر فى الشـجر وصدوع تظهر فى الأسـنان . وأوهقتهم جعلتهم فى الوهق بفتح الهاء و هوحبل كالطول ويجوز التسـكين مثل نهر ونهر. والقوارع المحن والدواهى وسـميت القيامة قارعة فى الكتاب العزيز من هذاالمعنى وضعضعتهم أذلتهم قال أبوذؤيب –قرآن–۱۵–۶۳ أنى لريب الدهر لاأتضعضع وضعضعت البناء أهدمته . وعفرتهم للمناخر ألصـقت أنوفهم بالعفر و هوالتراب والمناسم جمع منسم بكسـر السين و هوخف البعير. [صفحه ۲۳۳] ودان لهـا أطاعهـا ودان لهـا أيضـا ذل وأخلـد إليهـا مال قال تعالى وَ لكِنّهُ أَخلَـدَ إِلَى الأَرضِ. والسـغب الجوع يقول إنما زودتهم الجوع و هـذامثل كما قال –قرآن–۶۶–۹۷ ومـدحته فأجازنى الحرمانا ومعنى قوله أونورت لهم إلاالظلمة أى بالظلمة و هذاكقوله هل زودتهم إلاالسـغب و هو من باب إقامة الضد مقام الضد أى لم تسمح لهم بالنور بل بالظلمة والضنك الضيق . ثم قال فبئست الدار وحذف الضـمير العائد إليها وتقديره هى كما قال تعالى نِعمَ العَبدُ وتقديره هو. و من لم يتهمها من لم يسؤ ظنا بها والصفيح الحجـارة والأجنان القبور الواحـد جنن والمجنون المقبور و منه قول الأعرابيـة لله درك من مجنون فى جنن والأكنان جمع كن و هوالستر قال تعالى وَ جَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبالِ أَكناناً. والرفات العظام البالية والمندبة الندب على الميت لايبالون بذلك لايكترثون به وجيـدوا مطروا وقحطوا انقطع المطر عنهم فأصابهم القحط و هوالجـدب و إلى معنى قوله ع فهم جيرة لايجيبون داعيا و لايمنعون ضيمـا جميع وهم آحـاد وجيرة وهم أبعـاد متـدانون لايتزاورون وقريبون لايتقاربون نظر البحترى فقال –قرآن–۲۴۶–۲۵۸–قرآن–۴۶۱–۴۹۸ [صفحه ۲۳۴] بنا أنت من مجفوة لم تؤنب || ومهجورة فى هجرها لم تعتب ونازحة والدار منها قريبة || و ماقرب ثاو فى التراب مغيب و قـد قـال الشـعراء والخطباء فى هـذاالمعنى كثيرا فمن ذلك قول الرضـى أبى الحسن رحمه الله فى مرثيـة لأبى إسـحاق الصـابى أعزز على بـأن نزلت بمنزل || متشـابه الأمجـاد بالأوغـاد فى عصـبة جنبوا إلى آجـالهم || والـدهر يعجلهم عن الإرواد ضـربوا بمدرجـة الفنـاء قبـابهم || من غيرأطنـاب و لاأوتـاد ركـب أناخوا لايرجى منهم || قصـد لإتهام و لاإنجاد كرهوا النزول فـأنزلتهم وقعـة || للـدهر نازلـة بكل مقاد فتهافتوا عن رحل كل مـذلل || وتطاوحوا عن سـرج كل جواد بادون فى صور الجميـع وإنهم || متفردون تفرد الآحـاد فقـوله بـادون فى صور الجمع ... البيت هو قوله ع جمع وهم آحـاد بعينه و قـال الرضـى رحمه الله تعالى أيضا متوسدين على الخدود كأنما || كرعوا على ظمإ من الصـهباء صور ضـننت على العيون بحسنها || أمسيت أوقرها من البوغاء ونواظر كحل التراب جفونها || قدكنت أحرسـها من الأقذاء قربت ضرائحهم على زوارها || ونأوا عن الطلاب أى تنـاء . [صـفحه ۲۳۵] قـوله قربت ضـرائحهم ... البيت هـومعنى قـوله ع وجيرة وهم أبعـاد بعينه . و من هـذاالمعنى قول بعض الأـعراب لكـل أناس مقبر فى ديارهم || فهم ينقصون والقبور تزيـد فكائن ترى من دار حى قـدأخرجت || وقبر بأكناف التراب

جديـد هم جيرة الأحياء أمامزارهم || فـدان و أماالملتقى فبعيـد . و من كلام ابن نباتـة وحيـدا على كثرة الجيران بعيدا على قرب المكان . و منه قوله أسير وحشة الانفراد فقير إلى اليسير من الزاد جار من لايجير وضيف من لايمير حملوا و لايرون ركبانا وانزلوا و لايـدعون ضـيفانا واجتمعوا و لايسـمون جيرانا واحتشـدوا و لايعدون أعوانا و هذاكلام أمير المؤمنين ع بعينه المذكور فى هذه الخطبـة و قدأخـذه مصالتـة. و منه قوله طحنتهم طحن الحصـيد وغيبتهم تحت الصـعيد فبطون الأرض لهم أوطان وهم فى خرابها قطان عمروا فأخربوا واقتربوا فاغتربوا واصـطحبوا و مااصـطحبوا. و منه قوله غيبا كأشـهاد عصبا كآحاد همودا فى ظلم الإلحاد إلى يوم التنـاد. [صـفحه ۲۳۶] واعلم أن هـذه الخطبـة ذكرهـا شـيخنا أبوعثمـان الجاحـظ فى كتـاب البيان والتبيين ورواها لقطرى بن الفجاءة و النـاس يروونهـا لأـمير المؤمنين ع و قـدرأيتها فى كتاب المونق لأبى عبيـد الله المرزبانى مرويـة لأمير المؤمنين ع وهى بكلام أمير المؤمنين أشـبه و ليس يبعـد عنـدى أن يكون قطرى قـدخطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصـحاب أمير المؤمنين ع فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره و قدلقى قطرى أكثرهم [صفحه ۲۳۷]

۱۱۱– و من خطبة له ع يذكر فيهاملك الموت وتوفيه الأنفس

اشاره

هَـل يُحَسّ بِهِ إِذَا دَخَـلَ مَنزِلًـا أَم هَـل تَرَاهُ إِذَا تَوَفّى أَحَـداً بَـل كَيفَ يَتَوَفّى الجَنِينَ فِى بَطنِ أُمّهِ أَ يَلِـجُ عَلَيهِ مِن بَعضِ جَوَارِحِهَا أَم الرّوحُ أَجَابَتهُ بِـإِذنِ رَبّهَـا أَم هُـوَ سَـاكِنٌ مَعَهُ فِى أَحشَائِهَـا كَيـفَ يَصِـفُ إِلَهَهُ مَن يَعجَزُ عَن صِـفَةِ مَخلُوقٍ مِثلِهِ أمامـذهب جمهور أصـحابنا وهم النـافون للنفس الناطقـة فعنـدهم أن الروح جسم لطيف بخـارى يتكون من ألطف أجزاء الأغذيـة ينفـذ فى العروق الضوارب والحياة عرض قائم بالروح وحال فيهافللدماغ روح دماغية وحياة حالة فيها وكذلك للقلب وكذلك للكبد وعندهم أن لملـك الموت أعوانـا تقبض الأـرواح بحكم النيابـة عنه لو لاـ ذلك لتعـذر عليه و هوجسم أن يقبض روحين فى وقت واحـد فى المشـرق والمغرب لأن الجسم الواحـد لا يكون فى مكانين فى وقت واحـد قال أصـحابنا و لايبعد أن يكون الحفظة الكاتبون هم القابضـين للأرواح عنـدانقضاء الأجل قالوا وكيفيـة القبض ولوج الملك من الفم إلى القلب لأنه جسم لطيف هوائى لايتعذر عليه النفوذ فى المخارق الضيقة فيخالط الروح [صفحه ۲۳۸] التى هى كالشبيهة به لأنها جسم لطيف بخارى ثم يخرج من حيث دخل وهى معه وإنمـا يكون ذلـك فى الوقت ألـذى يأذن الله تعالى له فيه و هوحضور الأجل فألزموا على ذلك أن يغوص الملك فى الماء مع الغريق ليقبض روحه تحت الماء فالتزموا ذلك وقالوا ليس بمستحيل أن يتخلل الملك الماء فى مسام الماء فإن فيه مسام ومنافذ و فى كل جسم على قاعدتهم فى إثبات الماء فى الأجسام .قالوا و لوفرضـنا أنه لامسام فيه لم يبعد أن يلجه الملك فيوسع لنفسه مكانا كمايلجه الحجر والسمك وغيرهما وكالريح الشديدة التى تقرع ظاهر البحر فتقعره وتحفره وقوة الملك أشد من قوة الريـح . ثم نعود إلى الشـرح فنقول الملك أصـله مألك بالهمز ووزنه مفعل والميم زائـدة لأنه من الألوكة والألوك وهى الرسالة ثم قلبت الكلمـة وقـدمت اللام فقيل ملأك قال الشاعر فلست لإنسـى ولكن لملأك || تنزل من جو السـماء يصوب . ثم تركت همزته لكثرة الاسـتعمال فقيـل ملـك فلمـا جمع ردت الهمزة إليه فقـالوا ملائكـة وملائـك قـال أميـة بن أبى الصـلت وكأن برقع والملائـك حولهـا || سـدر تواكله القوائم أجرد . والتوفى الإماتـة وقبض الأـرواح قـال الله تعـالى اللّهُ يَتَوَفّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِها. والتقسـيم ألذى قسـمه فى وفاة الجنين حاصـر لأنه مع فرضـنا إياه جسما يقبض الأرواح التى فى الأجسام إما أن يكون مع الجنين فى جوف أمه فيقبض روحه عندحضور أجله -قرآن-۵۲-۹۱ [صفحه ۲۳۹] أوخارجا عنها والقسم الثانى ينقسم قسمين أحدهما

أن يلج جوف أمه لقبض روحه فيقبضها والثانی أن يقبضها من غيرحاجة إلی الولوج إلی جوفها و ذلک بأن تطيعه الروح وتکون مسخرة إذاأراد قبضها امتدت إليه فقبضها و هذه القسمة لايمکن الزيادة عليها و لوقسمها واضع المنطق لمازاد. ثم خرج إلی أمر آخر أعظم وأشرف مما ابتدأ به فقال کيف يصف إلهه من يعجز عن وصف مخلوق مثله و إلی هذاالغرض کان يترامی وإياه کان يقصد وإنما مهد حديث الملک والجنين توطئة لهذا المعنی الشريف والسر الدقيق

فصل فی التخلص وسياق کلام للشعراء فيه

و هذاالفن يسميه أرباب علم البيان التخلص وأکثر مايقع فی الشعر کقول أبی نواس تقول التی من بيتها خف مرکبی || عزيز علينا أن نراک تسير أ مادون مصر للغنی متطلب || بلی إن أسباب الغنی لکثير فقلت لها واستعجلتها بوادر || جرت فجری فی جريهن عبير ذرينی أکثر حاسديک برحلة || إلی بلد فيه الخصيب أمير . و من ذلک قول أبی تمام يقول فی قومس صحبی و قدأخذت || منا السری وخطا المهرية القود أمطلع الشمس تبغی أن تؤم بنا || فقلت کلا ولکن مطلع الجود . [صفحه ۲۴۰] و منه قول البحتری هل الشباب ملم بی فراجعة || أيامه لی فی أعقاب أيامی لو أنه نائل غمر يجاد به || إذن تطلبته عند ابن بسطام . و منه قول المتنبی و هويتغزل بأعرابية ويصف بخلها وجبنها وقلة مطعمها و هذه کلها من الصفات الممدوحة فی النساء خاصة فی مقلتی رشأ تديرهما || بدوية فتنت بهاالحلل تشکو المطاعم طول هجرتها || وصدودها و من ألذی تصل ماأسأرت فی القعب من لبن || ترکته و هوالمسک والعسل قالت إلاتصحو فقلت لها || أعلمتنی أن الهوی ثمل لو أن فناخسر صبحکم || وبرزت وحدک عاقه الغزل وتفرقت عنکم کتائبه || إن الملاح خوادع قتل ماکنت فاعلة وضيفکم || ملک الملوک وشأنک البخل أتمنعين قری فتفتضحی || أم تبذلين له ألذی يسل بل لايحل بحيث حل به || بخل و لاجور و لاوجل . و هذا من لطيف التخلص ورشيقه والتخلص مذهب الشعراء والمتأخرون يستعملونه کثيرا ويتفاخرون فيه ويتناضلون فأما التخلص فی الکلام المنثور فلايکاد يظهر لمتصفح الرسالة أوالخطبة إلا بعدتأمل شديد و قدوردت منه مواضع فی القرآن العزيز فمن [صفحه ۲۴۱] أبينها وأظهرها أنه تعالی ذکر فی سورة الأعراف الأمم الخالية والأنبياء الماضين من لدن آدم ع إلی أن انتهی إلی قصة موسی فقال فی آخرها بعد أن شرحها وأوضحهاوَ اختارَ مُوسی قَومَهُ سَبعِينَ رَجُلًا لِمِيقاتِنا فَلَمّا أَخَذَتهُمُ الرّجفَةُ قالَ رَبّ لَو شِئتَ أَهلَکتَهُم مِن قَبلُ وَ إِيّايَ أَ تُهلِکُنا بِما فَعَلَ السّفَهاءُ مِنّا إِن هيَ إِلّا فِتنَتُکَ تُضِلّ بِها مَن تَشاءُ وَ تَهدِي مَن تَشاءُ أَنتَ وَلِيّنا فَاغفِر لَنا وَ ارحَمنا وَ أَنتَ خَيرُ الغافِرِينَ وَ اکتُب لَنا فِي هذِهِ الدّنيا حَسَنَةً وَ فِي الآخِرَةِ إِنّا هُدنا إِلَيکَ قالَ عذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشاءُ وَ رحَمتيِ وَسِعَت کُلّ شَيءٍ فَسَأَکتُبُها لِلّذِينَ يَتّقُونَ وَ يُؤتُونَ الزّکاةَ وَ الّذِينَ هُم بِآياتِنا يُؤمِنُونَ الّذِينَ يَتّبِعُونَ الرّسُولَ النّبِيّ الأُمّيّ ألّذِي يَجِدُونَهُ مَکتُوباً عِندَهُم فِي التّوراةِ وَ الإِنجِيلِ يَأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ وَ يَنهاهُم عَنِ المُنکَرِ وَ يُحِلّ لَهُمُ الطّيّباتِ وَ يُحَرّمُ عَلَيهِمُ الخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَ الأَغلالَ التّيِ کانَت عَلَيهِم فَالّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتّبَعُوا النّورَ ألّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ المُفلِحُونَ. و هذا من التخلصات اللطيفة المستحسنة -قرآن-۱۶۳-۱۱۲۷

فصل فی الاستطراد وإيراد شواهد للشعراء فيه

واعلم أن من أنواع علم البيان نوعا يسمی الاستطراد و قديسمی الالتفات و هو من جنس التخلص وشبيه به إلا أن الاستطراد هو أن تخرج بعد أن تمهد ماتريد أن تمهده إلی الأمر ألذی تروم ذکره فتذکره وکأنک غيرقاصد لذکره بالذات بل قدحصل ووقع

ذكره بـالعرض عن غيرقصـد ثم تـدعه وتتركه وتعود إلى الأمر ألـذى كنت فى تمهيـده كالمقبل عليه وكالملغى عما استطردت بـذكره فمن ذلك قول البحترى و هويصف فرسا [صـفحه ۲۴۲] وأغر فى الزمن البهيم محجـل || قـدرحت منه على أغر محجل كالهيكل المبنى إلا أنه || فى الحسن جاء كصورة فى هيكل وافى الضلوع يشد عقد حزامه || يوم اللقاء على معم مخول أخواله للرستمين بفـارس || وجـدوده للتبعين بموكل يهوى كماهوت العقاب و قـدرأت || صيدا وينتصب انتصاب الأجـدل متوجس برقيقتين كأنمـا || تريـان من ورق عليه مكلـل مـا إن يعـاف قـذى و لوأوردته || يوما خلائق حمـدويه الأحول ذنب كماسحب الرشاء يذب عن || عرف وعرف كالقناع المسبل جذلان ينفض عذرة فى غرة || يقق تسيل حجولها فى جندل كالرائح النشوان أكثر مشيه || عرضا على السنن البعيد الأطول ذهب الأعالى حيث تذهب مقلة || فيه بناظرها حديد الأسفل هزج الصهيل كأن فى نغماته || نبرات معبد فى الثقيل الأول ملك القلوب فإن بدا أعطينه || نظر المحب إلى الحبيب المقبل أ لاتراه كيف استطرد بـذكر حمـدويه الأـحول الكـاتب وكـأنه لم يقصـد ذلك و لاأراده وإنما جرته القافيـة ثم ترك ذكره وعاد إلى وصف الفرس و لوأقسم إنسان أنه مابنى القصيدة منذ افتتحها إلا على ذكره ولذلك أتى بها على روى اللام لكان صادقا فهذا هوالاستطراد. و من الفرق بينه و بين التخلص أنك فى التخلص متى شـرعت فى ذكر الممدوح [صـفحه ۲۴۳] أوالمهجو تركت مـاكنت فيه من قبل بالكليـة وأقبلت على ماتخلصت إليه من المديـح والهجاء بيتا بعدبيت حتى تنقضـى القصـيدة و فى الاسـتطراد تمر على ذكر الأمر ألـذى اسـتطردت به مرورا كـالبرق الخـاطف ثم تتركه وتنساه وتعود إلى مـاكنت فيه كأنك لم تقصـد قصـد ذاك وإنما عرض عروضـا و إذافهمت الفرق فـاعلم أن الآيات التى تلوناها إذاحققت وأمعنت النظر من باب الاسـتطراد لا من باب التخلص و ذلك لأنه تعالى قال بعـد قوله وَ اتّبَعُوا النّورَ أَلّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولئِکَ هُمُ المُفلِحُونَقُل يا أَيّهَا النّاسُ إِنّى رَسُولُ اللّهِ إِلَيكُم جَمِيعاً أَلّذِى لَهُ مُلکُ السّماواتِ وَ الأَرضِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ يحُيِي وَ يُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ النّبِيّ الأمُيّ أَلّذِى يُؤمِنُ بِاللّهِ وَ كَلِماتِهِ وَ اتّبِعُوهُ لَعَلّكُم تَهتَدُونَ وَ مِن قَومِ مُوسى أُمّةٌ يَهدُونَ بِالحَقّ وَ بِهِ يَعدِلُونَ وَ قَطّعناهُمُ اثنَتَى عَشرَةَ أَسباطاً أُمَماً وَ أَوحَينا إِلى مُوسى إِذِ استَسقاهُ قَومُهُ أَنِ اضرِب بِعَصـاکَ الحَجَرَ فَانبَجَسَت مِنهُ اثنَتا عَشرَةَ عَيناً قَد عَلِمَ كُلّ أُناسٍ مَشرَبَهُم وَ ظَلّلنا عَلَيهِمُ الغَمامَ وَ أَنزَلنا عَلَيهِمُ المَنّ وَ السّلوى كُلُوا مِن طَيّباتِ ما رَزَقناكُم وَ ما ظَلَمُونا وَ لكِن كانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمُونَفعاد إلى ما كان فيه أولا ثم مر فى هذه القصة و فى أحوال موسـى وبنى إسـرائيل حتى قـارب الفراغ من السورة. و من لطيف التخلص ألـذى يكـاد يكون اسـتطرادا لو لاـ أنه أفسـده بالخروج إلى المدح قول أبى تمام فى قصيدته التى يمدح بها محمد بن الهيثم التى أولها –قرآن–۴۱۹–۴۸۷–قرآن–۴۸۸–۱۱۷۰ أسقى طلولهم أجش هزيم || وغـدت عليهم نضـرة ونعيم ظلمتك ظالمـة البرىء ظلوم || والظلم من ذى قـدرة مـذموم زعمت هواك عفا الغـداة كماعفت || منها طلول باللوى ورسوم [صـفحه ۲۴۴] لا و ألـذى هوعالم إن النوى || صبر و إن أبا الحسين كريم مـاحلت عمـا تعهـدين و لاغـدت || نفسـى على إلـف سواك تحوم فلو أتم متغزلاـ لكـان مسـتطردا لامحالـة ولكنه نقض الاسـتطراد وغمس يده فى المدح فقال بعد هذاالبيت لمحمد بن الهيثم بن شبانة || مجد إلى جنب السماك مقيم ملك إذانسب الندى من ملتقى || طرفيه فهو أخ له وحميم ومضى على ذلك إلى آخرها. و من الاستطراد أن يحتال الشاعر لذكر مايروم ذكره بوصف أمر ليس من غرضه ويدمج الغرض الأصلى فى ضمن ذلك و فى غضونه وأحسن ما يكون ذلك إذاصرح بأنه قداستطرد ونص فى شعره على ذلك كما قال أبوإسحاق الصابى فى أبيات كتبها إلى أبى القاسم عبدالعزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة كتبها إليه إلى شيراز و أبوإسحاق فى بغداد وكانت أخبار فتوح عضد الدولـة بفارس وكرمان و ماوالاها متواصلـة مترادفـة إلى العراق وكتب عبدالعزيز واصلة بها إلى عزالدولة بختيار والصابى يجيب عنها ياراكب الجسرة العيرانة الأجد || يطوى المهامة من سهل إلى جلد أبلغ أباالقاسم نفسى الفداء له || مقالة من أخ للحق معتمد فى كل يوم لكم فتح يشاد به || بين الأنام بذكر السيد العضـد و مالنـا مثله لكننا أبـدا || نجيبكم بجواب الحاسد الكمـد فأنت أكتب منى فى الفتوح و ما || تجرى مجيبا إلى شاوى و

لاأمدى [صفحه ۲۴۵] و ماذممت ابتدائى فى مكاتبة || و لاجوابكم فى القرب والبعد لكننى رمت أن أثنى على ملک || مستطرد بمديح فيه مطرد ولقد ظرف وملح أبوإسحاق فى هذه الأبيات ومتى خلا أوعرى عن الظرف والملاحة ولقد كان ظرفا ولباقة كله . و ليس من الاستطراد مازعم ابن الأثير الموصلى فى كتابه المسمى بالمثل السائر أنه استطراد و هوقول بعض شعراء الموصل يمدح قرواش بن المقلد و قدأمره أن يعبث بهجاء وزيره سليمان بن فهد وحاجبه أبى جابر ومغنية المعروف بالبرقعيدى فى ليلة من ليالى الشتاء وأراد بذلک الدعابة والولع بهم وهم فى مجلس فى شراب وأنس فقال وأحسن فيما قال وليل كوجه البرقعيدى ظلمة || وبرد أغانيه وطول قرونه سريت ونومى فيه نوم مشرد || كعقل سليمان بن فهد ودينه على أولق فيه التفات كأنه || أبوجابر فى خطبة وجنونه إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه || سنا وجه قرواش وضوء جبينه و ذلک لأن الشاعر قصد إلى هجاء كل واحد منهم ووضع الأبيات لذلک وأمره قرواش رئيسهم وأميرهم بذلک فهجاهم ومدحه و لم يستطرد و هذه الأبيات تشبيهات كلها مقصود بهاالهجاء لم يأت بالعرض فى الشعر كماياتى الاستطراد. و هذاغلط من مصنف الكتاب [صفحه ۲۴۶]

۱۱۲– و من خطبة له ع

وَ أُحَذِّرُكُمُ الدّنيَا فَإِنّهَا مَنزِلُ قُلعَةٍ وَ لَيسَت بِدَارِ نُجعَةٍ قَد تَزَيّنَت بِغُرُورِهَا وَ غَرّت بِزِينَتِهَا دَارٌ هَانَت عَلَى رَبّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَ خَيرَهَا بِشَرّهَا وَ حَيَاتَهَا بِمَوتِهَا وَ حُلوَهَا بِمُرّهَا لَم يُصفِهَا اللّهُ تَعَالَى لِأَولِيَائِهِ وَ لَم يَضِنّ بِهَا عَن أَعدَائِهِ خَيرُهَا زَهِيدٌ وَ شَرّهَا عَتِيدٌ وَ جَمعُهَا يَنفَدُ وَ مُلكُهَا يُسلَبُ وَ عَامِرُهَا يَخرَبُ فَمَا خَيرُ دَارٍ تُنقَضُ نَقضَ البِنَاءِ وَ عُمُرٍ يَفنَى فِيهَا فَنَاءَ الزّادِ وَ مُدّةٍ تَنقَطِعُ انقِطَاعَ السّيرِ اجعَلُوا مَا افتَرَضَ اللّهُ عَلَيكُم مِن طَلَبِتِكُم وَ اسأَلُوهُ مِن أَدَاءِ حَقّهِ كَمَا سَأَلَكُم وَ أَسمِعُوا دَعوَةَ المَوتِ آذَانَكُم قَبلَ أَن يُدعَى بِكُم إِنّ الزّاهِدِينَ فِي الدّنيَا تَبكِي قُلُوبُهُم وَ إِن ضَحِكُوا وَ يَشتَدّ حُزنُهُم وَ إِن فَرِحُوا وَ يَكثُرُ مَقتُهُم أَنفُسَهُم وَ إِنِ اغتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا قَد غَابَ عَن قُلُوبِكُم ذِكرُ الآجَالِ وَ حَضَرَتكُم كَوَاذِبُ الآمَالِ فَصَارَتِ الدّنيَا أَملَكَ بِكُم مِنَ الآخِرَةِ وَ العَاجِلَةُ أَذهَبَ بِكُم مِنَ الآجِلَةِ وَ إِنّمَا أَنتُم إِخوَانٌ عَلَى دِينِ اللّهِ مَا فَرّقَ بَينَكُم إِلّا خُبثُ السّرَائِرِ وَ سُوءُ الضّمَائِرِ فَلَا تَوَازَرُونَ وَ لَا تَنَاصَحُونَ وَ لَا تَبَاذَلُونَ وَ لَا تَوَادّونَ مَا بَالُكُم تَفرَحُونَ بِاليَسِيرِ مِنَ الدّنيَا تُدرِكُونَهُ وَ لَا يَحزُنُكُمُ الكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحرَمُونَهُ وَ يُقلِقُكُمُ اليَسِيرُ مِنَ الدّنيَا يَفُوتُكُم حَتّى يَتَبَيّنَ ذَلِكَ فِي [صفحه ۲۴۷] وُجُوهِكُم وَ قِلّةِ صَبرِكُم عَمّا زُوِيَ مِنهَا عَنكُم كَأَنّهَا دَارُ مُقَامِكُم وَ كَأَنّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيكُم وَ مَا يَمنَعُ أَحَدَكُم أَن يَستَقبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِن عَيبِهِ إِلّا مَخَافَةُ أَن يَستَقبِلَهُ بِمِثلِهِ قَد تَصَافَيتُم عَلَى رَفضِ الآجِلِ وَ حُبّ العَاجِلِ وَ صَارَ دِينُ أَحَدِكُم لُعقَةً عَلَى لِسَانِهِ صَنِيعَ مَن فَرَغَ مِن عَمَلِهِ وَ أَحرَزَ رِضَا سَيّدِهِ قوله ع فإنها منزل قلعة بضم القاف وسكون اللام أى ليست بمستوطنة ويقال هذامجلس قلعة إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعدمرة ويقال هم على قلعة أى على رحلة و من هذاالباب قولهم فلان قلعة إذا كان ينقلع عن سرجه و لايثبت فى البطش والصراع والقلعة أيضا المال العارية و فى الحديث بئس المال القلعة –روايت–۱–۲–روايت–۱۴–۳۳ . والنجعة طلب الكلأ فى موضعه وفلان ينتجع الكلأ و منه انتجعت فلانا إذاأتيته تطلب معروفه . ثم وصف هوان الدنيا على الله تعالى فقال من هوانها أنه خلط حلالها بحرامها ... الكلام مراده تفضيل الدار الآتية على هذه الحاضرة فإن تلک صفو كلها وخير كلها و هذه مشوبة والكدر والشر فيهاأغلب من الصفو والخير و من كلام بعض الصالحين من هوان الدنيا على الله أنه لايعصى إلا فيها و لاينال ماعنده إلابتركها ويروى و لم يضن بها على أعدائه والرواية المشهورة عن أعدائه وكلاهما مستعمل . [صفحه ۲۴۸] والزهيد القليل والعتيد الحاضر والسير سير المسافر. ثم أمرهم بأن يجعلوا الفرائض الواجبة عليهم من جملة مطلوباتهم و أن يسألوا الله من الإعانة والتوفيق على القيام بحقوقه الواجبة كماسألهم أى كماألزمهم وافترض عليهم فسمى ذلک سؤالا لأجل المقابلة بين اللفظين كما قال سبحانه وَ جَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثلُها و كما –قرآن–

۲۸۴-۳۱۸ قال النبی ص فإن الله لایمل حتی تملوا -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۴۷ و کما قال الشاعر ألا لایجهلن أحد علینا || فنجهل فوق جهل الجاهلینا . ثم أمرهم أن یسمعوا أنفسهم دعوة الموت قبل أن یحضر الموت فیحل بهم ومثل قوله تبکی قلوبهم و إن ضحکوا قول الشاعر و إن لم یکن هذاالمقصد بعینه قصد کم فاقة مستورة بمروءة || وضرورة قدغطیت بتجمل و من ابتسام تحته قلب شج || قدخامرته لوعة ماتنجلی . والمقت البغض واغتبطوا فرحوا. و قوله أملک بکم مثل أولی بکم و قوله والعاجلة أذهب بکم من الآجلة أی ذهبت العاجلة بکم واستولت علیکم أکثر مما ذهبت بکم الآخرة واستولت علیکم . ثم ذکر أن الناس کلهم مخلوقون علی فطرة واحدة وهی دین الله وتوحیده وإنما اختلفوا وتفرقوا باعتبار أمر خارجی عن ذلک و هوخبث سرائرهم وسوء ضمائرهم فصاروا إلی حال لایتوازرون أی لایتعاونون والأصل الهمز آزرته ثم تقلب الهمزة واوا وأصل قوله فلاتوازرون فلاتتوازرون فحذفت إحدی التاءین کقوله تعالی ما لَکُم لا تَناصَرُونَ أی لاتتناصرون والتبادل أن یجود بعضهم علی بعض بماله ویبذله له . -قرآن-۵۰۰-۵۲۲ [صفحه ۲۴۹] ومثل قوله ع مابالکم تفرحون بکذا و لاتحزنون لکذا ویقلقکم الیسیر من الدنیا یفوتکم من هذاقول الرضی رحمه الله نقص الجدیدین من عمری یزید علی || ماینقصان علی الأیام من مالی دهر تؤثر فی جسمی نوائبه || فما اهتمامی أن أودی بسربالی . والضمیر فی یخاف راجع إلی الأخ لا إلی المستقبل له أی مایخافه الأخ من مواجهته بعینه . قوله وصار دین أحدکم لعقة علی لسانه أخذه الفرزدق فقال للحسین بن علی ع و قدلقیه قادما إلی العراق وسأله عن الناس أماقلوبهم فمعک و أماسیوفهم فعلیک والدین لعقة علی ألسنتهم فإذاامتحصوا قل الدیانون واللفظة مجاز وأصل اللعقة شیءقلیل یؤخذ بالملعقة من الإناء یصف دینهم بالنزارة والقلة کتلک اللعقة و لم یقنع بأن جعله لعقة حتی جعله علی ألسنتهم فقط أی لیس فی قلوبهم [صفحه ۲۵۰]

۱۱۳- و من خطبة له ع

الحَمدُ لِلّهِ الوَاصِلِ الحَمدَ بِالنّعَمِ وَ النّعَمَ بِالشّکرِ نَحمَدُهُ عَلَی آلَائِهِ کَمَا نَحمَدُهُ عَلَی بَلَائِهِ وَ نَستَعِینُهُ عَلَی هَذِهِ النّفُوسِ البِطَاءِ عَمّا أُمِرَت بِهِ السّرَاعِ إِلَی مَا نُهِیَت عَنهُ وَ نَستَغفِرُهُ مِمّا أَحَاطَ بِهِ عِلمُهُ وَ أَحصَاهُ کِتَابُهُ عِلمٌ غَیرُ قَاصِرٍ وَ کِتَابٌ غَیرُ مُغَادِرٍ وَ نُؤمِنُ بِهِ إِیمَانَ مَن عَایَنَ الغُیُوبَ وَ وَقَفَ عَلَی المَوعُودِ إِیمَاناً نَفَی إِخلَاصُهُ الشّرکَ وَ یَقِینُهُ الشّکّ وَ نَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحدَهُ لَا شَرِیکَ لَهُ وَ أَنّ مُحَمّداًص عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ شَهَادَتَینِ تُصعِدَانِ القَولَ وَ تَرفَعَانِ العَمَلَ لَا یَخِفّ مِیزَانٌ تُوضَعَانِ فِیهِ وَ لَا یَثقُلُ مِیزَانٌ تُرفَعَانِ مِنهُ أُوصِیکُم عِبَادَ اللّهِ بِتَقوَی اللّهِ التّیِ هیَ الزّادُ وَ بِهَا المَعَاذُ زَادٌ مُبلِغٌ وَ مَعَاذٌ مُنجِحٌ دَعَا إِلَیهَا أَسمَعُ دَاعٍ وَ وَعَاهَا خَیرُ وَاعٍ فَأَسمَعَ دَاعِیهَا وَ فَازَ وَاعِیهَا عِبَادَ اللّهِ إِنّ تَقوَی اللّهِ حَمَت أَولِیَاءَ اللّهِ مَحَارِمَهُ وَ أَلزَمَت قُلُوبَهُم مَخَافَتَهُ حَتّی أَسهَرَت لَیَالِیَهُم وَ أَظمَأَت هَوَاجِرَهُم فَأَخَذُوا الرّاحَةَ بِالنّصَبِ وَ الریّّ بِالظّمَإِ وَ استَقرَبُوا الأَجَلَ فَبَادَرُوا العَمَلَ وَ کَذّبُوا الأَمَلَ فَلَاحَظُوا الأَجَلَ ثُمّ إِنّ الدّنیَا دَارُ فَنَاءٍ وَ عَنَاءٍ وَ غِیَرٍ وَ عِبَرٍ فَمِنَ الفَنَاءِ أَنّ الدّهرَ مُوتِرٌ قَوسَهُ لَا تُخطِئُ سِهَامُهُ وَ لَا تُؤسَی جِرَاحُهُ یرَمیِ الحیَّ بِالمَوتِ وَ الصّحِیحَ بِالسّقَمِ وَ النّاجیَ بِالعَطَبِ آکِلٌ لَا یَشبَعُ وَ شَارِبٌ لَا یَنقَعُ وَ مِنَ العَنَاءِ أَنّ المَرءَ یَجمَعُ [صفحه ۲۵۱] مَا لَا یَأکُلُ وَ یبَنیِ مَا لَا یَسکُنُ ثُمّ یَخرُجُ إِلَی اللّهِ تَعَالَی لَا مَالًا حَمَلَ وَ لَا بِنَاءً نَقَلَ وَ مِن غِیَرِهَا أَنّکَ تَرَی المَرحُومَ مَغبُوطاً وَ المَغبُوطَ مَرحُوماً لَیسَ ذَلِکَ إِلّا نَعِیماً زَلّ وَ بُؤساً نَزَلَ وَ مِن عِبَرِهَا أَنّ المَرءَ یُشرِفُ عَلَی أَمَلِهِ فَیَقتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ فَلَا أَمَلٌ یُدرَکُ وَ لَا مُؤَمّلٌ یُترَکُ فَسُبحَانَ اللّهِ مَا أَعَزّ سُرُورَهَا وَ أَظمَأَ رِیّهَا وَ أَضحَی فَیئَهَا لَا جَاءٍ یُرَدّ وَ لَا مَاضٍ یَرتَدّ فَسُبحَانَ اللّهِ مَا أَقرَبَ الحیَّ مِنَ المَیّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ وَ أَبعَدَ المَیّتَ مِنَ الحیَّ لِانقِطَاعِهِ عَنهُ إِنّهُ لَیسَ شَیءٌ بِشَرّ مِنَ الشّرّ إِلّا عِقَابُهُ وَ لَیسَ شَیءٌ بِخَیرٍ مِنَ الخَیرِ إِلّا ثَوَابُهُ وَ کُلّ شَیءٍ مِنَ الدّنیَا سَمَاعُهُ أَعظَمُ مِن عِیَانِهِ وَ کُلّ شَیءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِیَانُهُ أَعظَمُ مِن سَمَاعِهِ فَلیَکفِکُم مِنَ العِیَانِ السّمَاعُ وَ مِنَ الغَیبِ الخَبَرُ وَ اعلَمُوا أَنّ مَا نَقَصَ مِنَ الدّنیَا وَ زَادَ فِی

الآخِرَةِ خَیرٌ مِمّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَ زَادَ فِی الدّنیَا فَکَم مِن مَنقُوصٍ رَابِحٍ وَ مَزِیدٍ خَاسِرٍ إِنّ ألّذِی أُمِرتُم بِهِ أَوسَعُ مِنَ ألّذِی نُهِیتُم عَنهُ وَ مَا أُحِلّ لَکُم أَکثَرُ مِمّا حُرّمَ عَلَیکُم فَذَرُوا مَا قَلّ لِمَا کَثُرَ وَ مَا ضَاقَ لِمَا اتّسَعَ قَد تَکَفّلَ لَکُم بِالرّزقِ وَ أُمِرتُم بِالعَمَلِ فَلَا یَکُونَنّ المَضمُونُ لَکُم طَلَبُهُ أَولَی بِکُم مِنَ المَفرُوضِ عَلَیکُم عَمَلُهُ مَعَ أَنّهُ وَ اللّهِ لَقَدِ اعتَرَضَ الشّکّ وَ دَخَلَ الیَقِینُ حَتّی کَأَنّ ألّذِی ضُمِنَ لَکُم قَد فُرِضَ عَلَیکُم وَ کَأَنّ ألّذِی فُرِضَ عَلَیکُم قَد وُضِعَ عَنکُم فَبَادِرُوا العَمَلَ وَ خَافُوا بَغتَةَ الأَجَلِ فَإِنّهُ لَا یُرجَی مِن رَجعَةِ العُمُرِ مَا یُرجَی مِن رَجعَةِ الرّزقِ مَا فَاتَ الیَومَ مِنَ الرّزقِ رُجِیَ غَداً زِیَادَتُهُ وَ مَا فَاتَ أَمسِ مِنَ العُمُرِ لَم یُرجَ الیَومَ [صفحه ۲۵۲] رَجعَتُهُ الرّجَاءُ مَعَ الجَائِی وَ الیَأسُ مَعَ المَاضِی فَاتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنّ إِلّا وَ أَنتُم مُسلِمُونَ لقائل أن یقول أماکونه واصل الحمد له من عباده بالنعم منه علیهم فمعلوم فکیف قال إنه یصل النعم المذکورة بالشکر والشکر من أفعال العباد و لیس من أفعاله لیکون واصلا للنعم به وجواب هذاالقائل هو أنه لماوفق العباد للشکر بعد أن جعل وجوبه فی عقولهم مقررا و بعد أن أقدرهم علیه صار کأنه الفاعل له فأضافه إلی نفسه توسعا کمایقال أقام الأمیر الحد وقتل الوالی اللص فأما حمده سبحانه علی البلاء کحمده علی الآلاء فقد تقدم القول فیه و من الکلام المشهور سبحان من لایحمد علی المکروه سواه والسر فیه أنه تعالی إنما یفعل المکروه بنا لمصالحنا فإذاحمدناه علیه فإنما حمدناه علی نعمه أنعم بها و إن کانت فی الظاهر بلیة وألما. فإن قلت فقد کان الأحسن فی البیان أن یقول نحمده علی بلائه کمانحمده علی آلائه قلت إنما عکس لأنه جاء باللفظین فی معرض ذکر النعم والشکر علیها فاستهجن أن یلقبها بلفظة الحمد علی البلاء للمنافرة التی تکون بینهما فقال نحمده علی هذه الآلاء التی أشرنا إلیها التی هی آلاء فی الحقیقة و هذاترتیب صحیح منتظم . ثم سأل الله أن یعینه علی النفس البطیئة عن المأمور به السریعة إلی المنهی عنه و من دعاء بعض الصالحین أللهم إنی أشکو إلیک عدوا بین جنبی قدغلب علی . وفسر قوم من أهل الطریقة والحقیقة قوله تعالی یا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا قاتِلُوا -قرآن-۱۱۷۶-۱۲۱۱ لقائل أن یقول أماکونه واصل الحمد له من عباده بالنعم منه علیهم فمعلوم فکیف قال إنه یصل النعم المذکورة بالشکر والشکر من أفعال العباد و لیس من أفعاله لیکون واصلا للنعم به وجواب هذاالقائل هو أنه لماوفق العباد للشکر بعد أن جعل وجوبه فی عقولهم مقررا و بعد أن أقدرهم علیه صار کأنه الفاعل له فأضافه إلی نفسه توسعا کمایقال أقام الأمیر الحد وقتل الوالی اللص فأما حمده سبحانه علی البلاء کحمده علی الآلاء فقد تقدم القول فیه و من الکلام المشهور سبحان من لایحمد علی المکروه سواه والسر فیه أنه تعالی إنما یفعل المکروه بنا لمصالحنا فإذاحمدناه علیه فإنما حمدناه علی نعمه أنعم بها و إن کانت فی الظاهر بلیة وألما. فإن قلت فقد کان الأحسن فی البیان أن یقول نحمده علی بلائه کمانحمده علی آلائه قلت إنما عکس لأنه جاء باللفظین فی معرض ذکر النعم والشکر علیها فاستهجن أن یلقبها بلفظة الحمد علی البلاء للمنافرة التی تکون بینهما فقال نحمده علی هذه الآلاء التی أشرنا إلیها التی هی آلاء فی الحقیقة و هذاترتیب صحیح منتظم . ثم سأل الله أن یعینه علی النفس البطیئة عن المأمور به السریعة إلی المنهی عنه و من دعاء بعض الصالحین أللهم إنی أشکو إلیک عدوا بین جنبی قدغلب علی . وفسر قوم من أهل الطریقة والحقیقة قوله تعالی یا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا قاتِلُوا الّذِینَ یَلُونَکُم مِنَ الکُفّارِ وَ لیَجِدُوا فِیکُم غِلظَةًقالوا أراد مجاهدة النفوس و -قرآن-۱-۶۳ من کلام رسول الله ص أبت الأنفس إلاحب المال والشرف و إن حبهما لأذهب بدین أحدکم من ذئبین ضاریین باتا فی زریبة غنم إلی الصباح فما ذا یبقیان منها -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۱۶۲ . ثم شرع فی استغفار الله سبحانه من کل ذنب وعبر عن ذلک بقوله مما أحاط به علمه وأحصاه کتابه لأنه تعالی عالم بکل شیء ومحیط بکل شیء و قدأوضح ذلک بقوله علم غیرقاصر و کتاب غیرمغادر أی غیرمبق شیئا لایحصیه قال تعالی ما لِهذَا الکِتابِ لا یُغادِرُ صَغِیرَةً وَ لا کَبِیرَةً إِلّا أَحصاها. ثم قال ونؤمن به إیمان من عاین وشاهد لأن إیمان العیان أخلص وأوثق من إیمان الخبر فإنه لیس الخبر کالعیان و هذاإشارة إلی إیمان العارفین الذین هو ع سیدهم ورئیسهم ولذلک -قرآن-۲۳۰-۲۹۹ قال لوکشف الغطاءماازددت یقینا -روایت-۱-۲-روایت-۸-۳۸ . و قوله تصعدان القول إشارة إلی قوله تعالی

إِلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطّيّبُ وَ العَمَلُ الصّالِحُ يَرفَعُهُ وروى تسعدان القول بالسين أى هما شهادتان بالقلب يعاضدان الشهادة باللسان ويسعدانها. ثم ذكر أنهما شهادتان لايخف ميزان هما فيه و لايثقل ميزان رفعا عنه . أما أنه لايثقل ميزان رفعا عنه فهذا لاكلام فيه وإنما الشأن فى القضية الأولى لأن ظاهر هذاالقول يشعر بمذهب المرجئة الخلص وهم أصحاب مقاتل بن سليمان القائلون إنه لايضر مع الشهادتين معصية أصلا وإنه لايدخل النار من فى قلبه ذرة من الإيمان -قرآن-۴۸-۱۱۲ [صفحه ۲۵۴] ولهم على ذلک احتجاج قدذكرناه فى كتبنا الكلامية فنقول فى تأويل ذلک إنه لم يحكم بهذا على مجرد الشهادتين وإنما حكم بهذا على شهادتين مقيدتين قدوصفهما بأنهما يصعدان القول ويرفعان العمل وتانک الشهادتان المقيدتان بذلک القيد إنما هوالشهادتان اللتان يقارنهما فعل الواجب وتجنب القبيح لأنه إن لم يقارنهما ذلک لم يرفعا العمل و إذا كان حكمه ع بعدخفة ميزان هما فيه إنما هو على شهادتين مقيدتين لامطلقتين فقد بطل قول من يجعل هذاالكلام حجة للمرجئة. ثم أخذ فى الوصاة بالتقوى و قال إنما الزاد فى الدنيا ألذى يزود منه لسفر الآخرة و بهاالمعاذ مصدر من عذت بكذا أى لجأت إليه واعتصمت به . ثم وصفهما أعنى الزاد والمعاذ فقال زاد مبلغ أى يبلغک المقصد والغاية التى تسافر إليها ومعاذ منجح أى يصادف عنده النجاح .دعا إليها أسمع داع يعنى البارئ سبحانه لأنه أشد الأحياء أسماعا لمايدعوهم إليه وبناء أفعل هاهنا من الرباعى كماجاء ماأعطاه للمال و ماأولاه للمعروف و أنت أكرم لى من زيد أى أشد إكراما و هذاالمكان أقفر من غيره أى أشد إقفارا و فى المثل أفلس من ابن المذلق وروى دعا إليها أحسن داع أى أحسن داع دعا و لابد من تقرير هذاالمميز لأنه تعالى لاتوصف ذاته بالحسن وإنما يوصف بالحسن أفعاله . ووعاها خير واع أى من وعاها عنه تعالى وعقلها وأجاب تلک الدعوة فهو خير واع . وقيل عنى بقوله أسمع داع رسول الله ص وعنى بقوله خير واع نفسه لأنه أنزل فيه وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ والأول أظهر. -قرآن-۱۳۱۰-۱۳۳۶ [صفحه ۲۵۵] ثم قال فأسمع داعيها أى لم يبق أحدا من المكلفين إلا و قدأسمعه تلک الدعوة وفازوا عليها أفلح من فهمها وأجاب إليها لابد من تقدير هذا و إلافأى فوز يحصل لمن فهم و لم يجب والتقوى خشية الله سبحانه ومراقبته فى السر والعلن والخشية أصل الطاعات وإليها وقعت الإشارة بقوله تعالى إِنّ أَكرَمَكُم عِندَ اللّهِ أَتقاكُم و قوله سبحانه وَ مَن يَتّقِ اللّهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجاً وَ يَرزُقهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ. قوله حتى أسهرت لياليهم وأظمأت هواجرهم من قول العرب نهاره صائم وليله قائم نقلوا الفعل إلى الظرف و هو من باب الاتساع ألذى يجرون فيه الظروف مجرى المفعول به فيقولون ألذى سرته يوم الجمعة أى سرت فيه و قال -قرآن-۲۸۹-۳۲۵-قرآن-۳۴۱-۴۱۶ و يوم شهدناه سليما وعامرا أى شهدنا فيه سليما و قداتسعوا فأضافوا إلى الظروف فقالوا ياسارق الليلة أهل الدار و قال تعالى بَل مَكرُ اللّيلِ وَ النّهارِفأخرجوهما بالإضافة عن الظرفية. قوله ع فأخذوا الراحة النصب يروى فاستبدلوا الراحة والنصب التعب واستقربوا الأجل رأوه قريبا. فإن قلت لماذا كرر لفظة الأجل و فى تكرارها مخالفة لفن البيان قلت إنه استعملها فى الموضعين بمعنيين مختلفين فقوله استقربوا الأجل يعنى المدة و قوله فلاحظوا الأجل يعنى الموت نفسه . -قرآن-۱۵-۴۳ [صفحه ۲۵۶] ويروى موتر وموتر بالتشديد و لاتؤسى جراحه لاتطب و لاتصلح أسوت الجرح أى أصلحته و لاينقع لايروى شرب حتى نقع أى شف عليله وماء ناقع و هوكالناجع و مارأيت شربه انقع منها. و إلى قوله ع يجمع ما لايأكل ويبنى ما لايسكن نظر الشاعر فقال أموالنا لذوى الميراث نجمعها || ودورنا لخراب الدهر نبنيها . و قال آخر أ لم تر حوشبا أمسى يبنى || بناء نفعه لبنى بقيلة يؤمل أن يعمر عمر نوح || وأمر الله يطرق كل ليلة قوله و من غيرها أنک ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما أى يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا و قدفسره قوم فقالوا أراد أنک ترى من هو فى باطن الأمر مرحوم مغبوطا وترى من هو فى باطن الأمر مغبوط مرحوما أى تحسب ذاک وتتخيله و هذاالتأويل غيرصحيح لأن قوله بعده ليس ذلک إلانعيما زل وبؤسا نزل ويكذبه ويصدق التفسير الأول . وأضحى فيئها من أضحى الرجل إذابرز للشمس ثم قال لاجاء يرد و لاماض يرتد أى يسترد ويسترجع أخذه أبوالعتاهية فقال فلا أناراجع ما قدمضى لى || و لا أنادافع ماسوف يأتى . و إلى قوله ماأقرب الحى من الميت

للحاقه به و ماأبعد الميت من الحى لانقطاعه عنه نظر الشاعر فقال يابعيدا عنى و ليس بعيدا || من لحاقى به سميع قريب [صفحه ۲۵۷] صرت بين الورى غريبا كماأنك تحت الثرى وحيد غريب فإن قلت ماوجه تقسيمه ع الأمور التى عددها إلى الفناء والعناء والغير والعبر قلت لقد أصاب الثغرة وطبق المفصل أ لاتراه ذكر فى الفناء رمى الدهر الإنسان عن قوس الردى و فى العناء جمع ما لايأكل وبناء ما لايسكن و فى الغير الفقر بعدالغنى والغنى بعدالفقر و فى العبر اقتطاع الأجل الأمل فقد ناط بكل لفظة مايناسبها. و قدنظر بعض الشعراء إلى قوله ع ليس شىءبشر من الشر إلاعقابه و ليس شىءبخير من الخير إلاثوابه فقال خير البضائع للإنسان مكرمة || تنمى وتزكو إذابارت بضائعه فالخير خير وخير منه فاعله || والشر شر وشر منه صانعه . إلا أن أمير المؤمنين ع استثنى العقاب والثواب والشاعر جعل مكانهما فاعل الخير والشر. ثم ذكر أن كل شىء من أمور الدنيا المرغبة والمرهبة سماعه أعظم من عيانه والآخرة بالعكس و هذاحق أماالقضية الأولى فظاهرة و قد قال القائل اهتز عندتمنى وصلها طربا || ورب أمنية أحلى من الظفر . ولهذا يحرص الواحد منا على الأمر فإذابلغه برد وفتر و لم يجده كما كان يظن فى اللذة ويوصف لنا البلد البعيد عنا بالخصب والأمن والعدل وسماح أهله وحسن نسائه وظرف رجاله فإذاسافرنا إليه لم نجده كماوصف بل ربما وجدنا القليل من ذلك ويوصف لنا الإنسان الفاضل بالعلم بفنون من الآداب والحكم ويبالغ الواصفون فى ذلك فإذااختبرناه وجدناه دون ماوصف وكذلك قديخاف الإنسان حبسا أوضربا أونحوهما فإذا [صفحه ۲۵۸] وقع فيهما هان ما كان يتخوفه ووجد الأمر دون ذلك وكذلك القتل والموت فإن مايستعظمه الناس منهما دون أمرهما فى الحقيقة و قد قال أبوالطيب و هوحكيم الشعراء كل ما لم يكن من الصعب فى الأنفس || سهل فيها إذا هوكانا . ويقال فى المثل لج الخوف تأمن و أماأحوال الآخرة فلاريب أن الأمر فيهابالضد من ذلك لأن ألذى يتصوره الناس من الجنة أنها أشجار وأنهار ومأكول ومشروب وجماع وأمرها فى الحقيقة أعظم من هذا وأشرف لأن ملاذها الروحانية المقارنة لهذه الملاذ المضادة لها أعظم من هذه الملاذ بطبقات عظيمة وكذلك أكثر الناس يتوهمون أن عذاب النار يكون أياما وينقضى كمايذهب إليه المرجئة أو أنه لاعذاب بالنار لمسلم أصلا كما هوقول الخلص من المرجئة و أن أهل النار يألفون عذابها فلايستضرون به إذاطاول الأمد عليهم وأمر العذاب أصعب مما يظنون خصوصا على مذهبنا فى الوعيد و لو لم يكن إلاآلام النفوس باستشعارها سخط الله تعالى عليها فإن ذلك أعظم من ملاقاة جرم النار لبدن الحى. و فى هذاالموضع أبحاث شريفة دقيقة ليس هذاالكتاب موضوعا لها. ثم أمرهم بأن يكتفوا من عيان الآخرة وغيبها بالسماع والخبر لأنه لاسبيل ونحن فى هذه الدار إلى أكثر من ذلك . و إلى قوله مانقص من الدنيا وزاد فى الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد فى الدنيا نظر أبوالطيب فقال إلا أنه أخرجه فى مخرج آخر بلاد مااشتهيت رأيت فيها || فليس يفوتها الإكرام [صفحه ۲۵۹] فهلا- كان نقص الأهل فيها || و كان لأهلها منها التمام ثم قال فكم من منقوص فى دنياه و هورابح فى آخرته وكم من مزيد فى دنياه و هوخاسر فى آخرته ثم قال إن ألذى أمرتم به أوسع من ألذى نهيتم عنه و ماأحل لكم أكثر مما حرم عليكم الجملة الأولى هى الجملة الثانية بعينها وإنما أتى بالثانية تأكيدا للأولى وإيضاحا لها ولأن فن الخطابة والكتابة هكذا هو وينتظم كلتا الجملتين معنى واحد و هو أن فيما أحل الله غنى عما حرم بل الحلال أوسع أ لا-ترى أن المباح من المآكل والمشارب أكثر عددا وأجناسا من المحرمات فإن المحرم ليس إلاالكلب والخنزير وأشياء قليلة غيرهما والمحرم من المشروب الخمر ونحوها من المسكر و ماعدا ذلك حلال أكله وشربه وكذلك القول فى النكاح والتسرى فإنهما طريقان مهيعان إلى قضاء الوطر والسفاح طريق واحد والطريقان أكثر من الطريق الواحد. فإن قلت فكيف قال إن ألذى أمرتم به فسمى المباح مأمورا به قلت سمى كثير من الأصوليين المباح مأمورا به و ذلك لاشتراكه مع المأمور به فى أنه لاحرج فى فعله فأطلق عليه اسمه وأيضا فإنه لما كان كثير من الأمور التى عددناها مندوبا أطلق عليه لفظ الأمر لأن المندوب مأمور به و ذلك كالنكاح والتسرى وأكل اللحوم التى هى سبب قوة البدن وشرب مايصلح المزاج من الأشربة التى لاحرج فى استعمالها و قال بعض العقلاء لبنيه يابنى إنه

ليس كل شـيـء من اللذة ناله أهل الخسارة بخسارتهم إلاناله أهل المروءة والصـيانة بمروءتهم وصيانتهم فاستتروا بستر الله ودخل إنسان على على بن موسـى الرضا ع و عليه ثياب مرتفعـة القيمـة فقال يا ابن رسول الله أتلبس مثل هـذا فقال له مَن حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التّيِ أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطّيّباتِ مِنَ الرّزقِ -روايت-۱-۲۰۱ [صـفحه ۲۶۰] ثـم أمر بالعمـل والعبـادة ونهى عن الحرص على طلب الرزق فقال إنكم أمرتم بالأول وضمن لكم الثانى فلاتجعلوا المضمون حصوله لكم هوالمخصوص بالحرص والاجتهاد بل ينبغى أن يكون الحرص والاجتهـاد فيما أمرتم بعمله و هوالعبادة و قـديتوهم قوم أنه ارتفع طلبه بالمضـنون كقولك المضـروب أخوه و هـذاغلط لأنه لم يضـمن طلبه وإنما ضـمن حصوله ولكنه ارتفع لأنه مبتـدأ وخبره أولى و هذاالمبتدأ والخبر فى موضع نصب لأنه خبر يكونن أوارتفع لأـنه بـدل من المضـنون و هـذاأحسن وأولى من الوجه الأـول و هوبـدل الاشـتمال . ثم ذكر أن رجعـة العمر غيرمرجوة ورجعـة الرزق مرجوة أوضح ذلك بأن الإنسان قديذهب منه اليوم درهم فيسـتعيضه أى يكتسب عوضه فى الغد دينارا و أماأمس نفسه فمستحيل أن يعود و لامثله لأن الغد و بعدالغد محسوب من عمره و ليس عوضا من الأمس الذاهب و هذاالكلام يقتضـى أن العمر مقدور و أن المكاسب والأرزاق إنما هى بالاجتهاد وليست محصورة مقدرة و هذايناقض فى الظاهر ماتقدم من قوله إن الرزق مضـمون فلاـتحرصوا عليه فاحتـاج الكلاـم إلى تأويـل و هو أن العمر هوالظرف ألـذى يوقع المكلف فيه الأعمـال الموجبـة له السـعادة العظمى المخلصـة له من الشـقاوة العظمى و ليس له ظرف يوقعها فيه إلا هوخاصة فكل جزء منه إذافات من غيرعمـل لمـا بعـدالموت فقـد فـات على الإنسان بفواته ما لاسبيل له إلى اسـتدراكه بعينه و لااغترام مثله لأن المثل ألـذى له إنما هوزمـان آخر و ليس ذلـك فى مقـدور الإنسـان والزمـان المسـتقبل ألـذى يعيش فيه الإنسان لم يكتسـبه هولينسب إليه فيقال إنه حصله عوضـا ممـا انقضـى وذهب من عمره وإنمـا هوفعـل غيره و مع ذلـك فهو معـد ومهيأ لأفعال من العبادة توقع فيه كما كان الجزء الماضى معدا لأفعال [صفحه ۲۶۱] توقع فيه فليس أحدهما عوضا عن الآخر و لاقائما مقامه و أماالمنافع الدنيوية كالمآكل والمشارب والأموال فإن الإنسان إذافاته شيءمنها قدر على ارتجاعه بعينه إن كانت عينه باقية و ما لاتبقى عينه يقدر على اكتساب مثله والرزق و إن كان مضـمونا من الله إلا أن للحركـة فيه نصيبا إما أن يكون شـرطا أو أن يكون هوبـذاته من أثر قـدرة الإنسان كحركته واعتمـاده وسـائر أفعـاله و يكـون الأـمر بالتوكـل والنهى عن الاجتهـاد فى طلب الرزق على هـذاالقول إنمـا هـونهى عن الحرص والجشع والتهالـك فى الطلب فإن ذلك قبيـح يـدل على دناءة الهمـة وسـقوطها. ثم هـذه الأغراض الدنيويـة إذاحصـلت أمثالهـا بعـدذهابها قـامت مقـام الـذاهب لأـن الأمر ألـذى يراد الـذاهب له يمكن حصوله بهـذا المكتسب و ليس كـذلك الزمان الـذاهب من العمر لأن العبادات والأعمال التى كان أمس متعينا لها لايمكن حصولها اليوم على حـد حصولها أمس فافترق البابان بـاب الأعمـال و بـاب الأرزاق . و قوله الرجاء مع الجائى واليأس مع الماضـى كلام يجرى مجرى المثل و هوتأكيـد للمعنى الأول وجعل الجائى مرجوا لأنه لايعلم غيبه قال الشاعر مامضـى فات والمقدر غيب || و لك الساعة التى أنت فيها و قوله حق تقاته أى حق تقيته أى خوفه اتقى يتقى تقية وتقاة ووزنها فعلة وأصلها الياء ومثلها اتخم تخمة واتهم تهمة [صفحه ۲۶۲]

۱۱۴– و من خطبة له ع فى الاستسقاء

اشاره

أللّهُمّ قَدِ انصَاحَت جِبَالُنَا وَ اغبَرّت أَرضُنَا وَ هَامَت دَوَابّنَا وَ تَحَيّرَت فِي مَرَابِضِهَا وَ عَجّت عَجِيجَ الثّكَالَى عَلَى أَولَادِهَا وَ مَلّتِ التّرَدّدَ فِي مَرَاتِعِهَا وَ الحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا أللّهُمّ فَارحَم أَنِينَ الآنّةِ وَ حَنِينَ الحَانّةِ أللّهُمّ فَارحَم حَيرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا وَ أَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا

أللّهُمّ خَرَجنَا إِلَيکَ حِينَ اعتکَرَت عَلَينَا حَدَابِيرُ السّنِينَ وَ أَخلَفَتنَا مَخَايِلُ الجُودِ فَکَنتَ الرّجَاءَ لِلمُبتَئِسِ وَ البَلَاغَ لِلمُلتَمِسِ نَدعُوکَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ وَ مُنِعَ الغَمَامُ وَ هَلَکَ السّوَامُ أَلّا تُؤَاخِذَنَا بِأَعمَالِنَا وَ لَا تَأخُذَنَا بِذُنُوبِنَا وَ انشُر عَلَينَا رَحمَتَکَ بِالسّحَابِ المُنبَعِقِ وَ الرّبِيعِ المُغدِقِ وَ النّبَاتِ المُونِقِ سَحّاً وَابِلًا تحُيِي بِهِ مَا قَد مَاتَ وَ تَرُدّ بِهِ مَا قَد فَاتَ أَللّهُمّ سُقيَا مِنکَ مُحيِيَةً مُروِيَةً تَامّةً عَامّةً طَيّبَةً مُبَارَکَةً هَنِيئَةً مَرِيئَةً مَرِيعَةً زَاکِياً نَبتُهَا ثَامِراً فَرعُهَا نَاضِراً وَرَقُهَا تُنعِشُ بِهَا الضّعِيفَ مِن عِبَادِکَ وَ تُحيِي بِهَا المَيّتَ مِن بِلَادِکَ أَللّهُمّ سُقيَا مِنکَ تُعشِبُ بِهَا نِجَادُنَا وَ تجَريِ بِهَا وِهَادُنَا وَ يُخصِبُ بِهَا جَنَابُنَا وَ تُقبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا وَ تَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا وَ تَندَى بِهَا أَقَاصِينَا وَ تَستَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا مِن بَرَکَاتِکَ الوَاسِعَةِ وَ عَطَايَاکَ الجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيّتِکَ المُرمِلَةِ وَ وَحشِکَ المُهمَلَةِ وَ أَنزِل عَلَينَا سَمَاءً مُخضِلَةً مِدرَاراً هَاطِلَةً يُدَافِعُ الوَدقُ مِنهَا الوَدقَ وَ يَحفِزُ القَطرُ مِنهَا [صفحه ۲۶۳] القَطرَ غَيرَ خُلّبٍ بَرقُهَا وَ لَا جَهَامٍ عَارِضُهَا وَ لَا قَزَعٍ رَبَابُهَا وَ لَا شَفّانٍ ذِهَابُهَا حَتّى يُخصِبَ لِإِمرَاعِهَا المُجدِبُونَ وَ يَحيَا بِبَرَکَتِهَا المُسنِتُونَ فَإِنّکَ تُنزِلُ الغَيثَ مِن بَعدِ مَا قَنَطُوا وَ تَنشُرُ رَحمَتَکَ وَ أَنتَ الوَلِيّ الحَمِيدُ قال الشريف الرضى رحمه الله تعالى قوله ع انصاحت جبالنا أى تشققت من المحول يقال انصاح الثوب إذاانشق ويقال أيضا انصاح النبت وصاح وصوح إذاجف ويبس كله بمعنى . و قوله وهامت دوابنا أى عطشت والهيام العطش . و قوله حدابير السنين جمع حدبار وهى الناقة التى أنضاها السير فشبه بهاالسنة التى فشا فيهاالجدب قال ذو الرمة -روايت-۱-۳۳۸ حدابير ماتنفک إلامناخة || على الخسف أونرمى بهابلدا قفرا و قوله و لاقزع ربابها القزع القطع الصغار المتفرقة من السحاب . و قوله و لاشفان ذهابها فإن تقديره و لاذات شفان ذهابها والشفان الريح الباردة والذهاب الأمطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به -روايت-۱-۲۰۴ [صفحه ۲۶۴] يجوز أن يريد بقوله وهامت دوابنا معنى غير مافسره الشريف الرضى رحمه الله به و هوندودها وذهابها على وجوهها لشدة المحل يقول هام على وجهه يهيم هيما وهيمانا. والمرابض مبارک الغنم وهى لها کالمواطن للإبل واحدها مربض بکسر الباء مثل مجلس وعجت صرخت ويحتمل الضمير فى أولادها أن يرجع إلى الثکالى أى کعجيج الثکالى على أولادهن ويحتمل أن يرجع إلى الدواب أى وعجت على أولادها کعجيج الثکالى وإنما وصفها بالتحير فى مرابضها لأنها لشدة المحل تتحير فى مبارکها و لاتدرى ماذا تصنع إن نهضت لترعى لم تجد رعيا و إن أقامت کانت إلى انقطاع المادة أقرب قوله وملت التردد فى مراتعها والحنين إلى مواردها و ذلک لأنها أکثرت من التردد فى الأماکن التى کانت تعهد مراتعها فيهافلم تجد مرتعا فملت الترداد إليها وکذلک ملت الحنين إلى الغدران والموارد التى کانت تعتادها للشرب فإنها حنت إليها لمافقدتها حتى ضجرت ويئست فملت مما لافائدة لها فيه . والآنة والحانة الشاة والناقة ويقال ما له حانة و لاآنة وأصل الأنين صوت المريض وشکواه من الوصب يقال أن يئن أنينا وأنانا وتأنانا. والموالج المداخل وإنما ابتدأ ع بذکر الأنعام و ماأصابها من الجدب اقتفاء بسنة رسول الله ص ولعادة العرب أماسنة رسول الله ص فإنه قال لو لاالبهائم الرتع والصبيان الرضع والشيوخ الرکع لصب -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-ادامه دارد [صفحه ۲۶۵] عليکم العذاب صبا -روايت-از قبل-۲۲ و قدذهب کثير من الفقهاء إلى استحباب إخراج البهائم فى صلاة الاستسقاء وتقدير دعائه ع أللهم إن کنت حرمتنا الغيث لسوء أعمالنا فارحم هذه الحيوانات التى لاذنب لها و لاتؤاخذها بذنوبنا و أماعادة العرب فإنهم کانوا إذاأصابهم المحل استسقوا بالبهائم ودعوا الله بها واسترحموه لها ومنهم من کان يجعل فى أذناب البقر السلع والعشر ويصعد بها فى الجبال والتلاع العالية وکانوا يسقون بذلک و قال الشاعر أجاعل أنت بيقورا مسلعة || ذريعة لک بين الله والمطر فاعتکرت ردف بعضها بعضا وأصل عکر عطف والعکرة الکرة و فى الحديث قال له قوم يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العکارون إن شاء الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۹۵ . والبيت ألذى ذکره الرضى رحمه الله لذى الرمة لاأعرفه إلاحراجيج وهکذا رأيته بخط ابن الخشاب رحمه الله والحرجوج الناقة الضامرة فى طول . و فيه مسألة نحوية وهى أنه کيف نقض النفى من ماتنفک و هو غيرجائز کما لايجوز مازال زيد إلاقائما وجوابها أن تنفک هاهنا تامة أى ماتنفصل ومناخة منصوب على الحال . قوله وأخلفتنا مخايل الجود أى کلما شمنا برقا واختلنا سحابا أخلفنا

و لم يمطر. والجود المطر الغزير ويروى مخايـل الجود بالضم . [صـفحه ۲۶۶] والمبتئس ذو البؤس والبلاـغ للملتمس أى الكفاية للطـالب . وتقول قنط فلان بالفتـح يقنط ويقنط بالكسـر والضم فهو قانط و فيه لغـة أخرى قنط بالكسـر يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعبا وقناطة أيضا فهو قنط وقرئفَلا تَكُن مِنَ القانِطِينَ. وإنما قال ومنع الغمام فبنى الفعل للمفعول به لأنه كره أن يضـيف المنع إلى الله تعـالى و هومنبع النعم فاقتضـى حسن الأـدب أنه لم يسم الفاعـل وروى منـع الغمـام أى ومنـع الغمـام القطر فحـذف المفعول والسوام المال الراعى. فإن قلت ماالفرق بين تؤاخـذنا و بين تأخـذنا. قلت المؤاخـذة دون الأخـذ لأن الأخذ الاستئصال والمؤاخذة عقوبـة و إن قلت . والسـحاب المنبعق المتبعـج بالمطر ومثله المتبعق ومثله البعاق والربيع المغدق الكثير والنبات المونق المعجب . وانتصب سـحا على المصدر والوابل المطر الشديد. ثم قال تحيي به ما قدمات أى يكاد يتلف بها من الزرع وترد به ما قدفات أى يسـتدرک به النـاس مافـاتهم من الزرع والحرث . والسـقيا مؤنثـة وهى الاـسم من سـقى والمريعـة الخصـيبة. وثامرا فرعها ذو ثمر كماقالوا لابن وتامر ذو لبن وتمر. وتنعش ترفع والنجاد جمع نجـد و هوماارتفع من الأرض والوهاد جمع وهد و هوالمطمئن منها وروى نجادنـا بالنصب على أنه مفعول . -قرآن-۲۰۲-۲۲۸ [صفحه ۲۶۷] قوله وتندى بهاأقاصـينا أى الأباعد منا ويندى بهاينتفع نديت بكذا أى انتفعت . والضواحى النواحى القريبة من المدينة العظمى والمرملة الفقيرة أرمل افتقر ونفد زاده ووحشک المهملة التى لاراعى لها و لاصاحب و لامشـفق . وسـماء مخضلة تخضل النبت أى تبله وروى مخضلة أى ذات نبات وزروع مخضلة يقال اخضـل النبت اخضـلالا أى ابتـل وإنما أنث السـماء و هوالمطر و هومـذكر لأنه أراد الأمطار والودق المطر ويحفز يـدفع بشـدة و إذادفع القطر القطر كـان أعظم وأغزر له . وبرق خلب لاـمطر معه وسـحاب جهام لاماء فيه والمجـدبون أهل الجـدب والمسـنتون الذين أصابتهم السنة وهى المحل والقحط الشديد

صلاة الاستسقاء وآدابها

واعلم أن صـلاة الاستسقاء عندأكثر الفقهاء سنة. و قال أبوحنيفة لاصلاة للاستسقاء قال أصحابه يعنى ليست سنة فى جماعة وإنما يجوز أن يصـلى الناس وحـدانا قالوا وإنما الاستسـقاء هوالـدعاء والاسـتغفار. و قال باقى الفقهاء كالشافعى و أبى يوسف و محمد وغيرهم بخلاـف ذلک قالوا و قـدروى أن رسول الله ص صـلى بالناس جماعـة فى الاستسـقاء فصـلى ركعتين جهر بالقراءة فيهما وحول رداءه ورفع يديه واستسـقى -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۱۲۸ قـالوا والسـنة أن يكون فى المصـلى و إذاأراد الإمام الخروج لـذلک وعظ الناس وأمرهم بالخروج من المظالم والتوبة من المعاصـى لأن ذلک يمنع القطر. [صـفحه ۲۶۸] قالوا و قدروى عن عبد الله بن مسـعود أنه قال إذابخس المكيال حبس القطر -روايت-۱-۲-روايت-۴۳-۷۲ . و قال مجاهـد فى قوله تعالى وَ يَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ قال دواب الأرض تلعنهم يقولون منعنا القطر بخطاياهم .قالوا ويأمر الإمام الناس بصوم ثلاثـة أيام قبل الخروج ثم يخرج فى اليوم الرابع وهم صـيام ويـأمرهم بالصدقـة ويستسـقى بالصـالحين من أهل بيت رسول الله ص كمافعل عمر ويحضـر معه أهل الصـلاح والخير ويستسـقى بالشـيوخ والصبيـان . واختلفـوا فى إخراج البهـائم فمنهـم من اسـتحب ذلـک ومنهم من كرهه ويكره إخراج أهل الذمـة فإن حضـروا من عندأنفسـهم لم يمنعوا والغسل والسواک فى صـلاة الاستسـقاء عندهم مسنونان و لايسـتحب فيهما التطيب لأن الحال لايقتضيه . وينبغى أن يكون الخروج بتواضع وخشوع وإخبات كماخرج رسول الله ص للاستسقاء.قالوا و لايؤذن لهذه الصلاة و لايقام وإنما ينادى لها الصلاة جامعة وهى ركعتان كصلاة العيد يكبر فى الأولى سبع تكبيرات و فى الثانية خمس تكبيرات .قالوا ويخطب بعدالصـلاة خطبتين و يكون دعاء الاستسـقاء فى الخطبة الأولى .قالوا فيقول أللهم اسـقنا غيثا مغيثا هنيئـا مريئـا مريعـا غـدقا مجللاـ طبقـا سـحا دائمـا أللهم اسـقنا الغيث و لاتجعلنـا من القـانطين أللهم إن بالعبـاد والبلاد من اللأواء

والضنک والجهد ما لانشکوه إلاإلیک أللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من برکات السماء أللهم اکشف عنا الجهد والجوع والعری واکشف عنا ما لایکشفه غیرک أللهم إنا نستغفرک إنک کنت غفارا فأرسل السماء علینا مدرارا. -قرآن-۳۱-۵۷ [صفحه ۲۶۹] قالوا ویستحب أن یستقبل القبلهٔ فی أثناء الخطبهٔ الثانیهٔ ویحول رداءه فیجعل ما علی الأیمن علی الأیسر و ما علی الأیسر علی الأیمن تفاؤلا بتحول الحال وکذا روی أن رسول الله ص فعل ویستحب للناس أن یحولوا أردیتهم مثله ویترکوها کماهی و لایعیدوها إلی حالها الأولی إلا إذارجعوا إلی منازلهم . ویستحب أن یدعو فی الخطبهٔ الثانیهٔ سرا فیجمع بین الجهر والسر کما قال سبحانه و تعالی إِنّیِ أَعلَنتُ لَهُم وَ أَسرَرتُ لَهُم إِسراراً وکقوله تعالی وَ اذکُر رَبّکَ فِی نَفسِکَ تَضَرّعاً وَ خِیفَهًٔ وَ دُونَ الجَهرِ مِنَ القَولِقالوا ویستحب رفع الید فی هذاالدعاء و أن یکثروا من الاستغفار لقوله تعالی استَغفِرُوا رَبّکُم إِنّهُ کانَ غَفّاراً یُرسِلِ السّماءَ عَلَیکُم مِدراراً فإن صلوا واستسقوا فلم یسقوا عادوا من الغد وصلوا واستسقوا و إن سقوا قبل الصلاهٔ صلوا شکرا وطلبا للزیادهٔ.قالوا ویستحب أن یقفوا تحت المطر حتی یصیبهم و أن یحسروا له عن رءوسهم و -قرآن-۳۸۴-۴۳۱-قرآن-۴۴۷-۵۲۴-قرآن-۶۰۱-۶۷۵ قدروی أن رسول الله ص حسر عن رأسه حتی أصابه مطر الاستسقاء -روایت-۱-۲-روایت-۱۰-۶۷ . ویستحب إذاسال الوادی أن یغتسلوا فیه ویتوضئوا منه . و قداستحب قوم من الفقهاء أن یخرج الناس للاستسقاء حفاهٔ حاسرین والأکثرون علی خلاف ذلک .فأما مذهب الشیعهٔ فی هذه المسألهٔ فأن یستقبل الإمام القبلهٔ بعدصلاهٔ الرکعتین فیکبر الله مائهٔ تکبیرهٔ ویرفع بهاصوته ویکبر من حضر معه ثم یلتفت عن یمینه فیسبح الله مائهٔ تسبیحهٔ یرفع بهاصوته ویسبح معه من حضر ثم یلتفت عن یساره فیهلل الله [صفحه ۲۷۰] مائهٔ مرهٔ یرفع بهاصوته و یقول من حضر مثل ذلک ثم یستقبل الناس بوجهه فیحمد الله مائهٔ مرهٔ یرفع بهاصوته و یقول معه من حضر مثل ذلک ثم یخطب بهذه الخطبهٔ المرویهٔ عن أمیر المؤمنین ع فی الاستسقاء فإن لم یتمکن منها اقتصر علی الدعاء

أخبار وأحادیث فی الاستسقاء

وجاء فی الأخبار الصحیحهٔ رؤیا رقیقهٔ فی الجاهلیهٔ وهی رقیقهٔ بنت أبی صیفی بن هاشم بن عبدمناف قالت رقیقهٔ تتابعت علی قریش سنون أقحلت الضرع وأرقت العظم فبینا أناراقدهٔ أللهم أومهومهٔ ومعی صنوی إذا أنابهاتف صیت یصرخ بصوت صحل یامعشر قریش إن هذا النبی المبعوث فیکم قدأظلتکم أیامه و هذاإبان نجومه فحیهلا۔ بالخصب والحیا ألا فانظروا رجلا منکم عظاما جساما أبیض بضا أوطف الأهداب [صفحه ۲۷۱] سهل الخدین أشم العرنین له سنهٔ تهدی إلیه ألا فلیخلص هو وولده ولیدلف إلیه من کل بطن رجل ألا فلیشنوا علیهم من الماء ولیمسوا من الطیب ولیطوفوا بالبیت سبعا ولیکن فیهم الطیب الطاهر لداته فلیستق الرجل ولیؤمن القوم ألا فغثتم إذا ماشئتم .قالت فأصبحت علم الله مذعورهٔ قدقف جلدی ووله عقلی فاقتصصت رؤیای علی الناس فذهبت فی شعاب مکهٔ فو الحرمهٔ والحرم إن بقی أبطحی إلا۔ و قال هذاشیبهٔ الحمد.فتتامت رجال قریش وانقض إلیه من کل بطن رجل فشنوا علیهم ماء ومسوا طیبا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أباقبیس وطفق القوم یدفون حول عبدالمطلب ما إن یدرک سعیهم مهلهٔ حتی استقروا بذروهٔ الجبل واستکفوا جانبیه .فقام فاعتضد ابن ابنه محمداص فرفعه علی عاتقه و هویومئذ غلام [صفحه ۲۷۲] قدأیفع أوکرب ثم قال أللهم ساد الخلهٔ وکاشف الکربهٔ أنت عالم غیرمعلم ومسئول غیرمبخل و هذه عبداؤک وإماؤک بعذارات حرمک یشکون إلیک سنتهم التی أذهبت الخف والظلف فاسمعن أللهم وأمطرن علینا غیثا مغدقا مریعا سحا طبقا دراکا.قالت فو رب الکعبهٔ ماراموا حتی انفجرت السماء بمائها واکتظ الوادی بثجیجه وانصرف الناس یقولون لعبد المطلب هنیئا لک سید البطحاء و فی روایهٔ أبی عبیدهٔ معمر بن المثنی قال فسمعنا شیخان قریش وجلتها عبد

الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد المطلب هنيئا لک أباالبطحاء و فی ذلک قال شاعر من قريش و قدروی هذاالشعر لرقيقة بشيبة الحمد أسقی الله بلدتنا || و قدفقدنا الحيا واجلوذ المطر فجاد بالماء وسمی له سبل || سحا فعاشت به الأنعام والشجر فی الحديث من رواية أنس بن مالک أصاب أهل المدينة قحط علی عهد رسول الله ص فقام إليه رجل و هويخطب يوم جمعة فقال يا رسول الله هلک الشاء هلک الزرع ادع الله لنا أن يسقينا فمد ع يده ودعا واستسقی -روايت-۱-۲-روايت-۳۷-ادامه دارد [صفحه ۲۷۳] و إن السماء کمثل الزجاجة فهاجت ريح ثم أنشأت سحابا ثم اجتمع ثم أرسلت عزاليها فخرجنا نخوض الماء حتی أتينا منازلنا ودام القطر فقام إليه الرجل فی اليوم الثالث فقال يا رسول الله تهدمت البيوت ادع الله أن يحبسه عنا فتبسم رسول الله ص ثم رفع يده و قال أللهم حوالينا و لاعلينا قال أنس فو ألذی بعث محمدا بالحق لقد نظرت إلی السحاب وإنه لقد انجاب حول المدينة کالإکليل -روايت-از قبل-۳۹۴ فی حديث عائشة أنه ع استسقی حين بدا قرن الشمس فقعد علی المنبر وحمد الله وکبره ثم قال إنکم شکوتم جدب ديارکم و قدأمرکم الله أن تدعوه ووعدکم أن يستجيب لکم فادعوه ثم رفع صوته فقال أللهم إنک أنت الغنی ونحن الفقراء فأنزل علينا الغيث و لاتجعلنا من القانطين أللهم اجعل ماتنزله علينا قوة لنا وبلاغا إلی حين برحمتک ياأرحم الراحمين فأنشأ الله سحابا فرعدت وبرقت ثم أمطرت فلم يأت ع منزله حتی سالت السيول فلما رأی سرعتهم إلی الکن ضحک حتی بدت نواجذه و قال أشهد أنی عبد الله ورسوله و أن الله علی کل شیءقدير -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۵۵۰ من دعائه ع فی الاستسقاء و قدرواه الفقهاء وغيرهم أللهم اسقنا وأغثنا أللهم اسقنا غيثا مغيثا وحيا ربيعا وجدا طبقا غدقا مغدقا مونقا عاما -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-ادامه دارد [صفحه ۲۷۴] هنيئا مريئا مريعا مربعا مرتعا وابلا سابلا-مسيلا مجللا-درا نافعا غيرضار عاجلا غيررائث غيثا أللهم تحيی به العباد وتغيث به البلاد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد أللهم أنزل علينا فی أرضنا زينتها وأنزل علينا فی أرضنا سکنها أللهم أنزل علينا ماء طهورا فأحی به بلدة ميتا واسقه مما خلقت لنا أنعاما وأناسی کثيرا -روايت-از قبل-۳۱۶ . وروی عبد الله بن مسعود أن عمر بن الخطاب خرج يستسقی بالعباس فقال أللهم إنا نتقرب إليک بعم نبيک وقفية آبائه وکبر رجاله فإنک قلت وقولک الحق وَ أَمّا الجِدارُ فَکانَ لِغُلامَينِ يَتِيمَينِ فِی المَدِينَةِالآية فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ أللهم نبيک فی عمه فقد دلونا به إليک مستشفعين ومستغفرين ثم أقبل علی الناس فقال استغفروا ربکم إنه کان غفارا. قال ابن مسعود رأيت العباس يومئذ و قدطال عمر وعيناه تنضحان وسبائبة تجول علی صدره و هو يقول أللهم أنت الراعی فلاتهمل الضالة و لاتدع الکسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الکبير وارتفعت الشکوی و أنت تعلم السر وأخفی أللهم أغثهم بغياثک من قبل أن يقنطوا فيهلکوا إنه لاييأس من رحمة الله إلاالقوم الکافرون . -قرآن-۱۵۶-۲۱۸ [صفحه ۲۷۵] قال فنشأت طريرة من سحاب و قال الناس ترون ترون ثم تلاءمت واستتمت ومشت فيهاريح ثم هدت ودرت فو الله مابرحوا حتی اعتلقوا الأحذية وقلصوا المآزر وطفق الناس يلوذون بالعباس يمسحون أرکانه ويقولون هنيئا لک ساقی الحرمين [صفحه ۲۷۶]

۱۱۵- و من خطبة له ع

أَرسَلَهُ دَاعِياً إِلَی الحَقّ وَ شَاهِداً عَلَی الخَلقِ فَبَلّغَ رِسَالَاتِ رَبّهِ غَيرَ وَانٍ وَ لَا مُقَصّرٍ وَ جَاهَدَ فِی اللّهِ أَعدَاءَهُ غَيرَ وَاهِنٍ وَ لَا مُعَذّرٍ إِمَامُ مَنِ اتّقَی وَ بَصَرُ مَنِ اهتَدَی قوله وشاهدا علی الخلق أی يشهد علی القوم الذين بعث إليهم وشهد لهم فيشهد علی العاصی بالعصيان والخلاف ويشهد للمطيع بالإطاعة والإسلام و هذا من قوله سبحانه و تعالی فَکَيفَ إِذا جِئنا مِن کُلّ أُمّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئنا بِکَ عَلی هؤُلاءِ شَهِيداً و من قوله تعالی وَ کُنتُ عَلَيهِم شَهِيداً ما دُمتُ فِيهِم. فإن قلت إذا کان الله تعالی عالما بکل شیء ومالکا

لكل أحد فأى حاجة إلى الشهادة قلت ليس بمنكر أن يكون فى ذلك مصلحة للمكلفين فى أديانهم من حيث إنه قدتقرر فى عقول الناس أن من يقوم عليه شاهد بأمر منكر قدفعله فإنه يخزى -قرآن-١٧٥-٢٥٤-قرآن-٢٧٤-٣١٥ [صفحه ٢٧٧] ويخجل وتنقطع حجته فإذاطرق أسماعهم أن الأنبياء تشهد عليهم والملائكة الحافظين تكتب أعمالهم كانوا عن مواقعة القبيح أبعد. والوانى الفاتر الكال والواهن الضعيف . والمعذر ألذى يعتذر عن تقصيره بغير عذر قال تعالى وَ جاءَ المُعَذّرُونَ مِنَ الأَعرابِ -قرآن-٢٢١-٢٥٦ مِنهَا وَ لَو تَعلَمُونَ مَا أَعلَمُ مِمّا طوُيِ‌َ عَنكُم غَيبُهُ إِذاً لَخَرَجتُم إِلَى الصّعُدَاتِ تَبكُونَ عَلَى أَعمَالِكُم وَ تَلتَدِمُونَ عَلَى أَنفُسِكُم وَ لَتَرَكتُم أَموَالَكُم لَا حَارِسَ لَهَا وَ لَا خَالِفَ عَلَيهَا وَ لَهَمّت كُلّ امرِئٍ مِنكُم نَفسُهُ لَا يَلتَفِتُ إِلَى غَيرِهَا وَ لَكِنّكُم نَسِيتُم مَا ذُكّرتُم وَ أَمِنتُم مَا حُذّرتُم فَتَاهَ عَنكُم رَأيُكُم وَ تَشَتّتَ عَلَيكُم أَمرُكُم وَ لَوَدِدتُ أَنّ اللّهَ فَرّقَ بيَنيِ وَ بَينَكُم وَ أَلحَقَنيِ بِمَن هُوَ أَحَقّ بيِ مِنكُم قَومٌ وَ اللّهِ مَيَامِينُ الرأّيِ مَرَاجِيحُ الحِلمِ مَقَاوِيلُ بِالحَقّ مَتَارِيكُ لِلبغَي‌ِ مَضَوا قُدُماً عَلَى الطّرِيقَةِ وَ أَوجَفُوا عَلَى المَحَجّةِ فَظَفِرُوا بِالعُقبَى الدّائِمَةِ وَ الكَرَامَةِ البَارِدَةِ أَمَا وَ اللّهِ لَيُسَلّطَنّ عَلَيكُم غُلَامُ ثَقِيفٍ الذّيّالُ المَيّالُ يَأكُلُ خَضِرَتَكُم وَ يُذِيبُ شَحمَتَكُم إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ [صفحه ٢٧٨] قال الرضى رحمه الله تعالى الوذحة الخنفساء و هذاالقول يومئ به إلى الحجاج و له مع الوذحة حديث ليس هذاموضع ذكره -روايت-١-١٢٣ الصعيد التراب ويقال وجه الأرض والجمع صعد وصعدات كطريق وطرق وطرقات والالتدام ضرب النساء صدورهن فى النياحة و لاخالف عليها لامستخلف . قوله ولهمت كل امرئ منكم نفسه أى أذابته وأنحلته هممت الشحم أى أذبته ويروى ولأهمت كل امرئ و هوأصح من الرواية الأولى أهمنى الأمر أى أحزننى. وتاه عن فلان رأيه أى عزب وضل . ثم ذكر أنه يود ويتمنى أن يفرق الله بينه وبينهم ويلحقه بالنبى‌ص وبالصالحين من أصحابه كحمزة و جعفر ع وأمثالهما ممن كان أمير المؤمنين يثنى عليه ويحمد طريقته من الصحابة فمضوا قدما أى متقدمين غيرمعرجين و لامعردين . وأوجفوا أسرعوا ويقال غنيمة باردة وكرامة باردة أى لم تؤخذ بحرب و لاعسف و ذلك لأن المكتسب بالحرب جار فى المعنى لمايلاقى ويعانى فى حصوله من المشقة. وغلام ثقيف المشار إليه هوالحجاج بن يوسف والذيال التائه وأصله من ذال أى تبختر وجر ذيله على الأرض والميال الظالم . ويأكل خضرتكم يستأصل أموالكم ويذيب شحمتكم مثله وكلتا اللفظتين استعارة. [صفحه ٢٧٩] ثم قال له كالمخاطب لإنسان حاضر بين يديه إيه أباوذحة إيه كلمه يستزاد بها من الفعل تقديره زد وهات أيضا ماعندك وضدها إيها أى كف وأمسك . قال الرضى رحمه الله والوذحة الخنفساء و لم أسمع هذا من شيخ من أهل الأدب و لاوجدته فى كتاب من كتب اللغة و لاأدرى من أين نقل الرضى رحمه الله ذلك ثم إن المفسرين بعدالرضى رحمه الله قالوا فى قصة هذه الخنفساء وجوها منها أن الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده وحذف بهافقرصته قرصا ورمت يده منها ورما كان فيه حتفه قالوا و ذلك لأن الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته كماقتل نمرود بن كنعان بالبقة التى دخلت فى أنفه فكان فيهاهلاكه . ومنها أن الحجاج كان إذارأى خنفساء تدب قريبة منه يأمر غلمانه بإبعادها و يقول هذه وذحة من وذح الشيطان تشبيها لها بالبعرة قالوا و كان مغرى بهذا القول والوذح مايتعلق بأذناب الشاة من أبعارها فيجف . ومنها أن الحجاج قال و قدرأى خنفساوات مجتمعات وا عجبا لمن يقول إن الله خلق هذه قيل فمن خلقها أيها الأمير قال الشيطان إن ربكم لأعظم شأنا أن يخلق هذه الوذح قالوا فجمعها على فعل كبدنة وبدن فنقل قوله هذا إلى الفقهاء فى عصره فأكفروه . ومنها أن الحجاج كان مثفارا و كان يمسك الخنفساء حية ليشفى بحركتها فى الموضع حكاكه قالوا و لا يكون صاحب هذاالداء إلاشائنا مبغضا لأهل البيت قالوا ولسنا نقول كل مبغض فيه هذاالداء وإنما قلنا كل من فيه هذاالداء فهو مبغض .قالوا و قدروى أبوعمر الزاهد و لم يكن من رجال الشيعة فى أماليه وأحاديثه عن السيارى [صفحه ٢٨٠] عن أبى خزيمة الكاتب قال مافتشنا أحدا فيه هذاالداء إلاوجدناه ناصبيا. قال أبوعمر وأخبرنى العطافى عن رجاله قالوا سئل جعفر بن محمد ع عن هذاالصنف من الناس فقال رحم منكوسة يؤتى و لايأتى و ماكانت هذه الخصلة فى ولى لله تعالى قط و لاتكون أبدا وإنما تكون فى الكفار

والفساق والناصب للطاهرين . و كان أبوجهل عمرو بن هشام المخزومى من القوم و كان أشد الناس عداوة لرسول الله ص قالوا ولذلك قال له عتبة بن ربيعة يوم بدر يامصفر استه .فهذا مجموع ماذكره المفسرون و ماسمعته من أفواه الناس فى هذاالموضع ويغلب على ظنى أنه أراد معنى آخر و ذلك أن عادة العرب أن تكنى الإنسان إذاأرادت تعظيمه بما هومظنة التعظيم كقولهم أبوالهول و أبوالمقدام و أبوالمغوار فإذاأرادت تحقيره والغض منه كنته بما يستحقر ويستهان به كقولهم فى كنية يزيد بن معاوية أبوزنة يعنون القرد وكقولهم فى كنية سعيد بن حفص البخارى المحدث أبوالفأر وكقولهم للطفيلى أبولقمة وكقولهم لعبد الملك أبوالذبان لبخره وكقول ابن بسام لبعض الرؤساء فأنت لعمرى أبو جعفر || ولكننا نحذف الفاء منه . و قال أيضا لئيم درن الثوب || نظيف القعب والقدر أبوالنتن أبوالدفر || أبوالبعر أبوالجعر . فلما كان أمير المؤمنين ع يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصى والذنوب [صفحه ٢٨١] التى لوشوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاء كناه أبووذحة ويمكن أيضا أن يكنيه بذلك لدمامته فى نفسه وحقارة منظره وتشويه خلقته فإنه كان قصيرا دميما نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير الساعدين مجدور الوجه أصلع الرأس فكناه بأحقر الأشياء و هوالبعرة. و قدروى قوم هذه اللفظة بصيغة أخرى فقالوا إيه أباودجة قالوا واحدة الأوداج كناه بذلك لأنه كان قتالا يقطع الأوداج بالسيف ورواه قوم أباوحرة وهى دويبة تشبه الحرباء قصيرة الظهر شبهه بها. و هذا و ماقبله ضعيف و ماذكرناه نحن أقرب الصواب [صفحه ٢٨٢]

١١٦- و من كلام له ع

فَلَا أَموَالَ بَذَلتُمُوهَا لِلّذِي رَزَقَهَا وَ لَا أَنفُسَ خَاطَرتُم بِهَا لِلّذِي خَلَقَهَا تَكرُمُونَ بِاللّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَا تُكرِمُونَ اللّهَ فِي عِبَادِهِ فَاعتَبِرُوا بِنُزُولِكُم مَنَازِلَ مَن كَانَ قَبلَكُم وَ انقِطَاعِكُم عَن أَوصَلِ إِخوَانِكُم انتصاب الأموال بفعل مقدر دل عليه بذلتموها وكذلك أنفس يقول لم تبذلوا أموالكم فى رضا من رزقكم إياها و لم تخاطروا بأنفسكم فى رضا الخالق لها والأولى بكم أن تبذلوا المال فى رضا رازقه والنفس فى رضا خالقها لأنه ليس أحد أحق منه بالمال والنفس وبذلهما فى رضاه . ثم قال من العجب أنكم تطلبون من عباد الله أن يكرموكم ويطيعوكم لأجل الله وانتمائكم إلى طاعته ثم إنكم لاتكرمون الله و لاتطيعونه فى نفع عباده والإحسان إليهم . ومحصول هذاالقول كيف تسيمون الناس أن يطيعوكم لأجل الله ثم إنكم أنتم لاتطيعون الله ألذى تكلفون الناس أن يطيعوكم لأجله ثم أمرهم باعتبارهم بنزولهم منازل من كان قبلهم و هذامأخوذ من قوله [صفحه ٢٨٣] تعالى وَ سَكَنتُم فِي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم وَ تَبَيّنَ لَكُم كَيفَ فَعَلنا بِهِم وَ ضَرَبنا لَكُمُ الأَمثالَ. وروى عن أصل إخوانكم و ذلك بموت الأب فإنه ينقطع أصل الأخ الواشج بينه و بين أخيه والرواية الأولى أظهر -قرآن-٨-١٢٦ [صفحه ٢٨٤]

١١٧- و من كلام له ع

أَنتُمُ الأَنصَارُ عَلَى الحَقّ وَ الإِخوَانُ فِي الدّينِ وَ الجُنَنُ يَومَ البَأسِ وَ البِطَانَةُ دُونَ النّاسِ بِكُم أَضرِبُ المُدبِرَ وَ أَرجُو طَاعَةَ المُقبِلِ فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيّةٍ مِنَ الغِشّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرّيبِ فَوَاللّهِ إِنّي لَأَولَى النّاسِ بِالنّاسِ الجنن جمع جنة وهى مايستر به وبطانة الرجل خواصه وخالصته الذين لايطوى عنهم سره . فإن قلت أماضربه بهم المدبر فمعلوم يعنى الحرب فما معنى قوله ع وأرجو طاعة المقبل قلت لأن من ينضوى إليه من المخالفين إذارأى ما عليه شيعته وبطانته من الأخلاق الحميدة والسيرة الحسنة أطاعه بقلبه باطنا بعد أن كان انضوى إليه ظاهرا. واعلم أن هذاالكلام قاله أمير المؤمنين ع للأنصار بعدفراغه من حرب الجمل و قدذكره المدائنى والواقدى فى كتابيهما [صفحه ٢٨٥]

۱۱۸– و من كلام له ع و قدجمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا

فقال ع مَا بَالُكُم أَ مُخرَسُونَ أَنتُم فَقَالَ قَومٌ مِنهُم يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ إِن سِرتَ سِرنَا مَعَكَ فَقَالَ ع مَا بَالُكُم لَا سُدِّدتُم لِرُشدٍ وَ لَا هُدِيتُم لِقَصدٍ أَ فِي مِثلِ هَذَا يَنبَغِي لِي أَن أَخرُجَ وَ إِنّمَا يَخرُجُ فِي مِثلِ هَذَا رَجُلٌ مِمّن أَرضَاهُ مِن شُجعَانِكُم وَ ذوَيِ بَأسِكُم وَ لَا يَنبَغِي لِي أَن أَدَعَ الجُندَ وَ المِصرَ وَ بَيتَ المَالِ وَ جِبَايَةَ الأَرضِ وَ القَضَاءَ بَينَ المُسلِمِينَ وَ النّظَرَ فِي حُقُوقِ المُطَالِبِينَ ثُمّ أَخرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتبَعُ أُخرَى أَتَقَلقَلُ تَقَلقُلَ القِدحِ فِي الجَفِيرِ الفَارِغِ وَ إِنّمَا أَنَا قُطبُ الرّحَى تَدُورُ عَلَيّ وَ أَنَا بِمَكَانِي فَإِذَا فَارَقتُهُ استَحَارَ مَدَارُهَا وَ اضطَرَبَ ثِفَالُهَا هَذَا لَعَمرُ اللّهِ الرّأيُ السّوءُ وَ اللّهِ لَو لَا رجَاَئيِ الشّهَادَةَ عِندَ لقِاَئيِ العَدُوّ وَ لَو قَد حُمّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرّبتُ رِكَابِي ثُمّ شَخَصتُ عَنكُم فَلَا أَطلُبُكُم مَا اختَلَفَ جَنُوبٌ وَ شَمَالٌ طَعّانِينَ عَيّابِينَ حَيّادِينَ رَوّاغِينَ إِنّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثرَةِ عَدَدِكُم مَعَ قِلّةِ اجتِمَاعِ قُلُوبِكُم لَقَد حَمَلتُكُم عَلَى الطّرِيقِ الوَاضِحِ التّيِ لَا يَهلِكُ عَلَيهَا إِلّا هَالِكٌ مَنِ استَقَامَ فَإِلَى الجَنّةِ وَ مَن زَلّ فَإِلَى النّارِ [صفحه ۲۸۶] سكتوا مليا أي ساعة طويلة ومضى ملي من النار كذلك قال الله تعالى وَ اهجُرنيِ مَلِيّا وأقمت عندفلان ملاوة وملاوة وملاوة من الدهر بالحركات الثلاث أي حينا وبرهة وكذلك أقمت ملوة وملوة وملوة بالحركات الثلاث . و قوله أمخرسون أنتم اسم المفعول من أخرسه الله وخرس الرجل والخرس المصدر. والكتيبة قطعة من الجيش والتقلقل الحركة في اضطراب والقدح السهم والجفير الكنانة وقيل وعاء للسهام أوسع من الكنانة. واستحار مدارها اضطرب والمدار هاهنا مصدر والثقال بكسر الثاء جلد يبسط وتوضع الرحى فوقه فتطحن باليد ليسقط عليه الدقيق . وحم أي قدر والركاب الإبل وشخصت عنكم خرجت ثم وصفهم بعيب الناس والطعن فيهم وأنهم يحيدون عن الحق و عن الحرب أي ينحرفون ويروغون كمايروغ الثعلب . ثم قال إنه لاغناء عندكم و إن اجتمعتم بالأبدان مع تفرقي القلوب والغناء بالفتح والمد النفع . وانتصب طعانين على الحال من الضمير المنصوب في أطلبكم . –قرآن–۶۹–۸۸ [صفحه ۲۸۷] و هذاكلام قاله أمير المؤمنين ع في بعض غارات أهل الشام على أطراف أعماله بالعراق بعدانقضاء أمر صفين والنهروان و قدذكرنا سببه ووقعته فيما تقدم . فإن قلت كيف قال الطريق الواضح فذكره ثم قال لايهلك فيهافأنثه قلت لأن الطريق يذكر ويؤنث تقول الطريق الأعظم والطريق العظمى فاستعمل اللغتين معا [صفحه ۲۸۸]

۱۱۹– و من كلام له ع

تَاللّهِ لَقَد عُلّمتُ تَبلِيغَ الرّسَالَاتِ وَ إِتمَامَ العِدَاتِ وَ تَمَامَ الكَلِمَاتِ وَ عِندَنَا أَهلَ البَيتِ أَبوَابُ الحُكمِ وَ ضِيَاءُ الأَمرِ أَلَا وَ إِنّ شَرَائِعَ الدّينِ وَاحِدَةٌ وَ سُبُلَهُ قَاصِدَةٌ مَن أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَ غَنِمَ وَ مَن وَقَفَ عَنهَا ضَلّ وَ نَدِمَ اعمَلُوا لِيَومٍ تُذخَرُ لَهُ الذّخَائِرُ وَ تُبلَى فِيهِ السّرَائِرُ وَ مَن لَا يَنفَعُهُ حَاضِرُ لُبّهِ فَعَازِبُهُ عَنهُ أَعجَزُ وَ غَائِبُهُ أَعوَزُ وَ اتّقُوا نَاراً حَرّهَا شَدِيدٌ وَ قَعرُهَا بَعِيدٌ وَ حِليَتُهَا حَدِيدٌ وَ شَرَابُهَا صَدِيدٌ.أَلَا وَ إِنّ اللّسَانَ الصّالِحَ يَجعَلُهُ اللّهُ تَعَالَى لِلمَرءِ فِي النّاسِ خَيرٌ لَهُ مِنَ المَالِ يُورِثُهُ مَن لَا يَحمَدُهُ رواها قوم لقد علمت بالتخفيف وفتح العين والرواية الأولى أحسن فتبليغ الرسالات تبليغ الشرائع بعدوفاة الرسول ص إلى المكلفين و فيه إشارة إلى قوله تعالى يُبَلّغُونَ رِسالاتِ اللّهِ وَ يَخشَونَهُ وَ لا يَخشَونَ أَحَداً إِلّا اللّهَ و إلى –قرآن–۱۶۴–۲۴۰ قول النبي ص في قصة براءة لايؤدي عني إلا أنا و رجل مني –روايت–۱–۲–روايت–۳۰–۶۳ . [صفحه ۲۸۹] وإتمام العدات إنجازها و فيه إشارة إلى قوله تعالى مِنَ المُؤمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيهِ و إلى –قرآن–۵۵–۱۱۴ قول النبي ص في حقه ع قاضي ديني ومنجز موعدي –روايت–۱–۲–روايت–۲۸–۵۳ . وتمام الكلمات تأويل القرآن و فيه إشارة إلى قوله تعالى وَ تَمّت كَلِمَةُ رَبّكَ صِدقاً وَ عَدلًا و إلى –قرآن–۶۳–۱۰۳ قول النبي في حقه ع أللهم اهد قلبه وثبت لسانه –روايت–۱–۲–روايت–۲۵–۵۵ . وخلاصة هذا أنه أقسم بالله أنه قدعلم أوعلم على اختلاف الروايتين أداء الشرائع إلى المكلفين والحكم بينهم بما أنزله الله وعلم مواعيد رسول الله التي وعد بهافمنها ما

هووعـد لواحـد من الناس بأمر نحو أن يقول له سأعطيک کـذا ومنها ما هووعـد بأمر يحـدث کأخبار الملاحم والأمور المتجددة وعلم تمـام کلمـات الله تعـالی أی تأويلهـا وبيانهـا ألـذی يتم به لأـن فی کلاـمه تعالی المجمل ألـذی لايسـتغنی عن متمم ومبين يوضـحه . ثم کشف الغطـاء وأوضـح المراد فقـال وعنـدنا أهل البيت أبواب الحکم يعنی الشـرعيات والفتاوی وضـياء الأمر يعنی العقليات والعقائـد و هـذامقام عظيم لايجسـر أحد من المخلوقين أن يدعيه سواه ع و لوأقدم أحد علی ادعائه غيره لکذب وکذبه الناس . و أهل البيت منصوب علی الاختصاص . وسـبله قاصدة أی قريبـة سـهلة ويقال بيننا و بين الماء ليلة قاصدة ورافهة أی هينة المسير لاـتعب و لابطـء. وتبلی فيه السـرائر أی تختبر. ثم قـال من لاـينفعه لبه الحاضـر وعقله الموجود فهو بعـدم الانتفاع بما هو غيرحاضر [صفحه ۲۹۰] و لاموجود من العقل عنـده أولی وأحری أی من لم يکن له من نفسه و من ذاته وازع وزاجر عن القبيح فبعيـد أن ينزجر و أن يرتـدع بعقـل غيره وموعظـة غيره له کماقيل وزاجر من النفس خير من عتاب العواذل . ثم ذکر النار فحـذر منهـا. و قـوله حليتهـا حديـد يعنی القيـود والأغلاـل . ثم ذکر أن الـذکر الطيب يخلفه الإنسـان بين النـاس خير له من مـال يجمعه ويورثه من لايحمـده و جاء فی الأثر أن أمير المؤمنين جاءه مخبر فأخبره أن مالا له قدانفجرت فيه عين خرارة يبشـره بذلک فقال بشـر الوارث بشـر الوارث يکررها ثم وقف ذلک المال علی الفقراء وکتب به کتابا فی تلک الساعـة –روايت–۱–۲–روايت–۱۵–۲۰۰ [صفحه ۲۹۱]

۱۲۰– و من کلام له ع

وَ قَد قَامَ إِلَيهِ رَجُلٌ مِن أَصحَابِهِ فَقَالَ نَهَيتَنَا عَنِ الحُکُومَةِ ثُمّ أَمَرتَنَا بِهَا فَمَا نـَدرِي أَيّ الأَمرَينِ أَرشَدُ فَصَفّقَ ع إِحـدَی يَدَيهِ عَلَی الأُخرَی ثُمّ قَالَ هَذَا جَزَاءُ مَن تَرَکَ العُقـدَةَ أَمَا وَ اللّهِ لَو أنَيّ حِينَ أَمَرتُکُم بِمَا أَمَرتُکُم بِهِ حَمَلتُکُم عَلَی المَکرُوهِ ألّذِي يَجعَلُ اللّهُ فِيهِ خَيراً فَإِنِ استَقَمتُم هَدَيتُکُم وَ إِنِ اعوَجَجتُم قَوّمتُکُم وَ إِن أَبَيتُم تَدَارَکتُکُم لَکَانَتِ الوُثقَی وَ لَکِن بِمَن وَ إِلَی مَن أُرِيـدُ أَن أُدَاوِيَ بِکُم وَ أَنتُم دائِي کَنَاقِشِ الشّوکَةِ بِالشّوکَةِ وَ هُوَ يَعلَمُ أَنّ ضَلعَهَا مَعَهَا أللّهُمّ قَد مَلّت أَطِبّاءُ هَذَا الدّاءِ الدوِيّ وَ کَلّتِ النّزَعَةُ بِأَشطَانِ الرکّيِّ أَينَ القَومُ الّذِينَ دُعُوا إِلَی الإِسلَامِ فَقَبِلُوهُ وَ قَرَءُوا القُرآنَ فَأَحکَمُوهُ وَ هِيجُوا إِلَی الجِهَادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللّقَاحِ إِلَی أَولَادِهَا وَ سَلَبُوا السّيُوفَ أَغمَادَهَا وَ أَخَذُوا بِأَطرَافِ الأَرضِ زَحفاً زَحفاً وَ صَفّاً صَفّاً بَعضٌ هَلَکَ وَ بَعضٌ نَجَا لَا يُبَشّرُونَ بِالأَحيَاءِ وَ لَا يُعَزّونَ عَنِ المَوتَی مُرهُ العُيُونِ مِنَ البُکَاءِ خُمصُ البُطُونِ مِنَ الصّيَامِ ذُبُلُ الشّفَاهِ مِنَ الدّعَاءِ صُفرُ الأَلوَانِ مِنَ السّهَرِ عَلَی وُجُوهِهِم غَبَرَةُ الخَاشِعِينَ أُولَئِکَ إِخوَانِي الذّاهِبُونَ فَحَقّ لَنَا أَن نَظمَأَ إِلَيهِم وَ نَعَضّ الأَيدِيَ عَلَی فِرَاقِهِم إِنّ الشّيطَانَ يُسَنّيّ لَکُم طُرُقَهُ وَ يُرِيدُ أَن يَحُلّ دِينَکُم عُقدَةً عُقدَةً وَ يُعطِيَکُم [صفحه ۲۹۲] بِالجَمَاعَةِ الفُرقَةَ وَ بِالفُرقَةِ الفِتنَةَ فَاصدِفُوا عَن نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ وَ اقبَلُوا النّصِيحَةَ مِمّن أَهدَاهَا إِلَيکُم وَ اعقِلُوهَا عَلَی أَنفُسِکُم هذه شـبهة من شـبهات الخوارج ومعناها أنک نهيت عن الحکومة أولا ثم أمرت بهاثانيا فإن کانت قبيحة کنت بنهيک عنها مصـيبا وبأمرک بهامخطئا و إن کانت حسـنة کنت بنهيک عنها مخطئا وبأمرک بهامصـيبا فلابـد من خطئک علی کل حال . وجوابها أن للإمام أن يعمل بموجب مايغلب علی ظنه من المصـلحة فهو ع لمانهاهم عنهـا کـان نهيه عنها مصـلحة حينئـذ و لماأمرهم بهاکانت المصـلحة فی ظنه قـدتغيرت فأمرهم علی حسب ماتبـدل وتغير فی ظنه کـالطبيب ألـذی ينهی المريض اليـوم عـن أمر ويـأمره بمثلـه غـدا. و قـوله هـذاجزاء مـن ترک العقـدة يعنی الرأی الوثيـق و فی هذاالکلام اعتراف بأنه بان له وظهر فيما بعد أن الرأی الأصـلح کان الإصـرار والثبات علی الحرب و أن ذلک و إن کان مکروها فإن الله تعالی کان يجعل الخيرة فيه کما قال سبحانه فَعَسی أَن تَکرَهُوا شَيئاً وَ يَجعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً کَثِيراً ثم قال کنت أحملکم علی الحرب وترک الالتفـات إلی مکيـدة معاويـة وعمرو من رفع المصاحف فإن اسـتقمتم لی اهتـديتم بی و إن لم تسـتقيموا فـذلک

ينقسم إلى قسمين أحدهما أن تعوجوا أى يقع منكم بعض الالتواء ويسير من العصيان كفتور الهمة وقلة الجد فى الحرب والثانى التأنى والامتناع المطلق من الحرب فإن كان الأول قومتكم -قرآن-٧٢٢-٧٨٨ [صفحه ٢٩٣] بالتأديب والإرشاد وإرهاق الهمم والعزائم بالتبصير والوعظ والتحريض والتشجيع و إن كان الثانى تداركت الأمر معكم إما بالاستنجاد بغيركم من قبائل العرب و أهل خراسان والحجاز فكلهم كانوا شيعته وقائلين بإمامته أوبما أراه فى ذلك الوقت من المصلحة التى تحكم بهاالحال الحاضرة. قال لوفعلت ذلك لكانت هى العقدة الوثقى أى الرأى الأصوب الأحزم . فإن قلت أفتقولون إنه أخطأ فى العدول عن هذاالرأى قلت لانقول إنه أخطأ بمعنى الإثم لأنه إنما فعل ماتغلب على ظنه أنه المصلحة و ليس الواجب عليه إلا ذلك ولكنه ترك الرأى الأصوب كما قال الحسن هلا مضيت قدما لا أبا لك و لايلحق الإثم من غلب على ظنه فى حكم السياسة أمر فاعتمده ثم بان له أن الأصوب كان خلافه و قدقيل إن قوله لقد عثرت عثرة لاتنجبر || سوف أكيس بعدها وأستمر وأجمع الرأى الشتيت المنتشر إشارة إلى هذاالمعنى وقيل فيه غير ذلك مما قدمنا ذكره قبل . و قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ رضى الله عنه من عرفه عرف أنه غيرملوم فى الانقياد معهم إلى التحكيم فإنه مل من القتل وتجريد السيف ليلا ونهارا حتى ملت الدماء من إراقته لها وملت الخيل من تقحمه الأهوال بها وضجر من دوام تلك الخطوب الجليلة والأرزاء العظيمة واستلاب الأنفس وتطاير الأيدى والأرجل بين يديه وأكلت الحرب أصحابه وأعداءه وعطلت السواعد وخدرت الأيدى التى سلمت من وقائع السيوف بها و لو أن أهل الشام لم يستعفوا من الحرب ويستقيلوا من [صفحه ٢٩٤] المقارعة والمصادمة لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معا ولزومهم الأرض وإلقائهم السلاح فإن الحال أفضت بعظمها و هولها إلى مايعجز اللسان عن وصفه . واعلم أنه ع قال هذاالقول واستدرك بكلام آخر حذرا أن يثبت على نفسه الخطأ فى الرأى فقال لقد كان هذارأيا لو كان لى من يطيعنى فيه ويعمل بموجبة وأستعين به على فعله ولكن بمن كنت أعمل ذلك و إلى من أخلد فى فعله أماالحاضرون لنصرى فأنتم وحالكم معلومة فى الخلاف والشقاق والعصيان و أماالغائبون من شيعتى كأهل البلاد النائية فإلى أن يصلوا يكون قدبلغ العدو غرضه منى و لم يبق من أخلد إليه فى إصلاح الأمر وإبرام هذاالرأى ألذى كان صوابا لواعتمد إلا أن أستعين ببعضكم على بعض فأكون كناقش الشوكة بالشوكة و هذامثل مشهور لاتنقش الشوكة بالشوكة فإن ضلعها لها والضلع الميل يقول لاتستخرج الشوكة الناشبة فى رجلك بشوكة مثلها فإن إحداهما فى القوة والضعف كالأخرى فكما أن الأولى انكسرت لماوطئتها فدخلت فى لحمك فالثانية إذاحاولت استخراج الأولى بهاتنكسر وتلج فى لحمك . ثم قال أللهم إن هذاالداء الدوى قدملت أطباؤه والدوى الشديد كماتقول ليل أليل . وكلت النزعة جمع نازع و هو ألذى يستقى الماء والأشطان جمع شطن و هوالحبل والركى الآبار جمع ركية وتجمع أيضا على ركايا. ثم قال أين القوم هذاكلام متأسف على أولئك متحسر على فقدهم . والوله شدة الحب حتى يذهب العقل وله الرجل . واللقاح بكسر اللام الإبل والواحدة لقوح وهى الحلوب مثل قلاص وقلوص . [صفحه ٢٩٥] قوله وأخذوا بأطراف الأرض أى أخذوا على الناس بأطراف الأرض أى حصروهم يقال لمن استولى على غيره وضيق عليه قدأخذ عليه بأطراف الأرض قال الفرزدق أخذنا بأطراف السماء عليكم || لنا قمراها والنجوم الطوالع . وزحفا زحفا منصوب على المصدر المحذوف الفعل أى يزحفون زحفا والكلمة الثانية تأكيد للأولى وكذلك قوله وصفا صفا. ثم ذكر أن بعض هؤلاء المتأسف عليهم هلك وبعض نجا و هذاينجى قوله تعالى فَمِنهُم مَن قَضى نَحبَهُ وَ مِنهُم مَن يَنتَظِرُ. ثم ذكر أن هؤلاء قوم وقذتهم العبادة وانقطعوا عن الناس وتجردوا عن العلائق الدنيوية فإذاولد لأحدهم مولود لم يبشر به و إذامات له ميت لم يعز عنه . ومرهت عين فلان بكسر الراء إذافسدت لترك الكحل لكن أمير المؤمنين ع جعل مره عيون هؤلاء من البكاء من خوف خالقهم سبحانه وذكر أن بطونهم من خماص الصوم وشفاههم ذابلة من الدعاء ووجوههم مصفرة من السهر لأنهم يقومون الليل و على وجوههم غبرة الخشوع . ثم قال أولئك إخوانى الذاهبون فإن قلت من هؤلاء الذين يشير ع إليهم قلت هم قوم كانوا فى نأنأة الإسلام و فى زمان ضعفه وخموله أرباب زهد وعبادة وجهاد

شدید فی سبیل الله کمصعب بن عمیر من بنی عبدالدار وکسعد بن معاذ من الأوس وکجعفر بن أبی طالب و عبد الله بن رواحهٔ وغیرهم ممن استشهد من الصالحین -قرآن-۱۹۲-۲۴۰ [صفحه ۲۹۶] أرباب الدین والعبادهٔ والشجاعهٔ فی یوم أحد و فی غیره من الأیام فی حیاهٔ رسول الله ص وکعمار و أبی ذر والمقداد وسلمان وخباب وجماعهٔ من أصحاب الصفهٔ وفقراء المسلمین أرباب العبادهٔ الذین قدجمعوا بین الزهد والشجاعهٔ و قدجاء فی الأخبار الصحیحهٔ أن رسول الله ص قال إن الجنهٔ لتشتاق إلی أربعهٔ علی وعمار و أبی ذر والمقداد -روایت-۱-۲-روایت-۵۲-۱۰۹ جاء فی الأخبار الصحیحهٔ أیضا أن جماعهٔ من أصحاب الصفهٔ مر بهم أبوسفیان بن حرب بعدإسلامه فعضوا أیدیهم علیه وقالوا وا أسفاه کیف لم تأخذ السیوف مأخذها من عنق عدو الله و کان معه أبوبکر فقال لهم أتقولون هذالسید البطحاء فرفع قوله إلی رسول الله ص فأنکره و قال لأبی بکر انظر لاتکون أغضبتهم فتکون قدأغضبت ربک فجاء أبوبکر إلیهم وترضاهم وسألهم أن یستغفروا له فقالوا غفر الله لک -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-۳۹۹ . قوله فحق لنا یقال حق له أن یفعل کذا و هوحقیق به و هومحقوق به أی خلیق له والجمع أحقاء ومحقوقون . ویسنی یسهل وصدف عن الأمر یصدف أی انصرف عنه ونزغات الشیطان ماینزغ به بالفتح أی یفسد ویغری ونفثاته ماینفث به وینفث بالضم والکسر أی یخیل ویسحر. واعقلوها علی أنفسکم أی اربطوها والزموها [صفحه ۲۹۷]

۱۲۱– و من کلام له ع قاله للخوارج

وَ قَد خَرَجَ إِلَی مُعَسکَرِهِم وَ هُم مُقِیمُونَ عَلَی إِنکَارِ الحُکُومَهِٔ فَقَالَ ع أَ کُلّکُم شَهِدَ مَعَنَا صِفّینَ فَقَالُوا مِنّا مَن شَهِدَ وَ مِنّا مَن لَم یَشهَد قَالَ فَامتَازُوا فِرقَتَینِ فَلیَکُن مَن شَهِدَ صِفّینَ فِرقَهًٔ وَ مَن لَم یَشهَدهَا فِرقَهًٔ حَتّی أُکَلّمَ کُلّا مِنکُم بِکَلَامِهِ وَ نَادَی النّاسَ فَقَالَ أَمسِکُوا عَنِ الکَلَامِ وَ أَنصِتُوا لقِوَلیِ وَ أَقبِلُوا بِأَفئِدَتِکُم إلِیَ‌ّ فَمَن نَشَدنَاهُ شَهَادَهًٔ فَلیَقُل بِعِلمِهِ فِیهَا ثُمّ کَلّمَهُم ع بِکَلَامٍ طَوِیلٍ مِن جُملَتِهِ أَن قَالَ ع أَ لَم تَقُولُوا عِندَ رَفعِهِمُ المَصَاحِفَ حِیلَهًٔ وَ غِیلَهًٔ وَ مَکراً وَ خَدِیعَهًٔ إِخوَانُنَا وَ أَهلُ دَعوَتِنَا استَقَالُونَا وَ استَرَاحُوا إِلَی کِتَابِ اللّهِ سُبحَانَهُ فَالرّأیُ القَبُولُ مِنهُم وَ التّنفِیسُ عَنهُم فَقُلتُ لَکُم هَذَا أَمرٌ ظَاهِرُهُ إِیمَانٌ وَ بَاطِنُهُ عُدوَانٌ وَ أَوّلُهُ رَحمَهٌٔ وَ آخِرُهُ نَدَامَهٌٔ فَأَقِیمُوا عَلَی شَأنِکُم وَ الزَمُوا طَرِیقَتَکُم وَ عَضّوا عَلَی الجِهَادِ بَنَوَاجِذِکُم وَ لَا تَلتَفِتُوا إِلَی نَاعِقٍ نَعَقَ إِن أُجِیبَ أَضَلّ وَ إِن تُرِکَ ذَلّ فَلَقَد کُنّا مَعَ رَسُولِ اللّهِص وَ إِنّ القَتلَ لَیَدُورُ عَلَی الآبَاءِ وَ الأَبنَاءِ [صفحه ۲۹۸] وَ الإِخوَانِ وَ القَرَابَاتِ فَمَا نَزدَادُ عَلَی کُلّ مُصِیبَهٍٔ وَ شِدّهٍٔ إِلّا إِیمَاناً وَ مُضِیّاً عَلَی الحَقّ وَ تَسلِیماً لِلأَمرِ وَ صَبراً عَلَی مَضَضِ الجِرَاحِ وَ لَکِنّا إِنّمَا أَصبَحنَا نُقَاتِلُ إِخوَانَنَا فِی الإِسلَامِ عَلَی مَا دَخَلَ فِیهِ مِنَ الزّیغِ وَ الِاعوِجَاجِ وَ الشّبهَهِٔ وَ التّأوِیلِ فَإِذَا طَمِعنَا فِی خَصلَهٍٔ یَلُمّ اللّهُ بِهَا شَعَثَنَا وَ نَتَدَانَی بِهَا إِلَی البَقِیّهِٔ فِیمَا بَینَنَا رَغِبنَا فِیهَا وَ أَمسَکنَا عَمّا سِوَاهَا هذاالکلام یتلو بعضه بعضا ولکنه ثلاثهٔ فصول لایلتصق أحدها بالآخر و هذه عادهٔ الرضی تراه ینتخب من جملهٔ الخطبهٔ الطویلهٔ کلمات فصیحهٔ یوردها علی سبیل التتالی ولیست متتالیهٔ حین تکلم بهاصاحبها وسنقطع کل فصل منها عن صاحبه إذامررنا علی متنها. قوله إلی معسکرهم الکاف مفتوحهٔ و لایجوز کسرها و هوموضع العسکر ومحطه . وشهد صفین حضرها قال تعالی فَمَن شَهِدَ مِنکُمُ الشّهرَ. قوله فامتازوا أی انفردوا قال تعالی وَ امتازُوا الیَومَ أَیّهَا المُجرِمُونَ. قوله حتی أکلم کلا منکم بکلامه أی بالکلام ألذی یلیق به والغیلهٔ الخداع والناعق المصوت . قوله إن أجیب ضل و إن ترک ذل ... هوآخر الفصل الأول و قوله ضل أی ازداد ضلالا لأنه قدضل قبل أن یجاب . -قرآن-۳۵۱-۳۷۸-قرآن-۴۱۷-۴۵۶ [صفحه ۲۹۹] فأما قوله فلقد کنا مع رسول الله ص فهو من کلام آخر و هوقائم بنفسه إلی قوله وصبرا علی مضض الجراح فهذا آخر الفصل الثانی.فأما قوله لکنا إنما أصبحنا فهو کلام ثالث غیرمنوط بالأولین و لاملتصق بهما و هو فی الظاهر مخالف ومناقض للفصل الأول لأن الفصل الأول فیه إنکار الإجابهٔ إلی التحکیم و هذایتضمن تصویبها وظاهر الحال أنه بعدکلام طویل و قد قال الرضی رحمه الله فی أول

الفصل أنه من جملة كلام طويل و أنه لماذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائما و هوأنى إنما حكمت على أن نعمل فى هذه الواقعة بحكم الكتاب و إن كنت أحارب قوما ماأدخلوا فى الإسلام زيغا وأحدثوا به اعوجاجا فلما دعونى إلى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتلهم وأبقيت عليهم لأنى طمعت فى أمر يلم الله به شعث المسلمين ويتقاربون بطريقه إلى البقية وهى الإبقاء والكف . فإن قلت إنه قد قال نقاتل إخواننا من المسلمين وأنتم لاتطلقون على أهل الشام المحاربين له لفظة المسلمين قلت إنا و إن كنا نذهب إلى أن صاحب الكبيرة لايسمى مؤمنا و لامسلما فإنا نجيز أن يطلق عليه هذااللفظ إذاقصد به تمييزه عن أهل الذمة وعابدى الأصنام فيطلق مع قرينة حال أولفظ يخرجه عن أن يكون مقصودا به التعظيم والثناء والمدح فإن لفظة مسلم ومؤمن تستعمل فى أكثر الأحوال كذلك و أمير المؤمنين ع لم يقصد بذلك إلاتمييزهم من كفار العرب وغيرهم من أهل الشرك و لم يقصد مدحهم بذلك فلم ينكر مع هذاالقصد إطلاق لفظ المسلمين عليهم [صفحه ٣٠٠]

١٢٢– و من كلام له ع قاله لأصحابه فى ساعة الحرب

وَ أَيّ امرِئٍ مِنكُم أَحَسّ مِن نَفسِهِ رِبَاطَةَ جَأشٍ عِندَ اللّقَاءِ وَ رَأَى مِن أَحَدٍ مِن إِخوَانِهِ فَشَلًا فَليَذُبّ عَن أَخِيهِ بِفَضلِ نَجدَتِهِ التّيِ فُضّلَ بِهَا عَلَيهِ كَمَا يَذُبّ عَن نَفسِهِ فَلَو شَاءَ اللّهُ لَجَعَلَهُ مِثلَهُ إِنّ المَوتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ المُقِيمُ وَ لَا يُعجِزُهُ الهَارِبُ إِنّ أَكرَمَ المَوتِ القَتلُ وَ ألّذِي نَفسُ ابنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلفُ ضَربَةٍ بِالسّيفِ أَهوَنُ عَلَيّ مِن مِيتَةٍ عَلَى الفِرَاشِ فِي غَيرِ طَاعَةِ اللّهِ أحسن علم ووجد ورباطة جأش أى شدة قلب والماضى ربط كأنه يربط نفسه عن الفرار والمروى رباطة بالكسر و لاأعرفه نقلا وإنما القياس لايأباه مثل عمر عمارة وخلب خلابة. والفشل الجبن وذب الرجل عن صاحبه أى أكثر الذب و هوالدفع والمنع . والنجدة الشجاعة والحثيث السريع و فى بعض الروايات فليذب عن صاحبه بالإدغام و فى بعضها فليذبب بفك الإدغام والميتة بالكسر هيئة الميت كالجلسة والركبة هيئة الجالس والراكب يقال مات فلان ميتة حسنة والمروى فى نهج [صفحه ٣٠١] البلاغة بالكسر فى أكثر الروايات و قدروى من موتة و هوالأليق يعنى المرة الواحدة ليقع فى مقابلة الألف . واعلم أنه ع أقسم أن القتل أهون من الموت حتف الأنف و ذلك على مقتضى مامنحه الله تعالى من الشجاعة الخارقة لعادة البشر و هو ع يحاول أن يحض أصحابه ويحرضهم ليجعل طباعهم مناسبة لطباعه وإقدامهم على الحرب مماثلا لإقدامه على عادة الأمراء فى تحريض جندهم وعسكرهم وهيهات إنما هو كما قال أبوالطيب يكلف سيف الدولة الجيش همه || و قدعجزت عنه الجيوش الخضارم ويطلب عند الناس ما عندنفسه || و ذلك ما لاتدعيه الضراغم .ليست النفوس كلها من جوهر واحد و لاالطباع والأمزجة كلها من نوع واحد و هذه خاصية توجد لمن يصطفيه الله تعالى من عباده فى الأوقات المتطاولة والدهور المتباعدة و مااتصل بنا نحن من بعدالطوفان فإن التواريخ من قبل الطوفان مجهولة عندنا أن أحدا أعطى من الشجاعة والإقدام ماأعطيه هذا الرجل من جميع فرق العالم على اختلافها من الترك والفرس والعرب والروم وغيرهم والمعلوم من حاله أنه كان يؤثر الحرب على السلم والموت على الحياة والموت ألذى كان يطلبه ويؤثره إنما هوالقتل بالسيف لاالموت على الفراش كما قال الشاعر لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا || لمات إذ لم يمت من شدة الحزن . [صفحه ٣٠٢] و كما قال الآخر يستعذبون مناياهم كأنهم || لاييأسون من الدنيا إذاقتلوا . فإن قلت فما قولك فيما أقسم عليه هل ألف ضربة بالسيف أهون ألما على المقتول من موتة واحدة على الفراش بالحقيقة أم هذاقول قاله على سبيل المبالغة والتجوز ترغيبا لأصحابه فى الجهاد قلت الحالف يحلف على أحد أمرين أحدهما أن يحلف على ظنه واعتقاده نحو أن يحلف أن زيدا فى الدار أى أناحالف ومقسم على أنى أظن أن زيدا فى الدار أوأنى أعتقد كون زيد فى الدار والثانى أن يحلف لا ـ على ظنه بل يحلف على نفس الأمر فى الخارج فإن حملنا قسم أمير المؤمنين ع على المحمل الأول

فقد انـدفع السؤال لأنه ع قد كان يعتقد ذلک فحلف أنه يعتقد و أنه يظن ذلک و هذا لاكلام فيه و إن حملناه على الثانى فالأمر فى الحقيقـة يختلف لأـن المقتول بسـيف صارم معجل للزهوق لايجـد من الألم وقت الضـربة مايجـده الميت دون النزع من المد والكف نعم قديجد المقتول قبل الضـربة ألم التوقع لها و ليس كلامنا فى ذلک بل فى ألم الضـربة نفسها وألف سيف صارم مثل سيف واحد إذافرضـنا سـرعة الزهوق و أما فى غير هذه الصورة نحو أن يكون السـيف كالا وتتكرر الضربات به والحياة باقية بعد وقايسـنا بينه و بين ميت يموت حتف أنفه موتا سريعا إما بوقوف القوة الغاذية كمايموت الشيوخ أوبإسهال ذريع تسقط معه القوة ويبقى العقل والـذهن إلى وقت الموت فإن الموت هاهنا أهون وأقل ألما فالواجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع إما على جهة التحريض فيكون قدبالغ كعادة العرب والخطباء فى المبالغات المجازية وإما أن يكون أقسم على أنه يعتقد ذلک و هوصادق فيما أقسم لأنه هكذا كان يعتقد بناء على [صفحه ۳۰۳] ما هومركوز فى طبعه من محبة القتال وكراهية الموت على الفراش و قدروى أنه قيـل لأـبى مسـلم الخراسـانى إن فى بعض الكتب المنزلـة من قتـل بالسـيف فبالسـيف يقتل فقال القتل أحب إلى من اختلاف الأطباء والنظر فى الماء ومقاساة الدواء والداء فذكر ذلک للمنصور بعدقتل أبى مسلم فقال قدأبلغناه محبته [صفحه ۳۰۴]

۱۲۳– و من كلام له ع

وَ كـأَنّيِ أَنظُرُ إِلَيكُم تَكِشّونَ كَشِـيشَ الضّـبَابِ لَـا تَأخُـذُونَ حَقّـاً وَ لَا تَمنَعُونَ ضَـيماً قَـد خُلّيتُم وَ الطّرِيقَ فَالنّجَاةُ لِلمُقتَحِمِ وَ الهَلَكَةُ لِلمُتَلَوّمِ الكشـيش الصوت يشوبه خور مثل الخشخشة وكشيش الأفعى صوتها من جلدها لا من فمها و قدكشت تكش قال الراجز كشـيش أفعى أجمعـت لعض || وهى تحـک بعضـها ببعض .يقرع ع أصـحابه بـالجبن والفشـل و يقـول لهم لكـأنى أنظر إليكم وأصـواتكم غمغمـة بينكم من الهلع ألـذى قـداعتراكم فهى أشـبه شـىءبأصوات الضـباب المجتمعـة. ثم أكـد وصف جبنهم حقا وخوفهم فقال لاتأخـذون حقا و لاتمنعون ضـيما و هذه غاية ما يكون من الذل . ثم ترک هذاالكلام وابتدأ فقال قدخليتم وطريق النجاة عندالحرب ودللتم عليها [صـفحه ۳۰۵] وهى أن تقتحموا وتلحجوا و لاـتهنوا فـإنكم متى فعلتم ذلـک نجوتم ومتى تلومتم وتثبطتم وأحجمتم هلكتم و من هـذاالمعنى قول الشـاعر تأخرت أسـتبقى الحياة فلم أجـد || لنفسـى حياة مثل أن أتقـدما . و قال قطرى بن الفجـاءة لاـيركنن أحـد إلى الإحجـام || يوم الوغى متخوفـا لحمـام فلقـد أرانى للرمـاح دريئـة || من عن يمينى تـارة وأمامى حتى خضـبت بما تحدر من دمى || أكناف سـرجى أوعنان لجامى ثم انصرفت و قدأصبت و لم أصب || جذع البصيرة قـارح الإقـدام . وكتب أبوبكر إلى خالـد بن الوليـد واعلم أن عليـک عيونا من الله ترعاک وتراک فإذالقيت العـدو فاحرص على الموت توهب لک الحياة و لاتغسل الشـهداء من دمائهم فإن دم الشـهيد نور له يوم القيامـة و قال أبوالطيب يقتل العاجز الجبان و قديعجز || عن قطع بخنق المولود ويوقى الفتى المخش و قدخوض فى || ماء لبة الصـنديد . [صفحه ۳۰۶] ولهذا المعنى ألذى أشـار إليـه ع سبب معقـول و هـو أن المقـدم على خصـمه يرتـاع له خصـمه وتتخـذل عنه نفسه فتكـون النجـاة والظفر للمقـدم و أمـاالمتلوم عـن خصـمه المحجـم المتهيـب لـه فـإن نفس خصـمه تقـوى عليـه ويزداد طمعه فيه فيكـون الظفر له و يكـون العطب والهلاک للمتلوم الهائب تم الجزء السابع من شرح نهج البلاغة ويليه الجزء الثامن

المجلد ۸

الجزء الثامن

تتمة الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

۱۲۴– و من كلام له ع فى حث أصحابه على القتال

اشاره

فَقَدّمُوا الدّارِعَ وَ أَخّرُوا الحَاسِرَ وَ عَضّوا عَلَى الأَضرَاسِ فَإِنّهُ أَنبَى لِلسّيُوفِ عَنِ الهَامِ وَ التَوُوا فِى أَطرَافِ الرّمَاحِ فَإِنّهُ أَموَرُ لِلأَسِنّةِ وَ غُضّوا الأَبصَارَ فَإِنّهُ أَربَطُ لِلجَأشِ وَ أَسكَنُ لِلقُلُوبِ وَ أَمِيتُوا الأَصوَاتَ فَإِنّهُ أَطرَدُ لِلفَشَلِ وَ رَايَتَكُم فَلَا تُمِيلُوهَا وَ لَا تُخِلّوهَا وَ لَا تَجعَلُوهَا إِلّا بِأَيدِي شُجعَانِكُم وَ المَانِعِينَ الذّمَارَ مِنكُم فَإِنّ الصّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الحَقَائِقِ هُمُ الّذِينَ يَحُفّونَ بِرَايَاتِهِم وَ يَكتَنِفُونَهَا حِفَافَيهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا لَا يَتَأَخّرُونَ عَنهَا فَيُسلِمُوهَا وَ لَا يَتَقَدّمُونَ عَلَيهَا فَيُفرِدُوهَا الدارع لابس الدرع والحاسر ألذى لادرع عليه و لامغفر أمرهم ع بتقديم المستلئم على غيرالمستلئم لأن سورة الحرب وشدتها تلقى وتصادف الأول فالأول فواجب أن يكون أول القوم مستلئما و أن يعضوا على الأضراس و قدتقدم شرح هذا وقلنا إنه يجوز أن يبدءوهم بالحنق والجد ويجوز أن يريد أن العض على الأضراس يشد شئون الدماغ ورباطاته فلايبلغ السيف منه مبلغه لوصادفه رخوا وأمرهم بأن يلتووا إذاطعنوا [صفحه ۴] لأنهم إذافعلوا ذلك فبالحرى أن يمور السنان أى يتحرك عن موضع الطعنة فيخرج زالفا و إذا لم يلتووا لم يمر السنان و لم يتحرك عن موضعه فيخرق وينفذ فيقتل . وأمرهم بغض الأبصار فى الحرب فإنه أربط للجأش أى أثبت للقلب لأن الغاض بصره فى الحرب أحرى ألا يدهش و لايرتاع لهول ماينظر. وأمرهم بإماتة الأصوات وإخفائها فإنه أطرد للفشل و هوالجبن والخوف و ذلك لأن الجبان يرعد ويبرق والشجاع صامت . وأمرهم بحفظ رايتهم ألا يميلوها فإنها إذامالت انكسر العسكر لأنهم إنما ينظرون إليها و إلايخلوها من محام عنها و إلايجعلوها بأيدى الجبناء وذوى الهلع منهم كى لايخيموا ويجبنوا عن إمساكها. والذمار ماوراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه وسمى ذمارا لأنه يجب على أهله التذمر له أى الغضب . والحقائق جمع حاقة وهى الأمر الصعب الشديد و منه قول الله تعالى الحَاقّةُ مَا الحَاقّةُيعنى الساعة. ويكتنفونها يحيطون بها وحفافاها جانباها و منه قول طرفة -قرآن-۷۷۳-۷۹۵ كان جناحى مضرحى تكنفا || حفافيه شكا فى العسيب بمسرد أَجزَأَ امرُؤٌ قِرنَهُ وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفسِهِ وَ لَم يَكِل قِرنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجتَمِعَ [صفحه ۵] عَلَيهِ قِرنُهُ وَ قِرنُ أَخِيهِ وَ ايمُ اللّهِ لَئِن فَرَرتُم مِن سَيفِ العَاجِلَةِ لَا تَسلَمُونَ مِن سَيفِ الآخِرَةِ وَ أَنتُم لَهَامِيمُ العَرَبِ وَ السّنَامُ الأَعظَمُ إِنّ فِي الفِرَارِ مَوجِدَةَ اللّهِ وَ الذّلّ اللّازِمَ وَ العَارَ البَاقِيَ وَ إِنّ الفَارّ لَغَيرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَ لَا مَحجُوزٍ بَينَهُ وَ بَينَ يَومِهِ مَن رَائِحٌ إِلَى اللّهِ كَالظّمآنِ يَرِدُ المَاءَ الجَنّةُ تَحتَ أَطرَافِ العَوَالِي اليَومَ تُبلَى الأَخبَارُ وَ اللّهِ لَأَنَا أَشوَقُ إِلَى لِقَائِهِم مِنهُم إِلَى دِيَارِهِم أَللّهُمّ فَإِن رَدّوا الحَقّ فَافضُض جَمَاعَتَهُم وَ شَتّت كَلِمَتَهُم وَ أَبسِلهُم بِخَطَايَاهُم من الناس من يجعل هذه الصيغة وهى صيغة الإخبار بالفعل الماضى فى قوله أجزأ امرؤ قرنه فى معنى الأمر كأنه قال ليجزئ كل امرئ قرنه لأنه إذاجاز الأمر بصيغة الإخبار فى المستقبل جاز الأمر بصيغة الماضى و قدجاز الأول نحو قوله تعالى وَ الوالِداتُ يُرضِعنَ أَولادَهُنّفوجب أن يجوز الثانى و من الناس من قال معنى ذلك هلا أجزأ امرؤ قرنه فيكون تحضيضا محذوف الصيغة للعلم بها وأجزأ بالهمزة أى كفى وقرنك مقارنك فى القتال أونحوه . وآسى أخاه بنفسه مؤاساة بالهمز أى جعله أسوة نفسه ويجوز واسيت زيدا بالواو وهى لغة ضعيفة. و لم يكل قرنه إلى أخيه أى لم يدع قرنه ينضم إلى قرن أخيه فيصيرا معا فى -قرآن-۲۴۰-۲۷۳ [صفحه ۶] مقاومة الأخ

المـذكور و ذلك قبيـح محرم مثاله زيـد وعمرو مسـلمان ولهما قرنان كافران فی الحرب لايجوز لزيـد أن ينكل عن قرنه فيجتمع قرنه وقرن عمرو علی عمرو. ثم أقسم ع أنهم إن سـلموا من الألم النازل بهم لوقتلوا بالسـيف فی الدنيا فإنهم لم يسلموا من عقاب الله تعالی فی الآخرة علی فرارهم وتخاذلهم وسـمی ذلک سيفا علی وجه الاستعارة وصناعة الكلام لأنه قدذكر سيف الدنيا فجعل ذلـک فی مقـابلته . واللهـاميم السـادات الأـجواد من الناس والجياد من الخيل الواحـد لهموم والسـنام الأعظم يريـد شـرفهم وعلو أنسابهم لأن السنام أعلی أعضاء البعير. وموجدة الله غضبه وسخطه . ويروی والذل اللاذم بالذال المعجمة و هوبمعنی اللازم أيضا لـذمت المكـان بالكسـر أی لزمته . ثم ذكر أن الفرار لايزيـد فی العمر و قـال الراجز قـدعلمت حسـناء دعجاء المقل || أن الفرار لايزيـد فی الأجل . ثم قال لهم أيكم يروح إلی الله فيكون كالظمآن يرد الماء. ثم قال الجنـة تحت أطراف العوالی و هذا من قول رسول الله ص الجنة تحت ظلال السيوف -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٤٧ سمع بعض الأنصار رسول الله ص يقول يوم أحد الجنة تحت ظلال السيوف -روايت-١-٢-روايت-٤٩-٧٤ و فی يـده تميرات يلوكهـا فقـال بـخ بـخ ليس بينی و بيـن الجنـة إلاـ هـذه التميرات ثم قذفها من يده وكسر جفن سيفه وحمل علی قريش فقاتل حتی قتل . ثم قال اليوم تبلی الأخبار هذا من قول الله تعالی وَ نَبلُوَا أَخبارَكُم أی نختبر أفعالكم . -قرآن-١٩٩-٢٢٠ [صفحه ٧] ثم دعا علی أهل الشام إن ردوا الحق بأن يفض الله جماعتهم أی يهزمهم ويشـتت أی يفرق كلمتهم و أن يبسلهم بخطاياهم أی يسلمهم لأجل خطاياهم التی اقترفوها و لاينصرهم أبسلت فلانا إذاأسـلمته إلی الهلكة فهو مبسل قال تعالی أَن تُبسَلَ نَفسٌ أی تسلم و قال أُولئِكَ الّذِينَ أُبسِـلُوا بِما كَسَـبُوا أی أسـلموا للهلاک لأجـل مااكتسبوه من الإـثم و هـذه الألفـاظ كلها لايتلو بعضـها بعضا وإنما هی منتزعـة من كلام طويل انتزعها الرضـی رحمه الله واطرح ماعداها -قرآن-٢٣٠-٢٤٦-قرآن-٢٦٣-٣٠٣ إِنّهُم لَن يَزُولُـوا عَن مَـوَاقِفِهِم دُونَ طَعنٍ دِرَاكٍ يَخرُجُ مِنهُ النّسِـيمُ وَ ضَـربٍ يَفلِقُ الهَامَ وَ يُطِيحُ العِظَامَ وَ يُنـدِرُ السّوَاعِـدَ وَ الأَقدَامَ وَ حَتّی يُرمَوا بِالمَنَاسِـرِ تَتبَعُهَا المَنَاسِـرُ وَ يُرجَمُوا بِالكَتَائِبِ تَقفُوهَا الحَلَائِبُ وَ حَتّی يُجَرّ بِبِلَـادِهِمُ الخَمِيسُ يَتلُوهُ الخَمِيسُ وَ حَتّی تَـدعَقَ الخُيُولُ فِی نَوَاحِرِ أَرضِـهِم وَ بِأَعنَانِ مَسَارِبِهِم وَ مَسَارِحِهِم قال الشـريف الرضـی رحمه الله تعالی الدعق الدق أی تدق الخيول بحوافرها أرضـهم ونواحر أرضـهم متقابلاتها ويقال منازل بنی فلان تتناحر أی تتقابل -روايت-١-١٥٢ طعن دراک أی متتـابع يتلو بعضه بعضـا ويخرج منه النسـيم أی لسـعته و من هـذاالنحو قول الشاعر [صفحه ٨] طعنت ابن عبـدالقيس طعنـة ثـائر || لها نفـذ لو لاالشـعاع أضاءها ملكت بهاكفی فأنهرت فتقها || يری قائم من دونها ماوراءها فهـذا وصف الطعنـة بأنها لاتساعها يری الإنسان المقابل لها ببصـره ماوراءها و أنه لو لاشـعاع الدم و هو ماتفرق منه لبان منها الضوء و أمير المؤمنين ع أراد من أصـحابه طعنات يخرج النسـيم و هوالريح اللينة منهن . وفلقت الشیء أفلقه بكسر اللام فلقا أی شـققته ويطيح العظام يسـقطها طاح الشـیء أی سقط أوهلک أوتاه فی الأرض وأطاحه غيره وطوحه . ويندر السواعد يسقطها أيضا ندر الشـیء يندر ندرا أی سـقط و منه النوادر وأندره غيره والساعد من الكوع إلی المرفق و هوالذراع . والمناسر جمع منسر و هوقطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم بكسـر السـين وفتح الميم ويجوز منسـر بكسـر الميم وفتح السين وقيل إنها اللغة الفصـحی . ويرجموا أی يغزوا بالكتائب جمع كتيبة وهی طائفة من الجيش .تقفوها الحلائب أی تتبعها طوائف لنصرها والمحاماة عنها يقال قـدأحلبوا إذاجاءوا من كل أوب للنصـرة و رجل محلب أی ناصـر وحالبت الرجل إذانصـرته وأعنته و قال الشاعر ألهفا بقری سـحبل حين أحلبت || علينـا الولايا والعـدو المباسل [صـفحه ٩] أی أعانت ونصـرت والخميس الجيش والدعق قدفسـره الرضـی رحمه الله ويجوز أن يفسر بأمر آخر و هوالهيج والتنفير دعق القوم يدعقهم دعقا أی هاج منهم ونفرهم . ونواحر أرضهم قدفسـره رحمه الله أيضا ويمكن أن يفسـر بأمر آخر و هو أن يراد به أقصی أرضهم وآخرها من قولهم لآخر ليلة فی الشهر ناحرة. وأعنـان مساربهم ومسارحهم جوانبها والمسارب مايسـرب فيه المال الراعی والمسارح مايسـرح فيه والفرق بين سـرح وسـرب أن السروح إنما يكون فی أول النهار و ليس ذلک بشرط فی السروب

عود إلى أخبار صفين

واعلم أن هذاالكلام قاله أمير المؤمنين ع لأصحابه فی صفين يحرضهم به و قدذكرنا من حديث صفين فيما تقدم أكثره ونحن نذكر هاهنا تتمة القصة ليكون من وقف على ماتقدم و على هذاالمذكور آنفا هنا قدوقف على قصة صفين بأسرها.اتفق الناس كلهم أن عمارا رضی الله عنه أصيب مع علی ع بصفين و قال كثير منهم بل الأكثر أن أويسا القرنی أصيب أيضا مع علی ع بصفين . وذكر ذلك نصر بن مزاحم فی كتاب صفين رواه عن حفص بن عمران البرجمی عن عطاء بن السائب عن أبی البختری و قد قال رسول الله ص فی أويس ما قال و قال الناس كلهم إن رسول الله ص قال إن الجنة لتشتاق إلی -روايت-١-٢-روايت-٢٧-ادامه دارد [صفحه ١٠] عمار -روايت-از قبل-٧ رووا عنه ص أن عمارا جاء يستأذن عليه فقال ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب -روايت-١-٢-روايت-١٥-٨٠ روی سلمة بن كهيل عن مجاهد أن النبی ص رأی عمارا و هويحمل أحجار المسجد فقال مالهم ولعمار يدعوهم إلی الجنة ويدعونه إلی النار -روايت-١-٢-روايت-٣٠-١٣٥ روی الناس كافة أن رسول الله ص قال له تقتلك الفئة الباغية -روايت-١-٢-روايت-١٨-٦٧ . وروی نصر بن مزاحم فی كتاب صفين عن عمرو بن شمر عن مالك بن أعين عن زيد بن وهب الجهنی أن عمار بن ياسر نادی فی صفين يوما قبل مقتله بيوم أويومين أين من يبغی رضوان الله عز و جل و لايئوب إلی مال و لاولد فأتته عصابة من الناس فقال أيها الناس اقصدوا بنا قصد هؤلاء القوم الذين يتبعون دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوما و الله إن كان إلاظالما لنفسه الحاكم بغير ماأنزل الله ودفع علی ع الراية إلی هاشم بن عتبة بن أبی وقاص و كان عليه ذلك اليوم درعان فقال له علی ع كهيئة المازح أيا هاشم أ ماتخشی علی نفسك أن تكون أعور جبانا قال ستعلم يا أمير المؤمنين و الله لألفن بين جماجم العرب لف رجل ينوی الآخرة فأخذ رمحا فهزه فانكسر ثم أخذ آخر فوجده جاسيا فألقاه ثم دعا برمح لين فشد به اللواء. قال نصر و حدثناعمرو قال لمادفع علی ع الراية إلی هاشم بن عتبة قال [صفحه ١١] له رجل من أصحابه من بكر بن وائل أقدم هاشم يكررها ثم قال ما لك ياهاشم قدانتفخ سحرك أعورا وجبنا قال من هذاقالوا فلان قال أهلها وخير منها إذارأيتنی قدصرعت فخذها ثم قال لأصحابه شدوا شسوع نعالكم وشدوا أزركم فإذارأيتمونی قدهززت الراية ثلاثا فاعلموا أن أحدا منكم لايسبقنی إلی الحملة ثم نظر إلی عسكر معاوية فرأی جمعا عظيما فقال من أولئك قيل أصحاب ذی الكلاع ثم نظر فرأی جندا فقال من أولئك قيل قريش وقوم من أهل المدينة فقال قومی لاحاجة لی فی قتالهم من عند هذه القبة البيضاء قيل معاوية وجنده قال فإنی أری دونهم أسودة قيل ذاك عمرو بن العاص وابناه ومواليه فأخذ الراية فهزها فقال رجل من أصحابه البث قليلا و لاتعجل فقال هاشم قدأكثرا لومی و ماأقلا || إنی شريت النفس لن أعتلا أعور يبغی أهله محلا || قدعالج الحياة حتی ملا لابد أن يفل أويفلا || أشلهم بذی الكعوب شلا [صفحه ١٢] مع ابن عم أحمدالمعلی || أول من صدقه وصلی . قال نصر و حدثنا عبدالعزيز بن سياه عن حبيب بن أبی ثابت قال لماتناول هاشم الراية جعل عمار بن ياسر يحرضه علی الحرب ويقرعه بالرمح و يقول أقدم ياأعور لاخير فی أعور لايأتی الفزع .فيستحيی من عمار ويتقدم ويركز الراية فإذاركزها عاوده عمار بالقول فيتقدم أيضا فقال عمرو بن العاص إنی لأری لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام علی هذالتفنين العرب اليوم فاقتتلوا قتالا شديدا وعمار ينادی صبرا و الله إن الجنة تحت ظلال البيض فكان بإزاء هاشم وعمار أبوالأعور السلمی و لم يزل عمار بهاشم ينخسه و هويزحف بالراية حتی اشتد القتال وعظم والتقی الزحفان واقتتلا قتالا لم يسمع السامعون بمثله وكثرت القتلی فی الفريقين جميعا. وروی نصر عن عمرو بن شمر قال حدثنی من أثق به من أهل العراق [صفحه ١٣] قال لماالتقينا بالقوم فی ذلك اليوم وجدناهم خمسة صفوف قدقيدوا أنفسهم بالعمائم فقتلنا صفا ثم صفا ثم خلصنا إلی الرابع ما علی الأرض شامی و لاعراقی يولی دبره و أبوالأعور يقول إذا مافررنا كان أسوأ فرارنا || صدود الخدود وازورار المناكب صدود الخدود والقنا متشاجر || و

لاتبرح الأقدام عندالتضارب . قال نصر والتقت فى هذااليوم همدان العراق بعك الشام فقال قائلهم همدان همدان وعك عك || ستعلم اليوم من الأرك وكانت على عك الدروع و ليس عليهم رايات فقالت همدان خدموا القوم أى اضربوا سوقهم فقالت عك ابركوا برك الكمل فبركوا كمايبرك الجمل ثم رموا الحجر وقالوا لانفر حتى يفر الحكر. قال نصر واقتتل الناس من لدن اعتدال النهار إلى صلاة المغرب ما كان صلاة القوم إلاالتكبير عندمواقيت الصلاة. ثم إن أهل العراق كشفوا ميمنة أهل الشام فطاروا فى سواد الليل وكشف أهل الشام ميسرة أهل العراق فاختلطوا فى سواد الليل وتبدلت الرايات بعضها ببعض فلما أصبح الناس وجد أهل الشام لواءهم و ليس حوله إلاألف رجل فاقتلعوه وركزوه من [صفحه ۱۴] وراء موضعه الأول وأحاطوا به ووجد أهل العراق لواءهم مركوزا و ليس حوله إلاربيعة و على ع بينها وهم محيطون به و هو لايعلم من هم ويظنهم غيرهم فلما أذن مؤذن على ع الفجر قال على ع يامرحبا بالقائلين عدلا || وبالصلاة مرحبا وأهلا . ثم وقف وصلى الفجر فلما انفتل أبصر وجوها ليست بوجوه أصحابه بالأمس و إذامكانه ألذى هو فيه ما بين الميسرة إلى القلب فقال من القوم قالوا ربيعة وإنك يا أمير المؤمنين لعندنا منذ الليلة فقال فخر طويل لك ياربيعة . ثم قال لهاشم بن عتبة خذ اللواء فو الله مارأيت مثل هذه الليلة فخرج هاشم باللواء حتى ركزه فى القلب . قال نصر حدثناعمرو بن شمر عن الشعبى قال عبى معاوية تلك الليلة أربعة آلاف وثلاثمائة من فارس وراجل معلمين بالخضرة وأمرهم أن يأتوا عليا ع من ورائه ففطنت لهم همدان فواجهوهم وصمدوا إليهم فباتوا تلك الليلة يتحارسون و على ع قدأفضى به ذهابه ومجيئه إلى رايات ربيعة فوقف بينها و هو لايعلم ويظن أنه فى العسكر الأشعث فلما أصبح لم ير الأشعث و لاأصحابه ورأى سعيد بن قيس الهمدانى على مركزه فجاء إلى سعيد رجل من ربيعة يقال له زفر فقال له ألست القائل بالأمس لئن لم تنته ربيعة لتكونن ربيعة ربيعة وهمدان همدان فما أغنت همدان [صفحه ۱۵] البارحة فنظر إليه على ع نظر منكر ونادى منادى على ع أن اتعدوا للقتال واغدوا عليه وانهدوا إلى عدوكم فكلهم تحرك إلاربيعة لم تتحرك فبعث إليهم على ع أن انهدوا إلى عدوكم فبعث إليهم أباثروان فقال إن أمير المؤمنين ع يقرئكم السلام و يقول لكم يامعشر ربيعة مالكم لاتنهدون إلى عدوكم و قدنهد الناس قالوا كيف ننهد و هذه الخيل من وراء ظهرنا قل لأمير المؤمنين فليأمر همدان أوغيرها بمناجزتهم لننهد فرجع أبوثروان إلى على ع فأخبره فبعث إليهم الأشتر فقال يامعشر ربيعة مامنعكم أن تنهدوا و قدنهد الناس و كان جهير الصوت وأنتم أصحاب كذا وأصحاب كذا فجعل يعدد أيامهم فقالوا لسنا نفعل حتى ننظر ماتصنع هذه الخيل التى خلف ظهورنا وهى أربعة آلاف قل لأمير المؤمنين فليبعث إليهم من يكفيه أمرهم . وراية ربيعة يومئذ مع الحضين بن المنذر فقال لهم الأشتر فإن أمير المؤمنين يقول لكم اكفونيها إنكم لوبعثتم إليهم طائفة منكم لتركوكم فى هذه الفلاة وفروا كاليعافير فوجهت حينئذ ربيعة إليهم تيم الله والنمر بن قاسط وعنزة قالوا فمشينا إليهم مستلئمين مقنعين فى الحديد و كان عامة قتال صفين مشيا قال فلما أتيناهم هربوا وانتشروا انتشار الجراد فذكرت قوله وفروا كاليعافير ثم رجعنا إلى أصحابنا و قدنشب القتال بينهم و بين أهل الشام و قداقتطع أهل الشام طائفة من أهل العراق بعضها من ربيعة فأحاطوا بهافلم نصل إليها حتى حملنا على أهل الشام فعلوناهم بالأسياف حتى انفرجوا لنا فأفضينا إلى أصحابنا فاستنقذناهم وعرفناهم تحت النقع بسيماهم وعلامتهم وكانت علامة أهل العراق بصفين الصوف الأبيض قدجعلوه فى رءوسهم و على [صفحه ۱۶] أكتافهم وشعارهم يا الله يا الله ياأحد ياصمد يارب محمد يارحمان يارحيم وكانت علامة أهل الشام خرقا صفرا قدجعلوها على رءوسهم وأكتافهم وشعارهم نحن عباد الله حقا حقا يالثارات عثمان قال نصر فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد فلم يتحاجزوا حتى حجز بينهم الليل و مايرى رجل من هؤلاء و من هؤلاء موليا. قال نصر حدثناعمر بن سعد قال كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا فى الجاهلية وإنهم لحديثو عهد بهافالتقوا فى الإسلام وفيهم بقايا تلك الحمية و عندبعضهم بصيرة الدين والإسلام فتضاربوا واستحيوا من الفرار حتى كادت الحرب تبيدهم وكانوا إذاتحاجزوا دخل هؤلاء عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم . قال نصر فحدثنا عمر بن سعد قال فبينا على ع واقفا

بين جماعة من همدان وحمير وغيرهم من أفناء قحطان إذ نادى رجل من أهل الشام من دل على أبى نوح الحميرى فقيل له قدوجدته فما ذا تريد قال فحسر عن لثامة فإذا هوذو الكلاع الحميرى ومعه جماعة من أهله ورهطه فقال لأبى نوح سر معى قال إلى أين قال إلى أن نخرج عن الصف قال و ماشأنك قال إن لى إليك لحاجة فقال أبونوح معاذ الله أن أسير إليك إلا فى كتيبة قال ذو الكلاع بلى فسر فلك ذمة الله وذمة رسوله [صفحه ١٧] وذمة ذى الكلاع حتى ترجع إلى خيلك فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه فسار أبونوح وسار ذو الكلاع فقال له إنما دعوتك أحدثك حديثا حدثناه عمرو بن العاص قديما فى خلافة عمر بن الخطاب ثم أذكرناه الآن به فأعاده أنه يزعم أنه سمع رسول الله ص قال يلتقى أهل الشام و أهل العراق و فى إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعه عمار بن ياسر فقال أبونوح نعم و الله إنه لفينا قال نشدتك الله أجاد هو على قتالنا قال أبونوح نعم ورب الكعبة لهو أشد على قتالكم منى ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك قبلهم و أنت ابن عمى قال ذو الكلاع ويلك علام تمنى ذلك منا فو الله ماقطعتك فيما بينى وبينك قط و إن رحمك لقريبة و مايسرنى أن أقتلك قال أبونوح إن الله قطع بالإسلام أرحاما قريبة ووصل به أرحاما متباعدة وإنى قاتلك وأصحابك لأنا على الحق وأنتم على الباطل قال ذو الكلاع فهل تستطيع أن تأتى معى صف أهل الشام فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره بحال عمار وجده فى قتالنا لعله أن يكون صلح بين هذين الجندين . قلت وا عجباه من قوم يعتريهم الشك فى أمرهم لمكان عمار و لايعتريهم الشك لمكان على ع ويستدلون على أن الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم و لايعبئون بمكان على ع ويحذرون من قول النبى ص تقتلك الفئة الباغية -روايت-١-٢-روايت-١٧-٣٨ ويرتاعون لذلك و لايرتاعون لقوله ص فى على ع أللهم وال من والاه وعاد من عاداه -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٦١ لقوله لايحبك إلامؤمن -روايت-١-٢-روايت-٩-ادامه دارد [صفحه ١٨] و لايبغضك إلامنافق -روايت-از قبل-٢٤ و هذايدلك على أن عليا ع اجتهدت قريش كلها من مبدإ الأمر فى إخمال ذكره وستر فضائله وتغطية خصائصه حتى محى فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلاقليلا منهم . قال نصر فقال له أبونوح إنك رجل غادر و أنت فى قوم غدر و إن لم يرد الغدر أغدروك وإنى أن أموت أحب إلى من أن أدخل مع معاوية فقال ذو الكلاع أناجار لك من ذلك ألا تقتل و لاتسلب و لاتكره على بيعة و لاتحبس عن جندك وإنما هى كلمة تبلغها عمرو بن العاص لعل الله أن يصلح بذلك بين هذين الجندين ويضع عنهم الحرب فقال أبونوح إنى أخاف غدراتك وغدرات أصحابك قال ذو الكلاع أنا لك بما قلت زعيم قال أبونوح أللهم إنك ترى ماأعطانى ذو الكلاع و أنت تعلم ما فى نفسى فاعصمنى واختر لى وانصرنى وادفع عنى ثم سار مع ذى الكلاع حتى أتى عمرو بن العاص و هو عندمعاوية وحوله الناس و عبد الله بن عمر يحرض الناس على الحرب فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو يا أبا عبد الله هل لك فى رجل ناصح لبيب مشفق يخبرك عن عمار بن ياسر فلايكذبك قال و من هو قال هو ابن عمى هذا و هو من أهل الكوفة فقال عمرو أرى عليك سيما أبى تراب فقال أبونوح على سيما محمد وأصحابه وعليك سيما أبى جهل وسيما فرعون فقام أبوالأعور فسل سيفه و قال لاأرى هذاالكذاب اللئيم يسبنا بين أظهرنا و عليه سيما أبى تراب فقال ذو الكلاع أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف ابن عمى وجارى عقدت له ذمتى وجئت به إليكم ليخبركم عما تماريتم فيه فقال له عمرو بن العاص يا أبانوح أذكرك بالله إلا ماصدقتنا و لم تكذبنا أفيكم عمار بن ياسر قال أبونوح ما أنابمخبرك حتى تخبر لم تسأل عنه ومعنا من أصحاب محمدص عدة غيره وكلهم جاد على قتالكم فقال عمرو سمعت رسول الله ص يقول إن -روايت-١-٢-روايت-٤٠-ادامه دارد [صفحه ١٩] عمارا تقتله الفئة الباغية وإنه ليس لعمار أن يفارق الحق ولن تأكل النار من عمار شيئا -روايت-از قبل-٩١ فقال أبونوح لاإله إلا الله و الله أكبر و الله إنه لفينا جاد على قتالكم فقال عمرو الله ألذى لاإله إلا هوإنه لجاد على قتالنا قال نعم و الله ألذى لاإله إلا هو ولقد حدثنى يوم الجمل أناسنظهر على أهل البصرة ولقد قال لى أمس إنكم لوضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق

وأنكم على باطل ولكانت قتلانا فى الجنـة وقتلاكم فى النار قال عمرو فهل تسـتطيع أن تجمع بينى وبينه قال نعم فركب عمرو بن العاص وابناه وعتبة بن أبى سفيان وذو الكلاع و أبوالأعور السلمى وحوشب والوليد بن عقبة وانطلقوا وسار أبونوح ومعه شرحبيل بن ذى الكلاع يحميه حتى انتهى إلى أصحابه فذهب أبونوح إلى عمار فوجده قاعدا مع أصحاب له منهم الأشتر وهاشم وابنا بديل وخالد بن معمر و عبد الله بن حجل و عبد الله بن العباس . فقال لهم أبونوح إنه دعانى ذو الكلاع و هوذو رحم فقال أخبرنى عن عمار بن ياسر أفيكم هوفقلت لم تسأل فقال أخبرنى عمرو بن العاص فى إمرة عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله ص يقول يلتقى أهل الشام و أهل العراق وعمار مع أهل الحق وتقتله الفئة الباغية -روايت-١-٢-روايت-٨٤-١٥٨ فقلت نعم إن عمارا فينا فسألنى أجاد هو على قتالنا فقلت نعم و الله إنه لأجد منى فى ذلك ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبدأت بك ياذا الكلاع فضحك عمار و قال أيسرك ذلك قال نعم ثم قال أبونوح أخبرنى الساعة عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ص يقول تقتل عمارا الفئة الباغية -روايت-١-٢-روايت-٨٠-١٠٦ قال عمار أقررته بذلك قال نعم لقد قررته بذلك فأقر [صفحه ٢٠] فقال عمار صدق وليضرنه ماسمع و لاينفعه قال أبونوح فإنه يريد أن يلقاك فقال عمار لأصحابه اركبوا فركبوا وساروا قال فبعثنا إليهم فارسا من عبدالقيس يسمى عوف بن بشر فذهب حتى إذا كان قريبا منهم نادى أين عمرو بن العاص قالوا هاهنا فأخبره بمكان عمار وخيله قال عمرو قل له فليسر إلينا قال عوف إنه يخاف غدارتك وفجراتك قال عمرو ماأجرأك على و أنت على هذه الحال قال عوف جرأنى عليك بصرى فيك و فى أصحابك و إن شئت نابذتك الآن على سواء و إن شئت التقيت أنت وخصماؤك و أنت كنت غادرا فقال عمرو إنك لسفيه وإنى باعث إليك رجلا من أصحابى يواقفك قال ابعث من شئت فلست بالمستوحش وإنك لاتبعث إلاشقيا فرجع عمرو وأنفذ إليه أباالأعور فلما تواقفا تعارفا فقال عوف إنى لأعرف الجسد وأنكر القلب وإنى لاأراك مؤمنا و لاأراك إلا من أهل النار قال أبوالأعور يا هذالقد أعطيت لسانا يكبك الله به على وجهك فى النار قال عوف كلا و الله إنى لأتكلم بالحق وتتكلم بالباطل وإنى أدعوك إلى الهدى وأقاتلك على الضلال وأفر من النار و أنت بنعمة الله ضال تنطق بالكذب وتقاتل على ضلالة وتشترى العقاب بالمغفرة والضلالة بالهدى انظر إلى وجوهنا ووجوهكم وسيمانا وسيماكم واسمع دعوتنا ودعوتكم فليس أحد منا إلا و هوأولى بالحق وبمحمد وأقرب إليه منكم فقال أبوالأعور لقد أكثرت الكلام وذهب النهار ويحك ادع أصحابك وأدعو أصحابى وليأت أصحابك فى قلة إن شاءوا أوكثرة فإنى أجىء من أصحابى بعدتهم فإن شاء أصحابك فليقلوا [صفحه ٢١] و إن شاءوا فليكثروا فسار عمار فى اثنى عشر فارسا حتى إذاكانوا بالمنصف سار عمرو بن العاص فى اثنى عشر فارسا حتى اختلفت أعناق الخيل خيل عمار وخيل عمرو ونزل القوم واحتبوا بحمائل سيوفهم فتشهد عمرو بن العاص فقال له عمار اسكت فلقد تركتها و أناأحق بهامنك فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقنا باطلك و إن شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك و إن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك وتكفرك قبل القيام وتشهد بها على نفسك و لاتستطيع أن تكذبنى فيها فقال عمرو يا أباااليقظان ليس لهذا جئت إنما جئت لأنى رأيتك أطوع أهل هذاالعسكر فيهم أذكرك الله إلاكففت سلاحهم وحقنت دماءهم وحرصت على ذلك فعلام تقاتلوننا أ ولسنا نعبد إلها واحدا ونصلى إلى قبلتكم وندعو دعوتكم ونقرأ كتابكم ونؤمن بنبيكم فقال عمار الحمد لله ألذى أخرجها من فيك أنها لى ولأصحابى القبلة والدين وعبادة الرحمن و النبى والكتاب من دونك ودون أصحابك الحمد لله ألذى قررك لنا بذلك وجعلك ضالا مضلا أعمى وسأخبرك على ماأقاتلك عليه وأصحابك إن رسول الله ص أمرنى أن أقاتل الناكثين فقد فعلت وأمرنى أن أقاتل القاسطين وأنتم هم و أماالمارقون فلاأدرى أدركهم أو لاأيها الأبتر ألست تعلم أن رسول الله ص قال من كنت مولاه فعلى مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٩٢ فأنا مولى الله ورسوله و على مولاى بعدهما قال عمرو لم تشتمنى يا أباااليقظان ولست أشتمك قال عمار وبم تشتمنى أتستطيع أن تقول أنى عصيت الله ورسوله يوما قط قال

عمرو إن فيك لمساب سوى ذلك قال عمار إن الكريم من أكرمه [صفحه ۲۲] الله كنت وضيعا فرفعنى الله ومملوكا فأعتقنى الله وضعيفا فقوانى الله وفقيرا فأغنانى الله قال عمرو فما ترى فى قتل عثمان قال فتح لكم باب كل سوء قال عمرو فعلى قتله قال عمار بل الله رب على قتله و على معه قال عمرو فكنت فيمن قتله قال كنت مع من قتله و أنااليوم أقاتل معهم قال عمرو فلم قتلتموه قال عمار إنه أراد أن يغير ديننا فقتلناه فقال عمرو أ لاتسمعون قداعترف بقتل إمامكم فقال عمار قدقالها فرعون قبلك لقومه أَ لا تَستَمِعُونَفقام أهل الشام ولهم زجل فركبوا خيولهم ورجعوا وقام عمار وأصحابه فركبوا خيولهم ورجعوا وبلغ معاوية ما كان بينهم فقال هلكت العرب أن حركتهم خفة العبد الأسود يعنى عمارا. قال نصر فحدثنا عمرو بن شمر قال فخرجت الخيول إلى القتال واصطفت بعضها لبعض وتزاحف الناس و على عمار درع بيضاء و هو يقول أيها الناس الرواح إلى الجنة.فقاتل القوم قتالا شديدا لم يسمع السامعون بمثله وكثرت القتلى حتى أن كان الرجل ليشد طنب فسطاطه بيد الرجل أوبرجله وحكى الأشعث بعد ذلك قال لقد رأيت أخبية صفين وأروقتها و ما فيهاخباء و لارواق و لافسطاط إلامربوطا بيد إنسان أوبرجله . قال نصر وجعل أبوالسماك الأسدى يأخذ إداوة من ماء وشفرة حديدة فيطوف فى القتلى فإذارأى رجلا جريحا و به رمق أقعده فيقول له من أمير المؤمنين فإذا قال -قرآن-۴۴۲-۴۵۹ [صفحه ۲۳] على غسل الدم عنه وسقاه من الماء و إن سكت وجأه بالسكين حتى يموت و لايسقيه . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر قال سمعت الشعبى يقول قال الأحنف بن قيس و الله إنى إلى جانب عمار بن ياسر بينى وبينه رجل من بنى الشعيراء.فتقدمنا حتى دنونا من هاشم بن عتبة فقال له عمار احمل فداك أبى وأمى فقال له هاشم يرحمك الله يا أبااليقظان إنك رجل تأخذك خفة فى الحرب وإنى إنما أزحف باللواء زحفا أرجو أن أنال بذلك حاجتى و إن خففت لم آمن الهلكة و قد كان قال معاوية لعمرو ويحك إن اللواء اليوم مع هاشم بن عتبة و قد كان من قبل يرقل به إرقالا و إن زحف به اليوم زحفا إنه لليوم الأطول على أهل الشام فإن زحف فى عنق من أصحابه إنى لأطمع أن تقتطع فلم يزل به عمار حتى حمل فبصر به معاوية فوجه إليه حماة أصحابه و من يزن بالبأس والنجدة منهم فى ناحية و كان فى ذلك الجمع عبد الله بن عمرو بن العاص ومعه يومئذ سيفان قدتقلد بأحدهما و هويضرب بالآخر فأطافت به خيول على ع وجعل عمرو يقول يا الله يارحمان ابنى ابنى فيقول معاوية اصبر فلابأس عليه فقال عمرو لو كان يزيد بن معاوية أصبرت فلم يزل حماة أهل الشام تذب عن عبد الله حتى نجا هاربا على فرسه و من معه وأصيب هاشم فى المعركة. [صفحه ۲۴] قال نصر و حدثناعمر بن سعد قال و فى هذااليوم قتل عمار بن ياسر رضى الله عنه أصيب فى المعركة و قد كان قال حين نظر إلى راية عمرو بن العاص و الله إنها لراية قدقاتلتها ثلاث عركات و ما هذه بأرشدهن ثم قال نحن ضربناكم على تأويله || كماضربناكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله || ويذهل الخليل عن خليله أويرجع الحق إلى سبيله ثم استسقى و قداشتد عطشه فأتته امرأة طويلة اليدين ماأدرى أعس معها أم إداوة فيهاضياح من لبن فقال حين شرب الجنة تحت الأسنة اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه و الله لوضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم حمل وحمل عليه ابن حوى السكسكى و أبوالعادية فأما أبوالعادية فطعنه و أما ابن حوى فاحتز رأسه و قد كان ذو الكلاع يسمع عمرو بن العاص يقول إن النبى ص يقول لعمار تقتلك الفئة الباغية وآخر شربك ضياح من لبن -روايت-۱-۲-روايت-۷۵-۱۲۱ فقال ذو الكلاع لعمرو ويحك ما هذا قال عمرو إنه سيرجع إلينا ويفارق أباتراب و ذلك قبل أن يصاب عمار فلما أصيب عمار فى هذااليوم أصيب ذو الكلاع فقال عمرو لمعاوية و الله ماأدرى بقتل أيهما أناأشد فرحا و الله لوبقى ذو الكلاع حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه إلى على ولأفسد علينا أمرنا. قال نصر و حدثناعمر بن سعد قال كان لايزال رجل يجىء فيقول لمعاوية وعمرو أناقتلت عمارا فيقول له عمرو فما سمعته يقول فيخلط حتى أقبل ابن حوى [صفحه ۲۵] فقال أناقتلته فقال عمرو فما كان آخر منطقه قال سمعته يقول اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه فقال صدقت أنت صاحبه أما و الله ماظفرت يداك ولقد أسخطت ربك . قال نصر حدثناعمرو بن شمر قال حدثنى إسماعيل السدى

عن عبدخير الهمدانى قال نظرت إلى عمار بن ياسر يوما من أيام صفين قدرمى رمية فأغمى عليه فلم يصل الظهر و لاالعصر و لاالمغرب و لاالعشاء و لاالفجر ثم أفاق فقضاهن جميعا يبدأ بأول شيءفاته ثم بالتى تليها. قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن السدى عن أبى حريث قال أقبل غلام لعمار بن ياسر اسمه راشد يحمل إليه يوم قتل بشربة من لبن فقال عمار أماإنى سمعت خليلى رسول الله ص يقول إن آخر زادك من الدنيا شربة لبن -روايت-١-٢-روايت-٥٥-٨٩ . قال نصر وروى عمرو بن شمر عن السدى أن رجلين بصفين اختصما فى سلب عمار و فى قتله فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ويحكما اخرجا عنى فإن رسول الله ص قال مالقريش ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قاتله وسالبه فى النار -روايت-١-٢-روايت-٢٨-١٠٦ . [صفحه ٢٦] قال السدى فبلغنى أن معاوية قال لماسمع ذلك إنما قتله من أخرجه يخدع بذلك طغام أهل الشام . قال نصر و حدثناعمرو عن جابر عن أبى الزبير قال أتى حذيفة بن اليمان رهط من جهينة فقالوا له يا أبا عبد الله إن رسول الله ص استجار من أن تصطلم أمته فأجير من ذلك واستجار من أن يذيق أمته بعضها بأس بعض فمنع من ذلك فقال حذيفة إنى سمعت رسول الله ص يقول إن ابن سمية لم يخير بين أمرين قط إلااختار أشدهما يعنى عمارا فالزموا سمته -روايت-١-٢-روايت-٤٦-١٢٤ . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر قال حمل عمار ذلك اليوم على صف أهل الشام و هويرتجز كلا ورب البيت لاأبرح أجى || حتى أموت أوأرى ماأشتهى لاأفتأ الدهر أحامى عن على || صهر الرسول ذى الأمانات الوفى ينصرنا رب السماوات العلى || ويقطع الهام بحد المشرفى يمنحنا النصر على من يبتغى || ظلما علينا جاهدا مايأتلى . قال فضرب أهل الشام حتى اضطرهم إلى الفرار. [صفحه ٢٧] قال نصر و قد كان عبد الله بن سويد الحميرى من آل ذى الكلاع قال لذى الكلاع ماحديث سمعته من ابن العاص فى عمار فأخبره فلما قتل عمار خرج عبد الله ليلا يمشى فأصبح فى عسكر على ع و كان عبد الله من عباد الله زمانه وكاد أهل الشام أن يضطربوا لو لا أن معاوية قال لهم إن عليا قتل عمارا لأنه أخرجه إلى الفتنة ثم أرسل معاوية إلى عمرو لقد أفسدت على أهل الشام أ كل ماسمعت من رسول الله ص تقوله فقال عمرو قلتها ولست أعلم الغيب و لاأدرى أن صفين تكون قلتها وعمار يومئذ لك ولى و قدرويت أنت فيه مثل مارويت فغضب معاوية وتنمر لعمرو وعزم على منعه خيره فقال عمرو لابنه وأصحابه لاـخير فى جوار معاوية إن تجلت هذه الحرب عنه لأفارقنه و كان عمرو حمى الأنف قال تعاتبنى أن قلت شيئا سمعته || و قد قلت لوأنصفتنى مثله قبلى أنعلك فيما قلت نعل ثبيته || وتزلق بى فى مثل ماقلته نعلى و ما كان لى علم بصفين أنها || تكون وعمار يحث على قتلى و لو كان لى بالغيب علم كتمتها || وكايدت أقواما مراجلهم تغلى أبى الله إلا أن صدرك واغر || على بلا ذنب جنيت و لاذحل سوى أننى والراقصات عشية || بنصرك مدخول الهوى ذاهل العقل فلاوضعت عنى حصان قناعها || و لاحملت وجناء ذعلبة رحلى و لازلت أدعى فى لؤى بن غالب || قليلا غنائى لاأمر و لاأحلى إن الله أرخى من خناقك مرة || ونلت ألذى رجيت إن لم أزر أهلى [صفحه ٢٨] وأترك لك الشام التى ضاق رحبها || عليك و لم يهنك بهاالعيش من أجلى فأجابه معاوية أاالآن لماألقت الحرب بركها || وقام بنا الأمر الجليل على رجل غمزت قناتى بعدستين حجة || تباعا كأنى لاأمر و لاأحلى أتيت بأمر فيه للشام فتنة || و فى دون ماأظهرته زلة النعل فقلت لك القول ألذى ليس ضائرا || و لوضر لم يضررك حملك لى ثقلى تعاتبنى فى كل يوم وليلة || كأن ألذى أبليك ليس كماأبلى فيا قبح الله العتاب وأهله || أ لم تر ماأصبحت فيه من الشغل فدع ذا ولكن هل لك اليوم حيلة || ترد بهاقوما مراجلهم تغلى دعاهم على فاستجابوا لدعوة || أحب إليهم من ثرى المال والأهل إذا قلت هابوا حومة الموت أرقلوا || إلى الموت إرقال الهلوك إلى الفحل . قال فلما أتى عمرا شعر معاوية أتاه فأعتبه وصار أمرهما واحدا. قال نصر ثم إن عليا ع دعا فى هذااليوم هاشم بن عتبة ومعه لواؤه و كان أعور فقال له ياهاشم حتى متى فقال هاشم لأجهدن ألا أرجع إليك أبدا فقال على ع إن بإزائك ذا الكلاع وعنده الموت الأحمر فتقدم هاشم [صفحه ٢٩] فلما أقبل قال معاوية من هذاالمقبل فقيل هاشم المرقال فقال أعور بنى زهرة قاتله الله فأقبل هاشم و هو يقول أعور يبغى نفسه

خلاصا || مثل الفنيق لابسا دلاصا لاديۀ يخشى و لاقصاصا || كل امرئ و إن كبا وحاصا ليس يرى من يومه مناصا فحمل صاحب لواء ذى الكلاع و هو رجل من عذرۀ فقال ياأعور العين و مابى من عور || اثبت فإنى لست من فرعى مضر نحن اليمانون و مافينا خور || كيف ترى وقع غلام من عذر ينعى ابن عفان ويلحى من عذر || سيان عندى من سعى و من أمر فاختلفا طعنتين فطعنه هاشم فقتله وكثرت القتلى حول هاشم وحمل ذو الكلاع واختلط الناس واجتلدوا فقتل هاشم وذو الكلاع جميعا وأخذ عبد الله بن هاشم اللواء وارتجز فقال ياهاشم بن عتبۀ بن مالك || أعزز بشيخ من قريش هالك تحيطه الخيلان بالسنابك || فى أسود من نقعهن حالك أبشر بحور العين فى الأرائک || والروح والريحان عند ذلک . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الشعبى قال أخذ عبد الله بن هاشم بن عتبۀ رايۀ أبيه ثم قال أيها الناس إن هاشما كان عبدا من عباد الله ألذى قدر أرزاقهم [صفحه ۳۰] وكتب آثارهم وأحصى أعمالهم وقضى آجالهم فدعاه الله ربه فاستجاب لأمره وسلم لأمره وجاهد فى طاعۀ ابن عم رسوله أول من آمن به وأفقههم فى دين الله الشديد على أعداء الله المستحلين حرم الله الذين عملوا فى البلاد بالجور والفساد واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله وزين لهم الإثم والعدوان فحق عليكم جهاد من خالف الله وعطل حدوده ونابذ أولياءه جودوا بمهجكم فى طاعۀ الله فى هذه الدنيا تصيبوا الآخرۀ والمنزل الأعلى والأبد ألذى لايفنى فو الله لو لم يكن ثواب و لاعقاب و لاجنۀ و لانار لكان القتال مع على أفضل من القتال مع معاويۀ فكيف وأنتم ترجون ماترجون قال نصر و حدثناعمرو بن شمر قال لماانقضى أمر صفين وسلم الحسن ع الأمر إلى معاويۀ ووفدت عليه الوفود أشخص عبد الله بن هاشم إليه أسيرا فلما مثل بين يديه وعنده عمرو بن العاص قال يا أمير المؤمنين هذاالمختال ابن المرقال فدونک الضب المضب المعر المفتون فاقتله فإن العصا من العصيۀ وإنما تلد الحيۀ حيۀ وجزاء السيئۀ سيئۀ مثلها. فقال عبد الله إن تقتلنى فما أناأول رجل خذله قومه وأسلمه يومه فقال عمرو يا أمير المؤمنين أمكنى منه أشخب أوداجه على أثباجه فقال عبد الله فهلا كانت هذه الشجاعۀ منک يا ابن العاص فى أيام صفين ونحن ندعوک إلى النزال و قدابتلت أقدام الرجال من نقيع الجريال و قدتضايقت بک المسالک وأشرفت منها على المهالک وايم الله لو لامكانک منه لرميتک بأحد من وقع الأشافى فإنک لاتزال تكثر فى [صفحه ۳۱] هوسک وتخبط فى دهسک وتنشب فى مرسک تخبط العشواء فى الليلۀ الحندس الظلماء فأمر معاويۀ به إلى الحبس فكتب عمرو إلى معاويۀ أمرتک أمرا حازما فعصيتنى || و كان من التوفيق قتل ابن هاشم و كان أبوه يامعاويۀ ألذى || رماک على حرب بحز الغلاصم فقتلنا حتى جرت من دمائنا || بصفين أمثال البحور الخضارم و هذاابنه والمرء يشبه أصله || ستقرع إن أبقيته سن نادم فبعث معاويۀ بالشعر إلى عبد الله بن هاشم فكتب فى جوابه من السجن معاوى إن المرء عمرا أبت له || ضغينۀ صدر ودها غيرسالم يرى لک قتلى يا ابن حرب وإنما || يرى مايرى عمرو ملوک الأعاجم على أنهم لايقتلون أسيرهم || إذا كان فيه منعۀ للمسالم و قد كان منا يوم صفين نفرۀ || عليک جناها هاشم و ابن هاشم قضى الله فيها ماقضى ثمت انقضى || و ما مامضى إلاكأضغاث حالم فإن تعف عنى تعف عن ذى قرابۀ || و إن تر قتلى تستحل محارمى هذه روايۀ نصر بن مزاحم . [صفحه ۳۲] وروى أبوعبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله المرزبانى أن معاويۀ لماتم له الأمر بعدوفاۀ على ع بعث زيادا على البصرۀ وناد منادى معاويۀ أمن الأسود والأحمر بأمان الله إلا عبد الله بن هاشم بن عتبۀ فمكث معاويۀ يطلبه أشد الطلب و لايعرف له خبرا حتى قدم عليه رجل من أهل البصرۀ فقال له أناأدلک على عبد الله بن هاشم بن عتبۀ اكتب إلى زياد فإنه عندفلانۀ المخزوميۀ فدعا كاتبه فكتب من معاويۀ بن أبى سفيان أمير المؤمنين إلى زياد بن أبى سفيان أما بعد فإذاأتاک كتابى هذافاعمد إلى حى بنى مخزوم ففتشه دارا دارا حتى تأتى إلى دار فلانۀ المخزوميۀ فاستخرج عبد الله بن هاشم المرقال منها فاحلق رأسه وألبسه جبۀ شعر وقيده وغل يده إلى عنقه واحمله على قتب بعير بغير وطاء و لاغذاء وأنفذ به إلى. قال المرزبانى فأما الزبير بن بكار فإنه قال إن معاويۀ قال لزياد لمابعثه إلى البصرۀ إن عبد الله بن المرقال فى بنى ناجيۀ بالبصرۀ عندامرأۀ منهم يقال لها

فلانـة و أناأعزم عليک إلاحططت رحلک ببابها ثم اقتحمت الدار واستخرجته منها وحملته إلی. فلما دخل زياد إلی البصـرة سأل عن بنی ناجيـة و عن منزل المرأة فاقتحم الـدار واسـتخرج عبـد الله منها فأنفذه إلی معاوية فوصل إليه يوم الجمعة و قدلاقی نصبا كثيرا و من الهجير ما غيرجسـمه و كان معاوية يأمر بطعام فيتخذ فی كل جمعة لأشـراف قريش ولأشراف الشام ووفود العراق فلم يشـعر معاويـة إلا و عبـد الله بين يـديه و قدذبل وسـهم وجهه فعرفه و لم يعرفه عمرو بن العاص فقال معاوية يا أبا عبد الله أتعرف هـذاالفتی قال لا قال هـذا ابن ألذی كان يقول فی صـفين أعور يبغی أهله محلا || قدعالج الحياة حتی ملا لابد أن يفل أويفلا . قـال عمرو وإنه لهو دونک الضب المضب فاشـخب أوداجه و لاترجعه إلی أهل [صـفحه ۳۳] العراق فإنهم أهل فتنـة ونفاق و له مع ذلک هوی يرديه وبطانة تغويه فو ألذی نفسـی بيده لئن أفلت من حبائلک ليجهزن إليک جيشا تكثر صواهله لشـر يوم لک . فقال عبـد الله و هو فی القيـد يا ابن الأبتر هلا كانت هـذه الحماسـة عنـدک يوم صـفين ونحن ندعوک إلی البراز وتلوذ بشـمائل الخيل كالأمـة السوداء والنعجـة القوداء أماإنه إن قتلنی قتل رجلا كريم المخبرة حميد المقدرة ليس بالجبس المنكوس و لاالثلب المركوس فقال عمرو دع كيت وكيت فقـد وقعت بين لحيی لهزم فروس للأعـداء يسعطک إسعاط الكودن الملجم قال عبد الله أكثر إكثـارک فـإنی أعلمک بطرا فی الرخاء جبانا فی اللقاء هيابـة عنـدكفاح الأعـداء تری أن تقی مهجتک بأن تبـدی سوءتک أنسـيت يوم صفين و أنت تدعی إلی النزال فتحيد عن القتال خوفا أن يغمرک رجال لهم أبدان شداد وأسنة حداد ينهبون السرح ويذلون العزيز. قال عمر لقد علم معاوية أنی شـهدت تلک المواطن فكنت فيهاكمدرة الشوک ولقد رأيت أباک فی بعض تلک المواطن تخفق أحشـاؤه وتنق أمعاؤه قال أما و الله لولقيک أبی فی ذلک المقـام لارتعـدت منه فرائصک و لم تسـلم منه مهجتک ولكنه قاتل غيرک فقتل دونک . فقال معاوية أ لاتسكت لاأم لک فقال يا ابن هند أتقول لی هذا و الله لئن شئت لأعرقن جبينک ولأقيمنک و بين عينيک وسم يلين له أخدعاک أبأكثر من الموت تخوفنی فقال معاوية أوتكف يا ابن أخی وأمر به إلی السـجن . فقـال عمرو وذكر الأبيـات فقال عبـد الله وذكر الأبيات أيضا وزاد فأطرق معاويـة طويلا حتی ظن أنه لن يتكلم ثم قال [صـفحه ۳۴] أری العفـو عن عليـا قريش وسـيلة || إلی الله فی اليـوم العبـوس القمـاطر ولست أری قتلی فـتی ذا قرابـة || له نسب فی حی كعب وعـامر بل العفو عنه بعـد ماخاب قـدحه || وزلت به إحـدی الجـدود العواثر و كان أبوه يوم صـفين محنقا || علينا فأردته رمـاح يحابر ثم قال له أتراک فاعلا ما قال عمرو من الخروج علينا قال لاتسل عن عقيـدات الضـمائر لاسـيما إذاأرادت جهادا فی طاعـة الله قال إذن يقتلک الله كماقتل أباک قال و من لی بالشـهادة قال فأحسن معاوية جائزته وأخذ عليه موثقا ألا يساكنه بالشام فيفسـد عليه أهله . قال نصـر و حدثناعمرو بن شـمر عن السدی عن عبدخير الهمدانی قال قال هاشم بن عتبة يوم مقتله أيها الناس إنی رجل ضـخم فلايهولنكم مسقطی إذاسقطت فإنه لايفرغ منی أقل من نحر جزور حتی يفرغ الجزار من جزرها ثم حمل فصرع فمر عليه رجـل و هوصـريع بين القتلی فنـاداه اقرأ علی أمير المؤمنين السـلام وقـل له بركـات الله ورحمته عليـک يا أمير المؤمنين أنشدک الله إلاأصـبحت و قدربطت مقاود خيلک بأرجل القتلی فإن الدبرة تصـبح غدا لمن غلب علی القتلی فأخبر الرجل عليا ع بما قاله فسار فی الليل بكتائبه حتی جعل القتلی خلف ظهره فأصـبح والدبرة له علی أهل الشام . قال نصـر و حدثناعمرو بن شـمر عن السـدی عن عبـدخير قال قاتل هاشم الحارث بن المنـذر التنوخی حمل عليه بعد أن أعيا و كل وقتل بيده فطعنه بالرمح فشـق بطنه فسـقط وبعث إليه علی ع و هو لايعلم أقدم بلوائک فقال للرسول انظر [صـفحه ۳۵] إلی بطنی فإذا هو قـدانشق فجاء علی ع حتی وقف عليه وحوله عصابة من أسـلم قدصـرعوا معه وقوم من القراء فجزع عليه و قال جزی الله خيرا عصـبة أسـلمية || صـباح الوجوه صرعوا حول هاشم يزيد وسعدان وبشر ومعبد || وسفيان وابنا معبد ذی المكارم وعروة لايبعد نثاه وذكره || إذااخترطت يوما خفاف الصوارم قال نصـر و حدثناعمر بن سـعد عن الشـعبی عن أبی سـلمة أن هاشم بن عتبة استصـرخ الناس عندالمساء ألا من كان له إلی الله حاجـة و من كان يريـد الآخرة فليقبل فأقبل إليه ناس كثير شـد بهم علی أهل الشام مرارا ليس من وجه يحمل

عليه إلا ـصبروا له فقاتل قتالا شديـدا ثم قال لأصحابه لايهولنكم ماترون من صبرهم فو الله ماترون منهم إلاحميـة العرب وصبرها تحت راياتهـا و عنـدمراكزها وإنهم لعلى الضـلال وإنكم لعلى الحق يـاقوم اصبروا وصـابروا واجتمعوا وامشوا بنا إلى عـدونا على تؤدة رويدا واذكروا الله و لايسـلمن رجل أخاه و لاتكثروا الالتفات واصـمدوا صـمدهم وجالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا وبينهم و هوخير الحاكمين . قال أبوسـلمة فبينا هو وعصابـة من القراء يجالـدون أهل الشام إذ طلع عليهم فتى شاب و هو يقول أنا ابن أرباب ملوك غسان || والدائن اليوم بدين عثمان [صفحه ٣٦] أنبأنا قراؤنا بما كان || أن عليا قتل ابن عفان . ثم شد لاينثنى حتى يضـرب بسيفه ثم جعل يلعن عليا ويشتمه ويسهب فى ذمه فقال له هاشم بن عتبة يا هذا إن الكلام بعده الخصام و إن لعنك سيـد الأبرار بعده عقاب النار فاتق الله فإنك راجع إلى ربك فيسألك عن هذاالموقف و عن هذاالمقال . قال الفتى إذاسألنى ربى قلت قـاتلت أهـل العراق لأـن صاحبهم لايصـلى كماذكر لى وإنهم لايصـلون وصاحبهم قتل خليفتنا وهم آزروه على قتله فقال له هاشم يابنى و ما أنت وعثمان إنما قتله أصحاب محمدالذين هم أولى بالنظر فى أمور المسلمين و إن صاحبنا كان أبعد القوم عن دمه و أماقولـك إنه لايصـلى فهو أول من صـلى مع رسول الله وأول من آمن به و أماقولك إن أصـحابه لايصـلون فكل من ترى معه قراء الكتاب لاينامون الليل تهجدا فاتق الله واخش عقابه و لايغررك من نفسك الأشقياء الضالون . فقال الفتى يا عبد الله لقد دخـل قلبى وجـل من كلامـك وإنى لأظنـك صادقا صالحا وأظننى مخطئا آثما فهل لى من توبـة قال نعم ارجع إلى ربك وتب إليه فـإنه يقبـل التوبـة ويعفو عن السـيئات ويحب التوابين ويحب المتطهرين فرجع الفتى إلى صـفه منكسـرا نادما فقال له قوم من أهـل الشام خـدعك العراقى قال لا ولكن نصـحنى العراقى. قال نصـر و فى قتل هاشم وعمار تقول امرأة من أهل الشام لاتعـدموا قوما أذاقوا ابن ياسر || شعوبا و لم يعطوكم بالخزائم [صفحه ٣٧] فنحن قتلنا اليثربى ابن محصن || خطيبكم وابنى بديل وهاشم قال نصـر أمااليثربى فهو عمرو بن محصن الأنصارى و قدرثاه النجاشـى شاعر أهل العراق فقال لنعم فتى الحيين عمرو بن محصـن || إذاصـارخ الحى المصبح ثوبـا إذاالخيل جالت بينها قصـد القنا || يثرن عجاجا ساطعا متنصبا لقـد فجع الأنصار طرا بسيـد || أخى ثقـة فى الصالحات مجربا فيا رب خير قدأفـدت وجفنـة || ملأت وقرن قـدتركت مسلبا و يارب خصم قـدرددت بغيظه || فآب ذليلا بعد أن كان مغضـبا ورايـة مجد قدحملت وغزوة || شـهدت إذ النكس الجبان تهيبا حويطا على جل العشيرة ماجدا || و ماكنت فى الأنصار نكسا مؤنبا طويل عماد المجد رحبا فناؤه || خصـيبا إذا مارائد الحى أجدبا عظيم رماد النار لم يك فاحشـا || و لافشـلا يوم النزال مغلبا وكنت ربيعا ينفع الناس سيبه || وسيفا جرازا باتك الحد مقضبا فمن يك مسرورا بقتل ابن محصن || فعـاش شـقيا ثم مـات معـذبا وغودر منكبـا لفيه ووجهه || يعالـج رمحا ذا سـنان وثعلبا فإن يقتلوا الحر الكريم ابن محصن || فنحن قتلنا ذا الكلاع وحوشـبا [صفحه ٣٨] و إن يقتلوا ابنى بديل وهاشـما || فنحن تركنا منكم القرن أعضـبا ونحن تركنا حميرا فى صـفوفكم || لـدى الحرب صـرعى كالنخيل مشـذبا وأفلتنا تحت الأسـنة مرثـد || و كان قـديما فى الفرار مدربا ونحن تركنا عنـدمختلف القنـا || أخـاكم عبيـد الله لحمـا ملحبـا بصـفين لمـاارفض عنه رجـالكم || ووجه ابن عتاب تركناه ملغبا وطلحـة من بعدالزبير و لم ندع || لضبـة فى الهيجا عريفا ومنكبا ونحن أحطنا بالبعير وأهله || ونحن سـقيناكم سماما مقشبا . قال نصر و كان ابن محصن من أعلاـم أصـحاب على ع قتل فى المعركـة وجزع على ع لقتله . قال و فى قتل هاشم بن عتبـة يقول أبوالطفيل عامر بن واثلة الكنانى و هو من الصـحابة وقيل إنه آخر من بقى من صـحب رسول الله ص وشـهد مع على صـفين و كان من مخلصـى الشيعة ياهاشم الخير جزيت الجنه || قاتلت فى الله عـدو السـنه والتاركى الحق و أهل الظنه || أعظم بما فزت به من منه صـيرنى الدهر كأنى شـنه || وسوف تعلو حول قبرى رنه من زوجة وحوبة وكنه . [صـفحه ٣٩] قال نصر والحوبة القرابة يقال لى فى بنى فلاـن حوبـة أى قربى . قـال نصـر و قـال رجل من عـذرة من أهل الشام لقـد رأيت أمورا كلها عجب || و مارأيت كأيام بصـفينا لماغـدوا وغـدونا كلنا حنق || كمـارأيت الجمـال الجلـة الجونـا خيل تجول وأخرى فى أعنتها || وآخرون على غيظ يرامونا ثم

ابتذلنا سيوفا فى جماجمهم || و مانساقيهم من ذاك يجزونا كأنها فى أكف القوم لامعة || سلاسل البرق يجدعن العرانينا ثم انصرفنا كأشلاء مقطعة || وكلهم عندقتلاهم يصلونا قال نصر و قال رجل لعدى بن حاتم الطائى و كان من جملة أصحاب على ع يا أباطريف أ لم أسمعك تقول يوم الدار و الله لاتحبق فيهاعناق حولية و قدرأيت ما كان فيها و قد كان فقئت عين عدى وقتل بنوه فقال أما و الله لقد حبقت فى قتله العناق والتيس الأعظم . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر قال بعث على ع خيلا ليحبسوا عن معاوية مادته فبعث معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فى خيل إلى تلك الخيل فأزالوها [صفحه ۴۰] وجاءت عيون على ع فأخبروه بما كان فقال لأصحابه ماترون فيما هاهنا فقال بعضهم نرى كذا و قال بعضهم نرى كذا فلما زاد الاختلاف قال على ع اغدوا إلى القتال فغاداهم إلى القتال فانهزمت صفوف الشام من بين يديه ذلك اليوم حتى فر عتبة بن أبى سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة فقال النجاشى فيه من قصيدة أولها لقد أمعنت ياعتب الفرارا || وأورثك الوغى خزيا وعارا فلايحمد خصاك سوى طمر || إذاأجريته انهمر انهمارا و قال كعب بن جعيل و هوشاعر أهل الشام بعدرفع المصاحف يذكر أيام صفين ويحرض معاوية معاوى لاتنهض بغير وثيقة || فإنك بعداليوم بالذل عارف تركتم عبيد الله بالقاع مسندا || يمج نجيعا والعروق نوازف ألا إنما تبكى العيون لفارس || بصفين أجلت خيله و هوواقف ينوء وتعلوه شآبيب من دم || كمالاح فى جيب القميص اللفائف تبدل من أسماء أسياف وائل || و أى فتى لوأخطأته المتالف ألا إن شر الناس فى الناس كلهم || بنو أسد إنى بما قلت عارف وفرت تميم سعدها وربابها || وخالفت الجعراء فيمن يخالف و قدصبرت حول ابن عم محمد || على الموت شهباء المناكب شارف فما برحوا حتى رأى الله صبرهم || و حتى أتيحت بالأكف المصاحف [صفحه ۴۱] و قدتقدم ذكر هذه الأبيات بزيادة على ماذكرناه الآن . قال نصر وهجا كعب بن جعيل عتبة بن أبى سفيان وعيره بالفرار و كان كعب من شيعة معاوية لكنه هجا عتبة تحريضا له فهجاه عتبة جوابا فقال له وسميت كعبا بشر العظام || و كان أبوك يسمى الجعل و إن مكانك من وائل || مكان القراد من است الجمل قال نصر ثم كانت بين الفريقين الوقعة المعروفة بوقعة الخميس حدثنا بهاعمر بن سعد عن سليمان الأعمش عن ابراهيم النخعى قال حدثناالقعقاع بن الأبرد الطهوى قال و الله إنى لواقف قريبا من على ع بصفين يوم وقعة الخميس و قدالتقت مذحج وكانوا فى ميمنة على ع وعك لخم وجذام والأشعريون وكانوا مستبصرين فى قتال على ع فلقد و الله رأيت ذلك اليوم من قتالهم وسمعت من وقع السيوف على الرءوس وخبط الخيول بحوافرها فى الأرض و فى القتلى ماالجبال تهد و لاالصواعق تصعق بأعظم من هؤلاء فى الصدور من تلك الأصوات ونظرت إلى على ع و هوقائم فدنوت منه فأسمعه يقول لاحول و لاقوة إلابالله أللهم إليك الشكوى و أنت المستعان ثم نهض حين قام قائم الظهيرة و هو يقول ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق و أنت خير الفاتحين وحمل على الناس بنفسه وسيفه مجرد بيده فلا ـ و الله ماحجز بين الناس ذلك اليوم إلا الله رب العالمين فى قريب من ثلث الليل [صفحه ۴۲] الأول وقتلت يومئذ أعلام العرب و كان فى رأس على ع ثلاث ضربات و فى وجهه ضربتان . قال نصر و قدقيل إن عليا ع لم يخرج قط وقتل فى هذااليوم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقتل من أهل الشام عبد الله بن ذى الكلاع الحميرى فقال معقل بن نهيك بن يساف الأنصارى يالهف نفسى و من يشفى حزازتها || إذ أفلت الفاسق الضليل منطلقا وأفلت الخيل عمرو وهى شاحبة || تحت العجاج تحث الركض والعنقا وافت منية عبد الله إذ لحقت || قب الخيول به أعجز بمن لحقا وأنساب مروان فى الظلماء مستترا || تحت الدجى كلما خاف الردى أرقا . و قال مالك الأشتر نحن قتلنا حوشبا || لماغدا قدأعلما وذا الكلاع قبله || ومعبدا إذ أقدما أن تقتلوا منا أبا || اليقظان شيخا مسلما فقد قتلنا منكم || سبعين كهلا مجرما أضحوا بصفين و قد || لاقوا نكالا مؤثما وقالت ضبيعة بنت خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ترثى أباها رحمه الله عين جودى على خزيمة بالدمع || قتيل الأحزاب يوم الفرات قتلوا ذا الشهادتين عتوا || أدرك الله منهم بالترات قتلوه فى فتية غيرعزل || يسرعون الركوب فى الدعوات نصروا السيد الموفق ذا العدل || ودانوا بذاك حتى الممات [صفحه ۴۳] لعن الله معشرا قتلوه ||

ورماهم بالخزى والآفات قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الأعمش قال كتب معاوية إلى أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى صاحب منزل رسول الله ص و كان سيدا معظما من سادات الأنصار و كان من شيعة على ع كتابا وكتب إلى زياد ابن سمية و كان عاملا لعلى ع على بعض فارس كتابا ثانيا فأما كتابه إلى أبى أيوب فكان سطرا واحدا حاجيتك لاتنسى الشيباء أباعذرها و لاقاتل بكرها فلم يدر أبوأيوب ما هو قال فأتى به عليا ع فقال يا أمير المؤمنين إن معاوية كهف المنافقين كتب إلى بكتاب لاأدرى ما هو قال على ع فأين الكتاب فدفعه إليه فقرأه و قال نعم هذامثل ضربه لك يقول لاتنسى الشيباء أباعذرها والشيباء المرأة البكر ليلة افتضاضها لاتنسى بعلها ألذى افترعها أبدا و لاتنسى قاتل بكرها و هوأول ولدها كذلك لاأنسى أناقتل عثمان . و أماالكتاب ألذى كتبه إلى زياد فإنه كان وعيدا وتهددا فقال زياد ويلى على معاوية كهف المنافقين وبقية الأحزاب يتهددنى ويتوعدنى وبينى وبينه ابن عم محمدمعه سبعون ألفا سيوفهم على عواتقهم يطيعونه فى جميع مايأمرهم به لايلتفت رجل منهم وراءه حتى يموت أما و الله لوظفر ثم خلص إلى ليجدننى أحمر ضرابا بالسيف . قال نصر أحمر أى مولى فلما ادعاه معاوية عاد عربيا منافيا. [صفحه ۴۴] قال نصر وروى عمرو بن شمر أن معاوية كتب فى أسفل كتابه إلى أبى أيوب أبلغ لديك أباأيوب مألكة || أنا وقومك مثل الذئب والنقد إما قتلتم أمير المؤمنين فلا || ترجوا الهوادة منا آخر الأبد إن ألذى نلتموه ظالمين له || أبقت حزازته صدعا على كبدى إنى حلفت يمينا غيركاذبة || لقد قتلتم إماما غيرذى أود لاتحسبوا إننى أنسى مصيبته || و فى البلاد من الأنصار من أحد قدأبدل الله منكم خير ذى كلع || واليحصبيين أهل الخوف والجند إن العراق لنا فقع بقرقرة || أوشحمة بزها شاو و لم يكد والشام ينزلها الأبرار بلدتها || أمن وبيضتها عريسة الأسد فلما قرئ الكتاب على على ع قال لشد ماشحذكم معاوية يامعشر الأنصار أجيبوا الرجل فقال أبوأيوب يا أمير المؤمنين إنى ماأشاء أن أقول شيئا من الشعر يعيا به الرجال إلاقلته فقال فأنت إذا أنت .فكتب أبوأيوب إلى معاوية أما بعدفإنك كتبت لاتنسى الشيباء أباعذرها و لاقاتل بكرها فضربتها مثلا بقتل عثمان و مانحن وقتل عثمان إن ألذى تربص بعثمان [صفحه ۴۵] وثبط يزيد بن أسد و أهل الشام عن نصرته لأنت و إن الذين قتلوه لغير الأنصار وكتب فى آخر كتابه لاتوعدنا ابن حرب إننا نفر || لانبتغى ود ذى البغضاء من أحد واسعوا جميعا بنى الأحزاب كلكم || لسنا نريد رضاكم آخر الأبد نحن الذين ضربنا الناس كلهم || حتى استقاموا وكانوا عرضة الأود والعام قصرك منا أن ثبت لنا || ضرب يزيل بين الروح والجسد أما على فأنا لانفارقه || مارفرف الآل فى الدوية الجرد إما تبدلت منا بعدنصرتنا || دين الرسول أناسا ساكنى الجند لايعرفون أضل الله سعيهم || إلااتباعكم ياراعى النقد فقد بغى الحق هضما شر ذى كلع || واليحصبيون طرا بيضة البلد . قال فلما أتى معاوية كتاب أبى أيوب كسره . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر قال حدثنى مجالد عن الشعبى عن زياد بن النضر الحارثى قال شهدت مع على ع صفين فاقتتلنا مرة ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نحن و أهل الشام فى اليوم الثالث يعانق بعضنا بعضا ولقد قاتلت ليلتئذ بجميع السلاح فلم يبق شىء من السلاح إلاقاتلت به حتى تحاثينا [صفحه ۴۶] بالتراب وتكادمنا بالأفواه حتى صرنا قياما ينظر بعضنا إلى بعض مايستطيع أحد من الفريقين أن ينهض إلى صاحبه و لايقاتل فلما كان نصف الليل من الليلة الثالثة انحاز معاوية وخيله من الصف وغلب على ع على القتلى فلما أصبح أقبل على أصحابه يدفهم و قدقتل كثير منهم وقتل من أصحاب معاوية أكثر وقتل فيهم تلك الليلة شمر بن أبرهة. قال نصر و حدثناعمرو عن جابن عن تميم قال و الله إنى لمع على ع إذ أتاه علقمة بن زهير الأنصارى فقال يا أمير المؤمنين إن عمرو بن العاص يرتجز فى الصف بشعر أفأسمعكه قال نعم قال إنه يقول إذاتخازرت و مابى من خزر || ثم كسرت العين من غيرعور ألفيتنى ألوى بعيد المستمر || ذا صولة فى المصمئلات الكبر أحمل ماحملت من خير وشر || كالحية الصماء فى أصل الحجر فقال على أللهم العنه فإن رسولك لعنه قال علقمة وإنه يا أمير المؤمنين يرتجز برجز آخر فأنشدك قال قل فقال أناالغلام القرشى المؤتمن || الماجد الأبلج ليث

كالشطن ترضى بى الشام إلى أرض عدن || ياقادة الكوفة يا أهل الفتن [صفحه ۴۷] أضربكم و لاأرى أباحسن || كفى بهذا حزنا من الحزن فضحك على ع و قال إنه لكاذب وإنه بمكانى لعالم كما قال العربى غيرالوهى ترقعين و أنت مبصرة ويحكم أرونى مكانه لله أبوكم وخلاكم ذم و قال محمد بن عمرو بن العاص لوشهدت جمل مقامى ومشهدى || بصفين يوما شاب منها الذوائب غداة غدا أهلى العراق كأنهم || من البحر موج لجه متراكب وجئناهم نمشى صفوفا كأننا || سحاب خريف صففته الجنائب فطارت إلينا بالرماح كماتهم || وطرنا إليهم والسيوف ۰۱-قواضب فدارت رحانا واستدارت رحاهم || سراة نهار ماتولى المناكب إذا قلت يوما قدونوا برزت لنا || كتائب منهم واحجنت كتائب وقالوا نرى من رأينا أن تبايعوا || عليا فقلنا بل نرى أن نضاربا فأبنا و قدأردوا سراة رجالنا || و ليس لمالاقوا سوى الله حاسب فلم أر يوما كان أكثر باكيا || و لاعارضا منهم كميا يكالب كأن تلألؤ البيض فينا وفيهم || تلألؤ برق فى تهامة ثاقب . [صفحه ۴۸] و قال النجاشى يذكر عليا ع وجده فى الأمر إنى إخال عليا غيرمرتدع || حتى تقام حقوق الله والحرم أ ماترى النقع معصوبا بلمته || كأنه الصقر فى عرنينه شمم غضبان يحرق نابيه على حنق || كمايغط الفنيق المصعب القطم حتى يزيل ابن حرب عن إمارته || كماتنكب تيس الحبلة الحلم قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الشعبى قال بلغ النجاشى أن معاوية تهدده فقال ياأيها الرجل المبدى عداوته || روئ لنفسك أى الأمر تأتمر لاتحسبنى كأقوام ملكتهم || طوع الأعنه لماترشح الغدر و ماعلمت بما أضمرت من حنق || حتى أتتنى به الركبان والنذر إذانفست على الأنجاد مجدهم || فابسط يديك فإن الخير مبتدر واعلم بأن على الخير من نفر || شم العرانين لايعلوهم بشر لايجحد الحاسد الغضبان فضلهم || مادام بالحزن من صمائها حجر نعم الفتى أنت إلا أن بينكما || كماتفاضل ضوء الشمس والقمر [صفحه ۴۹] و لاإخالك إلالست منتهيا || حتى يمسك من أظفاره ظفر لاتحمدن امرأ حتى تجربه || و لاتذمن من لم يبله الخبر إنى امرؤ قلما أثنى على أحد || حتى أرى بعض مايأتى و مايذر و إن طوى معشر عنى عداوتهم || فى الصدر أو كان فى أبصارهم خزر أجمعت عزما جراميزى بقافية || لايبرح الدهر منها فيهم أثر . قال فلما بلغ معاوية هذاالشعر قال ماأراه إلا قدقارب . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن محمد بن إسحاق أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان يحمل على الخيل يوما فجاءه رجل فقال هل من فرس يا ابن ذى الجناحين قال تلك الخيل فخذ أيتها شئت فلما ولى قال ابن جعفر إن تصب أفضل الخيل تقتل فما عتم أن أخذ أفضل الخيل فركبه ثم حمل على فارس قد كان دعاه إلى البراز فقتله الشامى وحمل غلامان آخران من أهل العراق حتى انتهيا إلى سرادق معاوية فقتلا عنده وأقبلت الكتائب بعضها نحو بعض فاقتتلت قياما فى الركب لايسمع السامع إلاوقع السيوف على البيض والدرق . و قال عمرو بن العاص أجئتم إلينا تسفكون دماءنا || و مارمتم وعر من الأمر أعسر لعمرى لما فيه يكون حجاجنا || إلى الله أدهى لوعقلتم وأنكر تعاورتم ضربا بكل مهند || إذاشد وردان تقدم قنبر كتائبكم طورا تشد وتارة || كتائبنا فيهاالقنا والسنور [صفحه ۵۰] إذا ماالتقوا يوما تدارك بينهم || طعان وموت فى المعارك أحمر و قال رجل من كلب مع معاوية يهجو أهل العراق ويوبخهم لقد ضلت معاشر من نزار || إذاانقادوا لمثل أبى تراب وإنهم وبيعتهم عليا || كواشمة التغضن بالخضاب تزين من سفاهتها يديها || وتحسر باليدين عن النقاب فإياكم وداهية نئودا || تسير إليكم تحت العقاب إذاساروا سمعت لحافتيهم || دويا مثل تصفيق السحاب يجيبون الصريخ إذادعاهم || و قدطعن الفوارس بالحراب عليهم كل سابغة دلاص || وأبيض صارم مثل الشهاب و قال أبوحية بن غزية الأنصارى و هو الذى عقر الجمل يوم البصرة واسمه عمرو سائل حليلة معبد عن بعلها || وحليلة اللخمى و ابن كلاع واسأل عبيد الله عن فرساننا || لماثوى متجدلا بالقاع واسأل معاوية المولى هاربا || والخيل تمعج وهى جد سراع ماذا يخبرك المخبر منهم || عنهم وعنا عند كل وقاع إن يصدقوك يخبروك بأننا || أهل الندى قدما مجيبو الداعى [صفحه ۵۱] إن يصدقوك يخبروك بأننا || نحمى الحقيقة كل يوم مصاع ندعو إلى التقوى ونرعى أهلها || برعاية المأمون لاالمضياع ونسن للأعداء كل مثقف || لدن و كل مشطب قطاع . و قال عدى

بن حـاتم الطـائى أقول لمـا أن رأيت المعمعه || واجتمع الجنـدان وسـط البلقعه هـذا على والهـدى حقـا معه || يارب فاحفظه و لاتضـيعه فـإنه يخشـاک رب فارفعه || و من أراد عيبه فضعضـعه أوكاده بالبغى منک فاقمعه و قال النعمان بن جعلان الأنصارى سائل بصـفين عنا عندغدوتنا || أم كيف كنا إلى العلياء نبتدر وسل غداة لقينا الأزد قاطبة || يوم البصـيرة لماستجمعت مضر لو لاالإلـه وعفو من أبى حسن || عنهم و مازال منه العفو ينتظر لماتـداعت لهم بالمصـر داعيـة || إلاالكلاب و إلاالشاء والحمر كم مقعص قـدتركناه بمقفرة || تعوى السـباع عليه و هومنعفر مـا إن يئوب و لاـترجوه أسـرته || إلى القيامـة حتى ينفـخ الصور قـال عمرو بن الحمـق الخزاعى [صـفحه ٥٢] تقول عرسـى لمـا أن رأت أرقى || ماذا يهيجک من أصـحاب صـفينا ألست فى عصـبة يهـدى الإله بهم || لايظلمون و لابغيا يريـدونا فقلت إنى على ما كان من رشد || أخشـى عواقب أمر سوف يأتينا إدالة القوم فى أمر يراد بنـا || فأقنى حياء وكفى ماتقولينا . و قال حجر بن عـدى الكنـدى ياربنا سـلم لنا عليا || سـلم لنا المهـذب التقيا المؤمن المسترشد الرضيا || واجعله هادى أمة مهديا واحفظه رب حفظک النبيا || لاخطل الرأى و لاغبيا فإنه كان لنا وليا || ثم ارتضيه بعده وصـيا . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الشعبى قال قال الأحنف بن قيس فى صفين لأصحابه هلكت العرب قالوا له و إن غلبنـا يا أبابحر قال نعم قالوا و إن غلبنا قال نعم قالوا و الله ماجعلت لنا مخرجا فقال الأحنف إنا إن غلبناهم لم نترک بالشام رئيسـا إلاضـربنا عنقه و إن غلبونا لم يعرج بعدها رئيس عن معصـية الله أبدا. قال نصـر و حدثناعمر بن سعد عن الشعبى قال ذكر معاوية يوما صـفين بعدعام الجماعة وتسـليم الحسن ع الأمر إليه فقال للوليد بن عقبة أى بنى عمک [صفحه ٥٣] كان أفضل يوم صفين ياوليـد عندوقـدان الحرب واسـتشاطة لظاهـا حين قاتلت الرجال على الأحساب قال كلهم قـدوصل كنفيها عنـدانتشار وقعتها حتى ابتلت أثباج الرجال من الجريال بكل لدن عسال وبكل عضب قصال فقال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد أما و الله لقد رأيتنا يوما من الأيـام و قدغشـينا ثعبـان فى مثـل الطود الأـرعن قـدأثار قسـطلا حال بيننا و بين الأفق و هو على أدهم شائل الغرة يعنى عليا ع يضـربهم بسـيفه ضـرب غرائب الإبل كاشـرا عن نابه كشـر المخدر الحرب فقال معاوية نعم إنه كان يقاتل عن ترة له و عليه . قال نصـر و حدثناعمر بن سـعد عن الشعبى قال أرسل على ع إلى معاوية أن ابرز إلى واعف الفريقين من القتال فأينا قتل صاحبه كان الأمر له فقال عمرو لقد أنصفک الرجل فقال معاوية أناأبارز الشجاع الأخرق أظنک ياعمرو طمعت فيها فلما لم يجب قال على ع وا نفساه أيطاع معاويـة وأعصـى ماقاتلت أمة قط أهل بيت نبيها وهى مقرة بنبيها غير هذه الأمة ثم إن عليا ع أمر الناس أن يحملوا على أهل الشام فحملوا فنقضوا صفوف الشام فقال عمرو على من هذاالرهج الساطع قالوا على ابنيک عبد الله و محمد فقال عمرو يـاوردان قـدم لوائى فأرسـل إليه معاويـة أنه ليس على ابنيـک بـأس فلاـتنقض الصف والزم موقفک فقال عمرو هيهات هيهات . الليث يحمى شـبليه || ماخيره بعـدابنيه ثم تقـدم باللواء فأدركه رسول معاوية فقال إنه ليس على ابنيک بأس فلاتحملن [صـفحه ٥٤] فقـال قـل له إنک لم تلـدهما وإنى أناولـدتهما وبلغ مقـدم الصـفوف فقال له الناس مكانک إنه لابأس على ابنيک إنهما فى مكان حريز فقال أسـمعونى أصواتهما حتى أعلم أحيان هما أم قتيلان ونادى ياوردان قـدم لواءک قيـد قوس فقدم لواءه فأرسـل على ع إلى أهل الكوفة أن احملوا و إلى أهل البصـرة أن احملوا فحمل الناس من كل جانب فاقتتلوا قتالا شديدا وخرج رجل من أهل الشام فقال من يبارز فبرز إليه رجل من أهل العراق فاقتتلا ساعة وضـرب العراقى الشامى على رجله فاسـقط قدمه فقاتل و لم يسـقط إلى الأرض فضـربه العراقى أخرى فاسقط يده فرمى الشامى سيفه إلى أهل الشام و قال دونكم سيفى هذافاستعينوا به على قتال عدوكم فاشتراه معاوية من أوليائه بعشـرة آلاف درهم . قال نصر و حدثنامالک الجهنى عن زيد بن وهب أن عليا ع مر على جماعـة من أهل الشام بصـفين منهم الوليـد بن عقبـة وهـم يشـتمونه ويقصـبونه فأخبر بـذلک فوقف على ناس من أصـحابه و قال انهـدوا إليهم وعليكم السـكينة والوقار وسـيما الصالحين أقرب بقوم من الجهل قائـدهم ومؤدبهم معاوية و ابن النابغة و أبوالأعور السـلمى و ابن أبى معيط شارب الحرام والمحدود فى الإسـلام وهم أولاء يقصبوننى ويشتموننى وقبل اليوم ماقاتلونى وشتمونى و

أناإذ ذاک ادعوهم إلى الإسلام وهم يدعوننی إلى عبادة الأصنام فالحمد لله و لاإله إلا الله لقديما ماعادانی الفاسقون إن هذالهو الخطب الجلل إن فساقا كانوا عندنا غيرمرضيين و على الإسلام [صفحه ۵۵] وأهله متخوفين أصبحوا و قدخدعوا شطر هذه الأمة وأشربوا فی قلوبهم حب الفتنة واستمالوا أهواءهم بالإفک والبهتان ونصبوا لنا الحرب وجدوا فی إطفاء نور الله و الله متم نوره و لوكره الكافرون أللهم فإنهم قدردوا الحق فافضض جمعهم وشتت كلمتهم وأبلسهم بخطاياهم فإنه لايذل من واليت و لايعز من عاديت . قال نصر و كان علی ع إذاأراد الحملة هلل وكبر ثم قال من أی يومی من الموت أفر || أ يوم لم يقدر أو يوم قدر فجعل معاوية لواءه الأعظم مع عبدالرحمن بن خالد بن الوليد فأمر علی ع جارية بن قدامة السعدی أن يلقاه بأصحابه وأقبل عمرو بن العاص بعده فی خيل ومعه لواء ثان فتقدم حتى خالط صفوف العراق فقال علی ع لابنه محمدامش نحو هذااللواء رويدا حتى إذاأشرعت الرماح فی صدورهم فأمسک يدک حتى يأتيک أمری ففعل و قد كان أعد علی ع مثلهم مع الأشتر فلما أشرع محمدالرماح فی صدور القوم أمر علی ع الأشتر أن يحمل فحمل فأزالهم عن مواقفهم وأصاب منهم رجالا واقتتل الناس قتالا شديدا فما صلى من أراد الصلاة إلاإيماء فقال النجاشی فی ذلک اليوم يذكر الأشتر و لمارأينا اللواء العقاب || يقحمه الشانئ الأخزر كليث العرين خلال العجاج || وأقبل فی خيله الأبتر دعونا لها الكبش كبش العراق || و قدأضمر الفشل العسكر فرد اللواء على عقبه || وفاز بحظوتها الأشتر [صفحه ۵۶] كما كان يفعل فی مثلها || إذاناب معصوصب منكر فإن يدفع الله عن نفسه || فحظ العراق به الأوفر إذاالأشتر الخير خلى العراق || فقد ذهب العرف والمنكر وتلک العراق و من عرفت || كفقع تضمنه القرقر . قال نصر و حدثنا محمد بن عتبة الكندی قال حدثنی شيخ من حضرموت شهد مع علی ع صفين قال كان منا رجل يعرف بهانئ بن فهد و كان شجاعا فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى البراز فلم يخرج إليه أحد فقال هانئ سبحان الله مايمنعكم أن يخرج منكم رجل إلى هذافو الله لو لاأنی موعوک وأنی أجد ضعفا شديدا لخرجت إليه فما رد أحد عليه فقام وشد عليه سلاحه ليخرج فقال له أصحابه ياسبحان الله أنت موعوک وعكة شديدة فكيف تخرج قال و الله لأخرجن و لوقتلنی فخرج فلما رآه عرفه و إذا الرجل من قومه من حضرموت يقال له يعمر بن أسد الحضرمی فقال ياهانئ ارجع فإنه إن يخرج إلى رجل غيرک أحب إلی فإنی لاأحب قتلک قال هانئ سبحان الله ارجع و قدخرجت لا و الله لأقاتلن اليوم حتى أقتل و لاأبالی قتلتنی أنت أوغيرک ثم مشى نحوه و قال أللهم فی سبيلک ونصرا لابن عم رسولک واختلفا ضربتين فقتله هانئ وشد أصحاب يعمر بن أسد على هانئ فشد أصحاب هانئ عليهم فاقتتلوا وانفرجوا عن اثنين وثلاثين قتيلا ثم إن عليا ع أرسل إلى جميع العسكر أن احملوا فحمل الناس كلهم على راياتهم كل منهم [صفحه ۵۷] يحمل على من بإزائه فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد لايسمع إلاصوت ضرب الهامات كوقع المطارق على السنادين ومرت الصلوات كلها فلم يصل أحد إلاتكبيرا عندمواقيت الصلاة حتى تفانوا ورق الناس وخرج رجل من بين الصفين لايعلم من هو فقال أيها الناس أخرج فيكم المحلقون فقيل لا فقال إنهم سيخرجون ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لهم حمة كحمة الحيات ثم غاب الرجل فلم يعلم من هو قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن السدی قال اختلط أمر الناس تلک الليلة وزال أهل الرايات عن مراكزهم وتفرق أصحاب علی ع عنه فأتى ربيعة ليلا فكان فيهم وتعاظم الأمر جدا وأقبل عدی بن حاتم يطلب عليا ع فی موضعه ألذی تركه فيه فلم يجده فطاف يطلبه فأصابه بين رماح ربيعة فقال يا أمير المؤمنين أماإذ كنت حيا فالأمر أمم مامشيت إليک إلا على قتيل و ماأبقت هذه الوقعة لهم عميدا فقاتل حتى يفتح الله عليک فإن فی الناس بقية بعد وأقبل الأشعث يلهث جزعا فلما رأى عليا ع هلل فكبر و قال يا أمير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل عليهم إلى ساعتنا هذه فعد إلى مكانک ألذی كنت فيه فإن الناس إنما يظنونک حيث تركوک وأرسل سعيد بن قيس الهمدانی إلى علی ع إنا مشتغلون بأمرنا مع القوم وفينا فضل فإن أردت أن نمد أحدا أمددناه فأقبل علی ع على ربيعة فقال أنتم درعی ورمحی قال فربيعة تفخر بهذا الكلام إلى اليوم فقال عدی بن حاتم يا أمير

المؤمنين إن قوما أنست بهم وكنت فى هذه الجولة [صفحه ۵۸] فيهم لعظيم حقهم و الله إنهم لصبر عندالموت أشداء عندالقتال فدعا على ع بفرس رسول الله ص ألذى كان يقال له المرتجز فركبه ثم تقدم أمام الصفوف ثم قال بل البغلة بل البغلة فقدمت له بغلة رسول الله ص وكانت الشهباء فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله ص وكانت سوداء ثم نادى أيها الناس من يشر نفسه الله يربح إن هذاليوم له مابعده إن عدوكم قدمسه القرح كمامسكم فانتدبوا لنصرة دين الله فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثنى عشر ألفا قدوضعوا سيوفهم على عواتقهم فشد بهم على أهل الشام و هو يقول دبوا دبيب النمل لاتفوتوا || وأصبحوا فى حربكم وبيتوا حتى تنالوا الثأر أوتموتوا || أو لافإنى طالما عصيت قدقلتموا لوجئتنا فجيت || ليس لكم ماشئتم وشيت بل مايريد المحيى المميت . وتبعه عدى بن حاتم بلوائه و هو يقول أ بعدعمار و بعدهاشم || و ابن بديل فارس الملاحم نرجو البقاء ضل حلم الحالم || لقد عضضنا أمس بالأباهم فاليوم لانقرع سن نادم || ليس امرؤ من حتفه بسالم . وحمل وحمل الأشتر بعدهما فى أهل العراق كافة فلم يبق لأهل الشام صف إلاانتقض وأهمد أهل العراق ماأتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية و على ع يضرب الناس بسيفه قدما قدما و يقول [صفحه ۵۹] أضربهم و لاأرى معاوية || الأخزر العين العظيم الحاوية هوت به النار أم هاوية فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله فى الركاب توقف وتلوم قليلا ثم أنشد قول عمرو بن الأطنابة أبت لى عفتى وأبى بلائى || وأخذ الحمد بالثمن الربيح وإقدامى على المكروه نفسى || وضربى هامة البطل المشيح وقولى كلما جشأت وجاشت || مكانك تحمدى أوتستريحى لأدفع عن مآثر صالحات || وأحمى بعد عن عرض صحيح بذى شطب كلون الملح صاف || ونفس ماتقر على القبيح ثم قال ياعمرو بن العاص اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت إنك و ما أنت فيه كقول القائل ماعلتى و أناجلد نابل || والقوس فيهاوتر عنابل تزل عن صفحتها المعابل || الموت حق والحياة باطل فثنى معاوية رجله من الركاب ونزل واستصرخ بعك والأشعريين فوقفوا دونه وجالدوا عنه حتى كره كل من الفريقين صاحبه وتحاجز الناس . [صفحه ۶۰] قال نصر جاء رجل إلى معاوية بعدانقضاء صفين وخلوص الأمر له فقال يا أمير المؤمنين إن لى عليك حقا قال و ما هو قال حق عظيم قال ويحك ما هو قال أتذكر يوما قدمت فرسك لتفر و قدغشيك أبوتراب والأشتر فلما أردت أن تستوثبه و أنت على ظهره أمسكت بعنانك و قلت لك أين تذهب أنه للؤم بك أن تسمح العرب بنفوسها لك شهرين و لاتسمح لها بنفسك ساعة و أنت ابن ستين وكم عسى أن تعيش فى الدنيا بعد هذه السن إذانجوت فتلومت فى نفسك ساعة ثم أنشدت شعرا لاأحفظه ثم نزلت فقال ويحك فإنك لأنت هو و الله ماأحلنى هذاالمحل إلا أنت وأمر له بثلاثين ألف درهم . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن النخعى عن ابن عباس قال تعرض عمرو بن العاص لعلى ع يوما من أيام صفين وظن أنه يطمع منه فى غرة فيصيبه فحمل عليه على ع فلما كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه ورفع ثوبه وشغر برجله فبدت عورته فصرف ع وجهه عنه وارتث وقام معفرا بالتراب هاربا على رجليه معتصما بصفوفه فقال أهل العراق يا أمير المؤمنين أفلت الرجل فقال أتدرون من هوقالوا لا قال فإنه عمرو بن العاص تلقانى بسوءته فصرفت وجهى عنه ورجع عمرو إلى معاوية فقال ماصنعت يا أبا عبد الله فقال لقينى على فصرعنى قال احمد الله وعورتك و الله إنى لأظنك لوعرفته لماأقحمت عليه و قال معاوية فى ذلك ألا لله من هفوات عمرو || يعاتبنى على تركى برازى [صفحه ۶۱] فقد لاقى أباحسن عليا || فآب الوائلى مآب خازى فلو لم يبد عورته لطارت || بمهجته قوادم أى بازى فإن تكن المنية أخطأته || فقد غنى بها أهل الحجاز .فغضب عمرو و قال ماأشد تعظيمك عليا أباتراب فى أمرى هل أنا إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه أفترى السماء لذلك دما قال لا ولكنها معقبة لك خزيا. قال نصر و حدثناعمر بن سعد قال لمااشتد الأمر وعظم على أهل الشام قال معاوية لأخيه عتبة بن أبى سفيان الق الأشعث فإنه إن رضى رضيت العامة و كان عتبة فصيحا فخرج فنادى الأشعث فقال الأشعث سلوا من هوالمنادى قالوا عتبة بن أبى سفيان قال غلام مترف و لابد من لقائه فخرج إليه فقال ماعندك ياعتبة فقال أيها الرجل إن معاوية لو كان لاقيا رجلا غير على للقيك إنك رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن

و قدسلف من عثمان إليک ماسلف من الصهر والعمل ولست کأصحابک أماالأشتر فقتل عثمان و أماعدی فحرض علیه و أماسعید بن قیس فقلد علیا دیته و أماشریح وزحر بن قیس فلایعرفان غیرالهوی وإنک حامیت عن أهل العراق تکرما وحاربت أهل الشام حمیة و قدبلغنا منک وبلغت منا ماأردت وإنا لاندعوک إلی ترک علی ونصرة معاویة ولکنا ندعوک إلی البقیة التی فیهاصلاحک وصلاحنا فتکلم الأشعث فقال یاعتبة أماقولک إن معاویة لایلقی إلاعلیا [صفحه ۶۲] فلو لقینی و الله لماعظم عنی و لاصغرت عنه و إن أحب أن أجمع بینه و بین علی فعلت و أماقولک إنی رأس أهل العراق وسید أهل الیمن فإن الرأس المتبع والسید المطاع هو علی بن أبی طالب و أما ماسلف من عثمان إلی فو الله مازادنی صهره شرفا و لاعمله عزا و أماعیبک أصحابی فإنه لایقربک منی و لایباعدنی عنهم و أمامحاماتی عن أهل العراق فمن نزل بیتا حماه و أماالبقیة فلستم بأحوج إلیها منا وستری رأینا فیها. فلما عاد عتبة إلی معاویة وأبلغه قوله قال له لاتلقه بعدها فإن الرجل عظیم عندنفسه و إن کان قدجنح للسلم وشاع فی أهل العراق ماقاله عتبة للأشعث و مارده الأشعث علیه فقال النجاشی یمدحه یا ابن قیس وحارث ویزید || أنت و الله رأس أهل العراق أنت و الله حیة تنفث السم || قلیل منها غناء الراقی أنت کالشمس والرجال نجوم || لایری ضوءها مع الإشراق قدحمیت العراق بالأسل السمر || وبالبیض کالبروق الرقاق وسعرت القتال فی الشام بالبیض || المواضی وبالرماح الدقاق لاتری غیرأذرع وأکف || ورءوس بهامها أفلاق کلما قلت قدتصرمت الهیجا || سقیتهم بکأس دهاق قدقضیت ألذی علیک من الحق || وسارت به القلاص المناقی أنت حلو لمن تقرب بالود || وللشانئین مر المذاق بئسما ظنه ابن هند و من مثلک || فی الناس عندضیق الخناق [صفحه ۶۳] قال نصر فقال معاویة لمایئس من جهة الأشعث لعمرو بن العاص إن رأس الناس بعد علی هو عبد الله بن العباس فلو کتبت إلیه کتابا لعلک ترققه ولعله لو قال شیئا لم یخرج علی منه و قدأکلتنا الحرب و لاأرانا نصل إلی العراق إلابهلاک أهل الشام فقال عمرو إن ابن عباس لایخدع و لوطمعت فیه لطمعت فی علی قال معاویة علی ذلک فاکتب فکتب عمرو إلیه أما بعد فإن ألذی نحن فیه وأنتم لیس بأول أمر قاده البلاء و أنت رأس هذاالجمع بعد علی فانظر فیما بقی ودع مامضی فو الله ماأبقت هذه الحرب لنا و لالکم حیاة و لاصبرا فاعلم أن الشام لاتهلک إلابهلاک العراق و أن العراق لاتهلک إلابهلاک الشام فما خیرنا بعدهلاک أعدادنا منکم و ماخیرکم بعدهلاک أعدادکم منا ولسنا نقول لیت الحرب عادت ولکنا نقول لیتها لم تکن و إن فینا من یکره اللقاء کما أن فیکم من یکرهه وإنما هو أمیرمطاع ومأمور مطیع أومؤتمن مشاور و هو أنت فأما الأشتر الغلیظ الطبع القاسی القلب فلیس بأهل أن یدعی فی الشوری و لا فی خواص أهل النجوی وکتب فی أسفل الکتاب طال البلاء و مایرجی له آسی || بعدالإله سوی رفق ابن عباس قولا له قول من یرجو مودته || لاتنس حظک إن الخاسر الناسی انظر فدی لک نفسی قبل قاصمة || للظهر لیس لها راق و لاآس إن العراق و أهل الشام لن یجدوا || طعم الحیاة مع المستغلق القاسی یا ابن ألذی زمزم سقیا الحجیج له || أعظم بذلک من فخر علی الناس إنی أری الخیر فی سلم الشام لکم || و الله یعلم مابالسلم من بأس فیهاالتقی وأمور لیس یجهلها || إلاالجهول و مانوکی کأکیاس . [صفحه ۶۴] فلما وصل الکتاب إلی ابن عباس عرضه علی أمیر المؤمنین ع فضحک و قال قاتل الله ابن العاص ماأغراه بک یا عبد الله أجبه ولیرد إلیه شعره الفضل بن العباس فإنه شاعر فکتب ابن عباس إلی عمرو أما بعدفإنی لاأعلم أحدا من العرب أقل حیاء منک إنه مال بک معاویة إلی الهوی فبعته دینک بالثمن الیسیر ثم خبطت الناس فی عشوة طمعا فی الدنیا فأعظمتها إعظام أهل الدنیا ثم تزعم أنک تتنزه عنها تنزه أهل الورع فإن کنت صادقا فارجع إلی بیتک ودع الطمع فی مصر والرکون إلی الدنیا الفانیة واعلم أن هذه الحرب مامعاویة فیهاکعلی بدأها علی بالحق وانتهی فیها إلی العذر وبدأها معاویة بالبغی وانتهی فیها إلی السرف و لیس أهل العراق فیهاکأهل الشام بایع أهل العراق علیا و هوخیر منهم وبایع أهل الشام معاویة وهم خیر منه ولست أنا و أنت فیهاسواء أردت الله وأردت مصر و قدعرفت الشیء ألذی باعدک منی و لاأعرف الشیء ألذی قربک من معاویة فإن ترد شرا لانسبقک به و إن ترد خیرا لاتسبقنا إلیه و

السـلام . ثم دعـا أخـاه الفضـل فقال يا ابن أم أجب عمرا فقال الفضل ياعمرو حسـبک من مکر ووسواس || فاذهب فليس لـداء الجهـل من آس إلاـتواتر طعن فی نحورکم || يشـجی النفوس ويشـفی نخوة الرأس أما علی فإن الله فضـله || بفضل ذی شـرف عـال علی النـاس إن تعقلوا الحرب نعقلهـا مخيسـة || أوتبعثوهـا فإنا غيرإنکاس [صـفحه ۶۵] قتلی العراق بقتلی الشـام ذاهبـة || هذابهذا و مابالحق من بأس . ثم عرض الشـعر والکتاب علی علی ع فقال لاأراه يجيبک بعدها أبدا بشیء إن کان يعقل و إن عاد عـدت عليه فلمـا انتهی الکتاب إلی عمرو بن العاص عرضه علی معاويـة فقال إن قلب ابن عباس وقلب علی قلب واحـد وکلاهما ولـد عبـدالمطلب و إن کان قـدخشن فلقـد لان و إن کان قدتعظم أوعظم صاحبه فلقد قارب وجنح إلی السـلم . قال نصـر و قال معاوية لأکتبن إلی ابن عباس کتابا أسـتعرض فيه عقله وأنظر ما فی نفسه فکتب إليه أما بعدفإنکم معشر بنی هاشم لستم إلی أحد أسـرع بالمسـاءة منکم إلی أنصـار ابن عفـان حتی أنکم قتلتم طلحـة والزبير لطلبهمـا دمه واسـتعظامهما مانيـل منه فإن کان ذلک منافسـة لبنی أميـة فی السـلطان فقـد وليها عـدی وتيم فلم تنافسوهم وأظهرتم لهم الطاعـة و قـدوقع من الأمر ماتری وأکلت هـذه الحروب بعضـها بعضـا حتی اسـتوينا فيهافمـا يطمعکم فينـا يطمعنـا فيکم و مايؤيسـنا منکم يؤيسـکم منـا ولقـد رجونا غير ما کان وخشـينا دون ماوقع ولست ملاقينا اليوم بأحـد من حـد أمس و لاغـدا بأحـد من حـد اليوم و قدقنعنا بما فی أيدينا من ملک الشام فـاقنعوا بمـا فی أيـديکم من ملـک العراق وأبقوا علی قريش فإنمـا بقی من رجالها سـتة رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز فأما اللذان بالشام فأنا وعمرو و أمااللذان بالعراق فأنت [صـفحه ۶۶] و علی و أمااللذان بالحجاز فسـعد و ابن عمر فاثنان من السـتة ناصـبان لک واثنان واقفان فيک و أنت رأس هذاالجمع و لوبايع لک الناس بعدعثمان کنا إليک أسـرع منا إلی علی . فلمـا وصـل الکتـاب إلی ابن عبـاس أسـخطه و قـال حتی متی يخطب ابن هنـد إلی عقلی و حتی متی أجمجم علی ما فی نفسـی وکتب إليه أما بعدفقـد أتانی کتابک وقرأته فأما ماذکرت من سـرعتنا إليک بالمساءة إلی أنصار ابن عفان وکراهتنا لسـلطان بنی أمية فلعمری لقد أدرکت فی عثمان حاجتک حين استنصـرک فلم تنصـره حتی صـرت إلی ماصرت إليه وبينی وبينک فی ذلک ابن عمـک وأخو عثمان و هوالوليـد بن عقبـة و أماطلحـة والزبير فإنهما أجلبا عليه وضـيقا خناقه ثم خرجا ينقضان البيعـة ويطلبان الملک فقاتلناهما علی النکث کماقاتلناک علی البغی و أماقولک إنه لم يبق من قريش غيرسـتة فما أکثر رجالها وأحسن بقيتها و قـدقاتلک من خيارها من قاتلک و لم يخذلنا إلا من خذلک و أماإغراؤک إيانا بعدی وتيم فإن أبابکر وعمر خير من عثمان کما أن عثمان خير منک و قدبقی لک منا ماينسيک ماقبله وتخاف مابعده و أماقولک لوبايع الناس لی لاستقاموا فقد بايع الناس عليا و هوخير منی فلم يستقيموا له و ما أنت والخلافة يامعاوية وإنما أنت طليق و ابن طليق والخلافة للمهاجرين الأولين و ليس الطلقاء منها فی شـیء و السـلام . فلما وصل الکتاب إلی معاوية قال هذاعملی بنفسـی لاأکتب و الله إليه کتابا سـنة کاملة و قال [صـفحه ۶۷] دعوت ابن عبـاس إلی جـل حظه || و کـان امرأ أهـدی إليه رسائلی فأخلف ظنی والحوادث جمـة || و مازاد أن أغلی عليه مراجلی فقـل لاـبن عباس أراک مخوفا || بجهلک حلمی إننی غيرغافل فأبرق وأرعـد مااسـتطعت فإننی || إليک بما يشـجيک سبط الأنامل . قال نصـر و حـدثناعمر بن سعد قال عقـد معاويـة يوما من أيام صـفين الرئاسـة علی اليمن من قريش قصـد بذلک إکرامهم ورفع منازلهم منهم عبيـد الله بن عمر بن الخطاب و محمـد وعتبـة ابنا أبی سـفيان وبسـر بن أبی أرطاة و عبدالرحمن بن خالـد بن الوليد و ذلک فی الوقعات الأولی من صـفين فغم ذلک أهل اليمن وأرادوا ألا يتأمر عليهم أحد إلامنهم فقام إليه رجل من کنـدة يقال له عبـد الله بن الحارث السـکونی فقال أيها الأمير إنی قـد قلت شـيئا فاسـمعه وضـعه منی علی النصـيحة قال هات فأنشده معاوی أحييت فينا الإحن || وأحدثت بالشام ما لم يکن عقدت لبسر وأصحابه || و ما الناس حولک إلااليمن فلاتخلطن بنـا غيرنـا || کماشيب بالمـاء صـفو اللبن و إلافـدعنا علی حالنـا || فإنـا وإنا إذا لم نهن سـتعلم أن جاش بحر العراق || وأبـدی نواجـذه فی الفتن وشـد علی بأصـحابه || ونفسک إذ ذاک عندالـذقن [صـفحه ۶۸] بأنـا شـعارک دون الـدثار || و أناالرماح و

أنـاالجنن و أناالسـيوف و أنـاالحتوف || و أناالـدروع و أنـاالمجن قـال فبكى لهـا معاويـۀ ونظر إلى وجوه أهـل اليمن فقـال أ عن رضاكم يقول ما قال قالوا لامرحبا بما قال إنما الأمر إليك فاصنع ماأحببت فقال معاويۀ إنما خلطت بكم أهل ثقتى و من كان لى فهو لكم و من كان لكم فهو لى فرضـى القوم وسـكتوا فلما بلغ أهل الكوفـۀ مقال عبـد الله بن الحارث لمعاويـۀ فيمن عقد له من رءوس أهـل الشام قام الأعور الشـنى إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إنا لانقول لک كما قال صاحب أهل الشام لمعاويـۀ ولكن نقول زاد الله فى سـرورک وهـداک نظرت بنور الله فقدمت رجالا وأخرت رجالا عليک أن تقول وعلينا أن نفعل أنت الإمام فإن هلكت فهذان من بعدک يعنى حسـنا وحسينا ع و قد قلت شيئا فاسمعه قال هات فأنشده أباحسن أنت شمس النهار || وهذان فى الحادثات القمر و أنت وهذان حتى الممات || بمنزلۀ السـمع بعدالبصـر وأنتم أناس لكم سورۀ || تقصر عنها أكف البشر يخبرنا النـاس عن فضـلكم || وفضـلكم اليوم فوق الخبر عقـدت لقوم أولى نجـدۀ || من أهـل الحيـاء و أهـل الخطر مساميـح بـالموت عنـداللقاء || منـا وإخواننا من مضـر و من حى ذى يمن جلـۀ || يقيمون فى النائبات الصـعر فكل يسـرک فى قومه || و من قال لافبفيه الحجر [صفحه ۶۹] ونحن الفوارس يوم الزبير || وطلحۀ إذ قيل أودى غدر ضربناهم قبل نصف النهار || إلى الليل حتى قضـينا الوطر و لم يأخذ الضـرب إلاالرءوس || و لم يأخذ الطعن إلاالثغر فنحن أولئک فى أمسنا || ونحن كذلک فيما غبر . قال فلم يبق أحد من الرؤساء إلا وأهدى إلى الشـنى أوأتحفه . قال نصـر و حدثناعمر بن سعد قال لماتعاظمت الأمور على معاويۀ قبل قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب دعا عمرو بن العاص وبسـر بن أبى أرطاۀ وعبيد الله بن عمر بن الخطاب و عبدالرحمن بن خالد بن الوليـد فقال لهم إنه قدغمنى مقام رجال من أصـحاب على منهم سـعيد بن قيس الهمدانى فى قومه والأشتر فى قومه والمرقال وعـدى بن حاتم وقيس بن سـعد فى الأنصار و قـدعلمتم أن يمانيتكم وقتكم بأنفسـها أياما كثيرۀ حتى لقـد استحييت لكم وأنتم عـدتهم من قريش و أناأحب أن يعلم الناس أنكم أهل غناء و قدعبأت لكل رجل منهم رجلا منكم فاجعلوا ذلک إلى قالوا ذاک إليـک قـال فأنـا أكفيكم غـدا سـعيد بن قيس وقومه و أنت ياعمرو للمرقال أعور بنى زهرۀ و أنت يابسـر لقيس بن سـعيد و أنت ياعبيـد الله للأشتر و أنت يا عبـدالرحمن لأعور طىء يعنى عـدى بن حاتم و قـدجعلتها نوبا فى خمسـۀ أيام لكل رجل منكم يوم فكونوا على أعنـۀ الخيل قالوا نعم فأصبـح معاويـۀ فى غـده فلم يدع فارسا إلاحشده ثم قصد لهمدان بنفسه وارتجز فقال لن تمنع الحرمـۀ بعـدالعام || بين قتيل وجريح دام سأملک العراق بالشآم || أنعى ابن عفان مدى الأيام . [صـفحه ۷۰] فطعن فى أعرض الخيل مليا ثم إن همـدان تنادت بشـعارها وأقحم سـعيد بن قيس فرسه على معاويـۀ واشـتد القتال حتى حجز بينهم الليل فهمـدان تـذكر أن سـعيدا كـاد يقتنصه إلا أنه فاته ركضا و قال سـعيد فى ذلک يالهف نفسـى فاتنى معاويـۀ || فوق طمر كالعقاب هاويۀ والراقصات لايعود ثانيـۀ قال نصـر وانصـرف معاويـۀ ذلک اليوم و لم يصـنع شـيئا وغدا عمرو بن العاص فى اليوم الثانى فى حماۀ الخيل فقصـد المرقال و مع المرقال لواء على ع الأعظم فى حماۀ الناس و كان عمرو من فرسان قريش فارتجز عمرو فقال لاعيش إن لم ألق يوما هاشـما || ذاک ألذى جشـمنى المجاشما ذاک ألذى يشتم عرضى ظالما || ذاک ألذى إن ينج منى سالما يكن شجى حتى الممات لازما فطعن فى أعراض الخيل مزبـدا وحمل المرقال عليه وارتجز فقال لاعيش إن لم ألق يوما عمرا || ذاک ألذى أحدث فينا الغدرا أويبدل الله بأمر أمرا || لاتجزعى يانفس صبرا صبرا ضربا هذاذيک وطعنا شزرا || ياليت ماتجنى يكون القبرا . [صفحه ۷۱] فطاعن عمرا حتى رجع وانصرف الفريقان بعدشدۀ القتال و لم يسر معاويۀ ذلک وغدا بسر بن أبى أرطاۀ فى اليوم الثـالث فى حماۀ الخيل فلقى قيس بن سـعد بن عبادۀ فى كمأۀ الأنصار فاشـتدت الحرب بينهما وبرز قيس كأنه فنيق مقرم و هو يقول أنـا ابن سعد زانه عبـاده || والخزرجيون كمـأۀ سـاده ليس فرارى فى الوغى بعاده || إن الفرار للفتى قلاده يارب أنت لقنى الشـهاده || فالقتـل خير من عنـاق غاده حتى متى تثنى لى الوساده . وطاعن خيل بسـر وبرز بسـر فارتجز و قال أنا ابن أرطاۀ العظيم القدر || مردد فى غالب وفهر ليس الفرار من طباع بسـر || إن أرجع اليوم بغير وتر و قدقضيت فى العدو نذرى || ياليت

شعرى كم بقى من عمرى ويطعن بسر قيسا ويضربه قيس بالسيف فرده على عقبيه ورجع القوم جميعا ولقيس الفضل وتقدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب فى اليوم الرابع لم يترك فارسا مذكورا إلاجمعه واستكثر مااستطاع فقال له معاويهٔ إنک اليوم تلقى أفعى أهل العراق فارفق واتئد فلقيه الأشتر أمام الخيل مزبدا و كان الأشتر إذاأراد القتال أزبد و هو يقول يارب قيض لى سيوف الكفره || واجعل وفاتى بأكف الفجره فالقتل خير من ثياب الحبره || لاتعدل الدنيا جميعا وبره و لابعوضا فى ثواب البرره . [صفحه ۷۲] وشد على الخيل خيل الشام فردها فاستحيا عبيد الله وبرز أمام الخيل و كان فارسا شجاعا و قال أنعى ابن عفان وأرجو ربى || ذاک ألذى يخرجنى من ذنبى ذاک ألذى يكشف عنى كربى || أن ابن عفان عظيم الخطب يأبى له حبى بكل قلبى || إلاطعانى دونه وضربى حسبى ألذى أنويه حسبى حسبى فحمل عليه الأشتر وطعنه واشتد الأمر وانصرف القوم وللأشتر الفضل فغم ذلک معاويهٔ وغدا عبدالرحمن بن خالد فى اليوم الخامس و كان رجاء معاويهٔ أن ينال حاجته فقواه بالخيل والسلاح و كان معاويهٔ يعده ولدا فلقيه عدى بن حاتم فى كمأهٔ مذحج وقضاعهٔ فبرز عبدالرحمن أمام الخيل و قال قل لعدى ذهب الوعيد || أنا ابن سيف الله لامزيد وخالد يزينه الوليد || ذاک ألذى قيل له الوحيد ثم حمل فطعن الناس فقصده عدى بن حاتم وسدد إليه الرمح و قال أرجو إلهى وأخاف ذنبى || ولست أرجو غيرعفو ربى يا ابن الوليد بغضكم فى قلبى || كالهضب بل فوق قنان الهضب . فلما كاد أن يخالطه بالرمح توارى عبدالرحمن فى العجاج واستتر بأسنهٔ أصحابه واختلط القوم ثم تحاجزوا ورجع عبدالرحمن مقهورا وانكسر معاويهٔ وبلغ أيمن بن خزيم مالقى معاويهٔ وأصحابه فشمت بهم و كان ناسكا من أنسک أهل الشام و كان معتزلا للحرب فى ناحيهٔ عنها فقال [صفحه ۷۳] معاوى إن الأمر لله وحده || وإنک لاتستطيع ضرا و لانفعا عبأت رجالا من قريش لعصبهٔ || يمانيهٔ لاتستطيع لها دفعا فكيف رأيت الأمر إذ جد جده || لقد زادک الأمر ألذى جئته جدعا تعبى لقيس أوعدى بن حاتم || والأشتر ياللناس أغمارک الجدعا وتجعل للمرقال عمرا وإنه || لليث لقى من دون غايته ضبعا و إن سعيدا إذ برزت لرمحه || لفارس همدان ألذى يشعب الصدعا ملى بضرب الدارعين بسيفه || إذاالخيل أبدت من سنابكها نقعا رجعت فلم تظفر بشىء تريده || سوى فرس أعيت وأبت بهاظلعا فدعهم فلا و الله لاتستطيعهم || مجاهرهٔ فاعمل لقهرهم خدعا . قال و إن معاويهٔ أظهر لعمرو شماتهٔ وجعل يقرعه ويوبخه و قال لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس فى همدان وفررتم وإنک لجبان ياعمرو فغضب عمرو و قال فهلا برزت إلى على إذ دعاک إن كنت شجاعا كماتزعم و قال تسير إلى ابن ذى يزن سعيد || وتترک فى العجاجهٔ من دعاكا فهل لک فى أبى حسن على || لعل الله يمكن من قفاكا دعاک إلى البراز فلم تجبه || و لونازلته تربت يداكا وكنت أصم إذ ناداک عنها || و كان سكوته عنها مناكا فآب الكبش قدطحنت رحاه || بنجدته و ماطحنت رحاكا فما أنصفت صحبک يا ابن هند || أتفرقه وتغضب من كفاكا فلا و الله ماأضمرت خيرا || و لاأظهرت لى إلاهواكا . [صفحه ۷۴] قال و إن القرشيين استحيوا ماصنعوا وشمت بهم اليمانيهٔ من أهل الشام فقال معاويهٔ يامعشر قريش و الله لقد قربكم لقاء القوم إلى الفتح ولكن لامرد لأمر الله ومم تستحيون إنما لقيتم كباش العراق فقتلتم منهم وقتلوا منكم و مالكم على من حجهٔ لقد عبأت نفسى لسيدهم وشجاعهم سعيد بن قيس فانقطعوا عن معاويهٔ أياما فقال معاويهٔ فى ذلک لعمرى لقد أنصفت والنصف عادتى || وعاين طعنا فى العجاج المعاين و لو لارجائى أن تئوبوا بنهزهٔ || و أن تغسلوا عارا وعته الكنائن لناديت للهيجا رجالا سواكم || ولكنما تحمى الملوک البطائن أتدرون من لاقيتم فل جيشكم || لقيتم ليوثا أصحرتها العرائن لقيتم صناديد العراق و من بهم || إذاجاشت الهيجاء تحمى الظغائن و ما كان منكم فارس دون فارس || ولكنه ماقدر الله كائن . فلما سمع القوم ماقاله معاويهٔ أتوه فاعتذروا إليه واستقاموا إليه على مايحب . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر قال لمااشتد القتال وعظم الخطب أرسل معاويهٔ إلى عمرو بن العاص إن قدم عكا والأشعريين إلى من بإزائهم فبعث عمرو إليه أن بإزاء عک همدان فبعث إليه معاويهٔ أن قدم عكا فأتاهم عمرو فقال يامعشر عک إن عليا قدعرف أنكم حى أهل الشام فعبأ لكم حى أهل العراق همدان [صفحه ۷۵] فاصبروا

وهبوا إلى جماجمكم ساعة من النهار فقد بلغ الحق مقطعه فقال ابن مسروق العكى أمهلنى حتى آتى معاوية فأتاه فقال يامعاوية اجعل لنا فريضة ألفى رجل فى ألفين ألفين و من هلك فابن عمه مكانه لنقر اليوم عينك فقال لك ذلك فرجع ابن مسروق إلى أصحابه فأخبرهم الخبر فقالت عك نحن لهمدان ثم تقدمت عك ونادى سعيد بن قيس ياهمدان إن تقدموا فشدت همدان على عك رجالة فأخذت السيوف أرجل عك فنادى ابن مسروق يالعك بركا كبرك الكمل فبركوا تحت الحجف فشجرتهم همدان بالرماح وتقدم شيخ من همدان و هو يقول يالبكيل لخمها وحاشد || نفسى فداكم طاعنوا وجالدوا حتى تخر منكم القماحد || وأرجل يتبعها سواعد بذاك أوصى جدكم والوالد . وقام رجل من عك فارتجز فقال تدعون همدان وندعو عكا || بكوا الرجال يالعك بكا إن خدم القوم فبركا بركا || لاتدخلوا اليوم عليكم شكا قدمحك القوم فزيدوا محكا . [صفحه ٧٦] قال فالتقى القوم جميعا بالرماح وصاروا إلى السيوف وتجالدوا حتى أدركهم الليل فقالت همدان يامعشر عك نحن نقسم بالله أننا لاننصرف حتى تنصرفوا وقالت عك مثل ذلك فأرسل معاوية إلى عك أن أبروا قسم إخوتكم وهلموا فانصرفت عك فلما انصرفت انصرفت همدان فقال عمرو يامعاوية و الله لقد لقيت أسد أسدا لم أر و الله كهذا اليوم قط لو أن معك حيا كعك أو مع على حى كهمدان لكان الفناء و قال عمرو فى ذلك إن عكا وحاشدا وبكيلا || كأسود الضراء لاقت أسودا وجثا القوم بالقنا وتساقوا || بظباة السيوف موتا عتيدا ازورار المناكب الغلب بالشم || وضرب المسومين الخدودا ليس يدرون ماالفرار و لو كان || فرارا لكان ذاك سديدا يعلم الله مارأيت من القوم || ازورارا و لارأيت صدودا غيرضرب فوق الطلى و على الهام || وقرع الحديد يعلو الحديدا ولقد قال قائل خدموا السوق || فخرت هناك عك قعودا كبروك الجمال أثقلها الحمل || فما تستقل إلاوئيدا قال و لمااشترطت علك والأشعريون على معاوية مااشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم لم يبق من أهل العراق أحد فى قلبه مرض إلاطمع فى معاوية وشخص ببصره إليه حتى فشا ذلك فى الناس وبلغ عليا ع فساءه . [صفحه ٧٧] قال نصر وجاء عدى بن حاتم يلتمس عليا ع مايطأ إلا على قتيل أوقدم أوساعد فوجده تحت رايات بكر بن وائل فقال يا أمير المؤمنين أ لاتقوم حتى نقاتل إلى أن نموت فقال له على ع ادن فدنا حتى وضع أذنه عندأنفه فقال ويحك إن عامة من معى اليوم يعصينى و إن معاوية فيمن يطيعه و لايعصيه قال نصر وجاء المنذر بن أبى حميصة الوادعى و كان شاعر همدان وفارسها عليا ع فقال يا أمير المؤمنين إن عكا والأشعريين طلبوا إلى معاوية الفرائض والعطاء فأعطاهم فباعوا الدين بالدنيا وإنا قدرضينا بالآخرة من الدنيا وبالعراق من الشام وبك من معاوية و الله لآخرتنا خير من دنياهم ولعراقنا خير من شامهم ولإمامنا أهدى من إمامهم فاستفتحنا بالحرب وثق منا بالنصر واحملنا على الموت وأنشده إن عكا سألوا الفرائض والأشعر || سألوا جوائزا بثنيه تركوا الدين للعطاء وللفرض || فكانوا بذاك شر البريه وسألنا حسن الثواب من الله || وصبرا على الجهاد ونيه فلكل ماسأله ونواه || كلنا يحسب الخلاف خطيه ولأهل العراق أحسن فى الحرب || إذا ماتدانت السمهريه ولأهل العراق أحمل للثقل || إذاعمت البلاد بليه ليس منا من لم يكن فى الله || وليا ياذا الولاء والوصية فقال على ع حسبك الله يرحمك الله وأثنى عليه و على قومه خيرا وانتهى شعره إلى معاوية فقال و الله لأستميلن بالدنيا ثقات على ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته . قال نصر فلما أصبح الناس غدوا على مصافهم وأصبح معاوية يدور فى أحياء اليمن و قال عبوا إلى كل فارس مذكور فيكم أتقوى به على هذاالحى من همدان [صفحه ٧٨] فخرجت خيل عظيمة فلما رآها على ع وعرف أنها عيون الرجال فنادى يالهمدان فأجابه سعيد بن قيس فقال له على ع احمل فحمل حتى خالط الخيل بالخيل واشتد القتال وحطمتهم همدان حتى ألحقتهم بمعاوية فقال معاوية مالقيت من همدان وجزع جزعا شديدا وأسرع القتل فى فرسان الشام وجمع على ع همدان فقال لهم يامعشر همدان أنتم درعى ورمحى ومجنى ياهمدان مانصرتم إلا الله و لاأجبتم غيره فقال سعيد بن قيس أجبنا الله وأجبناك ونصرنا رسول الله فى قبره وقاتلنا معك من ليس مثلك فارمنا حيث شئت . قال نصر و فى هذااليوم قال على ع -روايت-١-٢-روايت-٤٠-٤١ و لوكنت بوابا على باب

جنـة || لقلت لهمـدان ادخلى بسـلام فقال على ع لصاحب لواء همـدان اكفنى أهل حمص فإنى لم ألق من أحد مالقيت منهم - روايت-١-٨٥ فتقـدم وتقـدمت همـدان وشـدوا شـدة واحدة على أهل حمص فضـربوهم ضـربا شديدا متداركا بالسـيوف وعمد الحديـد حتى ألجئوهم إلى قبـة معاويـة وارتجز من همـدان رجل عـداده فى أرحب فقال قـدقتل الله رجال حمص || غروا بقول كـذب وخرص حرصا على المال و أى حرص || قـدنكص القوم و أى نكص عن طاعة الله وفحوى النص قال نصـر فحدثنا عمر بن سـعد قـال لمـاردت خيول معاويـة أسف فجرد سـيفه وحمل فى كماة أصـحابه فحملت عليه فوارس همـدان ففاز منها ركضـا وانكسرت كماته ورجعت همدان إلى مراكزها فقال حجر بن قحطان الهمدانى يخاطب سعيد بن قيس [صفحه ٧٩] ألا ابن قيس قرت العين إذارأت || فوارس همـدان بن زيد بن مالك على عارفات للقاء عوابس || طوال الهوادى مشـرفات الحوارك معودة للطعن فى ثغراتها || يجلن فيحطمن الحصى بالسنابك عباها على لابن هند وخيله || فلو لم يفتها كان أول هالك وكانت له فى يومه عنـدظنه || و فى كل يوم كاسف الشـمس حالك وكانت بحمـد الله فى كل كربـة || حصونا وعزا للرجال الصـعالك فقل لأـمير المـؤمنين أن ادعنـا || مـتى شـئـت إنـا عرضـة للمهالـك ونحـن حطمنـا السـمر فى حى حمير || وكنـدة والحى الخفـاف السكاسك وعك ولخم شائلين سياطهم || حذار العوالى كالإماء العوارك . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن رجاله أن معاوية دعـا يومـا بصـفين مروان بن الحكم فقـال له إن الأـشتر قـدغمنى وأقلقنى فاخرج بهـذه الخيل فى يحصب والكلاعيين فالقه فقال مروان ادعا لهما عمرا فإنه شعارك دون دثارك قال فأنت نفسى دون وريدى قال لوكنت كذلك ألحقتنى به فى العطاء وألحقته بى فى الحرمان ولكنك أعطيته ما فى يدك ومنيته ما فى يد غيرك فإن غلبت طاب له المقام و إن غلبت خف عليه الهرب فقال معاويـة سـيغنى الله عنـك قال أما إلى اليوم فلم يغن فـدعا معاويـة عمرا فأمره بالخروج إلى الأشتر فقال أماإنى لاأقول لك ما قال مروان قـال وكيـف نقوله و قدقـدمتك وأخرته وأدخلتـك وأخرجته قـال أمـا و الله إن كنت فعلت لقـد قـدمتنى كافيـا وأدخلتنى ناصـحا و قدأكثر القوم عليك فى أمر مصـر و إن كان لايرضيهم [صفحه ٨٠] إلاارجوعـك فيما وثقت لى به منها فارجع فيه ثم قام فخرج فى تلك الخيل فلقيه الأشتر أمام القوم و قدعلم أنه سيلقاه و هويرتجز و يقول ياليت شعرى كيف لى بعمرو || ذاك ألـذى أوجبـت فيه نـذرى ذاك ألـذى أطلبه بـوترى || ذاك ألـذى فيه شـفاء صـدرى من بـائعى يومـا بكـل عمرى || يعلى به عنداللقاء قدرى أجعله فيه طعام النسر || أو لافربى عاذرى بعذرى فلما سمع عمرو هذاالرجز فشل وجبن واستحيا أن يرجع وأقبل نحو الصوت و قال ياليت شعرى كيف لى بمالك || كم كاهل جببته وحارك وفارس قتلته وفاتك || ومقدم آب بوجه حالك مازلت دهرى عرضة المهالك .فغشيه الأشتر بالرمح فراغ عمرو عنه فلم يصنع الرمح شيئا ولوى عمرو عنان فرسه وجعل يده على وجهه وجعـل يرجع راكضـا نحو عسـكره فنـادى غلام من يحصب ياعمرو عليك العفاء ماهبت الصـبا ياآل حمير إنا لكم ما كان معكم هاتوا اللواء فأخـذه وتقـدم و كان غلاما حـدثا فقال [صـفحه ٨١] إن يـك عمرو قـدعلاه الأشتر || بأسـمر فيه سـنان أزهر فذاك و الله لعمرى مفخر || ياعمرو تكفيك الطعان حمير واليحصبى بالطعان أمهر || دون اللواء اليوم موت أحمر فنادى الأشتر ابنه ابراهيم خـذ اللواء فغلام لغلام وتقدم فأخذ ابراهيم اللواء و قال ياأيها السائل عنى لاترع || أقدم فإنى من عرانين النخع كيف ترى طعن العراقى الجذع || أطير فى يوم الوغى و لاأفع ماساءكم سـر و ماضر نفع || أعددت ذا اليوم لهول المطلع ويحمل على الحميرى فالتقاه الحميرى بلوائه ورمحه فلم يبرحا يطعن كل واحـد منهما صاحبه حتى سـقط الحميرى قتيلا وشـمت مروان بعمرو وغضب القحطانيون على معاويـة وقالوا تولى علينا من لايقاتل معنا ول رجلا منا و إلا فلاحاجة لنا فيك و قال شاعرهم معاوى إما تـدعنا لعظيمـة || يلبس من نكرائها الغرض بالحقب فول علينا من يحوط ذمارنا || من الحميريين الملوك على العرب و لاتأمرنا بالتى لانريدها || و لاتجعلنا بالهوى موضع الذنب و لاتغضـبنا والحوادث جمة || عليك فيفشو اليوم فى يحصب الغضب فإن لنا حقا عظيما وطاعـة || وحبا دخيلا فى المشاش و فى العصب . فقال لهم معاوية و الله لاأولى عليكم بعد هذااليوم إلارجلا منكم [

صفحه ۸۲] قال نصر و حدثناعمر بن سعد قال لماأسرع أهل العراق فی أهل الشام قال لهم معاویة هذا یوم تمحیص و إن لهذا الیوم مابعده و قدأسرعتم فی القوم کماأسرعوا فیکم فاصبروا وموتوا کراما وحرض علی ع أصحابه فقام إلیه الأصبغ بن نباتة و قال یا أمیر المؤمنین قدمنی فی البقیة من الناس فإنک لاتفقد لی الیوم صبرا و لانصرا أما أهل الشام فقد أصبنا و أمانحن ففینا بعض البقیة ائذن لی فأتقدم فقال له تقدم علی اسم الله والبرکة فتقدم وأخذ الرایة ومضی بها و هو یقول إن الرجاء بالقنوط یدمغ || حتی متی یرجو البقاء الأصبغ أ ماتری أحداث دهر تنبغ || فادبغ هواک والأدیم یدبغ والرفق فیما قدترید أبلغ || الیوم شغل وغدا لاتفرغ .فما رجع إلی علی ع حتی خضب سیفه دما ورمحه و کان شیخا ناسکا عابدا و کان إذالقی القوم بعضهم بعضا یغمد سیفه و کان من ذخائر علی ع ممن قدبایعه علی الموت و کان علی ع یضن به عن الحرب والقتال . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر عن جابر قال نادی الأشتر یوما أصحابه فقال أ ما من رجل یشری نفسه لله فخرج أثال بن حجل بن عامر المذحجی فنادی بین العسکرین هل من مبارز فدعا معاویة و هو لایعرفه أباه حجل بن عامر المذحجی فقال دونک الرجل قال و کان مستبصرین فی رأیهما فبرز کل واحد منهما إلی صاحبه فبدره بطعنة وطعنه الغلام وانتسبا فإذا هوابنه فنزلا فاعتنق کل [صفحه ۸۳] واحد منهما صاحبه وبکیا فقال له الأب یابنی هلم إلی الدنیا فقال له الغلام یا أبی هلم إلی الآخرة ثم قال یاأبت و الله لو کان من رأیی الانصراف إلی أهل الشام لوجب علیک أن یکون من رأیک لی أن تنهانی وا سوأتاه فما ذا أقول لعلی وللمؤمنین الصالحین کن علی ما أنت علیه و أنا علی ما أنا علیه فانصرف حجل إلی صف الشام وانصرف ابنه أثال إلی أهل العراق فخبر کل واحد منهما أصحابه و قال فی ذلک حجل إن حجل بن عامر وأثالا || أصبحا یضربان فی الأمثال أقبل الفارس المدجج فی النقع || أثال یدعو یرید نزالی دون أهل العراق یخطر کالفحل || علی ظهر هیکل ذیال فدعانی له ابن هند و مازال || قلیلا فی صحبة أمثالی فتناولته ببادرة الرمح || وأهوی بأسمر عسال فأطعنا وذاک من حدث الدهر || عظیم فتی لشیخ بجال شاجرا بالقناة صدر أبیه || وعزیز علی طعن أثال لاأبالی حین اعترضت أثالا || وأثال کذاک لیس یبالی فافترقنا علی السلامة والنفس || یقیها مؤخر الآجال لایرانی علی الهدی وأراه || من هدای علی سبیل ضلال فلما انتهی شعره إلی أهل العراق قال أثال ابنه مجیبا له إن طعنی وسط العجاجة حجلا || لم یکن فی ألذی نویت عقوقا کنت أرجو به الثواب من الله || وکونی مع النبی رفیقا [صفحه ۸۴] لم أزل أنصر العراق علی الشام || أرانی بفعل ذاک حقیقا قال أهل العراق إذ عظم الخطب || ونق المبارزون نقیقا من فتی یسلک الطریق إلی الله || فکنت ألذی سلکت الطریقا حاسر الرأس لاأرید سوی الموت || أری الأعظم الجلیل دقیقا فإذافارس تقحم فی الروع || خدبا مثل السحوق عتیقا فبدانی حجل ببادرة الطعن || و ماکنت قبلها مسبوقا فتلقیته بعالیة الرمح || کلانا یطاول العیوقا أحمد الله ذا الجلالة والقدرة || حمدا یزیدنی توفیقا إذ کففت السنان عنه و لم أدن || قتیلا منه و لاثغروقا قلت للشیخ لست أکفر نعماک || لطیف الغذاء والتفنیقا غیرأنی أخاف أن تدخل النار || فلاتعصنی وکن لی رفیقا وکذا قال لی فغرب تغریبا || وشرقت راجعا تشریقا . قال نصر و حدثناعمرو بن شمر بالإسناد المذکور أن معاویة دعا النعمان بن بشیر بن سعد الأنصاری ومسلمة بن مخلد الأنصاری و لم یکن معه من الأنصار غیرهما فقال یاهذان لقد غمنی مالقیت من الأوس والخزرج واضعی سیوفهم علی عواتقهم یدعون إلی النزال حتی لقد جبنوا أصحابی الشجاع منهم والجبان و حتی و الله ماأسأل عن [صفحه ۸۵] فارس من أهل الشام إلاقیل قتله الأنصار أما و الله لألقینهم بحدی وحدیدی ولأعبین لکل فارس منهم فارسا ینشب فی حلقه ولأرمینهم بأعدادهم من قریش رجال لم یغذهم التمر والطفیشل یقولون نحن الأنصار قد و الله آووا ونصروا ولکن أفسدوا حقهم بباطلهم فغضب النعمان و قال یامعاویة لاتلومن الأنصار فی حب الحرب والسرعة نحوها فإنهم کذلک کانوا فی الجاهلیة و أمادعاؤهم إلی النزال فقد رأیتهم مع رسول الله ص یفعلون ذلک کثیرا و أمالقاؤک إیاهم فی أعدادهم من قریش فقد علمت مالقیت قریش منهم قدیما فإن أحببت أن تری فیهم مثل ذلک آنفا فافعل و أماالتمر والطفیشل

فإن التمر كان لنا فلما ذقتموه شاركتمونا فيه و أماالطفيشل فكان لليهود فلما أكلناه غلبناهم عليه كماغلبت قريش على السخينة. ثم تكلم مسلمة بن مخلد فقال يامعاوية إن الأنصار لاتعاب أحسابها و لانجداتها و أماغمهم إياک فقد و الله غمونا و لورضينا مافارقونا و لافارقنا جماعتهم و إن فی ذلک ما فيه من مباينة العشيرة ولكنا حملنا ذلک لک ورجونا منک عوضه و أماالتمر والطفيشل فإنهما يجران عليک السخينة والخرنوب . قال وانتهى هذاالكلام إلى الأنصار فجمع قيس بن سعد الأنصار ثم قام فيهم خطيبا فقال إن معاوية قال مابلغكم وأجابه عنكم صاحباكم ولعمری إن غظتم [صفحه ٨٦] معاوية اليوم لقد غظتموه أمس و إن وترتموه فی الإسلام فلقد وترتموه فی الشرک و مالكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذاالدين فجدوا اليوم جدا تنسونه به ما كان أمس وجدوا غدا جدا تنسونه به ما كان اليوم فأنتم مع هذااللواء ألذی كان يقاتل عن يمينه جبريل و عن يساره ميكائيل والقوم مع لواء أبی جهل والأحزاب فأما التمر فإنا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه و أماالطفيشل فلو كان طعامنا لسمينا به كماسميت قريش بسخينة ثم قال سعد فی ذلک يا ابن هند دع التوثب فی الحرب || إذانحن بالجياد سرينا نحن من قدعلمت فادن إذاشئت || بمن شئت فی العجاج إلينا إن تشأ فارس له فارس منا || و إن شئت باللفيف التقينا أی هذين ماأردت فخذه || ليس منا و ليس منک الهوينی ثم لانسلخ العجاجة حتی || تنجلی حربنا لنا أوعلينا ليت ماتطلب الغداة أتانا || أنعم الله بالشهادة عينا . فلما أتی شعره وكلامه معاوية دعا عمرو بن العاص فقال ماتری فی شتم الأنصار قال أری أن توعدهم و لاتشتمهم ماعسی أن تقول لهم إذاأردت ذمهم فذم أبدانهم و لاتذم أحسابهم فقال إن قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيبا وأظنه و الله يفنينا غدا إن لم يحبسه عنا حابس الفيل فما الرأی قال الصبر والتوكل وأرسل [صفحه ٨٧] إلی رءوس الأنصار مع علی فعاتبهم وأمرهم أن يعاتبوه فأرسل معاوية إلی أبی مسعود والبراء بن عازب وخزيمة بن ثابت والحجاج بن غزية و أبی أيوب فعاتبهم فمشوا إلی قيس بن سعد وقالوا له إن معاوية لا‌يحب الشتم فكف عن شتمه فقال إن مثلی لايشتم ولكنی لاأكف عن حربه حتی ألقی الله قال وتحركت الخيل غدوة فظن قيس أن فيهامعاوية فحمل علی رجل يشبهه فضربه بالسيف فإذا هو ليس به ثم حمل علی آخر يشبهه أيضا فقنعه بالسيف . فلما تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتما قبيحا وشتم الأنصار فغضب النعمان ومسلمة فأرضاهما بعد أن هما أن ينصرفا إلی قومهما. ثم إن معاوية سأل النعمان أن يخرج إلی قيس فيعاتبه ويسأله السلم فخرج النعمان فوقف بين الصفين ونادی ياقيس بن سعد أناالنعمان بن بشير فخرج إليه و قال هيه يانعمان ماحاجتک قال ياقيس إنه قدأنصفكم من دعاكم إلی مارضی لنفسه يامعشر الأنصار إنكم أخطأتم فی خذل عثمان يوم الدار وقتلتم أنصاره يوم الجمل وأقحمتم خيولكم علی أهل الشام بصفين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليا لكانت واحدة بواحدة ولكنكم لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتی أعلمتم فی الحرب ودعوتم [صفحه ٨٨] إلی البراز ثم لم ينزل بعلی حطب قط إلاهونتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر و قدأخذت الحرب منا ومنكم ما قدرأيتم فاتقوا الله فی البقية.فضحک قيس و قال ماكنت أظنک يانعمان محتويا علی هذه المقالة إنه لاينصح أخاه من غش نفسه و أنت الغاش الضال المضل أماذكرک عثمان فإن كانت الأخبار تكفيک فخذ منی واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هوخير منک و أماأصحاب الجمل فقاتلناهم علی النكث و أمامعاوية فو الله لواجتمعت عليه العرب قاطبة لقاتلته الأنصار و أماقولک إنا لسنا كالناس فنحن فی هذه الحرب كماكنا مع رسول الله نتقی السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتی جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ولكن انظر يانعمان هل تری مع معاوية إلاطليقا أوأعرابيا أويمانيا مستدرجا بغرور انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضی الله عنهم ورضوا عنه ثم انظر هل تری مع معاوية أنصاريا غيرک و غيرصويحبک ولستما و الله ببدريين و لاعقبيين و لاأحديين و لالكما سابقة فی الإسلام و لاآية فی القرآن ولعمری لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوک . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن مالک بن أعين عن زيد بن وهب قال كان فارس أهل الشام ألذی لاينازع عوف بن مجزأة المرادی المكنی أباأحمر و كان فارس أهل الكوفة العكبر بن جدير الأسدی فقام العكبر إلی علی

ع و كان [صفحه ۸۹] منطيقا فقال يا أمير المؤمنين إن فى أيدينا عهدا من الله لانحتاج فيه إلى الناس قدظننا بأهل الشام الصبر وظنوا بنا فصبرنا وصبروا و قدعجبت من صبر أهل الدنيا لأهل الآخرة وصبر أهل الحق على أهل الباطل ورغبة أهل الدنيا ثم قرأت آية من كتاب الله فعلمت أنهم مفتونون الم أَ حَسِبَ النّاسُ أَن يُترَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنّا وَ هُم لا يُفتَنُونَ وَ لَقَد فَتَنّا الّذِينَ مِن قَبلِهِم فَلَيَعلَمَنّ اللّهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعلَمَنّ الكاذِبِينَ فقال له ع خيرا وخرج الناس إلى مصافهم وخرج عوف بن مجزأة المرادى نادرا من الناس وكذا كان يصنع و قد كان قتل نفرا من أهل العراق مبارزة فنادى يا أهل العراق هل من رجل عصاه سيفه يبارزنى و لاأغركم من نفسى أناعوف بن مجزأة فنادى الناس بالعكبر فخرج إليه منقطعا عن أصحابه ليبارزه فقال عوف -قرآن-۲۷۶-۴۵۸ بالشام أمن ليس فيه خوف || بالشام عدل ليس فيه حيف بالشام جود ليس فيه سوف || أنا ابن مجزاة واسمى عوف هل من عراقى عصاه سيف || يبرز لى وكيف لى وكيف . فقال له العكبر الشام محل والعراق ممطر || بهاإمام طاهر مطهر والشام فيهاأعور ومعور || أناالعراقى واسمى عكبر [صفحه ۹۰] ابن جدير وأبوه المنذر || ادن فإنى فى البراز قسور فاطعنا فصرعه العكبر وقتله ومعاوية على التل فى وجوه قريش ونفر قليل من الناس فوجه العكبر فرسه يملأ فروجه ركضا ويضربه بالسوط مسرعا نحو التل فنظر معاوية إليه فقال هذا الرجل مغلوب على عقله أومستأمن فاسألوه فأتاه رجل و هو فى حمو فرسه فناداه فلم يجبه ومضى مبادرا حتى انتهى إلى معاوية فجعل يطعن فى أعراض الخيل ورجا أن ينفرد بمعاوية فيقتله فاستقبله رجال قتل منهم قوما وحال الباقون بينه و بين معاوية بسيوفهم ورماحهم فلما لم يصل إليه قال أولى لك يا ابن هند أناالغلام الأسدى ورجع إلى صف العراق و لم يكلم فقال له على ع مادعاك إلى ماصنعت لاتلق نفسك إلى التهلكة قال يا أمير المؤمنين أردت غرة ابن هند فحيل بينى وبينه و كان العكبر شاعرا فقال قتلت المرادى ألذى كان باغيا || ينادى و قدثار العجاج نزال يقول أناعوف بن مجزاة والمنى || لقاء ابن مجزاة بيوم قتال فقلت له لماعلا القوم صوته || منيت بمشبوح اليدين طوال فأوجرته فى ملتقى الحرب صعدة || ملأت بهارعبا صدور رجال [صفحه ۹۱] فغادرته يكبو صريعا لوجهه || ينوء مرارا فى مكر مجال وقدمت مهرى راكضا نحو صفهم || أصرفه فى جريه بشمالى أريد به التل ألذى فوق رأسه || معاوية الجانى لكل خبال فقام رجال دونه بسيوفهم || وقام رجال دونه بعوالى فلو نلته نلت التى ليس بعدها || وفزت بذكر صالح وفعال و لومت فى نيل المنى ألف موتة || لقلت إذا مامت لست أبالى . قال فانكسر أهل الشام لقتل عوف المرادى وهدر معاوية دم العكبر فقال العكبر يد الله فوق يده فأين الله جل جلاله ودفاعه عن المؤمنين . قال نصر وروى عمر بن سعد عن الحارث بن حصين عن أبى الكنود قال جزع أهل الشام على قتلاهم جزعا شديدا و قال معاوية بن خديج قبح الله ملكا يملكه المرء بعدحوشب وذى الكلاع و الله لوظفرنا بأهل الدنيا بعدقتلهما بغير مئونة ما كان ظفرا و قال يزيد بن أسد لمعاوية لاخير فى أمر لايشبه آخره أوله لايدمى جريح و لايبكى قتيل حتى تنجلى هذه الفتنة فإن يكن الأمر لك أدميت [صفحه ۹۲] وبكيت على قرار و إن يكن لغيرك فما أصبت به أعظم فقال معاوية يا أهل الشام ماجعلكم أحق بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم و الله ماذو الكلاع فيكم بأعظم من عمار بن ياسر فيهم و لاحوشب فيكم بأعظم من هاشم فيهم و ماعبيد الله بن عمر فيكم بأعظم من ابن بديل فيهم و ماالرجال إلاأشباه و ماالتمحيص إلا من عند الله فأبشروا فإن الله قدقتل من القوم ثلاثة قتل عمارا و كان فتاهم وقتل هاشما و كان حمزتهم وقتل ابن بديل و هو ألذى فعل الأفاعيل وبقى الأشتر والأشعث وعدى بن حاتم فأما الأشعث فإنما حمى عنه مصره و أماالأشتر وعدى فغضبا و الله للفتنة أقاتلهما غدا إن شاء الله تعالى فقال معاوية بن خديج إن يكن الرجال عندك أشباها فليست عندنا كذلك وغضب و قال شاعر اليمن يرثى ذا الكلاع وحوشبا معاوى قدنلنا ونيلت سراتنا || وجدع أحياء الكلاع ويحصب فذو كلع لايبعد الله داره || و كل يمان قدأصيب بحوشب هما ماهما كانا معاوى عصمة || متى قلت كانا عصمة لاأكذب و لوقبلت فى هالك بذل فدية || فديتهما بالنفس والأم والأب . وروى نصر عن عمر بن سعد عن عبيد الرحمن بن كعب قال لماقتل عبد الله بن بديل

يوم صفين مر به الأسود بن طهمان الخزاعى و هوبآخر رمق فقال له عز على و الله مصرعك أما و الله لوشهدتک لآسيتک ولدافعت عنک و لورأيت ألذى أشعرک [صفحه ۹۳] لأحببت ألا أزايله و لايزايلنى حتى أقتله أويلحقنى بک ثم نزل إليه فقال رحمک الله يا عبد الله و الله إن كان جارک ليأمن بوائقک و إن كنت لمن الذاكرين الله كثيرا أوصنى رحمک الله قال أوصيک بتقوى الله و أن تناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتى يظهر الحق أوتلحق بالله وأبلغ أمير المؤمنين عنى السلام وقل له قاتل على المعركة حتى تجعلها خلف ظهرک فإنه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب . ثم لم يلبث أن مات فأقبل أبوالأسود إلى على ع فأخبره فقال رحمه الله جاهد معنا عدونا فى الحياة ونصح لنا فى الوفاة. قال نصر و قدروى نحو هذا عن عبدالرحمن بن كلدة حدثنى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بحر عن عبدالرحمن بن حاطب قال خرجت التمس أخى سويدا فى قتلى صفين فإذا رجل صريع فى القتلى قدأخذ بثوبى فالتفت فإذا هو عبدالرحمن بن كلدة فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون هل لک فى الماء ومعى إداوة فقال لاحاجة لى فيه قدأنفذ فى السلاح وخرقنى فلست أقدر على الشراب هل أنت مبلغ عنى أمير المؤمنين رسالة أرسلک بها قلت نعم قال إذارأيته فاقرأ عليه السلام وقل له يا أمير المؤمنين احمل جرحاک إلى عسكرک حتى تجعلهم من وراء ظهرک فإن الغلبة لمن فعل ذلک ثم لم أبرح حتى مات فخرجت حتى أتيت أمير المؤمنين ع فقلت له إن عبدالرحمن بن كلدة يقرأ عليک السلام قال وأين هو قلت وجدته و قدأنفذه السلاح وخرقه فلم يستطع شرب الماء و لم أبرح حتى مات فاسترجع ع فقلت قدأرسلنى إليک برسالة قال و ماهى قلت إنه يقول احمل جرحاک [صفحه ۹۴] إلى عسكرک واجعلهم وراء ظهرک فإن الغلبة لمن فعل ذلک فقال صدق فنادى مناديه فى العسكر أن احملوا جرحاكم من بين القتلى إلى معسكركم ففعلوا. قال نصر وحدثنى عمرو بن شمر عن جابر عن عامر عن صعصعة بن صوحان أن أبرهة بن الصباح الحميرى قام بصفين فقال ويحكم يامعشر أهل اليمن إنى لأظن الله قدأذن بفنائكم ويحكم خلوا بين الرجلين فليقتتلا فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا و كان أبرهة من رؤساء أصحاب معاوية فبلغ قوله عليا ع فقال صدق أبرهة و الله ماسمعت بخطبة منذ وردت الشام أنا بهاأشد سرورا منى بهذه الخطبة قال وبلغ معاوية كلام أبرهة فتأخر آخر الصفوف و قال لمن حوله إنى لأظن أبرهة مصابا فى عقله فأقبل أهل الشام يقولون و الله إن أبرهة لأكملنا دينا وعقلا ورأيا وبأسا ولكن الأمير كره مبارزة على وسمع مادار من الكلام أبوداود عروة بن داود العامرى و كان من فرسان معاوية فقال إن كان معاوية كره مبارزة أبى حسن فأنا أبارزه ثم خرج بين الصفين فنادى أنا أبوداود فابرز إلى يا أباحسن فتقدم على ع نحوه فناداه الناس ارجع يا أمير المؤمنين عن هذاالكلب فليس لک بخطر فقال و الله مامعاوية اليوم بأغيظ لى منه دعونى وإياه ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداهما يمنية والأخرى شامية فارتج العسكران لهول الضربة وصرخ ابن عم لأبى داود وا سوء صباحاه وقبح الله البقاء بعد أبى داود وحمل على على ع فطعنه فضرب الرمح فبرأه ثم قنعه ضربة فألحقه بأبى داود ومعاوية [صفحه ۹۵] واقف على التل يبصر ويشاهد فقال تبا لهذه الرجال وقبحا أ مافيهم من يقتل هذامبارزة أوغيلة أو فى اختلاط الفيلق وثوران النقع فقال الوليد بن عقبة ابرز إليه أنت فإنک أولى الناس بمبارزته فقال و الله لقد دعانى إلى البراز حتى لقد استحييت من قريش وإنى و الله لاأبرز إليه ماجعل العسكر بين يدى الرئيس إلاوقاية له فقال عتبة بن أبى سفيان الهوا عن هذاكأنكم لم تسمعوا نداءه فقد علمتم أنه قتل حريثا وفضح عمرا و لاأرى أحدا يتحكک به إلاقتله فقال معاوية لبسر بن أرطاة أتقوم لمبارزته فقال ماأحد أحق بهامنک أماإذ بيتموه فأنا له قال معاوية إنک ستلقاه غدا فى أول الخيل و كان عندبسر ابن عم له قدم من الحجاز يخطب ابنته فأتى بسرا فقال له إنى سمعت أنک وعدت من نفسک أن تبارز عليا أ ماتعلم أن الوالى من بعدمعاوية عتبة ثم بعده محمدأخوه و كل من هؤلاء قرن على فما يدعوک إلى ماأرى قال الحياء خرج منى كلام فأنا أستحيى أن أرجع عنه فضحک الغلام و قال تنازله يابسر إن كنت مثله || و إلا فإن الليث للشاء آكل كأنک يابسر بن أرطاة جاهل || بآثاره فى الحرب أومتجاهل معاوية الوالى وصنواه بعده || و ليس سواء مستعار

وثاكل أولئك هم أولى به منك إنه || على فلاتقربه أمك هابل متى تلقه فالموت فى رأس رمحه || و فى سيفه شغل لنفسك شاغل و مابعده فى آخر الخيل عاطف || و لاقبله فى أول الخيل حامل . فقال بسر هل هو إلاالموت لابد من لقاء الله فغدا على ع منقطعا من خيله ويده فى يد الأشتر وهما يتسايران رويدا يطلبان التل ليقفا عليه إذ برز له بسر مقنعا فى الحديد لايعرف فناداه أبرز إلى أباحسن فانحدر إليه على تؤدة غيرمكترث به [صفحه ۹۶] حتى إذاقاربه طعنه و هودارع فألقاه إلى الأرض ومنع الدرع السنان أن يصل إليه فاتقاه بسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه فانصرف عنه ع مستدبرا له فعرفه الأشتر حين سقط فقال يا أمير المؤمنين هذابسر بن أرطاة هذاعدو الله وعدوك فقال دعه عليه لعنة الله أ بعد أن فعلها فحمل ابن عم بسر من أهل الشام شاب على على ع و قال أرديت بسرا والغلام ثائره || أرديت شيخا غاب عنه ناصره وكلنا حام لبسر واتره .فلم يلتفت إليه على ع وتلقاه الأشتر فقال له فى كل يوم رجل شيخ شاغره || وعورة وسط العجاج ظاهره تبرزها طعنة كف واتره || عمرو وبسر منيا بالفاقره .فطعنه الأشتر فكسر صلبه وقام بسر من طعنة على ع موليا وفرت خيله وناداه على ع يابسر معاوية كان أحق بهامنك فرجع بسر إلى معاوية فقال له معاوية ارفع طرفك فقد أدال الله عمرا منك قال الشاعر فى ذلك أ فى كل يوم فارس تندبونه || له عورة تحت العجاجة باديه يكف بها عنه على سنانه || ويضحك منها فى الخلاء معاويه بدت أمس من عمرو فقنع رأسه || وعورة بسر مثلها حذو حاذيه فقولا لعمرو و ابن أرطاة أبصرا || سبيليكما لاتلقيا الليث ثانيه و لاتحمدا إلاالحيا وخصاكما || هما كانتا للنفس و الله واقيه فلولاهما لم تنجوا من سنانه || وتلك بما فيها عن العود ناهيه [صفحه ۹۷] متى تلقيا الخيل المغيرة صبحة || و فيها على فاتركا الخيل ناحيه وكونا بعيدا حيث لاتبلغ القنا || ونار الوغى إن التجارب كافيه و إن كان منه بعدللنفس حاجة || فعودا إلى ماشئتما هى ماهيه . قال فكان بسر بعد ذلك اليوم إذالقى الخيل التى فيها على ينتحى ناحية وتحامى فرسان الشام بعدها عليا ع . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الأجلح بن عبد الله الكندى عن أبى جحيفة قال جمع معاوية كل قرشى بالشام و قال لهم العجب يامعشر قريش أنه ليس لأحد منكم فى هذه الحرب فعال يطول بهالسانه غدا ماعدا عمرا فما بالكم أين حمية قريش فغضب الوليد بن عقبه و قال أى فعال تريد و الله مانعرف فى أكفائنا من قريش العراق من يغنى غناءنا باللسان و لاباليد فقال معاوية بلى إن أولئك وقوا عليا بأنفسهم قال الوليد كلا بل وقاهم على بنفسه قال ويحكم أ مافيكم من يقوم لقرنه منهم مبارزة ومفاخرة فقال مروان أماالبراز فإن عليا لايأذن لحسن و لالحسين و لالمحمد بنيه فيه و لالابن عباس وإخوته ويصلى بالحرب دونهم فلأيهم نبارز و أماالمفاخرة فبما ذا نفاخرهم بالإسلام أم بالجاهلية فإن كان بالإسلام فالفخر لهم بالنبوة و إن كان بالجاهلية فالملك فيه لليمن فإن قلنا قريش قالوا لنا عبدالمطلب . [صفحه ۹۸] فقال عتبة بن أبى سفيان الهوا عن هذافإنى لاق بالغداة جعدة بن هبيرة فقال معاوية بخ بخ قومه بنو مخزوم وأمه أم هانئ بنت أبى طالب كف ء كريم وكثر العتاب والخصام بين القوم حتى أغلظوا لمروان وأغلظ لهم فقال مروان أما و الله لو لا ما كان منى إلى على ع فى أيام عثمان ومشهدى بالبصرة لكان لى فى على رأى يكفى امرأ ذا حسب ودين ولكن ولعل ونابذ معاوية الوليد بن عقبة دون القوم فأغلظ له الوليد فقال معاوية إنك إنما تجترئ على بنسبك من عثمان ولقد ضربك الحد وعزلك عن الكوفة. ثم إنهم ماأمسوا حتى اصطلحوا وأرضاهم معاوية من نفسه ووصلهم بأموال جليلة وبعث معاوية إلى عتبة فقال ما أنت صانع فى جعدة قال ألقاه اليوم وأقاتله غدا و كان لجعدة فى قريش شرف عظيم و كان له لسان و كان من أحب الناس إلى على ع فغدا عليه عتبة فنادى أباجعدة أباجعدة فاستأذن عليا ع فى الخروج إليه فأذن له واجتمع الناس فقال عتبة ياجعدة و الله ماأخرجك علينا إلاحب خالك وعمك عامل البحرين وإنا و الله مانزعم أن معاوية أحق بالخلافة من على لو لاأمره فى عثمان ولكن معاوية أحق بالشام لرضا أهلها به فاعفوا لنا عنها فو الله مابالشام رجل به طرق إلا و هوأجد من معاوية فى القتال و ليس بالعراق رجل له مثل جد على فى الحرب ونحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم و ماأقبح بعلى أن يكون فى قلوب المسلمين أولى الناس بالناس حتى إذاأصاب سلطانا أفنى العرب فقال جعدة

أماحبى لخالى فلو كان لك خال مثله لنسيت أباك و أما ابن أبى سلمة فلم يصب أعظم من قدره والجهاد أحب إلى من العمل و أمافضل على على معاوية [صفحه ٩٩] فهذا ما لايختلف فيه اثنان و أمارضاكم اليوم بالشام فقد رضيتم بهاأمس فلم نقبل و أماقولك ليس بالشام أحد إلا و هوأجد من معاوية و ليس بالعراق رجل مثل جد على فهكذا ينبغى أن يكون مضى بعلى يقينه وقصر بمعاوية شكه وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل و أماقولك نحن أطوع لمعاوية منكم لعلى فو الله مانسأله إن سكت و لانرد عليه إن قال و أماقتل العرب فإن الله كتب القتل والقتال فمن قتله الحق فإلى الله .فغضب عتبة وفحش على جعدة فلم يجبه وأعرض عنه فلما انصرف عنه جمع خيله فلم يستبق منها شيئا و جل أصحابه السكون والأزد والصدف وتهيأ جعدة بما استطاع والتقوا فصبر القوم جميعا وباشر جعدة يومئذ القتال بنفسه وجزع عتبة فأسلم خيله وأسرع هاربا إلى معاوية فقال له فضحك جعدة وهزمتك لاتغسل رأسك منها أبدا فقال و الله لقد أعذرت ولكن أبى الله أن يديلنا منهم فما أصنع وحظى جعدة بعدها عند على ع و قال النجاشى فيما كان من فحش عتبة على جعدة إن شتم الكريم ياعتب خطب || فاعلمنه من الخطوب عظيم أمه أم هانئ وأبوه || من معد و من لؤى صميم ذاك منها هبيرة بن أبى وهب || أقرت بفضا مخزوم كان فى حربكم يعد بألف || حين يلقى بهاالقروم القروم وابنه جعدة الخليفة منه || هكذا تنبت الفروع الأروم [صفحه ١٠٠] كل شىءتريده فهو فيه || حسب ثاقب ودين قويم وخطيب إذاتمعرت الأوجه || يشجى به الألد الخصيم وحليم إذاالحبى حلها الجهل || وخفت من الرجال الحلوم وشكيم الحروب قدعلم الناس || إذاحل فى الحروب الشكيم وصحيح الأديم من نغل العيب || إذا كان لايصح الأديم حامل للعظيم فى طلب الحمد || إذاعظم الصغير اللئيم ماعسى أن تقول للذهب الأحمر || عيبا هيهات منك النجوم كل هذابحمد ربك فيه || وسوى ذاك كان و هوفطيم و قال الأعور الشنى فى ذلك يخاطب عتبة بن أبى سفيان مازلت تظهر فى عطفيك أبهة || لايرفع الطرف منك التيه والصلف لاتحسب القوم إلاقفع قرقرة || أوشحمة بزها شاو لها نطف حتى لقيت ابن مخزوم و أى فتى || أحيا مآثر آباء له سلفوا إن كان رهط أبى وهب جحاجحة || فى الأولين فهذا منهم خلف أشجاك جعدة إذ نادى فوارسه || حاموا عن الدين والدنيا فما وقفوا هلا عطفت على قوم بمصرعة || فيهاالسكون و فيهاالأزد والصدف . قال نصر و حدثناعمر بن سعد عن الشعبى قال كان رجل من أهل الشام [صفحه ١٠١] يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدى من مسالح معاوية وطلائعه فندب له على ع الأشتر فأخذه أسيرا من غيرقتال فجاء به ليلا فشده وثاقا وألقاه عندأصحابه ينتظر به الصباح و كان الأصبغ شاعرا مفوها فأيقن بالقتل ونام أصحابه فرفع صوته فأسمع الأشتر و قال ألا ليت هذاالليل أصبح سرمدا || على الناس لايأتيهم بنهار يكون كذا حتى القيامة إننى || أحاذر فى الإصباح يوم بوارى فيا ليل أطبق إن فى الليل راحة || و فى الصبح قتلى أوفكاك إسارى و لوكنت تحت الأرض ستين واديا || لمارد عنى ماأخاف حذارى فيا نفس مهلا إن للموت غاية || فصبرا على ماناب يا ابن ضرار أأخشى و لى فى القوم رحم قريبة || أبى الله أن أخشى ومالك جارى و لو أنه كان الأسير ببلدة || أطاع بهاشمرت ذيل إزارى و لوكنت جار الأشعث الخير فكنى || وقل من الأمر المخوف فرارى وجار سعيد أوعدى بن حاتم || وجار شريح الخير قر قرارى وجار المرادى الكريم وهانئ || وزحر بن قيس ماكرهت نهارى و لوأننى كنت الأسير لبعضهم || دعوت فتى منهم ففك إسارى أولئك قومى لاعدمت حياتهم || وعفوهم عنى وستر عوارى . [صفحه ١٠٢] قال فغدا به الأشتر إلى على ع فقال يا أمير المؤمنين إن هذا رجل من مسالح معاوية أصبته أمس وبات عندنا الليل فحركنا بشعره و له رحم فإن كان فيه القتل فاقتله و إن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا فقال هو لك يامالك و إذاأصبت منهم أسيرا فلاتقتله فإن أسير أهل القبلة لايقتل .فرجع به الأشتر إلى منزله وخلى سبيله [صفحه ١٠٣]

١٢٥– و من كلام له ع فى الخوارج لماأنكروا تحكيم الرجال ويذم فيه أصحابه فى التحكيم

إِنّـا لَم نُحَكّمِ الرّجَالَ وَ إِنّمَا حَكّمنَا القُرآنَ هَـذَا القُرآنُ إِنّمَا هُوَ خَطّ مَسطُورٌ بَينَ الـدّفّتَينِ لَا يَنطِقُ بِلِسَانٍ وَ لَا بُدّ لَهُ مِن تَرجُمَانٍ وَ إِنّمَا يَنطِقُ عَنهُ الرّجَالُ وَ لَمّا دَعَانَا القَومُ إِلَى أَن نُحَكّمَ بَينَنَا القُرآنَ لَم نَكُنِ الفَرِيقَ المتُوَلَيّ عَن كِتَابِ اللّهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى وَ قَد قَالَ اللّهُ تَعَالَى عَزّ مِن قَائِلٍفَإِن تَنازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرّسُولِفَرَدّهُ إِلَى اللّهِ أَن نَحكُمَ بِكِتَابِهِ وَ رَدّهُ إِلَى الرّسُولِ أَن نَأخُذَ بِسُنّتِهِ فَإِذَا حُكِمَ بِالصّدقِ فِي كِتَابِ اللّهِ فَنَحنُ أَحَقّ النّاسِ بِهِ وَ إِن حُكِمَ بِسُنّةِ رَسُولِ اللّهِص فَنَحنُ أَحَقّ النّاسِ وَ أَولَاهُم بِهَا وَ أَمّا قَولُكُم لِمَ جَعَلتَ بَينَكَ وَ بَينَهُم أَجَلًا فِي التّحكِيمِ فَإِنّمَا فَعَلتُ ذَلِكَ لِيَتَبَيّنَ الجَاهِلُ وَ يَتَثَبّتَ العَالِمُ وَ لَعَلّ اللّهَ أَن يُصلِحَ فِي هَذِهِ الهُدنَةِ أَمرَ هَذِهِ الأُمّةِ وَ لَا تُؤخَذَ بِأَكظَامِهَا فَتَعجَلَ عَن تَبَيّنِ الحَقّ وَ تَنقَادَ لِأَوّلِ الغَيّ إِنّ أَفضَلَ النّاسِ عِندَ اللّهِ مَن كَانَ العَمَلُ بِالحَقّ أَحَبّ إِلَيهِ وَ إِن نَقَصَهُ وَ كَرَثَهُ مِنَ البَاطِلِ وَ إِن جَرّ إِلَيهِ وَ زَادَهُ فَأَينَ يُتَاهُ بِكُم وَ مِن أَينَ أُتِيتُم -قرآن-۳۹۲-۴۵۳ [صفحه ۱۰۴] استَعِدّوا لِلمَسِيرِ إِلَى قَومٍ حَيَارَى عَنِ الحَقّ لَا يُبصِرُونَهُ وَ مُوزَعِينَ بِالجَورِ لَا يَعدِلُونَ عَنهُ جُفَاةٍ عَنِ الكِتَابِ نُكُبٍ عَنِ الطّرِيقِ مَا أَنتُم بِوَثِيقَةٍ يُعلَقُ بِهَا وَ لَا زَوَافِرِ عِزّ يُعتَصَمُ إِلَيهَا لَبِئسَ حُشّاشُ نَارِ الحَربِ أَنتُم أُفّ لَكُم لَقَد لَقِيتُ مِنكُم بَرحاً يَوماً أُنَادِيكُم وَ يَوماً أُنَاجِيكُم فَلَا أَحرَارُ صِدقٍ عِندَ النّدَاءِ وَ لَا إِخوَانُ ثِقَةٍ عِندَ النّجَاءِ دفتا المصحف جانباه اللذان يكنفانه و كان الناس يعملونهما قديما من خشب ويعملونهما الآن من جلد يقول ع لااعتراض على فى التحكيم وقول الخوارج حكمت الرجال دعوى غيرصحيحة وإنما حكمت القرآن ولكن القرآن لاينطق بنفسه و لابد له ممن يترجم عنه والترجمان بفتح التاء وضم الجيم هومفسر اللغة بلسان آخر ويجوز ضم التاء لضمة الجيم قال الراجز كالترجمان لقى الأنباطا . ثم قال لمادعينا إلى تحكيم الكتاب لم نكن القوم الذين قال الله تعالى فى حقهم وَ إِذا دُعُوا إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم إِذا فَرِيقٌ مِنهُم مُعرِضُونَبل أجبنا إلى ذلك وعملنا بقول الله تعالى فَإِن تَنازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرّسُولِ و قال معنى ذلك أن نحكم بالكتاب والسنة فإذاعمل الناس بالحق فى هذه الواقعة واطرحوا الهوى والعصبية كنا أحق بتدبير الأمة وبولاية الخلافة من المنازع لنا عليها -قرآن-۸۸-۱۷۷-قرآن-۲۲۳-۲۸۴ [صفحه ۱۰۵] فإن قلت إنه ع لم يقل هكذا وإنما قال إذاحكم بالصدق فى كتاب الله فنحن أولى به و إذاحكم بالسنة فنحن أحق بها. قلت إنه رفع نفسه ع أن يصرح بذكر الخلافة فكنى عنها و قال نحن إذاحكم بالكتاب والسنة أولى بالكتاب والسنة ويلزم من كونه أولى بالكتاب والسنة من جميع الناس أن يكون أولى بالخلافة من جميع الناس فدل على ماكنى عنه بالأمر المستلزم له .
فإن قلت إذا كان الرجال الذين يترجمون القرآن ويفسرونه و قدكلفوا أن يحكموا فى واقعة أهل العراق و أهل الشام بما يدلهم القرآن عليه يجوز أن يختلفوا فى تفسير القرآن وتأويله فيدعى صاحب أهل العراق من تفسيره مايستدل به على مراده ويدعى وكيل أهل الشام مايقابل ذلك ويناقضه بطريق الشبهة التى تمسكوا بها من دم عثمان و من كون الإجماع لم يحصل على بيعة أمير المؤمنين ع احتاج الحكمان حينئذ إلى أن يحكم بينهما حكمان آخران والقول فيهما كالقول فى الأول إلى ما لانهاية له وإنما كان يكون التحكيم قاطعا للشغب لو كان القرآن ينص بالصريح ألذى لاتأويل فيه إما على أمير المؤمنين ع وإما على معاوية و لانص صريح فيه بل ألذى فيه يحتمل التأويل والتجاذب فما ألذى يفيد التحكيم والحال تعود لامحالة جذعة قلت لوتأمل الحكمان الكتاب حق التأمل لوجدا فيه النص الصريح على صحة خلافة أمير المؤمنين ع لأن فيه النص الصريح على أن الإجماع حجة ومعاوية لم يكن مخالفا فى هذه المقدمة و لا أهل الشام و إذا كان الإجماع حجة فقد وقع الإجماع لماتوفى رسول الله ص على أن اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعته توجب لزوم طاعته وصحة خلافته و قدبايع أمير المؤمنين ع [صفحه ۱۰۶] خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون فوجب أن تصح خلافته و إذاصحت خلافته نفذت أحكامه و لم يجب عليه أن يقيد بعثمان إلا أن حضر أولياؤه عنده طائعين له مبايعين ملتزمين لأحكامه ثم بعد ذلك يطلبون القصاص من أقوام بأعيانهم يدعون عليهم دم المقتول فقد ثبت أن الكتاب لوتؤمل حق التأمل لكان الحق مع أهل العراق و لم يكن لأهل الشام من الشبهة مايقدح فى استنباطهم المذكور. ثم قال ع فأما ضربى للأجل فى التحكيم فإنما فعلته لأن الأناة والتثبت من الأمور

المحمودة أماالجاهـل فيعلم فيه مـاجهله و أماالعـالم فيثبت فيه على مـاعلمه فرجوت أن يصـلح الله فى ذلك الأجل أمر هـذه الأمة المفتونة. و لاتؤخذ بأكظامها جمع كظم و هومخرج النفس يقول كرهت أن أعجل القوم عن التبين والاهتداء فيكون إرهاقى لهم وتركى للتنفيس عن خناقهم وعدولى عن ضـرب الأجل بينى وبينهم أدعى إلى اسـتفسادهم وأحرى أن يركبوا غيهم وضـلالهم و لا يقلعوا عن القبيـح الصـادر عنهم . ثم قـال أفضل الناس من آثر الحق و إن كرثه أى اشـتد عليه وبلغ منه المشـقة. ويجوز أكرثه بالألـف على الباطـل و إن انتفع به وأورثه زيـادة. ثم قال فأين يتاه بكم أى أين تـذهبون فى التيه يعنى فى الحيرة وروى فأنى يتاه بكم . و من أين أتيتم أى كيف دخـل عليكم الشيطان أوالشـبهة و من أى المـداخل دخـل اللبس عليكم . ثم أمرهم بالاسـتعداد للمسـير إلى حرب أهل الشام وذكر أنهم موزعون بالجور [صـفحه ١٠٧] أى ملهمون قـال تعالى رَبِّ أَوزِعنِي أَن أَشكُرَ نِعمَتَکَ أى ألهمنى أوزعته بكذا و هوموزع به والاسم والمصدر جميعا الوزع بالفتح واسـتوزعت إليه تعالى شـكره فأوزعنى أى استلهمته فألهمنى. و لايعدلون عنه لايتركونه إلى غيره وروى لايعدلون به أى لايعدلون بالجور شيئا آخر أى لايرضون إلابالظلم والجور و لايختارون عليهما غيرهما. قوله جفاة عن الكتاب جمع جاف و هوالنابى عن الشيء أى قدنبوا عن الكتاب لايلائمهم و لايناسبونه تقول جفا السرج عن ظهر الفرس إذانبا وارتفع وأجفيته أنا ويجوز أن يريد أنهم أعراب جفاة أى أجلاف لاأفهام لهم . قوله نكب عن الطريق أى عـادلون جمع نـاكب نكب ينكب عن السبيـل بضم الكـاف نكوبـا. قوله و ماأنتم بوثيقـة أى بـذى وثيقـة فحـذف المضاف والوثيقة الثقة يقال قدأخذت فى أمر فلان بالوثيقة أى بالثقة والثقة مصدر. والزوافر العشيرة والأنصار ويقال هم زافرتهم عندالسـلطان للـذين يقومون بأمره عنـده . و قوله يعتصم إليها أى بهافأناب إلى مناب الباء كقول طرفـة -قرآن-٢٤-٦٠ و إن يلتق الحى الجميع تلاقـنى || إلى ذروة البيت الرفيع المصـمد . وحشـاش النار ماتحش به أى توقـد قال الشاعر أ فى أن أحش الحرب فيمن يحشـها || ألام و فى ألا أقر المخازيا . [صفحه ١٠٨] وروى حشاش بالفتح كالشـياع و هوالحطب ألذى يلقى فى النار قبل الجزل وروى حشاش بضم الحاء وتشديد الشـين جمع حاش و هوالموقد للنار. قوله أف لكم من الألفاظ القرآنية و فيهالغات أف بالكسـر وبالضم وبالفتـح وأف منونا بالثلاث أيضا ويقال أفا وتفا و هوإتباع له وأفة وتفة والمعنى اسـتقذار المعنى بالتأفيف . قوله لقـد لقيت منكم برحا أى شـدة يقال لقيت منهم برحا بارحا أى شـدة وأذى قال الشاعر أجـدك هـذاعمرك الله كلما || دعاك الهوى برح لعينك بارح . ويروى ترحا أى حزنا. ثم ذكر أنه يناديهم جهارا طورا ويناجيهم سـرا طورا فلايجدهم أحرارا عندندائه أى لاينصـرون و لايجيبون و لايجدهم ثقاتا وذوى أمانة عندالمناجاة أى لايكتمون السر. والنجاء المناجاة مصدر ناجيته نجاء مثل ضاربته ضرابا وصارعته صراعا [صفحه ١٠٩]

١٢٦- و من كلام له ع لماعوقب على التسوية فى العطاء وتصييره الناس أسوة فى العطاء من غيرتفضيل أولى السابقات والشرف

أَ تَأمُرُونّيَ أَن أَطلُبَ النّصرَ بِالجَورِ فِيمَن وُلّيتُ عَلَيهِ وَ اللّهِ لَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَ مَا أَمّ نَجمٌ فِي السّمَاءِ نَجماً وَ لَو كَانَ المَالُ لِي لَسَوّيتُ بَينَهُم فَكَيفَ وَ إِنّمَا المَالُ مَالُ اللّهِ ثُمّ قَالَ ع أَلَا وَ إِنّ إِعطَاءَ المَالِ فِي غَيرِ حَقّهِ تَبذِيرٌ وَ إِسرَافٌ وَ هُوَ يَرفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدّنيَا وَ يَضَعُهُ فِي الآخِرَةِ وَ يُكرِمُهُ فِي النّاسِ وَ يُهِينُهُ عِندَ اللّهِ وَ لَم يَضَع امرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيرِ حَقّهِ وَ عِندَ غَيرِ أَهلِهِ إِلّا حَرَمَهُ اللّهُ شُكرَهُم وَ كَانَ لِغَيرِهِ وُدّهُم فَإِن زَلّت بِهِ النّعلُ يَوماً فَاحتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِم فَشَرّ خَلِيلٍ وَ أَلأَمُ خَدِينٍ أصل تأمرونى تأمروننى بنونين فأسكن الأولى وأدغم قـال تعالى أَ فَغَيرَ اللّهِ تَأمُرُونّيَ أَعبُدُ أَيّهَا الجاهِلُونَ. -قرآن-٦٦-١٢٣ [صفحه ١١٠] و لا أطور به لاأقربه و لاتطر حولنا أى لاتقرب ماحولنا وأصـله من طوار الـدار و هو ما كان ممتـدا معها من الفناء. و قوله ماسـمر سـمير يعنى الدهر أى ماأقام الدهر و مابقى والأشـهر فى المثل ماسـمر ابنا سـمير قالوا السـمير الدهر وابناه الليل والنهار وقيل ابنا سـمير الليل والنهار لأنه يسمر

فيهما ويقولون لاأفعله السمر والقمر أى مادام الناس يسمرون فى ليلة قمراء و لاأفعله سمير الليالى أى أبدا قال الشنفرى هنالك لاأرجو حياة تسرنى || سمير الليالى مبسلا بالجرائر . قوله و ماأم نجم فى السماء نجما أى قصد وتقدم لأن النجوم تتبع بعضها بعضا فلابد من تقدم وتأخر فلايزال النجم يقصد نجما غيره و لايزال النجم يتقدم نجما غيره . والخدين الصديق يقول ع كيف تأمروننى أن أطلب النصر من الله بأن أجور على قوم وليت عليهم يعنى الذين لاسوابق لهم و لاشرف و كان عمر ينقصهم فى العطاء عن غيرهم . ثم قال ع لو كان المال لى و أناأفرقه بينهم لسويت فكيف وإنما هومال الله وفيئه ثم ذكر أن إعطاء المال فى غيرحقه تبذير وإسراف و قدنهى الله عنه و أنه يرفع صاحبه عند الناس ويضعه عند الله و أنه لم يسلك أحد هذه المسلك إلاحرمه الله ود الذين يتحبب إليهم بالمال و لواحتاج إليهم يوما عندعثرة يعثرها لم يجدهم . [صفحه ١١١] واعلم أن هذه مسألة فقهية ورأى على ع و أبى بكر فيهاواحد و هوالتسوية بين المسلمين فى قسمة الفىء والصدقات و إلى هذاذهب الشافعى رحمه الله و أماعمر فإنه لماولى الخلافة فضل بعض الناس على بعض ففضل السابقين على غيرهم وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين وفضل المهاجرين كافة على الأنصار كافة وفضل العرب على العجم وفضل الصريح على المولى و قد كان أشار على أبى بكر أيام خلافته بذلك فلم يقبل و قال إن لم يفضل أحدا على أحد ولكنه قال إِنّمَا الصّدَقاتُ لِلفُقَراءِ وَ المَساكِينِ و لم يخص قوما دون قوم فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما كان أشار به أولا و قدذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله والمسألة محل اجتهاد وللإمام أن يعمل بما يؤديه إليه اجتهاده و إن كان اتباع على ع عندنا أولى لاسيما إذاعضده موافقة أبى بكر على المسألة و إن صح الخبر أن رسول الله ص سوى فقد صارت المسألة منصوصا عليها لأن فعله ع كقوله -قرآن-٤٧٥-٥١٩ [صفحه ١١٢]

١٢٧– و من كلام له ع قاله للخوارج أيضا

اشاره

فَإِن أَبَيتُم إِلّا أَن تَزعُمُوا أنَيّ أَخطَأتُ وَ ضَلَلتُ فَلِمَ تُضَلّلُونَ عَامّةَ أُمّةِ مُحَمّدٍص بضِلَاَليِ وَ تَأخُذُونَهُم بخِطَئَيِ وَ تُكَفّرُونَهُم بذِنُوُبيِ سُيُوفُكُم عَلَى عَوَاتِقِكُم تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ البُرءِ وَ السّقمِ وَ تَخلِطُونَ مَن أَذنَبَ بِمَن لَم يُذنِب وَ قَد عَلِمتُم أَنّ رَسُولَ اللّهِص رَجَمَ الزاّنيَِ المُحصَنَ ثُمّ صَلّى عَلَيهِ ثُمّ وَرّثَهُ أَهلَهُ وَ قَتَلَ القَاتِلَ وَ وَرّثَ مِيرَاثَهُ أَهلَهُ وَ قَطَعَ يَدَ السّارِقِ وَ جَلَدَ الزاّنيَِ غَيرَ المُحصَنِ ثُمّ قَسَمَ عَلَيهِمَا مِنَ الفيَءِ وَ نَكَحَا المُسلِمَاتِ فَأَخَذَهُم رَسُولُ اللّهِص بِذُنُوبِهِم وَ أَقَامَ حَقّ اللّهِ فِيهِم وَ لَم يَمنَعهُم سَهمَهُم مِنَ الإِسلَامِ وَ لَم يُخرِج أَسمَاءَهُم مِن بَينِ أَهلِهِ ثُمّ أَنتُم شِرَارُ النّاسِ وَ مَن رَمَى بِهِ الشّيطَانُ مَرَامِيَهُ وَ ضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ وَ سَيَهلِكُ فيِّ صِنفَانِ مُحِبّ مُفرِطٌ يَذهَبُ بِهِ الحُبّ إِلَى غَيرِ الحَقّ وَ مُبغِضٌ مُفرِطٌ يَذهَبُ بِهِ البُغضُ إِلَى غَيرِ الحَقّ وَ خَيرُ النّاسِ فيِّ حَالًا النّمَطُ الأَوسَطُ فَالزَمُوهُ وَ الزَمُوا السّوَادَ الأَعظَمَ فَإِنّ يَدَ اللّهِ عَلَى الجَمَاعَةِ وَ إِيّاكُم وَ الفُرقَةَ فَإِنّ الشّاذّ مِنَ النّاسِ لِلشّيطَانِ كَمَا أَنّ الشّاذّ مِنَ الغَنَمِ لِلذّئبِ أَلَا مَن دَعَا إِلَى هَذَا الشّعَارِ فَاقتُلُوهُ وَ لَو كَانَ تَحتَ عمِاَمتَيِ هَذِهِ فَإِنّمَا حُكّمَ [صفحه ١١٣] الحَكَمَانِ لِيُحيِيَا مَا أَحيَا القُرآنُ وَ يُمِيتَا مَا أَمَاتَ القُرآنُ وَ إِحيَاؤُهُ الِاجتِمَاعُ عَلَيهِ وَ إِمَاتَتُهُ الِافتِرَاقُ عَنهُ فَإِن جَرّنَا القُرآنُ إِلَيهِم اتّبَعنَاهُم وَ إِن جَرّهُم إِلَينَا اتّبَعُونَا فَلَم آتِ لَا أَبَا لَكُم بُجراً وَ لَا خَتَلتُكُم عَن أَمرِكُم وَ لَا لَبّستُهُ عَلَيكُم إِنّمَا اجتَمَعَ رأَيُ مَلَئِكُم عَلَى اختِيَارِ رَجُلَينِ أَخَذنَا عَلَيهِمَا أَلّا يَتَعَدّيَا القُرآنَ فَتَاهَا عَنهُ وَ تَرَكَا الحَقّ وَ هُمَا يُبصِرَانِهِ وَ كَانَ الجَورُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيهِ وَ قَد سَبَقَ استِثنَاؤُنَا عَلَيهِمَا فِي الحُكُومَةِ بِالعَدلِ وَ الصّمدِ لِلحَقّ سُوءَ رَأيِهِمَا وَ جَورَ حُكمِهِمَا ليس لقائل أن يقول له ع معتذرا عن الخوارج إنهم إنما ضللوا عامة أمة محمدص وحكموا

بخطئهم و کفرهم وقتلهم بالسیف خبطا لأنهم وافقوک فی تصویب التحکیم و هوعندهم کفر فلم یؤاخذوهم بذنبک کما قلت لهم و ذلک لأن أمیر المؤمنین ع ما قال هذه المقالة إلالمن رأی منهم استعراض العامة وقتل الأطفال حتی البهائم فقد کان منهم قوم فعلوا ذلک و قدسبق منا شرح أفعالهم ووقائعهم بالناس وقالوا إن الدار دار کفر لایجوز الکف عن أحد من أهلها فهؤلاء هم الذین وجه أمیر المؤمنین ع إلیهم خطابه وإنکاره دون غیرهم من فرق الخوارج

مذهب الخوارج فی تکفیر أهل الکبائر

واعلم أن الخوارج کلها تذهب إلی تکفیر أهل الکبائر ولذلک کفروا علیا ع و من اتبعه علی تصویب التحکیم و هذاالاحتجاج ألذی احتج به علیهم [صفحه ۱۱۴] لازم وصحیح لأنه لو کان صاحب الکبیرة کافرا لماصلی علیه رسول الله ص و لاورثه من المسلم و لامکنه من نکاح المسلمات و لاقسم علیه من الفیء ولأخرجه عن لفظ الإسلام . و قداحتجت الخوارج لمذهبها بوجوه منها قوله تعالی وَ لِلّهِ عَلَی النّاسِ حِجّ البَیتِ مَنِ استَطاعَ إِلَیهِ سَبِیلًا وَ مَن کَفَرَ فَإِنّ اللّهَ غنَیِیّ عَنِ العالَمِینَقالوا فجعل تارک الحج کافرا. والجواب أن هذه الآیة مجملة لأنه تعالی لم یبین وَ مَن کَفَرَبما ذا فیحتمل أن یرید تارک الحج ویحتمل أن یرید تارک اعتقاد وجوبه علی من استطاع إلیه سبیلا. فلابد من الرجوع إلی دلالة والظاهر أنه أراد لزوم الکفر لمن کفر باعتقاد کون الحج غیرواجب أ لاتراه فی أول الآیة قال وَ لِلّهِ عَلَی النّاسِ حِجّ البَیتِفأنبأ عن اللزوم ثم قال وَ مَن کَفَرَبلزوم ذلک ونحن نقول إن من لم یقل لله علی الناس حج البیت فهو کافر. ومنها قوله تعالی إِنّهُ لا یَیأَسُ مِن رَوحِ اللّهِ إِلّا القَومُ الکافِرُونَقالوا والفاسق لفسقه وإصراره علیه آیس من روح الله فکان کافرا. والجواب أنا لانسلم أن الفاسق آیس من روح الله مع تجویزه تلافی أمره بالتوبة والإقلاع وإنما یکون الیأس مع القطع و لیس هذه صفة الفاسق فأما الکافر ألذی یجحد الثواب والعقاب فإنه آیس من روح الله لأنه لاتخطر له التوبة والإقلاع ویقطع علی حسن معتقده . ومنها قوله تعالی وَ مَن لَم یَحکُم بِما أَنزَلَ اللّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الکافِرُونَ و کل مرتکب للذنوب فقد حکم بغیر ماأنزل الله و لم یحکم بما أنزل الله . -قرآن-۲۳۰-۳۴۹-قرآن-۴۳۱-۴۴۳-قرآن-۶۶۳-۶۹۸-قرآن-۷۲۴-۷۳۶-قرآن-۸۳۲-۸۹۱-قرآن-۱۲۴۲-۱۳۰۶ [صفحه ۱۱۵] والجواب أن هذامقصور علی الیهود لأن ذکرهم هوالمقدم فی الآیة قال سبحانه و تعالی سَمّاعُونَ لِلکَذِبِ أَکّالُونَ لِلسّحتِ ثم قال عقیب قوله هُمُ الکافِرُونَوَ قَفّینا عَلی آثارِهِم بِعِیسَی ابنِ مَریَمَفدل علی أنها مقصورة علی الیهود. ومنها قوله تعالی فَأَنذَرتُکُم ناراً تَلَظّی لا یَصلاها إِلّا الأَشقَی ألّذِی کَذّبَ وَ تَوَلّیقالوا و قداتفقنا مع المعتزلة علی أن الفاسق یصلی النار فوجب أن یسمی کافرا. والجواب أن قوله تعالی ناراًنکرة فی سیاق الإثبات فلاتعم وإنما تعم النکرة فی سیاق النفی نحو قولک ما فی الدار من رجل و غیرممتنع أن یکون فی الآخرة نار مخصوصة لایصلاها إلاالذین کذبوا وتولوا و یکون للفساق نار أخری غیرها. ومنها قوله تعالی وَ إِنّ جَهَنّمَ لَمُحِیطَةٌ بِالکافِرِینَقالوا والفاسق تحیط به جهنم فوجب أن یکون کافرا. والجواب أنه لم یقل سبحانه و إن جهنم لاتحیط إلابالکافرین و لیس یلزم من کونها محیطة بقوم ألا تحیط بقوم سواهم . ومنها قوله سبحانه یَومَ تَبیَضّ وُجُوهٌ وَ تَسوَدّ وُجُوهٌ فَأَمّا الّذِینَ اسوَدّت وُجُوهُهُم أَ کَفَرتُم بَعدَ إِیمانِکُم فَذُوقُوا العَذابَ بِما کُنتُم تَکفُرُونَقالوا -قرآن-۸۶-۱۲۵-قرآن-۱۴۶-۱۶۱-قرآن-۱۶۲-۲۰۷-قرآن-۲۵۹-۳۳۶-قرآن-۴۴۱-۴۴۵-قرآن-۶۶۷-۷۰۸-قرآن-۸۹۶-۱۰۴۲ [صفحه ۱۱۶] والفاسق لایجوز أن یکون ممن ابیضت وجوههم فوجب أن یکون ممن اسودت ووجب أن یسمی کافرا لقوله بِما کُنتُم تَکفُرُونَ. والجواب أن هذه القسمة لیست متقابلة فیجوز أن یکون المکلفون ثلاثة أقسام بیض الوجوه وسود الوجوه وصنف آخر ثالث بین اللونین وهم الفساق . ومنها قوله تعالی وُجُوهٌ یَومَئِذٍ مُسفِرَةٌ ضاحِکَةٌ مُستَبشِرَةٌ وَ وُجُوهٌ یَومَئِذٍ عَلَیها غَبَرَةٌ تَرهَقُها قَتَرَةٌ أُولئِکَ هُمُ الکَفَرَةُ الفَجَرَةُقالوا والفاسق علی وجهه غبرة فوجب أن

يكون من الكفرة والفجرة. والجواب أنه يجوز أن يكون الفساق قسما ثالثا لاغبرة على وجوههم و لاهى مسفرة ضاحكة بل على ماكانت عليه فى دار الدنيا. ومنها قوله تعالى ذٰلِكَ جَزَيناهُم بِما كَفَرُوا وَ هَل نجُازِي إلّا الكَفُورَقالوا والفاسق لابد أن يجازى فوجب أن يكون كفورا. والجواب أن المراد بذلك وهل نجازى بعقاب الاستئصال إلاالكفور لأن الآية وردت فى قصة أهل سبإ لكونهم استؤصلوا بالعقوبة. ومنها أنه تعالى قال إنّ عِبادِي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ إلّا مَنِ اتّبَعَكَ مِنَ الغاوِينَ و قال فى آية أخرى إنّما سُلطانُهُ عَلَى الّذِينَ يَتَوَلّونَهُ وَ الّذِينَ هُم بِهِ مُشرِكُونَفجعل الغاوى ألذى يتبعه مشركا. والجواب أنا لانسلم أن لفظة إنما تفيد الحصر وأيضا فإنه عطف قوله -قرآن-١٠١-١٢٢-قرآن-٢٨٨-٤٢٩-قرآن-٦٣٦-٦٩٧-قرآن-٨٩٦-٩٧٢-قرآن-٩٩٣-١٠٦٩ [صفحه ١١٧] وَ الّذِينَ هُم بِهِ مُشرِكُونَ على قوله الّذِينَ يَتَوَلّونَهُفوجب أن يثبت التغاير بين الفريقين و هذامذهبنا لأن الذين يتولونه هم الفساق والذين هم به مشركون هم الكفار. ومنها قوله تعالى وَ أَمّا الّذِينَ فَسَقُوا فَمَأواهُمُ النّارُ إلى قوله تعالى وَ قِيلَ لَهُم ذُوقُوا عَذابَ النّارِ ألّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذّبُونَفجعل الفاسق مكذبا. والجواب أن المراد به الذين فسقوا عن الدين أى خرجوا عنه بكفرهم و لاشبهة أن من كان فسقه من هذاالوجه فهو كافر مكذب و لايلزم منه أن كل فاسق على الإطلاق فهو مكذب وكافر. ومنها قوله تعالى وَ لكِنّ الظّالِمِينَ بِآياتِ اللّهِ يَجحَدُونَقالوا فأثبت الظالم جاحدا و هذه صفة الكفار. والجواب أن المكلف قد يكون ظالما بالسرقة والزنا و إن كان عارفا بالله تعالى و إذاجاز إثبات ظالم ليس بكافر و لاجاحد بآيات الله تعالى جاز إثبات فاسق ليس بكافر. ومنها قوله تعالى وَ مَن كَفَرَ بَعدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ. والجواب أن هذه الآية تدل على أن الكافر فاسق و لاتدل على أن الفاسق كافر. ومنها قوله تعالى فَمَن ثَقُلَت مَوازِينُهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ وَ مَن خَفّت مَوازِينُهُ فَأُولٰئِكَ الّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم فِي جَهَنّمَ خالِدُونَ تَلفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ وَ هُم فِيها كالِحُونَ أَ لَم تَكُن آياتيِ تُتلي عَلَيكُم فَكُنتُم بِها تُكَذّبُونَ. -قرآن-١-٣١-قرآن-٤٣-٦٤-قرآن-٢٠٠-٢٤٥-قرآن-٢٦٤-٣٣١-قرآن-٥٥١-٥٩٧-قرآن-٨٢٨-٨٨٠-قرآن-٩٨١-١٢٣٥ [صفحه ١١٨] فنص سبحانه على أن من تخف موازينه يكون مكذبا والفاسق تخف موازينه فكان مكذبا و كل مكذب كافر.الجواب أن ذلك لايمنع من قسم ثالث وهم الذين لاتخف موازينهم و لاتثقل وهم الفساق و لايلزم من كون كل من خفت موازينه يدخل النار ألا يدخل النار إلا من خفت موازينه . ومنها قوله تعالى هُوَ ألّذِي خَلَقَكُم فَمِنكُم كافِرٌ وَ مِنكُم مُؤمِنٌ و هذايقتضى أن من لا يكون مؤمنا فهو كافر والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافرا. والجواب أن من هاهنا للتبعيض و ليس فى ذكر التبعيض نفى الثالث كما أن قوله وَ مِنهُم مَن يَمشيِ عَلي رِجلَينِ وَ مِنهُم مَن يَمشيِ عَلي أَربَعٍ لاينفى وجود دابة تمشى على أكثر من أربع كبعض الحشرات -قرآن-٣٠٠-٣٥٤-قرآن-٥٢١-٥٩٠ . ثم نعود إلى الشرح قوله ع و من رمى به الشيطان مراميه أى أضله كأنه رمى به مرمى بعيدا فضل عن الطريق و لم يهتد إليها. قوله وضرب به تيهه أى حيره وجعله تائها. ثم قال ع يهلك فى رجلان فأحدهما من أفرط حبه له واعتقاده فيه حتى ادعى له الحلول كماادعت النصارى ذلك فى المسيح ع والثانى من أفرط بغضه له حتى حاربه أولعنه أوبرئ منه أوأبغضه هذه المراتب الأربع والبغض أدناها و هو [صفحه ١١٩] موبق مهلك و فى الخبر الصحيح المتفق عليه أنه لايحبه إلامؤمن و لايبغضه إلامنافق وحسبك بهذا الخبر ففيه وحده كفاية

فصل فى ذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم

فأما الغلاة فيه فهالكون كماهلك الغلاة فى عيسى ع و قدروى المحدثون أن رسول الله ص قال له ع فيك مثل من عيسى ابن مريم أبغضته اليهود فبهتت أمه وأحبته النصارى فرفعته فوق قدره -روايت-١-٢-روايت-٥١-١٤٣ و قد كان أمير المؤمنين عثر على قوم من أصحابه خرجوا من حد محبته باستحواذ الشيطان عليهم أن كفروا بربهم وجحدوا ماجاء به نبيهم فاتخذوه ربا

وادعوه إلها وقالوا له أنت خالقنا ورازقنا فاستتابهم واستأنى وتوعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيهاطمعا فى رجوعهم فأبوا فحرقهم و قال أ لاترونى قدحفرت حفرا || أنى إذارأيت أمرا منكرا أوقدت نارى ودعوت قنبرا روى أبوالعباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفى عن محمد بن سليمان بن حبيب المصيصى المعروف بنوين وروى أيضا عن على بن محمدالنوفلى عن مشيخته أن عليا ع مر بقوم وهم يأكلون فى شهر رمضان نهارا فقال أسفر أم مرضى قالوا لا و لاواحدة منهما قال فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية قالوا لا قال فما بال الأكل فى نهار رمضان فقاموا إليه فقالوا أنت أنت يؤمون إلى ربوبيته فنزل ع عن فرسه فألصق خده بالأرض و قال ويلكم إنما أنا عبد من عبيد الله فاتقوا الله وارجعوا إلى الإسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على كفرهم فنهض إليهم و قال شدوهم وثاقا و على بالفعلة والنار والحطب ثم أمر -روايت-١-٢-روايت-١٥٥-ادامه دارد [صفحه ١٢٠] بحفر بئرين فحفرتا إحداهما سربا والأخرى مكشوفة وألقى الحطب فى المكشوفة وفتح بينهما فتحا وألقى النار فى الحطب فدخن عليهم وجعل يهتف بهم ويناشدهم ليرجعوا إلى الإسلام فأبوا فأمر بالحطب والنار فألقى عليهم فأحرقوا -روايت-از قبل-٢٢٧ فقال الشاعر لترم بى المنية حيث شاءت || إذا لم ترمنى فى الحفرتين إذا ماحشتا حطبا بنار || فذاك الموت نقدا غيردين . قال فلم يبرح ع حتى صاروا حمما. ثم استترت هذه المقالة سنة أونحوها ثم ظهر عبد الله بن سبإ و كان يهوديا يتستر بالإسلام بعدوفاة أمير المؤمنين ع فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية وقالوا إن عليا ع لم يمت وإنه فى السماء والرعد صوته والبرق صوته و إذاسمعوا صوت الرعد قالوا السلام عليك يا أمير المؤمنين وقالوا فى رسول الله ص أغلظ قول وافتروا عليه أعظم فرية فقالوا كتم تسعة أعشار الوحى فنعى عليهم قولهم الحسن بن على بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه فى رسالته التى يذكر فيهاالإرجاء رواها عنه سليمان بن أبى شيخ عن الهيثم بن معاوية عن عبدالعزيز بن أبان عن عبدالواحد بن أيمن المكى قال شهدت الحسن بن على بن محمد بن الحنفية يملى هذه الرسالة فذكرها و قال فيها و من قول هذه السبئية هدينا لوحى ضل عنه الناس وعلم خفى عنهم وزعموا أن رسول الله ص كتم تسعة أعشار الوحى و لوكتم ص شيئا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد و قوله تعالى تَبتَغِي مَرضاتَ أَزواجِكَ. -قرآن-٨٨٣-٩٠٩ [صفحه ١٢١] ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيلة فأراد أن يحدث لنفسه مقالة يستهوى بهاقوما وينال بها مايريد الظفر به من الدنيا فغلا فى على ع و قال لوشاء على لأحيا عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا. وروى على بن محمدالنوفلى قال جاء المغيرة بن سعيد فاستأذن على أبى جعفر محمد بن على بن الحسين و قال له أخبر الناس أنى أعلم الغيب و أناأطعمك العراق فزجره أبو جعفرزجرا شديدا وأسمعه ماكره فانصرف عنه فأتى أباهاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رحمه الله فقال له مثل ذلك و كان أبوهاشم أيدا فوثب عليه فضربه ضربا شديدا أشفى به على الموت فتعالج حتى برئ ثم أتى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن رحمه الله و كان محمدسكيتا فقال له كما قال للرجلين فسكت محمدفلم يجبه فخرج و قدطمع فيه بسكوته و قال أشهد أن هذا هوالمهدى ألذى بشر به رسول الله ص و أنه قائم أهل البيت وادعى أن على بن الحسين ع أوصى إلى محمد بن عبد الله بن الحسن ثم قدم المغيرة الكوفة و كان مشعبذا فدعا الناس إلى قوله واستهواهم واستغواهم فاتبعه خلق كثير وادعى على محمد بن عبد الله أنه أذن له فى خنق الناس وإسقائهم السموم وبث أصحابه فى الأسفار يفعلون ذلك بالناس فقال له بعض أصحابه إنا نخنق من لانعرف فقال لاعليكم إن كان من أصحابكم عجلتموه إلى الجنة و إن كان من عدوكم عجلتموه إلى النار ولهذا السبب كان المنصور يسمى محمد بن عبد الله الخناق وينحلهماادعاه عليه المغيرة. ثم تفاقم أمر الغلاة بعدالمغيرة وأمعنوا فى الغلو فادعوا حلول الذات الإلهية [صفحه ١٢٢] المقدسة فى قوم من سلالة أمير المؤمنين ع وقالوا بالتناسخ وجحدوا البعث والنشور وأسقطوا الثواب والعقاب و قال قوم منهم إن الثواب والعقاب إنما هوملاذ هذه الدنيا ومشاقها وتولدت من هذه المذاهب القديمة التى قال بهاسلفهم مذاهب أفحش منها قال بهاخلفهم حتى صاروا إلى المقالة المعروفة بالنصيرية وهى التى أحدثها محمد بن نصير النميرى و كان من أصحاب الحسن

العسكرى ع والمقالهٔ المعروفهٔ بالإسحاقيهٔ وهى التى أحدثها إسحاق بن زيد بن الحارث و كان من أصحاب عبد الله بن معاويهٔ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان يقول بالإباحهٔ وإسقاط التكاليف ويثبت لعلى ع شركهٔ مع رسول الله ص فى النبوهٔ على وجه غير هذاالظاهر ألذى يعرفه الناس و كان محمد بن نصير من أصحاب الحسن بن على بن محمد بن الرضا فلما مات ادعى وكالهٔ لابن الحسن ألذى تقول الإماميهٔ بإمامته ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والغلو والقول بتناسخ الأرواح ثم ادعى أنه رسول الله ونبى من قبل الله تعالى و أنه أرسله على بن محمد بن الرضا وجحد إمامهٔ الحسن العسكرى وإمامهٔ ابنه وادعى بعد ذلك الربوبيهٔ و قال بإباحهٔ المحارم . وللغلاهٔ أقوال كثيرهٔ طويلهٔ عريضهٔ و قدرأيت أناجماعهٔ منهم وسمعت أقوالهم و لم أر فيهم محصلا و لا من يستحق أن يخاطب وسوف أستقصى ذكر فرق الغلاهٔ وأقوالهم فى الكتاب ألذى كنت متشاغلا بجمعه وقطعنى عنه اهتمامى بهذا الشرح و هوالكتاب المسمى بمقالات الشيعهٔ إن شاء الله تعالى . قوله ع والزموا السواد الأعظم و هوالجماعهٔ و قدجاء فى الخبر عن -روايت-١-٢ [صفحه ١٢٣] رسول الله ص هذه اللفظهٔ التى ذكرها ع وهى يد الله على الجماعهٔ و لايبالى بشذوذ من شذ -روايت-۴٩-٩٣ وجاء فى معناها كثير نحو قوله ع الشيطان مع الواحد و هو من الاثنين أبعد -روايت-١-٢-روايت-١٢-۵٣ قوله لاتجتمع أمتى على خطإ -روايت-١-٢-روايت-٩-٣٣ قوله سألت الله ألا تجتمع أمتى على خطإ فأعطانيها -روايت-١-٢-روايت-٩-۵۵ قوله مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن -روايت-١-٢-روايت-٩-۵٠ قوله لاتجتمع أمتى على ضلالهٔ وسألت ربى ألا تجتمع أمتى على ضلالهٔ فأعطانيها و لم يكن الله ليجمع أمتى على ضلال و لاخطإ -روايت-١-٢-روايت-٩-١٣٠ قوله ع عليكم بالسواد الأعظم -روايت-١-٢-روايت-١٢-٣۵ قوله من خرج من الجماعهٔ قيد شبر فقد خلع ربقهٔ الإسلام عن عنقه -روايت-١-٢-روايت-٩-۶٩ قوله من فارق الجماعهٔ مات ميتهٔ جاهليهٔ -روايت-١-٢-روايت-٩-۴۴ قوله من سره بحبوحهٔ الجنهٔ فيلزم الجماعهٔ -روايت-١-٢-روايت-٩-۴۶ . والأخبار فى هذاالمعنى كثيرهٔ جدا. ثم قال ع من دعا إلى هذاالشعار فاقتلوه يعنى الخوارج و كان شعارهم أنهم يحلقون وسط رءوسهم ويبقى الشعر مستديرا حوله كالإكليل . قال و لو كان تحت عمامتى هذه أى لواعتصم واحتمى بأعظم الأشياء حرمهٔ فلاتكفوا عن قتله . ثم ذكر أنه إنما حكم الحكمان ليحييا ماأحياه القرآن أى ليجتمعا على ماشهد القرآن باستصوابه واستصلاحه ويميتا ماأماته القرآن أى ليفترقا ويصدا وينكلا عما كرهه القرآن وشهد بضلاله . والبجر بضم الباء الشر العظيم قال الراجز أرمى عليها وهى شىءبجر [صفحه ١٢۴] أى داهيهٔ. و لاختلتكم أى خدعتكم ختله وخاتله أى خدعه والتخاتل التخادع و لالبسته عليكم أى جعلته مشتبها ملتبسا ألبست عليهم الأمر ألبسه بالكسر. والملأ الجماعهٔ من الناس والصمد القصد. قال سبق شرطنا سوء رأيهما لأنا اشترطنا عليهما فى كتاب الحكومهٔ ما لامضرهٔ علينا مع تأمله فيما فعلاه من اتباع الهوى وترك النصيحهٔ للمسلمين [صفحه ١٢۵]

١٢٨- و من كلام له ع فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرهٔ

اشاره

يَا أَحنَفُ كأَنَىّ بِهِ وَ قَد سَارَ بِالجَيشِ ألّذِى لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَ لَا لَجَبٌ وَ لَا قَعقَعَةُ لُجُمٍ وَ لَا حَمحَمَةُ خَيلٍ يُثِيرُونَ الأَرضَ بِأَقدَامِهِم كَأَنّهَا أَقدَامُ النّعَامِ قال الشريف الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى يومئ بذلك إلى صاحب الزنج -روايت-١-٧٨ ثُمّ قَالَ ع وَيلٌ لِسِكَكِكُمُ العَامِرَةِ وَ الدّورِ المُزَخرَفَةِ التّيِ لَهَا أَجنِحَةٌ كَأَجنِحَةِ النّسُورِ وَ خَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الفِيَلَةِ مِن أُولَئِكَ الّذِينَ لَا يُندَبُ قَتِيلُهُم وَ لَا يُفقَدُ غَائِبُهُم أَنَا كَابّ الدّنيَا لِوَجهِهَا وَ قَادِرُهَا بِقَدرِهَا وَ نَاظِرُهَا بِعَينِهَا اللجب الصوت والدور المزخرفهٔ المزينهٔ المموههٔ

بالزخرف و هوالـذهب . وأجنحـهٔ الدور التی شـبهها بأجنحهٔ النسور رواشـینها والخراطیم میازیبها. [صـفحه ۱۲۶] و قوله لاینـدب قتیلهم لیس یرید به من یقتلونه بل القتیل منهم و ذلک لأن أکثر الزنج الذین أشار إلیهم کانوا عبیدا لدهاقین البصـرهٔ وبناتها و لم یکونوا ذوی زوجات وأولاد بل کانوا علی هیئـهٔ الشـطار عزابا فلانادبـهٔ لهم . و قوله و لایفقد غائبهم یرید به کثرتهم وأنهم کلما قتل منهم قتیل سـد مسـده غیره فلایظهر أثر فقـده . و قوله أناکأب الـدنیا لوجهها مثل الکلمات المحکیـهٔ عن عیسـی ع أنا ألـذی کببت الـدنیا علی وجهها لیس لی زوجـهٔ تموت و لابیت یخرب وسادی الحجر وفراشـی المـدر وسـراجی القمر -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-۱۲۳

أخبار صاحب الزنج وفتنته و ماانتحله من عقائد

فأما صاحب الزنـج هـذافإنه ظهر فی فرات البصـرهٔ فی سـنهٔ خمس وخمسـین ومائتین رجل زعم أنه علی بن محمـد بن أحمد بن عیسـی بن زید بن علی بن الحسـین بن علی بن أبی طالب ع فتبعه الزنج الذین کانوا یکسـحون السباخ فی البصـرهٔ. وأکثر الناس یقـدحون فی نسبه وخصوصا الطالبیین وجمهور النسابین اتفقوا علی [صـفحه ۱۲۷] أنه من عبـدالقیس و أنه علی بن محمـد بن عبـدالرحیم وأمه أسدیـهٔ من أسـد بن خزیمـهٔ جدها محمد بن حکیم الأسدی من أهل الکوفهٔ أحد الخارجین مع زید بن علی بن الحسـین ع علی هشام بن عبـدالملک فلما قتل زیـد هرب فلحق بالری وجاء إلی القریـهٔ التی یقال لها ورزنین فأقام بهامـدهٔ وبهذه القریهٔ ولد علی بن محمدصاحب الزنج و بهامنشؤه و کان أبو أبیه المسـمی عبدالرحیم رجلا من عبدالقیس کان مولده بالطالقان فقـدم العراق واشتری جاریهٔ سـندیهٔ فأولدها محمدا أباه . و کان علی هذامتصـلا بجماعهٔ من حاشیـهٔ السـلطان وخول بنی العباس منهم غانم الشـطرنجی وسـعید الصـغیر وبشـیر خادم المنتصر و کان منهم معاشه و من قوم من کتاب الدولهٔ یمدحهم ویستمنحهم بشـعره ویعلم الصبیـان الخط والنحو والنجوم و کان حسن الشعر مطبوعا علیه فصـیح اللهجـهٔ بعیـد الهمـهٔ تسمو نفسه إلی معالی الأمور و لایجد إلیها سبیلا و من شـعره القصـیدهٔ المشهورهٔ التی أولها [صفحه ۱۲۸] رأیت المقـام علی الاقتصاد || قنوعا به ذلهٔ فی العباد . و من جملتها إذاالنار ضاق بهازندها || ففسحتها فی فراق الزناد إذاصارم قر فی غمده || حوی غیره السبق یوم الجلاد . و من الشـعر المنسـوب إلیه و أنالتصـبح أسـیافنا || إذا ماانتضـین لیـوم سـفوک منـابرهن بطـون الأـکف || وأغمـادهن رءوس الملوک . و من شـعره فی الغزل و لمـاتبینت المنـازل بـالحمی || و لم أقض منهـا حاجـهٔ المتورد زفرت إلیها زفرهٔ لوحشوتها || سرابیل أبدان الحدید المسرد لرقت حواشیها وظلت متونها || تلین کمالانت لداود فی الید . و من شعره أیضا و إذاتنازعنی أقول لهـا قری || موت یریحـک أوصـعود المنبر مـا قدقضـی سـیکون فاصـطبری له || و لـک الأمان من ألـذی لم یقـدر . و قـدذکر المسـعودی فی کتابه المسمی مروج الذهب أن أفعال علی بن محمدصاحب الزنج تدل علی أنه لم یکن طالبیا وتصدق مارمی به من دعوته فی النسب لأن ظاهر حاله کان ذهابه إلی مـذهب الأزارقـهٔ فی قتل النساء والأطفال والشـیخ الفانی والمریض [صـفحه ۱۲۹] و قدروی أنه خطب مرهٔ فقال فی أول خطبته لاإله إلا الله و الله أکبر الله أکبر لاحکم إلالله و کان یری الذنوب کلها شـرکا. و من النـاس من یطعن فی دینه ویرمیه بالزندقـهٔ والإلحاد و هـذا هوالظاهر من أمره لأنه کان متشاغلا فی بـدایته بالتنجیم والسـحر والأصـطرلابات . وذکر أبو جعفر محمـد بن جریر الطبری أن علی بن محمدشـخص من سـامراء و کان یعلم الصبیان بها ویمـدح الکتاب ویستمیح الناس فی سـنهٔ تسع وأربعین ومائتین إلی البحرین فادعی بها أنه علی بن محمـد بن الفضل بن الحسن بن عبید الله بن العبـاس بن علی بن أبی طـالب ع ودعا الناس بهجر إلی طاعته فاتبعه جماعـهٔ کثیرهٔ من أهلها واتبعه جماعـهٔ أخری فکانت بسـببه بین الـذین اتبعوه والـذین أبوه عصبیـهٔ قتل فیهابینهم جماعهٔ فانتقل عنهم لماحدث ذلک إلی الأحساء وضوی إلی حی من

بنى تميم ثم من بنى سعد يقال لهم بنو الشماس فكان بينهم مقامه و قد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبى ص فيما ذكر حتى جبى له الخراج هنالك ونفذ حكمه فيهم وقاتلوا أسباب السلطان لأجله ووتر منهم جماعة كثيرة فتنكروا له فتحول عنهم إلى البادية و لماانتقل إلى البادية صحبه جماعة من أهل البحرين منهم رجل كيال من أهل الأحساء يقال له يحيى بن محمدالأزرق مولى بنى دارم ويحيى بن أبى [صفحه ١٣٠] ثعلب و كان تاجرا من أهل هجر وبعض موالى بنى حنظلة أسود يقال له سليمان بن جامع و كان قائد جيشه حيث كان بالبحرين . ثم تنقل فى البادية من حى إلى حى فذكر عنه أنه كان يقول أوتيت فى تلك الأيام آيات من آيات إمامتى منها أنى لقيت سورا من القرآن لم أكن أحفظها فجرى بهالسانى فى ساعة واحدة منها سبحان والكهف وصاد ومنها أنى ألقيت نفسى على فراشى وجعلت أفكر فى الموضع الذى أقصد له وأجعل مقامى به إذانبت البادية بى وضقت ذرعا بسوء طاعة أهلها فأظلتنى سحابه فبرقت ورعدت واتصل صوت الرعد منها بسمعى فخوطبت فقيل لى اقصد البصرة فقلت لأصحابى وهم يكتنفوننى إنى أمرت بصوت من هذاالرعد بالمصير إلى البصرة. وذكر عنه أنه عندمصيره إلى البادية أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبو الحسين المقتول بناحية الكوفة فى أيام المستعين فاختدع بذلك قوما منهم حتى اجتمع عليه منهم جماعة فزحف بهم إلى موضع من البحرين يقال له الردم فكانت بينه و بين أهله وقعة عظيمة كانت الدبرة فيها عليه و على أصحابه قتلوا فيهاقتلا ذريعا فتفرقت عنه العرب وكرهته وتجنبت صحبته . فلما تفرقت العرب عنه ونبت به البادية شخص عنها إلى البصرة فنزل بها فى بنى ضبيعة فاتبعه بهاجماعة منهم على بن أبان المعروف بالمهلبى من ولد المهلب بن أبى صفرة وأخواه محمد والخليل وغيرهم و كان قدومه البصرة فى سنة أربع وخمسين ومائتين [صفحه ١٣١] وعامل السلطان بهايومئذ محمد بن رجاء ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية فطمع فى أحد الفريقين أن يميل إليه فأرسل أربعة من أصحابه يدعون إليه وهم محمد بن سلم القصاب الهجرى وبريش القريعى و على الضراب و الحسين الصيدنانى وهم الذين كانوا صحبوه بالبحرين فلم يستجب لهم أحد من أهل البلد وثار عليهم الجند فتفرقوا وخرج على بن محمد من البصرة هاربا وطلبه ابن رجاء فلم يقدر عليه وأخبر ابن رجاء بميل جماعة من أهل البصرة إليه فأخذهم فحبسهم وحبس معهم زوجة على بن محمد وابنه الأكبر وجارية له كانت حاملا ومضى على بن محمدلوجهه يريد بغداد ومعه قوم من خاصته منهم محمد بن سلم ويحيى بن محمد وسليمان بن جامع وبريش القريعى فلما صاروا بالبطيحة نذر بهم بعض موالى الباهليين كان يلى أمر البطيحة فأخذهم وحملهم إلى محمد بن أبى عون و هوعامل السلطان بواسط فاحتال لابن أبى عون حتى تخلص هو وأصحابه من يده ثم صار إلى بغداد فأقام بهاسنة وانتسب فى هذه السنة إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد و كان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه ببغداد فى هذه السنة آيات وعرف ما فى ضمائر أصحابه و مايفعله كل واحد منهم و أنه سأل ربه أن يعلمه حقيقة أمور كانت فى نفسه فرأى كتابا يكتب له على حائط و لايرى شخص كاتبه . قال أبو جعفر واستمال ببغداد جماعة منهم جعفر بن محمدالصوحانى من ولد زيد بن صوحان العبدى و محمد بن القاسم وغلامان لبنى خاقان وهما مشرق ورفيق فسمى مشرقا حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقا جعفرا وكناه أباالفضل فلما انقضى عامه ذلك ببغداد عزل محمد بن رجاء عن البصرة فوثبت رؤساء الفتنة بها من البلالية والسعدية [صفحه ١٣٢] ففتحوا المحابس وأطلقوا من كان فيهافتخلص أهله وولده فيمن تخلص فلما بلغه ذلك شخص عن بغداد فكان رجوعه إلى البصرة فى شهر رمضان من سنة خمس وخمسين ومائتين ومعه على بن أبان المهلبى و قد كان لحق به و هوبمدينة السلام مشرق ورفيق وأربعة أخر من خواصه وهم يحيى بن محمد و محمد بن سلم وسليمان بن جامع و أبويعقوب المعروف بجربان فساروا جميعا حتى نزلوا بالموضع المعروف ببرنخل من أرض البصرة فى قصر هناك يعرف بقصر القرشى على نهر يعرف بعمود بن المنجم كان بنو موسى بن المنجم احتفروه وأظهر أنه وكيل لولد الواثق فى بيع مايملكونه هناك من السباخ . قال أبو جعفرفذكر عن ريحان بن صالح أحد غلمان الشورجيين الزنوج و هوأول من صحبه منهم قال كنت

موكلا بغلمان مولای أنقل الدقيق إليهم فمررت به و هومقيم بقصر القرشی يظهر الوكالة لأولاد الواثق فأخذنی أصحابه وصاروا بی إليه وأمرونی بالتسليم عليه بالإمرة ففعلت ذلك فسألنی عن الموضع ألذی جئت منه فأخبرته أنی أقبلت من البصرة فقال هل سمعت لنا بالبصرة خبرا قلت لا قال فخبر البلالية والسعدية قلت لم أسمع لهم خبرا فسألنی عن غلمان الشورجيين و مايجری لكل جماعة منهم من الدقيق والسويق والتمر وعمن يعمل فی الشورج من الأحرار والعبيد فأعلمته ذلك فدعانی إلی ما هو عليه فأجبته فقال لی احتل فيمن قدرت عليه من الغلمان فأقبل بهم إلی ووعدنی أن يقودنی علی من آتيه به منهم و أن يحسن إلی واستحلفنی ألا أعلم أحدا بموضعه و أن أرجع إليه فخلی سبيلی فأتيت بالدقيق ألذی معی إلی غلمان مولای وأخبرتهم خبره وأخذت له البيعة عليهم ووعدتهم عنه بالإحسان والغنی ورجعت إليه من غد ذلك اليوم و قدوافاه رفيق غلام الخاقانية [صفحه ١٣٣] و قد كان وجهه إلی البصرة يدعو إليه غلمان الشورج ووافی إليه صاحب له آخر يعرف بشبل بن سالم قد كان دعا إليه قوما منهم أيضا وأحضر معه حريرة كان أمره بابتياعها ليتخذها لواء فكتب فيهابالحمرةإِنّ اللّهَ اشتَرَی مِنَ المُؤمِنِینَ أَنفُسَ‌هُم وَ أَموالَهُم بِأَنّ لَهُمُ الجَنّةَ يُقاتِلُونَ فِی سَبِيلِ اللّهِالآية وكتب اسمه واسم أبيه عليها وعلقها فی رأس مردی وخرج وقت السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان فلما صار إلی مؤخر القصر ألذی كان فيه لقيه غلمان رجل من الشورجيين يعرف بالعطار متوجهين إلی أعمالهم فأمر بأخذ وكيلهم فأخذ وكتف واستضم غلمانه إلی غلمانه وكانوا خمسين غلاما ثم صار إلی الموضع المعروف بالسنائی فاتبعه الغلمان الذين كانوا فيه وهم خمسمائة غلام فيهم الغلام المعروف بأبی حديد وأمر بأخذ وكيلهم وكتفه ثم مضی إلی الموضع المعروف بالسيرافی فاتبعه من كان فيه من غلمان وهم مائة وخمسون غلاما منهم زريق و أبوالخنجر ثم صار إلی الموضع المعروف بسبخة ابن عطاء فأخذ طريفا وصبيحا الأعسر وراشد المغربی وراشد القرمطی و كل هؤلاء من وجوه الزنج وأعيانهم الذين صاروا قوادا وأمراء فی جيوشهم وأخذ معهم ثمانين غلاما. ثم أتی إلی الموضع المعروف بغلام سهل الطحان فاستضاف من كان به من الغلمان ثم لم يزل يفعل مثل ذلك فی يومه حتی اجتمع إليه بشر كثير من الزنج ثم قام فيهم - قرآن-١٩٨-٣١٢ [صفحه ١٣٤] آخر الليل خطيبا فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويرئسهم ويملكهم الأموال والضياع وحلف لهم بالأيمان الغليظة ألا يغدر بهم و لايخذلهم و لايدع شيئا من الإحسان إلاأتی إليهم . ثم دعا وكلاءهم فقال قدأردت ضرب أعناقكم لماكنتم تأتون إلی هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وفعلتم بهم ماحرم الله عليكم أن تفعلوه بهم وكلفتموهم ما لايطيقونه فكلمنی أصحابی فيكم فرأيت إطلاقكم .فقالوا له أصلحك الله إن هؤلاء الغلمان أباق وإنهم سيهربون منك فلايبقون عليك و لاعلينا فخذ من مواليهم مالا وأطلقهم .فأمر الغلمان فأحضروا شطوبا ثم بطح كل قوم وكيلهم فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة وأحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحدا بموضعه ثم أطلقهم فمضوا نحو البصرة ومضی رجل منهم حتی عبر دجيل الأهواز فأنذر الشورجيين ليحفظوا غلمانهم و كان هناك خمسة عشر ألف غلام زنجی ثم سار وعبر دجيلا وسار إلی نهر ميمون بأصحابه واجتمع إليه السودان من كل جهة. فلما كان يوم الفطر جمعهم وخطب خطبة ذكر فيها ماكانوا عليه من سوء الحال و أن الله تعالی قداستنقذهم من ذلك و أنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلی الأمور ثم حلف لهم علی ذلك فلما فرغ من خطبته [صفحه ١٣٥] أمر الذين فهموا عنه قوله أن يفهموه من لافهم له من عجمهم لتطيب بذلك أنفسهم ففعلوا ذلك . قال أبو جعفر فلما كان فی اليوم الثالث من شوال وافاه الحميری أحد عمال السلطان بتلك النواحی فی عدد كثير فخرج إليه صاحب الزنج فی أصحابه فطرده وهزم أصحابه حتی صاروا فی بطن دجلة واستأمن إلی صاحب الزنج رجل من رؤساء السودان يعرف بأبی صالح القصير فی ثلاثمائة من الزنج فلما كثر من اجتمع إليه من الزنج قود قواده و قال لهم من أتی منكم برجل من السودان فهو مضموم إليه . قال أبو جعفر وانتهی إليه أن قوما من أعوان السلطان هناك منهم خليفة بن أبی عون علی الأبلة ومنهم الحميری قدأقبلوا نحوه فأمر أصحابه بالاستعداد لهم فاجتمعوا للحرب

و ليس فى عسكره يومئذ إلاثلاثة أسياف سيفه وسيف على بن أبان وسيف محمد بن سلم ولحقه القوم ونادى الزنج فبدر مفرج النوبى والمكنى بأبى صالح وريحان بن صالح وفتح الحجام و قد كان فتح حينئذ يأكل و بين يديه طبق فلما نهض تناول ذلك الطبق وتقدم أمام أصحابه فلقيه رجل من عسكر أصحاب السلطان فلما رآه فتح حمل عليه وحذفه بالطبق ألذى كان فى يده فرمى الرجل سلاحه وولى هاربا وانهزم القوم كلهم وكانوا أربعة آلاف فذهبوا على وجوههم وقتل من قتل منهم ومات بعضهم عطشا وأسر كثير منهم فأتى بهم صاحب الزنج فأمر بضرب أعناقهم فضربت وحملت الرءوس على بغال كان أخذها من الشورجيين كانت تنقل الشورج . [صفحه ١٣٦] قال أبو جعفر ومر فى طريقه بالقرية المعروفة بالمحمدية فخرج منها رجل من موالى الهاشميين فحمل على بعض السودان فقتله ودخل القرية فقال له أصحابه ائذن لنا فى انتهاب القرية وطلب قاتل صاحبنا فقال لاسبيل إلى ذلك دون أن نعرف ما عندأهلها وهل فعل القاتل مافعل عن رأيهم ونسائلهم أن يدفعوه إلينا فإن فعلوا و إلاحل لنا قتالهم وعجل المسير من القرية فتركها وسار. قال أبو جعفر ثم مر على القرية المعروفة بالكرخ فأتاه كبراؤها وأقاموا له الأنزال وبات ليلته تلك عندهم فلما أصبح أهدى له رجل من أهل القرية المسماة جبى فرسا كميتا فلم يجد سرجا و لالجاما فركبه بحبل وسنفه بحبل ليف . قلت هذاتصديق قول أمير المؤمنين ع كأنه به قدسار فى الجيش ألذى ليس له غبار و لالجب و لاقعقعة لجم و لاحمحمة خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام . قال أبو جعفر وأول مال صار إليه مائتا دينار وألف درهم لمانزل القرية المعروفة بالجعفرية أحضر بعض رؤسائها وسأله عن المال فجحد فأمر بضرب عنقه فلما خاف [صفحه ١٣٧] أحضر له هذاالقدر وأحضر له ثلاثة برازين كميتا وأشقر وأشهب فدفع أحدها إلى محمد بن سلم والآخر إلى يحيى بن محمد والآخر إلى مشرق غلام الخاقانية ووجدوا فى دار لبعض الهاشميين سلاحا فانتهبوه فصار ذلك اليوم بأيدى بعض الزنج سيوف وآلات وأتراس . قال أبو جعفر ثم كانت بينه و بين من يليه من أعوان السلطان كالحميرى ورميس وعقيل وغيرهم وقعات كان الظفر فيهاكلها له و كان يأمر بقتل الأسرى ويجمع الرءوس معه وينقلها من منزل إلى منزل وينصبها أمامه إذانزل وأوقع الهيبة والرهبة فى صدور الناس بكثرة القتلى وقلة العفو و على الخصوص المأسورين فإنه كان يضرب أعناقهم و لايستبقى منهم أحدا. قال أبو جعفر ثم كان له مع أهل البصرة وقعة بعد ذلك سار يريدها فى ستة آلاف زنجى فاتبعه أهل الناحية المعروفة بالجعفرية ليحاربوه فعسكر عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة أكثر من خمسمائة رجل فلما فرغ منهم صمد نحو البصرة واجتمع أهلها و من بها من الجند وحاربوه حربا شديدا فكانت الدائرة عليه وانهزم أصحابه ووقع كثير منهم فى النهرين المعروفين بنهر كثير ونهر شيطان وجعل يهتف بهم ويردهم و لا-يرجعون وغرق من أعيان جنده وقواده جماعة منهم أبوالجون ومبارك البحرانى وعطاء البربرى وسلام الشامى فلحقه قوم من جند البصرة و هو على قنطرة نهر كثير فرجع إليهم بنفسه وسيفه فى يده فرجعوا عنه حتى صاروا إلى الأرض و هويومئذ فى دراعة وعمامة ونعل وسيف و فى يده اليسرى ترس ونزل عن القنطرة فصعدها البصريون يطلبونه فرجع إليهم فقتل منهم رجلا- بيده على خمس مراق من القنطرة وجعل يهتف بأصحابه ويعرفهم مكانه و لم يكن بقى معه فى ذلك الموضع من أصحابه [صفحه ١٣٨] إلا أبوالشوك ومصلح ورفيق ومشرق غلاما الخاقانية وضل أصحابه عنه وانحلت عمامته فبقى على رأسه كور منها أوكوران فجعل يسحبها من ورائه ويعجله المشى عن رفعها وأسرع غلاما الخاقانية فى الانصراف وقصر عنهما فغابا عنه فاتبعه رجلان من أهل البصرة بسيفيهما فرجع إليهما فانصرفا عنه وخرج إلى الموضع ألذى فيه مجمع أصحابه و قدكانوا تحيروا فلما رأوه سكنوا. قال أبو جعفر ثم سأل عن رجاله و إذا قدهرب كثير منهم ونظر فإذا هو من جميع أصحابه فى مقدار خمسمائة رجل فأمر بالنفخ فى البوق ألذى كانوا يجتمعون لصوته فنفخ فيه فلم يرجع إليه أحد. قال وانتهب أهل البصرة سفنا كانت معه وظفروا بمتاع من متاعه وكتب من كتبه وأصطرلابات كان معه ثم تلاحق به جماعة ممن كان هرب فأصبح و إذامعه ألف رجل فأرسل محمد بن سلم وسليمان بن جامع ويحيى بن محمد إلى أهل البصرة يعظهم ويعلمهم أنه لم يخرج

إلاغضبا لله وللدين ونهيا عن المنكر فعبر محمد بن سلم حتى توسط أهل البصرة وجعل يكلمهم ويخاطبهم فرأوا منه غرة فوثبوا عليه فقتلوه ورجع سليمان ويحيى إلى صاحب الزنج فأخبراه فأمرهما بطى ذلك عن أصحابه حتى يكون هو ألذى يخبرهم . فلما صلى بهم العصر نعى إليهم محمد بن سلم و قال لهم إنكم تقتلون به فى غد عشرة آلاف من أهل البصرة. قال أبو جعفر و كان الوقعة التى كانت الدبرة عليه فيها يوم الأحد لثلاث عشرة [صفحه ١٣٩] ليلة خلون من ذى القعدة سنة خمس وخمسين ومائتين فلما كان يوم الإثنين جمع له أهل البصرة وحشدوا لمارأوا من ظهورهم عليه يوم الأحد وانتدب لذلك رجل من أهل البصرة يعرف بحماد الساجى و كان من غزاة البحر فى الشذا و له علم بركوبها والحرب فيهافجمع المطوعة ورماه الأهداف و أهل المسجد الجامع و من خف معه من حزبى البلالية والسعدية و من غير هذه الأصناف من الهاشميين والقرشيين و من يحب النظر ومشاهدة الحرب من سائر أصناف الناس وشحن ثلاثة مراكب من الشذا بالرماة وجعل الناس يزدحمون فى الشذا حرصا على حضور ذلك المشهد ومضى جمهور الناس رجالة منهم من معه سلاح ومنهم من لاسلاح معه بل نظارة فدخلت السفن النهر المعروف بأم حبيب بعدزوال الشمس من ذلك اليوم فى المد ومرت الرجالة والنظارة على شاطئ النهر قدسدوا ماينفذ فيه البصر كثرة وتكاثفا فوجه صاحب الزنج صاحبه زريقا و أباالليث الأصبهانى فجعلهم كمينا من الجانب الشرقى من نهر شيطان و كان مقيما بموضع منه ووجه صاحبيه شبلا وحسينا الحمامى فجعلهما كمينا فى غربيه و مع كل من الكمينين جماعة وأمر على بن أبان المهلبى أن يتلقى القوم فيمن بقى معه من جمعه وأمره أن يستتر هو وأصحابه بتراسهم و لايثور إليهم منه ثائر حتى يوافيهم القوم ويخالطوهم بأسيافهم فإذافعلوا ذلك ثاروا إليهم وتقدم إلى الكمينين إذاجاوزهما الجمع وأحسا بثورة أصحابهم إليهم أن يخرجا من جنبى النهر ويصيحا بالناس . و كان يقول لأصحابه بعد ذلك لماأقبل إلى جمع البصرة وعاينته رأيت أمرا هائلا راعنى وملأ صدرى رهبة وجزعا ففزعت إلى الدعاء و ليس معى من أصحابى إلانفر يسير منهم مصلح و ليس منا أحد إلا و قدخيل إليه مصرعه فجعل مصلح يعجبنى من [صفحه ١٤٠] كثرة ذلك الجمع وجعلت أومئ إليه أن اسكت فلما قرب القوم منى قلت أللهم إن هذه ساعة العسرة فأعنى فرأيت طيورا بيضا أقبلت فتلقت ذلك الجمع فلم أستتم دعائى حتى بصرت بسميرية من سفنهم قدانقلبت بمن فيهافغرقوا ثم تلتها الشذا فغرقت واحدة بعدواحدة وثار أصحابى إلى القوم وخرج الكمينان من جنبى النهر وصاحوا وخبطوا الناس فغرقت طائفة وقتلت طائفة وهربت طائفة نحو الشط طمعا فأدركها السيف فمن ثبت قتل و من رجع إلى الماء غرق حتى أبيد أكثر ذلك الجمع و لم ينج منهم إلاالشريد وكثر المفقودون بالبصرة وعلاـ العويل من نسائهم . قال أبو جعفر و هذا يوم الشذا ألذى ذكره الناس فى أشعارهم وعظموا ما فيه من القتل فكان ممن قتل من بنى هاشم جماعة من ولد جعفر بن سليمان وانصرف صاحب الزنج وجمع الرءوس وملأ بهاسفنا وأخرجها من النهر المعروف بأم حبيب فى الجزر وأطلقها فوافت البصرة فوقفت فى مشرعة تعرف بمشرعة القيار فجعل الناس يأتون تلك الرءوس فيأخذ رأس كل رجل أولياؤه وقوى صاحب الزنج بعد هذااليوم وسكن الرعب قلوب أهل البصرة منه وأمسكوا عن حربه وكتب إلى السلطان بخبره فوجه جعلان التركى مددا لأهل البصرة فى جيش ذوى عدة وأسلحة. [صفحه ١٤١] قال أبو جعفر و قال أصحاب على بن محمد له أنا قدقتلنا مقاتلة أهل البصرة و لم يبق فيها إلاضعفاؤهم و من لاحراك به فأذن لنا فى تقحمها فنهاهم وهجن آراءهم و قال بل نبعد عنها فقد رعبناهم وأخفناهم ولنقتحمها وقتا آخر وانصرف بأصحابه إلى سبخة فى آخر أنهار البصرة تعرف بسبخة أبى قرة قريبة من النهر المعروف بالحاجر فأقام هناك وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ و هذه السبخة متوسطة النخل والقرى والعمارات وبث أصحابه يمينا وشمالا يعيثون ويغيرون على القرى ويقتلون الأكرة وينهبون أموالهم ويسرقون مواشيهم . وجاءه شخص من أهل الكتاب من اليهود يعرف بماروية فقبل يده وسجد له وسأله عن مسائل كثيرة فأجابه عنها فزعم اليهودى أنه يجد صفته فى التوراة و أنه يرى القتال معه وسأله عن علامات فى يده وجسده ذكر أنها مذكورة فى الكتب فأقام معه . قال أبو جعفر و لماصار جعلان

التركى إلى البصرة بعسكره أقام ستة أشهر يحارب صاحب الزنج فإذاالتقوا لم يكن بينهم إلاالرمى بالحجارة والنشاب و لم يجد جعلان إلى لقائه سبيلا لضيق الموضع بما فيه من النخل والدغل عن مجال الخيل [صفحه ۱۴۲] ولأن صاحب الزنج قد كان خندق على نفسه وأصحابه . ثم إن صاحب الزنج بيت جعلان فقتل جماعة من أصحابه وروع الباقون روعا شديدا فانصرف جعلان إلى البصرة ووجه إليه مقاتلة السعدية والبلالية فى جمع كثيف فواقعهم صاحب الزنج فقهرهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وانصرفوا مفلولين ورجع جعلان بأصحابه إلى البصرة فأقام بهامعتصما بجدرانها وظهر عجزه للسلطان فصرفه عن حرب الزنج وأمر سعيد الحاجب بالشخوص إلى البصرة لحربهم . قال أبو جعفر واتفق لصاحب الزنج من السعادة أن أربعا وعشرين مركبا من مراكب البحر كانت اجتمعت تريد البصرة وانتهى إلى أصحابها خبر الزنج وقطعهم السبل و فيهاأموال عظيمة للتجار فاجتمعت آراؤهم على أن شدوا المراكب بعضها إلى بعض حتى صارت كالجزيرة يتصل أولها بآخرها وسارت فى دجلة فكان صاحب الزنج يقول نهضت ليلة إلى الصلاة وأخذت فى الدعاء والتضرع فخوطبت بأن قيل لى قدأظلك فتح عظيم فالتفت فلم ألبث أن طلعت المراكب فنهض أصحابى إليها فى شذاتها فلم يلبثوا أن حووها وقتلوا مقاتلتها وسبوا ما فيها من الرقيق وغنموا منها أموالا لاتحصى و لايعرف قدرها فأنهبت ذلك أصحابى ثلاثة أيام وأمرت بما بقى منها فحيز لى . قال أبو جعفر ثم دخل الزنج الأبلة فى شهر رجب من سنة ست وخمسين ومائتين و ذلك أن جعلان لماتنحى إلى البصرة ألح صاحب الزنج بالسرايا على أهل الأبلة فجعل يحاربهم من ناحية شط عثمان بالرجالة وبما خف له من السفن من ناحية دجلة وجعلت سراياه تضرب إلى ناحية نهر معقل . [صفحه ۱۴۳] فذكر عن صاحب الزنج أنه قال ميلت بين عبادان والأبلة فملت إلى التوجه إلى عبادان فندبت الرجال إلى ذلك فخوطبت وقيل لى إن أقرب عدو دارا وأولاه ألا يتشاغل عنه بغيره أهل الأبلة فرددت بالجيش ألذى كنت سيرته نحو عبادان إلى الأبلة و لم يزالوا يحاربون أهلها إلى أن اقتحموها وأضرموها نارا وكانت مبنية بالساج بناء متكاثفا فأسرعت فيهاالنار ونشأت ريح عاصف فأطارت شرر ذلك الحريق إلى أن انتهى إلى شط عثمان وقتل بالأبلة خلق كثير وحويت الأسلاب والأموال على أن ألذى أحرق منها كان أكثر مما انتهب واستسلم أهل عبادان بعدها لصاحب الزنج فإن قلوبهم ضعفت وخافوه على أنفسهم وحرمهم فأعطوا بأيديهم وسلموا إليه بلدهم فدخلها أصحابه فأخذوا من كان فيها من العبيد وحملوا ما كان فيها من السلاح ففرقه على أصحابه وصانعه أهلها بمال كف به عنهم . قال أبو جعفر ثم دخل الزنج بعدعبادان إلى الأهواز و لم يثبت لهم أهلها فأحرقوا ما فيها وقتلوا ونهبوا وأخربوا فكان بالأهواز ابراهيم بن محمدالمدبر الكاتب و إليه خراجها وضياعها فأسروه بعد أن ضربوه ضربة على وجهه وحووا كل ما كان يملكه من مال وأثاث ورقيق وكراع واشتد خوف أهل البصرة وانتقل كثير من أهلها عنها وتفرقوا فى بلاد شتى وكثرت الأراجيف من عوامها. [صفحه ۱۴۴] قال أبو جعفر فلما دخلت سنة سبع وخمسين أنفذ السلطان بغراج التركى على حرب البصرة وسعيد بن صالح الحاجب للقاء صاحب الزنج وأمر بغراج بإمداده بالرجال فلما صار سعيد إلى نهر معقل وجد هناك جيشا لصاحب الزنج فى النهر المعروف بالمرغاب فأوقع بهم سعيد فهزمهم واستنقذ ما فى أيديهم من النساء والنهب وأصابت سعيدا فى تلك الوقعة جراحات منها جراحة فى فيه . ثم بلغه أن جيشا لصاحب الزنج فى الموضع المعروف بالفرات فتوجه إليه فهزمه واستأمن إليه بعض قواد صاحب الزنج حتى لقد كان المرأة من سكان ذلك الموضع تجد الزنجى مستترا بتلك الأدغال فتقبض عليه حتى تأتى به عسكر سعيد ما به عنها امتناع ثم قصد سعيد حرب صاحب الزنج فعبر إليه إلى غربى دجلة فأوقع به وقعات متتالية كلها يكون الظفر فيهالسعيد إلى أن تهيأ لصاحب الزنج عليه أن وجه إلى يحيى بن محمدالبحرانى صاحبه و هوإذ ذاك مقيم بنهر معقل فى جيش من الزنج فأمره بتوجيه ألف رجل من أصحابه عليهم سليمان بن جامع و أبوالليث القائدان ويأمرهما بقصد عسكر سعيد ليلا حتى يوقعا به وقت طلوع الفجر من ليلة عينها لهم ففعلا ذلك وصارا إلى عسكر سعيد فى ذلك الوقت فصادفا منه غرة وغفلة فأوقعا به وبأصحابه وقت طلوع الفجر فقتل منهم مقتلة

عظيمة وأصبح سعيد و قدضعف أمره واتصل بالسلطان خبره فأمره بالانصراف إلى باب السلطان وتسليم الجيش ألذى معه إلى منصور بن جعفرالخياط و كان إليه يومئذ حرب الأهواز وكوتب بحرب صاحب الزنج و أن يصمد له فكانت بينهم وقعة كان الظفر فيهاللزنج فقتل من أصحاب منصور خلق كثير عظيم وحمل من الرءوس خمسمائة رأس إلى عسكر يحيى بن محمدالبحرانى القائد فنصبت على نهر معقل . [صفحه ١٤٥] قال أبو جعفر ثم كانت بين الزنج و بين أصحاب السلطان بالأهواز وقعات كثيرة تولاها على بن أبان المهلبى فقتل شاهين بن بسطام و كان من أكابر أصحاب السلطان وهزم ابراهيم بن سيما و كان أيضا من الأمراء المشهورين واستولى الزنج على عسكره . قال أبو جعفر ثم كانت الواقعة العظمى بالبصرة فى هذه السنة و ذلك أن صاحب الزنج قطع الميرة عنهم فأضر ذلك بهم وألح بجيوشه وزنوجه عليهم بالحرب صباحا ومساء فلما كان فى شوال من هذه السنة أزمع على جمع أصحابه للهجوم على البصرة والجد فى خراجها و ذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرقهم وإضرار الحصار بهم وخراب ماحولها من القرى و كان قدنظر فى حساب النجوم ووقف على انكساف القمر الليلة الرابعة عشرة من هذاالشهر فذكر محمد بن الحسن بن سهل أنه قال سمعته يقول اجتهدت فى الدعاء على أهل البصرة وابتهلت إلى الله تعالى فى تعجيل خرابها فخوطبت وقيل لى إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها فإذاانكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت انكسار نصف الرغيف بانكساف نصف القمر المتوقع فى هذه الليالى و ماأخلق أمر أهل البصرة أن يكون بعده قال فكان يحدث بهذا حتى أفاض فيه أصحابه وكثر تردده فى أسماعهم وإجالتهم إياه بينهم . ثم ندب محمد بن يزيد الدارمى و هوأحد من كان صحبه بالبحرين للخروج إلى [صفحه ١٤٦] الأعراب واستنفار من قدر عليه منهم فأتاه منهم بخلق كثير ووجه إلى البصرة سليمان بن موسى الشعرانى فأمره بتطرق البصرة والإيقاع بأهلها وتقدم إلى سليمان بن موسى بتمرين الأعراب على ذلك فلما وقع الكسوف أنهض إليها على بن أبان وضم إليه جيشا من الزنج وطائفة من الأعراب وأمره بإتيان البصرة مما يلى بنى سعد وكتب إلى يحيى بن محمدالبحرانى فى إتيانها مما يلى نهر عدى وضم باقى الأعراب إليه فكان أول من واقع أهل البصرة على بن أبان وبغراج التركى يومئذ بالبصرة فى جماعة من الجند فأقام يقاتلهم يومين وأقبل يحيى بن محمدمما يلى قصر أنس قاصدا نحو الجسر فدخل على بن أبان البلد وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقين من شوال فأقبل يقتل الناس ويحرق المنازل والأسواق بالنار فتلقاه بغراج و ابراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمى المعروف ببريه و كان وجيها مقدما مطاعا فى جمع عظيم فرداه فرجع فأقام ليلته تلك ثم غاداهم و قدتفرق جند البصرة فلم يكن فى وجهه أحد يدافعه وانحاز بغراج بمن معه وهرب ابراهيم بن محمدالهاشمى المعروف ببريه فوضع على بن أبان السيف فى الناس وجاء إليه ابراهيم بن محمدالمهلبى و هو ابن عمه فاستأمنه لأهل البصرة فحضر أهل البصرة قاطبة فأمنهم ونادى مناديه من أراد الأمان فليحضر دار ابراهيم بن محمدالمهلبى فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملئوا الأزقة فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة فأمر بأخذ السكك والطرق عليهم وغدر بهم وأمر الزنوج بوضع السيف فيهم فقتل كل من شهد ذلك المشهد. [صفحه ١٤٧] ثم انصرف آخر نهار يومه ذلك فأقام بقصر عيسى بن جعفربالخريبة. وروى أبو جعفر قال حدثنى محمد بن الحسن بن سهل قال حدثنى محمد بن سمعان قال كنت يومئذ بالبصرة فمضيت مبادرا إلى منزلى لأتحصن به و هو فى سكة المربد فلقيت أهل البصرة هاربين يدعون بالويل والثبور و فى آخرهم القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمى على بغل متقلدا سيفا يصيح بالناس ويحكم تسلمون بلدكم وحرمكم هذاعدوكم قددخل البلد فلم يلووا عليه و لم يسمعوا منه فمضى هاربا ودخلت أنامنزلى وأغلقت بابى وأشرفت فمر بى الأعراب ورجالة الزنج يقدمهم رجل على حصان كميت بيده رمح و عليه عذبة صفراء فسألت بعد ذلك عنه فقيل لى إنه على بن أبان . قال ونادى منادى على بن أبان من كان من آل المهلب فليدخل دار ابراهيم بن يحيى المهلبى فدخلت جماعة قليلة وأغلق الباب دونهم ثم قيل للزنج دونكم الناس فاقتلوهم و لاتبقوا منهم أحدا وخرج إليهم أبوالليث الأصفهانى أحد قود الزنج فقال للزنج كيلوا وهى العلامة التى

كـانوا يعرفونهـا فيمن يؤمرون بقتله فأخـذ النـاس السـيف قال فو الله إنى لأسـمع تشـهدهم وضـجيجهم وهم يقتلون و قـدارتفعت أصواتهم بالتشـهد حتى سـمعت بالطفـاوة و هو على بعـد من الموضع ألـذى كـانوا فيه . قال ثم انتشـر الزنـج فى سـكك البصـرة وشوارعها يقتلون من وجـدوا ودخل على بن أبان يومئـذ المسـجد فأحرقه وبلغ إلى الكلاء فأحرقه إلى الجسـر وأخـذت النار كل مامرت به من إنسان وبهيمـة وأثاث ومتاع ثم ألحوا بالغـدو والرواح على من وجـدوه ويسوقونهم إلى يحيى بن محمـدالبحرانى و هونازل ببعض سـكك البصرة فمن كان ذا مال قرره حتى يستخرج ماله ثم يقتله و من كان مختلا قتله معجلا. [صفحه ۱۴۸] قال أبو جعفر و قـد كان على بن أبان كف بعض الكف عن العيث بناحية بنى سـعد وراقب قوما من المهلبيين وأتباعهم فانتهى ذلك إلى على بن محمـدصاحب الزنـج فصرفه عن البصـرة وأقر يحيى بن محمـدالبحرانى بهـالموافقته على رأيه فى الإثخان فى القتل ووقـوع ذلـك بمحبته وكتب إلى يحيى بن محمـديأمره بإظهـار الكف ليسـكن النـاس ويظهر المسـتخفى و من قـدعرف باليسـار والثروة فـإذاظهر فليؤخـذوا بالدلالـة على مـادفعوه وأخفوه من أموالهم ففعـل يحيى بن محمـد ذلـك و كان لايخلو فى اليوم من الأيام من جماعة يؤتى بهم فمن عرف منهم باليسار استنزف ماعنده ثم قتله و من ظهرت له خلته عاجله بالقتل حتى لم يدع أحدا ظهر له إلاقتله . قال أبو جعفر وحـدثنى محمـد بن الحسن قال لماانتهى إلى على بن محمدعظيم مافعل أصـحابه بالبصـرة سـمعته يقول دعوت على أهل البصـرة فى غـداة اليوم ألـذى دخل فيه أصـحابى إليها واجتهـدت فى الـدعاء وسـجدت وجعلت أدعو فى سجودى فرفعـت إلى البصــرة فرأيتهـا ورأيـت أصــحابى يقـاتلون فيهـا ورأيـت بيـن السـماء و الأرض رجلاـ واقفـا فى صـورة جعفرالمعلوف المتولى كان للاسـتخراج فى ديوان الخراج بسامراء و هوقائم قـدخفض يـده اليسـرى ورفع يـده اليمنى يريـد قلب البصرة فعلمت أن الملائكة تولت إخرابها دون أصحابى و لو كان أصحابى تولوا ذلك مابلغوا هذاالأمر العظيم ألذى يحكى عنها ولكن الله تعـالى نصـرنى بالملائكـة وأيـدنى فى حروبى وثبت بهم من ضـعف قلبه من أصـحابى قـال أبو جعفر وانتسب صاحب الزنج فى هذه الأيام إلى محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بعدانتسابه ألذى كان إلى أحمد بن عيسى بن زيد و ذلك لأنه بعد [صفحه ۱۴۹] إخرابه البصرة جاء إليه جماعة من العلوية الذين كانوا بالبصرة وأتاه فيمن أتاه منهم قوم من ولد أحمد بن عيسـى بن زيد فى جماعة من نسائهم وحرمهم فلما خافهم ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى وانتسب إلى محمد بن محمد بن زيد. قال أبو جعفرفحدثنى محمد بن الحسن بن سـهل قال كنت حاضـرا عنده و قدحضـر جماعة من النوفليين فقال له القاسم بن إسـحاق النوفلى أنه انتهى إلينا أن الأمير من ولد أحمد بن عيسى بن زيد فقال لست من ولد عيسى أنا من ولد يحيى بن زيد. قال محمـد بن الحسن فانتقل من أحمـد بن عيسـى بن زيـد إلى محمـد بن محمـد بن زيـد ثم انتقل من محمـد إلى يحيى بن زيـد و هوكاذب لأن الإجماع واقع على أن يحيى بن زيـد مات و لم يعقب و لم يولـد له إلابنت واحـدة ماتت وهى ترضع .فهذا ماذكره أبو جعفرالطبرى فى التاريـخ الكبير. وذكر على بن الحسن المسـعودى فى مروج الـذهب أن هـذه الواقعـة بالبصـرة هلك فيها من أهلها ثلاثمائة ألف إنسان و أن على بن أبان المهلبى بعدفراغه من الواقعة نصب منبرا فى الموضع المعروف ببنى يشـكر صلى فيه يوم الجمعـة وخطب لعلى بن محمـدصاحب الزنـج وترحم بعد ذلك على أبى بكر وعمر و لم يذكر عثمان و لاعليا ع فى خطبته ولعن أبا موسـى الأشـعرى وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان قال [صفحه ۱۵۰] و هذايؤكـد ماذكرناه وحكيناه من رأيه و أنه كان يـذهب إلى قول الأزارقـة. قال واسـتخفى من سـلم من أهل البصـرة فى آبار الـدور فكانوا يظهرون ليلا فيطلبون الكلاب فيـذبحونها ويأكلونهـا والفـأر والسـنانير فأفنوهـا حتى لم يقـدروا على شـىءمنها فصاروا إذامات الواحد منهم أكلوه فكان يراعى بعضــهم مـوت بعض و مـن قـدر على صـاحبه قتلـه وأكلـه وعـدموا مع ذلـك المـاء وذكر عـن امرأة منهـم أنهـا حضـرت امرأة قداحتضـرت وعنـدها أختها و قداحتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلوا لحمها قالت المرأة فما ماتت حسـناء حتى ابتدرناها فقطعنا لحمهـا فأكلناه ولقـد حضـرت أختها ونحن على شـريعة عيسـى بن حرب وهى تبكى ومعها رأس الميت فقال لها قائل ويحك ما

لـک تبکین فقـالت اجتمع هؤلاء على أختـی فمـا ترکوهـا تموت حسـناء حتـی قطعوهـا وظلمونی فلم یعطونی من لحمهـا شـیئا إلاالرأس و إذاهی تبکی شاکیة من ظلمهم لها فی أختها. قال و کان مثل هذا وأکثر منه وأضـعافه وبلغ من أمر عسـکره أنه ینادی فیه على المرأة من ولد الحسن و الحسین والعباس وغیرهم من أشـراف قریش فکانت الجاریة تباع منهم بدرهمین وبثلاثة دراهم وینادی علیها بنسـبها هـذه ابنـة فلان بن فلان وأخـذ کل زنجی منهم العشـرین والثلاثین یطؤهن الزنـج ویخدمن النساء الزنجیات کماتخـدم الوصائف ولقـد اسـتغاثت إلى صاحب الزنج امرأة من ولد الحسن بن علی ع وکانت عندبعض الزنج وسألته أن یعتقها ممـا هی فیه أوینقلهـا من عنـده إلى غیره فقـال لهـا هومولاک و هوأولى بک . قال أبو جعفر وأشـخص السلطان لحرب صاحب الزنـج محمـدا المعروف بالمولـد فی جیش [صـفحه ۱۵۱] کـثیف فجـاء حتی نزل الأبلـة وکـتب صـاحب الزنـج إلى یحیى بن محمـدالبحرانی یـأمره بالمصـیر إلیه فصـار إلیه بزنوجه وأقـام على محـاربته عشـرة أیام ثم فتر المولـد عن الحرب وکتب علی بن محمد إلى یحیى یأمره أن یبیته فبیته فهزمه ودخل الزنج عسـکره فغنموا ما فیه وکتب یحیى إلى صاحب الزنج یخبره فأمره باتباعه فاتبعه إلى الحوانیت ثم انصرف عنه فمر بالجامـدة وأوقع بأهلها وانتهب کل ما کان فی تلک القرى وسـفک ماقـدر على سـفکه من الدماء ثم عاد إلى نهر معقل . قال أبو جعفر واتصـلت الأخبار بسامراء وبغداد وبالقواد والموالی و أهل الحضرة بما جرى على أهل البصـرة فقامت علیهم القیامـة وعلم المعتمـد أنه لایرتق هذاالفتق إلاباأخیه أبی أحمدطلحة بن المتوکل و کان منصورا مؤیدا عارفا بالحرب وقیادة الجیوش و هو ألـذی أخـذ بغداد للمعتز وکسـر جیوش المسـتعین وخلعه من الخلافة و لم یکن لبنی العباس فی هـذاالباب مثله ومثل ابنه أبی العباس فعقد له المعتمد على دیار مضـر وقنسـرین والعواصم وجلس له مسـتهل شـهر ربیع الآخر من سـنة سـبع وخمسین فخلع علیه و على مفلح وشخصا نحو البصرة لحرب علی بن محمد وإصلاح ماأفسده من الأعمال ورکـب المعتمـد رکوبا ظاهرا یشـیع أخاه أبا أحمـد إلى القریـة المعروفـة ببرکوارا وعاد. قال أبو جعفر و أماصاحب الزنـج فإنه بعدهزیمة محمدالمولـد أنفـذ علی بن أبـان المهلبی إلى حرب منصور بن جعفر و إلى الأهواز فکـانت بینهما حروب کثیرة فی أیام متفرقة حتی کان آخرها الیوم ألـذی انهزم فیه أصـحاب منصور وتفرقوا عنه وأدرکـت منصورا طائفـة من الزنج فلم یزل یکر علیهم حتی انقصف رمحه ونفدت سهامه و لم یبق معه سلاح [صفحه ۱۵۲] وانتهى إلى نهر یعرف بنهر ابن مروان فصاح بحصان کان تحته لیعبر فوثب فقصـر فانغمس فی الماء. وقیل إن الحصان لم یقصـر فی الوثبـة ولکن رجلا من الزنج سـبقه إلى النهر فألقى نفسه فیه لعلمه أنه لامحیص لمنصور عن النهر فلمـا وثب الفرس تلقـاه الأسـود فنکس فغـاص الفرس ومنصور ثم أطلع منصور رأسه فنزل إلیه غلام من السودان من عرفاء مصـلح یقال له أبرون فاحتز رأسه وأخذ سـلبه فولى یارجوخ الترکی صاحب حرب خوزستان ما کان مع منصور من العمل أصغجون الترکی. و قال أبو جعفر و أما أبو أحمدفإنه شخص عن سامراء فی جیش لم یسمع السامعون بمثله کثرة وعـدة قال و قـدعاینت أنا ذلک الجیش و أنایومئـذ ببغداد بباب الطاق فسـمعت جماعة من مشایخ أهل بغداد یقولون قـدرأینا جیوشا کثیرة للخلفاء فما رأینا مثل هذاالجیش أحسن عدة وأکمل عتادا وسـلاحا وأکثر عددا وجمعا واتبع ذلک الجیش من متسوقـة أهل بغـداد خلق کثیر. قال أبو جعفرفحـدثنی محمد بن الحسن بن سـهل أن یحیى بن محمدالبحرانی کان مقیما بنهر معقـل قبـل موافـاة أبی أحمدفاسـتأذن صـاحب الزنـج فی المصـیر إلى نهر العبـاس فکره ذلـک وخـاف أن یـوافیه جیش من قبل السـلطان وأصـحابه متفرقون فألـح علیه یحیى حتی أذن له فخرج واتبعه أکثر أهـل عسـکر صـاحب الزنـج و کـان علی بن أبان [صفحه ۱۵۳] مقیما بجبى فی جمع کثیر من الزنج والبصـرة قدصارت مغنما لأهل عسـکر صاحب الزنج یغادونها ویراوحونها لنقل ماناالته أیدیهم منها إلى منازلهم فلیس بمعسکر علی بن محمدیومئذ من أصحابه إلاالقلیل فهو على ذلک من حاله حتی وافى أبو أحمـد فی الجیش ومعه مفلـح فورد جیش عظیم لم یرد على الزنـج مثله فلمـا وصـل إلى نهر معقـل انصرف من کان هناک من الزنج فالتحقوا بصاحبهم مرعوبین فراعه ذلک ودعا برئیسـین منهما فسألهما عن السـبب ألذی له ترکا موضـعهما فأخبراه بما عاینا

من عظم أمر الجيش الوارد وكثرة عدد أهله وأحكام عدتهم و إن ألذى عايناه من ذلك لم يكن فى قوتهما الوقوف له فى العدة التى كانا فيهافسألهما هل علما من يقود هـذاالجيش فقالا قداجتهـدنا فى علم ذلك فلم نجد من يصدقنا عنه .فوجه صاحب الزنج طلائعه فى سميريات ليعرف الخبر فرجعت طلائعه إليه بتعظيم أمر الجيش وتفخيمه و لم يقف أحد منهم على من يقوده فزاد ذلك فى جزعه وارتياعه فأمر بالإرسال إلى على بن أبان يعلمه خبر الجيش الوارد ويأمره بالمصير إليه فيمن معه ووافى جيش أبى أحمدفأناخ بإزاء صاحب الزنج فلما كان اليوم ألذى كانت فيه الواقعة خرج على بن محمديطوف فى عسكره ماشيا ويتأمل الحال فيمن هو من حزبه و من هومقيم بإزائه على حزبه و قدكانت السماء مطرت ذلك اليوم مطرا خفيفا و الأرض ثرية تزل عنها الأقدام فطوف ساعة من أول النهار ورجع فدعا بدواة وقرطاس ليكتب كتابا إلى على بن أبان ليعلمه ما قدأظله من الجيش ويأمره بتقديم من قدر على تقديمه من الرجال فإنه لفى ذلك إذ أتاه أبودلف القائد أحد قواد الزنج فقال له إن [صفحه ۱۵۴] القوم قدغشوك ورهقوك وانهزم الزنج من بين أيديهم و ليس فى وجوههم من يردهم فانظر لنفسك فإنهم قدانتهوا إليك فصاح به وانتهره و قال اغرب عنى فإنك كاذب فيما حكيت إنما ذلك جزع داخل قلبك لكثرة من رأيت من الجمع فانخلع قلبك فلست تدرى ماتقول فخرج أبودلف من بين يديه وأقبل يكتب و قال لجعفر بن ابراهيم السجان ناد فى الزنج وحركهم للخروج إلى موضع الحرب فقال له إنهم قدخرجوا و قدظفروا بسميريتين من سفن أصحاب السلطان فأمره بالرجوع لتحريك الرجالة و كان من القضاء والقدر أن أصيب مفلح و هوالقائد الجليل المرشح لقيادة الجيش بعد أبى أحمدبسهم غرب لايدرى من رماه فمات لوقته ووقعت الهزيمة على أصحاب أبى أحمد وقوى الزنج على حربهم فقتلوا منهم جمعا كثيرا ووافى على بن محمدزنجه بالرءوس قابضين عليها بأسنانهم حتى ألقوها بين يديه فكثرت الرءوس يومئذ حتى ملأت الفضاء وجعل الزنج يقتسمون لحوم القتلى ويتهادونها بينهم وأتى بأسير من الجيش فسأله عن رأس العسكر فذكر أبا أحمد ومفلحا فارتاع لذكر أبى أحمد و كان إذاراعه أمر كذب به و قال ليس فى الجيش إلامفلح لأنى لست أسمع الذكر إلا له و لو كان فى الجيش من ذكر هذاالأسير لكان صوته أبعد و لما كان مفلح إلاتابعا له ومضافا إليه . قال أبو جعفر و قد كان قبل أن يصيب السهم مفلحا انهزم الزنج لماخرج عليهم [صفحه ۱۵۵] جيش أبى أحمد وجزعوا جزعا شديدا ولجئوا إلى النهر المعروف بنهر أبى الخصيب و لاجسر يومئذ عليه فغرق منهم خلق كثير و لم يلبث صاحب الزنج إلايسيرا حتى وافاه على بن أبان فى أصحابه فوافاه و قداستغنى عنه بهزيمة الجيش السلطانى وتحيز أبو أحمدبالجيش إلى الأبلة ليجمع مافرقت الهزيمة منه ويجدد الاستعداد للحرب ثم صار إلى نهر أبى الأسد فأقام به . قال أبو جعفرفحدثنى محمد بن الحسن قال فكان صاحب الزنج لايدرى كيف قتل مفلح فلما لم ير أحدا ينتحل رميه ادعى أنه كان الرامى له قال فسمعته يقول سقط بين يدى سهم من السماء فأتانى به واح خادمى فدفعه إلى فرميت به فأصاب مفلحا فقتله قال محمد وكذب فى ذلك لأنى كنت حاضرا معه ذلك المشهد مازال عن فرسه حتى أتاه خبر الهزيمة. قال أبو جعفر ثم إن الله تعالى أصاب صاحب الزنج بمصيبة تعادل فرحه وسروره بقتل مفلح عقيب قتل مفلح و ذلك أن قائده الجليل يحيى بن محمدالبحرانى أسر وقتل وصورة ذلك أن صاحب الزنج كان قدكتب إلى يحيى بن محمديعلمه ورود هذاالجيش عليه ويأمره بالقدوم والتحرر فى منصرفه من أن يلقاه أحد منهم و قد كان يحيى غنم سفنا فيهامتاع وأموال لتجار الأهواز جليلة وحامى عنها أصحاب أصغجون التركى فلم يغن وهزمهم يحيى ومضى الزنج بالسفن المذكورة يمدونها متوجهين نحو معسكر صاحب الزنج على سمت البطيحة المعروفة ببطيحة الصحناة وهى طريقة متعسفة وعرة [صفحه ۱۵۶] فيهامشاق متعبة وإنما سلكها يحيى وأصحابه وتركوا الطريق الواضح للتحاسد ألذى كان بين يحيى بن محمد و على بن أبان فإن أصحاب يحيى أشاروا عليه ألا يسلك الطريق التى يمر فيها على أصحاب على بن أبان فأصغى إلى مشورتهم فشرعوا له الطريق المؤدى إلى البطيحة المذكورة فسلكها و هذه البطيحة ينتهى السائر فيها إلى نهر أبى الأسد و قد كان أبو أحمدانحاز إليه لأن أهل القرى والسواد كاتبوه يعرفونه

خبر يحيى بن محمدالبحرانى وشدة بأسه وكثرة جمعه و أنه ربما خرج من البطيحة إلى نهر أبى الأسد فعسكر به ومنع أبا أحمدالميرة وحال بينه و بين من يأتيه من الأعراب وغيرهم فسبقه أبو أحمد إلى نهر أبى الأسد وسار يحيى حتى إذاقرب من نهر أبى الأسد وافته طلائعه فأخبرته بالجيش وعظمت أمره وخوفته منه فرجع من الطريق ألذى كان سلكه بمشقة شديدة نالته ونالت أصحابه وأصابهم مرض لترددهم فى تلك البطيحة وجعل يحيى على مقدمته سليمان بن جامع وسار حتى وقف على قنطرة فورج نهر العباس فى موضع ضيق تشتد فيه جرية الماء و هومشرف ينظر أصحابه الزنج كيف يجرون تلك السفن التى فيهاالغنائم فمنها مايغرق و مايسلم . قال أبو جعفرفحدثنى محمد بن سمعان قال كنت فى تلك الحال واقفا مع يحيى على القنطرة و قدأقبل على متعجبا من شدة جرية الماء وشدة مايلقى أصحابه من تلقيه بالسفن فقال أرأيت لوهجم علينا عدو فى هذه الحال من كان يكون أسوأ حالا منا فو الله ماانقضى كلامه حتى وافى كاشهم التركى فى جيش قدأنفذه معه أبو أحمد عندرجوعه من الأبلة إلى نهر أبى الأسد يتلقى به يحيى فوقعت الصيحة واضطربت الزنج فنهضت متشوفا للنظر فإذاالأعلام الحمر قدأقبلت فى الجانب الغربى من نهر العباس ويحيى به فلما رآها الزنج ألقوا أنفسهم جملة فى الماء فعبروا إلى الجانب الشرقى [صفحه ١٥٧] وخلا الموضع ألذى فيه يحيى فلم يبق معه إلابضعة عشر رجلا منهم فنهض عند ذلك فأخذ درقته وسيفه واحتزم بمنديل ثم تلقى القوم فى النفر الذين تخلفوا معه فرشقهم أصحاب كاشهم التركى بالسهام حتى كثر فيهم الجراح وجرح يحيى بأسهم ثلاثة فى عضده اليمنى وساقه اليسرى فلما رآه أصحابه جريحا تفرقوا عنه و لم يعرف فيقصد له فرجع حتى دخل بعض تلك السفن وعبر به إلى الجانب الشرقى من النهر و ذلك وقت الضحى وأثقلته الجراحات التى أصابته فلما رأت الزنج شدة مانزل به اشتد جزعهم وضعفت قلوبهم فتركوا القتال وكانت همتهم النجاة بأنفسهم وحاز أصحاب السلطان تلك الغنائم التى كانت فى السفن فى الجانب الغربى من النهر وانفض الزنج بالجانب الشرقى عن يحيى فجعلوا يتسللون بقية نهارهم بعدقتل ذريع فيهم وأسر كثير فلما أمسوا وأسدف الليل طاروا على وجوههم فلما رأى يحيى تفرق أصحابه ركب سميرية كانت هناك وأقعد معه فيهامتطببا يقال له عباد وطمع فى الخلاص إلى عسكر صاحب الزنج فسار حتى قرب من فوهة النهر فأبصر سميريات وشذايات لأصحاب السلطان فى فوهة النهر فخاف أن تعترض سميريته وجزع من المرور بهافعبر به الملاح إلى الجانب الغربى من النهر فألقاه وطبيبه على الأرض فى زرع هناك فخرج يمشى و هومثقل حتى ألقى نفسه فى بعض تلك المواضع فأقام هناك ليلته تلك فلما أصبح نزفه الدم ونهض عباد الطبيب فجعل يمشى متشوفا أن يرى إنسانا فرأى بعض أصحاب السلطان فأشار لهم إلى موضع يحيى فجاءوا حتى وقفوا عليه فأخذوه وانتهى خبره إلى الخبيث صاحب الزنج فجزع عليه جزعا شديدا وعظم عليه توجعه . [صفحه ١٥٨] ثم حمل يحيى إلى أبى أحمدفحمله أبو أحمد إلى المعتمد فأدخل إلى سامراء راكب جمل و الناس مجتمعون ينظرونه ثم أمر المعتمد ببناء دكة عالية بحضرة مجرى الحلبة فبنيت ورفع للناس عليها حتى أبصره الخلائق كافة ثم ضرب بين يدى المعتمد و قدجلس له مائتى سوط بثمارها ثم قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم خبط بالسيوف ثم ذبح وأحرق . قال أبو جعفرفحدثنى محمد بن الحسن قال لماقتل يحيى البحرانى فانتهى خبره إلى صاحب الزنج قال لأصحابه لماعظم على قتله واشتد اهتمامى به خوطبت فقيل لى قتله خير لك إنه كان شرها ثم أقبل على جماعة أنافيهم فقال من شرهه أناغنمنا غنيمة من بعض ماكنا نغنمه و كان فيهاعقدان فوقعا فى يد يحيى فأخفى عنى أعظمهما خطرا وعرض على أخسهما ثم استوهبه فوهبته له فرفع إلى العقد ألذى أخفاه حتى رأيته فدعوته فقلت أحضر لى العقد ألذى أخفيته فأتانى بالعقد ألذى وهبته له وجحد أن يكون أخذ غيره فرفع إلى العقد ثانية فجعلت أصفه له و أناأراه و هو لايراه فبهت وذهب فأتانى ثم استوهبنيه فوهبته له وأمرته بالاستغفار. قال أبو جعفر وذكر محمد بن الحسن أن محمد بن سمعان حدثه أن صاحب الزنج قال فى بعض أيامه لقد عرضت على النبوة فأبيتها فقيل له و لم ذاك قال إن لها أعباء خفت ألا أطيق حملها. [صفحه ١٥٩] قال أبو جعفرفأما الأمير أبو أحمدفإنه لماصار إلى نهر أبى الأسد

وأقام به كثرت العلل فى من معه من جنده وغيرهم وفشا فيهم الموت فلم يزل مقيما هنالك حتى أبل من نجا منهم من علته ثم انصرف راجعا إلى باذاورد فعسكر به وأمر بتجديد الآلات وإصلاح الشذوات والسميريات وإعطاء الجند أرزاقهم وشحن السفن بقواده ومواليه وغلمانه ونهض نحو عسكر الناجم وأمر جماعة من قواده بقصد مواضع سماها لهم من نهر أبى الخصيب وغيره وأمر الباقين بملازمته والمحاربة معه فى الموضع ألذى يكون فيه وهم الأقلون وعرف الزنج تفرق أصحاب أبى أحمد عنه فكثروا فى جهته واستعرت الحرب بينه وبينهم وكثرت القتلى والجراح بين الفريقين وأحرق أصحاب أبى أحمدقصورا ومنازل كان الزنج ابتنوها واستنقذوا من نساء أهل البصرة جمعا كثيرا ثم صرف الزنج سورتهم وشدة حملتهم إلى الموضع ألذى به أبو أحمدفجاءه منهم جمع لايقاوم بمثل العدة اليسيرة التى كان فيهافرأى أن الحزم فى محاجزتهم فأمر أصحابه بالرجوع إلى سفنهم على تؤدة وتمهل ففعلوا وبقيت طائفة من جنده ولجوا تلك الأدغال والمضايق فخرج عليهم كمين للزنج فأوقعوا بهم فحاموا عن أنفسهم وقتلوا عددا كثيرا من الزنج إلى أن قتلوا بأجمعهم وحملت رءوسهم إلى الناجم فزاد ذلك فى قوته وعتوه وعجبه بنفسه وانصرف أبو أحمدبالجيش إلى باذاورد وأقام يعبئ أصحابه للرجوع إلى الزنج فوقعت نار فى طرف من أطراف عسكره و ذلك فى أيام عصوف الرياح فاحترق العسكر ورحل أبو أحمدمنصرفا و ذلك فى شعبان من هذه السنة إلى واسط.فأقام بها إلى ربيع الأول ثم انصرف عنها إلى سامراء و ذلك أن المعتمد كاتبه واستقدمه [صفحه ١٦٠] لحرب يعقوب بن الليث الصفار أميرخراسان فاستخلف على حرب الناجم محمدالمولد و أماالناجم فإنه لم يعلم خبر الحريق ألذى وقع فى عسكر أبى أحمد حتى ورد عليه رجلان من أهل عبادان فأخبراه فأظهر أن ذلك من صنع الله تعالى له ونصره على أعدائه و أنه دعا الله على أبى أحمد وجيشه فنزلت نار من السماء فأحرقتهم . وعاد إلى العبث واشتد طغيانه وعتوه وأنهض على بن أبان المهلبى وضم إليه أكثر الجيش وجعل على مقدمته سليمان بن جامع وأضاف إليه الجيش ألذى كان مع يحيى بن محمدالبحرانى وسليمان بن موسى الشعرانى وأمرهم بأن يقصدوا الأهواز و بهاحينئذ أصغجون التركى ومعه نيزك القائد فالتقى العسكران بصحراء تعرف بدشت ميسان واقتتلوا فظهرت الزنج وقتل نيزك فى كثير من أصحابه وغرق أصغجون التركى وأسر كثير من قواد السلطان منهم الحسن بن هرثمة المعروف بالشارى و الحسن بن جعفر وكتب على بن أبان بالخبر إلى الناجم وحمل إليه أعلاما ورءوسا كثيرة وأسرى ودخل على بن أبان الأهواز وأقام بهابزنوجه يعيث وينهب القرى والسواد إلى أن ندب المعتمد على الله موسى بن بغا لحربه فشخص عن سامراء فى ذى القعدة من هذه السنة وشيعه المعتمد بنفسه إلى خلف الحائطين وخلع عليه هنالك فقدم أمامه عبدالرحمن بن مفلح إلى الأهواز وإسحاق بن كنداخ إلى البصرة و ابراهيم بن سيما إلى الباذاورد. قال أبو جعفر فلما ورد عبدالرحمن بن مفلح على الأهواز أناخ بقنطرة أربق عشرة أيام ثم مضى إلى على بن أبان المهلبى فواقعه فهزمه على بن أبان فانصرف فاستعد [صفحه ١٦١] ثم عاد لمحاربته فأوقع به وقعة عظيمة وقتل من الزنج قتلا ذريعا وأسر أسرى كثيرة وانهزم على بن أبان و من معه من الزنج حتى أتوا الموضع المعروف ببيان فأراد الناجم ردهم فلم يرجعوا للذعر ألذى خالط قلوبهم فلما رأى ذلك أذن لهم فى دخول عسكره فدخلوا جميعا فأقاموا معه بالمدينة التى كان بناها ووافى عبدالرحمن بن مفلح حصن مهدى ليعسكر به فوجه إليه الناجم على بن أبان فواقعه فلم يقدر عليه ومضى على بن أبان إلى قريب من الباذاورد وهناك ابراهيم بن سيما فواقعه ابراهيم فهزم على بن أبان فعاوده فهزمه ابراهيم فمضى فى الليل وسلك الأدغال والآجام حتى وافى نهر يحيى فانتهى خبره إلى عبدالرحمن بن مفلح فوجه إليه طاشتمر التركى فى جمع من الموالى فلم يصل إلى على بن أبان و من معه لوعورة الموضع ألذى كانوا فيه وامتناعه بالقصب والحلافى فأضرمه عليهم نارا فخرجوا منه هاربين وأسر منهم أسرى وانصرف إلى عبدالرحمن بن مفلح بالأسرى والظفر ومضى على بن أبان فأقام بأصحابه فى الموضع المسمى بنسوخا وانتهى الخبر بذلك إلى عبدالرحمن بن مفلح فصار إلى العمود فأقام به وصار على بن أبان إلى نهر السدرة وكتب إلى الناجم يستمده ويسأله التوجيه إليه

بالشذا فوجه إليه ثلاث عشرة شذاة فيهاجمع كثير من أصحابه فسار على بن أبان و من معه فى الشذا ووافى عبدالرحمن بمن معه فلم يكن بينهما قتال وتواقف الجيشان يومهما ذلک . فلما كان الليل انتخب على بن أبان من أصحابه جماعة يثق بجلدهم وصبرهم ومضى ومعه سليمان بن موسى المعروف بالشعرانى وترک سائر عسکره مكانه ليخفى أمره فصار من وراء عبدالرحمن ثم بيته وعسکره فنال منه و من أصحابه نيلا ما وانحاز [صفحه ۱۶۲] عبدالرحمن عنه وترک أربع شذوات من شذواته فغنمها على بن أبان وانصرف ومضى عبدالرحمن لوجهه حتى وافى دولاب فأقام بها وأعد رجالا من رجاله وولى عليهم طاشتمر التركى وأنفذهم إلى على بن أبان فوافوه و هو فى الموضع المعروف بباب آزر فأوقعوا به وقعة انهزم منها إلى نهر السدرة وكتب طاشتمر إلى عبدالرحمن بانهزامه عنه فأقبل عبدالرحمن بجيشه حتى وافى العمود فأقام به واستعد أصحابه للحرب وهيأ شذواته وولى عليها طاشتمر وسار إلى فوهة نهر السدرة فواقع على بن أبان وقعة عظيمة انهزم منها على بن أبان وأخذ منه عشر شذوات ورجع على بن أبان إلى الناجم مفلولا مهزوما وسار عبدالرحمن من فوره فعسكر ببيان فكان عبدالرحمن بن مفلح و ابراهيم بن سيما يتناوبان المصير إلى عسکر الناجم فيوقعان به ويخيفان من فيه وإسحاق بن كنداجيق يومئذ بالبصرة و قدقطع الميرة عن عسكر الناجم فكان الناجم يجمع أصحابه فى اليوم ألذى يخاف فيه موافاة عبدالرحمن بن مفلح و ابراهيم بن سيما حتى ينقضى الحرب ثم يصرف فريقا منهم إلى ناحية البصرة فيواقع بهم إسحاق بن كنداجيق فأقاموا على هذه الحال بضعة عشر شهرا إلى أن صرف موسى بن بغا عن حرب الزنج . قال أبو جعفر وسبب ذلک أن المعتمد رد أمر فارس والأهواز والبصرة وغيرها من [صفحه ۱۶۳] النواحى والأقطار إلى أخيه أبى أحمد بعدفراغه من حرب يعقوب بن الليث الصفار وهزيمته له فاستخلف أبو أحمد على حرب صاحب الزنج مسرورا البلخى وصرف موسى بن بغا عن ذلک واتفق أن ابن واصل حارب عبدالرحمن بن مفلح فأسره وقتله وقتل طاشتمر التركى أيضا و ذلک بناحية رامهرمز فاستخلف مسرور البلخى على الحرب أباالساج وولى الأهواز فكانت بينه و بين على بن أبان المهلبى وقعة بناحية دولاب قتل فيها عبدالرحمن صهر أبى الساج وانحاز أبوالساج إلى عسكر مكرم ودخل الزنج الأهواز فقتلوا أهلها وسبوا وأحرقوا دورها. قال أبو جعفر ثم وجه صاحب الزنج جيوشه بعدهزيمة أبى الساج إلى ناحية البطيحة والحوانيت ودستميسان قال و ذلک لأن واسطا خلت من أكثر الجند فى وقعة أبى أحمد ويعقوب بن الليث التى كانت عنددير العاقول فطمع الزنج فيهافتوجه إليها سليمان بن جامع فى عسكر من الزنج وأردفه الناجم بجيش آخر مع أحمد بن مهدى فى سميريات فيهارماة من أصحابه أنفذه إلى نهر المرأة وأنفذ عسكرا آخر فيه سليمان بن موسى فأمره أن يعسكر بالنهر المعروف باليهودى فكانت بين هؤلاء و بين من تخلف بهذه الأعمال من عساكر السلطان حروب شديدة وكانت سجالا لهم وعليهم حتى ملكوا البطيحة والحوانيت وشارفوا واسطا و بهايومئذ محمدالمولد من قبل السلطان فكانت بينه و بين سليمان بن جامع حروب كثيرة يطول شرحها وتعداده وأمده الناجم بالخليل بن أبان أخى على بن أبان المهلبى فى ألف وخمسمائة فارس ومعه أبو عبد الله الزنجى المعروف بالمذوب أحد قوادهم المشهورين فقوى سليمان بهم وأوقع بمحمد المولد فهزمه ودخل واسطا فى ذى الحجة سنة أربع وستين ومائتين بزنوجه وقواده فقتل منها خلقا كثيرا ونهبها وأحرق دورها وأسواقها وأخرب كثيرا من منازل أهلها [صفحه ۱۶۴] وثبت للمحاماة عنها قائد كان بها من جانب محمد بن المولد يقال له كنجور البخارى فحامى يومه ذلک إلى العصر ثم قتل و كان ألذى يقود الخيل يومئذ فى عسكر سليمان بن جامع الخليل بن أبان و عبد الله المعروف بالمذوب و كان أحمد بن مهدى الجبائى فى السميريات و كان مهربان الزنجى فى الشذوات و كان سليمان بن موسى الشعرانى وأخوه فى ميمنته وميسرته و كان سليمان بن جامع و هوالأمير على الجماعة فى قواده السودان ورجالته منهم و كان الجميع يدا واحدة فلما قضوا وطرهم من نهب واسط وقتل أهلها خرجوا بأجمعهم عنها فمضوا إلى جنبلاء وأقاموا هناک يعيثون ويخربون . و فى أوائل سنة خمس وستين دخلوا إلى النعمانية وجرجرايا وجبل فنهبوا وأخربوا وقتلوا وأحرقوا وهرب منهم أهل السواد فدخلوا إلى بغداد. قال

أبو جعفرفأمـا على بن أبان المهلبى فإنه اسـتولى على معظم أعمال الأهواز وعاث هناک وأخرب وأحرق وكانت بينه و بين عمال السـلطان وقواده مثـل أحمـد بن ليثويه و محمـد بن عبـد الله الكردى وتكين البخـارى ومطر بن جامع وأغرتمش التركى وغيرهم وبينه و بين عمال يعقوب بن الليث الصـفار مثل خضـر بن العنبر وغيره حروب عظيمة ووقعات كثيرة وكانت سـجالا تارة له وتارة عليه و هو فى أكثرهـا المسـتظهر عليهم وكثرت أموال الزنـج والغنـائم التى حووهـا من البلاد والنواحى وعظم أمرهم وأهم الناس شأنهم وعظم على المعتمد وأخيه أبى أحمدخطبهم واقتسـموا الدنيا فكان على بن محمدالناجم صاحب الزنج وإمامهم مقيما بنهر أبى الخصـيب قـدبنى مدينـة عظيمة سـماها المختارة وحصـنها بالخنادق واجتمع إليه فيها من الناس ما لاينتهى العد والحصـر إليه رغبـة ورهبة وصارت مدينة تضاهى سامراء وبغداد وتزيد عليهما وأمراؤه وقواده [صـفحه ١۶۵] بالبصرة وأعمالها يجبون الخراج على عادة السـلطان لماكانت البصرة فى يده و كان على بن أبان المهلبى و هوأكبر أمرائه وقواده قداستولى على الأهواز وأعمالها ودوخ بلادها كرامهرمز وتستر وغيرهما ودان له الناس وجبا الخراج وملك أموالا لاتحصى . و كان سليمان بن جامع وسليمان بن موسـى الشـعرانى ومعهمـا أحمـد بن مهـدى الجبـائى فى الأعمـال الواسـطية قـدملكوها وبنوا بهاالمـدن الحصـينة وفـازوا بأموالها وارتفاعهـا وجبوا خراجهـا ورتبوا عمالهم وقوادهم فيها إلى أن دخلت سـنة سـبع وستين ومائتين و قـدعظم الخطب و جل وخيف على ملـك بنى العبـاس أن يـذهب وينقرض فلم يجـد أبـو أحمـدالموفق و هوطلحـة بن المتوكـل على الله بـدا من التوجه بنفسـه ومباشـرته هذاالأمر الجليل برأيه وتدبيره وحضوره معارک الحرب فندب أمامه ابنه أباالعباس وركب أبو أحمد إلى بستان الهادى ببغداد وعرض أصـحاب أبى العباس و ذلك فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة فكانوا عشرة آلاف فرسانا ورجالة فى أحسن زى وأجمل هيئة وأكمل عدة ومعهم الشذوات والسميريات والمعابر برسم الرجالة كل ذلك قدأحكمت صنعته فركب أبوالعباس من بسـتان الهـادى وركب أبو أحمدمشـيعا له حتى نزل القريـة المعروفـة بـالفرک ثم عاد وأقام أبوالعباس بالفرک أياما حتى تكامل عـدده وتلاحق به أصـحابه . ثم رحل إلى المـدائن فأقام بهاأياما ثم رحل إلى دير العاقول فورد عليه كتاب نصـير المعروف بأبى حمزة و هو من جلة أصـحابه و كان صاحب الشذا والسميريات و قد كان قدمه على مقدمته بدجلة يعلمه فيه أن سليمان بن جامع قـدوافى لمـاعلم بشـخوص أبى العباس والجبائى يقـدمه فى خيلهما ورجالهما وسـفنهما حتى نزلا الجزيرة التى بحضـرة [صـفحه ١۶۶] بردودا فوق واسط بأربعة فراسخ و أن سـليمان بن موسى الشعرانى قدوافى نهر أبان بعسكره عسكر البر وعسكر الماء فرحل أبوالعبـاس لمـاقرأ هـذاالكتاب حتى وافى جرجرايا ثم منها إلى فم الصـلح ثم ركب الظهر وسار حتى وافى الصـلح ووجه طلائعه ليتعرف الخبر فأتـاه منهم من أخبره بموافاة القوم و أن أولهم قريب من الصـلح وآخرهم ببسـتان موسـى بن بغا أسـفل واسط فلما عرف ذلـك عـدل عن سـنن الطريق ولقى أصـحابه أوائـل القوم فتطاردوا لهم عن وصـية أوصاهم أبوالعباس بها حتى طمع الزنج فيهم واغتروا وأمعنوا فى اتباعهم وجعلوا يصـيحون بهم اطلبوا أميرا للحرب فإن أميركم مشغول بالصيد فلما قربوا من أبى العباس بالصـلح خرج إليهم فيمن معه من الخيـل و الرجل وأمر فصـيح بأبى حمزة يانصـير إلى أين تتأخر عن هؤلاء الكلاب ارجع إليهم فرجع نصـير بشـذواته وسـميرياته و فيهاالرجال وركب أبوالعباس فى سـميرية ومعه محمـد بن شـعيب وحف أصـحابه بالزنـج من جميع جهـاتهم فـانهزموا ومنـح الله أباالعبـاس وأصـحابه أكتافهم يقتلونهم ويطردونهم إلى أن وافوا قريـة عبـد الله وهى على سـتة فراسخ من الموضع ألذى لقوهم فيه وأخذوا منهم خمس شذوات وعشـر سـميريات واسـتأمن منهم قوم وأسـر منهم أسرى وغرق من سـفنهم كثير فكـان هـذااليوم أول الفتـح على أبى العبـاس . قال أبو جعفر فلما انقضـى هـذااليوم أشار على أبى العباس قواده وأوليـاؤه أن يجعـل معسـكره بـالموضع ألـذى كان انتهى إليه إشـفاقا عليه من مقاربـة القوم فأبى إلاانزول واسط بنفسه و لماانهزم سليمان بن جامع و من معه وضـرب الله وجوههم انهزم سـليمان بن [صفحه ١۶٧] موسـى الشعرانى عن نهر أبان حتى وافى سوق الخميس ولحق سـليمان بن جامع بنهر الأمير و قـد كان القوم حين لقوا أباالعباس أجالوا الرأى بينهم فقالوا هذافتى حدث لم تطل

ممارسته الحرب وتدربه بها والرأى أن نرميه بحدنا كله ونجتهد فى أول لقيۀ نلقاه فى إزالته فلعل ذلک أن يروعه فيكون سببا لانصرافه عنا ففعلوا ذلک وحشدوا واجتهدوا فأوقع الله تعالى بهم بأسه ونقمته و لم يتم لهم ماقدروه وركب أبوالعباس من غد يوم الوقعۀ حتى دخل واسطا فى أحسن زى و كان ذلک يوم جمعۀ فأقام حتى صلى بهاصلاۀ الجمعۀ واستأمن إليه خلق كثير من أتباع الزنج وأصحابهم ثم انحدر إلى العمر و هو على فرسخ واحد من واسط فاتخذه معسكرا و قد كان أبوحمزۀ نصير وغيره أشاروا عليه أن يجعل معسكره فوق واسط حذرا عليه من الزنج فامتنع و قال لست نازلا إلاالعمر وأمر أباحمزۀ أن ينزل فوهۀ بردودا فوق واسط وأعرض أبوالعباس عن مشاورۀ أصحابه واستماع شىء من آرائهم واستبد برأى نفسه فنزل العمر وأخذ فى بناء الشذوات والسميريات وجعل يراوح الزنج القتال ويغاديهم و قدرتب خاصۀ غلمانه ومواليه فى سميريات فجعل فى كل سميريۀ أميرا منهم . ثم إن سليمان استعد وحشد وفرق أصحابه فجعلهم فى ثلاثۀ أوجه فرقۀ أتت من نهر أبان وفرقۀ من بر تمرتا وفرقۀ من بردودا فلقيهم أبوالعباس فلم يلبثوا أن انهزموا فلحقت طائفۀ منهم بسوق الخميس وطائفۀ بمازروان وطائفۀ ببر تمرتا وسلک آخرون نهر الماذيان واعتصم قوم منهم ببردودا وتبعهم أصحاب أبى العباس وجعل أبوالعباس قصده القوم الذين سلكوا نهر الماذيان فلم يرجع عنهم حتى وافى بهم برمساور ثم انصرف فجعل يقف على القرى والمسالک ويسأل عنها ويتعرفها ومعه الأدلاء وأرباب الخبرۀ حتى عرف جميع تلک الأرض ومنافذها و ماينتهى إليه من [صفحه ١٦٨] البطائح والآجام وغيرها وعاد إلى معسكره بالعمر فأقام به أياما مريحا نفسه وأصحابه . ثم أتاه مخبر فأخبره أن الزنج قداجتمعوا واستعدوا لكبس عسكره وأنهم على إتيانه من ثلاثۀ أوجه وأنهم قالوا إن أباالعباس غلام يغرر بنفسه وأجمع رأيهم على تكمين الكمناء والمصير إليه من الجهات الثلاث فحذر أبوالعباس من ذلک واستعد له وأقبلوا إليه و قدكمنوا زهاء عشرۀ آلاف فى بر تمرتا ونحوا من العدۀ فى قس هثا وتقدم منها عشرون سميريۀ إلى عسكر أبى العباس على أن يخرج إليهم فيهربوا بعدمناوشۀ يسيرۀ فيجيزوا أباالعباس وأصحابه إلى أن يجاوزوا الكمناء ثم يخرج الكمين عليهم من ورائهم .فمنع أبوالعباس أصحابه من اتباعهم لماواقعوهم وأظهروا الكسرۀ والعود فعلموا أن كيدهم لم ينفذ فيه وخرج حينئذ سليمان والجبائى فى الشذا والسميريات العظيمۀ و قد كان أبوالعباس أحسن تعبئۀ أصحابه فأمر أباحمزۀ نصيرا أن يخرج إليهم فى الشذا والسميريات المرتبۀ فخرج إليهم ونزل أبوالعباس فى شذاۀ من شذوات قد كان سماها الغزال واختار لها جدافين وأخذ معه محمد بن شعيب الاشتيام واختار من خاصۀ أصحابه وغلمانه جماعۀ دفع إليهم الرماح وأمر الخيالۀ بالمسير بإزائه على شاطئ النهر و قال لهم لاتدعوا المسير ماأمكنكم إلى أن تقطعكم الأنهار ونشبت الحرب بين الفريقين فكانت معركۀ القتال من حد قريۀ الرمل إلى الرصافۀ حتى أذن الله فى هزيمۀ الزنج فانهزموا وحاز أصحاب أبى العباس منهم أربع عشرۀ شذاۀ وأفلت سليمان والجبائى فى ذلک اليوم بعد أن أشفيا على الهلاک راجلين وأخذت دوابهما ومضى جيش الزنج بأجمعه لاينثنى أحد منهم حتى وافوا طهيثا وأسلموا ما كان معهم من أثاث وآلۀ ورجع [صفحه ١٦٩] أبوالعباس فأقام بمعسكره بالعمر وأصلح ما كان أخذ منهم من الشذا والسفن ورتب الرجال فيها وأقام الزنج بعد ذلک عشرين يوما لايظهر منهم أحد. قال أبو جعفر ثم إن الجبائى صار بعد ذلک يجىء فى الطلائع كل ثلاثۀ أيام وينصرف وحفر فى طريق عسكر أبى العباس آبارا وصير فيهاسفافيد حديد وغشاها بالبوارى وأخفى مواضعها وجعلها على سنن مسير الخيل ليتهور فيهاالمجتازون بها وجعل بواقى طرف العسكر متعرضا به لتخرج الخيل طالبۀ له فجاء يوما وطلبته الخيل كماكانت تطلبه فقطر فرس رجل من قواد الفراعنۀ فى بعض تلک الآبار فوقف أصحاب أبى العباس بما ناله من ذلک على ما كان دبره الجبائى فحذروا ذلک وتنكبوا سلوک تلک الطريق . قال أبو جعفر وألح الزنج فى مغاداۀ العسكر فى كل يوم بالحرب وعسكروا بنهر الأمير فى جمع كثير وكتب سليمان إلى الناجم يسأله إمداده بسميريات لكل واحدۀ منهن أربعون مجدافا فوافاه من ذلک فى مقدار عشرين يوما أربعون سميريۀ فيهاالرجال والسيوف والتراس والرماح فكانت لأبى العباس معهم وقعات عظيمۀ و فى أكثرها

الظفر لأصحابه والخذلان على الزنج ولج أبوالعباس فى دخول الأنهار والمضايق حتى انتهى إلى مدينة سليمان بن موسى الشعرانى بنهر الخميس التى بناها وسماها المنيعة وخاطر أبوالعباس بنفسه مرارا وسلم بعد أن شارف العطب واستأمن إليه جماعة من قواد الزنج فأمنهم وخلع عليهم وضمهم إلى عسكره وقتل من قواد [صفحه ۱۷۰] الزنج جماعة وتمادت الأيام بينه وبينهم واتصل بأبى أحمدالموفق أن سليمان بن موسى الشعرانى والجبائى و من بالأعمال الواسطية من قواد صاحب الزنج كاتبوا صاحبهم وسألوه إمدادهم بعلى بن أبان المهلبى و هوالمقيم حينئذ بأعمال الأهواز والمستولى عليها و كان على بن أبان قائد القواد و أميرالأمراء فيهم فكتب الناجم إلى على بن أبان يأمره بالمصير بجميع من معه إلى ناحية سليمان بن جامع ليجتمعا على حرب أبى العباس .فصح عزم أبى أحمد على الشخوص إلى واسط وحضور الحرب بنفسه فخرج عن بغداد فى صفر من هذه السنة وعسكر بالفرك وأقام بهاأياما حتى تلاحق به عسكره و من أراد المسير معه و قدأعد آلة الماء ورحل من الفرك إلى المدائن ثم إلى دير العاقول ثم إلى جرجرايا ثم قنى ثم جبل ثم نزل الصلح ثم نزل على فرسخ من واسط. وتلقاه ابنه أبوالعباس فى جريدة خيل فيهاوجوه قواده فسأله أبوه عن خبرهم فوصف له بلاءهم ونصحهم فخلع أبو أحمد على أبى العباس ثم على القواد الذين كانوا معه وانصرف أبوالعباس إلى معسكره بالعمر فبات به فلما كان صبيحة الغد رحل أبو أحمدمنحدرا فى الماء وتلقاه ابنه أبوالعباس فى آلات الماء بجميع العسكر فى هيئة الحرب على الوضع ألذى كانوا يحاربون الزنج عليه فاستحسن أبو أحمدهيئتهم وسر بذلك وسار أبو أحمد حتى نزل بإزاء القرية المعروفة بقرية عبد الله ووضع العطاء فأعطى الجيش كله أرزاقهم وقدم ابنه أباالعباس أمامه فى السفن وسار وراءه فتلقاه [صفحه ۱۷۱] أبوالعباس برءوس وأسرى من أصحاب الشعرانى و كان لقيهم فأمر أبو أحمدبالأسرى فضربت أعناقهم ورحل يريد المدينة التى بناها الشعرانى بسوق الخميس وسماها المنيعة. وإنما بدأ أبو أحمدبحرب الشعرانى قبل حرب سليمان بن جامع لأن الشعرانى كان وراءه فخاف إن بدأ بابن جامع أن يأتيه الشعرانى من ورائه فيشغله عمن هوأمامه فلما قرب من المدينة خرج إليه الزنج فحاربوه حربا ضعيفة وانهزموا فعلا أصحاب أبى العباس السور ووضعوا السيف فيمن لقيهم وتفرق الزنج ودخل أبوالعباس المدينة فقتلوا وأسروا وحووا ما كان فيها وأفلت الشعرانى هاربا ومعه خواصه فأتبعهم أصحاب أبى العباس حتى وافوا بهم البطائح فغرق منهم خلق كثير ولجأ الباقون إلى الآجام وانصرف الناس و قداستنقذ من المسلمات اللواتى كن بأيدى الزنج فى هذه المدينة خاصة خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيات .فأمر أبو أحمدبحمل النساء اللواتى سباهن الزنج إلى واسط و أن يدفعن إلى أوليائهن وبات أبو أحمدبحيال المدينة ثم باكرها وأذن للناس فى نهب ما فيها من أمتعة الزنج فدخلت ونهب كل ما كان بها وأمر بهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما كان بقى منها وظفر فى تلك القرى التى كانت فى يد الشعرانى بما لايحصى من الأرز والحنطة والشعير و قد كان الشعرانى استولى على ذلك كله وقتل أصحابه فأمر أبو أحمدببيعه وصرف ثمنه فى أعطيات مواليه وغلمانه وجنده . [صفحه ۱۷۲] و أماالشعرانى فإنه التحق هو وأخوه بالمذار وكتب إلى الناجم يعرفه ذلك و أنه معتصم بالمذار. قال أبو جعفرفحدثنى محمد بن الحسن بن سهل قال حدثنى محمد بن هشام الكرنبائى المعروف بأبى واثلة قال كنت بين يدى الناجم ذلك اليوم و هويتحدث إذ ورد عليه كتاب سليمان بخبر الواقعة و مانزل به وانهزامه إلى المذار فما كان إلا أن فض الكتاب ووقعت عينه على ذكر الهزيمة حتى انحل وكاء بطنه فنهض لحاجته ثم عاد. فلما استوى به مجلسه أخذ الكتاب وتأمله فوقعت عينه على الموضع ألذى أنهضه أولا فنهض لحاجته حتى فعل ذلك مرارا فلم أشك فى عظم المصيبة وكرهت أن أسأله فلما طال الأمر تجاسرت فقلت أ ليس هذا كتاب سليمان بن موسى قال بلى ورد بقاصمة الظهر ذكر أن الذين أناخوا عليه أوقعوا به وقعة لم تبق منه و لم تذر فكتب كتابه هذا و هوبالمذار و لم يسلم بشىء غيرنفسه قال فأكبرت ذلك و الله يعلم ماأخفى من السرور ألذى وصل إلى قلبى قال وصبر على بن محمد على مكروه ماوصل إليه وجعل يظهر الجلد وكتب إلى سليمان بن جامع يحذره مثل ألذى نزل بالشعرانى ويأمره بالتيقظ فى أمره

وحفظ ماقبله . قال أبو جعفر ثم لم يكن لأبى أحمد بعد ذلك هم إلا فى طلب سليمان بن جامع فأتته طلائعه فأخبرته أنه بالحوانيت فقدم أمامه ابنه أباالعباس فى عشرة آلاف فانتهى إلى الحوانيت فلم يجد سليمان بن جامع بها وألفى هناك من قواد السودان المشتهرين بالبأس والنجدة القائدين المعروف أحدهما بشبل والآخر بأبى الندى وهما من قدماء [صفحه ۱۷۳] أصحاب الناجم الذين كان قودهم فى بدء مخرجه و كان سليمان قدخلف هذين القائدين بالحوانيت لحفظ غلات كثيرة كانوا قدأخذوها فحاربهما أبوالعباس فقتل من رجالهما وجرح بالسهام خلقا كثيرا وكانوا أجلد رجال سليمان بن جامع ونخبتهم الذين يعتمد عليهم ودامت الحرب بين أبى العباس وبينهم ذلك اليوم إلى أن حجز الليل بين الفريقين ورمى أبوالعباس فى ذلك اليوم كركيا طائرا فوقع بين الزنج والسهم فيه فقالوا هذاسهم أبى العباس وأصابهم منه ذعر واستأمن فى هذااليوم بعضهم إلى أبى العباس فسأله عن الموضع ألذى فيه سليمان بن جامع فأخبره أنه مقيم بمدينته التى بناها بطهيثا فانصرف أبوالعباس حينئذ إلى أبيه بحقيقة مقام سليمان و أن معه هنالك جميع أصحابه إلاشبلا و أباالندى فإنهما بالحوانيت لحفظ الغلات التى حووها فأمر حينئذ أبو أحمدأصحابه بالتوجه إلى طهيثا ووضع العطاء فأعطى عسكره وشخص مصاعدا إلى بردودا ليخرج منها إلى طهيثا إذ كان لاسبيل له إليها إلابذلك فظن عسكره أنه هارب وكادوا ينفضون لو لاأنهم عرفوا حقيقة الحال فانتهى إلى القرية بالحوذية وعقد جسرا على النهر المعروف بمهروذ وعبر عليه الخيل وسار إلى أن صار بينه و بين مدينة سليمان التى سماها المنصورة بطهيثا ميلان فأقام هناك بعسكره ومطرت السماء مطرا جودا واشتد البرد أيام مقامه هنالك فشغل بالمطر والبرد عن الحرب فلم يحارب فلما فتر ركب فى نفر من قواده ومواليه لارتياد موضع لمجال الخيل فانتهى إلى قريب من سور تلك المدينة فتلقاه منهم خلق كثير وخرج عليه كمناء من مواضع شتى ونشبت الحرب واشتدت فترجل جماعة من الفرسان ودافعوا حتى خرجوا عن المضايق التى كانوا أوغلوها وأسر من غلمان أبى أحمدغلام يقال له وصيف العلمدار وعدة من قواد زيرك وقتل فى هذااليوم أحمد بن مهدى الجبائى أحد القواد العظماء من الزنج رماه أبوالعباس بسهم فأصاب أحد منخريه حتى خالط دماغه فخر صريعا وحمل من المعركة و هوحى فسأل أن يحمل [صفحه ۱۷۴] إلى الناجم فحمل من هناك إلى نهر أبى الخصيب إلى مدينة الناجم التى سماها المختارة فوضع بين يديه و هو على ما به فعظمت المصيبة عليه به إذ كان من أعظم أصحابه غناء وأشدهم تصبرا لإطاعته فمكث الجبائى يعالج هنالك أياما ثم هلك فاشتد جزع الناجم عليه وصار إليه فولى غسله وتكفينه والصلاة عليه والوقوف على قبره إلى أن دفن ثم أقبل على أصحابه فوعظهم وذكر موت الجبائى وكانت وفاته فى ليلة ذات رعود وبروق . فقال فيما ذكر عنه لقد سمعت وقت قبض روحه زجل الملائكة بالدعاء له والترحم عليه وانصرف من دفنه منكسرا عليه الكآبة. قال أبو جعفر فلما انصرف أبو أحمد ذلك اليوم من الوقعة غاداهم بكرة الغد وعبأ أصحابه كتائب فرسانا ورجالة وأمر بالشذا والسميريات أن يسار بهامعه فى النهر ألذى يشق مدينة طهيثا و هوالنهر المعروف بنهر المنذر وسار نحو الزنج حتى انتهى إلى سور المدينة قريب قواد غلمانه فى المواضع التى يخاف خروج الزنج عليه منها وقدم الرجالة أمام الفرسان ونزل فصلى أربع ركعات وابتهل إلى الله تعالى فى النصر والدعاء للمسلمين ثم دعا بسلاحه فلبسه وأمر ابنه أباالعباس أن يتقدم إلى السور ويحض الغلمان على الحرب ففعل و قد كان سليمان بن جامع أعد أمام سور المدينة التى سماها المنصورة خندقا فلما انتهى الغلمان إليه تهيبوا عبوره وأحجموا عنه فحرضهم قوادهم وترجلوا معهم فاقتحموه متجاسرين عليه فعبروه وانتهوا إلى الزنج وهم مشرفون من سور مدينتهم فوضعوا السلاح فيهم وعبرت شرذمة من الفرسان الخندق خوضا فلما رأى الزنج خبر هؤلاء الذين لقوهم وجرأتهم عليهم ولوا منهزمين واتبعهم أصحاب أبى أحمد ودخلوا [صفحه ۱۷۵] المدينة من جوانبها و كان الزنج قدحصنوها بخمسة خنادق وجعلوا أمام كل خندق منها سورا يمتنعون به فجعلوا يقفون عند كل سور وخندق انتهوا إليه وأصحاب أبى أحمديكشفونهم فى كل موقف وقفوه ودخلت الشذا والسميريات مدينتهم مشحونة بالغلمان المقاتلة من النهر ألذى يشقها بعدانهزامهم فأغرقت كل مامرت به

لهم من شذاة أوسميرية واتبعوا من تجافى النهر منهم يقتلون ويأشرون حتى أجلوهم عن المدينة وعما يتصل بها و كان ذلک زهاء فرسخ فحوى أبو أحمد ذلک كله وأفلت سليمان بن جامع فى نفر من أصحابه واستحر القتل فيهم والأسر واستنقذ من نساء أهل واسط وصبيانهم و مااتصل بذلک من القرى ونواحى الكوفة زهاء عشرة آلاف فأمر أبو أحمدبحياطتهم والإنفاق عليهم وحملوا إلى واسط فدفعوا إلى أهليهم واحتوى أبو أحمد على كل ما كان فى تلک المدينة من الذخائر والأموال والأطعمة والمواشى فكان شيئا جليل القدر فأمر ببيع الغلات وغيرها من العروض وصرفه فى أعطيات عسكره ومواليه وأسر من نساء سليمان وأولاده عدة واستنقذ يومئذ وصيف العلمدار و من كان أسره الزنج معه فأخرجوا من الحبس قد كان الزنج أعجلهم الأمر عن قتله وقتلهم وأقام أبو أحمدبطهيثا سبعة عشر يوما وأمر بهدم سور المدينة وطم خنادقها ففعل ذلک وأمر بتتبع من لجأ منهم إلى الآجام وجعل لكل من أتاه برجل منهم جعلا فسارع الناس إلى طلبهم فكان إذاأتى بالواحد منهم خلع عليه وأحسن إليه وضمه إلى قواد غلمانه لمادبر من استمالتهم وصرفهم عن طاعة صاحبهم وندب نصيرا صاحب الماء فى شذا وسميريات لطلب سليمان بن جامع والهاربين معه من الزنج وغيرهم وأمره بالجد فى اتباعهم حتى يجاوز البطائح و حتى يلج دجلة المعروفة بالعوراء وتقدم إليه فى فتح السكور التى كان سليمان أحدثها ليقطع بهاالشذا عن دجلة فيما بينه و بين النهر المعروف بأبى الخصيب وتقدم إلى [صفحه ١٧٦] زيرک فى المقام بطهيثا فى جمع كثير من العسكر ليتراجع إليها الذين كان سليمان أجلاهم عنها من أهلها فلما أحكم ماأراد إحكامه تراجع بعسكره مزمعا على التوجه إلى الأهواز ليصلحها و قد كان قدم أمامه ابنه أباالعباس و قدتقدم ذكر على بن أبان المهلبى وكونه استولى على معظم كور الأهواز ودوخ جيوش السلطان هناک وأوقع بهم وغلب على معظم تلک النواحى والأعمال . فلما تراجع أبو أحمدوافى بردودا فأقام بهاأياما وأمر بإعداد مايحتاج إليه للمسير على الظهر إلى الأهواز وقدم أمامه من يصلح الطرق والمنازل ويعد فيهاالميرة للجيوش التى معه ووافاه قبل أن يرحل عن واسط زيرک منصرفا عن طهيثا بعد أن تراجع إلى النواحى التى كان بهاالزنج أهلها وخلفهم آمنين فأمره أبو أحمدبالاستعداد والانحدار فى الشذا والسميريات فى نخبة عسكره وأنجادهم فيصير بهم إلى دجلة العوراء فتجتمع يده ويد نصير صاحب الماء على نقض دجلة واتباع المنهزمين من الزنج والإيقاع بكل من لقوا من أصحاب سليمان إلى أن ينتهى بهم المسير إلى مدينة الناجم بنهر أبى الخصيب فإن رأوا موضع حرب حاربوه فى مدينة وكتبوا بما يكون منهم إلى أبى أحمدليرد عليهم من أمره مايعملون بحسبه . واستخلف أبو أحمد على من خلفه من عسكره بواسط ابنه هارون وأزمع على الشخوص فى خف من رجاله وأصحابه ففعل ذلک بعد أن تقدم إلى ابنه هارون فى أن يحذر الجيش ألذى خلفه معه فى السفن إلى مستقره بدجلة إذاوافاه كتابه بذلک وارتحل شاخصا من واسط الأهواز وكورها فنزل باذبين إلى الطيب إلى قرقوب إلى وادى السوس و قد كان عقد له عليه جسر فأقام به من أول النهار إلى وقت الظهر حتى عبر عسكره أجمع ثم سار حتى وافى السوس فنزلها و قد كان أمر مسرورا البلخى و هوعامله على الأهواز بالقدوم عليه فوافاهم فى جيشه وقواده من غد اليوم ألذى نزل فيه السوس [صفحه ١٧٧] فخلع عليه وعليهم وأقام بالسوس ثلاثا و كان ممن أسر من الزنج بطهيثا أحمد بن موسى بن سعيد البصرى المعروف بالقلوص و كان قائدا جليلا عندهم وأحد عدد الناجم و من قدماء أصحابه أسر بعد أن أثخن جراحات كانت فيهامنيته فأمر أبو أحمدباحتزاز رأسه ونصبه على جسر واسط. قال أبو جعفر واتصل بالناجم خبر هذه الوقعة بطهيثا وعلم مانيل من أصحابه فانتقض عليه تدبيره وضلت حيلته فحمله الهلع إلى أن كتب إلى على بن أبان المهلبى و هويومئذ مقيم بالأهواز فى زهاء ثلاثين ألفا يأمره بترک كل ما كان قبله من الميرة والأثاث والإقبال إليه بجميع جيوشه فوصل الكتاب إلى المهلبى و قدأتاه الخبر بإقدام أبى أحمد إلى الأهواز وكورها فهو لذلک طائر العقل فقرأ الكتاب و هويحفزه فيه حفزا بالمصير إليه فترک جميع ما كان قبله واستخلف عليه محمد بن يحيى بن سعيد الكرنبائى فلما شخص المهلبى عنه لم يثبت و لم يقم لماعنده من الوجل وترادف الأخبار بوصول أبى أحمد إليه فأخلى مااستخلف عليه

وتبع المهلبی وبالأهواز یومئذ ونواحیها من أصناف الحبوب والتمر والمواشی شیءعظیم فخرجوا عن ذلک کله وکتب الناجم أیضا إلی بهبوذ بن عبدالوهاب القائد و إلیه یومئذ الأعمال التی بین الأهواز وفارس یأمره بالقدوم علیه بعسکره فترک بهبوذ ما کان قبله من الطعام والتمر والمواشی فکان ذلک شیئا عظیما فحوی جمع ذلک أبو أحمدفکان قوۀ له علی الناجم وضعفا للناجم . و لمارحل المهلبی عن الأهواز بث أصحابه فی القری التی بینه و بین مدینۀ الناجم فانتهبوها وأجلوا عنها أهلها وکانوا فی سلمهم وتخلف خلق کثیر ممن کان مع المهلبی من الفرسان والرجالۀ عن اللحاق به وأقاموا بنواحی الأهواز وکتبوا یسألون أبا أحمد [صفحه ۱۷۸] الأمان لماانتهی عنه إلیهم من عفوه عمن ظفر به من أصحاب الناجم و کان ألذی دعا الناجم إلی أمر المهلبی وبهبوذ بسرعۀ المصیر إلیه خوفه موافاۀ أبی أحمدبجیوشه إلیه علی الحالۀ التی کان الزنج علیها من الوجل وشدۀ الرعب مع انقطاع المهلبی وبهبوذ فیمن کان معهما عنه و لم یکن الأمر کماقدر فإن أبا أحمدإنما کان قاصدا إلی الأهواز فلو أقام المهلبی بالأهواز وبهبوذ بمکانه فی جیوشهما لکان أقرب إلی دفاع جیش أبی أحمد عن الأهواز وأحفظ للأموال والغلات التی ترکت بعد أن کانت الید قابضۀ علیها. قال أبو جعفر وأقام أبو أحمد حتی أحرز الأموال التی کان المهلبی وبهبوذ وخلفاؤهما ترکوها وفتحت السکور التی کان الناجم أحدثها فی دجلۀ وأصلحت له طرقه ومسالکه ورحل أبو أحمد عن السوس إلی جندیسابور فأقام بهاثلاثا و قدکانت الأعلاف ضاقت علی أهل العسکر فوجه فی طلبها وحملها ورحل عن جندیسابور إلی تستر فأقام بهالجبایۀ الأموال من کور الأهواز وأنفذ إلی کل کورۀ قائدا لیروج بذلک حمل المال ووجه أحمد بن أبی الأصبغ إلی محمد بن عبد الله الکردی صاحب رامهرمز و مایلیها من القلاع والأعمال و قد کان مالأ المهلبی وحمل إلی الناجم أموالا کثیرۀ وأمره بإیناسه وإعلامه ما علیه رأیه فی العفو عنه والتغمد لزلته و أن یتقدم إلیه فی حمل الأموال والمسیر إلی سوق الأهواز بجمیع من معه من الموالی والغلمان والجند لیعرضهم ویأمر بإعطائهم الأرزاق وینهضهم معه لحرب الناجم ففعل وأحضرهم وعرضوا رجلا رجلا وأعطوا ثم رحل إلی عسکر مکرم فجعله منزله أیاما ثم رحل منه فوافی الأهواز و هویری أنه قدتقدمه إلیها من المیرۀ مایحمل عساکره فلم یکن کذلک وغلظ الأمر فی ذلک الیوم واضطرب الناس اضطرابا شدیدا فأقام ثلاثۀ أیام ینتظر ورود المیرۀ فلم ترد فساءت أحوال الناس وکاد ذلک یفرق جماعتهم فبحث عن السبب المؤخر لورودها [صفحه ۱۷۹] فوجد الزنج قدکانوا قطعوا قنطرۀ قدیمۀ أعجمیۀ کانت بین سوق الأهواز ورامهرمز یقال لها قنطرۀ أربق فامتنع التجار و من کان یحمل المیرۀ من الورود لقطع تلک القنطرۀ فرکب أبو أحمدإلیها وهی علی فرسخین من سوق الأهواز فجمع من کان فی العسکر من السودان وأخذهم بنقل الصخر والحجارۀ لإصلاح هذه القنطرۀ وبذل لهم من أموال الرعیۀ فلم یرم حتی أصلحت فی یومه ذلک وردت إلی ماکانت علیه فسلکها الناس ووافت القوافل بالمیرۀ فحیی أهل العسکر وحسنت أحوالهم وأمر بجمع السفن لعقد الجسر علی دجیل الأهواز فجمعت من جمیع الکور وأقام بالأهواز أیاما حتی أصلح أصحابه أمورهم و مااحتاجوا إلیه من آلاتهم وحسنت أحوال دوابهم وذهب عنها ما کان بها من الضر بتأخر الأعلاف ووافت کتب القوم الذین تخلفوا عن المهلبی وأقاموا بعده بسوق الأهواز یسألون أبا أحمدالأمان فأمنهم فأتاه منهم نحو ألف رجل فأحسن إلیهم وضمهم إلی قواد غلمانه وأجری لهم الأرزاق وعقد الجسر علی دجیل الأهواز ورحل بعد أن قدم جیوشه أمامه وعبر دجیلا فأقام بالموضع المعروف بقصر المأمون ثلاثا و قد کان قدم ابنه أباالعباس إلی نهر المبارک من فرات البصرۀ وکتب إلی ابنه هارون بالانحدار إلیه لیجتمع العساکر هناک ورحل أبو أحمد عن قصر المأمون إلی قورج العباس ووافاه أحمد بن أبی الأصبغ هنالک بهدایا محمد بن عبد الله الکردی صاحب رامهرمز من دواب ومال ثم رحل عن القورج فنزل الجعفریۀ و لم یکن بهاماء و قد کان أنفذ إلیها و هو بعد فی القورج من حفر آبارها فأقام بهایوما ولیلۀ وألفی بهامیرا مجموعۀ فاتسع الجند بها وتزودوا منها ثم رحل إلی المنزل المعروف بالبشیر فألفی فیه غدیرا من ماء المطر فأقام به یوما ولیلۀ ورحل إلی المبارک و کان منزلا بعید المسافۀ [صفحه ۱۸۰] فتلقاه ابناه أبوالعباس

وهارون فى طريقه وسلما عليه وسارا بسيره حتى ورد بهم المبارک و ذلک يوم السبت للنصف من رجب سنة سبع وستين . قال أبو جعفرفأما نصير ولزيرک فقد کانا اجتمعا بدجلة العوراء وانحدرا حتى وافيا الأبلة بسفنهما وشذاهما فاستأمن إليهما رجل من أصحاب الناجم فأعلمهما أنه قدأنفذ عددا کثيرا من السميريات والزواريق مشحونة بالزنج يرأسهم قائد من قواده يقال له محمد بن ابراهيم ويکنى أباعيسى . قال أبو جعفر و محمد بن ابراهيم هذا رجل من أهل البصرة جاء به إلى الناجم صاحب شرطته المعروف بيسار واستصلحه لکتابته فکان يکتب له حتى مات و قدکانت ارتفعت حال أحمد بن مهدى الجبائى عندالناجم وولاة أکثر أعماله فضم محمد بن ابراهيم هذا إليه فکان کاتبه فلما قتل الجبائى فى وقعة سليمان الشعرائى طمع محمد بن ابراهيم هذا فى مرتبته و أن يحله الناجم محله فنبذ القلم والدواة ولبس آلة الحرب وتجرد للقتال فأنهضه الناجم فى هذاالجيش وأمره بالاعتراض فى دجلة لمدافعة من يردها من الجيوش فکان يدخله أحيانا وأحيانا يأتى بالجمع ألذى معه إلى النهر المعروف بنهر يزيد و کان معه فى ذلک الجيش من قواد الزنج شبل بن سالم وعمرو المعروف بغلام بوذى وأخلاط من السودان وغيرهم فاستأمن رجل منهم کان فى ذلک الجيش إلى لزيرک ونصير وأخبرهما خبره وأعلمهما أنه على القصد لسواد عسکر نصير و کان نصير يومئذ معسکرا بنهر المرأة وإنهم على أن يسلکوا الأنهار المعترضة على نهر معقل وبثق [صفحه ١٨١] شيرين حتى يوافوا الشرطة ويخرجوا من وراء العسکر فيکبوا على من فيه فرجع نصير عندوصول هذاالخبر إليه من الأبلة مبارزا إلى عسکره وسار لزيرک قاصدا بثق شيرين معارضا لمحمد بن ابراهيم فلقيه فى الطريق فوهب الله له العلو عليه بعدصبر من الزنج له ومجاهدة شديدة فانهزموا ولجئوا إلى النهر ألذى فيه کمينهم و هونهر يزيد فدل لزيرک عليهم فتوغلت إليهم سميرياته فقتل منهم طائفة وأسر طائفة فکان محمد بن ابراهيم فيمن أسر وعمرو غلام بوذى وأخذ ما کان معهم من السميريات وهى نحو ثلاثين سميرية وأفلت شبل بن سالم فى الذين نجوا معه فلحق بعسکر الناجم وخرج لزيرک فى بثق شيرين سالما ظافرا ومعه الأسارى ورءوس القتلى مع ماحوى من السميريات والسفن وانصرف من دجلة العوراء إلى واسط وکتب إلى أبى أحمدبالفتح وعظم الجزع على کل من کان بدجلة وکورها من اتباع الناجم فاستأمن إلى نصير صاحب الماء و هومقيم حينئذ بنهر المرأة زهاء ألفى رجل من الزنج وأتباعهم .فکتب إلى أبى أحمدبخبرهم فأمره بقبولهم وإقرارهم على الأمان وإجراء الأرزاق عليهم وخلطهم بأصحابه ومناهضة العدو بهم ثم کتب إلى نصير يأمره بالإقبال إليه إلى نهر المبارک فوافاه هنالک . و قد کان أبوالعباس عندمنصرفه إلى نهر المبارک انحدر إلى عسکر الناجم فى الشذا فأوقع بهم فى مدينته بنهر أبى الخصيب فکانت الحرب بينهما من أول النهار إلى آخر وقت الظهر. واستأمن إليه قائد جليل من قواد الناجم من المضمومين کانوا إلى سليمان بن جامع يقال له منتاب ومعه جماعة من أصحابه فکان ذلک مما کسر من الناجم وانصرف أبوالعباس بالظفر وخلع على منتاب الزنجى ووصله وحمله فلما لقى أباه أخبره خبره وذکر [صفحه ١٨٢] إليه خروجه إليه فى الأمان فأمر أبو أحمد له بخلع وصلة وحملان و کان منتاب أول من استأمن من جملة قواد الناجم . قال أبو جعفر و لمانزل أبو أحمدنهر المبارک کان أول ماعمل به فى أمر الناجم أن کتب إليه کتابا يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ارتکب من سفک الدماء وانتهاک المحارم وإخراب البلدان والأمصار واستحلال الفروج والأموال وانتحال ما لم يجعله الله له أهلا من النبوة والإمامة ويعلمه أن التوبة له مبسوطة والأمان له موجود فإن نزع عما هو عليه من الأمور التى يسخطها الله تعالى ودخل فى جماعة المسلمين محا ذلک ماسلف من عظيم جرائمه و کان له به الحظ الجزيل فى دنياه وآخرته وأنفذ ذلک إليه مع رسول فالتمس الرسول إيصاله إليه فامتنع الزنج من قبول الکتاب و من إيصاله إلى صاحبهم فألقى الرسول الکتاب إليهم إلقاء فأخذوه وأتوا به صاحبهم فقرأه و لم يجب عنه بشىء ورجع الرسول إلى أبى أحمدفأخبره فأقام خمسة أيام متشاغلا بعرض السفن وترتيب القواد والموالى والغلمان فيها وتخير الرماة وانتخابهم للمسير بها. ثم سار فى اليوم السادس فى أصحابه ومعه ابنه أبوالعباس إلى مدينة الناجم التى سماها المختارة من نهر أبى الخصيب فأشرف عليها

وتأملها فرأى منعتها وحصانتها بالسور والخنادق المحيطة بها وغور الطريق المؤدى إليها و ما قدأعد من المجانيق [صفحه ١٨٣] والعرادات والقسى الناوكية وسائر الآلات على سورها فرأى ما لم ير مثله ممن تقدم من منازعى السلطان ورأى من كثرة عدد مقاتلتهم واجتماعهم مااستغلظ أمره . و لماعاين الزنج أبا أحمد وأصحابه ارتفعت أصواتهم بما ارتجت له الأرض فأمر أبو أحمد عند ذلك ابنه أباالعباس بالتقدم إلى سور المدينة ورشق من عليه بالسهام ففعل ودنا حتى ألصق شذواته بمسناة قصر الناجم وانحاز الزنج بأسرهم إلى المواضع ألذى دنت منه الشذا وتحاشدوا وتتابعت سهامهم وحجارة منجنيقاتهم وعراداتهم ومقاليعهم ورمى عوامهم بالحجارة عن أيديهم حتى مايقع طرف ناظر على موضع إلارأى فيه سهما أوحجرا. وثبت أبوالعباس فرأى الناجم وأشياعه من جهدهم واجتهادهم وصبرهم ما لاعهد لهم بمثله من أحد ممن حاربهم وحينئذ أمر أبو أحمدابنه أباالعباس بالرجوع بمن معه إلى مواقفهم ليروحوا عن أنفسهم ويداووا جروحهم ففعلوا ذلك واستأمن فى هذه الحال إلى أبى أحمدمقاتلان من مقاتلة السميريات من الزنج فأتياه بسميرياتهما و ما فيها من الملاحين والآلات فأمر لها بخلع ديباج ومناطق محلاة بالذهب ووصلهما بمال وأمر للملاحين بخلع من الحرير الأحمر والأخضر ألذى حسن موقعه منهم وعمهم جميعا بصلاته وأمر بإدنائهم من الموضع ألذى يراهم فيه نظراؤهم فكان ذلك من أنجع المكايد التى كيد بهاصاحب الزنج فلما رأى الباقون ماصار إليه أصحابهم من العفو عنهم والإحسان إليهم رغبوا فى الأمان وتنافسوا فيه فابتدر منهم جمع كثير مسرعين نحوه راغبين فيما شرع لهم منه فأمر أبو أحمدلهم بمثل ماأمر به لأصحابه فلما رأى الناجم ركون أصحاب السميريات إلى الأمان ورغبتهم فيه أمر برد من كان منهم فى دجلة إلى نهر أبى [صفحه ١٨٤] الخصيب ووكل بفوهة النهر من يمنعهم الخروج وأمر بإظهار شذاوته الخاصة وندب لهم بهبوذ بن عبدالوهاب و هو من أشد كماته بأسا وأكثرهم عددا وعدة فانتدب بهبود لذلك وخرج فى جمع كثيف من الزنج فكانت بينه و بين أبى حمزة نصير صاحب الماء و بين أبى العباس بن أبى أحمدوقعات شديدة فى كلها يظهر عليه أصحاب السلطان ثم يعود فيرتاش ويحتشد فيخرج فيواقعهم حتى صدقوه الحرب وهزموه وألجئوه إلى فناء قصر الناجم وأصابته طعنتان وجرح بالسهام وأوهنت أعضاءه الحجارة وأولجوه نهر أبى الخصيب و قدأشفى على الموت وقتل قائد جليل معه من قواد الزنج ذو بأس ونجدة وتقدم فى الحرب يقال له عميرة. واستأمن إلى أبى أحمدجماعة أخرى فوصلهم وحباهم وخلع عليهم وركب أبو أحمد فى جميع جيشه و هويومئذ فى خمسين ألف رجل والناجم فى ثلاثمائة ألف رجل كلهم يقاتل ويدافع فمن ضارب بسيف وطاعن برمح ورام بقوس وقاذف بمقلاع ورام بعرادة ومنجنيق وأضعفهم أمر الرماة بالحجارة عن أيديهم وهم النظارة المكثرون للسواد والمعينون بالنعير والصياح والنساء يشركنهم فى ذلك أيضا فأقام أبو أحمدبإزاء عسكر الناجم إلى أن أضحى وأمر فنودى الأمان مبسوط للناس أسودهم وأحمرهم إلالعدو الله الداعى على بن محمد وأمر بسهام فعلقت فيهارقاع مكتوب فيها من الأمان مثل ألذى نودى به ووعد الناس فيهاالإحسان ورمى بها إلى عسكر الناجم فمالت إليه قلوب خلق كثير من أولئك ممن لم يكن له بصيرة فى اتباع الناجم فأتاه فى ذلك اليوم جمع كثير يحملهم الشذا والسميريات فوصلهم وحباهم وقدم عليه قائدان من قواده وكلاهما من مواليه ببغداد أحدهما بكتمر والآخر بغرا فى جمع [صفحه ١٨٥] من أصحابهما فكان ورودهما زيادة فى قوته ثم رحل فى غد هذااليوم بجميع جيشه فنزل متاخما لمدينة الناجم فى موضع كان تخيره للنزول فأوطن هذاالموضع وجعله معسكرا له وأقام به ورتب قواده ورؤساء أصحابه مراتبهم فجعل نصيرا صاحب الماء فى أول العسكر وجعل زيرك التركى فى موضع آخر و على بن جهشار حاجبه فى موضع آخر وراشدا مولاه فى مواليه وغلمانه الأتراك والخزر والروم والديالمة والطبرية والمغاربة والزنج والفراعنة والعجم والأكراد محيطا هو وأصحابه بمضارب أبى أحمد وفساطيطه وسرادقاته وجعل صاعد بن مخلد وزيره وكاتبه فى جيش آخر من الموالى والغلمان فوق عسكر راشد وأنزل مسرورا البلخى القائد صاحب الأهواز فى جيش آخر على جانب من جوانب عسكره وأنزل الفضل ومحمدا ابنى موسى بن بغا فى جانب آخر بجيش آخر وتلاهما القائد

المعروف بموسى ولجوا فى جيشه وأصحابه وجعل بغراج التركى على ساقته فى جيش كثيف بعدة عظيمة وعدد جم ورأى أبو أحمد من حال الناجم وحصانة موضعه وكثرة جمعه ماعلم معه أنه لابد له من الصبر عليه وطول الأيام فى محاصرته وتفريق جموعه وبذل الأمان لهم والإحسان إلى من أناب منهم والغلظة على من أقام على غيه منهم واحتاج إلى الاستكثار من الشذا و مايحارب به فى الماء وشرع فى بناء مدينة مماثلة لمدينة الناجم وأمر بإنفاذ الرسل فى حمل الآلات والصناع من البر والبحر وإنفاذ المير والأزواد والأقوات وإيرادها إلى عسكره بالمدينة التى شرع فيها وسماها الموفقية وكتب إلى عماله بالنواحى فى حمل الأموال إلى بيت ماله فى هذه المدينة وألا يحمل إلى بيت المال بالحضرة درهم واحد وأنفذ رسلا إلى سيراف وجنابة فى بناء الشذا [صفحه ۱۸۶] والاستكثار منها لحاجته إلى أن يبثها ويفرقها فى المواضع التى يقطع بهاالميرة عن الناجم وأصحابه وأمر بالكتاب إلى عماله فى إنفاذ كل من يصلح للإثبات والعرض فى الدواوين من الجند والمقاتلة وأقام ينتظر ذلك شهرا أونحوه فوردت المير متتابعة يتلو بعضها بعضا ووردت الآلات والصناع وبنيت المدينة وجهز التجار صنوف التجارات فى الأمتعة وحملوها إليها واتخذت بهاالأسواق وكثر بهاالتجار والمجهزون من كل بلد ووردت إليها مراكب من البحر و قدكانت انقطعت لقطع الناجم وأصحابه سبلها قبل ذلك بأكثر من عشر سنين وبنى أبو أحمد فى هذه المدينة المسجد الجامع وصلى بالناس فيه واتخذ دور الضرب فضرب بهاالدنانير والدراهم فجمعت هذه المدينة جميع المرافق وسيق إليها صنوف المنافع حتى كان ساكنوها لايفقدون فيهاشيئا مما يوجد فى الأمصار العظيمة القديمة وحملت الأموال وأدر العطاء على الناس فى أوقاته فاتسعوا وحسنت أحوالهم ورغب الناس جميعا فى المصير إلى هذه والمقام بها. قال أبو جعفر وأمر الناجم بهبوذ بن عبدالوهاب فعبر و الناس غارون فى سميريات إلى طرف عسكر أبى حمزة صاحب الماء فأوقع به وقتل جماعة من أصحابه وأسر جماعة وأحرق أكواخا كانت لهم وأرسل ابراهيم بن جعفرالهمدانى و هو من جملة قواد الناجم فى أربعة آلاف زنجى و محمد بن أبان المكنى أبا الحسين أخا على بن أبان المهلبى فى ثلاثة آلاف والقائد المعروف بالدور فى ألف وخمسمائة ليغيروا على أطراف عسكر أبى أحمد ويوقعوا بهم فنذر بهم أبوالعباس فنهد إليهم فى جمع كثيف من أصحابه وكانت بينه وبينهم حروب كان الاستظهار فيهاكلها له واستأمن إليه جماعة منهم فخلع عليهم وأمر أن يوقفوا بإزاء مدينة الناجم ليعاينهم أصحابه وأقام أبو أحمديكايد الناجم ويبذل [صفحه ۱۸۷] الأموال لأصحابه تارة ويواقعهم ويحاربهم تارة ويقطع الميرة عنهم فسرى بهبوذ الزنجى فى الأجلاد المنتخبين من رجاله ليلة من الليالى و قدتأدى إليه خبر قيروان ورد للتجار فيه صنوف التجارات والأمتعة والمير فكمن فى النخل فلما ورد القيروان خرج إلى أهله وهم غارون فقتل منهم وأسر وأخذ ماشاء أن يأخذ من الأموال . و قد كان أبو أحمدعلم بورود ذلك القيروان وأنفذ قائدا من قواده لبذرقته فى جمع خفيف فلم يكن لذلك القائد ببهبوذ طاقة فانصرف عنه منهزما. فلما انتهى إلى أبى أحمد ذلك غلظ عليه مانال الناس فى أموالهم وتجاراتهم فأمر بتعويضهم وأخلف عليهم مثل ألذى ذهب منهم ورتب على فوهة النهر المعروف بنهر بيان و هو ألذى دخل القيروان فيه جيشا قويا لحراسته . قال أبو جعفر ثم أنفذ الناجم جيشا عليه القائد المعروف بصندل الزنجى و كان صندل هذافيما ذكر يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورءوسهن ويقلبهن تقليب الإماء فإن امتنعت منهن امرأة لطم وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج يواقعها ثم يخرجها بعد ذلك إلى سوق الرقيق فيبيعها بأوكس الثمن فيسر الله تعالى قتله فى وقعة جرت بينه و بين أبى العباس أسر وأحضر بين يدى أبى أحمدفشده كتافا ورماه بالسهام حتى هلك . قال أبو جعفر ثم ندب الناجم جيشا آخر وأمره أن يغير على طرف من أطراف عسكر أبى أحمد وهم غارون فاستأمن من ذلك الجيش زنجى مذكور يقال له مهذب [صفحه ۱۸۸] كان من فرسان الزنج وشجعانهم فأتى به إلى أبى أحمدوقت إفطاره فأعلمه أنه جاء راغبا فى الطاعة والأمان و أن الزنج على العبور فى ساعتهم تلك إلى عسكره للبيات و أن المندوبين لذلك أنجادهم وأبطالهم فأمر أبو أحمد أباالعباس ابنه أن ينهض إليهم فى قواد عينهم له فنهضوا فلما أحس ذلك الجيش بأنهم

قدنـذروا بهم وعرفوا استئمان صاحبهم رجعوا إلى مـدينتهم . قال أبو جعفر ثم إن الناجم نـدب أجل قواده وأكبرهم قدرا عنده و هو على بن أبـان المهلبى وانتخب له أهـل البـأس والجلد وأمره أن يـبيت عسـكر أبى أحمـدفعبر فى زهـاء خمسـة آلاف رجل أكثرهم الزنج وفيهم نحو مائتى قائد من مذكوريهم وعظمائهم فعبر ليلا إلى شرقى دجلة وعزموا على أن يفترقوا قسمين أحدهما خلف عسكر أبى أحمد والثانى أمامه ويغير الذين أمامه على أصحاب أبى أحمد فإذاثاروا إليهم واستعرت الحرب أكب أولئك الذين من وراء العسكر على من يليهم وهم مشاغيل بحرب من بإزائهم وقدر الناجم و على بن أبان أن يتهيأ لهما من ذلك ماأحبا فاستأمن منهم إلى أبى أحمـدغلام كـان معهم من الملاـحين ليلاـ فـأخبره خبرهم و مـااجتمعت عليه آراؤهم فـأمر ابنه أباالعباس والغلمان والقواد بالحـذر والاحتياط والجد وفرقهم فى الجهتين المـذكورتين فلما رأى الزنج أن تدبيرهم قدانتقض و أنه قدفطن لهم ونذر بهم كروا راجعين فى الطريق ألذى أقبلوا فيه طالبين التخلص فسبقهم أبوالعباس ولزيرك إلى فوهة النهر ليمنعوهم من عبوره وأرسـل أبو أحمـدغلامه الأسـود الزنجى ألـذى يقال له ثابت و كان له قيادة على السودان الـذين بعسكر الموفق فأمره أن يعترضـهم ويقـف لهم فى طريقهم [صـفحه ١٨٩] بأصحابه فأدركهم و هو فى خمسـمائة رجل فواقعهم وشـد عضـده أبوالعباس ولزيرك بمن معهمـا فقتـل من الزنـج أصحاب النـاجم خلق كـثير وأسـر منهم كـثير وأفلت البـاقون فلحقوا بمـدينتهم وانصرف أبوالعباس بالفتح و قدعلق رءوس الزنج فى الشذا وصلب الأسارى أحياء فيهافاعترضوا بهم مدينتهم ليرهبوا أصحابهم فلما رأوهم رعبوا وانكسروا واتصل بأبى أحمد أن الناجم موه على أصحابه وأوهم أن الرءوس المرفوعة مثل مثلها لهم أبو أحمدليراعوا و أن الأسـارى من المسـتأمنة فـأمر أبو أحمـد عنـد ذلـك بجميع الرءوس والمسـير بهـا إلى إزاء قصـر النـاجم والقـذف بها فى منجنيق منصوب فى سـفينة إلى عسكره ففعل ذلك فلما سقطت الرءوس فى مدينتهم عرف أولياء القتلى رءوس أصحابهم فظهر بكاؤهم وصـراخهم . قـال أبو جعفر وكانت لهم وقعات كثيرة بعـد هـذه فى أكثرها ينهزم الزنـج ويظفر بهم وطلب وجوههم الأمان فكان ممن اسـتأمن محمد بن الحارث القائد و إليه كان حفظ النهر المعروف بمنكى والسور ألذى يلى عسـكر أبى أحمد كان خروجه ليلا مع عدة من أصـحابه فوصـله أبو أحمدبصـلات كثيرة وخلع عليه وحمله على عدة دواب بحليتها وآلاتها وأسـنى له الرزق . و كان محمـد هـذاحاول إخراج زوجته معه وهى إحـدى بنات عمه فعجزت المرأة عن اللحاق به فأخـذها الزنج فردوها إلى الناجم فحبسـها مـدة ثم أمر بإخراجها والنـداء عليها فى السوق فبيعت . وممن اسـتأمن القائـد المعروف بأحمـد البرذعى كان من أشـجع رجـالهم و كان يكون أبـدا مع المهلبى. [صـفحه ١٩٠] و كان ممن اسـتأمن مربـدا القائـد وبرنكوية وبيلويه فخلعت عليهم الخلع ووصلوا بالصلات الكثيرة وحملوا على الخيول المحلاة وأحسن إلى كل من جاء معهم من أصحابهم . قال أبو جعفرفضاقت المير على الناجم وأصـحابه فندب شـبلا القائد و أباالندى وهما من رؤساء قواده وقدماء أصـحابه الذين يعتمد عليهم ويثق بمناصحتهم وأمرهما بالخروج فى عشرة آلاف من الزنج وغيرهم والقصد إلى نهر الدير ونهر المرأة ونهر أبى الأسد والخروج من هذه الأنهار إلى البطيحة والغارة على المسلمين و أهل القرى وقطع الطرقات وأخذ جميع مايقدرون عليه من الطعام والميرة وحمله إلى مدينته وقطعه عن الوصول إلى عسـكر أبى أحمدفنـدب أبو أحمدلقصـدهم مولاـه لزيرك فى جيش كثيف بعضه فى الماء وبعضه على الظهر فواقعهم فى الموضع المعروف بنهر عمر فكـانت بينه وبينهم حرب شديـدة أسـفرت عن انكسـارهم وخـذلان الله لهم فأخذ منهم أربعمائـة سـفينة وأسـرى كـثيرين وأقبـل بهـا وبهم وبـالرءوس إلى عسـكر أبى أحمـد. قـال أبو جعفر ونـدب أبو أحمـدابنه أباالعباس لقصد مدينة الناجم والعلو عليها فقصدها من النهر المعروف بالغربى و قدأعد الناجم به على بن أبان المهلبى فاسـتعرت الحرب بين الفريقين فأمـد النـاجم عليـا بسـليمان بن جامع فى جمع كثير من قواد الزنـج واتصـلت الحرب واسـتأمن كثير من قواد الزنـج إلى أبى العباس وامتـدت الحرب إلى بعدالعصـر ثم انصرف أبوالعباس فاجتاز فى منصرفه بمدينـة الناجم و قـدانتهى إلى الموضع المعروف [صـفحه ١٩١] بنهر الأـتراك فرأى فى ذلـك النهر قلـة من الزنـج الـذين يحرسونه فطمع فيهم فقصـد نحوهم

وصعد جماعة من أصحابه سور المدينة و عليه فريق من الزنج فقتلوا من أصابوا هناك ونذر الناجم بهم فأنجدهم بقواد من قواده فأرسل أبوالعباس إلى أبيه يستمده فوافى من عسكر أبى أحمد من خف من الغلمان فقوى بهم عسكر أبى العباس . و قد كان سليمان بن جامع لمارأى أن أباالعباس قدأوغل فى نهر الأتراك صعد فى جمع كثير من الزنج ثم استدبر أصحاب أبى العباس وهم متشاغلون بحرب من بإزائهم على سور المدينة فخرج عليهم من ورائهم وخفقت طبولهم فانكشف أصحاب أبى العباس وحملت الزنج عليهم من أمامهم فأصيب فى هذه الوقعة جماعة من غلمان أبى أحمد وقواده وصار فى أيدى الزنج عدة أعلام ومطارد وحامى أبوالعباس عن نفسه حتى انصرف سالما فأطمعت هذه الوقعة الزنج وأتباعهم وشدت قلوبهم فأجمع أبو أحمد على العبور بجيشه أجمع وأمر بالاستعداد والتأهب فلما تهيأ له ذلك عبر فى آخر ذى الحجة من سنة سبع وستين فى أكثف جمع وأكمل عدة وفرق قواده على أقطار مدينة الناجم وقصد هوبنفسه ركنا من أركانها و قد كان الناجم حصنه بابنه ألذى يقال له أنكلانى وكنفه بعلى بن أبان وسليمان بن جامع و ابراهيم بن جعفرالهمدانى وحفه بالمجانيق والعرادات والقسى الناوكية وأعد فيه الناشبة جمع فيه أكثر جيشه فلما التقى الجمعان أمر أبو أحمدغلمانه الناشبة والرامحة والسودان بالدنو من هذا [صفحه ١٩٢] الركن وبينه وبينهم النهر المعروف بنهر الأتراك و هونهر عريض غزير الماء فلما انتهوا إليه أحجموا عنه فصيح بهم وحرضوا على العبور فعبروه سباحة والزنج ترميهم بالمجانيق والعرادات والمقاليع والحجارة عن الأيدى والسهام عن قسى اليد وقسى الرجل وصنوف الآلات التى يرمى عنها فصبروا على جميع ذلك حتى جاوزوا النهر وانتهوا إلى السور و لم يكن لحقهم من الفعلة من كان أعده لهدمه فتولى الغلمان تشعيث السور بما كان معهم من السلاح ويسر الله تعالى ذلك وسهلوا لأنفسهم السبيل إلى علوه وحضرهم بعض السلاليم التى كانت اتخذت لذلك فعلوا الركن ونصبوا عليه علما عليه مكتوب الموفق بالله وأكبت عليهم الزنج فحاربوا أشد حرب وقتل من قواد أبى أحمدالقائد المعروف بثابت الأسود رمى بسهم فى بطنه فمات و كان من جلة القواد وأحرق أصحاب الموفق ما على ذلك الركن من المنجنيقات والعرادات . وقصد أبوالعباس بأصحابه جهة أخرى من جهات المدينة ليدخلها من النهر المعروف بمنكى فعارضه على بن أبان فى جمع من الزنج فظهر أبوالعباس عليه وهزمه وقتل قوما من أصحابه وأفلت على بن أبان المهلبى راجعا وانتهى أبوالعباس إلى نهر منكى و هويرى أن المدخل من ذلك الموضع سهل فوصل إلى الخندق فوجده عريضا منيعا فحمل أصحابه أن يعبروه فعبروه وعبرته الرجالة سباحة ووافوا السور فثلموا منه ثلمة واتسع لهم دخولها فدخلوا فلقى أولهم سليمان بن جامع و قدأقبل للمدافعة عن تلك الناحية فحاربوه وكشفوه وانتهوا إلى النهر المعروف بابن سمعان و هونهر سيق بالمدينة وصارت الدار المعروفة بدار ابن سمعان فى أيديهم فأحرقوا ما كان فيها وهدموها.فوقفت الزنج على نهر ابن سمعان وقوفا طويلا ودافعوا مدافعة شديدة وشد بعض موالى الموفق على على بن أبان فأدبر عنه هاربا فقبض على مئزره فحل على المئزر ونبذه إلى الغلام ونجا بعد أن أشرف على الهلكة وحمل أصحاب أبى أحمد على الزنج فكشفوهم [صفحه ١٩٣] عن نهر ابن سمعان حتى وافوا بهم طرف المدينة وركب الناجم بنفسه فى جمع من خواصه فتلقاه أصحاب الموفق فعرفوه وحملوا عليه وكشفوا من كان معه حتى أفرد وقرب منه بعض الرجالة حتى ضرب وجه فرسه بترسه و كان ذلك وقت غروب الشمس وحجز الليل بينهم وبينه وأظلم وهبت ريح شمال عاصف وقوى الجزر فلصق أكثر سفن الموفق بالطين وحرض الناجم أصحابه فثاب منهم جمع كثير فشدوا على سفن الموفق فنالوا منها نيلا وقتلوا نفرا وصمد بهبوذ الزنجى لمسرور البلخى بنهر الغربى فأوقع به وقتل جماعة من أصحابه وأسر أسرى وصار فى يده دواب من دوابهم فكسر ذلك من نشاط أصحاب الموفق و قد كان هرب فى هذااليوم كثير من قواد صاحب الزنج وتفرقوا على وجوههم نحو نهر الأمير وعبادان وغيرهما و كان ممن هرب ذلك اليوم منهم أخو سليمان بن موسى الشعرانى و محمد وعيسى فمضيا يؤمان البادية حتى انتهى إليهما رجوع أصحاب الموفق و مانيل منهم فرجعا وهرب جماعة من العرب الذين كانوا فى عسكر الناجم وصاروا إلى البصرة وبعثوا

يطلبون الأمان من أبى أحمدفأمنهم ووجه إليهم السفن وحملهم إلى الموفقية وخلع عليهم وأجرى لهم الأرزاق والأنزال . و كان ممن رغب فى الأمان من قواد الناجم القائد المعروف بريحان بن صالح المغربى وكانت له رئاسة وقيادة و كان يتولى حجبة أنكلانى بن الناجم فكتب ريحان يطلب الأمان لنفسه ولجماعة من أصحابه فأجيب إلى ذلك وأنفذ إليه عدد كثير من الشذا والسميريات والمعابر مع لزيرك القائد صاحب مقدمة أبى العباس فسلك نهر اليهودى إلى آخره فألفى به ريحان القائد و من كان معه من أصحابه و قد كان الموعد تقدم منه فى موافاة ذلك الموضع فسار لزيرك به وبهم إلى دار الموفق فأمر لريحان بخلع جليلة [صفحه ۱۹۴] وحمل على عدة أفراس بآلتها وحليتها وأجيز بجائزة سنية وخلع على أصحابه وأجيزوا على أقدارهم ومراتبهم وضم ريحان إلى أبى العباس وأمر بحمله وحمل أصحابه والمصير بهم إلى إزاء دار الناجم فوقفوا هنالك فى الشذا عليهم الخلع الملونة بصنوف الألوان والذهب حتى عاينوهم مشاهدة فاستأمن فى هذااليوم من أصحاب ريحان الذين كانوا تخلفوا عنه و من غيرهم جماعة فألحقوا فى البر والإحسان بأصحابهم . ثم استأمن جعفر بن ابراهيم المعروف بالسجان فى أول يوم من سنة ثمان وستين ومائتين و كان أحد ثقات الناجم ففعل به من الخلع والإحسان مافعل بريحان وحمل فى سميرية حتى وقف بإزاء قصر الناجم حتى يراه أصحابه وكلمهم وأخبرهم أنهم فى غرور من صاحبهم وأعلمهم ماوقف عليه من كذبه وفجوره فاستأمن فى هذااليوم خلق كثير من قواد الزنج وغيرهم وتتابع الناس فى طلب الأمان وأقام أبو أحمديجم أصحابه ويداوى جراحهم و لايحارب و لايعبر إلى الزنج إلى شهر ربيع الآخر. ثم عبر جيشه فى هذاالشهر المذكور مرتبا على مااستصلحه من تفريقه فى جهات مختلفة وأمرهم بهدم سور المدينة وتقدم إليهم أن يقتصروا على الهدم و لايدخلوا المدينة ووكل بكل ناحية من النواحى التى وجه إليها قواده سفنا فيهاالرماة وأمرهم أن يحموا بالسهام من يهدم السور من الفعلة فثلمت فى هذااليوم من السور ثلم كثيرة واقتحم أصحاب أبى أحمدالمدينة من جميع تلك الثلم وهزموا من كان عليها من الزنج وأوغلوا فى طلبهم واختلف بهم طرق المدينة وتفرقت بهم السكك والفجاج [صفحه ۱۹۵] وانتهوا إلى أبعد من المواضع التى كانوا وصلوا إليها فى المرة التى قبلها فتراجعت إليهم الزنج وخرج عليهم كمناؤهم من نواح يهتدون إليها و لايعرفها جيش أبى أحمدفتحير جيش أبى أحمدفقتل منهم خلق كثير وأصاب الزنج منهم أسلحة وأسلابا وأقام ثلاثون ديلميا من أصحاب أبى أحمديدافعون عن الناس ويحمونهم حتى خلص إلى السفن من خلص وقتلت الديالمة عن آخرها وعظم على الناس ماأصابهم فى هذااليوم وانصرف أبو أحمد إلى مدينته الموفقية فجمع قواده وعذلهم على ما كان منهم من مخالفة أمره والإفساد عليه فى رأيه وتدبيره وتوعدهم بأغلظ العقوبة إن عادوا لمثل ذلك وأمر بإحصاء المقتولين من أصحابه فأتى بأسمائهم فأقر ما كان جاريا لهم على أولادهم وأهاليهم فحسن موقع ذلك وزاد فى صحة نيات أصحابه لمارأوا من خياطته خلف من أصيب فى طاعته . قال أبو جعفر وشرع أبو أحمد فى قطع الميرة عن مدينة الناجم من جميع الجهات و قد كان يجلب إليهم من السمك الشىء العظيم من مواضع كثيرة فمنع ذلك عنهم وقتل القوم الذين كانوا يجلبونه وأخذت عليهم الطرق وانسد عليهم كل مسلك كان لهم وأضر بهم الحصار وأضعف أبدانهم وطالت المدة فكان الأسير منهم يؤسر والمستأمن يستأمن فيسأل عن عهده بالخبز فيقول مذ سنة أوسنتين واحتاج من كان منهم مقيما فى مدينة الناجم إلى الحيلة لقوته فتفرقوا فى الأنهار النائية عن عسكرهم طلبا للقوت وكثرت الأسارى منهم فى عسكر أبى أحمدلأنه كان يلتقطهم بأصحابه يوما فيوما فأمر باعتراضهم لمارأى كثرتهم فمن كان منهم ذا قوة وجلد ونهوض بالسلاح من عليه وأحسن إليه وخلطه بغلمانه السودان وعرفهم مالهم عنده من البر والإحسان و من كان منهم ضعيفا لاحراك به أوشيخا فانيا لايطيق حمل السلاح أومجروحا جراحة قدأزمنته أمر بأن يكسى ثوبين ويوصل بدراهم ويزود ويحمل إلى عسكر [صفحه ۱۹۶] الناجم فيلقى هناك بعد أن يوصى بوصف ماعاين من إحسان أبى أحمد إلى كل من يصير إليه و أن ذلك رأيه فى جميع من يأتيه مستأمنا أويأسره فتهيأ له بذلك ماأراد من استمالة الزنج حتى استشعروا الميل إلى

ناحيته والدخول فى سلمه وطاعته . قال أبو جعفر ثم كانت الوقعة التى قتل فيهابهبوذ الزنجى القائد وجرح أبوالعباس و ذلك أن بهبوذ كان أكثر أصحاب الناجم غارات وأشدهم تعرضا لقطع السبل وأخذ الأموال و كان قدجمع من ذلك لنفسه مالا جليلا و كان كثير الخروج فى السميريات الخفاف فيخترق بهاالأنهار المؤدية إلى دجلة فإذاصادف سفينة لأصحاب أبى أحمدأخذها واستولى على أهلها وأدخلها النهر ألذى خرج منه فإن تبعه تابع حتى توغل فى طلبه خرج عليه من ذلك النهر قوم من أصحابه قدأعدهم لذلك فأقطعوه وأوقعوا به فوقع التحرز حينئذ منه والاستعداد لغاراته فركب شذاة وشبهها بشذوات أبى أحمد ونصب عليها علما مثل أعلامه وسار بها ومعه كثير من الزنج فأوقع بكثير من أصحاب أبى أحمد وقتل وأسر فندب له أبو أحمدابنه أباالعباس فى جمع كثيف فكانت بينهما وقعة شديدة ورمى فيها أبوالعباس بسهم فأصابه وأصابت بهبوذ طعنة فى بطنه من يد غلام من بعض سميريات أبى العباس فهوى إلى الماء فابتدره أصحابه فحملوه ورجعوا به إلى عسكر الناجم فلم يصلوا به إلا و هوميت فعظمت الفجيعة به على الناجم وأوليائه واشتد عليه جزعهم وخفى موته على أبى أحمد حتى استأمن إليه رجل من الملاحين فأخبره بذلك فسر وأمر بإحضار الغلام ألذى طعنه فوصله وكساه وطوقه وزاد فى رزقه وأمر لجميع من كان فى تلك السميرية بصلات وخلع وعولج أبوالعباس من جرحه مدة حتى برأ وأقام أبو أحمد فى مدينته الموفقية ممسكا عن حرب الزنج محاصرا لهم [صفحه ١٩٧] بسد الأنهار وسكرها واعترض من يخرج منهم لجلب الميرة ومنتظرا برء ولده حتى كمل بعدشهور كثيرة وانقضت سنة ثمان وستين . ونقل إسحاق بن كنداجيق عن البصرة وأعمالها فولى الموصل والجزيرة وديار ربيعة وديار مضر. ودخلت سنة تسع وستين و أبو أحمدمقيم على الحصار فلما أمن على أبى العباس وركب على عادته عاود النهوض إلى حرب الناجم . قال أبو جعفر و قد كان بهبوذ لماهلك طمع الناجم فى أمواله لكثرتها ووفورها وصح عنده أنه ترك مائتى ألف دينار عينا و من الجواهر وغيرها بمثل ذلك فطلب المال المذكور بكل حيلة وحبس أولياء بهبوذ وقرابته وأصحابه وضربهم بالسياط وأثار دورا من دوره وهدم أبنية من أبنيته طمعا فى أن يجد فى شيءمنها دفينا فلم يجد من ذلك شيئا فكان فعله هذاأحد ماأفسد قلوب أصحابه عليه ودعاهم إلى الهرب منه والزهد فى صحبته فاستأمن منهم إلى أبى أحمدخلق كثير فوصلهم وخلع عليهم ورأى أن يعبر دجلة من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى فيجعل لنفسه هناك معسكرا ويبنى به مدينة أخرى ويضيق خناق الناجم ويتمكن من مغاداته ومراوحته بالحرب فقد كانت الريح العاصف تحول بينه و بين عبور دجلة فى كثير من الأيام بالجيش فأمر بقطع النخل المقارب لمدينة الناجم لذلك وإصلاح موضع يتخذه معسكرا و أن يحف بالخنادق ويحصر بالسور ليأمن بيات الزنج وجعل على قواده نوائب لذلك ومعهم الفعلة والرجال فقابل الناجم ذلك بأن جعل على بن أبان المهلبى وسليمان بن جامع و ابراهيم بن جعفرالهمدانى نوبا للحرب والمدافعة عن ذلك و كان أنكلانى بن الناجم ربما حضر فى نوبة أيضا وضم [صفحه ١٩٨] إليه سليمان بن موسى بن الشعرانى و قد كان صار إليه من المذار بعدالوقعة التى انهزم فيها وعلم الناجم أن أبا أحمد إذاجاوره صعب أمره وقرب على من يريد اللحاق به من الزنج المسافة مع مايدخل قلوب أصحابه بمجاورته من الرعب والرهبة و فى ذلك انتقاض تدبيره وفساد جميع أموره فكانت الحرب بين قواد أبى أحمد وقواد الناجم متصلة على إصلاح هذاالموضع ومدافعة الزنج عنه . واتفق أن عصفت الرياح يوما وجماعة من قواد أبى أحمدبالجانب الغربى للعمل ألذى يريدونه فانتهز الناجم الفرصة فى امتناع العبور بدجلة لعصف الريح فرماهم بجميع جيشه وكاثرهم برجله فلم تجد الشذوات التى مع قواد أبى أحمدسبيلا إلى الوقوف بحيث كانت واقفة به لحمل الرياح إياها على الحجارة وخوف أصحابها عليها من التكسر و لم يجدوا سبيلا إلى العبور فى دجلة لشدة الريح واضطراب الأمواج فأوقعت الزنج بهم فقتلوهم عن آخرهم وأفلت منهم نفر فعبروا إلى الموفقية فاشتد جزع أبى أحمد وأصحابه لمانالهم . و لماتهيأ للزنج عليهم وعظم بذلك اهتمامهم وتعقب أبو أحمدالرأى فرأى أن نزوله ومقامه بالجانب الغربى مجاور مدينة الناجم خطأ و أنه لايؤمن منه حيلة وانتهاز فرصة فيوقع بالعسكر

بياتـا أويجـد مساغـا إلى مـا يكون له قوة لكثرة الأدغـال فى ذلك الموضع وصـعوبة المسالك و أن الزنـج على التوغل فى تلك المواضع الوعرة الموحشة أقدر و هوعليهم أسـهل من أصـحابه فانصرف عن رأيه فى نزول الجانب الغربى وصرف همه وقصده [صفحه ١٩٩] إلى هـدم سور مدينـة الناجم وتوسـعة الطريق والمسالك لأصـحابه فى دخولها فنـدب القواد لـذلك وندب الناجم قواده للمدافعـة عنها وطال الأمـد وتمادت الأيام . فلما رأى أبو أحمدتحاشد الزنج وتعاونهم على المنع من هدم السور أزمع على مباشـرة ذلك بنفسه وحضوره إياه ليسـتدعى بذلك جد أصـحابه واجتهادهم ويزيد فى عنايتهم وهممهم فحضـر بنفسه واتصلت الحرب وغلظت على الفريقين وكـثر القتـل والجراح فى الحزبين وأقـام أبو أحمـدأياما كـثيرة يغـاديهم الحرب ويراوحهم فكـانوا لا ـيفترون يوما من الأيام وصـعب على أصـحاب أبى أحمـد ماكانوا يرومونه واشـتدت حمايـة الزنـج عن مـدينتهم وباشـر الناجم الحرب بنفسه ومعه نخبـة أصـحابه وأبطـالهم والمؤمنون أنفسـهم على الصبر معه فحاموا جهـدهم حتى لقـد كانوا يقفون الموقف فيصيب أحدا منهم السهم أوالطعنة أوالضربة فيسقط فيجذبه ألذى إلى جانبه فينحيه ويقف موقفه إشفاقا من أن يخلو موقف رجل منهم فيـدخل الخلـل عليهم . واتفق فى بعض الأيام شـدة ضـباب ستر بعض الناس عن بعض فما يكاد الرجل يبصـر صاحبه وظهر أصـحاب أبى أحمـد ولاحت تباشـير الفتح ودخل الجند إلى المدينة وولجوها وملكوا مواضع منها وإنهم لعلى ذلك حتى وصـل سهم من سـهام الزنـج إلى أبى أحمـدرماه به رومى كـان مع النـاجم يقال له قرطاس فأصابه فى صـدره و ذلك لخمس بقين من جمـادى الأـولى سـنة تسع وستين ومـائتين فستر أبو أحمـد وخواصه ماناله من ذلك عن الناس وانصـرف إلى الموفقيـة آخر نهار يومه هذافعولج فى ليلته تلك وشدت الجراحة وغدا على الحرب على ماناله من ألمها ليشد بذلك قلوب أصـحابه من أن يدخلها وهن أوضـعف فزاد فى قوة علته بما حمل على نفسه من الحركـة فغلظت وعظم أمرها حتى خيف عليه العطب واحتاج إلى علاج نفسه بأعظم مايعالج به الجراح واضـطرب لذلك [صـفحه ٢٠٠] العسـكر والجنـد والرعية وخافوا قوة الزنج عليهم حتى خرج عن الموفقيـة جماعـة من التجـار كـانوا مقيمين بها لماوصل إلى قلوبهم من الرهبـة. قال أبو جعفر وحـدثت على أبى أحمـد فى حال صعوبـة علته حادثـة فى سـلطانه وأمور متعلقـة بمـا بينه و بين أخيه المعتمـد فأشار عليه مشـيرون من أصـحابه وثقاته بالرحلة عن معسـكره إلى بغـداد و أن يخلف من يقوم مقامه فأتى ذلك وحاذر أن يكون فيه تلافى ما قـدفرق من شـمل صاحب الزنـج فأقام على صـعوبة علته وغلـظ الأـمر الحـادث فى سـلطانه وصبر إلى أن عوفى فظهر لقواده وخاصـته و قـد كـان أطال الاحتجاب عنهم فقويت برؤيته منتهم وأقام متماثلا مودعا نفسه إلى شـعبان من هـذه السـنة فلما أبل وقوى على الركوب والنهوض نهض وعاود ما كان مواظبا عليه من الحرب وجعل الناجم لماصح عنده الخبر بما أصاب أبا أحمديعد أصـحابه العدات ويمنيهم الأمانى واشتدت شوكتهم وقويت آمالهم فلما اتصل به ظهور أبى أحمـدجعل يحلف للزنـج على منبره أن ذلك باطل لاأصل له و أن ألـذى رأوه فى الشذا مثال موه وشـبه عليهم . قلت الحادث ألذى حدث على أبى أحمد من جهة سـلطانه أن أخاه المعتمد و هوالخليفة يومئذ فارق دار ملكه ومسـتقر خلافته مغاضـبا له متجنيا عليه زاعما أنه مسـتبد بأموال المملكة وجبايتها مضـطهدا له مستأثرا عليه فكاتب ابن طولون صـاحب مصـر وسـأله أن يـأذن له فى اللحـاق به فأجـابه ابن طولون إلى ذلك فخرج من سامراء فى جماعـة من قواده ومواليه قاصدا مصـر و كان أبو أحمد هوالخليفة فى المعنى وإنما المعتمد صورة [صفحه ٢٠١] خالية من معانى الخلافة لاأمر له و لانهى و لاحل و لاعقـد و أبو أحمد هو ألذى يرتب الوزراء والكتاب ويقود القواد ويقطع الأقطاع و لايراجع المعتمد فى شـىء من الأمور أصـلا فاتصل به خبر المعتمد فى شخوصه عن سامراء وقصده ابن طولون فكاتب إسحاق بن كنداحيق و هويومئذ على الموصل والجزيرة فأمره أن يعترض المعتمد ويقبض عليه و على القواد والموالى الذين معه ويعيدهم إلى سامراء وكـتب لإسـحاق بإقطاعه ضـياع أولئك القواد والموالى بأجمعهم فاعترضـهم إسـحاق و قـدقربوا من الرقـة فأخـذهم وقبض عليهم وقيـدهم بالقيود الثقيلـة ودخـل على المعتمـد فعنفه وهجنه وعـذله فى شـخوصه عن دار ملكه وملـك آبائه ومفارقـة أخيه على الحال التى هو بها

وحرب من يحاول قتله وقتل أهل بيته وزوال ملكهم . ثم حملهم فى قيودهم حتى وافى بهم سامراء فأقر المعتمد على خلافته ومنعه عن الخروج وأرسل أبو أحمدابنه هارون وكاتبه صاعد بن مخلد من الموفقية إلى سامراء فخلعا على ابن كنداحيق خلعا جليلة وقلد بسيفين من ذهب ولقب ذا السيفين و هوأول من قلد بسيفين ثم خلع عليه بعد ذلك بيوم قباء ديباج أسود ووشاحين مرصعين بالجوهر الثمين وتوج بتاج من ذهب مرصع بنفيس الجوهر وقلد سيفا من ذهب مرصع بالجواهر العظيمة وشيعه إلى منزله هارون وصاعد وقعدا على طعامه كل ذلك مكافأة له عن صنيعه فى أمر المعتمد فليعجب المتعجب من همة الموفق أبى أحمد وقوة نفسه وشدة شكيمته أن يكون بإزاء ذلك العدو ويقتل من أصحابه كل وقت من يقتل ثم يصاب ولده بسهم ويصاب هوبسهم آخر فى صدره يشارف منه على الموت ويحدث من أخيه و هوالخليفة مايحدث و لاتنكسر نفسه و لايهى عزمه و لاتضعف قوته وبحق [صفحه ۲۰۲] ماسمى المنصور الثانى و لو لاقيامه فى حرب الزنج لانقرض ملك أهل بيته ولكن الله تعالى ثبته لمايريده من بقاء هذه الدولة. قال أبو جعفر ثم جد الموفق فى تخريب السور وإحراق المدينة وجد الناجم فى إعداد المقاتلة والمحاطة عن سوره ومدينته فكانت بين الفريقين حروب عظيمة تجل عن الوصف ورمى الناجم سفن الموفق المقاربة لسور مدينته بالرصاص المذاب والمجانيق والعرادات وأمر أبو أحمدبإعداد ظلة من خشب للشذا وإلباسها جلود الجواميس وتغطية ذلك بالخيوش المطلية بصنوف العقاقير والأدوية التى تمنع النار من الإحراق ففعل ذلك وحورب صاحب الزنج من تحتها فلم تعمل ناره ورصاصه المذاب فيهاشيئا واستأمن إلى أبى أحمد محمد بن سمعان كاتب الناجم ووزيره فى شعبان من هذه السنة فهد باستئمانه أركان الناجم وأضعف قوته وانتدب أبوالعباس لقصد دار محمد بن يحيى الكرنبائى وكانت بإزاء دار الناجم وشرع فى الحيلة فى إحراقها وأحرق الموفق كثيرا من الرواشين المظلة على سور المدينة وشعثها وعلا غلمان أبى أحمد على دار الناجم وولجوها وانتهبوها وأضرموا النار فيها وفعل أبوالعباس بدار الكرنبائى مثل ذلك وجرح أنكلانى بن الناجم فى بطنه جراحة شديدة أشفى منها على التلف واتفق مع هذاالظفر العظيم أن غرق أبوحمزة نصير صاحب جيش الماء عندازدحام الشذوات وإكباب الزنج على الحرب فصعب ذلك على أبى أحمد وقوى بغرقه أمر الزنج وانصرف أبو أحمد [صفحه ۲۰۳] آخر نهار هذااليوم وعرضت له علة أقام فيهابقية شعبان وشهر رمضان وأياما من شوال ممسكا عن حرب الزنج إلى أن استبل من علته . قال أبو جعفر فلما أحرقت دار الناجم ودور أصحابه وشارف أن يؤخذ وعرضت لأبى أحمد هذه العلة فأمسك فيها عن الحرب انتقل الناجم من مدينته التى بناها بغربى نهر أبى الخصيب إلى شرقيه إلى منزل وعر لايخلص إليه أحد لاشتباك القصب والأدغال والأحطاب فيه و عليه خنادق من أنهار قاطعة معترضة فقطن هناك فى خواصه و من تخلف معه من جلة أصحابه وثقاته و من بقى فى نصرته من الزنج وهم حدود عشرين ألف مقاتل وانقطعت الميرة عنهم وبان للناس ضعف أمرهم فتأخر الجلب الذى كان يصل إليهم فبلغ الرطل من خبز البر عندهم عشرة دراهم فأكلوا الشعير ثم أكلوا أصناف الحبوب ثم لم يزل الأمر كذلك إلى أن كانوا يتبعون الناس فإذاخلا- أحد منهم بصبى أوامرأة أو رجل ذبحوه وأكلوه ثم صار قوى الزنج يعدو على ضعيفهم فإذاخلا- به ذبحه وأكل لحمه ثم ذبحوا أولادهم فأكلوا لحومهم و كان الناجم لايعاقب أحدا ممن فعل شيئا من ذلك إلابالحبس و إذاتطاول حبسه أطلقه . و لماأبل الموفق من علته وعلم انتقال الناجم إلى شرقى نهر أبى الخصيب واعتصامه به أعمل فكره فى تخريب الجانب الشرقى عليه كمافعل بالجانب الغربى ليتمكن من قتله أوأسره فكانت له آثار عظيمة من قطع الأدغال والدحال وسد الأنهار وطم الخنادق وتوسيع المسالك وإحراق الأسوار المبنية وإدخال الشذا و فيهاالمقاتلة إلى حريم الناجم و فى كل ذلك يدافع الزنج عن أنفسهم بحرب شديدة وقتال عظيم تذهب فيهاالنفوس وتراق فيهاالدماء و كان الظفر فى ذلك كله لأبى أحمد وأمر الزنج يزداد ضعفا [صفحه ۲۰۴] وطالت الأيام على ذلك إلى أن استأمن سليمان بن موسى الشعرانى و هو من عظمائهم و قدتقدم ذكره فوجه يطلب الأمان من أبى أحمدفمنعه ذلك لما كان سلف منه من العيث وسفك الدماء

بنواحى واسط. ثم اتصل بأبى أحمد أن جماعة من رؤساء الزنج قداستوحشوا لمنعه الشعرانى من الأمان فأجاب إلى إعطائه الأمان استصلاحا بذلك غيره من رؤساء الزنج وأمر بتوجيه الشذا إلى موضع وقع الميعاد عليه فخرج سليمان الشعرانى وأخوه وجماعة من قواده فنزلوا الشذا فصاروا إلى أبى العباس فحملهم إلى أبى أحمدفخلع على سليمان و من معه وحمله على عدة أفراس بسروجها وآلتها وأنزل له ولأصحابه إنزالا سنية ووصله بمال جليل ووصل أصحابه وضمه وضمهم إلى أبى العباس وأمر بإظهاره وإظهارهم فى الشذا لأصحاب الناجم ليزدادوا ثقة بأمانته فلم تبرح الشذا ذلك اليوم من موضعها حتى استأمن جمع كثير من قواد الزنج فوصلوا وألحقوا بإخوانهم فى الحباء والبر والخلع والجوائز فلما استأمن الشعرانى اختل ما كان الناجم قدضبطه به من مؤخر عسكره و قد كان جعله على مؤخر نهر أبى الخصيب فوهى أمره وضعف وقلد ما كان سليمان يتولاه القائد المعروف بشبل بن سالم و هو من قوادهم المشهورين فلم يمس أبو أحمد حتى وافاه رسول شبل بن سالم يطلب الأمان ويسأل أن يوقف له شذوات عنددار ابن سمعان ليكون قصده فى الليل إليها ومعه من يثق به من أصحابه فأجيب إلى سؤاله ووافى آخر الليل ومعه عياله وولده وجماعة من قواده فصاروا إلى أبى أحمدفوصله بصلة جليلة وخلع عليه خلعا كثيرة وحمله على عدة أفراس بسروجها وآلتها ووصل أصحابه وخلع عليهم وأحسن إليهم وأرسله فى الشذوات فوقفوا بحيث يراهم الناجم وأصحابه نهارا فعظم ذلك عليه و على أوليائه وأخلص شبل فى مناصحة أبى أحمدفسأل أن يضم إليه عسكر يبيت به عسكر الناجم ويسلك إليه من مسالك يعرفها هو و لايعرفها أصحاب أبى أحمدففعل [صفحه ٢٠٥] وكبس عسكر الناجم سحرا فأوقع بهم وهم غارون فقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر جمعا من قواد الزنج وانصرف بهم إلى الموفق وذعر الزنج من شبل و مافعله فامتنعوا من النوم وخافوا خوفا شديدا فكانوا يتحارسون بعد ذلك فى كل ليلة و لاتزال النفرة تقع فى عسكرهم لمااستشعروا من الخوف ووصل إلى قلوبهم من الوحشة حتى لقد كان ضجيجهم وتحارسهم يسمع بالموفقية. وصح عزم الموفق على العبور لمحاربة الناجم فى الجانب الشرقى من نهر أبى الخصيب فجلس مجلسا عاما وأمر بإحضار قواد المستأمنة ووجوه فرسانهم ورجالتهم من الزنج والبيضان فأدخلوا إليه فخطبهم وعرفهم ماكانوا عليه من الضلالة والجهل وانتهاك المحارم و ما كان صاحبهم زينه لهم من معاصى الله سبحانه و أن ذلك قد كان أحل له دماءهم و أنه قدغفر الزلة وعفا عن العقوبة وبذل الأمان وعاد على من لجأ إليه بالفضل والإحسان فأجزل الصلات وأسنى الأرزاق وألحقهم بالأولياء و أهل الطاعة و أن ما كان منه من ذلك يوجب عليهم حقه وطاعته وأنهم لن يأتوا بشىء يتعرضون به لطاعة ربهم والاستدعاء لرضا سلطانهم أولى بهم من الجد فى مجاهدة الناجم وأصحابه وأنهم من الخبرة بمسالك عسكر الناجم ومضايق طرق مدينته والمعاقل التى أعدها للحرب على ما ليس عليه من غيرهم فهم أحرى أن يمحضوه نصحهم ويجهدوا على الولوج إلى الناجم والتوغل إليه فى حصونه حتى يمكنهم الله منه و من أشياعه فإذافعلوا ذلك فلهم الإحسان والمزيد و من قصر منهم استدعى من سلطانه إسقاط حاله وتصغير منزلته ووضع مرتبته .فارتفعت أصواتهم جميعا بالدعاء للموفق والإقرار بإحسانه وبما هم عليه من صحة الضمائر من السمع والطاعة والجد فى مجاهدة عدوه وبذل دمائهم ومهجهم فى كل مايقربهم منه و أن مادعاهم إليه قدقوى مننهم ودلهم على ثقته بهم وإحلاله إياهم [صفحه ٢٠٦] محل أوليائه وسألوه أن يفردهم ناحية و لايخلطهم بعسكره ليظهر من حسن جهادهم بين يديه وخلوص نياتهم فى الحرب ونكايتهم فى العدو و مايعرف به طاعتهم وإقلاعهم عما كانوا عليه من جهلهم .فأجابهم إلى ذلك وعرفهم حسن ماظهر له من طاعتهم فخرجوا من عنده مبتهجين بما أجيبوا به من حسن القول وجميل الوعد. قال أبو جعفر ثم استعد أبو أحمد ورتب جيشه ودخل إلى عسكر الناجم بشرقى نهر أبى الخصيب فى خمسين ألف مقاتل من البر والبحر فرسانا ورجالة يكبرون ويهللون ويقرءون القرآن ولهم ضجيج وأصوات هائلة فرأى الناجم منهم ماهاله وتلقاهم بنفسه وجيشه و ذلك فى ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين . واشتبكت الحرب وكثر القتل والجراح وحامى الزنج عن صاحبهم وأنفسهم أشد محاماة واستماتوا وصبر أصحاب أبى أحمد

وصدقوا القتال فمن الله عليهم بالنصر وانهزم الزنج وقتل منهم خلق عظيم وأسر منهم أسرى كثيرة فضرب أبو أحمدأعناق الأسارى فى المعركة وقصد بنفسه دار الناجم فوافاها و قدلجأ الناجم إليها ومعه أنجاد أصحابه للمدافعة عنه . فلما لم يغنوا شيئا أسلموها وتفرقوا عنها ودخلها غلمان الموفق و بهابقايا ما كان سلم له من مال وأثاث فأخذوه وانتهبوه وأخذوا حرمه وولده الذكور والإناث وتخلص الناجم بنفسه ومضى هاربا نحو دار على بن أبان المهلبى لايلوى على أهل و لاولد و لامال وأحرقت داره وحمل أولاده ونساؤه إلى الموفقية فى التوكيل وقصد أصاب أبى أحمددار المهلبى و قدلجأ إليها الناجم وأكثر الزنج وتشاغل أصحاب أبى أحمدبنهب [صفحه ٢٠٧] الأموال من دور الزنج فاغتنم الناجم تشاغلهم بالنهب فأمر قواده بانتهاز الفرصة والإكباب عليهم فخرجوا عليهم من عدة مواضع وخرج عليهم كمناء أيضا قدكانوا كمنوهم لهم فكشفوهم واتبعوهم حتى وافوا بهم نهر أبى الخصيب فقتلوا من فرسانهم ورجالتهم جماعة وارتجعوا بعض ماكانوا أخذوه من المال والمتاع . ثم تراجع الناس ودامت الحرب إلى وقت العصر فرأى أبو أحمد عند ذلك أن يصرف أصحابه فأمرهم بالرجوع فرجعوا على هدوء وسكون كى لاتكون هزيمة حتى دخلوا سفنهم وأحجم الزنج عن أتباعهم وعاد أبو أحمدبالجيش إلى مراكزهم . قال أبو جعفر ووافى إلى أبى أحمد فى هذاالشهر كاتبه صاعد بن مخلد من سامراء فى عشرة آلاف ووافى إليه لؤلؤ صاحب ابن طولون و كان إليه أمر الرقة وديار مضر فى عشرة آلاف من نخبة الفرسان وأنجادهم فأمر أبو أحمدلؤلؤا أن يخرج فى عسكره فيحارب الزنج فخرج بهم ومعه من أصحاب أبى أحمد من يدله على الطرق والمضايق فكانت بين لؤلؤ و بين الزنج حرب شديدة فى ذى الحجة من هذه السنة استظهر فيهالؤلؤ عليهم وبان من نجدته وشجاعته وإقدام أصحابه وصبرهم على ألم الجراح وثبات قلوبهم ماسر أبا أحمد وملأ قلبه . قال أبو جعفر فلما دخلت سنة سبعين ومائتين تتابعت الأمداد إلى أبى أحمد من سائر الجهات فوصل إليه أحمد بن دينار فى جمع عظيم من المطوعة من كور الأهواز ونواحيها وقدم بعده من أهل البحرين جمع كثير من المطوعة زهاء ألفى رجل يقودهم رجل من عبدالقيس وورد بعد ذلك زهاء ألف رجل من فارس ورئيسهم شيخ من المطوعة يكنى أباسلمة و كان أبو أحمديجلس لكل من يرد ويخلع عليه ويقيم لأصحابه الأنزال الكثيرة ويصلهم بالصلات فعظم جيشه جدا وامتلأت بهم الأرض وصح [صفحه ٢٠٨] عزمه على لقاء الناجم بجميع عسكره فرتب جيوشه وقسمهم على القواد وأمر كل واحد من القواد أن يقصد جهة من جهات معسكر الناجم عينها له وركب بنفسه وركب جيشه وتوغلوا فى مسالك شرقى نهر أبى الخصيب ولقيهم الزنج و قدحشدوا واستقبلوا فكانت بينهم وقعة شديدة منحهم الله تعالى فيهاأكتاف الزنج فولوا منهزمين فاتبعهم أصحاب أبى أحمديقتلون ويأسرون فقتل منهم كثير وغرق كثير وحوى أصحاب أبى أحمدمعسكر الناجم ومدينته وظفروا بعيال على بن أبان المهلبى وداره وأمواله فاحتووا عليها وعبر أهله وأولاده إلى الموفقية مع كلابهم ومضى الناجم ومعه المهلبى وابنه أنكلانى وسليمان بن جامع والهمدانى وجماعة من أكابر القواد عامدين إلى موضع كان الناجم قدأعده لنفسه ملجأ إذاغلب على مدينته وداره فى النهر المعروف بالسفيانى فتقدم أبو أحمد ومعه لؤلؤ قاصدين هذاالنهر لأن أبا أحمددل عليه فأوغل فى الدخول وفقده أصحابه فظنوا أنه رجع فرجعوا كلهم وعبروا دجلة فى الشذا ظانين أنه عبر راجعا وانتهى أبو أحمد ومعه لؤلؤ قاصدين هذاالنهر فاقتحمه لؤلؤ بفرسه وعبر أصحاب لؤلؤ خلفه . ووقف أبو أحمد فى جماعة من أصحابه عندالنهر ومضى الناجم هاربا ولؤلؤ يتبعه فى أصحابه حتى انتهى إلى النهر المعروف بالقربرى فوصل إليه لؤلؤ وأصحابه فأوقعوا به وبمن معه فكشفوهم فولوا هاربين حتى عبروا النهر المذكور ولؤلؤ وأصحابه يطردونهم من ورائهم حتى ألجئوهم إلى نهر آخر فعبروه واعتصموا بدحال وراءه فولجوها وأشرف لؤلؤ وأصحابه عليها فأرسل إليه الموفق ينهاه عن اقتحامها ويشكر سعيه ويأمره بالانصراف فانفرد لؤلؤ هذااليوم وأصحابه بهذا الفعل دون أصحاب الموفق فانصرف لؤلؤ محمود الفعل فحمله الموفق معه فى شذاته وجدد له من البر والكرامة ورفع المنزلة لما كان منه فى أمر الناجم حسبما كان مستحقا له ولهذا نادى [صفحه ٢٠٩] أهل بغداد لماأدخل إليهم رأس الناجم بين

يدى أبى العباس ماشئتم قولوا كان الفتح للؤلؤ. قال أبو جعفرفجمع الموفق فى غد هذااليوم قواده و هوحنق عليهم لانصرافهم عنه وإفرادهم إياه و كان لؤلؤ وأصحابه تولوا طلب الناجم دونهم فعنقهم وعذلهم ووبخهم على ما كان منهم وعجزهم وأغلظ لهم فاعتذروا إليه بما توهموه من انصرافه وأنهم لم يعلموا أنه قدلجج وأوغل فى طلب الناجم وأنهم لوعلموا ذلك لأسرعوا نحوه . ثم تحالفوا بين يديه وتعاقدوا ألا يبرحوا فى غد موضعهم إذاتوجهوا نحو الزنج حتى يظفرهم الله تعالى به فإن أعياهم ذلك أقاموا حيث انتهى بهم النهار فى أى موضع كان حتى يحكم الله بينهم وبينه وسألوا الموفق أن يرد السفن إلى الموفقية بحيث لايطمع طامع من العسكر فى الالتجاء إليها والعبور فيها.فقبل أبو أحمدعذرهم وجزاهم الخير عن تنصلهم ووعدهم بالإحسان وأمرهم بالتأهب للعبور ثم عبر بهم على ترتيب ونظام قدأحكمه وقرره و ذلك فى يوم السبت لليلتين خلتا من صفر من سنة سبعين ومائتين و قد كان الناجم عاد من تلك الأنهار إلى معسكره بعدانصراف الجيش عنه فأقام به وأمل أن تتطاول به وبهم الأيام وتندفع عنه المناجزة فلقيه فى هذااليوم سرعان العسكر وهم مغيظون محنقون من التقريع والتوبيخ اللاحقين بهم بالأمس فأوقعوا به وبأصحابه وقعة شديدة أزالوهم عن مواقفهم فتفرقوا لايلوى بعضهم على بعض واتبعهم الجيش يقتلون ويأسرون من لحقوا منهم وانقطع [صفحه ٢١٠] الناجم فى جماعة من كماته من قواد الزنج منهم المهلبى وفارقه ابنه أنكلانى وسليمان بن جامع فكانا فى أول الأمر مجتمعين ثم افترقا فى الهزيمة فصادف سليمان بن جامع قوم من قواد الموفق فحاربوه و هو فى جمع كثيف من الزنج فقتل جماعة من كماته وظفر به فأسر وحمل إلى الموفق بغير عهد و لاعقد فاستبشر الناس بأسر سليمان وكثر التكبير والضجيج وأيقنوا بالفتح إذ كان أكثر أصحابه غناء وأسر بعده ابراهيم بن جعفرالهمدانى و كان من عظماء قواده وأكابر أمراء جيوشه وأسر نادر الأسود المعروف بالحفار و هو من قدماء قواد الناجم فأمر الموفق بتقييدهم بالحديد وتصييرهم فى شذاة لأبى العباس ومعهم الرجال بالسلاح وجد الموفق فى طلب الناجم وأمعن فى نهر أبى الخصيب حتى انتهى إلى آخره .فبينا هوكذلك أتاه البشير بقتل الناجم فلم يصدق فوافاه بشير آخر ومعه كف زعم أنها كفه فقوى الخبر عنده بعض القوة فلم يلبث أن أتاه غلام من غلمان لؤلؤ يركض ومعه رأس الناجم فوضعه بين يديه فعرضه الموفق على من كان حاضرا تلك الحال معه من قواد المستأمنة فعرفوه وشهدوا أنه رأس صاحبه فخر ساجدا وسجد ابنه أبوالعباس وسجد القواد كلهم شكرا لله تعالى ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير وأمر برفع الرأس على قناة ونصبه بين يديه فرآه الناس وارتفعت الأصوات والضجيج . قال أبو جعفر و قدقيل إنه لماأحيط بالناجم لم يبق معه من رؤساء أصحابه إلاالمهلبى فلما علما أنهما مقتولان افترقا فوقف الناجم حتى وصل إليه هذاالغلام ومعه جماعة من غلمان لؤلؤ فمانع عن نفسه بسيفه حتى عجز عن الممانعة فأحاطوا به وضربوه بسيوفهم حتى سقط ونزل هذاالغلام فاحتز رأسه و أماالمهلبى فإنه قصد النهر المعروف [صفحه ٢١١] بنهر الأمير فقذف بنفسه يروم النجاة وقبل ذلك كان ابن الناجم و هوالمعروف بأنكلانى فارق أباه ومضى يؤم النهر المعروف بالديناری متحصنا فيه بالأدغال والآجام فلم يظفر بهما ذلك اليوم ودل الموفق عليهما بعد ذلك . وقيل له إن معهما جمعا من الزنج وجماعة من جلة قوادهم فأرسل غلمانه فى طلبهما وأمرهم بالتضييق عليهما فلما أحاطت الغلمان بهم أيقنوا أن لاملجأ لهم وأعطوا بأيديهم فظفر بهم الغلمان وحملوهم إلى الموفق فقتل منهم جماعة وأمر بالاستيثاق من المهلبى وأنكلانى بالحديد والرجال الموكلين بهما. قال أبو جعفر وانصرف فى هذااليوم و هو يوم السبت لليلتين خلتا من صفر أبو أحمد من نهر أبى الخصيب ورأس الناجم منصوب بين يديه على قناة فى شذاة يخترق به فى النهر و الناس من جانبى النهر ينظرون إليه حتى وافى دجلة فخرج إليها والرأس بين يديه وسليمان بن جامع والهمدانى مصلوبان أحياء فى شذاتين عن جانبيه حتى وافى قصره بالموفقية هذه رواية أبى جعفر وأكثر الناس عليهما. وذكر المسعودى فى كتاب مروج الذهب أن الناجم ارتث وحمل إلى أبى أحمد و هوحى فسلمه إلى ابنه أبى العباس وأمر بتعذيبه فجعله كردناجا على النار وجلده ينتفخ ويتفرقع حتى هلك . والرواية الأولى هى الصحيحة و الذى جعل كردناجا هوقرطاس

ألـذى رمى أبا أحمـد [صـفحه ٢١٢] بالسـهم ذكر ذلـك التنوخى فى نشوار المحاضـرة قـال كـان الزنـج يصـيحون لمارمى أبو أحمدبالسـهم وتـأخر لعلاـج جراحته عن الحرب ملحوه ملحوه أى قـدمات وأنتم تكتمون موته فـاجعلوه كاللحم المكسود. قال و كـان قرطاس الرامى لأبى أحمديصـيح بأبى العباس فى الحرب إذاأخـذتنى فاجعلنى كردناجا يهزأ به . قال فلما ظفر به أدخل فى دبره سيخا من حديـد فأخرجه من فيه وجعله على النـار كردناجا. قال أبو جعفر ثم تتابع مجىء الزنـج إلى أبى أحمـد فى الأمان فحضـر منهم فى ثلاثـة أيام نحو سـبعة آلاف زنجى لماعرفوا قتل صاحبهم ورأى أبو أحمدبذل الأمان لهم كى لايبقى منهم بقية يخـاف معرتهـا فى الإسـلام وأهله وانقطعت منهم قطعـة نحو ألف زنجى مـالت نحو البر فمـات أكثرها عطشا وظفر الأعراب بمن سلم منهم فـاسترقوهم وأقـام الموفق بالموفقيـة بعـدقتل النـاجم مـدة ليزداد الناس بمقامه أنسا وأمانا ويتراجع أهل البلاد إليها فقد كان الناجم أجلاهم عنها وقدم ابنه أبوالعباس إلى بغداد ومعه رأس الناجم فدخلها يوم السـبت لاثنتى عشرة ليلة بقين من جمادى الأولى من هـذه السـنة ورأس الناجم بين يـديه على قناة و الناس مجتمعون يشاهـدونه . و قدروى غير أبى جعفر وذكره الآبى فى مجموعـة المسـمى نثر الـدرر عن العلاء بن صاعد بن مخلد قال لماحمل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد إلى بغداد دخل فى جيش [صـفحه ٢١٣] لم ير مثله واشـتق أسواق بغـداد والرأس بين يـديه فلما صـرنا بباب الطاق صاح قوم من درب من تلك الدروب رحم الله معاوية وزاد حتى علت أصوات العامة بذلك فتغير وجه المعتضد و قال أ لاتسمع يا أباعيسى ماأعجب هذا و ما ألـذى اقتضـى ذكر معاويـة فى هـذاالوقت و الله لقـد بلغ أبى إلى الموت و ماأفلت أنا إلا بعـدمشارفته ولقينا كل جهد وبلاء حتى أنجينا هؤلاء الكلاب من عـدوهم وحصـنا حرمهم وأولادهم فتركوا أن يترحموا على العباس و عبـد الله ابنه و من ولد من الخلفاء وتركوا الترحم على على بن أبى طالب وحمزة و جعفر و الحسن و الحسين و الله لابرحت أوأؤثر فى تأديب هؤلاء أثرا لايعاودون بعد هذاالفعل مثله ثم أمر بجمع النفاطين ليحرق الناحية فقلت له أيها الأمير أطال الله بقاءك إن هذااليوم من أشـرف أيام الإسلام فلاتفسـده بجهل عامة لاأخلاق لهم و لم أزل أداريه وأرفق به حتى سار.فأما ألذى يرويه الناس من أن صاحب الزنج ملك سواد بغـداد ونزل بالمـدائن و أن الموفق أرسـل إليه من بغـداد عسـكرا وأصـحبهم دنان النبيـذ وأمرهم أن ينهزموا من بين يـدى الزنج عنـداللقاء ويتركوا خيامهم وأثقالهم لينتهبها الزنـج وأنهم فعلوا ذلك فظفر الزنـج فيما ظفروا به من أمتعتهم بتلك الـدنان وكانت كثيرة جـدا فشربوا تلـك الليلـة وسـكروا وبـاتوا على غرة فكبسـهم الموفق وبيتهم ليلاـ وهم سـكارى فأصاب منهم ماأراد فباطل موضوع لاأصل له و ألـذى بيتهم وهم سـكارى فنال منهم نيلا تكين البخارى و كان على الأهواز بيت أصـحاب على بن أبان فى سنـة خمس وستين ومائتين و قـدأتاه الخبر بأنهم تلك الليلـة قـدعمل النبيذ فيهم والصـحيح أنه لم يتجاوز نهبهم ودخولهم البلاد النعمانيـة هكـذا رواه النـاس كلهم . قـال أبو جعفرفأمـا على بن أبـان وأنكلانى بن الناجم و من أسـر معهما فإنهم [صـفحه ٢١۴] حملوا إلى بغـداد فى الحديـد والقـد فجعلوا بيـد محمـد بن عبـد الله بن طـاهر ومعهم غلام للموفق يقال له فتـح السـعيدى فكانوا كـذلك إلى شوال من سـنة اثنتين وسـبعين ومائتين فكانت للزنـج حركـة بواسط وصاحوا أنكلانى يامنصور و كان الموفق يومئذ بواسط فكتب إلى محمد بن عبد الله و إلى فتح السـعيدى يأمرهما بتوجيه رءوس الزنج الذين فى الأسـر إليه فدخل فتح السعيدى إليهم فجعل يخرج الأول فالأول فيـذبحه على البالوعـة كماتذبـح الشاة وكانوا خمسـة أنكلانى بن الناجم و على بن أبان المهلبى وسليمان بن جامع و ابراهيم بن جعفرالهمدانى ونادر الأسود وقلع رأس البالوعة وطرحت فيهاأبدانهم وسد رأسها ووجه برءوسهم إلى الموفق فنصـبها بواسط وانقطعت حركه الزنـج ويئس منهم . ثم كتب الموفق إلى محمد بن عبد الله بن طاهر فى جثث هؤلاء الخمسـة فأمر بصـلبهم بحضـرة الجسر فأخرجوا من البالوعة و قدانتفخوا وتغيرت روائحهم وتقشـرت جلودهم فصـلب اثنان منهم على جانب الجسـر الشـرقى وثلاثـة على الجانب الغربى وذاك لسـبع بقين من شوال من هذه السـنة وركـب محمد بن عبد الله بن طاهر و هو أميربغداد يومئذ بنفسه حتى صلبوا بحضرته و قد قال الشعراء فى وقائع الزنج فأكثروا كالبحترى و ابن الرومى وغيرهما

فمن أراد ذلك فليأخذه من مظانه [صفحه ۲۱۵] مِنهَا فِي وَصفِ الأَترَاكِ كَأَنّيِ أَرَاهُم قوماً كَأَنّ وُجُوهَهُمُ المَجَانّ المُطرَقَةُ يَلبَسُونَ السّرَقَ وَ الدّيبَاجَ وَ يَعتَقِبُونَ الخَيلَ العِتَاقَ وَ يَكُونُ هُنَاكَ استِحرَارُ قَتلٍ حَتّي يَمشِيَ المَجرُوحُ عَلَى المَقتُولِ وَ يَكُونَ المُفلِتُ أَقَلّ مِنَ المَأسُورِ فَقَالَ لَهُ بَعضُ أَصحَابِهِ لَقَد أُعطِيتَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ عِلمَ الغَيبِ فَضَحِكَ ع وَ قَالَ لِلرّجُلِ وَ كَانَ كَلبِيّاً يَا أَخَا كَلبٍ لَيسَ هُوَ بِعِلمِ غَيبٍ وَ إِنّمَا هُوَ تَعَلّمٌ مِن ذيِ عِلمٍ وَ إِنّمَا عِلمُ الغَيبِ عِلمُ السّاعَةِ وَ مَا عَدّدَهُ اللّهُ سُبحَانَهُ بِقَولِهِإِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعَةِ وَ يُنَزّلُ الغَيثَ وَ يَعلَمُ ما فِي الأَرحامِ وَ ما تدَريِ نَفسٌ ما ذا تَكسِبُ غَداً وَ ما تدَريِ نَفسٌ بأِيَّ أَرضٍ تَمُوتُالآيَةَ فَيَعلَمُ اللّهُ سُبحَانَهُ مَا فِي الأَرحَامِ مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وَ قَبِيحٍ أَو جَمِيلٍ وَ سخَيِّ أَو بَخِيلٍ وَ شقَيِّ أَو سَعِيدٍ وَ مَن يَكُونُ لِلنّارِ حَطَباً أَو فِي الجِنَانِ لِلنّبِيّينَ مُرَافِقاً فَهَذَا عِلمُ الغَيبِ ألّذِي لَا يَعلَمُهُ أَحَدٌ إِلّا اللّهُ وَ مَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلمٌ عَلّمَهُ اللّهُ نَبِيّهُص فَعَلّمَنِيهِ وَ دَعَا لِي بِأَن يَعِيَهُ صدَريِ وَ تَضطَمّ عَلَيهِ جوَاَنحِيِ -قرآن-۵۸۵-۷۴۹ [صفحه ۲۱۶] المجان جمع مجن بكسر الميم و هوالترس وإنما سمى مجنا لأنه يستتر به والجنة السترة والجمع جنن يقال استجن بجنة أى استتر بسترة. والمطرقة بسكون الطاء التى قدأطرق بعضها إلى بعض أى ضمت طبقاتها فجعل بعضها يتلو بعضا يقال جاءت الإبل مطاريق أى يتلو بعضها بعضا والنعل المطرقة المخصوفة وأطرقت بالجلد والعصب أى ألبست وترس مطرق وطراق النعل ماأطرقت وخرزت به وريش طراق إذا كان بعضه فوق بعض وطارق الرجل بين الثوبين إذالبس أحدهما على الآخر و كل هذايرجع إلى مفهوم واحد و هومظاهرة الشيء بعضه بعضا ويروى المجان المطرقة بتشديد الراء أى كالترسة المتخذة من حديد مطرق بالمطرقة. والسرق شقق الحرير وقيل لاتسمى سرقا إلا إذاكانت بيضا الواحدة سرقة. ويعتقبون الخيل أى يجنبونها لينتقلوا من غيرها إليها واستحرار القتل شدته استحر وحر بمعنى قال ابن الزبعرى حيث ألقت بقباء بركها || واستحر القتل فى عبدالأشل والمفلت الهارب . يقول ع إن الأمور المستقبلة على قسمين أحدهما ماتفرد الله تعالى بعلمه و لم يطلع عليه أحدا من خلقه وهى الأمور الخمسة المعدودة فى الآية المذكورةإِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعَةِ وَ يُنَزّلُ الغَيثَ وَ يَعلَمُ ما فِي الأَرحامِ وَ ما تدَريِ نَفسٌ ما ذا تَكسِبُ غَداً وَ ما تدَريِ نَفسٌ بأِيَّ أَرضٍ تَمُوتُ -قرآن-۱۶۸-۳۳۲ [صفحه ۲۱۷] والقسم الثانى مايعلمه بعض البشر بإعلام الله تعالى إياه و هو ماعدا هذه الخمسة والإخبار بملحمة الأتراك من جملة ذلك . وتضطم عليه جوانحى تفتعل من الضم و هوالجمع أى يجتمع عليه جوانح صدرى ويروى جوارحى و قدروى أن إنسانا قال لموسى بن جعفر ع إنى رأيت الليلة فى منامى أنى سألتك كم بقى من عمرى فرفعت يدك اليمنى وفتحت أصابعها فى وجهى مشيرا إلى فلم أعلم خمس سنين أم خمسة أشهر أم خمسة أيام فقال و لاواحدة منهن بل ذاك إشارة إلى الغيوب الخمسة التى استأثر الله تعالى بها فى قوله إِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعَةِالآية -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۳۴۳ . فإن قلت لم ضحك ع لما قال له الرجل لقد أوتيت علم الغيب وهل هذا إلازهو فى النفس وعجب بالحال قلت قدروى أن رسول الله ص ضحك فى مناسب هذه الحال لمااستسقى فسقى وأشرف درور المطر فقام إليه الناس فسألوه أن يسأل الله تعالى أن يحبسه عنهم فدعا وأشار بيده إلى السحاب فانجاب حول المدينة كالإكليل و هو ع يخطب على المنبر فضحك حتى بدت نواجده و قال أشهد أنى رسول الله وسر هذاالأمر أن النبى أوالولى إذاتحدث عنده نعمة الله سبحانه أوعرف الناس وجاهته عند الله فلابد أن يسر بذلك و قديحدث الضحك من السرور و ليس ذلك بمذموم إذاخلا من التيه والعجب و كان محض السرور والابتهاج و قد قال تعالى فى صفة أوليائه فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِن فَضلِهِ. فإن قلت فإن من جمله الخمسةوَ ما تدَريِ نَفسٌ ما ذا تَكسِبُ غَداً و قدأعلم -قرآن-۶۴۴-۶۸۴-قرآن-۷۱۷-۷۵۵ [صفحه ۲۱۸] الله تعالى نبيه بأمور يكسبها فى غده نحو قوله ستفتح مكة وأعلم نبيه وصيه ع بما يكسبه فى غده نحو قوله له ستقاتل بعدى الناكثين الخبر. قلت المراد بالآية أنه لاتدرى نفس جميع ماتكسبه فى مستقبل زمانها و ذلك لاينفى جواز أن يعلم الإنسان بعض مايكسبه فى مستقبل زمانه

فصل فی ذکر جنکزخان وفتنهٔ التتر

واعلم أن هذاالغیب ألـذی أخبر ع عنه قـدرأیناه نحن عیانـا ووقع فی زماننـا و کـان النـاس ینتظرونه من أول الإسـلام حتی سـاقه القضاء والقـدر إلی عصـرنا وهم التتار الذین خرجوا من أقاصـی المشـرق حتی وردت خیلهم العراق والشام وفعلوا بملوک الخطا وقفجاق وببلاد ماوراء النهر وبخراسان و ماوالاها من بلاد العجم ما لم تحتو التواریـخ منذ خلق الله آدم إلی عصـرنا هذا علی مثله فإن بابک الخرمی لم تکن نکایته و إن طالت مـدته نحو عشـرین سـنهٔ إلا فی إقلیم واحـد و هوأذربیجان وهؤلاء دوخوا المشـرق کله وتعـدت نکـایتهم إلی بلاـد أرمینیـهٔ و إلی الشـام ووردت خیلهم إلی العراق وبخت نصـر ألـذی قتـل الیهود إنما أخرب بیت المقدس وقتل من کان بالشام من بنی إسـرائیل و أی نسبهٔ بین من کان بالبیت المقدس من بنی إسرائیل إلی البلاد والأمصار التی أخربها هؤلاء و إلی الناس الـذین قتلوهم من المسـلمین وغیرهم [صـفحه ۲۱۹] ونحن نـذکر طرفا من أخبارهم وابتداء ظهورهم علی سبیل الاختصار فنقول إنا علی کثرهٔ اشـتغالنا بالتواریخ وبالکتب المتضـمنهٔ أصناف الأمم لم نجد ذکر هذه الأمهٔ أصلا ولکنا وجـدنا ذکـر أصـناف الترک من القفجـاق والیمـک والبرلو والتفریه والیتبه والروس والخطـا والقرغز والترکمـان و لم یمر بنـا فی کتاب ذکر هـذه الأمـهٔ سوی کتاب واحد و هو کتاب مروج الذهب للمسـعودی فإنه ذکرهم هکذا بهذا اللفظ التتر و الناس الیوم یقولون التتار بألف و هذه الأمهٔ کانت فی أقاصی بلاد المشرق فی جبال طمغاج من حدود الصین وبینهم و بین بلاد الإسلام التی ماوراء النهر مایزید علی مسـیر ستهٔ أشهر و قد کان خوارزمشاه و هو محمد بن تکش استولی علی بلاد ماوراء النهر وقتل ملوکها من الخطـا الـذین کـانوا ببخـاری وسـمرقند وبلاـد ترکسـتان نحو کاشـغر وبلاساغون وأفناهم وکانوا حجابا بینه و بین هـذه الأمهٔ وشـحن هـذه البلاـد بقواده وجنوده و کـان فی ذلـک غالطـا لأـن ملوک الخطـا کانوا وقایـهٔ له ومجنا من هؤلاء فلما أفناهم صار هوالمتولی لحرب هؤلاء أوسـلمهم فأساء قواده وأمراؤه الـذین بترکسـتان السـیرهٔ معهم وسـدوا طرق التجارهٔ عنهم فانتـدبت منهم طائفهٔ نحو عشـرین ألفا مجتمعهٔ کل بیت منها له رئیس مفرد فهم متساندون وخرجوا إلی بلاد ترکستان فأوقعوا بقواد خوارزمشاه وعمـاله هناک وملکوا البلاد وتراجع من بقی من عسـکر خوارزمشاه وسـلم من سـیف التتار إلی خوارزمشاه فأغضـی علی ذلک ورأی أن سـعهٔ ملکه تمنعه عن مباشرهٔ حربهم بنفسه و أن غیره من قواده لایقوم مقامه فی ذلک وترک بلاد ترکستان لهم واستقر الأـمر علی أن ترکسـتان لهم و ماعـداها من بلاد ماوراء النهر کسـمرقند وبخاری وغیرهما لخوارزمشاه فمکثوا کـذلک نحو أربع سنین . [صفحه ۲۲۰] ثم إن المعروف بجنکزخان و الناس یلفظونه بالراء وذکر لی جماعهٔ من أهل المعرفهٔ بأحوال التتر أنه جنکز بالزای المعجمهٔ عن له رأی فی النهوض إلی بلاد ترکسـتان و ذلک أن جنکزخان هذا هورئیس التتار الأقصین فی المشرق و ابن رئیسـهم و مازال سلفه رؤساء تلک الجههٔ و کان شجاعا عاقلا موفقا منصورا فی الحرب وإنما عن له هذاالرأی لأنه رأی أن طائفهٔ من التتار لاملک لهم وإنما یقوم بکل فرقهٔ منهم مدبر لها من أنفسها قدنهضت فملکت بلاد ترکستان علی جلالتها غار من ذلک وأراد الرئاسـهٔ العامـهٔ لنفسه وأحب الملـک وطمـع فی البلاـد فنهض بمن معه من أقاصـی الصـین حتـی صـار إلی حـدود أعمـال ترکستان فحاربه التتار الذین هناک ومنعوه عن تطرق البلاد فلم یکن لهم به طاقهٔ وهزمهم وقتل کثیرا منهم وملک بلاد ترکستان بأجمعها وصار کالمجاور لبلاد خوارزمشاه و إن کان بینهما مسافهٔ بعیـدهٔ وصار بینه و بین خوارزمشاه سـلم ومهادنهٔ إلاأنها هدنهٔ علی دخـن .فمکثـت الحـال علی ذلـک یسـیرا ثم فسـدت بمـا کـان یصـل إلی خوارزمشـاه علی ألسـنهٔ التجـار من الأخبـار و أن جنکزخـان علی عزم النهوض إلی سـمرقند و مایلیهـا و أنه فی التـأهب والاسـتعداد فلو داراه لکان أولی له لکنه شـرع فسـد طرق التجـار القاصـدین إلیهم فتعـذرت علیهم الکسوات ومنع عنهم المیرهٔ والأـقوات التی تجلب وتحمـل من أعمـال مـاوراء النهر إلی ترکسـتان فلو اقتنع بـذلک لکان قریبا لکنه أنهی إلیه نائبهٔ بالمدینهٔ المعروفهٔ بأوتران وهی آخر ولایته بما وراء النهر أن جنکزخان

قدسير جماعة من تجار التتار ومعهم شيءعظيم من الفضة إلى سمرقند ليشتروا له ولأهله وبنى عمه كسوة وثيابا و غير ذلك . [صفحه ٢٢١] فبعث إليه خوارزمشاه يأمره بقتل أولئك التجار وأخذ مامعهم من الفضة وإنفاذها إليه فقتلهم وسير إليه الفضة و كان ذلك شيئا كثيرا جدا ففرقه خوارزمشاه على تجار سمرقند وبخارى وأخذ ثمنه منهم لنفسه ثم علم أنه قدأخطأ فأرسل إلى نائبه بأوتران يأمره أن ينفذ جواسيس من عنده إليهم ليخبروه بعدتهم فمضت الجواسيس وسلكت مفاوز وجبالا كثيرة وعادوا إليه بعدمدة فأخبروه بكثرة عددهم وأنهم لايبلغهم الإحصاء و لايدركهم وأنهم من أصبر الناس على القتال لايعرفون الفرار ويعملون مايحتاجون إليه من السلاح بأيديهم و أن خيلهم لاتحتاج إلى الشعير بل تأكل نبات الأرض وعروق المراعى و أن عندهم من الخيل والبقر ما لايحصى وأنهم يأكلون الميتة والكلاب والخنازير وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش والشقاء وثيابهم من أخشن الثياب مسا ومنهم من يلبس جلود الكلاب والدواب الميتة وأنهم أشبه شيءبالوحش والسباع .فأنهى ذلك كله إلى خوارزمشاه فندم على قتل أصحابهم و على خرق الحجاب بينه وبينهم وأخذ أموالهم وغلب عليه الفكر والوجل فأحضر الشهاب الخيوفى و هوفقيه فاضل كبير المحل عنده لايخالف مايشير به فقال له قدحدث أمر عظيم لابد من الفكر فيه وإجالة الرأى فيما نفعل و ذلك أنه قدتحرك إلينا خصم من الترك فى عدد لايحصى فقال له عساكرك كثيرة وتكاتب الأطراف وتجمع الجنود و يكون من ذلك نفير عام فإنه يجب على المسلمين كافة مساعدتك بالأموال والرجال ثم تذهب بجميع العساكر إلى جانب سيحون و هونهر كبير يفصل بين بلاد الترك و بين بلاد خوارزمشاه فتكون هناك فإذاجاء العدو و قدسار مسافة بعيدة لقيناه ونحن جامون مستريحون و قدمسه وعساكره النصب واللغوب . [صفحه ٢٢٢] فجمع خوارزمشاه أمراءه و من عنده من أرباب المشورة فاستشارهم فقالوا لابل الرأى أن نتركهم ليعبروا سيحون إلينا ويسلكوا هذه الجبال والمضايق فإنهم جاهلون بطرقها ونحن عارفون بهافنظهر عليهم ونهلكهم عن آخرهم .فكانوا على ذلك حتى وصل رسول من جنكزخان ومعه جماعة يتهدد خوارزمشاه و يقول تقتل أصحابى وتجارى وتأخذ مالى منهم استعد للحرب فإنى واصل إليك بجمع لاقبل لك به . فلما أدى هذه الرسالة إلى خوارزمشاه أمر بقتل الرسول فقتل وحلق لحى الجماعة الذين كانوا معه وأعادهم إلى صاحبهم جنكزخان ليخبروه بما فعل بالرسول ويقولوا له إن خوارزمشاه يقول لك إنى سائر إليك فلاحاجة لك أن تسير إلى فلو كنت فى آخر الدنيا لطلبتك حتى أقتلك وأفعل بك وبأصحابك مافعلت برسلك . وتجهز خوارزمشاه وسار بعدنفوذ الرسول مبادرا لسبق خبره ويكبس التتار على غرة فقطع مسيرة أربعة أشهر فى شهر واحد ووصل إلى بيوتهم وخركاواتهم فلم ير فيها إلاالنساء والصبيان والأثقال فأوقع بهم وغنم الجميع وسبى النساء والذرية. و كان سبب غيبوبة التتار عن بيوتهم أنهم ساروا إلى محاربة ملك من ملوك الترك يقال له كشلوخان فقاتلوه فهزموه وغنموا أمواله وعادوا فلقيهم الخبر فى طريقهم بما فعل خوارزمشاه بمخلفيهم فأغذوا السير فأدركوه و هو على الخروج من بيوتهم [صفحه ٢٢٣] بعدفراغه من الغنيمة فواقعوه وتصافوا للحرب ثلاثة أيام بلياليها لايفترون نهارا و لاليلا فقتل من الفريقين ما لايعد و لم ينهزم منهم أحد. أماالمسلمون فصبروا حمية للدين وعلموا أنهم إن انهزموا لم يبق للإسلام باقية ثم إنهم لاينجون بل يؤخذون ويؤسرون لبعدهم عن بلاد يمتنعون بها و أماالتتار فصبروا لاستنقاذ أموالهم وأهلهم واشتد الخطب بين الطائفتين حتى أن أحدهم كان ينزل عن فرسه ويقاتل قرنه راجلا مضاربة بالسكاكين وجرى الدم على الأرض حتى كانت الخيل تزلق فيه لكثرته و لم يحضر جنكزخان بنفسه هذه الوقعة وإنما كان فيهاقاآن ولده فأحصى من قتل من المسلمين فكانوا عشرين ألفا و لم يحص عدة من قتل من التتار. فلما جاءت الليلة الرابعة افترقوا فنزل بعضهم مقابل بعض فلما أظلم الليل أوقد التتار نيرانهم وتركوها بحالها وساروا راجعين إلى جنكزخان ملكهم و أماالمسلمون فرجعوا ومعهم محمدخوارزمشاه فلم يزالوا سائرين حتى وافوا بخارى وعلم خوارزمشاه أنه لاطاقة له بجنكزخان لأن طائفة من عسكره لم يلقوا خوارزمشاه بجميع عساكره بهم فكيف إذاحشدوا وجاءوا على بكرة أبيهم وملكهم جنكزخان بينهم

.فاستعد للحصار وأرسل إلى سمرقند يأمر قواده المقيمين بهابالاستعداد للحصار وجمع الذخائر للامتناع والمقام من وراء الأسوار وجعل فى بخارى عشرين ألف فارس يحمونها و فى سمرقند خمسين ألفا وتقدم إليهم بحفظ البلاد حتى يعبر هو إلى خوارزم وخراسان فيجمع العساكر ويستنجد بالمسلمين والغزاة المطوعة ويعود إليهم . [صفحه ۲۲۴] ثم رحل إلى خراسان فعبر جيحون وكانت هذه الوقعة فى سنة ست عشرة وستمائة فنزل بالقرب من بلخ فعسكر هناك واستنفر الناس . و أماالتتار فإنهم رحلوا بعد أن استعدوا يطلبون بلاد ماوراء النهر فوصلوا إلى بخارى بعدخمسة أشهر من رحيل خوارزمشاه عنها وحصروها فقاتلوا العسكر المرابط بهاثلاثة أيام قتالا متتابعا فلم يكن للعسكر الخوارزمى بهم قوة ففتحوا أبواب المدينة ليلا وخرجوا بأجمعهم عائدين إلى خراسان فأصبح أهل بخارى و ليس عندهم من العسكر أحد أصلا فضعفت نفوسهم فأرسلوا قاضى بخارى ليطلب الأمان للرعية فأعطاه التتار الأمان و قد كان بقى فى قلعة بخارى خاصة طائفة من عسكر خوارزمشاه معتصمون بها. فلما رأى أهل بخارى بذلهم للأمان فتحوا أبواب المدينة و ذلك فى رابع ذى الحجة من سنة ست عشرة وستمائة فدخل التتار بخارى و لم يتعرضوا لأحد من الرعية بل قالوا لهم كل مالخوارزمشاه عندكم من وديعة أوذخيرة أخرجوه إلينا وساعدونا على قتال من بالقلعة و لابأس عليكم وأظهروا فيهم العدل وحسن السيرة ودخل جنكزخان بنفسه إلى البلد وأحاط بالقلعة ونادى مناديه فى البلدان لايتخلف أحد و من تخلف قتل فحضر الناس بأسرهم فأمرهم بطم الخندق فطموه بالأخشاب والأحطاب والتراب ثم زحفوا نحو القلعة و كان عدة من بها من الجند الخوارزمية أربعمائة إنسان فبذلوا جهدهم ومنعوا القلعة عشرة أيام إلى أن وصل النقابون إلى سور القلعة فنقبوه ودخلوا القلعة فقتلوا كل من بها من الجند وغيرهم . [صفحه ۲۲۵] فلما فرغوا منها أمر جنكزخان أن يكتب له وجوه البلد ورؤساؤهم ففعل ذلك فلما عرضوا عليه أمر بإحضارهم فأحضروا فقال لهم أريد منكم الفضة النقرة التى باعها إياكم خوارزمشاه فإنها لى و من أصحابى أخذت فكان كل من عنده شىءمنها يحضره فلما فرغ من ذلك أمرهم بالخروج عن البلد بأنفسهم خاصة فخرجوا مجردين عن أموالهم ليس مع كل واحد منهم إلاثيابه التى على جسده فأمر بقتلهم فقتلوا عن آخرهم وأمر حينئذ بنهب البلد فنهب كل ما فيه وسبيت النساء والأطفال وعذبوا الناس بأنواع العذاب فى طلب المال ثم رحلوا عنه نحو سمرقند و قدتحققوا عجز خوارزمشاه عنهم واستصحبوا معهم من سلم من أهل بخارى أسارى مشاة على أقبح صورة و كل من أعيا وعجز عن المشى قتلوه . فلما قاربوا سمرقند قدموا الخيالة وتركوا الرجالة والأسارى والأثقال وراءهم حتى يلتحقوا بهم شيئا فشيئا ليرعبوا قلوب أهل البلد فلما رأى أهل سمرقند سوادهم استعظموهم فلما كان اليوم الثانى وصل الأسارى والرجالة والأثقال و مع كل عشرة من الأسارى علم فظن أهل البلد أن الجميع عسكر مقاتلة فأحاطوا بسمرقند و فيهاخمسون ألفا من الخوارزمية و ما لايحصى كثرة من عوام البلد فأحجم العسكر الخوارزمى عن الخروج إليهم وخرجت العامة بالسلاح فأطمعهم التتار فى أنفسهم وقهقروا عنهم و قدكمنوا لهم كمناء فلما جاوزوا الكمين خرج عليهم من ورائهم وشد عليهم من ورائهم جمهور التتار فقتلوهم عن آخرهم . فلما رأى من تخلف بالبلد ذلك ضعفت قلوبهم وخيلت للجند الخوارزمى أنفسهم [صفحه ۲۲۶] أنهم إن استأمنوا إلى التتار أبقوا عليهم للمشاركة فى جنسية التركية فخرجوا بأموالهم وأهليهم إليهم مستأمنين فأخذوا سلاحهم وخيلهم ثم وضعوا السيف فيهم فقتلوهم كلهم ثم نادوا فى البلد برئت الذمة ممن لم يخرج و من خرج فهو آمن فخرج الناس إليهم بأجمعهم فاختلطوا عليهم ووضعوا فيهم السيف وعذبوا الأغنياء منهم واستصفوا أموالهم ودخلوا سمرقند فأخربوها ونقضوا دورها وكانت هذه الوقعة فى المحرم سنة سبع عشرة وستمائة. و كان خوارزمشاه مقيما بمنزله الأول كلما اجتمع له جيش سيره إلى سمرقند فيرجع و لايقدم على الوصول إليها فلما قضوا وطرا من سمرقند سير جنكزخان عشرين ألف فارس و قال لهم اطلبوا خوارزمشاه أين كان و لوتعلق بالسماء حتى تدركوه وتأخذوه و هذه الطائفة تسميها التتار المغربة لأنها سارت نحو غرب خراسان وهم الذين أوغلوا فى البلاد ومقدمهم جرماغون نسيب جنكزخان . وحكى أن جنكزخان كان قدأمر على هذاالجيش ابن عم له شديد

الاختصاص به يقال له متكلى نويرة وأمره بالجد وسرعة المسير فلما ودعه عطف متكلى نويرة هذافدخل إلى خركاه فيهاامرأة له كان يهواها ليودعها فاتصل ذلك بجنكزخان فصرفه فى تلك الساعة عن إمارة الجيش و قال من يثنى عزمه امرأة لايصلح لقيادة الجيوش ورتب مكانه جرماغون فساروا وقصدوا من جيحون موضعا يسمى بنج آب أى خمسة مياه و هويمنع العبور فلم يجدوا به سفنا فعملوا من الخشب مثل الأحواض الكبار ولبسوه جلود البقر ووضعوا فيه أسلحتهم وأقحموا خيولهم الماء وأمسكوا بأذنابها [صفحه ٢٢٧] وتلك الأحواض مشدودة إليها فكان الفرس يجذب الرجل و الرجل يجذب الحوض فعبروا كلهم ذلك الماء دفعة واحدة فلم يشعر خوارزمشاه بهم إلا وهم معه على أرض واحدة و كان جيشه قدملئ رعبا منهم فلم يقدروا على الثبات فتفرقوا أيدى سبأ وطلب كل فريق منهم جهة ورحل خوارزمشاه فى نفر من خواصه لايلوى على شىء وقصد نيسابور فلما دخلها اجتمع عليه بعض عسكره فلم يستقر حتى وصل جرماغون إليه و كان لايتعرض فى مسيره بنهب و لاقتل بل يطوى المنازل طيا يطلب خوارزمشاه و لايمهله ليجمع عسكرا فلما عرف قرب التتار منه هرب من نيسابور إلى مازندران فدخلها ورحل جرماغون خلفه و لم يعرج على نيسابور بل قصد مازندران فخرج خوارزمشاه عنها فكان كلما رحل عن منزل نزله التتار حتى وصل إلى بحر طبرستان فنزل هو وأصحابه فى سفن ووصل التتار فلما عرفوا نزوله البحر رجعوا وأيسوا منه . وهؤلاء الذين ملكوا عراق العجم وأذربيجان فأقاموا بناحية تبريز إلى يومنا هذا. ثم اختلف فى أمر خوارزمشاه فقوم يحكون أنه أقام بقلعة له فى بحر طبرستان منيعة فتوفى بها وقوم يحكون أنه غرق فى البحر وقوم يحكون أنه غرق ونجا عريانا فصعد إلى قرية من قرى طبرستان فعرفه أهلها فجاءوا وقبلوا الأرض بين يديه وأعلموا عاملهم به فجاء إليه وخدمه فقال له خوارزمشاه احملنى فى مركب إلى الهند فحمله إلى شمس الدين أنليمش ملك الهند و هونسيبه من جهة زوجته والدة منكبونى بن خوارزمشاه الملك جلال الدين فإنها هندية من أهل بيت الملك فيقال إنه وصل إلى أنليمش و قدتغير [صفحه ٢٢٨] عقله مما اعتراه من خوف التتار أولأمر سلطه الله تعالى عليه فكان يهذى بالتتار بكرة وعشية و كل وقت و كل ساعة و يقول هوذا هم قدخرجوا من هذاالباب قدهجموا من هذه الدرجة ويرعد ويحول لونه ويختل كلامه وحركاته . وحكى لى فقيه خراسانى وصل إلى بغداد يعرف بالبرهان قال كان أخى معه و كان ممن يثق خوارزمشاه به ويختصه قال لهج خوارزمشاه لماتغير عقله بكلمة كان يقولها قرا تتر كلدى يكررها وتفسيرها التتر السود قدجاءوا و فى التتر صنف سود يشبهون الزنج لهم سيوف عريضة جدا على غيرصورة هذه السيوف يأكلون لحوم الناس فكان خوارزمشاه قدأهتر وأغرى بذكرهم . وحدثنى البرهان قال رقى به شمس الدين أنليمش إلى قلعة من قلاع الهند حصينة عالية شاهقة لايعلوها الغيم أبدا وإنما تمطر السحب من تحتها و قال له هذه القلعة لك وذخائرها أموالك فكن فيهاوادعا آمنا إلى أن يستقيم طالعك فالملوك مازالوا هكذا يدبر طالعهم ثم يقبل فقال له لاأقدر على الثبات فيها والمقام بهالأن التتر سوف يطلبوننى ويقدمون إلى هاهنا و لوشاءوا لوضعوا سروج خيلهم واحدا على واحد تحت القلعة فبلغت إلى ذروتها وصعدوا عليها فأخذونى قبضا باليد فعلم أنليمش أن عقله قدتغير و أن الله تعالى قدبدل ما به من نعمة فقال فما ألذى تريد قال أريد أن تحملنى فى البحر المعروف ببحر المعبر إلى كرمان فحمله فى نفر يسير من مماليكه إلى كرمان ثم خرج منها إلى أطراف بلاد فارس فمات هناك فى قرية من قرى فارس وأخفى موته لئلا يقصده التتر وتطلب جثته . [صفحه ٢٢٩] وجملة الأمر أن حاله مشتبهة ملتبسة لم يتحقق على يقين وبقى الناس بعدهلاكه نحو سبع سنين ينتظرونه . ويذهب كثير منهم إلى أنه حى مستتر إلى أن ثبت عند الناس كافة أنه هلك .فأما جرماغون فإنه لمايئس من الظفر بخوارزمشاه عاد من ساحل البحر إلى مازندران فملكها فى أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول إليها وامتناع قلاعها فإنها لم تزل ممتنعة على قديم الوقت حتى أن المسلمين لماملكوا بلاد الأكاسرة من العراق إلى أقصى خراسان بقيت أعمال مازندران بحالها تؤدى الخراج و لايقدر المسلمون على دخولها إلى أيام سليمان بن عبدالملك . و لماملكت التتار مازندران قتلوا فيها ونهبوا وسلبوا ثم سلكوا نحو الرى فصادفوا فى الطريق والدة خوارزمشاه ونساءه

ومعهن أموال بيت خوارزمشاه وذخائرهم التى ما لايسمع بمثلها من الأعلاق النفيسة وهن قاصدات نحو الرى ليعتصمن ببعض القلاع المنيعة فاستولى التتار عليهن و على مامعهن بأسره وسيروه كله إلى جنكزخان بسمرقند وصمدوا صمد الرى و قد كان اتصل بهم أن محمدا خوارزمشاه قصدها كمايتسامع الناس بالأراجيف الصحيحة والباطلة فوصلوها على حين غفلة من أهلها فلم يشعر بهم عسكر الرى إلا و قدملكوها ونهبوها وسبوا الحرم واسترقوا الغلمان وفعلوا كل قبيح منكر فيها و لم يقيموا بها ومضوا مسرعين فى طلب خوارزمشاه فنهبوا فى طريقهم مامروا به من المدن والقرى وأحرقوا وخربوا وقتلوا الذكران والإناث و لم يبقوا على شىء وقصدوا نحو همذان فخرج إليهم رئيسها ومعه أموال جليلة قدجمعها من أهل همذان عينا وعروضا وخيلا وطلب منهم الأمان لأهل البلد فأمنوهم و لم يعرضوا لهم [صفحه ٢٣٠] وساروا إلى زنجان واستباحوها و إلى قزوين فاعتصم أهلها منهم بقصبة مدينتهم فدخلوها بالسيف عنوة وقاتلهم أهلها قتالا شديدا بالسكاكين وهم معتادون بقتال السكين من حروبهم مع الإسماعيلية فقتل من الفريقين ما لايحصى ويقال إن القتلى بلغت أربعين ألفا من أهل قزوين خاصة. ثم هجم على التتار البرد الشديد والثلج المتراكم فساروا إلى أذربيجان فنهبوا القرى وقتلوا من وقف بين أيديهم وأخربوا وأحرقوا حتى وصلوا إلى تبريز و بهاصاحب أذربيجان أزبك بن البهلوان بن أيلدكر فلم يخرج إليهم و لاحدث نفسه بقتالهم لاشتغاله بما كان عليه من اللهو وإدمان الشرب ليلا ونهارا فأرسل إليهم وصالح لهم على مال وثياب ودواب وحمل الجميع إليهم فساروا من عنده يطلبون ساحل البحر لأنه مشتى صالح لهم والمراعى به كثيرة فوصلوا إلى موقان وهى المنزل ألذى نزلته الخرمية فى أيام المعتصم و قدذكره الطائيان فى أشعارهما فى غيرموضع و الناس اليوم يقولون بالغين المعجمة عوض القاف و قدكانوا تطرقوا فى طريقهم بعض أعمال الكرج فخرج إليهم منهم عشرة آلاف مقاتل فحاربوهم وهزموهم وقتلوا أكثرهم . فلما استقروا بموقان راسلت الكرج أزبك بن البهلوان فى الاتفاق على حربهم وراسلوا موسى بن أيوب المعروف بالأشرف و كان صاحب خلاط وإرمينية بمثل ذلك وظنوا أنهم يصبرون إلى أيام الربيع وانحسار الثلوج فلم يصبروا وساروا من موقان فى صميم الشتاء نحو بلاد الكرج فخرجت إليهم الكرج واقتتلوا قتالا شديدا فلم يثبتوا للتتار وانهزموا أقبح هزيمة وقتل منهم من لايحصى فكانت هذه الوقعة فى ذى الحجة من سنة سبع عشرة وستمائة. [صفحه ٢٣١] ثم توجهوا إلى المراغة فى أول سنة ثمانى عشرة فملكوها فى صفر وكانت لامرأة من بقايا ملوك المراغة تدبرها هى ووزراؤها فنصبوا عليها المجانيق وقدموا أسارى المسلمين بين أيديهم و هذه عادتهم يتترسون بهم فى الحروب فيصيبهم حدها ويسلمون هم من مضرتها فملكوها عنوة ووضعوا السيف فى أهلها ونهبوا مايصلح لهم وأحرقوا ما لايصلح لهم وخذل الناس عنهم حتى كان الواحد منهم يقتل بيده مائة إنسان والسيوف فى أيديهم لايقدر أحد منهم أن يحرك يده بسيفه نحو ذلك التترى خذلان صب على الناس وأمر سمائى اقتضاه . ثم عادوا إلى همذان فطالبوا أهلها بمثل المال ألذى بذلوه لهم فى الدفعة الأولى فلم يكن فى الناس فضل لذلك لأنه كان عظيما جدا فقام إلى رئيس همذان جماعة من أهلها وأسمعوه كلاما غليظا فقالوا أفقرتنا أولا وتريد أن تستصفينا دفعة ثانية ثم لابد للتتار أن يقتلونا فدعنا نجاهدهم بالسيف ونموت كراما ثم وثبوا على شحنة كان للتتار بهمذان فقتلوه واعتصموا بالبلد فحصرهم التتار فيه فقلت عليهم الميرة وعدمت الأقوات وأضر ذلك بأهل همذان و لم ينل التتار مضرة من عدم القوت لأنهم لايأكلون إلااللحم والخيل معهم كثيرة ومعهم غنم عظيمة يسوقونها حيث شاءوا وخيلهم لاتأكل الشعير و لاتأكل إلانبات الأرض تحفر بحوافرها الأرض عن العروق فتأكلها.فاضطر رئيس همذان وأهلها إلى الخروج إليهم فخرجوا والتحمت الحرب بينهم أياما وفقد رئيس همذان هرب فى سرب قد كان أعده إلى موضع اعتصم به ظاهر البلد و لم يعلم حقيقة حاله فتحير أهل همذان بعدفقده ودخلوا المدينة واجتمعت كلمتهم على القتال فى قصبة البلد إلى أن يموتوا و كان التتار قدعزموا على الرحيل عنهم لكثرة من قتل منهم فلما لم يروا أحدا يخرج إليهم من البلد طمعوا واستدلوا على ضعف أهله فقصدوهم وقاتلوهم [صفحه ٢٣٢] و ذلك فى شهر رجب من

سنة ثماني عشرة وستمائة ودخلوا المدينة بالسيف وقاتلهم الناس في الدروب وبطل السلاح للازدحام واقتتلوا بالسكاكين فقتل من الفريقين ما لايحصى وظهر التتار على المسلمين فأفنوهم قتلا و لم يسلم منهم إلا من كان له نفق في الأرض يستخفى فيه ثم ألقوا النار في البلد فأحرقوها ورحلوا إلى مدينة أردبيل وأعمال أذربيجان فملكوا أردبيل وقتلوا فيهافأكثروا. ثم ساروا إلى تبريز و كان بهاشمس الدين عثمان الطغرائي قدجمع كلمة أهلها بعدمفارقة صاحب أذربيجان أزبك بن البهلوان للبلاد خوفا من التتار ومقامه بنقجوان فقوى الطغرائي نفوس الناس على الامتناع وحذرهم عاقبة التخاذل وحصن البلد فلما وصل التتار ورأوا اجتماع كلمة المسلمين وحصانة البلد طلبوا منهم مالا وثيابا فاستقر الأمر بينهم على شيءمعلوم فسيروه إليهم فلما أخذوه رحلوا إلى بيلقان فقاتلهم أهلها فملكها التتار في شهر رمضان من هذه السنة ووضعوا فيهم السيف حتى أفنوهم أجمعين ثم ساروا إلى مدينة كنجة وهي أم بلاد أران وأهلها ذوو شجاعة وبأس وجلد لمقاومتهم الكرج وتدربهم بالحرب فلم يقدر التتار عليهم وأرسلوا إليهم يطلبون مالا وثيابا فأرسلوه إليهم فساروا عنهم فقصدوا الكرج و قدأعدوا لهم فلما صافوهم هرب الكرج وأخذهم السيف فلم يسلم إلاالشريد ونهبت بلادهم وأخربت و لم يوغل التتار في بلاد الكرج لكثرة مضايقها ودربنداتها فقصدوا دربند شروان فحصروا مدينة شماخي وصعدوا سورها في السلاليم وملكوا البلد بعدحرب شديدة وقتلوا فيه فأكثروا. [صفحه ٢٣٣] فلما فرغوا أرادوا عبور الدربند فلم يقدموا عليه فأرسلوا إلى شروانشاه ملك الدربند فطالبوه بإنفاذ رسول يسعى بينه وبينهم في الصلح فأرسل إليهم عشرة من ثقاته فلما وصلوا إليهم جمعوهم ثم قتلوا واحدا منهم بحضور الباقين وقالوا للتسعة إن أنتم عرفتمونا طريقا نعبر فيه فلكم الأمان و إلاقتلناكم كماقتلنا صاحبكم فقالوا لهم لاطريق في هذاالدربند ولكن نعرفكم موضعا هوأسهل المواضع لعبور الخيل . وساروا بين أيديهم إليه فعبروا الدربند وتركوه وراء ظهورهم وساروا في تلك البلاد وهي مملوءة من طرائق مختلفة منهم اللان واللكر وأصناف من الترك فنهبوها وقتلوا الكثير من ساكنيها ورحلوا إلى اللان وهم أمم كثيرة و قدوصلهم خبرهم وجمعوا وحذروا وانضاف إليهم جموع من قفجاق فقاتلوهم فلم يظفر أحد العسكرين بالآخر فأرسل التتار إلى قفجاق أنتم إخواننا وجنسنا واحد واللان ليسوا من جنسكم لتنصروهم و لادينهم دينكم ونحن نعاهدكم ألا نعرض لكم ونحمل إليكم من المال والثياب مايستقر بيننا وبينكم على أن تنصرفوا إلى بلادكم .فاستقر الأمر بينهم على مال وثياب حملها التتار إليهم وفارقت قفجاق اللان فأوقع التتار باللان فقتلوهم ونهبوا أموالهم وسبوا نساءهم فلما فرغوا منهم ساروا إلى بلاد قفجاق وهم آمنون متفرقون لمااستقر بينهم و بين التتار من الصلح فلم يشعروا بهم إلا و قدطرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول وأخذوا منهم أضعاف ماحملوا إليهم وسمع ما كان بعيد الدار من قفجاق بما جرى .ففروا عن غيرقتال فأبعدوا فبعضهم بالغياض وبعضهم بالجبال وبعضهم لحقوا ببلاد الروس وأقام التتار في بلاد قفجاق وهي أرض كثيرة المراعي في الشتاء و فيهاأيضا أماكن باردة في الصيف كثيرة المراعي وهي غياض على ساحل البحر. [صفحه ٢٣٤] ثم سارت طائفة منهم إلى بلاد الروس وهي بلاد كثيرة عظيمة وأهلها نصارى و ذلك في سنة عشرين وستمائة فاجتمع الروس وقفجاق عن منعهم عن البلاد فلما قاربهم التتار وعرفوا اجتماعهم رجعوا القهقرى إيهاما للروس أن ذلك عن خوف وحذر فجدوا في اتباعهم و لم يزل التتار راجعين وأولئك يقفون آثارهم اثنى عشر يوما. ثم رجعت التتار على الروس وقفجاق فأثخنوا فيهم قتلا وأسرا و لم يسلم منهم إلاالقليل و من سلم نزل في المراكب وخرج في البحر إلى الساحل الشامي وغرق بعض المراكب . و هذه الوقائع كلها تولاها التتر المغربة الذين قادهم جرماغون فأما ملكهم الأكبر جنكزخان فإنه كان في هذه المدة بسمرقند ماوراء النهر فقسم أصحابه أقساما فبعث قسما منهم إلى فرغانة وأعمالها فملكوها وبعث قسما آخر إلى ترمذ و مايليها فملكوها وبعث قسما آخر إلى بلخ و مايليها من أعمال خراسان فأما بلخ فإنهم أمنوا أهلها و لم يتعرضوا لها بنهب و لاقتل وجعلوا فيهاشحنة وكذلك فارياب وكثير من المدن إلاأنهم أخذوا أهلها يقاتلون بهم من يمتنع عليهم حتى وصلوا إلى الطالقان وهي عدة بلاد و فيهاقلعة حصينة و بهارجال أنجاد فأقاموا

على حصارها شهورا فلم يفتحوها فأرسلوا إلى جنكزخان يعرفونه عجزهم عنها فسار بنفسه وعبر جيحون ومعه من الخلائق ما لايحصى فنزل على هذه القلعة وبنى حولها شبه قلعة أخرى من طين وتراب وخشب وحطب ونصب عليها المنجنيقات ورمى القلعة بها فلما رأى أهلها ذلك فتحوها وخرجوا وحملوا حملة واحدة فقتل منهم من قتل وسلم من سلم وخرج السالمون فسلكوا تلك الجبال والشعاب ناجين بأنفسهم ودخل التتار القلعة فنهبوا الأموال والأمتعة وسبوا النساء والأطفال . [صفحه ٢٣٥] ثم سير جنكزخان جيشا عظيما مع أحد أولاده إلى مدينة مرو و بهامائتا ألف من المسلمين فكانت بين التتار وبينهم حروب عظيمة شديدة صبر فيهاالمسلمون ثم انهزموا ودخلوا البلد وأغلقوا أبوابه فحاصره التتار حصارا طويلا ثم أمنوا متقدم البلد فلما خرج إليهم فى الأمان خلع عليه ابن جنكزخان وأكرمه وعاهده ألا يتعرض لأحد من أهل مرو ففتح الناس الأبواب فلما تمكنوا منهم استعرضوهم بالسيف عن آخرهم فلم يبقوا منهم باقية بعد أن استصفوا أرباب الأموال عقيب عذاب شديد عذبوهم به . ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا به مافعلوا بمرو من القتل والاستئصال ثم عمدوا إلى طوس فنهبوها وقتلوا أهلها وأخرجوا المشهد ألذى به على بن موسى الرضا ع والرشيد هارون بن المهدى وساروا إلى هراة فحصروها ثم أمنوا أهلها فلما فتحوها قتلوا بعضهم وجعلوا على الباقين شحنة فلما بعدوا وثب أهل هراة على الشحنة فقتلوه فعاد عليهم عسكر من التتار فاستعرضوهم بالسيف فقتلوهم عن آخرهم . ثم عادوا إلى طالقان و بهاملكهم الأكبر جنكزخان فسير طائفة منهم إلى خوارزم وجعل فيهامقدم أصحابه وكبراءهم لأن خوارزم حينئذ كانت مدينة الملك و بهاعسكر كثير من الخوارزمية وعوام البلد معروفون بالبأس والشجاعة فساروا ووصلوا إليها فالتقى الفئتان واقتتلوا أشد قتال سمع به ودخل المسلمون البلد وحصرتهم التتار خمسة أشهر وأرسل التتار إلى جنكزخان يطلبون المدد فأمدهم بجيش من جيوشه فلما وصل قويت منتهم به وزحفوا إلى البلد زحفا متتابعا فملكوا طرفا منه وولجوا المدينة فقاتلهم المسلمون داخل البلد فلم يكن لهم به طاقة فملكوه وقتلوا كل من فيه فلما فرغوا منه وقضوا وطرهم من القتل والنهب فتحوا السكر ألذى يمنع [صفحه ٢٣٦] ماء جيحون عن خوارزم فدخل الماء البلد فغرق كله وانهدمت الأبنية فبقى بحرا و لم يسلم من أهل خوارزم أحد البتة فإن غيره من البلاد كان يسلم نفر يسير من أهلها و أماخوارزم فمن وقف للسيف قتل و من استخفى غرقه الماء أوأهلكه الهدم فأصبحت خوارزم يبابا. فلما فرغ التتر من هذه البلاد سيروا جيشا إلى غزنة و بهاحينئذ جلال الدين منكبرى بن محمدخوارزمشاه مالكها و قداجتمع إليه من سلم من عسكر أبيه وغيرهم فكانوا نحو ستين ألفا و كان الجيش ألذى سار إليهم التتار اثنى عشر ألفا فالتقوا فى حدود غزنة واقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام ثم أنزل الله النصر على المسلمين فانهزم التتر وقتلهم المسلمون كيف شاءوا وتحيز الناجون منهم إلى الطالقان و بهاجنكزخان وأرسل جلال الدين إليه رسولا يطلب منه أن يعين موضعا للحرب فاتفقوا على أن يكون الحرب بكابل فأرسل جنكزخان إليها جيشا وسار جلال الدين إليها بنفسه وتصافوا هناك فكان الظفر للمسلمين وهرب التتار فالتجئوا إلى الطالقان وجنكزخان مقيم بهاأيضا وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة فجرت بينهم فتنة عظيمة فى الغنائم و ذلك لأن أميرا من أمرائهم اسمه بغراق كان قدأبلى فى حرب التتر هذه جرت بينه و بين أميريعرف بملك خان نسيب خوارزمشاه مقاولة أفضت إلى أن قتل أخ لبغراق فغضب وفارق جلال الدين فى ثلاثين ألفا فتبعه جلال الدين واسترضاه واستعطفه فلم يرجع فضعف جانب جلال الدين بذلك فبينا هوكذلك وصله الخبر أن جنكزخان قدسار إليه من الطالقان بنفسه وجيوشه فعجز عن مقاومته وعلم أنه لاطاقة له به فسار نحو بلاد الهند وعبر نهر السند وترك غزنة شاغرة كالفريسة للأسد فوصل إليها [صفحه ٢٣٧] جنكزخان فملكها وقتل أهلها وسبى نساءها وأخرب القصور وتركها كأمس الغابر.

ثم كانت لهم بعدملك غزنة واستباحتها وقائع كثيرة مع ملوك الروم بنى قلج أرسلان لم يوغلوا فيها فى البلاد وإنما كانوا يتطرقونها وينهبون ماتاخمهم منها وأذعن لهم ملوك فارس وكرمان والتيز ومكران بالطاعة وحملوا إليهم الإتاوة و لم يبق فى البلاد الناطقة باللسان الأعجمى بلد إلاحكم فيه سيفهم أوكتابهم فأكثر البلاد قتلوا أهلها وسبق السيف فيهم العذل والباقى أدى

الإتاوة إليهم رغما وأعطى الطاعة صاغرا ورجع جنكزخان إلى ماوراء النهر وتوفى هناك . وقام بعده ابنه قاآن مقامه وثبت جرماغون فى مكانه بأذربيجان و لم يبق لهم إلاأصبهان فإنهم نزلوا عليها مرارا فى سنة سبع وعشرين وستمائة وحاربهم أهلها وقتل من الفريقين مقتلة عظيمة و لم يبلغوا منها غرضا حتى اختلف أهل أصبهان فى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وهم طائفتان حنفية وشافعية وبينهم حروب متصلة وعصبية ظاهرة فخرج قوم من أصحاب الشافعى إلى من يجاورهم ويتاخمهم من ممالك التتار فقالوا لهم اقصدوا البلد حتى نسلمه إليكم فنقل ذلك إلى قاآن بن جنكزخان بعدوفاة أبيه والملك يومئذ منوط بتدبيره فأرسل جيوشا من المدينة المستجدة التى بنوها وسموها قراحرم فعبرت جيحون مغربة وانضم إليها قوم ممن أرسله جرماغون على هيئة المدد لهم فنزلوا على أصفهان فى سنة ثلاث وثلاثين المذكورة وحصروها فاختلف سيفا الشافعية والحنفية فى المدينة حتى قتل كثير منهم وفتحت أبواب المدينة وفتحها الشافعية على عهد بينهم و بين التتار أن يقتلوا الحنفية ويعفوا عن الشافعية فلما دخلوا البلد بدءوا بالشافعية فقتلوهم قتلا ذريعا و لم يقفوا مع العهد ألذى عهدوه لهم ثم قتلوا الحنفية ثم قتلوا سائر الناس [صفحه ٢٣٨] وسبوا النساء وشقوا بطون الحبالى ونهبوا الأموال وصادروا الأغنياء ثم أضرموا النار فأحرقوا أصبهان حتى صارت تلولا من الرماد. فلما لم يبق لهم بلد من بلاد العجم إلا و قددوخوه صمدوا نحو إربل فى سنة أربع وثلاثين وستمائة و قدكانوا طرقوها مرارا وتحيفوا بعض نواحيها فلم يوغلوا فيها والأمير المرتب بهايومئذ باتكين الرومى فنزل عليها فى ذى القعدة من هذه السنة منهم نحو ثلاثين ألف فارس أرسلهم جرماغون وعليهم مقدم كبير من رؤسائهم يعرف بجكتاى فغاداها القتال ورواحها و بهاعسكر جم من عساكر الإسلام فقتل من الفريقين خلق كثير واستظهر التتار ودخلوا المدينة وهرب الناس إلى القلعة فاعتصموا بها وحصرهم التتار وطال الحصار حتى هلك الناس فى القلعة عطشا وطلب باتكين منهم أن يصالحوه عن المسلمين بمال يؤديه إليهم فأظهروا الإجابة فلما أرسل إليهم ماتقرر بينهم وبينه أخذوا المال وغدروا به وحملوا على القلعة بعد ذلك حملات عظيمة وزحفوا إليها زحفا متتابعا وعلقوا عليها المنجنيقات الكثيرة وسير المستنصر بالله الخليفة جيوشه مع مملوكه وخادم حضرته وأخص مماليكه به شرف الدين إقبال الشرامى فساروا إلى تكريت فلما عرف التتر شخوصهم رحلوا عن إربل بعد أن قتلوا منها ما لايحصى وأخربوها وتركوها كجوف حمار وعادوا إلى تبريز و بهامقام جرماغون و قدجعلها دار ملكه . فلما رحلوا عن إربل عاد العسكر البغدادى إلى بغداد وكانت للتتار بعد ذلك نهضات وسرايا كثيرة إلى بلاد الشام قتلوا ونهبوا وسبوا فيها حتى انتهت خيولهم إلى حلب فأوقعوا بها وصانعهم عنها أهلها وسلطانها ثم عمدوا إلى بلاد كيخسرو صاحب الروم و ذلك بعد أن هلك جرماغون وقام عوضه المعروف ببابايسيجو و كان [صفحه ٢٣٩] قدجمع لهم ملك الروم قضه وقضيضه وجيشه ولفيفه واستكثر من الأكراد العتمرية و من عساكر الشام وجند حلب فيقال إنه جمع مائة ألف فارس وراجل فلقيه التتار فى عشرين ألفا فجرت بينه وبينهم حروب شديدة قتلوا فيهامقدمته وكانت المقدمة كلها أوأكثرها من رجال حلب وهم أنجاد أبطال فقتلوا عن آخرهم وانكسر العسكر الرومى وهرب صاحب الروم حتى انتهى إلى قلعة له على البحر تعرف بأنطاكية فاعتصم بها وتمزقت جموعه وقتل منهم عدد لايحصى ودخلت التتار إلى المدينة المعروفة بقيسارية ففعلوا فيهاأفاعيل منكرة من القتل والنهب والتحريق وكذلك بالمدينة المعروفة بسيواس وغيرها من كبار المدن الرومية وبخع لهم صاحب الروم بالطاعة وأرسل إليهم يسألهم قبول المال والمصانعة فضربوا عليه ضريبة يؤديها إليهم كل سنة ورجعوا عن بلاده . وأقاموا على جملة السكون والموادعة للبلاد الإسلامية كلها إلى أن دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة فاتفق أن بعض أمراء بغداد و هوسليمان بن برجم و هومقدم الطائفة المعروفة بالإيواء وهى من التركمان قتل شحنة من شحنهم فى بعض قلاع الجبل يعرف بخليل بن بدر فأثار قتله أن سار من تبريز عشرة آلاف غلام منهم يطوون المنازل ويسبقون خبرهم ومقدمهم المعروف بجكتاى الصغير فلم يشعر الناس ببغداد إلا وهم على البلد و ذلك فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة فى فصل الخريف و قد كان الخليفة المستعصم بالله أخرج عسكره إلى ظاهر

سور بغـداد على سبيل الاحتياط و كان التتر قدبلغهم ذلك إلا أن جواسيسـهم غرتهم وأوقعت فى أذهانهم أنه ليس خارج السور إلاخيـام مضـروبة وفساطيـط مضـروبة لارجـال تحتهـا وأنكم متى أشـرفتم عليهم ملكتم سوادهم وثقلهم و يكون قصارى أمر قوم قليلين تحتها أن ينهزموا إلى البلد ويعتصـموا بجدرانه فأقبلت [صفحه ۲۴۰] التتر على هـذاالظن وسارت على هذاالوهم فلما قربوا من بغـداد وشارفوا الوصول إلى المعسـكر أخرج المسـتعصم بالله الخليفـة مملوكه وقائد جيوشه شـرف الدين إقبالا الشـرابى إلى ظـاهر السور و كـان خروجه فى ذلـك اليوم من لطف الله تعـالى بالمسـلمين فـإن التتـار لووصـلوا و هو بعـد لم يخرج لاضـطرب العسـكر لأنهم كانوا يكونون بغير قائـد و لازعيم بل كل واحـد منهم أميرنفسه وآراؤهم مختلفة لايجمعهم رأى واحد و لايحكم عليها حاكم واحـد فكانوا فى مظنـة الاختلاف والتفرق والاضـطراب والتشـتت فكان خروج شـرف الدين إقبال الشـرابى فى اليوم السادس عشـر من هذاالشـهر المـذكور ووصـلت التتر إلى سور البلـد فى اليوم السابع عشـر فوقفوا بإزاء عساكر بغداد صـفا واحدا وترتب العسـكر البغـدادى ترتيبـا منتظمـا ورأى التـتر من كـثرتهم وجودة سـلاحهم وعـددهم وخيـولهم مـا لم يكونـوا يظنـونه و لايحسبونه وانكشف ذلك الوهم ألذى أوهمهم جواسيسهم عن الفساد والبطلان . و كان مدبر أمر الدولة والوزارة فى هذاالوقت هوالوزير مؤيـد الـدين محمـد بن أحمـد بن العلقمى و لم يحضـر الحرب بل كان ملازما ديوان الخلافة بالحضـرة لكنه كان يمد العسـكر الإسـلامى من آرائه وتـدبيراته بمـا ينتهون إليه ويقفون عنـده فحملت التتار على عسـكر بغـداد حملات متتابعـة ظنوا أن واحـدة منهـا تهزمهم لأنـهم قـداعتادوا أنه لاـيقف عسـكر من العساكر بين أيـديهم و أن الرعب والخوف منهم يكفى ويغنى عن مباشـرتهم الحرب بأنفسهم فثبت لهم عسكر بغداد أحسن ثبوت ورشقوهم بالسهام ورشقت التتار أيضا بسهامها وأنزل الله سكينته على عسـكر بغداد وأنزل بعدالسكينة نصـره فما زال العسـكر البغدادى تظهر عليه أمارات القوة وتظهر على التتار أمارات الضعف والخذلان إلى أن حجز الليل بين الفريقين و لم يصـطدم الفيلقان وإنما [صفحه ۲۴۱] كانت مناوشات وحملات خفيفة لاتقتضى الاتصـال والممازجـة ورشق بالنشاب شديـد. فلما أظلم الليل أوقـد التتار نيرانا عظيمـة وأوهموا أنهم مقيمون عنـدها وارتحلوا فى الليـل راجعين إلى جهـة بلادهم فأصـبح العسـكر البغـدادى فلم ير منهم عينـا و لاـأثرا و مـازالوا يطوون المنازل ويقطعون القرى عائدين حتى دخلوا الدربند ولحقوا ببلادهم . و كان ماجرى من دلائل النبوة لأن الرسول ص وعد هذه الملة بالظهور والبقاء إلى يوم القيامـة و لوحدث على بغداد منهم حادثة كماجرى على غيرها من البلاد لانقرضت ملة الإسـلام و لم يبق لها باقية. و إلى أن بلغنا من هذاالشـرح إلى هـذاالموضع لم يـذعر العراق منهم ذاعر بعـدتلك النوبـة التى قـدمنا ذكرها. قلت و قدلاح لى من فحوى كلام أمير المؤمنين ع أنه لابأس على بغـداد والعراق منهم و أن الله تعالى يكفى هـذه المملكـة شـرهم ويرد عنها كيدهم و ذلك من قوله ع و يكون هناك اسـتحرار قتل فأتى بالكاف وهى إذاوقعت عقيب الإشارة أفادت البعد تقول للقريب هنا وللبعيد هناك و هـذامنصوص عليه فى العربية و لو كان لهـم اسـتحرار قتل فى العراق لما قال هناك بل كان يقول هنا لأنه ع خطب بهذه الخطبة فى البصـرة ومعلوم أن البصـرة وبغـداد شـىءواحد وبلـد واحـد لأنهمـا جميعـا مـن إقليـم العراق وملكهمـا ملـك واحـد فيلمح هـذاالموضع فـإنه لطيف . [صـفحه ۲۴۲] وكتبت إلى مؤيـد الـدين الوزير عقيب هـذه الوقعـة التى نصـر فيهاالإسـلام ورجع التتر مخذولين ناكصـين على أعقابهم أبياتا أنسب إليه الفتح وأشير إلى أنه هو ألذى قام بذلك و إن لم يكن حاضرا له بنفسه وأعتذر إليه عن الإغبـاب بمـديحه فقـد كـانت الشواغـل والقواطع تصـد عن الانتصـاب لـذلك أبقى لنا الله الوزير وحاطه || بكتائب من نصـره ومقـانب وامتـد وارف ظله لنزيله || وصـفت متون غـديره للشـارب ياكـالئ الإسـلام إذ نزلت به || فرغـاء تشـهق بالنجيع السالب فى خطـة بهماء ديموميـة || لايهـدى فيهاالسليك للاحب لايمتطى سـلساتها مرهوبـة || الإبساس جلس لاتـدر لعاصـب فرجت غمرتها بقلب ثابت || فى حملـة ذعرى ورأى ثاقب ماغبت ذاك اليوم عن تـدبيرها || كم حاضـر يعصـى بسيف الغائب عمر ألذى فتح العراق وإنما || سـعد حسام فى يمين الضارب أثنى عليك ثناء غيرموارب || وأجيد فيك المدح غيرمراقب و أنا

ألـذى يهواك حبـا صادقـا || متقادمـا ولرب حب كاذب حبا ملأت به شـعاب جوانحى || يفعا وها أناذو عـذار شائب [صـفحه ۲۴۳] إن القريض و إن أغب متيم || بكم ورب مجـانب كمواظب ولقـد يخالصـك القصـى وربما || يمنى بود مماذق متقارب سـدت مسـالكه هموم جعجعت || بـالفكر حتى لاـيبض لحـالب و من العناء مغلب فى حظه || يبغى مغالبـة القضاء الغالب وهى طويلة وإنما ذكرنا منها مااقتضته الحال [صفحه ۲۴۴]

۱۲۹- و من خطبة له ع فى ذكر المكاييل والموازين

اشاره

عِبَادَ اللّهِ إِنّكُم وَ مَا تَأمُلُونَ مِن هـَذِهِ الـدّنيَا أَثوِيَاءُ مُؤَجّلُونَ وَ مَـدِينُونَ مُقتَضَونَ أَجَلٌ مَنقُوصٌ وَ عَمَلٌ مَحفُوظٌ فَرُبّ دَائِبٍ مُضَـيّعٌ وَ رُبّ كَادِحٍ خَاسِـرٌ وَ قَـد أَصـبَحتُم فِي زَمَنٍ لَا يَزدَادُ الخَيرُ فِيهِ إِلّا إِدبَاراً وَ الشّـرّ إِلّا إِقبَالًا وَ الشّـيطَانُ فِي هَلَاكِ النّاسِ إِلّا طَمَعاً فَهـَذَا أَوَانٌ قَوِيَت عُدّتُهُ وَ عَمّت مَكِيدَتُهُ وَ أَمكَنَت فَرِيسَـتُهُ اضرِب بِطَرفِكَ حَيثُ شِـئتَ مِنَ النّاسِ فَهَل تُبصِرُ إِلّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقراً أَو غَنِيّاً بَـدّلَ نِعمَةَ اللّهِ كُفراً أَو بَخِيلًا اتّخَذَ البُخلَ بِحَقّ اللّهِ وَفراً أَو مُتَمَرّداً كَأَنّ بِأُذُنِهِ عَن سَـمعِ المَوَاعِظِ وَقراً أَينَ أَخيَارُكُم وَ صُـلَحَاؤُكُم وَ أَينَ أَحرَارُكُم وَ سُمَحَاؤُكُم وَ أَينَ المُتَوَرّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِم وَ المُتَنَزّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِم أَ لَيسَ قَد ظَعَنُوا جَمِيعاً عَن هَذِهِ الدّنيَا الدّنِيّةِ وَ العَاجِلَـةِ المُنَغّصَـةِ وَ هَـل خُلّفتُم إِلّا فِي حُثَالَـةٍ لَا تلتَقِي بِـذَمّهِمُ الشّـفَتَانِ استِصـغَاراً لِقَـدرِهِم وَ ذَهَاباً عَن ذِكرِهِم فَإِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ ظَهَرَ الفَسَـادُ فَلَا مُنكِرٌ مُغَيّرٌ وَ لَا زَاجِرٌ مُزدَجِرٌ أَ فَبِهـَذَا تُرِيـدُونَ أَن تُجَاوِرُوا اللّهَ فِي دَارِ قُـدسِهِ وَ تَكُونُوا أَعَزّ أَولِيَائِهِ عِنـدَهُ هَيهَـاتَ لَا يُخـدَعُ اللّهُ عَن جَنّتِهِ وَ لَا تُنَالُ مَرضَاتُهُ إِلّا بِطَاعَتِهِ [صـفحه ۲۴۵] لَعَنَ اللّهُ الآمِـرِينَ بِـالمَعرُوفِ التّارِكِينَ لَهُ وَ النّاهِينَ عَنِ المُنكَرِ العَـامِلِينَ بِهِ أثويـاء جمـع ثـوى و هوالضـيف كقـوى وأقويـاء ومؤجلـون مـؤخرون إلى أجـل أى وقت معلـوم . ومـدينون مقرضون دنت الرجل أقرضـته فهو مدين ومديون ودنت أيضا إذااستقرضت وصارت على دين فأنا دائن وأنشد ندين ويقضى الله عنا و قدنرى || مصارع قوم لايدينون ضيعا . ومقتضون جمع مقتضى أى مطالب بأداء الدين كمرتضون جمع مرتضى ومصطفون جمع مصـطفى . و قوله أجـل منقوص أى عمر و قـدجاء عنهم أطال الله أجلك أى عمرك وبقاءك والـدائب المجتهـد ذو الجد والتعب والكـادح السـاعى. ومثـل قوله فرب دائب مضـيع ورب كادح خاسـر قول الشاعر إذا لم يكن عون من الله للفتى || فأكثر مـايجنى عليه اجتهـاده . ومثله إذا لم يكن عون من الله للفتى || أتته الرزايـا من وجوه الفوائـد . و هوكثير والأصل فيه قوله تعالى وُجُوهٌ يَومَئِذٍ خاشِـعَةٌ عامِلَةٌ ناصِـبَةٌ تَصلى ناراً حامِيَةً ويروى فرب دائب مضيع بغير تشديد. -قرآن-۳۷-۱۰۱ [صفحه ۲۴۶] و قوله وأمكنت فريسـته أى وأمكنته فحذف المفعول . و قوله فاضـرب بطرفك لفظة فصـيحة و قدأخذها الشاعر فقال فاضـرب بطرفك حيث شـئت فلن ترى || إلابخيلا ... والوفر المال الكثير أى بخل و لم يؤد حق الله سبحانه فكثر ماله . والوقر بفتح الواو الثقل فى الأذن وروى المنغصـة بفتـح الغين .الحثالـة الساقط الردىء من كل شـىء. و قوله لاتلتقى بـذمهم الشـفتان أى يأنف الإنسان أن يذمهم لأنه لابد فى الذم من إطباق أحد الشـفتين على الأخرى وكذلك فى كل الكلام . وذهابا عن ذكرهم أى ترفعا يقال فلان يـذهب بنفسه عن كـذا أى يرفعهـا. و لاـزاجر مزدجر أى ليس فى الناس من يزجر عن القبيـح وينزجر هو عنه . ودار القـدس هى الجنـة و لايخـدع الله عنهـا لأـنه لاتخفى عليه خافيـة و لايجوز عليه النفاق والتمويه ثم لعن الآمر بالمعروف و لايفعله والناهى عن المنكر ويرتكبـه و هـذا من قـوله تعـالى أَ تَـأمُرُونَ النّـاسَ بِـالبِرّ وَ تَنسَـونَ أَنفُسَـكُم. ولست أرى فى هـذه الخطبـة ذكرا للمـوازين والمكاييـل الـتى أشـار إليهـا الرضـى رحمه الله أللهم إلاـ أن يكـون قـوله ع وأين المتورعـون فى مكاسـبهم أو قـوله ظهر الفسـاد

ودلالتهما على الموازين والمكاييل بعيدة -قرآن-٦٣٠-٦٨٢

نبذ من أقوال الحكماء والصالحين

واعلم أن هذه الخطبة قداشتملت على كلام فصيح وموعظة بالغة من ذكر الدنيا [صفحه ٢٤٧] وذكر أهلها ونحن نذكر كلمات وردت عن الحكماء والصالحين تناسبها على عادتنا فى إيراد الأشباه والنظائر. قال بعض الصالحين ماأدرى كيف أعجب من الدنيا أ من حسن منظرها وقبح مخبرها أم من ذم الناس لها وتناحرهم عليها قيل لبعضهم كيف أصبحت قال آسفا على أمسى كارها ليومى متهما لغدى.قيل لأعرابى كيف ترى الدهر قال خدوعا خلوبا وثوبا غلوبا.قيل لصوفى لم تركت الدنيا قال لأنى منعت صفوها وامتنعت من كدرها. وقيل لآخر لم تركت الدنيا قال لأنى عدمت الوسيلة إليها إلابعشقها وأعشق ماأكون لها أغدر ماتكون بى وأنشد لبشر الحافى قرير العين لاولد يموت || و لاحذر يبادر مايفوت رخى البال ليس له عيال || خلى من حربت و من دهيت قضى وطر الصبا وأفاد علما || فعاتبه التفرد والسكوت وأكبر همه مما عليه || تذابح من ترى خلق وقوت . قال أبوحيان سمعت ابن القصاب الصوفى يقول اسمع واسكت وانظر وأعجب قال ابن المعتز مل سقامى عوده || وخان دمعى مسعده وضاع من ليلى غده || طوبى لعين تجده قلت من الدهر يده || يفنى ويبقى أبده والموت ضار أسده || وقاتل من يلده . [صفحه ٢٤٨] و من الشعر القديم المختلف فى قائله قصر الجديد إلى بلى || والوصل فى الدنيا انقطاعه أى اجتماع لم يعد || بتفرق منها اجتماعه أم أى شعب ذى التئام || لم يبدده انصداعه أم أى منتفع بشىء || ثم تم له انتفاعه يابؤس للدهر ألذى || مازال مختلفا طباعه قدقيل فى مثل خلا || يكفيك من شر سماعه .قيل لصوفى كيف ترى الدنيا قال و ماالدنيا لاأعرف لها وجودا قيل له فأين قلبك قال عندربى قيل فأين ربك قال وأين ليس هو قال ابن عائشة كان يقال مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدا الذنوب ومجالسة ذوى المروءات تدل على مكارم الأخلاق ومجالسة العلماء تزكى النفوس . و من كلام بعض الحكماء الفصحاء كن لنفسك نصيحا واستقبل توبة نصوحا وازهد فى دار سمها ناقع وطائرها واقع وارغب فى دار طالبها منجح وصاحبها مفلح ومتى حققت وآثرت الصدق بان لك أنهما لايجتمعان وأنهما كالضدين لايصطلحان فجرد همك فى تحصيل الباقية فإن الأخرى أنت فان عنها وهى فانية عنك و قدعرفت آثارها فى أصحابها ورفقائها وصنعها بطلابها وعشقائها معرفة عيان فأى حجة تبقى لك و أى حجة لاتثبت عليك و من كلام هذاالحكيم فإنا قدأصبحنا فى دار رابحها خاسر ونائلها قاصر وعزيزها ذليل وصحيحها عليل والداخل إليها مخرج والمطمئن فيهامزعج والذائق من شرابها سكران والواثق بسرابها ظمآن ظاهرها غرور وباطنها شرور وطالبها [صفحه ٢٤٩] مكدود وعاشقها مجهود وتاركها محمود العاقل من قلاها وسلا عنها والظريف من عافها وأنف منها والسعيد من غمض بصره عن زهرتها وصرفه عن نضرتها و ليس لها فضيلة إلادلالتها على نفسها وإشارتها إلى نقصها ولعمرى إنها لفضيلة لوصادفت قلبا عقولا لالسانا قئولا وعملا مقبولا لالفظا منقولا فإلى الله الشكوى من هوى مطاع وعمر مضاع فيبده الداء والدواء والمرض والشفاء. قال أبوحرة أتينا بكر بن عبد الله المرى نعوده فدخلنا عليه و قدقام لحاجته فجلسنا ننتظره فأقبل إلينا يتهادى بين رجلين فلما نظر إلينا سلم علينا ثم قال رحم الله عبدا أعطى قوة فعمل بها فى طاعة الله أوقصر به ضعف فكف عن محارم الله . و قال بكر بن عبد الله مثل الرجل فى الدنيا مثل رجل له ثلاثة خلان قال له أحدهم أناخازنك خذ منى ماشئت فاعمل به ماشئت و قال الآخر أنامعك أحملك وأضعك فإذامت تركتك و قال الآخر أناأصحبك أبدا حياتك وموتك فأما الأول فماله و أماالثانى فعشيرته و أماالثالث فعمله .قيل للزهرى من الزاهد فى الدنيا قال من لم يمنع الحلال شكره و من لم يمنع الحرام صبره . و قال سفيان الثورى ما عبد الله بمثل العقل و لا يكون الرجل عاقلا حتى تكون فيه عشر خصال يكون الكبر

منه مأمونـا والخير منه مأمولاـ يقتـدى بمن قبله و يكون إماما لمن بعـده و حـتى يكون الـذل فى طاعـة الله أحب إليه من العز فى معصـية الله و حـتى يكون الفقر فى الحلال أحب إليه من الغنى فى الحرام و حـتى يكون عيشـة القوت و حتى يسـتقل الكثير من عمله ويسـتكثر القليل من عمل غيره و حتى لايتبرم بطلب الحوائج [صـفحه ٢٥٠] قبله والعاشـرة و مااالعاشـرة بهاشاد مجده وعلا ذكره أن يخرج من بيته فلايسـتقبله أحد من الناس إلارأى أنه دونه . قال يونس بن حبيب كان عندنا بالبصـرة جندى عابد فأحب الغزو فلمـا خرج شـيعته فقلت أوصـنى فقال أوصـيك بتقوى الله وأوصـيك بالقرآن فإنه نور الليل المظلم وهـدى النهار المشـرق فاعمـل به على مـا كـان من جهـد وفاقـة فـإن عرض بلاـء فقـدم مالك دون نفسك فإن تجاوز البلاء فقـدم مالك ونفسك دون دينـك واعلم أن المحروب من حرب دينه والمسـلوب من سـلب يقينه إنه لاـغنى مع النـار و لاـفقر مع الجنـة و إن جهنم لايفك أسـيرها و لايسـتغنى فقيرها. ابن المبارك كان فيما مضى جبار يقتل الناس على أكل لحوم الخنازير فلم يزل الأمر يترقى حتى بلغ إلى عابـد مشـهور فـأراده على أكلهـا وهـدده بالقتـل فشق ذلـك على النـاس فقال له صاحب شـرطته إنى ذابـح لك غـدا جـديا فإذادعـاك هـذاالجبار لتأكـل فكـل فإنمـا هوجـدى فلما دعاه ليأكل أبى أن يأكل فقال أخرجوه واضـربوا عنقه فقال له الشـرطى مامنعك أن تأكل من لحم جدى قال إنى رجل منظور إلى وإنى كرهت أن يتأسـى بى الناس فى معاصـى الله فقدمه فقتله .سفيان الثورى كـان رجـل يبكى كثيرا فقـال له أهله لوقتلت قتيلا ثم أتيت وليه فرآك تبكى هـذاالبكاء لعفا عنك فقال قـدقتلت نفسـى فلعـل وليهـا يعفو عنى. و كـان أيوب السـختيانى كثير البكـاء و كان يغالط الناس عن بكائه يبكى مرة فيأخـذ أنفه و يقول الزكمة ربما عرضت لى ويبكى مرة فإذااستبان من حوله بكاءه قال إن الشيخ إذاكبر مج . [صفحه ٢٥١] و من كلام أبى حيان التوحيدى فى البصـائر مـاأقول فى عـالم الساكن فيه وجل والصاحى بين أهله ثمل والمقيم على ذنوبه خجل والراحل عنه مع تماديه عجل و إن دارا هذه من آفاتها وصروفها لمحقوقة بهجرانها وتركها والصدوف منها خاصة و لاسبيل لساكنها إلى دار القرار إلابالزهد فيها والرضا بالطفيف منها كبلغة الثاوى وزاد المنطلق [صفحه ٢٥٢]

١٣٠– و من كلام له ع لأبى ذر رحمه الله لماأخرج إلى الربذة

اشاره

يَا أَبَا ذَرّ إِنّکَ غَضِبتَ لِلّهِ فَارجُ مَن غَضِبتَ لَهُ إِنّ القَومَ خَافُوکَ عَلَى دُنيَاهُم وَ خِفتَهُم عَلَى دِينِکَ فَاترُکْ فِي أَيدِيهِم مَا خَافُوکَ عَلَيهِ وَ اهرُب مِنهُم بِمَا خِفتَهُم عَلَيهِ فَمَا أَحوَجَهُم إِلَى مَا مَنَعتَهُم وَ أَغنَاکَ عَمّا مَنَعُوکَ وَ سَتَعلَمُ مَنِ الرّابِحُ غَداً وَ الأَکثَرُ حَسَداً وَ لَو أَنّ السّمَاوَاتِ وَ الأَرَضِينَ کَانَتَا عَلَى عَبدٍ رَتقاً ثُمّ اتّقَى اللّهَ لَجَعَلَ اللّهُ لَهُ مِنهُمَا مَخرَجاً لَا يُؤنِسَنّکَ إِلّا الحَقّ وَ لَا يُوحِشَنّکَ إِلّا البَاطِلُ فَلَو قَبِلتَ دُنيَاهُم لَأَحَبّوکَ وَ لَو قَرَضتَ مِنهَا لَأَمّنُوکَ

أخبار أبى ذر الغفارى حين خروجه إلى الربذة

واقعـة أبى ذر رحمـه الله وإخراجه إلى الربـذة أحـد الأحـداث الـتى نقمت على عثمـان و قـدروى هـذاالكلام أبـوبكر أحمـد بن عبـدالعزيز الجوهرى فى كتـاب السـقيفة عن عبـدالرزاق عن أبيه عن عكرمـة عن ابن عبـاس قـال لماأخرج أبوذر إلى الربـذة أمر عثمـان فنودى فى النـاس ألاـ يكلم أحـد أبـاذر و لايشـيعه وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به فخرج به وتحامـاه الناس إلا على [

صفحه ۲۵۳] بن أبی طالب ع وعقیلا أخاه وحسنا وحسینا ع وعمارا فإنهم خرجوا معه یشیعونه فجعل الحسن ع یکلم أباذر فقال له مروان إیها یاحسن أ لاتعلم أن أمیر المؤمنین قدنهی عن کلام هذا الرجل فإن کنت لاتعلم فاعلم ذلک فحمل علی ع علی مروان فضرب بالسوط بین أذنی راحلته و قال تنح لحاک الله إلی النار.فرجع مروان مغضبا إلی عثمان فأخبره الخبر فتلظی علی علی ع ووقف أبوذر فودعه القوم ومعه ذکوان مولی أم هانئ بنت أبی طالب . قال ذکوان فحفظت کلام القوم و کان حافظا فقال علی ع یا أباذر إنک غضبت لله إن القوم خافوک علی دنیاهم وخفتهم علی دینک فامتحنوک بالقلی ونفوک إلی الفلا و الله لوکانت السماوات و الأرض علی عبدرتقا ثم اتقی الله لجعل له منها مخرجا یا أباذر لایؤنسنک إلاالحق و لایوحشنک إلاالباطل ثم قال لأصحابه ودعوا عمکم و قال لعقیل ودع أخاک .فتکلم عقیل فقال ماعسی أن نقول یا أباذر و أنت تعلم أنانحبک و أنت تحبنا فاتق الله فإن التقوی نجاة واصبر فإن الصبر کرم واعلم أن استثقالک الصبر من الجزع واستبطاءک العافیة من الیأس فدع الیأس والجزع . ثم تکلم الحسن فقال یاعماه لو لا أنه لاینبغی للمودع أن یسکت وللمشیع أن ینصرف لقصر الکلام و إن طال الأسف و قدأتی القوم إلیک ماتری فضع عنک الدنیا بتذکر فراغها وشدة مااشتد منها برجاء مابعدها واصبر حتی تلقی نبیک ص و هوعنک راض . ثم تکلم الحسین ع فقال یاعماه إن الله تعالی قادر أن یغیر ما قدتری [صفحه ۲۵۴] و الله کل یوم هو فی شأن و قدمنعک القوم دنیاهم ومنعتهم دینک فما أغناک عما منعوک وأحوجهم إلی مامنعتهم فاسأل الله الصبر والنصر واستعذ به من الجشع والجزع فإن الصبر من الدین والکرم و إن الجشع لایقدم رزقا والجزع لایؤخر أجلا. ثم تکلم عمار رحمه الله مغضبا فقال لاآنس الله من أوحشک و لاآمن من أخافک أما و الله لوأردت دنیاهم لأمنوک و لورضیت أعمالهم لأحبوک و مامنع الناس أن یقولوا بقولک إلاالرضا بالدنیا والجزع من الموت مالوا إلی ماسلطان جماعتهم علیه والملک لمن غلب فوهبوا لهم دینهم ومنحهم القوم دنیاهم فخسروا الدنیا والآخرة إلا ذلک هوالخسران المبین .فبکی أبوذر رحمه الله و کان شیخا کبیرا و قال رحمکم الله یا أهل بیت الرحمة إذارأیتکم ذکرت بکم رسول الله ص ما لی بالمدینة سکن و لاشجن غیرکم إنی ثقلت علی عثمان بالحجاز کماثقلت علی معاویة بالشام وکره أن أجاور أخاه و ابن خاله بالمصرین فأفسد الناس علیهما فسیرنی إلی بلد لیس لی به ناصر و لادافع إلا الله و الله ماأرید إلا الله صاحبا و ماأخشی مع الله وحشة. ورجع القوم إلی المدینة فجاء علی ع إلی عثمان فقال له ماحملک علی رد رسولی وتصغیر أمری فقال علی ع أمارسولک فأراد أن یرد وجهی فرددته و أماأمرک فلم أصغره . قال أ مابلغک نهیی عن کلام أبی ذر قال أ وکلما أمرت بأمر معصیة أطعناک فیه قال عثمان أقد مروان من نفسک قال مم ذا قال من شتمه وجذب راحلته قال أماراحلته فراحلتی بها و أماشتمه إیای فو الله لایشتمنی شتمه إلاشتمتک مثلها لاأکذب علیک . [صفحه ۲۵۵] فغضب عثمان و قال لم لایشتمک کأنک خیر منه قال علی إی و الله ومنک ثم قام فخرج .فأرسل عثمان إلی وجوه المهاجرین والأنصار و إلی بنی أمیة یشکو إلیهم علیا ع فقال القوم أنت الوالی علیه وإصلاحه أجمل قال وددت ذاک فأتوا علیا ع فقالوا لواعتذرت إلی مروان وأتیته فقال کلا أمامروان فلاآتیه و لاأعتذر منه ولکن إن أحب عثمان أتیته .فرجعوا إلی عثمان فأخبروه فأرسل عثمان إلیه فأتاه ومعه بنو هاشم فتکلم علی ع فحمد الله وأثنی علیه ثم قال أما ماوجدت علی فیه من کلام أبی ذر ووداعه فو الله ماأردت مساءتک و لاالخلاف علیک ولکن أردت به قضاء حقه و أمامروان فإنه اعترض یرید ردی عن قضاء حق الله عز و جل فرددته رد مثلی مثله و أما ما کان منی إلیک فإنک أغضبتنی فأخرج الغضب منی ما لم أرده –روایت-۱-۳۱۶ .فتکلم عثمان فحمد الله وأثنی علیه ثم قال أما ما کان منک إلی فقد وهبته لک و أما ما کان منک إلی مروان فقد عفا الله عنک و أما ماحلفت علیه فأنت البر الصادق فأدن یدک فأخذ یده فضمها إلی صدره . فلما نهض قالت قریش وبنو أمیة لمروان أ أنت رجل جبهک علی وضرب راحلتک و قدتفانت وائل فی ضرع ناقة وذبیان وعبس فی لطمة فرس والأوس والخزرج فی نسعة أفتحمل لعلی ع ماأتاه إلیک فقال مروان و الله لوأردت ذلک لماقدرت علیه . واعلم أن الذی علیه أکثر

أربـاب السـيرة وعلمـاء الأخبار والنقل أن عثمان نفى [صـفحه ۲۵۶] أبـاذر أولا إلى الشام ثم اسـتقدمه إلى المدينـة لماشـكا منه معاويـة ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لماعمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام .أصل هذه الواقعة أن عثمان لماأعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال واختص زيد بن ثابت بشـيء منها جعل أبوذر يقول بين الناس و فى الطرقات والشوارع بشر الكافرين بعـذاب أليم ويرفع بـذلك صوته ويتلو قوله تعالى وَ الَّـذِينَ يَكنِزُونَ الـذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لا يُنفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرهُم بِعَذابٍ أَلِيمٍفرفع ذلـك إلى عثمـان مرارا و هوسـاكت . ثم إنه أرسـل إليه مولى من مواليه أن انته عما بلغنى عنك فقال أبوذر أ وينهانى عثمـان عن قراءة كتـاب الله تعـالى وعيب من ترك أمر الله تعالى فو الله لأن أرضـى الله بسـخط عثمان أحب إلى وخير لى من أن أسـخط الله برضـا عثمان .فأغضب عثمان ذلك وأحفظه فتصابر وتماسك إلى أن قال عثمان يوما و الناس حوله أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئا قرضا فإذاأيسر قضى فقال كعب الأحبار لابأس بذلك فقال أبوذر يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا فقال عثمان قدكثر أذاك لى وتولعك بأصحابى الحق بالشام فأخرجه إليها.فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار فقال أبوذر لرسوله إن كانت من عطائى ألذى حرمتمونيه عامى هذاأقبلها و إن كانت صلة فلاحاجة لى فيها وردها عليه . ثم بنى معاويـة الخضـراء بـدمشق فقال أبوذر يامعاويـة إن كانت هـذه من مال الله فهى الخيانـة و إن كانت من مالك فهى الإسـراف و كـان أبوذر يقول بالشام و الله لقـد حـدثت أعمال ماأعرفها و الله ماهى فى كتاب الله و لاسنة نبيه ص -قرآن-۳۶۳-۴۷۱ [صـفحه ۲۵۷] و الله إنى لأـرى حقـا يطفـأ وباطلا يحيا وصادقا مكـذبا وأثرة بغير تقى وصالحا مسـتأثرا عليه . قال حبيب بن مسلمة الفهرى لمعاويـة إن أباذر لمفسـد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة. وروى شـيخنا أبوعثمان الجاحظ فى كتاب السـفيانية عن جلام بن جنـدل الغفارى قال كنت غلاما لمعاويـة على قنسـرين والعواصم فى خلافة عثمان فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملى إذ سـمعت صارخا على باب داره يقول أتتكم القطار تحمل النار أللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين له أللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له فازبأر معاويـة وتغير لونه و قال ياجلام أتعرف الصارخ فقلت أللهم لا قال من عذيرى من جندب بن جنادة يأتينا كل يوم فيصـرخ على باب قصرنا بما سمعت ثم قال أدخلوه على فجيء بأبى ذر بين قوم يقودونه حتى وقف بين يـديه فقال له معاويـة ياعدو الله وعدو رسوله تأتينا فى كل يوم فتصـنع ماتصـنع أماأنى لوكنت قاتل رجل من أصـحاب محمـد من غيرإذن أمير المؤمنين عثمـان لقتلتك ولكنى أسـتأذن فيك قال جلام وكنت أحب أن أرى أباذر لأنه رجل من قومى فالتفت إليه فإذا رجل أسـمر ضـرب من الرجال خفيف العارضـين فى ظهره جنأ فأقبل على معاوية و قال ما أنابعدو لله و لالرسوله بـل أنت وأبوك عـدوان لله ولرسوله أظهرتمـا الإسـلام وأبطنتمـا الكفر ولقـد لعنـك رسول الله ص ودعـا عليك مرات ألا تشبع سمعت رسول الله ص يقول إذاولى الأمـة الأعين الواسع البلعوم ألـذى يأكل و لايشـبع فلتأخـذ الأمـة حـذرها منه -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۱۱۴ فقال معاوية ما أناذاك [صـفحه ۲۵۸] الرجـل قال أبوذر بل أنت ذلك الرجل أخبرنى بـذلك رسول الله ص و سمعته يقول و قدمررت به أللهم العنه و لاتشبعه إلابالتراب -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۶۶ سمعته ص يقول است معاوية فى النار -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۳۹ فضحك معاوية وأمر بحبسه وكتب إلى عثمان فيه .فكتب عثمان إلى معاوية أن احمل جندبا إلى على أغلـظ مركب وأوعره فوجه به مع من سـار به الليـل والنهـار وحمله على شـارف ليس عليهـا إلاقتب حتى قـدم به المدينـة و قدسـقط لحم فخـذيه من الجهـد. فلما قـدم بعث إليه عثمان الحق بأى أرض شـئت قال بمكة قال لا قال بيت المقدس قال لا قال بأحد المصـرين قال لا ولكنى مسـيرك إلى ربذة فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات . و فى رواية الواقدى أن أباذر لمادخل على عثمان قال له لاأنعم الله بقين عينا || نعم و لالقاه يوما زينا تحيـة السـخط إذاالتقينا فقال أبوذر ماعرفت اسـمى قينا قط و فى رواية أخرى لاـأنعم الله بـك عينـا ياجنيـدب فقال أبوذر أناجنـدب وسـمانى رسول الله ص عبـد الله فاخترت اسم رسول الله ص ألـذى سمـانى به على اسـمى فقـال له عثمـان أنت ألـذى تزعم أنـانقول يـد الله مغلولـة و إن الله فقير ونحن أغنيـاء فقـال أبـوذر لـوكنتم

لاتقولون هذاالأنفقتم مال الله على عباده ولكنى أشهد أنى سمعت رسول الله ص يقول إذابلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباده خولا ودينه دخلا -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۱۱۲ . فقال عثمان لمن حضر أسمعتموها من رسول الله قالوا لا قال عثمان ويلك يا أباذر أتكذب على رسول الله فقال أبوذر لمن حضر أ ماتدرون أنى صدقت قالوا لا و الله [صفحه ۲۵۹] ماندرى فقال عثمان ادعوا لى عليا فلما جاء قال عثمان لأبى ذر اقصص عليه حديثك فى بنى أبى العاص فأعاده فقال عثمان لعلى ع أسمعت هذا من رسول الله ص قال لا و قدصدق أبوذر فقال كيف عرفت صدقه قال لأنى سمعت رسول الله ص يقول ماأظلت الخضراء و لاأقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۹۳ فقال من حضر أما هذافسمعناه كلنا من رسول الله فقال أبوذر أحدثكم أنى سمعت هذا من رسول الله ص فتتهموننى ماكنت أظن أنى أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمدص . وروى الواقدى فى خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين قال رأيت أباذر يوم دخل به على عثمان فقال له أنت ألذى فعلت وفعلت فقال أبوذر نصحتك فاستغششتنى ونصحت صاحبك فاستغشنى قال عثمان كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها قدانغلت الشام علينا فقال له أبوذر اتبع سنة صاحبيك لايكن لأحد عليك كلام فقال عثمان ما لك و ذلك لاأم لك قال أبوذر و الله ماوجدت لى عذرا إلاالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فغضب عثمان و قال أشيروا على فى هذاالشيخ الكذاب إما أن أضربه أوأحبسه أوأقتله فإنه قدفرق جماعة المسلمين أوأنفيه من أرض الإسلام فتكلم على ع و كان حاضرا فقال أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون وَ إِن يَكُ كاذِباً فَعَلَيهِ كَذِبُهُ وَ إِن يَكُ صادِقاً يُصِبكُم بَعضُ ألّذِى يَعِدُكُم إِنّ اللّهَ لا يهَديِ مَن هُوَ مُسرِفٌ كَذّابٌفأجابه عثمان بجواب غليظ وأجابه على ع بمثله و لم نذكر الجوابين تذمما منهما. قال الواقدى ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أباذر أويكلموه فمكث -قرآن-۸۰۰-۹۳۷ [صفحه ۲۶۰] كذلك أياما ثم أتى به فوقف بين يديه فقال أبوذر ويحك ياعثمان أ مارأيت رسول الله ص ورأيت أبابكر وعمر هل هديك كهديهم أماإنك لتبطش بى بطش جبار فقال عثمان اخرج عنا من بلادنا فقال أبوذر ماأبغض إلى جوارك فإلى أين أخرج قال حيث شئت قال أخرج إلى الشام أرض الجهاد قال إنما جلبتك من الشام لما قدأفسدتها أفأردك إليها قال أفأخرج إلى العراق قال لاإنك إن تخرج إليها تقدم على قوم أولى شبه وطعن على الأئمة والولاة قال أفأخرج إلى مصر قال لا قال فإلى أين أخرج قال إلى البادية قال أبوذر أصير بعدالهجرة أعرابيا قال نعم قال أبوذر فأخرج إلى بادية نجد قال عثمان بل إلى الشرق الأبعد أقصى فأقصى امض على وجهك هذا فلاتعدون الربذة فخرج إليها. و روى الواقدى أيضا عن مالك بن أبى الرجال عن موسى بن ميسرة أن أباالأسود الدؤلى قال كنت أحب لقاء أبى ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة فجئته فقلت له أ لاتخبرنى أخرجت من المدينة طائعا أم أخرجت كرها فقال كنت فى ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم فأخرجت إلى المدينة فقلت دار هجرتى وأصحابى فأخرجت من المدينة إلى ماترى ثم قال بينا أناذات ليلة نائم فى المسجد على عهد رسول الله ص إذ مر بى ع فضربنى برجله و قال لاأراك نائما فى المسجد فقلت بأبى أنت وأمى غلبتنى عينى فنمت فيه قال فكيف تصنع إذاأخرجوك منه قلت إذاألحق بالشام فإنها أرض مقدسة وأرض الجهاد قال فكيف تصنع إذاأخرجت منها قلت أرجع إلى المسجد قال فكيف تصنع -روايت-۱-۲-روايت-۶۵-ادامه دارد [صفحه ۲۶۱] إذاأخرجوك منه قلت آخذ سيفى فأضربهم به فقال أ لاأدلك على خير من ذلك انسق معهم حيث ساقوك وتسمع وتطيع فسمعت وأطعت و أناأسمع وأطيع و الله ليلقين الله عثمان و هوآثم فى جنبى -روايت-از قبل-۱۹۳ . واعلم أن أصحابنا رحمهم الله قدرووا أخبارا كثيرة معناها أنه أخرج إلى الربذة باختياره . وحكى قاضى القضاة رحمه الله فى المغنى عن شيخنا أبى على رحمه الله أن الناس اختلفوا فى أمر أبى ذر و أن الرواية وردت بأنه قيل له أعثمان أنزلك الربذة فقال لابل أنااخترت لنفسى ذلك . وروى أبو على أيضا أن معاوية كتب يشكوه و هوبالشام فكتب إليه عثمان أن صر إلى المدينة فلما صار إليها قال له ماأخرجك إلى الشام قال إنى سمعت رسول الله ص يقول إذابلغت عمارة المدينة موضع كذا

فاخرج منها فلذلك خرجت فقال أى البلاد أحب إليك بعدالشام قال الربذة فقال صر إليها -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۱۵۵ . وروى الشيخ أبو على أيضا عن زيد بن وهب قال قلت لأبى ذر و هوبالربذة ماأنزلك هذاالمنزل قال أخبرك أنى كنت بالشام فذكرت قوله تعالى وَ الَّذِينَ يَكنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لا يُنفِقُونَها فقال لى معاوية هذه نزلت فى أهل الكتاب فقلت فيهم وفينا فكتب معاوية إلى عثمان فى ذلك فكتب إلى أن أقدم فقدمت عليه فانثال الناس إلى كأنهم لم يعرفونى فشكوت ذلك إلى عثمان فخيرنى و قال انزل حيث شئت فنزلت الربذة. ونحن نقول هذه الأخبار و إن كانت قدرويت لكنها ليست فى الاشتهار -قرآن-۱۴۲-۲۰۳ [صفحه ۲۶۲] والكثرة كتلك الأخبار والوجه أن يقال فى الاعتذار عن عثمان وحسن الظن بفعله أنه خاف الفتنة واختلاف كلمة المسلمين فغلب على ظنه أن إخراج أبى ذر إلى الربذة أحسم للشغب وأقطع لأطماع من يشرئب إلى شق العصا فأخرجه مراعاة للمصلحة ومثل ذلك يجوز للإمام هكذا يقول أصحابنا المعتزلة و هوالأليق بمكارم الأخلاق فقد قال الشاعر إذا ماأتت من صاحب لك زلة || فكن أنت محتالا لزلته عذرا وإنما يتأول أصابنا لمن يحتمل حاله التأويل كعثمان فأما من لم يحتمل حاله التأويل و إن كانت له صحبة سالفة كمعاوية وأضرابه فإنهم لايتأولون لهم إذاكانت أفعالهم وأحوالهم لاوجه لتأويلها و لاتقبل العلاج والإصلاح [صفحه ۲۶۳]

۱۳۱- و من كلام له ع

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ المُختَلِفَةُ وَ القُلُوبُ المُتَشَتِّتَةُ الشّاهِدَةُ أَبدَانُهُم وَ الغَائِبَةُ عَنهُم عُقُولُهُم أَظأَرُكُم عَلَى الحَقّ وَ أَنتُم تَنفِرُونَ عَنهُ نُفُورَ المِعزَى مِن وَعوَعَةِ الأَسَدِ هَيهَاتَ أَن أَطلَعَ بِكُم سِرَارَ العَدلِ أَو أُقِيمَ اعوِجَاجَ الحَقّ أللّهُمّ إِنّكَ تَعلَمُ أَنّهُ لَم يَكُنِ ألّذِي كَانَ مِنّا مُنَافَسَةً فِي سُلطَانٍ وَ لَا التِمَاسَ شَيءٍ مِن فُضُولِ الحُطَامِ وَ لَكِن لِنَرِدَ المَعَالِمَ مِن دِينِكَ وَ نُظهِرَ الإِصلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأمَنَ المَظلُومُونَ مِن عِبَادِكَ وَ تُقَامَ المُعَطّلَةُ مِن حُدُودِكَ أللّهُمّ إِنّي أَوّلُ مَن أَنَابَ وَ سَمِعَ وَ أَجَابَ لَم يَسبِقنِي إِلّا رَسُولُ اللّهِص بِالصّلَاةِ وَ قَد عَلِمتُم أَنّهُ لَا يَنبَغِي أَن يَكُونَ عَلَى الفُرُوجِ وَ الدّمَاءِ وَ المَغَانِمِ وَ الأَحكَامِ وَ إِمَامَةِ المُسلِمِينَ البَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَموَالِهِم نَهمَتُهُ وَ لَا الجَاهِلُ فَيُضِلّهُم بِجَهلِهِ وَ لَا الجَافِي فَيَقطَعَهُم بِجَفَائِهِ وَ لَا الحَائِفُ لِلدّوَلِ فَيَتّخِذَ قَوماً دُونَ قَومٍ وَ لَا المُرتَشِي فِي الحُكمِ فَيَذهَبَ بِالحُقُوقِ وَ يَقِفَ بِهَا دُونَ المَقَاطِعِ وَ لَا المُعَطّلُ لِلسّنّةِ فَيُهلِكَ الأُمّةَ أظأركم أعطفكم ظأرت الناقة ظأرا وهى ناقة مظئورة إذاعطفتها على ولد غيرها [صفحه ۲۶۴] و فى المثل الطعن يظأر أى يعطف على الصلح وظأرت الناقة أيضا إذاعطفت على البو يتعدى و لايتعدى فهى ظئور. والوعوعة الصوت والوعواع مثله . و قوله هيهات أن أطلع بكم سرار العدل يفسره الناس بمعنى هيهات أن أطلعكم مضيئين ومنورين لسرار العدل والسرار آخر ليلة فى الشهر وتكون مظلمة ويمكن عندى أن يفسر على وجه آخر و هو أن يكون السرار هاهنا بمعنى السرور وهى خطوط مضيئة فى الجبهة و قدنص أهل اللغة على أنه يجوز سرر وسرار وقالوا ويجمع سرار على أسرة مثل حمار وأحمرة قال عنترة بزجاجة صفراء ذات أسرة || قرنت بأزهر فى الشمال مفدم يصف الكأس و يقول إن فيهاخطوطا بيضا وهى زجاج أصفر ويقولون برقت أسرة وجهه وأسارير وجهه فيكون معنى كلامه ع هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل وتنجلى أوضاحه ويبرق وجهه ويمكن فيه أيضا وجه آخر و هو أن ينصب سرار هاهنا على الظرفية و يكون التقدير هيهات أن أطلع بكم الحق زمان استسرار العدل واستخفائه فيكون قدحذف المفعول وحذفه كثير. ثم ذكر أن الحروب التى كانت منه لم تكن طلبا للملك و لامنافسة على الدنيا ولكن لتقام حدود الله على وجهها ويجرى أمر الشريعة والرعية على ما كان يجرى عليه أيام النبوة. ثم ذكر أنه سبق المسلمين كلهم إلى التوحيد والمعرفة و لم يسبقه بالصلاة أحد إلا رسول الله ص وهكذا روى جمهور المحدثين و قدتقدم ذكر ذلك . [صفحه ۲۶۵] فإن قلت أى وجه لإدخال هذاالكلام فى

غضون مقصده فى هذه الخطبة فإنها مبنية على ذم أصحابه وتقرير قاعدة الإمامة و أنه لايجوز أن يليها الفاسق و أنه لابد للإمام من صفات مخصوصة عددها ع و كل هذا لاتعلق لسبقه إلى الإسلام قلت بل الكلام متعلق بعضه ببعض من وجهين أحدهما أنه لما قال أللهم إنك تعلم أنى ماسللت السيف طلبا للملك أراد أن يؤكد هذاالقول فى نفوس السامعين فقال أناأول من أسلم و لم يكن الإسلام حينئذ معروفا أصلا و من يكون إسلامه هكذا لا يكون قدقصد بإسلامه إلاوجه الله تعالى والقربة إليه فمن تكون هذه حاله فى مبدإ أمره كيف يخطر ببال عاقل أنه يطلب الدنيا وحطامها ويجرد عليها السيف فى آخر عمره ووقت انقضاء مدة عمره . والوجه الثانى أنه إذا كان أول السابقين وجب أن يكون أقرب المقربين لأنه تعالى قال وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِكَ المُقَرّبُونَ أ لاترى أنه إذا قال الملك العالمون العاملون هم المختصون بنا وجب أن يكون أعلمهم أشدهم به اختصاصا و إذا كان ع أقرب المقربين وجب أن تنتفى عنه الموانع الستة التى جعل كل واحد منها صادا عن الإمامة وقاطعا عن استحقاقها وهى البخل والجهل والجفاء أى الغلظة العصبية فى دولته أى تقديم قوم على قوم والارتشاء فى الحكم والتعطيل للسنة و إذاانتفت عنه هذه الموانع الستة تعين أن يكون هوالإمام لأن شروط الإمامة موجودة فيه بالاتفاق فإذاكانت موانعها عنه منتفية و لم يحصل لغيره اجتماع الشروط وارتفاع الموانع وجب أن يكون هوالإمام لأنه لايجوز خلو العصر من إمام سواء كانت هذه القضية عقلية أوسمعية. -قرآن-٧٦١-٨١١ [صفحه ٢٦٦] فإن قلت أفتراه عنى بهذا قوما بأعيانهم قلت الإمامية تزعم أنه رمز فى الجفاء والعصبية لقوم دون قوم إلى عمر ورمز بالجهل إلى من كان قبله ورمز بتعطيل السنة إلى عثمان ومعاوية و أمانحن فنقول إنه ع لم يعن ذلك وإنما قال قولا كليا غيرمخصوص و هذا هواللائق بشرفه ع وقول الإمامية دعوى لادليل عليها و لايعدم كل أحد أن يستنبط من كل كلام مايوافق غرضه و إن غمض و لايجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقة. والنهمة الهمة الشديدة بالأمر قدنهم بكذا بالضم فهو منهوم أى مولع به حريص عليه يقول إذا كان الإمام بخيلا كان حرصه وجشعه على أموال رعيته و من رواها نهمته بالتحريك فهى إفراط الشهوة فى الطعام والماضى نهم بالكسر. قوله ع فيقطعهم بجفائه أى يقطعهم عن حاجاتهم لغلظته عليهم لأن الوالى إذا كان غليظا جافيا أتعب الرعية وقطعهم عن مراجعته فى حاجاتهم خوفا من بادرته ومعرته . قوله و لاالحائف للدول أى الظالم لها والجائر عليها والدول جمع دولة بالضم وهى اسم المال المتداول به ويقال هذاالفىء دولة بينهم أى يتداولونه والمعنى أنه يجب أن يكون الإمام يقسم بالسوية و لايخص قوما دون قوم على وجه العصبية لقبيلة دون قبيلة أولإنسان من المسلمين دون غيره فيتخذ بذلك بطانة. قوله فيقف بهادون المقاطع المقاطع جمع مقطع و هو ماينتهى الحق إليه أى لاتصل الحقوق إلى أربابها لأجل ماأخذ من الرشوة عليها. [صفحه ٢٦٧] فإن قلت فما باله قال فى المانع السادس فيهلك الأمة و كل واحد من الموانع قبله يفضى إلى هلاك الأمة. قلت كل واحد من الموانع الخمسة يفضى إلى هلاك بعض الأمة و أما من يعطل السنة أصلا فإنه لامحالة مهلك للأمة كلها لأنه إذاعطل السنة مطلقا عادت الجاهلية الجهلاء كماكانت . و قدروى و لاالخائف الدول بالخاء المعجمة ونصب الدول أى من يخاف دول الأيام وتقلبات الدهر فيتخذ قوما دون قوم ظهريا و هذامعنى لابأس به [صفحه ٢٦٨]

١٣٢– و من خطبة له ع

نَحمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَ أَعطَى وَ عَلَى مَا أَبلَى وَ ابتَلَى البَاطِنُ لِكُلّ خَفِيّةٍ وَ الحَاضِرُ لِكُلّ سَرِيرَةٍ العَالِمُ بِمَا تُكِنّ الصّدُورُ وَ مَا تَخُونُ العُيُونُ وَ نَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ غَيرُهُ وَ أَنّ مُحَمّداً ص نَجِيبُهُ وَ بَعِيثُهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السّرّ الإِعلَانَ وَ القَلبُ اللّسَانَ على ماأبلى أى ماأعطى يقال قدأبلاه الله بلاء حسنا أى أعطاه قال زهير جزى الله بالإحسان مافعلا بكم || وأبلاهما خير البلاء ألذى يبلو و أما قوله وابتلى

فالابتلاء إنزال مضرة بالإنسان على سبيل الاختبار كالمرض والفقر والمصيبة و قد يكون الابتلاء بمعنى الاختبار فى الخير إلا أنه أكثر مايستعمل فى الشر. والباطن العالم يقال بطنت الأمر أى خبرته وتكن الصدور تستر و ماتخون العيون ماتسترق من اللحظات والرمزات على غيرالوجه الشرعى. والنجيب المنجب والبعيث المبعوث [صفحه ۲۶۹] مِنهَا فَإِنّهُ وَ اللّهِ الجِدّ لَا اللّعِبُ وَ الحَقّ لَا الكَذِبُ وَ مَا هُوَ إِلّا المَوتُ أَسمَعَ دَاعِيهِ وَ أَعجَلَ حَادِيهِ فَلَا يَغُرّنّكَ سَوَادُ النّاسِ مِن نَفسِكَ وَ قَد رَأَيتَ مَن كَانَ قَبلَكَ مِمّن جَمَعَ المَالَ وَ حَذِرَ الإِقلَالَ وَ أَمِنَ العَوَاقِبَ طُولَ أَمَلٍ وَ استِبعَادَ أَجَلٍ كَيفَ نَزَلَ بِهِ المَوتُ فَأَزعَجَهُ عَن وَطَنِهِ وَ أَخَذَهُ مِن مَأمَنِهِ مَحمُولًا عَلَى أَعوَادِ المَنَايَا يَتَعَاطَى بِهِ الرّجَالُ الرّجَالَ حَملًا عَلَى المَنَاكِبِ وَ إِمسَاكاً بِالأَنَامِلِ أَ مَا رَأَيتُمُ الّذِينَ يَأمُلُونَ بَعِيداً وَ يَبنُونَ مَشِيداً وَ يَجمَعُونَ كَثِيراً أَصبَحَت بُيُوتُهُم قُبُوراً وَ مَا جَمَعُوا بُوراً وَ صَارَت أَموَالُهُم لِلوَارِثِينَ وَ أَزوَاجُهُم لِقَومٍ آخَرِينَ لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ وَ لَا مِن سَيّئَةٍ يُستَعتَبُونَ فَمَن أَشعَرَ التّقوَى قَلبَهُ بَرَزَ مَهَلُهُ وَ فَازَ عَمَلُهُ فَاهتَبِلُوا هَبَلَهَا وَ اعمَلُوا لِلجَنّةِ عَمَلَهَا فَإِنّ الدّنيَا لَم تُخلَق لَكُم دَارَ مُقَامٍ بَل خُلِقَت لَكُم مَجَازاً لِتَزَوّدُوا مِنهَا الأَعمَالَ إِلَى دَارِ القَرَارِ فَكُونُوا مِنهَا عَلَى أَوفَازٍ وَ قَرّبُوا الظّهُورَ لِلزّيَالِ قوله ع فإنه و الله الجد الضمير للأمر والشأن ألذى خاض معهم فى ذكره ووعظهم بنزوله ثم أوضحه بعدإجماله فقال إنه الموت ألذى دعا فأسمع وحدا فأعجل . [صفحه ۲۷۰] وسواد الناس عامتهم . و من هاهنا إما بمعنى الباء أى لايغرنک الناس بنفسک وصحتک وشبابک فتستبعد الموت اغترارا بذلک فتكون متعلقة بالظاهر وإما أن تكون متعلقة بمحذوف تقديره متمكنا من نفسک وراكنا إليها. والإقلال الفقر وطول أمل منصوب على أنه مفعول . فإن قلت المفعول له ينبغى أن يكون الفعل علة فى المصدر وهاهنا ليس الأمن علة طول الأمل بل طول الأمل علة الأمن قلت كمايجوز أن يكون طول الأمل علة الأمن يجوز أن يكون الأمن علة طول الأمل أ لاترى أن الإنسان قديأمن المصائب فيطول أمله فى البقاء ووجوه المكاسب لأجل ماعنده من الأمن ويجوز أن ينصب طول أمل على البدل من المفعول المنصوب برأيت و هو من و يكون التقدير قدرأيت طول أمل من كان و هذابدل الاشتمال و قدحذف منه الضمير العائد كماحذف من قوله تعالى قُتِلَ أَصحابُ الأُخدُودِ النّارِ .... وأعواد المنايا النعش ويتعاطى به الرجال الرجال يتداولونه تارة على أكتاف هؤلاء وتارة على أكتاف هؤلاء و قدفسر ذلک بقوله حملا على المناكب وإمساكا بالأنامل . والمشيد المبنى بالشيد و هوالجص .البور الفاسد الهالک وقوم بور أى هلكى قال سبحانه وَ كُنتُم قَوماً بُوراً و هوجمع واحدة بائر كحائل وحول . -قرآن-۷۴۹-۷۸۵-قرآن-۱۰۳۴-۱۰۵۶ [صفحه ۲۷۱] ويستعتبون هاهنا يفسر بتفسيرين على اختلاف الروايتين فمن رواه بالضم على فعل ما لم يسم فاعله فمعناه لايعاتبون على فعل سيئة صدرت منهم كماكانوا فى أيام حياتهم أى لايعاتبهم الناس أو لايستطيعون وهم موتى أن يسيئوا إلى أحد إساءة عليها و من رواه يستعتبون بفتح حرف المضارعة فهو من استعتب فلان أى طلب أن يعتب أى يرضى تقول استعتبته فأعتبنى أى استرضيته فأرضانى. وأشعر فلان التقوى قلبه جعله كالشعار له أى يلازمه ملازمة شعار الجسد. وبرز مهله ويروى بالرفع والنصب فمن رواه بالرفع جعله فاعل برز أى من فاق شوطه برز الرجل على أقرانه أى فاقهم والمهل شوط الفرس و من رواه بالنصب جعل برز بمعنى أبرز أى أظهر وأبان فنصب حينئذ على المفعولية. واهتبلت غرة زيد أى اغتنمتها والهبال الصياد ألذى يهتبل الصيد أن يغره وذئب هبل أى محتال هبلها منصوب على المصدر كأنه من هبل مثل غضب غضبا أى اغتنموا وانتهزوا الفرصة الانتهاز ألذى يصلح لهذه الحال أى ليكن هذاالاهتبال بجد وهمة عظيمة فإن هذه الحال حال عظيمة لايليق بها إلاالاجتهاد العظيم . وكذا قوله واعملوا للجنة عملها أى العمل ألذى يصلح أن يكون ثمرته الجنة. ودار مقام أى دار إقامة والمجاز الطريق يجاز عليه إلى المقصد. والأوفاز جمع وفز بسكون الفاء و هوالعجلة والظهور الركاب جمع ظهر وبنو فلان مظهرون أى لهم ظهور ينقلون عليها الأثقال كمايقال منجبون إذاكانوا أصحاب نجائب والزيال المفارقة زايله مزايلة وزيالا أى فارقه [صفحه ۲۷۲]

۱۳۳– و من كلام له ع

اشاره

وَ انقَادَت لَهُ الدّنيَا وَ الآخِرَةُ بِأَزِمّتِهَا وَ قَذَفَت إِلَيهِ السّمَاوَاتُ وَ الأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا وَ سَجَدَت لَهُ بِالغُدُوّ وَ الآصَالِ الأَشجَارُ النّاضِرَةُ وَ قَدَحَت لَهُ مِن قُضبَانِهَا النّيرَانُ المُضِيئَةُ وَ آتَت أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثّمَارُ اليَانِعَةُ الضمير فى له يرجع إلى الله تعالى و قد كان تقدم ذكر سبحانه فى أول الخطبة و إن لم يذكره الرضى رحمه الله ومعنى انقياد الدنيا والآخرة له نفوذ حكمه فيهما وشياع قدرته وعمومها. وأزمتها لفظة مستعارة من انقياد الإبل بأزمتها مع قائدها والمقاليد المفاتيح . ومعنى سجود الأشجار الناضرة له تصرفها حسب إرادته وكونها مسخرة له محكوما عليها بنفوذ قدرته فيهافجعل ع ذلك خضوعا منها لمشيئته واستعار لها ما هوأدل على خضوع الإنسان من جمع أفعاله و هوالسجود و منه قوله تعالى أَ لَم تَرَ أَنّ اللّهَ يَسجُدُ لَهُ مَن فِي السّماواتِ وَ مَن فِي الأَرضِ وَ الشّمسُ وَ القَمَرُ وَ النّجُومُ وَ الجِبالُ وَ الشّجَرُ وَ الدّوَابّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ. -قرآن-۴۸۲-۶۵۲ [صفحه ۲۷۳] قوله وقدحت له من قضبانها بالضم جمع قضيب و هوالغصن والمعنى أنه بقدرته أخرج من الشجر الأخضر نارا والنار ضد هذاالجسم المخصوص و هذا هو قوله تعالى ألّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشّجَرِ الأَخضَرِ ناراً فَإِذا أَنتُم مِنهُ تُوقِدُونَبعينه . وآتت أكلها أعطت مايؤكل منها و هوأيضا من الألفاظ القرآنية. واليانعة الناضجة وبكلماته أى بقدرته ومشيئته و هذه اللفظة من الألفاظ المنقولة على أحد الأقسام الأربعة المذكورة فى كتبنا فى أصول الفقه و هواستعمال لفظة متعارفة فى اللغة العربية فى معنى لم يستعملها أهل اللغة فيه كنقل لفظة الصلاة ألذى هو فى أصل اللغة للدعاء إلى هيئات وأوضاع مخصوصة و لم تستعمل العرب تلك اللفظة فيها و لايصح قول من قال المراد بذلك قوله كن لأنه تعالى لايجوز أن يخاطب المعدوم و قوله تعالى إِنّما قَولُنا لِشَيءٍ إِذا أَرَدناهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ من باب التوسع والاستعارة المملوء منهما القرآن والمراد سرعة المؤاتاة وعجلة الإيجاد و أنه إذاأراد من أفعاله أمرا كان -قرآن-۱۵۷-۲۳۶-قرآن-۷۳۱-۷۹۹ مِنهَا وَ كِتَابُ اللّهِ بَينَ أَظهُرِكُم نَاطِقٌ لَا يَعيَا لِسَانُهُ وَ بَيتٌ لَا تُهدَمُ أَركَانُهُ وَ عِزّ لَا تُهزَمُ أَعوَانُهُ [صفحه ۲۷۴] يقال هونازل بين أظهرهم و بين ظهريهم و بين ظهرانيهم بفتح النون أى نازل بينهم فإن قلت لماذا قالت العرب بين أظهرهم و لم تقل بين صدورهم قلت أرادت بذلك الإشعار بشدة المحاماة عنه والمراماة من دونه لأن النزيل إذاحامى القوم عنه استقبلوا شبا الأسنة وأطراف السيوف عنه بصدورهم و كان هومحروسا مصونا عن مباشرة ذلك وراء ظهورهم . و لايعيا لسانه لايكل عييت بالمنطق فأنا عيى على فعيل ويجوز عى الرجل فى منطقه بالتشديد فهو عى على فعل مِنهَا أَرسَلَهُ عَلَى حِينِ فَترَةٍ مِنَ الرّسُلِ وَ تَنَازُعٍ مِنَ الأَلسُنِ فَقَفّى بِهِ الرّسُلَ وَ خَتَمَ بِهِ الوَحيَ فَجَاهَدَ فِي اللّهِ المُدبِرِينَ عَنهُ وَ العَادِلِينَ بِهِ الضمير فى أرسله راجع إلى النبى ص و هومذكور فى كلام لم يحكه جامع الكتاب . والفترة زمان انقطاع الوحى والتنازع من الألسن أن قوما فى الجاهلية كانوا يعبدون [صفحه ۲۷۵] الصنم وقوما يعبدون الشمس وقوما يعبدون الشيطان وقوما يعبدون المسيح فكل طائفة تجادل مخالفيها بألسنتها لتقودها إلى معتقدها. وقفى به الرسل أتبعها به قال سبحانه ثُمّ قَفّينا عَلى آثارِهِم بِرُسُلِنا و منه الكلام المقفى وسميت قوافى الشعر لأن بعضها يتبع بعضا. والعادلين به الجاعلين له عديلا أى مثلا و هو من الألفاظ القرآنية أيضا قال الله تعالى بِرَبّهِم يَعدِلُونَ -قرآن-۱۷۰-۲۰۶-قرآن-۳۶۱-۳۸۰ مِنهَا وَ إِنّمَا الدّنيَا مُنتَهَى بَصَرِ الأَعمَى لَا يُبصِرُ مِمّا وَرَاءَهَا شَيئاً وَ البَصِيرُ يَنفُذُهَا بَصَرُهُ وَ يَعلَمُ أَنّ الدّارَ وَرَاءَهَا فَالبَصِيرُ مِنهَا شَاخِصٌ وَ الأَعمَى إِلَيهَا شَاخِصٌ وَ البَصِيرُ مِنهَا مُتَزَوّدٌ وَ الأَعمَى لَهَا مُتَزَوّدٌ شبه الدنيا و مابعدها بما يتصوره الأعمى من الظلمة التى يتخيلها وكأنها محسوسة له وليست بمحسوسة على الحقيقة وإنما هى عدم الضوء كمن يطلع فى جب ضيق فيتخيل ظلاما فإنه لم ير شيئا ولكن لماعدم الضوء فلم ينفذ البصر تخيل أنه يرى الظلمة فأما من يرى المبصرات فى

الضياء فإن بصره ينفذ فيشاهد المحسوسات يقينا و هذه حال [صفحه ٢٧٦] الدنيا والآخرة أهل الدنيا منتهى بصرهم دنياهم ويظنون أنهم يبصرون شيئا وليسوا بمبصرين على الحقيقة و لاحواسهم نافذة فى شىء و أهل الآخرة قدنفذت أبصارهم فرأوا الآخرة و لم يقف إحساسهم على الدنيا خاصة فأولئك هم أصحاب الأبصار على الحقيقة و هذامعنى شريف من معانى أصحاب الطريقة والحقيقة و إليه الإشارة بقوله سبحانه أَم لَهُم أَعيُنٌ يُبصِرُونَ بِهافأما قوله فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص فمن مستحسن التجنيس و هذا هو ألذى يسميه أرباب الصناعة الجناس التام فالشاخص الأول الراحل والشاخص الثانى من شخص بصره بالفتح إذافتح عينه نحو الشيء مقابلا له وجعل لايطرف -قرآن-٣٢٨-٣٦٠

فصل فى الجناس وأنواعه

واعلم أن الجناس على سبعة أضرب أولها الجناس التام كهذا اللفظ وحده أن تتساوى حروف ألفاظ الكلمتين فى تركيبها و فى وزنها قالوا و لم يرد فى القرآن العزيز منه إلاموضع واحد و هو قوله وَ يَومَ تَقُومُ السّاعَةُ يُقسِمُ المُجرِمُونَ ما لَبِثُوا غَيرَ ساعَةٍ. وعندى أن هذا ليس بتجنيس أصلا و قدذكرته فى كتابى المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر و قلت إن الساعة فى الموضعين بمعنى واحد والتجنيس أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى و لا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقتين و إن -قرآن-١٩٠-٢٦١ [صفحه ٢٧٧] زمان القيامة و إن طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة لأن قدرته لايعجزها أمر و لايطول عندها زمان فيكون إطلاق لفظ الساعة على أحد الموضعين حقيقة و على الآخر مجازا و ذلك يخرج الكلام عن حد التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا وأردت بالثانى البليد. وأيضا فلم لايجوز أن يكون أراد بقوله وَ يَومَ تَقُومُ السّاعَةُالأولى خاصة من زمان البعث فيكون لفظ الساعة مستعملا فى الموضعين حقيقة بمعنى واحد فيخرج عن التجنيس و عن مشابهة التجنيس بالكلية.قالوا وورد فى السنة من التجنيس التام خبر واحد و -قرآن-٣١١-٣٣٦ هو قوله ص لقوم من الصحابة كانوا يتنازعون جرير بن عبد الله البجلى فى زمام ناقته خلوا بين جرير والجرير -روايت-١-٢-روايت-١٥-١١٢ فالجرير الثانى الحبل . وجاء من ذلك فى الشعر لأبى تمام قوله فأصبحت غرر الإسلام مشرقة || بالنصر تضحك عن أيامك الغرر فالغرر الأولى مستعارة من غرة الوجه والغرر الثانية من غرة الشىء وهى أكرمه وكذلك قوله من القوم جعد أبيض الوجه والندى || و ليس بنان يجتدى منه بالجعد فالجعد الأول السيد والثانى ضد السبط و هو من صفات البخيل . وكذلك قوله بكل فتى ضرب يعرض للقنا || محيا محلى حلية الطعن والضرب [صفحه ٢٧٨] فالضرب الأول الرجل الخفيف والثانى مصدر ضرب . وكذلك قوله عداك حر الثغور المستضامة عن || برد الثغور و عن سلسالها الحصب فأحدهما جمع ثغر و هو مايتاخم العدو من بلاد الحرب والثانى للأسنان . و من هذه القصيدة كم أحرزت قضب الهندى مصلته || تهتز من قضب تهتز فى كثب بيض إذاانتضيت من حجبها رجعت || أحق بالبيض أبدانا من الحجب . و قدأكثر الناس فى استحسان هذاالتجنيس وأطنبوا وعندى أنه ليس بتجنيس أصلا لأن تسمية السيوف قضبا وتسمية الأغصان قضبا كله بمعنى واحد و هوالقطع فلاتجنيس إذا وكذلك البيض للسيوف والبيض للنساء كله بمعنى البياض فبطل معنى التجنيس وأظننى ذكرت هذاأيضا فى كتاب الفلك الدائر.قالوا و من هذاالقسم قوله أيضا إذاالخيل جابت قسطل الخيل صدعوا || صدور العوالى فى صدور الكتائب و هذاعندى أيضا ليس بتجنيس لأن الصدور فى الموضعين بمعنى واحد و هوجزء الشىء المتقدم البارز عن سائره فأما قوله أيضا عامى وعام العيس بين وديقة || مسجورة وتنوفة صيخود [صفحه ٢٧٩] حتى أغادر كل يوم بالفلا || للطير عيدا من بنات العيد فإنه من التجنيس التام لاشبهة فى ذلك لاختلاف المعنى فالعيد الأول هواليوم المعروف من الأعياد والعيد الثانى فحل من فحول الإبل . ونحو هذاقول أبى

نواس عباس عباس إذااحتدم الوغى || والفضل فضل والربيع ربيع وقول البحترى إذاالعين راحت وهى عين على الهوى || فليس بسر ماتسر الأضالع فالعين الثانية الجاسوس والأولى العين المبصرة وللغزى المتأخر قصيدة أكثر من التجنيس التام فيهاأولها لوزارنا طيف ذات الخال أحيانا || ونحن فى حفر الأجداث أحيانا و قال فى أثنائها تقول أنت امرؤ جاف مغالطة || فقلت لاهومت أجفان أجفانا و قال فى مديحها لم يبق غيرك إنسان يلاذ به || فلابرحت لعين الدهر إنسانا و قدذكر الغانمى فى كتابه من صناعة الشعر بابا سماه رد الأعجاز على الصدور ذكر أنه خارج عن باب التجنيس قال مثل قول الشاعر ونشرى بجميل الصنع || ذكرا طيب النشر ونفرى بسيوف الهند || من أسرف فى النفر [صفحه ۲۸۰] وبحرى فى شرى الحمد || على شاكلة البحر و هذا من التجنيس و ليس بخارج عنه ولكنه تجنيس مخصوص و هوالإتيان به فى طرفى البيت . وعد ابن الأثير الموصلى فى كتابه من التجنيس قول الشاعر فى الشيب يابياضا أذرى دموعى حتى || عاد منها سواد عينى بياضا وكذلك قول البحترى وأغر فى الزمن البهيم محجل || قدرحت منه على أغر محجل . و هذاعندى ليس بتجنيس لاتفاق المعنى والعجب منه أنه بعدإيراده هذاأنكر على من قال إن قول أبى تمام أظن الدمع فى خدى سيبقى || رسوما من بكائى فى الرسوم من التجنيس و قال أى تجنيس هاهنا والمعنى متفق و لوأمعن النظر لرأى هذامثل البيتين السابقين .قالوا فأما الأجناس الستة الباقية فإنها خارجة عن التجنيس التام ومشبهة به .فمنها أن تكون الحروف متساوية فى تركيبها مختلفة فى وزنها فمن ذلك قول النبى ص أللهم كماحسنت خلقى فحسن خلقى -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۵۲ وقول بعضهم لن تنالوا غرر المعالى إلابركوب الغرر واهتبال الغرر وقول البحترى وفر الحائن المغرور يرجو || أمانا أى ساعة ماأمان [صفحه ۲۸۱] يهاب الالتفات و قدتصدى || للحظة طرفه طرف السنان و قال آخر قدذبت بين حشاشة وذماء || ما بين حر هوى وحر هواء ومنها أن تكون الألفاظ متساوية فى الوزن مختلفة فى التركيب بحرف واحد لا غير فإن زاد على ذلك خرج من باب التجنيس و ذلك نحو قوله تعالى وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبّها ناظِرَةٌ وكذلك قوله سبحانه وَ هُم يَنهَونَ عَنهُ وَ يَنأَونَ عَنهُ و قوله تعالى ذلِكُم بِما كُنتُم تَفرَحُونَ فِي الأَرضِ بِغَيرِ الحَقّ وَ بِما كُنتُم تَمرَحُونَ ونحو هذا -قرآن-۱۴۱-۱۸۷-قرآن-۲۰۸-۲۴۶-قرآن-۲۶۲-۳۴۳ ماورد عن النبى ص من قوله الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۷۷ و قال بعضهم لاتنال المكارم إلابالمكاره . و قال أبوتمام يمدون من أيد عواص عواصم || تصول بأسياف قواض قواضب . و قال البحترى من كل ساجى الطرف أغيد أجيد || ومهفهف الكشحين أحوى أحور . و قال أيضا شواجر أرماح تقطع بينهم || شواجن أرحام ملوم قطوعها . [صفحه ۲۸۲] و هذاالبيت حسن الصنعة لأنه قدجمع بين التجنيس الناقص و بين المقلوب و هوأرماح وأرحام . ومنها أن تكون الألفاظ مختلفة فى الوزن والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى وَ التَفّتِ السّاقُ بِالسّاقِ إِلى رَبّكَ يَومَئِذٍ المَساقُ وكقوله تعالى وَ هُم يَحسَبُونَ أَنّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً و -قرآن-۱۶۹-۲۲۸-قرآن-۲۴۴-۲۸۶ كقول النبى ص المسلم من سلم الناس من لسانه ويده -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۵۷ وقول بعضهم الصديق لايحاسب والعدو لايحتسب له هكذا ذكر ابن الأثير هذه الأمثلة. قال و من هذاالقسم قول أبى تمام أيام تدمى عينه تلك الدمى || حسنا وتقمر لبه الأقمار بيض فهن إذارمقن سوافرا || صور وهن إذارمقن صوار وكذلك قوله أيضا بدر أطاعت فيك بادرة النوى || ولعا وشمس أولعت بشماس . و قوله أيضا جهلوا فلم يستكثروا من طاعة || معروفة بعمارة الأعمار . و قوله أيضا إن الرماح إذاغرسن بمشهد || فجنى العوالى فى ذراه معال . [صفحه ۲۸۳] و قوله أيضا إذاأحسن الأقوام أن يتطاولوا || بلا نعمة أحسنت أن تتطولا . و قوله أيضا شد مااستنزلتك عن دمعك الأظعان || حتى استهل صوب العزالى أى ربع يكذب الدهر عنه || و هوملقى على طريق الليالى بين حال جنت عليه وحول || فهو نضو الأوحال والأحوال أى حسن فى الذاهبين تولى || وجمال على ظهور الجمال ودلال مخيم فى ذرى الخيم || وحجل مقصر فى الحجال .فالبيت الثالث والخامس هما المقصودان بالتمثيل . و من ذلك قول على بن جبلة وكم لك من يوم رفعت عماده || بذات جفون أوبذات جفان . وكقول

البحترى نسيم الروض فى ريح شمال || وصوب المزن فى راح شمول . وكقوله أيضا جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه || ضبابة نقع تحتها الموت ناقع . [صفحه ۲۸۴] واعلم أن هذه الأمثلة لهذا القسم ذكرها ابن الأثير فى كتابه و هوعندى مستدرك لأنه حد هذاالقسم بما يختلف تركيبه يعنى حروفه الأصلية ويختلف أيضا وزنه و يكون اختلاف تركيبه بحرف واحد هكذا قال فى تحديده لهذا القسم و ليس بقمر والأقمار تختلف بحرف واحد وكذلك عمارة والأعمار وكذلك العوالى والمعالى و أما قوله تعالى وَ هُم يَحسَبُونَ أَنّهُم يُحسِنُونَ صُنعاًفخارج عن هذابالكلية لأن جميع أمثلة هذاالقسم يختلف فيه الكلمات بالحروف الزائدة و هذه الآية اختلاف كلمتيها بحروف أصلية فليست من التجنيس ألذى نحن بصدده بل هى من باب تجنيس التصحيف كقول البحترى -قرآن-۳۳۱-۳۷۳ و لم يكن المعتز بالله إذ سرى || ليعجز والمعتز بالله طالبه . ثم قال ابن الأثير فى هذاالقسم أيضا و من ذلك قول محمد بن وهيب الحميرى قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا || فمالك موتور وسيفك واتر . و هذاأيضا عندى مستدرك لأن اللفظتين كلاهما من الوتر ويرجعان إلى أصل واحد إلا أن أحد اللفظين مفعول والآخر فاعل و ليس أحد يقول إن شاعرا لو قال فى شعره ضارب ومضروب لكان قدجانس . ومنها القسم المكنى بالمعكوس و هو على ضربين عكس لفظ وعكس حرف فالأول كقولهم عادات السادات سادات العادات وكقولهم شيم الأحرار أحرار الشيم . و من ذلك قول الأضبط بن قريع قديجمع المال غيرآكله || ويأكل المال غير من جمعه [صفحه ۲۸۵] ويقطع الثوب غيرلابسه || ويلبس الثوب غير من قطعه . ومثله قول المتنبى فلامجد فى الدنيا لمن قل ماله || و لامال فى الدنيا لمن قل مجده ومثله قول الرضى رحمه الله من أبيات يذم فيهاالزمان أسف بمن يطير إلى المعالى || وطار بمن يسف إلى الدنايا ومثله قول آخر إن الليالى للأنام مناهل || تطوى وتنشر بينها الأعمار فقصارهن مع الهموم طويلة || وطوالهن مع السرور قصار ولبعض شعراء الأندلس يذكر غلامه غيرتنا يد الزمان || فقد شبت والتحى فاستحال الضحى دجى || واستحال الدجى ضحى ويسمى هذاالضرب التبديل و قدمثله قدامة بن جعفرالكاتب بقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك . ومثله قول النبى ص جار الدار أحق بدار الجار -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۳ قالوا و منه قوله تعالى يُخرِجُ الحيَّ مِنَ المَيّتِ وَ يُخرِجُ المَيّتَ مِنَ الحيَّ و لاأراه منه بل هو من باب الموازنة ومثلوه أيضا -قرآن-۲۶-۸۷ بقول أمير المؤمنين ع أما بعد فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۱۰ وبقول أبى تمام لأبى العميثل [صفحه ۲۸۶] و أبى سعيد الضرير فإنهما قالا لماامتدح عبد الله بن طاهر بقصيدة و فى افتتاحها تكلف وتعجرف لم لاتقول مايفهم فقال لهما لم لاتفهمان مايقال . والضرب الثانى من هذاالقسم عكس الحروف و هوكقول بعضهم و قدأهدى لصديق له كرسيا أهديت شيئا يقل لو لا || أحدوثة الفأل والتبرك كرسى تفاءلت فيه لما || رأيت مقلوبه يسرك وكقول الآخر كيف السرور بإقبال وآخره || إذاتأملته مقلوب إقبال أى لابقاء وكقول الآخر جاذبتها والريح تجذب عقربا || من فوق خد مثل قلب العقرب وطفقت الثم ثغرها فتمنعت || وتحجبت عنى بقلب العقرب .يريد برقعا ومنها النوع المسمى المجنب و هو أن يجمع بين كلمتين إحداهما كالجنيبة التابعة للأخرى مثل قول بعضهم أباالفياض لاتحسب بأنى || لفقرى من حلى الأشعار عار فلى طبع كسلسال معين || زلال من ذرا الأحجار جار و هذا فى التحقيق هوالباب المسمى لزوم ما لايلزم و ليس من باب التجنيس ومنها المقلوب و هو مايتساوى وزنه وتركيبه إلا أن حروفه تتقدم وتتأخر مثل قول أبى تمام [صفحه ۲۸۷] بيض الصفائح لاسود الصحائف فى || متونهن جلاء الشك والريب و قدورد مثل ذلك فى المنثور نحو ماروى عن النبى ص أنه يقال يوم القيامة لصاحب القرآن اقرأ وارق -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۷۳ . و قدتكلمت فى كتابى المسمى بالعبقرى الحسان على أقسام الصناعة البديعة نثرا ونظما وبينت أن كثيرا منها يتداخل ويقوم البعض من ذلك مقام بعض فليلمح من هناك مِنهَا وَ اعلَمُوا أَنّهُ لَيسَ مِن شَيءٍ إِلّا وَ يَكَادُ صَاحِبُهُ يَشبَعُ مِنهُ وَ يَمَلّهُ إِلّا الحَيَاةَ فَإِنّهُ لَا يَجِدُ فِي المَوتِ رَاحَةً وَ إِنّمَا ذَلِكَ بِمَنزِلَةِ الحِكمَةِ التّيِ هيَ حَيَاةٌ لِلقَلبِ المَيّتِ وَ بَصَرٌ لِلعَينِ العَميَاءِ وَ سَمعٌ لِلأُذُنِ الصّمّاءِ وَ ريَ

لِلظَّمآنِ وَ فِيهَا الغِنَى كُلُّهُ وَ السَّلَامَةُ كِتَابُ اللّهِ تُبصِرُونَ بِهِ وَ تَنطِقُونَ بِهِ وَ تَسمَعُونَ بِهِ وَ يَنطِقُ بَعضُهُ بِبَعضٍ وَ يَشهَدُ بَعضُهُ عَلَى بَعضٍ وَ لَا يَختَلِفُ فِي اللّهِ وَ لَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللّهِ قَدِ اصطَلَحتُم عَلَى الغِلِّ فِيمَا بَينَكُم وَ نَبَتَ المَرعَى عَلَى دِمَنِكُم وَ تَصَافَيتُم عَلَى حُبِّ الآمَالِ وَ تَعَادَيتُم فِي كَسبِ الأَموَالِ لَقَدِ استَهَامَ بِكُمُ الخَبِيثُ وَ تَاهَ بِكُمُ الغُرُورُ وَ اللّهُ المُستَعَانُ عَلَى نَفسِي وَ أَنفُسِكُم [صفحه ۲۸۸] هذاالفصل ليس بمنتظم من أوله إلى آخره بل هوفصول متفرقة التقطها الرضي من خطبة طويلة على عادته في التقاط مايستفصحه من كلامه ع و إن كان كل كلامه فصيحا ولكن كل واحد له هوى ومحبة لشيء مخصوص وضروب الناس عشاق ضروبا. أما قوله كل شيءمملول إلاالحياة فهو معنى قدطرقه الناس قديما وحديثا قال أبوالطيب ولذيذ الحياة أنفس في النفس || وأشهى من أن يمل وأحلى و إذاالشيخ قال أف فما مل || حياة ولكن الضعف ملا و قال أيضا أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه || حريصا عليها مستهاما بهاصبا فحب الجبان النفس أورده البقا || وحب الشجاع النفس أورده الحربا و قال أبوالعلاء فما رغبت في الموت كدر مسيرها || إلى الورد خمسا ثم تشربن من أجن يصادفن صقرا كل يوم وليلة || ويلقين شرا من مخالبه الحجن و لاقلقات الليل باتت كأنها || من الأين والإدلاج بعض القنا اللدن [صفحه ۲۸۹] ضربن مليعا بالسنابک أربعا || إلى الماء لايقدرن منه على معن وخوف الردى آوى إلى الكهف أهله || وكلف نوحا وابنه عمل السفن و مااستعذبته روح موسى وآدم || و قدوعدا من بعده جنتي عدن . و لي من قصيدة أخاطب رجلين فرا في حرب عذرتكما إن الحمام لمبغض || و إن بقاء النفس للنفس محبوب ويكره طعم الموت والموت طالب || فكيف يلذ الموت والموت مطلوب . و قال أبوالطيب أيضا طيب هذاالنسيم أوقر في الأنفس || أن الحمام مر المذاق والأسى قبل فرقة الروح عجز || والأسى لا يكون بعدالفراق .البحتري ماأطيب الأيام إلاأنها || ياصاحبي إذامضت لم ترجع . و قال آخر أوفى يصفق بالجناح مغلسا || ويصيح من طرب إلى الندمان ياطيب لذة هذه الدنيا لنا || لوأنها بقيت على الإنسان . و قال آخر أرى الناس يهوون البقاء سفاهة || و ذلک شيء ما إليه سبيل و من يأمن الأيام أمابلاؤها || فجم و أماخيرها فقليل . [صفحه ۲۹۰] و قال محمد بن وهيب الحميري ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها || و ماكنت منه فهو شيءمحبب قول أمير المؤمنين ع و قدقيل له ماأكثر حب الناس للدنيا فقال هم أبناؤها أيلام الإنسان على حب أمه -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۱۰۹ . و قال آخر ياموت ماأفجاک من نازل || تنزل بالمرء على رغمه تستلب العذراء من خدرها || وتأخذ الواحد من أمه أبوالطيب وهي معشوقة على الغدر لاتحفظ || عهدا و لاتتمم وصلا كل دمع يسيل منها عليها || وبفک اليدين عنها نخلي شيم الغانيات فيها فلاأدري || لذا أنث اسمها الناس أم لا . فإن قلت كيف يقول إنه لايجد في الموت راحة وأين هذا من قول رسول الله ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۵۴ قوله ع و الله ماأرجو الراحة إلا بعدالموت -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۹ و ماذا يعمل بالصالحين الذين آثروا فراق هذه العاجلة واختاروا الآخرة و هو ع سيدهم وأميرهم قلت لامنافاة فإن الصالحين إنما طلبوا أيضا الحياة المستمرة بعدالموت و رسول الله ص إنما قال إن الدنيا سجن المؤمن لأن الموت غيرمطلوب للمؤمن لذاته إنما يطلبه للحياة المتعقبة له -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۱۲۰ قوله ع و الله ماأرجو الراحة إلا بعدالموت -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۹ تصريح بأن الراحة في الحياة التي تتعقب الموت وهي حياة الأبد فلامنافاة إذا بين هذه الوجوه و بين ماقاله ع لأنه مانفى إلاالراحة في الموت نفسه لا في الحياة الحاصلة بعده . [صفحه ۲۹۱] فإن قلت فقد تطرأ على الإنسان حالة يستصعبها قيود الموت لنفسه و لايفكر فيما يتعقبه من الحياة التي تشير إليها و لايخطر بباله قلت ذاک شاذ نادر فلايلتفت إليه وإنما الحكم للأعم الأغلب وأيضا فإن ذاک لايلتذ بالموت وإنما يتخلص به من الألم و أمير المؤمنين قال ما من شيء من الملذات إلا و هومملول إلاالحياة -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۷۲ و بين الملذ والمخلص من الألم فرق واضح فلا يكون نقضا على كلامه . فإن قلت قدذكرت ماقيل في حب الحياة وكراهية الموت فهل قيل في عكس ذلک ونقيضه شيء قلت نعم فمن ذلک قول أبي الطيب كفى بک داء أن ترى الموت شافيا || وحسب المنايا إن يكن أمانيا تمنيتها

لماتمنيت أن ترى || صديقا فأعيا أوعدوا مداجيا و قال آخر قد قلت إذ مدحوا الحياة فأسرفوا || فی الموت ألف فضيلة لاتعرف منها أمان لقائه بلقائه || وفراق كل معاشر لاينصف وقيل لأعرابی و قداحتضر إنک ميت قال إلی أين يذهب بی قيل إلی الله قال ماأكره أن أذهب إلی من لم أر الخير إلا منه . ابراهيم بن مهدی وإنی و إن قدمت قبلی لعالم || بأنی و إن أبطأت عنک قريب و إن صباحا نلتقی فی مسائه || صباح إلی قلبی الغداة حبيب و قال بعض السلف ما من مؤمن إلا والموت خير له من الحياة لأنه إن كان محسنا [صفحه ۲۹۲] فالله تعالی يقول وَ ما عِنـدَ اللّهِ خَيرٌ وَ أَبقی لِلّذِينَ آمَنُوا و إن كان مسيئا فالله تعالی يقول وَ لا يَحسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُوا أَنّمـا نُملِي لَهُم خَيرٌ لِأَنفُسِهِم إِنّمـا نُملِي لَهُم لِيَزدادُوا إِثمـاً. و قال ميمون بن مهران بت ليلـة عنـدعمر بن عبـدالعزيز فرأيته يبكی ويكثر من تمنی الموت فقلت له إنک أحييت سننا وأمت بدعا و فی بقائک خير للمسلمين فما بالک تتمنی الموت فقـال أ لاأكون كالعبـد الصالـح حين أقر الله له عينه وجمع له أمره قال رَبّ قَـد آتَيتَنِي مِنَ المُلكِ وَ عَلّمتَنِي مِن تَأوِيلِ الأَحادِيثِ فاطِرَ السّماواتِ وَ الأَرضِ أَنتَ وَلِيّي فِي الدّنيا وَ الآخِرَةِ تَوَفّنِي مُسلِماً وَ أَلحِقنِي بِالصّالِحِينَ وقالت الفلاسفة لايستكمل الإنسان حد الإنسانيـة إلابالموت لأن الإنسان هوالحی الناطق الميت . و قال بعضـهم الصالـح إذامات استراح والطالـح إذامات استريـح منه . و قال الشاعر -قرآن-۲۱-۷۱-قرآن-۱۰۸-۲۲۰-قرآن-۴۷۳-۶۶۲ جزی الله عنا الموت خيرا فإنه || أبر بنا من كل بر وأرأف يعجل تخليص النفوس من الأذی || ويدنی من الدار التی هی أشرف . و قال آخر من كان يرجو أن يعيش فإننی || أصبحت أرجو أن أموت لأعتقا فی الموت ألف فضيلة لوأنها || عرفت لكان سبيله أن يعشقا . و قال أبوالعلاء جسمی ونفسی لمااستجمعا صنعا || شرا إلی فجل الواحد الصـمد [صفحه ۲۹۳] فالجسم يعـذل فيه النفس مجتهـدا || وتلک تزعم أن الظالم الجسد إذاهما بعدطول الصحبة افترقا || فإن ذاک لأحداث الزمان يد و قال أبوالعتاهية المرء يأمل أن يعيش || وطول عمر قديضره تفنی بشاشته ويبقی || بعـدحلو العيش مره وتخونه الأيـام حتی || لا-يری شيئا يسره كم شـامت بی أن هلكت || وقائـل لله دره . و قـال ابن المعتز ألست تری ياصـاح ماأعجب الـدهرا || فـذما له لكن للخالق الشـكرا لقـد حبب الموت البقاء ألـذی أری || فيا حسـدا منی لمن يسكن القبرا .فأما قوله ع وإنما ذلک بمنزلة الحكمة إلی قوله و فيهاالغنی كله والسـلامة ففصل آخر غيرملتئم بما قبله و هوإشارة إلی كلام من كلام رسول الله ص رواه لهم ثم حضهم علی التمسک به والانتفاع بمواعظه و قال إنه بمنزلة الحكمة التی هی حياة القلوب ونور الأبصار وسمع الآذان الصم وری الأكباد الحری و فيهاالغنی كله والسلامة والحكمة المشبه كلام الرسول ص بهاهی المـذكورة فی قوله تعـالی وَ مَن يُؤتَ الحِكمَـةَ فَقَـد أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً و فی قوله وَ لَقَـد آتَينا -قرآن-۴۰۰-۴۵۲-قرآن-۴۶۵-۴۷۹ .فأما قوله ع وإنما ذلک بمنزلة الحكمة إلی قوله و فيهاالغنی كله والسـلامة ففصل آخر غيرملتئم بما قبله و هوإشارة إلی كلام من كلام رسول الله ص رواه لهم ثم حضـهم علی التمسک به والانتفاع بمواعظه و قال إنه بمنزلة الحكمة التی هی حياة القلوب ونور الأبصار وسـمع الآذان الصم وری الأكباد الحری و فيهاالغنی كله والسـلامة والحكمـة المشـبه كلام الرسول ص بهاهی المذكورة فی قوله تعـالی وَ مَن يُؤتَ الحِكمَـةَ فَقَـد أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً و فی قوله وَ لَقَـد آتَينـا لُقمـانَ الحِكمَـةَ و فی قوله وَ آتَيناهُ الحُكمَ صَبِيّا وهی عبـارة عن المعرفـة بـالله تعالی وبما فی مبـدعاته من الأحكام الدالـة علی علمه كتركيب الأفلاک ووضع العناصـر مواضـعها ولطـائف صـنعة الإنسان وغيره من الحيوان وكيفيـة إنشاء النبات والمعادن و ما فی العالم من القوی المختلفـة والتأثيرات المتنوعة الراجع ذلـک كله إلی حكمـة الصـانع وقـدرته وعلمه تبـارک اسـمه .فأمـا قوله و كتـاب الله إلی قوله و لايخالف بصاحبه عن الله ففصـل آخر مقطوع عمـا قبله ومتصـل بمـا لم يـذكره جامع نهج البلاغـة فـإن قلت مـامعنی قوله و لا-يختلف فی الله و لايخالف بصاحبه عن الله وهل بين هاتين الجملتين فرق قلت نعم أما قوله و لايختلف فی الله فهو أنه لايختلف فی الدلالـة علی الله وصـفاته أی لايتناقض أی ليس فی القرآن آيات مختلفة يدل بعضـها علی أنه يعلم كل المعلومات مثلا وتدل الأخری علی أنه لايعلم كل المعلومات أويـدل بعضـها علی أنه لايری وبعضـها علی أنه يری و ليس وجودنا للآيات المشـتبهة بقادح فی هـذاالقول لأن آيات

الجبر والتشبیه لاتدل وإنما توهم ونحن إنما نفینا أن یکون فیه مایدل علی الشیء ونقیضه . و أما قوله و لایخالف بصاحبه عن الله فهو أنه لایأخذ بالإنسان المعتمد علیه إلی غیر الله أی لایهدیه إلا إلی جناب الحق سبحانه و لایعرج به إلی جناب الشیطان یقال خالفت بفلان عن فلان إذاأخذت به غیرنحوه وسلکت به غیرجهته . -قرآن-۱-۱۸-قرآن-۳۱-۵۷ [صفحه ۲۹۵] فأما قوله قداصطلحتم علی الغل إلی آخر الفصل فکلام مقطوع أیضا عما قبله والغل الحقد. والدمن جمع دمنة وهی الحقد أیضا و قددمنت قلوبهم بالکسر أی ضغنت ونبت المرعی علیها أی دامت وطال الزمان علیها حتی صارت بمنزلة الأرض الجامدة الثابتة التی تنبت النبات ویجوز أن یرید بالدمن هاهنا جمع دمن و هوالبعر المجتمع کالمزبلة أوجمع دمنة وهی آثار الناس و ماسودوا من الأرض یقال قددمن الشاء الماء و قددمن القوم الأرض فشبه ما فی قلوبهم من الغل والحقد والضغائن بالمزبلة المجتمعة من البعر وغیره من سقاطة الدیار التی قدطال مکثها حتی نبت علیها المرعی قال الشاعر و قدینبت المرعی علی دمن الثری || وتبقی حزازات النفوس کماهیا . قوله ع لقد استهام بکم الخبیث یعنی الشیطان واستهام بکم جعلکم هائمین أی استهامکم فعداه بحرف الجر کماتقول فی استنفرت القوم إلی الحرب استنفرت بهم أی جعلتهم نافرین ویمکن أن یکون بمعنی الطلب والاستدعاء کقولک استعلمت منه حال کذا أی استدعیت أن یعلمنی واستمنحت فلانا أی طلبت واستدعیت أن یعطینی فیکون قوله واستهام بکم الخبیث أی استدعی منکم أن تهیموا وتقعوا فی التیه والضلال والحیرة. قوله وتاه بکم الغرور هوالشیطان أیضا قال سبحانه وَ غَرّکُم بِاللّهِ الغَرُورُ وتاه بکم جعلکم تائهین حائرین ثم سأل الله أن یعینه علی نفسه وعلیهم و من کلام بعض الصالحین أللهم انصرنی علی أقرب الأعداء إلی دارا وأدناهم منی جوارا وهی نفسی -قرآن-۴۷۰-۴۹۸ [صفحه ۲۹۶]

۱۳۴- و من کلام له ع و قدشاوره عمر بن الخطاب فی الخروج إلی غزو الروم

اشاره

وَ قَد تَوَکّلَ اللّهُ لِأَهلِ هَذَا الدّینِ بِإِعزَازِ الحَوزَةِ وَ سَترِ العَورَةِ وَ ألّذِی نَصَرَهُم وَ هُم قَلِیلٌ لَا یَنتَصِرُونَ وَ مَنَعَهُم وَ هُم قَلِیلٌ لَا یَمتَنِعُونَ حیَ‌ّ لَا یَمُوتُ إِنّکَ مَتَی تَسِر إِلَی هَذَا العَدُوّ بِنَفسِکَ فَتَلقَهُم فَتُنکَب لَا یَکُن لِلمُسلِمِینَ کَهفٌ دُونَ أَقصَی بِلَادِهِم لَیسَ بَعدَکَ مَرجِعٌ یَرجِعُونَ إِلَیهِ فَابعَث إِلَیهِم رَجُلًا مِحرَباً وَ احفِز مَعَهُ أَهلَ البَلَاءِ وَ النّصِیحَةِ فَإِن أَظهَرَ اللّهُ فَذَاکَ مَا تُحِبّ وَ إِن تَکُنِ الأُخرَی کُنتَ رِدءاً لِلنّاسِ وَ مَثَابَةً لِلمُسلِمِینَ توکل لهم صار وکیلا ویروی و قدتکفل أی صار کفیلا. والحوزة الناحیة وحوزة الملک بیضته و یقول إنما ألذی نصرهم فی الابتداء علی ضعفهم هو الله تعالی و هوحی لایموت فأجدر به أن ینصرهم ثانیا کمانصرهم أولا و قوله فتنکب مجزوم لأنه عطف علی تسر. وکهف أی وکهف یلجأ إلیه ویروی کانفة أی جهة عاصمة من قولک کنفت الإبل جعلت لها کنیفا من الشجر تستتر به وتعتصم . [صفحه ۲۹۷] و رجل محرب أی صاحب حروب . وحفزت الرجل أحفزه دفعته من خلفه وسقته سوقا شدیدا. وکنت ردءا أی عونا قال سبحانه فَأَرسِلهُ مَعِی رِدءاً یُصَدّقُنِی. ومثابة أی مرجعا و منه قوله تعالی مَثابَةً لِلنّاسِ وَ أَمناًأشار ع ألا یشخص بنفسه حذرا أن یصاب فیذهب المسلمون کلهم لذهاب الرأس بل یبعث أمیرا من جانبه علی الناس ویقیم هوبالمدینة فإن هزموا کان مرجعهم إلیه . فإن قلت فما بال رسول الله ص کان یشاهد الحروب بنفسه ویباشرها بشخصه قلت إن رسول الله ص کان موعودا بالنصر وآمنا علی نفسه بالوعد الإلهی فی قوله سبحانه وَ اللّهُ یَعصِمُکَ مِنَ النّاسِ و لیس عمر کذلک . فإن قلت فما بال أمیر المؤمنین ع شهد حرب الجمل وصفین والنهروان بنفسه فهلا بعث أمیرا محربا وأقام بالمدینة ردءا ومثابة. قلت عن هذاجوابان أحدهما أنه کان عالما من جهة النبی ص أنه لایقتل فی هذه الحروب ویشهد

لـذلك الخبر المتفق عليه بين الناس كافة يقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين وثانيهما يجوز أن يكون غلب على ظنه أن غيره لا يقوم مقامه فى حرب هـذه الفرق الخارجة عليه و لم يجد أميرا محربا من أهل البلاء والنصيحة لأنه ع هكـذا قال لعمر واعتبر هـذه القيود والشروط فمن كان من -قرآن-١١٥-١٥١-قرآن-١٨٩-٢١٥-قرآن-٥٣٩-٥٧٠ [صـفحه ٢٩٨] أصحابه ع محربا لم يكن من أهل النصيحة له و من كان من أهل النصيحة له لم يكن محربا فدعته الضرورة إلى مباشرة الحرب بنفسه

غزوة فلسطين وفتح بيت المقدس

واعلم أن هـذه الغزاة هى غزاة فلسطين التى فتح فيهابيت المقدس و قدذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ و قال إن عليا ع هو كان المستخلف على المدينة لماشخص عمر إلى الشام و إن عليا ع قال له لاتخرج بنفسك إنك تريد عدوا كلبا فقال عمر إنى أبادر بجهاد العدو موت العباس بن عبدالمطلب إنكم لوفقدتم العباس لانتقض بكم الشر كماينتقض الحبل فمات العباس لست سنين خلت من إمارة عثمان وانتقض بالناس الشر. قال أبو جعفر و قد كان الروم عرفوا من كتبهم أن صاحب فتح مدينة إيلياء وهى بيت المقدس رجل اسمه على ثلاثة أحرف فكان من حضر من أمراء المسلمين يسألون عن اسمه فيعلمون أنه ليس بصاحبهم فلما طال عليهم الأمر فى حرب الروم استمدوا عمر وقالوا إن لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا فكتب إليهم أن يلقوه برأس الجابية ليوم سماه لهم فلقوه و هوراكب حمارا و كان أول من لقيه يزيد بن أبى سفيان ثم أبوعبيدة بن الجراح ثم خالد بن الوليد على الخيول وعليهم الديباج والحرير فنزل عمر عن حماره وأخذ الحجارة ورماهم بها و قال سرعان مالفتم عن رأيكم إياى [صـفحه ٢٩٩] تستقبلون فى هذاالزى وإنما شبعتم منذ سنتين سرع ماترت بكم البطنة وتالله لوفعلتموها على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم فقالوا يا أمير المؤمنين إنما هى يلامقه وتحتها السلاح فقال فنعم إذا قال أبو جعفر فلما علم الروم مقدم عمر نفسه سألوه الصلح فصالحهم وكتب لهم كتابا على أن يؤدوا الجزية ثم سار إلى بيت المقدس فقصر فرسه عن المشى فأتى ببرذون فركبه فهزه وهملج تحته فنزل عنه وضرب وجهه بردائه و قال قبح الله من علمك هذاردوا على فرسى فركبه وسار حتى انتهى إلى بيت المقدس . قال و لم يركب برذونا قبله و لابعده و قال أعوذ بالله من الخيلاء. قال أبو جعفر ولقيه معاوية و عليه ثياب ديباج وحوله جماعة من الغلمان والخول فدنا منه فقبل يده فقال ما هذا يا ابن هند وإنك لعلى هـذه الحال مترف صاحب لبوس وتنعم و قدبلغنى أن ذوى الحاجات يقفون ببابك فقال يا أمير المؤمنين أمااللباس فأنا ببلاد عدو ونحب أن يرى أثر نعمة الله علينا و أماالحجاب فأنا نخاف من البذلة جرأة الرعية فقال ماسألتك عن شيء إلاتركتنى منه فى أضيق من الرواجب إن كنت صادقا فإنه رأى لبيب و إن كنت كاذبا فإنها خدعة أريب . و قدروى الناس كلام معاوية لعمر على وجه آخر قيل لماقدم عمر الشام قدمها و هوراكب حمارا قريبا من الأرض ومعه عبدالرحمن بن عوف راكب حمار قريب أيضا فتلقاهما معاوية فى كوكبة خشناء فثنى وركه ونزل وسلم بالخلافة فلم يرد عليه . [صـفحه ٣٠٠] فقال له عبدالرحمن أحصرت الفتى يا أمير المؤمنين فلو كلمته قال إنك لصاحب الجيش ألذى أرى قال نعم قال مع شدة احتجابك ووقوف ذوى الحاجات ببابك قال أجل قال لم ويحك قال لأنا ببلاد عدو كثير فيهاجواسيسهم فإن لم نتخذ العدة والعدد استخف بنا وهجم على عوراتنا و أنا بعدعاملك فإن استنقصتنى نقصت و إن استزدتنى زدت و إن استوقفتنى وقفت فقال إن كنت كاذبا إنه لرأى أريب و إن كنت صادقا إنه لتدبير لبيب ماسألتك عن شيءقط إلاتركتنى منه فى أضيق من رواجب الضرس لاآمرك و لاأنهاك فلما انصرف قال عبدالرحمن لقد أحسن الفتى فى إصدار ماأردت عليه فقال لحسن إيراده وإصداره جشمناه ماجشمناه . قال أبو جعفرشخص عمر من المدينة إلى الشام أربع مرات ودخلها مرة راكب فرس ومرة راكب بعير ومرة راكب بغل ومرة راكب حمار و كان لايعرف

وربما استخبره الواحد أين أمير المؤمنين فيسكت أو يقول سل الناس و كان يدخل الشام و عليه سحق فرو مقلوب و إذاحضر الناس طعامه رأوا أخشن الطعام . قال أبو جعفر وقدم الشام فی إحدی هذه المرات الأربع فصادف الطاعون بهافاشیا فاستشار الناس فكل أشار علیه بالرجوع وألا یدخلها إلا أباعبیدهٔ بن الجراح فإنه قال أتفر من قدر الله قال نعم أفر من قدر الله بقدر الله إلی قدر الله لوغیرک قالها یا أباعبیدهٔ فما لبث أن جاء عبدالرحمن بن عوف فروی لهم عن النبی ص أنه قال إذاكنتم ببلاد الطاعون فلاتخرجوا منها و إذاقدمتم إلی بلاد الطاعون فلاتدخلوها -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۱۰۸ فحمد الله علی موافقهٔ الخبر لما كان فی نفسه و ماأشار به الناس وانصرف راجعا إلی المدینهٔ ومات أبوعبیدهٔ فی ذلک الطاعون و هوالطاعون المعروف بطاعون عمواس و كان فی سنهٔ سبع عشرهٔ من الهجرهٔ [صفحه ۳۰۱]

۱۳۵- و من كلام له ع و قدوقعت بینه و بین عثمان مشاجرهٔ

اشاره

فقال المغیرهٔ بن الأخنس لعثمان أناأكفیكه فقال أمیر المؤمنین ع للمغیرهٔ یَا ابنَ اللّعِینِ الأَبتَرِ وَ الشّجَرَةِ التّیِ لَا أَصلَ لَهَا وَ لَا فَرعَ أَنتَ تكَفیِنیِ فَوَاللّهِ مَا أَعَزّ اللّهُ مَن أَنتَ نَاصِرُهُ وَ لَا قَامَ مَن أَنتَ مُنهِضُهُ اخرُج عَنّا أَبعَدَ اللّهُ نَوَاکَ ثُمّ ابلُغ جَهدَکَ فَلَا أَبقَی اللّهُ عَلَیکَ إِن أَبقَیتَ هوالمغیرهٔ بن الأخنس بن شریق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبی سلمهٔ الثقفی حلیف بنی زهرهٔ وإنما قال له أمیر المؤمنین ع یا ابن اللعین لأن الأخنس بن شریق كان من أكابر المنافقین ذكره أصحاب الحدیث كلهم فی المؤلفهٔ قلوبهم الذین أسلموا یوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله ص مائهٔ من الإبل من غنائم حنین یتألف بهاقلبه وابنه أبوالحكم بن الأخنس قتله أمیر المؤمنین ع یوم أحد كافرا فی الحرب و هوأخو المغیرهٔ هذا والحقد ألذی فی قلب المغیرهٔ علیه من هذه الجههٔ وإنما قال له یا ابن الأبتر لأن من كان عقبهٔ ضالا خبیثا فهو كمن لاعقب له بل من لاعقب له خیر منه ویروی و لاأقام من أنت منهضه بالهمزهٔ. ویروی أبعد الله نوءک من أنواء النجوم التی كانت العرب تنسب المطر إلیها وكانوا إذادعوا علی إنسان قالوا أبعد الله نوءک أی خیرک . [صفحه ۳۰۲] والجهد بالفتح الغایهٔ ویقال قدجهد فلان جهده بالفتح لایجوز غیر ذلک أی انتهی إلی غایته و قدروی أن رسول الله ص لعن ثقیفا. و روی أنه ع قال لو لاعروهٔ بن مسعود للعنت ثقیفا -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۵۳ . وروی الحسن البصری أن رسول الله ص لعن ثلاث بیوت بیتان من مكهٔ وهما بنو أمیهٔ وبنو المغیرهٔ وبیت من الطائف وهم ثقیف . و فی الخبر المشهور المرفوع و قدذكر ثقیفا بئست القبیلهٔ یخرج منها كذاب ومبیر -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۸۱ فكان كما قال ص الكذاب المختار والمبیر الحجاج . واعلم أن هذاالكلام لم یكن بحضرهٔ عثمان ولكن عوانهٔ روی عن إسماعیل بن أبی خالد عن الشعبی أن عثمان لماكثرت شكایته من علی ع أقبل لایدخل إلیه من أصحاب رسول الله ص أحد إلاشكا إلیه علیا فقال له زید بن ثابت الأنصاری و كان من شیعته وخاصته أ فلاأمشی إلیه فأخبره بموجدتک فیما یأتی إلیک قال بلی فأتاه زید ومعه المغیرهٔ بن الأخنس بن شریق الثقفی وعداده فی بنی زهرهٔ وأمه عمهٔ عثمان بن عفان فی جماعهٔ فدخلوا علیه فحمد زید الله وأثنی علیه ثم قال أما بعد فإن الله قدم لک سلفا صالحا فی الإسلام وجعلک من الرسول بالمكان ألذی أنت به فأنت للخیر كل الخیر أهل و أمیر المؤمنین عثمان ابن عمک ووالی هذه الأمهٔ فله علیک حقان حق الولایهٔ وحق القرابهٔ و قدشكا إلینا أن علیا یعرض لی ویرد أمری علی و قدمشینا إلیک نصیحهٔ لک وكراهیهٔ أن یقع بینک و بین ابن عمک أمر نكرهه لكما. قال فحمد علی ع الله وأثنی علیه وصلی علی رسوله ثم قال أما بعدفو الله ماأحب الاعتراض و لاالرد علیه إلا أن یأبی حقا لله لایسعنی أن

أقول فيه إلابالحق و و الله لأكفن عنه ماوسعنى الكف . [صفحه ۳۰۳] فقال المغيرة بن الأخنس و كان رجلا وقاحا و كان من شيعة عثمان وخلصائه إنك و الله لتكفن عنه أولتكفن فإنه أقدر عليك منك عليه وإنما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعزازا لتكون له الحجة عندهم عليك فقال له على ع يا ابن اللعين الأبتر والشجرة التى لاأصل لها و لافرع أنت تكفنى فو الله ماأعز الله امرأ أنت ناصره اخرج أبعد الله نواك ثم اجهد جهدك فلاأبقى الله عليك و لا على أصحابك إن أبقيتم . فقال له زيد إنا و الله ماجئناك لنكون عليك شهودا و لاليكون ممشانا إليك حجة ولكن مشينا فيما بينكما التماس الأجر أن يصلح الله ذات بينكما ويجمع كلمتكما ثم دعا له ولعثمان وقام فقاموا معه . و هذاالخبر يدل على أن اللفظة أنت تكفنى وليست كماذكره الرضى رحمه الله أنت تكفينى لكن الرضا طبق هذه اللفظة على ماقبلها و هو قوله أناأكفيكه و لاشبهة أنها رواية أخرى

فصل فى نسب ثقيف وطرف من أخبارهم

وإنما قال له والشجرة التى لاأصل لها و لافرع لأن ثقيفا فى نسبها طعن فقال قوم من النسابين إنهم من هوازن و هوالقول ألذى تزعمه الثقفيون قالوا هوثقيف واسمه قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر و على هذاالقول جمهور الناس . ويزعم آخرون أن ثقيفا من إياد بن نزار بن معد بن عدنان و أن النخع أخوه لأبيه [صفحه ۳۰۴] وأمه ثم افترقا فصار أحدهما فى عداد هوازن والآخر فى عداد مذحج بن مالك بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . و قدروى أبوالعباس المبرد فى الكامل لأخت الأشتر مالك بن الحارث النخعى تبكيه أ بعدالأشتر النخعى نرجو || مكاثرة ونقطع بطن واد ونصحب مذحجا بإخاء صدق || و أن ننسب فنحن ذرا إياد ثقيف عمنا و أبوأبينا || وإخوتنا نزار أولو السداد . قال أبوالعباس وهجا يحيى بن نوفل و كان هجاء خبيث اللسان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعى و قد كان العريان تزوج امرأة اسمها زباد مبنى على الكسر والزاى مفتوحة بعدها باء منقوطة بواحدة وهى من ولد هانئ بن قبيصة الشيبانى وكانت قبله تحت الوليد بن عبدالملك بن مروان فطلقها فأنكحها إياه أخ لها يقال له زياد فقال يحيى بن نوفل أعريان مايدرى امرؤ سيل عنكم || أ من مذحج تدعون أم من إياد فإن قلتم من مذحج إن مذحجا || لبيض الوجوه غيرجد جعاد وأنتم صغار الهام حدل كأنما || وجوهكم مطلية بمداد و إن قلتم الحى اليمانون أصلنا || وناصرنا فى كل يوم جلاد فأطول بأير من معد ونزوة || نزت بإياد خلف دار مراد ضللتم كماضلت ثقيف فما لكم || و لالهم بين القبائل هاد لعمر بنى شيبان إذ ينكحونه || زباد لقد ماقصروا بزباد [صفحه ۳۰۵] أ بعدوليد أنكحوا عبدمذحج || كمنزية عيرا خلاف جواد وأنكحها لا فى كفاء و لاغنى || زياد أضل الله سعى زياد قال أبوالعباس و كان المغيرة بن شعبة و هووالى الكوفة صار إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر وهى فيه عمياء مترهبة فاستأذن عليها فقيل لها أمير هذه المدرة بالباب قالت قولوا له من ولد جبلة بن الأيهم أنت قال لاقالت أفمن ولد المنذر بن ماء السماء أنت قال لاقالت فمن أنت قال أناالمغيرة بن شعبة الثقفى قالت فما حاجتك قال جئت خاطبا قالت لوكنت جئتنى لجمال أوحال لأطلبنك ولكن أردت أن تتشرف بى فى محافل العرب فتقول نكحت ابنة النعمان بن المنذر و إلافأى خير فى اجتماع أعور وعمياء فبعث إليها كيف كان أمركم قالت سأختصر لك الجواب أمسينا و ليس فى الأرض عربى إلا و هويرهبنا أويرغب إلينا وأصبحنا و ليس فى الأرض عربى إلا ونحن نرهبه ونرغب إليه قال فما كان أبوك يقول فى ثقيف قالت أذكر و قداختصم إليه رجلان منهم أحدهما ينتهى إلى إياد والآخر إلى هوازن فقضى للإيادى و قال إن ثقيفا لم تكن هوازنا || و لم تناسب عامرا أومازنا فقال المغيرة أمانحن فمن بكر بن هوازن فليقل أبوك ماشاء ثم انصرف . و قال قوم آخرون إن ثقيفا من بقايا ثمود من العرب القديمة التى بادت وانقرضت . [صفحه ۳۰۶] قال أبوالعباس و قد قال

الحجاج على المنبر يزعمون أنا من بقايا ثمود فقد كذبهم الله بقوله وَ ثَمُودَ فَما أَبقى. و قال مرة أخرى ولئن كنا من بقايا ثمود لمانجا مع صالح إلاخيارهم . و قال الحجاج يوما لأبى العسوس الطائى أى أقدم أنزول ثقيف الطائف أم نزول طيئ الجبلين فقال له أبوالعسوس إن كانت ثقيف من بكر بن هوازن فنزول طيئ الجبلين قبلها و إن كانت من بقايا ثمود فهى أقدم فقال الحجاج اتقنى فإنى سريع الخطفة للأحمق المتهور فقال أبوالعسوس قال أبوالعباس و كان أعرابيا قحا إلا أنه لطيف الطبع و كان الحجاج يمازحه -قرآن-۹۴-۱۱۴ يؤدبنى الحجاج تأديب أهله || فلو كنت من أولاد يوسف ماعدا وإنى لأخشى ضربة ثقفية || يقد بهامن عصاه المقلدا على أننى مما أحاذر آمن || إذاقيل يوما قدعصى المرء واعتدى وقتل المغيرة بن الأخنس مع عثمان يوم الدار و قدذكرنا مقتله فيما تقدم .تم الجزء الثامن من شرح نهج البلاغة ويليه الجزء التاسع

المجلد ۹

الجزء التاسع

تتمة الخطب والأوامر

تتمة خطبة ۱۳۵

ذكر أطراف مما شجر بين على وعثمان فى أثناء خلافته

واعلم أن هذاالكتاب يستدعى منا أن نذكر أطرافا مما شجر بين أمير المؤمنين ع وعثمان أيام خلافته إذ كان هذاالكلام ألذى شرحناه من ذلك النمط والشىء يذكر بنظيره وعادتنا فى هذاالشرح أن نذكر الشىء مع ميناسبه ويقتضى ذكره . قال أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى فى كتاب أخبار السقيفة حدثنى محمد بن منصور الرمادى عن عبدالرزاق عن معمر عن زياد بن جبل عن أبى كعب الحارثى و هوذو الإداوة قال أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز وإنما سمى ذا الإداوة لأنه قال إنى خرجت فى طلب إبل ضوال فتزودت لبنا فى إداوة ثم قلت فى نفسى ماأنصفت ربى فأين الوضوء فأرقت اللبن وملأتها ماء فقلت هذاوضوء وشراب وطفقت أبغى إبلى فلما أردت الوضوء اصطبت من الإداوة ماء فتوضأت ثم أردت الشرب فلما اصطببتها إذالبن فشربت فمكثت بذلك ثلاثا فقالت [صفحه ۴] له أسماء النحرانية يا أباكعب أحقينا كان أم حليبا قال إنك لبطالة كان يعصم من الجوع ويروى من الظمأ أماإنى حدثت بهذا نفرا من قومى منهم على بن الحارث سيد بنى قنان فلم يصدقنى و قال ماأظن ألذى تقول كما قلت فقلت الله أعلم بذلك ورجعت إلى منزلى فبت ليلتى تلك فإذا به صلاة الصبح على بابى فخرجت إليه فقلت رحمك الله لم تعنيت ألا أرسلت إلى فآتيك فإنى لأحق بذلك منك قال مانمت الليلة إلاأتانى آت فقال أنت ألذى تكذب من يحدث بما أنعم الله عليه قال أبوكعب ثم خرجت حتى أتيت المدينة فأتيت عثمان بن عفان و هوالخليفة يومئذ فسألته عن شىء من أمر دينى و قلت يا أمير المؤمنين إنى رجل من أهل اليمن من بنى الحارث بن كعب وإنى أريد أن أسألك فأمر حاجبك ألا يحجبنى فقال ياوثاب إذاجاءك هذاالحارثى فأذن له قال فكنت إذاجئت فقرعت الباب قال من ذا فقلت الحارثى فيقول ادخل فدخلت يوما فإذاعثمان جالس وحوله نفر سكوت لايتكلمون كأن على رءوسهم الطير فسلمت ثم جلست فلم أسأله عن شىء لمارأيت من حالهم وحاله فبينا أناكذلك إذ جاء نفر فقالوا إنه أبى أن يجىء قال فغضب و قال أبى أن يجىء اذهبوا فجيئوا به فإن أبى فجروه جرا. قال فمكثت قليلا فجاءوا ومعهم رجل آدم طوال أصلع فى مقدم رأسه شعرات و فى قفاه شعرات فقلت من هذاقالوا عمار بن

ياسر فقال له عثمان أنت ألذى تأتيك رسلنا فتأبى أن تجىء قال فكلمه بشىء لم أدر ما هو ثم خرج فما زالوا [صفحه ۵] ينفضون من عنده حتى مابقى غيرى فقام فقلت و الله لاأسأل عن هذاالأمر أحدا أقول حدثنى فلان حتى أدرى مايصنع فتبعته حتى دخل المسجد فإذاعمار جالس إلى سارية وحوله نفر من أصحاب رسول الله ص يبكون فقال عثمان ياوثاب على بالشرط فجاءوا فقال فرقوا بين هؤلاء ففرقوا بينهم . ثم أقيمت الصلاة فتقدم عثمان فصلى بهم فلما كبر قالت امرأة من حجرتها ياأيها الناس ثم تكلمت وذكرت رسول الله ص و مابعثه الله به ثم قالت تركتم أمر الله وخالفتم عهده ... ونحو هذا ثم صمتت وتكلمت امرأة أخرى بمثل ذلك فإذاهما عائشة وحفصة. قال فسلم عثمان ثم أقبل على الناس و قال إن هاتين لفتانتان يحل لى سبهما و أنابأصلهما عالم . فقال له سعد بن أبى وقاص أتقول هذالحبائب رسول الله ص فقال وفيم أنت و ماهاهنا ثم أقبل نحو سعد عامدا ليضربه فانسل سعد.فخرج من المسجد فاتبعه عثمان فلقى عليا ع بباب المسجد فقال له ع أين تريد قال أريد هذا ألذى كذا وكذا يعنى سعدا يشتمه فقال له على ع أيها الرجل دع عنك هذا قال فلم يزل بينهما كلام حتى غضبا فقال عثمان ألست ألذى خلفك رسول الله ص له يوم تبوك فقال على ألست الفار عن رسول الله ص يوم أحد. قال ثم حجز الناس بينهما قال ثم خرجت من المدينة حتى انتهيت إلى الكوفة فوجدت أهلها أيضا وقع بينهم شر ونشبوا فى الفتنة وردوا سعيد بن العاص فلم يدعوه يدخل إليهم فلما رأيت ذلك رجعت حتى أتيت بلاد قومى. [صفحه ۶] وروى الزبير بن بكار فى كتاب الموفقيات عن عمه عن عيسى بن داود عن رجاله قال قال ابن عباس رحمه الله لمابنى عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه فى ذلك فبلغه فخطبنا فى يوم جمعة ثم صلى بنا ثم عاد إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال أما بعد فإن النعمة إذاحدثت حدث لها حساد حسبها وأعداء قدرها و إن الله لم يحدث لنا نعما ليحدث لها حساد عليها ومنافسون فيها ولكنه قد كان من بناء منزلنا هذا ما كان إرادة جمع المال فيه وضم القاصية إليه فأتانا عن أناس منكم أنهم يقولون أخذ فيئنا وأنفق شيئنا واستأثر بأموالنا يمشون خمرا وينطقون سرا كأنا غيب عنهم وكأنهم يهابون مواجهتنا معرفة منهم بدحوض حجتهم فإذ غابوا عنا يروح بعضهم إلى بعض يذكرنا و قدوجدوا على ذلك أعوانا من نظرائهم ومؤازرين من شبابهم فبعدا بعدا ورغما رغما ثم أنشد بيتين كأنه يومئ فيهما إلى على ع . توقد بنار أينما كنت واشتعل || فلست ترى مما تعالج شافيا تشط فيقضى الأمر دونك أهله || وشيكا و لاتدعى إذاكنت نائيا . ما لى ولفيئكم وأخذ مالكم ألست من أكثر قريش مالا وأظهرهم من الله نعمة أ لم أكن على ذلك قبل الإسلام وبعده وهبونى بنيت منزلا من بيت المال أ ليس هو لى ولكم أ لم أقم أموركم وإنى من وراء حاجاتكم فما تفقدون من حقوقكم شيئا فلم لاأصنع فى الفضل ماأحببت فلم كنت إماما إذا.ألا- و إن من أعجب العجب أنه بلغنى عنكم أنكم تقولون لنفعلن به ولنفعلن فبمن تفعلون لله آباؤكم أبنقد البقاع أم بفقع القاع ألست أحراكم إن دعا أن يجاب وأقمنكم إن أمر أن يطاع [صفحه ۷] لهفى على بقائى فيكم بعدأصحابى وحياتى فيكم بعدأترابى ياليتنى تقدمت قبل هذالكنى لاأحب خلاف ماأحبه الله لى عز و جل إذاشئتم فإن الصادق المصدق محمداص قدحدثنى بما هوكائن من أمرى وأمركم و هذابدء ذلك وأوله فكيف الهرب مما حتم وقدر أماإنه ع قدبشرنى فى آخر حديثه بالجنة دونكم إذاشئتم فلاأفلح من ندم . قال ثم هم بالنزول فبصر بعلى بن أبى طالب ع ومعه عمار بن ياسر رضى الله عنه وناس من أهل هواه يتناجون فقال إيها إيها أسرارا لاجهارا أما و ألذى نفسى بيده ماأحنق على جرة و لاأوتى من ضعف مرة و لو لاالنظر لى ولكم والرفق بى وبكم لعاجلتكم فقد اغتررتم وأفلتم من أنفسكم . ثم رفع يديه يدعو و يقول أللهم قدتعلم حبى للعافية فألبسنيها وإيثارى للسلامة فآتنيها. قال فتفرق القوم عن على ع وقام عدى بن الخيار فقال أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة وزادك فى الكرامة و الله لأن تحسد أفضل من أن تحسد ولأن تنافس أجل من أن تنافس أنت و الله فى حسبنا الصميم ومنصبنا الكريم إن دعوت أجبت و إن أمرت أطعت فقل نفعل وادع تجب جعلت الخيرة والشورى إلى أصحاب رسول الله ص ليختاروا لهم ولغيرهم وإنهم ليرون مكانك ويعرفون مكان غيرك فاختاروك منيبين

طائعين غيرمكرهين و لامجبرين ماغيرت و لافارقت و لابدلت و لاخالفت فعلام يقدمون عليك و هذارأيهم فيك أنت و الله كما قال الأول اذهب إليك فما للحسود || إلاطلابك تحت العثار [صفحه ٨] حكمت فما جرت فى خلة || فحكمك بالحق بادى المنار فإن يسبعوك فسرا و قد || جهرت بسيفك كل الجهار . قال ونزل عثمان فأتى منزله وأتاه الناس وفيهم ابن عباس فلما أخذوا مجالسهم أقبل على ابن عباس فقال ما لى ولكم يا ابن عباس ماأغراكم بى وأولعكم بتعقب أمرى أتنقمون على أمر العامة أتيت من وراء حقوقهم أم أمركم فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم لا ـ و الله لكن الحسد والبغى وتثوير الشر وإحياء الفتن و الله لقد ألقى النبى ص إلى ذلك وأخبرنى به عن أهله واحدا واحدا و الله ماكذبت و لا أنابمكذوب . فقال ابن عباس على رسلك يا أمير المؤمنين فو الله ماعهدتك جهرا بسرك و لا ـمظهرا ما فى نفسك فما ألذى هيجك وثورك إنا لم يولعنا بك أمر و لم نتعقب أمرك بشىء أتيت بالكذب وتسوف عليك بالباطل و الله مانقمنا عليك لنا و لاللعامة قدأوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم وقضيت مايلزمك لنا ولهم فأما الحسد والبغى وتثوير الفتن وإحياء الشر فمتى رضيت به عترة النبى و أهل بيته وكيف وهم منه و إليه على دين الله يثورون الشر أم على الله يحيون الفتن كلا ـ ليس البغى و لاالحسد من طباعهم فاتئد يا أمير المؤمنين وأبصر أمرك وأمسك عليك فإن حالتك الأولى خير من حالتك الأخرى لعمرى إن كنت لأثيرا عند رسول الله و إن كان يفضى إليك بسره مايطويه عن غيرك و لاكذبت و لا أنت بمكذوب اخسأ الشيطان عنك و لايركبك واغلب غضبك و لايغلبك فما دعاك إلى هذاالأمر ألذى كان منك . [صفحه ٩] قال دعانى إليه ابن عمك على بن أبى طالب فقال ابن عباس وعسى أن يكذب مبلغك قال عثمان إنه ثقة قال ابن عباس إنه ليس بثقة من بلغ وأغرى قال عثمان يا ابن عباس آلله إنك ماتعلم من على ماشكوت منه قال أللهم لا ـ إلا أن يقول كما يقول الناس وينقم كماينقمون فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم فقال عثمان إنما آفتى من أعظم الداء ألذى ينصب نفسه لرأس الأمر و هو على ابن عمك و هذا و الله كله من نكده وشؤمه قال ابن عباس مهلا ـ استثن يا أمير المؤمنين قل إن شاء الله فقال إن شاء الله ثم قال إنى أنشدك يا ابن عباس الإسلام والرحم فقد و الله غلبت وابتليت بكم و الله لوددت أن هذاالأمر كان صار إليكم دونى فحملتموه عنى وكنت أحد أعوانكم عليه إذا و الله لوجدتمونى لكم خيرا مما وجدتكم لى ولقد علمت أن الأمر لكم ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم فو الله ماأدرى أدفعوه عنكم أم دفعوكم عنه . قال ابن عباس مهلا ـ يا أمير المؤمنين فإنا ننشدك الله والإسلام والرحم مثل مانشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدوا وتشمت بنا وبك حسودا إن أمرك إليك ما كان قولا فإذاصار فعلا فليس إليك و لا فى يديك وإنا و الله لنخالفن إن خولفنا ولننازعن إن نوزعنا و ماتمنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا مايقوله الناس ويعيب كماعابوا فأما صرف قومنا عنا الأمر فعن حسد قد و الله عرفته وبغى قد و الله علمته فالله بيننا و بين قومنا و أماقولك إنك لاتدرى أدفعوه عنا أم دفعونا عنه فلعمرى إنك لتعرف أنه لوصار إلينا هذاالأمر مازدنا به فضلا إلى فضلنا و لاقدرا إلى قدرنا وإنا لأهل الفضل و أهل القدر و مافضل فاضل إلابفضلنا و لاسبق سابق إلابسبقنا و لو لاهدينا مااهتدى أحد و لاأبصروا من عمى و لاقصدوا من جور. فقال عثمان حتى متى يا ابن عباس يأتينى عنكم مايأتينى هبونى كنت بعيدا أ ما كان لى من الحق عليكم أن أراقب و أن أناظر بلى ورب الكعبة ولكن الفرقة [صفحه ١٠] سهلت لكم القول فى وتقدمت بكم إلى الإسراع إلى و الله المستعان . قال ابن عباس مهلا حتى ألقى عليا ثم أحمل إليك على قدر مارأى قال عثمان افعل فقد فعلت وطالما طلبت فلاأطلب و لاأجاب و لاأعتب . قال ابن عباس فخرجت فلقيت عليا و إذا به من الغضب والتلظى أضعاف مابعثمان فأردت تسكينه فامتنع فأتيت منزلى وأغلقت بابى واعتزلتهما فبلغ ذلك عثمان فأرسل إلى فأتيته و قدهدأ غضبه فنظر إلى ثم ضحك و قال يا ابن عباس ماأبطأ بك عنا إن تركك العود إلينا لدليل على مارأيت عندصاحبك وعرفت من حاله فالله بيننا وبينه خذ بنا فى غير ذلك . قال ابن عباس فكان عثمان بعد ذلك إذاأتاه عن على شىءفأردت التكذيب عنه يقول و لا يوم الجمعة حين أبطأت عنا وتركت العود إلينا فلاأدرى كيف

أرد عليه . وروى الزبير بن بكـار أيضـا فى الموفقيـات عن ابن عباس رحمه الله قال خرجت من منزلى سـحرا أسابق إلى المسـجد وأطلب الفضـيلة فسـمعت خلفى حسا وكلاما فتسـمعته فإذاحس عثمان و هويدعو و لايرى أن أحدا يسـمعه و يقول أللهم قدتعلم نيـتى فـأعنى عليهم وتعلم الـذين ابتليت بهم من ذوى رحمى وقرابـتى فأصـلحنى لهم وأصـلحهم لى . قـال فقصـرت من خطـوتى وأسـرع فى مشـيته فالتقينا فسلم فرددت عليه فقال إنى خرجت ليلتنا هذه أطلب الفضل والمسابقة إلى المسجد فقلت إنه أخرجنى ماأخرجـك فقـال و الله لئن سـابقت إلى الخير إنـك لمن سابقين مباركين وإنى لأحبكم وأتقرب إلى الله بحبكم فقلت يرحمك الله يـا أمير المؤمنين إنـا لنحبك ونعرف سابقتك وسـنك وقرابتك وصـهرك قال يا ابن عباس فما لى ولابن عمك و ابن خالى قلت أى بنى عمومتى وبنى أخوالك قال أللهم اغفر أتسأل مسألة الجاهل . [صـفحه ١١] قلت إن بنى عمومتى من بنى خئولتك كثير فـأيهم تعنى قـال أعنى عليا لاغيره فقلت لا و الله يا أمير المؤمنين ماأعلم منه إلاخيرا و لاأعرف له إلاحسـنا قال و الله بالحرى أن يستر دونك مايظهره لغيرك ويقبض عنكماينبسط به إلى سواك . قال ورمينا بعمار بن ياسر فسـلم فرددت عليه سـلامه ثم قال من معك قلت أمير المؤمنين عثمان قال نعم وسـلم بكنيته و لم يسـلم عليه بالخلافـة فرد عليه ثم قال عمار ما ألذى كنتم فقد سمعت ذروا منه قلت هو ماسـمعت فقـال عمـار رب مظلوم غافل وظالم متجاهل قال عثمان أماإنـك من شـنائنا وأتباعهم وايم الله إن اليـد عليك لمنبسـطة و إن السبيل إليك لسـهلة و لو لاإيثار العافية و لم الشـعث لزجرتك زجرة تكفى مامضـى وتمنع مابقى. فقال عمار و الله ماأعتذر من حبى عليا و ماالید بمنبسـطة و لاالسبيل بسـهلة إنى لازم حجة ومقيم على سنة و أماإيثارك العافية و لم الشـعث فلازم ذلك و أمازجرى فأمسك عنه فقـد كفاك معلمى تعليمى فقال عثمان أما و الله إنك ماعلمت من أعوان الشر الحاضـين عليه الخذلة عندالخير والمثبطين عنه فقال عمار مهلا ياعثمان فقد سـمعت رسول الله ص يصـفنى بغير ذلك قال عثمان ومتى قال يوم دخلت عليه منصـرفه عن الجمعـة و ليس عنـده غيرك و قدألقى ثيابه وقعد فى فضـله فقبلت صدره ونحره وجبهته فقال ياعمار إنك لتحبنا وإنا لنحبك وإنك لمن الأعوان على الخير المثبطين عن الشـر فقال عثمان أجل ولكنك غيرت وبـدلت قال فرفع عمار يده يدعو و قال أمن يا ابن عباس أللهم من غيرفغير به ثلاث مرات . قال ودخلنا المسـجد فأهوى عمار إلى مصلاه ومضـيت مع عثمان إلى القبلة [صـفحه ١٢] فـدخل المحراب و قـال تلبث على إذاانصـرفنا فلما رآنى عمار وحـدى أتانى فقال أ مارأيت مابلغ بى آنفا قلت أما و الله لقد أصـعبت به وأصـعب بك و إن له لسنه وفضله وقرابته قال إن له لذلك ولكن لاحق لمن لاـحق عليه وانصـرف . وصـلى عثمـان وانصـرفت معه يتوكـأ على فقـال هل سـمعت ما قال عمار قلت نعم فسـرنى ذلك وساءنى أمامسـاءته إيـاى فمـا بلغ بـك و أمامسـرته لى فحلمـك واحتمالك فقال إن عليا فارقنى منـذ أيام على المقاربـة و إن عمارا آتيه فقائل له وقائل فابـدره إليه فإنك أوثق عنـده منه وأصـدق قولا فألق الأمر إليه على وجهه فقلت نعم . وانصـرفت أريـد عليا ع فى المسـجد فـإذا هوخـارج منه فلما رآنى تفجع لى من فوت الصـلاة و قال ماأدركتها قلت بلى ولكنى خرجت مع أمير المؤمنين ثم اقتصصت عليه القصة فقال أما و الله يا ابن عباس إنه ليقرف قرحة ليحورن عليه ألمها فقلت إن له سنه وسابقته وقرابته وصهره قال إن ذلـك له ولكن لاـحق لمن لاـحق عليه . قـال ثم رهقنا عمار فبش به على وتبسم فى وجهه وسأله فقال عمار يا ابن عباس هل ألقيت إليه ماكنـا فيه قلت نعم قـال أمـا و الله إذالقـد قلت بلسان عثمان ونطقت بهواه قلت ماعـدوت الحق جهـدى و لا ذلك من فعلى وإنـك لتعلـم أى الحظيـن أحب إلى و أى الحقين أوجب على . قـال فظن على أن عنـدعمار غير مـاألقيت إليه فأخـذ بيـده وترك يـدى فعلمت أنه يكره مكـانى فتخلفت عنهمـا وانشـعب بنـا الطريق فسلكاه و لم يـدعنى فـانطلقت إلى منزلى فإذا رسول عثمان يدعونى فأتيته فأجد ببابه مروان وسـعيد بن العاص . [صفحه ١٣] فى رجال من بنى أميـة فأذن لى وألطفنى وقربنى وأدنى مجلسـى ثم قـال ماصـنعت فـأخبرته بالخبر على وجهه و ما قال الرجل و قلت له وكتمته قوله إنه ليقرف قرحـة ليحورن عليه ألمها إبقـاء عليه وإجلالاـ له وذكرت مجىء عمـار وبش على له وظن على أن قبله غير ماألقيت عليه وسـلوكهما حيث سـلكا قال وفعلا

قلت نعم فاستقبل القبلة ثم قال أللهم رب السموات و الأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أصلح لی علیا وأصلحنی له أمن یا ابن عباس فأمنت ثم تحدثنا طویلا وفارقته وأتیت منزلی. وروی الزبیر بن بکار أیضا فی الکتاب المذکور عن عبد الله بن عباس قال ماسمعت من أبی شیئا قط فی أمر عثمان یلومه فیه و لایعذره و لاسألته عن شیء من ذلک مخافة أن أهجم منه علی ما لایوافقه فإنا عنده لیلة ونحن نتعشی إذ قیل هذا أمیر المؤمنین عثمان بالباب فقال ائذنوا له فدخل فأوسع له علی فراشه وأصاب من العشاء معه فلما رفع قام من کان هناک وثبت أنافحمد عثمان الله وأثنی علیه ثم قال أما بعد یاخال فإنی قدجئتک أستعذرک من ابن أخیک علی سبنی وشهر أمری وقطع رحمی وطعن فی دینی وإنی أعوذ بالله منکم یابنی عبدالمطلب إن کان لکم حق تزعمون أنکم غلبتم علیه فقد ترکتموه فی یدی من فعل ذلک بکم و أناأقرب إلیکم رحما منه و مالمت منکم أحدا إلاعلیا ولقد دعیت أن أبسط علیه فترکته لله والرحم و أناأخاف ألا یترکنی فلاأترکه . قال ابن عباس فحمد أبی الله وأثنی علیه ثم قال أما بعد یا ابن أختی فإن کنت لاتحمد علیا لنفسک فإنی لاأحمدک لعلی و ما علی وحده قال فیک بل غیره فلو أنک [صفحه ۱۴] اتهمت نفسک للناس اتهم الناس أنفسهم لک و لوأنک نزلت مما رقیت وارتقوا مما نزلوا فأخذت منهم وأخذوا منک ما کان بذلک بأس قال عثمان فذلک إلیک یاخال و أنت بینی وبینهم قال أفأذکر لهم ذلک عنک قال نعم وانصرف فما لبثنا أن قیل هذا أمیر المؤمنین قدرجع بالباب قال أبی ائذنوا له فدخل فقام قائما و لم یجلس و قال لاتعجل یاخال حتی أوذنک فنظرنا فإذامروان بن الحکم کان جالسا بالباب ینتظره حتی خرج فهو ألذی ثناه عن رأیه الأول فأقبل علی أبی و قال یابنی ما إلی هذا من أمره شیء ثم قال یابنی أملک علیک لسانک حتی تری ما لابد منه ثم رفع یدیه فقال أللهم اسبق بی ما لاخیر لی فی إدراکه فما مرت جمعة حتی مات رحمه الله . و روی أبوالعباس المبرد فی الکامل عن قنبر مولی علی ع قال دخلت مع علی علی عثمان فأحبا الخلوة فأومأ إلی علی ع بالتنحی فتنحیت غیربعید فجعل عثمان یعاتبه و علی مطرق فأقبل علیه عثمان و قال ما لک لاتقول قال إن قلت لم أقل إلا ماتکره و لیس لک عندی إلا ماتحب -روایت-۱-۲-روایت-۶۳-۲۸۰ . قال أبوالعباس تأویل ذلک إن قلت اعتددت علیک بمثل مااعتددت به علی فلذعک عتابی وعقدی ألا أفعل و إن کنت عاتبا إلا ماتحب . وعندی فیه تأویل آخر و هوأنی إن قلت واعتذرت فأی شیءحسنته من الأعذار لم یکن ذلک عندک مصدقا و لم یکن إلامکروها غیرمقبول و الله تعالی یعلم أنه لیس لک عندی فی باطنی و ماأطوی علیه جوانحی إلا ماتحب و إن کنت لاتقبل المعاذیر التی أذکرها بل تکرهها وتنبو نفسک عنها. [صفحه ۱۵] وروی الواقدی فی کتاب الشوری عن ابن عباس رحمه الله قال شهدت عتاب عثمان لعلی ع یوما فقال له فی بعض ماقاله نشدتک الله أن تفتح للفرقة بابا فلعهدی بک و أنت تطیع عتیقا و ابن الخطاب طاعتک لرسول الله ص ولست بدون واحد منهما و أناأمس بک رحما وأقرب إلیک صهرا فإن کنت تزعم أن هذاالأمر جعله رسول الله ص لک فقد رأیناک حین توفی نازعت ثم أقررت فإن کانا لم یرکبا من الأمر جددا فکیف أذعنت لهما بالبیعة وبخعت بالطاعة و إن کانا أحسنا فیما ولیا و لم أقصر عنهما فی دینی وحسبی وقرابتی فکن لی کماکنت لهما. فقال علی ع أماالفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها بابا وأسهل إلیها سبیلا ولکنی أنهاک عما ینهاک الله ورسوله عنه وأهدیک إلی رشدک و أماعتیق و ابن الخطاب فإن کانا أخذا ماجعله رسول الله ص لی فأنت أعلم بذلک والمسلمون و ما لی ولهذا الأمر و قدترکته منذ حین فإما ألا یکون حقی بل المسلمون فیه شرع فقد أصاب السهم الثغرة وإما أن یکون حقی دونهم فقد ترکته لهم طبت به نفسا ونفضت یدی عنه استصلاحا و أماالتسویة بینک وبینهما فلست کأحدهما إنهما ولیا هذاالأمر فظلفا أنفسهما وأهلهما عنه وعمت فیه وقومک عوم السابح فی اللجة فارجع إلی الله أباعمرو وانظر هل بقی من عمرک إلاکظم ء الحمار فحتی متی و إلی متی أ لاتنهی سفهاء بنی أمیة عن أعراض المسلمین وأبشارهم وأموالهم و الله لوظلم عامل من عمالک حیث تغرب الشمس لکان إثمه مشترکا بینه وبینک -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۷۸۳ . قال ابن عباس فقال عثمان لک العتبی وافعل واعزل من عمالی کل من تکرهه [

صفحه ۱۶] ویکرهه المسلمون ثم افترقا فصده مروان بن الحکم عن ذلک و قال یجترئ علیک الناس فلاتعزل أحدا منهم . و روی الزبیر بن بکار أیضا فی کتابه عن رجال أسند بعضهم عن بعض عن علی بن أبی طالب ع قال أرسل إلی عثمان فی الهاجرة فتقنعت بثوبی وأتیته فدخلت علیه و هو علی سریره و فی یده قضیب و بین یدیه مال دثر صبرتان من ورق وذهب فقال دونک خذ من هذا حتی تملأ بطنک فقد أحرقتنی فقلت وصلتک رحم إن کان هذاالمال ورثته أوأعطاکه معط أواکتسبته من تجارة کنت أحد رجلین إما آخذ وأشکر أوأوفر وأجهد و إن کان من مال الله و فیه حق المسلمین والیتیم و ابن السبیل فو الله ما لک أن تعطینیه و لا لی أن آخذه فقال أبیت و الله إلا ماأبیت ثم قام إلی بالقضیب فضربنی و الله ماأرد یده حتی قضی حاجته فتقنعت بثوبی ورجعت إلی منزلی و قلت الله بینی وبینک إن کنت أمرتک بمعروف أونهیت عن منکر -روایت-۱-۲-روایت-۹۷-۷۱۵ وروی الزبیر بن بکار عن الزهری قال لماأتی عمر بجوهر کسری وضع فی المسجد فطلعت علیه الشمس فصار کالجمر فقال لخازن بیت المال ویحک أرحنی من هذا واقسمه بین المسلمین فإن نفسی تحدثنی أنه سیکون فی هذابلاء وفتنة بین الناس فقال یا أمیر المؤمنین إن قسمته بین المسلمین لم یسعهم و لیس أحد یشتریه لأن ثمنه عظیم ولکن ندعه إلی قابل فعسی الله أن یفتح علی المسلمین بمال فیشتریه منهم من یشتریه قال ارفعه فأدخله بیت المال . وقتل عمر و هوبحاله فأخذه عثمان لماولی الخلافة فحلی به بناته . [صفحه ۱۷] قال الزبیر فقال الزهری کل قدأحسن عمر حین حرم نفسه وأقاربه وعثمان حین وصل أقاربه . قال الزبیر و حدثنا محمد بن حرب قال حدثناسفیان بن عیینة عن إسماعیل بن أبی خالد قال جاء رجل إلی علی ع یستشفع به إلی عثمان فقال حمال الخطایا لا و الله لاأعود إلیه أبدا فآیسه منه -روایت-۱-۲-روایت-۹۱-۱۹۴ وروی الزبیر أیضا عن شداد بن عثمان قال سمعت عوف بن مالک فی أیام عمر یقول یاطاعون خذنی فقلنا له لم تقول هذا و قدسمعت رسول الله ص یقول إن المؤمن لایزیده طول العمر إلاخیرا -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-۷۲ قال إنی أخاف ستا خلافة بنی أمیة وإمارة السفهاء من أحداثهم والرشوة فی الحکم وسفک الدم الحرام وکثرة الشرط ونشأ ینشأ یتخذون القرآن مزامیر. وروی الزبیر عن أبی غسان عن عمر بن زیاد عن الأسود بن قیس عن عبید بن حارثة قال سمعت عثمان و هویخطب فأکب الناس حوله فقال اجلسوا یاأعداء الله فصاح به طلحة إنهم لیسوا بأعداء الله لکنهم عباده و قدقرءوا کتابه . وروی الزبیر عن سفیان بن عیینة عن إسرائیل عن الحسن قال شهدت المسجد یوم جمعة فخرج عثمان فقام رجل فقال أنشد کتاب الله فقال عثمان اجلس أ مالکتاب الله ناشد غیرک فجلس ثم قام آخر فقال مثل مقالته فقال اجلس فأبی [صفحه ۱۸] أن یجلس فبعث إلی الشرط لیجلسوه فقام الناس فحالوا بینهم وبینه قال ثم تراموا بالبطحاء حتی یقول القائل ماأکاد أری أدیم السماء من البطحاء فنزل عثمان فدخل داره و لم یصل الجمعة

فصل فیما شجر بین عثمان و ابن عباس من الکلام بحضرة علی

وروی الزبیر أیضا فی الموفقیات عن ابن عباس رحمه الله قال صلیت العصر یوما ثم خرجت فإذا أنابعثمان بن عفان فی أیام خلافته فی بعض أزقة المدینة وحده فأتیته إجلالا وتوقیرا لمکانه فقال لی هل رأیت علیا قلت خلفته فی المسجد فإن لم یکن الآن فیه فهو فی منزله قال أمامنزله فلیس فیه فابغه لنا فی المسجد فتوجهنا إلی المسجد و إذا علی ع یخرج منه قال ابن عباس و قدکنت أمس ذلک الیوم عند علی فذکر عثمان وتجرمه علیه و قال أما و الله یا ابن عباس إن من دوائه لقطع کلامه وترک لقائه فقلت له یرحمک الله کیف لک بهذا فإن ترکته ثم أرسل إلیک فما أنت صانع قال أعتل وأعتل فمن یقسرنی قال لاأحد. قال ابن عباس فلما تراءینا له و هوخارج من المسجد ظهر منه من التفلت والطلب للانصراف مااستبان لعثمان فنظر إلی عثمان و قال یا ابن عباس أ ماتری ابن خالنا یکره لقاءنا فقلت و لم وحقک ألزم و هوبالفضل أعلم فلما تقاربا رماه عثمان بالسلام فرد علیه فقال

عثمان إن تدخل فإياک أردنا و إن تمض فإياک طلبنا فقال على أى ذلک أحببت قال تدخل فدخلا وأخذ عثمان بيده فأهوى به إلى القبلة فقصر عنها وجلس قبالتها فجلس عثمان إلى جانبه فنكصت عنهما فدعوانى جميعا فأتيتهما فحمد عثمان الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال أما بعد يابنى خالى وابنى [صفحه ۱۹] عمى فإذ جمعتكما فى النداء فسأجمعكما فى الشكاية عن رضاى على أحدكما ووجدى على الآخر إنى أستعذركما من أنفسكما وأسألكما فيئتكما وأستوهبكما رجعتكما فو الله لوغالبنى الناس ماانتصرت إلابكما و لوتهضمونى ماتعززت إلابعزكما ولقد طال هذاالأمر بيننا حتى تخوفت أن يجوز قدره ويعظم الخطر فيه ولقد هاجنى العدو عليكما وأغرانى بكما فمنعنى الله والرحم مما أراد و قدخلونا فى مسجد رسول الله ص و إلى جانب قبره و قدأحببت أن تظهرا لى رأيكما فى و ماتنطويان لى عليه وتصدقا فإن الصدق أنجى وأسلم وأستغفر الله لى ولكما. قال ابن عباس فأطرق على ع وأطرقت معه طويلا ـ أما أنافأجللته أن أتكلم قبله و أما هوفأراد أن أجيب عنى و عنه ثم قلت له أتتكلم أم أتكلم عنک قال بل تكلم عنى وعنک فحمدت الله وأثنيت عليه وصليت على رسوله ثم قلت أما بعد يا ابن عمنا وعمتنا فقد سمعنا كلامک لنا وخلطک فى الشكاية بيننا على رضاک زعمت عن أحدنا ووجدک على الآـخر وسنفعل فى ذلک فنذمک ونحمدک اقتداء منک بفعلک فينا فإنا نذم مثل تهمتک إيانا على مااتهمتنا عليه بلا ثقة إلاظنا ونحمد منک غير ذلک من مخالفتک عشيرتک ثم نستعذرک من نفسک استعذارک إيانا من أنفسنا ونستوهبک فيئتک استيهابک إيانا فيئتنا ونسألک رجعتک مسألتک إيانا رجعتنا فإنا معا أيما حمدت وذممت منا كمثلک فى أمر نفسک ليس بيننا فرق و لااختلاف بل كلانا شريک صاحبه فى رأيه و قوله فو الله ماتعلمنا غيرمعذرين فيما بيننا وبينک و لاتعرفنا غيرقانتين عليک و لاتجدنا غيرراجعين إليک فنحن نسألک من نفسک مثل ماسألتنا من أنفسنا و أماقولک لوغالبتنى الناس ماانتصرت إلابكما أوتهضمونى ماتعززت إلابعزكما فأين بنا وبک عن ذلک ونحن و أنت كما قال أخو كنانة [صفحه ۲۰] بدا بحتر مارام نال و إن يرم || يخض دونه غمرا من الغر رائمه لنا ولهم منا ومنهم على العدا || مراتب عزمصعدات سلالمه . و أماقولک فى هيج العدو إياک علينا وإغرائه لک بنا فو الله ماأتاک العدو من ذلک شيئا إلا و قدأتانا بأعظم منه فمنعنا مما أراد مامنعک من مراقبة الله والرحم و ماأبقيت أنت ونحن إلا على أدياننا وأعراضنا ومروءاتنا ولقد لعمرى طال بنا وبک هذاالأمر حتى تخوفنا منه على أنفسنا وراقبنا منه ماراقبت . و أمامساءلتک إيانا عن رأينا فيک و ماننطوى عليه لک فإنا نخبرک أن ذلک إلى ماتحب لايعلم واحد منا من صاحبه إلا ذلک و لايقبل منه غيره وكلانا ضامن على صاحبه ذلک وكفيل به و قدبرأت أحدنا وزكيته وأنطقت الآخر وأسكته و ليس السقيم منا مما كرهت بأنطق من البرىء فيما ذكرت و لاالبرىء منا مما سخطت بأظهر من السقيم فيما وصفت فإما جمعتنا فى الرضا وإما جمعتنا فى السخط لنجازيک بمثل ماتفعل بنا فى ذلک مكايلة الصاع بالصاع فقد أعلمناک رأينا وأظهرنا لک ذات أنفسنا وصدقناک والصدق كماذكرت أنجى وأسلم فأجب إلى مادعوت إليه وأجلل عن النقض والغدر مسجد رسول الله ص وموضع قبره واصدق تنج وتسلم ونستغفر الله لنا و لک قال ابن عباس فنظر إلى على ع نظر هيبة و قال دعه حتى يبلغ رضاه فيما هو فيه فو الله لوظهرت له قلوبنا وبدت له سرائرنا حتى رآها بعينه كمايسمع الخبر عنها بأذنه مازال متجرما منتقما و الله ما أناملقى على وضمة وإنى لمانع ماوراء ظهرى و إن هذاالكلام لمخالفة منه وسوء عشرة فقال عثمان مهلا أباحسن فو الله إنک لتعلم أن رسول الله ص وصفنى -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-ادامه دارد [صفحه ۲۱] بغير ذلک يوم يقول و أنت عنده إن من أصحابى لقوما سالمين لهم و إن عثمان لمنهم إنه لأحسنهم بهم ظنا وأنصحهم لهم حبا فقال على ع فتصدق قوله ص بفعلک وخالف ما أنت الآـن عليه فقد قيل لک ماسمعت و هوكاف إن قبلت قال عثمان فتثق يا أبا الحسن قال نعم أثق و لاأظنک إلافاعلا قال عثمان قدوثقت و أنت ممن لاـيخفر صاحبه و لايكذب لقيله -روايت-از قبل-۳۵۴ . قال ابن عباس فأخذت بأيديهما حتى تصافحا وتصالحا وتمازحا ونهضت عنهما فتشاورا وتآمرا وتذاكرا ثم افترقا فو الله مامرت ثالثة حتى لقينى كل واحد منهما يذكر من

صاحبه ما لا تبرك عليه الإبل فعلمت أن لاسبيل إلى صلحهما بعدها. وروى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى فى كتاب أخبار السقيفة عن محمد بن قيس الأسدى عن المعروف بن سويد قال كنت بالمدينة أيام بويع عثمان فرأيت رجلا فى المسجد جالسا و هويصفق بإحدى يديه على الأخرى و الناس حوله و يقول وا عجبا من قريش واستئثارهم بهذا الأمر على أهل هذاالبيت معدن الفضل ونجوم الأرض ونور البلاد و الله إن فيهم لرجلا مارأيت رجلا بعد رسول الله ص أولى منه بالحق و لاأقضى بالعدل و لاآمر بالمعروف و لاأنهى عن المنكر فسألت عنه فقيل هذاالمقداد فتقدمت إليه و قلت أصلحك الله من الرجل ألذى تذكر فقال ابن عم نبيك رسول الله ص على بن أبى طالب . قال فلبثت ماشاء الله ثم إنى لقيت أباذر رحمه الله فحدثته ما قال المقداد فقال صدق قلت فما يمنعكم أن تجعلوا هذاالأمر فيهم قال أبى ذلك قومهم قلت فما يمنعكم أن تعينوهم قال مه لاتقل هذاإياكم والفرقة والاختلاف . [صفحه ٢٢] قال فسكت عنه ثم كان من الأمر بعد ما كان . وذكر شيخنا أبوعثمان الجاحظ فى الكتاب ألذى أورد فيه المعاذير عن أحداث عثمان أن عليا اشتكى فعاده عثمان من شكايته فقال على ع وعائدة تعود لغير ود || تود لو أن ذا دنف يموت . فقال عثمان و الله ماأدرى أحياتك أحب إلى أم موتك إن مت هاضنى فقدك و إن حييت فتنتنى حياتك لاأعدم مابقيت طاعنا يتخذك رديئة يلجأ إليها. فقال على ع ما ألذى جعلنى رديئة للطاعنين العائبين إنما سوء ظنك بى أحلنى من قبلك هذاالمحل فإن كنت تخاف جانبى فلك على عهد الله وميثاقه أن لابأس عليك منى مابل بحر صوفة وإنى لك لراع وإنى عنك لمحام ولكن لا ينفعنى ذلك عندك و أماقولك إن فقدى يهيضك فكلا أن تهاض لفقدى مابقى لك الوليد ومروان .فقام عثمان فخرج . و قدروى أن عثمان هو ألذى أنشد هذاالبيت و قد كان اشتكى فعاده على ع فقال عثمان وعائدة تعود بغير نصح || تود لو أن ذا دنف يموت . وروى أبوسعد الآبى فى كتابه عن ابن عباس قال وقع بين عثمان و على [صفحه ٢٣] ع كلام فقال عثمان ماأصنع إن كانت قريش لاتحبكم و قدقتلتم منهم يوم بدر سبعين كأن وجوههم شنوف الذهب تصرع أنفهم قبل شفاههم . وروى المذكور أيضا أن عثمان لمانقم الناس عليه مانقموا قام متوكئا على مروان فخطب الناس فقال إن لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة و إن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة قوم عيابون طعانون يظهرون لكم ماتحبون ويسرون ماتكرهون طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق ولقد نقموا على مانقموا على عمر مثله فقمعهم ووقمهم وإنى لأقرب ناصرا وأعز نفرا فما لى لاأفعل فى فضول الأموال ماأشاء. وروى المذكور أيضا أن عليا ع اشتكى فعاده عثمان فقال ماأراك أصبحت إلاثقيلا قال أجل قال و الله ماأدرى أموتك أحب إلى أم حياتك إنى لأحب موتك وأكره أن أعيش بعدك فلو شئت جعلت لنا من نفسك مخرجا إما صديقا مسالما وإما عدوا مغالبا وإنك لكما قال أخو إياد جرت لمابيننا حبل الشموس فلا || يأسا مبينا نرى منها و لاطمعا فقال على ع ليس لك عندى ماتخافه و إن أجبتك لم أجبك إلابما تكرهه . وكتب عثمان إلى على ع حين أحيط به أما بعدفقد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الأمر فى قدره فطمع فى من لايدفع عن نفسه [صفحه ٢٤] فإن كنت مأكولا فكن خير آكل || و إلافأدركنى و لماأمزق . وروى الزبير خبر العيادة على وجه آخر قال مرض على ع فعاده عثمان ومعه مروان بن الحكم فجعل عثمان يسأل عليا عن حاله و على ساكت لايجيبه فقال عثمان لقد أصبحت يا أبا الحسن منى بمنزلة الولد العاق لأبيه إن عاش عقه و إن مات فجعه فلو جعلت لنا من أمرك فرجا إما عدوا أوصديقا و لم تجعلنا بين السماء والماء أما و الله لأنا خير لك من فلان وفلان و إن قتلت لاتجد مثلى فقال مروان أما و الله لايرام ماوراءنا حتى تتواصل سيوفنا وتقطع أرحامنا.فالتفت إليه عثمان و قال اسكت لاسكت و مايدخلك فيما بيننا. و روى شيخنا أبوعثمان الجاحظ عن زيد بن أرقم قال سمعت عثمان و هو يقول لعلى ع أنكرت على استعمال معاوية و أنت تعلم أن عمر استعمله قال على ع نشدتك الله أ لاتعلم أن معاوية كان أطوع لعمر من يرفأ غلامه إن عمر كان إذااستعمل عاملا وطئ على صماخه و إن القوم ركبوك وغلبوك واستبدوا بالأمر دونك فسكت عثمان -روايت-١-٢-روايت-٥١-٣١٩

قلت حدثنى جعفر بن مكى الحاجب رحمه الله قال سألت محمد بن سليمان حاجب الحجاب و قدرأيت أنامحمدا هذا وكانت لى به معرفة غيرمستحكمة و كان ظريفا [صفحه ۲۵] أديبا و قداشتغل بالرياضيات من الفلسفة و لم يكن يتعصب لمذهب بعينه قال جعفرسألت عما عنده فى أمر على وعثمان فقال هذه عداوة قديمة النسب بين عبدشمس و بين بنى هاشم و قد كان حرب بن أمية نافر عبدالمطلب بن هاشم و كان أبوسفيان يحسد محمداص وحاربه و لم تزل الثنتان متباغضتين و إن جمعتهما المنافية ثم إن رسول الله ص زوج عليا بابنته وزوج عثمان بابنته الأخرى و كان اختصاص رسول الله ص لفاطمة أكثر من اختصاصه للبنت الأخرى وللثانية التى تزوجها عثمان بعدوفاة الأولى واختصاصه أيضا لعلى وزيادة قربه منه وامتزاجه به واستخلاصه إياه لنفسه أكثر وأعظم من اختصاصه لعثمان فنفس عثمان ذلك عليه فتباعد ما بين قلبيهما وزاد فى التباعد ماعساه يكون بين الأختين من مباغضة أومشاجرة أوكلام ينقل من إحداهما إلى الأخرى فيتكدر قلبها على أختها و يكون ذلك التكدير سببا لتكدير ما بين البعلين أيضا كمانشاهده فى عصرنا و فى غيره من الأعصار و قدقيل ماقطع من الأخوين كالزوجتين ثم اتفق أن عليا ع قتل جماعة كثيرة من بنى عبدشمس فى حروب رسول الله ص فتأكد الشنئان و إذااستوحش الإنسان من صاحبه استوحش صاحبه منه ثم مات رسول الله ص فصبا إلى على جماعة يسيرة لم يكن عثمان منهم و لاحضر فى دار فاطمة مع من حضر من المخلفين عن البيعة وكانت فى نفس على ع أمور من الخلافة لم يمكنه إظهارها فى أيام أبى بكر وعمر لقوة عمر وشدته وانبساط يده ولسانه فلما قتل عمر وجعل الأمر شورى بين الستة وعدل عبدالرحمن بها عن على إلى عثمان لم يملك على نفسه فأظهر ما كان كامنا وأبدى ما كان مستورا و لم يزل الأمر يتزايد بينهما حتى شرف وتفاقم و مع ذلك فلم يكن على ع لينكر من أمره إلاامنكرا و لاينهاه إلا كماتقتضى الشريعة نهيه عنه و كان عثمان مستضعفا فى نفسه رخوا قليل الحزم واهى العقدة وسلم عنانه إلى [صفحه ۲۶] مروان يصرفه كيف شاء الخلافة له فى المعنى ولعثمان فى الاسم فلما انتقض على عثمان أمره استصرخ عليا ولاذ به وألقى زمام أمره إليه فدافع عنه حيث لاينفع الدفاع وذب عنه حين لايغنى الذب فقد كان الأمر فسد فسادا لايرجى صلاحه . قال جعفرفقلت له أتقول إن عليا وجد من خلافة عثمان أعظم مما وجده من خلافة أبى بكر وعمر فقال كيف يكون ذلك و هوفرع لهما ولولاهما لم يصل إلى الخلافة و لا كان عثمان ممن يطمع فيها من قبل و لايخطر له ببال ولكن هاهنا أمر يقتضى فى عثمان زيادة المنافسة و هواجتماعهما فى النسب وكونهما من بنى عبدمناف والإنسان ينافس ابن عمه الأدنى أكثر من منافسة الأبعد ويهون عليه من الأبعد ما لايهون عليه من الأقرب . قال جعفرفقلت له أفتقول لو أن عثمان خلع و لم يقتل أ كان الأمر يستقيم لعلى ع إذابويع بعدخلعه فقال لا-وكيف يتوهم ذلك بل يكون انتقاض الأمور عليه وعثمان حى مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعدقتله لأنه موجود يرجى ويتوقع عوده فإن كان محبوسا عظم البلاء والخطب وهتف الناس باسمه فى كل يوم بل فى كل ساعة و إن كان مخلى سربه وممكنا من نفسه و غيرمحول بينه و بين اختياره لجأ إلى بعض الأطراف وذكر أنه مظلوم غصبت خلافته وقهر على خلع نفسه فكان اجتماع الناس عليه أعظم والفتنة به أشد وأغلظ. قال جعفرفقلت له فما تقول فى هذاالاختلاف الواقع فى أمر الإمامة من مبدأ الحال و ما ألذى تظنه أصله ومنبعه فقال لاأعلم لهذا أصلا إلاأمرين أحدهما أن رسول الله ص أهمل أمر الإمامة فلم يصرح فيه بأحد بعينه وإنما كان هناك رمز وإيماء وكناية وتعريض لوأراد صاحبه أن يحتج به وقت الاختلاف وحال المنازعة [صفحه ۲۷] لم يقم منه صورة حجة تغنى و لادلالة تحسب وتكفى ولذلك لم يحتج على ع يوم السقيفة بما ورد فيه لأنه لم يكن نصا جليا يقطع العذر ويوجب الحجة وعادة الملوك إذاتمهد ملكهم وأرادوا العقد لولد من أولادهم أوثقة من ثقاتهم أن يصرحوا بذكره ويخطبوا باسمه على أعناق المنابر و بين فواصل الخطب ويكتبوا بذلك إلى الآفاق البعيدة عنهم

والأقطار النائيـة منهم و من كان منهم ذا سـرير وحصن ومدن كثيرة ضـرب اسـمه على صـفحات الدنانير والدراهم مع اسم ذلك الملك بحيث تزول الشبهة فى أمره ويسقط الارتياب بحاله فليس أمر الخلافة بهين و لاصغير ليترك حتى يصير فى مظنة الاشتباه واللبس ولعله كـان لرسول الله ص فى ذلـك عـذر لاـنعلمه نحن إمـا خشـية من فساد الأمر أوإرجاف المنافقين وقولهم إنها ليس بنبوة وإنما هى ملك به أوصـى لـذريته وسـلالته و لما لم يكن أحـد من تلك الذريـة فى تلك الحال صالحا للقيام بالأمر لصـغر السن جعله لأبيهم ليكون فى الحقيقة لزوجته التى هى ابنته ولأولاده منها من بعده . و أما ماتقوله المعتزلة وغيرهم من أهل العدل أن الله تعـالى علم أن المكلفين يكونون على ترك الأمر مهملا غيرمعين أقرب إلى فعل الواجب وتجنب القبيـح قال ولعل رسول الله ص لم يكن يعلم فى مرضه أنه يموت فى ذلـك المرض و كـان يرجو البقـاء فيمهـد للإمامـة قاعـدة واضـحة ومما يـدل على ذلـك أنه لمانوزع فى إحضار الـدواة والكتف ليكتب لهم ما لايضـلون بعـده غضب و قال اخرجوا عنى لم يجمعهم بعدالغضـب ثانية ويعرفهم رشدهم ويهديهم إلى مصالحهم بل ارجأ الأمر إرجاء من يرتقب الإفاقة وينتظر العافية. قال فبتلك الأقوال المحجمة والكنايات المحتملة والرموز المشـتبهة مثل حـديث [صـفحه ٢٨] خصف النعـل ومنزلـة هـارون من موسـى و من كنت مولاـه و هـذايعسوب الـدين و لاـفتى إلاـ على وأحب خلقـك إليك ... و ماجرى هـذاالمجرى مما لايفصل الأمر ويقطع العـذر ويسـكت الخصم ويفحم المنـازع وثبت الأنصـار فادعتهـا ووثب بنو هاشم فادعوها و قال أبوبكر بايعوا عمر أو أباعبيـدة و قال العباس لعلى امـدد يـدك لأبايعك و قال قوم ممن رعف به الدهر فيما بعد و لم يكن موجودا حينئذ إن الأمر كان للعباس لأنه العم الوارث و إن أبابكر وعمر غصباه حقه فهـذا أحـدهما. و أماالسـبب الثانى للاختلاف فهو جعل عمر الأمر شورى فى الستة و لم ينص على واحد بعينه إما منهم أو من غيرهم فبقى فى نفس كل واحد منهم أنه قدرشح للخلافة و أهل للملك والسـلطنة فلم يزل ذلك فى نفوسـهم وأذهانهم مصورا بين أعينهم مرتسـما فى خيالاتهم منازعة إليه نفوسـهم طامحة نحوه عيونهم حتى كان من الشـقاق بين على وعثمان ما كان و حتى أفضـى الأمر إلى قتل عثمان و كان أعظم الأسباب فى قتله طلحة و كان لايشك أن الأمر له من بعده لوجوه منها سابقته ومنها أنه ابن عم لأبى بكر و كان لأبى بكر فى نفوس أهل ذلك العصر منزلة عظيمة أعظم منها الآن ومنها أنه كـان سـمحا جوادا و قـد كـان نازع عمر فى حياة أبى بكر وأحب أن يفوض أبوبكر الأمر إليه من بعـده فما زال يفتل فى الـذروة والغارب فى أمر عثمان وينكر له القلوب ويكـدر عليه النفوس ويغرى أهل المدينـة والأعراب و أهل الأمصار به وساعـده الزبير و كان أيضا يرجو الأمر لنفسه و لم يكن رجاؤهما الأمر بـدون رجاء على بل رجاؤهما كان أقوى لأن عليا دحضه الأولان وأسـقطاه وكسرا ناموسه بين الناس فصار نسيا منسيا ومات الأكثر ممن يعرف خصائصه التى كانت فى أيام النبوة وفضله ونشأ قوم لايعرفونه و لايرونه إلارجلا من عرض المسلمين و لم يبق له مما يمت به إلا أنه ابن عم الرسول وزوج ابنته و أبوسبطيه ونسى ماوراء ذلك كله واتفق له من بغض [صـفحه ٢٩] قريش وانحرافها ما لم يتفق لأحـد وكانت قريش بمقـدار ذلك البغض تحب طلحة والزبير لأن الأسـباب الموجبة لبغضهم لم تكن موجودة فيهما وكانا يتألفان قريشا فى أواخر أيام عثمان ويعدانهم بالعطاء والإفضال وهما عندأنفسهما و عند الناس خليفتان بالقوة لابالفعل لأن عمر نص عليهما وارتضاهما للخلافة وعمر متبع القول ومرضى الفعال موفق مؤيد مطاع نافذ الحكم فى حياته و بعدوفاته فلما قتل عثمان أرادها طلحة وحرص عليها فلو لاالأشتر وقوم معه من شـجعان العرب جعلوهـا فى على لم تصل إليه أبـدا فلما فاتت طلحـة والزبير فتقا ذلك الفتق العظيم على على وأخرجا أم المؤمنين معهما وقصـدا العراق وأثارا الفتنة و كان من حرب الجمل ما قدعلم وعرف ثم كانت حرب الجمل مقدمة وتمهيدا لحرب صفين فإن معاوية لم يكن ليفعل مافعل لو لاطمعه بما جرى فى البصـرة ثم أوهم أهل الشام أن عليا قدفسق بمحاربة أم المؤمنين ومحاربة المسـلمين و أنه قتل طلحـة والزبير وهما من أهل الجنـة و من يقتل مؤمنا من أهل الجنـة فهو من أهل النار فهل كان الفساد المتولد فى صـفين إلافرعا للفساد الكائن يوم الجمل ثم نشأ من فساد صـفين وضلال معاوية كل ماجرى من الفساد والقبيح فى أيام بنى أمية ونشأت

فتنة ابن الزبير فرعا من فروع يوم الدار لأن عبد الله كان يقول إن عثمان لماأيقن بالقتل نص على بالخلافة و لى بذلك شهود ومنهم مروان بن الحكم أ فلاترى كيف تسلسلت هذه الأمور فرعا على أصل وغصنا من شجرة وجذوة من ضرام هكذا يدور بعضه على بعض وكله من الشورى فی الستة. قال وأعجب من ذلک قول عمر و قدقيل له إنک استعملت يزيد بن أبی سفيان وسعيد بن العاص ومعاوية وفلانا وفلانا من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء وتركت أن تستعمل عليا والعباس والزبير وطلحة فقال أما علی فأنبه من ذلک و أماهؤلاء النفر [صفحه ۳۰] من قريش فإنی أخاف أن ينتشروا فی البلاد فيكثروا فيهاالفساد فمن يخاف من تأميرهم لئلا يطمعوا فی الملک ويدعيه کل واحد منهم لنفسه كيف لم يخف من جعلهم ستة متساوين فی الشوری مرشحين للخلافة وهل شیء أقرب إلی الفساد من هذا و قدروی أن الرشيد رأی يوما محمدا و عبد الله ابنيه يلعبان ويضحكان فسر بذلک فلما غابا عن عينه بكی فقال له الفضل بن الربيع مايبكيک يا أمير المؤمنين و هذامقام جذل لامقام حزن فقال أ مارأيت لعبهما ومودة بينهما أما و الله ليتبدلن ذلک بغضا وشنفا وليحتلسن کل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب فإن الملک عقيم و كان الرشيد قدعقد الأمر لهما علی ترتيب هذا بعد هذافكيف من لم يرتبوا فی الخلافة بل جعلوا فيهاكأسنان المشط.فقلت أنالجعفر هذاكله تحكيه عن محمد بن سليمان فما تقول أنت فقال إذاقالت حذام فصدقوها || فإن القول ماقالت حذام [صفحه ۳۱]

۱۳۶– و من كلام له ع

لَم تَكُن بَيعَتِكُم إِيّایَ فَلتَةً وَ لَيسَ أَمرِي وَ أَمرُكُم وَاحِداً إِنّي أُرِيدُكُم لِلّهِ وَ أَنتُم تُرِيدُونَنِي لِأَنفُسِكُم أَيّهَا النّاسُ أَعِينُونِي عَلَی أَنفُسِكُم وَ ايمُ اللّهِ لَأُنصِفَنّ المَظلُومَ وَ لَأَقُودَنّ الظّالِمَ بِخَزَامَتِهِ حَتّی أُورِدَهُ مَنهَلَ الحَقّ وَ إِن كَانَ كَارِهاً الفلتة الأمر يقع عن غيرتدبر و لاروية و فی الكلام تعريض ببيعة أبی بكر و قدتقدم لنا فی معنی قول عمر كانت بيعة أبی بكر فلتة وقی الله شرها كلام . والخزامة حلقة من شعر تجعل فی أنف البعير ويجعل الزمام فيها. وأعينونی علی أنفسكم خذوها بالعدل وأقنعوها عن اتباع الهوی واردعوها بعقولكم عن المسالک التی ترديها وتوبقها فإنكم إذافعلتم ذلک أعنتمونی عليها لأنی أعظكم وآمركم بالمعروف وأنهاكم عن المنكر فإذاكبحتم أنفسكم بلجام العقل الداعی إلی ماأدعو إليه فقد أعنتمونی عليها. فإن قلت مامعنی قوله أريدكم لله وتريدوننی لأنفسكم . [صفحه ۳۲] قلت لأنه لايريد من طاعتهم له إلانصرة دين الله والقيام بحدوده وحقوقه و لايريدهم لحظ نفسه و أماهم فإنهم يريدونه لحظوظ أنفسهم من العطاء والتقريب والأسباب الموصلة إلی منافع الدنيا. و هذاالخطاب منه ع لجمهور أصحابه فأما الخواص منهم فإنهم كانوا يريدونه للأمر ألذی يريدهم له من إقامة شرائع الدين وإحياء معالمه [صفحه ۳۳]

۱۳۷– و من كلام له ع فی شأن طلحة والزبير

وَ اللّهِ مَا أَنكَرُوا عَلَيّ مُنكَراً وَ لَا جَعَلُوا بيَنيِ وَ بَينَهُم نِصفاً وَ إِنّهُم لَيَطلُبُونَ حَقّاً هُم تَرَكُوهُ وَ دَماً هُم سَفَكُوهُ فَإِن كُنتُ شَرِيكَهُم فِيهِ فَإِنّ لَهُم نَصِيبَهُم مِنهُ وَ إِن كَانُوا وَلُوهُ دوُنيِ فَمَا الطّلِبَةُ إِلّا قِبَلَهُم وَ إِنّ أَوّلَ عَدلِهِم لَلحُكمُ عَلَی أَنفُسِهِم وَ إِنّ معَيِ لبَصَيِرتَيِ مَا لَبستُ وَ لَا لُبِسَ عَلَيّ وَ إِنّهَا لَلفِئَةُ البَاغِيَةُ فِيهَا الحَمَأُ وَ الحُمّةُ وَ الشّبهَةُ المُغدَفَةُ وَ إِنّ الأَمرَ لَوَاضِحٌ وَ قَد زَاحَ البَاطِلُ عَن نِصَابِهِ وَ انقَطَعَ لِسَانُهُ عَن شَغبِهِ وَ ايمُ اللّهِ لَأُفرِطَنّ لَهُم حَوضاً أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصدُرُونَ عَنهُ برِيِّ وَ لَا يَعُبّونَ بَعدَهُ فِي حسيٍ النصف الإنصاف قال الفرزدق ولكن نصفا لوسببت وسبنی || بنو عبدشمس من قريش وهاشم و هو علی حذف المضاف أی ذا نصف أی حكما

منصفا عادلا يحكم بينى وبينهم والطلبة بكسر اللام ماطلبته من شىء ولبست على فلان الأمر ولبس عليه الأمر كلاهما بالتخفيف . [صفحه ۳۴] والحمأ الطين الأسود قال سبحانه مِن صَلصالٍ مِن حَمَإٍ مَسنُونٍ وحمة العقرب سمتها أى فى هذه الفئة الباغية الضلال والفساد والضرر و إذاأرادت العرب أن تعبر عن الضلال والفساد قالت الحم ء مثله الحمأة بالتاء و من أمثالهم ثأطة مدت بماء يضرب للرجل يشتد موقه وجهله والثأطة الحمأة و إذاأصابها الماء ازدادت فسادا ورطوبة. ويروى فيهاالحما بألف مقصورة و هوكناية عن الزبير لأن كل ما كان بسبب الرجل فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا وأقفاء و ما كان بسبب المرأة فهم الأخاتن فأما الأصهار فيجمع الجهتين جمعا و كان الزبير ابن عمة رسول الله ص و قد كان النبى ص أعلم عليا بأن فئة من المسلمين تبغى عليه أيام خلافته فيهابعض زوجاته وبعض أحمائه فكنى على ع عن الزوجة بالحمة وهى سم العقرب ويروى والحم ء يضرب مثلا لغير الطيب ولغير الصافى وظهر أن الحم ء ألذى أخبر النبى ص بخروجه مع هؤلاء البغاة هوالزبير ابن عمته و فى الحمأ أربع لغات حما مثل قفا وحم ء مثل كم ء وحمو مثل أبو وحم مثل أب . قوله ع والشبهة المغدفة أى الخفية وأصله المرأة تغدف وجهها بقناعها أى تستره وروى المغدفة بكسر الدال من أغدف الليل أى أظلم . وزاح الباطل أى بعد وذهب وأزاحه غيره . و عن نصابه عن مركزه ومقره و منه قول بعض المحدثين . -قرآن-۳۴-۶۴ قدرجع الحق إلى نصابه || و أنت من دون الورى أولى به والشغب بالتسكين تهييج الشر شغب الحقد بالفتح شغبا و قدجاء بالتحريک فى لغة ضعيفة وماضيها شغب بالكسر. [صفحه ۳۵] ولأفرطن لهم حوضا أى لأملأن يقال أفرطت المزادة أى ملأتها وغدير مفرط أى ملآن . والماتح بنقطتين من فوق المستقى من فوق وبالياء مالئ الدلاء من تحت والعب الشرب بلا مص كماتشرب الدابة و فى الحديث الكباد من العب -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۳۰ والحسى ماء كامن فى رمل يحفر عنه فيستخرج وجمعه أحساء. يقول ع و الله ماأنكروا على أمرا هومنكر فى الحقيقة وإنما أنكروا ماالحجة عليهم فيه لالهم وحملهم على ذلک الحسد وحب الاستئثار بالدنيا والتفضيل فى العطاء و غير ذلک مما لم يكن أمير المؤمنين ع يراه و لايستجيزه فى الدين قال و لاجعلوا بينى وبينهم نصفا يعنى وسيطا يحكم وينصف بل خرجوا عن الطاعة بغتة وإنهم ليطلبون حقا تركوه أى يظهرون أنهم يطلبون حقا بخروجهم إلى البصرة و قدتركوا الحق بالمدينة. قال ودما هم سفكوه يعنى دم عثمان و كان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه و كان الزبير دونه فى ذلک .روى أن عثمان قال ويلى على ابن الحضرمية يعنى طلحة أعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا و هويروم دمى يحرض على نفسى أللهم لاتمتعه به ولقه عواقب بغيه . وروى الناس الذين صنفوا فى واقعة الدار أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قداستتر به عن أعين الناس يرمى الدار بالسهام ورووا أيضا أنه لماامتنع على الذين [صفحه ۳۶] حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوروا منها على عثمان داره فقتلوه . ورووا أيضا أن الزبير كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا إن ابنک يحامى عنه بالباب فقال ماأكره أن يقتل عثمان و لوبدئ بابنى إن عثمان لجيفة على الصراط غدا. و قال مروان بن الحكم يوم الجمل و الله لاأترک ثأرى و أناأراه ولأقتلن طلحة بعثمان فإنه قتله ثم رماه بسهم فأصاب مأبضه فنزف الدم حتى مات . ثم قال ع إن كنت شريكهم فى دم عثمان فإن لهم نصيبهم منه فلايجوز لهم أن يطلبوا بدمه وهم شركاء فيه و إن كانوا ولوه دونى فهم المطلوبون إذن به لاغيرهم . وإنما لم يذكر القسم الثالث و هو أن يكون هو ع وليه دونهم لأنه لم يقل به قائل فإن الناس كانوا على قولين فى ذلک أحدهما أن عليا وطلحة والزبير مسهم لطخ من عثمان لابمعنى أنهم باشروا قتله بل بمعنى الإغراء والتحريض وثانيهما أن عليا ع برىء من ذلک و أن طلحة والزبير غيربريئين منه . ثم قال و إن أول عدلهم للحكم على أنفسهم يقول إن هؤلاء خرجوا ونقضوا البيعة وقالوا إنما خرجنا للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإظهار العدل وإحياء الحق وإماتة الباطل وأول العدل أن يحكموا على أنفسهم فإنه يجب على الإنسان أن يقضى على نفسه ثم على غيره و إذا كان دم عثمان قبلهم فالواجب أن ينكروا على أنفسهم قبل إنكارهم على غيرهم . [صفحه ۳۷] قال و إن معى لبصيرتى أى عقلى مالبست

على النـاس أمرهم و لا ـلبس الأـمر على أى لم يلبسه رسول الله ص على بـل أوضـحه لى وعرفنيه . ثم قال وإنها للفئـة الباغيـة لام التعريف فى الفئـة تشعر بأن نصا قـد كان عنده أنه سـتخرج عليه فئة باغية و لم يعين له وقتها و لا كل صـفاتها بل بعض علاماتها فلما خرج أصـحاب الجمل ورأى تلك العلامات موجودة فيهم قال وإنها للفئة الباغيـة أى و إن هـذه الفئـة أى الفئة التى وعدت بخروجهـا على و لو لا ـ هـذالقال وإنهـا لفئة باغيـة على التنكير. ثم ذكر بعض العلامـات فقال إن الأمر لواضـح كل هذايؤكـد به عندنفسه و عندغيره أن هذه الجماعة هى تلك الفئة الموعود بخروجها و قدذهب الباطل وزاح وخرس لسانه بعدشـغبه . ثم أقسم ليملأـن لهم حوضـا هومـاتحه و هـذه كنايـة عن الحرب والهيجاء و مايتعقبهما من القتل والهلاك لايصـدرون عنه برى أى ليس كهذه الحياض الحقيقية التى إذاوردها الظمآن صدر عن رى ونقع غليله بل لايصدرون عنه إلا وهم جزر السيوف و لايعبون بعده فى حسـى لأنهم هلكوا فلايشـربون بعده البارد العذب . و كان عمرو بن الليث الصـفار أميرخراسان أنفذ جيشا لمحاربة إسماعيل بن أحمـدالسامانى فانكسر ذلك الجيش وعادوا إلى عمرو بن الليث فغضب ولقى القواد بكلام غليظ فقال له بعضـهم أيها الأمير إنه قدطبخ لك مرجل عظيم وإنما نلنا منه لهمة يسيرة والباقى مذخور لك فعلام تتركه اذهب إليهم فكله فسكت عمرو بن الليث عنه و لم يجب . [صفحه ۳۸] ومرادنا من هذه المشابهة والمناسبة بين الكنايتين مِنهُ فَأَقبَلتُم إِلَيّ إِقبَالَ العُوذِ المَطَافِيلِ عَلَى أَولَادِهَا تَقُولُونَ البَيعَـةَ البَيعَةَ قَبَضتُ كفَيّ فَبَسَـطتُمُوهَا وَ نَازَعتُكُم يدَيِ فَجَاذَبتُمُوهَا أللّهُمّ إِنّهُمَا قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي وَ نَكَثَا بَيعَتِي وَ أَلّبَا النّاسَ عَلَيّ فَاحلُـل مَـا عَقَـدَا وَ لَـا تُحكِم لَهُمَا مَا أَبرَمَا وَ أَرِهِمَا المَسَاءَةَ فِيمَا أَمّلَا وَ عَمِلَا وَ لَقَـدِ اسـتَثبَتُهُمَا قَبلَ القِتَالِ وَ اسـتَأنَيتُ بِهِمَا أَمَامَ الوِقَـاعِ فَغَمَطَـا النّعمَـةَ وَ رَدّا العَافِيَـةَ العوذ النوق الحـديثات النتاج الواحـدة عائـذ مثل حائل وحول و قـديقال ذلك للخيل والظباء ويجمع أيضـا على عوذان مثـل راع ورعيـان و هـذه عائـذة بينـة العئوذ و ذلك إذاولـدت عن قريب وهى فى عياذها أى بحـدثان نتاجهـا. والمطافيل جمع مطفل وهى التى زال عنها اسم العياذ ومعها طفلها و قدتسـمى المطافيل عوذا إلى أن يبعـد العهـد بالنتاج مجـازا و على هـذاالوجه قال أمير المؤمنين إقبال العوذ المطافيل و إلافالاسـمان معا لايجتمعان حقيقـة و إذازال الأول ثبت الثانى. قوله وألبـا النـاس على أى حرضـا يقـال حسود مؤلب . [صـفحه ۳۹] واسـتثبتهما بالثـاء المعجمـة بثلاث طلبت منهما أن يثوبا أى يرجعا وسـمى المنزل مثابة لأن أهله ينصـرفون فى أمورهم ثم يثوبون إليه ويروى ولقد استتبتهما أى طلبت منهما أن يتوبا إلى الله من ذنبهما فى نقض البيعة. واسـتأنيت بهما من الإناءة والانتظار. والوقاع بكسـر الواو مصدر واقعتهم فى الحرب وقاعا مثل نازلتهم نزالا ـ وقـاتلتهم قتالا. وغمط فلان النعمـة إذاحقرها وأزرى بهاغمطا ويجوز غمط النعمـة بالكسـر والمصـدر غيرمحرك ويقال إن الكسـر أفصـح من الفتح . يقول ع إنكم أقبلتم مزدحمين كماتقبل النوق إلى أولادها تسألوننى البيعة فامتنعت عليكم حتى علمت اجتماعكم فبايعتكم ثم دعا على على طلحة والزبير بعـد أن وصـفهما بالقطيعـة والنكث والتأليب عليه بأن يحل الله تعالى ماعقـدا وألا ـ يحكم لهمـا ماأبرمـا و أن يريهمـا المسـاءة فيمـا أملا وعملا.فأما الوصف لهما بما وصـفهما به فقد صـدق ع فيه و أمادعاؤه فاسـتجيب له والمساءة التى دعـا بهـاهى مسـاءة الـدنيا لامسـاءة الآـخرة فإن الله تعالى قدوعـدهما على لسان رسوله بالجنـة وإنما استوجباها بالتوبة التى ينقلها أصحابنا رحمهم الله فى كتبهم عنهما ولولاها لكانا من الهالكين [صفحه ۴۰]

۱۳۸– و من خطبة له ع يومئ فيها إلى ذكر الملاحم

اشاره

يَعطِفُ الهَوَى عَلَى الهُـدَى إِذَا عَطَفُوا الهُـدَى عَلَى الهَوَى وَ يَعطِفُ الرّأيَ عَلَى القُرآنِ إِذَا عَطَفُوا القُرآنَ عَلَى الرّأيِ هذاإشارة إلى

إمام يخلقه الله تعالى فى آخر الزمان و هوالموعود به فى الأخبار والآثار ومعنى يعطف الهوى يقهره ويثنيه عن جانب الإيثار والإرادة عاملا عمل الهدى فيجعل الهدى قاهرا له وظاهرا عليه . وكذلك قوله ويعطف الرأى على القرآن أى يقهر حكم الرأى والقياس والعمل بغلبة الظن عاملاـ عمل القرآن . و قوله إذاعطفوا الهدى و إذاعطفوا القرآن إشارة إلى الفرق المخالفين لهذا الإمام المشاقين له الذين لايعملون بالهدى بل بالهوى و لايحكمون بالقرآن بل بالرأى [صفحه ۴۱] مِنهَا حَتّى تَقُومَ الحَربُ بِكُم عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا مَملُوءَةً أَخلَافُهَا حُلواً رَضَاعُهَا عَلقَماً عَاقِبَتُهَا أَلَا وَ فِي غَدٍ وَ سَيَأتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعرِفُونَ يَأخُذُ الوَالِي مِن غَيرِهَا عُمّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعمَالِهَا وَ تَخرُجُ لَهُ الأَرضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا وَ تُلقِي إِلَيهِ سِلماً مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُم كَيفَ عَدلُ السّيرَةِ وَ يُحيِي مَيّتَ الكِتَابِ وَ السّنّةِ الساق الشدة و منه قوله تعالى يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ. والنواجذ أقصى الأضراس والكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أن غاية الضحك أن تبدو النواجذ. قوله مملوءة أخلافها والأخلاف للناقة حلمات الضرع واحدها خلف وكذلك و قوله حلوا رضاعها علقما عاقبتها قدأخذه الشاعر فقال -قرآن-۳۳-۵۴ الحرب أول ماتكون فتية || تسعى بزينتها لكل جهول حتى إذااشتعلت وشب ضرامها || عادت عجوزا غيرذات حليل شمطاء جزت رأسها وتنكرت || مكروهة للشم والتقبيل [صفحه ۴۲] و هوالرضاع بالفتح والماضى رضع بالكسر مثل سمع سماعا و أهل نجد يقولون رضع بالفتح يرضع بالكسر رضعا مثل ضرب يضرب ضربا وأنشدوا وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها || أفاويق حتى مايدر لها ثعل بكسر الضاد

فصل فى الاعتراض وإيراد مثل منه

و قوله ألا و فى غد تمامه يأخذ الوالى و بين الكلام جملة اعتراضية وهى قوله وسيأتى غد بما لاتعرفون والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه ومثل ذلك فى القرآن كثير نحو قوله تعالى فَلاـ أُقسِمُ بِمَواقِعِ النّجُومِ وَ إِنّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ إِنّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌفقوله تعالى إِنّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ هوالجواب المتلقى به قوله فَلاـ أُقسِمُ و قداعترض بينهما قوله وَ إِنّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ واعترض بين هذاالاعتراض قوله لَو تَعلَمُونَلأنك لوحذفته لبقى الكلام على إفادته و هو قوله وإنه لقسم عظيم والمراد تعظيم شأن ماأقسم به من مواقع النجوم وتأكيد إجلاله فى النفوس و لاسيما بقوله لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ. و من ذلك قوله تعالى وَ يَجعَلُونَ لِلّهِ البَناتِ سُبحانَهُ وَ لَهُم ما يَشتَهُونَفقوله سُبحانَهُاعتراض والمراد التنزيه وكذلك قوله تَاللّهِ لَقَد عَلِمتُم ما جِئنا لِنُفسِدَ فِي الأَرضِفلَقَد عَلِمتُماعتراض والمراد به تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة. وكذلك قوله وَ إِذا بَدّلنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللّهُ أَعلَمُ بِما يُنَزّلُ قالُوا إِنّما أَنتَ -قرآن-۱۸۹-۲۸۷-قرآن-۳۰۱-۳۲۳-قرآن-۳۵۳-۳۶۴-قرآن-۳۸۹-۴۲۹-قرآن-۴۶۲-۴۷۵-قرآن-۶۳۷-۶۵۸-قرآن-۶۸۴-۷۴۵-قرآن-۷۵۲-۷۶۰-قرآن-۷۹۸-۸۵۱-قرآن-۸۵۳-۸۶۶-قرآن-۹۳۵-۱۰۲۰ و قوله ألاـ و فى غد تمامه يأخذ الوالى و بين الكلام جملة اعتراضية وهى قوله وسيأتى غد بما لاتعرفون والمراد تعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه ومثل ذلك فى القرآن كثير نحو قوله تعالى فَلا أُقسِمُ بِمَواقِعِ النّجُومِ وَ إِنّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ إِنّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌفقوله تعالى إِنّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ هوالجواب المتلقى به قوله فَلاـ أُقسِمُ و قداعترض بينهما قوله وَ إِنّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ واعترض بين هذاالاعتراض قوله لَو تَعلَمُونَلأنك لوحذفته لبقى الكلام على إفادته و هو قوله وإنه لقسم عظيم والمراد تعظيم شأن ماأقسم به من مواقع النجوم وتأكيد إجلاله فى النفوس و لاسيما بقوله لَو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ. و من ذلك قوله تعالى وَ يَجعَلُونَ لِلّهِ البَناتِ سُبحانَهُ وَ لَهُم ما يَشتَهُونَفقوله سُبحانَهُاعتراض والمراد التنزيه وكذلك قوله تَاللّهِ لَقَد عَلِمتُم ما جِئنا لِنُفسِدَ فِي الأَرضِفلَقَد عَلِمتُماعتراض والمراد به تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة. وكذلك قوله وَ إِذا بَدّلنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللّهُ أَعلَمُ بِما يُنَزّلُ قالُوا إِنّما أَنتَ مُفتَرٍفاعترض بين إذا وجوابها بقوله وَ اللّهُ أَعلَمُ بِما يُنَزّلُفكأنه أراد أن يجيبهم عن دعواهم فجعل الجواب اعتراضا. و من ذلك قوله وَ وَصّينَا الإِنسانَ بِوالِدَيهِ

حَمَلَتهُ أَمّهُ وَهناً عَلی وَهنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَینِ أَنِ اشکَر لِی وَ لِوالِدَیکَفاعترض بقوله حَمَلَتهُ أَمّهُ وَهناً عَلی وَهنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَینِ بین وَصّیناَ و بین الموصی به وفائدة ذلک إذکار الولد بما کابدته أمه من المشقة فی حمله وفصاله . و من ذلک قوله وَ إِذ قَتَلتُم نَفساً فَادّارَأتُم فِیها وَ اللّهُ مُخرِجٌ ما کُنتُم تَکتُمُونَ فَقُلنا اضرِبُوهُ بِبَعضِها فقوله وَ اللّهُ مُخرِجٌ ما کُنتُم تَکتُمُونَاعتراض بین المعطوف والمعطوف علیه والمراد أن یقرر فی أنفس السامعین أنه لاینفع البشر کتمانهم وإخفاؤهم لمایرید الله إظهاره . و من الاعتراض فی الشعر قول جریر -قرآن-۱-۸-قرآن-۴۰-۷۰-قرآن-۱۴۴-۲۶۵-قرآن-۲۸۰-۳۳۷-قرآن-۳۴۳-۳۵۰-قرآن-۴۵۴-۵۶۱-قرآن-۵۶۸-۶۰۵ ولقد أرانی والجدید إلی بلی || فی موکب بیض الوجوه کرام فقوله والجدید إلی بلی اعتراض والمراد تعزیته نفسه عما مضی من تلک اللذات . وکذلک قول کثیر لو أن الباخلین و أنت منهم || رأوک تعلموا منک المطالا فقوله و أنت منهم اعتراض وفائدته ألا تظن أنها لیست باخلة. [صفحه ۴۴] و من ذلک قول الشاعر فلو سألت سراة الحی سلمی || علی أن قدتلون بی زمانی لخبرها ذوو أحساب قومی || وأعدائی فکل قدبلانی بذبی الذم عن حسبی ومالی || وزبونات أشوس تیحان وإنی لاأزال أخا حروب || إذا لم أجن کنت مجن جانی .فقوله علی أن قدتلون بی زمانی .اعتراض وفائدته الإخبار عن أن السن قدأخذت منه وتغیرت بطول العمر أوصافه . و من ذلک قول أبی تمام رددت رونق وجهی فی صحیفته || رد الصقال بهاء الصارم الخذم و ماأبالی وخیر القول أصدقه || حقنت لی ماء وجهی أم حقنت دمی فقوله وخیر القول أصدقه اعتراض وفائدته إثبات صدقه فی دعواه أنه لایبالی أیهما حقن .فأما قول أبی تمام أیضا و إن الغنی لی إن لحظت مطالبی || من الشعر إلا فی مدیحک أطوع . فإن الاعتراض فیه هو قوله إلا فی مدیحک و لیس قوله إن لحظت مطالبی اعتراضا کمازعم ابن الأثیر الموصلی لأن فائدة البیت معلقة علیه لأنه لایرید أن الغنی [صفحه ۴۵] لی علی کل حال أطوع من الشعر وکیف یرید هذا و هوکلام فاسد مختل بل مراده أن الغنی لی بشرط أن تلحظ مطالبی من الشعر أطوع لی إلا فی مدیحک فإن الشعر فی مدیحک أطوع لی منه و إذاکانت الفائدة معلقة بالشرط المذکور لم یکن اعتراضا وکذلک وهم ابن الأثیر أیضا فی قول إمرئ القیس فلو أن ماأسعی لأدنی معیشة || کفانی و لم أطلب قلیل من المال ولکنما أسعی لمجد مؤثل || و قدیدرک المجد المؤثل أمثالی . فقال إن قوله و لم أطلب اعتراض و لیس بصحیح لأن فائدة البیت مرتبطة به وتقدیره لوسعیت لأن آکل وأشرب لکفانی القلیل و لم أطلب الملک فکیف یکون قوله و لم أطلب الملک اعتراضا و من شأن الاعتراض أن یکون فضلة ترد لتحسین وتکملة ولیست فائدته أصلیة. و قدیأتی الاعتراض و لافائدة فیه و هو غیرمستحسن نحو قول النابغة یقول رجال یجهلون خلیقتی || لعل زیادا لا أبا لک غافل .فقوله لا أبا لک اعتراض لامعنی تحته هاهنا ومثله قول زهیر سئمت تکالیف الحیاة و من یعش || ثمانین حولا لا أبا لک یسأم . فإن جاءت لا أبا لک تعطی معنی یلیق بالموضع فهی اعتراض جید نحو قول أبی تمام عتابک عنی لا أبا لک واقصدی .فإنه أراد زجرها وذمها لماأسرفت فی عتابه . [صفحه ۴۶] و قدیأتی الاعتراض علی غایة من القبح والاستهجان و هو علی سبیل التقدیم والتأخیر نحو قول الشاعر فقد والشک بین لی عناء || بوشک فراقهم صرد فصیح تقدیره فقد بین لی صرد یصیح بوشک فراقهم والشک عناء فلأجل قوله والشک عناء بین قد والفعل الماضی و هو بین عد اعتراضا مستهجنا وأمثال هذاللعرب کثیر . قوله ع یأخذ الوالی من غیرها عمالها علی مساوئ أعمالها کلام منقطع عما قبله و قد کان تقدم ذکر طائفة من الناس ذات ملک وأمره فذکر ع أن الوالی یعنی الإمام ألذی یخلقه الله تعالی فی آخر الزمان یأخذ عمال هذه الطائفة علی سوء أعمالهم و علی هاهنا متعلقة بیأخذ التی هی بمعنی یؤاخذ من قولک أخذته بذنبه وآخذته والهمز أفصح . والأفالیذ جمع أفلاذ وأفلاذ جمع فلذ وهی القطعة من الکبد و هذاکنایة عن الکنوز التی تظهر للقائم بالأمر و قدجاء ذکر ذلک فی خبر مرفوع فی لفظة وقاءت له الأرض أفلاذ کبدها و قدفسر قوله تعالی وَ أَخرَجَتِ الأَرضُ أَثقالَهابذلک فی بعض التفاسیر. والمقالید المفاتیح -قرآن-۵۳۳-۵۶۲ مِنهَا کَأَنّیَ بِهِ قَد نَعَقَ بِالشّامِ وَ فَحَصَ بِرَایَاتِهِ فِی ضَوَاحِی کُوفَانَ فَعَطَفَ عَلَیهَا عَطفَ الضّرُوسِ وَ فَرَشَ الأَرضَ بِالرّءُوسِ قَد

فَغَرَت فَاغِرَتُهُ وَ ثَقُلَت فِی الأرضِ وَطأَتُهُ بَعِیدَ الجَولَةِ عَظِیمَ الصّولَةِ [صفحه ۴۷] وَ اللّهِ لَیُشَرّدَنّکَم فِی أَطرَافِ الأرضِ حَتّی لَا یَبقَی مِنکُم إِلّا قَلِیلٌ کَالکُحلِ فِی العَینِ فَلَا تَزَالُونَ کَذَلِکَ حَتّی تَئُوبَ إِلَی العَرَبِ عَوَازِبُ أَحلَامِهَا فَالزَمُوا السّنَنَ القَائِمَةَ وَ الآثَارَ البَیّنَةَ وَ العَهدَ القَرِیبَ أَلّذِی عَلَیهِ بَاقِی النّبُوّةِ وَ اعلَمُوا أَنّ الشّیطَانَ إِنّمَا یُسَنّیِ لَکُم طُرُقَهُ لِتَتّبِعُوا عَقِبَهُ هذاإخبار عن عبدالملک بن مروان وظهوره بالشام وملکه بعد ذلک العراق و ماقتل من العرب فیهاأیام عبدالرحمن بن الأشعث وقتله أیام مصعب بن الزبیر. ونعق الراعی بغنمه بالعین المهملة ونغق الغراب بالغین المعجمة وفحص برایاته هاهنا مفعول محذوف تقدیره وفحص الناس برایاته أی نحاهم وقلبهم یمینا وشمالا. وکوفان اسم الکوفة وضواحیها ماقرب منها من القری والضروس الناقة السیئة الخلق تعض حالبها قال بشر بن أبی خازم عطفنا لهم عطف الضروس من الملا || بشهباء لایمشی الضراء رقیبها . و قوله وفرش الأرض بالرءوس غطاها بها کمایغطی المکان بالفراش . وفغرت فاغرته کأنه یقول فتح فاه والکلام استعارة وفغر فعل یتعدی و لایتعدی وثقلت فی الأرض وطأته کنایة عن الجور والظلم .بعید الجولة استعارة أیضا والمعنی أن تطواف خیوله وجیوشه فی البلاد أوجولان رجاله فی الحرب علی الأقران طویل جدا لایتعقبه السکون إلانادرا. وبعید منصوب علی الحال وإضافته غیرمحضة. [صفحه ۴۸] وعوازب أحلامها ماذهب من عقولها عزب عنه الرأی أی بعد. ویسنی لکم طرقه أی یسهل والعقب بکسر القاف مؤخر القدم وهی مؤنثة. فإن قلت فإن قوله حتی تئوب یدل علی أن غایة ملکه أن تئوب إلی العرب عوازب أحلامها و عبدالملک مات فی ملکه و لم یزل الملک عنه بأوبة أحلام العرب إلیها فإن فائدة حتی إلی وهی موضوعة للغایة. قلت إن ملک أولاده ملکه أیضا و مازال الملک عن بنی مروان حتی آبت إلی العرب عوازب أحلامها والعرب هاهنا بنو العباس و من اتبعهم من العرب أیام ظهور الدولة کقحطبة بن شبیب الطائی وابنیه حمید و الحسن وکبنی رزتنی بتقدیم الراء المهملة الذین منهم طاهر بن الحسین وإسحاق بن ابراهیم المصعبی وعدادهم فی خزاعة وغیرهم من العرب من شیعة بنی العباس و قدقیل إن أبامسلم أیضا عربی أصله و کل هؤلاء وآبائهم کانوا مستضعفین مقهورین مغمورین فی دولة بنی أمیة لم ینهض منهم ناهض و لاوثب إلی الملک واثب إلی أن أفاء الله تعالی إلی هؤلاء ما کان عزب عنهم من إبائهم وحمیتهم فغاروا للدین والمسلمین من جور بنی مروان وظلمهم وقاموا بالأمر وأزالوا تلک الدولة التی کرهها الله تعالی وأذن فی انتقالها. ثم أمرهم ع بأن یلزموا بعدزوال تلک الدولة الکتاب والسنة والعهد القریب ألذی علیه باقی النبوة یعنی عهده وأیامه ع وکأنه خاف من أن یکون بإخباره لهم بأن دولة هذاالجبار ستنقضی إذاآبت إلی العرب عوازب أحلامها کالأمر لهم باتباع ولاة الدولة الجدیدة فی کل ماتفعله فاستظهر علیهم بهذه الوصیة و قال لهم إذاابتذلت الدولة فالزموا الکتاب والسنة والعهد ألذی فارقتکم علیه [صفحه ۴۹]

۱۳۹– و من کلام له ع فی وقت الشوری

اشاره

لَن یُسرِعَ أَحَدٌ قَبلِی إِلَی دَعوَةِ حَقّ وَ صِلَةِ رَحِم وَ عَائِدَةِ کَرَم فَاسمَعُوا قَولِی وَ عُوا مَنطِقِی عَسَی أَن تَرَوا هَذَا الأَمرَ مِن بَعدِ هَذَا الیَوم تُنتَضَی فِیهِ السّیُوفُ وَ تُخَانُ فِیهِ العُهُودُ حَتّی یَکُونَ بَعضُکُم أَئِمّةً لِأَهلِ الضّلَالَةِ وَ شِیعَةً لِأَهلِ الجَهَالَةِ هذا من جملة کلام قاله ع لأهل الشوری بعدوفاة عمر

من أخبار یوم الشوری وتولیة عثمان

و قـدذكرنا من حـديث الشورى فيما تقدم ما فيه كفاية ونحن نذكر هاهنا ما لم نذكره هناك و هو من رواية عوانة عن إسـماعيل بن أبى خالد عن الشعبى فى كتاب الشورى ومقتل عثمان و قدرواه أيضا أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى فى زيادات كتاب السـقيفة قال لماطعن عمر جعل الأمر شورى بين سـتة نفر على بن أبى طالب وعثمان بن عفان و عبـدالرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن مالك و كان [صفحه ٥٠] طلحـة يومئذ بالشام و قال عمر إن رسول الله ص قبض و هو عن هؤلاء راض فهم أحق بهذا الأمر من غيرهم وأوصـى صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان ويقال إن أصله من حى من ربيعة بن نزار يقـال لهم عنزة فـأمره أن يصـلى بالناس حتى يرضـى هؤلاء القوم رجلا منهم و كان عمر لايشك أن هـذاالأمر صائر إلى أحد الرجلين على وعثمان و قال إن قدم طلحة فهو معهم و إلافلتختر الخمسة واحدا منها وروى أن عمر قبل موته أخرج سـعد بن مالك من أهل الشورى و قال الأمر فى هؤلاء الأربعـة ودعوا سـعدا على حاله أميرا بين يـدى الإمام ثم قال و لو كان أبوعبيدة بن الجراح حيا لماتخالجتنى فيه الشكوك فإن اجتمع ثلاثـة على واحـد فكونوا مع الثلاثـة و إن اختلفوا فكونوا مع الجانب ألذى فيه عبـدالرحمن . و قـال لأبى طلحـة الأنصارى يا أباطلحـة فو الله لطالما أعز الله بكم الـدين ونصر بكم الإسـلام اختر من المسـلمين خمسـين رجلاـ فائت بهم هؤلاء القوم فى كل يوم مرة فاسـتحثوهم حتى يختاروا لأنفسـهم وللأمـة رجلا منهم . ثم جمع قوما من المهاجرين والأنصار فأعلمهم ماأوصـى به وكتب فى وصيته أن يولى الإمام سعد بن مالك الكوفة و أبا موسى الأشعرى لأنه كان عزل سـعدا عن سـخطة فأحب أن يطلب ذلك إلى من يقوم بالأمر من بعده استرضاء لسـعد. قال الشعبى فحدثنى من لاأتهمه من الأنصار و قال أحمـد بن عبدالعزيز الجوهرى هوسـهل بن سـعد الأنصارى قال مشيت وراء على بن أبى طالب حيث انصـرف من عنـدعمر والعباس بن عبدالمطلب يمشـى فى جانبه فسـمعته يقول للعباس ذهبت منا و الله فقال كيف علمت قال أ لاتسـمعه يقول كونوا فى الجـانب ألـذى فيه عبـدالرحمن لأـنه ابن عمه و عبـدالرحمن نظير عثمان و هوصـهره فإذااجتمع هؤلاء فلو أن الرجلين [صفحه ٥١] البـاقيين كانـا معى لم يغنيـا عنى شـيئا مع أنى لست أرجو إلاأحـدهما و مع ذلـك فقـد أحب عمر أن يعلمنا أن لعبد الرحمن عنـده فضـلا علينـا لعمر الله ماجعـل الله ذلـك لهم علينـا كمـا لم يجعله لأولادهم على أولادنا أما و الله لئن عمر لم يمت لأـذكرته مايأتى إلينا قـديما ولأعلمته سوء رأيه فينا و مايأتى إلينا حـديثا ولئن مات وليموتن ليجتمعن هؤلاء القوم على أن يصـرفوا هذاالأمر عنا ولئن فعلوها وليفعلن ليروننى حيث يكرهون و الله مابى رغبة فى السـلطان و لاحب الدنيا ولكن لإظهار العدل والقيام بالكتاب والسـنة. قال ثم التفت فرآنى وراءه فعرفت أنه قـدساءه ذلك فقلت لاترع أباحسن لا و الله لايسـتمع أحـد ألذى سـمعت منك فى الدنيا مااصطحبنا فيهافو الله ماسمعه منى مخلوق حتى قبض الله عليا إلى رحمته . قال عوانة فحدثنا إسماعيل قال حدثنى الشـعبى قـال فلمـا مات عمر وأدرج فى أكفانه ثم وضع ليصـلى عليه تقـدم على بن أبى طالب فقام عنـدرأسه وتقـدم عثمان فقام عنـدرجليه فقال على ع هكـذا ينبغى أن تكون الصـلاة فقال عثمان بل هكذا فقال عبدالرحمن ماأسـرع مااختلفتم ياصـهيب صـل على عمر كمارضـى أن تصـلى بهم المكتوبـة فتقـدم صـهيب فصـلى على عمر. قـال الشـعبى وأدخـل أهـل الشـورى دارا فـأقبلوا يتجادلون عليها وكلهم بهاضـنين وعليها حريص إما لدنيا وإما لآخرة فلما طال ذلك قال عبدالرحمن من رجل منكم يخرج نفسـه عن هذاالأمر ويختار لهذه الأمة رجلا منكم فإنى طيبة نفسـى أن أخرج منها وأختار لكم قالوا قدرضينا إلا على بن أبى طالب فإنه اتهمه و قـال أنظر وأرى فأقبـل أبوطلحـة عليه و قـال يـا أبـا الحسن ارض برأى عبـدالرحمن كـان الأـمر لك أولغيرك فقال على أعطنى يا عبـدالرحمن موثقا من الله لتؤثرن الحق و لاتتبع الهوى [صـفحه ٥٢] و لاتمل إلى صـهر و لاذى قرابة و لاتعمل إلالله و لاتألو هذه الأمة أن تختار لها خيرها قال فحلف له عبدالرحمن بالله ألذى لاإله إلا هولأجتهدن لنفسـى ولكم وللأمة و لاأميل إلى هوى و لاـ إلى صـهر و لاـذى قرابـة قـال فخرج عبـدالرحمن فمكث ثلاثـة أيـام يشاور الناس ثم رجع واجتمع الناس وكثروا على البـاب لايشـكون أنه يبـايع على بن أبى طالب و كان هوى قريش كافـة ماعـدا بنى هاشم فى عثمان وهوى طائفـة من الأنصار مع

على وهوى طائفة أخرى مع عثمان وهى أقل الطائفتين وطائفة لايبالون أيهما بويع . قال فأقبل المقداد بن عمرو و الناس مجتمعون فقال أيها الناس اسمعوا ماأقول أناالمقداد بن عمرو إنكم إن بايعتم عليا سمعنا وأطعنا و إن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا فقام عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى فنادى أيها الناس إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا و إن بايعتم عليا سمعنا وعصينا فقال له المقداد ياعدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون فقال له عبد الله يا ابن الحليف العسيف ومتى كان مثلك يجترئ على الدخول فى أمر قريش . فقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح أيها الملأ إن أردتم ألا تختلف قريش فيما بينها فبايعوا عثمان فقال عمار بن ياسر إن أردتم ألا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليا ثم أقبل على عبد الله بن سعد بن أبى سرح فقال يافاسق يا ابن الفاسق أ أنت ممن يستنصحه المسلمون أويستشيرونه فى أمورهم وارتفعت الأصوات ونادى مناد لايدرى من هوفقريش تزعم أنه رجل من بنى مخزوم والأنصار تزعم أنه رجل طوال آدم مشرف على الناس لايعرفه أحد منهم يا عبدالرحمن افرغ من أمرك وامض على ما فى نفسك فإنه الصواب . [صفحه ۵۳] قال الشعبى فأقبل عبدالرحمن على على بن أبى طالب فقال عليك عهد الله وميثاقه وأشد ماأخذ الله على النبيين من عهد وميثاق إن بايعتك لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبى بكر وعمر فقال على ع طاقتى ومبلغ علمى وجهد رأيى و الناس يسمعون .فأقبل على عثمان فقال له مثل ذلك فقال نعم لاأزول عنه و لاأدع شيئا منه ثم أقبل على على فقال له ذلك ثلاث مرات ولعثمان ثلاث مرات فى كل ذلك يجيب على مثل ما كان أجاب به ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به . فقال ابسط يدك ياعثمان فبسط يده فبايعه وقام القوم فخرجوا و قدبايعوا إلا على بن أبى طالب فإنه لم يبايع . قال فخرج عثمان على الناس ووجهه متهلل وخرج على و هوكاسف البال مظلم و هو يقول يا ابن عوف ليس هذابأول يوم تظاهرتم علينا من دفعنا عن حقنا والاستئثار علينا وإنها لسنة علينا وطريقة تركتموها. فقال المغيرة بن شعبة لعثمان أ ما و الله لوبويع غيرك لمابايعناه فقال عبدالرحمن بن عوف كذبت و الله لوبويع غيره لبايعته و ما أنت وذاك يا ابن الدباغة و الله لووليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقربا إليه وطمعا فى الدنيا فاذهب لا أبا لك . فقال المغيرة لو لامكان أمير المؤمنين لأسمعتك ماتكره ومضيا. قال الشعبى فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم فقال أبوسفيان بن حرب أعندكم أحد من غيركم قالوا لا قال يابنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فو ألذى يحلف به أبوسفيان ما من عذاب و لاحساب و لاجنة و لانار و لابعث و لاقيامة. [صفحه ۵۴] قال فانتهره عثمان وساءه بما قال وأمر بإخراجه . قال الشعبى فدخل عبدالرحمن بن عوف على عثمان فقال له ماصنعت فو الله ماوفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر فتحمد الله وتثنى عليه وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعد الناس خيرا. قال فخرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال هذامقام لم نكن نقومه و لم نعد له من الكلام ألذى يقام به فى مثله وسأهيئ ذلك إن شاء الله ولن آلو أمة محمدخيرا و الله المستعان . ثم نزل . قال عوانة فحدثنى يزيد بن جرير عن الشعبى عن شقيق بن مسلمة أن على بن أبى طالب لماانصرف إلى رحله قال لبنى أبيه يابنى عبدالمطلب إن قومكم عادوكم بعدوفاة النبى كعداوتهم النبى فى حياته و إن يطع قومكم لاتؤمروا أبدا و و الله لاينيب هؤلاء إلى الحق إلابالسيف قال و عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل إليهم قدسمع الكلام كله فدخل و قال يا أبا الحسن أتريد أن تضرب بعضهم ببعض فقال اسكت ويحك فو الله لو لاأبوك و ماركب منى قديما وحديثا مانازعنى ابن عفان و لا ابن عوف -روايت-۱-۲-روايت-۶۳-۴۹۷ فقام عبد الله فخرج . قال وأكثر الناس فى أمر الهرمزان وعبيد الله بن عمر وقتله إياه وبلغ ما قال فيه على بن أبى طالب فقام عثمان فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنه كان من قضاء الله أن عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصاب الهرمزان و هو رجل من [صفحه ۵۵] المسلمين و ليس له وارث إلا الله والمسلمون و أناإمامكم و قدعفوت أفتعفون عن عبيد الله ابن خليفتكم بالأمس قالوا نعم فعفا عنه فلما بلغ ذلك عليا تضاحك و قال سبحان الله لقد بدأ بهاعثمان أيعفو عن حق امرئ ليس بواليه تالله إن هذالهو العجب قالوا فكان ذلك أول

مابـدا من عثمان مما نقم عليه . قال الشـعبى وخرج المقـداد من الغد فلقى عبدالرحمن بن عوف فأخذ بيده و قال إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابک الله ثواب الدنيا والآخرة و إن كنت إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالک فقال عبدالرحمن اسمع رحمک الله اسـمع قال لاأسـمع و الله وجـذب يده من يده ومضـى حتى دخل على على ع فقال قم فقاتل حتى نقاتل معک قال على فبمن أقاتـل رحمـک الله وأقبـل عمـار بن ياسر ينادى ياناعى الإسـلام قم فانعه || قـدمات عرف وبـدا نكر . أما و الله لو أن لى أعوانا لقـاتلتهم و الله لئن قـاتلهم واحـد لأـكونن له ثانيـا فقـال على يـا أباااليقظـان و الله لاأجـد عليهم أعوانا و لاأحب أن أعرضـكم لما لاتطيقون -روايت-١-٢-روايت-١۴-٩٢ وبقى ع فى داره وعنـده نفر من أهـل بيته و ليس يـدخل إليه أحـد مخافـة عثمان . قال الشـعبى واجتمع أهـل الشورى على أن تكون كلمتهم واحـدة على من لم يبـايع فقاموا إلى على فقالوا قم فبايع عثمان قال فإن لم أفعل قالوا نجاهـدک قال فمشـى إلى عثمان حتى بايعه و هو يقول صـدق الله ورسوله فلما بايع أتاه عبدالرحمن بن عوف فاعتذر إليه و قـال إن عثمـان أعطانـا يـده ويمينه و لم تفعـل أنت فـأحببت أن أتوثق للمسـلمين فجعلتهـا فيه فقـال إيهـا عنک إنما آثرته بهالتنالها بعده دق الله بينكما عطر منشم . [صـفحه ۵۶] قال الشـعبى وقدم طلحة من الشام بعد مابويع عثمان فقيل له رد هذاالأمر حتى ترى فيه رأيک فقال و الله لوبايعتم شركم لرضيت فكيف و قدبايعتم خيركم قال ثم عدا عليه بعد ذلک وصاحبه حتى قتلاه ثم زعما أنهما يطلبان بـدمه . قال الشـعبى فأما مايذكره الناس من المناشدة و قول على ع لأهل الشورى أفيكم أحد قال له رسول الله ص كـذا فـإنه لم يكن يوم البيعـة وإنمـا كـان بعـد ذلـک بقليل دخل على ع على عثمان وعنـده جماعـة من الناس منهم أهل الشورى و قـد كـان بلغه عنهم هنـات وقوارص فقـال لهم أفيكم أفيكم كـل ذلک يقولون لا قال لكنى أخبركم عن أنفسـكم أما أنت ياعثمـان ففررت يوم حنين وتوليت يوم التقى الجمعان و أما أنت ياطلحة فقلت إن مات محمـدلنركضن بين خلاخيل نسائه كماركض بين خلاخيل نسائنا و أما أنت يا عبـدالرحمن فصاحب قراريط و أما أنت ياسعد فتـدق عن أن تـذكر -روايت-١-٢-روايت-٢٨-۵١٧ قـال ثم خرج فقال عثمان أ ما كان فيكم أحـد يرد عليه قالوا و مامنعک من ذلک و أنت أمير المؤمنين وتفرقوا قال عوانة قال إسـماعيل قال الشعبى فحدثنى عبدالرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله الأزدى قال كنت جالسا بالمدينة حيـث بويـع عثمـان فجئت فجلست إلى المقـداد بن عمرو فسـمعته يقـول و الله مـارأيت مثـل مـاأتى إلى أهـل هـذاالبيت و كـان عبـدالرحمن بن عوف جالسا فقال و ما أنت وذاک يامقـداد قال المقـداد إنى و الله أحبهم لحب رسول الله ص وإنى لأعجب من قريش وتطاولهم على الناس بفضل رسول الله ثم انتزاعهم سـلطانه من أهله قال عبدالرحمن أما و الله لقد أجهدت نفسـى [صفحه ۵٧] لكم قـال المقـداد أمـا و الله لقـد تركـت رجلاـ من الـذين يـأمرون بـالحق و به يعـدلون أما و الله لو أن لى على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالى إياهم ببـدر وأحـد فقال عبدالرحمن ثكلتک أمک لايسـمعن هذاالكلام الناس فإنى أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقـة. قـال المقـداد إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا يكون صاحب فتنـة ولكن من أقحم الناس فى الباطل وآثر الهوى على الحق فـذلک صاحب الفتنـة والفرقـة. قال فتربد وجه عبدالرحمن ثم قال لوأعلم أنک إياى تعنى لكان لى و لک شأن . قال المقداد إياى تهدد يا ابن أم عبدالرحمن ثم قام عن عبدالرحمن فانصـرف . قال جندب بن عبد الله فاتبعته و قلت له يا عبد الله أنا من أعوانک فقال رحمک الله إن هـذاالأمر لايغنى فيه الرجلان و لاالثلاثـة قال فدخلت من فورى ذلک على على ع فلما جلسـت إليه قلت يا أبا الحسن و الله ماأصاب قومک بصرف هذاالأمر عنک فقال صبر جميل و الله المستعان .فقلت و الله إنک لصبور قال فإن لم أصبر فما ذا أصـنع قلت إنى جلست إلى المقـداد بن عمرو آنفا و عبـدالرحمن بن عوف فقالا كـذا وكـذا ثم قام المقـداد فاتبعته فقلت له كذا فقال لى كذا فقال على ع لقد صدق المقداد فما أصنع فقلت تقوم فى الناس فتدعوهم إلى نفسک وتخبرهم أنک أولى بالنبى‌ص وتسألهم النصر على هؤلاء المظاهرين عليک فإن أجابک عشـرة من مائة شددت بهم على الباقين فإن دانوا لک فـذاک و إلاقاتلتهم وكنت أولى بالعـذر قتلت أوبقيت وكنت أعلى عنـد الله حجـة. فقال أترجو ياجندب أن يبايعنى من كل

عشرة واحد قلت أرجو ذلك قال لكنى لاأرجو ذلك لا و الله و لا من المائة واحد وسأخبرك أن الناس إنما ينظرون [صفحه ۵۸] إلى قريش فيقولون هم قوم محمد وقبيله و أماقريش بينها فتقول إن آل محمديرون لهم على الناس بنبوته فضلا ويرون أنهم أولياء هذاالأمر دون قريش ودون غيرهم من الناس وهم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا ومتى كان فى غيرهم تداولته قريش بينها لا و الله لايدفع الناس إلينا هذاالأمر طائعين أبدا.فقلت جعلت فداك يا ابن عم رسول الله لقد صدعت قلبى بهذا القول أ فلاأرجع إلى المصر فأوذن الناس بمقالتك وأدعو الناس إليك فقال ياجندب ليس هذازمان ذاك . قال فانصرفت إلى العراق فكنت أذكر فضل على على الناس فلاأعدم رجلا يقول لى ماأكره وأحسن ماأسمعه قول من يقول دع عنك هذا وخذ فيما ينفعك فأقول إن هذاهما ينفعنى وينفعك فيقوم عنى ويدعنى. وزاد أبوبكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى حتى رفع ذلك من قولى إلى الوليد بن عقبة أيام ولينا فبعث إلى فحبسنى حتى كلم فى فخلى سبيلى. وروى الجوهرى قال نادى عمار بن ياسر ذلك اليوم يامعشر المسلمين إنا قدكنا و ماكنا نستطيع الكلام قلة وذلة فأعزنا الله بدينه وأكرمنا برسوله فالحمد لله رب العالمين يامعشر قريش إلى متى تصرفون هذاالأمر عن أهل بيت نبيكم تحولونه هاهنا مرة وهاهنا مرة ما أناآمن أن ينزعه الله منكم ويضعه فى غيركم كمانزعتموه من أهله ووضعتموه فى غيرأهله . فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة يا ابن سمية لقد عدوت طورك و ماعرفت قدرك ما أنت و مارأت قريش لأنفسها إنك لست فى شىء من أمرها وإماراتها فتنح عنها. وتكلمت قريش بأجمعها فصاحوا بعمار وانتهروه فقال الحمد لله رب العالمين مازال أعوان الحق أذلاء ثم قام فانصرف [صفحه ۵۹]

۱۴۰– و من كلام له ع فى النهى عن غيبة الناس

اشاره

وَ إِنّمَا ينَبغَيِ لِأَهلِ العِصمَةِ وَ المَصنُوعِ إِلَيهِم فِي السّلَامَةِ أَن يَرحَمُوا أَهلَ الذّنُوبِ وَ المَعصِيَةِ وَ يَكُونَ الشّكرُ هُوَ الغَالِبَ عَلَيهِم وَ الحَاجِزَ لَهُم عَنهُم فَكَيفَ بِالعَائِبِ ألّذِي عَابَ أَخَاهُ وَ عَيّرَهُ بِبَلوَاهُ أَ مَا ذَكَرَ مَوضِعَ سَترِ اللّهِ عَلَيهِ مِن ذُنُوبِهِ مِمّا هُوَ أَعظَمُ مِنَ الذّنبِ ألّذِي عَابَهُ بِهِ وَ كَيفَ يَذُمّهُ بِذَنبٍ قَد رَكِبَ مِثلَهُ فَإِن لَم يَكُن رَكِبَ ذَلِكَ الذّنبَ بِعَينِهِ فَقَد عَصَي اللّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمّا هُوَ أَعظَمُ مِنهُ وَ ايمُ اللّهِ لَئِن لَم يَكُن عَصَاهُ فِي الكَبِيرِ وَ عَصَاهُ فِي الصّغِيرِ لَجُرأَتُهُ عَلَي عَيبِ النّاسِ أَكبَرُ يَا عَبدَ اللّهِ لَا تَعجَل فِي عَيبِ أَحَدٍ بِذَنبِهِ فَلَعَلّهُ مَغفُورٌ لَهُ وَ لَا تَأمَن عَلَي نَفسِكَ صَغِيرَ مَعصِيَةٍ فَلَعَلّكَ مُعَذّبٌ عَلَيهِ فَليَكفُف مَن عَلِمَ مِنكُم عَيبَ غَيرِهِ لِمَا يَعلَمُ مِن عَيبِ نَفسِهِ وَ ليَكُنِ الشّكرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَي مُعَافَاتِهِ مِمّا ابتلُيِ‌َ غَيرُهُ بِهِ ليس فى هذاالفصل من غريب اللغة مانشرح [صفحه ۶۰]

أقوال مأثورة فى ذم الغيبة والاستماع إلى المغتابين

ونحن نذكر مما ورد فى الغيبة لمعا نافعة على عادتنا فى ذكر الشىء عندمرورنا على مايقتضيه ويستدعيه . و قدورد فى الكتاب العزيز ذم الغيبة قال سبحانه وَ لا يَغتَب بَعضُكُم بَعضاً و –قرآن–۱۵۱–۱۷۸ قال رسول الله ص لاتحاسدوا و لاتباغضوا و لايغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا –روايت–۱–۲–روايت–۲۳–۹۲ روى جابر و أبوسعيد عنه ص إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا إن الرجل يزنى فيتوب الله عليه و إن صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفر له صاحبه –روايت–۱–۲–روايت–۳۰–۱۵۲ روى أنس عنه ص مررت ليلة أسرى بى فرأيت قوما يخمشون وجوههم بأظافيرهم فسألت جبريل عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون

الناس -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۳۴ فى حديث سلمان قلت يا رسول الله علمنى خيرا ينفعنى الله به قال لاتحقرن من المعروف شيئا و لوأرفضت من دلوك فى إناء المستقى والق أخاك ببشر حسن و لاتغتابنه إذاأدبر -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۱۸۰ فى حديث البراء بن عازب خطبنا رسول الله ص حتى أسمع العواتق فى بيوتهن فقال ألا لاتغتابوا المسلمين و لاتتبعوا عوراتهم فإنه من يتتبع عورة أخيه تتبع الله عورته و من يتتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۲۱۸ [صفحه ۶۱] فى حديث أنس أن رسول الله ص قال فى يوم صوم إن فلانة وفلانة كانتا تأكلان اليوم شحم امرأة مسلمة يعنى الغيبة فمرهما فلتتقيئا فقاءت كل واحدة منهما علقة دم -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۶۹ فى الصحاح المجمع عليها أنه ع مر بقبرين جديدين فقال إنهما ليعذبان و مايعذبان بكبير أماأحدهما فكان يغتاب الناس و أماالآخر فكان لايتنزه من البول ودعا بجريدة رطبة فكسرها اثنتين أو قال دعا بجريدتين ثم غرسهما فى القبرين و قال أماإنه سيهون من عذابهما مادامتا رطبتين -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۲۸۳ فى حديث ابن عباس أن رجلين من أصحابه اغتابا بحضرته رجلا و هويمشى ع وهما يمشيان معه فمر على جيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله أ وننهش الجيفة فقال ماأصبتما من أخيكما أنتن من هذه -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۲۰۱ فى حديث أبى هريرة من أكل لحم أخيه حيا قرب إليه لحمه فى الآخرة فقيل له كله ميتا كماأكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۱۲۶ وروى أن رجلين كانا عند باب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقى عنده منه شىءفأقيمت الصلاة فصليا مع الناس و ذلك يجول فى أنفسهما فأتيا عطاء بن أبى رباح فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة و إن كانا صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم . و عن مجاهدوَيلٌ لِكُلّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍالهمزة الطعان فى الناس واللمزة النمام . و عن الحسن و الله للغيبة أسرع فى دين المؤمن من الأكلة فى الجسد. -قرآن-۲۷۶-۳۰۵ [صفحه ۶۲] بعضهم أدركنا السلف وهم لايرون العبادة فى الصوم و لا فى الصلاة ولكن فى الكف عن أعراض الناس . ابن عباس إذاأردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك و هذامشتق من كلام أمير المؤمنين ع . أبوهريرة يبصر أحدهما القذى فى عين أخيه و لايبصر الجذع فى عين نفسه و هذاكالأول . الحسن يا ابن آدم إنك إن قضيت حقيقة الإيمان فلاتعب الناس بعيب هوفيك حتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب من نفسك فإذافعلت ذلك كان شغلك فى خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا. و يروى أن المسيح ع مر على جيفة كلب فقال بعض التلامذة ماأشد نتنه فقال المسيح ماأشد بياض أسنانه -روايت-۱-۲-روايت-۸-۱۰۳ كأنه نهاهم عن غيبة الكلب ونبههم إلى أنه لاينبغى أن يذكر من كل شىء إلاأحسنه . و سمع على بن الحسين ع رجلا يغتاب آخر فقال إن لكل شىءإداما وإدام كلاب الناس الغيبة -روايت-۱-۹۰ فى خطبة حجة الوداع أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إن الله حرم الغيبة كماحرم المال والدم -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۱۶۷ عمر مايمنعكم إذارأيتم من يخرق أعراض الناس أن تعربوا عليه أى تقبحوا قالوا نخاف سفهه وشره قال ذلك أدنى ألا تكونوا شهداء أنس يرفعه من مات على الغيبة حشر يوم القيامة مزرقة عيناه ينادى بالويل والندامة يعرف أهله و لايعرفونه -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۱۱۲ [صفحه ۶۳] و قال هشام بن عبدالملك فى بعض ولد الوليد بن عقبة أبلغ أباوهب إذا مالقيته || بأنك شر الناس غيبا لصاحب فتبدى له بشرا إذا مالقيته || وتلسعه بالغيب لسع العقارب مر الشعبى بقوم يغتابونه فى المسجد وفيهم بعض أصدقائه فأخذ بعضادتى الباب و قال هنيئا مريئا غيرداء مخامر || لعزة من أعراضنا مااستحلت . و من كلام بعض الحكماء أبصر الناس بالعوار المعوار هذامثل قول الشاعر وأجرأ من رأيت بظهر غيب || على عيب الرجال ذوو العيوب .قيل لشبيب بن شبة بن عقال مابال عبد الله بن الأهتم يغتابك وينتقصك قال لأنه شقيقى فى النسب وجارى فى البلد وشريكى فى الصنعة.دخل أبوالعيناء على المتوكل وعنده جلساؤه فقال له يا محمدكلهم كانوا فى غيبتك منذ اليوم و لم يبق أحد لم يذممك غيرى فقال إذارضيت عنى كرام عشيرتى || فلازال غضبان على لئامها قال بعضهم بت بالبصرة ليلة مع المسجديين فلما كان وقت السحر

حركهم واحد فقال إلى كم هذاالنوم عن أعراض الناس وقيل لشاعر وصله بعض الرؤساء وأنعم عليه ماصنع بك فلان قال ماوفت نعمته بإساءته منعنى لـذة الثلب وحلاوة الشكوى .أعرابى من عاب سفلة فقد رفعه و من عاب شريفا فقد وضع نفسه . [صفحه ۶۴] نظر بعض السلف إلى رجل يغتاب رجلا و قال يا هذاإنك تملى على حافظيك كتابا فانظر ماذا تقول . ابن عباس ماالأسد الضارى على فريسة بأسرع من الدنيء فى عرض السرى بعضهم ومطروفة عيناه عن عيب نفسه || فإن لاح عيب من أخيه تبصرا . وقالت رابعة العدوية إذانصح الإنسان لله أطلعه الله تعالى على مساوئ عمله فتشاغل بها عن ذكر مساوئ خلقه . قال عبد الله بن عروة بن الزبير لابنه يابنى عليك بالدين فإن الدنيا مابنت شيئا إلاهدمه الدين و إذابنى الدين شيئا لم تستطع الدنيا هدمه أ لاترى على بن أبى طالب و ما يقول فيه خطباء بنى أمية من ذمه وعيبه وغيبته و الله لكأنما يأخذون بناصيته إلى السماء أ لاتراهم كيف يندبون موتاهم ويرثيهم شعراؤهم و الله لكأنما يندبون جيف الحمر. و من كلام بعض الصالحين الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة لأنك إذااستودعك أخوك مالا لم تجد بك نفسك لخيانة فيه و قداستودعك عرضه و أنت تغتابه و لاتبالى. كان محمد بن سيرين قدجعل على نفسه كلما اغتاب أحدا أن يتصدق بدينار و كان إذامدح أحدا قال هو كمايشاء الله و إذاذمه قال هو كمايعلم الله .الأحنف فى خلتان لاأغتاب جليسى إذاقام عنى و لاأدخل بين القوم فيما لم يدخلونى فيه .قيل لرجل من العرب من السيد فيكم قال ألذى إذاأقبل هبناه و إذاأدبر اغتبناه . [صفحه ۶۵] قيل للربيع بن خيثم مانراك تعيب أحدا فقال لست راضيا على نفسى فأتفرغ لذكر عيوب الناس ثم قال لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها || لنفسى فى نفسى عن الناس شاغل . عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ماأبعد أباحنيفة من الغيبة ماسمعته يغتاب عدوا قال هو و الله أعقل من أن يسلط على حسناته مايذهب بها.سئل فضيل عن غيبة الفاسق فقال لاتشتغل بذكره و لاتعود لسانك الغيبة أشغل لسانك بذكر الله وإياك ذكر الناس فإن ذكر الناس داء وذكر الله دواء.بعض الشعراء ولست بذى نيرب فى الصديق || خئون العشيرة سبابها و لا من إذا كان فى مجلس || أضاع القبيلة واغتابها ولكن أبجل ساداتها || و لاأتعلم ألقابها . و كان يقال الغيبة فاكهة القراء وقيل لإسماعيل بن حماد بن أبى حنيفة أى اللحمان أطيب قال لحوم الناس هى و الله أطيب من لحوم الدجاج والدراج يعنى الغيبة. ابن المغيرة لاتذكر الميت بسوء فتكون الأرض أكتم عليه منك . و كان عبدالملك بن صالح الهاشمى إذاذكر عنده الميت بسوء يقول كفوا عن أسارى الثرى . و فى الأثر سامع الغيبة أحد المغتابين -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۰ . [صفحه ۶۶] أبونواس ماحطك الواشون من رتبة || عندى و ماضرك مغتاب كأنهم أثنوا و لم يعلموا || عليك عندى بالذى عابوا . الحسن ذم الرجل فى السر مدح له فى العلانية. على ع الغيبة جهد العاجز -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۲۹ أخذه المتنبى فقال وأكبر نفسى عن جزاء بغيبة || و كل اغتياب جهد من ما له جهد .بلغ الحسن أن رجلا اغتابه فأهدى إليه طبقا من رطب فجاءه الرجل معتذرا و قال أصلحك الله اغتبتك فأهديت لى قال إنك أهديت إلى حسناتك فأردت أن أكافئك .أتى رجل عمرو بن عبيد الله فقال له إن الأسوارى لم يزل أمس يذكرك و يقول عمرو الضال فقال له يا هذا و الله مارعيت حق مجالسة الرجل حين نقلت إلينا حديثه و لارعيت حقى حين بلغت عن أخى ماأكرهه أعلمه أن الموت يعمنا والبعث يحشرنا والقيامة تجمعنا و الله يحكم بيننا

حكم الغيبة فى الدين

واعلم أن العلماء ذكروا فى حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لوبلغه سواء ذكرت نقصانا فى بدنه مثل أن تقول الأقرع أوالأعور أو فى نسبه نحو أن تقول ابن النبطى و ابن الإسكاف أوالزبال أوالحائك أوخلقه نحو سيئ الخلق أوبخيل [صفحه ۶۷] أومتكبر أو فى أفعاله الدنيئة نحو قولك كذاب وظالم ومتهاون بالصلاة أوالدنيوية نحو قولك قليل الأدب متهاون بالناس كثير

الکلام کثیر الأکل أو فی ثوبه کقولک وسخ الثیاب کبیر العمامة طویل الأذیال . و قد قال قوم لاغیبة فی أمور الدین لأن المغتاب إنما ذم ماذمه الله تعالی واحتجوا بما روی أنه ذکر لرسول الله ص امرأة وکثرة صومها وصلاتها ولکنها تؤذی جارتها فقال هی فی النار و لم ینکر علیهم غیبتهم إیاها. وروی أن امرأة ذکرت عنده ع بأنها بخیلة فقال فما خیرها إذن -روایت-۱-۲-روایت-۹-۶۵ . وأکثر العلماء علی أن الغیبة فی أمور الدین محرمة أیضا وادعوا الإجماع علی أن من ذکر غیره بما یکرهه فهو مغتاب سواء أ کان فی الدین أو فی غیره قالوا والمخالف مسبوق بهذا الإجماع وقالوا و قدروی عن النبی ص أنه قال هل تدرون ماالغیبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذکرک أخاک بما یکرهه فقائل قال أرأیت یا رسول الله إن کان ذلک فی أخی قال إن کان فیه فقد اغتبته و إن لم یکن فقد بهته -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۲۱۷ روی معاذ بن جبل أن رجلا ذکر عند رسول الله ص فقال قوم ماأعجزه فقال ع اغتبتم صاحبکم فقالوا قلنا ما فیه فقال إن قلتم ما لیس فیه فقد بهتموه -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۱۵۴ .قالوا و مااحتج به الزاعمون أن لاغیبة فی الدین لیس بحجة لأن الصحابة إنما ذکرت ذلک فی مجلس رسول الله ص لحاجتها إلی تعرف الأحکام بالسؤال و لم یکن غرضها التنقص . واعلم أن الغیبة لیست مقصورة علی اللسان فقط بل کل ماعرفت به صاحبک [صفحه ۶۸] نقص أخیک فهو غیبة فقد یکون ذلک باللسان و قد یکون بالإشارة والإیماء وبالمحاکاة نحو أن تمشی خلف الأعرج متعارجا وبالکتاب فإن القلم أحد اللسانین . و إذاذکر المصنف شخصا فی تصنیفه وهجن کلامه فهو غیبة فأما قوله قال قوم کذا فلیس بغیبة لأنه لم یعین شخصا بعینه . و کان رسول الله ص یقول مابال أقوام یقولون کذا فکان لایعین و یکون مقصوده واحدا بعینه -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۹۸ وأخبث أنواع الغیبة غیبة القراء المراءین و ذلک نحو أن یذکر عندهم إنسان فیقول قائلهم الحمد لله ألذی لم یبلنا بدخول أبواب السلطان والتبذل فی طلب الحطام وقصده أن یفهم الغیر عیب ذلک الشخص فتخرج الغیبة فی مخرج الحمد والشکر لله تعالی فیحصل من ذلک غیبة المسلم ویحصل منه الریاء وإظهار التعفف عن الغیبة و هوواقع فیها وکذلک یقول لقد ساءنی مایذکر به فلان نسأل الله أن یعصمه و یکون کاذبا فی دعوی أنه ساءه و فی إظهار الدعاء له بل لوقصد الدعاء له لأخفاه فی خلوة عقب صلواته و لو کان قدساءه لساءه أیضا إظهار مایکرهه ذلک الإنسان . واعلم أن الإصغاء إلی الغیبة علی سبیل التعجب کالغیبة بل أشد لأنه إنما یظهر التعجب لیزید نشاط المغتاب فی الغیبة فیندفع فیهاحکایة یستخرج الغیبة منه بذلک و إذا کان السامع الساکت شریک المغتاب فما ظنک بالمجتهد فی حصول الغیبة والباعث علی الاستزادة منها و قدروی أن أبابکر وعمر ذکرا إنسانا عند رسول الله فقال أحدهما إنه لنئوم ثم أخرج رسول الله ص خبزا قفارا فطلبا منه أدما فقال قداتئدمتما قالا مانعلمه قال بلی بما أکلتما من لحم صاحبکما فجمعهما فی الإثم و قد [صفحه ۶۹] کان أحدهما قائلا والآخر مستمعا فالمستمع لایخرج من إثم الغیبة إلابأن ینکر بلسانه فإن خاف فبقلبه و إن قدر علی القیام أوقطع الکلام بکلام آخر لزمه ذلک فإن قال بلسانه اسکت و هومرید للغیبة بقلبه فذلک نفاق و لایخرجه عن الإثم إلا أن یکرهه بقلبه و لایکفی أن یشیر بالید أی اکفف أوبالحاجب والعین فإن ذلک استحقار للمذکور بل ینبغی أن یذب عنه صریحا فقد قال رسول الله ص من أذل عنده مؤمن و هویقدر علی أن ینصره فلم ینصره أذله الله یوم القیامة علی رءوس الخلائق -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۱۲۶

فصل فی الأسباب الباعثة علی الغیبة

واعلم أن الأسباب الباعثة علی الغیبة علی أمور منها شفاء الغیظ و ذلک أن یجری من الإنسان سبب یغضب به علیه آخر فإذاهاج غضبه تشفی بذکر مساوئه وسبق إلیها لسانه بالطبع إن لم یکن هناک دین وازع و قدیمنع تشفی الغیظ عندالغضب فیحتقن

الغضب فى الباطن فيصير حقدا ثابتا فيكون سببا دائما لذكر المساوئ. ومنها موافقة الأقران ومساعدتهم على الكلام فإنهم إذااجتمعوا ربما أخذوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لوأنكر أوقطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة فى الصحبة و قديغضب رفقاؤه من أمر فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهارا للمساهمة فى السراء والضراء فيخوض معهم فى ذكر العيوب والمساوئ. [صفحه ۷۰] ومنها أن يستشعر من إنسان أنه سيذمه ويطول لسانه فيه ويقبح حاله عندبعض الرؤساء أويشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح حاله فيطعن فيه ليسقط أثر شهادته عليه . و قديبتدئ بذكر بعض ما فيه صادقا ليكذب عليه بعد ذلك فيروج كذبه بالصدق الأول . ومنها أن ينسب إلى أمر فيريد التبرؤ منه فيذكر ألذى فعله و كان من حقه أن يبرئ نفسه و لايذكر ألذى فعله لكنه إنما يذكر غيره تأكيدا لبراءة نفسه وكيلا يكون تبرؤا مبتورا وربما يعتذر بأن يقول فلان فعله وكنت شريكا فى بعض الأمر ليبرئ نفسه بعض البراءة. ومنها المباهاة وحب الرئاسة مثل أن يقول كلام فلان ركيك ومعرفته بالفن الفلانى ناقصة وغرضه إظهار فضله عليه . ومنها الحسد وإرادة إسقاط قدر من يمدحه الناس بذكر مساوئه لأنه يشق عليه ثناء الناس عليه و لايجد سبيلا إلى سد باب الثناء عليه إلابذكر عيوبه . ومنها اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك والسخرية فيذكر غيره بما يضحك الحاضرين على سبيل الهزء والمحاكاة. واعلم أن ألذى يقوى فى نفسى أن الغيبة لاتكون محرمة إلا إذاكانت على سبيل القصد إلى تنقص الإنسان فقط وغض قدره فأما إذاخرجت مخرجا آخر فليست بحرام كمن يظلمه القاضى ويأخذ الرشوة على إسقاط حقوقه فإن له أن يذكر حاله للسلطان متظلما من حيف الحاكم عليه إذ لايمكنه استيفاء حقوقه إلابذلك فقد قال ص مطل الغنى ظلم -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۳۱ قال لى الواجد يحل عقوبته وعرضه -روايت-۱-۲-روايت-۸-۳۹ [صفحه ۷۱] وكذلك النهى عن المنكر واجب و قديحتاج الإنسان إلى الاستعانة بالغير على تغييره ورد القاضى إلى منهج الصلاح فلابد له أن يشرح للغير حال ذلك الإنسان المرتكب المنكر و من ذكر الإنسان بلقب مشهور فعرف عن عيبه كالأعرج والأعمش المحدثين لم يكن مغتابا إذا لم يقصد الغض والنقص . والصحيح أن المجاهر بالفسق لاغيبة له كصاحب الماخور والمخنث و من يدعو الناس إلى نفسه أبنة وكالعشار والمستخرج بالضرب فإن هؤلاء غيركارهين لمايذكرون به وربما تفاخروا بذلك و قد قال النبى ص من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلاغيبة له -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۶۶ و قال عمر ليس لفاجر حرمة وأراد المجاهر بالفسق دون المستتر. و قال الصلت بن طريف قلت للحسن رحمه الله الرجل الفاجر المعلن بالفجور غيرمراقب هل ذكرى له بما فيه غيبة فقال لا و لاكرامة له

طريق التوبة من الغيبة

واعلم أن التوبة من الغيبة تكفر عقابها والتوبة منها هى الندم عليها والعزم على ألا يعود فإن لم يكن الشخص المذكور قدبلغته الغيبة فلاحاجة إلى الاستحلال منه بل لايجوز إعلامه بذلك هكذا قال شيخنا أبو الحسين رحمه الله لأنه لم يؤلمه فيحتاج إلى أن يستوهب منه إثم ذلك الإيلام و فى إعلامه تضييق صدره وإدخال مشقة عليه و إن كان الشخص المذكور قدبلغته الغيبة وجب عليه أن يستحله ويستوهبه فإن كان قدمات سقط بالتوبة عقاب مايختص بالبارئ سبحانه من ذلك الوقت وبقى مايختص بذلك الميت لايسقط حتى يؤخذ العوض له من المذنب يوم القصاص [صفحه ۷۲]

۱۴۱– و من كلام له ع

أَيّهَا النّاسُ مَن عَرَفَ مِن أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَ سَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسمَعَنّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرّجَالِ أَمَا إِنّهُ قَد يرَمِي الرّامِي وَ تُخطِئُ السّهَامُ وَ يُحِيلُ الكَلَامُ وَ بَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَ اللّهُ سَمِيعٌ وَ شَهِيدٌ أَمَا إِنّهُ لَيسَ بَينَ الحَقّ وَ البَاطِلِ إِلّا أَربَعُ أَصَابِعَ فَسُئِلَ ع عَن مَعنَى قَولِهِ هَذَا فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَ وَضَعَهَا بَينَ أُذُنِهِ وَ عَينِهِ ثُمّ قَالَ البَاطِلُ أَن تَقُولَ سَمِعتُ وَ الحَقّ أَن تَقُولَ رَأَيتُ هذاالكلام هونهى عن التسرع إلى التصديق بما يقال من العيب والقدح فى حق الإنسان المستور الظاهر المشتهر بالصلاح والخير و هوخلاصة قوله سبحانه إِن جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوماً بِجَهالَةٍ فَتُصبِحُوا عَلى ما فَعَلتُم نادِمِينَ ثم ضرب ع لذلك مثلا فقال قديرمى الرامى فلايصيب الغرض وكذلك قديطعن الطاعن فلا يكون طعنه صحيحا وربما كان لغرض فاسد أوسمعه ممن له غرض -قرآن-١٤٩-٢٥٩ [صفحه ٧٣] فاسدا كالعدو والحسود و قديشتبه الأمر فيظن المعروف منكرا فيعجل الإنسان بقول لايتحققه كمن يرى غلام زيد يحمل فى إناء مستور مغطى خلا فيظنه خمرا. قال ع ويحيل الكلام أى يكون باطلا أحال الرجل فى منطقه إذاتكلم ألذى لاحقيقة له و من الناس من يرويه ويحيك الكلام بالكاف من قولك ماحاك فيه السيف ويجوز أحاك بالهمزة أى ماأثر يعنى أن القول يؤثر فى العرض و إن كان باطلا والرواية الأولى أشهر وأظهر. ويبور يفسد و قوله وباطل ذلك يبور مثل قولهم للباطل جولة وللحق دولة و هذا من قوله تعالى وَ قُل جاءَ الحَقّ وَ زَهَقَ الباطِلُ إِنّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً. والإصبع مؤنثة ولذلك قال أربع أصابع فحذف الهاء. فإن قلت كيف يقول ع الباطل مايسمع والحق مايرى وأكثر المعلومات إنما هى من طريق السماع كعلمنا الآن بنبوة محمدص بما بلغنا من معجزاته التى لم نرها وإنما سمعناها. قلت ليس كلامه فى المتواتر من الأخبار وإنما كلامه فى الأقوال الشاذة الواردة من طريق الآحاد التى تتضمن القدح فيمن قدغلبت نزاهته فلايجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك -قرآن-٥١٧-٥٨١ [صفحه ٧٤]

١٤٢- و من كلام له ع

وَ لَيسَ لِوَاضِعِ المَعرُوفِ فِي غَيرِ حَقّهِ وَ عِندَ غَيرِ أَهلِهِ مِنَ الحَظّ فِيمَا أَتَى إِلّا مَحمَدَةُ اللّئَامِ وَ ثَنَاءُ الأَشرَارِ وَ مَقَالَةُ الجُهّالِ مَا دَامَ مُنعِماً عَلَيهِم مَا أَجوَدَ يَدَهُ وَ هُوَ عَن ذَاتِ اللّهِ بَخِيلٌ فَمَن آتَاهُ اللّهُ مَالًا فَليَصِل بِهِ القَرَابَةَ وَ ليُحسِن مِنهُ الضّيَافَةَ وَ ليَفُكّ بِهِ الأَسِيرَ وَ العَانِيَ وَ ليُعطِ مِنهُ الفَقِيرَ وَ الغَارِمَ وَ ليَصبِر نَفسَهُ عَلَى الحُقُوقِ وَ النّوَائِبِ ابتِغَاءَ الثّوَابِ فَإِنّ فَوزاً بِهَذِهِ الخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدّنيَا وَ دَركُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ إِن شَاءَ اللّهُ هذاالكلام يتضمن ذم من يخرج ماله إلى الفتيان والأقران والشعراء ونحوهم ويبتغى به المدح والسمعة ويعدل عن إخراجه فى وجوه البر وابتغاء الثواب قال ع ليس له من الحظ إلامحمدة اللئام وثناء الأشرار وقولهم ماأجود يده أى ماأسمحه و هوبخيل بما يرجع إلى ذات الله يعنى الصدقات و مايجرى مجراها من صلة الرحم والضيافة وفك الأسير والعانى و هوالأسير بعينه وإنما اختلف اللفظ. [صفحه ٧٥] والغارم من عليه الديون ويقال صبر فلان نفسه على كذا مخففا أى حبسها قال تعالى وَ اصبِر نَفسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدعُونَ رَبّهُم. و قال عنترة يذكر حربا -قرآن-٨٥-١٣١ فصبرت عارفة لذلك حرة || ترسو إذانفس الجبان تطلع فى الحديث النبوى فى رجل أمسك رجلا وقتله آخر فقال ع اقتلوا القاتل واصبروا الصابر -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٩١ أى احبسوا ألذى حبسه للقتل إلى أن يموت . و قوله فإن فوزا أفصح من أن يقول فإن الفوز أو فإن فى الفوز كما قال الشاعر إن شواء ونشوة || وخبب البازل الأمون من لذة العيش والفتى || للدهر والدهر ذو شئون و لم يقل إن الشواء والنشوة والسر فى هذا أنه كأنه يجعل هذاالشواء شخصا من جملة أشخاص داخلة تحت نوع واحد و يقول إن واحدا منها أيها كان فهو من لذة العيش و إن لم يحصل له كل أشخاص ذلك النوع ومراده تقرير فضيلة هذه الخصال فى النفوس أى متى حصل للإنسان فوز ما بهافقد حصل له الشرف و هذاالمعنى و إن أعطاه لفظة الفوز بالألف واللام إذاقصد بهاالجنسية إلا أنه

قدیسبق إلی الذهن منها الاستغراق لاالجنسیهٔ فأتی بلفظهٔ لاتوهم الاستغراق وهی اللفظهٔ المنکرهٔ و هذادقیق و هو من لباب علم البیان [صفحه ۷۶]

۱۴۳– و من خطبهٔ له ع فی الاستسقاء

اشاره

إِلّا وَ إِنّ الأَرضَ التّیِ تَحمِلُکُم وَ السّمَاءَ التّیِ تُظِلّکُم مُطِیعَتَانِ لِرَبّکُم وَ مَا أَصبَحَتَا تَجُودَانِ لَکُم بِبَرَکَتِهِمَا تَوَجّعاً لَکُم وَ لَا زُلفَهً إِلَیکُم وَ لَا لِخَیرٍ تَرجُوَانِهِ مِنکُم وَ لَکِن أُمِرَتَا بِمَنَافِعِکُم فَأَطَاعَتَا وَ أُقِیمَتَا عَلَی حُدُودِ مَصَالِحِکُم فَقَامَتَا إِنّ اللّهَ یَبتَلِی عِبَادَهُ عِندَ الأَعمَالِ السّیّئَهِ بِنَقصِ الثّمَرَاتِ وَ حَبسِ البَرَکَاتِ وَ إِغلَاقِ خَزَائِنِ الخَیرَاتِ لِیَتُوبَ تَائِبٌ وَ یُقلِعَ مُقلِعٌ وَ یَتَذَکّرَ مُتَذَکّرٌ وَ یَزدَجِرَ مُزدَجِرٌ وَ قَد جَعَلَ اللّهُ سُبحَانَهُ الِاستِغفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرّزقِ وَ رَحمَهِ الخَلقِ فَقَالَ سُبحَانَهُاستَغفِرُوا رَبّکُم إِنّهُ کانَ غَفّاراً یُرسِلِ السّماءَ عَلَیکُم مِدراراً وَ یُمدِدکُم بِأَموالٍ وَ بَنِینَ وَ یَجعَل لَکُم جَنّاتٍ وَ یَجعَل لَکُم أَنهاراًفَرَحِمَ اللّهُ امرَأً استَقبَلَ تَوبَتَهُ وَ استَقَالَ خَطِیئَتَهُ وَ بَادَرَ مَنِیّتَهُ أللّهُمّ إِنّا خَرَجنَا إِلَیکَ مِن تَحتِ الأَستَارِ وَ الأَکنَانِ وَ بَعدَ عَجِیجِ البَهَائِمِ وَ الوِلدَانِ رَاغِبِینَ فِی رَحمَتِکَ وَ رَاجِینَ فَضلَ نِعمَتِکَ وَ خَائِفِینَ مِن عَذَابِکَ وَ نِقمَتِکَ -قرآن-۶۴۹-۸۰۶ [صفحه ۷۷] أللّهُمّ فَاسقِنَا غَیثَکَ وَ لَا تَجعَلنَا مِنَ القَانِطِینَ وَ لَا تُهلِکنَا بِالسّنِینَ وَ لَا تُؤَاخِذنَا بِمَا فَعَلَ السّفَهَاءُ مِنّا یَا أَرحَمَ الرّاحِمِینَ أللّهُمّ إِنّا خَرَجنَا إِلَیکَ نَشکُو إِلَیکَ مَا لَا یَخفَی عَلَیکَ أَلجَأَتنَا المَضَایِقُ الوَعرَهُ وَ أَجَاءَتنَا المَقَاحِطُ المُجدِبَهُ وَ أَعیَتنَا المَطَالِبُ المُتَعَسّرَهُ وَ تَلَاحَمَت عَلَینَا الفِتَنُ المُستَصعَبَهُ أللّهُمّ إِنّا نَسأَلُکَ أَلّا تَرُدّنَا خَائِبِینَ وَ لَا تَقلِبَنَا وَاجِمِینَ وَ لَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا وَ لَا تُقَایِسنَا بِأَعمَالِنَا أللّهُمّ انشُر عَلَینَا غَیثَکَ وَ بَرَکَتَکَ وَ رِزقَکَ وَ رَحمَتَکَ وَ اسقِنَا سُقیَا نَاقِعَهً مُروِیَهً مُعشِبَهً تُنبِتُ بِهَا مَا قَد فَاتَ وَ تُحیِی بِهَا مَا قَد مَاتَ نَافِعَهَ الحَیَا کَثِیرَهَ المُجتَنَی تُروِی بِهَا القِیعَانَ وَ تُسِیلُ البُطنَانَ وَ تَستَورِقُ الأَشجَارَ وَ تُرخِصُ الأَسعَارَ إِنّکَ عَلَی مَا تَشَاءُ قَدِیرٌ تظلکم تعلو علیکم و قدأظلتنی الشجرهٔ واستظللت بها والزلفهٔ القربهٔ یقول إن السماء و الأرض إذاجاءتا بمنافعکم أماالسماء فبالمطر و أما الأرض فبالنبات فإنهما لم تأتیا بذلک تقربا إلیکم و لارحمهٔ لکم ولکنهما أمرتا بنفعکم فامتثلتا الأمر لأنه أمر من تجب طاعته و لوأمرتا بغیر ذلک لفعلتاه والکلام مجاز واستعارهٔ لأن الجماد لایؤمر والمعنی أن الکل مسخر تحت القدرهٔ الإلهیهٔ ومراده تمهید قاعدهٔ الاستسقاء کأنه یقول إذاکانت السماء و الأرض أیام الخصب والمطر والنبات لم یکن ما کان منهما محبهٔ لکم و لارجاء منفعهٔ منکم بل طاعهٔ الصانع الحکیم سبحانه فیما سخرهما له [صفحه ۷۸] فکذلک السماء و الأرض أیام الجدب وانقطاع المطر وعدم الکلأ لیس ما کان منهما بغضا لکم و لااستدفاع ضرر یخاف منکم بل طاعهٔ الصانع الحکیم سبحانه فیما سخرهما له و إذا کان کذلک فبالحری ألا نأمل السماء و لا الأرض و أن نجعل آمالنا معلقهٔ بالملک الحق المدبر لهما و أن نسترحمه وندعوه ونستغفره لا کماکانت العرب فی الجاهلیهٔ یقولون مطرنا بنوء کذا و قدسخط النوء الفلانی علی بنی فلان فأمحلوا. ثم ذکر ع أن الله تعالی یبتلی عباده عندالذنوب بتضییق الأرزاق علیهم وحبس مطر السماء عنهم و هذاالکلام مطابق للقواعد الکلامیهٔ لأن أصحابنا یذهبون إلی أن الغلاء قد یکون عقوبهٔ علی ذنب و قد یکون لطفا للمکلفین فی الواجبات العقلیهٔ و هومعنی قوله لیتوب تائب إلی آخر الکلمات ویقلع یکف ویمسک . ثم ذکر أن الله سبحانه جعل الاستغفار سببا فی درور الرزق واستدل علیه بالآیهٔ التی أمر نوح ع فیهاقومه بالاستغفار یعنی التوبهٔ عن الذنوب وقدم إلیهم الموعد بما هوواقع فی نفوسهم وأحب إلیهم من الأمور الآجلهٔ فمناهم الفوائد العاجلهٔ ترغیبا فی الإیمان وبرکاته والطاعهٔ ونتائجها کما قال سبحانه للمسلمین وَ أُخری تُحِبّونَها نَصرٌ مِنَ اللّهِ وَ فَتحٌ قَرِیبٌفوعدهم بمحبوب

الأنفس ألذی یرونه فی العاجل عیانا ونقدا لاجزاء ونسیئة و قال تعالی فی موضع آخروَ لَو أَنّ أَهلَ القُری آمَنُوا وَ اتّقَوا لَفَتَحنا عَلَیهِم بَرَکاتٍ مِنَ السّماءِ وَ الأَرضِ و قال سبحانه وَ لَو أَنّهُم أَقامُوا التّوراةَ وَ الإِنجِیلَ وَ ما أُنزِلَ إِلَیهِم مِن رَبّهِم لَأَکَلُوا مِن فَوقِهِم وَ مِن تَحتِ أَرجُلِهِم -قرآن-۱۰۲۰-۱۰۷۴-قرآن-۱۱۷۴-۱۲۶۹-قرآن-۱۲۸۴-۱۴۱۳ [صفحه ۷۹] و قال تعالی وَ أَن لَوِ استَقامُوا عَلَی الطّرِیقَةِ لَأَسقَیناهُم ماءً غَدَقاً -قرآن-۱۵-۸۱

الثواب والعقاب

عندالمسلمین و أهل الکتاب و کل ما فی التوراة من الوعد والوعید فهو لمنافع الدنیا ومضارها أمامنافعها فمثل أن یقول إن أطعتم بارکت فیکم وکثرت من أولادکم وأطلت أعمارکم وأوسعت أرزاقکم واستبقیت اتصال نسلکم ونصرتکم علی أعدائکم و إن عصیتم وخالفتم اخترمتکم ونقصت من آجالکم وشتت شملکم ورمیتکم بالجوع والمحل وأذللت أولادکم وأشمت بکم أعداءکم ونصرت علیکم خصومکم وشردتکم فی البلاد وابتلیتکم بالمرض والذل ونحو ذلک . و لم یأت فی التوراة وعد ووعید بأمر یتعلق بما بعدالموت و أماالمسیح ع فإنه صرح بالقیامة وبعث الأبدان ولکن جعل العقاب روحانیا وکذلک الثواب أماالعقاب فالوحشة والفزع وتخیل الظلمة وخبث النفس وکدرها وخوف شدید و أماالثواب فما زاد علی أن قال إنهم یکونون کالملائکة وربما قال یصعدون إلی ملکوت السماء وربما قال أصحابه وعلماء ملته الضوء واللذة والسرور والأمن من زوال اللذة الحاصلة لهم هذا هوقول المحققین منهم و قدأثبت بعضهم نارا حقیقیة لأن لفظة النار وردت فی الإنجیل فقال محققوهم نار قلبیة أی نفسیة روحانیة و قال الأفلون نار کهذه النار ومنهم من أثبت عقابا غیرالنار و هوبدنی فقال الرعدة وصریر الأسنان فأما الجنة بمعنی الأکل والشرب والجماع فإنه لم یقل منهم قائل به أصلا والإنجیل صرح بانتفاء ذلک فی القیامة تصریحا لایبقی بعده ریب لمرتاب وجاء خاتم الأنبیاء محمد [صفحه ۸۰] ص فأثبت المعاد علی وجه محقق کامل أکمل مما ذکره الأولان فقال إن البدن والنفس معا مبعوثان ولکل منهما حظ فی الثواب والعقاب . و قدشرح الرئیس أبو علی الحسین بن عبد الله بن سینا هذاالموضع فی رسالة له فی المعاد تعرف بالرسالة الأضحویة شرحا جیدا فقال إن الشریعة المحمدیة أثبتت فی القیامة رد النفس إلی البدن وجعلت للمثاب والمعاقب ثوابا وعقابا بحسب البدن والنفس جمیعا فکان للمثاب لذات بدنیة من حور عین وولدان مخلدین وفاکهة یشتهون وکأس لایصدعون عنها و لاینزفون وجنات تجری من تحتها الأنهار من لبن وعسل وخمر وماء زلال وسرر وأرائک وخیام وقباب فرشها من سندس وإستبرق و ماجری مجری ذلک ولذات نفسانیة من السرور ومشاهدة الملکوت والأمن من العذاب والعلم الیقینی بدوام ماهم فیه و أنه لایتعقبه عدم و لازوال والخلو عن الأحزان والمخاوف وللمعاقب عقاب بدنی و هوالمقامع من الحدید والسلاسل والحریق والحمیم والغسلین والصراخ والجلود التی کلما نضجت بدلوا جلودا غیرها وعقاب نفسانی من اللعن والخزی والخجل والندم والخوف الدائم والیأس من الفرج والعلم الیقینی بدوام الأحوال السیئة التی هم علیها. قال فوفت الشریعة الحکمة حقها من الوعد الکامل والوعید الکامل وبهما ینتظم الأمر وتقوم الملة فأما النصاری و ماذهبوا إلیه من أمر بعث الأبدان ثم خلوها فی الدار الآخرة من المطعم والملبس والمشرب والمنکح فهو أرک ماذهب إلیه أرباب الشرائع وأسخفه و ذلک أنه إن کان السبب فی البعث هو أن الإنسان هوالبدن أو أن البدن شریک النفس فی الأعمال الحسنة والسیئة فوجب أن یبعث فهذا القول بعینه إن أوجب ذلک فإنه یوجب أن یثاب البدن ویعاقب بالثواب والعقاب البدنی المفهوم عندالعالم و إن کان الثواب والعقاب روحانیا فما الغرض فی بعث الجسد ثم ما ذلک [صفحه ۸۱] الثواب والعقاب الروحانیان وکیف تصور العامة ذلک حتی یرغبوا ویرهبوا کلا- بل لم تصور لهم الشریعة النصرانیة من ذلک شیئا غیرأنهم یکونون فی الآخرة

كالملائكة و هذا لايفى بالترغيب التام و لا ماذكروه من العقاب الروحانى و هوالظلمة وخبث النفس كاف فى الترهيب و ألذى جاءت به شريعة الإسلام حسن لازيادة عليه انقضى كلام هذاالحكيم .فأما كون الاستغفار سببا لنزول القطر ودرور الرزق فإن الآية بصريحها ناطقة به لأنها أمر وجوابه قال استَغفِرُوا رَبّكُم إِنّهُ كانَ غَفّاراً يُرسِلِ السّماءَ عَلَيكُم مِدراراً كماتقول قم أكرمك أى إن قمت أكرمتك و عن عمر أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له مارأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بهاالمطر. و عن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال استغفر الله فشكا آخر إليه الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح رجال أتوك يشكون أبوابا ويشكون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا له الآية –قرآن–۴۴۰–۵۱۴ . قوله استقبل توبته أى استأنفها وجددها واستقال خطيئته طلب الإقالة منها والرحمة وبادر منيته سابق الموت قبل أن يدهمه . [صفحه ۸۲] قوله ع لاتهلكنا بالسنين جمع سنة وهى الجدب والمحل قال تعالى وَ لَقَد أَخَذنا آلَ فِرعَونَ بِالسّنِينَ و –قرآن–۶۹–۱۰۹ قال النبى ص يدعو على المشركين أللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف –روايت–۱–۲–روايت–۱۸–۷۵ والسنة لفظ محذوف منه حرف قيل إنه الهاء وقيل الواو فمن قال المحذوف هاء قال أصله سنهة مثل جبهة لأنهم قالوا نخلة سنهاء أى تحمل سنة و لاتحمل أخرى و قال بعض الأنصار فليست بسنهاء و لارجبية || ولكن عرايا فى السنين الجوائح . و من قال أصلها الواو احتج بقولهم أسنى القوم يسنون إسناء إذالبثوا فى المواضع سنة فأما التصغير فلايدل على أحد المذهبين بعينه لأنه يجوز سنية وسنيهة والأكثر فى جمعها بالواو والنون سنون بكسر السين كما فى هذه الخطبة وبعضهم يقول سنون بالضم . والمضايق الوعرة بالتسكين و لايجوز التحريك و قدوعر هذاالشىء بالضم وعورة وكذلك توعر أى صار وعرا واستوعرت الشىء استصعبته . وأجاءتنا ألجأتنا قال تعالى فَأَجاءَهَا المَخاضُ إِلى جِذعِ النّخلَةِ. والمقاحط المجدبة السنون الممحلة جمع مقحطة. وتلاحمت اتصلت . والواجم ألذى قداشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام والماضى وجم بالفتح يجم وجوما. قوله و لاتخاطبنا بذنوبنا و لاتقايسنا بأعمالنا أى لاتجعل جواب دعائنا لك ماتقتضيه ذنوبنا كأنه يجعله كالمخاطب لهم والمجيب عما سألوه إياه كمايفاوض الواحد –قرآن–۴۱۱–۴۵۱ [صفحه ۸۳] منا صاحبه ويستعطفه فقد يجيبه ويخاطبه بما يقتضيه ذنبه إذااشتدت موجدته عليه ونحوه . و لاتقايسنا بأعمالنا قست الشىء بالشىء إذاحذوته ومثلته به أى لاتجعل ماتجيبنا به مقايسا ومماثلا لأعمالنا السيئة. قوله سقيا ناقعة هى فعلى مؤنثة غيرمصروفة. والحيا المطر وناقعة مروية مسكنة للعطش نقع الماء العطش نقعا ونقوعا سكنه و فى المثل الرشف أنقع أى أن الشراب ألذى يرشف قليلا قليلا أنجع وأقطع للعطش و إن كان فيه بطء. وكثيرة المجتنى أى كثيرة الكلأ والكلأ ألذى يجتنى ويرعى والقيعان جمع قاع و هوالفلاة. والبطنان جمع بطن و هوالغامض من الأرض مثل ظهر وظهران و عبد وعبدان [صفحه ۸۴]

۱۴۴– و من خطبة له ع

اشاره

بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصّهُم بِهِ مِن وَحيِهِ وَ جَعَلَهُم حُجّةً لَهُ عَلَى خَلقِهِ لِئَلّا تَجِبَ الحُجّةُ لَهُم بِتَركِ الإِعذَارِ إِلَيهِم فَدَعَاهُم بِلِسَانِ الصّدقِ إِلَى سَبِيلِ الحَقّ أَلَا إِنّ اللّهَ تَعَالَى قَد كَشَفَ الخَلقَ كَشفَةً لَا أَنّهُ جَهِلَ مَا أَخفَوهُ مِن مَصُونِ أَسرَارِهِم وَ مَكنُونِ ضَمَائِرِهِم وَ لَكِن لِيَبلُوَهُم أَيّهُم أَحسَنُ عَمَلًا فَيَكُونَ الثّوَابُ جَزَاءً وَ العِقَابُ بَوَاءً أَينَ الّذِينَ زَعَمُوا أَنّهُمُ الرّاسِخُونَ فِي العِلمِ دُونَنَا كَذِباً وَ بَغياً عَلَينَا أَن رَفَعَنَا اللّهُ وَ وَضَعَهُم وَ أَعطَانَا وَ حَرَمَهُم وَ أَدخَلَنَا وَ أَخرَجَهُم بِنَا يُستَعطَى الهُدَى وَ يُستَجلَى العَمَى إِنّ الأَئِمّةَ مِن قُرَيشٍ غُرِسُوا فِي

هَذَا البَطنِ مِن هَاشِمِ لَا تَصلُحُ عَلَى سِوَاهُم وَ لَا تَصلُحُ الوُلَاةُ مِن غَيرِهِم أول الكلام مأخوذ من قوله سبحانه رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعدَ الرّسُلِ و قوله تعالى وَ ما كُنّا مُعَذّبِينَ حَتّى نَبعَثَ رَسُولًا. -قرآن-۳۶-۱۲۸-قرآن-۱۴۴-۱۸۹ [صفحه ۸۵] فإن قلت فهذا يناقض مذهب المعتزلة في قولهم بالواجبات عقلا و لو لم تبعث الرسل . قلت صحة مذهبهم تقتضي أن تحمل عموم الألفاظ على أن المراد بهاالخصوص فيكون التأويل لئلا يكون للناس على الله حجة فيما لم يدل العقل على وجوبه و لاقبحه كالشرعيات وكذلك وَ ما كُنّا مُعَذّبِينَ حَتّى نَبعَثَ رَسُولًا على ما لم يكن العقل دليلا عليه حتى نبعث رسولا.الإعذار تقديم العذر ثم قال إن الله تعالى كشف الخلق بما تعبدهم به من الشرعيات على ألسنة الأنبياء و لم يكن أمرهم خافيا عنه فيحتاج إلى أن يكشفهم بذلك ولكنه أراد ابتلاءهم واختبارهم ليعلم أيهم أحسن عملا فيعاقب المسيء ويثيب المحسن . فإن قلت الإشكال قائم لأنه إذا كان يعلم أيهم يحسن وأيهم يسيء فما فائدة الابتلاء وهل هو إلامحض العبث قلت فائدة الابتلاء إيصال نفع إلى زيد لم يكن ليصح إيصاله إليه إلابواسطة هذاالابتلاء و هو مايقوله أصحابنا إن الابتلاء بالثواب قبيح و الله تعالى يستحيل أن يفعل القبيح . قوله وللعقاب بواء أي مكافأة قالت ليلى الأخيلية -قرآن-۲۶۳-۳۰۸ فإن تكن القتلى بواء فإنكم || فتى ماقتلتم آل عوف بن عامر . وأبأت القاتل بالقتيل واستبأته أيضا إذاقتلته به و قدباء الرجل بصاحبه أي قتل به [صفحه ۸۶] و في المثل باءت عرار بكحل وهما بقرتان قتلت إحداهما بالأخرى و قال مهلهل لبجير لماقتل بؤ بشسع نعل كليب . قوله ع أين الذين زعموا هذاالكلام كناية وإشارة إلى قوم من الصحابة كانوا ينازعونه الفضل فمنهم من كان يدعى له أنه أفرض ومنهم من كان يدعى له أنه أقرأ ومنهم من كان يدعى له أنه أعلم بالحلال والحرام هذا مع تسليم هؤلاء له أنه ع أقضى الأمة و أن القضاء يحتاج إلى كل هذه الفضائل و كل واحدة منها لاتحتاج إلى غيرها فهو إذن أجمع للفقه وأكثرهم احتواء عليه إلا أنه ع لم يرض بذلك و لم يصدق الخبر ألذي قيل أفرضكم فلان إلى آخره فقال إنه كذب وافتراء حمل قوما على وضعه الحسد والبغي والمنافسة لهذا الحي من بني هاشم أن رفعهم الله على غيرهم واختصهم دون من سواهم . و أن هاهنا للتعليل أي لأن فحذف اللام التي هي أداة التعليل على الحقيقة قال سبحانه لَبِئسَ ما قَدّمَت لَهُم أَنفُسُهُم أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيهِم و قال بعض النحاة لبعض الفقهاء الزاعمين أن لاحاجة للفقه إلى النحو ماتقول لرجل قال لزوجته أنت طالق إن دخلت الدار فقال لايقع إلابالدخول فقال فإن فتح الهمزة قال كذلك فعرفه أن العربية نافعة في الفقه و أن الطلاق منجز لامعلق إن كان مراده تعليل الطلاق بوقوع الدخول لاشتراطه به . ثم قال بنا يستعطى الهدى أي يطلب أن يعطى وكذلك يستجلى أي يطلب جلاؤه . ثم قال إن الأئمة من قريش إلى آخر الفصل -قرآن-۸۰۲-۸۶۳ [صفحه ۸۷]

اختلاف الفرق الإسلامية في كون الأئمة من قريش

و قداختلف الناس في اشتراط النسب في الإمامة فقال قوم من قدماء أصحابنا إن النسب ليس بشرط فيهاأصلا وإنها تصلح في القرشي و غيرالقرشي إذا كان فاضلا مستجمعا للشرائط المعتبرة واجتمعت الكلمة عليه و هوقول الخوارج . و قال أكثر أصحابنا وأكثر الناس إن النسب شرط فيها وإنها لاتصلح إلا في العرب خاصة و من العرب في قريش خاصة و قال أكثر أصحابنا معنى قول النبي ص الأئمة من قريش -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۳۳ أن القرشية شرط إذاوجد في قريش من يصلح للإمامة فإن لم يكن فيها من يصلح فليست القرشية شرطا فيها. و قال بعض أصحابنا معنى الخبر أنه لاتخلو قريش أبدا ممن يصلح للإمامة فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها في كل عصر وزمان . و قال معظم الزيدية إنها في الفاطميين خاصة من الطالبيين لاتصلح في غيرالبطنين و لاتصح إلابشرط أن يقوم بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس وبعض الزيدية

يجيز الإمامة فى غيرالفاطميين من ولد على ع و هو من أقوالهم الشاذة. و أماالراوندية فإنهم خصصوها بالعباس رحمه الله وولده من بين بطون قريش كلها و هذاالقول هو ألذى ظهر فى أيام المنصور والمهدى و أماالإمامية فإنهم جعلوها سارية فى ولد الحسين ع فى أشخاص مخصوصين و لاتصلح عندهم لغيرهم . وجعلها الكيسانية فى محمد بن الحنفية وولده ومنهم من نقلها منه إلى ولد غيره . فإن قلت إنك شرحت هذاالكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم فما قولك فى هذا [صفحه ۸۸] الكلام و هوتصريح بأن الإمامة لاتصلح من قريش إلا فى بنى هاشم خاصة و ليس ذلك بمذهب للمعتزلة لامتقدميهم و لامتأخريهم . قلت هذاالموضع مشكل و لى فيه نظر و إن صح أن عليا ع قاله قلت كما قال لأنه ثبت عندى أن النبى ص قال إنه مع الحق و أن الحق يدور معه حيثما دار -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۶۷ ويمكن أن يتأول ويطبق على مذهب المعتزلة فيحمل على أن المراد به كمال الإمامة كماحمل قوله ص لاصلاة لجار المسجد إلا فى المسجد -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۶ على نفى الكمال لا على نفى الصحة مِنهَا آثَرُوا عَاجِلًا وَ أَخّرُوا آجِلًا وَ تَرَكُوا صَافِياً وَ شَرِبُوا آجِناً كأَنَيّ أَنظُرُ إِلَى فَاسِقِهِم وَ قَد صَحِبَ المُنكَرَ فَأَلِفَهُ وَ بَسِئَ بِهِ وَ وَافَقَهُ حَتّى شَابَت عَلَيهِ مَفَارِقُهُ وَ صُبِغَت بِهِ خَلَائِقُهُ ثُمّ أَقبَلَ مُزبِداً كَالتّيّارِ لَا يُبَالِي مَا غَرّقَ أَو كَوَقعِ النّارِ فِي الهَشِيمِ لَا يَحفِلُ مَا حَرّقَ أَينَ العُقُولُ المُستَصبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الهُدَى وَ الأَبصَارُ اللّامِحَةُ إِلَى مَنَازِلِ التّقوَى أَينَ القُلُوبُ التّي وُهِبَت لِلّهِ وَ عُوقِدَت عَلَى طَاعَةِ اللّهِ ازدَحَمُوا عَلَى الحُطَامِ وَ تَشَاحّوا عَلَى الحَرَامِ وَ رُفِعَ لَهُم عَلَمُ الجَنّةِ وَ النّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الجَنّةِ وُجُوهَهُم وَ أَقبَلُوا إِلَى النّارِ بِأَعمَالِهِم وَ دَعَاهُم رَبّهُم فَنَفَرُوا وَ وَلّوا وَ دَعَاهُمُ الشّيطَانُ فَاستَجَابُوا وَ أَقبَلُوا [صفحه ۸۹] آثروا اختاروا وأخروا تركوا الآجن الماء المتغير أجن الماء يأجن ويأجن . وبسئ به ألفه وناقة بسوء ألفت الحالب و لاتمنعه وشابت عليه مفارقه طال عهده به مذ زمن الصبا حتى صار شيخا وصبغت به خلائقه ماصارت طبعا لأن العادة طبيعة ثانية.مزبدا أى ذو زبد و هو مايخرج من الفم كالرغوة يضرب مثلا للرجل الصائل المقتحم . والتيار معظم اللجة والمراد به هاهنا السيل والهشيم دقاق الحطب . و لايحفل بفتح حرف المضارعة لأن الماضى ثلاثى أى لايبالى. والأبصار اللامحة الناظرة وتشاحوا تضايقوا كل منهم يريد ألا يفوته ذلك وأصله الشح و هوالبخل . فإن قلت هذاالكلام يرجع إلى الصحابة الذين تقدم ذكرهم فى أول الخطبة. قلت لا و إن زعم قوم أنه عناهم بل هوإشارة إلى قوم ممن يأتى من الخلف بعدالسلف أ لاتراه قال كأنى أنظر إلى فاسقهم قدصحب المنكر فألفه و هذااللفظ إنما يقال فى حق من لم يوجد بعد كما قال فى حق الأتراك كأنى أنظر إليهم قوما كأن وجوههم المجان و كما قال فى حق صاحب الزنج كأنى به ياأحنف قدسار فى الجيش و كما قال فى الخطبة التى ذكرناها آنفا كأنى به قدنعق بالشام يعنى به عبدالملك وحوشى ع أن يعنى بهذا الكلام الصحابة لأنهم ماآثروا العاجل و لاأخروا الآجل و لاصحبوا المنكر و لاأقبلوا كالتيار لايبالى ماغرق و لاكالنار لاتبالى ماأحرقت و لاازدحموا على الحطام و لاتشاحوا على الحرام و لاصرفوا عن الجنة وجوههم و لاأقبلوا [صفحه ۹۰] إلى النار بأعمالهم و لادعاهم الرحمن فولوا و لادعاهم الشيطان فاستجابوا و قدعلم كل أحد حسن سيرتهم وسداد طريقتهم وإعراضهم عن الدنيا و قدملكوها وزهدهم فيها و قدتمكنوا منها و لو لا قوله كأنى أنظر إلى فاسقهم لم أبعد أن يعنى بذلك قوما ممن عليه اسم الصحابة و هوردىء الطريقة كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعاوية وجماعة معدودة أحبوا الدنيا واستغواهم الشيطان وهم معدودون فى كتب أصحابنا و من اشتغل بعلوم السيرة والتواريخ عرفهم بأعيانهم [صفحه ۹۱]

۱۴۵- و من خطبة له ع

أَيّهَا النّاسُ إِنّمَا أَنتُم فِي هَذِهِ الدّنيَا غَرَضٌ تَنتَضِلُ فِيهِ المَنَايَا مَعَ كُلّ جَرعَةٍ شَرَقٌ وَ فِي كُلّ أَكلَةٍ غَصَصٌ لَا تَنَالُونَ مِنهَا نِعمَةً إِلّا

بِفِرَاقِ أُخرَى وَ لَا يُعَمّرُ مُعَمّرٌ مِنكَم يوماً مِن عُمُرِهِ إِلّا بِهَدمِ آخَرَ مِن أَجَلِهِ وَ لَا تُجَدّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكلِهِ إِلّا بِنَفَادِ مَا قَبلَهَا مِن رِزقِهِ وَ لَا يَحيَا لَهُ أَثَرٌ إِلّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ وَ لَا يَتَجَدّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلّا بَعدَ أَن يَخلَقَ لَهُ جَدِيدٌ وَ لَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلّا وَ تَسقُطُ مِنهُ مَحصُودَةٌ وَ قَد مَضَت أُصُولٌ نَحنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرعٍ بَعدَ ذَهَابِ أَصلِهِ الغرض ماينصب ليرمى و هوالهدف وتنتضل فيه المنايا تترامى فيه للسبق و منه الانتضال بالكلام وبالشعر كأنه يجعل المنايا أشخاصا تتناضل بالسهام من الناس من يموت قتلا ومنهم من يموت غرقا أويتردى فى بئر أوتسقط عليه حائط أويموت على فراشه . ثم قال مع كل جرعة شرق و فى كل أكلة غصص بفتح الغين مصدر قولك غصصت يافلان بالطعام وروى غصص جمع غصة وهى الشجا و هذامثل قول بعضهم المنحة فيهامقرونة بالمحنة والنعمة مشفوعة بالنقمة [صفحه ٩٢] و قدبالغ بعض الشعراء فى الشكوى فأتى بهذه الألفاظ لكنه أسرف فقال . حظى من العيش أكل كله غصص || مر المذاق وشرب كله شرق ومراد أمير المؤمنين ع بكلامه أن نعيم الدنيا لايدوم فإذاأحسنت أساءت و إذاأنعمت أنقمت . ثم قال لاينالون منها نعمة إلابفراق أخرى هذامعنى لطيف و ذلك أن الإنسان لايتهيأ له أن يجمع بين الملاذ الجسمانية كلها فى وقت فحال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا وحال مايشرب لايأكل وحال مايركب للقنص والرياضة لا يكون جالسا على فراش وثير ممهد و على هذاالقياس لايأخذ فى ضرب من ضروب الملاذ إلا و هوتارك لغيره منها. ثم قال و لايعمر معمر منكم يوما من عمره إلابهدم آخر من أجله و هذاأيضا لطيف لأن المسرور ببقائه إلى يوم الأحد لم يصل إليه إلا بعد أن قضى يوم السبت وقطعه و يوم السبت من أيام عمره فإذا قدهدم من عمره يوما فيكون قدقرب إلى الموت لأنه قدقطع من المسافة جزءا. ثم قال و لاتجدد له زيادة فى أكله إلابنفاد ماقبلها من رزقه و هذاصحيح فإن فسرنا الرزق بما وصل إلى البطن على أحد تفسيرات المتكلمين فإن الإنسان لايأكل لقمة إلا و قدفرغ من اللقمة التى قبلها فهو إذا لايتجدد له زيادة فى أكله إلابنفاد ماقبلها من رزقه . ثم قال و لايحيا له أثر إلامات له أثر و ذلك أن الإنسان فى الأعم الأغلب لاينتشر صيته ويشيع فضله إلا عندالشيخوخة وكذلك لاتعرف أولاده ويصير لهم اسم فى الدنيا إلا بعدكبره وعلو سنه فإذا ماحيى له أثر إلا بعد أن مات له أثر و هوقوته ونشاطه وشبيبته ومثله قوله و لايتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد. [صفحه ٩٣] ثم قال و لاتقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصودة هذه إشارة إلى ذهاب الآباء عندحدوث أبنائهم فى الأعم الأغلب ولهذا قال و قدمضت أصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعدذهاب أصله و قدنظر الشعراء إلى هذاالمعنى فقالوا فيه وأكثروا نحو قول الشاعر فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب || لعلك تهديك القرون الأوائل فإن لم تجد من دون عدنان والدا || ودون معد فلتزعك العواذل و قال الشاعر فعددت آبائى إلى عرق الثرى || فدعوتهم فعلمت أن لم يسمعوا لابد من تلف مصيب فانتظر || أبأرض قومك أم بأخرى تصرع و قدصرح أبوالعتاهية بالمعنى فقال كل حياة إلى ممات || و كل ذى جدة يحول كيف بقاء الفروع يوما || و قدذوت قبلها الأصول مِنهَا وَ مَا أُحدِثَت بِدعَةٌ إِلّا تُرِكَ بِهَا سُنّةٌ فَاتّقُوا البِدَعَ وَ الزَمُوا المَهيَعَ إِنّ عَوَازِمَ الأُمُورِ أَفضَلُهَا وَ إِنّ مُحدَثَاتِهَا شِرَارُهَا [صفحه ٩٤] البدعة كل ماأحدث مما لم يكن على عهد رسول الله ص فمنها الحسن كصلاة التراويح ومنها القبيح كالمنكرات التى ظهرت فى أواخر الخلافة العثمانية و إن كانت قدتكلفت الأعذار عنها. ومعنى قوله ع ماأحدثت بدعة إلاترك بهاسنة أن من السنة ألا تحدث البدعة فوجود البدعة عدم للسنة لامحالة. والمهيع الطريق الواضح من قولهم أرض هيعة أى مبسوطة واسعة والميم مفتوحة وهى زائدة. وعوازم الأمور ماتقادم منها من قولهم عجوز عوزم أى مسنة قال الراجز لقد غدوت خلق الثياب || أحمل عدلين من التراب لعوزم وصبية سغاب || فآكل ولاحس وآبى . ويجمع فوعل على فواعل كدورق وهوجل ويجوز أن يكون عوازم جمع عازمة و يكون فاعل بمعنى مفعول أى معزوم عليها أى مقطوع معلوم بيقين صحتها ومجىء فاعلة بمعنى مفعولة كثير كقولهم عيشة راضية بمعنى مرضية والأول أظهر عندى لأن فى مقابلته قوله و إن محدثاتها شرارها والمحدث فى مقابلة القديم [صفحه ٩٥]

۱۴۶– و من كلام له ع و قداستشاره عمر فى الشخوص لقتال الفرس بنفسه

اشاره

إِنّ هَـذَا الأَمرَ لَم يَكُن نَصرُهُ وَ لَا خِذلَانُهُ بِكَثرَةٍ وَ لَا بِقِلّةٍ وَ هُوَ دِينُ اللّهِ أَلّذِى أَظهَرَهُ وَ جُندُهُ أَلّذِى أَعَدّهُ وَ أَمَدّهُ حَتّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَ طَلَعَ حَيثُمَا طَلَعَ وَ نَحنُ عَلَى مَوعُودٍ مِنَ اللّهِ وَ اللّهُ مُنجِزٌ وَعدَهُ وَ نَاصِرٌ جُندَهُ وَ مَكَانُ القَيّمِ بِالأَمرِ مَكَانُ النّظَامِ مِنَ الخَرَزِ يَجمَعُهُ وَ يَضُمّهُ فَإِنِ انقَطَعَ النّظَامُ تَفَرّقَ وَ ذَهَبَ ثُمّ لَم يَجتَمِع بِحَذَافِيرِهِ أَبَداً وَ العَرَبُ اليَومَ وَ إِن كَانُوا قَلِيلًا فَهُم كَثِيرُونَ بِالإِسلَامِ عَزِيزُونَ بِالِاجتِمَاعِ فَكُن قُطباً وَ استَدِرِ الرّحَى بِالعَرَبِ وَ أَصلِهِم دُونَكَ نَارَ الحَربِ فَإِنّكَ إِن شَخَصتَ مِن هَذِهِ الأَرضِ انتَقَضَت عَلَيكَ العَرَبُ مِن أَطرَافِهَا وَ أَقطَارِهَا حَتّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ العَورَاتِ أَهَمّ إِلَيكَ مِمّا بَينَ يَدَيكَ إِنّ الأَعَاجِمَ إِن يَنظُرُوا إِلَيكَ غَداً يَقُولُوا هَذَا أَصلُ العَرَبِ فَإِذَا اقتَطَعتُمُوهُ استَرَحتُم فَيَكُونُ ذَلِكَ أَشَدّ لِكَلَبِهِم عَلَيكَ وَ طَمَعِهِم فِيكَ فَأَمّا مَا ذَكَرتَ مِن مَسِيرِ القَومِ إِلَى قِتَالِ المُسلِمِينَ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ هُوَ أَكرَهُ لِمَسِيرِهِم مِنكَ وَ هُوَ أَقدَرُ عَلَى تَغيِيرِ مَا يَكرَهُ وَ أَمّا مَا ذَكَرتَ مِن عَدَدِهِم فَإِنّا لَم نَكُن نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالكَثرَةِ وَ إِنّمَا كُنّا نُقَاتِلُ بِالنّصرِ وَ المَعُونَةِ [صفحه ۹۶] نظام العقد الخيط الجامع له وتقول أخذته كله بحذافيره أى بأصله وأصل الحذافير أعالى الشىء ونواحيه الواحد حذفار. وأصلهم نار الحرب اجعلهم صالين لها يقال صليت اللحم وغيره أصليه صليا مثل رميته أرميه رميا إذاشويته و فى الحديث أنه ص أتى بشاة مصلية أى مشوية ويقال أيضا صليت الرجل نارا إذاأدخلته النار وجعلته يصلاها فإن ألقيته فيهاإلقاء كأنك تريد الإحراق قلت أصليته بالألف وصليته تصلية وقرئوَ يَصلى سَعِيراً و من خفف فهو من قولهم صلى فلان بالنار بالكسر يصلى صليا احترق قال الله تعالى هُم أَولى بِها صِلِيّا ويقال أيضا صلى فلان بالأمر إذاقاسى حره وشدته قال الطهوى –قرآن–۴۱۹–۴۳۵–قرآن–۵۲۱–۵۴۲ و لاتبلى بسالتهم و إن هم || صلوا بالحرب حينا بعدحين . و على هذاالوجه يحمل كلام أمير المؤمنين ع و هومجاز من الإحراق والشىء الموضوع لها هذااللفظ حقيقة. والعورات الأحوال التى يخاف انتقاضها فى ثغر أوحرب قال تعالى يَقُولُونَ إِنّ بُيُوتَنا عَورَةٌ وَ ما هِيَ بِعَورَةٍ والكلب الشر والأذى –قرآن–۱۷۳–۲۲۷

يوم القادسية

واعلم أن هذاالكلام قداختلف فى الحال التى قاله فيهالعمر فقيل قاله له فى [صفحه ۹۷] غزاة القادسية وقيل فى غزاة نهاوند و إلى هذاالقول الأخير ذهب محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير و إلى القول الأول ذهب المدائنى فى كتاب الفتوح ونحن نشير إلى ماجرى فى هاتين الوقعتين إشارة خفيفة على مذهبنا فى ذكر السير والأيام .فأما وقعة القادسية فكانت فى سنة أربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين فى أمر القادسية فأشار عليه على بن أبى طالب فى رواية أبى الحسن على بن محمد بن سيف المدائنى ألا يخرج بنفسه و قال إنك إن تخرج لايكن للعجم همة إلااستئصالك لعلمهم أنك قطب رحى العرب فلا يكون للإسلام بعدها دولة –روايت–۱–۲–روايت–۸–۱۱۲ وأشار عليه غيره من الناس أن يخرج بنفسه فأخذ برأى على ع . وروى غيرالمدائنى أن هذاالرأى أشار به عبدالرحمن بن عوف قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى لمابدا لعمر فى المقام بعد أن كان عزم على الشخوص بنفسه أمر سعد بن أبى وقاص على المسلمين وبعث يزدجرد رستم الأرمنى أميرا على الفرس فأرسل سعد النعمان بن مقرن رسولا إلى يزدجرد فدخل عليه وكلمه بكلام غليظ فقال يزدجرد لو لا أن الرسل لاتقتل لقتلتك ثم حمله وقرا

من تراب على رأسه وساقه حتى أخرجه من باب من أبواب المدائن و قال ارجع إلى صاحبك فقد كتبت إلى رستم أن يدفنه وجنده من العرب فى خندق القادسية ثم لأشغلن العرب بعدها بأنفسهم ولأصيبنهم بأشد مما أصابهم به سابور ذو الأكتاف فرجع النعمان إلى سعد فأخبره فقال لاتخف فإن الله قدملكنا أرضهم تفاؤلا بالتراب . قال أبو جعفر وتثبط رستم عن القتال وكرهه وآثر المسالمة واستعجله يزدجرد مرارا واستحثه على الحرب و هويدافع بها ويرى المطاولة و كان عسكره مائة وعشرين ألفا [صفحه ٩٨] و كان عسكر سعد بضعا وثلاثين ألفا وأقام رستم بريدا من الرجال الواحد منهم إلى جانب الآخر من القادسية إلى المدائن كلما تكلم رستم كلمة أداها بعضهم إلى بعض حتى تصل إلى سمع يزدجرد فى وقتها وشهد وقعة القادسية مع المسلمين طليحة بن خويلد وعمرو بن معديكرب والشماخ بن ضرار وعبدة بن الطبيب الشاعر وأوس بن معن الشاعر وقاموا فى الناس ينشدونهم الشعر ويحرضونهم وقرن أهل فارس أنفسهم بالسلاسل لئلا يهربوا فكان المقرنون منهم نحو ثلاثين ألفا والتحم الفريقان فى اليوم الأول فحملت الفيلة التى مع رستم على الخيل فطحنتها وثبت لها جمع من الرجالة وكانت ثلاثة وثلاثين فيلا منها فيل الملك و كان أبيض عظيما فضربت الرجال خراطيم الفيلة بالسيوف فقطعتها وارتفع عواؤها وأصيب فى هذااليوم و هواليوم الأول خمسمائة من المسلمين وألفان من الفرس ووصل فى الثانى أبوعبيدة بن الجراح من الشام فى عساكر من المسلمين فكان مددا لسعد و كان هذااليوم على الفرس أشد من اليوم الأول قتل من المسلمين ألفان و من المشركين عشرة آلاف وأصبحوا فى اليوم الثالث على القتال و كان عظيما على العرب والعجم معا وصبر الفريقان وقامت الحرب ذلك اليوم وتلك الليلة جمعاء لاينطقون كلامهم الهرير فسميت ليلة الهرير. وانقطعت الأخبار والأصوات عن سعد ورستم وانقطع سعد إلى الصلاة والدعاء والبكاء وأصبح الناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها والحرب قائمة بعد إلى وقت الظهر فأرسل الله تعالى ريحا عاصفا فى اليوم الرابع أمالت الغبار والنقع على العجم فانكسروا ووصلت العرب إلى سرير رستم و قدقام عنه ليركب جملا و على رأسه العلم فضرب هلال بن علقمة الحمل ألذى رستم فوقه فقطع حباله ووقع على هلال أحد العدلين فأزال فقار ظهره ومضى رستم نحو العتيق فرمى نفسه فيه واقتحم هلال عليه فأخذ [صفحه ٩٩] برجله وخرج به يجره حتى ألقاه تحت أرجل الخيل و قدقتله وصعد السرير فنادى أناهلال أناقاتل رستم فانهزمت الفرس وتهافتوا فى العقيق فقتل منهم نحو ثلاثين ألفا ونهبت أموالهم وأسلابهم وكانت عظيمة جدا وأخذت العرب منهم كافورا كثيرا فلم يعبئوا به لأنهم لم يعرفوه وباعوه من قوم بملح كيلا بكيل وسروا بذلك وقالوا أخذنا منهم ملحا طيبا ودفعنا إليهم ملحا غيرطيب وأصابوا من الجامات من الذهب والفضة ما لايقع عليه العد لكثرته فكان الرجل منهم يعرض جامين من ذهب على صاحبه ليأخذ منه جاما واحدا من فضة يعجبه بياضها و يقول من يأخذ صفراوين ببيضاء. وبعث سعد بالأنفال والغنائم إلى عمر فكتب إلى سعد لاتتبع الفرس وقف مكانك واتخذه منزلا فنزل موضع الكوفة اليوم واختط مسجدها وبنى فيهاالخطط للعرب

يوم نهاوند

فأما وقعة نهاوند فإن أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى ذكر فى كتاب التاريخ أن عمر لماأراد أن يغزو العجم وجيوش كسرى وهى مجتمعة بنهاوند استشار الصحابة فقام عثمان فتشهد فقال أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم وتكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثم تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين البصرة والكوفة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فإنك إذاسرت [صفحه ١٠٠] بمن معك و من عندك قل فى نفسك ماتكاثر من عدد القوم وكنت أعز عزا وأكثر إنك لاتستبقى من نفسك بعداليوم باقية و لاتمتع من الدنيا بعزيز و لاتكون منها فى حرز حريز إن هذااليوم له مابعده

فاشهد بنفسک ورأيک وأعوانک و لاتغب عنه . قال أبو جعفر وقام طلحة فقال أما بعد يا أمير المؤمنين فقد أحکمتک الأمور وعجمتک البلايا وحنکتک التجارب و أنت وشأنک و أنت ورأيک لاننبو فی يديک و لانکل أمرنا إلاإليک فأمرنا نجب وادعنا نطع واحملنا نرکب وقدنا ننقد فإنک ولی هذاالأمر و قدبلوت وجربت واختبرت فلم ينکشف شیء من عواقب الأمور لک إلا عن خيار. فقال علی بن أبی طالب ع أما بعد فإن هذاالأمر لم يکن نصره و لاخذلانه بکثرة و لاقلة إنما هودين الله ألذی أظهره وجنده ألذی أعزه وأمده بالملائکة حتی بلغ مابلغ فنحن علی موعود من الله و الله منجز وعده وناصر جنده و إن مکانک منهم مکان النظام من الخرز يجمعه ويمسکه فإن انحل تفرق ما فيه وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره أبدا والعرب اليوم و إن کانوا قليلا فإنهم کثير عزيز بالإسلام أقم مکانک واکتب إلی أهل الکوفة فإنهم أعلام العرب ورؤساؤهم وليشخص منهم الثلثان وليقم الثلث واکتب إلی أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم و لاتشخص الشام و لااليمن إنک إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلی ذراريهم و إن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلی ذراريهم ومتی شخصت من هذه الأرض انتقضت عليک العرب من أقطارها وأطرافها حتی يکون ماتدع وراءک أهم إليک مما بين يديک من العورات والعيالات إن الأعاجم إن ينظروا -روايت-١-٢-روايت-٣١-ادامه دارد [صفحه ١٠١] إليک غدا قالوا هذا أميرالعرب وأصلهم فکان ذلک أشد لکلبهم عليک و أما ماذکرت من مسير القوم فإن الله هوأکره لسيرهم منک و هوأقدر علی تغيير مايکره و أما ماذکرت من عددهم فإنا لم نکن نقاتل فيما مضی بالکثرة وإنما کنا نقاتل بالصبر والنصر -روايت-از قبل-٢٥١ . فقال عمر أجل هذاالرأی و قدکنت أحب أن أتابع عليه فأشيروا علی برجل أوليه ذلک الثغر قالوا أنت أفضل رأيا فقال أشيروا علی به واجعلوه عراقيا قالوا أنت أعلم بأهل العراق و قدوفدوا عليک فرأيتهم وکلمتهم قال أما و الله لأولين أمرهم رجلا يکون عمدا لأول الأسنة قيل و من هو يا أمير المؤمنين قال النعمان بن مقرن قالوا هولها. و کان النعمان يومئذ بالبصرة فکتب إليه عمر فولاه أمر الجيش . قال أبو جعفرکتب إليه عمر سر إلی نهاوند فقد وليتک حرب الفيروزان و کان المقدم علی جيوش کسری فإن حدث بک حدث فعلی الناس حذيفة بن اليمان فإن حدث به حدث فعلی الناس نعيم بن مقرن فإن فتح الله عليکم فاقسم علی الناس ماأفاء الله عليهم و لاترفع إلی منه شيئا و إن نکث القوم فلاترانی و لاأراک و قدجعلت معک طليحة بن خويلد وعمرو بن معديکرب لعلمهما بالحرب فاستشرهما و لاتولهما شيئا. قال أبو جعفرفسار النعمان بالعرب حتی وافی نهاوند و ذلک فی السنة السابعة من خلافة عمر وتراءی الجمعان ونشب القتال وحجزهم المسلمون فی خنادقهم واعتصموا بالحصون والمدن وشق علی المسلمين ذلک فأشار طليحة عليه فقال أری أن تبعث خيلا ببعض القوم وتحمشهم فإذااستحمشوا خرج بعضهم واختلطوا بکم [صفحه ١٠٢] فاستطردوا لهم فإنهم يطمعون بذلک ثم تعطف عليهم حتی يقضی الله بيننا وبينهم بما يحب .ففعل النعمان ذلک فکان کماظن طليحة وانقطع العجم عن حصونهم بعض الانقطاع فلما أمعنوا فی الانکشاف للمسلمين حمل النعمان بالناس فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون مثله وزلق بالنعمان فرسه فصرع وأصيب وتناول الراية نعيم أخوه فأتی حذيفة لها فدفعها إليه وکتم المسلمون مصاب أميرهم واقتتلوا حتی أظلم الليل ورجعوا والمسلمون وراءهم فعمی عليهم قصدهم فترکوه وغشيهم المسلمون بالسيوف فقتلوا منهم ما لايحصی وأدرک المسلمون الفيروزان و هوهارب و قدانتهی إلی ثنية مشحونة ببغال موقرة عسلا فحبسته علی أجله فقتل فقال المسلمون إن لله جنودا من عسل . ودخل المسلمون نهاوند فاحتووا علی ما فيها وکانت أنفال هذااليوم عظيمة فحملت إلی عمر فلما رآها بکی فقال له المسلمون إن هذااليوم يوم سرور وجذل فما بکاؤک قال ماأظن أن الله تعالی زوی هذا عن رسول الله ص و عن أبی بکر إلالخير أراده بهما و لاأراه فتحه علی إلالشر أريد بی إن هذاالمال لايلبث أن يفتن الناس . ثم رفع يده إلی السماء يدعو و يقول أللهم اعصمنی و لاتکلنی إلی نفسی يقولها مرارا ثم قسمه بين المسلمين عن آخره [صفحه ١٠٣]

۱۴۷– و من خطبة له ع

فَبَعَثَ اللّهُ مُحَمّداص بِالحَقّ لِيُخرِجَ عِبَادَهُ مِن عِبَادَةِ الأَوثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَ مِن طَاعَةِ الشّيطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرآنٍ قَد بَيّنَهُ وَ أَحكَمَهُ لِيَعلَمَ العِبَادُ رَبّهُم إِذ جَهِلُوهُ وَ لِيُقِرّوا بِهِ بَعدَ إِذ جَحَدُوهُ وَ لِيُثبِتُوهُ بَعدَ إِذ أَنكَرُوهُ فَتَجَلّى لَهُم سُبحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِن غَيرِ أَن يَكُونُوا رَأَوهُ بِمَا أَرَاهُم مِن قُدرَتِهِ وَ خَوّفَهُم مِن سَطوَتِهِ وَ كَيفَ مَحَقَ مَن مَحَقَ بِالمَثُلَاتِ وَ احتَصَدَ مَنِ احتَصَدَ بِالنّقِمَاتِ الأوثان جمع وثن و هوالصنم ويجمع أيضا على وثن مثل أسد وآساد وأسد وسمى وثنا لانتصابه وبقائه على حال واحدة من قولك وثن فلان بالمكان فهو واثن و هوالثابت الدائم . قوله فتجلى سبحانه لهم أى ظهر من غير أن يرى بالبصر بل بما نبههم عليه فى القرآن من قصص الأولين و ماحل بهم من النقمة عندمخالفة الرسل . والمثلات بضم الثاء العقوبات . فإن قلت ظاهر هذاالكلام أن الرسول ع بعث إلى الناس ليقروا بالصانع ويثبتوه و هذاخلاف قول المعتزلة لأن فائدة الرسالة عندهم هى إلطاف [صفحه ۱۰۴] المكلفين بالأحكام الشرعية المقربة إلى الواجبات العقلية والمبعدة من المقبحات العقلية و لامدخل للرسول فى معرفة البارئ سبحانه لأن العقل يوجبها و إن لم يبعث الرسل . قلت إن كثيرا من شيوخنا أوجبوا بعثة الرسل إذا كان فى حثهم المكلفين على ما فى العقول فائدة و هومذهب شيخنا أبى على رحمه الله فلايمتنع أن يكون إرسال محمدص إلى العرب وغيرهم لأن الله تعالى علم أنهم مع تنبيهه إياهم على ما هوواجب فى عقولهم من المعرفة أقرب إلى حصول المعرفة فحينئذ يكون بعثه لطفا ويستقيم كلام أمير المؤمنين وَ إِنّهُ سَيَأتِي عَلَيكُم مِن بَعدِي زَمَانٌ لَيسَ فِيهِ شَيءٌ أَخفَى مِنَ الحَقّ وَ لَا أَظهَرَ مِنَ البَاطِلِ وَ لَا أَكثَرَ مِنَ الكَذِبِ عَلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ لَيسَ عِندَ أَهلِ ذَلِكَ الزّمَانِ سِلعَةٌ أَبوَرَ مِنَ الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقّ تِلَاوَتِهِ وَ لَا أَنفَقَ مِنهُ إِذَا حُرّفَ عَن مَوَاضِعِهِ وَ لَا فِي البِلَادِ شَيءٌ أَنكَرَ مِنَ المَعرُوفِ وَ لَا أَعرَفَ مِنَ المُنكَرِ فَقَد نَبَذَ الكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَ تَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ فَالكِتَابُ يَومَئِذٍ وَ أَهلُهُ طَرِيدَانِ مَنفِيّانِ وَ صَاحِبَانِ مُصطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤوِيهِمَا مُؤوٍ فَالكِتَابُ وَ أَهلُهُ فِي ذَلِكَ الزّمَانِ فِي النّاسِ وَ لَيسَا فِيهِم وَ مَعَهُم وَ لَيسَا مَعَهُم لِأَنّ الضّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الهُدَى وَ إِنِ اجتَمَعَا فَاجتَمَعَ القَومُ عَلَى الفُرقَةِ وَ افتَرَقُوا عَنِ الجَمَاعَةِ كَأَنّهُم أَئِمّةُ الكِتَابِ وَ لَيسَ الكِتَابُ إِمَامَهُم فَلَم يَبقَ عِندَهُم مِنهُ إِلّا اسمُهُ وَ لَا يَعرِفُونَ إِلّا خَطّهُ وَ زَبرَهُ وَ مِن قَبلُ مَا مَثّلُوا بِالصّالِحِينَ كُلّ مُثلَةٍ وَ سَمّوا صِدقَهُم عَلَى اللّهِ فِريَةً وَ جَعَلُوا [صفحه ۱۰۵] فِي الحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السّيّئَةِ وَ إِنّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم بِطُولِ آمَالِهِم وَ تَغَيّبِ آجَالِهِم حَتّى نَزَلَ بِهِمُ المَوعُودُ ألّذِي تُرَدّ عَنهُ المَعذِرَةُ وَ تُرفَعُ عَنهُ التّوبَةُ وَ تَحُلّ مَعَهُ القَارِعَةُ وَ النّقمَةُ أخبر ع أنه سيأتى على الناس زمان من صفته كذا وكذا و قدرأيناه ورآه من كان قبلنا أيضا قال شعبة إمام المحدثين تسعة أعشار الحديث كذب . و قال الدارقطنى ماالحديث الصحيح فى الحديث إلاكالشعرة البيضاء فى الثور الأسود و أماغلبة الباطل على الحق حتى يخفى الحق عنده فظاهرة. وأبور أفسد من بار الشىء أى هلك والسلعة المتاع ونبذ الكتاب ألقاه و لايؤويهما لايضمهما إليه وينزلهما عنده . والزبر مصدر زبرت أزبر بالضم أى كتبت وجاء يزبر بالكسر والزبر بالكسر الكتاب وجمعه زبور مثل قدر وقدور وقرأ بعضهم وَ آتَينا داوُدَ زَبُوراً أى كتبا والزبور بفتح الزاى الكتاب المزبور فعول بمعنى مفعول و قال الأصمعى سمعت أعرابيا يقول أناأعرف بزبرتى أى خطى وكتابتى. ومثلوا بالصالحين بالتخفيف نكلوا بهم مثلت بفلان أمثل بالضم مثلا بالفتح وسكون الثاء والاسم المثلة بالضم و من روى مثلوا بالتشديد أراد جدعوهم بعدقتلهم . و على فى قوله وسموا صدقهم على الله فرية ليست متعلقة بصدقهم بل بفرية –قرآن–۵۰۹–۵۳۳ [صفحه ۱۰۶] أى وسموا صدقهم فرية على الله فإن امتنع أن يتعلق حرف الجر به لتقدمه عليه و هومصدر فليكن متعلقا بفعل مقدر دل عليه هذاالمصدر الظاهر وروى وجعلوا فى الحسنة العقوبة السيئة والرواية الأولى بالإضافة أكثر وأحسن . والموعود هاهنا الموت والقارعة المصيبة تقرع أى تلقى بشدة وقوة أَيّهَا النّاسُ إِنّهُ مَنِ استَنصَحَ اللّهَ وُفّقَ وَ مَنِ اتّخَذَ قَولَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلّتِي هِيَ أَقوَمُ فَإِنّ جَارَ اللّهِ آمِنٌ وَ عَدُوّهُ خَائِفٌ وَ إِنّهُ لَا يَنبَغِي لِمَن عَرَفَ عَظَمَةَ اللّهِ أَن يَتَعَظّمَ فَإِنّ رِفعَةَ الّذِينَ يَعلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَن

يَتَوَاضَعُوا لَهُ وَ سَلَامَةَ الّذِينَ يَعلَمُونَ مَا قُدرَتُهُ أَن يَستَسلِمُوا لَهُ فَلَا تَنفِرُوا مِنَ الحَقّ نِفَارَ الصّحِيحِ مِنَ الأَجرَبِ وَ البَارِئِ مِن ذيِ السّقَمِ وَ اعلَمُوا أَنّكُم لَن تَعرِفُوا الرّشدَ حَتّي تَعرِفُوا ألّذِي تَرَكَهُ وَ لَن تَأخُذُوا بِمِيثَاقِ الكِتَابِ حَتّي تَعرِفُوا ألّذِي نَقَضَهُ وَ لَن تَمَسّكُوا بِهِ حَتّي تَعرِفُوا ألّذِي نَبَذَهُ فَالتَمِسُوا ذَلِكَ مِن عِندِ أَهلِهِ فَإِنّهُم عَيشُ العِلمِ وَ مَوتُ الجَهلِ هُمُ الّذِينَ يُخبِرُكُم حُكمُهُم عَن عِلمِهِم وَ صَمتُهُم عَن مَنطِقِهِم وَ ظَاهِرُهُم عَن بَاطِنِهِم لَا يُخَالِفُونَ الدّينَ وَ لَا يَختَلِفُونَ فِيهِ فَهُوَ بَينَهُم شَاهِدٌ صَادِقٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ من استنصح الله من أطاع أوامره وعلم أنه يهديه إلى مصالحه ويرده عن مفاسده ويرشده إلى ما فيه نجاته ويصرفه عما فيه عطبه . [صفحه ۱۰۷] والتى هى أقوم يعنى الحالة والخلة التى اتباعها أقوم و هذا من الألفاظ القرآنية قال سبحانه إِنّ هذَا القُرآنَ يَهدِي لِلّتِي هيَ أَقوَمُ والمراد بتلك الحالة المعرفة بالله وتوحيده ووعد له . ثم نهى ع عن التكبر والتعظم و قال إن رفعة القوم الذين يعرفون عظمة الله أن يتواضعوا له و ماهاهنا بمعنى أى شىء و من روى بالنصب جعلها زائدة و قدورد فى ذم التعظم والتكبر مايطول استقصاؤه و هومذموم على العباد فكيف بمن يتعظم على الخالق سبحانه وإنه لمن الهالكين و -قرآن-۹۶-۱۴۴ قال رسول الله ص لماافتخر أناسيد ولد آدم ثم قال و لافخر -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۶۶ فجهر بلفظة الافتخار ثم أسقط استطالة الكبر وإنما جهر بما جهر به لأنه أقامه مقام شكر النعمة والتحدث بها و فى الحديث المرفوع عنه ص أن الله قدأذهب عنكم حمية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقى وفاجر شقى لينتهين أقوام يفخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أوليكونن أهون على الله من جعلان تدفع النتن بأنفها -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۲۵۳ . قوله واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا ألذى تركه فيه تنبيه على أنه يجب البراءة من أهل الضلال و هوقول أصحابنا جميعهم فإنهم بين مكفر لمن خالف أصول التوحيد والعدل وهم الأكثرون أومفسق وهم الأقلون و ليس أحد منهم معذورا عندأصحابنا و إن ضل بعدالنظر كما لانعذر اليهود والنصارى إذاضلوا بعدالنظر. ثم قال ع فالتمسوا ذلك عندأهله هذاكناية عنه ع وكثيرا مايسلك هذاالمسلك ويعرض هذاالتعريض و هوالصادق الأمين العارف بأسرار الإلهية. [صفحه ۱۰۸] ثم ذكر أن هؤلاء الذين أمر باتباعهم ينبئ حكمهم عن علمهم و ذلك لأن الامتحان يظهر خبيئة الإنسان . ثم قال وصمتهم عن نطقهم صمت العارف أبلغ من نطق غيره و لايخفى فضل الفاضل و إن كان صامتا. ثم ذكر أنهم لايخالفون الدين لأنهم قوامه وأربابه و لايختلفون فيه لأن الحق فى التوحيد والعدل واحد فالدين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه كمايؤخذ بحكم الشاهد الصادق . وصامت ناطق لأنه لاينطق بنفسه بل لابد له من مترجم فهو صامت فى الصورة و هو فى المعنى أنطق الناطقين لأن الأوامر والنواهى والآداب كلها مبنية عليه ومتفرعة عليه [صفحه ۱۰۹]

۱۴۸- و من كلام له ع فى ذكر أهل البصرة

اشاره

كُلّ وَاحِدٍ مِنهُمَا يَرجُو الأَمرَ لَهُ وَ يَعطِفُهُ عَلَيهِ دُونَ صَاحِبِهِ لَا يَمُتّانِ إِلَي اللّهِ بِحَبلٍ وَ لَا يَمُدّانِ إِلَيهِ بِسَبَبٍ كُلّ وَاحِدٍ مِنهُمَا حَامِلُ ضَبّ لِصَاحِبِهِ وَ عَمّا قَلِيلٍ يَكشِفُ قِنَاعَهُ بِهِ وَ اللّهِ لَئِن أَصَابُوا ألّذِي يُرِيدُونَ لَيَنتَزِعَنّ هَذَا نَفسَ هَذَا وَ لَيَأتِيَنّ هَذَا عَلَي هَذَا قَد قَامَتِ الفِئَةُ البَاغِيَةُ فَأَينَ المُحتَسِبُونَ قَد سُنّت لَهُمُ السّنَنُ وَ قُدّمَ لَهُمُ الخَبَرُ وَ لِكُلّ ضَلّةٍ عِلّةٌ وَ لِكُلّ نَاكِثٍ شُبهَةٌ وَ اللّهِ لَا أَكُونُ كَمُستَمِعِ اللّدمِ يَسمَعُ النّاعِيَ وَ يَحضُرُ البَاكِيَ ثُمّ لَا يَعتَبِرُ ضمير التثنية راجع إلى طلحة والزبير رضى الله عنهما ويمتان يتوسلان الماضى ثلاثى مت يمت بالضم والضب الحقد والمحتسبون طالبو الحسبة وهى الأجر ومستمع اللدم كناية عن الضبع تسمع وقع الحجر

بباب جحرها من يد الصائد فتنخذل وتكف [صفحه ١١٠] جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها يقول لاأكون مقرا بالضيم راغنا أسمع الناعى المخبر عن قتل عسكر الجمل لحكيم بن جبلة وأتباعه فلا يكون عندى من التغيير والإنكار لذلك إلا أن أسمعه وأحضر الباكين على قتلاهم . و قوله لكل ضلة علة ولكل ناكث شبهة هوجواب سؤال مقدر كأنه يقول إن قيل لأى سبب خرج هؤلاء فإنه لابد أن يكون لهم تأويل فى خروجهم و قدقيل إنهم يطالبون بدم عثمان فهو ع قال كل ضلالة فلابد لها من علة اقتضتها و كل ناكث فلابد له من شبهة يستند إليها. و قوله لينتزعن هذانفس هذاقول صحيح لاريب فيه لأن الرئاسة لايمكن أن يدبرها اثنان معا فلو صح لهما ماأراداه لوثب أحدهما على الآخر فقتله فإن الملك عقيم و قدذكر أرباب السيرة أن الرجلين اختلفا من قبل وقوع الحرب فإنهما اختلفا فى الصلاة فأقامت عائشة محمد بن طلحة و عبد الله بن الزبير يصلى هذايوما و هذايوما إلى أن تنقضى الحرب . ثم إن عبد الله بن الزبير ادعى أن عثمان نص عليه بالخلافة يوم الدار واحتج فى ذلك بأنه استخلفه على الصلاة واحتج تارة أخرى بنص صريح زعمه وادعاه وطلب طلحة من عائشة أن يسلم الناس عليه بالإمرة وأدلى إليها بالتيمية وأدلى الزبير إليها بأسماء أختها فأمرت الناس أن يسلموا عليهما معا بالإمرة. واختلفا فى تولى القتال فطلبه كل منهما أولا ثم نكل كل منهما عنه وتفادى منه و قدذكرنا فى الأجزاء المتقدمة قطعة صالحة من أخبار الجمل [صفحه ١١١]

من أخبار يوم الجمل

روى أبومخنف قال لماتزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال على ع لأصحابه لايرمين رجل منكم بسهم و لايطعن أحدكم فيهم برمح حتى أحدث إليكم و حتى يبدءوكم بالقتال وبالقتل -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٨٣ فرمى أصحاب الجمل عسكر على ع بالنبل رميا شديدا متتابعا فضج إليه أصحابه وقالوا عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجيء برجل إليه وإنه لفى فسطاط له صغير فقيل له هذافلان قدقتل فقال أللهم اشهد ثم قال أعذروا إلى القوم فأتى برجل آخر فقيل و هذا قدقتل فقال أللهم اشهد أعذروا إلى القوم ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى و هو من أصحاب رسول الله ص يحمل أخاه عبدالرحمن بن بديل قدأصابه سهم فقتله فوضعه بين يدى على ع و قال يا أمير المؤمنين هذاأخى قدقتل فعند ذلك استرجع على ع ودعا بدرع رسول الله ص ذات الفضول فلبسها فتدلت بطنه فرفعها بيده و قال لبعض أهله فحزم وسطه بعمامة وتقلد ذا الفقار ودفع إلى ابنه محمدراية رسول الله ص السوداء وتعرف بالعقاب و قال لحسن وحسين ع إنما دفعت الراية إلى أخيكما وتركتكما لمكانكما من رسول الله ص . قال أبومخنف وطاف على ع على أصحابه و هويقرأأَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنّةَ وَ لَمّا يَأتِكُم مَثَلُ الّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم مَسّتهُمُ البَأساءُ وَ الضّرّاءُ وَ زُلزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرّسُولُ وَ الّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصرُ اللّهِ أَلا إِنّ نَصرَ اللّهِ قَرِيبٌ -روايت-١-٢-روايت-١٧-ادامه دارد [صفحه ١١٢] ثم قال أفرغ الله علينا وعليكم الصبر وأعز لنا ولكم النصر و كان لنا ولكم ظهيرا فى كل أمر ثم رفع مصحفا بيده فقال من يأخذ هذاالمصحف فيدعوهم إلى ما فيه و له الجنة فقام غلام شاب اسمه مسلم عليه قباء أبيض فقال أناآخذه فنظر إليه على و قال يافتى إن أخذته فإن يدك اليمنى تقطع فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع ثم تضرب بالسيف حتى تقتل فقال لاصبر لى على ذلك فنادى على ثانية فقام الغلام وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مرارا حتى قال الغلام أناآخذه و هذا ألذى ذكرت فى الله قليل فأخذه وانطلق فلما خالطهم ناداهم هذا كتاب الله بيننا وبينكم فضربه رجل فقطع يده اليمنى فتناوله باليسرى فضربه أخرى فقطع اليسرى فاحتضنه فضربوه بأسيافهم حتى قتل -روايت-از قبل-٦٨٨ فقالت أم ذريح العبدية فى ذلك يارب إن مسلما أتاهم || بمصحف أرسله مولاهم للعدل والإيمان قددعاهم || يتلو كتاب الله لايخشاهم فخضبوا من دمه ظباهم || وأمهم واقفة تراهم تأمرهم بالغى لاتنهاهم . قال أبومخنف فعند ذلك أمر على ع ولده محمدا أن يحمل الراية فحمل

وحمل معه الناس واستحر القتل فی الفريقين وقامت الحرب على ساق [صفحه ۱۱۳]

مقتل طلحة والزبير

قال فأما طلحة فإن أهل الجمل لماتضعضعوا قال مروان لاأطلب ثار عثمان من طلحة بعداليوم فانتحى له بسهم فأصاب ساقه فقطع أكحله فجعل الدم يبض فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر و قال لمولاه ويحك أ ما من مكان أقدر فيه على النزول فقد قتلنی الدم فيقول له مولاه انج و إلالحقك القوم فقال بالله مارأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعی هذا حتى انتهى إلى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها. و قدروی أنه رمی قبل أن يرميه مروان وجرح فی غيرموضع من جسده . و روى أبو الحسن المدائنی أن عليا ع مر بطلحة و هويكيد بنفسه فوقف عليه و قال أما و الله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرعين فی البلاد ولكن ماحتم واقع ثم تمثل -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۱۶۵ و ماتدری إذاأزمعت أمرا || بأی الأرض يدركك المقيل و مايدری الفقير متى غناه || و لايدری الغنی متى يعيل [صفحه ۱۱۴] و ماتدری إذاألقحت شولا || أتنتج بعد ذلك أم تحيل . و أماالزبير فقتله ابن جرموز غيلة بوادی السباع و هومنصرف عن الحرب نادم على مافرط منه وتقدم ذكر كيفية قتله فيما سبق . وروى الكلبی قال كان العرق ألذی أصابه السهم إذاأمسكه طلحة بيده استمسك و إذارفع يده عنه سال فقال طلحة هذاسهم أرسله الله تعالى و كان أمر الله قدرا مقدورا مارأيت كاليوم دم قرشی أضيع . قال و كان الحسن البصری إذاسمع هذا وحكى له يقول ذق عقعق . وروى أبومخنف عن عبد الله بن عون عن نافع قال سمعت مروان بن الحكم يقول أناقتلت طلحة. و قال أبومخنف و قد قال عبدالملك بن مروان لو لا أن أبی أخبرنی أنه رمى طلحة فقتله ماتركت تيميا إلاقتلته بعثمان قال يعنی أن محمد بن أبی بكر وطلحة قتلاه وكانا تيميين . قال أبومخنف و حدثنا عبدالرحمن بن جندب عن أبيه جندب بن عبد الله قال مررت بطلحة و إن معه عصابة يقاتل بهم و قدفشت فيهم الجراح وكثرهم الناس فرأيته جريحا والسيف فی يده وأصحابه يتصدعون عنه رجلا فرجلا واثنين فاثنين و أناأسمعه و هو يقول عباد الله الصبر الصبر فإن بعدالصبر النصر والأجر [صفحه ۱۱۵] فقلت له النجاء ثكلتك أمك فو الله ماأجرت و لانصرت ولكنك وزرت وخسرت ثم صحت بأصحابه فانذعروا عنه و لوشئت أن أطعنه لطعنته فقلت له أما و الله لوشئت لجدلتك فی هذاالصعيد فقال و الله لهلكت هلاك الدنيا والآخرة إذن فقلت له و الله لقد أمسيت و إن دمك لحلال وإنك لمن النادمين فانصرف ومعه ثلاثة نفر و ماأدری كيف كان أمره إلاأنی أعلم أنه قدهلك . وروى أن طلحة قال ذلك اليوم ماكنت أظن أن هذه الآية نزلت فيناوَ اتّقُوا فِتنَةً لا تُصِيبَنّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُم خَاصّةً. وروى المدائنی قال لماأدبر طلحة و هوجريح يرتاد مكانا ينزله جعل يقول لمن يمر به من أصحاب علی ع أناطلحة من يجيرنی يكررها قال فكان الحسن البصری إذاذكر ذلك يقول لقد كان فی جوار عريض -قرآن-۴۴۷-۵۱۰ [صفحه ۱۱۶]

۱۴۹- و من كلام له ع قبل موته

أَيّهَا النّاسُ كُلّ امرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرّ مِنهُ فِی فِرَارِهِ الأَجَلُ مَسَاقُ النّفسِ وَ الهَرَبُ مِنهُ مُوَافَاتُهُ كَم أَطرَدتُ الأَيّامَ أَبحَثُهَا عَن مَكنُونِ هَذَا الأَمرِ فَأَبَى اللّهُ إِلّا إِخفَاءَهُ هَيهَاتَ عِلمٌ مَخزُونٌ أَمّا وَصِيّتِی فَاللّهَ لَا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَ مُحَمّداً ص فَلَا تُضَيّعُوا سُنّتَهُ أَقِيمُوا هَذَينِ العَمُودَينِ وَ أَوقِدُوا هَذَينِ المِصبَاحَينِ وَ خَلَاكُم ذَمّ مَا لَم تَشرُدُوا حُمّلَ كُلّ امرِئٍ مِنكُم مَجهُودَهُ وَ خُفّفَ عَنِ الجَهَلَةِ رَبّ رَحِيمٌ وَ دِينٌ قَوِيمٌ وَ إِمَامٌ عَلِيمٌ أَنَا بِالأَمسِ صَاحِبُكُم وَ أَنَا اليَومَ عِبرَةٌ لَكُم وَ غَداً مُفَارِقُكُم غَفَرَ اللّهُ لِی وَ لَكُم إِن تَثبُتِ الوَطأَةُ فِی هَذِهِ

المَزَلّةِ فَذَاكَ وَ إِن تَدحَضِ القَدَمُ فَإِنّا كُنّا فِي أَفيَاءِ أَغصَانٍ وَ مَهَبّ رِيَاحٍ وَ تَحتَ ظِلّ غَمَامٍ اضمَحَلّ فِي الجَوّ مُتَلَفّقُهَا وَ عَفَا فِي الأَرضِ مَخَطّهَا وَ إِنّمَا كُنتُ جَاراً جَاوَرَكُم بدَنَي أَيّاماً وَ سَتُعقَبُونَ منِيّ جُثّةً خَلَاءً سَاكِنَةً بَعدَ حَرَاكٍ وَ صَامِتَةً بَعدَ نُطقٍ لِيَعِظَكُم هُدُوّئِي وَ خُفُوتُ إِطرَاقِي وَ سُكُونُ أَطرَافِي فَإِنّهُ أَوعَظُ لِلمُعتَبِرِينَ مِنَ المَنطِقِ البَلِيغِ وَ القَولِ المَسمُوعِ [صفحه ١١٧] ودَاعِي لَكُم وَدَاعُ امرِئٍ مُرصِدٍ لِلتّلَاقِي غَداً تَرَونَ أَيّامِي وَ يَكشِفُ لَكُم عَن سرَاَئرِيِ وَ تَعرِفُونَنِي بَعدَ خُلُوّ مكَاَنيِ وَ قِيَامِ غَيرِي مقَاَميِ أطردت الرجل إذاأمرت بإخراجه وطرده وطردته إذانفيته وأخرجته فالإطراد أدل على العز والقهر من الطرد وكأنه ع جعل الأيام أشخاصا يأمر بإخراجهم وإبعادهم عنه أى مازلت أبحث عن كيفية قتلى و أى وقت يكون بعينه و فى أى أرض يكون يوما يوما فإذا لم أجده فى اليوم أطردته واستقبلت غده فأبحث فيه أيضا فلاأعلم فأبعده وأطرده وأستأنف يوما آخر هكذا حتى وقع المقدور و هذاالكلام يدل على أنه لم يكن يعرف حال قتله معرفة مفصلة من جميع الوجوه و أن رسول الله ص أعلمه بذلك علما مجملا لأنه قدثبت أنه ص قال له ستضرب على هذه وأشار إلى هامته فتخضب منها هذه وأشار إلى لحيته -روايت-١-٢-روايت-٢٠-٨٨ أنه ص قال له أتعلم من أشقى الأولين قال نعم عاقر الناقة فقال له أتعلم من أشقى الآخرين قال لا قال من يضربك هاهنا فيخضب هذه -روايت-١-١٤١ . وكلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه بعدضرب ابن ملجم له لايقطع على أنه يموت من ضربته أ لاتراه يقول إن ثبتت الوطأة فى هذه المزلة فذاك و إن تدحض فإنما كنا فى أفياء أغصان ومهاب رياح أى إن سلمت فذاك ألذى تطلبونه يخاطب أهله وأولاده و لاينبغى أن يقال فذاك ماأطلبه لأنه ع كان يطلب الآخرة [صفحه ١١٨] أكثر من الدنيا و فى كلامه المنقول عنه مايؤكد ماقلناه و هو قوله إن عشت فأنا ولى دمى و إن مت فضربة بضربة. و ليس قوله ع و أنااليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم و مايجرى مجراه من ألفاظ الفصل بناقض لماقلناه و ذلك لأنه لايعنى غدا بعينه بل مايستقبل من الزمان كما يقول الإنسان الصحيح أناغدا ميت فما لى أحرص على الدنيا ولأن الإنسان قد يقول فى مرضه الشديد لأهله وولده ودعتكم و أنامفارقكم وسوف يخلو منزلى منى وتتأسفون على فراقى وتعرفون موضعى بعدى كله على غلبة الظن و قديقصد الصالحون به العظة والاعتبار وجذب السامعين إلى جانب التقوى وردعهم عن الهوى وحب الدنيا. فإن قلت فما تصنع بقوله ع لابن ملجم أريد حباءه ويريد قتلى || عذيرك من خليلك من مراد . وقول الخلص من شيعته فهلا تقتله فقال فكيف أقتل قاتلى وتارة قال إنه لم يقتلنى فكيف أقتل من لم يقتل وكيف قال فى البط الصائح خلفه فى المسجد ليلة ضربه ابن ملجم دعوهن فإنهن نوائح -روايت-١-٢٢ وكيف قال تلك الليلة إنى رأيت رسول الله ص فشكوت إليه و قلت مالقيت من أمتك من الأود واللدد فقال ادع الله عليهم فقلت أللهم أبدلنى بهم خيرا منهم وأبدلهم بى شرا منى -روايت-١-١٥٩ وكيف قال إنى لاأقتل محاربا وإنما أقتل فتكا وغيلة يقتلنى رجل خامل الذكر. و قدجاء عنه ع من هذاالباب آثار كثيرة. قلت كل هذا لايدل على أنه كان يعلم الأمر مفصلا من جميع الوجوه أ لاترى أنه [صفحه ١١٩] ليس فى الأخبار والآثار مايدل على الوقت ألذى يقتل فيه بعينه و لا على المكان ألذى يقتل فيه بعينه و أما ابن ملجم فمن الجائز أن يكون علم أنه هو ألذى يقتله و لم يعلم علما محققا أن هذه الضربة تزهق نفسه الشريفة منها بل قد كان يجوز أن يبل ويفيق منها ثم يكون قتله فيما بعد على يد ابن ملجم و إن طال الأمد و ليس هذابمستحيل و قدوقع مثله فإن عبدالملك جرح عمرو بن سعيد الأشدق فى أيام معاوية على منافرة كانت بينهما فعفا عمرو عنه ثم كان من القضاء والقدر أن عبدالملك قتل عمرا أيضا بيده ذبحا كماتذبح الشاة. و أما قوله فى البط دعوهن فإنهن نوائح فلعله علم أنه تلك الليلة يصاب ويجرح و إن لم يعلم أنه يموت منه والنوائح قدينحن على المقتول و قدينحن على المجروح والمنام والدعاء لايدل على العلم بالوقت بعينه و لايدل على أن إجابة دعائه تكون على الفور لامحالة. ثم نعود إلى الشرح أما قوله كل امرئ لاق مايفر منه فى فراره أى إذا كان مقدورا و إلافقد رأينا من يفر من الشيء ويسلم لأنه لم يقدر و هذا من قوله تعالى وَ لَو كُنتُم فِي بُرُوجٍ مُشَيّدَةٍ و قوله لَبَرَزَ الّذِينَ كُتِبَ عَلَيهِمُ القَتلُ إِلي مَضاجِعِهِم و من قوله تعالى قُل إِنّ المَوتَ ألّذِي تَفِرّونَ مِنهُ فَإِنّهُ

مُلاقِيكَم و فى القرآن العزيز مثل هذاكثير. قوله والأجل مساق النفس أى الأمر ألذى تساق إليه وتنتهى عنده وتقف إذابلغته فلايبقى له حينئذ أكلة فى الدنيا. -قرآن-۹۶۳-۹۹۸-قرآن-۱۰۰۷-۱۰۶۵-قرآن-۱۰۸۵-۱۱۴۳ [صفحه ۱۲۰] قوله والهرب منه موافاته هذاكلام خارج مخرج المبالغة فى عدم النجاة وكون الفرار غيرمغن و لاعاصم من الموت يقول الهرب بعينه من الموت موافاة للموت أى إتيان إليه كأنه لم يرتض بأن يقول الهارب لابد أن ينتهى إلى الموت بل جعل نفس الهرب هوملاقاة الموت . قوله أبحثها أى أكشفها وأكثر مايستعمل بحث معدى بحرف الجر و قدعداه هاهنا إلى الأيام بنفسه و إلى مكنون الأمر بحرف الجر و قدجاء بحثت الدجاجة التراب أى نبشته . قوله فأبى الله إلاإخفاءه هيهات علم مخزون تقديره هيهات ذلك مبتدأ وخبره هيهات اسم للفعل معناها بعد أى علم هذاالعيب علم مخزون مصون لم أطلع عليه . فإن قلت مامعنى قوله كم أطردت الأيام أبحثها وهل علم الإنسان بموته كيف يكون و فى أى وقت يكون و فى أى أرض يكون مما يمكن استدراكه بالنظر والفكر والبحث . قلت مراده ع أنى كنت فى أيام رسول الله ص أسأله كثيرا عن هذاالغيب فما أنبأنى منه إلابأمور إجمالية غيرمفصلة و لم يأذن الله تعالى فى اطلاعى على تفاصيل ذلك . قوله فالله لاتشركوا به شيئا الرواية المشهورة فالله بالنصب وكذلك محمدا بتقدير فعل لأن الوصية تستدعى الفعل بعدها أى وحدوا الله و قدروى بالرفع و هوجائز على المبتدأ والخبر. قوله أقيموا هذين العمودين وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا كلام داخل فى باب الاستعارة شبه الكتاب والسنة بعمودى الخيمة وبمصباحين [صفحه ۱۲۱] يستضاء بهما وخلاكم ذم كلمة جارية مجرى المثل معناها و لاذم عليكم فقد أعذرتم وذم مرفوع بالفاعلية معناه عداكم وسقط عنكم . فإن قلت إذا لم يشركوا بالله و لم يضيعوا سنة محمدص فقد قاموا بكل مايجب وانتهوا عن كل مايقبح فأى حاجة له إلى أن يستثنى و يقول ما لم تشردوا وإنما كان يحتاج إلى هذه اللفظة لو قال وصيتى إليكم أن توحدوا الله وتؤمنوا بنبوة محمدص كان حينئذ يحتاج إلى قوله ما لم تشردوا و يكون مراده بهافعل الواجبات وتجنب المقبحات لأنه ليس فى الإقرار بالوحدانية والرسالة العمل بل العمل خارج عن ذلك فوجب إذاأوصى أن يوصى بالاعتقاد والعمل كما قال عمر لأبى بكر فى واقعة أهل الردة كيف تقاتلهم وهم مقرون بالشهادتين و قد قال رسول الله ص أمرت بأن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله محمد رسول الله فقال أبوبكر إنه قال تتمة هذا فإذاهم قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلابحقها -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۸۰ وأداء الزكاة من حقها. قلت مراده بقوله ما لم تشردوا ما لم ترجعوا عن ذلك فكأنه قال خلاكم ذم إن وحدتم الله واتبعتم سنة رسوله ودمتم على ذلك و لاشبهة أن هذاالكلام منتظم و أن اللفظتين الأوليين ليستا بمغنيتين عن اللفظة الثالثة وبتقدير أن يغنيا عنه فإن فى ذكره مزيد تأكيد وإيضاح غيرموجودين لو لم يذكر و هذاكقوله تعالى وَ مَن يُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخشَ اللّهَ وَ يَتّقهِ فَأُولئِكَ هُمُ الفائِزُونَ و ليس لقائل أن يقول من لايخشى الله لا يكون مطيعا لله والرسول و أى حاجة به إلى ذكر ما قدأغنى اللفظ الأول عنه قوله حمل كل امرئ مجهوده وخفف عن الجهلة هذاكلام متصل بما قبله -قرآن-۳۳۷-۴۲۴ [صفحه ۱۲۲] لأنه لما قال ما لم تشردوا أنبأ عن تكليفهم كل ماوردت به السنة النبوية و أن يدوموا عليه و هذا فى الظاهر تكليف أمور شاقة فاستدرك بكلام يدل على التخفيف فقال إن التكاليف على قدر المكلفين فالعلماء تكليفهم غيرتكليف العامة وأرباب الجهل والمبادئ كالنساء و أهل البادية وطوائف من الناس الغالب عليهم البلادة وقلة الفهم كأقاصى الحبشة والترك ونحوهم وهؤلاء عندالمكلفين غيرمكلفين إلابحمل التوحيد والعدل بخلاف العلماء الذين تكليفهم الأمور المفصلة وحل المشكلات الغامضة و قدروى حمل على صيغة الماضى ومجهوده بالنصب وخفف على صيغة الماضى أيضا و يكون الفاعل هو الله تعالى المقدم ذكره والرواية الأولى أكثر وأليق . ثم قال رب رحيم أى ربكم رب رحيم ودين قويم أى مستقيم وإمام عليم يعنى رسول الله ص و من الناس من يجعل رب رحيم فاعل خفف على رواية من رواها فعلا ماضيا و ليس بمستحسن لأن عطف الدين عليه يقتضى أن يكون الدين أيضا مخففا و هذا لايصح . ثم دعا لنفسه ولهم بالغفران . ثم قسم الأيام الماضية والحاضرة والمستقبلة

قسمة حسنة فقال أنابالأمس صاحبكم و أنااليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم إنما كان عبرة لهم لأنهم يرونه بين أيديهم ملقى صريعا بعد أن صرع الأبطال وقتل الأقران فهو كما قال الشاعر أكال أشلاء الفوارس بالقنا || أضحى بهن وشلوه مأكول . ويقال دحضت قدم فلان أى زلت وزلقت . ثم شبه وجوده فى الدنيا بأفياء الأغصان ومهاب الرياح وظلال الغمام لأن ذلک كله سريع الانقضاء لاثبات له . [صفحه ۱۲۳] قوله اضمحل فى الجو متلفقها وعفا فى الأرض مخطها اضمحل ذهب والميم زائدة و منه الضحل و هوالماء القليل واضمحل السحاب تقشع وذهب و فى لغة الكلابيين امضحل الشیء بتقديم الميم ومتلفقها مجتمعها أى مااجتمع من الغيوم فى الجو والتلفيق الجمع وعفا درس ومخطها أثرها كالخطة. قوله وإنما كنت جارا جاوركم بدنى أياما فى هذاالكلام إشعار بما يذهب إليه أكثر العقلاء من أمر النفس و أن هوية الإنسان شیء غير هذاالبدن . و قوله ستعقبون منى أى إنما تجدون عقيب فقدى جثة يعنى بدنا خلاء أى لاروح فيه بل قدأقفر من تلک المعانى التى كنتم تعرفونها وهى العقل والنطق والقوة و غير ذلک ثم وصف تلک الجثة فقال ساكنة بعدحراک بالفتح أى بعدحركة وصامتة بعدنطق و هذاالكلام أيضا يشعر بما قلناه من أمر النفس بل يصرح بذلک أ لاتراه قال ستعقبون منى جثة أى تستبدلون بی جثة صفتها كذا وتلک الجثة جثته ع ومحال أن يكون العوض والمعوض عنه واحدا فدل على أن هويته ع التى أعقبنا منها الجنة غيرالجثة. قوله ليعظكم هدوى أى سكونى وخفوت إطراقى مثله خفت خفوتا سكن وخفت خفاتا مات فجأة وإطراقه إرخاؤه عينيه ينظر إلى الأرض لضعفه عن رفع جفنه وسكون أطرافه يداه ورجلاه ورأسه ع . قال فإنه أوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع وصدق ع فإن خطبا أخرس ذلک اللسان وهد تلک القوى لخطب جليل ويجب أن يتعظ العقلاء به و ماعسى يبلغ قول الواعظين بالإضافة إلى من شاهد تلک الحال بل بالإضافة إلى من سمعها وأفكر فيهافضلا عن مشاهدتها عيانا و فى هذاالكلام شبه من كلام الحكماء الذين تكلموا عندتابوت الإسكندر فقال أحدهم حركنا بسكونه [صفحه ۱۲۴] و قال الآخر قد كان سيفک لايجف وكانت مراقيک لاترام وكانت نقماتک لاتؤمن وكانت عطاياک يفرح بها و كان ضياؤک لاينكشف فأصبح ضوؤک قدخمد وأصبحت نقماتک لاتخشى وعطاياک لاترجى ومراقيک لاتمنع وسيفک لايقطع . و قال الآخر انظروا إلى حلم المنام كيف انجلى و إلى ظل الغمام كيف انسلى و قال آخر ما كان أحوجه إلى هذاالحلم و إلى هذاالصبر والسكون أيام حياته و قال آخر القدرة العظيمة التى ملأت الدنيا العريضة الطويلة طويت فى ذراعين . و قال الآخر أصبح آسر الأسراء أسيرا وقاهر الملوک مقهورا كان بالأمس مالكا فصار اليوم هالكا. ثم قال ع ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاقى أرصدته لكذا أى أعددته له و فى الحديث إلا أن أرصده لدين على والتلاقى هاهنا لقاء الله ويروى وداعيكم أى وداعى إياكم والوداع مفتوح الواو. ثم قال غدا ترون أيامى ويكشف لكم عن سرائرى وتعرفوننى بعدخلو مكانى وقيام غيرى مقامى هذامعنى قدتداوله الناس قديما وحديثا قال أبوتمام راحت وفود الأرض عن قبره || فارغة الأيدى ملاء القلوب قدعلمت مارزئت إنما || يعرف قدر الشمس بعدالغروب . و قال أبوالطيب ونذمهم وبهم عرفنا فضله || وبضدها تتبين الأشياء . [صفحه ۱۲۵] و من أمثالهم الضد يظهر حسنة الضد . ومنها أيضا لو لامرارة المرض لم تعرف حلاوة العافية. وإنما قال ع ويكشف لكم عن سرائرى لأنهم بعدفقده وموته يظهر لهم ويثبت عندهم إذارأوا وشاهدوا إمرة من بعده أنه إنما كان يريد بتلک الحروب العظيمة وجه الله تعالى وألا يظهر المنكر فى الأرض و إن ظن قوم فى حياته أنه كان يريد الملک والدنيا [صفحه ۱۲۶]

۱۵۰– و من خطبة له ع ويومئ فيها إلى الملاحم

وَ أَخَذُوا يَمِيناً وَ شِمَالًا ظَعناً فِي مَسَالِكِ الغيّ وَ تَركاً لِمَذَاهِبِ الرّشدِ فَلَا تَستَعجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرصَدٌ وَ لَا تَستَبطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ

الغَدُ فَكَم مِن مُستَعجِلٍ بِمَا إِن أَدرَكَهُ وَدّ أَنّهُ لَم يُدرِكهُ وَ مَا أَقرَبَ اليَومَ مِن تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَومِ هَذَا إِبّانُ وُرُودِ كُلّ مَوعُودٍ وَ دُنُوّ مِن طَلعَةِ مَا لَا تَعرِفُونَ أَلَا وَ إِنّ مَن أَدرَكَهَا مِنّا يَسرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ وَ يَحذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصّالِحِينَ لِيَحُلّ فِيهَا رِبقاً وَ يُعتِقَ فِيهَا رِقّاً وَ يَصدَعَ شَعباً وَ يَشعَبَ صَدعاً فِي سُترَةٍ عَنِ النّاسِ لَا يُبصِرُ القَائِفُ أَثَرَهُ وَ لَو تَابَعَ نَظَرَهُ ثُمّ لَيُشحَذَنّ فِيهَا قَومٌ شَحذَ القَينِ النّصلَ تُجلَى بِالتّنزِيلِ أَبصَارُهُم وَ يُرمَى بِالتّفسِيرِ فِي مَسَامِعِهِم وَ يُغبَقُونَ كَأسَ الحِكمَةِ بَعدَ الصّبُوحِ يذكر ع قوما من فرق الضلال أخذوا يمينا وشمالا أى ضلوا عن الطريق الوسطى التى هى منهاج الكتاب والسنة و ذلک لأن كل فضيلة وحق فهو محبوس بطرفين خارجين عن العدالة وهما جانبا الإفراط والتفريط كالفطانة التى هى محبوسة [صفحه ۱۲۷] بالجربزة والغباوة والشجاعة التى هى محبوسة بالتهور والجبن والجود المحبوس بالتبذير والشح فمن لم يقع على الطريق الوسطى وأخذ يمينا وشمالا فقد ضل . ثم فسر قوله أخذ يمينا وشمالا فقال ظعنوا ظعنا فى مسالك الغى وتركوا مذاهب الرشد تركا ونصب تركا وظعنا على المصدرية والعامل فيهما من غيرلفظهما و هو قوله أخذوا. ثم نهاهم عن استعجال ما هومعد و لابد من كونه ووجوده وإنما سماه كائنا لقرب كونه كما قال تعالى إِنّکَ مَيّتٌ وَ إِنّهُم مَيّتُونَ ونهاهم أن يستبطئوا مايجىء فى الغد لقرب وقوعه كما قال -قرآن-۴۱۶-۴۴۹ و إن غدا للناظرين قريب . و قال الآخر غد ماغد ماأقرب اليوم من غد . و قال تعالى إِنّ مَوعِدَهُمُ الصّبحُ أَ لَيسَ الصّبحُ بِقَرِيبٍ. ثم قال كم من مستعجل أمرا ويحرص عليه فإذاحصل ود أنه لم يحصل قال أبوالعتاهية -قرآن-۱۶-۶۶ من عاش لاقى مايسوء || من الأمور و مايسر ولرب حتف فوقه || ذهب وياقوت ودر . و قال آخر فلاتتمنين الدهر شيئا || فكم أمنية جلبت منية . [صفحه ۱۲۸] و قال تعالى وَ عَسَى أَن تُحِبّوا شَيئاً وَ هُوَ شَرّ لَكُم وَ اللّهُ يَعلَمُ وَ أَنتُم لا تَعلَمُونَ وتباشير الصبح أوائله . ثم قال ياقوم قددنا وقت القيامة وظهور الفتن التى تظهر أمامها. وإبان الشىء بالكسر والتشديد وقته وزمانه وكنى عن تلك الأهوال بقوله ودنو من طلعة ما لاتعرفون لأن تلك الملاحم والأشراط الهائلة غيرمعهود مثلها نحو دابة الأرض والدجال وفتنته و مايظهر على يده من المخاريق والأمور الموهمة وواقعة السفيانى و مايقتل فيها من الخلائق الذين لايحصى عددهم . ثم ذكر أن مهدى آل محمدص و هو ألذى عنى بقوله و إن من أدركها منا يسرى فى ظلمات هذه الفتن بسراج منير و هوالمهدى وأتباع الكتاب والسنة. ويحذو فيهايقتفى ويتبع مثال الصالحين ليحل فى هذه الفتن وربقا أى حبلا معقودا. ويعتق رقا أى يستفك أسرى وينقذ مظلومين من أيدى ظالمين ويصدع شعبا أى يفرق جماعة من جماعات الضلال ويشعب صدعا يجمع ماتفرق من كلمة أهل الهدى والإيمان . قوله ع فى سترة عن الناس هذاالكلام يدل على استتار هذاالإنسان المشار إليه و ليس ذلک بنافع للإمامية فى مذهبهم و إن ظنوا أنه تصريح بقولهم و ذلک لأنه من الجائز أن يكون هذاالإمام يخلقه الله تعالى فى آخر الزمان و يكون مستترا مدة و له دعاة يدعون إليه ويقررون أمره ثم يظهر بعد ذلک الاستتار ويملک الممالک -قرآن-۱۵-۱۰۲ [صفحه ۱۲۹] ويقهر الدول ويمهد الأرض كماورد فى قوله لايبصر القائف أى هو فى استتار شديد لايدركه القائف و هو ألذى يعرف الآثار والجمع قافة و لايعرف أثره و لواستقصى فى الطلب وتابع النظر والتأمل . ويقال شحذت السكين أشحذه شحذا أى حددته يريد ليحرضن فى هذه الملاحم قوم على الحرب وقتل أهل الضلال ولتشحذن عزائمهم كمايشحذ الصيقل السيف ويرقق حده . ثم وصف هؤلاء القوم المشحوذى العزائم فقال تجلى بصائرهم بالتنزيل أى يكشف الرين والغطاء عن قلوبهم بتلاوة القرآن وإلهامهم تأويله ومعرفة أسراره . ثم صرح بذلک فقال ويرمى بالتفسير فى مسامعهم أى يكشف لهم الغطاء وتخلق المعارف فى قلوبهم ويلهمون فهم الغوامض والأسرار الباطنة ويغبقون كأس الحكم بعدالصبوح أى لاتزال المعارف الربانية والأسرار الإلهية تفيض عليهم صباحا ومساء فالغبوق كناية عن الفيض الحاصل لهم فى الآصال والصبوح كناية عما يحصل لهم منه فى الغدوات وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكمة والشجاعة وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصارا لولى الله ألذى يجتبيه ويخلقه فى آخر أوقات الدنيا فيكون خاتمة أوليائه و ألذى يلقى عصا التكليف عنده مِنهَا وَ طَالَ الأَمَدُ بِهِم لِيَستَكمِلُوا الخزيَ وَ يَستَوجِبُوا الغِيَرَ حَتّى إِذَا اخلَولَقَ

[صفحه ۱۳۰] الأَجَلُ وَ استَرَاحَ قَومٌ إِلَی الفِتَنِ وَ اشتَالُوا عَن لَقَاحِ حَربِهِم لَم يَمُنّوا عَلَی اللّهِ بِالصّبرِ وَ لَم يَستَعظِمُوا بَذلَ أَنفُسِهِم فِی الحَقّ حَتّی إِذَا وَافَقَ وَارِدُ القَضَاءِ انقِطَاعَ مُدّةِ البَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُم عَلَی أَسيَافِهِم وَ دَانُوا لِرَبّهِم بِأَمرِ وَاعِظِهِم هذاالكلام يتصل بكلام قبله لم يذكره الرضی رحمه الله و هووصف فئة ضالة قداستولت وملكت وأملی لها الله سبحانه قال ع وطال الأمد بهم ليستكملوا الخزی ويستوجبوا الغير أی النعم التی يغيرها بهم من نعم الله سبحانه كما قال وَ إِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمّرناها تَدمِيراً و كما قال تعالی سَنَستَدرِجُهُم مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ. حتی إذااخلولق الأجل أی قارب أمرهم الانقضاء من قولك اخلولق السحاب أی استوی وصار خليقا بأن يمطر واخلولق الرسم استوی مع الأرض . واستراح قوم إلی الفتن أی صبا قوم من شيعتنا وأوليائنا إلی هذه الفئة واستراحوا إلی ضلالها وفتنتها واتبعوها. واشتالوا عن لقاح حربهم أی رفعوا أيديهم وسيوفهم عن أن يشبوا الحرب بينهم و بين هذه الفئة مهادنة لها وسلما وكراهية للقتال يقال شال فلان كذا أی رفعه واشتال افتعل هو فی نفسه كقولك حجم زيد عمرا واحتجم هونفسه ولقاح حربهم هوبفتح اللام مصدر من لقحت الناقة. قوله لم يمنوا هذاجواب قوله حتی إذا والضمير فی يمنوا راجع إلی -قرآن-۲۳۵-۳۵۱-قرآن-۳۷۰-۴۰۸ [صفحه ۱۳۱] العارفين الذين تقدم ذكرهم فی الفصل السابق ذكره يقول حتی إذاألقی هؤلاء السلام إلی هذه الفئة عجزا عن القتال واستراحوا من منابذتهم بدخولهم فی ضلالتهم وفتنتهم إما تقية منهم أولشبهة دخلت عليهم أنهض الله تعالی هؤلاء العارفين الشجعان الذين خصهم بحكمته وأطلعهم علی أسرار ملكوته فنهضوا و لم يمنوا علی الله تعالی بصبرهم و لم يستعظموا أن يبذلوا فی الحق نفوسهم قال حتی إذاوافق قضاء الله تعالی وقدره كی ينهض هؤلاء بقضاء الله وقدره فی انقضاء مدة تلك الفئة وارتفاع ما كان شمل الخلق من البلاء بملكها وإمرتها حمل هؤلاء العارفون بصائرهم علی أسيافهم و هذامعنی لطيف يعنی أنهم أظهروا بصائرهم وعقائدهم وقلوبهم للناس وكشفوها وجردوها من أجفانها مع تجريد السيوف من أجفانها فكأنها شیءمحمول علی السيوف يبصره من يبصر السيوف و لاريب أن السيوف المجردة من أجلی الأجسام للأبصار فكذلك ما يكون محمولا علیها و من الناس من فسر هذاالكلام فقال أراد بالبصائر جمع بصيرة و هوالدم فكأنه أراد طلبوا ثأرهم والدماء التی سفكتها هذه الفئة وكأن تلك الدماء المطلوب ثأرها محمولة علی أسيافهم التی جردوها للحرب و هذااللفظ قدقاله بعض الشعراء المتقدمين بعينه راحوا بصائرهم علی أكتافهم || وبصيرتی يعدو بهاعتد وأی . وفسره أبوعمرو بن العلاء فقال يريد أنهم تركوا دم أبيهم وجعلوه خلفهم أی لم يثأروا به و أناطلبت ثأری و كان أبوعبيدة معمر بن المثنی يقول فی هذاالبيت البصيرة الترس أوالدرع ويرويه حملوا بصائرهم [صفحه ۱۳۲] حَتّی إِذَا قَبَضَ اللّهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَومٌ عَلَی الأَعقَابِ وَ غَالَتهُمُ السّبُلُ وَ اتّكَلُوا عَلَی الوَلَائِجِ وَ وَصَلُوا غَيرَ الرّحِمِ وَ هَجَرُوا السّبَبَ ألّذِی أُمِرُوا بِمَوَدّتِهِ وَ نَقَلُوا البِنَاءَ عَن رَصّ أَسَاسِهِ فَبَنَوهُ فِی غَيرِ مَوضِعِهِ مَعَادِنُ كُلّ خَطِيئَةٍ وَ أَبوَابُ كُلّ ضَارِبٍ فِی غَمرَةٍ قَد مَارُوا فِی الحَيرَةِ وَ ذَهَلُوا فِی السّكرَةِ عَلَی سُنّةٍ مِن آلِ فِرعَونَ مِن مُنقَطِعٍ إِلَی الدّنيَا رَاكِنٍ أَو مُفَارِقٍ لِلدّينِ مُبَايِنٍ رجعوا علی الأعقاب تركوا ماكانوا عليه قال سبحانه وَ مَن يَنقَلِب عَلی عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرّ اللّهَ شَيئاً. وغالتهم السبل أهلكهم اختلاف الآراء والأهواء غاله كذا أی أهلكه والسبل الطرق . والولائج جمع وليجة وهی البطانة يتخذها الإنسان لنفسه قال سبحانه وَ لَم يَتّخِذُوا مِن دُونِ اللّهِ وَ لا رَسُولِهِ وَ لَا المُؤمِنِينَ وَلِيجَةً. ووصلوا غيرالرحم أی غيررحم رسول الله ص فذكرها ع -قرآن-۵۱-۱۰۷-قرآن-۲۶۲-۳۴۱ [صفحه ۱۳۳] ذكرا مطلقا غيرمضاف للعلم بها كما يقول القائل أهل البيت فيعلم السامع أنه أراد أهل بيت الرسول . وهجروا السبب يعنی أهل البيت أيضا و هذه إشارة إلی قول النبی ص خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتی أهل بيتی حبلان ممدودان من السماء إلی الأرض لايفترقان حتی يردا علی الحوض -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۳۷ فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السبب لما كان النبی ص قال حبلان والسبب فی اللغة الحبل .عنی بقوله أمروا بمودته قول الله تعالی قُل لا أَسئَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلّا المَوَدّةَ فِی القُربی. قوله ونقلوا البناء عن رص أساسه الرص مصدر رصصت الشیء أرصه أی ألصقت بعضه ببعض و منه

قوله تعالى كَأَنَّهُم بُنيانٌ مَرصُوصٌ وتراص القوم فى الصف أى تلاصقوا فبنوه فى غيرموضعه ونقلوا الأمر عن أهله إلى غيرأهله . ثم ذمهم ع و قال إنهم معادن كل خطيئة وأبواب كل ضارب فى غمرة الغمرة الضلال والجهل والضارب فيهاالداخل المعتقد لها. قدماروا فى الحيرة مار يمور إذاذهب وجاء فكأنهم يسبحون فى الحيرة كمايسبح الإنسان فى الماء. وذهل فلان بالفتح يذهل على سنة من آل فرعون أى على طريقة وآل فرعون أتباعه قال تعالى أَدخِلُوا آلَ فِرعَونَ أَشَدّ العَذابِ -قرآن-١۴۵-٢٠۵-قرآن-٣١٣-٣٣٨-قرآن-٧۴١-٧٧٨ [صفحه ١٣۴] من منقطع إلى الدنيا لاهم له غيرها راكن مخلد إليها قال الله تعالى وَ لا تَركَنُوا إِلَي الّذِينَ ظَلَمُوا أومفارق للدين مباين مزايل . فإن قلت أى فرق بين الرجلين وهل يكون المنقطع إلى الدنيا إلامفارقا للدين قلت قد يكون فى أهل الضلال من هومفارق للدين مباين و ليس براكن إلى الدنيا و لامنقطع إليها كمانرى كثيرا من أحبار النصارى ورهبانهم . فإن قلت أ ليس هذاالفصل صريحا فى تحقيق مذهب الإمامية قلت لابل نحمله على أنه عنى ع أعداءه الذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب فى أيام صفين وهم الذين نقلوا البناء وهجروا السبب ووصلوا غيرالرحم واتكلوا على الولائج وغالتهم السبل ورجعوا على الأعقاب كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطاة و عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وحوشب وذى الكلاع وشرحبيل بن السمط و أبى الأعور السلمى وغيرهم ممن تقدم ذكرنا له فى الفصول المتعلقة بصفين وأخبارها فإن هؤلاء نقلوا الإمامة عنه ع إلى معاوية فنقلوا البناء عن رص أصله إلى غيرموضعه . فإن قلت لفظ الفصل يشهد بخلاف ماتأولته لأنه قال ع حتى إذاقبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول ص و ماذكرته أنت كان بعدقبض الرسول بنيف وعشرين سنة. قلت ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لمامات رسول الله ص وأضمروا فى أنفسهم مشاقة أمير المؤمنين وأذاه و قد كان فيهم من -قرآن-٧٢-١١٠ [صفحه ١٣۵] يتحكك به فى أيام أبى بكر وعمر وعثمان ويتعرض له و لم يكن أحد منهم و لا من غيرهم يقدم على ذلك فى حياة رسول الله و لايمتنع أيضا أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلية فإن كثيرا من أصحابنا يطعنون فى إيمان بعض من ذكرناه ويعدونهم من المنافقين و قد كان سيف رسول الله ص يقمعهم ويردعهم عن إظهار ما فى أنفسهم من النفاق فأظهر قوم منهم بعده ماكانوا يضمرونه من ذلك خصوصا فيما يتعلق بأمير المؤمنين ألذى ورد فى حقه ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلاببغض على بن أبى طالب و هوخبر محقق مذكور فى الصحاح . فإن قلت يمنعك من هذاالتأويل قوله ونقلوا البناء عن رص أساسه فجعلوه فى غيرموضعه و ذلك لأن إذاظرف والعامل فيها قوله رجع قوم على الأعقاب و قدعطف عليه قوله ونقلوا البناء فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا فى الظرف المذكور و هووقت قبض الرسول وجب أن يكون نقل البناء إلى غيرموضعه واقعا فى ذلك الوقت أيضا لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر و لم ينقل أحد وقت قبض الرسول ص البناء إلى معاوية عن أمير المؤمنين ع وإنما نقل عنه إلى شخص آخر و فى إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحا. قلت إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النبى ص فقد قمنا بما يجب من وجود عامل فى الظرف و لايجب أن يكون نقل البناء إلى غيرموضعه واقعا فى تلك الحال أيضا بل يجوز أن يكون واقعا فى زمان آخر إما بأن تكون الواو للاستئناف لاللعطف أوبأن تكون للعطف فى مطلق الحدث لا فى وقوع الحدث فى عين ذلك الزمان المخصوص كقوله تعالى حَتّى إِذا أَتَيا أَهلَ قَريَةٍ استَطعَما أَهلَها فَأَبَوا أَن -قرآن-١۴٢۶-١۴٨٧ يتحكك به فى أيام أبى بكر وعمر وعثمان ويتعرض له و لم يكن أحد منهم و لا من غيرهم يقدم على ذلك فى حياة رسول الله و لايمتنع أيضا أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الإسلام بالكلية فإن كثيرا من أصحابنا يطعنون فى إيمان بعض من ذكرناه ويعدونهم من المنافقين و قد كان سيف رسول الله ص يقمعهم ويردعهم عن إظهار ما فى أنفسهم من النفاق فأظهر قوم منهم بعده ماكانوا يضمرونه من ذلك خصوصا فيما يتعلق بأمير المؤمنين ألذى ورد فى حقه ماكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلاببغض على بن أبى

طـالب و هوخـبر محقق مـذكور فى الصـحاح . فـإن قلت يمنعـك من هـذاالتأويل قوله ونقلوا البنـاء عن رص أسـاسه فجعلوه فى غيرموضـعه و ذلـك لأـن إذاظرف والعامـل فيهـا قوله رجع قوم على الأعقاب و قـدعطف عليه قوله ونقلوا البناء فإذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا فى الظرف المذكور و هووقت قبض الرسول وجب أن يكون نقل البناء إلى غيرموضعه واقعا فى ذلك الوقت أيضـا لأـن أحـد الفعلين معطوف على الآخر و لم ينقل أحـد وقت قبض الرسول ص البناء إلى معاويـة عن أمير المؤمنين ع وإنما نقل عنه إلى شـخص آخر و فى إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الإمامية صريحا. قلت إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النبى ص فقد قمنا بما يجب من وجود عامل فى الظرف و لايجب أن يكون نقل البناء إلى غيرموضعه واقعا فى تلك الحال أيضـا بـل يجوز أن يكون واقعـا فى زمان آخر إما بأن تكون الواو للاستئناف لاللعطف أوبأن تكون للعطف فى مطلق الحـدث لا فى وقوع الحدث فى عين ذلك الزمان المخصوص كقوله تعالى حَتّى إِذا أَتَيا أَهلَ قَريَةٍ استَطعَما أَهلَها فَأَبَوا أَن يُضَيّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَن يَنقَضّ فَأَقامَهُفالعامل فى الظرف استطعما ويجب أن يكون استطعامهما وقت إتيانهما أهلها لامحالة و لايجب أن تكون جميع الأفعال المـذكورة المعطوفـة واقعـة حال الإتيان أيضا أ لاترى أن من جملتها فأقامه و لم يكن إقامـة الجـدار حال إتيانهمـا القريـة بـل متراخيا عنه بزمـان مـا أللهم إلا أن يقول قائل أشار بيـده إلى الجـدار فقام أو قال له قم فقام لأنه لايمكن أن يجعل إقامـة الجـدار مقارنا للإتيان إلا على هـذاالوجه و هذا لم يكن و لاقاله مفسـر و لو كان قدوقع على هذاالوجه لما قال له لَو شِئتَ لَاتّخَذتَ عَلَيهِ أَجراًلأـن الأـجر إنما يكون على اعتمال عمل فيه مشـقة وإنما يكون فيه مشـقة إذابناه بيـده وباشـره بجوارحه وأعضـائه . واعلم أنانحمـل كلاـم أمير المـؤمنين ع على مايقتضـيه سؤدده الجليـل ومنصـبه العظيم ودينه القويم من الإغضـاء عما سلف ممن سـلف فقد كان صاحبهم بالمعروف برهة من الدهر فإما أن يكون ماكانوا فيه حقهم أوحقه فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعـة أو لمارآه من المصـلحة و على كلا التقـديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله وأقواله بالنسـبة إليهم و بين أولها فإن بعـدتأويل مايتأوله من كلامه ليس بأبعـد من تأويل أهل التوحيـد والعـدل الآيات المتشابهـة فى القرآن و لم يمنع بعـدها من الخوض فى تأويلها محافظة على الأصول المقررة فكذلك هاهنا -قرآن-١-٦٨-قرآن-٥۴۶-٥٨٠ [صفحه ١٣٧]

١٥١- و من خطبة له ع

وَ أَستَعِينُهُ عَلَى مَـدَاحِرِ الشّيطَانِ وَ مَزَاجِرِهِ وَ الِاعتِصَامِ مِن حَبَائِلِهِ وَ مَخَاتِلِهِ وَ أَشـهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ نَجِيبُهُ وَ صَـفوَتُهُ لَا يُؤَازَى فَضـلُهُ وَ لَا يُجبَرُ فَقـدُهُ أَضَاءَت بِهِ البِلَادُ بَعدَ الضّـلَالَةِ المُظلِمَةِ وَ الجَهَالَةِ الغَالِبَةِ وَ الجَفوَةِ الجَافِيَةُ وَ النّاسُ يَستَحِلّونَ الحَرِيمَ وَ يَستَذِلّونَ الحَكِيمَ يَحيَونَ عَلَى فَترَةٍ وَ يَمُوتُونَ عَلَى كَفرَةٍ ثُمّ إِنّكُم مَعشَرَ العَرَبِ أَغرَاضُ بَلَايَا قَـدِ اقتَرَبَت فَاتّقُوا سَكَرَاتِ النّعمَـةِ وَ احذَرُوا بَوَائِقَ النّقمَةِ وَ تَثَبّتُوا فِي قَتَامِ العِشوَةِ وَ اعوِجَاجِ الفِتنَةِ عِندَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَ ظُهُورِ كَمِينِهَا وَ انتِصَابِ قُطبِهَا وَ مَدَارِ رَحَاهَا تَبدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيّةٍ وَ تَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيّةٍ شِبَابُهَا كَشِبَابِ الغُلَامِ وَ آثَارُهَا كَآثَارِ السّلَامِ يَتَوَارَثُهَا الظّلَمَةُ بِالعُهُودِ أَوّلُهُم قَائِدٌ لِآخِرِهِم وَ آخِرُهُم مُقتَدٍ بِأَوّلِهِم يَتَنَافَسُونَ فِي دُنيَا دَنِيّةٍ وَ يَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَـةٍ مُرِيحَـةٍ وَ عَن قَلِيلٍ يَتَبَرّأُ التّابِعُ مِنَ المَتبُوعِ وَ القَائِـدُ مِنَ المَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالبَغضَاءِ وَ يَتَلَاعَنُونَ عِنـدَ اللّقَاءِ ثُمّ يَأتِي بَعـدَ ذَلِكَ طَالِعُ الفِتنَةِ الرّجُوفِ وَ القَاصِـمَةِ الزّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعدَ استِقَامَةٍ وَ تَضِلّ رِجَالٌ بَعـدَ سَـلَامَةٍ وَ تَختَلِفُ الأَهوَاءُ عِنـدَ هُجُومِهَا وَ تَلتَبِسُ الآرَاءُ عِنـدَ نُجُومِهَا [صـفحه ١٣٨] مَن أَشـرَفَ لَهَا قَصَمَتهُ وَ مَن سَعَى فِيهَا حَطَمَتهُ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الحُمُرِ فِي العَانَـةِ قَـدِ اضـطَرَبَ مَعقُودُ الحَبلِ وَ عمِيَ وَجهُ الأَمرِ تَغِيضُ فِيهَا الحِكمَةُ وَ تَنطِقُ فِيهَا الظّلَمَةُ وَ تَدُقّ أَهلَ البَدوِ بِمِسحَلِهَا وَ تَرُضّهُم بِكَلكَلِهَا يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الوُحدَانُ وَ يَهلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرّكبَانُ تَرِدُ بِمُرّ القَضَاءِ وَ تَحلُبُ عَبِيطَ الـدّمَاءِ وَ تَثلِمُ مَنَارَ الـدّينِ وَ تَنقُضُ عَقـدَ اليَقِينِ يَهرُبُ مِنهَا الأَكيَاسُ وَ يُـدَبّرُهَا الأَرجَاسُ مِرعَادٌ مِبرَاقٌ كَاشِـفَةٌ عَن

سَاقٍ تُقطَعُ فِيهَا الأرحَامُ وَ يُفَارَقُ عَلَيهَا الإِسلَامُ بَرِيئُهَا سَـقِيمٌ وَ ظَاعِنُهَا مُقِيمٌ مـداحر الشـيطان الأمور التى يدحر بها أى يطرد ويبعد دحرته أدحره دحورا قال تعالى دُحُوراً وَ لَهُم عَذابٌ واصِبٌ و قال سبحانه اخرُج مِنها مَذؤُماً مَدحُوراً أى مقصى . ومزاجره الأمور يزجر بهاجمع مزجر ومزجرة وكثيرا ماينبنى ع من الأفعال مفعلا ومفعلة ويجمعه و إذاتأملت كلامه عرفت ذلك . وحبائل الشيطان مكايده وأشـراكه التى يضل بهاالبشر ومخاتله الأمور التى يختل بهابالكسر أى يخدع . لايؤازى فضله لايساوى واللفظة مهموزة آزيت فلانـا حـاذيته و لايجوز وازيته . -قرآن-٨٣-١١٣-قرآن-١٢٨-١٥٧ [صفحه ١٣٩] و لايجبر فقـده لايسد أحد مسده بعده والجفوة الجافيـة غلـظ الطبع وبلادة الفهم . ويسـتذلون الحكيم يستضـيمون العقلاء واللام هاهنـا للجنس كقوله وَ جـاءَ رَبّكَ وَ المَلَكُ صَـفّا صَفّا.يحيون على فترة على انقطاع الوحى ما بين نبوتين . ويموتون على كفرة بالفتح واحد الكفرات كالضربة واحدة الضربات . ويروى ثم إنكم معشـر النـاس والأغراض الأهـداف وسـكرات النعمـة ماتحـدثه النعم عنـدأربابها من الغفلـة المشابهة للسكر قال الشاعر -قرآن-١٤٤-١٨١ خمس سكرات إذامنى المرء || بهاصار عرضـة للزمان سـكرة المال والحداثـة والعشق || وسـكر الشـراب والسـلطان . و من كلام الحكمـاء للوالى سـكرة لا يفيق منها إلابالعزل والبوائق الـدواهى جمع بائقـة يقال باقتهم الداهيـة بوقا أى أصابتهم وكـذلك باقتهم بئوق على فعول وابتاقت عليهم بائقـة شـر مثل انباحت أى انفتقت وانباق عليهم الـدهر هجم بالداهيـة كمايخرج الصوت من البوق و فى الحـديث لايدخل الجنة من لايأمن جاره بوائقه -روايت-١-٢-روايت-١٤-٥٥ أى غوائله وشـره . والقتام بفتح القاف الغبار والأقتم ألذى يعلوه قتمة و هولون فيه غبرة وحمرة. والعشوة بكسر العين ركوب الأمر على غيربيـان ووضوح ويروى وتبينوا فى قتام العشوة كماقرئإِن جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا وفتثبتوا. -قرآن-١٩١-٢٣٠ [صفحه ١٤٠] واعوجـاج الفتنـة أخـذها فى غيرالقصـد وعـدولها عن المنهـج . ثم كنى عن ظهور المسـتور المخفى منها بقوله عنـدطلوع جنينها وظهور كمينها. والجنين الولد مادام فى البطن والجمع أجنة ويجوز ألا يكون الكلام كناية بل صريحا أى عندطلوع مااستجن منها أى اسـتتر وظهور ماكمن أى مابطن . وكنى عن اسـتحكام أمر الفتنة بقوله وانتصاب قطعها ومدار رحاها. ثم قال إنها تبدو يسيرة ثم تصير كثيرة. والفظاعـة مصـدر فظع بالضم فهو فظيع أى شديـد شـنيع تجاوز المقـدار وكـذلك أفظع الرجل فهو مفظع وأفظع الرجل على ما لم يسم فاعله نزل به أمر عظيم وأفظعت الشـىء وجـدته فظيعا ومثله اسـتفظعته و هذاالمعنى كما قال الشاعر ولربما هاج الكبير || و من الأمور لك الصـغير . و فى المثل والشر تبدؤه صغاره و قال الشاعر فإن النار بالعودين تذكى || و إن الحرب أولهـا كلام . و قال أبوتمام رب قليل جـدا كثيرا || كم مطر بـدؤه مطير . و قال أيضا لاتـذيلن صـغير همك وانظر || كم بـذى الأسل دوحة من قضيب . قوله شبابها كشباب الغلام بالكسر مصدر شب الفرس والغلام يشب ويشب شبابا وشبيبا إذاقمص ولعب وأشـببته أنا أى هيجته . [صـفحه ١٤١] و السـلام الحجارة جمع واحـده سـلمة بكسـر اللام يذكر الفتنة و يقول إنها تبدو فى أول الأمر وأربابها يمرحون ويشـبون كمايشب الغلام ويمرح ثم تئول إلى أن تعقب فيهم آثارا كآثار الحجارة فى الأبـدان قال الشاعر والحب مثـل الحرب أولها || التخيل والنشاط وختامها أم الربيق || النكر والضـرب القطاط . ثم ذكر أن هـذه الفتنـة يتوارثها قوم من قوم وكلهم ظـالم أولهم يقود آخرهم كمـايقود الإنسـان القطـار من الإبل و هوأمامها وهى تتبعه وآخرهم يقتـدى بأولهم أى يفعل فعله ويحـذو حـذوه . وجيفـة مريحـة منتنـة أراحت ظهر ريحها ويجوز أن تكون من أراح البعير أى مات و قدجاء فى أراح بمعنى أنتن راح بلا همز. ثم ذكر تبرؤ التـابع من المتبوع يعنى يوم القيامـة. فإن قلت إن الكتاب العزيز إنما ذكر تبرؤ المتبوع من التابع فى قوله إِذ تَبَرّأَ الّـذِينَ اتّبِعُوا مِنَ الّـذِينَ اتّبَعُوا وَ رَأَوُا العَـذابَ وَ تَقَطّعَت بِهِمُ الأَسبابُ وهاهنا قدعكس ذلك فقال إن التابع يتبرأ من المتبوع قلت إنه قـدورد فى الكتـاب العزيز مثل ذلك فى قوله أَينَ شُـرَكاؤُكُمُ الّـذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَقالُوا ضَـلّوا عَنّا بَل لَم نَكُن نَـدعُوا مِن قَبلُ شَـيئاًفقولهم لَم نَكُن نَـدعُوا مِن قَبلُ شَـيئاً هوالتبرؤ و هو قوله حكايـة عنهم وَ اللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ و هـذا هوالتبرؤ. -قرآن-٤٢٧-٥٣١-قرآن-٦٣٩-٦٨٣-قرآن-٦٨٤-٧٤١-قرآن-٧٤٩-٧٨٢-قرآن-٨١٤-٨٤٩ [صـفحه ١٤٢] ثـم ذكـر ع

أن القائد يتبرأ من المقود أی يتبرأ المتبوع من التابع فيكون كل من الفريقين تبرأ من صاحبه كما قال سبحانه ثُمّ يَومَ القِيامَةِ يَكفُرُ بَعضُ‌كُم بِبَعضٍ وَ يَلعَنُ بَعضُ‌كُم بَعضاً. ويتزايلون يتفرقون . قوله ثم يأتی بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف طالعها مقدماتها وأوائلها وسماها رجوفا لشدة الاضطراب فيها. فإن قلت أ لم تكن قلت إن قوله عن قليل يتبرأ التابع من المتبوع يعنی به يوم القيامة فكيف يقول ثم يأتی بعد ذلك طالع الفتنة و هذاإنما يكون قبل القيامة قلت إنه لماذكر تنافس الناس علی الجيفة المنتنة وهی الدنيا أراد أن يقول بعده بلا فصل ثم يأتی بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف لكنه لماتعجب من تزاحم الناس وتكالبهم علی تلك الجيفة أراد أن يؤكد ذلك التعجب فأتی بجملة معترضة بين الكلامين تؤكد معنی تعجبه منهم فقال إنهم علی ما قدذكرنا من تكالبهم عليها عن قليل يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا و ذلك أدعی لهم لوكانوا يعقلون إلی أن يتركوا التكالب والتهارش علی هذه الجيفة الخسيسة ثم عاد إلی نظام الكلام فقال ثم يأتی بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف ومثل هذاالاعتراض فی الكلام كثير وخصوصا فی القرآن و قدذكرنا منه فيما تقدم طرفا. قوله والقاصمة الزحوف القاصمة الكاسرة وسماها زحوفا تشبيها لمشيها قدما بمشی الدبی ألذی يهلك الزروع ويبيدها والزحف السير علی تؤدة كسير الجيوش بعضها إلی بعض . -قرآن-١٢١-١٩٣ [صفحه ١٤٣] قوله وتزيغ قلوب أی تميل و هذه اللفظة والتی بعدها دالتان علی خلاف ماتذهب إليه الإمامية من أن المؤمن لايكفر وناصرتان لمذهب أصحابنا. ونجومها مصدر نجم الشر إذاظهر. من أشرف لها من صادمها وقابلها و من سعی فيها أی فی تسكينها وإطفائها و هذاكله إشارة إلی الملحمة الكائنة فی آخر الزمان . والتكادم التعاض بأدنی الفم كمايكدم الحمار ويقال كدم يكدم والمكدم المعض . والعانة القطيع من حمر الوحش والجمع عون .تغيض فيهاالحكمة تنقض . فإن قلت ليس قوله وتنطق فيهاالظلمة واقعا فی نقيض قوله تغيض فيهاالحكمة فأين هذا من الخطابة التی هو فيهانسيج وحده قلت بل المناقضة ظاهرة لأن الحكمة إذاغاضت فيها لم ينطق بهاأحد و لابد من نطق ما فإذا لم تنطق الحكماء وجب أن يكون النطق لمن ليس من الحكماء فهو من الظلمة فقد ثبت التناقض . والمسحل المبرد يقول تنحت أهل البدو وتسحتهم كمايسحت الحديد أوالخشب بالمبرد و أهل البدو أهل البادية ويجوز أن يريد بالمسحل الحلقة التی فی طرف شكيم اللجام المعترضة بإزاء حلقة أخری فی الطرف الآخر وتدخل إحداهما فی الأخری بمعنی أن هذه الفتنة تصدم أهل البدو بمقدمة جيشها كمايصدم الفارس الراجل أمامه بمسحل لجام فرسه . والكلكل الصدر وترضهم تدقهم دقا جريشا. [صفحه ١٤٤] قوله تضيع فی غبارها الوحدان جمع واحد مثل شاب وشبان وراع ورعيان ويجوز الأحدان بالهمز أی من كان يسير وحده فإنه يهلك بالكلية فی غبارها و أما إذاكانوا جماعة ركبانا فإنهم يضلون و هوأقرب من الهلاك ويجوز أن يكون الوحدان جمع أوحد يقال فلان أوحد الدهر وهؤلاء الوحدان أوالأحدان مثل أسود وسودان أی يضل فی هذه الفتنة وضلالها ألذی كنی عنه بالغبار فضلاء عصرها وعلماء عهدها لغموض الشبهة واستيلاء الباطل علی أهل وقتها و يكون معنی الفقرة الثانية علی هذاالتفسير أن الراكب ألذی هوبمظنة النجاة لاينجو والركبان جمع راكب و لا يكون إلا ذا بعير قوله ترد بمر القضاء أی بالبوار والهلاك والاستئصال . فإن قلت أيجوز أن يقال للفتنة القبيحة إنها من القضاء. قلت نعم لابمعنی الخلق بل بمعنی الإعلام كما قال سبحانه وَ قَضَينا إِلی بَنِي إِسرائِيلَ فِي الكِتابِ لَتُفسِدُنّ أی أعلمناهم أی ترد هذه الفتنة بإعلام الله تعالی لمن يشاء إعلامه من المكلفين أنها أم اللهيم التی لاتبقی و لاتذر فذلك الإعلام هوالمر ألذی لايبلغ الوصف مرارته لأن الأخبار عن حلول المكروه ألذی لامدفع عنه و لامحيص منه مر جدا. قوله وتحلب عبيط الدماء أی هذه الفتنة يحلبها الحالب دما عبيطا و هذه كناية عن الحرب و قد قال ع فی موضع آخر أما و الله ليحلبنها دما وليتبعنها ندما والعبيط الدم الطری الخالص . وثلمت الإناء أثلمه بالكسر. والأكياس العقلاء. -قرآن-٧٣٢-٧٨٩ [صفحه ١٤٥] والأرجاس جمع رجس و هوالقذر والنجس والمراد هاهنا الفاسقون فإما أن يكون علی حذف المضاف أی ويدبرها ذوو الأرجاس أو أن يكون جعلهم الأرجاس أنفسها لماكانوا قدأسرفوا فی الفسق فصاروا كأنهم الفسق والنجاسة نفسها

كمايقال رجل عدل و رجل رضا. قوله مرعاد مبراق أى ذات وعيد وتهدد ويجوز أن يعنى بالرعد صوت السلاح وقعقعته وبالبرق لونه وضوءه . وكاشفة عن ساق عن شدة ومشقة. قوله بريئها سقيم يمكن أن يعنى بهاأنها لشدتها لايكاد ألذى يبرأ منها وينفض يده عنها يبرأ بالحقيقة بل لابد أن يستثنى شيئا من الفسق والضلال أى لشدة التباس الأمر واشتباه الحال على المكلفين حينئذ. ويمكن أن يعنى به أن الهارب منها غيرناج بل لابد أن يصيبه بعض معرتها ومضرتها. وظاعنها مقيم أى مايفارق الإنسان من أذاها وشرها فكأنه غيرمفارق له لأنه قدأبقى عنده ندوبا وعقابيل من شرورها وغوائلها مِنهَا بَينَ قَتِيلٍ مَطلُولٍ وَ خَائِفٍ مُستَجِيرٍ يَختِلُونَ بِعَقدِ الأَيمَانِ وَ بِغُرُورِ الإِيمَانِ فَلَا تَكُونُوا أَنصَابَ الفِتَنِ وَ أَعلَامَ البِدَعِ [صفحه ۱۴۶] وَ الزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيهِ حَبلُ الجَمَاعَةِ وَ بُنِيَت عَلَيهِ أَركَانُ الطّاعَةِ وَ اقدَمُوا عَلَى اللّهِ مَظلُومِينَ وَ لَا تَقدَمُوا عَلَيهِ ظَالِمِينَ وَ اتّقُوا مَدَارِجَ الشّيطَانِ وَ مَهَابِطَ العُدوَانِ وَ لَا تُدخِلُوا بُطُونَكُم لُعَقَ الحَرَامِ فَإِنّكُم بِعَينِ مَن حَرّمَ عَلَيكُمُ المَعصِيَةَ وَ سَهّلَ لَكُم سُبُلَ الطّاعَةِ يقال طل دم فلان فهو مطلول أى مهدر لايطلب به ويجوز أطل دمه وطله الله وأطله أهدره و لايقال طل دم فلان بالفتح و أبوعبيدة والكسائى يقولانه . ويختلون يخدعون بالأيمان التى يعقدونها ويقسمون بها وبالإيمان ألذى يظهرونه ويقرون به . ثم قال فلاتكونوا أنصار الفتن وأعلام البدع أى لاتكونوا ممن يشار إليكم فى البدع كمايشار إلى الأعلام المبنية القائمة و جاء فى الخبر المرفوع كن فى الفتنة كابن اللبون لاظهر فيركب و لاضرع فيحلب –روايت–۱–۲–روايت–۲۴–۸۱ و هذه اللفظة يرويها كثير من الناس لأمير المؤمنين ع . قوله واقدموا على الله مظلومين جاء فى الخبر كن عبد الله المقتول –روايت–۱–۲–روايت–۱۵–۳۷ . ومدارج الشيطان جمع مدرجة وهى السبيل التى يدرج فيها ومهابط العدوان محاله التى يهبط فيها. ولعق الحرام جمع لعقة بالضم وهى اسم لماتأخذه الملعقة واللعقة بالفتح المرة الواحدة. قوله فإنكم بعين من حرم يقال أنت بعين فلان أى أنت بمرأى منه و قد قال ع فى موضع آخر بصفين فإنكم بعين الله و مع ابن عم رسول الله –روايت–۱–۲–روايت–۳۱–۷۶ و هذا من باب الاستعارة قال سبحانه وَ لِتُصنَعَ عَلى عَينِي و قال تَجرِي بِأَعيُنِنا –قرآن–۳۷–۶۱–قرآن–۶۹–۸۷ [صفحه ۱۴۷]

۱۵۲– و من خطبة له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ الدّالّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلقِهِ وَ بِمُحدَثِ خَلقِهِ عَلَى أَزَلِيّتِهِ وَ بِاشتِبَاهِهِم عَلَى أَن لَا شَبَهَ لَهُ لَا تَستَلِمُهُ المَشَاعِرُ وَ لَا تَحجُبُهُ السّوَاتِرُ لِافتِرَاقِ الصّانِعِ وَ المَصنُوعِ وَ الحَادّ وَ المَحدُودِ وَ الرّبّ وَ المَربُوبِ الأَحَدِ بِلَا تَأوِيلِ عَدَدٍ وَ الخَالِقِ لَا بِمَعنَى حَرَكَةٍ وَ نَصَبٍ وَ السّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ وَ البَصِيرِ لَا بِتَفرِيقِ آلَةٍ وَ الشّاهِدِ لَا بِمُمَاسّةٍ وَ البَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ وَ الظّاهِرِ لَا بِرُؤيَةٍ وَ البَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ بَانَ مِنَ الأَشيَاءِ بِالقَهرِ لَهَا وَ القُدرَةِ عَلَيهَا وَ بَانَتِ الأَشيَاءُ مِنهُ بِالخُضُوعِ لَهُ وَ الرّجُوعِ إِلَيهِ مَن وَصَفَهُ فَقَد حَدّهُ وَ مَن حَدّهُ فَقَد عَدّهُ وَ مَن عَدّهُ فَقَد أَبطَلَ أَزَلَهُ وَ مَن قَالَ كَيفَ فَقَدِ استَوصَفَهُ وَ مَن قَالَ أَينَ فَقَد حَيّزَهُ عَالِمٌ إِذ لَا مَعلُومٌ وَ رَبّ إِذ لَا مَربُوبٌ وَ قَادِرٌ إِذ لَا مَقدُورٌ

أبحاث كلامية

فى هذاالفصل أبحاث أولها فى وجوده تعالى وإثبات أن للعالم صانعا وهاتان طريقتان فى الدلالة على وجوده الأول سبحانه . [

صفحه ١٤٨] إحداهما الطريقة المذكورة فی هذاالفصل وهی طريقة المتكلمين وهی إثبات أن الأجسام محدثة و لابد للمحدث من محدث . والثانية إثبات وجوده تعالی من النظر فی نفس الوجود. و ذلك لأن الوجود ينقسم بالاعتبار الأول إلی قسمين واجب وممكن و كل ممكن لابد أن ينتهی إلی الواجب لأن طبيعة الممكن يمتنع من أن يستقل بنفسه فی قوامه فلابد من واجب يستند إليه و ذلك الواجب الوجود الضروری ألذی لابد منه هو الله تعالی . وثانيها إثبات أزليته وبيانه ماذكره فی هذاالفصل و هو أن العالم مخلوق له سبحانه حادث من جهته والمحدث لابد له من محدث فإن كان ذلك المحدث محدثا عاد القول فيه كالقول فی الأول ويتسلسل فلابد من محدث قديم و ذلك هو الله تعالی . وثالثها أنه لاشبيه له أی ليس بجسم كهذه الأجسام وبيانه ماذكر أيضا أن مخلوقاته متشابهة يعنی بذلك مايريده المتكلمون من قولهم الأجسام متماثلة فی الجسمية و أن نوع الجسمية واحد أی لايخالف جسم جسما بذاته و إذاكانت متماثلة صح علی كل واحد منها ماصح علی الآخر فلو كان له سبحانه شبيه منها أی لو كان جسما مثلها لوجب أن يكون محدثا كمثلها أوتكون قديمة مثله وكلا الأمرين محال . ورابعها أن المشاعر لاتستلمه وروی لاتلمسه والمشاعر الحواس وبيانه أنه تعالی ليس بجسم لماسبق و ما ليس بجسم استحال أن تكون المشاعر لامسة له لأن إدراك المشاعر مدركاته مقصور علی الأجسام وهيئاتها والاستلام فی اللغة لمس الحجر باليد وتقبيله و لايهمز لأن أصله من السلام وهی الحجارة كمايقال استنوق الجمل وبعضهم يهمزه [صفحه ١٤٩] وخامسها أن السواتر لاتحجبه وبيانه أن السواتر والحجب إنما تحجب ما كان فی جهة و ذلك لأنها ذوات أين ووضع فلانسبة لها إلی ما ليس من ذوات الأين والوضع . ثم قال ع لافتراق الصانع والمصنوع إشارة إلی أن المصنوع من ذوات الجهة والصانع منزه عن ذلك بریء عن المواد فلايلزم فيه مايلزم فی ذوات المادة والجهة. وسادسها معنی قولنا إنه أحد أنه ليس بمعنی العدد كمايقوله الناس أول العدد أحد وواحد بل المراد بأحديته كونه لايقبل التجزؤ وباعتبار آخر كونه لاثانی له فی الربوبية. وسابعها أنه خالق لابمعنی الحركة والنصب و هوالتعب و ذلك لأن الخالقين منا يحتاجون إلی الحركة من حيث كانوا أجساما تفعل بالآلات والباریء سبحانه ليس بجسم و لايفعل بالآلة بل كونه قادرا إنما هولذاته المقدسة لالأمر زائد عليها فلم يكن فاعلا بالحركة. وثامنها أنه سميع لابأداة و ذلك لأن حاجتنا إلی الحواس إنما كانت لأمر يخصنا و هوكوننا أحياء بحياة حالة فی أبعاضنا والباریء تعالی حی لذاته فلم يحتج فی كونه مدركا إلی الأداة والجارحة. وتاسعها أنه بصير لابتفريق آلة والمراد بتفريق الآلة هاهنا الشعاع ألذی باعتباره يكون الواحد منا مبصرا فإن القائلين بالشعاع يقولون إنه يخرج من العين أجسام لطيفة هی الأشعة وتكون آلة للحی فی إبصار المبصرات فيتفرق عليها فكل جسم يقع عليه ذلك الشعاع يكون مبصرا والباریء تعالی بصير لابشعاع يجعله آلة فی الإدراك ويتفرق علی المرئيات [صفحه ١٥٠] فيدركها به و ذلك لماقدمناه من أنه حی لذاته لابمعنی فلايحتاج إلی آلة وأداة ووصلة تكون كالواسطة بينه و بين المدركات . وعاشرها أنه الشاهد لابمماسة و ذلك لأن الشاهد منا هوالحاضر بجسمه عندالمشهود أ لاتری أن من فی الصين لا يكون شاهدا من فی المغرب لأن الحضور الجسمانی يفتقر إلی القرب والقرب من لوازم الجسمية فما ليس بجسم و هوعالم بكل شیء يكون شاهدا من غيرقرب و لامماسة و لاأين مطلوب . وحادی عشرها أنه البائن لابتراخی مسافة بينونة المفارق عن المادة بينونة ليست أينية لأنه لانسبة لأحدهما إلی الآخر بالجهة فلاجرم كان الباریء تعالی مباينا عن العالم لابمسافة بين الذاتين . وثانی عشرها أنه الظاهر لابرؤية والباطن لابلطافة و ذلك لأن الظاهر من الأجسام ما كان مرئيا بالبصر والباطن منها ما كان لطيفا جدا إما لصغره أولشفافيته والباریء تعالی ظاهر للبصائر لالالأبصار باطن أی غيرمدرك بالحواس لأن ذاته لاتقبل المدركية إلا من حيث كان لطيف الحجم أوشفاف الجرم . وثالث عشرها أنه قال بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع إليه هذا هومعنی قول المتكلمين والحكماء والفرق بينه و بين الموجودات كلها أنه واجب الوجود لذاته والأشياء كلها ممكنة الوجود بذواتها فكلها محتاجة إليه لأنها لاوجود لها إلا به و هذا هومعنی خضوعها له ورجوعها إليه و هوسبحانه غنی عن

كل شيء ومؤثر في كل شيءإما بنفسه أوبأن يكون مؤثرا فيما هومؤثر في ذلك الشيء كأفعالنا فإنه يؤثر فينا ونحن نؤثر فيها فإذا هوقاهر لكل شيء وقادر على كل شيءفهذه هي البينونة بينه و بين الأشياء كلها. [صفحه ١٥١] ورابع عشرها أنه لاصفة له زائدة على ذاته ونعني بالصفة ذاتا موجودة قائمة بذاته و ذلك لأن من أثبت هذه الصفة له فقد حده و من حده فقد عده و من عده فقد أبطل أزله و هذاكلام غامض وتفسيره أن من أثبت له علما قديما أوقدرة قديمة فقد أوجب أن يعلم بذلك العلم معلومات محدودة أي محصورة وكذلك قدأوجب أن يقدر بتلك القدرة على مقدورات محدودة و هذه المقدمة في كتب أصحابنا المتكلمين مما يذكرونه في تقرير أن العلم الواحد لايتعلق بمعلومين و أن القدرة الواحدة لايمكن أن تتعلق في الوقت الواحد من الجنس الواحد في المحل الواحد إلابجزء واحد وسواء فرض هذان المعنيان قديمين أومحدثين فإن هذاالحكم لازم لهما فقد ثبت أن من أثبت المعاني القديمة فقد أثبت البارئ تعالى محدود العالمية والقادرية و من قال بذلك فقد عده أي جعله من جملة الجثة المعدودة فيما بيننا كسائر البشر والحيوانات و من قال بذلك فقد أبطل أزله لأن كل ذات مماثلة لهذه الذوات المحدثة فإنها محدثة مثلها والمحدث لا يكون أزليا. وخامس عشرها أن من قال كيف فقد استوصفه أي من قال لزيد كيف الله فقد استدعى أن يوصف الله بكيفية من الكيفيات والبارئ تعالى لاتجوز الكيفيات عليه والكيفيات هي الألوان والطعوم ونحوها والأشكال والمعاني و مايجرى مجرى ذلك و كل هذا لايجوز إلا على الأجسام . فإن قلت ينبغي أن يقول فقد وصفه و لايقال فقد استوصفه لأن السائل لم يستوصف الله وإنما استوصف صاحبه ألذى سأله عن كيفية الله . قلت استوصف هاهنا بمعنى وصف كقولك استغنى زيد عن عمرو أي غني عنه واستعلى عليه أي علا ومثله كثير. وسادس عشرها أن من قال أين فقد حيزه لأن أين سؤال عن المكان و ليس الله تعالى في مكان ويأتي أنه في كل مكان بمعنى العلم والإحاطة. [صفحه ١٥٢] وسابع عشرها أنه عالم إذ لامعلوم ورب إذ لامربوب وقادر إذ لامقدور و كل هذاصحيح ومدلول عليه لأنه عالم فيما لم يزل و ليس شيء من الأشياء بموجود و هورب كل شيءقبل أن يخلقه كماتقول أنه سميع بصير قبل أن يدرك المسموعات والمبصرات أي قبل أن يخلقها وقادر على الأشياء قبل كونها لأنه يستحيل حال كونها أن تكون مقدوره لاستحالة إيجاد الموجود. و قدشرحنا كل هذه المسائل التوحيدية في كتبنا المصنفة في علم الكلام مِنهَا قَد طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لَامِعٌ وَ لَاحَ لَائِحٌ وَ اعتَدَلَ مَائِلٌ وَ استَبدَلَ اللّهُ بِقَومٍ قَوماً وَ بِيَومٍ يَوماً وَ انتَظَرنَا الغِيَرَ انتِظَارَ المُجدِبِ المَطَرَ وَ إِنّمَا الأَئِمّةُ قُوّامُ اللّهِ عَلَى خَلقِهِ وَ عُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ وَ لَا يَدخُلُ الجَنّةَ إِلّا مَن عَرَفَهُم وَ عَرَفُوهُ وَ لَا يَدخُلُ النّارَ إِلّا مَن أَنكَرَهُم وَ أَنكَرُوهُ إِنّ اللّهَ تَعَالَى خَصّكُم بِالإِسلَامِ وَ استَخلَصَكُم لَهُ وَ ذَلِكَ لِأَنّهُ اسمُ سَلَامَةٍ وَ جِمَاعُ كَرَامَةٍ اصطَفَى اللّهُ تَعَالَى مَنهَجَهُ وَ بَيّنَ حُجَجَهُ مِن ظَاهِرِ عِلمٍ وَ بَاطِنِ حُكمٍ لَا تَفنَى غَرَائِبُهُ وَ لَا تَنقَضِي عَجَائِبُهُ فِيهِ مَرَابِيعُ النّعَمِ وَ مَصَابِيحُ الظّلَمِ لَا تُفتَحُ الخَيرَاتُ إِلّا بِمَفَاتِيحِهِ وَ لَا تُكشَفُ الظّلُمَاتُ إِلّا بِمَصَابِيحِهِ قَد أَحمَى حِمَاهُ وَ أَرعَى مَرعَاهُ فِيهِ شِفَاءُ المُشتَفِي وَ كِفَايَةُ المُكتَفِي [صفحه ١٥٣] هذه خطبة خطب بها بعدقتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه . قدطلع طالع يعني عود الخلافة إليه وكذلك قوله ولمع لامع ولاح لائح كل هذايراد به معنى واحد. واعتدل مائل إشارة إلى ماكانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان واستبدل الله بعثمان وشيعته عليا وشيعته وبأيام ذاك أيام هذا. ثم قال وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر و هذاالكلام يدل على أنه قد كان يتربص بعثمان الدوائر ويرتقب حلول الخطوب بساحته ليلي الخلافة. فإن قلت أ ليس هو ألذى طلق الدنيا فأين هذاالقول من طلاقها قلت إنه طلق الدنيا أن يقبل منها حظا دنيويا و لم يطلقها أن ينهى فيها عن المنكرات التي أمره الله تعالى بالنهي عنها ويقيم فيهاالدين ألذى أمره الله بإقامته و لاسبيل له إلى النهي عن المنكر والأمر بالمعروف إلابولاية الخلافة

عقيدة علي في عثمان ورأي المعتزلة في ذلك

فإن قلت أيجوز على مذهب المعتزلة أن يقال إنه ع كان ينتظر قتل عثمان انتظار المجدب المطر وهل هذا إلامحض مذهب الشيعة. قلت إنه ع لم يقل وانتظرنا قتله وإنما انتظر الغير فيجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة فإن عليا ع عندأصحابنا كان يذهب إلى أن عثمان استحق الخلع بإحداثه و لم يستحق القتل و هذاالكلام إذاحمل على انتظار الخلع كان موافقا لمذهب أصحابنا. [صفحه ۱۵۴] فإن قلت أتقول المعتزلة إن عليا كان يذهب إلى فسق عثمان المستوجب لأجله الخلع قلت كلا حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك وإنما تقول إن عليا كان يرى أن عثمان يضعف عن تدبير الخلافة و أن أهله غلبوا عليه واستبدوا بالأمر دونه واستعجزه المسلمون واستسقطوا رأيه فصار حكمه حكم الإمام إذاعمى أوأسره العدو فإنه ينخلع من الإمامة. ثم قال ع الأئمة قوام الله على خلقه أي يقومون بمصالحهم وقيم المنزل هوالمدبر له . قال وعرفاؤه على عباده جمع عريف و هوالنقيب والرئيس يقال عرف فلان بالضم عرافة بالفتح مثل خطب خطابة أى صار عريفا و إذاأردت أنه عمل ذلك قلت عرف فلان علينا سنين يعرف عرافة بالكسر مثل كتب يكتب كتابة. قال و لايدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه و لايدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه هذاإشارة إلى قوله تعالى يَومَ نَدعُوا كُلّ أُناسٍ بِإِمامِهِم قال المفسرون ينادى فى الموقف ياأتباع فلان و ياأصحاب فلان فينادى كل قوم باسم إمامهم يقول أمير المؤمنين ع لايدخل الجنة يومئذ إلا من كان فى الدنيا عارفا بإمامه و من يعرفه إمامه فى الآخرة فإن الأئمة تعرف أتباعها يوم القيامة و إن لم يكونوا رأوهم فى الدنيا كما أن النبى ص يشهد للمسلمين وعليهم و إن لم يكن رأى أكثرهم قال سبحانه فَكَيفَ إِذا جِئنا مِن كُلّ أُمّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً و -قرآن-۴۱۸-۴۵۴-قرآن-۸۰۸-۸۸۷ جاء فى الخبر -روايت-۱-۲ [صفحه ۱۵۵] المرفوع من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية -روايت-۱۲-۴۹ وأصحابنا كافة قائلون بصحة هذه القضية وهى أنه لايدخل الجنة إلا من عرف الأئمة أ لاترى أنهم يقولون الأئمة بعد رسول الله ص فلان وفلان ويعدونهم واحدا واحدا فلو أن إنسانا لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقا والفاسق لايدخل الجنة عندهم أبدا أعنى من مات على فسقه فقد ثبت أن هذه القضية وهى قوله ع لايدخل الجنة إلا من عرفهم قضية صحيحة على مذهب المعتزلة و ليس قوله وعرفوه بمنكر عندأصحابنا إذافسرنا قوله تعالى يَومَ نَدعُوا كُلّ أُناسٍ بِإِمامِهِم على ما هوالأظهر والأشهر من التفسيرات و هو ماذكرناه . وبقيت القضية الثانية ففيها الإشكال وهى قوله ع و لايدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه و ذلك أن لقائل أن يقول قديدخل النار من لم ينكرهم مثل أن يكون إنسان يعتقد صحة إمامة القوم الذين يذهب أنهم أئمة عندالمعتزلة ثم يزنى أويشرب الخمر من غيرتوبة فإنه يدخل النار و ليس بمنكر للأئمة فكيف يمكن الجمع بين هذه القضية و بين الاعتزال فالجواب أن الواو فى قوله وأنكروه بمعنى أو كما فى قوله تعالى فَانكِحُوا ما طابَ لَكُم مِنَ النّساءِ مَثنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَفالإنسان المفروض فى السؤال و إن كان لاينكر الأئمة إلاأنهم ينكرونه أى يسخطون يوم القيامة أفعاله يقال أنكرت فعل فلان أى كرهته فهذا هوتأويل الكلام على مذهبنا فأما الإمامية فإنهم يحملون ذلك على تأويل آخر ويفسرون قوله و لايدخل النار فيقولون أراد و لايدخل النار دخولا مؤبدا إلا من ينكرهم وينكرونه . -قرآن-۴۲۷-۴۶۳-قرآن-۹۳۷-۱۰۰۰ [صفحه ۱۵۶] ثم ذكر ع شرف الإسلام و قال إنه مشتق من السلامة وإنه جامع للكرامة و إن الله قد بين حججه أى الأدلة على صحته . ثم بين ما هذه الأدلة فقال من ظاهر علم وباطن حكم أى حكمه من هاهنا للتبيين والتفسير كماتقول دفعت إليه سلاحا من سيف ورمح وسهم ويعنى بظاهر علم وباطن حكم والقرآن أ لاتراه كيف أتى بعده بصفات ونعوت لاتكون إلاللقرآن من قوله لاتفنى عزائمه أى آياته المحكمة وبراهينه العازمة أى القاطعة و لاتنقضى عجائبه لأنه مهما تأمله الإنسان استخرج منه بفكر غرائب عجائب لم تكن عنده من قبل . فيه مرابيع النعم المرابيع الأمطار التى تجىء فى أول الربيع فتكون سببا لظهور الكلأ وكذلك تدبر القرآن سبب للنعم الدينية وحصولها. قوله قدأحمى حماه وأرعى مرعاه الضمير فى أحمى يرجع إلى الله تعالى أى قدأحمى الله حماه أى عرضه لأن يحمى كماتقول أقتلت الرجل أى عرضته لأن يقتل و أضربته أى عرضته لأن يضرب أى قدعرض الله تعالى حمى القرآن ومحارمه لأن

يجتنب ومكن منهـا وعرض مرعـاه لأـن يرعى أى مكن من الانتفاع بما فيه من الزواجر والمواعظ لأنه خاطبنا بلسان عربى مبين و لم يقنع ببيان ما لانعلم إلابالشرع حتى نبه فى أكثره على أدلة العقل [صفحه ١٥٧]

١٥٣– و من خطبة له ع

وَ هُوَ فِي مُهلَةٍ مِنَ اللّهِ يهَويِ مَعَ الغَافِلِينَ وَ يَغدُو مَعَ المُذنِبِينَ بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ وَ لَا إِمَامٍ قَائِدٍ يصف إنسانا من أهل الضـلال غيرمعين بـل كمـاتقول رحم الله امرأ اتقى ربه وخـاف ذنبه وبئس الرجـل رجـل قـل حيـاؤه وعـدم وفاؤه ولست تعنى رجلا بعينه . ويهوى يسـقط والسبيـل القاصـد الطريق المؤديـة إلى المطلوب . والإمام إما الخليفـة وإما الأسـتاذ أوالـدين أوالكتاب على كل من هؤلاء تطلق هذه اللفظة مِنهَا حَتّى إِذَا كَشَفَ لَهُم عَن جَزَاءِ مَعصِيَتِهِم وَ استَخرَجَهُم مِن جَلَابِيبِ غَفلَتِهِم استَقبَلُوا مُدبِراً وَ استَدبَرُوا مُقبِلًا فَلَم يَنتَفِعُوا بِمَا أَدرَكُوا مِن طَلِبَتِهِم وَ لَا بِمَا قَضَوا مِن وَطَرِهِم [صـفحه ١٥٨] وَ إِنّيِ أُحَذّرُكُم وَ نَفسـِي هَذِهِ المَنزِلَةَ فَليَنتَفِعِ امرُؤٌ بِنَفسِهِ فَإِنّمَا البَصِيرُ مَن سَمِعَ فَتَفَكّرَ وَ نَظَرَ فَأَبصَرَ وَ انتَفَعَ بِالعِبَرِ ثُمّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً يَتَجَنّبُ فِيهِ الصّرعَةَ فِي المهَاَويِ وَ الضّلَالَ فِي المغَاَويِ وَ لَا يُعِينُ عَلَى نَفسِهِ الغُوَاةَ بِتَعَسّفٍ فِي حَقّ أَو تَحرِيفٍ فِي نُطقٍ أَو تَخَوّفٍ مِن صِدقٍ فَأَفِق أَيّهَا السّامِعُ مِن سَكرَتِكَ وَ استَيقِظ مِن غَفلَتِكَ وَ اختَصِر مِن عَجَلَتِكَ وَ أَنعِمِ الفِكرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النّبِيّ الأمُيّّ ص مِمّا لَا بُدّ مِنهُ وَ لَا مَحِيصَ عَنهُ وَ خَالِف مَن خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيرِهِ وَ دَعهُ وَ مَا رضَيِ َ لِنَفسِهِ وَ ضَع فَخرَكَ وَ احطُط كِبرَكَ وَ اذكُر قَبرَكَ فَإِنّ عَلَيهِ مَمَرّكَ وَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَ كَمَا تَزرَعُ تَحصُدُ وَ مَا قَدّمتَ اليَومَ تَقدَمُ عَلَيهِ غَداً فَامهَد لِقَدَمِكَ وَ قَدّم لِيَومِكَ فَالحَذَرَ الحَذَرَ أَيّهَا المُستَمِعُ وَ الجِدّ الجِدّ أَيّهَا الغَافِلُوَ لا يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبِيرٍ –قرآن–٩٣٤–٩٦٣ فاعل كشف هو الله تعالى و قد كان سبق ذكره فى الكلام وإنما كشـف لهم عن جزاء معصيتهم بما أراهم حال الموت من دلائل الشقوة والعذاب فقد ورد فى الخبر الصحيح أنه لايموت ميت حتى يرى مقره من جنة أونار –روايت–١–٢–روايت–٢٧–٧٤ . و لماانفتحت أعين أبصارهم عندمفارقة الدنيا سـمى ذلك ع استخراجا لهم من جلابيب غفلتهم كـأنهم كـانوا من الغفلـة والـذهول فى لباس نزع عنهم . قال استقبلوا مـدبرا أى استقبلوا أمرا كان فى ظنهم واعتقادهم مدبرا عنهم و هوالشقاء والعذاب واستدبروا مقبلا تركوا وراء ظهورهم ماكانوا خولوه من الأولاد والأموال والنعم و فى قوة هذاالكلام أن يقول عرفوا ماأنكروه وأنكروا ماعرفوه [صفحه ١٥٩] وروى أحذركم ونفسى هذه المزلة مفعلة من الزلل و فى قوله ونفسـى لطافـة رشـيقة و ذلك لأنه طيب قلوبهم بأن جعل نفسه شـريكة لهم فى هذاالتحذير ليكونوا إلى الانقياد أقرب و عن الإبـاء والنفرة أبعـد بطريق جـدد لاـحب . والمهـاوى جمع مهواة وهى الهوة يتردى فيهـا. والمغاوى جمع مغواة وهى الشـبهة التى يغوى بها الناس أى يضـلون .يصف الأمور التى يعين بهاالإنسان أرباب الضـلال على نفسه وهى أن يتعسف فى حق يقوله أويأمر به فإن الرفق أنجح و أن يحرف المنطق فإن الكذب لايثمر خيرا و أن يتخوف من الصدق فى ذات الله قال سـبحانه إِذا فَرِيقٌ مِنهُم يَخشَونَ النّاسَ كَخَشيَةِ اللّهِفذم من لايصدق ويجاهد فى الحق . قوله واختصر من عجلتك أى لاتكن عجلتك كثيرة بل إذاكانت لك عجلـة فلتكن شـيئا يسيرا. وتقول أنعمت النظر فى كـذا أى دققته من قولك أنعمت سـحق الحجر وقيل إنه مقلوب أمعن . و النبى الأـمى إما ألـذى لايحسن الكتابـة أوالمنسوب إلى أم القرى وهى مكـة. و لامحيص عنه لامفر و لامهرب حاص أى تخلص من أمر كـان شب فيه . قـوله فـإن عليه ممرك أى ليس القـبر بـدار مقـام وإنمـا هـوممر وطريق إلى الآـخرة. –قرآن–٥٣٦–٥٨٨ [صفحه ١٦٠] و كماتـدين تـدان أى كماتجـازى غيرك تجازى بفعلك وبحسب مـاعملت و منه قوله سـبحانه إِنّا لَمَدِينُونَ أى مجزيون و منه الديان فى صـفة الله تعالى . قوله و كماتزرع تحصد معنى قدقاله الناس بعده كثيرا قال الشاعر –قرآن–٨٧–١٠٤ إذا أنت لم تزرع وأدركت حاصدا || ندمت على التقصير فى زمن البذر . و من أمثالهم من زرع شرا حصد ندما.فامهد لنفسك أى

سو ووطئ .وَ لا یُنَبِّئُکَ مِثلُ خَبِیرٍ من القرآن العزیز أی و لایخبرک بالأمور أحد علی حقائقها کالعارف بهاالعالم بکنهها –قرآن–۶۳–۹۲ إِنّ مِن عَزَائِمِ اللّهِ فِی الذّکرِ الحَکِیمِ التّیِ عَلَیهَا یُثِیبُ وَ یُعَاقِبُ وَ لَهَا یَرضَی وَ یَسخَطُ أَنّهُ لَا یَنفَعُ عَبداً وَ إِن أَجهَدَ نَفسَهُ وَ أَخلَصَ فِعلَهُ أَن یَخرُجَ مِنَ الدّنیَا لَاقِیاً رَبّهُ بِخَصلَةٍ مِن هَذِهِ الخِصَالِ لَم یَتُب مِنهَا أَن یُشرِکَ بِاللّهِ فِیمَا افتَرَضَ عَلَیهِ مِن عِبَادَتِهِ أَو یَشفِیَ غَیظَهُ بِهَلَاکِ نَفسٍ أَو یَعُرّ بِأَمرٍ فَعَلَهُ غَیرُهُ أَو یَستَنجِحَ حَاجَةً إِلَی النّاسِ بِإِظهَارِ بِدعَةٍ فِی دِینِهِ أَو یَلقَی النّاسَ بِوَجهَینِ أَو یَمشِیَ فِیهِم بِلِسَانَینِ اعقِل ذَلِکَ فَإِنّ المِثلَ دَلِیلٌ عَلَی شِبهِهِ إِنّ البَهَائِمَ هَمّهَا بُطُونُهَا وَ إِنّ السّبَاعَ هَمّهَا العُدوَانُ عَلَی غَیرِهَا وَ إِنّ النّسَاءَ هَمّهُنّ زِینَةُ الحَیَاةِ الدّنیَا وَ الفَسَادُ فِیهَا إِنّ المُؤمِنِینَ مُستَکِینُونَ إِنّ المُؤمِنِینَ مُشفِقُونَ إِنّ المُؤمِنِینَ خَائِفُونَ [صفحه ۱۶۱] عزائم الله هی موجباته والأمر المقطوع علیه ألذی لاریب فیه و لاشبهة قال ع إن من الأمور التی نص الله تعالی علیها نصا لایحتمل التأویل وهی من العزائم التی یقطع بها و لارجوع فیها و لانسخ لها أن من مات و هو علی ذنب من هذه الذنوب المذکورة و لواکتفی بذلک ع لأغناه عن قوله لم یتب إلا أنه ذکر ذلک تأکیدا وزیادة فی الإیضاح فإنه لاینفعه فعل شیء من الأفعال الحسنة و لاالواجبة و لاتفیده العبادة و لوأجهد نفسه فیهابل یکون من أهل النار والذنوب المذکورة هی أن یتخذ مع الله إلها آخر فیشرکه فی العبادة أویقتل إنسانا بغیر حق بل لیشفی غیظه أویقذف غیره بأمر قدفعله هو.عره بکذا یعره عرا أی عابه ولطخه أویروم بلوغ حاجة من أحد بإظهار بدعة فی الدین کمایفعل أکثر الناس فی زماننا أو یکون ذا وجهین و هوأیضا قوله أویمشی فیهم بلسانین وإنما أعاده تأکیدا. لمانصب معاویة ابنه یزید لولایة العهد أقعده فی قبة حمراء وأدخل الناس یسلمون علی معاویة ثم یمیلون إلی قبة یزید فیسلمون علیه بولایة العهد حتی جاء رجل ففعل ذلک ثم رجع إلی معاویة فقال یا أمیر المؤمنین أماإنک لو لم تول هذاأمور المسلمین لأضعتها و کان الأحنف جالسا فلما خف الناس قال معاویة مابالک لاتقول یا أبابحر قال أخاف الله إن کذبتک وأخافک إن صدقتک فما ذا أقول فقال جزاک الله عن الطاعة خیرا وأمر له بصلة جزیلة فلما خرج لقیه ذلک الرجل بالباب فقال یا أبابحر إنی لأعلم أن شر من خلق الله هذا الرجل ولکن هؤلاء [صفحه ۱۶۲] قداستوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلسنا نطمع فی استخراجها إلابما سمعت فقال یا هذاأمسک علیک فإن ذا الوجهین خلیق ألا یکون وجیها عند الله غدا. ثم أمر ع بأن یعقل ماقاله ویعلم باطن خطابه وإنما رمز بباطن هذاالکلام إلی الرؤساء یوم الجمل لأنهم حاولوا أن یشفوا غیظهم بإهلاکه وإهلاک غیره من المسلمین وعروه ع بأمر هم فعلوه و هوالتألیب علی عثمان وحصره واستنجحوا حاجتهم إلی أهل البصرة بإظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهین ولسانین لأنهم بایعوه وأظهروا الرضا به ثم دبوا له الخمر فجعل ذنوبهم هذه مماثلة للشرک بالله سبحانه فی أنها لاتغفر إلابالتوبة و هذا هومعنی قوله اعقل ذلک فإن المثل دلیل علی شبهه وروی فإن المثل واحد الأمثال أی هذاالحکم بعدم المغفرة لمن أتی شیئا من هذه الأشیاء عام والواحد منها دلیل علی مایماثله ویشابهه . فإن قلت فهذا تصریح بمذهب الإمامیة فی طلحة والزبیر وعائشة. قلت کلا فإن هذه الخطبة خطب بها و هوسائر إلی البصرة و لم تقع الحرب إلا بعدتعدد الکبائر ورمز فیها إلی المذکورین و قال إن لم یتوبوا و قدثبت أنهم تابوا والأخبار عنهم بالتوبة کثیرة مستفیضة. ثم أراد ع أن یومئ إلی ذکر النساء للحال التی کان وقع إلیها من استنجاد أعدائه بامرأة فذکر قبل ذکر النساء أنواعا من الحیوان تمهیدا لقاعدة ذکر النساء فقال إن البهائم همها بطونها کالحمر والبقر والإبل والغنم و إن السباع همها العدوان [صفحه ۱۶۳] علی غیرها کالأسود الضاریة والنمور والفهود والبزاة والصقور ثم قال و إن النساء همهن زینة الحیاة الدنیا والفساد فیها.نظر حکیم إلی امرأة مصلوبة علی شجرة فقال لیت کل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة. ومرت امرأة بسقراط و هویتشرق فی الشمس فقالت ماأقبحک أیها الشیخ فقال لوأنکن من المرائی الصدئة لغمنی مابان من قبح صورتی فیکن . ورأی حکیم امرأة تعلم الکتابة فقال سهم یسقی سما لیرمی به یوما ما. ورأی بعضهم جاریة تحمل نارا فقال نار علی نار والحامل شر من المحمول . وقیل لسقراط أی السباع أحسن قال المرأة. وتزوج بعضهم امرأة نحیفة فقیل له فی ذلک فقال اخترت من الشر أقله . ورأی بعض

الحكماء امرأة غريقة قداحتملها السيل فقال زادت الكدر كدرا والشر بالشر يهلك . ثم ذكر ع خصائص المؤمن فقال إن المؤمنين مستكينون استكان الرجل أى خضع وذل . إن المؤمنين مشفقون التقوى رأس الإيمان كماورد فى الخبر. ثم قال إن المؤمنين خائفون هوالأول وإنما أكده والتأكيد مطلوب فى باب الخطابة [صفحه ۱۶۴]

۱۵۴– و من خطبة له ع

اشاره

وَ نَاظِرُ قَلبِ اللّبِيبِ بِهِ يُبصِرُ أَمَدَهُ وَ يَعرِفُ غَورَهُ وَ نَجدَهُ دَاعٍ دَعَا وَ رَاعٍ رَعَى فَاستَجِيبُوا لِلدّاعِي وَ اتّبِعُوا الرّاعِيَ يقول إن قلب اللبيب له عين يبصر بهاغايته التى يجرى إليها ويعرف من أحواله المستقبلة ما كان مرتفعا أومنخفضا ساقطا والنجد المرتفع من الأرض و منه قولهم للعالم بالأمور طلاع أنجد. ثم قال داع دعا موضع داع رفع لأنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فى الوجود داع دعا وراع رعى ويعنى بالداعى رسول الله ص وبالراعى نفسه ع قَد خَاضُوا بِحَارَ الفِتَنِ وَ أَخَذُوا بِالبِدَعِ دُونَ السّنَنِ وَ أَرَزَ المُؤمِنُونَ وَ نَطَقَ الضّالّونَ المُكَذّبُونَ نَحنُ الشّعَارُ وَ الأَصحَابُ وَ الخَزَنَةُ وَ الأَبوَابُ وَ لَا تُؤتَى البُيُوتُ إِلّا مِن أَبوَابِهَا فَمَن أَتَاهَا مِن غَيرِ أَبوَابِهَا سُمّيَ سَارِقاً [صفحه ۱۶۵] هذاكلام متصل بكلام لم يحكه الرضى رحمه الله و هوذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ فى ذمهم ونعى عليهم عيوبهم . وأرز المؤمنون أى انقبضوا والمضارع يأرز بالكسر أرزا وأروزا و رجل أروز أى منقبض و فى الحديث إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كماتأرز الحية إلى جحرها –روايت–۱–۲–روايت–۱۴–۶۹ أى ينضم إليها ويجتمع . ثم قال نحن الشعار والأصحاب يشير إلى نفسه و هوأبدا يأتى بلفظ الجمع ومراده الواحد. والشعار مايلى الجسد من الثياب فهو أقرب من سائرها إليه ومراده الاختصاص برسول الله ص . والخزنة والأبواب يمكن أن يعنى به خزنة العلم وأبواب العلم لقول رسول الله ص أنامدينة العلم و على بابها فمن أراد الحكمة فليأت الباب –روايت–۱–۲–روايت–۲۳–۸۳ . و قوله فيه خازن علمى و قال تارة أخرى عيبة علمى ويمكن أن يريد خزنة الجنة وأبواب الجنة أى لايدخل الجنة إلا من وافى بولايتنا فقد جاء فى حقه الخبر الشائع المستفيض أنه قسيم النار والجنة وذكر أبوعبيد الهروى فى الجمع بين الغريبين أن قوما من أئمة العربية فسروه فقالوا لأنه لما كان محبه من أهل الجنة ومبغضه من أهل النار كأنه بهذا الاعتبار قسيم النار والجنة قال أبوعبيد و قال غيرهؤلاء بل هوقسيمها بنفسه فى الحقيقة يدخل قوما إلى الجنة وقوما إلى النار و هذا ألذى ذكره أبوعبيد أخيرا هو مايطابق الأخبار الواردة فيه يقول للنار هذا لى فدعيه و هذا لك فخذيه . ثم ذكر أن البيوت لاتؤتى إلا من أبوابها قال الله تعالى وَ لَيسَ البِرّ بِأَن تَأتُوا –قرآن–۶۳۷–۶۶۵ . و قوله فيه خازن علمى و قال تارة أخرى عيبة علمى ويمكن أن يريد خزنة الجنة وأبواب الجنة أى لايدخل الجنة إلا من وافى بولايتنا فقد جاء فى حقه الخبر الشائع المستفيض أنه قسيم النار والجنة وذكر أبوعبيد الهروى فى الجمع بين الغريبين أن قوما من أئمة العربية فسروه فقالوا لأنه لما كان محبه من أهل الجنة ومبغضه من أهل النار كأنه بهذا الاعتبار قسيم النار والجنة قال أبوعبيد و قال غيرهؤلاء بل هوقسيمها بنفسه فى الحقيقة يدخل قوما إلى الجنة وقوما إلى النار و هذا ألذى ذكره أبوعبيد أخيرا هو مايطابق الأخبار الواردة فيه يقول للنار هذا لى فدعيه و هذا لك فخذيه . ثم ذكر أن البيوت لاتؤتى إلا من أبوابها قال الله تعالى وَ لَيسَ البِرّ بِأَن تَأتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِها وَ لكِنّ البِرّ مَنِ اتّقى وَ أتُوا البُيُوتَ مِن أَبوابِها. ثم قال من أتاها من غيرأبوابها سمى سارقا و هذاحق ظاهرا وباطنا أماالظاهر فلأن من يتسور البيوت من غيرأبوابها هوالسارق و أماالباطن فلأن من طلب العلم من غيرأستاذ محقق فلم يأته من بابه فهو أشبه شيءبالسارق –قرآن–۱–۸۴

ذكر الأحاديث والأخبار الواردة فى فضائل على

واعلم أن أمير المؤمنين ع لوفخر بنفسه وبالغ فى تعديد مناقبه وفضائله بفصاحته التى آتاه الله تعالى إياها واختصه بها وساعده على ذلك فصحاء العرب كافة لم يبلغوا إلى معشار مانطق به الرسول الصادق ص فى أمره ولست أعنى بذلك الأخبار العامة الشائعة التى يحتج بهاالإمامية على إمامته كخبر الغدير والمنزلة وقصة براءة وخبر المناجاة وقصة خيبر وخبر الدار بمكة فى ابتداء الدعوة ونحو ذلك بل الأخبار الخاصة التى رواها فيه أئمة الحديث التى لم يحصل أقل القليل منها لغيره و أناأذكر من ذلك شيئا يسيرا مما رواه علماء الحديث الذين لايتهمون فيه وجلهم قائلون بتفضيل غيره عليه فروايتهم فضائله توجب من سكون النفس ما لايوجبه رواية غيرهم . الخبر الأول يا على إن الله قدزينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها هى زينة الأبرار عند الله تعالى الزهد فى الدنيا جعلك لاترزأ من الدنيا شيئا و لاترزأ الدنيا منك شيئا ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۲۵۴ [صفحه ۱۶۷] رواه أبونعيم الحافظ فى كتابه المعروف ب حلية الأولياء وزاد فيه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى المسند فطوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۷-۱۶۵ الخبر الثانى قال لوفد ثقيف لتسلمن أولأبعثن إليكم رجلاـ منى أو قال عديل نفسى فليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن أموالكم قال عمر فما تمنيت الإمارة إلايومئذ وجعلت أنصب له صدرى رجاء أن يقول هو هذافالتفت فأخذ بيد على و قال هو هذامرتين -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۲۶۱ .رواه أحمد فى المسند و رواه فى كتاب فضائل على ع أنه قال لتنتهن يابنى وليعة أولأبعثن إليكم رجلا كنفسى يمضى فيكم أمرى يقتل المقاتلة ويسبى الذرية -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-۱۳۹ قال أبوذر فما راعنى إلابرد كف عمر فى حجزتى من خلفى يقول من تراه يعنى فقلت إنه لايعنيك وإنما يعنى خاصف النعل وإنه قال هو هذا -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۱۴۳ الخبر الثالث إن الله عهد إلى فى على عهدا فقلت يارب بينه لى قال اسمع إن عليا راية الهدى وإمام أوليائى ونور من أطاعنى و هوالكلمة التى ألزمتها المتقين من أحبه فقد أحبنى و من أطاعه فقد أطاعنى فبشره بذلك فقلت قدبشرته يارب فقال أنا عبد الله و فى قبضته فإن يعذبنى فبذنوبى لم يظلم شيئا و إن يتم لى ماوعدنى فهو أولى و قددعوت له فقلت أللهم اجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان بك قال قدفعلت ذلك غيرأنى مختصه بشىء من البلاء لم أختص به أحدا من أوليائى فقلت رب أخى وصاحبى قال إنه سبق فى علمى أنه لمبتل ومبتلى -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۵۵۰ [صفحه ۱۶۸] ذكره أبونعيم الحافظ فى حلية الأولياء عن أبى برزة الأسلمى ثم رواه بإسناد آخر بلفظ آخر عن أنس بن مالك أن رب العالمين عهد فى على إلى عهدا أنه راية الهدى ومنار الإيمان وإمام أوليائى ونور جميع من أطاعنى إن عليا أمينى غدا فى القيامة وصاحب رايتى بيد على مفاتيح خزائن رحمة ربى -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۹-۲۹۵ الخبر الرابع من أراد أن ينظر إلى نوح فى عزمه و إلى آدم فى علمه و إلى ابراهيم فى حلمه و إلى موسى فى فطنته و إلى عيسى فى زهده فلينظر إلى على بن أبى طالب -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۱۷۱ رواه أحمد بن حنبل فى المسند ورواه أحمدالبيهقى فى صحيحه الخبر الخامس من سره أن يحيا حياتى ويموت ميتتى ويتمسك بالقضيب من الياقوتة التى خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها كونى فكانت فليتمسك بولاء على بن أبى طالب -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۱۷۲ ذكره أبونعيم الحافظ فى كتاب حلية الأولياء ورواه أبو عبد الله بن حنبل فى المسند فى كتاب فضائل على بن أبى طالب وحكاية لفظ أحمدرضى الله عنه من أحب أن يتمسك بالقضيب الأحمر ألذى غرسه الله فى جنة عدن بيمينه فليتمسك بحب على بن أبى طالب -روايت-۱-۲-روايت-۱۵۳-۲۵۸ الخبر السادس و ألذى نفسى بيده لو لاـ أن تقول طوائف من أمتى فيك ماقالت النصارى فى ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاـ لاـنمر بملإـ من المسلمين إلاأخذوا التراب من تحت قدميك للبركة -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۱۹۰ ذكره أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى المسند الخبر

السابع خرج ص على الحجيج عشية عرفة فقال لهم إن الله قد -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-ادامه دارد [صفحه ۱۶۹] باهى بكم الملائكة عامة وغفر لكم عامة وباهى بعلى خاصة وغفر له خاصة إنى قائل لكم قولا غيرمحاب فيه لقرابتى إن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا فى حياته و بعدموته -روايت-از قبل-۱۸۱ رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى كتاب فضائل على ع و فى المسند أيضا الخبر الثامن رواه أبو عبد الله أحمد بن حنبل فى الكتابين المذكورين أناأول من يدعى به يوم القيامة فأقوم عن يمين العرش فى ظله ثم أكسى حلة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون عن يمين العرش ويكسون حللا ثم يدعى بعلى بن أبى طالب لقرابته منى ومنزلته عندى ويدفع إليه لوائى لواء الحمد آدم و من دونه تحت ذلك اللواء ثم قال لعلى فتسير به حتى تقف بينى و بين ابراهيم الخليل ثم تكسى حلة وينادى مناد من العرش نعم العبد أبوك ابراهيم ونعم الأخ أخوك على أبشر فإنك تدعى إذادعيت وتكسى إذاكسيت وتحيا إذاحييت -روايت-۱-۲-روايت-۷۴-۵۵۲ الخبر التاسع ياأنس اسكب لى وضوءا ثم قام فصلى ركعتين ثم قال أول من يدخل عليك من هذاالباب إمام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين وقائد الغر المحجلين قال أنس فقلت أللهم اجعله رجلا من الأنصار وكتبت دعوتى فجاء على فقال ص من جاء ياأنس فقلت على فقام إليه مستبشرا فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه فقال على يا رسول الله صلى الله عليك وآلك لقد رأيت منك اليوم تصنع بى شيئا ماصنعته بى قبل قال و مايمنعنى و أنت تؤدى عنى وتسمعهم صوتى وتبين لهم مااختلفوا فيه بعدى رواه أبونعيم الحافظ فى حلية الأولياء -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۵۶۱ [صفحه ۱۷۰] الخبر العاشر ادعوا لى سيد العرب عليا فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال أناسيد ولد آدم و على سيد العرب فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال لهم يامعشر الأنصار أ لاأدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا قالوا بلى يا رسول الله قال هذا على فأحبوه بحبى وأكرموه بكرامتى فإن جبرائيل أمرنى بالذى قلت لكم عن الله عز و جل -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۳۴۲ رواه الحافظ أبونعيم فى حلية الأولياء الخبر الحادى عشر مرحبا بسيد المؤمنين وإمام المتقين فقيل لعلى ع كيف شكرك فقال أحمد الله على ماآتانى وأسأله الشكر على ماأولانى و أن يزيدنى مما أعطانى -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۶۷ الخبر الثانى عشر من سره أن يحيا حياتى ويموت مماتى ويسكن جنة عدن التى غرسها ربى فليوال عليا من بعدى وليوال وليه وليقتد بالأئمة من بعدى فإنهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهما وعلما فويل للمكذبين من أمتى القاطعين فيهم صلتى لاأنالهم الله شفاعتى -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۲۶۹ الخبر الثالث عشربعث رسول الله ص خالد بن الوليد فى سرية وبعث عليا ع فى سرية أخرى وكلاهما إلى اليمن و قال إن اجتمعتما فعلى على الناس و إن افترقتما فكل واحد منكما على جنده فاجتمعا وأغارا وسبيا نساء وأخذا أموالا وقتلا ناسا وأخذ على جارية فاختصها لنفسه فقال خالد لأربعة من المسلمين منهم بريدة الأسلمى اسبقوا إلى رسول الله ص فاذكروا له كذا واذكروا -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-ادامه دارد [صفحه ۱۷۱] له كذا لأمور عددها على على فسبقوا إليه فجاء واحد من جانبه فقال إن عليا فعل كذا فأعرض عنه فجاء الآخر من الجانب الآخر فقال إن عليا فعل كذا فأعرض عنه فجاء بريدة الأسلمى فقال يا رسول الله إن عليا فعل ذلك فأخذ جارية لنفسه فغضب ص حتى احمر وجهه و قال دعوا لى عليا يكررها إن عليا منى و أنا من على و إن حظه فى الخمس أكثر مما أخذ و هوولى كل مؤمن من بعدى -روايت-از قبل-۳۷۳ رواه أبو عبد الله أحمد فى المسند غيرمرة ورواه فى كتاب فضائل على ورواه أكثر المحدثين الخبر الرابع عشر كنت أنا و على نورا بين يدى الله عز و جل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزءين فجزء أنا وجزء على -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۶۶ رواه أحمد فى المسند و فى كتاب فضائل على ع و ذكره صاحب كتاب الفردوس وزاد فيه ثم انتقلنا حتى صرنا فى عبدالمطلب فكان لى النبوة ولعلى الوصية -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-۱۰۴ الخبر الخامس عشر النظر إلى وجهك يا على عبادة أنت سيد فى الدنيا وسيد فى الآخرة من أحبك أحبنى وحبيبى حبيب الله وعدوك عدوى وعدوى عدو الله الويل لمن أبغضك -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۶۶ رواه

أحمـد فی المسـند قال و کان ابن عباس یفسـره و یقول إن من ینظر إلیه یقول سـبحان الله ماأعلم هـذاالفتی سـبحان الله ماأشـجع هذاالفتی سـبحان الله ماأفصح هذاالفتی [صفحه ۱۷۲] الحدیث السادس عشـر لماکانت لیلهٔ بدر قال رسول الله ص من یستقی لنا ماء فأحجم الناس فقام علی فاحتضن قربهٔ ثم أتی بئرا بعیدهٔ القعر مظلمهٔ فانحدر فیهافأوحی الله إلی جبریل ومیکائیل وإسرافیل أن تأهبوا لنصـر محمد وأخیه وحزبه فهبطوا من السـماء لهم لغط یذعر من یسـمعه فلما حاذوا البئر سلموا علیه من عندآخرهم إکراما له وإجلالا -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۳۳۸ رواه أحمـد فی کتـاب فضائـل علی ع وزاد فیه فی طریق أخری عن أنس بن مالک لتؤتین یا علی یوم القیامهٔ بناقهٔ من نوق الجنهٔ فترکبها ورکبتک مع رکبتی وفخذک مع فخذی حتی تدخل الجنهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۷۹-۱۸۵ الحـدیث السابع عشـر خطب ص یوم جمعـهٔ فقال أیها الناس قدموا قریشا و لاتقدموها وتعلموا منها و لاتعلموها قوهٔ رجل من قریش تعدل قوهٔ رجلین من غیرهم وأمانهٔ رجل من قریش تعدل أمانهٔ رجلین من غیرهم أیها الناس أوصـیکم بحب ذی قرباها أخی و ابن عمی علی بن أبی طالب لایحبه إلامؤمن و لایبغضه إلامنافق من أحبه فقد أحبنی و من أبغضه فقد أبغضنی و من أبغضـنی عذبه الله بالنار -روایت-۱-۲-روایت-۴۵-۳۸۳ رواه أحمدرضـی الله عنه فی کتاب فضائل علی ع الحدیث الثامن عشـر الصدیقون ثلاثهٔ حبیب النجار ألذی جاء من أقصی المدینهٔ یسعی ومؤمن آل فرعون ألذی کان یکتم إیمانه و علی بن أبی طالب و هوأفضـلهم -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۱۵۸ رواه أحمـد فی کتاب فضائل علی ع الحـدیث التاسع عشـرأعطیت فی علی خمسا هن أحب إلی من الـدنیا و ما فیها أماواحـدهٔ فهو کاب بین یـدی الله عز و جل حتی یفرغ من حساب الخلائق و أماالثانیهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-ادامه دارد [صـفحه ۱۷۳] فلواء الحمـد بیـده آدم و من ولد تحته و أماالثالثهٔ فواقف علی عقر حوضـی یسـقی من عرف من أمـتی و أماالرابعـهٔ فسـاتر عـورتی ومسـلمی إلی ربی و أماالخامسـهٔ فـإنی لست أخشـی علیه أن یعود کـافرا بعدإیمان و لازانیا بعدإحصان -روایت-از قبل-۲۲۱ رواه أحمد فی کتاب الفضائل الحدیث العشرون کانت لجماعهٔ من الصحابهٔ أبواب شارعـهٔ فی مسجد الرسول ص فقال ع یوما سـدوا کل باب فی المسـجد إلا باب علی فسدت فقال فی ذلک قوم حتی بلغ رسول الله ص فقام فیهم فقال إن قوما قالوا فی سـد الأبواب وترکی باب علی إنی ماسـددت و لافتحت ولکنی أمرت بأمر فاتبعته -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۲۸۶ رواه أحمـد فی المسـند مرارا و فی کتاب الفضائل الحـدیث الحادی والعشـرون دعاص علیا فی غزاهٔ الطائف فانتجاه وأطال نجواه حتی کره قوم من الصـحابهٔ ذلک فقال قائل منهم لقد أطال الیوم نجوی ابن عمه فبلغه ع ذلک فجمع منهم قوما ثم قال إن قائلا قال لقد أطال الیوم نجوی ابن عمه أماإنی ماانتجیته ولکن الله انتجاه -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۲۸۰ رواه أحمـدرحمه الله فی المسـند الحـدیث الثـانی والعشـرون أخصـمک یـا علی بالنبوهٔ فلانبوهٔ بعـدی وتخصم الناس بسـبع لایجاحـد فیهاأحـد من قریش أنت أولهم إیمانـا بالله وأوفاهم بعهـد الله وأقومهم بأمر الله وأقسـمهم بالسویـهٔ وأعـدلهم فی الرعیهٔ وأبصـرهم بالقضیهٔ وأعظمهم عند الله مزیهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۲۴۹ [صفحه ۱۷۴] رواه أبونعیم الحافظ فی حلیـهٔ الأولیاء الخبر الثـالث والعشـرون قـالت فاطمـهٔ إنک زوجتنی فقیرا لامال له فقال زوجتک أقـدمهم سـلما وأعظمهم حلما وأکثرهم علما أ لاتعلمین أن الله اطلع إلی الأرض اطلاعهٔ فاختار منها أباک ثم اطلع إلیها ثانیهٔ فاختار منها بعلک -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۲۲۳ الحدیث الرابع والعشـرون لماأنزل إِذا جاءَ نَصـرُ اللّهِ وَ الفَتحُ بعدانصرافه ع من غزاهٔ حنین جعل یکثر من سبحان الله أستغفر الله ثم قـال یا علی إنه قـدجاء ماوعـدت به جاء الفتـح ودخل الناس فی دین الله أفواجا وإنه لیس أحـد أحق منک بمقامی لقـدمک فی الإسـلام وقربک منی وصـهرک وعندک سیدهٔ نساء العالمین وقبل ذلک ما کان من بلاء أبی طالب عندی حین نزل القرآن فأنا حریص علی أن أراعی ذلـک لولـده -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۴۱۵ رواه أبوإسـحاق الثعلبی فی تفسـیر القرآن . واعلم أنـاإنما ذکرنا هـذه الأخبار هاهنا لأن کثیرا من المنحرفین عنه ع إذامروا علی کلامه فی نهـج البلاغـهٔ وغیره المتضـمن التحدث بنعمهٔ الله علیه من اختصاص الرسول له ص وتمیزه إیاه عن غیره ینسـبونه إلی التیه والزهو والفخر ولقد سبقهم بذلک قوم من الصحابهٔ قیل

لعمر ول عليا أمر الجيش والحرب فقال هوأتيه من ذلك و قال زيد بن ثابت مارأينا أزهى من على وأسامة.فأردنا بإيراد هذه الأخبار هاهنا عندتفسير قوله نحن الشعار والأصحاب ونحن الخزنة والأبواب أن ننبه على عظم منزلته عندالرسول ص و أن من قيل [صفحه ۱۷۵] فى حقه ماقيل لورقى إلى السماء وعرج فى الهواء وفخر على الملائكة والأنبياء تعظما وتبجحا لم يكن ملوما بل كان بذلك جديرا فكيف و هو ع لم يسلك قط مسلك التعظم والتكبر فى شىء من أقواله و لا من أفعاله و كان ألطف البشر خلقا وأكرمهم طبعا وأشدهم تواضعا وأكثرهم احتمالا وأحسنهم بشرا وأطلقهم وجها حتى نسبه من نسبه إلى الدعابة والمزاح وهما خلقان ينافيان التكبر والاستطالة وإنما كان يذكر أحيانا مايذكره من هذاالنوع نفثة مصدور وشكوى مكروب وتنفس مهموم و لايقصد به إذاذكره إلاشكر النعمة وتنبيه الغافل على ماخصه الله به من الفضيلة فإن ذلك من باب الأمر بالمعروف والحض على اعتقاد الحق والصواب فى أمره والنهى عن المنكر ألذى هوتقديم غيره عليه فى الفضل فقد نهى الله سبحانه عن ذلك فقال أَ فَمَن يهَديِ إِلَي الحَقّ أَحَقّ أَن يُتّبَعَ أَمّن لا يهَدِيّ إِلّا أَن يُهدي فَما لَكُم كَيفَ تَحكُمُونَ –قرآن–۷۲۱–۸۳۱ مِنهَا فِيهِم كَرَائِمُ الإِيمَانِ وَ هُم كُنُوزُ الرّحمَنِ إِن نَطَقُوا صَدَقُوا وَ إِن صَمَتُوا لَم يُسبَقُوا فَليَصدُق رَائِدٌ أَهلَهُ وَ ليُحضِر عَقلَهُ وَ ليَكُن مِن أَبنَاءِ الآخِرَةِ فَإِنّهُ مِنهَا قَدِمَ وَ إِلَيهَا يَنقَلِبُ فَالنّاظِرُ بِالقَلبِ العَامِلُ بِالبَصَرِ يَكُونُ مُبتَدَأُ عَمَلِهِ أَن يَعلَمَ أَ عَمَلُهُ عَلَيهِ أَم لَهُ فَإِن كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَ إِن كَانَ عَلَيهِ وَقَفَ عَنهُ فَإِنّ العَامِلَ بِغَيرِ عِلمٍ كَالسّائِرِ عَلَى غَيرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بُعدُهُ عَنِ الطّرِيقِ الوَاضِحِ [صفحه ۱۷۶] إِلّا بُعداً مِن حَاجَتِهِ وَ العَامِلُ بِالعِلمِ كَالسّائِرِ عَلَى الطّرِيقِ الوَاضِحِ فَليَنظُر نَاظِرٌ أَ سَائِرٌ هُوَ أَم رَاجِعٌ قوله فيهم يرجع إلى آل محمدص الذين عناهم بقوله نحن الشعار والأصحاب و هويطلق دائما هذه الصيغ الجمعية ويعنى نفسه و فى القرآن كثير من ذلك نحو قوله تعالى الّذِينَ قالَ لَهُمُ النّاسُ إِنّ النّاسَ قَد جَمَعُوا لَكُم فَاخشَوهُم فَزادَهُم إِيماناً وَ قالُوا حَسبُنَا اللّهُ وَ نِعمَ الوَكِيلُ. وكرائم الإيمان جمع كريمة وهى المنفسات منه قال الشاعر –قرآن–۱۶۷–۳۰۱ ماض من العيش لويفدى بذلت له || كرائم المال من خيل و من نعم . فإن قلت أ يكون فى الإيمان كرائم و غيركرائم قلت نعم لأن الإيمان عندأكثر أصحابنا اسم للطاعات كلها واجبها ونفلها فمن كانت نوافله أكثر كانت كرائم الإيمان عنده أكثر و من قام بالواجبات فقط من غيرنوافل كان عنده الإيمان و لم يكن عنده كرائم الإيمان . فإن قلت فعلى هذاتكون النوافل أكرم من الواجبات . قلت هى أكرم منها باعتبار والواجبات أكرم منها باعتبار آخر أماالأول فلأن صاحبها إذا كان قدقام بالواجبات كان أعلى مرتبة فى الجنة ممن اقتصر على الواجبات فقط و أماالثانى فلأن المخل بها لايعاقب والمخل بالواجبات يعاقب . قوله وهم كنوز الرحمن لأن الكنز مال يدخر لشديدة أوملمة تلم بالإنسان وكذلك هؤلاء قدذخروا لإيضاح المشكلات الدينية على المكلفين . [صفحه ۱۷۷] ثم قال إن نطقوا صدقوا و إن سكتوا لم يكن سكوتهم عن عى يوجب كونهم مسبوقين لكنهم ينطقون حكما ويصمتون حلما. ثم أمر ع بالتقوى والعمل الصالح و قال ليصدق رائد أهله الرائد الذاهب من الحى يرتاد لهم المرعى و فى أمثالهم الرائد لايكذب أهله والمعنى أنه ع أمر الإنسان بأن يصدق نفسه و لايكذبها بالتسويف والتعليل قال الشاعر أخى إذاخاصمت نفسك فاحتشد || لها و إذاحدثت نفسك فاصدق . و فى المثل المتشبع بما لايملك كلابس ثوبى زور.فإنه منها قدم قدقيل إن الله تعالى خلق أرواح البشر قبل أجسادهم والخبر فى ذلك مشهور والآية أيضا وهى قوله وَ إِذ أَخَذَ رَبّكَ مِن بنَيِ آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرّيّتَهُم ويمكن أن يفسر على وجه آخر و ذلك أن الآخرة اليوم عدم محض والإنسان قدم من العدم و إلى العدم ينقلب فقد صح أنه قدم من الآخرة ويرجع إلى الآخرة. وروى أن العالم بالبصر أى بالبصيرة فيكون هو و قوله فالناظر بالقلب سواء وإنما قاله تأكيدا و على هذاالوجه لايحتاج إلى تفسير وتأويل فأما الرواية المشهورة فالوجه فى تفسيرها أن يكون قوله فالناظر مبتدأ والعامل صفة له و قوله بالبصر يكون مبتدأ عمله جملة مركبة من مبتدأ وخبر موضعها رفع لأنها خبر المبتدأ ألذى هوفالناظر و هذه الجملة المذكورة قددخلت عليها كان فالجار والمجرور و هوالكلمة الأولى منها منصوبة الموضع لأنها خبر كان و يكون قوله فيما بعد أن يعلم منصوب –قرآن–۱۶۷–۲۳۰ [

صفحه ۱۷۸] الموضع لأنه بدل من البصر ألذی هوخبر یکون والمراد بالبصر هاهنا البصیرهٔ فیصیر تقدیر الکلام فالناظر بقلبه العامل بجوارحه یکون مبتدأ عمله بالفکر والبصیرهٔ بأن یعلم أعمله له أم علیه . ویروی کالسابل علی غیرطریق والسابل طالب السبیل و قدجاء فی الخبر المرفوع من عمل بغیر هدی لم یزدد من الله إلابعدا -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۷۲ و فی کلام الحکماء العامل بغیر علم کالرامی من غیروتر وَ اعلَم أَنّ لِکُلّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَی مِثَالِهِ فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَ مَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ وَ قَد قَالَ الرّسُولُ الصّادِقُص إِنّ اللّهَ یُحِبّ العَبدَ وَ یُبغِضُ عَمَلَهُ وَ یُحِبّ العَمَلَ وَ یُبغِضُ بَدَنَهُ هذاالکلام مشتق من قوله تعالی وَ البَلَدُ الطّیّبُ یَخرُجُ نَباتُهُ بِإِذنِ رَبّهِ وَ ألّذِی خَبُثَ لا یَخرُجُ إِلّا نَکِداً و هوتمثیل ضربه الله تعالی لمن ینجع فیه الوعظ والتذکیر من البشر ولمن لایؤثر ذلک فیه مثله بالأرض العذبهٔ الطیبهٔ تخرج النبت و الأرض السبخهٔ الخبیثهٔ لاتنبت وکلام أمیر المؤمنین ع إلی هذاالمعنی یومئ یقول إن لکلتا حالتی الإنسان الظاهرهٔ أمرا باطنا یناسبها من أحواله والحالتان الظاهرتان میله إلی العقل ومیله إلی الهوی فالمتبع لمقتضی عقله یرزق السعادهٔ والفوز فهذا هو ألذی طاب -قرآن-۳۵-۱۲۸ [صفحه ۱۷۹] ظاهره وطاب باطنه والمتبع لمقتضی هواه وعادته ودین أسلافه یرزق الشقاوهٔ والعطب و هذا هو ألذی خبث ظاهره وخبث باطنه . فإن قلت فلم قال فما طاب وهلا قال فمن طاب وکذلک فی خبث قلت کلامه فی الأخلاق والعقائد و ماتنطوی علیه الضمائر یقول ماطاب من هذه الأخلاق والملکات وهی خلق النفس الربانیهٔ المریدهٔ للحق من حیث هوحق سواء کان ذلک مذهب الآباء والأجداد أو لم یکن وسواء کان ذلک مستقبحا مستهجنا عندالعامهٔ أو لم یکن وسواء نال به من الدنیا حظا أو لم ینل یستطیب باطنه یعنی ثمرته وهی السعادهٔ و هذاالمعنی من مواضع ما لا من مواضع من .فأما الخبر المروی فإنه مذکور فی کتب المحدثین و قدفسره أصحابنا المتکلمون فقالوا إن الله تعالی قدیحب المؤمن ومحبته له إرادهٔ إثابته ویبغض عملا من أعماله و هوارتکاب صغیرهٔ من الصغائر فإنها مکروههٔ عند الله ولیست قادحهٔ فی إیمان المؤمن لأنها تقع مکفرهٔ وکذلک قدیبغض العبد بأن یرید عقابه نحو أن یکون فاسقا لم یتب ویحب عملا من أعماله نحو أن یطیع ببعض الطاعات وحبه لتلک الطاعهٔ هی إرادته تعالی أن یسقط عنه بهابعض مایستحقه من العقاب المتقدم وَ اعلَم أَنّ لِکُلّ عَمَلٍ نَبَاتاً وَ کُلّ نَبَاتٍ لَا غِنَی بِهِ عَنِ المَاءِ وَ المِیَاهُ مُختَلِفَهٌ فَمَا طَابَ سَقیُهُ طَابَ غَرسُهُ وَ حَلَت ثَمَرَتُهُ وَ مَا خَبُثَ سَقیُهُ خَبُثَ غَرسُهُ وَ أَمَرّت ثَمَرَتُهُ [صفحه ۱۸۰] السقی مصدر سقیت والسقی بالکسر النصیب من الماء. وأمر الشیء أی صار مرا. و هذاالکلام مثل فی الإخلاص وضده و هوالریاء وحب السمعهٔ فکل عمل یکون مدده الإخلاص لوجهه تعالی لا غیرفإنه زاک حلو الجنی و کل عمل یکون الریاء وحب الشهرهٔ مدده فلیس بزاک وتکون ثمرته مرهٔ المذاق [صفحه ۱۸۱]

۱۵۵- و من خطبهٔ له ع یذکر فیهابدیع خلقهٔ الخفاش

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ ألّذِی انحَسَرَتِ الأَوصَافُ عَن کُنهِ مَعرِفَتِهِ وَ رَدَعَت عَظَمَتُهُ العُقُولَ فَلَم تَجِد مَسَاغاً إِلَی بُلُوغِ غَایَهِ مَلَکُوتِهِ هُوَ اللّهُ الحَقّ المُبِینُ أَحَقّ وَ أَبیَنُ مِمّا تَرَی العُیُونُ لَم تَبلُغهُ العُقُولُ بِتَحدِیدٍ فَیَکُونَ مُشَبّهاً وَ لَم تَقَع عَلَیهِ الأَوهَامُ بِتَقدِیرٍ فَیَکُونَ مُمَثّلًا خَلَقَ الخَلقَ عَلَی غَیرِ تَمثِیلٍ وَ لَا مَشُورَهِ مُشِیرٍ وَ لَا مَعُونَهِ مُعِینٍ فَتَمّ خَلقُهُ بِأَمرِهِ وَ أَذعَنَ لِطَاعَتِهِ فَأَجَابَ وَ لَم یُدَافِع وَ انقَادَ وَ لَم یُنَازِع وَ مِن لَطَائِفِ صَنعَتِهِ وَ عَجَائِبِ خِلقَتِهِ مَا أَرَانَا مِن غَوَامِضِ الحِکمَهِ فِی هَذِهِ الخَفَافِیشِ التّی یَقبِضُهَا الضّیَاءُ البَاسِطُ لِکُلّ شَیءٍ وَ یَبسُطُهَا الظّلَامُ القَابِضُ لِکُلّ حَیّ وَ کَیفَ عَشِیَت أَعیُنُهَا عَن أَن تَستَمِدّ مِنَ الشّمسِ المُضِیئَهِ نُوراً تَهتَدِی بِهِ فِی مَذَاهِبِهَا وَ تَتّصِلُ بِعَلَانِیَهِ

بُرهَانِ الشّمسِ إِلَى مَعَارِفِهَا وَ رَدَعَهَا بِتَلَألُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ المضِيّ فِي سُبُحَاتِ إِشرَاقِهَا وَ أَكَنّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذّهَابِ فِي بُلَجِ ائتِلَاقِهَا وَ هيَ مُسدَلَةُ الجُفُونِ بِالنّهَارِ عَلَى حِدَاقِهَا وَ جَاعِلَةُ اللّيلِ سِرَاجاً تَستَدِلّ بِهِ فِي التِمَاسِ أَرزَاقِهَا فَلَا يَرُدّ أَبصَارَهَا إِسدَافُ ظُلمَتِهِ وَ لَا تَمتَنِعُ مِنَ المضِيّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنّتِهِ فَإِذَا أَلقَتِ الشّمسُ قِنَاعَهَا وَ بَدَت أَوضَاحُ نَهَارِهَا وَ دَخَلَ مِن إِشرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضّبَابِ فِي وِجَارِهَا أَطبَقَتِ الأَجفَانَ عَلَى مَآقِيهَا وَ تَبَلّغَت بِمَا اكتَسَبَتهُ مِنَ المَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا [صفحه ۱۸۲] فَسُبحَانَ مَن جَعَلَ اللّيلَ لَهَا نَهَاراً وَ مَعَاشاً وَ النّهَارَ سَكَناً وَ قَرَاراً وَ جَعَلَ لَهَا أَجنِحَةً مِن لَحمِهَا تَعرُجُ بِهَا عِندَ الحَاجَةِ إِلَى الطّيَرَانِ كَأَنّهَا شَظَايَا الآذَانِ غَيرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَ لَا قَصَبٍ إِلّا أَنّكَ تَرَى مَوَاضِعَ العُرُوقِ بَيّنَةً أَعلَاماً لَهَا جَنَاحَانِ لَمّا يَرِقّا فَيَنشَقّا وَ لَم يَغلُظَا فَيَثقُلَا تَطِيرُ وَ وَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَت وَ يَرتَفِعُ إِذَا ارتَفَعَت لَا يُفَارِقُهَا حَتّى تَشتَدّ أَركَانُهُ وَ يَحمِلَهُ لِلنّهُوضِ جَنَاحُهُ وَ يَعرِفَ مَذَاهِبَ عَيشِهِ وَ مَصَالِحَ نَفسِهِ فَسُبحَانَ البَارِئِ لِكُلّ شَيءٍ عَلَى غَيرِ مِثَالٍ خَلَا مِن غَيرِهِ الخفاش واحد جمعه خفافيش و هو هذاالطائر ألذى يطير ليلا و لايطير نهارا و هومأخوذ من الخفش و هوضعف فى البصر خلقة و الرجل أخفش و قد يكون علة و هو ألذى يبصر بالليل لابالنهار أو فى يوم غيم لا فى يوم صحو. وانحسرت الأوصاف كلت وأعيت وردعت كفت والمساغ المسلك . قال أحق وأبين مما ترى العيون و ذلك لأن العلوم العقلية إذاكانت ضرورية أوقريبة من الضرورية كانت أوثق من المحسوسات لأن الحس يغلط دائما فيرى الكبير صغيرا كالبعيد والصغير كبيرا كالعنبة فى الماء ترى كالإجاصة ويرى الساكن متحركا كجرف الشط إذارآه راكب السفينة متصاعدا ويرى المتحرك ساكنا كالظل إلى غير ذلك من الأغاليط والقضايا العقلية الموثوق بهالأنها بديهية أوتكاد فالغلط غيرداخل عليها قوله يقبضها الضياء أى يقبض أعينها. قوله وتتصل بعلانية برهان الشمس كلام جيد فى مذاهب الاستعارة. [صفحه ۱۸۳] وسبحات إشراقها جلاله وبهاؤه وأكنها سترها وبلج ائتلافها جمع بلجة وهى أول الصبح وجاء بلجة أيضا بالفتح . والحداق جمع حدقة العين والإسداف مصدر أسدف الليل أظلم . وغسق الدجنة ظلام الليل فإذاألقت الشمس قناعها أى سفرت عن وجهها وأشرقت . والأوضاح جمع وضح و قديراد به حلى يعمل من الدراهم الصحاح و قديراد به الدراهم الصحاح نفسها و إن لم يكن حليا والضباب جمع ضب ووجارها بيتها وشظايا الآذان أقطاع منها والقصب هاهنا الغضروف . وخلاصة الخطبة التعجب من أعين الخفافيش التى تبصر ليلا و لاتبصر نهارا و كل الحيوانات بخلاف ذلك فقد صار الليل لها معاشا والنهار لها سكنا بعكس الحال فيما عداها ثم من أجنحتها التى تطير بها وهى لحم لاريش عليه و لاغضروف وليست رقيقة فتنشق و لاكثيفة فتثقلها عن الطيران ثم من ولدها إذاطارت احتملته و هولاصق بها فإذاوقعت وقع ملتصقا بهاهكذا إلى أن يشتد ويقوى على النهوض فيفارقها

فصل فى ذكر بعض غرائب الطيور و ما فيها من عجائب

واعلم أنه ع قدأتى بالعلة الطبيعية فى عدم إبصارها نهارا و هوانفعال حاسة بصرها عن الضوء الشديد و قديعرض مثل ذلك لبعض الناس و هوالمرض المسمى روز كور أى أعمى النهار و يكون ذلك عن إفراط التحلل فى الروح النورى فإذالقى حر النهار أصابه قمر ثم يستدرك ذلك برد الليل فيزول فيعود الإبصار. [صفحه ۱۸۴] و أماطيرانها من غيرريش فإنه ليس بذلك الطيران الشديد وإنما هونهوض وخفة أفادها الله تعالى إياه بواسطة الطبيعة والتصاق الولد بهالأنها تضمه إليها بالطبع وينضم إليها كذلك وتستعين على ضمه برجليها وبقصر المسافة وجملة الأمر أنه تعجب من عجيب و فى الأحاديث العامية قيل للخفاش لماذا لاجناح لك قال لأنى تصوير مخلوق قيل فلما ذا لاتخرج نهارا قال حياء من الطيور يعنون أن المسيح ع صوره و أن إليه الإشارة بقوله تعالى وَ إِذ تَخلُقُ مِنَ الطّينِ كَهَيئَةِ الطّيرِ بِإِذنِي فَتَنفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيراً بِإِذنِي. و فى الطير عجائب وغرائب لاتهتدى العقول

إليها ويقال إن ضربين من الحيوان أصمان لايسمعان وهما النعام والأفاعى. وتقول العرب إن الظليم يسمع بعينه وأنفه لايحتاج معهما إلى حاسة أخرى والكراكى يجمعها أميرلها كيعسوب النحل و لايجمعها إلاأزواجا والعصافير آلفة للناس آنسة بهم لاتسكن دارا حتى يسكنها إنسان ومتى سكنتها لم تقم فيها إذاخرج الإنسان منها فبفراقه تفارق وبسكناه تسكن ويذكر أهل البصرة أنه إذا كان زمن الخروج إلى البساتين لم يبق فى البصرة عصفور إلاخرج إليها إلا ماأقام على بيضه وفراخه و قديدرب العصفور فيستجيب من المكان البعيد ويرجع . و قال شيخنا أبوعثمان بلغنى أنه درب فيرجع من ميل و ليس فى الأرض رأس أشبه برأس الحية من رأس العصفور و ليس فى الحيوان ألذى يعايش الناس أقصر عمرا منه قيل لأجل السفاد ألذى يستكثر منه ويتميز الذكر من الأنثى فى العصافير تميز الديك -قرآن-٤٣٣-٥٣٠ [صفحه ١٨٥] من الدجاجة لأن له لحية و لا شىءأحنى على ولده منه و إذاعرض له شىءصاح فأقبلت إليه العصافير يساعدنه و ليس لشىء فى مثل جسم العصفور من شدة وطئه إذامشى أو على السطح ماللعصفور فإنك إذاكنت تحت السطح ووقع حسبت وقعته وقعة حجر وذكور العصافير لاتعيش إلاسنة وكثيرا ماتجلب الحيات إلى المنازل لأن الحيات تتبعها حرصا على ابتلاع بيضها وفراخها. ويقال إن الدجاجة إذاباضت بيضتين فى يوم واحد وتكرر ذلك ماتت و إذاهرمت الدجاجة لم يكن لأواخر ماتبيضه صفرة و إذا لم يكن للبيضة مح لم يخلق فيهافروج لأن غذاءه المح مادام فى البيضة و قد يكون للبيضة محان فتنفقص عن فروجين يخلقان من البياض ويغتذيان بالمحين لأن الفراريج تخلق من البياض وتغتذى بالصفرة و كل ديك فإنه يلتقط الحبة فيحذف بها إلى الدجاجة سماحا وإيثارا ولهذا قالوا أسمح من لاقطة يعنون الديكة إلاديكة مرو بخراسان فإنها تطرد دجاجها عن الحب وتنزعه من أفواهها فتبتلعه . والحمامة بلهاء و فى أمثالهم أحمق من حمامة وهى مع حمقها مهتدية إلى مصالح نفسها وفراخها. قال ابن الأعرابى قلت لشيخ من العرب من علمك هذا قال علمنى ألذى علم الحمامة على بلهها تقليب بيضها كى تعطى الوجهين جميعا نصيبهما من الحضن . والهداية فى الحمام لاتكون إلا فى الخضر والسمر فأما الأسود الشديد السواد فهو كالزنجى القليل المعرفة والأبيض ضعيف القوة و إذاخرج الجوزل عن بيضته علم أبواه أن حلقه لايتسع للغذاء فلا يكون لهما هم إلا أن ينفخا فى حلقه الريح لتتسع حوصلته بعدالتحامها ثم يعلمن أنه لايحتمل فى أول اغتذائه أن يزق بالطعم فيزقانه باللعاب المختلط [صفحه ١٨٦] بقواهما وقوى الطعم ثم يعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دباغ فيأكلان من شورج أصول الحيطان و هو شىء من الملح الخالص والتراب فيزقانه به فإذاعلما أنه قداندبغ زقاه بالحب ألذى قدغب فى حواصلهما ثم بالذى هوأطرى فأطرى حتى يتعود فإذاعلما أنه قدأطاق اللقط منعاه بعض المنع ليحتاج ويتشوف فتطلبه نفسه ويحرص عليه فإذافطماه وبلغا منتهى حاجته إليهما نزع الله تلك الرحمة منهما وأقبل بهما على طلب نسل آخر. ويقال إن حية أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى دلعت الحية لسانها وفتحت فاها تريده وتهم به فألقى فيهاحسكة فأخذت بحلقها حتى ماتت . و من دعاء الصالحين يارزاق النعاب فى عشه و ذلك أن الغراب إذافقص عن فراخه فقص عنها بيض الألوان فينفر عنها و لايزقها فتنفتح أفواهها فيأتيها ذباب يتساقط فى أفواهها فيكون غذاءها إلى أن تسود فينقطع الذباب عنها ويعود الغراب إليها فيأنس بها ويغذيها. والحبارى تدبق جناح الصقر بذرقها ثم يجتمع عليه الحباريات فينتفن ريشه طاقة طاقة حتى يموت ولذلك يحاول الحبارى العلو عليه ويحاول هوالعلو عليها و لايتجاسر أن يدنو منها متسفلا عنها ويقال إن الحبارى تموت كمدا إذاانحسر عنها ريشها ورأت صويحباتها تطير. [صفحه ١٨٧] و كل الطير يتسافد بالأستاه إلاالحجل فإن الحجلة تكون فى سفالة الريح واليعقوب فى علاوتها فتلقح منه كماتلقح النخلة من الفحال بالريح . والحبارى شديد الحمق يقال إنها أحمق الطير وهى أشد حياطة لبيضها وفراخها. والعقعق مع كونه أخبث الطير وأصدقها خبثا وأشدها حذرا ليس فى الأرض طائر أشد تضييعا لبيضه وفراخه منه . و من الطير مايؤثر التفرد كالعقاب و منه مايتعايش زوجا كالقطا. والظليم يبتلع الحديد المحمى ثم يميعه فى قانصته حتى يحيله كالماء الجارى و فى ذلك أعجوبتان التغذى بما لايغذى به واستمراؤه

وهضـمه شـيئا لوطبخ بالنار أبدا لماانحل . و كماسخر الحديد لجوف الظليم فأحاله سخر الصخر الأصم لأذناب الجراد إذاأراد أن يلقى بيضه غرس ذنبه فى أشـد الأرض صـلابة فانصـدع له و ذلك من فعل الطبيعـة بتسـخير الصانع القـديم سـبحانه كما أن عود الحلفـاء الرخو الـدقيق المنبت يلقى فى نبـاته الآجر والخزف الغليظ فيثقبه . و قـدرأيت فى مسـناة سور بغـداد فى حجر صـلد نبعة نبـات قدشـقت وخرجت من موضع لوحاول جماعـة أن يضـربوه بالبيارم الشديـدة مـدة طويلـة لم يؤثر فيه أثرا. و قـدقيل إن إبرة العقرب أنفذ فى الطنجير والطست . و فى الظليم شـبه من البعير من جهة المنسم والوظيف والعنق والخزامة التى فى أنفه [صـفحه ١٨٨] وشبه من الطائر من جهة الريش والجناحين والذنب والمنقار ثم إن ما فيه من شـبه الطير جذبه إلى البيض و ما فيه من شـبه البعير لم يجـذبه إلى الولادة. ويقال إن النعامـة مع عظم عظامها وشـدة عدوها لامخ فيها وأشد ما يكون عدوها أن تسـتقبل الريح فكلما كان أشـد لعصوفها كان أشـد لحضـرها تضع عنقها على ظهرها ثم تخرق الريح و من أعاجيبها أن الصـيف إذادخل وابتدأ البسـر فى الحمرة ابتـدأ لون وظيفها فى الحمرة فلايزالان يزدادان حمرة إلى أن تنتهى حمرة البسـر ولـذلك قيل للظليم خاضب و من العجب أنها لاتأنس بالطير و لابالإبل مع مشاكلتها للنوعين و لايكاد يرى بيضـها مبددا البتة بل تصـفه طولا صـفا مسـتويا على غاية الاسـتواء حتى لومددت عليه خيط المسطر لماوجدت لبعضه خروجا عن البعض ثم تعطى لكل واحدة نصـيبها من الحضن . والذئب لايعرض لبيض النعام مادام الأبوان حاضرين فإنهما متى نقفاه ركبه الذكر فطحره وأدركته الأنثى فركضته ثم أسلمته إلى الـذكر وركبته عوضه فلايزالان يفعلان به ذلك حتى يقتلاه أويعجزهما هربا والنعام قديتخذ فى الدور وضـرره شديد لأن النعامة ربما رأت فى أذن الجارية قرطا فيه حجر أوحبة لؤلؤ فخطفته وأكلته وخرمت الأذن أورأت ذلك فى لبتها فضـربت بمنقارها اللبة فخرقتها [صفحه ١٨٩]

١٥٦- و من كلام له ع خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم

اشاره

فَمَنِ استَطَاعَ عِنـدَ ذَلِكَ أَن يَعتَقِلَ نَفسَهُ عَلَى اللّهِ فَليَفعَل وَ إِن أَطَعتُمُونِي فَإِنّي حَامِلُكُم إِن شَاءَ اللّهُ عَلَى سَبِيلِ الجَنّةِ وَ إِن كَانَ ذَا مَشَـقّةٍ شَدِيـدَةٍ وَ مَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ وَ أَمّا فُلَانَةُ فَأَدرَكَهَا رَأيُ النّسَاءِ وَ ضِـغنٌ غَلَا فِي صَدرِهَا كَمِرجَلِ القَينِ وَ لَو دُعِيَت لِتَنَالَ مِن غَيرِي مَا أَتَت إِلَيّ لَم تَفعَل وَ لَهَا بَعـدُ حُرمَتُهَا الأُولَى وَ الحِسَابُ عَلَى اللّهِ يعتقل نفسه على الله يحبسـها على طاعته ثم ذكر أن السبيل التى حملهم عليها وهى سبيل الرشاد ذات مشـقة شديدة ومذاقة مريرة لأن الباطل محبوب النفوس فإنه اللهو واللذة وسقوط التكليف و أمـاالحق فمكروه النفس لأـن التكليف صـعب وترك الملاذ العاجلـة شاق شديـد المشـقة. والضـغن الحقـد والمرجل قـدر كبيرة والقين الحداد أى كغليان قدر من حديد [صفحه ١٩٠]

فصل فى ترجمة عائشة وذكر طرف من أخبارها

وفلانة كناية عن أم المؤمنين عائشة أبوها أبوبكر و قدتقدم ذكر نسبه وأمها أم رومان ابنة عامر بن عويمر بن عبدشمس بن عتاب بن أذينـة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانـة تزوجها رسول الله ص قبل الهجرة بسـنتين بعـدوفاة خديجة وهى بنت سـبع سـنين وبنى عليها بالمدينة وهى بنت تسع سـنين وعشرة أشهر وكانت قبله تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له و كان

رسول الله ص رأى فى المنام عائشة فى سرقة من حرير عندمتوفى خديجة فقال إن يكن هذا من عند الله يمضه روى هذاالخبر فى المسانيد الصحيحة و كان نكاحه إياها فى شوال وبناؤه عليها فى شوال أيضا فكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها على أزواجهن فى شوال وتقول هل كان فى نسائه أحظى منى و قدنكحنى وبنى على فى شوال ردا بذلك على من يزعم من النساء أن دخول الرجل بالمرأة بين العيدين مكروه . وتوفى رسول الله ص عنها وهى بنت عشرين سنة واستأذنت رسول الله ص فى الكنية فقال لها اكتنى بابنك عبد الله بن الزبير يعنى ابن أختها فكانت تكنى أم عبد الله وكانت فقيهة راوية للشعر ذات حظ من رسول الله ص وميل ظاهر إليها وكانت لها عليه جرأة وإدلال لم يزل ينمى ويستشرى حتى كان منها فى أمره فى قصة مارية ما كان من الحديث [صفحه ۱۹۱] ألذى أسره إلى الزوجة الأخرى وأدى إلى تظاهرهما عليه وأنزل فيهما قرآنا يتلى فى المحاريب يتضمن وعيدا غليظا عقيب تصريح بوقوع الذنب وصغو القلب وأعقبتها تلك الجرأة و ذلك الانبساط وحدث منها فى أيام الخلافة العلوية ماحدث ولقد عفا الله تعالى عنها وهى من أهل الجنة عندنا بسابق الوعد و ماصح من أمر التوبة. و روى أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الاستيعاب فى باب عائشة عن سعيد بن نصر عن قاسم بن أصبغ عن محمد بن وضاح عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن عصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ص لنسائه أيتكن صاحبة الجمل الأدبب يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ماكادت -روايت-۱-۲-روايت-۱۹۱-۲۸۸ . قال أبوعمر بن عبدالبر و هذاالحديث من أعلام نبوته ص قال وعصام بن قدامة ثقة وسائر الإسناد فثقة رجاله أشهر من أن تذكر. و لم تحمل عائشة من رسول الله ص و لاولد له ولد من مهيرة إلا من خديجة و من السرارى من مارية. وقذفت عائشة فى أيام رسول الله ص بصفوان بن المعطل السلمى والقصة مشهورة فأنزل الله تعالى براءتها فى قرآن يتلى وينقل وجلد قاذفوها الحد وتوفيت فى سنة سبع وخمسين للهجرة وعمرها أربع وستون سنة ودفنت بالبقيع [صفحه ۱۹۲] فى ملك معاوية وصلى عليها المسلمون ليلا وأمهم أبوهريرة ونزل فى قبرها خمسة من أهلها عبد الله وعروة ابنا الزبير والقاسم و عبد الله ابنا محمد بن أبى بكر و عبدالرحمن بن أبى بكر و ذلك لسبع عشرة خلت من شهر رمضان من السنة المذكورة.فأما قوله فأدركها رأى النساء أى ضعف آرائهن و قدجاء فى الخبر لايفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۵۶ جاء إنهن قليلات عقل ودين -روايت-۱-۲-روايت-۶-۳۱ أو قال ضعيفات ولذلك جعل شهادة المرأتين بشهادة الرجل الواحد والمرأة فى أصل الخلقة سريعة الانخداع سريعة الغضب سيئة الظن فاسدة التدبير والشجاعة فيهن مفقودة أوقليلة وكذلك السخاء و أماالضغن فاعلم أن هذاالكلام يحتاج إلى شرح و قدكنت قرأته على الشيخ أبى يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعانى رحمه الله أيام اشتغالى عليه بعلم الكلام وسألته عما عنده فيه فأجابنى بجواب طويل أناأذكر محصوله بعضه بلفظه رحمه الله وبعضه بلفظى فقد شذ عنى الآن لفظه كله بعينه قال أول بدء الضغن كان بينها و بين فاطمة ع و ذلك لأن رسول الله ص تزوجها عقيب موت خديجة فأقامها مقامها وفاطمة هى ابنة خديجة و من المعلوم أن ابنة الرجل إذاماتت أمها وتزوج أبوها أخرى كان بين الابنة و بين المرأة كدر وشنئان و هذا لابد منه لأن الزوجة تنفس عليها ميل الأب والبنت تكره ميل أبيها إلى امرأة غريبة كالضرة لأمها بل هى ضرة على الحقيقة و إن كانت الأم ميتة ولأنا لوقدرنا الأم حية لكانت العداوة مضطرمة متسعرة فإذاكانت قدماتت ورثت ابنتها تلك العداوة و فى المثل عداوة الحماة والكنة و قال الراجز [صفحه ۱۹۳] إن الحماة أولعت بالكنة || وأولعت كنتها بالظنة . ثم اتفق أن رسول الله ص مال إليها وأحبها فازداد ما عندفاطمة بحسب زيادة ميله وأكرم رسول الله ص فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لامرة واحدة و فى مقامات مختلفة لا فى مقام واحد إنها سيدة نساء العالمين وإنها عديلة مريم بنت عمران وإنها إذامرت فى الموقف نادى مناد من جهة العرش يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد و هذا من الأحاديث الصحيحة و ليس من الأخبار المستضعفة و إن إنكاحه عليا إياها ما كان

إلا بعد أن أنكحه الله تعالى إياها فى السماء بشهادة الملائكة و كم قال لامرة يؤذينى مايؤذيها ويغضبنى مايغضبها وإنها بضعة منى يريبنى مارابها -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۸۴ فكان هذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عندالزوجة حسب زيادة هذاالتعظيم والتبجيل والنفوس البشرية تغيظ على ما هودون هذافكيف هذا. ثم حصل عندبعلها ما هوحاصل عندها أعنى عليا ع فإن النساء كثيرا مايجعلن الأحقاد فى قلوب الرجال لاسيما وهن محدثات الليل كماقيل فى المثل وكانت تكثر الشكوى من عائشة ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة ثم يذهبن إلى بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة و كماكانت فاطمة تشكو إلى بعلها كانت عائشة تشكو إلى أبيها لعلمها أن بعلها لايشكيها على ابنته فحصل فى نفس أبى بكر من ذلك أثر ما ثم تزايد تقريظ رسول الله ص [صفحه ۱۹۴] لعلى ع وتقريبه واختصاصه فأحدث ذلك حسدا له وغبطة فى نفس أبى بكر عنه و هوأبوها و فى نفس طلحة و هو ابن عمها وهى تجلس إليهما وتسمع كلامهما وهما يجلسان إليها ويحادثانها فأعدى إليها منهما كماأعدتهما. قال ولست أبرئ عليا ع من مثل ذلك فإنه كان ينفس على أبى بكر سكون النبى ص إليه وثناءه عليه ويحب أن ينفرد هوبهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين ثم كان من أمر القذف ما كان و لم يكن على ع من القاذفين ولكنه كان من المشيرين على رسول الله ص بطلاقها تنزيها لعرضه عن أقوال الشنأة والمنافقين . قال له لمااستشاره إن هى إلاشسع نعلك وقل له سل الخادم وخوفها و إن أقامت على الجحود فاضربها وبلغ عائشة هذاالكلام كله وسمعت أضعافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه فى مثل هذه الواقعة ونقل النساء إليها كلاما كثيرا عن على وفاطمة وأنهما قدأظهرا الشماتة جهارا وسرا بوقوع هذه الحادثة لها فتفاقم الأمر وغلظ. ثم إن رسول الله ص صالحها ورجع إليها ونزل القرآن ببراءتها فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر ويستظهر بعد أن غلب ويبرأ بعد أن اتهم من بسط اللسان وفلتات القول وبلغ ذلك كله عليا ع وفاطمة ع فاشتدت الحل وغلظت وطوى كل من الفريقين قلبه على الشنئان لصاحبه ثم كان بينها و بين على ع فى حياة رسول الله ص أحوال وأقوال كلها تقتضى تهييج ما فى النفوس نحو قولها له و قداستدناه رسول الله فجاء حتى قعد بينه [صفحه ۱۹۵] وبينها وهما متلاصقان أ ماوجدت مقعدا لكذا لاتكنى عنه إلافخذى ونحو ماروى أنه سايره يوما وأطال مناجاته فجاءت وهى سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما وقالت فيم أنتما فقد أطلتما فيقال إن رسول الله ص غضب ذلك اليوم و ماروى من حديث الجفنة من الثريد التى أمرت الخادم فوقفت لها فأكفأتها ونحو ذلك مما يكون بين الأهل و بين المرأة وأحمائها. ثم اتفق أن فاطمة ولدت أولادا كثيرة بنين وبنات و لم تلد هى ولدا و أن رسول الله ص كان يقيم بنى فاطمة مقام بنيه ويسمى الواحد منهما ابنى و يقول دعوا لى ابنى و لاتزرموا على ابنى و مافعل ابنى فما ظنك بالزوجة إذاحرمت الولد من البعل ثم رأت البعل يتمنى بنى ابنته من غيرها ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق هل تكون محبة لأولئك البنين ولأمهم ولأبيهم أم مبغضة وهل تود دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه . ثم اتفق أن رسول الله ص سد باب أبيها إلى المسجد وفتح باب صهره ثم بعث أباها ببراءة إلى مكة ثم عزله عنها بصهره فقدح ذلك أيضا فى نفسها وولد لرسول الله ص ابراهيم من مارية فأظهر على ع بذلك سرورا كثيرا و كان يتعصب لمارية ويقوم بأمرها عند رسول الله ص ميلا على غيرها وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة فبرأها على ع منها وكشف بطلانها أوكشفه الله تعالى على يده و كان ذلك كشفا محسا بالبصر لايتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ماقالوه فى القرآن المنزل ببراءة عائشة و كل ذلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه ويؤكد ما فى نفسها منه ثم مات ابراهيم فأبطنت شماتة و إن أظهرت كآبة [صفحه ۱۹۶] ووجم على ع من ذلك وكذلك فاطمة وكانا يؤثران ويريدان أن تتميز مارية عليها بالولد فلم يقدر لهما و لالمارية ذلك وبقيت الأمور على ماهى عليه و فى النفوس ما فيها حتى مرض رسول الله ص المرض ألذى توفى فيه وكانت فاطمة ع و على ع يريدان أن يمرضاه فى بيتهما وكذلك كان أزواجه كلهن فمال إلى بيت عائشة بمقتضى المحبة القلبية التى كانت لها دون نسائه وكره أن يزاحم فاطمة

وبعلها فی بیتهما فلا یکون عنده من الانبساط لوجودهما ما یکون إذاخلا بنفسه فی بیت من یمیل إلیه بطبعه وعلم أن المریض یحتاج إلی فضل مداراة ونوم ویقظة وانکشاف وخروج حدث فکانت نفسه إلی بیته أسکن منها إلی بیت صهره وبنته فإنه إذاتصور حیاءهما منه استحیا هوأیضا منهما و کل أحد یحب أن یخلو بنفسه ویحتشم الصهر والبنت و لم یکن له إلی غیرها من الزوجات مثل ذلک المیل إلیها فتمرض فی بیتها فغبطت علی ذلک و لم یمرض رسول الله ص منذ قدم المدینة مثل هذاالمرض وإنما کان مرضه الشقیقة یوما أوبعض یوم ثم یبرأ فتطاول هذاالمرض و کان علی ع لایشک أن الأمر له و أنه لاینازعه فیه أحد من الناس ولهذا قال له عمه و قدمات رسول الله ص امدد یدک أبایعک فیقول الناس عم رسول الله ص بایع ابن عم رسول الله ص فلا یختلف علیک اثنان قال یاعم وهل یطمع فیهاطامع غیری قال ستعلم قال فإنی لاأحب هذاالأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به فسکت عنه فلما ثقل رسول الله ص فی مرضه أنفذ جیش أسامة وجعل فیه أبابکر وغیره من أعلام [صفحه ۱۹۷] المهاجرین والأنصار فکان علی ع حینئذ بوصوله إلی الأمر إن حدث برسول الله ص حدث أوثق وتغلب علی ظنه أن المدینة لومات لخلت من منازع ینازعه الأمر بالکلیة فیأخذه صفوا عفوا وتتم له البیعة فلایتهیأ فسخها لورام ضد منازعته علیها فکان من عود أبی بکر من جیش أسامة بإرسالها إلیه وإعلامه بأن رسول الله ص یموت ما کان و من حدیث الصلاة بالناس ماعرف فنسب علی ع عائشة أنها أمرت بلالا مولی أبیها أن یأمره فلیصل بالناس لأن رسول الله کماروی قال لیصل بهم أحدهم و لم یعین وکانت صلاة الصبح فخرج رسول الله ص و هو فی آخر رمق یتهادی بین علی والفضل بن العباس حتی قام فی المحراب کماورد فی الخبر ثم دخل فمات ارتفاع الضحی فجعل یوم صلاته حجة فی صرف الأمر إلیه و قال أیکم یطیب نفسا أن یتقدم قدمین قدمهما رسول الله فی الصلاة و لم یحملوا خروج رسول الله ص إلی الصلاة لصرفه عنها بل لمحافظته علی الصلاة مهما أمکن فبویع علی هذه النکتة التی اتهمها علی ع علی أنها ابتدأت منها. و کان علی ع یذکر هذاالأصحابه فی خلواته کثیرا و یقول إنه لم یقل ص إنکن لصویحبات یوسف إلاإنکارا لهذه الحال وغضبا منها لأنها وحفصة تبادرتا إلی تعیین أبویهما و أنه استدرکها بخروجه وصرفه عن المحراب فلم یجد ذلک و لاأثر مع قوة الداعی ألذی کان یدعو إلی أبی بکر ویمهد له قاعدة الأمر وتقرر حاله فی نفوس الناس و من اتبعه علی ذلک من أعیان المهاجرین والأنصار و لماساعد علی ذلک من الحظ الفلکی والأمر السمائی ألذی جمع علیه القلوب والأهواء فکانت هذه الحال عند علی أعظم من کل عظیم وهی الطامة الکبری [صفحه ۱۹۸] والمصیبة العظمی و لم ینسبها إلا إلی عائشة وحدها و لاعلق الأمر الواقع إلا بهافدعا علیها فی خلواته و بین خواصه وتظلم إلی الله منها وجری له فی تخلفه عن البیعة ما هومشهور حتی بایع و کان یبلغه وفاطمة عنها کل مایکرهانه منذ مات رسول الله ص إلی أن توفیت فاطمة وهما صابران علی مضض ورمض واستظهرت بولایة أبیها واستطالت وعظم شأنها وانخذل علی وفاطمة وقهرا وأخذت فدک وخرجت فاطمة تجادل فی ذلک مرارا فلم تظفر بشیء و فی ذلک تبلغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة کل کلام یسوؤها ویبلغن عائشة عنها و عن بعلها مثل ذلک إلا أنه شتان ما بین الحالین و بعد ما بین الفریقین هذه غالبة و هذه مغلوبة و هذه آمرة و هذه مأمورة وظهر التشفی والشماتة و لا شیءأعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو.فقلت له رحمه الله أفتقول أنت إن عائشة عینت أباها للصلاة و رسول الله ص لم یعینه فقال أما أنا فلاأقول ذلک ولکن علیا کان یقوله وتکلیفی غیرتکلیفه کان حاضرا ولکم أکن حاضرا فأنا محجوج بالأخبار التی اتصلت بی وهی تتضمن تعیین النبی ص لأبی بکر فی الصلاة و هومحجوج بما کان قدعلمه أویغلب علی ظنه من الحال التی کان حضرها. قال ثم ماتت فاطمة فجاء نساء رسول الله ص کلهن إلی بنی هاشم فی العزاء إلاعائشة فإنها لم تأت وأظهرت مرضا ونقل إلی علی ع عنها کلام یدل علی السرور. ثم بایع علی أباها فسرت بذلک وأظهرت من الاستبشار بتمام البیعة واستقرار [صفحه ۱۹۹] الخلافة وبطلان منازعة الخصم ما قدنقله الناقلون فأکثروا واستمرت الأمور علی هذامدة خلافة أبیها وخلافة عمر وعثمان والقلوب تغلی والأحقاد تذیب الحجارة وکلما

طال الزمان على على تضاعفت همومه وباح بما فى نفسه إلى أن قتل عثمان و قدكانت عائشة فيهاأشد الناس عليه تأليبا وتحريضا فقالت أبعده الله لماسمعت قتله وأملت أن تكون الخلافة فى طلحة فتعود الإمرة تيمية كماكانت أولا فعدل الناس عنه إلى على بن أبى طالب فلما سمعت ذلك صرخت وا عثماناه قتل عثمان مظلوما وثار ما فى الأنفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل و مابعده . هذه خلاصة كلام الشيخ أبى يعقوب رحمه الله و لم يكن يتشيع و كان شديدا فى الاعتزال إلا أنه فى التفضيل كان بغداديا .فأما قوله ع و لودعيت لتنال من غيرى مثل ماأتت إلى لم تفعل فإنما يعنى به عمر يقول لو أن عمر ولى الخلافة بعدقتل عثمان على الوجه ألذى قتل عليه والوجه ألذى أناوليت الخلافة عليه ونسب إلى عمر أنه كان يؤثر قتله أويحرض عليه ودعيت عائشة إلى أن تخرج عليه فى عصابة من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام تثير فتنة وتنقض البيعة لم تفعل و هذاحق لأنها لم تكن تجد على عمر ماتجده على على ع و لاالحال الحال .فأما قوله ولها بعدحرمتها الأولى والحساب على الله فإنه يعنى بذلك حرمتها بنكاح رسول الله ص لها وحبه إياها وحسابها على الله لأنه غفور رحيم لايتعاظم عفوه زلة و لايضيق عن رحمته ذنب . [صفحه ٢٠٠] فإن قلت هذاالكلام يدل على توقفه ع فى أمرها وأنتم تقولون إنها من أهل الجنة فكيف تجمعون بين مذهبكم و هذاالكلام . قلت يجوز أن يكون قال هذاالكلام قبل أن يتواتر الخبر عنده بتوبتها فإن أصحابنا يقولون إنها تابت بعدقتل أمير المؤمنين وندمت وقالت لوددت أن لى من رسول الله ص عشرة بنين كلهم ماتوا و لم يكن يوم الجمل وإنها كانت بعدقتله تثنى عليه وتنشر مناقبه مع أنهم رووا أيضا أنها عقيب الجمل كانت تبكى حتى تبل خمارها وأنها استغفرت الله وندمت ولكن لم يبلغ أمير المؤمنين ع حديث توبتها عقيب الجمل بلاغا يقطع العذر ويثبت الحجة و ألذى شاع عنها من أمر الندم والتوبة شياعا مستفيضا إنما كان بعدقتله ع إلى أن ماتت وهى على ذلك والتائب مغفور له ويجب قبول التوبة عندنا فى العدل و قدأكدوا وقوع التوبة منها ما روى فى الأخبار المشهورة أنها زوجة رسول الله ص فى الآخرة كماكانت زوجته فى الدنيا -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٨٨ ومثل هذاالخبر إذاشاع أوجب علينا أن نتكلف إثبات توبتها و لو لم ينقل فكيف والنقل لها يكاد أن يبلغ حد التواتر مِنهُ سَبِيلٌ أَبلَجُ المِنهَاجِ أَنوَرُ السّرَاجِ فَبِالإِيمَانِ يُستَدَلّ عَلَى الصّالِحَاتِ وَ بِالصّالِحَاتِ يُستَدَلّ عَلَى الإِيمَانِ وَ بِالإِيمَانِ يُعمَرُ العِلمُ وَ بِالعِلمِ يُرهَبُ المَوتُ وَ بِالمَوتِ تُختَمُ الدّنيَا وَ بِالدّنيَا تُحرَزُ الآخِرَةُ وَ بِالقِيَامَةِ تُزلَفُ الجَنّةُ وَ تُبَرّزُ الجَحِيمُ [صفحه ٢٠١] لِلغَاوِينَ وَ إِنّ الخَلقَ لَا مَقصَرَ لَهُم عَنِ القِيَامَةِ مُرقِلِينَ فِي مِضمَارِهَا إِلَى الغَايَةِ القُصوَى هوالآن فى ذكر الإيمان و عنه قال سبيل أبلج المنهاج أى واضح الطريق . ثم قال فبالإيمان يستدل على الصالحات يريد بالإيمان هاهنا مسماه اللغوى لاالشرعى لأن الإيمان فى اللغة هوالتصديق قال سبحانه وَ ما أَنتَ بِمُؤمِنٍ لَنا أى بمصدق والمعنى أن من حصل عنده التصديق بالوحدانية والرسالة وهما كلمتا الشهادة استدل بهما على وجوب الأعمال الصالحة عليه أوندبه إليها لأن المسلم يعلم من دين نبيه ص أنه أوجب عليه أعمالا صالحة وندبه إلى أعمال صالحة فقد ثبت أن بالإيمان يستدل على الصالحات . ثم قال وبالصالحات يستدل على الإيمان فالإيمان هاهنا مستعمل فى مسماه الشرعى لا فى مسماه اللغوى ومسماه الشرعى هوالعقد بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح فلا يكون المؤمن مؤمنا حتى يستكمل فعل كل واجب ويجتنب كل قبيح و لاشبهة أنامتى علمنا أوظننا من مكلف أنه يفعل الأفعال الصالحة ويجتنب الأفعال القبيحة استدللنا بذلك على حسن إطلاق لفظ المؤمن عليه وبهذا التفسير ألذى فسرناه نسلم من إشكال الدور لأن لقائل أن يقول من شرط الدليل أن يعلم قبل العلم بالمدلول فلو كان كل واحد من الإيمان والصالحات يستدل به على الآخر لزم تقدم العلم بكل واحد منهما على العلم بكل واحد منهما فيؤدى إلى الدور و لاشبهة أن هذاالدور غيرلازم على التفسير ألذى فسرناه نحن . -قرآن-٢٠٧-٢٣٢ [صفحه ٢٠٢] ثم قال ع وبالإيمان يعمر العلم و ذلك لأن العالم و هو غيرعامل بعلمه غيرمنتفع بما علم بل مستضر به غاية الضرر فكأن علمه خراب غيرمعمور وإنما يعمر بالإيمان و هوفعل الواجب وتجنب القبيح على مذهبنا أوالاعتقاد والمعرفة على مذهب غيرنا أوالقول اللسانى على قول آخرين ومذهبنا أرجح لأن عمارة العلم إنما تكون بالعمل من

الأعضاء والجوارح وبدون ذلک یبقی العلم علی خرابه کما کان . ثم قال وبالعلم یرهب الموت هذا من قول الله تعالی إِنّما یَخشَی اللّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ. ثم قال وبالموت تختم الدنیا و هذاحق لأنه انقطاع التکلیف . ثم قال وبالدنیا تحرز الآخرة هذاکقول بعض الحکماء الدنیا متجر والآخرة ربح ونفسک رأس المال . ثم قال وبالقیامة تزلف الجنة للمتقین وتبرز الجحیم للغاوین هذا من القرآن العزیز وتزلف لهم تقدم لهم وتقرب إلیهم . و لامقصر لی عن کذا لامحبس و لاغایة لی دونه وأرقل أسرع والمضمار حیث تستبق الخیل -قرآن-۴۵۳-۴۹۶ مِنهَا قَد شَخَصُوا مِن مُستَقَرّ الأَجدَاثِ وَ صَارُوا إِلَی مَصَایِرِ الغَایَاتِ لِکُلّ دَارٍ أَهلُهَا [صفحه ۲۰۳] لَا یَستَبدِلُونَ بِهَا وَ لَا یُنقَلُونَ عَنهَا وَ إِنّ الأَمرَ بِالمَعرُوفِ وَ النّهیَ عَنِ المُنکَرِ لَخُلُقَانِ مِن خُلُقِ اللّهِ سُبحَانَهُ وَ إِنّهُمَا لَا یُقَرّبَانِ مِن أَجَلٍ وَ لَا یَنقُصَانِ مِن رِزقٍ وَ عَلَیکُم بِکِتَابِ اللّهِ فَإِنّهُ الحَبلُ المَتِینُ وَ النّورُ المُبِینُ وَ الشّفَاءُ النّافِعُ وَ الرّیّ النّاقِعُ وَ العِصمَةُ لِلمُتَمَسّکِ وَ النّجَاةُ لِلمُتَعَلّقِ لَا یَعوَجّ فَیُقَامَ وَ لَا یَزِیغُ فَیُستَعتَبَ وَ لَا یُخلِقُهُ کَثرَةُ الرّدّ وَ وُلُوجُ السّمعِ مَن قَالَ بِهِ صَدَقَ وَ مَن عَمِلَ بِهِ سَبَقَ شخصوا من بلد کذا خرجوا ومستقر الأجداث مکان استقرارهم بالقبور وهی جمع جدث . ومصایر الغایات جمع مصیر والغایات جمع غایة وهی ماینتهی إلیه قال الکمیت فالآن صرت إلی أمیة والأمور إلی مصایر . ثم ذکر أن أهل الثواب والعقاب کل من الفریقین یقیم بدار لایتحول منها و هذا کما ورد فی الخبر أنه ینادی مناد یا أهل الجنة سعادة لافناء لها و یا أهل النار شقاوة لافناء لها -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-۹۴ . ثم ذکر أن الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر خلقان من خلق الله سبحانه و ذلک لأنه تعالی ماأمر إلابمعروف و مانهی إلا عن منکر ویبقی الفرق بیننا وبینه أنایجب علینا النهی عن المنکر بالمنع منه و هوسبحانه لایجب علیه ذلک لأنه لومنع من إتیان المنکر لبطل التکلیف . ثم قال إنهما لایقربان من أجل و لاینقصان من رزق وإنما قال ع [صفحه ۲۰۴] ذلک لأن کثیرا من الناس یکف عن نهی الظلمة عن المناکیر توهما منه أنهم أما إن یبطشوا به فیقتلوه أویقطعوا رزقه ویحرموه فقال ع إن ذلک لیس مما یقرب من الأجل و لایقطع الرزق . وینبغی أن یحمل کلامه ع علی حال السلامة وغلبة الظن بعدم تطرق الضرر الموفی علی مصلحة النهی عن المنکر. ثم أمر باتباع الکتاب العزیز ووصفه بما وصفه به . وماء ناقع ینقع الغلة أی یقطعها ویروی منها و لایزیغ یمیل فیستعتب یطلب منه العتبی هی الرضا کمایطلب من الظالم یمیل فیسترضی . قال و لایخلقه کثرة الرد وولوج السمع هذا من خصائص القرآن المجید شرفه الله تعالی و ذلک أن کل کلام منثور أومنظوم إذاتکررت تلاوته وتردد ولوجه الأسماع مل وسمج واستهجن إلاالقرآن فإنه لایزال غضا طریا محبوبا غیرمملول [صفحه ۲۰۵]

۱۵۷

وقام إلیه ع رجل فقال أخبرنا عن الفتنة وهل سألت عنها رسول الله ص فقال ع إِنّهُ لَمّا أَنزَلَ اللّهُ سُبحَانَهُ قَولَهُالم أَ حَسِبَ النّاسُ أَن یُترَکُوا أَن یَقُولُوا آمَنّا وَ هُم لا یُفتَنُونَعَلِمتُ أَنّ الفِتنَةَ لَا تَنزِلُ بِنَا وَ رَسُولُ اللّهِص بَینَ أَظهُرِنَا فَقُلتُ یَا رَسُولَ اللّهِ مَا هَذِهِ الفِتنَةُ التّیِ أَخبَرَکَ اللّهُ بِهَا فَقَالَ یَا عَلِیّ إِنّ أُمّتیِ سَیُفتَنُونَ بعَدیِ فَقُلتُ یَا رَسُولُ اللّهِ أَ وَ لَیسَ قَد قُلتَ لِی یَومَ أُحُدٍ حَیثُ استُشهِدَ مَنِ استُشهِدَ مِنَ المُسلِمِینَ وَ حِیزَت عنَیّ الشّهَادَةُ فَشَقّ ذَلِکَ عَلَیّ فَقُلتَ لِی أَبشِر فَإِنّ الشّهَادَةَ مِن وَرَائِکَ فَقَالَ لِی إِنّ ذَلِکَ لَکَذَلِکَ فَکَیفَ صَبرُکَ إِذاً فَقُلتُ یَا رَسُولَ اللّهِ لَیسَ هَذَا مِن مَوَاطِنِ الصّبرِ وَ لَکِن مِن مَوَاطِنِ البُشرَی وَ الشّکرِ وَ قَالَ یَا عَلِیّ إِنّ القَومَ سَیُفتَنُونَ بِأَموَالِهِم وَ یَمُنّونَ بِدِینِهِم عَلَی رَبّهِم وَ یَتَمَنّونَ رَحمَتَهُ وَ یَأمَنُونَ سَطوَتَهُ وَ یَستَحِلّونَ حَرَامَهُ بِالشّبُهَاتِ الکَاذِبَةِ وَ الأَهوَاءِ السّاهِیَةِ فَیَستَحِلّونَ الخَمرَ بِالنّبِیذِ وَ السّحتَ بِالهَدِیّةِ وَ الرّبَا بِالبَیعِ فَقُلتُ یَا رَسُولَ اللّهِ فبَأِیَّ المَنَازِلِ أُنزِلُهُم عِندَ ذَلِکَ أَ بِمَنزِلَةِ رِدّةٍ أَم بِمَنزِلَةِ فِتنَةٍ فَقَالَ بِمَنزِلَةِ فِتنَةٍ -قرآن-۴۷-۱۲۴ [صفحه ۲۰۶] قد کان ع یتکلم فی الفتنة ولذلک ذکر الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ولذلک قال فعلیکم بکتاب الله أی إذاوقع الأمر واختلط الناس فعلیکم بکتاب الله فلذلک قام إلیه من سأله عن الفتنة و هذاالخبر

مروی عن رسول الله ص قدرواه کثیر من المحدثین عن علی ع أن رسول الله ص قال له إن الله قدکتب علیک جهاد المفتونین کماکتب علی جهاد المشرکین قال فقلت یا رسول الله ما هذه الفتنهٔ التی کتب علی فیهاالجهاد قال قوم یشهدون أن لاإله إلا الله وأنی رسول الله وهم مخالفون للسنهٔ فقلت یا رسول الله فعلام أقاتلهم وهم یشهدون کماأشهد قال علی الأحداث فی الدین ومخالفهٔ الأمر فقلت یا رسول الله إنک کنت وعدتنی الشهادهٔ فأسأل الله أن یعجلها لی بین یدیک قال فمن یقاتل الناکثین والقاسطین والمارقین أماإنی وعدتک الشهادهٔ وستستشهد تضرب علی هذه فتخضب هذه فکیف صبرک إذا قلت یا رسول الله لیس ذا بموطن صبر هذاموطن شکر قال أجل أصبت فأعد للخصومهٔ فإنک مخاصم فقلت یا رسول الله لوبینت لی قلیلا فقال إن أمتی ستفتن من بعدی فتتأول القرآن وتعمل بالرأی وتستحل الخمر بالنبیذ والسحت بالهدیهٔ والربا بالبیع وتحرف الکتاب عن مواضعه وتغلب کلمهٔ الضلال فکن جلیس بیتک حتی تقلدها فإذاقلدتها جاشت علیک الصدور وقلبت لک الأمور تقاتل حینئذ علی تأویل القرآن کماقاتلت علی تنزیله فلیست حالهم الثانیهٔ بدون حالهم الأولی فقلت یا رسول الله فبأی المنازل أنزل هؤلاء المفتونین من بعدک أبمنزلهٔ فتنهٔ أم بمنزلهٔ ردهٔ فقال بمنزلهٔ فتنهٔ یعمهون فیها إلی أن یدرکهم العدل فقلت یا رسول الله أیدرکهم العدل منا أم من غیرنا قال بل منا بنا فتح وبنا یختم وبنا ألف الله بین القلوب -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-ادامه دارد [صفحه ۲۰۷] بعدالشرک وبنا یؤلف بین القلوب بعدالفتنهٔ فقلت الحمد لله علی ماوهب لنا من فضله -روایت-از قبل-۸۸. واعلم أن لفظه ع المروی فی نهج البلاغهٔ یدل علی أن الآیهٔ المذکورهٔ وهی قوله ع الم أَ حَسِبَ النّاسُأنزلت بعدأحد و هذاخلاف قول أرباب التفسیر لأن هذه الآیهٔ هی أول سورهٔ العنکبوت وهی عندهم بالاتفاق مکیهٔ و یوم أحد کان بالمدینهٔ وینبغی أن یقال فی هذا إن هذه الآیهٔ خاصهٔ أنزلت بالمدینهٔ وأضیفت إلی السورهٔ المکیهٔ فصارتا واحدهٔ وغلب علیها نسب المکی لأن الأکثر کان بمکهٔ و فی القرآن مثل هذاکثیر کسورهٔ النحل فإنها مکیهٔ بالإجماع وآخرها ثلاث آیات أنزلت بالمدینهٔ بعد یوم أحد وهی قوله تعالی وَ إِن عاقَبتُم فَعاقِبُوا بِمِثلِ ما عُوقِبتُم بِهِ وَ لَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَیرٌ لِلصّابِرِینَ وَ اصبِر وَ ما صَبرُکَ إِلّا بِاللّهِ وَ لا تَحزَن عَلَیهِم وَ لا تَکُ فِی ضَیقٍ مِمّا یَمکُرُونَ إِنّ اللّهَ مَعَ الّذِینَ اتّقَوا وَ الّذِینَ هُم مُحسِنُونَ. فإن قلت فلم قال علمت أن الفتنهٔ لاتنزل بنا و رسول الله بین أظهرنا قلت لقوله تعالی وَ ما کانَ اللّهُ لِیُعَذّبَهُم وَ أَنتَ فِیهِم. و قوله حیزت عنی الشهادهٔ أی منعت . قوله لیس هذا من مواطن الصبر کلام عال جدا یدل علی یقین عظیم وعرفان تام ونحوه -قرآن-۸۶-۱۰۷-قرآن-۵۱۰-۷۶۵-قرآن-۸۵۶-۹۰۲ قوله و قدضربه ابن ملجم فزت ورب الکعبهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۹-۴۷ . [صفحه ۲۰۸] قوله سیفتنون بعدی بأموالهم من قوله تعالی إِنّما أَموالُکُم وَ أَولادُکُم فِتنَهٌ. قوله ویمنون بدینهم علی ربهم من قوله تعالی یَمُنّونَ عَلَیکَ أَن أَسلَمُوا قُل لا تَمُنّوا عَلَیّ إِسلامَکُم بَلِ اللّهُ یَمُنّ عَلَیکُم أَن هَداکُم لِلإِیمانِ. قوله ویتمنون رحمته من قوله أحمق الحمقی من أتبع نفسه هواها وتمنی علی الله . قوله ویأمنون سطوته من قوله تعالی أَ فَأَمِنُوا مَکرَ اللّهِ فَلا یَأمَنُ مَکرَ اللّهِ إِلّا القَومُ الخاسِرُونَ. والأهواء الساهیهٔ الغافلهٔ والسحت الحرام ویجوز ضم الحاء و قدأسحت الرجل فی تجارته إذااکتسب السحت . و فی قوله بل بمنزلهٔ فتنهٔ تصدیق لمذهبنا فی أهل البغی وأنهم لم یدخلوا فی الکفر بالکلیهٔ بل هم فساق والفاسق عندنا فی منزلهٔ بین المنزلتین خرج من الإیمان و لم یدخل فی الکفر -قرآن-۴۸-۸۶-قرآن-۱۳۷-۲۵۲-قرآن-۳۷۸-۴۵۵ [صفحه ۲۰۹]

۱۵۸- و من خطبهٔ له ع

الحَمدُ لِلّهِ أَلّذِی جَعَلَ الحَمدَ مِفتَاحاً لِذِکرِهِ وَ سَبَباً لِلمَزِیدِ مِن فَضلِهِ وَ دَلِیلًا عَلَی آلَائِهِ وَ عَظَمَتِهِ عِبَادَ اللّهِ إِنّ الدّهرَ یَجرِی بِالبَاقِینَ کَجَرِیِهِ بِالمَاضِینَ لَا یَعُودُ مَا قَد وَلّی مِنهُ وَ لَا یَبقَی سَرمَداً مَا فِیهِ آخِرُ فَعَالِهِ کَأَوّلِهِ مُتَشَابِهَهٌ أُمُورُهُ مُتَظَاهِرَهٌ أَعلَامُهُ فَکَأَنّکُم بِالسّاعَهِ

تَحدُوكُم حَدوَ الزّاجِرِ بِشَولِهِ فَمَن شَغَلَ نَفسَهُ بِغَيرِ نَفسِهِ تَحَيّرَ فِي الظّلُمَاتِ وَ ارتَبَكَ فِي الهَلَكَاتِ وَ مَدّت بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغيَانِهِ وَ زَيّنَت لَهُ سَيّئَ أَعمَالِهِ فَالجَنّةُ غَايَةُ السّابِقِينَ وَ النّارُ غَايَةُ المُفَرّطِينَ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّ التّقوَى دَارُ حِصنٍ عَزِيزٍ وَ الفُجُورَ دَارُ حِصنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمنَعُ أَهلَهُ وَ لَا يُحرِزُ مَن لَجَأَ إِلَيهِ أَلَا وَ بِالتّقوَى تُقطَعُ حُمَةُ الخَطَايَا وَ بِاليَقِينِ تُدرَكُ الغَايَةُ القُصوَى عِبَادَ اللّهِ اللّهَ اللّهَ فِي أَعَزّ الأَنفُسِ عَلَيكُم وَ أَحَبّهَا إِلَيكُم فَإِنّ اللّهَ قَد أَوضَحَ لَكُم سَبِيلَ الحَقّ وَ أَنَارَ طُرُقَهُ فَشِقوَةٌ لَازِمَةٌ أَو سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ فَتَزَوّدُوا فِي أَيّامِ الفَنَاءِ لِأَيّامِ البَقَاءِ قَد دُلِلتُم عَلَى الزّادِ وَ أُمِرتُم بِالظّعنِ وَ حُثِثتُم عَلَى المَسِيرِ فَإِنّمَا أَنتُم كَرَكبٍ وُقُوفٍ لَا يَدرُونَ مَتَى يُؤمَرُونَ بِالسّيرِ أَلَا فَمَا يَصنَعُ بِالدّنيَا مَن [صفحه ۲۱۰] خُلِقَ لِلآخِرَةِ وَ مَا يَصنَعُ بِالمَالِ مَن عَمّا قَلِيلٍ يُسلَبُهُ وَ تَبقَى عَلَيهِ تَبِعَتُهُ وَ حِسَابُهُ عِبَادَ اللّهِ إِنّهُ لَيسَ لِمَا وَعَدَ اللّهُ مِنَ الخَيرِ مَترَكٌ وَ لَا فِيمَا نَهَى عَنهُ مِنَ الشّرّ مَرغَبٌ عِبَادَ اللّهِ احذَرُوا يَوماً تُفحَصُ فِيهِ الأَعمَالُ وَ يَكثُرُ فِيهِ الزّلزَالُ وَ تَشِيبُ فِيهِ الأَطفَالُ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّ عَلَيكُم رَصَداً مِن أَنفُسِكُم وَ عُيُوناً مِن جَوَارِحِكُم وَ حُفّاظَ صِدقٍ يَحفَظُونَ أَعمَالَكُم وَ عَدَدَ أَنفَاسِكُم لَا تَستُرُكُم مِنهُم ظُلمَةُ لَيلٍ دَاجٍ وَ لَا يُكِنّكُم مِنهُم بَابٌ ذُو رِتَاجٍ وَ إِنّ غَداً مِنَ اليَومِ قَرِيبٌ يَذهَبُ اليَومُ بِمَا فِيهِ وَ يَجِيءُ الغَدُ لَاحِقاً بِهِ فَكَأَنّ كُلّ امرِئٍ مِنكُم قَد بَلَغَ مِنَ الأَرضِ مَنزِلَ وَحدَتِهِ وَ مَخَطّ حُفرَتِهِ فَيَا لَهُ مِن بَيتِ وَحدَةٍ وَ مَنزِلِ وَحشَةٍ وَ مُفرَدِ غُربَةٍ وَ كَأَنّ الصّيحَةَ قَد أَتَتكُم وَ السّاعَةَ قَد غَشِيَتكُم وَ بَرَزتُم لِفَصلِ القَضَاءِ قَد زَاحَت عَنكُمُ الأَبَاطِيلُ وَ اضمَحَلّت عَنكُمُ العِلَلُ وَ استَحَقّت بِكُمُ الحَقَائِقُ وَ صَدَرَت بِكُمُ الأُمُورُ مَصَادِرَهَا فَاتّعِظُوا بِالعِبَرِ وَ اعتَبِرُوا بِالغِيَرِ وَ انتَفِعُوا بِالنّذُرِ جعل الحمد مفتاحا لذكره لأن أول الكتاب العزيزالحَمدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِينَ والقرآن هوالذكر قال سبحانه إِنّا نَحنُ نَزّلنَا الذّكرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ -قرآن-۵۰-۸۰-قرآن-۱۱۰-۱۶۳ [صفحه ۲۱۱] وسببا للمزيد لأنه تعالى قال لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنّكُم والحمد هاهنا هوالشكر ومعنى جعله الحمد دليلا على عظمته وآلائه أنه إذا كان سببا للمزيد فقد دل ذلك على عظمة الصانع وآلائه أمادلالته على عظمته فلأنه دال على أن قدرته لاتتناهى أبدا بل كلما ازداد الشكر ازدادت النعمة و أمادلالته على آلائه فلأنه لاجود أعظم من جود من يعطى من يحمده لاحمدا متطوعا بل حمدا واجبا عليه . قوله يجرى بالباقين كجريه بالماضين من هذاأخذ الشعراء وغيرهم مانظموه فى هذاالمعنى قال بعضهم -قرآن-۳۲-۶۰ مات من مات والثريا الثريا || والسماك السماك والنسر نسر ونجوم السماء تضحك منا || كيف تبقى من بعدنا ونمر . و قال آخر فما الدهر إلاكالزمان ألذى مضى || و لانحن إلاكالقرون الأوائل . قوله لايعود ما قدولى منه كقول الشاعر ماأحسن الأيام إلاأنها || ياصاحبى إذامضت لم ترجع . قوله و لايبقى سرمدا ما فيه كلام مطروق المعنى قال عدى ليس شىء على المنون بباق || غيروجه المهيمن الخلاق . قوله آخر أفعاله كأوله يروى كأولها و من رواه كأوله أعاد الضمير إلى الدهر أى آخر أفعال الدهر كأول الدهر فحذف المضاف .متشابهة أموره لأنه كما كان من قبل يرفع ويضع ويغنى ويفقر ويوجد [صفحه ۲۱۲] ويعدم فكذلك هوالآن أفعاله متشابهة وروى متسابقة أى شىءمنها قبل شىءكأنها خيل تتسابق فى مضمار.متظاهرة أعلامه أى دلالاته على سجيته التى عامل الناس بهاقديما وحديثا متظاهرة يقوى بعضها بعضا و هذاالكلام جار منه ع على عادة العرب فى ذكر الدهر وإنما الفاعل على الحقيقة رب الدهر. والشول النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أوثمانية الواحدة شائلة وهى جمع على غيرالقياس وشولت الناقة أى صارت شائلة فأما الشائل بغير هاء فهى الناقة تشول بذنبها للقاح و لالبن لها أصلا والجمع شول مثل راكع وركع قال أبوالنجم كأن فى أذنابهن الشول . والزاجر ألذى يزجر الإبل يسوقها ويقال حدوت إبلى وحدوت بإبلى والحدو سوقها والغناء لها وكذلك الحداء ويقال للشمال حدواء لأنها تحدو السحاب أى تسوقه قال العجاج حدواء جاءت من بلاد الطور . و لايقال للمذكر أحدى وربما قيل للحمار إذاقدم أتنه حاد قال ذو الرمة حادى ثلاث من الحقب السماحيج . والمعنى أن سائق الشول يعسف بها و لايتقى سوقها و لايدارك كمايسوق العشار. [صفحه ۲۱۳] ثم قال ع من شغل نفسه بغير نفسه هلك و ذلك أن من لايوفى النظر حقه ويميل إلى الأهواء ونصرة الأسلاف والحجاج عما ربى عليه بين الأهل والأستاذين الذين زرعوا فى قلبه العقائد يكون قدشغل نفسه بغير

نفسه لأنه لم ينظر لها و لاقصد الحق من حيث هوحق وإنما قصد نصرة مذهب معين يشق عليه فراقه ويصعب عنده الانتقال منه ويسوؤه أن يرد عليه حجة تبطله فيسهر عينه ويتعب قلبه فی تهويس تلك الحجة والقدح فيهابالغث والسمين لالأنه يقصد الحق بل يقصد نصرة المذهب المعين وتشييد دليله لاجرم أنه متحير فی ظلمات لانهاية لها. والارتباك الاختلاط ربكت الشیء أربكه ربكا خلطته فارتبك أی اختلط وارتبك الرجل فی الأمر أی نشب فيه و لم يكد يتخلص منه . قوله ومدت به شياطينه فی طغيانه مأخوذ من قوله تعالی وَ إِخوانُهُم يَمُدّونَهُم فِي الغَيِّ ثُمّ لا يُقصِرُونَ. وروی ومدت له شياطينه باللام ومعناه الإمهال مد له فی الغی أی طول له و قال تعالی قُل مَن كانَ فِي الضّلالَةِ فَليَمدُد لَهُ الرّحمنُ مَدّا. قوله وزينت له سيئ أعماله مأخوذ من قوله تعالی أَ فَمَن زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً. قوله التقوی دار حصن عزيز معناه دار حصانة عزيزة فأقام الاسم مقام المصدر وكذلك فی الفجور. ويحرز من لجأ إليه يحفظ من اعتصم به . -قرآن-٧٣٠-٧٨٦-قرآن-٨٧٩-٩٣٥-قرآن-٩٨٩-١٠٣٩ [صفحه ٢١٤] وحمة الخطايا سمها وتقطع الحمة كماتقول قطعت سريان السم فی بدن الملسوع بالبادزهرات والترياقات فكأنه جعل سم الخطايا ساريا فی الأبدان والتقوی تقطع سريانه . قوله وباليقين تدرك الغاية القصوی و ذلك لأن أقصی درجات العرفان الكشف و هوالمراد هاهنا بلفظ اليقين . وانتصب الله علی الإغراء و فی متعلقة بالفعل المقدر وتقديره راقبوا وأعز الأنفس عليهم أنفسهم . قوله فشقوة لازمة مرفوع علی أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره فغايتكم أوفجزاؤكم أوفشأنكم و هذايدل علی مذهبنا فی الوعيد لأنه قسم الجزاء إلی قسمين إما العذاب أبدا أوالنعيم أبدا و فی هذابطلان قول المرجئة إن ناسا يخرجون من النار فيدخلون الجنة لأن هذا لوصح لكان قسما ثالثا. قوله فقد دللتم علی الزاد أی الطاعة. وأمرتم بالظعن أی أمرتم بهجر الدنيا و أن تظعنوا عنها بقلوبكم ويجوز الظعن بالتسكين . وحثثتم علی المسير لأن الليل والنهار سائقان عنيفان . قوله وإنما أنتم كركب وقوف لايدرون متی يؤمرون بالسير السير هاهنا هوالخروج من الدنيا إلی الآخرة بالموت جعل الناس ومقامهم فی الدنيا كركب وقوف لايدرون متی يقال لهم سيروا فيسيرون لأن الناس لايعلمون الوقت ألذی يموتون فيه فإن قلت كيف سمی الموت والمفارقة سيرا. قلت لأن الأرواح يعرج بهاإما إلی عالمها وهم السعداء أوتهوی إلی أسفل [صفحه ٢١٥] السافلين وهم الأشقياء و هذا هوالسير الحقيقی لاحركة الرجل بالمشی و من أثبت الأنفس المجردة قال سيرها خلوصها من عالم الحس واتصالها المعنوی لاالأبدی ببارئها فهو سير فی المعنی لا فی الصورة و من لم يقل بهذا و لابهذا قال إن الأبدان بعدالموت تأخذ فی التحلل والتزايل فيعود كل شیءمنها إلی عنصره فذاك هوالسير. و ما فی عما قليل زائدة وتبعته إثمه وعقوبته . قوله إنه ليس لماوعد الله من الخير مترك أی ليس الثواب فيما ينبغی للمرء أن يتركه و لاالشر فيما ينبغی أن يرغب المرء فيه . وتفحص فيه الأعمال تكشف والزلزال بالفتح اسم للحركة الشديدة والاضطراب والزلزال بالكسر المصدر قال تعالی وَ زُلزِلُوا زِلزالًا شَدِيداً. قوله ويشيب فيه الأطفال كلام جار مجری المثل يقال فی اليوم الشديد إنه ليشيب نواصی الأطفال و قال تعالی فَكَيفَ تَتّقُونَ إِن كَفَرتُم يَوماً يَجعَلُ الوِلدانَ شِيباً و ليس ذلك علی حقيقته لأن الأمة مجمعة علی أن الأطفال لاتتغير حالهم فی الآخرة إلی الشيب والأصل فی هذا أن الهموم والأحزان إذاتوالت علی الإنسان شاب سريعا قال أبوالطيب -قرآن-٦٠٩-٦٣٨-قرآن-٧٥٤-٨١٥ والهم يخترم الجسيم نحافة || ويشيب ناصية الصبی ويهرم . قوله إن عليكم رصدا من أنفسكم وعيونا من جوارحكم لأن الأعضاء تنطق فی القيامة بأعمال المكلفين وتشهد عليهم . [صفحه ٢١٦] والرصد جمع راصد كالحرس جمع حارس . قوله وحفاظ صدق يعنی الملائكة الكاتبين لايعتصم منهم بسترة و لاظلام ليل و من هذاالمعنی قول الشاعر إذا ماخلوت الدهر يوما فلاتقل || خلوت ولكن قل علی رقيب قوله و إن غدا من اليوم قريب و منه قول القائل فإن غدا لناظره قريب . منه قوله غد ماغد ماأقرب اليوم من غد . و منه قول الله تعالی إِنّ مَوعِدَهُمُ الصّبحُ أَ لَيسَ الصّبحُ بِقَرِيبٍ والصيحة نفخة الصور. وزاحت الأباطيل بعدت واضمحلت تلاشت وذهبت . قوله واستحقت أی حقت ووقعت استفعل بمعنی فعل كقولك استمر علی باطله أی مر عليه . وصدرت بكم الأمور مصادرها كل وارد

فله صدر عن مورده وصدر الإنسان عن موارد الدنيا الموت ثم البعث -قرآن-۲۶-۷۶[صفحه ۲۱۷]

۱۵۹- و من خطبة له ع

أَرسَلَهُ عَلَى حِينِ فَترَةٍ مِنَ الرّسُلِ وَ طُولِ هَجعَةٍ مِنَ الأُمَمِ وَ انتِقَاضٍ مِنَ المُبرَمِ فَجَاءَهُم بِتَصدِيقِ أَلّذِى بَينَ يَدَيهِ وَ النّورِ المُقتَدَى بِهِ ذَلِكَ القُرآنُ فَاستَنطِقُوهُ وَ لَن يَنطِقَ وَ لَكِن أُخبِرُكُم عَنهُ أَلَا إِنّ فِيهِ عِلمَ مَا يَأتِي وَ الحَدِيثَ عَنِ المَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُم وَ نَظمَ مَا بَينَكُم الهجعة النومة الخفيفة و قدتستعمل فى النوم المستغرق أيضا والمبرم الحبل المفتول و ألذى بين يديه التوراة والإنجيل . فإن قلت التوراة والإنجيل قبله فكيف جعلهما بين يديه قلت أحد جزأى الصلة محذوف و هوالمبتدأ والتقدير بتصديق ألذى هو بين يديه و هوضمير القرآن أى بتصديق ألذى القرآن بين يديه وحذف أحد جزأى الصلة هاهنا ثم حذفه فى قوله تعالى تَماماً عَلَى أَلّذِي أَحسَنَ وَ تَفصِيلًا فى قراءة من جعله اسما -قرآن-۳۵۷-۳۹۷[صفحه ۲۱۸] مرفوعا وأيضا فإن العرب تستعمل بين يديه بمعنى قبل قال تعالى بَينَ يَدَيَ عَذابٍ شَدِيدٍ أى قبله -قرآن-۶۷-۹۳ مِنهَا فَعِندَ ذَلِكَ لَا يَبقَى بَيتُ مَدَرٍ وَ لَا وَبَرٍ إِلّا وَ أَدخَلَهُ الظّلَمَةُ تَرحَةً وَ أَولَجُوا فِيهِ نِقمَةً فَيَومَئِذٍ لَا يَبقَى لَهُم فِي السّمَاءِ عَاذِرٌ وَ لَا فِي الأَرضِ نَاصِرٌ أَصفَيتُم بِالأَمرِ غَيرَ أَهلِهِ وَ أَورَدتُمُوهُ غَيرَ مَورِدِهِ وَ سَيَنتَقِمُ اللّهُ مِمّن ظَلَمَ مَأكَلًا بِمَأكَلٍ وَ مَشرَباً بِمَشرَبٍ مِن مَطَاعِمِ العَلقَمِ وَ مَشَارِبِ الصّبِرِ وَ المَقِرِ وَ لِبَاسِ شِعَارِ الخَوفِ وَ دِثَارِ السّيفِ وَ إِنّمَا هُم مَطَايَا الخَطِيئَاتِ وَ زَوَامِلُ الآثَامِ فَأُقسِمُ ثُمّ أُقسِمُ لَتَنخَمَنّهَا أُمَيّةُ مِن بَعدِي كَمَا تُلفَظُ النّخَامَةُ ثُمّ لَا تَذُوقُهَا وَ لَا تَتَطَعّمُ بِطَعمِهَا أَبَداً مَا كَرّ الجَدِيدَانِ الترحة الحزن قال فحينئذ لايبقى لهم أى يحيق بهم العذاب ويبعث الله عليهم من ينتقم و هذاإخبار عن ملك بنى أمية بعده وزوال أمرهم عندتفاقم فسادهم فى الأرض . ثم خاطب أولياء هؤلاء الظلمة و من كان يؤثر ملكهم فقال أصفيتم بالأمر [صفحه ۲۱۹] غيرأهله أصفيت فلانا بكذا خصصته به وصفية المغنم شىء كان يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمة. وأوردتموه غيرورده أنزلتموه عند غيرمستحقه ثم قال سيبدل الله مأكلهم اللذيذة الشهية بمأكل مريرة علقمية والمقر المر ومأكلا منصوب بفعل مقدر أى يأكلون مأكلا والباء هاهنا للمجازاة الدالة على الصلة كقوله تعالى فَبِما نَقضِهِم مِيثاقَهُم وكقول أبى تمام -قرآن-۳۱۱-۳۳۶ فبما قدأراه ريان مكسو || المعانى من كل حسن وطيب و قال سبحانه قالَ رَبّ بِما أَنعَمتَ عَلَيّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيراً لِلمُجرِمِينَ وجعل شعارهم الخوف لأنه باطن فى القلوب ودثارهم السيف لأنه ظاهر فى البدن كما أن الشعار ما كان إلى الجسد والدثار ما كان فوقه . ومطايا الخطيات حوامل الذنوب وزوامل الآثام جمع زاملة وهى بعير يستظهر به الإنسان يحمل متاعه عليه قال الشاعر -قرآن-۱۵-۸۱ زوامل أشعار و لاعلم عندهم || بجيدها إلاكعلم الأباعر وتنخمت النخامة إذاتنخعتها والنخامة النخاعة. والجديدان الليل والنهار و قدجاء فى الأخبار الشائعة المستفيضة فى كتب المحدثين أن رسول الله ص أخبر أن بنى أمية تملك الخلافة بعده مع ذم منه ع [صفحه ۲۲۰] لهم نحو ماروى عنه فى تفسير قوله تعالى وَ ما جَعَلنَا الرّؤيَا التّيِ أَرَيناكَ إِلّا فِتنَةً لِلنّاسِ وَ الشّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِي القُرآنِ فإن المفسرين قالوا إنه رأى بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة هذالفظ رسول الله ص ألذى فسر لهم الآية به فساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو أمية وبنو المغيرة ونحو -قرآن-۴۳-۱۴۶ قوله ص إذابلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۸۴ قوله ص فى تفسير قوله تعالى لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ مِن أَلفِ شَهرٍ قال ألف شهر يملك فيهابنو أمية -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۰۴ وورد عنه ص من ذمهم الكثير المشهور نحو قوله أبغض الأسماء إلى الله الحكم وهشام والوليد -روايت-۱-۲-روايت-۹-۵۵ فى خبر آخر اسمان يبغضهما الله مروان والمغيرة -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۵۰ قوله إن ربكم يحب ويبغض كمايحب أحدكم ويبغض وإنه يبغض بنى أمية ويحب بنى عبدالمطلب -روايت-۱-۲-روايت-۹-۹۷ فإن قلت كيف قال ثم لاتذوقها أبدا و قدملكوا بعدقيام الدولة

الهاشمية بالمغرب مدة طويلة قلت الاعتبار بملك العراق والحجاز و ماعداهما من الأقاليم لااعتداد به [صفحه ۲۲۱]

۱۶۰– و من خطبة له ع

وَ لَقَد أَحسَنتُ جِوَارَكُم وَ أَحَطتُ بِجُهدِي مِن وَرَائِكُم وَ أَعتَقتُكُم مِن رِبَقِ الذّلّ وَ حَلَقِ الضّيمِ شُكراً منِيّ لِلبِرّ القَلِيلِ وَ إِطرَاقاً عَمّا أَدرَكَهُ البَصَرُ وَ شَهِدَهُ البَدَنُ مِنَ المُنكَرِ الكَثِيرِ أحطت بجهدى من ورائكم حميتكم وحضنتكم والجهد بالضم الطاقة الربق جمع ربقة وهى الحبل يربق به البهم . وحلق الضيم جمع حلقة بالتسكين ويجوز حلق بكسر الحاء وحلاق فإن قلت كيف يجوز له أن يطرق ويغضى عن المنكر. قلت يجوز له ذلك إذاعلم أوغلب على ظنه أنه إن نهاهم عنه لم يرتدعوا وأضافوا إليه منكرا آخر فحينئذ يخرج الإطراق والإغضاء عن حد الجواز إلى حد الوجوب لأن النهى عن المنكر يكون والحالة هذه مفسدة [صفحه ۲۲۲]

۱۶۱– و من خطبة له ع

اشاره

أَمرُهُ قَضَاءٌ وَ حِكمَةٌ وَ رِضَاهُ أَمَانٌ وَ رَحمَةٌ يقَضيِ بِعِلمٍ وَ يَعفُو بِحِلمٍ أللّهُمّ لَكَ الحَمدُ عَلَى مَا تَأخُذُ وَ تُعطيِ وَ عَلَى مَا تُعَافيِ وَ تبَتلَيِ حَمداً يَكُونُ أَرضَى الحَمدِ لَكَ وَ أَحَبّ الحَمدِ إِلَيكَ وَ أَفضَلَ الحَمدِ عِندَكَ حَمداً يَملَأُ مَا خَلَقتَ وَ يَبلُغُ مَا أَرَدتَ حَمداً لَا يَحجُبُ عَنكَ وَ لَا يُقصَرُ دُونَكَ حَمداً لَا يَنقَطِعُ عَدَدُهُ وَ لَا يَفنَى مَدَدُهُ فَلَسنَا نَعلَمُ كُنهَ عَظَمَتِكَ إِلّا أَنّا نَعلَمُ أَنّكَ حيَ‌ّ قَيّومُ لَا تَأخُذُكَ سِنَةٌ وَ لَا نَومٌ لَم يَنتَهِ إِلَيكَ نَظَرٌ وَ لَم يُدرِككَ بَصَرٌ أَدرَكتَ الأَبصَارَ وَ أَحصَيتَ الأَعمَالَ وَ أَخَذتَ بِالنوّاَصيِ وَ الأَقدَامِ وَ مَا ألّذِي نَرَى مِن خَلقِكَ وَ نَعجَبُ لَهُ مِن قُدرَتِكَ وَ نَصِفُهُ مِن عَظِيمِ سُلطَانِكَ وَ مَا تَغَيّبَ عَنّا مِنهُ وَ قَصُرَت أَبصَارُنَا عَنهُ وَ انتَهَت عُقُولُنَا دُونَهُ وَ حَالَت سَوَاتِرُ الغُيُوبِ بَينَنَا وَ بَينَهُ أَعظَمُ فَمَن فَرّغَ قَلبَهُ وَ أَعمَلَ فِكرَهُ لِيَعلَمَ كَيفَ أَقَمتَ عَرشَكَ وَ كَيفَ ذَرَأتَ خَلقَكَ وَ كَيفَ عَلّقتَ فِي الهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ وَ كَيفَ مَدَدتَ عَلَى مَورِ المَاءِ أَرضَكَ رَجَعَ طَرفُهُ حَسِيراً وَ عَقلُهُ مَبهُوراً وَ سَمعُهُ وَالِهاً وَ فِكرُهُ حَائِراً [صفحه ۲۲۳] يجوز أن يكون أمره هاهنا هوالأمر الفعلى لاالأمر القولى كمايقال أمر فلان مستقيم و ماأمر كذا و قال تعالى وَ ما أَمرُنا إِلّا واحِدَةٌ كَلَمحٍ بِالبَصَرِوَ ما أَمرُ السّاعَةِ إِلّا كَلَمحِ البَصَرِ أَو هُوَ أَقرَبُفيكون المعنى أن شأنه تعالى ليس إلاأحد شيئين وهما أن يقول و أن يفعل فعبر عن أن يقول بقوله قضاء لأن القضاء الحكم وعبر عن أن يفعل بقوله وحكمة لأن أفعاله كلها تتبع دواعى الحكمة ويجوز أن يكون أمره هوالأمر القولى و هوالمصدر من أمر له بكذا أمرا فيكون المعنى أن أوامره إيجاب وإلزام بما فيه حكمة ومصلحة و قدجاء القضاء بمعنى الإلزام والإيجاب فى القرآن العزيز فى قوله وَ قَضى رَبّكَ أَلّا تَعبُدُوا إِلّا إِيّاهُ أى أوجب وألزم . قوله ورضاه أمان ورحمة لأن من فاز بدرجة الرضا فقد أمن وحصلت له الرحمة لأن الرضا رحمة وزيادة. قوله يقضى بعلم أى يحكم بما يحكم به لأنه عالم بحسن ذلك القضاء أووجوبه فى العدل . قوله ويعفو بحلم أى لايعفو عن عجز وذل كمايعفو الضعيف عن القوى بل هوقادر على الانتقام ولكنه يحلم . ثم حمد الله تعالى على الإعطاء والأخذ والعافية والبلاء لأن ذلك كله من عند الله لمصالح للمكلف يعلمها و مايعلمها المكلف والحمد على المصالح واجب . -قرآن-۱۱۱-۱۵۷-قرآن-۱۵۸-۲۱۸-قرآن-۶۱۰-۶۵۳ [صفحه ۲۲۴] ثم أخذ فى تفخيم شأن ذلك الحمد وتعظيمه والمبالغة فى وصفه احتذاء بقول رسول الله ص الحمد لله زنة عرشه الحمد لله عدد خلقه الحمد لله مل ء سمائه وأرضه -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۹۵ فقال ع حمدا يكون أرضى الحمد لك أى يكون رضاك له أوفى وأعظم من رضاك بغيره وكذلك القول فى أحب

وأفضل . قوله ويبلغ ماأردت أى هوغاية ماتنتهى إليه الإرادة و هذاكقول الأعرابية فى صفة المطر غشينا ماشئنا و هو من فصيح الكلام . قوله لايحجب عنك لأن الإخلاص يقارنه والرياء منتف عنه . قوله و لايقصر دونك أى لايحبس أى لامانع عن وصوله إليك و هذا من باب التوسع ومعناه أنه برىء من الموانع عن إثماره الثواب واقتضائه إياه وروى و لايقصر من القصور وروى و لايقصر من التقصير. ثم أخذ فى بيان أن العقول قاصرة عن إدراك البارى سبحانه والعلم به و أناإنما نعلم منه صفات إضافية أوسلبية كالعلم بأنه حى ومعنى ذلك أنه لايستحيل على ذاته أن يعلم ويقدر و أنه قيوم بمعنى أن ذاته لايجوز عليها العدم أى يقيم الأشياء ويمسكها و كل شىءيقيم الأشياء كلها ويمسكها فليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه و إلا لم يكن مقيما وممسكا لكل شىء و كل من ليس بمحتاج إلى من يقيمه ويمسكه فذاته لايجوز عليها العدم و أنه تعالى لاتأخذه سنة و لانوم لأن هذا من صفات الأجسام و ما لايجوز عليها العدم لا يكون جسما و لايوصف بخواص الأجسام ولوازمها فإنه لاينتهى إليه نظر لأن انتهاء النظر إليه يستلزم مقابلته و هو تعالى منزه عن الجهة و إلا لم يكن ذاته مستحيلا عليها العدم و أنه لايدركه بصر لأن إبصار الأشياء بانطباع أمثلتها فى الرطوبة الجليدية كانطباع أشباح المرئيات فى المرآة والبارى تعالى لايتمثل و لايتشبح و إلا لم يكن [صفحه ٢٢٥] قيوما و أنه يدرك الأبصار لأنه إما عالم لذاته أولأنه حى لاآفة به و أنه يحصى الأعمال لأنه عالم لذاته فيعلم كل شىءحاضرا وماضيا ومستقبلا و أنه يأخذ بالنواصى والأقدام لأنه قادر لذاته فهو متمكن من كل مقدور. ثم خرج إلى فن آخر فقال و ما ألذى نعجب لأجله من قدرتك وعظيم ملكك والغائب عنا من عظمتك أعظم من الحاضر مثال ذلك أن جرم الشمس أعظم من جرم الأرض مائة وستين مرة و لانسبة لجرم الشمس إلى فلكها المائل و لانسبة لفلكها المائل إلى فلكها المميل وفلك تدوير المريخ ألذى فوقها أعظم من مميل الشمس و لانسبة لفلك تدوير المريخ إلى فلكه المميل وفلك تدوير المشترى أعظم من مميل المريخ و لانسبة لفلك تدوير المشترى إلى فلكه المميل وفلك تدوير زحل أعظم من مميل المشترى و لانسبة لفلك تدوير زحل إلى مميل زحل و لانسبة لمميل زحل إلى كرة الثوابت و لانسبة لكرة الثوابت إلى الفلك الأطلس الأقصى فانظر أى نسبة تكون الأرض بكليتها على هذاالترتيب إلى الفلك الأطلس و هذامما تقصر العقول عن فهمه وتنتهى دونه وتحول سواتر الغيوب بينها وبينه كما قال ع . ثم ذكر أن من أعمل فكره ليعلم كيف أقام سبحانه العرش وكيف ذرأ الخلق وكيف علق السماوات بغير علاقة و لاعمد وكيف مد الأرض على الماء رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا و هذاكله حق و من تأمل كتبنا العقلية واعتراضنا على الفلاسفة الذين عللوا هذه الأمور وزعموا أنهم استنبطوا لها أسبابا عقلية وادعوا وقوفهم على كنهها وحقائقها علم صحة ماذكره ع من أن من حاول تقدير ملك الله تعالى وعظيم مخلوقاته بمكيال عقله فقد ضل ضلالا مبينا. [صفحه ٢٢٦] وروى وفكره جائرا بالجيم أى عادلا عن الصواب والحسير المتعب والمبهور المغلوب والواله المتحير مِنهَا يَدّعِي بِزَعمِهِ أَنّهُ يَرجُو اللّهَ كَذَبَ وَ العَظِيمِ مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ فَكُلّ مَن رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ إِلّا رَجَاءَ اللّهِ فَإِنّهُ مَدخُولٌ وَ كُلّ خَوفٍ مُحَقّقٌ إِلّا خَوفَ اللّهِ فَإِنّهُ مَعلُولٌ يَرجُو اللّهَ فِي الكَبِيرِ وَ يَرجُو العِبَادَ فِي الصّغِيرِ فَيُعطِي العَبدَ مَا لَا يُعطِي الرّبّ فَمَا بَالُ اللّهِ جَلّ ثَنَاؤُهُ يُقَصّرُ بِهِ عَمّا يُصنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ أَ تَخَافُ أَن تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً أَو تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرّجَاءِ مَوضِعاً وَ كَذَلِكَ إِن هُوَ خَافَ عَبداً مِن عَبِيدِهِ أَعطَاهُ مِن خَوفِهِ مَا لَا يُعطِي رَبّهُ فَجَعَلَ خَوفَهُ مِنَ العِبَادِ نَقداً وَ خَوفَهُ مِن خَالِقِهِ ضِمَاراً وَ وَعداً وَ كَذَلِكَ مَن عَظُمَتِ الدّنيَا فِي عَينِهِ وَ كَبُرَ مَوقِعُهَا مِن قَلبِهِ آثَرَهَا عَلَى اللّهِ فَانقَطَعَ إِلَيهَا وَ صَارَ عَبداً لَهَا يجوز بزعمه بالضم وبزعمه بالفتح وبزعمه بالكسر ثلاث لغات أى بقوله فأما من زعمت أى كفلت فالمصدر الزعم بالفتح والزعامة [صفحه ٢٢٧] ثم أقسم على كذب هذاالزاعم فقال والعظيم و لم يقل و الله العظيم تأكيدا لعظمة البارئ سبحانه لأن الموصوف إذاألقى وترك واعتمد على الصفة حتى صارت كالاسم كان أدل على تحقق مفهوم الصفة كالحارث والعباس . ثم بين مستند هذاالتكذيب فقال مابال هذاالزاعم أنه يرجو ربه و لايظهر رجاؤه فى عمله فإنا نرى من يرجو واحدا من البشر يلازم بابه ويواظب على خدمته ويتحبب إليه

ويتقرب إلى قلبه بأنواع الوسائل والقرب ليظفر بمراده منه ويتحقق رجاؤه فيه و هذاالإنسان ألذى يزعم أنه يرجو الله تعالى لايظهر من أعماله الدينيۀ مايدل على صدق دعواه ومراده ع هاهنا ليس شخصا بعينه بل كل إنسان هذه صفته فالخطاب له والحديث معه . ثم قال كل رجاء إلارجاء الله فهو مدخول أى معيب والدخل بالتسكين العيب والريبۀ و من كلامهم ترى الفتيان كالنخل و مايدريك ماالدخل وجاء الدخل بالتحريك أيضا يقال هذاالأمر فيه دخل ودغل بمعنى قوله تعالى وَ لا تَتّخِذُوا أَيمانَكُم دَخَلًا بَينَكُم أى مكرا وخديعۀ و هو من هذاالباب أيضا. ثم قال و كل خوف محقق إلاخوف الله فإنه معلول محقق أى ثابت أى كل خوف حاصل حقيقۀ فإنه مع هذاالحصول والتحقق معلول ليس بالخوف الصريح إلاخوف الله وحده وتقواه وهيبته وسطوته وسخطه ذلك لأن الأمر ألذى يخاف من العبد سريع الانقضاء والزوال والأمر ألذى يخاف من البارى تعالى لاغايۀ له و لاانقضاء لمحذوره كماقيل -قرآن-٨٥٩-٩٠٢ فى الحديث المرفوع فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرۀ -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٥٨ . [صفحه ٢٢٨] ثم عاد إلى الرجاء فقال يرجو هذاالإنسان الله فى الكثير أى يرجو رحمته فى الآخرۀ و لايتعلق رجاؤه بالله تعالى إلا فى هذاالموضع فأما ماعدا ذلك من أمور الدنيا كالمكاسب والأموال والجاه والسلطان واندفاع المضار والتوصل إلى الأغراض بالشفاعات والتوسلات فإنه لايخطر له الله تعالى ببال بل يعتمد فى ذلك على السفراء والوسطاء ويرجو حصول هذه المنافع ودفع هذه المضار من أبناء نوعه من البشر فقد أعطى العباد من رجائه ما لم يعطه الخالق سبحانه فهو مخطئ لأنه إما ألا يكون هو فى نفسه صالحا لأن يرجوه سبحانه وإما ألا يكون البارئ تعالى فى نفسه صالحا لأن يرجى فإن كان الثانى فهو كفر صراح و إن كان الأول فالعبد مخطئ حيث لم يجعل نفسه مستعدا لفعل الصالحات لأن يصلح لرجاء البارئ سبحانه . ثم انتقل ع إلى الخوف فقال وكذلك إن خاف هذاالإنسان عبدا مثله خافه أكثر من خوفه البارئ سبحانه لأن كثيرا من الناس يخافون السلطان وسطوته أكثر من خوفهم مؤاخذۀ البارئ سبحانه و هذامشاهد ومعلوم من الناس فخوف بعضهم من بعض كالنقد المعجل وخوفهم من خالقهم ضمار ووعد والضمار ما لايرجى من الوعود والديون قال الراعى حمدن مزاره وأصبن منه || عطاء لم يكن عدۀ ضمارا . ثم قال وكذلك من عظمت الدنيا فى عينه يختارها على الله ويستعبده حبها ويقال كبر بالضم يكبر أى عظم فهو كبير وكبار بالتخفيف فإذاأفرط قيل [صفحه ٢٢٩] كبار بالتشديد فأما كبر بالكسر فمعناه أسن والمصدر منهما كبرا بفتح الباء وَ لَقَد كَانَ فِى رَسُولِ اللّهِص كَافٍ لَكَ فِى الأُسوَۀِ وَ دَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمّ الدّنيَا وَ عَيبِهَا وَ كَثرَۀِ مَخَازِيهَا وَ مَسَاوِيهَا إِذ قُبِضَت عَنهُ أَطرَافُهَا وَ وُطّئَت لِغَيرِهِ أَكنَافُهَا وَ فُطِمَ عَن رَضَاعِهَا وَ زوُيِ‌َ عَن زَخَارِفِهَا وَ إِن شِئتَ ثَنّيتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللّهِص حَيثُ يَقُولُرَبّ إنِيّ لِما أَنزَلتَ إلِيَ‌ّ مِن خَيرٍ فَقِيرٌ وَ اللّهِ مَا سَأَلَهُ إِلّا خُبزاً يَأكُلُهُ لِأَنّهُ كَانَ يَأكُلُ بَقلَۀَ الأَرضِ وَ لَقَد كَانَت خُضرَۀُ البَقلِ تُرَى مِن شَفِيفِ صِفَاقِ بَطنِهِ لِهُزَالِهِ وَ تَشَذّبِ لَحمِهِ وَ إِن شِئتَ ثَلّثتُ بِدَاوُدَص صَاحِبِ المَزَامِيرِ وَ قاَرِئِ أَهلِ الجَنّۀِ فَلَقَد كَانَ يَعمَلُ سَفَائِفَ الخُوصِ بِيَدِهِ وَ يَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيّكُم يكَفيِنيِ بَيعَهَا وَ يَأكُلُ قُرصَ الشّعِيرِ مِن ثَمَنِهَا وَ إِن شِئتَ قُلتُ فِي عِيسَى ابنِ مَريَمَ ع فَلَقَد كَانَ يَتَوَسّدُ الحَجَرَ وَ يَلبَسُ الخَشِنَ وَ يَأكُلُ الجَشِبَ وَ كَانَ إِدَامُهُ الجُوعَ وَ سِرَاجُهُ بِاللّيلِ القَمَرَ وَ ظِلَالُهُ فِي الشّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرضِ وَ مَغَارِبَهَا وَ فَاكِهَتُهُ وَ رَيحَانُهُ مَا تُنبِتُ الأَرضُ لِلبَهَائِمِ وَ لَم تَكُن لَهُ زَوجَۀٌ تَفتِنُهُ وَ لَا وَلَدٌ يَحزُنُهُ وَ لَا مَالٌ يَلفِتُهُ وَ لَا طَمَعٌ يُذِلّهُ دَابّتُهُ رِجلَاهُ وَ خَادِمُهُ يَدَاهُ -قرآن-٣٢٤-٣٧٤ [صفحه ٢٣٠] يجوز أسوۀ وإسوۀ وقرئ التنزيل بهما والمساوئ العيوب ساءه كذا يسوؤه سوءا بالفتح ومساءۀ ومسائيۀ وسوته سوايۀ ومسايۀ بالتخفيف أى ساءه مارآه منى وسأل سيبويه الخليل عن سوائيۀ فقال هى فعاليۀ بمنزلۀ علانيۀ والذين قالوا سوايۀ حذفوا الهمزۀ تخفيفا وهى فى الأصل قال وسألته عن مسائيۀ فقال هى مقلوبۀ وأصلها مساوئۀ فكرهوا الواو مع الهمزۀ والذين قالوا مسايۀ حذفوا الهمزۀ أيضا تخفيفا و من أمثالهم الخيل تجرى فى مساويها أى أنها و إن كانت بهاعيوب وأوصاب فإن كرمها يحملها على الجرى. والمخازى جمع مخزاۀ وهى الأمر يستحى من ذكره لقبحه وأكنافها جوانبها وزوى قبض وزخارف جمع زخرف و هوالذهب روى عن رسول الله ص أنه قال عرضت على كنوز الأرض ودفعت إلى مفاتيح خزائنها

فكرهتها واخترت الدار الآخرة -روايت-١-٢-روايت-٣٦-١١٥ وجاء فى الأخبار الصحيحة أنه كان يجوع ويشد حجرا على بطنه و أنه ماشبع آل محمد من لحم قط و أن فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يأكلون خبز الشعير وأنهم آثروا سائلا بأربعة أقراص منه كانوا أعدوها لفطورهم وباتوا جياعا و قد كان رسول الله ص ملك قطعة واسعة من الدنيا فلم يتدنس منها بقليل و لاكثير ولقد كانت الإبل التى غنمها يوم حنين أكثر من عشرة آلاف بعير فلم يأخذ منها وبرة لنفسه وفرقها كلها على الناس وهكذا كانت شيمته وسيرته فى جميع أحواله إلى أن توفى. والصفاق الجلد الباطن ألذى فوقه الجلد الظاهر من البطن وشفيفه رقيقه ألذى يستشف ماوراءه وبالتفسير ألذى فسر ع الآية فسرها المفسرون وقالوا إن [صفحه ٢٣١] خضرة البقل كانت ترى فى بطنه من الهزال وإنه ماسأل الله إلاأكلة من الخبز و ما فى لِما أَنزَلتَبمعنى أى أى إنى لأى شىءأنزلت إلى قليل أوكثير غث أوسمين فقير. فإن قلت لم عدى فقيرا باللام وإنما يقال فقير إلى كذا قلت لأنه ضمن معنى سائل ومطالب و من فسر الآية بغير ماذكره ع لم يحتج إلى الجواب عن هذاالسؤال فإن قوما قالوا أراد إنى فقير من الدنيا لأجل ماأنزلت إلى من خير أى من خير الدين و هوالنجاة من الظالمين فإن ذلك رضا بالبدل السنى وفرحا به وشكرا له . وتشذب اللحم تفرقه والمزامير جمع مزمار و هوالآلة التى يزمر فيها ويقال زمر يزمر ويزمر بالضم والكسر فهو زمار و لايكاد يقال زامر ويقال للمرأة زامرة و لايقال زمارة فأما الحديث أنه نهى عن كسب الزمارة فقالوا إنها الزانية هاهنا ويقال إن داود أعطى من طيب النغم ولذة ترجيع القراءة ماكانت الطيور لأجله تقع عليه و هو فى محرابه والوحش تسمعه فتدخل بين الناس و لاتنفر منهم لما قداستغرقها من طيب صوته و -قرآن-٨٨-١٠٠ قال النبى ص لأبى موسى و قدسمعه يقرأ لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود -روايت-١-٧٦ و كان أبو موسى شجى الصوت إذاقرأ و ورد فى الخبر داود قارئ أهل الجنة -روايت-١-٢-روايت-١٥-٣٦ . وسفائف الخوص جمع سفيفة وهى النسيجة منه سففت الخوص وأسففته بمعنى و هذا ألذى ذكره ع عن داود يجب أن يحمل على أنه شرح حاله قبل أن يملك فإنه كان فقيرا فأما حيث ملك فإن المعلوم من سيرته غير ذلك .فأما عيسى فحاله كماذكرها ع لاريب فى ذلك على أنه أكل اللحم وشرب [صفحه ٢٣٢] الخمر وركب الحمار وخدمه التلامذة ولكن الأغلب من حاله هى الأمور التى عددها أمير المؤمنين ع . ويقال حزننى الشىء يحزننى بالضم ويجوز أحزننى بالهمز يحزننى وقرئ بهما و هو فى كلامه ع فى هذاالفصل بهما ويقال لفته عن كذا يلفته بالكسر أى صرفه ولواه فَتَأَسّ بِنَبِيّكَ الأَطيَبِ الأَطهَرِص فَإِنّ فِيهِ أُسوَةً لِمَن تَأَسّى وَ عَزَاءً لِمَن تَعَزّى وَ أَحَبّ العِبَادِ إِلَى اللّهِ المُتَأَسّيَ بِنَبِيّهِ وَ المُقتَصّ لِأَثَرِهِ قَضَمَ الدّنيَا قَضماً وَ لَم يُعِرهَا طَرفاً أَهضَمُ أَهلِ الدّنيَا كَشحاً وَ أَخمَصُهُم مِنَ الدّنيَا بَطناً عُرِضَت عَلَيهِ الدّنيَا فَأَبَى أَن يَقبَلَهَا وَ عَلِمَ أَنّ اللّهَ تَعَالَى أَبغَضَ شَيئاً فَأَبغَضَهُ وَ حَقّرَ شَيئاً فَحَقّرَهُ وَ صَغّرَ شَيئاً فَصَغّرَهُ وَ لَو لَم يَكُن فِينَا إِلّا حُبّنَا مَا أَبغَضَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ تَعظِيمُنَا مَا صَغّرَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلّهِ تَعَالَى وَ مُحَادّةً عَن أَمرِ اللّهِ تَعَالَى وَ لَقَد كَانَص يَأكُلُ عَلَى الأَرضِ وَ يَجلِسُ جِلسَةَ العَبدِ وَ يَخصِفُ بِيَدِهِ نَعلَهُ وَ يَرقَعُ بِيَدِهِ ثَوبَهُ وَ يَركَبُ الحِمَارَ العَارِيَ وَ يُردِفُ خَلفَهُ وَ يَكُونُ السّترُ عَلَى بَابِ بَيتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ لِإِحدَى أَزوَاجِهِ غَيّبِيهِ عنَيّ فإَنِيّ إِذَا نَظَرتُ إِلَيهِ ذَكَرتُ الدّنيَا وَ زَخَارِفَهَا فَأَعرَضَ عَنِ الدّنيَا بِقَلبِهِ وَ أَمَاتَ ذِكرَهَا مِن نَفسِهِ وَ أَحَبّ أَن تَغِيبَ زِينَتُهَا عَن عَينِهِ لِكَيلَا يَتّخِذَ مِنهَا رِيَاشاً وَ لَا يَعتَقِدَهَا قَرَاراً وَ لَا يَرجُوَ فِيهَا مُقَاماً فَأَخرَجَهَا مِنَ النّفسِ وَ أَشخَصَهَا عَنِ القَلبِ وَ غَيّبَهَا عَنِ البَصَرِ [صفحه ٢٣٣] وَ كَذَلِكَ مَن أَبغَضَ شَيئاً أَبغَضَ أَن يَنظُرَ إِلَيهِ وَ أَن يُذكَرَ عِندَهُ وَ لَقَد كَانَ فِي رَسُولِ اللّهِص مَا يَدُلّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدّنيَا وَ عُيُوبِهَا إِذ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصّتِهِ وَ زُوِيَت عَنهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلفَتِهِ فَليَنظُر نَاظِرٌ بِعَقلِهِ أَكرَمَ اللّهُ مُحَمّداًص بِذَلِكَ أَم أَهَانَهُ فَإِن قَالَ أَهَانَهُ فَقَد كَذَبَ وَ اللّهِ العَظِيمِ بِالإِفكِ العَظِيمِ وَ إِن قَالَ أَكرَمَهُ فَليَعلَم أَنّ اللّهَ قَد أَهَانَ غَيرَهُ حَيثُ بَسَطَ الدّنيَا لَهُ وَ زَوَاهَا عَن أَقرَبِ النّاسِ مِنهُ فَتَأَسّى مُتَأَسّ بِنَبِيّهِ وَ اقتَصّ أَثَرَهُ وَ وَلَجَ مَولِجَهُ وَ إِلّا فَلَا يَأمَنِ الهَلَكَةَ فَإِنّ اللّهَ جَعَلَ مُحَمّداًص عَلَماً لِلسّاعَةِ وَ مُبَشّراً بِالجَنّةِ وَ مُنذِراً بِالعُقُوبَةِ خَرَجَ مِنَ الدّنيَا خَمِيصاً وَ وَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً لَم يَضَع حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتّى مَضَى لِسَبِيلِهِ وَ أَجَابَ دَاعِيَ رَبّهِ فَمَا أَعظَمَ مِنّةَ اللّهِ عِندَنَا حِينَ أَنعَمَ عَلَينَا بِهِ سَلَفاً نَتّبِعُهُ وَ قَائِداً نَطَأُ

عَقِبَهُ وَ اللّهِ لَقَد رَقّعتُ مِدرعَتَي هَذِهِ حَتّي استَحيَيتُ مِن رَاقِعِهَا وَ لَقَد قَالَ لِي قَائِلٌ أَ لَا تَنبِذُهَا عَنكَ فَقُلتُ اعزُب عَنّي فَعِندَ الصّبَاحِ يَحمَدُ القَومُ السّرَي المقتص لأثره المتبع له و منه قوله تعالي وَ قالَت لِأُختِهِ قُصّيهِ وقضم الـدنيا تناول منها قدر الكفاف و ماتدعو إليه الضرورة من خشن العيشة و قال أبوذر رحمه الله يخضمون ونقضم والموعد الله وأصل القضم أكل الشيء اليابس بأطراف الأسنان والخضم أكل بكل الفم للأشياء الرطبة وروى قصم بالصاد أى كسر -قرآن-۴۷-۷۲ [صفحه ۲۳۴] قوله أهضم أهل الدنيا كشحا الكشح الخاصرة و رجل أهضم بين الهضم إذا كان خميصا لقلة الأكل . وروى وحقر شيئا فحقره بالتخفيف والشقاق الخلاف والمحادة المعاداة وخصف النعل خرزها والرياش الزينة والمدرعة الدراعة. و قوله عندالصباح يحمد القوم السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة العاجلة رجاء الراحة الآجلة

نبذ من الأخبار والآثار الواردة في البعد عن زينة الدنيا

جاء في الأخبار الصحيحة أنه ع قال إنما أنا عبدآكل أكل العبيد وأجلس جلسة العبيد -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-۸۶ و كان يأكل على الأرض ويجلس جلوس العبيد يضع قصبتي ساقيه على الأرض ويعتمد عليهما بباطني فخذيه وركوبه الحمار العارى آية التواضع وهضم النفس وأردف غيره خلفه آكد في الدلالة على ذلك . وجاء في الأخبار الصحيحة النهي عن التصاوير و عن نصب الستور التي فيهاالتصاوير و كان رسول الله ص إذارأى سترا فيه التصاوير أمر أن تقطع رأس تلك الصورة. و جاء في الخبر من صور صورة كلف في القيامة أن ينفخ فيهاالروح فإذا قال لاأستطيع عذب -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۸۹ [صفحه ۲۳۵] قوله لم يضع حجرا على حجر هوعين ماجاء في الأخبار الصحيحة خرج رسول الله ص من الدنيا و لم يضع حجرا على حجر. وجاء في أخبار علي ع التي ذكرها أبو عبد الله أحمد بن حنبل في كتاب فضائله و هو روايتي عن قريش بن السبيع بن المهنا العلوى عن نقيب الطالبيين أبي عبد الله أحمد بن علي بن المعمر عن المبارك بن عبدالجبار أحمد بن القاسم الصيرفي المعروف بابن الطيوري عن محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف المزني عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أبي عبد الله أحمدرحمه الله قال قيل لعلي ع يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك قال ليخشع القلب ويقتدى بي المؤمنون -روايت-۱-۲-روايت-۳۶۶-۴۵۴ روى أحمدرحمه الله أن عليا كان يطوف الأسواق مؤتزرا بإزار مرتديا برداء ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوى فطاف مرة حتى بلغ سوق الكرابيس فقال لواحد ياشيخ بعني قميصا تكون قيمته ثلاثة دراهم فلما عرفه الشيخ لم يشتر منه شيئا ثم أتى آخر فلما عرفه لم يشتر منه شيئا فأتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثة دراهم فلما جاء أبوالغلام أخبره فأخذ درهما ثم جاء إلى علي ع ليدفعه إليه فقال له ما هذا أو قال ماشابه هذا فقال يامولاى إن القميص ألذى باعك ابني كان يساوى درهمين فلم يأخذ الدرهم و قال باعني رضاى وأخذ رضاه -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۵۴۱ روى أحمدرحمه الله عن أبي النوار بائع الخام بالكوفة قال جاءني علي بن أبي طالب إلى السوق ومعه غلام له و هوخليفة فاشترى مني قميصين و قال لغلامه اختر أيهما شئت فأخذ أحدهما وأخذ علي الآخر ثم لبسه ومد يده فوجد كمه فاضلة فقال اقطع الفاضل فقطعته ثم كفه وذهب -روايت-۱-۲-روايت-۶۴-۲۸۰ . [صفحه ۲۳۶] وروى أحمدرحمه الله عن الصمال بن عمير قال رأيت قميص علي ع ألذى أصيب فيه و هوكرابيس سبيلاني ورأيت دمه قدسال عليه كالدردى. وروى أحمدرحمه الله قال لماأرسل عثمان إلى علي ع وجده مؤتزرا بعباءة محتجزا بعقال و هويهنأ بعيرا له والأخبار في هذاالمعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية [صفحه ۲۳۷]

۱۶۲– و من خطبة له ع

ابتَعَثَهُ بِالنّورِ المضُيءِ وَ البُرهَانِ الجلَيّ وَ المِنهَاجِ البَادِي وَ الكِتَابِ الهَادِي أُسرَتُهُ خَيرُ أُسرَةٍ وَ شَجَرَتُهُ خَيرُ شَجَرَةٍ أَغصَانُهَا مُعتَدِلَةٌ وَ ثِمَارُهَا مُتَهَدّلَةٌ مَولِدُهُ بِمَكّةَ وَ هِجرَتُهُ بِطَيبَةَ عَلَا بِهَا ذِكرُهُ وَ امتَدّ مِنهَا صَوتُهُ أَرسَلَهُ بِحُجّةٍ كَافِيَةٍ وَ مَوعِظَةٍ شَافِيَةٍ وَ دَعوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ أَظهَرَ بِهِ الشّرَائِعَ المَجهُولَةَ وَ قَمَعَ بِهِ البِدَعَ المَدخُولَةَ وَ بَيّنَ بِهِ الأَحكَامَ المَفصُولَةَ فَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلَامِ دِيناً تَتَحَقّق شِقوَتُهُ وَ تَنفَصِم عُروَتُهُ وَ تَعظُم كَبوَتُهُ وَ يَكُن مَآبُهُ إِلَى الحُزنِ الطّوِيلِ وَ العَذَابِ الوَبِيلِ وَ أَتَوَكّلُ عَلَى اللّهِ تَوَكّلَ الإِنَابَةِ إِلَيهِ وَ أَستَرشِدُهُ السّبِيلَ المُؤَدّيَةَ إِلَى جَنّتِهِ القَاصِدَةَ إِلَى مَحَلّ رَغبَتِهِ بالنور المضىء أى بالدين أوبالقرآن وأسرته أهله أغصانها معتدلة كناية عن عدم الاختلاف بينهم فى الأمور الدينية وثمارها متهدلة أى متدلية كناية عن سهولة اجتناء العلم منها. وطيبة اسم المدينة كان اسمها يثرب فسماها رسول الله ص طيبة [صفحه ۲۳۸] ومما أكفر الناس به يزيد بن معاوية أنه سماها خبيثة مراغمة لرسول الله ص .علا بهاذكره لأنه ص إنما انتصر وقهر الأعداء بعدالهجرة ودعوة متلافية أى تتلافى مافسد فى الجاهلية من أديان البشر. قوله و بين به الأحكام المفصولة ليس يعنى أنها كانت مفصولة قبل أن بينها بل المراد بين به الأحكام التى هى الآن مفصولة عندنا وواضحة لنا لأجل بيانه لها. والكبوة مصدر كبا الجواد إذاعثر فوقع إلى الأرض والمآب المرجع والعذاب الوبيل ذو الوبال و هوالهلاك والإنابة الرجوع والسبيل الطريق يذكر ويؤنث والقاصدة ضد الجائرة فإن قلت لم عدى القاصدة ب إلى قلت لأنها لماكانت قاصدة تضمنت معنى الإفضاء إلى المقصد فعداها ب إلى باعتبار المعنى أُوصِيكُم عِبَادَ اللّهِ بِتَقوَى اللّهِ وَ طَاعَتِهِ فَإِنّهَا النّجَاةُ غَداً وَ المَنجَاةُ أَبَداً رَهّبَ فَأَبلَغَ وَ رَغّبَ فَأَسبَغَ وَ وَصَفَ لَكُمُ الدّنيَا وَ انقِطَاعَهَا وَ زَوَالَهَا وَ انتِقَالَهَا فَأَعرِضُوا عَمّا يُعجِبُكُم فِيهَا لِقِلّةِ مَا يَصحَبُكُم مِنهَا أَقرَبُ دَارٍ مِن سَخَطِ اللّهِ وَ أَبعَدُهَا مِن رِضوَانِ اللّهِ [صفحه ۲۳۹] فَغُضّوا عَنكُم عِبَادَ اللّهِ غُمُومَهَا وَ أَشغَالَهَا لِمَا أَيقَنتُم بِهِ مِن فِرَاقِهَا وَ تَصَرّفِ حَالَاتِهَا فَاحذَرُوهَا حَذَرَ الشّفِيقِ النّاصِحِ وَ المُجِدّ الكَادِحِ وَ اعتَبِرُوا بِمَا قَد رَأَيتُم مِن مَصَارِعِ القُرُونِ قَبلَكُم قَد تَزَايَلَت أَوصَالُهُم وَ زَالَت أَبصَارُهُم وَ أَسمَاعُهُم وَ ذَهَبَ شَرَفُهُم وَ عِزّهُم وَ انقَطَعَ سُرُورُهُم وَ نَعِيمُهُم فَبُدّلُوا بِقُربِ الأَولَادِ فَقدَهَا وَ بِصُحبَةِ الأَزوَاجِ مُفَارَقَتَهَا لَا يَتَفَاخَرُونَ وَ لَا يَتَنَاسَلُونَ وَ لَا يَتَزَاوَرُونَ وَ لَا يَتَحَاوَرُونَ فَاحذَرُوا عِبَادَ اللّهِ حَذَرَ الغَالِبِ لِنَفسِهِ المَانِعِ لِشَهوَتِهِ النّاظِرِ بِعَقلِهِ فَإِنّ الأَمرَ وَاضِحٌ وَ العَلَمَ قَائِمٌ وَ الطّرِيقَ جَدَدٌ وَ السّبِيلَ قَصدٌ المنجاة مصدر نجا ينجو نجاة ومنجاة والنجاة الناقة ينجى عليها فاستعارها هاهنا للطاعة والتقوى كأنها كالمطية المركوبة يخلص بهاالإنسان من الهلكة. قوله رهب فأبلغ الضمير يرجع إلى الله سبحانه أى خوف المكلفين فأبلغ فى التخويف ورغبهم فأتم الترغيب وأسبغه ثم أمر بالإعراض عما يسر ويروق من أمر الدنيا لقلة مايصحب الناس من ذلك ثم قال إنها أقرب دار من سخط الله و هذانحو قول النبى ص حب الدنيا رأس كل خطيئة –روايت–۱–۲–روايت–۱۷–۴۲ . [صفحه ۲۴۰] قوله فغضوا عنكم عباد الله غمومها أى كفوا عن أنفسكم الغم لأجلها والاشتغال بهايقال غضضت فلانا عن كذا أى كففته قال تعالى وَ اغضُض مِن صَوتِكَ قوله فاحذروها حذر الشفيق الناصح أى فاحذروها على أنفسكم لأنفسكم كمايحذر الشفيق الناصح على صاحبه و كمايحذر المجد الكادح أى الساعى من خيبة سعيه والأوصال الأعضاء والمحاورة المخاطبة والمناجاة وروى و لايتجاورون بالجيم والعلم مايتسدل به فى المفازة وطريق جدد أى سهل واضح والسبيل قصد أى مستقيم –قرآن–۱۲۸–۱۴۷ [صفحه ۲۴۱]

۱۶۳– و من كلام له ع لبعض أصحابه

اشاره

و قدسأله كيف دفعكم قومكم عن هذاالمقام وأنتم أحق به فقال ع يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنّكَ لَقَلِقُ الوَضِينِ تُرسِلُ فِي غَيرِ سَدَدٍ وَ لَكَ بَعدُ ذِمَامَةُ الصّهرِ وَ حَقّ المَسأَلَةِ وَ قَدِ استَعلَمتَ فَاعلَم أَمّا الِاستِبدَادُ عَلَينَا بِهَذَا المَقَامِ وَ نَحنُ الأَعلَونَ نَسَباً وَ الأَشَدّونَ بِالرّسُولِ نَوطاً فَإِنّهَا كَانَت أَثَرَةً شَحّت عَلَيهَا نُفُوسُ قَومٍ وَ سَخَت عَنهَا نُفُوسُ آخَرِينَ وَ الحَكَمُ اللّهُ وَ المَعوَدُ إِلَيهِ يَومُ القِيَامَةِ وَ دَع عَنكَ نَهباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ || وَ لَكِن حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرّوَاحِلِ وَ هَلُمّ الخَطبَ فِي ابنِ أَبِي سُفيَانَ فَلَقَد أَضحَكَنِي الدّهرُ بَعدَ إِبكَائِهِ وَ لَا غَروَ وَ اللّهِ فَيَا لَهُ خَطباً يَستَفرِغُ العَجَبَ وَ يُكثِرُ الأَوَدَ حَاوَلَ القَومُ إِطفَاءَ نُورِ اللّهِ مِن مِصبَاحِهِ وَ سَدّ فَوّارِهِ مِن يَنبُوعِهِ وَ جَدَحُوا بيَنيِ وَ بَينَهُم شِرباً وَبِيئاً فَإِن تَرتَفِع عَنّا وَ عَنهُم مِحَنُ البَلوَى أَحمِلهُم مِنَ الحَقّ عَلَى مَحضِهِ وَ إِن تَكُنِ الأُخرَيفَلا تَذهَب نَفسُكَ عَلَيهِم حَسَرَاتٍ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِما يَصنَعُونَ -قرآن-٤٠٨-٤٨٠ [صفحه ٢٤٢] الوضين بطان القتب وحزام السرج ويقال للرجل المضطرب في أموره إنه لقلق الوضين و ذلك أن الوضين إذاقلق اضطرب القتب أوالهودج أوالسرج و من عليه . ويرسل في غيرسدد أي يتكلم في غيرقصد و في غيرصواب والسدد والاستداد الاستقامة والصواب والسديد ألذي يصيب السدد وكذلك المسد واستد الشيء أي استقام . وذمامة الصهر بالكسر أي حرمته هوالذمام قال ذو الرمة تكن عوجة يجزيكها الله عنده || بهاالأجر أوتقضي ذمامة صاحب . ويروى ماتة الصهر أي حرمته ووسيلته مت إليه بكذا وإنما قال ع له و لك بعدذمامة الصهر لأن زينب بنت جحش زوج رسول الله ص كانت أسدية وهي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وأمها أمية بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف فهي بنت عمة رسول الله ص والمصاهرة المشار إليها هي هذه . و لم يفهم القطب الراوندي ذلك فقال في الشرح كان أمير المؤمنين ع قدتزوج في بني أسد و لم يصب فإن عليا ع لم يتزوج في بني أسد البتة ونحن نذكر أولاده أما الحسن و الحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى فأمهم فاطمة بنت سيدنا رسول الله ص و أما محمدفأمه خولة بنت إياس بن جعفر من بني حنيفة و أما أبوبكر و عبد الله فأمهما ليلى بنت مسعود النهشلية [صفحه ٢٤٣] من تميم و أماعمر ورقية فأمهما سبية من بني تغلب يقال لها الصهباء سبيت في خلافة أبي بكر وإمارة خالد بن الوليد بعين التمر و أمايحيى وعون فأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية و أما جعفر والعباس و عبد الله و عبدالرحمن فأمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد من بني كلاب و أمارملة وأم الحسن فأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي و أماأم كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وجمانة وميمونة وخديجة وفاطمة وأم الكرام ونفيسة وأم سلمة وأم أبيها وأمامة بنت علي ع فهن لأمهات أولاد شتى فهؤلاء أولاده و ليس فيهم أحد من أسدية و لابلغنا أنه تزوج في بني أسد و لم يولد له ولكن الراوندي يقول مايخطر له و لايحقق . و أماحق المسألة فلأن للسائل على المسئول حقا حيث أهله لأن يستفيد منه . والاستبداد بالشيء التفرد به والنوط الالتصاق وكانت أثرة أي استئثارا بالأمر واستبدادا به قال النبي ص للأنصار ستلقون بعدي أثرة. وشحت بخلت وسخت جادت ويعني بالنفوس التي سخت نفسه وبالنفوس التي شحت أما على قولنا فإنه يعني نفوس أهل الشورى بعدمقتل عمر و أما على قول الإمامية فنفوس أهل السقيفة و ليس في الخبر مايقتضي صرف ذلك إليهم فالأولى أن يحمل على ماظهر عنه من تألمه من عبدالرحمن بن عوف وميله إلى عثمان . ثم قال إن الحكم هو الله و إن الوقت ألذي يعود الناس كلهم إليه هو يوم القيامة وروى يوم بالنصب على أنه ظرف والعامل فيه المعود على أن يكون مصدرا. و أماالبيت فهو لإمرئ القيس بن حجر الكندي وروى أن أمير المؤمنين ع لم يستشهد إلابصدره فقط وأتمه الرواة [صفحه ٢٤٤]

حديث عن إمرئ القيس

و كان من قصة هذاالشعر أن إمرأ القيس لماتنقل في أحياء العرب بعدقتل أبيه نزل على رجل من جديلة طيئ يقال له طريف بن

مـل ء فأجـاره وأكرمه وأحسن إليه فمـدحه وأقـام عنـده ثم إنه لم يوله نصـيبا فى الجبلين أجـأ وسـلمى فخـاف ألا يكون له منعة فتحول ونزل على خالـد بن سـدوس بن أصـمع النبهـانى فأغارت بنو جديلـة على إمرئ القيس و هو فى جوار خالـد بن سـدوس فذهبوا بإبله و كان ألذى أغار عليه منهم باعث بن حويص فلما أتى إمرأ القيس الخبر ذكر ذلك لجاره فقال له أعطنى رواحلك ألحق عليهـا القوم فـأرد عليـك إبلـك ففعـل فركب خالـد فى إثر القوم حتى أدركهم فقـال يابنى جديلـة أغرتم على إبل جارى فقـالوا ما هو لك بجار قال بلى و الله و هـذه رواحله قالوا كـذلك قال نعم فرجعوا إليه فأنزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالإبل وقيل بل انطوى خالـد على الإبـل فـذهب بهـا فقال إمرؤ القيس دع عنك نهبا صيح فى حجراته || ولكن حـديثا ماحـديث الرواحل كان دثارا حلقت بلبونه || عقاب تنوفى لاعقاب القواعل تلعب باعث بذمة خالد || وأودى دثار فى الخطوب الأوائل وأعجبنى مشـى الحزقـة خالـد || كمشـى أتـان حلئت بالمناهـل أبت أجأ أن تسـلم العـام جارهـا || فمن شاء فلينهض لها من مقاتل تبيت لبونى بالقرية أمنا || وأسرحها غبا بأكناف حائل [صفحه ٢٤٥] بنو ثعـل جيرانها وحماتها || وتمنع من رماة سعد ونائل تلاعب أولاد الوعول رباعها || دوين السـماء فى رءوس المجادل مكللـة حمراء ذات أسـرة || لها حبك كأنها من وصائل .دثار اسم راع كان لإمرئ القيس وتنوفى والقواعـل جبـال والحزقـة القصـير الضـخم البطن واللبون الإبـل ذوات الألبـان والقريـة موضع معروف بين الجبلين وحائـل اسم موضع أيضـا وسـعد ونائـل حيان من طيئ والرباع جمع ربع و هو مانتـج فى الربيع والمجادل القصور ومكللة يرجع إلى المجـادل مكللـة بالصـخر والأسـرة الطريق وكـذلك الحبـك والوصائل جمع وصـيلة و هوثوب أمغر الغزل فيه خطوط والنهب الغنيمـة والجمع النهـاب والانتهـاب مصـدر انتهبت المـال إذاأبحته يأخـذه من شـاء والنهبى اسم ماأنهب وحجراته نواحيه الواحـدة حجرة مثل جمرات وجمرة وصـيح فى حجراته صـياح الغارة والرواحل جمع راحلة وهى الناقة التى تصـلح أن ترحل أى يشـد الرحل على ظهرها ويقال للبعير راحلـة وانتصب حـديثا بإضـمار فعل أى هات حديثا أوحدثنى حديثا ويروى ولكن حديث أى ولكن مرادى أوغرضـى حـديث فحـذف المبتـدأ و ماهاهنـا يحتمـل أن تكون إبهاميـة وهى التى إذااقترنت بـاسم نكرة زادته إبهامـا وشـياعا كقولـك أعطنى كتابا ماتريـد أى كتاب كان ويحتمل أن تكون صـلة مؤكـدة كالتى فى قوله تعالى فَبِما نَقضِهِم مِيثاقَهُم وَ كُفرِهِم بِآياتِ اللّهِفأما حـديث الثانى فقـد ينصب و قديرفع فمن نصب أبدله من حديث الأول و من رفع جاز أن يجعل ماموصولـة بمعنى ألـذى وصلتها الجملـة أى ألـذى هوحـديث الرواحل ثم حـذف صـدر الجملة كماحذف فى تَماماً عَلَى ألّذِى أَحسَنَ ويجوز أن تجعل مااستفهامية بمعنى أى -قرآن-٩٦٥-١٠١٧-قرآن-١٢٠٦-١٢٣٣ . [صـفحه ٢٤٦] ثم قـال وهلم الخطب هـذايقوى روايـة من روى عنه أنه ع لم يستشـهد إلابصدر البيت كأنه قال دع عنك مامضـى وهلم مانحن الآن فيه من أمر معاوية فجعـل هلم مـانحن فيه من أمر معاويـة قائمـا مقـام قول إمرئ القيس ولكن حـديثا ماحـديث الرواحل . وهلم لفظ يسـتعمل لازما ومتعديا فاللازم بمعنى تعال قال الخليل أصله لم من قولهم لم الله شعثه أى جمعه كأنه أراد لم نفسك إلينا أى اجمعها واقرب منا وجـاءت هـا للتنبيه قبلهـا وحـذفت الألـف لكثرة الاسـتعمال وجعلت الكلمتان كلمـة واحـدة يسـتوى فيهاالواحـد والاثنان والجمع والمؤنث والمـذكر فى لغـة أهـل الحجاز قـال سـبحانه وَ القائِلِينَ لِإِخوانِهِم هَلُمّ إِلَينا و أهل نجـد يصـرفونها فيقولون للاثنين هلما وللجمع هلموا و على ذلك و قديوصل إذا كان لازما باللام فيقال هلم لك وهلم لكما كماقالوا هيت لك و إذاقيل لك هلم إلى كـذا أى تعال إليه قلت لاأهلم مفتوحـة الألف والهاء مضـمومة الميم فأما المتعديـة فهى بمعنى هات تقول هلم كذا وكذا قال الله تعـالى هَلُمّ شُـهَداءَكُمُ وتقول لمن قـال لـك ذلـك لاأهلمه أى لاأعطيكه يأتى بالهاء ضـمير المفعول ليتميز من الأولى . يقول ع ولكن هـات ذكر الخطب فحـذف المضـاف والخطب الحـادث الجليـل يعنى الأحـوال التى أدت إلى أن صـار معاويـة منازعا فى الرئاسة قائما عندكثير من الناس مقامه صالحا لأن يقع فى مقابلته و أن يكون ندا له . ثم قال فلقد أضحكنى الدهر بعدإبكائه يشير إلى ما كان عنده من الكآبة لتقدم من سلف عليه فلم يقنع الدهر له بذلك حتى جعل معاوية نظيرا له فضـحك ع -قرآن-٣٢٦-

۳۶۷-قرآن-۶۷۱-۶۸۹ [صفحه ۲۴۷] مما تحکم به الأوقات ویقتضیه تصرف الدهر وتقلبه و ذلک ضحک تعجب واعتبار. ثم قال و لاغرو و الله أی و لاعجب و الله . ثم فسر ذلک فقال یا له خطبا یستفرغ العجب أی یستنفده ویفنیه یقول قدصار العجب لاعجب لأن هذاالخطب استغرق التعجب فلم یبق منه مایطلق علیه لفظ التعجب و هذا من باب الإغراق والمبالغة فی المبالغة کما قال أبوالطیب أسفی علی أسفی ألذی دلهتنی || عن علمه فبه علی خفاء وشکیتی فقد السقام لأنه || قد کان لما کان لی أعضاء . و قال ابن هانی المغربی قدسرت فی المیدان یوم طرادهم || فعجبت حتی کدت ألا أعجبا . والأود العوج . ثم ذکر تمالؤ قریش علیه فقال حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه یعنی ماتقدم من منابذهٔ طلحهٔ والزبیر وأصحابهما له و ماشفع ذلک من معاویهٔ وعمرو وشیعتهما وفوار الینبوع ثقب البئر. قوله وجدحوا بینی وبینهم شربا أی خلطوه ومزجوه وأفسدوه . والوبیء ذو الوباء والمرض و هذااستعارهٔ کأنه جعل الحال التی کانت بینه وبینهم قدأفسدها القوم وجعلوها مظنهٔ الوباء والسقم کالشرب ألذی یخلط بالسم أوبالصبر فیفسد ویوبئ . [صفحه ۲۴۸] ثم قال فإن کشف الله تعالی هذه المحن التی یحصل منها ابتلاء الصابرین والمجاهدین وحصل لی التمکن من الأمر حملتهم علی الحق المحض ألذی لایمازجه باطل کاللبن المحض ألذی لایخالطه شیء من الماء و إن تکن الأخری أی و إن لم یکشف الله تعالی هذه الغمهٔ ومت أوقتلت والأمور علی ماهی علیه من الفتنهٔ ودولهٔ الضلال فَلا تَذهَب نَفسُکَ عَلَیهِم حَسَراتٍ والآیهٔ من القرآن العزیز. وسألت أبا جعفریحیی بن محمدالعلوی نقیب البصرهٔ وقت قراءتی علیه عن هذاالکلام و کان رحمه الله علی مایذهب إلیه من مذهب العلویهٔ منصفا وافر العقل فقلت له من یعنی ع بقوله کانت أثرهٔ شحت علیها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرین و من القوم الذین عناهم الأسدی بقوله کیف دفعکم قومکم عن هذاالمقام وأنتم أحق به هل المراد یوم السقیفهٔ أو یوم الشوری فقال یوم السقیفهٔ فقلت إن نفسی لاتسامحنی أن أنسب إلی الصحابهٔ عصیان رسول الله ص ودفع النص فقال و أنا فلاتسامحنی أیضا نفسی أن أنسب الرسول ص إلی إهمال أمر الإمامهٔ و أن یترک الناس فوضی سدی مهملین و قد کان لایغیب عن المدینهٔ إلا ویؤمر علیها أمیرا و هوحی لیس بالبعید عنها فکیف لایؤمر و هومیت لایقدر علی استدراک مایحدث . ثم قال لیس یشک أحد من الناس أن رسول الله ص کان عاقلا کامل العقل أماالمسلمون فاعتقادهم فیه معلوم و أمالیهود والنصاری والفلاسفهٔ فیزعمون أنه حکیم تام الحکمهٔ سدید الرأی أقام ملهٔ وشرع شریعهٔ فاستجد ملکا عظیما بعقله وتدبیره و هذا الرجل العاقل الکامل یعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبها بالثارات والذحول و لو بعدالأزمان المتطاولهٔ ویقتل الرجل من القبیلهٔ رجلا من بیت آخر -قرآن-۳۲۸-۳۶۴ [صفحه ۲۴۹] فلایزال أهل ذلک المقتول وأقاربه یتطلبون القاتل لیقتلوه حتی یدرکوا ثارهم منه فإن لم یظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله فإن لم یظفروا بأحدهم قتلوا واحدا أوجماعهٔ من تلک القبیلهٔ به و إن لم یکونوا رهطه الأدنین والإسلام لم یحل طبائعهم و لا غیر هذه السجیهٔ المرکوزهٔ فی أخلاقهم والغرائز بحالها فکیف یتوهم لبیب أن هذاالعاقل الکامل وتر العرب و علی الخصوص قریشا وساعده علی سفک الدماء وإزهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمه الأدنی وصهره و هویعلم أنه سیموت کمایموت الناس ویترکه بعده وعنده ابنته و له منها ابنان یجریان عنده مجری ابنین من ظهره حنوا علیهما ومحبهٔ لهما ویعدل عنه فی الأمر بعده و لاینص علیه و لایستخلفه فیحقن دمه ودم بنیه وأهله باستخلافه أ لایعلم هذاالعاقل الکامل أنه إذاترکه وترک بنیه وأهله سوقهٔ ورعیهٔ فقد عرض دماءهم للإراقهٔ بعده بل یکون هو ع هو ألذی قتله وأشاط بدمائهم لأنهم لایعتصمون بعده بأمر یحمیهم وإنما یکونون مضغهٔ للأکل وفریسهٔ للمفترس یتخطفهم الناس وتبلغ فیهم الأغراض فأما إذاجعل السلطان فیهم والأمر إلیهم فإنه یکون قدعصمهم وحقن دماءهم بالرئاسهٔ التی یصولون بها ویرتدع الناس عنهم لأجلها ومثل هذامعلوم بالتجربهٔ أ لاتری أن ملک بغداد أوغیرها من البلاد لوقتل الناس ووترهم وأبقی فی نفوسهم الأحقاد العظیمهٔ علیه ثم أهمل أمر ولده وذریته من بعده وفسح للناس أن یقیموا ملکا من عرضهم وواحدا منهم وجعل بنیه سوقهٔ کبعض العامهٔ لکان بنوه بعده قلیلا بقاؤهم سریعا هلاکهم ولوثب علیهم الناس ذوو

الأحقاد والترات من كل جهة يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد و لو أنه عين ولدا من أولاده للملك وقام خواصه وخدمه وخوله بأمره بعده لحقنت دماء أهل [صفحه ۲۵۰] بيته و لم تطل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك وأبهة السلطنة وقوة الرئاسة وحرمة الإمارة. أفترى ذهب عن رسول الله ص هذاالمعنى أم أحب أن يستأصل أهله وذريته من بعده وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده الحبيبة إلى قلبه . أتقول إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة تتكفف الناس و أن يجعل عليا المكرم المعظم عنده ألذى كانت حاله معه معلومة كأبى هريرة الدوسى وأنس بن مالك الأنصارى يحكم الأمراء فى دمه وعرضه ونفسه وولده فلايستطيع الامتناع و على رأسه مائة ألف سيف مسلول تتلظى أكباد أصحابها عليه ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم ويأكلوا لحمه بأسنانهم قدقتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم والعهد لم يطل والقروح لم تتقرف والجروح لم تندمل .فقلت له لقد أحسنت فيما قلت إلا أن لفظه ع يدل على أنه لم يكن نص عليه أ لاتراه يقول ونحن الأعلون نسبا والأشدون بالرسول نوطا فجعل الاحتجاج بالنسب وشدة القرب فلو كان عليه نص لقال عوض ذلك و أناالمنصوص على المخطوب باسمى. فقال رحمه الله إنما أتاه من حيث يعلم لا من حيث يجهل أ لاترى أنه سأله فقال كيف دفعكم قومكم عن هذاالمقام وأنتم أحق به فهو إنما سأل عن دفعهم عنه وهم أحق به من جهة اللحمة والعترة و لم يكن الأسدى يتصور النص و لايعتقده و لايخطر بباله لأنه لو كان هذا فى نفسه لقال له لم دفعك الناس عن هذاالمقام و قدنص عليك رسول الله ص و لم يقل له هذا وإنما قال كلاما عاما لبنى هاشم كافة [صفحه ۲۵۱] كيف دفعكم قومكم عن هذا وأنتم أحق به أى باعتبار الهاشمية والقربى فأجابه بجواب أعاد قبله المعنى ألذى تعلق به الأسدى بعينه تمهيدا للجواب فقال إنما فعلوا ذلك مع أناأقرب إلى رسول الله ص من غيرنا لأنهم استأثروا علينا و لو قال له أناالمنصوص على والمخطوب باسمى فى حياة رسول الله ص لما كان قدأجابه لأنه ماسأله هل أنت منصوص عليك أم لا و لاهل نص رسول الله ص بالخلافة على أحد أم لا وإنما قال لم دفعكم قومكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم فأجابه جوابا ينطبق على السؤال ويلائمه أيضا فلو أخذ يصرح له بالنص ويعرفه تفاصيل باطن الأمر لنفر عنه واتهمه و لم يقبل قوله و لم ينجذب إلى تصديقه فكان أولى الأمور فى حكم السياسة وتدبير الناس أن يجيب بما لانفرة منه و لامطعن عليه فيه [صفحه ۲۵۲]

۱۶۴- و من خطبة له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ خَالِقِ العِبَادِ وَ سَاطِحِ المِهَادِ وَ مُسِيلِ الوِهَادِ وَ مُخصِبِ النّجَادِ لَيسَ لِأَوّلِيّتِهِ ابتِدَاءٌ وَ لَا لِأَزَلِيّتِهِ انقِضَاءٌ هُوَ الأَوّلُ وَ لَم يَزَل وَ البَاقِي بِلَا أَجَلٍ خَرّت لَهُ الجِبَاهُ وَ وَحّدَتهُ الشّفَاهُ حَدّ الأَشيَاءَ عِندَ خَلقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِن شَبَهِهَا لَا تُقَدّرُهُ الأَوهَامُ بِالحُدُودِ وَ الحَرَكَاتِ وَ لَا بِالجَوَارِحِ وَ الأَدَوَاتِ لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى وَ لَا يُضرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِ حَتّى الظّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمّ وَ البَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَ لَا شَبَحٌ فَيُتَقَصّى وَ لَا مَحجُوبٌ فَيُحوَى لَم يَقرُب مِنَ الأَشيَاءِ بِالتِصَاقٍ وَ لَم يَبعُد عَنهَا بِافتِرَاقٍ وَ لَا يَخفَى عَلَيهِ مِن عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحظَةٍ وَ لَا كُرُورُ لَفظَةٍ وَ لَا ازدِلَافُ رَبوَةٍ وَ لَا انبِسَاطُ خُطوَةٍ فِي لَيلٍ دَاجٍ وَ لَا غَسَقٍ سَاجٍ يَتَفَيّأُ عَلَيهِ القَمَرُ المُنِيرُ وَ تَعقُبُهُ الشّمسُ ذَاتُ النّورِ فِي الأُفُولِ وَ الكُرُورِ وَ تَقلِيبِ الأَزمِنَةِ وَ الدّهُورِ مِن إِقبَالِ لَيلٍ مُقبِلٍ وَ إِدبَارِ نَهَارٍ مُدبِرٍ قَبلَ كُلّ غَايَةٍ وَ مُدّةٍ وَ كُلّ إِحصَاءٍ وَ عِدّةٍ تَعَالَى عَمّا يَنحَلُهُ المُحَدّدُونَ مِن صِفَاتِ الأَقدَارِ وَ نِهَايَاتِ الأَقطَارِ وَ تَأَثّلِ المَسَاكِنِ وَ تَمَكّنِ الأَمَاكِنِ فَالحَدّ لِخَلقِهِ مَضرُوبٌ وَ إِلَى غَيرِهِ مَنسُوبٌ لَم يَخلُقِ الأَشيَاءَ مِن أُصُولٍ أَزَلِيّةٍ وَ لَا مِن أَوَائِلَ أَبَدِيّةٍ بَل خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ [صفحه ۲۵۳] حَدّهُ وَ صَوّرَ فَأَحسَنَ صُورَتَهُ لَيسَ لِشَيءٍ

مِنهُ امتِنَاعٌ وَ لَا لَهُ بِطَاعَةِ شَیءٍ انتِفَاعٌ عِلمُهُ بِالأموَاتِ المَاضِینَ کَعِلمِهِ بِالأحیَاءِ البَاقِینَ وَ عِلمُهُ بِمَا فِی السّمَاوَاتِ العُلَی کَعِلمِهِ بِمَا فِی الأَرَضِینَ السّفلَی المهاد هنا هو الأرض وأصله الفراش وساطحه باسطه و منه تسطيح القبور خلاف تسنيمها و منه أيضا المسطح للموضع ألذی يبسط فيه التمر ليجفف . والوهاد جمع وهدة وهی المکان المطمئن ومسيلها مجری السيل فيها والنجاد جمع نجد و هو ماارتفع من الأرض ومخصبها مروضها وجاعلها ذوات خصب

مباحث کلامية

واعلم أنه ع أورد فی هذه الخطبة ضروبا من علم التوحيد وکلها مبنية علی ثلاثة أصول .الأصل الأول أنه تعالی واجب الوجود لذاته ويتفرع علی هذاالأصل فروع أولها أنه ليس لأوليته ابتداء لأنه لو کان لأوليته ابتداء لکان محدثا و لا شیء من المحدث بواجب الوجود لأن معنی واجب الوجود أن ذاته لاتقبل العدم ويستحيل الجمع بين قولنا هذه الذات محدثة أی کانت معدومة من قبل وهی فی حقيقتها لاتقبل العدم . [صفحه ۲۵۴] وثانيها أنه ليس لأزليته انقضاء لأنه لوصح عليه العدم لکان لعدمه سبب فکان وجوده موقوفا علی انتفاء سبب عدمه والمتوقف علی غيره يکون ممکن الذات فلا يکون واجب الوجود. و قوله ع هوالأول لم يزل والباقی بلا أجل تکرار لهذين المعنيين السابقين علی سبيل التأکيد ويدخل فيه أيضا قوله لايقال له متی و لايضرب له أمد بحتی لأن متی للزمان وواجب الوجود يرتفع عن الزمان و حتی للغاية وواجب الوجود لاغاية له . ويدخل أيضا فيه قوله قبل کل غاية ومدة و کل إحصاء وعدة. وثالثها أنه لايشبه الأشياء البتة لأن ماعداه إما جسم أوعرض أومجرد فلو أشبه الجسم أوالعرض لکان إما جسما أوعرضا ضرورة تساوی المتشابهين المتماثلين فی حقائقهما. و لوشابه غيره من المجردات مع أن کل مجرد غيرممکن لکان ممکنا و ليس واجب الوجود بممکن فيدخل فی هذاالمعنی قوله ع حد الأشياء عندخلقه لها إبانة له من شبهها أی جعل المخلوقات ذوات حدود ليتميز هوسبحانه عنها إذ لاحد له فبطل أن يشبهه شیءمنها ودخل فيه قوله ع لاتقدره الأوهام بالحدود والحرکات و لابالجوارح . والأدوات جمع أداة وهی مايعتمد به ودخل فيه قوله الظاهر فلايقال مم أی لايقال من أی شیءظهر والباطن فلايقال فيم أی لايقال فيما ذا بطن ويدخل فيه قوله لاشبح فيتقصی والشبح الشخص ويتقصی يطلب أقصاه . ويدخل فيه قوله و لامحجوب فيحوی و قوله لم يقرب من الأشياء بالتصاق و لم يبعد عنها بافتراق لأن هذه الأمور کلها من خصائص الأجسام وواجب الوجود لايشبه الأجسام و لايماثلها. ويدخل فيه قوله ع تعالی عما ينحله المحددون من صفات الأقدار أی مما ينسبه إليه المشبهة والمجسمة من صفات المقادير وذوات المقادير. [صفحه ۲۵۵] ونهايات الأقطار أی الجوانب . وتأثل المساکن مجد مؤثل أی أصيل وبيت مؤثل أی معمور وکأن أصل الکلمة أن تبنی الدار بالأثل و هوشجر معروف وتمکن الأماکن ثبوتها واستقرارها. و قوله فالحد لخلقه مضروب و إلی غيره منسوب و قوله و لا له بطاعة شیءانتفاع لأنه إنما ينتفع الجسم ألذی يصح عليه الشهوة والنفرة کل هذاداخل تحت هذاالوجه .الأصل الثانی أنه تعالی عالم لذاته فيعلم کل معلوم ويدخل تحت هذاالأصل قوله ع لاتخفی عليه من عباده شخوص لحظة أن تسکن العين فلاتتحرک و لاکرور لفظة أی رجوعها. و لاازدلاف ربوة صعود إنسان أوحيوان ربوة من الأرض وهی الموضع المرتفع و لاانبساط خطوة فی ليل داج أی مظلم . و لاغسق ساج أی ساکن . ثم قال يتفيأ عليه القمر المنير هذا من صفات الغسق و من تتمة نعته ومعنی يتفيأ عليه يتقلب ذاهبا وجائيا فی حالتی أخذه فی الضوء إلی التبدر وأخذه فی النقص إلی المحاق . و قوله وتعقبه أی وتتعقبه فحذف إحدی التاءين کما قال سبحانه الّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِکَةُ أی تتوفاهم والهاء فی وتعقبه ترجع إلی القمر أی وتسير الشمس عقبه فی کروره وأفوله أی غيبوبته و فی تقليب الأزمنة والدهور من إقبال ليل وإدبار نهار. -قرآن-۸۹۰-۹۲۲ [صفحه ۲۵۶] فإن قلت إذا کان قوله يتفيأ عليه

القمر المنير فی موضع جر لأنه صفة غسق فكيف تتعقب الشمس والقمر مع وجود الغسق وهل يمكن اجتماع الشمس والغسق قلت لايلزم من تعقب الشمس للقمر ثبوت الغسق .بل قديصدق تعقبها له و يكون الغسق معدوما كأنه ع قال لايخفى على الله حركة فی نهار و لاليل يتفيأ عليه القمر وتعقبه الشمس أی تظهر عقيبه فيزول الغسق بظهورها. و هذاالتفسير ألذی فسرناه يقتضی أن يكون حرف الجر و هو فی التی فی قوله فی الكرور متعلقا بمحذوف و يكون موضعه نصبا على الحال أی وتعقبه كارا وآفلا ويدخل تحته أيضا قوله ع علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين وعلمه بما فی السماوات العلا كعلمه بما فی الأرضين السفلى .الأصل الثالث أنه تعالى قادر لذاته فكان قادرا على كل الممكنات ويدخل تحته قوله لم يخلق الأشياء من أصول أزلية و لا- من أوائل أبدية بل خلق ماخلق فأقام حده وصور ماصور فأحسن صورته والرد فی هذا على أصحاب الهيولى والطينة التی يزعمون قدمها. ويدخل تحته قوله ليس لشیء امتناع لأنه متى أراد إيجاد شیءأوجده ويدخل تحته قوله خرت له الجباه أی سجدت ووحدته الشفاه يعنی الأفواه فعبر بالجزء عن الكل مجازا و ذلك لأن القادر لذاته هوالمستحق للعبادة لخلقه أصول النعم كالحياة والقدرة والشهوة. واعلم أن هذاالفن هو ألذی بان به أمير المؤمنين ع عن العرب فی زمانه قاطبة [صفحه ٢٥٧] واستحق به التقدم والفضل عليهم أجمعين و ذلك لأن الخاصة التی يتميز بهاالإنسان عن البهائم هی العقل والعلم أ لاترى أنه يشاركه غيره من الحيوانات فی اللحمية والدموية والقوة والقدرة والحركة الكائنة على سبيل الإرادة والاختيار فليس الامتياز إلابالقوة الناطقة أی العاقلة العالمة فكلما كان الإنسان أكثر حظا منها كانت إنسانيته أتم ومعلوم أن هذا الرجل انفرد بهذا الفن و هوأشرف العلوم لأن معلومه أشرف المعلومات و لم ينقل عن أحد من العرب غيره فی هذاالفن حرف واحد و لاكانت أذهانهم تصل إلى هذا و لايفهمونه بهذا الفن فهو منفرد فيه وبغيره من الفنون وهی العلوم الشرعية مشارك لهم وراجح عليهم فكان أكمل منهم لأنا قدبينا أن الأعلم أدخل فی صورة الإنسانية و هذا هومعنى الأفضلية مِنهَا أَيّهَا المَخلُوقُ السوّیّ وَ المَنشَأُ المَرعِیّ فِی ظُلُمَاتِ الأَرحَامِ وَ مُضَاعَفَاتِ الأَستَارِ.بُدِئتَ مِن سُلَالَةٍ مِن طِينٍ وَ وُضِعتَ فِی قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعلُومٍ وَ أَجَلٍ مَقسُومٍ تَمُورُ فِی بَطنِ أُمّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً وَ لَا تَسمَعُ نِدَاءً ثُمّ أُخرِجتَ مِن مَقَرّكَ إِلَى دَارٍ لَم تَشهَدهَا وَ لَم تَعرِف سُبُلَ مَنَافِعِهَا فَمَن هَدَاكَ لِاجتِرَارِ الغِذَاءِ مِن ثَدیِ أُمّكَ وَ عَرّفَكَ عِندَ الحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَ إِرَادَتِكَ هَيهَاتَ إِنّ مَن يَعجِزُ عَن صِفَاتِ ذیِ الهَيئَةِ وَ الأَدَوَاتِ فَهُوَ عَن صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعجَزُ وَ مِن تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ المَخلُوقِينَ أَبعَدُ [صفحه ٢٥٨] السوی المستوی الخلقة غيرناقص قال سبحانه فَتَمَثّلَ لَها بَشَراً سَوِيّا والمنشأ مفعول من أنشأ أی خلق وأوجد والمرعی المحوط المحفوظ. وظلمات الأرحام ومضاعفات الأستار مستقر النطف والرحم موضوعة فيما بين المثانة والمعی المستقيم وهی مربوطة برباطات على هيئة السلسلة وجسمها عصبی ليمكن امتدادها واتساعها وقت الحاجة إلى ذلك عندالولادة وتنضم وتتقلص إذااستغنى عن ذلك ولها بطنان ينتهيان إلى فم واحد وزائدتان يسميان قرينی الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من بيضتی الرجل وأشد تفرطحا ومنهما ينصب منی المرأة إلى تجويف الرحم وللرحم رقبة منتهية إلى فرج المرأة وتلك الرقبة من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل فإذاامتزج منی الرجل بمنی المرأة فی تجويف الرحم كان العلوق ثم ينمی ويزيد من دم الطمث ويتصل بالجنين عروق تأتی إلى الرحم فتغذوه حتى يتم ويكمل فإذاتم لم يكتف بما تحته من تلك العروق فيتحرك حركات قوية طلبا للغذاء فتهتك أربطة الرحم التی قلنا إنها على هيئة السلسلة وتكون منها الولادة. قوله بدئت من سلالة من طين أی كان ابتداء خلقك من سلالة وهی خلاصة الطين لأنها سلت من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة. و قال الحسن هی ما بين ظهرانی الطين . ثم قال ووضعت فی قرار مكين الكلام الأول لآدم ألذی هوأصل البشر والثانی لذريته والقرار المكين الرحم متمكنة فی موضعها برباطاتها لأنها لوكانت متحركة لتعذر العلوق . -قرآن-٤٤-٧٤[صفحه ٢٥٩] ثم قال إلى قدر معلوم وأجل مقسوم إلى متعلقة بمحذوف كأنه قال منتهيا إلى قدر معلوم أی مقدرا طوله وشكله إلى أجل مقسوم مدة حياته . ثم قال تمور فی بطن أمك أی تتحرك لاتحير أی لاترجع جوابا

أحار يحير. إلى دار لم تشهدها يعنى الدنيا ويقال أشبه شيءبحال الانتقال من الدنيا إلى الأحوال التى بعدالموت انتقال الجنين من ظلمة الرحم إلى فضاء الدنيا فلو كان الجنين يعقل ويتصور كان يظن أنه لادار له إلاالدار التى هو فيها و لايشعر بما وراءها و لايحس بنفسه إلاـ و قدحصل فى دار لم يعرفها و لاتخطر بباله فبقى هوكالحائر المبهوت وهكذا حالنا فى الدنيا إذاشاهدنا ما بعدالموت . ولقد أحسن ابن الرومى فى صفة خطوب الدنيا وصروفها بقوله لماتؤذن الدنيا به من صروفها || يكون بكاء الطفل ساعة يولد و إلافما يبكيه منها وإنها || لأوسع مما كان فيه وأرغد إذاأبصر الدنيا استهل كأنه || بما سوف يلقى من أذاها يهدد . قال فمن هداك إلى اجترار الغذاء من ثدى أمك اجترار امتصاص اللبن من الثدى و ذلك بالإلهام الإلهى. قال وعرفك عندالحاجة أى أعلمك بموضع الحلمة عندطلبك الرضاع فالتقمتها بفمك . [صفحه ۲۶۰] ثم قال هيهات أى بعد أن يحيط علما بالخالق من عجز عن معرفة المخلوق قال الشاعر رأيت الورى يدعون الهدى || وكم يدعى الحق خلق كثير و ما فى البرايا امرؤ عنده || من العلم بالحق إلااليسير خفى فما ناله ناظر || و ما إن أشار إليه مشير و لا شيءأظهر من ذاته || وكيف يرى الشمس أعمى ضرير [صفحه ۲۶۱]

۱۶۵– و من كلام له ع لعثمان بن عفان

قالوا لمااجتمع الناس إلى أمير المؤمنين ع وشكوا إليه مانقموه على عثمان وسألوه مخاطبته واستعتابه لهم فدخل ع على عثمان فقال إِنّ النّاسَ ورَائَي وَ قَدِ استَسفَرَوُنيِ بَينَكَ وَ بَينَهُم وَ وَ اللّهِ مَا أَدرِي مَا أَقُولُ لَكَ مَا أَعرِفُ شَيئاً تَجهَلُهُ وَ لَا أَدُلّكَ عَلَى أَمرٍ لَا تَعرِفُهُ إِنّكَ لَتَعلَمُ مَا نَعلَمُ مَا سَبَقنَاكَ إِلَى شَيءٍ فَنُخبِرَكَ عَنهُ وَ لَا خَلَونَا بشِيَءٍ فَنُبَلّغَكَهُ وَ قَد رَأَيتَ كَمَا رَأَينَا وَ سَمِعتَ كَمَا سَمِعنَا وَ صَحِبتَ رَسُولَ اللّهِص كَمَا صَحِبنَا وَ مَا ابنُ أَبِي قُحَافَةَ وَ لَا ابنُ الخَطّابِ بِأَولَى بِعَمَلِ الخَيرِ مِنكَ وَ أَنتَ أَقرَبُ إِلَى رَسُولِ اللّهِص وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنهُمَا وَ قَد نِلتَ مِن صِهرِهِ مَا لَم يَنَالَا فَاللّهَ اللّهَ فِي نَفسِكَ فَإِنّكَ وَ اللّهِ مَا تُبَصّرُ مِن عَمًى وَ لَا تُعَلّمُ مِن جَهلٍ وَ إِنّ الطّرُقَ لَوَاضِحَةٌ وَ إِنّ أَعلَامَ الدّينِ لَقَائِمَةٌ فَاعلَم أَنّ أَفضَلَ عِبَادِ اللّهِ عِندَ اللّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَ هَدَى فَأَقَامَ سُنّةً مَعلُومَةً وَ أَمَاتَ بِدعَةً مَجهُولَةً وَ إِنّ السّنَنَ لَنَيّرَةٌ لَهَا أَعلَامٌ وَ إِنّ البِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعلَامٌ وَ إِنّ شَرّ النّاسِ عِندَ اللّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلّ وَ ضُلّ بِهِ فَأَمَاتَ سُنّةً مَأخُوذَةً وَ أَحيَا بِدعَةً مَترُوكَةً وَ إنِيّ سَمِعتُ رَسُولَ اللّهِص يَقُولُ يُؤتَى يَومَ القِيَامَةِ بِالإِمَامِ الجَائِرِ وَ لَيسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَ لَا عَاذِرٌ فَيُلقَى فِي نَارِ جَهَنّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرّحَى ثُمّ يَرتَبِطُ فِي قَعرِهَا [صفحه ۲۶۲] وَ إنِيّ أَنشُدُكَ اللّهَ أَن تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الأُمّةِ المَقتُولَ فَإِنّهُ كَانَ يُقَالُ يُقتَلُ فِي هَذِهِ الأُمّةِ إِمَامٌ يَفتَحُ عَلَيهَا القَتلَ وَ القِتَالَ إِلَى يوم القِيَامَةِ وَ يَلبِسُ أُمُورَهَا عَلَيهَا وَ يَبُثّ الفِتَنَ فِيهَا فَلَا يُبصِرُونَ الحَقّ مِنَ البَاطِلِ يَمُوجُونَ فِيهَا مَوجاً وَ يَمرُجُونَ فِيهَا مَرجاً فَلَا تَكُونَنّ لِمَروَانَ سَيّقَةً يَسُوقُكَ حَيثُ شَاءَ بَعدَ جَلَالِ السّنّ وَ تَقَضّيّ العُمُرِ فَقَالَ لَهُ عُثمَانُ رضَيِ َ اللّهُ عَنهُ كَلّمِ النّاسَ فِي أَن يُؤَجّلُونيِ حَتّى أَخرُجَ إِلَيهِم مِن مَظَالِمِهِم فَقَالَ ع مَا كَانَ بِالمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ وَ مَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمرِكَ إِلَيهِ نقمت على زيد بالفتح أنقم فأنا ناقم إذاعتبت عليه و قال الكسائى نقمت بالكسر أيضا أنقم لغة و هذه اللفظة تجيء لازمة ومتعدية قالوا نقمت الأمر أى كرهته . واستعتبت فلانا طلبت منه العتبى وهى الرضا واستعتابهم عثمان طلبهم منه مايرضيهم عنه . واستسفرونى جعلونى سفيرا ووسيطا بينك وبينهم . ثم قال له وأقسم على ذلك أنه لايعلم ماذا يقول له لأنه لايعرف أمرا يجهله أى من هذه الأحداث خاصة و هذاحق لأن عليا ع لم يكن يعلم منها مايجهله [صفحه ۲۶۳] عثمان بل كان أحداث الصبيان فضلا عن العقلاء المميزين يعلمون وجهى الصواب والخطأ فيها. ثم شرع معه فى مسلك الملاطفة والقول اللين فقال ماسبقنا إلى الصحبة و لاانفردنا بالرسول دونك و أنت مثلنا ونحن مثلك . ثم خرج إلى ذكر الشيخين فقال قولا معناه أنهما ليسا خيرا منك فإنك مخصوص دونهما بقرب النسب يعنى المنافية وبالصهر و هذاكلام هوموضع

المثل يسر حسوا فى ارتغاء ومراده تفضيل نفسه ع لأن العلة التى باعتبارها فضل عثمان عليهما محققة فيه وزيادة لأن له مع المنافية الهاشمية فهو أقرب . والوشيجة عروق الشجرة ثم حذره جانب الله تعالى ونبهه على أن الطرق واضحة وأعلام الهدى قائمة و أن الإمام العادل أفضل الناس عند الله و أن الإمام الجائر شر الناس عند الله . ثم روى له الخبر المذكور وروى ثم يرتبك فى قعرها أى ينشب . وخوفه أن يكون الإمام المقتول ألذى يفتح الفتن بقتله و قد كان رسول الله ص قال كلاما هو هذا أويشبه هذا. ومرج الدين أى فسد والسيقة مااستاقه العدو من الدواب مثل الوسيقة قال الشاعر فما أنا إلامثل سيقة العدا || إن استقدمت بحر و إن جبأت عقر . والجلال بالضم الجليل كالطوال والطويل أى بعدالسن الجليل أى العمر الطويل . [صفحه ۲۶۴] و قوله ما كان بالمدينة فلاأجل فيه و ماغاب فأجله وصول أمرك إليه كلام شريف فصيح لأن الحاضر أى معنى لتأجيله والغائب فلاعذر بعدوصول الأمر فى تأخيره لأن السلطان لايؤخر أمره . و قدذكرنا من الأحداث التى نقمت على عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية و قدذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله فى التاريخ الكبير هذاالكلام فقال إن نفرا من أصحاب رسول الله ص تكاتبوا فكتب بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن الجهاد بالمدينة لابالروم واستطال الناس على عثمان ونالوا منه و ذلك فى سنة أربع وثلاثين و لم يكن أحد من الصحابة يذب عنه و لاينهى إلانفر منهم زيد بن ثابت و أبوأسيد الساعدى وكعب بن مالك وحسان بن ثابت فاجتمع الناس فكلموا على بن أبى طالب ع وسألوه أن يكلم عثمان فدخل عليه و قال له إن الناس ... وروى الكلام إلى آخره بألفاظه فقال عثمان و قدعلمت أنك لتقولن ما قلت أما و الله لوكنت مكانى ماعنفتك و لاعتبت عليك و لم آت منكرا إنما وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يوليه أنشدك الله يا على أ لاتعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك قال بلى قال أ فلاتعلم أن عمر ولاه قال بلى قال فلم تلومنى أن وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته فقال على ع إن عمر كان يطأ على صماخ من يوليه ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمرا أقصى العقوبة و أنت فلاتفعل ضعفت ورققت على أقربائك . [صفحه ۲۶۵] قال عثمان هم أقرباؤك أيضا فقال على لعمرى إن رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم . فقال عثمان أ فلاتعلم أن عمر ولى معاوية فقد وليته قال على أنشدك الله أ لاتعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ غلامه له قال بلى قال فإن معاوية يقطع الأمور دونك و يقول للناس هذابأمر عثمان و أنت تعلم ذلك فلاتغير عليه . ثم قام على فخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر فخطب الناس و قال أما بعد فإن لكل شىءآفة ولكل أمر عاهة و إن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ماتحبون ويسرون عنكم ماتكرهون يقولون لكم وتقولون أمثال النعام يتبع أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد لايشربون إلانغصا و لايردون إلاعكرا أما و الله لقد عبتم على ماأقررتم لابن الخطاب بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ماأحببتم وكرهتم ولنت لكم وأوطأتكم كتفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على أما و الله لأنا أقرب ناصرا وأعز نفرا وأكثر عددا وأحرى إن قلت هلم أن يجاب صوتى ولقد أعددت لكم أقرانا وكشرت لكم عن نابى وأخرجتم منى خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أكن أنطق به فكفوا عنى ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فما ألذى تفقدون من حقكم و الله ماقصرت عن بلوغ من كان قبلى يبلغ و ماوجدتكم تختلفون عليه فما بالكم .فقام مروان بن الحكم فقال و إن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف . فقال عثمان اسكت لاسكت دعنى وأصحابى مامنطقك فى هذا أ لم أتقدم إليك ألا تنطق .فسكت مروان ونزل عثمان [صفحه ۲۶۶]

۱۶۶– و من خطبة له ع يذكر فيهاعجيب خلقة الطاوس

ابتَدَعَهُم خَلقاً عَجِيباً مِن حَيَوَانٍ وَ مَوَاتٍ وَ سَاكِنٍ وَ ذيِ حَرَكَاتٍ وَ أَقَامَ مِن شَوَاهِدِ البَيّنَاتِ عَلَي لَطِيفِ صَنعَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدرَتِهِ مَا

انقَادَت لَهُ العُقُولُ مُعتَرِفَةً بِهِ وَ مَسَلِّمَةً لَهُ وَ نَعَقَت فِی أَسمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَی وَحدَانِیّتِهِ وَ مَا ذَرَأَ مِن مُختَلِفِ صُوَرِ الأَطیَارِ الّتِی أَسکَنَهَا أَخَادِیدَ الأَرضِ وَ خُرُوقَ فِجَاجِهَا وَ رَوَاسِیَ أَعلَامِهَا مِن ذَاتِ أَجنِحَةٍ مُختَلِفَةٍ وَ هَیئَاتٍ مُتَبَایِنَةٍ مُصَرّفَةٍ فِی زِمَامِ التّسخِیرِ وَ مُرَفرِفَةٍ بِأَجنِحَتِهَا فِی مَخَارِقِ الجَوّ المُنفَسِحِ وَ الفَضَاءِ المُنفَرِجِ کَوّنَهَا بَعدَ إِذ لَم تَکُن فِی عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ وَ رَکّبَهَا فِی حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحتَجِبَةٍ وَ مَنَعَ بَعضَهَا بِعَبَالَةِ خَلقِهِ أَن یَسمُوَ فِی الهَوَاءِ خُفُوفاً وَ جَعَلَهُ یَدِفّ دَفِیفاً وَ نَسَقَهَا عَلَی اختِلَافِهَا فِی الأَصَابِیغِ بِلَطِیفِ قُدرَتِهِ وَ دَقِیقِ صَنعَتِهِ فَمِنهَا مَغمُوسٌ فِی قَالَبِ لَونٍ لَا یَشُوبُهُ غَیرُ لَونِ مَا غُمِسَ فِیهِ وَ مِنهَا مَغمُوسٌ فِی لَونِ صِبغٍ قَد طُوّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ الموات بالفتح ما لاحیاة فیه وأرض موات أی قفر والساکن هاهنا کالأرض والجبال وذو الحرکات کالنار والماء الجاری والحیوان . [صفحه ۲۶۷] ونعقت فی أسماعنا دلائله أی صاحت دلائله لظهورها کالأصوات المسموعة التی تعلم یقینا. وأخادید الأرض شقوقها جمع أخدود وفجاجها جمع فج و هوالطریق بین الجبلین ورواسی أعلامها أثقال جبالها.مصرفة فی زمام التسخیر أی هی مسخرة تحت القدرة الإلهیة. وحقاق المفاصل جمع حق و هومجمع المفصلین من الأعضاء کالرکبة وجعلها محتجبة لأنها مستورة بالجلد واللحم . وعبالة الحیوان کثافة جسده والخفوف سرعة الحرکة والدفیف للطائر طیرانه فویق الأرض یقال عقاب دفوف قال إمرؤ القیس یصف فرسه ویشبهها بالعقاب کأنی بفتخاء الجناحین لقوة || دفوف من العقبان طأطأت شملالی . ونسقها رتبها والأصابیغ جمع أصباغ وأصباغ جمع صبغ . والمغموس الأول هوذو اللون الواحد کالأسود والأحمر والمغموس الثانی ذو اللونین نحو أن یکون أحمر وعنقه خضراء. وروی قدطورق لون أی لون علی لون کماتقول طارقت بین الثوبین . فإن قلت ما هذه الطیور التی یسکن بعضها الأخادید وبعضها الفجاج وبعضها رءوس الجبال . قلت أماالأول فکالقطا والصدی والثانی کالقبج والطیهوج والثالث کالصقر والعقاب [صفحه ۲۶۸] وَ مِن أَعجَبِهَا خَلقاً الطّاوُسُ الّذِی أَقَامَهُ فِی أَحسَنِ تَعدِیلٍ وَ نَضّدَ أَلوَانَهُ فِی أَحسَنِ تَنضِیدٍ بِجَنَاحٍ أَشرَجَ قَصَبَهُ وَ ذَنَبٍ أَطَالَ مَسحَبَهُ إِذَا دَرَجَ إِلَی الأُنثَی نَشَرَهُ مِن طَیّهِ وَ سَمَا بِهِ مُطِلّا عَلَی رَأسِهِ کَأَنّهُ قِلعُ دَارِیّ عَنَجَهُ نُوتِیّهُ یَختَالُ بِأَلوَانِهِ وَ یَمِیسُ بِزَیَفَانِهِ یُفضِی کَإِفضَاءِ الدّیَکَةِ وَ یَؤُرّ بِمَلَاقِحِهِ أَرّ الفُحُولِ المُغتَلِمَةِ لِلضّرَابِ أُحِیلُکَ مِن ذَلِکَ عَلَی مُعَایَنَةٍ لَا کَمَن یُحِیلُ عَلَی ضَعِیفٍ إِسنَادُهُ وَ لَو کَانَ کَزَعمِ مَن یَزعُمُ أَنّهُ یُلقِحُ بِدَمعَةٍ تَسفَحُهَا مَدَامِعُهُ فَتَقِفُ فِی ضَفّتَی جُفُونِهِ وَ أَنّ أُنثَاهُ تَطعَمُ ذَلِکَ ثُمّ تَبِیضُ لَا مِن لِقَاحِ فَحلٍ سِوَی الدّمعِ المُنبَجِسِ لَمَا کَانَ ذَلِکَ بِأَعجَبَ مِن مُطَاعَمَةِ الغُرَابِ الطاوس فاعول کالهاضوم والکابوس وترخیمه طویس ونضد رتب قوله أشرج قصبه القصب هاهنا عروق الجناح وغضاریفه عظامه الصغار وأشرجها رکب بعضها فی بعض کماتشرج العیبة أی یداخل بین أشراجها وهی عراها واحدها شرج بالتحریک . ثم ذکر ذنب الطاوس و أنه طویل المسحب و أن الطاوس إذادرج إلی الأنثی للسفاد نشر ذنبه من طیه وعلا به مرتفعا علی رأسه والقلع شراع السفینة وجمعه قلاع والداری جالب العطر فی البحر من دارین وهی فرضة بالبحرین فیهاسوق یحمل إلیها المسک من الهند و فی الحدیث الجلیس الصالح کالداری إن لم یحذک من عطره علقک من ریحه -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۷۶ قال الشاعر [صفحه ۲۶۹] إذاالتاجر الداری جاء بفأرة || من المسک راحت فی مفارقهم تجری . والنوتی الملاح وجمعه نواتی. وعنجه عطفه وعنجت خطام البعیر رددته علی رجلیه أعنجه بالضم والاسم العنج بالتحریک و فی المثل عود یعلم العنج یضرب مثلا لتعلیم الحاذق . ویختال من الخیلاء وهی العجب ویمیس یتبختر. وزیفانه تبختره زاف یزیف و منه ناقة زیافة أی مختالة قال عنترة زیافة مثل الفنیق المکدم . وکذلک ذکر الحمام عندالحمامة إذاجر الذنابی ودفع مقدمه بمؤخره واستدار علیها. ویفضی یسفد والدیکة جمع دیک کالقرطة والجحرة جمع قرط وجحر. ویؤر یسفد والأر الجماع و رجل آر کثیر الجماع وملاقحه أدوات اللقاح وأعضاؤه وهی آلات التناسل . قوله أر الفحول أی أرا مثل أر الفحول ذات الغلمة والشبق . ثم ذکر أنه لم یقل ذلک عن إسناد قدیضعف ویتداخله الطعن بل قال ذلک عن عیان ومشاهدة. [صفحه ۲۷۰] فإن قلت من أین للمدینة طواویس وأین العرب و هذاالطائر حتی یقول أمیر المؤمنین ع أحیلک من ذلک علی معاینة لاسیما و هویعنی السفاد ورؤیة ذلک لمن

تكثر الطواويس فى داره ويطول مكثها عنـده نادرة. قلت لم يشاهد أمير المؤمنين ع الطواويس بالمدينة بل بالكوفة وكانت يومئذ تجبى إليها ثمرات كل شـىء وتأتى إليها هـدايا الملوك من الآفاق ورؤيـة المسافدة مع وجود الذكر والأنثى غيرمستبعدة. واعلم أن قوما زعموا أن الـذكر تـدمع عينه فتقف الدمعـة بين أجفانه فتأتى الأنثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة و أمير المؤمنين ع لم يحـل ذلك ولكنه قال ليس بأعجب من مطاعمـة الغراب والعرب تزعم أن الغراب لايسـفد و من أمثالهم أخفى من سـفاد الغراب فيزعمون أن اللقاح من مطاعمة الذكر والأنثى منهما وانتقال جزء من الماء ألذى فى قانصته إليها من منقاره و أماالحكماء فقل أن يصـدقوا بـذلك على أنهم قدقالوا فى كتبهم مايقرب من هذاقالوا فى السـمك البياض إن سفاده خفى جدا وإنه لم يظهر ظهورا يعتد به ويحكم بسـببه . هذالفظ ابن سـينا فى كتاب الشـفاء ثم قال و الناس يقولون إن الإناث تأخذ زرع الذكور فى أفواهها إلى بطونها ثم قال و قدشوهدت الإناث منها تتبع الذكور مبتلعة للزرع و أما عندالولادة فإن الذكور تتبع الإناث مبتلعة بيضـها. قال ابن سينـا والقبجـة تحبلهـا ريـح تهب من ناحيـة الحجـل الـذكر و من سـماع صوته . قـال والنوع المسـمى مالاقيا تتلاصق بأفواهها ثم تتشابك فذاك سفادها وسمعت [صفحه ٢٧١] أن الغراب يسـفد و أنه قدشوهد سفاده و يقول الناس إن من شاهد سفاد الغراب يثرى و لايموت إلا و هوكثير المال موسـر. والضـفتان بفتح الضاد الجنابان وهما ضـفتا النهر و قدجاء ذلك بالكسـر أيضا والفتح أفصـح . والمنبجس المنفجر ويسـفحها يصبها وروى تنشجها مدامعه من النشـيج و هوصوت الماء وغليانه من زق أوحب أوقدر تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِن فِضّةٍ وَ مَا أُنبِتَ عَلَيهَا مِن عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَ شُمُوسِهِ خَالِصَ العِقيَانِ وَ فِلَذَ الزّبَرجَدِ فَإِن شَبّهتَهُ بِمَا أَنبَتَتِ الأَرضُ قُلتَ جَنَيّ جُنِيَ مِن زَهرَةِ كُلّ رَبِيعٍ وَ إِن ضَاهَيتَهُ بِالمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوشِيّ الحُلَلِ أَو كَمُونِقِ عَصبِ اليَمَنِ وَ إِن شَاكَلتَهُ بِالحُلِيّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلوَانٍ قَد نُطّقَت بِاللّجَينِ المُكَلّلِ يَمشِي مَشيَ المَرِحِ المُختَالِ وَ يَتَصَفّحُ ذَنَبَهُ وَ جَنَاحَهُ فَيُقَهقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِربَالِهِ وَ أَصَابِيغِ وِشَاحِهِ فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعوِلًا بِصَوتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ استِغَاثَتِهِ وَ يَشهَدُ بِصَادِقِ تَوَجّعِهِ لِأَنّ قَوَائِمَهُ حُمشٌ كَقَوَائِمِ الدّيَكَةِ الخِلَاسِيّةِ قصبه عظام أجنحته والمدارى جمع مدرى و هو فى الأصل القرن قال النابغة يصف الثور والكلاب شك الفريصة بالمدرى فأنفذها || شك المبيطر إذ يشفى من العضد . [صفحه ٢٧٢] وكذلك المدراة ويقال المدرى لشىء كالمسلة تصلح بهاالماشطة شعور النساء قال الشاعر تهلك المدراة فى أكنافه || و إذا ماأرسلته يعتفر . وتمدرت المرأة أى سرحت شعرها شبه عظام أجنحة الطاوس بمدارى من فضة لبياضـها وشبه ماأنبت الله عليها من تلك الدارات والشموس التى فى الريش بخالص العقيان و هوالذهب . وفلذ الزبرجد جمع فلذة وهى القطعة والزبرجد هذاالجوهر ألذى تسـميه الناس البلخش . ثم قـال إن شـبهته بنبـات الأرض قلت إنه قـدجنى من زهرة كل ربيع فى الأرض لاختلاف ألوانه وأصـباغه . و إن ضاهيته بالملابس المضاهاة المشاكلـة يهمز و لايهمز وقرئ يضاهون قول الـذين كفروا ويُضاهِؤُنَ و هذاضـهى هـذا على فعيل أى شبيهه . وموشـى الحلل مادبـج بالوشـى و هوالأرقم الملون والعصب برود اليمن . والحلى جمع حلى و هو ماتلبسه المرأة من الـذهب والفضـة مثل ثـدى وثـدى ووزنه فعول و قدتكسر الحاء لمكان الياء مثل عصـى وقرئمِن حُلِيّهِمبالضم والكسـر. ونطقت باللجين جعلت الفضـة كالنطـاق لها والمكلل ذو الإكليل . -قرآن-٤٤٨-٤٥٧-قرآن-٦٩٢-٧٠٤ [صفحه ٢٧٣] وزقـا صوت يزقو زقوا وزقيا وزقاء و كل صائـح زاق والزقيـة الصـيحة و هوأثقـل من الزواقى أى الديكـة لأنهم كانوا يسـمرون فإذاصاحت الديكـة تفرقوا. ومعولا صارخا أعولت الفرس صوتت و منه العويـل والعولـة. وقوائمه حمش دقاق و هوأحمش الساقين وحمش الساقين بالتسـكين و قدحمشـت قوائمه أى دقت وتقول العرب للغلام إذاكانت أمه بيضاء وأبوه عربيا آدم فجاء لونه بين لونيهما.خلاسـى بالكسـر والأنثى خلاسية و قـال الليث الديكـة الخلاسـية هى المتولـدة من الـدجاج الهنـدى والفارسـى. يقول ع إن الطـاوس يزهى بنفسه ويـتيه إذانظر فى أعطافه ورأى ألوانه المختلفة فإذانظر إلى ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهوه فصاح صياح العويل لحزنه و ذلك لدقة ساقيه ونتوء عرقوبيه وَ قَد نَجَمَت مِن ظُنبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيّةٌ وَ لَهُ فِي مَوضِعِ العُرفِ قُنزُعَةٌ خَضرَاءُ مُوَشّاةٌ وَ مَخرَجُ عَنُقِهِ كَالإِبرِيقِ وَ

مَغرِزُهَا إِلَى حَيثُ بَطنُهُ كَصِبغِ الوَسمَةِ اليَمَانِيّةِ أَو كَحَرِيرَةٍ مُلبَسَةٍ مِرآةً ذَاتَ صِقَالٍ وَ كَأَنّهُ مُتَلَفّعٌ بِمِعجَرٍ أَسحَمَ إِلّا أَنّهُ يُخَيّلُ لِكَثرَةِ مَائِهِ وَ شِدّةِ بَرِيقِهِ أَنّ الخُضرَةَ النّاضِرَةَ مُمتَزِجَةٌ بِهِ وَ مَعَ فَتقِ سَمعِهِ خَطّ كَمُستَدَقّ القَلَمِ فِي لَونِ الأُقحُوَانِ أَبيَضُ يَقَقٌ فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ [صفحه ۲۷۴] مَا هُنَالِكَ يَأتَلِقُ وَ قَلّ صِبغٌ إِلّا وَ قَد أَخَذَ مِنهُ بِقِسطٍ وَ عَلَاهُ بِكَثرَةِ صِقَالِهِ وَ بَرِيقِهِ وَ بَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَ رَونَقِهِ فَهُوَ كَالأَزَاهِيرِ المَبثُوثَةِ لَم تُرَبّهَا أَمطَارُ رَبِيعٍ وَ لَا شُمُوسُ قَيظٍ نجمت ظهرت والظنبوب حرف الساق و هو هذاالعظم اليابس . والصيصية فى الأصل شوكة الحائك التى يسوى بهاالسداة واللحمة و منه قوله كوقع الصياصى فى النسيج الممدد . ونقل إلى صيصية الديك لتلك الهيئة التى فى رجله . والعرف الشعر المرتفع من عنقه على رأسه والقنزعة واحدة القنازع وهى الشعر حوالى الرأس و فى الحديث غطى عنا قنازعك ياأم أيمن -روايت-١-٢-روايت-١۴-۴۳ . وموشاة ذات وشى. والوسمة بكسر السين العظلم ألذى يخضب به ويجوز تسكين السين . والأسحم الأسود والمتلفع الملتحف ويروى متقنع بمعجر و هو ماتشده المرأة على رأسها كالرداء. والأقحوان البابونج الأبيض وجمعه أقاح . [صفحه ۲۷۵] وأبيض يقق خالص البياض وجاء يقق بالكسر ويأتلق يلمع . والبصيص البريق وبص الشىء لمع . وتربها الأمطار تربيها وتجمعها. يقول ع كأن هذاالطائر ملتحف بملحفة سوداء إلاأنها لكثرة رونقها يتوهم أنه قدامتزج بهاخضرة ناضرة وقل أن يكون لون إلا و قدأخذ هذاالطائر منه بنصيب فهو كأزاهير الربيع إلا أن الأزهار تربيها الأمطار والشموس و هذامستغن عن ذلك وَ قَد يَنحَسِرُ مِن رِيشِهِ وَ يَعرَى مِن لِبَاسِهِ فَيَسقُطُ تَترَى وَ يَنبُتُ تِبَاعاً فَيَنحَتّ مِن قَصَبِهِ انحِتَاتَ أَورَاقِ الأَغصَانِ ثُمّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتّى يَعُودَ كَهَيئَتِهِ قَبلَ سُقُوطِهِ لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلوَانِهِ وَ لَا يَقَعُ لَونٌ فِي غَيرِ مَكَانِهِ وَ إِذَا تَصَفّحتَ شَعرَةً مِن شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتكَ حُمرَةً وَردِيّةً وَ تَارَةً خُضرَةً زَبَرجَدِيّةً وَ أَحيَاناً صُفرَةً عَسجَدِيّةً فَكَيفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ الفِطَنِ أَو تَبلُغُهُ قَرَائِحُ العُقُولِ أَو تَستَنظِمُ وَصفَهُ أَقوَالُ الوَاصِفِينَ وَ أَقَلّ أَجزَائِهِ قَد أَعجَزَ الأَوهَامَ أَن تُدرِكَهُ وَ الأَلسِنَةَ أَن تَصِفَهُ فَسُبحَانَ ألّذِي بَهَرَ العُقُولَ عَن وَصفِ خَلقٍ جَلّاهُ لِلعُيُونِ فَأَدرَكَتهُ مَحدُوداً مُكَوّناً وَ مُؤَلّفاً مُلَوّناً وَ أَعجَزَ الأَلسُنَ عَن تَلخِيصِ صِفَتِهِ وَ قَعَدَ بِهَا عَن تَأدِيَةِ نَعتِهِ وَ سُبحَانَ مَن أَدمَجَ قَوَائِمَ الذّرّةِ وَ الهَمَجَةِ إِلَى مَا فَوقَهُمَا مِن خَلقِ الحِيتَانِ وَ الفِيَلَةِ [صفحه ۲۷۶] وَ وَأَى عَلَى نَفسِهِ أَلّا يَضطَرِبَ شَبَحٌ مِمّا أَولَجَ فِيهِ الرّوحَ إِلّا وَ جَعَلَ الحِمَامَ مَوعِدَهُ وَ الفَنَاءَ غَايَتَهُ ينحسر من ريشه ينكشف فيسقط ويروى يتحسر.تترى أى شيئا بعد شىء وبينهما فترة قال الله تعالى ثُمّ أَرسَلنا رُسُلَنا تَترالأنه لم يرسلهم على تراسل بل بعدفترات و هذامما يغلط فيه قوم فيعتقدون أن تترى للمواصلة والالتصاق وأصلها الواو من الوتر و هوالفرد و فيهالغتان تنون و لاتنون فمن ترك صرفها للمعرفة جعل ألفها ألف تأنيث و من نونها جعل ألفها للإلحاق . قال ع وينبت تباعا أى لافترات بينهما وكذلك حال الريش الساقط يسقط شيئا بعد شىء وينبت جميعا. وينحت يتساقط وانحتات الورق تناثرها وناميا زائدا يقول ع إذاعاد ريشه عاد مكان كل ريشة ريشة ملونة بلون الريشة الأولى فلايتخالف الأوائل والأواخر. والخضرة الزبرجدية منسوبة إلى الزمرد ولفظة الزبرجد تارة تستعمل له وتارة لهذا الحجر الأحمر المسمى بلخش والعسجد الذهب وعمائق الفطن -قرآن-٩۴-١٢١ [صفحه ۲۷۷] البعيدة القعر والقريحة الخاطر والذهن وبهر غلب وجلاه أظهره ويروى بالتخفيف وأدمج القوائم أحكمها كالحبل المدمج الشديد الفتل . والذرة النملة الصغيرة والهمجة واحدة الهمج و هوذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمر وأعينها. ووأى وعد والوأى الوعد. واعلم أن الحكماء ذكروا فى الطاوس أمورا قالوا إنه يعيش خمسا وعشرين سنة وهى أقصى عمره ويبيض فى السنة الثالثة من عمره عند ماينتقش لونه ويتم ريشه ويبيض فى السنة مرة واحدة اثنتى عشرة بيضة فى ثلاثة أيام ويحضنها ثلاثين يوما فيفرخ ويلقى ريشه مع سقوط ورق الشجر وينبته مع ابتداء نبات الورق . والدجاج قديحضن بيض الطاوس وإنما يختار الدجاج لحضانته و إن وجدت الطاوسة لأن الطاوس الذكر يعبث بالأنثى ويشغلها عن الحضانة وربما انفقص البيض من تحتها ولهذه العلة يخبأ كثير من الإناث محاضنها عن ذكرانها و لاتقوى الدجاجة على أكثر من بيضتى طاوس وينبغى أن يتعهد الدجاجة حينئذ بتقريب العلف منها. و قال شيخنا أبوعثمان الجاحظ رحمه الله فى

كتاب الحيوان إن الطاوسة قدتبيض من الريح بأن يكون فى سفالة الريح وفوقها طاوس ذكر فيحمل ريحه فتبيض منه وكذلك القبجة. قال وبيض الريح قل أن يفرخ [صفحه ۲۷۸] مِنهَا فِى صِفَةِ الجَنّةِ فَلَو رَمَيتَ بِبَصَرِ قَلبِکَ نَحوَ مَا يُوصَفُ لَکَ مِنهَا لَعَزَفَت نَفسُکَ عَن بَدَائِعِ مَا أُخرِجَ إِلَى الدّنيَا مِن شَهَوَاتِهَا وَ لَذّاتِهَا وَ زَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَ لَذَهِلَت بِالفِكرِ فِى اصطِفَافِ أَشجَارٍ غُيّبَت عُرُوقُهَا فِى كُثبَانِ المِسکِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنهَارِهَا وَ فِى تَعلِيقِ كَبَائِسِ اللّؤلُؤِ الرّطبِ فِى عَسَالِيجِهَا وَ أَفنَانِهَا وَ طُلُوعِ تِلکَ الثّمَارِ مُختَلِفَةً فِى غُلُفِ أَكمَامِهَا تُجنَى مِن غَيرِ تَكَلّفٍ فَتَأتِى عَلَى مُنيَةِ مُجتَنِيهَا وَ يُطَافُ عَلَى نُزّالِهَا فِى أَفنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعسَالِ المُصَفّقَةِ وَ الخُمُورِ المُرَوّقَةِ قَومٌ لَم تَزَلِ الكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِم حَتّى حَلّوا دَارَ القَرَارِ وَ أَمِنُوا نُقلَةَ الأَسفَارِ فَلَو شَغَلتَ قَلبَکَ أَيّهَا المُستَمِعُ بِالوُصُولِ إِلَى مَا يَهجُمُ عَلَيکَ مِن تِلکَ المَنَاظِرِ المُونِقَةِ لَزَهِقَت نَفسُکَ شَوقاً إِلَيهَا وَ لَتَحَمّلتَ مِن مَجلِسِى هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهلِ القُبُورِ استِعجَالًا بِهَا جَعَلَنَا اللّهُ وَ إِيّاكُم مِمّن يَسعَى بِقَلبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الأَبرَارِ بِرَحمَتِهِ قال الرضى رحمه الله تعالى تفسير بعض ما فى هذه الخطبة من الغريب قوله ع يؤر بملاقحه الأر كناية عن النكاح يقال أر الرجل المرأة يؤرها إذانكحها. و قوله ع كأنه قلع دارى عنجه نوتيه القلع شراع السفينة ودارى منسوب إلى دارين وهى بلدة على البحر يجلب منها الطيب وعنجه أى عطفه يقال عنجت الناقة أعنجها عنجا إذاعطفتها والنوتى الملاح . -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۷۹] و قوله ع ضفتى جفونه أراد جانبى جفونه والضفتان الجانبان . و قوله وفلذ الزبرجد الفلذ جمع فلذة وهى القطعة. و قوله ع كبائس اللؤلؤ الرطب الكباسة العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج -روايت-از قبل-۱۹۵ رميت ببصر قلبک أى أفكرت وتأملت وعزفت نفسک كرهت وزهدت والزخارف جمع زخرف و هوالذهب و كل مموه . واصطفاف الأشجار انتظامها صفا ويروى فى اصطفاق أغصان أى اضطرابها. ويأتى على منية مجتنيها لايترک له منية أصلا لأنه يكون قدبلغ نهاية الأمانى. والعسل المصفق المصفى تحويلا من إناء إلى إناء والمونقة المعجبة وزهقت نفسه مات . واعلم أنه لامزيد فى التشويق إلى الجنة على ماذكره الله تعالى فى كتابه فكل الصيد فى جانب الفرا. [صفحه ۲۸۰] و قدجاء عن رسول الله ص فى ذلک أخبار صحيحة فروى أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ص يذكر الجنة فقال أ لامشتر لها هى ورب الكعبة ريحانة تهتز ونور يتلألأ ونهر يطرد وزوجة لاتموت مع حبور ونعيم ومقام الأبد -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۶۸ روى أبوسعيد الخدرى عنه ص أن الله سبحانه لماحوط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها قال لها تكلمى فقالت قدأفلح المؤمنون فقال طوبى لک منزل الملوک -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۱۷۳ روى جابر بن عبد الله عنه ع إذادخل أهل الجنة الجنة قال لهم ربهم تعالى أتحبون أن أزيدكم فيقولون وهل خير مما أعطيتنا فيقول نعم رضوانى أكبر -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۱۵۵ عنه ع إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب فقيل له فهل يكون منهم حدث أو قال خبث قال عرق يفيض من أعراضهم كريح المسک يضمر منه البطن -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۵۹ وروى الزمخشرى فى ربيع الأبرار ومذهبه فى الاعتزال ونصرة أصحابنا معلوم وكذلک فى انحرافه عن الشيعة وتسخيفه لمقالاتهم أن رسول الله محمداص قال لماأسرى بى أخذنى جبرئيل فأقعدنى على درنوک من درانيک الجنة ثم ناولنى سفرجلة فبينا أناأقلبها انفلقت فخرجت منها جارية لم أر أحسن منها فسلمت فقلت من أنت قالت أناالراضية المرضية خلقنى الجبار من ثلاثة أصناف أعلاى من عنبر -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-ادامه دارد [صفحه ۲۸۱] وأوسطى من كافور وأسفلى من مسک ثم عجننى بماء الحيوان و قال لى كونى كذا فكنت خلقنى لأخيک و ابن عمک على بن أبى طالب -روايت-از قبل-۱۳۰ . قلت الدرنوک ضرب من البسط ذو خمل ويشبه به فروة البعير قال الراجز جعد الدرانيک رفل الأجلاد [صفحه ۲۸۲]

۱۶۷- و من خطبة له ع

لِيَتَأَسّ صَغِيرُكُم بِكَبِيرِكُم وَ لِيَرأَف كَبِيرُكُم بِصَغِيرِكُم وَ لَا تَكَونُوا كَجُفَاةِ الجَاهِلِيّةِ لَا فِي الدّينِ يَتَفَقّهُونَ وَ لَا عَنِ اللّهِ يَعقِلُونَ كَقَيضِ بَيضٍ فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسرُهَا وِزراً وَ يُخرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً أمرهم ع أن يتأسى الصغير منهم بالكبير في أخلاقه وآدابه فإن الكبير لكثرة التجربة أحزم وأكيس و أن يرأف الكبير بالصغير والرأفة الرحمة لأن الصغير مظنة الضعف والرقة. ثم نهاهم عن خلق الجاهلية في الجفاء والقسوة و قال إنهم لايتفقهون في دين و لايعقلون عن الله مايأمرهم به و هذا من قول الله سبحانه صُمّ بُكمٌ عميٌ فَهُم لا يَعقِلُونَ وروي تتفقهون بتاء الخطاب . ثم شبههم ببيض الأفاعي في الأعشاش يظن بيض القطا فلايحل لمن رآه أن يكسره لأنه يظنه بيض القطا وحضانه يخرج شرا لأنه يفقص عن أفعى . -قرآن-٣١٠-٣٤٦ [صفحه ٢٨٣] واستعار لفظة الأداحي للأعشاش مجازا لأن الأداحي لاتكون إلاللنعام تدحوها بأرجلها وتبيض فيها ودحوها توسيعها من دحوت الأرض . والقيض الكسر والفلق قضت القارورة والبيضة وانقاضت هي وانقاض الجدار انقياضا أي تصدع من غير أن يسقط فإن سقط قيل تقيض تقيضا وتقوض تقوضا وقوضته أنا وتقول للبيضة إذاتكسرت فلقا تقيضت تقيضا فإن تصدعت و لم تنفلق قلت انقاضت فهي منقاضة والقارورة مثله مِنهَا افتَرَقُوا بَعدَ أُلفَتِهِم وَ تَشَتّتُوا عَن أَصلِهِم فَمِنهُم آخِذٌ بِغُصنٍ أَينَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ عَلَى أَنّ اللّهَ تَعَالَى سَيَجمَعُهُم لِشَرّ يَومٍ لِبَنِي أُمَيّةَ كَمَا يَجتَمِعُ قَزَعُ الخَرِيفِ يُؤَلّفُ اللّهُ بَينَهُم ثُمّ يَجمَعُهُم رُكَاماً كَرُكَامِ السّحَابِ ثُمّ يَفتَحُ اللّهُ لَهُم أَبوَاباً يَسِيلُونَ مِن مُستَثَارِهِم كَسَيلِ الجَنّتَينِ حَيثُ لَم تَسلَم عَلَيهِ قَارَةٌ وَ لَم تَثبُت عَلَيهِ أَكَمَةٌ وَ لَم يَرُدّ سَنَنَهُ رَصّ طَودٍ وَ لَا حِدَابُ أَرضٍ يُذَعذِعُهُمُ اللّهُ فِي بُطُونِ أَودِيَتِهِ ثُمّ يَسلُكُهُم يَنَابِيعَ فِي الأَرضِ يَأخُذُ بِهِم مِن قَومٍ حُقُوقَ قَومٍ وَ يُمَكّنُ لِقَومٍ فِي دِيَارِ قَومٍ وَ ايمُ اللّهِ لَيَذُوبَنّ مَا فِي أَيدِيهِم بَعدَ العُلُوّ وَ التّمكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَليَةُ عَلَى النّارِ أَيّهَا النّاسُ لَو لَم تَتَخَاذَلُوا عَن نَصرِ الحَقّ وَ لَم تَهِنُوا عَن تَوهِينِ البَاطِلِ لَم [صفحه ٢٨٤] يَطمَع فِيكُم مَن لَيسَ مِثلَكُم وَ لَم يَقوَ مَن قَوِيَ عَلَيكُم لَكِنّكُم تِهتُم مَتَاهَ بَنِي إِسرَائِيلَ وَ لَعَمرِي لَيُضَعّفَنّ لَكُمُ التّيهُ مِن بَعدِي أَضعَافاً بِمَا خَلّفتُمُ الحَقّ وَرَاءَ ظُهُورِكُم وَ قَطَعتُمُ الأَدنَى وَ وَصَلتُمُ الأَبعَدَ وَ اعلَمُوا أَنّكُم إِنِ اتّبَعتُمُ الدّاعِيَ لَكُم سَلَكَ بِكُم مِنهَاجَ الرّسُولِ وَ كُفِيتُم مَئُونَةَ الِاعتِسَافِ وَ نَبَذتُمُ الثّقلَ الفَادِحَ عَنِ الأَعنَاقِ هو ع يذكر حال أصحابه وشيعته بعده فيقول افترقوا بعدألفتهم أي بعداجتماعهم . وتشتتوا عن أصلهم أي عني بعدمفارقتي فمنهم آخذ بغصن أي يكون منهم من يتمسك بمن أخلفه بعدي من ذرية الرسول أينما سلكوا سلكوا معهم وتقدير الكلام ومنهم من لا يكون هذه حاله لكنه لم يذكره ع اكتفاء بذكر القسم الأول لأنه دال على القسم الثاني. ثم قال على أن هؤلاء القوم من ثبت منهم على عقيدته فينا و من لم يثبت لابد أن يجمعهم الله تعالى لشر يوم لبني أمية وكذا كان فإن الشيعة الهاشمية اجتمعت على إزالة ملك بني مروان من كان منهم ثابتا على ولاء علي بن أبي طالب ع و من حاد منهم عن ذلك و ذلك في أواخر أيام مروان الحمار عندظهور الدعوة الهاشمية. وقزع الخريف جمع قزعة وهي سحب صغار تجتمع فتصير ركاما و هو ماكثف [صفحه ٢٨٥] من السحاب وركمت الشيء أركمه إذاجمعته وألقيت بعضه على بعض . ومستثارهم موضع ثورتهم . والجنتان هما اللتان قال الله تعالى فيهمالَقَد كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسكَنِهِم آيَةٌ جَنّتانِ عَن يَمِينٍ وَ شِمالٍ وسلط الله عليهما السيل قال الله تعالى فَأَعرَضُوا فَأَرسَلنا عَلَيهِم سَيلَ العَرِمِفشبه ع سيلان الجيوش إلى بني أمية بالسيل المسلط على تينك الجنتين .فإنه لم تسلم عليه قارة وهي الجبيل الصغير و لم تثبت له أكمة وهي التلعة من الأرض . و لم يرد سننه أي طريقه طود مرصوص أي جبل شديد التصاق الأجزاء بعضها ببعض و لاحداب أرض جمع حدبة وهي الروابي والنجاد. ثم قال يذعذعهم الله الذعذعة بالذال المعجمة مرتين التفريق وذعذعة الشر إذاعته . ثم يسلكهم ينابيع في الأرض من ألفاظ القرآن والمراد أنه كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيستكن في أعماق الأرض ثم يظهر منها ينابيع إلى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله تعالى في بطون الأودية وغوامض الأغوار ثم -قرآن-١٣٨-٢٠٨-قرآن-٢٥١-٢٩٦ [صفحه ٢٨٦] يظهرهم بعدالاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ويمكن منهم قوما من ملك قوم وديارهم . ثم أقسم ليذوبن ما في أيدي بني أمية بعدعلوهم وتمكينهم كماتذوب الألية على النار وهمزة الألية مفتوحة

وجمعهـا أليات بالتحريک والتثنيـهٔ أليان بغير تاء قال الراجز ترتـج ألياه ارتجاج الوطب . وجمع الأليـهٔ ألاء على فعال وکبش آلى على أفعـل ونعجـهٔ أليـاء والجمع ألى على فعـل ويقـال أيضـا کبش أليـان بالتحريـک وکباش أليانات و رجل أليأ أى عظيم الأليهٔ وامرأهٔ عجزاء و لاتقل ألياء و قدقاله بعضـهم و قدألى الرجل بالکسـر يألى عظمت أليته . ثم قال لو لاتخاذلکم لم يطمع فيکم من هودونکم . وتهنوا مضارع وهن أى ضـعف و هو من ألفاظ القرآن أيضا. وتهتم متاه بنى إسـرائيل حرتم وضللتم الطريق و قدجاء فى المسانيـد الصـحيحهٔ أن رسول الله ص قال لترکبن سـنن من کان قبلکم حـذو النعل بالنعل والقـذهٔ بالقـذهٔ حتى لودخلوا جحر ضب لـدخلتموه فقيـل يـا رسول الله اليهود والنصـارى قـال فمن إذا –روايت–۱–۲–روايت–۵۳–۱۹۵ من الأخبار الصـحيحهٔ أيضا أمتهوکـون أنتم کمـاتهوکت اليهـود والنصـارى –روايت–۱–۲–روايت–۲۷–۷۱ فى صـحيحى البخـارى ومسـلم رحمهمـا الله أنه سيجـاء يوم القيامـهٔ بأنـاس من أمتى –روايت–۱–۲–روايت–۴۲–ادامه دارد [صـفحه ۲۸۷] فيؤخـذ بهم ذات الشـمال فإذارأيتهم اختلجوا دونى قلت أى رب أصـحابى فيقال لى إنک لاتدرى ماعملوا بعدک فأقول ما قال العبد الصالح وَ کُنتُ عَلَيهِم شَـهِيداً ما دُمتُ فِيهِم فَلَمّا تَوَفّيتَنِي کُنتَ أَنتَ الرّقِيبَ عَلَيهِم وَ أَنتَ عَلى کُلّ شَـيءٍ شَـهِيدٌ –روايت–از قبل–۲۶۶ الإسناد فى هذاالحديث عن ابن عباس رضـى الله عنه و فى الصـحيحين أيضا عن زينب بنت جحش قالت استيقظ رسول الله ص يوما من نومه محمرا وجهه و هو يقول لا ـإله إلا الله ويل للعرب من شـر قـداقترب فقلت يا رسول الله أنهلک وفينا الصالحون فقال نعم إذاکثر الخبث –روايت–۱–۲–روايت–۴۶–۲۱۵ فى الصـحيحين أيضـا يهلـک أمتى هـذاالحى من قريش قـالوا يـا رسول الله فمـا تأمرنـا قـال لو أن النـاس اعتزلوهم –روايت–۱–۲–روايت–۲۱–۱۱۰ رواه أبـوهريرهٔ عنـه ص . ثـم قـال ع ليضـعفن لکـم التيه مـن بعـدى –روايت–۱–۲–روايت–۱۵–۴۴ يعنى الضـلال يضـعفه لکم الشـيطان وأنفسـکم بمـا خلفتم الحق وراء ظهورکم أى لأجل ترککم الحق وقطعکم الأدنى يعنى نفسه ووصلکم الأبعد يعنى معاويهٔ ويروى إن اتبعتم الراعى لکم بالراء. والاعتساف سلوک غيرالطريق والفادح الثقل فدحه الدين أثقله [صفحه ۲۸۸]

۱۶۸– و من خطبهٔ له ع فى أول خلافته

إِنّ اللّهَ تَعَالَى سُبحَانَهُ أَنزَلَ کِتَاباً هَادِياً بَيّنَ فِيهِ الخَيرَ وَ الشّـرّ فَخُذُوا نَهجَ الخَيرِ تَهتَدُوا وَ اصدِفُوا عَن سَـمتِ الشّرّ تَقصِدُوا الفَرَائِضَ الفَرَائِضَ أَدّوهَـا إِلَى اللّهِ تُؤَدّکُم إِلَى الجَنّةِ إِنّ اللّهَ حَرّمَ حَرَامـاً غَيرَ مَجهُولٍ وَ أَحَلّ حَلَالًا غَيرَ مَـدخُولٍ وَ فَضّلَ حُرمَـةَ المُسـلِمِ عَلَى الحُرَمِ کُلّهَا وَ شَدّ بِالإِخلَاصِ وَ التّوحِيدِ حُقُوقَ المُسـلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا فَالمُسـلِمُ مَن سَـلِمَ المُسـلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَ يَدِهِ إِلّا بِالحَقّ وَ لَا يَحِـلّ أَذَى المُسـلِمِ إِلّـا بِمَا يَجِبُ بَادِرُوا أَمرَ العَامّـةِ وَ خَاصّـةَ أَحَـدِکُم وَ هُوَ المَوتُ فَإِنّ النّاسَ أَمَامَکُم وَ إِنّ السّاعَـةَ تَحـدُوکُم مِن خَلفِکُم تَخَفّفُوا تَلحَقُوا فَإِنّمَـا يُنتَظَرُ بِأَوّلِکُم آخِرُکُم اتّقُوا اللّهَ فِي عِبَادِهِ وَ بِلَادِهِ فَإِنّکُم مَسـئُولُونَ حَتّى عَنِ البِقَاعِ وَ البَهَائِمِ وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ لَا تَعصُوهُ وَ إِذَا رَأَيتُمُ الخَيرَ فَخُذُوا بِهِ وَ إِذَا رَأَيتُمُ الشّرّ فَأَعرِضُوا عَنهُ [صفحه ۲۸۹] واصدفوا عن سمت الشر أى أعرضوا عن طريقه تقصـدوا أى تعدلوا والقصد العدل . ثم أمر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظهٔ عليها کالصـلاهٔ والزکاهٔ وانتصب ذلک على الإغراء. ثم ذکر أن الحرام غيرمجهول للمکلف بل معلوم والحلال غيرمـدخول أى لاعيب و لانقص فيه و أن حرمـهٔ المسـلم أفضل من جميع الحرمات و هذالفظ الخبر النبوى حرمهٔ المسلم فوق کل حرمهٔ دمه وعرضه وماله –روايت–۱–۲–روايت–۱۶–۶۱ . قـال ع وشـد بالإخلاـص والتوحيـد حقوق المسـلمين فى معاقـدها لأـن الإخلاـص والتوحيـد داعيان إلى المحافظهٔ على حقوق المسـلمين صارفـان عن انتهاک محارمهم . قال فالمسـلم من سـلم الناس هـذالفظ الخبر النبوى بعينه . قوله و لايحل أذى المسـلم إلابما يجب أى إلابحق و هوالکلام الأول وإنما أعاده تأکيـدا. ثم أمر بمبادرهٔ الموت وسـماه الواقعـهٔ العامهٔ لأنه يعم الحيوان کله

ثم سماه خاصة أحدكم لأنه و إن كان عاما إلا أن له مع كل إنسان بعينه خصوصية زائدة على ذلك العموم . قوله فإن الناس أمامكم أى قدسبقوكم والساعة تسوقكم من خلفكم . ثم أمر بالتخفف و هوالقناعة من الدنيا باليسير وترك الحرص عليها فإن المسافر الخفيف أحرى بالنجاة ولحاق أصحابه وبلوغ المنزل من الثقيل . [صفحه ۲۹۰] و قوله فإنما ينتظر بأولكم آخركم أى إنما ينتظر ببعث الموتى المتقدمين أن يموت الأواخر أيضا فيبعث الكل جميعا فى وقت واحد. ثم ذكر أنهم مسئولون عن كل شيء حتى عن البقاع لم استوطنتم هذه وزهدتم فى هذه و لم أخربتم هذه الدار وعمرتم هذه الدار و حتى عن البهائم لم ضربتموها لم أجعتموها. وروى فإن البأس أمامكم يعنى الفتنة والرواية الأولى أظهر و قدورد فى الأخبار النبوية لينتصفن للجماء من القرناء -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۵۵ جاء فى الخبر الصحيح إن الله تعالى عذب إنسانا بهر حبسه فى بيت وأجاعه حتى هلك -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۷ [صفحه ۲۹۱]

۱۶۹– و من كلام له ع بعد مابويع له بالخلافة

اشاره

و قد قال له قوم من الصحابة لوعاقبت قوما ممن أجلب على عثمان فقال ع يَا إِخوَتَاه إِنّيِ لَستُ أَجهَلُ مَا تَعلَمُونَ وَ لَكِن كَيفَ لِي بِقُوّةٍ وَ القَومُ المُجلِبُونَ عَلَى حَدّ شَوكَتِهِم يَملِكُونَنَا وَ لَا نَملِكُهُم وَ هَا هُم هَؤُلَاءِ قَد ثَارَت مَعَهُم عِبدَانُكُم وَ التَفّت إِلَيهِم أَعرَابُكُم وَ هُم خِلَالَكُم يَسُومُونَكُم مَا شَاءُوا وَ هَل تَرَونَ مَوضِعاً لِقُدرَةٍ عَلَى شَيءٍ تُرِيدُونَهُ إِنّ هَذَا الأَمرَ أَمرُ جَاهِلِيّةٍ وَ إِنّ لِهَؤُلَاءِ القَوم مَادّةً إِنّ النّاسَ مِن هَذَا الأَمرِ إِذَا حُرّكَ عَلَى أُمُورٍ فِرقَةٌ تَرَى مَا تَرَونَ وَ فِرقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَونَ وَ فِرقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَ لَا هَذَا فَاصبِرُوا حَتّى يَهدَأَ النّاسُ وَ تَقَعَ القُلُوبُ مَوَاقِعَهَا وَ تُؤخَذَ الحُقُوقُ مُسمَحَةً فَاهدَءُوا عنَيّ وَ انظُرُوا مَا ذَا يَأتِيكُم بِهِ أَمرِي وَ لَا تَفعَلُوا فَعلَةً تُضَعضِعُ قُوّةً وَ تُسقِطُ مُنّةً وَ تُورِثُ وَهناً وَ ذِلّةً وَ سَأُمسِكُ الأَمرَ مَا استَمسَكَ وَ إِذَا لَم أَجِد بُدّاً فَآخِرُ الدّوَاءِ الكيَّ أجلب عليه أعان عليه وأجلبه أعانه والألف فى ياإخوتاه بدل من ياء الإضافة والهاء للسكت . [صفحه ۲۹۲] و على حد شوكتهم شدتهم أى لم تنكسر سورتهم . والعبدان جمع عبدبالكسر مثل جحش وجحشان وجاء عبدان بالضم مثل تمر وتمران وجاء عبيد مثل كلب وكليب و هوجمع عزيز وجاء أعبد وعباد وعبدان مشددة الدال وعبداء بالمد وعبدى بالقصر ومعبوداء بالمد و عبدبالضم مثل سقف وسقف وأنشدوا أنسب العبد إلى آبائه || أسود الجلدة من قوم عبد . و منه قرأ بعضهم وَ عَبَدَ الطّاغُوتَ وأضافه . قوله والتفت إليهم أعرابكم انضمت واختلطت بهم . وهم خلالكم أى بينكم يسومونكم ماشاءوا يكلفونكم قال تعالى يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذابِ. وتؤخذ الحقوق مسمحة من أسمح أى ذل وانقاد.فاهدءوا عنى أى فاسكنوا هدأ الرجل هدءا وهدوءا أى سكن وأهدأه غيره وتضعضع قوة تضعف وتهد ضعضعت البناء هددته والمنة القوة والوهن الضعف وآخر الدواء الكى مثل مشهور ويقال آخر الطب ويغلط فيه العامة فتقول آخر الداء والكى ليس من الداء ليكون آخره -قرآن-۱۹-۳۸-قرآن-۱۶۳-۱۹۰ [صفحه ۲۹۳]

موقف على من قتلة عثمان

واعلم أن هذاالكلام يدل على أنه ع كان فى نفسه عقاب الذين حصروا عثمان والاقتصاص ممن قتله إن كان بقى ممن باشر قتله أحد ولهذا قال إنى لست أجهل ماتعلمون فاعترف بأنه عالم بوجوب ذلك واعتذر بعدم التمكن كماينبغى وصدق ع فإن أكثر

أهل المدينة أجلبوا عليه و كان من أهل مصر و من الكوفة عالم عظيم حضروا من بلادهم وطووا المسالك البعيدة لذلك وانضم إليهم أعراب أجلاف من البادية و كان الأمر أمر جاهلية كما قال ع و لوحرك ساكنا لاختلف الناس واضطربوا فقوم يقولون أصاب وقوم يقولون أخطأ وقوم لايحكمون بصواب و لاخطأ بل يتوقفون و لايأمن لوشرع فى عقوبة الناس والقبض عليهم من تجدد فتنة أخرى كالأولى وأعظم فكان الأصوب فى التدبير و الذى يوجبه الشرع والعقل الإمساك إلى حين سكون الفتنة وتفرق تلك الشعوب وعود كل قوم إلى بلادهم و كان ع يؤمل أن يطيعه معاوية وغيره و أن يحضر بنو عثمان عنده يطالبون بدم أبيهم ويعينون قوما بأعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم للحصار وبعضهم للتسور كماجرت عادة المتظلمين إلى الإمام والقاضى فحينئذ يتمكن من العمل بحكم الله تعالى فلم يقع الأمر بموجب ذلك وعصى معاوية و أهل الشام والتجأ ورثة عثمان إليه وفارقوا حوزة أمير المؤمنين ع و لم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وإنما طلبوه مغالبة وجعلها معاوية عصبية الجاهلية و لم يأت أحد منهم الأمر من بابه وقبل ذلك ما كان من أمر طلحة والزبير ونقضهما البيعة ونهبهما أموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من أهلها وجرت أمور كلها تمنع الإمام عن التصدى للقصاص واعتماد مايجب اعتماده لو كان الأمر وقع على القاعدة [صفحه ۲۹۴] الصحيحة من المطالبة بذلك على وجه السكون والحكومة و قد قال هو ع لمعاوية فأما طلبك قتلة عثمان فادخل فى الطاعة وحاكم القوم إلى أحملك وإياهم على كتاب الله وسنة رسوله . قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله و هذاعين الحق ومحض الصواب لأنه يجب دخول الناس فى طاعة الإمام ثم تقع المحاكمة إليه فإن حكم بالحق استديمت إمامته و إن حكم بالجور انتقض أمره وتعين خلعه . فإن قلت فما معنى قوله وسأمسك الأمر مااستمسك فإذا لم أجد بدا فآخر الدواء الكى. قلت ليس معناه وسأصبر عن معاقبة هؤلاء ماأمكن الصبر فإذا لم أجد بدا عاقبتهم ولكنه كلام قاله أول مسير طلحة والزبير إلى البصرة فإنه حينئذ أشار عليه قوم بمعاقبة المجلبين فاعتذر بما قدذكر ثم قال وسأمسك الأمر مااستمسك أى أمسك نفسى عن محاربة هؤلاء الناكثين للبيعة ماأمكننى وأدفع الأيام بمراسلتهم وتخويفهم وإنذارهم وأجتهد فى ردهم إلى الطاعة بالترغيب والترهيب فإذا لم أجد بدا من الحرب فآخر الدواء الكى أى الحرب لأنها الغاية التى ينتهى أمر العصاة إليها [صفحه ۲۹۵]

۱۷۰– و من خطبة له ع

عندمسير أصحاب الجمل إلى البصرة إِنّ اللّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمرٍ قَائِمٍ لَا يَهلِكُ عَنهُ إِلّا هَالِكٌ وَ إِنّ المُبتَدَعَاتِ المُشَبّهَاتِ هُنّ المُهلِكَاتُ إِلّا مَا حَفِظَ اللّهُ مِنهَا وَ إِنّ فِي سُلطَانِ اللّهِ عِصمَةً لِأَمرِكُم فَأَعطُوهُ طَاعَتَكُم غَيرَ مُلَوّمَةٍ وَ لَا مُستَكرَهٍ بِهَا وَ اللّهِ لَتَفعَلُنّ أَو لَيَنقُلَنّ اللّهُ عَنكُم سُلطَانَ الإِسلَامِ ثُمّ لَا يَنقُلُهُ إِلَيكُم أَبَداً حَتّى يَأرِزَ الأَمرُ إِلَى غَيرِكُم إِنّ هَؤُلَاءِ قَد تَمَالَئُوا عَلَى سَخطَةِ إِمَارَتِي وَ سَأَصبِرُ مَا لَم أَخَف عَلَى جَمَاعَتِكُم فَإِنّهُم إِن تَمّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هَذَا الرّأيِ انقَطَعَ نِظَامُ المُسلِمِينَ وَ إِنّمَا طَلَبُوا هَذِهِ الدّنيَا حَسَداً لِمَن أَفَاءَهَا اللّهُ عَلَيهِ فَأَرَادُوا رَدّ الأُمُورِ عَلَى أَدبَارِهَا وَ لَكُم عَلَينَا العَمَلُ بِكِتَابِ اللّهِ تَعَالَى وَ سُنّةِ رَسُولِهِص وَ القِيَامُ بِحَقّهِ وَ النّعشُ لِسُنّتِهِ وأمر قائم أى مستقيم ليس بذى عوج لايهلك عنه إلاهالك تقديره لايهلك عادلا عنه إلاهالك و هذا كماتقول لايعلم هذاالفن إلاعالم أى من قدبلغ الغاية [صفحه ۲۹۶] فى العلم واستحق أن يوصف بذلك ويشار إليه فيه كذلك لايهلك بعدوله عنه إلا من هوأعظم الهالكين و من يشار إليه بالهلاك و قدبلغ الغاية فى الهلاك . ثم قال إن المبتدعات المشبهات هن المهلكات المبتدعات ماأحدث و لم يكن على عهد الرسول والمشبهات التى تشبه السنن وليست منها أى المشبهات بالسنن وروى المشبهات بالكسر أى المشبهات على الناس يقال قدشبه عليه الأمر أى ألبس عليه ويروى المشتبهات أى الملتبسات لايعرف حقها من باطلها. قال إلا من حفظ الله أى من عصمه الله بألطاف يمتنع لأجلها عن الخطأ ثم أمرهم بلزوم الطاعة واتباع

السلطان و قال إن فيه عصمة لأمركم فأعطوه طاعتكم غيرملومة أى مخلصين ذوى طاعة محضة لايلام باذلها أى لاينسب إلى النفاق و لامستكره بها أى ليست عن استكراه بل يبذلونها اختيارا ومحبة ويروى غيرملوية أى معوجة من لويت العود. ثم أقسم أنهم إن لم يفعلوا و إلانقل الله عنهم سلطان الإسلام يعنى الخلافة ثم لايعيده إليهم أبدا حتى يأرز الأمر إلى غيرهم أى حتى ينقبض وينضم ويجتمع و فى الحديث إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كماتأرز الحية إلى جحرها -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۶۹ . فإن قلت كيف قال إنه لايعيده إليهم أبدا و قدعاد إليهم بالخلافة العباسية. قلت لأن الشرط لم يقع و هوعدم الطاعة فإن أكثرهم أطاعوه طاعة غيرملومة و لامستكره بها و إذا لم يتحقق الشرط لم يتحقق المشروط. [صفحه ۲۹۷] و قدأجاب قوم عن هذافقالوا خاطب الشيعة الطالبية فقال إن لم تعطونى الطاعة المحضة نقل الله الخلافة عن هذاالبيت حتى يأرز وينضم إلى بيت آخر وهكذا وقع فإنها انضمت إلى بيت آخر من بنى هاشم . وأجاب قوم آخرون فقالوا أراد بقوله أبدا المبالغة كماتقول احبس هذاالغريم أبدا والمراد بالقوم الذين يأرز الأمر إليهم بنو أمية كأنه قال إن لم تفعلوا نقل الله الخلافة عنكم حتى يجعلها فى قوم آخرين وهم أعداؤكم من أهل الشام وبنى أمية و لايعيده إليكم إلى مدة طويلة وهكذا وقع . و قدتمالئوا قداجتمعوا وتساعدوا على سخطة إمارتى على كراهيتها وبغضها. ثم وعد بالصبر عليهم ما لم يخف من فرقة الجماعة وانتشار حبل الإسلام . وفيالة الرأى ضعفه وكذلك فيولته و رجل فيل الرأى أى ضعيفه قال بنى رب الجواد فلاتفيلوا || فما أنتم فنعذركم لفيل . أى لستم على رجل ضعيف الرأى والجمع أفيال ويقال أيضا رجل فال قال رأيتك ياأخيطل إذ جرينا || وجربت الفراسة كنت فالا . قال إن تموا على هذاالرأى الضعيف قطعوا نظام المسلمين وفرقوا جماعتهم . ثم ذكر أن الحسد دعاهم إلى ذلك وأفاءها عليه ردها عليه فاء يفيء رجع وفلان سريع الفيء من غضبه أى سريع الرجوع وإنه لحسن الفيئة بالكسر مثال الفيعة أى حسن الرجوع و هذاالكلام لايشعر بأنه ع كان يعتقد أن الأمر له و أنه غلب عليه ثم رجع إليه ولكنه محمول على أنه من رسول الله ص بمنزلة الجزء من الكل وأنهما من جوهر واحد فلما كان الوالى قديما و هو رسول الله ص [صفحه ۲۹۸] ثم تخلل بين ولايته ص وولاية أمير المؤمنين ع ولايات غريبة سمى ولايته فيئا ورجوعا لأنها رجعت إلى الدوحة الهاشمية وبهذا يجب أن يتأول قوله فأرادوا رد الأمور على أدبارها أى أرادوا انتزاع الخلافة من بنى هاشم كماانتزعت أولا وإقرارها فى بيوت بعيدة عن هذاالبيت أسوة بما وقع من قبل . والنعش مصدر نعش أى رفع و لايجوز أنعش [صفحه ۲۹۹]

۱۷۱– و من كلام له ع كلم به بعض العرب

وَ قَد أَرسَلَهُ قَومٌ مِن أَهلِ البَصرَةِ لَمّا قَرُبَ ع مِنهَا لِيَعلَمَ لَهُم مِنهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصحَابِ الجَمَلِ لِتَزُولَ الشّبهَةُ مِن نُفُوسِهِم فَبَيّنَ لَهُ ع مِن أَمرِهِ مَعَهُم مَا عَلِمَ بِهِ أَنّهُ عَلَى الحَقّ ثُمّ قَالَ لَهُ بَايِع فَقَالَ إنِيّ رَسُولُ قَومٍ وَ لَا أُحدِثُ حَدَثاً حَتّى أَرجِعَ إِلَيهِم فَقَالَ ع أَ رَأَيتَ لَو أَنّ الّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبتَغِي لَهُم مَسَاقِطَ الغَيثِ فَرَجَعتَ إِلَيهِم وَ أَخبَرتَهُم عَنِ الكَلَإِ وَ المَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى المَعَاطِشِ وَ المَجَادِبِ مَا كُنتَ صَانِعاً قَالَ كُنتُ تَارِكَهُم وَ مُخَالِفَهُم إِلَى الكَلَإِ وَ المَاءِ فَقَالَ ع فَامدُد إِذاً يَدَكَ فَقَالَ الرّجُلُ فَوَاللّهِ مَا استَطَعتُ أَن أَمتَنِعَ عِندَ قِيَامِ الحُجّةِ عَلَيّ فَبَايَعتُهُ ع وَ الرّجُلُ يُعرَفُ بِكُلَيبٍ الجَرمِيّ الجرمى منسوب إلى بنى جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من حمير و كان هذا الرجل بعثه قوم من أهل البصرة إليه ع [صفحه ۳۰۰] يستعلم حاله أ هو على حجة أم على شبهة فلما رآه ع وسمع لفظه علم صدقه وبرهانه فكان بينهما ما قدشرحه ع . و لا شيءألطف و لاأوقع و لاأوضح من المثال ألذى ضربه ع و هوحجة لازمة لامدفع لها. قوله و لاأحدث حدثا أى لاأفعل ما لم يأمرونى به إنما أمرت باستعلام حالك فقط فأما المبايعة لك فإن أحدثتها كنت فاعلا ما لم أندب له . ومساقط الغيث المواضع التى يسقط الغيث فيها والكلأ

النبت إذاطـال وأمكن أن يرعى وأول مـايظهر يسـمى الرطب فإذاطـال قليلا فهو الخلى فإذاطال شـيئا آخر فهو الكلأ فإذاييس فهو الحشيش . والمعاطش والمجادب مواضع العطش والجدب و هوالمحل [صفحه ۳۰۱]

۱۷۲– و من كلام له ع لماعزم على لقاء القوم بصفين

أَللّهُمّ رَبّ السّقفِ المَرفُوعِ وَ الجَوّ المَكفُوفِ أَلّذِى جَعَلتَهُ مَغِيضاً لِلّيلِ وَ النّهَارِ وَ مَجرًى لِلشّمسِ وَ القَمَرِ وَ مُختَلَفاً لِلنّجُومِ السّيّارَةِ وَ جَعَلتَ سُكّانَهُ سِبطاً مِن مَلَائِكَتِكَ لَا يَسأَمُونَ مِن عِبَادَتِكَ وَ رَبّ هَذِهِ الأَرضِ التّيِ جَعَلتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ وَ مَدرَجاً لِلهَوَامّ وَ الأَنعَامِ وَ مَا لَا يُحصَى مِمّا يُرَى وَ مَا لَا يُرَى وَ رَبّ الجِبَالِ الرّوَاسِيِ التّيِ جَعَلتَهَا لِلأَرضِ أَوتَاداً وَ لِلخَلقِ اعتِمَاداً إِن أَظهَرتَنَا عَلَى عَدُوّنَا فَجَنّبنَا البغَيَ وَ سَدّدنَا لِلحَقّ وَ إِن أَظهَرتَهُم عَلَينَا فَارزُقنَا الشّهَادَةَ وَ اعصِمنَا مِنَ الفِتنَةِ أَينَ المَانِعُ لِلذّمَارِ وَ الغَائِرُ عِندَ نُزُولِ الحَقَائِقِ مِن أَهلِ الحِفَاظِ العَارُ وَرَاءَكُم وَ الجَنّةُ أَمَامَكُم السـقف المرفوع السـماء والجو المكفوف السماء أيضا كفه أى جمعه وضم بعضه إلى بعض ويمر فى كلامه نحو هـذا و إن السـماء هواء جامـد أومـاء جامـد. وجعلته مغيضا لليل والنهار أى غيضـة لهما وهى فى الأصل الأجمة يجتمع إليها الماء [صفحه ۳۰۲] فتسمى غيضة ومغيضا وينبت فيهاالشجر كأنه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها. ووجه المشاركة أن المغيض أوالغيضة يتولد منهما الشجر وكذلك الليل والنهار يتولدان من جريان الفلك . ثم عاد فقال ومجرى للشـمس والقمر أى موضـعا لجريانهما. ومختلفا للنجوم السـيارة أى موضعا لاختلافها واللام مفتوحة. ثم قال جعلت سـكانه سـبطا من ملائكتـك أى قبيلـة قـال تعـالى اثنتَىَ عَشـرَةَ أَسـباطاً أُمَمـاً. لايسـأمون لايملون وقرارا للأنام أى موضع استقرارهم وسـكونهم ومدرجا للهوام أى موضع دروجهم وسـيرهم وحركاتهم والهوام الحشـرات والمخوف من الأحناش . و ما لايحصـى أى لايضـبط بالإحصاء والعد مما نراه ونعرفه و ما لانراه و لانعرفه . و قال بعض العلماء إن أردت أن تعرف حقيقة قوله ممـا يرى و مـا لايرى فأوقـد نـارا صـغيرة فى فلاة فى ليلـة صـيفية وانظر مايجتمع عليها من الأنواع الغريبـة العجيبـة الخلق التى لم تشاهـدها أنت و لاغيرك قـط. قوله وللخلق اعتمـادا لأنهم يجعلونها كالمساكن لهم فينتفعون بها ويبنون منازل إلى جانبها فيقوم مقـام جـدار قداسـتغنوا عن بنيـانه ولأنهـا أمهـات العيون ومنـابع الميـاه باعتماد الخلق على مرافقهم ومنافعهم ومصالحهم عليها. - قرآن-۳۷۴-۴۰۶ [صفحه ۳۰۳] قوله وسددنا للحق أى صوبنا إليه من قولك منهم سديد أى مصـيب وسدد السنان إلى القرن أى صوبه نحوه . والـذمار مايحامى عنه والغائر ذو الغيرة ونزول الحقائق نزول الأمور الشديدة كالحرب ونحوها. ثم قال العار وراءكم أى إن رجعتم القهقرى هاربين . والجنة أمامكم أى إن أقدمتم على العدو مجاهدين و هذاالكلام شريف جدا [صفحه ۳۰۴]

۱۷۳– و من خطبة له ع

اشاره

الحَمـدُ لِلّهِ أَلّذِى لَا توُاَرِي عَنهُ سَمَاءٌ سَمَاءً وَ لَا أَرضٌ أَرضـاً هـذاالكلام يـدل على إثبـات أرضـين بعضـها فوق بعض كمـا أن السماوات كذلك و لم يأت فى الكتاب العزيز مايدل على هذا إلا قوله تعالى اللّهُ ألّذِى خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الأَرضِ مِثلَهُنّ و هوقول كثير من المسـلمين . و قدتأول ذلك أرباب المذهب الآخر القائلون بأنها أرض واحدة فقالوا إنها سبعة أقاليم فالمثلية هى من هـذاالوجه لا من تعـدد الأرضـين فى ذاتهـا. ويمكن أن يتـأول مثل ذلك كلام أمير المؤمنين ع فيقال إنها و إن كانت أرضـا واحـدة لكنهـا أقاليم وأقطار مختلفـة وهى كريـة الشـكل فمن على حدبـة الكرة لايرى من تحته و من تحته لايراه و من على أحد

جانبيها لايرى من على الجانب الآخر و الله تعالى يدرك ذلك كله أجمع و لايحجب عنه شيءمنها بشيء منها.فأما قوله ع لاتوارى عنه سماء سماء فلقائل أن يقول و لايتوارى شيء من السماوات عن المدركين منا لأنها شفافة فأى خصيصة للبارى تعالى فى ذلك فينبغى أن يقال هذاالكلام على قاعدة غيرالقاعدة الفلسفية بل هو على قاعدة -قرآن-١٣٥-١٩٥ [صفحه ٣٠٥] الشريعة الإسلامية التى تقتضى أن السماوات تحجب ماوراءها عن المدركين بالحاسة وأنها ليست طباقا متراصة بل بينها خلق من خلق الله تعالى لايعلمهم غيره واتباع هذاالقول واعتقاده أولى منها -روايت-١-٦ وَ قَد قَالَ قَائِلٌ إِنّكَ عَلَى هَذَا الأَمرِ يَا ابنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ فَقُلتُ بَل أَنتُم وَ اللّهِ لَأَحرَصُ وَ أَبعَدُ وَ أَنَا أَخَصّ وَ أَقرَبُ وَ إِنّمَا طَلَبتُ حَقّاً لِي وَ أَنتُم تَحُولُونَ بيَنيِ وَ بَينَهُ وَ تَضرِبُونَ وجَهيِ دُونَهُ فَلَمّا قَرّعتُهُ بِالحُجّةِ فِي المَلَإِ الحَاضِرِينَ هَبّ كَأَنّهُ بُهِتَ لَا يدَريِ مَا يجُيِبنُيِ بِهِ أللّهُمّ إنِيّ أَستَعدِيكَ عَلَى قُرَيشٍ وَ مَن أَعَانَهُم فَإِنّهُم قَطَعُوا رحَمِيِ وَ صَغّرُوا عَظِيمَ منَزلِتَيِ وَ أَجمَعُوا عَلَى منُاَزعَتَيِ أَمراً هُوَ لِي ثُمّ قَالُوا أَلَا إِنّ فِي الحَقّ أَن تَأخُذَهُ وَ فِي الحَقّ أَن تَترُكَهُ هذا من خطبة يذكر فيها ع ماجرى يوم الشورى بعدمقتل عمر و ألذى قال له إنك على هذاالأمر لحريص سعد بن أبى وقاص مع روايته فيه أنت منى بمنزلة هارون من موسى و هذاعجب فقال لهم بل أنتم و الله أحرص وأبعد ... الكلام المذكور و قدرواه الناس كافة. وقالت الإمامية هذاالكلام يوم السقيفة و ألذى قال له إنك على هذاالأمر لحريص أبوعبيدة بن الجراح والرواية الأولى أظهر وأشهر. [صفحه ٣٠٦] وروى فلما قرعته بالتخفيف أى صدمته بها. وروى هب لايدرى مايجيبنى كماتقول استيقظ وانتبه كأنه كان غافلا ذاهلا عن الحجة فهب لماذكرتها.أستعديك أطلب أن تعدينى عليهم و أن تنتصف لى منهم .قطعوا رحمى لم يرعوا قربه من رسول الله ص . وصغروا عظيم منزلتى لم يقفوا مع النصوص الواردة فيه . وأجمعوا على منازعتى أمرا هو لى أى بالأفضلية أناأحق به منهم هكذا ينبغى أن يتأول كلامه . وكذلك قوله إنما أطلب حقا لى وأنتم تحولون بينى وبينه وتضربون وجهى دونه . قال ثم قالوا ألا إن فى الحق أن تأخذه و فى الحق أن تتركه قال لم يقتصروا على أخذ حقى ساكتين عن الدعوى ولكنهم أخذوه وادعوا أن الحق لهم و أنه يجب على أن أترك المنازعة فيه فليتهم أخذوه معترفين بأنه حقى فكانت المصيبة به أخف وأهون . واعلم أنه قدتواترت الأخبار عنه ع بنحو من هذاالقول نحو قوله مازلت مظلوما منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا -روايت-١-٢-روايت-٩-٦٦ قوله أللهم أخز قريشا فإنها منعتنى حقى وغصبتنى أمرى -روايت-١-٢-روايت-٩-٦٠ قوله فجزى قريشا عنى الجوازى فإنهم ظلمونى حقى واغتصبونى سلطان ابن أمى -روايت-١-٢-روايت-٩-٨٢ [صفحه ٣٠٧] قوله و قدسمع صارخا ينادى أنامظلوم فقال هلم فلنصرخ معا فإنى مازلت مظلوما -روايت-١-٢-روايت-٩-٨٤ قوله وإنه ليعلم أن محلى منها محل القطب من الرحى -روايت-١-٢-روايت-٩-٥٩ قوله أرى تراثى نهبا -روايت-١-٢-روايت-٩-٢٦ قوله أصغيا بإنائنا وحملا الناس على رقابنا -روايت-١-٢-روايت-٩-٤٧ قوله إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى -روايت-١-٢-روايت-٩-٨٥ قوله مازلت مستأثرا على مدفوعا عما أستحقه وأستوجبه -روايت-١-٢-روايت-٩-٥٨ وأصحابنا يحملون ذلك كله على ادعائه الأمر بالأفضلية والأحقية و هوالحق والصواب فإن حمله على الاستحقاق بالنص تكفير أوتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار ولكن الإمامية والزيدية حملوا هذه الأقوال على ظواهرها وارتكبوا بهامركبا صعبا ولعمرى إن هذه الألفاظ موهمة مغلبة على الظن مايقوله القوم ولكن تصفح الأحوال يبطل ذلك الظن ويدرأ ذلك الوهم فوجب أن يجرى مجرى الآيات المتشابهات الموهمة ما لايجوز على البارئ فإنه لانعمل بها و لانعول على ظواهرها لأنا لماتصفحنا أدلة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللفظ و أن تحمل على التأويلات المذكورة فى الكتب . وحدثنى يحيى بن سعيد بن على الحنبلى المعروف بابن عالية من ساكنى قطفتا بالجانب الغربى من بغداد وأحد الشهود المعدلين بها قال كنت حاضرا مجلس الفخر إسماعيل بن على الحنبلى الفقيه المعروف بغلام بن المنى و كان الفخر إسماعيل بن على هذامقدم [صفحه ٣٠٨] الحنابلة ببغداد فى الفقه والخلاف ويشتغل بشيء فى علم المنطق و كان حلو العبارة و قدرأيته أنا وحضرت عنده

وسـمعت كلامه وتوفى سـنة عشـر وسـتمائة. قال ابن عالية ونحن عنده نتحدث إذ دخل شـخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفـة فانحـدر إليه يطالبه به واتفق أن حضـرت زيارة يوم الغـدير والحنبلى المذكور بالكوفة و هذه الزيارة هى اليوم الثامن عشـر من ذى الحجة ويجتمع بمشـهد أمير المؤمنين ع من الخلائق جموع عظيمة تتجاوز حد الإحصاء. قال ابن عالية فجعل الشـيخ الفخر يسـأل ذلك الشـخص مافعلت مارأيت هل وصل مالك إليك هل بقى لك منه بقيـة عنـدغريمك و ذلك يجاوبه حتى قال له ياسـيدى لوشاهدت يوم الزيارة يوم الغدير و مايجرى عندقبر على بن أبى طالب من الفضائح والأقوال الشـنيعة وسب الصـحابة جهـارا بـأصوات مرتفعـة من غيرمراقبـة و لاخيفـة فقـال إسـماعيل أى ذنب لهم و الله ماجراهم على ذلك و لافتـح لهم هـذاالباب إلاصاحب ذلك القبر فقال ذلك الشـخص و من صاحب القبر قال على بن أبى طالب قال ياسـيدى هو ألذى سن لهم ذلـك وعلمهم إيـاه وطرقهم إليه قـال نعم و الله قـال ياسـيدى فـإن كان محقا فما لنا أن نتولى فلانا وفلانا و إن كان مبطلا فما لنا نتولاه ينبغى أن نبرأ إما منه أومنهما. قال ابن عالية فقام إسماعيل مسرعا فلبس نعليه و قال لعن الله إسماعيل الفاعل إن كان يعرف جواب هذه المسألة ودخل دار حرمه وقمنا نحن وانصـرفنا مِنهَا فِى ذِكرِ أَصحَابِ الجَمَلِ فَخَرَجُوا يَجُرّونَ حُرمَةَ رَسُولِ اللّهِص كَمَا تُجَرّ الأَمَةُ عِندَ شِـرَائِهَا [صـفحه ٣٠٩] مُتَوَجّهِينَ بِهَـا إِلَى البَصـرَةِ فَحَبَسَـا نِسَاءَهُمَـا فِى بُيُوتِهِمَا وَ أَبرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللّهِص لَهُمَا وَ لِغَيرِهِمَا فِى جَيشٍ مَا مِنهُم رَجُلٌ إِلّا وَ قَد أَعطَانِيَ الطّاعَـةَ وَ سَـمَحَ لِى بِالبَيعَـةِ طَائِعاً غَيرَ مُكرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِى بِهَا وَ خُزّانِ بَيتِ مَالِ المُسلِمِينَ وَ غَيرِهِم مِن أَهلِهَا فَقَتَلُوا طَائِفَـةً صَبراً وَ طَائِفَةً غَدراً فَوَاللّهِ إِن لَو لَم يُصِـيبُوا مِنَ المُسـلِمِينَ إِلّا رَجُلًا وَاحِداً مُعتَمِدِينَ لِقَتلِهِ بِلَا جُرمٍ جَرّهُ لَحَلّ لِى قَتلُ ذَلِكَ الجَيشِ كُلّهِ إِذ حَضَـرُوهُ فَلَم يُنكِرُوا وَ لَم يَـدفَعُوا عَنهُ بِلِسَانٍ وَ لَا بِيَـدٍ دَع مَا إِنّهُم قَد قَتَلُوا مِنَ المُسلِمِينَ مِثلَ العِدّةِ التّىِ دَخَلُوا بِهَا عَلَيهِم حرمة رسول الله ص كناية عن الزوجة وأصله الأهل والحرم وكذلك حبيس رسول الله ص كنايـة عنهـا. وقتلوهم صبرا أى بعدالأسـر و قوله فو الله إن لو لم يصـيبوا إن هاهنا زائـدة ويجوز أن تكون مخففـة من الثقيلـة. ويسأل عن قوله ع لو لم يصـيبوا إلارجلا واحدا لحل لى قتل ذلك الجيش بأسـره لأنهم حضـروه فلم ينكروا فيقال أيجوز قتل من لم ينكر المنكر مع تمكنه من إنكـاره . والجواب أنه يجوز قتلهم لأنـهم اعتقـدوا ذلـك القتـل مباحا فإنهم إذااعتقـدوا إباحته فقد اعتقـدوا إباحـة مـاحرم الله فيكون حـالهم حـال من اعتقـد أن الزنا مباح أو أن شـرب الخمر مباح . [صـفحه ٣١٠] و قـال القطب الراوندى يريد أنهم داخلون فى عموم قوله تعالى إِنّما جَزاءُ الّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَسـعَونَ فِى الأَرضِ فَساداً أَن يُقَتّلُوا أَو يُصَـلّبُوا. ولقائل أن يقول الإشـكال إنما وقع فى قوله لو لم يصـيبوا من المسلمين إلارجلا واحدا لحل لى قتل ذلك الجيش بأسره لأنهم حضـروا المنكر و لم يدفعوه بلسان و لايد فهو علل اسـتحلاله قتلهم بأنهم لم ينكروا المنكر و لم يعلل ذلك بعموم الآية. و أمامعنى قوله دع ماإنهم قدقتلوا من المسـلمين مثل العدة التى دخلوا بهاعليهم فهو أنه لو كان المقتول واحدا لحل لى قتلهم كلهم فكيف و قـدقتلوا من المسـلمين عـدة مثل عـدتهم التى دخلوا بهاالبصـرة و ماهاهنا زائدة. وصدق ع فإنهم قتلوا من أوليائه وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا بعضهم غدرا وبعضهم صبرا كماخطب به ع –قرآن–٦٥–١٨٠

ذكر يوم الجمل ومسير عائشة إلى القتال

وروى أبومخنف قال حدثناإسـماعيل بن خالـد عن قيس بن أبى حازم وروى الكلبى عن أبى صالـح عن ابن عباس وروى جرين بن يزيد عن عامر الشـعبى وروى محمد بن إسـحاق عن حبيب بن عمير قالوا جميعا لماخرجت عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصـرة طرقت ماء الحوأب و هوماء لبنى عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب إبلهم فقال قائل منهم لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها فلما سمعت عائشة ذكر الحوأب قالت أ هذاماء الحوأب قالوا نعم فقالت ردونى ردونى فسألوها ماشأنها مابدا لها

فقالت إنی سمعت رسول الله ص یقول كأنی بكلاب -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-ادامه دارد [صفحه ۳۱۱] ماء یدعی الحوأب قدنبحت بعض نسائی ثم قال لی إیاك یاحمیراء أن تكونیها -روایت-از قبل-۷۹ فقال لها الزبیر مهلا یرحمك الله فإنا قدجزنا ماء الحوأب بفراسخ كثیرة فقالت أعندك من یشهد بأن هذه الكلاب النابحة لیست علی ماء الحوأب فلفق لها الزبیر وطلحة خمسین أعرابیا جعلا-لهم جعلا فحلفوا لها وشهدوا أن هذاالماء لیس بماء الحوأب فكانت هذه أول شهادة زور فی الإسلام فسارت عائشة لوجهها. قال أبومخنف و حدثناعصام بن قدامة عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ص قال یوما لنسائه وهن عنده جمیعا لیت شعری أیتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب یقتل عن یمینها وشمالها قتلی كثیرة كلهم فی النار وتنجو بعد ماكادت -روایت-۱-۲-روایت-۶۲-۲۴۵ . قلت وأصحابنا المعتزلة رحمهم الله یحملون قوله ع وتنجو علی نجاتها من النار والإمامیة یحملون ذلك علی نجاتها من القتل ومحملنا أرجح لأن لفظة فی النار أقرب إلیه من لفظة القتلی والقرب معتبر فی هذاالباب أ لاتری أن نحاة البصریین أعملوا أقرب العاملین نظرا إلی القرب . قال أبومخنف وحدثنی الكلبی عن أبی صالح عن ابن عباس أن الزبیر وطلحة أغذا السیر بعائشة حتی انتهوا إلی حفر أبی موسی الأشعری و هوقریب من البصرة وكتبا إلی عثمان بن حنیف الأنصاری و هوعامل علی ع علی البصرة أن أخل لنا دار الإمارة فلما وصل كتابهما إلیه بعث الأحنف بن قیس فقال له إن هؤلاء القوم قدموا علینا ومعهم زوجة رسول الله و الناس إلیها سراع كماتری فقال الأحنف [صفحه ۳۱۲] إنهم جاءوك بهاللطلب بدم عثمان وهم الذین ألبوا علی عثمان الناس وسفكوا دمه وأراهم و الله لایزایلون حتی یلقوا العداوة بیننا ویسفكوا دماءنا وأظنهم و الله سیركبون منك خاصة ما لاقبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إلیهم فیمن معك من أهل البصرة فإنك الیوم الوالی علیهم و أنت فیهم مطاع فسر إلیهم بالناس وبادرهم قبل أن یكونوا معك فی دار واحدة فیكون الناس لهم أطوع منهم لك . فقال عثمان بن حنیف الرأی مارأیت لكننی أكره الشر و أن أبدأهم به وأرجو العافیة والسلامة إلی أن یأتینی كتاب أمیر المؤمنین ورأیه فأعمل به ثم أتاه بعدالأحنف حكیم بن جبلة العبدی من بنی عمرو بن ودیعة فأقرأه كتاب طلحة والزبیر فقال له مثل قول الأحنف وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف فقال له حكیم فأذن لی حتی أسیر إلیهم بالناس فإن دخلوا فی طاعة أمیر المؤمنین و إلانابذتهم علی سواء. فقال عثمان لو كان ذلك رأیی لسرت إلیهم نفسی قال حكیم أما و الله إن دخلوا علیك هذاالمصر لینتقلن قلوب كثیر من الناس إلیهم ولیزیلنك عن مجلسك هذا و أنت أعلم فأبی علیه عثمان . قال وكتب علی إلی عثمان لمابلغه مشارفة القوم البصرة من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی عثمان بن حنیف أما بعد فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلی مصرك وساقهم الشیطان لطلب ما لایرضی الله به و الله أشد بأسا وأشد تنكیلا فإذاقدموا علیك فادعهم إلی الطاعة والرجوع إلی الوفاء بالعهد والمیثاق ألذی فارقونا علیه فإن أجابوا فأحسن جوارهم ماداموا -روایت-۱-۲-روایت-۶۰-ادامه دارد [صفحه ۳۱۳] عندك و إن أبو إلاالتمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتی یحكم الله بینك وبینهم و هوخیر الحاكمین وكتبت كتابی هذاإلیك من الربذة و أنامعجل المسیر إلیك إن شاء الله . وكتبه عبید الله بن أبی رافع فی سنة ست وثلاثین -روایت-از قبل-۲۳۹ . قال فلما وصل كتاب علی ع إلی عثمان أرسل إلی أبی الأسود الدؤلی وعمران بن الحصین الخزاعی فأمرهما أن یسیرا حتی یأتیاه بعلم القوم و ما ألذی أقدمهم فانطلقا حتی إذاأتیا حفر أبی موسی و به معسكر القوم فدخلا علی عائشة فنالاها ووعظاها وأذكراها وناشداها الله فقالت لهما القیا طلحة والزبیر فقاما من عندها ولقیا الزبیر فكلماه فقال لهما إنا جئنا للطلب بدم عثمان وندعو الناس إلی أن یردوا أمر الخلافة شوری لیختار الناس لأنفسهم فقالا له إن عثمان لم یقتل بالبصرة لیطلب دمه فیها و أنت تعلم قتلة عثمان من هم وأین هم وإنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس علیه وأعظمهم إغراء بدمه فأقیدوا من أنفسكم و أماإعادة أمر الخلافة شوری فكیف و قدبایعتم علیا طائعین غیرمكرهین و أنت یا أبا عبد الله لم یبعد العهد بقیامك دون هذا الرجل یوم مات رسول الله ص و أنت آخذ قائم سیفك تقول ماأحد أحق بالخلافة منه و لاأولی بها منه

وامتنعت من بيعة أبى بكر فأين ذلك الفعل من هذاالقول . فقال لهما اذهبا فالقيا طلحة فقاما إلى طلحة فوجداه أخشن الملمس شديد العريكة قوى العزم فى إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه و قال له أبوالأسود يا ابن حنيف قدأتيت فانفر || وطاعن القوم وجالد واصبر [صفحه ۳۱۴] وابرز لها مستلئما وشمر . فقال ابن حنيف إى والحرمين لأفعلن وأمر مناديه فنادى فى الناس السلاح السلاح فاجتمعوا إليه و قال أبوالأسود أتينا الزبير فدانى الكلام || وطلحة كالنجم أوأبعد وأحسن قوليهما فادح || يضيق به الخطب مستنكد و قدأوعدونا بجهد الوعيد || فأهون علينا بما أوعدوا فقلنا ركضتم و لم ترملوا || وأصدرتم قبل أن توردوا فإن تلقحوا الحرب بين الرجال || فملقحها حده الأنكد و إن عليا لكم مصحر || ألا إنه الأسد الأسود أماإنه ثالث العابدين || بمكة و الله لايعبد فرخوا الخناق و لاتعجلوا || فإن غدا لكم موعد . قال وأقبل القوم فلما انتهوا إلى المربد قام رجل من بنى جشم فقال أيها الناس أنافلان الجشمى و قدأتاكم هؤلاء القوم فإن كانوا أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان ألذى يأمن فيه الطير والوحش والسباع و إن كانوا إنما أتوكم بطلب دم عثمان فغيرنا ولى قتله فأطيعونى أيها الناس وردوهم من حيث أقبلوا فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس والفتنة الصماء التى لاتبقى و لاتذر. قال فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك . قال واجتمع أهل البصرة إلى المربد حتى ملئوه مشاة وركبانا فقام طلحة فأشار إلى الناس بالسكون ليخطب فسكتوا بعدجهد فقال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة و من المهاجرين الأولين ألذى رضى الله عنهم ورضوا عنه [صفحه ۳۱۵] ونزل القرآن ناطقا بفضلهم وأحد أئمة المسلمين الوالين عليكم بعد أبى بكر وعمر صاحبى رسول الله ص و قد كان أحدث أحداثا نقمنا عليه فأتيناه فاستعتبناه فأعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الأمة أمرها غصبا بغير رضا منها و لامشورة فقتله وساعده على ذلك قوم غيرأتقياء و لاأبرار فقتل محرما بريئا تائبا و قدجئناكم أيها الناس نطلب بدم عثمان وندعوكم إلى الطلب بدمه فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذاالأمر شورى بين المسلمين وكانت خلافة رحمة للأمة جميعا فإن كل من أخذ الأمر من غيررضا من العامة و لامشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا وحدثا كثيرا. ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحة.فقام إليهما ناس من أهل البصرة فقالوا لهما أ لم تبايعا عليا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثم نكثتما فقالا مابايعنا و مالأحد فى أعناقنا بيعة وإنما استكرهنا على بيعة فقال ناس قدصدقا وأحسنا القول وقطعا بالثواب و قال ناس ماصدقا و لاأصابا فى القول حتى ارتفعت الأصوات . قال ثم أقبلت عائشة على جملها فنادت بصوت مرتفع أيها الناس أقلوا الكلام واسكتوا فأسكت الناس لها فقالت إن أمير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوما تائبا وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبان وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما فى حرمة الشهر وحرمة البلد ذبحا كمايذبح الجمل ألا و إن قريشا رمت غرضها بنبالها وأدمت أفواهها بأيديها و مانالت بقتلها إياه شيئا و لاسلكت به سبيلا [صفحه ۳۱۶] قاصدا أما و الله ليرونها بلايا عقيمة تنتبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لايرحمونهم ويسومونهم سوء العذاب .أيها الناس إنه مابلغ من ذنب عثمان مايستحل به دمه مصتموه كمايماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه فقتلتموه بعدتوبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن أبى طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا ترانى أغضب لكم من سوط عثمان ولسانه و لاأغضب لعثمان من سيوفكم ألا إن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فإذاظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و لايدخل فيهم من شرك فى دم عثمان . قال فماج الناس واختلطوا فمن قائل القول ماقالت و من قائل يقول و ماهى و هذاالأمر إنما هى امرأة مأمورة بلزوم بيتها وارتفعت الأصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصى . ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين فريق مع عثمان بن حنيف وفريق مع عائشة وأصحابها. قال و حدثناالأشعث بن سوار عن محمد بن سيرين عن أبى الخليل قال لمانزل طلحة والزبير المربد أتيتهما فوجدتهما مجتمعين فقلت لهما ناشدتكما الله وصحبة رسول الله ص ما ألذى أقدمكما أرضنا هذه فلم يتكلما فأعدت عليهما فقالا بلغنا أن بأرضكم هذه دنيا

فجئنا نطلبها. [صفحه ٣١٧] قال و قدروى محمد بن سيرين عن الأحنف بن قيس أنه لقيهما فقالا له مثل مقالتهما الأولى إنما جئنا لطلب الدنيا. و قدروى المدائنى أيضا نحوا مما روى أبومخنف قال بعث على ع ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب فقال له إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام و يقول لكم أ لم تبايعنى طائعا غيرمكره فما ألذى رابك منى فاستحللت به قتالى قال فلم يكن له جواب إلا أنه قال لى إنا مع الخوف الشديد لنطمع لم يقل غير ذلك -روايت-١-٢-روايت-٥٣-٣٢٣ قال أبوإسحاق فسألت محمد بن على بن الحسين ع ماتراه يعنى بقوله هذا فقال أما و الله ماتركت ابن عباس حتى سألته عن هذا فقال يقول إنا مع الخوف الشديد مما نحن عليه نطمع أن نلى مثل ألذى وليتم -روايت-١-٢-روايت-١٨-٢١١ قال محمد بن إسحاق حدثنى جعفر بن محمد ع عن أبيه عن ابن عباس قال بعثنى على ع يوم الجمل إلى طلحة والزبير وبعث معى بمصحف منشور و إن الريح لتصفق ورقه فقال لى قل لهما هذا كتاب الله بيننا وبينكم فما تريدان فلم يكن لهما جواب إلا أن قالا نريد ماأراد كأنهما يقولان الملك فرجعت إلى على فأخبرته -روايت-١-٢-روايت-٧٦-٣١٩ . و قدروى قاضى القضاة رحمه الله فى كتاب المغنى عن وهب بن جرير قال قال رجل من أهل البصرة لطلحة والزبير إن لكما فضلا وصحبة فأخبرانى عن مسيركما [صفحه ٣١٨] هذا وقتالكما أ شىءأمركما به رسول الله ص أم رأى رأيتماه فأما طلحة فسكت وجعل ينكت فى الأرض و أماالزبير فقال ويحك حدثنا أن هاهنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها. وجعل قاضى القضاة هذاالخبر حجة فى أن طلحة تاب و أن الزبير لم يكن مصرا على الحرب والاحتجاج بهذا الخبر على هذاالمعنى ضعيف و إن صح هو و ماقبله إنه لدليل على حمق شديد وضعف عظيم ونقص ظاهر وليت شعرى ما ألذى أحوجهما إلى هذاالقول و إذا كان هذا فى أنفسهما فهلا كتماه . ثم نعود إلى خبرهما قال أبومخنف فلما أقبل طلحة والزبير من المربد يريدان عثمان بن حنيف فوجداه وأصحابه قدأخذوا بأفواه السكك فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدباغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فأخذوا إلى مقبرة بنى مازن فوقفوا بهامليا حتى ثابت إليهم خيلهم ثم أخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا إلى الرابوقة ثم أتوا سبخة دار الرزق فنزلوها. قال وأتاهما عبد الله بن حكيم التميمى لمانزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه فقال لطلحة يا أبا محمد أ ما هذاكتبك إلينا قال بلى قال فكتبت أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذاقتلته أتيتنا ثائرا بدمه فلعمرى ما هذارأيك لاتريد إلا هذه الدنيا مهلا إذا كان هذارأيك فلم قبلت من على ماعرض عليك من البيعة [صفحه ٣١٩] فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعتك ثم جئت لتدخلنا فى فتنتك فقال إن عليا دعانى إلى بيعته بعد مابايع الناس فعلمت لو لم أقبل ماعرضه على لم يتم لى ثم يغرى بى من معه . قال ثم أصبحنا من غد فصفا للحرب وخرج عثمان بن حنيف إليهما فى أصحابه فناشدهما الله والإسلام وأذكرهما بيعتهما عليا ع فقالا نطلب بدم عثمان فقال لهما و ماأنتما وذاك أين بنوه أين بنو عمه الذين هم أحق به منكم كلا و الله ولكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه وكنتما ترجوان هذاالأمر وتعملان له وهل كان أحد أشد على عثمان قولا منكما فشتماه شتما قبيحا وذكرا أمه فقال للزبير أما و الله لو لاصفية ومكانها من رسول الله فإنها أدنتك إلى الظل و أن الأمر بينى وبينك يا ابن الصعبة يعنى طلحة أعظم من القول لأعلمتكما من أمركما مايسوءكما أللهم إنى قدأعذرت إلى هذين الرجلين . ثم حمل عليهم واقتتل الناس قتالا شديدا ثم تحاجزوا واصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب . هذا مااصطلح عليه عثمان بن حنيف الأنصارى و من معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب وطلحة والزبير و من معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما أن لعثمان بن حنيف دار الإمارة والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر و أن لطلحة والزبير و من معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة و لايضار بعضهم بعضا فى طريق و لافرضة و لاسوق و لاشرعة و لامرفق حتى يقدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الأمة و إن أحبوا لحق كل قوم بهواهم و ماأحبوا من [صفحه ٣٢٠] قتال أوسلم

أوخروج أوإقامة و على الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه وأشد ماأخذه على نبى من أنبيائه من عهد وذمة. وختم الكتاب ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الإمارة و قال لأصحابه ألحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم فمكثوا كذلك أياما. ثم إن طلحة والزبير قالا إن قدم على ونحن على هذه الحال من القلة والضعف ليأخذن بأعناقنا فأجمعا على مراسلة القبائل واستمالة العرب فأرسلا إلى وجوه الناس و أهل الرئاسة والشرف يدعوانهم إلى الطلب بدم عثمان وخلع على وإخراج ابن حنيف من البصرة فبايعهم على ذلك الأزد وضبة وقيس بن عيلان كلها إلا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا أمرهم فتواروا عنهم وأرسلوا إلى هلال بن وكيع التميمى فلم يأتهم فجاءه طلحة والزبير إلى داره فتوارى عنهما فقالت له أمه مارأيت مثلك أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما فلم تزل به حتى ظهر لهما وبايعهما ومعه بنو عمرو بن تميم كلهم وبنو حنظلة إلابنى يربوع فإن عامتهم كانوا شيعة على ع وبايعهم بنو دارم كلهم إلانفرا من بنى مجاشع ذوى دين وفضل . فلما استوسق لطلحة والزبير أمرهما خرجا فى ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قدألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا إلى المسجد وقت الصلاة الفجر و قدسبقهم عثمان بن حنيف إليه وأقيمت الصلاة فتقدم عثمان ليصلى بهم فأخره أصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت السبابجة وهم الشرط حرس بيت المال فأخرجوا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم أصحاب الزبير فقدموا الزبير وأخروا عثمان فلم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس تطلع وصاح بهم أهل المسجد أ لاتتقون أصحاب محمد و قدطلعت الشمس فغلب الزبير فصلى بالناس فلما انصرف من [صفحه ۳۲۱] صلاته صاح بأصحابه المستسلحين أن خذوا عثمان بن حنيف فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما فلما أسر ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه وأشفار عينيه و كل شعرة فى رأسه ووجهه وأخذوا السبابجة وهم سبعون رجلاـ فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف إلى عائشة فقالت لأبان بن عثمان اخرج إليه فاضرب عنقه فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله فنادى عثمان ياعائشة و ياطلحة و يازبير إن أخى سهل بن حنيف خليفة على بن أبى طالب على المدينة وأقسم بالله إن قتلتمونى ليضعن السيف فى بنى أبيكم وأهليكم ورهطكم فلايبقى أحد منكم فكفوا عنه وخافوا أن يقع سهل بن حنيف بعيالاتهم وأهلهم بالمدينة فتركوه . وأرسلت عائشة إلى الزبير أن اقتل السبابجة فإنه قدبلغنى ألذى صنعوا بك قال فذبحهم و الله الزبير كمايذبح الغنم ولى ذلك منهم عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا وبقيت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال قالوا لاندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين فسار إليهم الزبير فى جيش ليلا فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبرا. قال أبومخنف فحدثنا الصقعب بن زهير قال كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل قال فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حنيف أول غدر كان فى الإسلام و كان السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا قال وخيروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أويلحق بعلى فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلى ع فلما رآه بكى و قال له فارقتك شيخا وجئتك أمرد فقال على إنا لله وإنا إليه راجعون قالها ثلاثا. [صفحه ۳۲۲] قلت السبابجة لفظة معربة قدذكرها الجوهرى فى كتاب الصحاح قال هم قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن والهاء للعجمة والنسب قال يزيد بن مفرغ الحميرى وطماطيم من سبابيج خزر || يلبسونى مع الصباح القيودا . قال فلما بلغ حكيم بن جبلة ماصنع القوم بعثمان بن حنيف خرج فى ثلاثمائة من عبدالقيس مخالفا لهم ومنابذا فخرجوا إليه وحملوا عائشة على جمل فسمى ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر و يوم على يوم الجمل الأكبر. وتجالد الفريقان بالسيوف فشد رجل من الأزد من عسكر عائشة على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها ووقع الأزدى عن فرسه فجثا حكيم فأخذ رجله فرمى بهاالأزدى فصرعه ثم دب إليه فقتله متكئا عليه خانقا له حتى زهقت نفسه فمر بحكيم إنسان و هويجود بنفسه فقال من فعل بك قال وسادى فنظر فإذاالأزدى تحته و كان حكيم شجاعا مذكورا. قال وقتل مع حكيم إخوة له ثلاثة وقتل أصحابه كلهم وهم ثلاثمائة من عبدالقيس والقليل منهم من بكر بن وائل فلما صفت البصرة لطلحة والزبير بعدقتل حكيم وأصحابه وطرد ابن حنيف عنهما اختلفا فى الصلاة وأراد كل منهما أن يؤم بالناس وخاف أن تكون

صلاته خلف صاحبه تسليما له ورضا بتقدمه فأصلحت بينهما عائشة بأن جعلت عبد الله بن الزبير و محمد بن طلحة يصليان بالناس هذايوما و هذايوما. قال أبومخنف ثم دخلا بيت المال بالبصرة فلما رأوا ما فيه من الأموال قال الزبيروَعَدَكُمُ اللّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأخُذُونَها فَعَجّلَ لَكُم هذِهِفنحن أحق -قرآن-١٠٢٥-١٠٩٤ [صفحه ٣٢٣] بها من أهل البصرة فأخذا ذلك المال كله فلما غلب علی ع رد تلك الأموال إلى بيت المال وقسمها فی المسلمين . و قدذكرنا فيما تقدم كيفية الوقعة ومقتل الزبير فارا عن الحرب خوفا أوتوبة ونحن نقول إنها توبة وذكرنا مقتل طلحة والاستيلاء علی أم المؤمنين وإحسان علی ع إليها و إلى من أسر فی الحرب أوظفر به بعدها

منافرة بين ولدی علی وطلحة

كان القاسم بن محمد بن يحيی بن طلحة بن عبيد الله التيمی يلقب أبابعرة ولی شرطة الكوفة لعيسی بن موسی بن محمد بن علی بن عبد الله بن العباس كلم إسماعيل بن جعفر بن محمدالصادق ع بكلام خرجا فيه إلى المنافرة فقال القاسم بن محمد لم يزل فضلنا وإحساننا سابغا عليكم يابنی هاشم و علی بنی عبدمناف كافة فقال إسماعيل أی فضل وإحسان أسديتموه إلى بنی عبدمناف أغضب أبوك جدی بقوله ليموتن محمد ولنجولن بين خلاخيل نسائه كماجالا بين خلاخيل نسائنا فأنزل الله تعالی مراغمة لأبيك وَ ما كانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللّهِ وَ لا أَن تَنكِحُوا أَزواجَهُ مِن بَعدِهِ أَبَداً ومنع ابن عمك أمی حقها من فدك وغيرها من ميراث أبيها وأجلب أبوك علی عثمان وحصره حتی قتل ونكث بيعة علی وشام السيف -قرآن-٥٠١-٥٩٣ [صفحه ٣٢٤] فی وجهه وأفسد قلوب المسلمين عليه فإن كان لبنی عبدمناف قوم غيرهؤلاء أسديتم إليهم إحسانا فعرفنی من هم جعلت فداك

منافرة عبد الله بن الزبير و عبد الله بن العباس

وتزوج عبد الله بن الزبير أم عمرو ابنة منظور بن زبان الفزارية فلما دخل بها قال لها تلك الليلة أتدرين من معك فی حجلتك قالت نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزی . قال ليس غير هذاقالت فما ألذی تريد قال معك من أصبح فی قريش بمنزلة الرأس من الجسد لابل بمنزلة العينين من الرأس قالت أما و الله لو أن بعض بنی عبدمناف حضرك لقال لك خلاف قولك فغضب و قال الطعام والشراب علی حرام حتی أحضرك الهاشميين وغيرهم من بنی عبدمناف فلايستطيعون لذلك إنكارا قالت إن أطعتنی لم تفعل و أنت أعلم وشأنك .فخرج إلى المسجد فرأی حلقة فيهاقوم من قريش منهم عبد الله بن العباس و عبد الله بن الحصين بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبدمناف فقال لهم ابن الزبير أحب أن تنطلقوا معی إلى منزلی فقام القوم بأجمعهم حتی وقفوا علی باب بيته فقال ابن الزبير يا هذه اطرحی عليك سترك فلما أخذوا مجالسهم دعا بالمائدة فتغذی القوم فلما فرغوا قال لهم إنما جمعتكم لحديث ردته علی صاحبة الستر وزعمت أنه لو كان بعض بنی عبدمناف حضرنی لماأقر لی بما قلت و قدحضرتم جميعا و أنت يا ابن عباس ماتقول إنی أخبرتها أن معها فی خدرها من أصبح فی قريش بمنزلة [صفحه ٣٢٥] الرأس من الجسد بل بمنزلة العينين من الرأس فردت علی مقالتی فقال ابن عباس أراك قصدت قصدی فإن شئت أن أقول قلت و إن شئت أن أكف كففت قال بل قل و ماعسی أن تقول ألست تعلم أنی ابن الزبير حواری رسول الله ص و أن أمی أسماء بنت أبی بكر الصديق ذات النطاقين و أن عمتی خديجة سيدة نساء العالمين و أن صفية عمة رسول الله ص جدتی و أن عائشة أم

المؤمنين خالتى فهل تستطيع لهـذا إنكارا. قال ابن عباس لقد ذكرت شـرفا شـريفا وفخرا فاخرا غيرأنك تفاخر من بفخره فخرت وبفضـله سـموت قـال وكيف ذلـك قال لأنك لم تـذكر فخرا إلابرسول الله ص و أناأولى بالفخر به منك قال ابن الزبير لوشـئت لفخرت عليك بما كان قبل النبوة قال ابن عباس قدأنصف القارة من راماها .نشدتكم الله أيها الحاضـرون عبدالمطلب أشـرف أم خويلد فى قريش قالوا عبدالمطلب قال أفهاشم كان أشـرف فيهاأم أسد قالوا بل هاشم قال أفعبد مناف أشـرف أم عبدالعزى قالوا عبدمناف فقال ابن عباس تنافرنى يا ابن الزبير و قدقضى || عليك رسول الله لاقول هازل و لوغيرنا يا ابن الزبير فخرته || ولكنما سـاميت شـمس الأصائل . [صـفحه ٣٢۶] قضـى لنـا رسول الله ص بالفضـل فى قوله مـاافترقت فرقتـان إلاـكنت فى خيرهمـا فقد فارقناك من بعدقصـى بن كلاب أفنحن فى فرقة الخير أم لا إن قلت نعم خصمت و إن قلت لاكفرت .فضحك بعض القوم فقال ابن الزبير أمـا و الله لو لاتحرمـك بطعامنـا يـا ابن عبـاس لأـعرقت جبينـك قبل أن تقوم من مجلسك قال ابن عباس و لم أبباطل فالباطل لايغلب الحق أم بحق فالحق لايخشـى من الباطل .فقالت المرأة من وراء الستر إنى و الله لقـد نهيته عن هـذاالمجلس فأبى إلاـ مـاترون . فقـال ابن عبـاس مه أيتهـا المرأة اقنعى ببعلـك فمـا أعظم الخطر و ماأكرم الخبر فأخـذ القوم بيـد ابن عباس و كان قـدعمى فقالوا انهض أيها الرجل فقـد أفحمته غيرمرة فنهض و قال ألا ياقومنا ارتحلوا وسـيروا || فلو ترك القطا لغفا وناما . فقال ابن الزبير ياصـاحب القطاة أقبل على فما كنت لتـدعنى حتى أقول وايم الله لقـد عرف الأقوام أنى سابق غيرمسـبوق و ابن حوارى وصديق متبجح فى الشرف الأنيق خير من طليق . فقال ابن عباس دسعت بجرتك فلم تبق شيئا هذاالكلام مردود من امرئ حسود فـإن كنت سابقـا فإلى من سـبقت و إن كنت فاخرا فبمن فخرت فإن كنت أدركت هـذاالفخر بأسـرتك دون أسـرتنا فالفخر لك علينا و إن كنت إنما أدركته بأسـرتنا فالفخر لنا عليك والكثكث فى فمك ويـديك و أما ماذكرت [صـفحه ٣٢٧] من الطليق فو الله لقد ابتلى فصبر وأنعم عليه فشـكر و إن كان و الله لوفيا كريما غيرناقض بيعة بعدتوكيدها و لامسلم كتيبة بعدالتأمر عليها. فقال ابن الزبير أتعير الزبير بـالجبن و الله إنـك لتعلم منه خلاـف ذلـك . قال ابن عباس و الله إنى لاأعلم إلا أنه فر و ماكر وحارب فما صبر وبـايع فمـا تمم وقطع الرحم وأنكر الفضـل ورام مـا ليس له بأهـل . وأدرك منهـا بعض ما كان يرتجى || وقصـر عن جرى الكرام وبلـدا و مـا كـان إلاكـالهجين أمـامه || عنـاق فجـاراه العنـاق فأجهـدا . فقـال ابن الزبير لم يبق يـابنى هـاشم غيرالمشاتمة والمضاربـة. فقـال عبـد الله بن الحصـين بن الحـارث أقمنـاه عنـك يـا ابن الزبير وتـأبى إلامنازعته و الله لونازعته من ساعتك إلى انقضـاء عمرك ماكنت إلاكالسـغب الظمآن يفتـح فاه يستزيـد من الريـح فلايشـبع من سـغب و لايروى من عطش فقل إن شـئت أوفدع وانصرف القوم [صفحه ٣٢٨]

١٧۴– و من خطبة له ع

أَمِينُ وَحيِهِ وَ خَاتَمُ رُسُلِهِ وَ بَشِيرُ رَحمَتِهِ وَ نَذِيرُ نِقمَتِهِ أَيّهَا النّاسُ إِنّ أَحَقّ النّاسِ بِهَذَا الأَمرِ أَقوَاهُم عَلَيهِ وَ أَعلَمُهُم بِأَمرِ اللّهِ فِيهِ فَإِن شَغَبَ شَاغِبٌ استُعتِبَ فَإِن أَبَى قُوتِلَ وَ لَعَمرِي لَئِن كَانَتِ الإِمَامَةُ لَا تَنعَقِدُ حَتّى تَحضُرَهَا عَامّةُ النّاسِ مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ وَ لَكِن أَهلُهَا يَحكُمُونَ عَلَى مَن غَابَ عَنهَا ثُمّ لَيسَ لِلشّاهِدِ أَن يَرجِعَ وَ لَا لِلغَائِبِ أَن يَختَارَ أَلَا وَ إِنّي أُقَاتِلُ رَجُلَينِ رَجُلًا ادّعَى مَا لَيسَ لَهُ وَ آخَرَ مَنَعَ الّذِي عَلَيهِ صـدر الكلاـم فى ذكر رسـول الله ص ويتلوه فصول .أولهـا أن أحق النـاس بالإمامـة أقواهم عليهـا وأعلمهم بحكم الله فيها و هـذا لاينافى مـذهب أصـحابنا البغداديين فى صـحة إمامة المفضول لأنه ما قال إن إمامة غيرالأقوى فاسدة ولكنه قال إن الأقوى أحق وأصـحابنا لاينكرون أنه ع أحق ممن تقـدمه بالإمامة مع قولهم بصـحة إمامة المتقدمين لأنه لامنافاة بين كونه أحق و بين صحة إمامة غيره . [صفحه ٣٢٩] فإن قلت أى فرق بين أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه قلت أقواهم أحسـنهم سياسة

وأعلمهم بأمر الله أكثرهم علما وإجراء للتدبير بمقتضى العلم و بين الأمرين فرق واضح فقد يكون سائسا حاذقا و لا يكون عالما بالفقه و قد يكون سائسا فقيها و لايجرى التدبير على مقتضى علمه وفقهه . وثانيها أن الإمامة لايشترط فى صحة انعقادها أن يحضرها الناس كافة لأنه لو كان ذلك مشترطا لأدى إلى ألا تنعقد إمامة أبدا لتعذر اجتماع المسلمين من أطراف الأرض ولكنها تنعقد بعقد العلماء و أهل الحل والعقد الحاضرين ثم لايجوز بعدعقدها لحاضريها أن يرجعوا من غيرسبب يقتضى رجوعهم و لا-يجوز لمن غاب عنها أن يختار غير من عقد له بل يكون محجوجا بعقد الحاضرين مكلفا طاعة الإمامة المعقود له و على هذاجرت الحال فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وانعقد إجماع المسلمين عليه و هذاالكلام تصريح بصحة مذهب أصحابنا فى أن الاختيار طريق إلى الإمامة ومبطل لماتقوله الإمامية من دعوى النص عليه و من قولهم لا-طريق إلى الإمامة سوى النص أوالمعجز. وثالثها أن الخارج على الإمام يستعتب أولا بالكلام والمراسلة فإن أبى قوتل و هذا هونص الكتاب العزيزوَ إِن طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنِينَ اقتَتَلُوا فَأَصلِحُوا بَينَهُما فَإِن بَغَت إِحداهُما عَلَى الأُخرى فَقاتِلُوا التّيِ تَبغِي حَتّى تفَيِءَ إِلى أَمرِ اللّهِ. ورابعها أنه يقاتل أحد رجلين إما رجلا ادعى ما ليس له نحو أن يخرج على الإمام من يدعى الخلافة لنفسه وإما رجلا منع ما عليه نحو أن يخرج على الإمام رجل لايدعى الخلافة ولكنه يمتنع من الطاعة فقط. فإن قلت الخارج على الإمام مدع الخلافة لنفسه مانع ما عليه أيضا لأنه قدامتنع من الطاعة فقد دخل أحد القسمين فى الآخر. -قرآن-١٠٣٧-١٢٠٠ [صفحه ٣٣٠] قلت لما كان مدعى الخلافة قداجتمع له أمران إيجابى وسلبى فالإيجابى دعواه الخلافة والسلبى امتناعه من الطاعة كان متميزا ممن لم يحصل له إلاالقسم السلبى فقط و هومانع الطاعة لا غيرفكان الأحسن فى فن علم البيان أن يشتمل اللفظ على التقسيم الحاضر للإيجاب والسلب فلذلك قال إما مدعيا ما ليس له أومانعا ما هو عليه أُوصِيكُم عِبادَ اللّهِ بِتَقوَى اللّهِ فَإِنّهَا خَيرُ مَا تَوَاصَى العِبَادُ بِهِ وَ خَيرُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ عِندَ اللّهِ وَ قَد فُتِحَ بَابُ الحَربِ بَينَكُم وَ بَينَ أَهلِ القِبلَةِ وَ لَا يَحمِلُ هَذَا العَلَمَ إِلّا أَهلُ البَصَرِ وَ الصّبرِ وَ العِلمِ بِمَوَاقِعِ الحَقّ فَامضُوا لِمَا تُؤمَرُونَ بِهِ وَ قِفُوا عِندَ مَا تُنهَونَ عَنهُ وَ لَا تَعجَلُوا فِي أَمرٍ حَتّى تَتَبَيّنُوا فَإِنّ لَنَا مَعَ كُلّ أَمرٍ تُنكِرُونَهُ غِيَراً أَلَا وَ إِنّ هَذِهِ الدّنيَا الّتِي أَصبَحتُم تَتَمَنّونَهَا وَ تَرغَبُونَ فِيهَا وَ أَصبَحَت تُغضِبُكُم وَ تُرضِيكُم لَيسَت بِدَارِكُم وَ لَا مَنزِلِكُمُ ألّذِي خُلِقتُم لَهُ وَ لَا ألّذِي دُعِيتُم إِلَيهِ أَلَا وَ إِنّهَا لَيسَت بِبَاقِيَةٍ لَكُم وَ لَا تَبقَونَ عَلَيهَا وَ هيَ وَ إِن غَرّتكُم مِنهَا فَقَد حَذّرَتكُم شَرّهَا فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحذِيرِهَا وَ أَطمَاعَهَا لِتَخوِيفِهَا وَ سَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدّارِ التّي دُعِيتُم إِلَيهَا وَ انصَرِفُوا بِقُلُوبِكُم عَنهَا وَ لَا يَخِنّنّ أَحَدُكُم خَنِينَ الأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنهُ مِنهَا وَ استَتِمّوا نِعمَةَ اللّهِ عَلَيكُم بِالصّبرِ عَلَى طَاعَةِ اللّهِ وَ المُحَافَظَةِ عَلَى مَا استَحفَظَكُم مِن كِتَابِهِ أَلَا وَ إِنّهُ لَا يَضُرّكُم تَضيِيعُ شَيءٍ مِن دُنيَاكُم بَعدَ حِفظِكُم قَائِمَةَ دِينِكُم [صفحه ٣٣١] أَلَا وَ إِنّهُ لَا يَنفَعُكُم بَعدَ تَضيِيعِ دِينِكُم شَيءٌ حَافَظتُم عَلَيهِ مِن أَمرِ دُنيَاكُم أَخَذَ اللّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُم إِلَى الحَقّ وَ أَلهَمَنَا وَ إِيّاكُمُ الصّبرَ لم يكن المسلمون قبل حرب الجمل يعرفون كيفية قتال أهل القبلة وإنما تعلموا فقه ذلك من أمير المؤمنين ع . و قال الشافعى لو لا على لماعرف شىء من أحكام أهل البغى. قوله ع و لايحمل هذاالعلم إلا أهل البصر والصبر و ذلك لأن المسلمين عظم عندهم حرب أهل القبلة وأكبروه و من أقدم عندهم عليه أقدم على خوف وحذر فقال ع إن هذاالعلم ليس يدركه كل أحد وإنما له قوم مخصوصون . ثم أمرهم بالمضى عند مايأمرهم به وبالانتهاء عما ينهاهم عنه ونهاهم عن أن يعجلوا بالحكم على أمر ملتبس حتى يتبين ويتضح . ثم قال إن عندنا تغييرا لكل ماتنكرونه من الأمور حتى يثبت أنه يجب إنكارها وتغييرها أى لست كعثمان أصر على ارتكاب مأأنهى عنه بل أغير كل ماينكره المسلمون ويقتضى الحال والشرع تغييره . ثم ذكر أن الدنيا التى تغضب الناس وترضيهم وهى منتهى أمانيهم ورغبتهم ليست دارهم وإنما هى طريق إلى الدار الآخرة ومدة اللبث فى ذلك الطريق يسيرة جدا. و قال إنها و إن كانت غرارة فإنها منذرة ومحذرة لأبنائها بما رأوه من آثارها فى [صفحه ٣٣٢] سلفهم وإخوتهم وأحبائهم ومناداتها على نفسها بأنها فاعلة بهم مافعلت بأولئك من الفناء وفراق المألوف . قال فدعوا غرورها لتحذيرها و ذلك لأن جانب تحذيرها أولى بأن يعمل عليه من جانب غرورها لأن غرورها إنما

هوبأمر سريع مع التصرم والانقضاء وتحذيرها إنما هولأمر جليل عظيم فإن الفناء المعجل محسوس و قددل العقل والشرائع كافة على أن بعد ذلک الفناء سعادة وشقاوة فينبغی للعاقل أن يحذر من تلک الشقاوة ويرغب فی تلک السعادة و لاسبيل إلی ذلک إلابرفض غرور الدنيا علی أنه لو لم يكن ذلک لكان الواجب علی أهل اللب والبصيرة رفضها لأن الموجود منها خيال فإنه أشبه شیءبأحلام المنام فالتمسک به والإخلاد إليه حمق . والخنين صوت يخرج من الأنف عندالبكاء وأضافه إلی الأمة لأن الإماء كثيرا مايضربن فيبكين ويسمع الخنين منهن ولأن الحرة تأنف من البكاء والخنين وزوی قبض . ثم ذكر أنه لايضر المكلف فوات قسط من الدنيا إذاحفظ قائمة دينه يعنی القيام بالواجبات والانتهاء عن المحظورات و لاينفعه حصول الدنيا كلها بعدتضييعه دينه لأن ابتياع لذة متناهية بلذة غيرمتناهية يخرج اللذة المتناهية من باب كونها نفعا ويدخلها فی باب المضار فكيف إذاانضاف إلی عدم اللذة غيرالمتناهية حصول مضار وعقوبات غيرمتناهية أعاذنا الله منها

المجلد ١٠

الجزء العاشر

تتمة باب الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

١٧٥– و من كلام له ع فی معنی طلحة بن عبيد الله

اشاره

قَد كُنتُ وَ مَا أُهَدّدُ بِالحَربِ وَ لَا أُرَهّبُ بِالضّربِ وَ أَنَا عَلَی مَا وعَدَنَي ربَيّ مِنَ النّصرِ وَ اللّهِ مَا استَعجَلَ مُتَجَرّداً لِلطّلَبِ بِدَمِ عُثمَانَ إِلّا خَوفاً مِن أَن يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنّهُ مَظِنّتُهُ وَ لَم يَكُن فِي القَومِ أَحرَصُ عَلَيهِ مِنهُ فَأَرَادَ أَن يُغَالِطَ بِمَا أَجلَبَ فِيهِ لِيَلتَبِسَ الأَمرُ وَ يَقَعَ الشّكّ. وَ وَ اللّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمرِ عُثمَانَ وَاحِدَةً مِن ثَلَاثٍ لَئِن كَانَ ابنُ عَفّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزعُمُ لَقَد كَانَ ينَبغَيِ لَهُ أَن يُؤَازِرَ قَاتِلِيهِ وَ أَن يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ. وَ لَئِن كَانَ مَظلُوماً لَقَد كَانَ ينَبغَيِ لَهُ أَن يَكُونَ مِنَ المُنَهنِهِينَ عَنهُ وَ المُعَذّرِينَ فِيهِ وَ لَئِن كَانَ فِي شَكّ مِنَ الخَصلَتَينِ لَقَد كَانَ ينَبغَيِ لَهُ أَن يَعتَزِلَهُ وَ يَركُدَ جَانِباً وَ يَدَعَ النّاسَ مَعَهُ فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثّلَاثِ وَ جَاءَ بِأَمرٍ لَم يُعرَف بَابُهُ وَ لَم تَسلَم مَعَاذِيرُهُ [صفحه ۴] كان هاهنا تامة والواو واو الحال أی خلقت ووجدت و أنابهذه الصفة كماتقول خلقنی الله و أناشجاع . ويجوز أن تكون الواو زائدة وتكون كان ناقصة وخبرها ماأهدد كما فی المثل لقد كنت و ماأخشی بالذئب . فإن قلت إذاكانت ناقصة لزم أن تكون الآن بخلاف مامضی فيكون الآن يهدد ويرهب . قلت لايلزم ذلک لأن كان الناقصة للماضی من حيث هوماض و ليس يشترط فی ذلک أن يكون منقطعا بل قد يكون دائما كقوله تعالی وَ كانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً. ثم ذكر ع أنه علی ماوعده ربه من النصر و أنه واثق بالظفر والغلبة الآن كماكانت عادته فيما سبق . ثم شرح حال طلحة و قال إنه تجرد للطلب بدم عثمان مغالطة للناس وإيهاما لهم أنه بریء من دمه فيلتبس الأمر ويقع الشک . و قد كان طلحة أجهد نفسه فی أمر عثمان

والإجلاب عليه والحصر له والإغراء به ومنته نفسه الخلافة بل تلبس بها وتسلم بيوت الأموال وأخذ مفاتيحها وقاتل الناس وأحدقوا به و لم يبق إلا أن يصفق بالخلافة على يده -قرآن-۴۱۲-۴۴۳ [صفحه ۵]

ذكر ما كان من أمر طلحة مع عثمان

ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتاب التاريخ قال حدثنى عمر بن شبة عن على بن محمد عن عبدربه عن نافع عن إسماعيل بن أبى خالد عن حكيم بن جابر قال قال على ع لطلحة وعثمان محصور أنشدك الله إلارددت الناس عن عثمان قال لا و الله حتى تعطى بنو أمية الحق من أنفسها -روايت-۱-۲-روايت-۱۶۲-۲۸۵ . وروى الطبرى أن عثمان كان له على طلحة خمسون ألفا فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قدتهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمدمعونة لك على مروءتك . قال فكان عثمان يقول و هومحصور جزاء سنمار. وروى الطبرى أيضا أن طلحة باع أرضا له من عثمان بسبعمائة ألف فحملها إليه فقال طلحة إن رجلا يبيت و هذه عنده و فى بيته لايدرى مايطرقه من أمر الله لغرير بالله فبات ورسله تختلف بها فى سكك المدينة يقسمها حتى أصبح و ماعنده منها درهم واحد. قال الطبرى روى ذلك الحسن البصرى و كان إذاروى ذلك يقول ثم جاء إلينا يطلب الدينار والدرهم أو قال والصفراء والبيضاء. [صفحه ۶] وروى الطبرى أيضا قال قال ابن عباس رحمه الله لماحججت بالناس نيابة عن عثمان و هومحصور مررت بعائشة بالصلصل فقالت يا ابن عباس أنشدك الله فإنك قدأعطيت لسانا وعقلا أن تخذل الناس عن طلحة فقد بانت لهم بصائرهم فى عثمان وأنهجت ورفعت لهم المنار وتحلبوا من البلدان لأمر قدحم و إن طلحة فيما بلغنى قداتخذ رجالا على بيوت الأموال وأخذ مفاتيح الخزائن وأظنه يسير إن شاء الله بسيرة ابن عمه أبى بكر فقال ياأمه لوحدث بالرجل حدث مافزع الناس إلا إلى صاحبنا فقالت إيها عنك يا ابن عباس إنى لست أريد مكابرتك و لامجادلتك . وروى المدائنى فى كتاب مقتل عثمان أن طلحة منع من دفنه ثلاثة أيام و أن عليا ع لم يبايع الناس إلا بعدقتل عثمان بخمسة أيام و أن حكيم بن حزام أحد بنى أسد بن عبدالعزى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلى ع على دفنه فأقعد طلحة لهم فى الطريق ناسا بالحجارة فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صار هناك رجم سريره وهموا بطرحه فأرسل على ع إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه فكفوا فانطلقوا به حتى دفنوه فى حش كوكب . [صفحه ۷] وروى الطبرى نحو ذلك إلا أنه لم يذكر طلحة بعينه وزاد فيه أن معاوية لماظهر على الناس أمر بذلك الحائط فهدم حتى أفضى به إلى البقيع وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين . وروى المدائنى فى هذاالكتاب قال دفن عثمان بين المغرب والعتمة و لم يشهد جنازته إلامروان بن الحكم وابنة عثمان وثلاثة من مواليه فرفعت ابنته صوتها تندبه و قدجعل طلحة ناسا هناك أكمنهم كمينا فأخذتهم الحجارة وصاحوا نعثل نعثل فقالوا الحائط الحائط فدفن فى حائط هناك . وروى الواقدى قال لماقتل عثمان تكلموا فى دفنه فقال طلحة يدفن بدير سلع يعنى مقابر اليهود. وذكر الطبرى فى تاريخه هذا إلا أنه روى عن طلحة فقال قال رجل يدفن بدير سلع فقال حكيم بن حزام و الله لا يكون هذاأبدا وأحد من ولد قصى حى حتى كاد الشر يلتحم فقال ابن عديس البلوى أيها الشيخ و مايضرك أين دفن قال لايدفن إلاببقيع الغرقد حيث دفن سلفه ورهطه فخرج به حكيم بن حزام فى اثنى عشر رجلا منهم الزبير بن العوام فمنعهم الناس عن البقيع فدفنوه بحش كوكب . [صفحه ۸] وروى الطبرى فى التاريخ أن عثمان لماحصر كان على ع بخيبر فى أمواله فلما قدم أرسل إليه يدعوه فلما دخل عليه قال له إن لى عليك حقوقا حق الإسلام وحق النسب وحق ما لى عليك من العهد والميثاق و و الله أن لو لم يكن من هذاكله شىء وكنا فى جاهلية لكان عارا على بنى عبدمناف أن يبتزهم أخو تيم ملكهم يعنى طلحة فقال له

ع سيأتيک الخبر ثم قام فدخل المسجد فرأى أسامة بن زيد جالسا فدعاه فاعتمد على يده وخرج يمشى إلى طلحة فدخل داره وهى دحاس من الناس فقام ع فقال ياطلحة ما هذاالأمر ألذى وقعت فيه فقال يا أباأحسن أ بعد مامس الحزام الطبيين فانصرف علي ع و لم يحر إليه شيئا حتى أتى بيت المال فنادى افتحوا هذاالباب فلم يقدروا على فتحه فقال اكسروه فكسر فقال أخرجوا هذاالمال فجعلوا يخرجونه و هويعطى الناس وبلغ الذين فى دار طلحة ماصنع على ع فجعلوا يتسللون إليه حتى بقى طلحة وحده وبلغ الخبر عثمان فسر بذلک ثم أقبل طلحة يمشى عامدا إلى دار عثمان فاستأذن عليه فلما دخل قال يا أمير المؤمنين أستغفر الله وأتوب إليه لقد رمت أمرا حال الله بينى وبينه فقال عثمان إنک و الله ماجئت تائبا ولکن جئت مغلوبا و الله حسيبک ياطلحة. ثم قسم ع حال طلحة فقال لايخلو إما أن يكون معتقدا حل دم عثمان أوحرمته أو يكون شاكا فى الأمرين فإن كان يعتقد حله لم يجز له أن ينقض البيعة لنصرة إنسان حلال الدم و إن كان يعتقد حرمته فقد كان يجب عليه أن ينهنه عنه الناس أى يكفهم . [صفحه ۹] و أن يعذر فيه بالتشديد أى يقصر و لم يفعل ذلک و إن كان شاكا فقد كان يجب عليه أن يعتزل الأمر ويركد جانبا و لم يعتزل وإنما صلى بنار الفتنة وأصلاها غيره . فإن قلت يمكن أن يكون طلحة اعتقد إباحة دم عثمان أولا ثم تبدل ذلک الاعتقاد بعدقتله فاعتقد أن قتله حرام و أنه يجب أن يقتص من قاتليه . قلت لواعترف بذلک لم يقسم على ع هذاالتقسيم وإنما قسمه لبقائه على اعتقاد واحد و هذاالتقسيم مع فرض بقائه على اعتقاد واحد صحيح لامطعن فيه وكذا كان حال طلحة فإنه لم ينقل عنه أنه قال ندمت على مافعلت بعثمان فإن قلت كيف قال أمير المؤمنين ع فما فعل واحدة من الثلاث و قدفعل واحدة منها لأنه وازر قاتليه حيث كان محصورا. قلت مراده ع أنه إن كان عثمان ظالما وجب أن يؤازر قاتليه بعدقتله يحامى عنهم ويمنعهم ممن يروم دماءهم ومعلوم أنه لم يفعل ذلک وإنما وازرهم وعثمان حى و ذلک غيرداخل فى التقسيم [صفحه ۱۰]

۱۷۶- من خطبة له ع

اشاره

أَيّهَا النّاسُ غَيرُ المَغفُولِ عَنهُم وَ التّارِكُونَ وَ المَأخُوذُ مِنهُم مَا لِى أَرَاكُم عَنِ اللّهِ ذَاهِبِينَ وَ إِلَى غَيرِهِ رَاغِبِينَ كَأَنّكُم نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرعًى وَبِيّ وَ مَشرَبٍ دَوِيّ وَ إِنّمَا هيَ كَالمَعلُوفَةِ لِلمُدَى لَا تَعرِفُ مَا ذَا يُرَادُ بِهَا إِذَا أُحسِنَ إِلَيهَا تَحسَبُ يَومَهَا دَهرَهَا وَ شِبَعَهَا أَمرَهَا وَ اللّهِ لَو شِئتُ أَن أُخبِرَ كُلّ رَجُلٍ مِنكُم بِمَخرَجِهِ وَ مَولِجِهِ وَ جَمِيعِ شَأنِهِ لَفَعَلتُ وَ لَكِن أَخَافُ أَن تَكفُرُوا فِيّ بِرَسُولِ اللّهِص أَلَا وَ إِنّي مُفضِيهِ إِلَى الخَاصّةِ مِمّن يُؤمَنُ ذَلِكَ مِنهُ وَ ألّذِى بَعَثَهُ بِالحَقّ وَ اصطَفَاهُ عَلَى الخَلقِ مَا أَنطِقُ إِلّا صَادِقاً وَ لَقَد عَهِدَ إِلَيّ بِذَلِكَ كُلّهِ وَ بِمَهلِكِ مَن يَهلِكُ وَ مَنجَى مَن يَنجُو وَ مَآلِ هَذَا الأَمرِ وَ مَا أَبقَى شَيئاً يَمُرّ عَلَى رَأسِي إِلّا أَفرَغَهُ فِي أُذُنَيّ وَ أَفضَى بِهِ إِلَيّ أَيّهَا النّاسُ إِنّي وَ اللّهِ مَا أَحُثّكُم عَلَى طَاعَةٍ إِلّا وَ أَسبِقُكُم إِلَيهَا وَ لَا أَنهَاكُم عَن مَعصِيَةٍ إِلّا وَ أَتَنَاهَى قَبلَكُم عَنهَا خاطب المكلفين كافة و قال إنهم غافلون عما يراد بهم ومنهم وليسوا بمغفول عنهم بل أعمالهم محفوظة مكتوبة. [صفحه ۱۱] ثم قال والتاركون أى يتركون الواجبات . ثم قابل ذلک بقوله والمأخوذ منهم لأن الأخذ فى مقابلة الترک ومعنى الأخذ منهم انتقاص أعمارهم وانتقاض قواهم واستلاب أحبابهم وأموالهم . ثم شبههم بالنعم التى تتبع نعما أخرى .سائمة أى راعية وإنما قال ذلک لأنها إذااتبعت أمثالها كان أبلغ فى ضرب المثل بجهلها من الإبل التى يسيمها راعيها والمرعى الوبى ذو الوباء والمرض والمشرب الدوى ذو الداء وأصل الوبى اللين الوبىء المهموز ولكنه لينه يقال أرض وبيئة على فعيلة ووبئة على فعلة ويجوز أوبأت فهى موبئة. والأصل فى الدوى دو بالتخفيف ولكنه شدده للازدواج . ثم ذكر أن هذه النعم الجاهلة التى أوقعت أنفسها

فی هذاالمرتع والمشرب المذمومین کالغنم وغیرها من النعم المعلوفة.للمدی جمع مدیة وهی السکین لاتعرف ماذا یراد بها وتظن أن ذلک العلف إحسان إلیها علی الحقیقة. ومعنی قوله تحسب یومها دهرها أی تظن أن ذلک العلف والإطعام کما هوحاصل لها ذلک الیوم یکون حاصلا لها أبدا. وشبعها أمرها مثل ذلک أی تظن أنه لیس أمرها وشأنها إلا أن یطعمها أربابها لتشبع وتحسن وتسمن لیس یریدون بها غیر ذلک . ثم خرج ع من هذاالفن إلی فن آخر فأقسم أنه لوشاء أن یخبر کل واحد منهم من أین خرج وکیفیة خروجه من منزله وأین یلج وکیفیة ولوجه وجمیع شأنه من مطعمه ومشربه و ماعزم علیه من أفعاله و ماأکله و ماادخره فی بیته و غیر ذلک من شئونه وأحواله لفعل . [صفحه ۱۲] و هذاکقول المسیح ع وَ أُنَبِّئُکُم بِما تَأکُلُونَ وَ ما تَدّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُم. قال إلاأنی أخاف أن تکفروا فی برسول الله ص أی أخاف علیکم الغلو فی أمری و أن تفضلونی علی رسول الله ص بل أخاف علیکم أن تدعوا فی الإلهیة کماادعت النصاری ذلک فی المسیح لماأخبرهم بالأمور الغائبة. ثم قال ألا وإنی مفضیه إلی الخاصة أی مفض به ومودع إیاه خواص أصحابی وثقاتی الذین آمن منهم الغلو وأعلم أنهم لایکفرون فی بالرسول ص لعلمهم أن ذلک من إعلام نبوته إذ یکون تابع من أتباعه وصاحب من أصحابه بلغ إلی هذه المنزلة الجلیلة. ثم أقسم قسما ثانیا أنه ماینطق إلاصادقا و أن رسول الله ص عهد بذلک کله إلیه وأخبره بمهلک من یهلک من الصحابة وغیرهم من الناس وبنجاة من ینجو وبمآل هذاالأمر یعنی مایفضی إلیه أمر الإسلام وأمر الدولة والخلافة و أنه ماترک شیئا یمر علی رأسه ع إلا وأخبره به وأسره إلیه -قرآن-۲۳-۸۵

فصل فی ذکر بعض أقوال الغلاة فی علی

واعلم أنه غیرمستحیل أن تکون بعض الأنفس مختصة بخاصیة تدرک بهاالمغیبات و قدتقدم من الکلام فی ذلک ما فیه کفایة ولکن لایمکن أن تکون نفس تدرک کل المغیبات لأن القوة المتناهیة لاتحیط بأمور غیرمتناهیة و کل قوة فی نفس حادثة فهی متناهیة فوجب أن یحمل کلام أمیر المؤمنین ع لا علی أن یرید به عموم العالمیة [صفحه ۱۳] بل بعلم أمورا محدودة من المغیبات مما اقتضت حکمة الباریء سبحانه أن یؤهله لعلمه وکذلک القول فی رسول الله ص إنه إنما کان یعلم أمورا معدودة لاأمورا غیرمتناهیة و مع أنه ع قدکتم ماعلمه حذرا من أن یکفروا فیه برسول الله ص فقد کفر کثیر منهم وادعوا فیه النبوة وادعوا فیه أنه شریک الرسول فی الرسالة وادعوا فیه أنه هو کان الرسول ولکن الملک غلط فیه وادعوا أنه هو ألذی بعث محمداص إلی الناس وادعوا فیه الحلول وادعوا فیه الاتحاد و لم یترکوا نوعا من أنواع الضلالة فیه إلا وقالوه واعتقدوه و قال شاعرهم فیه من أبیات و من أهلک عادا و || ثمودا بدواهیه و من کلم موسی فوق || طور إذ ینادیه و من قال علی المنبر || یوما و هوراقیه سلونی أیها الناس || فحاروا فی معانیه . و قال بعض شعرائهم إنما خالق الخلائق من زعزع || أرکان حصن خیبر جذبا قدرضینا به إماما ومولی || وسجدنا له إلها وربا

جملة من إخبار علی بالأمور الغیبیة

و قدذکرنا فیما تقدم من إخباره ع عن الغیوب طرفا صالحا و من عجیب ماوقفت علیه من ذلک قوله فی الخطبة التی یذکر فیهاالملاحم و هویشیر إلی القرامطة [صفحه ۱۴] ینتحلون لنا الحب والهوی ویضمرون لنا البغض والقلی وآیة ذلک قتلهم وراثنا وهجرهم أحداثنا. وصح ماأخبر به لأن القرامطة قتلت من آل أبی طالب ع خلقا کثیرا وأسماؤهم مذکورة فی کتاب مقاتل

الطالبیین لأبی الفرج الأصفهانی. ومر أبوطاهر سلیمان بن الحسن الجنابی فی جیشه بالغری وبالحائر فلم یعرج علی واحد منهما و لادخل و لاوقف . و فی هذه الخطبهٔ قال و هویشیر إلی الساریهٔ التی کان یستند إلیها فی مسجد الکوفهٔ کأنی بالحجر الأسود منصوبا هاهنا ویحهم إن فضیلته لیست فی نفسه بل فی موضعه وأسسه یمکث هاهنا برههٔ ثم هاهنا برههٔ وأشار إلی البحرین ثم یعود إلی مأواه وأم مثواه . ووقع الأمر فی الحجر الأسود بموجب ماأخبر به ع . و قدوقفت له علی خطب مختلفهٔ فیهاذکر الملاحم فوجدتها تشتمل علی مایجوز أن ینسب إلیه و ما لایجوز أن ینسب إلیه ووجدت فی کثیر منها اختلالا ظاهرا و هذه المواضع التی أنقلها لیست من تلک الخطب المضطربهٔ بل من کلام له وجدته متفرقا فی کتب مختلفهٔ و من ذلک أن تمیم بن أسامهٔ بن زهیر بن درید التمیمی اعترضه و هویخطب علی المنبر و یقول سلونی قبل أن تفقدونی فو الله لاتسألونی عن فئهٔ تضل مائهٔ أوتهدی مائهٔ إلاأنبأتکم بناعقها وسائقها و لوشئت لأخبرت کل واحد منکم بمخرجه ومدخله وجمع شأنه فقال فکم فی رأسی طاقهٔ شعر فقال له أما و الله إنی لأعلم ذلک ولکن أین برهانه لوأخبرتک به ولقد أخبرتک بقیامک ومقالک وقیل لی إن علی کل -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۵] شعرهٔ من شعر رأسک ملکا یلعنک وشیطانا یستفزک وآیهٔ ذلک أن فی بیتک سخلا یقتل ابن رسول الله ص ویحض علی قتله -روایت-از قبل-۱۱۸ .فکان الأمر بموجب ماأخبر به ع کان ابنه حصین بالصاد المهملهٔ یومئذ طفلا صغیرا یرضع اللبن ثم عاش إلی أن صار علی شرطهٔ عبید الله بن زیاد وأخرجه عبید الله إلی عمر بن سعد یأمره بمناجزهٔ الحسین ع ویتوعده علی لسانه إن أرجأ ذلک فقتل ع صبیحهٔ الیوم ألذی ورد فیه الحصین بالرسالهٔ فی لیلته . و من ذلک قوله ع للبراء بن عازب یوما یابراء أیقتل الحسین و أنت حی فلاتنصره فقال البراء لا کان ذلک یا أمیر المؤمنین -روایت-۱-۱۱۶ . فلما قتل الحسین ع کان البراء یذکر ذلک و یقول أعظم بهاحسرهٔ إذ لم أشهده وأقتل دونه . وسنذکر من هذاالنمط فیما بعد إذامررنا بما یقتضی ذکره مایحضرنا إن شاء الله [صفحه ۱۶]

۱۷۷– و من خطبهٔ له ع

اشاره

انتَفِعُوا بِبَیَانِ اللّهِ وَ اتّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللّهِ وَ اقبَلُوا نَصِیحَهَٔ اللّهِ فَإِنّ اللّهَ قَد أَعذَرَ إِلَیکُم بِالجَلِیّهِٔ وَ أَخَذَ عَلَیکُمُ الحُجّهَٔ وَ بَیّنَ لَکُم مَحَابّهُ مِنَ الأَعمَالِ وَ مَکَارِهَهُ مِنهَا لِتَتّبِعُوا هَذِهِ وَ تَجتَنِبُوا هَذِهِ فَإِنّ رَسُولَ اللّهِص کَانَ یَقُولُ إِنّ الجَنّهَٔ حُفّت بِالمَکَارِهِ وَ إِنّ النّارَ حُفّت بِالشّهَوَاتِ وَ اعلَمُوا أَنّهُ مَا مِن طَاعَهِٔ اللّهِ شَیءٌ إِلّا یَأتِی فِی کُرهٍ وَ مَا مِن مَعصِیَهِٔ اللّهِ شَیءٌ إِلّا یَأتِی فِی شَهوَهٍٔ فَرَحِمَ اللّهُ امرَأً نَزَعَ عَن شَهوَتِهِ وَ قَمَعَ هَوَی نَفسِهِ فَإِنّ هَذِهِ النّفسَ أَبعَدُ شَیءٍ مَنزِعاً وَ إِنّهَا لَا تَزَالُ تَنزِعُ إِلَی مَعصِیَهٍٔ فِی هَوًی وَ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّ المُؤمِنَ لَا یُمسِی وَ لَا یُصبِحُ إِلّا وَ نَفسُهُ ظَنُونٌ عِندَهُ فَلَا یَزَالُ زَارِیاً عَلَیهَا وَ مُستَزِیداً لَهَا فَکُونُوا کَالسّابِقِینَ قَبلَکُم وَ المَاضِینَ أَمَامَکُم قَوّضُوا مِنَ الدّنیَا تَقوِیضَ الرّاحِلِ وَ طَوَوهَا طَیّ المَنَازِلِ أعذر إلیکم أوضح عذره فی عقابکم إذاخالفتم أوامره والجلیهٔ الیقین وإنما أعذر إلیهم بذلک لأنه مکنهم من العلم الیقینی بتوحیده وعدله وأوجب علیهم ذلک فی [صفحه ۱۷] عقولهم فإذاترکوه ساغ فی الحکمهٔ تعذیبهم وعقوبتهم فکأنه قدأبان لهم عذره أن لوقالوا لم تعاقبنا. ومحابه من الأعمال هی الطاعات التی یحبها وحبه لها إرادهٔ وقوعها من المکلفین ومکارهه من الأعمال القبائح التی یکرهها منهم و هذاالکلام حجهٔ لأصحابنا علی المجبرهٔ والخبر ألذی رواه ع مروی فی کتب المحدثین و هو قول رسول الله ص حجبت الجنهٔ بالمکاره وحفت النار بالشهوات -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۶۶ و من المحدثین من یرویه حفت فیهما و لیس منهم من یرویه حجبت فی النار و ذلک لأن لفظ الحجاب إنما

يستعمل فيما يرام دخوله وولوجه لمكان النفع فيه ويقال حجب زيد عن مأدبة الأمير و لايقال حجب زيد عن الحبس . ثم ذكر ع أنه لاطاعة إلا في أمر تكرهه النفس و لامعصية إلابمواقعة أمر تحبه النفس و هذاحق لأن الإنسان ما لم يكن متردد الدواعى لايصح التكليف وإنما تتردد الدواعى إذاأمر بما فيه مشقة أونهى عما فيه لذة ومنفعة. فإن قلت أ ليس قدأمر الإنسان بالنكاح و هولذة قلت ما فيه من ضرر الإنفاق ومعالجة أخلاق النساء يربى على اللذة الحاصلة فيه مرارا. ثم قال ع رحم الله امرأ نزع عن شهوته أى أقلع . وقمع هوى نفسه أى قهره . ثم قال فإن هذه النفس أبعد شيءمنزعا أى مذهبا قال أبوذؤيب والنفس راغبة إذارغبتها || و إذاترد إلى قليل تقنع . [صفحه ١٨] المروى عنه ع ويروى أيضا عن غيره أيها الناس إن هذه النفوس طلعة فإلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية -روايت-١-٢-روايت-٣٩-١٠٨ . و قال الشاعر و ماالنفس إلا حيث يجعلها الفتى || فإن أطمعت تاقت و إلاتسلت . ثم قال ع نفس المؤمن ظنون عنده الظنون البئر التى لايدرى أ فيهاماء أم لافالمؤمن لايصبح و لايمسى إلا و هو على حذر من نفسه معتقدا فيهاالتقصير والتضجيع فى الطاعة غيرقاطع على صلاحها وسلامة عاقبتها. وزاريا عليها عائبا زريت عليه عبت . ثم أمرهم بالتأسى بمن كان قبلهم وهم الذين قوضوا من الدنيا خيامهم أى نقضوها وطووا أيام العمر كمايطوى المسافر منازل طريقه وَ اعلَمُوا أَنّ هَذَا القُرآنَ هُوَ النّاصِحُ ألّذِى لَا يَغُشّ وَ الهَادِي ألّذِى لَا يُضِلّ وَ المُحَدّثُ ألّذِى لَا يَكذِبُ وَ مَا جَالَسَ هَذَا القُرآنَ أَحَدٌ إِلّا قَامَ عَنهُ بِزِيَادَةٍ أَو نُقصَانٍ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أَو نُقصَانٍ مِن عَمًى وَ اعلَمُوا أَنّهُ لَيسَ عَلَى أَحَدٍ بَعدَ القُرآنِ مِن فَاقَةٍ وَ لَا لِأَحَدٍ قَبلَ القُرآنِ مِن [صفحه ١٩] غِنًى فَاستَشفُوهُ مِن أَدوَائِكُم وَ استَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأوَائِكُم فَإِنّ فِيهِ شِفَاءً مِن أَكبَرِ الدّاءِ وَ هُوَ الكُفرُ وَ النّفَاقُ وَ الغيَ‌ّ وَ الضّلَالُ فَاسأَلُوا اللّهَ بِهِ وَ تَوَجّهُوا إِلَيهِ بِحُبّهِ وَ لَا تَسأَلُوا بِهِ خَلقَهُ إِنّهُ مَا تَوَجّهَ العِبَادُ إِلَى اللّهِ تَعَالَى بِمِثلِهِ وَ اعلَمُوا أَنّهُ شَافِعٌ مُشَفّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدّقٌ وَ أَنّهُ مَن شَفَعَ لَهُ القُرآنُ يَومَ القِيَامَةِ شُفّعَ فِيهِ وَ مَن مَحَلَ بِهِ القُرآنُ يَومَ القِيَامَةِ صُدّقَ عَلَيهِ فَإِنّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَومَ القِيَامَةِ أَلَا إِنّ كُلّ حَارِثٍ مُبتَلًى فِي حَرثِهِ وَ عَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيرَ حَرَثَةِ القُرآنِ فَكُونُوا مِن حَرَثَتِهِ وَ أَتبَاعِهِ وَ استَدِلّوهُ عَلَى رَبّكُم وَ استَنصِحُوهُ عَلَى أَنفُسِكُم وَ اتّهِمُوا عَلَيهِ آرَاءَكُم وَ استَغِشّوا فِيهِ أَهوَاءَكُم غشه يغشه بالضم غشا خلاف نصحه واللأواء الشدة. وشفع له القرآن شفاعة بالفتح و هومما يغلط فيه العامة فيكسرونه وكذلك تبعت كذا بكذا أتبعته مفتوح أيضا. ومحل به إلى السلطان قال عنه مايضره كأنه جعل القرآن يمحل يوم القيامة عند الله بقوم أى يقول عنهم شرا ويشفع عند الله لقوم أى يثنى عليهم خيرا. والحارث المكتسب والحرث الكسب وحرثة القرآن المتاجرون به الله . واستنصحوه على أنفسكم أى إذاأشار عليكم بأمر وأشارت عليكم أنفسكم بأمر يخالفه . [صفحه ٢٠] فاقبلوا مشورة القرآن دون مشورة أنفسكم وكذلك معنى قوله واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه أهواءكم

فصل فى القرآن وذكر الآثار التى وردت بفضله

واعلم أن هذاالفصل من أحسن ماورد فى تعظيم القرآن وإجلاله و قد قال الناس فى هذاالباب فأكثروا. و من الكلام المروى عن أمير المؤمنين ع فى ذكر القرآن أيضا ما رواه ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار عنه ع أيضا و هو مثل المؤمن ألذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن ألذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب و لاريح لها ومثل الفاجر ألذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر ألذى لايقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر وريحها منتنة -روايت-١-٢-روايت-٥٨-٣٣٤ و قال الحسن رحمه الله قراء القرآن ثلاثة رجل اتخذه بضاعة فنقله من مصر إلى مصر يطلب به ما عند الناس و رجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به الولاة واستطال به على أهل بلاده و قدكثر الله هذاالضرب من حملة القرآن لاكثرهم الله و رجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن فوضعه على داء قلبه فسهر ليله وانهملت عيناه وتسربل

بالخشوع وارتدى بالحزن فبذاك وأمثاله يسقى الناس الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء و الله لهذا الضرب من حملة القرآن أعز وأقل من الكبريت الأحمر [صفحه ٢١] و فى الحديث المرفوع إن من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشيبة فى الإسلام وإكرام الإمام العادل وإكرام حملة القرآن -روايت-١-٢-روايت-٢٣-١٢٤ فى الخبر المرفوع أيضا لاتسافروا بالقرآن إلى أرض العدو فإنى أخاف أن يناله العدو -روايت-١-٢-روايت-٢٦-٨٩. وكانت الصحابة تكره بيع المصاحف وتراه عظيما وكانوا يكرهون أن يأخذ المعلم على تعليم القرآن أجرا. و كان ابن عباس يقول إذاوقعت فى آل حم وقعت فى روضات دمثات أتأنق فيهن -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٨١ و قال ابن مسعود لكل شيءديباجة وديباجة القرآن آل حم -روايت-١-٥٨ قيل لابن عباس أيجوز أن يحلى المصحف بالذهب والفضة فقال حليته فى جوفه -روايت-١-٧٧ قال النبى ص أصفر البيوت جوف صفر من كتاب الله -روايت-١-٢-روايت-١٨-٥٦ و قال الشعبى إياكم وتفسير القرآن فإن ألذى يفسره إنما يحدث عن الله . الحسن رحمه الله رحم الله امرأ عرض نفسه وعمله على كتاب الله فإن وافق حمد الله وسأله الزيادة و إن خالف أعتب وراجع من قريب .حفظ عمر بن الخطاب سورة البقرة فنحر وأطعم . وفد غالب بن صعصعة على على ع ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت فقال غالب بن صعصعة المجاشعى قال ذو الإبل الكثيرة قال نعم قال مافعلت إبلك قال أذهبتها النوائب وذعذعتها الحقوق قال ذاك خير سبلها -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٢] ثم قال يا أباالأخطل من هذاالغلام معك قال ابنى و هوشاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر -روايت-از قبل-١٠٤ فكان ذلك فى نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن فما حله حتى حفظه و ذلك قوله و ماصب رجلى فى حديد مجاشع || مع القد إلاحاجة لى أريدها . قلت تحت قوله ع يا أباالأخطل قبل أن يعلم أن ذلك الغلام ولده و أنه شاعر سر غامض ويكاد يكون إخبارا عن غيب فليلمح .الفضيل بن عياض بلغنى أن صاحب القرآن إذاوقف على معصية خرج القرآن من جوفه فاعتزل ناحية و قال ألهذا حملتنى. قلت و هذاالقول على سبيل المثل والتخويف من مواقعة المعاصى لمن يحفظ القرآن . أنس قال قال لى رسول الله ص يا ابن أم سليم لاتغفل عن قراءة القرآن صباحا ومساء فإن القرآن يحيى القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر -روايت-١-٢-روايت-٣٦-١٤٩ . كان سفيان الثورى إذادخل شهر رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن من المصحف . كعب الأحبار قال الله تعالى لموسى ع مثل كتاب محمد فى الكتب مثل سقاء فيه لبن كلما مخضته استخرجت منه زبدا -روايت-١-٢-روايت-١٥-١١٧ .أسلم الخواص كنت أقرأ القرآن فلاأجد له حلاوة فقلت لنفسى ياأسلم اقرأ القرآن كأنك تسمعه من رسول الله ص فجاءت حلاوة قليلة فقلت اقرأه كأنك تسمعه من جبرئيل ع فازدادت الحلاوة فقلت اقرأه كأنك تسمعه من الله عز و جل حين تكلم به فجاءت الحلاوة كلها. [صفحه ٢٣] بعض أرباب القلوب إن الناس يجمزون فى قراءة القرآن ماخلا المحبين فإن لهم خان إشارات إذامروا به نزلوا يريد آيات من القرآن يقفون عندها فيفكرون فيها. فى الحديث المرفوع ما من شفيع من ملك و لانبى و لاغيرهما أفضل من القرآن -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٨١ فى الحديث المرفوع أيضا من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر عظمة الله -روايت-١-٢-روايت-٢٨-١٠٤ جاء فى بعض الآثار إن الله تعالى خلق بعض القرآن قبل أن يخلق آدم وقرأه على الملائكة فقالوا طوبى لأمة ينزل عليها هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٧٩ قال النبى ص إن القلوب تصدأ كمايصدأ الحديد قيل يا رسول الله و ماجلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت -روايت-١-٢-روايت-١٨-١١١ عنه ع مأذن الله لشيء أذنه لنبى حسن الترنم بالقرآن -روايت-١-٢-روايت-١١-٦٤ عنه ع إن ربكم لأشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته -روايت-١-٢-روايت-١١-٧٦ عنه ع أنت تقرأ القرآن مانهاك فإذا لم ينهك فلست تقرؤه -روايت-١-٢-روايت-١١-٦٤ ابن مسعود رحمه الله ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون وبنهاره إذ الناس مفطرون وبحزنه إذ الناس يفرحون وببكائه إذ الناس يضحكون وبخشوعه إذ الناس يختالون وينبغى لحامل القرآن أن

يكون سكيتا زميتا لينا و لاينبغى أن يكون جافيا و لاممariا و لاصياحا و لاحديدا و لاصخابا -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۳۰۰ . [صفحه ۲۴] بعض السلف إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه حتى يفرغ منها و إن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها قيل كيف ذاك قال إذاأحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه و إلالعنته . ابن مسعود أنزل الله عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا إن أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته مايسقط منه حرفا و قدأسقط العمل به -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۱۵۴ ابن عباس لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله هذرمة -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۱۰۱ .ثابت البنانى كابدت فى القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة العَمَلَ العَمَلَ ثُمّ النّهَايَةَ النّهَايَةَ وَ الِاستِقَامَةَ الِاستِقَامَةَ ثُمّ الصّبرَ الصّبرَ وَ الوَرَعَ الوَرَعَ إِنّ لَكُم نِهَايَةً فَانتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُم وَ إِنّ لَكُم عَلَماً فَاهتَدُوا بِعَلَمِكُم وَ إِنّ لِلإِسلَامِ غَايَةً فَانتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ وَ اخرُجُوا إِلَى اللّهِ مِمّا افتَرَضَ عَلَيكُم مِن حَقّهِ وَ بَيّنَ لَكُم مِن وَظَائِفِهِ أَنَا شَاهِدٌ لَكُم وَ حَجِيجٌ يَومَ القِيَامَةِ عَنكُم أَلَا وَ إِنّ القَدَرَ السّابِقَ قَد وَقَعَ وَ القَضَاءَ المَاضِيَ قَد تَوَرّدَ وَ إِنّي مُتَكَلّمٌ بِعِدَةِ اللّهِ وَ حُجّتِهِ قَالَ اللّهُ جَلّ ذِكرُهُإِنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنَا اللّهُ ثُمّ استَقامُوا تَتَنَزّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أَلّا تَخافُوا وَ لا تَحزَنُوا وَ أَبشِرُوا بِالجَنّةِ -قرآن-۵۷۷-۷۱۶ العَمَلَ العَمَلَ ثُمّ النّهَايَةَ النّهَايَةَ وَ الِاستِقَامَةَ الِاستِقَامَةَ ثُمّ الصّبرَ الصّبرَ وَ الوَرَعَ الوَرَعَ إِنّ لَكُم نِهَايَةً فَانتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُم وَ إِنّ لَكُم عَلَماً فَاهتَدُوا بِعَلَمِكُم وَ إِنّ لِلإِسلَامِ غَايَةً فَانتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ وَ اخرُجُوا إِلَى اللّهِ مِمّا افتَرَضَ عَلَيكُم مِن حَقّهِ وَ بَيّنَ لَكُم مِن وَظَائِفِهِ أَنَا شَاهِدٌ لَكُم وَ حَجِيجٌ يَومَ القِيَامَةِ عَنكُم أَلَا وَ إِنّ القَدَرَ السّابِقَ قَد وَقَعَ وَ القَضَاءَ المَاضِيَ قَد تَوَرّدَ وَ إِنّي مُتَكَلّمٌ بِعِدَةِ اللّهِ وَ حُجّتِهِ قَالَ اللّهُ جَلّ ذِكرُهُإِنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنَا اللّهُ ثُمّ استَقامُوا تَتَنَزّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ أَلّا تَخافُوا وَ لا تَحزَنُوا وَ أَبشِرُوا بِالجَنّةِ الّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ وَ قَد قُلتُم رَبّنَا اللّهُ فَاستَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ وَ عَلَى مِنهَاجِ أَمرِهِ وَ عَلَى الطّرِيقَةِ الصّالِحَةِ مِن عِبَادَتِهِ ثُمّ لَا تَمرُقُوا مِنهَا وَ لَا تَبتَدِعُوا فِيهَا وَ لَا تُخَالِفُوا عَنهَا فَإِنّ أَهلَ المُرُوقِ مُنقَطَعٌ بِهِم عِندَ اللّهِ يَومَ القِيَامَةِ -قرآن-۱-۲۶ النصب على الإغراء وحقيقته فعل مقدر أى الزموا العمل وكرر الاسم لينوب أحد اللفظين عن الفعل المقدر والأشبه أن يكون اللفظ الأول هوالقائم مقام الفعل لأنه فى رتبته أمرهم بلزوم العمل ثم أمرهم بمراعاة العاقبة والخاتمة وعبر عنها بالنهاية وهى آخر أحوال المكلف التى يفارق الدنيا عليها إما مؤمنا أوكافرا أوفاسقا والفعل المقدر هاهنا راعوا وأحسنوا وأصلحوا ونحو ذلك . ثم أمرهم بالاستقامة و أن يلزموها وهى أداء الفرائض . ثم أمرهم بالصبر عليها وملازمته وبملازمة الورع . ثم شرع بعد هذاالكلام المجمل فى تفصيله فقال إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم و هذا لفظ رسول الله ص أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم و إن لكم غاية فانتهوا إلى غايتكم -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۱۰۴ والمراد بالنهاية والغاية أن يموت الإنسان على توبة من فعل القبيح والإخلال بالواجب . ثم أمرهم بالاهتداء بالعلم المنصوب لهم وإنما يعنى نفسه ع . ثم ذكر أن للإسلام غاية وأمرهم بالانتهاء إليها وهى أداء الواجبات واجتناب المقبحات . ثم أوضح ذلك بقوله واخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقه و بين لكم [صفحه ۲۶] من وظائفه فكشف بهذا الكلام معنى الغاية التى أجملها أولا ثم ذكر أنه شاهد لهم ومحاج يوم القيامة عنهم و هذاإشارة إلى قوله تعالى يَومَ نَدعُوا كُلّ أُناسٍ بِإِمامِهِم. وحجيج فعيل بمعنى فاعل وإنما سمى نفسه حجيجا عنهم و إن لم يكن ذلك الموقف موقف مخاصمة لأنه إذاشهد لهم فكأنه أثبت لهم الحجة فصار محاجا عنهم . قوله ع ألا و إن القدر السابق قدوقع يشير به إلى خلافته . و هذه الخطبة من أوائل الخطب التى خطب بهاأيام بويع بعدقتل عثمان و فى هذاإشارة إلى أن رسول الله ص قدأخبره أن الأمر سيفضى إليه منتهى عمره و عندانقضاء أجله . ثم أخبرهم أنه سيتكلم بوعد الله تعالى ومحجته على عباده فى قوله إِنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنَا اللّهُ ثُمّ استَقامُوا ...الآية ومعنى الآية أن الله تعالى وعد الذين أقروا بالربوبية و لم يقتصروا على الإقرار بل عقبوا ذلك بالاستقامة أن ينزل عليهم الملائكة عندموتهم بالبشرى ولفظة ثم للتراخى والاستقامة مفضلة على الإقرار باللسان لأن الشأن كله فى الاستقامة ونحوها قوله تعالى إِنّمَا المُؤمِنُونَ الّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمّ لَم يَرتابُوا أى ثم ثبتوا على الإقرار ومقتضياته والاستقامة هاهنا هى الاستقامة الفعلية شافعة للاستقامة

القوليةِ و قداختلف فيه قول أمير المؤمنين ع و أبی بكر فقال أمير المؤمنين ع أدوا الفرائض و قال أبوبكر استمروا علی التوحيد. -قرآن-١٣٧-١٧٣-قرآن-٦٣١-٦٨٥-قرآن-٩٤٧-١٠٢٤ [صفحه ٢٧] وروی أن أبابكر تلاها و قال ماتقولون فيهافقالوا لم يـذنبوا فقال حملتم الأمر علی أشده فقالوا قل قال لم يرجعوا إلی عبادة الأوثان ورأی أبی بكر فی هذاالموضع إن ثبت عنه يؤكد مذهب الإرجاء وقول أمير المؤمنين ع يؤكد مذهب أصحابنا. و روی سفيان بن عبد الله الثقفی قال قلت يا رسول الله أخبرنی بأمر أعتصم به فقال قل لاإله إلا الله ثم استقم فقلت ماأخوف ماتخافه علی فقال هـذا وأخذ بلسان نفسه ص -روايت-١-٢-روايت-٤٠-١٧٩ وتَتَنَزّلُ عَلَيهِمُ المَلائِكَةُ عندالموت أو فی القبر أو عندالنشور. وأَلّا تَخافُوا أن بمعنی أی أوتكون خفيفة من الثقيلة وأصله أنه لاتخافوا والهاء ضمير الشأن . و قدفسر أمير المؤمنين الاستقامة المشترطة فی الآية فقال قدأقررتم بأن الله ربكم فاستقيموا علی كتابه و علی منهاج أمره و علی الطريقة الصالحة من عبادته . لاتمرقوا منها مرق السهم إذاخرج من الرمية مروقا. و لاتبتدعوا لاتحدثوا ما لم يأت به الكتاب والسنة. و لاتخالفوا عنها تقول خالفت عن الطريق أی عدلت عنها. قال فإن أهل المروق منقطع بهم بفتح الطاء انقطع بزيد بضم الهمزة فهو منقطع به إذا لم يجد بلاغا ووصولا ـ إلی المقصد -قرآن-٣-٣٥-قرآن-٧٤-٨٧ [صفحه ٢٨] ثُمّ إِيّاكُم وَ تَهزِيعَ الأَخلَاقِ وَ تَصرِيفَهَا وَ اجعَلُوا اللّسَانَ وَاحِداً وَ ليَخزُنِ الرّجُلُ لِسَانَهُ فَإِنّ هَذَا اللّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ وَ اللّهِ مَا أَرَی عَبداً يَتّقِی تَقوَی تَنفَعُهُ حَتّی يَختَزِنَ لِسَانَهُ وَ إِنّ لِسَانَ المُؤمِنِ مِن وَرَاءِ قَلبِهِ وَ إِنّ قَلبَ المُنَافِقِ مِن وَرَاءِ لِسَانِهِ لِأَنّ المُؤمِنَ إِذَا أَرَادَ أَن يَتَكَلّمَ بِكَلَامٍ تَدَبّرَهُ فِی نَفسِهِ فَإِن كَانَ خَيراً أَبدَاهُ وَ إِن كَانَ شَرّاً وَارَاهُ وَ إِنّ المُنَافِقَ يَتَكَلّمُ بِمَا أَتَی عَلَی لِسَانِهِ لَا يدَرِی مَا ذَا لَهُ وَ مَا ذَا عَلَيهِ وَ لَقَد قَالَ رَسُولُ اللّهِص لَا يَستَقِيمُ إِيمَانُ عَبدٍ حَتّی يَستَقِيمَ قَلبُهُ وَ لَا يَستَقِيمُ قَلبُهُ حَتّی يَستَقِيمَ لِسَانُهُ فَمَنِ استَطَاعَ مِنكُم أَن يَلقَی اللّهَ سُبحَانَهُ وَ هُوَ نقَيِّ الرّاحَةِ مِن دِمَاءِ المُسلِمِينَ وَ أَموَالِهِم سَلِيمُ اللّسَانِ مِن أَعرَاضِهِم فَليَفعَل تهزيع الأخلاق تغييرها وأصل الهزع الكسر أسد مهزع يكسر الأعناق ويرض العظام و لما كان المتصرف بخلقه الناقل له من حال قدأعدم سمته الأولی كمايعدم الكاسر صورة المكسور اشتركا فی مسمی شامل لهما فاستعمل التهزيع فی الخلق للتغيير والتبديل مجازا. قوله واجعلوا اللسان واحدا نهی عن النفاق واستعمال الوجهين . قال وليخزن الرجل لسانه أی ليحبسه فإن اللسان يجمح بصاحبه فيلقيه فی الهلكة. [صفحه ٢٩] ثم ذكر أنه لايری التقوی نافعة إلا مع حبس اللسان قال فإن لسان المؤمن وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه وشرح ذلک وبينه . فإن قلت المسموع المعروف لسان العاقل من وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه كيف نقله إلی المؤمن والمنافق . قلت لأنه قل أن يكون المنافق إلاأحمق وقل أن يكون العاقل إلامؤمنا فلأكثرية ذلک استعمل لفظ المؤمن وأراد العاقل ولفظ المنافق وأراد الأحمق . ثم روی الخبر المذكور عن النبی ص و هومشهور. ثم أمرهم بالاجتهاد فی أن يلقوا الله تعالی و كل منهم نقی الراحة من دماء المسلمين وأموالهم سليم اللسان من أعراضهم و قد قال النبی ص إنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده -روايت-١-٢-روايت-٢١-٦٨ فسلامتهم من لسانه سلامة أعراضهم وسلامتهم من يده سلامة دمائهم وأموالهم وانتصاب تهزيع علی التحذير وحقيقته تقدير فعل وصورته جنبوا أنفسكم تهزيع الأخلاق فإياكم قائم مقام أنفسكم والواو عوض عن الفعل المقدر وأكثر مايجیء بالواو و قدجاء بغير واو فی قول الشاعر إياک إياک المراء فإنه || إلی الشر دعاء وللشر جالب . و كان يقال ينبغی للعاقل أن يتمسک بست خصال فإنها من المروءة أن يحفظ دينه ويصون عرضه ويصل رحمه ويحمی جاره ويرعی حقوق إخوانه ويخزن عن البذاء لسانه و فی الخبر المرفوع من كفی شر قبقبه وذبذبه ولقلقه دخل الجنة -روايت-١-٢-روايت-٢١-٦٧ . [صفحه ٣٠] فالقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان . و قال بعض الحكماء من علم أن لسانه جارحة من جوارحه أقل من اعتمالها واستقبح تحريكها كمايستقبح تحريک رأسه أومنكبه دائما وَ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّ المُؤمِنَ يَستَحِلّ العَامَ مَا استَحَلّ عَاماً أَوّلَ وَ يُحَرّمُ العَامَ مَا حَرّمَ عَاماً أَوّلَ وَ أَنّ مَا أَحدَثَ النّاسُ لَا يُحِلّ لَكُم شَيئاً مِمّا حُرّمَ عَلَيكُم وَ لَكِنّ الحَلَالَ مَا أَحَلّ اللّهُ وَ الحَرَامَ مَا حَرّمَ اللّهُ فَقَد جَرّبتُمُ الأُمُورَ وَ ضَرّستُمُوهَا وَ وُعِظتُم بِمَن كَانَ قَبلَكُم وَ ضُرِبَتِ الأَمثَالُ

لَكَم وَ دُعِيتُم إِلَى الأمرِ الوَاضِحِ فَلَا يَصَمّ عَن ذَلِكَ إِلّا أَصَمّ وَ لَا يَعمَى عَنهُ إِلّا أَعمَى وَ مَن لَم يَنفَعهُ اللّهُ بِالبَلَاءِ وَ التّجَارِبِ لَم يَنتَفِع بشَيءٍ مِنَ العِظَةِ وَ أَتَاهُ التّقصِيرُ مِن أَمَامِهِ حَتّى يَعرِفَ مَا أَنكَرَ وَ يُنكِرَ مَا عَرَفَ فَإِنّ النّاسَ رَجُلَانِ مُتّبِعٌ شِرعَةً وَ مُبتَدِعٌ بِدعَةً لَيسَ مَعَهُ مِنَ اللّهِ سُبحَانَهُ بُرهَانُ سُنّةٍ وَ لَا ضِيَاءُ حُجّةٍ يقول إن الأحكام الشرعية لايجوز بعدثبوت الأدلة عليها من طريق النص أن تنقض باجتهاد وقياس بل كل ماورد به النص تتبع مورد النص فيه فما استحللته عاما أول فهو فى هذاالعام حلال لك وكذلك القول فى التحريم و هذا هومذهب أكثر أصحابنا أن النص مقدم على القياس و قدذكرناه فى كتبنا فى أصول الفقه . وأول هاهنا لاينصرف لأنه صفة على وزن أفعل . [صفحه ٣١] و قال إن ماأحدث الناس لايحل لكم شيئا مما حرم عليكم أى ماأحدثوه من القياس والاجتهاد و ليس هذابقادح فى القياس ولكنه مانع من تقديمه على النص وهكذا يقول أصحابنا. قوله وضرستموها بالتشديد أى أحكمتموها تجربة وممارسة يقال قدضرسته الحرب و رجل مضرس . قوله فلايصم عن ذلك إلاأصم أى لايصم عنه إلا من هوحقيق أن يقال عنه إنه أصم كماتقول مايجهل هذاالأمر إلاجاهل أى بالغ فى الجهل . ثم قال من لم ينفعه الله بالبلاء أى بالامتحان والتجربة لم تنفعه المواعظ وجاءه النقص من بين يديه حتى يتخيل فيما أنكره أنه قدعرفه وينكر ما قد كان عارفا به وسمى اعتقاد العرفان وتخيله عرفانا على المجاز. ثم قسم الناس إلى رجلين إما متبع طريقة ومنهاجا أومبتدع ما لايعرف و ليس بيده حجة فالأول المحق والثانى المبطل . والشرعة المنهاج والبرهان الحجة فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ لَم يَعِظ أَحَداً بِمِثلِ هَذَا القُرآنِ فَإِنّهُ حَبلُ اللّهِ المَتِينُ وَ سَبَبُهُ الأَمِينُ وَ فِيهِ رَبِيعُ القَلبِ وَ يَنَابِيعُ العِلمِ وَ مَا لِلقَلبِ جَلَاءٌ غَيرُهُ مَعَ أَنّهُ قَد ذَهَبَ المُتَذَكّرُونَ وَ بَقِيَ النّاسُونَ أَوِ المُتَنَاسُونَ فَإِذَا رَأَيتُم خَيراً فَأَعِينُوا عَلَيهِ وَ إِذَا رَأَيتُم شَرّاً فَاذهَبُوا عَنهُ فَإِنّ رَسُولَ اللّهِص كَانَ يَقُولُ يَا ابنَ آدَمَ اعمَلِ الخَيرَ وَ دَعِ الشّرّ فَإِذَا أَنتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ [صفحه ٣٢] إنما جعله حبل الله لأن الحبل ينجو من تعلق به من هوة والقرآن ينجو من الضلال من يتعلق به . وجعله متينا أى قويا لأنه لاانقطاع له أبدا و هذه غاية المتانة والقوة. ومتن الشىء بالضم أى صلب وقوى وسببه الأمين مثل حبله المتين وإنما خالف بين اللفظين على قاعدة الخطابة. و فيه ربيع القلب لأن القلب يحيا به كماتحيا الأنعام برعى الربيع . وينابيع العلم لأن العلم منه يتفرع كمايخرج الماء من الينبوع ويتفرع إلى الجداول والجلاء بالكسر مصدر جلوت السيف يقول لاجلاء لصدأ القلوب من الشبهات والغفلات إلاالقرآن . ثم قال إن المتذكرين قدذهبوا وماتوا وبقى الناسون الذين لاعلوم لهم أوالمتناسون الذين عندهم العلوم ويتكلفون إظهار الجهل لأغراض دنيوية تعرض لهم وروى والمتناسون بالواو. ثم قال أعينوا على الخير إذارأيتموه بتحسينه عندفاعله وبدفع الأمور المانعة عنه وبتسهيل أسبابه وتسنية سبله و إذارأيتم الشر فاذهبوا عنه و لاتقاربوه و لاتقيموا أنفسكم فى مقام الراضى به الموافق على فعله ثم روى لهم الخبر. والجواد القاصد السهل السير لاسريع يتعب بسرعته و لابطىء يفوت الغرض ببطئه [صفحه ٣٣] أَلَا وَ إِنّ الظّلمَ ثَلَاثَةٌ فَظُلمٌ لَا يُغفَرُ وَ ظُلمٌ لَا يُترَكُ وَ ظُلمٌ مَغفُورٌ لَا يُطلَبُ فَأَمّا الظّلمُ أَلّذِى لَا يُغفَرُ فَالشّركُ بِاللّهِ قَالَ اللّهُ سُبحَانَهُإِنّ اللّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَ أَمّا الظّلمُ أَلّذِى يُغفَرُ فَظُلمُ العَبدِ نَفسَهُ عِندَ بَعضِ الهَنَاتِ وَ أَمّا الظّلمُ أَلّذِى لَا يُترَكُ فَظُلمُ العِبَادِ بَعضِهِم بَعضاً القِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ لَيسَ هُوَ جَرحاً بِالمُدَى وَ لَا ضَرباً بِالسّيَاطِ وَ لَكِنّهُ مَا يُستَصغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ فَإِيّاكُم وَ التّلَوّنَ فِي دِينِ اللّهِ فَإِنّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكرَهُونَ مِنَ الحَقّ خَيرٌ مِن فُرقَةٍ فِيمَا تُحِبّونَ مِنَ البَاطِلِ وَ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ لَم يُعطِ أَحَداً بِفُرقَةٍ خَيراً مِمّن مَضَى وَ لَا مِمّن بَقِيَ يَا أَيّهَا النّاسُ طُوبَى لِمَن شَغَلَهُ عَيبُهُ عَن عُيُوبِ النّاسِ وَ طُوبَى لِمَن لَزِمَ بَيتَهُ وَ أَكَلَ قُوتَهُ وَ اشتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبّهِ وَ بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِن نَفسِهِ فِي شُغُلٍ وَ النّاسُ مِنهُ فِي رَاحَةٍ -قرآن-١٨١-٢١٩ قسم ع الظلم ثلاثة أقسام أحدها ظلم لايغفر و هوالشرك بالله أى أن يموت الإنسان مصرا على الشرك ويجب عندأصحابنا أن يكون أراد الكبائر و إن لم يذكرها لأن حكمها حكم الشرك عندهم . [صفحه ٣٤] وثانيها الهنات المغفورة وهى صغائر الذنوب هكذا يفسر أصحابنا كلامه ع . وثالثها مايتعلق بحقوق البشر بعضهم على بعض فإن ذلك لايتركه الله هملا بل لابد من عقاب فاعله وإنما أفرد هذاالقسم مع دخوله فى القسم الأول لتميزه بكونه متعلقا بحقوق بنى آدم بعضهم على بعض و ليس الأول

كذلك . فإن قلت لفظه ع مطابق للآية وهی قوله تعالی إِنّ اللّهَ لا یَغفِرُ أَن یُشرَکَ بِهِ وَ یَغفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَن یَشاءُ والآیة ولفظه ع صریحان فی مذهب المرجئة لأنكم إذافسرتم قوله لمن یشاء بأن المراد به أرباب التوبة قیل لكم فالمشركون هكذا حالهم یقبل الله توبتهم ویسقط عقاب شركهم بهافلأی معنی خصص المشیئة بالقسم الثانی و هو مادون الشرك وهل هذا إلاتصریح بأن الشرك لا یغفر لمن مات علیه و مادونه من المعاصی إذامات الإنسان علیه لایقطع له بالعقاب و لالغیره بل أمره إلی الله . قلت الأصوب فی هذاالموضع ألا یجعل قوله لمن یشاء معنیا به التائبون بل نقول المراد أن الله لایستر فی موقف القیامة من مات مشركا بل یفضحه علی رءوس الأشهاد كما قال تعالی وَ یَقُولُ الأَشهادُ هؤُلاءِ الّذِینَ کَذَبُوا عَلی رَبّهِم. و أما من مات علی كبیرة من أهل الإسلام فإن الله تعالی یستره فی الموقف و لایفضحه بین الخلائق و إن كان من أهل النار و یكون معنی المغفرة فی هذه الآیة الستر وتغطیة حال العاصی فی موقف الحشر و قد یكون من أهل الكبائر ممن یقر بالإسلام -قرآن-۳۴۵-۴۲۲-قرآن-۹۹۲-۱۰۵۰ [صفحه ۳۵] لعظیم كبائره جدا فیفضحه الله تعالی فی الموقف كمایفضح المشرك فهذا معنی قوله وَ یَغفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَن یَشاءُ.فأما الكلام المطول فی تأویلات هذه الآیة فمذكور فی كتبنا الكلامیة. واعلم أنه لاتعلق للمرجئة و لاجدوی علیهم من عموم لفظ الآیة لأنهم قدوافقونا علی أن الفلسفی غیرمغفور له و لیس بمشرك فإذاأراد بقوله تعالی إِنّ اللّهَ لا یَغفِرُ أَن یُشرَکَ بِهِ و من جری مجری المشركین قیل لهم ونحن نقول إن الزانی والقاتل یجریان مجری المشركین كماأجریتم الفلاسفة مجری المشركین فلاتنكروا علینا ما لم تنكروه علی أنفسكم . ثم ذكر ع أن القصاص فی الآخرة شدید لیس كمایعهده الناس من عقاب الدنیا ألذی هوضرب السوط وغایته أن یذوق الإنسان طعم الحدید و هومعنی قوله جرحا بالمدی جمع مدیة وهی السكین بل هو شیءآخر عظیم لایعبر النطق عن كنهه وشدة نكاله وألمه -قرآن-۸۶-۱۲۳-قرآن-۳۴۰-۳۷۸

فصل فی الآثار الواردة فی شدید عذاب جهنم

قال الأوزاعی فی مواعظه للمنصور روی لی عن رسول الله ص لو أن ثوبا من ثیاب أهل النار علق بین السماء و الأرض لأحرق أهل الأرض قاطبة فكیف بمن یتقمصه و لو أن ذنوبا من حمیم جهنم صب علی ماء الأرض كله لأجنه حتی لایستطیع مخلوق شربه فكیف بمن یتجرعه و لو أن حلقة من سلاسل النار وضعت علی جبل لذاب كمایذوب الرصاص فكیف بمن یسلك فیها ویرد فضلها علی عاتقه -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-۳۴۵ روی أبوهریرة عن النبی ص لو كان فی هذاالمسجد مائة ألف أویزیدون وأخرج إلیهم رجل من النار فتنفس وأصابهم نفسه لأحرق المسجد و من فیه -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-۱۴۸ [صفحه ۳۶] روی أن رسول الله ص قال لجبریل ما لی لاأری میكائیل ضاحكا قال إن میكائیل لم یضحك منذ خلقت النار ورآها -روایت-۱-۲-روایت-۷-۱۱۶ عنه ص لماأسری بی سمعت هدة فسألت جبریل عنها فقال حجر أرسله الله من شفیر جهنم فهو یهوی منذ سبعین خریفا حتی بلغ الآن فیه -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۱۳۷ روی عن النبی ص فی قوله تَلفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ وَ هُم فِیها کالِحُونَ قال تتقلص شفته العلیا حتی تبلغ وسط رأسه وتسترخی شفته السفلی حتی تضرب سرته -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۱۶۵ روی عبید بن عمیر اللیثی عنه ع لتزفرن جهنم زفرة لایبقی ملك و لانبی إلاخر مرتعدة فرائصه حتی إن ابراهیم الخلیل لیجثو علی ركبتیه فیقول یارب إنی لاأسألك إلانفسی -روایت-۱-۲-روایت-۳۶-۱۷۷ أبوسعید الخدری مرفوعا لوضربت جبال الدنیا بمقمع من تلك المقامع الحدید لصارت غبارا -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۹۲ . الحسن البصری قال الأغلال لم تجعل فی أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الرب ولكن إذاأصابهم اللهب أرسبتهم فی النار ثم خر الحسن صعقا و قال ودموعه تتحادر یا ابن آدم نفسك نفسك فإنما هی نفس واحدة إن نجت نجوت و إن هلكت لم ینفعك من نجا.طاوس أیها الناس إن النار لماخلقت

طارت أفئدة الملائكة فلما خلقتم سكنت . [صفحه ۳۷] مطرف بن الشخير إنكم لتذكرون الجنة و إن ذكر النار قدحال بيني و بين أن أسأل الله الجنة.منصور بن عمار يا من البعوضة تقلقه والبقة تسهره أمثلك يقوى على وهج السعير أوتطيق صفحة خده لفح سمومها ورقة أحشائه خشونة ضريعها ورطوبة كبده تجرع غساقها.قيل لعطاء السلمى أيسرك أن يقال لك قع فى جهنم فتحرق فتذهب فلا تبعث أبدا لاإليها و لا إلى غيرها فقال و الله ألذى لاإله إلا هو لوسمعت أن يقال لى لظننت أنى أموت فرحا قبل أن يقال لى ذلك . الحسن و الله مايقدر العباد قدر حرها روينا لو أن رجلا كان بالمشرق وجهنم بالمغرب ثم كشف عن غطاء واحد منها لغلت جمجمته و لو أن دلوا من صديدها صب فى الأرض مابقى على وجهها شيء فيه روح إلامات . كان الأحنف يصلى صلاة الليل ويضع المصباح قريبا منه فيضع إصبعه عليه و يقول ياحنيف ماحملك على ماصنعت يوم كذا حتى يصبح

فصل فى العزلة والاجتماع و ماقيل فيهما

ثم نهاهم ع عن التفرق فى دين الله و هوالاختلاف والفرقة ثم أمرهم باجتماع الكلمة و قال إن الجماعة فى الحق المكروه إليكم خير لكم من الفرقة فى الباطل المحبوب عندكم فإن الله لم يعط أحدا خيرا بالفرقة لاممن مضى و لاممن بقى. [صفحه ۳۸] و قدتقدم ذكر ماورد عن النبى ص فى الأمر بلزوم الجماعة والنهى عن الاختلاف والفرقة. ثم أمر ع بالعزلة ولزوم البيت والاشتغال بالعبادة ومجانبة الناس ومتاركتهم واشتغال الإنسان بعيب نفسه عن عيوبهم . و قدورد فى العزلة أخبار وآثار كثيرة واختلف الناس قديما وحديثا فيهاففضلها قوم على المخالطة وفضل قوم المخالطة عليها.فممن فضل العزلة سفيان الثورى و ابراهيم بن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وبشر الحافى وحذيفة المرعشى وجمع كثير من الصوفية و هومذهب أكثر العارفين وقول المتألهين من الفلاسفة. وممن فضل المخالطة على العزلة ابن المسيب والشعبى و ابن أبى ليلى وهشام بن عروة و ابن شبرمة والقاضى شريح وشريك بن عبد الله و ابن عيينة و ابن المبارك .فأما كلام أمير المؤمنين ع فيقتضى عندإمعان النظر فيه أن العزلة خير لقوم و أن المخالطة خير لقوم آخرين على حسب أحوال الناس واختلافهم . و قداحتج أرباب المخالطة يقول الله تعالى فَأَلّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخواناً وبقوله وَ لا تَكُونُوا كَالّذِينَ تَفَرّقُوا وَ اختَلَفُوا و هذاضعيف لأن المراد بالآية تفرق الآراء واختلاف المذاهب فى أصول الدين والمراد -قرآن-۸۹۷-۹۵۴-قرآن-۹۶۳-۱۰۱۳ [صفحه ۳۹] بتأليف القلوب وبالأخوة عدم الإحن والأحقاد بينهم بعداستعار نارها فى الجاهلية و هذاأمر خارج عن حديث العزلة. واحتجوا بقول النبى ص المؤمن إلف مألوف و لاخير فيمن لايألف و لايؤلف -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۷۰ و هذاأيضا ضعيف لأن المراد منه ذم سوء الخلق والأمر بالرفق والبشر فلايدخل تحته الإنسان الحسن الخلق ألذى لوخولط لألف وألف وإنما يمنعه من المخالطة طلب السلامة من الناس . واحتجوا بقوله من شق عصا المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه و هذاضعيف أيضا لأنه مختص بالبغاة والمارقين عن طاعة الإمام فلايتناول أهل العزلة الذين هم أهل طاعة للأئمة إلاأنهم لايخالطون الناس . واحتجوا بنهيه ص عن هجر الإنسان أخاه فوق ثلاث و هذاضعيف لأن المراد منه النهى عن الغضب واللجاج وقطع الكلام و السلام لثوران الغيظ فهذا أمر خارج عن الباب ألذى نحن فيه . واحتجوا بأن رجلا أتى جبلا يعبد فيه فجاء أهله إلى رسول الله ص فنهاه و قال له إن صبر المسلم فى بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة أربعين سنة -روايت-۱-۱۵۵ . و هذاضعيف لأنه إنما كان ذلك فى ابتداء الإسلام والحث على جهاد المشركين . واحتجوا بما روى عنه ص أنه قال الشيطان ذئب و الناس كالغنم يأخذ القاصية والشاذة إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۱۲۶ و هذاضعيف لأن المراد به من

اعتزل الجماعة وخالفها. [صفحه ۴۰] واحتج من رجح العزلة وآثرها على المخالطة بالآثار الكثيرة الواردة فى ذلك نحو قول عمر خذوا بحظكم من العزلة. وقول ابن سيرين العزلة عبادة. وقول الفضيل كفى بالله محبوبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا. و قال ابن الربيع الزاهد لداود الطائى عظنى فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك للآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد. و قال الحسن كلمات أحفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى واعتزل الناس فسلم ترك الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروءته صبر قليلا فتمتع طويلا. و قال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها الصمت والعاشر فى العزلة عن الناس . و قال يوسف بن مسلم لعلى بن بكار ماأصبرك على الوحدة و كان قدلزم البيت فقال كنت و أناشاب أصبر على أشد من هذاكنت أجالس الناس و لاأكلمهم . و قال الثورى هذاوقت السكوت وملازمة البيوت . و قال بعضهم كنت فى سفينة ومعنا شاب علوى فمكث معنا سبعا لانسمع له كلاما فقلنا له قدجمعنا الله وإياك منذ سبع و لانراك تخالطنا و لاتكلمنا فأنشد قليل الهم لاولد يموت || و ليس بخائف أمرا يفوت قضى وطر الصبا وأفاد علما || فغايته التفرد والسكوت [صفحه ۴۱] وأكبر همه مما عليه || تناجز من ترى خلق وقوت . قال النخعى لصاحب له تفقه ثم اعتزل . و كان مالك بن أنس الفقيه يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الإخوان حقوقهم ثم ترك واحدا واحدا من ذلك إلى أن ترك الجميع و قال ليس يتهيأ للإنسان أن يخبر بكل عذر له . وقيل لعمر بن عبدالعزيز لوتفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلافراغ إلا عند الله تعالى . و قال الفضيل بن عياض إنى لأجد للرجل عندى يدا إذالقينى ألا يسلم على و إذامرضت ألا يعودنى. و قال الدارانى بينا ابن خثيم جالس على باب داره إذ جاء حجر فصك وجهه فسجد وجعل يمسح الدم و يقول لقد وعظت ياربيع ثم قام فدخل الدار فما جلس بعد ذلك على بابه حتى مات . و كان سعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد قدلزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لالحاجة لهما و لالغيرهما حتى ماتا بالعقيق . قال بشر أقلل من معرفة الناس فإنك لاتدرى ماتكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك أقل . وأحضر بعض الأمراء حاتما الأصم فكلمه ثم قال له أ لك حاجة قال نعم ألا ترانى و لاأراك . وقيل للفضيل إن ابنك يقول لوددت أنى فى مكان أرى الناس و لايروننى فبكى الفضيل و قال ياويح على أ لاأتمها فقال و لاأراهم . [صفحه ۴۲] و من كلام الفضيل أيضا من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه . و قدجاء فى الأحاديث المرفوعة ذكر العزلة وفضلها نحو قوله ع لعبد الله بن عامر الجهنى لماسأله عن طريق النجاة فقال له ليسعك بيتك أمسك عليك دينك وابك على خطيئتك -روايت-۱-۱۲۳ وقيل له ص أى الناس أفضل فقال رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره -روايت-۱-۹۸ قال ع إن الله يحب التقى النقى الخفى -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۷

ذكر فوائد العزلة

و فى العزلة فوائد منها الفراغ للعبادة والذكر والاستئناس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق فيتفرغ لاستكشاف أسرار الله تعالى فى أمر الدنيا والآخرة وملكوت السماوات و الأرض لأن ذلك لايمكن إلابفراغ و لافراغ مع المخالطة ولذلك كان رسول الله ص فى ابتداء أمره يتبتل فى جبل حراء ويعتزل فيه حتى أتته النبوة. وقيل لبعض الحكماء ما ألذى أرادوا بالخلوة والعزلة فقال دوام الفكر وثبات العلوم فى قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويموتوا موتا طيبا. وقيل لبعضهم ماأصبرك على الوحدة فقال لست وحدى أناجليس ربى إذاشئت أن يناجينى قرأت كتابه و إذاشئت أن أناجيه صليت . و قال سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن أدهم فى بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم [صفحه ۴۳] تركت خراسان فقال ماتهنأت بالعيش إلاهاهنا أفر بدينى من شاهق إلى شاهق فمن رآنى قال موسوس أوحمال . وقيل للحسن يا أباسعيد هاهنا رجل لم نره قط جالسا إلاوحده خلف سارية فقال الحسن إذارأيتموه فأخبرونى

فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن وأشاروا إليه فمضى نحوه و قال له يا عبد الله لقد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس قال أمر شغلنى عنهم قال فما يمنعك أن تأتى هذا الرجل ألذى يقال له الحسن فتجلس إليه قال أمر شغلنى عن الناس و عن الحسن قال و ما ذلك الشغل يرحمك الله قال إنى أمسى وأصبح بين نعمة وذنب فأشغل نفسى بشكر الله على نعمه والاستغفار من الذنب فقال الحسن أنت أفقه عندى يا عبد الله من الحسن فالزم ما أنت عليه . وجاء هرم بن حيان إلى أويس فقال له ماحاجتك قال جئت لآنس بك قال ماكنت أعرف أحدا يعرف ربه فيأنس بغيره . و قال الفضيل إذارأيت الليل مقبلا فرحت به و قلت أخلو بربى و إذارأيت الصبح أدركنى استرجعت كراهية لقاء الناس و أن يجىء إلى من يشغلنى عن ربى. و قال مالك بن دينار من لم يأنس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمى قلبه وضاع عمره . و قال بعض الصالحين بينا أناأسير فى بعض بلاد الشام إذا أنابعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إلى تنحى إلى أصل شجرة وتستر بهافقلت سبحان الله أتبخل على بالنظر إليك فقال يا هذاإنى أقمت فى هذاالجبل دهرا طويلا أعالج قلبى فى الصبر عن الدنيا وأهلها فطال فى ذلك تعبى وفنى عمرى ثم سألت الله تعالى [صفحه ۴۴] ألا يجعل حظى من أيامى فى مجاهدة قلبى فقط فسكنه الله عن الاضطراب وآلفه الوحدة والانفراد فلما نظرت إليك وتريدنى خفت أن أقع فى الأمر الأول فأعود إلى ألف المخلوقين فإليك عنى فإنى أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب التائبين ثم صاح وا غماه من طول المكث فى الدنيا ثم حول وجهه عنى ثم نفض يده و قال إليك عنى يادنيا لغيرى فتزينى وأهلك فغرى ثم قال سبحان من أذاق العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ماألهى قلوبهم عن ذكر الجنان والحور الحسان فإنى فى الخلوة آنس بذكر الله وأستلذ بالانقطاع إلى الله ثم أنشد وإنى لأستغشى و مابى نعسة || لعل خيالا منك يلقى خياليا وأخرج من بين البيوت لعلنى || أحدث عنك النفس فى السر خاليا . و قال بعض العلماء إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيتكثر حينئذ بملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بهم فإذاكانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة و كان يقال الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس . ومنها التخلص بالعزلة عن المعاصى التى يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة وهى الغيبة والرياء وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وسرقة الطبع بعض الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من الغير. أماالغيبة فإن التحرز منها مع مخالطة الناس صعب شديد لاينجو من ذلك إلاالصديقون فإن عادة أكثر الناس التمضمض بأعراض من يعرفونه والتنقل بلذة [صفحه ۴۵] ذلك فهى أنسهم ألذى يستريحون إليه فى الجلوة والمفاوضة فإن خالطتهم ووافقت أثمت و إن سكت كنت شريكا فالمستمع أحد المغتابين و إن أنكرت تركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا إثما على إثمهم .فأما الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن من خالط الناس لايخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصى الله و إن أنكر تعرض بأنواع من الضرر و فى العزلة خلاص عن ذلك و فى الأمر بالمعروف إثارة للخصام وتحريك لكوامن ما فى الصدور و قال الشاعر وكم سقت فى آثاركم من نصيحة || و قديستفيد الظنة المتنصح . و من تجرد للأمر بالمعروف ندم عليه فى الأكثر كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه وحده فيوشك أن يقع عليه فإذاسقط قال ياليتنى تركته مائلا نعم لووجد الأعوان حتى يحكم ذلك الحائط ويدعمه استقام ولكنك لاتجد القوم أعوانا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فدع الناس وانج بنفسك . و أماالرياء فلاشبهة أن من خالط الناس داراهم و من داراهم راءاهم و من راءاهم كان منافقا و أنت تعلم أنك إذاخالطت متعاديين و لم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضا إليهما جميعا و إن جاملتهما كنت من شرار الناس وصرت ذا وجهين وأقل مايجب فى مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه و ليس يخلو ذلك عن كذب إما فى الأصل وإما فى الزيادة بإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال فقولك كيف أنت وكيف أهلك و أنت فى الباطن فارغ القلب عن همومه نفاق محض . قال السرى السقطى لودخل على أخ فسويت لحيتى بيدى لدخوله خشيت أن أكتب فى جريدة المنافقين . [صفحه ۴۶] كان الفضيل جالسا وحده فى المسجد فجاء إليه أخ له

فقال ماجاء بک قال المؤانسة قال هی و الله بالمواحشة أشبه هل ترید إلا أن تتزین لی وأتزین لک وتکذب لی وأکذب لک إما أن تقوم عنی وإما أن أقوم عنک . و قال بعض العلماء ماأحب الله عبدا إلاأحب ألا یشعر به خلقه . ودخل طاوس علی هشام بن عبدالملک فقال کیف أنت یاهشام فغضب و قال لم لم تخاطبنی بإمرة المؤمنین قال لأن جمیع الناس مااتفقوا علی خلافتک فخشیت أن أکون کاذبا.فمن أمکنه أن یحترز هذاالاحتراز فلیخالط الناس و إلافلیرض بإثبات اسمه فی جریدة المنافقین إن خالطهم و لانجاة من ذلک إلابالعزلة. و أماسرقة الطبع من الغیر فالتجربة تشهد بذلک لأن من خالط الأشرار اکتسب من شرهم وکلما طالت صحبة الإنسان لأصحاب الکبائر هانت الکبائر عنده و فی المثل فإن القرین بالمقارن یقتدی. ومنها الخلاص من الفتن والحروب بین الملوک والأمراء علی الدنیا. روی أبوسعید الخدری عن النبی ص أنه قال یوشک أن یکون خیر مال المسلم غنیمات یتبع بهاشعاف الجبال ومواضع القطر یفر بدینه من الفتن -روایت-۱-۲-روایت-۴۷-۱۴۵ روی عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ص ذکر الفتن فقال إذارأیت الناس قدمرجت عهودهم وخفت أمانتهم وکانوا هکذا وشبک -روایت-۱-۲-روایت-۳۵-ادامه دارد [صفحه ۴۷] بأصابعه فقلت ماتأمرنی فقال الزم بیتک واملک علیک لسانک وخذ ماتعرف ودع ماتنکر وعلیک بأمر الخاصة ودع عنک أمر العامة -روایت-از قبل-۱۲۹ روی ابن مسعود عنه ص أنه قال سیأتی علی الناس زمان لایسلم لذی دین دینه إلا من فر من قریة إلی قریة و من شاهق إلی شاهق کالثعلب الرواغ قیل ومتی ذلک یا رسول الله قال إذا لم تنل المعیشة إلابمعاصی الله سبحانه فإذا کان ذلک الزمان کان هلاک الرجل علی ید أبویه فإن لم یکن له أبوان فعلی ید زوجته وولده و إن لم یکن فعلی ید قرابته قالوا کیف ذلک یا رسول الله قال یعیرونه بالفقر وضیق الید فیکلفونه ما لایطیقه حتی یورده ذلک موارد الهلکة -روایت-۱-۲-روایت-۳۵-۴۷۰ روی ابن مسعود أیضا أنه ص ذکر الفتنة فقال الهرج فقلت و ماالهرج یا رسول الله قال حین لایأمن المرء جلیسه قلت فبم تأمرنی یا رسول الله إن أدرکت ذلک الزمان قال کف نفسک ویدک وادخل دارک قلت أرأیت إن دخل علی داری قال ادخل بیتک قلت إن دخل علی البیت قال ادخل مسجدک واصنع هکذا وقبض علی الکوع وقل ربی الله حتی تموت -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۳۴۴ . ومنها الخلاص من شر الناس فإنهم یؤذونک تارة بالغیبة وتارة بسوء الظن والتهمة وتارة بالاقتراحات والأطماع الکاذبة التی یعسر الوفاء بها وتارة بالنمیمة والکذب مما یرونه منک من الأعمال والأقوال مما لاتبلغ عقولهم کنهه فیدخرون ذلک فی نفوسهم عدة لوقت ینتهزون فیه فرصة الشر و من یعتزلهم یستغن عن التحفظ لذلک . و قال بعض الحکماء لصاحبه أعلمک شعرا هوخیر لک من عشرة آلاف درهم و هو [صفحه ۴۸] اخفض الصوت إن نطقت بلیل || والتفت بالنار قبل المقال لیس للقول رجعة حین یبدو || بقبیح یکون أوبجمال . و من خالط الناس لاینفک من حاسد وطاعن و من جرب ذلک عرف . و من الکلام المأثور عن علی ع اخبر تقله -روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۴۵ قال الشاعر من حمد الناس و لم یبلهم || ثم بلاهم ذم من یحمد وصار بالوحدة مستأنسا || یوحشه الأقرب والأبعد . وقیل لسعد بن أبی وقاص أ لاتأتی المدینة قال مابقی فیها إلاحاسد نعمة أوفرح بنقمة. و قال ابن السماک کتب إلینا صاحب لنا أما بعد فإن الناس کانوا دواء یتداوی به فصاروا داء لادواء لهم ففر منهم فرارک من الأسد. و کان بعض الأعراب یلازم شجرة و یقول هذه ندیمی و هوندیم فیه ثلاث خصال إن سمع لم ینم علی و إن تفلت فی وجهه احتمل و إن عربدت علیه لم یغضب فسمع الرشید هذاالخبر فقال قدزهدنی سماعه فی الندماء. و کان بعضهم یلازم الدفاتر والمقابر فقیل له فی ذلک قال لم أر أسلم من الوحدة و لاأوعظ من قبر و لاأمتع من دفتر. و قال الحسن مرة إنی أرید الحج فجاء إلی ثابت البنانی و قال بلغنی أنک ترید الحج فأحببت أن نصطحب فقال الحسن دعنا نتعاشر بستر الله إنی أخاف أن نصطحب فیری بعضنا من بعض مانتماقت علیه . و قال بعض الصالحین کان الناس ورقا لاشوک فیه فالناس الیوم شوک لاورق فیه . و قال سفیان بن عیینة قال لی سفیان الثوری فی الیقظة فی حیاته و فی المنام بعد [صفحه ۴۹] وفاته أقلل معرفة الناس فإن التخلص منهم شدید و لاأحسبنی رأیت ماأکره إلامن عرفت . و

قال بعضهم جئت إلى مالک بن دينار و هوقاعد وحده وعنده کلب رابض قريبا منه فذهبت أطرده فقال دعه فإنه لايضر و لايؤذی و هوخير من الجليس السوء. و قال أبوالدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم مارکبوا ظهر بعير إلاأدبروه و لاظهر جواد إلاعقروه و لاقلب مؤمن إلاأخربوه . و قال بعضهم أقلل المعارف فإنه أسلم لدينک وقلبک وأخف لظهرک وأدعی إلی سقوط الحقوق عنک لأنه کلما کثرت المعارف کثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع . و قال بعضهم إذاأردت النجاة فأنکر من تعرف و لاتتعرف إلی من لاتعرف . ومنها أن فی العزلة بقاء الستر علی المروءة والخلق والفقر وسائر العورات و قدمدح الله تعالی المستترين فقال يَحسَبُهُمُ الجاهِلُ أَغنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ. و قال الشاعر -قرآن-۷۱۴-۷۵۹ و لاعار أن زالت عن الحر نعمة || ولکن عارا أن يزول التجمل . و ليس يخلو الإنسان فی دينه ودنياه وأفعاله عن عورات يتقين ويجب سترها و لاتبقی السلامة مع انکشافها و لاسبيل إلی ذلک إلابترک المخالطة. ومنها أن ينقطع طمع الناس عنک وينقطع طمعک عن الناس أماانقطاع طمع الناس عنک ففيه نفع عظيم فإن رضا الخلق غاية لاتدرک لأن أهون حقوق الناس [صفحه ۵۰] وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والإملاکات و فی ذلک تضييع الأوقات والتعرض للآفات ثم يعوق عن بعضها العوائق وتستثقل فيهاالمعاذير و لايمکن إظهار کل الأعذار فيقول لک قائل إنک قمت بحق فلان وقصرت فی حقی ويصير ذلک سبب عداوة فقد قيل إن من لم يعد مريضا فی وقت العيادة يشتهی موته خيفة من تخجيله إياه إذابرأ من تقصيره فأما من يعم الناس کلهم بالحرمان فإنهم يرضون کلهم عنه ومتی خصص وقع الاستيحاش والعتاب وتعميمهم بالقيام بجميع الحقوق مما لاقدرة عليه للمتجرد ليله ونهاره فکيف من له مهم يشغله دينی أودنيوی. و من کلام بعضهم کثرة الأصدقاء زيادة الغرماء. و قال الشاعر عدوک من صديقک مستفاد || فلاتستکثرن من الصحاب فإن الداء أکثر ماتراه || يکون من الطعام أوالشراب . و أماانقطاع طمعک عنهم ففيه أيضا فائدة جزيلة فإن من نظر إلی زهرة الدنيا وزخرفها تحرک حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه وأکثر الأطماع يتعقبها الخيبة فيتأذی الإنسان بذلک و إذااعتزل لم يشاهد و إذا لم يشاهد لم يشته و لم يطمع ولذلک قال الله تعالی لنبيه ص وَ لا تَمُدَّنَّ عَينَيکَ إِلی ما مَتَّعنا بِهِ أَزواجاً مِنهُم زَهرَةَ الحَياةِ الدّنيا و -قرآن-۲۶۷-۳۵۱ قال ع انظروا إلی من دونکم و لاتنظروا إلی من هوفوقکم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليکم -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۰۱ . [صفحه ۵۱] و قال عون بن عبد الله کنت أجالس الأغنياء فلاأزال مغموما أری ثوبا أحسن من ثوبی ودابة أفره من دابتی فجالست الفقراء فاسترحت . وخرج المزنی صاحب الشافعی من باب جامع الفسطاط بمصر و کان فقيرا مقلا فصادف ابن عبدالحکم قدأقبل فی موکبه فبهره مارأی من حاله وحسن هيأته فتلا قوله تعالی وَ جَعَلنا بَعضَکُم لِبَعضٍ فِتنَةً أَ تَصبِرُونَ ثم قال نعم أصبر وأرضی .فالمعتزل عن الناس فی بيته لايبتلی بمثل هذه الفتن فإن من شاهد زينة الدنيا إما أن يقوی دينه ويقينه فيصبر فيحتاج إلی أن يتجرع مرارة الصبر و هوأمر من الصبر أوتنبعث رغبته فيحتال فی طلب الدنيا فيهلک دنيا وآخرة أما فی الدنيا فبالطمع ألذی فی أکثر الأوقات يتضمن الذل المعجل و أما فی الآخرة فلإيثاره متاع الدنيا علی ذکر الله والتقرب إليه ولذلک قال الشاعر -قرآن-۳۰۲-۳۵۰ إذا کان باب الذل من جانب الغنی || سموت إلی العلياء من جانب الفقر .أشار إلی أن الطمع يوجب فی الحال ذلا. ومنها الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقی ومعاناة أخلاقهم فإن رؤية الثقيل هی العمی الأصغر قيل للأعمش بم عمشت عيناک قال بالنظر إلی الثقلاء. ودخل علی أبی حنيفة رحمه الله فقال له روينا فی الخبر أن من سلب کريمتيه عوضه الله ما هوخير منهما فما ألذی عوضک قال کفانی رؤية ثقيل مثلک يمازحه . و قال الشافعی رحمه الله ماجالست ثقيلا إلاوجدت الجانب ألذی يليه من بدنی کأنه أثقل علی من الجانب الآخر. و هذه المقاصد و إن کان بعضها دنيويا إلاأنها تضرب فی الدين بنصيب و ذلک لأن [صفحه ۵۲] من تأذی برؤية ثقيل لم يلبث أن يغتابه ويثلبه و ذلک فساد فی الدين و فی العزلة السلامة عن جميع ذلک . واعلم أن کلام أمير المؤمنين ع تختلف مناهجه فقد رجح العزلة فی هذاالفصل علی المخالطة ونهی عن العزلة فی موضع آخر سيأتی ذکره فی

الفصـل ألـذى أوله أنه دخل على العلاء بن زياد الحارثى عائـدا ويجب أن يحمل ذلك على أن من الناس من العزلـة خير له من المخالطة ومنهم من هوبالضد من ذلك و قد قال الشافعى قريبا من ذلك قال ليونس بن عبدالأعلى صاحبه يايونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط. فإذاأردت العزلة فينبغى للمعتزل أن ينوى بعزلته كف شـره عن الناس أولا ثم طلب السـلامة من شـر الأشـرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسـلمين ثالثـا ثم التجرد بكنه الهمـة بعبـادة الله تعـالى رابعـا فهـذه آداب نيته ثم ليكن فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والـذكر والفكر ليجتنى ثمرة العزلة ويجب أن يمنع الناس عن أن يكثروا غشـيانه وزيارته فيتشوش وقته و أن يكف نفسه عن السؤال عن أخبارهم وأحوالهم و عن الإصـغاء إلى أراجيف النـاس و مـا الناس مشـغولون به فإن كل ذلك ينغرس فى القلب حتى ينبعث على الخاطر والبال وقت الصـلاة ووقت الحاجة إلى إحضار القلب فإن وقوع الأخبار فى السـمع كوقوع البذر فى الأرض لابد أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصـانه وإحـدى مهمـات المعتزل قطع الوسـاوس الصارفـة عن ذكر الله و لاـريب أن الأخبـار ينـابيع الوساوس وأصولها. ويجب أن يقنع باليسـير من المعيشـة و إلااضـطره التوسع إلى النـاس واحتـاج إلى مخـالطتهم . [صـفحه ۵۳] وليكن صـبورا على مايلقاه من أذى الجيران إذ يسـد سـمعه عن الإصـغاء إلى ما يقول فيه من أثنى عليه بالعزلـة وقـدح فيه بترك المخالطة فإن ذلك لابـد أن يؤثر فى القلب و لومدة يسـيرة وحال اشـتغال القلب به لابد أن يكون واقفا عن سيره فى طريق الآخرة فإن السير فيهاإما يكون بالمواظبـة على ورد أوذكر مع حضور قلب وإمـا بـالفكر فى جلالـل الله وصـفاته وأفعاله وملكوت سـماواته وإما بالتأمل فى دقائق الأعمال ومفسدات القلب وطلب طرق التخلص منها و كل ذلك يستدعى الفراغ و لاريب أن الإصغاء إلى ماذكرناه يشوش القلب . ويجب أن يكون للمعتزل أهل صالـح أوجليس صالـح لتستريـح نفسه إليه ساعة عن كد المواظبة ففى ذلك عون له على بقيـة الساعات و ليس يتم للإنسان الصبر على العزلـة إلابقطع الطمع عن الـدنيا و ما الناس منهمكون فيه و لاينقطع طمعه إلابقصر الأمل وألا يقدر لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على أنه لايمسى ويمسى على أنه لايصبح فيسهل عليه صبر يوم و لايسهل عليه العزم على صبر عشـرين سـنة لوقدر تراخى أجله وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل فى قلبه من ذكر الله ومعرفته مايأنس به فإنه لايطيق وحشـة الوحدة بعدالموت و أن من أنس بذكر الله ومعرفته فإن الموت لايزيـل أنسه لأـن الموت ليس يهـدم محـل الأـنس والمعرفـة بـل يبقى حيـا بمعرفته وأنسه فرحـا بفضل الله عليه قال سـبحانه وَ لا تَحسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيـلِ اللّهِ أَمواتـاً بَـل أَحياءٌ عِنـدَ رَبّهِم يُرزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِن فَضـلِهِ. و كل من يجرد نفسه فى ذات الله فهو شهيد مهما أدركه الموت فالمجاهد من -قرآن-۱۲۶۱-۱۴۰۰ [صفحه ۵۴] جاهد نفسه وهواه كماصرح به ع و قال لأصـحابه رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۵۷ فالجهاد الأصغر محاربة المشركين والجهاد الأـكبر جهـاد النفس . و هـذاالفصل فى العزلـة نقلنـاه على طوله من كلاـم أبى حامـد الغزالى فى إحيـاء علوم الـدين وهـذبنا منه مااقتضت الحال تهذيبه [صفحه ۵۵]

۱۷۸- و من كلام له ع فى معنى الحكمين

اشاره

فَأَجمَعَ رأَيُ مَلَئِكُم عَلَى أَنِ اختَـارُوا رَجُلَين فَأَخَـذنَا عَلَيهِمَا أَن يُجَعجِعَا عِنـدَ القُرآنِ وَ لَا يُجَاوِزَاهُ وَ تَكُونُ أَلسِـنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ فَتَاهَا عَنهُ وَ تَرَكَا الحَقّ وَ هُمَا يُبصِرَانِهِ وَ كَانَ الجَورُ هَوَاهُمَا وَ الِاعوِجَاجُ دَأبَهُمَا وَ قَد سَبَقَ استِثنَاؤُنَا عَلَيهِمَا فِي الحُكمِ بِالعَدلِ وَ

العَمَلِ بِالحَقّ سُوءَ رَأيِهِمَا وَ جَورَ حُكمِهِمَا وَ الثّقَةُ فِي أَيدِينَا لِأَنفُسِنَا حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الحَقّ وَ أَتَيَا بِمَا لَا يُعرَفُ مِن مَعكُوسِ الحُكمِ الملأ الجماعة ويجعجعا يحبسا نفوسهما وآراءهما عندالقرآن جعجعت أى حبست أخذت عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما فى القرآن و لايتجاوزاه .فتاها عنه أى عدلا وتركا الحق على علم منهما به . والدأب العادة وسوء رأيهما منصوب لأنه مفعول سبق والفاعل استثناؤنا. ثم قال والثقة فى أيدينا أى نحن على برهان وثقة من أمرنا و ليس بضائر لنا مافعلاه لأنهما خالفا الحق وعدلا عن الشرط وعكسا الحكم . [صفحه ۵۶] وروى الثورى عن أبى عبيدة قال أمر بلال بن أبى بردة و كان قاضيا بتفريق بين رجل وامرأته فقال الرجل ياآل أبى موسى إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين

كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص و هو على مصر

كتب معاوية إلى عمرو بن العاص و هو على مصر قدقبضها بالشرط ألذى اشترط على معاوية أما بعد فإن سؤال أهل الحجاز وزوار أهل العراق كثروا على و ليس عندى فضل عن أعطيات الحجاز فأعنى بخراج مصر هذه السنة فكتب عمرو إليه معاوى إن تدرككك نفس شحيحة || فما مصر إلاكالهباءة فى الترب و مانلتها عفوا ولكن شرطتها || و قددارت الحرب العوان على قطب و لو لادفاعى الأشعرى ورهطه || لألفيتها ترغو كراغية السقب . ثم كتب فى ظاهر الكتاب ورأيت أنا هذه الأبيات بخط أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى رحمه الله معاوى حظى لاتغفل || و عن سنن الحق لاتعدل أتنسى مخادعتى الأشعرى || و ما كان فى دومة الجندل ألين فيطمع فى غرتى || وسهمى قدخاض فى المقتل فألمظه عسلا باردا || وأخبأ من تحته حنظلى وأعليته المنبر المشمخر || كرجع الحسام إلى المفصل [صفحه ۵۷] فأضحى لصاحبه خالعا || كخلع النعال من الأرجل وأثبتها فيك موروثة || ثبوت الخواتم فى الأنمل وهبت لغيرى وزن الجبال || وأعطيتنى زنة الخردل و إن عليا غدا خصمنا || سيحتج بالله والمرسل و مادم عثمان منج لنا || فليس عن الحق من مزحل فلما بلغ الجواب إلى معاوية لم يعاوده فى شىء من أمر مصر بعدها.بعث عبدالملك روح بن زنباع وبلال بن أبى بردة بن أبى موسى إلى زفر بن الحارث الكلابى بكلام وحذرهما من كيده وخص بالتحذير روحا فقال يا أمير المؤمنين إن أباه كان المخدوع يوم دومة الجندل لا أبى فعلام تخوفنى الخداع والكيد فغضب بلال وضحك عبدالملك [صفحه ۵۸]

۱۷۹– و من خطبة له ع

لَا يَشغَلُهُ شَأنٌ وَ لَا يُغَيّرُهُ زَمَانٌ وَ لَا يَحوِيهِ مَكَانٌ وَ لَا يَصِفُهُ لِسَانٌ لَا يَعزُبُ عَنهُ عَدَدُ قَطرِ المَاءِ وَ لَا نُجُومِ السّمَاءِ وَ لَا سوَاَفيِ الرّيحِ فِي الهَوَاءِ وَ لَا دَبِيبُ النّملِ عَلَى الصّفَا وَ لَا مَقِيلُ الذّرّ فِي اللّيلَةِ الظّلمَاءِ يَعلَمُ مَسَاقِطَ الأَورَاقِ وَ خفَيِّ طَرفِ الأَحدَاقِ وَ أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ غَيرَ مَعدُولٍ بِهِ وَ لَا مَشكُوكٍ فِيهِ وَ لَا مَكفُورٍ دِينُهُ وَ لَا مَجحُودٍ تَكوِينُهُ شَهَادَةَ مَن صَدَقَت نِيّتُهُ وَ صَفَت دِخلَتُهُ وَ خَلَصَ يَقِينُهُ وَ ثَقُلَت مَوَازِينُهُ وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ المُجتَبَى مِن خَلَائِقِهِ وَ المُعتَامُ لِشَرحِ حَقَائِقِهِ وَ المُختَصّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ وَ المُصطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ وَ المُوَضّحَةُ بِهِ أَشرَاطُ الهُدَى وَ المَجلُوّ بِهِ غِربِيبُ العَمَى لايشغله أمر لأن الحى ألذى تشغله الأشياء هوالحى العالم بالبعض دون البعض والقادر على البعض دون البعض فأما من لايغيب عنه شىءأصلا و لايعجز عن شىءأصلا و لايمنعه من إيجاد مقدوره إذاأراد مانع أصلا فكيف يشغله شأن . وكذلك لايغيره زمان لأنه واجب الوجود و لايحويه مكان لأنه ليس بجسم [صفحه ۵۹] و لايصفه لسان لأن كنه ذاته غيرمعلوم وإنما المعلوم منه إضافات أوسلوب . و لايعزب عنه أمر من

الأمور أى لايفوته علم شيءأصلا. والسوافى التى تسفى التراب أى تذروه . والصفا مقصور الصخر الأملس و لاوقف عليها هاهنا لأن المقصور لا يكون فى مقابلة الممدود وإنما الفقرة المقابلة للهواء هى الظلماء و يكون الصفا فى أدراج الكلام أسوة بكلمة من الكلمات والذر صغار النمل . ويعلم مساقط الأوراق من قوله تعالى وَ ما تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا يَعلَمُها. وطرف الأحداق مصدر طرف البصر يطرف طرفا إذاانطبق أحد الجفنين على الآخر ولكونه مصدرا وقع على الجماعة كماوقع على الواحد فقال ع طرف الأحداق كما قال سبحانه لا يَرتَدّ إِلَيهِم طَرفُهُم. و غيرمعدول به غيرمسوى بينه و بين أحد. والدخلة بكسر الدال باطن الأمر ويجوز الدخلة بالضم . والمعتام المختار والعيمة بالكسر خيار المال اعتام الرجل إذاأخذ العيمة. فإن قلت لفظة معتام ومختار تصلح للفاعل والمفعول فما ذا يفصل بينهما. قلت بما يقترن باللفظ من الكلام قبله وبعده . فإن قلت فهل يختلفان فى التقدير فى صناعة النحو و إن اتفقا فى اللفظ. قلت نعم فإن عين الكلمة ياء مفتوح ماقبلها فإن أردت الفاعل فهى مكسورة وتقديره مختير مثل مخترع و إن كان مفعولا فهى مفتوحة -قرآن-٤١٦-٤٥٧-قرآن-٦٢٢-٦٤٩ [صفحه ٦٠] وتقديره مختير مثل مخترع و على كلا التقديرين لابد من انقلاب الياء ألفا واللفظ واحد ولكن يقدر على الألف كسرة للفاعل وفتحة للمفعول وكذلك القول فى معتام ومضطر ونحوهما. وحكى أن بعض المتكلمين من المجبرة قال أسمى العبد مضطرا إلى الفعل إذافعله و لاأسمى الله تعالى مضطرا إليه .قيل فكيف تقول قال مضطر بكسر الطاء فضحك أهل المجلس منه . والعقائل جمع عقيلة وهى كريمة كل شيء من الناس والإبل و غير ذلك ويقال للذرة عقيلة البحر. وأشراط الهدى علاماته و منه أشراط الساعة قال تعالى فَقَد جاءَ أَشراطُها. والغربيب الأسود الشديد السواد ويجلى به غربيب العمى تكشف به ظلم الضلال وتستنير بهدايته و قوله تعالى وَ غَرابِيبُ سُودٌ ليس على أن الصفة قدتقدمت على الموصوف بل يجعل السود بدلا من الغرابيب . فإن قلت الهاء فى حقائقه إلى ماذا ترجع . قلت إلى البارئ سبحانه وحقائقه حقائق توحيده وعدله فالمضاف محذوف ومعنى حقائق توحيده الأمور المحققة اليقينية التى لاتعتريها الشكوك و لاتتخالجها الشبه وهى أدلة أصحابنا المعتزلة التى استنبطوها بعقولهم بعد أن دلهم إليها ونبههم على طرق استنباطها رسول الله ص بواسطة أمير المؤمنين ع لأنه إمام المتكلمين ألذى لم يعرف علم الكلام من أحد قبله -قرآن-٥٠٠-٥١٩-قرآن-٦٣٠-٦٤٧ [صفحه ٦١] أَيّهَا النّاسُ إِنّ الدّنيَا تَغُرّ المُؤَمّلَ لَهَا وَ المُخلِدَ إِلَيهَا وَ لَا تَنفَسُ بِمَن نَافَسَ فِيهَا وَ تَغلِبُ مَن غَلَبَ عَلَيهَا وَ ايمُ اللّهِ مَا كَانَ قَومٌ قَطّ فِي غَضّ نِعمَةٍ مِن عَيشٍ فَزَالَ عَنهُم إِلّا بِذُنُوبٍ اجتَرَحُوهَا لِأَنّ اللّهَ لَيسَ بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ وَ لَو أَنّ النّاسَ حِينَ تَنزِلُ بِهِمُ النّقَمُ وَ تَزُولَ عَنهُمُ النّعَمُ فَزِعُوا إِلَى رَبّهِم بِصِدقٍ مِن نِيّاتِهِم وَ وَلَهٍ مِن قُلُوبِهِم لَرَدّ عَلَيهِم كُلّ شَارِدٍ وَ أَصلَحَ لَهُم كُلّ فَاسِدٍ وَ إِنّي لَأَخشَى عَلَيكُم أَن تَكُونُوا فِي فَترَةٍ وَ قَد كَانَت أُمُورٌ مَضَت مِلتُم فِيهَا مَيلَةً كُنتُم فِيهَا عِندِي غَيرَ مَحمُودِينَ وَ لَئِن رُدّ عَلَيكُم أَمرُكُم إِنّكُم لَسُعَدَاءُ وَ مَا عَلَيّ إِلّا الجُهدُ وَ لَو أَشَاءُ أَن أَقُولَ لَقُلتُ عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَفَ المخلد المائل إليها قال تعالى وَ لكِنّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ. و لاتنفس بمن نافس فيها لاتضن به أى من نافس فى الدنيا فإن الدنيا تهينه و لاتضن به كمايضن بالعلق النفيس . ثم قال وتغلب من غلب عليها أى من غلب على الدنيا مقاهرة فسوف تغلبه الدنيا وتهلكه . ثم أقسم أنه ما كان قوم فى غض نعمة أى فى نعمة غضة أى طرية ناضرة فزالت عنهم -قرآن-٣٣-٦٤ [صفحه ٦٢] إلابذنوب اجترحوها أى اكتسبوها و هذايكاد يشعر بمذهب أهل التناسخ و من قال إن الألم لايحسن أن يفعله الحكيم سبحانه و تعالى بالحيوانات إلامستحقا فأما مذهب أصحابنا فلايتخرج هذاالكلام عليه لأنه يجوز عندهم أن تزول النعم عن الناس لضرب من اللطف مضاف إلى عوض يعوضهم الله تعالى به فى الآخرة فيجب أن يحمل هذاالكلام لا على عمومه بل على الأكثر والأغلب . ثم قال ع لو أن الناس عندحلول النقم بهم وزوال النعم عنهم يلتجئون إلى الله تعالى تائبين من ذنوبهم لرفع عنهم النقمة وأعاد إليهم النعمة. والوله كالتحير يحدث عندالخوف أوالوجد والشارد الذاهب . قوله وإنى لأخشى عليكم أن تكونوا فى فترة أى فى أمر جاهلية لغلبة الضلال والجهل على الأكثرين منهم . و هذه خطبة خطب بها ع بعدقتل عثمان فى أول خلافته ع و قدتقدم ذكر بعضها

والأمور التى مالوا فيها عليه اختيارهم عثمان وعدولهم عنه يوم الشورى . و قال لئن رد عليكم أمركم أى أحوالكم التى كانت أيام رسول الله ص من صلاح القلوب والنيات إنكم سعداء. والجهد بالضم الطاقة. ثم قال لوأشاء أن أقول لقلت أى لوشئت لذكرت سبب التحامل على وتأخرى عن غيرى ولكنى لاأشاء ذلك و لاأستصلح ذكره . [صفحه ۶۳] ثم قال عفا الله عما سلف لفظ مأخوذ من الكتاب العزيزعَفَا اللّهُ عَمّا سَلَفَ وَ مَن عادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنهُ وَ اللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقام. و هذاالكلام يدل على مذهب أصحابنا فى أن ماجرى من عبدالرحمن وغيره فى يوم الشورى و إن كان لم يقع على الوجه الأفضل فإنه معفو عنه مغفور لفاعله لأنه لو كان فسقا غيرمغفور لم يقل أمير المؤمنين ع عفا الله عما سلف -قرآن-۵۵-۱۴۷ [صفحه ۶۴]

۱۸۰– و من كلام له ع

وَ قَد سَأَلَهُ ذِعلِبُ اليمَانَيِّ فَقَالَ هَل رَأَيتَ رَبّكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَقَالَ ع أَ فَأَعبُدُ مَا لَا أَرَى فَقَالَ وَ كَيفَ تَرَاهُ قَالَ لَا تُدرِكُهُ العُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ العِيَانِ وَ لَكِن تُدرِكُهُ القُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ قَرِيبٌ مِنَ الأَشيَاءِ غَيرَ مُلَامِسٍ بَعِيدٌ مِنهَا غَيرَ مُبَايِنٍ مُتَكَلّمٌ بِلَا رَوِيّةٍ مَرِيدٌ لَا بِهِمّةٍ صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالخَفَاءِ كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالجَفَاءِ بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالحَاسّةِ رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرّقّةِ تَعنُو الوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ وَ تَجِبُ القُلُوبُ مِن مَخَافَتِهِ الذعلب فى الأصل الناقة السريعة وكذلك الذعلبة ثم نقل فسمى به إنسان وصار علما كمانقلوا بكرا عن فتى الإبل إلى بكر بن وائل . واليمانى مخفف الياء و لايجوز تشديدها جعلوا الألف عوضا عن الياء الثانية وكذلك فعلوا فى الشامى والأصل يمنى وشامى. و قوله ع أفأعبد ما لاأرى مقام رفيع جدا لايصلح أن يقوله غيره ع . [صفحه ۶۵] ثم ذكر ماهية هذه الرؤية قال إنها رؤية البصيرة لارؤية البصر. ثم شرح ذلك فقال إنه تعالى قريب من الأشياء غيرملامس لها لأنه ليس بجسم وإنما قربه منها علمه بها كما قال تعالى ما يَكُونُ مِن نَجوى ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُم. قوله بعيد منها غيرمباين لأنه أيضا ليس بجسم فلايطلق عليه البينونة وبعده منها هوعبارة عن انتفاء اجتماعه معها و ذلك كمايصدق على البعيد بالوضع يصدق أفضل الصدق على البعيد بالذات ألذى لايصح الوضع والأين أصلا عليه . قوله متكلم بلا روية الروية الفكرة يرتئى الإنسان بهاليصدر عنه ألفاظ سديدة دالة على مقصده والبارئ تعالى متكلم لابهذا الاعتبار بل لأنه إذاأراد تعريف خلقه من جهة الحروف والأصوات و كان فى ذلك مصلحة ولطف لهم خلق الأصوات والحروف فى جسم جمادى فيسمعها من يسمعها و يكون ذلك كلامه لأن المتكلم فى اللغة العربية فاعل الكلام لا من حله الكلام و قدشرحنا هذا فى كتبنا الكلامية. قوله مريد بلا همة أى بلاعزم فالعزم عبارة عن إرادة متقدمة للفعل تفعل توطينا للنفس على الفعل وتمهيدا للإرادة المقارنة له وإنما يصح ذلك على الجسم ألذى يتردد فيهاتدعوه إليه الدواعى فأما العالم لذاته فلايصح ذلك فيه . قوله صانع لابجارحة أى لابعضو لأنه ليس بجسم . قوله لطيف لايوصف بالخفاء لأن العرب إذاقالوا لشىء إنه لطيف أرادوا أنه صغير الحجم والبارئ تعالى لطيف لابهذا الاعتبار بل يطلق باعتبارين -قرآن-۱۸۰-۲۲۹ [صفحه ۶۶] أحدهما أنه لايرى لعدم صحة رؤية ذاته فلما شابه اللطيف من الأجسام فى استحالة رؤيته أطلق عليه لفظ اللطيف إطلاقا للفظ السبب على المسبب . وثانيهما أنه لطيف بعباده كما قال فى الكتاب العزيز أى يفعل الألطاف المقربة لهم من الطاعة المبعدة لهم من القبيح أولطيف بهم بمعنى أنه يرحمهم ويرفق بهم . قوله كبير لايوصف بالجفاء لما كان لفظ كبير إذااستعمل فى الجسم أفاد تباعد أقطاره ثم لماوصف البارئ بأنه كبير أراد أن ينزهه عما يدل لفظ كبير عليه إذااستعمل فى الأجسام والمراد من وصفه تعالى بأنه كبير عظمة شأنه وجلالة سلطانه . قوله بصير لايوصف بالحاسة لأنه تعالى يدرك إما لأنه حى لذاته أو أن يكون إدراكه هوعلمه و لاجارحة له و لاحاسة على كل واحد من القولين . قوله رحيم لايوصف بالرقة لأن لفظة الرحمة فى صفاته تعالى تطلق مجازا على إنعامه على عباده لأن الملك إذارق

على رعيته وعطف أصابهم بإنعامه ومعروفه . قوله تعنو الوجوه أى تخضع قال تعالى وَ عَنَتِ الوُجُوهُ لِلحيَّ القَيّومِ. قوله وتجب القلوب أى تخفق وأصله من وجب الحائط سقط ويروى توجل القلوب أى تخاف وجل خاف . وروى صانع لابحاسة وروى لاتراه العيون بمشاهدة العيان عوضا عن لاتدركه -قرآن-٨٨٣-٩٢٠ [صفحه ٦٧]

١٨١- و من كلام له ع فى ذم أصحابه

أَحمَدُ اللّهَ عَلَى مَا قَضَى مِن أَمرٍ وَ قَدّرَ مِن فِعلٍ وَ عَلَى ابتِلَائِي بِكُم أَيّتُهَا الفِرقَةُ التّيِ إِذَا أَمَرتُ لَم تُطِع وَ إِذَا دَعَوتُ لَم تُجِب إِن أُهمِلتُم خُضتُم وَ إِن حُورِبتُم خُرتُم وَ إِنِ اجتَمَعَ النّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنتُم وَ إِن أُجِئتُم إِلَى مُشَاقّةٍ نَكَصتُم. لَا أَبَا لِغَيرِكُم مَا تَنتَظِرُونَ بِنَصرِكُم وَ الجِهَادِ عَلَى حَقّكُم المَوتَ أَوِ الذّلّ لَكُم فَوَاللّهِ لَئِن جَاءَ يَومِي وَ لَيَأتِيَنّي لَيُفَرّقَنّ بيَنيِ وَ بَينِكُم وَ أَنَا لِصُحبَتِكُم قَالٍ وَ بِكُم غَيرُ كَثِيرٍ لِلّهِ أَنتُم أَ مَا دِينٌ يَجمَعُكُم وَ لَا حَمِيّةٌ تَشحَذُكُم أَ وَ لَيسَ عَجَباً أَنّ مُعَاوِيَةَ يَدعُو الجُفَاةَ الطّغَامَ فَيَتّبِعُونَهُ عَلَى غَيرِ مَعُونَةٍ وَ لَا عَطَاءٍ وَ أَنَا أَدعُوكُم وَ أَنتُم تَرِيكَةُ الإِسلَامِ وَ بَقِيّةُ النّاسِ إِلَى المَعُونَةِ أَو طَائِفَةٍ مِنَ العَطَاءِ فَتَتَفَرّقُونَ عنَيّ وَ تَختَلِفُونَ عَلَيّ إِنّهُ لَا يَخرُجُ إِلَيكُم مِن أمَريِ رِضًا فَتَرضَونَهُ وَ لَا سُخطٌ فَتَجتَمِعُونَ عَلَيهِ وَ إِنّ أَحَبّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيّ المَوتُ قَد دَارَستُكُمُ الكِتَابَ وَ فَاتَحتُكُمُ الحِجَاجَ وَ عَرّفتُكُم مَا أَنكَرتُم وَ سَوّغتُكُم مَا مَجَجتُم لَو كَانَ الأَعمَى يَلحَظُ أَوِ النّائِمُ يَستَيقِظُ [صفحه ٦٨] وَ أَقرِب بِقَومٍ مِنَ الجَهلِ بِاللّهِ قَائِدُهُم مُعَاوِيَةُ وَ مُؤَدّبُهُمُ ابنُ النّابِغَةِ قضى وقدر فى هذاالموضع واحد. ويروى على ماابتلانى. وأهملتم خليتم وتركتم ويروى أمهلتم أى أخرتم . وخرتم ضعفتم والخور الضعف رجل خوار ورمح خوار وأرض خوارة والجمع خور ويجوز أن يكون خرتم أى صحتم كمايخور الثور و منه قوله تعالى عِجلًا جَسَداً لَهُ خُوارٌ ويروى جرتم أى عدلتم عن الحرب فرارا. وأجئتم ألجئتم قال تعالى فَأَجاءَهَا المَخاضُ إِلي جِذعِ النّخلَةِ. والمشاقة المقاطعة والمصارمة. ونكصتم أحجمتم قال تعالى فَلَمّا تَراءَتِ الفِئَتانِ نَكَصَ عَلي عَقِبَيهِ أى رجع محجما أى دعيتم إلى كشف القناع مع العدو وجبنتم وهبتموه . قوله لا- أبالغيركم الأفصح لاأب بحذف الألف كما قال الشاعر -قرآن-٢٤١-٢٦٦-قرآن-٣٣٥-٣٧٥-قرآن-٤٣٤-٤٨٢ أبى الإسلام لا-أب لى سواه || إذاافتخروا بقيس أوتميم . و أماقولهم لا أبا لك بإثباته فدون الأول فى الفصاحة كأنهم قصدوا الإضافة وأقحموا اللام مزيدة مؤكدة كماقالوا ياتيم تيم عدى و هوغريب لأن حكم [صفحه ٦٩] لا- أن تعمل فى النكرة فقط وحكم الألف أن تثبت مع الإضافة والإضافة تعرف فاجتمع فيهاحكمان متنافيان فصار من الشواذ كالملامح والمذاكير ولدن غدوة. و قال الشيخ أبوالبقاء رحمه الله يجوز فيهاوجهان آخران .أحدهما أنه أشبع فتحة الباء فنشأت الألف والاسم باق على تنكيره والثانى أن يكون استعمل أبا على لغة من قالها أبا فى جميع أحوالها مثل عصا و منه إن أباها و أباأباها . قوله الموت أوالذل لكم دعاء عليهم بأن يصيبهم أحد الأمرين كأنه شرع داعيا عليهم بالفناء الكلى و هوالموت ثم استدرك فقال أوالذل لأنه نظير الموت فى المعنى ولكنه فى الصورة دونه ولقد أجيب دعاؤه ع بالدعوة الثانية فإن شيعته ذلوا بعد فى الأيام الأموية حتى كانوا كفقع قرقر. ثم أقسم أنه إذاجاء يومه لتكونن مفارقته لهم عن قلى و هوالبغض وأدخل حشوة بين أثناء الكلام وهى ليأتينى وهى حشوة لطيفة لأن لفظة إن أكثر ماتستعمل لما لايعلم حصوله ولفظة إذا لمايعلم أويغلب على الظن حصوله تقول إذاطلعت الشمس جئت إليك و لا-تقول إن طلعت الشمس جئت إليك وتقول إذااحمر البسر جئتك و لاتقول إن احمر البسر جئتك فلما قال لئن جاء يومى أتى بلفظة دالة على أن الموضع موضع إذا لاموضع إن فقال وليأتينى. [صفحه ٧٠] والواو فى قوله و أنالصحبتكم واو الحال وكذلك الواو فى قوله وبكم غيركثير و قوله غيركثير لفظ فصيح و قال الشاعر لى خمسون صديقا || بين قاض و أمير لبسوا الوفر فلم || أخلع بهم ثوب النفير لكثير هم ولكنى || بهم غيركثير . قوله لله أنتم لله فى موضع رفع لأنه خبر عن المبتدإ ألذى هوأنتم ومثله لله در فلان ولله بلاد فلان ولله

أبوك واللام هاهنا فيهامعنى التعجب والمراد بقوله لله أنتم لله سعيكم أولله عملكم كماقالوا لله درك أى عملك فحذف المضاف وأقيم الضمير المنفصل المضاف إليه مقامه . فإن قلت أفجاءت هذه اللام بمعنى التعجب فى غيرلفظ لله قلت لا كما أن تاء القسم لم تأت إلا فى اسم الله تعالى . قوله ع أ مادين يجمعكم ارتفاع دين على أنه فاعل فعل مقدر له أى أ مايجمعكم دين يجمعكم اللفظ الثانى مفسر للأول كماقدرناه بعد إذا فى قوله سبحانه إِذَا السَّماءُ انشَقَّت ويجوز أن يكون حمية مبتدأ والخبر محذوف تقديره أ مالكم حمية والحمية الأنفة. وشحذت النصل أحددته . فإن قلت كيف قال إن معاوية لم يكن يعطى جنده وإنه هو ع كان يعطيهم والمشهور أن معاوية كان يمد أصحابه بالأموال والرغائب قلت إن معاوية لم يكن يعطى جنده على وجه المعونة والعطاء وإنما كان يعطى رؤساء القبائل من اليمن وساكنى الشام الأموال الجليلة يستعبدهم بها ويدعو أولئك -قرآن-٥٧١-٥٩٢ [صفحه ٧١] الرؤساء أتباعهم من العرب فيطيعونهم فمنهم من يطيعهم حمية ومنهم من يطيعهم لأياد وعوارف من أولئك الرؤساء عندهم ومنهم من يطيعهم دينا زعموا للطلب بدم عثمان و لم يكن يصل إلى هؤلاء الأتباع من أموال معاوية قليل و لا كثير. و أما أمير المؤمنين ع فإنه كان يقسم بين الرؤساء والأتباع على وجه العطاء والرزق و لايرى لشريف على مشروف فضلا فكان من يقعد عنه بهذا الطريق أكثر ممن ينصره ويقوم بأمره و ذلك لأن الرؤساء من أصحابه كانوا يجدون فى أنفسهم من ذلك أعنى المساواة بينهم و بين الأتباع فيخذلونه ع باطنا و إن أظهروا له النصر و إذاأحس أتباعهم بتخاذلهم وتواكلهم تخاذلوا أيضا وتواكلوا أيضا و لم يجد عليه ص ماأعطى الأتباع من الرزق لأن انتصار الأتباع له وقتالهم دونه لايتصور وقوعه والرؤساء متخاذلون فكان يذهب مايرزقهم ضياعا. فإن قلت فأى فرق بين المعونة والعطاء. قلت المعونة إلى الجند شيءيسير من المال برسم ترميم أسلحتهم وإصلاح دوابهم و يكون ذلك خارجا عن العطاء المفروض شهرا فشهرا والعطاء المفروض شهرا فشهرا يكون شيئا له مقدار يصرف فى أثمان الأقوات ومئونة العيال وقضاء الديون . والتريكة بيضة النعام تتركها فى مجثمها يقول أنتم خلف الإسلام وبقيته كالبيضة التى تتركها النعامة. فإن قلت مامعنى قوله لايخرج إليكم من أمرى رضا فترضونه و لاسخط فتجتمعون عليه قلت معناه أنكم لاتقبلون مما أقول لكم شيئا سواء كان مما يرضيكم أومما يسخطكم بل لابد لكم من المخالفة والافتراق عنه [صفحه ٧٢] ثم ذكر أن أحب الأشياء إليه أن يلقى الموت و هذه الحال التى ذكرها أبوالطيب فقال كفى بك داء أن ترى الموت شافيا || وحسب المنايا أن تكن أمانيا تمنيتها لماتمنيت أن ترى || صديقا فأعيا أوعدوا مداجيا . قوله قددارستكم الكتاب أى درسته عليكم دارست الكتب وتدارستها وأدرستها ودرستها بمعنى وهى من الألفاظ القرآنية. وفاتحتكم الحجاج أى حاكمتكم بالمحاجة والمجادلة و قوله تعالى رَبَّنَا افتَح بَينَنا أى احكم والفتاح الحاكم . وعرفتكم ماأنكرتم بصرتكم ماعمى عنكم . وسوغتكم مامججتم يقال مججت الشراب من فمى أى رميت به وشيخ ماج يمج ريقه و لايستطيع حبسه من كبره وأحمق ماج أى يسيل لعابه يقول ماكانت عقولكم وأذهانكم تنفر عنه من الأمور الدينية أوضحته لكم حتى عرفتموه واعتقدتموه وانطوت قلوبكم عليه و لم يجزم ع بحصول ذلك لهم لأنه قال لو كان الأعمى يلحظ والنائم يستيقظ أى إنى قدفعلت معكم مايقتضى حصول الاعتقادات الحقيقية فى أذهانكم لوأزلتم عن قلوبكم مايمنع من حصولها لكم والمانع المشار إليه هوالهوى والعصبية والإصرار على اللجاج ومحبة نصرة عقيدة قدسبقت إلى القلب وزرعها التعصب -قرآن-١٨٢-٢٠٢ [صفحه ٧٣] ومشقة مفارقة الأسلاف الذين قدانغرس فى النفس تعظيمهم ومالت القلوب إلى تقليدهم لحسن الظن بهم . ثم قال أقرب بقوم أى ماأقربهم من الجهل كما قال تعالى أَسمِع بِهِم وَ أَبصِر أى ماأسمعهم وأبصرهم . فإن قلت قد كان يجب أن يقول وأقرب بقوم قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة من الجهل فلايحول بين النكرة الموصوفة وصفتها بفاصل غريب و لم يقل ذلك بل فصل بين الصفة والموصوف بأجنبى منهما. قلت قدجاء كثير من ذلك نحو قوله تعالى وَ مِمّن حَولَكُم مِنَ الأَعرابِ مُنافِقُونَ وَ مِن أَهلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النّفاقِ فى قول من لم يجعل مردوا صفة أقيمت مقام الموصوف لأنه يجعل مردوا صفة القوم المحذوفين

المقـدرين بعـدالأعراب و قـدحال بين ذلك و بين مردوا قوله وَ مِن أَهلِ المَدِينَةِ. ونحوه قوله أَنزَلَ عَلى عَبدِهِ الكِتابَ وَ لَم يَجعَل لَهُ عِوَجاً قَيِّماً. فإن قيما حال من الكتاب و قـدتوسط بين الحال وذى الحال وَ لَم يَجعَل لَهُ عِوَجاً والحال كالصـفة ولأنهم قدأجازوا مررت برجـل أيهـا الناس طويل والنـداء أجنبى على أنا لانسـلم أن قوله من الجهل أجنبى لأنه متعلق بأقرب والأجنبى ما لاتعلق له بالكلام -قرآن-١٦۴-١٨۵-قرآن-۴۴٩-۵۴١-قرآن-۶٩۴-٧١٧-قرآن-٧٣٢-٧٩۵-قرآن-٨۵۴-٨٧٩ [صفحه ٧۴]

۱۸۲- و من كلام له ع

وَ قَد أَرسَلَ رَجُلًا مِن أَصـحَابِهِ يَعلَمُ لَهُ عِلمَ أَحوَالِ قَوم مِن جُنـدِ الكُوفَةِ قَد هَمّوا بِاللّحَاقِ بِالخَوَارِجِ وَ كَانُوا عَلَى خَوفٍ مِنهُ ع فَلَمّا عَادَ إِلَيهِ الرّجُلُ قَالَ لَهُ أَ أَمِنُوا فَقَطَنُوا أَم جَبُنُوا فَظَعَنُوا فَقَالَ الرّجُلُ بَل ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَقَالَ ع بُعـداً لَهُم كَمَا بَعِدَت ثَمُودُ أَمَا لَو أُشرِعَتِ الأَسِنّةُ إِلَيهِم وَ صُبّتِ السّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِم لَقَد نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنهُم إِنّ الشّيطَانَ اليَومَ قَدِ استَفَلّهُم وَ هُوَ غَداً مُتَبَرّئٌ مِنهُم وَ مُتَخَلّ عَنهُم فَحَسبُهُم مِنَ الهُدَى وَ ارتِكَاسِـهِم فِي الضّـلَالِ وَ العَمَى وَ صَدّهِم عَنِ الحَقّ وَ جِمَاحِهِم فِي التّيهِ قدذكرنا قصـة هؤلاـء القوم فيمـا تقـدم عندشـرحنا قصـة مصـقلة بن هبيرة الشـيبانى وقطن الرجل بالمكان يقطن بالضم أقام به وتوطنه فهو قاطن والجمع قطـان وقاطنـة وقطين أيضـا مثـل غـاز وغزى وعازب للكلأ البعيـد وعزيب . وظعن صار الرجل ظعنا وظعنا وقرئ بهمايَومَ ظَعنِكُم وأظعنـه سـيره وانتصـب بعـدا على المصـدر. -قرآن-٢۵١-٢۶۴ [صـفحه ٧۵] وثمـود إذاأردت القبيلـة غيرمصـروف و إذاأردت الحى أواسم الأـب مصروف ويقـال إنه ثمود بن عابر بن آدم بن سام بن نوح قيل سـميت ثمود لقلـة مائها من الثمـد و هوالماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادى القرى . وأشـرعت الرمـح إلى زيـد أى سددته نحوه وشـرع الرمـح نفسه وصـبت السـيوف على هامـاتهم اسـتعارة من صـببت المـاء شـبه وقع السـيوف وسـرعة اعتوارها الرءوس بصب الماء. واسـتفلهم الشيطان وجدهم مفلولين فاستزلهم هكذا فسروه . ويمكن عندى أن يريد أنه وجدهم فلا لاخير فيهم والفل فى الأصل الأرض لانبات بهالأنها لم تمطر قال حسان يصف العزى و إن التى بالجـذع من بطن نخلة || و من دانها فل من الخير معزل . أى خـال من الخير. ويروى اسـتفزهم أى اسـتخفهم . والارتكـاس فى الضـلال الرجوع كـأنه جعلهم فى ترددهم فى طبقـات الضـلال كالمرتكس الراجع إلى أمر قد كان تخلص منه . والجماح فى التيه الغلو والإفراط مسـتعار من جماح الفرس و هو أن يعتز صاحبه ويغلبه جمح فهو جموح [صفحه ٧۶]

۱۸۳- و من خطبة له ع

اشاره

روُيَ عَن نَوفٍ البِكَالِيّ قَالَ خَطَبَنَا بِهَذِهِ الخُطبَةِ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عَلِيّ ع بِالكُوفَةِ وَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعـدَةُ بنُ هُبَيرَةَ المَخزُومِيّ وَ عَلَيهِ مِدرَعَـةٌ مِن صُوفٍ وَ حَمَائِـلُ سَيفِهِ لِيفٌ وَ فِي رِجلَيهِ نَعلَانِ مِن لِيفٍ وَ كَأَنّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ فَقَالَ ع الحَمـدُ لِلّهِ ألّذِي إِلَيهِ مَصَائِرُ الخَلقِ وَ عَوَاقِبُ الأَمرِ نَحمَـدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحسَانِهِ وَ نَيّرِ بُرهَانِهِ وَ نوَاَمِي فَضـلِهِ وَ امتِنَانِهِ حَمداً يَكُونُ لِحَقّهِ قَضَاءً وَ لِشُـكرِهِ أَدَاءً وَ إِلَى ثَوَابِهِ مُقَرّباً وَ لِحُسنِ مَزِيـدِهِ مُوجِباً وَ نَسـتَعِينُ بِهِ استِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضـلِهِ مُؤَمّلٍ لِنَفعِهِ وَاثِقٍ بِدَفعِهِ مُعتَرِفٍ لَهُ بِالطّولِ مُذعِنٍ لَهُ بِالعَمَلِ وَ القَولِ وَ نُؤمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَن رَجَاهُ مُوقِناً وَ أَنَابَ إِلَيهِ مُؤمِناً وَ خَنَعَ لَهُ مُذعِناً وَ أَخلَصَ لَهُ مُوَحّداً وَ عَظّمَهُ مُمَجّداً وَ لَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجتَهِداً

نوف البكالى

قال الجوهرى فى الصحاح نوف البكالى بفتح الباء كان حاجب على ع ثم قال و قال ثعلب هومنسوب إلى بكالة قبيلة. [صفحه ۷۷] و قال القطب الراوندى فى شرح نهج البلاغة بكال وبكيل شيءواحد و هواسم حى من همدان وبكيل أكثر قال الكميت فقد شركت فيه بكيل وأرحب . والصواب غير ماقالاه وإنما بنو بكال بكسر الباء حى من حمير منهم هذاالشخص هونوف بن فضالة صاحب على ع والرواية الصحيحة الكسر لأن نوف بن فضالة بكالى بالكسر من حمير و قدذكر ابن الكلبى نسب بنى بكال الحميريين فقال هوبكال بن دعمى بن غوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير

نسب جعدة بن هبيرة

و أماجعدة بن هبيرة فهو ابن أخت أمير المؤمنين ع أمه أم هانئ بنت أبى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم وأبوه هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب و كان جعدة فارسا شجاعا فقيها وولى خراسان لأمير المؤمنين ع و هو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله ص يوم الفتح مع أمه أم هانئ بنت أبى طالب وهرب أبوهبيرة بن أبى وهب ذلك اليوم هو و عبد الله بن الزبعرى إلى نجران . [صفحه ۷۸] وروى أهل الحديث أن أم هانئ كانت يوم الفتح فى بيتها فدخل عليها هبيرة بن أبى وهب بعلها و رجل من بنى عمه هاربين من على ع و هويتبعهما وبيده السيف فقامت أم هانئ فى وجهه دونهما وقالت ماتريده منهما و لم تكن رأته من ثمانى سنين فدفع فى صدرها فلم تزل عن موضعها وقالت أتدخل يا على بيتى وتهتك حرمتى وتقتل بعلى و لاتستحيى منى بعدثمانى سنين فقال إن رسول الله ص أهدر دمهما فلابد أن أقتلهما فقبضت على يده التى فيهاالسيف فدخلا بيتا ثم خرجا منه إلى غيره ففاتاه وجاءت أم هانئ إلى رسول الله ص فوجدته يغتسل من جفنة فيهاأثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبها فوقفت حتى أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف فقال مرحبا وأهلا بأم هانئ ماجاء بك فأخبرته خبر بعلها و ابن عمه ودخول على ع بيتها بالسيف فجاء على ع و رسول الله ص يضحك فقال له ماصنعت بأم هانئ فقال سلها يا رسول الله ماصنعت بى و ألذى بعثك بالحق لقد قبضت على يدى و فيهاالسيف فما استطعت أن أخلصها إلا بعدلأى وفاتنى الرجلان فقال ص لوولد أبوطالب الناس كلهم لكانوا شجعانا قدأجرنا من أجارت أم هانئ وأمنا من أمنت فلاسبيل لك عليهما -روايت-۱-۵۹۱ .فأما هبيرة فلم يرجع و أما الرجل الآخر فرجع فلم يعرض له .قالوا وأقام هبيرة بن أبى وهب بنجران حتى مات بهاكافرا وروى له محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى شعرا أوله أشاقتك هند أم أتاك سؤالها || كذاك النوى أسبابها وانفتالها .يذكر فيه أم هانئ وإسلامها و أنه مهاجر لها إذ صبت إلى الإسلام و من جملته [صفحه ۷۹] فإن كنت قدتابعت دين محمد || وقطعت الأرحام منك حبالها فكونى على أعلى سحوق بهضبة || ململمة غبراء يبس قلالها . و قال ابن عبدالبر فى كتاب الاستيعاب ولدت أم هانئ لهبيرة بن أبى وهب بنين أربعة جعدة وعمرا وهانئا ويوسف و قال وجعدة ألذى يقول أبى من بنى مخزوم إن كنت سائلا || و من هاشم أمى لخير قبيل فمن ذا ألذى ينأى على بخاله || كخالى على ذى الندى وعقيل .المدرعة الجبة وتدرع لبسها وربما قالوا تمدرع . وثفنة البعير واحدة ثفناته و هو مايقع على الأرض من أعضائه إذااستناخ فيغلظ ويكثف كالركبتين وغيرهما ويقال ذو الثفنات الثلاثة لعلى بن الحسين و على بن عبد الله بن العباس ع ولعبد الله بن وهب الراسبى رئيس الخوارج لأن طول السجود كان قدأثر فى ثفناتهم قال دعبل [صفحه

۸۰] دیار علی و الحسین و جعفر || وحمزۀ والسجاد ذی الثفنات ومصائر الأمور جمع مصیر و هومصدر صار إلی کذا ومعناه المرجع قال تعالی وَ إِلَی اللّهِ المَصِیرُفأما المصدر من صار الشیء کذا فمصیر وصیرورۀ والقیاس فی مصدر صار إلیه أی رجع مصارا کمعاش وإنما جمع المصدر هاهنا لأن الخلائق یرجعون إلی الله تعالی فی أحوال مختلفۀ فی الدنیا و فی الدار الآخرۀ فجمع المصدر و إن کان یقع بلفظه علی القلیل والکثیر لاختلاف وجوهه کقوله تعالی وَ تَظُنّونَ بِاللّهِ الظّنُونَا. وعواقب الأمر جمع عاقبۀ وهی آخر الشیء. ثم قسم الحمد فجعله علی ثلاثۀ أقسام أحدها الحمد علی عظیم إحسانه و هوأصول نعمه تعالی کالحیاۀ والقدرۀ والشهوۀ وغیرها مما لایدخل جنسه تحت مقدور القادر. وثانیها الحمد علی نیر برهانه و هو مانصبه فی العقول من العلوم البدیهیۀ المفضیۀ إلی العلوم النظریۀ بتوحیده وعدله . وثالثها الحمد علی أرزاقه النامیۀ أی الزائدۀ و مایجری مجراها من إطالۀ الأعمار وکثرۀ الأرزاق وسائر ضروب الإحسان الداخلۀ فی هذاالقسم . ثم بالغ فی الحمد حمدا یکون لحقه قضاء ولشکره أداء و ذلک لأن الحمد والشکر و لوبلغ -قرآن-۷۴-۹۸-قرآن-۳۸۴-۴۱۵ [صفحه ۸۱] أقصی غایاته لم یصل إلی أن یکون قاضیا لحق الله تعالی و لامؤدیا لشکره ولکنه قال ذلک علی سبیل المبالغۀ. ثم قال و إلی ثوابه مقربا ولحسن مزیده موجبا و ذلک لأن الشکر یوجب الثواب والمزید قال الله تعالی فَاذکرُونِي أَذکُرکُم أی أثبکم و قال لَئِن شَکَرتُم لَأَزِیدَنّکُم. ثم شرع فی الاستعانۀ بالله ففصلها أحسن تفصیل فذکر أنه یستعین به استعانۀ راج لفضله فی الآخرۀ مؤمل لنفعه فی الدنیا واثق بدفعه المضار عنه و ذلک لأنه أراد أن یحتوی علی وجوه مایستعان به تعالی لأجله فذکر الأمور الإیجابیۀ وأعقبها بالأمور السلبیۀ فالأولی جلب المنافع والثانیۀ دفع المضار. والطول الإفضال والإذعان الانقیاد والطاعۀ. وأناب إلیه أقبل وتاب وخنع خضع والمصدر الخنوع ولاذ به لجأ إلیه -قرآن-۲۲۰-۲۴۲-قرآن-۲۶۰-۲۸۸ لَم یُولَد سُبحَانَهُ فَیَکُونَ فِی العِزّ مُشَارَکاً وَ لَم یَلِد فَیَکُونَ مَورُوثاً هَالِکاً وَ لَم یَتَقَدّمهُ وَقتٌ وَ لَا زَمَانٌ وَ لَم یَتَعَاوَرهُ زِیَادَةٌ وَ لَا نُقصَانٌ بَل ظَهَرَ لِلعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِن عَلَامَاتِ التّدبِیرِ المُتقَنِ وَ القَضَاءِ المُبرَمِ فَمِن شَوَاهِدِ خَلقِهِ خَلقُ السّمَاوَاتِ مُوَطّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ دَعَاهُنّ فَأَجَبنَ طَائِعَاتٍ مُذعِنَاتٍ غَیرَ مُتَلَکّئَاتٍ وَ لَا مُبطِئَاتٍ وَ لَو لَا إِقرَارُهُنّ لَهُ بِالرّبُوبِیّةِ وَ إِذعَانُهُنّ لَهُ بِالطّوَاعِیَةِ لَمَا جَعَلَهُنّ مَوضِعاً لِعَرشِهِ [صفحه ۸۲] وَ لَا مَسکَناً لِمَلَائِکَتِهِ وَ لَا مَصعَداً لِلکَلِمِ الطّیّبِ وَ العَمَلِ الصّالِحِ مِن خَلقِهِ نفی ع أن یکون الباریء سبحانه مولودا فیکون له شریک فی العز والإلهیۀ و هوأبوه ألذی ولده وإنما قال ذلک جریا علی عادۀ ملوک البشر فإن الأکثر أن الملک یکون ابن ملک قبله ونفی أن یکون له ولد جریا أیضا علی عادۀ البشر فی أن کل والد فی الأکثر فإنه یهلک قبل هلاک الولد ویرثه الولد و هذاالنمط من الاحتجاج یسمی خطابۀ و هونافع فی مواجهۀ العرب به وأراد من الاحتجاج إثبات العقیدۀ فتارۀ تثبت فی نفوس العلماء بالبرهان وتارۀ تثبت فی نفوس العوام بالخطابۀ والجدل . ثم نفی أن یتقدمه وقت أوزمان والوقت هوالزمان وإنما خالف بین اللفظین وأتی بحرف العطف کقوله تعالی لِکُلّ جَعَلنا مِنکُم شِرعَةً وَ مِنهاجاً. ونفی أن یتعاوره أی تختلف علیه زیادۀ أونقصان یقال عاورت زیدا الضرب أی فعلت به من الضرب مثل مافعل بی واعتوروا الشیء أی تداولوه فیما بینهم وکذلک تعوروه وتعاوروه وإنما ظهرت الواو فی اعتوروا لأنه فی معنی تعاوروا فبنی علیه و لو لم یکن فی معناه لاعتلت کماقالوا اجتوروا لما کان فی معنی تجاوروا التی لابد من صحۀ الواو فیهالسکون الألف قبلها واعتورت الریاح رسم الدار اختلفت علیه . فإن قلت هذایقتضی أن یقول و لم یتعاوره زیادۀ ونقصان لأن التعاور یستدعی الضدین معا و لاینبغی أن یقول و لانقصان کما لایجوز أن تقول لم یختلف زید و لاعمرو -قرآن-۵۸۸-۶۲۸ [صفحه ۸۳] قلت لماکانت مراتب الزیادۀ مختلفۀ جاز أن یقال لایعتوره الزیادۀ فکذلک القول فی جانب النقصان وجری کل واحد من النوعین مجری أشیاء متنافیۀ تختلف علی الموضع الموصوف بها. قوله ع موطدات أی ممهدات مثبتات . والعمد جمع عماد نحو إهاب وأهب وإدام وأدم و هو علی خلاف القیاس و منه قوله تعالی فِی عَمَدٍ مُمَدّدَةٍ و قوله تعالی خَلَقَ السّماواتِ بِغَیرِ عَمَدٍ تَرَونَها والسند مایستند إلیه . ثم قال دعاهن فأجبن طائعات هذا من باب المجاز والتوسع لأن الجماد لایدعی و أما من قال إن السماوات

أحياء ناطقة فإنه لم يجعلهن مكلفات ليقال و لو لا إقرارهن له بالربوبية لمافعل كذا بل يقول ذلك على وجه آخر ولكن لغة العرب تنطق بمثل هذاالمجاز نحو قول الراجز -قرآن-٣٠٤-٣٢٤-قرآن-٣٤٠-٣٨١ امتلأ الحوض و قال قطنى || مهلا رويدا قدملأت بطنى . و منه قوله تعالى ائتِيا طَوعاً أَو كَرهاً قالَتا أَتَينا طائِعِينَ. و منه قول مكاتب لبنى منقر التميميين كان قدظلع بمكاتبته فأتى قبر غالب بن صعصعة فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن فى عمامته ثم أتى الفرزدق فأخبره خبره و قال إنى قد قلت شعرا قال هاته فأنشده -قرآن-٢٢-٧٠ [صفحه ٨٤] بقبر ابن ليلى غالب عذت بعد ما || خشيت الردى أو أن أرد على قسر بقبر امرئ يقرى المئين عظامه || و لم يك إلاغالبا ميت يقرى فقال لى استقدم أمامك إنما || فكاككك أن تلقى الفرزدق بالمصر . فقال مااسمك فقال لهذم قال يالهذم حكمك مسمطا قال ناقة كوماء سوداء الحدقة قال ياجارية اطرحى لنا حبلا ثم قال يالهذم اخرج بنا إلى المربد فألقه فى عنق ماشئت من إبل الناس فتخير لهذم على عينه ناقة ورمى بالحبل فى عنقها وجاء صاحبها فقال له الفرزدق اغد على أوفك ثمنها فجعل لهذم يقودها والفرزدق يسوقها حتى أخرجها من البيوت إلى الصحراء فصاح به الفرزدق يالهذم قبح الله أخسرنا فخبر الشاعر عن القبر بقوله فقال لى استقدم أمامك والقبر والميت ألذى فيه لايخبران ولكن العرب و أهل الحكمة من العجم يجعلون كل دليل قولا وجوابا أ لاترى إلى قول زهير أ من أم أوفى دمنة لم تكلم . وإنما كلامها عنده أن تبين مايرى من الآثار فيها عن قدم العهد بأهلها. و من كلام بعض الحكماء هلا وقفت على تلك الجنان والحيطان فقلت أيتها الجنان أين من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا. و قال النعمان بن المنذر ومعه عدى بن زيد فى ظل شجرات مونقات يشرب [صفحه ٨٥] فقال عدى أبيت اللعن وأراد أن يعظه أتدرى ماتقول هذه الشجرات قال ماتقول قال رب ركب قدأناخوا حولنا || يشربون الخمر بالماء الزلال ثم أضحوا عصف الدهر بهم || وكذاك الدهر يودى بالرجال فتنغص النعمان يومه ذلك . والمذعن المنقاد المطيع والمتلكئ المتوقف والكلم الطيب شهادة أن لاإله إلا الله و أن محمداص رسوله والعمل الصالح أداء الواجبات والنوافل واللفظات من القرآن العزيز. والمصعد موضع الصعود و لاشبهة أن السماء أشرف من الأرض على رأى المليين و على رأى الحكماء أما أهل الملة فلأن السماء مصعد الأعمال الصالحة ومحل الأنوار ومكان الملائكة و فيهاالعرش والكرسى والكواكب المدبرات أمرا و أماالحكماء فلأمور أخرى تقتضيها أصولهم جَعَلَ نُجُومَهَا أَعلَاماً يَستَدِلّ بِهَا الحَيرَانُ فِى مُختَلِفِ فِجَاجِ الأَقطَارِ لَم يَمنَع ضَوءَ نُورِهَا ادلِهمَامُ سُجُفِ اللّيلِ المُظلِمِ وَ لَا استَطَاعَت جَلَابِيبُ سَوَادِ الحَنَادِسِ أَن تَرُدّ مَا شَاعَ فِى السّمَاوَاتِ مِن تَلَألُؤِ نُورِ القَمَرِ فَسُبحَانَ مَن لَا يَخفَى عَلَيهِ سَوَادُ [صفحه ٨٦] غَسَقٍ دَاجٍ وَ لَا لَيلٍ سَاجٍ فِى بِقَاعِ الأَرَضِينَ المُتَطَأطِئَاتِ وَ لَا فِى يَفَاعِ السّفعِ المُتَجَاوِرَاتِ وَ مَا يَتَجَلجَلُ بِهِ الرّعدُ فِى أُفُقِ السّمَاءِ وَ مَا تَلَاشَت عَنهُ بُرُوقُ الغَمَامِ وَ مَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَن مَسقَطِهَا عَوَاصِفُ الأَنوَاءِ وَ انهِطَالُ السّمَاءِ وَ يَعلَمُ مَسقَطَ القَطرَةِ وَ مَقَرّهَا وَ مَسحَبَ الذّرّةِ وَ مَجَرّهَا وَ مَا يَكفِي البَعُوضَةَ مِن قُوتِهَا وَ مَا تَحمِلُ مِنَ الأُنثَى فِى بَطنِهَا أعلاما أى يستدل بها والفجاج جمع فج و هوالطريق فى الجبل . ثم قال إن ادلهمام سواد الليل أى شدة ظلمته لم يمنع الكواكب من الإضاءة وكذلك أيضا لم يمنع ظلام الليل القمر من تلألؤ نوره وإنما خص القمر بالذكر و إن كان من جملة الكواكب لشرفه بما يظهر للأبصار من عظم حجمه وشدة إضاءته فصار كقوله تعالى فِيهِما فاكِهَةٌ وَ نَخلٌ وَ رُمّانٌ و قدروى بعض الرواة ادلهمام بالنصب وجعله مفعولا وضوء نورها بالرفع وجعله فاعلا و هذه الرواية أحسن فى صناعة الكتابة لمكان الازدواج أى لاالقمر و لاالكواكب تمنع الليل من الظلمة و لاالليل يمنع الكواكب والقمر من الإضاءة. والسجف جمع سجف و هوالستر ويجوز فتح السين . وشاع تفرق والتلألؤ اللمعان والجلابيب الثياب والغسق الظلمة والساجى الساكن والداجى المظلم والمتطأطئ المنخفض والسفع المتجاورات هاهنا الجبال وسماها سفعا لأن السفعة سواد مشرب بحمرة وكذلك لونها فى الأكثر. -قرآن-٣١٤-٣٤٩ [صفحه ٨٧] واليفاع الأرض المرتفعة والتجلجل صوت الرعد و ماتلاشت عنه بروق الغمام هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة وهى صحيحة و قدجاءت ووردت قال ابن

الأعرابى لشا الرجل إذااتضع وخس بعدرفعة و إذاصح أصلها صح استعمال الناس تلاشى الشىء بمعنى اضمحل . و قال القطب الراوندى تلاشى مركب من لا شىء و لم يقف على أصل الكلمة و قدظهر الآن أن معنى كلامه ع أنه سبحانه يعلم مايصوت به الرعد ويعلم مايضمحل عنه البرق . فإن قلت وهل يقصد الرعد بجلجلته معنى معقولا ليقال إن البارئ يعلمه ثم ماالمراد بكونه عالما بما يضمحل البرق عنه . قلت قد يكون تعالى يحدث فى الرعد جلجلة أى صوتا ليهلك به قوما أولينفع به قوما فعلمه بما تتضمنه تلك الجلجلة هومعنى قولنا يعلم مايصوت به الرعد و لاريب أن البرق يلمع فيضىء أقطارا مخصوصة ثم يتلاشى عنها فالبارئ سبحانه عالم بتلك الأقطار التى يتلاشى البرق عنها. فإن قلت هوسبحانه عالم بما يضيئه البرق وبما لايضيئه فلما ذا خص بالعالمية مايتلاشى عنه البرق . قلت لأن علمه بما ليس بمضىء بالبرق أعجب وأغرب لأن مايضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولو الأبصار الصحيحة فأراد ع أن يشرح من صفاته سبحانه ما هوبخلاف المعتاد بين البشر ليكون إعظام السامعين له سبحانه أتم وأكمل . والعواصف الرياح الشديدة وأضافها إلى الأنواء لأن أكثر ما يكون عصفانها فى الأنواء وهى جمع نوء و هوسقوط النجم من منازل القمر الثمانية والعشرين فى المغرب [صفحه ٨٨] مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق مقابلا له من ساعته ومدة النوء ثلاثة عشر يوما إلاالجبهة فإن لها أربعة عشر يوما. قال أبوعبيد و لم يسمع فى النوء أنه المسقوط إلا فى هذاالموضع وكانت العرب تضيف الرياح والأمطار والحر والبرد إلى الساقط منها. و قال الأصمعى بل إلى الطالع فى سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا وكذا ونهى النبى ص عن ذلك والجمع أنواء ونوءان أيضا مثل بطن وبطنان و عبد وعبدان قال حسان بن ثابت ويثرب تعلم أنا بها || إذاقحط القطر نوءانها . والانهطال الانصباب ومسقط القطرة من المطر موضع سقوطها ومقرها موضع قرارها ومسحب الذرة الصغيرة من النمل ومجرها موضع سحبها وجرها. و هذاالفصل من فصيح الكلام ونادره ويتضمن من توحيد الله تعالى وتمجيده والثناء عليه مايشهد لنفسه وَ الحَمدُ لِلّهِ الكَائِنِ قَبلَ أَن يَكُونَ كرُسيِ‌ّ أَو عَرشٌ أَو سَمَاءٌ أَو أَرضٌ أَو جَانّ‌ٌ أَو إِنسٌ لَا يُدرَكُ بِوَهمٍ وَ لَا يُقَدّرُ بِفَهمٍ وَ لَا يَشغَلُهُ سَائِلٌ وَ لَا يَنقُصُهُ نَائِلٌ وَ لَا يَنظُرُ بِعَينٍ وَ لَا يُحَدّ بِأَينٍ وَ لَا يُوصَفُ بِالأَزوَاجِ وَ لَا يُخلَقُ بِعِلَاجٍ وَ لَا يُدرَكُ بِالحَوَاسّ وَ لَا يُقَاسُ بِالنّاسِ أَلّذِى كَلّمَ مُوسَى تَكلِيماً وَ أَرَاهُ مِن آيَاتِهِ عَظِيماً بِلَا جَوَارِحَ وَ لَا أَدَوَاتٍ وَ لَا نُطقٍ وَ لَا لَهَوَاتٍ بَل إِن كُنتَ صَادِقاً أَيّهَا المُتَكَلّفُ لِوَصفِ رَبّكَ فَصِف [صفحه ٨٩] جِبرِيلَ وَ مِيكَائِيلَ وَ جُنُودَ المَلَائِكَةِ المُقَرّبِينَ فِي حُجُرَاتِ القُدُسِ مُرجَحِنّينَ مُتَوَلّهَةً عُقُولُهُم أَن يَحُدّوا أَحسَنَ الخَالِقِينَ وَ إِنّمَا يُدرَكُ بِالصّفَاتِ ذَوُو الهَيئَاتِ وَ الأَدَوَاتِ وَ مَن يَنقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدّهِ بِالفَنَاءِ فَلَا إِلَهَ إِلّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلّ ظَلَامٍ وَ أَظلَمَ بِظُلمَتِهِ كُلّ نُورٍ ليس يعنى بالكائن هاهنا مايعنيه الحكماء والمتكلمون بل مراده الموجود أى هوالموجود قبل أن يكون الكرسى والعرش وغيرهما والأوائل يزعمون أن فوق السماوات السبع سماء ثامنة وسماء تاسعة ويقولون إن الثامنة هى الكرسى و إن التاسعة هى العرش . قوله ع لايدرك بوهم الوهم هاهنا الفكرة والتوهم . و لايقدر بفهم أى لاتستطيع الأفهام أن تقدره وتحده . و لايشغله سائل كمايشغل السؤال منا من يسألونه . و لاينقصه العطاء كماينقص العطاء خزائن الملوك . و لايبصر بجارحة و لايحد بأين ولفظة أين فى الأصل مبنية على الفتح فإذانكرتها صارت اسما متمكنا كما قال الشاعر ليت شعرى وأين منى ليت || إن ليتا و إن لوا عناء . و إن شئت قلت إنه تكلم بالاصطلاح الحكمى والأين عندهم حصول الجسم فى المكان و هوأحد المقولات العشر. [صفحه ٩٠] قوله ع و لايوصف بالأزواج أى صفات الأزواج وهى الأصناف قال سبحانه وَ أَنبَتنا فِيها مِن كُلّ زَوجٍ بَهِيجٍ. قوله و لايخلق بعلاج أى لايحتاج فى إيجاد المخلوقات إلى معالجة ومزاولة. قوله وكلم موسى تكليما من الألفاظ القرآنية والمراد هاهنا من ذكر المصدر تأكيد الأمر وإزالة لبس عساه يصلح للسامع فيعتقد أنه أراد المجاز و أنه لم يكن كلام على الحقيقة. قوله وأراه من آياته عظيما ليس يريد به الآيات الخارجة عن التكليم كانشقاق البحر وقلب العصا لأنه يكون بإدخال ذلك بين قوله تكليما و قوله بلا جوارح و لاأدوات و لانطق و لالهوات مستهجنا وإنما يريد أنه أراد بتكليمه إياه عظيما من آياته و ذلك أنه كان يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد

سماع كلام البشر من جهة مخصوصة و له دوى وصلصلة كوقع السلاسل العظيمة على الحصى الأصم . فإن قلت أتقول إن الكلام حل أجساما مختلفة من الجهات الست . قلت لا وإنما حل الشجرة فقط و كان يسمع من كل جهة والدليل على حلوله فى الشجرة قوله تعالى فَلَمّا أَتاها نُودِيَ مِن شاطِئِ الوادِ الأَيمَنِ فِى البُقعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يا مُوسى فلايخلو إما أن يكون النداء حل الشجرة أوالمنادى حلها والثانى باطل فثبت الأول . ثم قال ع لمن يتكلف أن يصف ربه إن كنت صادقا أنك قدوصلت إلى -قرآن-٧٤-١١٣-قرآن-٩١٦-١٠٢٢ [صفحه ٩١] معرفة صفته فصف لنا الملائكة فإن معرفة ذات الملك أهون من معرفة ذات الأول سبحانه . وحجرات القدس جمع حجرة ومرجحنين مائلين إلى جهة تحت خضوعا لجلال البارئ سبحانه ارجحن الحجر إذامال هاويا متولهة عقولهم أى حائرة ثم قال إنما يدرك بالصفات ويعرف كنه ما كان ذا هيئة وأداة وجارحة و ماينقضى ويفنى ويتطرق إليه العدم وواجب الوجود سبحانه بخلاف ذلك . وتحت قوله أضاء بنوره كل ظلام إلى آخر الفصل معنى دقيق وسر خفى و هو أن كل رذيلة فى الخلق البشرى مع معرفته بالأدلة البرهانية غيرمؤثرة و لاقادحة فى جلالة المقام ألذى قدبلغ إليه و ذلك نحو أن يكون العارف بخيلا أوجبانا أوحريصا أونحو ذلك و كل فضيلة فى الخلق البشرى مع الجهل به سبحانه فليست بفضيلة فى الحقيقة و لامعتد بهالأن نقيصة الجهل به تكسف تلك الأنوار وتمحق فضلها و ذلك نحو أن يكون الجاهل به سبحانه جوادا أوشجاعا أوعفيفا أونحو ذلك و هذايطابق مايقوله الأوائل من أن العارف المذنب يشقى بعدالموت قليلا ثم يعود إلى النعيم السرمدى و أن الجاهل ذا العبادة والإحسان يشقى بعدالموت شقاء مؤبدا ومذهب الخلص من مرجئة الإسلام يناقض هذه اللفظات ويقال إنه مذهب أبى حنيفة رحمه الله ويمكن تأويلها على مذهب أصحابنا بأن يقال كل ظلام من المعاصى الصغائر فإنه ينجلى بضياء معرفته وطاعته و كل طاعة يفعلها المكلف مع الكفر به سبحانه فإنها غيرنافعة و لاموجبة ثوابا و يكون هذاالتأويل من باب صرف اللفظ عن عمومه إلى خصوصه [صفحه ٩٢] أُوصِيكُم عِبَادَ اللّهِ بِتَقوَى اللّهِ أَلّذِى أَلبَسَكُمُ الرّيَاشَ وَ أَسبَغَ عَلَيكُمُ المَعَاشَ فَلَو أَنّ أَحَداً يَجِدُ إِلَى البَقَاءِ سِلماً أَو لِدَفعِ المَوتِ سَبِيلًا لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيمَانَ بنَ دَاوُدَ ع أَلّذِى سُخّرَ لَهُ مُلكُ الجِنّ وَ الإِنسِ مَعَ النّبُوّةِ وَ عَظِيمِ الزّلفَةِ فَلَمّا استَوفَى طُعمَتَهُ وَ استَكمَلَ مُدّتَهُ رَمَتهُ قِسِيّ الفَنَاءِ بِنِبَالِ المَوتِ وَ أَصبَحَتِ الدّيَارُ مِنهُ خَالِيَةً وَ المَسَاكِنُ مُعَطّلَةً وَ وَرِثَهَا قَومٌ آخَرُونَ وَ إِنّ لَكُم فِي القُرُونِ السّالِفَةِ لَعِبرَةً أَينَ العَمَالِقَةُ وَ أَبنَاءُ العَمَالِقَةِ أَينَ الفَرَاعِنَةُ وَ أَبنَاءُ الفَرَاعِنَةِ أَينَ أَصحَابُ مَدَائِنِ الرّسّ الّذِينَ قَتَلُوا النّبِيّينَ وَ أَطفَئُوا سُنَنَ المُرسَلِينَ وَ أَحيَوا سُنَنَ الجَبّارِينَ أَينَ الّذِينَ سَارُوا بِالجُيُوشِ وَ هَزَمُوا الأُلُوفَ وَ عَسكَرُوا العَسَاكِرَ وَ مَدّنُوا المَدَائِنَ الرياش اللباس وأسبغ أوسع وإنما ضرب المثل بسليمان ع لأنه كان ملك الإنس والجن و لم يحصل لغيره ذلك و من الناس من أنكر هذالأن اليهود والنصارى يقولون إنه لم يتعد ملكه حدود الشام بل بعض الشام وينكرون حديث الجن والطير والريح ويحملون ماورد من ذلك على وجوه وتأويلات عقلية معنوية ليس هذاموضع ذكرها. والزلفة القرب والطعمة بضم الطاء المأكلة يقال قدجعلت هذه الضيعة طعمة لزيد. والقسى جمع قوس وأصلها قووس على فعول كضرب وضروب إلاأنهم قدموا [صفحه ٩٣] اللام فقالوا قسو على فلوع ثم قلبت الواو ياء وكسروا القاف كماكسروا عين عصى فصارت قسى

نسب العمالقة

والعمالقة أولاد لاوذ إرم بن سام بن نوح كان الملك باليمن والحجاز و ماتاخم ذلك من الأقاليم فمنهم عملاق بن لاوذ بن سام ومنهم طسم بن لاوذ أخوه . ومنهم جديس بن لاوذ أخوهما و كان العز والملك بعدعملاق بن لاوذ فى طسم فلما ملكهم عملاق بن طسم بغى وأكثر الفساد فى الأرض حتى كان يطأ العروس ليلة إهدائها إلى بعلها و إن كانت بكرا افتضها قبل وصولها

إلى البعل ففعل ذلك بامرأة من جديس يقال لها غفيرة بنت غفار فخرجت إلى قومها وهى تقول لاأحد أذل من جديس || أهكذا يفعل بالعروس .فغضب لها أخوها الأسود بن غفار وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم و أهل بيته فصنع الأسود طعاما ودعا عملاق الملك إليه ثم وثب به وبطسم فأتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن مر فصار إلى ذى جيشان بن تبع الحميرى ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس فسار ذو جيشان فى حمير فأتى بلاد جو وهى قصبة اليمامة فاستأصل جديسا كلها وأخرب اليمامة فلم يبق لجديس باقية و لالطسم إلااليسير منهم . ثم ملك بعدطسم وجديس وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم فسار بولده وأهله فنزل بأرض وبار وهى المعروفة الآن برمل عالج فبغوا فى الأرض حينا حتى أفناهم الله [صفحه ۹۴] ثم ملك الأرض بعدوبار عبدضخم بن أثيف بن لاوذ فنزلوا بالطائف حينا ثم بادوا

نسب عاد وثمود

وممن يعد مع العمالقة عاد وثمود فأما عاد فهو عاد بن عويص بن إرم بن سام بن نوح كان يعبد القمر ويقال إنه رأى من صلبه أولاد أولاد أولاده أربعة آلاف وإنه نكح ألف جارية وكانت بلاده الأحقاف المذكورة فى القرآن وهى من شحر عمان إلى حضرموت و من أولاده شداد بن عاد صاحب المدينة المذكورة. و أماثمود فهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح وكانت دياره بين الشام والحجاز إلى ساحل نهر الحبشة

نسب الفراعنة

قوله ع أين الفراعنة وأبناء الفراعنة جمع فرعون وهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون بن الأعرج ألذى غزا بنى إسرائيل وأخرب بيت المقدس

نسب أصحاب الرس

قوله ع أين أصحاب مدائن الرس قيل إنهم أصحاب شعيب [صفحه ۹۵] النبى ص وكانوا عبدة أصنام ولهم مواش وآبار يسقون منها. والرس بئر عظيمة جدا انخسفت بهم وهم حولها فهلكوا وخسفت بأرضهم كلها وديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان بهاقوم من بقايا ثمود بغوا فأهلكوا. وقيل قوم من العرب القديمة بين الشام والحجاز وكانت العنقاء تختطف صبيانهم فتقتلهم فدعوا الله أن ينقذهم منها فبعث إليهم حنظلة بن صفوان فدعاهم إلى الدين على أن يقتل العنقاء فشارطوه على ذلك فدعا عليها فأصابتها الصاعقة فلم يفوا له وقتلوه فأهلكوا. وقيل هم أصحاب الأخدود والرس هوالأخدود وقيل الرس أرض بأنطاكية قتل فيهاحبيب النجار. وقيل بل كذب أهلها نبيهم ورسوه فى بئر أى رموه فيها. وقيل إن الرس نهر فى إقليم الباب والأبواب مبدؤه من مدينة طراز وينتهى إلى نهر الكر فيختلط به حتى يصب فى بحر الخزر كان هناك ملوك أولو بأس وقدرة فأهلكهم الله ببغيهم مِنهَا قَد لَبِسَ لِلحِكمَةِ جُنّتَهَا وَ أَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الإِقبَالِ عَلَيهَا وَ المَعرِفَةِ بِهَا وَ التّفَرّغِ لَهَا فهَيِ‌َ عِندَ نَفسِهِ ضَالّتُهُ التّيِ يَطلُبُهَا وَ حَاجَتُهُ التّيِ يَسأَلُ عَنهَا فَهُوَ مُغتَرِبٌ إِذَا اغتَرَبَ الإِسلَامُ وَ ضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَ أَلصَقَ الأَرضَ بِجِرَانِهِ بَقِيّةٌ مِن بَقَايَا حُجّتِهِ خَلِيفَةٌ مِن خَلَائِفِ أَنبِيَائِهِ [صفحه ۹۶] هذاالكلام فسره كل طائفة على حسب اعتقادها فالشيعة الإمامية تزعم أن المراد به المهدى المنتظر

عنـدهم والصوفيـة يزعمون أنه يعنى به ولى الله فى الأرض وعندهم أن الدنيا لاتخلو عن الأبدال وهم الأربعون و عن الأوتاد وهم سبعـة و عن القطب و هوواحـد فإذامات القطب صار أحـد السـبعة قطبا عوضه وصار أحد الأربعين وتدا عوض الوتد وصار بعض الأوليـاء الـذين يصطفيهم الله تعـالى أبـدالا عوض ذلـك البـدل . وأصـحابنا يزعمون أن الله تعالى لايخلى الأمـة من جماعـة من المؤمنين العلماء بالعـدل والتوحيـد و أن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنه لماتعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجمـاع سـائر العلمـاء وإنما الأصل قول أولئك .قالوا وكلام أمير المؤمنين ع ليس يشـير فيه إلى جماعـة أولئك العلماء من حيث هم جماعة ولكنه يصف حال كل واحد منهم فيقول من صـفته كذا و من صـفته كذا. والفلاسـفة يزعمون أن مراده ع بهذا الكلاـم العـارف ولهم فى العرفان وصـفات أربابه كلام يعرفه من له أنس بأقوالهم و ليس يبعـد عنـدى أن يريـد به القائم من آل محمـدص فى آخر الوقت إذاخلقه الله تعالى و إن لم يكن الآن موجودا فليس فى الكلام مايـدل على وجوده الآن و قدوقع اتفاق الفرق من المسـلمين أجمعين على أن الـدنيا والتكليف لاينقضـى إلاـ عليه . قوله ع قـدلبس للحكمـة جنتها الجنـة مايسـتتر به من السـلاح كالدرع ونحوها ولبس جنة الحكمة قمع النفس عن المشـتهيات وقطع علائق النفس عن [صـفحه ٩٧] المحسوسات فإن ذلك مانع للنفس عن أن يصـيبها سـهام الهوى كماتمنع الدرع الدارع عن أن يصـيبه سهام الرماية. ثم عاد إلى صفة هذاالشخص فقال وأخـذ بجميع أدبها من الإقبال عليها أى شـدة الحرص والهمـة. ثم قال والمعرفـة بها أى والمعرفـة بشـرفها ونفاسـتها. ثم قال والتفرغ لها لأن الـذهن متى وجهته نحو معلومين تخبط وفسـد وإنما يـدرك الحكمـة بتخليـة السـر من كل مامر سواها. قال فهى عنـدنفسه ضالته التى يطلبها هذامثل قوله ع الحكمة ضالة المؤمن -روايت-١-٢-روايت-١٢-٣٢ و من كلام الحكماء لايمنعك من الانتفاع بالحكمـة حقارة من وجـدتها عنـده كما لايمنعك خبث تراب المعدن من التقاط الذهب . ووجدت بخط أبى محمد عبـد الله بن أحمـدالخشاب رحمه الله فى تعاليق مسودة أبياتا للعطوى وهى قـدرأينا الغزال والغصن والنجمين || شـمس الضـحى وبدر التمام فو حق البيان يعضده البرهان || فى مأقط شديد الخصام مارأينا سوى المليحة شـيئا || جمع الحسن كله فى نظام هى تجرى مجرى الأصالـة فى الرأى || ومجرى الأرواح فى الأجسام . و قـدكتب ابن الخشاب بخطه تحت المليحة ماأصدقه إن أراد بالمليحـة الحكمـة قوله ع وحـاجته الـتى يسـأل عنهـا هومثـل قوله ضـالته التى يطلبهـا. ثم قـال هومغترب إذااغترب الإسـلام يقول هذاالشخص يخفى نفسه ويحملها [صفحه ٩٨] إذااغترب الإسلام واغتراب الإسلام أن يظهر الفسق والجور على الصلاح والعدل قال ع بدأ الإسلام غريبا وسيعود كمابدأ -روايت-١-٢-روايت-١١-٤٤ . قال وضرب بعسيب ذنبه وألصق الأرض بجرانه هذا من تمام قوله إذااغترب الإسـلام أى إذاصار الإسـلام غريبا مقهورا وصار الإسـلام كالبعير البارك يضـرب الأرض بعسـيبه و هوأصل الذنب ويلصق جرانه و هوصدره فى الأرض فلا يكون له تصرف و لانهوض . ثم عاد إلى صفة الشخص المذكور. و قال بقية من بقايـا حججه خليفـة من خلاـئف أنبيـائه الضـمير هاهنـا يرجع إلى الله سـبحانه و إن لم يجر ذكره للعلم به كمـا قـال حَتّى تَوارَت بِالحِجابِ ويمكن أن يقـال إن الضـمير راجع إلى مـذكور و هوالإسـلام أى من بقايـا حجـج الإسـلام وخليفـة من خلائف أنبياء الإسـلام . فإن قلت ليس للإسلام إلانبى واحد. قلت بل له أنبياء كثير قال تعالى مِلّةَ أَبِيكُم اِبراهِيمَ هُوَ سَمّاكُمُ المُسلِمِينَ مِن قَبلُ و قال سـبحانه ثُمّ أَوحَينا إِلَيكَ أَنِ اتّبِع مِلّةَ اِبراهِيمَ حَنِيفاً و كل الأنبياء دعوا إلى مادعا إليه محمـدص من التوحيـد والعـدل فكلهم أنبياء للإسـلام . فإن قلت أ ليس لفظ الحجـة ولفظ الخليفة مشعرا بما تقوله الإمامية. قلت لا فإن أهل التصوف يسـمون صاحبهم حجـة وخليفـة وكذلك الفلاسـفة -قرآن-٤٠٧-٤٣٠-قرآن-٦١٩-٦٨٢-قرآن-٦٩٧-٧٥٦ [صـفحه ٩٩] وأصـحابنا لايمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين فى كل عصر لأنهم حجج الله أى إجماعهم حجة و قداستخلفهم الله فى أرضه ليحكموا بحكمه . و على مااخترنـاه نحن فالجواب ظاهر أَيّهَا النّاسُ إِنّيِ قَد بَثَثتُ لَكُمُ المَوَاعِظَ التّيِ وَعَظَ بِهَا الأَنبِيَاءُ أُمَمَهُم وَ أَدّيتُ إِلَيكُم مَـا أَدّتِ الأَوصِـيَاءُ إِلَى مَن بَعـدَهُم وَ أَدّبتُكُم بسِوَطيِ فَلَم تَستَقِيمُوا وَ حَـدَوتُكُم بِـالزّوَاجِرِ فَلَم تَستَوسِـقُوا لِلّهِ أَنتُم أَ تَتَوَقّعُونَ إِمَـاماً

غيري يَطَأَ بِكَمُ الطّرِيقَ وَ يُرشِدُكُمُ السّبِيلَ أَلَا إِنّهُ قَد أَدبَرَ مِنَ الدّنيَا مَا كَانَ مُقبِلًا وَ أَقبَلَ مِنهَا مَا كَانَ مُدبِراً وَ أَزمَعَ التّرحَالَ عِبَادُ اللّهِ الأَخيَارُ وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدّنيَا لَا يَبقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لَا يَفنَى مَا ضَرّ إِخوَانَنَا الّذِينَ سُفِكَت دِمَاؤُهُم بِصِفّينَ أَلّا يَكُونُوا اليَومَ أَحيَاءً يُسِيغُونَ الغُصَصَ وَ يَشرَبُونَ الرّنقَ قَد وَ اللّهِ لَقُوا اللّهَ فَوَفّاهُم أُجُورَهُم وَ أَحَلّهُم دَارَ الأَمنِ بَعدَ خَوفِهِم أَينَ إِخوَانِيَ الّذِينَ رَكِبُوا الطّرِيقَ وَ مَضَوا عَلَى الحَقّ أَينَ عَمّارٌ وَ أَينَ ابنُ التّيّهَانِ وَ أَينَ ذُو الشّهَادَتَينِ وَ أَينَ نُظَرَاؤُهُم مِن إِخوَانِهِمُ الّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى المَنِيّةِ وَ أُبرِدَ بِرُءُوسِهِم إِلَى الفَجَرَةِ قَالَ ثُمّ ضَرَبَ ع بِيَدِهِ إِلَى لِحيَتِهِ الشّرِيفَةِ الكَرِيمَةِ فَأَطَالَ البُكَاءَ ثُمّ قَالَ ع أَوهِ عَلَى إِخوَانِيَ الّذِينَ قَرَءُوا القُرآنَ فَأَحكَمُوهُ وَ تَدَبّرُوا الفَرضَ فَأَقَامُوهُ [صفحه ١٠٠] أَحيَوُا السّنّةَ وَ أَمَاتُوا البِدعَةَ دُعُوا لِلجِهَادِ فَأَجَابُوا وَ وَثِقُوا بِالقَائِدِ فَاتّبَعُوهُ ثُمّ نَادَى بِأَعلَى صَوتِهِ الجِهَادَ الجِهَادَ عِبَادَ اللّهِ أَلَا وَ إِنّي مُعَسكِرٌ فِي يومِي هَذَا فَمَن أَرَادَ الرّوَاحَ إِلَى اللّهِ فَليَخرُج قَالَ نَوفٌ وَ عَقَدَ لِلحُسَينِ ع فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَ لِقَيسِ بنِ سَعدٍ رَحِمَهُ اللّهُ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَ لِأَبِي أَيّوبَ الأَنصَارِيّ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ وَ لِغَيرِهِم عَلَى أَعدَادٍ أُخَرَ وَ هُوَ يُرِيدُ الرّجعَةَ إِلَى صِفّينَ فَمَا دَارَتِ الجُمُعَةُ حَتّى ضَرَبَهُ المَلعُونُ ابنُ المُلجَمِ لَعَنَهُ اللّهُ فَتَرَاجَعَتِ العَسَاكِرُ فَكُنّا كَأَغنَامٍ فَقَدَت رَاعِيهَا تَختَطِفُهَا الذّئَابُ مِن كُلّ مَكَانٍ بثث لكم المواعظ فرقتها ونشرتها والأوصياء الذين يأتمنهم الأنبياء على الأسرار الإلهية و قديمكن ألا يكونوا خلفاء بمعنى الإمرة والولاية فإن مرتبتهم أعلى من مراتب الخلفاء. وحدوتكم سقتكم كماتحدى الإبل فلم تستوسقوا أى لم تجتمعوا قال مستوسقات لم يجدن سائقا . قوله يطأ بكم الطريق أى يحملكم على المنهاج الشرعى ويسلك بكم مسلك الحق كأنه جعلهم ضالين عن الطريق التى يطلبونها. [صفحه ١٠١] و قال أتريدون إماما غيرى يوقفكم على الطريق التى تطلبونها حتى تطئوها وتسلكوها. ثم ذكر أنه قدأدبر من الدنيا ما كان مقبلا و هوالهدى والرشاد فإنه كان فى أيام رسول الله ص وخلفائه مقبلا ثم أدبر عنداستيلاء معاوية وأتباعه وأقبل منها ما كان مدبرا و هوالضلال والفساد ومعاوية عندأصحابنا مطعون فى دينه منسوب إلى الإلحاد قدطعن فيه ص وروى فيه شيخنا أبو عبد الله البصرى فى كتاب نقض السفيانية على الجاحظ وروى عنه أخبارا كثيرة تدل على ذلك و قدذكرناها فى كتابنا فى مناقضة السفيانية. وروى أحمد بن أبى طاهر فى كتاب أخبار الملوك أن معاوية سمع المؤذن يقول أشهد أن لاإله إلا الله فقالها ثلاثا فقال أشهد أن محمدا رسول الله فقال لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالى الهمة مارضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين . قوله ع وأزمع الترحال أى ثبت عزمهم عليه يقال أزمعت الأمر و لايقال أزمعت على الأمر هكذا يقول الكسائى وأجازه الخليل والفراء. ثم قال ع إنه لم يضر إخواننا القتلى بصفين كونهم اليوم ليسوا بأحياء حياتنا المشوبة بالنغص والغصص . ويقال ماء رنق بالتسكين أى كدر رنق الماء بالكسر يرنق رنقا فهو رنق وأرنقته أى كدرته وعيش رنق بالكسر أى كدر. ثم أقسم أنهم لقوا الله فوفاهم أجورهم و هذايدل على مايذهب إليه جمهور أصحابنا من نعيم القبر وعذابه . ثم قال ع أين إخوانى ثم عددهم فقال أين عمار [صفحه ١٠٢]

عمار بن ياسر ونسبه ونبذ من أخباره

و هوعمار بن ياسر بن عامر بن كنانة بن قيس العنسى بالنون المذحجى يكنى أبااليقظان حليف بنى مخزوم . ونحن نذكر طرفا من أمره من كتاب الإستيعاب لأبى عمر بن عبدالبر المحدث قال أبوعمر كان ياسر والد عمار عربيا قحطانيا من عنس فى مذحج إلا أن ابنه عمارا كان مولى لبنى مخزوم لأن أباه ياسرا قدم مكة مع أخوين له يقال لهما مالك والحارث فى طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أباحذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبوحذيفة أمة يقال لها سمية فأولدها عمارا فأعتقه أبوحذيفة فمن هاهنا كان عمار مولى بنى مخزوم وأبوه عربى لايختلفون فى ذلك

وللحلف والولاء ألـذى بين بنى مخزوم وعمـار و أبيه ياسـر كان احتمال بنى مخزوم على عثمان حين نال من عمار غلمان عثمان مانالوا من الضـرب حتى انفتق له فتق فى بطنه زعموا وكسـروا ضلعا من أضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم فقالوا و الله لئن مات لاقتلنا به أحدا غيرعثمان . قال أبوعمر كان عمار بن ياسر ممن عذب فى الله ثم أعطاهم عمار ماأرادوا بلسانه واطمأن الإيمان بقلبه فنزل فيه إِلّا مَن أُكرِهَ وَ قَلبُهُ مُطمَئِنّ بِالإِيمانِ و هذامما أجمع عليه أهل التفسير. -قرآن-١٠٠٢-١٠٥١ [صفحه ١٠٣] وهاجر إلى أرض الحبشـة وصـلى إلى القبلتين و هو من المهاجرين الأولين ثم شـهد بـدرا والمشاهـد كلها وأبلى بلاء حسـنا ثم شـهد اليمامة فأبلى فيهاأيضا يومئـذ وقطعت أذنه . قال أبوعمر و قـدروى الواقـدى عن عبـد الله بن نافع عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال رأيت عمارا يوم اليمامة على صـخرة و قدأشـرف عليها يصيح يامعشـر المسـلمين أ من الجنة تفرون أناعمار بن ياسر هلموا إلى و أناأنظر إلى أذنه قـدقطعت فهى تذبـذب و هويقاتـل أشـد القتـال . قـال أبوعمر و كـان عمـار آدم طوالا مضـطربا أشـهل العينين بعيـد ما بين المنكبين لايغير شيبة. قال وبلغنا أن عمارا قال كنت تربا لرسول الله ص فى سنه لم يكن أحد أقرب إليه منى سنا. و قال ابن عباس فى قوله تعـالى أَ وَ مَن كـانَ مَيتاً فَأَحيَيناهُ وَ جَعَلنا لَهُ نُوراً يَمشـِي بِهِ فِي النّاسِإنه عمار بن ياسركَمَن مَثَلُهُ فِي الظّلُماتِ لَيسَ بِخارِجٍ مِنهاإنه أبوجهل بن هشام -روايت-١-٢-روايت-١٨-٢٠٦ قـال و قال رسول الله ص إن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه ويروى إلى أخمص قـدميه -روايت-١-٢-روايت-٣٠-٨٧ روى أبـوعمر عـن عائشـة أنهـا قـالت مـا من أحـد من أصـحاب رسـول الله ص -روايت-١-٢-روايت-٣٤-ادامه دارد [صفحه ١٠٤] أشاء أن أقول فيه إلا قلت إلاعمار بن ياسر فإنى سمعت رسول الله ص يقول إنـه ملئ إيمانـا إلى أخمص قـدميه -روايت-از قبـل-١١٢ . قـال أبـوعمر و قـال عبـدالرحمن بن أبزى شـهدنا مع على ع صـفين ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منا ثلاثة وسـتون منهم عمار بن ياسر. قال أبوعمر و من حديث خالد بن الوليد أن رسول الله ص قـال من أبغض عمارا أبغضه الله -روايت-١-٢-روايت-٦٥-٩٤ فما زلت أحبه من يومئـذ. قال أبوعمر و من حـديث على بن أبى طـالب ع أن عمـارا جـاء يسـتأذن على رسول الله ص يومـا فعرف صوته فقـال مرحبا بالطيب المطيب يعنى عمارا ائـذنوا له -روايت-١-٢-روايت-٤٨-١٥٦ قال أبوعمر و من حديث أنس عن النبى ص اشـتاقت الجنة إلى أربعة على وعمار وسـلمان وبلال -روايت-١-٢-روايت-٤٥-٩٥ . قـال أبوعمر وفضائـل عمـار كثيرة جـدا يطول ذكرها. قال وروى الأعمش عن أبى عبـدالرحمن السـلمى قال شهدنا مع على ع صفين فرأيت عمار بن ياسر لايأخذ فى ناحية و لاواد من أودية صفين إلارأيت أصحاب محمدص يتبعونه كأنه علم لهم وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة ياهاشم تقدم الجنة تحت البارقة اليوم ألقى الأحبة || محمدا وحزبه . و الله لوهزمونـا حتى يبلغوا بنـا سـعفات هجر لعلمنـا أنـا على الحق وأنهم على الباطـل ثم قـال نحن ضـربناكم على تنزيله || فـاليوم نضـربكم على تأويله [صـفحه ١٠٥] ضـربا يزيـل الهـام عن مقيله || ويـذهل الخليـل عن خليله أويرجع الحق على سـبيله .فلم أر أصـحاب محمـدص قتلوا فى موطن ماقتلوا يومئـذ. قال و قـد قال أبومسعود البدرى وطائفة لحذيفة حين احتضـر و قدذكر الفتنة إذااختلف النـاس فبمن تأمرنـا قـال عليكم بـابن سـمية فإنه لن يفارق الحق حتى يموت أو قال فإنه يزول مع الحق حيث زال . قال أبوعمر وبعضهم يجعل هذاالحديث عن حذيفة مرفوعا. قال أبوعمر وروى الشعبى عن الأحنف أن عمارا حمل يوم صفين فحمل عليه ابن جزء السكسـكى و أبوالغاديـة الفزارى فأما أبوالغادية فطعنه و أما ابن جزء فاحتز رأسه . قلت هذاالموضع مما اختلف فيه قول أبى عمر رحمه الله فإنه ذكر فى كتاب الكنى من الإستيعاب أباالغادية بالغين المعجمة و قال إنه جهنى من جهينة وجهينة من قضاعة و قدنسبه هاهنا فزاريا. و قال فى كتاب الكنى إن اسم أبى الغادية يسار وقيل مسلم . و قدذكر ابن قتيبة فى كتاب المعارف عن أبى الغاديـة أنه كـان يحـدث عن نفسه بقتل عمار و يقول إن رجلا طعنه فانكشف المغفر عن رأسه فضـربت رأسه فإذارأس عمار قدنـدر. وكيفية هذاالقتل تخالف الكيفية التى رواها ابن عبدالبر. قال أبوعمر و قدروى وكيع عن شـعبة عن عبد بن مرة عن عبد الله بن سلمة [صفحه ١٠٦] قال لكأنى أنظر إلى عمار يوم صـفين و هوصريع فاستسقى فأتى بشربة من لبن فشرب فقال اليوم

ألقى الأحبة . إن رسول الله ص عهد إلى أن آخر شربة أشربها فى الدنيا شربة من لبن ثم استسقى ثانية فأتته امرأة طويلة اليدين بإناء فيه ضياح من لبن فقال حين شربه الحمد لله الجنة تحت الأسنة و الله لوضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قاتل حتى قتل . قال أبوعمر و قدروى حارثة بن المضراب قرأت كتاب عمر إلى أهل الكوفة أما بعدفإنى بعثت إليكم عمارا أميرا و عبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من أصحاب محمدفاسمعوا لهما واقتدوا بهما فإنى قدآثرتكم بعبد الله على نفسى أثرة. قال أبوعمر وإنما قال عمر هما من النجباء لقول رسول الله ص إنه لم يكن نبى إلاأعطى سبعة من أصحابه نجباء وزراء فقهاء وإنى قدأعطيت أربعة عشر حمزة وجعفرا وعليا وحسنا وحسينا و أبابكر وعمر و عبد الله بن مسعود وسلمان وعمارا و أباذر وحذيفة والمقداد وبلالا -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٢٢١ قال أبوعمر وتواترت الأخبار عن رسول الله ص أنه قال تقتل عمارا الفئة الباغية -روايت-١-٢-روايت-٦١-٨٧ و هذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ص و هو من أصح الأحاديث . وكانت صفين فى ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ودفنه على ع فى ثيابه و لم يغسله . [صفحه ١٠٧] وروى أهل الكوفة أنه صلى عليه و هومذهبهم فى الشهداء أنهم لايغسلون ولكن يصلى عليهم . قال أبوعمر وكانت سن عمار يوم قتل نيفا وتسعين سنة وقيل إحدى وتسعين وقيل اثنتين وتسعين وقيل ثلاثا وتسعين

ذكر أبى الهيثم بن التيهان وطرف من أخباره

ثم قال ع وأين ابن التيهان هو أبوالهيثم بن التيهان بالياء المنقوطة باثنتين تحتها المشددة المكسورة وقبلها تاء منقوطة باثنتين فوقها واسمه مالك واسم أبيه مالك أيضا ابن عبيد بن عمرو بن عبدالأعلم بن عامر الأنصارى أحد النقباء ليلة العقبة وقيل إنه لم يكن من أنفسهم وإنه من بلى بن أبى الحارث بن قضاعة وإنه حليف لبنى عبدالأشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا. قال أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب اختلف فى وقت وفاته فذكر خليفة عن الأصمعى قال سألت قومه فقالوا مات فى حياة رسول الله ص . قال أبوعمر و هذا لم يتابع عليه قائله . وقيل إنه توفى سنة عشرين أوإحدى وعشرين . وقيل إنه أدرك صفين وشهدها مع على ع و هوالأكثر. وقيل إنه قتل بها. ثم قال أبوعمر حدثناخلف بن قاسم قال حدثنا الحسن بن رشيق قال [صفحه ١٠٨] حدثناالدولابى قال حدثنا أبوبكر الوجيهى عن أبيه عن صالح بن الوجيه قال وممن قتل بصفين عمار و أبوالهيثم بن التيهان و عبد الله بن بديل وجماعة من البدريين رحمهم الله . ثم روى أبوعمر رواية أخرى فقال حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبدالمؤمن قال حدثناعثمان بن أحمد بن السماك قال حدثناحنبل بن إسحاق بن على قال قال أبونعيم أبوالهيثم بن التيهان اسمه مالك واسم التيهان عمرو بن الحارث أصيب أبوالهيثم مع على يوم صفين . قال أبوعمر هذاقول أبى نعيم وغيره . قلت و هذه الرواية أصح من قول ابن قتيبة فى كتاب المعارف وذكر قوم أن أباالهيثم شهد صفين مع على ع و لايعرف ذلك أهل العلم و لايثبتونه فإن تعصب ابن قتيبة معلوم وكيف يقول لايعرفه أهل العلم و قدقاله أبونعيم وقاله صالح بن الوجيه ورواه ابن عبدالبر وهؤلاء شيوخ المحدثين

ذكر ذى الشهادتين خزيمة بن ثابت وطرف من أخباره

ثم قال ع وأين ذو الشهادتين هوخزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمى الأنصارى من بنى خطمة من الأوس جعل رسول الله ص [صفحه ١٠٩] شهادته كشهادة رجلين لقصة مشهورة يكنى أباعمارة شهد بدرا و مابعدها من المشاهد وكانت راية بنى

خطمة بيده يوم الفتح . قال أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب وشهد صفين مع على بن أبى طالب ع فلما قتل عمار قاتل حتى قتل . قال أبوعمر و قدروى حديث مقتله بصفين من وجوه كثيرة ذكرناها فى كتاب الإستيعاب عن ولد ولده و هو محمد بن عمارة بن خزيمة ذى الشهادة و أنه كان يقول فى صفين سمعت رسول الله ص يقول تقتل عمارا الفئة الباغية -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٥٥ ثم قاتل حتى قتل . قلت و من غريب ماوقعت عليه من العصبية القبيحة أن أباحيان التوحيدى قال فى كتاب البصائر إن خزيمة بن ثابت المقتول مع على ع بصفين ليس هوخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين بل آخر من الأنصار صحابى اسمه خزيمة بن ثابت و هذاخطأ لأن كتب الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن فى الصحابة من الأنصار و لا من غيرالأنصار خزيمة بن ثابت إلاذو الشهادتين وإنما الهوى لادواء له على أن الطبرى صاحب التاريخ قدسبق أباحيان بهذا القول و من كتابه نقل أبوحيان والكتب الموضوعة لأسماء الصحابة تشهد بخلاف ماذكراه ثم أى حاجة لناصرى أمير المؤمنين أن يتكثروا بخزيمة و أبى الهيثم وعمار وغيرهم لوأنصف [صفحه ١١٠] الناس هذا الرجل ورأوه بالعين الصحيحة لعلموا أنه لو كان وحده وحاربه الناس كلهم أجمعون لكان على الحق وكانوا على الباطل . ثم قال ع وأين نظراؤهم من إخوانهم يعنى الذين قتلوا بصفين معه من الصحابة كابن بديل وهاشم بن عتبة وغيرهما ممن ذكرناه فى أخبار صفين . وتعاقدوا على المنية جعلوا بينهم عقدا وروى تعاهدوا. وأبرد برءوسهم إلى الفجرة حملت رءوسهم مع البريد إلى الفسقة للبشارة بها والفجرة هاهنا أمراء عسكر الشام تقول قدأبردت إلى الأمير فأنا مبرد والرسول بريد ويقال للفرانق البريد لأنه ينذر قدام الأسد. قوله أوه على إخوانى ساكنة الواو مكسورة الهاء كلمة شكوى وتوجع و قال الشاعر فأوه لذكراها إذا ماذكرتها || و من بعدأرض دونها وسماء . وربما قلبوا الواو ألفا فقالوا آه من كذا آه على كذا وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا أوه من كذا وربما حذفوا الهاء مع التشديد وكسروا الواو فقالوا أو من كذا بلا مد و قديقولون آوه بالمد والتشديد وفتح الألف وسكون الهاء لتطويل الصوت بالشكاية وربما أدخلوا فيه الياء تارة يمدونه وتارة لايمدونه فيقولون أوياه وآوياه و قدأوه الرجل تأويها وتأوه تأوها إذا قال أوه والاسم منه الآهة بالمد قال المثقب العبدى إذا ماقمت أرحلها بليل || تأوه آهة الرجل الحزين . [صفحه ١١١] قوله ع ووثقوا بالقائد فاتبعوه يعنى نفسه أى وثقوا بأنى على الحق وتيقنوا ذلك فاتبعونى فى حرب من حاربت وسلم من سالمت . قوله الجهاد الجهاد منصوب بفعل مقدر. وإنى معسكر فى يومى أى خارج بالعسكر إلى منزل يكون لهم معسكرا

ذكر سعد بن عبادة ونسبه

وقيس بن سعد بن عبادة بن دليم الخزرجى صحابى يكنى أبا عبدالملك روى عن رسول الله ص أحاديث و كان طوالا جدا سبطا شجاعا جوادا وأبوه سعد رئيس الخزرج و هو ألذى حاولت الأنصار إقامته فى الخلافة بعد رسول الله ص و لم يبايع أبابكر حين بويع وخرج إلى حوران فمات بهاقيل قتلته الجن لأنه بال قائما فى الصحراء ليلا ورووا بيتين من شعر قيل إنهما سمعا ليلة قتله و لم ير قائلهما نحن قتلنا سيد الخزرج || سعد بن عبادة ورميناه بسهمين || فلم نخطئ فؤاده . و يقول قوم إن أميرالشام يومئذ كمن له من رماه ليلا و هوخارج إلى الصحراء بسهمين فقتله لخروجه عن طاعة الإمام و قد قال بعض المتأخرين فى ذلك يقولون سعد شكت الجن قلبه || ألا ربما صححت دينك بالغدر و ماذنب سعد أنه بال قائما || ولكن سعدا لم يبايع أبابكر و قدصبرت من لذة العيش أنفس || و ماصبرت عن لذة النهى والأمر . [صفحه ١١٢] و كان قيس بن سعد من كبار شيعة أمير المؤمنين ع وقائل بمحبته وولائه وشهد معه حروبه كلها و كان مع الحسن ع ونقم عليه صلحه معاوية و كان طالبى الرأى مخلصا فى اعتقاده ووده وأكد ذلك عنده فوات الأمر أباه و مانيل يوم السقيفة وبعده منه فوجد من ذلك فى نفسه وأضمره حتى تمكن

من إظهاره فی خلافة أمير المؤمنين و كماقيل عدو عدوک صديق لک

ذكر أبی أيوب الأنصاری ونسبه

و أما أبوأيوب الأنصاری فهو خالـد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجی من بنی النجار شـهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد و عليه نزل رسول الله ص لماخرج عن بنی عمرو بن عوف حين قـدم المدينـة مهاجرا من مكة فلم يزل عنده حتی بنی مسجده ومساكنه ثم انتقـل إليهـا و يوم المؤاخـاة آخی رسول الله ص بينه و بين مصـعب بن عمير. و قـال أبوعمر فی كتـاب الإستيعاب إن أباأيوب شهـد مع علی ع مشاهـده كلهـا وروی ذلـک عن الكلبی و ابن إسـحاق قالاـ شـهد معه يوم الجمـل وصـفين و كـان مقـدمته يوم النهروان . قوله تختطفها الذئاب الاختطاف أخذک الشـیء بسرعة ويروی تتخطفها قال تعالی تَخافُونَ أَن يَتَخَطّفَكُمُ النّاسُ. ويقال إن هذه الخطبة آخر خطبة أمير المؤمنين ع قائما -قرآن-۷۹-۱۱۴[صفحه ۱۱۳]

۱۸۴- من خطبة له ع

اشاره

الحَمدُ لِلّهِ المَعرُوفِ مِن غَيرِ رُؤيَةٍ الخَالِقِ مِن غَيرِ مَنصَبَةٍ خَلَقَ الخَلَائِقَ بِقُدرَتِهِ وَ استَعبَدَ الأَربَابَ بِعِزّتِهِ وَ سَادَ العُظَمَاءَ بِجُودِهِ وَ هُوَ الّذِی أَسكَنَ الدّنيَا خَلقَهُ وَ بَعَثَ إِلَی الجِنّ وَ الإِنسِ رُسُلَهُ لِيَكشِفُوا لَهُم عَن غِطَائِهَا وَ لِيُحَذّرُوهُم مِن ضَرّائِهَا وَ لِيَضرِبُوا لَهُم أَمثَالَهَا وَ لِيُبَصّرُوهُم عُيُوبَهَا وَ لِيَهجُمُوا عَلَيهِم بِمُعتَبَرٍ مِن تَصَرّفِ مَصَاحّهَا وَ أَسقَامِهَا وَ حَلَالِهَا وَ حَرَامِهَا وَ مَا أَعَدّ اللّهُ سُبحَانَهُ لِلمُطِيعِينَ مِنهُم وَ العُصَاةِ مِن جَنّةٍ وَ نَارٍ وَ كَرَامَةٍ وَ هَوَانٍ أَحمَدُهُ إِلَی نَفسِهِ كَمَا استَحمَدَ إِلَی خَلقِهِ جَعَلَ لِكُلّ شَیءٍ قَدراً وَ لِكُلّ قَدرٍ أَجَلًا وَ لِكُلّ أَجَلٍ كِتَاباً المنصبة بالفتـح والنصب التعب والماضـی نصب بالكسرة وهم ناصب فی قول النابغة كلينی لهم ياأميمة ناصـب .ذو نصب مثل رجل تامر ولابن ويقال هوفاعل بمعنی مفعول فيه لأنه ينصب [صـفحه ۱۱۴] فيه ويتعب كقولهم ليل نائم أی ينام فيه و يوم عاصف أی تعصف فيه الريـح واسـتعبدت فلانا اتخـذته عبـدا والضـراء الشـدة. ومعتبر مصـدر بمعنی الاعتبار ومصاحها جمع مصـحة مفعلـة من الصـحة كمضار جمع مضـرة وصـفه سـبحانه بأنه معروف بالأدلـة لا من طريق الرؤية كماتعرف المرئيات وبأنه يخلق الأشياء و لايتعب كمايتعب الواحد منا فيما يزاوله ويباشر من أفعاله خلق الخلائق بقدرته علی خلقهم لابحركة واعتماد وأسبغ النعمة عليهم أوسعها واستعبد الذين يدعون فی الدنيا أربابا بعزه وقهره . وساد كل عظيم بسعة جوده وأسكن الدنيا خلقه كماورد فی الكتاب العزيزإِنّی جاعِلٌ فِی الأَرضِ خَلِيفَةً. وبعث رسله إلی الجن والإنس كماورد فی الكتاب العزيزيا مَعشَرَ الجِنّ وَ الإِنسِ أَ لَم يَأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم يَقُصّونَ عَلَيكُم آياتِی وَ يُنذِرُونَكُم لِقاءَ يَومِكُم هـذا. قال ليكشـفوا لهم عن غطاء الـدنيا أی عن عوراتها وعيوبها المسـتورة وليخوفوهم من مضرتها وغرورها المفضی إلی عذاب الأبد. وليضربوا لهم أمثالها كالأمثال الواردة فی الكتاب العزيز نحو قوله تعالی إِنّما مَثَلُ الحَياةِ الدّنيا كَماءٍ أَنزَلناهُ مِنَ السّماءِ فَاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ ...الآية. قوله وليهجموا عليهم هجمت علی الرجل دخلت عليه بغتة يقول ليدخلوا عليهم بما فی تصاريف الدنيا من الصحة والسقم و ماأحل و ماحرم علی طريق الابتلاء. -قرآن-۵۵۴-۵۸۸-قرآن-۶۴۵-۷۶۶-قرآن-۹۶۱-۱۰۵۷[صـفحه ۱۱۵] ثـم قـال و ماأعـد الله سـبحانه للمطيعين منهم والعصـاة يجـوز أن تكون مامعطوفـة علی عيوبهـا فيكون موضـعها نصـبا ويجوز أن يكون موضـعها جرا و يكون من تتمـة أقسـام

مایعتبر به والأول أحسن . ثم قال ع إنی أحمد الله کمااستحمد إلی خلقه استحمد إلیهم فعل مایوجب علیهم حمده . ثم قال إنه سبحانه جعل لکل شیء من أفعاله قدرا أی فعله مقدرا محدود الغرض اقتضی ذلک القدر وتلک الکیفیة کما قال سبحانه وَ کُلّ شَیءٍ عِندَهُ بِمِقدارٍ. وجعل لکل شیءمقدر وقتا ینتهی إلیه وینقطع عنده و هوالأجل . ولکل أجل کتابا أی رقوما تعرفها الملائکة فتعلم انقضاء عمر من ینقضی عمره وعدم ماألطافهم فی معرفة عدمه -قرآن-۳۹۸-۴۲۸ مِنهَا فِی ذِکرِ القُرآنِ فَالقُرآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ حُجّةُ اللّهِ عَلَی خَلقِهِ أَخَذَ عَلَیهِ مِیثَاقَهُم وَ ارتَهَنَ عَلَیهِم أَنفُسَهُم أَتَمّ نُورَهُ وَ أَکرَمَ بِهِ دِینَهُ وَ قَبَضَ نَبِیّهُص وَ قَد فَرَغَ إِلَی الخَلقِ مِن أَحکَامِ الهُدَی بِهِ فَعَظّمُوا مِنهُ سُبحَانَهُ مَا عَظّمَ مِن نَفسِهِ فَإِنّهُ لَم یُخفِ عَنکُم شَیئاً مِن دِینِهِ وَ لَم یَترُک شَیئاً رَضِیَهُ أَو کَرِهَهُ إِلّا وَ جَعَلَ لَهُ عَلَماً بَادِیاً وَ آیَةً مُحکَمَةً تَزجُرُ عَنهُ أَو تَدعُو إِلَیهِ فَرِضَاهُ فِیمَا بقَیِ‌َ وَاحِدٌ وَ سَخَطُهُ فِیمَا بقَیِ‌َ وَاحِدٌ [صفحه ۱۱۶] وَ اعلَمُوا أَنّهُ لَن یَرضَی عَنکُم بشِیَ‌ءٍ سَخِطَهُ عَلَی مَن کَانَ قَبلَکُم وَ لَن یَسخَطَ عَلَیکُم بشِیَ‌ءٍ رَضِیَهُ مِمّن کَانَ قَبلَکُم وَ إِنّمَا تَسِیرُونَ فِی أَثَرٍ بَیّنٍ وَ تَتَکَلّمُونَ بِرَجعِ قَولٍ قَد قَالَهُ الرّجَالُ مِن قَبلِکُم قَد کَفَاکُم مَئُونَةَ دُنیَاکُم وَ حَثّکُم عَلَی الشّکرِ وَ افتَرَضَ مِن أَلسِنَتِکُمُ الذّکرَ وَ أَوصَاکُم بِالتّقوَی وَ جَعَلَهَا مُنتَهَی رِضَاهُ وَ حَاجَتَهُ مِن خَلقِهِ فَاتّقُوا اللّهَ ألّذِی أَنتُم بِعَینِهِ وَ نَوَاصِیکُم بِیَدِهِ وَ تَقَلّبُکُم فِی قَبضَتِهِ إِن أَسرَرتُم عَلِمَهُ وَ إِن أَعلَنتُم کَتَبَهُ قَد وَکّلَ بِذَلِکَ حَفَظَةً کِرَاماً لَا یُسقِطُونَ حَقّاً وَ لَا یُثبِتُونَ بَاطِلًا وَ اعلَمُوا أَنّهُ مَن یَتّقِ اللّهَ یَجعَل لَهُ مَخرَجاً مِنَ الفِتَنِ وَ نُوراً مِنَ الظّلَمِ وَ یُخَلّدهُ فِیمَا اشتَهَت نَفسُهُ وَ یُنزِلهُ مَنزِلَ الکَرَامَةِ عِندَهُ فِی دَارٍ اصطَنَعَهَا لِنَفسِهِ ظِلّهَا عَرشُهُ وَ نُورُهَا بَهجَتُهُ وَ زُوّارُهَا مَلَائِکَتُهُ وَ رُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ فَبَادِرُوا المَعَادَ وَ سَابِقُوا الآجَالَ فَإِنّ النّاسَ یُوشِکُ أَن یَنقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ وَ یَرهَقَهُمُ الأَجَلُ وَ یُسَدّ عَنهُم بَابُ التّوبَةِ فَقَد أَصبَحتُم فِی مِثلِ مَا سَأَلَ إِلَیهِ الرّجعَةَ مَن کَانَ قَبلَکُم وَ أَنتُم بَنُو سَبِیلٍ عَلَی سَفَرٍ مِن دَارٍ لَیسَت بِدَارِکُم وَ قَد أُوذِنتُم مِنهَا بِالِارتِحَالِ وَ أُمِرتُم فِیهَا بِالزّادِ جعل القرآن آمرا وزاجر لما کان خالقه و هو الله سبحانه آمرا زاجرا به فأسند الأمر والزجر إلیه کماتقول سیف قاتل وإنما القاتل الضارب به وجعله صامتا ناطقا لأنه من حیث هوحروف وأصوات صامت إذ کان العرض یستحیل أن یکون ناطقا [صفحه ۱۱۷] لأن النطق حرکة الأداة بالکلام والکلام یستحیل أن یکون ذا أداة ینطق بالکلام بها و هو من حیث یتضمن الإخبار والأمر والنهی والنداء و غیر ذلک من أقسام الکلام کالناطق لأن الفهم یقع عنده و هذا من باب المجاز کماتقول هذه الربوع الناطقة وأخبرتنی الدیار بعدرحیلهم بکذا. ثم وصفه بأنه حجة الله علی خلقه لأنه المعجزة الأصلیة.أخذ سبحانه علی الخلائق میثاقه وارتهن علیه أنفسهم لما کان سبحانه قدقرر فی عقول المکلفین أدلة التوحید والعدل و من جملة مسائل العدل النبوة ویثبت نبوة محمدص عقلا کان سبحانه بذلک کالآخذ میثاق المکلفین بتصدیق دعوته وقبول القرآن ألذی جاء وجعل به نفسهم رهنا علی الوفاء بذلک فمن خالف خسر نفسه وهلک هلاک الأبد. هذاتفسیر المحققین و من الناس من یقول المراد بذلک قصة الذریة قبل خلق آدم ع کماورد فی الأخبار و کمافسر قوم علیه الآیة. ثم ذکر ع أن الله تعالی قبض رسوله ص و قدفرغ إلی الخلق بالقرآن من الإکمال والإتمام کقوله تعالی الیَومَ أَکمَلتُ لَکُم دِینَکُم وَ أَتمَمتُ عَلَیکُم نِعمتَیِ و إذا کان قدأکمله لم یبق فیه نقص ینتظر إتمامه . قال فعظموا من الله ماعظم من نفسه لأنه سبحانه وصف نفسه بالعظمة والجلال فی أکثر القرآن فالواجب علینا أن نعظمه علی حسب ماعظم نفسه سبحانه . ثم علل وجوب تعظیمه وحسن أمره لنا بتعظیمه سبحانه بکونه لم یخف عنا شیئا من أمر دیننا و ذلک لأن الشرعیات مصالح المکلفین و إذافعل الحکیم سبحانه بنا -قرآن-۹۰۳-۹۶۴ [صفحه ۱۱۸] ما فیه صلاحنا فقد أحسن إلینا و من جملة صلاحنا تعریفنا من الشرعیات مافعله لطف ومفض بنا إلی الثواب و هذاأبلغ ما یکون من الإحسان والمحسن یجب تعظیمه وشکره . قال لم یترک شیئا إلا وجعل له نصا ظاهرا یدل علیه أوعلما یستدل به علیه أی إما منصوص علیه صریحا أویمکن أن یستنبط حکمه من القرآن إما بذکره أوبترکه فیبقی علی البراءة الأصلیة وحکم العقل . قوله فرضاه فیما بقی واحد معناه أن ما لم ینص علیه صریحا بل هو فی محل النظر لیس یجوز للعلماء أن یجتهدوا فیه فیحله بعضهم ویحرمه بعضهم بل رضا الله سبحانه أمر واحد وکذلک سخطه فلیس

يجوز أن يكـون شـيء من الأشـياء يفـتى فيه قـوم بالحـل وقـوم بالحرمـة و هـذاقول منه ع بتحريم الاجتهـاد و قدسـبق منه ع مثل هـذاالكلام مرارا. قـوله واعلموا أنه ليس يرضـى عنكم الكلام إلى منتهـاه معنـاه أنه ليس يرضـى عنكم بالاختلاف فى الفتـاوى والأحكـام كمـااختلف الأمم من قبلكم فسـخط اختلافهم قال سـبحانه إِنّ الّـذِينَ فَرّقُوا دِينَهُم وَ كانُوا شِيَعاً لَستَ مِنهُم فِي شَيءٍ. وكـذلك ليس يسـخط عليكم بالاتفـاق والاجتمـاع الـذى رضـيه ممن كـان قبلكم من القرون . ويجوز أن يفسـر هـذاالكلام بأنه لايرضـى عنكم بما سـخطه على الذين من قبلكم من الاعتقادات الفاسدة فى التوحيد والعدل و لايسـخط عليكم بما تعتقدونه من الاعتقـادات الصـحيحة التى رضـيها ممن كـان قبلكم فى التوحيـد والعـدل فيكون الكلام مصـروفا إلى الأصول لا إلى الفروع . – قرآن–٨٦۴–٩٣٥ [صـفحه ١١٩] قال وإنما تسـيرون فى أثر بين أى إن الأدلـة واضـحة و ليس مراده الأمر بالتقليـد وكـذلك قوله وتتكلمون برجع قول قـدقاله الرجال من قبلكم يعنى كلمـة التوحيـد لاإله إلا الله قدقالها الموحدون من قبل هذه الملة لاتقليدا بل بـالنظر والـدليل فقولوها أنتم كـذلك . ثم ذكر أنه سـبحانه قـدكفى الخلق مئونـة دنياهم قال الحسن البصـرى إن الله تعالى كفانا مئونـة دنيانـا وحثنـا على القيـام بوظـائف ديننـا فليته كفانا مئونـة ديننا وحثنا على القيام بوظائف دنيانا. قوله وافترض من ألسـنتكم الـذكر افترض عليكم أن تـذكروه وتشـكروه بألسـنتكم و من متعلقـة بمحذوف دل عليه المصدر المتأخر تقديره وافترض عليكم الـذكر من ألسـنتكم الـذكر. ثم ذكر أن التقوى المفترضـة هى رضـا الله وحـاجته من خلقه لفظـة حاجته مجاز لأن الله تعالى غنى غيرمحتـاج ولكنه لمابـالغ فى الحث والحض عليهـا وتوعـد على تركها جعله كالمحتاج إلى الشـىء ووجه المشاركـة أن المحتاج يحث ويحض على حاجته وكذلك الآمر المكلف إذاأكد الأمر. قوله أنتم بعينه أى يعلم أحوالكم ونواصـيكم بيده الناصـية مقدم شعر الرأس أى هوقـادر عليكم قاهر لكم متمكن من التصـرف فيكم كالإنسان القابض على ناصـية غيره . وتقلبكم فى قبضـته أى تصـرفكم تحت حكمه لوشاء أن يمنعكم منعكم فهو كالشـىء فى قبضة الإنسان إن شاء اسـتدام القبض عليه و إن شاء تركه . ثم قال إن أسـررتم أمرا علمه و إن أظهرتموه كتبه ليس على أن الكتابة غيرالعلم بل هما شـىءواحد ولكن اللفظ مختلف . [صـفحه ١٢٠] ثم ذكر أن الملائكـة موكلـة بـالمكلف و هـذا هونص الكتـاب العزيز و قدتقـدم القول فى ذلك . ثم انتقل إلى ذكر الجنة والكلام يدل على أنها فى السماء و أن العرش فوقها. ومعنى قوله اصطنعها لنفسه إعظامها وإجلالها كما قال لموسى وَ اصطَنَعتُكَ لِنَفسِي ولأنه لماتعارف الناس فى تعظيم مايصنعونه أن يقول الواحد منهم لصاحبه قدوهبتك هذه الدار التى اصطنعتها لنفسى أى أحكمتهـا و لم أكن فى بنائهـا متكلفا بأن أبنيها لغيرى صـح وحسن من البليغ الفصـيح أن يستعير مثل ذلك فيما لم يصـطنعه فى الحقيقـة لنفسه وإنما هوعظيم جليل عنده . قوله ونورها بهجته هذاأيضا مسـتعار كأنه لما كان إشـراق نورها عظيما جدا نسبه إلى بهجة البـارئ و ليس هناك بهجـة على الحقيقـة لأن البهجـة حسن الخلقـة قال تعالى وَ أَنبَتنا فِيها مِن كُلّ زَوجٍ بَهِيـجٍ أى من كل صنف حسن . قوله وزوارها ملائكته قـدورد فى هـذا من الأخبار كثير جـدا ورفقاؤها رسـله من قوله تعالى وَ حَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً. ويوشك بكسر الشـين فعل مسـتقبل ماضيه أوشك أى أسـرع . ورهقه الأمر بالكسر فاجأه . ويسـد عنهم باب التوبة لأنه لاتقبل عندنزول الموت بالإنسان من حيث كان يفعلها خوفا فقط لالقبح القبيح قال تعالى وَ لَيسَتِ التّوبَةُ لِلّذِينَ يَعمَلُونَ السّيّئاتِ حَتّى إِذا حَضَـرَ أَحَـدَهُمُ المَوتُ قـالَ إِنّيّ تُبتُ الآنَ. –قرآن–٢٢۴–٢۴٧–قرآن–۶٩٠–٧٢٩–قرآن–٨۴١–٨۶٧–قرآن–١٠٧٠–١١٨٢ [صفحه ١٢١] وإنمـا قـال فى مثـل ماسأل إليه الرجعـة من كان قبلكم كقوله سـبحانه حَتّى إِذا جاءَ أَحَـدَهُمُ المَوتُ قالَ رَبّ ارجِعُونِ لَعَلّيّ أَعمَـلُ صالِحـاً فِيما تَرَكـتُ كَلّا إِنّها كَلِمَـةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِن وَرائِهِم بَرزَخٌ إِلى يَومِ يُبعَثُونَ. وبنو سبيل أرباب طريق مسافرون . وأوذن فلان بكذا أعلم وآذنته أعلمته . و قدتقدم لنا كلام بالغ فى التقوى وماهيتها وتأكيد وصاة الخالق سـبحانه والرسول ع بها –قرآن– ٢۴۴–۶٩

روى المبرد فى الكامل أن رجلاـ قال لعمر بن الخطاب اتق الله يا أمير المؤمنين فقال له رجل أتألت على أمير المؤمنين أى أتنتقصه فقال عمر دعه فلاخير فيهم إذا لم يقولوها و لاخير فينا إذا لم تقل لنا. وكتب أبوالعتاهية إلى سهل بن صالح و كان مقيما بمكة أما بعدفأنا أوصيك بتقوى الله ألذى لاغناء بك عن تقاته وأتقدم إليك عن الله ونذكرك مكر الله فيما دبت به إليك ساعات الليل والنهار فلاتخدعن عن دينك فإن ساعاتك أوقاتك إن ظفرت بذلك منك وجدت الله فيك أسرع مكرا وأنفذ فيك أمرا ووجدت مامكرت به فى غيرذات الله غيرراد عنك يد الله و لامانع لك من أمر الله ولعمرى لقد ملأت عينك الفكر واضطربت فى سمعك أصوات العبر ورأيت آثار نعم الله نسختها آثار نقمه حين استهزئ بأمره وجوهر بمعاندته ألا إن فى حكم الله [صفحه ١٢٢] أنه من أكرمه الله فاستهان بأمره أهانه الله السعيد من وعظ بغيره لاوعظك الله فى نفسك وجعل عظتك فى غيرك و لاجعل الدنيا عليك حسرة وندامة برحمته . و من كلام رسول الله ص لاكرم كالتقوى و لامال أعود من العقل و لاوحدة أوحش من العجب و لاعقل كالتدبير و لاقرين كحسن الخلق و لاميراث كالأدب و لافائدة كالتوفيق و لاتجارة كالعمل الصالح و لاربح كثواب الله و لاورع كالوقوف عندالشبهة و لازهد كالزهد فى الحرام و لاعلم كالتفكر و لاعبادة كأداء الفرائض و لاإيمان كالحياء والصبر و لاحسب كالتواضع و لاشرف كالعلم و لامظاهرة أوفق من المشورة فاحفظ الرأس و ماحوى والبطن و ماوعى واذكر الموت وطول البلى -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٤٧٢ وَ اعلَمُوا أَنّهُ لَيسَ لِهَذَا الجِلدِ الرّقِيقِ صَبرٌ عَلَى النّارِ فَارحَمُوا نُفُوسَكُم فَإِنّكُم قَد جَرّبتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدّنيَا فَرَأَيتُم جَزَعَ أَحَدِكُم مِنَ الشّوكَةِ تُصِيبُهُ وَ العَثرَةِ تُدمِيهِ وَ الرّمضَاءِ تُحرِقُهُ فَكَيفَ إِذَا كَانَ بَينَ طَابَقَينِ مِن نَارٍ ضَجِيعَ حَجَرٍ وَ قَرِينَ شَيطَانٍ أَ عَلِمتُم أَنّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النّارِ حَطَمَ بَعضُهَا بَعضاً لِغَضَبِهِ وَ إِذَا زَجَرَهَا تَوَثّبَت بَينَ أَبوَابِهَا جَزَعاً مِن زَجرَتِهِ أَيّهَا اليَفَنُ الكَبِيرُ ألّذِي قَد لَهَزَهُ القَتِيرُ كَيفَ أَنتَ إِذَا التَحَمَت أَطوَاقُ النّارِ بِعِظَامِ الأَعنَاقِ وَ نَشِبَتِ الجَوَامِعُ حَتّى أَكَلَت لُحُومَ السّوَاعِدِ فَاللّهَ اللّهَ مَعشَرَ العِبَادِ وَ أَنتُم سَالِمُونَ فِي الصّحّةِ قَبلَ السّقمِ وَ فِي الفُسحَةِ قَبلَ الضّيقِ فَاسعَوا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُم مِن قَبلِ أَن تُغلَقَ رَهَائِنُهَا [صفحه ١٢٣] أَسهِرُوا عُيُونَكُم وَ أَضمِرُوا بُطُونَكُم وَ استَعمِلُوا أَقدَامَكُم وَ أَنفِقُوا أَموَالَكُم وَ خُذُوا مِن أَجسَادِكُم فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنفُسِكُم وَ لَا تَبخَلُوا بِهَا عَنهَا فَقَد قَالَ اللّهُ سُبحَانَهُإِن تَنصُرُوا اللّهَ يَنصُركُم وَ يُثَبّت أَقدامَكُم وَ قَالَ تَعَالَيمَن ذَا ألّذِي يُقرِضُ اللّهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجرٌ كَرِيمٌفَلَم يَستَنصِركُم مِن ذُلّ وَ لَم يَستَقرِضكُم مِن قُلّ استَنصَرَكُم وَ لَهُ جُنُودُ السّمَاوَاتِ وَ الأَرضِ وَ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ وَ استَقرَضَكُم وَ لَهُ خَزَائِنُ السّمَاوَاتِ وَ الأَرضِ وَ هُوَ الغَنِيّ الحَمِيدُ وَ إِنّمَا أَرَادَ أَن يَبلُوَكُم أَيّكُم أَحسَنُ عَمَلًا فَبَادِرُوا بِأَعمَالِكُم تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللّهِ فِي دَارِهِ رَافَقَ بِهِم رُسُلَهُ وَ أَزَارَهُم مَلَائِكَتَهُ وَ أَكرَمَ أَسمَاعَهُم أَن تَسمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً وَ صَانَ أَجسَادَهُم أَن تَلقَى لُغُوباً وَ نَصَباًذلِكَ فَضلُ اللّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِأَقُولُ مَا تَسمَعُونَ وَ اللّهُ المُستَعَانُ عَلَى نَفسِي وَ أَنفُسِكُم وَ هُوَ حَسبُنَا وَ نِعمَ الوَكِيلُ -قرآن-٢١٦-٢٦٧-قرآن-٢٨٦-٣٦٩-قرآن-٨٨٠-٩٤٩ الرمضاء الأرض الشديدة الحرارة والرمض بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل وغيره و قدرمض يومنا بالكسر يرمض رمضا اشتد حره وأرض رمضة الحجارة ورمضت قدمه من الرمضاء احترقت . [صفحه ١٢٤] والطابق بالفتح الآجرة الكبيرة و هوفارسى معرب . وضجيع حجر يومئ فيه إلى قوله تعالى وَقُودُهَا النّاسُ وَ الحِجارَةُقيل إنها حجارة الكبريت . وقرين شيطان يومئ فيه إلى قوله تعالى قالَ قَرِينُهُ رَبّنا ما أَطغَيتُهُ. وحطم بعضها بعضا كسره أوأكله والحطمة من أسماء النار لأنها تحطم ماتلقى و منه سمى الرجل الكثير الأكل حطمة. واليفن الشيخ الكبير ولهزه خالطه ويقال له حينئذ ملهوز ثم أشمط ثم أشيب ولهزت القوم خالطتهم ودخلت بينهم . والقتير الشيب وأصله رءوس المسامير فى الدروع تسمى قتيرا. والتحمت أطواق النار بالعظام التفت عليها وانضمت إليها والتصقت بها. والجوامع جمع جامعة وهى الغل لأنها تجمع اليدين إلى

العنق . ونشبت علقت والسواعد جمع ساعد و هوالذراع . و فی من قوله فی الصحهٔ قبل السقم متعلقهٔ بالمحذوف الناصب لله و هواتقوا أی اتقوه سبحانه فی زمان صحتکم قبل أن ینزل بکم السقم و فی فسحهٔ أعمارکم قبل أن تبدل بالضیق . وفکاک الرقاب بفتح الفاء عتقها قبل أن تغلق رهائنها یقال غلق الرهن بالکسر إذااستحقه المرتهن بألا یفکه الراهن فی الوقت المشروط و کان ذلک من شرع الجاهلیهٔ فنهی عنه النبی ص و قال لایغلق الرهن . -قرآن-۹۱-۱۲۲-قرآن-۱۹۱-۲۲۵ [صفحه ۱۲۵] وخذوا من أجسادکم أی أتعبوها بالعبادهٔ حتی تنحل . والقل القلهٔ والذل الذلهٔ. وحسیس النار صوتها واللغوب النصب

طرف وأخبار

ونظیر قوله ع استقرضکم و له خزائن السماوات و الأرض مارواه المبرد فی الکامل عن أبی عثمان المازنی عن أبی زید الأنصاری قال وقف علینا أعرابی فی حلقهٔ یونس النحوی فقال الحمد لله کما هوأهله وأعوذ بالله أن أذکر به وأنساه خرجنا من المدینهٔ مدینهٔ الرسول ص ثلاثین رجلا ممن أخرجته الحاجهٔ وحمل علی المکروه و لایمرضون مرضاهم و لایدفنون میتهم و لاینتقلون من منزل إلی منزل و إن کرهوه و الله یاقوم لقد جعت حتی أکلت النوی المحرق ولقد مشیت حتی انتعلت الدم و حتی خرج من قدمی بخص ولحم کثیر أ فلا رجل یرحم ابن سبیل وفل طریق ونضو سفر فإنه لاقلیل من الأجر و لاغنی عن ثواب الله و لاعمل بعدالموت و هوسبحانه یقول مَن ذَا الّذِی -قرآن-۶۴۶-۶۵۹ ونظیر قوله ع استقرضکم و له خزائن السماوات و الأرض مارواه المبرد فی الکامل عن أبی عثمان المازنی عن أبی زید الأنصاری قال وقف علینا أعرابی فی حلقهٔ یونس النحوی فقال الحمد لله کما هوأهله وأعوذ بالله أن أذکر به وأنساه خرجنا من المدینهٔ مدینهٔ الرسول ص ثلاثین رجلا ممن أخرجته الحاجهٔ وحمل علی المکروه و لایمرضون مرضاهم و لایدفنون میتهم و لاینتقلون من منزل إلی منزل و إن کرهوه و الله یاقوم لقد جعت حتی أکلت النوی المحرق ولقد مشیت حتی انتعلت الدم و حتی خرج من قدمی بخص ولحم کثیر أ فلا رجل یرحم ابن سبیل وفل طریق ونضو سفر فإنه لاقلیل من الأجر و لاغنی عن ثواب الله و لاعمل بعدالموت و هوسبحانه یقول مَن ذَا الّذِی یُقرِضُ اللّهَ قَرضاً حَسَناًملی وفی ماجد واجد جواد لایستقرض من عوز ولکنه یبلو الأخیار. قال المازنی فبلغنی أنه لم یبرح حتی أخذ ستین دینارا. و من کلام علی بن عبیدهٔ الریحانی الأیام مستودعات الأعمال ونعم الأرضون هی لمن بذر فیهاالخیر والعمل الصالح . وخطب الحجاج فقال أیها الناس إنکم أغراض حمام وفرص هلکهٔ قدأنذرکم القرآن ونادی برحیلکم الجدیدان ها إن لکم موعدا لاتؤخر ساعته و لاتدفع هجمته و کان قددلفت إلیکم نازلته فتعلق بکم ریب المنون وعلقت بکم أم اللهیم الحیزبون فما ذا هیأتم للرحیل و ماذا أعددتم للنزیل من لم یأخذ أهبهٔ الحذر نزل به مرهوب القدر -قرآن-۱-۳۰

خطبهٔ لأبی الشخباء العسقلانی

قلت و قدشغف الناس فی المواعظ بکلام کاتب محدث یعرف بابن أبی الشخباء [صفحه ۱۲۷] العسقلانی و أناأورد هاهنا خطبهٔ من مواعظه هی أحسن ماوجدته له لیعلم الفرق بین الکلام الأصیل والمولد.أیها الناس فکوا أنفسکم من حلقات الآمال المتعبهٔ وخففوا ظهورکم من الآصار المستحقبهٔ و لاتسیموا أطماعکم فی ریاض الأمانی المتشعبهٔ و لاتمیلوا صغواکم إلی زبارج الدنیا المحببهٔ فتظل أجسامکم فی هشائمها عاملهٔ نصبهٔ أ ماعلمتم أن طباعها علی الغدر مرکبهٔ وأنها لأعمار أهلها منتهبهٔ و لماساءهم منتظرهٔ مرتقبهٔ فی هبتها راجعهٔ متعقبهٔ فانضوا رحمکم الله رکائب الاعتبار مشرقهٔ ومغربهٔ وأجروا خیول التفکر مصعدهٔ ومصوبهٔ هل

تجدون إلاقصورا على عروشها خربة وديارا معطشة من أهلها مجدبة أين الأمم السالفة المتشعبة والجبابرة الماضية المتغلبة والملوك المعظمة المرجبة أولو الحفدة والحجبة والزخارف المعجبة والجيوش الحرارة اللجبة والخيام الفضفاضة المطنبة والجياد الأعوجية المجنبة والمصاعب الشدقمية المصحبة واللدان المثقفة المدربة والماذية الحصينة المنتخبة طرقت و الله خيامهم غيرمنتهبة وأزارتهم من الأسقام سيوفا معطبة وسيرت إليهم الأيام من نوبها كتائب مكتبة فأصبحت أظفار المنية من مهجهم قانية مختضبة وغدت أصوات النادبات عليهم مجلبة وأكلت لحومهم هوام الأرض السغبة ثم إنهم مجموعون ليوم لايقبل فيه عذر و لامعتبة وتجازى كل نفس بما كانت مكتسبة فسعيدة مقربة تجرى من تحتها الأنهار مثوبة وشقية معذبة فى النار مكبكبة. هذه أحسن خطبة خطبها هذاالكاتب وهى كماتراها ظاهرة التكلف بينة التوليد تخطب على نفسها وإنما ذكرت هذالأن كثيرا من أرباب الهوى يقولون إن كثيرا من نهج البلاغة كلام محدث صنعه قوم من فصحاء الشيعة وربما عزوا بعضه إلى الرضى أبى الحسن وغيره وهؤلاء قوم أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح [صفحه ١٢٨] وركبوا بنيات الطريق ضلالا وقلة معرفة بأساليب الكلام و أناأوضح لك بكلام مختصر ما فى هذاالخاطر من الغلط فأقول

رأى للمؤلف فى كتاب نهج البلاغة

لايخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعا منحولا أوبعضه والأول باطل بالضرورة لأنا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين ع و قدنقل المحدثون كلهم أوجلهم والمؤرخون كثيرا منه وليسوا من الشيعة لينسبوا إلى غرض فى ذلك والثانى يدل على ماقلناه لأن من قدأنس بالكلام والخطابة وشدا طرفا من علم البيان وصار له ذوق فى هذاالباب لابد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح و بين الفصيح والأفصح و بين الأصيل والمولد و إذاوقف على كراس واحد يتضمن كلاما لجماعة من الخطباء أولاثنين منهم فقط فلابد أن يفرق بين الكلامين ويميز بين الطريقتين أ لاترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده لوتصفحنا ديوان أبى تمام فوجدناه قدكتب فى أثنائه قصائد أوقصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مباينتها لشعر أبى تمام ونفسه وطريقته ومذهبه فى القريض أ لاترى أن العلماء بهذا الشأن حذفوا من شعره قصائد كثيرة منحولة إليه لمباينتها لمذهبه فى الشعر وكذلك حذفوا من شعر أبى نواس شيئا كثيرا لماظهر لهم أنه ليس من ألفاظه و لا من شعره وكذلك غيرهما من الشعراء و لم يعتمدوا فى ذلك إلا على الذوق خاصة. و أنت إذاتأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا ونفسا واحدا وأسلوبا واحدا كالجسم البسيط ألذى ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقى الأبعاض فى الماهية وكالقرآن العزيز أوله كأوسطه وأوسطه كآخره و كل سورة منه و كل آية مماثلة فى [صفحه ١٢٩] المأخذ والمذهب والفن والطريق والنظم لباقى الآيات والسور و لو كان بعض نهج البلاغة منحولا وبعضه صحيحا لم يكن ذلك كذلك فقد ظهر لك بهذا البرهان الواضح ضلال من زعم أن هذاالكتاب أوبعضه منحول إلى أمير المؤمنين ع . واعلم أن قائل هذاالقول يطرق على نفسه ما لاقبل له به لأنا متى فتحنا هذاالباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا فى هذاالنحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله ص أبدا وساغ لطاعن أن يطعن و يقول هذاالخبر منحول و هذاالكلام مصنوع وكذلك مانقل عن أبى بكر وعمر من الكلام والخطب والمواعظ والأدب و غير ذلك و كل أمر جعله هذاالطاعن مستندا له فيما يرويه عن النبى ص والأئمة الراشدين والصحابة والتابعين والشعراء والمترسلين والخطباء فلناصرى أمير المؤمنين ع أن يستندوا إلى مثله فيما يروونه عنه من نهج البلاغة وغيره و هذاواضح [صفحه ١٣٠]

١٨٥– و من كلام له ع قاله للبرج بن مسهر الطائى

و قد قال له بحيث يسمعه لاحكم إلا الله و كان من الخوارج اسكت قبحك اللّهُ يَا أَثرَمُ فَوَاللّهِ لَقَد ظَهَرَ الحَقّ فَكَنتَ فِيهِ ضَئِيلًا شَخصُكَ خَفِيّاً صَوتُكَ حَتّى إِذَا نَعَرَ البَاطِلُ نَجَمتَ نُجُومَ قَرنِ المَاعِزِ البرج بن مسهر بضم الميم وكسر الهاء بن الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد بن طريف بن مالك بن جدعاء بن ذهل بن رومان بن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طى بن داود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان شاعر مشهور من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه أمير المؤمنين ع فزجره . وقبحك الله لفظة معناها كسرك يقال قبحت الجوزة أى كسرتها وقيل قبحه نحاه عن الخير و كان البرج ساقط الثنية فأهانه بأن دعاه به كمايهان الأعور بأن يقال له ياأعور. والضئيل الدقيق الخفى ضؤل الرجل بالضم ضآلة نحف وضؤل رأيه صغر و رجل متضائل أى شخت وكذلك ضؤلة. [صفحه ۱۳۱] ونعر الباطل صاح والمراد أهل الباطل ونعر فلان فى الفتنة نهض فيها. ونجم طلع أى طلع بلا شرف و لاشجاعة و لاقدم بل على غفلة كماينبت قرن الماعز و هذا من باب البديع و هو أن يشبه الأمر يراد إهانته بالمهين ويشبه الأمر يراد إعظامه بالعظيم و لو كان قدتكلم فى شأن ناجم يريد تعظيمه لقال نجم نجوم الكوكب من تحت الغمام نجوم نور الربيع من الأكمام ونحو ذلك [صفحه ۱۳۲]

۱۸۶– و من خطبة له ع

اشاره

روُيَ أَنّ صَاحِباً لِأَمِيرِ المُؤمِنِينَ ع يُقَالُ لَهُ هَمّامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِداً فَقَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ صِف لِيَ المُتّقِينَ حَتّى كأَنَيّ أَنظُرُ إِلَيهِم فَتَثَاقَلَ ع عَن جَوَابِهِ ثُمّ قَالَ يَا هَمّامُ اتّقِ اللّهَ وَ أَحسِن فَإِنّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَ الّذِينَ هُم مُحسِنُونَفَلَم يَقنَع هَمّامٌ بِهَذَا القَولِ حَتّى عَزَمَ عَلَيهِ فَحَمِدَ اللّهَ وَ أَثنَى عَلَيهِ وَ صَلّى عَلَى النّبِيّص ثُمّ قَالَ ع أَمّا بَعدُ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلقَ حَيثُ خَلَقَهُم غَنِيّاً عَن طَاعَتِهِم آمِناً مِن مَعصِيَتِهِم لِأَنّهُ لَا تَضُرّهُ مَعصِيَةُ مَن عَصَاهُ وَ لَا تَنفَعُهُ طَاعَةُ مَن أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَينَهُم مَعَايِشَهُم وَ وَضَعَهُم مِنَ الدّنيَا مَوَاضِعَهُم فَالمُتّقُونَ فِيهَا هُم أَهلُ الفَضَائِلِ مَنطِقُهُمُ الصّوَابُ وَ مَلبَسُهُمُ الِاقتِصَادُ وَ مَشيُهُمُ التّوَاضُعُ غَضّوا أَبصَارَهُم عَمّا حَرّمَ اللّهُ عَلَيهِم وَ وَقَفُوا أَسمَاعَهُم عَلَى العِلمِ النّافِعِ لَهُم نُزّلَت أَنفُسُهُم مِنهُم فِي البَلَاءِ كَالّذِي نُزّلَت فِي الرّخَاءِ لَو لَا الأَجَلُ ألّذِى كَتَبَ اللّهُ لَهُم لَم تَستَقِرّ أَروَاحُهُم فِي أَجسَادِهِم طَرفَةَ عَينٍ شَوقاً إِلَى الثّوَابِ وَ خَوفاً مِنَ العِقَابِ –قرآن–۲۶۰–۳۱۹ [صفحه ۱۳۳] عَظُمَ الخَالِقُ فِي أَنفُسِهِم فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعيُنِهِم فَهُم وَ الجَنّةُ كَمَن قَد رَآهَا فَهُم فِيهَا مُنَعّمُونَ وَ هُم وَ النّارُ كَمَن قَد رَآهَا فَهُم فِيهَا مُعَذّبُونَ قُلُوبُهُم مَحزُونَةٌ وَ شُرُورُهُم مَأمُونَةٌ وَ أَجسَادُهُم نَحِيفَةٌ وَ حَاجَاتُهُم خَفِيفَةٌ وَ أَنفُسُهُم عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيّاماً قَصِيرَةً أَعقَبَتهُم رَاحَةً طَوِيلَةً تِجَارَةٌ مُربِحَةٌ يَسّرَهَا لَهُم رَبّهُم أَرَادَتهُمُ الدّنيَا فَلَم يُرِيدُوهَا وَ أَسَرَتهُم فَفَدَوا أَنفُسَهُم مِنهَا أَمّا اللّيلَ فَصَافّونَ أَقدَامَهُم تَالِينَ لِأَجزَاءِ القُرآنِ يُرَتّلُونَهَا تَرتِيلًا يُحَزّنُونَ بِهِ أَنفُسَهُم وَ يَستَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِم فَإِذَا مَرّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيهَا طَمَعاً وَ تَطَلّعَت نُفُوسُهُم إِلَيهَا شَوقاً وَ ظَنّوا أَنّهَا نُصبَ أَعيُنِهِم وَ إِذَا مَرّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخوِيفٌ أَصغَوا إِلَيهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِم وَ ظَنّوا أَنّ زَفِيرَ جَهَنّمَ وَ شَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِم فَهُم حَانُونَ عَلَى أَوسَاطِهِم مُفتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِم وَ أَكُفّهِم وَ رُكَبِهِم وَ أَطرَافِ أَقدَامِهِم يَطلُبُونَ إِلَى اللّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِم وَ أَمّا النّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبرَارٌ أَتقِيَاءُ قَد بَرَاهُمُ الخَوفُ برَيَ القِدَاحِ يَنظُرُ إِلَيهِمُ النّاظِرُ فَيَحسَبُهُم مَرضَى وَ مَا بِالقَومِ مِن مَرَضٍ وَ يَقُولُ لَقَد خُولِطُوا وَ لَقَد خَالَطَهُم أَمرٌ عَظِيمٌ لَا يَرضَونَ مِن أَعمَالِهِمُ القَلِيلَ وَ لَا يَستَكثِرُونَ الكَثِيرَ فَهُم لِأَنفُسِهِم مُتّهِمُونَ وَ مِن أَعمَالِهِم مُشفِقُونَ إِذَا زُكّيَ أَحَدٌ مِنهُم خَافَ مِمّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَنَا أَعلَمُ بِنَفسِي مِن غَيرِي وَ ربَيّ أَعلَمُ بِي منِيّ بِنَفسِي أللّهُمّ لَا تُؤَاخِذنِي بِمَا يَقُولُونَ وَ اجعَلنِي أَفضَلَ مِمّا يَظُنّونَ وَ اغفِر لِي مَا لَا يَعلَمُونَ [صفحه ۱۳۴] همام المذكور فى

هذه الخطبة هوهمام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مران بن صيفى بن سعد العشيرة. و كان همام هذا من شيعة أمير المؤمنين ع وأوليائه و كان ناسكا عابدا قال له يا أمير المؤمنين صف لى المتقين حتى أصير بوصفك إياهم كالناظر إليهم .فتثاقل عن جوابه أى أبطأ.فعزم عليه أى أقسم عليه وتقول لمن يكرر عليك الطلب والسؤال قدعزم على أى أصر وقطع وكذلك تقول فى الأمر تريد فعله وتقطع عليه عزمت عزما وعزمانا وعزيمة وعزيما. فإن قلت كيف جاز له ع أن يتثاقل عن جواب المسترشد. قلت يجوز أن يكون تثاقل عن جوابه لأنه علم أن المصلحة فى تأخير الجواب ولعله كان حضر المجلس من لايحب أن يجيب و هوحاضر فلما انصرف أجاب ولعله رأى أن تثاقله عن الجواب يشد تشوق همام إلى سماعه فيكون أنجع فى موعظته ولعله كان من باب تأخير البيان إلى وقت الحاجة لا من باب تأخير البيان عن وقت الحاجة ولعله تثاقل عن الجواب ليرتب المعانى التى خطرت له فى ألفاظ مناسبة لها ثم ينطق بها كمايفعله المتروى فى الخطبة والقريض . فإن قلت فما معنى إجابته له أولا بقوله ياهمام اتق الله وأحسن فَإِنّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَ الّذِينَ هُم مُحسِنُونَ و أى جواب فى هذا عن سؤال همام . -قرآن-١٠٩٢-١١٥١ [صفحه ١٣٥] قلت كأنه لم ير فى بادئ الحال شرح صفات المتقين على التفصيل فقال لهمام ماهية التقوى معلومة فى الجملة فاتق الله وأحسن فإن الله قدوعد فى كتابه أن يكون وليا وناصرا لأهل التقوى والإحسان و هذا كما يقول لك قائل ماصفات الله ألذى أعبده أنا و الناس فتقول له لاعليك ألا تعرف صفاته مفصلة بعد أن تعلم أنه خالق العالم و أنه واحد لاشريك له فلما أبى همام إلاالخوض فيما سأله على وجه التفصيل قال له إن الله تعالى خلق الخلق حين خلقهم ويروى حيث خلقهم و هوغنى عن طاعتهم لأنه ليس بجسم فيستضر بأمر أوينتفع به . وقسم بين الخلق معايشهم كما قال سبحانه نَحنُ قَسَمنا بَينَهُم مَعِيشَتَهُم فِي الحَياةِ الدّنيا. و فى قوله وضعهم مواضعهم معنى قوله وَ رَفَعنا بَعضَهُم فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ لِيَتّخِذَ بَعضُهُم بَعضاً سُخرِيّافكأنه ع أخذ الألفاظ فألغاها وأتى بمعناها. فلما فرغ من هذه المقدمة شرع فى ذكر صفات المتقين فقال إنهم أهل الفضائل ثم بين ما هذه الفضائل فقال منطقهم الصواب . فإن قلت أى فائدة فى تقديم تلك المقدمة وهى كون البارئ سبحانه غنيا لاتضره المعصية و لاتنفعه الطاعة. قلت لأنه لماتضمنت الخطبة مدح الله تعالى للمتقين و ماأعده لهم من الثواب وذمه للعاصين و ماأعده لهم من العقاب العظيم فربما يتوهم متوهم أن الله تعالى مارغب فى الطاعة -قرآن-٥٨٦-٦٤١-قرآن-٦٨٢-٧٥٧ [صفحه ١٣٦] هذاالترغيب البالغ وخوف من المعصية هذاالتخويف البالغ إلا و هومنتفع بالأولى مستضر بالثانية فقدم ع تلك المقدمة نفيا لهذا الوهم

فصل فى فضل الصمت والاقتصاد فى المنطق

واعلم أن القول فى خطر الكلام وفضل الصمت وفضل الاقتصار فى المنطق وسيع جدا و قدذكرنا منه طرفا فيما تقدم ونذكر الآن منه طرفا آخر. قال النبى ص من صمت نجا -روايت-١-٢-روايت-١٨-٣١ قال أيضا الصمت حكم وقليل فاعله -روايت-١-٢-روايت-١٢-٣٨ قال له ص بعض أصحابه أخبرنى عن الإسلام بأمر لاأسأل عنه أحدا بعدك فقال قل آمنت بالله ثم استقم قال فما أتقى فأومأ بيده إلى لسانه -روايت-١-١٤٣ قال له ع عقبة بن عامر يا رسول الله ماالنجاة قال املك عليك لسانك وابك على خطيئتك وليسعك بيتك -روايت-١-١٠٥ روى سهل بن سعد الساعدى عنه ص من يتوكل لى بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة -روايت-١-٢-روايت-٣٦-٩٠ قال من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى -روايت-١-٢-روايت-٨-٥٢ روى سعيد بن جبير مرفوعا إذاأصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تشكو -روايت-١-٢-روايت-٢٧-ادامه دارد [صفحه ١٣٧] اللسان تقول أى بنى آدم اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا و إن اعوججت اعوججنا -روايت-از قبل-٩١ . و قدروى أن عمر رأى

أبابكر و هويمد لسانه فقال ماتصنع قال هذا ألذى أوردنى الموارد إن رسول الله ص قال ليس شيء فى الجسد إلايشكو إلى الله تعالى اللسان على حدته -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۸۹ وسمع ابن مسعود يلبى على الصفا و يقول يالسان قل خيرا تغنم أواصمت تسلم من قبل أن تندم فقيل له يا أبا عبدالرحمن أ هذا شيءسمعته أم تقوله من تلقاء نفسك قال بل سمعت رسول الله ص يقول أكثر خطايا ابن آدم من لسانه -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۵۹ روى الحسن مرفوعا رحم الله عبدا تكلم فغنم أوسكت فسلم -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۶۰ قالت التلامذة لعيسى ع دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لاتنطقوا أبدا قالوا لانستطيع ذلك قال فلاتنطقوا إلابخير -روايت-۱-۱۱۷ قال النبى ص إن الله عندلسان كل قائل فاتقى الله امرؤ علم ما يقول -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۷۸ كان يقول لا شيءأحق بطول سجن من لسان -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۴۶ كان يقال لسانك سبع إن أطلقته أكلك -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۴۲ . فى حكمة آل داود حقيق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه . و كان يقال من علم أن كلامه من عمله أقل كلامه فيما لاينفعه . و قال محمد بن واسع حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم . [صفحه ۱۳۸] اجتمع أربعة حكماء من الروم والفرس والهند والصين فقال أحدهم أناأندم على ما قلت و لاأندم على ما لم أقل و قال الآخر إذاتكلمت بالكلمة ملكتنى و لم أملكها و إذا لم أتكلم ملكتها و لم تملكنى و قال الآخر عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته و إن لم ترجع لم تنفعه و قال الرابع أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت .

ذكر الآثار الواردة فى آفات اللسان

واعلم أن آفات اللسان كثيرة فمنها الكلام فيما لايعنيك و هوأهون آفات اللسان و مع ذلك فهو عيب قال النبى ص من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۵۸ روى أنه ع مر بشهيد يوم أحد فقال أصحابه هنيئا له الجنة قال و مايدريكم لعله كان يتكلم فيما لايعنيه -روايت-۱-۲-روايت-۷-۱۰۸ قال ابن عباس خمس هى أحسن وأنفع من حمر النعم لاتتكلم فيما لايعنيك فإنه فضل لاآمن عليه الوزر و لاتتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فرب متكلم فى أمر يعنيه قدوضعه فى غيرموضعه فأساء و لاتمار حليما و لاسفيها فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك واذكر أخاك إذاتغيب عنك بما تحب أن يذكرك به وأعفه عما تحب أن يعفيك عنه واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالجرائم -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۳۹۸ . ومنها فضول الكلام وكثرته وترك الاقتصار و كان يقال فضول المنطق وزيادته نقص فى العقل وهما ضدان متنافيان كلما زاد أحدهما نقص الآخر. [صفحه ۱۳۹] و قال عبد الله بن مسعود إياكم وفضول الكلام حسب امرئ مابلغ به حاجته -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۷۷ و كان يقال من كثر كلامه كثر سقطه . و قال الحسن فضول الكلام كفضول المال كلاهما مهلك . ومنها الخوض فى الباطل والحديث فيما لايحل كحديث النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق و إليه الإشارة بقوله تعالى وَ كُنّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِينَ. ومنها المراء والجدال -قرآن-۲۱۲-۲۴۴ قال ع دع المراء و إن كنت محقا -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۳۷ قال مالك بن أنس المراء يقسى القلب ويورث الضغائن -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۵۷ . و قال سفيان الثورى لوخالفت أخى فى رمانة فقال حلوة و قلت حامضة لسعى بى إلى السلطان . و كان يقال صاف من شئت ثم أغضبه بالجدال والمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش . وقيل لميمون بن مهران ما لك لاتفارق أخا لك عن قلى قال لأنى لاأشاريه و لاأماريه . ومنها التقعر فى الكلام بالتشدد والتكلف فى الألفاظ قال النبى ص -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-ادامه دارد [صفحه ۱۴۰] أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون المتشدقون -روايت-از قبل-۸۲ قال ع هلك

المتنطعون ... ثلاث مرات -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۳ والتنطع هوالتعمق والاستقصاء و قال عمر إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان . ومنها الفحش والسب والبذاء قال النبى ص إياكم والفحش فإن الله لايحب الفحش و لايرضى الفحش -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۷۵ قال ع ليس المؤمن بالطعان و لاباللعان و لابالسباب و لاالبذىء -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۷۱ قال ع لو كان الفحش رجلا لكان رجل سوء -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۵ ومنها المزاح الخارج عن قانون الشريعة و كان يقال من مزح استخف به و كان يقال المزاح فحل لاينتج إلاالشر. ومنها الوعد الكاذب و قد قال النبى ص العدة دين و قدأثنى الله سبحانه على إسماعيل فقال إِنّهُ كانَ صادِقَ الوَعدِ و قال سبحانه يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالعُقُودِ -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۱۶۱ . [صفحه ۱۴۱] ومنها الكذب فى القول واليمين والأمر فيهما مشهور. ومنها الغيبة و قدتقدم القول فيها. قوله ع وملبسهم الاقتصاد أى ليس بالثمين جدا و لابالحقير جدا كالخرق التى تؤخذ من على المزابل ولكنه أمر بين أمرين و كان ع يلبس الكرابيس و هوالخام الغليظ وكذلك كان عمر رضى الله عنه و كان رسول الله ص يلبس اللين تارة والخشن أخرى . قوله ع ومشيهم التواضع تقديره وصفة مشيهم التواضع فحذف المضاف و هذامأخوذ من قوله تعالى وَ اقصِد فِي مَشيِكَ وَ اغضُض مِن صَوتِكَ.رأى محمد بن واسع ابنا له يمشى و هويتبختر ويميس فى مشيته فصاح به فأقبل فقال له ويلك لوعرفت نفسك لقصدت فى مشيك أماأمك فأمة ابتعتها بمائة درهم و أماأبوك فلاأكثر الله فى الناس من أمثاله . والأصل فى هذاالباب قوله تعالى وَ لا تَمشِ فِي الأَرضِ مَرَحاً إِنّكَ لَن تَخرِقَ الأَرضَ وَ لَن تَبلُغَ الجِبالَ طُولًا. و قوله غضوا أبصارهم أى خفضوها وغمضوها وغضضت طرفى عن كذا احتملت مكروهه . و قوله وقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم أى لم يشغلوا سمعهم بشىء غيرالعلوم النافعة أى لم يشتغلوا بسماع شعر و لاغناء و لاأحاديث أهل الدنيا. -قرآن-۳۴۸-۳۸۸-قرآن-۶۲۷-۷۱۵ [صفحه ۱۴۲] قوله نزلت أنفسهم منهم فى البلاء كالذى نزلت فى الرخاء يعنى أنهم قدطابوا نفسا فى البلاء والشدة كطيب أنفسهم بأحوالهم فى الرخاء والنعمة و ذلك لقلة مبالاتهم بشدائد الدنيا ومصائبها وتقدير الكلام من جهة الإعراب نزلت أنفسهم منهم فى حال البلاء نزولا كالنزول ألذى نزلته منهم فى حال الرخاء فموضع كالذى نصب لأنه صفة مصدر محذوف والموصول قدحذف العائد إليه و هوالهاء فى نزلته كقولك ضربت ألذى ضربت أى ضربت ألذى ضربته . ثم قال ع إنهم من شدة شوقهم إلى الجنة و من شدة خوفهم من النار تكاد أرواحهم أن تفارق أجسادهم لو لا أن الله تعالى ضرب لهم آجالا ينتهون إليها. ثم ذكر أن الخالق لماعظم فى أعينهم استصغروا كل شىءدونه وصاروا لشدة يقينهم ومكاشفتهم كمن رأى الجنة فهو يتنعم فيها وكمن رأى النار و هويعذب فيها و لاريب أن من يشاهد هاتين الحالتين يكون على قدم عظيمة من العبادة والخوف والرجاء و هذامقام جليل ومثله قوله ع فى حق نفسه لوكشف الغطاء ماازددت يقينا -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۵۵ والواو فى والجنة واو مع و قدروى بالعطف بالرفع على أنه معطوف على هم والأول أحسن . ثم وصفهم بحزن القلوب ونحافة الأجسام وعفة الأنفس وخفة الحوائج و أن شرورهم مأمونة على الناس وأنهم صبروا صبرا يسيرا أعقبهم نعيما طويلا. ثم ابتدأهم فقال تجارة مربحة أى تجارتهم تجارة مربحة فحذف المبتدأ وروى تجارة مربحة بالنصب على أنه مصدر محذوف الفعل . قوله أماالليل بالنصب على الظرفية وروى أماالليل على الابتداء. قوله تالين منصوب على أنه حال إما من الضمير المرفوع بالفاعلية فى صافون أو من الضمير المجرور بالإضافة فى أقدامهم . [صفحه ۱۴۳] والترتيل التبيين والإيضاح و هوضد الإسراع والعجل ويروى يرتلونه على أن الضمير يعود إلى القرآن والرواية الأولى يعود الضمير فيها إلى أجزاء القرآن . قوله يحزنون به أنفسهم أى يستجلبون لها الحزن به ويستثيرون به دواء دائهم إشارة إلى البكاء فإنه دواء داء الحزين قال الشاعر فقلت لها إن البكاء لراحة || به يشتفى من ظن أن لاتلاقيا و قال آخر شجاك من ليلتك الطول || فالدمع من عينيك مسدول و هو إذا أنت تأملته || حزن على الخدين محلول ثم ذكر أنهم إذامروا بآية فيهاذكر الثواب مالوا إليها واطمأنوا بهاطمعا فى نيله وتطلعت أنفسهم إليها شوقا أى اشرأبت . ونصب أعينهم منصوب على الظرفية وروى

بالرفع على أنه خبر أن والظن هاهنا يمكن أن يكون على حقيقته ويمكن أن يكون بمعنى العلم كقوله تعالى أَ لا يَظُنّ أُولئِكَ أَنّهُم مَبعُوثُونَ وأصغى إلى الكلام مال إليه بسمعه وزفير النار صوتها. و قدجاء فى فضل قراءة القرآن شيء كثير -قرآن-۲۶۹-۳۰۹ روى عن النبى ص أنه قال من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ماعظمه الله -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۱۱۰ قال ص لو كان القرآن فى إهاب مامسته النار -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۵۰ قال أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن -روايت-۱-۲-روايت-۸-۴۰ [صفحه ۱۴۴] قال أهل القرآن أهل الله وخاصته -روايت-۱-۲-روايت-۸-۴۰ قال إن هذه القلوب تصدأ كمايصدأ الحديد قيل فما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت -روايت-۱-۲-روايت-۸-۹۱ قال ع إن الله سبحانه لأشد أذنا إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۸۴ قال الحسن رحمه الله مادون القرآن من غنى و لا بعدالقرآن من فاقة -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۷۴ . ثم ذكر ع صورة صلاتهم وركوعهم فقال حانون على أوساطهم حنيت العود عطفته يصف هيئة ركوعهم وانحنائهم فى الصلاة.مفترشون لجباههم باسطون لها على الأرض . ثم ذكر الأعضاء السبعة التى مباشرتها بالأرض فروض فى الصلاة وهى الجبهة والكفان والركبتان والقدمان . قوله ع يطلبون إلى الله أى يسألونه يقال طلبت إليك فى كذا أى سألتك والكلام على الحقيقة مقدر فيه حال محذوفة يتعلق بهاحرف الجر أى يطلبون سائلين إلى الله فى فكاك رقابهم لأن طلب لايتعدى بحرف الجر. ثم لمافرغ من ذكر الليل قال و أماالنهار فحلماء علماء أبرار أتقياء هذه الصفات هى التى يطلع عليها الناظرون لهم نهارا وتلك الصفات المتقدمة من وظائف الليل . ثم ذكر ماهم عليه من الخوف فقال ع إن خوفهم قدبراهم برى [صفحه ۱۴۵] القداح وهى السهام واحدها قدح فينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى و مابهم من مرض نظير هذاقول الشاعر ومخرق عنه القميص تخاله || بين البيوت من الحياء سقيما حتى إذارفع اللواء رأيته || تحت اللواء على الخميس زعيما . ويقال للمتقين لشدة خوفهم كأنهم مرضى و لامرض بهم وتقول العرب للكرام من الناس القليلى المأكل والمشرب رافضى اللباس الرفيع ذوى الأجسام النحيفة مراض من غيرمرض ويقولون أيضا للمرأة ذات الطرف الغضيض الفاتر ذات الكسل مريضة من غيرمرض قال الشاعر ضعيفة كر الطرف تحسب أنها || حديثة عهد بالإفاقة من سقم [صفحه ۱۴۶]

ذكر الخوف و ماورد فيه من الآثار

واعلم أن الخوف مقام جليل من مقامات العارفين و هوأحد الأركان التى هى أصول هذاالفن و هوالتقوى التى حث الله تعالى عليها و قال إن أكرم الناس عنده أشدهم خوفا له و فى هذه الآية وحدها كفاية و إذانظرت القرآن العزيز وجدت أكثره ذكر المتقين وهم الخائفون و قال النبى ص من خاف الله خافه كل شيء و من خاف غير الله خوفه الله من كل شيء -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۸۹ قال ع أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا وأحسنكم فيما أمر به ونهى عنه نظرا -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۷۷ . و قال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لوخاف النار كمايخاف الفقر دخل الجنة. و قال ذو النون المصرى ينبغى أن يكون الخوف أغلب من الرجاء فإن الرجاء إذاغلب تشوش القلب . وقيل لبعض الصالحين من آمن الخلق غدا قال أشدهم خوفا اليوم . وقيل للحسن يا أباسعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام من أصحابك يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير فقال إنك و الله لأن تصحب قوما يخوفونك حتى تدرك الأمن خير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقيل للنبىص فى قوله تعالى وَ الّذِينَ يُؤتُونَ ما آتَوا وَ قُلُوبُهُم وَجِلَةٌهم الذين يعصون ويخافون المعصية قال لابل الرجل يصوم ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه -روايت-۱-۱۷۴ [صفحه ۱۴۷] قال ص ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله أوقطرة دم أريقت فى سبيل

الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۰۶ قال ع سبعة يظلهم الله بظله يوم لاظل إلاظله وذكر منهم رجلا ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۰۱ . قوله ع و يقول قدخولطوا أى أصابتهم جنة. ثم قال ولقد خالطهم أمر عظيم أى مازجهم خوف عظيم تولهوا لأجله فصاروا كالمجانين . ثم ذكر أنهم لايستكثرون فى كثير من أعمالهم و لايرضيهم اجتهادهم وأنهم يتهمون أنفسهم وينسبونها إلى التقصير فى العبادة و إلى هذانظر المتنبى فقال يستصغر الخطر الكبير لنفسه || ويظن دجلة ليس تكفى شاربا . قال و من أعمالهم مشفقون أى مشفقون من عباداتهم ألا تقبل و إلى هذانظر أبوتمام فقال يتجنب الآثام ثم يخافها || فكأنما حسناته آثام . ومثل قوله أناأعلم بنفسى من غيرى قوله ع لمن زكاه نفاقا أنادون ماتقول وفوق ما فى نفسك . و قوله أللهم لاتؤاخذنى بما يقولون إلى آخر الكلام مفرد مستقل بنفسه منقول عنه ع أنه قال لقوم مر عليهم وهم مختلفون فى أمره فمنهم الحامد له ومنهم الذام فقال أللهم لاتؤاخذنى الكلمات إلى آخرها ومعناه أللهم [صفحه ۱۴۸] إن كان ماينسبه الذامون إلى من الأفعال الموجبة الذم حقا فلاتؤاخذنى بذلك واغفر لى ما لايعلمونه من أفعالى و إن كان مايقوله الحامدون حقا فاجعلنى أفضل مما يظنونه فى فَمِن عَلَامَةِ أَحَدِهِم أَنّکَ تَرَى لَهُ قُوّةً فِى دِينٍ وَ حَزماً فِى لِينٍ وَ إِيمَاناً فِى يَقِينٍ وَ حِرصاً فِى عِلمٍ وَ عِلماً فِى حِلمٍ وَ قَصداً فِى غِنًى وَ خُشُوعاً فِى عِبَادَةٍ وَ تَجَمّلًا فِى فَاقَةٍ وَ صَبراً فِى شِدّةٍ وَ طَلَباً فِى حَلَالٍ وَ نَشَاطاً فِى هُدًى وَ تَحَرّجاً عَن طَمَعٍ يَعمَلُ الأَعمَالَ الصّالِحَةَ وَ هُوَ عَلَى وَجَلٍ يُمسِي وَ هَمّهُ الشّكرُ وَ يُصبِحُ وَ هَمّهُ الذّكرُ يَبِيتُ حَذِراً وَ يُصبِحُ فَرِحاً حَذِراً لَمّا حُذّرَ مِنَ الغَفلَةِ وَ فَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الفَضلِ وَ الرّحمَةِ إِنِ استَصعَبَت عَلَيهِ نَفسُهُ فِيمَا تَكرَهُ لَم يُعطِهَا سُؤلَهَا فِيمَا تُحِبّ قُرّةُ عَينِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ وَ زَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبقَى يَمزُجُ الحِلمَ بِالعِلمِ وَ القَولَ بِالعَمَلِ تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ قَلِيلًا زَلَلُهُ خَاشِعاً قَلبُهُ قَانِعَةً نَفسُهُ مَنزُوراً أَكلُهُ سَهلًا أَمرُهُ حَرِيزاً دِينُهُ مَيّتَةً شَهوَتُهُ مَكظُوماً غَيظُهُ الخَيرُ مِنهُ مَأمُولٌ وَ الشّرّ مِنهُ مَأمُونٌ إِن كَانَ فِى الغَافِلِينَ كُتِبَ فِى الذّاكِرِينَ وَ إِن كَانَ فِى الذّاكِرِينَ لَم يُكتَب مِنَ الغَافِلِينَ [صفحه ۱۴۹] يَعفُو عَمّن ظَلَمَهُ وَ يُعطِي مَن حَرَمَهُ وَ يَصِلُ مَن قَطَعَهُ بَعِيداً فُحشُهُ لَيّناً قَولُهُ غَائِباً مُنكَرُهُ حَاضِراً مَعرُوفُهُ مُقبِلًا خَيرُهُ مُدبِراً شَرّهُ فِى الزّلَازِلِ وَقُورٌ وَ فِى المَكَارِهِ صَبُورٌ وَ فِى الرّخَاءِ شَكُورٌ لَا يَحِيفُ عَلَى مَن يُبغِضُ وَ لَا يَأثَمُ فِيمَن يُحِبّ يَعتَرِفُ بِالحَقّ قَبلَ أَن يُشهَدَ عَلَيهِ لَا يُضِيعُ مَا استُحفِظَ وَ لَا يَنسَى مَا ذُكّرَ وَ لَا يُنَابِزُ بِالأَلقَابِ وَ لَا يُضَارّ بِالجَارِ وَ لَا يَشمَتُ بِالمَصَائِبِ وَ لَا يَدخُلُ فِى البَاطِلِ وَ لَا يَخرُجُ مِنَ الحَقّ إِن صَمَتَ لَم يَغُمّهُ صَمتُهُ وَ إِن ضَحِكَ لَم يَعلُ صَوتُهُ وَ إِن بُغِيَ عَلَيهِ صَبَرَ حَتّى يَكُونَ اللّهُ هُوَ الّذِى يَنتَقِمُ لَهُ نَفسُهُ مِنهُ فِى عَنَاءٍ وَ النّاسُ مِنهُ فِى رَاحَةٍ أَتعَبَ نَفسَهُ لِآخِرَتِهِ وَ أَرَاحَ النّاسَ مِن نَفسِهِ بُعدُهُ عَمّن تَبَاعَدَ عَنهُ زُهدٌ وَ نَزَاهَةٌ وَ دُنُوّهُ مِمّن دَنَا مِنهُ لِينٌ وَ رَحمَةٌ لَيسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبرٍ وَ عَظَمَةٍ وَ لَا دُنُوّهُ بِمَكرٍ وَ خَدِيعَةٍ قَالَ فَصَعِقَ هَمّامٌ صَعقَةً كَانَت نَفسُهُ فِيهَا فَقَالَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ ع أَمَا وَ اللّهِ لَقَد كُنتُ أَخَافُهَا عَلَيهِ ثُمّ قَالَ هَكَذَا تَصنَعُ المَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُکَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَقَالَ ع وَيحَکَ إِنّ لِكُلّ أَجَلٍ وَقتاً لَا يَعدُوهُ وَ سَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ فَمَهلًا لَا تَعُد لِمِثلِهَا فَإِنّمَا نَفَثَ الشّيطَانُ عَلَى لِسَانِکَ [صفحه ۱۵۰] هذه الألفاظ التى أولها قوة فى دين بعضها يتعلق حرف الجر فيه بالظاهر فيكون موضعه نصبا بالمفعولية وبعضها يتعلق بمحذوف فيكون موضعه نصبا أيضا على الصفة ونحن نفصلها.فقوله قوة فى دين حرف الجر هاهنا متعلق بالظاهر و هوقوة تقول فلان قوى فى كذا و على كذا كماتقول مررت بكذا وبلغت إلى كذا. و وحزما فى لين هاهنا لايتعلق حرف الجر بالظاهر لأنه لامعنى له أ لاترى أنك لاتقول فلان حازم فى اللين لأن اللين ليس أمرا يحزم الإنسان فيه و ليس كماتقول فلان حازم فى رأيه أو فى تدبيره فوجب أن يكون حرف الجر متعلقا بمحذوف تقديره وحزما كائنا فى لين . وكذلك قوله وإيمانا فى يقين حرف الجر متعلق بمحذوف أى كائنا فى يقين أى مع يقين . فإن قلت الإيمان هواليقين فكيف قال وإيمانا فى يقين قلت الإيمان هوالاعتقاد مضافا إلى العمل واليقين هوسكون القلب فقط فأحدهما غيرالآخر. قوله وحرصا فى علم حرف الجر هاهنا يتعلق بالظاهر و فى بمعنى على كقوله تعالى لَأُصَلّبَنّكُم فِى جُذُوعِ النّخلِ. قوله وقصدا فى غنى حرف الجر متعلق بمحذوف أى هومقتصد مع كونه غنيا و ليس يجوز أن يكون متعلقا بالظاهر لأنه لامعنى لقولك اقتصد فى الغنى إنما يقال

اقتصد فی النفقة و ذلک الاقتصاد موصوف بأنه مقارن للغنی ومجامع له . -قرآن-۸۸۲-۹۱۶ [صفحه ۱۵۱] قوله وخشوعا فی عبادة حرف الجر هاهنا یحتمل الأمرین معا. قوله وتجملا فی فاقة حرف الجر هاهنا متعلق بمحذوف و لایصح تعلقه بالظاهر لأنه إنما یقال فلان یتجمل فی لباسه ومروءته مع کونه ذا فاقة و لایقال یتجمل فی الفاقة علی أن یکون التجمل متعدیا إلی الفاقة. قوله وصبرا فی شدة حرف الجر هاهنا یحتمل الأمرین . قوله وطلبا فی حلال حرف الجر هاهنا یتعلق بالظاهر و فی بمعنی اللام . قوله ونشاطا فی هدی حرف الجر هاهنا یحتمل الأمرین . قوله وتحرجا عن طمع حرف الجر هاهنا یتعلق بالظاهر لا غیر. قوله یعمل الأعمال الصالحة و هو علی وجل قدتقدم مثله . قوله یمسی وهمه الشکر هذه درجة عظیمة من درجات العارفین و قدأثنی الله تعالی علی الشکر والشاکرین فی کتابه فی مواضع کثیرة نحو قوله فَاذکُرُونِی أَذکُرکُم وَ اشکُرُوا لِی وَ لا تَکفُرُونِفقرن الشکر بالذکر. و قال تعالی ما یَفعَلُ اللّهُ بِعَذابِکُم إِن شَکَرتُم وَ آمَنتُم. و قال تعالی وَ سَیَجزِی اللّهُ الشّاکِرِینَ. ولعلو مرتبة الشکر طعن إبلیس فی بنی آدم فقال وَ لا تَجِدُ أَکثَرَهُم شاکِرِینَ و قدصدقه الله تعالی فی هذاالقول فقال وَ قَلِیلٌ مِن عِبادِیَ الشّکُورُ. -قرآن-۷۰۳-۷۵۸-قرآن-۷۹۲-۸۴۴-قرآن-۸۶۰-۸۹۱-قرآن-۹۴۲-۹۷۴-قرآن-۱۰۱۸-۱۰۵۱ [صفحه ۱۵۲] و قال بعض أصحاب المعانی قدقطع الله تعالی بالمزید مع الشکر و لم یستثن فقال لَئِن شَکَرتُم لَأَزِیدَنّکُم. واستثنی فی خمسة أمور وهی الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة. فقال فَسَوفَ یُغنِیکُمُ اللّهُ مِن فَضلِهِ إِن شاءَ. و قال بَل إِیّاهُ تَدعُونَ فَیَکشِفُ ما تَدعُونَ إِلَیهِ إِن شاءَ. و قال یَرزُقُ مَن یَشاءُ. و قال وَ یَغفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَن یَشاءُ. و قال وَ یَتُوبُ اللّهُ عَلی مَن یَشاءُ. و قال بعضهم کیف لا یکون الشکر مقاما جلیلا و هوخلق من أخلاق الربوبیة قال تعالی فی صفة نفسه وَ اللّهُ شَکُورٌ حَلِیمٌ. و قدجعل الله تعالی مفتاح کلام أهل الجنة فقال وَ قالُوا الحَمدُ لِلّهِ الّذِی صَدَقَنا وَعدَهُ وجعله خاتمة کلامهم أیضا فقال وَ آخِرُ دَعواهُم أَنِ الحَمدُ لِلّهِ رَبّ العالَمِینَ. -قرآن-۸۲-۱۱۰-قرآن-۱۸۸-۲۳۳-قرآن-۲۴۲-۳۰۰-قرآن-۳۰۹-۳۲۶-قرآن-۳۳۵-۳۷۲-قرآن-۳۸۱-۴۱۳-قرآن-۵۱۲-۵۳۶-قرآن-۵۸۸-۶۳۵-قرآن-۶۶۸-۷۲۱ وقیل للنبی ص قدغفر الله لک ماتقدم من ذنبک و ماتأخر فلم تقوم اللیل وتتعب نفسک قال أ فلاأکون عبدا شکورا -روایت-۱-۱۱۸ . [صفحه ۱۵۳] قوله ع ویصبح وهمه الذکر هذه أیضا درجة کبیرة عظیمة من درجات العارفین قال تعالی فَاذکُرُونِی أَذکُرکُم قال بعض العارفین لأصحابه أناأعلم متی یذکرنی ربی ففزعوا منه فقال إذاذکرته ذکرنی وتلا الآیة فسکتوا. و قال یا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا اذکُرُوا اللّهَ ذِکراً کَثِیراً. و قال فَاذکُرُوا اللّهَ عِندَ المَشعَرِ الحَرامِ. و قال فَاذکُرُوا اللّهَ کَذِکرِکُم آباءَکُم أَو أَشَدّ ذِکراً. و قال فَإِذا قَضَیتُمُ الصّلاةَ فَاذکُرُوا اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِکُم. و قال الّذِینَ یَذکُرُونَ اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِم. و قال فی ذم المنافقین وَ لا یَذکُرُونَ اللّهَ إِلّا قَلِیلًا. و قال وَ اذکُر رَبّکَ فِی نَفسِکَ تَضَرّعاً وَ خِیفَةً. و قال وَ لَذِکرُ اللّهِ أَکبَرُ. و -قرآن-۸۷-۱۰۹-قرآن-۲۲۶-۲۸۴-قرآن-۲۹۳-۳۳۴-قرآن-۳۴۳-۳۹۷-قرآن-۴۰۶-۴۸۷-قرآن-۴۹۶-۵۶۰-قرآن-۵۸۷-۶۲۴-قرآن-۶۳۳-۶۸۰-قرآن-۶۸۹-۷۱۳ قال النبی ص ذاکر الله فی الغافلین کالشجرة الخضراء فی وسط الهشیم -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۷۳ قال ص من أحب أن یرتع فی ریاض الجنة فلیکثر من ذکر الله -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۶۴ [صفحه ۱۵۴] سئل ع أی الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانک رطب بذکر الله -روایت-۱-۶۵ قال ص حکایة عن الله تعالی إذاذکرنی عبدی فی نفسه ذکرته فی نفسی و إذاذکرنی فی ملأ ذکرته فی ملأ خیر من ملئه و إذاتقرب منی شبرا تقربت منه ذراعا و إذاتقرب منی ذراعا تقربت منه باعا و إذامشی إلی هرولت إلیه -روایت-۱-۲-روایت-۳۳-۲۲۵ قال ص ماجلس قوم مجلسا یذکرون الله تعالی إلاحفت بهم الملائکة وغشیتهم الرحمة وذکرهم الله فیمن عنده -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۱۱۴ . قوله ع یبیت حذرا ویصبح فرحا حذرا لماحذر من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة. و قدتقدم ذکر الخوف . و قدعرض ع هاهنا بالرجاء المقابل للخوف فإن فرح العارف بما أصاب من الفضل والرحمة یمکن أن یحمل علی أنه فرح بمجرد ماأصاب من فضل الله ورحمته . ویمکن أن یحمل علی أنه فرح بما یرجوه من ثواب الله ونعیمه لذا

استدل على وصوله إليه وقوى ظنه بظفره به بما عجل الله تعالى له من الفضل والرحمة فى الدنيا ومقام الرجاء للعارفين مقام شريف و هو فى مقابلة مقام الخوف و هوالمقام ألذى يوجد العارف فيه فرحا قال الله تعالى إِنّ الّذِينَ يَتلُونَ كِتابَ اللّهِ وَ أَقامُوا الصّلاةَ وَ أَنفَقُوا مِمّا رَزَقناهُم سِرّا وَ عَلانِيَةً يَرجُونَ تِجارَةً لَن تَبُورَ -قرآن-۵۵۲-۶۸۸ [صفحه ۱۵۵] . و قال النبى ص حكاية عن الله تعالى أنا عندظن عبدى بى فليظن بى ماشاء -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۷۹ دخل ص على رجل من أصحابه و هويجود بنفسه فقال كيف تجدك قال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال ص مااجتمعا فى قلب عبد فى هذاالموطن إلاأعطاه الله مارجاه وأمنه مما خافه -روايت-۱-۱۸۸ . قوله ع إن استصعبت عليه نفسه أى صارت صعبة غيرمنقادة يقول إذا لم تطاوعه نفسه إلى ماهى كارهة له لم يعطها مرادها فيما تحبه . قوله ع قرة عينه فيما لايزول وزهادته فيما لايبقى يقال للفرح المسرور إنه لقرير العين وقرت عينه تقر والمراد بردها لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة. و هذاالكلام يحتمل أمرين أحدهما أن يعنى بما لايزول البارئ سبحانه و هذامقام شريف جدا أعظم من سائر المقامات و هوحب العارف لله سبحانه و قدأنكره قوم فقالوا لامعنى لمحبة البارئ إلاالمواظبة على طاعته ونحوه قول أصحابنا المتكلمين إن محبة الله تعالى للعبد هى إرادته لثوابه ومحبة العبد للبارئ هى إرادته لطاعته فليست المحبة عندهم شيئا زائدا على الإرادة و لايجوز أن تتعلق بذات الله سبحانه لأن الإرادة لاتتعلق إلابالحدوث وخالفهم شيخنا أبو الحسن فقال إن الإرادة يمكن أن تتعلق بالباقى ذكر ذلك فى الكلام فى الأكوان فى أول التصفح فأما إثبات الحب فى الجملة فقد نطق به القرآن قال سبحانه يُحِبّهُم -قرآن-۹۲۰-۹۲۸ . قوله ع إن استصعبت عليه نفسه أى صارت صعبة غيرمنقادة يقول إذا لم تطاوعه نفسه إلى ماهى كارهة له لم يعطها مرادها فيما تحبه . قوله ع قرة عينه فيما لايزول وزهادته فيما لايبقى يقال للفرح المسرور إنه لقرير العين وقرت عينه تقر والمراد بردها لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة. و هذاالكلام يحتمل أمرين أحدهما أن يعنى بما لايزول البارئ سبحانه و هذامقام شريف جدا أعظم من سائر المقامات و هوحب العارف لله سبحانه و قدأنكره قوم فقالوا لامعنى لمحبة البارئ إلاالمواظبة على طاعته ونحوه قول أصحابنا المتكلمين إن محبة الله تعالى للعبد هى إرادته لثوابه ومحبة العبد للبارئ هى إرادته لطاعته فليست المحبة عندهم شيئا زائدا على الإرادة و لايجوز أن تتعلق بذات الله سبحانه لأن الإرادة لاتتعلق إلابالحدوث وخالفهم شيخنا أبو الحسن فقال إن الإرادة يمكن أن تتعلق بالباقى ذكر ذلك فى الكلام فى الأكوان فى أول التصفح فأما إثبات الحب فى الجملة فقد نطق به القرآن قال سبحانه يُحِبّهُم وَ يُحِبّونَهُ و قال أيضاوَ الّذِينَ آمَنُوا أَشَدّ حُبّا لِلّهِ و قال إِن كُنتُم تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحبِبكُمُ اللّهُ و -قرآن-۱-۱۵-قرآن-۲۷-۶۵-قرآن-۷۳-۱۳۲ فى الحديث أن النبى ص نظر إلى مصعب بن عمير مقبلا و عليه إهاب كبش قدتمنطق به فقال انظروا إلى الرجل ألذى قدنور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ماترون -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۲۲۷ يقال إن عيسى ع مر بثلاثة نفر قدنحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال ما ألذى بلغ بكم ماأرى قالوا الخوف من النار قال حق على الله أن يؤمن من يخافه ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذاهم أشد نحولا وتغيرا فقال ما ألذى بلغ بكم ماأرى قالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يعطى من رجاه ثم مر إلى ثلاثة آخرين فإذاهم أشد نحولا و على وجوههم مثل المرائى من النور فقال ما ألذى بلغ بكم ماأرى قالوا حب الله عز و جل فقال أنتم المقربون ثلاثا -روايت-۱-۲-روايت-۸-۴۶۵ . و قال بعض العارفين أحبك حبين حب الهوى || وحبا لأنك أهل لذاكا فأما ألذى هوحب الهوى || فشغلى بذكرك عمن سواكا و أما ألذى أنت أهل له || فكشفك لى الحجب حتى أراكا فلاالحمد من ذا و لاذاك لى || ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا . [صفحه ۱۵۷] ليس يريد بكشف الحجب والرؤية مايظنه الظاهريون من أنها الإبصار بالعين بل المعرفة التامة و ذلك لأن المعارف النظرية يصح أن تصير ضرورية عندجمهور أصحابنا فهذا أحد محملى الكلام . وثانيهما أن يريد بما لايزول نعيم الجنة و هذاأدون المقامين لأن الخلص من العارفين يحبونه ويعشقونه سبحانه لذاته لاخوفا من النار و لاشوقا إلى

الجنهٔ و قد قال بعضهم لست أرضی لنفسی أن أکون کأجیر السوء إن دفعت إلیه الأجرهٔ رضی وفرح و إن منعها سخط وحزن إنما أحبه لذاته . و قال بعض شعرائهم شعرا من جملته فهجره أعظم من ناره || ووصله أطیب من جنته . و قدجاء فی کلام أمیر المؤمنین ع من هذاالکثیر نحو قوله لم أعبده خوفا و لاطمعا لکنی وجدته أهلا للعبادهٔ فعبدته -روایت-۱-۲-روایت-۹-۶۸ . قوله ع یمزج الحلم بالعلم أی لایحلم إلا عن علم بفضل الحلم لیس کمایحلم الجاهلون . قوله والقول بالعمل أی لایقتصر علی القول ومثل هذاقول الأحوص وأراک تفعل ماتقول وبعضهم || مذق اللسان یقول ما لایفعل . قوله ع تراه قریبا أمله أی لیست نفسه متعلقهٔ بما عظم من آمال الدنیا وإنما قصاری أمره أن یؤمل القوت والملبس قلیلا زلله أی خطؤه . قوله منزورا أکله أی قلیلا ویحمد من الإنسان الأکل النزر قال أعشی باهلهٔ [صفحه ۱۵۸] تکفیه حزهٔ فلذ إن ألم بها || من الشواء ویکفی شربه الغمر . و قال متمم بن نویرهٔ لقد کفن المنهال تحت ردائه || فتی غیرمبطان العشیات أروعا . قوله ع مکظوما غیظه کظم الغیظ من الأخلاق الشریفهٔ قال زید بن علی ع ماسرنی بجرعهٔ غیظ أتجرعها وأصبر علیها حمر النعم -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۷۳ . وجاء رجل إلی الربیع بن زیاد الحارثی فقال یا أبا عبدالرحمن إن فلانا یغتابک وینال منک فقال و الله لأغیظن من أمره بذلک قال الرجل و من أمره قال الشیطان عدو الله استغواه لیؤثمه وأراد أن یغضبنی علیه فأکافئه و الله لاأعطیه ماأحب من ذلک غفر الله لنا و له . وجهل إنسان علی عمر بن عبدالعزیز فقال أظنک أردت أن یستفزنی الشیطان بعز السلطان فأنال منک الیوم ماتناله منی غدا انصرف عافاک الله . و قال النبی ص الغضب یفسد الإیمان کمایفسد الصبر العسل -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۶۰ قال إنسان لرسول الله ص أوصنی فقال لاتغضب فأعاد علیه السؤال فقال لاتغضب فقال زدنی فقال لاأجد مزیدا -روایت-۱-۱۱۱ . و من کلام بعض الحکماء لایفی عزالغضب بذلهٔ الاعتذار. [صفحه ۱۵۹] قوله إن کان فی الغافلین معناه أنه لایزال ذاکر الله تعالی سواء کان جالسا مع الغافلین أو مع الذاکرین أما إذا کان مع الغافلین فإنه یذکر الله بقلبه و أما إذا کان مع الذاکرین فإنه یذکر بقلبه ولسانه . قوله ع یعفو عمن ظلمه ویعطی من حرمه ویصل من قطعه من کلام المسیح ع فی الإنجیل أحبوا أعداءکم وصلوا قاطعیکم واعفوا عن ظالمیکم وبارکوا علی لاعنیکم لکی تکونوا أبناء أبیکم ألذی فی السماء ألذی تشرق شمسه علی الصالحین والفجرهٔ وینزل مطره علی المطیعین والأثمهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۲۱۶ . قوله ع بعیدا فحشه لیس یعنی به أنه قدیفحش تارهٔ ویترک الفحش تارات بل لافحش له أصلا فکنی عن العدم بالبعد لأنه قریب منه . قوله لینا قوله العارف بسام طلق الوجه لین القول و فی صفات النبی ص لیس بفظ و لاصخاب . قوله فی الزلازل وقور أی لاتحرکه الخطوب الطارقهٔ ویقال إن علی بن الحسین ع کان یصلی فوقعت علیه حیهٔ فلم یتحرک لها ثم انسابت بین قدمیه فما حرک إحداهما عن مکانه و لاتغیر لونه . قوله لایحیف علی من یبغض هذا من الأخلاق الشریفهٔ النبویهٔ و فی کلام أبی بکر فی صفات من یصلح للإمامهٔ إن رضی لم یدخله رضاه فی باطل و إن غضب لم یخرجه غضبه عن الحق . قوله یعترف بالحق قبل أن یشهد علیه لأنه إن أنکر ثم شهد علیه فقد ثبت کذبه و إن سکت ثم شهد علیه فقد أقام نفسه فی مقام الریبهٔ. [صفحه ۱۶۰] قوله و لاینابز بالألقاب هذا من قوله تعالی وَ لا تَنابَزُوا بِالأَلقابِ. قوله و لایضار بالجار -قرآن-۴۸-۷۵ فی الحدیث المرفوع أوصانی ربی بالجار حتی ظننت أن یورثه -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۶۳ قوله و لایشمت بالمصائب نظیر قول الشاعر فلست تراه شامتا بمصیبهٔ || و لاجزعا من طارق الحدثان . قوله إن صمت لم یغمه صمته أی لایحزن لفوات الکلام لأنه یری الصمت مغنما لامغرما. قوله و إن ضحک لم یعل صوته هکذا کان ضحک رسول الله ص أکثره التبسم و قدیفر أحیانا و لم یکن من أهل القهقههٔ والکرکرهٔ. قوله و إن بغی علیه صبر هذا من قول الله تعالی ثُمّ بغُیِ‌َ عَلَیهِ لَیَنصُرَنّهُ اللّهُ. قوله نفسه منه فی عناء لأنه یتعبها بالعبادهٔ و الناس لایلقون منه عنتا و لاأذی فحالهم بالنسبهٔ إلیه خلاف حال نفسه بالنسبهٔ إلیه . قوله فصعق همام أغمی علیه ومات قال الله تعالی فَصَعِقَ مَن فِی السّماواتِ وَ مَن فِی الأَرضِ -قرآن-۲۶۵-۳۰۵-قرآن-۴۹۵-۵۴۰ [صفحه ۱۶۱]

ذكر بعض أحوال العارفين

واعلم أن الوجد أمر شريف قداختلف الناس فيه فقالت الحكماء فيه أقوالا وقالت الصوفية فيه أقوالا أماالحكماء فقالوا الوجد هوحالة تحدث للنفس عندانقطاع علائقها عن المحسوسات بغتة إذا كان قدورد عليها وارد مشوق و قال بعضهم الوجد هواتصال النفس بمبادئها المجردة عندسماع مايقتضى ذلك الاتصال . و أماالصوفية فقد قال بعضهم الوجد رفع الحجاب ومشاهدة المحبوب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر و هوفناؤك من حيث أنت أنت و قال بعضهم الوجد سر الله عندالعارفين ومكاشفة من الحق توجب الفناء عن الحق . والأقوال فيه متقاربة فى المعنى و إن اختلفت العبارة و قدمات كثير من الناس بالوجد عندسماع وعظ أوصفقة مطرب والأخبار فى هذاالباب كثيرة جدا و قدرأينا نحن فى زماننا من مات بذلك فجأة. قوله كانت نفسه فيها أى مات ونفث الشيطان على لسانك أى تكلم بلسانك وأصله النفخ بالفم و هوأقل من التفل وإنما نهى أمير المؤمنين القائل فهلا أنت يا أمير المؤمنين لأنه اعترض فى غيرموضع الاعتراض و ذلك أنه لايلزم من موت العامى عندوعظ العارف أن يموت العارف عندوعظ نفسه لأن انفعال العامى ذى الاستعداد التام للموت عندسماع المواعظ البالغة أتم من استعداد العارف عندسماع كلام [صفحه ۱۶۲] نفسه أوالفكر فى كلام نفسه لأن نفس العارف قوية جدا والآلة التى يحفر بهاالطين قد لايحفر بهاالحجر. فإن قلت فإن جواب أمير المؤمنين ع للسائل غير هذاالجواب قلت صدقت إنما أجابه من حيث يعلم هو والسامعون وتصل أفهامهم إليه فخرج معه إلى حديث الآجال وأنها أوقات مقدرة لاتتعداها و ما كان يمكنه ع أن يذكر الفرق بين نفسه ونفوسهم و لاكانت الحال تقتضيه فأجابه بجواب مسكت و هو مع إسكاته الخصم حق وعدل عن جواب يحصل منه اضطراب ويقع فيه تشويش و هذانهاية السداد وصحة القول [صفحه ۱۶۳]

۱۸۷– و من خطبة له ع يصف فيهاالمنافقين

نَحمَدُهُ عَلَى مَا وَفّقَ لَهُ مِنَ الطّاعَةِ وَ ذَادَ عَنهُ مِنَ المَعصِيَةِ وَ نَسأَلُهُ لِمِنّتِهِ تَمَاماً وَ لِحَبلِهِ اعتِصَاماً وَ نَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضوَانِ اللّهِ كُلّ غَمرَةٍ وَ تَجَرّعَ فِيهِ كُلّ غُصّةٍ وَ قَد تَلَوّنَ لَهُ الأَدنَونَ وَ تَأَلّبَ عَلَيهِ الأَقصَونَ وَ خَلَعَت عَلَيهِ العَرَبُ أَعِنّتَهَا وَ ضَرَبَت إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا حَتّى أَنزَلَت بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِن أَبعَدِ الدّارِ وَ أَسحَقِ المَزَارِ أُوصِيكُم عِبَادَ اللّهِ بِتَقوَى اللّهِ وَ أُحَذّرُكُم أَهلَ النّفَاقِ فَإِنّهُمُ الضّالّونَ المُضِلّونَ وَ الزّالّونَ المُزِلّونَ يَتَلَوّنُونَ أَلوَاناً وَ يَفتَنّونَ افتِنَاناً وَ يَعمِدُونَكُم بِكُلّ عِمَادٍ وَ يَرصُدُونَكُم بِكُلّ مِرصَادٍ قُلُوبُهُم دَوِيّةٌ وَ صِفَاحُهُم نَقِيّةٌ يَمشُونَ الخَفَاءَ وَ يَدِبّونَ الضّرَاءَ وَصفُهُم دَوَاءٌ وَ قَولُهُم شِفَاءٌ وَ فِعلُهُمُ الدّاءُ العَيَاءُ حَسَدَةُ الرّخَاءِ وَ مُؤَكّدُو البَلَاءِ وَ مُقنِطُو الرّجَاءِ لَهُم بِكُلّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَ إِلَى كُلّ قَلبٍ شَفِيعٌ وَ لِكُلّ شَجوٍ دُمُوعٌ يَتَقَارَضُونَ الثّنَاءَ وَ يَتَرَاقَبُونَ الجَزَاءَ إِن سَأَلُوا أَلحَفُوا وَ إِن عَذَلُوا كَشَفُوا وَ إِن حَكَمُوا أَسرَفُوا [صفحه ۱۶۴] قَد أَعَدّوا لِكُلّ حَقّ بَاطِلًا وَ لِكُلّ قَائِمٍ مَائِلًا وَ لِكُلّ حيَ‌ّ قَاتِلًا وَ لِكُلّ بَابٍ مِفتَاحاً وَ لِكُلّ لَيلٍ مِصبَاحاً يَتَوَصّلُونَ إِلَى الطّمَعِ بِاليَأسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسوَاقَهُم وَ يُنفِقُوا بِهِ أَعلَاقَهُم يَقُولُونَ فَيُشَبّهُونَ وَ يَصِفُونَ فَيُمَوّهُونَ قَد هَوّنُوا الطّرِيقَ وَ أَضلَعُوا المَضِيقَ فَهُم لُمَةُ الشّيطَانِ وَ حُمَةُ النّيرَانِأُولئِكَ حِزبُ الشّيطانِ أَلا إِنّ حِزبَ الشّيطانِ هُمُ الخاسِرُونَ -قرآن-۳۷۹-۴۴۵ الضمير فى له و هوالهاء راجع إلى ماالتى بمعنى ألذى وقيل بل هوراجع إلى الله سبحانه كأنه قال نحمده على ماوفق من طاعته والصحيح هوالأول لأن له فى الفقرة الأولى بإزاء عنه فى الفقرة الثانية والهاء فى عنه ليست عائدة إلى الله وذاد طرد والمصدر الذياد. وخاض كل غمرة مثل قولك ارتكب كل مهلكة وتقحم كل هول والغمرة ماازدحم وكثر من الماء وكذلك من الناس والجمع غمار. والغصة الشجا والجمع غصص . وتلون له الأدنون

تغير عليه أقاربه ألوانا. وتألب عليه الأقصون تجمع عليه الأبعدون عنه نسبا. وخلعت إليه العرب أعنتها مثل معناه أوجفوا إليه مسرعين لمحاربته لأن الخيل إذاخلعت أعنتها كان أسرع لجريها. وضربت إلى محاربته بطون رواحلها كناية عن إسراع العرب نحوه للحرب [صفحه ١٦٥] لأن الرواحل إذاضربت بطونها لتساق كان أوحى لها ومراده أنهم كانوا فرسانا وركبانا. قوله حتى أنزلت بساحته عداوتها أى حربها فعبر عنها بالعداوة لأن العداوة سبب الحرب فعبر بالسبب عن المسبب مازلنا نطأ السماء حتى أتيناك يعنون الماء لما كان اعتقادهم أن السماء سبب الماء. وأسحق المزار أبعده مكان سحيق أى بعيد والسحق بضم السين البعد يقال سحقا له ويجوز ضم الحاء كماقالوا عسر وعسر وسحق الشيء بالضم أى بعد وأسحقه الله أبعده والمزار المكان ألذى يزار منه أوالمكان ألذى يزار فيه والمراد هاهنا هوالأول و من قرأ كتب السيرة علم مالاقى رسول الله ص فى ذات الله سبحانه من المشقة واستهزاء قريش به فى أول الدعوة ورميهم إياه بالحجارة حتى أدموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على رأسه وفتل الثوب فى عنقه وحصره وحصر أهله فى شعب بنى هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يموتون جوعا لو لا أن بعض من كان يحنو لرحم أولسبب غيره فهو يسرق الشيء القليل من الدقيق أوالتمر فيلقيه إليهم ليلا ثم ضربهم أصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق فى الشمس وطردهم إياهم عن شعاب مكة حتى خرج من خرج منهم إلى الحبشة وخرج ع مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببنى عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم أجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالأوس والخزرج تاركا أهله وأولاده و ماحوته يده ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل إلى المدينة فناصبوه الحرب ورموه بالمناسر والكتائب وضربوا إليه آباط الإبل [صفحه ١٦٦] و لم يزل منهم فى عناء شديد وحروب متصلة حتى أكرمه الله تعالى ونصره وأيد دينه وأظهره و من له أنس بالتواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال مايطول شرحه .سمى النفاق نفاقا من النافقاء وهى بيت اليربوع له بابان يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر وكذلك ألذى يظهر دينا ويبطن غيره . والضالون المضلون الذين يضلون أنفسهم ويضلون غيرهم وكذلك الزالون المزلون زل فلان عن الأمر أى أخطأ وأزله غيره . قوله يفتنون يتشعبون فنونا أى ضروبا. ويعمدونكم أى يهدونكم ويفدحونكم يقال عمده المرض يعمده أى هده و منه قولهم للعاشق عميد القلب . قوله بعماد أى بأمر فادح وخطب مؤلم وأصل العمد انشداخ سنام البعير وماضيه عمد السنام بالكسر عمدا فهو عمد. ويرصدونكم يعدون المكايد لكم أرصدت أعددت و منه فى الحديث إلا أن أرصده لدين على -روايت-١-٢-روايت-١٤-٤٠ . وقلب دو بالتخفيف أى فاسد من داء أصابه وامرأة دوية فإذا قلت رجل دوى بالفتح استوى فيه المذكر والمؤنث والجماعة لأنه مصدر فى الأصل و من روى دوية بالتشديد على بعده فإنما شدده ليقابل نقية. والصفاح جمع صفحة الوجه وهى ظاهره يقول باطنهم عليل وظاهرهم صحيح يمشون الخفاء أى فى الخفاء ثم حذف الجار فنصب وكذلك يدبون الضراء [صفحه ١٦٧] والضراء شجر الوادى الملتف و هذامثل يضرب لمن يختل صاحبه يقال هويدب له الضراء ويمشى له الخمر و هوجرف الوادى ثم قال وصفهم داء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء أى أقوالهم أقوال الزاهدين العابدين وأفعالهم أفعال الفاسقين الفاجرين والداء العياء ألذى يعيى الأساة. ثم قال حسدة الرخاء يحسدون على النعم ومؤكدو البلاء إذاوقع واحد من الناس فى بلاء أكدوه عليه بالسعايات والنمائم وإغراء السلطان به ولقد أحسن أبوالطيب فى قوله يذم البشر وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر || حتى أعانه من أعانا كلما أنبت الزمان قناة || ركب المرء فى القناة سنانا . ومقنطو الرجاء أى أهل الرجاء أى يبدلون بشرورهم وأذاهم رجاء الراجى قنوطا. قوله و إلى كل قلب شفيع يصف خلابة ألسنتهم وشدة ملقهم فقد استحوذوا على قلوب الناس بالرياء والتصنع . قوله ولكل شجو دموع الشجو الحزن أى يبكون تباكيا وتعملا لاحقا عند أهل كل حزن ومصاب .يتقارضون الثناء أى يثنى زيد على عمرو ليثنى عمرو عليه فى ذلك المجلس أويبلغه فيثنى عليه فى مجلس آخر مأخوذ من القرض . ويتراقبون الجزاء يرتقب كل واحد منهم على ثنائه ومدحه لصاحبه جزاء منه [صفحه ١٦٨] إما بالمال أوبأمر آخر نحو ثناء يثنى عليه أوشفاعة

يشفع له أونحو ذلك . والإلحاف فى السؤال الاستقصاء فيه و هومذموم قال الله تعالى لا يَسئَلُونَ النّاسَ إلحافاً. قوله و إن عذلوا كشفوا أى إذاعذلك أحدهم كشف عيوبك فى ذلك اللوم والعذل وجبهك بها وربما لايستحى أن يذكرها لك بمحضر ممن لاتحب ذكرها بحضرته وليسوا كالناصحين على الحقيقة الذين يعرضون عندالعتاب بالذنب تعريضا لطيفا ليقلع الإنسان عنه . و إن حكموا أسرفوا إذاسألك أحدهم ففوضته فى مالك أسرف و لم يقنع بشىء وأحب الاستئصال . قدأعدوا لكل حق باطلا يقيمون الباطل فى معارضة الحق والشبهة فى مصادمة الحجة ولكل دليل قائم وقول صحيح ثابت احتجاجا مائلا مضادا لذلك الدليل وكلاما مضطربا لذلك القول . ولكل باب مفتاحا أى ألسنتهم ذلقة قادرة على فتح المغلقات للطف توصلهم وظرف منطقهم . ولكل ليل مصباحا أى كل أمر مظلم فقد أعدوا له كلاما ينيره ويضيئه ويجعله كالمصباح الطارد لليل . ويتوصلون إلى مطامعهم بإظهار اليأس عما فى أيدى الناس وبالزهد فى الدنيا و فى الأثر شركم من أخذ الدنيا بالدين . ثم قال إنما فعلوا ذلك ليقيموا به أسواقهم أى لتنفق سلعتهم . -قرآن-١٣٩-١٦٨ [صفحه ١٦٩] والأعلاق جمع علق و هوالسلعة الثمينة.يقولون فيشبهون يوقعون الشبه فى القلوب . ويصفون فيموهون التمويه التزيين وأصله أن تطلى الحديدة بذهب يحسنها. قدهيئوا الطريق أى الطريق الباطل قدهيئوها لتسلك بتمويهاتهم . وأضلعوا المضيق أمالوه وجعلوه ضلعا أى معوجا أى جعلوا المسلك الضيق معوجا بكلامهم وتلبيسهم فإذاأسلكوه إنسانا اعوج لاعوجاجه . واللمة بالتخفيف الجماعة والحمة بالتخفيف أيضا السم وكنى عن إحراق النار بالحمة للمشابهة فى المضرة [صفحه ١٧٠]

١٨٨- و من خطبة له ع

الحَمدُ لِلّهِ ألّذِى أَظهَرَ مِن آثَارِ سُلطَانِهِ وَ جَلَالِ كِبرِيَائِهِ مَا حَيّرَ مُقَلَ العُقُولِ مِن عَجَائِبِ قُدرَتِهِ وَ رَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النّفُوسِ عَن عِرفَانَ كُنهِ صِفَتِهِ وَ أَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَ إِيقَانٍ وَ إِخلَاصٍ وَ إِذعَانٍ وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ أَرسَلَهُ وَ أَعلَامُ الهُدَى دَارِسَةٌ وَ مَنَاهِجُ الدّينِ طَامِسَةٌ فَصَدَعَ بِالحَقّ وَ نَصَحَ لِلخَلقِ وَ هَدَى إِلَى الرّشدِ وَ أَمَرَ بِالقَصدِ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ وَ آلِهِ وَ سَلّمَ وَ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّهُ لَم يَخلُقكُم عَبَثاً وَ لَم يُرسِلكُم هَمَلًا عَلِمَ مَبلَغَ نِعَمِهِ عَلَيكُم وَ أَحصَى إِحسَانَهُ إِلَيكُم فَاستَفتِحُوهُ وَ استَنجِحُوهُ وَ اطلُبُوا إِلَيهِ وَ استَمنِحُوهُ فَمَا قَطَعَكُم عَنهُ حِجَابٌ وَ لَا أُغلِقَ عَنكُم دُونَهُ بَابٌ وَ إِنّهُ لَبِكُلّ مَكَانٍ وَ فِي كُلّ حِينٍ وَ أَوَانٍ وَ مَعَ كُلّ إِنسٍ وَ جَانّ لَا يَثلِمُهُ العَطَاءُ وَ لَا يَنقُصُهُ الحِبَاءُ وَ لَا يَستَنفِدُهُ سَائِلٌ وَ لَا يَستَقصِيهِ نَائِلٌ وَ لَا يَلوِيهِ شَخصٌ عَن شَخصٍ وَ لَا يُلهِيهِ صَوتٌ عَن صَوتٍ وَ لَا تَحجُزُهُ هِبَةٌ عَن سَلبٍ وَ لَا يَشغَلُهُ غَضَبٌ عَن رَحمَةٍ وَ لَا تُولِهُهُ رَحمَةٌ عَن عِقَابٍ وَ لَا يُجِنّهُ البُطُونُ عَنِ الظّهُورِ وَ لَا يَقطَعُهُ الظّهُورُ عَنِ البُطُونِ قَرُبَ فَنَأَى وَ عَلَا فَدَنَا وَ ظَهَرَ فَبَطَنَ وَ بَطَنَ فَعَلَنَ وَ دَانَ وَ لَم يُدَن لَم يَذرَإِ الخَلقَ بِاحتِيَالٍ وَ لَا استَعَانَ بِهِم لِكَلَالٍ [صفحه ١٧١] أُوصِيكُم عِبَادَ اللّهِ بِتَقوَى اللّهِ فَإِنّهَا الزّمَامُ وَ القِوَامُ فَتَمَسّكُوا بِوَثَائِقِهَا وَ اعتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُل بِكُم إِلَى أَكنَانِ الدّعَةِ وَ أَوطَانِ السّعَةِ وَ مَعَاقِلِ الحِرزِ وَ مَنَازِلِ العِزّ فِي يَوم تَشخَصُ فِيهِ الأَبصَارُ وَ تُظلِمُ لَهُ الأَقطَارُ وَ تُعَطّلُ فِيهِ صُرُومُ العِشَارِ وَ يُنفَخُ فِي الصّورِ فَتَزهَقُ كُلّ مُهجَةٍ وَ تَبكَمُ كُلّ لَهجَةٍ وَ تَذِلّ الشّمّ الشّوَامِخُ وَ الصّمّ الرّوَاسِخُ فَيَصِيرُ صَلدُهَا سَرَاباً رَقرَاقاً وَ مَعهَدُهَا قَاعاً سَملَقاً فَلَا شَفِيعٌ يَشفَعُ وَ لَا حَمِيمٌ يَنفَعُ وَ لَا مَعذِرَةٌ تَدفَعُ أظهر سبحانه من آثار سلطانه نحو خلق الأفلاك ودخول بعضها فى بعض كالمميل ألذى يشتمل على المائل وفلك التدوير وغيرهما ونحو خلق الإنسان و ماتدل كتب التشريح من عجيب الحكمة فيه ونحو خلق النبات والمعادن وترتيب العناصر وعلاماتها والآثار العلوية المتجددة حسب تجدد أسبابها ماحير عقول هؤلاء وأشعر بأنها إذا لم يحط بتفاصيل تلك الحكم مع أنها مصنوعة فالأولى ألا تحيط بالصانع ألذى هوبرىء عن المادة وعلائق الحس . والمقل جمع مقلة وهى شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ومقلت الشىء نظرت إليه بمقلتى

وأضاف المقل إلى العقول مجازا ومراده البصائر. وردع زجر ودفع وهماهم النفوس أفكارها و مايهمهم به عندالتمثيل والروية فى الأمر وأصل الهمهمة صويت يسمع لايفهم محصوله . [صفحه ۱۷۲] والعرفان المعرفة وكنه الشيء نهايته وأقصاه والإيقان العلم القطعى والإذعان الانقياد والأعلام المنار والجبال يستدل بها فى الطرقات . والمناهج السبل الواضحة والطامسة كالدارسة وصدع بالحق بين وأصله الشق يظهر ماتحته ويقال نصحت لزيد و هوأفصح من قولك نصحت زيدا. والقصد العدل . والعبث ما لاغرض فيه أو ما ليس فيه غرض مثله والهمل الإبل بلا راع و قدأهملت الإبل أرسلتها سدى . قوله علم مبلغ نعمه عليكم وأحصى إحسانه إليكم أى هوعالم بكمية إنعامه عليكم علما مفصلا و كل من علم قدر نعمته على غيره كان أحرى أن تشتد نقمته عليه عندعصيانه له وجرأته عليه بخلاف من يجهل قدر نعمته على الغير فإنه لايشد غضبه لأنه لايعلم قدر نعمته المكفورة. قوله فاستفتحوه أى اطلبوا منه الفتح عليكم والنصر لكم . واستنجحوه اطلبوا منه النجاح والظفر. واطلبوا إليه أى اسألوه يقال طلبت إلى زيد كذا و فى كذا. واستمنحوه بكسر النون اطلبوا منه المنحة وهى العطية ويروى واستميحوه بالياء استمحت الرجل طلبت عطاءه ومحت بالرجل أعطيته . ثم ذكر ع أنه لاحجاب يمنع عنه و لادونه باب يغلق و أنه بكل مكان موجود و فى كل حين وأوان والمراد بوجوده فى كل مكان إحاطة علمه و هومعنى قوله [صفحه ۱۷۳] تعالى ما يَكُونُ مِن نَجوى ثَلاثَةٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُم و قوله سبحانه وَ هُوَ مَعَكُم أَينَ ما كُنتُم. قوله لايثلمه العطاء بالكسر لاينقص قدرته . والحباء النوال و لايستنفده أى لايفنيه . و لايستقصيه لايبلغ الجود أقصى مقدوره و إن عظم الجود لأنه قادر على ما لانهاية له . و لايلويه شخص عن شخص لايوجب مايفعله لشخص أو مع شخص إعراضا وذهولا عن شخص آخر بل هوعالم بالجميع لايشغله شأن عن شأن لوى الرجل وجهه أى أعرض وانحرف ومثل هذاأراد بقوله و لايلهيه صوت عن صوت ألهاه كذا أى شغله . و لاتحجزه بالضم هبة عن سلب أى لاتمنعه أى ليس كالقادرين بالقدرة مثلنا فإن الواحد منا يصرفه اهتمامه بعطية زيد عن سلب مال عمرو حالما يكون مهتما بتلك العطية لأن اشتغال القلب بأحد الأمرين يشغله عن الآخر. ومثل هذا قوله و لايشغله غضب عن رحمة و لاتولهه رحمة عن عقاب أى لاتحدث الرحمة لمستحقها عنده ولها و هوالتحير والتردد وتصرفه عن عقاب المستحق و ذلك لأن الواحد منا إذارحم إنسانا حدث عنده رقة خصوصا إذاتوالت منه الرحمة لقوم متعددين فإنه تصير الرحمة كالملكة عنده فلايطيق مع تلك الحال أن ينتقم والبارئ تعالى بخلاف ذلك لأنه ليس بذى مزاج سبحانه . و لايجنه البطون عن الظهور و لايقطعه الظهور عن البطون هذه كلها مصادر بطن -قرآن-۸-۵۷-قرآن-۷۳-۱۰۳ [صفحه ۱۷۴] بطونا أى خفى وظهر ظهورا أى تجلى يقول لايمنعه خفاؤه عن العقول أن تدركه عندظهوره بأفعاله و إن لم يكن ظاهرا بذاته وكذلك لايقطعه ظهوره بأفعاله عن أن يخفى كنهه عن إبصار العقول وإدراكها له ويقال اجتننت كذا أى سترته و منه الجنين والجنة للترس وسمى الجن جنا لاستتارهم . ثم زاد المعنى تأكيدا فقال قرب فنأى أى قرب فعلا فنأى ذاتا أى أفعاله قدتعلم ولكن ذاته لاتعلم . ثم قال وعلا فدنا أى لماعلا عن أن تحيط به العقول عرفته العقول لأنها عرفت ذاته لكن عرفت أنه شيء لايصح أن يعرف و ذلك خاصته سبحانه فإن ماهيته يستحيل أن تتصور للعقل لا فى الدنيا و لا فى الآخرة بخلاف غيره من الممكنات . ثم أكد المعنى بعبارة أخرى قال وظهر فبطن وبطن فعلن و هذامثل الأول ودان غلب وقهر و لم يدن لم يقهر و لم يغلب . ثم قال لم يذرأ الخلق باحتيال أى لم يخلقهم بحيلة توصل بها إلى إيجادهم بل أوجدهم على حسب علمه بالمصلحة خلقا مخترعا من غيرسبب و لاواسطة. قال و لااستعان بهم لكلال أى لإعياء أى لم يأمر المكلفين بالجهاد لحاجته فى قهر أعدائه وجاحدى نعمته إليهم و ليس بكال و لاعاجز عن إهلاكهم ولكن الحكمة اقتضت ذلك قال سبحانه وَ لَو لا دَفعُ اللّهِ النّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُ أى لبطل التكليف . ثم ذكر أن التقوى قوام الطاعات التى تقوم بها وزمام العبادات لأنها تمسك وتحصن كزمام الناقة المانع لها من الخبط. -قرآن-۱۰۷۷-۱۱۴۲ [صفحه ۱۷۵] والوثائق جمع وثيقة وهى مايوثق به وحقائقها جمع حقيقة وهى الراية يقال فلان حامى الحقيقة. قوله تؤل بالجزم لأنه جواب الأمر أى ترجع .

والأكنان جمع كن و هوالستر والدعة الراحة السعة الجدة والمعاقل جمع معقل و هوالملجأ والحرز الحفظ وتشخص الأبصار تبقى مفتوحة لاتطرف . والأقطار الجوانب والصروم جمع صرم وصرمة وهى القطعة من الإبل نحو الثلاثين . والعشار النوق أتى عليها من يوم أرسل الفحل فيهاعشرة أشهر فزال عنها اسم المخاض و لايزال ذلك اسمها حتى تضع والواحدة عشراء و هذا من قوله تعالى وَ إِذَا العِشارُ عُطِّلَت أى تركت مسيبة مهملة لايلتفت إليها أربابها و لايحلبونها لاشتغالهم بأنفسهم . وتزهق كل مهجة تهلك وتبكم كل لهجة أى تخرس رجل أبكم وبكيم والماضى بكم بالكسر. والشم الشوامخ الجبال العالية وذلها تدككها وهى أيضا الصم الرواسخ .فيصير صلدها و هوالصلب الشديد انصلابه سرابا و هو مايتراءى فى النهار فيظن ماء. والرقراق الخفيف ومعهدها ماجعل منها منزلا للناس قاعا أرضا خالية والسملق الصفصف المستوى ليس بعضه أرفع وبعضه أخفض -قرآن-٥١٣-٥٣٧ [صفحه ١٧٦]

١٨٩- و من خطبة له ع

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ وَ لَا مَنَارٌ سَاطِعٌ وَ لَا مَنهَجٌ وَاضِحٌ أُوصِيكُم عِبَادَ اللّهِ بِتَقوَى اللّهِ وَ أُحَذّرُكُمُ الدّنيَا فَإِنّهَا دَارُ شُخُوصٍ وَ مَحَلّةُ تَنغِيصٍ سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَ قَاطِنُهَا بَائِنٌ تَمِيدُ بِأَهلِهَا مَيَدَانَ السّفِينَةِ تَقصِفُهَا العَوَاصِفُ فِي لُجَجِ البِحَارِ فَمِنهُمُ الغَرِقُ الوَبِقُ وَ مِنهُمُ النّاجِي عَلَى بُطُونِ الأَموَاجِ تَحفِزُهُ الرّيَاحُ بِأَذيَالِهَا وَ تَحمِلُهُ عَلَى أَهوَالِهَا فَمَا غَرِقَ مِنهَا فَلَيسَ بِمُستَدرَكٍ وَ مَا نَجَا مِنهَا فَإِلَى مَهلَكٍ عِبَادَ اللّهِ الآنَ فَاعلَمُوا وَ الأَلسُنُ مُطلَقَةٌ وَ الأَبدَانُ صَحِيحَةٌ وَ الأَعضَاءُ لَدنَةٌ وَ المُنقَلَبُ فَسِيحٌ وَ المَجَالُ عَرِيضٌ قَبلَ إِرهَاقِ الفَوتِ وَ حُلُولِ المَوتِ فَحَقّقُوا عَلَيكُم نُزُولَهُ وَ لَا تَنتَظِرُوا قُدُومَهُ يقول بعث الله سبحانه محمداص لما لم يبق علم يهتدى به المكلفون لأنه كان زمان الفترة وتبدل المصلحة واقتضاء وجوب اللطف عليه سبحانه تجديدا لبعثته ليعرف المبعوث المكلفين الأفعال التى تقربهم من فعل الواجبات العقلية وتبعدهم عن المقبحات الفعلية. [صفحه ١٧٧] والمنار الساطع المرتفع سطع الصبح سطوعا ارتفع . ودار شخوص دار رحلة شخص عن البلد رحل عنه . والظاعن المسافر والقاطن المقيم والبائن البعيد يقول ساكن الدنيا ليس بساكن على الحقيقة بل هوظاعن فى المعنى و إن كان فى الصورة ساكنا والمقيم بهامفارق و إن ظن أنه مقيم . وتميد بأهلها تتحرك وتميل والميدان حركة واضطراب . وتصفقها العواصف تضربها بشدة ضربا بعدضرب والعواصف الرياح القوية اللجج جمع لجة وهى معظم البحر.الوبق الهالك وبق الرجل بالفتح يبق وبوقا هلك والموبق منه كالموعد مفعل من وعد يعد و منه قوله تعالى وَ جَعَلنا بَينَهُم مَوبِقاً و فيه لغة أخرى وبق الرجل يوبق وبقا و فيه لغة ثالثة وبق الرجل بالكسر يبق بالكسر أيضا وأوبقه الله أى أهلكه . وتحفزه الرياح تدفعه ضرب ع لأهل الدنيا مثلا براكبى السفينة فى البحر و قدمادت بهم فمنهم الهالك على الفور ومنهم من لايتعجل هلاكه وتحمله الرياح ساعة أوساعات ثم مآله إلى الهلاك أيضا. ثم أمر ع بالعمل وقت الإمكان قبل ألا يمكن العمل فكنى عن ذلك بقوله والألسن منطلقة لأن المحتضر يعتقل لسانه والأبدان صحيحة لأن المحتضر سقيم البدن والأعضاء لدنة أى لينة أى قبل الشيخوخة والهرم ويبس -قرآن-٥٣٧-٥٦٤ [صفحه ١٧٨] الأعضاء والأعصاب والمنقلب فسيح والمجال عريض أى أيام الشبيبة و فى الوقت والأجل مهلة قبل أن يضيق الوقت عليكم .قبل إرهاق الفوت أى قبل أن يجعلكم الفوت و هوفوات الأمر وتعذر استدراكه عليكم مرهقين والمرهق ألذى أدرك ليقتل قال الكميت تندى أكفهم و فى أبياتهم || ثقة المجاور والمضاف المرهق . قوله فحققوا عليكم نزوله و لاتنتظروا قدومه أى اعملوا عمل من يشاهد الموت حقيقة لاعمل من ينتظره انتظارا ويطاول الأوقات مطاولة فإن التسويف داعية التقصير [صفحه ١٧٩]

١٩٠- و من خطبة له ع

اشاره

وَ لَقَد عَلِمَ المُستَحفِظُونَ مِن أَصحَابِ مُحَمّدٍص أنَیّ لَم أَرُدّ عَلَی اللّهِ وَ لَا عَلَی رَسُولِهِ سَاعَةً قَطّ وَ لَقَد وَاسَیتُهُ بِنفَسیِ فِی المَوَاطِنِ التّیِ تَنکُصُ فِیهَا الأَبطَالُ وَ تَتَأَخّرُ الأَقدَامُ نَجدَةً أکَرمَنَیِ اللّهُ بِهَا وَ لَقَد قُبِضَ رَسُولُ اللّهِص وَ إِنّ رَأسَهُ لَعَلَی صدَریِ وَ لَقَد سَالَت نَفسُهُ فِی کفَیّ فَأَمرَرتُهَا عَلَی وجَهیِ وَ لَقَد وُلّیتُ غُسلَهُص وَ المَلَائِکَةُ أعَواَنیِ فَضَجّتِ الدّارُ وَ الأَفنِیَةُ مَلَأٌ یَهبِطُ وَ مَلَأٌ یَعرُجُ وَ مَا فَارَقَت سمَعیِ هَینَمَةٌ مِنهُم یُصَلّونَ عَلَیهِ حَتّی وَارَینَاهُ فِی ضَرِیحِهِ فَمَن ذَا أَحَقّ بِهِ منِیّ حَیّاً وَ مَیّتاً فَانفُذُوا عَلَی بَصَائِرِکُم وَ لتَصدُق نِیّاتُکُم فِی جِهَادِ عَدُوّکُم فوَاَلذّیِ لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ إنِیّ لَعَلَی جَادّةِ الحَقّ وَ إِنّهُم لَعَلَی مَزَلّةِ البَاطِلِ أَقُولُ مَا تَسمَعُونَ وَ أَستَغفِرُ اللّهَ لِی وَ لَکُم یمکن أن یعنی بالمستحفظین الخلفاء الذین تقدموا لأنهم الذین استحفظوا الإسلام أی جعلوا حافظین له وحارسین لشریعته ولحوزته ویجوز أن یعنی به العلماء والفضلاء من الصحابة لأنهم استحفظوا الکتاب أی کلفوا حفظه وحراسته . [صفحه ۱۸۰] والظاهر أنه یرمز فی قوله ع لم أرد علی الله و لا علی رسوله ساعة قط إلی أمور وقعت من غیره کماجری یوم الحدیبیة عندسطر کتاب الصلح فإن بعض الصحابة أنکر ذلک و قال یا رسول الله ألسنا المسلمین قال بلی قال أ ولیسوا الکافرین قال بلی قال فکیف نعطی الدنیة فی دیننا فقال ص إنما أعمل بما أومر به -روایت-۱-۲۱۳ فقال قوم من الصحابة أ لم یکن قدوعدنا بدخول مکة وها نحن قدصددنا عنها ثم ننصرف بعد أن أعطینا الدنیة فی دیننا و الله لوأجد أعوانا لم أعط الدنیة أبدا فقال أبوبکر لهذا القائل ویحک الزم غرزه فو الله إنه لرسول الله ص و إن الله لایضیعه . ثم قال له أ قال لک إنه سیدخلها هذاالعام قال لا قال فسیدخلها فلما فتح النبی ص مکة وأخذ مفاتیح الکعبة دعاه فقال هذا ألذی وعدتم به . واعلم أن هذاالخبر صحیح لاریب فیه و الناس کلهم رووه و لیس عندی بقبیح و لامستهجن أن یکون سؤال هذاالشخص لرسول الله ص عما سأله عنه علی سبیل الاسترشاد والتماسا لطمأنینة النفس فقد قال الله تعالی لخلیله ابراهیم أَ وَ لَم تُؤمِن قالَ بَلی وَ لکِن لِیَطمَئِنّ قَلبِی و قدکانت الصحابة تراجع رسول الله ص فی الأمور وتسأله عما یستبهم علیها وتقول له أ هذامنک أم من الله و قال له السعدان رحمهما الله یوم الخندق و قدعزم علی مصالحة الأحزاب ببعض تمر المدینة أ هذا من الله أم رأی رأیته من نفسک قال بل من نفسی قالا لا و الله لانعطیهم منها تمرة واحدة وأیدینا فی مقابض سیوفنا. -قرآن-۶۱۸-۶۷۱ [صفحه ۱۸۱] وقالت الأنصار له یوم بدر و قدنزل بمنزل لم یستصلحوه أنزلت هذاالمنزل عن رأی رأیت أم بوحی أوحی إلیک قال بل عن رأی رأیته قالوا إنه لیس لنا بمنزل ارحل عنه فانزل بموضع کذا. و أماقول أبی بکر له الزم غرزه فو الله إنه لرسول الله ص فإنما هوتأکید وتثبیت علی عقیدته التی فی قلبه و لایدل ذلک علی الشک فقد قال الله تعالی لنبیه وَ لَو لا أَن ثَبّتناکَ لَقَد کِدتَ تَرکَنُ إِلَیهِم شَیئاً قَلِیلًا و کل أحد لایستغنی عن زیادة الیقین والطمأنینة و قدکانت وقعت من هذاالقائل أمور دون هذه القصة کقوله دعنی أضرب عنق أبی سفیان و قوله دعنی أضرب عنق عبد الله بن أبی و قوله دعنی أضرب عنق حاطب بن أبی بلتعة ونهی النبی ص له عن التسرع إلی ذلک وجذبه ثوب رسول الله ص حین قام علی جنازة ابن سلول یصلی و قوله کیف تستغفر لرأس المنافقین و لیس فی ذلک جمیعه مایدل علی وقوع القبیح منه وإنما الرجل کان مطبوعا علی الشدة والشراسة والخشونة و کان یقول ما یقول علی مقتضی السجیة التی طبع علیها و علی أی حال کان فلقد نال الإسلام بولایته وخلافته خیرا کثیرا. قوله ع ولقد واسیته بنفسی یقال واسیته وآسیته وبالهمزة أفصح و هذامما اختص ع بفضیلته غیرمدافع ثبت معه یوم أحد وفر الناس وثبت معه یوم حنین وفر الناس وثبت تحت رایته یوم خیبر حتی فتحها وفر من کان بعث بها من قبله . -قرآن-۳۵۱-۴۱۸ [صفحه ۱۸۲] وروی المحدثون أن رسول الله ص لماارتث یوم أحد قال الناس قتل محمدرأته کتیبة من المشرکین و هوصریع بین القتلی إلا أنه حی فصمدت له فقال لعلی ع اکفنی هذه فحمل علیها ع وقتل رئیسها ثم صمدت له کتیبة أخری فقال یا علی اکفنی هذه فحمل علیها فهزمها وقتل رئیسها ثم

صمـدت له کتيبهٔ ثالثهٔ فکذلک فکان رسول الله ص بعد ذلک يقول قال لی جبريل يا محمد إن هذه للمواساهٔ فقلت و مايمنعه و هومنی و أنا منه فقال جبريل و أنامنکما –روايت–۱–۱۳۷ روی المحدثون أيضا أن المسـلمين سمعوا ذلک اليوم صائحا من جههٔ السماء ينادی لاسيف إلاذو الفقار و لافتی إلا علی فقال رسول الله ص لمن حضره أ لاتسمعون هذاصوت جبريل –روايت–۱–۲– روايت–۲۲–۱۷۶ . و أما يوم حنين فثبت معه فی نفر يسير من بنی هاشم بعد أن ولی المسلمون الأدبار وحامی عنه وقتل قوما من هوازن بين يـديه حتی ثابت إليه الأنصار وانهزمت هوازن وغنمت أموالها. و أما يوم خيبر فقصـته مشـهورهٔ. قوله ع نجـدهٔ أکرمنی الله سـبحانه بهاالنجـدهٔ الشـجاعهٔ وانتصابهـا هاهنا علی أنها مصـدر والعامل فيه محـذوف . ثم ذکر ع وفاهٔ رسول الله ص فقال لقد قبض و إن رأسه لعلی صـدری ولقـد سـالت نفسه فی کفی فأمررتهـا علی وجهی يقـال إن رسول الله [صـفحه ۱۸۳] ص قاء دما يسيرا وقت موته و إن عليا ع مسح بـذلک الـدم وجهه . و قدروی أن أباطيبهٔ الحجام شرب دمه ع و هوحی فقال له إذن لايجع بطنک . قوله ع فضـجت الدار والأفنيهٔ أی النازلون فی الدار من الملائکهٔ أی ارتفع ضـجيجهم ولجبهم يعنی أنی سمعت ذلک و لم يسـمعه غيری من أهل الـدار. والملأ الجماعـهٔ يهبط قوم من الملائکـهٔ ويصـعد قوم والعروج الصـعود والهينمـهٔ الصوت الخفی والضريح الشق فی القبر

ذکر خبر موت الرسول ع

روی من قصهٔ وفاهٔ رسول الله ص أنه عرضت له الشـکاهٔ التی عرضت فی أواخر صـفر من سـنهٔ إحدی عشـرهٔ للهجرهٔ فجهز جيش أسامهٔ بن زيـد فـأمرهم بالمسـير إلی البلقـاء حيث أصيب زيـد و جعفرع من الروم وخرج فی تلـک الليلـهٔ إلی البقيع و قال إنی قـدأمرت بالاسـتغفار عليهم فقـال ع السـلام عليکم يـا أهل القبور ليهنکم ماأصـبحتم فيه مما أصـبح الناس فيه أقبلت الفتن کقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ثم اسـتغفر لأهل البقيع طويلا ثم قال لأصـحابه إن جبريل کان يعارضنی القرآن فی کل عام مرهٔ و قدعارضـنی به العـام مرتين فلاأراه إلالحضور أجلی ثم انصـرف إلی بيته فخطب الناس فی غـده فقال معاشـر الناس قـدحان منی خفوق من بين أظهرکم فمن کان له عنـدی عدهٔ فليأتنی أعطه إياها و من کان علی دين فليأتنی أقضه أيها الناس إنه ليس بين الله و بيـن أحـد نسب و لاـأمر يـؤتيه به خيرا –روايت–۱–۲–روايت–۳۴–ادامه دارد [صـفحه ۱۸۴] أويصـرف عنه شـرا إلاالعمل ألا لايـدعين مـدع و لايتمنين متمن و ألـذی بعثنی بالحق لاينجی إلاعمل مع رحمـهٔ و لوعصـيت لهويت أللهم قـدبلغت –روايت–از قبل–۱۴۲ . ثم نزل فصلی بالنـاس صـلاهٔ خفيفـهٔ ثم دخـل بيت أم سـلمهٔ ثم انتقل إلی بيت عائشـهٔ يعلله النساء والرجال أماالنساء فأزواجه وبنته ع و أماالرجال فعلی ع والعباس و الحسن و الحسـين ع وکانا غلامين يومئـذ و کان الفضل بن العباس يدخل أحيانا إليهم ثم حـدث الاختلاـف بين المسـلمين أيـام مرضه فـأول ذلـک التنـازع الواقع يوم قال ص ائتونی بـدواهٔ وقرطاس وتلا ذلک حديث التخلف عن جيش أسامهٔ وقول عياش بن أبی ربيعهٔ أيولی هذاالغلام علی جلهٔ المهاجرين والأنصار. ثم اشتد به المرض و کان عندخفهٔ مرضه يصلی بالناس بنفسه فلما اشـتد به المرض أمر أبابکر أن يصـلی بالناس . و قداختلف فی صـلاته بهم فالشيعهٔ تزعم أنه لم يصل بهم إلاصـلاهٔ واحـدهٔ وهی الصـلاهٔ التی خرج رسول الله ص فيهايتهادی بين علی ع والفضل فقام فی المحراب مقامه وتأخر أبوبکر. والصـحيح عندی و هوالأکثر الأشهر أنها لم تکن آخر صلاهٔ فی حياته ص بالناس جماعهٔ و أن أبابکر صلی بالناس بعد ذلک يومين ثم مات ص فمن قائل يقول إنه توفی لليلتين بقيتا من صـفر و هوالقول ألذی تقوله الشيعهٔ والأکثرون أنه توفی فی شـهر ربيع الأول بعدمضی أيام منه . و قداختلفت الروايهٔ فی موته فأنکر عمر ذلک و قال إنه لم يمت وإنه غاب وسيعود فثنـاه أبوبکر عن هـذاالقول وتلاـ عليه الآيات المتضـمنهٔ أنه سيموت فرجع إلی قوله . [صـفحه ۱۸۵] ثم اختلفـوا فی موضع دفنه

فرأى قوم أن يدفنوه بمكة لأنها مسقط رأسه و قال من قال بل بالمدينة ندفنه بالبقيع عندشهداء أحد ثم اتفقوا على دفنه فى البيت ألـذى قبض فيه وصـلوا عليه إرسالاـ لاـيؤمهم أحـد. وقيل إن عليا ع أشار بـذلک فقبلوه . و أناأعجب من ذلک لأن الصـلاة عليه كانت بعدبيعة أبى بكر فما ألذى منع من أن يتقدم أبوبكر فيصـلى عليه إماما. وتنازعوا فى تلحيده وتضـريحه فأرسل العباس عمه إلى أبى عبيدة بن الجراح و كان يحفر لأهل مكة ويضـرح على عادتهم رجلا وأرسل على رجلا إلى أبى طلحة الأنصارى و كان يلحـد لأهل المدينة على عادتهم و قال أللهم اختر لنبيک فجاء أبوطلحة فلحد له وأدخل فى اللحد. وتنازعوا فيمن ينزل معه القبر فمنع على ع الناس أن ينزلوا معه و قال لاينزل قبره غيرى و غيرالعباس ثم أذن فى نزول الفضل وأسامة بن زيد مولاهم ثم ضجت الأنصـار وسألت أن ينزل منها رجل فى قبره فأنزلوا أوس بن خولى و كان بـدريا.فأما الغسل فإن عليا ع تولاه بيـده و كان الفضـل بن العبـاس يصب عليه المـاء. و روى المحـدثون عن على ع أنه قـال مـاقلبت منه عضوا إلاـ وانقلب لاأجـد له ثقلاـ كان معى من يساعدنى عليه و ما ذلک إلاالملائكة -روايت-١-٢-روايت-٣٩-١٣٢ . و أماحديث الهينمة وسـماع الصوت فقد رواه خلق كثير من المحـدثين عن على [صـفحه ١٨٦]ع وتروى الشـيعة أن عليـا ع عصـب عينى الفضـل بن العبـاس حين صب عليه المـاء و أن رسول الله ص أوصاه بـذلک و قال إنه لايبصـر عورتى أحد غيرک إلاعمى. قوله ع فمن ذا أحق به منى حيا وميتا انتصابهما على الحال من الضـمير المجرور فى به أى أى شخص أحق برسول الله ص حال حياته وحال وفاته منى ومراده من هذاالكلام أنه أحق بالخلافة بعده وأحق الناس بالمنزلة منه حيث كان بتلک المنزلة منه فى الدنيا و ليس يجوز أن يكونا حالين من الضـمير المجرور فى منى لأنه لايحسن أن يقول أناأحق به إذاكنت حيا من كل أحد وأحق به إذاكنت ميتا من كل أحد لأن الميت لايوصف بمثل ذلک ولأنه لاحال ثبتت له من الأحقيـة إذا كان حيا إلا وهى ثابتـة له إذا كان ميتا و إن كان الميت يوصف بالأحقية فلافائدة فى قوله وميتا على هذاالفرض و لايبقى فى تقسيم الكلام إلى قسمين فائدة و أما إذا كان حالا من الضمير فى به فإنه لايلزم من كونه أحق بالمنزلـة الرفيعـة من رسول الله ص و هوحى أن يكون أحق بالخلافـة بعـدوفاته أى ليس أحدهما يلزم الآخر فاحتاج إلى أن يـبين أنه أحق برسول الله ص من كـل أحـد إن كـان الرسول حيـا و إن كـان ميتـا و لم يسـتهجن أن يقسم الكلاـم إلى القسـمين المـذكورين . قوله ع فانفـذوا إلى بصائركم أى أسـرعوا إلى الجهاد على عقائدكم التى أنتم عليها و لايدخلن الشک والريب فى قلـوبكم . قوله ع إنى لعلى جـادة الحق وإنهم لعلى مزلـة الباطـل كلاـم عجيب [صـفحه ١٨٧] على قاعـدة الصـناعة المعنوية لأنه لايحسن أن يقول وإنهم لعلى جادة الباطل لأن الباطل لايوصف بالجادة ولهـذا يقال لمن ضل وقع فى بنيات الطريق فتعوض عنها بلفظ المزلة وهى الموضع ألذى يزل فيه الإنسان كالمزلقة موضع الزلق والمغرقة موضع الغرق والمهلكة موضع الهلاک [صـفحه ١٨٨]

١٩١– و من خطبة له ع

اشاره

يَعلَمُ عَجِيجَ الوُحُوشِ فِي الفَلَوَاتِ وَ مَعَاصِيَ العِبَادِ فِي الخَلَوَاتِ وَ اختِلَافِ النّينَانِ فِي البِحَارِ الغَامِرَاتِ وَ تَلَاطُمَ المَاءِ بِالرّيَاحِ العَاصِفَاتِ وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً نَجِيبُ اللّهِ وَ سَفِيرُ وَحيِهِ وَ رَسُولُ رَحمَتِهِ أَمّا بَعدُ فإَنِيّ أُوصِيكُم بِتَقوَى اللّهِ ألّذِى ابتَدَأَ خَلقَكُم وَ إِلَيهِ يَكُونُ مَعَادُكُم وَ بِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُم وَ إِلَيهِ مُنتَهَى رَغبَتِكُم وَ نَحوَهُ قَصدُ سَبِيلِكُم وَ إِلَيهِ مرَاَمیِ مَفزَعِكُم فَإِنّ تَقوَى اللّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُم وَ بَصَرُ عَمَى أَفئِدَتِكُم وَ شِفَاءُ مَرَضِ أَجسَادِكُم وَ صَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُم وَ طُهُورُ دَنَسِ أَنفُسِكُم وَ جِلَاءُ غِشَاءِ أَبصَارِكُم وَ

أَمنُ فَزَعِ جَأشِكُم وَ ضِيَاءُ سَوَادِ ظُلمَتِكُم العجيج رفع الصوت وكذلك العج و فى الحديث أفضل الحج العج والثج -روايت-١-٢-روايت-١۴-٣٩ أى التلبية وإراقة الدم وعجيج أى صوت ومضاعفة اللفظ دليل على تكرير التصويت . والنينان جمع نون و هوالحوت واختلافها هاهنا هوإصعادها وانحدارها. ونجيب الله منتجبه ومختاره . وسفير وحيه رسول وحيه والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء. [صفحه ١٨٩] و إليه مرامى مفزعكم إليه تفزعون وتلجئون ويقال فلان مرمى قصدى أى هوالموضع ألذى أنحوه وأقصده . ويروى وجلاء عشى أبصاركم بالعين المهملة والألف المقصورة والجأش القلب وتقدير الكلام وضياء سواد ظلمة عقائدكم ولكنه حذف المضاف للعلم به فَاجعَلُوا طَاعَةَ اللّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُم وَ دَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُم وَ لَطِيفاً بَينَ أَضلَاعِكُم وَ أَمِيراً فَوقَ أُمُورِكُم وَ مَنهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُم وَ شَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُم وَ جُنّةً لِيَومِ فَزَعِكُم وَ مَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُم وَ سَكَناً لِطُولِ وَحشَتِكُم وَ نَفَساً لِكَربِ مَوَاطِنِكُم فَإِنّ طَاعَةَ اللّهِ حِرزٌ مِن مَتَالِفَ مُكتَنِفَةٍ وَ مَخَاوِفَ مُتَوَقّعَةٍ وَ أُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ فَمَن أَخَذَ بِالتّقوَى عَزَبَت عَنهُ الشّدَائِدُ بَعدَ دُنُوّهَا وَ احلَولَت لَهُ الأُمُورُ بَعدَ مَرَارَتِهَا وَ انفَرَجَت عَنهُ الأَموَاجُ بَعدَ تَرَاكُمِهَا وَ أَسهَلَت لَهُ الصّعَابُ بَعدَ إِنصَابِهَا وَ هَطَلَت عَلَيهِ الكَرَامَةُ بَعدَ قُحُوطِهَا. وَ تَحَدّبَت عَلَيهِ الرّحمَةُ بَعدَ نُفُورِهَا وَ تَفَجّرَت عَلَيهِ النّعَمُ بَعدَ نُضُوبِهَا وَ وَبَلَت عَلَيهِ البَرَكَةُ بَعدَ إِرذَاذِهَا فَاتّقُوا اللّهَ ألّذِى نَفَعَكُم بِمَوعِظَتِهِ وَ وَعَظَكُم بِرِسَالَتِهِ وَ امتَنّ عَلَيكُم بِنِعمَتِهِ فَعَبّدُوا أَنفُسَكُم لِعِبَادَتِهِ وَ اخرُجُوا إِلَيهِ مِن حَقّ طَاعَتِهِ [صفحه ١٩٠] الشعار أقرب إلى الجسد من الدثار والدخيل ماخالط باطن الجسد و هوأقرب من الشعار. ثم لم يقتصر على ذلك حتى أمر بأن يجعل التقوى لطيفا بين الأضلاع أى فى القلب و ذلك أمس بالإنسان من الدخيل فقد يكون الدخيل فى الجسد و إن لم يخامر القلب . ثم قال وأميرا فوق أموركم أى يحكم على أموركم كمايحكم الأمير فى رعيته . والمنهل الماء يرده الوارد من الناس وغيرهم . و قوله لحين ورودكم أى لوقت ورودكم . والطلبة بكسر اللام ماطلبته من شىء. قوله ومصابيح لبطون قبوركم جاء فى الخبر أن العمل الصالح يضىء قبر صاحبه كمايضىء المصباح الظلمة -روايت-١-٢-روايت-١۵-٧۶ . والسكن مايسكن إليه . قوله ونفسا لكرب مواطنكم أى سعة وروحا. ومكتنفة محيطة والأوار حر النار والشمس . وعزبت بعدت واحلولت صارت حلوة وتراكمها اجتماعها وتكاثفها. وأسهلت صارت سهلة بعدإنصابها أى بعدإتعابها لكم أنصبته أتعبته . وهطلت سالت وقحوطها قلتها ووتاحتها. وتحدبت عليه عطفت وحنت .نضوبها انقطاعها كنضوب الماء ذهابه . [صفحه ١٩١] ووبل المطر صار وابلا و هوأشد المطر وأكثره وإرذاذها إتيانها بالرذاذ و هوضعيف المطر. قوله فعبدوا أنفسكم أى ذللوها و منه طريق معبد. واخرجوا إليه من حق طاعته أى أدوا المفترض عليكم من العبادة يقال خرجت إلى فلان من دينه أى قضيته إياه ثُمّ إِنّ هَذَا الإِسلَامَ دِينُ اللّهِ ألّذِى اصطَفَاهُ لِنَفسِهِ وَ اصطَنَعَهُ عَلَى عَينِهِ وَ أَصفَاهُ خِيَرَةَ خَلقِهِ وَ أَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبّتِهِ أَذَلّ الأَديَانَ بِعِزّتِهِ وَ وَضَعَ المِلَلَ بِرَفعِهِ وَ أَهَانَ أَعدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ وَ خَذَلَ مُحَادّيهِ بِنَصرِهِ وَ هَدَمَ أَركَانَ الضّلَالَةِ بِرُكنِهِ وَ سَقَى مَن عَطِشَ مِن حِيَاضِهِ وَ أَتأَقَ الحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ثُمّ جَعَلَهُ لَا انفِصَامَ لِعُروَتِهِ وَ لَا فَكّ لِحَلقَتِهِ وَ لَا انهِدَامَ لِأَسَاسِهِ وَ لَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَ لَا انقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ وَ لَا انقِطَاعَ لِمُدّتِهِ وَ لَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ وَ لَا جَذّ لِفُرُوعِهِ وَ لَا ضَنكَ لِطُرُقِهِ وَ لَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ وَ لَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ وَ لَا عِوَجَ لِانتِصَابِهِ وَ لَا عَصَلَ فِي عُودِهِ وَ لَا وَعَثَ لِفَجّهِ وَ لَا انطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ وَ لَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الحَقّ أَسنَاخَهَا وَ ثَبّتَ لَهَا آسَاسَهَا وَ يَنَابِيعُ غَزُرَت عُيُونُهَا وَ مَصَابِيحُ شَبّت نِيرَانُهَا وَ مَنَارٌ اقتَدَى بِهَا سُفّارُهَا وَ أَعلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا وَ مَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرّادُهَا. [صفحه ١٩٢] جَعَلَ اللّهُ فِيهِ مُنتَهَى رِضوَانِهِ وَ ذِروَةَ دَعَائِمِهِ وَ سَنَامَ طَاعَتِهِ فَهُوَ عِندَ اللّهِ وَثِيقُ الأَركَانِ رَفِيعُ البُنيَانِ مُنِيرُ البُرهَانِ مضُيِءُ النّيرَانِ عَزِيزُ السّلطَانِ مُشرِفُ المَنَارِ مُعوِذُ المَثَارِ فَشَرّفُوهُ وَ اتّبِعُوهُ وَ أَدّوا إِلَيهِ حَقّهُ وَ ضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ اصطنعه على عينه كلمة تقال لمايشتد الاهتمام به تقول للصانع اصنع لى كذا على عينى أى اصنعه صنعة كاملة كالصنعة التى تصنعها و أناحاضر أشاهدها بعينى قال تعالى وَ لِتُصنَعَ عَلى عَينِي. وأصفاه خيرة خلقه أى آثر به خيرة خلقه وهم المسلمون وياء خيرة مفتوحة. قال وأقام الله دعائم الإسلام على حب الله وطاعته . والمحاد المخالف قال تعالى مَن يُحادِدِ اللّهَ أى من يعاد الله كأنه

يكون فی حد وجهة و ذلک الإنسان فی حد آخر وجهة أخری وکذلک المشاق يکون فی شق والآخر فی شق آخر. وأتأق الحياض ملأها وتئق السقاء نفسه يتأق تأقا وکذلک الرجل إذاامتلأ غضبا. قوله بمواتحه وهی الدلاء يمتح بها أی يسقی بها. والانفصام الانکسار والعفاء الدروس . والجذ القطع ويروی بالدال المهملة و هوالقطع أيضا. والضنک الضيق . -قرآن-۱۶۶-۱۹۰-قرآن-۳۵۰-۳۶۸ [صفحه ۱۹۳] والوعوثة کثرة فی السهولة توجب صعوبة المشی لأن الأقدام تعيث فی الأرض . والوضح البياض . والعوج بفتح العين فيما ينتصب کالنخلة والرمح والعوج بکسرها فيما لاينتصب کالأرض والرأی والدين . والعصل الالتواء والاعوجاج ناب أعصل وشجرة عصلة وسهام عصل . والفج الطريق الواسع بين الجبلين يقول لاوعث فيه أی ليس طريق الإسلام بوعث و قدذکرنا أن الوعوثة ماهی. قوله فهو دعائم أساخ فی الحق أسناخها الأسناخ جمع سنخ و هوالأصل وأساخها فی الأرض أدخلها فيها وساخت قوائم فرسه فی الأرض تسوخ وتسيخ دخلت وغابت . والآساس بالمد جمع أسس مثل سبب وأسباب والأسس والأس والأساس واحد و هوأصل البناء. وغزرت عيونها بضم الزای کثرت وشبت نيرانها بضم الشين أوقدت والمنار الأعلام فی الفلاة. قوله قصد بهافجاجها أی قصد بنصب تلک الأعلام اهتداء المسافرين فی تلک الفجاج فأضاف القصد إلی الفجاج . وروی روادها جمع رائد و هو ألذی يسبق القوم فيرتاد لهم الکلأ والماء. والذروة أعلی السنام والرأس وغيرهما. قوله معوذ المثار أی يعجز الناس إثارته وإزعاجه لقوته ومتانته [صفحه ۱۹۴] ثُمّ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ بَعَثَ مُحَمّداًص بِالحَقّ حِينَ دَنَا مِنَ الدّنيَا الِانقِطَاعُ وَ أَقبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الِاطّلَاعُ وَ أَظلَمَت بَهجَتُهَا بَعدَ إِشرَاقٍ وَ قَامَت بِأَهلِهَا عَلَی سَاقٍ وَ خَشُنَ مِنهَا مِهَادٌ وَ أَزِفَ مِنهَا قِيَادٌ فِی انقِطَاعٍ مِن مُدّتِهَا وَ اقتِرَابٍ مِن أَشرَاطِهَا وَ تَصَرّمٍ مِن أَهلِهَا وَ انفِصَامٍ مِن حَلقَتِهَا وَ انتِشَارٍ مِن سَبَبِهَا وَ عَفَاءٍ مِن أَعلَامِهَا وَ تَكَشّفٍ مِن عَورَاتِهَا وَ قِصَرٍ مِن طُولِهَا جَعَلَهُ اللّهُ سُبحَانَهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ وَ كَرَامَةً لِأُمّتِهِ وَ رَبِيعاً لِأَهلِ زَمَانِهِ وَ رِفعَةً لِأَعوَانِهِ وَ شَرَفاً لِأَنصَارِهِ ثُمّ أَنزَلَ عَلَيهِ الكِتَابَ نُوراً لَا تُطفَأُ مَصَابِيحُهُ وَ سِرَاجاً لَا يَخبُو تَوَقّدُهُ وَ بَحراً لَا يُدرَكُ قَعرُهُ وَ مِنهَاجاً لَا يُضِلّ نَهجُهُ وَ شُعَاعاً لَا يُظلِمُ ضَوءُهُ وَ فُرقَاناً لَا يُخمَدُ بُرهَانُهُ وَ تِبيَاناً لَا تُهدَمُ أَركَانُهُ وَ شِفَاءً لَا تُخشَی أَسقَامُهُ وَ عِزّاً لَا تُهزَمُ أَنصَارُهُ وَ حَقّاً لَا تُخذَلُ أَعوَانُهُ فَهُوَ مَعدِنُ الإِيمَانِ وَ بُحبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ العِلمِ وَ بُحُورُهُ وَ رِيَاضُ العَدلِ وَ غُدرَانُهُ وَ أَثَافِيّ الإِسلَامِ وَ بُنيَانُهُ وَ أَودِيَةُ الحَقّ وَ غِيطَانُهُ وَ بَحرٌ لَا يَنزِفُهُ المُستَنزِفُونَ وَ عُيُونٌ لَا يُنضِبُهَا المَاتِحُونَ وَ مَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الوَارِدُونَ وَ مَنَازِلُ لَا يَضِلّ نَهجَهَا المُسَافِرُونَ وَ أَعلَامٌ لَا يَعمَی عَنهَا السّائِرُونَ وَ إِكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنهَا القَاصِدُونَ [صفحه ۱۹۵]

اختلاف الأقوال فی عمر الدنيا

قوله ع حين دنا من الدنيا الانقطاع أی أزفت الآخرة وقرب وقتها و قداختلف الناس فی ذلک اختلافا شديدا فذهب قوم إلی أن عمر الدنيا خمسون ألف سنة قدذهب بعضها وبقی بعضها. واختلفوا فی مقدار الذاهب والباقی واحتجوا لقولهم بقوله تعالی تَعرُجُ المَلائِكَةُ وَ الرّوحُ إِلَيهِ فِی يَومٍ كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ أَلفَ سَنَةٍقالوا اليوم هوإشارة إلی الدنيا و فيها يکون عروج الملائکة والروح إليه واختلافهم بالأمر من عنده إلی خلقه و إلی رسله قالوا و ليس قول بعض المفسرين أنه عنی يوم القيامة بمستحسن لأن يوم القيامة لا يکون للملائکة والروح عروج إليه سبحانه لانقطاع التکليف ولأن المؤمنين إما أن يطول عليهم ذلک اليوم بمقدار خمسين ألف سنة أو يکون هذامختصا بالکافرين فقط و يکون قصيرا علی المؤمنين والأول باطل لأنه أشد من عذاب جهنم و لايجوز أن يلقی المؤمن هذه المشقة والثانی باطل لأنه لايجوز أن يکون الزمان الواحد طويلا قصيرا بالنسبة إلی شخصين أللهم إلا أن يکون أحدهما نائما أوممنوا بعلة تجری مجری النوم فلايحس بالحرکة ومعلوم أن حال المؤمنين بعدبعثهم ليست هذه الحال .قالوا وليست هذه الآية مناقضة للآية الأخری وهی قوله تعالی يُدَبّرُ الأَمرَ مِنَ السّماءِ إِلَی الأَرضِ ثُمّ يَعرُجُ إِلَيهِ فِی يَومٍ كانَ

مِقدارُهُ أَلفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ و ذلک لأن سیاق الکلام یدل علی أنه أراد به الدنیا و ذلک لأنه قدورد فی الخبر أن -قرآن-۲۴۳-۳۲۸-قرآن-۱۰۷۶-۱۱۹۴ [صفحه ۱۹۶] بین الأرض والسماء مسیرة خمسمائة عام فإذانزل الملک إلی الأرض ثم عاد إلی السماء فقد قطع فی ذلک الیوم مسیرة ألف عام أ لاتری إلی قوله یُدَبّرُ الأَمرَ مِنَ السّماءِ إِلَی الأَرضِ أی ینزل الملک بالوحی والأمر والحکم من السماء إلی الأرض ثم یعود راجعا إلیه وعارجا صاعدا إلی السماء فیجتمع من نزوله وصعوده مقدار مسیر ألف سنة. وذکر حمزة بن الحسن الأصفهانی فی کتابه المسمی تواریخ الأمم أن الیهود تذهب إلی أن عدد السنین من ابتداء التناسل إلی سنة الهجرة لمحمدص أربعة آلاف واثنتان وأربعون سنة وثلاثة أشهر. والنصاری تذهب إلی أن عدد ذلک خمسة آلاف وتسعمائة وتسعون سنة وثلاثة أشهر. و أن الفرس تذهب إلی أن من عهد کیومرث والد البشر عندهم إلی هلاک یزدجرد بن شهریار الملک أربعة آلاف ومائة واثنتین وثمانین سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر یوما ویسندون ذلک إلی کتابهم ألذی جاء به زردشت و هوالکتاب المعروف بأبستا.فأما الیهود والنصاری فیسندون ذلک إلی التوراة ویختلفون فی کیفیة استنباط المدة. وتزعم النصاری والیهود أن مدة الدنیا کلها سبعة آلاف سنة قدذهب منها ماذهب وبقی مابقی. وقیل إن الیهود إنما قصرت المدة لأنهم یزعمون أن شیخهم ألذی هومنتظرهم یخرج فی أول الألف السابع فلو لاتنقیصهم المدة وتقصیرهم أیامها لتعجل افتضاحهم ولکن سیفتضحون فیما بعد عند من یأتی بعدنا من البشر. -قرآن-۱۴۶-۱۸۹ [صفحه ۱۹۷] قال حمزة و أماالمنجمون فقد أتوا بما یغمز هذاکله فزعموا أنه قدمضی من الدنیا منذ أول یوم سارت فیه الکواکب من رأس الحمل إلی الیوم ألذی خرج فیه المتوکل بن معتصم بن الرشید من سامراء إلی دمشق لیجعلها دار الملک و هوأول یوم من المحرم سنة أربع وأربعین ومائتین للهجرة المحمدیة أربعة آلاف ألف ألف ألف ألف ثلاث لفظات وثلاثمائة ألف وعشرون ألف سنة بسنی الشمس .قالوا و ألذی مضی من الطوفان إلی صبیحة الیوم ألذی خرج فیه المتوکل إلی دمشق ثلاث آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون یوما. وذکر أبوالریحان البیرونی فی کتاب الآثار الباقیة عن القرون الخالیة أن الفرس والمجوس یزعمون أن عمر الدنیا اثنا عشر ألف سنة علی عدد البروج وعدد الشهور و أن الماضی منها إلی وقت ظهور زردشت صاحب شریعتهم ثلاثة آلاف سنة و بین ابتداء ظهور زردشت و بین أول تاریخ الإسکندر مائتان وثمان وخمسون سنة و بین تاریخ الإسکندر و بین سنته التی کتبنا فیهاشرح هذاالفصل وهی سنة سبع وأربعین وستمائة للهجرة النبویة ألف وخمسمائة وسبعون سنة فعلی هذا یکون الماضی إلی یومنا هذا من أصل اثنی عشر ألف سنة أربعة آلاف وثمانمائة وثمانی عشرة سنة فیکون الباقی من الدنیا علی قولهم أکثر من الماضی. وحکی أبوالریحان عن الهند فی بعض کتبه أن مدة عمر الدنیا مقدار تضعیف الواحد من أول بیت فی رقعة الشطرنج إلی آخر البیوت .فأما الأخباریون من المسلمین فأکثرهم یقولون إن عمر الدنیا سبعة آلاف سنة [صفحه ۱۹۸] ویقولون إننا فی السابع والحق أنه لایعلم أحد هذا إلا الله تعالی وحده کما قال سبحانه یَسئَلُونَکَ عَنِ السّاعَةِ أَیّانَ مُرساها فِیمَ أَنتَ مِن ذِکراها إِلی رَبّکَ مُنتَهاها و قال لا یُجَلّیها لِوَقتِها إِلّا هُوَ ثَقُلَت فِی السّماواتِ وَ الأَرضِ لا تَأتِیکُم إِلّا بَغتَةً یَسئَلُونَکَ کَأَنّکَ حفَیِّ عَنها قُل إِنّما عِلمُها عِندَ اللّهِ. ونقول مع ذلک کماورد به الکتاب العزیزاقتَرَبَتِ السّاعَةُ واقتَرَبَ لِلنّاسِ حِسابُهُم وأَتی أَمرُ اللّهِ فَلا تَستَعجِلُوهُ. و لانعلم کمیة الماضی و لاکمیة الباقی ولکنا نقول کماأمرنا ونسمع ونطیع کماأدبنا و من الممکن أن یکون مابقی قریبا عند الله و غیرقریب عندنا کما قال سبحانه إِنّهُم یَرَونَهُ بَعِیداً وَ نَراهُ قَرِیباً. وبالجملة هذاموضع غامض یجب السکوت عنه . -قرآن-۹۲-۱۸۰-قرآن-۱۸۸-۳۴۹-قرآن-۳۹۲-۴۱۱-قرآن-۴۱۴-۴۴۰-قرآن-۴۴۳-۴۷۸-قرآن-۶۴۳-۶۸۷ قوله ع وقامت بأهلها علی ساق الضمیر للدنیا والساق الشدة أی انکشفت عن شدة عظیمة. و قوله تعالی وَ التَفّتِ السّاقُ بِالسّاقِ أی التفت آخر شدة الدنیا بأول شدة الآخرة. والمهاد الفراش وأزف منها قیاد أی قرب انقیادها إلی التقضی والزوال . وأشراط الساعة علاماتها وإضافتها إلی الدنیا لأنها فی الدنیا تحدث و إن کانت علامات للأخری والعفاء الدروس . -قرآن-۱۰۱-۱۲۹ [صفحه ۱۹۹]

وروى من طولها والطول الحبل . ثم عاد إلى ذكر النبى ص فقال جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته أى ذا بلاغ والبلاغ التبليغ فحذف المضاف . و لاتخبو لاتنطفئ والفرقان مايفرق به بين الحق والباطل . وأثافى الإسلام جمع أثفية وهى الأحجار توضع عليها القدر شكل مثلث . والغيطان جمع غائط و هوالمطمئن من الأرض . و لايغيضها بفتح حرف المضارعة غاض الماء وغضته أنايتعدى و لايتعدى وروى لايغيضها بالضم على قول من قال أغضت الماء وهى لغة ليست بالمشهورة. والآكام جمع أكم مثل جبال جمع جبل والأكم جمع أكمة مثل عنب جمع عنبة والأكمة ماعلا من الأرض وهى دون الكثيب جَعَلَهُ اللّهُ رِيّاً لِعَطَشِ العُلَمَاءِ وَ رَبِيعاً لِقُلُوبِ الفُقَهَاءِ وَ مَحَاجّ لِطُرُقِ الصّلَحَاءِ وَ دَوَاءً لَيسَ بَعدَهُ دَاءٌ وَ نُوراً لَيسَ مَعَهُ ظُلمَةٌ وَ حَبلًا وَثِيقاً عُروَتُهُ وَ مَعقِلًا مَنِيعاً ذِروَتُهُ وَ عِزّاً لِمَن تَوَلّاهُ وَ سِلماً لِمَن دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنِ ائتَمّ بِهِ وَ عُذراً لِمَنِ انتَحَلَهُ وَ بُرهَاناً لِمَن تَكَلّمَ بِهِ وَ شَاهِداً لِمَن خَاصَمَ بِهِ وَ فَلجاً لِمَن حَاجّ بِهِ وَ حَامِلًا لِمَن حَمَلَهُ وَ مَطِيّةً لِمَن أَعمَلَهُ وَ آيَةً لِمَن تَوَسّمَ وَ جُنّةً لِمَنِ استَلأَمَ وَ عِلماً لِمَن وَعَى وَ حَدِيثاً لِمَن رَوَى وَ حُكماً لِمَن قَضَى [صفحه ٢٠٠] الضمير يرجع إلى القرآن جعله الله ريا لعطش العلماء إذاضل العلماء فى أمر والتبس عليهم رجعوا إليه فسقاهم كمايسقى الماء العطش وكذا القول فى ربيعا لقلوب الفقهاء والربيع هاهنا الجدول ويجوز أن يريد المطر فى الربيع يقال ربعت الأرض فهى مربوعة. والمحاج جمع محجة وهى جادة الطريق والمعقل الملجأ. وسلما لمن دخله أى مأمنا وانتحله دان به وجعله نحلته . والبرهان الحجة والفلج الظفر والفوز وحاج به خاصم . قوله ع وحاملا لمن حمله أى أن القرآن ينجى يوم القيامة من كان حافظا له فى الدنيا بشرط أن يعمل به . قوله ع ومطية لمن أعمله استعارة يقول كما أن المطية تنجى صاحبها إذاأعملها وبعثها على النجاء فكذلك القرآن إذاأعمله صاحبه أنجاه ومعنى إعماله اتباع قوانينه والوقوف عندحدوده . قوله وآية لمن توسم أى لمن تفرس قال تعالى إِنّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلمُتَوَسّمِينَ. والجنة مايستتر به واستلأم لبس لأمة الحرب وهى الدرع . ووعى حفظ. قوله وحديثا لمن روى قدسماه الله تعالى حديثا فقال اللّهُ نَزّلَ أَحسَنَ -قرآن-٧٦٠-٧٩٨-قرآن-٩٢٤-٩٤٤ الضمير يرجع إلى القرآن جعله الله ريا لعطش العلماء إذاضل العلماء فى أمر والتبس عليهم رجعوا إليه فسقاهم كمايسقى الماء العطش وكذا القول فى ربيعا لقلوب الفقهاء والربيع هاهنا الجدول ويجوز أن يريد المطر فى الربيع يقال ربعت الأرض فهى مربوعة. والمحاج جمع محجة وهى جادة الطريق والمعقل الملجأ. وسلما لمن دخله أى مأمنا وانتحله دان به وجعله نحلته . والبرهان الحجة والفلج الظفر والفوز وحاج به خاصم . قوله ع وحاملا لمن حمله أى أن القرآن ينجى يوم القيامة من كان حافظا له فى الدنيا بشرط أن يعمل به . قوله ع ومطية لمن أعمله استعارة يقول كما أن المطية تنجى صاحبها إذاأعملها وبعثها على النجاء فكذلك القرآن إذاأعمله صاحبه أنجاه ومعنى إعماله اتباع قوانينه والوقوف عندحدوده . قوله وآية لمن توسم أى لمن تفرس قال تعالى إِنّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلمُتَوَسّمِينَ. والجنة مايستتر به واستلأم لبس لأمة الحرب وهى الدرع . ووعى حفظ. قوله وحديثا لمن روى قدسماه الله تعالى حديثا فقال اللّهُ نَزّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً وأصحابنا يحتجون بهذه اللفظة على أن القرآن ليس بقديم لأن الحديث ضد القديم . و ليس للمخالف أن يقول ليس المراد بقوله أَحسَنَ الحَدِيثِ ماذكرتم بل المراد أحسن القول وأحسن الكلام لأن العرب تسمى الكلام والقول حديثا لأنا نقول لعمرى إنه هكذا ولكن العرب ماسمت القول والكلام حديثا إلا أنه مستحدث متجدد حالا فحالا أ لاترى إلى قول عمرو لمعاوية قدمللت كل شىء إلاالحديث فقال إنما يمل العتيق فدل ذلك على أنه فهم معنى تسميتهم الكلام والقول حديثا وفطن لمغزاهم ومقصدهم فى هذه التسمية و إذاكنا قدكلفنا أن نجرى على ذاته وصفاته وأفعاله ماأجراه سبحانه فى كتابه ونطلق ماأطلقه على سبيل الوضع والكيفية التى أطلقها و كان قدوصف كلامه بأنه حديث و كان القرآن فى عرف اللغة إنما سمى حديثا لحدوثه وتجدده فقد ساغ لنا أن نطلق على كلامه أنه محدث ومتجدد و هذا هوالمقصود -قرآن-١-٣٠-قرآن-١٥٦-١٧٢ [صفحه ٢٠٢]

۱۹۲– و من كلام له ع كان يوصى به أصحابه

اشاره

تَعَاهَدُوا أَمرَ الصّلَاةِ وَ حَافِظُوا عَلَيهَا وَ استَكثِرُوا مِنهَا وَ تَقَرّبُوا بِهَا فَإِنّهَا كَانَت عَلَى المُؤمِنِينَ كِتَاباً مَوقُوتاً أَ لَا تَسمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهلِ النّارِ حِينَ سُئِلُوا ما سَلَكَكُم فِي سَقَرَ قالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلّينَ وَ إِنّهَا لَتَحُتّ الذّنُوبَ حَتّ الوَرَقِ وَ تُطلِقُهَا إِطلَاقَ الرّبَقِ وَ شَبّهَهَا رَسُولُ اللّهِص بِالحَمّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرّجُلِ فَهُوَ يَغتَسِلُ مِنهَا فِي اليَومِ وَ اللّيلَةِ خَمسَ مَرّاتٍ فَمَا عَسَى أَن يَبقَى عَلَيهِ مِنَ الدّرَنِ وَ قَد عَرَفَ حَقّهَا رِجَالٌ مِنَ المُؤمِنِينَ الّذِينَ لَا تَشغَلُهُم عَنهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَ لَا قُرّةُ عَينٍ مِن وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ يَقُولُ اللّهُ سُبحَانَهُرِجالٌ لا تُلهِيهِم تِجارَةٌ وَ لا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصّلاةِ وَ إِيتاءِ الزّكاةِ وَ كَانَ رَسُولُ اللّهِص نَصِباً بِالصّلَاةِ بَعدَ التّبشِيرِ لَهُ بِالجَنّةِ لِقَولِ اللّهِ سُبحَانَهُوَ أمُر أَهلَكَ بِالصّلاةِ وَ اصطَبِر عَلَيهافَكَانَ يَأمُرُ أَهلَهُ وَ يُصبِرُ نَفسَهُ -قرآن-۲۰۸-۲۶۳-قرآن-۶۸۳-۷۷۸-قرآن-۸۸۴-۹۲۸ [صفحه ۲۰۳] ثُمّ إِنّ الزّكَاةَ جُعِلَت مَعَ الصّلَاةِ قُربَاناً لِأَهلِ الإِسلَامِ فَمَن أَعطَاهَا طَيّبَ النّفسِ بِهَا فَإِنّهَا تُجعَلُ لَهُ كَفّارَةً وَ مِنَ النّارِ حِجَازاً وَ وِقَايَةً فَلَا يُتبِعَنّهَا أَحَدٌ نَفسَهُ وَ لَا يُكثِرَنّ عَلَيهَا لَهَفَهُ فَإِنّ مَن أَعطَاهَا غَيرَ طَيّبِ النّفسِ بِهَا يَرجُو بِهَا مَا هُوَ أَفضَلُ مِنهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسّنّةِ مَغبُونُ الأَجرِ ضَالّ العَمَلِ طَوِيلُ النّدَمِ ثُمّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ فَقَد خَابَ مَن لَيسَ مِن أَهلِهَا إِنّهَا عُرِضَت عَلَى السّمَاوَاتِ المَبنِيّةِ وَ الأَرَضِينَ المَدحُوّةِ وَ الجِبَالِ ذَاتِ الطّولِ المَنصُوبَةِ فَلَا أَطوَلَ وَ لَا أَعرَضَ وَ لَا أَعلَى وَ لَا أَعظَمَ مِنهَا وَ لَو امتَنَعَ شَيءٌ بِطُولٍ أَو عَرضٍ أَو قُوّةٍ أَو عِزّ لَامتَنَعنَ وَ لَكِن أَشفَقنَ مِنَ العُقُوبَةِ وَ عَقَلنَ مَا جَهِلَ مَن هُوَ أَضعَفُ مِنهُنّ وَ هُوَ الإِنسَانُإِنّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولًا إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى لَا يَخفَى عَلَيهِ مَا العِبَادُ مُقتَرِفُونَ فِي لَيلِهِم وَ نَهَارِهِم لَطُفَ بِهِ خُبراً وَ أَحَاطَ بِهِ عِلماً أَعضَاؤُكُم شُهُودُهُ وَ جَوَارِحُكُم جُنُودُهُ وَ ضَمَائِرُكُم عُيُونُهُ وَ خَلَوَاتُكُم عِيَانُهُ -قرآن-۸۲۲-۸۵۰ هذه الآية يستدل بهاالأصوليون من أصحابنا على أن الكفار يعاقبون فى الآخرة على ترك الواجبات الشرعية و على فعل القبائح لأنها فى الكفار وردت أ لاترى إلى قوله فِي جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ عَنِ المُجرِمِينَ ما سَلَكَكُم فِي سَقَرَفليس يجوز أن يعنى بالمجرمين هاهنا الفاسقين من أهل القبلة لأنه قال قالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلّينَ -قرآن-۱۶۶-۲۳۲-قرآن-۳۰۵-۳۳۶ هذه الآية يستدل بهاالأصوليون من أصحابنا على أن الكفار يعاقبون فى الآخرة على ترك الواجبات الشرعية و على فعل القبائح لأنها فى الكفار وردت أ لاترى إلى قوله فِي جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ عَنِ المُجرِمِينَ ما سَلَكَكُم فِي سَقَرَفليس يجوز أن يعنى بالمجرمين هاهنا الفاسقين من أهل القبلة لأنه قال قالُوا لَم نَكُ مِنَ المُصَلّينَ وَ لَم نَكُ نُطعِمُ المِسكِينَ وَ كُنّا نَخُوضُ مَعَ الخائِضِينَ وَ كُنّا نُكَذّبُ بِيَومِ الدّينِ.قالوا و ليس لقائل أن يقول معنى قوله لَم نَكُ مِنَ المُصَلّينَ لم نكن من القائلين بوجوب الصلاة لأنه قدأغنى عن هذاالتعليل قوله وَ كُنّا نُكَذّبُ بِيَومِ الدّينِلأن أحد الأمرين هوالآخر وحمل الكلام على مايفيد فائدة جديدة أولى من حمله على التكرار والإعادة فقد ثبت بهذا التقرير صحة احتجاج أمير المؤمنين ع على تأكيد أمر الصلاة وأنها من العبادات المهمة فى نظر الشارع . قوله ع وإنها لتحت الذنوب الحت نثر الورق من الغصن وانحات أى تناثر و قدجاء هذااللفظ فى الخبر النبوى بعينه . والربق جمع ربقة وهى الحبل أى تطلق الصلاة الذنوب كماتطلق الحبال المعقدة أى تحل ماانعقد على المكلف من ذنوبه و هذا من باب الاستعارة. ويروى تعهدوا أمر الصلاة بالتضعيف و هولغة يقال تعاهدت ضيعتى وتعهدتها و هوالقيام عليها وأصله من تجديد العهد بالشىء والمراد المحافظة عليه و قوله تعالى إِنّ الصّلاةَ كانَت عَلَى المُؤمِنِينَ كِتاباً مَوقُوتاً أى واجبا وقيل موقوتا أى منجما كل وقت لصلاة معينة وتؤدى هذه الصلاة فى نجومها. و قوله كتابا أى فرضا واجبا كقوله تعالى كَتَبَ رَبّكُم عَلى نَفسِهِ الرّحمَةَ أى أوجب . والحمة الحفيرة فيهاالحميم و هوالماء الحار و هذاالخبر من الأحاديث الصحاح -قرآن-۱-۹۹-قرآن-۱۴۰-۱۶۴-قرآن-۲۳۶-۲۶۸-قرآن-۸۹۹-۹۵۴-قرآن-۱۰۷۶-۱۱۱۲ قال ص أيسر

أحدكم أن تكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-ادامه دارد [صفحه ۲۰۵] مرات فلايبقى عليه من درنه شىءقالوا نعم قال فإنها الصلوات الخمس -روايت-از قبل-۷۳ والدرن الوسخ . والتجارة فى الآية إما أن يراد بها لايشغلهم نوع من هذه الصناعة عن ذكر الله ثم أفرد البيع بالذكر وخصه وعطفه على التجارة العامة لأنه أدخل فى الإلهاء لأن الربح فى البيع بالكسب معلوم والربح فى الشراء مظنون وإما أن يريد بالتجارة الشراء خاصة إطلاقا لاسم الجنس الأعم على النوع الأخص كماتقول رزق فلان تجارة رابحة إذااتجه له شراء صالح فأما إقام الصلاة فإن التاء فى إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال فإن أصله إقوام مصدر أقام كقولك أعرض إعراضا فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام حرف التعويض فأسقطت التاء. قوله ع و كان رسول الله ص نصبا بالصلاة أى تعبا قال تعالى ما أَنزَلنا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشقى. و -قرآن-۶۱۰-۶۴۵ روى أنه ع قام حتى تورمت قدماه مع التبشير له بالجنة -روايت-۱-۲-روايت-۷-۵۹ روى أنه قيل له فى ذلك فقال أ فلاأكون عبدا شكورا -روايت-۱-۲-روايت-۷-۵۸ . ويصبر نفسه من الصبر ويروى ويصبر عليها نفسه أى يحبس قال سبحانه وَ اصبِر نَفسَكَ مَعَ الّذِينَ يَدعُونَ رَبّهُم و قال عنترة يذكر حربا كان فيها -قرآن-۶۹-۱۱۵ فصبرت عارفة لذلك حرة || ترسو إذانفس الجبان تطلع

فصل فى ذكر الآثار الواردة فى الصلاة وفضلها

واعلم أن الصلاة قدجاء فى فضلها الكثير ألذى يعجزنا حصره و لو لم يكن [صفحه ۲۰۶] إلا ماورد فى الكتاب العزيز من تكرار ذكرها وتأكيد الوصاة بها والمحافظة عليها لكان بعضه كافيا. و قال النبى ص الصلاة عمود الدين فمن تركها فقد هدم الدين -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۶۴ قال أيضا ع علم الإيمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وقام بحدودها فهو المؤمن -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۸۲ قالت أم سلمة كان رسول الله ص يحدثنا ونحدثه فإذاحضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا و لم نعرفه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۹۸ قيل للحسن رحمه الله مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره -روايت-۱-۱۱۲ قال عمر إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام ماأكمل الله له صلاة قيل له وكيف ذلك قال لايتم خشوعها وتواضعها وإقباله على ربه فيها -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۴۲ . و قال بعض الصالحين إن العبد ليسجد السجدة عنده أنه متقرب بها إلى الله و لوقسم ذنبه فى تلك السجدة على أهل مدينة لهلكوا قيل وكيف ذلك قال يكون ساجدا وقلبه عند غير الله إنما هومصغ إلى هوى أودنيا.صلى أعرابى فى المسجد صلاة خفيفة وعمر بن الخطاب يراه فلما قضاها قال أللهم زوجنى الحور العين فقال عمر يا هذالقد أسأت النقد وأعظمت الخطبة. و قال على ع لايزال الشيطان ذعرا من المؤمن ماحافظ على الخمس فإذاضيعهن تجرأ عليه وأوقعه فى العظائم -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۱۱۰ روى عن النبى ص أنه قال الصلاة إلى الصلاة كفارة لمابينهما مااجتنبت الكبائر -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۸۳ [صفحه ۲۰۷] جاء فى الخبر أن رسول الله ص كان إذاحزبه أمر فزع إلى الصلاة -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۶۹ . و قال هشام بن عروة كان أبى يطيل المكتوبة و يقول هى رأس المال . قال يونس بن عبيد مااستخف أحد بالنوافل إلااستخف بالفرائض .يقال إن محمد بن المنكدر جزأ الليل عليه و على أمه وأخته أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه و على أمه نصفين فماتت أمه فقام الليل كله . كان مسلم بن يسار لايسمع الحديث إذاقام يصلى و لايفهمه و كان إذادخل بيته سكت أهله فلايسمع لهم كلام حتى يقوم إلى الصلاة فيتحدثون ويلغطون فهو لايشعر بهم . ووقع حريق إلى جنبه و هو فى الصلاة فلم يشعر به حتى حرق . كان خلف بن أيوب لايطرد الذباب إذاوقع على وجهه و هو فى الصلاة فى بلاد كثيرة الذبان فقيل له كيف تصبر فقال بلغنى أن الشطار يصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور أ فلاأصبر و أنا بين يدى ربى على أذى ذباب يقع على . قال ابن مسعود الصلاة مكيال فمن وفى وفى له و من طفف فوَيلٌ لِلمُطَفّفِينَ -روايت-۱-۲-روايت-

۱۸–۸۳ قال رجل لرسول الله ص يا رسول الله ادع لی أن يرزقنی الله مرافقتک فی الجنة فقال أعنی علی إجابة الدعوة بکثرة السجود –روايت–۱–۱۲۵ . قوله ع قربانا لأهل الإسلام القربان اسم لمايتقرب به من نسيکة أوصدقة. وروی و من النار حجازا بالزای أی مانعا واللهف الحسرة ينهی ع [صفحه ۲۰۸] عن إخراج الزکاة مع التسخط لإخراجها والتلهف والتحسر علی دفعها إلی أربابها و يقول إن من يفعل ذلک يرجو بهانيل الثواب ضال مضيع لماله غيرظافر بما رجاه من المثوبة

ذکر الآثار الواردة فی فضل الزکاة والتصدق

و قدجاء فی فضل الزکاة الواجبة وفضل صدقة التطوع الکثير جدا و لو لم يکن إلا أن الله تعالی قرنها بالصلاة فی أکثر المواضع التی ذکر فيهاالصلاة لکفی . و روی بريدة الأسلمی أن رسول الله ص قال ماحبس قوم الزکاة إلاحبس الله عنهم القطر –روايت–۱–۲–روايت–۴۶–۹۱ . وجاء فی الذين يکنزون الذهب والفضة و لاينفقونهما فی سبيل الله ماجاء فی الذکر الحکيم و هو قوله تعالی يَومَ يُحمی عَلَيها فِي نارِ جَهَنّمَ فَتُکوی بِها جِباهُهُمالآية قال المفسرون إنفاقها فی سبيل الله إخراج الزکاة منها. وروی الأحنف قال قدمت المدينة فبينا أنا فی حلقة فيهاملأ من قريش إذ جاء رجل خشن الجسد خشن الثياب فقام عليهم فقال بشر الکانزين برضف يحمی عليها فی نار جهنم فتوضع علی حلمة ثدی الرجل حتی تخرج من نغض کتفه ثم توضع علی نغض کتفه حتی تخرج من حلمة ثديه فسألت عنه فقيل هذا أبوذر الغفاری و کان يذکره ويرفعه . –قرآن–۱۰۹–۱۶۸ ابن عباس يرفعه من کان عنده مايزکی فلم يزک و کان عنده مايحج فلم يحج سأل الرجعة –روايت–۱–۲–روايت–۲۰–۹۴ يعنی قوله رَبّ ارجِعُونِ. –قرآن–۱۲–۲۵ [صفحه ۲۰۹] أبوهريرة سئل رسول الله ص أی الصدقة أفضل فقال أن تعطی و أنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشی الفقر و لاتمهل حتی إذابلغت الحلقوم قلت لفلان کذا ولفلان کذا –روايت–۱–۲–روايت–۱۲–۱۶۷ . وقيل للشبلی مايجب فی مائتی درهم قال أما من جهة الشرع فخمسه و أما من جهة الإخلاص فالکل . أمر رسول الله ص بعض نسائه أن تقسم شاة علی الفقراء فقالت يا رسول الله لم يبق منها غيرعنقها فقال ع کلها بقی غيرعنقها –روايت–۱–۱۲۷ أخذ شاعر هذاالمعنی فقال يبکی علی الذاهب من ماله || وإنما يبقی ألذی يذهب .السائب کان الرجل من السلف يضع الصدقة ويمثل قائما بين يدی السائل الفقير ويسأله قبولها حتی يصير هو فی صورة السائل . و کان بعضهم يبسط کفه ويجعلها تحت يد الفقير لتکون يد الفقير العليا. و عن النبی ص ماأحسن عبدالصدقة إلاأحسن الله إليه فی مخلفيه –روايت–۱–۲–روايت–۱۷–۶۸ عنه ص الصدقة تسد سبعين بابا من الشر –روايت–۱–۲–روايت–۱۱–۴۲ عنه ص أذهبوا مذمة السائل و لوبمثل رأس الطائر من الطعام –روايت–۱–۲–روايت–۱۱–۶۴ . کان النبی ص لايکل خصلتين إلی غيره لايوضئه أحد و لايعطی السائل إلابيده .بعض الصالحين الصلاة تبلغک نصف الطريق والصوم يبلغک باب الملک والصدقة تدخلک عليه بغير إذن .الشعبی من لم ير نفسه أحوج إلی ثواب الصدقة من الفقير إلی صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بهاوجهه . [صفحه ۲۱۰] کان الحسن بن صالح إذاجاءه سائل فإن کان عنده ذهب أوفضة أوطعام أعطاه فإن لم يکن أعطاه زيتا أوسمنا أونحوهما مما ينتفع به فإن لم يکن أعطاه کحلا أوخرج بإبرة وخاط بهاثوب السائل أوبخرقة يرقع بها ماتخرق من ثوبه . ووقف مرة علی بابه سائل ليلا و لم يکن عنده مايدفعه إليه فخرج إليه بقصبة فی رأسها شعلة و قال خذ هذه وتبلغ بها إلی أبواب ناس لعلهم يعطونک . قوله ع ثم أداء الأمانة هی العقد ألذی يلزم الوفاء به وأصح ماقيل فی تفسير الآية أن الأمانة ثقيلة المحمل لأن حاملها معرض لخطر عظيم فهی بالغة من الثقل وصعوبة المحمل ما لوأنها عرضت علی السماوات و الأرض والجبال لامتنعت من حملها.فأما الإنسان فإنه حملها وألزم القيام بها و ليس المراد بقولنا إنها عرضت علی السماوات و الأرض أی لوعرضت عليها وهی جمادات بل المراد تعظيم شأن الأمانة کماتقول

هـذاالكلام لاـيحمله الجبـال و قـوله امتلأـ الحوض و قـال قطني . و قوله تعـالى قالَتـا أَتَينـا طـائِعِينَ ومـذهب العرب فى هـذاالباب وتوسعها ومجازاتها مشهور شائع –قرآن–١٧–۴٠ [صفحه ٢١١]

١٩٣– و من كلام له ع

اشاره

وَ اللّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدهَى منِيّ وَ لَكِنّهُ يَغدِرُ وَ يَفجُرُ وَ لَو لَا كَرَاهِيَةُ الغَدرِ لَكُنتُ مِن أَدهَى النّاسِ وَ لَكِن كُلّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ وَ كُلّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ وَ لِكُلّ غَـادِرٍ لِوَاءٌ يُعرَفُ بِهِ يَومَ القِيَامَـةِ وَ اللّهِ مَا أُسـتَغفَلُ بِالمَكِيـدَةِ وَ لَا أُسـتَغمَزُ بِالشّدِيـدَةِ الغـدرة على فعلـة الكثير الغـدر والفجرة والكفرة الكـثير الفجـور والكفر و كـل مـا كـان على هـذاالبناء فهـو للفاعـل فـإن سـكنت العين فهو للمفعول تقول رجل ضحكـة أى يضـحك وضـحكة يضـحك منه وسـخرة يسـخر وسـخرة يسـخر به يقول ع كل غادر فاجر و كل فاجر كافر ويروى ولكن كـل غـدرة فجرة و كـل فجرة كفرة على فعلـة للمرة الواحـدة. و قوله لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامـة –روايت–١–٢– روايت–٩–۴۶ حديث صـحيح مروى عن النبى ص . ثم أقسم ع أنه لايستغفل بالمكيدة أى لاتجوز المكيدة على كماتجوز على ذوى الغفلة و أنه لايستغمز بالشديدة أى لاأهين وألين للخطب الشديد [صفحه ٢١٢]

سياسة على وجريها على سياسة الرسول ع

واعلم أن قومـا ممن لم يعرف حقيقـة فضـل أمير المؤمنين ع زعموا أن عمر كـان أسوس منه و إن كان هوأعلم من عمر وصـرح الرئيس أبو على بن سـينا بذلك فى الشـفاء فى الحكمة و كان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا و قدعرض به فى كتاب الغرر ثم زعم أعـداؤه ومباغضوه أن معاويـة كان أسوس منه وأصـح تدبيرا و قدسـبق لنا بحث قديم فى هذاالكتاب فى بيان حسن سياسـة أمير المؤمنين ع وصـحة تـدبيره ونحن نـذكر هاهنـا مـا لم نـذكره هنـاك ممـا يليق بهـذا الفصل ألـذى نحن فى شـرحه .اعلم أن السائس لايتمكن من السـياسة البالغـة إلا إذا كان يعمل برأيه وبما يرى فيه صـلاح ملكه وتمهيـد أمره وتوطيـد قاعدته سواء وافق الشـريعة أو لم يوافقهـا ومتى لم يعمل فى السـياسة والتـدبير بموجب ماقلناه فبعيـد أن ينتظم أمره أويسـتوثق حاله و أمير المؤمنين كان مقيدا بقيود الشـريعة مدفوعا إلى اتباعها ورفض مايصـلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشـرع موافقا فلم تكن قاعـدته فى خلافـته قاعـدة غيره ممن لم يلتزم بـذلك ولسـنا بهـذا القول زارين على عمر بن الخطاب و لاناسبين إليه ما هومنزه عنه ولكنه كان مجتهدا يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضـى خلاف مايقتضـيه عموم النصوص ويكيـد خصـمه ويأمر أمراءه بالكيـد والحيلـة ويؤدب بالـدرة والسوط من [صفحه ٢١٣] يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك ويصفح عن آخرين قداجترموا مايستحقون به التأديب كل ذلك بقوة اجتهاده و مـايؤديه إليه نظره و لم يكن أمير المؤمنين ع يرى ذلـك و كـان يقف مع النصوص والظواهر و لايتعـداها إلى الاجتهاد والأقيسـة ويطبق أمور الـدنيا على أمور الـدين ويسوق الكـل مساقـا واحـدا و لايضـيع و لاـيرفع إلابالكتـاب والنص فاختلفت طريقتاهما فى الخلافة والسـياسة و كان عمر مع ذلك شديد الغلظة والسياسة و كان على ع كثير الحلم والصفح والتجاوز فازدادت خلافة ذاك قـوة وخلافـة هـذالينا و لـم يمـن عمر بمـا منى به على ع من فتنـة عثمـان الـتى أحـوجته إلى مـداراة أصـحابه وجنـده ومقـاربتهم

للاضطراب الواقع بطریق تلک الفتنة ثم تلا ذلک فتنة الجمل وفتنة صفین ثم فتنة النهروان و کل هذه الأمور مؤثرة فی اضطراب أمر الوالی وانحلال معاقد ملکه و لم یتفق لعمر شیء من ذلک فشتان بین الخلافتین فیما یعود إلی انتظام المملکة وصحة تدبیر الخلافة. فإن قلت فما قولک فی سیاسة رسول الله ص وتدبیره أ لیس کان منتظما سدیدا مع أنه کان لایعمل إلابالنصوص والتوقیف من الوحی فهلا کان تدبیر علی ع وسیاسته کذلک إذاقلتم إنه کان لایعمل إلابالنص قلت أماسیاسة رسول الله ص وتدبیره فخارج عما نحن فیه لأنه معصوم لاتتطرق الغفلة إلی أفعاله و لاواحد من هذین الرجلین بواجب العصمة عندنا وأیضا فإن کثیرا من الناس ذهبوا إلی أن الله تعالی أذن لرسول الله ص أن یحکم فی الشرعیات وغیرها برأیه و قال له احکم بما تراه فإنک لاتحکم إلابالحق و هذامذهب یونس بن عمران و علی هذافقد سقط السؤال لأنه ص یعمل بما یراه من المصلحة و لاینتظر الوحی. وأیضا فبتقدیر فساد هذاالمذهب أ لیس قدذهب خلق کثیر من علماء أصول الفقه إلی أن رسول الله ص کان یجوز له أن یجتهد فی الأحکام والتدبیر کمایجتهد [صفحه ۲۱۴] الواحد من العلماء و إلیه ذهب القاضی أبویوسف رحمه الله واحتج بقوله تعالی لِتَحکُمَ بَینَ النّاسِ بِما أَراکَ اللّهُ. والسؤال أیضا ساقط علی هذاالمذهب لأن اجتهاد علی ع لایساوی اجتهاد النبی ص و بین الاجتهادین کما بین المنزلتین . و کان أبو جعفر بن أبی زید الحسنی نقیب البصرة رحمه الله إذاحدثناه فی هذا یقول إنه لافرق عند من قرأ السیرتین سیرة النبی ص وسیاسة أصحابه أیام حیاته و بین سیرة أمیر المؤمنین ع وسیاسة أصحابه أیام حیاته فکما أن علیا ع لم یزل أمره مضطربا معهم بالمخالفة والعصیان والهرب إلی أعدائه وکثرة الفتن والحروب فکذلک کان النبی ص لم یزل ممنوا بنفاق المنافقین وأذاهم وخلاف أصحابه علیه وهرب بعضهم إلی أعدائه وکثرة الحروب والفتن . و کان یقول ألست تری القرآن العزیز مملوءا بذکر المنافقین والشکوی منهم والتألم من أذاهم له کما أن کلام علی ع مملوء بالشکوی من منافقی أصحابه والتألم من أذاهم له والتوائهم علیه و ذلک نحو قوله تعالی أَ لَم تَرَ إِلَی الّذِینَ نُهُوا عَنِ النّجوی ثُمّ یَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنهُ وَ یَتَناجَونَ بِالإِثمِ وَ العُدوانِ وَ مَعصِیَةِ الرّسُولِ وَ إِذا جاؤُکَ حَیّوکَ بِما لَم یُحَیّکَ بِهِ اللّهُ وَ یَقُولُونَ فِی أَنفُسِهِم لَو لا یُعَذّبُنَا اللّهُ بِما نَقُولُ حَسبُهُم جَهَنّمُ یَصلَونَها فَبِئسَ المَصِیرُ. و قوله إِنّمَا النّجوی مِنَ الشّیطانِ لِیَحزُنَ الّذِینَ آمَنُواالآیة. و قوله تعالی إِذا جاءَکَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشهَدُ إِنّکَ لَرَسُولُ اللّهِ وَ اللّهُ یَعلَمُ إِنّکَ -قرآن-۸۰-۱۲۱-قرآن-۹۱۳-۱۲۲۱-قرآن-۱۲۳۱-۱۲۸۷-قرآن-۱۳۰۹-۱۳۹۷ الواحد من العلماء و إلیه ذهب القاضی أبویوسف رحمه الله واحتج بقوله تعالی لِتَحکُمَ بَینَ النّاسِ بِما أَراکَ اللّهُ. والسؤال أیضا ساقط علی هذاالمذهب لأن اجتهاد علی ع لایساوی اجتهاد النبی ص و بین الاجتهادین کما بین المنزلتین . و کان أبو جعفر بن أبی زید الحسنی نقیب البصرة رحمه الله إذاحدثناه فی هذا یقول إنه لافرق عند من قرأ السیرتین سیرة النبی ص وسیاسة أصحابه أیام حیاته و بین سیرة أمیر المؤمنین ع وسیاسة أصحابه أیام حیاته فکما أن علیا ع لم یزل أمره مضطربا معهم بالمخالفة والعصیان والهرب إلی أعدائه وکثرة الفتن والحروب فکذلک کان النبی ص لم یزل ممنوا بنفاق المنافقین وأذاهم وخلاف أصحابه علیه وهرب بعضهم إلی أعدائه وکثرة الحروب والفتن . و کان یقول ألست تری القرآن العزیز مملوءا بذکر المنافقین والشکوی منهم والتألم من أذاهم له کما أن کلام علی ع مملوء بالشکوی من منافقی أصحابه والتألم من أذاهم له والتوائهم علیه و ذلک نحو قوله تعالی أَ لَم تَرَ إِلَی الّذِینَ نُهُوا عَنِ النّجوی ثُمّ یَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنهُ وَ یَتَناجَونَ بِالإِثمِ وَ العُدوانِ وَ مَعصِیَةِ الرّسُولِ وَ إِذا جاؤُکَ حَیّوکَ بِما لَم یُحَیّکَ بِهِ اللّهُ وَ یَقُولُونَ فِی أَنفُسِهِم لَو لا یُعَذّبُنَا اللّهُ بِما نَقُولُ حَسبُهُم جَهَنّمُ یَصلَونَها فَبِئسَ المَصِیرُ. و قوله إِنّمَا النّجوی مِنَ الشّیطانِ لِیَحزُنَ الّذِینَ آمَنُواالآیة. و قوله تعالی إِذا جاءَکَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشهَدُ إِنّکَ لَرَسُولُ اللّهِ وَ اللّهُ یَعلَمُ إِنّکَ لَرَسُولُهُ وَ اللّهُ یَشهَدُ إِنّ المُنافِقِینَ لَکاذِبُونَ اتّخَذُوا أَیمانَهُم جُنّةً فَصَدّوا عَن سَبِیلِ اللّهِ إِنّهُم ساءَ ما کانُوا یَعمَلُونَالسورة بأجمعها. و قوله تعالی وَ مِنهُم مَن یَستَمِعُ إِلَیکَ حَتّی إِذا خَرَجُوا مِن عِندِکَ قالُوا لِلّذِینَ أُوتُوا العِلمَ ما ذا قالَ آنِفاً أُولئِکَ الّذِینَ طَبَعَ اللّهُ عَلی قُلُوبِهِم وَ اتّبَعُوا أَهواءَهُم. و قوله تعالی رَأَیتَ الّذِینَ فِی قُلُوبِهِم مَرَضٌ یَنظُرُونَ إِلَیکَ نَظَرَ

المَغشىّ عَلَيهِ مِنَ المَوتِ فَأَولى لَهُم طاعَةٌ وَ قَولٌ مَعرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الأَمرُ فَلَو صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيراً لَهُم. و قوله تعالى أَم حَسِبَ الّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَن لَن يُخرِجَ اللّهُ أَضغانَهُم وَ لَو نَشاءُ لَأَرَيناكَهُم فَلَعَرَفتَهُم بِسِيماهُم وَ لَتَعرِفَنّهُم فِى لَحنِ القَولِ وَ اللّهُ يَعلَمُ أَعمالَكُم. و قوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ المُخَلّفُونَ مِنَ الأَعرابِ شَغَلَتنا أَموالُنا وَ أَهلُونا فَاستَغفِر لَنا يَقُولُونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ فِى قُلُوبِهِم قُل فَمَن يَملِكُ لَكُم مِنَ اللّهِ شَيئاً إِن أَرادَ بِكُم ضَرّا أَو أَرادَ بِكُم نَفعاً بَل كانَ اللّهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيراً بَل ظَنَنتُم أَن لَن يَنقَلِبَ الرّسُولُ وَ المُؤمِنُونَ إِلى أَهلِيهِم أَبَداً وَ زُيّنَ ذلِكَ فِى قُلُوبِكُم وَ ظَنَنتُم ظَنّ السّوءِ وَ كُنتُم قَوماً بُوراً. و قوله تعالى سَيَقُولُ المُخَلّفُونَ إِذَا انطَلَقتُم إِلى مَغانِمَ لِتَأخُذُوها ذَرُونا نَتّبِعكُم يُرِيدُونَ أَن يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ قُل لَن تَتّبِعُونا كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُ -قرآن-١-١٥١-قرآن-١٨٢-٣٦٧-قرآن-٣٨٤-٥٨٢-قرآن-٥٩٩-٧٩٣-قرآن-٨١٠-١٢٤١-قرآن-١٢٥٨-١٤٣٤ لَرَسُولُهُ وَ اللّهُ يَشهَدُ إِنّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ اتّخَذُوا أَيمانَهُم جُنّةً فَصَدّوا عَن سَبِيلِ اللّهِ إِنّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَالسورة بأجمعها. و قوله تعالى وَ مِنهُم مَن يَستَمِعُ إِلَيكَ حَتّى إِذا خَرَجُوا مِن عِندِكَ قالُوا لِلّذِينَ أُوتُوا العِلمَ ما ذا قالَ آنِفاً أُولئِكَ الّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلى قُلُوبِهِم وَ اتّبَعُوا أَهواءَهُم. و قوله تعالى رَأَيتَ الّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيكَ نَظَرَ المَغشىّ عَلَيهِ مِنَ المَوتِ فَأَولى لَهُم طاعَةٌ وَ قَولٌ مَعرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ الأَمرُ فَلَو صَدَقُوا اللّهَ لَكانَ خَيراً لَهُم. و قوله تعالى أَم حَسِبَ الّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَرَضٌ أَن لَن يُخرِجَ اللّهُ أَضغانَهُم وَ لَو نَشاءُ لَأَرَيناكَهُم فَلَعَرَفتَهُم بِسِيماهُم وَ لَتَعرِفَنّهُم فِى لَحنِ القَولِ وَ اللّهُ يَعلَمُ أَعمالَكُم. و قوله تعالى سَيَقُولُ لَكَ المُخَلّفُونَ مِنَ الأَعرابِ شَغَلَتنا أَموالُنا وَ أَهلُونا فَاستَغفِر لَنا يَقُولُونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ فِى قُلُوبِهِم قُل فَمَن يَملِكُ لَكُم مِنَ اللّهِ شَيئاً إِن أَرادَ بِكُم ضَرّا أَو أَرادَ بِكُم نَفعاً بَل كانَ اللّهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيراً بَل ظَنَنتُم أَن لَن يَنقَلِبَ الرّسُولُ وَ المُؤمِنُونَ إِلى أَهلِيهِم أَبَداً وَ زُيّنَ ذلِكَ فِى قُلُوبِكُم وَ ظَنَنتُم ظَنّ السّوءِ وَ كُنتُم قَوماً بُوراً. و قوله تعالى سَيَقُولُ المُخَلّفُونَ إِذَا انطَلَقتُم إِلى مَغانِمَ لِتَأخُذُوها ذَرُونا نَتّبِعكُم يُرِيدُونَ أَن يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ قُل لَن تَتّبِعُونا كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُ فَسَيَقُولُونَ بَل تَحسُدُونَنا بَل كانُوا لا يَفقَهُونَ إِلّا قَلِيلًا. و قوله إِنّ الّذِينَ يُنادُونَكَ مِن وَراءِ الحُجُراتِ أَكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ وَ لَو أَنّهُم صَبَرُوا حَتّى تَخرُجَ إِلَيهِم لَكانَ خَيراً لَهُم وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قال وأصحابه هم الذين نازعوا فى الأنفال وطلبوها لأنفسهم حتى أنزل الله تعالى قُلِ الأَنفالُ لِلّهِ وَ الرّسُولِ فَاتّقُوا اللّهَ وَ أَصلِحُوا ذاتَ بَينِكُم وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ. وهم الذين التووا عليه فى الحرب يوم بدر وكرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم و ذلك قبل أن تتراءى الفئتان وأنزل فيهم يُجادِلُونَكَ فِى الحَقّ بَعدَ ما تَبَيّنَ كَأَنّما يُساقُونَ إِلَى المَوتِ وَ هُم يَنظُرُونَ. وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو حتى إنهم ظفروا برجلين فى الطريق فسألوهما عن العير فقالا لاعلم لنا بها وإنما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكثيب فضربوهما و رسول الله ص قائم يصلى فلما ذاقا مس الضرب قالا بل العير أمامكم فاطلبوها فلما رفعوا الضرب عنهما قالا و الله مارأينا العير و لارأينا إلاالخيل والسلاح والجيش فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية فقالا وهما يضربان العير أمامكم فخلوا عنا فانصرف رسول الله ص من الصلاة و قال إذاصدقاكم ضربتموهما و إذاكذباكم خليتم عنهما دعوهما فما رأيا إلاجيش أهل مكة وأنزل قوله تعالى وَ إِذ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحدَى الطّائِفَتَينِ أَنّها لَكُم وَ تَوَدّونَ أَنّ غَيرَ ذاتِ الشّوكَةِ تَكُونُ لَكُم وَ يُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقّ الحَقّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقطَعَ -قرآن-١-٧٢-قرآن-٨٢-٢٤٦-قرآن-٣٣٢-٤٦٤-قرآن-٥٨٩-٦٨١-قرآن-١٢٤٥-١٤١٦ فَسَيَقُولُونَ بَل تَحسُدُونَنا بَل كانُوا لا يَفقَهُونَ إِلّا قَلِيلًا. و قوله إِنّ الّذِينَ يُنادُونَكَ مِن وَراءِ الحُجُراتِ أَكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ وَ لَو أَنّهُم صَبَرُوا حَتّى تَخرُجَ إِلَيهِم لَكانَ خَيراً لَهُم وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قال وأصحابه هم الذين نازعوا فى الأنفال وطلبوها لأنفسهم حتى أنزل الله تعالى قُلِ الأَنفالُ لِلّهِ وَ الرّسُولِ فَاتّقُوا اللّهَ وَ أَصلِحُوا ذاتَ بَينِكُم وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ إِن كُنتُم مُؤمِنِينَ. وهم الذين التووا عليه فى الحرب يوم بدر وكرهوا لقاء العدو حتى خيف خذلانهم و ذلك قبل أن تتراءى الفئتان وأنزل فيهم يُجادِلُونَكَ فِى الحَقّ بَعدَ ما تَبَيّنَ كَأَنّما يُساقُونَ إِلَى المَوتِ وَ هُم يَنظُرُونَ. وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير دون لقاء العدو حتى إنهم ظفروا برجلين فى الطريق فسألوهما عن العير فقالا لاعلم لنا بها وإنما رأينا جيش قريش من وراء ذلك الكثيب فضربوهما و رسول الله ص قائم

يصلی فلما ذاقا مس الضرب قالا۔ بل العير أمامكم فاطلبوها فلما رفعوا الضرب عنهما قالا و الله مارأينا العير و لارأينا إلاالخيل والسلاح والجيش فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية فقالا وهما يضربان العير أمامكم فخلوا عنا فانصرف رسول الله ص من الصلاة و قال إذاصدقاكم ضربتموهما و إذاكذباكم خليتم عنهما دعوهما فما رأيا إلاالجيش أهل مكة وأنزل قوله تعالى وَ إِذ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحدَى الطّائِفَتَينِ أَنّها لَكُم وَ تَوَدّونَ أَنّ غَيرَ ذاتِ الشّوكَةِ تَكُونُ لَكُم وَ يُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقّ الحَقّ بِكَلِماتِهِ وَ يَقطَعَ دابِرَ الكافِرِينَ –قرآن–١–١٩ قال المفسرون الطائفتان العير ذات اللطيمة الواصلة إلى مكة من الشام صحبة أبی سفيان بن حرب وإليها كان خروج المسلمين والأخرى الجيش ذو الشوكة و كان ع قدوعدهم بإحدى الطائفتين فكرهوا الحرب وأحبوا الغنيمة. قال وهم الذين فروا عنه ص يوم أحد وأسلموه وأصعدوا فی الجبل وتركوه حتى شج الأعداء وجهه وكسروا ثنيته وضربوه على بيضته حتى دخل جماجمه ووقع من فرسه إلى الأرض بين القتلى و هويستصرخ بهم ويدعوهم فلايجيبه أحد منهم إلا من كان جاريا مجرى نفسه وشديد الاختصاص به و ذلك قوله تعالى إِذ تُصعِدُونَ وَ لا تَلوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرّسُولُ يَدعُوكُم فِی أُخراكُم أی ينادی فيسمع نداءه آخر الهاربين لاأولهم لأن أولهم أوغلوا فی الفرار وبعدوا عن أن يسمعوا صوته و كان قصاری الأمر أن يبلغ صوته واستصراخه من كان على ساقة الهاربين منهم . قال ومنهم الذين عصوا أمره فی ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب فی الجبل و هوالموضع ألذی خاف أن تكر عليه منه خيل العدو من ورائه وهم أصحاب عبد الله بن جبير فإنهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به إليهم ورغبوا فی الغنيمة ففارقوا مركزهم حتى دخل الوهن على الإسلام بطريقهم لأن خالد بن الوليد كر فی عصابة من الخيل فدخل من الشعب ألذی كانوا يحرسونه فما أحس المسلمون بهم إلا و قدغشوهم بالسيوف من خلفهم فكانت الهزيمة و ذلك قوله تعالى حَتّى إِذا فَشِلتُم –قرآن–٥١٥–٥٩١–قرآن–١٢٣٥–١٢٥٣ قال المفسرون الطائفتان العير ذات اللطيمة الواصلة إلى مكة من الشام صحبة أبی سفيان بن حرب وإليها كان خروج المسلمين والأخرى الجيش ذو الشوكة و كان ع قدوعدهم بإحدى الطائفتين فكرهوا الحرب وأحبوا الغنيمة. قال وهم الذين فروا عنه ص يوم أحد وأسلموه وأصعدوا فی الجبل وتركوه حتى شج الأعداء وجهه وكسروا ثنيته وضربوه على بيضته حتى دخل جماجمه ووقع من فرسه إلى الأرض بين القتلى و هويستصرخ بهم ويدعوهم فلايجيبه أحد منهم إلا من كان جاريا مجرى نفسه وشديد الاختصاص به و ذلك قوله تعالى إِذ تُصعِدُونَ وَ لا تَلوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرّسُولُ يَدعُوكُم فِی أُخراكُم أی ينادی فيسمع نداءه آخر الهاربين لاأولهم لأن أولهم أوغلوا فی الفرار وبعدوا عن أن يسمعوا صوته و كان قصاری الأمر أن يبلغ صوته واستصراخه من كان على ساقة الهاربين منهم . قال ومنهم الذين عصوا أمره فی ذلك اليوم حيث أقامهم على الشعب فی الجبل و هوالموضع ألذی خاف أن تكر عليه منه خيل العدو من ورائه وهم أصحاب عبد الله بن جبير فإنهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به إليهم ورغبوا فی الغنيمة ففارقوا مركزهم حتى دخل الوهن على الإسلام بطريقهم لأن خالد بن الوليد كر فی عصابة من الخيل فدخل من الشعب ألذی كانوا يحرسونه فما أحس المسلمون بهم إلا و قدغشوهم بالسيوف من خلفهم فكانت الهزيمة و ذلك قوله تعالى حَتّى إِذا فَشِلتُم وَ تَنازَعتُم فِی الأَمرِ وَ عَصَيتُم مِن بَعدِ ما أَراكُم ما تُحِبّونَ مِنكُم مَن يُرِيدُ الدّنيا وَ مِنكُم مَن يُرِيدُ الآخِرَةَ. قال وهم الذين عصوا أمره فی غزاة تبوك بعد أن أكد عليهم الأوامر وخذلوه وتركوه و لم يشخصوا معه فأنزل فيهم يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا ما لَكُم إِذا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِی سَبِيلِ اللّهِ اثّاقَلتُم إِلَى الأَرضِ أَ رَضِيتُم بِالحَياةِ الدّنيا مِنَ الآخِرَةِ فَما مَتاعُ الحَياةِ الدّنيا فِی الآخِرَةِ إِلّا قَلِيلٌ إِلّا تَنفِرُوا يُعَذّبكُم عَذاباً أَلِيماً وَ يَستَبدِل قَوماً غَيرَكُم وَ لا تَضُرّوهُ شَيئاً وَ اللّهُ عَلى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ و هذه الآية خطاب مع المؤمنين لا مع المنافقين و فيهاأوضح دليل على أن أصحابه وأولياءه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه ويخالفون أمره وأكد عتابهم وتقريعهم وتوبيخهم بقوله تعالى لَو كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَ سَفَراً قاصِداً لَاتّبَعُوكَ وَ لكِن بَعُدَت عَلَيهِمُ الشّقّةُ وَ سَيَحلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ استَطَعنا لَخَرَجنا مَعَكُم يُهلِكُونَ أَنفُسَهُم وَ اللّهُ يَعلَمُ إِنّهُم لَكاذِبُونَ. ثم عاتب رسول الله ص على كونه أذن لهم فی التخلف وإنما أذن لهم لعلمه أنهم لايجيبونه فی الخروج فرأى أن

يجعل المنـة له عليهم فى الإذن لهم و إلاقعدوا عنه و لم تصل له المنة فقال له عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم حَتّى يَتَبَيّنَ لَکَ الّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعلَمَ الكـاذِبِينَ أى هلا أمسـكت عن الإذن لهم حتى يتبين لك قعود من يقعـد وخروج من يخرج صادقهم من كاذبهم لأنهم كانوا قدوعدوه بالخروج معه كلهم و كان بعضهم ينوى الغدر وبعضهم يعزم على أن يخيس بذلك الوعد فلو لم يأذن لهم لعلـم من يتخلـف و من لا يتخلف فعرف الصـادق منهم والكـاذب . -قرآن-١-١٣١-قرآن-٢٤٧-٥٨٦-قرآن-٧٧٥-٩٨٤-قرآن-١١٨٣-١٢٨٢ [صفحه ٢١٩] ثم بين سبحانه و تعالى أن الذين يستأذنونه فى التخلف خارجون من الإيمان فقال له لا يَستَأذِنُکَ الّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ اليَومِ الآخِرِ أَن يُجاهِدُوا بِأَموالِهِم وَ أَنفُسِهِم وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالمُتّقِينَ إِنّما يَستَأذِنُکَ الّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ اليَومِ الآخِرِ وَ ارتابَت قُلُوبُهُم فَهُم فِي رَيبِهِم يَتَرَدّدُونَ. و لاحاجـة إلى التطويل بـذكر الآيات المفصلـة فيما يناسب هذاالمعنى فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله ص مع أصحابه كيف كانت و لم ينقله الله تعالى إلى جواره إلا و هو مع المنافقين له والمظهرين خلاف مايضـمرون من تصـديقه فى جهـاد شديـد حتى لقـد كاشـفوه مرارا فقال لهم يوم الحديبيـة احلقوا وانحروا مرارا فلم يحلقوا و لم ينحروا و لم يتحرك أحـد منهم عنـد قوله و قال له بعضـهم و هويقسم الغنائم اعـدل يا محمـدفإنك لم تعدل . وقالت الأنصار له مواجهة يوم حنين أتأخذ ماأفاء الله علينا بسـيوفنا فتدفعه إلى أقاربك من أهل مكة حتى أفضى الأمر إلى أن -قرآن-٨٨-٣٥٠ قال لهم فى مرض موته ائتونى بـدواة وكتف أكتب لكم ما لاتضـلون بعده -روايت-١-٧٤ فعصوه و لم يأتوه بذلك وليتهم اقتصـروا على عصيانه و لم يقولوا له ماقالوا و هويسمع . و كان أبو جعفررحمه الله يقول من هذا مايطول شرحه والقليل منه ينبئ عن الكثير و كـان يقول إن الإسـلام ماحلا عنـدهم و لا ثبت فى قلوبهم إلا بعـدموته حين فتحت عليهم الفتوح وجـاءتهم الغنـائم والأموال وكـثرت عليهم المكـاسب وذاقوا طعم الحيـاة وعرفوا لـذة الـدنيا ولبسوا النـاعم وأكلوا الطيب وتمتعوا بنسـاء الروم وملكوا خزائن كسـرى وتبـدلوا بـذلك القشـف والشـظف والعيش الخشـن وأكـل [صـفحه ٢٢٠] الضـباب والقنافـذ واليرابيع ولبس الصـوف والكرابيس وأكل اللوزينجات والفالوذجات ولبس الحرير والـديباج فاسـتدلوا بما فتحه الله عليهم وأتاحه لهم على صـحة الـدعوة وصـدق الرسالـة و قـد كان ص وعـدهم بأنه سـيفتح عليهم كنوز كسـرى وقيصـر فلما وجـدوا الأمر قدوقع بموجب ماقاله عظموه وبجلوه وانقلبت تلك الشـكوك وذاك النفاق و ذلك الاسـتهزاء إيمانا ويقينا وإخلاصا وطاب لهم العيش وتمسكوا بالدين لأنه زادهم طريقا إلى نيل الدنيا فعظموا ناموسه وبالغوا فى إجلاله وإجلال الرسول ألذى جاء به ثم انقرض الأسـلاف وجاء الأخلاف على عقيـدة ممهـدة وأمر أخـذوه تقليـدا من أسـلافهم الـذين ربوا فى حجورهم ثم انقرض ذلك القرن وجاء من بعدهم كذلك وهلم جرا. قال و لو لاالفتوح والنصـر والظفر ألـذى منحهم الله تعالى إياه والدولة التى ساقها إليهم لانقرض دين الإسـلام بعدوفاة رسول الله ص و كـان يـذكر فى التواريـخ كماتـذكر الآن نبوة خالـد بن سـنان العبسـى حيث ظهر ودعا إلى الـدين و كان الناس يعجبون من ذلك ويتـذاكرونه كمايعجبون ويتـذاكرون أخبار من نبغ من الرؤساء والملوك والدعاة الذين انقرض أمرهم وبقيت أخبارهم . و كان يقول من تأمل حال الرجلين وجـدهما متشابهتين فى جميع أمورهما أو فى أكثرها و ذلك لأن حرب رسول الله ص مع المشـركين كانت سـجالا انتصر يوم بدر وانتصر المشركون عليه يوم أحد و كان يوم الخندق كفافا خرج هو وهم سواء لا عليه و لا له لأنهم قتلوا رئيس الأوس و هوسـعد بن معاذ وقتل منهم فارس قريش و هوعمرو بن عبـدود وانصـرفوا عنه بغير حرب بعـدتلك الساعـة التى كانت ثم حارب بعـدها قريشا يوم الفتـح فكان الظفر له . وهكـذا كانت حروب على ع انتصـر يوم الجمل وخرج الأمر بينه و بين [صفحه ٢٢١] معاوية على سواء قتل من أصحابه رؤساء و من أصحاب معاوية رؤساء وانصرف كل واحد من الفريقين عن صـاحبه بعـدالحرب على مكـانه ثم حـارب بعدصـفين أهـل النهروان فكـان الظفر له . قال و من العجب أن أول حروب رسول الله ص كانت بدرا و كان هوالمنصور فيها وأول حروب على ع الجمل و كان هوالمنصور فيها ثم كان من صحيفة الصلح والحكومة يوم صـفين نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبية ثم دعا معاوية فى آخر أيام على ع إلى نفسه

وتسمى بالخلافة كما أن مسيلمة والأسود العنسى دعوا إلى أنفسهما فى آخر أيام رسول الله ص وتسميا بالنبوة واشتد على على ع ذلك كمااشتد على رسول الله ص أمر الأسود ومسيلمة وأبطل الله أمرهما بعدوفاة النبى ص وكذلك أبطل أمر معاوية وبنى أمية بعدوفاة على ع و لم يحارب رسول الله ص أحد من العرب إلاقريش ماعدا يوم حنين و لم يحارب عليا ع من العرب أحد إلاقريش ماعدا يوم النهروان ومات على ع شهيدا بالسيف ومات رسول الله ص شهيدا بالسم و هذا لم يتزوج على خديجة أم أولاده حتى ماتت و هذا لم يتزوج على فاطمة أم أشرف أولاده حتى ماتت ومات رسول الله ص عن ثلاث وستين سنة ومات على ع عن مثلها. و كان يقول انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما هذاشجاع و هذاشجاع و هذافصيح و هذافصيح و هذاسخى جواد و هذاسخى جواد و هذاعالم بالشرائع والأمور الإلهية و هذاعالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة و هذازاهد فى الدنيا غيرنهم و لامستكثر منها و هذازاهد فى الدنيا تارك لها غيرمتمتع بلذاتها و هذامذيب نفسه فى الصلاة والعبادة و هذامثله و هذا غيرمحبب إليه شىء من الأمور العاجلة [صفحه ٢٢٢] إلاالنساء و هذامثله و هذا ابن عبدالمطلب بن هاشم و هذا فى قعدده وأبواهما أخوان لأب وأم دون غيرهما من بنى عبدالمطلب وربى محمدص فى حجر والد هذا و هذا أبوطالب فكان جاريا عنده مجرى أحد أولاده ثم لماشب ص وكبر استخلصه من بنى أبى طالب و هوغلام فرباه فى حجره مكافأة لصنيع أبى طالب به فامتزج الخلقان وتماثلت السجيتان و إذا كان القرين مقتديا بالقرين فما ظنك بالتربية والتثقيف الدهر الطويل فواجب أن تكون أخلاق محمدص كأخلاق أبى طالب وتكون أخلاق على ع كأخلاق أبى طالب أبيه و محمد ع مربيه و أن يكون الكل شيمة واحدة وسوسا واحدا وطينة مشتركة ونفسا غيرمنقسمة و لامتجزئة وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق و لافضل لو لا أن الله تعالى اختص محمداص برسالته واصطفاه لوحيه لمايعلمه من مصالح البرية فى ذلك و من أن اللطف به أكمل والنفع بمكانه أتم وأعم فامتاز رسول الله ص بذلك عمن سواه وبقى ماعدا الرسالة على أمر الاتحاد و إلى هذاالمعنى أشارص بقوله أخصمك بالنبوة فلانبوة بعدى وتخصم الناس بسبع -روايت-١-٢-روايت-١٦-٦٤ قال له أيضا أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى -روايت-١-٢-روايت-١٦-٧٢ فأبان نفسه منه بالنبوة وأثبت له ماعداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركا بينهما. و كان النقيب أبو جعفررحمه الله غزير العلم صحيح العقل منصفا فى الجدال غيرمتعصب للمذهب و إن كان علويا و كان يعترف بفضائل الصحابة ويثنى على الشيخين . و يقول إنهما مهدا دين الإسلام وأرسيا قواعده ولقد كان شديد الاضطراب فى حياة رسول الله ص وإنما مهداه بما تيسر للعرب من الفتوح والغنائم فى دولتهما. و كان يقول فى عثمان إن الدولة فى أيامه كانت على إقبالها وعلو جدها بل كانت الفتوح فى أيامه أكثر والغنائم أعظم لو لا أنه لم يراع ناموس الشيخين و لم يستطع أن يسلك [صفحه ٢٢٣] مسلكهما و كان مضعفا فى أصل القاعدة مغلوبا عليه وكثير الحب لأهله وأتيح له من مروان وزير سوء أفسد القلوب عليه وحمل الناس على خلعه وقتله

كلام أبى جعفرالحسنى فى الأسباب التى أوجبت محبة الناس لعلى

و كان أبو جعفررحمه الله لايجحد الفاضل فضله والحديث شجون . قلت له مرة ماسبب حب الناس لعلى بن أبى طالب ع وعشقهم له وتهالكهم فى هواه ودعنى فى الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة و غير ذلك من الخصائص التى رزقه الله سبحانه الكثير الطيب منها.فضحك و قال لى كم تجمع جراميزك على . ثم قال هاهنا مقدمة ينبغى أن تعلم وهى أن أكثر الناس موتورون من الدنيا أماالمستحقون فلاريب فى أن أكثرهم محرومون نحو عالم يرى أنه لاحظ له فى الدنيا ويرى جاهلا غيره مرزوقا وموسعا عليه وشجاع قدأبلى فى الحرب وانتفع بموضعه ليس له عطاء يكفيه ويقوم بضروراته ويرى غيره و هوجبان

فشل يفرق من ظله مالكا لقطر عظيم من الدنيا وقطعة وافرة من المال والرزق وعاقل سديد التدبير صحيح العقل قدقدر عليه رزقه و هويرى غيره أحمق مائقا تدر عليه الخيرات وتتحلب عليه أخلاف الرزق وذى دين قويم وعبادة حسنة وإخلاص وتوحيد و هومحروم ضيق الرزق ويرى غيره يهوديا أونصرانيا أوزنديقا كثير المال حسن الحال حتى إن هذه الطبقات المستحقة يحتاجون فى أكثر الوقت إلى الطبقات التى لااستحقاق [صفحه ۲۲۴] لها وتدعوهم الضرورة إلى الذل لهم والخضوع بين أيديهم إما لدفع ضرر أولاستجلاب نفع ودون هذه الطبقات من ذوى الاستحقاق أيضا مانشاهده عيانا من نجار حاذق أوبناء عالم أونقاش بارع أومصور لطيف على غاية ما يكون من ضيق رزقهم وقعود الوقت بهم وقلة الحيلة لهم ويرى غيرهم ممن ليس يجرى مجراهم و لايلحق طبقتهم مرزوقا مرغوبا فيه كثير المكسب طيب العيش واسع الرزق فهذا حال ذوى الاستحقاق والاستعداد و أماالذين ليسوا من أهل الفضائل كحشو العامة فإنهم أيضا لايخلون من الحقد على الدنيا والذم لها والحنق والغيظ منها لمايلحقهم من حسد أمثالهم وجيرانهم و لايرى أحد منهم قانعا بعيشه و لاراضيا بحاله بل يستزيد ويطلب حالا فوق حاله . قال فإذاعرفت هذه المقدمة فمعلوم أن عليا ع كان مستحقا محروما بل هو أميرالمستحقين المحرومين وسيدهم وكبيرهم ومعلوم أن الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلة والهضيمة يتعصب بعضهم لبعض ويكونون إلبا ويدا واحدة على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا ونالوا مآربهم منها لاشتراكهم فى الأمر ألذى آلمهم وساءهم وعضهم ومضهم واشتراكهم فى الأنفة والحمية والغضب والمنافسة لمن علا عليهم وقهرهم وبلغ من الدنيا ما لم يبلغوه فإذا كان هؤلاء أعنى المحرومين متساوين فى المنزلة والمرتبة وتعصب بعضهم لبعض فما ظنك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر جليل الخطر كامل الشرف جامع للفضائل محتو على الخصائص والمناقب و هو مع ذلك محروم محدود و قدجرعته الدنيا علاقمها وعلته عللا بعدنهل من صابها وصبرها ولقى منها برحا بارحا وجهدا جهيدا وعلا عليه من هودونه وحكم فيه و فى بنيه وأهله ورهطه من لم يكن مناله من الإمرة والسلطان فى حسابه و لادائرا فى خلده و لاخاطرا بباله و لا كان أحد من الناس يرتقب ذلك له و لايراه له ثم كان فى آخر الأمر أن قتل هذا الرجل الجليل فى [صفحه ۲۲۵] محرابه وقتل بنوه بعده وسبى حريمه ونساؤه وتتبع أهله وبنو عمه بالقتل والطرد والتشريد والسجون مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم وانتفاع الخلق بهم فهل يمكن ألا يتعصب البشر كلهم مع هذاالشخص وهل تستطيع القلوب ألا تحبه وتهواه وتذوب فيه وتفنى فى عشقه انتصارا له وحمية من أجله وأنفة مما ناله وامتعاضا مما جرى عليه و هذاأمر مركوز فى الطبائع ومخلوق فى الغرائز كمايشاهد الناس على الجرف إنسانا قدوقع فى الماء العميق و هو لايحسن السباحة فإنهم بالطبع البشرى يرقون عليه رقة شديدة و قديلقى قوم منهم أنفسهم فى الماء نحوه يطلبون تخليصه لايتوقعون على ذلك مجازاة منه بمال أوشكر و لاثوابا فى الآخرة فقد يكون منهم من لايعتقد أمر الآخرة ولكنها رقة بشرية و كان الواحد منهم يتخيل فى نفسه أنه ذلك الغريق فكما يطلب خلاص نفسه لو كان هذاالغريق كذلك يطلب تخليص من هو فى تلك الحال الصعبة للمشاركة الجنسية وكذلك لو أن ملكا ظلم أهل بلد من بلاده ظلما عنيفا لكان أهل ذلك البلد يتعصب بعضهم لبعض فى الانتصار من ذلك الملك والاستعداء عليه فلو كان من جملتهم رجل عظيم القدر جليل الشأن قدظلمه الملك أكثر من ظلمه إياهم وأخذ أمواله وضياعه وقتل أولاده وأهله كان لياذهم به وانضواؤهم إليه واجتماعهم والتفافهم به أعظم وأعظم لأن الطبيعة البشرية تدعو إلى ذلك على سبيل الإيجاب الاضطرارى و لايستطيع الإنسان منه امتناعا. و هذامحصول قول النقيب أبى جعفررحمه الله قدحكيته والألفاظ لى والمعنى له لأنى لاأحفظ الآن ألفاظه بعينها إلا أن هذا هو كان معنى قوله وفحواه رحمه الله و كان لايعتقد فى الصحابة مايعتقده أكثر الإمامية فيهم ويسفه رأى من يذهب فيهم إلى النفاق والتكفير و كان يقول حكمهم حكم مسلم مؤمن عصى فى بعض الأفعال وخالف الأمر فحكمه إلى الله إن شاء آخذه و إن شاء غفر له . [صفحه ۲۲۶] قلت له مرة أفتقول أنهما من أهل الجنة فقال إى و الله أعتقد ذلك لأنهما إما أن يعفو الله تعالى عنهما ابتداء أوبشفاعة الرسول ص أوبشفاعة على ع

أويؤاخـذهما بعقـاب أوعتـاب ثم ينقلهمـا إلى الجنـة لا ـأستريب فى ذلـك أصـلا و لاأشـك فى إيمانهما برسول الله ص وصـحة عقيدتهما.فقلت له فعثمان قال وكذلك عثمان ثم قال رحم الله عثمان وهل كان إلاواحدا منا وغصـنا من شـجرة عبدمناف ولكن أهله كـدروه علينـا وأوقعوا العـداوة والبغضـاء بينه وبيننا. قلت له فيلزمك على ماتراه فى أمر هؤلاء أن تجوز دخول معاويـة الجنة لأنه لم تكن منه إلاالمخالفـة وترك امتثال أمر النبوى. فقال كلا إن معاويـة من أهل النار لالمخالفته عليا و لابمحاربته إياه ولكن عقيدته لم تكن صـحيحة و لاإيمانه حقا و كان من رءوس المنافقين هو وأبوه و لم يسـلم قلبه قط وإنما أسـلم لسانه و كان يذكر من حديث معاوية و من فلتات قوله و ماحفظ عنه من كلام يقتضـى فساد العقيدة شـيئا كثيرا ليس هذاموضـعه فأذكره . و قال لى مرة حاش لله أن يثبت معاوية فى جريدة الشـيخين الفاضلين أبى بكر وعمر و الله ماهما إلاكالذهب الإبريز و لامعاوية إلاكالدرهم الزائف أو قال كالـدرهم القسـى ثم قال لى فما يقول أصـحابكم فيهما قلت أما ألـذى اسـتقر عليه رأى المعتزلة بعداختلاف كثير بين قـدمائهم فى التفضـيل وغيره أن عليا ع أفضل الجماعـة وأنهم تركوا الأفضل لمصـلحة رأوها و أنه لم يكن هناك نص يقطع العذر وإنما كانت إشارة وإيماء لايتضـمن شـىءمنها صريح النص و إن عليا ع نازع ثم بايع [صفحه ٢٢٧] وجمح ثم استجاب و لوأقـام على الامتنـاع لم نقـل بصـحة البيعـة و لابلزومهـا و لوجرد السـيف كمـاجرده فى آخر الأمر لقلنا بفسق كل من خالفه على الإطلاق كائنا من كان ولكنه رضى بالبيعة أخيرا ودخل فى الطاعة. وبالجملة أصحابنا يقولون إن الأمر كان له و كان هوالمستحق والمتعين فإن شاء أخـذه لنفسه و إن شاء ولاه غيره فلما رأيناه قدوافق على ولاية غيره اتبعناه ورضـينا بما رضـى فقال قدبقى بينى وبينكم قليـل أنـاأذهب إلى النص وأنتم لاتـذهبون إليه .فقلت له إنه لم يثبت النص عنـدنا بطريق يوجب العلم و ماتـذكرونه أنتم صريحا فأنتم تنفردون بنقله و ماعدا ذلك من الأخبار التى نشارككم فيهافلها تأويلات معلومة. فقال لى و هوضجر يافلان لوفتحنا بـاب التأويلـات لجاز أن يتنـاول قولنـا لاإله إلا الله محمـد رسول الله دعنى من التأويلات الباردة التى تعلم القلوب والنفوس أنها غيرمرادة و أن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها فإنما أنا و أنت فى الدار و لاثالث لنا فيستحيى أحدنا من صاحبه أويخافه . فلما بلغنا إلى هذاالموضع دخل قوم ممن كان يخشاه فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث وخضنا فى غيره

سياسة على ومعاوية وإيراد كلام للجاحظ فى ذلك

فأما القول فى سـياسة معاويـة و أن شـنأة على ع ومبغضـيه زعموا أنها خير من سـياسة أمير المؤمنين فيكفينا فى الكلام على ذلك ماقاله شـيخنا أبوعثمان ونحن نحكيه بألفاظه . [صـفحه ٢٢٨] قـال أبوعثمان وربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل والتحصـيل والفهم والتمييز و هو من العامـة ويظن أنه من الخاصة يزعم أن معاوية كان أبعد غورا وأصح فكرا وأجود روية وأبعد غاية وأدق مسـلكا و ليس الأمر كـذلك وسأرمى إليك بجملـة تعرف بهاموضع غلطه والمكان ألذى دخل عليه الخطأ من قبله . كان على ع لايسـتعمل فى حربه إلا ماوافق الكتاب والسنة و كان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة كمايستعمل الكتاب والسنة ويستعمل جميع المكايـد حلالهـا وحرامهـا ويسير فى الحرب بسيرة ملك الهنـد إذالاـقى كسـرى وخاقـان إذالاـقى رتبيل و على ع يقول لاتبـدءوهم بالقتال حتى يبـدءوكم و لاتتبعوا مـدبرا و لاتجهزوا على جريح و لاتفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته فى ذى الكلاع و فى أبى الأعور السـلمى و فى عمرو بن العاص وحبيب بن مسـلمة و فى جميع الرؤساء كسـيرته فى الحاشـية والحشو والأتباع والسفلة وأصـحاب الحروب إن قدروا على البيات بيتوا و إن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا و إن أمكن ذلك فى طرفة عين لم يؤخروه إلى ساعـة و إن كـان الحرق أعجـل من الغرق لم يقتصـروا على الغرق و لم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق و إن أمكن الهـدم لم يتكلفوا الحصار و لم يـدعوا أن ينصـبوا المجانيق والعرادات والنقب والتسـريب والـدبابات والكمين و لم يـدعوا

دس السموم و لاالتضريب بين الناس بالكذب وطرح [صفحه ۲۲۹] الكتب فى عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور وإيحاش بعض من بعض وقتلهم بكل آلة وحيلة كيف وقع القتل وكيف دارت بهم الحال فمن اقتصر حفظك الله من التدبير على ما فى الكتاب والسنة كان قدمنع نفسه الطويل العريض من التدبير و ما لايتناهى من المكايد والكذب حفظك الله أكثر من الصدق والحرام أكثر عددا من الحلال و لوسمى إنسان إنسانا باسمه لكان قدصدق و ليس له اسم غيره و لو قال هوشيطان أوكلب أوحمار أوشاة أوبعير أو كل ماخطر على البال لكان كاذبا فى ذلك وكذلك الإيمان والكفر وكذلك الطاعة والمعصية وكذلك الحق والباطل وكذلك السقم والصحة وكذلك الخطأ والصواب فعلى ع كان ملجما بالورع عن جميع القول إلا ما هولله عز و جل رضا وممنوع اليدين من كل بطش إلا ما هولله رضا و لايرى الرضا إلافيما يرضاه الله ويحبه و لايرى الرضا إلافيما دل عليه الكتاب والسنة دون مايعول عليه أصحاب الدهاء والنكراء والمكايد والآراء فلما أبصرت العوام كثرة نوادر معاوية فى المكايد وكثرة غرائبه فى الخداع و مااتفق له وتهيأ على يده و لم يرو ذلك من على ع ظنوا بقصر عقولهم وقلة علومهم أن ذاك من رجحان عندمعاوية ونقصان عند على ع فانظر بعد هذاكله هل يعد له من الخدع إلارفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأى على ع وخالف أمره . فإن زعمت أنه قال ماأراد من الاختلاف فقد صدقت و ليس فى هذااختلفنا و لا عن غرارة أصحاب على ع وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم دفعنا وإنما كان قولنا فى التميز بينهما فى الدهاء والنكراء وصحة العقل والرأى والبزلاء على أنا لانصف الصالحين [صفحه ۲۳۰] بالدهاء والنكراء لانقول ما كان أنكر أبابكر بن أبى قحافة و ما كان أنكر عمر بن الخطاب و لا يقول أحد عنده شيء من الخير كان رسول الله ص أدهى العرب والعجم وأنكر قريش وأمكر كنانة لأن هذه الكلمة إنما وضعت فى مديح أصحاب الأرب و من يتعمق فى الرأى فى توكيد الدنيا وزبرجها وتشديد أركانها فأما أصحاب الآخرة الذين يرون الناس لايصلحون على تدبير البشر وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر فإن هؤلاء لايمدحون بالدهاء والنكراء و لم يمنعوا هذا إلاليعطوا أفضل منه أ لاترى أن المغيرة بن شعبة و كان أحد الدهاة حين رد على عمرو بن العاص قوله فى عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص أحد الدهاة أيضا أ أنت كنت تفعل أوتوهم عمر شيئا فيلقنه عنك مارأيت عمر مستخليا بأحد إلارحمته كائنا من كان ذلك الرجل كان عمر و الله أعقل من أن يخدع وأفضل من أن يخدع و لم يذكره بالدهاء والنكراء هذا مع عجبه بإضافة الناس ذلك إليه ولكنه قدعلم أنه إذاأطلق على الأئمة الألفاظ التى لاتصلح فى أهل الطهارة كان ذلك غيرمقبول منه فهذا هذا. وكذلك كان حكم قول معاوية للجميع أخرجوا إلينا قتلة عثمان ونحن لكم سلم فاجهد كل جهدك واستعن بمن شايعك إلى أن تتخلص إلى صواب رأى فى ذلك الوقت أضله على حتى تعلم أن معاوية خادع و أن عليا ع كان المخدوع . فإن قلت فقد بلغ ماأراد ونال ماأحب فهل رأيت كتابنا وضع إلا على أن عليا كان قدامتحن فى أصحابه و فى دهره بما لم يمتحن إمام قبله من الاختلاف والمنازعة والتشاح من الرئاسة والتسرع والعجلة وهل أتى ع إلا من هذاالمكان أ ولسنا قدفرغنا من هذاالأمر و قدعلمنا أن ثلاثة نفر تواطئوا على قتل ثلاثة نفر فانفرد ابن ملجم [صفحه ۲۳۱] بالتماس ذلك من على ع وانفرد البرك الصريمى بالتماس ذلك من عمرو بن العاص وانفرد الآخر و هوعمرو بن بكر التميمى بالتماس ذلك من معاوية فكان من الاتفاق أو من الامتحان أن كان على من بينهم هوالمقتول . و فى قياس مذهبكم أن تزعموا أن سلامة عمرو ومعاوية إنما كانت بحزم منهما و أن قتل على ع إنما هو من تضييع منه فإذ قدتبين لكم أنه من الابتلاء والامتحان فى نفسه بخلاف ألذى قدشاهدتموه فى عدوه فكل شيءسوى ذلك فإنما هوتبع للنفس . هذاآخر كلام أبى عثمان فى هذاالموضع و من تأمله بعين الإنصاف و لم يتبع الهوى علم صحة جميع ماذكره و أن أمير المؤمنين دفع من اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له ولزومه سنن الشريعة ومنهج العدل وخروج معاوية وعمرو بن العاص عن قاعدة الشرع فى استمالة الناس إليهم بالرغبة والرهبة إلى ما لم يدفع إليه غيره فلو لا أنه ع كان عارفا بوجوه السياسة وتدبير أمر السلطان والخلافة حاذقا فى ذلك لم يجتمع عليه إلاالقليل من الناس

وهم أهل الآخرة خاصة الذين لاميل لهم إلى الدنيا فلما وجدناه دبر الأمر حين وليه واجتمع عليه من العساكر والأتباع مايتجاوز العد والحصر وقاتل بهم أعداءه الذين حالهم حالهم فظفر فى أكثر حروبه ووقف الأمر بينه و بين معاوية على سواء و كان هوالأظهر والأقرب إلى الانتصار علمنا أنه من معرفة تدبير الدول والسلطان بمكان مكين [صفحه ٢٣٢]

ذكر أقوال من طعن فى سياسة على والرد عليها

و قدتعلق من طعن فى سياسته بأمور منها قولهم لو كان حين بويع له بالخلافة فى المدينة أقر معاوية على الشام إلى أن يستقر الأمر له ويتوطد ويبايعه معاوية و أهل الشام ثم يعزله بعد ذلك لكان قدكفى ماجرى بينهما من الحرب . والجواب أن قرائن الأحوال حينئذ قد كان علم أمير المؤمنين ع منها أن معاوية لايبايع له و إن أقره على ولاية الشام بل كان إقراره له على إمرة الشام أقوى لحال معاوية وآكد فى الامتناع من البيعة لأنه لايخلو صاحب السؤال إما أن يقول كان ينبغى أن يطالبه بالبيعة ويقرن إلى ذلك تقليده بالشام فيكون الأمران معا أويتقدم منه ع المطالبة بالبيعة أويتقدم منه إقراره على الشام وتتأخر المطالبة بالبيعة إلى وقت ثان فإن كان الأول فمن الممكن أن يقرأ معاوية على أهل الشام تقليده بالإمرة فيؤكد حاله عندهم ويقرر فى أنفسهم لو لا أنه أهل لذلك لمااعتمده على ع معه ثم يماطله بالبيعة ويحاجزه عنها و إن كان الثانى فهو ألذى فعله أمير المؤمنين ع و إن كان الثالث فهو كالقسم الأول بل هوآكد فيما يريده معاوية من الخلاف والعصيان وكيف يتوهم من يعرف السير أن معاوية كان يبايع له لوأقره على الشام وبينه وبينه ما لاتبرك الإبل عليه من الترات القديمة والأحقاد و هو ألذى قتل حنظلة أخاه والوليد خاله وعتبة جده فى مقام واحد ثم ماجرى بينهما فى أيام عثمان حتى أغلظ كل واحد منهما لصاحبه و حتى تهدده معاوية و قال له إنى شاخص إلى الشام وتارك عندك هذاالشيخ يعنى عثمان و الله لئن [صفحه ٢٣٣] انحصت منه شعرة واحدة لأضربنك بمائة ألف سيف و قدذكرنا شيئا مما جرى بينهما فيما تقدم . و أماقول ابن عباس له ع وله شهرا واعزله دهرا و ماأشار به المغيرة بن شعبة فإنهما ماتوهماه و ماغلب على ظنونهما وخطر بقلوبهما و على ع كان أعلم بحاله مع معاوية وأنها لاتقبل العلاج والتدبير وكيف يخطر ببال عارف بحال معاوية ونكره ودهائه و ما كان فى نفسه من على ع من قتل عثمان و من قبل قتل عثمان أنه يقبل إقرار على ع له على الشام وينخدع بذلك ويبايع ويعطى صفقة يمينه إن معاوية لأدهى من أن يكاد بذلك و إن عليا ع لأعرف بمعاوية ممن ظن أنه لواستماله بإقراره لبايع له و لم يكن عند على ع دواء لهذا المرض إلاالسيف لأن الحال إليه كانت تئول لامحالة فجعل الآخر أولا. و أناأذكر فى هذاالموضع خبرا رواه الزبير بن بكار فى الموفقيات ليعلم من يقف عليه أن معاوية لم يكن لينجذب إلى طاعة على ع أبدا و لا يعطيه البيعة و أن مضادته له ومباينته إياه كمضادة السواد للبياض لايجتمعان أبدا وكمباينة السلب للإيجاب فإنها مباينة لايمكن زوالها أصلا قال الزبير حدثنى محمد بن زكريا بن بسطام قال حدثنى محمد بن يعقوب بن أبى الليث قال حدثنى أحمد بن محمد بن الفضل بن يحيى المكى عن أبيه عن جده الفضل بن يحيى عن الحسن بن عبدالصمد عن قيس بن عرفجة قال لماحصر عثمان أبرد مروان بن الحكم بخبره بريدين أحدهما إلى الشام والآخر إلى اليمن و بهايومئذ يعلى بن منية و مع كل واحد منهما كتاب فيه أن بنى أمية فى الناس كالشامة [صفحه ٢٣٤] الحمراء و أن الناس قدقعدوا لهم برأس كل محجة و على كل طريق فجعلوهم مرمى العر والعضيهة ومقذف القشب والأفيكة و قدعلمتم أنها لم تأت عثمان إلاكرها تجبذ من ورائها وإنى خائف إن قتل أن تكون من بنى أمية بمناط الثريا إن لم نصر كرصيف الأساس المحكم ولئن وهى عمود البيت لتتداعين جدرانه و ألذى عيب عليه إطعامكما الشام واليمن و لاشك أنكما تابعاه إن لم تحذرا و أما أنافمساعف كل مستشير ومعين كل مستصرخ ومجيب كل داع أتوقع الفرصة فأثب وثبة الفهد أبصر غفلة مقتنصة و لو لامخافة

عطب البريـد وضـياع الكتب لشـرحت لكمـا من الأـمر مـا لاتفزعان معه إلى أن يحـدث الأمر فجـدا فى طلب ماأنتما ولياه و على ذلک فليكن العمل إن شاء الله وكتب فى آخره و مابلغت عثمان حتى تخطمت || رجال ودانت للصغار رجال لقـد رجعت عودا على بـدء كونها || و إن لم تجدا فالمصير زوال سـيبدى مكنون الضـمائر قولهم || ويظهر منهم بعدذاك فعال فإن تقعدا لاتطلبا ماورثتمـا || فليس لنا طول الحياة مقال نعيش بـدار الـذل فى كل بلـدة || وتظهر منا كأبـة وهزال . فلما ورد الكتاب على معاوية أذن فى الناس الصـلاة جامعـة ثم خطبهم خطبـة المستنصـر المستصـرخ . و فى أثناء ذلک ورد عليه قبل أن يكتب الجواب كتاب مروان بقتل عثمان وكانت نسـخته وهب الله لک أبا عبـدالرحمن قوة العزم وصـلاح النيـة و من عليک بمعرفـة الحق واتباعه فإنى كتبت إليک هذاالكتاب بعدقتل عثمان أمير المؤمنين [صـفحه ٢٣٥] و أى قتلـة قتل نحر كماينحر البعير الكبير عنـداليأس من أن ينوء بالحمل بعد أن نقبت صفحته بطى المراحل وسير الهجير وإنى معلمک من خبره غيرمقصر و لامطيل إن القوم استطالوا مدته واستقلوا ناصـره واستضـعفوه فى بـدنه وأملوا بقتله بسط أيديهم فيما كان قبضه عنهم واعصوصـبوا عليه فظل محاصـرا قدمنع من صلاة الجماعة ورد المظالم والنظر فى أمور الرعية حتى كأنه هوفاعل لمافعلوه فلما دام ذلک أشرف عليهم فخوفهم الله وناشدهم وذكرهم مواعيـد رسول الله ص له و قوله فيه فلم يجحـدوا فضـله و لم ينكروه ثم رموه بأباطيل اختلقوها ليجعلوا ذلک ذريعة إلى قتله فوعدهم التوبة مما كرهوا ووعدهم الرجعة إلى ماأحبوا فلم يقبلوا ذلک ونهبوا داره وانتهكوا حرمته ووثبوا عليه فسـفكوا دمه وانقشـعوا عنه انقشـاع سـحابة قـدأفرغت ماءهـا منكفئين قبـل ابن أبى طـالب انكفاء الجراد إذاأبصـر المرعى فأخلق ببنى أميـة أن يكونوا من هـذاالأمر بمجرى العيوق إن لم يثأره ثائر فإن شـئت أبا عبـدالرحمن أن تكونه فكنه و السـلام . فلما ورد الكتاب على معاويـة أمر بجمـع النـاس ثم خطبهم خطبـة أبكى منهـا العيـون وقلقـل القلوب حـتى علت الرنـة وارتفع الضـجيج وهـم النسـاء أن يتسـلحن ثم كتب إلى طلحـة بن عبيـد الله والزبير بن العوام وسـعيد بن العاص و عبد الله بن عامر بن كريز والوليد بن عقبة ويعلى بن منية و هواسم أمه وإنما اسم أبيه أمية.فكان كتاب طلحة أما بعدفإنک أقل قريش فى قريش وترا مع صـباحة وجهک وسماحة كفک وفصاحـة لسانک فأنت بإزاء من تقـدمک فى السابقـة وخامس المبشـرين بالجنـة و لک يوم أحـد وشرفه وفضـله فسارع رحمک الله إلى ماتقلدک الرعية من أمرها مما لايسعک التخلف عنه و لايرضى الله منک إلابالقيام به فقد أحكمت لک الأمر [صفحه ٢٣٦] قبلى والزبير فغير متقـدم عليک بفضل وأيكما قدم صاحبه فالمقدم الإمام والأمر من بعده للمقدم له سـلک الله بک قصـد المهتـدين ووهب لک رشد الموفقين و السـلام . وكتب إلى الزبير أما بعدفإنک الزبير بن العوام بن أبى خديجة و ابن عمة رسول الله ص وحواريه وسـلفه وصـهر أبى بكر وفـارس المسـلمين و أنت الباذل فى الله مهجته بمكـة عندصـيحة الشـيطان بعثک المنبعث فخرجت كالثعبان المنسلخ بالسيف المنصلت تخبط خبط الجمل الرديع كل ذلک قوة إيمان وصدق يقين وسبقت لک من رسول الله ص البشـارة بالجنـة وجعلـک عمر أحـد المسـتخلفين على الأمـة واعلم يـا أبـا عبـد الله أن الرعيـة أصـبحت كالغنم المتفرقـة لغيبة الراعى فسارع رحمک الله إلى حقن الدماء و لم الشـعث وجمع الكلمة وصـلاح ذات البين قبل تفاقم الأمر وانتشار الأمـة فقد أصـبح الناس على شـفا جرف هار عما قليل ينهار إن لم يرأب فشـمر لتأليف الأمة وابتغ إلى ربک سبيلا فقد أحكمت الأمر على من قبلى لک ولصاحبک على أن الأمر للمقدم ثم لصاحبه من بعده وجعلک الله من أئمة الهدى وبغاة الخير والتقوى و السـلام . وكتب إلى مروان بن الحكم أما بعدفقـد وصل إلى كتابک بشـرح خبر أمير المؤمنين و ماركبوه به ونالوه منه جهلا بالله وجراءة عليه واسـتخفافا بحقه ولأمانى لوح الشيطان بها فى شرک الباطل ليدهدههم فى أهويات الفتن ووهدات الضلال ولعمرى لقد صدق عليهم ظنه ولقد اقتنصـهم بأنشوطة فخه فعلى رسلک أبا عبد الله يمشى الهوينى و يكون أولا فإذاقرأت كتابى هذافكن كالفهد لايصـطاد إلاغيلة و لايتشازر إلا عن حيلة [صـفحه ٢٣٧] وكـالثعلب لايفلت إلاروغانا وأخف نفسک منهم إخفاء القنفذ رأسه عنـدلمس الأـكف وامتهن نفسک امتهان من ييأس القوم من نصـره وانتصاره وابحث عن أمورهم بحث الدجاجـة عن حب

الدخن عندفقاسـها وأنغل الحجاز فإنی منغل الشام و السـلام . وكتب إلی سعيد بن العاص أما بعد فإن كتاب مروان ورد علی من ساعـة وقعت النازلـة تقبل به البرد بسير المطی الوجيف تتوجس توجس الحيـة الذكر خوف ضـربة الفأس وقبضة الحاوی ومروان الرائـد لايكـذب أهله فعلام الإفكـاك يا ابن العاص ولات حين مناص ذلك أنكم يابنی أميـة عما قليل تسألون أدنی العيش من أبعد المسافة فينكركم من كان منكم عارفا ويصد عنكم من كان لكم واصـلا متفرقين فی الشعاب تتمنون لمظة المعاش إن أمير المؤمنين عتب عليه فيكم وقتـل فی سبيلكم ففيم القعود عن نصـرته والطلب بـدمه وأنتم بنو أبيه ذوو رحمه وأقربوه وطلاب ثأره أصبحتم متمسكين بشظف معاش زهيد عما قليل ينزع منكم عندالتخاذل وضعف القوی فإذاقرأت كتابی هذافدب دبيب البرء فی الجسـد النحيف وسر سير النجوم تحت الغمام واحشـد حشـد الـذرة فی الصـيف لانجحارها فی الصـرد فقـد أيدتكم بأسد وتيم وكتب فی الكتاب تالله لايـذهب شيخی باطلا || حتی أبير مالكا وكاهلا [صـفحه ٢٣٨] القـاتلين الملك الحلاحلا || خير معد حسبا ونائلا. وكتب إلی عبـد الله بن عـامر أمـا بعـد فإن المنبر مركب ذلول سـهل الرياضـة لاينازعك اللجام وهيهات ذلك إلا بعـدركوب أثباج المهالك واقتحام أمواج المعاطب وكأنی بكم يابنی أميـة شعارير كالأوارك تقودها الحـداة أوكرخم الخندمة تـذرق خوف العقاب فثب الآن رحمك الله قبل أن يستشری الفساد ونـدب السوط جديد والجرح لمايندمل و من قبل استضـراء الأسد والتقاء لحييه علی فريسـته وساور الأمر مساورة الذئب الأطلس كسيرة القطيع ونازل الرأی وانصب الشرك وارم عن تمكن وضع الهناء مواضع النقب واجعل أكبر عـدتك الحذر وأحد سـلاحك التحريض واغض عن العوراء وسامح اللجوج واسـتعطف الشارد ولاين الأشوس وقو عزم المريد وبادر العقبة وازحف زحف الحية واسبق قبل أن تسبق وقم قبل أن يقام لك واعلم أنك غيرمتروك و لامهمل فإنی لكم ناصح أمين و السـلام . وكتب فی أسـفل الكتاب [صفحه ٢٣٩] عليك سلام الله قيس بن عاصم || ورحمته ماشاء أن يترحما تحية من أهدی السـلام لأهله || إذاشط دارا عن مزارك سـلما فما كان قيس هلكه هلك واحد || ولكنـه بنيـان قـوم تهـدما . وكتـب إلی الوليـد بـن عقبـة يـا ابـن عقبـة كن الجيش وطيب العيش أطيب من سـفع سـموم الجـوزاء عنداعتـدال الشـمس فی أفقها إن عثمان أخاك أصبح بعيـدا منك فاطلب لنفسك ظلا تسـتكن به إنی أراك علی التراب رقودا وكيف بالرقاد بك لارقاد لك فلو قداسـتتب هـذاالأمر لمريده ألفيت كشـريد النعام يفزع من ظل الطائر و عن قليل تشـرب الرنق وتستشـعر الخوف أراك فسيح الصدر مسترخی اللبب رخو الحزام قليل الاكتراث و عن قليل يجتث أصلك و السلام . وكتب فی آخر الكتاب اخترت نومك أن هبت شآميـة || عنـدالهجير وشـربا بالعشـيات علی طلابك ثأرا من بنی حكم || هيهات من راقد طلاب ثارات . وكتب إلی يعلی بن أميـة حاطك الله بكلاءته وأيـدك بتوفيقه كتبت إليك صبيحـة ورد علی كتاب مروان بخبر قتل أمير المؤمنين وشـرح الحال فيه و إن أمير المؤمنين طال به العمر حتی نقصت قواه وثقلت نهضته وظهرت الرعشة فی أعضائه فلما رأی ذلك أقوام لم يكونوا عنـده موضـعا للإمامـة والأمانة وتقليد الولاية وثبوا به وألبوا عليه فكان أعظم مانقموا عليه وعابوه به ولايتك اليمن وطول مدتك عليها ثم ترامی بهم الأمر حالا بعدحال [صـفحه ٢٤٠] حتی ذبحوه ذبح النطيحة مبادرا بهاالفوت و هو مع ذلـك صـائم معـانق المصـحف يتلو كتـاب الله فيه عظمت مصـيبة الإسـلام بصـهر الرسول والإمام المقتول علی غيرجرم سفكوا دمه وانتهكوا حرمته و أنت تعلم أن بيعته فی أعناقنـا وطلب ثـأره لازم لنا فلاخير فی دنيا تعـدل بنا عن الحق و لا فی إمرة توردنا النار و إن الله جل ثناؤه لايرضـی بالتعـذير فی دينه فشـمر لـدخول العراق .فأما الشام فقد كفيتك أهلها وأحكمت أمرها و قـدكتبت إلی طلحـة بن عبيـد الله أن يلقـاك بمكـة حتی يجتمع رأيكمـا علی إظهـار الـدعوة والطلب بـدم عثمـان أمير المؤمنين المظلوم وكتبت إلی عبـد الله بن عامر يمهـد لكم العراق ويسـهل لكم حزونـة عقابها. واعلم يا ابن أمية أن القوم قاصدوك بادئ بـدء لاسـتنطاف مـاحوته يـداك من المـال فـاعلم ذلـك واعمـل علی حسبه إن شـاء الله . وكتب فی أسـفل الكتاب ظل الخليفة محصورا يناشـدهم || بـالله طورا وبـالقرآن أحيانا و قـدتألف أقوام علی حنق || عن غيرجرم وقالوا فيه بهتانا فقام يـذكرهم وعد

الرسول له || و قوله فيه إسرارا وإعلانا فقال كفوا فإنى معتب لكم || وصارف عنكم يعلى ومروانا فكذبوا ذاك منه ثم ساوره || من حاض لبته ظلما وعدوانا . قال فكتب إليه مروان جوابا عن كتابه أما بعدفقد وصل كتابك فنعم كتاب زعيم العشيرة وحامى الذمار وأخبرك [صفحه ٢٤١] أن القوم على سنن استقامة إلاشظايا شعب شتت بينهم مقولى على غيرمجابهة حسب ماتقدم من أمرك وإنما كان ذلك رسيس العصاة ورمى أخدر من أغصان الدوحة ولقد طويت أديمهم على نغل يحلم منه الجلد كذبت نفس الظان بنا ترك المظلمة وحب الهجوع إلاتهويمة الراكب العجل حتى تجذ جماجم وجماجم جذ العراجين المهدلة حين إيناعها و أنا على صحة نيتى وقوة عزيمتى وتحريك الرحم لى وغليان الدم منى غيرسابقك بقول و لامتقدمك بفعل و أنت ابن حرب طلاب الترات وآبى الضيم . وكتابى إليك و أناكحرباء السبسب فى الهجير ترقب عين الغزالة وكالسبع المفلت من الشرك يفرق من صوت نفسه منتظرا لماتصح به عزيمتك ويرد به أمرك فيكون العمل به والمحتذى عليه . وكتب فى أسفل الكتاب أيقتل عثمان وترقا دموعنا || ونرقد هذاالليل لانتفزع ونشرب برد الماء ريا و قدمضى || على ظمأ يتلو القرآن ويركع فإنى و من حج الملبون بيته || وطافوا به سعيا وذو العرش يسمع سأمنع نفسى كل ما فيه لذة || من العيش حتى لايرى فيه مطمع وأقتل بالمظلوم من كان ظالما || و ذلك حكم الله ما عنه مدفع . وكتب إليه عبد الله بن عامر [صفحه ٢٤٢] أما بعد فإن أمير المؤمنين كان لنا الجناح الحاضنة تأوى إليها فراخها تحتها فلما أقصده السهم صرنا كالنعام الشارد ولقد كنت مشترك الفكر ضال الفهم ألتمس دريئة أستجن بها من خطأ الحوادث حتى وقع إلى كتابك فانتبهت من غفلة طال فيهارقادى فأنا كواجد المحجة كان إلى جانبها حائرا وكأنى أعاين ماوصفت من تصرف الأحوال . و ألذى أخبرك به أن الناس فى هذاالأمر تسعة لك وواحد عليك و و الله للموت فى طلب العز أحسن من الحياة فى الذلة و أنت ابن حرب فتى الحروب ونضار بنى عبدشمس والهمم بك منوطة و أنت منهضها فإذانهضت فليس حين قعود و أنااليوم على خلاف ماكانت عليه عزيمتى من طلب العافية وحب السلامة قبل قرعك سويداء القلب بسوط الملام ولنعم مؤدب العشيرة أنت وإنا لنرجوك بعدعثمان وها أنامتوقع ما يكون منك لأمتثله وأعمل عليه إن شاء الله . وكتب فى أسفل الكتاب لاخير فى العيش فى ذل ومنقصة || والموت أحسن من ضيم و من عار إنا بنو عبدشمس معشر أنف || غر جحاجحة طلاب أوتار و الله لو كان ذميا مجاورنا || ليطلب العز لم نقعد عن الجار فكيف عثمان لم يدفن بمزبلة || على القمامة مطروحا بهاعار فازحف إلى فإنى زاحف لهم || بكل أبيض ماضى الحد بتار . وكتب إليه الوليد بن عقبة أما بعدفإنك أسد قريش عقلا وأحسنهم فهما وأصوبهم رأيا معك حسن [صفحه ٢٤٣] السياسة و أنت موضع الرئاسة تورد بمعرفة وتصدر عن منهل روى مناوئك كالمنقلب من العيوق يهوى به عاصف الشمال إلى لجة البحر.كتبت إلى تذكر طيب الخيش ولين العيش فمل ء بطنى على حرام إلاامسكة الرمق حتى أفرى أوداج قتلة عثمان فرى الأهب بشباة الشفار و أمااللين فهيهات إلاخيفة المرتقب يرتقب غفلة الطالب إنا على مداجاة و لماتبد صفحاتنا بعد و ليس دون الدم بالدم مزحل إن العار منقصة والضعف ذل أيخبط قتلة عثمان زهرة الحياة الدنيا ويسقون برد المعين و لمايمتطوا الخوف ويستحلسوا الحذر بعدمسافة الطرد وامتطاء العقبة الكئود فى الرحلة لادعيت لعقبة إن كان ذلك حتى أنصب لهم حربا تضع الحوامل لها أطفالها قدألوت بنا المسافة ووردنا حياض المنايا و قدعقلت نفسى على الموت عقل البعير واحتسبت أنى ثانى عثمان أوأقتل قاتله فعجل على ما يكون من رأيك فإنا منوطون بك متبعون عقبك و لم أحسب الحال تتراخى بك إلى هذه الغاية لماأخافه من إحكام القوم أمرهم وكتب فى أسفل الكتاب نومى على محرم إن لم أقم || بدم ابن أمى من بنى العلات قامت على إذاقعدت و لم أقم || بطلاب ذاك مناحة الأموات عذبت حياض الموت عندى بعد ما || كانت كريهة مورد النهلات . وكتب إليه يعلى بن أمية [صفحه ٢٤٤] إنا وأنتم يابنى أمية كالحجر لايبنى بغير مدر وكالسيف لايقطع إلابضاربه وصل كتابك بخبر القوم وحالهم فلئن كانوا ذبحوه ذبح النطيحة بودر بهاالموت لينحرن ذابحه نحر البدنة وافى بهاالهدى الأجل.

ثكلتنى من أناابنهـا إن نمت عن طلب وتر عثمان أويقال لم يبق فيه رمق إنى أرى العيش بعـدقتل عثمان مرا إن أدلـج القوم فإنى مدلج و أماقصدهم ماحوته يدى من المال فالمال أيسر مفقود إن دفعوا إلينا قتلة عثمان و إن أبوا ذلك أنفقنا المال على قتالهم و إن لنا ولهم لمعركة نتناحر فيهانحر القدار النقائع عن قليل تصل لحومها. وكتب فى أسفل الكتاب لمثل هذااليوم أوصى الناس || لاتعـط ضـيما أويخر الراس . قـال فكـل هؤلاء كتبوا إلى معاويـة يحرضونه ويغرونه ويحركونه ويهيجونه إلاسـعيد بن العاص فإنه كتب بخلاف ماكتب به هؤلاء كان كتابه أما بعد فإن الحزم فى التثبت والخطأ فى العجلة والشؤم فى البدار والسهم سهمك ما لم ينبض به الوتر ولن يرد الحالب فى الضـرع اللبن ذكرت حق أمير المؤمنين علينا وقرابتنا منه و أنه قتل فينا فخصلتان ذكرهما نقص والثالثـة تكـذب وأمرتنـا بطلب دم عثمان فأى جهـة تسـلك فيها أبا عبـدالرحمن ردمت الفجاج وأحكم الأمر عليك وولى زمامه غيرك فـدع منـاوأة من لو كـان افترش فراشه صـدر الأـمر لم يعـدل به غيره و قلت كأنـا عن قليل لانتعارف فهل نحن إلاحى من قريش إن لم تنلنا الولايـة لم يضق عنا الحق إنها خلافة منافية وبالله أقسم قسـما مبرورا لئن صـحت عزيمتك على [صـفحه ۲۴۵] ماورد به كتابك لألفينك بين الحالين طليحا وهبنى إخالك بعـدخوض الدماء تنال الظفر هل فى ذلك عوض من ركوب المأثم ونقص الـدين . أما أنا فلا على بنى أميـة و لالهم أجعل الحزم دارى والبيت سـجنى وأتوسـد الإسـلام وأستشـعر العافية فاعدل أبا عبدالرحمن زمام راحلتك إلى محجة الحق واسـتوهب العافية لأهلك واسـتعطف الناس على قومك وهيهات من قبولك ماأقول حتى يفجر مروان ينابيع الفتن تأجج فى البلاد وكأنى بكما عنـدملاقاة الأبطال تعتـذران بالقـدر ولبئس العاقبـة الندامـة وعما قليل يضح لك الأمر و السـلام . هذاآخر ماتكاتب القوم به و من وقف عليه علم أن الحال لم يكن حالا يقبل العلاج والتدبير و أنه لم يكن بـد من السـيف و أن عليا ع كان أعرف بما عمل . و قـدأجاب ابن سـنان فى كتابه ألـذى سـماه العادل عن هذاالسؤال فقال قـدعلم الناس كافـة أنه ع فى قصـة الشورى عرض عليه عبدالرحمن بن عوف أن يعقد له الخلافة على أن يعمل بكتاب الله وسـنة رسوله وسيرة أبى بكر وعمر فلم يسـتجب إلى ذلك و قال بل على أن أعمل بكتاب الله وسـنة رسوله وأجتهد رأيى. و قداختلف النـاس فى ذلك فقـالت الشيعة إنمـا لم يـدخل تحت الشـرط لأـنه لم يسـتصوب سـيرتهما و قـال غيرهـم إنمـا امتنع لأـنه مجتهد والمجتهـد لايقلـد المجتهـد فأيهما أقرب على القولين جميعا إثما وأيسـر وزرا أن يقر معاوية على ولاية الشام مدة إلى أن تتوطد خلافته مع ماظهر من جور معاويـة وعداوته ومد يده إلى الأموال والدماء أيام سـلطانه أو أن يعاهد عبدالرحمن على العمل بسـيرة أبى بكر وعمر ثم يخـالف بعض أحكامهـا إذااسـتقر الأـمر له ووقع العقـد و لاريب أن أحـدا لايخفى عليه فضل ما بين [صـفحه ۲۴۶] الموضـعين وفضـل مـا بين الإـثمين فمن لاـيجيب إلى الخلافـة والاستيلاء على جميع بلاد الإسـلام إذاتسـمح بلفظـة يتلفظ بهايجوز أن يتأولها أويورى فيهاكيف يسـتجيب إلى إقرار الجائر وتقويـة يـده مع تمكينه فى سـلطانه لتحصل له طاعـة أهل الشام واسـتضافة طرف من الأطراف وكأن معنى قول القائل هلا أقر معاوية على الشام هوهلا كان ع متهاونا بأمر الدين راغبا فى تشديد أمر الـدنيا. والجواب عن هـذاظاهر وجهل السائل عنه واضـح . واعلم أن حقيقـة الجواب هو أن عليا ع كان لايرى مخالفة الشـرع لأجل السياسة سواء أكانت تلك السياسة دينية أودنيوية أماالدنيوية فنحو أن يتوهم الإمام فى إنسان أنه يروم فساد خلافته من غير أن يثبت ذلك عليه يقينا فإن عليا ع لم يكن يستحل قتله و لاحبسه و لايعمل بالتوهم وبالقول غيرالمحقق و أماالدينية فنحو ضرب المتهم بالسـرقة فإنه أيضا لم يكن يعمل به بل يقول إن يثبت عليه بإقرار أوبينة أقمت عليه الحد و إلا لم أعترضه و غير على ع قد كان منهم من يرى خلاف هذاالرأى ومذهب مالك بن أنس العمل على المصالح المرسـلة و أنه يجوز للإمام أن يقتل ثلث الأمة لإصـلاح الثلثين ومذهب أكثر الناس أنه يجوز العمل بالرأى وبغالب الظن و إذا كان مذهبه ع ماقلناه و كان معاوية عنده فاسـقا و قدسـبق عنده مقدمة أخرى يقينية هى أن استعمال الفاسق لايجوز و لم يكن ممن يرى تمهيد قاعدة الخلافة بمخالفة الشريعة فقد تعين مجاهرته بالعزل و إن أفضـى ذلك إلى الحرب .فهذا هوالجواب الحقيقى و لو لم يكن هذا هوالجواب الحقيقى لكان لقائل

أن [صفحه ۲۴۷] يقول لابن سنان القول فى عدوله عن الدخول تحت شرط عبدالرحمن كالقول فى عدوله عن إقرار معاوية على الشام فإن من ذهب إلى تغليطه فى أحد الموضعين له أن يذهب إلى تغليطه فى الموضع الآخر. قال ابن سنان وجواب آخر و هو أنا قدعلمنا أن أحد الأحداث التى نقمت على عثمان وأفضت بالمسلمين إلى حصاره وقتله تولية معاوية الشام مع ماظهر من جوره وعدوانه ومخالفة أحكام الدين فى سلطانه و قدخوطب عثمان فى ذلك فاعتذر بأن عمر ولاه قبله فلم يقبل المسلمون عذره و لاقنعوا منه إلابعزله حتى أفضى الأمر إلى ماأفضى و كان على ع من أكثر المسلمين لذلك كراهية وأعرفهم بما فيه من الفساد فى الدين .فلو أنه ع افتتح عقد الخلافة له بتوليته معاوية الشام وإقراره فيه أ ليس كان يبتدئ فى أول أمره بما انتهى إليه عثمان فى آخره فأفضى إلى خلعه وقتله و لو كان ذلك فى حكم الشريعة سائغا والوزر فيه مأمونا لكان غلطا قبيحا فى السياسة وسببا قويا للعصيان والمخالفة و لم يكن يمكنه ع أن يقول للمسلمين إن حقيقة رأيى عزل معاوية عنداستقرار الأمر وطاعة الجمهور لى و إن قصدى بإقراره على الولاية مخادعته وتعجيل طاعته ومبايعة الأجناد الذين قبله ثم أستأنف بعد ذلك فيه مايستحقه من العزل وأعمل فيه بموجب العدل لأن إظهاره ع لهذا العزم كان يتصل خبره بمعاوية فيفسد التدبير ألذى شرع فيه وينتقض الرأى ألذى عول عليه . ومنها قولهم إنه ترك طلحة والزبير حتى خرجا إلى مكة وأذن لهما فى العمرة وذهب عنه الرأى فى ارتباطهما قبله ومنعهما من البعد عنه . [صفحه ۲۴۸] والجواب عنه أنه قداختلف الرواة فى خروج طلحة والزبير من المدينة هل كان بإذن على ع أم لافمن قال إنهما خرجا عن غيرإذنه و لاعلمه فسؤاله ساقط و من قال إنهما استأذناه فى العمرة وأذن لهما فقد روى أنه قال و الله ماتريدان العمرة وإنما تريدان الغدرة وخوفهما بالله من التسرع إلى الفتنة و ما كان يجوز له فى الشرع أن يحبسهما و لا فى السياسة أما فى الشرع فلأنه محظور أن يعاقب الإنسان بما لم يفعل و على مايظن منه ويجوز ألا يقع و أما فى السياسة فلأنه لوأظهر التهمة لهما وهما من أفاضل السابقين وجلة المهاجرين لكان فى ذلك من التنفير عنه ما لايخفى و من الطعن عليه ما هومعلوم بأن يقال إنه ليس من إمامته على ثقة فلذلك يتهم الرؤساء و لايأمن الفضلاء لاسيما وطلحة كان أول من بايعه والزبير لم يزل مشتهرا بنصرته فلو حبسهما وأظهر الشك فيهما لم يسكن أحد إلى جهته ولنفر الناس كلهم عن طاعته . فإن قالوا فهلا استصلحهما وولاهما وارتبطهما بالإجابة إلى أغراضهما.قيل لهم فحوى هذاأنكم تطلبون من أمير المؤمنين ع أن يكون فى الإمامة مغلوبا على رأيه مفتاتا عليه فى تدبيره فيقر معاوية على ولاية الشام غصبا ويولى طلحة والزبير مصر والعراق كرها و هذا شىء مادخل تحته أحد ممن قبله و لارضوا أن يكون لهم من الإمامة الاسم و من الخلافة اللفظ ولقد حورب عثمان وحصر على أن يعزل بعض ولاته فلم يجب إلى ذلك فكيف تسومون عليا ع أن يفتتح أمره بهذه الدنية ويرضى بالدخول تحت هذه الخطة و هذاظاهر. ومنها تعلقهم بتولية أمير المؤمنين ع محمد بن أبى بكر مصر وعزله قيس بن سعد عنها حتى قتل محمد بها واستولى معاوية عليها. [صفحه ۲۴۹] والجواب أنه ليس يمكن أن يقال إن محمدا رحمه الله لم يكن بأهل لولاية مصر لأنه كان شجاعا زاهدا فاضلا صحيح العقل والرأى و كان مع ذلك من المخلصين فى محبة أمير المؤمنين ع والمجتهدين فى طاعته وممن لايتهم عليه و لايرتاب بنصحه و هوربيبه وخريجه ويجرى مجرى أحد أولاده ع لتربيته له وإشفاقه عليه . ثم كان المصريون على غاية المحبة له والإيثار لولايته و لماحاصروا عثمان وطالبوه بعزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عنهم اقترحوا تأمير محمد بن أبى بكر عليهم فكتب له عثمان بالعهد على مصر وصار مع المصريين حتى تعقبه كتاب عثمان إلى عبد الله بن سعد فى أمره وأمر المصريين بما هومعروف فعادوا جميعا و كان من قتل عثمان ما كان فلم يكن ظاهر الرأى ووجه التدبير إلاتولية محمد بن أبى بكر على مصر لماظهر من ميل المصريين إليه وإيثارهم له واستحقاقه لذلك بتكامل خصال الفضل فيه فكان الظن قويا باتفاق الرعية على طاعته وانقيادهم إلى نصرته واجتماعهم على محبته فكان من فساد الأمر واضطرابه عليه حتى كان ما كان و ليس ذلك يعيب على أمير المؤمنين ع فإن الأمور إنما يعتمدها الإمام على حسب مايظن فيها من المصلحة و لايعلم الغيب إلا الله

تعالی . و قدولی رسول الله ص فی مؤتة جعفرا فقتل وولی زیدا فقتل وولی عبد الله بن رواحة فقتل وهزم الجیش وعاد من عاد منهم إلی المدینة بأسوإ حال فهل لأحد أن یعیب رسول الله ص بهذا ویطعن فی تدبیره . ومنها قولهم إن جماعة من أصحابه ع فارقوه وصاروا إلی معاویة کعقیل بن أبی طالب أخیه والنجاشی شاعره ورقبة بن مصقلة أحد الوجوه من أصحابه و لو لا أنه [صفحه ۲۵۰] کان یوحشهم و لایستمیلهم لم یفارقوه ویصیروا إلی عدوه و هذایخالف حکم السیاسة و مایجب من تألف قلوب الأصحاب والرعیة. والجواب أناأولا لاننکر أن یکون کل من رغب فی حطام الدنیا وزخرفها وأحب العاجل من ملاذها وزینتها یمیل إلی معاویة ألذی یبذل منها کل مطلوب ویسمح بکل مأمول ویطعم خراج مصر عمرو بن العاص ویضمن لذی الکلاع وحبیب بن مسلمة مایوفی علی الرجاء والاقتراح و علی ع لایعدل فیما هوأمین علیه من مال المسلمین عن قضیة الشریعة وحکم الملة حتی یقول خالد بن معمر السدوسی لعلباء بن الهیثم و هویحمله علی مفارقة علی ع واللحاق بمعاویة اتق الله یاعلباء فی عشیرتک وانظر لنفسک ولرحمک ماذا تؤمل عند رجل أردته علی أن یزید فی عطاء الحسن و الحسین دریهمات یسیرة ریثما یرأبان بهاظلف عیشهما فأبی وغضب فلم یفعل .فأما عقیل فالصحیح ألذی اجتمع ثقات الرواة علیه أنه لم یجتمع مع معاویة إلا بعدوفاة أمیر المؤمنین ع ولکنه لازم المدینة و لم یحضر حرب الجمل وصفین و کان ذلک بإذن أمیر المؤمنین ع و قدکتب عقیل إلیه بعدالحکمین یستأذنه فی القدوم علیه الکوفة بولده وبقیة أهله فأمره ع بالمقام و قدروی فی خبر مشهور أن معاویة وبخ سعید بن العاص علی تأخیره عنه فی صفین فقال سعید لودعوتنی لوجدتنی قریبا ولکنی جلست مجلس عقیل وغیره من بنی هاشم و لوأوعبنا لأوعبوا. و أماالنجاشی فإنه شرب الخمر فی شهر رمضان فأقام علی ع الحد علیه [صفحه ۲۵۱] وزاده عشرین جلدة فقال النجاشی ما هذه العلاوة قال لجرأتک علی الله فی شهر رمضان فهرب النجاشی إلی معاویة. و أمارقبة بن مصقلة فإنه ابتاع سبی بنی ناجیة وأعتقهم وألط بالمال وهرب إلی معاویة فقال ع فعل فعل السادة وأبق إباق العبید و لیس تعطیل الحدود وإباحة حکم الدین وإضاعة مال المسلمین من التألف والسیاسة لمن یرید وجه الله تعالی والتلزم بالدین و لایظن بعلی ع التساهل والتسامح فی صغیر من ذلک و لاکبیر. ومنها شبهة الخوارج وهی التحکیم و قدیحتج به علی أنه اعتمد ما لایجوز فی الشرع و قدیحتج به علی أنه اعتمد ما لیس بصواب فی تدبیر الأمر أماالأول فقولهم إنه حکم الرجال فی دین الله و الله سبحانه یقول إِنِ الحُکمُ إِلّا لِلّهِ و أماالثانی فقولهم إنه کان قدلاح له النصر وظهرت أمارات الظفر بمعاویة و لم یبق إلا أن یأخذ برقبته فترک التصمیم علی ذلک وأخلد إلی التحکیم وربما قالوا إن تحکیمه یدل علی شک منه فی أمره وربما قالوا کیف رضی بحکومة أبی موسی و هوفاسق عنده بتثبیطه أهل الکوفة عنه فی حرب البصرة وکیف رضی بتحکیم عمرو بن العاص و هوأفسق الفاسقین . والجواب أماتحکیم الرجال فی الدین فلیس بمحظور فقد أمر الله تعالی بالتحکیم بین المرأة وزوجها فقال وَ إِن خِفتُم شِقاقَ بَینِهِما فَابعَثُوا حَکَماً مِن أَهلِهِ وَ حَکَماً -قرآن-۶۴۵-۶۶۹-قرآن-۱۱۲۵-۱۱۹۶ وزاده عشرین جلدة فقال النجاشی ما هذه العلاوة قال لجرأتک علی الله فی شهر رمضان فهرب النجاشی إلی معاویة. و أمارقبة بن مصقلة فإنه ابتاع سبی بنی ناجیة وأعتقهم وألط بالمال وهرب إلی معاویة فقال ع فعل فعل السادة وأبق إباق العبید و لیس تعطیل الحدود وإباحة حکم الدین وإضاعة مال المسلمین من التألف والسیاسة لمن یرید وجه الله تعالی والتلزم بالدین و لایظن بعلی ع التساهل والتسامح فی صغیر من ذلک و لاکبیر. ومنها شبهة الخوارج وهی التحکیم و قدیحتج به علی أنه اعتمد ما لایجوز فی الشرع و قدیحتج به علی أنه اعتمد ما لیس بصواب فی تدبیر الأمر أماالأول فقولهم إنه حکم الرجال فی دین الله و الله سبحانه یقول إِنِ الحُکمُ إِلّا لِلّهِ و أماالثانی فقولهم إنه کان قدلاح له النصر وظهرت أمارات الظفر بمعاویة و لم یبق إلا أن یأخذ برقبته فترک التصمیم علی ذلک وأخلد إلی التحکیم وربما قالوا إن تحکیمه یدل علی شک منه فی أمره وربما قالوا کیف رضی بحکومة أبی موسی و هوفاسق عنده بتثبیطه أهل الکوفة عنه فی حرب البصرة وکیف رضی بتحکیم عمرو بن العاص و هوأفسق الفاسقین . والجواب أماتحکیم الرجال فی الدین

فليس بمحظور فقد أمر الله تعالى بالتحكيم بين المرأة وزوجها فقال وَ إِن خِفتُم شِقاقَ بَينِهِما فَابعَثُوا حَكَماً مِن أَهلِهِ وَ حَكَماً مِن أَهلِها -قرآن-١-١٢ و قال فى جزاء الصيديَحكُمُ بِهِ ذَوا عَدلٍ مِنكُم. و أماقولهم كيف ترك التصميم بعدظهور أمارات النصر فقد تواتر الخبر بأن أصحابه لمارفع أهل الشام المصاحف عندظهور أهل العراق عليهم ومشارفة هلاك معاوية وأصحابه انخدعوا برفع المصاحف وقالوا لايحل لنا التصميم على حربهم و لايجوز لنا إلاوضع السلاح ورفع الحرب والرجوع إلى المصاحف وحكمها فقال لهم إنها خديعة وإنها كلمة حق يراد بهاباطل وأمرهم بالصبر و لوساعة واحدة فأبوا ذلك وقالوا أرسل إلى الأشتر فليعد فأرسل إليه فقال كيف أعود و قدلاحت أمارات النصر والظفر فقالوا له ابعث إليه مرة أخرى فبعث إليه فأعاد الجواب بنحو قوله الأول وسأل أن يمهل ساعة من النهار فقالوا إن بينك وبينه وصية ألا يقبل فإن لم تبعث إليه من يعيده و إلاقتلناك بسيوفنا كماقتلنا عثمان أوقبضنا عليك وأسلمناك إلى معاوية فعاد الرسول إلى الأشتر فقال أتحب أن تظفر أنت هاهنا وتكسر جنود الشام ويقتل أمير المؤمنين ع فى مضربه قال أ و قدفعلوها لابارك الله فيهم أ بعد أن أخذت بمخنق معاوية ورأى الموت عيانا أرجع ثم عاد فشتم أهل العراق وسبهم و قال لهم وقالوا له ما هومنقول مشهور و قدذكرنا الكثير منه فيما تقدم . فإذاكانت الحال وقعت هكذا فأى تقصير وقع من أمير المؤمنين ع وهل ينسب المغلوب على أمره المقهور على رأيه إلى تقصير أوفساد تدبير. وبهذا نجيب عن قولهم إن التحكيم يدل على الشك فى أمره لأنه إنما يدل على ذلك لوابتدأ هو به فأما إذادعاه إلى ذلك غيره واستجاب إليه أصحابه فمنعهم وأمرهم -قرآن-٢٢-٥١ [صفحه ٢٥٣] أن يمروا على وتيرتهم وشأنهم فلم يفعلوا و بين لهم أنها مكيدة فلم يتبينوا وخاف أن يقتل أويسلم إلى عدوه فإنه لايدل تحكيمه على شكه بل يدل على أنه قددفع بذلك ضررا عظيما عن نفسه ورجا أن يحكم الحكمان بالكتاب فتزول الشبهة عمن طلب التحكيم من أصحابه . و أماتحكيمه عمرا مع ظهور فسقه فإنه لم يرض به وإنما رضى به مخالفه وكرهه هوفلم يقبل منه و قدقيل إنه أجاب ابن عباس رحمه الله عن هذا فقال للخوارج أ ليس قد قال الله تعالى فَابعَثُوا حَكَماً مِن أَهلِهِ وَ حَكَماً مِن أَهلِها أرأيتم لوكانت المرأة يهودية فبعثت حكما من أهلها أكنا نسخط ذلك . و أما أبو موسى فقد كرهه أمير المؤمنين ع وأراد أن يجعل بدله عبد الله بن عباس فقال أصحابه لا يكون الحكمان من مضر فقال فالأشتر فقالوا وهل أضرم النار إلاالأشتر وهل جر ماترى إلاحكومة الأشتر ولكن أبا موسى فأباه فلم يقبلوا منه وأثنوا عليه وقالوا لانرضى إلا به فحكمه على مضض . ومنها قولهم ترك الرأى لمادعاه العباس وقت وفاة الرسول ص إلى البيعة و قال له امدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله ص بايع ابن عمه فلايختلف عليك اثنان فلم يفعل و قال وهل يطمع فيهاطامع غيرى فما راعه إلاالضوضاء واللغط فى باب الدار يقولون قدبويع أبوبكر بن أبى قحافة.الجواب أن صواب الرأى وفساده فيما يرجع إلى مثل هذه الواقعة يستندان إلى -قرآن-٤٥٩-٥١١ [صفحه ٢٥٤] ما قد كان غلب على الظن و لاريب أنه ع لم يغلب على ظنه أن أحدا يستأثر عليه بالخلافة لأحوال قد كان مهدها له رسول الله ص و ماتوهم إلا أنه ينتظر ويرتقب خروجه من البيت وحضوره ولعله قد كان يخطر له أنه إما أن يكون هوالخليفة أويشاور فى الخلافة إلى من يفوض و ما كان يتوهم أنه يجرى الأمر على ماجرى من الفلتة عندثوران تلك الفتنة و لايشاور هو و لاالعباس و لاأحد من بنى هاشم وإنما كان يكون تدبيره فاسدا لو كان يحاذر خروج الأمر عنه ويتوهم ذلك ويغلب على ظنه إن لم يبادر تحصيله بالبيعة المعجلة فى الدار من وراء الأبواب والأغلاق و إلافاته ثم يهمل ذلك و لايفعله و قدصرح هوبما عنده فقال وهل يطمع فيهاطامع غيرى ثم قال إنى أكره البيعة هاهنا وأحب أن أصحر بهافبين أنه يستهجن أن يبايع سرا خلف الحجب والجدران ويحب أن يبايع جهرة بمحضر من الناس كما قال حيث طلبوا منه بعدقتل عثمان أن يبايعهم فى داره فقال لابل فى المسجد و لايعلم و لاخطر له ما فى ضمير الأيام و مايحدث الوقت من وقوع ما لايتوهم العقلاء وأرباب الأفكار وقوعه . ومنها قولهم إنه قصر فى طلب الخلافة عندبيعة أبى بكر و قد كان اجتمع له من بنى هاشم وبنى أمية وغيرهم من أفناء الناس من يتمكن بهم من المنازعة وطلب الخلافة فقصر عن ذلك لاجبنا لأنه

كان أشجع البشر ولكن قصور تدبير وضعف رأى ولهذا أكفرته الكاملية وأكفرت الصحابة فقالوا كفرت الصحابة لتركهم بيعته وكفر هوبترك المنازعة لهم . [صفحه ۲۵۵] والجواب أما على مذهبنا فإنه لم يكن ع منصوصا عليه وإنما كان يدعيها بالأفضلية والقرابة والسابقة والجهاد ونحو ذلك من الخصائص فلما وقعت بيعة أبى بكر رأى هو على ع أن الأصلح للإسلام ترك النزاع و أنه يخاف من النزاع حدوث فتنة تحل معاقد الملة وتزعزع أركانها فحضر وبايع طوعا ووجب علينا بعدمبايعته ورضاه أن نرضى بمن رضى هو ع ونطيع من أطاعه لأنه القدوة وأفضل من تركه ص بعده . و أماالإمامية فلهم عن ذلك جواب آخر معروف من قواعدهم . ومنها قولهم إنه قصر فى الرأى حيث دخل فى الشورى لأنه جعل نفسه بدخوله فيهانظيرا لعثمان وغيره من الخمسة و قد كان الله تعالى رفعه عنهم و على من كان قبلهم فوهن بذلك قدره وطأطأ من جلالته أ لاترى أنه يستهجن ويقبح من أبى حنيفة والشافعى رحمهما الله أن يجعلا أنفسهما نظراء لبعض من بدأ طرفا من الفقه ويستهجن ويقبح من سيبويه والأخفش أن يوازيا أنفسهما بمن يعلم أبوابا يسيرة من النحو.الجواب أنه ع و إن كان أفضل من أصحاب الشورى فإنه كان يظن أن ولى الأمر أحدهم بعدعمر لايسير سيرة صالحة و أن تضطرب بعض أمور الإسلام و قد كان يثنى على سيرة عمر ويحمدها فواجب عليه بمقتضى ظنه أن يدخل معهم فيما أدخله عمر فيه توقعا لأن يفضى الأمر إليه فيعمل بالكتاب والسنة ويحيى معالم رسول الله ص و ليس اعتماد مايقتضيه الشرع مما يوجب نقصا فى الرأى فلاتدبير أصح و لاأسد من تدبير الشرع . [صفحه ۲۵۶] ومنها قولهم إنه ماأصاب حيث أقام بالمدينة وعثمان محصور و قد كان يجب فى الرأى أن يخرج عنها بحيث لاتنوط بنو أمية به دم عثمان فإنه لو كان بعيدا عن المدينة لكان من قذفهم إياه بذلك أبعد و عنه أنزه . والجواب أنه لم يكن يخطر له مع براءته من دم عثمان أن أهل الفساد من بنى أمية يرمونه بأمره والغيب لايعلمه إلا الله و كان يرى مقامه بالمدينة أدعى إلى انتصار عثمان على المحاصرين له فقد حضر هوبنفسه مرارا وطرد الناس عنه وأنفذ إليه ولديه و ابن أخيه عبد الله و لو لاحضور على ع بالمدينة لقتل عثمان قبل أن يقتل بمدة و ماتراخى أمره وتأخر قتله إلالمراقبة الناس له حيث شاهدوه ينتصر له ويحامى عنه . ومنها قولهم كان يجب فى مقتضى الرأى حيث قتل عثمان أن يغلق بابه ويمنع الناس من الدخول إليه فإن العرب كانت تضطرب اضطرابة ثم تئول إليه لأنه تعين للأمر بحكم الحال الحاضرة فلم يفعل وفتح بابه وترشح للأمر وبسط له يده فلذلك انتقضت عليه العرب من أقطارها. والجواب أنه ع كان يرى أن القيام بالأمر يومئذ فرض عليه لايجوز له الإخلال به لعدم من يصلح فى ظنه للخلافة فما كان يجوز له أن يغلق بابه ويمتنع و ما ألذى كان يومئذ أن يبايع الناس طلحة أوالزبير أوغيرهما ممن لايراه أهلا للأمر فقد كان عبد الله بن الزبير يومئذ يزعم أن عثمان عهد إليه بالخلافة و هومحصور و كان مروان يطمع أن ينحاز إلى طرف من الأطراف فيخطب لنفسه بالخلافة و له من بنى أمية شيعة وأصحاب بشبهة أنه ابن عم عثمان و أنه كان يدبر أمر الخلافة على عهده و كان معاوية يرجو أن ينال الخلافة لأنه من بنى أمية و ابن عم عثمان و أميرالشام عشرين سنة و قد كان قوم من بنى أمية يتعصبون لأولاد عثمان المقتول ويرومون إعادة الخلافة فيهم [صفحه ۲۵۷] و ما كان يسوغ لعلى ع فى الدين إذاطلبه المسلمون للخلافة أن يمتنع عنها ويعلم أنها ستصير إذاامتنع إلى هؤلاء فلذلك فتح بابه وامتنع امتناع من يحاول أن يعلم ما فى قلوب الناس هل لرغبتهم إليه حقيقة أم لا فلما رأى منهم التصميم وافق لوجوب الموافقة عليه و قد قال فى خطبته لو لاحضور الحاضر ووجوب الحجة بوجود الناصر ... لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۱۲۰ و هذاتصريح بما قلناه . ومنها قولهم هلا إذ ملك شريعة الفرات على معاوية بعد أن كان معاوية ملكها عليه ومنعه و أهل العراق منها منع معاوية و أهل الشام منها فكان يأخذهم قبضا بالأيدى فإنه لم يصبر على منعهم عن الماء بل فسح لهم فى الورود و هذايخالف مايقتضيه تدبير الحرب .الجواب أنه ع لم يكن يستحل مااستحله معاوية من تعذيب البشر بالعطش فإن الله تعالى ماأمر فى أحد من العصاة الذين أباح دماءهم بذلك و لافسح فيه فى نحو القصاص أوحد الزانى المحصن أوقتل قاطع الطريق أوقتال البغاة والخوارج و ما كان أمير

المؤمنين ممن يترک حکم الله وشريعته ويعتمد ما هومحرم فيهالأجل الغلبة والقهر والظفر بالعدو ولذلک لم يکن يستحل البيات و لاالغدر و لاالنکث وأيضا فمن الجائز أن يکون ع غلب على ظنه أن أهل الشام إن منعوا من الماء کان ذلک أدعى لهم إلى الحملات الشديدة المنکرة على عسکره و أن يضعوا فيهم السيوف فيأتوا عليهم ويکسروهم بشدة حنقهم وقوة داعيهم إلى ورود الماء فإن ذلک من أشد الدواعي إلى أن يستميت القوم ويستقتلوا و من ألذى يقف بين يدى جيش عظيم عرمرم قداشتد بهم العطش وهم يرون الماء کبطون الحيات لايحول بينهم وبينه [صفحه ٢٥٨] إلاقوم مثلهم بل أقل منهم عدة وأضعف عدة ولذلک لماحال معاوية بين أهل العراق و بين الماء و قال لأمنعنهم وروده فأقتلهم بشفار الظمأ قال له عمرو بن العاص خل بين القوم و بين الماء فليسوا ممن يرى الماء ويصبر عنه فقال لا- و الله لا-أخلى لهم عنه فسفه رأيه و قال أتظن أن ابن أبى طالب و أهل العراق يموتون بإزائک عطشا والماء بمقعد الأزر وسيوفهم فى أيديهم فلج معاوية و قال لاأسقيهم قطرة کماقتلوا عثمان عطشا فلما مس أهل العراق العطش أشار على ع إلى الأشعث أن احمل و إلى الأشتر أن احمل فحملا بمن معهما فضربا أهل الشام ضربا أشاب الوليد وفر معاوية و من رأى رأيه وتابعه على قوله عن الماء کماتفر الغنم خالطتها السباع و کان قصارى أمره ومنتهى همته أن يحفظ رأسه وينجو بنفسه وملک أهل العراق عليهم الماء ودفعوهم عنه فصاروا فى البر القفر وصار على ع وأصحابه على شريعة الفرات مالکين لها فما ألذى کان يؤمن عليا ع لوأعطش القوم أن يذوق هو وأصحابه منهم مثل ماأذاقهم وهل بعدالموت بالعطش أمر يخافه الإنسان وهل يبقى له ملجأ إلاالسيف يحمل به فيضرب خصمه إلى أن يقتل أحدهما. ومنها قولهم أخطأ حيث محا اسمه بالخلافة من صحيفة الحکومة فإن ذلک مما وهنه عند أهل العراق وقوى الشبهة فى نفوس أهل الشام . والجواب أنه ع احتذى فى ذلک لمادعى إليه واقترحه الخصم عليه فعل رسول الله ص فى صحيفة الحديبية حيث محا اسمه من النبوة لما قال له سهيل بن عمرو لوعلمنا أنک رسول الله لماحاربناک و لامنعناک عن البيت و قد قال له ص و هويومئذ کاتب تلک الصحيفة ستدعى إلى مثلها فتجيب و هذا من أعلام نبوته ص و من دلائل صدقه ومثله جرى له حذو القذة بالقذة. [صفحه ٢٥٩] ومنها قولهم إنه کان غيرمصيب فى ترک الاحتراس فقد کان يعلم کثرة أعدائه و لم يکن يحترس منهم و کان يخرج ليلا فى قميص ورداء وحده حتى کمن له ابن ملجم فى المسجد فقتله و لو کان احترس وحفظ نفسه و لم يخرج إلا فى جماعة و لوخرج ليلا کانت معه أضواء وشرطة لم يوصل إليه . والجواب أن هذا إن کان قادحا فى السياسة والتدبير فليکن قادحا فى تدبير عمر وسياسته و هو عند الناس فى الطبقة العليا فى السياسة وصحة التدبير وليکن قادحا فى تدبير معاوية فقد ضربه الخارجى بالسيف ليلة ضرب أمير المؤمنين ع فجرحه و لم يأت على نفسه ومعاوية عندهؤلاء سديد التدبير وليکن قادحا فى صحة تدبير رسول الله ص فقد کان يخرج وحده فى المدينة ليلا ونهارا مع کثرة أعدائه و قد کان يأکل مادعى إليه و لايحترس حتى أکل من يهودية شاة مشوية قدسمته فيهافمرض وخيف عليه التلف و لمابرأ لم تزل تنتقض عليه حتى مات منها و قال عندموته إنى ميت من تلک الأکلة -روايت-١-٢-روايت-١٧-٤٢ و لم تکن العرب فى ذلک الزمان تحترس و لاتعرف الغيلة والفتک و کان ذلک عندهم قبيحا يعير به فاعله لأن الشجاعة غير ذلک والغيلة فعل العجزة من الرجال ولأن عليا ع کانت هيبته قدتمکنت فى صدور الناس فلم يکن يظن أن أحدا يقدم عليه غيلة أومبارزة فى حرب فقد کان بلغ من الذکر بالشجاعة مبلغا عظيما لم يبلغه أحد من الناس لا من تقدم و لا من تأخر حتى کانت أبطال العرب تفزع باسمه أ لاترى إلى عمرو بن معديکرب و هوشجاع العرب ألذى تضرب به الأمثال کتب إليه عمر بن الخطاب فى أمر أنکره عليه وغدر تخوفه منه أما و الله لئن أقمت على ما أنت عليه لأبعثن إليک رجلا تستصغر معه نفسک يضع سيفه على هامتک فيخرجه من بين فخذيک فقال عمرو لماوقف على الکتاب هددنى بعلى و الله ولهذا قال شبيب بن بجرة لابن ملجم لمارآه يشد الحرير على بطنه وصدره ويلک ماتريد [صفحه ٢٦٠] أن تصنع قال أقتل عليا قال هبلتک الهبول لقد جئت شيئا إدا کيف تقدر على ذلک فاستبعد أن يتم لابن ملجم ماعزم عليه ورآه مراما وعرا والأمر فى

هذا وأمثاله مسند إلى غلبات الظنون فمن غلبت على ظنه السلامة مع الاسترسال لم يجب عليه الاحتراس وإنما يجب الاحتراس على من يغلب على ظنه العطب إن لم يحترس .فقد بان بما أوضحناه فساد قول من قال إن تدبيره ع وسياسته لم تكن صالحة وبان أنه أصح الناس تدبيرا وأحسنهم سياسة وإنما الهوى والعصبية لاحيلة فيهما [صفحه ۲۶۱]

۱۹۴– و من كلام له ع

اشاره

أَيّهَا النّاسُ لَا تَستَوحِشُوا فِي طَرِيقِ الهُدَى لِقِلّةِ أَهلِهِ فَإِنّ النّاسَ اجتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ وَ جُوعُهَا طَوِيلٌ أَيّهَا النّاسُ إِنّمَا يَجمَعُ النّاسَ الرّضَا وَ السّخطُ وَ إِنّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمّهُمُ اللّهُ بِالعَذَابِ لَمّا عَمّوهُ بِالرّضَا فَقَالَ سُبحَانَهُفَعَقَرُوها فَأَصبَحُوا نادِمِينَفَمَا كَانَ إِلّا أَن خَارَت أَرضُهُم بِالخَسفَةِ خُوَارَ السّكّةِ المُحمَاةِ فِي الأَرضِ الخَوّارَةِ أَيّهَا النّاسُ مَن سَلَكَ الطّرِيقَ الوَاضِحَ وَرَدَ المَاءَ وَ مَن خَالَفَ وَقَعَ فِي التّيهِ –قرآن–۳۳۱–۳۶۳ الاستيحاش ضد الاستئناس وكثيرا مايحدثه التوحد وعدم الرفيق فنهى ع عن الاستيحاش فى طريق الهدى لأجل قلة أهله فإن المهتدى ينبغى أن يأنس بالهداية فلاوحشة مع الحق . وعنى بالمائدة الدنيا لذتها قليلة ونغصتها كثيرة والوجود فيهازمان قصير جدا والعدم عنها زمان طويل جدا. ثم قال ليست العقوبة لمن اجترم ذلک الجرم بعينه بل لمن اجترمه و من رضى به و إن لم يباشره بنفسه فإن عاقر ناقة صالح إنما كان إنسانا واحدا فعم الله ثمود بالسخط [صفحه ۲۶۲] لماكانوا راضين بذلک الفعل كلهم واسم كان مضمر فيها أى ما كان الانتقام منهم إلاكذا. وخارت أرضهم بالخسفة صوتت كمايخور الثور وشبه ع ذلک بصوت السكة المحماة فى الأرض الخوارة وهى اللينة وإنما جعلها محماة لتكون أبلغ فى ذهابها فى الأرض و من كلامه ع يوم خيبر يقوله لرسول الله ص و قدبعثه بالراية أكون فى أمرک كالسكة المحماة فى الأرض أم الشاهد يرى ما لايرى الغائب فقال له بل يرى الشاهد ما لايرى الغائب –روايت–۱–۲–روايت–۶۶–۱۸۳ . و قال له أيضا هذه اللفظة لمابعثه فى شأن مارية القبطية و ماكانت اتهمت به من أمر الأسود القبطى ولهذا علة فى العلم الطبيعى و ذلک أن السكة المحماة تخرق الأرض بشيئين أحدهما تحدد رأسها والثانى حرارته فإن الجسم المحدد الحار إذااعتمد عليه فى الأرض اقتضت الحرارة إعانة ذلک الطرف المحدد على النفوذ بتحليلها ماتلاقى من صلابة الأرض لأن شأن الحرارة التحليل فيكون غوص ذلک الجسم المحدد فى الأرض أوحى وأسهل . والتيه المفازة يتحير سالكها

قصة صالح وثمود

قال المفسرون إن عادا لماأهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى إن الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت فى الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم [صفحه ۲۶۳] نسبا فما آمن به إلاقليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا إلى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهک وندعو إلهنا فإن استجيب لک اتبعناک و إن استجيب لنا اتبعتنا. قال نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجب فقال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يسمونها الكاثبة أخرج لنا فى هذه الصخرة ناقة

مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التی شاکلت البخت فإن فعلت صدقناک وأجبناک .فأخذ علیهم المواثیق لئن فعلت ذلک لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلی ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء کماوصفوا لا-یعلم ما بین جنبیها إلا الله وعظماؤهم ینظرون ثم نتجت ولدا مثلها فی العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رءوسهم أن یؤمنوا فمکثت الناقة مع ولدها ترعی الشجر وتشرب الماء وکانت ترد غبا فإذا کان یومها وضعت رأسها فی البئر فما ترفعه حتی تشرب کل ماء فیها ثم تتفجح فیحتلبون ماشاءوا حتی تمتلئ أوانیهم فیشربون ویدخرون فإذاوقع الحر تصیفت بظهر الوادی فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلی بطنه و إذاوقع البرد تشتت ببطن الوادی فتهرب مواشیهم إلی ظهره فشق ذلک علیهم وزینت عقرها لهم امرأتان عنیزة أم غنم وصدفة بنت المختار لماأضرت به من مواشیهما وکانتا کثیرتی المواشی فعقروها عقرها قدار الأحمر واقتسموا لحمها وطبخوه . [صفحه ۲۶۴] فانطلق سقبها حتی رقی جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا و کان صالح قال لهم أدرکوا الفصیل عسی أن یرفع عنکم العذاب فلم یقدروا علیه وانفجت الصخرة بعدرغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهکم مصفرة و بعدغد وجوهکم محمرة والیوم الثالث وجوهکم مسودة ثم یغشاکم العذاب . فلما رأوا العلامات طلبوا أن یقتلوه فأنجاه الله سبحانه إلی أرض فلسطین فلما کان الیوم الرابع وارتفعت الضحوة تحنطوا بالصبر وتکفنوا بالأنطاع فأتتهم صیحة من السماء وخسف شدید وزلزال فتقطعت قلوبهم فهلکوا. و قدجاء فی الحدیث أن رسول الله ص مر بالحجر فی غزوة تبوک فقال لأصحابه لایدخلن أحد منکم القریة و لاتشربوا من مائها و لاتدخلوا علی هؤلاء المعذبین إلا أن تمروا باکین أن یصیبکم مثل ماأصابهم -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۲۰۰ روی المحدثون أن النبی ص قال لعلی ع أتدری من أشقی الأولین قال نعم عاقر ناقة صالح قال أفتدری من أشقی الآخرین قال الله ورسوله أعلم قال من یضربک علی هذه حتی تخضب هذه -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۹۱ [صفحه ۲۶۵]

۱۹۵- و من کلام له ع

اشاره

روی عنه أَنّهُ قَالَهُ عِندَ دَفنِ سَیّدَةِ النّسَاءِ فَاطِمَةَ ع کَالمُنَاجِی بِهِ رَسُولَ اللّهِ ص عِندَ قَبرِهِ السّلَامُ عَلَیکَ یَا رَسُولَ اللّهِ عنَیّ وَ عَنِ ابنَتِکَ النّازِلَةِ فِی جِوَارِکَ وَ السّرِیعَةِ اللّحَاقِ بِکَ قَلّ یَا رَسُولَ اللّهِ عَن صَفِیّتِکَ صبَریِ وَ رَقّ عَنهَا تجَلَدّیِ إِلّا أَنّ فِی التّأَسّیِ لِی بِعَظِیمِ فُرقَتِکَ وَ فَادِحِ مُصِیبَتِکَ مَوضِعَ تَعَزّ فَلَقَد وَسّدتُکَ فِی مَلحُودَةِ قَبرِکَ وَ فَاضَت بَینَ نحَریِ وَ صدَریِ نَفسُکَ فَإِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَیهِ رَاجِعُونَ فَلَقَدِ استُرجِعَتِ الوَدِیعَةُ وَ أُخِذَتِ الرّهِینَةُ أَمّا حزُنیِ فَسَرمَدٌ وَ أَمّا لَیلِی فَمُسَهّدٌ إِلَی أَن یَختَارَ اللّهُ لِی دَارَکَ التّیِ أَنتَ بِهَا مُقِیمٌ وَ سَتُنَبّئُکَ ابنَتُکَ بِتَضَافُرِ أُمّتِکَ عَلَی هَضمِهَا فَأَحفِهَا السّؤَالَ وَ استَخبِرهَا الحَالَ هَذَا وَ لَم یَطُلِ العَهدُ وَ لَم یَخلُ مِنکَ الذّکرُ وَ السّلَامُ عَلَیکُمَا سَلَامَ مُوَدّعٍ لَا قَالٍ وَ لَا سَئِمٍ فَإِن أَنصَرِف فَلَا عَن مَلَالَةٍ وَ إِن أُقِم فَلَا عَن سُوءِ ظَنّ بِمَا وَعَدَ اللّهُ الصّابِرِینَ أماقول الرضی رحمه الله عنددفن سیدة النساء فلأنه قدتواتر الخبر عنه ص أنه قال فاطمة سیدة نساء العالمین -روایت-۱-۲-روایت-۳۵-۶۱ إما هذااللفظ بعینه أولفظ یؤدی هذا [صفحه ۲۶۶] المعنی روی أنه قال و قدرآها تبکی عندموته أ لاترضین أن تکونی سیدة نساء هذه الأمة -روایت-۱-۲-روایت-۷-۸۳ روی أنه قال سادات نساء العالمین أربع خدیجة بنت خویلد وفاطمة بنت محمد وآسیة بنت مزاحم ومریم بنت عمران -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۱۶ . قوله ع وسریعة اللحاق بک جاء فی الحدیث أنه رآها تبکی عندموته فأسر إلیها أنت أسرع أهلی لحوقا بی فضحکت -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۸۶ . قوله عن صفیتک أجله

ص عن أن يقول عن ابنتك فقال صفيتك و هذا من لطيف عبارته ومحاسن كنايته يقول ع ضعف جلدى وصبرى عن فراقها لكنى أتأسى بفراقى لك فأقول كل عظيم بعدفراقك جلل و كل خطب بعدموتك يسير. ثم ذكر حاله معه وقت انتقاله ص إلى جوار ربه فقال لقد وسدتك فى ملحودة قبرك أى فى الجهة المشقوقة من قبرك واللحد الشق فى جانب القبر وجاء بضم اللام فى لغة غيرمشهورة. قال وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك يروى أنه ص قذف دما يسيرا وقت موته و من قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب و أن القرحة التى كانت فى الغشاء المستبطن للأضلاع انفجرت فى تلك الحال وكانت فيهانفسه ص وذهب قوم إلى أن مرضه إنما كان الحمى والسرسام الحار و أن أهل داره ظنوا أن به ذات الجنب فلدوه و هومغمى عليه وكانت العرب تداوى باللدود من به ذات الجنب فلما أفاق علم أنهم قدلدوه فقال لم يكن الله ليسلطها على لدوا كل من فى الدار فجعل بعضهم يلد بعضا. [صفحه ۲۶۷] واحتج الذاهبون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روى من انتصابه وتعذر الاضطجاع والنوم عليه قال سلمان الفارسى دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم ألذى مات فيه فقال لى ياسلمان أ لاتسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا و على فقلت يا رسول الله أ لاأسهر الليلة معك بدله فقال لا هوأحق بذلك منك -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۲۲۱ . وزعم آخرون أن مرضه كان أثرا لأكلة السم التى أكلها ع واحتجوا بقوله ص مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان قطعت أبهرى -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۶۴ . و من لم يذهب إلى ذات الجنب فأولوا قول على ع فاضت بين نحرى وصدرى نفسك فقالوا أراد بذلك آخر الأنفاس التى يخرجها الميت و لايستطيع إدخال الهواء إلى الرئة عوضا عنها و لابد لكل ميت من نفخة تكون آخر حركاته . و يقول قوم إنها الروح وعبر على ع عنها بالنفس لماكانت العرب لاترى بين الروح والنفس فرقا. واعلم أن الأخبار مختلفة فى هذاالمعنى فقد روى كثير من المحدثين عن عائشة أنها قالت توفى رسول الله ص بين سحرى ونحرى -روايت-۱-۲-روايت-۴۵-۸۳ . وروى كثير منهم هذااللفظ عن على ع أنه قال عن نفسه و قال فى رواية أخرى ففاضت نفسه فى يدى فأمررتها على وجهى -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۶۳ . [صفحه ۲۶۸] و الله أعلم بحقيقة هذه الحال و لايبعد عندى أن يصدق الخبران معا بأن يكون رسول الله ص وقت الوفاة مستندا إلى على وعائشة جميعا فقد وقع الاتفاق على أنه مات و هوحاضر لموته و هو ألذى كان يقلبه بعدموته و هو ألذى كان يعلله ليالى مرضه فيجوز أن يكون مستندا إلى زوجته و ابن عمه ومثل هذا لايبعد وقوعه فى زماننا هذافكيف فى ذلك الزمان ألذى كان النساء فيه والرجال مختلطين لايستتر البعض عن البعض . فإن قلت فكيف تعمل بآية الحجاب و ماصح من استتار أزواج رسول الله ص عن الناس بعدنزولها. قلت قدوقع اتفاق المحدثين كلهم على أن العباس كان ملازما للرسول ص أيام مرضه فى بيت عائشة و هذا لاينكره أحد فعلى القاعدة التى كان العباس ملازمه ص كان على ع ملازمه و ذلك يكون بأحد الأمرين إما بأن نساءه لايستترن من العباس و على لكونهما أهل الرجل وجزءا منه أولعل النساء كن يختمرن بأخمرتهن ويخالطن الرجال فلايرون وجوههن و ماكانت عائشة وحدها فى البيت عندموته بل كان نساؤه كلهن فى البيت وكانت ابنته فاطمة عندرأسه ص .فأما حديث مرضه ص ووفاته فقد ذكرناه فيما تقدم . قوله إنا لله إلى آخره أى عبيده كماتقول هذاالشىء لزيد أى يملكه . ثم عقب الاعتراف بالملكية بالإقرار بالرجعة والبعث و هذه الكلمة تقال عندالمصيبة كماأدب الله تعالى خلقه وعباده . والوديعة والرهينة عبارة عن فاطمة و من هذاالموضع أخذ ابن ثوابة الكاتب قوله عن قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لماحملت من مصر إلى المعتضد أحمد بن [صفحه ۲۶۹] طلحة بن المتوكل و قدوصلت الوديعة سالمة و الله المحمود وكيف يوصى الناظر بنوره أم كيف يحض القلب على حفظ سروره . وأخذ الصابى هذه اللفظة أيضا فكتب عن عزالدولة بختيار بن بويه إلى عدة الدولة أبى تغلب بن حمدان و قدنقل إليه ابنته قدوجهت الوديعة ياسيدى وإنما تقلب من وطن إلى سكن و من مغرس إلى مغرس و من مأوى بر وانعطاف إلى مثوى كرامة وألطاف .فأما الرهينة فهى المرتهنة يقال للمذكر هذارهين عندى على كذا وللأنثى هذه رهينة عندى على كذا كأنها ع كانت عنده عوضا من

رؤیهٔ رسول الله ص کماتکون الرهینهٔ عوضا عن الأمر ألذی أخذت رهینهٔ علیه . ثم ذکر ع أن حزنه دائم و أنه یسهر لیله و لاینام إلی أن یلتحق برسول الله ص ویجاوره فی الدار الآخرهٔ و هذا من باب المبالغهٔ کمایبالغ الخطباء والکتاب والشعراء فی المعانی لأنه ع ماسهر منذ ماتت فاطمهٔ ودام سهره إلی أن قتل ع وإنما سهر لیلهٔ أوشهرا أوسنهٔ ثم استمر مریره وارعوی رسنه فأما الحزن فإنه لم یزل حزینا إذاذکرت فاطمهٔ هکذا وردت الروایهٔ عنه . قوله ع وستنبئک ابنتک أی ستعلمک .فأحفها السؤال أی استقص فی مسألتها واستخبرها الحال أحفیت إحفاء فی السؤال استقصیت وکذلک فی الحجاج والمنازعهٔ قال الحارث بن حلزهٔ إن إخواننا الأراقم یغلون || علینا فی قیلهم إحفاء . و رجل حفی أی مستقص فی السؤال . [صفحه ۲۷۰] واستخبرها الحال أی عن الحال فحذف الجار کقولک اخترت الرجال زیدا أی من الرجال أی سلها عما جری بعدک من الاستبداد بعقد الأمر دون مشاورتنا و لایدل هذا علی وجود النص لأنه یجوز أن تکون الشکوی والتألم من إطراحهم وترک إدخالهم فی المشاورهٔ فإن ذلک مما تکرهه النفوس وتتألم منه وهجا الشاعر قوما فقال ویقضی الأمر حین تغیب تیم || و لایستأذنون وهم شهود . قوله هذا و لم یطل العهد و لم یخلق الذکر أی لم ینس . فإن قلت فما هذاالأمر ألذی لم ینس و لم یخلق إن لم یکن هناک نص . قلت قوله ص إنی مخلف فیکم الثقلین -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۸ قوله أللهم أدر الحق معه حیث دار -روایت-۱-۲-روایت-۹-۴۰ وأمثال ذلک من النصوص الدالهٔ علی تعظیمه وتبجیله ومنزلته فی الإسلام فهو ع کان یرید أن یؤخر عقد البیعهٔ إلی أن یحضر ویستشار ویقع الوفاق بینه وبینهم علی أن یکون العقد لواحد من المسلمین بموجبه إما له أولأبی بکر أولغیرهما و لم یکن لیلیق أن یبرم الأمر و هو غیرحاضر له مع جلالته فی الإسلام وعظیم أثره و ماورد فی حقه من وجوب موالاته والرجوع إلی قوله وفعله فهذا هو ألذی کان ینقم ع و منه کان یتألم ویطیل الشکوی و کان ذلک فی موضعه و ماأنکر إلامنکرا فأما النص فإنه لم یذکره ع و لااحتج به و لماطال الزمان صفح عن ذلک الاستبداد ألذی وقع منهم وحضر عندهم فبایعهم وزال ما کان فی نفسه . [صفحه ۲۷۱] فإن قلت فهل کان یسوغ لأبی بکر و قدرأی وثوب الأنصار علی الأمر أن یؤخره إلی أن یخرج ع ویحضر المشورهٔ. قلت إنه لم یلم أبابکر بعینه وإنما تألم من استبداد الصحابهٔ بالأمر دون حضوره ومشاورته ویجوز أن یکون أکثر تألمه وعتابه مصروفا إلی الأنصار الذین فتحوا باب الاستبداد والتغلب

ماروائه أبوحیان فی حدیث السقیفهٔ

وروی القاضی أبوحامد أحمد بن بشیر المروروذی العامری فیما حکاه عنه أبوحیان التوحیدی قال أبوحیان سمرنا عندالقاضی أبی حامد لیلهٔ ببغداد بدار ابن جیشان فی شارع الماذیان فتصرف الحدیث بنا کل متصرف و کان و الله معنا مزیلا مخلطا عزیز الروایهٔ لطیف الدرایهٔ له فی کل جو متنفس و فی کل نار مقتبس فجری حدیث السقیفهٔ وتنازع القوم الخلافهٔ فرکب کل منا فنا و قال قولا وعرض بشیء ونزع إلی مذهب فقال أبوحامد هل فیکم من یحفظ رسالهٔ أبی بکر إلی علی وجواب علی له ومبایعته إیاه عقیب تلک الرسالهٔ فقالت الجماعهٔ لا و الله فقال هی و الله من درر الحقاق المصونهٔ ومخبئات الصنادیق فی الخزائن المحوطهٔ ومنذ حفظتها مارویتها إلاللمهلبی فی وزارته فکتبها عنی فی خلوهٔ بیده و قال لاأعرف فی الأرض رسالهٔ [صفحه ۲۷۲] أعقل منها و لاأبین وإنها لتدل علی علم وحکم وفصاحهٔ وفقاههٔ فی دین ودهاء و بعدغور وشدهٔ غوص . فقال له واحد من القوم أیها القاضی فلو أتممت المنهٔ علینا بروایتها سمعناها ورویناه عنک فنحن أوعی لها من المهلبی وأوجب ذماما علیک . فقال هذه الرسالهٔ رواها عیسی بن دأب عن صالح بن کیسان عن هشام بن عروهٔ عن أبیه عروهٔ بن الزبیر عن أبی عبیدهٔ بن الجراح . قال أبوعبیدهٔ لمااستقامت الخلافهٔ لأبی بکر بین المهاجرین والأنصار ولحظ بعین الوقار والهیبهٔ بعدهنهٔ کاد الشیطان بهایسر فدفع الله

شرهـا وأدحض عسـرها فركـد كيـدها وتيسـر خيرهـا وقصم ظهر النفـاق والفسق بين أهلهـا بلغ أبـابكر عن علىع تلكؤ وشـماس وتهمهم ونفـاس فكره أن يتمادى الحال وتبـدو له العورة وتنفرج ذات البين ويصـير ذلك دريئـة لجاهل مغرور أوعاقل ذى دهاء أوصاحب سـلامة ضعيف القلب خوار العنان دعانى فى خلوة فحضرته وعنده عمر وحده و كان عمر قبسا له وظهيرا معه يستضىء بناره ويستملى من لسانه فقال لى يا أباعبيـدة ماأيمن ناصيتك وأبين الخير بين عارضـيك لقـد كنت مع رسول الله ص بالمكان المحوط والمحل المغبوط و لقـد قال فيك فى يوم مشـهود أبوعبيـدة أمين هذه الأمة -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۵۵ وطالما أعز الله الإسـلام بك وأصـلح ثلمـة على يـديك و لم تزل للدين ناصـرا وللمؤمنين روحا ولأهلك ركنا ولإخوانك مردا قدأردتك [صفحه ۲۷۳] لأمر له مابعده خطره مخوف وصـلاحه معروف ولئن لم يندمل جرحه بمسباركـ ورفقك و لم تجب حيته برقيتك لقد وقع اليأس وأعضل البأس واحتيج بعدك إلى ما هوأمر من ذلك وأعلق وأعسر منه وأغلق و الله أسأل تمامه بك ونظامه على يـدك فتأت له يا أباعبيـدة وتلطف فيه وانصـح لله ولرسوله ولهـذه العصابـة غيرآل جهـدا و لا قال حمدا و الله كالئك وناصـرك وهاديك ومبصـرك .امض إلى على واخفض جناحك له واغضـض من صوتك عنـده واعلم أنه سـلالة أبى طالب ومكانه ممن فقدناه بالأمس مكانه وقل له البحر مغرقة والبر مفرقة والجو أكلف والليل أغلف والسـماء جلواء و الأرض صلعاء والصعود متعذر والهبوط متعسـر والحق عطوف رءوف والباطل نسوف عصوف والعجب مقدحة الشـر والضغن رائد البوار والتعريض شجار الفتنة والقحة مفتاح العداوة والشـيطان متكئ على شماله باسط ليمينه نافج حضنيه لأهله ينتظر الشتات والفرقة ويدب بين الأمة بالشحناء والعـداوة عنـادا لله ولرسوله ولـدينه يوسوس بـالفجور ويـدلى بالغرور ويمنى أهل الشـرور ويوحى إلى أوليائه بالباطل دأبا له منذ كان على عهد أبينا [صـفحه ۲۷۴] آدم وعـادة منه منـذ أهانه الله فى سالف الـدهر لاينجى منه إلاعض الناجـذ على الحق وغض الطرف عن الباطل ووطء هامة عدو الله والدين بالأشد فالأشد والأجد فالأجد وإسلام النفس لله فيما حاز رضاه وجنب سخطه . و لابد من قول ينفع إذ قدأضـر السـكوت وخيف غبه ولقد أرشدك من أفاء ضالتك وصافاك من أحيا مودته لك بعتابك وأراد الخير بـك من آثر البقيا معك . ما هـذا ألـذى تسول لك نفسك ويـدوى به قلبك ويلتوى عليه رأيك ويتخاوص دونه طرفك ويستشـرى به ضـغنك ويتراد معه نفسك وتكثر لأجله صـعداؤك و لايفيض به لسانك أعجمة بعدإفصاح ألبسا بعدإيضاح أدينا غيردين الله أخلقـا غيرخلق القرآن أهـديا غيرهـدى محمـد أمثلى يمشـى له الضـراء ويـدب له الخمر أم مثلك يغص عليه الفضاء ويكسف فى عينه القمر ما هـذه القعقعـة بالشـنان والوعوعة باللسان إنك لجد عارف باسـتجابتنا لله ولرسوله وخروجنا من أوطاننا وأولادنـا وأحبتنـا هجرة إلى الله ونصـرة لـدينه فى زمان أنت منه فى كن الصبا وخـدر الغرارة غافل تشـبب وتربب لاتعى مايشاد ويراد و لاتحصـل مايساق ويقـاد سوى مـا أنت جـار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك وسـجايا الفتيان أشـكالك حتى بلغت إلى غايتك هـذه التى إليها أجريت وعنـدها حط رحلك غيرمجهول القدر [صـفحه ۲۷۵] و لامجحود الفضل ونحن فى أثناء ذلك نعانى أحوالا تزيل الرواسـى ونقاسـى أهوالا تشـيب النواصـى خائضين غمارها راكبين تيارها نتجرع صلبها ونشرج عيابها ونحكم آساسـها ونبرم أمراسـها والعيون تحـدج بالحسد والأنوف تعطس بالكبر والصدور تسـتعر بالغيظ والأعناق تتطاول بالفخر والأسـنة تشـحذ بالمكر و الأرض تميـد بالخوف لاننتظر عنـدالمساء صـباحا و لا عندالصـباح مساء و لاندفع فى نحر أمر إلا بعد أن نحسـو الموت دونه و لانبلغ إلى شـىء إلا بعـدتجرع العذاب قبله و لانقوم منآدا إلا بعداليأس من الحياة عنده فأدين فى كل ذلك رسول الله ص بالأب والأم والخال والعم والمال والنشب والسـبد واللبد والهلة والبلة بطيب أنفس وقرة أعين ورحب أعطان وثبات عزائم وصـحة عقول وطلاقـة أوجه وذلاقـة ألسن هـذا إلى خبيئـات أسـرار ومكنونات أخبار كنت عنها غافلا و لو لاسـنك لم تك عن شىءمنهـا ناكلاـ كيف وفؤادك مشـهوم وعودك معجوم وغيبـك مخبور والخير منك كثير فالآن قـدبلغ الله بك وأرهص الخير لك وجعل مرادك بين يديك فاسـمع ماأقول لك واقبل مايعود قبوله عليك ودع التجبس والتعبس [صفحه ۲۷۶] لمن لايضلع

لـک إذاخطـا و لایتزحزح عنک إذاعطا فالأمر غض و فی النفوس مض و أنت أدیم هـذه الأمـة فلاتحلم لجاجا وسـیفها العضـب فلاـتنب اعوجاجـا وماؤهـا العـذب فلاتحل أجاجا و الله لقـد سألت رسول الله ص عن هـذالمن هو فقال هولمن یرغب عنه لالمن یجاحش علیه ولمن یتضاءل له لالمن یشـمخ إلیه و هولمن یقال له هو لک لالمن یقول هو لی . ولقد شاورنی رسول الله ص فی الصـهر فـذکر فتیانا من قریش فقلت له أین أنت من علی فقال إنی لأکره لفاطمـة میعـة شـبابه وحدة سـنه فقلت متی کنفته یدک ورعته عینـک حفت بهمـا البرکـة وأسـبغت علیهمـا النعمـة مع کلام کثیر خطبت به رغبته فیک و ماکنت عرفت منک فی ذلک حوجاء و لالوجاء ولکننی قلت ما قلت و أناأری مکان غیرک وأجـد رائحة سواک وکنت لک إذ ذاک خیرا منک الآن لی ولئن کان عرض بک رسول الله ص فی هـذاالأمر فقد کنی عن غیرک و إن قال فیک فما سـکت عن سواک و إن اختلج فی نفسـک شیءفهلم فالحکم مرضـی والصواب مسـموع والحق مطاع . ولقـد نقل رسول الله ص إلی ما عند الله و هو عن هذه العصابة راض وعلیها حدب یسـره ماسرها ویکیده ماکادها ویرضیه ماأرضاها ویسخطه [صفحه ۲۷۷] ماأسخطها أ لم تعلم أنه لم یدع أحدا من أصـحابه وخلطائه وأقاربه وسـجرائه إلاأبانه بفضـیلة وخصه بمزیـة وأفرده بحالـة لوأصـفقت الأمـة علیه لأجلها لکان عنـده إیالتها وکفالتها. أتظن أنه ع ترک الأمـة سـدی بددا عدا مباهل عباهل طلاحی مفتونة بالباطل ملویة عن الحق لاذائد و لارائد و لاضابط و لاخابط و لارابط و لاسافی و لاواقی و لاحادی و لاهادی کلا و الله مااشـتاق إلی ربه و لاسأله المصـیر إلی رضوانه إلا بعـد أن أقام الصوی وأوضـح الهـدی وأمن المهالک وحمی المطارح والمبارک و إلا بعد أن شدخ یافوخ الشـرک بإذن الله وشـرم وجه النفـاق لوجه الله وجـدع أنف الفتنـة فی دین الله وتفل فی عین الشـیطان بعون الله وصـدع بمل ء فیه ویـده بأمر الله . و بعـدفهؤلاء المهاجرون والأنصار عندک ومعک فی بقعة جامعة ودار واحدة إن اسـتقادوا لک وأشاروا بک فأنا واضع یدی فی یدک وصائر إلی رأیهـم فیـک و إن تکن الأـخری فادخـل فی صالـح مادخـل فیه المسـلمون وکن العـون علی مصـالحهم والفاتـح لمغـالقهم والمرشـد لضـالهم والرادع لغـاویهم فقـد أمر الله بالتعـاون علی البر وأهاب إلی التناصـر علی الحق ودعنا نقض هـذه الحیاة الـدنیا بصدور بریئة من الغل ونلقی الله بقلوب سـلیمة من الضغن . [صفحه ۲۷۸] وإنما الناس ثمامـة فارفق بهم واحن علیهم ولن لهم و لاتسول لک نفسک فرقتهم واختلاف کلمتهم واترک ناجم الشـر حصـیدا وطائر الحقـد واقعا و باب الفتنة مغلقا لا قال و لاقیل و لالـوم و لاـتعنیف و لاعتـاب و لاتثریب و الله علی ماأقول وکیل وبما نحن علیه بصـیر. قال أبوعبیـدة فلما تهیأت للنهوض قال لی عمر کن علی الباب هنیهـة فلی معک ذرو من الکلام فوقفت و ماأدری ما کان بعـدی إلا أنه لحقنی بوجه ینـدی تهللا و قال لی قل لعلی الرقاد محلمـة واللجاج ملحمـة والهوی مقحمة و مامنا أحد إلا له مقام معلوم وحق مشاع أومقسوم وبناء ظاهر أومکتوم و إن أکیس الکیسـی من منـح الشـارد تألفـا وقارب البعیـد تلطفا ووزن کل أمر بمیزانه و لم یجعل خبره کعیانه و لاقاس فتره بشبره دینا کان أودنیا وضـلالا کان أوهدی و لاخیر فی علم معتمل فی جهل و لا فی معرفة مشوبة بنکر ولسنا کجلدة رفغ البعیر || بین العجان و بین الذنب . و کل صال فبناره یصـلی و کل سـیل فإلی قراره یجری و ما کان سکوت هذه العصابة إلی هذه الغایة لعی وحصـر و لاکلامها الیوم لفرق أوحـذر فقـد جـدع الله بمحمد ع أنف کل متکبر وقصم به ظهر کل جبار وسل لسان کل کذوب فمـا ذا بعـدالحق إلاالضـلال . ما هـذه الخنزوانـة التی فی فراش رأسک و ما هذاالشـجا المعترض فی مـدارج أنفاسک و ما هـذه الوحرة التی أکلت شراسیفک والقذاة التی أعشت ناظرک و ما هذاالدحس [صفحه ۲۷۹] والدس اللذان یدلان علی ضیق الباع وخور الطباع و ما هذا ألذی لبست بسـببه جلد النمر واشـتملت علیه بالشـحناء والنکر لشد مااستسـعیت لها وسریت سری ابن أنقد إلیها إن العوان لاتعلم الخمرة ماأحوج الفرعاء إلی فالیة و ماأفقر الصلعاء إلی حالیة ولقد قبض رسول الله ص والأمر معبد مخیس لیس لأحـد فیه ملمس لم یسیر فیـک قولاـ و لم یستنزل لـک قرآنـا و لم یجزم فی شأنـک حکمـا لسـنا فی کسرویة کسری و لاقیصـریة قیصـر تأمل إخوان فارس وأبناء الأصـفر قدجعلهم الله جزرا لسـیوفنا ودریئة لرماحنا ومرمی لطعاننا بل نحن فی نور نبوة

وضـياء رسالة وثمرة حكمة وأثر رحمة وعنوان نعمة وظل عصـمة بين أمة مهدية بالحق والصدق مأمونة على الرتق والفتق لها من الله تعـالى قلب أبى وساعـد قوى ويـد ناصـرة وعين نـاظرة. أتظن ظنـا أن أبـابكر وثب على هـذاالأمر مفتاتا على الأمـة خادعا لها ومتسـلطا عليهـا أتراه امتلـخ أحلامهـا وأزاغ أبصارهـا وحـل عقودها وأحال عقولها واسـتل من صـدورها حميتها وانتكث رشاءها وانتضب ماءها وأضـلها عن هداها وساقها إلى رداها وجعل نهارها ليلا ووزنها كيلا ويقظتها رقادا وصـلاحها فسادا إن كان هكذا إن سـحره لمبين و إن كيـده لمتين كلا و الله بأى خيل و رجل وبأى سـنان ونصل وبأى منة وقوة وبأى مال وعدة وبأى أيد وشدة وبأى عشيرة وأسـرة وبأى قـدرة ومكنـة وبأى تدرع وبسطة لقد أصـبح بما وسـمته منيع الرقبة رفيع العتبة لا و الله لكن سـلا عنها فولهت نحوه وتطـامن لهـا فـالتفت به ومـال عنهـا فمالت إليه واشـمأز دونها فاشـتملت عليه حبوة حباه الله بها وغايـة بلغه الله إليها ونعمة سـربله جمالها ويد لله أوجب عليه شـكرها وأمة نظر الله به [صـفحه ٢٨٠] لهـا وطالمـا حلقت فوقه فى أيام النبى ص و هو لايلتفت لفتها و لايرتصد وقتها و الله أعلم بخلقه وأرأف بعباده يختار ما كان لهم الخيرة وإنك بحيث لايجهل موضعك من بيت النبوة ومعـدن الرسالـة وكهف الحكمـة و لايجحـد حقك فيما آتاك ربك من العلم ومنحك من الفقه فى الدين هذا إلى مزايا خصـصت بهـا وفضائل اشـتملت عليها ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضـخم من منكبك وقربى أمس من قرباك وسن أعلى من سـنك وشـيبة أروع من شـيبتك وسيادة معروفة فى الإسلام والجاهلية ومواقف ليس لك فيهاجمل و لاناقة و لاتذكر فيها فى مقدمة و لاساقة و لاتضـرب فيهابذراع و لاإصـبع و لاتعد منها ببازل و لاهبع . إن أبابكر كان حبة قلب رسول الله ص وعلاقة همه وعيبة سـره ومثوى حزنه وراحة باله ومرمق طرفه شهرته مغنية عن الدلالة عليه . ولعمرى إنك لأقرب منه إلى رسول الله ص قرابة ولكنه أقرب منك قربـة والقرابـة لحم ودم والقربـة روح ونفس و هـذافرق يعرفه المؤمنون ولـذلك صاروا إليه أجمعون . ومهما شككت فلاتشك فى أن يـد الله مع الجماعـة ورضوانه لأهل الطاعـة فادخل فيما هوخير لك اليوم وأنفع غـدا والفظ من فيك ما هومتعلق بلهاتك وانفث [صفحه ٢٨١] سـخيمة صدرك فإن يكن فى الأمد طول و فى الأجل فسـحة فستأكله مريئا أو غيرمرىء وستشـربه هنيئـا أو غيرهنىء حين لاـراد لقولك إلا من كان آيسا منك و لاتابع لك إلا من كان طامعا فيك حين يمض إهابك ويفرى أديمك ويزرى على هديك هناك تقرع السن من ندم وتشـرب الماء ممزوجا بدم حين تأسـى على مامضـى من عمرك وانقضـى وانقرض من دارج قومـك وتود أن لوسـقيت بالكـأس الـتى سـقيتها غيرك ورددت إلى الحـال التى كنت تكرههـا فى أمسك ولله فينا وفيك أمر هوبالغه وعاقبة هوالمرجو لسرائها وضرائها و هوالولى الحميد الغفور الودود. قال أبوعبيدة فمشيت إلى على مثبطا متباطئا كأنما أخطو على أم رأسـى فرقا من الفتنة وإشفاقا على الأمة وحذرا من الفرقة حتى وصلت إليه فى خلاء فأبثثته بثى كله وبرئت إليه منه ودفعته له فلمـا سـمعها ووعاهـا وسـرت فى أوصـاله حمياهـا قـال حلت معلوطـة وولت مخروطـة ثم قال .
إحدى لياليك فهيسـى هيسى || لاتنعمى الليلة بالتعريس . يا أباعبيدة أ هذاكله فى أنفس القوم يستنبطونه ويضطغنون عليه فقلت لاجواب عندى إنما جئتك قاضيا حق الدين وراتقا فتق الإسلام وسادا ثلمة الأمة يعلم الله ذلك من جلجلان قلبى وقرارة نفسى. [صفحه ٢٨٢] فقال ما كان قعودى فى كسـر هـذاالبيت قصـدا لخلاف و لاإنكارا لمعروف و لازرايـة على مسـلم بل لماوقـذنى به رسول الله ص من فراقه وأودعنى من الحزن لفقده فإنى لم أشـهد بعده مشـهدا إلاجدد على حزنا وذكرنى شجنا و إن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره و قـدعكفت على عهـد الله أنظر فيه وأجمع ماتفرق منه رجاء ثواب معـد لمن أخلص لله عمله وسـلم لعلمه ومشيئته أمره على أنى أعلم أن التظاهر على واقع و لى عن الحق ألذى سيق إلى دافع وإذ قدأفعم الوادى لى وحشد النادى على فلامرحبا بما ساء أحدا من المسلمين و فى النفس كلام لو لاسابق قول وسالف عهد لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى وخضت لجته بأخمصـى ومفرقى ولكننى ملجم إلى أن ألقى الله تعالى عنـده أحتسب مانزل بى و أناغاد إن شاء الله إلى جماعتكم ومبايع لصاحبكم وصابر على ماساءنى وسـركم ليقضـى الله أمرا كان مفعولا و كان الله على كل شىءشهيدا. قال أبوعبيدة فعدت

إلى أبى بكر وعمر فقصصت القول على غره و لم أترك شيئا من حلوه ومره ذكرت غدوة إلى المسجد فلما كان صباح يومئذ وافى على فخرق الجماعة إلى أبى بكر وبايعه و قال خيرا ووصف جميلا وجلس زمينا واستأذن للقيام ونهض فتبعه عمر إكراما له وإجلالا لموضعه واستنباطا لما فى نفسه وقام أبوبكر إليه فأخذ بيده و قال إن عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة و إن أمة أنت فيهالمرحومة ولقد أصبحت عزيزا علينا كريما لدينا نخاف الله إن سخطت ونرجوه إذارضيت و لو لاأنى شدهت لماأجبت إلى مادعيت إليه ولكنى خفت [صفحه ۲۸۳] الفرقة واستئثار الأنصار بالأمر على قريش وأعجلت عن حضورك ومشاورتك و لوكنت حاضرا لبايعتك و لم أعدل بك ولقد حط الله عن ظهرك ماأثقل كاهلى به و ماأسعد من ينظر الله إليه بالكفاية وإنا إليك لمحتاجون وبفضلك عالمون و إلى رأيك وهديك فى جميع الأحوال راغبون و على حمايتك وحفيظتك معولون ثم انصرف وتركه مع عمر. فالتفت على إلى عمر فقال يا أباحفص و الله ماقعدت عن صاحبك جزعا على ماصار إليه و لاأتيته خائفا منه و لاأقول ماأقول بعلة وإنى لأعرف مسمى طرفى ومخطى قدمى ومنزع قوسى وموقع سهمى ولكنى تخلفت إعذارا إلى الله و إلى من يعلم الأمر ألذى جعله لى رسول الله وأتيت فبايعت حفظا للدين وخوفا من انتشار أمر الله -روايت-۱-۳۳۰ . فقال له عمر يا أبا الحسن كفكف من غربك ونهنه من شرتك ودع العصا بلحائها والدلو برشائها فإنا من خلفها وورائها إن قدحنا أورينا و إن متحنا أروينا و إن قرحنا أدمينا و قدسمعت أمثالك التى ألغزت بهاصادرة عن صدر دو وقلب جو زعمت أنك قعدت فى كسر بيتك لماوقذك به فراق رسول الله أفراق رسول الله ص وقذك وحدك و لم يقذ سواك إن مصابه لأعز وأعظم من ذاك و إن من حق مصابه ألا تصدع شمل الجماعة بكلمة لاعصام لها فإنك لترى الأعراب حول المدينة لوتداعت علينا فى صبح يوم لم نلتق فى ممساه وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره فمن الشوق إليه نصرة دينه وموازرة المسلمين عليه ومعاونتهم فيه . [صفحه ۲۸۴] وزعمت أنك مكب على عهد الله تجمع ماتفرق منه فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده والرأفة على خلقه و أن تبذل من نفسك مايصلحون به ويجتمعون عليه وزعمت أن التظاهر عليك واقع أى تظاهر وقع عليك و أى حق استؤثر به دونك لقد علمت ماقالت الأنصار أمس سرا وجهرا و ماتقلبت عليه ظهرا وبطنا فهل ذكرتك أوأشارت بك أوطلبت رضاها من عندك وهؤلاء المهاجرون من ألذى قال منهم إنك صاحب هذاالأمر أوأومأ إليك أوهمهم بك فى نفسه أتظن أن الناس ضنوا من أجلك أوعادوا كفارا زهدا فيك أوباعوا الله تعالى بهواهم بغضا لك ولقد جاءنى قوم من الأنصار فقالوا إن عليا ينتظر الإمامة ويزعم أنه أولى بها من أبى بكر فأنكرت عليهم ورددت القول فى نحورهم حتى قالوا إنه ينتظر الوحى ويتوكف مناجاة الملك فقلت ذاك أمر طواه الله بعد محمد ع . و من أعجب شأنك قولك لو لاسابق قول لشفيت غيظى بخنصرى وبنصرى وهل ترك الدين لأحد أن يشفى غيظه بيده أولسانه تلك جاهلية استأصل الله شأفتها واقتلع جرثومتها ونور ليلها وغور سيلها وأبدل منها الروح والريحان والهدى والبرهان . وزعمت أنك ملجم فلعمرى إن من اتقى الله وآثر رضاه وطلب ماعنده أمسك لسانه وأطبق فاه وغلب عقله ودينه على هواه . و أماقولك إنى لأعرف منزع قوسى فإذاعرفت منزع قوسك عرفك غيرك مضرب سيفه ومطعن رمحه و أما ماتزعمه من الأمر ألذى جعله رسول الله ص لك فتخلفت إعذارا إلى الله و إلى العارفة به من المسلمين فلو عرفه المسلمون [صفحه ۲۸۵] لجنحوا إليه وأصفقوا عليه و ما كان الله ليجمعهم على العمى و لاليضربهم بالصبا بعدالهدى و لو كان لرسول الله ص فيك رأى وعليك عزم ثم بعثه الله فرأى اجتماع أمته على أبى بكر لماسفه آراءهم و لاضلل أحلامهم و لاآثرك عليهم و لاأرضاك بسخطهم ولأمرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم . فقال على مهلا أباحفص أرشدك الله خفض عليك مابذلت مابذلت و أناأريد عنه حولا و إن أخسر الناس صفقة عند الله من استبطن النفاق واحتضن الشقاق و فى الله خلف عن كل فائت وعوض من كل ذاهب وسلوة عن كل حادث و عليه التوكل فى جميع الحوادث ارجع أباحفص إلى مجلسك ناقع القلب مبرود الغليل فصيح اللسان رحب الصدر متهلل الوجه فليس وراء ماسمعته منى

إلا مايشد الأزر ويحبط الوزر ويضع الإصر ويجمع الألفة ويرفع الكلفة إن شاء الله فانصرف عمر إلى مجلسه -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۴۷۰ . قال أبوعبيدة فلم أسمع و لم أر كلاما و لامجلسا كان أصعب من ذلك الكلام والمجلس . قلت ألذى يغلب على ظنى أن هذه المراسلات والمحاورات والكلام كله مصنوع موضوع و أنه من كلام أبى حيان التوحيدى لأنه بكلامه ومذهبه فى الخطابة والبلاغة أشبه و قدحفظنا كلام عمر ورسائله وكلام أبى بكر وخطبه فلم نجدهما يذهبان هذاالمذهب و لايسلكان هذاالسبيل فى كلامهما و هذاكلام عليه أثر التوليد ليس يخفى وأين أبوبكر وعمر من البديع وصناعة المحدثين و من تأمل كلام أبى حيان عرف أن [صفحه ۲۸۶] هذاالكلام من ذلك المعدن خرج ويدل عليه أنه أسنده إلى القاضى أبى حامد المروروذى و هذه عادته فى كتاب البصائر يسند إلى القاضى أبى حامد كل مايريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه إذا كان كارها لأن ينسب إليه وإنما ذكرناه نحن فى هذاالكتاب لأنه و إن كان عندنا موضوعا منحولا فإنه صورة ماجرت عليه حال القوم فهم و إن لم ينطقوا به بلسان المقال فقد نطقوا به بلسان الحال . ومما يوضح لك أنه مصنوع أن المتكلمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشيعة والأشعرية وأصحاب الحديث و كل من صنف فى علم الكلام والإمامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية ولقد كان المرتضى رحمه الله يلتقط من كلام أمير المؤمنين ع اللفظة الشاذة والكلمة المفردة الصادرة عنه ع فى معرض التألم والتظلم فيحتج بها ويعتمد عليها نحو قوله مازلت مظلوما مذ قبض رسول الله حتى يوم الناس هذا -روايت-۱-۲-روايت-۹-۶۵ قوله لقد ظلمت عدد الحجر والمدر -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۶ قوله إن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى -روايت-۱-۲-روايت-۹-۸۵ قوله فصبرت و فى الحلق شجا و فى العين قذى -روايت-۱-۲-روايت-۹-۴۹ قوله أللهم إنى أستعديك على قريش فإنهم ظلمونى حقى وغصبونى إرثى -روايت-۱-۲-روايت-۹-۷۵ . و كان المرتضى إذاظفر بكلمة من هذه فكأنما ظفر بملك الدنيا ويودعها كتبه وتصانيفه فأين كان المرتضى عن هذاالحديث وهلا ذكر فى كتاب الشافى فى الإمامة [صفحه ۲۸۷] كلام أمير المؤمنين ع هذا وكذلك من قبله من الإمامية كابن النعمان وبنى نوبخت وبنى بابويه وغيرهم وكذلك من جاء بعده من متأخرى متكلمى الشيعة وأصحاب الأخبار والحديث منهم إلى وقتنا هذا وأين كان أصحابنا عن كلام أبى بكر وعمر له ع وهلا ذكره قاضى القضاة فى المغنى مع احتوائه على كل ماجرى بينهم حتى أنه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد فى أخبار السقيفة وهلا ذكره من كان قبل قاضى القضاة من مشايخنا وأصحابنا و من جاء بعده من متكلمينا ورجالنا وكذلك القول فى متكلمى الأشعرية وأصحاب الحديث كابن الباقلانى وغيره و كان ابن الباقلانى شديدا على الشيعة عظيم العصبية على أمير المؤمنين ع فلو ظفر بكلمة من كلام أبى بكر وعمر فى هذاالحديث لملأ الكتب والتصانيف بها وجعلها هجيراه ودأبه . والأمر فيما ذكرناه من وضع هذه القصة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان ومعرفة كلام الرجال ولمن عنده أدنى معرفة بعلم السير وأقل أنس بالتواريخ . قوله ع مودع لا قال و لامبغض و لاسئم أى لاملول سئمت من الشىء أسأم سأما وسآما وسآمة سئمته إذامللته و رجل سئوم . ثم أكد ع هذاالمعنى فقال إن انصرفت فلا عن ملالة و إن أقمت فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين أى ليست إقامتى على قبرك وجزعى عليك إنكارا منى لفضيلة الصبر والتجلد والتعزى والتأسى و ماوعد الله به الصابرين من الثواب بل أناعالم بذلك ولكن يغلبنى بالطبع البشرى. وروى أن فاطمة بنت الحسين ع ضربت فسطاطا على قبر بعلها الحسن [صفحه ۲۸۸] بن الحسن ع سنة فلما انقضت السنة قوضت الفسطاط راجعة إلى بيتها فسمعت هاتفا يقول هل بلغوا ماطلبوا فأجابه هاتف آخر بل يئسوا فانصرفوا. و ذكر أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد فى كتابه الكامل أنه ع تمثل عندقبر فاطمة -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-۸۲ ذكرت أباأروى فبت كأننى || برد الهموم الماضيات وكيل لكل اجتماع من خليلين فرقة || و كل ألذى دون الفراق قليل و إن افتقادى واحدا بعدواحد || دليل على ألا يدوم خليل و الناس يرونه -روايت-۱-۱۷ و إن افتقادى فاطما بعد أحمد

المجلد ۱۱

الجزء الحادی عشر

تتمة باب الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

۱۹۶– و من كلام له ع

أَيّهَا النّاسُ إِنّمَا الدّنيَا دَارُ مَجَازٍ وَ الآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ فَخُذُوا مِن مَمَرّكُم لِمَقَرّكُم وَ لَا تَهتِكُوا أَستَارَكُم عِندَ مَن يَعلَمُ أَسرَارَكُم وَ أَخرِجُوا مِنَ الدّنيَا قُلُوبَكُم مِن قَبلِ أَن تَخرُجَ مِنهَا أَبدَانُكُم فَفِيهَا اختُبِرتُم وَ لِغَيرِهَا خُلِقتُم إِنّ المَرءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النّاسُ مَا تَرَكَ وَ قَالَتِ المَلَائِكَةُ مَا قَدّمَ لِلّهِ آبَاؤُكُم فَقَدّمُوا بَعضاً يَكُن لَكُم وَ لَا تُخلِفُوا كُلّا فَيَكُونَ فَرضاً عَلَيكُم ذكر أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد فی الكامل عن الأصمعی قال خطبنا أعرابی بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلی علی نبيه ص فأبلغ فی إيجاز ثم قال أيها الناس إن الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا لمقركم من ممركم و لاتهتكوا أستاركم عند من لاتخفی عليه أسراركم فی الدنيا أنتم [صفحه ۴] ولغيرها خلقتم أقول قولی هذا وأستغفر الله لی ولكم والمصلی عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والأمير جعفر بن سليمان . وذكر غيره الزيادة التی فی كلام أمير المؤمنين ع وهی أن المرء إذاهلك إلی آخر الكلام . وأكثر الناس علی أن هذاالكلام لأمير المؤمنين ع . ويجوز أن يكون الأعرابی حفظه فأورده كمايورد الناس كلام غيرهم . قوله ع دار مجاز أی يجاز فيها إلی الآخرة و منه سمی المجاز فی الكلام مجازا لأن المتكلم قدعبر الحقيقة إلی غيرها كمايعبر الإنسان من موضع إلی موضع . ودار القرار دار الاستقرار ألذی لاآخر له .فخذوا من ممركم أی من الدنيا لمقركم و هوالآخرة. قوله ع قال الناس ماترك يريد أن بنی آدم مشغولون بالعاجلة لايفكرون فی غيرها و لايتساءلون إلاعنها فإذاهلك أحدكم فإنما قولهم بعضهم لبعض ما ألذی ترك فلان من المال ما ألذی خلف من الولد و أماالملائكة فإنهم يعرفون الآخرة و لاتستهويهم شهوات الدنيا وإنما هم مشغولون بالذكر والتسبيح فإذاهلك الإنسان قالوا ماقدم أی أی شیءقدم من الأعمال . ثم أمرهم ع بأن يقدموا من أموالهم بعضها صدقة فإنها تبقی لهم ونهاهم أن يخلفوا أموالهم كلها بعدموتهم فتكون وبالا عليهم فی الآخرة [صفحه ۵]

۱۹۷– و من كلام له ع كان كثيرا ماينادی به أصحابه

تَجَهّزُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ فَقَد نُودِيَ فِيكُم بِالرّحِيلِ وَ أَقِلّوا العَرجَةَ عَلَى الدّنيَا وَ انقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضرَتِكُم مِنَ الزّادِ فَإِنّ أَمَامَكُم عَقَبَةً كَئُوداً وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدّ مِنَ الوُرُودِ عَلَيهَا وَ الوُقُوفِ عِندَهَا. وَ اعلَمُوا أَنّ مَلَاحِظَ المَنِيّةِ نَحوَكُم دَانِيَةٌ وَ كَأَنّكُم بِمَخَالِبِهَا وَ قَد نَشِبَت فِيكُم وَ قَد دَهَمَتكُم مِنهَا مُفظِعَاتُ الأُمُورِ وَ مُضلِعَاتُ المَحذُورِ.فَقَطّعُوا عَلَائِقَ الدّنيَا وَ استَظهِرُوا بِزَادِ التّقوَى و قدمضی شیء من هذاالكلام فيما تقدم يخالف هذه الرواية –روايت–۱–۶۰ تجهزوا لكذا أی تهيئوا له . والعرجة التعريج و هوالإقامة تقول ما لی علی ربعك عرجة أی إقامة وعرج فلان علی المنزل إذاحبس عليه مطيته . [صفحه ۶] والعقبة الكئود الشاقة المصعد ودائبة جادة والمخلب للسبع بمنزلة الظفر للإنسان . وأفظع الأمر فهو مفظع إذاجاوز المقدار شدة. ومضلعات المحذور الخطوب التی

تضلع أی تجعل الإنسان ضلیعا أی معوجا والماضی ضلع بالکسر یضلع ضلعا. و من رواها بالظاء أراد الخطوب التی تجعل الإنسان ظالعا أی یغمز فی مشیه لثقلها علیه والماضی ظلع بالفتح یظلع ظلعها فهو ظالع [صفحه ۷]

۱۹۸– و من کلام له ع کلم به طلحهٔ والزبیر بعدبیعته بالخلافهٔ

اشاره

و قدعتبا علیه من ترک مشورتهما والاستعانهٔ فی الأمور بهما لَقَد نَقَمتُمَا یَسِیراً وَ أَرجَأتُمَا کَثِیراً أَ لَا تُخبِرَانِی أَیّ شَیءٍ کَانَ لَکُمَا فِیهِ حَقّ دَفَعتُکُمَا عَنهُ أَم أَیّ قَسم استَأثَرتُ عَلَیکُمَا بِهِ أَو أَیّ حَقّ رَفَعَهُ إِلَیّ أَحَدٌ مِنَ المُسلِمِینَ ضَعُفتُ عَنهُ أَم جَهِلتُهُ أَم أَخطَأتُ بَابَهُ. وَ اللّهِ مَا کَانَت لِی فِی الخِلَافَةِ رَغبَةٌ وَ لَا فِی الوَلَایَةِ إِربَةٌ وَ لَکِنّکُم دعَوتمُوُنیِ إِلَیهَا وَ حَمَلتمُوُنیِ عَلَیهَا فَلَمّا أَفضَت إِلَیّ نَظَرتُ إِلَی کِتَابِ اللّهِ وَ مَا وَضَعَ لَنَا وَ أَمَرَنَا بِالحُکمِ بِهِ فَاتّبَعتُهُ وَ مَا استَنّ النّبِیّص فَاقتَدَیتُهُ فَلَم أَحتَج إِلَی رَأیِکُمَا وَ لَا رأَیِ غَیرِکُمَا وَ لَا وَقَعَ حُکمٌ جَهِلتُهُ فَأَستَشِیرَکُمَا وَ إخِواَنیِ مِنَ المُسلِمِینَ وَ لَو کَانَ ذَلِکَ لَم أَرغَب عَنکُمَا وَ لَا عَن غَیرِکُمَا. وَ أَمّا مَا ذَکَرتُمَا مِن أَمرِ الأُسوَةِ فَإِنّ ذَلِکَ أَمرٌ لَم أَحکُم أَنَا فِیهِ برِأَییِ وَ لَا وَلِیتُهُ هَوًی منِیّ بَل وَجَدتُ أَنَا وَ أَنتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللّهِص قَد فُرِغَ مِنهُ فَلَم أَحتَج إِلَیکُمَا فِیمَا قَد فَرَغَ اللّهُ مِن قَسمِهِ وَ أَمضَی فِیهِ حُکمَهُ فَلَیسَ لَکُمَا وَ اللّهِ عنِدیِ وَ لَا لِغَیرِکُمَا فِی هَذَا عُتبَی.أَخَذَ اللّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِکُم إِلَی الحَقّ وَ أَلهَمَنَا وَ إِیّاکُمُ الصّبرَ. [صفحه ۸] ثُمّ قَالَ ع رَحِمَ اللّهُ رَجُلًا رَأَی حَقّاً فَأَعَانَ عَلَیهِ أَو رَأَی جَوراً فَرَدّهُ وَ کَانَ عَوناً بِالحَقّ عَلَی صَاحِبِهِ نقمت علیه بالفتح أنقم هذه اللغهٔ الفصیحهٔ وجاء نقمت بالکسر أنقم . وأرجأتما أخرتما أی نقمتما من أحوالی الیسیر وترکتما الکثیر ألذی لیس لکما و لالغیرکما فیه مطعن فلم تذکراه فهلا اغتفرتما الیسیر للکثیر. و لیس هذااعترافا بأن مانقماه موضع الطعن والعیب ولکنه علی جههٔ الجدل والاحتجاج کماتقول لمن یطعن فی بیت من شعر شاعر مشهور لقد ظلمته إذ تتعلق علیه بهذا البیت وتنسی ما له من المحاسن الکثیرهٔ فی غیره . ثم ذکر وجوه العتاب والاستزادهٔ وهی أقسام إما أن یکون لهما حق یدفعهما عنه أواستأثر علیهما فی قسم أوضعف عن السیاسهٔ أوجهل حکما من أحکام الشریعهٔ أوأخطأ بابه . فإن قلت أی فرق بین الأول والثانی قلت أمادفعهما عن حقهما فمنعهما عنه سواء صار إلیه ع أو إلی غیره أو لم یصر إلی أحد بل بقی بحاله فی بیت المال . [صفحه ۹] و أماالقسم الثانی فهو أن یأخذ حقهما لنفسه و بین القسمین فرق ظاهر والثانی أفحش من الأول . فإن قلت فأی فرق بین قوله أم جهلته أوأخطأت بابه . قلت جهل الحکم أن یکون الله تعالی قدحکم بحرمهٔ شیءفأحله الإمام أوالمفتی وکونه یخطئ بابه هو أن یصیب فی الحکم ویخطئ فی الاستدلال علیه . ثم أقسم أنه لم یکن له فی الخلافهٔ رغبهٔ و لاإربهٔ بکسر الهمزهٔ وهی الحاجهٔ وصدق ع فهکذا نقل أصحاب التواریخ وأرباب علم السیر کلهم و روی الطبری فی التاریخ ورواه غیره أیضا إن الناس غشوه وتکاثروا علیه یطلبون مبایعته و هویأبی ذلک و یقول دعونی والتمسوا غیری فإنا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لاتثبت علیه العقول و لاتقوم له القلوب قالوا ننشدک الله أ لاتری الفتنهٔ أ لاتری إلی ماحدث فی الإسلام أ لاتخاف الله فقال قدأجبتکم لماأری منکم واعلموا أنی إن أجبتکم رکبت بکم ماأعلم و إن ترکتمونی فإنما أناکأحدکم بل أناأسمعکم وأطوعکم لمن ولیتموه أمرکم إلیه فقالوا مانحن بمفارقیک حتی نبایعک قال إن کان لابد من ذلک ففی المسجد فإن بیعتی لاتکون خفیا و لاتکون إلا عن رضا المسلمین و فی ملإ وجماعهٔ فقام و الناس حوله فدخل المسجد وانثال علیه المسلمون فبایعوه وفیهم طلحهٔ والزبیر –روایت–۱–۲–روایت–۴۵–۶۸۶ . قلت قوله إن بیعتی لاتکون خفیا و لاتکون إلا فی المسجد بمحضر من جمهور الناس یشابه قوله بعدوفاهٔ رسول الله ص للعباس لماسامه مد یده للبیعهٔ إنی أحب أن أصحر بها

وأكره أن أبايع من وراء رتاج . [صفحه ١٠] ثم ذكر ع أنه لمابويع عمل بكتاب الله وسنة رسوله و لم يحتج إلى رأيهما و لارأى غيرهما و لم يقع حكم يجهله فيستشيرهما و لووقع ذلك لاستشارهما وغيرهما و لم يأنف من ذلك . ثم تكلم فى معنى التنفيل فى العطاء فقال إنى عملت بسنة رسول الله ص فى ذلك وصدق ع فإن رسول الله ص سوى فى العطاء بين الناس و هومذهب أبى بكر. والعتبى الرضا أى لست أرضيكما بارتكاب ما لايحل لى فى الشرع ارتكابه والضمير فى صاحبه و هوالهاء المجرورة يرجع إلى الجور أى و كان عونا بالعمل على صاحب الجور

من أخبار طلحة والزبير

قدتقدم منا ذكر ماعتب به طلحة والزبير على أمير المؤمنين ع وأنهما قالا مانراه يستشيرنا فى أمر و لايفاوضنا فى رأى ويقطع الأمر دوننا ويستبد بالحكم عنا وكانا يرجوان غير ذلك وأراد طلحة أن يوليه البصرة وأراد الزبير أن يوليه الكوفة فلما شاهدا صلابته فى الدين وقوته فى العزم وهجره الادهان والمراقبة ورفضه المدالسة والمواربة وسلوكه فى جميع مسالكه منهج الكتاب والسنة و قدكانا يعلمان ذلك قديما من طبعه وسجيته و كان عمر قال لهما ولغيرهما إن الأجلح إن وليها ليحملنكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم و كان رسول الله ص -روايت-١-٢ [صفحه ١١] من قبل قال و إن تولوها عليا تجدوه هاديا مهديا -روايت-١٦-٥٣ إلاـ أنه ليس الخبر كالعيان و لاالقول كالفعل و لاالوعد كالإنجاز وحالا عنه وتنكرا له ووقعا فيه وعاباه وغمصاه وتطلبا له العلل والتأويلات وتنقما عليه الاستبداد وترك المشاورة وانتقلا من ذلك إلى الوقيعة فيه بمساواة الناس فى قسمة المال وأثنيا على عمر وحمدا سيرته وصوبا رأيه وقالاـ إنه كان يفضل أهل السوابق وضللا عليا ع فيما رآه وقالا إنه أخطأ وإنه خالف سيرة عمر وهى السيرة المحمودة التى لم تفضحها النبوة مع قرب عهدنا منها واتصالها بها واستنجدا عليه بالرؤساء من المسلمين كان عمر يفضلهم وينفلهم فى القسم على غيرهم و الناس أبناء الدنيا ويحبون المال حبا جما فتنكرت على أمير المؤمنين ع بتنكرهما قلوب كثيرة ونغلت عليه نيات كانت من قبل سليمة ولقد كان عمر موفقا حيث منع قريشا والمهاجرين وذوى السوابق من الخروج من المدينة ونهاهم عن مخالطة الناس ونهى الناس عن مخالطتهم ورأى أن ذلك أس الفساد فى الأرض و أن الفتوح والغنائم قدأبطرت المسلمين ومتى بعدالرءوس والكبراء منهم عن دار الهجرة وانفردوا بأنفسهم وخالطهم الناس فى البلاد البعيدة لم يأمن أن يحسنوا لهم الوثوب وطلب الإمرة ومفارقة الجماعة وحل نظام الألفة ولكنه رضى الله عنه نقض هذاالرأى السديد بما فعله بعدطعن أبى لؤلؤة له من أمر الشورى فإن ذلك كان سبب كل فتنة وقعت وتقع إلى أن تنقضى الدنيا و قدقدمنا ذكر ذلك وشرحنا ماأدى إليه أمر الشورى من الفساد بما حصل فى نفس كل من الستة من ترشيحه للخلافة. [صفحه ١٢] وروى أبو جعفرالطبرى فى تاريخه قال كان عمر قدحجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلاباذن وأجل فشكوه فبلغه فقام فخطب فقال ألا إنى قدسننت الإسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعا ثم ثنيا ثم يكون رباعيا ثم سديسا ثم بازلا ألا فهل ينتظر بالبازل إلاالنقصان ألا و إن الإسلام قدصار بازلا و إن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات على ما فى أنفسهم ألا إن فى قريش من يضمر الفرقة ويروم خلع الربقة أما و ابن الخطاب حى فلاإنى قائم دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا فى النار. و قال أبو جعفرالطبرى فى التاريخ أيضا فلما ولى عثمان لم يأخذهم بالذى كان عمر يأخذهم به فخرجوا إلى البلاد فلما نزلوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس خمل من لم يكن له طول و لاقدم فى الإسلام ونبه أصحاب السوابق والفضل فانقطع إليهم الناس وصاروا أوزاعا معهم وأملوهم وتقربوا إليهم وقالوا يملكون فيكون لنا فى ملكهم حظوة فكان ذلك أول وهن على الإسلام وأول فتنة كانت فى العامة. وروى أبو جعفرالطبرى عن الشعبى قال لم يمت عمر حتى ملته قريش و قد كان حصرهم

بالمدينة وسألوه أن يأذن لهم فى الخروج إلى البلاد فامتنع عليهم و قال إن أخوف ماأخاف على هذه الأمة انتشاركم فى البلاد حتى أن الرجل كان يستأذنه فى غزو الروم أوالفرس و هوممن حبسه بالمدينة من قريش و لاسيما من المهاجرين فيقول له إن لك فى غزوك مع رسول الله ص مايكفيك ويبلغك ويحسبك و هوخير لك من الغزو اليوم و إن خيرا لك ألا ترى الدنيا و لاتراك . [صفحه ١٣] فلما مات عمر وولى عثمان خلى عنهم فانتشروا فى البلاد واضطربوا وانقطع إليهم الناس وخالطوهم فلذلك كان عثمان أحب إلى قريش من عمر.فقد بان لك حسن رأى عمر فى منع المهاجرين و أهل السابقة من قريش من مخالطة الناس والخروج من المدينة وبان لك أن عثمان أرخى لهم فى الطول فخالطهم الناس وأفسدوهم وحببوا إليهم الملك والإمرة والرئاسة لاسيما مع الثروة العظيمة التى حصلت لهم والثراء مفسدة و أى مفسدة وحصل لطلحة والزبير من ذلك ما لم يحصل لغيرهما ثروة ويسارا وقدما فى الإسلام وصار لهما لفيف عظيم من المسلمين يمنونهما الخلافة ويحسنون لهما طلب الإمرة لاسيما و قدرشحهما عمر لها وأقامهما مقام نفسه فى تحملها و أى امرئ منى بهاقط نفسه ففارقها حتى يغيب فى اللحد و لاسيما طلحة قد كان يحدث بهانفسه و أبوبكر حى ويروم أن يجعلها فيه بشبهة أنه ابن عمه وسخط خلافة عمر و قال لأبى بكر ماتقول لربك و قدوليت علينا فظا غليظا و كان له فى أيام عمر قوم يجلسون إليه ويحادثونه سرا فى معنى الخلافة ويقولون له لومات عمر لبايعناك بغتة جلب الدهر علينا ماجلب وبلغ ذلك عمر فخطب الناس بالكلام المشهور أن قوما يقولون إن بيعة أبى بكر كانت فلتة وإنه لومات عمر لفعلنا وفعلنا أما إن بيعة أبى بكر كانت فلتة إلا أن الله وقى شرها و ليس فيكم من تقطع إليه الرقاب كأبى بكر فأى امرئ بايع امرأ من غيرمشورة من المسلمين فإنهما بغرة أن يقتلا فلما صارت إلى عثمان سخطها طلحة بعد أن كان رضيها وأظهر ما فى نفسه وألب عليه حتى قتل و لم يشك أن الأمر له فلما صارت إلى على ع حدث منه ماحدث وآخر الدواء الكى. و أماالزبير فلم يكن إلاعلوى الرأى شديد الولاء جاريا من الرجل مجرى نفسه . [صفحه ١۴] ويقال إنه ع لمااستنجد بالمسلمين عقيب يوم السقيفة و ماجرى فيه و كان يحمل فاطمة ع ليلا على حمار وابناها بين يدى الحمار و هو ع يسوقه فيطرق بيوت الأنصار وغيرهم ويسألهم النصرة والمعونة أجابه أربعون رجلا فبايعهم على الموت وأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقى رءوسهم ومعهم سلاحهم فأصبح لم يوافه منهم إلاأربعة الزبير والمقداد و أبوذر وسلمان ثم أتاهم من الليل فناشدهم فقالوا نصبحك غدوة فما جاءه منهم إلاأربعة وكذلك فى الليلة الثالثة و كان الزبير أشدهم له نصرة وأنفذهم فى طاعته بصيرة حلق رأسه وجاء مرارا و فى عنقه سيفه وكذلك الثلاثة الباقون إلا أن الزبير هو كان الرأس فيهم و قدنقل الناس خبر الزبير لماهجم عليه ببيت فاطمة ع وكسر سيفه فى صخرة ضربت به ونقلوا اختصاصه بعلى ع وخلواته به و لم يزل مواليا له متمسكا بحبه ومودته حتى نشأ ابنه عبد الله وشب فنزع به عرق من الأم ومال إلى تلك الجهة وانحرف عن هذه ومحبة الوالد للولد معروفة فانحرف الزبير لانحرافه على أنه قدكانت جرت بين على ع والزبير هنات فى أيام عمر كدرت القلوب بعض التكدير و كان سببها قصة موالى صفية ومنازعة على للزبير فى الميراث فقضى عمر للزبير فأذعن على ع لقضائه بحكم سلطانه لارجوعا عما كان يذهب إليه من حكم الشرع فى هذه المسألة وبقيت فى نفس الزبير على أن شيخنا أبا جعفرالإسكافى رحمه الله ذكر فى كتاب نقض العثمانية عن الزبير كلاما إن صح فإنه يدل على انحراف شديد ورجوع عن موالاة أمير المؤمنين ع . قال تفاخر على ع والزبير فقال الزبير أسلمت بالغا وأسلمت طفلا وكنت أول من سل سيفا فى سبيل الله بمكة و أنت مستخف فى الشعب يكفلك الرجال [صفحه ١۵] ويمونك الأقارب من بنى هاشم وكنت فارسا وكنت راجلا و فى هيأتى نزلت الملائكة و أناحوارى رسول الله ص . قال شيخنا أبو جعفر و هذاالخبر مفتعل مكذوب و لم يجر بين على والزبير شىء من هذاالكلام ولكنه من وضع العثمانية و لم يسمع به فى أحاديث الحشوية و لا فى كتب أصحاب السيرة. ولعلى ع أن يقول طفل مسلم خير من بالغ كافر و أماسل السيف بمكة فلم يكن فى موضعه و فى ذلك قال الله تعالى أَ لَم تَرَ إِلَى الّذِينَ قِيلَ لَهُم كُفّوا أَيدِيَكُمالآية و أنا على منهاج الرسول فى الكف

والإقدام و ليس كفالة الرجال والأقارب بالشعب عارا على فقد كان رسول الله ص فى الشعب يكفله الرجال والأقارب و أماحربك فارسا وحربى راجلا فهلا أغنت فروسيتك يوم عمرو بن عبدود فى الخندق وهلا أغنت فروسيتك يوم طلحة بن أبى طلحة فى أحد وهلا أغنت فروسيتك يوم مرحب بخيبر ماكانت فرسك التى تحارب عليها فى هذه الأيام إلاأذل من العنز الجرباء و من سلمت عليه الملائكة أفضل ممن نزلت فى هيأته و قدنزلت الملائكة فى صورة دحية الكلبى أفيجب من ذلك أن يكون دحية أفضل منى و أماكونك حوارى رسول الله ص فلو عددت خصائصى فى مقابلة هذه اللفظة الواحدة لك لاستغرقت الوقت وأفنيت الزمان ورب صمت أبلغ من نطق . ثم نرجع إلى الحديث الأول فتقول إن طلحة والزبير لماأيسا من جهة على ع -قرآن-۴۰۶-۴۶۱ [صفحه ۱۶] و من حصول الدنيا من قبله قلبا له ظهر المجن فكاشفاه وعاتباه قبل المفارقة عتابا لاذعا روى شيخنا أبوعثمان قال أرسل طلحة والزبير إلى على ع قبل خروجهما إلى مكة مع محمد بن طلحة وقالا لاتقل له يا أمير المؤمنين ولكن قل له يا أبا الحسن لقد فال فيك رأينا وخاب ظننا أصلحنا لك الأمر ووطدنا لك الإمرة وأجلبنا على عثمان حتى قتل فلما طلبك الناس لأمرهم أسرعنا إليك وبايعناك وقدنا إليك أعناق العرب ووطئ المهاجرون والأنصار أعقابنا فى بيعتك حتى إذاملكت عنانك استبددت برأيك عنا ورفضتنا رفض التريكة وأذلتنا إذالة الإماء وملكت أمرك الأشتر وحكيم بن جبلة وغيرهما من الأعراب ونزاع الأمصار فكنا فيما رجوناه منك وأملناه من ناحيتك كما قال الأول فكنت كمهريق ألذى فى سقائه || لرقراق آل فوق رابية صلد فلما جاء محمد بن طلحة أبلغه ذاك فقال اذهب إليهما فقل لهما فما ألذى يرضيكما فذهب وجاءه فقال إنهما يقولان ول أحدنا البصرة والآخر الكوفة فقال لاها الله إذن يحلم الأديم ويستشرى الفساد وتنتقض على البلاد من أقطارها و الله إنى لاآمنهما وهما عندى بالمدينة فكيف آمنهما و قدوليتهما العراقين اذهب إليهما فقل أيها الشيخان احذرا من سطوة الله ونقمته و لاتبغيا للمسلمين غائلة وكيدا و قدسمعتما قول الله تعالى تِلكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجعَلُها لِلّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّا فِي الأَرضِ وَ لا فَساداً وَ العاقِبَةُ لِلمُتّقِينَفقام محمد بن طلحة فأتاهما و لم يعد إليه وتأخرا عنه أياما ثم جاءاه فاستأذناه فى الخروج إلى مكة للعمرة فأذن لهما بعد أن أحلفهما -قرآن-۴۲۰-۵۳۷ [صفحه ۱۷] ألا ينقضا بيعته و لايغدرا به و لايشقا عصا المسلمين و لايوقعا الفرقة بينهم و أن يعودا بعدالعمرة إلى بيوتهما بالمدينة فحلفا على ذلك كله ثم خرجا ففعلا مافعلا. وروى شيخنا أبوعثمان قال لماخرج طلحة والزبير إلى مكة وأوهما الناس أنهما خرجا للعمرة قال على ع لأصحابه و الله مايريدان العمرة وإنما يريدان الغدرةفَمَن نَكَثَ فَإِنّما يَنكُثُ عَلى نَفسِهِ وَ مَن أَوفى بِما عاهَدَ عَلَيهُ اللّهَ فَسَيُؤتِيهِ أَجراً عَظِيماً. وروى الطبرى فى التاريخ قال لمابايع طلحة والزبير عليا ع سألاه أن يؤمرهما على الكوفة والبصرة فقال بل تكونان عندى أتجمل بكما فإننى أستوحش لفراقكما. قال الطبرى و قد كان قال لهما قبل بيعتهما له إن أحببتما أن تبايعانى و إن أحببتما بايعتكما فقالا لابل نبايعك ثم قالا بعد ذلك إنما بايعناه خشية على أنفسنا و قدعرفنا أنه لم يكن ليبايعنا ثم ظهرا إلى مكة و ذلك بعدقتل عثمان بأربعة أشهر. وروى الطبرى أيضا فى التاريخ قال لمابايع الناس عليا وتم له الأمر قال طلحة للزبير ماأرى أن لنا من هذاالأمر إلاكحسة أنف الكلب . وروى الطبرى أيضا فى التاريخ قال لمابايع الناس عليا ع بعدقتل عثمان جاء على إلى الزبير فاستأذن عليه قال أبوحبيبه مولى الزبير فأعلمته به فسل السيف ووضعه تحت فراشه و قال ائذن له فأذنت له فدخل فسلم على الزبير و هوواقف ثم خرج فقال الزبير لقد دخل لأمر ماقضاه قم مقامه وانظر هل ترى من -قرآن-۳۱۷-۴۲۷ [صفحه ۱۸] السيف شيئا فقمت فى مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته و قلت إن ذباب السيف ليظهر لمن قام فى هذاالموضع فقال ذاك أعجل الرجل وروى شيخنا أبوعثمان قال كتب مصعب بن الزبير إلى عبدالملك من مصعب بن الزبير إلى عبدالملك بن مروان سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعد ستعلم يافتى الزرقاء أنى || سأهتك عن حلائلك الحجابا وأترك بلدة أصبحت فيها || تهور من جوانبها خرابا أما إن لله على الوفاء بذلك إلا أن تتراجع أوتتوب ولعمرى ما أنت كعبد الله بن الزبير و لامروان كالزبير بن العوام حوارى رسول الله ص و ابن

عمته فسلم الأمر إلى أهله فإن نجاتك بنفسك أعظم الغنيمتين و السلام .فكتب إليه عبدالملك من عبد الله عبدالملك أمير المؤمنين إلى الذلول ألذى أخطأ من سماه المصعب سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعد أتوعدنى و لم أر مثل يومى || خشاش الطير يوعدن العقابا متى تلق العقاب خشاش طير || يهتك عن مقاتلها الحجابا أتوعد بالذئاب أسود غاب || وأسد الغاب تلتهم الذئابا . أما ماذكرت من وفائك فلعمرى لقد وفى أبوك لتيم وعدى بعداء قريش وزعانفها حتى إذاصارت الأمور إلى صاحبها عثمان الشريف النسب الكريم الحسب بغاة الغوائل وأعد له المخاتل حتى نال منه حاجته ثم دعا الناس إلى على وبايعه فلما [صفحه ١٩] دانت له أمور الأمة وأجمعت له الكلمة وأدركه الحسد القديم لبنى عبدمناف فنقض عهده ونكث بيعته بعدتوكيدها ففَكّرَ وَ قَدّرَ فَقُتِلَ كَيفَ قَدّرَ وتمزقت لحمه الضباع بوادى السباع ولعمرى إنك تعلم ياأخا بنى عبدالعزى بن قصى أنابنو عبدمناف لم نزل سادتكم وقادتكم فى الجاهلية والإسلام ولكن الحسد دعاك إلى ماذكرت و لم ترث ذلك عن كلالة بل عن أبيك و لاأظن حسدك وحسد أخيك يئول بكما إلا إلى ماآل إليه حسد أبيكما من قبل وَ لا يَحِيقُ المَكرُ السّيّئُ إِلّا بِأَهلِهِوَ سَيَعلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ. وروى أبوعثمان أيضا قال دخل الحسن بن على ع على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير و كان معاوية يحب أن يغرى بين قريش فقال يا أبا محمدأيهما كان أكبر سنا على أم الزبير فقال الحسن ماأقرب مابينهما و على أسن من الزبير رحم الله عليا فقال ابن الزبير رحم الله الزبير وهناك أبوسعيد بن عقيل بن أبى طالب فقال يا عبد الله و مايهيجك من أن يترحم الرجل على أبيه قال و أناأيضا ترحمت على أبى قال أتظنه ندا له وكفؤا قال و مايعدل به عن ذلك كلاهما من قريش وكلاهما دعا إلى نفسه و لم يتم له قال دع ذاك عنك يا عبد الله إن عليا من قريش و من الرسول ص حيث تعلم و لمادعا إلى نفسه أتبع فيه و كان رأسا ودعا الزبير إلى أمر و كان الرأس فيه امرأة و لماتراءت الفئتان نكص على عقبيه وولى مدبرا قبل أن يظهر الحق فيأخذه أويدحض الباطل فيتركه فأدركه رجل لوقيس ببعض أعضائه لكان أصغر فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه ومضى على قدما كعادته مع ابن عمه رحم الله عليا -قرآن-١١٣-١٥٠-قرآن-٤٤٣-٤٨٨-قرآن-٤٨٩-٥٤٦ [صفحه ٢٠] فقال ابن الزبير أما لو أن غيرك تكلم بهذا يا أباسعيد لعلم فقال إن ألذى تعرض به يرغب عنك وكفه معاوية فسكتوا. وأخبرت عائشة بمقالتهم ومر أبوسعيد بفنائها فنادته يا أباسعيد أنت القائل لابن أختى كذا فالتفت أبوسعيد فلم ير شيئا فقال إن الشيطان يرانا و لانراه فضحكت عائشة وقالت لله أبوك ماأذلق لسانك [صفحه ٢١]

١٩٩- و من كلام له ع و قدسمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنّيَ أَكرَهُ لَكُم أَن تَكُونُوا سَبّابِينَ وَ لَكِنّكُم لَو وَصَفتُم أَعمَالَهُم وَ ذَكَرتُم حَالَهُم كَانَ أَصوَبَ فِي القَولِ وَ أَبلَغَ فِي العُذرِ وَ قُلتُم مَكَانَ سَبّكُم إِيّاهُم أللّهُمّ احقِن دِمَاءَنَا وَ دِمَاءَهُم وَ أَصلِح ذَاتَ بَينِنَا وَ بَينِهِم وَ اهدِهِم مِن ضَلَالَتِهِم حَتّى يَعرِفَ الحَقّ مَن جَهِلَهُ وَ يَرعَوِيَ عَنِ الغَيّ وَ العُدوَانِ مَن لَهِجَ بِهِ السب الشتم سبه يسبه بالضم والتساب التشاتم و رجل مسب بكسر الميم كثير السباب و رجل سبه أى يسبه الناس و رجل سببه أى يسب الناس و رجل سب كثير السباب وسبك ألذى يسابك قال لاتسبنني فلست بسبى || إن سبى من الرجال الكريم و ألذى كرهه ع منهم أنهم كانوا يشتمون أهل الشام و لم يكن يكره منهم لعنهم إياهم والبذاءة منهم لا كمايتوهمه قوم من الحشوية فيقولون لايجوز [صفحه ٢٢] لعن أحد ممن عليه اسم الإسلام وينكرون على من يلعن ومنهم من يغالى فى ذلك فيقول لاألعن الكافر وألعن إبليس و إن الله تعالى لا يقول لأحد يوم القيامة لم لم تلعن وإنما يقول لم لعنت . واعلم أن هذاخلاف نص الكتاب لأنه تعالى قال إِنّ اللّهَ لَعَنَ الكافِرِينَ وَ أَعَدّ لَهُم سَعِيراً. و قال أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ. و قال فى إبليس وَ إِنّ عَلَيكَ لَعنَتِي إِلى يَومِ الدّينِ. و قال مَلعُونِينَ أَينَما ثُقِفُوا. و فى الكتاب العزيز من

ذلـک الکثیر الواسع . وکیف یجوز للمسـلم أن ینکر التبرؤ ممن یجب التبرؤ منه أ لم یسـمع هؤلاـء قول الله تعالی قَد کانَت لَکُم أُسوَةٌ حَسَـنَةٌ فِی اِبراهِیمَ وَ الّـذِینَ مَعَهُ إِذ قـالُوا لِقَومِهِم إِنّـا بُرَآؤُا مِنکُم وَ مِمّـا تَعبُـدُونَ مِن دُونِ اللّهِ کَفَرنا بِکُم وَ بَـدا بَینَنا وَ بَینَکُمُ العَـداوَةُ وَ البَغضـاءُ أَبَـداً وإنمـا یجب النظر فیمن قداشـتبهت حاله فإن کان قـدقارف کبیرة من الـذنوب یسـتحق بهااللعن والبراءة فلاضیر علی من یلعنه ویبرأ منه و إن لم یکن قدقارف کبیرة لم یجز لعنه و لاالبراءة منه . ومما یدل علی أن من علیه اسم الإسلام إذاارتکب الکبیرة یجوز لعنه بـل یجب فی وقت قول الله تعـالی فی قصـة اللعان فَشَـهادَةُ أَحَـدِهِم أَربَعُ شَـهاداتٍ بِاللّهِ إِنّهُ -قرآن-۲۴۷-۳۰۱-قرآن-۳۱۰-۳۶۴-قرآن-۳۸۳-۴۲۶-قرآن-۴۳۵-۴۶۲-قرآن-۵۹۹-۸۲۰-قرآن-۱۱۳۴-۱۱۸۶ لعـن أحـد ممـن علیه اسم الإسـلام وینکرون علی من یلعن ومنهم من یغـالی فی ذلک فیقول لاألعن الکافر وألعن إبلیس و إن الله تعالی لا یقول لأحد یوم القیامـة لم لم تلعن وإنمـا یقول لم لعنت . واعلم أن هـذاخلاف نص الکتاب لأنه تعالی قال إِنّ اللّهَ لَعَنَ الکافِرِینَ وَ أَعَـدّ لَهُم سَعِیراً. و قال أُولئِکَ یَلعَنُهُمُ اللّهُ وَ یَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ. و قال فی إبلیس وَ إِنّ عَلَیکَ لَعنَتِی إِلی یَومِ الـدّینِ. و قال مَلعُونِینَ أَینَما ثُقِفُوا. و فی الکتاب العزیز من ذلک الکثیر الواسع . وکیف یجوز للمسـلم أن ینکر التبرؤ ممن یجب التبرؤ منه أ لم یسمع هؤلاء قول الله تعالی قَد کانَت لَکُم أُسوَةٌ حَسَـنَةٌ فِی اِبراهِیمَ وَ الّذِینَ مَعَهُ إِذ قالُوا لِقَومِهِم إِنّا بُرَآؤُا مِنکُم وَ مِمّا تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ کَفَرنا بِکُم وَ بَـدا بَینَنـا وَ بَینَکُمُ العَـداوَةُ وَ البَغضـاءُ أَبَـداً وإنما یجب النظر فیمن قداشـتبهت حاله فإن کان قـدقارف کبیرة من الـذنوب یسـتحق بهااللعن والبراءة فلاضـیر علی من یلعنه ویبرأ منه و إن لم یکن قـدقارف کبیرة لم یجز لعنه و لاالبراءة منه . ومما یدل علی أن من علیه اسم الإسـلام إذاارتکب الکبیرة یجوز لعنه بل یجب فی وقت قول الله تعالی فی قصـة اللعان فَشَـهادَةُ أَحَـدِهِم أَربَعُ شَـهاداتٍ بِاللّهِ إِنّهُ لَمِنَ الصّادِقِینَ وَ الخامِسَـةُ أَنّ لَعنَتَ اللّهِ عَلَیهِ إِن کانَ مِنَ الکاذِبِینَ. و قال تعالی فی القاذف إِنّ الّـذِینَ یَرمُونَ المُحصَـناتِ الغافِلاـتِ المُؤمِنـاتِ لُعِنُوا فِی الـدّنیا وَ الآـخِرَةِ وَ لَهُم عَـذابٌ عَظِیمٌ.فهاتان الآیتان فی المکلفین من أهل القبلـة والآیات قبلهما فی الکافرین والمنافقین ولهذا قنت أمیر المؤمنین ع علی معاویة وجماعة من أصحابه ولعنهم فی أدبار الصلوات . فإن قلت فما صوره السب ألـذی نهی أمیر المـؤمنین ع عنه . قلت کـانوا یشـتمونهم بالآبـاء والأمهـات ومنهم من یطعن فی نسب قوم منهم ومنهم من یذکرهم باللؤم ومنهم من یعیرهم بالجبن والبخل وبأنواع الأهاجی التی یتهاجی بهاالشعراء وأسالیبها معلومة فنهاهم ع عن ذلک و قـال إنی أکره لکن أن تکونوا سـبابین ولکن الأـصوب أن تصـفوا لهم أعمالهم وتـذکروا حالهم أی أن تقولوا إنهم فساق وإنهم أهـل ضـلال وباطـل . ثم قـال اجعلوا عوض سـبهم أن تقولوا أللهم احقن دماءنـا ودمـاءهم .حقنت الـدم أحقنه بـالضم منعت أن یسـفک أی ألهمهم الإنابـة إلی الحق والعـدول عن الباطل فإن ذلک إذاتم حقنت دماء الفریقین . فإن قلت کیف یجوز أن یدعو الله تعـالی بمـا لایفعله أ لیس من أصولکم أن الله تعالی لایضـطر المکلف إلی اعتقاد الحق وإنما یکله إلی نظره . قلت الأمر و إن کان کذلک إلا أن المکلفین قدتعبدوا بأن یدعوا الله تعالی -قرآن-۱-۸۸-قرآن-۱۱۵-۲۲۹ [صفحه ۲۴] بذلک لأن فی دعائهم إیـاه بـذلک لطفا لهم ومصالـح فی أدیـانهم کالـدعاء بزیـادة الرزق وتـأخیر الأجل . قوله وأصلح ذات بیننا وبینهم یعنی أحوالنا وأحوالهم و لماکـانت الأـحوال ملابسـة للبین قیـل لهـا ذات البین کما أنه لماکانت الضـمائر ملابسـة للصـدور قیل ذات الصـدور وکـذلک قولهم اسـقنی ذا إنائـک لما کان ما فیه من الشـراب ملابسا له ویقولون للمتبرز قـدوضع ذا بطنه وللحبلی تضع ألقت ذا بطنها. وارعوی عن الغی رجع وکف .لهج به بالکسر یلهج أغری به وثابر علیه [صفحه ۲۵]

۰۲۰۰- و من کلام له ع فی بعض أیام صفین و قدرأی الحسن ابنه ع یتسرع إلی الحرب

املِکُوا عَنّیَ هَذَا الغُلَامَ لَا یَهُدّنّیِ فَإِنّنِی أَنفَسُ بِهَذَینِ یَعنِی الحَسَنَ وَ الحُسَینَ ع عَلَی المَوتِ لِئَلّا یَنقَطِعَ بِهِمَا نَسلُ رَسُولِ اللّهِص قال

الرضـى أبـو الحسن رحمه الله قـوله ع املكوا عنى هـذاالغلام من أعلى الكلام وأفصحه -روايت-۱-۹۱ الألف فى املكوا ألف وصل لأن الماضى ثلاثى من ملكت الفرس والعبد والدار أملك بالكسر أى احجروا عليه كمايحجر المالك على مملوكه . و عن متعلقة بمحذوف تقديره استولوا عليه وأبعدوه عنى و لما كان الملك سبب الحجر على المملوك عبر بالسبب عن المسبب كماعبر بالنكاح عن العقد و هو فى الحقيقة اسم الوطء لما كان العقد طريقا إلى الوطء وسببا له . ووجه علو هذاالكلام وفصاحته أنه لما كان فى املكوا معنى البعد أعقبه [صفحه ۲۶] بعن و ذلك أنهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين ع إلا و قدأبعدوه عنه أ لاترى أنك إذاحجرت على زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو فلذلك قال املكوا عنى هذاالغلام واستفصح الشارحون قول أبى الطيب إذا كـان شم الروح أدنى إليكم || فلا برحتنى روضة وقبول قالوا و لما كان فى فلابرحتنى معنى فارقتنى عدى اللفظة و إن كانت لازمة نظرا إلى المعنى . قوله لايهدنى أى لئلا يهدنى فحذف كماحذف طرفه فى قوله ألا أى هذاالزاجرى أحضر الوغى أى لأن أحضر. وأنفس أبخل نفست عليه بكذا بالكسر. فإن قلت أيجوز أن يقال للحسن و الحسين وولدهما أبناء رسول الله وولد رسول الله وذرية رسول الله ونسل رسول الله . قلت نعم لأن الله تعالى سماهم أبناءه فى قوله تعالى نَدعُ أَبناءَنا وَ أَبناءَكُم وإنما عنى الحسن و الحسين و لوأوصى لولد فلان بمال دخل فيه أولاد البنات وسمى الله تعالى عيسى ذرية ابراهيم فى قوله وَ مِن ذُرّيّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيمانَ إلى أن قال وَ يَحيى وَ عِيسى و لم يختلف أهل اللغة فى أن ولد البنات من نسل الرجل . -قرآن-۲۳۲-۲۶۰-قرآن-۳۸۷-۴۲۳-قرآن-۴۳۸-۴۵۴ [صفحه ۲۷] فإن قلت فما تصنع بقوله تعالى ما كانَ مُحَمّدٌ أَبا أَحَدٍ مِن رِجالِكُم قلت أسألك عن أبوته لإبراهيم بن مارية فكما تجيب به عن ذلك فهو جوابى عن الحسن و الحسين ع . والجواب الشامل للجميع أنه عنى زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول زيد بن محمد على عادتهم فى تبنى العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنة الجاهلية و قال إن محمدا ع ليس أبالواحد من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعتزى إليه بالنبوة و ذلك لاينفى كونه أباالأطفال لم تطلق عليهم لفظة الرجال كإبراهيم وحسن وحسين ع . فإن قلت أتقول إن ابن البنت ابن على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز. قلت لذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة أصلية لأن أصل الإطلاق الحقيقة و قد يكون اللفظ مشتركا بين مفهومين و هو فى أحدهما أشهر و لايلزم من كونه أشهر فى أحدهما ألا يكون حقيقة فى الآخر. ولذاهب أن يذهب إلى أنه حقيقة عرفية وهى التى كثر استعمالها وهى فى الأكثر مجاز حتى صارت حقيقة فى العرف كالراوية للمزادة والسماء للمطر. ولذاهب أن يذهب إلى كونه مجازا قداستعمله الشارع فجاز إطلاقه فى كل حال واستعماله كسائر المجازات المستعملة. ومما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بنى هاشم كافة بالنبى ع أنه ما كان يحل له ع أن ينكح بنات الحسن و الحسين ع و لابنات ذريتهما و إن بعدن وطال الزمان ويحل له نكاح بنات غيرهم من بنى هاشم من الطالبيين وغيرهم و هذايدل على مزيد الأقربية وهى كونهم أولاده لأنه ليس هناك من القربى غير -قرآن-۳۴-۷۵ [صفحه ۲۸] هذاالوجه لأنهم ليسوا أولاد أخيه و لاأولاد أخته و لاهناك وجه يقتضى حرمتهم عليه إلاكونه والدا لهم وكونهم أولادا له فإن قلت قد قال الشاعر بنونا بنو أبنائنا وبناتنا || بنوهن أبناء الرجال الأباعد . و قال حكيم العرب أكثم بن صيفى فى البنات يذمهن إنهن يلدن الأعداء ويورثن البعداء. قلت إنما قال الشاعر ماقاله على المفهوم الأشهر و ليس فى قول أكثم مايدل على نفى بنوتهم وإنما ذكر أنهن يلدن الأعداء و قد يكون ولد الرجل لصلبه عدوا قال الله تعالى إِنّ مِن أَزواجِكُم وَ أَولادِكُم عَدُوّا لَكُم و لاينفى كونه عدوا كونه ابنا.قيل لمحمد بن الحنفية ع لم يغرر بك أبوك فى الحرب و لم لايغرر بالحسن و الحسين فقال لأنهما عيناه و أنايمينه فهو يذب عن عينيه بيمينه -قرآن-۲۶۴-۳۱۰ [صفحه ۲۹]

۲۰۱- و من كلام له ع قاله لمااضطرب عليه أصحابه فى أمر الحكومة

يَا أَيّهَا النّاسُ إِنّهُ لَم يَزَل أَمرِي مَعَكَم عَلَى مَا أُحِبّ حَتّى نَهِكَتكُمُ الحَربُ وَ قَد وَ اللّهِ أَخَذَت مِنكُم وَ تَرَكَت وَ هيَ لِعَدُوّكُم أَنهَكُ.لَقَد كُنتُ أَمسِ أَمِيراً فَأَصبَحتُ اليَومَ مَأمُوراً وَ كُنتُ أَمسِ نَاهِياً فَأَصبَحتُ اليَومَ مَنهِيّاً وَ قَد أَحبَبتُمُ البَقَاءَ وَ لَيسَ لِي أَن أَحمِلَكُم عَلَى مَا تَكرَهُونَ نهكتكم بكسر الهاء أدنفتكم وأذابتكم ويجوز فتح الهاء و قدنهك الرجل أى دنف وضنى فهو منهوك و عليه نهكه المرض أى أثرة الحرب مؤنثة. و قدأخذت منكم وتركت أى لم تستأصلكم بل فيكم بعدبقية وهى لعدوكم أنهك لأن القتل فى أهل الشام كان أشد استحرارا والوهن فيهم أظهر و لو لافساد أهل العراق برفع المصاحف لاستؤصل الشام وخلص الأشتر إلى معاوية فأخذه بعنقه و لم يكن قدبقى من قوة الشام إلاكحركة ذنب الوزغة عندقتلها يضطرب يمينا وشمالا ولكن الأمور السماوية لاتغالب .فأما قوله كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا فقد قدمنا شرح حالهم من قبل و أن أهل العراق لمارفع عمرو بن العاص و من معه المصاحف على وجه المكيدة [صفحه ۳۰] حين أحس بالعطب وعلو كلمة أهل الحق ألزموا أمير المؤمنين ع بوضع أوزار الحرب وكف الأيدى عن القتال وكانوا فى ذلك على أقسام فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة بل حقا ودعاء إلى الدين وموجب الكتاب فرأى أن الاستسلام للحجة أولى من الإصرار على الحرب . ومنهم من كان قدمل الحرب وآثر السلم فلما رأى شبهة مايسوغ التعلق بها فى رفض المحاربة وحب العافية أخلد إليهم . ومنهم من كان يبغض عليا ع بباطنه ويطيعه بظاهره كمايطيع كثير من الناس السلطان فى الظاهر ويبغضه بقلبه فلما وجدوا طريقا إلى خذلانه وترك نصرته أسرعوا نحوها فاجتمع جمهور عسكره عليه وطالبوه بالكف وترك القتال فامتنع امتناع عالم بالمكيدة و قال لهم إنها حيلة وخديعة وإنى أعرف بالقوم منكم إنهم ليسوا بأصحاب قرآن و لادين قدصحبتهم وعرفتهم صغيرا وكبيرا فعرفت منهم الإعراض عن الدين والركون إلى الدنيا فلاتراعوا برفع المصاحف وصمموا على الحرب و قدملكتموهم فلم يبق منهم إلاحشاشة ضعيفة وذماء قليل فأبوا عليه وألحوا وأصروا على القعود والخذلان وأمروه بالإنفاذ إلى المحاربين من أصحابه وعليهم الأشتر أن يأمرهم بالرجوع وتهددوه إن لم يفعل بإسلامه إلى معاوية فأرسل إلى الأشتر يأمره بالرجوع وترك الحرب فأبى عليه فقال كيف أرجع و قدلاحت أمارات الظفر فقولوا له ليمهلنى ساعة واحدة و لم يكن علم صورة الحال كيف قدوقعت فلما عاد إليه الرسول بذلك غضبوا ونفروا وشغبوا وقالوا أنفذت إلى الأشتر سرا وباطنا تأمره بالتصميم وتنهاه عن الكف و إن لم تعده الساعة و إلاقتلناك كماقتلنا عثمان فرجعت الرسل إلى الأشتر فقالوا له أتحب أن تظفر بمكانك و أمير المؤمنين قدسل عليه [صفحه ۳۱] خمسون ألف سيف فقال ماالخبر قال إن الجيش بأسره قدأحدق به و هوقاعد بينهم على الأرض تحته نطع و هومطرق والبارقة تلمع على رأسه يقولون لئن لم تعد الأشتر قتلناك قال ويحكم فما سبب ذلك قالوا رفع المصاحف قال و الله لقد ظننت حين رأيتها رفعت أنها ستوقع فرقة وفتنة. ثم كر راجعا على عقبيه فوجد أمير المؤمنين ع تحت الخطر قدردده أصحابه بين أمرين إما أن يسلموه إلى معاوية أويقتلوه و لاناصر له منهم إلاولداه و ابن عمه ونفر قليل لايبلغون عشرة فلما رآهم الأشتر سبهم وشتمهم و قال ويحكم أ بعدالظفر والنصر صب عليكم الخذلان والفرقة ياضعاف الأحلام ياأشباه النساء ياسفهاء العقول فشتموه وسبوه وقهروه وقالوا المصاحف المصاحف والرجوع إليها لانرى غير ذلك فأجاب أمير المؤمنين ع إلى التحكيم دفعا للمحذور الأعظم بارتكاب المحظور الأضعف فلذلك قال كنت أميرا فأصبحت مأمورا وكنت ناهيا فصرت منهيا و قدسبق من شرح حال التحكيم و ماجرى فيه مايغنى عن إعادته [صفحه ۳۲]

۲۰۲– و من كلام له ع بالبصرة و قددخل على العلاء بن زياد الحارثى

اشاره

و هو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال مَا كُنتَ تَصنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدّارِ فِي الدّنيَا أَمَا أَنتَ إِلَيهَا فِي الآخِرَةِ كُنتَ أَحوَجَ وَ بَلَى إِن شِئتَ بَلَغتَ بِهَا الآخِرَةَ تَقرِي فِيهَا الضّيفَ وَ تَصِلُ فِيهَا الرّحِمَ وَ تُطلِعُ مِنهَا الحُقُوقَ مَطَالِعَهَا فَإِذاً أَنتَ قَد بَلَغتَ بِهَا الآخِرَةَ فَقَالَ لَهُ العَلَاءُ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ أَشكُو إِلَيكَ أخَيِ عَاصِمَ بنَ زِيَادٍ قَالَ وَ مَا لَهُ قَالَ لَبِسَ العَبَاءَ وَ تَخَلّى مِنَ الدّنيَا قَالَ عَلَيّ بِهِ فَلَمّا جَاءَ قَالَ يَا عُدَيّ نَفسِهِ لَقَدِ استَهَامَ بِكَ الخَبِيثُ أَ مَا رَحِمتَ أَهلَكَ وَ وَلَدَكَ أَ تَرَى اللّهَ أَحَلّ لَكَ الطّيّبَاتِ وَ هُوَ يَكرَهُ أَن تَأخُذَهَا أَنتَ أَهوَنُ عَلَى اللّهِ مِن ذَلِكَ قَالَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ هَذَا أَنتَ فِي خُشُونَةِ مَلبَسِكَ وَ جُشُوبَةِ مَأكَلِكَ قَالَ وَيحَكَ إنِيّ لَستُ كَأَنتَ إِنّ اللّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمّةِ الحَقّ أَن يُقَدّرُوا أَنفُسَهُم بِضَعَفَةِ النّاسِ كَيلَا يَتَبَيّغَ بِالفَقِيرِ فَقرُهُ [صفحه ۳۳] كنت هاهنا زائدة مثل قوله تعالى كَيفَ نُكَلّمُ مَن كانَ فِي المَهدِ صَبِيّا. و قوله وبلى إن شئت بلغت بهاالآخرة لفظ فصيح كأنه استدرك و قال وبلى على أنك قدتحتاج إليها فى الدنيا لتجعلها وصلة إلى نبل الآخرة بأن تقرى فيهاالضيف والضيف لفظ يقع على الواحد والجمع و قديجمع فيقال ضيوف وأضياف والرحم القرابة. وتطلع منها الحقوق مطالعها توقعها فى مظان استحقاقها. والعباء جمع عباءة وهى الكساء و قدتلين كماقالوا عظاءة وعظاية وصلاءة وصلاية. وتقول على بفلان أى أحضره والأصل أعجل به على فحذف فعل الأمر ودل الباقى عليه . و ياعدى نفسه تصغير عدو و قديمكن أن يراد به التحقير المحض هاهنا. ويمكن أن يراد به الاستعظام لعداوته لها ويمكن أن يخرج مخرج التحنن والشفقة كقولك يابنى. واستهام بك الخبيث يعنى الشيطان أى جعلك هائما ضالا والباء زائدة. فإن قيل مامعنى قوله ع أنت أهون على الله من ذلك . قلت لأن فى المشاهد قديحل الواحد منا لصاحبه فعلا مخصوصا محاباة ومراقبة له -قرآن-۳۵-۷۷ [صفحه ۳۴] و هويكره أن يفعله والبشر أهون على الله تعالى من أن يحل لهم أمرا مجاملة واستصلاحا للحال معهم و هويكره منهم فعله . و قوله هذا أنت أى فما بالنا نراك خشن الملبس والتقدير فها أنت تفعل كذا فكيف تنهى عنه . وطعام جشب أى غليظ وكذلك مجشوب وقيل إنه ألذى لاأدم معه . قوله ع أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس أى يشبهوا ويمثلوا. وتبيغ الدم بصاحبه وتبوغ به أى هاج به و فى الحديث عليكم بالحجامة لايتبيغ بأحدكم الدم فيقتله -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۶۱ وقيل أصل يتبيغ يتبغى فقلب جذب وجبذ أى يجب على الإمام العادل أن يشبه نفسه فى لباسه وطعامه بضعفة الناس جمع ضعيف لكيلا يهلك الفقراء من الناس فإنهم إذارأوا إمامهم بتلك الهيئة وبذلك المطعم كان أدعى لهم إلى سلوان لذات الدنيا والصبر عن شهوات النفوس

ذكر بعض مقامات العارفين والزهاد

وروى أن قوما من المتصوفة دخلوا خراسان على على بن موسى الرضا فقالوا له إن أمير المؤمنين فكر فيما ولاه الله من الأمور فرآكم أهل البيت أولى الناس أن تؤموا الناس ونظر فيك من أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس فرأى أن يرد هذاالأمر إليك والإمامة تحتاج إلى من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض فقال لهم إن يوسف كان نبيا يلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب ويجلس على متكآت آل فرعون ويحكم إنما يراد من الإمام قسطه وعدله إذا قال صدق [صفحه ۳۵] و إذاحكم عدل و إذاوعد أنجز إن الله لم يحرم لبوسا و لامطعما ثم قرأقُل مَن حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التّيِ أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطّيّباتِ مِنَ الرّزقِالآية. و هذاالقول مخالف للقانون ألذى أشار أمير المؤمنين إليه وللفلاسفة فى هذاالباب كلام لابأس به و قدأشار إليه أبو على بن سينا فى كتاب الإشارات و عليه يتخرج قولا أمير المؤمنين و على بن موسى الرضا ع قال أبو على فى مقامات العارفين العارفون قديختلفون فى الهمم بحسب مايختلف فيهم من الخواطر على حسب مايختلف عندهم من دواعى العبر فربما استوى عندالعارف القشف والترف بل ربما آثر القشف وكذلك ربما سوى عنده التفل والعطر بل ربما آثر التفل و ذلك عند ما يكون

الهاجس بباله استحقار ماعدا الحق وربما صغا إلى الزينة وأحب من كل شيءعقيلته وكره الخداج والسقط و ذلك عند مايعتبر عادته من صحبته الأحوال الظاهرة فهو يرتاد إليها في كل شيءلأنه مزية خطوة من العناية الأولى وأقرب أن يكون من قبيل ماعكف عليه بهواه و قديختلف هذا في عارفين و قديختلف في عارف بحسب وقتين . واعلم أن ألذى رويته عن الشيوخ ورأيته بخط عبد الله بن أحمد بن الخشاب رحمه الله أن الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه فكانت تنتقض عليه في كل عام فأتاه علي ع عائدا فقال كيف تجدك أبا عبدالرحمن قال أجدني يا أمير المؤمنين لو كان لايذهب مابي إلابذهاب بصري لتمنيت ذهابه قال و ماقيمة بصرك عندك قال لوكانت لي الدنيا لفديته بها قال لاجرم ليعطينك الله على قدر ذلك إن الله تعالى يعطي على قدر الألم والمصيبة وعنده تضعيف كثير قال الربيع -قرآن-٧٢-١٥٤ [صفحه ٣٦] يا أمير المؤمنين أ لاأشكو إليك عاصم بن زياد أخي قال ما له قال لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وحزن ولده فقال علي ادعوا لي عاصما فلما أتاه عبس في وجهه و قال ويحك ياعاصم أترى الله أباح لك اللذات و هويكره ماأخذت منها لأنت أهون على الله من ذلك أ و ماسمعته يقول مَرَجَ البَحرَينِ يَلتَقِيانِ ثم يقول يَخرُجُ مِنهُمَا اللّؤلُؤُ وَ المَرجانُ و قال وَ مِن كُلّ تَأكُلُونَ لَحماً طَرِيّا وَ تَستَخرِجُونَ حِليَةً تَلبَسُونَهَا أما و الله إن ابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذالها بالمقال و قدسمعتم الله يقول وَ أَمّا بِنِعمَةِ رَبّكَ فَحَدّث و قوله مَن حَرّمَ زِينَةَ اللّهِ التّيِ أَخرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطّيّباتِ مِنَ الرّزقِ إن الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيّباتِ ما رَزَقناكُم و قال يا أَيّهَا الرّسُلُ كُلُوا مِنَ الطّيّباتِ وَ اعمَلُوا صالِحاً و -قرآن-٢٨٩-٣١٧-قرآن-٣٢٨-٣٦٦-قرآن-٣٧٤-٤٤٨-قرآن-٥٤٦-٥٧٨-قرآن-٥٨٧-٦٦٥-قرآن-٧١٩-٧٧٩-قرآن-٧٨٧-٨٤٨ قال رسول الله ص لبعض نسائه ما لي أراك شعثاء مرهاء سلتاء -روايت-١-٢-روايت-٣٥-٦٦ . قال عاصم فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب قال إن الله تعالى افترض على أئمة العدل أن يقدروا لأنفسهم بالقوام كيلا يتبيغ بالفقير فقره فما قام علي ع حتى نزع عاصم العباء ولبس ملاءة. والربيع بن زياد هو ألذى افتتح بعض خراسان و فيه قال عمر دلوني على رجل إذا كان [صفحه ٣٧] في القوم أميرا فكأنه ليس بأمير و إذا كان في القوم ليس بأمير فكأنه الأمير بعينه و كان خيرا متواضعا و هوصاحب الوقعة مع عمر لماأحضر العمال فتوحش له الربيع وتقشف وأكل معه الجشب من الطعام فأقره على عمله وصرف الباقين و قدذكرنا هذه الحكاية فيما تقدم . وكتب زياد ابن أبيه إلى الربيع بن زياد و هو على قطعة من خراسان أن أمير المؤمنين معاوية كتب إلي يأمرك أن تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم الخرثي و ماأشبهه على أهل الحرب فقال له الربيع إني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ثم نادى في الناس أن اغدوا على غنائمكم فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين ثم دعا الله أن يميته فما جمع حتى مات . و هوالربيع بن زياد بن أنس بن ديان بن قطر بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن مالك بن كعب بن الحارث بن عمرو بن وعلة بن خالد بن مالك بن أدد. و أماالعلاء بن زياد ألذى ذكره الرضي رحمه الله فلاأعرفه لعل غيري يعرفه [صفحه ٣٨]

٢٠٣- و من كلام له ع و قدسأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر

اشاره

فقال ع إِنّ فِي أَيدِي النّاسِ حَقّاً وَ بَاطِلًا وَ صِدقاً وَ كَذِباً وَ نَاسِخاً وَ مَنسُوخاً وَ عَامّاً وَ خَاصّاً وَ مُحكَماً وَ مُتَشَابِهاً وَ حِفظاً وَ وَهَماً وَ قَد كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللّهِص عَلَى عَهدِهِ حَتّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ مَن كَذَبَ عَلَيّ مُتَعَمّداً فَليَتَبَوّأ مَقعَدَهُ مِنَ النّارِ وَ إِنّمَا أَتَاكَ بِالحَدِيثِ

أَربَعَةُ رِجَالٍ لَيسَ لَهُم خَامِسٌ رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظهِرٌ لِلإِيمَانِ مُتَصَنّعٌ بِالإِسلَامِ لَا يَتَأَثّمُ وَ لَا يَتَحَرّجُ يَكذِبُ عَلَى رَسُولِ اللّهِص مُتَعَمّداً فَلَو عَلِمَ النّاسُ أَنّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَم يَقبَلُوا مِنهُ وَ لَم يُصَدّقُوا قَولَهُ وَ لَكِنّهُم قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللّهِص رَآهُ وَ سَمِعَ مِنهُ وَ لَقِفَ عَنهُ فَيَأخُذُونَ بِقَولِهِ وَ قَد أَخبَرَكَ اللّهُ عَنِ المُنَافِقِينَ بِمَا أَخبَرَكَ وَ وَصَفَهُم بِمَا وَصَفَهُم بِهِ لَكَ ثُمّ بَقُوا بَعدَهُ فَتَقَرّبُوا إِلَى أَئِمّةِ الضّلَالَةِ وَ الدّعَاةِ إِلَى النّارِ بِالزّورِ وَ البُهتَانِ فَوَلّوهُمُ الأَعمَالَ وَ جَعَلُوهُم حُكّاماً عَلَى رِقَابِ النّاسِ فَأَكَلُوا بِهِمُ الدّنيَا وَ إِنّمَا النّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَ الدّنيَا إِلّا مَن عَصَمَ اللّهُ فَهَذَا أَحَدُ الأَربَعَةِ وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِن رَسُولِ اللّهِ شَيئاً لَم يَحفَظهُ عَلَى وَجهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ وَ لَم يَتَعَمّد [صفحه ۳۹] كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيهِ وَ يَروِيهِ وَ يَعمَلُ بِهِ وَ يَقُولُ أَنَا سَمِعتُهُ مِن رَسُولِ اللّهِص فَلَو عَلِمَ المُسلِمُونَ أَنّهُ وَهِمَ فِيهِ لَم يَقبَلُوهُ مِنهُ وَ لَو عَلِمَ هُوَ أَنّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ وَ رَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِن رَسُولِ اللّهِص شَيئاً يَأمُرُ بِهِ ثُمّ إِنّهُ نَهَى عَنهُ وَ هُوَ لَا يَعلَمُ أَو سَمِعَهُ يَنهَى عَن شَيءٍ ثُمّ أَمَرَ بِهِ وَ هُوَ لَا يَعلَمُ فَحَفِظَ المَنسُوخَ وَ لَم يَحفَظِ النّاسِخَ فَلَو عَلِمَ أَنّهُ مَنسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَ لَو عَلِمَ المُسلِمُونَ إِذ سَمِعُوهُ مِنهُ أَنّهُ مَنسُوخٌ لَرَفَضُوهُ وَ آخَرُ رَابِعٌ لَم يَكذِب عَلَى اللّهِ وَ لَا عَلَى رَسُولِهِ مُبغِضٌ لِلكَذِبِ خَوفاً مِنَ اللّهِ وَ تَعظِيماً لِرَسُولِ اللّهِص وَ لَم يَهِم بَل حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجهِهِ فَجَاءَ بِهِ عَلَى سَمعِهِ لَم يَزِد فِيهِ وَ لَم يَنقُص مِنهُ فَهُوَ حَفِظَ النّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ وَ حَفِظَ المَنسُوخَ فَجَنّبَ عَنهُ وَ عَرَفَ الخَاصّ وَ العَامّ وَ المُحكَمَ وَ المُتَشَابِهَ فَوَضَعَ كُلّ شَيءٍ مَوضِعَهُ وَ قَد كَانَ يَكُونُ مِن رَسُولِ اللّهِص الكَلَامُ لَهُ وَجهَانِ فَكَلَامٌ خَاصّ وَ كَلَامٌ عَامّ فَيَسمَعُهُ مَن لَا يَعرِفُ مَا عَنَى اللّهُ سُبحَانَهُ بِهِ وَ لَا مَا عَنَى رَسُولُ اللّهِص فَيَحمِلُهُ السّامِعُ وَ يُوَجّهُهُ عَلَى غَيرِ مَعرِفَةٍ بِمَعنَاهُ وَ مَا قَصَدَ بِهِ وَ مَا خَرَجَ مِن أَجلِهِ وَ لَيسَ كُلّ أَصحَابِ رَسُولِ اللّهِص مَن كَانَ يَسأَلُهُ وَ يَستَفهِمُهُ حَتّى إِن كَانُوا لَيُحِبّونَ أَن يَجِيءَ الأَعرَابِيّ وَ الطّارِئُ فَيَسأَلَهُ ع حَتّى يَسمَعُوا وَ كَانَ لَا يَمُرّ بِي مِن ذَلِكَ شَيءٌ إِلّا سَأَلتُهُ عَنهُ وَ حَفِظتُهُ فَهَذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيهِ النّاسُ فِي اختِلَافِهِم وَ عِلَلِهِم فِي رِوَايَاتِهِم [صفحه ۴۰] الكلام فى تفسير الألفاظ الأصولية وهى العام والخاص والناسخ والمنسوخ والصدق والكذب والمحكم والمتشابه موكول إلى فن أصول الفقه و قدذكرناه فيما أمليناه من الكتب الأصولية والإطالة بشرح ذلك فى هذاالموضع مستهجنة. قوله ع وحفظا ووهما الهاء مفتوحة وهى مصدر وهمت بالكسر أوهم أى غلطت وسهوت و قدروى وهما بالتسكين و هومصدر وهمت بالفتح أوهم إذاذهب وهمك إلى شيء و أنت تريد غيره والمعنى متقارب . و قول النبى ص فليتبوأ مقعده من النار -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۱ كلام صيغته الأمر ومعناه الخبر كقوله تعالى قُل مَن كانَ فِي الضّلالَةِ فَليَمدُد لَهُ الرّحمنُ مَدّا وتبوأت المنزل نزلته وبوأته منزلا أنزلته فيه . والتأثم الكف عن موجب الإثم والتحرج مثله وأصله الضيق كأنه يضيق على نفسه . ولقف عنه تناول عنه . وجنب عنه أخذ عنه جانبا. و إن فى قوله حتى إن كانوا ليحبون مخففة من الثقيلة ولذلك جاءت اللام فى الخبر. والطارئ بالهمز الطالع عليهم طرأ أى طلع و قدروى عللهم بالرفع عطفا على وجوه وروى بالجر عطفا على اختلافهم -قرآن-۴۷-۱۰۳ [صفحه ۴۱]

ذكر بعض أحوال المنافقين بعدوفاة محمد ع

واعلم أن هذاالتقسيم صحيح و قد كان فى أيام الرسول ص منافقون وبقوا بعده و ليس يمكن أن يقال إن النفاق مات بموته والسبب فى استتار حالهم بعده أنه ص كان لايزال بذكرهم بما ينزل عليه من القرآن فإنه مشحون بذكرهم أ لاترى أن أكثر مانزل بالمدينة من القرآن مملوء بذكر المنافقين فكان السبب فى انتشار ذكرهم وأحوالهم وحركاتهم هوالقرآن فلما انقطع الوحى بموته ص لم يبق من ينعى عليهم سقطاتهم ويوبخهم على أعمالهم ويأمر بالحذر منهم ويجاهرهم تارة ويجاملهم تارة وصار المتولى للأمر بعده يحمل الناس كلهم على كاهل المجاملة ويعاملهم بالظاهر و هوالواجب فى حكم الشرع والسياسة الدنيوية بخلاف حال الرسول ص فإنه كان تكليفه معهم غير هذاالتكليف أ لاترى أنه قيل له وَ لا تُصَلّ عَلى أَحَدٍ مِنهُم ماتَ

أَبَداًفهـذا يـدل على أنه كـان يعرفهم بأعيـانهم و إلاـ كـان النهى له عن الصـلاة عليهم تكليف مـا لايطاق والوالى بعـده لايعرفهم بأعيانهم فليس مخاطبا بما خوطب به ص فى أمرهم ولسكوت الخلفاء عنهم بعده خمل ذكرهم فكان قصارى أمر المنافق أن يسر ما فى قلبه ويعامل المسلمين بظاهره ويعاملونه بحسب ذلك ثم فتحت عليهم البلاد وكثرت الغنائم فاشتغلوا بها عن الحركات التى كـانوا يعتمـدونها أيام رسول الله وبعثهم الخلفاء مع الأمراء إلى بلاد فارس والروم فألهتهم الـدنيا عن الأمور التى كانت تنقم منهم فى حيـاة رسول الله ص ومنهم من اسـتقام اعتقـاده وخلصت نيته لمـارأوا الفتوح وإلقـاء الـدنيا أفلاـذ كبـدها من الأـموال العظيمة والكنـوز الجليلـة إليهم فقـالوا لو لم يكن هذاالـدين –قرآن-٧٠١-٧٤٤ [صـفحه ٤٢] حقـا لماوصـلنا إلى ماوصـلنا إليه وبالجملة لماتركوا تركوا وحيث سـكت عنهم سـكتوا عن الإسـلام وأهله إلا فى دسيسة خفيـة يعملونها نحو الكـذب ألـذى أشار إليه أمير المؤمنين ع فـإنه خالـط الحـديث كـذب كثير صـدر عن قوم غيرصـحيحى العقيـدة قصـدوا به الإضـلال وتخبيط القلوب والعقائد وقصـد به بعضـهم التنويه بـذكر قوم كان لهم فى التنويه بـذكرهم غرض دنيوى و قـدقيل إنه افتعل فى أيام معاوية خاصة حديث كثير على هـذاالوجه و لم يسـكت المحـدثون الراسـخون فى علم الحديث عن هذابل ذكروا كثيرا من هذه الأحاديث الموضوعة وبينوا وضـعها و أن رواتها غيرموثوق بهم إلا أن المحـدثين إنما يطعنون فيما دون طبقـة الصـحابة و لايتجاسـرون فى الطعن على أحـد من الصـحابة لأـن عليه لفـظ الصـحبة على أنهم قـدطعنوا فى قوم لهم صـحبة كبسـر بن أرطاة وغيره . فإن قلت من هم أئمة الضـلالة الذين يتقرب إليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله ص وصـحبوه للزور والبهتان وهل هذا إلاتصـريح بما تذكره الإمامية وتعتقـده . قلت ليس الأمر كماظننت وظنوا وإنما يعنى معاويـة وعمرو بن العاص و من شايعهما على الضـلال كالخبر ألـذى رواه من فى حق معاويـة أللهم قه العـذاب والحساب وعلمه الكتاب وكروايـة عمرو بن العاص تقربا إلى قلب معاوية إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنما وليى الله وصالـح المؤمنين وكروايـة قوم فى أيام معاويـة أخبارا كثيرة من فضائل عثمان تقربا إلى معاوية بها ولسـنا نجحـد فضل عثمان وسابقته ولكنا نعلم أن بعض الأخبار الواردة فيه موضوع كخبر عمرو بن مرة فيه و هومشـهور وعمر بن مرة ممن له صحبة و هوشامى [صفحه ٤٣]

ذكر بعض مامنى به آل البيت من الأذى والاضطهاد

و ليس يجب من قولنـا إن بعض الأخبـار الواردة فى حق شـخص فاضـل مفتعلـة أن تكون قادحـة فى فضل ذلك الفاضل فإنا مع اعتقادنـا أن عليـا أفضل الناس نعتقـد أن بعض الأخبار الواردة فى فضائله مفتعل ومختلق . و قـدروى أن أبا جعفر محمـد بن على الباقرع قال لبعض أصحابه يافلان مالقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهرهم علينا و مالقى شيعتنا ومحبونا من الناس إن رسول الله ص قبض و قدأخبر أناأولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا ثم تـداولتها قريش واحـد بعدواحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا و لم يزل صاحب الأمر فى صـعود كئود حتى قتـل فبويع الحسن ابنه وعوهـد ثم غـدر به وأسـلم ووثب عليه أهـل العراق حـتى طعن بخنجر فى جنبه ونهبت عسـكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل ثم بايع الحسين ع من أهل العراق عشرون ألفا ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته فى أعناقهم وقتلوه ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف و لانأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ووجـد الكاذبون الجاحـدون لكذبهم وجحودهم موضـعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمـال السوء فى كل بلـدة فحـدثوهم بالأحاديث الموضوعـة المكذوبـة ورووا عنا ما لم نقله و ما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس و كان عظم ذلك وكبره زمن معاويـة بعـدموت الحسن ع فقتلت شيعتنا بكل بلـدة وقطعت الأيـدى والأرجل على الظنة و كان من

یذکر بحبنا والانقطاع إلینا سجن أونهب ماله أوهدمت داره ثم لم یزل البلاء یشتد ویزداد -روایت-۱-۲-روایت-۵۷-ادامه دارد
[صفحه ۴۴] إلی زمان عبید الله بن زیاد قاتل الحسین ع ثم جاء الحجاج فقتلهم کل قتلة وأخذهم بکل ظنة وتهمة حتی أن الرجل لیقال له زندیق أوکافر أحب إلیه من أن یقال شیعة علی و حتی صار الرجل ألذی یذکر بالخیر ولعله یکون ورعا صدوقا یحدث بأحادیث عظیمة عجیبة من تفضیل بعض من قدسلف من الولاة و لم یخلق الله تعالی شیئا منها و لاکانت و لاوقعت و هویحسب أنها حق لکثرة من قدرواها ممن لم یعرف بکذب و لابقلة ورع -روایت-از قبل-۴۲۰ . وروی أبو الحسن علی بن محمد بن أبی سیف المدائنی فی کتاب الأحداث قال کتب معاویة نسخة واحدة إلی عماله بعدعام الجماعة أن برئت الذمة ممن روی شیئا من فضل أبی تراب و أهل بیته فقامت الخطباء فی کل کورة و علی کل منبر یلعنون علیا ویبرءون منه ویقعون فیه و فی أهل بیته و کان أشد الناس بلاء حینئذ أهل الکوفة لکثرة من بها من شیعة علی ع فاستعمل علیهم زیاد ابن سمیة وضم إلیه البصرة فکان یتتبع الشیعة و هوبهم عارف لأنه کان منهم أیام علی ع فقتلهم تحت کل حجر ومدر وأخافهم وقطع الأیدی والأرجل وسمل العیون وصلبهم علی جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم یبق بهامعروف منهم وکتب معاویة إلی عماله فی جمیع الآفاق ألا یجیزوا لأحد من شیعة علی و أهل بیته شهادة وکتب إلیهم أن انظروا من قبلکم من شیعة عثمان ومحبیه و أهل ولایته والذین یروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأکرموهم واکتبوا لی بکل مایروی کل رجل منهم واسمه واسم أبیه وعشیرته .ففعلوا ذلک حتی أکثروا فی فضائل عثمان ومناقبه لما کان یبعثه إلیهم معاویة من الصلات والکساء والحباء والقطائع ویفیضه فی العرب منهم والموالی فکثر ذلک فی کل مصر وتنافسوا فی المنازل والدنیا فلیس یجیء أحد مردود من الناس عاملا من [صفحه ۴۵] عمال معاویة فیروی فی عثمان فضیلة أومنقبة إلاکتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلک حینا. ثم کتب إلی عماله أن الحدیث فی عثمان قدکثر وفشا فی کل مصر و فی کل وجه وناحیة فإذاجاءکم کتابی هذافادعوا الناس إلی الروایة فی فضائل الصحابة والخلفاء الأولین و لاتترکوا خبرا یرویه أحد من المسلمین فی أبی تراب إلا وتأتونی بمناقض له فی الصحابة فإن هذاأحب إلی وأقر لعینی وأدحض لحجة أبی تراب وشیعته وأشد علیهم من مناقب عثمان وفضله .فقرئت کتبه علی الناس فرویت أخبار کثیرة فی مناقب الصحابة مفتعلة لاحقیقة لها وجد الناس فی روایة مایجری هذاالمجری حتی أشادوا بذکر ذلک علی المنابر وألقی إلی معلمی الکتاتیب فعلموا صبیانهم وغلمانهم من ذلک الکثیر الواسع حتی رووه وتعلموه کمایتعلمون القرآن و حتی علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلک ماشاء الله . ثم کتب إلی عماله نسخة واحدة إلی جمیع البلدان انظروا من قامت علیه البینة أنه یحب علیا و أهل بیته فامحوه من الدیوان وأسقطوا عطاءه ورزقه وشفع ذلک بنسخة أخری من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنکلوا به وأهدموا داره فلم یکن البلاء أشد و لاأکثر منه بالعراق و لاسیما بالکوفة حتی أن الرجل من شیعة علی ع لیأتیه من یثق به فیدخل بیته فیلقی إلیه سره ویخاف من خادمه ومملوکه و لایحدثه حتی یأخذ علیه الأیمان الغلیظة لیکتمن علیه فظهر حدیث کثیر موضوع وبهتان منتشر ومضی علی ذلک الفقهاء والقضاة والولاة و کان أعظم الناس فی ذلک بلیة القراء المراءون والمستضعفون الذین یظهرون الخشوع والنسک فیفتعلون الأحادیث لیحظوا بذلک عندولاتهم ویقربوا مجالسهم ویصیبوا به الأموال والضیاع [صفحه ۴۶] والمنازل حتی انتقلت تلک الأخبار والأحادیث إلی أیدی الدیانین الذین لایستحلون الکذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم یظنون أنها حق و لوعلموا أنها باطلة لمارووها و لاتدینوا بها.فلم یزل الأمر کذلک حتی مات الحسن بن علی ع فازداد البلاء والفتنة فلم یبق أحد من هذاالقبیل إلا و هوخائف علی دمه أوطرید فی الأرض . ثم تفاقم الأمر بعدقتل الحسین ع وولی عبدالملک بن مروان فاشتد علی الشیعة وولی علیهم الحجاج بن یوسف فتقرب إلیه أهل النسک والصلاح والدین ببغض علی وموالاة أعدائه وموالاة من یدعی من الناس أنهم أیضا أعداؤه فأکثروا فی الروایة فی فضلهم وسوابقهم ومناقبهم وأکثروا من الغض من علی ع وعیبه والطعن فیه والشنئان له حتی أن إنسانا وقف للحجاج

ويقال إنه جد الأصمعى عبدالملك بن قريب فصاح به أيها الأمير إن أهلى عقونى فسمونى عليا وإنى فقير بائس و أنا إلى صلة الأمير محتاج فتضاحك له الحجاج و قال للطف ماتوسلت به قدوليتك موضع كذا. و قدروى ابن عرفة المعروف بنفطويه و هو من أكابر المحدثين وأعلامهم فى تاريخه مايناسب هذاالخبر و قال إن أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم . قلت و لايلزم من هذا أن يكون على ع يسوءه أن يذكر الصحابة والمتقدمون عليه بالخير والفضل إلا أن معاوية وبنى أمية كانوا يبنون الأمر من هذا على مايظنونه فى على ع من أنه عدو من تقدم عليه و لم يكن الأمر فى الحقيقة كما [صفحه ۴۷] يظنونه ولكنه كان يرى أنه أفضل منهم وأنهم استأثروا عليه بالخلافة من غيرتفسيق منه لهم و لابراءة منهم . فأما قوله ع و رجل سمع من رسول الله شيئا و لم يحفظه على وجهه فوهم فيه فقد وقع ذلك و قال أصحابنا فى الخبر ألذى رواه عبد الله بن عمر أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه إن ابن عباس لماروى له هذاالخبر قال ذهل ابن عمر إنما مر رسول الله ص على قبر يهودى فقال إن أهله ليبكون عليه وإنه ليعذب . وقالوا أيضا إن عائشة أنكرت ذلك وقالت ذهل أبو عبدالرحمن كماذهل فى خبر قليب بدر إنما قال ع إنهم ليبكون عليه وإنه ليعذب بجرمه -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۵۵ .قالوا وموضع غلطه فى خبر القليب أنه روى أن النبى ص وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا ثم قال إنهم يسمعون ماأقول لهم -روايت-۱-۲-روايت-۷-۱۱۰ فأنكرت عائشة ذلك وقالت إنما قال إنهم يعلمون أن ألذى كنت أقوله لهم هوالحق -روايت-۱-۲-روايت-۸-۵۶ واستشهد بقوله تعالى إِنّكَ لا تُسمِعُ المَوتى.فأما الرجل الثالث و هو ألذى يسمع المنسوخ و لم يسمع الناسخ فقد وقع كثيرا وكتب الحديث والفقه مشحونة بذلك كالذين أباحوا لحوم الحمر الأهلية لخبر رووه فى ذلك و لم يرووا الخبر الناسخ . و أما الرجل الرابع فهم العلماء الراسخون فى العلم . و أما قوله ع و قد كان يكون من رسول الله ص الكلام له -قرآن-۲۳-۴۷ [صفحه ۴۸] وجهان فهذا داخل فى القسم الثانى و غيرخارج عنه ولكنه كالنوع من الجنس لأن الوهم والغلط جنس تحته أنواع . واعلم أن أمير المؤمنين ع كان مخصوصا من دون الصحابة رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلو بها مع رسول الله ص لايطلع أحد من الناس على مايدور بينهما و كان كثير السؤال للنبىص عن معانى القرآن و عن معانى كلامه ص و إذا لم يسأل ابتدأه النبى ص بالتعليم والتثقيف و لم يكن أحد من أصحاب النبى ص كذلك بل كانوا أقساما فمنهم من يهابه أن يسأله وهم الذين يحبون أن يجىء الأعرابى أوالطارئ فيسأله وهم يسمعون ومنهم من كان بليدا بعيد الفهم قليل الهمة فى النظر والبحث ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعانى إما بعبادة أودنيا ومنهم المقلد يرى أن فرضه السكوت وترك السؤال ومنهم المبغض الشانئ ألذى ليس للدين عنده من الموقع مايضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه وانضاف إلى الأمر الخاص بعلى ع ذكاؤه وفطنته وطهارة طينته وإشراق نفسه وضوءها و إذا كان المحل قابلا متهيئا كان الفاعل المؤثر موجودا والموانع مرتفعة حصل الأثر على أتم مايمكن فلذلك كان على ع كما قال الحسن البصرى ربانى هذه الأمة وذا فضلها ولذا تسميه الفلاسفة إمام الأئمة وحكيم العرب

فصل فيما وضع الشيعة والبكرية من الأحاديث

واعلم أن أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا [صفحه ۴۹] فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفة فى صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم نحو حديث السطل وحديث الرمانة وحديث غزوة البئر التى كان فيهاالشياطين وتعرف كمازعموا بذات العلم وحديث غسل سلمان الفارسى وطى الأرض وحديث الجمجمة ونحو ذلك فلما رأت البكرية ماصنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابلة هذه الأحاديث نحو لوكنت متخذا خليلا فإنهم وضعوه فى مقابلة حديث

الإخاء ونحو سد الأبواب فإنه كان لعلى ع فقلبته البكرية إلى أبى بكر ونحو ايتونى بدواة وبياض أكتب فيه لأبى بكر كتابا لايختلف عليه اثنان ثم قال يأبى الله تعالى والمسلمون إلا أبابكر فإنهم وضعوه فى مقابلة الحديث المروى عنه فى مرضه ايتونى بدواة وبياض أكتب لكم ما لاتضلون بعده أبدا -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۸۷ فاختلفوا عنده و قال قوم منهم لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله ونحو حديث أناراض عنك فهل أنت عنى راض ونحو ذلك فلما رأت الشيعة ما قدوضعت البكرية أوسعوا فى وضع الأحاديث فوضعوا حديث الطوق الحديد ألذى زعموا أنه فتله فى عنق خالد وحديث اللوح ألذى زعموا أنه كان فى غدائر الحنفية أم محمد وحديث لايفعلن خالد ماآمر به وحديث الصحيفة التى علقت عام الفتح بالكعبة وحديث الشيخ ألذى صعد المنبر يوم بويع أبوبكر فسبق الناس إلى بيعته وأحاديث مكذوبة كثيرة تقتضى نفاق قوم من أكابر الصحابة والتابعين الأولين وكفرهم و على أدون الطبقات فيهم فقابلتهم البكرية بمطاعن كثيرة فى على و فى ولديه ونسبوه تارة إلى ضعف العقل وتارة إلى ضعف السياسة وتارة إلى حب الدنيا والحرص عليها ولقد كان الفريقان فى غنية عما اكتسباه واجترحاه ولقد كان فى فضائل على ع الثابتة الصحيحة وفضائل أبى بكر المحققة [صفحه ۵۰] المعلومة مايغنى عن تكلف العصبية لهما فإن العصبية لهما أخرجت الفريقين من ذكر الفضائل إلى ذكر الرذائل و من تعديد المحاسن إلى تعديد المساوئ والمقابح ونسأل الله تعالى أن يعصمنا من الميل إلى الهوى وحب العصبية و أن يجرينا على ماعودنا من حب الحق أين وجد وحيث كان سخط ذلك من سخط ورضى به من رضى بمنه ولطفه [صفحه ۵۱]

۲۰۴- و من خطبة له ع

وَ كَانَ مِن اقتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَ بَدِيعِ لَطَائِفِ صَنعَتِهِ أَن جَعَلَ مِن مَاءِ البَحرِ الزّاخِرِ المُتَرَاكِمِ المُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً ثُمّ فَطَرَ مِنهُ أَطبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبعَ سَمَوَاتٍ بَعدَ ارتِتَاقِهَا فَاستَمسَكَت بِأَمرِهِ وَ قَامَت عَلَى حَدّهِ يَحمِلُهَا الأَخضَرُ المُثعَنجِرُ وَ القَمقَامُ المُسَخّرُ قَد ذَلّ لِأَمرِهِ وَ أَذعَنَ لِهَيبَتِهِ وَ وَقَفَ الجَارِي مِنهُ لِخَشيَتِهِ وَ جَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَ نُشُوزَ مُتُونِهَا وَ أَطوَادَهَا فَأَرسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا وَ أَلزَمَهَا قَرَارَتَهَا فَمَضَت رُءُوسُهَا فِي الهَوَاءِ وَ رَسَت أُصُولُهَا فِي المَاءِ فَأَنهَدَ جِبَالَهَا عَن سُهُولِهَا وَ أَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقطَارِهَا وَ مَوَاضِعِ أَنصَابِهَا فَأَشهَقَ قِلَالَهَا وَ أَطَالَ أَنشَازَهَا وَ جَعَلَهَا لِلأَرضِ عِمَاداً وَ أَرّزَهَا فِيهَا أَوتَاداً فَسَكَنَت عَلَى حَرَكَتِهَا مِن أَن تَمِيدَ بِأَهلِهَا أَو تَسِيخَ بِحِملِهَا أَو تَزُولَ عَن مَوَاضِعِهَا فَسُبحَانَ مَن أَمسَكَهَا بَعدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا وَ أَجمَدَهَا بَعدَ رُطُوبَةِ أَكنَافِهَا فَجَعَلَهَا لِخَلقِهِ مِهَاداً وَ بَسَطَهَا لَهُم فِرَاشاً فَوقَ بَحرٍ لجُيّ رَاكِدٍ لَا يَجرِي وَ قَائِمٍ لَا يَسرِي تُكَركِرُهُ الرّيَاحُ العَوَاصِفُ وَ تَمخُضُهُ الغَمَامُ الذّوَارِفُ إِنّ فِي ذَلِكَ لَعِبرَةً لِمَن يَخشَى [صفحه ۵۲] أراد أن يقول و كان من اقتداره فقال و كان من اقتدار جبروته تعظيما وتفخيما كمايقال للملك أمرت الحضرة الشريفة بكذا والبحر الزاخر ألذى قدامتد جدا وارتفع والمتراكم المجتمع بعضه على بعض والمتقاصف الشديد الصوت قصف الرعد وغيره قصيفا. واليبس بالتحريك المكان يكون رطبا ثم ييبس و منه قوله تعالى فَاضرِب لَهُم طَرِيقاً فِي البَحرِ يَبَساً واليبس بالسكون اليابس خلقة حطب يبس هكذا يقوله أهل اللغة و فيه كلام لأن الحطب ليس يابسا خلقة بل كان رطبا من قبل فالأصوب أن يقال لاتكون هذه اللفظة محركة إلا فى المكان خاصة وفطر خلق والمضارع يفطر بالضم فطرا. والأطباق جمع طبق و هوأجزاء مجتمعة من جراد أوغيم أوناس أو غير ذلك من حيوان أوجماد يقول خلق منه أجساما مجتمعة مرتتقة ثم فتقها سبع سموات وروى ثم فطر منه طباقا أى أجساما منفصلة فى الحقيقة متصلة فى الصورة بعضها فوق بعض وهى من ألفاظ القرآن المجيد والضمير فى منه يرجع إلى ماء البحر فى أظهر النظر و قديمكن أن يرجع إلى اليبس . واعلم أنه قدتكرر فى كلام أمير المؤمنين مايماثل هذاالقول ويناسبه و هومذهب -قرآن-۳۱۱-۳۵۲ [صفحه ۵۳] كثير من الحكماء الذين قالوا بحدوث السماء

منهم ثاليس الملطى قالوا أصل الأجسام الماء وخلقت الأرض من زبده والسماء من بخاره و قدجاء القرآن العزيز بنحو هذا قال سبحانه أَلّذِى خَلَقَ السّماواتِ وَ الأَرضَ فِى سِتّةِ أَيّامٍ وَ كانَ عَرشُهُ عَلَى الماءِ. قال شيخنا أبو على و أبوالقاسم رحمهما الله فى تفسيريهما هذه الآية دالة على أن الماء والعرش كانا قبل خلق السموات و الأرض قالا و كان الماء على الهواء قالا و هذايدل أيضا على أن الملائكة كانوا موجودين قبل خلق السموات و الأرض لأن الحكيم سبحانه لايجوز أن يقدم خلق الجماد على خلق المكلفين لأنه يكون عبثا. و قال على بن عيسى الرمانى من مشايخنا أنه غيرممتنع أن يخلق الجماد قبل الحيوان إذاعلم أن فى إخبار المكلفين بذلك لطفا لهم و لايصح أن يخبرهم إلا و هوصادق فيما أخبر به وإنما يكون صادقا إذا كان المخبر خبره على ماأخبر عنه و فى ذلك حسن تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان وكلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه كان يذهب إلى أن الأرض موضوعة على ماء البحر و أن البحر حامل لها بقدرة الله تعالى و هومعنى قوله يحملها الأخضر المثعنجر والقمقام المسخر و أن البحر الحامل لها قد كان جاريا فوقف تحتها و أنه تعالى خلق الجبال فى الأرض فجعل أصولها راسخة فى ماء البحر الحامل للأرض وأعاليها شامخة فى الهواء و أنه سبحانه جعل هذه الجبال عمادا للأرض وأوتادا تمنعها من الحركة والاضطراب ولولاها لماجت واضطربت و أن هذاالبحر الحامل للأرض تصعد فيه الرياح الشديدة فتحركه حركة عنيفة وتموج السحب التى تغترف الماء منه لتمطر الأرض به و هذاكله مطابق لما فى الكتاب العزيز والسنة النبوية والنظر الحكمى أ لاترى إلى قوله تعالى أَ وَ لَم يَرَ الّذِينَ كَفَرُوا أَنّ السّماواتِ وَ الأَرضَ -قرآن-١٧٦-٢٥٨-قرآن-١٥٣١-١٥٨٩ كثير من الحكماء الذين قالوا بحدوث السماء منهم ثاليس الملطى قالوا أصل الأجسام الماء وخلقت الأرض من زبده والسماء من بخاره و قدجاء القرآن العزيز بنحو هذا قال سبحانه أَلّذِى خَلَقَ السّماواتِ وَ الأَرضَ فِى سِتّةِ أَيّامٍ وَ كانَ عَرشُهُ عَلَى الماءِ. قال شيخنا أبو على و أبوالقاسم رحمهما الله فى تفسيريهما هذه الآية دالة على أن الماء والعرش كانا قبل خلق السموات و الأرض قالا و كان الماء على الهواء قالا و هذايدل أيضا على أن الملائكة كانوا موجودين قبل خلق السموات و الأرض لأن الحكيم سبحانه لايجوز أن يقدم خلق الجماد على خلق المكلفين لأنه يكون عبثا. و قال على بن عيسى الرمانى من مشايخنا أنه غيرممتنع أن يخلق الجماد قبل الحيوان إذاعلم أن فى إخبار المكلفين بذلك لطفا لهم و لايصح أن يخبرهم إلا و هوصادق فيما أخبر به وإنما يكون صادقا إذا كان المخبر خبره على ماأخبر عنه و فى ذلك حسن تقديم خلق الجماد على خلق الحيوان وكلام أمير المؤمنين ع يدل على أنه كان يذهب إلى أن الأرض موضوعة على ماء البحر و أن البحر حامل لها بقدرة الله تعالى و هومعنى قوله يحملها الأخضر المثعنجر والقمقام المسخر و أن البحر الحامل لها قد كان جاريا فوقف تحتها و أنه تعالى خلق الجبال فى الأرض فجعل أصولها راسخة فى ماء البحر الحامل للأرض وأعاليها شامخة فى الهواء و أنه سبحانه جعل هذه الجبال عمادا للأرض وأوتادا تمنعها من الحركة والاضطراب ولولاها لماجت واضطربت و أن هذاالبحر الحامل للأرض تصعد فيه الرياح الشديدة فتحركه حركة عنيفة وتموج السحب التى تغترف الماء منه لتمطر الأرض به و هذاكله مطابق لما فى الكتاب العزيز والسنة النبوية والنظر الحكمى أ لاترى إلى قوله تعالى أَ وَ لَم يَرَ الّذِينَ كَفَرُوا أَنّ السّماواتِ وَ الأَرضَ كانَتا رَتقاً فَفَتَقناهُما -قرآن-١-٢٨ و هذا هوصريح قوله ع ففتقها سبع سموات بعدارتتاقها و إلى قوله تعالى وَ جَعَلنا فِى الأَرضِ رَواسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِم و إلى ماورد فى الخبر من أن الأرض مدحوة على الماء و أن الرياح تسوق السحب إلى الماء نازلة ثم تسوقها عنه صاعدة بعدامتلائها ثم تمطر. و أماالنظر الحكمى فمطابق لكلامه إذاتأمله المتأمل وحمله على المحمل العقلى و ذلك لأن الأرض هى آخر طبقات العناصر وقبلها عنصر الماء و هومحيط بالأرض كلها إلا مابرز منها و هومقدار الربع من كرة الأرض على ماذكره علماء هذاالفن وبرهنوا عليه فهذا تفسير قوله ع يحملها الأخضر المثعنجر. و أما قوله ووقف الجارى منه لخشيته فلايدل دلالة قاطعة على أنه كان جاريا ووقف ولكن ذلك كلام خرج مخرج التعظيم والتبجيل ومعناه أن الماء طبعه الجريان والسيلان فهو جار بالقوة و إن لم يكن جاريا بالفعل وإنما وقف و لم يجر بالفعل بقدرة الله تعالى

المانعـة له من السـيلان و ليس قوله ورست أصولهـا فى المـاء ممـا ينـافى النظر العقلى لأـنه لم يقـل ورست أصولها فى ماء البحر ولكنه قـال فى المـاء و لاشـبهة فى أن أصول الجبال راسـية فى الماء المتخلخل بين أجزاء الأرض فإن الأرض كلها يتخلخل الماء بين أجزائهـا على طريق اسـتحالة البخـار من الصورة الهوائيـة إلى الصورة المائيـة. و ليس ذكره للجبال وكونها مانعـة للأرض من الحركـة بمناف أيضا للنظر الحكمى لأن الجبال فى الحقيقـة قـدتمنع من الزلزلـة إذاوجدت أسـبابها الفاعلة فيكون ثقلها مانعا من الهدة والرجفة. -قرآن-٧٤-١٢٣ [صفحه ٥٥] ليس قوله تكركره الرياح منافيا للنظر الحكمى أيضا لأن كرة الهواء محيطة بكرة و قـدتعصف الرياح فى كرة الهواء للأسـباب المـذكورة فى موضـعها من هذاالعلم فيتموج كثير من الكرة المائية لعصف الرياح . و ليس قوله ع وتمخضه الغمام الذوارف صـريحا فى أن السـحب تنزل فى البحر فتغترف منه كما قديعتقد فى المشـهور العامى نحو قول الشـاعر كالبحر تمطره السـحاب و مالها || فضل عليه لأنها من مائه .بل يجوز أن تكون الغمام الـذراف تمخضه وتحركه بما ترسـل عليه من الأمطار السائلة منها فقـد ثبت أن كلام أمير المؤمنين ع موجه إن شـئت فسـرته بما يقوله أهل الظاهر و إن شـئت فسـرته بمـا يعتقـده الحكمـاء. فـإن قلت فكيف قال الله تعالى أَ وَ لَم يَرَ الّـذِينَ كَفَرُوا أَنّ السّـماواتِ وَ الأَرضَ كانَتا رَتقاً فَفَتَقناهُما وهـل كـان الـذين كفروا راءين لـذلك حتى يقول لهم أَ وَ لَم يَرَ الّذِينَ كَفَرُوا. قلت هـذا فى قوله اعلموا أن السـموات و الأرض كانتـا رتقا ففتقناهما كما يقول الإنسان لصاحبه أ لم تعلم أن الأمير صـرف حاجبه الليلـة عن بابه أى اعلم ذلك إن كنت غيرعالم والرؤية هنا بمعنى العلم . واعلم أنه قدذهب قوم من قدماء الحكماء ويقال أنه مذهب سـقراط إلى تفسـير القيامة وجهنم بما يبتنى على وضع الأرض على الماء فقالوا الأرض موضوعة على الماء والماء على الهواء والهواء على النار والنار فى حشو الأفلاك و لما كان العنصـران الخفيفان وهما الهواء والنار يقتضـيان صـعود مايحيطان به والعنصـران الثقيلان اللـذان فى وسـطهما وهما -قرآن-٢٣٩-٣٢٥-قرآن-٣٧٦-٤٠٧ [صـفحه ٥٦] المـاء و الأـرض يقتضـيان النزول والهبـوط وقعت الممانعـة والمدافعـة فلزم من ذلك وقوف المـاء و الأـرض فى الوسط.قـالوا ثم إن النـار لاـتزال يتزايـد تأثيرهـا فى إسـخان المـاء وينضـاف إلى ذلـك حر الشـمس والكواكب إلى أن تبلغ البحـار والعنصـر المـائى غايتهما فى الغليان والفوران فيتصاعـد بخار عظيم إلى الأفلاك شديـد السـخونة وينضاف إلى ذلك حر فلك الأثير الملاصق للأفلاك فتـذوب الأفلاك كمايذوب الرصاص وتتهافت وتتساقط وتصـير كالمهل الشديد الحرارة ونفوس البشـر على قسمين أحدهما ماتجوهر وصار مجردا بطريق العلوم والمعارف وقطع العلائق الجسمانية حيث كان مدبرا للبدن والآخر مابقى على جسـمانيته بطريق خلوه من العلوم والمعارف وانغماسه فى اللذات والشـهوات الجسـمانية فأما الأول فإنه يلتحق بالنفس الكليـة المجردة ويخلص من دائرة هـذاالعالم بالكليـة و أماالثانى فإنه تنصب عليه تلك الأجسام الفلكية الذائبـة فيحترق بالكليـة ويتعـذب ويلقى آلامـا شديـدة.قالوا هـذا هوبـاطن مـاوردت به الروايـة من العـذاب عليهـا وخراب العالم والأفلاك وانهـدامها. ثم نعود إلى شـرح الألفاظ قوله ع فاستمسـكت أى وقفت وثبتت . والهاء فى حده تعود إلى أمره أى قامت على حد ماأمرت به أى لم تتجاوزه و لاتعدته . والأخضـر البحر ويسـمى أيضا خضارة معرفة غيرمصـروف والعرب تسميه بذلك إما لأنه يصف لون السماء فيرى أخضر أولأنه يرى أسود لصفائه فيطلقون عليه لفظ [صفحه ٥٧] الأخضر كماسموا الأخضر أسود نحو قوله مُدهامّتانِ ونحو تسـميتهم قرى العراق سوادا لخضـرتها وكثرة شـجرها ونحو قولهم للديزج من الدواب أخضـر.المثعنجر السائل ثعجرت الدم وغيره فاثعنجر أى صببته فانصب وتصـغير المثعنجر مثيعج ومثيعيج . والقمقام بالفتح من أسـماء البحر ويقال لمن وقع فى أمر عظيم وقع فى قمقـام من الأمر تشبيها بالبحر. قوله ع وجبل جلاميـدها أى وخلق صـخورها جمع جلمود. والنشوز جمع نشـز و هوالمرتفع من الأـرض ويجوز فتـح الشـين . ومتونهـا جوانبهـا وأطوادهـا جبالهـا ويروى وأطوادهـا بـالجر عطفا على متونها.فأرساها فى مراسيها أثبتها فى مواضعها رسا الشىء يرسو ثبت ورست أقدامهم فى الحرب ثبتت ورست السفينة ترسو رسوا ورسوا أى وقفت فى البحر و قوله تعالى بِسمِ اللّهِ مَجراها وَ مُرساهابالضم من أجريت وأرسيت و من قرأ بالفتح فهو من رست هى

وجرت هی. وألزمها قرارتها أمسكها حيث استقرت . قوله فأنهد جبالها أی أعلاها نهد ثدی الجارية ينهد بالضم إذاأشرف وكعب فهی ناهد وناهدة. وسهولها ماتطامن منها عن الجبال . وأساخ قواعدها أی غيب قواعد الجبال فی جوانب أقطار الأرض ساخت قوائم -قرآن-٣٨-۴٨-قرآن-۶٧٠-٧٠٠ [صفحه ۵٨] الفرس فی الأرض تسوخ وتسيخ أی دخلت فيها وغابت مثل ثاخت وأسختها أنامثل أثختها والأنصاب الأجسام المنصوبة الواحد نصب بضم النون والصاد و منه سميت الأصنام نصبا فی قوله تعالی وَ ما ذُبِحَ عَلَی النّصُبِ بلأنها نصبت فعبدت من دون الله قال الأعشی -قرآن-١٨٧-٢١٣ وذا المنصوب لاتنسكنه || لعاقبة و الله ربك فاعبدا . أی وأساخ قواعد الجبال فی متون أقطار الأرض و فی المواضع الصالحة لأن تكون فيهاالأنصاب المماثلة وهی الجبال أنفسها. قوله فأشهق قلالها جمع قلة وهی ماعلا من رأس الجبل أشهقها جعلها شاهقة أی عالية. وأرزها أثبتها فيهارزت الجرادة ترز رزا و هو أن تدخل ذنبها فی الأرض فتلقی بيضها وأرزها الله أثبت ذلك منها فی الأرض ويجوز أرزت لازما غيرمتعد مثل رزت وارتز السهم فی القرطاس ثبت فيه وروی وآرزها بالمد من قولهم شجرة آرزة أی ثابتة فی الأرض أرزت بالفتح تأرز بالكسر أی ثبتت وآرزها بالمد غيرها أی أثبتها. وتميد تتحرك وتسيخ تنزل وتهوی. فإن قلت ماالفرق بين الثلاثة تميد بأهلها أوتسيخ بحملها أوتزول عن مواضعها. قلت لأنها لوتحركت لكانت إما أن تتحرك علی مركزها أو لا علی مركزها [صفحه ۵٩] والأول هوالمراد بقوله تميد بأهلها والثانی تنقسم إلی أن تنزل إلی تحت أو لاتنزل إلی تحت فالنزول إلی تحت هوالمراد بقوله أوتسيخ بحملها والقسم الثانی هوالمراد بقوله أوتزول عن مواضعها. فإن قلت ماالمراد ب علی فی قوله فسكنت علی حركتها. قلت هی لهيئة الحال كماتقول عفوت عنه علی سوء أدبه ودخلت إليه علی شربه أی سكنت علی أن من شأنها الحركة لأنها محمولة علی سائل متموج . قوله موجان مياهها بناء فعلان لما فيه اضطراب وحركة كالغليان والنزوان والخفقان ونحو ذلك . وأجمدها أی أجعلها جامدة وأكنافها جوانبها والمهاد الفراش .فوق بحر لجی كثير الماء منسوب إلی اللجة وهی معظم البحر. قوله يكركره الرياح الكركرة تصريف الريح السحاب إذاجمعته بعدتفريق وأصله يكرر من التكرير فأعادوا الكاف كركرت الفارس عنی أی دفعته ورددته . والرياح العواصف الشديدة الهبوب وتمخضه يجوز فتح الخاء وضمها وكسرها والفتح أفصح لمكان حرف الحلق من مخضت اللبن إذاحركته لتأخذ زبده . والغمام جمع والواحدة غمامة ولذلك قال الذوارف لأن فواعل أكثر ما يكون لجمع المؤنث ذرفت عينه أی دمعت أی السحب المواطر والمضارع من ذرفت عينه تذرف بالكسر ذرفا وذرفا والمذارف المدامع [صفحه ۶٠]

٢٠۵- و من خطبة له ع

أللّهُمّ أَيّمَا عَبدٍ مِن عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا العَادِلَةَ غَيرَ الجَائِرَةِ وَ المُصلِحَةَ فِی الدّينِ وَ الدّنيَا غَيرَ المُفسِدَةِ فَأَبَی بَعدَ سَمعِهِ لَهَا إِلّا النّكُوصَ عَن نُصرَتِكَ وَ الإِبطَاءَ عَن إِعزَازِ دِينِكَ فَإِنّا نَستَشهِدُكَ عَلَيهِ يَا أَكبَرَ الشّاهِدِينَ شَهَادَةً وَ نَستَشهِدُ عَلَيهِ جَمِيعَ مَا أَسكَنتَهُ أَرضَكَ وَ سَمَاوَاتِكَ ثُمّ أَنتَ بَعدَهُ المغُنيِ عَن نَصرِهِ وَ الآخِذُ لَهُ بِذَنبِهِ ما فی أيما زائدة مؤكدة ومعنی الفصل وعيد من استنصره فقعد عن نصره . ووصف المقالة بأنها عادلة إما تأكيد كماقالوا شعر شاعر وإما ذات عدل كماقالوا رجل تأمر ولابن أی ذو تمر ولبن ويجوز أيضا أن يريد بالعادلة المستقيمة التی ليست كاذبة و لامحرفة عن جهتها والجائرة نقيضها وهی المنحرفة جار فلان عن الطريق أی انحرف وعدل . والنكوص التأخر. قوله ع نستشهدك عليه أی نسألك أن تشهد عليه ووصفه تعالی [صفحه ۶١] بأنه أكبر الشاهدين شهادة لقوله تعالی قُل أَیّ شَیءٍ أَكبَرُ شَهادَةً قُلِ اللّهُ يقول أللهم إنا نستشهدك علی خذلان من استنصرناه واستنفرناه إلی نصرتك والجهاد عن دينك فأبی النهوض ونكث عن القيام بواجب الجهاد ونستشهد عبادك من البشر فی

أرضک وعبادک من الملائکة فی سـمواتک علیه أیضا ثم أنت بعد ذلک المغنی لنا عن نصـرته ونهضـته بما تتیحه لنا من النصر وتؤیـدنا به من الإعزاز والقوة والأخـذ له بـذنبه فی القعود والتخلف . و هذاقریب من قوله تعالی وَ إِن تَتَوَلّوا یَستَبدِل قَوماً غَیرَکُم ثُمّ لا یَکُونُوا أَمثالَکُم -قرآن-۴۱-۸۳-قرآن-۴۵۹-۵۳۰ [صفحه ۶۲]

۲۰۶- و من خطبة له ع

الحَمـدُ لِلّهِ العلَیّ عَن شَبَهِ المَخلُوقِینَ الغَالِبِ لِمَقَالِ الوَاصِفِینَ الظّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدبِیرِهِ لِلنّاظِرِینَ وَ البَاطِنِ بِجَلَالِ عِزّتِهِ عَن فِکرِ المُتَوَهّمِینَ العَالِمِ بِلَا اکتِسَابٍ وَ لَا ازدِیَادٍ وَ لَا عِلمٍ مُستَفَادٍ المُقَدّرِ لِجَمِیعِ الأُمُورِ بِلَا رَوِیّةٍ وَ لَا ضَمِیرٍ ألّذِی لَا تَغشَاهُ الظّلَمُ وَ لَا یَستَضِیءُ بِالأَنوَارِ وَ لَا یَرهَقُهُ لَیلٌ وَ لَا یجَرِی عَلَیهِ نَهَارٌ لَیسَ إِدرَاکُهُ بِالإِبصَارِ وَ لَا عِلمُهُ بِالإِخبَارِ یجوز شبه وشبه والروایة هاهنا بالفتح وتعالیه سبحانه عن شبه المخلوقین کونه قدیما واجب الوجود و کل مخلوق محدث ممکن الوجود. قوله الغالب لمقال الواصفین أی إن کنه جلاله وعظمته لایستطیع الواصفون وصفه و إن أطنبوا وأسهبوا فهو کالغالب لأقوالهم لعجزها عن إیضاحه وبلوغ منتهاه والظاهر بأفعاله والباطن بذاته لأنه إنما یعلم منه أفعاله و أماذاته فغیر معلومة. ثم وصف علمه تعالی فقال إنه غیرمکتسب کمایکتسب الواحد منا علومه بالاستدلال والنظر و لا هوعلم یزداد إلی علومه الأولی کماتزید علوم الواحد منا ومعارفه وتکثر لکثرة الطرق التی یتطرق بهاإلیها. [صفحه ۶۳] ثم قال و لاعلم مستفاد أی لیس یعلم الأشیاء بعلم محدث مجدد کمایذهب إلیه جهم وأتباعه وهشام بن الحکم و من قال بقوله . ثم ذکر أنه تعالی قدر الأمور کلها بغیر رویة أی بغیر فکر و لاضمیر و هو مایطویه الإنسان من الرأی والاعتقاد والعزم فی قلبه . ثم وصفه تعالی بأنه لایغشاه ظلام لأنه لیس بجسم و لایستضیء بالأنوار کالأجسام ذوات البصر و لایرهقه لیل أی لایغشاه و لایجری علیه نهار لأنه لیس بزمانی و لاقابل للحرکة لیس إدراکه بالأبصار لأن ذلک یستدعی المقابلة و لاعلمه بالإخبار مصدر أخبر أی لیس علمه مقصورا علی أن تخبره الملائکة بأحوال المکلفین بل هویعلم کل شیءلأن ذاته ذات واجب لها أن تعلم کل شیءلمجرد ذاتها المخصوصة من غیرزیادة أمر علی ذاتها مِنهَا فِی ذِکرِ النّبِیّص أَرسَلَهُ بِالضّیَاءِ وَ قَدّمَهُ فِی الِاصطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ المَفَاتِقَ وَ سَاوَرَ بِهِ المُغَالِبَ وَ ذَلّلَ بِهِ الصّعُوبَةَ وَ سَهّلَ بِهِ الحُزُونَةَ حَتّی سَرّحَ الضّلَالَ عَن یَمِینٍ وَ شِمَالٍ أرسله بالضیاء أی بالحق وسمی الحق ضیاء لأنه یهتدی به أوأرسله بالضیاء أی بالقرآن . [صفحه ۶۴] وقدمه فی الاصطفاء أی قدمه فی الاصطفاء علی غیره من العرب والعجم قالت قریش لَو لا نُزّلَ هذَا القُرآنُ عَلی رَجُلٍ مِنَ القَریَتَینِ أی علی رجل من رجلین من القریتین عَظِیم أی إما علی الولید بن المغیرة من مکة أو علی عروة بن مسعود الثقفی من الطائف . ثم قال تعالی أَ هُم یَقسِمُونَ رَحمَتَ رَبّکَ أی هوسبحانه العالم بالمصلحة فی إرسال الرسل وتقدیم من یری فی الاصطفاء علی غیره .فرتق به المفاتق أی أصلح به المفاسد والرتق ضد الفتق والمفاتق جمع مفتق و هومصدر کالمضرب والمقتل . وساور به المغالب ساورت زیدا أی واثبته و رجل سوار أی وثاب وسورة الخمر وثوبها فی الرأس . والحزونة ضد السهولة والحزن ماغلظ من الأرض والسهل مالان منها واستعیر لغیر الأرض کالأخلاق ونحوها. قوله حتی سرح الضلال أی طرده وأسرع به ذهابا. عن یمین وشمال من قولهم ناقة سرح ومنسرحة أی سریعة و منه تسریح المرأة أی تطلیقها -قرآن-۸۱-۱۳۷-قرآن-۱۷۵-۱۸۱-قرآن-۲۷۵-۳۰۶ [صفحه ۶۵]

۲۰۷- و من خطبة له ع

اشاره

وَ أَشهَدُ أَنّهُ عَدلٌ عَدَلَ وَ حَكَمٌ فَصَلَ وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ وَ سَيّدُ عِبَادِهِ كُلّمَا نَسَخَ اللّهُ الخَلقَ فِرقَتَينِ جَعَلَهُ فِي خَيرِهِمَا لَم يُسهِم فِيهِ عَاهِرٌ وَ لَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ أَلَا وَ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ قَد جَعَلَ لِلخَيرِ أَهلًا وَ لِلحَقّ دَعَائِمَ وَ لِلطّاعَةِ عِصَماً وَ إِنّ لَكُم عِندَ كُلّ طَاعَةٍ عَوناً مِنَ اللّهِ سُبحَانَهُ يَقُولُ عَلَى الأَلسِنَةِ وَ يُثَبّتُ بِهِ الأَفئِدَةَ فِيهِ كِفَاءٌ لِمُكتَفٍ وَ شِفَاءٌ لِمُشتَفٍ وَ اعلَمُوا أَنّ عِبَادَ اللّهِ المُستَحفَظِينَ عِلمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ وَ يُفَجّرُونَ عُيُونَهُ يَتَوَاصَلُونَ بِالوِلَايَةِ وَ يَتَلَاقَونَ بِالمَحَبّةِ وَ يَتَسَاقَونَ بِكَأسٍ رَوِيّةٍ وَ يَصدُرُونَ بِرِيّةٍ لَا تَشُوبُهُمُ الرّيبَةُ وَ لَا تُسرِعُ فِيهِمُ الغِيبَةُ عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلقَهُم وَ أَخلَاقَهُم فَعَلَيهِ يَتَحَابّونَ وَ بِهِ يَتَوَاصَلُونَ فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ البَذرِ يُنتَقَى فَيُؤخَذُ مِنهُ وَ يُلقَى قَد مَيّزَهُ التّخلِيصُ وَ هَذّبَهُ التّمحِيصُ فَليَقبَلِ امرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا وَ ليَحذَر قَارِعَةً قَبلَ حُلُولِهَا وَ ليَنظُرِ امرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيّامِهِ وَ قَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنزِلٍ حَتّى يَستَبدِلَ بِهِ مَنزِلًا فَليَصنَع لِمُتَحَوّلِهِ وَ مَعَارِفِ مُنتَقَلِهِ فَطُوبَى لِذِي قَلبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَن يَهدِيهِ وَ تَجَنّبَ مَن يُردِيهِ وَ أَصَابَ سَبِيلَ السّلَامَةِ بِبَصَرِ مَن بَصّرَهُ وَ طَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ وَ بَادَرَ الهُدَى قَبلَ أَن تُغلَقَ أَبوَابُهُ [صفحه ۶۶] وَ تُقطَعَ أَسبَابُهُ وَ استَفتَحَ التّوبَةَ وَ أَمَاطَ الحَوبَةَ فَقَد أُقِيمَ عَلَى الطّرِيقِ وَ هُدِيَ نَهجَ السّبِيلِ الضمير فى أنه يرجع إلى القضاء والقدر المذكور فى صدر هذه الخطبة و لم يذكره الرضى رحمه الله يقول أشهد أن قضاءه تعالى عدل عدل وحكم بالحق فإنه حكم فصل بين العباد بالإنصاف ونسب العدل والفصل إلى القضاء على طريق المجاز و هوبالحقيقة منسوب إلى ذى القضاء والقاضى به هو الله تعالى . قوله وسيد عباده هذاكالمجمع عليه بين المسلمين و إن كان قدخالف فيه شذوذ منهم واحتج الجمهور بقوله أناسيد ولد آدم و لافخر -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۴ بقوله ادعوا لى سيد العرب عليا فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال أناسيد البشر و على سيد العرب -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۰۰ بقوله آدم و من دونه تحت لوائى -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۷ بقوله ع لاتفضلونى على أخى يونس بن متى -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۷ . وأجاب الأولون تارة بالطعن فى إسناد الخبر وتارة بأنه حكاية كلام حكاه ص عن عيسى ابن مريم وتارة بأن النهى إنما كان عن الغلو فيه كماغلت الأمم فى أنبيائها فهو كماينهى الطبيب المريض فيقول لاتأكل من الخبز و لادرهما و ليس مراده تحريم أكل الدرهم والدرهمين بل تحريم مايستضر بأكله منه . قوله ع كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله فى خيرهما النسخ النقل و منه نسخ الكتاب و منه نسخت الريح آثار القوم ونسخت الشمس الظل يقول [صفحه ۶۷] كلما قسم الله تعالى الأب الواحد إلى ابنين جعل خيرهما وأفضلهما لولادة محمد ع وسمى ذلك نسخا لأن البطن الأول يزول ويخلفه البطن الثانى و منه مسائل المناسخات فى الفرائض . و هذاالمعنى قدورد مرفوعا فى عدة أحاديث نحو قوله صماافترقت فرقتان منذ نسل آدم ولده إلاكنت فى خيرهما -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۶۹ قوله إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل مضر واصطفى من مضر كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش هاشما واصطفانى من بنى هاشم -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۶۹ قوله لم يسهم فيه عاهر و لاضرب فيه فاجر -روايت-۱-۲-روايت-۹-۴۶ لم يسهم لم يضرب فيه عاهر بسهم أى بنصيب وجمعه سهمان والعاهر ذو العهر بالتحريك و هوالفجور والزناء ويجوز تسكين الهاء مثل نهر ونهر و هذا هوالمصدر والماضى عهر بالفتح والاسم العهر بكسر العين وسكون الهاء والمرأة عاهرة ومعاهرة وعيهرة وتعيهر الرجل إذازنى والفاجر كالعاهر هاهنا وأصل الفجور الميل قال لبيد فإن تتقدم تغش منها مقدما || غليظا و إن أخرت فالكفل فاجر يقول مقعد الرديف مائل

ذكر بعض المطاعن فى النسب وكلام للجاحظ فى ذلك

و فى الكلام رمز إلى جماعة من الصحابة فى أنسابهم طعن كمايقال إن آل سعد بن أبى وقاص ليسوا من بنى زهرة بن كلاب وإنهم من بنى عذرة من قحطان [صفحه ۶۸] و كماقالوا إن آل الزبير بن العوام من أرض مصر من القبط وليسوا من بنى أسد بن

عبدالعزی قال الهیثم بن عدی فی کتاب مثالب العرب إن خویلد بن أسد بن عبدالعزی کان أتی مصر ثم انصرف منها بالعوام فتبناه فقال حسان بن ثابت یهجو آل العوام بن خویلد بنی أسد مابال آل خویلد || یحنون شوقا کل یوم إلی القبط متی یذکروا قهقی یحنوا لذکرها || وللرمث المقرون والسمک الرقط عیون کأمثال الزجاج وضیعة || تخالف کعبا فی لحی کثة ثط یری ذاک فی الشبان والشیب منهم || مبینا و فی الأطفال والجلة الشمط لعمر أبی العوام إن خویلدا || غداة تبناه لیوثق فی الشرط و کمایقال فی قوم آخرین نرفع هذاالکتاب عن ذکر مایطعن به فی أنسابهم کی لایظن بنا أنانحب المقالة فی الناس . قال شیخنا أبوعثمان فی کتاب مفاخرات قریش لاخیر فی ذکر العیوب إلا من ضرورة و لانجد کتاب مثالب قط إلالدعی أوشعوبی ولست واجده لصحیح النسب و لالقلیل الحسد وربما کانت حکایة الفحش أفحش من الفحش ونقل الکذب أقبح من الکذب و قال النبی ص اعف عن ذی قبر -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۳۴ قال لاتؤذوا الأحیاء بسب الأموات -روایت-۱-۲-روایت-۸-۳۹ وقیل فی المثل یکفیک من شر سماعه وقالوا أسمعک من أبلغک وقالوا من طلب عیبا وجده و قال النابغة ولست بمستبق أخا لاتلمه || علی شعث أی الرجال المهذب . [صفحه ۶۹] قال أبوعثمان وبلغ عمر بن الخطاب أن أناسا من رواة الأشعار وحملة الآثار یعیبون الناس ویثلبونهم فی أسلافهم فقام علی المنبر و قال إیاکم وذکر العیوب والبحث عن الأصول فلو قلت لایخرج الیوم من هذاالأبواب إلا من لاوصمة فیه لم یخرج منکم أحد فقام رجل من قریش نکره أن نذکره فقال إذاکنت أنا و أنت یا أمیر المؤمنین نخرج فقال کذبت بل کان یقال لک یاقین بن قین اقعد. قلت الرجل ألذی قام هوالمهاجر بن خالد بن الولید بن المغیرة المخزومی کان عمر یبغضه لبغضه أباه خالدا ولأن المهاجر کان علوی الرأی جدا و کان أخوه عبدالرحمن بخلافه شهد المهاجر صفین مع علی ع وشهدها عبدالرحمن مع معاویة و کان المهاجر مع علی ع فی یوم الجمل وفقئت ذلک الیوم عینه ولأن الکلام ألذی بلغ عمر بلغه عن المهاجر و کان الولید بن المغیرة مع جلالته فی قریش وکونه یسمی ریحانة قریش ویسمی العدل ویسمی الوحید حداد یصنع الدروع وغیرها بیده ذکر ذلک عنه عبد الله بن قتیبة فی کتاب المعارف . وروی أبو الحسن المدائنی هذاالخبر فی کتاب أمهات الخلفاء و قال إنه روی عند جعفر بن محمد ع بالمدینة فقال لاتلمه یا ابن أخی إنه أشفق أن یحدج بقضیة نفیل بن عبدالعزی وصهاک أمة الزبیر بن عبدالمطلب ثم قال رحم الله عمر فإنه لم یعد السنة وتلاإِنّ الّذِینَ یُحِبّونَ أَن تَشِیعَ الفاحِشَةُ فِی الّذِینَ آمَنُوا لَهُم عَذابٌ أَلِیمٌ. أماقول ابن جریر الآملی الطبرستانی فی کتاب المسترشد إن عثمان والد -قرآن-۱۱۶۴-۱۲۵۱ [صفحه ۷۰] أبی بکر الصدیق کان ناکحا أم الخیر ابنة أخته فلیس بصحیح ولکنها ابنة عمه لأنها ابنة صخر بن عامر وعثمان هو ابن عمرو بن عامر والعجب لمن اتبعه من فضلاء الإمامیة علی هذه المقالة من غیرتحقیق لها من کتب الأنساب وکیف تتصور هذه الواقعة فی قریش و لم یکن أحد منهم مجوسیا و لایهودیا و لا کان من مذهبهم حل نکاح بنات الأخ و لابنات الأخت . ثم نعود لإتمام حکایة کلام شیخنا أبی عثمان قال ومتی یقدر الناس حفظک الله علی رجل مسلم من کل ابنة ومبرأ من کل آفة فی جمیع آبائه وأمهاته وأسلافه وأصهاره حتی تسلم له أخواله وأعمامه وخالاته وعماته وأخواته وبناته وأمهات نسائه وجمیع من یناسبه من قبل جداته وأجداده وأصهاره وأختانه و لو کان ذلک موجودا لما کان لنسب رسول الله ص فضیلة فی النقاء والتهذیب و فی التصفیة والتنقیح قال رسول الله ص مامسنی عرق سفاح قط و مازلت أنقل من الأصلاب السلیمة من الوصوم والأرحام البریئة من العیوب -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۲۱ فلسنا نقضی لأحد بالنقاء من جمیع الوجوه إلالنسب من صدقه القرآن واختاره الله علی جمیع الأنام و إلا فلابد من شیء یکون فی نفس الرجل أو فی طرفیه أو فی بعض أسلافه أو فی بعض أصهاره ولکنه یکون مغطی بالصلاح ومحجوبا بالفضائل ومغمورا بالمناقب . و لوتأملت أحوال الناس لوجدت أکثرهم عیوبا أشدهم تعییبا قال الزبرقان من بدر مااستب رجلان إلاغلب ألأمهما و قال خصلتان کثیرتان فی امرئ السوء [صفحه ۷۱] کثرة اللطام وشدة السباب و لو کان مایقوله أصحاب المثالب حقا لما کان علی ظهرها عربی کما قال عبدالملک بن صالح

الهاشمى إن كان ما يقول بعض فى بعض حقا فما فيهم صحيح و إن كان ما يقول بعض المتكلمين فى بعض حقا فما فيهم مسلم . قوله ع ألا و إن الله قدجعل للخير أهلا وللحق دعائم وللطاعة عصما الدعائم مايدعم بهاالبيت لئلا يسقط والعصم جمع عصمة و هو مايحفظ به الشىء ويمنع فأهل الخير هم المتقون ودعائم الحق الأدلة الموصلة إليه المثبتة له فى القلوب وعصم الطاعة هى الإدمان على فعلها والتمرن على الإتيان بهالأن المرون على الفعل يكسب الفاعل ملكة تقتضى سهولته عليه والعون هاهنا هواللطف المقرب من الطاعة المبعد من القبيح . ثم قال ع إنه يقول على الألسنة ويثبت الأفئدة و هذا من باب التوسع والمجاز لأنه لما كان مستهلا للقول أطلق عليه إنه يقول على الألسنة و لما كان الله تعالى هو ألذى يثبت الأفئدة كما قال يُثَبِّتُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثّابِتِينسب التثبيت إلى اللطف لأنه من فعل الله تعالى كماينسب الإنبات إلى المطر وإنما المنبت للزرع هو الله تعالى والمطر فعله . ثم قال ع فيه كفاء لمكتف وشفاء لمشتف والوجه فيه كفاية فإن الهمز لاوجه له هاهنا لأنه من باب آخر ولكنه أتى بالهمزة للازدواج بين كفاء -قرآن-٦١٧-٦٦٨ [صفحه ٧٢] وشفاء كماقالوا الغدايا والعشايا و كما قال ع مأزورات غيرمأجورات فأتى بالهمز والوجه الواو للازدواج

ذكر بعض أحوال العارفين والأولياء

ثم ذكر العارفين فقال واعلموا أن عباد الله المستحفظين علمه إلى قوله وهذبه التمحيص . واعلم أن الكلام فى العرفان لم يأخذه أهل الملة الإسلامية إلا عن هذا الرجل ولعمرى لقد بلغ منه إلى أقصى الغايات وأبعد النهايات والعارفون هم القوم الذين اصطفاهم الله تعالى وانتخبهم لنفسه واختصهم بأنسه أحبوه فأحبهم وقربوا منه فقرب منهم قدتكلم أرباب هذاالشأن فى المعرفة والعرفان فكل نطق بما وقع له وأشار إلى ماوجده فى وقته . و كان أبو على الدقاق يقول من أمارات المعرفة حصول الهيبة من الله فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته . و كان يقول المعرفة توجب السكينة فى القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته . وسئل الشبلى عن علامات العارف فقال ليس لعارف علامة و لالمحب سكون و لالخائف قرار. وسئل مرة أخرى عن المعرفة فقال أولها الله وآخرها ما لانهاية له . و قال أبوحفص الحداد منذ عرفت الله مادخل قلبى حق و لاباطل و قدأشكل هذاالكلام على أرباب هذاالشأن وتأوله بعضهم فقال عندالقوم إن المعرفة توجب [صفحه ٧٣] غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فلايشهد غير الله و لايرجع إلا إليه و كما إن العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر أويستقبله من حال فالعارف رجوعه إلى ربه لا إلى قلبه وكيف يدخل المعنى قلب من لاقلب له . وسئل أبويزيد البسطامى عن العرفان فقال إِنّ المُلُوكَ إِذا دَخَلُوا قَريَةً أَفسَدُوها وَ جَعَلُوا أَعِزّةَ أَهلِها أَذِلّةً و هذامعنى ماأشار إليه أبوحفص الحداد. و قال أبويزيد أيضا للخلق أحوال و لاحال للعارف لأنه محيت رسومه وفنى هو وصارت هويته هوية غيره وغيبت آثاره فى آثار غيره . قلت و هذا هوالقول بالاتحاد ألذى يبحث فيه أهل النظر. و قال الواسطى لاتصح المعرفة و فى العبد استغناء بالله أوافتقار إليه وفسر بعضهم هذاالكلام فقال إن الافتقار والاستغناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه على ماكانت عليه والعارف لايصح ذلك عليه لأنه لاستهلاكه فى وجوده أولاستغراقه فى شهوده إن لم يبلغ درجة الاستهلاك فى الوجود مختطف عن إحساسه بالغنى والفقر وغيرهما من الصفات ولهذا قال الواسطى من عرف الله انقطع وخرس وانقمع -قرآن-٢٩٥-٣٧٩ قال ص لاأحصى ثناء عليك أنت كماأثنيت على نفسك -روايت-١-٢-روايت-١١-٥٦ . و قال الحسين بن منصور الحلاج علامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة. و قال سهل بن عبد الله التسترى غاية العرفان شيئان الدهش والحيرة. و قال ذو النون أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه . وقيل لأبى يزيد بما ذا وصلت إلى المعرفة قال ببدن عار وبطن جائع . [صفحه ٧٤] وقيل لأبى يعقوب

السوسی هل یتأسف العارف علی شیء غیر الله فقال وهل یری شیئا غیره لیتأسف علیه . و قال أبویزید العارف طیار والزاهد سیار. و قال الجنید لا یکون العارف عارفا حتی یکون کالأرض یطؤها البر والفاجر وکالسحاب یظل کل شیء وکالمطر یسقی ماینبت و ما لاینبت . و قال یحیی بن معاذ یخرج العارف من الدنیا و لایقضی وطره من شیئین بکائه علی نفسه وحبه لربه . و کان ابن عطاء یقول أرکان المعرفة ثلاثة الهیبة والحیاء والأنس و قال بعضهم العارف أنس بالله فأوحشه من خلقه وافتقر إلی الله فأغناه عن خلقه وذل لله فأعزه فی خلقه . و قال بعضهم العارف فوق ما یقول والعالم دون ما یقول . و قال أبوسلیمان الدارانی إن الله یفتح للعارف علی فراشه ما لایفتح للعابد و هوقائم یصلی. و کان رویم یقول ریاء العارفین أفضل من إخلاص العابدین . وسئل أبوتراب النخشبی عن العارف فقال هو ألذی لایکدره شیء ویصفو به کل شیء. و قال بعضهم المعرفة أمواج ترفع وتحط. وسئل یحیی بن معاذ عن العارف فقال الکائن البائن . وقیل لیس بعارف من وصف المعرفة عندأبناء الآخرة فکیف عندأبناء الدنیا. و قال محمد بن الفضل المعرفة حیاة القلب مع الله . وسئل أبوسعید الخراز هل یصیر العارف إلی حال یجفو علیه البکاء قال [صفحه ۷۵] نعم إنما البکاء فی أوقات سیرهم إلی الله فإذاصاروا إلی حقائق القرب وذاقوا طعم الوصول زال عنهم ذلک . واعلم أن إطلاق أمیر المؤمنین ع علیهم لفظة الولایة فی قوله یتواصلون بالولایة ویتلاقون بالمحبة یستدعی الخوض فی مقامین جلیلین من مقامات العارفین المقام الأول الولایة و هومقام جلیل قال الله تعالی أَلا إِنّ أَولِیاءَ اللّهِ لا خَوفٌ عَلَیهِم وَ لا هُم یَحزَنُونَ و -قرآن-۳۲۲-۳۸۶ جاء فی الخبر الصحیح عن النبی ص یقول الله تعالی من آذی لی ولیا فقد استحل محارمی و ماتقرب إلی العبد بمثل أداء مافرضت علیه و لایزال العبد یتقرب إلی بالنوافل حتی أحبه و لاترددت فی شیء أنافاعله کترددی فی قبض نفس عبدی المؤمن یکره الموت وأکره مساءته و لابد له منه -روایت-۱-۲-روایت-۵۶-۲۹۴ . واعلم أن الولی له معنیان أحدهما فعیل بمعنی مفعول کقتیل وجریح و هو من یتولی الله أمره کما قال الله تعالی إِنّ ولَیِیَّ اللّهُ ألّذِی نَزّلَ الکِتابَ وَ هُوَ یَتَوَلّی الصّالِحِینَ فلایکله إلی نفسه لحظة عین بل یتولی رعایته . وثانیهما فعیل بمعنی فاعل کنذیر وعلیم و هو ألذی یتولی طاعة الله وعبادته فلایعصیه . و من شرط کون الولی ولیا ألا یعصی مولاه وسیده کما أن من شرط کون النبی -قرآن-۱۱۹-۱۹۳ [صفحه ۷۶] نبیا العصمة فمن ظن فیه أنه من الأولیاء ویصدر عنه ماللشرع فیه اعتراض فلیس بولی عندأصحاب هذاالعلم بل هومغرور مخادع . ویقال إن أبایزید البسطامی قصد بعض من یوصف بالولایة فلما وافی مسجده قعد ینتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم فی المسجد فانصرف أبویزید و لم یسلم علیه و قال هذا رجل غیرمأمون علی أدب من آداب الشریعة کیف یکون أمینا علی أسرار الحق . و قال ابراهیم بن أدهم لرجل أتحب أن تکون لله ولیا قال نعم قال لاترغب فی شیء من الدنیا و لا من الآخرة وفرغ نفسک لله وأقبل بوجهک علیه لیقبل علیک ویوالیک . و قال یحیی بن معاذ فی صفة الأولیاء هم عباد تسربلوا بالأنس بعدالمکابدة وادرعوا بالروح بعدالمجاهدة بوصولهم إلی مقام الولایة. و کان أبویزید یقول أولیاء الله عرائس الله و لایری العرائس إلاالمحارم فهم مخدرون عنده فی حجاب الأنس لایراهم أحد فی الدنیا و لا فی الآخرة. و قال أبوبکر الصیدلانی کنت أصلح لقبر أبی بکر الطمستانی لوحا أنقر فیه اسمه فیسرق ذلک اللوح فأنقر له لوحا آخر وأنصبه علی قبره فیسرق وتکرر ذلک کثیرا دون غیره من ألواح القبور فکنت أتعجب منه فسألت أبا علی الدقاق عن ذلک فقال إن ذلک الشیخ آثر الخفاء فی الدنیا و أنت ترید أن تشهره باللوح ألذی تنصبه علی قبره فالله سبحانه یأبی إلاإخفاء قبره کما هوستر نفسه . و قال بعضهم إنما سمی الولی ولیا لأنه توالت أفعاله علی الموافقة. [صفحه ۷۷] و قال یحیی بن معاذ الولی لایرائی و لاینافق و ماأقل صدیق من یکون هذاخلقه .المقام الثانی المحبة قال الله سبحانه مَن یَرتَدّ مِنکُم عَن دِینِهِ فَسَوفَ یَأتِی اللّهُ بِقَومٍ یُحِبّهُم وَ یُحِبّونَهُ والمحبة عندأرباب هذاالشأن حالة شریفة. قال أبویزید البسطامی المحبة استقلال الکثیر من نفسک واستکثار القلیل من حبیبک . و قال أبو عبد الله القرشی المحبة أن تهب کلک لمن أحببت فلایبقی لک منک شیء وأکثرهم علی نفی صفة العشق لأن العشق مجاوزة الحد فی

المحبـة والبارئ سـبحانه أجل من أن يوصف بأنه قـدتجاوز أحد الحد فی محبته .سـئل الشـبلی عن المحبة فقال هی أن تغار علی المحبوب أن يحبه أحد غيرک . و قال سـمنون ذهب المحبون بشـرف الدنيا والآخرة -قرآن-١٢٣-٢٠٨ لأن النبی ص قال المرء مع من أحب -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٤٠ فهم مع الله تعالی . و قال يحيی بن معاذ حقيقـة المحبـة ما لاينقص بالجفاء و لايزيد بالبر. و قال ليس بصادق من ادعی محبته و لم يحفظ حدوده . و قال الجنيد إذاصحت المحبة سـقطت شروط الأدب . وأنشد فی معناه إذاصـفت المودة بين قوم || ودام ودادهم سـمج الثناء و كان أبو علی الـدقاق يقول ألست تری الأب الشـفيق لايبجل ولده فی الخطاب و الناس يتكلفون فی مخاطبته والأب يقول له يافلان باسـمه . [صـفحه ٧٨] و قال أبويعقوب السوسـی حقيقة المحبة أن ينسـی العبـد حظه من الله وينسـی حوائجه إليه .قيل للنصـرآباذی يقولون إنه ليس لک من المحبة شـیء قال صدقوا ولكن لی حسـراتهم فهو ذو احتراق فيه . و قال النصـرآباذی أيضا المحبـة مجانبـة السـلو علی كل حال ثم أنشـد و من كان فی طول الهوی ذاق سـلوة || فـإنی من ليلی لها غيرذائق وأكثر شـیءنلته فی وصالها || أمانی لم تصـدق كلمحـة بارق . و كان يقال الحب أوله خبل وآخره قتل . و قال أبو علی الـدقاق فی معنی قول النبی ص حبک الشـیء يعمی ويصم -روايت-١-٢-روايت-١٧-٤١ قال يعمی ويصم عن الغير إعراضا و عن المحبوب هيبـة ثم أنشـد إذا مابـدا لی تعاظمته || فأصـدر فی حال من لم يره . و قال الجنيد سمعـت الحـارث المحـاسبی يقـول المحبـة إقبالـک علی المحبـوب بكليتـک ثم إيثارک له علی نفسـک ومالـک وولـدک ثم موافقتـک له فی جميع الأـمور سـرا وجهرا ثم اعتقـادک بعـد ذلک أنک مقصـر فی محبته . و قال الجنيـد سـمعت السـری يقول لاتصـلح المحبة بين اثنين حتی يقول الواحد للآخر يا أنا. و قال الشـبلی المحب إذاسـكت هلک والعارف إذا لم يسـكت هلک . وقيـل المحبـة نـار فی القلب تحرق ماسوی ود المحبوب . وقيل المحبـة بـذل الجهـد والحبيب يفعل مايشاء. و قال الثوری المحبة هتک الأسـتار وكشف الأسـرار. [صفحه ٧٩] حبس الشـبلی فی المارسـتان بين المجانين فـدخل عليه جماعـة فقال من أنتم قالوا محبوک أيهـا الشـيخ فأقبـل يرميهم بالحجـارة ففروا فقال إذاادعيتم محبتی فاصبروا علی بلائی.كتب يحيی بن معاذ إلی أبی يزيد البسطامی قدسـكرت من كثرة ماشربت من كأس محبته فكتب إليه أبويزيد غيرک شرب بحور السموات و الأرض و ماروی بعد ولسـانه خارج و يقول هل من مزيـد. و من شعرهم فی هـذاالمعنی عجبت لمن يقول ذكرت ربی || وهل أنسـی فأذكر مانسيت شربت الحب كأسـا بعـدكأس || فمـا نفـد الشراب و لاـرويت يقـال إن الله تعـالی أوحی إلی بعض الأنبيـاء إذااطلعت علی قلب عبـدفلم أجـد فيه حب الـدنيا والآـخرة ملأته من حبی -روايت-١-٢-روايت-٨-١١٨ قـال أبـو علی الـدقاق إن فی بعض الكتب المنزلـة عبـدی أنا وحقک لک محب فبحقی عليک كن لی محبا -روايت-١-٢-روايت-٥١-١٠٠ . و قال عبـد الله بن المبارک من أعطی قسـطا من المحبـة و لم يعط مثله من الخشـية فهو مخدوع . وقيل المحبة ماتمحو أثرک وتسـلبک عن وجودک . وقيل المحبـة سـكر لايصـحوا صاحبه إلابمشاهدة محبوبه ثم إن السـكر ألذی يحصل عندالمشاهدة لايوصف وأنشد فأكسـر القوم دور كـأس || و كـان سـكری مـن المـدير و كـان أبـو علی الـدقاق ينشـد كـثيرا [صـفحه ٨٠] لی سـكرتان وللنـدمان واحـدة || شیءخصـصت به من بينهم وحدی و كان يحيی بن معاذ يقول مثقال خردلة من الحب أحب إلی من عبادة سبعين سنة بلا حب . و قال بعضـهم من أراد أن يكون محبا فليكن كماحكی عن بعض الهنـد أنه أحب جارية فرحلت عن ذلک البلد فخرج الفتی فی وداعها فـدمعت إحـدی عينيه دون الأخری فغمض التی لم تـدمع أربعا وثمانين سـنة و لم يفتحها عقوبـة لأنها لم تبک علی فراق حبيبته . وأنشـدوا فی هـذاالمعنی بكت عينی غـداة البين دمعـا || وأخری بالبكـاء بخلت علينـا فعـاقبت التی بخلت علينـا || بـأن غمضـتها يوم التقيـا قيـل إن الله تعـالی أوحی إلی داود ع إنی حرمت علی القلوب أن يـدخلها حبی وحب غيری -روايت-١-٢-روايت-٧-٩٠ . وقيـل المحبـة إيثـار المحبوب علی النفس كـامرأة العزيز لمـاأفرط بهـاالحب قالت أَنَا راوَدتُهُ عَن نَفسِهِ وَ إِنّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ و فی الابتـداء قالت ما جَزاءُ مَن أَرادَ بِأَهلِكَ سُوءاً إِلّا أَن يُسجَنَفوركت الذنب فی الابتداء عليه ونادت فی الانتهاء علی

نفسها بالخيانة و قال أبوسعيد الخراز رأيت النبى ص فى المنام فقلت يا رسول الله اعذرنى فإن محبة الله شغلتنى عن حبك فقال يامبارك من أحب الله فقد أحبنى. -قرآن-۷۸-۱۳۴-قرآن-۱۵۵-۲۰۹ [صفحه ۸۱] ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل قوله ع يصونون مصونه أى يكتمون من العلم ألذى استحفظوه مايجب أن يكتم ويفجرون عيونه يظهرون منه ماينبغى إظهاره و ذلك أنه ليس ينبغى إظهار كل مااستودع العارف من الأسرار و أهل هذاالفن يزعمون أن قوما منهم عجزوا عن أن يحملوا بما حملوه فباحوا به فهلكوا منهم الحسين بن منصور الحلاج ولأبى الفتوح الجارودى المتأخر أتباع يعتقدون فيه مثل ذلك . والولاية بفتح الواو المحبة والنصرة ومعنى يتواصلون بالولاية يتواصلون وهم أولياء ومثله ويتلاقون بالمحبة كماتقول خرجت بسلاحى أى خرجت و أنامتسلح فيكون موضع الجار والمجرور نصبا بالحال أو يكون المعنى أدق وألطف من هذا و هو أن يتواصلوا بالولاية أى بالقلوب لابالأجسام كماتقول أناأراك بقلبى وأزورك بخاطرى وأواصلك بضميرى. قوله ويتساقون بكأس روية أى بكأس المعرفة والأنس بالله يأخذ بعضهم عن بعض العلوم والأسرار فكأنهم شرب يتساقون بكأس من الخمر. قال ويصدرون برية يقال من أين ريتكم مفتوحة الراء أى من أين ترتوون الماء. قال لاتشوبهم الريبة أى لاتخالطهم الظنة والتهمة و لاتسرع فيهم الغيبة لأن أسرارهم مشغولة بالحق عن الخلق . قال على ذلك عقد خلقهم وأخلاقهم الضمير فى عقد يرجع إلى الله تعالى أى على هذه الصفات والطبائع عقد الخالق تعالى خلقتهم وخلقهم أى هم متهيئون لماصاروا إليه كما قال ع إذاأرادك لأمر هيأك له -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۴۱ [صفحه ۸۲] قال ع كل ميسر لماخلق له -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۳۲ . قال فعليه يتحابون و به يتواصلون أى ليس حبهم بعضهم بعضا إلا فى الله وليست مواصلتهم بعضهم بعضا إلالله لالهوى و لالغرض من أغراض الدنيا أنشد منشد عندعمر قول طرفة فلو لاثلاث هن من عيشة الفتى || وجدك لم أحفل متى قام عودى فمنهن سبقى العاذلات بشربة || كميت متى ماتعل بالماء تزبد وكرى إذانادى المضاف محنبا || كسيد الغضا نبهته المتورد وتقصير يوم الدجن والدجن معجب || ببهكنة تحت الطراف المعمد فقال عمر و أنا لو لاثلاث هن من عيشة الفتى لم أحفل متى قام عودى حبى فى الله وبغضى فى الله وجهادى فى سبيل الله . قوله ع فكانوا كتفاضل البذر أى مثلهم مثل الحب ألذى ينتقى للبذر يستصلح بعضه ويسقط بعضه . قدميزه التخليص قدفرق الانتقاء بين جيدة ورديئة وهذبه التمحيص قال النبى ص إن المرض ليمحص الخطايا كماتمحص النار الذهب -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۶۶ أى كماتخلص النار الذهب مما يشوبه . ثم أمر ع المكلفين بقبول كرامة الله ونصحه ووعظه وتذكيره وبالحذر [صفحه ۸۳] من نزول القارعة بهم وهى هاهنا الموت وسميت الداهية قارعة لأنها تقرع أى تصيب بشدة. قوله فليصنع لمتحوله أى فليعد مايجب إعداده للموضع ألذى يتحول إليه تقول اصنع لنفسك أى اعمل لها. قوله ومعارف منتقله معارف الدار مايعرفها المتوسم بهاواحدها معرف مثل معاهد الدار ومعالم الدار و منه معارف المرأة و هو مايظهر منها كالوجه واليدين والمنتقل بالفتح موضع الانتقال . قوله فطوبى هى فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالإضافة. وقول العامة طوبيك بالياء غيرجائز. قوله لذى قلب سليم هو من ألفاظ الكتاب العزيز أى سليم من الغل والشك . قوله أطاع من يهديه أى قبل مشورة الناصح الآمر له بالمعروف والناهى له عن المنكر. وتجنب من يرديه أى يهلكه بإغوائه وتحسين القبيح له . والباء فى قوله ببصر من بصره متعلقة بأصاب . قوله قبل أن تغلق أبوابه أى قبل أن يحضره الموت فلاتقبل توبته . والحوبة الإثم وإماطته إزالته ويجوز أمطت الأذى عنه ومطت الأذى عنه أى نحيته ومنع الأصمعى منه إلابالهمزة [صفحه ۸۴]

۲۰۸– و من دعاء كان يدعو به ع كثيرا

الحَمدُ لِلّهِ أَلّذِی لَم یُصبِح بیِ مَیّتاً وَ لَا سَقِیماً وَ لَا مَضرُوباً عَلَی عرُوُقیِ بِسُوءٍ وَ لَا مَأخُوذاً بِأَسوَإِ عمَلَیِ وَ لَا مَقطُوعاً داَبرِیِ وَ لَا مُرتَدّاً عَن دیِنیِ وَ لَا مُنکِراً لرِبَیّ وَ لَا مُستَوحِشاً مِن إیِماَنیِ وَ لَا مُلتَبِساً عقَلیِ وَ لَا مُعَذّباً بِعَذَابِ الأُمَمِ مِن قبَلیِ أَصبَحتُ عَبداً مَملُوکاً ظَالِماً لِنَفسیِ لَکَ الحُجّةُ عَلَیّ وَ لَا حُجّةَ لیِ وَ لَا أَستَطِیعُ أَن آخُذَ إِلّا مَا أعَطیَتنَیِ وَ لَا أَتقّیَ إِلّا مَا وقَیَتنَیِ أللّهُمّ إنِیّ أَعُوذُ بِکَ أَن أَفتَقِرَ فِی غِنَاکَ أَو أَضِلّ فِی هُدَاکَ أَو أُضَامَ فِی سُلطَانِکَ أَو أُضطَهَدَ وَ الأَمرُ لَکَ أللّهُمّ اجعَل نفَسیِ أَوّلَ کَرِیمَةٍ تَنتَزِعُهَا مِن کرَاَئمِیِ وَ أَوّلَ وَدِیعَةٍ تَرتَجِعُهَا مِن وَدَائِعِ نِعَمِکَ عنِدیِ أللّهُمّ إِنّا نَعُوذُ بِکَ أَن نَذهَبَ عَن قَولِکَ أَو أَن نُفتَتَنَ عَن دِینِکَ أَو تَتَتَابَعَ بِنَا أَهوَاؤُنَا دُونَ الهُدَی ألّذِی جَاءَ مِن عِندِکَ [صفحه ۸۵] قوله کثیرا منصوب بأنه صفة مصدر محذوف أی دعاء کثیرا ومیتا منصوب علی الحال أی لم یفلق الصباح علی میتا و لایجوز أن تکون یصبح ناقصة و یکون میتا خبرها کما قال الراوندی لأن خبر کان وأخواتها یجب أن یکون هوالاسم أ لاتری أنهما مبتدأ وخبر فی الأصل واسم یصبح ضمیر الله تعالی ومیتا لیس هو الله سبحانه . قوله و لامضروبا علی عروقی بسوء أی و لاأبرص والعرب تکنی عن البرص بالسوء و من أمثالهم ماأنکرک من سوء أی لیس إنکاری لک عن برص حدث بک فغیر صورتک . وأراد بعروقه أعضاءه ویجوز أن یرید و لامطعونا فی نسبی والتفسیر الأول أظهر. و لامأخوذا بأسوإ عملی أی و لامعاقبا بأفحش ذنوبی. و لامقطوعا دابری أی عقبی ونسلی والدابر فی الأصل التابع لأنه یأتی دبرا ویقال للهالک قدقطع الله دابره کأنه یراد أنه عفا أثره ومحا اسمه قال سبحانه أَنّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقطُوعٌ مُصبِحِینَ. و لامستوحشا أی و لاشاکا فی الإیمان لأن من شک فی عقیدة استوحش منها. و لامتلبسا عقلی أی و لامختلطا عقلی لبست علیهم الأمر بالفتح أی خلطته وعذاب الأمم من قبل المسخ والزلزلة والظلمة ونحو ذلک . -قرآن-۷۶۴-۸۰۲ [صفحه ۸۶] قوله لک الحجة علی و لاحجة لی لأن الله سبحانه قدکلفه بعدتمکینه وإقداره وإعلامه قبح القبیح ووجوب الواجب وتردید دواعیه إلی الفعل وترکه و هذه حجة الله تعالی علی عباده و لاحجة للعباد علیه لأنه ماکلفهم إلابما یطیقونه و لا کان لهم لطف فی أمر إلا وفعله . قوله لاأستطیع أن آخذ إلا ماأعطیتنی و لاأتقی إلا ماوقیتنی أی لاأستطیع أن أرزق نفسی أمرا ولکنک الرزاق و لاأدفع عن نفسی محذورا من المرض والموت إلا مادفعته أنت عنی. و قال الشاعر لعمرک مایدری الفتی کیف یتقی || نوائب هذاالدهر أم کیف یحذر یری الشیء مما یتقی فیخافه || و ما لایری مما یقی الله أکثر و قال عبد الله بن سلیمان بن وهب کفایة الله أجدی من توقینا || وعادة الله فی الأعداء تکفینا کاد الأعادی فما أبقوا و لاترکوا || عیبا وطعنا وتقبیحا وتهجینا و لم نزد نحن فی سر و فی علن || علی مقالتنا الله یکفینا و کان ذاک ورد الله حاسدنا || بغیظه لم ینل مأموله فینا . قوله ع أن أفتقر فی غناک موضع الجار والمجرور نصب علی الحال و فی متعلقة بمحذوف والمعنی أن أفتقر و أنت الموصوف بالغنی الفائض علی الخلق . وکذلک قوله أوأضل فی هداک معناه أوأضل و أنت ذو الهدایة العامة للبشر کافة وکذلک أوأضام فی سلطانک کما یقول المستغیث إلی السلطان کیف أظلم فی عدلک . [صفحه ۸۷] وکذلک قوله أوأضطهد والأمر لک أی و أنت الحاکم صاحب الأمر والطاء فی أضطهد هی تاء الافتعال وأصل الفعل ضهدت فلانا فهو مضهود أی قهرته وفلان ضهده لکل أحد أی کل من شاء أن یقهره فعل . قوله أللهم اجعل نفسی هذه الدعوة مثل دعوة رسول الله ص وهی قوله أللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعله الوارث منا -روایت-۱-۲-روایت-۹-۶۰ أی لاتجعل موتنا متأخرا عن ذهاب حواسنا و کان علی بن الحسین یقول فی دعائه أللهم احفظ علی سمعی وبصری إلی انتهاء أجلی -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-۸۷ . وفسروا قوله ع واجعله الوارث منا فقالوا الضمیر فی واجعله یرجع إلی الإمتاع . فإن قلت کیف یتقی الإمتاع بالسمع والبصر بعدخروج الروح . قلت هذاتوسع فی الکلام والمراد لاتبلنا بالعمی و لاالصمم فنکون أحیاء فی الصورة ولسنا بأحیاء فی المعنی لأن من فقدهما لاخیر له فی الحیاة فحملته المبالغة علی أن طلب بقاءهما بعدذهاب النفس إیذانا وإشعارا بحبه ألا یبلی بفقدهما. ونفتتن علی ما لم یسم فاعله نصاب بفتنة تضلنا عن الدین وروی نفتتن بفتح حرف المضارعة علی نفتعل افتتن الرجل أی فتن و لایجوز أن یکون الافتتان متعدیا کماذکره

الراوندی ولكنه قرأ فی الصحاح للجوهری والفتون الافتتان يتعدی و لايتعدی فظن أن ذلک للافتتان و ليس كماظن وإنما ذلک راجع إلی الفتون . والتتابع التهافت فی اللجاج والشر و لا يكون إلا فی مثل ذلک وروی أوتتابع بطرح إحدی التاءات [صفحه ۸۸]

۲۰۹- و من خطبهٔ له ع خطبها بصفين

اشاره

أَمّا بَعدُ فَقَد جَعَلَ اللّهُ سُبحَانَهُ لِی عَلَيكُم حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمرِكُم وَ لَكُم عَلَيّ مِنَ الحَقّ مِثلُ أَلّذِی لِی عَلَيكُم وَ الحَقّ أَوسَعُ الأَشيَاءِ فِی التّوَاصُفِ وَ أَضيَقُهَا فِی التّنَاصُفِ لَا يجَریِ لِأَحَدٍ إِلّا جَرَی عَلَيهِ وَ لَا يجَریِ عَلَيهِ إِلّا جَرَی لَهُ وَ لَو كَانَ لِأَحَدٍ أَن يجَریِ‌َ لَهُ وَ لَا يجَریِ‌َ عَلَيهِ لَكَانَ ذَلِکَ خَالِصاً لِلّهِ سُبحَانَهُ دُونَ خَلقِهِ لِقُدرَتِهِ عَلَی عِبَادِهِ وَ لِعَدلِهِ فِی كُلّ مَا جَرَت عَلَيهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَ لَكِنّهُ سُبحَانَهُ جَعَلَ حَقّهُ عَلَی العِبَادِ أَن يُطِيعُوهُ وَ جَعَلَ جَزَاءَهُم عَلَيهِ مُضَاعَفَةَ الثّوَابِ تَفَضّلًا مِنهُ وَ تَوَسّعاً بِمَا هُوَ مِنَ المَزِيدِ أَهلُهُ ألذی له عليهم من الحق هووجوب طاعته و ألذی لهم عليه من الحق هووجوب معدلته فيهم والحق أوسع الأشياء فی التواصف وأضيقها فی التناصف معناه أن كل أحد يصف الحق والعدل ويذكر حسنه ووجوبه و يقول لووليت لعدلت فهو بالوصف باللسان وسيع وبالفعل ضيق لأن ذلک العالم العظيم الذين كانوا يتواصفون حسنه ويعدون أن لوولوا باعتماده وفعله لاتجد فی الألف منهم واحدا لوولی لعدل ولكنه قول بغير عمل . [صفحه ۸۹] ثم عاد إلی تقرير الكلام الأول و هووجوب الحق له و عليه فقال إنه لايجری لأحد إلا وجری عليه وكذلک لايجری عليه إلا وجری له أی ليس و لاواحد من الموجودين بمرتفع عن أن يجری الحق عليه و لو كان أحد من الموجودين كذلک لكان أحقهم بذلک الباریء سبحانه لأنه غايهٔ الشرف بل هوفوق الشرف وفوق الكمال والتمام و هومالک الكل وسيد الكل فلو كان لجواز هذه القضيهٔ وجه ولصحتها مساغ لكان الباریء تعالی أولی بها وهی ألا يستحق عليه شیء وتقدير الكلام لكنه يستحق عليه أمور فهو فی هذاالباب كالواحد منا يستحق ويستحق عليه ولكنه ع حذف هذاالكلام المقدر أدبا وإجلالا لله تعالی أن يقول إنه يستحق عليه شیء. فإن قلت فما بال المتكلمين لايتأدبون بأدبه ع وكيف يطلقون عليه تعالی الوجوب والاستحقاق . قلت ليست وظيفهٔ المتكلمين وظيفهٔ أمير المؤمنين ع فی عباراتهم هؤلاء أرباب صناعهٔ وعلم يحتاج إلی ألفاظ واصطلاح لابد لهم من استعماله للإفهام والجدل بينهم و أمير المؤمنين إمام يخطب علی منبره يخاطب عربا ورعيهٔ ليسوا من أهل النظر و لامخاطبته لهم لتعليم هذاالعلم بل لاستنفارهم إلی حرب عدوه فوجب عليه بمقتضی الأدب أن يتوقی كل لفظهٔ توهم مايستهجنه السامع فی الأمور الإلهيهٔ و فی غيرها. فإن قلت فما هذه الأمور التی زعمت أنها تستحق علی الباریء سبحانه و أن أمير المؤمنين ع حذفها من اللفظ واللفظ يقتضيها. قلت الثواب والعوض وقبول التوبهٔ واللطف والوفاء بالوعد والوعيد و غير ذلک مما يذكره أهل العدل . [صفحه ۹۰] فإن قلت فما معنی قوله لكان ذلک خالصا لله سبحانه دون خلقه لقدرته علی عباده ولعدله فی كل ماجرت عليه صروف قضائه وهب أن تعليل عدم استحقاق شیء علی الله تعالی بقدرته علی عباده صحيح كيف يصح تعليل ذلک بعدله فی كل ماجرت عليه صروف قضائه أ لاتری أنه ليس بمستقيم أن تقول لايستحق علی الباریء شیءلأنه عادل وإنما المستقيم أن تقول لايستحق عليه شیءلأنه مالک ولذلک عللت الأشعريهٔ هذاالحكم بأنه مالک الكل والاستحقاق إنما يكون علی من دونه . قلت التعليل صحيح و هوأيضا مما عللت به الأشعريهٔ مذهبها و ذلک لأنه إنما يتصور الاستحقاق علی الفاعل المختار إذا كان ممن يتوقع منه أويصح منه أن يظلم فيمكن حينئذ أن يقال قدوجب عليه كذا

واستحق عليه كذا فأما من لايمكن أن يظلم و لايتصور وقوع الظلم منه و لاالكذب و لاخلف الوعد والوعيد فلامعنى لإطلاق الوجوب والاستحقاق عليه كما لايقال كذا الداعى الخالص يستحق عليه أن يفعل مادعاه إليه الداعى ويجب عليه أن يفعل مادعاه إليه الداعى مثل الهارب من الأسد والشديد العطش إذاوجد الماء ونحو ذلك . فإن قلت أ ليس يشعر قوله ع وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه بمذهب البغداديين من أصحابكم و هوقولهم إن الثواب تفضل من الله سبحانه و ليس بواجب . قلت لا ـ و ذلك لأنه جعل المتفضل به هومضاعفة الثواب لاأصل الثواب و ليس ذلك بمستنكر عندنا. فإن قلت أيجوز عندكم أن يستحق المكلف عشرة أجزاء من الثواب فيعطى عشرين جزءا منه أ ليس من مذهبكم أن التعظيم والتبجيل لايجوز من البارئ سبحانه أن يفعلهما [صفحه ٩١] فى الجنة إلا على قدر الاستحقاق والثواب عندكم هوالنفع المقارن للتعظيم والتبجيل فيكف قلت إن مضاعفة الثواب عندنا جائزة. قلت مراده ع بمضاعفة الثواب هنا زيادة غيرمستحقة من النعيم واللذة الجسمانية خاصة فى الجنة فسمى تلك اللذة الجسمانية ثوابا لأنها جزء من الثواب فأما اللذة العقلية فلايجوز مضاعفتها. قوله ع بما هو من المزيد أهله أى بما هوأهله من المزيد فقدم الجار والمجرور وموضعه نصب على الحال و فيه دلالة على أن حال المجرور تتقدم عليه كما قال الشاعر لئن كان برد الماء حران صاديا || إلى حبيبا إنها لحبيب ثُمّ جَعَلَ سُبحَانَهُ مِن حُقُوقِهِ حُقُوقاً افتَرَضَهَا لِبَعضِ النّاسِ عَلَى بَعضٍ فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا وَ يُوجِبُ بَعضُهَا بَعضاً وَ لَا يُستَوجَبُ بَعضُهَا إِلّا بِبَعضٍ. وَ أَعظَمُ مَا افتَرَضَ سُبحَانَهُ مِن تِلكَ الحُقُوقِ حَقّ الوَالِي عَلَى الرّعِيّةِ وَ حَقّ الرّعِيّةِ عَلَى الوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللّهُ سُبحَانَهُ لِكُلّ عَلَى كُلّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلفَتِهِم وَ عِزّاً لِدِينِهِم فَلَيسَت تَصلُحُ الرّعِيّةُ إِلّا بِصَلَاحِ الوُلَاةِ وَ لَا تَصلُحُ الوُلَاةُ إِلّا بِاستِقَامَةِ الرّعِيّةِ فَإِذَا أَدّتِ الرّعِيّةُ إِلَى الوَالِي حَقّهُ وَ أَدّى الوَالِي إِلَيهَا حَقّهَا عَزّ الحَقّ بَينَهُم وَ قَامَت مَنَاهِجُ الدّينِ وَ اعتَدَلَت مَعَالِمُ العَدلِ وَ جَرَت عَلَى أَذلَالِهَا السّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزّمَانُ وَ طُمِعَ فِي بَقَاءِ الدّولَةِ وَ يَئِسَت مَطَامِعُ الأَعدَاءِ. [صفحه ٩٢] وَ إِذَا غَلَبَتِ الرّعِيّةُ وَالِيَهَا أَو أَجحَفَ الوَالِي بِرَعِيّتِهِ اختَلَفَت هُنَالِكَ الكَلِمَةُ وَ ظَهَرَت مَعَالِمُ الجَورِ وَ كَثُرَ الإِدغَالُ فِي الدّينِ وَ تُرِكَت مَحَاجّ السّنَنِ فَعُمِلَ بِالهَوَى وَ عُطّلَتِ الأَحكَامُ وَ كَثُرَت عِلَلُ النّفُوسِ فَلَا يُستَوحَشُ لِعَظِيمِ حَقّ عُطّلَ وَ لَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ فَهُنَالِكَ تَذِلّ الأَبرَارُ وَ تَعِزّ الأَشرَارُ وَ تَعظُمُ تَبِعَاتُ اللّهِ سُبحَانَهُ عِندَ العِبَادِ.فَعَلَيكُم بِالتّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَ حُسنِ التّعَاوُنِ عَلَيهِ فَلَيسَ أَحَدٌ وَ إِنِ اشتَدّ عَلَى رِضَا اللّهِ حِرصُهُ وَ طَالَ فِي العَمَلِ اجتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللّهُ سُبحَانَهُ أَهلُهُ مِنَ الطّاعَةِ لَهُ وَ لَكِن مِن وَاجِبِ حُقُوقِ اللّهِ سُبحَانَهُ عَلَى عِبَادِهِ النّصِيحَةُ بِمَبلَغِ جُهدِهِم وَ التّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الحَقّ بَينَهُم وَ لَيسَ امرُؤٌ وَ إِن عَظُمَت فِي الحَقّ مَنزِلَتُهُ وَ تَقَدّمَت فِي الدّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوقِ أَن يُعَانَ عَلَى مَا حَمّلَهُ مِن حَقّهِ وَ لَا امرُؤٌ وَ إِن صَغّرَتهُ النّفُوسُ وَ اقتَحَمَتهُ العُيُونُ بِدُونِ أَن يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَو يُعَانَ عَلَيهِ تتكافأ فى وجوهها تتساوى وهى حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى. وفريضة قدروى بالنصب وبالرفع فمن رفع فخبر مبتدإ محذوف و من نصب فبإضمار فعل أو على الحال . وجرت على أذلالها السنن بفتح الهمزة أى على مجاريها وطرقها. وأجحف الوالى برعيته ظلمهم . والإدغال فى الدين الفساد. [صفحه ٩٣] ومحاج السنن جمع محجة وهى جادة الطريق . قوله وكثرت علل النفوس أى تعللها بالباطل و من كلام الحجاج إياكم وعلل النفوس فإنها أدوى لكم من علل الأجساد. واقتحمته العيون احتقرته وازدرته قال ابن دريد و منه ماتقتحم العين فإن || ذقت جناه ساغ عذبا فى اللها . ومثل قوله ع و ليس امرؤ و إن عظمت فى الحق منزلته قول زيد بن على ع لهشام بن عبدالملك إنه ليس أحد و إن عظمت منزلته بفوق أن يذكر بالله ويحذر من سطوته و ليس أحد و إن صغر بدون أن يذكر بالله ويخوف من نقمته . ومثل قوله ع و إذاغلبت الرعية واليها قول الحكماء إذاعلا صوت بعض الرعية على الملك فالملك مخلوع فإن قال نعم فقال أحد من الرعية لافالملك مقتول

فصل فيما ورد من الآثار فيما يصلح الملك

و قدجاء فی وجوب الطاعة لأولی الأمر الکثیر الواسع قال الله سبحانه أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الأمرِ مِنکَم و -قرآن-۷۱-۱۳۵ روی عبد الله بن عمر عن رسول الله ص السمع والطاعة علی المرء -روایت-۱-۲-روایت-۴۳-ادامه دارد [صفحه ۹۴] المسلم فیما أحب وکره ما لم یؤمر بمعصیة فإذاأمر بها فلاسمع و لاطاعة -روایت-از قبل-۷۴ عنه ص إن أمر علیکم عبدأسود مجدع فاسمعوا له وأطیعوا -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۶۰ من کلام علی ع إن الله جعل الطاعة غنیمة الأکیاس عندتفریط الفجرة -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۷۳ .بعث سعد بن أبی وقاص جریر بن عبد الله البجلی من العراق إلی عمر بن الخطاب بالمدینة فقال له عمر کیف ترکت الناس قال ترکتهم کقداح الجعبة منها الأعصل الطائش ومنها القائم الرائش قال فکیف سعد لهم قال هوثقافها ألذی یقیم أودها ویغمز عصلها قال فکیف طاعتهم قال یصلون الصلاة لأوقاتها ویؤدون الطاعة إلی ولاتها قال الله أکبر إذاأقیمت الصلاة أدیت الزکاة و إذاکانت الطاعة کانت الجماعة. و من کلام أبرویز الملک أطع من فوقک یطعک من دونک . و من کلام الحکماء قلوب الرعیة خزائن والیها فما أودعه فیهاوجده . و کان یقال صنفان متباغضان متنافیان السلطان والرعیة وهما مع ذلک متلازمان إن أصلح أحدهما صلح الآخر و إن فسد فسد الآخر. و کان یقال محل الملک من رعیته محل الروح من الجسد ومحل الرعیة منه محل الجسد من الروح فالروح تألم بألم کل عضو من أعضاء البدن و لیس کل واحد من الأعضاء یألم بألم غیره وفساد الروح فساد جمیع البدن و قدیفسد بعض البدن وغیره من سائر البدن صحیح . [صفحه ۹۵] و کان یقال ظلم الرعیة استجلاب البلیة. و کان یقال العجب ممن استفسد رعیته و هویعلم أن عزه بطاعتهم . و کان یقال موت الملک الجائر خصب شامل . و کان یقال لاقحط أشد من جور السلطان . و کان یقال قدتعامل الرعیة المشمئزة بالرفق فتزول أحقادها ویذل قیادها و قدتعامل بالخرق فتکاشف بما غیبت وتقدم علی ماعیبت حتی یعود نفاقها شقاقا ورذاذها سیلا بعاقا ثم إن غلبت وقهرت فهو الدمار و إن غلبت وقهرت لم یکن یغلبها افتخار و لم یدرک بقهرها ثأر و کان یقال الرعیة و إن کانت ثمارا مجتناه وذخائر مقتناه وسیوفا منتضاه وأحراسا مرتضاه فإن لها نفارا کنفار الوحوش وطغیانا کطغیان السیول ومتی قدرت أن تقول قدرت علی أن تصول . و کان یقال أیدی الرعیة تبع ألسنتها فلن یملک الملک ألسنتها حتی یملک جسومها ولن یملک جسومها حتی یملک قلوبها فتحبه ولن تحبه حتی یعدل علیها فی أحکامه عدلا یتساوی فیه الخاصة والعامة و حتی یخفف عنها المؤن والکلف و حتی یعفیها من رفع أوضاعها وأراذلها علیها و هذه الثالثة تحقد علی الملک العلیة من الرعیة وتطمع السفلة فی الرتب السنیة. و کان یقال الرعیة ثلاثة أصناف صنف فضلاء مرتاضون بحکم الرئاسة والسیاسة یعلمون فضیلة الملک وعظیم غنائه ویرثون له من ثقل أعبائه فهؤلاء یحصل الملک موداتهم بالبشر عنداللقاء ویلقی أحادیثهم بحسن الإصغاء وصنف فیهم خیر وشر ظاهران فصلاحهم یکتسب من معاملتهم بالترغیب والترهیب وصنف من السفلة الرعاع أتباع [صفحه ۹۶] لکل داع لایمتحنون فی أقوالهم وأعمالهم بنقد و لایرجعون فی الموالاة إلی عقد. و کان یقال ترک المعاقبة للسفلة علی صغار الجرائم تدعوهم إلی ارتکاب الکبائر العظائم أ لاتری أول نشور المرأة کلمة سومحت بها وأول حران الدابة حیدة سوعدت علیها. ویقال إن عثمان قال یوما لجلسائه و هومحصور فی الفتنة وددت أن رجلا صدوقا أخبرنی عن نفسی و عن هؤلاء فقام إلیه فتی فقال إنی أخبرک تطأطأت لهم فرکبوک و ماجراهم علی ظلمک إلاإفراط حلمک قال صدقت فهل تعلم مایشب نیران الفتن قال نعم سألت عن ذلک شیخا من تنوخ کان باقعة قدنقب فی الأرض وعلم علما جما فقال الفتنة یثیرها أمران أثرة تضغن علی الملک الخاصة وحلم یجزئ علیه العامة قال فهل سألته عما یخمدها قال نعم زعم أن ألذی یخمدها فی ابتدائها استقالة العثرة وتعمیم الخاصة بالأثرة فإذااستحکمت الفتنة أخمدها الصبر قال عثمان صدقت وإنی لصابر حتی یحکم الله بیننا و هوخیر الحاکمین ویقال إن یزدجرد بن بهرام سأل حکیما ماصلاح الملک قال الرفق بالرعیة وأخذ الحق منها بغیر عنف والتودد إلیها بالعدل وأمن السبل وإنصاف المظلوم قال فما صلاح الملک قال وزراؤه إذاصلحوا صلح قال فما ألذی یثیر الفتن قال ضغائن یظهرها جرأة عامه واستخفاف

خاصة وانبساط الألسن بضمائر القلوب وإشفاق موسر وأمن معسر وغفلة مرزوق ويقظة محروم قال و مايسكنها قال أخذ العدة لمايخاف وإيثار الجد حين يلتذ الهزل والعمل بالحزم وادراع الصبر والرضا بالقضاء. و كان يقال خير الملوك من أشرب قلوب رعيته محبته كماأشعرها هيبته ولن ينال ذلك منها حتى تظفر منه بخمسه أشياء إكرام شريفها ورحمة ضعيفها وإغاثة لهيفها [صفحه ٩٧] وكف عدوان عدوها وتأمين سبل رواحها وغدوها فمتى أعدمها شيئا من ذلك فقد أحقدها بقدر مافقدها. و كان يقال الأسباب التى تجر الهلك إلى الملك ثلاثة أحدها من جهة الملك و هو أن تتأمر شهواته على عقله فتستهويه نشوات الشهوات فلاتسنح له لذة إلااقتنصها و لاراحة إلاافترصها. والثانى من جهة الوزراء و هوتحاسدهم المقتضى تعارض الآراء فلايسبق أحدهم إلى حق إلاكويد وعورض وعوند. والثالث من جهة الجند المؤهلين لحراسة الملك والدين وتوهين المعاندين و هونكولهم عن الجلاد وتضجيعهم فى المناصحة والجهاد وهم صنفان صنف وسع الملك عليهم فأبطرهم الإتراف وضنوا بنفوسهم عن التعريض للإتلاف وصنف قدر عليهم الأرزاق فاضطغنوا الأحقاد واستشعروا النفاق

الآثار الواردة فى العدل والإنصاف

قوله ع أوأجحف الوالى برعيته قدجاء من نظائره الكثير جدا و قدذكرنا فيما تقدم نكتا حسنة فى مدح العدل والإنصاف وذم الظلم والإجحاف و قال النبى ص زين الله السماء بثلاثة الشمس والقمر والكواكب وزين الأرض بثلاثة العلماء والمطر والسلطان العادل -روايت-١-٢-روايت-١٨-١١٨ . و كان يقال إذا لم يعمر الملك ملكه بإنصاف الرعية خرب ملكه بعصيان الرعية. وقيل لأنوشروان أى الجنن أوقى قال الدين قيل فأى العدد أقوى قال العدل . [صفحه ٩٨] وقع جعفر بن يحيى إلى عامل من عماله كثر شاكوك وقل حامدوك فإما عدلت وإما اعتزلت .وجد فى خزانة بعض الأكاسرة سفط ففتح فوجد فيه حب الرمان كل حبة كالنواة الكبيرة من نوى المشمش و فى السفط رقعة فيها هذاحب رمان عملنا فى خراجه بالعدل .جاء رجل من مصر إلى عمر بن الخطاب متظلما فقال يا أمير المؤمنين هذامكان العائذ بك قال له عذت بمعاذ ماشأنك قال سابقت ولد عمرو بن العاص بمصر فسبقته فجعل يعنفنى بسوطه و يقول أنا ابن الأكرمين وبلغ أباه ذلك فحبسنى خشية أن أقدم عليك فكتب إلى عمرو إذاأتاك كتابى هذافاشهد الموسم أنت وابنك فلما قدم عمرو وابنه دفع الدرة إلى المصرى و قال اضربه كماضربك فجعل يضربه وعمر يقول اضرب ابن الأمير اضرب ابن الأمير يرددها حتى قال يا أمير المؤمنين قداستقدت منه فقال وأشار إلى عمرو ضعها على صلعته فقال المصرى يا أمير المؤمنين إنما أضرب من ضربنى فقال إنما ضربك بقوة أبيه وسلطانه فاضربه إن شئت فو الله لوفعلت لامنعك أحد منه حتى تكون أنت ألذى تتبرع بالكف عنه ثم قال يا ابن العاص متى تعبدتم الناس و قدولدتهم أمهاتهم أحرار.خطب الإسكندر جنده فقال لهم بالرومية كلاما تفسيره ياعباد الله إنما إلهكم الله ألذى فى السماء ألذى نصرنا بعدحين ألذى يسقيكم الغيث عندالحاجة و إليه مفزعكم عندالكرب و الله لايبلغنى إن الله أحب شيئا إلاأحببته وعملت به إلى يوم أجلى و لايبلغنى أنه أبغض شيئا إلاأبغضته وهجرته إلى يوم أجلى و قدأنبئت أن الله يحب العدل فى عباده ويبغض الجور فويل للظالم من سوطى وسيفى و من ظهر منه [صفحه ٩٩] العدل من عمالى فليتكئ فى مجلسى كيف شاء وليتمن على ماشاء فلن تخطئه أمنيته و الله المجازى كلا بعمله . قال رجل لسليمان بن عبدالملك و هوجالس للمظالم يا أمير المؤمنين أ لم تسمع قول الله تعالى فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَينَهُم أَن لَعنَةُ اللّهِ عَلَي الظّالِمِينَ قال ماخطبك قال وكيلك اغتصبنى ضيعتى وضمها إلى ضيعتك الفلانية قال فإن ضيعتى لك وضيعتك مردودة إليك ثم كتب إلى الوكيل بذلك وبصرفه عن عمله . ورقى إلى كسرى قباذ أن فى بطانة الملك قوما قدفسدت نياتهم وخبثت ضمائرهم لأن أحكام الملك جرت على بعضهم لبعضهم فوقع فى الجواب أناأملك الأجساد لاالنيات

وأحكم بالعدل لابالهوى وأفحص عن الأعمال لاـ عن السرائر. وتظلم أهل الكوفة إلى المأمون من واليهم فقال ماعلمت فى عمالى أعدل و لاأقوم بأمر الرعية و لاأعود بالرفق منه فقال له منهم واحد فلاأحد أولى منك يا أمير المؤمنين بالعدل والإنصاف و إذا كان بهذه الصفة فمن عدل أمير المؤمنين أن يوليه بلدا بلدا حتى يلحق أهل كل بلد من عدله مثل مالحقنا منه ويأخذوا بقسطهم منه كماأخذ منه سواهم و إذافعل أمير المؤمنين ذلك لم يصب الكوفة منه أكثر من ثلاث سنين فضحك وعزله .كتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبدالعزيز أما بعد فإن قبلنا قوما لايؤدون الخراج إلا أن يمسهم نصب من العذاب فاكتب إلى أمير المؤمنين برأيك فكتب أما بعدفالعجب لك كل العجب تكتب إلى تستأذننى فى عذاب البشر كأن إذنى لك جنة من عذاب الله أو كان رضاى ينجيك من سخط الله فمن أعطاك ما عليه عفوا –قرآن–٢٠٩–٢٧٢ [صفحه ١٠٠] فخذ منه و من أبى فاستحلفه وكله إلى الله فلأن يلقوا الله بجرائمهم أحب إلى من أن ألقاه بعذابهم .فضيل بن عياض ماينبغى أن تتكلم بفيك كله أتدرى من كان يتكلم بفيه كله عمر بن الخطاب كان يعدل فى رعيته ويجور على نفسه ويطعمهم الطيب ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ويعطيهم الحق ويزيدهم ويمنع ولده وأهله أعطى رجلاـ عطاءه أربعة آلاف درهم ثم زاده ألفا فقيل له أ لاتزيد ابنك عبد الله كماتزيد هذا فقال إن هذاثبت أبوه يوم أحد و إن عبد الله فر أبوه و لم يثبت . و كان يقال لا يكون العمران إلاحيث يعدل السلطان . و كان يقال العدل حصن وثيق فى رأس نيق لايحطمه سيل و لايهدمه منجنيق .وقع المأمون إلى عامل كثر التظلم منه أنصف من وليت أمرهم و إلاأنصفهم منك من ولى أمرك .بعض السلف العدل ميزان الله والجور مكيال الشيطان [صفحه ١٠١]

٢١٠

فَأَجَابَهُ ع رَجُلٌ مِن أَصحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يَكثُرُ فِيهِ الثّنَاءُ عَلَيهِ وَ يَذكُرُ سَمعَهُ وَ طَاعَتَهُ لَهُ فَقَالَ ع إِنّ مِن حَقّ مَن عَظُمَ جَلَالُ اللّهِ سُبحَانَهُ فِي نَفسِهِ وَ جَلّ مَوضِعُهُ مِن قَلبِهِ أَن يَصغُرَ عِندَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلّ مَا سِوَاهُ وَ إِنّ أَحَقّ مَن كَانَ كَذَلِكَ لَمَن عَظُمَت نِعمَةُ اللّهِ عَلَيهِ وَ لَطُفَ إِحسَانُهُ إِلَيهِ فَإِنّهُ لَم تَعظُم نِعمَةُ اللّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلّا ازدَادَ حَقّ اللّهِ عَلَيهِ عِظَماً وَ إِنّ مِن أَسخَفِ حَالَاتِ الوُلَاةِ عِندَ صَالِحِ النّاسِ أَن يُظَنّ بِهِم حُبّ الفَخرِ وَ يُوضَعَ أَمرُهُم عَلَى الكِبرِ وَ قَد كَرِهتُ أَن يَكُونَ جَالَ فِي ظَنّكُم أَنّي أُحِبّ الإِطرَاءَ وَ استِمَاعَ الثّنَاءِ وَ لَستُ بِحَمدِ اللّهِ كَذَلِكَ وَ لَو كُنتُ أُحِبّ أَن يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرَكتُهُ انحِطَاطاً لِلّهِ سُبحَانَهُ عَن تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقّ بِهِ مِنَ العَظَمَةِ وَ الكِبرِيَاءِ وَ رُبّمَا استَحلَى النّاسُ الثّنَاءَ بَعدَ البَلَاءِ فَلَا تُثنُوا عَلَيّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخرَاجِي نفَسيِ إِلَى اللّهِ سُبحَانَهُ وَ إِلَيكُم مِنَ البَقِيّةِ فِي حُقُوقٍ لَم أَفرُغ مِن أَدَائِهَا وَ فَرَائِضَ لَا بُدّ مِن إِمضَائِهَا فَلَا تكُلَمّوُنيِ بِمَا تُكَلّمُ بِهِ الجَبَابِرَةُ وَ لَا تَتَحَفّظُوا بِمَا يُتَحَفّظُ بِهِ عِندَ أَهلِ البَادِرَةِ وَ لَا تُخَالِطُونِي بِالمُصَانَعَةِ وَ لَا تَظُنّوا بيِ استِثقَالًا فِي حَقّ قِيلَ لِي وَ لَا التِمَاسَ إِعظَامٍ لِنَفسِي فَإِنّهُ مَنِ استَثقَلَ الحَقّ أَن يُقَالَ لَهُ أَوِ العَدلَ أَن يُعرَضَ عَلَيهِ كَانَ العَمَلُ بِهِمَا أَثقَلَ عَلَيهِ [صفحه ١٠٢] فَلَا تَكُفّوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقّ أَو مَشُورَةٍ بِعَدلٍ فَإِنّي لَستُ فِي نَفسِي بِفَوقِ أَن أُخطِئَ وَ لَا آمَنُ ذَلِكَ مِن فِعلِي إِلّا أَن يَكفيَِ اللّهُ مِن نفَسيِ مَا هُوَ أَملَكُ بِهِ منِيّ فَإِنّمَا أَنَا وَ أَنتُم عَبِيدٌ مَملُوكُونَ لِرَبّ لَا رَبّ غَيرُهُ يَملِكُ مِنّا مَا لَا نَملِكُ مِن أَنفُسِنَا وَ أَخرَجَنَا مِمّا كُنّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحنَا عَلَيهِ فَأَبدَلَنَا بَعدَ الضّلَالَةِ بِالهُدَى وَ أَعطَانَا البَصِيرَةَ بَعدَ العَمَى هذاالفصل و إن لم يكن فيه ألفاظ غريبة سبيلها أن تشرح ففيه معان مختلفة سبيلها أن تذكر وتوضح وتذكر نظائرها و مايناسبها.فمنها قوله ع إن من حق من عظمت نعمة الله عليه أن تعظم عليه حقوق الله تعالى و أن يعظم جلال الله تعالى فى نفسه و من حق من كان كذلك أن يصغر عنده كل ماسوى الله . و هذامقام جليل من مقامات العارفين و هواستحقار كل ماسوى الله تعالى و ذلك أن من عرف الله تعالى فقد عرف ما هوأعظم من كل عظيم بل لانسبة لشىء من الأشياء أصلا إليه سبحانه فلايظهر

عنـدالعارف عظمـة غيره البتـة كما أن من شاهـد الشـمس المنيرة يسـتحقر ضوء القمر والسـراج الموضوع فی ضوء الشـمس حال مشاهـدته جرم الشـمس بـل لاـتظهر له فی تلک الحال صـنوبرة السـراج و لاتنطبع صورتها فی بصـره . ومنها قوله ع من أسـخف حالاـت الولاـة أن يظن بهم حب الفخر ويوضع [صـفحه ۱۰۳] أمرهم علی الکبر قـال النبی ص لايـدخل الجنـة من کان فی قلبه مثقـال حبـة من کبر -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۶۹ قـال ص لو لاثلاـث مهلکـات لصـلح الناس شـح مطاع وهوی متبع وإعجاب المرء بنفسه -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۸۶ . و کان يقال ليس لمعجب رأی و لاللمتکبر صديق . و کان أبومسـلم صاحب الدولة يقول ماتـاه إلاوضـيع و لافـاخر إلالقيـط و لاتعصب إلادخيل . و قال عمر لبعض ولـده التمس الرفعـة بالتواضع والشـرف بالـدين والعفو من الله بالعفو عن الناس وإياک والخيلاء فتضع من نفسک و لاتحقرن أحـدا لأنک لاتدری لعل من تزدريه عيناک أقرب إلی الله وسـيلة منـک . ومنهـا قوله ع قـدکرهت أن تظنوا بی حب الإطراء واسـتماع الثناء قـد روی عن النبی ص أنه قال احثوا فی وجوه المـداحين التراب -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۶۴ و قـال عمر المـدح هوالذبـح . و کان يقال إذاسـمعت الرجل يقول فيک من الخير ما ليس فيک فلاتأمن أن يقول فيک من الشر ما ليس فيک . ويقال إن فی بعض الکتب المنزلة القديمة عجبا لمن قيل فيـه الخير و ليس فيـه کيـف يفرح ولمـن قيـل فيـه الشر و ليس فيه کيـف يغضب وأعجب من ذلـک من أحب نفسه علی اليقين وأبغض النـاس علی الظن . و کـان يقال لايغلبن جهل غيرک بک علمک بنفسک . و قال رجل لعبـد الملک إنی أريـد أن أسر إليک يا أمير المؤمنين شـيئا فقال لمن حوله [صـفحه ۱۰۴] إذاشـئتم فانهضوا فتقـدم الرجل يريد الکلام فقال له عبدالملک قف لاتمـدحنی فإنی أعلم بنفسـی منک و لاتکـذبنی فإنه لارأی لمکـذوب و لاتغتب عنـدی أحـدا فإنی أکره الغيبـة قال أفيأذن أمير المؤمنين فی الانصـراف قال إذاشـئت . وناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجانی فی مسألة کلامية فجعل النوشجانی يخضع فی الکلام ويسـتخذی له فقال يا محمـدأراک تنقاد إلی ماأقوله قبل وجوب الحجـة لی عليک و قدساءنی منک ذلک و لوشـئت أن أفسـر الأمور بعزة الخلافـة وهيبـة الرئاسـة لصـدقت و إن کنت کاذبا وعدلت و إن کنت جائرا وصوبت و إن کنت مخطئا ولکنی لاأقنع إلابإقامة الحجة وإزالة الشـبهة و إن أنقص الملوک عقلا وأسـخفهم رأيا من رضـی بقولهم صدق الأمير. و قال عبد الله بن المقفع فی اليتيمـة إياک إذاکنت واليا أن يکون من شأنک حب المـدح والتزکية و أن يعرف الناس ذلک منک فتکون ثلمة من الثلم يقتحمون عليک منها وبابا يفتتحونک منه وغيبة يغتابونک بها ويسخرون منک لها واعلم أن قابل المدح کمادح نفسه و أن المرء جـدير أن يکون حبه المـدح هو ألذی يحمله علی رده فإن الراد له ممدوح والقابل له معيب . و قال معاوية لرجل من سـيد قومک قال أنا قال لوکنت کذلک لم تقله . و قال الحسن ذم الرجل نفسه فی العلانية مدح لها فی السر. کان يقال من أظهر عيب نفسه فقـد زکاها. ومنها قوله ع لوکنت کذلک لترکته انحطاطا لله تعالی عن تناول ما هوأحق به من الکبرياء فی الحديث المرفوع من تواضع لله رفعه الله و من تکبر خفضه الله -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۷۳ . [صفحه ۱۰۵] و فيه أيضا العظمة إزاری والکبرياء ردائی فمن نـازعنی فيهمـا قصـمته . ومنهـا قوله ع فلاـتکلمونی بمـا تکلم به الجبـابرة و لاـتتحفظوا منی بمـا يتحفـظ به عنـد أهل البادرة.أحسن ماسـمعته فی سـلطان لاتخاف الرعية بادرته و لايتلجلج المتحاکمون عنده مع سـطوته وقوته لإيثاره العدل قول أبی تمام فی محمد بن عبدالملک وزير حق ووالی شـرطة ورحی || ديوان ملک وشيعی ومحتسب کالأرحبی المذکی سيره المرطی || والوخـد والملع والتقريب والخبب عود تسـاجله أيامه فبها || من مسه و به من مسـها جلب ثبت الخطاب إذااصـطکت بمظلمة || فی رحله ألسن الأقوام والرکب [صـفحه ۱۰۶] لاالمنطق اللغو يزکو فی مقاومه || يوما و لاحجـة الملهوف تسـتلب کأنما هو فی نادی قبيلته || لاالقلب يهفو و لاالأحشاء تضطرب . و من هذاالمعنی قول أبی الجهم العدوی فی معاوية نقلبه لنخبر حالتيه || فنخبر منهمـا کرمـا ولينا نميل علی جوانبه کأنا || إذامِلنا نميل علی أبينا . ومنها قوله ع لاتظنوا بی اسـتثقال رفع الحق إلی فإنه من استثقل الحق أن يقال له کان العمل به عليه أثقل . هذامعنی لطيف و لم أسمع منه شيئا منثورا و لامنظوما. ومنها قوله ع و لاتکفوا

عن قول بحق أومشورة بعدل . قدورد فی المشورة شیء کثیر قال الله تعالی وَ شاوِرهُم فِی الأمرِ. و کان یقال إذااستشرت إنسانا صار عقله لک . و قال أعرابی ماغبنت قط حتی یغبن قومی قیل و کیف ذاک قال لاأفعل شیئا حتی أشاورهم . و کان یقال من أعطی الاستشارة لم یمنع الصواب و من أعطی الاستخارة لم یمنع الخیرة و من أعطی التوبة لم یمنع القبول و من أعطی الشکر لم یمنع المزید. و فی آداب ابن المقفع لایقذفن فی روعک أنک إذااستشرت الرجال ظهر منک للناس حاجتک إلی رأی غیرک فیقطعک ذلک عن المشاورة فإنک لاترید الرأی للفخر -قرآن-۲۶۷-۲۸۹ [صفحه ۱۰۷] ولکن للانتفاع به و لوأنک أردته للذکر لکان أحسن الذکر عندالعقلاء أن یقال إنه لاینفرد برأیه دون ذوی الرأی من إخوانه . ومنها أن یقال مامعنی قوله ع وربما استحلی الناس الثناء بعدالبلاء إلی قوله لابد من إمضائها فنقول إن معناه أن بعض من یکره الإطراء والثناء قدیحب ذلک بعدالبلاء والاختبار کما قال مرداس بن أدیة لزیاد إنما الثناء بعدالبلاء وإنما نثنی بعد أن نبتلی فقال لوفرضنا أن ذلک سائغ وجائز و غیرقبیح لم یجز لکم أن تثنوا علی فی وجهی و لاجاز لی أن أسمعه منکم لأنه قدبقیت علی بقیة لم أفرغ من أدائها وفرائض لم أمضها بعد و لابد لی من إمضائها و إذا لم یتم البلاء ألذی قدفرضنا أن الثناء یحسن بعده لم یحسن الثناء. ومعنی قوله لإخراجی نفسی إلی الله وإلیکم أی لاعترافی بین یدی الله وبمحضر منکم أن علی حقوقا فی إیالتکم ورئاستی علیکم لم أقم بها بعد وأرجو من الله القیام بها. ومنها أن یقال مامعنی قوله فلاتخالطونی بالمصانعة فنقول إن معناه لاتصانعونی بالمدح والإطراء عن عمل الحق کمایصانع به کثیر من الولاة الذین یستفزهم المدح ویستخفهم الإطراء والثناء فیغمضون عن اعتماد کثیر من الحق مکافأة لماصونعوا به من التقریظ والتزکیة والنفاق . ومنها قوله ع فإنی لست بفوق أن أخطئ هذااعتراف منه ع بعدم العصمة فإما أن یکون الکلام علی ظاهره أو یکون قاله علی سبیل هضم [صفحه ۱۰۸] النفس کما قال رسول الله ص و لا أنا إلا أن یتدارکنی الله برحمته -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۶۷ . ومنها قوله ع أخرجنا مما کنا فیه فأبدلنا بعدالضلالة بالهدی وأعطانا البصیرة بعدالعمی لیس هذاإشارة إلی خاص نفسه ع لأنه لم یکن کافرا فأسلم ولکنه کلام یقوله ویشیر به إلی القوم الذین یخاطبهم من أفناء الناس فیأتی بصیغة الجمع الداخلة فیهانفسه توسعا ویجوز أن یکون معناه لو لاألطاف الله تعالی ببعثة محمدص لکنت أنا وغیری علی أصل مذهب الأسلاف من عبادة الأصنام کما قال تعالی لنبیه وَ وَجَدَکَ ضَالّا فَهَدی لیس معناه أنه کان کافرا بل معناه لو لااصطفاه الله تعالی لک لکنت کواحد من قومک ومعنی وَ وَجَدَکَ ضَالّا أی ووجدک بعرضة للضلال فکأنه ضال بالقوة لابالفعل -قرآن-۴۰۲-۴۲۶-قرآن-۵۲۱-۵۳۸ [صفحه ۱۰۹]

۲۱۱– و من کلام له ع

اشاره

أللّهُمّ إنِیّ أَستَعدِیکَ عَلَی قُرَیشٍ وَ مَن أَعَانَهُم فَإِنّهُم قَد قَطَعُوا رحَمِیِ وَ أَکفَئُوا إنِاَئیِ وَ أَجمَعُوا عَلَی منُاَزعَتَیِ حَقّاً کُنتُ أَولَی بِهِ مِن غیَریِ وَ قَالُوا أَلَا إِنّ فِی الحَقّ أَن تَأخُذَهُ وَ فِی الحَقّ أَن تَمنَعَهُ فَاصبِر مَغمُوماً أَو مُت مُتَأَسّفاً فَنَظَرتُ فَإِذَا لَیسَ لِی رَافِدٌ وَ لَا ذَابّ وَ لَا مُسَاعِدٌ إِلّا أَهلَ بیَتیِ فَضَنَنتُ بِهِم عَنِ المَنِیّةِ فَأَغضَیتُ عَلَی القَذَی وَ جَرِعتُ رِیقِی عَلَی الشّجَا وَ صَبَرتُ مِن کَظمِ الغَیظِ عَلَی أَمَرّ مِنَ العَلقَمِ وَ آلَمَ لِلقَلبِ مِن وَخزِ الشّفَارِ قال الرضی رحمه الله و قدمضی هذاالکلام فی أثناء خطبة متقدمة إلاأنی ذکرته هاهنا لاختلاف الروایتین -روایت-۱-۱۰۷ العدوی طلبک إلی وال لیعدیک علی من ظلمک أی ینتقم لک منه یقال استعدیت الأمیر علی فلان فأعدانی أی استعنت به علیه فأعاننی. وقطعوا رحمی وقطعوا قرابتی أی أجرونی مجری الأجانب ویجوز أن یرید

أنهم عدونى كالأجنبى من رسول الله ص ويجوز أن يريد أنهم جعلونى كالأجنبى [صفحه ١١٠] منهم لاينصرونه و لايقومون بأمره . وأكفئوا إنائى قلبوه وكبوه وحذف الهمزة من أول الكلمة أفصح وأكثر و قدروى كذلك ويقال لمن قدأضيعت حقوقه قدأكفأ إناءه تشبيها بإضاعة اللبن من الإناء. و قداختلفت الرواية فى قوله إلا أن فى الحق أن تأخذه فرواها قوم بالنون وقوم بالتاء و قال الراوندى إنها فى خط الرضى بالتاء ومعنى ذلك أنك إن وليت أنت كانت ولايتك حقا و إن ولى غيرك كانت ولايته حقا على مذهب أهل الاجتهاد و من رواها بالنون فالمعنى ظاهر. والرافد المعين والذاب الناصر. وضننت بهم بخلت بهم وأغضيت على كذا صبرت . وجرعت بالكسر والشجا مايعترض فى الحلق . والوخز الطعن الخفيف وروى من خز الشفار والخز القطع والشفار جمع شفرة وهى حد السيف والسكين واعلم أن هذاالكلام قدنقل عن أمير المؤمنين ع ماينا سبه ويجرى مجراه و لم يؤرخ الوقت ألذى قاله فيه و لاالحال التى عناها به وأصحابنا يحملون ذلك على أنه ع قاله عقيب الشورى وبيعة عثمان فإنه ليس يرتاب أحد من أصحابنا على أنه تظلم وتألم حينئذ. ويكره أكثر أصحابنا حمل أمثال هذاالكلام على التألم من يوم السقيفة. ولقائل أن يقول لهم أتقولون إن بيعة عثمان لم تكن صحيحة فيقولون لافيقال [صفحه ١١١] لهم فعلى ماذا تحملون كلامه ع مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله فيقولون نحمل ذلك على تألمه وتظلمه منهم إذاتركوا الأولى والأفضل فيقال لهم فلاتكرهوا قول من يقول من الشيعة وغيرهم إن هذاالكلام وأمثاله صدر عنه عقيب السقيفة وحملوه على أنه تألم وتظلم من كونهم تركوا الأولى والأفضل فإنكم لستم تنكرون أنه كان الأفضل والأحق بالأمر بل تعترفون بذلك وتقولون ساغت إمامة غيره وصحت لمانع كان فيه ع و هو ماغلب على ظنون العاقدين للأمر من أن العرب لاتطيعه فإنه يخاف من فتنة عظيمة تحدث إن ولى الخلافة لأسباب يذكرونها ويعدونها و قدروى كثير من المحدثين أنه عقيب يوم السقيفة تألم وتظلم واستنجد واستصرخ حيث ساموه الحضور والبيعة و أنه قال و هويشير إلى القبر ياابنَ أُمّ إِنّ القَومَ استَضعَفُونيِ وَ كادُوا يَقتُلُونَنيِ و أنه قال وا جعفراه و لا جعفر لى اليوم وا حمزتاه و لاحمزة لى اليوم . و قدذكرنا من هذاالمعنى جملة صالحة فيما تقدم و كل ذلك محمول عندنا على أنه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة و ليس بدال عندنا على وجود النص لأنه لو كان هناك نص لكان أقل كلفة وأسهل طريقا وأيسر لمايريد تناولا أن يقول ياهؤلاء إن العهد لم يطل و إن رسول الله ص أمركم بطاعتى واستخلفنى عليكم بعده و لم يقع منه ع بعد ماعلمتموه ونص ينسخ ذلك و لايرفعه فما الموجب لتركى والعدول عنى. فإن قالت الإمامية كان يخاف القتل لوذكر ذلك فقيل لهم فهلا يخاف القتل و هويعتل ويدفع ليبايع و هويمتنع ويستصرخ تارة بقبر رسول الله ص -قرآن-٧٠٥-٧٦٦ [صفحه ١١٢] وتارة بعمه حمزة وأخيه جعفر وهما ميتان وتارة بالأنصار وتارة ببنى عبدمناف ويجمع الجموع فى داره ويبث الرسل والدعاة ليلا ونهارا إلى الناس يذكرهم فضله وقرابته و يقول للمهاجرين خصمتم الأنصار بكونكم أقرب إلى رسول الله ص و أناأخصمكم بما خصمتم به الأنصار لأن القرابة إن كانت هى المعتبرة فأنا أقرب منكم . وهلا خاف من هذاالامتناع و من هذاالاحتجاج و من الخلوة فى داره بأصحابه و من تنفير الناس عن البيعة التى عقدت حينئذ لمن عقدت له . و كل هذا إذاتأمله المنصف علم أن الشيعة أصابت فى أمر وأخطأت فى أمر أماالأمر ألذى أصابت فيه فقولها إنه امتنع وتلكأ وأراد الأمر لنفسه و أماالأمر ألذى أخطأت فيه فقولها إنه كان منصوصا عليه نصا جليا بالخلافة تعلمه الصحابة كلها أوأكثرها و أن ذلك النص خولف طلبا للرئاسة الدنيوية وإيثارا للعاجلة و أن حال المخالفين للنص لاتعدو أحد أمرين إما الكفر أوالفسق فإن قرائن الأحوال وأماراتها لاتدل على ذلك وإنما تدل وتشهد بخلافه و هذايقتضى أن أمير المؤمنين ع كان فى مبدإ الأمر يظن أن العقد لغيره كان عن غيرنظر فى المصلحة و أنه لم يقصد به إلاصرف الأمر عنه والاستئثار عليه فظهر منه ماظهر من الامتناع والعقود فى بيته إلى أن صح عنده وثبت فى نفسه أنهم أصابوا فيما فعلوه وأنهم لم يميلوا إلى هوى و لاأرادوا الدنيا وإنما فعلوا الأصلح فى ظنونهم لأنه رأى من بغض الناس له وانحرافهم عنه وميلهم عليه وثوران الأحقاد التى كانت فى أنفسهم واحتدام النيران التى كانت فى قلوبهم وتذكروا

التراث التی وتراهم فیما قبل بها والدماء التی سفکها منهم وأراقها. [صفحه ۱۱۳] وتعلل طائفة أخری منهم للعدول عنه بصغر سنه واستهجانهم تقدیم الشباب علی الکهول والشیوخ . وتعلل طائفة أخری منهم بکراهیة الجمع بین النبوة والخلافة فی بیت واحد فیجفخون علی الناس کماقاله من قاله واستصعاب قوم منهم شکیمته وخوفهم تعدیه وشدته وعلمهم بأنه لایداجی و لایحابی و لایراقب و لایجامل فی الدین و أن الخلافة تحتاج إلی من یجتهد برأیه ویعمل بموجب استصلاحه وانحراف قوم آخرین عنه للحسد ألذی کان عندهم له فی حیاة رسول الله ص لشدة اختصاصه له وتعظیمه إیاه و ما قال فیه فأکثر من النصوص الدالة علی رفعة شأنه وعلو مکانه و مااختص به من مصاهرته وأخوته ونحو ذلک من أحواله معه وتنکر قوم آخرین له لنسبتهم إلیه العجب والتیه کمازعموا واحتقاره العرب واستصغاره الناس کماعددوه علیه و إن کانوا عندنا کاذبین ولکنه قول قیل وأمر ذکر وحال نسبت إلیه وأعانهم علیها ما کان یصدر عنه من أقوال توهم مثل هذانحو قوله فإنا صنائع ربنا و الناس بعدصنائع لنا و ماصح به عنده أن الأمر لم یکن لیستقیم له یوما واحدا و لاینتظم و لایستمر و أنه لوولی الأمر لفتقت العرب علیه فتقا یکون فیه استئصال شأفة الإسلام وهدم أرکانه فأذعن بالبیعة وجنح إلی الطاعة وأمسک عن طلب الإمرة و إن کان علی مضض ورمض . و قدروی عنه ع أن فاطمة ع حرضته یوما علی النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن أشهد أن محمدا رسول الله فقال لها أیسرک زوال هذاالنداء من الأرض قالت لا قال فإنه ماأقول لک . [صفحه ۱۱۴] و هذاالمذهب هوأقصد المذاهب وأصحها و إلیه یذهب أصحابنا المتأخرون من البغدادیین و به یقول . واعلم أن حال علی ع فی هذاالمعنی أشهر من أن یحتاج فی الدلالة علیها إلی الإسهاب والإطناب فقد رأیت انتقاض العرب علیه من أقطارها حین بویع بالخلافة بعدوفاة رسول الله ص بخمس وعشرین سنة و فی دون هذه المدة تنسی الأحقاد وتموت التراث وتبرد الأکباد الحامیة وتسلو القلوب الواجدة ویعدم قرن من الناس ویوجد قرن و لایبقی من أرباب تلک الشحناء والبغضاء إلاالأقل فکانت حاله بعد هذه المدة الطویلة مع قریش کأنها حاله لوأفضت الخلافة إلیه یوم وفاة ابن عمه ص من إظهار ما فی النفوس وهیجان ما فی القلوب حتی أن الأخلاف من قریش والأحداث والفتیان الذین لم یشهدوا وقائعه وفتکاته فی أسلافهم وآبائهم فعلوا به ما لوکانت الأسلاف أحیاء لقصرت عن فعله وتقاعست عن بلوغ شأوه فکیف کانت تکون حاله لوجلس علی منبر الخلافة وسیفه بعدیقطر دما من مهج العرب لاسیما قریش الذین بهم کان ینبغی لودهمه خطب أن یعتضد وعلیهم کان یجب أن یعتمد إذن کانت تدرس أعلام الملة وتنعفی رسوم الشریعة وتعود الجاهلیة الجهلاء علی حالها ویفسد ماأصلحه رسول الله ص فی ثلاث وعشرین سنة فی شهر واحد فکان من عنایة الله تعالی بهذا الدین أن ألهم الصحابة مافعلوه و الله متم نوره و لوکره المشرکون [صفحه ۱۱۵]

فصل فی أن جعفرا وحمزة لو کان حیین لبایعا علیا

وسألت النقیب أبا جعفریحیی بن محمد بن أبی یزید رحمه الله قلت له أتقول إن حمزة وجعفرا لوکانا حیین یوم مات رسول الله ص أکانا یبایعانه بالخلافة فقال نعم کانا أسرع إلی بیعة من النار فی یبس العرفج فقلت له أظن أن جعفرا کان یبایعه ویتابعه و ماأظن حمزة کذلک وأراه جبارا قوی النفس شدید الشکیمة ذاهبا بنفسه شجاعا بهمه و هوالعم والأعلی سنا وآثاره فی الجهاد معروفة وأظنه کان یطلب الخلافة لنفسه . فقال الأمر فی أخلاقه وسجایاه کماذکرت ولکنه کان صاحب دین متین وتصدیق خالص لرسول الله ص و لوعاش لرأی من أحوال علی ع مع رسول الله ص مایوجب أن یکسر له نخوته و أن یقیم له صعره و أن یقدمه علی نفسه و أن یتوخی رضا الله ورضا رسوله فیه و إن کان بخلاف إیثاره . ثم قال أین خلق حمزة السبعی من خلق علی الروحانی اللطیف ألذی جمع بینه و بین خلق حمزة فاتصفت بهما نفس واحدة وأین هیولانیة نفس حمزة وخلوها من العلوم من

نفس على القدسية التى أدركت بالفطرة لابالقوة التعليمية ما لم تـدركه نفوس مدققى الفلاسـفة الإلهيين لو أن حمزة حيى حتى رأى من على مارآه غيره لكان أتبع له من ظله وأطوع له من أبى ذر والمقـداد أماقولك هو والعم والأعلى سـنا فقـد كان العباس العم والأعلى سنا و قدعرفت مابذله له وندبه إليه و كان أبوسفيان كالعم و كان أعلى سنا و قدعرفت ماعرضه عليه ثم قال مازالت الأعمام تخدم أبناء الإخوة وتكون أتباعا لهم ألست ترى داود بن [صفحه ١١۶] على و عبد الله بن على وصالح بن على وسليمان بن على وعيسـى بن على وإسـماعيل ابن على و عبدالصـمد بن على خـدموا ابن أخيهم و هو عبـد الله السـفاح بن محمد بن على وبايعوه وتابعوه وكانوا أمراء جيوشه وأنصاره وأعوانه ألست ترى حمزة والعباس اتبعا ابن أخيهما صلوات الله عليه وأطاعاه ورضيا برياسـته وصـدقا دعوته ألست تعلم أن أباطالب كان رئيس بنى هاشم وشـيخهم والمطاع فيهم و كان محمـد رسول الله ص يتيمه ومكفوله وجاريا مجرى أحـد أولاده عنـده ثم خضع له واعترف بصـدقه ودان لأمره حتى مدحه بالشـعر كمايمدح الأدنى الأعلى فقـال فيه وأبيض يستسـقى الغمام بوجهه || ثمال اليتامى عصـمة للأرامل يطيف به الهلاك من آل هاشم || فهم عنـده فى نعمة وفواضـل و إن سـرا اختص به محمـدص حتى أقام أباطالب وحاله معه حاله مقام المادح له لسـر عظيم وخاصـية شـريفة و إن فى هذالمعتبر عبرة أن يكون هذاالإنسان الفقير ألذى لاأنصار له و لاأعوان معه و لايستطيع الدفاع عن نفسه فضـلا عن أن يقهر غيره تعمل دعوته وأقواله فى الأنفس ماتعمله الخمر فى الأبدان المعتدلة المزاج حتى تطيعه أعمامه ويعظمه مربيه وكافله و من هو إلى آخر عمره القيم بنفقته وغـذاء بـدنه وكسوة جسـده حتى يمـدحه بالشعر كمايمـدح الشعراء الملوك والرؤساء و هـذا فى بـاب المعجزات عنـدالمنصف أعظم من انشـقاق القمر وانقلاب العصـا و من أبنـاء القوم بما يأكلون و مايـدخرون فى بيوتهم . ثم قال رحمه الله كيف قلت أظن أن جعفرا كان يبايعه ويتابعه و لاأظن فى حمزة ذلك إن كنت قلت ذلك لأنه أخوه فإنه أعلى منه سنا هوأكبر من على بعشر [صفحه ١١٧] سنين و قـدكانت له خصـائص ومنـاقب كثيرة و قـال فيه النبى ص قولا شـريفا اتفق عليه المحـدثون قـال له لماافتخر هو و على وزيـد بن حارثـة وتحاكموا إلى رسول الله ص أشـبهت خلقى وخلقى فخجل فرحا ثم قال لزيـد أنت مولانـا وصاحبنـا فخجـل أيضـا ثم قـال لعلى أنت أخى وخالصتى قالوا فلم يخجل قالوا كان ترادف التعظيم له وتكرره عليه لم يجعـل عنـده للقول ذلـك الموضع و كان غيره إذاعظم عظم نادرا فيحسن موقعه عنـده واختلف الناس فى أى المـدحتين أعظم .فقلت له قـدوقفت لأبى حيان التوحيـدى فى كتاب البصائر على فصل عجيب يمازج مانحن فيه قال فى الجزء الخامس من هذاالكتاب سـمعت قاضـى القضاة أباسـعد بشـر بن الحسين و مارأيت رجلا أقوى منه فى الجدل فى مناظرة جرت بينه و بين أبى عبـد الله الطبرى و قـدجرى حـديث جعفر بن أبى طالب وحـديث إسـلامه والتفاضل بينه و بين أخيه على فقال القاضـى أبوسـعد إذاأنعم النظر علم أن إسـلام جعفر كان بعـدبلوغ وإسـلام البالغ لا يكون إلا بعداسـتبصار وتبين ومعرفة بقبح مايخرج منه وحسـن مايدخل فيه و أن إسـلام على مختلف فى حاله و ذلك أنه قدظن أنه كان عن تلقين لاتبيين إلى حين بلوغه وأوان تعقبه ونظره و قدعلم أيضا أنهما قتلا و أن قتلة جعفرشـهادة بالإجمال وقتلة على فيهاأشد الاختلاف ثم خص الله جعفرا بأن قبضه إلى الجنة قبل ظهور التباين واضطراب الحبل وكثرة الهرج و على أنه لوانعقد الإجماع وتظاهر جميع الناس على أن القتلتين شهادة لكانت الحال فى ألـذى رفع إليها جعفرأغلظ وأعظم و ذلك أنه قتل مقبلا غيرمدبر و أما على فإنه اغتيل اغتيالا وقصد من حيث لايعلم وشـتان ما بين من فوجئ بالموت و بين من عاين مخايل الموت [صـفحه ١١٨] وتلقاه بالنحر والصدر وعجل إلى الله بالإيمان والصدق أ لاتعلم أن جعفرا قطعت يمنـاه فأمسك اللواء بيسـراه وقطعت يسـراه فضم اللواء إلى حشاه ثم قاتله ظاهر الشـرك بالله وقاتل على ممن صـلى إلى القبلـة وشـهد الشـهادة وأقـدم عليه بتأويـل وقاتـل جعفركـافر بـالنص ألـذى لاخلاف فيه أ مـاتعلم أن جعفرا ذو الجناحين وذو الهجرتين إلى الحبشـة والمدينـة. قال النقيب رحمه الله اعلم فـداك شـيخك أن أباحيان رجل ملحـد زنديق يحب التلاعب بالدين ويخرج ما فى نفسه فيعزوه إلى قوم لم يقولوه وأقسم بالله إن القاضـى أباسـعد لم يقل من هذاالكلام لفظة واحدة

ولكنها من موضوعات أبى حيان وأكاذيبه وترهاته كمايسند إلى القاضى أبى حامد المروروذى كل منكر ويروى عنه كل فاقرة. ثم قال يا أباحيان مقصودك أن تجعلها مسألة خلاف تثير بهافتنة بين الطالبيين لتجعل بأسهم بينهم وكيف تقلبت الأحوال فالفخر لهم لم يخرج عنهم . ثم ضحك رحمه الله حتى استلقى ومد رجليه و قال هذاكلام يستغنى عن الإطالة فى إبطاله بإجماع المسلمين فإنه لاخلاف بين المسلمين فى أن عليا أفضل من جعفر وإنما سرق أبوحيان هذاالمعنى ألذى أشار إليه من رسالة المنصور أبى جعفر إلى محمد بن عبد الله النفس الزكية قال له وكانت بنو أمية يلعنون أباك فى أدبار الصلوات المكتوبات كماتلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله وأشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنه لماذكرناه من فضله أناقدمناه على حمزة والعباس و جعفرأولئك مضوا سالمين مسلمين منهم وابتلى أبوك بالدماء.فقلت له رحمه الله و إذا لاإجماع فى المسألة لأن المنصور لم يقل بتفضيله عليهم [صفحه ١١٩] و أنت ادعيت الإجماع فقال إن الإجماع قدسبق هذاالقائل و كل قول قدسبقه الإجماع لايعتد به . فلما خرجت من عندالنقيب أبى جعفربحثت فى ذلك اليوم فى هذاالموضوع مع أحمد بن جعفرالواسطى رحمه الله و كان ذا فضل وعقل و كان إمامى المذهب فقال لى صدق النقيب فيما قال ألست تعلم أن أصحابكم المعتزلة على قولين أحدهما أن أكثر المسلمين ثوابا أبوبكر والآخر أن أكثرهم ثوابا على وأصحابنا يقولون إن أكثر المسلمين ثوابا على وكذلك الزيدية و أماالأشعرية والكرامية و أهل الحديث فيقولون أكثر المسلمين ثوابا أبوبكر فقد خلص من مجموع هذه الأقوال أن ثواب حمزة و جعفردون ثواب على ع أما على قول الإمامية والزيدية والبغداديين كافة وكثير من البصريين من المعتزلة فالأمر ظاهر و أماالباقون فعندهم أن أكثر المسلمين ثوابا أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم على و لم يذهب ذاهب إلى أن ثواب حمزة و جعفرأكثر من ثواب على من جميع الفرق فقد ثبت الإجماع ألذى ذكره النقيب إذافسرنا الأفضلية بالأكثرية ثوابا و هوالتفسير ألذى يقع الحجاج والجدال فى إثباته لأحد الرجلين و أما إذافسرنا الأفضلية بزيادة المناقب والخصائص وكثرة النصوص الدالة على التعظيم فمعلوم أن أحدا من الناس لايقارب عليا ع فى ذلك لا جعفر و لاحمزة و لاغيرهما. ثم وقع بيدى بعد ذلك كتاب لشيخنا أبى جعفرالإسكافى ذكر فيه أن مذهب بشر بن المعتمر و أبى موسى و جعفر بن مبشر وسائر قدماء البغداديين أن أفضل المسلمين على بن أبى طالب ثم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم حمزة بن عبدالمطلب ثم جعفر بن أبى طالب ثم أبوبكر بن أبى قحافة ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان [صفحه ١٢٠] قال والمراد بالأفضل أكرمهم عند الله أكثرهم ثوابا وأرفعهم فى دار الجزاء منزلة. ثم وقفت بعد ذلك على كتاب لشيخنا أبى عبد الله البصرى يذكر فيه هذه المقالة وينسبها إلى البغداديين و قال إن الشيخ أباالقاسم البلخى كان يقول بها وقبله الشيخ أبو الحسين الخياط و هوشيخ المتأخرين من البغداديين قالوا كلهم بهافأجبنى هذاالمذهب وسررت بأن ذهب الكثير من شيوخنا إليه ونظمته فى الأرجوزة التى شرحت فيهاعقيدة المعتزلة فقلت وخير خلق الله بعدالمصطفى || أعظمهم يوم الفخار شرفا السيد المعظم الوصى || بعل البتول المرتضى على وابناه ثم حمزة و جعفر || ثم عتيق بعدهم لاينكر المخلص الصديق ثم عمر || فاروق دين الله ذاك القسور وبعده عثمان ذو النورين || هذا هوالحق بغير مين [صفحه ١٢١]

٢١٢– و من كلام له ع فى ذكر السائرين إلى البصرة لحربه ع

فَقَدِمُوا عَلَى عمُاّلِي وَ خُزّانِ بَيتِ مَالِ المُسلِمِينَ ألّذِي فِي يدَيّ وَ عَلَى أَهلِ مِصرٍ كُلّهُم فِي طَاعَتِي وَ عَلَى بَيعَتِي فَشَتّتُوا كَلِمَتَهُم وَ أَفسَدُوا عَلَيّ جَمَاعَتَهُم وَ وَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً منهُم غَدراً وَ طَائِفَةً عَضّوا عَلَى أَسيَافِهِم فَضَارَبُوا بِهَا حَتّى لَقُوا اللّهَ صَادِقِينَ

عضوا على أسيافهم كناية عن الصبر فى الحرب وترك الاستسلام وهى كناية فصيحة شبه قبضهم على السيوف بالعض و قدقدمنا

ذكر ماجرى و أن عسكر الجمل قتلوا طائفة من شيعة أمير المؤمنين ع بالبصرة بعد أن أمنوهم غدرا و أن بعض الشيعة صبر فى الحرب و لم يستسلم وقاتل حتى قتل مثل حكيم بن جبلة العبدى وغيره وروى وطائفة عضوا على أسيافهم بالرفع تقديره ومنهم طائفة.قرأت فى كتاب غريب الحديث لأبى محمد عبد الله بن قتيبة فى حديث حذيفة بن اليمان أنه ذكر خروج عائشة فقال تقاتل معها مضر مضرها الله فى النار [صفحه ١٢٢] وأزد عمان سلت الله أقدامها و أن قيسا لن تنفك تبغى دين الله شرا حتى يركبها الله بالملائكة فلايمنعوا ذنب تلعة. قلت هذاالحديث من أعلام نبوة سيدنا محمدص لأنه إخبار عن غيب تلقاه حذيفة عن النبى ص وحذيفة أجمع أهل السيرة على أنه مات فى الأيام التى قتل عثمان فيهاأتاه نعيه و هومريض فمات و على ع لم يتكامل بيعة الناس و لم يدرك الجمل . و هذاالحديث يؤكد مذهب أصحابنا فى فسق أصحاب الجمل إلا من ثبتت توبته منهم وهم الثلاثة [صفحه ١٢٣]

٢١٣- و من كلام له ع لمامر بطلحة بن عبيد الله و عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد وهما قتيلان يوم الجمل

اشاره

لَقَد أَصبَحَ أَبُو مُحَمّدٍ بِهَذَا المَكَانِ غَرِيباً أَمَا وَ اللّهِ لَقَد كُنتُ أَكرَهُ أَن تَكُونَ قُرَيشٌ قَتلَى تَحتَ بُطُونِ الكَوَاكِبِ أَدرَكتُ وتَرِي مِن بنَيِ عَبدِ مَنَافٍ وَ أَفلَتَنِي أَعيَارُ بنَيِ جُمَحٍ لَقَد أَتلَعُوا أَعنَاقَهُم إِلَى أَمرٍ لَم يَكُونُوا أَهلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ

عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد

هو عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبدشمس ليس بصحابى ولكنه من التابعين وأبوه عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبدشمس من مسلمة الفتح و لماخرج رسول الله ص من مكة إلى حنين استعمله عليها فلم يزل أميرها حتى قبض رسول الله ص وبقى على حاله خلافة أبى بكر الصديق ومات هو و أبوبكر فى يوم واحد لم يعلم أحدهما بموت الآخر و عبدالرحمن هذا هو ألذى قال أمير المؤمنين فيه و قدمر به قتيلا يوم الجمل لهفى عليك يعسوب قريش هذافتى الفتيان هذااللباب المحض من بنى عبدمناف شفيت نفسى وقتلت معشرى إلى الله أشكو عجرى وبجرى فقال له قائل لشد ماأطريت [صفحه ١٢٤] الفتى يا أمير المؤمنين منذ اليوم قال إنه قام عنى و عنه نسوة لم يقمن عنك و عبدالرحمن هذا هو ألذى احتملت العقاب كفه يوم الجمل و فيهاخاتمه فألقتها باليمامة فعرفت بخاتمه وعلم أهل اليمامة بالوقعة. ورأيت فى شرح نهج البلاغة للقطب الراوندى فى هذاالفصل عجائب وطرائف فأحببت أن أوردها هاهنا منها أنه قال فى تفسير قوله ع أدركت وترى من بنى عبدمناف قال يعنى طلحة والزبير كانا من بنى عبدمناف و هذاغلط قبيح لأن طلحة من تيم بن مرة والزبير من أسد بن عبدالعزى بن قصى و ليس أحد منهما من بنى عبدمناف وولد عبدمناف أربعة هاشم و عبدشمس ونوفل و عبدالمطلب فكل من لم يكن من ولد هؤلاء الأربعة فليس من ولد عبدمناف . ومنها أنه قال إن مروان بن الحكم من بنى جمح ولقد كان هذاالفقيه رحمه الله بعيدا عن معرفة الأنساب مروان من بنى أمية بن عبدشمس وبنو جمح من بنى هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب واسم جمح تيم بن عمرو بن هصيص وأخوه سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاص فأين هؤلاء وأين مروان بن الحكم . ومنها أنه قال وأفلتتنى أغيار بنى جمح بالغين المعجمة قال هوجمع غير ألذى بمعنى سوى و هذا لم يرو و لامثله مما يتكلم به أمير

المؤمنين لركته وبعده عن طريقته فإنه يكون قدعدل عن أن يقول و لم يفلتنى إلابنو جمح إلى مثل هذه العبارة الركيكة المتعسفة [صفحه ١٢٥]

بنو جمح

واعلم أنه ع أخرج هذاالكلام مخرج الذم لمن حضر الجمل مع عائشة زوجة النبى ص من بنى جمح فقال وأفلتتنى أعيار بنى جمح جمع عير و هوالحمار و قد كان معها منهم يوم الجمل جماعة هربوا و لم يقتل منهم إلااثنان فممن هرب ونجا بنفسه عبد الله الطويل بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح و كان شريفا و ابن شريف وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة. ومنهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف عاش حتى استعمله عمرو بن سعيد الأشدق على مكة لماجمع له بين مكة والمدينة فأقام عمرو بالمدينة ويحيى بمكة. ومنهم عامر بن مسعود بن أمية بن خلف كان يسمى دحروجة الجعل لقصره وسواده وعاش حتى ولاه زياد صدقات بكر بن وائل وولاه عبد الله بن الزبير بن العوام الكوفة. ومنهم أيوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة بن الأعور بن أهيب بن حذافة بن جمح عاش حتى قتل بقديد قتلته الخوارج .فهؤلاء الذين أعرف حضورهم الجمل مع عائشة من بنى جمح وقتل من بنى جمح مع عائشة عبدالرحمن بن وهب بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح و عبد الله بن ربيعة بن دراج العنبس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح لاـأعرف أنه قتل من بنى جمح ذلك اليوم غيرهما فإن صحت الرواية وأفلتنى أعيان بنى جمح بالنون فالمراد رؤساؤهم وساداتهم . وأتلعوا أعناقهم رفعوها و رجل أتلع بين التلع أى طويل العنق وجيد تليع أى طويل قال الأعشى [صفحه ١٢٦] يوم تبدى لنا قتيله عن جيد || تليع تزينه الأطواق ووقص الرجل إذااندقت عنقه فهو موقوص ووقصت عنق الرجل أقصها وقصا أى كسرتها و لايجوز وقصت العنق نفسها. والضمير فى قوله ع لقد أتلعوا يرجع إلى قريش أى راموا الخلافة فقتلوا دونها. فإن قلت أتقول إن طلحة والزبير لم يكونا من أهل الخلافة إن قلت ذلك تركت مذهب أصحابك و إن لم تقله خالفت قول أمير المؤمنين لم يكونوا أهله . قلت هما أهل للخلافة ما لم يطلبها أمير المؤمنين فإذاطلبها لم يكونا أهلاـ لها لاهما و لاغيرهما و لو لاطاعته لمن تقدم و ماظهر من رضاه به لم نحكم بصحة خلافته [صفحه ١٢٧]

٢١٤- و من كلام له ع

اشاره

قَد أَحيَا عَقلَهُ وَ أَمَاتَ نَفسَهُ حَتّى دَقّ جَلِيلُهُ وَ لَطُفَ غَلِيظُهُ وَ بَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ البَرقِ فَأَبَانَ لَهُ الطّرِيقَ وَ سَلَكَ بِهِ السّبِيلَ وَ تَدَافَعَتهُ الأَبوَابُ إِلَى بَابِ السّلَامَةِ وَ دَارِ الإِقَامَةِ وَ ثَبَتَت رِجلَاهُ بِطُمَأنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الأَمنِ وَ الرّاحَةِ بِمَا استَعمَلَ قَلبَهُ وَ أَرضَى رَبّهُ يصف العارف يقول قدأحيا قلبه بمعرفة الحق سبحانه وأمات نفسه بالمجاهدة ورياضة القوة البدنية بالجوع والعطش والسهر والصبر على مشاق السفر والسياحة. حتى دق جليله أى حتى نحل بدنه الكثيف . ولطف غليظه تلطفت أخلاقه وصفت نفسه فإن كدر النفس فى الأكثر إنما يكون من كدر الجسد والبطنة كماقيل تذهب الفطنة

فصل فی مجاهدة النفوس و ماورد فی ذلک من الآثار

وتقول أرباب هـذه الطريقـة من لم يكن فی بـدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شـمة. [صـفحه ۱۲۸] و قال عثمان المغربی الصوفی من ظن أنه يفتح عليه شـیء من هذه الطريقة أويكشف له عن سر من أسرارها من غيرلزوم المجاهدة فهو غالط. و قال أبو علی الـدقاق من لم يكن فی بـدايته قومة لم يكن فی نهايته جلسة. و من كلامهم الحركة بركة حركات الظواهر توجب بركات السرائر. و من كلامهم من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة. و قال الحسن الفرازينی هذاالأمر علی ثلاثة أشياء ألاـ تأكـل إلاـ عندالفاقـة و لاتنـام إلاـ عندالغلبـة و لاـتتكلم إلا عندالضـرورة. و قال ابراهيم بن أدهم لن ينال الرجل درجة الصالحين حتی يغلق عن نفسه باب النعمـة ويفتح عليها باب الشدة. و من كلامهم من كرمت عليه نفسه هان عليه دينه . و قال أبو علی الروذباری إذا قال الصوفی بعدخمسة أيام أناجائع فألزموه السوق ومروه بالكسب . و قال حبيب بن أوس أبوتمام و هويقصد غير مـانحن فيه ولكنه يصلح أن يسـتعمل فيمـا نحن فيه خـذی عـبرات عينـك عن زمـاعی || وصـونی مـاأزلت من القنـاع أقلی قـدأضاق بكاك ذرعی || و ماضاقت بنازله ذراعی أآلفـة النحيب كم افتراق || أظل فكان داعية اجتماع [صـفحه ۱۲۹] فليست فرحـة الأوبات إلا || لموقوف علی ترح الوداع تعجب أن رأت جسـمی نحيلا || كان المجد يدرك بالصـراع أخو النكبات من يأوی إذا ما || أطفن به إلی خلق وساع يثير عجاجـة فی كل فـج || يهيم به عـدی بن الرقاع أبن مع السـباع الماء حتی || لخالته السـباع من السباع و قال أيضا فاطلب هدوءا بالتقلقل واستثر || بالعيس من تحت السهاد هجودا ما أن تری الأحساب بيضا وضحا || إلابحيث تری المنايا سودا جاء فی الحـديث أن فاطمـة جاءت إلی رسول الله ص بكسـرة خبز فقال ما هـذه قالت قرص خبزته فلم تطب نفسـی حتی أتيتك منه بهذه الكسرة فأكلها و قال أماإنها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث –روايت–۱–۲–روايت–۱۷–۱۹۶ . و كان يقال ينابيع الحكمة من الجوع وكسر عادية النفس بالمجاهدة. [صفحه ۱۳۰] و قال يحيی بن معاذ لو أن الجوع يباع فی السوق لما كان ينبغی لطلاب الآخرة إذادخلوا السوق أن يشتروا غيره . و قال سـهل بن عبد الله لماخلق الله الدنيا جعل فی الشـبع المعصـية والجهل وجعل فی الجوع الطاعة والحكمة. و قال يحيی بن معاذ الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين تكرمة. و قال أبوسـلمان الدارانی مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع . و قال بعضهم أدب الجوع ألا ينقص من عادتک إلامثل أذن السـنور هكذا علی التدريج حتی تصل إلی ماتريد. ويقال إن أباتراب النخشبی خرج من البصرة إلی مكة فوصل إليها علی أكلتين أكلة بالنباج وأكلة بذات عرق .قالوا و كان سـهل بن عبد الله التستری إذاجاع قوی و إذاأكل ضـعف . و كان منهم من يأكل كل أربعين يوما أكلة واحدة ومنهم من يأكل كل ثمانين يوما أكلة واحدة.قالوا واشـتهی أبوالخير العسقلانی السـمک سـنين كثيرة ثم تهيأ له أكله من وجه حلال فلما مـد يـده ليأكل أصابت إصـبعه شوكـة من شوک السـمک فقام وترک الأكل و قال يارب هذالمن مد يده بشهوة إلی الحلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلی الحرام . و فی الكتاب العزيزوَ أَمّا مَن خافَ مَقامَ رَبّهِ وَ نَهَی النّفسَ عَنِ الهَوی فَإِنّ الجَنّةَ هیَ المَأویفالجملـة الأولی هی التقوی والثانية هی المجاهدة. –قرآن–۱۰۱۶–۱۱۰۵ [صفحه ۱۳۱] و قال النبی ص أخوف ماأخاف علی أمتی اتباع الهوی وطول الأمل أمااتباع الهوی فيصد عن الحق و أماطول الأمل فينسی الآخرة –روايت–۱–۲–روايت–۱۸–۱۳۱ . وسئل بعض الصوفية عن المجاهدة فقال ذبح النفس بسيوف المخالفة. و قال من نجمت طوارق نفسه أفلت شوارق أنسه . و قال ابراهيم بن شـيبان مابت تحت سـقف و لا فی موضع عليه غلق أربعين سـنة وكنت أشـتهی فی أوقـات أن أتنـاول شـبعة عـدس فلم يتفق ثم جملت إلی و أنابالشام غضارة فيهاعدسـية فتناولت منها وخرجت فرأيت قوارير معلقـة فيهاشـبه أنموذجات فظننتها خلا فقال بعض الناس أتنظر إلی هذه وتظنها خلا وإنما هی خمر وهی أنموذجات هذه الـدنان لـدنان هناک فقلت قـدلزمنی فرض الإنكار فدخلت حانوت ذلک الخمار لأكسـر الدنان والجرار فحملت إلی ابن طولون

فأمر بضربى مائتى خشبة وطرحى فى السجن فبقيت مدة حتى دخل أبو عبد الله الوبانى المغربى أستاذ ذلك البلد فعلم أنى محبوس فشفع فى فأخرجت إليه فلما وقع بصره على قال أى شيءفعلت فقلت شبعة عدس ومائتى خشبة فقال لقد نجوت مجانا. و قال ابراهيم الخواص كنت فى جبل فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قداجتمع عليه الزنابير فسلمت عليه فرد على باسمى فقلت كيف عرفتنى قال من عرف الله لم يخف عليه شيءفقلت له أرى لك حالاـ مع الله فلو سألته أن يحميك ويقيك من أذى هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يقيك من شهوة الرمان فإن لذع الرمان يجد الإنسان ألمه فى الآخرة ولذع الزنابير [صفحه ١٣٢] يجد الإنسان ألمه فى الدنيا فتركته ومضيت على وجهى. و قال يوسف بن أسباط لايمحو الشهوات من القلب إلاخوف مزعج أوشوق مقلق . و قال الخواص من ترك شهوة فلم يجد عوضها فى قلبه فهو كاذب فى تركها. و قال أبو على الرباطى صحت عبد الله المروزى و كان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلاـ زاد فلما صحبته قال لى أيما أحب إليك تكون أنت الأمير أم أنا قلت بل أنت فقال وعليك الطاعة قلت نعم فأخذ مخلاة ووضع فيهازادا وحملها على ظهره فكنت إذا قلت له أعطنى حتى أحملها قال الأمير أنا وعليك الطاعة قال فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على رأسى و عليه كساء يمنع عنى المطر فكنت أقول فى نفسى ياليتنى مت و لم أقل له أنت الأمير ثم قال لى إذاصحبت إنسانا فاصحبه كمارأيتنى صحبتك . أبوالطيب المتنبى ذرينى أنل ما لاينال من العلا || فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل تريدين إدراك المعالى رخيصة || و لابد دون الشهد من إبر النحل و له أيضا و إذاكانت النفوس كبارا || تعبت فى مرادها الأجسام . و من أمثال العامة من لم يغل دماغه فى الصيف لم تغل قدره فى الشتاء. من لم يركب الأخطار لم ينل الأوطار. [صفحه ١٣٣] إدراك السول وبلوغ المأمول بالصبر على الجوع وفقد الهجوع وسيلان الدموع واعلم أن تقليل المأكول لاريب فى أنه نافع للنفس والأخلاق والتجربة قددلت عليه لأنا نرى المكثر من الأكل يغلبه النوم والكسل وبلادة الحواس وتتبخر المأكولات الكثيرة أبخرة كثيرة فتتصاعد إلى الدماغ فتفسد القوى النفسانية وأيضا فإن كثرة المأكل تزيل الرقة وتورث القساوة والسبعية والقياس أيضا يقتضى ذلك ولأن كثرة المزاولات سبب لحصول الملكات فالنفس إذاتوفرت على تدبير الغذاء وتصريفه كان ذلك شغلا شاغلا لها وعائقا عظيما عن انصبابها إلى الجهة الروحانية العالية ولكن ينبغى أن يكون تقليل الغذاء إلى حد يوجب جوعا قليلا فإن الجوع المفرط يورث ضعف الأعضاء الرئيسة واضطرابها واختلال قواها و ذلك يقتضى تشويش النفس واضطراب الفكر واختلال العقل ولذلك تعرض الأخلاط السوداوية لمن أفرط عليه الجوع فإذن لابد من إصلاح أمر الغذاء بأن يكون قليل الكمية كثير الكيفية فتؤثر قلة كميته فى أنه لايشغل النفس بتدبير الهضم عن التوجه إلى الجهة العالية الروحانية وتؤثر كثرة كيفيته فى تدارك الخلل الحاصل له من قلة الكمية ويجب أن يكون الغذاء شديد الإمداد للأعضاء الرئيسة لأنها هى المهمة من أعضاء البدن و مادامت باقية على كمال حالها لايظهر كثير خلل من ضعف غيرها من الأعضاء [صفحه ١٣٤]

فصل فى الرياضة النفسية وأقسامها

واعلم أن الرياضة والجوع هى أمر يحتاج إليه المريد الذى هو بعد فى طريق السلوك إلى الله . وينقسم طالبوا هذاالأمر الجليل الشاق إلى أقسام أربعة أحدها الذين مارسوا العلوم الإلهية وأجهدوا أنفسهم فى طلبها والوصول إلى كنهها بالنظر الدقيق فى الزمان الطويل فهو لايحصل لهم شوق شديد وميل عظيم إلى الجهة العالية الشريفة فيحملهم حب الكمال على الرياضة. وثانيها الأنفس التى هى بأصل الفطرة والجوهر مائلة إلى الروحانية من غيرممارسة علم و لادربة بنظر وبحث و قدرأينا مثلهم كثيرا

وشاهدنا قوما من العامة متى سنح لهم سانح مشوق مثل صوت مطرب أوإنشاد بيت يقع فى النفس أوسماع كلمة توافق أمرا فى بواطنهم فإنه يستولى عليهم الوجد ويشتد الحنين وتغشاهم غواش لطيفة روحانية يغيبون بها عن المحسوسات والجسمانيات . وثالثها نفوس حصل لها الأمران معا الاستعداد الأصلى والاشتغال بالعلوم النظرية الإلهية. ورابعها النفوس التى لااستعداد لها فى الأصل و لاارتاضت بالعلوم الإلهية ولكنهم قوم سمعوا كمال هذه الطريقة و أن السعادة الإنسانية ليست إلابالوصول إليها فمالت نحوها وحصل لها اعتقاد فيها.فهذه أقسام المريدين والرياضة التى تليق بكل واحد من هذه الأقسام غيرالرياضة اللائقة بالقسم الآخر. [صفحه ١٣٥] ونحتاج قبل الخوض فى ذلك إلى تقديم أمرين أحدهما أن النفحات الإلهية دائمة مستمرة و أنه كل من توصل إليها وصل قال سبحانه و تعالى وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا و –قرآن–١٤٠–١٨٩ قال النبى ص إن لربكم فى أيام عصركم نفحات ألا فتعرضوا لنفحاته –روايت–١–٢–روايت–١٨–٧٣ . وثانيهما أن النفوس البشرية فى الأكثر مختلفة بالنوع فقد تكون بعض النفوس مستعدة غاية الاستعداد لهذا المطلب وربما لم تكن البتة مستعدة له و بين هذين الطرفين أوساط مختلفة بالضعف والقوة. و إذاتقرر ذلك فاعلم أن القسمين الأولين لمااختلفا فيما ذكرناه لاجرم اختلفا فى الكسب والمكتسب . أماالكسب فإن صاحب العلم الأولى به فى الأكثر العزلة والانقطاع عن الخلق لأنه قدحصلت له الهداية والرشاد فلاحاجة له إلى مخالطة أحد يستعين به على حصول ما هوحاصل و أماصاحب الفطرة الأصلية من غيرعلم فإنه لايليق به العزلة لأنه يحتاج إلى المعلم والمرشد فإنه ليس يكفى الفطرة الأصلية فى الوصول إلى المعالم الإلهية والحقائق الربانية و لابد من موقف ومرشد فى مبدإ الحال هذا هوالقول فى الكسب بالنظر إليها. و أماالمكتسب فإن صاحب العلم إذااشتغل بالرياضة كانت مشاهداته ومكاشفاته أكثر كمية وأقل كيفية مما لصاحب الفطرة المجردة أماكثرة الكمية فلأن قوته النظرية تعينه على ذلك و أماقلة الكيفية فلأن القوة النفسانية تتوزع على تلك الكثرة وكلما كانت الكثرة أكثر كان توزع القوة إلى أقسام أكثر و كان كل واحد منها [صفحه ١٣٦] أضعف مما لوكانت الأقسام أقل عددا و إذاعرفت ذلك عرفت أن الأمر فى جانب صاحب الفطرة الأصلية بالعكس من ذلك و هو أن مشاهداته ومكاشفاته تكون أقل كمية وأكثر كيفية. و أماالاستعداد الثالث و هوالنفس التى قدجمعت الفطرة الأصلية والعلوم الإلهية النظرية بالنظر فهى النفس الشريفة الجليلة الكاملة. و هذه الأقسام الثلاثة مشتركة فى أن رياضتها القلبية يجب أن تكون زائدة فى الكم والكيف على رياضتها البدنية لأن الغرض الأصلى هورياضة القلب وطهارة النفس وإنما شرعت الرياضات البدنية والعبادات الجسمانية لتكون طريقا إلى تلك الرياضة الباطنة فإذاحصلت كان الاشتغال بالرياضة البدنية عبثا لأن الوسيلة بعدحصول المتوسل إليه فضلة مستغنى عنها بل ربما كانت عائقة عن المقصود نعم لابد من المحافظة على الفرائض خاصة لئلا تعتاد النفس الكسل وربما أفضى ذلك إلى خلل فى الرياضة النفسانية ولهذا حكى عن كثير من كبراء القوم قلة الاشتغال بنوافل العبادات . و أماالقسم الرابع و هوالنفس التى خلت عن الوصفين معا فهذه النفس يجب ألا تكون رياضتها فى مبدإ الحال إلابتهذيب الأخلاق بما هومذكور فى كتب الحكمة الخلقية فإذالانت ومرنت واستعدت للنفحات الإلهية حصل لها ذوق مافأوجب ذلك الذوق شوقا فأقبلت بكليتها على مطلوبها [صفحه ١٣٧]

فصل فى أن الجوع يؤثر فى صفاء النفس

واعلم أن السبب الطبيعى فى كون الجوع مؤثرا فى صفاء النفس أن البلغم الغالب على مزاج البدن يوجب بطبعه البلادة وإبطاء الفهم لكثرة الأرضية فيه وثقل جوهرة وكثرة مايتولد عنه من البخارات التى تسد المجارى وتمنع نفوذ الأرواح و لاريب أن الجوع يقتضى تقليل البلغم لأن القوة الهاضمة إذا لم تجد غذاء تهضمه عملت فى الرطوبة الغريبة الكائنة فى الجسد فكلما انقطع

الغذاء استمر عملها فی البلغم الموجود فی البدن فلاتزال تعمل فیه وتذیبه الحرارة الکائنة فی البدن حتی یفنی کل ما فی البدن من الرطوبات الغریبة و لایبقی إلاالرطوبات الأصلیة فإن استمر انقطاع الغذاء أخذت الحرارة والقوة الهاضمة فی تنقیص الرطوبات الأصلیة من جوهر البدن فإن کان ذلک یسیرا و إلی حد لیس بمفرط لم یضر ذلک بالبدن کل الإضرار و کان ذلک هوغایة الریاضة التی أشار أمیر المؤمنین ع إلیها بقوله حتی دق جلیله ولطف غلیظه و إن أفرط وقع الحیف والإجحاف علی الرطوبة الأصلیة وعطب البدن ووقع صاحبه فی الدق والذبول و ذلک منهی عنه لأنه قتل للنفس فهو کمن یقتل نفسه بالسیف أوبالسکین

کلام للفلاسفة والحکماء فی المکاشفات الناشئة عن الریاضة

واعلم أن قوله ع وبرق له لامع کثیر البرق هوحقیقة مذهب الحکماء وحقیقة قول الصوفیة أصحاب الطریقة والحقیقة و قدصرح به الرئیس أبو علی بن سینا فی کتاب الإشارات فقال فی ذکر السالک إلی مرتبة العرفان ثم إنه [صفحه ۱۳۸] إذابلغت به الإرادة والریاضة حدا ماعنت له خلسات من اطلاع نور الحق إلیه لذیذة کأنها بروق تومض إلیه ثم تخمد عنه وهی التی تسمی عندهم أوقاتا و کل وقت یکتنفه وجد إلیه ووجد علیه ثم إنه لتکثر علیه هذه الغواشی إذاأمعن فی الارتیاض ثم إنه لیتوغل فی ذلک حتی یغشاه فی غیرالارتیاض فکلما لمح شیئا عاج منه إلی جانب القدس فتذکر من أمره أمرا فغشیه غاش فیکاد یری الحق فی کل شیء ولعله إلی هذاالحد تستولی علیه غواشیه ویزول هو عن سکینته ویتنبه جلیسه لاستنفاره عن قراره فإذاطالت علیه الریاضة لم تستنفره غاشیة وهدی للتأنس بما هو فیه ثم إنه لتبلغ به الریاضة مبلغا ینقلب له وقته سکینة فیصیر المخطوب مألوفا والومیض شهابا بینا ویحصل له معارف مستقرة کأنها صحبة مستمرة ویستمتع فیهاببهجته فإذاانقلب عنها انقلب حیران آسفا.فهذه ألفاظ الحکیم أبی علی بن سینا فی الإشارات وهی کمانراها مصرح فیهابذکر البروق اللامعة للعارف . و قال القشیری فی الرسالة لماذکر الحال والأمور الواردة علی العارفین قال هی بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدو ثم تخفی ماأحلاها لوبقیت مع صاحبها ثم تمثل بقول البحتری خطرت فی النوم منها خطرة || خطرة البرق بدا ثم اضمحل أی زور لک لوقصدا سری || وملم بک لوحقا فعل .فهو کماتراه یذکر البروق اللامعة حسبما ذکره الحکیم وکلاهما یتبع ألفاظ أمیر المؤمنین ع لأنه حکیم الحکماء وعارف العارفین ومعلم الصوفیة و لو لاأخلاقه [صفحه ۱۳۹] وکلامه وتعلیمه للناس هذاالفن تارة بقوله وتارة بفعله لمااهتدی أحد من هذه الطائفة و لاعلم کیف یورد و لاکیف یصدر. و قال القشیری أیضا فی الرسالة المحاضرة قبل المکاشفة فإذاحصلت المکاشفة فبعدها المشاهدة. و قال وهی أرفع الدرجات قال فالمحاضرة حضور القلب و قدتکون بتواتر البرهان والإنسان بعدوراء الستر و إن کان حاضرا باستیلاء سلطان الذکر. و أماالمکاشفة فهی حضور البین غیرمفتقر إلی تأمل الدلیل وتطلب السبیل ثم المشاهدة وهی وجود الحق من غیربقاء تهمة. وأحسن ماذکر فی المشاهد قول الجنید هی وجود الحق مع فقدانک . و قال عمرو بن عثمان المکی المشاهدة أن تتوالی أنوار التجلی علی القلب من غیر أن یتخللها ستر و لاانقطاع کما لوقدر اتصال البروق فی اللیلة المظلمة فکما أنها تصیر من ذلک بضوء النهار فکذلک القلب إذادام له التجلی مع النهار فلالیل . وأنشدوا شعرا لیلی بوجهک مشرق || وظلامه فی الناس سار فالناس فی سدف الظلام || ونحن فی ضوء النهار . و قال الثوری لاتصح للعبد المشاهدة و قدبقی له عرق قائم . وقالوا إذاطلع الصباح استغنی عن المصباح . وأنشدوا أیضا فلما استنار الصبح طوح ضوءه || بأنواره أنوار ضوء الکواکب [صفحه ۱۴۰] فجرعهم کأسا لوابتلیت لظی || بتجریعه طارت کأسرع ذاهب .کأس و أی کأس تصطلمهم عنهم وتفنیهم وتخطفهم منهم و لاتبقیهم کأس لاتبقی و لاتذر تمحو بالکلیة و لاتبقی شظیة من آثار البشریة کما قال قائلهم ساروا فلم یبق لاعین و لاأثر . و قال القشیری أیضا هی ثلاث مراتب اللوائح ثم اللوامع ثم الطوالع فاللوائح کالبروق

ماظهرت حتى استترت كما قال القائل فافترقنا حولا فلما التقينا || كان تسليمه على وداعا . وأنشدوا ياذا ألذى زار و مازارا || كأنه مقتبس نارا مر بباب الدار مستعجلا || ماضره لودخل الدارا . ثم اللوامع وهى أظهر من اللوائح و ليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى وقتين وثلاثة ولكن كماقيل العين باكية لم تشبع النظرا أو كماقالوا وبلائى من مشهد ومغيب || وحبيب منى بعيد قريب لم ترد ماء وجهه العين حتى || شرقت قبل ريها برقيب .فأصحاب هذاالمقام بين روح وفوح لأنهم بين كشف وستر يلمع ثم يقطع لايستقر لهم نور النهار حتى تكر عليه عساكر الليل فهم كماقيل والليل يشملنا بفاضل برده || والصبح يلحفنا رداء مذهبا . ثم الطوالع وهى أبقى وقتا وأقوى سلطانا وأدوم مكثا وأذهب للظلمة وأنفى للمهمة. [صفحه ۱۴۱] أ فلاترى كلام القوم كله مشحون بالبروق واللمعان . و كان مما نقم حامد بن العباس وزير المقتدر و على بن عيسى الجراح وزيره أيضا على الحلاج أنهما وجدا فى كتبه لفظ النور الشعشعانى و ذلك لجهالتهما مراد القوم واصطلاحهم و من جهل أمرا عاداه . ثم قال ع وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة أى لم يزل ينتقل من مقام من مقامات القوم إلى مقام فوقه حتى وصل وتلك المقامات معروفة عندأهلها و من له أنس بها وسنذكرها فيما بعد. ثم قال وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه فى قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه أى كانت الراحة الكلية والسعادة الأبدية مستثمره من ذلك التعب ألذى تحمله لمااستعمل قلبه وراض جوارحه ونفسه حتى وصل كماقيل عندالصباح يحمد القوم السرى || وتنجلى عنا غيابات الكرى . و قال الشاعر تقول سليمى لوأقمت بأرضنا || و لم تدر أنى للمقام أطوف . و قال آخر ماابيض وجه المرء فى طلب العلا || حتى يسود وجهه فى البيد . و قال فاطلب هدوءا بالتقلقل واستثر || بالعيس من تحت السهاد هجودا ما إن ترى الأحساب بيضا وضحا || إلابحيث ترى المنايا سودا [صفحه ۱۴۲]

۲۱۵– و من كلام له ع يحث فيه أصحابه على الجهاد

وَ اللّهُ مُستَأدِيكُم شُكرَهُ وَ مُوَرّثُكُم أَمرَهُ وَ مُمهِلُكُم فِي مِضمَارٍ مَمدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ فَشُدّوا عُقَدَ المَآزِرِ وَ اطوُوا فُضُولَ الخَوَاصِرِ لَا تَجتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَ وَلِيمَةٌ مَا أَنقَضَ النّومَ لِعَزَائِمِ اليَومِ وَ أَمحَى الظّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الهِمَمِ مستأديكم شكره أى طالب منكم أداء ذلك والقيام به استأديت دينى عندفلان أى طلبته . و قوله ومورثكم أمره أى سيرجع أمر الدولة إليكم ويزول أمر بنى أمية. ثم شبه الآجال التى ضربت للمكلفين ليقوموا فيهابالواجبات ويتسابقوا فيها إلى الخيرات بالمضمار الممدود لخيل تتنازع فيه السبق . ثم قال فشدوا عقد المآزر أى شمروا عن ساق الاجتهاد ويقال لمن يوصى بالجد والتشمير اشدد عقدة إزارك لأنه إذاشدها كان أبعد عن العثار وأسرع للمشى. قوله واطووا فضول الخواصر نهى عن كثرة الأكل لأن الكثير الأكل لايطوى فضول خواصره لامتلائها والقليل الأكل يأكل فى بعضها ويطوى بعضها قال الشاعر [صفحه ۱۴۳] كلوا فى بعض بطنكم وعفوا || فإن زمانكم زمن خميص . و قال أعشى باهلة طاوى المصير على العزاء منصلت || بالقوم ليلة لاماء و لاشجر . و قال الشنفرى وأطوى على الخمص الحوايا كماانطوت || خيوطة مارى تغار وتفتل ثم أتى ع بثلاثة أمثال مخترعة له لم يسبق بها و إن كان قدسبق بمعناها وهى قوله لاتجتمع عزيمة ووليمة و قوله ماأنقض النوم لعزائم اليوم و قوله وأمحى الظلم لتذاكير الهمم .فمما جاء للمحدثين من ذلك ماكتبه بعض الكتاب إلى ولده خدمة السلطان والكا || سات فى أيدى الملاح ليس يلتامان فاطلب || رفعة أوشرب راح . ومثله قول آخر لولده ماللمطيع هواه || من الملام ملاذ فاختر لنفسك هذا || مجد و هذاالتذاذ . و قال آخر و ليس فتى الفتيان من راح واغتدى || لشرب صبوح أولشرب غبوق ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى || لضر عدو أولنفع صديق . [صفحه ۱۴۴] و هذاكثير جدا يناسب قوله لاتجتمع عزيمة ووليمة ومثل قوله ماأنقض النوم لعزائم اليوم قول الشاعر فتى لاينام على عزمه

|| و من صمم العزم لم يرقد و قوله وأمحى الظلم لتذاكير الهمم أى الظلم التى ينام فيها لا كل الظلم أ لاترى أنه إذا لم ينم فى الظلمة بل كان عنده من شدة العزم وقوة التصميم ما لاينام معه فإن الظلمة لاتمحو تذاكير همه والتذاكير جمع تذكار. والمثلان الأولان أحسن من الثالث و كان الثالث من تتمة الثانى و قدقالت العرب فى الجاهلية هذاالمعنى وجاء فى القرآن العزيزأَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنّةَ وَ لَمّا يَأتِكُم مَثَلُ الّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم مَسّتهُمُ البَأساءُ وَ الضّرّاءُ وَ زُلزِلُوا حَتّى يَقُولَ الرّسُولُ وَ الّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصرُ اللّهِ أَلا إِنّ نَصرَ اللّهِ قَرِيبٌ. و هذامثل قوله لاتجتمع عزيمة ووليمة أى لايجتمع لكم دخول الجنة والدعة والقعود عن مشقة الحرب -قرآن-۳۵۴-۵۸۸ [صفحه ۱۴۵]

۲۱۶- و من كلام له ع قاله بعدتلاوته

اشاره

أَلهاكُمُ التّكاثُرُ حَتّى زُرتُمُ المَقابِرَ يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبعَدَهُ وَ زَوراً مَا أَغفَلَهُ وَ خَطَراً مَا أَفظَعَهُ لَقَدِ استَخلَوا مِنهُم أَيّ مُدّكِرٍ وَ تَنَاوَشُوهُم مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ أَ فَبِمَصَارِعِ آبَائِهِم يَفخَرُونَ أَم بِعَدِيدِ الهَلكَى يَتَكَاثَرُونَ -قرآن-۱-۴۵ قداختلف المفسرون فى تأويل هاتين الآيتين فقال قوم المعنى أنكم قطعتم أيام عمركم فى التكاثر بالأموال والأولاد حتى أتاكم الموت فكنى عن حلول الموت بهم بزيارة المقابر. و قال قوم بل كانوا يتفاخرون بأنفسهم وتعدى ذلك إلى أن تفاخروا بأسلافهم الأموات فقالوا منا فلان وفلان لقوم كانوا وانقرضوا. و هذا هوالتفسير ألذى يدل عليه كلام أمير المؤمنين ع قال يا له مراما منصوب على التمييز. ماأبعده أى لافخر فى ذلك وطلب الفخر من هذاالباب بعيد وإنما الفخر بتقوى الله وطاعته . [صفحه ۱۴۶] وزورا ماأغفله إشارة إلى القوم الذين افتخروا جعلهم بتذكر الأموات السالفين كالزائرين لقبورهم والزور اسم للواحد والجمع كالخصم والضيف قال ماأغفلهم عما يراد منهم لأنهم تركوا العبادة والطاعة وصرموا الأوقات بالمفاخرة بالموتى . ثم قال وخطرا ماأفظعه إشارة إلى الموت أى ماأشده فظع الشىء بالضم فهو فظيع أى شديد شنيع مجاوز للمقدار. قوله لقد استخلوا منهم أى مدكر قال الراوندى أى وجدوا موضع التذكر خاليا من الفائدة و هذا غيرصحيح وكيف يقول ذلك و قد قال وخطرا ماأفظعه وهل يكون أمر أعظم تذكيرا من الاعتبار بالموتى والصحيح أنه أراد باستخلوا ذكر من خلا من آبائهم أى من مضى يقال هذاالأمر من الأمور الخالية و هذاالقرن من القرون الخالية أى الماضية. واستخلى فلان فى حديثه أى حدث عن أمور خالية والمعنى أنه استعظم مايوجبه حديثهم عما خلا وعمن خلا من أسلافهم وآثار أسلافهم من التذكير فقال أى مدكر وواعظ فى ذلك وروى أى مذكر بمعنى المصدر كالمعتقد بمعنى الاعتقاد والمعتبر بمعنى الاعتبار. وتناوشوهم من مكان بعيد أى تناولوهم والمراد ذكروهم وتحدثوا عنهم فكأنهم تناولوهم و هذه اللفظة من ألفاظ القرآن العزيزوَ قالُوا آمَنّا بِهِ وَ أَنّى لَهُمُ التّناوُشُ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ وأنى لهم تناول الإيمان حينئذ بعدفوات الأمر -قرآن-۱۰۴۷-۱۱۱۳ [صفحه ۱۴۷] يَرتَجِعُونَ مِنهُم أَجسَاداً خَوَت وَ حَرَكَاتٍ سَكَنَت وَ لَأَن يَكُونُوا عِبَراً أَحَقّ مِن أَن يَكُونُوا مُفتَخَراً وَ لَأَن يَهبِطُوا بِهِم جَنَابَ ذِلّةٍ أَحجَى مِن أَن يَقُومُوا بِهِم مَقَامَ عِزّةٍ لَقَد نَظَرُوا إِلَيهِم بِأَبصَارِ العَشوَةِ وَ ضَرَبُوا مِنهُم فِي غَمرَةِ جَهَالَةٍ وَ لَو استَنطَقُوا عَنهُم عَرَصَاتِ تِلكَ الدّيَارِ الخَاوِيَةِ وَ الرّبُوعِ الخَالِيَةِ لَقَالَت ذَهَبُوا فِي الأَرضِ ضُلّالًا وَ ذَهَبتُم فِي أَعقَابِهِم جُهّالًا تَطَئُونَ فِي هَامِهِم وَ تَستَنبِتُونَ فِي أَجسَادِهِم وَ تَرتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا وَ تَسكُنُونَ فِيمَا خَرّبُوا وَ إِنّمَا الأَيّامُ بَينَكُم وَ بَينَهُم بَوَاكٍ وَ نَوَائِحُ عَلَيكُم أُولَئِكُم سَلَفُ غَايَتِكُم وَ فُرّاطُ مَنَاهِلِكُم الّذِينَ كَانَت لَهُم مَقَاوِمُ العِزّ وَ حَلَبَاتُ الفَخرِ مُلُوكاً وَ سُوَقاً يرتجعون منهم أجسادا أى يذكرون آباءهم فكأنهم ردوهم إلى الدنيا وارتجعوهم من القبور وخوت خلت . قال وهؤلاء الموتى أحق بأن يكونوا عبرة وعظة

من أن يكونوا فخرا وشرفا والمفتخرون بهم أولى بالهبوط إلى جانب الذلة منهم بالقيام مقام العز. وتقول هذاأحجى من فلان أى أولى وأجدر والجناب الفناء. [صفحه ۱۴۸] ثم قال لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة أى لم ينظروا النظر المفضى إلى الرؤية لأن أبصارهم ذات عشوة و هومرض فى العين ينقص به الأبصار و فى عين فلان عشاء وعشوة بمعنى و منه قيل لكل أمر ملتبس يركبه الراكب على غيربيان أمر عشوة و منه أوطأتنى عشوة ويجوز بالضم والفتح . قال وضربوا بهم فى غمرة جهالة أى وضربوا من ذكر هؤلاء الموتى فى بحر جهل والضرب ها هنا استعارة أو يكون من الضرب بمعنى السير كقوله تعالى وَ إِذا ضَرَبتُم فِى الأَرضِ أى خاضوا وسبحوا من ذكرهم فى غمرة جهالة و كل هذايرجع إلى معنى واحد و هوتسفيه رأى المفتخرين بالموتى والقاطعين الوقت بالتكاثر بهم إعراضا عما يجب إنفاقه من العمر فى الطاعة والعبادة. ثم قال لوسألوا عنهم ديارهم التى خلت منهم ويمكن أن يريد بالديار والربوع القبور لقالت ذهبوا فى الأرض ضلالا أى هالكين و منه قوله تعالى وَ قالُوا أَ إِذا ضَلَلنا فِى الأَرضِ أَ إِنّا لفَيِ خَلقٍ جَدِيدٍ. وذهبتم فى أعقابهم أى بعدهم جهالا لغفلتكم وغروركم . قوله ع تطئون فى هامهم أخذ هذاالمعنى أبوالعلاء المعرى فقال -قرآن-۴۲۴-۴۵۱-قرآن-۷۹۰-۸۵۶ خفف الوطء ماأظن أديم || الأرض إلا من هذه الأجساد رب لحد قدصار لحدا مرارا || ضاحك من تزاحم الأضداد [صفحه ۱۴۹] ودفين على بقايا دفين || من عهود الآباء والأجداد صاح هذى قبورنا تملأ الأرض || فأين القبور من عهد عاد سر إن اسطعت فى الهواء رويدا || لااختيالا على رفات العباد . قوله وتستنبتون فى أجسادهم أى تزرعون النبات فى أجسادهم و ذلك لأن أديم الأرض الظاهر إذا كان من أبدان الموتى فالزرع لامحالة يكون نابتا فى الأجزاء الترابية التى هى أبدان الحيوانات وروى وتستثبتون بالثاء أى وتنصبون الأشياء الثابتة كالعمد والأساطين للأوطان فى أجساد الموتى . ثم قال وترتعون فيما لفظوا لفظت الشيء بالفتح رميته من فمى ألفظه بالكسر ويجوز أن يريد بذلك أنكم تأكلون ماخلفوه وتركوه ويجوز أن يريد أنكم تأكلون الفواكه التى تنبت فى أجزاء ترابية خالطها الصديد الجارى من أفواههم ثم قال وتسكنون فيما خربوا أى تسكنون فى المساكن التى لم يعمروها بالذكر والعبادة فكأنهم أخربوها فى المعنى ثم سكنتم أنتم فيهابعدهم ويجوز أن يريد أن كل دار عامرة قدكانت من قبل خربة وإنما أخربها قوم بادوا وماتوا فإذن لاساكن منا فى عمارة إلا ويصدق عليه أنه ساكن فيما قد كان خرابا من قبل والذين أخربوه الآن موتى ويجوز أن يريد بقوله وتسكنون فيما خربوا وتسكنون فى دور فارقوها وأخلوها فأطلق على الخلو والفراغ لفظ الخراب مجازا. قوله وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم يريد أن الأيام والليالى تشيع رائحا إلى المقابر وتبكى وتنوح على الباقين الذين سيلتحقون به عن قريب . [صفحه ۱۵۰] قوله أولئكم سلف غايتكم السلف المتقدمون والغاية الحد ألذى ينتهى إليه إما حسيا أومعنويا والمراد هاهنا الموت . والفرط القوم يسبقون الحى إلى المنهل . ومقاوم العز دعائمه جمع مقوم وأصلها الخشبة التى يمسكها الحراث وحلبات الفخر جمع حلبة وهى الخيل تجمع للسباق . والسوق بفتح الواو جمع سوقة و هو من دون الملك سَلَكُوا فِى بُطُونِ البَرزَخِ سَبِيلًا سُلّطَتِ الأَرضُ عَلَيهِم فِيهِ فَأَكَلَت مِن لُحُومِهِم وَ شَرِبَت مِن دِمَائِهِم فَأَصبَحُوا فِى فَجَوَاتِ قُبُورِهِم جَمَاداً لَا يَنمُونَ وَ ضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ لَا يُفزِعُهُم وُرُودُ الأَهوَالِ وَ لَا يَحزُنُهُم تَنَكّرُ الأَحوَالِ وَ لَا يَحفِلُونَ بِالرّوَاجِفِ وَ لَا يَأذَنُونَ لِلقَوَاصِفِ غُيّباً لَا يُنتَظَرُونَ وَ شُهُوداً لَا يَحضُرُونَ وَ إِنّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتّتُوا وَ أُلّافاً فَافتَرَقُوا وَ مَا عَن طُولِ عَهدِهِم وَ لَا بُعدِ مَحَلّهِم عَمِيَت أَخبَارُهُم وَ صَمّت دِيَارُهُم وَ لَكِنّهُم سُقُوا كَأساً بَدّلَتهُم بِالنّطقِ خَرَساً وَ بِالسّمعِ صَمَماً وَ بِالحَرَكَاتِ سُكُوناً فَكَأَنّهُم فِى ارتِجَالِ الصّفَةِ صَرعَى سُبَاتٍ جِيرَانٌ لَا يَتَأَنّسُونَ وَ أَحِبّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ بَلِيَت بَينَهُم عُرَا التّعَارُفِ وَ انقَطَعَت مِنهُم أَسبَابُ الإِخَاءِ فَكُلّهُم وَحِيدٌ وَ هُم جَمِيعٌ وَ بِجَانِبِ الهَجرِ وَ هُم أَخِلّاءُ لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيلٍ صَبَاحاً وَ لَا لِنَهَارٍ مَسَاءً أَيّ الجَدِيدَينِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ [صفحه ۱۵۱] عَلَيهِم سَرمَداً شَاهَدُوا مِن أَخطَارِ دَارِهِم أَفظَعَ مِمّا خَافُوا وَ رَأَوا مِن آيَاتِهَا أَعظَمَ مِمّا قَدّرُوا فَكِلَا الغَايَتَينِ مُدّت لَهُم إِلَى مَبَاءَةٍ فَاتَت مَبَالِغَ الخَوفِ وَ الرّجَاءِ فَلَو كَانُوا يَنطِقُونَ بِهَا لَعَيّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَ مَا عَايَنُوا وَ لَئِن عَمِيَت آثَارُهُم وَ انقَطَعَت أَخبَارُهُم لَقَد رَجَعَت فِيهِم أَبصَارُ العِبَرِ وَ سَمِعَت

عَنهُم آذَانُ العُقُولِ وَ تَكَلَّمُوا مِن غَيرِ جِهَاتِ النّطقِ فَقَالُوا كَلَحَتِ الوُجُوهُ النّوَاضِرُ وَ خَوَتِ الأَجسَامُ النّوَاعِمُ وَ لَبِسنَا أَهدَامَ البِلَى وَ تَكَاءَدَنَا ضِيقُ المَضجَعِ وَ تَوَارَثنَا الوَحشَةَ وَ تَهَدّمَت عَلَينَا الرّبُوعُ الصّمُوتُ فَانمَحَت مَحَاسِنُ أَجسَادِنَا وَ تَنَكّرَت مَعَارِفُ صُوَرِنَا وَ طَالَت فِي مَسَاكِنِ الوَحشَةِ إِقَامَتُنَا وَ لَم نَجِد مِن كَربٍ فَرَجاً وَ لَا مِن ضِيقٍ مُتّسَعاً فَلَو مَثّلتَهُم بِعَقلِكَ أَو كُشِفَ عَنهُم مَحجُوبُ الغِطَاءِ لَكَ وَ قَدِ ارتَسَخَت أَسمَاعُهُم بِالهَوَامّ فَاستَكّت وَ اكتَحَلَت أَبصَارُهُم بِالتّرَابِ فَخَسَفَت وَ تَقَطّعَتِ الأَلسِنَةُ فِي أَفوَاهِهِم بَعدَ ذَلَاقَتِهَا وَ هَمَدَتِ القُلُوبُ فِي صُدُورِهِم بَعدَ يَقَظَتِهَا وَ عَاثَ فِي كُلّ جَارِحَةٍ مِنهُم جَدِيدُ بِلًى سَمّجَهَا وَ سَهّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيهَا مُستَسلِمَاتٍ فَلَا أَيدٍ تَدفَعُ وَ لَا قُلُوبٌ تَجزَعُ لَرَأَيتَ أَشجَانَ قُلُوبٍ وَ أَقذَاءَ عُيُونٍ لَهُم فِي كُلّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنتَقِلُ وَ غَمرَةٌ لَا تَنجَلِي فَكَم أَكَلَتِ الأَرضُ مِن عَزِيزِ جَسَدٍ وَ أَنِيقِ لَونٍ كَانَ فِي الدّنيَا غَذِيّ تَرَفٍ وَ رَبِيبَ شَرَفٍ يَتَعَلّلُ بِالسّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزنِهِ وَ يَفزَعُ إِلَى السّلوَةِ إِن مُصِيبَةٌ نَزَلَت بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيشِهِ وَ شَحَاحَةً بِلَهوِهِ وَ لَعِبِهِ فَبَينَا هُوَ يَضحَكُ إِلَى الدّنيَا وَ تَضحَكُ إِلَيهِ فِي ظِلّ عَيشٍ غَفُولٍ إِذ وَطِئَ الدّهرُ بِهِ حَسَكَهُ وَ نَقَضَتِ الأَيّامُ قُوَاهُ وَ نَظَرَت إِلَيهِ الحُتُوفُ مِن كَثَبٍ فَخَالَطَهُ بَثّ لَا يَعرِفُهُ وَ نَجِيّ هَمّ [صفحه ۱۵۲] مَا كَانَ يَجِدُهُ وَ تَوَلّدَت فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحّتِهِ فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوّدَهُ الأَطِبّاءُ مِن تَسكِينِ الحَارّ بِالقَارّ وَ تَحرِيكِ البَارِدِ بِالحَارّ فَلَم يُطفِئ بِبَارِدٍ إِلّا ثَوّرَ حَرَارَةً وَ لَا حَرّكَ بِحَارّ إِلّا هَيّجَ بُرُودَةً وَ لَا اعتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلكَ الطّبَائِعِ إِلّا أَمَدّ مِنهَا كُلّ ذَاتِ دَاءٍ حَتّى فَتَرَ مُعَلّلُهُ وَ ذَهَلَ مُمَرّضُهُ وَ تَعَايَا أَهلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ وَ خَرِسُوا عَن جَوَابِ السّائِلِينَ عَنهُ وَ تَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيّ خَبَرٍ يَكتُمُونَهُ فَقَائِلٌ هُوَ لِمَا بِهِ وَ مُمَنّ لَهُم إِيَابَ عَافِيَتِهِ وَ مُصَبّرٌ لَهُم عَلَى فَقدِهِ يُذَكّرُهُم أَسَى المَاضِينَ مِن قَبلِهِ فَبَينَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِن فِرَاقِ الدّنيَا وَ تَركِ الأَحِبّةِ إِذ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِن غُصَصِهِ فَتَحَيّرَت نَوَافِذُ فِطنَتِهِ وَ يَبِسَت رُطُوبَةُ لِسَانِهِ فَكَم مِن مُهِمّ مِن جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيّ عَن رَدّهِ وَ دُعَاءٍ مُؤلِمٍ بِقَلبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامّ عَنهُ مِن كَبِيرٍ كَانَ يُعَظّمُهُ أَو صَغِيرٍ كَانَ يَرحَمُهُ وَ إِنّ لِلمَوتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفظَعُ مِن أَن تُستَغرَقَ بِصِفَةٍ أَو تَعتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهلِ الدّنيَا هذاموضع المثل ملعا ياظليم و إلاالتخوية من أراد أن يعظ ويخوف ويقرع صفاة القلب ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها بأهلها فليأت بمثل هذه الموعظة فى مثل هذاالكلام الفصيح و إلافليمسك فإن السكوت أستر والعى خير من منطق يفضح صاحبه و من تأمل هذاالفصل علم صدق معاوية فى قوله فيه و الله ماسن [صفحه ۱۵۳] الفصاحة لقريش غيره وينبغي لواجتمع فصحاء العرب قاطبة فى مجلس وتلى عليهم أن يسجدوا له كماسجد الشعراء لقول عدى بن الرقاع قلم أصاب من الدواة مدادها . فلما قيل لهم فى ذلك قالوا إنا نعرف مواضع السجود فى الشعر كماتعرفون مواضع السجود فى القرآن . وإنى لأطيل التعجب من رجل يخطب فى الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالهما من السباع الضارية ثم يخطب فى ذلك الموقف بعينه إذاأراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان لابسى المسوح الذين لم يأكلوا لحما و لم يريقوا دما فتارة يكون فى صورة بسطام بن قيس الشيبانى وعتيبة بن الحارث اليربوعى وعامر بن الطفيل العامرى وتارة يكون فى صورة سقراط الحبر اليونانى ويوحنا المعمدان الإسرائيلى والمسيح ابن مريم الإلهى. وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة و إلى الآن أكثر من ألف مرة ماقرأتها قط إلا وأحدثت عندى روعة وخوفا وعظة وأثرت فى قلبى وجيبا و فى أعضائى رعدة و لاتأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلى وأقاربى وأرباب ودى وخيلت فى نفسى أنى أنا ذلك الشخص ألذى وصف ع حاله وكم قد قال الواعظون والخطباء والفصحاء فى هذاالمعنى وكم وقفت على ماقالوه وتكرر وقوفى عليه فلم أجد لشىء منه مثل تأثير هذاالكلام فى نفسى فإما أن يكون ذلك لعقيدتى فى قائله أوكانت نية القائل صالحة ويقينه كان ثابتا وإخلاصه كان محضا [صفحه ۱۵۴] خالصا فكان تأثير قوله فى النفوس أعظم وسريان موعظته فى القلوب أبلغ ثم نعود إلى تفسير الفصل فالبرزخ الحاجز بين الشيئين والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث فيجوز أن يكون البرزخ فى هذاالموضع القبر لأنه حاجز بين الميت و بين أهل الدنيا كالحائط المبنى بين اثنين فإنه برزخ بينهما ويجوز أن يريد به الوقت ألذى بين حال الموت إلى حال النشور والأول أقرب إلى

مراده ع لأنه قال فی بطون البرزخ ولفظة البطون تدل علی التفسیر الأول ولفظتا أکلت الأرض من لحومهم وشربت من دمائهم مستعارتان . والفجوات جمع فجوة وهی الفرجة المتسعة بین الشیئین قال سبحانه وَ هُم فِی فَجوَةٍ مِنهُ و قدتفاجی الشیء إذاصارت له فجوة. وجمادا لاینمون أی خرجوا عن صورة الحیوانیة إلی صورة الجماد ألذی لاینمی و لایزید ویروی لاینمون بتشدید المیم من النمیمة وهی الهمس والحرکة و منه قولهم أسکت الله نامته فی قول من شدد و لم یهمز. وضمارا یقال لکل ما لایرجی من الدین والوعد و کل ما لاتکون منه علی ثقة ضمار. ثم ذکر أن الأهوال الحادثة فی الدنیا لاتفزعهم و أن تنکر الأحوال بهم وبأهل الدنیا لایحزنهم ویروی تحزنهم علی أن الماضی رباعی. ومثله قوله لایحفلون بالرواجف أی لایکترثون بالزلازل . -قرآن-٥٩٧-٦٢٠ [صفحه ١٥٥] قوله و لایأذنون للقواصف أی لایسمعون الأصوات الشدیدة أذنت لکذا أی سمعته . وجمع الغائب غیب وغیب وکلاهما مروی هاهنا وأراد أنهم شهود فی الصورة و غیرحاضرین فی المعنی . وألاف علی فعال جمع آلف کالطراق جمع طارق والسمار جمع سامر والکفار جمع کافر. ثم ذکر أنه لم تعم أخبارهم أی لم تستبهم أخبارهم وتنقطع عن بعدعهد بهم و لا عن بعدمنزل لهم وإنما سقوا کأس المنون التی أخرستهم بعدالنطق وأصمتهم بعدالسمع وأسکنتهم بعدالحرکة. و قوله وبالسمع صمما أی لم یسمعوا فیهانداء المنادی و لانوح النائح أو لم یسمع فی قبورهم صوت منهم . قوله فکأنهم فی ارتجال الصفة أی إذاوصفهم الواصف مرتجلا غیرمترو فی الصفة و لامتهیئ للقول . قال کأنهم صرعی سبات و هونوم لأنه لافرق فی الصورة بین المیت حال موته والنائم المسبوت . ثم وصفهم بأنهم جیران إلاأنهم لامؤانسة بینهم کجیران الدنیا وأنهم أحباء إلاأنهم لایتزاورون کالأحباب من أهل الدنیا. و قوله أحباء جمع حبیب کخلیل وأخلاء وصدیق وأصدقاء. ثم ذکر أن عرا التعارف قدبلیت منهم وانقطعت بینهم أسباب الإخاء و هذه کلها استعارات لطیفة مستحسنة. [صفحه ١٥٦] ثم وصفهم بصفة أخری فقال کل واحد منهم موصوف بالوحدة وهم مع ذلک مجتمعون بخلاف الأحیاء الذین إذاانضم بعضهم إلی بعض انتفی عنه وصف الوحدة. ثم قال وبجانب الهجر وهم أخلاء أی و کل منهم فی جانب الهجر وهم مع ذلک أهل خلة ومودة أی کانوا کذلک و هذاکله من باب الصناعة المعنویة والمجاز الرشیق . ثم قال إنهم لایعرفون للنهار لیلا و لاللیل نهارا و ذلک لأن الواحد من البشر إذامات نهارا لم یعرف لذلک النهار لیلا أبدا و إن مات لیلا لم یعرف لذلک اللیل صباحا أبدا و قال الشاعر لابد من یوم بلا لیلة || أولیلة تأتی بلا یوم . و لیس المراد بقوله أی الجدیدین ظعنوا فیه کان علیهم سرمدا أنهم وهم موتی یشعرون بالوقت ألذی ماتوا فیه و لایشعرون بما یتعقبه من الأوقات بل المراد أن صورة ذلک الوقت لوبقیت عندهم لبقیت أبدا من غیر أن یزیلها وقت آخر یطرأ علیها ویجوز أن یفسر علی مذهب من قال ببقاء الأنفس فیقال إن النفس التی تفارق لیلا تبقی الصورة اللیلیة والظلمة حاصلة عندها أبدا لاتزول بطرآن نهار علیها لأنها قدفارقت الحواس فلاسبیل لها إلی أن یرتسم فیها شیء من المحسوسات بعدالمفارقة وإنما حصل ماحصل من غیرزیادة علیه وکذلک الأنفس التی تفارق نهارا

بعض الأشعار والحکایات فی وصف القبور والموتی

واعلم أن الناس قدقالوا فی حال الموتی فأکثروا فمن ذلک قول الرضی أبی الحسن رحمه الله تعالی [صفحه ١٥٧] أعزز علی بأن نزلت بمنزل || متشابه الأمجاد بالأوغاد فی عصبة جنبوا إلی آجالهم || والدهر یعجلهم عن الإرواد ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم || من غیرأطناب و لاأعماد رکب أناخوا لایرجی منهم || قصد لإتهام و لاإنجاد کرهوا النزول فأنزلتهم وقعة || للدهر بارکة بکل مفاد فتهافتوا عن رحل کل مذلل || وتطاوحوا عن سرج کل جواد بادون فی صور الجمیع وإنهم || متفردون تفرد الآحاد . قوله بادون فی صور الجمیع مأخوذ من قول أمیر المؤمنین ع فکلهم وحید وهم جمیع . و قال أیضا ولقد حفظت له فأین حفاظه

|| ولقـد وفيت له فـأين وفـاؤه أوعى الـدعاء فلم يجبه قطيعـة || أم ضل عنه من البعاد دعاؤه هيهات أصبـح سـمعه وعيانه || فى الترب قـدحجبتها أقـذاؤه يمسـى ولين مهـاده حصباؤه || فيه ومؤنس ليله ظلماؤه قـدقلبت أعيانه وتنكرت || أعلامه وتكسـفت أضواؤه [صفحه ١٥٨] مغف و ليس للذة إغفاؤه || مغض و ليس لفكرة إغضاؤه وجه كلمع البرق غاض وميضه || قلب كصدر العضب فـل مضـاؤه حكم البلى فيه فلو تلقى به || أعـداءه لرتى له أعـداؤه . و قـال أبوالعلاء أسـتغفر الله ماعنـدى لكم خبر || و ماخطابى إلامعشرا قبروا أصبحتم فى البلى غبرا ملابسكم || من الهباء فأين البرد والقطر كنتم على كل خطب فادح صبرا || فهل شعرتم و قـدجادتكم الصبر و مـادرى يوم أحـد بالـذين ثووا || فيه و لاـ يوم بـدر أنهم نصـروا . و قـال أبوعارم الكلابى أجازعة ردينـة أن أتاهـا || نعيى أم يكون لها اصـطبار إذا ما أهل قبرى ودعونى || وراحوا والأكف بهاغبار وغودر أعظمى فى لحـد قبر || تراوحه الجنـائب والقطـار تهب الريـح فوق محـط قبرى || ويرعى حوله اللهق النوار مقيم لاـيكلمه صـديق || بقبر لاـأزور و لاأزار فذاك النأى لاالهجران حولا || وحولا ثم تجتمع الديار .مر الإسكندر بمدينة قدملكها سبعة أملاك من بيت واحد وبادوا فسأل هل بقى من نسـلهم أحـد قالوا بقى واحـد و هويلزم المقابر فـدعا به فسأله لم تلزم المقابر قال أردت أن أميز عظام الملوك من عظام عبيـدهم فوجدتها سواء قال هل لك أن تلزمنى حتى أنيلك بغيتك قال لوعلمت أنك تقدر على ذلك للزمتك قال و مابغيتك [صفحه ١٥٩] قال حياة لاموت معها قال لن أقـدر على ذلك قال فـدعنى أطلبه ممن يقدر عليه . قال النبى ص مارأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه -روايت-١-٢-روايت-١٨-٥٥ قال ص القبر أول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعـده أيسـر و من لم ينـج فما بعده شـر له -روايت-١-٢-روايت-١١-١٠٤ .مر عبـد الله بن عمر رضـى الله عنه بمقبرة فصـلى فيهاركعتين و قال ذكرت أهل القبور و أنه حيل بينهم و بين هـذافأحببت أن أتقرب بهما إلى الله فإن قلت مامعنى قوله ع وبجانب الهجر و أى فائدة فى لفظـة جـانب فى هـذاالموضع . قلت لأنهم يقولون فلان فى جانب الهجر و فى جانب القطيعـة و لايقولون فى جانب الوصل و فى جـانب المصافـاة و ذلـك أن لفظـة جنب فى الأصل موضوعـة للمباعـدة و منه قولهم الجار الجنب و هوجارك من قوم غرباء يقـال جنبت الرجـل وأجنبته وتجنبته وتجـانبته كله بمعنى و رجل أجنبى وأجنب وجنب وجانب كله بمعنى . قوله ع شاهـدوا من أخطـار دارهم المعنى أنه شاهـد المتقـون من آثـار الرحمـة وأماراتهـا وشاهـد المجرمون من آثـار النقمـة وأماراتهـا عنـدالموت والحصول فى القبر أعظم مما كانوا يسـمعون ويظنون أيام كونهم فى الدنيا. ثم قال فكلا الغايتين مدت لهم المعنى مدت الغايتان غاية الشقى منهم وغاية السعيد. [صفحه ١٦٠] إلى مباءة أى إلى منزل يعظم حاله عن أن يبلغه خوف خائف أورجاء راج وتلك المبـاءة هى النار أوالجنـة وتقول قداسـتباء الرجل أى اتخـذ مباءة وأبأت الإبل رددتها إلى مباءتها وهى معاطنها. ثم قال فلو كانوا ينطقون بهالعيوا بتشديد الياء قال الشاعر عيوا بأمرهم كما || عيت ببيضتها الحمامة جعلت لها عودين من || نشم وآخر من ثمامة . وروى لعيوا بالتخفيف كماتقول حيوا قالوا ذهبت الياء الثانيـة لالتقاء الساكنين لأن الواو ساكنـة وضـمت الياء الأولى لأجل الواو قال الشاعر وكنا حسبناهم فوارس كهمس || حيوا بعد ماماتوا من الدهر أعصـرا . قوله لقد رجعت فيهم يقال رجع البصـر نفسـه ورجع زيـد بصـره يتعـدى و لايتعـدى يقول تكلموا معنى لاصورة فأدركت حالهم بالأبصار والأسـماع العقليـة لاالحسـية وكلحت الوجـوه كلوحـا وكلاحـا و هوتكشـر فى عبوس . والنواضـر النواعم والنضـرة الحسن والرونق . وخوت الأجسـاد النواعم خلت من دمها ورطوبتها وحشوتها ويجوز أن يكون خوت أى سـقطت قال تعالى فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُرُوشِها والأهدام جمع هدم و هوالثوب البالى قال أوس -قرآن-٣٤٠-٣٧٠ وذات هدم عار نواشـرها || تصـمت بالماء تولبا جذعا . [صفحه ١٦١] وتكاءدنا شق علينا و منه عقبـة كئود ويجوز تكأدنا جاءت هـذه الكلمـة فى أخوات لها تفعل وتفاعل بمعنى ومثله تعهد الضـيعة وتعاهدها. ويقال قوله وتوارثنـا الوحشـة كـأنه لمامـات الأـب فاسـتوحش أهله منه ثم مـات الابن فاسـتوحش منه أهله أيضا صار كان الابن ورث تلك الوحشة من أبيه كماتورث الأموال و هذا من باب الاسـتعارة. قوله وتهدمت علينا الربوع يقال تهدم فلان على فلان غضبا إذااشتد

غضبه ويجوز أن يكون تهدمت أى تساقطت وروى وتهكمت بالكاف و هوكقولك تهدمت بالتفسيرين جميعا ويعنى بالربوع الصموت القبور وجعلها صموتا لأنه لانطق فيها كماتقول ليل قائم ونهار صائم أى يقام ويصام فيهما و هذاكله على طريق الهز والتحريك وإخراج الكلام فى معرض غيرالمعرض المعهود جعلهم لوكانوا ناطقين مخبرين عن أنفسهم لأتوا بما وصفه من أحوالهم وورد فى الحديث أن عمر حضر جنازة رجل فلما دفن قال لأصحابه قفوا ثم ضرب فأمعن فى القبور واستبطأه الناس جدا ثم رجع و قداحمرت عيناه وانتفخت أوداجه فقيل أبطأت يا أمير المؤمنين فما ألذى حبسك قال أتيت قبور الأحبة فسلمت فلم يردوا على السلام فلما ذهبت أقفى نادانى التراب فقال أ لاتسألنى ياعمر مافعلت باليدين قلت مافعلت بهما قال قطعت الكفين من الرسغين وقطعت الرسغين من الذراعين وقطعت الذراعين من المرفقين وقطعت المرفقين من العضدين وقطعت العضدين من المنكبين وقطعت المنكبين من الكتفين فلما ذهبت أقفى نادانى التراب فقال أ لاتسألنى ياعمر مافعلت بالأبدان والرجلين قلت مافعلت قال قطعت الكتفين من الجنبين وقطعت الجنبين من الصلب وقطعت الصلب من الوركين وقطعت الوركين من الفخذين وقطعت الفخذين من الركبتين [صفحه ۱۶۲] وقطعت الركبتين من الساقين وقطعت الساقين من القدمين فلما ذهبت أقفى نادانى التراب فقال ياعمر عليك بأكفان لاتبلى فقلت و ماأكفان لاتبلى قال تقوى الله والعمل بطاعته و هذا من الباب ألذى نحن بصدده نسب الأقوال المذكورة إلى التراب و هوجماد و لم يكن ذلك ولكنه اعتبر فانقدحت فى نفسه هذه المواعظ الحكمية فأفرغها فى قالب الحكاية ورتبها على قانون المسألة والإجابة وأضافها إلى جماد موات لأنه أهز لسامعها إلى تدبرها و لو قال نظرت فاعتبرت فى حال الموتى فوجدت التراب قدقطع كذا من كذا لم تبلغ عظته المبلغ ألذى بلغته حيث أودعها فى الصورة التى اخترعها. قوله ع فلو مثلتهم بعقلك أوكشف عنهم محجوب الغطاء لك إلى آخر جواب لو هذاالكلام أخذه ابن نباته بعينه فقال فلو كشفتم عنهم أغطية الأجداث بعدليلتين أوثلاث لوجدتم الأحداق على الخدود سائلة والألوان من ضيق اللحود حائلة وهوام الأرض فى نواعم الأبدان جائلة والرءوس الموسدة على الأيمان زائلة ينكرها من كان لها عارفا ويفر عنها من لم يزل لها آنفا. قوله ع ارتسخت أسماعهم ليس معناه ثبتت كمازعمه الراوندى لأنها لم تثبت وإنما ثبتت الهوام فيهابل الصحيح أنه من رسخ الغدير إذانش ماؤه ونضب ويقال قدارتسخت الأرض بالمطر إذاابتلعته حتى يلتقى الثريان . واستكت أى ضاقت وانسدت قال النابغة ونبئت خير الناس أنك لمتنى || وتلك التى تستك منها المسامع . [صفحه ۱۶۳] قوله واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت أى غارت وذهبت فى الرأس وأخذ المتنبى قوله واكتحلت أبصارهم بالتراب فقال يدفن بعضنا بعضا ويمشى || أواخرنا على هام الأوالى وكم عين مقبلة النواحى || كحيل بالجنادل والرمال ومغض كان لايغضى لخطب || وبال كان يفكر فى الهزال . وذلاقة الألسن حدتها ذلق اللسان والسنان يذلق ذلقا أى ذرب فهو ذلق وأذلق . وهمدت بالفتح سكنت وخمدت وعاث أفسد و قوله جديد بلى من فن البديع لأن الجدة ضد البلى و قدأخذ الشاعر هذه اللفظة فقال يادار غادرنى جديد بلاك || رث الجديد فهل رثيث لذاك وسمجها قبح صورتها و قدسمج الشىء بالضم فهو سمج بالسكون ثم ضخم فهو ضخم ويجوز فهو سمج بالكسر مثل خشن فهو خشن . قوله وسهل طرق الآفة إليها و ذلك أنه إذااستولى العنصر الترابى على الأعضاء قوى استعدادها للاستحالة من صورتها الأولى إلى غيرها. ومستسلمات أى منقادة طائعة غيرعاصية فليس لها أيد تدفع عنها و لالها قلوب تجزع وتحزن لمانزل بها. والأشجان جمع شجن و هوالحزن . والأقذاء جمع قذى و هو مايسقط فى العين فيؤذيها. [صفحه ۱۶۴] قوله صفة حال لاتنتقل أى لاتنتقل إلى حسن وصلاح و ليس يريد لاتنتقل مطلقا لأنها تنتقل إلى فساد واضمحلال . و رجل عزيز أى حدث وعزيز الجسد أى طرى وأنيق اللون معجب اللون وغذى ترف قد غذى بالترف و هوالتنعم المطغى. وربيب شرف أى قدربى فى الشرف والعز ويقال رب فلان ولده يربه ربا ورباه يربيه تربية. ويتعلل بالسرور يتلهى به عن غيره ويفزع إلى السلوة يلتجئ إليها وضنا أى بخلا وغضارة العيش نعيمه ولينه . وشحاحة أى بخلا شحت بالكسر أشح وشحت أيضا بالفتح أشح

وأشح بالضم والكسر شحا وشحاحة و رجل شحيح وشحاح بالفتح وقوم شحاح وأشحة. ويضحك إلى الدنيا وتضحك إليه كناية عن الفرح بالعمر والعيشة وكذا كل واحد منهما يضحك إلى صاحبه لشدة الصفاء كأن الدنيا تحبه و هويحبها. وعيش غفول قدغفل عن صاحبه فهو مستغرق فى العيش لم ينتبه له الدهر فيكدر عليه وقته قال الشاعر و كان المرء فى غفلات عيش || كأن الدهر عنها فى وثاق و قال الآخر ألا إن أحلى العيش ماسمحت به || صروف الليالى والحوادث نوم . قوله إذ وطئ الدهر به حسكة أى إذ أوطأه الدهر حسكة والهاء فى حسكة ترجع إلى الدهر عدى الفعل بحرف الجر كماتقول قام زيد بعمرو أى أقامه . [صفحه ۱۶۵] وقواه جمع قوة وهى المرة من مرائر الحبل و هذاالكلام استعارة. و من كثب من قرب والبث الحزن والبث أيضا الأمر الباطن الدخيل . ونجى الهم ميناجيك ويسارك والفترات أوائل المرض . وآنس ما كان بصحته منصوب على الحال و قال الراوندى فى الشرح هذا من باب أخطب ما يكون الأمير قائما ثم ذكر أن العامل فى الحال فترات قال تقديره فترات آنس ما كان و ماذكره الراوندى فاسد فإنه ليس هذا من باب أخطب ما يكون الأمير قائما لأن ذلك حال سد مسد خبر المبتدإ و ليس هاهنا مبتدأ وأيضا فليس العامل فى الحال فترات و لافتر بل العامل تولدت والقار البارد. فإن قلت لم قال تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار ولأى معنى جعل الأول التسكين والثانى التحريك قلت لأن من شأن الحرارة التهييج والتثوير فاستعمل فى قهرها بالبارد لفظة التسكين و من شأن البرودة التخدير والتجميد فاستعمل فى قهرها بالحار لفظة التحريك . قوله و لااعتدل بممازج لتلك الطبائع إلاأمد منها كل ذات داء أى و لااستعمل دواء مفردا معتدل المزاج أومركبا كذلك إلا وأمد كل طبيعة منها ذات مرض بمرض زائد على الأول . وينبغى أن يكون قوله و لااعتدل بممازج أى و لارام الاعتدال لممتزج لأنه لوحصل له الاعتدال لكان قدبرئ من مرضه فسمى محاولة الاعتدال اعتدالا لأنه بالاستدلال المعتدلات قدتهيأ للاعتدال فكان قداعتدل بالقوة. وينبغى أيضا أن يكون قدحذف مفعول أمد وتقديره بمرض كماقدرناه نحن وحذف المفعولات كثير واسع . [صفحه ۱۶۶] قوله حتى فتر معلله لأن معللى المرض فى أوائل المرض يكون عندهم نشاط لأنهم يرجون البرء فإذارأوا أمارات الهلاك فترت همتهم . قوله وذهل ممرضه ذهل بالفتح و هذاكالأول لأن الممرض إذاأعيا عليه المرض وانسدت عليه أبواب التدبير يذهل . قوله وتعايا أهله بصفة دائه أى تعاطوا العى وتساكتوا إذاسئلوا عنه و هذه عادة أهل المريض المثقل يجمجمون إذاسئلوا عن حاله . قوله وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه أى تخاصموا فى خبر ذى شجى أى خبر ذى غصة يتنازعونه وهم حول المريض سترا دونه و هو لايعلم بنجواهم وبما يفيضون فيه من أمره .فقائل منهم هولمآبه أى قدأشفى على الموت وآخر يمنيهم إياب عافيته أى عودها آب فلان إلى أهله أى عاد. وآخر يقول قدرأينا مثل هذا و من بلغ إلى أعظم من هذا ثم عوفى فيمنى أهله عود عافيته . وآخر يصبر أهله على فقده ويذكر فضيلة الصبر وينهاهم عن الجزع ويروى لهم أخبار الماضين . وأسى أهليهم والأسى جمع أسوة و هو مايتأسى به الإنسان قالت الخنساء و مايبكون مثل أخى ولكن || أسلى النفس عنه بالتأسى . قوله على جناح من فراق الدنيا أى سرعان مايفارقها لأن من كان على جناح طائر فأوشك به أن يسقط. [صفحه ۱۶۷] قوله إذ عرض له عارض يعنى الموت و من غصصه جمع غصة و هو مايعترض مجرى الأنفاس ويقال إن كل ميت من الحيوان لايموت إلاخنقا و ذلك لأنه من النفس يدخل فلايخرج عوضه أويخرج فلايدخل عوضه ويلزم من ذلك الاختناق لأن الرئة لاتبقى حينئذ مروحة للقلب و إذا لم تروحه اختنق . قوله فتحيرت نوافذ فطنته أى تلك الفطنة النافذة الثاقبة تحيرت عندالموت وتبلدت . قوله ويبست رطوبة لسانه لأن الرطوبة اللعابية التى بها يكون الذوق تنشف حينئذ ويبطل الإحساس باللسان تبعا لسقوط القوة. قوله فكم من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده نحو أن يكون له مال مدفون يسأل عنه حال ما يكون محتضرا فيحاول أن يعرف أهله به فلايستطيع ويعجز عن رد جوابهم و قدرأينا من عجز عن الكلام فأشار إشارة فهموا معناها وهى الدواة والكاغد فلما حضر ذلك أخذ القلم وكتب فى الكاغد ما لم يفهم ويده ترعد ثم مات قوله ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه أظهر الصمم لأنه لاحيلة له . ثم وصف ذلك

الدعاء فقال من كبير كان يعظمه نحو صراخ الوالد على الولد والولد يسمع و لايستطيع الكلام وصغير كان يرحمه نحو صراخ الولد على الوالد و هويسمع و لاقدرة له على جوابه . ثم ذكر غمرات الدنيا فقال إنها أفظع من أن تحيط الصفات بها وتستغرقها أى تأتى على كنهها وتعبر عن حقائقها. قوله أوتعتدل على عقول أهل الدنيا هذاكلام لطيف فصيح غامض ومعناه [صفحه ١٦٨] أن غمرات الموت وأهواله عظيمة جدا لاتستقيم على العقول و لاتقبلها إذاشرحت لها ووصفت كماهى على الحقيقة بل تنبو عنها و لانصدق بما يقال فيهافعبر عن عدم استقامتها على العقول بقوله أويعتدل كأنه جعلها كالشىء المعوج عندالعقل فهو غيرمصدق به

إيراد أشعار وحكايات فى وصف الموت وأحوال الموتى

ومما يناسب ماذكر من حال الإنسان قول الشاعر بينا الفتى مرح الخطا فرحا بما || يسعى له إذ قيل قدمرض الفتى إذ قيل بات بليلة مانامها || إذ قيل أصبح مثقلا مايرتجى إذ قيل أمسى شاخصا وموجها || إذ قيل فارقهم وحل به الردى . و قال أبوالنجم العجلى والمرء كالحالم فى المنام || يقول إنى مدرك أمامى فى قابل مافاتنى فى العام || والمرء يدنيه إلى الحمام مر الليالى السود والأيام || إن الفتى يصبح للأسقام كالغرض المنصوب للسهام || أخطأ رام وأصاب رام . و قال عمران بن حطان أ فى كل عام مرضة ثم نقهة || وينعى و لاينعى متى ذا إلى متى [صفحه ١٦٩] و لابد من يوم يجىء وليلة || يسوقان حتفا راح نحوك أوغدا جاء فى الحديث أن رسول الله ص مر بمقبرة فنادى يا أهل القبور الموحشة والربوع المعطلة أ لاأخبركم بما حدث بعدكم تزوج نساؤكم وتبوئت مساكنكم وقسمت أموالكم هل أنتم مخبرون بما عاينتم ثم قال ألا إنهم لوأذن لهم فى الجواب لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى -روايت-١-٢-روايت-١٧-٢٦٩ . ونظر الحسن إلى رجل يجود بنفسه فقال إن أمرا هذاآخره لجدير أن يزهد فى أوله و إن أمرا هذاأوله لجدير أن يخاف آخره . و قال عبده بن الطبيب ويعجبنى قوله على الحال التى كان عليها فإنه كان أسود لصا من لصوص بنى سعد بن زيد مناه بن تميم . ولقد علمت بأن قصرى حفرة || غبراء يحملنى إليها شرجع فبكى بناتى شجوهن وزوجتى || والأقربون إلى ثم تصدعوا وتركت فى غبراء يكره وردها || تسفى على الريح ثم أودع أن الحوادث يخترمن وإنما || عمر الفتى فى أهله مستودع ونظير هذه الأبيات فى رويها وعروضها قول متمم بن نويرة اليربوعى ولقد علمت و لامحالة أننى || للحادثات فهل ترينى أجزع أهلكن عادا ثم آل محرق || فتركنهم بلدا و ما قدجمعوا [صفحه ١٧٠] ولهن كان الحارثان كلاهما || ولهن كان أخو المصانع تبع فعددت آبائى إلى عرق الثرى || فدعوتهم فعلمت أن لم يسمعوا ذهبوا فلم أدركهم ودعتهم || غول أتوها والطريق المهيع لابد من تلف مصيب فانتظر || أبأرض قومك أم بأخرى تصرع وليأتين عليك يوم مرة || يبكى عليك مقنعا لاتسمع . لمافتح خالد بن الوليد عين التمر سال عن الحرقة بنت النعمان بن المنذر فدل عليها فأتاها وكانت عمياء فسألها عن حالها فقالت لقد طلعت علينا الشمس ما شىءيدب تحت الخورنق إلاتحت أيدينا ثم غربت و قدرحمنا كل من يدور به و مابيت دخلته حبرة إلادخلته عبرة ثم قالت وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا || إذانحن فيه سوقة نتنصف فأف لدنيا لايدوم نعيمها || تقلب تارات بنا وتصرف فقال قائل ممن كان حول خالد قاتل الله عدى بن زيد لكأنه ينظر إليها حين يقول إن للدهر صرعة فاحذرنها || لاتبيتن قدأمنت الدهورا قدبيبت الفتى معافى فيردى || ولقد كان آمنا مسرورا .دخل عبد الله بن العباس على عبدالملك بن مروان يوم قر و هو على فرش [صفحه ١٧١] يكاد يغيب فيها فقال يا ابن عباس إنى لأحسب اليوم باردا قال أجل و إن ابن هند عاش فى مثل ماترى عشرين أميرا وعشرين خليفة ثم هوذاك على قبره ثمامة تهتز.فيقال إن عبدالملك أرسل إلى قبر معاوية فوجد عليه ثمامة نابتة. كان محمد بن عبد الله بن طاهر فى قصره ببغداد

على دجلة فإذابحشيش على وجه الماء فى وسطه قصبة على رأسها رقعة فأمر بهافوجد هذا تاه الأعيرج واستولى به البطر || فقل له خير مااستعملته الحذر أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت || و لم تخف سوء مايأتى به القدر وسالمتك الليالى فاغتررت بها || و عندصفو الليالى يحدث الكدر فلم ينتفع بنفسه أياما.عدى بن زيد أيها الشامت المعير بالدهر || أ أنت المبرأ الموفور أم لديك العهد الوثيق من الأيام || بل أنت جاهل مغرور من رأيت المنون خلدن أم من || ذا عليه من أن يضام خفير أين كسرى كسرى الملوك أنو شروان || أم أين قبله سابور وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم || و لم يبق منهم مذكور [صفحه ۱۷۲] وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة || تجبى إليه والخابور لم يهبه ريب المنون فباد || الملك عنه فبابه مهجور شاده مرمرا وجلله كلسا || فللطير فى ذراه وكور وتبين رب الخورنق إذ أشرف || يوما وللهدى تفكير سره حاله وكثرة مايملك || والبحر معرضا والسدير فارعوى قلبه و قال فما غبطة || حى إلى الممات يصير ثم بعدالفلاح والملك والأمة || وارتهم هناك القبور ثم أضحوا كأنهم ورق جف || فألوت به الصبا والدبور قداتفق الناس على أن هذه الأبيات أحسن ماقيل من القريض فى هذاالمعنى و أن الشعراء كلهم أخذوا منها واحتذوا فى هذاالمعنى حذوها. و قال الرضى أبو الحسن رضى الله عنه انظر إلى هذاالأنام بعبرة || لايعجنك خلقه ورواؤه فتراه كالورق النضير تقصفت || أغصانه وتسلبت شجراؤه أنى تحاماه المنون وإنما || خلقت مراعى للردى خضراؤه أم كيف تأمل فلتة أجساده || من ذا الزمان وحشوها أدواؤه [صفحه ۱۷۳] لاتعجبن فما العجيب فناؤه || بيد المنون بل العجيب بقاؤه إنا لنعجب كيف حم حمامه || عن صحة ويغيب عنا داؤه من طاح فى سبل الردى آباؤه || فليسلكن طريقهم أبناؤه ومؤمر نزلوا به فى سوقة || لاشكله فيهم و لانظراؤه قد كان يفرق ظله أقرانه || ويغض دون جلاله أكفاؤه ومحجب ضربت عليه مهابة || يعشى العيون بهاؤه وضياؤه نادته من خلف الحجاب منية || أمم فكان جوابها حوباؤه شقت إليه سيوفه ورماحه || وأميط عنه عبيده وإماؤه لم يغنه من كان ود لو أنه || قبل المنون من المنون فداؤه حرم عليه الذل إلا أنه || أبدا ليشهد بالجلال بناؤه متخشع بعدالأنيس جنابه || متضائل بعدالقطين فناؤه عريان تطرد كل ريح تربه || ويطيع أول أمرها حصباؤه ولقد مررت ببرزخ فسألته || أين الألى ضمتهم أرجاؤه مثل المطى بواركا أجداثه || تسفى على جنباتها بوغاؤه ناديته فخفى على جوابه || بالقول إلا مازقت أصداؤه [صفحه ۱۷۴] من ناظر مطروفه ألحاظه || أوخاطر مظلولة سوداؤه أوواجد مكظومة زفراته || أوحاقد منسية شحناؤه ومسندين على الجنوب كأنهم || شرب تخاذل بالطلا أعضاؤه تحت الصعيد لغير إشفاق إلى || يوم المعاد يضمهم أحشاؤه أكلتهم الأرض التى ولدتهم || أكل الضروس حلت له أكلاؤه و قال أيضا وتفرق البعداء بعدتجمع || صعب فكيف تفرق القرباء وخلائق الدنيا خلائق مومس || للمنع آونة وللإعطاء طورا تبادلك الصفاء وتارة || تلقاك تنكرها من البغضاء وتداول الأيام يبلينا كما || يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء و كان طول العمر روحة راكب || قضى اللغوب وجد فى الإسراء لهفى على القوم الأولى غادرتهم || وعليهم طبق من البيداء [صفحه ۱۷۵] متوسدين على الخدود كأنما || كرعوا على ظمإ من الصهباء صور ضننت على العيون بلحظها || أمسيت أوقرها من البوغاء ونواظر كحل التراب جفونها || قدكنت أحرسها من الأقذاء قربت ضرائحهم على زوارها || ونأوا عن الطلاب أى تناء ولبئس مايلقى بعقر ديارهم || أذن المصيخ بها وعين الرائى [صفحه ۱۷۶]

۲۱۷- و من كلام له ع قاله

اشاره

يُسَبِّحُ لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ وَ الآصالِ رِجالٌ لا تُلهِيهِم تِجارَةٌ وَ لا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللّهِ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَى جَعَلَ الذّكرَ جَلاءً لِلقُلُوبِ تَسمَعُ بِهِ بَعدَ الوَقرَةِ وَ تُبصِرُ بِهِ بَعدَ العَشوَةِ وَ تَنقَادُ بِهِ بَعدَ المُعَانَدَةِ وَ مَا بَرِحَ لِلّهِ عَزّت آلَاؤُهُ فِي البُرهَةِ بَعدَ البُرهَةِ وَ فِي أَزمَانِ الفَترَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُم فِي فِكرِهِم وَ كَلّمَهُم فِي ذَاتِ عُقُولِهِم فَاستَصبَحُوا بِنُورِ يَقظَةٍ فِي الأَسمَاعِ وَ الأَبصَارِ وَ الأَفئِدَةِ يُذَكّرُونَ بِأَيّامِ اللّهِ وَ يُخَوّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنزِلَةِ الأَدِلّةِ فِي الفَلَوَاتِ مَن أَخَذَ القَصدَ حَمِدُوا إِلَيهِ طَرِيقَهُ وَ بَشّرُوهُ بِالنّجَاةِ وَ مَن أَخَذَ يَمِيناً وَ شِمَالًا ذَمّوا إِلَيهِ الطّرِيقَ وَ حَذّرُوهُ مِنَ الهَلَكَةِ وَ كَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلكَ الظّلُمَاتِ وَ أَدِلّةَ تِلكَ الشّبُهَاتِ وَ إِنّ لِلذّكرِ لَأَهلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدّنيَا بَدَلًا فَلَم تَشغَلهُم تِجَارَةٌ وَ لَا بَيعٌ عَنهُ يَقطَعُونَ بِهِ أَيّامَ الحَيَاةِ وَ يَهتِفُونَ بِالزّوَاجِرِ عَن مَحَارِمِ اللّهِ فِي أَسمَاعِ الغَافِلِينَ وَ يَأمُرُونَ بِالقِسطِ وَ يَأتَمِرُونَ بِهِ وَ يَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَ يَتَنَاهَونَ عَنهُ فَكَأَنّهُم قَطَعُوا الدّنيَا إِلَى الآخِرَةِ وَ هُم فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنّمَا -قرآن-١-٩٩ [صفحه ١٧٧] اطّلَعُوا غُيُوبَ أَهلِ البَرزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ وَ حَقّقَتِ القِيَامَةُ عَلَيهِم عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهلِ الدّنيَا حَتّى كَأَنّهُم يَرَونَ مَا لَا يَرَى النّاسُ وَ يَسمَعُونَ مَا لَا يَسمَعُونَ فَلَو مَثّلتَهُم لِعَقلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ المَحمُودَةِ وَ مَجَالِسِهِمُ المَشهُودَةِ وَ قَد نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعمَالِهِم وَ فَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنفُسِهِم عَلَى كُلّ صَغِيرَةٍ وَ كَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصّرُوا عَنهَا أَو نُهُوا عَنهَا فَفَرّطُوا فِيهَا وَ حَمّلُوا ثِقَلَ أَوزَارِهِم ظُهُورَهُم فَضَعُفُوا عَنِ الِاستِقلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَ تَجَاوَبُوا نَحِيباً يَعِجّونَ إِلَى رَبّهِم مِن مَقَامِ نَدَمٍ وَ اعتِرَافٍ لَرَأَيتَ أَعلَامَ هُدًى وَ مَصَابِيحَ دُجًى قَد حَفّت بِهِمُ المَلَائِكَةُ وَ تَنَزّلَت عَلَيهِمُ السّكِينَةُ وَ فُتِحَت لَهُم أَبوَابُ السّمَاءِ وَ أُعِدّت لَهُم مَقَاعِدُ الكَرَامَاتِ فِي مَقعَدٍ اطّلَعَ اللّهُ عَلَيهِم فِيهِ فَرَضِيَ سَعيَهُم وَ حَمِدَ مَقَامَهُم يَتَنَسّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوحَ التّجَاوُزِ رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضلِهِ وَ أُسَارَى ذِلّةٍ لِعَظَمَتِهِ جَرَحَ طُولُ الأَسَى قُلُوبَهُم وَ طُولُ البُكَاءِ عُيُونَهُم لِكُلّ بَابِ رَغبَةٍ إِلَى اللّهِ مِنهُم يَدٌ قَارِعَةٌ يَسأَلُونَ مَن لَا تَضِيقُ لَدَيهِ المَنَادِحُ وَ لَا يَخِيبُ عَلَيهِ الرّاغِبُونَ فَحَاسِب نَفسَكَ لِنَفسِكَ فَإِنّ غَيرَهَا مِنَ الأَنفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيرُكَ من قرأ يسبح له فيهابفتح الباء ارتفع رجال عنده بوجهين [صفحه ١٧٨] أحدهما أن يضمر له فعل يكون هوفاعله تقديره يسبحه رجال ودل على يسبحه يسبح كما قال الشاعر ليبك يزيد ضارع لخصومة || ومختبط مما تطيح الطوائح أى يبكيه ضارع ودل على يبكيه ليبك . والثانى أن يكون خبر مبتدإ محذوف تقديره المسبحون رجال و من قرأيُسَبّحُ لَهُ فِيهابكسر الباء فرجال فاعل وأوقع لفظ التجارة فى مقابلة لفظ البيع إما لأنه أراد بالتجارة هاهنا الشراء خاصة أولأنه عمم بالتجارة المشتملة على البيع والشراء ثم خص البيع لأنه أدخل فى باب الإلهاء لأن البيع يحصل ربحه بيقين و ليس كذلك الشراء والذكر يكون تارة باللسان وتارة بالقلب فالذى باللسان نحو التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والدعاء و ألذى بالقلب فهو التعظيم والتبجيل والاعتراف والطاعة. وجلوت السيف والقلب جلاء بالكسر وجلوت اليهود عن المدينة جلاء بالفتح . والوقرة الثقل فى الأذن والعشوة بالفتح فعله من العشا فى العين وآلاؤه نعمه . فإن قلت أى معنى تحت قوله عزت آلاؤه وعزت بمعنى قلت وهل يجوز مثل ذلك فى تعظيم الله . قلت عزت هاهنا ليس بمعنى قلت ولكن بمعنى كرمت وعظمت تقول منه عززت على فلان بالفتح أى كرمت عليه وعظمت عنده وفلان عزيز علينا أى كريم معظم . -قرآن-١٠٨-١٢٦ [صفحه ١٧٩] والبرهة من الدهر المدة الطويلة ويجوز فتح الباء. وأزمان الفترات ما يكون منها بين النوبتين . وناجاهم فى فكرهم ألهمهم بخلاف مناجاة الرسل ببعث الملائكة إليهم وكذلك وكلمهم فى ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة صار ذلك النور مصباحا لهم يستضيئون به . قوله من أخذ القصد حمدوا إليهم طريقه إلى هاهنا هى التى فى قولهم أحمد الله إليك أى منهيا ذلك إليك أومفضيا به إليك ونحو ذلك وطريقة العرب فى الحذف فى مثل هذامعلومة قال سبحانه وَ لَو نَشاءُ لَجَعَلنا مِنكُم مَلائِكَةً أى لجعلنا بدلا منكم ملائكة و قال الشاعر -قرآن-٤٤٢-٤٨٢ فليس لنا من ماء زمزم شربة || مبردة باتت على طهيان أى عوضا من ماء زمزم . قوله و من أخذ يمينا وشمالا أى ضل عن الجادة. و إلى فى قوله ذموا إليه الطريق مثل إلى الأولى . ويهتفون بالزواجر يصوتون بهاهتفت الحمامة تهتف هتفا وهتف زيد بالغنم هتافا بالكسر وقوس هتافة وهتفى أى ذات صوت . والقسط العدل ويأتمرون به يمتثلون الأمر. و قوله فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة إلى قوله

ويسمعون ما لايسمعون هوشرح قوله عن نفسه ع لوكشف الغطاء ماازددت يقينا -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۵۱ . والأوزار الذنوب والنشيج صوت البكاء والمقعد موضع القعود. [صفحه ۱۸۰] ويد قارعة تطرق باب الرحمة و هذاالكلام مجاز. والمنادح المواضع الواسعة. و على فى قوله و لايخيب عليه الراغبون متعلقة بمحذوف مثل إلى المتقدم ذكرها والتقدير نادمين عليه . والحسيب المحاسب . واعلم أن هذاالكلام فى الظاهر صفة حال القصاص والمتصدين لإنكار المنكرات أ لاتراه يقول يذكرون بأيام الله أى بالأيام التى كانت فيهاالنقمة بالعصاة ويخوفون مقامه من قوله تعالى وَ لِمَن خافَ مَقامَ رَبّهِ جَنّتانِ ثم قال فمن سلك القصد حمدوه و من عدل عن الطريق ذموا طريقه وخوفوه الهلاك ثم قال يهتفون بالزواجر عن المحارم فى أسماع الغافلين ويأمرون بالقسط وينهون عن المنكر. و هذاكله إيضاح لماقلناه أولا إن ظاهر الكلام شرح حال القصاص وأرباب المواعظ فى المجامع والطرقات والمتصدين لإنكار القبائح وباطن الكلام شرح حال العارفين الذين هم صفوة الله تعالى من خلقه و هو ع دائما يكنى عنهم ويرمز إليهم على أنه فى هذاالموضع قدصرح بهم فى قوله حتى كأنهم يرون ما لايرى الناس ويسمعون ما لايسمعون . و قدذكر من مقامات العارفين فى هذاالفصل الذكر ومحاسبة النفس والبكاء والنحيب والندم والتوبة والدعاء والفاقة والذلة والحزن و هوالأسى ألذى ذكر أنه جرح قلوبهم بطوله -قرآن-۳۸۸-۴۲۳ [صفحه ۱۸۱]

بيان أحوال العارفين

و قدكنا وعدنا بذكر مقامات العارفين فيما تقدم و هذاموضعه فنقول إن أول مقام من مقامات العارفين وأول منزل من منازل السالكين التوبة قال الله تعالى وَ تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيّهَا المُؤمِنُونَ لَعَلّكُم تُفلِحُونَ و -قرآن-۱۶۰-۲۳۳ قال النبى ص التائب من الذنب كمن لاذنب له -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۵۲ قال على ع ما من شيءأحب إلى الله من شاب تائب -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۵۷ . والتوبة فى عرف أرباب هذه الطريقة الندم على ماعمل من المخالفة وترك الزلة فى الحال والعزم على ألا يعود إلى ارتكاب معصية و ليس الندم وحده عندهؤلاء توبة و إن جاء فى الخبر الندم توبة -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۲۴ لأنه على وزان قوله ع الحج عرفة ليس على معنى أن غيرها ليس من الأركان بل المراد أنه أكبر الأركان وأهمها ومنهم من قال يكفى الندم وحده لأنه يستتبع الركنين الآخرين لاستحالة كونه نادما على ما هومصر على مثله أو ما هوعازم على الإتيان بمثله .قالوا وللتوبة شروط وترتيبات فأول ذلك انتباه القلب من رقد الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة وإنما يصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى مايخطر بباله من زواجر الحق سبحانه يسمع قلبه فإن فى الخبر النبوى عنه ص واعظ كل حال الله فى قلب كل امرئ مسلم -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۷۰ فى الخبر أن فى بدن المرء لمضغة إذاصلحت صلح جميع البدن ألا وهى القلب و إذافسدت فسد جميع البدن ألا وهى القلب -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۲۴ . [صفحه ۱۸۲] و إذافكر العبد بقلبه فى سوء صنيعه وأبصر ما هو عليه من ذميم الأفعال سنحت فى قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ فى طرق الرجوع والتأهب لأسباب التوبة. وأول ذلك هجران إخوان السوء فإنهم الذين يحملونه على رد هذاالقصد وعكس هذاالعزم ويشوشون عليه صحة هذه الإرادة و لايتم ذلك له إلابالمواظبة على المشاهد والمجالس التى تزيده رغبة فى التوبة وتوفر دواعيه إلى إتمام ماعزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل عن قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال فيقف عن تعاطى المحظورات ويكبح نفسه بلجام الخوف عن متابعة الشهوات فيفارق الزلة فى الحال ويلزم العزيمة على ألا يعود إلى مثلها فى الاستقبال فإن مضى على موجب قصده ونفذ على مقتضى عزمه فهو الموفق حقا و إن نقض التوبة مرة أومرات ثم حملته إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذاكثيرا فلاينبغى قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فإن لكل

أجل كتابا و قدحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال اختلفت إلى مجلس قاص فأثر كلامه فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى شيءفعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقى من كلامه فى قلبى أثر فى الطريق ثم زال ثم عدت ثالثا فوقر كلامه فى قلبى وثبت حتى رجعت إلى منزلى وكسرت آلات المخالفة ولزمت الطريق . وحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال عصفور اصطاد كركيا يعنى بالعصفور القاص وبالكركى أباسليمان . ويحكى أن أباحفص الحداد ذكر بدايته فقال تركت ذلك العمل يعنى المعصية كذا وكذا مرة ثم عدت إليها ثم تركنى العمل فلم أعد إليه . [صفحه ۱۸۳] وقيل إن بعض المريدين تاب ثم وقعت له فترة و كان يفكر و يقول أترى لوعدت إلى التوبة كيف كان يكون حكمى فهتف به هاتف يافلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك و إن عدت إلينا قبلناك فعاد الفتى إلى الإرادة. و قال أبو على الدقاق التوبة على ثلاثة أقسام فأولها التوبة وأوسطها الإنابة وآخرها الأوبة فجعل التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطة بينهما والمعنى أن من تاب خوفا من العقاب فهو صاحب التوبة و من تاب طمعا فى الثواب فهو صاحب الإنابة و من تاب مراعاة للأمر فقط فهو صاحب الأوبة. و قال بو على أيضا التوبة صفة المؤمنين قال سبحانه وَ تُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيّهَا المُؤمِنُونَ والإنابة صفة الأولياء قال سبحانه وَ جاءَ بِقَلبٍ مُنِيبٍ والأوبة صفة الأنبياء قال سبحانه نِعمَ العَبدُ إِنّهُ أَوّابٌ. و قال الجنيد دخلت على السرى يوما فوجدته متغيرا فسألته فقال دخل على شاب فسألنى عن التوبة فقلت ألا تنسى ذنبك فقال بل التوبة ألا تذكر ذنبك قال الجنيد فقلت له إن الأمر عندى ماقاله الشاب قال كيف قلت لأنى إذاكنت فى حال الجفاء فنقلنى إلى حال الصفاء فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء فسكت السرى. و قال ذو النون المصرى الاستغفار من غيرإقلاع توبة الكذابين . وسئل البوشنجى عن التوبة فقال إذاذكرت الذنب ثم لاتجد حلاوته عندذكره فذاك حقيقة التوبة. -قرآن-۵۵۹-۶۱۱-قرآن-۶۴۶-۶۶۸-قرآن-۷۰۲-۷۲۹ [صفحه ۱۸۴] و قال ذو النون حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ثم تضيق عليك نفسك كماأخبر الله تعالى فى كتابه بقوله حَتّى إِذا ضاقَت عَلَيهِمُ الأَرضُ بِما رَحُبَت وَ ضاقَت عَلَيهِم أَنفُسُهُم وَ ظَنّوا أَن لا مَلجَأَ مِنَ اللّهِ إِلّا إِلَيهِ ثُمّ تابَ عَلَيهِم. وقيل لأبى حفص الحداد لم تبغض الدنيا فقال لأنى باشرت فيهاالذنوب قيل فهلا أحببتها لأنك وفقت فيهاللتوبة فقال أنا من الذنب على يقين و من هذه التوبة على ظن . و قال رجل لرابعة العدوية إنى قدأكثرت من الذنوب والمعاصى فهل يتوب على أن تبت قالت لابل لوتاب عليك لتبت .قالوا و لما كان الله تعالى يقول فى كتابه العزيزإِنّ اللّهَ يُحِبّ التّوّابِينَدلنا ذلك على محبته لمن صحت له حقيقة التوبة و لاشبهة أن من قارف الزلة فهو من خطئه على يقين فإذاتاب فإنه من القبول على شك لاسيما إذا كان من شرط القبول محبة الحق سبحانه له و إلى أن يبلغ العاصى محلا يجد فى أوصافه أمارة محبة الله تعالى إياه مسافة بعيدة فالواجب إذا على العبد إذاعلم أنه ارتكب مايجب عنه التوبة دوام الانكسار وملازمة التنصل والاستغفار كماقيل استشعار الوجل إلى الأجل . -قرآن-۱۴۲-۲۸۷-قرآن-۶۲۵-۶۵۵ و كان من سنته ع دوام الاستغفار و قال إنه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة -روايت-۱-۹۹ . [صفحه ۱۸۵] و قال يحيى بن معاذ زلة واحدة بعدالتوبة أقبح من سبعين قبلها. ويحكى أن على بن عيسى الوزير ركب فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذافقالت امرأة قائمة على السطح إلى متى تقولون من هذا من هذا هذا عبدسقط من عين الله فابتلاه بما ترون فسمع على بن عيسى كلامها فرجع إلى منزله و لم يزل يتوصل فى الاستعفاء من الوزارة حتى أعفى وذهب إلى مكة فجاور بها. ومنها المجاهد و قدقلنا فيها مايكفى فيما تقدم . ومنها العزلة والخلوة و قدذكرنا فى جزء قبل هذاالجزء مما جاء فى ذلك طرفا صالحا ومنها التقوى وهى الخوف من معصية الله و من مظالم العباد قال سبحانه إِنّ أَكرَمَكُم عِندَ اللّهِ أَتقاكُم و -قرآن-۵۷۸-۶۱۴ قيل إن رجلا جاء إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أوصنى فقال عليك بتقوى الله فإنه جماع كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلم وعليك بذكر الله فإنه نور لك -روايت-۱-۲-روايت-۷-۱۷۷ . وقيل فى تفسير قوله تعالى اتّقُوا اللّهَ حَقّ تُقاتِهِ أن يطاع فلايعصى ويذكر فلاينسى ويشكر فلايكفر. -قرآن-۳۰-۵۷ [صفحه ۱۸۶] و قال

النصرآباذى من لزم التقوى بادر إلى مفارقة الـدنيا لأن الله تعالى يقول وَ لَدارُ الآخِرَةِ خَيرٌ لِلّذِينَ اتّقَوا. وقيل يستدل على تقوى الرجل بثلاث التوكل فيما لم ينل والرضا بما قدنال وحسن الصبر على مافات . و كان يقال من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه . و قدحكوا من حكايات المتقين شيئا كثيرا مثل مايحكى عن ابن سيرين أنه اشترى أربعين حبا سمنا فأخرج غلامه فأرة من حب فسأله من أى حب أخرجها قال لاأدرى فصبها كلها. وحكى أن أبايزيد البسطامى غسل ثوبه فى الصحراء ومعه مصاحب له فقال صاحبه نضرب هذاالوتد فى جدار هذاالبستان ونبسط الثوب عليه فقال لايجوز ضرب الوتد فى جدار الناس قال فنعلقه على شجرة حتى يجف قال يكسر الأغصان فقال نبسطه على الإذخر قال إنه علف الدواب لايجوز أن نستره منها فولى ظهره قبل الشمس وجعل القميص على ظهره حتى جف أحد جانبيه ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر. ومنها الورع و هواجتناب الشبهات و -قرآن-٨٢-١٢۴ قال ص لأبى هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس -روايت-١-٢-روايت-٢٢-۴٨ و قال بو بكر كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع فى باب واحد من الحرام . [صفحه ١٨٧] و كان يقال الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة والزهد فى الرئاسة أشد منه فى الذهب والفضة لأنك تبذلهما فى طلب الرئاسة. و قال أبو عبد الله الجلاء أعرف من أقام بمكة ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم إلا مااستقاه بركوته ورشائه . و قال بشر بن الحارث أشد الأعمال ثلاثة الجود فى القلة والورع فى الخلوة وكلمة الحق عند من يخاف ويرجى . ويقال إن أخت بشر بن الحارث جاءت إلى أحمد بن حنبل فقالت إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الطاهرية فيقع شعاعها علينا أفيجوز لنا الغزل فى ضوئها فقال أحمد من أنت ياأمة الله قالت أخت بشر الحافى فبكى أحمد و قال من بيتكم خرج الورع لاتغزلى فى ضوء مشاعلهم . وحكى بعضهم قال مررت بالبصرة فى بعض الشوارع فإذابمشايخ قعود وصبيان يلعبون فقلت أ ماتستحيون من هؤلاء المشايخ فقال غلام من بينهم هؤلاء المشايخ قل ورعهم فقلت هيبتهم . ويقال إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ماصح له أن يأكل من تمر البصرة و لا من رطبها حتى مات و لم يذقه و كان إذاانقضى أوان الرطب يقول يا أهل البصرة هذابطنى مانقص منه شىءسواء على أكلت من رطبكم أو لم آكل . و قال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة. ودخل الحسن مكة فرأى غلاما من ولد على بن أبى طالب قدأسند ظهره إلى [صفحه ١٨٨] الكعبة و هويعظ الناس فقال له الحسن ماملاك الدين قال الورع قال فما آفته قال الطمع فجعل الحسن يتعجب منه . و قال سهل بن عبد الله من لم يصحبه الورع أكل رأس الفيل و لم يشبع . وحمل إلى عمر بن عبدالعزيز مسك من الغنائم فقبض على مشمه و قال إنما ينتفع من هذابريحه و أناأكره أن أجد ريحه دون المسلمين . وسئل أبوعثمان الحريرى عن الورع فقال كان أبوصالح بن حمدون عندصديق له و هو فى النزع فمات الرجل فنفث أبوصالح فى السراج فأطفأه فقيل له فى ذلك فقال إلى الآن كان الدهن ألذى فى المسرجة له فلما مات صار إلى الورثة. ومنها الزهد و قدتكلموا فى حقيقته فقال سفيان الثورى الزهد فى الدنيا قصر الأمل . و قال الخواص الزهد أن تترك الدنيا فلاتبالى من أخذها. و قال أبوسليمان الدارانى الزهد ترك كل مايشغل عن الله . وقيل الزهد تحت كلمتين من القرآن العزيزلِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُم وَ لا تَفرَحُوا بِما آتاكُم. و كان يقال من صدق فى زهده أتته الدنيا وهى راغمة ولهذا قيل لوسقطت قلنسوة من السماء لماوقعت إلا على رأس من لايريدها. و قال يحيى بن معاذ الزهد يسعطك الخل والخردل والعرفان يشمك المسك والعنبر. -قرآن-٧٩٨-٨۵۶[صفحه ١٨٩] وقيل لبعضهم ماالزهد فى الدنيا قال ترك ما فيها على من فيها. و قال رجل لذى النون المصرى متى ترانى أزهد فى الدنيا قال إذازهدت فى نفسك . و قال رجل ليحيى بن معاذ متى ترانى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد بين الزاهدين فقال إذاصرت من رياضتك لنفسك فى السر إلى حد لوقطع الله عنك القوت ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك و لا فى يقينك فأما ما لم تبلغ إلى هذه الدرجة فقعودك على بساط الزاهدين جهل ثم لاآمن أن تفتضح . و قال أحمد بن حنبل الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام و هوزهد العوام وترك الفضول من الحلال و

هوزهد الخواص وترک کل مایشغلک عن الله و هوزهد العارفین . و قال یحیی بن معاذ الدنیا کالعروس فطالبها کماشطتها تحسن وجهها وتعطر ثوبها والزاهد فیهاکضرتها تسخم وجهها وتنتف شعرها وتحرق ثوبها والعارف مشتغل بالله لایلتفت إلیها و لایشعر بها. و کان النصرآباذی یقول فی مناجاته یا من حقن دماء الزاهدین وسفک دماء العارفین . و کان یقال إن الله تعالی جعل الخیر کله فی بیت وجعل مفتاحه الزهد وجعل الشر کله فی بیت وجعل مفتاحه حب الدنیا. ومنها الصمت وقدمنا فیما سبق من الأجزاء نکتا نافعة فی هذاالمعنی ونذکر الآن شیئا آخر قال رسول الله ص من کان یؤمن بالله والیوم الآخر فلایؤذین جاره و من کان یؤمن بالله والیوم الآخر فلیکرم ضیفه و من کان یؤمن بالله والیوم الآخر فلیقل خیرا أوفلیصمت –روایت–۱–۲–روایت–۲۳–۱۸۵ . [صفحه ۱۹۰] و قال أصحاب هذاالعلم الصمت من آداب الحضرة قال الله تعالی وَ إِذا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَ أَنصِتُوا. و قال مخبرا عن الجن فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أَنصِتُوا. و قال الله تعالی مخبرا عن یوم القیامةوَ خَشَعَتِ الأَصواتُ لِلرّحمنِ فَلا تَسمَعُ إِلّا هَمساً. وقالوا کم بین عبدسکت تصونا عن الکذب والغیبة و عبدسکت لاستیلاء سلطان الهیبة. وأنشدوا –قرآن–۶۵–۱۱۹–قرآن–۱۴۲–۱۷۵–قرآن–۲۱۸–۲۷۴ أرتب ماأقول إذاافترقنا || وأحکم دائما حجج المقال فأنساها إذانحن التقینا || وأنطق حین أنطق بالمحال . وأنشدوا فیا لیل کم من حاجة لی مهمة || إذاجئتکم لم أدر باللیل ماهیا .قالوا وربما کان سبب الصمت والسکوت حیرة البدیهة فإنه إذاورد کشف بغتة خرست العبارات عند ذلک فلابیان و لانطق وطمست الشواهد فلاعلم و لاحس قال الله تعالی یَومَ یَجمَعُ اللّهُ الرّسُلَ فَیَقُولُ ما ذا أُجِبتُم قالُوا لا عِلمَ لَنا إِنّکَ أَنتَ عَلّامُ الغُیُوبِفأما إیثار أرباب المجاهدة الصمت فلما علموا فی الکلام من الآفات ثم ما فیه من حظ النفس وإظهار صفات المدح والمیل إلی أن یتمیز من بین أشکاله بحسن النطق و غیر ذلک من ضروب آفات الکلام و هذانعت أرباب –قرآن–۱۶۶–۲۷۱ [صفحه ۱۹۱] الریاضة و هوأحد أرکانهم فی حکم مجاهدة النفس ومنازلتها وتهذیب الأخلاق . ویقال إن داود الطائی لماأراد أن یقعد فی بیته اعتقد أن یحضر مجلس أبی حنیفة لأنه کان تلمیذا له ویقعد بین أضرابه من العلماء و لایتکلم فی مسألة علی سبیل ریاضته نفسه فلما قویت نفسه علی ممارسة هذه الخصلة سنة کاملة قعد فی بیته عند ذلک وآثر العزلة. ویقال إن عمر بن عبدالعزیز کان إذاکتب کتابا فاستحسن لفظه مزق الکتاب وغیره . و قال بشر بن الحارث إذاأعجبک الکلام فاصمت فإذاأعجبک الصمت فتکلم و قال سهل بن عبد الله لایصح لأحد الصمت حتی یلزم نفسه الخلوة و لایصح لأحد التوبة حتی یلزم نفسه الصمت . ومنها الخوف قال الله تعالی یَدعُونَ رَبّهُم خَوفاً وَ طَمَعاً. و قال تعالی وَ إِیّایَ فَارهَبُونِ. و قال یَخافُونَ رَبّهُم مِن فَوقِهِم. أبو علی الدقاق الخوف علی مراتب خوف وخشیة وهیبة.فالخوف من شروط الإیمان وقضایاه قال الله تعالی فَلا تَخافُوهُم وَ خافُونِ إِن کُنتُم مُؤمِنِینَ. والخشیة من شروط العلم قال الله تعالی إِنّما یَخشَی اللّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ. –قرآن–۶۲۹–۶۶۲–قرآن–۶۷۸–۷۰۰–قرآن–۷۰۹–۷۳۸–قرآن–۸۴۳–۸۹۰–قرآن–۹۳۳–۹۷۶ [صفحه ۱۹۲] والهیبة من شروط المعرفة قال سبحانه وَ یُحَذّرُکُمُ اللّهُ نَفسَهُ. و قال أبوعمر الدمشقی الخائف من یخاف من نفسه أکثر مما یخاف من الشیطان . و قال بعضهم من خاف من شیءهرب منه و من خاف الله هرب إلیه . و قال أبوسلیمان الدارانی مافارق الخوف قلبا إلاخرب ومنها الرجاء و قدقدمنا فیما قبل من ذکر الخوف والرجاء طرفا صالحا قال سبحانه مَن کانَ یَرجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍ. والفرق بین الرجاء والتمنی وکون أحدهما محمودا والآخر مذموما أن التمنی ألا یسلک طریق الاجتهاد والجد والرجاء بخلاف ذلک فلهذا کان التمنی یورث صاحبه الکسل . و قال أبو علی الروذباری الرجاء والخوف کجناحی الطائر إذااستویا استوی الطائر وتم طیرانه و إذانقص أحدهما وقع فیه النقص و إذاذهبا صار الطائر فی حد الموت . و قال أبوعثمان المغربی من حمل نفسه علی الرجاء تعطل و من حمل نفسه علی الخوف قنط ولکن من هذامرة و من هذامرة. و –قرآن–۳۷–۶۶–قرآن–۳۴۴–۴۰۰ من کلام یحیی بن معاذ ویروی عن علی بن الحسین ع یکاد رجائی لک مع الذنوب یغلب رجائی لک مع الأعمال لأنی أجدنی أعتمد فی الأعمال علی –روایت–۱–۲–روایت–۵۷–ادامه دارد [صفحه ۱۹۳] الإخلاص

وكيف أحرزها و أنابالآفة معروف وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لاتغفرها و أنت بالجود موصوف -روايت-از قبل-١١٣ . ومنها الحزن و هو من أوصاف أهل السلوك . و قال أبو على الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله فى شهر ما لايقطعه من فقد الحزن فى سنتين . فى الخبر النبوى‌ص إن الله يحب كل قلب حزين -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٥٢ . و فى بعض كتب النبوات القديمة إذاأحب الله عبدا نصب فى قلبه نائحة و إذاأبغض عبدا جعل فى قلبه مزمارا. وروى أن رسول الله ص كان متواصل الأحزان دائم الفكر. وقيل إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن الدار إذا لم يكن فيهاساكن خربت . وسمعت رابعة رجلا يقول وا حزناه فقالت قل وا قلة حزناه لوكنت محزونا ماتهيأ لك أن تتنفس . و قال سفيان بن عيينة لو أن محزونا بكى فى أمة لرحم الله تلك الأمة ببكائه . و كان بعض هؤلاء القوم إذاسافر واحد من أصحابه يقول إذارأيت محزونا فأقرئه عنى السلام . و كان الحسن البصرى لايراه أحد إلاظن أنه حديث عهد بمصيبة. و قال وكيع يوم مات الفضيل ذهب الحزن اليوم من الأرض . و قال بعض السلف أكثر مايجده المؤمن فى صحيفته من الحسنات الحزن والهم . [صفحه ١٩٤] و قال الفضيل أدركت السلف يقولون إن لله فى كل شى‌ءزكاة وزكاة العقل طول الحزن . ومنها الجوع وترك الشهوات و قدتقدم ذكر ذلك . ومنها الخشوع والتواضع قال سبحانه الَّذِينَ هُم فِي صَلاتِهِم خاشِعُونَ و -قرآن-١٧١-٢٠٦ فى الخبر النبوى عنه ص لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر و لايدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يا رسول الله إن المرء ليحب أن يكون ثوبه حسنا فقال إن الله جميل يحب الجمال إنما المتكبر من بطر الحق وغمص الناس -روايت-١-٢-روايت-٢٨-٢٥٨ روى أنس بن مالك أن رسول الله ص كان يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٠٥ . و كان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف . ودخل مكة يوم فتحها راكب بعير برحل خلق و إن ذقنه لتمس وسط الرحل خضوعا لله تعالى وخشوعا وجيشه يومئذ عشرة آلاف .قالوا فى حد الخشوع هوالانقياد للحق و فى التواضع هوالاستسلام وترك الاعتراض على الحكم . و قال بعضهم الخشوع قيام القلب بين يدى الحق بهم مجموع . و قال حذيفة بن اليمان أول ماتفقدون من دينكم الخشوع . [صفحه ١٩٥] و كان يقال من علامات الخشوع أن العبد إذاأغضب أوخولف أورد عليه استقبل ذلك بالقبول . و قال محمد بن على الترمذى الخاشع من خمدت نيران شهوته وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم فى قلبه فماتت حواسه وحيى قلبه وتطامنت جوارحه . و قال الحسن الخشوع هوالخوف الدائم اللازم للقلب . و قال الجنيد الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب قال الله تعالى وَ عِبادُ الرَّحمنِ الَّذِينَ يَمشُونَ عَلَى الأَرضِ هَوناً أى خاشعون متواضعون . ورأى بعضهم رجلا منقبض الظاهر منكسر الشاهد قدزوى منكبيه فقال يافلان الخشوع هاهنا وأشار إلى صدره لاهاهنا وأشار إلى منكبيه . و -قرآن-٣٦٣-٤١٩ روى أن رسول الله ص رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال لوخشع قلب هذاالخشعت جوارحه -روايت-١-٢-روايت-٧-٩٦ . وقيل شرط الخشوع فى الصلاة ألا يعرف من على يمينه و لا من على شماله . و قال بعض الصوفية الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عندمفاجأة كشف الحقيقة. و كان يقال من لم يتضع عندنفسه لم يرتفع عندغيره . وقيل إن عمر بن عبدالعزيز لم يكن يسجد إلا على التراب . و كان عمر بن الخطاب يسرع فى المشى و يقول هوأنجح للحاجة وأبعد من الزهو. كان رجاء بن حيوة ليلة عندعمر بن عبدالعزيز و هوخليفة فضعف المصباح فقام رجل ليصلحه فقال اجلس فليس من الكرم أن يستخدم المرء ضيفه فقال [صفحه ١٩٦] أنبه الغلام قال إنها أول نومه نامها ثم قام بنفسه فأصلح السراج فقال رجاء أتقوم إلى السراج و أنت أمير المؤمنين قال قمت و أناعمر بن عبدالعزيز ورجعت و أناعمر بن عبدالعزيز. و فى حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ص كان يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معها إذاأعيت و كان لايمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى منزل أهله و كان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتدئا و لايحقر مادعى إليه و لو إلى حشف التمر و كان هين المئونة لين الخلق كريم السجية جميل المعاشرة طلق الوجه

بساما من غيرضحک محزونا من غيرعبوس متواضعا من غيرذلة جوادا من غيرسرف رقيق القلب رحيما لكل مسلم ماتجشأ قط من شبع و لامد يده إلى طبع -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٥٢۴ . و قال الفضيل أوحى الله إلى الجبال أنى مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله عليه موسى لتواضعه .سئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح ولين الجانب . ابن المبارک التكبر على الأغنياء والتواضع للفقراء من التواضع . وقيل لأبى يزيد متى يكون الرجل متواضعا قال إذا لم ير لنفسه مقاما و لاحالا و لايرى أن فى الخلق من هوشر منه . و كان يقال التواضع نعمة لايحسد عليها والتكبر محنة لايرحم منها والعز فى التواضع فمن طلبه فى الكبر لم يجده . و كان يقال الشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة.يحيى بن معاذ التواضع حسن فى كل أحد لكنه فى الأغنياء أحسن والتكبر سمج فى كل أحد ولكنه فى الفقراء أسمج . [صفحه ١٩٧] وركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله فقال إنا كذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد أرنى يدک فأخرجها فقبلها فقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا. و قال عروة بن الزبير رأيت عمر بن الخطاب عليه رضوان الله تعالى و على عاتقه قربة ماء فقلت يا أمير المؤمنين إنه لاينبغى لمثلک هذا فقال إنه لماأتتنى الوفود سامعة مهادنة دخلت نفسى نخوة فأحببت أن أكسرها ومضى بالقربة إلى حجرة امرأة من الأنصار فأفرغها فى إنائها. أبوسليمان الدارانى من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة.يحيى بن معاذ التكبر على من تكبر عليک تواضع .بشر الحافى سلموا على أبناء الدنيا بترک السلام عليهم بلغ عمر بن عبدالعزيز أن ابنا له اشترى خاتما بألف درهم فكتب إليه بلغنى أنک اشتريت خاتما وفصه بألف درهم فإذاأتاک كتابى فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن واتخذ خاتما من درهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدره .قومت ثياب عمر بن عبدالعزيز و هويخطب أيام خلافته باثنى عشر درهما وهى قباء وعمامة وقميص وسراويل ورداء وخفان وقلنسوة. و قال ابراهيم بن أدهم ماسررت قط سرورى فى أيام ثلاثة كنت فى سفينة و فيها رجل مضحک كان يلعب لأهل السفينة فيقول كنا نأخذ العلج من بلاد الترک هكذا ويأخذ بشعر رأسى فيهزنى فسرنى ذلک لأنه لم يكن فى تلک السفينة أحقر منى فى عينه وكنت عليلا فى مسجد فدخل المؤذن و قال اخرج فلم أطق فأخذ [صفحه ١٩٨] برجلى وجرنى إلى خارج المسجد وكنت بالشام و على فرو فنظرت إليه فلم أميز بين الشعر و بين القمل لكثرته .عرض على بعض الأمراء مملوک بألوف من الدراهم فاستكثر الثمن فقال العبد اشترنى يامولاى ففى خصلة تساوى أكثر من هذاالثمن قال ماهى قال لوقدمتنى على جميع مماليک وخولتنى بكل مالک لم أغلظ فى نفسى بل أعلم أنى عبدک فاشتراه . تشاجر أبوذر وبلال فعير أبوذر بلالا بالسواد فشكاه إلى رسول الله ص فقال يا أباذر ماعلمت أنه قدبقى فى قلبک شىء من كبر الجاهلية فألقى أبوذر نفسه وحلف ألا يحمل رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه فما رفع رأسه حتى فعل بلال ذلک -روايت-١-٢٣٨ مر الحسن بن على ع بصبيان يلعبون و بين أيديهم كسر خبز يأكلونها فدعوه فنزل وأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم وكساهم و قال الفضل لهم لأنهم لم يجدوا غير ماأطعمونى ونحن نجد أكثر مما أطعمناهم -روايت-١-٢١٠ . ومنها مخالفة النفس وذكر عيوبها و قدتقدم ذكر ذلک . ومنها القناعة قال الله تعالى مَن عَمِلَ صالِحاً مِن ذَكَرٍ أَو أُنثى وَ هُوَ مُؤمِنٌ فَلَنُحيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً قال كثير من المفسرين هى القناعة. و -قرآن-٨۶-١٧٢ فى الحديث النبوى ويقال إنه من كلام أمير المؤمنين ع القناعة كنز لاينفد -روايت-١-٢-روايت-۶١-٨٠ [صفحه ١٩٩] فى الحديث النبوى أيضا كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنوعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ماتحب لنفسک تكن مؤمنا وأحسن مجاورة من جاورک تكن مسلما وأقل الضحک فإن كثرة الضحک تميت القلب -روايت-١-٢-روايت-٢٧-١٩۶ . و كان يقال الفقراء أموات إلا من أحياه الله تعالى بعز القناعة. و قال أبوسليمان الدارانى القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذاأول الرضا و هذاأول الزهد. وقيل القناعة سكون النفس وعدم انزعاجها عندعدم المألوفات . وقيل فى تفسير قوله تعالى لَيَرزُقَنّهُمُ اللّهُ رِزقاً حَسَناً أنه القناعة. و قال أبوبكر المراغى العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف وأنكر أبو عبد الله بن

خفيف فقال القناعة ترك التسويف بالمفقود والاستغناء بالموجود. و كان يقال خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا. و كان يقال من كانت قناعته سمينة طابت له كل مرقة.مر أبوحازم الأعرج بقصاب فقال له خذ يا أباحازم فقال ليس معى درهم قال أناأنظرك قال نفسى أحسن نظرة لى منك . وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع العز فى الطاعة والذل فى المعصية والهيبة فى قيام الليل والحكمة فى البطن الخالى والغنى فى القناعة. و كان يقال انتقم من فلان بالقناعة كماتنتقم من قاتلك بالقصاص .ذو النون المصرى من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على أقرانه . وأنشدوا -قرآن-٢٥٧-٢٩٣ وأحسن بالفتى من يوم عار || ينال به الغنى كرم وجوع [صفحه ٢٠٠] ورأى رجل حكيما يأكل ماتساقط من البقل على رأس الماء فقال له لوخدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا فقال و أنت لوقنعت بهذا لم تحتج إلى خدمة السلطان . وقيل العقاب عزيز فى مطاره لاتسمو إليه مطامع الصيادين فإذاطمع فى جيفة علقت على حباله نزل من مطاره فنشب فى الأحبولة. وقيل لمانطق موسى بذكر الطمع فقال لَو شِئتَ لَاتّخَذتَ عَلَيهِ أَجراً قال له الخضرهذا فِراقُ بيَنيِ وَ بَينِكَ وفسر بعضهم قوله هَب لِي مُلكاً لا ينَبغَيِ لِأَحَدٍ مِن بعَديِ فقال مقاما فى القناعة لايبلغه أحد. ومنها التوكل قال الله تعالى وَ مَن يَتَوَكّل عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسبُهُ و قال سهل بن عبد الله أول مقام فى التوكل أن يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف يشاء لا يكون له حركة و لاتدبير. و قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل فقال وَ لِلّهِ خَزائِنُ السّماواتِ وَ الأَرضِ وَ لكِنّ المُنافِقِينَ لا يَفقَهُونَ. و قال أصحاب هذاالشأن التوكل بالقلب و ليس ينافيه الحركة بالجسد بعد أن يتحقق العبد أن التقدير من الله فإن تعسر شيءفبتقديره و أن تسهل فبتيسيره . -قرآن-٣٢٢-٣٥٦-قرآن-٣٧١-٣٩٩-قرآن-٤١٨-٤٦٥-قرآن-٥٣٤-٥٧٧-قرآن-٧٧٥-٨٥١ [صفحه ٢٠١] و فى الخبر النبوى أنه ع قال للأعرابى ألذى ترك ناقته مهملة فندت فلما قيل له قال توكلت فتركتها فقال ع اعقل وتوكل -روايت-١-٢-روايت-٢٠-١٢٦ . و قال ذو النون التوكل الانخلاع من الحول والقوة وترك تدبير الأسباب و قال بعضهم التوكل رد العيش إلى يوم واحد بإسقاط هم غد. و قال أبو على الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل و هوأدناها ثم التسليم ثم التفويض فالأولى للعوام والثانية للخواص والثالثة لخواص الخواص .جاء رجل إلى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال فقال ارجع إلى بيتك فمن وجدت منهم ليس رزقه على الله فأخرجه من البيت . و قال سهل بن عبد الله من طعن فى التوكل فقط طعن فى الإيمان و من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة. و كان يقال المتوكل كالطفل لايعرف شيئا يأوى إليه إلاثدى أمه كذلك المتوكل لايهتدى إلا إلى ربه . ورأى أبوسليمان الدارانى رجلا بمكة لايتناول شيئا إلاشربة من ماء زمزم فمضت عليه أيام فقال له يوما أرأيت لوغارت أى زمزم أى شيءكنت تشرب فقام وقبل رأسه و قال جزاك الله خيرا حيث أرشدتنى فإنى كنت أعبد زمزم منذ أيام ثم تركه ومضى . وقيل التوكل نفى الشكوك والتفويض إلى مالك الملوك . ودخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق قال إن علمتم فى أى موضع هوفاطلبوه قالوا فنسأل الله ذلك قال إن علمتم أنه ينساكم فذكروه قالوا لندخل البيت فنتوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة. [صفحه ٢٠٢] وقيل التوكل الثقة بالله واليأس عما فى أيدى الناس . ومنها الشكر و قدتقدم منا ذكر كثير مما قيل فيه . ومنها اليقين و هومقام جليل قال الله تعالى وَ بِالآخِرَةِ هُم يُوقِنُونَ و -قرآن-١٥٥-١٨٣ قال على بن أبى طالب ع لوكشف الغطاءماازددت يقينا -روايت-١-٢-روايت-٣٠-٦٠ . و قال سهل بن عبد الله حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين و فيه شكوى إلى غير الله . و ذكر للنبىص مايقال عن عيسى ابن مريم ع أنه مشى على الماء فقال لوازداد يقينا لمشى على الهواء -روايت-١-١٠١ فى الخبر المرفوع عنه ص أنه قال لعبد الله بن مسعود لاترضين أحدا بسخط الله و لاتحمدن أحدا على فضل الله و لاتذمن أحدا على ما لم يؤتك الله واعلم أن الرزق لايسوقه حرص حريص و لايرده كراهة كاره و أن الله جعل الروح والفرج فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٢٩٧ . ومنها الصبر قال الله تعالى وَ اصبِر وَ ما صَبرُكَ إِلّا بِاللّهِ و -قرآن-٣٢-٦٨ قال على ع الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد -روايت-١-٢-روايت-١٦-٥٧ . وسئل

الفضـيل عن الصبر قال تجرع المرارة من غيرتعبيس . و قال رويم الصبر ترک الشكوی . [صفحه ۲۰۳] و قال علی ع الصبر مطية لاتكبو -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۳۴ .وقف رجل علی الشبلی فقال أی صبر أشد علی الصابرين قال الشبلی الصبر فی الله تعالی فقال لا قال فالصبر لله فقال لا قال فالصبر مع الله تعالی فقال لا قال فأی شـیء قال الصبر عن الله فصرخ الشبلی صرخة عظيمة ووقع . ويقال إن الشـبلی حبس فی المارستان فدخل عليه قوم فقال من أنتم قالوا محبوک جئناک زائرين فرماهم بالحجارة فهربوا فقال لوكنتم أحبـای لصبرتم علی بلائی و جـاء فی بعض الأخبـار عن الله تعـالی بعينی مايتحمل المتحملون من أجلی -روايت-۱-۲-روايت-۳۹-۷۵ قـال عمر بن الخطـاب لو كـان الصبـر والشـكر بعيرين لم أبـال أيهمـا ركبت -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۷۲ فی الحديث المرفوع الإيمان الصبر والسخاء -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۴۶ فی الخبر العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قائده والرفق والده والبر أخوه والصبر أميرجنوده قالوا فناهيک بشـرف خصـلة تتأمر علی هذه الخصال والمعنی أن الثبات علی هذه الخصال واسـتدامة التخلق بهاإنما يكون بالصبر فلذلک كان أميرالجنود -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۲۶۸ جاء فی الخبر عن النبی ص أن سائلاـ سأله عن الإحسان فقال أن تعبـد الله كأنک تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراک -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۱۱۹ . و هـذه إشارة إلی حال المراقبـة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب عليه فاسـتدامة العبد لهذا العلم مراقبة للحق و هوأصـل كل خير و لايكاد يصل إلی هذه الرتبة إلا بعدفراغه عن المحاسبة فإذاحاسب نفسه علی ماسلف وأصلح حاله فی الوقت [صفحه ۲۰۴] ولاـزم طريق الحق وأحسن بينه و بين الله تعـالی بمراعـاة القلب وحفظ مع الله سـبحانه الأنفاس راقبه تعالی فی عموم أحواله فيعلم أنه تعـالی رقيب عليه يعلم أحـواله ويری أفعـاله ويسـمع أقواله و من تغافـل عن هـذه الجملـة فهو بمعزل عن بدايـة الوصـلة فكيف عن حقائق القربة. ويحكی أن ملكا كان يتحظی جارية له و كان لوزيره ميل باطن إليها فكان يسـعی فی مصالحها ويرجح جانبهـا علی جانب غيرها من حظايا الملک ونسائه فاتفق أن عرض عليها الملک حجرين من الياقوت الأحمر أحـدهما أنفس من الآخر بمحضـر من وزيره فتحيرت أيهما تأخـذ فأومأ الوزير بعينه إلی الحجر الأنفس وحانت من الملک التفاته فشاهد عين الوزير وهی مائلة إلی ذلک الجانب فبقی الوزير بعدها أربعين سـنة لايراه الملک قط إلاكاسـرا عينه نحو الجانب ألذی كان طرفه مائلا إليه ذلک اليوم أی كأن ذلک خلقة و هذاعزم قوی فی المراقبة ومثله فليكن حال من يريد الوصول . ويحكی أيضا أن أميرا كان له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله علی غيره من مماليكه و لم يكن أكثرهم قيمـة و لاأحسـنهم صورة فقيل له فی ذلک فأحب أن يبين لهم فضل الغلام فی الخدمة علی غيره فكان يوما راكبا ومعه حشمه وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الأمير إلی الثلج وأطرق فركض الغلاـم فرسه و لم يعلم الغلمـان لمـاذا ركض فلم يلبث إلاقليلا حتی جاء ومعه شـیء من الثلـج فقال الأمير ماأدراک أنی أردت الثلج فقال إنک نظرت إليه ونظر السلطان إلی شیء لا يكون إلا عن قصد فقال الأمير لغلمانه إنما أختصه بإكرامی وإقبالی لأن لكل واحد منكم شـغلا وشغله مراعاة لحظاتی ومراقبة أحوالی. [صفحه ۲۰۵] و قال بعضـهم من راقب الله فی خواطره عصمه الله فی جوارحه . ومنها الرضا و هو أن يرضـی العبـد بالشدائـد والمصائب التی يقضـيها الله تعالی عليه و ليس المراد بالرضا رضـا العبد بالمعاصـی والفواحش أونسـبتها إلی الرب تعالی عنها فإنه سـبحانه لايرضاها كما قال جل جلاله وَ لا يَرضی لِعِبادِهِ الكُفرَ. و قـال كُلّ ذلِکَ كانَ سَـيّئُهُ عِنـدَ رَبّکَ مَكرُوهاً. قال رويـم الرضا أن لوأدخلک جهنم لماسـخطت عليه . وقيل لبعضـهم متی يكون العبـد راضـيا قال إذاسـرته المصـيبة كماسـرته النعمـة. قال الشـبلی مرة والجنيد حاضـر لاحول و لاقوة إلابالله فقال الجنيد أری أن قولـک هذاضـيق صـدر وضـيق الصـدر يجیء من ترک الرضـا بالقضـاء. و قـال أبوسـليمان الـدارنی الرضـا ألا تسأل الله الجنـة و لاتسـتعيذ به من النار. و قال تعالی فيمن سـخط قسمته وَ مِنهُم مَن يَلمِزُکَ فِی الصّدَقاتِ فَإِن أُعطُوا مِنها رَضُوا وَ إِن لَم يُعطَوا مِنها إِذا هُم يَسخَطُونَ. ثم نبه علی ماحرموه من فضيلة الرضا فقال وَ لَو أَنّهُم رَضُوا ما آتاهُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قالُوا حَسبُنَا اللّهُ سَيُؤتِينَا اللّهُ مِن فَضلِهِ وَ رَسُـولُهُ إِنّا إِلَی اللّهِ راغِبُـونَ وجواب لوهاهنـا محـذوف لفهم المخـاطب وعلمه به . -قرآن-۲۶۹-۲۹۸-قرآن-۳۰۷-

۳۵۳-قرآن-۷۲۳-۸۳۲-قرآن-۸۷۷-۱۰۲۷ [صفحه ۲۰۶] و فی حذفه فائدة لطیفة و هو أن تقدیره لرضی الله عنهم و لما کان رضاه عن عباده مقاما جلیلا جدا حذف ذکره لان الذکر له لاینبئ عن کنهه وحقیقة فضله فکان الإضراب عن ذکره أبلغ فی تعظیم مقامه . و من الأخبار المرفوعة أنه ص قال أللهم إنی أسألک الرضا بعدالقضاء -روایت-۱-۲-روایت-۳۶-۷۱ قالوا إنما قال بعدالقضاء لأن الرضا قبل القضاء لایتصور وإنما یتصور توطین النفس علیه وإنما یتحقق الرضا بالشیء بعدوقوع ذلک الشیء. و فی الحدیث أنه قال لابن عباس یوصیه اعمل لله بالیقین والرضا فإن لم یکن فاصبر فإن فی الصبر علی ماتکره خیرا کثیرا -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-۱۲۶ فی الحدیث أنه ص رأی رجلا من أصحابه و قدأجهده المرض والحاجة فقال ما ألذی بلغ بک مأری قال المرض والحاجة قال أ و لأأعلمک کلاما إن أنت قلته أذهب الله عنک مابک قال و ألذی نفسی بیده مایسرنی بحظی منهما أن شهدت معک بدرا والحدیبیة فقال ص وهل لأهل بدر والحدیبیة ماللراضی والقانع -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۳۰۵ . و قال أبوالدرداء ذروة الإیمان الصبر والرضا.قدم سعد بن أبی وقاص مکة بعد ماکف بصره فانثال الناس علیه یسألونه الدعاء لهم فقال له عبد الله بن السائب یاعم إنک تدعو للناس فیستجاب لک هلا دعوت أن یرد علیک بصرک فقال یا ابن أخی قضاء الله تعالی أحب إلی من بصری.عمر بن عبدالعزیز أصبحت و ما لی سرور إلا فی مواقع القدر. و کان یقال الرضا إطراح الاقتراح علی العالم بالصلاح و کان یقال إذا کان القدر حقا کان سخطه حمقا. [صفحه ۲۰۷] و کان یقال من رضی حظی و من اطرح الاقتراح أفلح واستراح . و کان یقال کن بالرضا عاملا قبل أن تکون له معمولا وسر إلیه عادلا و إلاسرت نحوه معدولا. وقیل للحسن من أین أتی الخلق قال من قلة الرضا عن الله فقیل و من أین دخلت علیهم قلة الرضا عن الله قال من قلة المعرفة بالله . و قال صاحب سلوان المطاع فی الرضا یامفزعی فیما یجیء || وراحمی فیما مضی عندی لماتقضیه ما || یرضیک من حسن الرضا و من القطیعة أستعیذ مصرحا ومعرضا و قال أیضا کن من مدبرک الحکیم || علا و جل علی وجل وارض القضاء فإنه || حتم أجل و له أجل و قال أیضا یا من یری حالی و أن لیس لی || فی غیرقربی منه أوطار و لیس لی ملتحد دونه || و لا علیه لی أنصار حاشا لذاک العز والفضل أن || یهلک من أنت له جار و إن تشأ هلکی فهب لی رضا || بکل ماتقضی وتختار [صفحه ۲۰۸] عندی لأحکامک یامالکی || قلب کماأنعمت صبار کل عذاب منک مستعذب || ما لم یکن سخطک والنار ومنها العبودیة وهی أمر وراء العبادة معناها التعبد والتذلل قالوا العبادة للعوام من المؤمنین والعبودیة للخواص من السالکین . و قال أبو علی الدقاق العبادة لمن له علم الیقین والعبودیة لمن له عین الیقین . وسئل محمد بن خفیف متی تصح العبودیة فقال إذاطرح کله علی مولاه وصبر معه علی بلواه . و قال بعضهم العبودیة معانقة ماأمرت به ومفارقة مازجرت عنه . وقیل العبودیة أن تسلم إلیه کلک وتحمل علیه کلک . و فی الحدیث المرفوع تعس عبدالدینار وتعس عبدالخبیصة -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۵۶ .رأی أبویزید البسطامی رجلا فقال له ماحرفتک قال خربنده قال أمات الله حمارک لتکون عبدا لله لاعبدا للحمار. و کان ببغداد فی رباط شیخ الشیوخ صوفی کبیر اللحیة جدا و کان مغری ومعنی بهاأکثر زمانه یدهنها ویسرحها ویجعلها لیلا عندنومه فی کیس فقام بعض المریدین إلیه فی اللیل و هونائم فقصها من الإذن إلی الإذن فأصبحت کالصریم وأصبح الصوفی شاکیا إلی شیخ الرباط فجمع الصوفیة وسألهم فقال المرید أناقصصتها قال وکیف فعلت ویلک ذلک قال أیها الشیخ إنها کانت صنمه و کان یعبدها من دون الله فأنکرت ذلک بقلبی وأردت أن أجعله عبدا لله لاعبدا للحیة. [صفحه ۲۰۹] قالوا و لیس شیءأشرف من العبودیة و لااسم أتم للمؤمن من اسمه بالعبودیة ولذلک قال سبحانه فی ذکر النبی ص لیلة المعراج و کان ذلک الوقت أشرف أوقاته فی الدنیاسُبحانَ ألّذِی أَسری بِعَبدِهِ لَیلًا و قال تعالی فَأَوحی إِلی عَبدِهِ ما أَوحیفلو کان اسم أجل من العبودیة لسماه به . وأنشدوا -قرآن-۱۶۶-۲۰۲-قرآن-۲۱۷-۲۴۵ لاتدعنی إلابیا عبدها || فإنه أشرف أسمائی ومنها الإرادة قال تعالی وَ لا تَطرُدِ الّذِینَ یَدعُونَ رَبّهُم بِالغَداةِ وَ العشَیِّ یُرِیدُونَ وَجهَهُ.قالوا الإرادة هی بدء طریق السالکین وهی اسم لأول منازل القاصدین إلی الله

وإنمـا سـميت هـذه الصـفة إرادة لأـن الإـرادة مقدمـة كل أمر فما لم يرد العبـد شـيئا لم يفعله فلما كان هـذاالشأن أول الأمر لمن يسـلك طريق الله سمى إرادة تشبيها له بالقصد إلى الأمور التى هومقدمتها.قالوا والمريد على موجب الاشتقاق من له إرادة ولكن المريـد فى هذاالاصـطلاح من لاإرادة له فما لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريـدا كما أن من لاإرادة له على موجب الاشـتقاق لا يكون مريـدا. و قـداختلفوا فى العبارات الدالـة على ماهية الإرادة فى اصـطلاحهم فقال بعضـهم الإرادة ترك ما عليه العادة وعادة الناس فى الغالب التعريج على أوطان الغفلة -قرآن-٢٧-١٠٨ [صفحه ٢١٠] والركون إلى اتباع الشهوة والإخلاد إلى مادعت إليه المنية والمريـد هوالمنسـلخ عن هـذه الجملـة. و قال بعضـهم الإرادة نهوض القلب فى طلب الرب ولهذا قيل إنها لوعة تهون كل روعـة. و قـال أبو على الـدقاق الإـرادة لوعـة فى الفؤاد ولذعـة فى القلب وغرام فى الضـمير وانزعاج فى الباطن ونيران تأجج فى القلوب . و قال ممشاذ الدينورى مذ علمت أن أحوال الفقراء جد كلها لم أمازح فقيرا و ذلك أن فقيرا قدم على فقال أيها الشيخ أريـد أن تتخـذ لى عصـيدة فجرى على لسـانى إرادة وعصـيدة فتـأخر الفقير و لم أشـعر فأمرت باتخاذ عصـيدة وطلبته فلم أجـده فتعرفت خبره فقيـل إنه انصـرف من فوره و هو يقول إرادة وعصـيدة إرادة وعصـيدة وهـام على وجهه حتى خرج إلى الباديـة و هويكرر هذه الكلمة فما زال يقول ويرددها حتى مات . وحكى بعضـهم قال كنت بالبادية وحدى فضاق صدرى فصحت ياأنس كلمونى يـاجن كلمونى فهتف هاتف أى شـىءناديت فقلت الله فقال الهاتف كـذبت لوأردته لماناديت الإنس و لاالجن .فالمريد هـو ألـذى لايشـغله عـن الله شـىء و لاـيفتر آنـاء الليـل وأطراف النهـار فهـو فى الظـاهر بنعت المجاهـدات و فى البـاطن بوصـف المكابـدات فـارق الفراش ولاـزم الانكمـاش وتحمل المصاعب وركـب المتاعب وعالـج الأخلاق ومارس المشاق وعانق الأهوال وفارق الأشكال فهو كماقيل ثم قطعت الليل فى مهمه || لاأسدا أخشى و لاذيبا [صفحه ٢١١] يغلبنى شوقى فأطوى السرى || و لم يزل ذو الشوق مغلوبـا وقيـل من صـفات المريـدين التحبب إليه بالتوكل والإخلاص فى نصـيحة الأمـة والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأحكام والإيثار لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود فى محبته والتعرض لكل سـبب يوصل إليه والقناعة بالخمول وعدم الفرار من القلب إلى أن يصل إلى الرب . و قال بعضـهم آفة المريد ثلاثة أشياء التزويج وكتبه الحديث والأسفار. وقيل من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء نومه غلبة وأكله فاقة وكلامه ضـرورة. و قال بعضـهم نهاية الإرادة أن يشير إلى الله فيجده مع الإشارة فقيل له و أى شىءيستوعب الإرادة فقال أن يجد الله بلا إشارة. وسئل الجنيد ماللمريدين وسماع القصص والحكايات فقال الحكايات جنـد من جنـد الله تعالى يقوى بهاقلوب المريدين فقيل له هل فى ذلك شاهد فتلا قوله تعالى وَ كُلّا نَقُصّ عَلَيكَ مِن أَنباءِ الرّسُـلِ ما نُثَبّتُ بِهِ فُؤادَكَ. و قال أصـحاب الطريقـة بين المريـد والمراد فرق فالمريـد من سـلك الرياضـة طلبا للوصول والمراد من فـاضت عليه العنايـة الإلهيـة ابتـداء فكـان مخطوبا لاخاطبا و بين الخاطب والمخطوب فرق عظيم .قالوا كان موسـى ع مريـدا قال رَبّ اشـرَح لِي صَدرِي و كان محمدص مرادا قال له أَ لَم نَشـرَح لَکَ صَدرَکَ وسـئل الجنيد عن -قرآن-٧٠٨-٧٧٧- قرآن-٩٩٢-١٠١٣-قرآن-١٠٤٣-١٠٦٨ [صـــفحه ٢١٢] المريــد والمراد فقـال المريــد سـائر والمراد طـائر ومـتى يلحق السـائر الطائر.أرسل ذو النون المصـرى رجلا إلى أبى يزيـد و قال له إلى متى النوم والراحـة قـدسارت القافلـة فقال له أبويزيد قل لأخى الرجل من ينام الليل كله ثم يصـبح فى المنزل قبل القافلة فقال ذو النون هنيئا له هذاالكلام لاتبلغه أحوالنا. و قدتكلم الحكماء فى هذاالمقام فقال أبو على بن سينا فى كتاب الإشارات أول درجات حركات العارفين مايسمونه هم الإرادة و هو مايعترى المستبصر بـاليقين البرهـانى أوالساكن النفس إلى العقـد الإيمانى من الرغبـة فى اعتلاق العروة الوثقى فيتحرك سـره إلى القـدس لينال من روح الاتصال فما دامت درجته هذه فهو مريد. ثم إنه ليحتاج إلى الرياضة والرياضة موجهة إلى ثلاثة أغراض الأول تنحيه مادون الحق عن سـنن الإيثار. والثانى تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنـة لتنجـذب قوى التخيل والوهم إلى التوهمات المناسـبة للأمر القدسـى منصـرفة من التوهمات المناسبة للأمر السفلى. والثالث تلطيف السر لنفسه .فالأول يعين عليه الزهد الحقيقى والثانى يعين

عليه عدة أشياء العبادة المشفوعة بالفكرة ثم الألحان المستخدمة لقوى النفس الموقعة لمالحن بها من الكلام موقع القبول من الأوهام ثم نفس الكلام الواعظ من قائل ذكى بعبارة بليغة ونغمة رخيمة وسمت رشيد والثالث يعين عليه الفكر اللطيف والعشق العفيف ألذى تتأمر فيه شمائل المعشوق دون سلطان الشهوة. [صفحه ٢١٣] ومنها الاستقامة وحقيقتها الدوام والاستمرار على الحال قال تعالى إِنّ الّذِينَ قالُوا رَبّنَا اللّهُ ثُمّ استَقامُوا. وسئل بعضهم عن تارك الاستقامة فقال قدذكر الله ذلك فى كتابه فقال وَ لا تَكُونُوا كـَالّتِي نَقَضَت غَزلَها مِن بَعدِ قُوّةٍ أَنكاثاً و –قرآن–٦٨–١١٨–قرآن–١٩١–٢٥٧ فى الحديث المرفوع شيبتنى هود فقيل له فى ذلك فقال قوله فَاستَقِم كَما أُمِرتَ –روايت–١–٢–روايت–٢٣–٨٨ . و قال تعالى وَ أَن لَوِ استَقامُوا عَلَى الطّرِيقَةِ لَأَسقَيناهُم ماءً غَدَقاًفلم يقل سقيناهم بل أسقيناهم أى جعلنا لهم سقيا دائمة و ذلك لأن من دام على الخدمة دامت عليه النعمة. ومنها الإخلاص و هوإفراد الحق خاصة فى الطاعة بالقصد والتقرب إليه بذلك خاصة من غيررياء و من غير أن يمازحه شىءآخر من تصنع لمخلوق أواكتساب محمدة بين الناس أومحبة مدح أومعنى من المعانى ولذلك قال أرباب هذاالفن الإخلاص تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين . و قال الخواص من هؤلاء القوم نقصان كل مخلص فى إخلاصه رؤية إخلاصه فإذاأراد الله أن يخلص إخلاص عبدأسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصا لامخلصا. و –قرآن–١٦–٨٢ جاء فى الأثر عن مكحول ماأخلص عبدالله أربعين صباحا إلاظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه –روايت–١–٢–روايت–٢٥–١٠٠ . [صفحه ٢١٤] ومنها الصدق ويطلق على معنيين تجنب الكذب وتجنب الرياء و قدتقدم القول فيهما. ومنها الحياء و فى الحديث الصحيح إذا لم تستحى فاصنع ماشئت –روايت–١–٢–روايت–٢٢–٥١ فى الحديث أيضا الحياء من الإيمان –روايت–١–٢–روايت–١٩–٣٨ و قال تعالى أَ لَم يَعلَم بِأَنّ اللّهَ يَرىقالوا معناه أ لم يستحى. و –قرآن–١٥–٤٦ فى الحديث أنه قال لأصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحيى ونحمد الله قال ليس كذلك من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس و ماوعى والبطن و ماحوى وليذكر الموت وطول البلى وليترك زينة الحياة الدنيا فمن يعمل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء –روايت–١–٢–روايت–١٤–٢٧٧ . و قال ابن عطاء العلم الأكبر الهيبة والحياء فإذاذهبا لم يبق خير. و قال ذو النون الحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق . و قال السرى الحياء والأنس يطرقان القلب فإن وجدا فيه الزهد والورع حطا و إلارحلا. و كان يقال تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثانى بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى فنيت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى قل الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة [صفحه ٢١٥] و قال الفضيل خمس من علامات الشقاء القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الأمل . وفسر بعضهم قوله تعالى وَ لَقَد هَمّت بِهِ وَ هَمّ بِها لَو لا أَن رَأى بُرهانَ رَبّهِأنها كان لها صنم فى زاوية البيت فمضت فألقت على وجهه ثوبا فقال يوسف ما هذاقالت أستحيى منه قال فأنا أولى أن أستحيى من الله . و –قرآن–١٣٧–١٩٩ فى بعض الكتب القديمة ماأنصفنى عبدى يدعونى فأستحيى أن أرده ويعصينى و أناأراه فلايستحيى منى –روايت–١–٢–روايت–٢٦–١٠٥ ومنها الحرية و هوألا يكون الإنسان بقلبه رق شىء من المخلوقات لا من أغراض الدنيا و لا من أغراض الآخرة فيكون فردا لفرد لايسترقه عاجل دنيا و لاآجل منى و لاحاصل هوى و لاسؤال و لاقصد و لاأرب . قال له ص بعض أصحاب الصفة قدعزفت نفسى يا رسول الله عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها وحجرها قال صرت حرا –روايت–١–١١٠ . و كان بعضهم يقول لوصحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت أتمنى على الزمان محالا || أن ترى مقلتاى طلعة حر وسئل الجنيد عمن لم يبق له من الدنيا إلامقدار مص نواه فقال المكاتب عبد مابقى عليه درهم . ومنها الذكر قال الله تعالى يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا اذكُرُوا اللّهَ ذِكراً كَثِيراً –قرآن–١٢٧–١٨٥ [صفحه ٢١٦] و روى أبوالدرداء أن رسول الله ص قال أ لاأنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عندخالقكم وأرفعها فى درجاتكم وخير من إعطائكم الذهب والفضة فى سبيل الله و من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا ما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله –روايت–١–٢–

روایت-۴۲-۲۵۳ فی الحدیث المرفوع لاتقوم الساعة علی أحد یقول الله -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۶۵ . و قال أبو علی الدقاق الذکر منشور الولایة فمن وفق للذکر فقد أعطی المنشور و من سلب الذکر فقد عزل . وقیل ذکر الله تعالی بالقلب سیف المریدین به یقاتلون أعداءهم و به یدفعون الآفات التی تقصدهم و أن البلاء إذاأظل العبد ففزع بقلبه إلی الله حاد عنه کل مایکرهه . و فی الخبر المرفوع إذامررتم بریاض الجنة فارتعوا فیهاقیل و ماریاض الجنة قال مجالس الذکر -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۹۵ فی الخبر المرفوع أناجلیس من ذکرنی -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۴۱ . وسمع الشبلی و هوینشد ذکرتک لاأنی نسیتک لمحة || وأیسر ما فی الذکر ذکر لسانی فکدت بلا وجد أموت من الهوی || وهام علی القلب بالخفقان فلما أرانی الوجد أنک حاضری || شهدتک موجودا بکل مکان فخاطبت موجودا بغیر تکلم || ولاحظت معلوما بغیر عیان . [صفحه ۲۱۷] ومنها الفتوة قال سبحانه مخبرا عن أصحاب الأصنام قالُوا سَمِعنا فَتًی یَذکُرُهُم یُقالُ لَهُ اِبراهِیمُ. و قال تعالی فی أصحاب الکهف إِنّهُم فِتیَةٌ آمَنُوا بِرَبّهِم وَ زِدناهُم هُدیً. و قداختلفوا فی التعبیر عن الفتوة ماهی فقال بعضهم الفتوة ألا تری لنفسک فضلا علی غیرک . و قال بعضهم الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان . وقالوا إنما هتف الملک یوم أحد بقوله -قرآن-۵۱-۱۰۴-قرآن-۱۳۷-۱۸۷ لاسیف إلاذو الفقار || و لافتی إلا علی .لأنه کسر الأصنام فسمی بما سمی به أبوه ابراهیم الخلیل حین کسرها وجعلها جذاذا.قالوا وصنم کل إنسان نفسه فمن خالف هواه فقد کسر صنمه فاستحق أن یطلق علیها لفظ الفتوة. و قال الحارث المحاسبی الفتوة أن تنصف و لاتنتصف . و قال عبد الله بن أحمد بن حنبل سئل أبی عن الفتوة فقال ترک ماتهوی لماتخشی . وقیل الفتوة ألا تدخر و لاتعتذر. سأل شقیق البلخی جعفر بن محمدالصادق ع عن الفتوة فقال ماتقول أنت قال إن أعطینا شکرنا و إن منعنا صبرنا قال إن الکلاب عندنا بالمدینة هذاشأنها ولکن قل إن أعطینا آثرنا و إن منعنا شکرنا -روایت-۱-۱۹۴ . [صفحه ۲۱۸] ومنها الفراسة قیل فی تفسیر قوله تعالی إِنّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلمُتَوَسّمِینَ أی للمتفرسین و -قرآن-۴۲-۸۰ قال النبی ص اتقوا فراسة المؤمن فإنها لاتخطئ -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۵۲ قیل الفراسة سواطع أنوار لمعت فی القلوب حتی شهدت الأشیاء من حیث أشهدها الحق إیاها و کل من کان أقوی إیمانا کان أشد فراسة. و کان یقال إذاصحت الفراسة ارتقی منها صاحبها إلی المشاهدة. ومنها حسن الخلق و هو من صفات العارفین فقد أثنی الله تعالی به علی نبیه فقال وَ إِنّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ و -قرآن-۲۷۶-۳۰۶ قیل له ص أی المؤمنین أفضل إیمانا فقال أحسنهم خلقا وبالخلق تظهر جواهر الرجال والإنسان مستور بخلقه مشهور بخلقه -روایت-۱-۱۲۱ . و قال بعضهم حسن الخلق استصغار مامنک واستعظام ماإلیک . و قال النبی ص إنکم لن تسعوا الناس بأموالکم فسعوهم بأخلاقکم -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۶۸ .قیل لذی النون من أکبر الناس هما قال أسوؤهم خلقا. و کان یقال ماتخلق أحد أربعین صباحا بخلق إلاصار ذلک طبیعة فیه . قال الحسن فی قوله تعالی وَ ثِیابَکَ فَطَهّر أی وخلقک فحسن .شتم رجل الأحنف بن قیس وجعل یتبعه ویشتمه فلما قرب الحی وقف و قال یافتی إن کان قدبقی فی قلبک شیءفقله کیلا یسمعک سفهاء الحی فیجیبوک . -قرآن-۱۵۰-۱۶۸ [صفحه ۲۱۹] ویقال إن معروفا الکرخی نزل دجلة لیسبح ووضع ثیابه ومصحفه فجاءت امرأة فاحتملتهما فتبعها و قال أنامعروف الکرخی فلابأس علیک أ لک ابن یقرأ قالت لا قال أفلک بعل قالت لا قال فهاتی المصحف وخذی الثیاب .قیل لبعضهم ماأدب الخلق قال ماأدب الله به نبیه فی قوله خُذِ العَفوَ وَ أمُر بِالعُرفِ وَ أَعرِض عَنِ الجاهِلِینَ -قرآن-۲۸۰-۳۳۶ یقال إن فی بعض کتب النبوات القدیمة یاعبدی اذکرنی حین تغضب أذکرک حین أغضب -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-۸۸ .قالت امرأة لمالک بن دینار یامرائی فقال لقد وجدت اسمی ألذی أضله أهل البصرة. قال بعضهم و قدسئل عن غلام سوء له لم یمسکه قال أتعلم علیه الحلم . و کان یقال ثلاثة لایعرفون إلا عندثلاثة الحلیم عندالغضب والشجاع عندالحرب والصدیق عندالحاجة إلیه . وقیل فی تفسیر قوله تعالی وَ أَسبَغَ عَلَیکُم نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةًالظاهرة تسویة الخلق والباطنة تصفیة الخلق .الفضیل لأن یصحبنی فاجر حسن الخلق أحب إلی من أن یصحبنی عابد سیئ الخلق .خرج ابراهیم بن أدهم إلی

بعض البراری فاستقبله جندی فسأله أین العمران فأشار إلی المقبرة فضرب رأسه فشجه وأدماه فلما جاوزه قیل له إن ذلک ابراهیم بن أدهم -قرآن-۲۸۶-۳۳۴ [صفحه ۲۲۰] زاهد خراسان فرد إلیه یعتذر فقال ابراهیم إنک لماضربتنی سألت الله لک الجنة. قال لم سألت ذلک قال علمت أنی أوجر علی ضربک لی فلم أرد أن یکون نصیبی منک الخیر ونصیبک منی الشر. و قال بعض أصحاب الجنید قدمت من مکة فبدأت بالشیخ کی لایتعنی إلی فسلمت علیه ثم مضیت إلی منزلی فلما صلیت الصبح فی المسجد إذا أنا به خلفی فی الصف فقلت إنما جئتک أمس لئلا تتعنی فقال ذلک فضلک و هذاحقک . کان أبوذر علی حوض یسقی إبله فزاحمه إنسان فکسر الحوض فجلس أبوذر ثم اضطجع فقیل له فی ذلک فقال أمرنا رسول الله ص إذاغضب الرجل و هوقائم فلیجلس فإن ذهب عنه و إلافلیضطجع -روایت-۱-۱۸۹ .دعا إنسان بعض مشاهیر الصوفیة إلی ضیافة فلما حضر باب داره رده واعتذر إلیه ثم فعل به مثل ذلک وثانیة وثالثة والصوفی لایغضب و لایضجر فمدحه ذلک الإنسان وأثنی علیه بحسن الخلق فقال إنما تمدحنی علی خلق تجد مثله فی الکلب إن دعوته حضر و إن زجرته انزجر.مر بعضهم وقت الهاجرة بسکة فألقی علیه من سطح طست رماد فغضب من کان فی صحبته فقال لاتغضبوا من استحق أن یصب علیه النار فصولح علی الرماد لم تجز له أن یغضب . کان لبغض الخیاطین جار یدفع إلیه ثیابا فیخیطها ویدفع إلیه أجرتها دراهم زیوفا فیأخذها فقام یوما من حانوته واستخلف ولده فجاء الجار بالدراهم الزائفة فدفعها إلی الولد فلم یقبلها فأبدلها بدراهم جیدة فلما جاء أبوه دفع إلیه الدراهم فقال ویحک هل جری بینک وبینه أمر قال نعم إنه أحضر الدراهم زیوفا فرددتها فأحضر هذه [صفحه ۲۲۱] فقال بئس ماصنعت إنه منذ کذا وکذا سنة یعاملنی بالزائف وأصبر علیه وألقیها فی بئر کی لایغر غیری بها وقیل الخلق السیئ هو أن یضیق قلب الإنسان عن أن یتسع لغیر ماتحبه النفس وتؤثره کالمکان الضیق لایسع غیرصاحبه . و کان یقال من سوء الخلق أن تقف علی سوء خلق غیرک وتعیبه به . قیل لرسول الله ادع الله علی المشرکین فقال إنما بعثت رحمة و لم أبعث عذابا -روایت-۱-۸۱ دعا علی ع غلاما له مرارا و هو لایجیبه فقام إلیه فقال أ لاتسمع یاغلام قال بلی قال فما حملک علی ترک الجواب قال أمنی لعقوبتک قال اذهب فأنت حر -روایت-۱-۱۵۵ قال رسول الله ص استعینوا علی أمورکم بالکتمان -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۵۴ . و قال السری علامة الحب الصبر والکتمان و من باح بسرنا فلیس منا. و قال الشاعر کتمت حبک حتی منک تکرمة || ثم استوی فیک إسراری وإعلانی کأنه غاض حتی فاض عن جسدی || فصار سقمی به فی جسم کتمانی و هذاضد مایذهب إلیه القوم من الکتمان و هوعذر لأصحاب السر والإعلان و کان یقال المحبة فاضحة والدمع نمام . و قال الشاعر لاجزی الله دمع عینی خیرا || وجزی الله کل خیر لسانی [صفحه ۲۲۲] فاض دمعی فلیس یکتم شیئا || ووجدت اللسان ذا کتمان یقال إن بعض العارفین أوصی تلمیذه بکتمان مایطلع علیه من الحال فلما شاهد الأمر غلب فکان یطلع فی بئر فی موضع خال فیحدثها بما یشاهد فنبتت فی تلک البئر شجرة سمع منها صوت یحکی کلام ذلک التلمیذ کمایحکی الصدا کلام المتکلم فأسقط بذلک من دیوان الأولیاء. وأنشدوا أبدا تحن إلیکم الأرواح || ووصالکم ریحانها والراح وقلوب أهل ودادکم تشتاقکم || و إلی لقاء جمالکم ترتاح وا رحمة للعاشقین تحملوا || ثقل المحبة والهوی فضاح بالسر إن باحوا تباح دماؤهم || وکذا دماء البائحین تباح . و قال الحسین بن منصور الحلاج إنی لأکتم من علمی جواهره || کی لایری العلم ذو جهل فیفتننا و قدتقدمنی فیه أبوحسن || إلی الحسین وأوصی قبله الحسنا یارب مکنون علم لوأبوح به || لقیل لی أنت ممن یعبد الوثنا ولاستحل رجال صالحون دمی || یرون أقبح مایأتونه حسنا . ومنها الجود والسخاء والإیثار قال الله تعالی وَ یُؤثِرُونَ عَلی أَنفُسِهِم وَ لَو کانَ بِهِم خَصاصَةٌ و -قرآن-۴۹-۱۰۴ قال النبی ص السخی قریب من الله قریب من الناس -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-ادامه دارد [صفحه ۲۲۳] والبخیل بعید من الله بعید من الناس و أن الجاهل السخی أحب إلی الله من العابد البخیل -روایت-از قبل-۹۶ .قالوا لافرق بین الجود والسخاء فی اصطلاح أهل العربیة إلا أن الباری سبحانه لایوصف بالسخاء لأنه یشعر بسماح النفس عقیب التردد فی ذلک و أما فی

اصطلاح أرباب هذه الطريقة فالسخاء هوالرتبة الأولى والجود بعده ثم الإيثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب السخاء و من أعطى الأكثر وأبقى لنفسه شيئا فهو صاحب الجود و ألذى قاسى الضراء وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب الإيثار. قال أسماء بن خارجة الفزارى ماأحب أن أرد أحدا عن حاجة طلبها إن كان كريما صنت عرضه عن الناس و إن كان لئيما صنت عنه عرضى. كان مؤرق العجلى يتلطف فى بر إخوانه يضع عندهم ألف درهم و يقول أمسكوها حتى أعود إليكم ثم يرسل إليهم أنتم منها فى حل . و كان يقال الجود إجابة الخاطر الأول . و كان أبو الحسن البوشنجى فى الخلاء فدعا تلميذا له فقال انزع عنى هذاالقميص وادفعه إلى فلان فقيل له هلا صبرت فقال لم آمن على نفسى أن تغير على ماوقع لى من التخلق معه بالقميص . رئى على ع يوما باكيا فقيل له لم تبكى فقال لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قدأهاننى -روايت-١-١١١ .أضاف عبد الله بن عامر رجلا فأحسن قراه فلما أراد أن يرتحل لم يعنه غلمانه فسئل عن ذلك فقال إنهم إنما يعينون من نزل علينا لا من ارتحل عنا. ومنها الغيرة قال رسول الله ص لاأحد أغير من الله إنما حرم الفواحش ماظهر منها و مابطن لغيرته -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٩١ [صفحه ٢٢٤] فى حديث أبى هريرة أن الله ليغار و أن المؤمن ليغار -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٥٧ قال والغيرة هى كراهية المشاركة فيما هوحقك . وقيل الغيرة الأنفة والحمية. وحكى عن السرى أنه قرئ بين يديه وَ إِذا قَرَأتَ القُرآنَ جَعَلنا بَينَكَ وَ بَينَ الّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجاباً مَستُوراً فقال لأصحابه أتدرون ما هذاالحجاب هذاحجاب الغيرة و لاأحد أغير من الله .قالوا ومعنى حجاب الغيرة أنه لماأصر الكافرون على الجحود عاقبهم بأن لم يجعلهم أهلا لمعرفة أسرار القرآن . و قال أبو على الدقاق إن أصحاب الكسل عن عبادته هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان فاختار لهم البعد وأخرهم عن محل القرب ولذلك تأخروا. و فى معناه أنشدوا فقالوا -قرآن-١١١-٢١٢ أناصب بمن هويت ولكن || مااحتيالى فى سوء رأى الموالى . و فى معناه قالوا سقيم لايعاد ومريد لايراد. و كان أبو على الدقاق إذاوقع شىء فى خلال المجلس يشوش قلوب الحاضرين يقول هذا من غيرة الحق يريد به ألا يتم ماأملناه من صفاء هذاالوقت . وأنشدوا فى معناه همت بإتياننا حتى إذانظرت || إلى المرأة نهانا وجهها الحسن . وقيل لبعضهم أتريد أن تراه قال لاقيل لم قال أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلى و فى معناه أنشدوا إنى لأحسد ناظرى عليك || حتى أغض إذانظرت إليك [صفحه ٢٢٥] وأراك تخطر فى شمائلك التى || هى فتنتى فأغار منك عليكا وسئل الشبلى متى تستريح قال إذا لم أر له ذاكرا. و قال أبو على الدقاق فى قول النبى ص عندمابايعته فرسا من أعرابى و أنه استقاله فأقاله فقال الأعرابى عمرك الله فمن أنت قال ص أناامرؤ من قريش فقال بعض الصحابة من الحاضرين للأعرابى كفاك جفاء ألا تعرف نبيك -روايت-١-١٩٦ فكان أبو على يقول إنما قال امرؤ من قريش غيرة ونوعا من الأنفة و إلافقد كان الواجب عليه أن يتعرف لكل أحد أنه من هولكن الله سبحانه أجرى على لسان ذلك الصحابى التعريف للأعرابى بقوله كفاك جفاء ألا تعرف نبيك . و قال أصحاب الطريقة مساكنة أحد من الخلق للحق فى قلبك توجب الغيرة منه تعالى .أذن الشبلى مرة فلما انتهى إلى الشهادتين قال وحقك لو لاأنك أمرتنى ماذكرت معك غيرك . وسمع رجل رجلا يقول جل الله فقال أحب أن تجله عن هذا. و كان بعض العارفين يقول لاإله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من قرط الأذن . وقيل لأبى الفتوح السهروردى و قدأخذ بحلب ليصلب على خشبة ما ألذى أباحهم هذامنك قال إن هؤلاء دعونى إلى أن أجعل محمدا شريكا لله فى الربوبية فلم أفعل فقتلونى. [صفحه ٢٢٦] ومنها التفويض قال الله تعالى وَ عَسى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَ هُوَ خَيرٌ لَكُم وَ عَسى أَن تُحِبّوا شَيئاً وَ هُوَ شَرّ لَكُم وَ اللّهُ يَعلَمُ وَ أَنتُم لا تَعلَمُونَفاستوقف من عقل أمره عن الاقتراح عليه وأفهمه مايرضاه به من التفويض إليه فالعاقل تارك للاقتراح على العالم بالصلاح . و قال تعالى فَعَسى أَن تَكرَهُوا شَيئاً وَ يَجعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيراً كَثِيراًفبعث على تأكيد الرجاء بقوله خَيراً كَثِيراً. و لمافوض مؤمن آل فرعون أمره إلى الله فَوَقاهُ اللّهُ سَيّئاتِ ما مَكَرُوا وَ حاقَ بِآلِ فِرعَونَ سُوءُ العَذابِ كماورد فى الكتاب العزيز. وحقيقة التفويض هى التسليم لأحكام الحق سبحانه و إلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى قُل لَن

يُصِيبَنا إِلّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَولانا وَ عَلَى اللَّهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَفأس التفويض والباعث عليه هواعتقاد العجز عن مغالبة القدر و أنه لا يكون فى الخير والشر أعنى الرخص والصحة وسعة الرزق والبلايا والأمراض والعلل وضيق الرزق إلا ماأراد الله تعالى كونه و لايصح التفويض ممن لم يعتقد ذلك و لم يعلمه علم اليقين . و قدبالغ النبى ص فى التصريح به والنص عليه -قرآن-٣۴-١٧٠-قرآن-٣١١-٣٧٧-قرآن-۴٠٧-۴٢١-قرآن-۴۶٧-۵۴٠-قرآن-۶۵٧-٧۵٧ بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ماقدر أتاك و ما لم يقدر لم يأتك و لوجهد الخلق أن ينفعوك بشىء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه و لوجهدوا أن يضروك بشىء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٢٠٩ [صفحه ٢٢٧] فى صحيح مسلم بن الحجاج أنه قال لأبى هريرة فى كلام له فإن أصابك شىء فلاتقل لوفعلت كذا لكان كذا فإن لوتفتح عمل الشيطان ولكن قل ماقدر الله و ماشاء فعل -روايت-١-٢-روايت-٣۶-١٧١ فى صحيح مسلم أيضا عن البراء بن عازب إذاأخذت مضجعك فقل كذا إلى أن قال وجهت وجهى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لامنجى و لاملجأ منك إلاإليك -روايت-١-٢-روايت-۴٢-١۶٧ . و كان يقال معارضة المريض طبيبه توجب تعذيبه و كان يقال إنما الكيس الماهر من أمسى فى قبضة القاهر. و كان يقال إذاكانت مغالبة القدر مستحيلة فما من أعوان تقوده إلى الحيلة. و كان يقال إذاالتبست المصادر ففوض إلى القادر. و كان يقال من الدلالة على أن الإنسان مصرف مغلوب ومدبر مربوب أن يتبلد رأيه فى بعض الخطوب ويعمى عليه الصواب المطلوب . و إذا كان كذلك فربما كان تدميره فى تدبيره واغتياله من احتياله وهلكته من حركته . و فى ذلك أنشدوا أيا من يعول فى المشكلات || على مارآه و مادبره إذاأعضل الأمر فافزع به || إلى من يرى منه ما لم تره تكن بين عطف يقيل الخطوب || ولطف يهون ماقدره إذاكنت تجهل عقبى الأمور || و ما لك حول و لامقدره فلم ذا العنا وعلام الأسى || ومم الحذار وفيم الشره . [صفحه ٢٢٨] وأنشدوا فى هذاالمعنى يارب مغتبط ومغبوط || بأمر فيه هلكه ومنافس فى ملك ما || يشقيه فى الدارين ملكه علم العواقب دونه || ستر و ليس يرام هتكه ومعارض الأقدار بالآراء || سيئ الحال ضنكه فكن امرأ محض اليقين || وزيف الشبهات سبكه تفويضه توحيده || وعناده المقدار شركه . ومنها الولاية والمعرفة و قدتقدم القول فيهما. ومنها الدعاء والمناجاة قال الله تعالى ادعُونِي أَستَجِب لَكُم و -قرآن-٩٠-١١٣ فى الحديث المرفوع الدعاء مخ العبادة -روايت-١-٢-روايت-٢٣-۴٢ . و قداختلف أرباب هذاالشأن فى الدعاء فقال قوم الدعاء مفتاح الحاجة ومستروح أصحاب الفاقات وملجأ المضطرين ومتنفس ذوى المآرب . و قدذم الله تعالى قوما فقال وَ يَقبِضُونَ أَيدِيَهُمفسروه وقالوا لايمدونها إليه فى السؤال . و قال سهل بن عبد الله التسترى خلق الله الخلق و قال تاجروا فى فإن لم تفعلوا فاسمعوا منى فإن لم تفعلوا فكونوا ببابى فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بى.قالوا و قدأثنى الله على نفسه فقال أَمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إِذا دَعاهُقالوا الدعاء إظهار فاقة العبودية. -قرآن-١۶۵-١٨٨-قرآن-۴٢٨-۴۶٢ [صفحه ٢٢٩] و قال أبوحاتم الأعرج لأن أحرم الدعاء أشد على من أن أحرم الإجابة. و قال قوم بل السكوت والخمود تحت جريان الحكم والرضا بما سبق من اختيار الحكيم العالم بالمصالح أولى ولهذا قال الواسطى اختيار ماجرى لك فى الأزل خير لك من معارضة الوقت . و قال النبى ص إخبارا عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ماأعطى السائلين -روايت-١-٢-روايت-۴١-١٠٠ . و قال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتى بالأمرين جميعا. و قال قوم إن الأوقات تختلف ففى بعض الأحوال يكون الدعاء أفضل من السكوت و فى بعض الأحوال يكون بالعكس وإنما يعرف هذا فى الوقت لأن علم الوقت يحصل فى الوقت فإذاوجد فى قلبه الإشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى و إن وجد بقلبه الإشارة إلى السكوت فالسكوت له أتم وأولى . و جاء فى الخبر أن الله يبغض العبد فيسرع إجابته بغضا لسماع صوته و أنه يحب العبد فيؤخر إجابته حبا لسماع صوته -روايت-١-٢-روايت-١۵-١١٨ . و من أدب الدعاء حضور القلب فقد روى عنه ص أن الله لايستجيب دعاء قلب لاه -روايت-١-٢-روايت-١٩-۵۵ . و من شروط الإجابة طيب الطعمة وحل المكسب قال ص

لسعد بن أبى وقاص أطب كسبك تستجب دعوتك -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۵۴ . [صفحه ۲۳۰] وينبغى أن يكون الدعاء بعدالمعرفة قيل لجعفر بن محمدالصادق ع مابالنا ندعو فلايستجاب لنا قال لأنكم تدعون من لاتعرفونه -روايت-۱-۹۲ . كان صالح المرى يقول كثيرا ادعوا فمن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت له رابعة العدوية ماذا تقول أغلق هذاالباب حتى يستفتح فقال صالح شيخ جهل وامرأة علمت . وقيل فائدة الدعاء إظهار الفاقة من الخلق و إلافالرب يفعل مايشاء. وقيل دعاء العامة بالأقوال ودعاء العابد بالأفعال ودعاء العارف بالأحوال . وقيل خير الدعاء ماهيجه الأحزان والوجد. وقيل أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الاضطرار لقوله تعالى أَمّن يُجِيبُ المُضطَرّ إِذا دَعاهُ. قال أصحاب هذه الطريقة ألسنة المبتدءين أرباب الإرادة منطلقة بالدعاء وألسنة المحققين الواصلين قدخرست عن ذلك . و كان عبد الله بن المبارك يقول مادعوته منذ خمسين سنة و لاأريد أن يدعو لى أحد. وقيل الدعاء سلم المذنبين . و قال من قال بنقيض هذاالدعاء مراسلة و مادامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعد. وقالوا ألسنة المذنبين دموعهم . و كان أبو على الدقاق يقول إذابكى المذنب فقد راسل الله . و فى معناه أنشدوا -قرآن-۴۲۰-۴۵۴ دموع الفتى عما يجن تترجم || وأنفاسه تبدين ماالقلب يكتم . [صفحه ۲۳۱] و قال بعضهم لبعض العارفين ادع لى فقال كفاك من الإجابة ألا تجعل بينك وبينه واسطة. ومنها التأسى قال سبحانه لَقَد كانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ أى فى مصابه و مانيل منه فى نفسه و فى أهله يوم أحد فلاتجزعوا أن أصيب بعضكم . و -قرآن-۱۱۷-۱۶۸ جاء فى الحديث المرفوع لاتنظروا إلى من فوقكم وانظروا إلى من دونكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعم الله عليكم -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۱۳ . وقالت الخنساء ترثى أخاها و لو لاكثرة الباكين حولى || على إخوانهم لقتلت نفسى و مايبكون مثل أخى ولكن || أعزى النفس عنه بالتأسى . وحقيقة التأسى تهوين المصائب والنوائب على النفس بالنظر إلى ماأصاب أمثالك و من هوأرفع محلا منك . و قدفسر العلماء قوله تعالى وَ لَن يَنفَعَكُمُ اليَومَ إِذ ظَلَمتُم أَنّكُم فِي العَذابِ مُشتَرِكُونَ قال إنه لايهون على أحد من أهل النار عذابه و إن تأسى بغيره من المعذبين لأن الله تعالى جعل لهم التأسى نافعا فى الدنيا و لم يجعله نافعا لأهل النار مبالغة فى تعذيبهم ونفيا لراحة تصل إليهم . -قرآن-۱۳۶-۲۰۸ [صفحه ۲۳۲] ومنها الفقر و هوشعار الصالحين قال رسول الله ص أللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى مع المساكين -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۱ . قال لعلى ع إن الله قدزينك بزينة لم يزين العباد بأحسن منها وهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك إماما. و جاء فى الخبر المرفوع الفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۶۲ . وسئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال ألا تستغنى إلابالله . و قال أبوالدرداء لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إلى من مجالسة الغنى لأنى سمعت رسول الله ص يقول إياكم ومجالسة الموتى فقيل له و ماالموتى قال الأغنياء -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۱۶۶ .قيل للربيع بن خثيم قدغلا السعر قال نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه . وقيل ليحيى بن معاذ ماالفقر قال خوف الفقر. و قال الشبلى أدنى علامات الفقير أن لوكانت الدنيا بأسرها لواحد فأنفقها فى يوم واحد ثم خطر بباله لوأمسكت منها قوت يوم آخر لم يصدق فى فقره .سئل ابن الجلاء عن الفقر فسكت ثم ذهب قليلا وعاد فقال كانت عندى أربعة دوانيق فضة فاستحييت من الله أن أتكلم فى الفقر وهى عندى فذهبت فأخرجتها ثم قعد فتكلم فى الفقر. و قال أبو على الدقاق فى تفسير قوله ص من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۵ إن المرء بقلبه ولسانه وجوارحه فمن تواضع لغنى بلسانه وجوارحه ذهب ثلثا دينه فإن تواضع له مع ذلك بقلبه ذهب دينه كله . [صفحه ۲۳۳] ومنها الأدب قالوا فى تفسير قوله تعالى ما زاغَ البَصَرُ وَ ما طَغيحفظ أدب الحضرة.قيل إنه ع لم يمد نظره فوق المقام ألذى أوصل إليه ليلة شاهد السدرة وهى أقصى مايمكن أن ينتهى إليه البشريون . و -قرآن-۴۲-۶۸ فى الحديث المرفوع أدبنى ربى فأحسن تأديبى -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۵۰ وقيل إن الجنيد لم يمد رجله فى الخلوة عشرين سنة و كان يقول الأدب مع الله أولى من الأدب مع الخلق . و قال أبو على الدقاق من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل . و من كلامه ع ترك الأدب

يوجب الطرد فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب و من أساء الأدب على الباب رد إلى ساحة الدواب -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۱۳۰ . و قال عبد الله بن المبارک قدأكثر الناس فى الأدب وعندى أن الأدب معرفة الإنسان بنفسه . و قال الثورى من لم يتأدب للوقت فوقته مقت . و قال أبو على الدقاق فى قوله تعالى حكاية عن أيوب إِذ نادى رَبَّهُ أَنّى مَسَّنِيَ الضُّرّ وَ أَنتَ أَرحَمُ الرّاحِمِينَ قال لم يقل فارحمنى لأنه حفظ آداب الخطاب وكذلک قال فى قول عيسى إِن كُنتُ قُلتُهُ فَقَد عَلِمتَهُ قال لم يقل لم أقل رعاية لأدب الحضرة. -قرآن-۱۹۷-۲۶۵-قرآن-۳۳۸-۳۷۰ [صفحه ۲۳۴] ومنها المحبة وهى مقام جليل قالوا المحبة أن تهب كلک لمن أحببت فلايبقى لک منک شىء.قيل لبعض العرب ماوجدت من حب فلانة قال أرى القمر على جدارها أحسن منه على جدران الناس . و قال أبو عبدالرحمن السلمى المحبة أن تغار على محبوبک أن يحبه غيرک . و قال النصرآباذى المحبة نوعان نوع يوجب حقن الدماء ونوع يوجب سفک الدماء. و قال يحيى بن معاذ المحبة الخالصة ألا تنقص بالجفاء و لاتزيد بالبر. وقيل للنصرآباذى كيف حالک فى المحبة قال عدمت وصال المحبين ورزقت حسراتهم فهو ذا أناأحترق فيها ثم قال المحبة مجانبة السلو على كل حال . وأنشدوا و من كان فى طول الهوى ذاق سلوة || فإنى من ليلى لها غيرذائق وأكثر شىءنلته من وصالها || أمانى لم تصدق كلمحة بارق جاء فى الحديث المرفوع المرء مع من أحب -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۴۴ و لماسمع سمنون هذاالخبر قال فاز المحبون بشرف الدنيا والآخرة لأنهم مع الله تعالى . و فى الحديث المرفوع لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۷ و هذايتجاوز حد الجلالة والشرف . و كان يقال الحب أوله ختل وآخره قتل .قيل كتب يحيى بن معاذ إلى أبى يزيد سكرت من كثرة ماشربت من محبته فكتب إليه أبوزيد غيرک شرب بحور السموات و الأرض و ماروى بعد ولسانه خارج و هو يقول هل من مزيد. [صفحه ۲۳۵] وأنشد عجبت لمن يقول ذكرت حبى || وهل أنسى فأذكر مانسيت شربت الحب كأسا بعدكأس || فما نفد الشراب و لارويت . وقيل المحبة سكر لايصحو صاحبه إلابمشاهدة محبوبه ثم السكر ألذى يحصل عندالمشاهدة لايوصف . وأنشدوا فأسكر القوم دور كأس || و كان سكرى من المدير جاء فى الخبر المرفوع أن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة على وسلمان وعمار -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۷۱ .الشوق مرتبة من مراتب القوم ومقام من مقاماتهم سئل ابن عطاء الشوق أعلى أم المحبة فقال المحبة لأن الشوق منها يتولد. و من الأدعية النبوية المأثورة الدعاء ألذى كان يدعو به عمار بن ياسر رضى الله عنه أللهم بعلمک بالغيب وقدرتک على الخلق أحينى ماعلمت الحياة خيرا لى وتوفنى ماكانت الوفاة خيرا لى أللهم إنى أسألک خشيتک فى الغيب والشهادة وأسألک كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألک القصد فى الغنى والفقر وأسألک نعيما لايبيد وقرة عين لاتنقطع وأسألک الرضا بعدالقضاء وبرد العيش بعدالموت وأسألک النظر إلى وجهک والشوق إلى لقائک من غيرضراء مضرة أللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين -روايت-۱-۲-روايت-۸۵-۴۹۳ .قالوا الشوق احتياج القلب إلى لقاء المحبوب و على قدر المحبة يكون الشوق وعلامة الشوق حب الموت . [صفحه ۲۳۶] و هذا هوالسر فى قوله تعالى فَتَمَنّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صادِقِينَ أى أن من كان صاحب محبة يتمنى لقاء محبوبه فمن لايتمنى ذلک لا يكون صادق المحبة.قيل لبعض الصوفية هل تشتاق إليه فقال إنما الشوق إلى غائب و هوحاضر لايغيب . وقالوا فى قوله تعالى مَن كانَ يَرجُوا لِقاءَ اللّهِ فَإِنّ أَجَلَ اللّهِ لَآتٍإنه تطيب لقلوب المشتاقين . و -قرآن-۳۱-۷۰-قرآن-۲۶۳-۳۱۹ يقال إنه مكتوب فى بعض كتب النبوات القديمة شوقناكم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا وخوفناكم فلم ترهبوا ونحنا لكم فلم تحزنوا -روايت-۱-۲-روايت-۵۰-۱۴۱ قيل إن شعيبا بكى حتى عمى فرد الله إليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد عليه بصره ثم كذلک ثلاثا فقال الله تعالى إن كان هذاالبكاء شوقا إلى الجنة فقد أبحتها لک و إن كان خوفا من النار فقد أجرتک منها فقال وحقک لا هذا و لا هذا ولكن شوقا إليک فقال له لأجل ذلک أخدمتک نبيى وكليمى عشر سنين -روايت-۱-۲-روايت-۷-۳۰۳ . ومنها الزهد ورفض الدنيا قال سبحانه وَ لا تَمُدّنّ عَينَيکَ إِلى ما مَتّعنا بِهِ أَزواجاً مِنهُم زَهرَةَ الحَياةِ

الدّنيا و -قرآن-۳۹-۱۲۳ جاء فی الخبر أن یوسف ع کان یجوع فی سنی الجدب فقیل له أتجوع و أنت علی خزائن مصر فقال أخاف أن أشبع فأنسی الجیاع -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-۱۲۷ قال علی ع و قدقیل له أ هذالباسک و هذامأکولک و أنت أمیر -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۳۷] المؤمنین فقال نعم إن الله فرض علی أئمة العدل أن یقدروا لأنفسهم کضعفة الناس کیلا یتبیغ بالفقیر فقره -روایت-از قبل-۱۱۰ . ومنع عمر بن الخطاب نفسه عام الرمادة الدسم و قال لاآکله حتی یصیبه المسلمون جمیعا. و کان عمر بن عبدالعزیز من أکثر الناس تنعما قبل أن یلی الخلافة قومت ثیابه حینئذ بألف دینار وقومت و هویخطب الناس أیام خلافته بثلاثة دراهم . واعلم أن بعض هذه المراتب والمقامات التی ذکرناها للقوم قد یکون متداخلا فی الظاهر و له فی الباطن عندهم فرق یعرفه من یأنس بکتبهم و قدأتینا فی تقسیم مراتبهم وتفصیل مقاماتهم فی هذاالفصل بما فیه کفایة [صفحه ۲۳۸]

۲۱۸- و من کلام له ع قاله

عندتلاوته یا أَیّهَا الإِنسانُ ما غَرّکَ بِرَبّکَ الکَرِیمِأَدحَضُ مَسئُولٍ حُجّةً وَ أَقطَعُ مُغتَرّ مَعذِرَةً لَقَد أَبرَحَ جَهَالَةً بِنَفسِهِ یَا أَیّهَا الإِنسَانُ مَا جَرّأَکَ عَلَی ذَنبِکَ وَ مَا غَرّکَ بِرَبّکَ وَ مَا أَنّسَکَ بِهَلَکَةِ نَفسِکَ أَ مَا مِن دَائِکَ بُلُولٌ أَم لَیسَ مِن نَومِکَ یَقَظَةٌ أَ مَا تَرحَمُ مِن نَفسِکَ مَا تَرحَمُ مِن غَیرِکَ فَلَرُبّمَا تَرَی الضّاحِیَ مِن حَرّ الشّمسِ فَتُظِلّهُ أَو تَرَی المُبتَلَی بِأَلَمٍ یُمِضّ جَسَدَهُ فَتَبکِی رَحمَةً لَهُ فَمَا صَبّرَکَ عَلَی دَائِکَ وَ جَلّدَکَ عَلَی مُصَابِکَ وَ عَزّاکَ عَنِ البُکَاءِ عَلَی نَفسِکَ وَ هیَ أَعَزّ الأَنفُسِ عَلَیکَ وَ کَیفَ لَا یُوقِظُکَ خَوفُ بَیَاتِ نِقمَةٍ وَ قَد تَوَرّطتَ بِمَعَاصِیهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ فَتَدَاوَ مِن دَاءِ الفَترَةِ فِی قَلبِکَ بِعَزِیمَةٍ وَ مِن کَرَی الغَفلَةِ فِی نَاظِرِکَ بِیَقَظَةٍ وَ کُن لِلّهِ مُطِیعاً وَ بِذِکرِهِ آنِساً وَ تَمَثّل فِی حَالِ تَوَلّیکَ عَنهُ إِقبَالَهُ عَلَیکَ یَدعُوکَ إِلَی عَفوِهِ وَ یَتَغَمّدُکَ بِفَضلِهِ وَ أَنتَ مُتَوَلّ عَنهُ إِلَی غَیرِهِ -قرآن-۱-۴۹ [صفحه ۲۳۹] فَتَعَالَی مِن قَوِیّ مَا أَکرَمَهُ وَ تَوَاضَعتَ مِن ضَعِیفٍ مَا أَجرَأَکَ عَلَی مَعصِیَتِهِ وَ أَنتَ فِی کَنَفِ سِترِهِ مُقِیمٌ وَ فِی سَعَةِ فَضلِهِ مُتَقَلّبٌ فَلَم یَمنَعکَ فَضلَهُ وَ لَم یَهتِک عَنکَ سِترَهُ بَل لَم تَخلُ مِن لُطفِهِ مَطرَفَ عَینٍ فِی نِعمَةٍ یُحدِثُهَا لَکَ أَو سَیّئَةٍ یَستُرُهَا عَلَیکَ أَو بَلِیّةٍ یَصرِفُهَا عَنکَ فَمَا ظَنّکَ بِهِ لَو أَطَعتَهُ وَ ایمُ اللّهِ لَو أَنّ هَذِهِ الصّفَةَ کَانَت فِی مُتّفِقَینِ فِی القُوّةِ مُتَوَازِیَینِ فِی القُدرَةِ لَکُنتَ أَوّلَ حَاکِمٍ عَلَی نَفسِکَ بِذَمِیمِ الأَخلَاقِ وَ مَسَاوِئِ الأَعمَالِ وَ حَقّاً أَقُولُ مَا الدّنیَا غَرّتکَ وَ لَکِن بِهَا اغتَرَرتَ وَ لَقَد کَاشَفَتکَ العِظَاتِ وَ آذَنَتکَ عَلَی سَوَاءٍ وَ لهَیَ بِمَا تَعِدُکَ مِن نُزُولِ البَلَاءِ بِجِسمِکَ وَ النّقصِ فِی قُوّتِکَ أَصدَقُ وَ أَوفَی مِن أَن تَکذِبَکَ أَو تَغُرّکَ وَ لَرُبّ نَاصِحٍ لَهَا عِندَکَ مُتّهَمٌ وَ صَادِقٍ مِن خَبَرِهَا مُکَذّبٌ وَ لَئِن تَعَرّفتَهَا فِی الدّیَارِ الخَاوِیَةِ وَ الرّبُوعِ الخَالِیَةِ لَتَجِدَنّهَا مِن حُسنِ تَذکِیرِکَ وَ بَلَاغِ مَوعِظَتِکَ بِمَحَلّةِ الشّفِیقِ عَلَیکَ وَ الشّحِیحِ بِکَ وَ لَنِعمَ دَارُ مَن لَم یَرضَ بِهَا دَاراً وَ مَحَلّ مَن لَم یُوَطّنهَا مَحَلّا وَ إِنّ السّعَدَاءَ بِالدّنیَا غَداً هُمُ الهَارِبُونَ مِنهَا الیَومَ إِذَا رَجَفَتِ الرّاجِفَةُ وَ حَقّت بِجَلَائِلِهَا القِیَامَةُ وَ لَحِقَ بِکُلّ مَنسَکٍ أَهلُهُ وَ بِکُلّ مَعبُودٍ عَبَدَتُهُ وَ بِکُلّ مُطَاعٍ أَهلُ طَاعَتِهِ فَلَم یَجرِ فِی عَدلِهِ وَ قِسطِهِ یَومَئِذٍ خَرقُ بَصَرٍ فِی الهَوَاءِ وَ لَا هَمسُ قَدَمٍ فِی الأَرضِ إِلّا بِحَقّهِ فَکَم حُجّةٍ یَومَ ذَاکَ دَاحِضَةٌ وَ عَلَائِقِ عُذرٍ مُنقَطِعَةٌ فَتَحَرّ مِن أَمرِکَ مَا یَقُومُ بِهِ عُذرُکَ وَ تَثبُتُ بِهِ حُجّتُکَ وَ خُذ مَا یَبقَی لَکَ مِمّا لَا تَبقَی لَهُ وَ تَیَسّر لِسَفَرِکَ وَ شِم بَرقَ النّجَاةِ وَ ارحَل مَطَایَا التّشمِیرِ [صفحه ۲۴۰] لقائل أن یقول لو قال ماغرک بربک العزیز أوالمنتقم أونحو ذلک لکان أولی لأن للإنسان المعاتب أن یقول غرنی کرمک ألذی وصفت به نفسک . وجواب هذا أن یقال إن مجموع الصفات صار کشیء واحد و هوالکریم ألذی خلقک فسواک فعدلک فی أی صوره ماشاء رکبک والمعنی ماغرک برب هذه صفته و هذاشأنه و هوقادر علی أن یجعلک فی أی صوره شاء فما ألذی یؤمنک من أن یمسخک فی صورة القردة والخنازیر ونحوها من الحیوانات العجم ومعنی الکریم هاهنا الفیاض علی المواد بالصور و من هذه

صفته ينبغی أن يخاف منه تبديل الصورة. قال ع أدحض مسئول حجة المبتدأ محذوف والحجة الداحضة الباطلة. والمعذرة بكسر الذال العذر. ويقال لقد أبرح فلان جهالة وأبرح لؤما وأبرح شجاعة وأتی بالبرح من ذلک أی بالشديد العظيم ويقال هذاالأمر أبرح من هذا أی أشد وقتلوه أبرح قتل وجهالة منصوب علی التمييز. و قال القطب الراوندی مفعول به قال معناه جلب جهالة إلی نفسه و ليس بصحيح وأبرح لايتعدی هاهنا وإنما يتعدی أبرح فی موضعين أحدهما أبرحه الأمر أی أعجبه والآخر أبرح زيد عمرا أی أكرمه وعظمه . قوله ماجرأک بالهمزة وفلان جری‌ء القوم أی مقدمهم . و ماأنسک بالتشديد وروی ماآنسک بالمد وكلاهما من أصل واحد وتأنست [صفحه ۲۴۱] بفلان واستأنست بمعنی وفلان أنيسی ومؤانسی و قدأنسنی كله بمعنی أی كيف لم تستوحش من الأمور التی تؤدی إلی هلكة نفسک . والبلول مصدر بل الرجل من مرضه إذابرئ ويجوز أبل قال الشاعر إذابل من داء به ظن أنه || نجا و به الداء ألذی هوقاتله . والضاحی لحر الشمس البارز و هذاداء ممض أی مؤلم أمضنی الجرح إمضاضا ويجوز مضنی. وروی وجلدک علی مصائبک بصيغة الجمع . وبيات نقمة بفتح الباء طروقها ليلا وهی من ألفاظ القرآن العزيز. وتورط وقع فی الورطة بتسكين الراء وهی الهلاک وأصل الورطة أرض مطمئنة لاطريق فيها و قدأورطه وورطه توريطا أی أوقعه فيها. والمدارج الطرق والمسالک ويجوز انتصاب مدارج هاهنا لأنها مفعول به صريح ويجوز أن ينتصب علی تقدير حرف الخفض وحذفه أی فی مدارج سطواته . قوله وتمثل أی وتصور. ويتغمدک بفضله أی يسترک بعفوه وسمی العفو والصفح فضلا تسمية للنوع بالجنس . قوله مطرف عين بفتح الراء أی زمان طرف العين وطرفها إطباق أحد [صفحه ۲۴۲] جفنيها علی الآخر وانتصاب مطرف هاهنا علی الظرفية كقولک وردت مقدم الحاج أی وقت قدومهم . قوله متوازيين فی القدرة أی متساويين وروی متوازنين بالنون . والعظات جمع عظة و هومنصوب علی نزع الخافض أی كاشفتک بالعظات وروی العظات بالرفع علی أنه فاعل وروی كاشفتک الغطاء. وآذنتک أی أعلمتک . و علی سواء أی علی عدل وإنصاف و هذا من الألفاظ القرآنية. والراجفة الصيحة الأولی وحقت بجلائلها القيامة أی بأمورها العظام والمنسک الموضع ألذی تذبح فيه النسائک وهی ذبائح القربان ويجوز فتح السين و قدقرئ بهما فی قوله تعالی لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلنا مَنسَكاً. فإن قلت إذا كان يلحق بكل معبود عبدته فالنصاری إذن تلحق بعيسی والغلاة من المسلمين بعلی وكذلک الملائكة فما القول فی ذلک . قلت لاضرر فی التحاق هؤلاء بمعبوديهم ومعنی الالتحاق أن يؤمر الأتباع فی الموقف بالتحيز إلی الجهة التی فيهاالرؤساء ثم يقال للرؤساء أهؤلاء أتباعكم وعبدتكم فحينئذ يتبرءون منهم فينجو الرؤساء وتهلک الأتباع كما قال سبحانه أَ هؤُلاءِ إِيّاكُم كانُوا يَعبُدُونَ قالُوا سُبحانَكَ أَنتَ وَلِيّنا مِن دُونِهِم بَل كانُوا يَعبُدُونَ الجِنّ أَكثَرُهُم بِهِم مُؤمِنُونَ أی إنما كانوا يطيعون الشياطين المضلة لهم فعبادتهم فی -قرآن-۵۳۸-۵۶۷-قرآن-۹۳۳-۱۰۷۱ [صفحه ۲۴۳] الحقيقة للشياطين لالنا وإنهم ماأطاعونا و لوأطاعونا لكانوا مهتدين وإنما أطاعوا شياطينهم . و لاحاجة فی هذاالجواب إلی أن يقال ماقيل فی قوله تعالی إِنّكُم وَ ما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ من تخصيص العموم بالآية الأخری وهی قوله تعالی إِنّ الّذِينَ سَبَقَت لَهُم مِنّا الحُسنی أُولئِكَ عَنها مُبعَدُونَ. فإن قلت فما قولک فی اعتراض ابن الزبعری علی الآية هل هووارد. قلت لالأنه قال تعالی إِنّكُم وَ ما تَعبُدُونَ و ما لما لايعقل فلايرد عليه الاعتراض بالمسيح والملائكة و ألذی قاله المفسرون من تخصيص العموم بالآية الثانية تكلف غيرمحتاج إليه . فإن قلت فما الفائدة فی أن قرن القوم بأصنامهم فی النار و أی معنی لذلک فی زيادة التعذيب والسخط. قلت لأن النظر إلی وجه العدو باب من أبواب العذاب وإنما أصاب هؤلاء ماأصابهم بسبب الأصنام التی ضلوا بهافكلما رأوها معهم زاد غمهم وحسرتهم . وأيضا فإنهم قدروا أن يستشفعوا بها فی الآخرة فإذاصادفوا الأمر علی عكس ذلک لم يكن شی‌ء أبغض إليهم منها. قوله فلم يجر قداختلف الرواة فی هذه اللفظة فرواها قوم فلم يجر و هومضارع جری يجری تقول ما ألذی جری للقوم فيقول من سألته قدم الأمير من السفر فيكون المعنی علی هذافلم يكن و لم يتجدد فی ديوان حسابه ذلک اليوم صغير و لاحقير إلابالحق والإنصاف و هذامثل قوله تعالی لا ظُلمَ اليَومَ إِنّ

اللّهَ سَرِيعُ -قرآن-۱۵۴-۱۹۴-قرآن-۲۴۶-۳۱۲-قرآن-۴۰۴-۴۲۷-قرآن-۱۲۰۲-۱۲۳۷ الحقيقهٔ للشياطين لالنا وإنهم ماأطاعونا و لوأطاعونا لكانوا مهتدين وإنما أطاعوا شياطينهم . و لاحاجهٔ فی هذاالجواب إلی أن يقال ماقيل فی قوله تعالی إِنّكُم وَ ما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ من تخصيص العموم بالآيهٔ الأخری وهی قوله تعالی إِنّ الّذِينَ سَبَقَت لَهُم مِنّا الحُسني أُولئِكَ عَنها مُبعَدُونَ. فإن قلت فما قولك فی اعتراض ابن الزبعری علی الآيهٔ هل هووارد. قلت لالأنه قال تعالی إِنّكُم وَ ما تَعبُدُونَ و ما لما لايعقل فلايرد عليه الاعتراض بالمسيح والملائكهٔ و ألذی قاله المفسرون من تخصيص العموم بالآيهٔ الثانيهٔ تكلف غيرمحتاج إليه . فإن قلت فما الفائدهٔ فی أن قرن القوم بأصنامهم فی النار و أی معنی لذلك فی زيادهٔ التعذيب والسخط. قلت لأن النظر إلی وجه العدو باب من أبواب العذاب وإنما أصاب هؤلاء ماأصابهم بسبب الأصنام التی ضلوا بهافكلما رأوها معهم زاد غمهم وحسرتهم . وأيضا فإنهم قدروا أن يستشفعوا بها فی الآخرهٔ فإذاصادفوا الأمر علی عكس ذلك لم يكن شیءأبغض إليهم منها. قوله فلم يجر قداختلف الرواهٔ فی هذه اللفظهٔ فرواها قوم فلم يجر و هومضارع جری يجری تقول ما ألذی جری للقوم فيقول من سألته قدم الأمير من السفر فيكون المعنی علی هذافلم يكن و لم يتجدد فی ديوان حسابه ذلك اليوم صغير و لاحقير إلابالحق والإنصاف و هذامثل قوله تعالی لا ظُلمَ اليَومَ إِنّ اللّهَ سَرِيعُ الحِسابِ -قرآن-۱-۹ ورواها قوم فلم يجز مضارع جاز يجوز أی لم يسغ و لم يرخص ذلك اليوم لأحد من المكلفين فی حركهٔ من الحركات المحقرات المستصغرات إلا إذاكانت قدفعلها بحق و علی هذايجوز فعل مثلها ورواها قوم فلم يجر من جار أی عدل عن الطريق أی لم يذهب عنه سبحانه و لم يضل و لم يشذ عن حسابه شیء من أمر محقرات الأمور إلابحقه أی إلا ما لافائدهٔ فی إثباته والمحاسبهٔ عليه نحو الحركات المباحهٔ والعبثيهٔ التی لاتدخل تحت التكليف . و قال الراوندی خرق بصر مرفوع لأنه اسم ما لم يسم فاعله و لاأعرف لهذا الكلام معنی . والهمس الصوت الخفی. قوله فتحر من أمرك تحريت كذا أی توخيته وقصدته واعتمدته . قوله وتيسر لسفرك أی هيئ أسباب السفر و لاتترك لذاك عائقا. والشيم النظر إلی البرق . ورحلت مطيتی إذاشددت علی ظهرها الرحل قال الأعشی رحلت سميهٔ غدوهٔ أجمالها || غضبی عليك فما تقول بدا لها . والتشمير الجد والانكماش فی الأمر. ومعانی الفصل ظاهرهٔ وألفاظه الفصيحهٔ تعطيها وتدل عليها بما لوأراد المفسر أن يعبر عنه بعبارهٔ غيرعبارته ع لكان لفظه ع أولی أن يكون تفسيرا لكلام ذلك المفسر [صفحه ۲۴۵]

۲۱۹- و من كلام له ع

اشاره

وَ اللّهِ لَأَن أَبِيتَ عَلَی حَسَكِ السّعدَانِ مُسَهّداً أَو أُجَرّ فِی الأَغلَالِ مُصَفّداً أَحَبّ إِلَيّ مِن أَن أَلقَی اللّهَ وَ رَسُولَهُ يَومَ القِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعضِ العِبَادِ وَ غَاصِباً لشِيَءٍ مِنَ الحُطَامِ وَ كَيفَ أَظلِمُ أَحَداً لِنَفسٍ يُسرِعُ إِلَی البِلَی قُفُولُهَا وَ يَطُولُ فِی الثّرَی حُلُولُهَا وَ اللّهِ لَقَد رَأَيتُ عَقِيلًا وَ قَد أَملَقَ حَتّی استمَاَحنَيِ مِن بُرّكُم صَاعاً وَ رَأَيتُ صِبيَانَهُ شُعثَ الشّعُورِ غُبرَ الأَلوَانِ مِن فَقرِهِم كَأَنّمَا سُوّدَت وُجُوهُهُم بِالعِظلِمِ وَ عَاوَدَنِي مُؤَكّداً وَ كَرّرَ عَلَيّ القَولَ مُرَدّداً فَأَصغَيتُ إِلَيهِ سَمعِي فَظَنّ أنَيّ أَبِيعُهُ دِينِي وَ أَتّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي فَأَحمَيتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمّ أَدنَيتُهَا مِن جِسمِهِ لِيَعتَبِرَ بِهَا فَضَجّ ضَجِيجَ ذيِ دَنَفٍ مِن أَلَمِهَا وَ كَادَ أَن يَحتَرِقَ مِن مِيسَمِهَا فَقُلتُ لَهُ ثَكِلَتكَ الثّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَ تَئِنّ مِن حَدِيدَةٍ أَحمَاهَا إِنسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَ تجَرُنّيِ إِلَی نَارٍ سَجَرَهَا جَبّارُهَا لِغَضَبِهِ أَ تَئِنّ مِنَ الأَذَی وَ لَا أَئِنّ مِن لَظَی وَ أَعجَبُ مِن ذَلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلفُوفَةٍ فِی وِعَائِهَا وَ مَعجُونَةٍ شَنِئتُهَا كَأَنّمَا عُجِنَت بِرِيقِ حَيّةٍ أَو قَيئِهَا فَقُلتُ أَ صِلَةٌ أَم زَكَاةٌ أَم صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرّمٌ عَلَينَا أَهلَ البَيتِ فَقَالَ لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ وَ لَكِنّهَا هَدِيّةٌ فَقُلتُ هَبِلَتكَ الهَبُولُ أَ عَن دِينِ اللّهِ أَتَيتنَيِ لِتَخدَعَنيِ أَ

مُختَبِطٌ أَم ذُو جِنّةٌ أَم تَهجُرُ وَ اللّهِ لَو أَعطِيتُ الأَقَالِيمَ السّبعَةَ بِمَا تَحتَ أَفلَاكِهَا عَلَى أَن أَعصِيَ اللّهَ فِي نَملَةٍ أَسلُبُهَا جُلبَ شَعِيرَةٍ [صفحه ۲۴۶] مَا فَعَلتُهُ وَ إِنّ دُنيَاكُم عِندِي لَأَهوَنُ مِن وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقضَمُهَا مَا لِعَلِيّ وَ لِنَعِيمٍ يَفنَى وَ لَذّةٍ لَا تَبقَى نَعُوذُ بِاللّهِ مِن سُبَاتِ العَقلِ وَ قُبحِ الزّلَلِ وَ بِهِ نَستَعِينُ السعدان نبت ذو شوك يقال له حسك السعدان وحسكة السعدان وتشبه به حلمة الثدى فيقال سعدانة الثندوة و هذاالنبت من أفضل مراعى الإبل و فى المثل مرعى و لاكالسعدان ونونه زائدة لأنه ليس فى الكلام فعلال غيرمضاعف إلاخزعال و هوظلع يلحق الناقة وقهقار و هوالحجر الصلب وقسطال و هوالغبار. والمسهد الممنوع النوم و هوالسهاد. والأغلال القيود والمصفد المقيد والحطام عروض الدنيا ومتاعها شبه لزواله وسرعة فنائه بما يتحطم من العيدان ويتكسر. ثم قال كيف أظلم الناس لأجل نفس تموت سريعا يعنى نفسه ع . فإن قلت أ ليس قوله عن نفس يسرع إلى البلى قفولها يشعر بمذهب من قال بقدم الأنفس لأن القفول الرجوع و لايقال فى مذهبه للمسافرة قافلة إلا إذاكانت راجعة. قلت لاحاجة إلى القول بقدم الأنفس محافظة على هذه اللفظة و ذلك لأن النفس إذاكانت حادثة فقد كان أصلها العدم فإذامات الإنسان عدمت نفسه فرجعت إلى العدم الأصلى و هوالمعبر عنه بالبلى . [صفحه ۲۴۷] وأملق افتقر قال تعالى وَ لا تَقتُلُوا أَولادَكُم مِن إِملاقٍ. واستماحنى طلب منى أن أعطيه صاعا من الحنطة والصاع أربعة أمداد والمد رطل وثلث فمجموع ذلك خمسة أرطال وثلث رطل وجمع الصاع أصوع و إن شئت همزت والصواع لغة فى الصاع ويقال هوإناء يشرب فيه . والعظلم بالكسرة فى الحرفين نبت يصبغ به مايراد اسوداده ويقال هوالوسمة وشعث الألوان أى غبر. وأصغيت إليه أملت سمعى نحوه . وأتبع قياده أطيعه وانقاد له . وأحميت الحديدة فى النار فهى محماة و لايقال حميت الحديدة. وذى دنف أى ذى سقم مؤلم . و من ميسمها من أثرها فى يده . وثكلتك الثواكل دعاء عليه و هوجمع ثاكلة وفواعل لايجىء إلاجمع المؤنث إلافيما شذ نحو فوارس أى ثكلتك نساؤك . قوله أحماها إنسانها أى صاحبها و لم يقل إنسان لأنه يريد أن يقابل هذه اللفظة بقوله جبارها. وسجرها بالتخفيف أوقدها وأحماها والسجور مايسجر به التنور. قوله بملفوفة فى وعائها كان أهدى له الأشعث بن قيس نوعا من الحلواء تأنق فيه و كان ع يبغض الأشعث لأن الأشعث كان يبغضه وظن الأشعث أنه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوى كان فى نفس الأشعث و كان أمير المؤمنين -قرآن-۲۶-۶۳ [صفحه ۲۴۸] ع يفطن لذلك ويعلمه ولذلك رد هدية الأشعث و لو لا ذلك لقبلها لأن النبى ص قبل الهدية و قدقبل على ع هدايا جماعة من أصحابه ودعاء بعض من كان يأنس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فأكل و قال لم عملت هذا فقال لأنه يوم نوروز فضحك و قال نوروزا لنا فى كل يوم إن استطعتم . و كان ع من لطافة الأخلاق وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة ولكنه كان ينفر عن قوم كان يعلم من حالهم الشنآن له وعمن يحاول أن يصانعه بذلك عن مال المسلمين وهيهات حتى يلين لضرس الماضغ الحجر. و قال بملفوفة فى وعائها لأنه كان طبق مغطى . ثم قال ومعجونة شنئتها أى أبغضتها ونفرت عنها كأنها عجنت بريق الحية أوبقيئها و ذلك أعظم الأسباب للنفرة من المأكول . و قال الراوندى وصفها باللطافة فقال كأنها عجنت بريق الحية و هذاتفسير أبعد من الصحيح . قوله أصلة أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت الصلة العطية لايراد بهاالأجر بل يراد وصلة التقرب إلى الموصول وأكثر ماتفعل للذكر والصيت والزكاة هى ماتجب فى النصاب من المال . والصدقة هاهنا هى صدقة التطوع و قدتسمى الزكاة الواجبة صدقة إلاأنها هنا هى النافلة. فإن قلت كيف قال فذلك محرم علينا أهل البيت وإنما يحرم عليهم الزكاة الواجبة خاصة و لايحرم عليهم صدقة التطوع و لاقبول الصلات قلت أراد بقوله أهل البيت الأشخاص الخمسة محمدا وعليا وفاطمة وحسنا وحسينا [صفحه ۲۴۹] ع فهؤلاء خاصة دون غيرهم من بنى هاشم محرم عليهم الصلة وقبول الصدقة و أماغيرهم من بنى هاشم فلايحرم عليهم إلاالزكاة الواجبة خاصة. فإن قلت كيف قلت إن هؤلاء الخمسة يحرم عليهم قبول الصلات و قد كان حسن وحسين ع يقبلان صلة معاوية. قلت كلا لم يقبلا صلته ومعاذ الله أن يقبلاها وإنما قبلا منه ما كان يدفعه إليهما من جملة حقهما من بيت المال فإن سهم ذوى القربى منصوص عليه فى الكتاب العزيز

ولهما غيرسهم ذوى القربى سهم آخر للإسلام من الغنائم . قوله هبلتك الهبول أى ثكلتك أمك والهبول التى لها عادة بثكل الولد. فإن قلت ماالفرق بين مختبط وذى جنة ويهجر. قلت المختبط المصروع من غلبه الأخلاط السوداوية أوغيرها عليه وذو الجنة من به مس من الشيطان و ألذى يهجر هو ألذى يهذى فى مرض ليس بصرع كالمحموم والمبرسم ونحوهما. وجلب الشعيرة بضم الجيم قشرها والجلب والجلبة أيضا جليدة تعلو الجرح عندالبرء يقال منه جلب الجرح يجلب ويجلب وأجلب الجرح أيضا ويقال للجليدة التى تجعل على القتب جلبة أيضا. وتقضمها بفتح الضاد والماضى قضم بالكسر [صفحه ۲۵۰]

نبذ من أخبار عقيل بن أبى طالب

وعقيل هوعقيل بن أبى طالب ع بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف أخو أمير المؤمنين ع لأمه و أبيه و كان بنو أبى طالب أربعة طالب و هوأسن من عقيل بعشر سنين وعقيل و هوأسن من جعفربعشر سنين و جعفر و هوأسن من على بعشر سنين و على و هوأصغرهم سنا وأعظمهم قدرا بل وأعظم الناس بعد ابن عمه قدرا. و كان أبوطالب يحب عقيلا أكثر من حبه سائر بنيه فلذلك قال للنبى‌ص وللعباس حين أتياه ليقتسما بنيه عام المحل فيخففا عنه ثقلهم دعوا لى عقيلا وخذوا من شئتم فأخذ العباس جعفرا وأخذ محمدص عليا ع . و كان عقيل يكنى أبايزيد قال له رسول الله ص يا أبايزيد إنى أحبك حبين حبا لقرابتك منى وحبا لماكنت أعلم من حب عمى إياك -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۱۱۱ .أخرج عقيل إلى بدر مكرها كماأخرج العباس فأسر وفدى وعاد إلى مكة ثم أقبل مسلما مهاجرا قبل الحديبية وشهد غزوة مؤتة مع أخيه جعفر ع وتوفى فى خلافة معاوية فى سنة خمسين وعمره ست وتسعون سنة. و له دار بالمدينة معروفة وخرج إلى العراق ثم إلى الشام ثم عاد إلى المدينة و لم يشهد مع أخيه أمير المؤمنين ع شيئا من حروبه أيام خلافته وعرض نفسه وولده عليه فأعفاه و لم يكلفه حضور الحرب . و كان أنسب قريش وأعلمهم بأيامها و كان مبغضا إليهم لأنه كان يعد مساوئهم [صفحه ۲۵۱] وكانت له طنفسة تطرح فى مسجد رسول الله ص فيصلى عليها ويجتمع إليه الناس فى علم النسب وأيام العرب و كان حينئذ قدذهب بصره و كان أسرع الناس جوابا وأشدهم عارضة. كان يقال إن فى قريش أربعة يتحاكم إليهم فى علم النسب وأيام قريش ويرجع إلى قولهم عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل الزهرى و أبوالجهم بن حذيفة العدوى وحويط بن عبدالعزى العامرى. واختلف الناس فى عقيل هل التحق بمعاوية و أمير المؤمنين حى فقال قوم نعم ورووا أن معاوية قال يوما وعقيل عنده هذا أبوزيد لو لاعلمه أنى خير له من أخيه لماأقام عندنا وتركه فقال عقيل أخى خير لى فى دينى و أنت خير لى فى دنياى و قدآثرت دنياى أسأل الله خاتمة خير. و قال قوم إنه لم يعد إلى معاوية إلا بعدوفاة أمير المؤمنين ع واستدلوا على ذلك بالكتاب ألذى كتبه إليه فى آخر خلافته والجواب ألذى أجابه ع و قدذكرناه فيما تقدم وسيأتى ذكره أيضا فى باب كتبه ع و هذاالقول هوالأظهر عندى وروى المدائنى قال قال معاوية يوما لعقيل بن أبى طالب هل من حاجة فأقضيها لك قال نعم جارية عرضت على وأبى أصحابها أن يبيعوها إلاأبربعين ألفا فأحب معاوية أن يمازحه فقال و ماتصنع بجارية قيمتها أربعون ألفا و أنت أعمى تجتزئ بجارية قيمتها خمسون درهما قال أرجو أن أطأها فتلد لى غلاما إذاأغضبته يضرب عنقك بالسيف فضحك معاوية و قال مازحناك يا أبايزيد وأمر فابتيعت له الجارية [صفحه ۲۵۲] التى أولد منها مسلما فلما أتت على مسلم ثمانى عشرة سنة و قدمات عقيل أبوه قال لمعاوية يا أمير المؤمنين إن لى أرضا بمكان كذا من المدينة وإنى أعطيت بهامائة ألف و قدأحببت أن أبيعك إياها فادفع إلى ثمنها فأمر معاوية بقبض الأرض ودفع الثمن إليه . فبلغ ذلك الحسين ع فكتب إلى معاوية أما بعدفإنك غررت غلاما من بنى هاشم فابتعت منه أرضا لايملكها فاقبض من الغلام مادفعته إليه واردد إلينا أرضنا -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۱۵۷ .فبعث معاوية إلى مسلم فأخبره ذلك وأقرأه كتاب الحسين ع و

قال اردد علينا مالنا وخذ أرضك فإنك بعت ما لاتملك فقال مسلم أمادون أن أضرب رأسك بالسيف فلافاستلقى معاوية ضاحكا يضرب برجليه فقال يابنى هذا و الله كلام قاله لى أبوك حين ابتعت له أمك . ثم كتب إلى الحسين إنى قدرددت عليكم الأرض وسوغت مسلما ماأخذ فقال الحسين ع أبيتم ياآل أبى سفيان إلاكرما. و قال معاوية لعقيل يا أبايزيد أين يكون عمك أبولهب اليوم قال إذادخلت جهنم قال فاطلبه تجده مضاجعا لعمتك أم جميل بنت حرب بن أمية. وقالت له زوجته ابنة عتبة بن ربيعة يابنى هاشم لايحبكم قلبى أبدا أين عمى أين أخى كان أعناقهم أباريق الفضة ترى آنافهم الماء قبل شفاههم قال إذادخلت جهنم فخذى على شمالك . [صفحه ۲۵۳] سأل معاوية عقيلا عن قصة الحديدة المحماة المذكورة فبكى و قال أناأحدثك يامعاوية عنه ثم أحدثك عما سألت نزل بالحسين ابنه ضيف فاستسلف درهما اشترى به خبزا واحتاج إلى الإدام فطلب من قنبر خادمهم أن يفتح له زقا من زقاق عسل جاءتهم من اليمن فأخذ منه رطلا فلما طلبها ع ليقسمها قال ياقنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث فأخبره فغضب ع و قال على بحسين فرفع عليه الدرة فقال بحق عمى جعفر و كان إذاسئل بحق جعفرسكن فقال له ماحملك أن أخذت منه قبل القسمة قال إن لنا فيه حقا فإذاأعطيناه رددناه قال فداك أبوك و إن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم أما لو لاأنى رأيت رسول الله ص يقبل ثنيتك لأوجعتك ضربا ثم دفع إلى قنبر درهما كان مصرورا فى ردائه و قال اشتر به خير عسل تقدر عليه قال عقيل و الله لكأنى أنظر إلى يدى على وهى على فم الزق وقنبر يقلب العسل فيه ثم شده وجعل يبكى و يقول أللهم اغفر لحسين فإنه لم يعلم -روايت-۱-۹۰۰ . فقال معاوية ذكرت من لاينكر فضله رحم الله أباحسن فلقد سبق من كان قبله وأعجز من يأتى بعده هلم حديث الحديدة. قال نعم أقويت وأصابتنى مخمصة شديدة فسألته فلم تند صفاته فجمعت صبيانى وجئته بهم والبؤس والضر ظاهران عليهم فقال ائتنى عشية لأدفع إليك شيئا فجئته يقودنى أحد ولدى فأمره بالتنحى ثم قال أ لافدونك فأهويت حريصا قدغلبنى الجشع أظنها صرة فوضعت يدى على حديدة تلتهب نارا فلما قبضتها نبذتها وخرت كمايخور الثور تحت يد جازره فقال لى ثكلتك أمك هذا من حديدة -روايت-۱-۲-روايت-۸-ادامه دارد [صفحه ۲۵۴] أوقدت لها نار الدنيا فكيف بك وبى غدا إن سلكنا فى سلاسل جهنم ثم قرأإِذِ الأَغلالُ فِى أَعناقِهِم وَ السّلاسِلُ يُسحَبُونَ. ثم قال ليس لك عندى فوق حقك ألذى فرضه الله لك إلا ماترى فانصرف إلى أهلك -روايت-از قبل-۲۱۴ .فجعل معاوية يتعجب و يقول هيهات هيهات عقمت النساء أن يلدن مثله [صفحه ۲۵۵]

۲۲۰- و من دعاء له ع

أللّهُمّ صُن وجَهِي بِاليَسَارِ وَ لَا تَبذُل جاَهِي بِالإِقتَارِ فَأَستَرزِقَ طَالِبِي رِزقِكَ وَ أَستَعطِفَ شِرَارَ خَلقِكَ وَ أُبتَلَى بِحَمدِ مَن أَعطَانِي وَ أُفتَتَنَ بِذَمّ مَن مَنَعَنِي وَ أَنتَ مِن وَرَاءِ ذَلِكَ كُلّهِ ولَيِّ الإِعطَاءِ وَ المَنعِإِنّكَ عَلى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ -قرآن-۲۶۴-۲۹۳ صن وجهى باليسار أى استره بأن ترزقنى يسارا وثروة أستغنى بهما عن مسألة الناس . و لاتبذل جاهى بالإقتار أى لاتسقط مروءتى وحرمتى بين الناس بالفقر ألذى أحتاج معه إلى تكفف الناس . وروى أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الجواد رقت حاله فى آخر عمره لأن عبدالملك جفاه فراح يوما إلى الجمعة فدعا فقال أللهم إنك عودتنى عادة جريت عليها فإن كان ذلك قدانقضى فاقبضنى إليك فلم يلحق الجمعة الأخرى . و كان الحسن بن على ع يدعو فيقول أللهم وسع على فإنه لايسعنى إلاالكثير -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-۷۹ . [صفحه ۲۵۶] قوله فأسترزق منصوب لأنه جواب الدعاء كقولهم ارزقنى بعيرا فأحج عليه بين ع كيفية تبذل جاهه بالإقتار وفسره فقال بأن أطلب الرزق ممن يطلب منك الرزق . وأستعطف الأشرار من الناس أى أطلب عاطفتهم وإفضالهم

ویلزم من ذلک أمران محذوران أحدهما أن أبتلی بحمد المعطی. والآخر أن أفتتن بذم المانع . قوله ع و أنت من وراء ذلک کله مثل یقال للمحیط بالأمر القاهر له القادر علیه کمانقول للملک العظیم هو من وراء وزرائه وکتابه أی مستعد متهیئ لتتبعهم وتعقبهم واعتبار حرکاتهم لإحاطته بها وإشرافه علیها. وولی مرفوع بأنه خبر المبتدإ و یکون خبرا بعدخبر ویجوز أن یکون ولی هوالخبر و یکون من وراء ذلک جملة مرکبة من جار ومجرور منصوبة الموضع لأنه حال [صفحه ۲۵۷]

۲۲۱– و من خطبة له ع

اشاره

دَارٌ بِالبَلَاءِ مَحفُوفَةٌ وَ بِالغَدرِ مَعرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحوَالُهَا وَ لَا یَسلَمُ نُزّالُهَا أَحوَالٌ مُختَلِفَةٌ وَ تَارَاتٌ مُتَصَرّفَةٌ العَیشُ فِیهَا مَذمُومٌ وَ الأَمَانُ مِنهَا مَعدُومٌ وَ إِنّمَا أَهلُهَا فِیهَا أَغرَاضٌ مُستَهدِفَةٌ تَرمِیهِم بِسِهَامِهَا وَ تُفنِیهِم بِحِمَامِهَا وَ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّکُم وَ مَا أَنتُم فِیهِ مِن هَذِهِ الدّنیَا عَلَی سَبِیلِ مَن قَد مَضَی قَبلَکُم مِمّن کَانَ أَطوَلَ مِنکُم أَعمَاراً وَ أَعمَرَ دِیَاراً وَ أَبعَدَ آثَاراً أَصبَحَت أَصوَاتُهُم هَامِدَةً وَ رِیَاحُهُم رَاکِدَةً وَ أَجسَادُهُم بَالِیَةً وَ دِیَارُهُم خَالِیَةً وَ آثَارُهُم عَافِیَةً فَاستَبدَلُوا بِالقُصُورِ المَشَیّدَةِ وَ النّمَارِقِ المُمَهّدَةِ الصّخُورَ وَ الأَحجَارَ المُسنَدَةَ وَ القُبُورَ اللّاطِئَةَ المُلحَدَةَ التّیِ قَد بنُیِ‌َ عَلَی الخَرَابِ فِنَاؤُهَا وَ شُیّدَ بِالتّرَابِ بِنَاؤُهَا فَمَحَلّهَا مُقتَرِبٌ وَ سَاکِنُهَا مُغتَرِبٌ بَینَ أَهلِ مَحَلّةٍ مُوحِشِینَ وَ أَهلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِینَ لَا یَستَأنِسُونَ بِالأَوطَانِ وَ لَا یَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الجِیرَانِ عَلَی مَا بَینَهُم مِن قُربِ الجِوَارِ وَ دُنُوّ الدّارِ وَ کَیفَ یَکُونُ بَینَهُم تَزَاوُرٌ وَ قَد طَحَنَهُم بِکَلکَلِهِ البِلَی وَ أَکَلَتهُمُ الجَنَادِلُ وَ الثّرَی وَ کَأَن قَد صِرتُم إِلَی مَا صَارُوا إِلَیهِ وَ ارتَهَنَکُم ذَلِکَ المَضجَعُ وَ ضَمّکُم ذَلِکَ المُستَودَعُ فَکَیفَ بِکُم لَو تَنَاهَت بِکُمُ الأُمُورُ وَ بُعثِرَتِ القُبُورُهُنالِکَ تَبلُوا کُلّ –قرآن–۱۳۶۳–۱۳۸۳ دَارٌ بِالبَلَاءِ مَحفُوفَةٌ وَ بِالغَدرِ مَعرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحوَالُهَا وَ لَا یَسلَمُ نُزّالُهَا أَحوَالٌ مُختَلِفَةٌ وَ تَارَاتٌ مُتَصَرّفَةٌ العَیشُ فِیهَا مَذمُومٌ وَ الأَمَانُ مِنهَا مَعدُومٌ وَ إِنّمَا أَهلُهَا فِیهَا أَغرَاضٌ مُستَهدِفَةٌ تَرمِیهِم بِسِهَامِهَا وَ تُفنِیهِم بِحِمَامِهَا وَ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّکُم وَ مَا أَنتُم فِیهِ مِن هَذِهِ الدّنیَا عَلَی سَبِیلِ مَن قَد مَضَی قَبلَکُم مِمّن کَانَ أَطوَلَ مِنکُم أَعمَاراً وَ أَعمَرَ دِیَاراً وَ أَبعَدَ آثَاراً أَصبَحَت أَصوَاتُهُم هَامِدَةً وَ رِیَاحُهُم رَاکِدَةً وَ أَجسَادُهُم بَالِیَةً وَ دِیَارُهُم خَالِیَةً وَ آثَارُهُم عَافِیَةً فَاستَبدَلُوا بِالقُصُورِ المَشَیّدَةِ وَ النّمَارِقِ المُمَهّدَةِ الصّخُورَ وَ الأَحجَارَ المُسنَدَةَ وَ القُبُورَ اللّاطِئَةَ المُلحَدَةَ التّیِ قَد بنُیِ‌َ عَلَی الخَرَابِ فِنَاؤُهَا وَ شُیّدَ بِالتّرَابِ بِنَاؤُهَا فَمَحَلّهَا مُقتَرِبٌ وَ سَاکِنُهَا مُغتَرِبٌ بَینَ أَهلِ مَحَلّةٍ مُوحِشِینَ وَ أَهلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِینَ لَا یَستَأنِسُونَ بِالأَوطَانِ وَ لَا یَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الجِیرَانِ عَلَی مَا بَینَهُم مِن قُربِ الجِوَارِ وَ دُنُوّ الدّارِ وَ کَیفَ یَکُونُ بَینَهُم تَزَاوُرٌ وَ قَد طَحَنَهُم بِکَلکَلِهِ البِلَی وَ أَکَلَتهُمُ الجَنَادِلُ وَ الثّرَی وَ کَأَن قَد صِرتُم إِلَی مَا صَارُوا إِلَیهِ وَ ارتَهَنَکُم ذَلِکَ المَضجَعُ وَ ضَمّکُم ذَلِکَ المُستَودَعُ فَکَیفَ بِکُم لَو تَنَاهَت بِکُمُ الأُمُورُ وَ بُعثِرَتِ القُبُورُهُنالِکَ تَبلُوا کُلّ نَفسٍ ما أَسلَفَت وَ رُدّوا إِلَی اللّهِ مَولاهُمُ الحَقّ وَ ضَلّ عَنهُم ما کانُوا یَفتَرُونَ –قرآن–۱–۹۴ بالبلاء محفوفة قدأحاط بها من کل جانب . وتارات جمع تارة وهی المرة الواحدة ومتصرفة منتقلة متحولة. ومستهدفة بکسر الدال منتصبة مهیأة للرمی وروی مستهدفة بفتح الدال علی المفعولیة کأنها قداستهدفها غیرها أی جعلها أهدافا. ورياحهم راکدة ساکنة وآثارهم عافیة مندرسة. والقصور المشیدة العالیة و من روی المشیدة بالتخفیف وکسر الشین فمعناه المعمولة بالشید و هوالجص . والنمارق الوسائد. والقبور الملحدة ذوات اللحود. وروی والأحجار المسندة بالتشدید. قوله ع قدبنی علی الخراب فناؤها أی بنیت لالتسکن الأحیاء فیها کماتبنی منازل أهل الدنیا. والکلکل الصدر و هوهاهنا استعارة. والجنادل الحجارة وبعثرت القبور أثیرت . وتبلو کل نفس ماأسلفت تخبر وتعلم جزاء أعمالها و فیه حذف مضاف و من [صفحه ۲۵۹] قرأ تتلو بالتاء بنقطتین أی تقرأ کل نفس کتابها

وضل عنهم ماكانوا يفترون بطل عنهم ماكانوا يدعونه ويكذبون فيه من القول بالشركاء وأنهم شفعاء

ذكر بعض الآثار والأشعار الواردة فی ذم الدنیا

و من كلام بعض البلغاء فی ذم الدنيا أما بعد فإن الدنيا قدعاتبت نفسها بما أبدت من تصرفها وإنبات عن مساوئها بما أظهرت عن مصارع أهلها ودلت على عوراتها بتغير حالاتها ونطقت ألسنة العبر فيهابزوالها وشهد اختلاف شئونها على فنائها و لم يبق لمرتاب فيهاريب و لاناظر فی عواقبها شک بل عرفها جل من عرفها معرفة يقين وكشفوها أوضح تكشيف ثم اختلجتهم الأهواء عن منافع العلم ودلتهم الآمال بغرور فلججت بهم فی غمرات العجز فسبحوا فی بحورها موقنين بالهلكة ورتعوا فی عراصها عارفين بالخدعة فكان يقينهم شكا وعلمهم جهلا لابالعلم انتفعوا و لابما عاينوا اعتبروا قلوبهم عالمة جاهلة وأبدانهم شاهدة غائبة حتى طرقتهم المنية فأعجلتهم عن الأمنية فبغتتهم القيامة وأورثتهم الندامة وكذلك الهوى حلت مذاقته وسمت عاقبته والأمل ينسى طويلا ويأخذ وشيكا فانتفع امرؤ بعلمه وجاهد هواه أن يضله وجانب أمله أن يغره وقوى يقينه على العمل ونفى عنه الشك بقطع الأمل فإن الهوى والأمل إذااستضعفا اليقين صرعاه و إذاتعاونا على ذى غفلة خدعاه فصريعهما لاينهض سالما وخديعهما لايزال نادما والقوى من قوى عليهما والحازم من احترس منهما ألبسنا الله وإياكم جنة السلامة ووقانا وإياكم سوء العذاب . [صفحه ٢٦٠] كان عمر بن عبدالعزيز إذاجلس للقضاء قرأأ فَرَأَيتَ إِن مَتّعناهُم سِنِينَ ثُمّ جاءَهُم ما كانُوا يُوعَدُونَ ما أَغنى عَنهُم ما كانُوا يُمَتّعُونَ. قال منصور بن عمار لأهل مجلسه ماأرى إساءة تكبر على عفو الله فلاتيأس وربما آخذ الله على الصغير فلاتأمن و قدعلمت أنك بطول عفو الله عنك عمرت مجالس الاغترار به ورضيت لنفسك المقام على سخطه و لوكنت تعاقب نفسك بقدر تجاوزه عن سيئاتك مااستمر بك لجاج فيما نهيت عنه و لاقصرت دون المبالغة فيه ولكنك رهين غفلتك وأسير حيرتك . قال إسماعيل بن زياد أبويعقوب قدم علينا بعبادان راهب من الشام ونزل دير ابن أبى كبشة فذكروا حكمة كلامه فحملنى ذلك على لقائه فأتيته و هو يقول إن لله عبادا سمت بهم هممهم فهووا عظيم الذخائر فالتمسوا من فضل سيدهم توفيقا يبلغهم سمو الهمم فإن استطعتم أيها المرتحلون عن قريب أن تأخذوا ببعض أمرهم فإنهم قوم قدملكت الآخرة قلوبهم فلم تجد الدنيا فيهاملبسا فالحزن بثهم والدمع راحتهم والدءوب وسيلتهم وحسن الظن قربانهم يحزنون بطول المكث فی الدنيا إذافرح أهلها فهم فيهامسجونون و إلى الآخرة منطلقون .فما سمعت موعظة كانت أنفع لى منها. و من جيد شعر أبى نواس فی الزهد –قرآن-٤٢-١٤٨ يابنى النقص والغير || وبنى الضعف والخور وبنى البعد فی الطباع || على القرب فی الصور [صفحه ٢٦١] والشكول التى تباين || فی الطول والقصر أين من كان قبلكم || من ذوى البأس والخطر سائلوا عنهم المدائن || واستبحثوا الخبر سبقونا إلى الرحيل || وإنا لبالأثر من مضى عبرة لنا || وغدا نحن معتبر أن للموت أخذة || تسبق اللمح بالبصر فكأنى بكم غدا || فی ثياب من المدر قدنقلتم من القصور || إلى ظلمة الحفر حيث لاتضرب القباب || عليكم و لاالحجر حيث لاتطربون منه || للهو و لاسمر رحم الله مسلما || ذكر الموت فازدجر رحم الله مؤمنا || خاف فاستشعر الحذر . و من جيد شعر الرضى أبى الحسن رحمه الله فی ذكر الدنيا وتقلبها بأهلها وهل نحن إلامرامى السهام || يحفزها نابل دائب نسر إذاجازنا طائش || ونجزع إن مسنا صائب ففى يومنا قدر لابد || و عندغد قدر واثب [صفحه ٢٦٢] طرائد تطردها النائبات || و لابد أن يدرك الطالب أرى المرء يفعل فعل الحديد || و هوغدا حمأ لازب عوارى من سلب الهالكين || يمد يدا نحوها السالب لنا بالردى موعد صادق || ونيل المنى موعد كاذب حبائل للدهر مبثوثه || يرد إلى جذبها الهارب وكيف نجاوز غاياتنا || و قدبلغ المورد القارب نصبح بالكأس مجدحة || ذعافا و لايعلم الشارب . و قال أيضا وهى من محاسن شعره ماأقل اعتبارنا بالزمان || وأشد اغترارنا بالأمانى

وقفات على غرور وإقدام || على مزلق من الحدثان فى حروب مع الردى فكانا اليوم || فى هدنة مع الأزمان وكفانا مذكرا بالمنايا || علمنا أننا من الحيوان كل يوم رزية بفلان || ووقوع من الردى بفلان كم ترانى أضل نفسا وألهو || فكأنى وثقت بالوجدان قل لهذى الهوامل استوقفى السير || أواستنشدى عن الأعطان واستقيمى قدضمك اللقم النهج || وغنى وراءك الحاديان [صفحه ۲۶۳] كم محيدا عن الطريق وقد ضرح || خلج البرى وجذب العران ننثنى جازعين من عدوة الدهر || ونرتاع للمنايا الروانى جفلة السرب فى الظلام و قدذعذع || روعا من عدوة الذؤبان ثم ننسى جرح الحمام و إن كان || رغيبا ياقرب ذا النسيان كل يوم تزايل من خليط || بالردى أوتباعد من دان وسواء مضى بنا القدر الجد || عجولا أوماطل العصران . وأيضا من هذه القصيدة قدمررنا على الديار خشوعا || ورأينا البنا فأين البانى وجهلنا الرسوم ثم علمنا || فذكرنا الأوطار بالأوطان التفاتا إلى القرون الخوالى || هل ترى اليوم غيرقرن فان أين رب السدير فالحيرة البيضاء || أم أين صاحب الإيوان والسيوف الحداد من آل بدر || والقنا الصم من بنى الريان طردتهم وقائع الدهر عن لعلع || طرد السفاف عن نجران والمواضى من آل جفنة أرسى || طنبا ملكهم على الجولان يكرعون العقار فى فلق الإبريز || كرع الظماء فى الغدران من أباة اللعن الذين يحيون || بها فى معاقد التيجان تتراءاهم الوفود بعيدا || ضاربين الصدور بالأذقان [صفحه ۲۶۴] فى رياض من السماح حوال || وجبال من الحلوم رزان وهم الماء لذ للناهل الظمآن || بردا والنار للحيران كل مستيقظ الجنان إذاأظلم || ليل النوامة المبطان يغتدى فى السباب غيرشجاع || ويرى فى النزال غيرجبان ماثنت عنهم المنون يدا شوكاء || أطرافها من المران عطف الدهر فرعهم فرعاه || بعد بعدالذرى قريب المجانى وثنتهم بعدالجماح المنايا || فى عنان التسليم والإذعان عطلت منهم المقارى وباخت || فى حماهم مواقد النيران ليس يبقى على الزمان جرىء || فى إباء أوعاجز فى هوان لاشبوب من الصوار و لاأعنق || يرعى منابت العلجان لا ـ و لاخاضب من الربد يختال || بريط أحم غيريمان يرتمى وجهة الرئال إذاآنس || لون الإظلام والإدجان وعقاب الملاع تلحم فرخيها || بإزليقة زلول القنان نائلا فى مطامح الجو هاتيك || وذا فى مهابط الغيطان و هذاشعر فصيح نادر معرق فى العربية. [صفحه ۲۶۵] و من شعره الجيد أيضا فى ذكر الدنيا ومصائبها أ و مارأيت وقائع الدهر || أ فلاتسىء الظن بالعمر بينا الفتى كالطود تكنفه || هضباته والعضب ذى الأثر يأبى الدنية فى عشيرته || ويجاذب الأيدى على الفخر و إذاأشار إلى قبائله || حشدت عليه بأوجه غر يترادفون على الرماح فهم || سيل يعب وعارض يسرى إن نهنهوا زادوا مقاربة || فكأنما يدعون بالزجر عدد النجوم إذادعى بهم || يتزاحمون تزاحم الشعر عقدوا على الجلى مآزرهم || سبطى الأنامل طيبى النشر زل الزمان بوطء أخمصه || ومواطئ الأقدام للعثر نزع الإباء و كان شملته || وأقر إقرارا على صغر صدع الردى أعيا تلاحمه || من ألحم الصدفين بالقطر جر الجياد على الوجى ومضى || أمما يدق السهل بالوعر حتى التقى بالشمس مغمدة || فى قعر منقطع من البحر ثم انثنت كف المنون به || كالضغث بين الناب والظفر لم تشتجر عنه الرماح و لا || رد القضاء بماله الدثر جمع الجنود وراءه فكأنما || لاقته و هومضيع الظهر وبنى الحصون تمنعا فكأنما || أمسى بمضيعة و مايدرى وبرى المعابل للعدا فكأنما || لحمامه كان ألذى يبرى [صفحه ۲۶۶] إن التوقى فرط معجزة || فدع القضاء يقد أويفرى وحمى المطاعم للبقا وذى الآجال || مل ء فروجها تجرى لو كان حفظ النفس ينفعنا || كان الطبيب أحق بالعمر الموت داء لادواء له || سيان مايوبى و مايمرى . و هذا من حر الكلام وفصيحه ونادره و لاعجب فهذه الورقة من تلك الشجرة و هذاالقبس من تلك النار [صفحه ۲۶۷]

۲۲۲– و من دعاء له ع

اشاره

أللّهُمّ إنّک آنَسُ الآنِسِینَ لِأَولِیَائِک وَ أَحضَرُهُم بِالکِفَایَةِ لِلمُتَوَکّلِینَ عَلَیک تُشَاهِدُهُم فِی سَرَائِرِهِم وَ تَطّلِعُ عَلَیهِم فِی ضَمَائِرِهِم وَ تَعلَمُ مَبلَغَ بَصَائِرِهِم فَأَسرَارُهُم لَک مَکشُوفَةٌ وَ قُلُوبُهُم إِلَیک مَلهُوفَةٌ إِن أَوحَشَتهُمُ الغُربَةُ آنَسَهُم ذِکرُک وَ إِن صُبّت عَلَیهِمُ المَصَائِبُ لَجَئُوا إِلَی الِاستِجَارَةِ بِک عِلماً بِأَنّ أَزِمّةَ الأُمُورِ بِیَدِک وَ مَصَادِرَهَا عَن قَضَائِک أللّهُمّ إِن فَهِهتُ عَن مَسأَلَتِی أَو عَمِیتُ عَن طِلبَتِی فَدُلّنِی عَلَی مَصَالِحِی وَ خُذ بِقَلبِی إِلَی مَرَاشِدِی فَلَیسَ ذَلِک بِنُکرٍ مِن هِدَایَاتِک وَ لَا بِبِدعٍ مِن کِفَایَاتِک أللّهُمّ احمِلنِی عَلَی عَفوِک وَ لَا تَحمِلنِی عَلَی عَدلِک أنست ضد وحشت والإيناس ضد الإيحاش و كان القياس أن يقول إنك آنس المؤنسين لأن الماضي أفعل وإنما الآنسون جمع آنس و هوالفاعل من أنست بكذا لا من آنست فالرواية الصحيحة إذن بأوليائك أى أنت أكثرهم أنسا بأوليائك وعطفا وتحننا عليهم . وأحضرهم بالكفاية أى أبلغهم إحضارا لكفاية المتوكلين عليهم وأقومهم بذلك [صفحه ٢٦٨] تشاهدهم فى سرائرهم أى تطلع على غيبهم والبصائر العزائم نفذت بصيرته فى كذا أى حق عزمه . وقلوبهم إليك ملهوفة أى صارخة مستغيثه . وفههت عن مسألتى بالكسر عييت والفهة والفهاهة العى رجل أفه و رجل فه أيضا وامرأة فههة قال الشاعر فلم تلفنى فها و لم تلف حاجتى || ملجلجة أبغى لها من يقيمها . و قدفههت يا رجل فهها أى عييت ويقال سفيه فهيه وفههه الله وخرجت لحاجة فأفهنى عنها فلان أى أنسانيها. ويروى أوعمهت بالهاء والميم المكسورة والعمه التحير والتردد عمه الرجل فهو عمه وعامه والجمع عمه وأرض عمهاء لاأعلام بها. والنكر العجب والبدع المبتدع و منه قوله تعالى قُل ما کُنتُ بِدعاً مِنَ الرّسُلِ أى لم آت بما لم أسبق إليه . ومثل قوله ع أللهم احملنى على عفوك و لاتحملنى على عدلك قول المروانية للهاشمية لماقتل مروان فى خبر قداقتصصناه قديما ليسعنا عدلكم قالت الهاشمية إذن لانبقى منكم أحدا لأنكم حاربتم عليا ع وسممتم الحسن ع وقتلتم الحسين وزيدا وابنه وضربتم على بن عبد الله وخنقتم ابراهيم الإمام فى جراب النورة.قالت قديسعنا عفوكم قالت أما هذافنعم -قرآن-٢٨٩-٣٢١ [صفحه ٢٦٩]

أدعية فصيحة من كلام أبى حيان التوحيدى

و من الدعوات الفصيحة المستحسنة فصول من كلام أبى حيان التوحيدى نقلتها.فمنها أللهم إنى أبرأ من الثقة إلابك و من الأمل إلافيك و من التسليم إلا لك و من التفويض إلاإليك و من التوكل إلاعليك و من الطلب إلامنك و من الرضا إلاعنك و من الذل إلا فى طاعتك و من الصبر إلا على بلائك وأسألك أن تجعل الإخلاص قرين عقيدتى والشكر على نعمك شعارى ودثارى والنظر إلى ملكوتك دأبى وديدنى والانقياد لك شأنى وشغلى والخوف منك أمنى وإيمانى واللياذ بذكرك بهجتى وسرورى. أللهم تتابع برك واتصل خيرك وعظم رفدك وتناهى إحسانك وصدق وعدك وبر قسمك وعمت فواضلك وتمت نوافلك و لم تبق حاجة إلا و قدقضيتها أوتكلفت بقضائها فاختم ذلك كله بالرضا والمغفرة إنك أهل ذلك والقادر عليه والملى به . ومنها أللهم إنى أسألك خفايا لطفك وفواتح توفيقك ومألوف برك وعوائد إحسانك وجاه المقدسين من ملائكتك ومنزلة المصطفين من رسلك ومكاثرة الأولياء من خلقك وعاقبة المتقين من عبادك . وأسألك القناعة برزقك والرضا بحكمك والنزاهة عن محظورك والورع فى شبهاتك والقيام بحجتك والاعتبار بما أبديت والتسليم لماأخفيت والإقبال على ماأمرت والوقوف عما زجرت حتى أتخذ الحق حجة عند ماخف وثقل والصدق سنة فيما عسر وسهل و حتى أرى أن شعار الزهد أعز شعار ومنظر الباطل أشوه منظر [صفحه ٢٧٠] فأتبختر فى ملكوتك بفضفاض الرداء بالدعاء إليك وأبلغ الغاية القصوى بين خلقك بالثناء عليك . ومنها أللهم إليك أرفع عجرى وبجرى وبك أستعين فى عسرى ويسرى وإياك أدعو رغبا ورهبا فإنك العالم بتسويل النفس وفتنة الشيطان وزينة الهوى وصرف الدهر وتلون الصديق وبائقة الثقة وقنوط القلب وضعف

المنۀ وسوء الجزع .فقنی أللهم ذلک کله واجمع من أمری شـمله وانظم من شأنی شتیته واحرسـنی عندالغنی من البطر و عندالفقر من الضـجر و عندالکفایـۀ من الغفلـۀ و عندالحاجۀ من الحسـرۀ و عندالراحۀ من الفسولۀ و عندالطلب من الخیبۀ و عندالمنازلۀ من الطغیان و عنـدالبحث من الاعتراض علیک و عندالتسـلیم من التهمـۀ لک . وأسألک أن تجعل صـدری خزانـۀ توحیدک ولسانی مفتاح تمجیـدک وجوارحی خدم طاعتک فإنه لا عز إلا فی الذل لک و لاغنی إلا فی الفقر إلیک و لاأمن إلا فی الخوف منک و لاقرار إلی فی القلق نحوک و لاروح إلا فی الکرب لوجهک و لاثقـۀ إلا فی تهمـۀ خلقک و لاراحـۀ إلا فی الرضا بقسـمک و لاـعیش إلاـ فی جوار المقربین عنـدک . ومنها أللهم ببرهانک الصادع وبنور وجهک الساطع صل علی محمـدنبیک نبی الرحمۀ وقائـد الأمـۀ وإمـام الأئمـۀ واحرس علی إیمـانی بک بالتسـلیم لک وخفف عنی مئونـۀ الصبر علی امتحانک وواصل لی أسـباب المزید عندالشکر علی نعمتک واجعل بقیۀ عمری فی غنی عن خلقک ورضا بالمقدم من رزقک . [صفحه ۲۷۱] أللهم إنک إن آخـذتنا بـذنوبنا خسـفت الأرض بنا و إن جازیتنا علی ظلمنا قطعت دوابرنا فإنک قلت فَقُطِعَ دابِرُ القَومِ الّـذِینَ ظَلَمُوا وَ الحَمدُ لِلّهِ رَبّ العـالَمِینَ أللهم إلیک نشـکو قسوۀ قلوبنا وغل صـدورنا وفتنـۀ أنفسـنا وطموح أبصارنا ورفث ألسـنتنا وسـخف أحلامنا وسوء أعمالنـا وفحش لجاجنـا وقبـح دعوانا ونتن أشـرارنا وخبث أخیارنا وتلزق ظاهرنا وتمزق باطننا. أللهم فارحمنا وارأف بنا واعطف علینـا وأحسن إلینـا وتجـاوز عنـا واقبل المیسور منا فإننا أهل عقوبـۀ و أنت أهل مغفرۀ و أنت بما وصـفت به نفسک أحق منا بما وسـمنا به أنفسنا فإن فی ذلک مااقترن بکرمک وأدی إلی عفوک و من قبل ذلک وبعده فألب عیشنا بنعمتک وأرح أرواحنا من کـد الأمـل فی خلقـک وخـذ بأزمتنا إلی بابک وأله قلوبنا عن هـذه الـدار الفانیـۀ وازرع فیهامحبـۀ الـدار الباقیـۀ وقلبنا علی بساط لطفک وحثنا بالإحسان إلی کنفک ورفهنا عن التماس ما عندغیرک واغضض عیوننا من ملاحظۀ ماحجب من غیرک وصل بیننا و بین الرضـا عنـک وارفع عنـا مئونـۀ العرض علیک وخفف علینا کل ماأوصـلنا إلیک وأذقنا حلاوۀ قربک واکشف عن سـرائرنا سواتر حجبک ووکل بنا الحفظۀ وارزقنا الیقظۀ حتی لانقترف سـیئۀ و لانفارق حسـنۀ إنک قائم علی کل نفس بما کسبت و أنت بمـا نخفی و مـانعلن خبیر بصـیر. ومنهـا أللهم أنت الحی القیوم والأـول الـدائم والإـله القـدیم والبارئ المصور والخالق المقـدس والجبـار الرفیع والقهـار المنیع والملـک الصـفوح والوهـاب المنوح –قرآن-۹۴-۱۶۹ [صـفحه ۲۷۲] والرحمن الرءوف والحنـان العطوف والمنان اللطیف مالک الذوائب والنواصی وحافظ الأدانی والأقاصی ومصرف المطیع والعاصی. أللهم أنت الظاهر ألذی لایجحـدک جاحـد إلاـزایلته الطمأنینـۀ وأسـلمه الیأس وأوحشه القنوط ورحلت عنه العصـمۀ وتردد بین رجاء قـدنأی عنه التوفیق وأمل قـدحفت به الخیبـۀ وطمع یحوم علی أرجاء التکـذیب وسر قـدأطاف به الشـقاء وعلانیـۀ قدأناف علیها البلاء موهون المنۀ منسوخ العقـدۀ مسـلوب العـدۀ تشـنؤه العین وتقلیه النفس عقله عقل طائر ولبه لب حائر وحکمه حکم جائر لایروم قرارا إلاأزعج عنه و لایسـتفتح بابا إلاأرتج دونه و لایقتبس ضـرما إلاأجج علیه عثرته موصولۀ بالعثرۀ وحسرته مقرونۀ إلی حسرۀ إن سمع زیف و إن قال حرف و إن قضی خرف و إن احتج زخرف و لوفاء إلی الحق لوجد ظله ظلیلا وأصاب تحته مثوی ومقیلا و أنت الباطن ألـذی لایرومـک رائم و لاـیحوم علی حقیقتک حائم إلاغشـیه من نور إلهیتک و عزسـلطانک وعجیب قـدرتک وباهر برهانک وغرائب غیوبـک وخفی شأنـک ومخوف سـطوتک ومرجو إحسانک مایرده خاسـئا من مزحزحه عن الغایـۀ خجلا مبهورا ویرده إلی عجزه ملتحفا بالنـدم مرتـدیا بالاسـتکانۀ راجعا إلی الصـغار موقوفا مع الذلۀ فظاهرک یدعو إلیک بلسان الاضـطرار وباطنک یحیر فیـک لسعۀ قضاء الاعتبار وفعلک یـدل علیک الأسـماع والأبصار وحکمتک تعجب منک الألباب والأسـرار لک السـلطان والملکۀ وبیدک النجاۀ والهلکۀ فإلیک المفر ومعک المقر ومنک صـنوف الإحسان والبر أسألک بأصح سـر وأکرم لفظ وأفصح لغۀ وأتم إخلاص وأشـرف همـۀ وأفضل نیۀ وأطهر عقیدۀ وأثبت یقین أن تصد عنی [صـفحه ۲۷۳] کل مایصد عنک وتصـلنی بکل مایصل بک وتحبب إلی کل مایحبب إلیک فإنک الأول والثانی والمشار إلیه فی جمیع المعانی لاإله إلا أنت . ومنها أللهم

إنی أسألک جدا مقرونا بالتوفیق وعلما بریئا من الجهل وعملا عریا من الریاء وقولا موشحا بالصواب وحالا دائرة مع الحق وفطنة عقل مضروبة فی سلامة صدور وراحة جسم راجعة إلی روح بال وسکون نفس موصولا بثبات یقین وصحة حجة بعیدة من مرض شبهة حتی تکون غایتی فی هذه الدنیا موصولة بالأمثل فالأمثل وعاقبتی عندک محمودة بالأفضل فالأفضل من حیاة طیبة أنت الواعد بها ونعیم دائم أنت المبلغ إلیه . أللهم لاتخیب رجاء هومنوط بک و لاتصفر کفا هی ممدودة إلیک و لاتعذب عینا فتحتها بنعمتک و لاتذل نفسا هی عزیزه بمعرفتک و لاتسلب عقلا هومستضیء بنور هدایتک و لاتخرس لسانا عودته الثناء علیک فکما کنت أولاـ بالتفضل فکن آخرا بالإحسان .الناصیة بیدک والوجه عان لک والخیر متوقع منک والمصیر علی کل حال إلیک .ألبسنی فی هذه الحیاة البائدة ثوب العصمة وحلنی فی تلک الدار الباقیة بزینة الأمن وأفطم نفسی عن طلب العاجلة الزائدة وأجرنی علی العادة الفاضلة و لاتجعلنی ممن سها عن باطن ما لک علیه بظاهر ما لک عنده فالشقی من لم تأخذ بیده و لم تؤمنه من غده والسعید من آویته إلی کنف نعمتک ونقلته حمیدا إلی منازل رحمتک غیرمناقش فی الحساب و لاسائق له إلی العذاب فإنک علی ذلک قدیر. ومنها أللهم اجعل غدونا إلیک مقرونا بالتوکل علیک ورواحنا عنک موصولا [صفحه ۲۷۴] بالنجاح منک وإجابتنا لک راجعة إلی التهالک فیک وذکرنا إیاک منوطا بالسکون معک وثقتنا بک هادئة إلی التفویض إلیک و لاتخلنا من ید تستوعب الشکر و من شکر یمتری خلف المزید و من مزید یسبق اقتراح المقترحین وصنع یفوق ذرع الطالبین حتی نلقاک مبشرین بالرضا محکمین فی المنی غیرمناقشین و لامطرودین . أللهم أعذنا من جشع الفقیر وریبة المنافق وتجلیح المعاند وطیشة العجول وفترة الکسلان وحیلة المستبد وفتور العقل وحیرة المخرج وحسرة المحوج وفلتة الذهول وحرقة النکول ورقة الخائف وطمأنینة المغرور وغفلة الغرور. واکفنا مئونة أخ یرصد مسکونا إلیه ویمکر موثوقا به ویخیس معتمدا علیه . وصل الکفایة بالسلوة عن هذه الدنیا واجعل التهافنا علیها حنینا إلی دار السلام ومحل القرار وغلب إیماننا بالغیب علی یقیننا بالعیان واحرسنا من أنفسنا فإنها ینابیر الشهوة ومفاتیح البلوی . وأرنا من قدرتک مایحفظ علینا هیبتک وأوضح لنا من حکمتک مایقلبنا فی ملکوتک وأسبغ علینا من نعمتک ما یکون لنا عونا علی طاعتک وأشع فی صدورنا من نورک ماتتجلی به حقائق توحیدک واجعل دیدننا ذکرک وعادتنا الشوق إلیک وعلمنا النصح لخلقک واجعل غایتنا الاتصال بک واحجبنا عن قول یبرئ من رضاک وعمل یعمی صاحبه عن هداک وألف بیننا و بین الحق وقربنا من معادن الصدق واعصمنا من بوائق الخلق وانقلنا من مضایق الرق واهدنا إلی فوائد العتق . أللهم إنک بدأت بالصنع و أنت أهله فعد بالتوفیق فإنک أهله . [صفحه ۲۷۵] أللهم إنا نتضاءل لک عندمشاهدة عظمتک وندل علیک عندتواتر برک ونذل لک عندظهور آیاتک ونلح علیک عندعلمنا بجودک . ونسألک من فضلک ما لاـیرزؤک و لاـینکؤک ونتوسل إلیک بتوحید لاینتمی إلیه خلق و لایفارقه حق . ومنها أللهم علیک أتوکل وبک أستعین وفیک أوالی وبک أنتسب ومنک أفرق ومعک أستأنس و لک أمجد وإیاک أسأل لسانا سمحا بالصدق وصدرا قدملئ من الحق وأملا منقطعا عن الخلق وحالا مکنونها یبوئ الجنة وظاهرها یحقق المنة وعاقبة تنسی ماسلف وتتصل بما یتمنی ویتوکف . وأسألک أللهم کبدا رجوفا خئوفا ودمعا نطوفا شوقا إلیک ونفسا عزوفا إذعانا لک وسرا ناقعا ببرد الإیمان بک ونهارا مشتملا علی ماکسب من مرضاتک ولیلا مائلا بما أزلف لدیک .أشکو إلیک أللهم تلهفی علی مایفوتنی من الدنیا وإننی فی طاعة الهوی جاهلاـ بحقک ساهیا عن واجبک ناسیا ماتکرره من وعظک وإرشادک وبیانک وتنبیهک حتی کان حلاوة وعدک لم تلج أذنی و لم تباشر فؤادی و حتی کأنی مرارة عتابک ولائمتک لم تهتک حجابی و لم تعرض علی أوصابی. أللهم إلیک المفر من دار منهومها لایشبع وحائمها لاینقع وطالبها لایربع وواجدها لایقنع والعیش عنک رقیق وللأمل فیک تحقیق . أللهم کماابتلیت بحکمتک الخفیة التی أشکلت علی العقول وحارت معها البصائر فعاف برحمتک اللطیفة التی تطاولت إلیها الأعناق وتشوفت نحوها السرائر وخذ معنا بالفضل ألذی إلیک هومنسوب وعنک هومطلوب وأفطم نفوسنا من رضاع الدنیا [

صفحه ۲۷۶] والطف بما أنت له أهل إنک علی کل شیءقدیر. أللهم قدنا بأزمهٔ التوحید إلی محاضر طاعتک واخلطنا فی زمرهٔ المخلصین لذکرک واجعل إجابتک من قبیل مایتصل بکرم عفوک و لاتجعل خیبتنا من قبل جهلنا بقدرک وإضرابنا عن أمرک فلاسائل أحوج منا و لامسئول أجود منک . أللهم احجر بیننا و بین کل مادل علی غیرک ببیانک ودعا إلی سواک ببرهانک وانقلنا عن مواطن العجز مرتقیا بنا إلی شرفات العز فقد استحوذ الشیطان وخبثت النفس وساءت العادهٔ وکثر الصادون عنک وقل الداعون إلیک وذهب المراعون لأمرک وفقد الواقفون عندحدودک وخلت دیار الحق من سکانها وبیع دینک بیع الخلق واستهزئ بناشر مجدک وأقصی المتوسل بک . أللهم فأعد نضارهٔ دینک وأفض بین خلقک برکات إحسانک وامدد علیهم ظل توفیقک واقمع ذوی الاعتراض علیک واخسف بالمقتحمین فی دقائق غیبک واهتک أستار الهاتکین لستر دینک والقارعین أبواب سرک القائسین بینک و بین خلقک أللهم إنی أسألک أن تخصنی بإلهام اقتبس الحق منه وتوفیق یصحبنی وأصحبه ولطف لایغیب عنی و لاأغیب عنه حتی أقول إذا قلت لوجهک وأسکت إذاسکت بإذنک وأسأل إذاسألت بأمرک وأبین إذاأبنت بحجتک وأبعد إذابعدت بإجلالک وأقرب إذاقربت برحمتک وأعبد إذاعبدت مخلصا لک وأموت إذامت منتقلا إلیک أللهم فلاتکلنی إلی غیرک و لاتؤیسنی من خیرک . ومنها أللهم إنا بک نعز کماإنا بغیرک نذل وإیاک نرجو کماإنا من غیرک نیأس وإلیک نفوض کماإنا من غیرک نعرض أذنت لنا فی دعائک وأدنیتنا إلی فنائک وهیأتنا لعطائک وخصصتنا بحبائک ووسمتنا بولائک وعممتنا بآلائک وغمستنا فی نعمائک وناغیتنا بألسن ملکوتک عن دفائن ما فی عالمک ولاطفتنا بظاهر قولک [صفحه ۲۷۷] وتولیتنا بباطن فعلک فسمت نحوک أبصارنا وشامت بروق جودک بصائرنا فلما استقر ماببیننا وبینک أرسلت علینا سماء فضلک مدرارا وفتحت لنا منا أسماعا وأبصارا فرأینا ماطاح معه تحصیلنا وسمعنا مافارقنا عنده تفضیلنا فلما سرنا إلی خلقک من ذلک ذروا اتخذونا من أجله لعبا وهزوا فبقدرتک علی بلوانا بهم أرنا بک الغنی عنهم أللهم قیض لنا فرجا من عندک وأنح لنا مخلصا إلیک فإنا قدتعبنا بخلقک وعجزنا عن تقویمهم لک ونحن إلی مقاربتهم فی مخالفتک أقرب منا إلی منابذتهم فی موافقتک لأنه لاطاقهٔ لنا بدهمائهم و لاصبر لنا علی بلوائهم و لاحیلهٔ لنا فی شفائهم فنسألک بالضراعهٔ التامهٔ وبالإخلاص المرفود إلاأخذت بأیدینا وأرسلت رحمتک علینا فما أقدرک علی الإجابهٔ و ماأجودک بکل مصون یاذا الجلال والإکرام . ومنها أللهم إنا قربنا بک فلاتنئنا عنک وظهرنا لک فلاتبطنا دونک ووجدناک بما ألقیت إلینا من غیب ملکوتک وعزفنا عن کل مالوانا عن بابک ووثقنا بکل ماوعدتنا فی کتابک وتوکلنا بالسر والعلن علی لطیف صنعک . أللهم إلیک نظرت العیون فعادت خاسئهٔ عبری وفیک تقسمت الظنون فانقلبت یائسهٔ حسری و فی قدرتک حارت الأبصار و فی حکمتک طاحت البصائر و فی آلائک غرقت الأرواح و علی ما کان منک تقطعت الأنفاس و من أجل إعراضک التهبت الصدور ولذکر مامضی منک هملت الدموع أللهم تولنا فیما ولیتنا حتی لانتولی عنک وأمنا مما خوفتنا حتی نقر معک وأوسعنا رحمتک حتی نطمئن إلی ماوعدتنا فی کتابک وفرق بیننا و بین الغل حتی لانعامل به خلقک وأغننا بک حتی لانفتقر إلی عبادک فإنک إذایسرت أمرا تیسر ومهما بلوتنا فلاتبلنا بهجرک و لاتجرعنا مرارهٔ سخطک لا قداعترفنا بربوبیتک [صفحه ۲۷۸] عبودیهٔ لک فعرفنا حقیقتها بالعفو عنا والإقبال علینا والرفق بنا یارحیم . ومنها أللهم إن الرغبات بک منوطهٔ والوسائل إلیک متدارکهٔ والحاجات ببابک مرفوعهٔ والثقهٔ بک مستحصفهٔ أی مستحکمهٔ والأخبار بجودک شائعهٔ والآمال نحوک نازعهٔ والأمانی وراءک منقطعهٔ والثناء علیک متصل ووصفک بالکرم معروف والخلائق إلی لطفک محتاجهٔ والرجاء فیک قوی والظنون بک جمیلهٔ والأعناق لعزک خاضعهٔ والنفوس إلی مواصلتک مشتاقهٔ والأرواح لعظمتک مبهوته لأنک لإله العظیم والرب الرحیم والجواد الکریم والسمیع العلیم تملک العالم کله و مابعده و ماقبله و لک فیه تصاریف القدرهٔ وخفیات الحکمهٔ ونوافذ الإرادهٔ و لک فیه ما لاندریه مما تخفیه و لاتبدیه جللت عن الإجلال وعظمت عن التعظیم و قدأزف ورودنا علیک ووقوفنا بین یدیک وظننا ما

قـدعلمت ورجاؤنـا مـا قـدعرفت فكن عنـدظننا بـك وحقق رجاءنـا فيـك فمـا خالفنـاك جرأة عليـك و لاعصـيناك تقحما فى سخطـك و لااتبعنـا هوانا اسـتهزاء بأمرك ونهيك ولكن غلبت علينا جواذب الطينـة التى عجنتنا بها وبـذور الفطرة التى أنبتنا منها فـاسترخت قيودنا عن ضـبط أنفسـنا وعزبت ألبابنا عن تحصـيل حظوظنا ولسـنا نـدعى حجـة ولكن نسألك رأفـة فبسترك السابغ الذيال وفضلك ألذى يستوعب كل مقال إلاتممت ماسلف منك إلينا وعطفت بجودك الفياض علينا وجذبت بأضباعنا وأقررت عيوننا وحققت آمالنا إنك أهل ذلك و أنت على كل شيءقدير

المجلد ۱۲

الجزء الثانى عشر

تتمة باب الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

۲۲۳– و من كلام له ع

اشاره

لِلّهِ بِلَادُ فُلَانٍ فَلَقَد قَوّمَ الأَوَدَ وَ دَاوَى العَمَدَ وَ أَقَامَ السّنّةَ وَ خَلّفَ الفِتنَةَ ذَهَبَ نقَيِّ الثّوبِ قَلِيلَ العَيبِ أَصَابَ خَيرَهَا وَ سَبَقَ شَرّهَا.أَدّى إِلَى اللّهِ طَاعَتَهُ وَ اتّقَاهُ بِحَقّهِ رَحَلَ وَ تَرَكَهُم فِي طُرُقٍ مُتَشَعّبَةٍ لَا يهَتـَدِي بِهَا الضّالّ وَ لَا يَستَيقِنُ المهُتدَيِ العرب تقول لله بلاد فلان ولله در فلان ولله نادى فلان ولله نائـح فلان والمراد بالأول لله البلاد التى أنشأته وأنبتته وبالثانى لله الثـدى ألذى أرضـعه وبالثالث لله المجلس ألـذى ربى فيه وبالرابع لله النائحـة التى تنوح عليه وتندبه ماذا تعهد من محاسـنه . ويروى لله بلاء فلان أى لله ماصنع وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب و قدوجـدت النسـخة التى بخط الرضـى أبى الحسن جامع نهـج البلاغـة وتحت فلان عمر [صـفحه ۴] حـدثنى بـذلك فخار بن معـد الموسوى الأودى الشاعر وسألت عنه النقيب أبا جعفريحيى بن أبى زيـد العلوى فقـال لى هـوعمر فقلـت له أيثنى عليه أمير المـؤمنين ع هـذاالثناء فقـال نعم أماالإماميـة فيقولـون إن ذلـك من التقيـة واستصـلاح أصـحابه و أماالصالحيون من الزيدية فيقولون إنه أثنى عليه حق الثناء و لم يضع المدح إلا فى موضعه ونصابه و أماالجارودية من الزيديـة فيقولون إنه كلام قاله فى أمر عثمان أخرجه مخرج الـذم له والتنقص لأعماله كمايمـدح الآن الأمير الميت فى أيام الأمير الحى بعده فيكون ذلك تعريضا به .فقلت له إلا أنه لايجوز التعريض والاستزادة للحاضر بمدح الماضى إلا إذا كان ذلك المدح صـدقا لايخـالطه ريب و لاشـبهة فـإذااعترف أمير المؤمنين بأنه أقام السـنة وذهب نقى الثوب قليل العيب و أنه أدى إلى الله طاعته واتقـاه بحقه فهـذا غايـة مـا يكون من المـدح و فيه إبطال قول من طعن على عثمان بن عفان .فلم يجبنى بشـيء و قال هو ما قلت لك .فأما الراوندى فإنه قال فى الشـرح إنه ع مدح بعض أصحابه بحسن السيرة و إن الفتنة هى التى وقعت بعد رسول الله ص من الاختيار والأثرة. و هذابعيد لأن لفظ أمير المؤمنين يشعر إشعارا ظاهرا بأنه يمدح واليا ذا رعية وسيرة أ لاتراه كيف يقول فلقد قوم

الأود وداوى العمد وأقام السنة وخلف الفتنة وكيف يقول أصاب خيرها وسبق شرها وكيف يقول أدى إلى الله طاعته وكيف يقول رحل وتركهم فى طرق متشعبة. [صفحه ۵] و هذاالضمير و هوالهاء والميم فى قوله ع وتركهم هل يصح أن يعود إلا إلى الرعايا وهل يسوغ أن يقال هذاالكلام لسوقة من عرض الناس و كل من مات قبل وفاة النبى ص كان سوقة لاسلطان له فلايصح أن يحمل هذاالكلام على إرادة أحد من الذين قتلوا أوماتوا قبل وفاة النبى ص كعثمان بن مظعون أومصعب بن عمير أوحمزة بن عبدالمطلب أوعبيدة بن الحارث وغيرهم من الناس والتأويلات الباردة الغثة لاتعجبنى على أن أبا جعفر محمد بن جرير الطبرى قدصرح أوكاد يصرح بأن المعنى بهذا الكلام عمر قال الطبرى لمامات عمر بكته النساء فقالت إحدى نوادبه وا حزناه على عمر حزنا انتشر حتى ملأ البشر وقالت ابنة أبى حثمة وا عمراه أقام الأود وأبرأ العمد وأمات الفتن وأحيا السنن خرج نقى الثوب بريئا من العيب . قال الطبرى فروى صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبة قال لمادفن عمر أتيت عليا ع و أناأحب أن أسمع منه فى عمر شيئا فخرج ينفض رأسه ولحيته و قداغتسل و هوملتحف بثوب لايشك أن الأمر يصير إليه فقال رحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة أبى حثمة ذهب بخيرها ونجا من شرها أما و الله ماقالت ولكن قولت -روايت-۱-۲-روايت-۶۱-۳۱۴ . و هذا كماترى يقوى الظن أن المراد والمعنى بالكلام إنما هوعمر بن الخطاب . [صفحه ۶] قوله فلقد قوم الأود أى العوج أود الشىء بالكسر يأود أودا أى أعوج وتأود العود يتأود. والعمد انفضاخ سنام البعير و منه يقال للعاشق عميد القلب ومعموده . قوله أصاب خيرها أى خير الولاية وجاء بضميرها و لم يجر ذكرها لعادة العرب فى أمثال ذلك كقوله تعالى حَتّى تَوارَت بِالحِجابِ. وسبق شرها أى مات أوقتل قبل الأحداث والاختلاط ألذى جرى بين المسلمين . قوله واتقاه بحقه أى بأداء حقه والقيام به . فإن قلت و أى معنى فى قوله واتقاه بأداء حقه وهل يتقى الإنسان الله بأداء الحق إنما قدتكون التقوى علة فى أداء الحق فأما أن يتقى بأدائه فهو غيرمعقول . قلت أراد ع أنه اتقى الله ودلنا على أنه اتقى الله بأدائه حقه فأداء الحق علة فى علمنا بأنه قداتقى الله سبحانه . ثم ذكر أنه رحل وترك الناس فى طرق متشعبة متفرقة فالضال لايهتدى فيها والمهتدى لايعلم أنه على المنهج القويم و هذه الصفات إذاتأملها المنصف وأماط عن نفسه الهوى علم أن أمير المؤمنين ع لم يعن بها إلاعمر لو لم يكن قدروى لنا توقيفا ونقلا أن المعنى بهاعمر فكيف و قدرويناه عمن لايتهم فى هذاالباب -قرآن-۲۵۹-۲۸۲

نكت من كلام عمر وسيرته وأخلاقه

اشاره

ونحن نذكر فى هذاالموضع نكتا من كلام عمر وسيرته وأخلاقه . [صفحه ۷] أتى عمر بمال فقال له عبدالرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين لوحبست من هذاالمال فى بيت المال لنائبة تكون أوأمر يحدث فقال كلمة ماعرض بها إلاشيطان كفانى حجتها ووقانى فتنتها أعصى الله العام مخافة قابل أعد لهم تقوى الله قال الله سبحانه وَ مَن يَتّقِ اللّهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجاً وَ يَرزُقهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ.استكتب أبو موسى الأشعرى نصرانيا فكتب إليه عمر اعزله واستعمل بدله حنيفيا فكتب له أبو موسى إن من غنائه وخيره وخبرته كيت وكيت فكتب له عمر ليس لنا أن نأتمنهم و قدخونهم الله و لا أن نرفعهم و قدوضعهم الله و لا أن نستنصحهم فى الدين و قدوترهم الإسلام و لا أن نعزهم و قدأمرنا بأن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .فكتب أبو موسى أن البلد لايصلح إلا به فكتب إليه عمر مات النصرانى و السلام . وكتب إلى معاوية إياك والاحتجاب دون الناس وائذن للضعيف وأدنه حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه وتعهد الغريب فإنه إذاطال حبسه ودام إذنه ضعف قلبه وترك حقه عزل عمر زيادا عن كتابة أبى موسى

الأشعری فی بعض قدماته علیه فقال له عن عجز أم عن خیانهٔ فقال لا عن واحدهٔ منهما ولکنی أکره أن أحمل علی العامهٔ فضل عقلک . -قرآن-۲۵۲-۳۲۷ [صفحه ۸] و قال إنی و الله لاأدع حقا لله لشکایهٔ تظهر و لالضب یحتمل و لامحاباهٔ لبشر وإنک و الله ماعاقبت من عصی الله فیک بمثل أن تطیع الله فیه . وکتب إلی سعد بن أبی وقاص یاسعد سعد بنی أهیب إن الله إذاأحب عبدا حببه إلی خلقه فاعتبر منزلتک من الله بمنزلتک من الناس واعلم أن ما لک عند الله مثل مالله عندک . وسأل رجلا عن شیء فقال الله أعلم فقال قدشقینا إن کنا لانعلم أن الله أعلم إذاسئل أحدکم عما لایعلم فلیقل لاأدری. و قال عبدالملک علی المنبر أنصفونا یامعشر الرعیهٔ تریدون منا سیرهٔ أبی بکر وعمر و لم تسیروا فی أنفسکم و لافینا سیرهٔ أبی بکر وعمر نسأل الله أن یعین کلا علی کل . ودخل عمر علی ابنه عبد الله فوجد عنده لحما عبیطا معلقا فقال ما هذااللحم قال اشتهیت فاشتریت فقال أ وکلما اشتهیت شیئا أکلته کفی بالمرء سرفا أن أکل کل مااشتهاه .مر عمر علی مزبلهٔ فتأذی بریحها أصحابه فقال هذه دنیاکم التی تحرصون علیها. [صفحه ۹] و من کلامه للأحنف یاأحنف من کثر ضحکه قلت هیبته و من مزح استخف به و من أکثر من شیءعرف به و من کثر کلامه کثر سقطه و من کثر سقطه قل حیاؤه و من قل حیاؤه قل ورعه و من قل ورعه مات قلبه . و قال لابنه عبد الله یابنی اتق الله یقک وأقرض الله یجزک واشکره یزدک واعلم أنه لامال لمن لارفق له و لاجدید لمن لاخلق له و لاعمل لمن لانیهٔ له . وخطب یوم استخلف فقال أیها الناس إنه لیس فیکم أحد أقوی عندی من الضعیف حتی آخذ الحق له و لاأضعف من القوی حتی آخذ الحق منه . و قال لابن عباس یا عبد الله أنتم أهل رسول الله وآله وبنو عمه فما تقول منع قومکم منکم قال لاأدری علتها و الله ماأضمرنا لهم إلاخیرا قال أللهم غفرا إن قومکم کرهوا أن یجتمع لکم النبوهٔ والخلافهٔ فتذهبوا فی السماء شمخا وبذخا ولعلکم تقولون إن أبابکر أول من أخرکم أماإنه لم یقصد ذلک ولکن حضر أمر لم یکن بحضرته أحزم مما فعل و لو لارأی أبی بکر فی لجعل لکم من الأمر نصیبا و لوفعل ماهنأکم مع قومکم إنهم ینظرون إلیکم نظر الثور إلی جازره . و کان یقول لیت شعری متی أشفی من غیظی أحین أقدر فیقال لی لوعفوت أم حین أعجل فیقال لوصبرت . ورأی أعرابیا یصلی صلاهٔ خفیفهٔ فلما قضاها قال أللهم زوجنی الحور العین فقال له لقد أسأت النقد وأعظمت الخطبهٔ. وقیل له کان الناس فی الجاهلیهٔ یدعون علی من ظلمهم فیستجاب لهم ولسنا نری [صفحه ۱۰] ذلک الآن قال لأن ذلک کان الحاجز بینهم و بین الظلم و أماالآن فالساعهٔ موعدهم والساعهٔ أدهی وأمر. و من کلامه من عرض نفسه للتهمهٔ فلایلومن من أساء به الظن و من کتم سره کانت الخیرهٔ بیده .ضع أمر أخیک علی أحسنه حتی یأتیک منه مایغلبک و لاتظن بکلمهٔ خرجت من أخیک المسلم شرا و أنت تجد لها فی الخیر محملا أوعلیک بإخوان الصدق وکیس أکیاسهم فإنهم زینهٔ فی الرخاء وعدهٔ عندالبلاء و لاتتهاونن بالخلق فیهینک الله و لاتعترض بما لایعنیک واعتزل عدوک وتحفظ من خلیلک إلاالأمین فإن الأمین من الناس لایعادله شیء و لاتصحب الفاجر فیعلمک من فجوره و لاتفش إلیه سرک واستشر فی أمرک أهل التقوی وکفی بک عیبا أن یبدو لک من أخیک مایخفی علیک من نفسک و أن تؤذی جلیسک بما تأتی مثله . و قال ثلاث یصفین لک الود فی قلب أخیک أن تبدأه بالسلام إذالقیته و أن تدعوه بأحب أسمائه إلیه و أن توسع له فی المجلس . و قال أحب أن یکون الرجل فی أهله کالصبی و إذاأصیخ إلیه کان رجلا.بینا عمر ذات یوم إذارأی شابا یخطر بیدیه فیقول أنا ابن بطحاء مکهٔ کدیها وکداها فناداه عمر فجاء فقال إن یکن لک دین فلک کرم و إن یکن لک عقل فلک مروءهٔ و إن یکن لک مال فلک شرف و إلافأنت والحمار سواء. [صفحه ۱۱] و قال یامعشر المهاجرین لاتکثروا الدخول علی أهل الدنیا وأرباب الإمرهٔ والولایهٔ فإنه مسخطهٔ للرب وإیاکم والبطنهٔ فإنها مکسلهٔ عن الصلاهٔ ومفسدهٔ للجسد مورثهٔ للسقم و إن الله یبغض الحبر السمین ولکن علیکم بالقصد فی قوتکم فإنه أدنی من الإصلاح وأبعد من السرف وأقوی علی عبادهٔ الله ولن یهلک عبد حتی یؤثر شهوته علی دینه . و قال تعلموا أن الطمع فقر و أن الیأس غنی و من یئس من شیءاستغنی عنه والتؤدهٔ فی کل شیءخیر إلا ما کان من أمر الآخرهٔ. و قال من اتقی الله لم یشف

الله غيظه و من خاف الله لم يفعل مايريد و لو لا ـ يوم القيامة لكان غير ماترون . و قال إنى لأعلم أجود الناس وأحلم الناس أجودهم من أعطى من حرمه وأحلمهم من عفا عمن ظلمه . وكتب إلى ساكنى الأمصار أما بعدفعلموا أولادكم العوم والفروسية رووهم ماسار من المثل وحسن من الشعر. و قال لاتزال العرب أعزة مانزعت فى القوس ونزت فى ظهور الخيل و قال و هويذكر النساء أكثروا لهن من قول لا فإن نعم مفسدة تغريهن على المسألة. و قال مابال أحدكم يثنى الوسادة عندامرأة معزبة إن المرأة لحم على وضم إلا ماذب عنه . [صفحه ۱۲] وكتب إلى أبى موسى أما بعد فإن للناس نفرة عن سلطانهم فأعوذ بالله أن يدركنى وإياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة أقم الحدود واجلس للمظالم و لوساعة من نهار و إذاعرض لك أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فابدأ بعمل الآخرة فإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى وكن من مال الله عز و جل على حذر واجف الفساق واجعلهم يدا ويدا ورجلا ورجلا و إذاكانت بين القبائل نائرة يالفلان يالفلان فإنما تلك نجوى الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله وتكون دعواهم إلى الله و إلى الإسلام و قدبلغنى أن ضبة تدعو يالضبة وإنى و الله أعلم أن ضبة ماساق الله بهاخيرا قط و لامنع بها من سوء قط فإذاجاءك كتابى هذافأنهكهم ضربا وعقوبة حتى يفرقوا إن لم يفقهوا والصق بغيلان بن خرشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وافتح لهم بابك وباشر أمورهم بنفسك فإنما أنت رجل منهم غير إن الله قدجعلك أثقلهم حملا و قدبلغنى أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فإياك يا عبد الله بن قيس أن تكون بمنزلة البهيمة التى مرت بواد خصيب فلم يكن لها همة إلاالسمن وإنما حظها من السمن لغيرها واعلم أن للعامل مردا إلى الله فإذازاغ العامل زاغت رعيته و إن أشقى الناس من شقيت به نفسه ورعيته و السلام وخطب عمر فقال أما بعدفإنى أوصيكم بتقوى الله ألذى يبقى ويفنى ماسواه و ألذى بطاعته ينفع أولياءه وبمعصيته يضر أعداءه إنه ليس لهالك هلك عذر فى تعمد ضلالة حسبها هدى و لاترك حق حسبه ضلالة قدثبتت الحجة ووضحت الطرق وانقطع العذر و لاحجة لأحد على الله عز و جل ألا ـ إن أحق ماتعاهد به الراعى [صفحه ۱۳] رعيته أن يتعاهدهم بالذى لله تعالى عليهم فى وظائف دينهم ألذى هداهم به وإنما علينا أن نأمركم بالذى أمركم الله به من طاعته وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته و أن نقيم أمر الله فى قريب الناس وبعيدهم و لانبالى على من قال الحق ليتعلم الجاهل ويتعظ المفرط ويقتدى المقتدى و قدعلمت أن أقواما يتمنون فى أنفسهم ويقولون نحن نصلى مع المصلين ونجاهد مع المجاهدين إلا أن الإيمان ليس بالتمنى ولكنه بالحقائق إلا ـ من قام على الفرائض وسدد نيته واتقى الله فذلكم الناجى و من زاد اجتهادا وجد عند الله مزيدا. وإنما المجاهدون الذين جاهدوا أهواءهم والجهاد اجتناب المحارم ألا إن الأمر جد و قديقاتل أقوام لايريدون إلاالذكر و قديقاتل أقوام لايريدون إلاالأجر و إن الله يرضى منكم باليسير وأثابكم على اليسير الكثير.الوظائف الوظائف أدوها تؤدكم إلى الجنة والسنة السنة الزموها تنجكم من البدعة.تعلموا و لاتعجزوا فإن من عجز تكلف و إن شرار الأمور محدثاتها و إن الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى الضلالة فافهموا ماتوعظون به فإن الحريب من حرب دينه و إن السعيد من وعظ بغيره . و قال وعليكم بالسمع والطاعة فإن الله قضى لهما بالعزة وإياكم والتفرق والمعصية فإن الله قضى لهما بالذلة.أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم .بعث سعد بن أبى وقاص أيام القادسية إلى عمر قباء كسرى وسيفه ومنطقته [صفحه ۱۴] وسراويله وتاجه وقميصه وخفيه فنظر عمر فى وجوه القوم عنده فكان أجسمهم وأمدهم قامة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى فقال ياسراق قم فالبس قال سراقة طمعت فيه فقمت فلبست فقال أدبر فأدبرت و قال أقبل فأقبلت فقال بخ بخ أعرابى من بنى مدلج عليه قباء كسرى وسراويله وسيفه ومنطقته وتاجه وخفاه رب يوم ياسراق لو كان فيه دون هذا من متاع كسرى وآل كسرى لكان شرفا لك ولقومك انزع فنزعت فقال أللهم إنك منعت هذانبيك ورسولك و كان أحب إليك منى وأكرم ومنعته أبابكر و كان أحب إليك منى وأكرم ثم أعطيتنيه فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بى ثم بكى حتى رحمه من كان عنده . و قال لعبد الرحمن بن عوف أقسمت عليك لمابعته ثم قسمته

قبل أن تمسى فما أدركه المساء إلا و قدبيع وقسم ثمنه على المسلمين .جیء بتاج كسرى إلى عمر فاستعظم الناس قيمته للجواهر التى كانت عليه فقال إن قوما أدوا هذاالأمناء فقال على ع إنک عففت فعفوا و لورتعت لرتعوا. كان عمر يعس ليلا فنزلت رفقة من التجار بالمصلى فقال لعبد الرحمن بن عوف هل لک أن تحرسهم الليلة من السرق فباتا يحرسانهم ويصليان ماكتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبى فأصغى نحوه فطال بكاؤه فتوجه إليه فقال لأمه اتقى الله وأحسنى إلى صبيک ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلک ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فأتى أمه فقال ويحک إنى لأراک أم سوء لاأرى ابنک يقر منذ الليلة فقالت يا عبد الله لقد آذيتنى منذ الليلة إنى أريغه [صفحه ١٥] على الفطام فيأبى قال و لم قالت لأن عمر لايفرض لرضيع وإنما يفرض للفطيم قال وكم له قالت اثنا عشر شهرا قال ويحک لاتعجليه فصلى الفجر و مايستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه فلما سلم قال يابؤسا لعمركم كم قتل من أولاد المسلمين فطلب مناديا فنادى ألا لاتعجلوا صبيانكم عن الرضاع و لاتفطموا قبل أوان الفطام فإنا نفرض لكل مولود فى الإسلام . وكتب بذلک إلى سائر الآفاق .مر عمر بشاب من الأنصار و هوظمآن فاستسقاه فخاض له عسلا فرده و لم يشرب و قال إنى سمعت الله سبحانه يقول أَذهَبتُم طَيّباتِكُم فِى حَياتِكُمُ الدّنيا وَ استَمتَعتُم بِها فقال الفتى إنها و الله ليست لک فاقرأ يا أمير المؤمنين ماقبلهاوَ يَومَ يُعرَضُ الّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النّارِ أَذهَبتُم طَيّباتِكُم فِى حَياتِكُمُ الدّنيا أفنحن منهم فشرب و قال كل الناس أفقه من عمر. وأوصى عمر حين طعنه أبولؤلؤة من يستخلفه المسلمون بعده من أهل الشورى فقال أوصيک بتقوى الله لاشريک له وأوصيک بالمهاجرين الأولين خيرا أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيک بالأنصار خيرا أقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيک بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء العدو وجباة الفىء لاتحمل فيئهم إلى غيرهم إلا عن فضل منهم وأوصيک بأهل البادية خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم فيرد على فقرائهم وأوصيک بأهل الذمة خيرا أن تقاتل -قرآن-٥٠٨-٥٧١-قرآن-٦٣٧-٧٢٩ [صفحه ١٦] من ورائهم و لاتكلفهم فوق طاقتهم إذاأدوا ماعليهم للمسلمين طوعا أو عن يد وهم صاغرون . وأوصيک بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منک على ريبة وأوصيک أن تخشى الله فى الناس و لاتخشى الناس فى الله وأوصيک بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم وألا تعين غنيهم على فقيرهم فإن فى ذلک بإذن الله سلامة لقلبک وحطا لذنوبک وخيرا فى عاقبة أمرک وأوصيک أن تشتد فى أمر الله و فى حدوده والزجر عن معاصيه على قريب الناس وبعيدهم و لاتأخذک الرأفة والرحمة فى أحد منهم حتى تنتهک منه مثل جرمه واجعل الناس عندک سواء لاتبال على من وجب الحق لاتأخذک فى الله لومة لائم وإياک والأثرة والمحاباة فيما ولاک الله مما أفاء الله على المسلمين فتجور وتظلم وتحرم نفسک من ذلک ما قدوسعه الله عليک فإنک فى منزلة من منازل الدنيا و أنت إلى الآخرة جد قريب فإن صدقت فى دنياک عفة وعدلا فيما بسط لک اقترفت رضوانا وإيمانا و إن غلبک الهوى اقترفت فيه سخط الله ومقته . وأوصيک ألا ترخص لنفسک و لالغيرک فى ظلم أهل الذمة. واعلم أنى قدأوصيتک وخصصتک ونصحت لک أبتغى بذلک وجه الله والدار الآخرة ودللتک على ماكنت دالا عليه نفسى فإن عملت بالذى وعظتک وانتهيت إلى ألذى أمرتک أخذت منه نصيبا وافرا وحظا وافيا و إن لم تقبل ذلک و لم تعمل و لم تترک معاظم الأمور عند ألذى يرضى الله به سبحانه عنک يكن ذاک بک انتقاصا ويكن رأيک فيه مدخولا فالأهواء مشتركة ورأس الخطيئة إبليس الداعى إلى كل هلكة قدأضل القرون السالفة قبلک وأوردهم النار ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ من دنياه موالاة عدو الله الداعى إلى معاصيه اركب الحق وخض إليه الغمرات وكن واعظا لنفسک . [صفحه ١٧] وأنشدک لماترحمت إلى جماعة المسلمين وأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم وقربت عالمهم لاتضربهم فيذلوا و لاتستأثر عليهم بالفىء فتغضبهم و لاتحرمهم عطاياهم عندمحلها فتفقرهم و لاتجمرهم فى البعوث فتقطع نسلهم و لاتجعل الأموال دولة بين الأغنياء منهم و لاتغلق بابک دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم . هذه وصيتى إياک وأشهد الله عليک وأقرأ عليک السلام و الله على كل شیءشهيد. وخطب عمر

فقال لايبلغنى أن امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات رسول الله ص إلاارتجعت ذلك منها فقامت إليه امرأة فقالت و الله ماجعل الله ذلك لك إنه تعالى يقول وَ آتَيتُم إِحداهُنّ قِنطاراً فَلا تَأخُذُوا مِنهُ شَيئاً فقال عمر أ لاتعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت ناضلت إمامكم فنضلته . و كان يعس ليلة فمر بدار سمع فيهاصوتا فارتاب وتسور فرأى رجلا عندامرأة وزق خمر فقال ياعدو الله أظننت أن الله يسترك و أنت على معصيته فقال لاتعجل يا أمير المؤمنين إن كنت أخطأت فى واحدة فقد أخطأت فى ثلاث قال الله تعالى وَ لا تَجَسّسُوا و قدتجسست و قال وَ أتُوا البُيُوتَ مِن أَبوابِها -قرآن-٥٥٠-٦٠٦-قرآن-٩١٦-٩٣١-قرآن-٩٥٠-٩٨١ [صفحه ١٨] و قدتسورت و قال فَإِذا دَخَلتُم بُيُوتاً فَسَلّمُوا و ماسلمت فقال هل عندك من خير إن عفوت عنك قال نعم و الله لاأعود فقال اذهب فقد عفوت عنك . وخطب يوما فقال أيها الناس ماالجزع مما لابد منه و ماالطمع فيما لايرجى و ماالحيلة فيما سيزول وإنما الشيء من أصله و قدمضت قبلكم الأصول ونحن فروعها فما بقاء الفرع بعدذهاب أصله .إنما الناس فى هذه الدنيا أغراض تنتبل فيهم المنايا نصب المصائب فى كل جرعة شرق و فى كل أكلة غصص لاتنالون نعمة إلابفراق أخرى و لايستقبل معمر من عمره يوما إلابهدم آخر من أجله وهم أعوان الحتوف على أنفسهم فأين المهرب مما هوكائن ماأصغر المصيبة اليوم مع عظم الفائدة غدا و ماأعظم خيبة الخائب وخسران الخاسريَومَ لا يَنفَعُ مالٌ وَ لا بَنُونَ إِلّا مَن أَتَى اللّهَ بِقَلبٍ سَلِيم. وأكثر الناس روى هذاالكلام لعلى ع و قدذكره صاحب نهج البلاغة وشرحناه فيما سبق .حمل من العراق إلى عمر مال فخرج هو ومولى له فنظر إلى الإبل فاستكثرها فجعل يقول الحمد لله يكررها ويرددها وجعل مولاه يقول هذا من فضل الله ورحمته ويكررها ويرددها. فقال عمر كذبت لاأم لك أظنك ذهبت إلى أن هذا هو ماعناه سبحانه -قرآن-١٩-٥٣-قرآن-٦٦٦-٧٣٩ [صفحه ١٩] بقوله قُل بِفَضلِ اللّهِ وَ بِرَحمَتِهِ فَبِذلِكَ فَليَفرَحُوا وإنما ذلك الهدى أ ماتسمعه يقول هُوَ خَيرٌ مِمّا يَجمَعُونَ و هذامما يجمعون . وروى الأحنف بن قيس قال قدمنا على عمر بفتح عظيم نبشره به فقال أين نزلتم قلنا فى مكان كذا فقام معنا حتى انتهينا إلى مناخ ركابنا و قدأضعفها الكلال وجهدها السير فقال هلا اتقيتم الله فى ركابكم هذه أ ماعلمتم أن لها عليكم حقا هلا احترموها هلا حللتم بهافأكلت من نبات الأرض فقلنا يا أمير المؤمنين إنا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا التسرع إليك و إلى المسلمين بما يسرهم .فانصرف راجعا ونحن معه فأتى رجل فقال يا أمير المؤمنين إن فلانا ظلمنى فأعدنى عليه فرفع فى السماء درته وضرب بهارأسه و قال تدعون عمر و هومعرض لكم حتى إذاشغل فى أمر المسلمين أتيتموه أعدنى أعدنى فانصرف الرجل يتذمر فقال عمر على بالرجل فجيء به فألقى إليه المخفقة فقال اقتص قال بل أدعه لله و لك قال ليس كذلك بل تدعه إما لله وإرادة ماعنده وإما تدعه لى قال أدعه لله قال انصرف ثم جاء حتى دخل منزله ونحن معه فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس فقال يا ابن الخطاب كنت وضيعا فرفعك الله وكنت ضالا فهداك الله وكنت ذليلا فأعزك الله ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل يستعديك على من ظلمه فضربته ماذا تقول لربك غدا فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه من خير أهل الأرض . -قرآن-٨-٦٣-قرآن-٩٨-١٢٤ [صفحه ٢٠] وذكر أبوعبيد القاسم بن سلام فى غريب الحديث أن رجلا أتى عمر يسأله ويشكو إليه الفقر فقال هلكت يا أمير المؤمنين فقال أهلكت و أنت تنث نثيث الحميت أعطوه فأعطوه ربعة من مال الصدقة تبعها ظئراها ثم أنشأ يحدث عن نفسه فقال لقد رأيتنى وأختا لى نرعى على أبوينا ناضحا لنا قدألبستنا أمنا نقبتها وزودتنا يمنتيها هبيدا فنخرج بناضحنا فإذاطلعت الشمس ألقيت النقبة إلى أختى وخرجت أسعى عريان فنرجع إلى أمنا و قدجعلت لنا لفيته من ذلك الهبيد فيا خصباه . وروى ابن عباس رضى الله عنه قال دخلت على عمر فى أول خلافته و قدألقى له صاع من تمر على خصفة فدعانى إلى الأكل فأكلت تمرة واحدة وأقبل يأكل حتى أتى عليه ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرفقه له وطفق يحمد الله يكرر ذلك ثم قال من أين جئت يا عبد الله قلت من المسجد قال كيف خلفت ابن عمك فظننته يعنى عبد الله بن جعفر قلت خلفته يلعب مع أترابه قال لم أعن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل البيت قلت خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان و هويقرأ القرآن قال يا عبد الله

عليک دماء البـدن إن کتمتنيها هل بقى فى نفسه [صـفحه ۲۱] شـىء من أمر الخلافـة قلت نعم قال أيزعم أن رسول الله ص نص عليه قلت نعم وأزيـدک سـألت أبى عمـا يـدعيه فقال صـدق فقال عمر لقـد کان من رسول الله ص فى أمره ذرو من قول لايثبت حجة و لايقطع عذرا ولقد کان يربع فى أمره وقتا ما ولقد أراد فى مرضه أن يصـرح باسـمه فمنعت من ذلک إشـفاقا وحيطة على الإسلام لا ورب هذه البنية لاتجتمع عليه قريش أبدا و لووليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها فعلم رسول الله ص أنى علمت ما فى نفسه فأمسک وأبى الله إلاإمضاء ماحتم .ذکر هذاالخبر أحمد بن أبى طاهر صاحب کتاب تاريخ بغداد فى کتابه مسـندا.ابتنى أبوسـفيان دارا بمکة فأتى أهلها عمر فقالوا إنه قدضـيق علينا الوادى وأسال علينا الماء فأتاه عمر فقال خذ هذاالحجر فضعه هناک وارفع هذا واخفض هذاففعل فقال الحمد لله ألذى أذل أباسـفيان بأبطح مکة. و قال عمر و الله لقد لان قلبى فى الله حتى لهو ألين من الزبد ولقد اشتد قلبى فى الله حتى لهو أشد من الحجر. کان عمر إذاأتاه الخصمان برک على رکبتيه و قال أللهم أعنى عليهما فإن کلا منهما يريـدنى عن دينى. [صـفحه ۲۲] وخطب عمر فقـال أيهـا النـاس إنمـا کنا نعرفکم و النبى ص بين أظهرنا إذ ينزل الوحى وإذ ينبئنا الله من أخبارکم ألا و إن النبى ص قدانطلق والوحى قدانقطع وإنما نعرفکم بما يبدو منکم من أظهر خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه و من أظهر شـرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه سرائرکم بينکم و بين ربکم ألا إنه قدأتى على حين و أناأحسب أنه لايقرأ القرآن أحـد إلايريـد به وجه الله و ما عنـد الله و قـدخيل إلى بأخرة أن رجالا قـدقرءوه يريدون به ما عند الناس فأريدوا الله بقراءتکم وأريدوا الله بأعمالکم .ألا وإنى لاأرسل عمالى إليکم أيها الناس ليضـربوا أبشارکم و لاليأخذوا أموالکم ولکن أرسلهم إليکم ليعلموکم دينکم وسـنتکم فمن فعـل به سوى ذلـک فليرفعه إلى لأقتص له فقـد رأيت رسول الله ص يقتص من نفسه .ألا لاتضـربوا المسـلمين فتـذلوهم و لاتمنعوهم حقوقهم فتفقروهم و لاتنزلوهم الغياض فتضـيعوهم . و قال مرة قدأعيانى أهل الکوفة إن اسـتعملت عليهم لينا استضـعفوه و إن استعملت عليهم شديدا شکوه ولوددت أنى وجدت رجلا قويا أمينا استعمله عليهم فقال له رجـل أناأدلـک يـا أمير المؤمنين على الرجـل القوى الأمين قـال من هو قال عبـد الله بن عمر قال قاتلک الله و الله ماأردت الله بهالاها الله لاأستعمله عليها و لا على غيرها و أنت فقم فاخرج فمذ الآن لاأسميک إلاالمنافق فقام الرجل وخرج . وکتب إلى سعد بن أبى وقاص أن شاور طليحة بن خويلد وعمرو بن معديکرب فإن کل صانع أعلم بصـنعته و لاتولهما من أمر المسـلمين شـيئا [صفحه ۲۳] وغضب عمر على بعض عمـاله فکلم امرأة من نسـاء عمر فى أن تسترضـيه له فکلمته فيه فغضب و قـال وفيم أنت من هذا ياعدوة الله إنما أنت لعبة نلعب بک وتفرکين . و من کلامه أشـکو إلى الله جلد الخائن وعجز الثقة. قال عمرو بن ميمون لقد رأيت عمر بن الخطـاب قبـل أن يصـاب بأيـام واقفـا على حذيفـة بن اليمان وعثمان بن حنيف و هو يقول لهما أتخافان أن تکونا حملتمـا الأـرض مـا لاـتطيقه فقالاـ لاإنما حملناها أمرا هى له مطيقـة فأعاد عليهما القول انظرا أن تکونا حملتما الأرض ما لاتطيقه فقالاـ لاـ فقـال عمر إن عشت لأـدعن أرامل العراق لايحتجن بعـدى إلى رجل أبـدا فما أتت عليه رابعـة حتى أصـيب . کان عمر إذااسـتعمل عاملاـ کتب عليه کتابـا وأشـهد عليه رهطا من المسـلمين ألا يرکب برذونا و لايأکل نقيا و لايلبس رقيقا و لايغلق بابه دون حاجات المسـلمين ثم يقول أللهم اشـهد. واسـتعمل عمر النعمان بن عدى بن نضـلة على ميسان فبلغه عنه الشعر ألذى قاله و هو و من مبلغ الحسـناء أن حليلهـا || بميسان يسـقى من زجاج وحنتم إذاشـئت غنتنى دهاقين قريـة || وصـناجة تحـدو على کل منسم [صفحه ۲۴] فإن کنت ندمانى فبالأکبر اسقنى || و لاتسقنى بالأصغر المتثلم لعل أمير المؤمنين يسوءه || تنادمنا بالجوسق المتهـدم فکتب إليه بِسمِ اللّهِ الرّحمنِ الرّحِيمِ حم تَنزِيلُ الکِتابِ مِنَ اللّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ غافِرِ الـذّنبِ وَ قابِلِ التّوبِ شَدِيدِ العِقابِ ذِي الطّولِ لا إِلهَ إِلّا هُوَ إِلَيهِ المَصِيرُ أما بعدفقـد بلغنى قولک -قرآن-۱۲-۱۹۷ لعـل أمير المؤمنين يسوءه البيت وايم الله إنه ليسوءنى فاقـدم فقد عزلتک . فلما قدم عليه قال يا أمير المؤمنين و الله ماشـربتها قط وإنما هوشـعر طفح على لسانى وإنى لشاعر. فقال عمر أظن ذاک ولکن لاتعمل لى على عمل أبدا.اسـتعمل عمر رجلا من قريش على عمل فبلغه عنه أنه قال اسقنى شربة تروى عظامى

|| واسق بالله مثلها ابن هشام فأشخصه إليه وفطن القرشى فضم إليه بيتا آخر فلما مثل بين يديه قال له أنت القائل اسقنى شربة تروى عظامى قال نعم يا أمير المؤمنين فهلا أبلغك الواشى مابعده قال ما ألذى بعده قال عسلا باردا بماء غمام || إننى لاأحب شرب المدام قال آلله آلله ثم قال ارجع إلى عملك . [صفحه ٢٥] قال عمر أيما عامل من عمالى ظلم أحدا ثم بلغتنى مظلمته فلم أغيرها فأنا ألذى ظلمته . و قال للأحنف بن قيس و قدقدم عليه فاحتبسه عنده حولا ياأحنف إنى قدخبرتك وبلوتك فرأيت علانيتك حسنة و أناأرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك و إن كنا لنحدث أنه إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم . وكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص أن مترس بالفارسية هوالأمان فمن قلتم له ذلك ممن لايفقه لسانكم فقد أمنتموه . و قال لأمير من أمراء الشام كيف سيرتك كيف تصنع فى القرآن والأحكام فأخبره فقال أحسنت اذهب فقد أقررتك على عملك فلما ولى رجع فقال يا أمير المؤمنين إنى رأيت البارحة رؤيا أقصها عليك رأيت الشمس والقمر يقتتلان و مع كل واحد منهما جنود من الكواكب فقال فمع أيهما كنت قال مع القمر فقال قدعزلتك قال الله تعالى وَ جَعَلنَا اللّيلَ وَ النّهارَ آيَتَينِ فَمَحَونا آيَةَ اللّيلِ وَ جَعَلنا آيَةَ النّهارِ مُبصِرَةً. كان عمر جالسا فى المسجد فمر به رجل فقال ويل لك ياعمر من النار فقال قربوه إلى فدنا منه فقال لم قلت لى ما قلت قال تستعمل عمالك وتشترط عليهم -قرآن-٧٣٨-٨٣٧ [صفحه ٢٦] ثم لاتنظر هل وفوا لك بشروط أم لا قال و ماذاك قال عاملك على مصر اشترطت عليه فترك ماأمرته به وارتكب مانهيته عنه ثم شرح له كثيرا من أمره فأرسل عمر رجلين من الأنصار فقال لهما انتهيا إليه فاسألا عنه فإن كان كذب عليه فأعلمانى و إن رأيتما مايسوءكما فلاتملكاه من أمره شيئا حتى تأتيا به فذهبا فسألا عنه فوجداه قدصدق عليه فجاءا إلى بابه فاستأذنا عليه فقال حاجبه إنه ليس عليه اليوم إذن قالا ليخرجن إلينا أولنحرقن عليه بابه وجاء أحدهما بشعلة من نار فدخل الآذن فأخبره فخرج إليهما قالا إنا رسولا عمر إليك لتأتيه قال إن لنا حاجة تمهلاننى لأتزود قالا إنه عزم علينا ألا نمهلك فاحتملاه فأتيا به عمر فلما أتاه سلم عليه فلم يعرفه و قال من أنت و كان رجلا أسمر فلما أصاب من ريف مصر ابيض وسمن فقال أناعاملك على مصر أنافلان قال ويحك ركبت مانهيت عنه وتركت ماأمرت به و الله لأعاقبنك عقوبة أبلغ إليك فيهاائتونى بكساء من صوف وعصا وثلاثمائة شاة من غنم الصدقة فقال البس هذه الدراعة فقد رأيت أباك و هذه خير من دراعته وخذ هذه العصا فهى خير من عصا أبيك واذهب بهذه الشياه فارعها فى مكان كذا و ذلك فى يوم صائف و لاتمنع السابلة من ألبانها شيئا إلاآل عمر فإنى لاأعلم أحدا من آل عمر أصاب من ألبان غنم الصدقة ولحومها شيئا. فلما ذهب رده و قال أفهمت ما قلت فضرب بنفسه الأرض و قال يا أمير المؤمنين لاأستطيع هذا فإن شئت فاضرب عنقى قال فإن رددتك فأى رجل تكون قال و الله لايبلغك بعدها إلا ماتحب فرده فكان نعم الرجل و قال عمر و الله [صفحه ٢٧] لأنزعن فلانا من القضاء حتى أستعمل عوضه رجلا إذارآه الفاجر فرق . وروى عبد الله بن بريدة قال بينا عمر يعس ذات ليلة انتهى إلى باب متجاف وامرأة تغنى نسوة هل من سبيل إلى خمر فأشربها || أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج فقال عمر أما ماعشت فلا. فلما أصبح دعا نصر بن حجاج و هونصر بن الحجاج بن علابط البهزى السلمى فأبصره و هو من أحسن الناس وجها وأصبحهم وأملحهم حسنا فأمر أن يطم شعره فخرجت جبهته فازداد حسنا فقال له عمر اذهب فاعتم فاعتم فبدت وفرته فأمر بحلقها فازداد حسنا فقال له فتنت نساء المدينة يا ابن حجاج لاتجاورنى فى بلدة أنامقيم بها ثم سيره إلى البصرة.فروى الأصمعى قال أبرد عمر بريدا إلى عتبة بن أبى سفيان بالبصرة فأقام بهاأياما ثم نادى منادى عتبة من أراد أن يكتب إلى أهله بالمدينة أو إلى أمير المؤمنين شيئا فليكتب فإن بريد المسلمين خارج .فكتب الناس ودس نصر بن حجاج كتابا فيه لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصر بن حجاج سلام عليك أما بعد يا أمير المؤمنين لعمرى لئن سيرتنى أوحرمتنى || لمانلت من عرضى عليك حرام أ إن غنت الذلفاء يوما بمنية || وبعض أمانى النساء غرام [صفحه ٢٨] ظننت بى الظن ألذى ليس بعده || بقاء فما لى فى الندى كلام وأصبحت منفيا فى غيرريبة || و قد كان لى بالمكتين مقام سيمنعنى مما تظن تكرمى || وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تمنت صلاتها || وحال لها فى دينها وصيام فهاتان حالانا فهل أنت راجع || فقد جب منى كاهل وسنام فقال عمر أماولى ولايئة فلا وأقطعه أرضا بالبصرة ودارا. فلما قتل عمر ركب راحلته ولحق بالمدينة. وذكر المبرد محمد بن يزيد الثمالى قال كان عمر أصلع فلما حلق وفرة نصر بن حجاج قال نصر و كان شاعرا تضن ابن خطاب على بجمة || إذارجلت تهتز هز السلاسل فصلع رأسا لم يصلعه ربه || يرف رفيفا بعدأسود جائل لقد حسد الفرعان أصلع لم يكن || إذا مامشى بالفرع بالمتخايل . محمد بن سعيد قال بينا يطوف عمر فى بعض سكك المدينة إذ سمع امرأة تهتف من خدرها هل من سبيل إلى خمر فأشربها || أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج [صفحه ۲۹] إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل || سهل المحيا كريم غيرملجاج تنميه أعراق صدق حين تنسبه || أخى قداح عن المكروب فراج سامى النواظر من بهز له قدم || تضىء صورته فى الحالك الداجى فقال عمر ألا لاـأدرى معى رجلاـ يهتف به العواتق فى خدورهن على بنصر بن حجاج فأتى به فإذا هوأحسن الناس وجها وعينا وشعرا فأمر بشعره فجز فخرجت له وجنتان كأنه قمر فأمره أن يعتم فاعتم ففتن النساء بعينيه فقال عمر لا و الله لاتساكننى بأرض أنا بها قال و لم يا أمير المؤمنين قال هو ماأقول لك فسيره إلى البصرة. وخافت المرأة التى سمع عمر منها ماسمع أن يبدر إليها منه شىءفدست إليه أبياتا قل للأمير ألذى تخشى بوادره || ما لى وللخمر أونصر بن حجاج إنى بليت أباحفص بغيرهما || شرب الحليب وطرف فاتر ساج لاتجعل الظن حقا أوتبينه || إن السبيل سبيل الخائف الراجى مامنية قلتها عرضا بضائرة || و الناس من هالك قدما و من ناج إن الهوى رعية التقوى تقيده || حتى أقر بإلجام وإسراج فبكى عمر و قال الحمد لله ألذى قيد الهوى بالتقوى . وأتته يوما أم نصر حين اشتدت عليها غيبة ابنها فتعرضت لعمر بين الأذان والإقامة فقعدت له على الطريق فلما خرج يريد الصلاة هتفت به وقالت يا أمير المؤمنين لأجاثينك غدا بين يدى الله عز و جل ولأخاصمنك إليه يبيت عاصم و عبد الله إلى [صفحه ۳۰] جانبيك وبينى و بين ابنى الفيافى والقفار والمفاوز والجبال قال من هذه قيل أم نصر بن حجاج فقال ياأم نصر إن عاصما و عبد الله لم تهتف بهما العواتق من وراء الخدور. ويروى أن نصر بن الحجاج لماسيره عمر إلى البصرة نزل بها على مجاشع بن مسعود السلمى و كان خليفة أبى موسى عليها وكانت له امرأة شابة جميلة فهويت نصرا وهويها فبينا الشيخ جالس ونصر عنده إذ كتب فى الأرض شيئا فقرأته المرأة فقالت أنا و الله فقال مجاشع ما قال لك قالت إنه قال ماأصفى لقحتكم هذه فقال مجاشع إن الكلمة التى قلت ليست أختا لهذا الكلام عزمت عليك لماأخبرتنى قالت إنه قال ماأحسن سوار ابنتكم هذه قال و لا هذه فإنه كتب فى الأرض فرأى الخط فدعا بإناء فوضعه عليه ثم أحضر غلاما من غلمانه فقال اقرأ فقرأه و إذا هو أنا و الله أحبك فقال هذه لهذه اعتدى أيتها المرأة وتزوجها يا ابن أخى إن أردت . ثم غدا على أبى موسى فأخبره فقال أبو موسى أقسم ماأخرجه عمر عن المدينة من خير ثم طرده إلى فارس وعليها عثمان بن أبى العاص الثقفى فنزل على دهقانة فأعجبها فأرسلت إليه فبلغ خبرها عثمان فبعث إليه أن اخرج عن أرض فارس فإنك لم تخرج عن المدينة والبصرة من خير فقال و الله لئن أخرجتمونى لألحقن ببلاد الشرك فكتب بذلك إلى عمر فكتب أن جزوا شعره وشمروا قميصه وألزموه المساجد. وروى عبد الله بن بريدة أن عمر خرج ليلاـ يعس فإذانسوة يتحدثن و إذاهن [صفحه ۳۱] يقلن أى فتيان المدينة أصبح فقالت امرأة منهن أبوذؤيب و الله فلما أصبح عمر سأل عنه فإذا هو من بنى سليم و إذا هو ابن عم نصر بن حجاج فأرسل إليه فحضر فإذا هوأجمل الناس وأملحهم فلما نظر إليه قال أنت و الله ذئبها يكررها ويرددها لا و ألذى نفسى بيده لاتجامعنى بأرض أبدا. فقال يا أمير المؤمنين إن كنت لابد مسيرى فسيرنى حيث سيرت ابن عمى نصر بن حجاج فأمر بتسييره إلى البصرة فأشخص إليها.خطب عمر فى الليلة التى دفن فيها أبوبكر فقال إن الله تعالى نهج سبيله وكفانا برسوله فلم يبق إلاالدعاء والاقتداء الحمد لله ألذى ابتلانى بكم وابتلاـكم بى وأبقانى فيكم بعدصاحبى وأعوذ بالله أن أزل أوأضل فأعادى له وليا أوأوالى له عدوا ألا إنى وصاحبى كنفر ثلاثة قفلوا من طيبة فأخذ أحدهم مهلة إلى داره وقراره فسلك أرضا مضيئة متشابهة الأعلام فلم يزل عن الطريق و لم يحرم

السبيل حتى أسلمه إلى أهله ثم تلاه الآخر فسلک سبيله واتبع أثره فأفضى إليه ولقى صاحبه ثم تلاهما الثالث فإن سلک سبيلهما واتبع أثرهما أفضى إليهما ولاقاهما و إن زل يمينا أوشمالا لم يجامعهما أبدا.ألا و إن العرب جمل أنف قدأعطيت خطامه ألا وإنى حامله على المحجة ومستعين بالله عليه .ألا ـ وإنى داع فأمنوا أللهم إنى شحيح فسخنى أللهم إنى غليظ فلينى أللهم إنى ضعيف فقونى أللهم أوجب لى بموالاتک وموالاة أوليائک ولايتک ومعونتک وأبرئنى [صفحه ۳۲] من الآفات بمعاداة أعدائک وتوفنى مع الأبرار و لاتحشرنى فى زمرة الأشقياء أللهم لاتکثر لى من الدنيا فأطغى و لاتقلل لى فأشقى فإن ماقل وكفى خير مما كثر وألهى .وفد على عمر قوم من أهل العراق منهم جرير بن عبد الله فأتاهم بجفنة قدصبغت بخل وزيت و قال خذوا فأخذوا أخذا ضفيفا فقال مابالكم تقرمون قرم الشاة الكسيرة أظنكم تريدون حلوا وحامضا وحارا وباردا ثم قذفا فى البطون لوشئت أن أدهمق لكم لفعلت ولكنا نستبقى من دنيانا مانجده فى آخرتنا و لوشئنا أن نأمر بصغار الضأن فتسمط ولبأت الخبز فيخبز ونأمر بالزبيب فينبذ لنا فى الأسعان حتى إذاصار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا وشربنا هذاالفعلت و الله إنى ماأعجز عن كراكر وأسنمة وصلائق وصناب لكن الله تعالى قال لقوم عيرهم أمرا فعلوه أَذهَبتُم طَيّباتِكُم فِي حَياتِكُمُ الدّنيا وإنى نظرت فى هذاالأمر -قرآن-۷۰۵-۷۴۸ [صفحه ۳۳] فجعلت إن أردت الدنيا أضررت بالآخرة و إن أردت الآخرة أضررت بالدنيا و إذا كان الأمر هكذا فأضروا بالفانية.خرج عمر يوما إلى المسجد و عليه قميص فى ظهره أربع رقاع فقرأ حتى انتهى إلى قوله وَ فاكِهَةً وَ أَبّا فقال ماالأب ثم قال إن هذالهو التكلف و ماعليک يا ابن الخطاب ألا ـ تدرى ماالأب . وجاء قوم من الصحابة إلى حفصة فقالوا لوكلمت أباک فى أن يلين من عيشه لعله أقوى له على النظر فى أمور المسلمين فجاءته فقالت إن ناسا من قومک كلمونى فى أن أكلمک فى أن تلين من عيشک فقال يابنية غششت أباک ونصحت لقومک . وروى سالم بن عبد الله بن عمر قال لماولى عمر قعد على رزق أبى بكر ألذى كان فرضه لنفسه فاشتدت حاجته فاجتمع نفر من المهاجرين منهم على وعثمان وطلحة والزبير وقالوا لوقلنا لعمر يزيد فى رزقه فقال عثمان إنه عمر فهلموا فلنستبن ماعنده من وراء وراء نأتى حفصة فنكلمها ونستكتمها أسماءنا فدخلوا عليها وسألوها أن تكلمه و لاتخبره بأسماء من أتاها إلا أن يقبل فلقيت عمر فى ذلک فرأت الغضب فى وجهه و قال من أتاک قالت لاسبيل إلى ذلک فقال لوعلمت من هم لسؤت أوجههم أنت بينى وبينهم نشدتک الله ماأفضل مااقتنى رسول الله ص فى بيتک من الملبس قالت ثوبان ممشقان كان يلبسهما للوفد ويخطب -قرآن-۱۹۵-۲۱۴ [صفحه ۳۴] فيهما فى الجمع قال فأى طعام ناله عندک أرفع قالت خبزنا مرة خبزة شعير فصببت عليها وهى حارة أسفلها عكة لنا كان فيهاسمن وعسل فجعلتها هشة حلوة دسمة فأكل منها فاستطابها قال فأى مبسط كان يبسط عندک أوطأ قالت كساء ثخين كنا نرقعه فى الصيف فنجعله ثخينا فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال فأبلغيهم أن رسول الله ص قدر فوضع الفضول مواضعها وتبلغ ماأبر وإنى قدرت فو الله لأضعن الفضول مواضعها ولأتبلغن ماأبر حبة وفد على عمر وفد فيه رجال الناس من الآفاق فوضع لهم بسطا من عباء وقدم إليهم طعاما غليظا فقالت له ابنته حفصة أم المؤمنين إنهم وجوه الناس وكرام العرب فأحسن كرامتهم فقال ياحفصة أخبرينى بألين فراش فرشته لرسول الله ص وأطيب طعام أكله عندک قالت أصبنا كساء ملبدا عام خيبر فكنت أفرشه له فينام عليه وإنى رفعته ليلة فلما أصبح قال ما كان فراشى الليلة قلت فراشک كل ليلة إلاأنى الليلة رفعته لک ليكون أوطأ فقال أعيديه لحالته الأولى فإن وطاءته منعتنى الليلة من الصلاة. و كان لنا صاع من دقيق سلت فنخلته يوما وطبخته له و كان لنا قعب من سمن فصببته عليه فبينا هو ع يأكل إذ دخل أبوالدرداء فقال أرى سمنكم قليلا و إن لنا لقعبا من سمن قال ع فأرسل فأت به فجاء به فصبه عليه فأكل فهذا أطيب طعام أكله عندى رسول الله ص .فأرسل عمر عينيه بالبكاء و قال لها و الله لأأزيدهم على ذلک العباء و ذلک الطعام [صفحه ۳۵] شيئا و هذافراش رسول الله ص و هذاطعامه . لماقدم عتبة بن مرثد أذربيجان أتى بالخبيص فلما أكله وجد شيئا حلوا طيبا فقال لوصنعت من هذاالأمير المؤمنين فجعل له خبيصا فى منقلين عظيمين وحملهما على بعيرين إلى المدينة فقال عمر ما

هـذاقالوا الخبيص فـذاقه فوجـده حلوا فقال للرسول ويحك أ كل المسـلمين عندكم يشـبع من هذا قال لا قال فارددهما ثم كتب إلى عتبـة أما بعـد فإن خبيصك ألـذى بعثته ليس من كـد أبيك و لا من كد أمك أشـبع المسـلمين مما تشـبع منه فى رحلك و لاتسـتأثر فإن الأثرة شـر و السـلام . وروى عتبة بن مرثد أيضا قال قدمت على عمر بحلواء من بلاد فارس فى سـلال عظام فقال ما هـذه قلت طعـام طيب أتيتـك به قـال ويحـك و لم خصصـتنى به قلت أنت رجـل تقضـى حاجـات النـاس أول النهـار فـأحببت إذارجعت إلى منزلك أن ترجع إلى طعام طيب فتصـيب منه فتقوى على القيام بأمرك فكشف عن سلة منها فذاق فاستطاب فقال عزمت عليـك ياعتبـة إذارجعت إلاـرزقت كـل رجـل من المسـلمين مثله قلت و ألـذى يصـلحك يا أمير المؤمنين لوأنفقت عليه أموال قيس كلها لماوسع ذلك قال فلاحاجة لى فيه إذا ثم دعا بقصـعة من ثريد ولحم غليظ وخبز خشن فقال كل ثم جعل يأكل أكلا شـهيا وجعلت أهوى إلى البضـعة البيضاء أحسـبها سـناما و إذاهى عصبة وأهوى إلى البضعة من اللحم أمضغها [صفحه ۳۶] فلاأسـيغها و إذاهى من علباء العنق فإذاغفل عنى جعلتها بين الخوان والقصـعة فدعا بعس من نبيذ كاد يكون خلا فقال اشرب فلم أسـتطعه و لم أسغه أن أشرب فشرب ثم نظر إلى و قال ويحك إنه ليس بدرمك العراق وودكه ولكن ماتأكله أنت وأصحابك . ثم قال اسـمع إنا ننحر كل يوم جزورا فأما أوراكها وودكها وأطائبها فلمن حضرنا من المهاجرين والأنصار و أماعنقها فلآل عمر و أماعظامهـا وأضـلاعها فلفقراء المدينـة نأكل من هـذااللحم الغث ونشـرب من هذاالنبيـذ الخاثر ونـدع لين الطعام ليوم تـذهل كل مرضـعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها.حضر عندعمر قوم من الصحابة فأثنوا عليه وقالوا و الله مارأينا يا أمير المؤمنين رجلاـ أقضـى منـك بالقسط و لاأقول بالحق و لاأشـد على المنافقين منك إنك لخير الناس بعـد رسول الله ص . فقال عوف بن مالك كذبتم و الله أبوبكر بعد رسول الله خير أمته رأينا أبابكر. فقال عمر صدق عوف و الله وكذبتم لقد كان أبوبكر و الله أطيب من ريح المسك و أناأضل من بعير أهلى. لماأتى عمر الخبر بنزول رسـتم القادسية كان يخرج فيستخبر الركبان كل يوم عن أهل القادسية من حين يصبح إلى انتصاف النهار ثم يرجع إلى أهله فلما جاء البشير بالفتح [صفحه ۳۷] لقيه كمايلقى الركبان من قبل فسأله فأخبره فجعل يقول يا عبد الله إيه حدثنى فيقول له هزم الله العدو وعمر يحث معه ويسأله و هوراجل والبشير يسير على ناقته و لاـيعرفه فلمـا دخـل المدينـة إذا النـاس يسـلمون عليه باسـمه بـإمرة المؤمنين ويهنئونه فنزل الرجـل و قـال هلاـ أخبرتنى يا أمير المؤمنين رحمـك الله وجعـل عمر يقول لاعليك يا ابن أخى لاعليك يا ابن أخى. وروى أبوالعاليـة الشامى قال قـدم عمر الجابية على جمـل أورق تلوح صـلعته ليس عليه قلنسوة تصـل رجلاه بين شـعبتى رحله بغير ركاب وطاؤه كساء أنبجانى كثير الصوف و هووطـاؤه إذاركـب وفراشـه إذانزل وحقيبتـه نمرة محشـوة ليفـا هى حقيبتـه إذاركب ووسـادته إذانزل و عليه قميص من كرابيس قـددسم وتخرق جيبه فقـال ادعوا إلى رأس القريـة فـدعوه له فقـال اغسـلوا قميصـى هـذا وخيطوه وأعيرونى قميصـا ريثمـا يجف قميصـى فـأتوه بقميص كتـان فعجب منه فقـال مـا هـذاقالوا كتـان قـال و ماالكتـان فـأخبروه فلبسه ثم غسـل قميصه وأتى به فنزع قميصـهم ولبس قميصه فقـال له رأس القريـة أنت ملـك العرب و هـذه بلاد لايصـلح بهاركوب الإبل فأتى ببرذون فطرحت عليه قطيفة بغير سرج فركبه فهملج تحته فقال للناس احبسوا فحبسوه فقال ماكنت أظن الناس يركبون الشيطان قبل هذاقدموا لى جملى فجىء به فنزل عن البرذون وركبه . [صـفحه ۳۸] قـدم عمر الشـام فلقيه أمراء الأجناد وعظماء تلك الأرض فقال وأين أخى قالوا من هو قال أبوعبيدة قالوا سـيأتيك الآن فجاء أبوعبيدة على ناقة مخطومة بحبل فسـلم عليه ورد له ثم قال للناس انصرفوا عنا فسار معه حتى أتى منزله فنزل عليه فلم ير فيه إلاسـيفا وترسا فقال له لواتخـذت متاع البيت قال حسبى هذايبلغنى المقيل . وروى طارق بن شـهاب أن عمر لماقـدم الشام عرضت له مخاضـة فنزل عن بعيره ونزع جرموقيه فأمسـكهما بيـده وخاض الماء وزمام بعيره فى يـده الأخرى فقال له أبوعبيـدة لقـد صـنعت اليوم صـنيعا عظيما عنـد أهل هـذه الأرض فصك فى صـدره و قال لوغيرك قالها يا أباعبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسـلام فمهما تطلبوا العز بغيره يرجعكم إلى الذل . وروى

محمد بن سعد صاحب الواقدی أن عمر قال یوما علی المنبر لقد رأیتنی و ما لی من أکال یأکله الناس إلا أن لی خالات من بنی مخزوم فکنت أستعذب لهن الماء فیقبضن لی القبضات من الزبیب فلما نزل قیل له ماأردت بهذا قال وجدت فی نفسی بأوا فأردت أن أطأطئ منها. [صفحه ۳۹] و من کلام عمر رحم الله امرأ أهدی إلی عیوبی.قدم عمرو بن العاص علی عمر و کان والیا لمصر فقال له فی کم سرت قال فی عشرین قال عمر لقد سرت سیر عاشق فقال عمرو إنی و الله ماتأبطتنی الإماء و لاحملتنی فی غبرات المآلی فقال عمر و الله ما هذابجواب الکلام ألذی سألتک عنه و أن الدجاجة لتفحص فی الرماد فتضع لغیر الفحل وإنما تنسب البیضة إلی طرقها فقام عمرو مربد الوجه . قلت المآلی خرق سود یحملها النوائح ویسرن بهابأیدیهن عنداللطم وأراد خرق الحیض هاهنا وشبهها بتلک وأنکر عمر فخره بالأمهات و قال إن الفخر للأب ألذی إلیه النسب وسألت النقیب أبا جعفر عن هذاالحدیث فی عمر فقال إن عمرا فخر علی عمر لأن أم الخطاب زنجیة وتعرف بباطحلی تسمی صهاک فقلت له وأم عمرو النابغة أمه من سبایا العرب فقال أمه عربیة من عنزة سبیت فی بعض الغارات فلیس یلحقها من النقص عندهم مایلحق الإماء الزنجیات فقلت له أ کان عمرو یقدم علی عمر بمثل ما قلت قال قد یکون بلغه عنه قول قدح فی نفسه فلم یحتمله له ونفث بما فی صدره منه و إن لم یکن جوابا مطابقا للسؤال و قد کان عمر مع خشونته یحتمل نحو هذافقد جبهه الزبیر مرة وجعل یحکی کلامه یمططه وجبهه سعد بن أبی وقاص أیضا فأغضی عنه ومر یوما فی السوق علی ناقة له فوثب غلام من بنی ضبة فإذا هوخلفه فالتفت إلیه فقال فممن أنت قال ضبی قال جسور و الله فقال الغلام علی العدو قال عمر و علی الصدیق أیضا ماحاجتک فقضی حاجته ثم قال دع الآن لنا ظهر راحلتنا. [صفحه ۴۰] و من کلام عمر اخشع عندالقبور إذانظرت إلیها واستعص عندالمعصیة وذل عندالطاعة و لاتبذلن کلامک إلا عند من یشتهیه ویتخذه غنما و لاتستعن علی حاجتک إلابمن یحب نجاحها لک وآخ الإخوان علی التقوی وشاور فی أمرک کله و إذااشتری أحدکم بعیرا فلیشتره جسیما فإن أخطأته النجابة لم یخطئه السوق .أوفد بشر بن مروان و هو علی العراق رجلا إلی عبدالملک فسأله عن بشر فقال یا أمیر المؤمنین هواللین فی غیرضعف الشدید فی غیرعنف فقال عبدالملک ذاک الأحوذی ابن حنتمة ألذی کان یأمن عنده البریء ویخافه السقیم ویعاقب علی الذنب ویعرف موضع العقوبة لابشر بن مروان .أذن عمر یوما للناس فدخل شیخ کبیر یعرج و هویقود ناقة رجیعا یجاذبها حتی وقف بین ظهرانی الناس ثم قال وإنک مسترعی وإنا رعیة || وإنک مدعو بسیماک یاعمر لدی یوم شر شره لشراره || وخیر لمن کانت مؤانسه الخیر . فقال عمر لاحول و لاقوة إلابالله من أنت قال عمرو بن براقة قال ویحک فما منعک أن تقول وَ اعلَمُوا أَنّما غَنِمتُم مِن شَیءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرّسُولِ ثم قرأها إلی آخرها وأمر بناقته فقبضت وحمله علی غیرها وکساه وزوده . -قرآن-۹۲-۱۶۵ [صفحه ۴۱] بینا عمر یسیر فی طریق مکة یوما إذابالشیخ بین یدیه یرتجز و یقول ما إن رأیت کفتی الخطاب || أبر بالدین وبالأحساب بعد النبی صاحب الکتاب .فطعنه عمر بالسوط فی ظهره فقال ویلک وأین الصدیق قال ما لی بأمره علم یا أمیر المؤمنین قال أماإنک لوکنت عالما ثم قلت هذالأوجعت ظهرک . قال زید بن أسلم کنت عندعمر و قدکلمه عمرو بن العاص فی الحطیئة و کان محبوسا فأخرجه من السجن ثم أنشده ماذا تقول لأفراخ بذی مرخ || زغب الحواصل لاماء و لاشجر ألقیت کاسبهم فی قعر مظلمة || فاغفر علیک سلام الله یاعمر أنت الإمام ألذی من بعدصاحبه || ألقت إلیه مقالید النهی البشر ماآثروک بهاإذ قدموک لها || لکن لأنفسهم کانت بک الأثر .فبکی عمر لما قال له ماذا تقول لأفراخ فکان عمرو بن العاص بعد ذلک یقول ماأقلت الغبراء و لاأظلت الخضراء أتقی من رجل یبکی خوفا من حبس الحطیئة ثم قال عمر لغلامه یرفأ علی بالکرسی فجلس علیه ثم قال علی بالطست فأتی بها ثم قال علی بالمخصف لابل علی بالسکین فأتی بها فقال لابل علی بالموسی فإنها أوجی فأتی بموسی ثم قال أشیروا علی فی الشاعر فإنه یقول الهجر وینسب بالحرم ویمدح الناس ویذمهم بغیر مافیهم و ماأرانی إلاقاطعا لسانه فجعل الحطیئة یزید خوفا فقال من حضر أنه لایعود یا أمیر المؤمنین وأشاروا إلیه قل لاأعود یا أمیر المؤمنین فقال النجاء النجاء فلما ولی

ناداه یاحطیئة فرجع مرعوبا فقال کأنی بک یاحطیئة [صفحه ۴۲] عندفتی من قریش قدبسط لک نمرقة وکسر لک أخری ثم قال غننا یاحطیئة فطفقت تغنیه بأعراض الناس قال یا أمیر المؤمنین لاأعود و لا یکون ذلک . قال زید بن أسلم ثم رأیت الحطیئة یوما بعد ذلک عندعبید الله بن عمر قدبسط له نمرقة وکسر له أخری ثم قال تغنینا یاحطیئة و هویغنیه فقلت یاحطیئة أ ماتذکر قول عمر لک ففزع و قال رحم الله ذلک المرء أما لو کان حیا مافعلنا هذا قال فقلت لعبید الله بن عمر سمعت أباک یذکر کذا فکنت أنت ذلک الفتی . کان عمر یصادر خونة العمال فصادر أبا موسی الأشعری و کان عامله علی البصرة و قال له بلغنی أن لک جاریتین وأنک تطعم الناس من جفنتین وأعاده بعدالمصادرة إلی عمله . وصادر أباهریرة وأغلظ علیه و کان عامله علی البحرین فقال له أ لاتعلم أنی استعملتک علی البحرین و أنت حاف لانعل فی رجلک و قدبلغنی أنک بعت أفراسا بألف وستمائة دینار قال أبوهریرة کانت لنا أفراس فتناتجت فقال قدحبست لک رزقک ومئونتک و هذافضل قال أبوهریرة لیس ذلک لک قال بلی و الله وأوجع ظهرک ثم قام إلیه بالدرة فضرب ظهره حتی أدماه ثم قال ائت بها فلما أحضرها قال أبوهریرة سوف أحتسبها عند الله قال عمر ذاک لوأخذتها من حل وأدیتها طائعا أما و الله مارجت فیک أمیمة أن تجبی أموال هجر والیمامة وأقصی البحرین لنفسک لالله و لاللمسلمین و لم ترج فیک أکثر من رعیة الحمر وعزله . وصادر الحارث بن وهب أحد بنی لیث بکر بن کنانة و قال له ماقلاص وأعبد بعتها بمائه دینار قال خرجت بنفقة لی فاتجرت فیها قال وإنا و الله مابعثناک للتجارة [صفحه ۴۳] أدها قال أما و الله لاأعمل لک بعدها قال إنا و الله لاأستعملک بعدها ثم صعد المنبر فقال یامعشر الأمراء إن هذاالمال لورأینا أنه یحل لنا لأحللناه لکم فأما إذ لم نره یحل لنا وظلفنا أنفسنا عنه فاظلفوا عنه أنفسکم فإنی و الله ماوجدت لکم مثلا إلاعطشان ورد اللجة و لم ینظر الماتح فلما روی غرق . وکتب عمر إلی عمرو بن العاص و هوعامله فی مصر أما بعدفقد بلغنی أنه قدظهر لک مال من إبل وغنم وخدم وغلمان و لم یکن لک قبله مال و لا ذلک من رزقک فإنی لک هذا ولقد کان لی من السابقین الأولین من هوخیر منک ولکنی استعملتک لغنائک فإذا کان عملک لک وعلینا بم نؤثرک علی أنفسنا فاکتب إلی من أین مالک وعجل و السلام .فکتب إلیه عمرو بن العاص قرأت کتاب أمیر المؤمنین ولقد صدق فأما ماذکره من مالی فإنی قدمت بلدة الأسعار فیهارخیصه والغزو فیهاکثیر فجعلت فضول ماحصل لی من ذلک فیما ذکره أمیر المؤمنین و الله یا أمیر المؤمنین لوکانت خیانتک لنا حلالا ماخناک حیث ائتمنتنا فأقصر عنا عناک فإن لنا أحسابا إذارجعنا إلیها أغنتنا عن العمل لک و أما من کان لک من السابقین الأولین فهلا استعملتهم فو الله مادققت لک بابا.فکتب إلیه عمر أما بعدفإنی لست من تسطیرک وتشقیقک الکلام فی شیءإنکم معشر الأمراء أکلتم الأموال وأخلدتم إلی الأعذار فإنما تأکلون النار وتورثون العار و قدوجهت إلیک محمد بن مسلمة لیشاطرک علی ما فی یدیک و السلام . [صفحه ۴۴] فلما قدم إلیه محمداتخذ له طعاما وقدمه إلیه فأبی أن یأکل فقال ما لک لاتأکل طعامنا قال إنک عملت لی طعاما هوتقدمة للشر و لوکنت عملت لی طعام الضیف لأکلته فأبعد عنی طعامک وأحضر لی مالک فلما کان الغد وأحضر ماله جعل محمدیأخذ شطرا ویعطی عمرا شطرا فما رأی عمرو ماحاز محمد من المال قال یا محمدأقول قال قل ماتشاء قال لعن الله یوما کنت فیه والیا لابن الخطاب و الله لقد رأیته ورأیت أباه و إن علی کل واحد منهما عباءة قطوانیة مؤتزرا بها ماتبلغ مأبض رکبتیه و علی عنق کل واحد منهما حزمة من حطب و إن العاص بن وائل لفی مزررات الدیباج فقال محمدإیها یاعمرو فعمر و الله خیر منک و أماأبوک وأبوه ففی النار و و الله لو لا مادخلت فیه من الإسلام لألفیت معتلفا شاة یسرک غزرها ویسوءک بکؤها قال صدقت فاکتم علی قال أفعل .جاءت سریة لعبید الله بن عمر إلی عمر تشکوه فقالت یا أمیر المؤمنین أ لاتعذرنی من أبی عیسی قال و من أبوعیسی قالت ابنک عبید الله قال ویحک و قدتکنی بأبی عیسی ودعاه و قال إیها اکتنیت بأبی عیسی فحذر وفزع فأخذ یده فعضها حتی صاح ثم ضربه و قال ویلک هل لعیسی أب أ ماتدری ماکنی العرب أبوسلمة أبوحنظلة أبوعرفطة أبومرة. کان عمر إذاغضب علی بعض أهله لم یشتف حتی یعض یده و کان

عبد الله بن الزبير كذلك يقال إنه لم يل ولاية من ولد عمر وال عادل [صفحه ۴۵] و قال مالك بن أنس إن عمر بن الخطاب استفرغ كل عدل فی ولده فلم يعدل بعده أحد منهم فی ولاية وليها. كان عمر و من بعده من الولاة إذاأخذوا العصاة نزعوا عمائمهم وأقاموهم للناس حتى جاء زياد فضربهم بالسياط فجاء مصعب فحلق مع الضرب فجاء بشر بن مروان فكان يصلب تحت الإبطين ويضرب الأكف بالمسامير فكتب إلى بعض الجند قوم من أهله يستزيرونه ويتشوقونه و قدأخرجه بشر إلى الری فكتب إليهم لو لامخافة بشر أوعقوبته || أو أن يرى شأني كفی بمسمار إذاعطلت ثغری ثم زرتكم || إن المحب المعنى جد زوار . فلما جاء الحجاج قال كل هذالعب فقتل العصاة بالسيف .زيد بن أسلم عن أبيه قال خلا عمر لبعض شأنه و قال أمسك على الباب فطلع الزبير فكرهته حين رأيته فأراد أن يدخل فقلت هو على حاجة فلم يلتفت إلی وأهوى ليدخل فوضعت يدی فی صدره فضرب أنفی فأدماه ثم رجع فدخلت على عمر فقال مابك قلت الزبير.فأرسل إلى الزبير فلما دخل جئت فقمت لأنظر ما يقول له فقال ماحملك على ماصنعت أدميتنی للناس فقال الزبير يحكيه ويمطط فی كلامه أدميتنی أتحتجب عنا يا ابن الخطاب فو الله مااحتجب منی رسول الله و لا أبوبكر فقال عمر كالمعتذر إنی كنت فی بعض شأنی. قال أسلم فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لی بحقی منه . [صفحه ۴۶] فخرج الزبير فقال عمر إنه الزبير وآثاره ماتعلم فقلت حقی حقك . وروى الزبير بن بكار فی كتاب الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال إنی لأماشی عمر بن الخطاب فی سكة من سكك المدينة إذ قال لی يا ابن عباس ماأرى صاحبك إلامظلوما فقلت فی نفسی و الله لايسبقنی بهافقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته فانتزع يده من يدی ومضى يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال يا ابن عباس ماأظنهم منعهم عنه إلا أنه استصغره قومه فقلت فی نفسی هذه شر من الأولى فقلت و الله مااستصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك .فأعرض عنی وأسرع فرجعت عنه . و قال ابن عباس قلت لعمر لقد أكثرت التمنی للموت حتى خشيت أن يكون عليك غيرسهل عندأوانه فما ذا سئمت من رعيتك أن تعين صالحا أوتقوم فاسدا. قال يا ابن عباس إنی قائل قولا فخذه إليك كيف لاأحب فراقهم وفيهم من هوفاتح فاه للشهوة من الدنيا إما لحق لا‌ينوء به وإما لباطل لايناله و الله لو لا‌ أن أسأل عنكم لبرئت منكم فأصبحت الأرض منی بلاقع و لم أقل مافعل فلان وفلان .جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت يا أمير المؤمنين إن زوجی يصوم [صفحه ۴۷] النهار ويقوم الليل وإنی أكره أن أشكوه و هويعمل بطاعة الله فقال نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول و هويكرر عليها الجواب . فقال له كعب بن سور يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها فی مباعدته إياها عن فراشه ففطن عمر حينئذ و قال له قدوليتك الحكم بينهما. فقال كعب علی بزوجها فأتی به فقال إن زوجتك هذه تشكوك قال فی طعام أوشراب قال لاقالت المرأة أيها القاضی الحكيم رشده || ألهى خليلی عن فراشی مسجده زهده فی مضجعی تعبده || نهاره وليله مايرقده فلست فی أمر النساء أحمده . فقال زوجها زهدنی فی فرشها و فی الحجل || أنی امرؤ أذهلنی ما قدنزل فی سورة النمل و فی السبع الطول || و فی كتاب الله تخويف جلل . قال كعب إن لها حقا عليك يا رجل || تصيبها من أربع لمن عقل فأعطها ذاك ودع عنك العلل . فقال لعمر يا أمير المؤمنين إن الله أحل له من النساء مثنی وثلاث ورباع فله ثلاثة أيام ولياليهن يعبد فيهاربه ولها يوم وليلة. فقال عمر و الله ماأعلم من أی أمريك أعجب أ من فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضاء البصرة. وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب و هويطوف بالليل [صفحه ۴۸] فنظر إلى نار شرقی حرة المدينة فقال إن هؤلاء الركب لم ينزلوا هاهنا إلاالليلة ثم أهوى لهم فخرجت معه حتى دنونا فسمعنا تضاغی الصبيان وبكاءهم . فقال السلام عليكم ياأصحاب الضوء هل ندنو منكم واحتبسنا قليلا‌ فقالت امرأة منهم ادنوا بسلام فأقبلنا حتى وقفنا عليها فقال مايبكی هؤلاء الصبيان قالت الجوع قال فما هذاالقدر على النار قالت ماء أعللهم به قال انتظرينی فإنی بالغك إن شاء الله ثم خرج يهرول و أنامعه حتى جئنا دار الدقيق وكانت دارا يطرح فيها مايجیء من دقيق العراق ومصر و قد كان كتب إلى عمرو بن العاص و أبی موسى حين أمحلت السنة الغوث الغوث احملوا إلی

أحمال الدقيق واجعلوا فيهاجمائد الشحم فجاء إلى عدل منها فطأطأ ظهره ثم قال احمله على ظهرى ياأسلم فقلت أناأحمله عنك فنظر إلى و قال أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا أبا لك قلت لا قال فاحمله على ظهرى إذافعلت وخرج به يدلج و أنامعه حتى ألقاه عندالمرأة. ثم قال لى ذر على ذرور الدقيق لايتعرد و أناأخزر ثم أخذ المسواط يخزر ثم جعل ينفخ تحت البرمة و أناأنظر إلى الدخان يخرج من خلل لحيته و يقول لاتعجل حتى ينضج ثم قال ألق على من الشحم فإن القفار يوجع البطن . [صفحه ۴۹] ثم أنزل القدر و قال للمرأة لا-تعجلى لا-تعطيهم حارا و أناأسطح لك فجعل يسطح بالمسواط ويبرد طعامهم حتى إذاشبعوا ترك عندها الفضل ثم قال لها ائتى أمير المؤمنين غدا فإنك عسيت أن تجدينى قريبا منه فأشفع لك بخير وهى تقول من أنت يرحمك الله وتدعو له وتقول أنت أولى بالخلافة من أمير المؤمنين فيقول قولى خيرا يرحمك الله لايزيد على هذا. ثم انصرف حتى إذا كان قريبا جلس فأقعى وجعل يسمع طويلا حتى سمع التضاحك منها و من الصبيان و أناأقول يا أمير المؤمنين قدفرغت من هذه و لك شغل فى غيرها و يقول لاتكلمنى حتى إذاهدأ حسهم قام فتمطى و قال ويحك إنى سمعت الجوع أسهرهم فأحببت ألا أبرح حتى أسمع الشبع أنامهم . و من كلامه الرجال ثلاثة الكامل ودون الكامل و لا شيءفالكامل ذو الرأى يستشير الناس فيأخذ من آراء الرجال إلى رأيه ودون الكامل من يستبد به و لايستشير و لا شيء من لارأى له و لايستشير. والنساء ثلاث تعين أهلها على الدهر و لاتعين الدهر على أهلها وقلما تجدها وامرأة وعاء للولد ليس فيهاغيره والثالثة غل قمل يجعله الله فى رقبة من يشاء ويفكه إذاشاء. لماأخرج عمر الحطيئة من حبسه قال له إياك والشعر قال لاأقدر على تركه يا أمير المؤمنين مأكلة عيالى ونملة تدب على لسانى قال فشبب بأهلك وإياك [صفحه ۵۰] و كل مدحة مجحفه قال و ماالمجحفة قال تقول إن بنى فلان خير من بنى فلان امدح و لاتفضل أحدا قال أنت و الله يا أمير المؤمنين أشعر منى. وروى الزبير فى الموفقيات عن عبد الله بن عباس قال خرجت أريد عمر بن الخطاب فلقيته راكبا حمارا و قدارتسنه بحبل أسود فى رجليه نعلان مخصوفتان و عليه إزار وقميص صغير و قدانكشفت منه رجلاه إلى ركبتيه فمشيت إلى جانبه وجعلت أجذب الإزار وأسويه عليه كلما سترت جانبا انكشف جانب فيضحك و يقول إنه لايطيعك حتى جئنا العالية فصلينا ثم قدم بعض القوم إلينا طعاما من خبز ولحم و إذاعمر صائم فجعل ينبذ إلى طيب اللحم و يقول كل لى و لك ثم دخلنا حائطا فألقى إلى رداءه و قال اكفنيه وألقى قميصه بين يديه وجلس يغسله و أناأغسل رداءه ثم جففناهما وصلينا العصر فركب ومشيت إلى جانبه و لاثالث لنا.فقلت يا أمير المؤمنين إنى فى خطبة فأشر على قال و من خطبت قلت فلانة ابنة فلان قال النسب كماتحب و كما قدعلمت ولكن فى أخلاق أهلها دقة لاتعدمك أن تجدها فى ولدك قلت فلاحاجة لى إذا فيها قال فلم لاتخطب إلى ابن عمك يعنى عليا قلت أ لم تسبقنى إليه قال فالأخرى قلت هى لابن أخيه قال يا ابن عباس إن صاحبكم إن ولى هذاالأمر أخشى عجبه بنفسه أن يذهب به فليتنى أراكم بعدى قلت يا أمير المؤمنين إن صاحبنا ما قدعلمت أنه ما غير و لابدل و لاأسخط رسول الله ص أيام صحبته له . [صفحه ۵۱] قال فقطع على الكلام فقال و لا فى ابنة أبى جهل لماأراد أن يخطبها على فاطمة. قلت قال الله تعالى وَ لَم نَجِد لَهُ عَزماً وصاحبنا لم يعزم على سخط رسول الله ص ولكن الخواطر التى لايقدر أحد على دفعها عن نفسه وربما كان من الفقيه فى دين الله العالم العامل بأمر الله . فقال يا ابن عباس من ظن أنه يرد بحوركم فيغوص فيهامعكم حتى يبلغ قعرها فقد ظن عجزا أستغفر الله لى و لك خذ فى غيرها. ثم أنشأ يسألنى عن شىء من أمور الفتيا وأجيبه فيقول أصبت أصاب الله بك أنت و الله أحق أن تتبع .أشرف عبدالملك على أصحابه وهم يتذاكرون سيرة عمر فغاظه ذلك و قال إيها عن ذكر سيرة عمر فإنها مزراة على الولاة مفسدة للرعية. قال ابن عباس كنت عندعمر فتنفس نفسا ظننت أن أضلاعه قدانفرجت فقلت ماأخرج هذاالنفس منك يا أمير المؤمنين إلاهم شديد قال إى و الله يا ابن عباس إنى فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذاالأمر بعدى ثم قال لعلك ترى صاحبك لها أهلا قلت و مايمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه قال صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة قلت فأين أنت عن طلحة قال ذو البأو

وبإصبعه المقطوعة قلت فعبد الرحمن قال رجل ضعيف لوصار الأمر إليه لوضع خاتمه فی يد امرأته قلت فالزبير قال شكس لقس يلاطم فی النقيع فی صاع -قرآن-١٠٣-١٢٦ [صفحه ٥٢] من بر قلت فسعد بن أبی وقاص قال صاحب سلاح ومقنب قلت فعثمان قال أوه ثلاثا و الله لئن وليها ليحملن بنی أبی معيط علی رقاب الناس ثم لتنهض العرب إليه . ثم قال يا ابن عباس إنه لايصلح لهذا الأمر إلاخصيف العقدة قليل الغرة لاتأخذه فی الله لومة لائم ثم يكون شديدا من غيرعنف لينا من غيرضعف سخيا من غيرسرف ممسكا من غيروكف قال ابن عباس وكانت و الله هی صفات عمر. قال ثم أقبل علی بعد أن سكت هنيهة و قال أجرؤهم و الله إن وليها أن يحملهم علی كتاب ربهم وسنة نبيهم لصاحبك أما إن ولی أمرهم حملهم علی المحجة البيضاء والصراط المستقيم . وروی عبد الله بن عمر قال كنت عند أبی يوما وعنده نفر من الناس فجری ذكر الشعر فقال من أشعر العرب فقالوا فلان وفلان فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس فقال عمر قدجاءكم الخبير من أشعر الناس يا عبد الله قال زهير بن أبی سلمی قال فأنشدنی مما تستجيده له فقال يا أمير المؤمنين إنه مدح قوما من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال لو كان يقعد فوق الشمس من كرم || قوم بأولهم أومجدهم قعدوا قوم أبوهم سنان حين تنسبهم || طابوا وطاب من الأولاد ماولدوا أنس إذاأمنوا جن إذافزعوا || مرزءون بهاليل إذاجهدوا [صفحه ٥٣] محسدون علی ما كان من نعم || لاينزع الله منهم ماله حسدوا . فقال عمر و الله لقد أحسن و ماأری هذاالمدح يصلح إلالهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله ص فقال ابن عباس وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تزل موفقا فقال يا ابن عباس أتدری مامنع الناس منكم قال لا يا أمير المؤمنين قال لكنی أدری قال ما هو يا أمير المؤمنين قال كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجخفوا جخفا فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت . فقال ابن عباس أيميط أمير المؤمنين عنی غضبه فيسمع قال قل ماتشاء قال أماقول أمير المؤمنين إن قريشا كرهت فإن الله تعالی قال لقوم ذلِكَ بِأَنَّهُم كَرِهُوا ما أَنزَلَ اللّهُ فَأَحبَطَ أَعمالَهُم. و أماقولك إنا كنا نجخف فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ص الذی قال الله تعالی وَ إِنّكَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِيمٍ و قال له وَ اخفِض جَناحَكَ لِمَنِ اتّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ. و أماقولك فإن قريشا اختارت فإن الله تعالی يقول وَ رَبّكَ يَخلُقُ ما يَشاءُ وَ يَختارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ و قدعلمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت قريش . فقال عمر علی رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يابنی هاشم إلاغشا فی أمر قريش لايزول وحقدا عليها لايحول فقال ابن عباس مهلا يا أمير المؤمنين -قرآن-٥٢٨-٥٩٠-قرآن-٧٢٣-٧٥٣-قرآن-٧٦٥-٨١٦-قرآن-٨٧١-٩٣٤ [صفحه ٥٤] لاتنسب هاشما إلی الغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذی طهره الله وزكاه وهم أهل البيت الذين قال الله تعالی لهم إِنّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرّجسَ أَهلَ البَيتِ وَ يُطَهّرَكُم تَطهِيراً و أماقولك حقدا فكيف لايحقد من غصب شيئه ويراه فی يد غيره . فقال عمر أما أنت يا ابن عباس فقد بلغنی عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندی قال و ما هو يا أمير المؤمنين أخبرنی به فإن يك باطلا فمثلی أماط الباطل عن نفسه و إن يك حقا فإن منزلتی عندك لاتزول به . قال بلغنی أنك لاتزال تقول أخذ هذاالأمر منك حسدا وظلما قال أماقولك يا أمير المؤمنين حسدا فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم المحسود. و أماقولك ظلما فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو. ثم قال يا أمير المؤمنين أ لم تحتج العرب علی العجم بحق رسول الله واحتجت قريش علی سائر العرب بحق رسول الله ص فنحن أحق برسول الله من سائر قريش . فقال له عمر قم الآن فارجع إلی منزلك فقام فلما ولی هتف به عمر أيها المنصرف إنی علی ما كان منك لراع حقك .فالتفت ابن عباس فقال إن لی عليك يا أمير المؤمنين و علی كل المسلمين حقا برسول الله ص فمن حفظه فحق نفسه حفظ و من أضاعه فحق نفسه أضاع ثم مضی . -قرآن-١٢٦-٢١١ [صفحه ٥٥] فقال عمر لجلسائه واها لابن عباس مارأيته لاحی أحدا قط إلاخصمه . لماتوفی عبد الله بن أبی رأس المنافقين فی حياة رسول الله ص جاء ابنه وأهله فسألوا رسول الله ص أن يصلی عليه فقام بين يدی الصف يريد ذلك فجاء

عمر فجذبه من خلفه و قال أ لم ينهك الله أن تصلی علی المنافقين فقال إنی خيرت فاخترت فقيل لی اسـتَغفِر لَهُم أَو لا تَستَغفِر لَهُم إِن تَستَغفِر لَهُم سَبعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغفِرَ اللَّهُ لَهُم و لوأنی أعلم أنی إذازدت علی السبعين غفر له لزدت ثم صلی رسول الله عليه ومشی معه وقام علی قبره .فعجب الناس من جرأة عمر علی رسول الله ص فلم يلبث الناس إلا أن نزل قوله تعالی وَ لا تُصَلِّ عَلی أَحَدٍ مِنهُم ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُم عَلی قَبرِهِفلم يصل ع بعدها علی أحد من المنافقين . و -قرآن-۳۲۴-۴۲۳-قرآن-۶۱۸-۶۸۶ روی أبوهريرة قال كنا قعودا حول رسول الله ص فی نفر فقام من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقطع دوننا فقمنا وكنت أول من فزع فخرجت أبتغيه حتی أتيت حائطا للأنصار لقوم من بنی النجار فلم أجد له بابا إلاربيعا فدخلت فی جوف الحائط والربيع الجدول فدخلت منه بعد أن احتفرته فإذا رسول الله ص فقال أبوهريرة قلت نعم قال ماشأنک قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت عنا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا وكنت أول من فزع فأتيت هذاالحائط فاحتفرته كمايحتفر الثعلب و الناس من ورائی. -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-ادامه دارد [صفحه ۵۶] فقال يا أباهريرة اذهب بنعلی هاتين فمن لقيته وراء هذاالحائط يشهد أن لاإله إلا الله مستيقنا بهاقلبه فبشره بالجنة فخرجت فكان أول من لقيت عمر فقال ماهذان النعلان قلت نعلا رسول الله ص بعثنی بهما و قال من لقيته يشهد أن لاإله إلا الله مستيقنا بهاقلبه فبشره بالجنة.فضرب عمر فی صدری فخررت لاستی و قال ارجع إلی رسول الله ص .فأجهشت بالبكاء راجعا فقال رسول الله مابالک قلت لقيت عمر فأخبرته بالذی بعثتنی به فضرب صدری ضربة خررت لاستی و قال ارجع إلی رسول الله .فخرج رسول الله فإذاعمر فقال ماحملک ياعمر علی مافعلت فقال عمر أنت بعثت أباهريرة بكذا قال نعم قال فلاتفعل فإنی أخشی أن يتكل الناس عليها فيتركوا العمل خلهم يعملون فقال رسول الله ص خلهم يعملون -روايت-از قبل-۷۱۰ روی أبوسعيد الخدری قال أصابت الناس مجاعة فی غزاة تبوک فقالوا يا رسول الله لوأذنت لنا فذبحنا نواضحنا وأكلنا شحمها ولحمها فقال افعلوا فجاء عمر فقال يا رسول الله إنهم إن فعلوا قل الظهر ولكن ادعهم بفضلات أزوادهم فاجمعها ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله يجعل فی ذلک خيرا -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-ادامه دارد [صفحه ۵۷] ففعل رسول الله ص ذلک فأكل الخلق الكثير من طعام قليل و لم تذبح النواضح -روايت-از قبل-۸۳ روی ابن عباس رضی الله عنه أن رجلا أتی رسول الله ص يذكر له ذنبا أذنبه فانزل الله تعالی فی أمره وَ أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَ زُلَفاً مِنَ اللَّيلِ إِنَّ الحَسَناتِ يُذهِبنَ السَّيِّئاتِ ذلِکَ ذِكری لِلذّاكِرِينَ فقال يا رسول الله لی خاصة أم للناس عامة.فضرب عمر صدره بيده و قال لا و لانعمی عين بل للناس عامة فقال رسول الله ص بل للناس عامة -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۳۷۷ . و كان عمر يقول وافقنی ربی فی ثلاث قلت يا رسول الله لواتخذنا من مقام ابراهيم مصلی فنزلت وَ اتَّخِذُوا مِن مَقامِ إِبراهِيمَ مُصَلًّی. و قلت يا رسول الله إن نساءک يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب . وتمالأ عليه نساؤه غيرة فقلت له عسی ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت بهذا اللفظ. و قال عبد الله بن مسعود فضل عمر الناس بأربع برأيه فی أساری بدر فنزل القرآن بموافقته ما كانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسری حَتّی يُثخِنَ فِي الأَرضِ وبرأيه فی حجاب نساء النبی ص فنزل قوله تعالی وَ إِذا سَأَلتُمُوهُنَّ -قرآن-۹۸-۱۳۹-قرآن-۴۳۵-۵۰۰-قرآن-۵۵۱-۵۷۲ . و كان عمر يقول وافقنی ربی فی ثلاث قلت يا رسول الله لواتخذنا من مقام ابراهيم مصلی فنزلت وَ اتَّخِذُوا مِن مَقامِ إِبراهِيمَ مُصَلًّی. و قلت يا رسول الله إن نساءک يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب . وتمالأ عليه نساؤه غيرة فقلت له عسی ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت بهذا اللفظ. و قال عبد الله بن مسعود فضل عمر الناس بأربع برأيه فی أساری بدر فنزل القرآن بموافقته ما كانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسری حَتّی يُثخِنَ فِي الأَرضِ وبرأيه فی حجاب نساء النبی ص فنزل قوله تعالی وَ إِذا سَأَلتُمُوهُنَّ مَتاعاً فَسئَلُوهُنَّ مِن وَراءِ حِجابٍ وبدعوة النبی ص أللهم أيد الإسلام بأحد الرجلين وبرأيه فی أبی بكر كان أول من بايعه . وروت عائشة قالت كنت آكل مع رسول الله ص حيسا قبل أن تنزل آية الحجاب ومر عمر فدعاه فأكل فأصابت يده إصبعی فقال حس لوأطاع فيكن مارأتكن عين فنزلت آية الحجاب

.جاء عيينـة بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبى بكر فقالا ياخليفـة رسول الله إن عنـدنا أرضا سـبخة ليس فيهاكلأ و لامنفعة فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها أونزرعها ولعل الله أن ينفع بها بعـداليوم فقال أبوبكر لمن حوله من الناس المسـلمين ماترون قالوا لابأس فكتب لهما بهاكتابا وأشـهد فيه شـهودا وعمر ما كان حاضرا فانطلقا إليه ليشهد فى الكتاب فوجداه قائما يهنأ بعيرا فقالا إن خليفـة رسول الله ص كتب لنـا هـذاالكتاب وجئنـاك لتشـهد على مـا فيه أفتقرؤه أم نقرؤه عليك قال أ على الحال التى تريان إن شئتما فاقرآه و إن شئتما فانتظرا حتى أفرغ .قالا بل نقرؤه عليك فلما سمع ما فيه أخذه منهما ثم تفل فيه فمحاه فتذامرا وقالا مقالة سيئة. -قرآن-١-٣٩ [صفحه ٥٩] فقال إن رسول الله ص كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل و إن الله تعالى قدأعز الإسلام فاذهبا فاجهـدا جهـدكما لارعى الله عليكما إن رعيتما.فذهبا إلى أبى بكر وهما يتذمران فقالا و الله ماندرى أنت أميرأم عمر فقال بل هو لوشـاء كـان . وجـاء عمر و هومغضب حتى وقف على أبى بكر فقـال أخبرنى عن هـذه الأرض التى أقطعتها هـذين الرجلين أهى لك خاصة أم بين المسـلمين عامة فقال بين المسـلمين عامة قال فما حملك على أن تخص بهاهذين دون جماعة المسـلمين قال استشـرت الذين حولى فأشاروا بذلك فقال أفكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضا فقال أبوبكر فلقد كنت قلت لك إنك أقوى على هذاالأمر منى لكنك غلبتنى. لماكتب النبى ص كتاب الصلح فى الحديبية بينه و بين سهيل بن عمرو كان فى الكتاب أن من خرج من المسـلمين إلى قريش لا ـيرد و من خرج من المشـركين إلى النبى ص يرد عليهم فغضب عمر و قال لأبى بكر ما هـذا يا أبـابكر أيرد المسـلمون إلى المشـركين ثم جـاء إلى رسول الله ص فجلس بين يـديه و قال يا رسول الله ألست رسول الله حقا قال بلى قـال ونحن المسـلمون حقا قال نعم قال وهم الكافرون حقا قال نعم قال فعلام نعطى الدنيـة فى ديننا فقال رسول الله أنا رسول الله أفعل مايأمرنى به ولن يضيعنى.فقام عمر مغضبا و قال لوأجد أعوانا ماأعطيت الدنية أبدا وجاء إلى أبى بكر [صفحه ٦٠] فقال له يا أبابكر أ لم يكن وعدنا أننا سـندخل مكة فأين ماوعدنا به فقال أبوبكر أ قال لك إنه العام يدخلها قال لا قال فسيدخلها فقال فما هذه الصـحيفة التى كتبت وكيف نعطى الدنية من أنفسنا فقال أبوبكر يا هذاالزم غرزه فو الله إنه لرسول الله و إن الله لايضيعه . فلمـا كـان يوم الفتـح وأخـذ رسول الله ص مفتـاح الكعبـة قـال ادعوا لى عمر فجـاء فقـال هـذا ألـذى كنت وعـدتكم به . لماقتل المشـركون يوم بـدر أسر منهم سـبعون أسـيرا فاسـتشار رسول الله ص فيهم أبابكر وعمر فقال أبوبكر يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيـرة والإـخوان وأرى أن تأخـذ منهم الفديـة فيكون ماأخـذنا منهم قوة لنا على المشـركين وعسـى أن يهـديهم الله بعـداليوم فيكونوا لنا عـذرا فقال رسول الله ص ماتقول أنت ياعمر قال أرى أن تمكننى من فلان قريب لعمر فأضـرب عنقه وتمكن عليا من عقيـل فيضـرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه فيضـرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشـركين اقتلهم يا رسول الله فـإنهم صـناديدهم وقـادتهم فلم يهو رسول الله ماقـاله عمر. قـال عمر فجئت رسول الله ص فوجـدته قاعـدا و أبوبكر وهما يبكيان فقلت مايبكيكما حـدثانى فإن وجـدت بكاء بكيت و إلاتباكيت فقال رسول الله ص أبكى لأخـذ الفـداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشـجرة لشـجرة قريبة منه . [صـفحه ٦١] قال عبـد الله بن عمر فكان رسول الله ص يقول كـدنا أن يصـيبنا شـر فى مخالفـة عمر. و قـال عمر فى خلافـته لئن عشت إن شـاء الله لأسـيرن فى الرعيـة حولا ـ فـإنى أعلم أن للنـاس حوائـج تقتطع دونى أماعمالهم فلايرفعونها إلى و أماهم فلايصـلون إلى أسـير إلى الشام فأقيم بهاشهرين ثم أسير إلى الجزيرة فأقيم بهاشهرين ثم أسير إلى مصـر فـأقيم بهاشـهرين ثم أسـير إلى البحرين فـأقيم بهاشـهرين ثم أسـير إلى الكوفـة فـأقيم بهاشـهرين ثم إلى البصـرة فـأقيم بهاشـهرين و الله لنعم الحول هذا. و قال أسـلم بعثنى عمر بإبل من إبل الصدقة إلى الحمى فوضـعت جهازى على ناقة منها كريمة فلما أردت أن أصـدرها قال أعرضـها على فعرضـتها عليه فرأى متاعى على ناقة حسـناء فقال لاأم لك عمدت إلى ناقة تغنى أهل بيت من المسـلمين فهلا ابن لبون بوال أوناقة شـصوص . وقيل لعمر إن هاهنا رجلا من الأحبار نصرانيا له بصر بالديوان لواتخذته كاتبا فقال لقـد اتخـذت إذابطانـة من دون المؤمنين . قال و قدخطب الناس و ألذى بعث محمدا بالحق لو أن جملا هلك ضـياعا

بشط الفرات خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب . [صفحه ۶۲] قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يعنى بآل الخطاب نفسه مايعنى غيرها. وكتب إلى أبى موسى أنه لم يزل للناس وجوه من الأمر فأكرم من قبلك من وجوه الناس وبحسب المسلم الضعيف من بين القوم أن ينصف فى الحكم و فى القسم .أتى أعرابى عمر فقال إن ناقتى بهانقبا ودبرا فاحملنى فقال له و الله مابيعيرك من نقب و لادبر فقال أقسم بالله أبوحفص عمر || مامسها من نقب و لادبر فاغفر له أللهم إن كان فجر فقال عمر أللهم اغفر لى ثم دعاه فحمله .جاء رجل إلى عمر وكانت بينهما قرابة يسأله فزبره وأخرجه فكلم فيه وقيل يا أمير المؤمنين زبرته وأخرجته قال إنه سألنى من مال الله فما معذرتى إذالقيته ملكا خائنا فلو سألنى من مالى ثم بعث إليه ألف درهم من ماله . [صفحه ۶۳] و كان يقول فى عماله أللهم إنى لم أبعثهم ليأخذوا أموال المسلمين و لاليضربوا أبشارهم من ظلمه أميره فلاإمرة عليه دونى بينا عمر ذات ليلة يعس سمع صوت امرأة من سطح وهى تنشد تطاول هذاالليل وأزور جانبه || و ليس إلى جنبى خليل ألاعبه فو الله لو لا الله تخشى عواقبه || لزعزع من هذاالسرير جوانبه مخافة ربى والحياء يصدنى || وأكرم بعلى أن تنال مراكبه ولكننى أخشى رقيبا موكلا || بأنفسنا لايفتر الدهر كاتبه فقال عمر لاحول و لاقوة إلابالله ماذا صنعت ياعمر بنساء المدينة ثم جاء فضرب على حفصة ابنته فقالت ماجاء بك فى هذه الساعة قال أخبرينى كم تصبر المرأة المغيبة عن بعلها قالت أقصاه أربعة أشهر. فلما أصبح كتب إلى أمرائه فى جميع النواحى ألا تجمر البعوث وألا يغيب رجل عن أهله أكثر من أربعة أشهر. وروى أسلم قال كنت مع عمر و هويعس بالمدينة إذ سمع امرأة تقول لبنتها قومى يابنية إلى ذلك اللبن بعدالمشرقين فامذقيه قالت أ و ماعلمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين بالأمس قالت و ما هوقالت إنه أمر مناديا فنادى ألا يشاب اللبن بالماء قالت فإنك بموضع لايراك أمير المؤمنين و لامنادى أمير المؤمنين قالت [صفحه ۶۴] و الله ماكنت لأطيعه فى الملأ وأعصيه فى الخلاء وعمر يسمع ذلك فقال ياأسلم اعرف الباب ثم مضى فى عسه فلما أصبح قال ياأسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة و من المقول لها وهل لهما من بعل قال أسلم فأتيت الموضع فنظرت فإذاالجارية أيم و إذاالمتكلمة بنت لها ليس لهما رجل .فجئت فأخبرته فجمع عمر ولده و قال هل يريد أحد أن يتزوج فأزوجه امرأة صالحة فتاة و لو كان فى أبيكم حركة إلى النساء لم يسبقه أحد إليها فقال عاصم ابنه أنافبعث إلى الجارية فزوجها ابنه عاصما فولدت له بنتا هى المكناة أم عاصم وهى أم عمر بن عبدالعزيز بن مروان .حج عمر فلما كان بضجنان قال لاإله إلا الله العلى العظيم المعطى مايشاء لمن يشاء أذكر و أناأرعى إبل الخطاب بهذا الوادى فى مدرعة صوف و كان فظا يتعبنى إذاعملت ويضربنى إذاقصرت و قدأمسيت اليوم و ليس بينى و بين الله أحد ثم تمثل لا شىءمما يرى تبقى بشاشته || يبقى الإله ويودى المال والولد لم تغن عن هرمز يوما خزائنه || والخلد قدحاولت عاد فما خلدوا و لاسليمان إذ تجرى الرياح له || والإنس والجن فيما بينها يرد أين الملوك التى كانت منازلها || من كل أوب إليها راكب يفد حوض هنالك مورود بلا كذب || لابد من ورده يوما كماوردوا . [صفحه ۶۵] وروى محمد بن سيرين أن عمر فى آخر أيامه اعتراه نسيان حتى كان ينسى عدد ركعات الصلاة فجعل أمامه رجلا يلقنه فإذاأومى إليه أن يقوم أويركع فعل . وسمع عمر منشدا ينشد قول طرفه فلو لاثلاث هن من عيشه الفتى || وجدك لم أحفل متى قام عودى فمنهن سبقى العاذلات بشربه || كميت متى ماتعل بالماء تزبد وكرى إذانادى المضاف محنبا || كسيد الغضا نبهته المتوسد وتقصير يوم الدجن والدجن معجب || ببهكنة تحت الطراف الممدد . فقال و أنا لو لاثلاث هن من عيشه الفتى لم أحفل متى قام عودى أن أجاهد فى سبيل الله و أن أضع وجهى فى التراب لله و أن أجالس قوما يلتقطون طيب القول كمايلتقط طيب التمر. وروى عبد الله بن بريدة قال كان عمر ربما يأخذ بيد الصبى فيقول ادع لى فإنك لم تذنب بعد و كان عمر كثير المشاورة كان يشاور فى أمور المسلمين حتى المرأة. وروى يحيى بن سعيد قال أمر عمر الحسين بن على ع أن يأتيه [صفحه ۶۶] فى بعض الحاجة فلقى الحسين ع عبد الله بن عمر فسأله من أين جاء قال استأذنت على أبى فلم يأذن لى فرجع الحسين ولقيه عمر من الغد فقال مامنعك

یاحسین أن تأتینی قال قدأتیتک ولکن أخبرنی ابنک عبد الله أنه لم یؤذن له علیک فرجعت فقال عمر و أنت عندی مثله وهل أنبت الشعر علی الرأس غیرکم . قال عمر یوما و الناس حوله و الله ماأدری أخلیفۀ أناأم ملک فإن کنت ملکا فقد ورطت فی أمر عظیم فقال له قائل یا أمیر المؤمنین إن بینهما فرقا وإنک إن شاء الله لعلی خیر قال کیف قال إن الخلیفۀ لایأخذ إلاحقا و لایضعه إلا فی حق و أنت بحمد الله کذلک والملک یعسف الناس ویأخذ مال هذافیعطیه هذافسکت عمر و قال أرجو أن أکونه . وروی مالک عن نافع عن ابن عمر أن عمر تعلم سورۀ البقرۀ فی اثنتی عشرۀ سنۀ فلما ختمها نحر جزورا. وروی أنس قال کان یطرح لعمر کل یوم صاع من تمر فیأکله حتی حشفه . وروی یوسف بن یعقوب الماجشون قال قال لی ابن شهاب ولأخ لی و ابن عم لنا ونحن صبیان أحداث لاتحتقروا أنفسکم لحداثۀ أسنانکم فإن عمر کان إذانزل به الأمر المعضل دعا الصبیان فاستشارهم یبتغی حدۀ عقولهم . [صفحه ۶۷] وروی الحسن قال کان رجل لایزال یأخذ من لحیۀ عمر شیئا فأخذ یوما من لحیته فقبض علی یده فإذا فیهابشیء فقال إن الملق من الکذب ثم علاه بالدرۀ.انقطع شسع نعل عمر فاسترجع و قال کل ماساءک فهو مصیبۀ.وقف أعرابی علی عمر فقال له یا ابن خطاب جزیت الجنۀ || اکس بنیاتی وأمهنه أقسم بالله لتفعلنه فقال عمر إن لم أفعل یکون ماذا قال إذا أباحفص لأمضینه فقال إذامضیت یکون ماذا قال تکون عن حالی لتسألنه || یوم تکون الأعطیات جنۀ والواقف المسئول یبهتنه || إما إلی نار وإما جنۀ فبکی عمر ثم قال لغلامه أعطه قمیصی هذالذلک الیوم لالشعره و الله ماأملک ثوبا غیره . وروی ابن عباس قال قال لی عمر لیلۀ أنشدنی لشاعر الشعراء قلت و من هو قال زهیر ألذی یقول [صفحه ۶۸] إذاابتدرت قیس بن عیلان غایۀ || من المجد من یسبق إلیها یسود .فأنشدته حتی برق الفجر فقال إیها الآن اقرأ یا عبد الله قلت ماأقرأ قال سورۀ الواقعۀ.سمع عمر صوت بکاء فی بیت فدخل وبیده الدرۀ فمال علیهم ضربا حتی بلغ النائحۀ فضربها حتی سقط خمارها ثم قال لغلامه اضرب النائحۀ ویلک اضربها فإنها نائحۀ لاحرمۀ لها لأنها لاتبکی بشجوکم إنها تهریق دموعها علی أخذ دراهمکم إنها تؤذی أمواتکم فی قبورهم وأحیاءکم فی دورهم إنها تنهی عن الصبر و قدأمر الله به وتأمر بالجزع و قدنهی الله عنه . و من کلامه من اتجر فی شیءثلاث مرات فلم یصب فیه فلیتحول عنه إلی غیره . و من کلامه لوکنت تاجرا لمااخترت علی العطر شیئا إن فاتنی ربحه لم یفتنی ریحه . و من کلامه تفقهوا قبل أن تسودوا. و من کلامه تعلموا المهنۀ فإنه یوشک أحدکم أن یحتاج إلی مهنته . و من کلامه مکسبۀ فیهابعض الدناءۀ خیر من مسألۀ الناس . و من کلامه أعقل الناس أعذرهم لهم .رأی عمر ناسا یتبعون أبی بن کعب فرفع علیه الدرۀ فقال یا أمیر المؤمنین اتق الله قال فما هذه الجموع خلفک یا ابن کعب أ ماعلمت أنها فتنۀ للمتبوع مذلۀ للتابع .جاء رجل إلی عمر فقال إن بنتا لی واریتها فی الجاهلیۀ فاستخرجناها قبل أن [صفحه ۶۹] تموت فأدرکت معنا الإسلام فأسلمت ثم قارفت حدا من حدود الله فأخذت الشفرۀ لتذبح نفسها فأدرکناها و قدقطعت بعض أوداجها فداویناها حتی برئت وتابت توبۀ حسنۀ و قدخطبها قوم أفأخبرهم بالذی کان من شأنها فقال عمر أتعمد إلی ماستره الله فتبدیه و الله لئن أخبرت بشأنها أحدا لأجعلنک نکالا لأهل الأمصار أنکحها نکاح العفیفۀ السلیمۀ. أسلم غیلان بن سلمۀ الثقفی من عشر نسوۀ فقال له النبی ص اختر منهن أربعا وطلق ستا –روایت–۱–۸۸ فلما کان علی عهد عمر طلق نساءه الأربع وقسم ماله بین بنیه فبلغ ذلک عمر فأحضره فقال له إنی لأظن الشیطان فیما یسترق من السمع سمع بموتک فقذفه فی نفسک ولعلک لاتمکث إلاقلیلا وایم الله لتراجعن نساءک ولترجعن فی مالک أولأورثنهن منک ولآمرن بقبرک فیرجم کمارجم قبر أبی رغال و قال عمر إن الجزف فی المعیشۀ أخوف عندی علیکم من العیال أنه لایبقی مع الفساد شیء و لایقل مع الإصلاح شیء. و کان عمر یقول أدبوا الخیل وانتضلوا واقعدوا فی الشمس و لایجاورنکم الخنازیر و لاتقعدوا علی مائدۀ یشرب علیها الخمر أویرفع علیها الصلیب وإیاکم وأخلاق العجم و لایحل لمؤمن أن یدخل الحمام إلامؤتزرا و لالامرأۀ أن تدخل الحمام إلا من سقم فإذاوضعت المرأۀ خمارها فی غیربیت زوجها فقد هتکت الستر بینها و بین الله تعالی . [صفحه ۷۰] و کان یکره أن یتزیا الرجال بزی النساء وألا یزال الرجل

یری مکتحلا مدهنا و أن یحف لحیته وشاربه کماتحف المرأة.سمع عمر سائلا یقول من یعشی السائل فقال عشوا سائلکم ثم جاء إلی دار إبل الصدقة یعشیها فسمع صوته مرة أخری من یعشی السائل فقال أ لم آمرکم أن تعشوه فقالوا قدعشیناه فأرسل إلیه عمر و إذامعه جراب مملوء خبزا فقال إنک لست سائلا إنما أنت تاجر تجمع لأهلک فأخذ بطرف الجراب فنبذه بین یدی الإبل . و قال عمر من مزح استخف به و قال أتدرون لم سمی المزاح مزاحا لأنه أزاح الناس عن الحق . و من کلامه لن یعطی أحد بعدالکفر بالله شرا من زوجة حدیدة اللسان سیئة الخلق عقیم ولن یعطی أحد بعدالإیمان بالله خیرا من زوجة کریمة ودود ولود حسنة الخلق . و کان یقول إن شقاشق الکلام من شقاشق اللسان فأقلوا مااستطعتم . ونظر إلی شاب قدنکس رأسه خشوعا فقال یا هذاارفع رأسک فإن الخشوع لایزید علی ما فی القلب فمن أظهر للخلق خشوعا فوق ما فی قلبه فإنما أظهر نفاقا. و من کلامه إن أحبکم إلینا ما لم نرکم أحسنکم أسماء فإذارأیناکم فأحبکم إلینا أحسنکم أخلاقا فإذابلوناکم فأحبکم إلینا أعظمکم أمانة وأصدقکم حدیثا. و کان یقول لاتنظروا إلی صلاة امرئ و لاصیامه ولکن انظروا إلی عقله وصدقه . [صفحه ۷۱] و من کلامه إن العبد إذاتواضع لله رفع حکمته و قال له انتعش نعشک الله فهو فی نفسه صغیر و فی أعین الناس عظیم و إذاتکبر وعتا وهضه الله إلی الأرض و قال اخسأ خسأک الله فهو فی نفسه عظیم و فی أعین الناس حقیر حتی یکون عندهم أحقر من الخنزیر. و قال الإنسان لایتعلم العلم لثلاث و لایترکه لثلاث لایتعلمه لیماری به و لالیباهی به و لالیرائی به و لایترکه حیاء من طلبه و لازهادة فیه و لارضا بالجهل بدلا منه . و قال تعلموا أنسابکم تصلوا أرحامکم . و قال إنی لاأخاف علیکم أحد الرجلین مؤمنا قدتبین إیمانه وکافرا قدتبین کفره ولکن أخاف علیکم منافقا یتعوذ بالإیمان ویعمل بغیره . و من کلامه إن الرجف من کثرة الزناء و إن قحوط المطر من قضاه السوء وأئمة الجور. و قال فی النساء استعینوا علیهن بالعری فإن إحداهن إذاکثرت ثیابها وحسنت زینتها أعجبها الخروج . و من کلامه إن الجبت السحر و إن الطاغوت الشیطان و إن الجبن والشجاعة غرائز تکون فی الرجال یقاتل الشجاع عمن لایعرف ویفر الجبان عن أمه و إن کرم الرجل دینه وحسب الرجل خلقه و إن کان فارسیا أونبطیا. و قال تفهموا العربیة فإنها تشحذ العقل وتزید فی المروءة. و قال النساء ثلاث امرأة هینة لینة عفیفة ودود ولود تعین بعلها علی الدهر و لاتعین الدهر علی بعلها وقلما تجدها وأخری وعاء للولد لاتزید علی ذلک شیئا والثالثة غل قمل یجعله الله فی عنق من یشاء وینزعه إذاشاء. [صفحه ۷۲] والرجال ثلاثة رجل عاقل یورد الأمور ویصدرها فیحسن إیرادا وإصدارا وآخر یشاور الرجال ویقف عندآرائهم والثالث حائر بائر لایأتمر رشدا و لایطیع مرشدا. و قال مایمنعکم إذارأیتم السفیه یخرق أعراض الناس أن تعربوا علیه قالوا نخاف لسانه قال ذاک أدنی ألا تکونوا شهداء. ورأی رجلا عظیم البطن فقال ما هذا قال برکة من الله . و قال إذارزقت مودة من أخیک فتشبث بها مااستطعت . و قال لقوم یحصدون الزرع إن الله جعل ماأخطأت أیدیکم رحمة لفقرائکم فلاتعودوا فیه . و قال ماظهرت قط نعمه علی أحد إلاوجدت له حاسدا و لو أن أمرا کان أقوم من قدح لوجدت له غامزا. و قال إیاکم والمدح فإنه الذبح . و قال لقبیصه بن ذؤیب أنت رجل حدیث السن فصیح اللسان وإنه یکون فی الرجل تسعة أخلاق حسنة وخلق واحد سیئ فیغلب الواحد التسعة فتوق عثرات السیئات . و قال بحسب امرئ من الغی أن یؤذی جلیسه أویتکلف ما لایعنیه أویعیب الناس بما یأتی مثله ویظهر له منهم مایخفی علیهم من نفسه . و قال احترسوا من الناس بسوء الظن . و قال فی خطبة له لایعجبنکم من الرجل طنطنته ولکن من أدی الأمانة وکف عن أعراض الناس فهو الرجل . و قال الراحة فی مهاجرة خلطاء السوء. [صفحه ۷۳] و قال إن لؤما بالرجل أن یرفع یدیه من الطعام قبل أصحابه . وأثنی رجل علی رجل عندعمر فقال له أعاملته قال لا قال أصحبته فی السفر قال لا قال فأنت إذاالقائل ما لایعلم . و قال لأن أموت بین شعبتی رحلی أسعی فی الأرض أبتغی من فضل الله کفاف وجهی أحب إلی من أن أموت غازیا. و کان عمر قاعدا والدرة معه و الناس حوله إذ أقبل الجارود العامری فقال رجل هذاسید ربیعة فسمعها عمر و من حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لی و لک یا أمیر المؤمنین قال ویلک سمعتها

قال وسمعتها فمه قال خشيت أن تخالط القوم ويقال هذا أميرفأحببت أن أطأطئ منك . و قال من أحب أن يصل أباه فی قبره فليصل إخوان أبيه من بعده . و قال إن أخوف ماأخاف أن يكون إعجاب المرء برأيه فمن قال إنی عالم فهو جاهل و من قال إنی فی الجنة فهو فی النار. وخرج للحج فسمع غناء راكب يغنی و هومحرم فقيل يا أمير المؤمنين أ لاتنهاه عن الغناء و هومحرم فقال دعوه فإن الغناء زاد الراكب . و قال يثغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة وينتهی طوله لإحدی وعشرين ويكمل عقله لثمان وعشرين ويصير رجلا كاملا لأربعين . [صفحه ۷۴] وروی سعيد بن المسيب أن عمر لماصدر من الحج فی الشهر ألذی قتل فيه كوم كومة من بطحاء وألقی عليها طرف ثوبه ثم استلقی عليها ورفع يديه إلی السماء و قال أللهم كبرت سنی وضعفت قوتی وانتشرت رعيتی فاقبضنی إليك غيرمضيع و لامفرط. ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال أيها الناس قدفرضت لكم الفرائض وسننت لكم السنن وتركتكم علی الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا إياكم أن تنتهوا عن آية الرجم و أن يقول قائل لانجد ذلك حدا فی كتاب الله فقد رأيت رسول الله رجم ورجمنا بعده و لو لا أن يقول الناس إن ابن الخطاب أحدث آية فی كتاب الله لكتبتها ولقد كنا نقرؤها والشيخ والشيخة إذازنيا فارجموهما البتة فما انسلخ ذو الحجة حتی طعن دفع إلی عمر صك محله فی شعبان فقال أی شعبان ألذی مضی أم ألذی نحن فيه ثم جمع أصحاب رسول الله ص و قال ضعوا للناس تاريخا يرجعون إليه فقال قائل منهم اكتبوا علی تاريخ الروم فقيل إنه يطول وإنه مكتوب من عهد ذی القرنين و قال قائل بل اكتبوا علی تاريخ الفرس فقيل إن الفرس كلما قام ملك طرحوا ما كان قبله فقال علی ع اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله ص من دار الشرك إلی دار النصرة وهی دار الهجرة -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۰۲ فقال عمر نعم ماأشرت به فكتب للهجرة بعدمضی سنتين ونصف من خلافة عمر. [صفحه ۷۵] قال المؤرخون إن عمر أول من سن قيام رمضان فی جماعة وكتب به إلی البلدان وأقام الحد فی الخمر ثمانين وأحرق بيت رويشد الثقفی و كان نباذا وأقام فی عمله بنفسه وأول من حمل الدرة وأدب بها وقيل بعده كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج . و هوأول من فتح الفتوح فتح العراق كله السواد والجبال وأذربيجان وكور البصرة وكور الكوفة والأهواز وفارس وفتح الشام كلها ماخلا أجنادين فإنها فتحت فی خلافة أبی بكر وفتح كور الجزيرة والموصل ومصر والإسكندرية وقتله أبولؤلؤة وخيله علی الری. و هوأول من مسح السواد ووضع الخراج علی الأرض والجزية علی جماجم أهل الذمة فيما فتحه من البلدان وبلغ خراج السواد فی أيامه مائة ألف ألف درهم وعشرين ألف ألف درهم بالوافية وهی وزن الدينار من الذهب و هوأول من مصر الأمصار وكوف الكوفة وبصر البصرة وأنزلها العرب وأول من استقضی القضاة فی الأمصار وأول من دون الدواوين وكتب الناس علی قبائلهم وفرض لهم الأعطية و هوأول من قاسم العمال وشاطرهم أموالهم و كان يستعمل قوما ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل و قال أكره أن أدنس هؤلاء بالعمل و هو ألذی هدم مسجد رسول الله ص وزاد فيه وأدخل دار العباس فيما زاد و هو ألذی أخرج اليهود من الحجاز وأجلاهم عن جزيرة العرب إلی الشام و هو ألذی فتح البيت المقدس وحضر الفتح بنفسه و هو ألذی أخر المقام إلی موضعه اليوم و كان ملصقا بالبيت وحج بنفسه خلافته كلها إلاالسنة الأولی فإنه استخلف علی الحج عبدالرحمن بن عوف و هو [صفحه ۷۶] ألذی جاء بالحصی من العقيق فبسطه فی مسجد المدينة و كان الناس إذارفعوا رءوسهم من السجود نفضوا أيديهم . وروی أبوهريرة قال قدمت علی عمر من عند أبی موسی بثمانمائة ألف درهم فقال لی بما ذا قدمت قلت بثمانمائة ألف درهم فقال أ لم أقل لك إنك يمان أحمق ويحك إنما قدمت بثمانين ألف درهم فقلت يا أمير المؤمنين إنما قدمت بثمانمائة ألف درهم فجعل يعجب ويكررها فقال ويحك وكم ثمانمائة ألف درهم فعددت مائة ألف ومائة ألف حتی بلغت ثمانية فاستعظم ذلك و قال أطيب هوويحك قلت نعم فبات عمر ليلته تلك أرقا حتی إذانودی لصلاة الصبح قالت له امرأته مانمت هذه الليلة قال وكيف أنام و قدجاء الناس ما لم يأتهم مثله منذ قام الإسلام فظنت المرأة أنها داهية فسألته فقال مال جم حمله أبو موسی قالت فما بالك قال مايؤمننی لومت و هذاالمال عندی لم أضعه فی

حقه فخرج يصلى الصبح واجتمع الناس إليه فقال لهم قدرأيت فى هذاالمال رأيا فأشيروا على رأيت أن أكيله للناس بالمكيال قالوا لا يا أمير المؤمنين قال لابل أبدأ برسول الله ص وبأهله ثم الأقرب فالأقرب فبدأ ببنى هاشم ثم ببنى المطلب ثم بعبد شمس ونوفل ثم بسائر بطون قريش .قسم عمر مروطا بين نساء المدينة فبقى مرط جيد له فقال بعض من عنده أعط هذا يا أمير المؤمنين ابنة رسول الله التى عندك يعنون أم كلثوم ابنة على ع [صفحه ۷۷] فقال أم سليط أحق به فإنها ممن بايع رسول الله ص وكانت تزفر لنا القرب يوم أحد. وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر إلى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت يا أمير المؤمنين هلك زوجى وترك صبية صغارا لاينضحون كراعا لازرع لهم و لاضرع و قدخشيت عليهم الضيعة و أناابنة خفاف بن أسماء الغفارى و قدشهد أبى الحديبية فوقف عمر معها و لم يمض و قال مرحبا بنسيب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا فى الدار فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه و قال اقتاديه فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير فقال له رجل لقد أكثرت لها يا أمير المؤمنين فقال ثكلتك أمك و الله لكأنى أرى أبا هذه وأخاها و قدحاصرا حصنا فافتتحاه فافترقنا ثم أصبحنا نستقرئ سهماننا فيه . وروى الأوزاعى أن طلحة تبع عمر ليلة فرآه دخل بيتا ثم خرج فلما أصبح ذهب طلحة إلى ذلك البيت فرأى امرأة عمياء مقعده فقال لها مابال رجل أتاك الليلة قالت إنه رجل يتعاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى فقال طلحة ثكلتك أمك ياطلحة تريد تتبع عمر.خرج عمر إلى الشام حتى إذا كان ببعض الطريق لقيه أمراء الأجناد أبوعبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قدوقع بالشام فقال لابن عباس ادع لى المهاجرين فدعاهم فسألهم فاختلفوا عليه فقال بعضهم خرجت لأمر و لانرى أن [صفحه ۷۸] ترجع عنه و قال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ص و لانرى أن تقدمهم على هذاالوباء فقال ارتفعوا عنى ثم قال لابن عباس ادع لى الأنصار فدعاهم فاستشارهم فاختلفوا عليه اختلاف المهاجرين فقال لابن عباس ادع لى من كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعاهم فقالوا بأجمعهم نرى أن ترجع بالناس و لاتقدمهم على هذاالوباء فنادى عمر فى الناس إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال له أبوعبيدة بن الجراح أفرارا من قدر الله تعالى فقال عمر لوغيرك قالها يا أباعبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أ ليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله و إن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله فجاء عبدالرحمن بن عوف و كان متغيبا فى بعض حاجته فقال إن عندى من هذاعلما سمعت رسول الله ص يقول إذاسمعتم به بأرض فلاتقدموا عليه و إذاوقع بأرض وأنتم بها فلاتخرجوا فرارا منه -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۱۱۳ فحمد عمر الله عز و جل وانصرف إلى المدينة. وروى ابن عباس قال خرجت مع عمر إلى الشام فى إحدى خرجاته فانفرد يوما يسير على بعيره فاتبعته فقال لى يا ابن عباس أشكو إليك ابن عمك سألته أن يخرج معى فلم يفعل و لم أزل أراه واجدا فيم تظن موجدته قلت يا أمير المؤمنين إنك لتعلم قال أظنه لايزال كئيبا لفوت الخلافة قلت هوذاك إنه يزعم أن رسول الله أراد الأمر له فقال يا ابن عباس وأراد رسول الله ص الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك إن رسول الله ص أراد أمرا وأراد [صفحه ۷۹] الله غيره فنفذ مراد الله تعالى و لم ينفذ مراد رسوله أ وكلما أراد رسول الله ص كان إنه أراد إسلام عمه و لم يرده الله فلم يسلم . و قدروى معنى هذاالخبر بغير هذااللفظ و هو قوله إن رسول الله ص أراد أن يذكره للأمر فى مرضه فصددته عنه خوفا من الفتنة وانتشار أمر الإسلام فعلم رسول الله ما فى نفسى وأمسك وأبى الله إلاإمضاء ماحتم وحدثنى الحسين بن محمدالسينى قال قرأت على ظهر كتاب أن عمر نزلت به نازلة فقام لها وقعد وترنح لها وتقطر و قال لمن عنده معشر الحاضرين ماتقولون فى هذاالأمر فقالوا يا أمير المؤمنين أنت المفزع والمنزع فغضب و قال يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتّقُوا اللّهَ وَ قُولُوا قَولًا سَدِيداً ثم قال أما و الله إنى وإياكم لنعلم ابن بجدتها والخبير بهاقالوا كأنك أردت ابن أبى طالب قال وأنى يعدل بى عنه وهل طفحت حرة مثله قالوا فلو دعوت به يا أمير المؤمنين قال هيهات إن هناك شمخا من هاشم وأثرة من علم ولحمة من رسول الله ص يؤتى و لايأتى فامضوا بنا إليه فانقصفوا نحوه

وأفضوا إليه فألفوه فی حائط له علیه تبان و هویترکل علی مسحاته ویقرأأ یَحسَبُ الإِنسانُ أَن یُترَکَ سُدیً إلی آخر السورة ودموعه تهمی علی خدیه فأجهش الناس لبکائه فبکوا ثم سکت وسکتوا فسأله عمر عن تلک الواقعة فأصدر جوابها فقال عمر أما -قرآن-۵۷۳-۶۴۱-قرآن-۱۰۱۳-۱۰۵۰ [صفحه ۸۰] و الله لقد أرادک الحق ولکن أبی قومک فقال یا أباحفص خفض علیک من هنا و من هناإِنّ یَومَ الفَصلِ کانَ مِیقاتاًفوضع عمر إحدی یدیه علی الأخری وأطرق إلی الأرض وخرج کأنما ینظر فی رماد. قلت أجدر بهذا الخبر أن یکون موضوعا و فیه مایدل علی ذلک من کون عمر أتی علیا یستفتیه فی المسألة والأخبار کثیرة بأنه مازال یدعوه إلی منزله و إلی المسجد وأیضا فإن علیا لم یخاطب عمر منذ ولی الخلافة بالکنیة وإنما کان یخاطبه بإمرة المؤمنین هکذا تنطق کتب الحدیث وکتب السیر والتواریخ کلها. وأیضا فإن هذاالخبر لم یسند إلی کتاب معین و لا إلی راو معین بل ذکر ذلک أنه قرأه علی ظهر کتاب فیکون مجهولا. والحدیث المجهول غیرالصحیح .فأما ثناء عمر علی أمیر المؤمنین فصحیح غیرمنکر و فی الروایات منه الکثیر الواسع ولکنا أنکرنا هذاالخبر بعینه خاصة و قدروی عن ابن عباس أیضا قال دخلت علی عمر یوما فقال یا ابن العباس لقد أجهد هذا الرجل نفسه فی العبادة حتی نحلته ریاء قلت من هو فقال هذا ابن عمک یعنی علیا قلت و مایقصد بالریاء أمیر المؤمنین قال یرشح نفسه بین الناس للخلافة قلت و مایصنع بالترشیح قدرشحه لها رسول الله ص فصرفت عنه قال إنه کان شابا حدثا فاستصغرت العرب سنه و قدکمل الآن أ لم تعلم أن الله تعالی لم یبعث نبیا إلا بعدالأربعین قلت یا أمیر المؤمنین أما أهل الحجی والنهی فإنهم مازالوا یعدونه کاملا منذ رفع الله منار الإسلام ولکنهم یعدونه محروما مجدودا فقال أماإنه سیلیها بعدهیاط ومیاط ثم تزل فیهاقدمه و لایقضی منها أربه ولتکونن شاهدا ذلک یا عبد الله ثم یتبین الصبح لذی عینین وتعلم العرب صحة رأی المهاجرین الأولین -قرآن-۸۶-۱۱۷ [صفحه ۸۱] الذین صرفوها عنه بادئ بدء فلیتنی أراکم بعدی یا عبد الله إن الحرص محرمة و إن دنیاک کظلک کلما هممت به ازداد عنک بعدا.نقلت هذاالخبر من أمالی أبی جعفر محمد بن حبیب رحمه الله . ونقلت منه أیضا مارواه عن ابن عباس قال تبرم عمر بالخلافة فی آخر أیامه وخاف العجز وضجر من سیاسة الرعیة فکان لایزال یدعو الله بأن یتوفاه فقال لکعب الأحبار یوما و أناعنده إنی قدأحببت أن أعهد إلی من یقوم بهذا الأمر وأظن وفاتی قددنت فما تقول فی علی أشر علی فی رأیک وأذکرنی ماتجدونه عندکم فإنکم تزعمون أن أمرنا هذامسطور فی کتبکم فقال أما من طریق الرأی فإنه لایصلح إنه رجل متین الدین لایغضی علی عورة و لایحلم عن زلة و لایعمل باجتهاد رأیه و لیس هذا من سیاسة الرعیة فی شیء و أما مانجده فی کتبنا فنجده لایلی الأمر و لاولده و إن ولیه کان هرج شدید قال کیف ذاک قال لأنه أراق الدماء فحرمه الله الملک إن داود لماأراد أن یبنی حیطان بیت المقدس أوحی الله إلیه إنک لاتبنیه لأنک أرقت الدماء وإنما یبنیه سلیمان فقال عمر أ لیس بحق أراقها قال کعب وداود بحق أراقها یا أمیر المؤمنین قال فإلی من یفضی الأمر تجدونه عندکم قال نجده ینتقل بعدصاحب الشریعة والاثنین من أصحابه إلی أعدائه الذین حاربهم وحاربوه وحاربهم علی الدین فاسترجع عمر مرارا و قال أتستمع یا ابن عباس أما و الله لقد سمعت من رسول الله مایشابه هذا سمعته یقول لیصعدن بنو أمیة علی منبری ولقد أریتهم فی منامی ینزون علیه نزو القردة -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-۸۹ وفیهم أنزل وَ ما جَعَلنَا الرّؤیَا الّتِی أَرَیناکَ إِلّا فِتنَةً لِلنّاسِ وَ الشّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِی القُرآنِ -قرآن-۱۴-۱۱۷ [صفحه ۸۲] و قدروی الزبیر بن بکار فی الموفقیات مایناسب هذا عن المغیرة بن شعبة قال قال لی عمر یوما یامغیرة هل أبصرت بهذه عینک العوراء منذ أصیبت قلت لا قال أما و الله لیعورن بنو أمیة الإسلام کماأعورت عینک هذه ثم لیعمینه حتی لایدری أین یذهب و لاأین یجیء قلت ثم ماذا یا أمیر المؤمنین قال ثم یبعث الله تعالی بعدمائة وأربعین أو بعدمائة وثلاثین وفدا کوفد الملوک طیبة ریحهم یعیدون إلی الإسلام بصره وشتاته قلت من هم یا أمیر المؤمنین قال حجازی وعراقی وقلیلا. ما کان وقلیلا مادام . وروی أبوبکر الأنباری فی أمالیه أن علیا ع جلس إلی عمر فی المسجد وعنده ناس فلما قام عرض واحد بذکره ونسبه إلی التیه والعجب فقال عمر حق لمثله أن یتیه و الله لو لاسیفه لماقام

عمود الإسلام و هو بعدأقضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها فقال له ذلک القائل فما منعکم یا أمیر المؤمنین عنه قال کرهناه على حداثة السن وحبه بنی عبدالمطلب . قلت سألت النقیب أبا جعفریحیى بن محمد بن أبی زید و قدقرأت علیه هذه الأخبار فقلت له ماأراها إلاتکاد تکون دالة على النص ولکنی أستبعد أن یجتمع الصحابة على دفع نص رسول الله ص على شخص بعینه کمااستبعدنا من الصحابة على رد نصه على الکعبة وشهر رمضان وغیرهما من معالم الدین فقال لی رحمه الله أبیت إلامیلا إلى المعتزلة ثم قال إن القوم لم یکونوا یذهبون فی الخلافة إلى أنها من معالم الدین وأنها جاریة مجرى العبادات الشرعیة کالصلاة والصوم ولکنهم کانوا یجرونها مجرى الأمور الدنیویة ویذهبون لهذا مثل تأمیر الأمراء وتدبیر الحروب وسیاسة الرعیة و ماکانوا یبالون فی أمثال هذا من مخالفة نصوصه ص إذارأوا المصلحة فی [صفحه ۸۳] غیرها أ لاتراه کیف نص على إخراج أبی بکر وعمر فی جیش أسامة و لم یخرجا لمارأیا أن فی مقامهما مصلحة للدولة وللملة وحفظا للبیضة ودفعا للفتنة و قد کان رسول الله ص یخالف و هوحی فی أمثال ذلک فلاینکره و لایرى به بأسا ألست تعلم أنه نزل فی غزاة بدر منزلا على أن یحارب قریشا فیه فخالفته الأنصار وقالت له لیس الرأی فی نزولک هذاالمنزل فاترکه وانزل فی منزل کذا فرجع إلى آرائهم و هو ألذی قال للأنصار عام قدم إلى المدینة لاتؤبروا النخل فعملوا على قوله فحالت نخلهم فی تلک السنة و لم تثمر حتى قال لهم أنتم أعرف بأمر دنیاکم و أناأعرف بأمر دینکم و هو ألذی أخذ الفداء من أسارى بدر فخالفه عمر فرجع إلى تصویب رأیه بعد أن فات الأمر وخلص الأسرى ورجعوا إلى مکة و هو ألذی أراد أن یصالح الأحزاب على ثلث تمر المدینة لیرجعوا عنه فأتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فخالفاه فرجع إلى قولهما و قد کان قال لأبی هریرة اخرج فناد فی الناس من قال لاإله إلا الله مخلصا بهاقلبه دخل الجنة فخرج أبوهریرة فأخبر عمر بذلک فدفعه فی صدره حتى وقع على الأرض فقال لاتقلها فإنک إن تقلها یتکلوا علیها ویدعوا العمل فأخبر أبوهریرة رسول الله ص بذلک فقال لاتقلها وخلهم یعملون فرجع إلى قول عمر و قدأطبقت الصحابة إطباقا واحدا على ترک کثیر من النصوص لمارأوا المصلحة فی ذلک کإسقاطهم سهم ذوی القربى وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم وهذان الأمران أدخل فی باب الدین منهما فی باب الدنیا و قدعملوا بآرائهم أمورا لم یکن لها ذکر فی الکتاب والسنة کحد الخمر فإنهم عملوه اجتهادا و لم یحد رسول الله ص شاربی الخمر و قدشربها الجم الغفیر فی زمانه بعدنزول آیة التحریم ولقد کان أوصاهم فی مرضه [صفحه ۸۴] أن أخرجوا نصارى نجران من جزیرة العرب فلم یخرجوهم حتى مضى صدر من خلافة عمر وعملوا فی أیام أبی بکر برأیهم فی ذلک باستصلاحهم وهم الذین هدموا المسجد بالمدینة وحولوا المقام بمکة وعملوا بمقتضى مایغلب فی ظنونهم من المصلحة و لم یقفوا مع موارد النصوص حتى اقتدى بهم الفقهاء من بعدفرجح کثیر منهم القیاس على النص حتى استحالت الشریعة وصار أصحاب القیاس أصحاب شریعة جدیدة. قال النقیب وأکثر مایعملون بآرائهم فیما یجری مجرى الولایات والتأمیر والتدبیر وتقریر قواعد الدولة و ماکانوا یقفون مع نصوص الرسول ص وتدبیراته إذارأوا المصلحة فی خلافها کأنهم کانوا یقیدون نصوصه المطلقة بقید غیرمذکور لفظا وکأنهم کانوا یفهمونه من قرائن أحواله وتقدیر ذلک القید افعلوا کذا إن رأیتموه مصلحة. قال و أمامخالفتهم له فیما هومحض الشرع والدین و لیس بمتعلق بأمور الدنیا وتدبیراتها فإنه یقل جدا نحو أن یقول الوضوء شرط فی الصلاة فیجمعوا على رد ذلک ویجیزوا الصلاة من غیروضوء أو یقول صوم شهر رمضان واجب فیطبقوا على مخالفة ذلک ویجعلوا شوالا ـ عوضا عنه فإنه بعید إذ لاغرض لهم فیه و لایقدرون على إظهار مصلحة عثروا علیها خفیت عنه ص والقوم الذین کانوا قدغلب على ظنونهم أن العرب لاتطیع علیا ع فبعضها للحسد وبعضها للوتر والثأر وبعضها لاستحداثهم سنه وبعضها لاستطالته علیهم ورفعه عنهم وبعضها کراهة اجتماع النبوة والخلافة فی بیت واحد وبعضها للخوف من شدة وطأته وشدته فی دین الله وبعضها خوفا لرجاء تداول قبائل العرب الخلافة إذا لم یقتصر بها على بیت مخصوص علیه فیکون رجاء کل حی لوصولهم إلیها ثابتا مستمرا وبعضها ببغضه لبغضهم من قرابته [صفحه ۸۵] لرسول الله ص وهم المنافقون من

النـاس و من فى قلبه زيغ من أمر النبوة فأصـفق الكـل إصـفاقا واحـدا على صـرف الأمـر عنه لغيره و قـال رؤساؤهم إنا خفنا الفتنة وعلمنـا أن العرب لاـتطيعه و لاـتتركه وتـأولوا عندأنفسـهم النص و لاـينكر النص وقـالوا إنه النص ولكن الحاضـر يرى مـا لايرى الغائب والغائب قديترك لأجل المصـلحة الكلية وأعانهم على ذلك مسارعة الأنصار إلى ادعائهم الأمر وإخراجهم سعد بن عبادة من بيته و هومريض لينصبوه خليفة فيما زعموا واختلط الناس وكثر الخبط وكادت الفتنة أن تشتعل نارها فوثب رؤساء المهاجرين فبايعوا أبابكر وكانت فلتـة كما قال قائلهم وزعموا أنهم أطفئوا بهانائرة الأنصار فمن سـكت من المسـلمين وأغضـى و لم يتعرض فقد كفاهم أمر نفسه و من قال سـرا أوجهرا إن فلانا قد كان رسول الله ص ذكره أونص عليه أوأشار إليه أسكتوه فى الجواب بأنا بادرنا إلى عقـد البيعـة مخافة الفتنة واعتذروا عنده ببعض ماتقدم إما أنه حديث السن أوتبغضه العرب لأنه وترها وسـفك دماءها أولأنه صاحب زهو وتيه أوكيف تجتمع النبوة والخلافـة فى مغرس واحـد بل قـدقالوا فى العـذر ما هوأقوى من هـذا وأوكد قالوا أبوبكر أقوى على هذاالأمر منه لاسـيما وعمر يعضده ويساعده والعرب تحب أبابكر ويعجبها لينه ورفقه و هوشـيخ مجرب للأمور لايحسـده أحـد و لايحقـد عليه أحد و لايبغضه أحد و ليس بذى شـرف فى النسب فيشـمخ على الناس بشـرفه و لابذى قربى من الرسول ص فيدل بقربه ودع ذا كله فإنه فضل مستغنى عنه قالوا لونصبنا عليا ع ارتد الناس عن الإسلام وعادت الجاهلية كماكانت فأيما أصـلح فى الدين الوقوف مع النص المفضـى إلى ارتداد الخلق ورجوعهم إلى الأصنام والجاهلية أم العمل بمقتضى الأصلح واسـتبقاء الإسـلام واسـتدامة العمل بالـدين و إن كان فيه مخالفة النص . [صـفحه ٨٦] قـال رحمه الله وسـكت الناس عن الإنكار فـإنهم كـانوا متفرقين فمنهم من هومبغض شـانئ لعلى ع فالـذى تم من صـرف الأمر عنه هوقرة عينه وبرد فؤاده ومنهم ذو الـدين وصـحة اليقين إلا أنه لمارأى كبراء الصـحابة قداتفقوا على صرف الأمر عنه ظن أنهم إنما فعلوا ذلك لنص سمعوه من رسول الله ص ينسـخ ما قد كان سـمعه من النص على أمير المؤمنين ع لاسـيما ما رواه أبوبكر من قول النبى ص الأئمة من قريش -روايت-١-٢-روايت-٣٣-٤٩ فـإن كـثيرا من النـاس توهموا أنه ناسـخ للنص الخـاص و إن معنى الخبر أنكم مبـاحون فى نصب إمـام من قريش من أى بطون قريش كان فإنه يكون إماما. وأكـد أيضا فى نفوسـهم رفض النص الخاص ماسـمعوه من قول رسول الله ص مارآه المسـلمون حسنا فهو عند الله حسن -روايت-١-٢-روايت-٢٦-٦٧ قوله ع سـألت الله ألا يجمع أمتى على ضـلال فأعطانيها فأحسـنوا الظن بعاقدى البيعة -روايت-١-٢-روايت-١٢-٨٨ . وقالوا هؤلاء أعرف بأغراض رسول الله ص من كل أحـد فأمسـكوا وكفوا عن الإنكـار ومنهم فرقـة أخرى وهم الأـكثرون أعراب وجفـاة وطغام أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريـح فهؤلاء مقلـدون لايسألون و لاينكرون و لايبحثون وهم مع أمرائهم وولاتهم لوأسـقطوا عنهم الصـلاة الواجبـة لتركوها فلذلك أمحق النص وخفى ودرس وقويت كلمة العاقدين لبيعة أبى بكر وقواها زيادة على ذلك اشتغال على وبنى هاشم برسول الله ص وإغلاق بابهم عليهم وتخليتهم النـاس يعملون ماشاءوا وأحبوا من غيرمشاركـة لهم فيمـا هم فيه لكنهم أرادوا اسـتدراك ذلـك بعـد مافات وهيهـات الفـائت لارجعـة له . وأراد على ع بعـد ذلـك نقض البيعـة فلم يتم له ذلك وكانت العرب لاترى [صـفحه ٨٧] الغدر و لاتنقض البيعـة صوابـا كـانت أوخطـأ و قـدقالت له الأنصار وغيرها أيها الرجل لودعوتنا إلى نفسك قبل البيعـة لماعـدلنا بك أحـدا ولكنا قـدبايعنا فكيف السبيـل إلى نقض البيعـة بعـدوقوعها. قال النقيب ومما جرأ عمر على بيعـة أبى بكر والعـدول عن على مع ما كان يسـمعه من الرسول ص فى أمره أنه أنكر مرارا على الرسول ص أمورا اعتمـدها فلم ينكر عليه رسول الله ص إنكـاره بل رجع فى كثير منهـا إليه وأشـار عليه بـأمور كثيرة نزل القرآن فيهـابموافقته فـأطمعه ذلك فى الإقـدام على اعتماد كثير من الأمور التى كان يرى فيهاالمصلحة مما هى خلاف النص و ذلك نحو إنكاره عليه فى الصـلاة على عبـد الله بن أبى المنافق وإنكاره فـداء أسارى بدر وإنكاره عليه تبرج نسائه للناس وإنكاره قضية الحديبية وإنكاره أمان العباس لأبى سفيان بن حرب وإنكاره واقعة أبى حذيفة بن عتبـة وإنكاره أمره بالنـداء من قال لاإله إلا الله دخل الجنـة -روايت-١-٣٨ وإنكاره أمره بذبـح النواضـح وإنكاره على النساء

بحضرة رسول الله ص هيبتهن له دون رسول الله ص إلى غير ذلک من أمور کثيرة تشتمل عليها کتب الحديث و لو لم يکن الإإنکاره قول رسول الله ص فى مرضه ائتونى بدواة وکتف أکتب لکم ما لاتضلون بعدى -روايت-١-٥٠ و قوله ما قال وسکوت رسول الله ص عنه وأعجب الأشياء أنه قال ذلک اليوم حسبنا کتاب الله فافترق الحاضرون من المسلمين فى الدار فبعضهم يقول القول ما قال رسول الله ص وبعضهم يقول القول ما قال عمر فقال رسول الله و قدکثر اللغط وعلت الأصوات قوموا عنى فما ينبغى لنبى أن يکون عنده هذاالتنازع -روايت-١-٥٦ فهل بقى للنبوة مزية أوفضل إذا کان الاختلاف قدوقع بين القولين وميل [صفحه ٨٨] المسلمون بينهما فرجح قوم هذا وقوم هذافليس ذلک دالا على أن القوم سووا بينه و بين عمر وجعلوا القولين مسألة خلاف ذهب کل فريق إلى نصرة واحد منهما کمايختلف اثنان من عرض المسلمين فى بعض الأحکام فينصر قوم هذا وينصر ذاک آخرون فمن بلغت قوته وهمته إلى هذاکيف ينکر منه أنه يبايع أبابکر لمصلحة رآها ويعدل عن النص و من ألذى کان ينکر عليه ذلک و هو فى القول ألذى قاله للرسول ص فى وجهه غيرخائف من الأنصار و لاينکر عليه أحد لا رسول الله ص و لاغيره و هوأشد من مخالفة النص فى الخلافة وأفظع وأشنع قال النقيب على أن الرجل ماأهمل أمر نفسه بل أعد أعذارا وأجوبة و ذلک لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص أن رسول الله ص رجع عن ذلک بإقامته أبابکر فى الصلاة مقامه وأوهمهم أن ذلک جار مجرى النص عليه بالخلافة و قال يوم السقيفة أيکم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ص فى الصلاة ثم أکد ذلک بأن قال لأبى بکر و قدعرض عليه البيعة أنت صاحب رسول الله ص فى المواطن کلها شدتها ورخائها رضيک لديننا أ فلانرضاک لدنيانا. ثم عاب عليا بخطبته بنت أبى جهل فأوهم أن رسول الله ص کرهه لذلک ووجد عليه وأرضاه عمرو بن العاص فروى حديثا افتعله واختلقه على رسول الله قال سمعته يقول إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء إنما وليى الله وصالح المؤمنين -روايت-١-٢-روايت-٢٠-٨٩ لقوله ص من کنت مولاه فهذا مولاه -روايت-١-٢-روايت-١٢-٤٠ . قلت للنقيب أيصح النسخ فى مثل هذا أ ليس هذانسخا للشىء قبل تقضى وقت فعله فقال سبحان الله من أين تعرف العرب هذا وأنى لها أن تتصوره فضلا عن أن تحکم بعدم جوازه فهل يفهم حذاق الأصوليين هذه المسألة فضلا عن حمقى العرب هؤلاء قوم ينخدعون بأدنى شبهة ويستمالون بأضعف سبب وتبنى الأمور معهم على ظواهر [صفحه ٨٩] النصوص وأوائل الأدلة وهم أصحاب جهل وتقليد لاأصحاب تفضيل ونظر. قال ثم أکد حسن ظن الناس بهم أنهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال وزهدوا فى متاع الدنيا وزخرفها وسلکوا مسلک الرفض لزينتها والرغبة عنها والقناعة بالطفيف النزر منها وأکلوا الخشن ولبسوا الکرابيس و لماألقت إليهم الدنيا أفلاذ کبدها وفرقوا الأموال على الناس وقسموها بينهم و لم يتدنسوا منها بقليل و لاکثير فمالت إليهم القلوب وأحبتهم النفوس وحسنت فيهم الظنون و قال من کان فى نفسه شبهة منهم أووقفه فى أمرهم لو کان هؤلاء قدخالفوا النص لهوى أنفسهم لکانوا أهل الدنيا ولظهر عليهم الميل إليها والرغبة فيها والاستئثار بها وکيف يجمعون على أنفسهم مخالفة النص وترک لذات الدنيا ومآربها فيخسروا الدنيا والآخرة و هذا لايفعله عاقل والقوم عقلاء ذوو الباب وآراء صحيحة فلم يبق عندأحد شک فى أمرهم و لاارتياب لفعلهم وثبتت العقائد على ولايتهم وتصويب أفعالهم ونسوا لذة الرئاسة و أن أصحاب الهمم العالية لايلتفون إلى المأکل والمشرب والمنکح وإنما يريدون الرئاسة ونفوذ الأمر کما قال الشاعر و قدرغبت عن لذة المال أنفس || و مارغبت عن لذة النهى والأمر . قال رحمه الله والفرق بين الرجلين و بين الثالث ماأصيب به الثالث وقتل تلک القتلة وخلعه الناس وحصروه وضيقوا عليه بعد أن توالى إنکارهم أفعاله وجبهوه فى وجهه وفسقوه و ذلک لأنه استأثر هو وأهله بالأموال وانغمسوا فيها واستبدوا بهافکانت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريق الأولين فلم تصبر العرب على ذلک و لو کان عثمان سلک طريق عمر فى الزهد وجمع الناس وردع الأمراء والولاة عن الأموال وتجنب استعمال أهل بيته ووفر أعراض الدنيا وملاذها وشهواتها على الناس زاهدا فيهاتارکا لها معرضا عنها لماضره شىءقط و لاأنکر عليه أحد قط و لوحول الصلاة من [صفحه ٩٠]

الكعبة إلى بيت المقدس بل لوأسقط عن الناس إحدى الصلوات الخمس واقتنع منهم بأربع و ذلک لأن همم الناس مصروفة إلى الدنيا والأموال فإذاوجدوها سكتوا و إذافقدوها هاجوا واضطربوا ألست ترى رسول الله ص كيف قسم غنائم هوازن على المنافقين و على أعدائه الذين يتمنون قتله وموته وزوال دولته فلما أعطاهم أحبوه إما كلهم أوأكثرهم و من لم يحبه منهم بقلبه جامله وداراه وكف عن إظهار عداوته والإجلاب عليه و لو أن عليا صانع أصحابه بالمال وأعطاه الوجوه والرؤساء لكان أمره إلى الانتظام والاطراد أقرب ولكنه رفض جانب التدبير الدنيوى وآثر لزوم الدين وتمسک بأحكام الشريعة والملک أمر آخر غيرالدين فاضطرب عليه أصحابه وهرب كثير منهم إلى عدوه . و قدذكرت فى هذاالفصل خلاصة ماحفظته عن النقيب أبى جعفر و لم يكن إمامى المذهب و لا كان يبرأ من السلف و لايرتضى قول المسرفين من الشيعة ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بينى وبينه على أن العلوى لو كان كراميا لابد أن يكون عنده نوع من تعصب وميل على الصحابة و إن قل . ولنرجع إلى ذكر كلام عمر من خطبته وسيرته .كتب عمر إلى أبى موسى لمااستعمله قاضيا وبعثه إلى العراق من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى عبد الله بن قيس سلام عليک أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذاأدلى إليک فإنه لاينفع تكلم بحق لانفاد له آس بين الناس فى وجهک وعدلک ومجلسک حتى لايطمع شريف فى [صفحه ٩١] حيفک و لاييأس ضعيف من عدلک البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلاصلحا أحل حراما أوحرم حلالا لايمنعنک قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلک وهديت فيه لرشدک أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم فيما تلجلج فى صدرک مما ليس فى كتاب و لاسنة ثم اعرف الأشباه والأمثال وقس الأمور عند ذلک واعمد إلى أقربها إلى الله عز و جل وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقا غائبا أوبينة أمدا ينتهى إليه فإن أحضر بينته أخذت له بحقه و إلااستحللت عليه القضية فإنه أنفى للشک وأجلى للعمى المسلمون عدول بعضهم على بعض إلامجلودا فى حد أومجربا عليه شهادة زور أوظنينا فى ولاء أونسب فإن الله عز و جل تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات والأيمان الشبهات إياک والغلق والضجر والتأذى بالخصوم والتنكر عندالخصومات فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله مابينه و بين الناس و من تخلق للناس بما يعلم الله عز و جل منه إنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنک بثواب الله فى عاجل رزقه وخزائن رحمته و السلام .ذكر هذه الرسالة أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الكامل وأطراها فقال إنه جمع فيهاجمل الأحكام واختصرها بأجود الكلام وجعل الناس بعده يتخذونه إماما فلايجد محق عنها معدلا و لاظالم عن حدودها محيصا. [صفحه ٩٢] وكتب عمر إلى عماله يوصيهم فقال فى جملة الكتاب ارتدوا وائتزروا وانتعلوا وألقوا الخفاف والسراويلات وألقوا الركب وانزوا نزوا على الخيل واخشوشنوا وعليكم بالمعدية أو قال وتمعددوا وارموا الأغراض وعلموا فتيانكم العوم والرماية وذروا التنعم وزى العجم وإياكم والحرير فإن رسول الله ص نهى عنه و قال لاتلبسوا من الحرير إلا ما كان هكذا وأشار بإصبعه . وكتب إلى بعض عماله أن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته و أن أشقى الرعاة من شقيت به رعيته فإياک أن تزيغ فتزيغ رعيتک فيكون مثلک عند الله مثل البهيمة رأت الخضرة فى الأرض فرعت فيهاتبغى السمن وحتفها فى سمنها وكتب إلى أبى موسى و هوبالبصرة بلغنى أنک تأذن للناس الجماء الغفير فإذاجاءک كتابى هذافأذن لأهل الشرف و أهل القرآن والتقوى والدين فإذاأخذوا مجالسهم فأذن للعامة و لاتؤخر عمل اليوم لغد فتتداک عليک الأعمال فتضيع وإياک واتباع الهوى فإن للناس أهواء متبعة ودنيا مؤثرة وضغائن محمولة وحاسب نفسک فى الرخاء قبل حساب الشدة فإنه من حاسب نفسه فى الرخاء قبل حساب الشدة كان مرجعه إلى الرضا والغبطة و من ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة إنه لايقيم أمر الله فى الناس إلاحصيف العقدة بعيد القرارة لايحنق على جرة و لايطلع الناس منه على عورة و لايخاف فى الحق لومة لائم الزم أربع خصال يسلم لک دينک وتحيط بأفضل حظک إذاحضر الخصمان فعليک بالبينات العدول

والأيمان القاطعة ثم ائذن [صفحه ۹۳] للضعيف حتى ينبسط لسانه ويجترئ قلبه وتعاهد الغريب فإنه إذاطال حبسه ترك حاجته وانصرف إلى أهله واحرص على الصلح ما لم يبن لك القضاء و السلام عليك . و كان رجل من الأنصار لايزال يهدى لعمر فخذ جزور إلى أن جاء ذات يوم مع خصم له فجعل فى أثناء الكلام يقول يا أمير المؤمنين افصل القضاء بينى وبينه كمايفصل فخذ الجزور. قال عمر فما زال يرددها حتى خفت على نفسى فقضيت عليه وكتبت إلى عمالى أما بعدفإياكم والهدايا فإنها من الرشا ثم لم أقبل له هدية فيما بعد و لالغيره . و كان عمر يقول اكتبوا عن الزاهدين فى الدنيا مايقولون فإن الله عز و جل وكل بهم ملائكة واضعة أيديهم على أفواههم فلايتكلمون إلابما هيأه الله لهم . وروى أبو جعفرالطبرى فى تاريخه قال كان عمر يقول جردوا القرآن و لاتفسروه وأقلوا الرواية عن رسول الله ص و أناشريككم . و قال أبو جعفر و كان عمر إذاأراد أن ينهى الناس عن شيءجمع أهله فقال إنى عسيت أن أنهى الناس عن كذا و أن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم وأقسم بالله لاأجد أحدا منكم يفعل إلاأضعفت عليه العقوبة. قال أبو جعفر و كان عمر شديدا على أهل الريب و فى حق الله صليبا حتى يستخرجه ولينا سهلاـ فيما يلزمه حتى يؤديه وبالضعيف رحيما. [صفحه ۹۴] وروى زيد بن أسلم عن أبيه أن نفرا من المسلمين كلموا عبدالرحمن بن عوف فقالوا كلم لنا عمر بن الخطاب فقد و الله أخشانا حتى لانستطيع أن نديم إليه أبصارنا فذكر عبدالرحمن له ذلك فقال أ و قدقالوا ذلك و الله لقد لنت لهم حتى تخوفت الله فى أمرهم و قدتشددت عليهم حتى خفت الله فى أمرهم و أنا و الله أشد فرقا لله منهم لى . وروى جابر بن عبد الله قال قال رجل لعمر ياخليفة الله قال خالف الله بك قال جعلنى الله فداك قال إذن يهينك الله . وروى أبو جعفر قال استشار عمر فى أمر المال كيف يقسمه فقال له على بن أبى طالب ع تقسم كل سنة مااجتمع معك من المال و لاتمسك منه شيئا و قال عثمان بن عفان أرى مالا كثيرا يسع الناس و إن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر فقال الوليد بن هشام بن المغيرة يا أمير المؤمنين قدجئت الشام فرأيت ملوكها قددونوا ديوانا وجندوا جنودا وفرضوا لهم أرزاقا فأخذ بقوله فدعا عقيل بن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا نساب قريش و قال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدءوا ببنى هاشم ثم أتبعوهم أبابكر وقومه ثم عمر وقومه على ترتيب الخلافة فلما نظر إليه قال وددت أنه كان هكذا لكن ابدأ بقرابة النبى ص الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله . قال أبو جعفرجاءت بنو عدى إلى عمر فقالوا له ياعمر أنت خليفة رسول الله [صفحه ۹۵] ص قال أوخليفة أبى بكر و أبوبكر خليفة رسول الله ص قالوا وذاك فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم فقال بخ بخ يابنى عدى أردتم الأكل على ظهرى و أن أذهب حسناتى لكم لا و الله و لوكتبتم آخر الناس إن لى صاحبين سلكا طريقا فإن أناخالفتهما خولف بى و الله ماأدركنا الفضل فى الدنيا إلابمحمد و لانرجو مانرجو من الآخرة وثوابها إلابمحمدص فهو شرفنا وقومه أشرف العرب ثم الأقرب منه فالأقرب و مابيننا و بين أن نلقاه ثم لانفارقه إلى آدم إلاآباء يسيرة و الله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فإنهم أولى بمحمدص منا يوم القيامة لاينظرن رجل إلى قرابته وليعمل بما عند الله فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه . وروى السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول و الله ما من أحد إلا له فى هذاالمال حق أعطيه أومنعه و ماأحد أحق به من أحد إلا عبدمملوك و ما أنا فيه إلاكأحدكم ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله ص فالرجل وبلاؤه فى الإسلام و الرجل وغناؤه و الرجل وحاجته و الله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من المال و هومكانه . وروى نافع مولى آل الزبير قال سمعت أباهريرة يقول رحم الله ابن حنتمة لقد رأيته عام الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعكة زيت فى يده وإنه ليعتقب هو وأسلم فلما رآنى قال من أين يا أباهريرة قلت قريبا فأخذت [صفحه ۹۶] أعقبه فحملناه حتى انتهينا إلى ضرار فإذاصرم من نحو عشرين بيتا من محارب فقال عمر ماأقدمكم قالوا الجهد وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها فرأيت عمر طرح رداءه ثم برز فما زال يطبخ لهم حتى شبعوا وأرسل أسلم إلى المدينة فجاء

بأبعرة فحملهم عليها ثم أنزلهم الجبانة ثم كساهم و كان يختلف إليهم و إلى غيرهم حتى كفى الله ذلك . وروى راشد بن سعد أن عمر أتى بمال فجعل يقسم بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبى وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه فعلاه عمر بالدرة و قال إنك أقبلت لاتهابن سلطان الله فى الأرض فأحببت بأن أعلمك أن سلطان الله لايهابك . وقالت الشفاء ابنة عبد الله ورأت فتيانا من النساك يقتصدون فى المشى ويتكلمون رويدا ماهؤلاء فقيل نساك فقالت كان عمر بن الخطاب هوالناسك حقا و كان إذاتكلم أسمع و إذامشى أسرع و إذاضرب أوجع .أعان عمر رجلا على حمل شىءفدعا له الرجل و قال نفعك بنوك يا أمير المؤمنين قال بل أغنانى الله عنهم . و من كلامه القوة فى العمل ألا يؤخر عمل اليوم لغد والأمانة ألا تخالف سريرتك علانيتك والتقوى بالتوقى و من يتق الله يقه . [صفحه ٩٧] و قال عمر كنا نعد المقرض بخيلا إنما كانت المواساة.أتى رهط إلى عمر فقالوا يا أمير المؤمنين كثر العيال واشتدت المئونة فزدنا فى أعطياتنا فقال فعلتموها جمعتم بين الضرائر واتخذتم الخدم من مال الله أمالوددت أنى وإياكم فى سفينتين فى لجة البحر تذهب بنا شرقا وغربا فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن استقام اتبعوه و إن جنف قتلوه فقال طلحة و ماعليك لو قلت و إن أعوج عزلوه فقال القتل أرهب لمن بعده احذروا فتى قريش فإنه كريمها ألذى لاينام إلا على الرضا ويضحك عندالغضب ويتناول مافوقه من تحته . و كان يقول فى آخر أيامه عندتبرمه بالأمر وضجره من الرعية أللهم ملونى ومللتهم وأحسست من نفسى وأحسوا منى و لاأدرى بأينا يكون اللوت و قدأعلم أن لهم قتيلا منهم فاقبضنى إليك . وذكر قوم من الصحابة لعمر رجلا فقالوا فاضل لايعرف الشر قال ذاك أوقع له فيه وروى الطبرى فى التاريخ أن عمر استعمل عتبة بن أبى سفيان على عمل فقدم منه بمال فقال له ما هذا ياعتبة قال مال خرجت به معى وتجرت فيه قال و ما لك تخرج المال معك إلى هذاالوجه فأخذ المال منه فصيره فى بيت المال فلما قام عثمان قال لأبى سفيان [صفحه ٩٨] إنك إن طلبت ماأخذه عمر من عتبة رددته عليك فقال له أبوسفيان إياك و ماهممت به إنك إن خالفت صاحبك قبلك ساء رأى الناس فيك إياك أن ترد على من كان قبلك فيرد عليك من بعدك . وروى الطبرى أيضا أن هندا بنت عتبة بن ربيعة قامت إلى عمر فسألته أن يقرضها من بيت المال أربعة آلاف درهم تتجر فيها وتضمنها فخرجت بها إلى بلاد كلب فباعت واشترت وبلغها أن أباسفيان قدأتى معاوية يستميحه ومعه ابنه عمرو بن أبى سفيان فعدلت إليه من بلاد كلب و كان أبوسفيان قدطلقها فقال معاوية ماأقدمك ياأمه قالت النظر إليك يابنى إنه عمر وإنما يعمل لله و قدأتاك أبوك فخشيت أن تخرج إليه من كل شىء و أهل ذلك هو ولكن لايعلم عمر من أين أعطيته فيؤنبوك ويؤنبك و لاتستقبلها أبدا فبعث معاوية إلى أبيه وأخيه مائة دينار وكساهما وحملهما فسخطها عمر فقال أبوسفيان لاتسخطها فإنها عطاء لم تغب عنه هند ورجع هو وابنه إلى المدينة فسأله عمر بكم أجازك معاوية فقال بمائة دينار فسكت عمر. وروى الأحنف قال أتى عبد الله بن عمير عمر و هويقرض الناس فقال يا أمير المؤمنين أقرض لى فلم يلتفت إليه فنخسه فقال عمر حس وأقبل عليه فقال من أنت فقال عبد الله بن عمير و كان أبوه استشهد يوم حنين فقال يايرفأ أعطه ستمائة فأعطاه ستمائة فلم يقبلها ورجع إلى عمر فأخبره فقال يايرفأ أعطه [صفحه ٩٩] ستمائة حلة فأعطاه فلبس الحلة التى كساه عمر ورمى ما كان عليه فقال له خذ ثيابك هذه فلتكن فى مهنة أهلك و هذه لزينتك . وروى إياس بن سلمة عن أبيه قال مر عمر فى السوق ومعه الدرة فخفقنى خفقة فأصاب طرف ثوبى و قال أمط عن الطريق فلما كان فى العام المقبل لقينى فقال ياسلمة أتريد الحج قلت نعم فأخذ بيدى وانطلق بى إلى منزله فأعطانى ستمائة درهم و قال استعن بها على حجك واعلم أنها بالخفقة التى خفقتك فقلت يا أمير المؤمنين ماذكرتها قال و أنا مانسيتها. وخطب عمر فقال أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير إنه ليس من حلم أحب إلى الله و لاأعم نفعا من حلم إمام ورفقه و ليس من جهل أبغض إلى الله من جهل إمام وخرفه أيها الرعية إنه من يأخذ بالعافية من بين ظهرانيه فوته الله العافية من فوقه . وروى الربيع بن زياد قال قدمت على عمر بمال من البحرين فصليت معه العشاء ثم سلمت عليه فقال ماقدمت به قلت

خمسـمائة ألف قـال ويحك إنما قـدمت بخمسـين ألفا قلت بل خمسـمائة ألف قال كم يكون ذلك قلت مائـة ألف ومائـة ألف ومائـة ألف حتى عـددت خمسا فقال إنك ناعس ارجع إلى بيتك ثم اغد على فغدوت عليه فقال ماجئت به قلت ماقلته لک قال كم هو قلت خمسـمائة ألف قال أطيب هو قلت نعم لاأعلم إلا ذلک فاستشار الصحابة فيه فأشير عليه بنصب الديوان فنصبه وقسم المال بين المسلمين ففضلت عنده فضلة [صفحه ١٠٠] فأصبح فجمع المهاجرين والأنصار وفيهم على بن أبى طالب و قال للناس مـاترون فى فضـل فضـل عنـدنا من هـذاالمال فقـال النـاس يـا أمير المؤمنين إنـا شـغلناک بولايـة أمورنـا عن أهلـک وتجـارتک وصـنعتک فهو لک فالتفت إلى على فقال ماتقول أنت قال قدأشاروا عليک قال فقل أنت فقال له لم تجعل يقينک ظنا فلم يفهم عمر قـوله فقـال لتخرجـن ممـا قلت قـال أجـل و الله لأـخرجن منـه أتـذكر حين بعثـک رسـول الله ص ساعيـا فـأتيت العبـاس بن عبدالمطلب فمنعک صدقته فكان بينكما شىءفجئتما إلى وقلتما انطلق معنا إلى رسول الله ص فجئنا إليه فوجدناه خاثرا فرجعنا ثم غدونا عليه فوجدناه طيب النفس فأخبرته بالذى صنع العباس فقال لک ياعمر أ ماعلمت أن عم الرجل صنو أبيه فذكرنا له مارأينا من خثوره فى اليوم الأـول وطيب نفسه فى اليوم الثانى فقال إنكم أتيتم فى اليوم الأول و قـدبقى عنـدى من مال الصدقـة ديناران فكان مارأيتم من خثورى لـذلک وأتيتم فى اليوم الثانى و قدوجهتهما فذاک ألذى رأيتم من طيب نفسـى أشـير عليک ألا تأخذ من هذاالفضل شـيئا و أن تفضه على فقراء المسـلمين فقال صدقت و الله لأشـكرن لک الأولى والأخيرة. وروى أبوسعيد الخدرى قال حججنا مع عمر أول حجـة حجها فى خلافته فلما دخل المسـجد الحرام دنا من الحجر الأسود فقبله واسـتلمه و قال إنى لأعلم أنـک حجر لاتضـر و لاـتنفع و لو لاـأنى رأيت رسول الله ص قبلک واسـتلمک لماقبلتک و لااسـتلمتک فقال له على بلى يا أمير المؤمنين إنه ليضـر وينفع و لوعلمت تأويـل ذلـک من كتـاب الله لعلمت أن ألـذى أقول لـک كمـاأقول قـال الله تعالى وَ إِذ أَخَذَ رَبّکَ مِن بنَيِ آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرّيّتَهُم وَ أَشهَدَهُم عَلي أَنفُسِهِم أَ لَستُ -قرآن-١٤١٧-١٥١٩ فأصبح فجمع المهاجرين والأنصار وفيهم على بن أبى طالب و قال للناس ماترون فى فضل فضل عنـدنا من هذاالمال فقال الناس يا أمير المؤمنين إنا شـغلناک بولاية أمورنـا عن أهلک وتجارتک وصـنعتک فهو لک فالتفت إلى على فقال ماتقول أنت قال قـدأشاروا عليک قال فقل أنت فقال له لم تجعـل يقينـک ظنـا فلم يفهم عمر قوله فقـال لتخرجن مما قلت قال أجل و الله لأخرجن منه أتـذكر حين بعثـک رسول الله ص ساعيا فأتيت العباس بن عبـدالمطلب فمنعک صدقته فكان بينكما شـىءفجئتما إلى وقلتما انطلق معنا إلى رسول الله ص فجئنا إليه فوجـدناه خاثرا فرجعنا ثم غدونا عليه فوجدناه طيب النفس فأخبرته بالذى صـنع العباس فقال لک ياعمر أ ماعلمت أن عم الرجل صنو أبيه فـذكرنا له مارأينا من خثوره فى اليوم الأول وطيب نفسه فى اليوم الثانى فقال إنكم أتيتم فى اليوم الأول و قدبقى عندى من مال الصدقة ديناران فكان مارأيتم من خثورى لذلک وأتيتم فى اليوم الثانى و قدوجهتهما فذاک ألذى رأيتم من طيب نفسى أشير عليک ألا تأخـذ من هـذاالفضل شـيئا و أن تفضه على فقراء المسلمين فقال صـدقت و الله لأشـكرن لک الأولى والأخيرة. وروى أبوسـعيد الخـدرى قال حججنا مع عمر أول حجـة حجها فى خلافته فلما دخل المسـجد الحرام دنا من الحجر الأسود فقبله واسـتلمه و قال إنى لأعلم أنک حجر لاتضـر و لاتنفع و لو لاأنى رأيت رسول الله ص قبلک واسـتلمک لماقبلتک و لااسـتلمتک فقال له على بلى يا أمير المؤمنين إنه ليضـر وينفع و لوعلمت تأويل ذلک من كتاب الله لعلمت أن ألـذى أقول لک كماأقول قال الله تعالى وَ إِذ أَخَـذَ رَبّکَ مِن بنَيِ آدَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرّيّتَهُم وَ أَشـهَدَهُم عَلي أَنفُسِـهِم أَ لَستُ بِرَبّكُم قالُوا بَلي -قرآن-١-٢٢ فلما أشـهدهم وأقروا له أنه الرب عز و جل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم فى رق ثم ألقمه هذاالحجر و أن له لعينين ولسانا وشفتين تشهد لمن وافاه بالموافاة فهو أمين الله عز و جل فى هـذاالمكان فقال عمر لاأبقانى الله بأرض لست بها يا أبا الحسن . قلت قدوجدنا فى الآثـار والأخبار فى سـيرة عمر أشـياء تناسب قوله فى هـذاالحجر الأسود كماأمر بقطع الشـجرة التى بويع رسول الله ص تحتها بيعة الرضوان فى عمرة الحديبيـة لأن المسلمين بعدوفاة رسول الله ص كانوا يأتونها فيقيلون تحتها فلما تكرر ذلک أوعدهم عمر فيها

ثـم أمر بهـافقطعت . وروى المغيرة بن سويـد قـال خرجنـا مع عمر فى حجـة حجهـا فقرأ بنـا فى الفجرأَ لَم تَرَ كَيـفَ فَعَـلَ رَبّكَ بِأَصحابِ الفِيلِ ولِإِيلافِ قُرَيشٍ فلما فرغ رأى الناس يبادرون إلى مسجد هناك فقال مابالهم قالوا مسجد صلى فيه النبى ص و الناس يبادرون إليه فناداهم فقال هكـذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعا من عرضت له صلاة فى هذاالمسجد فليصل و من لم تعرض له صلاة فليمض . وأتى رجل من المسلمين إلى عمر فقال أنا لمافتحنا المدائن أصبنا كتابا فيه علم من علوم الفرس وكلام معجب فدعا بالدرة فجعل يضربه بها ثم قرأنَحنُ نَقُصّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ و يقول ويلك أقصص أحسن من كتاب الله إنما هلك -قرآن-٦٠١-٦٤٩-قرآن-٦٥٢-٦٦٨-قرآن-١٠٦٧-١١٠٣ [صفحه ١٠٢] من كان قبلكم لأنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسا وذهب مافيهما من العلم . وجاء رجل إلى عمر فقال إن ضبيعا التميمى لقينا يا أمير المؤمنين فجعل يسألنا عن تفسير حروف من القرآن فقال أللهم أمكنى منه فبينا عمر يوما جالس يغدى الناس إذ جاءه الضبيع و عليه ثياب وعمامة فتقدم فأكل حتى إذافرغ قال يا أمير المؤمنين مامعنى قوله تعالى وَ الذّارِياتِ ذَرواً فَالحامِلاتِ وِقراً قال ويحك أنت هوفقام إليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فإذا له ضفيرتان فقال و ألذى نفس عمر بيده لووجدتك محلوقا لضربت رأسك ثم أمر به فجعل فى بيت ثم كان يخرجه كل يوم فيضربه مائة فإذابرأ أخرجه فضربه مائة أخرى ثم حمله على قتب وسيره إلى البصرة وكتب إلى أبى موسى يأمره أن يحرم على الناس مجالسته و أن يقوم فى الناس خطيبا ثم يقول إن ضبيعا قدابتغى العلم فأخطأه فلم يزل وضيعا فى قومه و عند الناس حتى هلك و قد كان من قبل سيد قومه . و قال عمر على المنبر ألا إن أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فأفتوا بآرائهم فضلوا وأضلوا ألا إنا نقتدى و لانبتدى ونتبع و لانبتدع إنه ماضل متمسك بالأثر وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر يقول فى الحج فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب و قدأظهر الله الإسلام ونفى الكفر وأهله و مع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله ص . -قرآن-٣٨٥-٤٢٥ [صفحه ١٠٣] مر عمر برجل فسلم عليه فرد عليه فقال مااسمك قال جمرة قال أبو من قال أبوشهاب قال ممن قال من الحرقة قال وأين مسكنك قال بحرة النار قال بأيها قال بذات لظى فقال ويحك أدرك أهلك فقد احترقوا فمضى عليهم فوجدهم قداحترقوا. وروى الليث بن سعد قال أتى عمر بفتى أمرد قدوجد قتيلا ملقى على وجه الطريق فسأل عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر فشق عليه فكان يدعو و يقول أللهم أظفرنى بقاتله حتى إذا كان رأس الحول أوقريبا من ذلك وجد طفل مولود ملقى فى موضع ذلك القتيل فأتى به عمر فقال ظفرت بدم القتيل إن شاء الله تعالى فدفع الطفل إلى امرأة و قال لها قومى بشأنه وخذى منا نفقته وانظرى من يأخذه منك فإذاوجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعلمينى مكانها فلما شب الصبى جاءت جارية فقالت للمرأة إن سيدتى بعثتنى إليك لتبعثى إليها بهذا الصبى فتراه وترده إليك قالت نعم اذهبى به إليها و أنامعك فذهبت بالصبى حتى دخلت على امرأة شابة فأخذت الصبى فجعلت تقبله وتفديه وتضمه إليها و إذاهى بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله ص فجاءت المرأة وأخبرت عمر فاشتمل على سيفه وأقبل إلى منزلها فوجد أباها متكئا على الباب فقال له ما ألذى تعلم من حال ابنتك قال أعرف الناس بحق الله وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها فقال إنى أحب أن أدخل إليها وأزيدها رغبة فى الخير فدخل الشيخ ثم خرج فقال ادخل يا أمير المؤمنين فدخل وأمر أن يخرج كل من فى الدار إلاأباها ثم سألها عن الصبى فلجلجت فقال لتصدقينى ثم انتضى السيف فقالت على رسلك يا أمير المؤمنين فو الله لأصدقنك إن عجوزا كانت تدخل على فاتخذتها أما وكانت تقوم فى أمرى بما تقوم به الوالدة و أنالها بمنزلة البنت [صفحه ١٠٤] فمكثت كذلك حينا ثم قالت إنه قدعرض لى سفر و لى بنت أتخوف عليها بعدى الضيعة و أناأحب أن أضمها إليك حتى أرجع من سفرى ثم عمدت إلى ابن لها أمرد فهيأته وزينته كماتزين المرأة وأتتنى به و لاأشك أنه جارية فكان يرى منى ماترى المرأة من المرأة فاغتفلنى يوما و أنانائمة فما شعرت به حتى علانى وخالطنى فمددت يدى إلى شفرة كانت عندى فقتلته

ثم أمرت به فألقى حيث رأيت فاشتملت منه على هذاالصبى فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه هذا و الله خبرهما على ماأعلمتك فقال عمر صدقت بارك الله فيك ثم أوصاها ووعظها وخرج و كان عمر يقول لوأدركت عروة وعفراء لجمعت بينهما.ذكر عمرو بن العاص يوما عمر فترحم عليه و قال مارأيت أحدا أتقى منه و لاأعمل بالحق منه لايبالى على من وقع الحق من ولد أووالد إنى لفى منزلى بمصر ضحى إذ أتانى آت فقال قدم عبد الله و عبدالرحمن ابنا عمر غازيين فقلت أين نزلا قال فى موضع كذا لأقصى مصر و قد كان عمر كتب إلى إياك و أن يقدم عليك أحد من أهل بيتى فتجيزه أوتحبوه بأمر لاتصنعه بغيره فافعل بك ما أنت أهله فضقت ذرعا بقدومهما و لاأستطيع أن أهدى لهما و لا أن آتيهما فى منزلهما خوفا من أبيهما فو الله إنى لعلى ما أنا عليه و إذاقائل يقول هذا عبدالرحمن بن عمر بالباب و أبوسروعة يستأذنان عليك فقلت يدخلان فدخلا وهما منكسران فقالا أقم علينا حد الله فإنا أصبنا الليلة شرابا فسكرنا فزبرتهما وطردتهما و قلت ابن أمير المؤمنين وآخر معه من أهل بدر فقال عبدالرحمن إن لم تفعل أخبرت أبى إذاقدمت عليه أنك لم تفعل فعلمت أنى إن لم أقم عليهما الحد غضب عمر وعزلنى فنحن على مانحن عليه [صفحه ١٠٥] إذ دخل عبد الله بن عمر فقمت إليه ورحبت به وأردت أن أجلسه فى صدر مجلسى فأبى على و قال إن أبى نهانى أن أدخل عليك إلاألا أجد من الدخول بدا وإنى لم أجد من الدخول عليك بدا إن أخى لايحلق على رءوس الناس أبدا فأما الضرب فاصنع مابدا لك قال وكانوا يحلقون مع الحد فأخرجتهما إلى صحن الدار وضربتهما الحد ودخل عبد الله بن عمر بأخيه عبدالرحمن إلى بيت من الدار فحلق رأسه وحلق أباسروعة و الله ماكتبت إلى عمر بحرف مما كان و إذاكتابه قدورد من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصى ابن العاصى عجبت لك يا ابن العاصى ولجرأتك على ومخالفتك عهدى أماإنى خالفت فيك أصحاب بدر و من هوخير منك واخترتك و أنت الخامل وقدمتك و أنت المؤخر وأخبرنى الناس بجرأتك وخلافك وأراك كماأخبروا و ماأرانى إلاعازلك فمسىء عزلك ويحك تضرب عبدالرحمن بن عمر فى داخل بيتك وتحلق رأسه فى داخل بيتك و قدعرفت أن فى هذامخالفتى وإنما عبدالرحمن رجل من رعيتك تصنع به ماتصنع بغيره من المسلمين ولكن قلت هوولد أمير المؤمنين و قدعرفت ألا هوادة لأحد من الناس عندى فى حق يجب لله عز و جل فإذاجاءك كتابى هذافابعث به فى عباءة على قتب حتى يعرف سوء ماصنع قال فبعثت به كما قال أبوه وأقرأت أخاه عبد الله كتاب أبيهما وكتبت إلى عمر كتابا أعتذر فيه وأخبرته أنى ضربته فى صحن الدار وحلفت بالله ألذى لايحلف بأعظم منه أنه الموضع ألذى أقيم فيه الحدود على المسلم والذمى وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر فذكر أسلم مولى عمر قال قدم عبد الله بأخيه عبدالرحمن على أبيهما فدخل عليه فى عباءة و هو لايقدر على المشى من مركبه فقال يا عبدالرحمن فعلت وفعلت السياط السياط فكلمه [صفحه ١٠٦] عبدالرحمن بن عوف و قال يا أمير المؤمنين قدأقيم عليه الحد مرة فلم يلتفت إليه وزبره فأخذته السياط وجعل يصيح أنامريض و أنت و الله قاتلى فلم يرق له حتى استوفى الحد وحبسه ثم مرض شهرا ومات . وروى الزبير بن بكار قال خطب عمر أم كلثوم بنت على ع فقال له إنها صغيرة فقال زوجنيها يا أبا الحسن فإنى أرصد من كرامتها ما لايرصده أحد فقال أناأبعثها إليك فإن رضيتها زوجتكها فبعثها إليه ببرد و قال لها قولى هذاالبرد ألذى ذكرته لك فقالت له ذلك فقال قولى له قدرضيته رضى الله عنك ووضع يده على ساقها فقالت له أتفعل هذا لو لاأنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت بعثتنى إلى شيخ سوء قال مهلا يابنية إنه زوجك فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين فى الروضة و كان يجلس فيهاالمهاجرون الأولون فقال رفئونى رفئونى قالوا بما ذا يا أمير المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب سمعت رسول الله ص يقول كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلاسببى ونسبى وصهرى -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٩١ . وكتب عثمان إلى أبى موسى إذاجاءك كتابى هذافأعط الناس أعطياتهم واحمل مابقى إلى ففعل وجاء زيد بن ثابت بالمال فوضعه بين يدى عثمان فجاء ابن لعثمان فأخذ منه أستاندانة من فضة فمضى بهافبكى زيد قال عثمان مايبكيك قال أتيت عمر مثل ماأتيتك به فجاء ابن له فأخذ

درهما فأمر به فانتزع منه حتى أبكى [صفحه ۱۰۷] الغلام و أن ابنك قدأخذ هذه فلم أر أحدا قال شيئا فقال عثمان إن عمر كان يمنع أهله وقرابته ابتغاء وجه الله و أناأعطى أهلى وأقاربى ابتغاء وجه الله ولن تلقى مثل عمر وروى إسماعيل بن خالد قال قيل لعثمان أ لاتكون مثل عمر قال لاأستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم .ذكرت عائشة عمر فقالت كان أجودنا نسيج وحده قدأعد للأمور أقرانها.جاء عبد الله بن سلام بعد أن صلى الناس على عمر فقال إن كنتم سبقتمونى بالصلاة عليه فلاتسبقونى بالثناء عليه ثم قال نعم أخو الإسلام كنت ياعمر جوادا بالحق بخيلا- بالباطل ترضى حين الرضا وتسخط حين السخط لم تكن مداحا و لامعيابا طيب الطرف عفيف الطرف . وروى جويرية بن قدامة قال دخلت مع أهل العراق على عمر حين أصيب فرأيته قدعصب بطنه بعمامة سوداء والدم يسيل فقال له الناس أوصنا فقال عليكم بكتاب الله فإنكم لن تضلوا مااتبعتموه فأعدنا القول عليه ثانية أوصنا قال أوصيكم بالمهاجرين فإن الناس سيكثرون ويقلون وأوصيكم بالأنصار فإنهم شعب الإسلام ألذى لجأ إليه وأوصيكم بالأعراب فإنهم أصلكم ألذى لجأتم إليه ومأواكم وأوصيكم بأهل الذمة فإنهم عهد نبيكم ورزق عيالكم قوموا عنى. [صفحه ۱۰۸] فلم أحفظ من كلامه إلا هذه الكلمات . وروى عمرو بن ميمون قال سمعت عمر و هو يقول و قدأشار إلى الستة و لم يكلم أحدا منهم إلا- على بن أبى طالب وعثمان ثم أمرهم بالخروج فقال لمن كان عنده إذااجتمعوا على رجل فمن خالف فلتضرب رقبته ثم قال إن يولوها الأجلح يسلك بهم الطريق فقال له قائل فما يمنعك من العهد إليه قال أكره أن أتحملها حيا وميتا

خطب عمر الطوال

و قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين لم يكن عمر من أهل الخطب الطوال و كان كلامه قصيرا وإنما صاحب الخطب الطوال على بن أبى طالب ع . و قدوجدت أنالعمر خطبا فيهابعض الطول ذكرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ .فمنها خطبة خطب بهاحين ولى الخلافة وهى بعدحمد الله والثناء عليه و على رسوله أيها الناس إنى وليت عليكم و لو لارجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ماتوليت ذلك منكم ولكفى عمر فيهامجزى العطاء موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها [صفحه ۱۰۹] وبالسير فيكم كيف أسير فربى المستعان فإن عمر لم يصبح يثق بقوة و لاحيلة إن لم يتداركه الله برحمته وعونه .أيها الناس إن الله قدولانى أمركم و قدعلمت أنفع مالكم وأسأل الله أن يعيننى عليه و أن يحرسنى عنده كماحرسنى عندغيره و أن يلهمنى العدل فى قسمكم كالذى أمر به فإنى امرؤ مسلم و عبدضعيف إلا ماأعان الله ولن يغير ألذى وليت من خلافتكم من خلقى شيئا إن شاء الله إنما العظمة لله و ليس للعباد منها شيء فلا-يقولن أحدكم إن عمر تغير منذ ولى وإنى أعقل الحق من نفسى وأتقدم وأبين لكم أمرى فأيما رجل كانت له حاجة أوظلم مظلمة أوعتب علينا فى خلق فليؤذنى فإنما أنا رجل منكم فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم وأعطوا الحق من أنفسكم و لايحمل بعضكم بعضا على ألا- تتحاكموا إلى فإنه ليس بينى و بين أحد هوادة و أناحبيب إلى صلاحكم عزيز على عنتكم وأنتم أناس عامتكم حضر فى بلاد الله و أهل بلد لازرع فيه و لاضرع إلا ماجاء الله به إليه و إن الله عز و جل قدوعدكم كرامة كبيرة و أنامسئول عن أمانتى و ما أنا فيه ومطلع على مايحضرنى بنفسى إن شاء الله لاأكله إلى أحد و لاأستطيع ما بعد منه إلابالأمناء و أهل النصح منكم للعامة ولست أحمل أمانتى إلى أحد سواهم إن شاء الله . وخطب عمر مرة أخرى فقال بعدحمد الله والصلاة على رسول الله ص [صفحه ۱۱۰] أيها الناس إن بعض الطمع فقر و إن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون ما لاتأكلون وتؤملون ما لاتدركون وأنتم مؤجلون فى دار غرور و قدكنتم على عهد رسول الله ص تؤخذون بالوحى و من أسر شيئا أخذ بسريرته و من أعلن شيئا أخذ بعلانيته فأظهروا لنا حسن أخلاقكم و الله أعلم بالسرائر فإنه من أظهر لنا قبيحا وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه و من أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسنا واعلموا أن بعض الشح شعبة من النفاق فأنفقوا خيرا

لأنفسكم و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون .أيها الناس أطيبوا مثواكم وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم و لاتلبسوا نساءكم القباطى فإنه إن لم يشف فإنه يصف .أيها الناس إنى لوددت أن أنجو كفافا لا لى و لا على إنى لأرجو أن عمرت فيكم يسيرا أوكثيرا أن أعمل فيكم بالحق إن شاء الله وألا يبقى أحد من المسلمين و إن كان فى بيته إلاأتاه حقه ونصيبه من مال الله و إن لم يعمل إليه نفسه و لم ينصب إليه بدنه فأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله فقليل فى رفق خير من كثير فى عنف . واعلموا أن القتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر والشهيد من احتسب نفسه و إذاأراد أحدكم بعيرا فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره . وخطب عمر مرة أخرى فقال [صفحه ١١١] إن الله سبحانه قداستوجب عليكم الشكر واتخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الدنيا والآخرة من غيرمسألة منكم و لارغبة منكم فيه إليه فخلقكم تبارك و تعالى و لم تكونوا شيئا لنفسه وعبادته و كان قادرا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه فجعلكم عامة خلقه و لم يجعلكم لشىء غيره وسخر لكم ما فى السموات و الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وحملكم فى البر والبحر ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ثم جعل لكم سمعا وبصرا و من نعم الله عليكم نعم عم بهابنى آدم ومنها نعم اختص بها أهل دينكم ثم صارت تلك النعم خواصها فى دولتكم وزمانكم وطبقتكم و ليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لوقسمتم ماوصل منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها وفدحهم حقها إلابعون الله مع الإيمان بالله ورسوله فأنتم مستخلفون فى الأرض قاهرون لأهلها قدنصر الله دينكم فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلاأمتين أمة مستعبدة للإسلام وأهله يتجرون لكم تستصفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباههم عليهم المئونة ولكم المنفعة وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته فى كل يوم وليلة قدملأ الله قلوبهم رعبا فليس لهم معقل يلجئون إليه و لامهرب يتقون به قددهمتهم جنود الله ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش واستفاضة المال وتتابع البعوث وسد الثغور بإذن الله فى العافية الجليلة العامة التى لم تكن الأمة على أحسن منها منذ كان الإسلام و الله المحمود مع الفتوح العظام فى كل بلد فما عسى أن يبلغ شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التى لايحصى عددها و لايقدر قدرها و لايستطاع أداء حقها إلابعون الله ورحمته ولطفه فنسأل الله ألذى أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته والمسارعة إلى مرضاته واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم واستتموا نعمة الله عليكم و فى مجالسكم مثنى وفرادى فإن الله تعالى قال لموسى [صفحه ١١٢] أَخرِج قَومَكَ مِنَ الظّلُماتِ إِلَى النّورِ وَ ذَكّرهُم بِأَيّامِ اللّهِ و قال لمحمدص وَ اذكُرُوا إِذ أَنتُم قَلِيلٌ مُستَضعَفُونَ فِي الأَرضِفلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله وبدينه وترجون الخير فيما بعدالموت ولكنكم كنتم أشد الناس عيشة وأعظم الناس بالله جهالة فلو كان هذا ألذى ابتلاكم به لم يكن معه حظ فى دنياكم غير أنه ثقة لكم فى آخرتكم التى إليها المعاد والمنقلب وأنتم من جهد المعيشة على ماكنتم عليه كنتم أحرياء إن تشحوا على نصيبكم منه و إن تظهروه على غيره فبله أماإنه قدجمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة أولمن شاء أن يجمع ذلك منكم فأذكركم الله الحائل بينكم و بين قلوبكم إلا ماعرفتم حق الله وعملتم له وسيرتم أنفسكم على طاعته وجمعتم مع السرور بالنعم خوفا لزوالها وانتقالها ووجلا من تحويلها فإنه لا شىءأسلب للنعمة من كفرانها و أن الشكر أمن للغير ونماء للنعمة واستجلاب للزيادة و هذا على فى أمركم ونهيكم واجب إن شاء الله –قرآن–١–٧٣–قرآن–٨٩–١۴۴ وروى أبوعبيدة معمر بن المثنى فى كتاب مقاتل الفرسان قال كتب عمر إلى سلمان بن ربيعة الباهلى أو إلى النعمان بن مقرن أن فى جندك رجلين من العرب عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد فأحضرهما الناس وأدبهما وشاورهما فى الحرب وابعثهما فى الطلائع و لاتولهما عملا من أعمال المسلمين و إذاوضعت الحرب أوزارها فضعهما حيث وضعا أنفسهما قال و كان عمرو ارتد وطليحة تنبأ. [صفحه ١١٣] وروى أبوعبيدة أيضا فى هذاالكتاب قال قدم عمرو بن معديكرب والأجلح بن وقاص الفهمى على عمر فأتياه و بين يديه مال يوزن فقال متى قدمتما قالا يوم الخميس قال فما حبسكما عنى قالا شغلنا المنزل يوم قدمنا ثم كانت الجمعة ثم غدونا عليك اليوم فلما فرغ من وزن

المـال نحـاه وأقبـل عليهما فقال هيه فقال عمرو بن معـديكرب يا أمير المؤمنين هذاالأجلـح بن وقاص الشديـد المرئ البعيـد الغرئ الوشـيك الكرئ و الله مـارأيت مثله حين الرجـال صـارع ومصـروع و الله لكـأنه لايموت فقال عمر للأجلـح وأقبل عليه و قـدعرف الغضب فى وجهه هيه ياأجلـح فقـال الأجلـح يـا أمير المـؤمنين تركـت النـاس خلفى صـالحين كـثيرا نسـلهم داره أرزاقهم خصـبئ بلادهم أجريـاء على عـدوهم فأكلاـ عـدوهم عنهم فسيمتع الله بـك فما رأينا مثلك إلا من سـبقك فقال مامنعك أن تقول فى صاحبك مثل ما قال فيك قال مارأيت من وجهك قال أصبت أماإنك لو قلت فيه مثل ألذى قال فيك لأوجعتكما ضربا وعقوبئ فـإذ تركتـك لنفسك فسأتركه لك و الله لوددت لوسـلمت لكم حالكم ودامت عليكم أموركم أماإنه سيأتى عليك يوم تعضـه وينهشـك وتهره وينبحـك ولست له يومئـذ و ليس لـك فـإن لايكن بعـدكم فما أقربه منكم . لماأسـر الهرمزان صاحب الأهواز وتستر وحمـل إلى عمر حمـل ومعه رجال من المسـلمين فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك فأدخلوه فى المدينـئ فى هيئته و عليه تاجه الذهب وكسوته فوجدوا عمر نائما فى جانب المسجد فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه فقال الهرمزان أين عمر فقالوا هوذا قـال وأين حراسه وحجـابه قـالوا لاحارس له و لاحاجب قال فينبغى أن يكون هـذانبيا قالوا إنه يعمل عمل الأنبياء. [صـفحه ١١٤] فاستيقـظ عمر فقـال الهرمزان قالوا نعم قال لاأكلمه حتى لايبقى عليه من حليته شـىءفرموا بالحليـئ وألبسوه ثوبا ضـعيفا فقال عمر ياهرمزان كيف رأيت وبال الغـدر و قـد كان صالح المسـلمين مرئ ثم نكث فقال ياعمر إنا وإياكم فى الجاهليئ كنا نغلبكم إذ لم يكن الله معكم و لامعنا فلما كان الله معكم غلبتمونا قال فما عـذرك فى انتقاضك مرئ بعدمرئ قال أخاف إن قلت أن تقتلنى قال لابـأس عليك فأخبرنى فاستسـقى ماء فأخـذه وجعلت يـده ترعـد قال ما لك قال أخاف أن تقتلنى و أناأشـرب قال لابأس عليك حتى تشـربه فألقاه من يـده فقال مابالك أعيـدوا عليه الماء و لاتجمعوا عليه بين القتل والعطش قال كيف تقتلنى و قـدأمنتنى قال كـذبت قـال لم أكـذب فقال أنس صـدق يا أمير المؤمنين قال ويحك ياأنس أناأؤمن قاتل مجزأئ بن ثور والبراء بن مالك و الله لتأتينى بالمخرج أولأعاقبنك قال إنك قلت لابأس عليك حتى تخبرنى و لابأس عليك حتى تشـرب و قال له ناس من المسلمين مثل قول أنس فأقبل على الهرمزان فقال تخـدعنى و الله لاتخـدعنى إلا أن تسـلم فأسـلم ففرض له ألفين وأنزله المدينـئ.بعث عمر عمير بن سـعيد الأنصـارى عاملاـ على حمص فمكث حولا لايأتيه خبره ثم كتب إليه بعـدحول إذاأتاك كتابى هـذافأقبل واحمل ماجبيت من مال المسـلمين فأخذ عمير جرابه وجعل فيه زاده وقصـعته وعلق أداته وأخذ عنزته وأقبل ماشيا من حمص حتى دخل المدينـئ و قدشـحب لونه واغبر وجهه وطال شـعره فدخل على عمر فسـلم فقال عمر ماشأنك ياعمير قال ماترى من شأنى ألسـت ترانى صـحيح البدن ظاهر الدم معى الدنيا أجرها بقرنيها قال و مامعك فظن عمر أنه قدجاء [صـفحه ١١٥] بمال قال معى جرابى أجعـل فيه زادى وقصـعتى آكل فيها وأغسل منها رأسـى وثيابى وأداتى أحمل فيهاوضوئى وشـرابى وعنزتى أتوكأ عليها وأجاهد بهاعدوا إن عرض لى قال عمر أفجئت ماشـيا قال نعم لم يكن لى دابئ قال أفما كان فى رعيتك أحد يتبرع لك بدابئ تركبها قال مـافعلوا و لاسألتهم ذلك قال عمر بئس المسـلمون خرجت من عنـدهم قال عمير اتق الله ياعمر و لاتقل إلاخيرا قـدنهاك الله عن الغيبئ و قدرأيتهم يصـلون قال عمر فما ذا صـنعت فى إمارتك قال و ماسؤالك قال سـبحان الله قال أماإنى لو لاأخشـى أن أعمل ماأخبرتـك أتيت البلـد فجمعت صـلحاء أهله فوليتهم جبـايته ووضـعه فى مواضـعه و لوأصابـك منه شـىءلأتاك قال أفما جئت بشىء قال لا فقال جددوا لعمير عهدا قال إن ذلك لشىء لاأعمله بعد لك و لالأحد بعدك و الله ماكدت أسلم بل لم أسلم قلت لنصـرانى معاهد أخزاك الله فهذا ماعرضـتنى له ياعمر إن أشـقى أيامى ليوم صـحبتك ثم اسـتأذنه فى الانصـراف فأذن له ومنزله بقبـاء بعيـدا عن المدينـئ فـأمهله عمر أيامـا ثم بعث رجلاـ يقـال له الحارث فقال انطلق إلى عمير بن سـعد و هـذه مائـئ دينار فإن وجـدت عليه أثرا فأقبل على بها و إن رأيت حالا شديـدئ فادفع إليه هذه المائئ فانطلق الحارث فوجد عميرا جالسا يفلى قميصا له إلى جانب حائط فسـلم عليه فقال عمير انزل رحمك الله فنزل فقال من أين جئت قال من المدينئ قال كيف تركـت أمير المؤمنين

قال صالحا قال كيف تركت المسلمين قال صالحين قال أ ليس عمر يقيم الحدود قال بلى ضرب ابنا له على فاحشة فمات من ضربه فقال عمير أللهم أعن عمر فإنى لا أعلمه إلاشديدا حبه لك قال فنزل به ثلاثة أيام و ليس لهم إلاقرص من شعير كانوا يخصونه كل يوم به ويطوون حتى نالهم الجهد فقال له عمير إنك قدأجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل فأخرج الحارث الدنانير فدفعها إليه و قال بعث بها أمير المؤمنين فاستغن بهافصاح و قال ردها لاحاجة لى فيهافقالت المرأة خذها [صفحه ۱۱۶] ثم ضعها فى موضعها فقال ما لى شيءأجعلها فيه فشقت أسفل درعها فأعطته خرقة فشدها فيها ثم خرج فقسمها كلها بين أبناء الشهداء والفقراء فجاء الحارث إلى عمر فأخبره فقال رحم الله عميرا ثم لم يلبث أن هلك فعظم مهلكه على عمر وخرج مع رهط من أصحابه ماشين إلى بقيع الغرقد فقال لأصحابه ليتمنين كل واحد منا أمنيته فكل واحد تمنى شيئا وانتهت الأمنية إلى عمر فقال وددت أن لى رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أمور المسلمين

نبذ من كلام عمر

و من كلام عمر إياكم و هذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. و قال إياكم والراحة فإنها غفلة. و قال السمن غفلة. و قال لاتسكنوا نساءكم الغرف و لاتعلموهن الكتابة واستعينوا عليهن بالعرى وعودوهن قول لا فإن نعم تجرئهن على المسألة. و قال تبين عقل المرء فى كل شيء حتى فى علته فإذارأيته يتوقى على نفسه الصبر عن شهوته ويحتمى من مطعمه ومشربه عرفت ذلك فى عقله و ماسألنى رجل عن شيءقط إلاتبين لى عقله فى ذلك . و قال إن للناس حدودا ومنازل فأنزلوا كل رجل منزلته وضعوا كل إنسان فى حده واحملوا كل امرئ بفعله على قدره . و قال اعتبروا عزيمة الرجل بحميته وعقله بمتاع بيته قال أبوعثمان الجاحظ لأنه [صفحه ۱۱۷] ليس من العقل أن يكون فرشه لبدا ومرقعته طبرية. و قال من يئس من شيءاستغنى عنه و عزالمؤمن استغناؤه عن الناس . و قال لايقوم بأمر الله إلا من لايصانع و لايصارع و لايتبع المطامع . و قال لاتضعفوا همتكم فإنى لم أر شيئا أقعد برجل عن مكرمة من ضعف همته ووعظ رجلا فقال لاتلهك الناس عن نفسك فإن الأمور إليك تصل دونهم و لاتقطع النهار سادرا فإنه محفوظ عليك فإذاأسأت فأحسن فإنى لم أر شيئا أشد طلبا و لاأسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم . و قال احذر من فلتات السباب و كل ماأورثك النبز وأعلقك اللقب فإنه إن يعظم بعده شأنك يشتد على ذلك ندمك . و قال كل عمل كرهت من أجله الموت فاتركه ثم لايضرك متى مت . و قال أقلل من الدين تعش حرا وأقلل من الذنوب يهن عليك الموت وانظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس . و قال ترك الخطيئة أسهل من معالجة التوبة. و قال احذروا النعمة حذركم المعصية وهى أخفهما عليكم عندى. و قال احذروا عاقبة الفراغ فإنه أجمع لأبواب المكروه من السكر. و قال أجود الناس من يجود على من لايرجو ثوابه وأحلمهم من عفا بعدالقدرة وأبخلهم من بخل بالسلام وأعجزهم من عجز فى دعائه . و قال رب نظرة زرعت شهوة ورب شهوة أورثت حزنا دائما. [صفحه ۱۱۸] و قال ثلاث خصال من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يدارى به الناس

أخبار عمر مع عمرو بن معديكرب

وذكر أبوعبيدة معمر بن المثنى فى كتاب مقاتل الفرسان أن سعد بن أبى وقاص أوفد عمرو بن معديكرب بعدفتح القادسية إلى عمر فسأله عمر عن سعد كيف تركته وكيف رضا الناس عنه فقال يا أمير المؤمنين هولهم كالأب يجمع لهم جمع الذرة أعرابى

فى نمرته أسد فى تامورته نبطى فى جبايته يقسم بالسوية ويعدل فى القضية وينفر فى السرية. و كان سعد كتب يثنى على عمرو فقال عمر لكأنما تعاوضتما الثناء كتب يثنى عليك وقدمت تثنى عليه فقال لم أثن إلابما رأيت قال دع عنك سعدا وأخبرنى عن مذحج قومك . قال فى كل فضل وخير قال ماقولك فى علة بن خالد قال أولئك فوارس أعراضنا أحثنا طلبا وأقلنا هربا قال فسعد العشيرة قال أعظمنا خميسا وأكبرنا رئيسا وأشدنا شريسا قال فالحارث بن كعب قال حكمة لاترام قال فمراد قال الأتقياء البررة والمساعير الفجرة ألزمنا قرارا وأبعدنا آثارا. [صفحه ١١٩] قال فأخبرنى عن الحرب قال مرة المذاق إذاقلصت عن ساق من صبر فيهاعرف و من ضعف عنها تلف وإنها لكما قال الشاعر الحرب أول ماتكون فتية || تسعى بزينتها لكل جهول حتى إذااستعرت وشب ضرامها || عادت عجوزا غيرذات حليل شمطاء جزت رأسها وتنكرت || مكروهة للشم والتقبيل . قال فأخبرنى عن السلاح قال سل عما شئت منه قال الرمح قال أخوك وربما خانك قال النبل قال منايا تخطئ وتصيب قال الترس قال ذاك المجن و عليه تدور الدوائر قال الدرع قال مشغلة للراكب متعبة للراجل وإنها لحصن حصين قال السيف قال هناك قارعت أمك الهبل قال بل أمك قال بل أمى والحمى أضرعتنى لك .عرض سليمان بن ربيعة الباهلى جنده بأرمينية فكان لايقبل من الخيل إلاعتيقا فمر عمرو بن معديكرب بفرس غليظ فرده و قال هذاهجين قال عمرو إنه ليس بهجين ولكنه غليظ قال بل هوهجين فقال عمرو إن الهجين ليعرف الهجين فكتب بكلمته إلى عمر فكتب إليه أما بعد يا ابن معديكرب فإنك القائل لأميرك ما قلت فإنه بلغنى أن عندك سيفا تسميه الصمصامة و أن عندى سيفا أسميه مصمما وأقسم بالله لئن وضعته بين أذنيك لايقلع حتى يبلغ قحفك . [صفحه ١٢٠] وكتب إلى سليمان بن ربيعة يلومه فى حلمه عنه فلما قرأ عمرو الكتاب قال من ترونه يعنى قالوا أنت أعلم قال هددنى بعلى و الله و قد كان صلى بناره مرة فى حياة رسول الله ص وأفلت من يده بجريعة الذقن و ذلك حين ارتدت مذحج و كان رسول الله ص أمر عليها فروة بن مسيك المرادى فأساء السيرة ونابذ عمرو بن معديكرب ففارقه فى كثير من قبائل مذحج فاستجاش فروة عليه وعليهم رسول الله ص فأرسل خالد بن سعيد بن العاص فى سرية وخالد بن الوليد بعده فى سرية ثانية و على بن أبى طالب ع فى سرية ثالثة وكتب إليهم كل واحد منكم أمير من معه فإذااجتمعتم فعلى أمير على الكل فاجتمعوا بموضع من أرض اليمن يقال له كسر فاقتتلوا هناك وصمد عمرو بن معديكرب لعلى ع و كان يظن أن لا يثبت له أحد من شجعان العرب فثبت له فعلا عليه وعاين منه ما لم يكن يحتسبه ففر من بين يديه هاربا ناجيا بحشاشة نفسه بعد أن كاد يقتله وفر معه رؤساء مذحج وفرسانهم وغنم المسلمون أموالهم وسبيت ذلك اليوم ريحانة بنت معديكرب أخت عمرو فأدى خالد بن سعيد بن العاص فداءها من ماله فأصابه عمرو أخوها الصمصامة فلم يزل ينتقل فى بنى أمية ويتداولونه واحدا بعدواحد حتى صار إلى بنى العباس فى أيام المهدى محمد بن المنصور أبى جعفر

فصل فيما نقل عن عمر من الكلمات الغريبة

فأما مانقل عن عمر من الألفاظ الغريبة اللغوية التى شرحها المفسرون فنحن نذكر من ذلك مايليق بهذا الكتاب . [صفحه ١٢١] قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه روى عبدالرحمن بن أبى زيد عن عمران بن سودة الليثى قال صليت الصبح مع عمر فقرأ سبحان وسورة معها ثم انصرف فقمت معه فقال أحاجة قلت حاجة قال فالحق فلحقت فلما دخل أذن فإذا هو على رمال سرير ليس فوقه شىءفقلت نصيحة قال مرحبا بالناصح غدوا وعشيا قلت عابت أمتك أو قال رعيتك عليك أربعا قال فوضع عود الدرة ثم ذقن عليها هكذا روى ابن قتيبة و قال أبو جعفرفوضع رأس درته فى ذقنه ووضع أسفلها على فخذه و قال هات قال ذكروا أنك حرمت المتعة فى أشهر الحج وزاد أبو جعفر وهى حلال و لم يحرمها رسول الله ص و لا أبوبكر فقال أجل إنكم

إذااعتمرتم فی أشهر حجکم رأيتموها مجزئة عن حجکم فقرع حجکم وكانت قابية قوب عامها والحج بهاء من بهاء الله و قدأصبت قال وذکروا أنک حرمت متعة النساء و قد كان رخصة من الله نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث قال إن رسول الله ص أحلها فی زمان ضرورة ورجع الناس إلی السعة ثم لم أعلم أحدا من المسلمين عاد إليها و لاعمل بهافالآن من شاء نکح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق و قدأصبت . و قال ذکروا أنک أعتقت الأمة إذاوضعت ذا بطنها بغير عتاقة سيدها قال ألحقت حرمة بحرمة و ماأردت إلاالخير وأستغفر الله . قال وشکوا منک عنف السياق ونهر الرعية قال فنزع الدرة ثم مسحها حتی أتی علی سيورها و قال و أنازميل محمد رسول الله ص فی غزاة قرقرة [صفحه ١٢٢] الکدر فو الله إنی لأرتع فأشبع وأسقی فأروی وإنی لأضرب العروض وأزجر العجول وأؤدب قدری وأسوق خطوتی وأرد اللفوت وأضم العنود وأکثر الضجر وأقل الضرب وأشهر بالعصا وأدفع باليد و لو لا ذلک لأعذرت . قال أبو جعفرفکان معاوية إذاحدث بهذا الحديث يقول کان و الله عالما برعيته . قال ابن قتيبة رملت السرير وأرملته إذانسجته بشريط من خوص أوليف . وذقن عليها أی وضع عليها ذقنه يستمع الحديث . و قوله فقرع حجکم أی خلت أيام الحج من الناس وکانوا يتعوذون من قرع الفناء و ذلک ألا يکون عليه غاشية وزوار و من قرع المراح و ذلک ألا يکون فيه إبل . والقابية قشر البيضة إذاخرج منها الفرخ . والقوب الفرخ قال الکميت لهن وللمشيب و من علاه || من الأمثال قابية وقوب .أراد أن النساء ينفرن من ذی الشيب ويفارقنه کمايفارق الفرخ البيضة فلايعود إليها بعدخروجه منها أبدا وروی عن عمر أنکم إذارأيتم العمرة فی أشهر الحج کافية من الحج خلت مکة من الحجاج فکانت کبيضة فارقها فرخها قوله إنی لأرتع فأشبع وأسقی فأروی مثل مستعار من رعيت الإبل أی إذاأرتعت الإبل أی أرسلتها ترعی ترکتها حتی تشبع و إذاسقيتها ترکتها حتی تروی. و قوله أضرب العروض العروض الناقة تأخذ يمينا وشمالا و لاتلزم المحجة يقول أضربها حتی تعود إلی الطريق ومثله قوله وأضم العنود. والعجول البعير يند عن الإبل يرکب رأسه عجلا ويستقبلها. [صفحه ١٢٣] قوله وأؤدب قدری أی قدر طاقتی. و قوله وأسوق خطوتی أی قدر خطوتی. واللفوت البعير يلتفت يمينا وشمالا ويروغ . و قوله وأکثر الزجر وأقل الضرب أی أنه يقتصر من التأديب فی السياسة علی مايکتفی به حتی يضطر إلی ما هوأشد منه وأغلظ. و قوله وأشهر بالعصا وأدفع باليد يريد أنه يرفع العصا يرهب بها و لايستعملها ولکنه يدفع بيده . قوله و لو لا ذلک لأعذرت أی لو لا هذاالتدبير و هذه السياسة لخلفت بعض ماأسوق ويقال أعذر الراعی الشاة والناقة إذاترکها والشاة العذيرة وعذرت هی إذاتخلفت عن الغنم . قال ابن قتيبة و هذه أمثال ضربها وأصلها فی رعية الإبل وسوقها وإنما يريد بهاحسن سياسته للناس فی الغزاة التی ذکرها يقول فإذاکنت أفعل کذا فی أيام رسول الله ص مع طاعة الناس له وتعظيمهم إياه فکيف لاأفعله بعده . وعندی أن ابن قتيبة غالط فی هذاالتأويل و ليس فی کلام عمر مايدل علی ذلک و ليس عمر فی غزاة قرقرة الکدر يسوس الناس و لايأمرهم و لاينهاهم وکيف و رسول الله ص حاضر بينهم و لاـ کان فی غزاة قرقرة الکدر حرب و لا مايحتاج فيه إلی السياسة وهل کان لعمر أولغير عمر و رسول الله ص حی أن يرتع فيشبع ويسقی فيروی وهل تکون هذه الصفات و مابعدها إلاللرئيس الأعظم و ألذی اراده عمر ذکر حاله فی خلافته رادا علی عمران بن سوادة فی قوله إن الرعية يشکون منک عنف السياق وشدة النهر فقال ليشکون فو الله إنی لرفيق بهم ومستقص فی سياستهم [صفحه ١٢٤] و لاناهک لهم عقوبة وإنی لأقنع بالهيبة والتهويل عليهم و لاأعمل العصا حيث يمکننی الاکتفاء باليد وإنی أرد الشارد منهم وأعدل المائل إلی غير ذلک من الأمور التی عددها وأحسن فی تعديدها. وإنما ذکر قوله أنازميل رسول الله ص فی غزاة قرقرة الکدر علی عادة العرب فی الافتخار وقت المنافرة و عند ماتجيش النفس ويحمی القلب کما کان علی ع يقول وقت الحاجة أنا عبد الله وأخو رسوله فيذکر أشرف أحواله والمزية التی اختص بها عن غيره و کان رسول الله ص فی غزاة قرقرة الکدر أردف عمر معه علی بعيره فکان عمر يفخر بها ويذکرها وقت الحاجة إليها. و فی حديث عمر أنه خرج من الخلاء فدعا بطعام فقيل له أ لاتتوضأ فقال لو لاالتنطس مابالیت ألا أغسل يدی. قال أبوعبيد القاسم بن سلام

قال ابن علية التنطس التقذر و قال الأصمعى هوالمبالغة فى التطهر فكل من أدق النظر فى الأمور فاستقصى علمها فهو متنطس و منه قيل للطبيب النطاسى والنطيس لدقة علمه بالطب . و فى حديث عمر حين سأل الأسقف عن الخلفاء فحدثه حتى إذاانتهى إلى الرابع فقال صدع من حديد و قال عمر وا دفراه . قال أبوعبيدة قال الأصمعى كان حماد بن سلمة يقول صدأ من حديد و هذاأشبه بالمعنى لأن الصدأ له دفر و هوالنتن والصدع لادفر له وقيل للدنيا أم دفر لما فيها من الدواهى والآفات فأما الذفر بالذال المعجمة وفتح الفاء فهو الريح الذكية من طيب أونتن . [صفحه ۱۲۵] وعندى فى هذاالحديث كلام والأظهر أن الرواية المشهورة هى الصحيحة وهى قوله صدع من حديد ولكن بفتح الدال و هو ما كان من الوعول بين العظيم والشخت فإن ثبتت الرواية بتسكين الدال فغير ممتنع أيضا يقال رجل صدع إذا كان ضربا من الرجال ليس برهل و لاغليظ. ورابع الخلفاء هو على بن أبى طالب ع وأراد بالأسقف مدحه . وقول عمر وا دفراه إشارة إلى نفسه كأنه استصغر نفسه وعابها بالنسبة إلى ماوصفه الأسقف من مدح الرابع وإطرائه .فأما تأويل أبى عبيدة فإنه ظن أن الرابع عثمان وجعل رسول الله ص معدودا من الجملة ليصح كون عثمان رابعا وجعل الدفر والنتن له وصرف اللفظ عن الرواية المشهورة إلى غيرها فقال صدأ حديد ليطابق لفظه النتن على مايليق بهافغير خاف ما فيه من التعسف ورفض الرواية المشهورة. وأيضا فإن رسول الله ص لايجوز إدخاله فى لفظ الخلفاء لأنه ليس بخليفة لأن الخليفة من يخلف غيره و رسول الله ص مستخلف الناس كلهم و ليس بخليفة لأحد. و فى حديث عمر قال عندموته لو أن لى ما فى الأرض جميعا لافتديت به من هول المطلع . قال أبوعبيد هوموضع الاطلاع من إشراف إلى انحدار أو من انحدار إلى إشراف و هو من الأضداد فشبه ماأشرف عليه من أمر الآخرة. [صفحه ۱۲۶] و فى حديث عمر حين بعث حذيفة و ابن حنيف إلى السواد ففلجا الجزية على أهله . قال أبوعبيد فلجا أى قسما بالفلج وأصله من الفلج و هوالمكيال ألذى يقال له الفلج لأن خراجهم كان طعاما. و فى حديث عمر حين قال له حذيفة إنك تستعين بالرجل ألذى فيه وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر فقال أستعمله لأستعين بقوته ثم أكون على قفانه . قال أبوعبيد عن الأصمعى قفان كل شىءجماعه واستقصاء معرفته يقول أكون على تتبع أمره حتى أستقصى عمله وأعرفه . قال أبوعبيد و لاأحسب هذه الكلمة عربية وإنما أصلها قبان و منه قول العامة فلان قبان على فلان إذا كان بمنزلة الأمين عليه والرئيس ألذى يتتبع أمره ويحاسبه و به سمى هذاالميزان ألذى يقال له القبان . و فى حديث عمر حين قال لابن عباس و قدشاوره فى شىءفأعجبه كلامه نشنشة أعرفها من أخشن هكذا الرواية و أما أهل العلم فيقولون شنشنة أعرفها من أخزم . والشنشنة فى بعض الأحوال قدتكون بمعنى المضغة أوالقطعة تقطع من اللحم والقول المشهور أن الشنشنة مثل الطبيعة والسجية فأراد عمر أنى أعرف فيك مشابه من أبيك فى رأيه ويقال إنه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس . قال و قد قال أبوعبيدة معمر بن المثنى يجوز شنشنة ونشنشة وغيره ينكر نشنشة. [صفحه ۱۲۷] و فى حديث عمر يوم السقيفة قال و قدكنت زورت فى نفسى قاله أقوم بها بين يدى أبى بكر فلم يترك أبوبكر شيئا مما زورته إلاتكلم به . قال أبوعبيد التزوير إصلاح الكلام وتهيئته كالتزويق . و فى حديث عمر حين ضرب الرجل ألذى أقسم على أم سلمة ثلاثين سوطا كلها تبضع وتحدر. قال أبوعبيد أى تشق وتورم حدر الجلد يحدره وأحدره غيره . و فى حديثه أنه قال لمؤذن بيت المقدس إذاأذنت فترسل و إذاأقمت فاحذم . قال أبوعبيدة الحذم بالحاء المهملة الحدر فى الإقامة وقطع التطويل وأصله فى المشى و هوالإسراع فيه و أن يكون مع هذاكأنه يهوى بيده إلى خلفه والجذم بالجيم أيضا القطع وكذلك الخذم بالخاء المعجمة. و فى حديثه أنه قال لايقر رجل أنه كان يطأ جاريته إلاألحقت به ولدها فمن شاء فليمسكها و من شاء فليرسلها. قال أبوعبيد هكذا الرواية بالسين المهملة والمعروف أنه الإرشال بالشين المعجمة ولعله حول الشين إلى السين كمايقال سمت العاطش أى شمته و فى حديثه كذب عليكم الحج كذب عليكم العمرة كذب عليكم الجهاد ثلاثة أسفار كذبت عليكم . [صفحه ۱۲۸] قال أبوعبيد معنى كذب عليكم الإغراء أى عليكم به و كان الأصل فى هذا أن يكون نصبا ولكنه جاء عنهم بالرفع شاذا على غيرقياس ومما يحقق أنه مرفوع قول الشاعر

كـذبت عليك لاتزال تقوفنی || كماقاف آثار الوثیقـة قائف فقوله كذبت علیك إنما أغراه بنفسه أی علیك بی فجعل نفسه فی موضع رفع أ لاتراه قدجاء بالباء فجعلها اسمه . و قال معقر بن حمار البارقی وذبیانیة وصت بنیها || بأن كذب القراطف والقروف فرفع والشعر مرفوع ومعناه علیكم بـالقراطف والقروف والقراطف القطف واحـدها قرطف والقروف الأوعیـة. وممـا یحقق الرفع أیضا قول عمر كذبت علیكم قال أبوعبید و لم أسـمع النصب فی هذا إلاحرفا كان أبوعبید یحكیه عن أعرابی نظر إلی ناقة نضـو لرجل فقال كـذب علیك البزر والنوی لم أسـمع فی هذانصـبا غیر هذاالحرف . قال والعرب تقول للمریض كذب علیك العسـل بالرفع أی علیك به . و فی حـدیثه مایمنعكم إذارأیتم الرجل یخرق أعراض الناس ألا تعربوا علیه قالوا نخاف لسانه قال ذاك ألا تكونوا شـهداء. قـال أبوعبیـد ألاـ تعربوا أی ألا تفسـدوا علیه كلامه وتقبحوه له . و فی حـدیثه أنه نهی عن الفرس فی الذبیحـة. [صفحه ١٢٩] قال أبوعبیـد قیل فی تفسـیره أن ینتهی بالذبح إلی النخاع و هوعظم فی الرقبة وربما فسـر النخاع بأنه المخ ألذی فی فقار الصلب متصـلا بالقفا فنهی أن ینتهی بالذبـح إلی ذلك . وقیل فی تفسـیره أیضا أن یكسـر رقبة الذبیحة قبل أن تبرد ویؤكد هذاالتفسـیر قوله فی تمام الحـدیث و لاتعجلوا الأنفس حتی تزهق . و فی حدیثه حین أتاه رجل یسأله أیام المحل فقال له هلكت وأهلكت فقال عمر أهلكت و أنت تنث نثیث الحمیت أعطوه ربعـة من الصدقـة فخرجت یتبعها ظئراها. قال أبوعبید قدروی تمث بـالمیم والمحفوظ بـالنون وتنث أی ترشـح وتعرق من سـمنك وكـثرة لحمـك . والحمیت النحی و فیه الرب أوالسـمن أونحوها والربعة ماولد فی أول النتاج والذكر ربع . و فی حدیثه أنه خرج إلی المسجد للاستسقاء فصعد المنبر فلم یزد علی الاستغفار حتی نزل فقیل إنك لم تستسق فقال لقد استسقیت بمجادیح السماء. قال أبوعبید جعل الاستغفار استسقاء تأول فیه قوله تعالی استَغفِرُوا رَبّكُم إِنّهُ كـانَ غَفّاراً یُرسِـلِ السّـماءَ عَلَیكُم مِـدراراً والمجادیـح جمع مجـدح و هوالنجم ألـذی كانت العرب تزعم أنها تمطر به ویقال مجـدح بضم المیم وإنما قال عمر ذلك علی أنها كلمة جاریة علی ألسـنة العرب لیس علی تحقیق الأنواء و لاالتصدیق بها ـقرآن-٨٤٣-٩١٧ [صفحه ١٣٠] و هـذاشبیه بقول ابن عباس فی رجل جعل أمر امرأته بیدها فقالت له أنت طالق ثلاثا فقال خطأ الله نوءها ألا طلقت نفسـها ثلاثا لیس هـذادعاء منه ألا تمطر إنما ذلك علی الكلام المقول . ومما یبین أن عمر أراد إبطال الأنواء والتكذیب بها قوله لقد استسـقیت بمجادیح السـماء التی یستسقی بهاالغیث فجعل الاستغفار هوالمجادیح لاالأنواء. و فی حدیثه و هویـذكر حال صباه فی الجاهلیـة لقـد رأیتنی مرة وأختا لی نرعی علی أبوینا ناضـحا لنا قدألبسـتنا أمنا نقبتها وزودتنا یمینتیها من الهبید فنخرج بناضـحنا فإذاطلعت الشـمس ألقیت النقبة إلی أختی وخرجت أسـعی عریان فنرجع إلی أمنا و قدجعلت لنا لفینة من ذلك الهبید فیا خصـباه . قال أبوعبید الناضح البعیر ألذی یسـنی علیه فیسقی به الأرض والأنثی ناضحة وهی السانیة أیضا والجمع سوان و قدسـنت تسنو و لایقال ناضح لغیر المستسقی . والنقبة أن تؤخذ القطعة من الثوب قدر السراویل فیجعل لها حجزة مخیطة من غیرنیفق وتشـد كماتشـد حجزة السـراویل فـإذا كـان لها نیفق وساقان فهی سـراویل . و قال و ألـذی وردت به الروایـة زودتنا یمینتیها والوجه فی الكلام أن یكون یمینتیها بالتشدیـد لأنه تصـغیر یمین بلا هاء وإنما قال یمینتیها و لم یقل یدیها و لاكفیها لأنه لم یرد أنهـا جمعت كفیهـا ثم أعطتنـا بهمـا وإنما أراد أنها أعطت كل واحـد كفا كفا بیمینها فهاتان یمینان .الهبیـد حب الحنظل زعموا أنه یعالج حتی یمكن أكله ویطیب . [صفحه ١٣١] واللفیتة ضرب من الطبیخ كالحساء. و فی حدیثه إذامر أحدكم بحائط فلیأكل منه و لایتخذ ثبانا. قال أبوعبید هوالوعاء ألذی یحمل فیه الشـیء فإن حملته بین یدیك فهو ثبان و أن جعلته فی حضـنك فهی خبنة. و فی حدیثه لوأشاء لدعوت بصـلاء وصـناب وصـلائق وكراكرة وأسـنمة وأفلاذ. قال أبوعبید الصلاء الشواء والصناب الخردل بالزبیب والصـلائق الخبز الرقیق و من رواه سـلائق بالسـین أراد مایسلق من البقول وغیرها والكراكر كراكر الإبل والأفلاذ جمع فلـذ و هوالقطعة من الكبد. و فی حدیثه لوشـئت أن یدهمق لی لفعلت . قال أبوعبید دهمقت الطعام إذالینته ورققته وطیبته . و فی حـدیثه لئن بقیت لأـسوین بین النـاس حتی یأتی الراعی حقه فی صـفنه لم یعرق جبینه .الصـفن خریطـة للراعی فیهاطعامه و

مایحتاج إلیه وروی بفتح الصاد ویقال أیضا فی صفینه . [صفحه ۱۳۲] و فی حدیثه لئن بقیت إلی قابل لیأتین کل مسلم حقه حتی یأتی الراعی بسرو حمیر لم یعرق جبینه .السرو مثل الخیف و هو ماانحدر عن الجبل وارتفع عن المسیل . و فی حدیثه لئن عشت إلی قابل لألحقن آخر الناس بأولهم حتی یکونوا ببانا واحدا. قال أبوعبید قال ابن مهدی یعنی شیئا واحدا و لاأحسب هذه الکلمهٔ عربیهٔ و لم أسمعها فی غیر هذاالحدیث . و فی حدیثه أنه خطب فقال ألا إن الأسیفع أسیفع جهینهٔ رضی من دینه وأمانته بأن یقال سابق الحاج أو قال سبق الحاج فادان معرضا فأصبح قدرین به فمن کان له علیه دین فلیغد بالغداهٔ فلنقسم ماله بینهم بالحصص . قوله فادان معرضا أی استدان معرضا و هو ألذی یعترض الناس فیستدین ممن أمکنه و کل شیءأمکنک من عرضه فهو معرض لک کقوله والبحر معرضا والسدیر. ورین بالرجل إذاوقع فیما لایمکنه الخروج منه . [صفحه ۱۳۳] و فی حدیثه أنه قال لمولاه أسلم ورآه یحمل متاعه علی بعیر من إبل الصدقهٔ فقال فهلا ناقهٔ شصوصا أو ابن لبون بوالا.الشصوص التی قدذهب لبنها ووصف ابن اللبون بالبول و إن کانت کلها تبول إنما أراد لیس عنده سوی البول أی لیس عنده مما ینتفع به من ظهر و لا له ضرع فیحلب لایزید علی أنه بوال فقط. و فی حدیثه حین قیل له إن النساء قداجتمعن یبکین علی خالد بن الولید فقال و ما علی نساء بنی المغیرهٔ أن یسفکن من دموعهن علی أبی سلیمان ما لم یکن نقع و لالقلقهٔ.قیل النقع هاهنا طعام المأتم والأشبه أن النقع رفع الصوت واللقلقهٔ مثله . و فی حدیثه أن سلمان بن ربیعهٔ الباهلی شکا إلیه عاملا من عماله فضربه بالدرهٔ حتی أنهج . قال أبوعبید أی أصابه النفس والبهر من الإعیاء. و فی حدیثه حین قدم علیه أحد بنی ثور فقال له هل من مغربهٔ خبر فقال نعم أخذنا رجلا من العرب کفر بعدإسلامه فقدمناه فضربنا عنقه فقال فهلا أدخلتموه جوف بیت فألقیتم إلیه کل یوم رغیفا ثلاثهٔ أیام لعله یتوب أویراجع أللهم لم أشهد و لم آمر و لم أرض إذ بلغنی. [صفحه ۱۳۴] یقال هل من مغربهٔ خبر بکسر الراء ویروی بفتحها وأصله البعد و منه شأو مغرب . و فی حدیثه أنه قال آلله لیضربن أحدکم أخاه بمثل آکلهٔ اللحم ثم یری أنه لاأقیده و الله لأقیدنه . قال أبوعبید آکلهٔ اللحم عصا محددهٔ. و فی حدیثه أعضل بی أهل الکوفهٔ مایرضون بأمیر و لایرضاهم أمیر هو من العضال و هوالداء والأمر الشدید ألذی لایقوم له صاحبه . و فی حدیثه أنه خطب فذکر الربا فقال إن منه أبوابا لاتخفی علی أحد منها السلم فی السن و أن تباع الثمرهٔ وهی مغضفهٔ و لماتطب و أن یباع الذهب بالورق نساء. قال أبوعبید السلم فی السن أن یسلف الرجل فی الرقیق والدواب وغیرها من الحیوان لأنه لیس له حد معلوم . والمغضفهٔ المتدلیهٔ فی شجرها و کل مسترخ أغضف أی تکون غیرمدرکهٔ. و فی حدیثه أنه خطب فقال ألا لاتغالوا فی صداق النساء فإن الرجل یغالی بصداق المرأهٔ حتی یکون ذلک لها فی قلبه عداوهٔ تقول جشمت إلیک عرق القربهٔ. [صفحه ۱۳۵] قال معناه تکلفت لک حتی عرقت عرق القربهٔ وعرقها سیلان مائها و فی حدیثه أنه رفع إلیه غلام ابتهر جاریهٔ فی شعره فقال انظروا إلیه فلم یوجد أنبت فدرأ عنه الحد. قال أبوعبید ابتهرها أی قذفها بنفسه فقال فعلت بها. و فی حدیثه أنه قضی فی الأرنب بحلان إذاقتلها المحرم . قال الحلان الجدی. و فی حدیثه أنه قال حجهٔ هاهنا ثم احدج هاهنا حتی تفنی . قال یأمر بحجهٔ الإسلام لا غیر ثم بعدها الغزو فی سبیل الله . حتی تفنی أی حتی تهرم . و فی حدیثه أنه سافر فی عقب رمضان و قال إن الشهر قدتسعسع فلو صمنا بقیته . قال أبوعبید السین مکررهٔ مهملهٔ والعین مهملهٔ أی أدبر وفنی . و فی حدیثه و قدسمع رجلا خطب فأکثر فقال إن کثیرا من الخطب من شقاشق الشیطان .الواحدهٔ شقشقهٔ و هو مایخرج من شدق الفحل عندنزوانه شبیههٔ بالرئهٔ والشیطان [صفحه ۱۳۶] لاشقشقهٔ له إنما هذامثل لمایدخل فی الخطب من الکلام المکذوب وتزویر الباطل . و فی حدیثه أنه قدم مکهٔ فأذن أبومحذورهٔ فرفع صوته فقال له أ ماخشیت یا أبامحذورهٔ أن ینشق مریطاؤک . قال المریطاء ما بین السرهٔ إلی العانهٔ ویروی بالقصر. و فی حدیثه أنه سئل عن المذی فقال هوالفطر و فیه الوضوء. قال سماه فطرا من قولهم فطرت الناقهٔ فطرا إذاحلبتها بأطراف الأصابع فلایخرج اللبن إلاقلیلا وکذلک المذی و لیس المنی کذلک لأنه یخرج منه مقدار کثیر. و فی حدیثه أنه سئل عن حد الأمهٔ الزانیهٔ فقال إن الأمهٔ ألقت فروهٔ رأسها من وراء

الدار. قال الفروة جلدة الرأس و هذامثل إنما أراد أنها ألقت القناع وتركت الحجاب وخرجت إلى حيث لايمكنها أن تمتنع من الفجور نحو رعاية الغنم فكأنه يرى أن لاحد عليها. و فى حديثه أنه أتى بشارب فقال لأبعثنك إلى رجل لاتأخذه فيك هوادة فبعث به إلى مطيع بن الأسود العدوى فقال إذاأصبحت غدا فاضربه الحد فجاء عمر [صفحه ۱۳۷] و هويضربه ضربا شديدا فقال قتلت الرجل كم ضربته قال ستين قال أقص عنه بعشرين . قال معناه اجعل شدة هذاالضرب قصاصا بالعشرين التى بقيت من الحد فلاتضربه إياها. و فى حديثه أن رجلا أتاه فذكر له أن شهادة الزور قدكثرت فى أرضهم فقال لايؤسر أحد فى الإسلام بشهادة الزور فإنا لانقبل إلاالعدول . قال لايؤسر لايحبس و منه الأسير المسجون . و فى حديثه أنه جدب السمر بعدعتمة.جدبه أى عابه ووصمه . ومثل هذاالحديث فى كراهيته السمر حديثه الآخر أنه كان ينش الناس بعدالعشاء بالدرة و يقول انصرفوا إلى بيوتكم . قال هكذا روى بالشين المعجمة وقيل إن الصحيح ينس بالسين المهملة والأظهر أنه ينوش الناس بالواو من التناوش قال تعالى وَ أَنّى لَهُمُ التّناوُشُ. و فى حديثه هاجروا و لاتهجروا واتقوا الأرنب إن يحذفها أحدكم بالعصا ولكن ليذك لكم الأسل الرماح والنبل . -قرآن-۶۴۰-۶۶۵ [صفحه ۱۳۸] قال رواه زر بن حبيش قال قدمت المدينة فخرجت فى يوم عيد فإذا رجل متلبب أعسر أيسر يمشى مع الناس كأنه راكب و هو يقول كذا وكذا فإذا هوعمر يقول هاجروا وأخلصوا الهجرة و لاتهجروا. و لاتشبهوا بالمهاجرين على غيرصحة منكم كقولك تحلم الرجل و ليس بحليم وتشجع و ليس بشجاع . والذكاة الذبح والأسل أعم من الرماح وأكثر مايستعمل فى الرماح خاصة. والمتلبب المتحزم بثيابه . وفلان أعسر يسر يعمل بكلتا يديه و ألذى جاء فى الرواية أيسر بالهمزة. و فى حديثه أنه أفطر فى رمضان و هويرى أن الشمس قدغربت ثم نظر فإذاالشمس طالعة فقال لانقضيه ماتجانفنا فيه الإثم . يقول لم نتعمد فيه الإثم و لاملنا إليه والجنف الميل . و فى حديثه أنه قال لمامات عثمان بن مظعون على فراشه هبنه الموت عندى منزلة حين لم يمت شهيدا فلما مات رسول الله ص على فراشه و أبوبكر علمت أن موت الأخيار على فرشهم .هبته أى طأطأه وحط من قدره . و فى حديثه أن رجلا من الجن لقيه فقال هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى [صفحه ۱۳۹] علمتك آية إذاقرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه عمر و قال له إنى أراك ضئيلا شختيا كان ذراعيك ذراعا كلب أفهكذا أنتم كلكم أيها الجن أم أنت من بينهم فقال إنى من بينهم لضليع فعاودنى فصارعه فصرعه الإنسى فقال أتقرأ آية الكرسى فإنه لايقرؤها أحد إذادخل بيته إلاخرج الشيطان منه و له خبج كخبج الحمار. قال رواه عبد الله بن مسعود و قال خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن ثم ذكر الحديث فقيل له هوعمر فقال و من عسى أن يكون إلاعمر الشخيت النحيف الجسم ومثله الشخت . والضليع العظيم الخلق . والخبج الضراط. و فى حديثه أنه كان يطوف بالبيت و هو يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ما له هجيرى غيرها. قال هجيرى الرجل دأبه وديدنه وشأنه . ومثلها من قول عمر لوأطيق الأذان مع الخليقى لأذنت . ومثلها من قول عمر بن عبدالعزيز لارديدى فى الصدقة أى لاترد. ومثلها قول العرب كانت بينهم رميا أى مراماة ثم حجزت بينهم حجيزى أى محاجزة. [صفحه ۱۴۰] و فى حديثه حين قال للرجل ألذى وجد منبوذا فأتاه به فقال عسى الغوير أبؤسا قال عريفه يا أمير المؤمنين إنه وإنه فأثنى عليه خيرا و قال فهو حر ولاؤه لك .الأبؤس جمع بأس والمثل قديم مشهور ومراد عمر لعلك أنت صاحب هذاالمنبوذ كأنه اتهمه وساء ظنه فيه فلما أثنى عليه عريفه أى كفيله قال له هذاالمنبوذ حر وولاؤه لك لأنه بإنقاذه إياه من الهلكة كأنه أعتقه . و فى حديثه أن قريشا تريد أن تكون مغويات لمال الله .هكذا يروى بالتخفيف والكسر والمعروف مغويات بتشديد الياء وفتحها واحدتها مغواة وهى حفرة كالزبية تحفر للذئب ويجعل فيهاجدى فإذانظر إليها الذئب سقط يريده فيصاد ولهذا قيل لكل مهلكة مغواة. و فى حديثه فرقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين و لاتلثوا بدار معجزة وأصلحوا مثاويكم وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم واخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا. [صفحه ۱۴۱] قال فرقوا عن المنية واجعلوا الرأس رأسين أى إذاأراد أحدكم أن يشترى شيئا من الحيوان كمملوك أودابة فلايغالين به فإنه

لايدرى مايحدث فيه ولكن ليجعل ثمنه فى رأسين و إن كان كل واحد منهما دون الأول فإن مات أحدهما بقى الآخر. و قوله و لاتلثوا بدار معجزة فالإلثاث الإقامة أى لاتقيموا ببلد يعجزكم فيه الرزق ولكن اضطربوا فى البلاد للكسب . و هذاشبيه بحديثه الآخر إذااتجر أحدكم فى شىء ثلاث مرات فلم يرزق منه فليدعه . والمثاوى المنازل جمع مثوى . وأخيفوا الهوام أى اقتلوا مايظهر فى دوركم من الحيات والعقارب لتخافكم فلاتظهر. واخشوشنوا أمر بالخشونة فى العيش ومثله اخشوشبوا بالباء أراد ابتذال النفس فى العمل والاحتفاء فى المشى ليغلظ الجلد ويجسو. وتمعددوا قيل إنه من الغلظ أيضا يقال للغلام إذاأنبت وغلظ قدتمعدد. وقيل أراد تشبهوا بمعد بن عدنان وكانوا أهل قشف وغلظ فى المعاش أى دعوا التنعم وزى العجم . و قدجاء عنه فى حديث آخر مثله عليكم باللبسة المعدية. و فى حديثه أنه كتب إلى خالد بن الوليد أنه بلغنى أنك دخلت حماما بالشام و أن من بها من الأعاجم أعدوا لكم دلوكا عجن بخمر وإنى أظنكم آل المغيرة ذرو النار. [صفحه ۱۴۲] الدلوك مايتدلك به كالسحور والفطور ونحوهما. وذرو النار خلق النار ويروى ذرء النار بالهمزة من ذرأ الله الناس أى صورهم وأوجدهم . و فى حديثه املكوا العجين فإنه أحد الريعين .ملكت العجين أجدت عجنه . والريع الزيادة والريع الثانى مايزيد عندخبزه فى التنور و فى حديثه حين طعن فدخل عليه ابن عباس فرآه مغتما بمن يستخلف بعده فذكر عثمان فقال كلف بأقاربه قال فعلى قال فيه دعابة قال فطلحة قال لو لابأو فيه قال فالزبير قال وعقة لقس قال فعبد الرحمن قال أوه ذكرت رجلا صالحا ولكنه ضعيف و هذاالأمر لايصلح له إلااللين من غيرضعف والقوى من غيرعنف قال فسعد قال ذاك يكون فى مقنب من مقانبكم . قوله كلف بأقاربه أى شديد الحب لهم . والدعابة المزاح . [صفحه ۱۴۳] والبأو الكبر والعظمة. و قوله وعقة لقس ويروى ضبيس ومعناه كله الشراسة وشد الخلق وخبث النفس . والمقنب جماعة من الفرسان . و فى حديثه أنه قال عام الرمادة لقد هممت أن أجعل مع كل أهل بيت من المسلمين مثلهم فإن الإنسان لايهلك على نصف شبعه فقال له رجل لوفعلت يا أمير المؤمنين ماكنت فيها ابن ثأداء. قال يريد أن الإنسان إذااقتصر على نصف شبعه لم يهلك جوعا و ابن ثأداء بفتح الهمزة ابن الأمة. و فى حديثه أنه قرأ فى صلاة الفجر بالناس سورة يوسف فلما انتهى إلى قوله تعالى إِنَّما أَشكُوا بثَيّ وَ حزُنيِ إِلَي اللّهِ وَ أَعلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعلَمُونَبكى حتى سمع نشيجه .النشيج صوت البكاء يردده الصبى فى صدره و لايخرجه . و فى حديثه أنه أتى فى نساء أوإماء ساعيات فى الجاهلية فأمر بأولادهن أن يقوموا على آبائهم فلايسترقوا. -قرآن-۴۹۵-۵۷۹ [صفحه ۱۴۴] المساعاة زنا الإماء خاصة قضى عمر فى أولادهن فى الجاهلية أن يسومن على آبائهم بدفع الآباء قيمتهم إلى سادات الإماء ويصير الأولاد أحرارا لاحقى النسب بآبائهم . و فى حديثه ليس على عربى ملك ولسنا بنازعين من يد رجل شيئا أسلم عليهم ولكنا نقومهم الملة خمسا من الإبل . قال كانت العرب تسبى بعضها بعضا فى الجاهلية فيأتى الإسلام والمسبى فى يد الإنسان كالمملوك له فقضى عمر فى مثل هذا أن يرد حرا إلى نسبه وتكون قيمته على نفسه يؤديها إلى ألذى سباه لأنه أسلم و هو فى يده وقيمته كائنا ما كان خمس من الإبل . قوله والملة أى تقوم ملة الإنسان وشرعها. و فى حديثه لماادعى الأشعث بن قيس رقاب أهل نجران لأنه كان سباهم فى الجاهلية واستعبدهم تغلبا فصاروا كمماليكه فلما أسلموا أبوا عليه فخاصموه عندعمر فى رقابهم فقالوا يا أمير المؤمنين إنما كنا له عبيد مملكة و لم نكن عبيد قن فتغيظ عمر عليه و قال أردت أن تتغفلنى.يعنى أردت غفلتى. [صفحه ۱۴۵] و عبدقن ملك وملك أبواه و عبدمملكة بفتح اللام وضمها من غلب عليه واستعبد و كان فى الأصل حرا فقضى عمر فيهم أن صيرهم أحرارا بلا عوض لأنه ليس بسباء على الحقيقة. و فى حديثه أنه قضى فى ولد المغرور بغرة. قال هو الرجل يزوج رجلا آخر مملوكة لإنسان آخر على أنها حرة فقضى عمر أن يغرم الزوج لمولى الأمة غرة أى عبدا أوأمة و يكون ولده حرا ثم يرجع الرجل الزوج على من غره بما غرم . و فى حديثه أنه رأى جارية متكمكمة فسأل عنها فقالوا أمة آل فلان فضربها بالدرة ضربات و قال يالكعاء أتشبهين بالحرائر. قال متكمكمة لابسة قناع أصله من الكمة وهى كالقلنسوة والأصل مكممة فأعاد الكاف كماقالوا كفكف فلان عن كذا وتصرصر

الباب . ولكعاء ولكاع بالكسر والبناء شتم للأمة وللرجل يقال يالكع . و فى حديثه ورع اللص و لاتراعه . يقول ادفعه إذارأيته فى منزلك واكففه بما استطعت و لاتنتظر فيه شيئا و كل [صفحه ۱۴۶] شىءكففته فقد ورعته و كل ماتنتظره فأنت تراعيه والمعنى أنه رخص فى الإقدام على اللص بالسلاح ونهى أن يمسك عنه نائما. و فى حديثه أن رجلا أتاه فقال إن ابن عمى شج موضحة فقال أ من أهل القرى أم من أهل البادية قال من أهل البادية فقال عمر إنا لانتعاقل المضغ بيننا. قال سماها مضغا استصغارا لها ولأمثالها كالسن والإصبع . قال ومثل ذلك لاتحمله العاقلة عندكثير من الفقهاء وكذلك كل ما كان دون الثلث . و فى حديثه أنه لماحصب المسجد قال له فلان لم فعلت قال هوأغفر للنخامة وألين فى الموطئ .أغفر لها أستر لها. وحصب المسجد فرشه بالحصباء وهى رمل فيه حصى صغار. و فى حديثه أن الحارث بن أوس سأله عن المرأة تطوف بالبيت ثم تنفر من غير أن تطوف طواف الصدر إذاكانت حائضا فنهاه عمر عن ذلك فقال الحارث كذلك أفتانى رسول الله ص فقال عمر أربت يداك أتسألنى و قدسمعت من رسول الله ص كى أخالفه قال دعا عليه بقطع اليدين من قولك قطعت الشاة إربا إربا. [صفحه ۱۴۷] و فى حديثه أنه سمع رجلا يتعوذ من الفتن فقال عمر أللهم إنى أعوذ بك من الضفاطة أتسأل ربك ألا يرزقك مالا وولدا. قال أراد قوله تعالى إِنّما أَموالُكُم وَ أَولادُكُم فِتنَةٌ والضفاطة الحمق وضعف العقل رجل ضفيط أى أحمق . و فى حديثه مابال رجال لايزال أحدهم كاسرا وسادة عندامرأة مغزية يتحدث إليها وتتحدث إليه عليكم بالجنبة فإنها عفاف إنما النساء لجم على وضم إلا ماذب عنه . قال مغزية قدغزا زوجها فهو غائب عنها أغزت المرأة إذا كان بعلها غازيا وكذلك أغابت فهى مغيبة. وعليكم بالجنبة أى الناحية يقول تنحوا عنهن وكلموهن من خارج المنزل والوضم الخشبة أوالبارية يجعل عليها اللحم . قال و هذامثل حديثه الآخر ألا لايدخلن رجل على امرأة و إن قيل حموها ألا حموها الموت . قال دعا عليها فإذا كان هذارأيه فى أبى الزوج و هومحرم لها فكيف بالغريب و فى حديثه أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله شرها فلابيعة إلا عن مشورة وأيما رجل بايع رجلا عن غيرمشورة فلايؤمر واحد منهما تغرة أن يقتلا. قال التغرة التغرير غررت بالقوم تغريرا وتغرة كقولك حللت اليمين تحليلا -قرآن-۱۴۰-۱۷۸ [صفحه ۱۴۸] وتحلة ومثله فى المضاعف كثير أى أن فى ذلك تغريرا بأنفسهما وتعريضا لهما أن يقتلا. و فى حديثه أن العبد إذاتواضع لله رفع الله حكمته و قال انتعش نعشك الله و إذاتكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض . قال وهصه أى كسره وعدا طوره أى قدره . و فى حديثه حجوا بالذرية لاتأكلوا أرزاقها وتذروا أرباقها فى أعناقها. قال أراد بالذرية هنا النساء و لم يرد الصبيان لأنه لاحج عليهم . والأرباق جمع ربق و هوالحبل . و فى حديثه أنه وقف بين الحرتين وهما داران لفلان فقال شوى أخوك حتى إذاانضج رمد. هذامثل يضرب للرجل يصنع معروفا ثم يفسده . و فى حديثه السائبة والصدقة ليومهما. قال السائبة المعتق . [صفحه ۱۴۹] وليومهما ليوم القيامة ألذى فعل مافعله لأجله . و فى حديثه لاتشتروا رقيق أهل الذمة فإنهم أهل خراج يؤدى بعضهم عن بعض وأرضهم فلاتتنازعوها و لايقرن أحدكم بالصغار بعدإذ نجاه الله . قال كره أن يشترى أرضهم المسلمون وعليها خراج فيصير الخراج منتقلا إلى المسلم وإنما منع من شراء رقيقهم لأن جزيتهم تكثر على حسب كثرة رقيقهم فإذاابتيع رقيقهم قلت جزيتهم و إذاأقلت جزيتهم يقل بيت المال . و فى حديثه فى قنوت الفجر وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق . قال حفد العبد مولاه يحفد أى خدم و منه قوله تعالى بَنِينَ وَ حَفَدَةً أى خدما. وملحق اسم فاعل بمعنى لاحق من الحق و هولغة فى لحق يقال لحقت زيدا وألحقته بمعنى . و فى حديثه لاتشتروا الذهب بالفضة إلايدا بيد هاء وهاء إنى أخاف عليكم الرماء. قال الرماء الزيادة و هوبمعنى الربا يقال أرميت على الخمسين أى زدت عليها. -قرآن-۵۵۸-۵۷۶ [صفحه ۱۵۰] و فى حديثه من لبد أوعقص أوضفر فعليه الحلق . قال التلبيد أن تجعل فى رأسك شيئا من صمغ أوعسل يمنع من أن يقمل . والعقص والضفر فتل الشعر ونسجه و فى حديثه ماتصعدتنى خطبة كماتصعدتنى خطبة النكاح . قال معناه ماشق على وأصله من الصعود وهى العقبة المنكرة قال تعالى سَأُرهِقُهُ صَعُوداً. و فى حديثه أنه قال لمالك بن أوس

یامالک أنه قـددفت علینا من قومک دافـۀ و قدأمرنا لهم برضخ فاقسـمه فیهم . قال الدافۀ جماعۀ تسیر سـیرا لیس بالشدید. و فی حـدیثه أنه سأل جیشا فقال هل ثبت لکم العدو قدر حلب شاۀ بکیئۀ. قال البکیئۀ القلیلۀ اللبن . و فی حدیثه أنه قال فی متعۀ الحج قدعلمت أن رسول الله ص فعلها وأصـحابه ولکن کرهت أن یظلوا بهن معرسین تحت الأراک ثم یلبون بالحج تقطر رءوسهم . -قرآن-۲۷۶-۲۹۵ [صـفحه ۱۵۱] قـال المعرس ألـذی یغشـی امرأته قـال کره أن یحـل الرجـل من عمرته ثم یـأتی النساء ثم یهل بالحـج . و فی حـدیثه نعم المرء صـهیب لو لم یخف الله لم یعصه . قـال المعنی أنه لاـیترک المعصـیۀ خوف العقـاب بـل یترکها لقبحهـا فلو کـان لایخـاف عقوبـۀ الله لترک المعصـیۀ. و فی حـدیثه أنه أتی بسـکران فی شـهر رمضان فقال للمنخرین للمنخرین أصبیاننـا صـیام و أنت مفطر. قـال معنـاه الـدعاء علیه کقولـک کبه الله للمنخرین وکقـولهم للیـدین وللفم . و فی حـدیثه أنه قـال لمـاتوفی رسول الله ص قام أبوبکر فتلا هـذه الآیـۀ فی خطبته إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُم مَیِّتُونَ قال عمر فعقرت حتی وقعت إلی الأرض . قال یقال للرجل إذابهت وبقی متحیرا دهشا قـدعقر ومثله بعل وخرق . و فی حدیثه أنه کتب إلی أبی عبیدۀ و هوبالشام حین وقع بهاالطـاعون أن الأردن أرض غمقـۀ و أن الجابیـۀ أرض نزهـۀ فأظهر بمن معک من المسـلمین إلی الجابیـۀ. -قرآن-۵۱۳-۵۴۶ [صفحه ۱۵۲] قـال الغمقـۀ الکثیرۀ الأنـداء والوباء والنزهـۀ البعیـدۀ من ذلک . و فی حـدیثه أنه قال لبعضـهم فی کلام کلمه به بل تحوسـک فتنـۀ. قال معناه تخالطک وتحثک علی رکوبها قال وتحوس مثل تجوس بالجیم قال تعالی فَجاسُوا خِلالَ الـدِّیارِ. و فی حـدیثه حین ذکر الجراد فقال وددت أن عنـدنا منه قفعـۀ أوقفعتین . قال القفعـۀ شـیءشبیه بالزنبیل لیس بالکبیر یعمل من خوص لیس له عری و هو ألذی یسـمی القفۀ. و فی حدیثه أن أذینۀ العبدی أتاه یسأله فقال إنی حججت من رأس هزا وخازک أوبعض هـذه المزالف فمن أین أعتمر فقـال ائت علیـا فاسأله فسألته فقال من حیث ابتـدأت . قال رأس هزا وخازک موضـعان من ساحل فارس والمزالف کل قریـۀ تکون بین البر وبلاد الریف وهی المزارع أیضا کالأنبار وعین التمر والحیرۀ. و فی حـدیثه أنه نهی عن المکایلـۀ. قـال معناه مکافأۀ الفعل القبیـح بمثله . -قرآن-۲۰۶-۲۲۹ [صـفحه ۱۵۳] و فی حـدیثه لیس الفقیر ألـذی لامـال له إنما الفقیر الأخلق الکسب . قال أراد الرجل ألذی لایرزأ فی ماله و لایصاب بالمصائب وأصـله أن یقال للجبل المصـمت ألذی لایؤثر فیه شـیءأخلق وصـخرۀ خلقـاء إذاکانت کـذلک فأراد عمر أن الفقر الأکبر إنما هوفقر الآخرۀ لمن لم یقـدم من ماله لنفسه شـیئا یثاب علیه هناک و هذانحو قول النبی ص لیس الرقوب ألذی لایبقی له ولد إنما الرقوب ألذی لم یقدم من ولده أحدا -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۹۳ .فهـذا مالخصـته من غریب کلام عمر من کتاب أبی عبیـد.فأما ماذکره ابن قتیبۀ من غریب حدیثه فی کتابه فأنـا ألخص منه مـا أناذاکره . قال ابن قتیبـۀ فمن غریب حـدیث عمر أنه خطب فقال إن أخوف ماأخاف علیکم أن یؤخـذ الرجل المسـلم البریء عنـد الله فیدسـر کمایدسـر الجزور ویشـاط لحمه کمایشـاط لحم الجزور یقـال عـاص و لیس بعاص فقال علی ع فکیف ذاک و لماتشتد البلیۀ وتظهر الحمیۀ وتسبی الذریۀ وتدقهم الفتن دق الرحی بثفالها -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۰۶ . قال ابن قتیبۀ یدسـر أی یدفع و منه حدیث ابن عباس لیس فی العنبر زکاه إنما هو شیءیدسره البحر -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۶۹ . ویشاط لحمه أی یقطع ویبضع والأصل فی الإشاطـۀ الإحراق فأسـتعیر و فی الحـدیث أن زیـد بن حارثۀ قاتل یوم مؤتۀ حتی شاط فی رماح القوم . والثفال جلـدۀ تبسط تحت الرحی فیقع علیها الدقیق . [صـفحه ۱۵۴] و فی حـدیث عمر القسامۀ توجب العقل و لاتشیط الدم -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۵۲ . قال ابن قتیبـۀ العقل الدیـۀ یقول إذاحلفت فإنما تجب الدیـۀ لاالقود و قـدروی عن ابن الزبیر وعمر بن عبـدالعزیز أنهمـا أقـادا بالقسامـۀ. و فی حـدیثه لاـتفطروا حـتی تروا اللیـل یغسق علی الظراب -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۵۷ . قال یغسق أی یظلم . والظراب جمع ظرب و هو ما کان دون الجبل وإنما خص الظراب بالذکر لقصرها أراد أن ظلمۀ اللیل تقرب من الأرض . و فی حدیثه أن رجلا کسـر منه عظم فأتی عمر یطلب القود فأبی أن یقتص له فقال الرجل فکاسـر عظمی إذن کالأرقم إن یقتل ینقم و إن یترک یلقم فقال عمر هوکالأرقم -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۱۶۶ . قال کانت الجاهلیۀ

تزعم أن الجن يتصور بعضهم فى صورة الحيات و أن من قتل حية منها طلبت الحية بالثأر فربما مات أوأصابه خبل فهذا معنى قوله إن يقتل ينقم ومعنى يلقم يقول إن تركته أكلك و هذامثل يضرب للرجل يجتمع عليه أمران من الشر لايدرى كيف يصنع فيهما ونحوه قولهم هوكالأشقر إن تقدم عقر و إن تأخر نحر. [صفحه ۱۵۵] قال وإنما لم يقده لأنه يخاف من القصاص فى العظم الموت ولكن فيه الدية. و فى حديثه أنه أتى مسجد قباء فرأى فيه شيئا من غبار وعنكبوت فقال لرجل ائتنى بجريدة واتق العواهن قال فجئته بهافربط كميه بوذمة ثم أخذ الجريدة فجعل يتتبع بهاالغبار. قال الجريدة السعفة وجمعها جريد. والعواهن السعفات التى يلين القلبة والقلبة جمع قلب و أهل نجد يسمون العواهن الحوانى وإنما نهاه عنها إشفاقا على القلب أن يضر به قطعها. والوذمة سير من سيور الدلو يكون بين آذان الدلو والعراقى. و فى حديثه ألا لاتضربوا المسلمين فتذلوهم و لاتمنعوهم حقوقهم فتكفروهم و لاتجمروهم فتفتنوهم -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۹۹ . قال التجمير ترك الجيش فى مغازيهم لايقفلون . و فى حديثه أنه أتى بمروط فقسمها بين نساء المسلمين ورفع مرطا بقى إلى أم سليط الأنصارية و قال إنها كانت تزفر القرب يوم أحد تسقى المسلمين . قال تزفرها تحملها و منه زفر اسم رجل كان يحمل الأثقال . [صفحه ۱۵۶] و فى حديثه أنه قال أعطوا من الصدقة من أبقت له السنة غنما و لاتعطوا من أبقت له السنة غنمين -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۹۷ . قال السنة هاهنا الأزمنة و منه قوله تعالى وَ لَقَد أَخَذنا آلَ فِرعَونَ بِالسّنِينَ. قال و كان عمر لايجيز نكاحا فى عام سنة يقول لعل الضيعة تحملهم على أن ينكحوا غيرالأكفاء. و كان أيضا لايقطع سارقا فى عام سنة. و قوله غنما أى قطعة من الغنم يقال لفلان غنمان أى قطعتان من الغنم وأراد عمر أن من له قطعتان غنى لايعطى من الصدقة شيئا لأنها لم تكن قطعتين إلالكثرتها. و فى حديثه أنه انكفأ لونه فى عام الرمادة حين قال لاآكل سمنا و لاسمينا و أنه اتخذ أيام كان يطعم الناس قدحا فيه فرض فكان يطوف على القصاع فيغمز القدح فإن لم تبلغ الثريدة الفرض قال فانظر ماذا يفعل بصاحب الطعام . قال انكفأ تغير عن حاله وأصله الانقلاب من كفأت الإناء. وسمى عام الرمادة من قولهم أرمد الناس إذاجهدوا والرمد الهلاك . والقدح السهم والفرض الحز جعل عمر هذاالحز علامة لعمق الثريد فى الصحفة. -قرآن-۴۶-۸۶ [صفحه ۱۵۷] و فى حديثه أن عطاء بن يسار قال قلت للوليد بن عبدالملك روى لى أن عمر بن الخطاب قال وددت أنى سلمت من الخلافة كفافا لا على و لا لى فقال كذبت الخليفة يقول هذافقلت أ وكذبت فأفلت منه بجريعة الذقن . قال يقال خلص من خصمه كفافا أى كف كل واحد منهما على صاحبه فلم ينل أحدهما من الآخر شيئا. وأفلت فلان بجريعة ذقن أى أن نفسه قدصارت فى فيه وجريعة تصغير جرعة. قلت وإنما استعظم الوليد ذلك لأن بنى أمية كانوا يرون أن من ولى الخلافة فقد وجبت له الجنة ولهذا خطب هشام يوم ولى فقال الحمد لله ألذى أنقذنى من النار بهذا المقام و فى حديثه أن سماك بن حرب قال رأيت عمر فرأيت رجلا أروح كأنه راكب و الناس يمشون كأنه من رجال بنى سدوس . قال الأروح ألذى تتدانى عقباه وتتباعد صدور قدميه يقال أروح بين الروح والأفحج ألذى تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه والأوكع ألذى يميل إبهام رجله على أصابعه حتى يزول فيرى شخص أصلها خارجا و هوالوكع و منه أمة وكعاء وبنو سدوس فخذ من بنى شيبان والطول أغلب عليهم . [صفحه ۱۵۸] و فى حديثه عن ابن عباس قال دعانى فإذاحصير بين يديه عليه الذهب منثور نثر الحثا فأمرنى بقسمة. قال الحثا التبن مقصور قال الراجز يهجو رجلا ويأكل التمر و لايلقى النوى || و لايوارى فرجه إذااصطلى كأنه غرارة ملأى حثا . و فى حديثه أنه قال النساء ثلاث فهينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش و لاتعين العيش على أهلها وأخرى وعاء للولد وأخرى غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء ويفكه عمن يشاء والرجال ثلاثة رجل ذو رأى وعقل و رجل إذاحزبه أمر أتى ذا رأى فاستشاره و رجل حائر بائر لايأتمر رشدا و لايطيع مرشدا. قال البائر الهالك قال تعالى وَ كُنتُم قَوماً بُوراً والأصل فى قوله غل قمل أنهم كانوا يغلون بالقد و عليه الشعر فيقمل على الرجال . و لايأتمر رشدا أى لايأتى برشد من ذات نفسه يقال لمن فعل الشىء من غيرمشاورة قدائتمر وبئس ماائتمرت لنفسك قال النمر بن تولب -قرآن-

۳۴۱-۳۶۳ واعلمن أن كـل مؤتمر || مخطئ فى الرأى أحيانـا . و فى حـديثه أنه خرج ليلـة فى شـهر رمضان و الناس أوزاع فقال إنى لأظن لوجمعنـاهم على قارئ واحـد كان أفضل فأمر أبى بن كعب فأمهم ثم خرج ليلـة وهم [صـفحه ۱۵۹] يصلون بصلاته فقال نعم البدعـة هـذه والتى ينامون عنها أفضل من التى يقومون . قال الأوزاع الفرق يريد أنهم كانوا يصـلون فرادى يقال وزعت المال بينهم أى فرقته . و قوله والتى ينامون عنها أفضل يريد صـلاة آخر الليل فإنها خير من صـلاة أوله . و فى حديثه أن أصحاب محمدص تذاكروا الوتر فقال أبوبكر أما أنافأبدأ بالوتر و قال عمر لكنى أوتر حين ينام الضفطى . قال هوجمع ضفيط و هو الرجل الجاهل الضـعيف الرأى. و منه ماروى عن ابن عباس أنه قال لو لـم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء فقيل أتقول هذا و أنت عامل لفلان فقال إن فى ضفطات و هذه إحدى ضفطاتى. و فى حديثه أنه قال فى وصيته إن توفيت و فى يدى صرمة ابن الأكوع فسنتها سـنة ثمغ . [صـفحه ۱۶۰] قال الصـرمة هاهنا قطعـة من النخل ويقال للقطعـة الخفيفـة من الإبل صـرمة ويقال لصاحبها مصـرم ولعله قيل للمقل مصـرم من هـذا. وثمغ مال كان لعمر ووقفه . و فى حديثه أنه لماقدم الشام تفحل له أمراء الشام قـال أى اخشوشـنوا لـه فى الزى واللبـاس والمطعم تشبها به وأصـله من الفحـل لأـن التصـنع فى اللبـاس والقيـام على النفس إنما هوعندهم للإناث لاللفحول . و فى حديثه أنه قدم مكة فسأل من يعلم موضع المقام و كان السـيل احتمله من مكانه فقال المطلب بن أبى وداعة السهمى يا أمير المؤمنين قدكنت قدرته وذرعته بمقاط عندى. قال المقاط الحبل وجمعه مقط. و فى حديثه أنه قال للـذى قتـل الظبى و هومحرم خـذ شاة من الغنم فتصـدق بلحمها واسق إهابها. قال الإهاب الجلـد. واسـقه أى اجعله سـقاء لغيرك كماتقول اسـقنى عسلا أى اجعله لى سقاء وأقد بى خيلا أى أعطنى خيلا أقودها واسقنى إبلا أعطنى إبلا أسوقها. [صفحه ۱۶۱] وقالت بنو تميم للحجاج أقبرنا صالحا يعنون صالـح بن عبـدالرحمن و كان قتله وصـلبه فسألوه أن يمكنهم من دفنه . و فى حديثه أنه ذكر عنـده التمر والزبيب أيهمـا أفضـل ويروى أنه قـال لرجـل من أهل الطائف الحبلـة أفضل أم النخلـة فأرسل إلى أبى حثمة الأنصـارى فقـال إن هؤلاـء اختلفـوا فى التمر والزبيب أيهمـا أفضـل . و فى روايـة أخرى وجـاء أبوعمرة عبـدالرحمن بن محصـن الأنصارى فقال أبوحثمة ليس الصـقر فى رءوس الرقل الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل تعلة الصبى وقرى الضيف و به يحترش الضب فى الأرض الصـلعاء كزبيب إن أكلته ضـرست و إن تركته غرثت . و فى الروايـة الأخرى فقال أبوعمرة الزبيب إن آكله أضرس و إن أتركه أغرث ليس كالصقر فى رءوس الرقل الراسخات فى الوحل والمطعمات فى المحل خرفة الصائم وتحفة الكبير وصـمتة الصـغير وخرسة مريم ويحترش به الضباب من الصلعاء. قال الحبلة بفتح الحاء وتسكين الباء الأصل من الكرم و فى الحـديث أن نوحا لماخرج من السـفينة غرس الحبلة وكانت لأنس بن مالك حبلة تحمل كذا و كان يسـميها أم العيال فأما الحبلة بالضم فثمر العضاه . و منه الحديث كنا نغزو مع رسول الله ص و مالنا طعام إلاالحبلة وورق السـمر والحبلة بالضم أيضا ضرب من الحلى يجعل فى القلائد شـبه بورق العضاه لأنه يصاغ على صورته . وأغرث أجوع والغرث الجوع . [صـفحه ۱۶۲] والصقر عسل الرطب . والرقل جمع رقلـة وهى النخلـة الطويلـة. و قوله خرفـة الصائم اسم لمايخترف أى يجتنى ونسـبها إلى الصائم لأنهم كانوا يحبون أن يفطروا على التمر. و قوله وصـمتة الصـغير لأن الصـغير كان إذابكى عنـدهم سـكتوه به وتعلة الصبى نحوه من التعليل . وخرسـة مريم الخرسـة ماتطعمه النفساء عنـدولادتها أشار إلى قوله تعالى وَ هزُىّ إِلَيكِ بِجِذعِ النّخلَةِ تُساقِط عَلَيكِ رُطَباً جَنِيّافأما الخرس بغير هـاء فهو الطعـام ألـذى يصـنع لأجل الولادة كالإعـذار للختان والنقيعـة للقادم والوكيرة للبناء. ويحترش به الضب أى يصـطاده يقال إن الضب يعجب بالتمر والحارش صائد الضـباب . والصـلعاء الصحراء التى لانبات بهاكرأس الأصلع . و فى حديثه أنه قـال للسـائب ورع عنى بالـدرهم والـدرهمين . قـال أى كف الخصوم عنى فى قـدر الـدرهم والـدرهمين بـأن تنظر فى ذلك وتقضـى فيه بينهم وتنوب عنى و كل من كففته فقد ورعته و منه الورع فى الدين إنما هوالكف عن المعاصـى و منه حديث عمر لاتنظروا إلى صـلاة الرجل وصـيامه ولكن من إذاحدث صدق و إذاؤتمن أدى و إذاأشفى ورع أى إذاأشرف على المعصية كف

عنها. -قرآن-۳۳۱-۳۹۷ [صفحه ۱۶۳] و فی حدیثه أنه خطب الناس فقال أیها الناس لینکح الرجل منکم لمته من النساء ولتنکح المرأة لمتها من الرجال قال لمـة الرجل من النساء مثله فی السن و منه ماروی أن فاطمـة ع خرجت فی لمـة من نسائها تتوطأ ذیلها حتی دخلت علی أبی بکر. وأراد عمر بن الخطاب لاتنکح الشابة الشـیخ الکبیر و لاینکح الشاب العجوز و کان سبب هذه الخطبة أن شابـة زوجها أهلها شـیخا فقتلته . و فی حدیثه أن رجلا أتاه یشـکو إلیه النقرس فقال کذبتک الظهائر. قال الظهائر جمع ظهیرة وهی الهاجرة ووقت زوال الشـمس . وکذبتک أی علیک بها وهی کلمة معناها الإغراء یقولون کذبک کذا أی علیک به . و منه الحدیث المرفوع الحجامة علی الریق فیهاشفاء وبرکة فمن احتجم فی یوم الخمیس و یوم الأحد کذباک -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۱۰۵ . أی علیک بهما وإنما أمر عمر صاحب النقرس أن یبرز للحر فی الهاجرة ویمشـی حافیا ویبتذل نفسه لأن ذلک یذهب النقرس . و فی حـدیثه أنه قال من یـدلنی علی نسـیج وحده فقال أبو موسـی مانعلمه غیرک فقال ماهی إلاإبل موقع ظهورها. قال معنی قوله نسـیج وحده أی لاعیب فیه و لانظیر له أصله من الثوب النفیس لاینسج علی منواله غیره . [صفحه ۱۶۴] والبعیر الموقع ألـذی یکثر آثار الدبر بظهره لکثرة مایرکب وأراد عمر أناکلنا مثل ذلک فی العیب . و فی حدیثه أن الطبیب الأنصاری سـقاه لبنا حین طعن فخرج من الطعنة أبیض یصـلد. قال أی یبرق و لم یتغیر لونه و فی حدیثه أن نادبة عمر قالت وا عمراه أقام الأود وشفی العمـد فقـال علی ع أما و الله ماقالته ولکن قولته . والعمـد ورم ودبر یکون فی ظهر البعیر وأراد علی ع أنه کأنما ألقی هـذاالکلام علی لسانهـا لصـحته وصـدقه . و فی حـدیثه أنه اسـتعمل رجلاـ علی الیمن فوفـد إلیه و علیه حلـة مشـتهرة و هومرجل دهین فقال أهکذا بعثناک ثم أمر بالحلة فنزعت عنه وألبس جبة صوف ثم سأل عن ولایته فلم یذکر إلاخیرا فرده علی عمله ثم وفد إلیه بعد ذلـک فإذاأشـعث مغبر علیه أطلاـس فقـال و لا کل هـذا إن عاملنا لیس بالشـعث و لاالعافی کلوا واشـربوا وادهنوا إنکم لتعلمون ألـذی أکره من أمرکم . قال ثیاب أطلاس أی وسخة و منه قیل للذئب أطلس . [صـفحه ۱۶۵] والعافی الطویل الشعر یقال عفی وبر البعیر إذاطال و منه الحـدیث المرفوع أمر أن تعفی اللحی وتحفی الشوارب -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۶۰ . و فی حدیثه أنه قال للرجل أ ماترانی لوشـئت أمرت بشاة فتیة سمینة أوقنیة فألقی عنها صوفها ثم أمرت بدقیق فنخل فی خرقة فجعل منه خبز مرقق وأمرت بصاع من زبیب فجعل فی سـعن حتی یکون کـدم الغزال . قال السـعن قربـة أوإداوة ینتبذ فیها وتعلق بجذع . و فی حدیثه أنه رأی رجلاـ یأنـح ببطنه فقـال ما هـذا قال برکـة من الله قال بل هوعـذاب من الله یعـذبک به . قال یأنـح یصوت و هو مایعتری الإنسان السـمین من البهر إذامشـی أنح یأنح أنوحا. و فی حدیثه أنه لمادنا من الشام ولقیه الناس جعلوا یتراطنون فأشـکعه ذلک و قـال لأسـلم مولاـه إنهم لم یروا علی صاحبک بزة قوم غضب الله علیهم . قال أشـکعه أغضـبه قال أراد أنهم لم یتحاموا عنه اللغط والکلام بالفارسیة والنبطیة بحضرته لأنهم لم یروه بعین الإمارة والسلطان کمایرون أمراءهم لأنهم لم یروا علیه بزة الأمراء وزیهم . [صفحه ۱۶۶] و فی حـدیثه أن عاملاـ علی الطـائف کتب إلیه أن رجالاـ منهم کلمونی فی خلایا لهم أسـلموا علیها وسألونی أن أحمیها لهم فکتب إلیه عمر أنها ذباب غیث فإن أدوا زکاته فاحمه لهم . قال الخلایا موضع النحل التی تعسل الواحدة خلیة وأراد بقوله إنها ذباب غیث أنها تعیش بالمطر لأنها تأکل ماینبت عنه فإذا لم یکن غیث فقدت ماتأکل فشـبهها بالسائم من النعم لامئونة علی صاحبها منها وأوجب فیهاالزکاة. و فی حدیثه أن سـعد بن الأخرم قال کان بین الحی و بین عدی بن حاتم تشاجر فأرسلونی إلی عمر فـأتیته و هویطعم النـاس من کسور إبـل و هوقـائم متوکئ علی عصـا مؤتزر إلی أنصـاف سـاقیه خـدب من الرجال کأنه راعی غنم و علی حلـة ابتعتهـا بخمسـمائة درهم فسـلمت علیه فنظر إلی بـذنب عینه و قـال لی أ مـا لک معوز قلت بلی قال فألقها فألقیتها وأخـذت معوزا ثم لقیته فسـلمت فرد علی السـلام . قال کسور الإبل أعضاؤها. والخـدب العظیم الجافی وکأنه راعی غنم یرید فی الجفاء والبذاذة وخشونة الهیئة واللبسة. والمعوز الثوب الخلق والمیم مکسورة وإنما ترک رد السـلام علیه أولا لأنه أشهر الحلة فأدبه بترک رد السـلام فلما خلعها ولبس المعوز رده علیه . [صـفحه ۱۶۷] و فی حـدیثه أنه ذکر فتیان قریش وسـرفهم فی

الإنفاق فقال لحرفة أحدهم أشد على من عيلته . قال الحرفة هاهنا أن يكون الرجل لايتجر و لايلتمس الرزق فيكون محدودا لا يرزق إذاطلب و منه قيل فلان محارف والعيلة الفقر. و فى حديثه أنه قال لرجل ماملك قال أقرن لى وآدمة فى المنيئة قال قومها وزكها. قال الأقرن جمع قرن وهى جعبة من جلود تكون للصيادين يشق منها جانب ليدخلها الريح فلايفسد الريش . وآدمة جمع أديم كجريب وأجربة. والمنيئة الدباغ وإنما أمره بتزكيتها لأنها كانت للتجارة. و فى حديثه أن أباوجزة السعدى قال شهدته يستقى فجعل يستغفر فأقول أ لايأخذ فيما خرج له و لاأشعر أن الاستسقاء هوالاستغفار فقلدتنا السماء قلدا كل خمس عشرة ليلة حتى رأيت الأرنبة يأكلها صغار الإبل من وراء حقاق العرفط. قال فقلدتنا مطرتنا لوقت معين و منه قلد الحمى وقلد الزرع سقيه لوقت و هووقت الحاجة. و قال رأيت الأرنب يحتملها السيل حتى تتعلق بالعرفط و هوشجر ذو شوك وزاد فى الأرنب هاء كماقالوا عقرب وعقربة وحقاق العرفط صغارها وقيل الأرنب [صفحه ١٦٨] ضرب من النبت لايكاد يطول فأراد أنه طال بهذا المطر حتى أكلته صغار الإبل من وراء شجر العرفط. و فى حديثه أنه قال ماولى أحد إلاحامى على قرابته وقرى فى عيبته ولن يلى الناس قرشى عض على ناجذه . قال حامى عليهم عطف عليهم وقرى فى عيبته أى اختان وأصل قرى جمع . و فى حديثه لن تخور قوى ما كان صاحبها ينزع وينزو.يخور يضعف والنزع فى القوس والنزو على الخيل . وروى أن عمر كان يأخذ بيده اليمنى أذنه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه . و فى حديثه تعلموا السنة والفرائض واللحن كماتتعلمون القرآن -روايت-١-٢-روايت-١٣-٦٤ . قال اللحن هاهنا اللغة والنحو. و فى حديثه أنه مر على راع فقال ياراعى عليك بالظلف من الأرض لاترمض فإنك راع و كل راع مسئول . قال الظلف المواضع الصلبة أمره أن يرعى غنمه فيها ونهاه أن يرمض و هو أن يرعى غنمه فى الرمضاء وهى تشتد جدا فى الدهاس والرمل وتخف فى الأرض الصلبة. [صفحه ١٦٩] و فى حديثه أن رجلا قرأ عليه حرفا فأنكره فقال من أقرأك هذا قال أبو موسى فقال إن أبا موسى لم يكن من أهل البهش . قال البهش المقل الرطب فإذايبس فهو الخشل وأراد أن أبا موسى ليس من أهل الحجاز لأن المقل بالحجاز نبت والقرآن نزل بلغة الحجاز. و فى حديثه أن عقبة بن أبى معيط لما قال للنبى‌ص أأقتل من بين قريش فقال عمر حن قدح ليس منها. قال هذامثل يضرب للرجل يدخل نفسه فى القوم و ليس منهم والقدح أحد قداح الميسر وكانوا يستعيرون القدح يدخلونه فى قداحهم يتيمنون به ويثقون بفوزه . و فى حديثه أن أهل الكوفة لماأوفدوا العلباء بن الهيثم السدوسى إليه فرأى عمر هيئته رثة وأعجبه كلامه وعمله قال لكل أناس فى حميلهم خير. قال هذامثل والمراد أنهم سودوه على معرفة منهم بما فيه من الخلال المحمودة والمعنى أن خبره فوق منظره . و فى حديثه أنه أخذ من القطنية الزكاة. قال هى الحبوب كالعدس والحمص و فى أخذ الزكاة منها خلاف بين الفقهاء. [صفحه ١٧٠] و فى حديثه أنه كان يقول للخارص إذاوجدت قوما قدخرفوا فى حائطهم فانظر قدر ماترى أنهم يأكلونه فلاتخرصه . قال خرفوا فيه أى نزلوا فيه أيام اختراف الثمرة. و فى حديثه إذاأجريت الماء على الماء جزى عنك . قال يريد صب الماء على البول فى الأرض فإنه يطهر المكان و لاحاجة إلى غسله وجزى قضى وأغنى من قوله تعالى لا تَجزِي نَفسٌ عَن نَفسٍ شَيئاً فإن أدخلت الألف قلت أجزأك وهمزت ومعناه كفاك . و فى حديثه أنه قال لايعطى من المغانم شيء حتى تقسم إلالراع والدليل غيرموليه . قال الراعى هاهنا الطليعة لأنه يرعى القوم أى يحفظهم . و قوله غيرموليه أى غيرمعطيه شيئا لايستحقه . و فى حديثه أن من الناس من يقاتل رياء وسمعة ومنهم من يقاتل و هوينوى الدنيا ومنهم من ألجمه القتال فلم يجد بدا ومنهم من يقاتل صابرا محتسبا أولئك هم الشهداء قال ألجمه القتال أى رهقه وغشيه فلم يجد مخلصا. -قرآن-٣٢٤-٣٥٦ [صفحه ١٧١] و فى حديثه أنه أرسل إلى أبى عبيدة رسولا فقال له حين رجع فكيف رأيت أباعبيدة قال رأيت بللا من عيش فقصر من رزقه ثم أرسل إليه و قال للرسول حين قدم كيف رأيته قال رأيته حفوفا قال رحم الله أباعبيد بسطنا له فبسط وقبضنا له فقبض . قال الحفوف والحفف واحد و هوضيق العيش وشدته يقال ماعليهم حفف و لاضفف أى ماعليهم أثر عوز والشظف مثل الحفف . و فى حديثه أنه رئى

فی المنام فسئل عن حاله فقال ثل عرشـی لو لاأنی صادفت ربی رحیما. قال ثل عرشه أی هـدم . و فی حدیثه أنه قال لأبی مریم الحنفی لأنا أشـد بغضا لک من الأرض للـدم قالوا کان عمر علیه غلیظا کان قاتل زید بن الخطاب أخیه فقال أینقصـنی ذلک من حقی شیئا قـال لاـ قال فلاضیر. قال هـذامثل لأن الأرض لایغوص فیهاالـدم کمایغوص الماء فهـذا بغض الأرض له ویقال إن دم البعیر تنشـفه الأرض وحده و فی حدیثه أن اللبن یشـبه علیه . [صفحه ۱۷۲] قـال معناه أن الطفل ربما نزع به الشـبه إلی الظئر من أجـل لبنهـا فلاتسترضـعوا إلاـ من ترضون أخلاقهـا. و فی حـدیثه اغزوا والغزو حلو خضـر قبل أن یکون ثماما ثم یکون رماما ثم یکون حطاما. قال هـذامثل والثمام نبت ضـعیف . والرمام بالضم والرمیم واحد مثل طوال وطویل . والحطام یبس النبت إذاتکسر ومعنی الکلام أنه أمرهم بالغزو حین عزائمهم قویهٔ وبواعثهم إلیه شدیدهٔ فإن مع ذلک یکون الظفر قبل أن یهی ویضـعف فیکون کالثمام الضـعیف ثم کالرمیم ثم یکون حطاما فیـذهب . و فی حدیثه إذاانتاطت المغازی واشـتدت العزائم ومنعت الغنائم أنفسـها فخیر غزوکم الرباط. قال انتاطت بعـدت والنطیء البعید. واشـتدت العزائم صـعبت ومنعت الغنائم أنفسـها فخیر غزوکم الرباط فی سبیل الله . و فی حدیثه أنه وضع یده فی کشـیهٔ ضب و قال إن النبی ص لم یحرمه ولکن قذره . قال کشـیهٔ الضب شـحم بطنه . [صفحه ۱۷۳] و قوله وضع أی أکل منه . و فی حـدیثه لاأوتی بأحد انتقص من سـبل المسـلمین إلی مثاباته شیئا إلاافعلت به کذا. قـال المثابـات هاهنـا المنـازل یثوب أهلهـا إلیهـا أی یرجعون والمراد من اقتطع شـیئا من طریق المسـلمین وأدخله فی داره . و فی حدیثه أنه کره النیر. قال هوعلم الثوب وأظنه کرهه إذا کان حریرا. و فی حدیثه أنه انکسـرت قلوص من إبل الصدقهٔ فجفنها. قال اتخذ منها جفنهٔ من طعام وأجمع علیه . و فی حدیثه عجبت لتاجر هجر وراکب البحر. قال عجب کیف یختلف إلی هجر مع شدهٔ وبائها وکیف یرکب البحر مع الخطار بالنفس . و فی حدیثه أنه قال لیلهٔ لابن عباس فی مسیر له أنشدنا لشاعر الشعراء قال و من [صفحه ۱۷۴] هو قال ألذی لم یعاظل بین القول و لم یتبع حوشـی الکلام قال و من هو قال زهیر فجعل ینشد إلی أن برق الصبح . قال هومأخوذ من تعاظل الجراد إذارکب بعضه بعضا. وحوشـی الکلام وحشیه . و فی حدیثه أن نائلا مولی عثمان قال سافرت مع مولاـی وعمر فی حـج أوعمرهٔ فکـان عمر وعثمـان و ابن عمر لفـا وکنت أنـا و ابن الزبیر فی شـببهٔ معنـا لفـا فکنا نتمازح ونترامی بالحنظل فما یزیـدنا عمر علی أن یقول لنا کـذاک لاتذعروا علینا فقلنا لریاح بن المعترف لونصـبت لنا نصب العرب فقال أقول مع عمر فقلنا افعل و إن نهاک فانته ففعل و لم یقل عمر شـیئا حتی إذا کان فی وجه السـحر ناداه یاریاح إنها اکفف فإنها ساعهٔ ذکر. قال لفا أی حزبا وفرقـهٔ. وشـببهٔ جمع شاب مثل کاتب وکتبـهٔ وکاذب وکذبـهٔ وکافر وکفرهٔ. و قوله کـذاک أی حسـبکم . و قوله لاتـذعروا علینـا أی لاـتنفروا إبلنا. ونصب العرب غناء لهم یشـبه الحـداء إلا أنه أرق منه . و فی حـدیثه أنه کتب فی الصدقـهٔ إلی بعض عماله کتابا فیه و لاتحبس الناس أولهم علی آخرهم فإن الرجن للماشـیهٔ علیها شدیـد ولها مهلک و إذاوقف الرجل علیک غنمه فلاتعتم من غنمه و لاتأخـذ من أدناها وخـذ الصدقهٔ من أوسـطها و إذاوجب علی [صـفحه ۱۷۵] الرجل سن لم تجـدها فی إبله فلاتأخـذ إلاتلـک السن من شـروی إبله أوقیمـهٔ عـدل وانظر ذوات الـدر والمـاخض فتنکب عنها فإنها ثمال حاضـریهم . قال الرجن الحبس رجن بالمکـان أقـام به ومثله دجن بالـدال . و لاـتعتم لاـتختر اعتام اعتیاما أی اختار. من شـروی إبله أی من مثلها. وذوات الدر ذوات اللبن . والماخض الحامل . وثمال حاضـریهم عصـمتهم وغیاثهم وحاضـریهم من یسـکن الحضر. و فی حدیثه أنه کان یلقط النوی من الطریق والنکث فإذامر بـدار قوم ألقاها فیها و قال لیأکل هذاداجنتکم وانتفعوا بباقیه . قال الداجنهٔ مایعلفه الناس فی منازلهم من الشاهٔ والدجاج والطیر. والنکث الخیوط الخلق من صوف أوشـعر أووبر. و فی حدیثه ثلاث من الفواقر جار مقامهٔ إن رأی حسـنهٔ دفنها و إن رأی سـیئهٔ أذاعها وامرأهٔ إن دخلت علیها لسـنتک و إن غبت عنها لم تأمنها وإمام إن أحسنت لم یرض عنـک و إن أسأت قتلک . [صـفحه ۱۷۶] قال الفواقر الـدواهی واحدتها فاقرهٔ لأنها تکسر فقار الظهر. ولسـنتک أخذتک بلسانها. و فی حـدیثه فی خطبـهٔ له من أتی هـذاالبیت لاینهره إلیه غیره رجع و قـدغفر له . قال ینهره یـدفعه یریـد من حج لاینوی

بالحج إلاالطاعهٔ غفر له . و فی حدیثه اللبن لایموت -روایت-۱-۲-روایت-۱۳-۲۸ . قال قیل فی معناه أن اللبن إذاأخذ من میتهٔ لم یحرم و کل شیءأخذ من الحی فلم یحرم فإنه إن أخذ من المیت لم یحرم . وقیل فی معناه إن رضع الطفل من امرأهٔ میتهٔ حرم علیه من أولادها وقرابتها من یحرم علیها منها لوکانت حیهٔ. وقیل معناه أن اللبن إذاانفصل من الضرع فأوجر به الصبی أوأدم به أودیف له فی دواء وسقیه فإنه إن لم یسم فی اللغهٔ رضاعا إلا أنه یحرم به مایحرم بالرضاع فقال اللبن لایموت أی لایبطل عمله بمفارقهٔ الثدی. و فی حدیثه من حظ المرء نفاق أیمه وموضع خفه . قال الأیم التی لابعل لها والخف الإبل کماتسمی الحمر والبغال حافرا والبقر والغنم ظلفا یرید من حظ الإنسان أن یخطب إلیه ویتزوج بناته وأخواته وأشباههن فلایبرن [صفحه ۱۷۷] و من حظه أیضا أن ینفق إبله حتی ینتابه التجار وغیرهم فیبتاعوها فی مواضعها یستطرقونه لایحتاج أن یعرضها علیهم . و فی حدیثه أن العباس بن عبدالمطلب سأله عن الشعراء فقال إمرؤ القیس سابقهم خسف لهم عین الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر. قال خسف لهم من الخسیف وهی البئر تحفر فی حجارهٔ فیخرج منها ماء کثیر وجمعها خسف . و قوله افتقر أی فتح و هو من الفقیر والفقیر فم القناهٔ. و قوله عن معان عور یرید أن إمرأ القیس من الیمن والیمن لیست لهم فصاحهٔ نزار فجعل معانیهم عورا وفتح إمرؤ القیس عنها أصح بصر

ذکر الأحادیث الواردهٔ فی فضل عمر

فأما الحدیث الوارد فی فضل عمر فمنه ما هومذکور فی الصحاح و منه ما هو غیرمذکور فیهافمما ذکر فی المسانید الصحیحهٔ من ذلک ماروت عائشهٔ أن رسول الله ص قال کان فی الأمم محدثون فإن یکن فی أمتی فعمر -روایت-۱-۲-روایت-۴۰-۸۷ روی سعد بن أبی وقاص قال استأذن عمر علی رسول الله ص وعنده نساء من قریش یکلمنه عالیهٔ أصواتهن فلما استأذن قمن یبتدرن الحجاب فدخل و رسول الله ص یضحک قال أضحک الله سنک یا رسول الله قال عجبت من هؤلاء اللواتی کن عندی فلما سمعن صوتک ابتدرن الحجاب فقال عمر أنت -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-ادامه دارد [صفحه ۱۷۸] أحق أن یهبن ثم قال أی عدوات أنفسهن أتهبننی و لاتهبن رسول الله ص قلن نعم أنت أغلظ وأفظ فقال رسول الله ص و ألذی نفسی بیده مالقیک الشیطان قط سالکا فجا إلاسلک فجا غیرفجک -روایت-از قبل-۱۹۰ أخرجاه فی الصحیحین و قدروی فی فضله من غیرالصحاح أحادیث منها إن السکینهٔ لتنطق علی لسان عمر -روایت-۱-۲-روایت-۷-۴۰ منها إن الله تعالی ضرب بالحق علی لسان عمر وقلبه -روایت-۱-۲-روایت-۷-۵۷ منها إن بین عینی عمر ملکا یسدده ویوفقه -روایت-۱-۲-روایت-۷-۴۶ منها لو لم أبعث فیکم لبعث عمر -روایت-۱-۲-روایت-۷-۳۶ منها لو کان بعدی نبی لکان عمر -روایت-۱-۲-روایت-۷-۳۶ منها لونزل إلی الأرض عذاب لمانجا منه إلاعمر -روایت-۱-۲-روایت-۷-۵۱ منها ماأبطأ عنی جبریل إلاظننت أنه بعث إلی عمر -روایت-۱-۲-روایت-۷-۵۳ منها سراج أهل الجنهٔ عمر -روایت-۱-۲-روایت-۷-۲۷ منها إن شاعرا أنشد النبی ص شعرا فدخل عمر فأشار النبی ص إلی الشاعر أن اسکت فلما خرج عمر قال له عد فعاد فدخل عمر فأشار النبی ص بالسکوت مرهٔ ثانیهٔ فلما خرج عمر سأل الشاعر رسول الله ص عن الرجل فقال هذاعمر بن الخطاب و هو رجل لایحب الباطل -روایت-۱-۲-روایت-۷-۲۵۷ منها إن النبی ص قال وزنت بأمتی فرجحت ووزن أبوبکر بهافرجح ووزن عمر بهافرجح ثم رجح ثم رجح -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۱۰۳ . [صفحه ۱۷۹] و قدرووا فی فضله حدیثا کثیرا غیر هذا ولکنا ذکرنا الأشهر و قدطعن أعداؤه ومبغضوه فی هذه الأحادیث فقالوا لو کان محدثا وملهما لمااختار معاویهٔ الفاسق لولایهٔ الشام ولکن الله تعالی قدألهمه وحدثه بما یواقع من القبائح والمنکرات والبغی والتغلب علی الخلافهٔ والاستئثار بمال الفیء و غیر ذلک من المعاصی الظاهرهٔ قالوا وکیف لایزال الشیطان

يسلك فجا غيرفجه و قدفر مرارا من الزحف فى أحد وحنين وخيبر والفرار من الزحف من عمل الشيطان وإحدى الكبائر الموبقة.قالوا وكيف يدعى له أن السكينة تنطق على لسانه أترى كانت السكينة تلاحى رسول الله ص يوم الحديبية حتى أغضبه .قالوا و لو كان ينطق على لسانه ملك أو بين عينيه ملك يسدده ويوفقه أوضرب الله بالحق على لسانه وقلبه لكان نظيرا لرسول الله ص بل كان أفضل منه لأنه ص كان يؤدى الرسالة إلى الأمة عن ملك من الملائكة وعمر قد كان ينطق على لسانه ملك وزيد ملكا آخر بين عينيه يسدده ويوفقه فهذا الملك الثانى مما قدفضل به على رسول الله ص و قد كان حكم فى أشياء فيخطئ فيها حتى يفهمه إياها على بن أبى طالب ومعاذ بن جبل وغيرهما حتى قال لو لا على لهلك عمر و لو لامعاذ لهلك عمر و كان يشكل عليه الحكم فيقول لابن عباس غص ياغواص فيفرج عنه فأين كان الملك الثانى المسدد له وأين الحق ألذى ضرب به على لسان عمر ومعلوم أن رسول الله ص كان ينتظر فى الوقائع نزول الوحى وعمر على مقتضى هذه الأخبار لاحاجة به إلى نزول ملك عليه لأن الملكين معه فى كل وقت و كل حال ملك ينطق على لسانه وملك آخر بين عينيه يسدده ويوفقه و قدعززا بثالث وهى السكينة فهو إذاأفضل من رسول الله ص . [صفحه ١٨٠] وقالوا والحديث ألذى مضمونه لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيلزم أن يكون رسول الله ص عذابا على عمر وأذى شديدا له لأنه لو لم يبعث لبعث عمر نبيا ورسولا و لم تعلم رتبة أجل من رتبة الرسالة فالمزيل لعمر عن هذه الرتبة التى ليس وراءها رتبة ينبغى ألا يكون فى الأرض أحد أبغض إليه منه .قالوا و أماكونه سراج أهل الجنة فيقتضى أنه لو لم يكن تجلى عمر لكانت الجنة مظلمة لاسراج لها.قالوا وكيف يجوز أن يقال لونزل العذاب لم ينج منه إلاعمر و الله تعالى يقول وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُم وَ أَنتَ فِيهِم.قالوا وكيف يجوز أن يقال إن النبى ص كان يسمع الباطل ويحبه ويشهده وعمر لايسمع الباطل و لايشهده و لايحبه أ ليس هذاتنزيها لعمر عما لم ينزه عنه رسول الله ص .قالوا و من العجب أن يكون النبى ص أرجح من الأمة يسيرا وكذلك أبوبكر و يكون عمر أرجح منهما كثيرا فإن هذايقتضى أن يكون فضله أبين وأظهر من فضل أبى بكر و من فضل رسول الله ص . والجواب أنه ليس يجب فيمن كان محدثا ملهما أن يكون محدثا ملهما فى كل شىءبل الاعتبار بأكثر أفعاله وظنونه وآرائه ولقد كان عمر كثير التوفيق مصيب الرأى فى جمهور أمره و من تأمل سيرته علم صحة ذلك و لايقدح فى ذلك أن يختلف ظنه فى القليل من الأمور. و أماالفرار من الزحف فإنه لم يفر إلامتحيزا إلى فئة و قداستثنى الله تعالى ذلك فخرج به عن الإثم . -قرآن-٤٧٤-٥٢٠ [صفحه ١٨١] و أماباقى الأخبار فالمراد بالملك فيهاالأخبار عن صحة ظنه وصدق فراسته و هوكلام يجرى مجرى المثل فلايقدح فيه ماذكروه . و أما قوله ص لونزل إلى الأرض عذاب لمانجا منه إلاعمر فهو كلام قاله عقيب أخذ الفدية من أسارى بدر فإن عمر لم يشر عليه ونهاه عنه فأنزل الله تعالى لَو لا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسّكُم فِيما أَخَذتُم عَذابٌ عَظِيمٌ و إذا كان القرآن قدنطق بذلك وشهد لم يلتفت إلى طعن من طعن فى الخبر. و أما قوله ع سراج أهل الجنة عمر فمعناه سراج القوم الذين يستحقون الجنة من أهل الدنيا أيام كونهم فى الدنيا مع عمر أى يستضيئون بعلمه كمايستضاء بالسراج . و أماحديث منع الشاعر فإن رسول الله ص خاف أن يذكر فى شعره مايقتضى الإنكار فيعنف به عمر و كان شديد الغلظة فأراد النبى ص أن ينكر هو على الشاعر أن قال فى شعره مايقتضى ذلك على وجه اللطف والرفق و كان ع رءوفا رحيما كما قال الله تعالى . و أماحديث الرجحان فالمراد به الفتوح وملك البلاد وتأويله أنه ع أرى فى منامه مايدل على أنه يفتح الله عليه بلادا و على أبى بكر مثله ويفتح على عمر أضعاف ذلك وهكذا وقع . واعلم أن من تصدى للعيب وجده و من قصر همته على الطعن على الناس انفتحت -قرآن-٢٨٤-٣٥٥ [صفحه ١٨٢] له أبواب كثيرة والسعيد من أنصف من نفسه ورفض الهوى وتزود التقوى وبالله التوفيق

ذكر ماورد من الخبر عن إسلام عمر

و أماإسلام عمر فإنه أسلم فكان تمام أربعين إنسانا فى أظهر الروايات و ذلك فى السنة السادسة من النبوة وسنه إذ ذاك ست وعشرون سنة و كان عمر ابنه عبد الله يومئذ ست سنين وأصح ماروى فى إسلامه رواية أنس بن مالك عنه قال خرجت متقلدا سيفى فلقيت رجلا من بنى زهرة فقال أين تعمد قلت أقتل محمدا قال وكيف تأمن فى بنى هاشم وبنى زهرة فقلت ماأراك إلاصبوت قال أ فلاأدلك على العجب أن أختك وزوجها قدصبوا فمشى عمر فدخل عليهما ذامرا وعندهما رجل من أصحاب رسول الله ص يقال له خباب بن الأرت فلما سمع خباب حس عمر توارى فقال عمر ما هذه الهينمة التى سمعتها عندكم وكانوا يقرءون طه على خباب فقال ماعندنا شيءإنما هوحديث كنا نتحدثه بيننا قال فلعلكما قدصبوتما فقال له ختنه أرأيت ياعمر إن كان الحق فى غيردينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئا شديدا فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فنفحها بيده فأدمى وجهها فجاهرته فقالت إن الحق فى غيردينك و أناأشهد أن لاإله إلا الله و أن محمدا رسول الله فاصنع مابدا لك فلما يئس قال أعطونى هذاالكتاب ألذى عندكم فأقرءوه و كان عمر يقرأ الخط [صفحه ۱۸۳] فقالت له أخته إنك رجس و إن هذاالكتاب لايمسه إلاالمطهرون فقم فتوضأ فقام فأصاب ماء ثم أخذ الكتاب فقرأطه ما أَنزَلنا عَلَيكَ القُرآنَ لِتَشقى إِلّا تَذكِرَةً لِمَن يَخشى إلى قوله إِنَّنِي أَنَا اللّهُ لا إِلَهَ إِلّا أَنَا فَاعبـُدنيِ وَ أَقِمِ الصّلاةَ لـِذِكريِ فقال عمر دلونى على محمد فلما سمع خباب قول عمر ورأى منه الرقة خرج من البيت فقال أبشر ياعمر فإنى لأرجو أن تكون دعوة رسول الله ص ليلة الخميس لك سمعته يقول أللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أوبعمرو بن هشام قال و رسول الله ص فى الدار التى فى أصل الصفا فانطلق عمر حتى أتى الدار و على الباب حمزة بن عبدالمطلب وطلحة بن عبيد الله وناس من أهل رسول الله ص فلما رأى الناس عمر قدأقبل كأنهم وجدوا وقالوا قدجاء عمر فقال حمزة قدجاء عمر فإن يرد الله به خيرا يسلم و إن يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا قال و النبى ص من داخل البيت يوحى إليه فسمع رسول الله ص كلام القوم فخرج مسرعا حتى انتهى إلى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه و قال ما أنت منتهيا ياعمر حتى ينزل الله بك يعنى من الخزى والنكال ماأنزل بالوليد بن المغيرة ثم قال أللهم هذاعمر أللهم أعز الإسلام بعمر فقال أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فكبر أهل الدار و من كان على الباب تكبيرة سمعها من كان فى المسجد من المشركين . و قدروى أن عمر كان موعودا ومبشرا بما وصل إليه من قبل أن يظهر أمر الإسلام قرأت فى كتاب من تصانيف أبى أحمدالعسكرى رحمه الله أن عمر خرج عسيفا مع الوليد بن المغيرة إلى الشام فى تجارة للوليد وعمر يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة فكان يرعى -قرآن-۱۱۳-۱۸۰-قرآن-۱۹۲-۲۷۴ [صفحه ۱۸۴] للوليد إبله ويرفع أحماله ويحفظ متاعه فلما كان بالبلقاء لقيه رجل من علماء الروم فجعل ينظر إليه ويطيل النظر لعمر ثم قال أظن اسمك ياغلام عامرا أوعمران أونحو ذلك قال اسمى عمر قال اكشف عن فخذيك فكشف فإذا على أحدهما شامة سوداء فى قدر راحة الكف فسأله أن يكشف عن رأسه فكشف فإذا هوأصلع فسأله أن يعتمل بيده فاعتمل فإذاأعسر أيسر فقال له أنت ملك العرب وحق مريم البتول قال فضحك عمر مستهزئا قال أ وتضحك وحق مريم البتول أنك ملك العرب وملك الروم وملك الفرس فتركه عمر وانصرف مستهينا بكلامه و كان عمر يحدث بعد ذلك و يقول تبعنى ذلك الرومى و هوراكب حمارا فلم يزل معى حتى باع الوليد متاعه وابتاع بثمنه عطرا وثيابا وقفل إلى الحجاز والرومى يتبعنى لايسألنى حاجة ويقبل يدى كل يوم إذاأصبحت كماتقبل يد الملك حتى خرجنا من حدود الشام ودخلنا فى أرض الحجاز راجعين إلى مكة فودعنى ورجع و كان الوليد يسألنى عنه فلاأخبره و لاأراه إلاهلك و لو كان حيا لشخص إلينا

تاريخ موت عمر والأخبار الواردة فى ذلك

فأما تاريخ موته فإن أبالؤلؤة طعنه يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة من سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر و هو ابن ثلاث وستين فى أظهر الأقوال و قد كان قال على المنبر يوم جمعة و قدذكر رسول الله ص و أبابكر أنى قدرأيت رؤيا أظنها لحضور أجلى رأيت كأن ديكا نقرنى نقرتين فقصصتها على أسماء [صفحه ۱۸۵] بنت عميس فقالت يقتلك رجل من العجم وإنى أفكرت فيمن أستخلف ثم رأيت أن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التى بعث بهارسوله وروى ابن شهاب قال كان عمر لايأذن لصبى قداحتلم فى دخول المدينة حتى كتب المغيرة و هو على الكوفة يذكر له غلاما صنعا عنده ويستأذنه فى دخول المدينة و يقول إن عنده أعمالا كثيرة فيهامنافع للناس إنه حداد نقاش نجار فأذن له أن يرسل به إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم فى كل شهر فجاء إلى عمر يوما يشتكى إليه الخراج فقال له عمر ماذا تحسن من الأعمال فعد له الأعمال التى يحسن فقال له ليس خراجك بكثير فى كنه عملك هذا هو ألذى رواه أكثر الناس من قوله له و من الناس من يقول إنه جهر بكلام غليظ واتفقوا كلهم على أن العبد انصرف ساخطا يتذمر فلبث أياما ثم مر بعمر فدعاه فقال قدحدثت أنك تقول لوأشاء لصنعت رحى تطحن بالريح فالتفت العبد عابسا ساخطا إلى عمر و مع عمر رهط من الناس فقال لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها فلما ولى أقبل عمر على الرهط فقال أ لاتسمعون إلى العبد ماأظنه إلاأوعدنى آنفا فلبث ليالى ثم اشتمل أبولؤلؤة على خنجر ذى رأسين نصابه فى وسطه فكمن فى زاوية من زوايا المسجد فى غلس السحر فلم يزل هنالك حتى جاء عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر كما كان يفعل فلما دنا منه وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات إحداهن تحت السرة قدخرقت الصفاق وهى التى قتلته ثم انحاز إلى أهل المسجد فطعن فيهم من يليه حتى طعن أحد عشر رجلا سوى عمر ثم انتحر بخنجره فقال عمر حين أدركه النزف قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ثم غلبه النزف فأغمى عليه [صفحه ۱۸۶] فأحتمل حتى أدخل بيته ثم صلى عبدالرحمن بالناس قال ابن عباس فلم أزل عندعمر و هومغمى عليه لم يزل فى غشية واحدة حتى أسفر فلما أسفر أفاق فنظر فى وجوه من حوله و قال أصلى الناس فقيل نعم فقال لاإسلام لمن ترك الصلاة ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى ثم قال اخرج يا ابن عباس فاسأل من قتلنى فجئت حتى فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون فقلت من طعن أمير المؤمنين قالوا طعنه أبولؤلؤة غلام المغيرة قال ابن عباس فدخلت فإذاعمر ينظر إلى الباب يستأنى خبر مابعثنى له فقلت يا أمير المؤمنين زعم الناس أنه عدو الله أبولؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة و أنه طعن رهطا ثم قتل نفسه فقال الحمد لله ألذى لم يجعل قاتلى يحاجنى عند الله بسجدة سجدها له قط ماكانت العرب لتقتلنى ثم قال أرسلوا إلى طبيب ينظر جرحى فأرسلوا إلى طبيب من العرب فسقاه نبيذا فخرج من الجرح فاشتبه عليهم الدم بالنبيذ ثم دعوا طبيبا آخر فسقاه لبنا فخرج اللبن من الطعنة صلدا أبيض فقال الطبيب اعهد يا أمير المؤمنين عهدك فقال لقد صدقنى و لو قال غير ذلك لكذب فبكى عليه القوم حتى أسمعوا من خارج الدار فقال لاتبكوا علينا ألا و من كان باكيا فليخرج فإن النبى ص قال إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۵۹ . وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت أبى يقول لقد طعننى أبولؤلؤة طعنتين و ماأظنه إلاكلبا حتى طعننى الثالثة وروى أن عبدالرحمن بن عوف طرح على أبى لؤلؤة بعد أن طعن الناس خميصه كانت عليه فلما حصل فيهانحر نفسه فاحتز عبدالرحمن رأسه واجتمع البدريون وأعيان المهاجرين والأنصار بالباب فقال عمر لابن عباس اخرج إليهم فاسألهم أ عن ملإ منكم [صفحه ۱۸۷] كان هذا ألذى أصابنى فخرج يسألهم فقال القوم لا_ و الله ولوددنا أن الله زاد فى عمره من أعمارنا. وروى عبد الله بن عمر قال كان أبى يكتب إلى أمراء الجيوش لا_تجلبوا إلينا من العلوج أحدا جرت عليه المواسى فلما طعنه أبولؤلؤة قال من بى قالوا غلام المغيرة قال أ لم أقل لكم لاتجلبوا إلينا من العلوج أحدا فغلبتمونى. وروى محمد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه عن عمرو بن ميمون قال إنى لقائم مابينى و بين عمر إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب و كان إذامر بين الصفين قال استووا حتى إذا لم ير بيننا خللا_ تقدم فكبر وربما قرأ سورة يوسف أوالنحل فى الركعة الأولى أونحو ذلك فى

الركعة الثانية حتى يجتمع الناس فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلنى أوأكلنى الكلب و ذلك حين طعنه العلج بسكين ذات طرفين لايمر على أحد يمينا و لاشمالا إلاطعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه وتناول عمر بيده عبدالرحمن بن عوف فقدمه فمن يلى عمر فقد رأى ألذى رأى و أمانواحى المسجد فإنهم لايدرون غيرأنهم فقدوا صوت عمر فهم يقولون سبحان الله فصلى عبدالرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن عباس انظر من قتلنى فجال ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة قال الصنع قال نعم [صفحه ١٨٨] قال قاتله الله لقد أمرت به معروفا الحمد لله ألذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام و قدكنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج و كان العباس أكثرهم رقيقا فقال إن شئت فعلنا أى قتلناهم قال كذبت بعد أن تكلموا بلسانكم وصلوا قبلتكم وحجوا حجكم فأحتمل إلى بيته وانطلقنا معه و كان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ فقائل يقول لابأس عليه وقائل يقول أخاف عليه فأتى بنبيذ فشربه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن فشربه فخرج من جوفه فعلموا أنه ميت فدخل الناس يثنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك صحبة برسول الله وقدم فى الإسلام ما قدعلمت ثم وليت فعدلت ثم الشهادة فقال عمر وددت أن ذلك كله كان كفافا لا ـ على و لا ـ لى فلما أدبر إذارداؤه يمس الأرض فقال ردوا على الغلام فردوه فقال يا ابن أخى ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك يا عبد الله بن عمر انظر ما على من دين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أونحوه فقال إن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم و إلافسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف به أموالهم فسل فى قريش و لاتعدهم إلى غيرهم وأد عنى هذاالمال انطلق إلى عائشة فقل لها يقرأ عليك السلام عمر و لاتقل أمير المؤمنين فإنى اليوم لست للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه فمضى وسلم واستأذن ودخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده لنفسى يعنى الموضع ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل هذا عبد الله قدجاء قال ارفعونى فأسندوه إلى رجل منهم قال يا عبد الله مالديك قال ألذى تحب يا أمير المؤمنين قدأذنت قال الحمد لله ما كان شىءأهم إلى من [صفحه ١٨٩] ذلك إذا أناقبضت فاحملنى ثم سلم عليها وقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لى فأدخلونى و إن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين وادفنونى بين المسلمين وجاءت ابنته حفصة والنساء معها قال فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت بيتا داخلا ـ لهم فسمعنا بكاءها من البيت الداخل فقال أوص يا أمير المؤمنين واستخلف فقال ماأجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو قال الرهط الذين توفى رسول الله ص و هوعنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا و عبدالرحمن و قال يشهدكم عبد الله بن عمر و ليس له من الأمر شىءكهيئة التعزية له فإن أصابت الإمارة سعدا فهو أهل لذلك و إلافليستعن به أيكم أمر فإنى لم أعزله عن عجز و لا عن خيانة ثم قال أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم و أن يعفو عن مسيئهم وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدو ألا يأخذ منهم إلافضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم ويرد على فقرائهم وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم و أن يقاتل من وراءهم وألا يكلفوا إلاطاقتهم . قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر و قال يستأذن عمر بن الخطاب فقالت أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه . [صفحه ١٩٠] و قال ابن عباس أناأول من أتى عمر حين طعن فقال احفظ عنى ثلاثا فإنى أخاف ألا يدركنى الناس أما أنافلم أقض فى الكلالة و لم أستخلف على الناس و كل مملوك لى عتيق فقلت له أبشر بالجنة صاحبت رسول الله ص فأطلت صحبته ووليت أمر المسلمين فقويت عليه وأديت الأمانة قال أماتبشيرك لى بالجنة فو الله ألذى لاإله إلا هو لو أن لى الدنيا بما فيهالافتديت به من هول ماأمامى قبل أن أعلم ماالخبر و أما ماذكرت من أمر المسلمين فلوددت أن ذلك كان كفافا لا على و لا لى و أما ماذكرت

من صحبة رسول الله ص فهو ذلک وروى معمر عن الزهرى عن سالم عن عبد الله قال دخلت على أبى فقلت سمعت الناس يقولون مقالة وآليت أن أقولها لک زعموا أنک غيرمستخلف و أنه لو كان لک راعى إبل أوغنم ثم جاءک وتركها رأيت أنه قدضيع فرعاية الناس أشد فوضع رأسه ثم رفعه فقال إن الله تعالى يحفظ دينه إن لم أستخلف فإن رسول الله ص لم يستخلف و إن استخلفت فإن أبابكر قداستخلف فو الله ما هو إلا أن ذكر رسول الله و أبابكر فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله ص أحدا و أنه غيرمستخلف . وروى أنه قال و قدأذنت له عائشة فى أن يدفن فى بيتها إذامت فاستأذنوها مرة ثانية فإن أذنت و إلافاتركوها فإنى أخشى أن تكون أذنت لى لسلطانى فاستأذنوها بعدموته فأذنت . [صفحه ۱۹۱] وروى عمر بن ميمون قال لماطعن عمر دخل عليه كعب الأحبار فقال الحَقّ مِن رَبّکَ فَلا تَكُونَنّ مِنَ المُمتَرِينَ قدأنبأتک أنک شهيد فقال من أين لى بالشهادة و أنابجزيرة العرب . وروى ابن عباس قال لماطعن عمر وجئته بخبر أبى لؤلؤة أتيته والبيت ملآن فكرهت أن أتخطى رقابهم وكنت حديث السن فجلست و هومسجى وجاء كعب الأحبار و قال لئن دعا أمير المؤمنين ليبقيه الله لهذه الأمة حتى يفعل فيهاكذا وكذا حتى ذكر المنافقين فيمن ذكر فقلت أبلغه ماتقول قال ما قلت إلا و أناأريد أن تبلغه فتشجعت وقمت فتخطيت رقابهم حتى جلست عندرأسه و قلت إنک أرسلتنى بكذا إن عبدالمغيرة قتلک وأصاب معک ثلاثة عشر إنسانا و إن كعبا هاهنا و هويحلف بكذا فقال أدعو إلى كعبا فدعى فقال ماتقول قال أقول كذا قال لا و الله لاأدعو ولكن شقى عمر إن لم يغفر الله له . وروى المسور بن مخرمة إن عمر لماطعن أغمى عليه طويلا فقيل إنكم لم توقظوه بشىء مثل الصلاة إن كانت به حياة فقالوا الصلاة يا أمير المؤمنين الصلاة قدصليت فانتبه فقال الصلاة لاها الله لاأتركها لاحظ فى الإسلام لمن ترک الصلاة فصلى و إن جرحه لينثعب دما. وروى المسور بن مخرمة أيضا قال لماطعن عمر جعل يألم ويجزع فقال ابن عباس و لا و كل ذلک يا أمير المؤمنين لقد صحبت رسول الله ص فأحسنت صحبته ثم فارقته و هوعنک راض وصحبت أبابكر وأحسنت صحبته وفارقک و هوعنک راض ثم صحبت المسلمين فأحسنت إليهم وفارقتهم وهم عنک راضون -قرآن-۶۷-۱۱۶ [صفحه ۱۹۲] قال أما ماذكرت من صحبة رسول الله ص و أبى بكر فذلک مما من الله به على و أما ماترى من جزعى فو الله لو أن لى بما فى الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه و فى رواية لافتديت به من هول المطلع و فى رواية المغرور من غررتموه لو أن لى ما على ظهرها من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع و فى رواية فى الإمارة على تثنى يا ابن عباس قلت و فى غيرها قال و ألذى نفسى بيده لوددت أنى خرجت منها كمادخلت فيها لاحرج و لاوزر و فى رواية لو كان لى ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من كرب ساعة يعنى الموت كيف و لم أرد الناس بعد و فى رواية لو أن لى الدنيا و ما فيهالافتديت به من هول ماأمامى قبل أن أعلم ماالخبر. قال ابن عباس فسمعنا صوت أم كلثوم وا عمراه و كان معها نسوة يبكين فارتج البيت بكاء فقال عمر ويلم عمر إن الله لم يغفر له فقلت و الله إنى لأرجو إلاتراها إلامقدار ما قال الله تعالى وَ إِن مِنكُم إِلّا وارِدُها إن كنت ماعلمنا لأمير المؤمنين وسيد المسلمين تقضى بالكتاب وتقسم بالسوية.فأعجبه قولى فاستوى جالسا فقال أتشهد لى بهذا يا ابن عباس فكععت أى جبنت فضرب على ع بين كتفى و قال اشهد و فى رواية لم تجزع يا أمير المؤمنين فو الله لقد كان إسلامک عزا وإمارتک فتحا ولقد ملأت الأرض عدلا فقال أتشهد لى بذلک يا ابن عباس قال فكأنه كره الشهادة فتوقف فقال له على ع قل نعم و أنامعک فقال نعم . و فى رواية أنه قال مسست جلده و هوملقى فقلت جلد لاتمسه النار أبدا فنظر إلى نظرة جعلت أرثى له منها قال و ماعلمک بذلک قلت صحبت رسول الله ص فأحسنت صحبته الحديث فقال لو أن لى ما فى الأرض لافتديت -قرآن-۸۴۸-۸۷۵ [صفحه ۱۹۳] به من عذاب الله قبل أن ألقاه أوأراه . و فى رواية قال فأنكرنا الصوت و إذا عبدالرحمن بن عوف وقيل طعن أمير المؤمنين فانصرف الناس و هو فى دمه مسجى لم يصل الفجر بعدفقيل يا أمير المؤمنين الصلاة فرفع رأسه و قال لاها الله إذن لاحظ لامرئ فى الإسلام ضيع صلاته ثم وثب ليقوم فانثعب جرحه دما فقال هاتوا لى عمامة فعصب بهاجرحه ثم صلى وذكر ثم التفت إلى

ابنه عبـد الله و قال ضع خدی إلی الأرض یا عبد الله قال عبد الله فلم أعج بها وظننت أنها اختلاس من عقله فقالها مرة أخری ضـع خـدی إلی الأرض یابنی فلم أفعل فقال الثالثة ضع خدی إلی الأرض لاأم لک فعرفت أنه مجتمع العقل و لم یمنعه أن یضـعه هو إلا ما به من الغلبة فوضـعت خده إلی الأرض حتی نظرت إلی أطراف شـعر لحیته خارجة من أضـعاف التراب وبکی حتی نظرت إلی الطین قدلصق بعینه فأصغیت أذنی لأسـمع ما یقول فسمعته یقول یاویل عمر وویل أم عمر إن لم یتجاوز الله عنه و قدجاء فی روایـة أن علیا ع جاء حتی وقف علیه فقال ماأحد أحب إلی أن ألقی الله بصـحیفته من هذاالمسـجی -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۱۰۸ وروی عن حفصة أم المؤمنین قالت سـمعت أبی یقول فی دعائه أللهم قتلا فی سبیلک ووفاة فی بلد نبیک قلت وأنی یکون هذا قال یأتی به الله إذاشاء ویروی أن کعبا کان یقول له نجدک فی کتبنا تموت شـهیدا فیقول کیف لی بالشهادة و أنا فی جزیرة العرب . وروی المقدام بن معدیکرب قال لماأصـیب عمر دخلت علیه حفصة ابنته فنادت یاصاحب رسول الله و یاصهر رسول الله و یا أمیر المؤمنین فقال لابنه عبـد الله أجلسـنی فلاصبر لی علی ماأسـمع فأسـنده إلی صـدره فقال لها إنی أحرج علیک [صـفحه ۱۹۴] بمـا لی علیـک من الحق أن تنـدبینی بعـدمجلسک هـذافأما عینـک فلن أملکهـا إنه لیس من میت ینـدب علیه بما لیس فیه إلاالملائکـة تمقته . وروی الأـحنف قال سـمعت عمر یقول إن قریشا رءوس الناس لیس أحـد منهم یـدخل من باب إلادخل معه طائفة من الناس فلما أصـیب عمر أمر صـهیبا أن یصـلی بالناس ثلاثة أیام ویطعمهم حتی یجتمعوا علی رجل فلما وضعت الموائد کف الناس عن الطعام فقال العباس بن عبـدالمطلب أیها الناس إن رسول الله ص مات فأکلنا بعده ومات أبوبکر فأکلنا بعده و أنه لابد للناس من الأکل ثم مد یده فأکل من الطعام فعرفت قول عمر. ویروی کثیر من الناس الشعر المذکور فی الحماسة ویزعم أن هاتفـا من الجن هتف به و هو جزیت عن الإسـلام خیرا وبـارکت || یـد الله فی ذاک الأـدیم الممزق فمن یسع أویرکـب جناحی نعامة || لیدرک ماقدمت بالأمس یسـبق قضیت أمورا ثم غادرت بعدها || بوائق فی أکمامها لم تفتق أ بعدقتیل بالمدینة أظلمت || له الأـرض تهتز العضاه بأسؤق و ماکنت أخشـی أن تکون وفاته || بکفی سـبنتی أزرق العین مطرق تظل الحصان البکر یلقی جنینها || نثا خبر فوق المطی معلق . والأکثرون یروونها لمزرد أخی الشماخ ومنهم من یرویها للشماخ نفسه [صفحه ۱۹۵]

فصل فی ذکر ماطعن به علی عمر والجواب عنه

اشاره

ونـذکر فی هـذاالموضع مـاطعن بـه علی عمر فی المغنی من المطـاعن و مـااعترض به الشـریف المرتضـی علی قاضـی القضـاة و ماأجاب به قاضی القضاة فی کتابه المعروف بالشافی ونذکر ماعندنا فی البعض من ذلک

الطعن الأول

قـال قاضـی القضـاة أول مـاطعن به علیه قول من قـال إنه بلغ من قلـة علمه أنه لم یعلم أن الموت یجوز علی النبی ص و أنه أسوة الأنبیاء فی ذلک حتی قال و الله مامات محمـد و لایموت حتی تقطع أیدی رجال وأرجلهم فلما تلا علیه أبوبکر قوله تعالی إِنَّکَ مَیِّتٌ وَ إِنَّهُم مَیِّتُونَ و قوله وَ مـا مُحَمَّـدٌ إِلّا رَسُولٌ قَـد خَلَت مِن قَبلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِن ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلی أَعقابِکُمالآیـة قال أیقنت بوفاته وکأنی لم أسـمع هذه الآیة فلو کان یحفظ القرآن أویفکر فیه لما قال ذلک و هذایدل علی بعده من حفظ القرآن وتلاوته و من هـذاحاله لایجوز أن یکون إماما. قال قاضـی القضاة و هذا لایصح لأنه قدروی عنه أنه قال کیف یموت و قد قال الله تعالی

لِيُظهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ و قال وَ لَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمناً ولذلك نفى موته ع لأنه حمل الآية على أنها خبر عنه فى حال حياته -قرآن-٢٥٤-٢٨٧-قرآن-٢٩٦-٤٠۶-قرآن-۶٧٧-٧٠٨-قرآن-٧١۶-٧٥٩ [صفحه ١٩۶] حتى قال له أبوبكر إن الله وعده بذلك وسيفعله وتلا عليه ماتلا فأيقن عند ذلك بموته وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذلك الوقت لا أنه منع من موته . ثم سأل قاضى القضاة نفسه فقال فإن قيل فلم قال لأبى بكر عندقراءة الآية كأنى لم أسمعها ووصف نفسه بأنه أيقن بالوفاة. وأجاب بأن قال لما كان الوجه فى ظنه ماأزال أبوبكر الشبهة فيه جاز أن يتيقن ثم سأل نفسه عن سبب يقينه فيما لايعلم إلابالمشاهدة. وأجاب بأن قرينة الحال عندسماع الخبر أفادته اليقين و لو لم يكن فى ذلك إلاخبر أبى بكر وادعاؤه لذلك و الناس مجتمعون لحصل اليقين . و قوله كأنى لم أقرأ هذه الآية أو لم أسمعها تنبيه على ذهوله عن الاستدلال بها لا أنه على الحقيقة لم يقرأها و لم يسمعها و لايجب فيمن ذهب عن بعض أحكام الكتاب ألا يعرف القرآن لأن ذلك لودل لوجب ألا يحفظ القرآن إلا من يعرف جميع أحكامه ثم ذكر أن حفظ القرآن كله غيرواجب و لايقدح الإخلال به فى الفضل . وحكى عن الشيخ أبى على أن أمير المؤمنين ع لم يحط علمه بجميع الأحكام و لم يمنع ذلك من فضله واستدل بما روى من قوله كنت إذاسمعت من رسول الله ص حديثا نفعنى الله به ماشاء أن ينفعنى و إذاحدثنى غيره أحلفته فإن حلف لى صدقته وحدثنى أبوبكر وصدق أبوبكر وذكر أنه لم يعرف أى موضع يدفن فيه رسول الله ص حتى رجع إلى مارواه أبوبكر وذكر قصة الزبير فى موالى صفية و أن أمير المؤمنين ع أراد أن يأخذ ميراثهم كما أن عليه أن يحمل عقلهم حتى أخبره عمر بخلاف ذلك من أن الميراث للأب والعقل على العصبة. [صفحه ١٩٧] ثم سأل نفسه فقال كيف يجوز ماذكرتم على أمير المؤمنين ع مع قوله سلونى قبل أن تفقدونى و قوله إن هاهنا علما جما يومئ إلى قلبه و قوله لوثنيت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الزبور بزبورهم و بين أهل القرآن بقرآنهم و قوله كنت إذاسئلت أجبت و إذاسكت ابتدئت . وأجاب عن ذلك بأن هذاإنما يدل على عظم المحل فى العلم من غير أن يدل على الإحاطة بالجميع . وحكى عن أبى على استبعاده ماروى من قوله لوثنيت الوسادة قال لأنه لايجوز أن يصف نفسه بأنه يحكم بما لايجوز ومعلوم أنه ع لايحكم بين الجميع إلابالقرآن ثنيت له الوسادة أو لم تثن و هذايدل على أن الخبر موضوع .فاعترض الشريف المرتضى فقال ليس يخلو خلاف عمر فى وفاة رسول الله ص من أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كل حال والاعتقاد بأن الموت لايجوز عليه على كل وجه أو يكون منكرا لموته فى تلك الحال من حيث لم يظهر دينه على الدين كله و ماأشبه ذلك مما قال صاحب الكتاب أنها كانت شبهة فى تأخر موته عن تلك الحال . فإن كان الوجه الأول فهو مما لايجوز خلاف العقلاء فى مثله والعلم بجواز الموت على سائر البشر لايشك فيه عاقل والعلم من دينه ع بأنه سيموت كمامات من قبله ضرورى و ليس يحتاج فى مثل هذا إلى الآيات التى تلاها أبوبكر من قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُم مَيِّتُونَ و ماأشبهها و إن كان خلافه على الوجه الثانى تأول ما فيه أن هذاالخلاف لايليق بما احتج به أبوبكر من قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُم مَيِّتُونَلأنه لم ينكر على هذاجواز الموت وإنما خالف فى تقدمه و قد كان يجب أن يقول له و أى حجة فى هذه الآيات على -قرآن-١٢٢١-١٢٥٤-قرآن-١٣٧٧-١٤١٠ [صفحه ١٩٨] من جوز عليه ص الموت فى المستقبل وأنكره فى هذه الحال و بعدفكيف دخلت الشبهة البعيدة على عمر من بين سائر الخلق و من أين زعم أنه لايموت حتى يقطع أيدى رجال وأرجلهم وكيف حمل معنى قوله تعالى لِيُظهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلِّهِ و قوله وَ لَيُبَدِّلَنَّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمناً على أن ذلك لا يكون فى المستقبل بعدالوفاة وكيف لم يخطر هذا إلالعمر وحده ومعلوم أن ضعف الشبهة إنما يكون من ضعف الفكرة وقلة التأمل والبصيرة وكيف لم يوقن بموته لمارأى ما عليه أهل الإسلام من اعتقاد موته و ماركبهم من الحزن والكآبة لفقده وهلا دفع بهذا اليقين ذلك التأويل البعيد فلم يحتج إلى موقف ومعرف و قد كان يجب إن كانت هذه شبهة أن يقول فى حال مرض رسول الله ص و قدرأى جزع أهله وأصحابه وخوفهم عليه من الوفاة حتى يقول أسامة بن زيد معتذرا من تباطئه عن الخروج فى الجيش

ألـذى كان رسول الله ص يكرر ويردد الأمر حينئذ بتنفيـذه لم أكن لأسأل عنك الركب ما هـذاالجزع والهلع و قـدأمنكم الله من موته بكـذا فى وجه كـذا و ليس هـذا من أحكـام الكتاب التى يعـذر من لايعرفها على ماظنه صاحب الكتاب . قلت ألـذى قرأناه ورويناه من كتب التواريـخ يـدل على أن عمر أنكر مـوت رسول الله ص من الوجهين المـذكورين أنكر أولاـ أن يموت إلى يوم القيامة واعتقد عمر أنه يعمر كمايعتقد كثير من الناس فى الخضر فلما حاجه أبوبكر بقوله تعالى إِنّکَ مَيّتٌ وَ إِنّهُم مَيّتُونَ وبقوله أَ فَإِن ماتَ أَو قُتِلَرجع عن ذلك الاعتقاد. و ليس يرد على هـذا مااعترض به المرتضـى لأن عمر ما كان يعتقد استحالة الموت عليه كاستحالة الموت على البـارئ تعالى أعنى الاستحالة الذاتيـة بل اعتقـد استـمرار حياته إلى يوم -قرآن-٢٠٨-٢٣٩-قرآن-٢٤٨-٢٩١-قرآن-١٢٦١-١٢٩٤-قرآن-١٣٠٣-١٣٢٦ [صفحه ١٩٩] القيامـة مع كون الموت جائزا فى العقل عليه و لاتناقض فى ذلك فـإن إبليس يبقى حيـا إلى يوم القيامـة مع كون موته جـائزا فى العقل و ماأورده أبوبكر عليه لازم على أن يكون نفيه للموت على هـذاأوجه . و أمـاالوجه الثانى فهو أنه لمادفعه أبوبكر عن ذلك الاعتقاد وقف مع شـبهة أخرى اقتضت عنـده أن موته يتأخر و إن لم يكن إلى يوم القيامـة و ذلـك أنه تأول قوله تعالى هُوَ ألّـذِی أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُـدي وَ دِينِ الحَقّ لِيُظهِرَهُ عَلَي الـدّينِ كُلّهِفجعل الضـمير عائـدا على الرسول لا على الدين و قال إن رسول الله ص لم يظهر بعد على سائر الأديان فوجب أن تسـتمر حياته إلى أن يظهر على الأديان بمقتضـى الوعـد ألذى لايجوز عليه الخلف والكذب فحاجه أبوبكر من هذاالمقام فقال له إنما أراد ليظهر دينه وسـيظهره فيمـا بعـد و لم يقـل ليظهره الآـن فمن ثم قال له و لوأراد ليظهر الرسول ص على الـدين كله لكان الجواب واحـدا لأنه إذاظهر دينه فقد أظهره هو.فأما قول المرتضى رحمه الله وكيف دخلت هذه الشبهة على عمر من بين الخلق فهكذا تكون الخراطر والشـبه والاعتقادات تسـبق إلى ذهن واحد دون غيره وكيف دخلت الشـبهة على جماعة منعوا الزكاة واحتجوا بقوله تعالى وَ صَلّ عَلَيهِم إِنّ صَـلاتَکَ سَـکَنٌ لَهُمـدون غيرهم من قبائـل العرب وكيـف دخلت الشـبهة على أصـحاب الجمـل وصـفين دون غيرهم وكيف دخلت الشـبهة على خوارج النهروان دون غيرهم و هـذا باب واسع فأما قوله و من أين زعم أنه لايموت حتى تقطع أيدى رجال وأرجلهم فإن ألذى -قرآن-٣٧٤-٤٦٠-قرآن-١٠٨٤-١١٢٦ [صفحه ٢٠٠] ذكره المؤرخون أنه قال مامات رسول الله ص وإنما غاب عنا كماغاب موسـى عن قومه وسـيعود فتقطع أيدى رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته و هذه الرواية تخالف ماذكره المرتضـى .فأما قوله وكيف حمل معنى قوله لِيُظهِرَهُ عَلَي الدّينِ كُلّهِ و قوله وَ لَيُبَدّلَنّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمناً على أن ذلك لا يكون فى المسـتقبل فقـد بينا الشـبهة الداخلة عليه فى ذلك وكونه ظن أن ذلك يكون معجلا على الفور وكذلك قوله وَعَدَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَستَخلِفَنّهُم فِي الأَرضِ کَمَا استَخلَفَ الّذِينَ مِن قَبلِهِم...وَ لَيُبَدّلَنّهُم مِن بَعدِ خَوفِهِم أَمناًفإنه ظن أن هـذاالعموم يـدخل فيه رسول الله ص لأنه سـيد المؤمنين وسـيد الصالحين أو أنه لفظ عام والمراد به رسول الله وحده كماورد فى كثير من آيـات القرآن مثـل ذلـك فظن أن هذاالاسـتخلاف فى جميع الأرض وتبـديل الخوف بالأمن إنما هو على الفور لا على التراخى وليست هـذه الشـبهة بضـعيفة جدا كماظن المرتضـى بل هى موضع نظر.فأما قوله كيف لم يؤمن بموته لمارأى من كآبة الناس وحزنهم فلأن الناس يبنون الأمر على الظاهر وعمر نظر فى أمر باطن دقيق فاعتقد أن الرسول لم يمت وإنما ألقى شبهه على غيره كماألقى شبه عيسـى على غيره فصلـب وعيسـى قدرفع و لم يصلـب واعلم أن أول من سن لأهل الغيبة من الشيعة القول بأن الإمـام لم يمت و لم يقتـل و إن كـان فى الظـاهر و فى مرأى العين قـدقتل أومـات إنمـا هوعمر ولقـد كان يجب على المرتضـى وطائفته أن يشـكروه على ماأسس لهم من هذاالاعتقاد. -قرآن-٢١١-٢٤٢-قرآن-٢٥١-٢٩٤-قرآن-٤٢٤-٥٥٢-قرآن-٥٥٦-٥٩٩ [صفحه ٢٠١] فأمـا قوله فهلاـ قـال فى مرض رسول الله ص لمـارأى جزعهم لموته قـدأمنكم الله من موته فغير لاـزم لأن الشـبهة لاـتجب أن تخطر بالبـال فى كـل الأوقـات فلعله قـد كان فى ذلك الوقت غافلا عنها مشـغول الـذهن بغيرها و لوصـح للمرتضـى هـذاالوجب أن يـدفع ويبطـل كـل مايتجـدد ويطرأ على النـاس من الشـبهة فى المـذاهب والآـراء فنقول كيف طرأت عليهم هـذه

الشبهات الآن و لم تطرأ عليهم من قبل و هذا من اعتراضات المرتضى الضعيفة على أنا قدذكرنا نحن فى الجزء الأول من هذاالكتاب ماقصده عمر بقوله إن رسول الله لم يمت وقلنا فيه قولا شافيا لم نسبق إليه فليعاود ثم قال المرتضى فأما ماروى عن أمير المؤمنين ع من خبر الاستحلاف فى الأخبار فلايدل على عدم علم أمير المؤمنين بالحكم لأنه يجوز أن يكون استحلافه ليرهب المخبر ويخوفه من الكذب على النبى ص لأن العلم بصحة الحكم ألذى يتضمنه الخبر لايقتضى صدق المخبر وأيضا فلاتاريخ لهذا الحديث ويمكن أن يكون استحلافه ع للرواة إنما كان فى حياة رسول الله ص و فى تلك الحال لم يكن محيطا بجميع الأحكام .فأما حديث الدفن وإدخاله فى باب أحكام الدين التى يجب معرفتها فطريف و قديجوز أن يكون أمير المؤمنين ع سمع من النبى ص فى باب الدفن مثل ماسمعه أبوبكر و كان عازما على العمل به حتى روى أبوبكر مارواه فعمل بما كان يعلمه لا من طريق أبى بكر وظن الناس أن العمل لأجله ويجوز أن يكون رسول الله ص خير وصيه ع فى موضع دفنه و لم يعين له موضعا بعينه فلما روى أبوبكر مارواه رأى موافقته فليس فى هذادلالة على أنه ع استفاد حكما لم يكن عنده . [صفحه ٢٠٢] و أماموالى صفية فحكم الله فيهم مأفتى به أمير المؤمنين ع و ليس سكوته حيث سكت عندعمر رجوعا عما أفتى به ولكنه كسكوته عن كثير من الحق تقية ومداراة للقوم . و أما قوله ع سلونى قبل أن تفقدونى و قوله إن هاهنا لعلما جما إلى غير ذلك فإنه لايدل على عظم المحل فى العلم فقط على ماظنه صاحب الكتاب بل هوقول واثق بنفسه آمن من أن يسأل عما لايعلمه وكيف يجوز أن يقول مثله على رءوس الأشهاد وظهور المنابر سلونى قبل أن تفقدونى و هويعلم أن كثيرا من أحكام الدين يعزب عنه وأين كان أعداؤه والمنتهزون لفرصته وزلته عن سؤاله عن مشكل المسائل وغوامض الأحكام والأمر فى هذاظاهر.فأما استبعاد أبى على لماروى عنه ع من قوله لوثنيت لى الوسادة للوجه ألذى ظنه فهو البعيد فإنه لم يفطن لغرضه ع وإنما أراد أنى كنت أقاضيهم إلى كتبهم الدالة على البشارة بنبيناص وصحة شرعه فأكون حاكما حينئذ عليهم بما تقتضيه كتبهم من هذه الشريعة وأحكام هذاالقرآن و هذا من جليل الأغراض وعظيمها

الطعن الثانى

أنه أمر برجم حامل حتى نبهه معاذ و قال إن يكن لك عليها سبيل فلاسبيل لك على ما فى بطنها فرجع عن حكمه و قال لو لامعاذ لهلك عمر و من يجهل هذاالقدر لايجوز أن يكون إماما لأنه يجرى مجرى أصول الشرع بل العقل يدل عليه لأن الرجم عقوبة و لايجوز أن يعاقب من لايستحق . [صفحه ٢٠٣] اعتذر قاضى القضاة عن هذا فقال إنه ليس فى الخبر أنه أمر برجمها مع علمه بأنها حامل لأنه ليس ممن يخفى عليه هذاالقدر و هو أن الحامل لاترجم حتى تضع وإنما ثبت عنده زناها فأمر برجمها على الظاهر وإنما قال ما قال فى معاذ لأنه نبهه على أنها حامل . ثم سأل نفسه فقال فإن قيل إذا لم تكن منه معصية فكيف يهلك لو لامعاذ وأجاب بأنه لم يرد لهلك من جهة العذاب وإنما أراد أنه كان يجرى بقوله قتل من لايستحق القتل ويجوز أن يريد بذلك تقصيره فى تعرف حالها لأن ذلك لايمتنع أن يكون بخطيئة و إن صغرت .اعترض المرتضى على هذاالاعتذار فقال لو كان الأمر على ماظننته لم يكن تنبيه معاذ له على هذاالوجه بل كان يجب أن ينبهه بأن يقول له هى حامل و لا يقول له إن كان لك سبيل عليها فلاسبيل لك على ما فى بطنها لأن هذاقول من عنده أنه أمر برجمها مع العلم بحملها وأقل مايجب لو كان الأمر كماظنه صاحب الكتاب أن يقول لمعاذ ماذهب على أن الحامل لاترجم وإنما أمرت برجمها لفقد علمى بحملها فكان ينفى بهذا القول عن نفسه الشبهة و فى إمساكه عنه مع شدة الحاجة إليه دليل على صحة قولنا و قد كان يجب أيضا أن يسأل عن الحمل لأنه أحد الموانع من الرجم فإذاعلم انتفاءه وارتفاعه أمر بالرجم وصاحب الكتاب قداعترف بأن ترك المسألة عن ذلك تقصير وخطيئة وادعى أنها صغيرة و من أين له ذلك و لادليل يدل عنده فى غيرالأنبياء ع أن معصية بعينها صغيرة.فأما إقراره بالهلاك لو لاتنبيه

معاذ فإنه يقتضى التعظيم والتفخيم لشأن الفعل و لايليق ذلك إلابالتقصير الواقع إما فى الأمر برجمها مع العلم بأنها حامل أوترك البحث عن ذلك [صفحه ۲۰۴] والمسألة عنه و أى لوم عليه فى أن يجرى بقوله قتل من لايستحق القتل إذا لم يكن ذلك عن تفريط منه و لاتقصير. قلت أماظاهر لفظ معاذ فيشعر بما قاله المرتضى و لم يمتنع أن يكون عمر لم يعلم أنها حامل و أن معاذا قد كان من الأدب أن يقول له حامل يا أمير المؤمنين فعدل عن هذااللفظ بمقتضى أخلاق العرب وخشونتهم فقال له إن كان لك عليها سبيل فلاسبيل لك على ما فى بطنها فنبهه على العلة والحكم معا و كان الأدب أن ينبهه على العلة فقط. و أماعدول عمر عن أن يقول أناأعلم أن الحامل لاترجم وإنما أمرت برجمها لأنى لم أعلم أنها حامل فلأنه إنما يجب أن يقول مثل هذا من يخاف من اضطراب حاله أونقصان ناموسه وقاعدته أن لم يقله وعمر كان أثبت قدما فى ولايته وأشد تمكنا من أن يحتاج إلى الاعتذار بمثل هذا. و أماقول المرتضى كان يجب أن يسأل عن الحمل لأنه أحد الموانع من الرجم فكلام صحيح لازم و لاريب إن ترك السؤال عن ذلك نوع من الخطإ ولكن المرتضى قدظلم قاضى القضاة لأنه زعم أنه ادعى أن ذلك صغيرة ثم أنكر عليه ذلك و من أين له ذلك و أى دليل دل على أن هذه المعصية صغيرة وقاضى القضاة ماادعى أن ذلك صغيرة بل قال لايمتنع أن يكون ذلك خطيئة و إن صغرت والعجب أنه حكى لفظ قاضى القضاة بهذه الصورة ثم قال إنه ادعى أنها صغيرة و بين قول القائل لايمتنع أن يكون صغيرة و قوله هى صغيرة لامحالة فرق عظيم . و أماقول عمر لو لامعاذ لهلك عمر فإن ظاهر اللفظ يشعر بما يريده المرتضى وينحو إليه و لايمتنع أن يكون المقصود به ماذكره قاضى القضاة و إن كان مرجوحا فإن القائل خطأ [صفحه ۲۰۵] قد يقول هلكت ليس يعنى به العقاب يوم القيامة بل لوم الناس وتعنيفهم إياه على ترك الاحتراس وإهمال التثبت

الطعن الثالث

خبر المجنونة التى أمر برجمها فنبهه أمير المؤمنين ع و قال إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق -روايت-۱-۲-روايت-۸-۴۸ فقال لو لا-على لهلك عمر و هذايدل على أنه لم يكن يعرف الظاهر من الشريعة.أجاب قاضى القضاة فقال ليس فى الخبر أنه عرف جنونها فيجوز أن يكون ألذى نبه عليه هوجنونها دون الحكم لأنه كان يعلم أن الحد لايقام فى حال الجنون وإنما قال لو لا على لهلك عمر لا من جهة المعصية والإثم لكن لأن حكمه لونفذ لعظم غمه ويقال فى شدة الغم إنه هلاك كمايقال فى الفقر وغيره و ذلك مبالغة منه لما كان يلحقه من الغم ألذى زال بهذا التنبيه على أن هذاالوجه مما لايمتنع فى الشرع أن يكون صحيحا و أن يقال إذاكانت مستحقة للحد فإقامته عليها تصح و إن لم يكن لها عقل لأنه لايخرج الحد من أن يكون واقعا موقعه و يكون قوله ع رفع القلم عن ثلاث يراد به زوال التكليف عنهم دون زوال إجراء الحكم عليهم و من هذه حاله لايمتنع أن يكون مشتبها فرجع فيه إلى غيره و لا يكون الخطأ فيه مما يعظم فيمنع من صحة الإمامة.اعترض الشريف المرتضى هذا فقال لو كان أمر برجم المجنونة من غيرعلم بجنونها لما قال له أمير المؤمنين أ ماعلمت أن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق بل كان يقول له بدلا من ذلك هى مجنونة و كان ينبغى أن يقول عمر متبرئا من الشبهة ماعلمت بجنونها ولست ممن يذهب عليه أن المجنون لايرجم فلما رأيناه استعظم ماأمر به و قال لو لا [صفحه ۲۰۶] على لهلك عمر دلنا على أنه كان تأثم وتحرج بوقوع الأمر بالرجم و أنه مما لا-يجوز و لايحل و إلا-فلا-معنى لهذا الكلام و أماذكر الغم فأى غم كان يلحقه إذافعل ما له أن يفعله و لم يكن منه تفريط و لاتقصير لأنه إذا كان جنونها لم يعلم به فكانت المسألة عن حالها والبحث لايجبان عليه فأى وجه لتألمه وتوجعه واستعظامه لمافعله وهل هذا إلا-كرجم المشهود عليه بالزناء فى أنه لوظهر للإمام بعد ذلك براءة ساحته لم يجب أن يندم على فعله ويستعظمه لأنه وقع صوابا مستحقا. و أما قوله إنه كان لايمتنع فى الشرع أن يقام الحد على المجنون وتأوله الخبر المروى على أنه يقتضى زوال التكليف دون الأحكام فإن أراد أنه لايمتنع فى العقل أن يقام على المجنون ما هو من جنس الحد بغير استخفاف و

لاإهانـة فـذلك صـحيح كمايقام على التائب و أماالحـد فى الحقيقـة و هو ألـذى تضـمنه الاسـتخفاف والإهانـة فلايجوز إلا على المكلفين ومستحقى العقاب وبالجنون قدأزيل التكليف فزال استحقاق العقاب ألذى تبعه الحد. و قوله لايمتنع أن يرجع فيما هذه حاله من المشتبه إلى غيره فليس هذا من المشتبه الغامض بل يجب أن يعرفه العوام فضلا عن العلماء على أنا قدبينا أنه لايجوز أن يرجع الإمام فى جلى و لامشتبه من أحكام الدين إلى غيره . و قوله إن الخطأ فى ذلك لايعظم فيمنع من صحة الإمامة اقتراح بغير حجة لأـنه إذااعترف بالخطإ فلاسبيـل للقطع على أنه صـغير. قلت لو كـان قـدنقل أن أمير المؤمنين قـال له أ ماعلمت لكان قول المرتضـى قويا ظـاهرا إلاـ أنه لم ينقـل هـذه الصـيغة بعينهـا والمعروف المنقول أنه قال له قال رسول الله ص رفع القلم عن ثلاث فرجع عن رجمها ويجوز أن يكون أشعره بالعلة [صفحه ٢٠٧] والحكم معا لأن هذاالموضع أكثر اشتباها من حديث رجم الحامل فغلب على ظن أمير المؤمنين أنه لواقتصر على قوله أنها مجنونة لم يكن ذلك دافعا لرجمها فأكده برواية الحديث واعتذار قاضى القضاة بالغم جيـد وقول المرتضـى أى غم كان يلحقه إذافعل ما له أن يفعله ليس بإنصاف و لامثل هـذايقال فيه أنه فعل ما له أن يفعله و لايقـال فى العرف لمن قتـل إنسانـا خطـأ أنه فعـل مـا له أن يفعله والمرجوم فى الزنـاء إذاظهر للإمام بعـدقتله براءة ساحته قديغتم بقتله غما كثيرا بالطبع البشرى ويتألم و إن لم يكن آثما و ليس من توابع الإثم ولوازمه . وقول المرتضى لم يجب أن يندم على مـافعله كلاـم خـارج عمـا هوبصـدده لأـنه لم يجر ذكر للنـدم وإنمـا الكلاـم فى الغم و لاـيلزم أن يكون كـل مغتم نادمـا. و أمـااعتراضه على قاضـى القضـاة فى قوله لايمتنع فى الشـرع أن ترجم المجنونـة فلما اشـتبه على عمر الأمر سأل غيره عنه بقوله إن أردت الحـد الحقيقى فمعلوم و إن أردت ما هوجنس الحـد فمسـلم فليس بجيـد لأن هـذاإنما يكون طعنا على عمر بتقـدير ثلاثة أمور أحـدها أن يكون النبى ص قـد قال أقيموا الحـد على الزانى -روايت-١-٢-روايت-٢١-٤٥ بهـذا اللفظ أعنى أن يكون فى لفظ النص ذكر الحـد وثانيها أن يكون الحد فى اللغة العربية أو فى عرف الشـرع ألذى يتفاهمه الصـحابة هوالعقوبة المخصوصـة التى يقارنها الاسـتخفاف والإهانـة وثالثها ألا يصح إهانة المجنون والاسـتخفاف به و أن يعلم عمر ذلك فإذااجتمعت هذه الأمور الثلاثـة ثم أمر عمر بأن يقام الحـد على المجنونة فقد توجه الطعن ومعلوم أنه لم تجتمع هذه الأمور الثلاثة فإنه ليس فى القرآن و لا فى السـنة ذكر الحد بهذا اللفظ و لاالحد فى اللغة العربية هوالعقوبة التى يقارنها الاستخفاف والإهانة و لاعرف الشرع ومواضعه الصحابة يشتمل على ذلك وإنما هذا شيءاستنبطه المتكلمون المتأخرون بأذهانهم وأفكارهم ثم بتقدير تسليم هذين المقامين لم قـال إن المجنون [صـفحه ٢٠٨] لايصـح عليه الاسـتخفاف والإهانـة فمن الجائز أن يصـح ذلك عليه و إن لم يتألم بالاسـتخفاف والإهانـة كمايتألم بالعقوبـة و إذاصـح عليه أن يألم بالعقوبة صح عليه أن يألم بالاسـتخفاف والإهانة لأن الجنون لايبلغ و إن عظم مبلغـا يبطل تصور الإنسان لإهانته ولاستخفافه وبتقـدير ألا يصـح على المجنون الاسـتخفاف والإهانـة من أين لنا أن عمر علم أن ذلك لايصـح عليه فمن الممكن أن يكون ظن أن ذلك يصـح عليه لأن هـذامقام اشـتباه والتباس .فأما قوله قـدبينا أنه لايجوز أن يرجع الإمـام أصـلا إلى غيره فهو مبنى على مـذهبهم وقواعـدهم و قوله معترضـا على كلام قاضـى القضاة أن الخطأ فى ذلك قد لاـيعظم ليمنع من صـحة الإمامـة أن هـذااقتراح بغير حجـة لأـنه إذااعترف بالخطإ فلاسبيل إلى القطع على أنه صـغير غيرلازم لأن قاضـى القضـاة لم يقطع بـأنه صـغير بـل قـال لاـيمتنع و إذاجـاز أن يكون صـغيرا لم نكن قـاطعين على فساد الإمامـة به . فإن قال المرتضـى كماأنكم لاتقطعون على أنه صـغير فتكون الإمامة مشكوكا فيهاقيل له الأصل عدم الكبير فإذاحصل الشك فى أمر هل هوصغير أم كبير تساقط التعارض ورجعنا إلى الأصل و هوعدم كون ذلك الخطإ كبيرا فلايمنع ذلك من صحة الإمامة

الطعن الرابع

حـديث أبى العجفـاء و أن عمر منع من المغالاـة فى صـدقات النسـاء اقتـداء بما كان من النبى ص فى صـداق فاطمـة حتى قامت

المرأة ونبهته بقوله تعالى وَ آتَيتُم إِحداهُنّ قِنطاراً على جواز ذلك فقال كل النساء أفقه من عمر -قرآن-١٤٥-١٧٣ [صفحه ٢٠٩] وبما روى أنه تسور على قوم ووجدهم على منكر فقالوا له إنك أخطأت من جهات تجسست و قال الله تعالى وَ لا تَجَسّسُوا ودخلت بغير إذن و لم تسلم .أجاب قاضى القضاة فقال علمنا بتقدم عمر فى العلم وفضله فيه ضرورى فلايجوز أن يقدح فيه بأخبار أحاديث غيرمشهورة وإنما أراد فى المشهور أن المستحب الاقتداء برسول الله ص و أن المغالاة فيها ليس بمكرمة ثم عندالتنبيه علم أن ذلك مبنى على طيب النفس فقال ماقاله على جهة التواضع لأن من أظهر الاستفادة من غيره و إن قل علمه فقد تعاطى الخضوع ونبه على أن طريقته أخذ الفائدة أينما وجدها وصير نفسه قدوة فى ذلك وأسوة و ذلك حسن من الفضلاء و أماحديث التجسس فإن كان فعله فقد كان له ذلك لأن للإمام أن يجتهد فى إزالة المنكر بهذا الجنس من الفعل وإنما لحقه على مايروى فى الخبر الخجل لأنه لم يصادف الأمر على ماألقى إليه فى إقدامهم على المنكر اعترض المرتضى على هذاالجواب فقال له أماتعويلك على العلم الضرورى بكونه من أهل العلم والاجتهاد فذلك إذاصح لم ينفعك لأنه قديذهب على من هوبهذه الصفة كثير من الأحكام حتى ينبه عليها ويجتهد فيها و ليس العلم الضرورى ثابتا بأنه عالم بجميع أحكام الدين فيكون قاضيا على هذه الأخبار فأما تأوله الحديث وحمله على الاستحباب فهو دفع للعيان لأن المروى أنه منع من ذلك وحظره حتى قالت المرأة ماقالت و لو كان غيرحاظر للمغالاة لما كان فى الآية حجة و لا كان لكلام المرأة موقع و لا كان يعترف لها بأنها أفقه منه بل كان الواجب أن يرد عليها ويوبخها ويعرفها أنه ماحظر لذلك وإنما تكون -قرآن-١٠٤-١١٩ [صفحه ٢١٠] الآية حجة عليه لو كان حاظر مانعا فأما التواضع فلايقتضى إظهار القبيح وتصويب الخطإ و لو كان الأمر على ماتوهمه صاحب الكتاب لكان هوالمصيب والمرأة مخطئة فكيف يتواضع بكلام يوهم أنه المخطئ وهى المصيبة فأما التجسس فهو محظور بالقرآن والسنة و ليس للإمام أن يجتهد فيما يؤدى إلى مخالفة الكتاب والسنة و قد كان يجب إن كان هذاعذرا صحيحا أن يعتذر به إلى من خطأه فى وجهه و قال له إنك أخطأت السنة من وجوه فإنه بمعاذير نفسه أعلم من صاحب الكتاب وتلك الحال حال تدعو إلى الاحتجاج وإقامة العذر. قلت قصارى هذاالطعن أن عمر اجتهد فى حكم أوأحكام فأخطأ فلما نبه عليها رجع و هذا عندالمعتزلة وأكثر المسلمين غيرمنكر وإنما ينكر أمثال هذا من يبطل الاجتهاد ويوجب عصمة الإمام فإذا هذاالبحث ساقط على أصول المعتزلة والجواب عنه غيرلازم علينا

الطعن الخامس

أنه كان يعطى من بيت المال ما لايجوز حتى أنه كان يعطى عائشة وحفصة عشرة آلاف درهم فى كل سنة ومنع أهل البيت خمسهم ألذى يجرى مجرى الواصل إليهم من قبل رسول الله ص و أنه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القرض .أجاب قاضى القضاة بأن دفعه إلى الأزواج جائز من حيث إن لهن حقا فى بيت [صفحه ٢١١] المال وللإمام أن يدفع ذلك على قدر مايراه و هذاالفعل قدفعله من قبله و من بعده و لو كان منكرا لمااستمر عليه أمير المؤمنين ع و قدثبت استمراره عليه و لو كان ذلك طعنا لوجب إذا كان يدفع إلى الحسن و الحسين و إلى عبد الله بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئا أن يكون فى حكم الخائن و كل ذلك يبطل ماقالوه لأن بيت المال إنما يراد لوضع الأموال فى حقوقها ثم الاجتهاد و إلى المتولى للأمر فى الكثرة والقلة.فأما أمر الخمس فمن باب الاجتهاد و قداختلف الناس فيه فمنهم من جعله حقا لذوى القربى وسهما مفردا لهم على مايقتضيه ظاهر الآية ومنهم من جعله حقا لهم من جهة الفقر وأجراهم مجرى غيرهم و إن كانوا قدخصوا بالذكر كماأجرى الأيتام و إن خصوا بالذكر مجرى غيرهم فى أنهم يستحقون بالفقر والكلام فى ذلك يطول فلم يخرج عمر بما حكم به عن طريقة الاجتهاد و من قدح فى ذلك فإنما يقدح فى الاجتهاد ألذى هوطريقة الصحابة.فأما اقتراضه من بيت المال فإن صح

فهو غيرمحظور بل ربما كان أحوط إذا كان على ثقة من رده بمعرفة الوجه ألذى يمكنه منه الرد و قدذكر الفقهاء ذلك و قال أكثرهم أن الاحتياط فى مال الأيتام وغيرهم أن يجعل فى ذمة الغنى المأمون لبعده عن الخطر و لافرق بين أن يقرض الغير أويقترضه لنفسه و من بلغ فى أمره أن يطعن على عمر بمثل هذه الأخبار مع مايعلم من سريرته وتشدده فى ذات الله واحتياطه فيما يتصل بملك الله وتنزهه عنه حتى فعل بالصبى ألذى أكل من تمر الصدقة واحدة مافعل و حتى كان يرفع نفسه عن الأمر الحقير ويتشدد على كل أحد حتى على ولده فقد أبعد فى القول .اعترض المرتضى فقال أماتفصيل الأزواج فإنه لايجوز لأنه لاسبب فيهن [صفحه ۲۱۲] يقتضى ذلك وإنما يفضل الإمام فى العطاء ذوى الأسباب المقتضية لذلك مثل الجهاد وغيره من الأمور العام نفعها للمسلمين . و قوله إن لهن حقا فى بيت المال صحيح إلا أنه لايقتضى تفضيلهن على غيرهن و ماعيب بدفع حقهن إليهن وإنما عيب بالزيادة عليه و مايعلم أن أمير المؤمنين ع استمر على ذلك و إن كان صحيحا كماادعى فالسبب الداعى إلى الاستمرار عليه هوالسبب الداعى إلى الاستمرار على جميع الأحكام فأما تعلقه بدفع أمير المؤمنين إلى الحسن و الحسين وغيرهما شيئا من بيت المال فعجب لأنه لم يفضل هؤلاء فى العطية فيشبه ماذكرناه فى الأزواج وإنما أعطاهم حقوقهم وسوى بينهم و بين غيرهم .فأما الخمس فهو للرسول ولأقربائه على مانطق به القرآن وإنما عنى تعالى بقوله وَ لِذِي القُربى وَ اليَتامى وَ المَساكِينِ وَ ابنِ السّبِيلِ من كان من آل الرسول خاصة لأدلة كثيرة لاحاجة بنا إلى ذكرها هاهنا و -قرآن-۶۹۵-۷۵۶ قدروى سليم بن قيس الهلالى قال سمعت أمير المؤمنين ع يقول نحن و الله الذين عنى الله بذى القربى قرنهم الله بنفسه ونبيه ص فقال ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُرى فَلِلّهِ وَ لِلرّسُولِ وَ لِذِي القُربى وَ اليَتامى وَ المَساكِينِ وَ ابنِ السّبِيلِ كل هؤلاء منا خاصة و لم يجعل لنا سهما فى الصدقة أكرم الله تعالى نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما فى أيدى الناس -روايت-۱-۲-روايت-۶۷-۳۹۴ وروى يزيد بن هرم قال كتب نجده إلى ابن عباس يسأله عن الخمس لمن هوفكتب إليه كتبت تسألنى عن الخمس لمن هو وإنا كنا نزعم أنه لنا فأبى قومنا علينا ذلك فصبرنا عليه . قال و أماالاجتهاد ألذى عول عليه فليس عذرا فى إخراج الخمس عن أهله فقد أبطلناه . [صفحه ۲۱۳] و أماالاقتراض من بيت المال فهو مما يدعو إلى الريبة و من كان من التشدد والتحفظ والتقشف على الحد ألذى ذكره كيف تطيب نفسه بالاقتراض من بيت المال و فيه حقوق وربما مست الحاجة إلى الإخراج منها و أى حاجة لمن كان جشب المأكل خشن الملبس يتبلغ بالقوت إلى اقتراض الأموال .فأما حكايته عن الفقهاء أن الاحتياط أن يحفظ مال الأيتام فى ذمة الغنى المأمون فذلك إذاصح لم يكن نافعا له لأن عمر لم يكن غنيا و لو كان غنيا لمااقترض فقد خرج اقتراضه عن أن يكون من باب الاحتياط وإنما اشترط الفقهاء مع الأمانة الغنى لئلا تمس الحاجة إليه فلايمكن ارتجاعه ولهذا قلنا إن اقتراضه لحاجته إلى المال لم يكن صوابا وحسن نظر للمسلمين . قلت أما قوله لايجوز للإمام أن يفضل فى العطاء إلالسبب يقتضى ذلك كالجهاد فليست أسباب التفضيل مقصورة على الجهاد وحده فقد يستحق الإنسان التفضيل فى العطاء على غيره لكثرة عبادته أولكثرة علمه أوانتفاع الناس به فلم لايجوز أن يكون عمر فضل الزوجات لذلك . وأيضا فإن الله تعالى فرض لذوى القربى من رسول الله ص نصيبا فى الفىء والغنيمة ليس إلالأنهم ذوو قرابته فقط فما المانع من أن يقيس عمر على ذلك مافعله فى العطاء فيفضل ذوى قرابة رسول فى ذلك على غيرهم ليس إلالأنهم ذوو قرابته والزوجات و إن لم يكن لهن قربى النسب فلهن قربى الزوجية وكيف يقول المرتضى ماجاز أن يفضل أحدا إلابالجهاد و قدفضل الحسن و الحسين على كثير من أكابر المهاجرين والأنصار وهما صبيان ماجاهدا و لابلغا الحلم بعد وأبوهما أمير المؤمنين [صفحه ۲۱۴] موافق على ذلك راض به غيرمنكر له وهل فعل عمر ذلك إلالقربهما من رسول الله ص . ونحن نذكر مافعله عمر فى هذاالباب مختصرا نقلناه من كتاب أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى المحدث فى أخبار عمر وسيرته .روى أبوالفرج عن أبى سلمة بن عبدالرحمن قال استشار عمر الصحابة بمن يبدأ فى القسم والفريضة فقالوا ابدأ بنفسك فقال بل أبدأ بآل رسول الله ص وذوى قرابته فبدأ بالعباس قال ابن

الجوزی و قدوقع الاتفاق علی أنه لم یفرض لأحد أکثر مما فرض له . وروی أنه فرض له اثنی عشر ألفا و هوالأصح ثم فرض لزوجات رسول الله ص لکل واحدة عشرة آلاف وفضل عائشة علیهن بألفین فأبت فقال ذلک بفضل منزلتک عند رسول الله ص فإذاأخذت فشأنک واستثنی من الزوجات جویریة وصفیة ومیمونة ففرض لکل واحدة منهن ستة آلاف فقالت عائشة إن رسول الله ص کان یعدل بیننا فعدل عمر بینهن وألحق هؤلاء الثلاث بسائرهن ثم فرض للمهاجرین الذین شهدوا بدرا لکل واحد خمسة آلاف ولمن شهدها من الأنصار لکل واحد أربعة آلاف . و قدروی أنه فرض لکل واحد ممن شهد بدرا من المهاجرین أو من الأنصار أو من غیرهم من القبائل خمسة آلاف ثم فرض لمن شهد أحدا و مابعدها إلی الحدیبیة أربعة آلاف ثم فرض لکل من شهد المشاهد بعدالحدیبیة ثلاثة آلاف ثم فرض لکل من شهد المشاهد بعدوفاة رسول الله ص ألفین وخمسمائة وألفین وألفا [صفحه ۲۱۵] وخمسمائة وألفا واحدا إلی مائتین وهم أهل هجر ومات عمر علی ذلک . قال ابن الجوزی وأدخل عمر فی أهل بدر ممن لم یحضر بدرا أربعة وهم الحسن و الحسین و أبوذر وسلمان ففرض لکل واحد منهم خمسة آلاف . قال ابن الجوزی وروی السدی أن عمر کسا أصحاب النبی ص فلم یرتض فی الکسوة مایستصلحه للحسن و الحسین ع فبعث إلی الیمن فأتی لهما بکسوة فاخرة فلما کساهما قال الآن طابت نفسی. قال ابن الجوزی فأما مااعتمده فی النساء فإنه جعل نساء أهل بدر علی خمسمائة ونساء من بعدبدر إلی الحدیبیة علی أربعمائة ونساء من بعد ذلک علی ثلاثمائة وجعل نساء أهل القادسیة علی مائتین مائتین ثم سوی بین النساء بعد ذلک . و لو لم یدل علی تصویب عمر فیما فعله إلاإجماع الصحابة واتفاقهم علیه وترک الإنکار لذلک کان کافیا.فأما الخمس والخلاف فیه فإنها مسألة اجتهادیة و ألذی یظهر لنا فیه ویغلب عندنا من أمرها أن الخمس حق صحیح ثابت و أنه باق إلی الآن علی مایذهب إلیه الشافعی و أنه لم یسقط بموت رسول الله ص ولکنا لانری مایعتقده المرتضی من أن الخمس لآل الرسول ص و أن الأیتام أیتامهم والمساکین مساکینهم و ابن السبیل منهم لأنه علی خلاف مایقتضیه ظاهر الآیة والعطف ویمکن أن یحتج علی ذلک بأن قوله تعالی فی سورة الحشرلِلفُقَراءِ المُهاجِرِینَیبطل هذاالقول لأن هذه اللام لابد أن تتعلق بشیء و لیس قبلها ماتتعلق به أصلا إلا أن تجعل بدلا من اللام التی قبلها فی قوله ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُری فَلِلّهِ وَ لِلرّسُولِ -قرآن-۱۱۴۳-۱۱۶۷-قرآن-۱۲۹۹-۱۳۶۹ وخمسمائة وألفا واحدا إلی مائتین وهم أهل هجر ومات عمر علی ذلک . قال ابن الجوزی وأدخل عمر فی أهل بدر ممن لم یحضر بدرا أربعة وهم الحسن و الحسین و أبوذر وسلمان ففرض لکل واحد منهم خمسة آلاف . قال ابن الجوزی وروی السدی أن عمر کسا أصحاب النبی ص فلم یرتض فی الکسوة مایستصلحه للحسن و الحسین ع فبعث إلی الیمن فأتی لهما بکسوة فاخرة فلما کساهما قال الآن طابت نفسی. قال ابن الجوزی فأما مااعتمده فی النساء فإنه جعل نساء أهل بدر علی خمسمائة ونساء من بعدبدر إلی الحدیبیة علی أربعمائة ونساء من بعد ذلک علی ثلاثمائة وجعل نساء أهل القادسیة علی مائتین مائتین ثم سوی بین النساء بعد ذلک . و لو لم یدل علی تصویب عمر فیما فعله إلاإجماع الصحابة واتفاقهم علیه وترک الإنکار لذلک کان کافیا.فأما الخمس والخلاف فیه فإنها مسألة اجتهادیة و ألذی یظهر لنا فیه ویغلب عندنا من أمرها أن الخمس حق صحیح ثابت و أنه باق إلی الآن علی مایذهب إلیه الشافعی و أنه لم یسقط بموت رسول الله ص ولکنا لانری مایعتقده المرتضی من أن الخمس لآل الرسول ص و أن الأیتام أیتامهم والمساکین مساکینهم و ابن السبیل منهم لأنه علی خلاف مایقتضیه ظاهر الآیة والعطف ویمکن أن یحتج علی ذلک بأن قوله تعالی فی سورة الحشرلِلفُقَراءِ المُهاجِرِینَیبطل هذاالقول لأن هذه اللام لابد أن تتعلق بشیء و لیس قبلها ماتتعلق به أصلا إلا أن تجعل بدلا من اللام التی قبلها فی قوله ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُری فَلِلّهِ وَ لِلرّسُولِ وَ لِذِی القُربی وَ الیَتامی وَ المَساکِینِ وَ ابنِ السّبِیلِ -قرآن-۱-۶۳ و لیس یجوز أن تکون بدلا من اللام فی اللّهُ و لا من اللام فی قوله وَ لِلرّسُولِفبقی أن تکون بدلا من اللام فی قوله ولِذِی القُربی أماالأول فتعظیما له سبحانه و أماالثانی فلأنه تعالی قدأخرج رسوله من الفقراء بقوله وَ یَنصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ ولأنه یجب أن یرفع

رسول الله ص عن التسمية بالفقير و أماالثالث فإما أن يفسر هذاالبدل و ماعطف عليه المبدل منه أويفسر هذاالبدل وحده دون ماعطف عليه المبدل منه والأول لايصح لأن المعطوف على هذاالبدل ليس من أهل القرى وهم الأنصار أ لاترى كيف قال سبحانه لِلفُقَراءِ المُهاجِرِينَ الّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيارِهِمالآية ثم قال سبحانه وَ الّذِينَ تَبَوّؤُا الدّارَ وَ الإِيمانَ مِن قَبلِهِم وهم الأنصار و إن كان الثانى صار تقدير الآية أن الخمس لله وللرسول ولذى القربى الذين وصفهم الله ونعتهم بأنهم هاجروا وأخرجوا من ديارهم وللأنصار فيكون هذامبطلا لمايذهب إليه المرتضى فى قصر الخمس على ذوى القربى . ويمكن أن يعترض هذاالاحتجاج فيقال لم لايجوز أن يكون قوله وَ الّذِينَ تَبَوّؤُا الدّارَ وَ الإِيمانَ ليس بعطف ولكنه كلام مبتدأ وموضع الذين رفع بالابتداء وخبره يحبون . وأيضا فإن هذه الحجة لايمكن التمسك بها فى آية الأنفال و هو قوله تعالى وَ اعلَمُوا أَنّما غَنِمتُم مِن شَيءٍ.فأما رواية سليم بن قيس الهلالى فليست بشيء وسليم معروف المذهب ويكفى فى رد روايته كتابه المعروف بينهم المسمى كتاب سليم . -قرآن-٤٠-٤٥-قرآن-٧١-٨٣-قرآن-١٢٥-١٣٨-قرآن-٢٢٨-٢٦٠-قرآن-٥٣٥-٥٩٢-قرآن-٦١٤-٦٦٨-قرآن-٩٥٩-١٠٠٠-قرآن-١١٤٩-١١٨٥ [صفحه ٢١٧] على أنى قدسمعت من بعضهم من يذكر أن هذاالاسم على غيرمسمى و أنه لم يكن فى الدنيا أحد يعرف بسليم بن قيس الهلالى و أن الكتاب المنسوب إليه منحول موضوع لاأصل له و إن كان بعضهم يذكره فى اسم الرجال والرواية المذكورة عن ابن عباس فى كتابه إلى نجدة الحرورى صحيحة ثابتة و ليس فيها مايدل على مذهب المرتضى من أن الخمس كله لذوى القربى لأن نجدة إنما سأله عن خمس الخمس لا عن الخمس كله . وينبغى أن يذكر فى هذاالموضع اختلاف الفقهاء فى الخمس أما أبوحنيفة فعنده أن قسمة الخمس كانت فى عهد رسول الله ص على خمسة أسهم سهم لرسول الله ص وسهم لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبدشمس ونوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لماروى عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم أنهما قالا لرسول الله ص هؤلاء إخوتك من بنى هاشم لاننكر فضلهم لمكانك ألذى جعلك الله منهم أرأيت إخواننا بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال ص إنهم لم يفارقونا فى جاهلية و لاإسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيءواحد -روايت-١-٢-روايت-١٢-٨٧ وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم ليتامى المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل منهم و أما بعد رسول الله ص فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء و لايعطى أغنياؤهم فيقسم الخمس إذن على ثلاثة أسهم اليتامى والمساكين و ابن السبيل . و أماالشافعى فيقسم الخمس عنده بعدوفاة رسول الله ص على خمسة أسهم سهم لرسول الله ص يصرف إلى ما كان يصرفه إليه رسول الله ص أيام حياته من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح [صفحه ٢١٨] ونحو ذلك وسهم لذوى القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين من بنى هاشم وبنى المطلب والباقى للفرق الثلاث . و أمامالك بن أنس فعنده أن الأمر فى هذه المسألة مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء و إن رأى أعطاه بعضهم دون بعض و إن رأى الإمام غيرهم أولى وأهم فغيرهم . وبقى الآن البحث عن معنى قوله سبحانه و تعالى فَلِلّهِ وَ لِلرّسُولِ و ماالمراد بسهم الله سبحانه وكيف يقول الفقهاء الخمس مقسوم خمسة أقسام وظاهر الآية يدل على ستة أقسام فنقول يحتمل أن يكون معنى قوله سبحانه فَلِلّهِ وَ لِلرّسُولِللرسول الله كقوله وَ اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقّ أَن يُرضُوهُ أى و رسول الله أحق ومذهب أبى حنيفة والشافعى يجيء على هذاالاحتمال . ويحتمل أن يريد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب ومذهب أبى العالية يجيء على هذاالاحتمال لأنه يذهب إلى أن الخمس يقسم ستة أقسام أحدها سهمه تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة و قدروى أن رسول الله ص كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة و يقول سهم الله تعالى ثم يقسم مابقى على خمسة أقسام . و قال قوم سهم الله لبيت الله . ويحتمل احتمالا ثالثا و هو أن يراد بقوله فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ أن من حق الخمس أن يكون متقربا به إليه سبحانه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها -قرآن-٣٧٤-٣٩٥-قرآن-

۵۴۵-۵۶۶-قرآن-۵۸۵-۶۲۶-قرآن-۱۱۲۶-۱۱۴۷ [صفحه ۲۱۹] على غيرها كقوله وَ جِبرِيلَ وَ مِيكالَ ومذهب مالك يجىء على هذاالاحتمال و -قرآن-۱۸-۳۹ قدروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه وثلاثة أسهم للثلاثة حتى قبض ع فأسقط أبوبكر ثلاثة أسهم وقسم الخمس كله على ثلاثة أسهم وكذلك فعل عمر -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۲۰۲ روى أن أبابكر منع بنى هاشم الخمس و قال إنما لكم أن نعطى فقيركم ونزوج أيمكم ونخدم من لاخادم له منكم و أماالغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لايعطى شيئا و لايتيم موسر -روايت-۱-۲-روايت-۷-۱۸۹ و قدروى عن زيد بن على ع مثل ذلك قال ليس لنا أن نبنى منه القصور و لا أن نركب منه البراذين فأما مذهب الإمامية فإن الخمس كله للقرابة. و يروون عن أمير المؤمنين ع أنه قال أيتامنا ومساكيننا فإن صح عنه ذلك فقوله عندنا أولى بالاتباع وإنما الكلام فى صحته .فأما اقتراض عمر من بيت المال ثمانين ألفا فليس بمعروف والمعروف المشهور أنه كان يظلف نفسه عن الدرهم الواحد منه . و قدروى ابن سعد فى كتاب الطبقات أن عمر خطب فقال إن قوما يقولون إن هذاالمال حلال لعمر و ليس كماقالوا لاها الله إذن أناأخبركم بما أستحل منه يحل لى منه حلتان حلة فى الشتاء وحلة فى القيظ و ماأحج عليه وأعتمر من الظهر وقوتى وقوت أهلى كقوت رجل من قريش ليس بأغناهم و لاأفقرهم ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبنى ماأصابهم . -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-ادامه دارد [صفحه ۲۲۰] وروى ابن سعد أيضا أن عمر كان إذااحتاج أتى إلى صاحب بيت المال فاستقرضه فربما عسر عليه القضاء فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاضاه فيحتال له وربما خرج عطاؤه فقضاه ولقد اشتكى مرة فوصف له الطبيب العسل فخرج حتى صعد المنبر و فى بيت المال عكة فقال إن أذنتم لى فيهاأخذتها و إلافهى على حرام فأذنوا له فيها ثم قال إن مثلى ومثلكم كقوم سافروا فدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم لينفق عليهم فهل يحل له أن يستأثر منها بشىء. وروى ابن سعد أيضا قال مكث عمر زمانا لايأكل من مال المسلمين شيئا حتى أصابته خصاصة فأرسل إلى أصحاب رسول الله ص فاستشارهم فقال لهم قدشغلت نفسى بأمركم فما ألذى يصلح أن أصيبه من مالكم فقال عثمان كل وأطعم وكذلك قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فتركهما وأقبل على على ع فقال ماتقول أنت قال غداء وعشاء قال أصبت وأخذ بقوله -روايت-از قبل-۷۸۹ روى أبوالفرج بن الجوزى فى كتاب سيرة عمر عن نائلة عن ابن عمر قال جمع عمر الناس لماانتهى إليه فتح القادسية ودمشق فقال إنى كنت امرأ تاجرا يغنى الله عيالى بتجارتى و قدشغلتمونى عن التجارة بأمركم فما ترون أنه يحل لى من هذاالمال فقال القوم فأكثروا و على ع ساكت فقال عمر ماتقول أنت يا أبا الحسن قال ماأصلحك وأصلح عيالك بالمعروف و ليس لك من هذاالمال غيره فقال القول ماقاله أبو الحسن وأخذ به -روايت-۱-۲-روايت-۷۲-۴۲۷ . وروى عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده أن عبد الله وعبيد الله ابنى عمر مرا بأبى موسى و هو على العراق وهما مقبلان من أرض فارس فقال مرحبا بابنى أخى [صفحه ۲۲۱] لو كان عندى شىء وبلى قداجتمع هذاالمال عندى فخذاه واشتريا به متاعا فإذاقدمتما فبيعاه ولكما ربحه وأديا إلى أمير المؤمنين رأس المال ففعلا فلما قدما على عمر بالمدينة أخبراه فقال أ كل أولاد المهاجرين يصنع بهم أبو موسى مثل ذلك فقالا لا قال فإن عمر يأبى أن يجيز ذلك وجعل قرضا. وروى عن قتادة قال كان معيقيب على بيت المال لعمر فكسح عمر بيت المال يوما وأخرجه إلى المسلمين فوجد معيقيب فيه درهما فدفعه إلى ابن عمر قال معيقيب ثم انصرفت إلى بيتى فإذا رسول عمر قدجاء يدعونى فجئت فإذاالدرهم فى يده فقال ويحك يامعيقيب أوجدت على فى نفسك شيئا قلت و ماذاك قال أردت أن تخاصمنى أمة محمد فى هذاالدرهم يوم القيامة. وروى عمر بن شبة عن عبد الله بن الأرقم و كان خازن عمر فقال إن عندنا حلية من حلية جلولاء وآنية من فضة فانظر ماتأمر فيها قال إذارأيتنى فارغا فآذنى فجاءه يوما فقال إنى أراك اليوم فارغا فما تأمر بتلك الحلية قال ابسط لى نطعا فبسطه ثم أتى بذلك المال فصب عليه فرفع يديه و قال أللهم إنك ذكرت هذاالمال فقلت زُيّنَ لِلنّاسِ حُبّ الشّهَواتِ مِنَ النّساءِ وَ البَنِينَ وَ القَناطِيرِ المُقَنطَرَةِ مِنَ الذّهَبِ وَ الفِضّةِ ثم قلت لِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُم وَ لا تَفرَحُوا بِما آتاكُم أللهم إنا

لانستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا أللهم إنى أسألك أن تضعه فى حقه وأعوذ بك من شره ثم ابتدأ فقسمه بين الناس فجاءه ابن بنت له فقال ياأبتاه هب لى منه خاتما فقال اذهب إلى أمك تسقك سويقا فلم يعطه شيئا. وروى الطبرى فى تاريخه أن عمر خطب أم كلثوم بنت أبى بكر فأرسل فيها إلى -قرآن-۹۶۷-۱۰۷۹-قرآن-۱۰۸۹-۱۱۴۷ [صفحه ۲۲۲] عائشة فقالت الأمر إليها فقالت أم كلثوم لاحاجة لى فيه قالت لها عائشة ويلك أترغبين عن أمير المؤمنين قالت نعم إنه يغلق بابه ويمنع خيره ويدخل عابسا ويخرج عابسا فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته فقال أناأكفيك فأتى عمر فقال يا أمير المؤمنين بلغنى خبر أعيذك بالله منه قال ما هو قال خطبت أم كلثوم بنت أبى بكر قال نعم أفترغب بى عنها أم ترغب بهاعنى قال لاواحدة ولكنها حدثة نشأت تحت كنف أم المؤمنين فى لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهابك و لانستطيع أن نردك عن خلق من أخلاقك فكيف بها إن خالفتك فى شيءفسطوت بهاكنت قدخلفت أبابكر فى ولده بغير مايحق عليك قال فكيف لى بعائشة و قدكلمتها فيها قال أنا لك بها وأدلك على خير منها أم كلثوم بنت على بن أبى طالب تعلق منها بسبب من رسول الله فصرفه عنها إلى أم كلثوم بنت فاطمة. وروى عاصم بن عمر قال بعث إلى عمر عندالهاجرة أو قال عندصلاة الصبح فأتيته فوجدته جالسا فى المسجد فقال يابنى إنى لم أكن أرى شيئا من هذاالمال يحل لى قبل أن ألى إلابحقه و ما كان أحرم على منه حين وليته فعاد أمانتى وإنى كنت أنفقت عليك من مال الله شهرا ولست بزائدك عليه و قدأعطيتك تمرى بالعالية فبعه وخذ ثمنه ثم ائت رجلا من تجار قومك فكن إلى جانبه فإذاابتاع شيئا فاستشركه وأنفق ماتربحه عليك و على أهلك قال فذهبت ففعلت . وروى الحسن البصرى أن عمر كان يمشى يوما فى سكة من سكك المدينة إذ صبية تطيش على وجه الأرض تقعد مرة وتقوم أخرى من الضعف والجهد فقال عمر مابال هذه قال عبد الله ابنه أ ماتعرف هذه قال لا قال إنها إحدى بناتك [صفحه ۲۲۳] فأنكر عمر ذلك فقال هذه ابنتى من فلانة قال ويحك و ماصيرها إلى ماأرى قال منعك ماعندك قال أنامنعتك ماعندى فما ألذى منعك أن تطلب لبناتك مايكسب الأقوام لبناتهم أنه و الله ما لك عندى غيرسهمك فى المسلمين وسعك أوعجز عنك و كتاب الله بينى وبينك . وروى سعيد بن المسيب قال كتب عمر لماقسم العطاء وفضل من فضل للمهاجرين الذين شهدوا بدرا خمسة آلاف وكتب لمن لم يشهد بدرا أربعة آلاف فكان منهم عمر بن أبى سلمة المخزومى وأسامة بن زيد بن حارثة و محمد بن عبد الله بن جحش و عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال عبدالرحمن بن عوف و هو ألذى كان يكتب يا أمير المؤمنين أن عبد الله بن عمر ليس من هؤلاء أنه و أنه يطريه ويثنى عليه فقال له عمر ليس له عندى إلامثل واحد منهم فتكلم عبد الله وطلب الزيادة وعمر ساكت فلما قضى كلامه قال عمر لعبد الرحمن اكتبه على خمسة آلاف واكتبنى على أربعة آلاف فقال عبد الله لاأريد هذا فقال عمر و الله لاأجتمع أنا و أنت على خمسة آلاف قم إلى منزلك فقام عبد الله كئيبا و قال أبووائل استعملنى ابن زياد على بيت المال بالكوفة فأتانى رجل بصك يقول فيه أعط صاحب المطبخ ثمانمائة درهم فقلت له مكانك ودخلت على ابن زياد فقلت له إن عمر استعمل عبد الله بن مسعود بالكوفة على القضاء وبيت المال واستعمل عثمان بن حنيف على سقى الفرات واستعمل عمار بن ياسر على الصلاة والجند فرزقهم كل يوم شاة واحدة فجعل نصفها وسقطها وأكارعها لعمار لأنه كان على الصلاة والجند وجعل لابن مسعود ربعها ولابن حنيف ربعها ثم قال إن مالا يؤخذ منه كل يوم شاة أن ذلك فيه لسريع فقال ابن زياد ضع المفتاح فاذهب حيث شئت . [صفحه ۲۲۴] وروى أبو جعفرالطبرى فى التاريخ أن عمر بعث سلمة بن قيس الأشجعى إلى طائفة من الأكراد كانوا على الشرك فخرج إليهم فى جيش سرحه معه من المدينة فلما انتهى إليهم دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الجزية فأبوا فقاتلهم فنصره الله عليهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية وجمع الرثة ووجد حلية وفصوصا وجواهر فقال لأصحابه أتطيب أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين فإنه غيرصالح لكم و إن على أمير المؤمنين لمئونة وأثقالا قالوا نعم قدطابت أنفسنا فجعل تلك الجواهر فى سفط وبعث به مع واحد من أصحابه و قال له سر فإذاأتيت البصرة فاشتر راحلتين فأوقرهما زادا لك ولغلامك وسر

إلى أمير المؤمنين قال ففعلت فأتيت عمر و هويغدى الناس قائما متكئا على عصا كمايصنع الراعى و هويدور على القصاع فيقول يايرفأ زد هؤلاء لحما زد هؤلاء خبزا زد هؤلاء مرقة فجلست فى أدنى الناس فإذاطعام فيه خشونة طعامى ألذى معى أطيب منه فلما فرغ أدبر فاتبعته فدخل دارا فاستأذنت و لم أعلم حاجبه من أنافأذن لى فوجدته فى صفة جالسا على مسح متكئا على وسادتين من أدم محشوتين ليفا و فى الصفة عليه ستر من صوف فنبذ إلى إحدى الوسادتين فجلست عليها فقال ياأم كلثوم أ لاتغدوننا فأخرج إليه خبزة بزيت فى عرضها ملح لم يدق فقال ياأم كلثوم أ لاتخرجين إلينا تأكلين معنا فقالت إنى أسمع عندك حس رجل قال نعم و لاأراه من أهل هذاالبلد قال فذاك حين عرفت أنه لم يعرفنى فقالت لوأردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتنى كماكسا الزبير امرأته و كماكسا طلحة امرأته قال أ و مايكفيك أنك أم كلثوم ابنة على بن أبى طالب وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قالت إن ذاك عنى لقليل الغناء قال كل فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذافأكلت قليلا وطعامى ألذى معى أطيب منه [صفحه ٢٢٥] وأكل فما رأيت أحدا أحسن أكلا منه مايتلبس طعامه بيده و لافمه ثم قال اسقونا فجاءوا بعس من سلت فقال أعط الرجل فشربت قليلا و إن سويقى ألذى معى لأطيب منه ثم أخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته ثم قال الحمد لله ألذى أطعمنا فأشبعنا وسقانا فأروانا إنك يا هذاالضعيف الأكل ضعيف الشرب فقلت يا أمير المؤمنين إن لى حاجة قال ماحاجتك قلت أنا رسول سلمة بن قيس فقال مرحبا بسلمة ورسوله فكأنما خرجت من صلبه حدثنى عن المهاجرين كيف هم قلت كماتحب يا أمير المؤمنين من السلامة والظفر والنصر على عدوهم قال كيف أسعارهم قلت أرخص أسعار قال كيف اللحم فيهم فإنه شجرة العرب و لاتصلح العرب إلا على شجرتها قلت البقرة فيهم بكذا والشاة فيهم بكذا ثم سرنا يا أمير المؤمنين حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى ألذى أمرت به من الإسلام فأبوا فدعوناهم إلى الخراج فأبوا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية وجمعنا الرثة فرأى سلمة فى الرثة حلية فقال للناس إن هذا لايبلغ فيكم شيئا أفتطيب أنفسكم أن أبعث به إلى أمير المؤمنين قالوا نعم ثم استخرجت سفطى ففتحته فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأخضر وأصفر وثب وجعل يده فى خاصرته يصيح صياحا عاليا و يقول لاأشبع الله إذن بطن عمر يكررها فظن النساء أنى جئت لأغتاله فجئن إلى الستر فكشفنه فسمعنه يقول لف ماجئت به يايرفأ جأ عنقه قال فأنا أصلح سفطى ويرفأ يجأ عنقى ثم قال النجاء النجاء قلت يا أمير المؤمنين انزع بى فاحلمنى فقال يايرفأ أعطه راحلتين من إبل الصدقة [صفحه ٢٢٦] فإذالقيت أفقر إليهما منك فادفعهما إليه و قال أظنك ستبطئ أما و الله لئن تفرق المسلمون فى مشاتيهم قبل أن يقسم هذافيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة. قال فارتحلت حتى أتيت إلى سلمة بن قيس فقلت مابارك الله فيما اختصصتنى به اقسم هذا فى الناس قبل أن تصيبنى وإياك فاقرة فقسمه فيهم فإن الفص ليباع بخمسة دراهم وبستة و هوخير من عشرين ألفا. وجملة الأمر أن عمر لايجوز أن يطعن فيه بمثل هذا و لاينسب إلى شره وحب للمال فإن طريقته فى التعفف والتقشف وخشونة العيش والزهد أظهر من كل ظاهر وأوضح من كل واضح وحاله فى ذلك معلومة و على كل تقدير سواء كان يفعل ذلك دينا أوورعا كما هوالظاهر من حاله أو كان يفعل ذلك ناموسا وصناعة ورياء وحيلة كماتزعم الشيعة فإنه عظيم لأنه إما أن يكون على غاية الدين والتقى أو يكون أقوى الناس نفسا وأشدهم عزما وكلا الأمرين فضيلة. و ألذى ذكره المحدثون وأرباب السير أن عمر لماطعن واحتمل فى دمه إلى بيته وأوصى بما أوصى قال لابنه عبد الله انظروا ما على من دين فحسبوه فوجدوه ستمائة وثمانين ألف درهم هكذا ورد فى الأخبار أنها كانت ديونا للمسلمين و لم تكن من بيت المال فقال عمر انظر يا عبد الله فإن وفى به مال آل عمر فأده من أموالهم و إلافسل فى بنى عدى بن كعب فإن لم تف به أموالهم فسل فى قريش و لاتعدهم إلى غيرهم فهكذا وردت الرواية فلذلك قال قاضى القضاة فإن صح فالعذر كذا وكذا لأنه لم يثبت عنده صحة اقتراضه هذاالمقدار من بيت المال . و قدروى أن عمر كان له نخل بالحجاز غلته كل سنة أربعون ألفا يخرجها فى [صفحه ٢٢٧] النوائب والحقوق ويصرفها إلى بنى عدى بن كعب إلى

فقرائهم وأراملهم وأيتامهم روى ذلك ابن جرير الطبرى فى التاريخ .فأما قول المرتضـى أى حاجة بخشن العيش وجشب المأكل إلى اقتراض الأموال فجوابه أن المتزهد المتقشف قديضـيق على نفسه ويوسع على غيره إما من باب التكرم والإحسان أو من باب الصدقـة وابتغـاء الثواب و قـديصل رحمه و إن قتر على نفسه . و قـدروى الطبرى أن عمر دفع إلى أم كلثوم بنت أمير المؤمنين ع صـداقها يوم تزوجهـا أربعين ألف درهم فلعل هـذاالاقتراض من الناس كان لهـذا الوجه ولغيره من الوجوه التى قل أن يخلو أحد منها

الطعن السادس

أنه عطل حد الله فى المغيرة بن شـعبة لماشـهد عليه بالزناء ولقن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة اتباعا لهواه فلما فعل ذلك عاد إلى الشـهود فحـدهم وضـربهم فتجنب أن يفضـح المغيرة و هوواحـد وفضح الثلاثة مع تعطيله لحكم الله ووضـعه فى غيرموضـعه .أجاب قاضـى القضاة فقال إنه لم يعطل الحد إلا من حيث لم تكمل الشـهادة وبإرادة الرابع لئلا يشهد لاتكمل البينة وإنما تكمل بالشـهادة. و قال إن قوله أرى وجه رجل لايفضـح الله به رجلا من المسـلمين يجرى فى أنه سائغ صـحيح مجرى ماروى عن النبى ص من أنه أتى بسارق فقال لاتقر. [صـفحه ٢٢٨] و قال ع لصـفوان بن أمية لماأتاه بالسارق وأمر بقطعه فقال هو له يعنى ماسرق هلا قبل أن تأتينى به فلايمتنع من عمر ألا يحب أن تكمل الشـهادة وينبه الشاهـد على ألا يشـهد و قال إنه جلـد الثلاثـة من حيث صاروا قذفه وإنه ليس حالهم و قدشـهدوا كحال من لم تتكامل الشـهادة عليه لأن الحيلة فى إزالة الحد عنه و لماتتكامل الشـهادة عليه ممكنة بتلقين وتنبيه غيره و لاحيلة فيما قدوقع من الشـهادة فلذلك حدهم . قال و ليس فى إقامة الحد عليهم من الفضيحة ما فى تكامل الشـهادة على المغيرة لأنه يتصور بأنه زان ويحكم بـذلك و ليس كذلك حال الشـهود لأنهم لايتصورون بذلك و إن وجب فى الحكم أن يجعلوا فى حكم القذفـة. وحكى عن أبى على أن الثلاثـة كان القـذف قدتقدم منهم للمغيرة بالبصـرة لأنهم صاحوا به من نواحى المسـجد بأنا نشـهد أنك زان فلو لم يعيـدوا الشـهادة لكان يحـدهم لامحالة فلم يمكن فى إزالة الحد عنهم مـاأمكن فى المغيرة. وحكى عن أبى على فى جـواب اعـتراضه عن نفسه بمـا روى عن عمر أنه كـان إذارآه يقول لقـد خفت أن يرمينى الله عز و جـل بحجارة من السـماء أن هـذاالخبر غيرصـحيح و لو كان حقا لكان تأويله التخويف وإظهار قوة الظن لصـدق القوم الـذين شـهدوا عليه ليكون ردعا له وذكر أنه غيرممتنع أن يحب ألا يفتضـح لما كان متوليا للبصـرة من قبله . ثم أجاب عن سؤال من سأله عن امتناع زياد من الشـهادة وهل يقتضـى الفسق أم لا فإن قال لانعلم أنه كان يتمم الشـهادة و لوعلمنا ذلك لكان حيث ثبت فى الشـرع أن له [صفحه ٢٢٩] السـكوت لا يكون طعنا و لو كان ذلك طعنا و قـدظهر أمره لأمير المؤمنين ع لماولاه فارس و لماائتمنه على أموال الناس ودمائهم .اعترض المرتضـى فقال إنما نسب إلى تعطيل الحـد من حيث كان فى حكم الثابت وإنما بتلقينه لم تكمل الشـهادة لأن زيادا ماحضر إلاليشهد بما شهد به أصحابه و قدصرح بذلك كماصرحوا قبل حضورهم و لو لم يكن هذا لماشـهد القوم قبله وهم لايعلمون هل حاله فى ذلك الحكم كحالهم لكنه أحجم فى الشهادة لمارأى كراهية متولى الأـمر لكمالهـا وتصـريحه بأنه لايريـد أن يعمل بموجبها. و من العجائب أن يطلب الحيلـة فى دفع الحـد عن واحـد و هو لاينـدفع إلابانصـرافه إلى ثلاثـة فإن كان درء الحد والاحتيال فى دفعه من السـنن المتبعة فدرؤه عن ثلاثة أولى من درئه عن واحد. و قوله إن دفع الحد عن المغيرة ممكن ودفعه عن ثلاثة و قدشـهدوا غيرممكن طريف لأنه لو لم يلقن الشاهد الرابع الامتناع عن الشـهادة لانـدفع الحـد عن الثلاثة وكيف لاتكون الحيلة ممكنة فيما ذكره . و قوله إن المغيرة يتصور بصورة زان لوتكاملت الشـهادة و فى هـذا من الفضـيحة ما ليس فى حـد الثلاثـة غيرصـحيح لأن الحكم فى الأمرين واحـد لأن الثلاثـة إذاحدوا يظن بهم الكذب و إن جوز أن يكونوا صـادقين والمغيرة لوتكـاملت الشـهادة عليه بالزناء لظن به ذلك مع التجويز لأن يكون الشـهود كـذبه و ليس فى

أحد إلا ما فى الآخر. و ماروى عنه ع من أنه أتى بسارق فقال له لاتقر إن كان صحيحا لايشبه مانحن فيه لأنه ليس فى دفع الحد عن السارق إيقاع غيره فى المكروه . وقصة المغيرة تخالف هذا لماذكرناه . [صفحه ٢٣٠] فأما قوله ع هلا ـ قبل أن تأتينى به فلايشبه كل مانحن فيه لأنه بين أن ذلك القول يسقط الحد لوتقدم و ليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحد.فأما ماحكاه عن أبى على من أن القذف من الثلاثة كان قدتقدم وأنهم لو لم يعيدوا الشهادة لكان يحدهم لامحالة فغير معروف والظاهر المروى خلافه و هو أنه حدهم عندنكول زياد عن الشهادة و أن ذلك كان السبب فى إيقاع الحد بهم وتأوله عليه لقد خفت أن يرمينى الله بحجارة من السماء لايليق بظاهر الكلام لأنه يقتضى التندم والتأسف على تفريط وقع و لم يخاف أن يرمى بالحجارة و هو لم يدرأ الحد عن مستحق له و لوأراد الردع والتخويف للمغيرة لأتى بكلام يليق بذلك و لايقتضى إضافة التفريط إلى نفسه وكونه واليا من قبله لايقتضى أن يدرأ عنه الحد ويعدل به إلى غيره . و أما قوله إنا ماكنا نعلم أن زيادا كان يتمم الشهادة فقد بينا أن ذلك كان معلوما بالظاهر و من قرأ ماروى فى هذه القصة علم بلا شك أن حال زياد كحال الثلاثة فى أنه إنما حضر للشهادة وإنما عدل عنها لكلام عمر. و قوله إن الشرع يبيح السكوت ليس بصحيح لأن الشرع قدحظر كتمان الشهادة.فأما استدلاله على أن زيادا لم يفسق بالإمساك عن الشهادة بتوليه أمير المؤمنين ع له فارس فليس بشىء يعتمد لأنه لايمتنع أن يكون قدتاب بعد ذلك وأظهر توبته لأمير المؤمنين ع فجاز أن يوليه و قد كان بعض أصحابنا يقول فى قصة المغيرة شيئا طيبا و إن كان معتملا فى باب الحجة كان يقول إن زيادا إنما امتنع من التصريح بالشهادة المطلوبة فى الزناء و قدشهد بأنه شاهده بين شعبها الأربع وسمع نفسا عاليا فقد صح على المغيرة بشهادة الأربع جلوسه منها مجلس الفاحشة إلى غير ذلك [صفحه ٢٣١] من مقدمات الزناء وأسبابه فهلا ضم عمر إلى جلد الثلاثة تعزير هذا ألذى قدصح عنده بشهادة الأربعة ماصح من الفاحشة مثل تعريك أذنه أو مايجرى مجراه من خفيف التعزير ويسيره وهل فى العدول عن ذلك حتى عن لومه وتوبيخه والاستخفاف به إلا ماذكروه من السبب ألذى يشهد الحال به قلت أماالمغيرة فلاشك عندى أنه زنى بالمرأة ولكنى لست أخطئ عمر فى درء الحد عنه وإنما أذكر أولا ـ قصته من كتابى أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى و أبى الفرج على بن الحسن الأصفهانى ليعلم أن الرجل زنى بها لامحالة ثم أعتذر لعمر فى درء الحد عنه . قال الطبرى فى تاريخه و فى هذه السنة يعنى سنة سبع عشرة ولى عمر أبا موسى البصرة وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة و ذلك لأمر بلغه عنه قال الطبرى حدثنى محمد بن يعقوب بن عتبة قال حدثنى أبى قال كان المغيرة يخالف إلى أم جميل امرأة من بنى هلال بن عامر و كان لها زوج من ثقيف هلك قبل ذلك يقال له الحجاج بن عبيد و كان المغيرة و كان أميرالبصرة يختلف إليها سرا فبلغ ذلك أهل البصرة فأعظموه فخرج المغيرة يوما من الأيام إلى المرأة فدخل عليها و قدوضعوا عليهما الرصد فانطلق القوم الذين شهدوا عندعمر فكشفوا الستر فرأوه قدواقعها فكتبوا بذلك إلى عمر وأوفدوا إليه بالكتاب أبابكرة فانتهى أبوبكرة إلى المدينة وجاء إلى باب عمر فسمع صوته وبينه وبينه حجاب فقال أبوبكرة فقال نعم قال لقد جئت لشر قال إنما جاء به المغيرة ثم قص عليه القصة وعرض عليه الكتاب فبعث أبا موسى عاملا وأمره [صفحه ٢٣٢] أن يبعث إليه المغيرة فلما دخل أبو موسى البصرة وقعد فى الإمارة أهدى إليه المغيرة عقيلة و قال إننى قدرضيتها لك فبعث أبو موسى بالمغيرة إلى عمر. و قال الطبرى وروى الواقدى قال حدثنى عبدالرحمن بن محمد بن أبى بكر بن عمرو بن حزم الأنصارى عن أبيه عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قدم المغيرة على عمر فتزوج فى طريقه امرأة من بنى مرة فقال له عمر إنك لفارغ القلب شديد الشبق طويل الغرمول ثم سأل عن المرأة فقيل له يقال لها الرقطاء كان زوجها من ثقيف وهى من بنى هلال . قال الطبرى وكتب إلى السرى عن شعيب عن سيف أن المغيرة كان يبغض أبابكرة و كان أبوبكرة يبغضه ويناغى كل واحد منهما صاحبه وينافره عند كل ما يكون منه وكانا متجاورين بالبصرة بينهما طريق وهما فى مشربتين متقابلتين فهما فى داريهما فى كل واحدة منهما كوة مقابلة الأخرى فاجتمع إلى أبى بكرة نفر يتحدثون فى مشربته فهبت ريح ففتحت باب

الکوة فقام أبوبکرة لیصفقه فبصر بالمغیرة و قدفتحت الریح باب الکوة التی فی مشربته و هو بین رجلی امرأة فقال للنفر قوموا فانظروا فقاموا فنظروا ثم قال اشهدوا قالوا و من هذه قال أم جمیل إحدی نساء بنی عامر بن صعصعة فقالوا إنما رأینا أعجازا و لاندری الوجوه فلما قامت صمموا وخرج المغیرة إلی الصلاة فحال أبوبکرة بینه و بین الصلاة و قال لاتصل بنا وکتبوا إلی عمر بذلک وکتب المغیرة إلیه أیضا فأرسل عمر إلی أبی موسی فقال یا أبا موسی إنی مستعملک وإنی باعثک إلی الأرض التی قدباض بهاالشیطان وفرخ فالزم ماتعرف و لاتستبدل فیستبدل الله بک فقال یا أمیر المؤمنین أعنی بعدة من [صفحه ۲۳۳] أصحاب رسول الله ص من المهاجرین والأنصار فإنی وجدتهم فی هذه الأمة و هذه الأعمال کالملح لایصلح الطعام إلا به قال عمر فاستعن بمن أحببت فاستعان بتسعة وعشرین رجلا منهم أنس بن مالک وعمران بن حصین وهشام بن عامر وخرج أبو موسی بهم حتی أناخ بالبصرة فی المربد وبلغ المغیرة أن أبا موسی قدأناخ بالمربد فقال و الله ماجاء أبو موسی زائرا و لاتاجرا ولکنه جاء أمیرا فإنهم لفی ذلک إذ جاء أبو موسی حتی دخل علیهم فدفع إلی المغیرة کتابا من عمر إنه لأوجز کتاب کتب به أحد من الناس أربع کلم عزل فیها وعاتب واستحث وأمر أما بعدفإنه بلغنی نبأ عظیم فبعثت أبا موسی فسلم ما فی یدیک إلیه والعجل .کتب إلی أهل البصرة أما بعدفإنی قدبعثت أبا موسی أمیرا علیکم لیأخذ لضعیفکم من قویکم ولیقاتل بکم عدوکم ولیدفع عن ذمتکم ولیجبی لکم فیئکم ولیقسم فیکم ولیحمی لکم طرقکم .فأهدی إلیه المغیرة ولیدة من مولدات الطائف تدعی عقیلة و قال إنی قدرضیتها لک وکانت فارهة وارتحل المغیرة و أبوبکرة ونافع بن کلدة وزیاد وشبل بن معبد البجلی حتی قدموا علی عمر فجمع بینهم و بین المغیرة فقال المغیرة یا أمیر المؤمنین سل هؤلاء الأعبد کیف رأونی مستقبلهم أم مستدبرهم وکیف رأوا المرأة وعرفوها فإن کانوا مستقبلی فکیف لم أستتر و إن کانوا مستدبری فبأی شیءاستحلوا النظر إلی فی منزلی علی امرأتی و الله ماأتیت إلاامرأتی فبدأ بأبی بکرة فشهد علیه أنه رآه بین رجلی أم جمیل و هویدخله ویخرجه قال عمر کیف رأیتهما قال مستدبرهما قال کیف استثبت رأسها قال تجافیت فدعا بشبل بن معبد فشهد مثل ذلک و قال استقبلتهما واستدبرتهما وشهد نافع بمثل شهادة أبی بکرة و لم یشهد زیاد بمثل شهادتهم قال [صفحه ۲۳۴] رأیته جالسا بین رجلی امرأة ورأیت قدمین مرفوعتین تخفقان واستین مکشوفتین وسمعت حفزا شدیدا قال عمر فهل رأیته فیهاکالمیل فی المکحلة قال لا قال فهل تعرف المرأة قال لا ولکن أشبهها فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا الحد وقرأفَإِذ لَم یَأتُوا بِالشّهَداءِ فَأُولئِکَ عِندَ اللّهِ هُمُ الکاذِبُونَ فقال المغیرة الحمد لله ألذی أخزاکم فصاح به عمر اسکت أسکت الله نأمتک أما و الله لوتمت الشهادة لرجمتک بأحجارک فهذا ماذکره الطبری. و أما أبوالفرج علی بن الحسین الأصفهانی فإنه ذکر فی کتاب الأغانی أن أحمد بن عبدالعزیز الجوهری حدثه عن عمر بن شبة عن علی بن محمد عن قتادة قال کان المغیرة بن شعبة و هو أمیرالبصرة یختلف سرا إلی امرأة من ثقیف یقال لها الرقطاء فلقیه أبوبکرة یوما فقال له أین ترید قال أزور آل فلان فأخذ بتلابیبه و قال إن الأمیر یزار و لایزور. قال أبوالفرج وحدثنی بحدیثه جماعة ذکر أسماءهم بأسانید مختلفة لانری الإطالة بذکرها أن المغیرة کان یخرج من دار الإمارة وسط النهار فکان أبوبکرة یلقاه فیقول له أین یذهب الأمیر فیقول له إلی حاجة فیقول حاجة ماذا إن الأمیر یزار و لایزور.قالوا وکانت المرأة التی یأتیها جارة لأبی بکرة فقال فبینا أبوبکرة فی غرفة له مع أخویه نافع وزیاد و رجل آخر یقال له شبل بن معبد وکانت غرفة جارته تلک محاذیة غرفة أبی بکرة فضربت الریح باب غرفة المرأة ففتحته فنظر القوم فإذاهم بالمغیرة ینکحها فقال أبوبکرة هذه بلیة قدابتلیتم بهافانظروا فنظروا حتی أثبتوا -قرآن-۲۲۶-۲۹۶ [صفحه ۲۳۵] فنزل أبوبکرة فجلس حتی خرج علیه المغیرة من بیت المرأة فقال له أبوبکرة إنه قد کان من أمرک ما قدعلمت فاعتزلنا فذهب المغیرة وجاء لیصلی بالناس الظهر فمنعه أبوبکرة و قال لا و الله لاتصلی بنا و قدفعلت مافعلت فقال الناس دعوه فلیصل إنه الأمیر واکتبوا إلی عمر فکتبوا إلیه فورد کتابه أن یقدموا علیه جمیعا المغیرة والشهود. قال أبوالفرج و قال المدائنی فی حدیثه فبعث عمر بأبی موسی وعزم علیه ألا یضع کتابه من یده حتی یرحل

المغيرة. قال أبوالفرج و قال على بن هاشم فى حديثه إن أبا موسى قال لعمر لماأمره أن يرحل المغيرة من وقته أ وخير من ذلك يا أمير المؤمنين نتركه فيتجهز ثلاثا ثم يخرج .قالوا فخرج أبو موسى حتى صلى صلاة الغداة بظهر المربد وأقبل إنسان فدخل على المغيرة فقال إنى رأيت أبا موسى قددخل المسجد الغداة و عليه برنس وها هو فى جانب المسجد فقال المغيرة إنه لم يأت زائرا و لاتاجرا قالوا وجاء أبو موسى حتى دخل على المغيرة ومعه صحيفة مل ء يده فلما رآه قال أميرفأعطاه أبو موسى الكتاب فلما ذهب يتحرك عن سريره قال له مكانك تجهز ثلاثا. قال أبوالفرج و قال آخرون إن أبا موسى أمره أن يرحل من وقته فقال المغيرة قدعلمت ماوجهت له فألا تقدمت وصليت فقال ما أنا و أنت فى هذاالأمر إلاسواء فقال المغيرة إنى أحب أن أقيم ثلاثا لأـتجهز فقال أبو موسى قدعزم على أمير المؤمنين ألا أضع عهدى من يدى إذاقرأته حتى أرحلك إليه قال إن شئت شفعتنى وأبررت قسم أمير المؤمنين بأن تؤجلنى إلى الظهر وتمسك الكتاب فى يدك .قالوا فلقد رئى أبو موسى مقبلا ومدبرا و أن الكتاب فى يده معلق بخيط فتجهز المغيرة وبعث إلى أبى موسى بعقيلة جارية عربية من سبى اليمامة من [صفحه ۲۳۶] بنى حنيفة ويقال إنها مولدة الطائف ومعها خادم وسار المغيرة حين صلى الظهر حتى قدم على عمر. قال أبوالفرج فقال محمد بن عبد الله بن حزم فى حديثه إن عمر قال له لماقدم عليه لقد شهد عليك بأمر إن كان حقا لأن تكون مت قبل ذلك كان خيرا لك . قال أبوالفرج قال أبوزيد عمر بن شبة فجلس له عمر ودعا به وبالشهود فتقدم أبوبكرة فقال أرأيته بين فخذيها قال نعم و الله لكأنى أنظر إلى تشريم جدرى بفخذيها قال المغيرة لقد ألطفت النظر قال أبوبكرة لم آل أن أثبت مايخزيك الله به فقال عمر لا و الله حتى تشهد لقد رأيته يلج فيها كمايلج المرود فى المكحلة قال نعم أشهد على ذلك فقال عمر اذهب عنك مغيرة ذهب ربعك . قال أبوالفرج ويقال إن عليا ع هوقائل هذاالقول ثم دعا نافعا فقال علام تشهد قال على مثل شهادة أبى بكرة فقال عمر لا حتى تشهد أنك رأيته يلج فيهاولوج المرود فى المكحلة قال نعم حتى بلغ قذذه فقال اذهب عنك مغيرة ذهب نصفك ثم دعا الثالث و هوشبل بن معبد فقال علام تشهد قال على مثل شهادة صاحبى فقال اذهب عنك مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك قال فجعل المغيرة يبكى إلى المهاجرين وبكى إلى أمهات المؤمنين حتى بكين معه قال و لم يكن زياد حضر ذلك المجلس فأمر عمر أن ينحى الشهود الثلاثة وألا يجالسهم أحد من أهل المدينة وانتظر قدوم زياد فلما قدم جلس فى المسجد واجتمع رءوس المهاجرين والأنصار قال المغيرة وكنت قدأعددت كلمة أقولها فلما رأى عمر زيادا مقبلا قال إنى لأرى رجلا لن يخزى الله على لسانه رجلا من المهاجرين . [صفحه ۲۳۷] قال أبوالفرج و فى حديث أبى زيد بن عمر بن شبة عن السرى عن عبدالكريم بن رشيد عن أبى عثمان النهدى أنه لماشهد الشاهد الأول عندعمر تغير الثالث لذلك لون عمر ثم جاء الثانى فشهد فانكسر لذلك انكسارا شديدا ثم جاء فشهد فكان الرماد نثر على وجه عمر فلما جاء زياد جاء شاب يخطر بيديه فرفع عمر رأسه إليه و قال ماعندك أنت ياسلح العقاب وصاح أبوعثمان النهدى صيحة تحكى صيحة عمر قال عبدالكريم بن رشيد لقد كدت أن يغشى على لصيحته . قال أبوالفرج فكان المغيرة يحدث قال فقمت إلى زياد فقلت لامخبأ لعطر بعدعروس يازياد أذكرك الله وأذكرك موقف القيامة وكتابه ورسوله أن تتجاوز إلى ما لم تر ثم صحت يا أمير المؤمنين أن هؤلاء قداحتقروا دمى فالله الله فى دمى قال فترنقت عينا زياد واحمر وجهه و قال يا أمير المؤمنين أما إن أحق ماحق القوم فليس عندى ولكنى رأيت مجلسا قبيحا وسمعت نفسا حثيثا وانتهارا ورأيته متبطنها فقال عمر أرأيته يدخل ويخرج كالميل فى المكحلة قال لا. قال أبوالفرج وروى كثير من الرواة أنه قال رأيته رافعا برجليها ورأيت خصيتيه مترددتين بين فخذيها وسمعت حفزا شديدا وسمعت نفسا عاليا فقال عمر أرأيته يدخله ويخرجه كالميل فى المكحلة قال لاـ فقال عمر الله أكبر قم يامغيرة إليهم فاضربهم فجاء المغيرة إلى أبى بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين . وروى قوم أن الضارب لهم الحد لم يكن المغيرة وأعجب عمر قول زياد ودرأ الحد عن المغيرة فقال أبوبكرة بعد أن ضرب أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا فهم عمر بضربه فقال له على ع إن ضربته رجمت صاحبك ونهاه عن ذلك . [

صفحه ۲۳۸] قال أبوالفرج يعنى إن ضربه تصير شهادته شهادتين فيوجب بذلك الرجم على المغيرة. قال فاستتاب عمر أبابكرة فقال إنما تستتيبنى لتقبل شهادتى قال أجل قال فإنى لاأشهد بين اثنين مابقيت فى الدنيا قال فلما ضربوا الحد قال المغيرة الله أكبر الحمد لله ألذى أخزاكم فقال عمر اسكت أخزى الله مكانا رأوك فيه . قال وأقام أبوبكرة على قوله و كان يقول و الله مأأنسى قط فخذيها وتاب الاثنان فقبل شهادتهما و كان أبوبكرة بعد ذلك إذاطلب إلى شهادة قال اطلبوا غيرى فإن زيادا أفسد على شهادتى. و قال أبوالفرج وروى ابراهيم بن سعيد عن أبيه عن جده قال لماضرب أبوبكرة أمرت أمه بشاة فذبحت وجعل جلدها على ظهره قال ابراهيم فكان أبى يقول ماذاك إلا من ضرب شديد. قال أبوالفرج فحدثنا الجوهرى عن عمر بن شبة عن على بن محمد عن يحيى بن زكريا عن مجالد عن الشعبى قال كانت الرقطاء التى رمى بهاالمغيرة تختلف إليه فى أيام إمارته الكوفة فى خلافة معاوية فى حوائجها فيقضيها لها. قال أبوالفرج وحج عمر بعد ذلك مرة فوافق الرقطاء بالموسم فرآها و كان المغيرة يومئذ هناك فقال عمر للمغيرة ويحك أتتجاهل على و الله ماأظن أبابكرة كذب عليك و مارأيتك إلاخفت أن أرمى بحجارة من السماء. قال و كان على ع بعد ذلك يقول إن ظفرت بالمغيرة لأتبعته الحجارة. قال أبوالفرج فقال حسان بن ثابت يهجو المغيرة ويذكر هذه القصة لو أن اللؤم ينسب كان عبدا || قبيح الوجه أعور من ثقيف [صفحه ۲۳۹] تركت الدين والإسلام لما || بدت لك غدوة ذات النصيف وراجعت الصبا وذكرت لهوا || مع القينات فى العمر اللطيف . قال أبوالفرج وروى المدائنى أن المغيرة لماشخص إلى عمر فى هذه الوقعة رأى فى طريقه جارية فأعجبته فخطبها إلى أبيها فقال له و أنت على هذه الحال قال و ماعليك إن أبق فهو ألذى تريد و إن أقتل ترثنى فزوجه . و قال أبوالفرج قال الواقدى كانت امرأة من بنى مرة تزوجها بالرقم فلما قدم بها على عمر قال إنك لفارغ القلب طويل الشبق .فهذه الأخبار كماتراها تدل متأملها على أن الرجل زنى بالمرأة لامحالة و كل كتب التواريخ والسير تشهد بذلك وإنما اقتصرنا نحن منها على ما فى هذين الكتابين . و قدروى المدائنى أن المغيرة كان أزنى الناس فى الجاهلية فلما دخل فى الإسلام قيده الإسلام وبقيت عنده منه بقية ظهرت فى أيام ولايته البصرة. وروى أبوالفرج فى كتاب الأغانى عن الجاحظ أبى عثمان عمرو بن بحر قال كان المغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلى يوما متوافقين بالكناسة فى نفر وطلع عليهم أعرابى فقال لهم المغيرة دعونى أحركه قالوا لاتفعل فإن للأعراب جوابا يؤثر قال لابد قالوا فأنت أعلم فقال له ياأعرابى أتعرف المغيرة بن شعبة قال نعم أعرفه أعور زانيا فوجم ثم تجلد فقال أتعرف الأشعث بن قيس قال نعم ذاك رجل لايعرى قومه قال وكيف ذاك قال لأنهم حاكة. قال فهل تعرف جرير بن عبد الله قال كيف لاأعرف رجلا لولاه ماعرفت عشيرته فقالوا قبحك الله فإنك شر جليس هل تحب أن يوقر لك بعيرك هذامالا وتموت [صفحه ۲۴۰] أكرم العرب موتة قال فمن يبلغه إذن أهلى فانصرفوا عنه فتركوه قال أبوالفرج وروى على بن سليمان الأخفس قال خرج المغيرة بن شعبة و هويومئذ على الكوفة ومعه الهيثم بن التيهان النخعى غب مطر يسير فى ظهر الكوفة والنجف فلقى ابن لسان الحمرة أحد بنى تيم الله بن ثعلبة و هو لايعرف المغيرة و لايعرفه المغيرة فقال له من أين أقبلت ياأعرابى قال من السماوة قال كيف تركت الأرض خلفك قال عريضة أريضة قال فكيف كان المطر قال عفى الأثر وملأ الحفر قال فمن أنت قال من بكر بن وائل قال كيف علمك بهم قال إن جهلتهم لم أعرف غيرهم قال فما تقول فى بنى شيبان قال سادتنا وسادة غيرنا قال فما تقول فى بنى ذهل قال سادة نوكى قال فقيس بن ثعلبة قال إن جاورتهم سرقوك و إن ائتمنتهم خانوك قال فبنو تيم الله بن ثعلبة قال رعاء النقد وعراقيب الكلاب قال فبنى يشكر قال صريح تحسبه مولى . قال هشام بن الكلبى لأن فى ألوانهم حمرة قال فعجل قال أحلاس الخيل قال فعبد القيس قال يطعمون الطعام ويضربون الهام قال فعنزة قال لاتلتقى بهم الشفتان لؤما قال فضبيعة أضجم قال جدعا وعقرا قال فأخبرنى عن النساء قال النساء أربع ربيع مربع وجميع مجمع وشيطان سمعمع وغل لايخلع قال فسر قال أماالربيع المربع فالتى إذانظرت إليها سرتك و إذاأقسمت عليها برتك و أماالتى هى جميع مجمع فالمرأة تتزوجها ولها نسب فيجتمع نسبها إلى نسبك

و أماالشيطان السمعمع فالكالحة فی وجهك إذادخلت المولولة فی أثرك [صفحه ۲۴۱] إذاخرجت و أماالغل ألذی لایخلع فبنت عمك السوداء القصيرة الفوهاء الدميمة التی قدنثرت لك بطنها إن طلقتها ضاع ولدك و إن أمسكتها فعلی جدع أنفك قال المغيرة بل أنفك قال فما تقول فی أميرك المغيرة بن شعبة قال أعور زان فقال الهيثم بن الأسود فض الله فاك ويلك إنه الأمير المغيرة قال إنها كلمة تقال فانطلق به المغيرة إلی منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستون أوسبعون أمه و قال ويحك هل يزنی الحر وعنده مثل هؤلاء ثم قال لهن ارمين إليه بحليكن ففعلن فخرج بمل ء كسائه ذهبا وفضة. وإنما أوردنا هذين الخبرين ليعلم السامع أن الخبر بزناه كان شائعا مشهورا مستفيضا بين الناس ولأنهما يتضمنان أدبا وكتابنا هذاموضوع للأدب . وإنما قلنا إن عمر لم يخطئ فی درء الحد عنه لأن الإمام يستحب له ذلك و إن غلب علی ظنه أنه قدوجب الحد عليه روی المدائنی أن أمير المؤمنين عليا ع أتی برجل قدوجب عليه الحد فقال أهاهنا شهود قالوا نعم قال فأتونی بهم إذاأمسيتم و لاتأتونی إلامعتمين فلما أعتموا جاءوه فقال لهم نشدت الله رجلا ما لی عنده مثل هذاالحد إلاانصرف قال فما بقی منهم أحد فدرأ عنه الحد ذكر هذاالخبر أبوحيان فی كتاب البصائر فی الجزء السادس منه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۳۲۹ والخبر المشهور ألذی كاد يكون متواترا أن رسول الله ص قال ادرءوا الحدود بالشبهات -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۵۱ و من تأمل المسائل الفقهية فی باب الحدود علم أنها بنيت علی الإسقاط عندأدنی سبب وأضعفه أ لاتری أنه لوأقر بالزناء ثم رجع عن إقراره قبل إقامة الحد أو فی وسطه قبل رجوعه وخلی سبيله . [صفحه ۲۴۲] و قال أبوحنيفة وأصحابه يستحب للإمام أن يلقن المقر الرجوع و يقول له تأمل ماتقول لعلك مسستها أوقبلتها ويجب علی الإمام أن يسأل الشهود ماالزناء وكيف هو وأين زنی وبمن زنی ومتی زنی وهل رأوه وطئها فی فرجها كالميل فی المكحلة فإذاثبت كل ذلك سأل عنهم فلايقيم الحد حتی يعدلهم القاضی فی السر والعلانية و لايقام الحد بإقرار الإنسان علی نفسه حتی يقر أربع مرات فی أربعة مجالس كلما أقر رده القاضی و إذاتم إقراره سأله القاضی عن الزناء ما هو وكيف هو وأين زنی وبمن زنی ومتی زنی . قال الفقهاء ويجب أن يبتدئ الشهود برجمه إذاتكاملت الشهادة فإن امتنعوا من الابتداء برجمه سقط الحد.قالوا و لاحد علی من وطئ جارية ولده أوولد ولده و إن قال علمت أنها علی حرام و إن وطئ جارية أبيه أوأمه أوأخته و قال ظننت أنها تحل لی فلاحد عليه و من أقر أربع مرات فی مجالس مختلفة بالزناء بفلانة فقالت هی بل تزوجنی فلاحد عليه وكذلك إن أقرت المرأة بأنه زنی بهافلان فقال الرجل بل تزوجتها فلاحد عليها قالوا و إذاشهد الشهود بحد متقادم من الزناء لم يمنعهم عن إقامته بعدهم عن الإمام لم تقبل شهادتهم إذا كان حد الزناء و إن شهدوا أنه زنی بامرأة و لايعرفونها لم يحد لم تقبل شهادتهم إذا كان حد الزناء و إن شهدوا أنه زنی بامرأة و لايعرفونها لم يحد و إن شهد اثنان أنه زنی بامرأة بالكوفة وآخران أنه زنی بالبصرة درئ الحد عنهما جميعا و إن شهد أربعة علی رجل أنه زنی بامرأة بالنخيلة عندطلوع الشمس من يوم كذا وكذا وأربعة شهدوا بهذه المرأة عندطلوع الشمس ذلك اليوم بدير هند درئ الحد عنه وعنها وعنهم جميعا و إن شهد أربعة علی شهادة أربعة بالزناء لم يحد المشهود عليه . [صفحه ۲۴۳] و هذه المسائل كلها مذهب أبی حنيفة ويوافقه الشافعی فی كثير منها و من تأملها علم أن مبنی الحدود علی الإسقاط بالشبهات و إن ضعفت . فإن قلت كل هذا لايلزم المرتضی لأن مذهبه فی فروع الفقه مخالف لمذهب الفقهاء قلت ذكر محمد بن النعمان و هوشيخ المرتضی ألذی قرأ عليه فقه الإمامية فی كتاب المقنعة أن الشهود الأربعة إن تفرقوا فی الشهادة بالزناء و لم يأتوا بهامجتمعين فی وقت فی مكان واحد سقط الحد عن المشهود عليه ووجب عليهم حد القذف . قال و إذاأقر الإنسان علی نفسه بالزناء أربع مرات علی اختيار منه للإقرار وجب عليه الحد و إن أقر مرة أومرتين أوثلاثا لم يجب عليه الحد بهذا الإقرار وللإمام أن يؤدبه بإقراره علی نفسه حسب مايراه فإن كان أقر علی امرأة بعينها جلد حد القذف . قال و إن جعل فی الحفرة ليرجم و هومقر علی نفسه بالزناء ففر منها ترك و لم يرد لأن فراره رجوع عن الإقرار و هوأعلم بنفسه . قال و لايجب الرجم علی المحصن ألذی يعده الفقهاء محصنا و هو من

وطئ امرأة فی نكاح صحيح وإنما الإحصان عندنا من له زوجة أوملك يمين يستغنى بها عن غيرها ويتمكن من وطئها فإن كانت مريضـة لايصل إليها بنكاح أوصـغيرة لايوطأ مثلها أوغائبـة عنه أومحبوسـة لم يكن محصـنا بها و لايجب عليه الرجم . قال ونكاح المتعـة لايحصن عنـدنا و إذا كان هذامذهب الإمامية فقد اتفق قولهم وأقوال الفقهاء فی سـقوط الرجم بأدنی سـبب و ألذی رواه أبوالفرج الأصـفهانی أن زيادا لم يحضر فی المجلس الأول و أنه حضر فی مجلس ثان فلعل إسقاط الحد كان لهذا. ثم نعود إلی تصـفح مااعترض به المرتضـی كلام قاضی القضاة. [صفحه ۲۴۴] أمـا قوله كـان الحـد فی حكم الثابت فإن الله تعالی لم يوجب الحد إلا إذا كان ثابتا و لم يوجبه إذا كان فی حكم الثابت ويسأل عن معنی قوله فی حكم الثابت هل المراد بذلك أنه قريب من الثبوت و إن لم يثبت حقيقـة أم المراد أنه قـدثبت وتحقق فإن أراد الثانی قيل له لانسـلم أنه ثبت لأن الشـهادة لم تتم و قداعترف المرتضـی بـذلك وأقر بـأن الشـهادة لم تكمـل ولكنه نسب ذلك إلی تلقين عمر و إن أراد الأول قيل له ليس يكفی فی وحوب الحد أن يكون قريبا إلی الثبوت لأنه لوكفی ذلك لحد الإنسان بشـهادة ثلاثة من الشهود. و أما قوله إن عمر لقنه وكره أن يشهد فلاـريب أن الأـمر وقع كـذلك و قـدقلنا إن هـذاجائز بـل منـدوب إليه وروينا عن أمير المؤمنين ماورويناه وذكرنا قول الفقهاء فی ذلـك وإنهم اسـتحبوا أن يقول القاضـی للمقر بالزنـاء تأمل ماتقوله لعلك مسسـتها أوقبلتها.فأما قول المرتضـی إنه درأ الحـد عن واحـد و كـان درؤه عن ثلاثـة أولی فقـد أجاب قاضـی القضاة عنه بأنه ما كان يمكن دفعه عنهم فأما قول المرتضـی بل قـد كان يمكن دفعه عنهم بألاـ يلقن الرابع الامتنـاع من الشـهادة فقـد أجـاب قاضـی القضـاة عنه بأن الزناء ووسم الإنسان به أعظم وأشـنع وأفحش من أن يوسم بالكـذب والاـفتراء وعقوبـة الزانی أعظم من عقوبـة الكـاذب القـاذف عنـد الله تعالی فی دار التكليف يبين ذلك أن الله تعالی أوجب جلـد ثلاثـة من المسلمين لتخليص واحـد شـهد الثلاثة عليه بالزناء فلو لم يكن هذاالمعنی ملحوظا فی نظر الشارع لماأوجبه فكيف يقول المرتضی ليس لأحد الأمرين إلا ما فی الآخر. و أماخبر السارق ألذی رواه قاضی القضاة وقول المرتضـی فی الاـعتراض عليه ليس فی دفع الحـد عن السـارق إيقـاع غيره فی المكروه وقصـة المغيرة تخالف هـذافليس بجيـد [صفحه ۲۴۵] لأن فی دفع الحد عن السارق إضاعة مال المسلم ألذی سرق السارق فی زمانه و فيه أيضا إغراء أهل الفساد بالسرقة لأنهم إذا لم يقم الحد عليهم لمكان الجحود أقدموا علی سـرقة الأموال فلو لم يكن عناية الشارع بالدماء أكثر من عنايته بغيره من الأـموال والأبشـار لمـا قـال للمكلف لاـتقر بالسـرقة و لابالزناء و لمارجـح واحـدا علی ثلاثـة وهان فی نظره أن تضـرب أبشارهم بالسياط وهم ثلاثة حفظا لدم واحد. و أماحديث صـفوان وقول المرتضـی فلايشبه كل مانحن فيه لأن الرسول ص بين أن ذلك القول يسـقط الحد لوتقدم و ليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحد.فجوابه أن قاضی القضاة لم يقصد بإيراد هذاالخبر إلاتشييد قول عمر أری وجه رجـل لايفضـح الله به رجلاـ من المسـلمين لأـن عمر كره فضـيحة المغيرة كمـاكره رسول الله ص فضـيحة السارق ألذی قال صفوان هو له و قال ع هلا قبل أن تأتينی به أی هلا قلت ذلك قبل أن تحضره فلم يفتضح بين الناس فإن قولك هو له و إن درأ الحـد إلا أنه لايدرأ الفضـيحة.فأما ماحكاه قاضـی القضاة عن أبی علی من أن القذف قد كان تقدم منهم وهم بالبصـرة فقـد ذكرنـا فی الخبر مايـدل علی ذلـك فبطـل قول المرتضـی أن ذلـك غيرمعروف و أن الظـاهر المروی خلافه . و أماقول عمر للمغيرة مارأيتـك إلاـخفت أن يرمينی الله بحجـارة من السـماء فالظاهر أن مراده ماذكره قاضـی القضاة من التخويف وإظهار قوة الظن بصـدق الشـهود ليكون ردعا له ولـذلك ورد فی الخبر ماأظن أبابكرة كـذب عليك تقـديره أظنه لم يكذب و لو كان كما قـال المرتضـی نـدما وتأسفا علی تفريط وقع لأقام الحـد عليه و لو بعـدحين و من ألـذی كان يمنعه من ذلك لوأراده . [صـفحه ۲۴۶] و قـوله لـم يخـاف أن يرمی بالحجـارة و هـو لـم يـدرأ الحـد عـن مسـتحق لـه جـوابه أن هـذاالقول يجری مجری التهـويل والتخويف للمغيرة كيلا يقـدم علی أن يعرض نفسه لشـبهه فيما بعد.فأما قول قاضـی القضاة أنه غيرممتنع أن يحب ألا يفتضح لما كان متوليا للبصـرة من قبله وقول المرتضـی معترضا عليه إن كونه واليا من قبله لايقتضـی أن يدرأ عنه الحد فغير لازم لأن قاضـی

القضاة ماجعل كونه واليا من قبله مقتضيا أن يـدرأ عنه الحـد وإنما قاله فى جواب من أنكر على عمر محبته لـدرء الحد عنه فقال إنه غيرقبيح و لايحرم محبة درء الحد عنه لأنه وال من قبله فجعل الولاية للبصـرة مسوغة لمحبة عمر لدفع الحد عنه لامسوغة لدفع الحد عنه و بين الأمرين فرق واضح . و أماقول المرتضى إن الشرع حظر كتمان الشهادة فصحيح فيما عدا الحدود فأما فى الحدود فلا و قدورد فى الخبر الصحيح من رأى على أخيه شيئا من هذه القاذورات وستر ستره الله يوم يفتضح المجرمون -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۰۱ .فأما قول المرتضى هب أن الحد سقط أ مااقتضت الحال تأديب المغيرة بنوع من أنواع التعزير و إن خف فكلام لازم لاجواب عنه و لوفعله عمر لبرئ من التهمة براءة الـذئب من دم يوسف و مـاأدرى كيف فـاته ذلك مع تشـدده فى الـدين وصلابته فى السياسة ولعله كان له مانع عن اعتماد ذلك لانعلمه

الطعن السابع

أنه كان يتلون فى الأحكام حتى روى أنه قضـى فى الجـد بسـبعين قضـية وروى [صـفحه ۲۴۷] مائة قضـية و أنه كان يفضل فى القسـمة والعطاء و قدسوى الله تعالى بين الجميع و أنه قال فى الأحكام من جهة الرأى والحدس والظن .أجاب قاضـى القضاة عن ذلـك فقـال مسائـل الاجتهاد يسوغ فيهاالاختلاف والرجوع عن رأى إلى رأى بحسب الأمارات وغالب الظن و قـدذكر أن ذلك طريقة أمير المؤمنين ع فى أمهات الأولاد ومقاسـمة الجد مع الإخوة ومسألة الحرام . قال وإنما الكلام فى أصل القياس والاجتهاد فـإذاثبت ذلـك خرج من أن يكون طعنـا و قـدثبت أن أمير المؤمنين ع كـان يولى من يرى خلاـف رأيه كـابن عباس وشـريح و لاـيمنع زيـدا و ابن مسـعود من الفتيا مع الاختلاف بينه وبينهما.فأما ماروى من السـبعين قضـية فالمراد به فى مسائل من الجـد لأن مسألـة واحـدة لايوجد فيهاسـبعون قضـية مختلفة و ليس فى ذلك عيب بل يدل على سـعة علمه . و قال قدصح فى زمان الرسول ص مثل ذلك لأنه لماشاور فى أمر الأسـرى أبابكر أشار ألا يقتلهم وأشار عمر بقتلهم فمـدحهما جميعا فما ألـذى يمنع من كون القولين صوابا من المجتهـدين و من الواحـد فى حالين . و بعدفقد ثبت أن اجتهاد الحسن ع فى طلب الإمامة كان بخلاف اجتهاد الحسين ع لأـنه سلم الأـمر وتمكنه أكثر من تمكن الحسين ع و لم يمنع ذلك من كونهما ع مصـيبين . [صـفحه ۲۴۸] اعترض المرتضـى هـذاالجواب فقـال لاشـك أن التلون فى الأحكام والرجوع من قضاء إلى قضاء إنما يكون عيبا وطعنا إذاأبطل الاجتهاد ألـذى يـذهبون إليه فأما لوثبت لم يكن ذلك عيبا فأما الدعوى على أمير المؤمنين ع أنه تنقل فى الأحكام ورجع من مذهب إلى آخر فإنهـا غيرصـحيحة و لانسـلمه ونحن ننازعه فيها و هو لاينازعنا فى تلون صاحبه وتنقله فلم يشـتبه الأمران . وأظهر ماروى فى ذلـك خبر أمهـات الأولاـد و قـدبينا فيمـا سـلف من الكتـاب مـا فيه وقلنا إن مـذهبه فى بيعهن كان واحـدا غيرمختلف و إن كان قـدوافق عمر فى بعض الأحوال لضـرب من الرأى فأما توليته لمن يرى خلاف رأيه فليس ذلك لتسويغه الاجتهاد ألـذى يـذهبون إليه بل لمابيناه من قبل أنه ع كان غيرمتمكن من اختياره و أنه يجرى أكثر الأمور مجراها المتقـدم للسـياسة والتدبير و هذاالسـبب فى أنه لم يمنع من خـالفه فى الفتيا.فأما قوله إن السـبعين قضـية لم تكن فى مسألـة واحـدة وإنما كانت فى مسائل من الجـد فكلا الأمرين واحـد فيما قصـدناه لأن حكم الله تعالى لايختلف فى المسألـة الواحـدة والمسائل فأما أمر الأسارى فإن صـح فإنه لايشـبه أحكـام الـدين المبنيـة على العلم واليقين لأنه لاسبيل لأبى بكر وعمر إلى المشورة فى أمر الأسارى إلا من طريق الظن والحسـبان وأحكام الـدين معلومة و إلى العلم بهاسبيل . وماادعاه من اجتهاد الحسن بخلاف اجتهاد الحسـين ليس على ماظنه لأن ذلك لم يكن عن اجتهاد وظن بل كان عن علم ويقين فمن أين له أنهما عملا على الظن فما نراه اعتمـد على حجة و من أين له أن تمكن الحسن كان أكثر من تمكن الحسـين [صفحه ۲۴۹] على أن هـذا لو كان على ماقاله لم يحسن من هذاالتسـليم و من ذاك القتال لأن المقاتل قـد يكون مغررا ملقيا بيديه إلى التهلكة والمسالم مضـيعا للأمر مفرطا و إذا كان عندصاحب الكتاب التسـليم والقتال

إنما كانا عن ظن وأمارات فليس يجوز أن يغلب على الظن بأن الرأى فى القتال مع ارتفاع أمارات التمكن و لا أن يغلب فى الظن المسالمة مع قوة أمارات التمكن . قلت أماالقول فى صحة الاجتهاد وبطلانه فله مواضع غير هذاالموضع وكذلك القول فى تقية الإمام واستصلاحه وفعله ما لايسوغ لضرب من السياسة والتدبير. و أمامسائل الجد فلم يعترض المرتضى قول قاضى القضاة فيها و أماقاضى القضاة فقد استبعد بل أحال أن تكون مسألة واحدة بعينها تحتمل سبعين حكما مختلفة فحمل الحديث على أن عمر أفتى فى باب ميراث الأجداد والجدات بسبعين فتيا فى سبعين مسألة مختلفة الصور و ذلك دليل على علمه وفقهه وتمكنه من البحث فى تفاريع المسائل الشرعية هذا هوجواب قاضى القضاة فكيف يعترض بقوله كلا الأمرين واحد فيما قصدناه لأن حكم الله لايختلف فى المسألة الواحدة والمسائل المتعددة أ ليس هذااعتراض من ظن أن قاضى القضاة قداعترض بتناقض أحكامه ولكن لا فى مسألة بعينها بل فى مسائل من باب ميراث الجد و لم يقصد قاضى القضاة ماظنه والوجه أن يعترض قاضى القضاة فيقال إن الرواة كلهم اتفقوا على أن عمر تلون تلونا شديدا فى الجد مع الإخوة كيف يقاسمهم وهى مسألة واحدة فقضى فيهابسبعين قضية فأخرجوا الرواية مخرج التعجب من تناقض فتاويه و لم يخرج أحد من المحدثين الرواية مخرج المدح له بسعة تفريعه فى الفقه والمسائل فلايجوز صرف الرواية عن الوضع ألذى وردت عليه . [صفحه ٢٥٠] وقول قاضى القضاة كيف تحتمل مسألة واحدة سبعين وجها جوابه أنه لم يقع الأمر بموجب ماتوهمه بل المراد أن قوما تحاكموا إليه فى هذه المسألة مثلا اليوم فأفتى فيهابفتيا نحو أن يقول فى جد وبنت وأخت للبنت النصف والباقى بين الجد والأخت للذكر مثل حظ الأنثيين و هوقول زيد بن ثابت ثم يتحاكم إليه بعدأيام فى هذه المسألة بعينها قدوضعت لقوم آخرين فيقول للبنت النصف وللجد السدس والباقى للأخت و هوالمذهب المحكى عن على ع و ذلك بأن يتغلب على ظنه ترجيح هذه الفتيا على ما كان أفتى به من قبل ثم تقع هذه المسألة بعينها بعدشهر آخر فيفتى فيهابفتيا أخرى فيقول للبنت النصف والباقى بين الجد والأخت نصفين و هومذهب ابن مسعود ثم تقع المسألة بعينها بعدشهر آخر فيقضى فيهابالفتيا الأولى وهى مذهب زيد بأن يعود ظنه مترجحا متغلبا لمذهب زيد ثم تقع المسألة بعينها بعدوقت آخر فيفتى فيهابقول على ع وهكذا لاتزال المسألة بعينها تقع وأقواله فيهاتختلف وهى ثلاثة لامزيد عليها إلا أنه لايزال يفتى فيهافتاوى مختلفة إلى أن توفى فأحصيت فكانت سبعين فتيا.فأما احتجاج قاضى القضاة بقصة أسرى بدر فجيد و أما مااعترض به المرتضى فليس بجيد لأن المسألة من باب الشرع و هوقتل الأسرى أوتخليتهم بالفداء والقتل وإراقة الدم من أهم المسائل الشرعية و قدعلم من الشارع شدة العناية بأمر الدنيا فإن كانت أحكام الشرع لايجوز أن تتلقى و أن يفتى فيها إلابطريق معلومة و أن الظن والاجتهاد لامدخل له فى الشرع كمايذهب إليه المرتضى فكيف جاز من رسول الله ص أن يشاور فى أحكام شرعية من لاطريق له إلى العلم وإنما قصارى أمره الظن والاجتهاد والحسبان وكيف مدحهما جميعا و قداختلفا و لابد أن يكون أحدهما مخطئا. [صفحه ٢٥١] و أماقول المرتضى من أين لقاضى القضاة أن مااعتمده الحسن و الحسين من الكف والإقدام كان عن الاجتهاد فجيد وجواب صحيح على أصول الإمامية لأنه ليس بمستحيل أن يعتمدا ذلك بوصية سابقة من أبيهما ع . و أما قوله لقاضى القضاة كلامك مضطرب لأنك أسندت مااعتمداه إلى الاجتهاد ثم قلت و قد كان تمكن الحسن أكثر من تمكن الحسين ع و هذايؤدى إلى أن أحدهما غرر بنفسه والآخر فرط فى تسليم حقه فليس بجيد و ألذى أراده قاضى القضاة الدلالة على جواز الاجتهاد و أنه طريقة المسلمين كلهم و أهل البيت ع وأومأ إلى مااعتمده الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية و مااعتمده الحسين من منازعة يزيد الخلافة فعملا فيهابموجب اجتهادهما و ماغلب على ظنونهما من المصلحة و قد كان تمكن الحسن ع فى الحال الحاضرة أكثر من تمكن الحسين ع فى حاله الحاضرة لأن جند الحسن كان حوله ومطيفا به وهم كماروى مائة ألف سيف و لم يكن مع الحسين ع ممن يحيط به ويسير بمسيره إلى العراق إلادون مائة فارس ولكن ظنهما فى عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفا فكان الحسن يظن خذلان أصحابه عنداللقاء والحرب و كان الحسين ع يظن نصرة

أصحابه عنداللقاء والحرب فلذلک أحجم أحدهما وأقدم الآخر فقد بان أن قول قاضی القضاۀ غیرمضطرب و لامتناقض

الطعن الثامن

ماروی عن عمر من قوله متعتان کانتا علی عهد رسول الله ص أناأنهی عنهما وأعاقب علیهما و هذااللفظ قبیح لوصح المعنی فکیف إذ فسد لأنه لیس ممن [صفحه ۲۵۲] یشرع فیقول هذاالقول ولأنه یوهم مساواۀ الرسول ص فی الأمر والنهی و أن اتباعه أولی من اتباع رسول الله ص .أجاب قاضی القضاۀ فقال أنه إنما عنی بقوله و أناأنهی عنهما وأعاقب علیهما کراهته لذلک وتشدده فیه من حیث نهی رسول الله ص عنهما بعد أن کانتا فی أیامه منبها بذلک علی حصول النسخ فیهما وتغیر الحکم لأنا نعلم أنه کان متبعا للرسول متدینا بالإسلام فلایجوز أن نحمل قوله علی خلاف ماتواتر من حاله وحکی عن أبی علی أن ذلک بمنزلۀ أن یقول إنی أعاقب من صلی إلی بیت المقدس و إن کان صلی إلی بیت المقدس فی حیاۀ رسول الله ص واعتمد فی تصویبه علی کف الصحابۀ عن النکیر عنه وادعی أن أمیر المؤمنین ع أنکر علی ابن عباس إحلال المتعۀ وروی عن النبی ص تحریمهما فأما متعۀ الحج فإنما أراد ماکانوا یفعلون من فسخ الحج لأنه کان یحصل لهم عنده التمتع و لم یرد بذلک التمتع ألذی یجری مجری تقدم العمرۀ وإضافۀ الحج إلیها بعد ذلک لأنه جائز لم یقع فیه قبح .اعترض المرتضی هذاالکلام فقال ظاهر الخبر المروی عن عمر فی المتعتین یبطل هذاالتأویل لأنه قال متعتان کانتا علی عهد رسول الله ص أناأنهی عنهما وأعاقب علیهما فأضاف النهی إلی نفسه و لو کان الرسول نهی عنهما لأضاف النهی إلیه فکان آکد وأولی فکان یقول فنهی عنهما أونسخهما و أنا من بعده أنهی عنهما وأعاقب علیهما و لیس یشبه ماذکره من الصلاۀ إلی بیت المقدس أن نسخ [صفحه ۲۵۳] الصلاۀ إلی بیت المقدس معلوم ضرورۀ من دینه ص و لیس کذلک المتعۀ علی أنه لو قال إن الصلاۀ إلی بیت المقدس کانت فی أیام النبی ص جائزۀ و أناالآن أنهی عنها لکان قبیحا شنیعا مثل مااستقبحنا من القول الأول و لیس هذاالقول منه ردا علی الرسول ص لأنه لایمتنع أن یکون استحسن حظرها فی أیامه لوجه لم یکن فیما تقدم واعتقد أن الإباحۀ فی أیام رسول الله ص کان لها شرط لم یوجد فی أیامه و قدروی عنه أنه صرح بهذا المعنی فقال إنما أحل الله المتعۀ للناس علی عهد رسول الله ص والنساء یومئذ قلیلۀ ولذلک روی عنه فی متعۀ الحج أنه قال قدعلمت أن رسول الله ص فعلها وأصحابه ولکن کرهت أن یظلوا بهامعرسین تحت الأراک ثم یرجعوا بالحج تقطر رءوسهم . و أمااعتماده علی الکف عن النکیر فقد تقدم أنه لیس بحجۀ إلا علی شرائط شرحناها علی أنه قدروی أن عمر قال بعدنهیه عن المتعۀ لاأوتی بأحد تزوج متعۀ إلاعذبته بالحجارۀ و لوکنت تقدمت فیهالرجمت و ماوجدنا أحدا أنکر علیه هذاالقول لأن المتمتع عندهم لایستحق الرجم و لم یدل ترک النکیر علی صوابه .فأما ادعاؤه علی أمیر المؤمنین ع أنه أنکر علی ابن عباس إحلالها فالأمر بخلافه وعکسه فقد روی عنه ع من طرق کثیرۀ أنه کان یفتی بها وینکر علی محرمها والناهی عنها و روی عمر بن سعد الهمدانی عن حبیش بن المعتمر قال سمعت علیا ع یقول لو لا ماسبق من ابن الخطاب فی المتعۀ مازنی إلاشقی -روایت-۱-۲-روایت-۷۲-۱۲۷ روی أبوبصیر قال سمعت أبا جعفر محمد بن علی الباقر ع یروی عن جده أمیر المؤمنین ع لو لا ماسبقنی به ابن الخطاب مازنی إلاشقی -روایت-۱-۲-روایت-۸۸-۱۳۵ و قدأفتی بالمتعۀ [صفحه ۲۵۴] جماعۀ من الصحابۀ والتابعین کعبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله الأنصاری وسلمۀ بن الأکوع و أبی سعید الخدری وسعید بن جبیر ومجاهد و غیر ماذکرناه ممن یطول ذکره فأما سادۀ أهل البیت ع وعلماؤهم فأمرهم واضح فی الفتیا بهاکعلی بن الحسین زین العابدین و أبی جعفرالباقر ع و أبی عبد الله الصادق ع و أبی الحسن موسی الکاظم و علی بن موسی الرضا ع و ماذکرنا من فتیا من أشرنا إلیه من الصحابۀ بهایدل علی أوضح بطلان ماذکره صاحب الکتاب من ارتفاع النکیر لتحریمها لأن مقامهم علی الفتیا بهانکیر فأما متعۀ الحج فقد فعلها النبی ص و الناس أجمع من بعده والفقهاء فی أعصارنا هذه

لايرونهـا خطأ بل صوابا.فأما قول صاحب الكتاب إن عمر إنما أنكر فسـخ الحـج فباطل لأن ذلك أولا لايسـمى متعـة ولأن ذلك مافعـل فى أيام النبى ص و لافعله أحـد من المسـلمين بعـده وإنما هو من سـنن الجاهليـة فكيف يقول عمر متعتان كانتا على عهد رسول الله ص وكيف يغلـظ ويشـدد فيمـا لم يفعـل و لافعـل . قلت لاشـبهة أن الظاهر من كلام عمر إضافـة النهى إلى نفسه لكنا يجب علينـا أن نترك ظـاهر اللفظ إذاعلمنا من قائله مايوجب صـرف اللفظ عن الظاهر كمايعتمـده كل أحـد فى القرائن المقترنة بالألفاظ والمعلوم من حال عمر أنه لم يكن يدعى أنه ناسخ لشـريعة [صفحه ٢٥٥] الرسول ص و أنه كان متدينا بالإسلام وتابعا للرسول ألـذى جـاء به فوجب أن يحمـل كلامه على أنه أراد أنهما كانتا ثم حرمتا ثم أناالآن أعاقب من فعلهما لأنه قـد كان بلغه عن قوم من المسلمين بعدعلمهم بالتحريم وقول المرتضى لعله كان اعتقد أن الإباحة أيام رسول الله ص كانت مشروطة بشرط لم يوجـد فى أيـامه قول يبطل طعنه فى عمر ويمهـد له عـذرا ويصـير المسألـة اجتهاديـة. و أماطعنه فى الاحتجاج على تصويب عمر بترك الإنكار عليه و قوله فهلا أنكروا عليه قوله لاأرى أحدا يستمتع إلارجمته فليس بطعن مستقيم وإنما يكون طعنا صـحيحا لو كان أتى بمتمتع فأمر برجمه فأما أن ينكروا عليه وعيـده وتهديده لاالإنسان معين بل كلاما مطلقا وقولا كليا يقصد به حسم المادة فى المتعـة وتخويف فاعلها فإنه ليس بمحل للإنكار عليه و مازالت الأئمـة والصالحون يتوعدون بأمر ليس فى نفوسـهم فعله على طريـق التـأديب والتهــذيب على أن قومـا مـن الفقهـاء قـدأوجبوا إقامــة الحـد على المتمتـع فلايـمتنع أن يكـون عمر ذاهبـا إلى هذاالمـذهب .فأمـا مارواه عن أمير المؤمنين ع و عن الطاهرين من أولاده من تحليل المتعـة فلسـنا فى هـذاالمقام نناكره فى ذلك وننـازعه فيهـا والمسألـة فقهيـة من فروع الشـريعة و ليس كتابنا موضوعا لـذكره و لاالموضع ألـذى نحن فيه يقتضـى الحجاج فيها والبحث فى تحليلهـا وتحريمهـا وإنمـا الموضع موضع الكلام فى حال عمر و مانقل عنه من الكلمـة هل يقتضـى ذلك الطعن فى دينه أم لا.فأما متعـة الحـج فقـد اعتـذر لنفسه و قال ماقدمنا ذكره من أن الحج بهاء من بهاء الله و أن التمتع يكسـفه ويذهب نوره ورونقه وأنهم يظلون معرسين تحت الأراك ثم [صفحه ٢٥٦] يهلون بالحج ورءوسهم تقطر و إذا كان قداعتذر لنفسه فقد كفانا مئونة الاعتذار

الطعن التاسع

مـاروى عنه من قصـة الشورى وكونه خرج بهـا عن الاختيـار والنص جميعا و أنه ذم كل واحـد بأن ذكر فيه طعنا ثم أهله للخلافة بعد أن طعن فيه و أنه جعل الأمر إلى سـتة ثم إلى أربعة ثم إلى واحد قدوصـفه بالضـعف والقصور و قال إن اجتمع على وعثمان فـالقول ماقالاـه و إن صـاروا ثلاثـة وثلاثـة فـالقول للـذين فيهـم عبـدالرحمن و ذلـك لعلمـه بـأن عليـا وعثمـان لايجتمعـان و أن عبدالرحمن لايكاد يعدل بالأمر عن ختنه و ابن عمه و أنه أمر بضـرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة فوق ثلاثة أيام و أنه أمر بقتل من يخالف الأربعة منهم أوالذين فيهم عبدالرحمن .أجاب قاضـى القضاة عن ذلك فقال الأمور الظاهرة لايجوز أن يعترض عليها بأخبـار غيرصـحيحة والأـمر فى الشورى ظـاهر و أن الجماعـة دخلت فيهابالرضـا و لاـفرق بين من قـال فى أحـدهم أنه دخل فيها لابالرضا و بين من قال ذلك فى جميعهم ولذلك جعلنا دخول أمير المؤمنين ع فى الشورى أحد مايعتمد عليه فى أن لانص يدل عليه أنه المختص بالإمامة لأنه قد كان يجب عليه أن يصرح بالنص على نفسه بل يحتاج إلى ذكر فضائله ومناقبه لأن الحال حال مناظرة و لم يكن الأمر مستقرا لواحـد فلايمكن أن يتعلق بالتقية والمتعالم من حاله أنه لوامتنع من هذاالأمر فى الشورى أصـلا لم يلحقـه الخـوف فضـلا عن غيره ومعلـوم أن دلالـة الفعـل أحسن من دلالـة القـول من حيث كـان الاحتمـال فيه أقـل والمروى أن عبدالرحمن أخذ الميثاق على الجماعة [صـفحه ٢٥٧] بالرضـا بمن يختـاره و لايجب القـدح فى الأفعال بالظنون بل يجب حملها على ظاهر الصـحة دون الاحتمال كمايجب مثله فى غيرها ويجب إذاتقـدمت للفاعل حالـة تقتضـى حسن الظن به أن يحمل فعله

على مايطابقها و قدعلمنا أن حال عمر و ما كان عليه من النصيحة للمسلمين منع من صرف أمره فى الشورى إلى الأغراض التى يظنها أعداؤه فلايصح لهم أن يقولوا كان مراده فى الشورى بأن يجعل الأمر إلى الفرقة التى فيها عبدالرحمن عندالخلاف أن يتم الأمر لعثمان لأنه لو كان هذامراده لم يكن هناك مايمنعه من النص على عثمان كما لم يمنع ذلك أبابكر لأن أمره إن لم يكن أقوى من أمر أبى بكر لم ينقص عنه و ليس ذلك بدعة لأنه إذاجاز فى غيرالإمام إذااختار أن يفعل ذلك بأن ينظر فى أماثل القوم فيعلم أنهم عشرة ثم ينظر فى العشرة فيعلم أن أمثلهم خمسة ثم ينظر فى واحد من الخمسة فما ألذى يمنع من مثله فى الإمام و هو فى هذاالباب أقوى اختيارا لأن له أن يختار واحدا بعينه . ثم ذكر أنه إنما حصره فى الجماعة الذين انتهى إليهم الفضل وجعله شورى بينهم ثم بين أن الانتقال من الستة إلى الأربعة و من الأربعة إلى الثلاثة لا يكون متناقضا لأن الأقوال مختلفة وليست واحدة و لوكانت أيضا واحدة لكان كالرجوع وللإمام أن يرجع فى مثل ذلك لأنه فى حكم الوصية. قال وقولهم أنه كان يعلم أن عثمان وعليا لايجتمعان و أن عبدالرحمن يميل إلى عثمان قلة دين لأن الأمور المستقبلة لاتعلم وإنما يحصل فيهاأمارة قال والأمارات توجب أنه لم يكن فيهم حرص شديد على الإمامة بل الغالب من حالهم طلب الاتفاق والائتلاف والاسترواح إلى قيام الغير بذلك وإنما جعل عمر الأمر إلى عبدالرحمن عندالاختلاف لعلمه بزهده فى الأمر و أنه لأجل ذلك أقرب أن يتثبت لأن الراغب [صفحه ٢٥٨] عن الشىء يحصل له من التثبت ما لايحصل للراغب فيه و من كانت هذه حاله كان القوم إلى الرضا به أقرب . وحكى عن أبى على أن المخادعة إنما تظن بمن قصده فى الأمور طريق الفساد وعمر برىء من ذلك . قال والضعف ألذى وصف به عبدالرحمن إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة لاضعف الرأى ولذلك رد الاختيار والرأى إليه وحكى عن أبى على ضعف ماروى من أمره بضرب أعناق القوم إذاتأخروا عن البيعة و أن ذلك لوصح لأنكره القوم و لم يدخلوا فى الشورى بهذا الشرط ثم تأوله إذ سلم صحته على أنهم إن تأخروا عن البيعة على سبيل شق العصا وطلب الأمر من غيروجهه و قال و لايمتنع أن يقول ذلك على طريق التهديد و إن بعدعنده أن يقدموا عليه كما قال تعالى لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنّ عَمَلُكَ.اعترض المرتضى هذاالكلام فقال إن ألذى رتبه عمر فى قصة الشورى من ترتيب العدد واتفاقه واختلافه يدل أولا على بطلان مذهب أصحاب الاختيار فى عدد العاقدين للإمامة و أنه يتم بعقد واحد لغيره برضا أربعة و أنه لايتم بدون ذلك فإن قصة الشورى تصرح بخلاف هذاالاعتبار فهذا أحد وجوه المطاعن فيها. و من جملتها أنه وصف كل واحد منهم بوصف زعم أنه يمنع من الإمامة ثم جعل الأمر فيمن له تلك الأوصاف و قدروى محمد بن سعد عن الواقدى عن محمد بن عبد الله الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال قال عمر لاأدرى ماأصنع بأمة محمدص و ذلك قبل أن يطعن فقلت و لم تهتم و أنت تجد من تستخلفه -قرآن-٦٧٣-٧٠٧ [صفحه ٢٥٩] عليهم قال أصاحبكم يعنى عليا قلت نعم هولها أهل فى قرابته من رسول الله ص وصهره وسابقته وبلائه قال إن فيه بطالة وفكاهة فقلت فأين أنت من طلحة قال فأين الزهو والنخوة قلت عبدالرحمن قال هو رجل صالح على ضعف فيه قلت فسعد قال ذاك صاحب مقنب وقتال لايقوم بقرية لوحمل أمرها قلت فالزبير قال وعقة لقس مؤمن الرضا كافر الغضب شحيح و إن هذاالأمر لايصلح إلالقوى فى غيرعنف رفيق فى غيرضعف وجواد فى غيرسرف قلت فأين أنت من عثمان قال لوليها لحمل بنى أبى معيط على رقاب الناس و لوفعلها لقتلوه . و قديروى من غير هذاالطريق أن عمر قال لأصحاب الشورى روحوا إلى فلما نظر إليهم قال قدجاءنى كل واحد منهم يهز عفريته يرجو أن يكون خليفة أما أنت ياطلحة أفلست القائل إن قبض النبى ص أنكح أزواجه من بعده فما جعل الله محمدا أحق ببنات أعمامنا منا فأنزل الله تعالى فيك وَ ما كانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللّهِ وَ لا أَن تَنكِحُوا أَزواجَهُ مِن بَعدِهِ أَبَداً و أما أنت يازبير فو الله مالان قلبك يوما و لاليلة و مازلت جلفا جافيا و أما أنت ياعثمان فو الله لروثة خير منك و أما أنت يا عبدالرحمن فإنك رجل عاجز تحب قومك جميعا و أما أنت ياسعد فصاحب عصبية وفتنة و أما أنت يا على فو الله لووزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم فقام على موليا يخرج فقال

عمر و الله إنى لأعلم مكان رجل لووليتموه -قرآن-۸۰۶-۸۹۸ [صفحه ۲۶۰] أمركم لحملكم على المحجة البيضاء قالوا من هو قال هذاالمولى من بينكم قالوا فما يمنعك من ذلك قال ليس إلى ذلك سبيل . و فى خبر آخر رواه البلاذرى فى تاريخه أن عمر لماخرج أهل الشورى من عنده قال إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق فقال عبد الله بن عمر فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين قال أكره أن أتحملها حيا وميتا.فوصف كماترى كل واحد من القوم بوصف قبيح يمنع من الإمامة ثم جعلها فى جملتهم حتى كان تلك الأوصاف تزول فى حال الاجتماع ونحن نعلم أن ألذى ذكره إن كان مانعا من الإمامة فى كل واحد على الانفراد فهو مانع من الاجتماع مع أنه وصف عليا ع بوصف لايليق به و لاادعاه عدو قط بل هومعروف بضده من الركانة والبعد عن المزاح والدعابة و هذامعلوم ضرورة لمن سمع أخباره ع وكيف يظن به ذلك و قدروى عن ابن عباس أنه قال كان أمير المؤمنين على ع إذاأتى هبنا أن نبتدئه بالكلام و هذا لا يكون إلا من شدة التزمت والتوقر و مايخالف الدعابة والفكاهة. ومما تضمنته قصة الشورى من المطاعن أنه قال لاأتحملها حيا وميتا و هذا إن كان علة عدوله عن النص إلى واحد بعينه فهو قول متلمس متخلص لايفتات على الناس فى آرائهم ثم نقض هذابأن نص على ستة من بين العالم كله ثم رتب العدد ترتيبا مخصوصا يؤول إلى أن اختيار عبدالرحمن هوالمقدم و أى شىء يكون من التحمل أكثر من هذا و أى فرق بين أن يتحملها بأن ينص على واحد بعينه و بين أن يفعل مافعله من الحصر والترتيب . [صفحه ۲۶۱] و من جملة المطاعن أنه أمر بضرب الأعناق إن تأخروا عن البيعة أكثر من ثلاثة أيام ومعلوم أنهم بذلك لايستحقون القتل لأنهم إذاكانوا إنما كلفوا أن يجتهدوا آراءهم فى اختيار الإمام فربما طال زمان الاجتهاد وربما قصر بحسب مايعرض فيه من العوارض فأى معنى للأمر بالقتل إذاتجاوزوا الأيام الثلاثة ثم أنه أمر بقتل من يخالف الأربعة و من يخالف العدد ألذى فيه عبدالرحمن و كل ذلك مما لايستحق به القتل .فأما تضعيف أبى على لذكر القتل فليس بحجة مع أن جميع من روى قصة الشورى روى ذلك و قدروى الطبرى ذلك فى تاريخه وغيره .فأما تأوله الأمر بالقتل على أن المراد به إذاتأخروا على طريق شق العصا وطلب الأمر من غيروجهه فبعيد من الصواب لأنه ليس فى ظاهر الخبر ذلك ولأنهم إذاشقوا العصا وطلبوا الأمر من غيروجهه من أول يوم وجب أن يمنعوا ويقاتلوا فأى معنى لضرب الأيام الثلاثة أجلا.فأما تعلقه بالتهديد فكيف يجوز أن يتهدد الإنسان على فعل بما لايستحقه و إن علم أنه لايعزم عليه .فأما قوله تعالى لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنّ عَمَلُكَفيخالف ماذكر لأن الشرك يستحق به إحباط الأعمال و ليس يستحق بالتأخير عن البيعة القتل .فأما ادعاء صاحب الكتاب أن الجماعة دخلوا فى الشورى على سبيل الرضا و أن عبدالرحمن أخذ عليهم العهد أن يرضوا بما يفعله فمن قرأ قصة الشورى على وجهها وعدل عما تسوله النفس من بناء الأخبار على المذاهب علم أن الأمر بخلاف ماذكر و قدروى الطبرى فى تاريخه عن أشياخه من طرق مختلفة أن أمير المؤمنين ع قال حين خرج من عندعمر بعدخطابه للجماعة بما تقدم ذكره لقوم كانوا معه من بنى هاشم إن طمع فيكم قومكم لم تؤمروا أبدا وتلقاه العباس بن عبدالمطلب -قرآن-۹۲۹-۹۶۳ [صفحه ۲۶۲] فقال ياعم عدلت عنا قال و ماعلمك قال قرن بى عثمان و قال كونوا مع الأكثر و إن رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبدالرحمن فسعد لايخالف ابن عمه عبدالرحمن و عبدالرحمن صهر عثمان لايختلفان فيوليها عبدالرحمن عثمان أويوليها عثمان عبدالرحمن فلو كان الآخران معى لم ينفعانى بله أنى لاأرجو إلاأحدهما فقال له العباس لم أدفعك عن شىء إلارجعت إلى مستأخرا أشرت عليك عندوفاة رسول الله ص أن تسأله فيمن هذاالأمر فأبيت وأشرت عليك عندوفاته أن تعاجل الأمر فأبيت وأشرت عليك حين سماك عمر فى الشورى ألا تدخل معهم فأبيت فاحفظ على واحدة كلما عرض عليك القوم فقل لا إلا أن يولوك واحذر هؤلاء الرهط فإنهم لايبرحون يدفعوننا عن هذاالأمر حتى يقوم لنا به غيرنا وغيرهم وايم الله لاتناله إلابشر لاينفع معه خير فقال على ع أما و الله لئن بقى عمر لأذكرنه ماأتى إلينا ولئن مات ليتداولنها بينهم ولئن فعلوا ليجدننى حيث يكرهون ثم تمثل -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۳۷ حلفت برب الراقصات عشية || غدون خفافا فابتدرن المحصبا ليحتلبن

رهط ابن يعمر مارئا || نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا .فالتفت فرأى أباطلحة الأنصارى فكره مكانه فقال أبوطلحة لاترع أباحسن . قال المرتضى فإن قال قائل أى معنى لقول العباس إنى دعوتك إلى أن تسأل رسول الله ص فيمن هذاالأمر من قبل وفاته أ ليس هذامبطلا لماتدعونه من النص .قلنا غيرممتنع أن يريد العباس سؤاله عمن يصير الأمر إليه وينتقل إلى يديه [صفحه ۲۶۳] لأنه قديستحقه من لايصل إليه و قديصل إلى من لايستحقه و ليس يمتنع أن يريد إنما كنا نسأله ص إعادة النص قبل الموت ليتجدد ويتأكد و يكون لقرب العهد إليه بعيدا من أن يطرح . فإن قيل أ ليس قدأنكرتم على صاحب الكتاب من التأويل بعينه فيما استعمله من الرواية عن أبى بكر من قوله ليتنى كنت سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذاالأمر حق .قلنا إنما أنكرناه فى ذلك الخبر لأنه لايليق به من حيث قال فكنا لاننازعه أهله و هذاقول من لاعلم له بأنه ليس للأنصار حق فى الإمامة و من كان يرجع فى أن لهم حقا فى الأمر أو لاحق لهم فيه إلى مايسمعه مستأنفا و ليس هذا فى الخبر ألذى ذكرناه . و روى العباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده فى إسناده أن أمير المؤمنين ع شكا إلى العباس ماسمع من قول عمر كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف و قال و الله لقد ذهب الأمر منا قال وكيف قلت ذلك يا ابن أخى قال إن سعدا لايخالف ابن عمه عبدالرحمن و عبدالرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما يختار لصاحبه لامحالة و إن كان الزبير وطلحة معى فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف فى الثلاثة الآخرين -روايت-۱-۲-روايت-۶۱-۴۲۱ . قال ابن الكلبى عبدالرحمن زوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وأمها أروى بنت كريز وأروى أم عثمان فلذلك قال صهره . و فى رواية الطبرى أن عبدالرحمن دعا عليا ع فقال عليك عهد الله [صفحه ۲۶۴] وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين فقال أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمى وطاقتى. و فى خبر آخر عن أبى الطفيل أن عبدالرحمن قال لعلى ع هلم يدك خذها بما فيها على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر فقال آخذها بما فيها على أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه جهدى فترك يده و قال هلم يدك ياعثمان أتأخذها بما فيها على أن تسير فينا بسيرة أبى بكر وعمر قال نعم قال هى لك ياعثمان -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-۳۰۸ فى رواية الطبرى أنه قال لعثمان مثل قوله لعلى فقال نعم فبايعه فقال على ع ختونة حنت دهرا -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۰۱ فى خبر آخر نفعت الختونة يا ابن عوف ليس هذاأول يوم تظاهرتم فيه علينافَصَبرٌ جَمِيلٌ وَ اللّهُ المُستَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ و الله ماوليت عثمان إلاليرد الأمر إليك و الله كل يوم هو فى شأن -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۲۰۲ فى غيررواية الطبرى أن عبدالرحمن قال له لقد قلت ذلك لعمر فقال ع أ و لم يكن ذلك كما قلت -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۱۰۱ روى الطبرى أن عبدالرحمن قال لاتجعلن يا على على نفسك سبيلا فإنى نظرت وشاورت الناس فإذاهم لايعدلون بعثمان فقام على ع و هو يقول سيبلغ الكتاب أجله -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۱۶۷ فى رواية الطبرى أن الناس لمابايعوا عثمان تلكأ على ع فقال عثمان فمن نكث فإنما ينكث على نفسه و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-ادامه دارد [صفحه ۲۶۵] عظيما فرجع على ع حتى بايعه و هو يقول خدعة و أى خدعة -روايت-از قبل-۵۹ . وروى البلاذرى فى كتابه عن ابن الكلبى عن أبيه عن أبى مخنف فى إسناد له أن عليا ع لمابايع عبدالرحمن عثمان كان قائما فقال له عبدالرحمن بايع و إلاضربت عنقك و لم يكن يومئذ مع أحد سيف غيره فخرج على مغضبا فلحقه أصحاب الشورى فقالوا له بايع و إلاجاهدناك فأقبل معهم يمشى حتى بايع عثمان . قال المرتضى فأى رضا هاهنا و أى إجماع وكيف يكون مختارا من تهدد بالقتل وبالجهاد و هذاالمعنى و هوحديث ضرب العنق لوروته الشيعة لتضاحك المخالفون منه وتغامزوا وقالوا هذا من جملة ماتدعونه من المحال وتروونه من الأحاديث و قدأنطق الله به رواتهم وأجراه على أفواه ثقاتهم ولقد تكلم المقداد فى ذلك اليوم بكلام طويل يفند فيه مافعلوه من بيعة عثمان وعدولهم بالأمر عن أمير المؤمنين إلى أن قال له عبدالرحمن يامقداد اتق الله فإنى خائف عليك الفتنة ثم إن المقداد قام فأتى عليا فقال أتقاتل فنقاتل معك فقال على فبمن أقاتل وتكلم أيضا عمار فيما رواه أبومخنف فقال يامعشر قريش أين تصرفون هذاالأمر عن بيت نبيكم

تحولونه هاهنا مرة وهاهنا مرة أما و الله ما أنابآمن أن ينزعه الله منكم فيضعه فی غيركم كماانتزعتموه من أهله ووضعتموه فی غيرأهله فقال له هشام بن الوليد يا ابن سمية لقد عدوت طورك و ماعرفت قدرك و ما أنت و مارأته قريش لأنفسها إنك لست فی شیء من أمرها وإمارتها فتنح عنها وتكلمت قريش بأجمعها وصاحت بعمار وانتهرته فقال الحمد لله مازال أعوان الحق قليلا. روی أبومخنف أيضا أن عمارا قال هذاالبيت ذلك اليوم -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-ادامه دارد [صفحه ۲۶۶] ياناعی الإسلام قم فانعه || قدمات عرف وأتی منكر -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد أما و الله لو أن لی أعوانا لقاتلتهم و قال أمير المؤمنين ع لئن قاتلتهم بواحد لأكونن ثانيا فقال و الله ماأجد عليهم أعوانا و لاأحب أن أعرضكم لما لاتطيقون -روايت-از قبل-۱۶۷ روی أبومخنف عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه قال دخلت علی علی ع وكنت حاضرا بالمدينة يوم بويع عثمان فإذا هوواجم كئيب فقلت ماأصاب قوم صرفوا هذاالأمر عنكم فقال صبر جميل فقلت سبحان الله إنك لصبور قال فاصنع ماذا قلت تقوم فی الناس خطيبا فتدعوهم إلی نفسك وتخبرهم أنك أولی بالنبی‌ص بالعمل والسابقة وتسألهم النصر علی هؤلاء المتظاهرين عليك فإن أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة علی المائة فإن دانوا لك كان ماأحببت و إن أبوا قاتلتهم فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله آتاه نبيه ص وكنت أولی به منهم إذ ذهبوا بذلك فرده الله إليك و إن قتلت فی طلبه فقتلت شهيدا وكنت أولی بالعذر عند الله تعالی فی الدنيا والآخرة فقال ع أ وتراه كان تابعی من كل مائة عشرة قلت لأرجو ذلك قال لكنی لاأرجو و لا و الله من المائة اثنين وسأخبرك من أين ذلك إن الناس إنما ينظرون إلی قريش فيقولون هم قوم محمدص وقبيلته و إن قريشا تنظر إلينا فتقول إن لهم بالنبوة فضلا علی سائر قريش وإنهم أولياء هذاالأمر دون قريش و الناس وإنهم إن ولوه لم يخرج هذاالسلطان منهم إلی أحد أبدا ومتی كان فی غيرهم تداولتموه بينكم فلا و الله لاتدفع قريش إلينا هذاالسلطان طائعة أبدا قلت أ فلاأرجع إلی المصر فأخبر الناس بمقالتك هذه وأدعو الناس إليك فقال ياجندب ليس هذازمان ذلك فرجعت فكلما ذكرت للناس شيئا من فضل علی زبرونی -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-ادامه دارد [صفحه ۲۶۷] ونهرونی حتی رفع ذلك من أمری للوليد بن عقبة فبعث إلی فحبسنی -روايت-از قبل-۶۹ . قال و هذه الجملة التی أوردناها قليل من كثير فی أن الخلاف كان واقما والرضا كان مرتفعا والأمر إنما تم بالحيلة والمكر والخداع وأول شیءمكر به عبدالرحمن أنه ابتدأ فأخرج نفسه من الأمر ليتمكن من صرفه إلی من يريد وليقال أنه لو لاإيثاره الحق وزهده فی الولاية لماأخرج نفسه منها ثم عرض علی أمير المؤمنين ع مايعلم أنه لايجيب إليه و لاتلزمه الإجابة إليه من السير فيهم بسيرة الرجلين وعلم أنه ع لايتمكن من أن يقول إن سيرتهما لاتلزمنی لئلا ينسب إلی الطعن عليهما وكيف يلزم سيرتهما و كل واحد منهما لم يسر بسيرة الآخر بل اختلفا وتباينا فی كثير من الأحكام هذا بعد أن قال لأهل الشوری وثقوا إلی من أنفسكم بأنكم ترضون باختياری إذاأخرجت نفسی فأجابوه علی مارواه أبومخنف بإسناده إلی ماعرض عليهم إلا أمير المؤمنين ع فإنه قال انظر لعلمه بما يجر هذاالمكر حتی أتاهم أبوطلحة فأخبره عبدالرحمن بما عرض و ماجاء به القوم إياه إلاعليا فأقبل أبوطلحة علی علی ع فقال يا أبا الحسن إن أبا محمدثقة لك وللمسلمين فما بالك تخافه و قدعدل بالأمر عن نفسه فلن يتحمل المأثم لغيره فأحلف علی ع عبدالرحمن بما عرض ألا يميل إلی الهوی و أن يؤثر الحق ويجتهد للأمة و لايحابی ذا قرابة فحلف له و هذاغاية مايتمكن منه أمير المؤمنين ع فی الحال لأن عبدالرحمن لماأخرج نفسه من الأمر وظنت به الجماعة الخير وفوضت إليه الاختيار لم يقدر أمير المؤمنين ع علی أن يخالفهم وينقض مااجتمعوا عليه فكان أكثر ماتمكن منه أن أحلفه وصرح بما يخافه من جهته من الميل إلی الهوی وإيثار القرابة غير أن ذلك كله لم يغن شيئا. [صفحه ۲۶۸] قال و أماقول صاحب الكتاب أن دخوله فی الشوری دلالة علی أنه لانص عليه بالإمامة و لو كان عليه نص لصرح به فی تلك الحال و كان ذكره أولی من ذكر الفضائل والمناقب فإن المانع من ذكر النص كونه يقتضی تضليل من تقدم عليه وتفسيقهم و ليس كذلك تعديد المناقب والفضائل . و أمادخوله ع فی الشوری فلو لم يدخل فيها إلاليحتج

بما احتج به من مقاماته وفضائله ودرايته ووسائله إلى الإمامة وبالأخبار الدالة عندنا عليها على النص والإشارة بالإمامة إليه لكان غرضا صحيحا وداعيا قويا وكيف لايدخل في الشوري وعندهم أن واضعها قدأحسن النظر للمسلمين وفعل ما لم يسبق إليه من التحرز للدين .فأول ما كان يقال له لوامتنع منها إنك مصرح بالطعن على واضعها و على جماعة المسلمين بالرضا بها و ليس طعنك إلالأنك ترى أن الأمر لك وأنك أحق به فيعود الأمر إلى ما كان ع يخافه من تفرق الكلمة ووقوع الفتنة. قال و في أصحابنا القائلين بالنص من يقول إنه ع إنما دخل في الشوري لتجويزه أن ينال الأمر منها و عليه أن يتوصل إلى مايلزمه القيام به من كل وجه يظن أن يوصله إليه . قال وقول صاحب الكتاب إن التقية لا يمكن أن يتعلق بهالأن الأمر لم يكن استقر لواحد طريف لأن الأمر و إن لم يكن في تلك الحال مستقرا لأحد فمعلوم أن الإظهار بما يطعن في المتقدمين من ولاة الأمر لايمكن منه و لايرضى به وكذلك [صفحه ٢٦٩] الخروج مما يتفق أكثرهم عليه ويرضى جمهورهم به و لايقرون أحدا عليه بل يعدونه شذوذا عن الجماعة وخلافا على الأمة.فأما قوله إن الأفعال لايقدح فيهابالظنون بل يجب أن تحمل على ظاهر الصحة و إن الفاعل إذاتقدمت له حالة تقتضي حسن الظن به يجب أن تحمل أفعاله على مايطابقها فإنا متى سلمنا له بهذه المقدمة لم يتم قصده فيهالأن الفعل إذا كان له ظاهر وجب أن يحمل على ظاهره إلابدليل يعدل بنا عن ظاهره كمايجب مثله في الألفاظ و قدبينا أن ظاهر الشوري و ماجرى فيهايقتضي ماذكرناه للأمارات اللائحة والوجوه الظاهرة فما عدلنا عن ظاهر إلى محتمل بل المخالف هو ألذى يسومنا أن نعدل عن الظاهر فأما الفاعل و ماتقدم له من الأحوال فمتى تقدم للفاعل حالة تقتضي أن يظن به الخير من غيرعلم و لايقين فلابد أن يؤثر فيها ويقدح أن يرى له حالة أخرى تقتضي ظن القبيح به لدلالة ظاهرها على ذلك و ليس لنا أن نقضي بالأولى على الثانية وهما جميعا مظنونتان لأن ذلك بمنزلة أن يقول قائل اقضوا بالثانية على الأولى و ليس كذلك إذاتقدمت للفاعل حالة تقتضي بالخير منه ثم تليها حالة تقتضي ظن القبيح به لأنا حينئذ نقتضي بالعلم على الظن ونبطل حكمه لمكان العلم و إذاصحت هذه الجملة فما تقدمت لمن ذكر حالة تقتضي العلم بالخير وإنما تقدم مايقتضي حسن الظن فليس لنا إلانسيء الظن به عندظهور أمارات سوء الظن لأن كل ذلك مظنون غيرمعلوم . و قوله لوأراد ذلك مامنعه من أن ينص على عثمان مانع كما لم يمنع ذلك أبابكر من النص عليه فليس بشيء لأنه قدفعل مايقوم مقام النص على من أراد إيصاله إليه وصرفه عمن أراد أن يصرفه عنه من غيرشناعة التصريح و حتى لايقال فيه ماقيل في أبي بكر ويراجع في قصته كماروجع أبوبكر و لم يتعسف أبعد الطريقين وغرضه يتم من أقربهما. [صفحه ٢٧٠] قال فأما بيان صاحب الكتاب أن الانتقال من الستة إلى الأربعة في الشوري و من الأربعة إلى الثلاثة لا يكون تناقضا فهو رد على من زعم أن ذلك تناقض و ليس من هذاالوجه طعنا بل قدبينا وجوه المطاعن وفصلناها. و أما قوله إن الأمور المستقبلة لاتعلم وإنما يحصل فيهاأمارة ردا على من قال إن عمر كان يعلم أن عليا ع وعثمان لايجتمعان و أن عبدالرحمن يميل إلى عثمان فكلام في غيرموضعه لأن المراد بذلك الظن لاالعلم و إن عبر عن الظن بالعلم على طريقه في الاستعمال معروفة لايتناكرها المتكلمون ولعل صاحب الكتاب قداستعمل العلم في موضع الظن فيما لايحصى كثرة من كتابه هذا وغيره و قدبينا فيما ذكرناه من رواية الكلبي عن أبي مخنف أن أمير المؤمنين ع أول من سبق إلى هذاالمعنى في قوله للعباس شاكيا إليه ذهب و الله الأمر منا لأن سعدا لايخالف ابن عمه عبدالرحمن و عبدالرحمن صهر عثمان فأحدهما مختار لصاحبه لامحالة و إن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين فأما قوله إن عبدالرحمن كان زاهدا في الأمر والزاهد أقرب إلى التثبت فقد بينا وجه إظهاره الزهد فيه و أنه جعله الذريعة إلى مراده .فأما قول صاحب الكتاب إن الضعف ألذى وصفه به إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة لاضعف الرأي فهب أن الأمر كذلك أ ليس قدجعله أحد من يجوز أن يختار للإمامة ويفوض إليه مع ضعفه عنها و هذابمنزلة أن يصفه بالفسق ثم يدخله في جملة القوم لأن الضعف عن الإمامة مانع منها كما أن الفسق كذلك . [صفحه ٢٧١] قلت الكلام في الشوري والمطاعن فيهاطويل جدا و

قـدذكرت من ذلك فى كتبى الكلاميـة وتعليقاتى ماقاله الناس و ما لم أسبق إليه و لايحتمل هذاالكتاب الإطالة باستقصاء ذلك لأنه ليس بكتـاب حجاج ونظر ولكنى أذكر منه نكتا يسيرة فأقول إن كـانت أفعال عمر وأقواله قـدتناقضت فى واقعة الشورى كمازعم المرتضـى رحمه الله فكـذلك أفعال أمير المؤمنين إن كان منصوصا عليه كماتقوله الإمامية قدتناقضت أيضا أماأولا فإن كـان منصوصـا عليه فكيف أدخل نفسه فى الشورى المبنية على صحة الاختيـار وعدم النص أ ليس هـذاإيهاما ظاهرا لأكثر المسلمين خصوصا الضعفة منهم و من لانظر له فى دقائق الأمور عنده أنه غيرمنصوص عليه فكيف يجوز له إضـلال المكلفين و أن يوقع فى نفوسهم عـدم النص مع كون النص كـان حاصلا. و أماعـذر المرتضـى عن هـذاأنه دخل فى الشورى ليتمكن من الاحتجاج على أهـل الشورى بمقامـاته وفضائله فيقال له قـد كان الـدهر الأطول مخالطا لأهل الشورى وغيرهم مجتمعا معهم فى المسجد وغيره من مواطن كل يوم بل كل ساعة فلايجوز أن يقال دخل ليضـمه وإياهم أويظلهم سـقف فيتمكن بذلك من ذكر مقاماته وفضائله بينهم لأن العاقل لايجوز أن يرتكب أمرا يوهم القبيح ليفعل فعلا قد كان من قبله بثلاث عشرة سنة متمكنا من أن يفعله من غير أن يرتكب ذلك الأمر الموهم للقبيـح وليت شعرى من ألـذى كان يمنعه أيام أبى بكر وعمر من أن يذكر مقاماته وفضائله ويفتخر بها و لم أنفك ع من ذكر فضائله والفخر بمناقبه فى تلك المـدة الطويلة و قد كان عمر و هوالمعروف المشـهور بالغلظة والفظاظة يذكر فضائله ويعترف بهافلست أرى لعذر المرتضـى أصلا بهذا الوجه أومعنى . [صفحه ٢٧٢] فأما عذره الثانى عن دخوله فى الشورى بقوله لو لم يـدخل فيهالقيل له إنك قـدطعنت على واضع الشورى و ليس ذلك إلاأنك ترى الأمر لك فليس بعـذر جيد لأنه لوامتنع من الدخول فيها على وجه الزهد وقلة الالتفات إلى الولاية والإعراض عن السلطان والإمرة لمانسبه أحـد إلى ماذكره المرتضـى أصـلا ولقال الناس رجل زاهـد لايريـد الـدنيا و لايرغب فى الرئاسة ثم ماالمانع من أن يقول لعمر و هوحى نشـدتك الله لاتـدخلنى فيهافإنى لاأريـدها و لاأوثرها أتراه كان فى جواب هـذاالكلام يأمر بقتله و يقول له إنما امتناعك لأنـك تـدعى أن رسول الله ص نص عليك فلاترى أخـذ الأمر من جهتى وتوليه من طريقى وإنما تريـده بمحض النص الأول لا غير ماأظن أن عاقلا يخطر له أن ذلك كان يكون فهـذا العـذر بارد لامعنى له كالعذر الأول .فأما عذره الثالث و هو قوله إنه كان يجب عليه أن يتوصل إلى القيام بالأمر بكل طريق لأنه يلزمه القيام به فعذر جيد لابأس به . و أماثانيا فيقال للمرتضى هب إنا نزلنا عن الـدخول فى الشورى هلاـ عرض للجماعـة وهم مجتمعون و هويعـد لهم منـاقبه وفضـائله بـذكر النص و ذلك بأن يكنى عنه كنايـة لطيفـة فيقول لهم قد كان من رسول الله ص بالأمس فى حقى ماتعلمون أتراهم كانوا فى جواب هذه الكلمة يقتلونه ماأظن أنهم كـانوا يجتمعون على ذلك و لابـد لوعرض بشـىء من ذلك كان من كلام يـدور بينهم فى المعنى نحو أن يقولوا إن ذلك النص رجع عنه رسول الله ص أويقولوا رأى المسـلمون تركه للمصـلحة أويجرى بينه وبينهم جدال ونزاع و لم يكن هناك خليفة يخـاف جـانبه وإنمـا كـان مجلس منـاظرة وبحث و لم يستقر الأـمر لأحـد. وقول المرتضـى إنه و إن كان كـذلك إلاأنهم كانوا لاـيرضون أن يطعن فى المتقـدمين [صـفحه ٢٧٣] منهم ويكرهون منه ذلـك و لاـيقرونه عليه ويعـدونه شـذوذا له عن الجمـاعة وخلافا للأمة قول صـحيح إذا كان القائل يقوله على وجه شق العصا والمنابذة وكشف القناع و إذاقاله على وجه الاستعطاف لهم والإذكـار بما عساهم نسوة وحسن التلطف والرفق بهم والاسـتمالة لهـم وتـذكيرهم حقوق رسول الله ص وميثاقه ألـذى واثقهم به فإنه لايقع منهم فى مقابلـة ذلك قتله و لاقطع عضو من أعضائه و لاإقامة الحد عليه وأقصـى ما فى الباب أنهم كانوا يردون ذلك عليه بكلام مثل كلامه ويجيبونه بجواب يناسب جوابه ويـدفعونه عما يرومه بوجه من وجوه الدفع إن كانوا مقيمين على الإصـرار على غصب الحق منه . و أماثالثا فإن كان ع كماتقوله الإماميـة منصوصا عليه فما ألـذى منعه لما قال له عبدالرحمن أبايعك على أن تسير فينا بسيرة الشـيخين أن يقول نعم فإنه لو قال نعم لبايعه عبـدالرحمن ووصل إلى الأمر ألذى يلزمه القيام به و إلى الحال التى كـان يتوصل بكل طريق إلى الوصول إليها. وقول المرتضـى إن سـيرتهما كانت مختلفـة لأن أحـدهما حكم بكثير مما حكم

الآخر بضده ليس بجيد لأن السيرة التى كان عبدالرحمن يطلبها ذلك اليوم هوالأمر الكلى فى إيالة الرعية وسياستهم وجباية الفىء وظلف الوالى نفسه وأهله عنه وصرفه إلى المسلمين ورم الأمور وجمع العمال وقهر الظلمة وإنصاف المظلومين وحماية البيضة وتسريب الجيوش إلى بلاد الشرك هذه هى السيرة التى كان عبدالرحمن يشترطها وهى التى طلبها الناس بعد ذلك فقالوا لمعاوية فى آخر أيامه ولعبد الملك ولغيرهما وصاحوا بهم تحت المنابر نطلب سيرة العمرين و لم يريدوا فى الأحكام والفتاوى الشرعية نحو القول فى الجد مع الإخوة [صفحه ۲۷۴] والقول فى الكلالة والقول فى أمهات الأولاد فما أعلم ألذى منع أمير المؤمنين ع من أن يقول لعبد الرحمن نعم فيأخذها ثم كان إذاأخذها أقدر الناس على هذه السيرة وأقواهم عليها فوا عجبا بينا هويطلب الخلافة أشد الطلب فإذا هوناكص عنها و قدعرضت عليه على أمر هوقيم به ولهذا كان الرأى عندى أن يدخل فيهاحينئذ و من ألذى كان يناظره بعد ذلك ويجادله فيقول قدأخللت بشىء من سيرة أبى بكر وعمر كلا إن السيف لضاربه والأمر لمالكه والرعية أتباع والحكم لصاحب السلطان منهم . و من العجب أن يقول المرتضى إنه لأجل التقية وافق على الرضا بالشورى فهلا اتقى القوم و قدذكروا له سيرة الشيخين فأباها وكرهها و من كان يخاف على نفسه أن لوأظهر الزهد فى الخلافة والرغبة عن الدخول فى أمر الشورى كيف لم يخف على نفسه و قدذكرت له سيرة الشيخين فتركها و لم يوافق عليها و قال لابل على أن أجتهد رأيى. و أماقول المرتضى إنه وصف القوم بصفات تمنع من الإمامة ثم عينهم للإمامة فنقول فى جوابه أن تلك الصفات لاتمنع من الإمامة بالكلية بل هى صفات تنقص فى الجملة أى لو لم تكن هذه الصفات فيهم لكانوا أكمل أ لاترى أنه قال فى عبدالرحمن رجل صالح على ضعف فيه فذكر أن فيه ضعفا يسيرا لأنه لو كان يرى ضعفه مانعا من الإمامة لقال ضعيف عنها جدا أو لايصلح لها لضعفه وكذلك قوله فى أمير المؤمنين فيه فكاهة لأن ذلك لايمنع من الإمامة و لازهو طلحة ونخوته و لا ماوصف به الزبير من أنه شديد السخط وقت غضبه و أنه بخيل و لاتوليه الأقارب على رقاب الناس إذا لم يكونوا فساقا وأقوى عيب ذكره ماعاب به سعدا فى قوله صاحب [صفحه ۲۷۵] مقنب وقتال لايقوم بقرية لوحمل أمرها ويجوز أن يكون قال ذلك على سبيل المبالغة فى استصلاحه لأن يكون صاحب جيش يقاتل به بين يدى الإمام و أنه ليس له دربة ونظر فى تدبير البلاد والأطراف وجباية أموالها أ لاتراه كيف قال لايقوم بقرية ويجوز أن يلى الخلافة من هذه حاله ويستعين فى أمر العباد والبلاد وجباية الأموال بالكفاة الأمناء فأما الرواية الأخرى التى قال فيهالعثمان لروثة خير منك فهى من روايات الشيعة ولسنا نعرفها من كتب غيرهم .فأما قوله كيف قال لاأتحملها حيا وميتا فحصر الخلافة فى العدد المخصوص ثم رتبها ذلك الترتيب إلى أن آلت إلى اختيار عبدالرحمن وحده فنقول فى جوابه أنه كان يحب إلايستقل وحده بأمر الخلافة و أن يشاركه فى ذلك غيره من صلحاء المهاجرين ليكون أعذر عند الله تعالى و عند الناس و إذا كان قدوضع الشورى على ذلك الوضع المخصوص فلم يتحملها استقلالا بل شركه فيهاغيره فهو أقل لتحمله أمرها لو كان عين على واحد بعينه . و أماحديث القتل فليس مراده إلاشق العصا ومخالفة الجماعة والتوثب على الأمر مغالبة. وقول المرتضى لو كان ذلك من أول يوم لوجب أن يمنع فاعله ويقاتل فأى معنى لضرب الأيام الثلاثة أجلا فإنه يقال له إن الأجل المذكور لم يضرب لقتل من يشق العصا وإنما ضرب لإبرامهم الأمر وفصله قبل أن تتطاول الأيام بهم ويتسامع من بعد عن دار الهجرة أن الخليفة قدقتل وأنهم مضطربون إلى الآن لم يقيموا لأنفسهم خليفة بعده فيطمع أهل الفساد والدعارة و لايؤمن وقوع الفتن [صفحه ۲۷۶] و لايؤمن أيضا أن يسترد الروم وفارس بلادا قد كان الإسلام استولى عليها لأن عدم الرئيس مطمع للعدو فى ملكه ورعيته .فأما الأخبار والآثار التى ذكرها المرتضى فى مبايعة على ع لعثمان و أنه كان مكرها عليها أوكالمكره و أن الرضا كان مرتفعا والخلاف كان واقعا فكلام فى غيرموضعه لأن قاضى القضاة لم ينح بكلامه هذاالنحو و لاقصد هذاالقصد ليناقضه بما رواه وأسنده من الأخبار والآثار و لا هذاالموضع من كتاب المغنى موضع الكلام فى بيعة عثمان وصحتها ووقوع الرضا بهافيطعن المرتضى فى ذلك بما رواه من الأخبار والآثار الدالة على تهضم

القوم لأمير المؤمنين ع وأصحابه وشيعته وتهددهم وإنما الرضا ألذى أشار إليه قاضى القضاة فهو رضا أمير المؤمنين ع بأن يكون فى جملة أهل الشورى لأن هذاالباب من كتاب المغنى هو باب نفى المطاعن عن عمر و قدتقدم ذكر كثير منها. ثم انتهى إلى هذاالطعن و هوحديث الشورى فذكر قاضى القضاة أن الشورى مما طعن بها عليه وادعى أنها كانت خطأ من أفعاله لأنها لانص و لااختيار أ لاتراه كيف قال فى أول الطعن فخرج بها عن النص والاختيار فنقول فى الجواب لوكانت خطأ لمادخل على ع فيها و لارضى بهافدخوله فيها ورضاه بهادليل على أنها لم تكن خطأ وأين هذا من بيعة عثمان حتى يخلط أحد البابين بالآخر.فأما دعواه أن عمر عمل هذاالفعل حيلة ليصرف الأمر عن على ع من حيث علم أن عبدالرحمن صهر عثمان و أن سعدا ابن عم عبدالرحمن فلايخالفه فجعل [صفحه ٢٧٧] الصواب فى الثلاثة الذين يكون فيهم عبدالرحمن فنقول فى جوابه إن عمر لوفعل ذلك وقصده لكان أحمق الناس وأجهلهم لأنه من الجائز ألا يوافق سعد ابن عمه لعداوة تكون بينهما خصوصا من بنى العم ويمكن أن يستميل على ع سعدا إلى نفسه بطريق آمنة بنت وهب وبطريق حمزة بن عبدالمطلب وبطريق الدين والإسلام وعهد الرسول ص و من الجائز أن يعطف عبدالرحمن على على ع لوجه من الوجوه ويعرض عن عثمان أويبدو من عثمان فى الأيام الثلاثة أمر يكرهه عبدالرحمن فيتركه ويميل إلى على ع و من الجائز أن يموت عبدالرحمن فى تلك الأيام أويموت سعد أويموت عثمان أويقتل واحد منهم فيخلص الأمر لعلى ع و من الجائز أن يخالف أبوطلحة أمره له أن يعتمد على الفرقة التى فيها عبدالرحمن و لايعمل بقوله ويميل إلى جهة على ع فتبطل حيلته وتدبيره . ثم هب أن هذاكله قدأسقطناه من ألذى أجبر عمر وأكرهه وقسره على إدخال على ع فى أهل الشورى و إن كان مراده كمازعم المرتضى صرف الأمر بالحيلة فقد كان يمكنه أن يجعل الشورى فى خمسة و لايذكر عليا ع فيهم أتراه كان يخاف أحدا لوفعل ذلك و من ألذى كان يجسر أن يراجعه فى هذا أوغيره وحيث أدخله من ألذى أجبره على أن يقول إن وليها ذلك لحملهم على المحجة البيضاء وحملهم على الصراط المستقيم ونحو ذلك من المدح قد كان قادرا ألا يقول ذلك والكلام الغث البارد لاأحبه .فأما قوله إن عبدالرحمن فعل مافعل من إخراج نفسه من الإمامة حيلة ليسلم الأمر إلى عثمان ويصرفه عن على ع فكلام بعضه صحيح وبعضه غيرصحيح أماالصحيح منه فميل عبدالرحمن إلى جهة عثمان وانحرافه عن على ع قليلا [صفحه ٢٧٨] و ليس هذابمخصوص بعبد الرحمن بل قريش قاطبة كانت منحرفة عنه . و أما ألذى هو غيرصحيح فقوله أنه أخرج نفسه منها لذلك فإن هذاعندى غيرصحيح لأنه قد كان يمكنه ألا يخرج نفسه منها ويبلغ غرضه بأن يتجاوز هو و ابن عمه إلى عثمان ويدع عليا وطلحة والزبير طائفة أخرى فيولى المسلمون الأمر الطائفة التى فيها عبدالرحمن بمقتضى نص عمر على ذلك ثم يعتمد عبدالرحمن بعد ذلك مايشاء إن شاء وليها هو أوأحد الرجلين فأى حاجة كانت به إلى أن يخرج نفسه منها ليبلغ غرضا قد كان يمكنه الوصول إليه بدون ذلك . وأيضا فإن كان غرضه ذلك فإنه من رجال الدنيا قد كان لامحالة و لم يكن من رجال الآخرة و من هو من رجال الدنيا ومحبيها كيف تسمح نفسه بترك الخلافة ليعطيها غيره وهلا واطأ سعدا ابن عمه وطلحة صديقه على أن يولياه الخلافة و قد قال عمر كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن لاسيما وطلحة منحرف عن على ع وعثمان لأنهما ابنا عبدمناف وكذلك سعد و عبدالرحمن منحرفان عنهما لذلك أيضا و لمااختصا به من صهر رسول الله ص والصحيح أن عبدالرحمن أخرج نفسه منها لأنه استضعف نفسه عن تحمل أثقالها وكلفها وكره أن يدخل فيهافيقصر عن عمر ويراه الناس بعين النقص و لايستطيع أن يقوم بما كان عمر يقوم به و كان عبدالرحمن غنيا موسرا كثير المال وشيخا قدذهب عنه ترف الشباب فنفض عنها يده استغناء عنها وكراهية لخلل يدخل عليه إن وليها. و أماميله عن على ع فقد كان منه بعض ذلك والطباع لاتملك والحسد مستقر فى نفوس البشر لاسيما إذاانضاف إليه مايقتضى الازدياد فى الأمور.فأما تنزيه المرتضى لعلى ع عن الفكاهة والدعابة فحق ولقد كان [صفحه ٢٧٩] ع على قدم عظيمة من الوقار والجد والسمت العظيم والهدى الرصين ولكنه كان طلق الوجه سمح الأخلاق وعمر كان يريد مثله من ذوى الفظاظة

والخشونة لأن كل واحد يستحسن طبع نفسه و لايستحسن طبع من يباينه فى الخلق والطبع و أناأعجب من لفظة عمر إن كان قالها إن فيه بطالة وحاش لله أن يوصف على ع بذلك وإنما يوصف به أهل الدعابة واللهو و ماأظن عمر إن شاء الله قالها وأظنها زيدت فى كلامه و إن الكلمة هاهنا لدالة على انحراف شديد.فأما قول أمير المؤمنين ع للعباس ولغيره ذهب الأمر منا إن عبدالرحمن لايخالف ابن عمه فليس معناه أن عمر قصد ذلك وإنما معناه أن من سوء الاتفاق أن وقع الأمر هكذا ويوشك ألا يصل إلينا حيث قداتفق فيه هذه النكتة.فأما قول قاضى القضاة إذاتقدمت للفاعل حالة تقتضى حسن الظن وجب أن يحمل فعله على مايطابقها واعتراض المرتضى عليه بقوله إن ذلك إنما يجب إذا كان الخير معلوما منه فيما تقدم لامظنونا ومتى كان مظنونا ثم وجدنا له فعلا يظن به القبيح لم يكن لنا أن نقضى بالسابق على اللاحق فنقول فى جوابه أن الإنسان إذا كان مشهورا بالصلاح والخير وتكرر منه فعل ذلك مدة طويلة ثم رأيناه قدوقعت منه حركة تنافى ذلك فيما بعدفإنه يجب علينا أن نحملها على مايطابق أحواله الأولى ماوجدنا لها محملا لأن أحواله الأولى كثيرة و هذه حالة مفردة شاذة وإلحاق القليل بالكثير وحمله عليه أولى من نقض الكثير بالقليل و قدكانت أحوال عمر مدة عشرين سنة منتظمة فى إصلاح الرعية ومناصحة الدين و هذامعلوم منه ضرورة أعنى ظاهر أحواله فإذاوقعت عنه حالة واحدة وهى [صفحه ٢٨٠] قصة الشورى فيهاشبهة ماوجب أن نتأولها ماوجدنا لها فى الخير محملا ـ ونلحقها بتلك الأحوال الكثيرة التى تكررت منه فى الأزمان الطويلة و لايجوز أن نضع اليد عليها ونقول هذه لاغيرها ونقبحها ونهجنها ونسد أبواب هذه التأويلات عنها ثم نحمل أفعاله الكثيرة المتقدمة كلها عليها فى التقبيح والتهجين فهذا خلاف الواجب فقد بان صحة ماذكره قاضى القضاة لأنه لاحاجة بنا فى القضاء بالسابق على اللاحق إلا أن يكون خيره معلوما وعلم علما يقينا فإن الظن الغالب كاف فى هذاالمقام على الوجه ألذى ذكرناه . و أما قوله عن عمر أنه بلغ ما فى نفسه من إيصال الأمر إلى من أراد وصرفه عمن أراد من غيرشناعة بالتصريح و حتى لايقال فيه ماقيل فى أبى بكر أويراجع فى نصه كماروجع أبوبكر ولأى حال يتعسف أبعد الطريقين وغرضه يتم من أقربهما فقد قلنا فى جوابه ماكفى وبينا أن عمر لوأراد ماذكر لصرف الأمر عمن يريد صرفه عنه ونص على من يريد إيصال الأمر إليه و لم يبال بأحد فقد عرف الناس كلهم كيف كانت هيبته وسطوته وطاعة الرعية له حتى أن المسلمين أطاعوه أعظم من طاعتهم رسول الله ص فى حياته ونفوذ أمره فيهم أعظم من نفوذ أمره ع فمن ألذى كان يجسر أويقدر أن يراجعه فى نصه أويراده أويلفظ عنده أوغائبا عنه بكلمة تنافى مراده و أى شيءضر أبابكر من مراجعة طلحة له حيث نص ليقول المرتضى خاف عمر من أن يراجع كماروجع أبوبكر و قدسمع الناس ما قال أبوبكر لطلحة لماراجعه فإنه أخزاه وجبهه حتى دخل فى الأرض وقام من عنده و هو لايهتدى إلى الطريق وأين كانت هيبة الناس لأبى بكر من هيبتهم لعمر فلقد كان أبوبكر و هوخليفة يهابه و هورعية وسوقة بين يديه و كل أفاضل الصحابة كان يهابه و هو بعد لم يل الخلافة حتى أن الشيعة تقول إن النبى ص يهابه فمن [صفحه ٢٨١] كانت هذه حاله و هورعية وسوقة فكيف يكون و هوخليفة قدملك مشارق الأرض ومغاربها وخطب له على مائة ألف منبر و لوأراد عمر أن يخطب بالخلافة لأبى هريرة لماخالفه أحد من الناس أبدا فكيف يقول المرتضى لماذا يتعسف عمر أبعد الطريقين وغرضه يتم من أقربهما. والعجب منه كيف يقول خاف شناعة التصريح فمن لم يخف عندهم شناعة المخالفة لرسول الله ص و هويعلم أن المسلمين يعلمون أنه مخالف لله تعالى ولرسوله قائم فى مقام لم يجعله الله تعالى له كيف يخاف شناعة التصريح باسم عثمان لو كان يريد استخلافه إن هذاالأعجب من العجب

الطعن العاشر

قولهم إنه أبدع فى الدين ما لايجوز كالتراويح و ماعمله فى الخراج ألذى وضعه على السواد و فى ترتيب الجزية و كل ذلك

مخالف للقرآن والسنة لأنه تعالى جعل الغنيمة للغانمين والخمس منها لأهل الخمس فخالف القرآن وكذلك السنة تنطق فى الجزية أن على كل حالم دينارا فخالف فى ذلك السنة و أن الجماعة لاتكون إلا فى المكتوبات فخالف السنة.أجاب قاضى القضاة عن ذلك بأن قيام شهر رمضان قدروى عن النبى ص أنه عمله ثم تركه و إذاعلم أن الترك ليس بنسخ صار سنة يجوز أن يعمل بها و إذا كان مالأجله تركه من التنبيه بذلك على أنه ليس بفرض و من تخفيف التعبد [صفحه ۲۸۲] ليس بقائم فى فعل عمر لم يمتنع أن يدوم عليه و إذا كان فيه الدعاء إلى الصلاة والتشدد فى حفظ القرآن فما ألذى يمنع أن يعمل به .فأما أمر الخراج فأصله السنة لأن النبى ص بين أن لمن يتولى الأمر ضربا من الاختيار فى الغنيمة ولذلك فصل بين الرجال والأموال فجعل الاختيار فى الرجال إلى الإمام فى القتل والاسترقاق والمفاداة وفصل بينه و بين المال و إن كان الجميع غنيمة. ثم ذكر أن الغنيمة لم تضف إلى الغانمين إضافة الملك وإنما المراد أن لهم فى ذلك من الاختصاص والحق ما ليس لغيرهم فإذاعرض مايقتضى تقديم أمر آخر جاز للإمام أن يفعله ورأى عمر فى أمر السواد الاحتياط للإسلام بأن يقر فى أيديهم على الخراج ألذى وضعه و إن كان فى الناس من يقول فعل ذلك برضا الغانمين وبأن عوض ويدل على صحة فعله إجماع الأمة ورضاهم به و لماأفضى الأمر إلى أمير المؤمنين ع تركه على جملته و لم يغيره . ثم ذكر فى الجزية أن طريقها الاجتهاد فإن الخبر المروى فى هذاالباب ليس بمقطوع به و لامعناه معلوم .اعترض المرتضى هذاالجواب فقال أماالتراويح فلاشبهة أنها بدعة و قدروى عن النبى ص أنه قال أيها الناس إن الصلاة بالليل فى شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة وصلاة الضحى بدعة ألا فلاتجتمعوا ليلا فى شهر رمضان فى النافلة و لاتصلوا صلاة الضحى فإن قليلا فى سنة خير من كثير فى بدعة ألا و إن كل بدعة ضلالة و كل ضلالة سبيلها فى النار -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۲۷۳ [صفحه ۲۸۳] و قدروى أن عمر خرج فى شهر رمضان ليلا فرأى المصابيح فى المسجد فقال ما هذافقيل له إن الناس قداجتمعوا لصلاة التطوع فقال بدعة فنعمت البدعة فاعترف كماترى بأنها بدعة و قدشهد الرسول ص أن كل بدعة ضلالة -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۳۹ . و قدروى أن أمير المؤمنين ع لمااجتمعوا إليه بالكوفة فسألوه أن ينصب لهم إماما يصلى بهم نافلة شهر رمضان زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا لأنفسهم وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن ع فدخل عليهم المسجد ومعه الدرة فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا وا عمراه . قال فأما ادعاؤه أن قيام شهر رمضان كان فى أيام الرسول ص ثم تركه فمغالطة منه لأنا لاننكر قيام شهر رمضان بالنوافل على سبيل الانفراد وإنما أنكرنا الاجتماع على ذلك فإن ادعى أن الرسول ص صلاها جماعة فى أيامه فإنها مكابرة ماأقدم عليها أحد و لو كان كذلك ما قال عمر إنها بدعة و إن أراد غير ذلك فهو مما لاينفعه لأن ألذى أنكرناه غيره . قال و ألذى ذكره من أن فيه التشدد فى حفظ القرآن والمحافظة على الصلاة ليس بشىء لأن الله تعالى ورسوله بذلك أعلم و لو كان كماقاله لكانا يسنان هذه الصلاة ويأمران بها و ليس لنا أن نبدع فى الدين بما نظن أن فيه مصلحة لأنه لاخلاف فى أن ذلك لايسوغ و لايحل . و أماأمر الخراج فهو خلاف لنص القرآن لأن الله تعالى جعل الغنيمة فى وجوه مخصوصة فمن خالفها فقد أبدع و ليس للإمام و لالغيره أن يجتهد فيخالف النص فبطل قوله أنه رأى من الاحتياط للإسلام أن يقر فى أيديهم على الخراج لأن خلاف النص [صفحه ۲۸۴] لا يكون من الاحتياط ورسوله أعلم بالاحتياط منه و لو كان لرضا الغانمين عن ذلك أوعوضهم منه على ماادعاه صاحب الكتاب لوجب أن يظهر ذلك ويعلم و ماعرفنا فى ذلك شيئا و لانقله الناقلون . و أما ماادعاه من الإجماع فمعوله فيه على ترك النكير و قدتقدم الكلام عليه وتكرر وكذلك قدتقدم الكلام فى وجه إقرار أمير المؤمنين ع ماأقره من أحكام القوم و ماادعاه أن خبر الجزية غيرمعلوم و لامقطوع به فهب أن ذلك مسلم على ما فيه أ ليس من مذهبه أن أخبار الآحاد فى الشريعة يعمل بها و إن لم تكن معلومة فهلا عمل عمر بالخبر المروى فى هذاالباب وعدل عن اجتهاده ألذى أداه إلى مخالفة الله تعالى . أماكون صلاة التراويح بدعة وإطلاق عمر عليها هذااللفظ فإن لفظ البدعة يطلق على مفهومين أحدهما ماخولف به الكتاب والسنة مثل صوم

يوم النحر وأيام التشريق فإنه و إن كان صوما إلا أنه منهى عنه . والثانى ما لم يرد فيه نص بل سكت عنه ففعله المسلمون بعدوفاة رسول الله ص فإن أريد بكون صلاة التراويح بدعة المفهوم الأول فلانسلم أنها بدعة بهذا التفسير والخبر ألذى رواه المرتضى غيرمعروف و لايمكنه أن يسنده إلى كتاب من كتب المحدثين و لوقدر على ذلك لأسنده ولعله من أخبار أصحابه من محدثى الإمامية والأخباريين منهم والألفاظ التى فى آخر الحديث وهى كل بدعة ضلالة و كل ضلالة -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٨٥] فى النار -روايت-از قبل-١٢ مروية مشهورة ولكن على تفسير البدعة بالمفهوم الأول وقول عمر إنها لبدعة خبر مروى مشهور ولكن أراد به البدعة بالتفسير الثانى والخبر ألذى رواه أمير المؤمنين ع ينفرد هو وطائفته بنقله والمحدثون لايعرفون ذلك و لا يثبتونه .فأما إنكاره أن تكون نافلة شهر رمضان صلاها رسول الله ص فى جماعة فإنكار لست أرتضيه لمثله فإن كتب المحدثين مشحونة برواية ذلك و قدذكره أحمد بن حنبل فى مسنده غيرمرة بعدة طرق ورواه الفقهاء ذكره الطحاوى فى كتاب إختلاف الفقهاء وذكره أبوالطيب الطبرى الشافعى فى شرحه كتاب المزنى و قدذكره المتأخرون أيضا ذكره الغزالى فى كتاب إحياء علوم الدين و قال إن رسول الله ص صلى التراويح فى شهر رمضان فى جماعة ليلتين أوثلاثا ثم ترك و قال أخاف أن يوجب عليكم وأجاز لى الشيخ أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى بروايته عن شيخه محمد بن ناصر عن شيوخه ورجاله أن رسول الله ص صلى نافلة شهر رمضان فى جماعة يأتمون به ليالى ثم لم يخرج وقام فى بيته وصلى الناس فرادى بقية أيامه وأيام أبى بكر وصدرا من خلافة عمر فخرج عمر ليلة فرأى الناس أوزاعا يصلون فى المسجد فقال لوجمعتهم على إمام فأمر أبى بن كعب أن يصلى بهم فصلى بهم تلك الليلة ثم خرج فرآهم مجتمعين إلى أبى بن كعب يصلى بهم فقال بدعة ونعمة البدعة أماإنها لفضل والتى ينامون عنها أفضل . قال يعنى قيام آخر الليل فإنه أفضل من قيام أوله . و أماقول قاضى القضاة أن فى التراويح فائدة وهى التشدد فى حفظ القرآن والدعاء إلى الصلاة واعتراض المرتضى إياه بقوله الله أعلم بالمصلحة و ليس لنا أن نسن ما لم يسنه [صفحه ٢٨٦] الله ورسوله فإنه يقال له أ ليس يجوز للإنسان أن يخترع من النوافل صلوات مخصوصة بكيفيات مخصوصة وأعداد ركعات مخصوصة و لا يكون ذلك مكروها و لاحراما نحو أن يصلى ثلاثين ركعة بتسليمة واحدة ويقرأ فى كل ركعة منها سورة من قصار المفصل أفيقول أحد إن هذابدعة لأنه لم يرد فيه نص و لاسبق إليه المسلمون من قبل فإن قال هذايسوغ فإنه داخل تحت عموم ماورد فى فضل صلاة النافلة قيل له والتراويح جائزة ومسنونة لأنها داخلة تحت عموم ماورد فى فضل صلاة الجماعة. فإن قال كيف تكون نافلة وهى جماعة قيل له قدرأينا كثيرا من النوافل تصلى جماعة نحو صلاة العيد وصلاة الكسوف وصلاة الاستسقاء وصلاة الجنازة إذا لم يتعين للمصلى بأن يقوم غيره مقامه فيها.فأما ماأشار إليه قاضى القضاة من التشدد فى حفظ القرآن فهو أنه روى أن عمر أتى بسارق فأمر بقطعه فقال لم أعلم أن الله أوجب القطع فى السرقة و لوعلمت لم أسرق فأحلفه على ذلك وسن التراويح جماعة ليتكرر سماع القرآن على أسماع المسلمين . و قداختلف الفقهاء أيما أفضل فى نافلة شهر رمضان الاجتماع عليها أم صلاتها فرادى فقال قوم الجماعة أفضل لأن الاجتماع بركة و له فضيلة و لو لافضيلته لم يسن فى المكتوبة ولأنه ربما يكسل فى الانفراد وينشط عندمشاهدة الجمع . و قال قوم الانفراد أفضل لأنها سنة ليست من الشعائر كالعيدين فإلحاقها بتحية المسجد أولى و قدجرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة. وروى القائلون بهذا القول عن النبى ص أنه قال فضل صلاة المتطوع فى بيته على صلاة المتطوع فى المسجد كفضل صلاة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت -روايت-١-٢-روايت-٢٧-١٣٤ [صفحه ٢٨٧] قدروى عنه ع أن أفضل النوافل ركعتان يصليهما المسلم فى زاوية بيته لايعلمهما إلا الله وحده -روايت-١-٢-روايت-١٨-١٠١ .قالوا ولأنها إذاصليت فرادى كانت الصلاة أبعد من الرياء والتصنع وبالجملة الاختلاف فى أيهما أفضل فأما تحريم الصلاة ولزوم الإثم بفعلها فمما لم يذهب إليه إلاالإمامية و قدروى الرواة أن عليا ع خرج ليلا فى شهر رمضان فى خلافة عثمان بن عفان فرأى المصابيح فى المساجد والمسلمون يصلون

التراويح فقال نور الله قبر عمر كمانور مساجدنا والشيعة يروون هذاالخبر ولكن بحمل اللفظ على معنى آخر.فأما حديث الخراج فقد ذكره أرباب علم الخراج والكتاب وذكره الفقهاء أيضا فى كتبهم وذكره أرباب السيرة وأصحاب التاريخ قال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج اختلف الفقهاء فى أرض العنوة فقال بعضهم تخمس ثم تقسم أربعة أخماس على الذين افتتحوها و قال بعضهم ذلك إلى الإمام إن رأى أن يجعلها غنيمة ليخمسها ويقسم الباقى كمافعل رسول الله ص بخيبر فذلك إليه و إن رأى أن يجعلها فيئا فلايخمسها و لايقسمها بل تكون موقوفة على سائر المسلمين كمافعل عمر بأرض السواد وأرض مصر وغيرهما مما افتتحه عنوة فعلى الوجهين جميعا فيهما قدوة ومتبع لأن النبى ص قسم خيبر وصيرها غنيمة وأشار الزبير بن العوام على عمر فى مصر وبلاد الشام بمثل ذلك و هومذهب مالك بن أنس وجعل عمر السواد وغيره فيئا موقوفا على المسلمين من كان منهم حاضرا فى وقته و من أتى بعده و لم يقسمه و هورأى رآه على بن أبى طالب ع ومعاذ بن جبل وأشارا عليه و به كان يأخذ سفيان بن سعيد و ذلك رأى من جعل الخيار إلى الإمام فى تصيير أرض العنوة غنيمة أوفيئا راجعا للمسلمين فى كل سنة. [صفحه ٢٨٨] قال قدامة رحمه الله فأما مافعله رسول الله ص من تصييره خيبر غنيمة فإنه ع اتبع فيه آية محكمة وهى قوله تعالى وَ اعلَمُوا أَنّما غَنِمتُم مِن شَيءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرّسُولِ وَ لِذِي القُربى وَ اليَتامى وَ المَساكِينِ وَ ابنِ السّبِيلِفهذه آية الغنيمة وهى لأهلها دون الناس و بهاعمل رسول الله ص و أماالآية التى عمل بهاعمر وذهب إليها على ع ومعاذ بن جبل فيما أشارا عليه به فهى قوله تعالى ما أَفاءَ اللّهُ عَلى رَسُولِهِ مِن أَهلِ القُرى فَلِلّهِ وَ لِلرّسُولِ وَ لِذِي القُربى وَ اليَتامى وَ المَساكِينِ وَ ابنِ السّبِيلِ إلى قوله لِلفُقَراءِ المُهاجِرِينَوَ الّذِينَ تَبَوّؤُا الدّارَ وَ الإِيمانَ مِن قَبلِهِموَ الّذِينَ جاؤُ مِن بَعدِهِمانتهت ألفاظ قدامة. وروى محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن عمر هم أن يقسم أرض السواد بين الغانمين كمايقسم الغنائم ثم قال فكيف بالآجام ومناقع المياه والغياض والهضب المرتفع والغائط المنخفض وكيف يصنع هؤلاء بالماء وقسمته بينهم أخاف أن يضرب بعضهم وجوه بعض ثم جمع الغانمين فقال لهم ذلك فرضوا أن تقر الأرض حبيسا لهم يولونها من تراضوا عليه ثم يقتسمون غلتها كل عام فقال عمر أللهم إنى قداجتهدت و قدقضيت ما على أللهم إنى أشهدك عليهم فاشهد.فأما قول قاضى القضاة إن النبى ص جعل لمتولى أمر الأمة ضربا من الاختيار فى الغنيمة و ماذكره من الفرق بين الرجال والأموال و ماذكره من أن الغانمين ليسوا مالكى الغنيمة ملكا صريحا وإنما هوضرب من الاختصاص فكله جيد لاكلام عليه و لم يعترضه المرتضى بشىء و لاتعرض له . و أماقول قاضى القضاة إنه روى أن عمر فعل مافعل برضا الغانمين وبأن عوضهم -قرآن-١١٨-٢٥٤-قرآن-٤٢٢-٥٥٥-قرآن-٥٦٧-٥٩١-قرآن-٥٩٢-٦٤٦-قرآن-٦٤٧-٦٧٥ [صفحه ٢٨٩] عنه وإنكار المرتضى وقوع ذلك و قوله أنه لم ينقل فقد بينا أن الطبرى ذكر فى تاريخه أن عمر فعل ذلك برضا الغانمين و بعد أن جمعهم و قال لهم مااستصلحه و ماأدى إليه اجتهاده فرضوا به وأشهدوا الله عليهم والحاضرين . و قدذكر كثير من الفقهاء أن عمر عوض الغانمين عن أرض السواد ووقفه على مصالح المسلمين و هذا مارواه الشافعى وذكر حديث التعريض أبو الحسن على بن حبيب الماوردى فى كتاب الحاوى فى الفقه وذكره أيضا أبوالطيب طاهر بن عبد الله الطبرى فى شرح المزنى. و أماتعلق قاضى القضاة بإجماع المسلمين فتعلق صحيح وطعن المرتضى فيه بالتقية وموافقة الإمام المعصوم على الباطل طعن يسمج التعلق به وللبحث فيه سبح طويل . و أماأمر الجزية فطريقه الاجتهاد وللإمام أن يرى فيه رأيه بمشاورة الصلحاء والفقهاء و قد قال قاضى القضاة إن الخبر ألذى ذكره المرتضى وذكر أنه مرفوع و هو على كل حالم دينار -روايت-١-٢٢ خبر مظنون غيرمعلوم واعتراض المرتضى عليه بقوله هب أن الأمر كذلك ألستم تزعمون أن خبر الواحد معمول عليه فى الفروع فهلا عمل عمر بهذا الخبر و إن كان خبر واحد اعتراض ليس بلازم لأنه إذا كان خبر واحد عندنا لم يلزم أن يكون أيضا خبر واحد عندعمر بل من الجائز أن يكون مفتعلا بعدوفاة عمر و لو كان قدثبت أن عمر سمع هذاالخبر من واحد أواثنين من الصحابة ثم لم يعمل به كان الاعتراض لازما ولكن ذلك مما لم يثبت

المجلد ۱۳

الجزء الثالث عشر

تتمة باب الخطب والأوامر

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

۲۲۴- و من كلام له ع فی وصف بيعته بالخلافة

و قدتقدم مثله بألفاظ مختلفة وَ بَسَطتُم يدَيِ فَكَفَفتُهَا وَ مَدَدتُمُوهَا فَقَبَضتُهَا ثُمّ تَدَاكَكتُم عَلَيّ تَدَاكّ الإِبِلِ الهِيمِ عَلَی حِيَاضِهَا يَومَ وِردِهَا حَتّی انقَطَعَتِ النّعلُ وَ سَقَطَ الرّدَاءُ وَ وُطِئَ الضّعِيفُ وَ بَلَغَ مِن سُرُورِ النّاسِ بِبَيعَتِهِم إِيّایَ أَنِ ابتَهَجَ بِهَا الصّغِيرُ وَ هَدَجَ إِلَيهَا الكَبِيرُ وَ تَحَامَلَ نَحوَهَا العَلِيلُ وَ حَسَرَت إِلَيهَا الكِعَابُ التداك الازدحام الشديد والإبل الهيم العطاش . وهدج إليها الكبير مشی مشيا ضعيفا مرتعشا والمضارع يهدج بالكسر. وتحامل نحوها العليل تكلف المشی علی مشقة. [صفحه ۴] وحسرت إليها الكعاب كشفت عن وجهها حرصا علی حضور البيعة والكعاب الجارية التی قدنهد ثديها كعبت تكعب بالضم . قوله حتی انقطع النعل وسقط الرداء شبيه بقوله فی الخطبة الشقشقية حتی لقد وطئ الحسنان وشق عطفای -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۶۳ . و قدتقدم ذكر بيعته ع بعدقتل عثمان وإطباق الناس عليها وكيفية الحال فيها وشرح شرحا يستغنی عن إعادته [صفحه ۵]

۲۲۵- و من خطبة له ع

فَإِنّ تَقوَی اللّهِ مِفتَاحُ سَدَادٍ وَ ذَخِيرَةُ مَعَادٍ وَ عِتقٌ مِن كُلّ مَلَكَةٍ وَ نَجَاةٌ مِن كُلّ هَلَكَةٍ بِهَا يَنجَحُ الطّالِبُ وَ يَنجُو الهَارِبُ وَ تُنَالُ الرّغَائِبُ فَاعمَلُوا وَ العَمَلُ يُرفَعُ وَ التّوبَةُ تَنفَعُ وَ الدّعَاءُ يُسمَعُ وَ الحَالُ هَادِئَةٌ وَ الأَقلَامُ جَارِيَةٌ وَ بَادِرُوا بِالأَعمَالِ عُمُراً نَاكِساً أَو مَرَضاً حَابِساً أَو مَوتاً خَالِساً فَإِنّ المَوتَ هَادِمُ لَذّاتِكُم وَ مُكَدّرُ شَهَوَاتِكُم وَ مُبَاعِدُ طِيّاتِكُم زَائِرٌ غَيرُ مَحبُوبٍ وَ قِرنٌ غَيرُ مَغلُوبٍ وَ وَاتِرٌ غَيرُ مَطلُوبٍ قَد أَعلَقَتكُم حَبَائِلُهُ وَ تَكَنّفَتكُم غَوَائِلُهُ وَ أَقصَدَتكُم مَعَابِلُهُ وَ عَظُمَت فِيكُم سَطوَتُهُ وَ تَتَابَعَت عَلَيكُم عَدوَتُهُ وَ قَلّت عَنكُم نَبوَتُهُ فَيُوشِكُ أَن تَغشَاكُم دَوَاجِي ظُلَلِهِ وَ احتِدَامُ عِلَلِهِ وَ حَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ وَ غَوَاشِي سَكَرَاتِهِ وَ أَلِيمُ إِرهَاقِهِ وَ دُجُوّ أَطبَاقِهِ وَ خُشُونَةُ مَذَاقِهِ فَكَأَن قَد أَتَاكُم بَغتَةً فَأَسكَتَ نَجِيّكُم وَ فَرّقَ نَدِيّكُم وَ عَفّی آثَارَكُم وَ عَطّلَ دِيَارَكُم وَ بَعَثَ وُرّاثَكُم يَقتَسِمُونَ تُرَاثَكُم بَينَ حَمِيمٍ خَاصّ لَم يَنفَع وَ قَرِيبٍ مَحزُونٍ لَم يَمنَع وَ آخَرَ شَامِتٍ لَم يَجزَع فَعَلَيكُم بِالجَدّ وَ الِاجتِهَادِ وَ التّأَهّبِ وَ الِاستِعدَادِ وَ التّزَوّدِ فِي مَنزِلِ الزّادِ وَ لَا تَغُرّنّكُمُ الحَيَاةُ الدّنيَا كَمَا غَرّت مَن كَانَ قَبلَكُم مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ وَ القُرُونِ الخَالِيَةِ الّذِينَ احتَلَبُوا دِرّتَهَا وَ أَصَابُوا غِرّتَهَا وَ أَفنَوا عِدّتَهَا وَ أَخلَقُوا جِدّتَهَا [صفحه ۶] وَ أَصبَحَت مَسَاكِنُهُم أَجدَاثاً وَ أَموَالُهُم مِيرَاثاً لَا يَعرِفُونَ مَن أَتَاهُم وَ لَا يَحفِلُونَ مَن بَكَاهُم وَ لَا يُجِيبُونَ مَن دَعَاهُم فَاحذَرُوا الدّنيَا فَإِنّهَا غَدّارَةٌ غَرّارَةٌ خَدُوعٌ مُعطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلبِسَةٌ نَزُوعٌ لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا وَ لَا يَنقَضِي عَنَاؤُهَا وَ لَا يَركُدُ بَلَاؤُهَا عتق من كل ملكة هومثل قوله ع التوبة تجب ماقبلها -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۲ أی كل ذنب موبق يملك الشيطان فاعله ويستحوذ عليه فإن تقوی الله تعتق منه وتكفر عقابه ومثله قوله ونجاة من كل هلكة. قوله ع والعمل ينفع أی اعملوا فی دار التكليف فإن العمل يوم القيامة غيرنافع . قوله ع والحال هادئة أی ساكنة ليس فيها ما فی أحوال الموقف من تلك

الحركات الفظيعة نحو تطاير الصحف ونطق الجوارح وعنف السياق إلى النار. قوله ع والأقلام جارية يعنى أن التكليف باق و أن الملائكة الحفظة تكتب أعمال العباد بخلاف يوم القيامة فإنه يبطل ذلك ويستغنى عن الحفظة لسقوط التكليف . قوله عمرا ناكسا يعنى الهرم من قوله تعالى وَ مَن نُعَمّرهُ نُنَكّسهُ فِي الخَلقِلرجوع الشيخ الهرم إلى مثل حال الصبى الصغير فى ضعف العقل والبنية -قرآن-۵۵۹-۵۹۶ [صفحه ۷] والموت الخالس المختطف والطيات جمع طية بالكسر وهى منزل السفر والواتر القاتل والوتر بالكسر الذحل . وأعلقتكم حبائله جعلتكم معتلقين فيها ويروى قدعلقتكم بغير همز. وتكنفتكم غوائله أحاطت بكم دواهيه ومصائبه وأقصدتكم أصابتكم . والمعابل نصال عراض الواحدة معبلة بالكسر. وعدوته بالفتح ظلمه ونبوته مصدر نبا السيف إذا لم يؤثر فى الضريبة. ويوشك بالكسر يقرب وتغشاكم تحيط بكم . والدواجى الظلم الواحدة داجية والظلل جمع ظلة وهى السحاب والاحتدام الاضطرام والحنادس الظلمات . وإرهاقه مصدر أرهقته أى أعجلته ويروى إزهاقه بالزاى. والأطباق جمع طبق و هذا من باب الاستعارة أى تكاثف ظلماتها طبق فوق طبق . ويروى وجشوبة مذاقه بالجيم والباء وهى غلظ الطعام . والنجى القوم يتناجون والندى القوم يجتمعون فى النادى. واحتلبوا درتها فازوا بمنافعها كمايحتلب الإنسان اللبن . و هذه الخطبة من محاسن خطبه ع و فيها من صناعة البديع ما هوظاهر للمتأمل مِنهَا فِي صِفَةِ الزّهّادِ كَانُوا قَوماً مِن أَهلِ الدّنيَا وَ لَيسُوا مِن أَهلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَن لَيسَ مِنهَا [صفحه ۸] عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبصِرُونَ وَ بَادَرُوا فِيهَا مَا يَحذَرُونَ تَقَلّبُ أَبدَانِهِم بَينَ ظَهرَانَيَ أَهلِ الآخِرَةِ وَ يَرَونَ أَهلَ الدّنيَا يُعَظّمُونَ مَوتَ أَجسَادِهِم وَ هُم أَشَدّ إِعظَاماً لِمَوتِ قُلُوبِ أَحيَائِهِم بين ظهرانى أهل الآخرة بفتح النون و لايجوز كسرها ويجوز بين ظهرى أهل الآخرة لوروى والمعنى فى وسطهم . قوله ع كانوا قوما من أهل الدنيا وليسوا من أهلها أى هم من أهلها فى ظاهر الأمر و فى مرأى العين وليسوا من أهلها لأنه لارغبة عندهم فى ملاذها ونعيمها فكأنهم خارجون عنها. قوله عملوا فيهابما يبصرون أى بما يرونه أصلح لهم ويجوز أن يريد أنهم لشدة اجتهادهم قدأبصروا المآل فعملوا فيها على حسب مايشاهدونه من دار الجزاء و هذا كقوله ع لوكشف الغطاءماازددت يقينا -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۲ . قوله ع وبادروا فيها مايحذرون أى سابقوه يعنى الموت . قوله ع تقلب أبدانهم هذامحمول تارة على الحقيقة وتارة على المجاز أماالأول فلأنهم لايخالطون إلا أهل الدين و لايجالسون أهل الدنيا و أماالثانى فلأنهم لمااستحقوا الثواب كان الاستحقاق بمنزلة وصولهم إليه فأبدانهم تتقلب بين ظهرانى أهل الآخرة أى بين ظهرانى قوم هم بمنزلة أهل الآخرة لأن المستحق للشىء نظير لمن فعل به ذلك الشىء. ثم قال هؤلاء الزهاد يرون أهل الدنيا إنما يستعظمون موت الأبدان وهم أشد استعظاما لموت القلوب و قدتقدم من كلامنا فى صفات الزهاد والعارفين ما فيه كفاية [صفحه ۹]

۲۲۶- و من خطبة له ع خطبها بذى قار و هومتوجه إلى البصرة

ذكرها الواقدى فى كتاب الجمل فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ وَ بَلّغَ رِسَالَاتِ رَبّهِ فَلَمّ اللّهُ بِهِ الصّدعَ وَ رَتَقَ بِهِ الفَتقَ وَ أَلّفَ بِهِ الشّملَ بَينَ ذَوِي الأَرحَامِ بَعدَ العَدَاوَةِ الوَاغِرَةِ فِي الصّدُورِ وَ الضّغَائِنِ القَادِحَةِ فِي القُلُوبِ ذو قار اسم موضع قريب من البصرة و فيه كانت وقعة للعرب مع الفرس قبل الإسلام . وصدع بما أمر به أى جهر وأصل الصدع الشق . و لم به جمع ورتق خاط وألحم . والعداوة الواغرة ذات الوغرة وهى شدة الحر. والضغائن الأحقاد. والقادحة فى القلوب كأنها تقدح النار فيها كماتقدح النار بالمقدحة [صفحه ۱۰]

۲۲۷- و من كلام له ع كلم به عبد الله بن زمعة

اشاره

و هو من شیعته و ذلک أنه قدم علیه فی خلافته یطلب منه مالا فَقَالَ ع إِنّ هَذَا المَالَ لَيسَ لِي وَ لَا لَکَ وَ إِنّمَا هُوَ فَيءٌ لِلمُسلِمِينَ وَ جَلبُ أَسيَافِهِم فَإِن شَرِكتَهُم فِي حَربِهِم كَانَ لَکَ مِثلُ حَظّهِم وَ إِلّا فَجَنَاةُ أَيدِيهِم لَا تَكُونُ لِغَيرِ أَفوَاهِهِم

عبد الله بن زمعة ونسبه

هو عبد الله بن زمعة بفتح المیم لا کماذکره الراوندی و هو عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزی بن قصی. کان الأسود من المستهزءین الذین کفی الله رسوله أمرهم بالموت والقتل وابنه زمعة بن الأسود قتل یوم بدر کافرا و کان یدعی زاد الرکب وقتل أخوه عقیل بن الأسود أیضا کافرا یوم بدر وقتل الحارث بن زمعة أیضا یوم بدر کافرا والأسود هو ألذی سمع امرأة تبکی علی بعیر تضله بمکة بعد یوم بدر فقال أتبکی أن یضل لها بعیر || ویمنعها من النوم الهجود [صفحه ۱۱] و لاتبکی علی بدر ولکن || علی بدر تقاصرت الجدود ألا قدساد بعدهم أناس || و لو لا یوم بدر لم یسودوا . و کان عبد الله بن زمعة شیعة لعلی ع و من أصحابه و من ولد عبد الله هذا أبوالبختری القاضی و هووهب بن وهب بن کبیر بن عبد الله بن زمعة قاضی الرشید هارون بن محمدالمهدی و کان منحرفا عن علی ع و هو ألذی أفتی الرشید ببطلان الأمان ألذی کتبه لیحیی بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب ع وأخذه بیده فمزقه . و قال أمیة بن أبی الصلت یرثی قتلی بدر ویذکر زمعة بن الأسود عین بکی لنوفل ولعمرو || ثم لاتبخلی علی زمعه .نوفل بن خویلد من بنی أسد بن عبدالعزی ویعرف بابن العدویة قتله علی ع وعمرو أبوجهل بن هشام قتله عوف بن عفراء وأجهز علیه عبد الله بن مسعود قوله ع وجلب أسیافهم أی ماجلبته أسیافهم وساقته إلیهم والجلب المال المجلوب وجناة الثمر مایجنی منه و هذه استعارة فصیحة [صفحه ۱۲]

۲۲۸- و من کلام له ع

اشاره

أَلَا وَ إِنّ اللّسَانَ بَضعَةٌ مِنَ الإِنسَانِ فَلَا يُسعِدُهُ القَولُ إِذَا امتَنَعَ وَ لَا يُمهِلُهُ النّطقُ إِذَا اتّسَعَ وَ إِنّا لَأُمَرَاءُ الكَلَامِ وَ فِينَا تَنَشّبَت عُرُوقُهُ وَ عَلَينَا تَهَدّلَت غُصُونُهُ وَ اعلَمُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ أَنّكُم فِي زَمَانٍ القَائِلُ فِيهِ بِالحَقّ قَلِيلٌ وَ اللّسَانُ عَنِ الصّدقِ كَلِيلٌ وَ اللّازِمُ لِلحَقّ ذَلِيلٌ أَهلُهُ مُعتَكِفُونَ عَلَى العِصيَانِ مُصطَلِحُونَ عَلَى الإِدهَانِ فَتَاهُم عَارِمٌ وَ شَائِبُهُم آثِمٌ وَ عَالِمُهُم مُنَافِقٌ وَ قَارِئُهُم مُمَاذِقٌ لَا يُعَظّمُ صَغِيرُهُم كَبِيرَهُم وَ لَا يَعُولُ غَنِيّهُم فَقِيرَهُم بضعة من الإنسان قطعة منه والهاء فی یسعده ترجع إلی اللسان . والضمیر فی امتنع یرجع إلی الإنسان وکذلک الهاء فی لایمهله یرجع إلی اللسان . والضمیر فی اتسع یرجع إلی الإنسان وتقدیره فلایسعد اللسان القول إذاامتنع الإنسان عن أن یقول و لایمهل اللسان النطق إذااتسع للإنسان القول والمعنی أن اللسان آلة للإنسان فإذاصرفه صارف عن الکلام لم یکن اللسان [صفحه ۱۳] ناطقا و إذادعاه داع إلی الکلام نطق اللسان بما فی ضمیر صاحبه . وتنشبت عروقه أی علقت وروی انتشبت والروایة الأولی أدخل فی صناعة الکلام لأنها بإزاء تهدلت والتهدل التدلی و قدأخذ هذه الألفاظ بعینها أبومسلم الخراسانی فخطب بها فی خطبة مشهورة من خطبه

ذكر من أرتج عليهم أوحصروا

عندالكلام واعلم أن هذاالكلام قاله أمير المؤمنين ع فى واقعة اقتضت أن يقوله و ذلك أنه أمر ابن أخته جعدة بن هبيرة المخزومى أن يخطب الناس يوما فصعد المنبر فحصر و لم يستطع الكلام فقام أمير المؤمنين ع فتسنم ذروة المنبر وخطب خطبة طويلة ذكر الرضى رحمه الله منها هذه الكلمات وروى شيخنا أبوعثمان فى كتاب البيان والتبيين أن عثمان صعد المنبر فأرتج عليه فقال إن أبابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب وستأتيكم الخطبة على وجهها ثم نزل . قال أبوعثمان وروى أبو الحسن المدائنى قال صعد ابن لعدى بن أرطاة المنبر فلما رأى الناس حصر فقال الحمد لله ألذى يطعم هؤلاء ويسقيهم وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رأى الناس قدرشقوه بأبصارهم وصرفوا أسماعهم [صفحه ۱۴] نحوه قال نكسوا رءوسكم وغضوا أبصاركم فإن أول مركب صعب فإذايسر الله عز و جل فتح قفل تيسر ثم نزل . وخطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر فقال لقنوا موتاكم لا-إله إلا-الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك ألهذا دعوناك . وخطب مروان بن الحكم فحصر فقال أللهم إنا نحمدك ونستعينك و لانشرك بك . و لماحصر عبد الله بن عامر بن كريز على المنبر بالبصرة و كان خطيبا شق عليه ذلك فقال له زياد ابن أبيه و كان خليفته أيها الأمير لاتجزع فلو أقمت على المنبر عامة من ترى أصابهم أكثر مما أصابك فلما كانت الجمعة تأخر عبد الله بن عامر و قال زياد للناس إن الأمير اليوم موعوك فقيل لرجل من وجوه أمراء القبائل قم فاصعد المنبر فلما صعد حصر فقال الحمد لله ألذى يرزق هؤلاء وبقى ساكتا فأنزلوه وأصعدوا آخر من الوجوه فلما استوى قائما قابل بوجهه الناس فوقعت عينه على صلعة رجل فقال أيها الناس إن هذاالأصلع قدمنعنى الكلام أللهم فالعن هذه الصلعة فأنزلوه وقالوا لوازع اليشكرى قم إلى المنبر فتكلم فلما صعد ورأى الناس قال أيها الناس إنى كنت اليوم كارها لحضور الجمعة ولكن امرأتى حملتنى على إتيانها و أناأشهدكم أنها طالق ثلاثا فأنزلوه فقال زياد لعبد الله بن عامر كيف رأيت قم الآن فاخطب الناس . [صفحه ۱۵] و قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوى على المخلوع فقال يا أمير المؤمنين كانت عدتك أرفع من جائزتك و هويتبسم فاغتاظ الفضل بن الربيع فقلت له إن هذا من الحصر والضعف و ليس من الجلد والقوة أماتراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه . ودخل معبد بن طوق العنبرى على بعض الأمراء فتكلم و هوقائم فأحسن فلما جلس تلهيع فى كلامه فقال له ماأظرفك قائما وأموقك قاعدا قال إنى إذاقمت جددت و إذاقعدت هزلت فقال ماأحسن ماخرجت منها. و كان عمرو بن الأهتم المنقرى والزبرقان بن بدر عند رسول الله ص فسأل ع عمرا عن الزبرقان فقال يا رسول الله إنه لمانع لحوزته مطاع فى أدانيه فقال الزبرقان حسدنى يا رسول الله فقال عمرو يا رسول الله إنه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال فنظر رسول الله ص إلى وجه عمرو فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ماعلمت وغضبت فقلت أقبح ماعلمت و ماكذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الأخرى فقال ع إن من البيان لسحرا -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۴ . و قال خالد بن صفوان ماالإنسان لو لااللسان إلاصورة ممثلة أوبهيمة مهملة [صفحه ۱۶] و قال ابن أبى الزناد كنت كاتبا لعمر بن عبدالعزيز فكان يكتب إلى عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب فى المظالم فيراجعه فكتب إليه إنه يخيل إلى أنى لوكتبت إليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت إلى أضأنا أم معزا فإذاكتبت إليك بأحدهما كتبت إلى أذكرا أم أنثى و إذاكتبت إليك بأحدهما كتبت إلى صغيرا أم كبيرا فإذاكتبت إليك فى مظلمة فلاتراجعنى و السلام . وأخذ المنصور هذافكتب إلى سلم بن قتيبة عامله بالبصرة يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم بن عبد الله بن الحسن وعقر نخلهم فكتب إليه بأيهما أبدأ بالدور أم بالنخل يا أمير المؤمنين فكتب إليه لو قلت لك بالنخل لكتبت إلى بما ذا أبدأ بالشهريز أم بالبرنى وعزله وولى محمد بن سليمان . وخطب عبد الله بن عامر مرة فأرتج عليه و كان ذلك اليوم يوم الأضحى فقال لاأجمع عليكم عيا ولؤما من أخذ شاة من السوق فهى له وثمنها على . وخطب

السفاح أول يوم صعد فيه المنبر فأرتج عليه فقام عمه داود بن على فقال أيها الناس إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فيكم فعله ولأثر الأفعال أجدى عليكم من تشقيق المقال وحسبكم كتاب الله علما فيكم و ابن عم رسول الله ص خليفة عليكم . قال الشاعر [صفحه ١٧] و ماخير من لاينفع الدهر عيشه || و إن مات لم يحزن عليه أقاربه كهام على الأقصى كليل لسانه || و فى بشر الأدنى حديد مخالبه . و قال أحيحة بن الجلاح والصمت أجمل بالفتى || ما لم يكن عى يشينه والقول ذو خطل إذا || ما لم يكن لب يزينه [صفحه ١٨]

٢٢٩– و من كلام له ع

رَوَى ذِعلَبٌ اليَمَامِيّ عَن أَحمَدَ بنِ قُتَيبَةَ عَن عَبدِ اللّهِ بنِ يَزِيدَ عَن مَالِكِ بنِ دِحيَةَ قَالَ كُنّا عِندَ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ ع فَقَالَ وَ قَد ذُكِرَ عِندَهُ اختِلَافُ النّاسِ إِنّمَا فَرّقَ بَينَهُم مبَادِئُ طِينِهِم وَ ذَلِكَ أَنّهُم كَانُوا فِلقَةً مِن سَبَخِ أَرضٍ وَ عَذبِهَا وَ حَزنِ تُربَةٍ وَ سَهلِهَا فَهُم عَلَى حَسَبِ قُربِ أَرضِهِم يَتَقَارَبُونَ وَ عَلَى قَدرِ اختِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَامّ الرّوَاءِ نَاقِصُ العَقلِ وَ مَادّ القَامَةِ قَصِيرُ الهِمّةِ وَ زَاكِي العَمَلِ قَبِيحُ المَنظَرِ وَ قَرِيبُ القَعرِ بَعِيدُ السّبرِ وَ مَعرُوفُ الضّرِيبَةِ مُنكَرُ الجَلِيبَةِ وَ تَائِهُ القَلبِ مُتَفَرّقُ اللّبّ وَ طَلِيقُ اللّسَانِ حَدِيدُ الجَنَانِ ذعلب و أحمد و عبد الله ومالك رجال من رجال الشيعة ومحدثيهم و هذاالفصل عندى لايجوز أن يحمل على ظاهره و مايتسارع إلى أفهام العامة منه و ذلك لأن قوله إنهم كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها إما أن يريد به أن كل واحد من الناس ركب من طين وجعل صورة بشرية طينية برأس وبطن ويدين ورجلين ثم نفخت فيه الروح كمافعل بآدم أويريد به أن الطين ألذى ركبت منه صورة آدم فقط كان مختلطا من سبخ وعذب فإن أريد الأول فالواقع خلافه لأن البشر الذين نشاهدهم والذين بلغتنا أخبارهم لم يخلقوا من الطين كماخلق آدم وإنما خلقوا من نطف آبائهم و ليس لقائل أن يقول لعل تلك النطف [صفحه ١٩] افترقت لأنها تولدت من أغذية مختلفة المنبت من العذوبة والملوحة و ذلك لأن النطفة لاتتولد من غذاء بعينه بل من مجموع الأغذية وتلك الأغذية لايمكن أن تكون كلها من أرض سبخة محضة فى السبخية لأن هذا من الاتفاقات التى يعلم عدم وقوعها كمايعلم أنه لايجوز أن يتفق أن يكون أهل بغداد فى وقت بعينه على كثرتهم لايأكلون ذلك اليوم إلاالسكباج خاصة وأيضا فإن الأرض السبخة أوالتى الغالب عليها السبخية لاتنبت الأقوات أصلا و إن أريد الثانى و هو أن يكون طين آدم ع مختلطا فى جوهره مختلفا فى طبائعه فلم كان زيد الأحمق يتولد من الجزء السبخى وعمرو العاقل يتولد من الجزء العذبى وكيف يؤثر اختلاف طين آدم من ستة آلاف سنة فى أقوام يتوالدون الآن . و ألذى أراه أن لكلامه ع تأويلا باطنا و هو أن يريد به اختلاف النفوس المدبرة للأبدان وكنى عنها بقوله مبادئ طينهم و ذلك أنها لماكانت الماسكة للبدن من الانحلال العاصمة له من تفرق العناصر صارت كالمبدإ وكالعلة له من حيث إنها كانت علة فى بقاء امتزاجه واختلاط عناصره بعضها ببعض ولذلك إذافارقت عندالموت افترقت العناصر وانحلت الأجزاء فرجع اللطيف منها إلى الهواء والكثيف إلى الأرض . و قوله كانوا فلقة من سبخ أرض وعذبها وحزن تربة وسهلها تفسيره أن البارئ جل جلاله لماخلق النفوس خلقها مختلفة فى ماهيتها فمنها الزكية ومنها الخبيثة ومنها العفيفة ومنها الفاجرة ومنها القوية ومنها الضعيفة ومنها الجريئة المقدمة ومنها الفشلة الذليلة إلى غير ذلك من أخلاق النفوس المختلفة المتضادة. ثم فسر ع وعلل تساوى قوم فى الأخلاق وتفاوت آخرين فيها فقال [صفحه ٢٠] إن نفس زيد قدتكون مشابهة أوقريبة من المشابهة لنفس عمرو فإذاهما فى الأخلاق متساويتان أومتقاربتان ونفس خالد قدتكون مضادة لنفس بكر أوقريبة من المضادة فإذاهما فى الأخلاق متباينتان أوقريبتان من المباينة. والقول باختلاف النفوس فى ماهياتها هومذهب أفلاطون و قداتبعه عليه جماعة من أعيان الحكماء و قال به كثير من مثبتى النفوس من متكلمى الإسلام . و أماأرسطو وأتباعه

فإنهم لايـذهبون إلى اختلاف النفوس فى ماهيتها والقول الأول عندى أمثل . ثم بين ع اختلاف آحاد الناس فقال منهم من هوتام الرواء لكنه نـاقص العقـل والرواء بالهمز والمـد المنظر الجميل و من أمثال العرب ترى الفتيان كالنخل و مايـدريك ماالـدخل . و قـال الشـاعر عقله عقـل طائر || و هو فى خلقـة الجمل . و قال أبوالطيب و ما الحسن فى وجه الفتى شـرف له || إذا لم يكن فى فعله والخلائق . و قال الآخر و ماينفع الفتيان حسن وجوههم || إذاكانت الأخلاق غيرحسان فلايغررنك المرء راق رواؤه || فما كل مصقول الغرار يمانى . [صفحه ۲۱] و من شـعر الحماسة لقومى أرعى للعلا من عصابة || من الناس ياحار بن عمرو تسودها وأنتم سـماء يعجب الناس رزها || بآبدة تنحى شديد وئيدها تقطع أطناب البيوت بحاصب || وأكذب شىءبرقها ورعودها فويل أمهـا خيلا بهاء وشارة || إذالاقت الأعـداء لو لاصـدودها . و منه أيضا وكاثر بسـعد إن سـعدا كثيرة || و لاترج من سـعد وفاء و لانصـرا يروعك من سـعد بن زيد جسومها || وتزهد فيهاحين تقتلها خبرا قوله ع وماد القامة قصير الهمة قريب من المعنى الأول إلا أنه خالف بين الألفاظ فجعل الناقص بإزاء التام والقصير بإزاء الماد ويمكن أن يجعل المعنيان مختلفين و ذلك لأنه قد يكون الإنسـان تـام العقـل إلاـ أن همته قصـيرة و قـدرأينا كثيرا من الناس كـذلك فإذن هـذاقسم آخر من الاختلاف غيرالأول . قوله ع وزاكى العمل قبيـح المنظر يريـد بزكاء أعماله حسـنها وطهارتها فيكون قـدأوقع الحسن بإزاء القبيح و هذاالقسم موجود فاش بين الناس . قوله وقريب القعر بعيـد السبر أى قـد يكون الإنسان قصـير القامـة و هو مع ذلك داهية باقعة والمراد بقرب قعره تقارب ما بين طرفيه فليست بطنه بمديـدة [صـفحه ۲۲] و لامسـتطيلة و إذاسبرته واختبرت ماعنـده وجدته لبيبا فطنا لايوقف على أسـراره و لايـدرك بـاطنه و من هـذاالمعنى قول الشـاعر ترى الرجل النحيف فتزدريه || و فى أثوابه أسـد مزير ويعجبك الطرير فتبتليه || فيخلف ظنك الرجل الطرير . وقيل لبعض الحكماء مابال القصار من الناس أدهى وأحـذق قال لقرب قلوبهم من أدمغتهم . و من شعر الحماسة إلاـيكن عظمى طويلاـ فـإننى || له بالخصـال الصالحـات وصول و لاخير فى حسن الجسوم وطولها || إذا لم تزن حسن الجسوم عقول . و من شـعر الحماسـة أيضـا و هوتمـام البيتين المقـدم ذكرهما فما عظم الرجال لهم بفخر || ولكن فخرهم كرم وخير ضـعاف الطير أطولها جسوما || و لـم تطل البزاة و لاالصـقور بغاث الطير أكثرها فراخا || وأم الصـقر مقلات نزور لقد عظم البعير بغير لب || فلم يسـتغن بالعظم البعير . قوله ع ومعروف الضـريبة منكر الجليبـة الجليبـة هى الخلق ألـذى [صـفحه ۲۳] يتكلفه الإنسان ويسـتجلبه مثل أن يكون جبانا بالطبع فيتكلف الشـجاعة أوشحيحا بالطبع فيتكلف الجود و هذاالقسم أيضا عام فى النـاس . ثم لمـافرغ من الأخلاـق المتضـادة ذكـر بعـدها ذوى الأخلاق والطباع المتناسـبة المتلائمـة فقال وتائه القلب متفرق اللب وهـذان الوصـفان متناسـبان لامتضـادان . ثم قـال وطليق اللسـان حديـد الجنـان وهـذان الوصـفان أيضـا متناسـبان وهما متضادان للوصفين قبلهما فالأولان ذم والآخران مدح [صفحه ۲۴]

۲۳۰- و من كلام له ع

اشاره

قَـالَهُ وَ هُوَ يَلِي غُسلَ رَسُولِ اللّهِص وَ تَجهِيزَهُ بِـأَبِي أَنتَ وَ أمُيّ يَـا رَسُولَ اللّهِ لَقَـدِ انقَطَعَ بِمَوتِـكَ مَـا لَم يَنقَطِع بِمَوتِ غَيرِكَ مِنَ النّبُوّةِ وَ الإِنبَاءِ وَ أَخبَارِ السّمَاءِ خَصّصتَ حَتّى صِرتَ مُسَلّياً عَمّن سِوَاكَ وَ عَمّمتَ حَتّى صَارَ النّاسُ فِيكَ سَوَاءً وَ لَو لَا أَنّكَ أَمَرتَ بِالصّبرِ وَ نَهَيتَ عَنِ الجَزَعِ لَأَنفَـدنَا عَلَيكَ مَاءَ الشّئُونِ وَ لَكَانَ الـدّاءُ مُمَاطِلًا وَ الكَمَدُ مُحَالِفاً وَ قَلّا لَكَ وَ لَكِنّهُ مَا لَا يُملَكُ رَدّهُ وَ لَا يُستَطَاعُ دَفعُهُ بِـأَبِي أَنتَ وَ أمُيّ اذكُرنَا عِنـدَ رَبّكَ وَ اجعَلنَا مِن بَالِكَ بأبى أنت وأمى أى بأبى أنت مفـدى وأمى. والإنباء الإخبار

مصدر أنبأ ينبئ وروی والأنباء بفتح الهمزة جمع نبأ و هوالخبر وأخبار السماء الوحی. قوله ع خصصت وعممت أی خصت مصیبتک أهل بیتک حتی أنهم لایکترثون بما یصیبهم بعدک من المصائب و لابما أصابهم من قبل وعمت هذه [صفحه ۲۵] المصیبة أیضا الناس حتی استوی الخلائق کلهم فیهافهی مصیبة خاصة بالنسبة وعامة بالنسبة. ومثل قوله حتی صرت مسلیا عمن سواک قول الشاعر رزئنا أباعمر و لاحی مثله || فلله در الحادثات بمن تقع فإن تک قدفارقتنا وترکتنا || ذوی خلة ما فی انسداد لها طمع لقد جر نفعا فقدنا لک أننا || أمنا علی کل الرزایا من الجزع . و قال آخر أقول للموت حین نازله || والموت مقدامة علی البهم أظفر بمن شئت إذ ظفرت به || ما بعدیحیی للموت من ألم . و لی فی هذاالمعنی کتبته إلی صدیق غاب عنی من جملة أبیات و قدکنت أخشی من خطوب غوائل || فلما نأی عنی أمنت من الحذر فأعجب لجسم عاش بعدحیاته || وأعجب لنفع حاصل جره ضرر . و قال إسحاق بن خلف یرثی بنتا له أمست أمیمة معمورا بهاالرجم || لقا صعید علیها الترب مرتکم یاشقة النفس إن النفس والهة || حری علیک و إن الدمع منسجم قدکنت أخشی علیها أن تقدمنی || إلی الحمام فیبدی وجهها العدم فالآن نمت فلاهم یؤرقنی || تهدا العیون إذا ماأودت الحرم [صفحه ۲۶] للموت عندی أیاد لست أکفرها || أحیا سرورا وبی مما أتی ألم . و قال آخر فلو أنها إحدی یدی رزیتها || ولکن یدی بانت علی إثرها یدی فآلیت لاآسی علی إثر هالک || قدی الآن من حزن علی هالک قدی . و قال آخر أجاری ماأزداد إلاصبابة || علیک و ماتزداد إلاتنائیا أجاری لونفس فدت نفس میت || فدیتک مسرورا بنفسی ومالیا و قدکنت أرجو أن أملاک حقبة || فحال قضاء الله دون رجائیا ألا فلیمت من شاء بعدک إنما || علیک من الأقدار کان حذاریا . و قال آخر لتغد المنایا حیث شاءت فإنها || محللة بعدالفتی ابن عقیل فتی کان مولاه یحل بنجوة || فحل الموالی بعده بمسیل . قوله ع ولکان الداء مماطلا أی مماطلا بالبرء أی لایجیب إلی الإقلاع . والإبلال الإفاقة [صفحه ۲۷]

ذکر طرف من سیرة النبی ع

عندموته فأما وفاة رسول الله ص و ماذکره أرباب السیرة فیهافقد ذکرنا طرفا منه فیما تقدم ونذکر هاهنا طرفا آخر مما أورده أبو جعفر محمد بن جریر الطبری فی تاریخه . قال أبو جعفرروی أبومویهبة مولی رسول الله ص قال أرسل إلی رسول الله ص فی جوف اللیل فقال یا أبامویهبة إنی قدأمرت أن أستغفر لأهل البقیع فانطلق معی فانطلقت معه فلما وقف بین أظهرهم قال السلام علیکم یا أهل المقابر لیهن لکم ماأصبحتم فیه مما أصبح الناس فیه أقبلت الفتن کقطع اللیل المظلم یتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولی ثم أقبل علی فقال یا أبامویهبة إنی قدأوهبت مفاتیح خزائن الدنیا والخلد فیها والجنة فخیرت بینها و بین الجنة فاخترت الجنة فقلت بأبی أنت وأمی فخذ مفاتیح خزائن الدنیا والخلد فیها والجنة جمیعا فقال لا یا أبامویهبة اخترت لقاء ربی ثم استغفر لأهل البقیع وانصرف فبدأ بوجعه ألذی قبضه الله فیه -روایت-۱-۲-روایت-۵۷-۶۶۳ روی محمد بن مسلم بن شهاب الزهری عن عبید الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت رجع رسول الله ص تلک اللیلة من البقیع فوجدنی و أناأجد صداعا فی رأسی وأقول وا رأساه فقال بل أناوا رأساه ثم قال ماضرک لومت قبلی فقمت علیک فکفنتک وصلیت علیک ودفنتک فقلت و الله لکأنی -روایت-۱-۲-روایت-۸۹-ادامه دارد [صفحه ۲۸] بک لو کان ذلک رجعت إلی منزلی فأعرست ببعض نسائک فتبسم ع وتتام به وجعه و هو مع ذلک یدور علی نسائه حتی استعز به و هو فی بیت میمونة فدعا نساءه فاستأذنهن أن یمرض فی بیتی فأذن له فخرج بین رجلین من أهله أحدهما الفضل بن العباس و رجل آخر تخط قدماه فی الأرض عاصبا رأسه حتی دخل بیته قال عبید الله بن عبد الله بن عتبة فحدثت عبد الله بن العباس بهذا الحدیث فقال أتدری من الرجل الآخر قلت لا قال علی بن أبی

طالب لكنها كانت لاتقدر أن تذكره بخير وهى تستطيع قالت ثم غمر رسول الله ص واشتد به الوجع فقال أهريقوا على سبع قرب
من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم قالت فأقعدته فى مخضب لحفصة بنت عمر وصببنا عليه الماء حتى طفق يقول
بيده حسبكم حسبكم -روايت-از قبل-٧٠٠ روى عطاء عن الفضل بن عباس رحمه الله قال جاءنى رسول الله ص حين بدأ به
مرضه فقال اخرج فخرجت إليه فوجدته موعوكا قدعصب رأسه فقال خذ بيدى فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال ناد
فى الناس فصحت فيهم فاجتمعوا إليه فقال أيها الناس إنى أحمدإليكم الله إنه قددنا منى حقوق من بين أظهركم فمن كنت
جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه و من كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه و من كنت أخذت له مالا فهذا
مالى فليأخذ منه و لايقل رجل إنى أخاف الشحناء من قبل رسول الله ألا و إن الشحناء ليست من طبيعتى و لا من شأنى ألا و إن
أحبكم إلى من أخذ منى حقا -روايت-١-٢-روايت-٤٨-ادامه دارد [صفحه ٢٩] إن كان له أوحللنى فلقيت الله و أناطيب
النفس و قدأرانى أن هذا غيرمغن عنى حتى أقوم فيكم به مرارا ثم نزل فصلى الظهر ثم رجع فجلس على المنبر فعاد لمقالته
الأولى فى الشحناء وغيرها فقام رجل فقال يا رسول الله إن لى عندك ثلاثة دراهم فقال إنا لانكذب قائلا و لانستحلفه على يمين
فيم كانت لك عندى قال أتذكر يا رسول الله يوم مر بك المسكين فأمرتنى فأعطيته ثلاثة دراهم قال أعطه يافضل فأمرته فجلس
ثم قال أيها الناس من كان عنده شىءفليؤده و لايقل فضوح الدنيا فإن فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة فقام رجل فقال يا
رسول الله عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله قال و لم غللتها قال كنت محتاجا إليها قال خذها منه يافضل ثم قال أيها الناس
من خشى من نفسه شيئا فليقم أدعو له فقام رجل فقال يا رسول الله إنى لكذاب وإنى لفاحش وإنى لنئوم فقال أللهم ارزقه صدقا
وصلاحا وأذهب عنه النوم إذاأراد ثم قام رجل فقال يا رسول الله إنى لكذاب وإنى لمنافق و ما شىء أو قال و إن من شىء إلا و
قدجئته فقام عمر بن الخطاب فقال فضحت نفسك أيها الرجل فقال النبى ص يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح
الآخرة أللهم ارزقه صدقا وإيمانا وصير أمره إلى خير -روايت-از قبل-١١١٥ روى عبد الله بن مسعود قال نعى إلينا نبينا وحبيبنا
نفسه قبل موته بشهر جمعنا فى بيت أمنا عائشة فنظر إلينا وشدد ودمعت عينه و قال مرحبا بكم حياكم الله رحمكم الله آواكم الله
حفظكم الله رفعكم الله نفعكم الله -روايت-١-٢-روايت-٣١-ادامه دارد [صفحه ٣٠] وفقكم الله رزقكم الله هداكم الله نصركم
الله سلمكم الله تقبلكم الله أوصيكم بتقوى الله وأوصى الله بكم واستخلفه عليكم إنى لكم منه نذير وبشير ألا تعلوا على الله فى
عباده وبلاده فإنه قال لى ولكم تِلكَ الدّارُ الآخِرَةُ نَجعَلُها لِلّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّا فِى الأَرضِ وَ لا فَساداً وَ العاقِبَةُ لِلمُتّقِينَفقلنا يا
رسول الله فمتى أجلك قال قددنا الفراق والمنقلب إلى الله و إلى سدرة المنتهى والرفيق الأعلى وجنة المأوى والعيش المهنا قلنا
فمن يغسلك يا رسول الله قال أهلى الأدنى فالأدنى قلنا ففيم نكفنك قال فى ثيابى هذه إن شئتم أو فى بياض مصر أوحلة يمنية
قلنا فمن يصلى عليك فقال إذاغسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة
فإن أول من يصلى على جليسى وحبيبى وخليلى جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنوده من الملائكة ثم
ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على وسلموا و لاتؤذونى بتزكية و لاضجة و لارنة وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ثم نساؤهم
ثم أنتم بعد وأقرءوا أنفسكم منى السلام و من غاب من أهلى فأقرءوه منى السلام و من تابعكم بعدى على دينى فأقرءوه منى
السلام فإنى أشهدكم أنى قدسلمت على من بايعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيامة قلنا فمن يدخلك قبرك يا رسول الله قال
أهلى مع ملائكة كثيرة يرونكم و لاترونهم -روايت-از قبل-١٢٥٧ . قلت العجب لهم كيف لم يقولوا له فى تلك الساعة فمن
يلى أمورنا بعدك لأن ولاية الأمر أهم من السؤال عن الدفن و عن كيفية الصلاة عليه و ماأعلم ماأقول فى هذاالمقام قال أبو
جعفرالطبرى وروى سعيد بن جبير قال كان ابن عباس رحمه الله يقول -روايت-١-٢-روايت-٨١-ادامه دارد [صفحه ٣١] يوم
الخميس و ما يوم الخميس ثم يبكى حتى تبل دموعه الحصباء فقلنا له و ما يوم الخميس قال يوم اشتد برسول الله ص وجعه فقال

ائتونی باللوح والدواة أو قال بالکتف والدواة أکتب لکم ما لاتضلون بعدی فتنازعوا فقال اخرجوا و لاینبغی عندنبی أن یتنازع قالوا ماشأنه أهجر استفهموه فذهبوا یعیدون علیه فقال دعونی فما أنا فیه خیر مما تدعوننی إلیه ثم أوصی بثلاث قال أخرجوا المشرکین من جزیرة العرب وأجیزوا الوفد بنحو مما کنت أجیزهم وسکت عن الثالثة عمدا أوقالها ونسیتها -روایت-از قبل-۴۸۳ روی أبو جعفر عن ابن عباس قال خرج علی بن أبی طالب ع من عند رسول الله ص فی وجعه ألذی توفی فیه فقال له الناس یا أبا الحسن کیف أصبح رسول الله ص قال أصبح بحمد الله بارئا فأخذ العباس بیده و قال أ لاتری أنک بعدثلاث عبدالعصا إنی لأعرف الموت فی وجوه بنی عبدالمطلب فاذهب إلی رسول الله ص فسله فیمن یکن هذاالأمر فإن کان فینا علمنا ذلک و إن کان فی غیرنا وصی بنا فقال علی أخشی أن أسأله فیمنعناها فلایعطیناها الناس أبدا -روایت-۱-۲-روایت-۳۵-۴۵۹ روت عائشة قالت أغمی علی رسول الله ص والدار مملوءة من النساء أم سلمة ومیمونة وأسماء بنت عمیس وعندنا عمه العباس بن عبدالمطلب فأجمعوا علی أن یلدوه فقال العباس لاألده فلدوه فلما أفاق قال من صنع بی هذاقالوا عمک قال لنا هذادواء جاءنا من نحو هذه الأرض وأشار إلی أرض الحبشة قال فلم فعلتم ذلک فقال العباس خشینا یا رسول الله أن یکون بک ذات الجنب فقال إن ذلک -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-ادامه دارد [صفحه ۳۲] لداء ما کان الله لیقذفنی به لایبقی أحد فی البیت إلالد إلاعمی قال فلقد لدت میمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله ص عقوبة لهم بما صنعوا -روایت-از قبل-۱۴۴ قال أبو جعفر و قدوردت روایة أخری عن عائشة قالت لددنا رسول الله ص فی مرضه فقال لاتلدونی فقلنا کراهیة المریض للدواء فلما أفاق قال لایبقی أحد إلالد غیرالعباس عمی فإنه لم یشهدکم -روایت-۱-۲-روایت-۵۴-۱۹۵ . قال أبو جعفر و ألذی تولی اللدود بیده أسماء بنت عمیس . قلت العجب من تناقض هذه الروایات فی إحداها أن العباس لم یشهد اللدود فلذلک أعفاه رسول الله ص من أن یلد ولد من کان حاضرا و فی إحداها أن العباس حضر لده ع و فی هذه الروایة التی تتضمن حضور العباس فی لده کلام مختلف فیها أن العباس قال لاألده ثم قال فلد فأفاق فقال من صنع بی هذاقالوا عمک إنه قال هذادواء جاءنا من أرض الحبشة لذات الجنب فکیف یقول لاألده ثم یکون هو ألذی أشار بأن یلد و قال هذادواء جاءنا من أرض الحبشة لکذا. وسألت النقیب أبا جعفریحیی بن أبی زید البصری عن حدیث اللدود فقلت ألد علی بن أبی طالب ذلک الیوم فقال معاذ الله لو کان لد لذکرت عائشة ذلک فیما تذکره وتنعاه علیه قال و قدکانت فاطمة حاضرة فی الدار وابناها معها أفتراها لدت أیضا ولد الحسن و الحسین کلا و هذاأمر لم یکن وإنما هوحدیث ولده من ولده تقربا إلی بعض الناس و ألذی کان أن أسماء بنت عمیس أشارت بأن یلد وقالت هذادواء جاءنا من أرض الحبشة جاء به جعفر بن أبی طالب و کان بعلها [صفحه ۳۳] وساعدتها علی تصویب ذلک والإشارة به میمونة بنت الحارث فلد رسول الله ص فلما أفاق أنکره وسأل عنه فذکر له کلام أسماء وموافقة میمونة لها فأمر أن تلد الامرأتان لا غیرفلدتا و لم یجر غیر ذلک والباطل لایکاد یخفی علی مستبصر. و روت عائشة قالت کثیرا ماکنت أسمع رسول الله یقول إن الله لم یقبض نبیا حتی یخیره فلما احتضر رسول الله ص کان آخر کلمة سمعتها منه بل الرفیق الأعلی فقلت إذا و الله لایختارنا وعلمت أن ذلک ما کان یقوله من قبل -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۲۲۷ روی الأرقم بن شرحبیل قال سألت ابن عباس رحمه الله هل أوصی رسول الله ص فقال لا. قلت فکیف کان فقال إن رسول الله ص قال فی مرضه ابعثوا إلی علی فادعوه فقالت عائشة لوبعثت إلی أبی بکر وقالت حفصة لوبعثت إلی عمر فاجتمعوا عنده جمیعا هکذا لفظ الخبر علی ماأورده الطبری فی التاریخ و لم یقل فبعث رسول الله ص إلیهما قال ابن عباس فقال رسول الله ص انصرفوا فإن تکن لی حاجة أبعث إلیکم فانصرفوا وقیل لرسول الله الصلاة فقال مروا أبابکر أن یصلی بالناس فقالت عائشة إن أبابکر رجل رقیق فمر عمر فقال مروا عمر فقال عمر ماکنت لأتقدم و أبوبکر شاهد فتقدم أبوبکر فوجد رسول الله ص خفة فخرج فلما سمع أبوبکر حرکته تأخر فجذب رسول الله ص ثوبه فأقامه مکانه وقعد رسول الله ص فقرأ من حیث انتهی أبوبکر -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۷۳۳ . قلت عندی فی هذه الواقعة کلام

ویعترضنی فیهاشکوک واشتباه إذا کان قد [صفحه ۳۴] أراد أن یبعث إلی علی لیوصی إلیه فنفست عائشهٔ علیه فسألت أن یحضر أبوها ونفست حفصهٔ علیه فسألت أن یحضر أبوها ثم حضرا و لم یطلبا فلاشبههٔ أن ابنتیهما طلبتاهما هذا هوالظاهر وقول رسول الله ص و قداجتمعوا کلهم عنده انصرفوا فإن تکن لی حاجهٔ بعثت إلیکم قول من عنده ضجر وغضب باطن لحضورهما وتهمهٔ للنساء فی استدعائهما فکیف یطابق هذاالفعل و هذاالقول ماروی من أن عائشهٔ قالت لماعین علی أبیها فی الصلاهٔ أن أبی رجل رقیق فمر عمر وأین ذلک الحرص من هذاالاستعفاء والاستقالهٔ و هذایوهم صحهٔ ماتقوله الشیعهٔ من أن صلاهٔ أبی بکر کانت عن أمر عائشهٔ و إن کنت لاأقول بذلک و لاأذهب إلیه إلا أن تأمل هذاالخبر ولمح مضمونه یوهم ذلک فلعل هذاالخبر غیرصحیح وأیضا ففی الخبر ما لایجیزه أهل العدل و هو أن یقول مروا أبابکر ثم یقول عقیبه مروا عمر لأن هذانسخ الشیء قبل تقضی وقت فعله . فإن قلت قدمضی من الزمان مقدار مایمکن الحاضرین فیه أن یأمروا أبابکر و لیس فی الخبر إلا أنه أمرهم أن یأمروه ویکفی فی صحهٔ ذلک مضی زمان یسیر جدا یمکن فیه أن یقال یا أبابکر صل بالناس قلت الإشکال مانشأ من هذاالأمر بل من کون أبی بکر مأمورا بالصلاهٔ و إن کان بواسطهٔ ثم نسخ عنه الأمر بالصلاهٔ قبل مضی وقت یمکن فیه أن یفعل الصلاهٔ فإن قلت لم قلت فی صدر کلامک هذاإنه أراد أن یبعث إلی علی لیوصی إلیه و لم لایجوز أن یکون بعث إلیه لحاجهٔ له قلت لأن مخرج کلام ابن عباس هذاالمخرج أ لاتری أن الأرقم بن شرحبیل الراوی لهذا الخبر قال سألت ابن عباس هل أوصی رسول الله ص فقال لافقلت فکیف کان فقال إن رسول الله ص قال فی مرضه [صفحه ۳۵] ابعثوا إلی علی فادعوه فسألته المرأهٔ أن یبعث إلی أبیها وسألته الأخری أن یبعث إلی أبیها فلو لا أن ابن عباس فهم من قوله ص ابعثوا إلی علی فادعوه أنه یرید الوصیهٔ إلیه لما کان لإخبار الأرقم بذلک متصلا بسؤاله عن الوصیهٔ معنی و روی القاسم بن محمد بن أبی بکر عن عائشهٔ قالت رأیت رسول الله ص یموت وعنده قدح فیه ماء یدخل یده فی القدح ثم یمسح وجهه بالماء و یقول أللهم أعنی علی سکرهٔ الموت -روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۱۷۶ روی عروهٔ عن عائشهٔ قالت اضطجع رسول الله ص یوم موته فی حجری فدخل علی رجل من آل أبی بکر فی یده مسواک أخضر فنظر رسول الله ص إلیه نظرا عرفت أنه یریده فقلت له أتحب أن أعطیک هذاالمسواک قال نعم فأخذته فمضغته حتی ألنته ثم أعطیته إیاه فاستن به کأشد مارأیته یستن بسواک قبله ثم وضعه ووجدت رسول الله ص یثقل فی حجری فذهبت أنظر فی وجهه فإذابصره قدشخص و هو یقول بل الرفیق الأعلی من الجنهٔ فقلت لقد خیرت فاخترت و ألذی بعثک بالحق وقبض رسول الله ص -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۴۸۷ . قال الطبری و قدوقع الاتفاق علی أنه کان یوم الإثنین من شهر ربیع الأول واختلف فی أی الأثانین کان فقیل للیلتین خلتا من الشهر وقیل لاثنتی عشرهٔ خلت من الشهر واختلف فی تجهیزه أی یوم کان فقیل یوم الثلاثاء الغد من وفاته وقیل إنما دفن بعدوفاته بثلاثهٔ أیام اشتغل القوم عنه بأمر البیعهٔ. و قدروی الطبری مایدل علی ذلک عن زیاد بن کلیب عن ابراهیم النخعی أن [صفحه ۳۶] أبابکر جاء بعدثلاث إلی رسول الله ص و قدأربد بطنه فکشف عن وجهه وقبل عینیه و قال بأبی أنت وأمی طبت حیا وطبت میتا قلت و أناأعجب من هذاهب أن أبابکر و من معه اشتغلوا بأمر البیعهٔ فعلی بن أبی طالب والعباس و أهل البیت بما ذا اشتغلوا حتی یبقی النبی ص مسجی بینهم ثلاثهٔ أیام بلیالیهن لایغسلونه و لایمسونه . فإن قلت الروایهٔ التی رواها الطبری فی حدیث الأیام الثلاثهٔ إنما کانت قبل البیعهٔ لأن لفظ الخبر عن ابراهیم و أنه لماقبض النبی ص کان أبوبکر غائبا فجاء بعدثلاث و لم یتجرأ أحد أن یکشف عن وجهه ع حتی أربد بطنه فکشف عن وجهه وقبل عینیه و قال بأبی أنت وأمی طبت حیا وطبت میتا ثم خرج إلی الناس فقال من کان یعبد محمدا فإن محمدا قدمات الحدیث بطوله قلت لعمری إن الروایهٔ هکذا أوردها ولکنها مستحیلهٔ لأن أبابکر فارق رسول الله ص و هوحی ومضی إلی منزله بالسنح فی یوم الإثنین و هوالیوم ألذی مات فیه رسول الله ص لأنه رآه بارئا صالح الحال هکذا روی الطبری فی کتابه و بین السنح و بین المدینهٔ نصف فرسخ بل هوطائفهٔ من المدینهٔ فکیف یبقی رسول الله ص میتا یوم الإثنین و یوم

الثلاثاء و يوم الأربعاء لايعلم به أبوبكر وبينهما غلوة ثلاثة أسهم وكيف يبقى طريحا بين أهله ثلاثة أيام لايجترئ أحد منهم أن يكشف عن وجهه وفيهم على بن أبى طالب و هوروحه بين جنبيه والعباس عمه القائم مقام أبيه وابنا فاطمة وهما كولديه وفيهم فاطمة بضعة منه أفما كان فى هؤلاء من يكشف عن وجهه و لا من يفكر فى جهازه و لا من يأنف له من [صفحه ۳۷] انتفاخ بطنه واخضرارها وينتظر بذلك حضور أبى بكر ليكشف عن وجهه أنا لاأصدق ذلك و لايسكن قلبى إليه والصحيح أن دخول أبى بكر إليه وكشفه عن وجهه و قوله ما قال إنما كان بعدالفراغ من البيعة وأنهم كانوا مشتغلين بها كماذكر فى الرواية الأخرى . وبقى الإشكال فى قعود على ع عن تجهيزه إذا كان أولئك مشتغلين بالبيعة فما ألذى شغله هوفأقول يغلب على ظنى إن صح ذلك أن يكون قدفعله شناعة على أبى بكر وأصحابه حيث فاته الأمر واستؤثر عليه به فأراد أن يتركه ص بحاله لايحدث فى جهازه أمرا ليثبت عند الناس أن الدنيا شغلتهم عن نبيهم ثلاثة أيام حتى آل أمره إلى ماترون و قد كان ع يتطلب الحيلة فى تهجين أمر أبى بكر حيث وقع فى السقيفة ماوقع بكل طريق ويتعلق بأدنى سبب من أمور كان يعتمدها وأقوال كان يقولها فلعل هذا من جملة ذلك أولعله إن صح ذلك فإنما تركه ص بوصية منه إليه وسر كانا يعلمانه فى ذلك . فإن قلت فلم لايجوز أن يقال إن صح ذلك إنه أخر جهازه ليجتمع رأيه ورأى المهاجرين على كيفية غسله وتكفينه ونحو ذلك من أموره قلت لأن الرواية الأولى تبطل هذاالاحتمال وهى قوله ص لهم قبل موته يغسلنى أهلى الأدنى منهم فالأدنى وأكفن فى ثيابى أو فى بياض مصر أو فى حلة يمنية -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۱۱۳ . قال أبو جعفرفأما الذين تولوا غسله فعلى بن أبى طالب والعباس بن عبدالمطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ص [صفحه ۳۸] وحضر أوس بن خولى أحد الخزرج فقال لعلى بن أبى طالب أنشدك الله يا على وحظنا من رسول الله و كان أوس من أصحاب بدر فقال له ادخل فدخل فحضر غسله ع وصب الماء عليه أسامة وشقران و كان على ع يغسله و قدأسنده إلى صدره و عليه قميصه يدلكه من ورائه لايفضى بيده إلى بدن رسول الله ص و كان العباس وابناه الفضل وقثم يساعدونه على قلبه من جانب إلى جانب . قال أبو جعفر وروت عائشة أنهم اختلفوا فى غسله هل يجرد أم لافألقى الله عليهم السنة حتى مامنهم رجل إلاـ وذقنه على صدره ثم كلمهم متكلم من ناحية البيت لايدرى من هوغسلوا النبى و عليه ثيابه فقاموا إليه فغسلوه و عليه قميصه فكانت عائشة تقول لواستقبلت من أمرى مااستدبرت ماغسله إلانساؤه . قلت حضرت عند محمد بن معد العلوى فى داره ببغداد وعنده حسن بن معالى الحلى المعروف بابن الباقلاوى وهما يقرءان هذاالخبر و هذه الأحاديث من تاريخ الطبرى فقال محمد بن معد لحسن بن معالى ماتراها قصدت بهذا القول قال حسدت أباك على ما كان يفتخر به من غسل رسول الله ص فضحك محمد فقال هبها استطاعت أن تزاحمه فى الغسل هل تستطيع أن تزاحمه فى غيره من خصائصه . قال أبو جعفرالطبرى ثم كفن ص فى ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة أدرج فيهاإدراجا ولحد له على عادة أهل المدينة فلما فرغوا منه وضعوه على سريره . [صفحه ۳۹] واختلفوا فى دفنه فقال قائل ندفنه فى مسجده و قال قائل ندفنه فى البقيع مع أصحابه و قال أبوبكر سمعت رسول الله ص يقول ماقبض نبى إلا ودفن حيث قبض -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-۷۵ فرفع فراش رسول الله ألذى توفى فيه فحفر له تحته . قلت كيف اختلفوا فى موضع دفنه و قد قال لهم فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۶۲ و هذاتصريح بأنه يدفن فى البيت ألذى جمعهم فيه و هوبيت عائشة فإما أن يكون ذلك الخبر غيرصحيح أو يكون الحديث ألذى تضمن أنهم اختلفوا فى موضع دفنه و أن أبابكر روى لهم أنه قال الأنبياء يدفنون حيث يموتون غيرصحيح لأن الجمع بين هذين الخبرين لايمكن . وأيضا فهذا الخبر ينافى ماورد فى موت جماعة من الأنبياء نقلوا من موضع موتهم إلى مواضع أخر و قدذكر الطبرى بعضهم فى أخبار أنبياء بنى إسرائيل . وأيضا فلو صح هذاالخبر لم يكن مقتضيا إيجاب دفن النبى ص حيث قبض لأنه ليس بأمر بل هوإخبار محض أللهم إلا أن يكونوا فهموا من مخرج لفظه ع و من مقصده أنه أراد الوصية لهم بذلك والأمر بدفنه

حيث يقبض . قال أبو جعفر ثم دخل الناس فصلوا عليه أرسالا حتى إذافرغ الرجال أدخل النساء حتى إذافرغ النساء أدخل الصبيان ثم أدخل العبيد و لم يؤمهم إمام ثم دفن ع وسط الليل من ليلة الأربعاء. قال أبو جعفر و قدروت عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت ماعلمنا بدفن رسول الله ص حتى سمعنا صوت المساحی فی جوف الليل ليلة الأربعاء -روايت-١-٢-روايت-٧٩-١٦٢ . [صفحه ٤٠] قلت و هذاأيضا من العجائب لأنه إذامات يوم الإثنين وقت ارتفاع الضحی كماذكر فی الرواية ودفن ليلة الأربعاء وسط الليل فلم يمض عليه ثلاثة أيام كماورد فی تلك الرواية. وأيضا فمن العجب كون عائشة و هو فی بيتها لاتعلم بدفنه حتى سمعت صوت المساحی أتراها أين كانت و قدسألت عن هذاجماعة فقالوا لعلها كانت فی بيت يجاور بيتها عندها نساء كماجرت عادة أهل الميت وتكون قداعتزلت بيتها وسكنت ذلك البيت لأن بيتها مملوء بالرجال من أهل رسول الله ص وغيرهم من الصحابة و هذاقريب ويحتمل أن يكون . قال الطبری ونزل فی قبر رسول الله ص علی بن أبی طالب ع والفضل بن عباس وقثم أخوه وشقران مولاهم و قال أوس بن خولی لعلی ع أنشدك الله يا علی وحظنا من رسول الله ص فقال له انزل فنزل مع القوم وأخذ شقران قطيفة كان رسول الله ص يلبسها فقذفها معه فی القبر و قال لايلبسها أحد بعده . قلت من تأمل هذه الأخبار علم أن عليا ع كان الأصل والجملة والتفصيل فی أمر رسول الله ص وجهازه أ لاترى أن أوس بن خولی لايخاطب أحدا من الجماعة غيره و لايسأل غيره فی حضور الغسل والنزول فی القبر ثم انظر إلی كرم علی ع وسجاحة أخلاقه وطهارة شيمته كيف لم يضن بمثل هذه المقامات الشريفة عن أوس و هو رجل غريب من الأنصار فعرف له حقه وأطلبه بما طلبه فكم بين هذه السجية الشريفة و بين قول من قال لواستقبلت من أمری مااستدبرت [صفحه ٤١] ماغسل رسول الله ص إلانساؤه و لو كان فی ذلك المقام غيره من أولی الطباع الخشنة وأرباب الفظاظة والغلظة و قدسأل أوس ذلك لزجر وانتهر ورجع خائبا. قال الطبری و كان المغيرة بن شعبة يدعی أنه أحدث الناس عهدا برسول الله ص و يقول للناس إننی أخذت خاتمی فألقيته فی القبر و قلت إن خاتمی قدسقط منی وإنما طرحته عمدا لأمس رسول الله ص فأكون آخر الناس به عهدا. قال الطبری فروی عبد الله بن الحارث بن نوفل قال اعتمرت مع علی بن أبی طالب ع فی زمان عمر أوعثمان فنزل علی أخته أم هانئ بنت أبی طالب فلما فرغ من عمرته رجع و قدسكب له غسل فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق فقالوا يا أبا الحسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا به فقال أظن المغيرة يحدثكم أنه أحدث الناس عهدا برسول الله ص قالوا أجل عن ذا جئنا نسألك قال كذب أحدث الناس عهدا برسول الله ص قثم بن العباس كان آخرنا خروجا من قبره . قلت بحق ماعاب أصحابنا رحمهم الله المغيرة وذموه وانتقصوه فإنه كان علی طريقة غيرمحمودة وأبی الله إلا أن يكون كاذبا علی كل حال لأنه إن لم يكن أحدثهم بالنبی عهدا فقد كذب فی دعواه أنه أحدثهم به عهدا و إن كان أحدثهم به عهدا كمايزعم فقد اعترف بأنه كذب فی قوله لهم سقط خاتمی منی وإنما ألقاه عمدا وأين المغيرة و رسول الله ص ليدعی القرب منه و أنه أحدث الناس عهدا به [صفحه ٤٢] و قدعلم الله تعالی والمسلمون أنه لو لاالحدث ألذی أحدث والقوم الذين صحبهم فقتلهم غدرا واتخذ أموالهم ثم التجأ إلی رسول الله ص ليعصمه لم يسلم و لاوطئ حصا المدينة. قال الطبری و قداختلف فی سن رسول الله ص فالأكثرون أنه كان ابن ثلاث وستين سنة و قال قوم ابن خمس وستين سنة و قال قوم ابن ستين .فهذا ماذكره الطبری فی تاريخه . وروی محمد بن حبيب فی أماليه قال تولی غسل النبی ص علی ع والعباس رضی الله عنه . و كان علی ع يقول بعد ذلك ماشممت أطيب من ريحه و لارأيت أضوأ من وجهه حينئذ و لم أره يعتاد فاه مايعتاد أفواه الموتی -روايت-١-٢-روايت-٣١-١٢٩ قال محمد بن حبيب فلما كشف الإزار عن وجهه بعدغسله انحنی عليه فقبله مرارا وبكی طويلا و قال بأبی أنت وأمی طبت حيا وطبت ميتا انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوة والأنباء وأخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمن سواك وعممت حتى صارت المصيبة فيك سواء و لو لاأنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشئون ولكن أتی ما لايدفع أشكو إليك

کمـدا وإدبارا مخالفين وداء الفتنة فإنها قداسـتعرت نارها وداؤها الداء الأعظم بأبى أنت وأمى اذكرنا عندربک واجعلنا من بالک وهمـک ثـم نظر إلى قـذاة فى عينـه فلفظهـا بلسـانه ثم رد الإـزار على وجهه -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۵۷۷ . [صـفحه ۴۳] و قـدروى كثير من الناس ندبـة فاطمة ع أباها يوم موته و بعد ذلک اليوم وهى ألفاظ معدودة مشـهورة منها ياأبتاه جنة الخلد مثواه ياأبتـاه عنـدذى العرش مأواه ياأبتاه كان جبرئيل يغشاه ياأبتاه لست بعـداليوم أراه -روايت-۱-۱۱۶ . و من النـاس من يـذكر أنها كانت تشوب هـذه الندبـة بنوع من التظلم والتألم لأمر يغلبها و الله أعلم بصـحة ذلک والشـيعة تروى أن قوما من الصـحابة أنكروا بكاءهـا الطويـل ونهوها عنه وأمروها بالتنحى عن مجاورة المسـجد إلى طرف من أطراف المدينـة. و أناأسـتبعد ذلک والحـديث يدخله الزيادة والنقصان ويتطرق إليه التحريف والافتعال و لاأقول أنا فى أعلام المهاجرين إلاخيرا [صفحه ۴۴]

۲۳۱- و من خطبة له ع

اشاره

الحَمـدُ لِلّهِ ألّـذِى لَا تُـدرِكُهُ الشّوَاهِـدُ وَ لَا تَحوِيهِ المَشَاهِـدُ وَ لَا تَرَاهُ النّوَاظِرُ وَ لَا تَحجُبُهُ السّوَاتِرُ الـدّالّ عَلَى قِـدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلقِهِ وَ بِحُدُوثِ خَلقِهِ عَلَى وُجُودِهِ وَ بِاشتِبَاهِهِم عَلَى أَن لَا شَبَهَ لَهُ ألّذِى صَدَقَ فِى مِيعَادِهِ وَ ارتَفَعَ عَن ظُلمِ عِبَادِهِ وَ قَامَ بِالقِسطِ فِى خَلقِهِ وَ عَـدَلَ عَلَيهِم فِى حُكمِهِ مُستَشـهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشـيَاءِ عَلَى أَزَلِيّتِهِ وَ بِمَا وَسَـمَهَا بِهِ مِنَ العَجزِ عَلَى قُدرَتِهِ وَ بِمَا اضـطَرّهَا إِلَيهِ مِنَ الفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ وَاحِـدٌ لَـا بِعَـدَدٍ وَ دَائِمٌ لَـا بِأَمَـدٍ وَ قَـائِمٌ لَـا بِعَمَـدٍ تَتَلَقّاهُ الأَذهَانُ لَـا بِمُشَاعَرَةٍ وَ تَشـهَدُ لَهُ المَرَائِى لَا بِمُحَاضَـرَةٍ لَم تُحِط بِهِ الأَوهَامُ بَل تَجَلّى لَهَا بِهَا وَ بِهَا امتَنَعَ مِنهَا وَ إِلَيهَا حَاكَمَهَا لَيسَ بِـذِى كِبرٍ امتَدّت بِهِ النّهَايَاتُ فَكَبّرَتهُ تَجسِـيماً وَ لَا بِذِى عِظَمٍ تَنَاهَت بِهِ الغَايَاتُ فَعَظّمَتهُ تَجسِيداً بَل كَبُرَ شَأناً وَ عَظُمَ سُلطَاناً وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ الصفِيّ وَ أَمِينُهُ الرضِيّص أَرسَلَهُ بِوُجُوبِ الحُجَجِ وَ ظُهُورِ الفَلَجِ وَ إِيضَاحِ المَنهَجِ فَبَلّغَ الرّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا وَ حَمَلَ عَلَى المَحَجّةِ دَالّا عَلَيهَا وَ أَقَامَ أَعلَامَ الِاهتِدَاءِ وَ مَنَارَ الضّـيَاءِ وَ جَعَلَ أَمرَاسَ الإِسـلَامِ مَتِينَةً وَ عُرَا الإِيمَانِ وَثِيقَةً [صفحه ۴۵] الشواهد هاهنا يريد بهاالحواس وسماها شواهد إما لحضورها شهد فلان كذا أى حضـره أولأنها تشـهد على ماتدركه وتثبته عندالعقل كمايشـهد الشاهد بالشىء ويثبته عندالحاكم . والمشاهد هاهنا المجالس والنوادى يقال حضـرت مشهد بنى فلان أى ناديهم ومجتمعهم . ثم فسر اللفظة الأولى وأبان عن مراده بهابقوله و لاتراه النواظر وفسـر اللفظـة الثانية وأبان عن مرادها فقال و لاتحجبه السواتر. ثم قال الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده هذامشـكل لأن لقائل أن يقول إذادل على قـدمه بحـدوث خلقه فقـد دخل فى جملـة المـدلول كونه موجودا لأن القـديم هوالموجـود و لـم يزل فـأى حـاجه إلى أن يعـود فيقـول وبحـدوث خلقه على وجـوده . ولمجيب أن يجيب على طريقـة شـيوخنا أصـحاب أبى هاشم فيقول لايلزم من الاسـتدلال بحـدوث الأجسام على أنه لابـد من محـدث قديم كونه موجودا لأن عندهم أن الذات المعدومة قدتتصف بصفات ذاتية وهى معدومة فلايلزم من كون صانع العالم عندهم عالما قادرا حيا أن يكون موجودا بل لابـد من دلالـة زائـدة على أن له صـفة الوجود وهى والدلالـة التى يـذكرونها من أن كونه قـادرا عالمـا تقتضـى تعلقه بالمقـدور والمعلوم و كـل ذات متعلقـة فـإن عـدمها يخرجهـا عن التعلق كالإـرادة فلو كان تعالى معـدوما لم يجز أن يكون متعلقا فحـدوث الأجسام إذا قـددل على أمرين من وجهين مختلفين أحـدهما أنه لابـد من صانع له و هذا هوالمعنى بقدمه . [صـفحه ۴۶] والثانى أن هذاالصانع له صـفة لأجلها يصح على ذاته أن تكون قادرة عالمة و هذا هوالمعنى بوجوده . فإن قلت أ يقول أصحاب شيخكم أبى هاشم إن الـذات المعدومـة التى لاأول لها تسـمى قديمة قلت لا والبحث فى هذابحث فى اللفظ لا فى المعنى . والمراد بقوله

ع الدال بحدوث الأشياء على قدمه أى على كونه ذاتا لم يجعلها جاعل و ليس المراد بالقدم هاهنا الوجود لم يزل بل مجرد الذاتية لم يزل . ثم يستدل بعد ذلك بحدوث الأشياء على أن له صفة أخرى لم تزل زائدة على مجرد الذاتية وتلك الصفة هى وجوده فقد اتضح المراد الآن . فإن قلت فهل لهذا الكلام مساغ على مذهب البغداديين قلت نعم إذاحمل على منهج التأويل بأن يريد بقوله وبحدوث خلقه على وجوده أى على صحة إيجاده له فيما بعد أى إعادته بعدالعدم يوم القيامة لأنه إذاصح منه تعالى إحداثه ابتداء صح منه إيجاده ثانيا على وجه الإعادة لأن الماهية قابلة للوجود والعدم والقادر قادر لذاته فأما من روى بحدوث خلقه على وجوده فإنه قدسقطت عنه هذه الكلف كلها والمعنى على هذاظاهر لأنه تعالى دل المكلفين بحدوث خلقه على أنه جواد منعم ومذهب أكثر المتكلمين أنه خلق العالم جودا وإنعاما وإحسانا إليهم . قوله ع وباشتباههم على أن لاشبه له هذادليل صحيح و ذلك لأنه إذاثبت أن جسما مامحدث ثبت أن سائر الأجسام محدثة لأن الأجسام متماثلة و كل ماصح على الشىء صح على مثله وكذلك إذاثبت أن سوادا ما أوبياضا مامحدث ثبت أن سائر السوادات والبياضات محدثة لأن حكم الشىء حكم مثله والسواد فى معنى [صفحه ۴۷] كونه سوادا غيرمختلف وكذلك البياض فصارت الدلالة هكذا الذوات التى عندنا يشبه بعضها بعضا وهى محدثة فلو كان البارى سبحانه يشبه شيئا منها لكان مثلها ولكان محدثا لأن حكم الشىء حكم مثله لكنه تعالى ليس بمحدث فليس بمشابه لشىء منها فقد صح إذا قوله ع وباشتباههم على أن لاشبه له . قوله ع ألذى صدق فى ميعاده لايجوز ألا يصدق لأن الكذب قبيح عقلا والبارى تعالى يستحيل منه من جهة الداعى والصارف أن يفعل القبيح . قوله ع وارتفع عن ظلم عباده هذا هومذهب أصحابنا المعتزلة و عن أمير المؤمنين ع أخذوه و هوأستاذهم وشيخهم فى العدل والتوحيد فأما الأشعرية فإنها و إن كانت تمتنع عن إطلاق القول بأن الله تعالى يظلم العباد إلاأنها تعطى المعنى فى الحقيقة لأن الله عندهم يكلف العباد ما لايطيقونه بل هوسبحانه عندهم لايكلفهم إلا ما لايطيقونه بل هوسبحانه عندهم لايقدر على أن يكلفهم مايطيقونه و ذلك لأن القدرة عندهم مع الفعل فالقاعد غيرقادر على القيام وإنما يكون قادرا على القيام عندحصول القيام ويستحيل عندهم أن يوصف البارى تعالى بإقدار العبد القاعد على القيام و هو مع ذلك مكلف له أن يقوم و هذاغاية ما يكون من الظلم سواء أطلقوا هذه اللفظة عليه أو لم يطلقوها. ثم أعاد الكلام الأول فى التوحيد تأكيدا فقال حدوث الأشياء دليل على قدمه وكونها عاجزة عن كثير من الأفعال دليل على قدرته وكونها فانية دليل على بقائه . فإن قلت أماالاستدلال بحدوث الأشياء على قدمه فمعلوم فكيف يكون الاستدلال على الأمرين الأخيرين [صفحه ۴۸] قلت إذاشاركه سبحانه بعض الموجودات فى كونه موجودا وافترقا فى أن أحدهما لايصح منه فعل الجسم و لاالكون و لاالحياة و لاالوجود المحدث ويصح ذلك من الموجودات القديمة دل على افتراقهما فى أمر لأجله صح من القديم ذلك وتعذر ذلك على المحدث و ذلك الأمر هو ألذى يسمى من كان عليه قادرا وينبغى أن تحمل لفظة العجز هاهنا على المفهوم اللغوى و هوتعذر الإيجاد لا على المفهوم الكلامى. و أماالاستدلال الثانى فينبغى أن يحمل الفناء هاهنا على المفهوم اللغوى و هوتغير الصفات وزوالها لا على المفهوم الكلامى فيصير تقدير الكلام لماكانت الأشياء التى بيننا تتغير وتتحول وتنتقل من حال إلى حال وعلمنا أن العلة المصححة لذلك كونها محدثة علمنا أنه سبحانه لايصح عليه التنقل والتغير لأنه ليس بمحدث ثم قال واحد لابعدد لأن وحدته ذاتية وليست صفة زائدة عليه و هذا من الأبحاث الدقيقة فى علم الحكمة و ليس هذاالكتاب موضوعا لبسط القول فى أمثاله . ثم قال دائم لابأمد لأنه تعالى ليس بزمانى وداخل تحت الحركة والزمان و هذاأيضا من دقائق العلم الإلهى والعرب دون أن تفهم هذا أوتنطق به ولكن هذا الرجل كان ممنوحا من الله تعالى بالفيض المقدس والأنوار الربانية. ثم قال قائم لابعمد لأنه لما كان فى الشاهد كل قائم فله عماد يعتمد عليه أبان ع تنزيهه تعالى عن المكان وعما يتوهمه الجهلاء من أنه مستقر على عرشه بهذه اللفظة ومعنى القائم هاهنا ليس مايسبق إلى الذهن من أنه المنتصب بل ماتفهمه من قولك فلان قائم بتدبير البلد وقائم بالقسط. ثم قال تتلقاه الأذهان لابمشاعرة أى تتلقاه تلقيا عقليا ليس

كمايتلقى الجسم الجسم بمشاعره وحواسه وجوارحه و ذلك لأن تعقل الأشياء و هوحصول صورها [صفحه ۴۹] فى العقل بريئة من المادة والمراد بتلقيه سبحانه هاهنا تلقى صفاته لاتلقى ذاته تعالى لأن ذاته تعالى لاتتصورها العقول وسيأتى إيضاح أن هذامذهبه ع . ثم قال وتشهد له المرائى لابمحاضرة المرائى جمع مرئى و هوالشىء المدرك بالبصر يقول المرئيات تشهد بوجود البارى لأنه لو لاوجوده لماوجدت و لو لم توجد لم تكن مرئيات وهى شاهدة بوجوده لاكشهادتها بوجود الأبصار لأنها شهدت بوجود الأبصار لحضورها فيها و أماشهادتها بوجود البارى فليست بهذه الطريق بل بما ذكرناه والأولى أن يكون المرائى هاهنا جمع مرآة بفتح الميم من قولهم هوحسن فى مرآة عينى يقول إن جنس الرؤية يشهد بوجود البارى من غيرمحاضرة منه للحواس . قوله ع لم تحط به الأوهام إلى قوله ع وإليها حاكمها هذاالكلام دقيق ولطيف والأوهام هاهنا هى العقول يقول إنه سبحانه لم تحط به العقول أى لم تتصور كنه ذاته ولكنه تجلى للعقول بالعقول وتجليه هاهنا هوكشف مايمكن أن تصل إليه العقول من صفاته الإضافية والسلبية لا غير وكشف مايمكن أن تصل إليه العقول من أسرار مخلوقاته فأما غير ذلك فلا و ذلك لأن البحث النظرى قددل على أنا لم نعلم منه سبحانه إلاالإضافة والسلب أماالإضافة فكقولنا عالم قادر و أماالسلب فكقولنا ليس بجسم و لاعرض و لايرى فأما حقيقة الذات المقدسة المخصوصة من حيث هى هى فإن العقل لايتصورها و هذامذهب الحكماء وبعض المتكلمين من أصحابنا و من غيرهم . ثم قال وبالعقول امتنع من العقول أى وبالعقول وبالنظر علمنا أنه تعالى يمتنع أن تدركه العقول . ثم قال و إلى العقول حكم العقول أى جعل العقول المدعية أنها أحاطت [صفحه ۵۰] به وأدركته كالخصم له سبحانه ثم حاكمها إلى العقول السليمة الصحيحة النظر فحكمت له سبحانه على العقول المدعية لماليست أهلا له . واعلم أن القول بالحيرة فى جلال ذات البارى والوقوف عندحد محدود لايتجاوزه العقل قول مازال فضلاء العقلاء قائلين به

من أشعار الشارح فى المناجاة

و من شعرى ألذى أسلك فيه مسلك المناجاة عندخلواتى وانقطاعى بالقلب إليه سبحانه قولى و الله لا موسى و لاعيسى || المسيح و لا محمد علموا و لاجبريل و هو || إلى محل القدس يصعد كلا و لاالنفس البسيطة || لا و لاالعقل المجرد من كنه ذاتك غيرأنك || واحدى الذات سرمد وجدوا إضافات وسلبا || والحقيقة ليس توجد ورأوا وجودا واجبا || يفنى الزمان و ليس ينفد فلتخسأ الحكماء عن || جرم له الأفلاك تسجد من أنت يارسطو و من || أفلاط قبلك يامبلد و من ابن سينا حين قرر || مابنيت له وشيد هل أنتم إلاالفراش || رأى الشهاب و قدتوقد فدنا فأحرق نفسه || و لواهتدى رشدا لأبعد . [صفحه ۵۱] ومما قلته أيضا فى قصور العقل عن معرفته سبحانه و تعالى فيك ياأعجوبة الكون || غدا الفكر كليلا أنت حيرت ذوى اللب || وبلبلت العقولا كلما أقدم فكرى || فيك شبرا فر ميلا ناكصا يخبط فى عمياء || لايهدى السبيلا و لى فى هذاالمعنى فيك ياأغلوطة الفكر || تاه عقلى وانقضى عمرى سافرت فيك العقول فما || ربحت إلاأذى السفر رجعت حسرى و ماوقفت || لا على عين و لاأثر فلحى الله الألى زعموا || أنك المعلوم بالنظر كذبوا إن ألذى طلبوا || خارج عن قوة البشر . و قلت أيضا فى المعنى أفنيت خمسين عاما معملا نظرى || فيه فلم أدر ماآتى و ماأذر من كان فوق عقول القائسين فما || ذا يدرك الفكر أو مايبلغ النظر . و لى أيضا حبيبى أنت لازيد وعمرو || و إن حيرتنى وفتنت دينى طلبتك جاهدا خمسين عاما || فلم أحصل على برد اليقين [صفحه ۵۲] فهل بعدالممات بك اتصال || فأعلم غامض السر المصون نوى قذف وكم قدمات قبلى || بحسرته عليك من القرون . و من شعرى أيضا فى المعنى وكنت أنادى به ليلا فى مواضع مقفرة خالية من الناس بصوت رفيع وأجدح قلبى أيام كنت مالكا أمرى مطلقا من قيود الأهل والولد وعلائق الدنيا يامدهش الألباب والفطن || ومحير التقوالة اللسن أفنيت

فيـك العمر أنفقه || والمال مجانا بلا ثمن أتتبع العلماء أسألهم || وأجول فى الآفاق والمـدن وأخالط الملل التى اختلفت || فى الـدين حتـى عابـد الوثن وظننت أنى بـالغ غرضـى || لمااجتهـدت ومبرئ شجنى ومطهر من كـل رجس هوى || قلبى بـذاك وغاسـل درنى فـإذا ألـذى اسـتكثرت منه هو || الجانى على عظائم المحن فضللت فى تيه بلاـ علم || وغرقت فى يم بلا سفن ورجعت صـفر الكف مكتئبـا || حيران ذا هم وذا حزن أبكى وأنكت فى الثرى بيـدى || طورا وأدعم تـارة ذقنى وأصيح يا من ليس يعرفه || أحـد مـدى الأحقـاب والزمن يـا من له عنت الوجـوه و من || قرنت له الأعنـاق فى قرن آمنت ياجـذر الأـصم من الأعداد || بل يافتنةَ الفتن أن ليس تدرككَ العيون و أن || الرأى ذو أفن وذو غبن [صـفحه ۵۳] والكل أنت فكيف يدركه || بعض و أنت السر فى العلن . ومما قلته فى المعنى ناجيته ودعوته اكشف عن عشا || قلبى و عن بصرى و أنت النور وارفع حجابا قدسـدلت ستوره || دونى وهـل دون المحب سـتور فأجـابنى صه ياضـعيف فبعض ذا || قـدرامه موسـى فـدك الطـور أعجبنى هذاالمعنى فنقلته إلى لفظ آخر فقلت حبيبى أنت من دون البرايا || و إن لم أحظ منك بما أريد قنعت من الوصال بكشف حال || فقيـل ارجع فمطلبها بعيـد أ لم تسمع جواب سؤال موسـى || و ليس على مكانته مزيـد تعرض للـذى حاولت يوما || فـدك الصـخر واضـطرم الصـعيد . و لى فى هـذاالمعنى أيضا قـدحار فى النفس جميع الورى || والفكر فيها قدغـدا ضائعا وبرهن الكل على ماادعوا || و ليس برهانهم قاطعا من جهل الصـنعة عجزا فما || أجدره أن يجهل الصانعا . و لى أيضا فى الرد على الفلاسفة الـذين عللوا حركـة الفلـك بأنه أراد اسـتخراج الوضع أولا ليتشبه بالعقل المجرد فى كماله و أن كل ما له بالقوة فهو خارج إلى الفعـل تحير أربـاب النهى وتعجبوا || من الفلـك الأقصـى لمـاذا تحركـا فقيـل بطبع كالثقيـل إذاهوى || وقيـل اختيارا والمحقق شككا فرد حديث الطبع إذ كان دائرا || و ليس على سـمت قويم فيسلكا [صفحه ۵۴] وقيل لمن قال اختيارا فما ألـذى || دعاه إلى أن دار ركضا فأوشـكا فقالوا لوضع حادث يستجده || يعاقب منه مطلبا ثم متركا فقيل لهم هـذاالجنون بعينه || و لورامه منا امرؤ كان أعفكا و لو أن إنسانا غـدا ليس قصده || سوى الوضع واسـتخراجه عد مضـحكا . و لى أيضا فى الرد على من زعم أن النبى ص رأى الله سبحانه بالعين و هو ألـذى أنكرته عائشـة والعجب لقوم من أرباب النظر جهلوا ماأدركته امرأة من نساء العرب عجبت لقوم يزعمون نبيهم || رأى ربه بالعين تبا لهم تبا وهل تـدرك الأبصار غيرمكيف || وكيف تبيـح العين مايمنع القلبا إذا كان طرف القلب عن كنهه نبا || حسيرا فطرف العين عن كنهه أنبى . والمقطعات التى نظمتها فى إجلال البارى سبحانه عن أن تحيـط به العقول كثيرة موجودة فى كتبى ومصـنفاتى فلتلمـح من مظانهـا وغرضـنا بـإيراد بعضـها أن لهـا هنـا تشـييدا لماقاله أمير المؤمنين ع على فى هذاالباب . قوله ع ليس بذى كبر إلى قوله وعظم سلطانا معناه أنه تعالى يطلق عليه من أسمائه الكبير والعظيم و قـدورد بهما القرآن العزيز و ليس المراد بهما مايستعمله الجمهور من قولهم هـذاالجسم أعظم وأكبر مقـدارا من هذاالجسم بل المراد عظم شأنه وجلالة سـلطانه . والفلج النصـرة وأصـله سكون العين وإنما حركه ليوازن بين الألفاظ و ذلك [صفحه ۵۵] لأن الماضـى منه فلج الرجل على خصـمه بالفتح ومصدره الفلج بالسـكون فأما من روى وظهور الفلج بضـمتين فقد سقط عنه التأويل لأن الاسم من هـذااللفظ الفلـج بضم أول الكلمة فإذااستعملها الكاتب أوالخطيب جاز له ضم الحرف الثانى. وصادعا بهما مظهرا مجاهـدا وأصـله الشق . والأـمراس الحبال والواحـد مرس بفتـح الميم والراء مِنهَا فِى صِـغَرِ خَلقِ عَجِيبِ صَنعَةِ أَصـنَافِ مِنَ الحَيَوَانِ وَ لَو فَكّرُوا فِى عَظِيمِ القُـدرَةِ وَ جَسِـيمِ النّعمَـةِ لَرَجَعُوا إِلَى الطّرِيقِ وَ خَافُوا عَـذَابَ الحَرِيقِ وَ لَكِن القُلُوبُ عَلِيلَـةٌ وَ البَصَائِرُ مَدخُولَـةٌ أَ لَا يَنظُرُونَ إِلَى صَـغِيرِ مَا خَلَقَ كَيفَ أَحكَمَ خَلقَهُ وَ أَتقَنَ تَركِيبَهُ وَ فَلَقَ لَهُ السّـمعَ وَ البَصَـرَ وَ سَوّى لَهُ العَظمَ وَ البَشَرَ انظُرُوا إِلَى النّملَةِ فِى صِـغَرِ جُثّتِهَا وَ لَطَافَةِ هَيئَتِهَا لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحظِ البَصَـرِ وَ لَا بِمُستَدرَكِ الفِكرِ كَيفَ دَبّت عَلَى أَرضِـهَا وَ صُبّت عَلَى رِزقِهَا تَنقُلُ الحَبّةَ إِلَى جُحرِهَا وَ تُعِدّهَا فِى مُستَقَرّهَا تَجمَعُ فِى حَرّهَا لِبَردِهَا وَ فِى وِردِهَا لِصَدَرِهَا مَكفُولٌ بِرِزقِهَا مَرزُوقَةٌ بِوِفقِهَا لَا يُغفِلُهَا المَنّانُ وَ لَا يَحرِمُهَا الـدّيّانُ وَ لَو فِى الصّـفَا اليَابِسِ وَ الحَجَرِ الجَامِسِ وَ لَو فَكّرتَ فِى مَجَارِى أَكلِهَا وَ فِى عُلوِهَا وَ سُـفلِهَا وَ مَا فِى الجَوفِ

مِن شَرَاسِيفِ بَطنِهَا وَ مَا فِي الرّأسِ مِن عَينِهَا وَ أُذُنِهَا لَقَضَيتَ مِن خَلقِهَا عَجَباً وَ لَقِيتَ مِن وَصفِهَا تَعَباً [صفحه ۵۶] فَتَعَالَى ألّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا وَ بَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا لَم يَشرَكهُ فِي فِطرَتِهَا فَاطِرٌ وَ لَم يُعِنهُ عَلَى خَلقِهَا قَادِرٌ وَ لَو ضَرَبتَ فِي مَذَاهِبِ فِكرِكَ لِتَبلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلّتكَ الدّلَالَةُ إِلّا عَلَى أَنّ فَاطِرَ النّملَةِ هُوَ فَاطِرُ النّخلَةِ لِدَقِيقِ تَفصِيلِ كُلّ شَيءٍ وَ غَامِضِ اختِلَافِ كُلّ حَيّ وَ مَا الجَلِيلُ وَ اللّطِيفُ وَ الثّقِيلُ وَ الخَفِيفُ وَ القَوِيّ وَ الضّعِيفُ فِي خَلقِهِ إِلّا سَوَاءٌ وَ كَذَلِكَ السّمَاءُ وَ الهَوَاءُ وَ الرّيَاحُ وَ المَاءُ فَانظُر إِلَى الشّمسِ وَ القَمَرِ وَ النّبَاتِ وَ الشّجَرِ وَ المَاءِ وَ الحَجَرِ وَ اختِلَافِ هَذَا اللّيلِ وَ النّهَارِ وَ تَفَجّرِ هَذِهِ البِحَارِ وَ كَثرَةِ هَذِهِ الجِبَالِ وَ طُولِ هَذِهِ القِلَالِ وَ تَفَرّقِ هَذِهِ اللّغَاتِ وَ الأَلسُنِ المُختَلِفَاتِ فَالوَيلُ لِمَن أَنكَرَ المُقَدّرَ وَ جَحَدَ المُدَبّرَ زَعَمُوا أَنّهُم كَالنّبَاتِ مَا لَهُم زَارِعٌ وَ لَا لِاختِلَافِ صُوَرِهِم صَانِعٌ وَ لَم يَلجَئُوا إِلَى حُجّةٍ فِيمَا ادّعَوا وَ لَا تَحقِيقٍ لِمَا دَعَوا وَ هَل يَكُونُ بِنَاءٌ مِن غَيرِ بَانٍ أَو جِنَايَةٌ مِن غَيرِ جَانٍ مدخولة معيبة وفلق شق وخلق والبشر ظاهر الجلد. قوله ع وصبت على رزقها قيل هو على العكس أى وصب رزقها عليها والكلام صحيح و لاحاجة فيه إلى هذا والمراد كيف همت حتى انصبت على رزقها انصبابا أى انحطت عليه ويروى وضنت على رزقها بالضاد المعجمة والنون أى بخلت وجحرها بيتها. [صفحه ۵۷] قوله ع و فى وردها لصدرها أى تجمع فى أيام التمكن من الحركة لأيام العجز عنها و ذلك لأن النمل يظهر صيفا ويخفى فى شدة الشتاء لعجزه عن ملاقاة البرد. قوله ع رزقها وفقها أى بقدر كفايتها ويروى مكفول برزقها مرزوقة بوفقها. والمنان من أسماء الله تعالى العائد إلى صفاته الفعلية أى هوكثير المن والإنعام على عباده . والديان المجازى للعباد على أفعالهم قال تعالى إِنّا لَمَدِينُونَ أى مجزيون والحجر الجامس الجامد والشراسيف أطراف الأضلاع المشرفة على البطن –قرآن-۳۷۲-۳۸۹

فصل فى ذكر أحوال الذرة وعجائب النملة

واعلم أن شيخنا أباعثمان قدأورد فى كتاب الحيوان فى باب النملة والذرة وهى الصغيرة جدا من النمل كلاما يصلح أن يكون كلام أمير المؤمنين ع أصله ولكن أباعثمان قدفرع عليه قال الذرة تدخر فى الصيف للشتاء وتتقدم فى حال المهلة و لاتضيع أوقات إمكان الحزم ثم يبلغ من تفقدها وصحة تمييزها والنظر فى عواقب أمورها أنها تخاف على الحبوب التى ادخرتها للشتاء فى الصيف أن تعفن وتسوس فى [صفحه ۵۸] بطن الأرض فتخرجها إلى ظهرها لتنشرها وتعيد إليها جفوفها ويمر بهاالنسيم فينفى عنها اللخن والفساد. ثم ربما بل فى الأكثر تختار ذلك العمل ليلا لأن ذلك أخفى و فى القمر لأنها فيه أبصر فإن كان مكانها نديا وخافت أن تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من وسطها لعلمها أنها من ذلك الموضع تنبت وربما فلقت الحبة نصفين فأما إن كان الحب من حب الكزبرة فإنها تفلقه أرباعا لأن أنصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحبوب فهى من هذاالوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوانات حتى ربما كانت فى ذلك أحزم من كثير من الناس ولها مع لطافة شخصها وخفة وزنها فى الشم والاسترواح ما ليس لشىء فربما أكل الإنسان الجراد أوبعض مايشبه الجراد فيسقط من يده الواحدة أوصدر واحدة و ليس بقربه ذرة و لا له عهد بالذر فى ذلك المنزل فلايلبث أن تقبل ذرة قاصدة إلى تلك الجرادة فترومها وتحاول نقلها وجرها إلى جحرها فإذاأعجزتها بعد أن تبلى عذرا مضت إلى جحرها راجعة فلايلبث ذلك الإنسان أن يجدها قدأقبلت وخلفها كالخيط الأسود الممدود حتى يتعاون عليها فيحملنها فاعجب من صدق الشم لما لايشمه الإنسان الجائع ثم انظر إلى بعدالهمة والجرأة على محاولة نقل شىء فى وزن جسمها مائة مرة وأكثر من مائة مرة بل أضعاف أضعاف المائة و ليس شىء من الحيوان يحمل ما يكون أضعاف وزنه مرارا كثيرة غيرها. فإن قال قائل فمن أين علمتم أن التى حاولت نقل الجرادة فعجزت هى التى أخبرت صواحباتها من الذر وأنها التى كانت على مقدمتهن قيل له لطول التجربة ولأنا لم نر قط ذرة حاولت جر جرادة فعجزت عنها ثم [

صفحه ۵۹] رأيناها راجعة إلارأينا معها مثل ذلک و إن كنا لانفصل فی مرأی العين بينها و بين أخواتها فإنه ليس يقع فی القلب غير ألذی قلنا فدلنا ذلک علی أنها فی رجوعها عن الجرادة أنها إنما كانت لأشباهها كالرائد ألذی لايكذب أهله قال أبوعثمان و لاينكر قولنا إن الذرة توحی إلی أخواتها بما أشرنا إليه إلا من يكذب القرآن فإنه تعالی قال فی قصة سليمان قالَت نَملَةٌ يا أَيّهَا النّملُ ادخُلُوا مَساكِنَكُم لا يَحطِمَنّكُم سُلَيمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُم لا يَشعُرُونَ فَتَبَسّمَ ضاحِكاً مِن قَولِهافهل بعد هذاريب أوشک فی أن لها قولا وبيانا وتمييزا. فإن قلت فلعلها مكلفة ومأمورة ومنهية ومطيعة وعاصية قيل هذاسؤال جاهل و ذلک أنه لايلزم أن يكون كل ذی حس وتمييز مكلفا مأمورا منهيا مطيعا عاصيا لأن الإنسان غيرالبالغ الحلم قديحفظ القرآن وكثيرا من الآثار وضروبا من الأخبار ويشتری ويبيع ويخدع الرجال ويسخر بالمعلمين و هو غيرمكلف و لامأمور و لامنهی و لاعاص و لامطيع فلايلزم مما قلناه فی الذرة أن تكون مكلفة. قال أبوعثمان و من عجيب ماسمعته من أمر النملة ماحدثنی به بعض المهندسين عن رجل معروف بصنعة الأسطرلابات أنه أخرج طوقا من صفر أو قال من حديد من الكير و قدأحماه فرمی به علی الأرض ليبرد فاشتمل الطوق علی نملة فأرادت أن تنفر يمنة فلقيها وهج النار فأخذت يسرة فلقيها وهج النار فمضت قدما فكذاک فرجعت إلی خلفها فكذلک فرجعت إلی وسط الدائرة فوجدها قدماتت فی موضع رجل البركار من الدائرة و هذا من العجائب . قال أبوعثمان وحدثنی أبوعبيد الله الأفوه و ماكنت أقدم عليه فی زمانه من مشايخ -قرآن-۳۵۱-۴۹۴ [صفحه ۶۰] المعتزلة إلاالقليل قال قدكنت ألقی من الذر والنمل فی الرطب يكون عندی و فی الطعام عنتا كثيرا و ذلک لأنی كنت لاأستقذر النملة و لاالذرة ثم وجدت الواحدة منهما إذاوقعت فی قارورة بان أوزئبق أوخيری فسد ذلک الدهن وزنخ فقذرتها ونفرت منها و قلت أخلق بطبيعتها أن تكون فاسدة خبيثة وكنت أری لها عضا منكرا فأقول إنها من ذوات السموم و لو أن بدن النملة زيد فی أجزائه حتی يلحق ببدن العقرب ثم عضت إنسانا لكانت عضتها أضر عليه من لسعة العقرب . قال فاتخذت عند ذلک لطعامی منملة وقيرتها وصببت فی خندقها الماء ووضعت سلة الطعام علی رأسها فغبرت أياما أكشف رأس السلة بعد ذلک و فيهاذر كثير ووجدت الماء فی الخندق علی حاله فقلت عسی أن يكون بعض الصبيان أنزلها وأكل مما فيها وطال مكثها فی الأرض و قددخلها الذر ثم أعيدت علی تلک الحال وتكلمت فی ذلک وتعرفت الحال فيه فعرفت البراءة فی عذرهم والصدق فی خبرهم فاشتد تعجبی وذهبت بی الظنون والخواطر كل مذهب فعزمت علی أن أرصدها وأحرسها وأتثبت فی أمری وأتعرف شأنی فإذاهی بعد أن رامت الخندق فامتنع عليها تركته جانبا وصعدت فی الحائط ثم مرت علی جذع السقف فلما صارت محاذية للسلة أرسلت نفسها فقلت فی نفسی انظر كيف اهتدت إلی هذه الحيلة و لم تعلم أنها تبقی محصورة. ثم قلت و ماعليها أن تبقی محصورة بل أی حصار علی ذرة و قدوجدت ماتشتهی. قال أبوعثمان و من أعاجيب الذرة أنها لاتعرض لجعل و لالجرادة و لالخنفساء و لالبنت وردان ما لم يكن بهاحبل أوعقر أوقطع رجل أويد فإن وجدت بها من ذلک أدنی علة وثبت عليها حتی لو أن حية بهاضربة أوخرق أوخدش ثم كانت من [صفحه ۶۱] ثعابين مصر لوثب عليها الذر حتی يأكلها و لاتكاد الحية تسلم من الذر إذا كان بهاأدنی عقر. قال أبوعثمان و قدعذب الله بالذر والنمل أمما وأمما وأخرج أهل قری من قراهم و أهل دروب من دروبهم . وحدثنی بعض من أصدق خبره قال سألت رجلا كان ينزل ببغداد فی بعض الدروب التی فی ناحية باب الكوفة التی جلا أهلها عنها لغلبة النمل والذر عليها فسألته عن ذلک فقال و ماتصنع بالحديث امض معی إلی داری التی أخرجنی منها النمل قال فدخلتها معه فبعث غلامه فاشتری رءوسا من الرأسين ليتغذی بهافانتقلنا هربا من النمل فی أكثر من عشرين مكانا ثم دعا بطست ضخمة وصب فيهاماء صالحا ثم فرق عظام الرءوس فی الدار ومعه غلمانه فكان كلما اسود منها عظم لكثرة النمل واجتماعه عليه و ذلک فی أسرع الأوقات أخذه الغلام ففرغه فی الطست بعود ينثر به ما عليه فی جوف الطست فما لبثنا مقدار ساعة من النهار حتی فاضت الطست نملا فقال كم تظن أنی فعلت مثل هذاقبل الجلاء طمعا فی أن أقطع أصلها فلما رأيت عددها إما زائدا وإما ثابتا وجاءنا ما

لايصبر عليه أحد و لايمكن معه مقام خرجت عنها. قال أبوعثمان وعذب عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشى بأنواع العذاب فقيل له إن أردت ألا يفلح أبدا فمرهم فلينفخوا فى دبره النمل ففعلوا فلم يفلح بعدها. [صفحه ۶۲] قال أبوعثمان و من الحيوان أجناس يشبه الإنسان فى العقل والروية والنظر فى العواقب والفكر فى الأمور مثل النمل والذر والفأر والجرذان والعنكبوت والنحل إلا أن النحل لايدخر من الطعم إلاجنسا واحدا و هوالعسل . قال وزعم البقطرى أنك لوأدخلت نملة فى جحر ذر لأكلتها حتى تأتى على عامتها وذكر أنه قدجرب ذلك . قال وزعم صاحب المنطق أن الضبع تأكل النمل أكلا ذريعا لأنها تأتى قرية النمل وقت اجتماع النمل على باب القرية فتلحس ذلك النمل كله بلسانها بشهوة شديدة وإرادة قوية. قال وربما أفسدت الأرضة على أهل القرى منازلهم وأكلت كل شىءلهم فلاتزال كذلك حتى ينشأ فى تلك القرى النمل فيسلط الله عز و جل ذلك النمل على تلك الأرضة حتى تأتى على آخرها على أن النمل بعد ذلك سيكون له أذى إلا أنه دون أذى الأرضة بعيدا و ماأكثر مايذهب النمل أيضا من تلك القرى حتى يتم لأهلها السلامة من النوعين جميعا. قال و قدزعم بعضهم أن تلك الأرضة بأعيانها تستحيل نملا و ليس فناؤها لأكل النمل لها ولكن الأرضة نفسها تستحيل نملا فعلى قدر مايستحيل منها يرى الناس النقصان فى عددها ومضرتها على الأيام . قال أبوعثمان و كان ثمامة يرى أن الذر صغار النمل ونحن نراه نوعا آخر كالبقر والجواميس . قال و من أسباب هلاك النمل نبات أجنحته و قال الشاعر و إذااستوت للنمل أجنحة || حتى يطير فقد دنا عطبه . [صفحه ۶۳] و كان فى كتاب عبدالحميد إلى أبى مسلم لوأراد الله بالنملة صلاحا لماأنبت لها جناحا فيقال إن أبامسلم لماقرأ هذاالكلام فى أول الكتاب لم يتم قراءته وألقاه فى النار و قال أخاف إن قرأته أن ينخب قلبى. قال أبوعثمان ويقتل النمل بأن يصب فى أفواه بيوتها القطران والكبريت الأصفر و أن يدس فى أفواهها الشعر على أنا قدجربنا ذلك فوجدناه باطلا.فأما الحكماء فإنهم لايثبتون للنمل شراسيف و لاأضلاعا ويجب إن صح قولهم أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع على اعتقاد الجمهور ومخاطبة العرب بما تتخيله وتتوهمه حقا وكذلك لايثبت الحكماء للنمل آذانا بارزة عن سطوح رءوسها ويجب إن صح ذلك أن نحمل كلام أمير المؤمنين ع على قوة الإحساس بالأصوات فإنه لايمكن الحكماء إنكار وجود هذه القوة للنمل ولهذا إذاصيح عليهن هربن . ويذكر الحكماء من عجائب النمل أشياء منها أنه لاجلد له وكذلك كل الحيوان المخرز. ومنها أنه لايوجد فى صقلية نمل كبار أصلا. ومنها أن النمل بعضه ماش وبعضه طائر. ومنها أن حراقة النمل إذاأضيف إليها شىء من قشور البيض وريش هدهد وعلقت على العضد منعت من النوم قوله ع و لوضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته أى غايات فكرك وضربت بمعنى سرت والمذاهب الطرق قال تعالى وَ إِذا ضَرَبتُم فِى –قرآن–۱۱۵–۱۳۴ قوله ع و لوضربت فى مذاهب فكرك لتبلغ غاياته أى غايات فكرك وضربت بمعنى سرت والمذاهب الطرق قال تعالى وَ إِذا ضَرَبتُم فِى الأَرضِ و هذاالكلام استعارة. قال لوأمعنت النظر لعلمت أن خالق النملة الحقيرة هوخالق النخلة الطويلة لأن كل شىء من الأشياء تفصيل جسمه وهيئته تفصيل دقيق واختلاف تلك الأجسام فى أشكالها وألوانها ومقاديرها اختلاف غامض السبب فلابد للكل من مدبر يحكم بذلك الاختلاف ويفعله على حسب مايعلمه من المصلحة. ثم قال و ماالجليل والدقيق فى خلقه إلاسواء لأنه تعالى قادر لذاته لايعجزه شىء من الممكنات . ثم قال فانظر إلى الشمس والقمر إلى قوله والألسن المختلفات هذا هوالاستدلال بإمكان الأعراض على ثبوت الصانع والطرق إليه أربعة أحدها الاستدلال بحدوث الأجسام . والثانى الاستدلال بإمكان الأعراض والأجسام . والثالث الاستدلال بحدوث الأعراض . والرابع الاستدلال بإمكان الأعراض . وصورة الاستدلال هو أن كل جسم يقبل للجسمية المشتركة بينه و بين سائر الأجسام مايقبله غيره من الأجسام فإذااختلفت الأجسام فى الأعراض فلابد من مخصص خصص هذاالجسم بهذا العرض دون أن يكون هذاالعرض لجسم آخر و يكون لهذا الجسم عرض غير هذاالعرض لأن الممكنات لابد لها من مرجح يرجح أحد طرفيها على الآخر فهذا هومعنى قوله فانظر إلى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذاالليل والنهار وتفجر هذه البحار

وكثرة هـذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات أى أنه يمكن أن تكون هيئة -قرآن-١-٨ [صفحه ٦٥] الشمس وضوءها ومقدارها حاصلا لجرم القمر ويمكن أن يكون النبات ألذى لاساق له شجرا والشجر ذو الساق نباتا ويمكن أن يكون الماء صلبا والحجر مائعا ويمكن أن يكون زمان الليل مضيئا وزمان النهار مظلما ويمكن ألا تكون هـذه البحار متفجرة بـل تكون جبالاـ ويمكن ألاـ تكون هـذه الجبـال الكبيرة كبيرة ويمكن ألا تكون هـذه القلال طويلـة وكـذلك القول فى اللغات واختلافها و إذا كان كل هـذاممكنا فاختصاص الجسم المخصوص بالصـفات والأعراض والصور المخصوصة لايمكن أن يكون لمجرد الجسمية لتماثل الأجسام فيها فلابد من أمر زائد و ذلك الأمر الزائد هوالمعنى بقولنا صانع العالم . ثم سفه آراء المعطلة و قال إنهم لم يعتصـموا بحجة و لم يحققوا ماوعوه أى لم يرتبوا العلوم الضـرورية ترتيبا صـحيحا يفضـى بهم إلى النتيجة التى هى حق . ثم أخـذ فى الرد عليهم من طريق أخرى وهى دعوى الضـرورة و قداعتمـد عليهـا كثير من المتكلمين فقال نعلم ضـرورة أن البناء لابـد له من بان . ثم قال والجنايـة لابـد لها من جان و هذه كلمة ساقته إليها القرينة والمراد عموم الفعلية لاخصوص الجناية أى مسـتحيل أن يكون الفعل من غيرفاعل والـذين ادعوا الضـرورة فى هذه المسألة من المتكلمين اسـتغنوا عن الطرق الأربع التى ذكرناها و أمير المؤمنين ع اعتمـد أولا على طريق واحـدة ثم جنـح ثانيا إلى دعوى الضـرورة وكلا الطريقين صـحيح وَ إِن شِئتَ قُلتَ فِي الجَرَادَةِ إِذ خَلَقَ لَهَا عَينَينِ حَمرَاوَينِ وَ أَسرَجَ لَهَا [صفحه ٦٦] حَدَقَتَينِ قَمرَاوَينِ وَ جَعَلَ لَهَا السّـمعَ الخفَيّ وَ فَتَحَ لَهَا الفَمَ السوّيّ وَ جَعَـلَ لَهَـا الحِسّ القوَيِّ وَ نَـابَينِ بِهِمَـا تَقرِضُ وَ مِنجَلَينِ بِهِمَـا تَقبِضُ يَرهَبُهَـا الزّرّاعُ فِي زَرعِهِم وَ لَا يَستَطِيعُونَ ذَبّهَا وَ لَو أَجلَبُوا بِجَمعِهِم حَتّى تَرِدَ الحَرثَ فِي نَزَوَاتِهَا وَ تقَضـِي مِنهُ شَـهَوَاتِهَا وَ خَلقُهَا كُلّهُ لَا يُكَوّنُ إِصبَعاً مُستَدِقّةً فَتَبَارَكَ أَلّذِى يَسجُدُ لَهُ مَن فِي السّـمَوَاتِ وَ الأَرضِ طَوعاً وَ كَرهاً وَ يُعَفّرُ لَهُ خَـدّاً وَ وَجهاً وَ يلُقيِ بِالطّاعَـةِ إِلَيهِ سِـلماً وَ ضَـعفاً وَ يُعطِي القِيَادَ رَهبَـةً وَ خَوفاً فَالطّيرُ مُسَـخّرَةٌ لِأَمرِهِ أَحصَى عَدَدَ الرّيشِ مِنهَا وَ النّفَسِ وَ أَرسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النّدَى وَ اليَبَسِ وَ قَدّرَ أَقوَاتَهَا وَ أَحصَى أَجنَاسَهَا فَهَذَا غُرَابٌ وَ هَـذَا عُقَـابٌ وَ هَـذَا حَمَـامٌ وَ هَـذَا نَعَامٌ دَعَا كُلّ طَائِرٍ بِاسـمِهِ وَ كَفَلَ لَهُ بِرِزقِهِ وَ أَنشَأَ السّـحَابَ الثّقَالَ فَأَهطَلَ دِيَمَهَا وَ عَـدّدَ قِسَـمَهَا فَبَلّ الأَرضُ بَعدَ جُفُوفِهَا وَ أَخرَجَ نَبتَهَا بَعدَ جُدُوبِهَا قوله وأسرج لها حدقتين أى جعلهما مضيئتين كمايضىء السراج ويقال حدقة قمراء أى منيرة كمايقال ليلة قمراء أى نيرة بضوء القمر. وبهما تقرض أى تقطع والراء مكسورة. والمنجلان رجلاها شبههما بالمناجل لعوجهما وخشونتهما. ويرهبها يخافها ونزواتها وثباتها والجدب المحل [صفحه ٦٧]

ذكر غرائب الجراد و ماّاحتوت عليه من صنوف الصنعة

قـال شـيخنا أبوعثمـان فى كتـاب الحيوان من عجـائب الجرادة التماسـها لبيضـها الموضع الصـلد والصـخور الملس ثقـة منهـا أنها إذاضـربت بأذنابهـا فيهـاانفرجت لها ومعلوم أن ذنب الجرادة ليس فى خلقـة المنشار و لاطرف ذنبه كحـد السـنان و لالها من قوة الأسـر و لالـذنبها من الصـلابة ما إذااعتمـدت به على الكدية خرج فيهاكيف وهى تتعدى إلى ما هوأصـلب من ذلك و ليس فى طرفهـا كـإبرة العقرب و على أن العقرب ليس تخرق القمقم من جهـد الأيـد وقوة البـدن بـل إنمـا ينفرج لها بطبع مجعول هناك وكـذاك انفراج الصـخور لأذنـاب الجراد. و لـو أن عقابـا أرادت أن تخرق جلـد الجـاموس لمـاانخرق لهـا إلابـالتكلف الشـديد والعقاب هى التى تنكـدر على الـذئب الأطلس فتقد بدابرتها ما بين صـلاه إلى موضع الكاهل . فإذاغرزت الجرادة وألقت بيضـها وانضـمت عليها تلك الأخاديد التى هى أحدثها وصارت كالأفاحيص لها صارت حاضـنة لها ومربية وحافظة وصائنة وواقية حتى إذاجاء وقت دبيب الروح فيهاحـدث عجب آخر و ذلك لأنه يخرج من بيضه [صـفحه ٦٨] أصهب إلى البياض ثم يصفر وتتلون فيه خطوط إلى السواد ثم يصـير فيه خطوط سود وبيض ثم يبـدو حجم جنـاحه ثم يسـتقل فيموج بعضه فى بعض . قال أبوعثمان

ويزعم قوم أن الجراد قديريد الخضرة ودونه النهر الجارى فيصير بعضه جسرا لبعض حتى يعبر إلى الخضرة و أن ذلك حيلة منها. و ليس كمازعموا ولكن الزحف الأول من الدباء يريد الخضرة فلايستطيعها إلابالعبور إليها فإذاصارت تلك القطعة فوق الماء طافية صارت لعمرى أرضا للزحف الثانى ألذى يريد الخضرة فإن سموا ذلك جسرا استقام فأما أن يكون الزحف الأول مهد للثانى ومكن له وآثره بالكفاية فهذا ما لايعرف و لو أن الزحفين جميعا أشرفا على النهر وأمسك أحدهما عن تكلف العبور حتى يمهد له الآخر لكان لماقالوه وجه . قال أبوعثمان ولعاب الجراد سم على الأشجار لايقع على شىء إلاأحرقه .فأما الحكماء فيذكرون فى كتبهم أن أرجل الجراد تقلع الثآليل و أنه إذاأخذت منه اثنتا عشرة جرادة ونزعت رءوسها وأطرافها وجعل معها قليل آس يابس وشربت للاستسقاء كماهى نفعت نفعا بينا و أن التبخر بالجراد ينفع من عسر البول وخاصة فى النساء و أن أكله ينفع من تقطيره و قديبخر به للبواسير وينفع أكله من لسعة العقرب . ويقال إن الجراد الطوال إذاعلق على من به حمى الربع نفعه [صفحه ۶۹]

۲۳۲– و من خطبة له ع فى التوحيد

وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لاتجمعه خطبة غيرها مَا وَحّدَهُ مَن كَيفَهُ وَ لَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَن مَثّلَهُ وَ لَا إِيّاهُ عَنَى مَن شَبّهَهُ وَ لَا صَمَدَهُ مَن أَشَارَ إِلَيهِ وَ تَوَهّمَهُ كُلّ مَعرُوفٍ بِنَفسِهِ مَصنُوعٌ وَ كُلّ قَائِم فِي سِوَاهُ مَعلُولٌ فَاعِلٌ لَا بِاضطِرَابِ آلَةٍ مُقَدّرٌ لَا بِجَولِ فِكرَةٍ غَنِيّ لَا بِاستِفَادَةٍ لَا تَصحَبُهُ الأَوقَاتُ وَ لَا تَرفِدُهُ الأَدَوَاتُ سَبَقَ الأَوقَاتَ كَونُهُ وَ العَدَمَ وُجُودُهُ وَ الِابتِدَاءَ أَوّلُهُ هذاالفصل يشتمل على مباحث متعددة أولها قوله ماوحده من كيفه و هذاحق لأنه إذاجعله مكيفا جعله ذا هيئة وشكل أوذا لون وضوء إلى غيرهما من أقسام الكيف ومتى كان كذلك كان جسما و لم يكن واحدا لأن كل جسم قابل للانقسام والواحد حقا لايقبل الانقسام فقد ثبت أنه ماوحده من كيفه . وثانيها قوله و لاحقيقته أصاب من مثله و هذاحق لأنه تعالى لامثل له و قددلت الأدلة الكلامية والحكمية على ذلك فمن أثبت له مثلا فإنه لم يصب [صفحه ۷۰] حقيقته تعالى والسجعة الأخرى تعطى هذاالمعنى أيضا من غيرزيادة عليه وهى قوله ع و لاإياه عنى من شبهه ولهذا قال شيوخنا إن المشبه لايعرف الله و لاتتوجه عباداته وصلواته إلى الله تعالى لأنه يعبد شيئا يعتقده جسما أويعتقده مشابها لبعض هذه الذوات المحدثة والعبادة تنصرف إلى المعبود بالقصد فإذاقصد بها غير الله تعالى لم يكن قد عبد الله سبحانه و لاعرفه وإنما يتخيل ويتوهم أنه قدعرفه وعبده و ليس الأمر كماتخيل وتوهم . وثالثها قوله ع و لاصمده من أشار إليه أى أثبته فى جهة كماتقول الكرامية الصمد فى اللغة العربية السيد والصمد أيضا ألذى لاجوف له وصار التصميد فى الاصطلاح العرفى عبارة عن التنزيه و ألذى قال ع حق لأن من أشار إليه أى أثبته فى جهة كماتقوله الكرامية فإنه ماصمده لأنه مانزهه عن الجهات بل حكم عليه بما هو من خواص الأجسام وكذلك من توهمه سبحانه أى من تخيل له فى نفسه صورة أوهيئة أوشكلا فإنه لم ينزهه عما يجب تنزيهه عنه . ورابعها قوله كل معروف بنفسه مصنوع هذاالكلام يجب أن يتأول ويحمل على أن كل معروف بالمشاهدة والحس فهو مصنوع و ذلك لأن البارى سبحانه معروف من طريقين إحداهما من أفعاله والأخرى بنفسه وهى طريقة الحكماء الذين بحثوا فى الوجود من حيث هووجود فعلموا أنه لابد من موجود واجب الوجود فلم يستدلوا عليه بأفعاله بل أخرج لهم البحث فى الوجود أنه لابد من ذات يستحيل عدمها من حيث هى هى. فإن قلت كيف يحمل كلامه على أن كل معروف بالمشاهدة والحس فهو مصنوع و هذايدخل فيه كثير من الأعراض كالألوان و إذادخل ذلك فسدت عليه الفقرة الثانية [صفحه ۷۱] وهى قوله ع و كل قائم فيما سواه معلول لأنها للأعراض خاصة فيدخل أحد مدلول الفقرتين فى الأخرى فيختل النظم قلت يريد ع بالفقرة الأولى كل معروف بنفسه من طريق المشاهدة مستقلا

بـذاته غيرمفتقر فی تقومه إلی غيره فهو مصـنوع و هـذايختص بالأجسام خاصـة و لايـدخل الألوان وغيرها من الأعراض فيه لأنها متقومـة بمحالها. وخامسـها قوله و كل قائم فی سواه معلول أی و كل شـیءيتقوم بغيره فهو معلول و هـذاحق لامحالة كالأعراض لأنها لوكانت واجبـة لاسـتغنت فی تقومها عن سواها لكنها مفتقرة إلی المحل ألذی يتقوم به ذواتها فإذاهی معلولة لأن كل مفتقر إلی الغير فهو ممكن فلابـد له من مؤثر. وسادسـها قوله فاعـل لاباضـطراب آلـة هـذالبيان الفرق بينه وبيننـا فإننـا نفعـل بالآلات و هوسـبحانه قادر لـذاته فاسـتغنی عن الآلـة. وسابعها قوله مقـدر لابجول فكرة هـذاأيضا للفرق بيننا وبينه لأنا إذاقدرنا أجلنا أفكارنا وترددت بنا الـدواعی و هوسـبحانه يقـدر الأشـياء علی خلاف ذلك . وثامنها قوله غنی لاباسـتفادة هذاأيضا للفرق بيننا وبينه لأن الغنی منـا من يسـتفيد الغنی بسـبب خارجی و هوسـبحانه غنی بـذاته من غيراسـتفادة أمر يصـير به غنيا والمراد بكونه غنيا أن كل شیء من الأشـياء يحتاج إليه و أنه سـبحانه لايحتاج إلی شـیء من الأشياء أصلا. وتاسعها قوله لاتصحبه الأوقات هذابحث شريف جـدا و ذلك لأنه سـبحانه ليس بزمان و لاقابل للحركـة فـذاته فوق الزمان والـدهر أماالمتكلمون فإنهم يقولون [صـفحه ٧٢] إنه تعـالی كـان و لازمان و لاوقت و أماالحكماء فيقولون إن الزمان عرض قائم بعرض آخر و ذلك العرض الآخر قائم بجسم معلول لبعض المعلولات الصادرة عنه سـبحانه فالزمان عنـدهم و إن كان لم يزل إلا أن العلـة الأولی ليست واقعة تحته و ذلك هوالمراد بقوله لاتصـحبه الأوقات إن فسـرناه علی قولهم وتفسيره علی قول المتكلمين أولی . وعاشرها قوله و لاترفده الأدوات رفدت فلانا إذاأعنته والمراد الفرق بيننا وبينه لأننا مرفودون بالأدوات ولولاها لم يصح منا الفعل و هوسـبحانه بخلاف ذلك . وحادی عشـرها قوله سـبق الأوقات كونه إلی آخر الفصل هذاتصـريح بحـدوث العالم . فإن قلت مامعنی قوله والعـدم وجوده وهل يسـبق وجوده العـدم مع كون عـدم العالم فی الأزل لاأول له قلت ليس يعنی بالعدم هاهنا عدم العالم بل عدم ذاته سـبحانه أی غلب وجود ذاته عـدمها وسـبقها فوجب له وجود يسـتحيل تطرق العدم إليه أزلا وأبدا بخلاف الممكنات فإن عدمها سابق بالذات علی وجودها و هذادقيق بِتَشعِيرِهِ المَشَاعِرَ عُرِفَ أَن لَا مَشـعَرَ لَهُ وَ بِمُضَادّتِهِ بَينَ الأُمُورِ عُرِفَ أَن لَا ضِدّ لَهُ وَ بِمُقَارَنَتِهِ بَينَ الأَشيَاءِ عُرِفَ أَن لَا قَرِينَ لَهُ ضَادّ النّورَ بِالظّلمَةِ وَ الوُضُوحَ بِالبُهمَةِ وَ الجُمُودَ بِالبَلَلِ وَ الحَرُورَ بِالصّردِ [صفحه ٧٣] مُؤَلّفٌ بَينَ مُتَعَادِيَاتِهَا مُقَارِنٌ بَينَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرّبٌ بَينَ مُتَبَاعِدَاتِهَا مُفَرّقٌ بَينَ مُتَدَانِيَاتِهَا لَا يُشـمَلُ بِحَدّ وَ لَا يُحسَبُ بِعَدّ وَ إِنّمَا تَحُدّ الأَدَوَاتُ أَنفُسَـهَا وَ تُشِـيرُ الآلَاتُ إِلَی نَظَائِرِهَا المشاعر الحواس قال بلعاء بن قيس والرأس مرتفع فيه مشاعره || يهدی السبيل له سـمع وعينان . قال بجعله تعالی المشاعر عرف أن لامشـعر له و ذلك لأن الجسم لايصح منه فعل الأجسام و هذا هوالدليل ألذی يعول عليه المتكلمون فی أنه تعالی ليس بجسم . ثم قـال وبمضـادته بين الأـمور عرف أن لاضـد له و ذلـك لأـنه تعـالی لمادلنـا بالعقل علی أن الأمور المتضادة إنما تتضاد علی موضوع تقوم به وتحله كـان قـددلنا علی أنه تعـالی لاضـد له لأـنه يسـتحيل أن يكون قائمـا بموضوع يحله كمـاتقوم المتضادات بموضوعاتهـا. ثم قـال وبمقـارنته بين الأشـياء عرف أن لاـقرين له و ذلـك لأـنه تعـالی قرن بين العرض والجوهر بمعنی اسـتحالة انفكـاك أحـدهما عن الآـخر وقرن بين كثير من الأـعراض نحو مـايقوله أصـحابنا فی حياتی القلب والكبـد ونحو الإضافات التی يـذكرها الحكماء كالبنوة والأبوة والفوقيـة والتحتية ونحو كثير من العلل والمعلولات والأسباب والمسببات فيما ركبه فی العقول من وجوب هـذه المقارنة واسـتحالة انفكاك أحد الأمرين [صـفحه ٧٤] عن الآـخر علمنا أنه لاقرين له سـبحانه لأنه لوقارن شـيئا علی حسب هـذه المقارنـة لاسـتحال انفكـاكه عنه فكـان محتاجـا فی تحقق ذاته تعـالی إليه و كل محتاج ممكن فواجب الوجود ممكن هـذامحال . ثم شـرع فی تفصـيل المتضـادات فقـال ضاد النور بالظلمـة وهما عرضان عنـدكثير من الناس وفيهم من يجعل الظلمة عدمية. قال والوضوح بالبهمة يعنی البياض والسواد. قال والجمود بالبلل يعنی اليبوسة والرطوبة. قال والحرور بالصـرد يعنی الحرارة والبرودة والحرور هاهنا مفتوح الحاء يقال إنی لأجـد لهذا الطعام حرورا وحرورة فی فمی أی حرارة ويجوز أن يكون فی الكلاـم مضـاف محـذوف أی وحرارة الحرور بالصـرد والحرور هاهنا يكون الريـح الحارة وهی بالليل كالسـموم بالنهار والصـرد

البرد. ثم قال وإنه تعالى مؤلف بين هذه المتباعدات المتعاديات المتباينات و ليس المراد من تأليفه بينها جمعه إياها فى مكان واحد كيف و ذلك مستحيل فى نفسه بل هوسبحانه مؤلف لها فى الأجسام المركبة حتى خلع منها صورة مفردة هى المزاج ألا ترى أنه جمع الحار والبارد والرطب واليابس فمزجه مزجا مخصوصا حتى انتزع منه طبيعة مفردة ليست حارة مطلقة و لاباردة مطلقة و لارطبة مطلقة و لايابسة مطلقة وهى المزاج و هومحدود عندالحكماء بأنه كيفية حاصلة من كيفيات متضادة و هذا هومحصول كلامه ع بعينه . والعجب من فصاحته فى ضمن حكمته كيف أعطى كل لفظة من هذه اللفظات ماناسبها ويليق بهافأعطى المتباعدات لفظة مقرب لأن البعد بإزاء القرب [صفحه ٧٥] وأعطى المتباينات لفظة مقارن لأن البينونة بإزاء المقارنة وأعطى المتعاديات لفظة مؤلف لأن الائتلاف بإزاء التعادى. ثم عاد ع فعكس المعنى فقال مفرق بين متدانياتها فجعل الفساد بإزاء الكون و هذا من دقيق حكمته ع و ذلك لأن كل كائن فاسد فلما أوضح ماأوضح فى الكون والتركيب والإيجاد أعقبه بذكر الفساد والعدم فقال مفرق بين متدانياتها و ذلك لأن كل جسم مركب من العناصر المختلفة الكيفيات المتضادة الطبائع فإنه سيئول إلى الانحلال والتفرق . ثم قال لايشمل بحد و ذلك لأن الحد الشامل ما كان مركبا من جنس وفصل والبارى تعالى منزه عن ذلك لأنه لوشمله الحد على هذاالوجه يكون مركبا فلم يكن واجب الوجود و قدثبت أنه واجب الوجود ويجوز أن يعنى به أنه ليس بذى نهاية فتحويه الأقطار وتحده . ثم قال و لايحسب بعديحتمل أن يريد لاتحسب أزليته بعد أى لايقال له منذ وجد كذا وكذا كمايقال للأشياء المتقاربة العهد ويحتمل أن يريد به أنه ليس مماثلا للأشياء فيدخل تحت العدد كماتعد الجواهر و كماتعد الأمور المحسوسة. ثم قال وإنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها هذايؤكد معنى التفسير الثانى و ذلك لأن الأدوات كالجوارح إنما تحد وتقدر ما كان مثلها من ذوات المقادير وكذلك إنما تشير الآلات وهى الحواس إلى ما كان نظيرا لها فى الجسمية ولوازمها والبارى تعالى ليس بذى مقدار و لاجسم و لاحال فى جسم فاستحال أن تحده الأدوات وتشير إليه الآلات [صفحه ٧٦] مَنَعَتهَا مُنذُ القِدمَةَ وَ حَمَتهَا قَد الأَزَلِيّةَ وَ جَنّبَتهَا لَولَا التّكمِلَةَ بِهَا تَجَلّى صَانِعُهَا لِلعُقُولِ وَ بِهَا امتَنَعَ عَن نَظَرِ العُيُونِ وَ لَا تجَرِي عَلَيهِ الحَرَكَةُ وَ السّكُونُ وَ كَيفَ يجَرِي عَلَيهِ مَا هُوَ أَجرَاهُ وَ يَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبدَاهُ وَ يَحدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحدَثَهُ إِذاً لَتَفَاوَتَت ذَاتُهُ وَ لَتَجَزّأَ كُنهُهُ وَ لَامتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعنَاهُ وَ لَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ وَ لَالتَمَسَ التّمَامَ إِذ لَزِمَهُ النّقصَانُ وَ إِذاً لَقَامَت آيَةُ المَصنُوعِ فِيهِ وَ لَتَحَوّلَ دَلِيلًا بَعدَ أَن كَانَ مَدلُولًا عَلَيهِ وَ خَرَجَ بِسُلطَانِ الِامتِنَاعِ مِن أَن يُؤَثّرَ فِيهِ مَا يُؤَثّرُ فِي غَيرِهِ قداختلف الرواة فى هذاالموضع من وجهين أحدهما قول من نصب القدمة والأزلية والتكملة فيكون نصبها عنده على أنها مفعول ثان والمفعول الأول الضمائر المتصلة بالأفعال وتكون منذ و قد و لو لا فى موضع رفع بأنها فاعلة وتقدير الكلام أن إطلاق لفظة منذ على الآلات والأدوات يمنعها عن كونها قديمة لأن لفظة منذ وضعت لابتداء الزمان كلفظة من لابتداء المكان والقديم لاابتداء له وكذلك إطلاق لفظة قد على الآلات والأدوات تحميها وتمنعها من كونها أزلية لأن قدلتقريب الماضى من الحال تقول قدقام زيد فقد دل على أن قيامه قريب من الحال التى أخبرت فيها [صفحه ٧٧] بقيامه والأزلى لايصح ذلك فيه وكذلك إطلاق لفظة لو لا على الأدوات والآلات يجنبها التكملة ويمنعها من التمام المطلق لأن لفظة لو لاوضعت لامتناع الشىء لوجود غيره كقولك لو لازيد لقام عمرو فامتناع قيام عمرو إنما هولوجود زيد و أنت تقول فى الأدوات والآلات و كل جسم ماأحسنه لو لا أنه فان و ماأتمه لو لاكذا فيكون المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه الرواية بيان أن الأدوات والآلات محدثة ناقصة والمراد بالآلات والأدوات أربابها.الوجه الثانى قول من رفع القدمة والأزلية والتكملة فيكون كل واحد منها عنده فاعلا وتكون الضمائر المتصلة بالأفعال مفعولا- أولا- ومنذ و قد و لو لامفعولا- ثانيا و يكون المعنى أن قدم البارى وأزليته وكماله منعت الأدوات والآلات من إطلاق لفظة منذ و قد و لو لا عليه سبحانه لأنه تعالى قديم كامل ولفظتا منذ و قد لايطلقان إلا على محدث لأن إحداهما لابتداء الزمان والأخرى لتقريب الماضى من الحال ولفظة لو لا لاتطلق إلا على ناقص فيكون المقصد والمنحى بهذا الكلام على هذه

الروایة بیان قدم الباری تعالی وکماله و أنه لایصح أن یطلق علیه ألفاظ تدل علی الحدوث والنقص . قوله ع بهاتجلی صانعها للعقول و بهاامتنع عن نظر العیون أی بهذه الآلات والأدوات التی هی حواسنا ومشاعرنا وبخلقه إیاها وتصویره لها تجلی للعقول وعرف لأنه لو لم یخلقها لم یعرف و بهاامتنع عن نظر العیون أی بهااستنبطنا استحالة کونه مرئیا بالعیون لأنا بالمشاعر والحواس کملت عقولنا وبعقولنا استخرجنا الدلالة علی أنه لاتصح رؤیته فإذن بخلقه الآلات والأدوات لنا عرفناه عقلا وبذلک [صفحه ٧٨] أیضا عرفنا أنه یستحیل أن یعرف بغیر العقل و أن قول من قال إنا سنعرفه رؤیة ومشافهة بالحاسة باطل . قوله ع لاتجری علیه الحرکة والسکون هذادلیل أخذه المتکلمون عنه ع فنظموه فی کتبهم وقرروه و هو أن الحرکة والسکون معان محدثة فلو حلت فیه لم یخل منها و ما لم یخل من المحدث فهو محدث . فإن قلت إنه ع لم یخرج کلامه هذاالمخرج وإنما قال کیف یجری علیه ما هوأجراه و هذانمط آخر غیر مایقرره المتکلمون قلت بل هو هوبعینه لأنه إذاثبت أنه هو ألذی أجری الحرکة والسکون أی أحدثهما لم یجز أن یجریا علیه لأنهما لوجریا علیه لم یخل إما أن یجریا علیه علی التعاقب ولیسا و لاواحد منهما بقدیم أویجریا علیه علی أن أحدهما قدیم ثم تلاه الآخر والأول باطل بما یبطل به حوادث لاأول لها والثانی باطل بکلامه ع و ذلک لأنه لو کان أحدهما قدیما معه سبحانه لما کان أجراه لکن قدقلنا أنه أجراه أی أحدثه و هذاخلف محال وأیضا فإذا کان أحدهما قدیما معه لم یجز أن یتلوه الآخر لأن القدیم لایزول بالمحدث . ثم قال ع إذالتفاوتت ذاته ولتجزأ کنهه ولامتنع من الأزل معناه هذاتأکید لبیان استحالة جریان الحرکة والسکون علیه تقول لوصح علیه ذلک لکان محدثا و هومعنی قوله لامتنع من الأزل معناه وأیضا کان ینبغی أن تکون ذاته منقسمة لأن المتحرک الساکن لابد أن یکون متحیزا و کل متحیز جسم و کل جسم منقسم أبدا و فی هذاإشارة إلی نفی الجوهر الفرد. [صفحه ٧٩] ثم قال ع ولکان له وراء إذاوجد له أمام هذایؤکد ماقلناه إنه إشارة إلی نفی الجوهر الفرد یقول لوحلته الحرکة لکان جرما وحجما ولکان أحد وجهیه غیرالوجه الآخر لامحالة فکان منقسما و هذاالکلام لایستقیم إلا مع نفی الجوهر الفرد لأن من أثبته یقول یصح أن تحله الحرکة و لا یکون أحد وجهیه غیرالآخر فلایلزم أن یکون له وراء وأمام . ثم قال ع و لاالتمس التمام إذ لزمه النقصان هذاإشارة إلی مایقوله الحکماء من أن الکون عدم ونقص والحرکة وجود وکمال فلو کان سبحانه یتحرک ویسکن لکان حال السکون ناقصا قدعدم عنه کماله فکان ملتمسا کماله بالحرکة الطارئة علی السکون وواجب الوجود یستحیل أن یکون له حالة نقصان و أن یکون له حالة بالقوة وأخری بالفعل . قوله ع إذالقامت آیة المصنوع فیه و ذلک لأن آیة المصنوع کونه متغیرا منتقلا من حال إلی حال لأنا بذلک استدللنا علی حدوث الأجسام فلو کان تعالی متغیرا متحرکا منتقلا من حال إلی حال لتحقق فیه دلیل الحدوث فکان مصنوعا و قدثبت أنه الصانع المطلق سبحانه . قوله ع ولتحول دلیلا بعد أن کان مدلولا علیه یقول إنا وجدنا دلیلنا علی الباری سبحانه أنما هوالأجسام المتحرکة فلو کان الباری متحرکا لکان دلیلا علی غیره و کان فوقه صانع آخر صنعه وأحدثه لکنه سبحانه لاصانع له و لاذات فوق ذاته فهو المدلول علیه والمنتهی إلیه . قوله ع وخرج بسلطان الامتناع من أن یؤثر فیه ماأثر فی غیره فی هذاالکلام یتوهم سامعه أنه عطف علی قوله لتفاوتت ولتجزأ ولامتنع [صفحه ٨٠] ولکان له ولاالتمس ولقامت ولتحول و لیس کذلک لأنه لو کان معطوفا علیها لاختل الکلام وفسد لأنها کلها مستحیلات علیه تعالی والمراد لوتحرک لزم هذه المحالات کلها. و قوله وخرج بسلطان الامتناع لیس من المستحیلات علیه بل هوواجب له و من الأمور الصادقة علیه فإذافسد أن یکون معطوفا علیها وجب أن یکون معطوفا علی ما کان مدلولا علیه وتقدیر الکلام کان یلزم أن یتحول الباری دلیلا علی غیره بعد أن کان مدلولا علیه و بعد أن خرج بسلطان الامتناع من أن یؤثر فیه ماأثر فی غیره وخروجه بسلطان الامتناع المراد به وجوب الوجود والتجرید وکونه لیس بمتحیز و لاحال فی المتحیز فهذا هوسلطان الامتناع ألذی به خرج عن أن یؤثر فیه ماأثر فی غیره من الأجسام والممکنات أَلّذِی لَا یَحُولُ وَ لَا یَزُولُ وَ لَا یَجُوزُ عَلَیهِ الأُفُولُ لَم یَلِد فَیَکُونَ مَولُوداً وَ لَم یُولَد فَیَصِیرَ مَحدُوداً جَلّ عَنِ اتّخَاذِ الأَبنَاءِ وَ طَهُرَ عَن مُلَامَسَةِ النّسَاءِ لَا تَنَالُهُ

الأوهَامُ فَتُقَدِّرَهُ وَ لَا تَتَوَهَّمُهُ الفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ وَ لَا تُدرِكُهُ الحَوَاسّ فَتُحِسّهُ وَ لَا تَلمِسُهُ الأيدِي فَتَمَسّهُ وَ لَا يَتَغَيّرُ بِحَالٍ وَ لَا يَتَبَدّلُ فِي الأَحوَالِ وَ لَا تُبلِيهِ اللّيَالِي وَ الأَيّامُ وَ لَا يُغَيّرُهُ الضّيَاءُ وَ الظّلَامُ هذاالفصل كله واضح مستغن عن الشرح إلا قوله ع لم يلد [صفحه ٨١] فيكون مولودا لأن لقائل أن يقول كيف يلزم من فرض كونه والدا أن يكون مولودا فى جوابه أنه ليس معنى الكلام أنه يلزم من فرض وقوع أحدهما وقوع الآخر وكيف وآدم والد و ليس بمولود وإنما المراد أنه يلزم من فرض صحة كونه والدا صحة كونه مولودا والتالى محال والمقدم محال وإنما قلنا إنه يلزم من فرض صحة كونه والدا صحة كونه مولودا لأنه لوصح أن يكون والدا على التفسير المفهوم من الوالدية و هو أن يتصور من بعض أجزائه حى آخر من نوعه على سبيل الاستحالة لذلك الجزء كمانعقله فى النطفة المنفصلة من الإنسان المستحيلة إلى صورة أخرى حتى يكون منها بشر آخر من نوع الأول لصح عليه أن يكون هومولودا من والد آخر قبله و ذلك لأن الأجسام متماثلة فى الجسمية و قدثبت ذلك بدليل عقلى واضح فى مواضعه التى هى أملك به و كل مثلين فإن أحدهما يصح عليه مايصح على الآخر فلو صح كونه والدا يصح كونه مولودا. و أمابيان أنه لايصح كونه مولودا فلأن كل مولود متأخر عن والده بالزمان و كل متأخر عن غيره بالزمان محدث فالمولود محدث والبارى تعالى قدثبت أنه قديم و أن الحدوث عليه محال فاستحال أن يكون مولودا وتم الدليل وَ لَا يُوصَفُ بشَيءٍ مِنَ الأَجزَاءِ وَ لَا بِالجَوَارِحِ وَ الأَعضَاءِ وَ لَا بِعَرَضٍ مِنَ الأَعرَاضِ وَ لَا بِالغَيرِيّةِ وَ الأَبعَاضِ وَ لَا يُقَالُ لَهُ حَدّ وَ لَا نِهَايَةٌ وَ لَا انقِطَاعٌ وَ لَا غَايَةٌ وَ لَا أَنّ الأَشيَاءَ تَحوِيهِ فَتُقِلّهُ أَو تُهوِيَهُ أَو أَنّ شَيئاً يَحمِلُهُ فَيُمِيلَهُ [صفحه ٨٢] أَو يَعدِلَهُ لَيسَ فِي الأَشيَاءِ بِوَالِجٍ وَ لَا عَنهَا بِخَارِجٍ يُخبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَ لَهَوَاتٍ وَ يَسمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَ أَدَوَاتٍ يَقُولُ وَ لَا يَلفِظُ وَ يَحفَظُ وَ لَا يَتَحَفّظُ وَ يُرِيدُ وَ لَا يُضمِرُ يُحِبّ وَ يَرضَى مِن غَيرِ رِقّةٍ وَ يُبغِضُ وَ يَغضَبُ مِن غَيرِ مَشَقّةٍ يَقُولُ لِمَن أَرَادَ كَونَهُ كُن فَيَكُونُ لَا بِصَوتٍ يَقرَعُ وَ لَا بِنِدَاءٍ يُسمَعُ وَ إِنّمَا كَلَامُهُ سُبحَانَهُ فِعلٌ مِنهُ أَنشَأَهُ وَ مَثّلَهُ لَم يَكُن مِن قَبلِ ذَلِكَ كَائِناً وَ لَو كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً فى هذاالفصل مباحث أولها أن البارى سبحانه لايوصف بشىء من الأجزاء أى ليس بمركب لأنه لو كان مركبا لافتقر إلى أجزائه وأجزاؤه ليست نفس هويته و كل ذات تفتقر هويتها إلى أمر من الأمور فهى ممكنة لكنه واجب الوجود فاستحال أن يوصف بشىء من الأجزاء. وثانيها أنه لايوصف بالجوارح والأعضاء كما يقول مثبتو الصورة و ذلك لأنه لو كان كذلك لكان جسما و كل جسم ممكن وواجب الوجود غيرممكن . وثالثها أنه لايوصف بعرض من الأعراض كمايقوله الكرامية لأنه لوحله العرض لكان ذلك العرض ليس بأن يحل فيه أولى من أن يحل هو فى العرض لأن معنى [صفحه ٨٣] الحلول حصول العرض فى حيز المحل تبعا لحصول المحل فيه فما ليس بمتحيز لايتحقق فيه معنى الحلول و ليس بأن يجعل محلا أولى من أن يجعل حالا. ورابعها أنه لايوصف بالغيرية والأبعاض أى ليس له بعض و لا هوذو أقسام بعضها غيرا للبعض الآخر و هذايرجع إلى البحث الأول . وخامسها أنه لاحد له و لانهاية أى ليس ذا مقدار ولذلك المقدار طرف ونهاية لأنه لو كان ذا مقدار لكان جسما لأن المقدار من لوازم الجسمية و قدثبت أنه تعالى ليس بجسم . وسادسها أنه لاانقطاع لوجوده و لاغاية لأنه لوجاز عليه العدم فى المستقبل لكان وجوده الآن متوقفا على عدم سبب عدمه و كل متوقف على الغير فهو ممكن فى ذاته والبارى تعالى واجب الوجوب فاستحال عليه العدم و أن يكون لوجوده انقطاع أوينتهى إلى غاية يعدم عندها. وسابعها أن الأشياء لاتحويه فتقله أى ترفعه أوتهويه أى تجعله هاويا إلى جهة تحت لأنه لو كان كذلك لكان ذا مقدار أصغر من مقدار الشىء الحاوى له لكن قدبينا أنه يستحيل عليه المقادير فاستحال كونه محويا. وثامنها أنه ليس يحمله شىءفيميله إلى جانب أويعدله بالنسبة إلى جميع الجوانب لأن كل محمول مقدر و كل مقدر جسم و قدثبت أنه ليس بجسم . وتاسعها أنه ليس فى الأشياء بوالج أى داخل و لاعنها بخارج هذامذهب الموحدين والخلاف فيه مع الكرامية والمجسمة وينبغى أن يفهم قوله ع و لاعنها بخارج أنه لايريد سلب الولوج فيكون قدخلا من النقيضين لأن ذلك محال بل المراد بكونه ليس خارجا عنها أنه ليس كمايعتقده كثير من الناس أن الفلك الأعلى المحيط لايحتوى عليه ولكنه ذات موجودة متميزة بنفسها قائمة [صفحه

۸۴] بذاتها خارجة عن الفلك فی الجهة العليا بينها و بين الفلك بعدإما غيرمتناه علی مايحكی عن ابن الهيصم أومتناه علی مايذهب إليه أصحابه و ذلك أن هذه القضية وهی قولنا الباری خارج عن الموجودات كلها علی هذاالتفسير ليست مناقضة للقضية الأولی وهی قولنا الباری داخل العالم ليكون القول بخلوه عنهما قولا بخلوه عن النقيضين أ لاتری أنه يجوز أن تكون القضيتان كاذبتين معا بألا يكون الفلك المحيط محتويا عليه و لا يكون حاصلا فی جهة خارج الفلك و لوكانت القضيتان متناقضتين لمااستقام ذلك و هذا كماتقول زيد فی الدار زيد فی المسجد فإن هاتين القضيتين ليستا متناقضتين لجواز ألا يكون زيد فی الدار و لا فی المسجد فإن هاتين لوتناقضتا لاستحال الخروج عن النقيضين لكن المتناقض زيد فی الدار زيد ليس فی الدار و ألذی يستشنعه العوام من قولنا الباری لاداخل العالم و لاخارج العالم غلط مبنی علی اعتقادهم وتصورهم أن القضيتين تتناقضان و إذافهم ماذكرناه بان أنه ليس هذاالقول بشنيع بل هوسهل وحق أيضا فإنه تعالی لامتحيز و لاحال فی المتحيز و ما كان كذلك استحال أن يحصل فی جهة لاداخل العالم و لاخارج العالم و قدثبت كونه غيرمتحيز و لاحال فی المتحيز من حيث كان واجب الوجود فإذن القول بأنه ليس فی الأشياء بوالج و لاعنها بخارج صواب وحق . وعاشرها أنه تعالی يخبر بلا لسان ولهوات و ذلك لأن كونه تعالی مخبرا هوكونه فاعلا للخبر كما أن كونه ضاربا هوكونه فاعلا للضرب فكما لايحتاج فی كونه ضاربا إلی أداة وجارحة يضرب بهاكذلك لايحتاج فی كونه مخبرا إلی لسان ولهوات يخبر بها. وحادی عشرها أنه تعالی يسمع بلا حروف وأدوات و ذلك لأن الباری سبحانه حی لاآفة به و كل حی لاآفة به فواجب أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات [صفحه ۸۵] و لاحاجة به سبحانه إلی حروف وأدوات كمانحتاج نحن إلی ذلك لأنا أحياء بحياة تحلنا والباری تعالی حی لذاته فلما افترقنا فيما به كان سامعا ومبصرا افترقنا فی الحاجة إلی الأدوات والجوارح . وثانی عشرها أنه يقول و لايتلفظ هذابحث لفظی و ذلك لأنه قدورد السمع بتسميته قائلا و قدتكرر فی الكتاب العزيز ذكر هذه اللفظة نحو قوله إِذ قالَ اللّهُ يا عِيسيَ قالَ اللّهُ إِنّي مَعَكُم و لم يرد فی السمع إطلاق كونه متلفظا عليه و فی إطلاقه إيهام كونه ذا جارحة فوجب الاقتصار علی ماورد وترك ما لم يرد. وثالث عشرها أنه تعالی يحفظ و لايتحفظ أماكونه يحفظ فيطلق علی وجهين أحدهما أنه يحفظ بمعنی أنه يحصی أعمال عباده ويعلمها والثانی كونه يحفظهم ويحرسهم من الآفات والدواهی و أماكونه لايتحفظ فيحتمل معنيين أحدهما أنه لايجوز أن يطلق عليه أنه يتحفظ الكلام أی يتكلف كونه حافظا له ومحيطا وعالما به كالواحد منا يتحفظ الدرس ليحفظه فهو سبحانه حافظ غيرمتحفظ والثانی أنه ليس بمتحرز و لامشفق علی نفسه خوفا أن تبدر إليه بادرة من غيره . ورابع عشرها أنه يريد و لايضمر أماكونه مريدا فقد ثبت بالسمع نحو قوله تعالی يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ اليُسرَ وبالعقل لاختصاص أفعاله بأوقات مخصوصة وكيفيات مخصوصة جاز أن تقع علی خلافها فلابد من مخصص لها بما اختصت به و ذلك كونه مريدا و أماكونه لايضمر فهو إطلاق لفظی لم يأذن فيه الشرع و فيه إيهام كونه ذا قلب لأن الضمير فی العرف اللغوی مااستكن فی القلب والباری ليس بجسم . -قرآن-۳۳۳-۳۵۶-قرآن-۳۵۷-۳۸۵-قرآن-۱۰۳۶-۱۰۶۴ [صفحه ۸۶] وخامس عشرها أنه يحب ويرضی من غيررقة ويبغض ويغضب من غيرمشقة و ذلك لأن محبته للعبد إرادته أن يثيبه ورضاه عنه أن يحمد فعله و هذايصح ويطلق علی الباری لاكإطلاقه علينا لأن هذه الأوصاف يقتضی إطلاقها علينا رقة القلب والباری ليس بجسم و أمابغضه للعبد فإرادة عقابه وغضبه كراهية فعله ووعيده بإنزال العقاب به و فی الأغلب إنما يطلق ذلك علينا ويصح منا مع مشقة تنالنا من إزعاج القلب وغليان دمه والباری ليس بجسم . وسادس عشرها أنه يقول لماأراد كونه كن فيكون من غيرصوت يقرع ونداء يسمع هذامذهب شيخنا أبی الهذيل و إليه يذهب الكرامية وأتباعها من الحنابلة وغيرهم والظاهر أن أمير المؤمنين ع أطلقه حملا علی ظاهر لفظ القرآن فی مخاطبة الناس بما قدسمعوه وأنسوا به وتكرر علی أسماعهم وأذهانهم فأما باطن الآية وتأويلها الحقيقی فغير مايسبق إلی أذهان العوام فليطلب من موضعه . وسابع عشرها أن كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا و لو كان قديما

لكان إلها ثانيا هذا هودليل المعتزلة على نفى المعانى القديمة التى منها القرآن و ذلك لأن القدم عندهم أخص صفات البارى تعالى أوموجب عن الأخص فلو أن فى الوجود معنى قديما قائما بذات البارى لكان ذلك المعنى مشاركا للبارى فى أخص صفاته و كان يجب لذلك المعنى جميع ماوجب للبارى من الصفات نحو العالمية والقادرية وغيرهما فكان إلها ثانيا. فإن قلت مامعنى قوله ع ومثله قلت يقال مثلت له كذا تمثيلا إذاصورت له مثاله بالكتابة أوبغيرها فالبارى مثل القرآن لجبريل ع بالكتابة فى اللوح المحفوظ فأنزله على محمدص . [صفحه ۸۷] وأيضا يقال مثل زيد بحضرتى إذاحضر قائما ومثلته بين يدى زيد أى أحضرته منتصبا فلما كان الله تعالى فعل القرآن واضحا بينا كان قدمثله للمكلفين لَا يُقَالُ كَانَ بَعدَ أَن لَم يَكُن فَتَجرِيَ عَلَيهِ الصِّفَاتُ المُحدَثَاتُ وَ لَا يَكُونُ بَينَهَا وَ بَينَهُ فَصلٌ وَ لَا لَهُ عَلَيهَا فَضلٌ فَيَستَوِيَ الصّانِعُ وَ المَصنُوعُ وَ يَتَكَافَأَ المُبتَدَعُ وَ البَدِيعُ خَلَقَ الخَلَائِقَ عَلَى غَيرِ مِثَالٍ خَلَا مِن غَيرِهِ وَ لَم يَستَعِن عَلَى خَلقِهَا بِأَحَدٍ مِن خَلقِهِ وَ أَنشَأَ الأَرضَ فَأَمسَكَهَا مِن غَيرِ اشتِغَالٍ وَ أَرسَاهَا عَلَى غَيرِ قَرَارٍ وَ أَقَامَهَا بِغَيرِ قَوَائِمَ وَ رَفَعَهَا بِغَيرِ دَعَائِمَ وَ حَصّنَهَا مِنَ الأَوَدِ وَ الِاعوِجَاجِ وَ مَنَعَهَا مِنَ التّهَافُتِ وَ الِانفِرَاجِ أَرسَى أَوتَادَهَا وَ ضَرَبَ أَسدَادَهَا وَ استَفَاضَ عُيُونَهَا وَ خَدّ أَودِيَتَهَا فَلَم يَهِن مَا بَنَاهُ وَ لَا ضَعُفَ مَا قَوّاهُ عاد ع إلى تنزيه البارى تعالى عن الحدوث فقال لايجوز أن يوصف به فتجرى عليه الصفات المحدثات كماتجرى على كل محدث وروى فتجرى عليه صفات المحدثات و هوأليق ليعود إلى المحدثات ذوات الصفات مابعده و هو قوله ع و لا يكون بينه وبينها فصل لأنه لايحسن أن يعود الضمير فى قوله وبينها إلى الصفات بل إلى ذوات الصفات . [صفحه ۸۸] قال لو كان محدثا لجرت عليه صفات الأجسام المحدثة فلم يكن بينه و بين الأجسام المحدثة فرق فكان يستوى الصانع والمصنوع و هذامحال . ثم ذكر أنه خلق الخلق غيرمحتذ لمثال و لامستفيد من غيره كيفية الصنعة بخلاف الواحد منا فإن الواحد منا لابد أن يحتذى فى الصنعة كالبناء والنجار والصانع وغيرها. قال ع و لم يستعن على خلقها بأحد من خلقه لأنه تعالى قادر لذاته لايعجزه شيء. ثم ذكر إنشاءه تعالى الأرض و أنه أمسكها من غيراشتغال منه بإمساكها و غير ذلك من أفعاله ومخلوقاته ليس كالواحد منا يمسك الثقيل فيشتغل بإمساكه عن كثير من أموره . قال وأرساها جعلها راسية على غيرقرار تتمكن عليه بل واقفة بإرادته التى اقتضت وقوفها ولأن الفلك يجذبها من جميع جهاتها كماقيل أولأنه يدفعها من جميع جهاتها أولأن أحد نصفيها صاعد بالطبع والآخر هابط بالطبع فاقتضى التعادل وقوفها أولأنها طالبة للمركز فوقفت . والأود الاعوجاج وكرر لاختلاف اللفظ. والتهافت التساقط والأسداد جمع سد و هوالجبل ويجوز ضم السين . واستفاض عيونها بمعنى أفاض أى جعلها فائضة. وخد أوديتها أى شقها فلم يهن مابناه أى لم يضعف [صفحه ۸۹] هُوَ الظّاهِرُ عَلَيهَا بِسُلطَانِهِ وَ عَظَمَتِهِ وَ هُوَ البَاطِنُ لَهَا بِعِلمِهِ وَ مَعرِفَتِهِ وَ العَالِي عَلَى كُلّ شَيءٍ مِنهَا بِجَلَالِهِ وَ عِزّتِهِ لَا يُعجِزُهُ شَيءٌ مِنهَا طَلَبَهُ وَ لَا يَمتَنِعُ عَلَيهِ فَيَغلِبَهُ وَ لَا يَفُوتُهُ السّرِيعُ مِنهَا فَيَسبِقَهُ وَ لَا يَحتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرزُقَهُ خَضَعَتِ الأَشيَاءُ لَهُ وَ ذَلّت مُستَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ لَا تَستَطِيعُ الهَرَبَ مِن سُلطَانِهِ إِلَى غَيرِهِ فَتَمتَنِعَ مِن نَفعِهِ وَ ضَرّهِ وَ لَا كُفءَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ وَ لَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ هُوَ المُفنِي لَهَا بَعدَ وُجُودِهَا حَتّى يَصِيرَ مَوجُودُهَا كَمَفقُودِهَا وَ لَيسَ فَنَاءُ الدّنيَا بَعدَ ابتِدَاعِهَا بِأَعجَبَ مِن إِنشَائِهَا وَ اختِرَاعِهَا وَ كَيفَ وَ لَوِ اجتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِن طَيرِهَا وَ بَهَائِمِهَا وَ مَا كَانَ مِن مُرَاحِهَا وَ سَائِمِهَا وَ أَصنَافِ أَسنَاخِهَا وَ أَجنَاسِهَا وَ مُتَبَلّدَةِ أُمَمِهَا وَ أَكيَاسِهَا عَلَى إِحدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَت عَلَى إِحدَاثِهَا وَ لَا عَرَفَت كَيفَ السّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا وَ لَتَحَيّرَت عُقُولُهَا فِي عِلمِ ذَلِكَ وَ تَاهَت وَ عَجَزَت قُوَاهَا وَ تَنَاهَت وَ رَجَعَت خَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنّهَا مَقهُورَةٌ مُقِرّةٌ بِالعَجزِ عَن إِنشَائِهَا مُذعِنَةً بِالضّعفِ عَن إِفنَائِهَا الظاهر الغالب القاهر والباطن العالم الخبير. والمراح بضم الميم النعم ترد إلى المراح بالضم أيضا و هوالموضع ألذى تأوى إليه النعم و ليس المراح ضد السائم على مايظنه بعضهم و يقول إن عطف أحدهما على الآخر عطف [صفحه ۹۰] على المختلف والمتضاد بل أحدهما هوالآخر وضدهما المعلوفة وإنما عطف أحدهما على الآخر على طريقة العرب فى الخطابة ومثله فى القرآن كثير نحو قوله سبحانه لا يَمَسّنا فِيها نَصَبٌ وَ لا يَمَسّنا فِيها لُغُوبٌ. وأسناخها جمع سنخ بالكسر و هوالأصل و قوله لواجتمع جميع الحيوان على إحداث بعوضة

هومعنى قوله سبحانه إِنّ الّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَن يَخلُقُوا ذُباباً وَ لَوِ اجتَمَعُوا لَهُ. فإن قلت مامعنى قوله لاتستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره وهلا قال من ضره و لم يذكر النفع فإنه لامعنى لذكره هاهنا قلت هذا كما يقول المعتصم بمعقل حصين عن غيره مايقدر اليوم فلان لى على نفع و لاضر و ليس غرضه إلاذكر الضرر وإنما يأتى بذكر النفع على سبيل سلب القدرة عن فلان على كل مايتعلق بذلك المعتصم وأيضا فإن العفو عن المجرم نفع له فهو ع يقول إنه ليس شيء من الأشياء يستطيع أن يخرج إذاأجرم من سلطان الله تعالى إلى غيره فيمتنع من بأس الله تعالى ويستغنى عن أن يعفو عنه لعدم اقتداره عليه -قرآن-١٥٤-٢٠٦-قرآن-٣١٥-٣٩٩ وَ إِنّهُ سُبحَانَهُ يَعُودُ بَعدَ فَنَاءِ الدّنيَا وَحدَهُ لَا شَيءَ مَعَهُ كَمَا كَانَ قَبلَ ابتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقتٍ وَ لَا مَكَانٍ وَ لَا حِينٍ وَ لَا زَمَانٍ عُدِمَت عِندَ ذَلِكَ الآجَالُ وَ الأَوقَاتُ وَ زَالَتِ السّنُونَ وَ السّاعَاتُ فَلَا شَيءَ [صفحه ٩١] إِلّا اللّهُ الوَاحِدُ القَهّارُ ألّذِى إِلَيهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ بِلَا قُدرَةٍ مِنهَا كَانَ ابتِدَاءُ خَلقِهَا وَ بِغَيرِ امتِنَاعٍ مِنهَا كَانَ فَنَاؤُهَا وَ لَو قَدَرَت عَلَى الِامتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا لَم يَتَكَاءَدهُ صُنعُ شَيءٍ مِنهَا إِذ صَنَعَهُ وَ لَم يَؤُدهُ مِنهَا خَلقُ مَا بَرَأَهُ وَ خَلَقَهُ وَ لَم يُكَوّنهَا لِتَشدِيدِ سُلطَانٍ وَ لَا لِخَوفٍ مِن زَوَالٍ وَ نُقصَانٍ وَ لَا لِلِاستِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدّ مُكَاثِرٍ وَ لَا لِلِاحتِرَازِ بِهَا مِن ضِدّ مُثَاوِرٍ وَ لَا لِلِازدِيَادِ بِهَا فِي مُلكِهِ وَ لَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِركِهِ وَ لَا لِوَحشَةٍ كَانَت مِنهُ فَأَرَادَ أَن يَستَأنِسَ إِلَيهَا ثُمّ هُوَ يُفنِيهَا بَعدَ تَكوِينِهَا لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيهِ فِي تَصرِيفِهَا وَ تَدبِيرِهَا وَ لَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيهِ وَ لَا لِثِقَلِ شَيءٍ مِنهَا عَلَيهِ لَا يُمِلّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدعُوَهُ إِلَى سُرعَةِ إِفنَائِهَا وَ لَكِنّهُ سُبحَانَهُ دَبّرَهَا بِلُطفِهِ وَ أَمسَكَهَا بِأَمرِهِ وَ أَتقَنَهَا بِقُدرَتِهِ ثُمّ يُعِيدُهَا بَعدَ الفَنَاءِ مِن غَيرِ حَاجَةٍ مِنهُ إِلَيهَا وَ لَا استِعَانَةٍ بِشَيءٍ مِنهَا عَلَيهَا وَ لَا لِانصِرَافٍ مِن حَالِ وَحشَةٍ إِلَى حَالِ استِئنَاسٍ وَ لَا مِن حَالِ جَهلٍ وَ عَمًى إِلَى عِلمٍ وَ التِمَاسٍ وَ لَا مِن فَقرٍ وَ حَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَ كَثرَةٍ وَ لَا مِن ذُلّ وَ ضَعَةٍ إِلَى عِزّ وَ قُدرَةٍ شرع أولا فى ذكر إعدام الله سبحانه الجواهر و مايتبعها ويقوم بها من الأعراض قبل القيامة و ذلك لأن الكتاب العزيز قدورد به نحو قوله تعالى كَما بَدَأنا أَوّلَ خَلقٍ نُعِيدُهُ ومعلوم أنه بدأه عن عدم فوجب أن تكون الإعادة عن عدم أيضا و قال تعالى هُوَ الأَوّلُ وَ الآخِرُ وإنما كان أولا لأنه كان موجودا و لا شيء من -قرآن-١٤٤-١٧٨-قرآن-٢٥٥-٢٧٨ [صفحه ٩٢] الأشياء بموجود فوجب أن يكون آخرا كذلك هذا هومذهب جمهور أصحابنا وجمهور المسلمين . ثم ذكر أنه يكون وحده سبحانه بلا وقت و لامكان و لاحين و لازمان و ذلك لأن المكان أماالجسم ألذى يتمكن عليه جسم آخر أوالجهة وكلاهما لاوجود له بتقدير عدم الأفلاك و ما فى حشوها من الأجسام أماالأول فظاهر و أماالثانى فلأن الجهة لاتتحقق إلابتقدير وجود الفلك لأنها أمر إضافى بالنسبة إليه فبتقدير عدمه لايبقى للجهة تحقق أصلا و هذا هوالقول فى عدم المكان حينئذ و أماالزمان والوقت والحين فكل هذه الألفاظ تعطى معنى واحدا و لاوجود لذلك المعنى بتقدير عدم الفلك لأن الزمان هومقدار حركة الفلك فإذاقدرنا عدم الفلك فلاحركة و لازمان . ثم أوضح ع ذلك وأكده فقال عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات لأن الأجل هوالوقت ألذى يحل فيه الدين أوتبطل فيه الحياة و إذاثبت أنه لاوقت ثبت أنه لاأجل وكذلك لاسنة و لاساعة لأنها أوقات مخصوصة. ثم عاد ع إلى ذكر الدنيا فقال بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها يعنى أنها مسخرة تحت الأمر الإلهى. قال و لوقدرت على الامتناع لدام بقاؤها لأنها كانت تكون ممانعة للقديم سبحانه فى مراده وإنما تمانعه فى مراده لوكانت قادرة لذاتها و لوكانت قادرة لذاتها وأرادت البقاء لبقيت . قوله ع لم يتكاءده بالمد أى لم يشق عليه ويجوز لم يتكأده بالتشديد والهمزة وأصله من العقبة الكئود وهى الشاقة. [صفحه ٩٣] قال و لم يؤده أى لم يثقله . ثم ذكر أنه تعالى لم يخلق الدنيا ليشد بهاسلطانه و لالخوفه من زوال أونقص يلحقه و لاليستعين بها على ند مماثل له أويحترز بها عن ضد محارب له أوليزداد بهاملكه ملكا أوليكاثر بهاشريكا فى شركته له أولأنه كان قبل خلقها مستوحشا فأراد أن يستأنس بمن خلق . ثم ذكر أنه تعالى سيفنيها بعدإيجادها لالضجر لحقه فى تدبيرها و لالراحة تصله فى إعدامها و لالثقل شيءمنها عليه حال وجودها و لالملل أصابه فبعثه على إعدامها. ثم عاد ع فقال إنه سبحانه سيعيدها إلى الوجود بعدالفناء

لالحاجة إليها و لاليستعين ببعضها على بعض و لالأنه استوحش حال عدمها فأحب أن يستأنس بإعادتها و لالأنه فقد علما عندإعدامها فأراد بإعادتها استجداد ذلك العلم و لالأنه صار فقيرا عندإعدامها فأحب أن يتكثر ويثرى بإعادتها و لالذل أصابه بإفنائها فأراد العز بإعادتها. فإن قلت إذا كان يفنيها لالكذا و لالكذا و كان من قبل أوجدها لالكذا و لالكذا ثم قلتم إنه يعيدها لالكذا و لالكذا فلأى حال أوجدها أولا ولأى حال أفناها ثانيا ولأى حال أعادها ثالثا خبرونا عن ذلك فإنكم قدحكيتم عنه عليه السلام الحكم و لم تحكوا عنه العلة قلت إنما أوجدها أولا للإحسان إلى البشر ليعرفوه فإنه لو لم يوجدهم لبقى مجهولا لايعرف ثم كلف البشر ليعرضهم للمنزلة الجليلة التى لايمكن وصولهم إليها إلابالتكليف وهى الثواب ثم يفنيهم لأنه لابد من انقطاع التكليف ليخلص الثواب من مشاق التكاليف و إذا كان لابد من انقطاعه فلافرق بين انقطاعه بالعدم المطلق [صفحه ۹۴] أوبتفريق الأجزاء وانقطاعه بالعدم المطلق قدورد به الشرع و فيه لطف زائد للمكلفين لأنه أردع وأهيب فى صدورهم من بقاء أجزائهم واستمرار وجودها غيرمعدومة. ثم إنه سبحانه يبعثهم ويعيدهم ليوصل إلى كل إنسان مايستحقه من ثواب أوعقاب و لايمكن إيصال هذاالمستحق إلابالإعادة وإنما لم يذكر أمير المؤمنين ع هذه التعليلات لأنه قدأشار إليها فيما تقدم من كلامه وهى موجودة فى فرش خطبه ولأن مقام الموعظة غيرمقام التعليل و أمير المؤمنين ع فى هذه الخطبة يسلك مسلك الموعظة فى ضمن تمجيد البارى سبحانه وتعظيمه و ليس ذلك بمظنة التعليل والحجاج [صفحه ۹۵]

۲۳۳– و من خطبة له ع تختص بذكر الملاحم

أَلَا بِأَبِي وَ أُمّيّ هُم مِن عِدّةٍ أَسمَاؤُهُم فِي السّمَاءِ مَعرُوفَةٌ وَ فِي الأَرضِ مَجهُولَةٌ أَلَا فَتَوَقّعُوا مَا يَكُونُ مِن إِدبَارِ أُمُورِكُم وَ انقِطَاعِ وُصَلِكُم وَ استِعمَالِ صِغَارِكُم ذَاكَ حَيثُ تَكُونُ ضَربَةُ السّيفِ عَلَى المُؤمِنِ أَهوَنَ مِنَ الدّرهَمِ مِن حِلّهِ ذَاكَ حَيثُ يَكُونُ المُعطَى أَعظَمَ أَجراً مِنَ المُعطِي ذَاكَ حَيثُ تَسكَرُونَ مِن غَيرِ شَرَابٍ بَل مِنَ النّعمَةِ وَ النّعِيمِ وَ تَحلِفُونَ مِن غَيرِ اضطِرَارٍ وَ تَكذِبُونَ مِن غَيرِ إِحرَاجٍ ذَاكَ إِذَا عَضّكُمُ البَلَاءُ كَمَا يَعَضّ القَتَبُ غَارِبَ البَعِيرِ مَا أَطوَلَ هَذَا العَنَاءَ وَ أَبعَدَ هَذَا الرّجَاءَ أَيّهَا النّاسُ أَلقُوا هَذِهِ الأَزِمّةَ التّي تَحمِلُ ظُهُورُهَا الأَثقَالَ مِن أَيدِيكُم وَ لَا تَصَدّعُوا عَلَى سُلطَانِكُم فَتَذُمّوا غِبّ فِعَالِكُم وَ لَا تَقتَحِمُوا مَا استَقبَلتُم مِن فَورِ نَارِ الفِتنَةِ وَ أَمِيطُوا عَن سَنَنِهَا وَ خَلّوا قَصدَ السّبِيلِ لَهَا فَقَد لعَمَرِي يَهلِكُ فِي لَهَبِهَا المُؤمِنُ وَ يَسلَمُ فِيهَا غَيرُ المُسلِمِ إِنّمَا مَثَلِي بَينَكُم كَمَثَلِ السّرَاجِ فِي الظّلمَةِ يَستَضِيءُ بِهِ مَن وَلَجَهَا فَاسمَعُوا أَيّهَا النّاسُ وَ عُوا وَ أَحضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُم تَفهَمُوا [صفحه ۹۶] الإمامية تقول هذه العدة هم الأئمة الأحد عشر من ولده ع وغيرهم يقول إنه عنى الأبدال الذين هم أولياء الله فى الأرض و قدتقدم منا ذكر القطب والأبدال وأوضحنا ذلك إيضاحا جليا. قوله ع أسماؤهم فى السماء معروفة أى تعرفها الملائكة المعصومون أعلمهم الله تعالى بأسمائهم . و فى الأرض مجهولة أى عندالأكثرين لاستيلاء الضلال على أكثر البشر. ثم خرج إلى مخاطبة أصحابه على عادته فى ذكر الملاحم والفتن الكائنة فى آخر زمان الدنيا فقال لهم توقعوا ما يكون من إدبار أموركم وانقطاع وصلكم جمع وصلة. واستعمال صغاركم أى يتقدم الصغار على الكبار و هو من علامات الساعة. قال ذاك حيث يكون احتمال ضربة السيف على المؤمن أقل مشقة من احتمال المشقة فى اكتساب درهم حلال و ذلك لأن المكاسب تكون قدفسدت واختلطت وغلب الحرام الحلال فيها. قوله ذاك حيث يكون المعطى أعظم أجرا من المعطى معناه أن أكثر من يعطى ويتصدق فى ذلك الزمان يكون ماله حراما فلاأجر له فى التصدق به ثم أكثرهم يقصد الرياء والسمعة بالصدقة أولهوى نفسه أولخطرة من خطراته و لايفعل الحسن لأنه حسن و لاالواجب لوجوبه فتكون اليد السفلى خيرا من اليد العليا عكس ماورد فى الأثر و أماالمعطى فإنه يكون فقيرا ذا عيال لايلزمه أن يبحث عن المال أحرام هوأم حلال فإذاأخذه ليسد به خلته ويصرفه فى قوت عياله كان أعظم

أجرا ممن أعطاه . [صفحه ۹۷] و قدخطر لی فیه معنی آخر و هو أن صاحب المال الحرام إنما یصرفه فی أکثر الأحوال وأغلبها فی الفساد وارتکاب المحظور کما قال من اکتسب مالا من نهاوش أذهبه الله فی نهابر -روایت-۱-۲-روایت-۸-۵۶ فإذاأخذه الفقیر منه علی وجه الصدقهٔ فقد فوت علیه صرفه فی تلک القبائح والمحضورات التی کان بعرضته صرف ذلک القدر فیها لو لم یأخذه الفقیر فإذا قدأحسن الفقیر إلیه بکفه عن ارتکاب القبیح و من العصمهٔ ألا یقدر فکان المعطی أعظم أجرا من المعطی. قوله ع ذاک حیث تسکرون من غیرشراب بل من النعمهٔ بفتح النون وهی غضارهٔ العیش و قدقیل فی المثل سکر الهوی أشد من سکر الخمر. قال تحلفون من غیراضطرار أی تتهاونون بالیمین وبذکر الله عز و جل . قال وتکذبون من غیرإحراج أی یصیر الکذب لکم عادهٔ ودربهٔ لاتفعلونه لأن آخر منکم قدأحرجکم واضطرکم بالغیظ إلی الحلف وروی من غیرإحواج بالواو أی من غیر أن یحوجکم إلیه أحد قال ذلک إذاعضکم البلاء کمایعض القتب غارب البعیر هذاالکلام غیرمتصل بما قبله و هذه عادهٔ الرضی رحمه الله یلتقط الکلام التقاطا و لایتلو بعضه بعضا و قدذکرنا هذه الخطبهٔ أوأکثرها فیما تقدم من الأجزاء الأول وقبل هذاالکلام ذکر ماینال شیعته من البؤس والقنوط ومشقهٔ انتظار الفرج . قوله ع ماأطول هذاالعناء وأبعد هذاالرجاء هذاحکایهٔ کلام شیعته وأصحابه . [صفحه ۹۸] ثم قال مخاطبا أصحابه الموجودین حوله أیها الناس ألقوا هذه الأزمهٔ التی تحمل ظهورها الأثقال عن أیدیکم هذه کنایهٔ عن النهی عن ارتکاب القبیح و مایوجب الإثم والعقاب والظهور هاهنا هی الإبل أنفسها والأثقال المآثم وإلقاء الأزمهٔ ترک اعتماد القبیح فهذا عمومه و أماخصوصه فتعریض بما کان علیه أصحابه من الغدر ومخامرهٔ العدو علیه وإضمار الغل والغش له وعصیانه والتلوی علیه و قدفسره بما بعده فقال و لاتصدعوا عن سلطانکم أی لاتفرقوا فتذموا غب فعالکم أی عاقبته . ثم نهاهم عن اقتحام مااستقبلوه من فور نار الفتنهٔ وفور النار غلیانها واحتدامها ویروی مااستقبلکم . ثم قال وأمیطوا عن سننها أی تنحوا عن طریقها وخلوا قصد السبیل لها أی دعوها تسلک طریقها و لاتقفوا لها فیه فتکونوا حطبا لنارها. ثم ذکر أنه قدیهلک المؤمن فی لهبها ویسلم فیه الکافر کماقیل المؤمن ملقی والکافر موقی . ثم ذکر أن مثله فیهم کالسرج یستضیء بها من ولجها أی دخل فی ضوئها. وآذان قلوبکم کلمهٔ مستعارهٔ جعل للقلب آذانا کماجعل الشاعر للقلوب أبصارا فقال یدق علی النواظر ماأتاه || فتبصره بأبصار القلوب [صفحه ۹۹]

۲۳۴- و من خطبهٔ له ع

أُوصِیکُم أَیّهَا النّاسُ بِتَقوَی اللّهِ وَ کَثرَهِ حَمدِهِ عَلَی آلَائِهِ إِلَیکُم وَ نَعمَائِهِ عَلَیکُم وَ بَلَائِهِ لَدَیکُم فَکَم خَصّکُم بِنِعمَهٍ وَ تَدَارَکَکُم بِرَحمَهٍ أَعوَرتُم لَهُ فَسَتَرَکُم وَ تَعَرّضتُم لِأَخذِهِ فَأَمهَلَکُم وَ أُوصِیکُم بِذِکرِ المَوتِ وَ إِقلَالِ الغَفلَهِ عَنهُ وَ کَیفَ غَفلَتُکُم عَمّا لَیسَ یُغفِلُکُم وَ طَمَعُکُم فِیمَن لَیسَ یُمهِلُکُم فَکَفَی وَاعِظاً بِمَوتَی عَایَنتُمُوهُم حُمِلُوا إِلَی قُبُورِهِم غَیرَ رَاکِبینَ وَ أُنزِلُوا فِیهَا غَیرَ نَازِلِینَ کَأَنّهُم لَم یَکُونُوا لِلدّنیَا عُمّاراً وَ کَأَنّ الآخِرَهَ لَم تَزَل لَهُم دَاراً أَوحَشُوا مَا کَانُوا یُوطِنُونَ وَ أَوطَنُوا مَا کَانُوا یُوحِشُونَ وَ اشتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا وَ أَضَاعُوا مَا إِلَیهِ انتَقَلُوا لَا عَن قَبِیحٍ یَستَطِیعُونَ انتِقَالًا وَ لَا فِی حَسَنٍ یَستَطِیعُونَ ازدِیَاداً أَنِسُوا بِالدّنیَا فَغَرّتهُم وَ وَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتهُم فَسَابِقُوا رَحِمَکُمُ اللّهُ إِلَی مَنَازِلِکُمُ التّیِ أُمِرتُم أَن تَعمُرُوهَا وَ التّیِ رَغِبتُم فِیهَا وَ دُعِیتُم إِلَیهَا وَ استَتِمّوا نِعَمَ اللّهِ عَلَیکُم بِالصّبرِ عَلَی طَاعَتِهِ وَ المُجَانَبَهِ لِمَعصِیَتِهِ فَإِنّ غَداً مِنَ الیَومِ قَرِیبٌ مَا أَسرَعَ السّاعَاتِ فِی الیَومِ وَ أَسرَعَ الأَیّامَ فِی الشّهرِ وَ أَسرَعَ الشّهُورَ فِی السّنَهِ وَ أَسرَعَ السّنِینَ فِی العُمُرِ [صفحه ۱۰۰] أعورتم أی انکشفتم وبدت عوراتکم وهی المقاتل تقول أعور الفارس إذابدت مقاتله وأعورک الصید إذاأمکنک منه . قوله ع أوحشوا ماکانوا یوطنون أی أوطنوا قبورهم التی کانوا یوحشونها. قوله ع واشتغلوا بما فارقوا أی اشتغلوا وهم فی القبور بما فارقوه من الأموال والقینات لأنها أذی وعقاب علیهم فی قبورهم ولولاها لکانوا

فی راحة ویجوز أن یکون حکایة حالهم وهم بعد فی الدنیا أی اشتغلوا أیام حیاتهم من الأموال والمنازل بما فارقوه وأضاعوا من أمر آخرتهم ماانتقلوا إلیه . ثم ذکر أنهم لایستطیعون فعل حسنة و لاتوبة من قبیح لأن التکلیف سقط والمنازل التی أمروا بعمارتها والمقابر وعمارتها الأعمال الصالحة و قوله ع إن غدا من الیوم قریب کلام یجری مجری المثل قال غد ماغد ماأقرب الیوم من غد والأصل فیه قول الله تعالی إِنّ مَوعِدَهُمُ الصّبحُ أَ لَیسَ الصّبحُ بِقَرِیبٍ. و قوله ع ماأسرع الساعات فی الیوم إلی آخر الفصل کلام شریف وجیز بالغ فی معناه والفصل کله نادر لانظیر له –قرآن–۷۳۸–۷۸۸ [صفحه ۱۰۱]

۲۳۵– و من خطبة له ع

اشاره

فَمِنَ الإِیمَانِ مَا یَکُونُ ثَابِتاً مُستَقِرّاً فِی القُلُوبِ وَ مِنهُ مَا یَکُونُ عوَاَرِیّ بَینَ القُلُوبِ وَ الصّدُورِ إِلَی أَجَلٍ مَعلُومٍ فَإِذَا کَانَت لَکُم بَرَاءَةٌ مِن أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتّی یَحضُرَهُ المَوتُ فَعِندَ ذَلِکَ یَقَعُ حَدّ البَرَاءَةِ وَ الهِجرَةُ قَائِمَةٌ عَلَی حَدّهَا الأَوّلِ مَا کَانَ لِلّهِ فِی أَهلِ الأَرضِ حَاجَةٌ مِن مُستَسِرّ الأُمّةِ وَ مُعلِنِهَا لَا یَقَعُ اسمُ الهِجرَةِ عَلَی أَحَدٍ إِلّا بِمَعرِفَةِ الحُجّةِ فِی الأَرضِ فَمَن عَرَفَهَا وَ أَقَرّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ وَ لَا یَقَعُ اسمُ الِاستِضعَافِ عَلَی مَن بَلَغَتهُ الحُجّةُ فَسَمِعَتهَا أُذُنُهُ وَ وَعَاهَا قَلبُهُ إِنّ أَمرَنَا صَعبٌ مُستَصعَبٌ لَا یَحمِلُهُ إِلّا عَبدٌ مُؤمِنٌ امتَحَنَ اللّهُ قَلبَهُ لِلإِیمَانِ وَ لَا یعَیِ حَدِیثَنَا إِلّا صُدُورٌ أَمِینَةٌ وَ أَحلَامٌ رَزِینَةٌ أَیّهَا النّاسُ سلَوُنیِ قَبلَ أَن تفَقدِوُنیِ فَلَأَنَا بِطُرُقِ السّمَاءِ أَعلَمُ منِیّ بِطُرُقِ الأَرضِ قَبلَ أَن تَشغَرَ بِرِجلِهَا فِتنَةٌ تَطَأُ فِی خِطَامِهَا وَ تَذهَبُ بِأَحلَامِ قَومِهَا هذاالفصل یحمل علی عدة مباحث أولها قولها ع فمن الإیمان ما یکون کذا فنقول إنه قسم الإیمان إلی ثلاثة أقسام [صفحه ۱۰۲] أحدها الإیمان الحقیقی و هوالثابت المستقر فی القلوب بالبرهان الیقینی.الثانی ما لیس ثابتا بالبرهان الیقینی بل بالدلیل الجدلی کإیمان کثیر ممن لم یحقق العلوم العقلیة ویعتقد مایعتقده عن أقیسة جدلیة لاتبلغ إلی درجة البرهان و قدسمی ع هذاالقسم باسم مفرد فقال إنه عواری فی القلوب والعواری جمع عاریة أی هو و إن کان فی القلب و فی محل الإیمان الحقیقی إلا أن حکمه حکم العاریة فی البیت فإنها بعرضة الخروج منه لأنها لیست أصلیة کائنة فی بیت صاحبها. والثالث ما لیس مستندا إلی برهان و لا إلی قیاس جدلی بل علی سبیل التقلید وحسن الظن بالأسلاف وبمن یحسن ظن الإنسان فیه من عابد أوزاهد أوذی ورع و قدجعله ع عواری بین القلوب والصدور لأنه دون الثانی فلم یجعله حالا فی القلب وجعله مع کونه عاریة حالا بین القلب والصدر فیکون أضعف مما قبله . فإن قلت فما معنی قوله إلی أجل معلوم قلت إنه یرجع إلی القسمین الأخیرین لأن من لا یکون إیمانه ثابتا بالبرهان القطعی قدینتقل إیمانه إلی أن یصیر قطعیا بأن یمعن النظر ویرتب البرهان ترتیبا مخصوصا فینتج له النتیجة الیقینیة و قدیصیر إیمان المقلد إیمانا جدلیا فیرتقی إلی مافوقه مرتبته و قدیصیر إیمان الجدلی إیمانا تقلیدیا بأن یضعف فی نظره ذلک القیاس الجدلی و لا یکون عالما بالبرهان فیئول حال إیمانه إلی أن یصیر تقلیدیا فهذا هوفائدة قوله إلی أجل معلوم فی هذین القسمین .فأما صاحب القسم الأول فلایمکن أن یکون إیمانه إلی أجل معلوم لأن من ظفر بالبرهان استحال أن ینتقل عن اعتقاده لاصاعدا و لاهابطا أما لاصاعدا فلأنه لیس فوق البرهان مقام آخر و أما لاهابطا فلأن مادة البرهان هی المقدمات البدیهیة [صفحه ۱۰۳] والمقدمات البدیهیة یستحیل أن تضعف عندالإنسان حتی یصیر إیمانه جدلیا أوتقلیدیا. وثانیها قوله ع فإذاکانت لکم براءة فنقول إنه ع نهی عن البراءة من أحد مادام حیا لأنه و إن کان مخطئا فی اعتقاده لکن یجوز أن یعتقد الحق فیما بعد و إن کان مخطئا فی أفعاله لکن یجوز أن یتوب فلاتحل البراءة من أحد حتی یموت علی أمر فإذامات علی اعتقاد قبیح أوفعل قبیح جازت البراءة منه لأنه لم یبق له بعدالموت حالة تنتظر

وينبغى أن تحمل هـذه البراءة التى أشار إليها ع على البراءة المطلقـة لا على كل براءة لأنا يجوز لنا أن نبرأ من الفاسق و هوحى و مـن الكـافر و هـوحى لكن بشـرط كـونه فاسـقا وبشـرط كـونه كـافرا فأمـا من مـات ونعلم مامـات عليه فإنـا نـبرأ منه براءة مطلقة غيرمشـروطة. وثالثها قوله والهجرة قائمة على حدها الأول فنقول هذاكلام يختص به أمير المؤمنين ع و هو من أسـرار الوصية لأن الناس يروون عن النبى ص أنه قال لاهجرة بعدالفتح فشـفع عمه العباس فى نعيم بن مسـعود الأشـجعى أن يسـتثنيه فاستثناه و هذه الهجرة التى يشـير إليهـا أمير المؤمنين ع ليست تلـك الهجرة بـل هى الهجرة إلى الإمـام قـال إنهـا قائمـة على حـدها الأول مادام التكليف باقيـا و هومعنى قوله مـا كـان لله تعـالى فى أهـل الأـرض حاجـة. و قـال الراونـدى ماهاهنا نافيـة أى لم يكن لله فى أهل الأرض من حاجـة و هـذا ليس بصـحيح لأنه إدخال كلام منقطع بين كلامين متصل أحـدهما بالآخر. ثم ذكر أنه لايصح أن يعد الإنسـان من المهاجرين إلابمعرفـة إمام زمانه و هو [صـفحه ۱۰۴] معنى قوله إلابمعرفـة الحجـة فى الأرض قال فمن عرف الإمام وأقر به فهو مهـاجر. قـال و لاـيجوز أن يسـمى من عرف الإمـام مستضـعفا يمكن أن يشـير به إلى آيتين فى القرآن أحـدهما قوله تعالى إِنّ الّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمِي أَنفُسِـهِم قالُوا فِيمَ كُنتُم قالُوا كُنّا مُستَضـعَفِينَ فِي الأَرضِ قالُوا أَ لَم تَكُن أَرضُ اللّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها فَأُولئِكَ مَأواهُم جَهَنّمُفالمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمام وبلغه خبره بمستضعف كما كان هؤلاء مستضعفين و إن كان فى بلده وأهله لم يخرج و لم يتجشم مشـقة السـفر.ثانيهما قوله تعالى فى الآية التى تلى الآية المذكورةإِلّا المُستَضعَفِينَ مِنَ الرّجالِ وَ النّساءِ وَ الوِلدانِ لا يَستَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لا يَهتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولئِكَ عَسَى اللّهُ أَن يَعفُوَ عَنهُمفالمراد على هذا أنه ليس من عرف الإمـام وبلغه خبره بمستضـعف كهؤلاء الـذين اسـتثناهم الله تعالى من الظالمين لأن أولئك كانت الهجرة بالبـدن مفروضـة عليهـم وعفى عـن ذوى العجز عـن الحركـة منهـم وشـيعة الإمـام ع ليسـت الهجرة بالبـدن مفروضـة عليهـم بـل تكفى معرفتهم به وإقرارهم بإمامته فلايقع اسم الاستضـعاف عليهم . فإن قلت فما معنى قوله من مستسر الأمة ومعلنها وبما ذا يتعلق حرف الجر قلت معناه مادام لله فى أهل الأرض المستسـر منهم باعتقاده والمعلن حاجـة فمن على هذازائدة فلو حذفت لجر المستسـر بدلا من أهل الأرض و من إذاكانت زائـدة لاتتعلق نحو قولك ماجاءنى من أحـد. -قرآن-۱۸۷-۳۹۳-قرآن-۵۹۷-۷۵۰ [صفحه ۱۰۵] ورابعها قوله ع إن أمرنا هذاصعب مستصعب ويروى مستصعب بكسر العين لايحتمله إلا عبدامتحن الله تعالى قلبه للإيمان هذه من ألفاظ القرآن العزيز قـال الله تعـالى أُولئِـكَ الّـذِينَ امتَحَنَ اللّهُ قُلُـوبَهُم لِلتّقـوى و هـو من قولـك امتحن فلاـن لأـمر كـذا وجرب ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غيروان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها ويجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة لأن تحققك الشـىء إنما يكون باختباره كمايوضع الخبر موضع المعرفة فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى فتتعلق اللاـم بمحـذوف أى كائنـة لـه وهى اللاـم الـتى فى قولـك أنت لهـذا الأـمر أى مختص به كقـوله -قرآن-۱۶۸-۲۲۰ أعـداء من لليعملات على الوجا وتكون مع معمولها منصوبة على الحال ويجوز أن يكون المعنى ضـرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصـعبة لأجـل التقوى أى لتثبت فيظهر تقواهـا ويعلم أنهم متقون لأن حقيقـة التقوى لاتعلم إلا عنـدالمحن والشدائـد والاصـطبار عليها. ويجوز أن يكون المعنى أنه أخلص قلوبهم للتقوى من قولهم امتحن الـذهب إذاأذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه . و هذه الكلمـة قـدقالها ع مرارا ووقفت فى بعض الكتب على خطبـة من جملتهـا إن قريشا طلبت السـعادة فشـقيت وطلبت النجاة فهلكت وطلبت الهـدى فضلـت أ لم يسـمعوا ويحهم قوله تعـالى وَ الّـذِينَ آمَنُوا وَ اتّبَعَتهُم ذُرّيّتُهُم بِإِيمانٍ أَلحَقنا بِهِم ذُرّيّتَهُمفأين المعدل والمنزع عن ذرية الرسول الذين شـيد الله بنيانهم فوق بنيانهم وأعلى رءوسـهم فوق رءوسـهم واختارهم عليهم ألا إن الذرية أفنان أناشجرتها ودوحة أناساقها وإنى من أحمدبمنزلة الضوء من الضوء كنا -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۰۶] ظلالا تحت العرش قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التى كان منها البشر أشباحا عالية لاأجساما نامية إن أمرنا صعب مستصعب لايعرف كنهه إلاثلاثة ملك مقرب أونبى مرسل أو عبدامتحن الله قلبه للإيمان فإذاانكشف لكم سر أووضح لكم أمر فاقبلوه و إلافاسكتوا تسلموا وردوا

علمنا إلى الله فإنكم فى أوسع مما بين السماء و الأرض –روايت–از قبل–۳۳۲ قوله سلونى قبل أن تفقدونى –روايت–۱–۲–روايت–۹–۳۳ أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة و لاأحد من العلماء سلونى غير على بن أبى طالب ع ذكر ذلك ابن عبدالبر المحدث فى كتاب الاستيعاب . والمراد بقوله فلأنا أعلم بطرق السماء منى بطرق الأرض مااختص به من العلم بمستقبل الأمور و لاسيما فى الملاحم والدول و قدصدق هذاالقول عنه ماتواتر عنه من الأخبار بالغيوب المتكررة لامرة و لامائة مرة حتى زال الشك والريب فى أنه إخبار عن علم و أنه ليس على طريق الاتفاق و قدذكرنا كثيرا من ذلك فيما تقدم من هذاالكتاب . و قدتأوله قوم على وجه آخر قالوا أراد أنابالأحكام الشرعية والفتاوى الفقهية أعلم منى بالأمور الدنيوية فعبر عن تلك بطرق السماء لأنها أحكام إلهية وعبر عن هذه بطرق الأرض لأنها من الأمور الأرضية والأول أظهر لأن فحوى الكلام وأوله يدل على أنه المراد [صفحه ۱۰۷]

قصة وقعت لأحد الوعاظ ببغداد

و على ذكر قوله ع سلونى حدثنى من أثق به من أهل العلم حديثا و إن كان فيه بعض الكلمات العامية إلا أنه يتضمن ظرفا ولطفا ويتضمن أيضا أدبا. قال كان ببغداد فى صدر أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بالله واعظ مشهور بالحذق ومعرفة الحديث والرجال و كان يجتمع إليه تحت منبره خلق عظيم من عوام بغداد و من فضلائها أيضا و كان مشتهرا بذم أهل الكلام وخصوصا المعتزلة و أهل النظر على قاعدة الحشوية ومبغضى أرباب العلوم العقلية و كان أيضا منحرفا عن الشيعة برضا العامة بالميل عليهم فاتفق قوم من رؤساء الشيعة على أن يضعوا عليه من يبكته ويسأله تحت منبره ويخجله ويفضحه بين الناس فى المجلس و هذه عادة الوعاظ يقوم إليهم قوم فيسألونهم مسائل يتكلفون الجواب عنها وسألوا عمن ينتدب لهذا فأشير عليهم بشخص كان ببغداد يعرف بأحمد بن عبدالعزيز الكزى كان له لسن ويشتغل بشىء يسير من كلام المعتزلة ويتشيع وعنده قحة و قدشدا أطرافا من الأدب و قدرأيت أنا هذاالشخص فى آخر عمره و هويومئذ شيخ و الناس يختلفون إليه فى تعبير الرؤيا فأحضروه وطلبوا إليه أن يعتمد ذلك فأجابهم وجلس ذلك الواعظ فى يومه ألذى جرت عادته بالجلوس فيه واجتمع الناس عنده على طبقاتهم حتى امتلأت الدنيا بهم وتكلم على عادته فأطال فلما مر فى ذكر صفات البارى سبحانه فى أثناء الوعظ قام إليه الكزى فسأله أسئلة عقلية على منهاج كلام المتكلمين من المعتزلة فلم يكن للواعظ عنها جواب نظرى وإنما دفعه بالخطابة والجدل وسجع الألفاظ وتردد الكلام بينهما طويلا و قال الواعظ فى آخر الكلام أعين المعتزلة حول وصوتى [صفحه ۱۰۸] فى مسامعهم طبول وكلامى فى أفئدتهم نصول يا من بالاعتزال يصول ويحك كم تحوم وتجول حول من لاتدركه العقول كم أقول كم أقول خلوا هذاالفضول .فارتج المجلس وصرخ الناس وعلت الأصوات وطاب الواعظ وطرب وخرج من هذاالفصل إلى غيره فشطح شطح الصوفية و قال سلونى قبل أن تفقدونى وكررها فقام إليه الكزى فقال ياسيدى ماسمعنا أنه قال هذه الكلمة إلا على بن أبى طالب ع وتمام الخبر معلوم وأراد الكزى بتمام الخبر قوله ع لايقولها بعدى إلامدع . فقال الواعظ و هو فى نشوة طربه وأراد إظهار فضله ومعرفته برجال الحديث والرواة من على بن أبى طالب أ هو على بن أبى طالب بن المبارك النيسابورى أم على بن أبى طالب بن إسحاق المروزى أم على بن أبى طالب بن عثمان القيروانى أم على بن أبى طالب بن سليمان الرازى وعد سبعة أوثمانية من أصحاب الحديث كلهم على بن أبى طالب فقام الكزى وقام من يمين المجلس آخر و من يسار المجلس ثالث انتدبوا له وبذلوا أنفسهم للحمية ووطنوها على القتل . فقال الكزى أشا ياسيدى فلان الدين أشا صاحب هذاالقول هو على بن أبى طالب زوج فاطمة سيدة نساء العالمين ع و إن كنت ماعرفته بعدبعينه فهو الشخص ألذى لماآخى رسول الله ص بين الأتباع

والأذناب آخی بینه و بین نفسه وأسجل علی أنه نظیره ومماثله فهل نقل فی جهازکم أنتم من هذا شیء أونبت تحت خبکم من هذا شیء.فأراد الواعظ أن یکلمه فصاح علیه القائم من الجانب الأیمن و قال یاسیدی فلان الدین محمد بن عبد الله کثیر فی الأسماء ولکن لیس فیهم من قال له رب العزة [صفحه ۱۰۹] ما ضَلَّ صاحِبُکُم وَ ما غَوی وَ ما یَنطِقُ عَنِ الهَوی إِن هُوَ إِلّا وَحیٌ یُوحی وکذلک علی بن أبی طالب کثیر فی الأسماء ولکن لیس فیهم من -قرآن-۱-۸۲ قال له صاحب الشریعة أنت منی بمنزلة هرون من موسی إلا أنه لانبی بعدی -روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۸۰ و قدتلتقی الأسماء فی الناس والکنی || کثیرا ولکن میزوا فی الخلائق .فالتفت إلیه الواعظ لیکلمه فصاح علیه القائم من الجانب الأیسر و قال یاسیدی فلان الدین حقک تجهله أنت معذور فی کونک لاتعرفه و إذاخفیت علی الغبی فعاذر || ألا ترانی مقلة عمیاء .فاضطرب المجلس وماج کمایموج البحر وافتتن الناس وتواثبت العامة بعضها إلی بعض وتکشفت الرءوس ومزقت الثیاب ونزل الواعظ واحتمل حتی أدخل دارا أغلق علیه بابها وحضر أعوان السلطان فسکنوا الفتنة وصرفوا الناس إلی منازلهم وأشغالهم وأنفذ الناصر لدین الله فی آخر نهار ذلک الیوم فأخذ أحمد بن عبدالعزیز الکزی والرجلین اللذین قاما معه فحبسهم أیاما لتطفأ نائرة الفتنة ثم أطلقهم [صفحه ۱۱۰]

۲۳۶- و من خطبة له ع

أَحمَدُهُ شُکراً لِإِنعَامِهِ وَ أَستَعِینُهُ عَلَی وَظَائِفِ حُقُوقِهِ عَزِیزَ الجُندِ عَظِیمَ المَجدِ وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ دَعَا إِلَی طَاعَتِهِ وَ قَاهَرَ أَعدَاءَهُ جِهَاداً عَن دِینِهِ لَا یَثنِیهِ عَن ذَلِکَ اجتِمَاعٌ عَلَی تَکذِیبِهِ وَ التِمَاسٌ لِإِطفَاءِ نُورِهِ فَاعتَصِمُوا بِتَقوَی اللّهِ فَإِنّ لَهَا حَبلًا وَثِیقاً عُروَتُهُ وَ مَعقِلًا مَنِیعاً ذِروَتُهُ وَ بَادِرُوا المَوتَ وَ غَمَرَاتِهِ وَ امهَدُوا لَهُ قَبلَ حُلُولِهِ وَ أَعِدّوا لَهُ قَبلَ نُزُولِهِ فَإِنّ الغَایَةَ القِیَامَةُ وَ کَفَی بِذَلِکَ وَاعِظاً لِمَن عَقَلَ وَ مُعتَبَراً لِمَن جَهِلَ وَ قَبلَ بُلُوغِ الغَایَةِ مَا تَعلَمُونَ مِن ضِیقِ الأَرمَاسِ وَ شِدّةِ الإِبلَاسِ وَ هَولِ المُطّلَعِ وَ رَوعَاتِ الفَزَعِ وَ اختِلَافِ الأَضلَاعِ وَ استِکَاکِ الأَسمَاعِ وَ ظُلمَةِ اللّحدِ وَ خِیفَةِ الوَعدِ وَ غَمّ الضّرِیحِ وَ رَدمِ الصّفِیحِ فَاللّهَ اللّهَ عِبَادَ اللّهِ فَإِنّ الدّنیَا مَاضِیَةٌ بِکُم عَلَی سَنَنٍ وَ أَنتُم وَ السّاعَةَ فِی قَرَنٍ وَ کَأَنّهَا قَد جَاءَت بِأَشرَاطِهَا وَ أَزِفَت بِأَفرَاطِهَا وَ وَقَفَت بِکُم عَلَی صِرَاطِهَا وَ کَأَنّهَا قَد أَشرَفَت بِزَلَازِلِهَا وَ أَنَاخَت بِکَلَاکِلِهَا وَ انصَرَفَتِ الدّنیَا بِأَهلِهَا وَ أَخرَجَتهُم مِن حِضنِهَا فَکَانَت کَیَومٍ مَضَی وَ شَهرٍ انقَضَی وَ صَارَ جَدِیدُهَا رَثّاً وَ سَمِینُهَا غَثّاً فِی مَوقِفٍ ضَنکِ المَقَامِ وَ أُمُورٍ مُشتَبِهَةٍ عِظَامٍ وَ نَارٍ شَدِیدٍ کَلَبُهَا عَالٍ لَجَبُهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا مُتَغَیّظٍ زَفِیرُهَا مُتَأَجّجٍ سَعِیرُهَا بَعِیدٍ خُمُودُهَا ذَاکٍ وُقُودُهَا مَخُوفٍ [صفحه ۱۱۱] وَعِیدُهَا عَمٍ قَرَارُهَا مُظلِمَةٍ أَقطَارُهَا حَامِیَةٍ قُدُورُهَا فَظِیعَةٍ أُمُورُهَا وَ سِیقَ الّذِینَ اتّقَوا رَبّهُم إِلَی الجَنّةِ زُمَراً قَد أُمِنَ العَذَابُ وَ انقَطَعَ العِتَابُ وَ زُحزِحُوا عَنِ النّارِ وَ اطمَأَنّت بِهِمُ الدّارُ وَ رَضُوا المَثوَی وَ القَرَارَ الّذِینَ کَانَت أَعمَالُهُم فِی الدّنیَا زَاکِیَةً وَ أَعیُنُهُم بَاکِیَةً وَ کَانَ لَیلُهُم فِی دُنیَاهُم نَهَاراً تَخَشّعاً وَ استِغفَارًا وَ کَانَ نَهَارُهُم لَیلًا تَوَحّشاً وَ انقِطَاعاً فَجَعَلَ اللّهُ لَهُمُ الجَنّةَ مَآباً وَ الجَزَاءَ ثَوَاباً وَ کَانُوا أَحَقّ بِهَا وَ أَهلَهَا فِی مُلکٍ دَائِمٍ وَ نَعِیمٍ قَائِمٍ فَارعَوا عِبَادَ اللّهِ مَا بِرِعَایَتِهِ یَفُوزُ فَائِزُکُم وَ بِإِضَاعَتِهِ یَخسَرُ مُبطِلُکُم وَ بَادِرُوا آجَالَکُم بِأَعمَالِکُم فَإِنّکُم مُرتَهَنُونَ بِمَا أَسلَفتُم وَ مَدِینُونَ بِمَا قَدّمتُم وَ کَأَن قَد نَزَلَ بِکُمُ المَخُوفُ فَلَا رَجعَةً تُنَالُونَ وَ لَا عَثرَةً تُقَالُونَ استَعمَلَنَا اللّهُ وَ إِیّاکُم بِطَاعَتِهِ وَ طَاعَةِ رَسُولِهِ وَ عَفَا عَنّا وَ عَنکُم بِفَضلِ رَحمَتِهِ الزَمُوا الأَرضَ وَ اصبِرُوا عَلَی البَلَاءِ وَ لَا تُحَرّکُوا بِأَیدِیکُم وَ سُیُوفِکُم فِی هَوَی أَلسِنَتِکُم وَ لَا تَستَعجِلُوا بِمَا لَم یُعَجّلهُ اللّهُ لَکُم فَإِنّهُ مَن مَاتَ مِنکُم عَلَی فِرَاشِهِ وَ هُوَ عَلَی مَعرِفَةِ حَقّ رَبّهِ وَ حَقّ رَسُولِهِ وَ أَهلِ بَیتِهِ مَاتَ شَهِیداً وَ وَقَعَ أَجرُهُ عَلَی اللّهِ وَ استَوجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَی مِن صَالِحِ عَمَلِهِ وَ قَامَتِ النّیّةُ مَقَامَ إِصلَاتِهِ لِسَیفِهِ فَإِنّ لِکُلّ شَیءٍ مُدّةً وَ أَجَلًا وظائف حقوقه الواجبات المؤقتة کالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان والوظیفة مایجعل للإنسان فی کل یوم أو فی کل شهر أو فی کل سنة من طعام أورزق [صفحه ۱۱۲] وعزیز منصوب لأنه حال من الضمیر فی أستعینه ویجوز أن یکون حالا من الضمیر المجرور فی حقوقه وإضافة عزیز

إلى الجنـد إضافـة فى تقدير الانفصال لاتوجب تعريفه ليمتنع من كونه حالا. وقاهر أعداءه حاربهم وروى وقهر أعداءه . والمعقل مـايعتصم به وذروته أعلاه . وامهـدوا له اتخـذوا مهادا و هوالفراش و هـذه اسـتعارة. قوله ع فإن الغايـة القيامـة أى فإن منتهى كل البشر إليها و لابد منها. والأرماس جمع رمس و هوالقبر والإبلاس مصدر أبلس أى خاب ويئس والإبلاس أيضا الانكسار والحزن . واستكاك الأسـماع صـممها. وغم الضـريح ضـيق القـبر وكربه والصـفيح الحجر وردمه سـده . والسـنن الطريق والقرن الحبـل . وأشـراط الساعـة علاماتها وأزفت قربت وأفراطها جمع فرط وهم المتقدمون السابقون من الموتى و من روى بإفراطها فهو مصدر أفرط فى الشـىء أى قربت الساعة بشدة غلوائها وبلوغها غاية الهول والفظاعة ويجوز أن تفسـر الرواية الأولى بمقدماتها و مايظهر قبلها من خوارق العادات المزعجة كالدجال ودابة الأرض ونحوهما ويرجع ذلك إلى اللفظة الأولى وهى أشـراطها وإنما يختلف اللفظ. والكلاكل جمع كلكل و هوالصدر ويقال للأمر الثقيل قدأناخ عليهم بكلكله أى هدمهم ورضهم كمايهد البعير البارك من تحته إذاأنحى عليه بصـدره . قـوله ع وانصـرفت الـدنيا بأهلهـا أى ولت ويروى وانصـرمت أى انقضت . [صـفحه ١١٣] والحضن بكسـر الحـاء مـادون الإبط إلى الكشـح . والرث الخلق والغث الهزيل . ومقام ضـنك أى ضـيق . وشديـد كلبها أى شـرها وأذاها واللجب الصوت ووقودهـا هاهنـا بضم الواو و هوالحـدث و لا يجوز الفتـح لأنه مايوقـد به كالحطب ونحوه وذاك لايوصف بأنه ذاك . قوله ع عم قرارها أى لايهتـدى فيه لظلمته ولأنه عميق جدا ويروى وكأن ليلهم نهار وكذلك أختها على التشبيه . والمآب المرجع ومـدينون مجزيون . قوله ع فلارجعـة تنالون الروايـة بضم التاء أى تعطون يقال أنلت فلانا مالا أى منحته و قدروى تنالون بفتـح التاء. ثم أمر أصـحابه أن يثبتوا و لايعجلوا فى محاربـة من كان مخالطا لهم من ذوى العقائـد الفاسدة كالخوارج و من كان يبطن هوى معاويـة و ليس خطـابه هـذاتثبيطا لهم عن حرب أهل الشام كيف و هو لايزال يقرعهم ويوبخهم عن التقاعـد والإبطاء فى ذلك ولكن قوما من خاصـته كانوا يطلعون على ما عندقوم من أهل الكوفة ويعرفون نفاقهم وفسادهم ويرومون قتلهم وقتالهم فنهاهم عن ذلك و كان يخاف فرقة جنده وانتثار حبل عسـكره فأمرهم بلزوم الأرض والصبر على البلاء. وروى بإسـقاط الباء من قوله بأيـديكم و من روى الكلمة بالباء جعلها زائدة ويجوز ألا تكون زائدة و يكون المعنى و لاتحركوا الفتنة بأيديكم وسـيوفكم فى هوى ألسـنتكم فحذف المفعول . والإصلات بالسيف مصدر أصلت أى سل . [صفحه ١١٤] واعلم أن هذه الخطبة من أعيان خطبه ع و من ناصع كلامه ونادره و فيها من صـناعة البـديع الرائقـة المستحسـنة البريئـة من التكلف ما لايخفى و قدأخذ ابن نباتة الخطيب كثيرا من ألفاظها فأودعها خطبه مثل قوله شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سـعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها مخوف وعيـدها عم قرارها مظلمـة أقطارها حامية قدورها فظيعة أمورها فإن هذه الألفاظ كلها اختطفها وأغار عليها واغتصبها وسمط بهاخطبه وشذر بهاكلامه . ومثل قوله هول المطلع وروعات الفزع واختلاف الأضلاع واستكاك الأسماع وظلمة اللحد وخيفة الوعد وغم الضريح وردم الصفيح فإن هذه الألفاظ أيضا تمضى فى أثناء خطبه و فى غضون مواعظه [صفحه ١١٥]

٢٣٧– و من خطبة له ع

الحَمدُ لِلّهِ الفَاشِي فِي الخَلقِ حَمدُهُ وَ الغَالِبِ جُندُهُ وَ المُتَعَالِي جَدّهُ أَحمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التّؤَامِ وَ آلَائِهِ العِظَامِ أَلّذِي عَظُمَ حِلمُهُ فَعَفَا وَ عَدَلَ فِي كُلّ مَا قَضَى وَ عَلِمَ بِمَا يَمضِي وَ مَا مَضَى مُبتَدِعِ الخَلَائِقِ بِعِلمِهِ وَ مُنشِئِهِم بِحُكمِهِ بِلَا اقتِدَاءٍ وَ لَا تَعلِيمٍ وَ لَا احتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ وَ لَا إِصَابَةِ خَطَإٍ وَ لَا حَضرَةِ مَلَإٍ وَ أَشهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبدُهُ وَ رَسُولُهُ ابتَعَثَهُ وَ النّاسُ يَضرِبُونَ فِي غَمرَةٍ وَ يَمُوجُونَ فِي حَيرَةٍ قَد قَادَتهُم أَزِمّةُ الحَينِ وَ استَغلَقَت عَلَى أَفئِدَتِهِم أَقفَالُ الرّينِ عِبَادَ اللّهِ أُوصِيكُم بِتَقوَى اللّهِ فَإِنّهَا حَقّ اللّهِ عَلَيكُم وَ المُوجِبَةُ عَلَى اللّهِ حَقّكُم وَ أَن تَستَعِينُوا عَلَيهَا بِاللّهِ وَ تَستَعِينُوا بِهَا عَلَى اللّهِ فَإِنّ التّقوَى فِي اليَومِ الحِرزُ وَ الجُنّةُ وَ فِي غَدٍ الطّرِيقُ إِلَى الجَنّةِ

مَسلَكَهَا وَاضِحٌ وَ سَالِكَهَا رَابِحٌ وَ مُستَودَعُهَا حَافِظٌ لَم تَبرَح عَارِضَةً نَفسَهَا عَلَى الأُمَمِ المَاضِينَ مِنكَم وَ الغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِم إِلَيهَا غَداً إِذَا أَعَادَ اللّهُ مَا أَبدَى وَ أَخَذَ مَا أَعطَى وَ سَأَلَ عَمّا أَسدَى فَمَا أَقَلّ مَن قَبِلَهَا وَ حَمَلَهَا حَقّ حَملِهَا أُولَئِكَ الأَقَلّونَ عَدَداً وَ هُم أَهلُ صِفَةِ اللّهِ سُبحَانَهُ إِذ يَقُولُ وَ قَلِيلٌ مِن عِبادِيَ الشّكُورُفَأَهطِعُوا بِأَسمَاعِكُم إِلَيهَا وَ أَلِظّوا بِجِدّكُم عَلَيهَا وَ اعتَاضُوهَا مِن كُلّ سَلَفٍ خَلَفاً وَ مِن كُلّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً -قرآن-۱۲۶۷-۱۳۰۰ [صفحه ۱۱۶] أَيقِظُوا بِهَا نَومَكُم وَ اقطَعُوا بِهَا يَومَكُم وَ أَشعِرُوهَا قُلُوبَكُم وَ ارحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُم وَ دَاوُوا بِهَا الأَسقَامَ وَ بَادِرُوا بِهَا الحِمَامَ وَ اعتَبِرُوا بِمَن أَضَاعَهَا وَ لَا يَعتَبِرَنّ بِكُم مَن أَطَاعَهَا أَلَا فَصُونُوهَا وَ تَصَوّنُوا بِهَا وَ كُونُوا عَنِ الدّنيَا نُزّاهاً وَ إِلَى الآخِرَةِ وُلّاهاً وَ لَا تَضَعُوا مَن رَفَعَتهُ التّقوَى وَ لَا تَرفَعُوا مَن رَفَعَتهُ الدّنيَا وَ لَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا وَ لَا تَسمَعُوا نَاطِقَهَا وَ لَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا وَ لَا تَستَضِيئُوا بِإِشرَاقِهَا وَ لَا تُفتَنُوا بِأَعلَاقِهَا فَإِنّ بَرقَهَا خَالِبٌ وَ نُطقَهَا كَاذِبٌ وَ أَموَالَهَا مَحرُوبَةٌ وَ أَعلَاقَهَا مَسلُوبَةٌ أَلَا وَ هيَ المُتَصَدّيَةُ العَنُونُ وَ الجَامِحَةُ الحَرُونُ وَ المَائِنَةُ الخَئُونُ وَ الجَحُودُ الكَنُودُ وَ العَنُودُ الصّدُودُ وَ الحَيُودُ المَيُودُ حَالُهَا انتِقَالٌ وَ وَطأَتُهَا زِلزَالٌ وَ عِزّهَا ذُلّ وَ جِدّهَا هَزلٌ وَ عُلوُهَا سُفلٌ دَارُ حَربٍ وَ سَلَبٍ وَ نَهبٍ وَ عَطَبٍ أَهلُهَا عَلَى سَاقٍ وَ سِيَاقٍ وَ لَحَاقٍ وَ فِرَاقٍ قَد تَحَيّرَت مَذَاهِبُهَا وَ أَعجَزَت مَهَارِبُهَا وَ خَابَت مَطَالِبُهَا فَأَسلَمَتهُمُ المَعَاقِلُ وَ لَفَظَتهُمُ المَنَازِلُ وَ أَعيَتهُمُ المَحَاوِلُ فَمِن نَاجٍ مَعقُورٍ وَ لَحمٍ مَجزُورٍ وَ شِلوٍ مَذبُوحٍ وَ دَمٍ مَسفُوحٍ وَ عَاضّ عَلَى يَدَيهِ وَ صَافِقٍ بِكَفّيهِ وَ مُرتَفِقٍ بِخَدّيهِ وَ زَارٍ عَلَى رَأيِهِ وَ رَاجِعٍ عَن عَزمِهِ وَ قَد أَدبَرَتِ الحِيلَةُ وَ أَقبَلَتِ الغِيلَةُ وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ هَيهَاتَ هَيهَاتَ قَد فَاتَ مَا فَاتَ وَ ذَهَبَ مَا ذَهَبَ وَ مَضَتِ الدّنيَا لِحَالِ بَالِهَا فَمَا بَكَت عَلَيهِمُ السّمَاءُ وَ الأَرضُ وَ مَا كَانُوا مُنظَرِينَ [صفحه ۱۱۷] الفاشى الذائع فشا الخبر يفشو فشوا أى ذاع وأفشاه غيره وتفشى الشىء أى اتسع والفواشى كل منتشر من المال مثل الغنم السائمة والإبل وغيرهما و منه الحديث ضموا فواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء -روايت-۱-۳۷ فيجوز أن يكون عنى بفشو حمده إطباق الأمم قاطبة على الاعتراف بنعمته ويجوز أن يريد بالفاشى سبب حمده و هوالنعم التى لايقدر قدرها فحذف المضاف . قوله والغالب جنده فيه معنى قوله تعالى فَإِنّ حِزبَ اللّهِ هُمُ الغالِبُونَ. قوله والمتعالى جده فيه معنى قوله تعالى وَ أَنّهُ تَعالى جَدّ رَبّنا والجد فى هذاالموضع و فى الآية العظمة. والتؤام جمع توأم على فوعل و هوالولد المقارن أخاه فى بطن واحد و قدأتأمت المرأة إذاوضعت اثنين كذلك فهى متئم فإن كان ذلك عادتها فهى متآم و كل واحد من الولدين توأم وهما توأمان و هذاتوأم هذا و هذه توأمته والجمع توائم مثل قشعم وقشاعم وجاء فى جمعه تؤام على فعال وهى اللفظة التى وردت فى هذه الخطبة و هوجمع غريب لم يأت نظيره إلا فى مواضع معدودة وهى عرق العظم يؤخذ عنه اللحم وعراق وشاة ربى للحديثة العهد بالولادة وغنم رباب وظئر للمرضعة غيرولدها وظؤار ورخل للأنثى من أولاد الضأن ورخال وفرير لولد البقرة الوحشية وفرار. والآلاء النعم . -قرآن-۱۹۶-۲۳۱-قرآن-۲۷۸-۳۰۵ [صفحه ۱۱۸] قوله ع مبدع الخلائق بعلمه ليس يريد أن العلم علة فى الإبداع كماتقول هوى الحجر بثقله بل المراد أبدع الخلق و هوعالم كماتقول خرج زيد بسلاحه أى خرج متسلحا فموضع الجار والمجرور على هذانصب بالحالية وكذلك القول فى ومنشئهم بحكمه والحكم هاهنا الحكمة. و منه قوله ع إن من الشعر لحكمة -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۲ . قوله بلا اقتداء و لاتعليم و لااحتذاء قدتكرر منه ع أمثاله مرارا. قوله و لاإصابة خطأ تحته معنى لطيف و ذلك لأن المتكلمين يوردون على أنفسهم سؤالا فى باب كونه عالما بكل معلوم إذااستدلوا على ذلك فإنه علم بعض الأشياء لا من طريق أصلا لا من إحساس و لا من نظر واستدلال فوجب أن يعلم سائرها لأنه لامخصص فقالوا لأنفسهم لم زعمتم ذلك و لم لايجوز أن يكون فعل أفعاله مضطربة فلما أدركها علم كيفية صنعها بطريق كونه مدركا لها فأحكمها بعداختلالها واضطرابها وأجابوا عن ذلك بأنه لابد أن يكون قبل أن فعلها عالما بمفرداتها من غيرإحساس ويكفى ذلك فى كونه عالما بما لم يتطرق إليه ثم يعود الاستدلال المذكور أولا. قوله ع و لاحضره ملأ الملأ الجماعة من الناس و فيه معنى قوله تعالى ما أَشهَدتُهُم خَلقَ السّماواتِ وَ الأَرضِ وَ لا خَلقَ أَنفُسِهِم. قوله يضربون فى غمرة أى يسيرون فى جهل وضلالة والضرب السير السريع . والحين الهلاك والرين الذنب على الذنب حتى يسود

القلب وقيل الرين -قرآن-٧٠٧-٧٧١ [صفحه ١١٩] الطبع والدنس يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا أى دنسه ووسخه واستغلقت أقفال الرين على قلوبهم تعسر فتحها. قوله فإنها حق الله عليكم والموجبة على الله حقكم يريد أنها واجبة عليكم فإن فعلتموها وجب على الله أن يجازيكم عنها بالثواب و هذاتصريح بمذهب المعتزلة فى العدل و أن من الأشياء مايجب على الله تعالى من باب الحكمة. قوله و أن تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله يريد أوصيكم بأن تستعينوا بالله على التقوى بأن تدعوه وتبتهلوا إليه أن يعينكم عليها ويوفقكم لها وييسرها ويقوى دواعيكم إلى القيام بها وأوصيكم أن تستعينوا بالتقوى على لقاء الله ومحاكمته وحسابه فإنه تعالى يوم البعث والحساب كالحاكم بين المتخاصمين وَ تَرى كُلّ أُمّةٍ جاثِيَةً كُلّ أُمّةٍ تُدعى إِلى كِتابِهَافالسعيد من استعان على ذلك الحساب وتلك الحكومة والخصومة بالتقوى فى دار التكليف فإنها نعم المعونةوَ تَزَوّدُوا فَإِنّ خَيرَ الزّادِ التّقوى. والجنة مايستتر به . قوله ومستودعها حافظ يعنى الله سبحانه لأنه مستودع الأعمال ويدل عليه قوله تعالى إِنّا لا نُضِيعُ أَجرَ مَن أَحسَنَ عَمَلًا و ليس ماقاله الراوندى من أنه أراد بالمستودع قلب الإنسان بشىء. قوله لم تبرح عارضة نفسها كلام فصيح لطيف يقول إن التقوى لم تزل عارضة نفسها على من سلف من القرون فقبلها القليل منهم شبهها بالمرأة العارضة نفسها نكاحا على قوم فرغب فيها من رغب وزهد من زهد و على الحقيقة ليست -قرآن-٦٦٥-٧٢٥-قرآن-٨٢٨-٨٦٩-قرآن-٩٧٩-١٠٢٠ [صفحه ١٢٠] هى العارضة نفسها ولكن المكلفين ممكنون من فعلها ومرغبون فيهافصارت كالعارضة. والغابر هاهنا الباقى و هو من الأضداد يستعمل بمعنى الباقى وبمعنى الماضى. قوله ع إذاأعاد الله ماأبدى يعنى أنشر الموتى وأخذ ماأعطى وورث الأرض مالك الملوك فلم يبق فى الوجود من له تصرف فى شىءغيره كما قال لِمَنِ المُلكُ اليَومَ لِلّهِ الواحِدِ القَهّارِ وقيل فى الأخبار و -قرآن-٣٠٤-٣٥١ الحديث إن الله تعالى يجمع الذهب والفضة كل ما كان منه فى الدنيا فيجعله أمثال الجبال ثم يقول هذافتنة بنى آدم ثم يسوقه إلى جهنم فيجعله مكاوى لجباه المجرمين -روايت-١-٢-روايت-١٠-١٧٧ . وسأل عما أسدى أى سأل أرباب الثروة عما أسدى إليهم من النعم فيم صرفوها وفيم أنفقوها. قوله ع فما أقل من قبلها يعنى ماأقل من قبل التقوى العارضة نفسها على الناس . و إذا فى قوله إذاأعاد الله ظرف لحاجتهم إليها لأن المعنى يقتضيه أى لأنهم يحتاجون إليها وقت إعادة الله الخلق و ليس كماظنه الراوندى أنه ظرف لقوله فما أقل من قبلها لأن المعنى على ماقلناه ولأن ما بعدالفاء لايجوز أن يكون عاملا فيما قبلها. قوله فأهطعوا بأسماعكم أى أسرعوا أهطع فى عدوه أى أسرع ويروى فانقطعوا بأسماعكم إليها أى فانقطعوا إليها مصغين بأسماعكم . قوله وألظوا بجدكم أى ألحوا والإلظاظ الإلحاح فى الأمر و منه قول -روايت-١-٢ [صفحه ١٢١] ابن مسعود ألظوا فى الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام -روايت-١٣-٥٤ و منه الملاظة فى الحرب ويقال رجل ملظ وملظاظ أى ملحاح وألظ المطر أى دام . و قوله بجدكم أى باجتهادكم جددت فى الأمر جدا بالغت واجتهدت ويروى وواكظوا بحدكم والمواكظة المداومة على الأمر و قال مجاهد فى قوله تعالى إِلّا ما دُمتَ عَلَيهِ قائِماً قال أى مواكظا. قوله وأشعروا بهاقلوبكم يجوز أن يريد اجعلوها شعارا لقلوبكم و هو مادون الدثار وألصق بالجسد منه ويجوز أن يريد اجعلوها علامة يعرف بهاالقلب التقى من القلب المذنب كالشعار فى الحرب يعرف به قوم من قوم ويجوز أن يريد أخرجوا قلوبكم بها من أشعار البدن أى طهروا القلوب بها وصفوها من دنس الذنوب كمايصفى البدن بالفصاد من غلبة الدم الفاسد ويجوز أن يريد الإشعار بمعنى الإعلام من أشعرت زيدا بكذا أى عرفته إياه أى اجعلوها عالمة بجلالة موقعها وشرف محلها. قوله وارحضوا بها أى اغسلوا وثوب رحيض ومرحوض أى مغسول . قال وداووا بهاالأسقام يعنى أسقام الذنوب . وبادروا بهاالحمام عجلوا واسبقوا الموت أن يدرككم وأنتم غيرمتقين . واعتبروا بمن أضاع التقوى فهلك شقيا و لايعتبرن بكم أهل التقوى أى لاتكونوا أنتم لهم معتبرا بشقاوتكم وسعادتهم . ثم قال وصونوا التقوى عن أن تمازجها المعاصى وتصونوا أنتم بها عن الدناءة و ماينافى العدالة. والنزه جمع نزيه و هوالمتباعد عما يوجب الذم والولاه جمع واله و هوالمشتاق ذو الوجد حتى يكاد يذهب عقله . -قرآن-٢٢٠-٢٤٩ [صفحه ١٢٢] ثم شرع فى ذكر الدنيا فقال

لاتشيموا بارقها الشيم النظر إلى البرق انتظارا للمطر. و لاتسمعوا ناطقها لاتصغوا إليها سامعين و لاتجيبوا مناديها. والأعلاق جمع علق و هوالشىء النفيس وبرق خالب وخلب لامطر فيه . وأموالها محروبة أى مسلوبة. قوله ع ألا وهى المتصدية العنون شبهها بالمرأة المومس تتصدى للرجال تريد الفجور وتتصدى لهم تتعرض والعنون المتعرضة أيضا عن لى كذا أى عرض . ثم قال والجامحة الحرون شبهها بالدابة ذات الجماح وهى التى لايستطاع ركوبها لأنها تعثر بفارسها وتغلبه وجعلها مع ذلك حرونا وهى التى لاتنقاد. ثم قال والمائنة الخئون مان أى كذب شبهها بامرأة كاذبة خائنة. والجحود الكنود جحد الشىء أنكره وكند النعمة كفرها جعلها كامرأة تجحد الصنيعة و لاتعترف بها وتكفر النعمة ويجوز أن يكون الجحود من قولك رجل جحد وجحد أى قليل الخير وعام جحد أى قليل المطر و قدجحد النبت إذا لم يطل . قال والعنود الصدود العنود الناقة تعدل عن مرعى الإبل وترعى ناحية. والصدود المعرضة صد عنه أى أعرض شبهها فى انحرافها وميلها عن القصد بتلك . قال والحيود الميود حادث الناقة عن كذا تحيد فهى حيود إذامالت عنه . ومادت تميد فهى ميود أى مالت فإن كانت عادتها ذلك سميت الحيود الميود فى كل حال . [صفحه ۱۲۳] قال حالها انتقال يجوز أن يعنى به أن شيمتها وسجيتها الانتقال والتغير ويجوز أن يريد به معنى أدق و هو أن الزمان على ثلاثة أقسام ماض وحاضر ومستقبل فالماضى والمستقبل لاوجود لهما الآن وإنما الموجود أبدا هوالحاضر فلما أراد المبالغة فى وصف الدنيا بالتغير والزوال قال حالها انتقال أى أن الآن ألذى يحكم العقلاء عليه بالحضور منها ليس بحاضر على الحقيقة بل هوسيال متغير فلاثبوت إذالشىء منها مطلقا ويروى وحالها افتعال أى كذب وزور وهى رواية شاذة. قال ووطئتها زلزال الوطأة كالضغطة و منه قوله ص أللهم اشدد وطأتك على مضر -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۹ وأصلها موضع القدم والزلزال الشدة العظيمة والجمع زلازل . و قال الراوندى فى شرحه يريد أن سكونها حركة من قولك وطؤ الشىء أى صار وطيئا ذا حال لينة وموضع وطىء أى وثير و هذاخطأ لأن المصدر من ذلك وطاءة بالمد وهاهنا وطأة ساكن الطاء فأين أحدهما من الآخر. قال وعلوها سفل يجوز ضم أولهما وكسره . قال دار حرب الأحسن فى صناعة البديع أن تكون الراء هاهنا ساكنة ليوازى السكون هاء نهب و من فتح الراء أراد السلب حربته أى سلبت ماله . قال أهلها على ساق وسياق يقال قامت الحرب على ساق أى على شدة و منه قوله سبحانه يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ والسياق نزع الروح يقال رأيت فلانا يسوق أى ينزع عندالموت أو يكون مصدر ساق الماشية سوقا وسياقا. و قال الراوندى فى شرحه يريد أن بعض أهلها فى أثر بعض كقولهم ولدت فلانة -قرآن-۵۲۹-۵۵۰ [صفحه ۱۲۴] ثلاثة بنين على ساق و ليس ماقاله بشىء لأنهم يقولون ذلك للمرأة إذا لم يكن بين البنين أنثى و لايقال ذلك فى مطلع التتابع أين كان . قال ع ولحاق وفراق اللام مفتوحة مصدر لحق به و هذاكقولهم الدنيا مولود يولد ومفقود يفقد. قال ع قدتحيرت مذاهبها أى تحير أهلها فى مذاهبهم و ليس يعنى بالمذاهب هاهنا الاعتقادات بل المسالك . وأعجزت مهاربها أى أعجزتهم جعلتهم عاجزين فحذف المفعول . وأسلمتهم المعاقل لم تحصنهم . ولفظتهم بفتح الفاء رمت بهم وقذفتهم . وأعيتهم المحاول أى المطالب . ثم وصف أحوال الدنيا فقال هم فمن ناج معقور أى مجروح كالهارب من الحرب بحشاشة نفسه و قدجرح بدنه . ولحم مجزور أى قتيل قدصار جزرا للسباع . وشلو مذبوح الشلو العضو من أعضاء الحيوان المذبوح أوالميت و فى الحديث ائتونى بشلوها الأيمن -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۳۷ . ودم مفسوح أى مسفوك وعاض على يديه أى ندما. وصافق بكفيه أى تعسفا أوتعجبا. ومرتفق بخديه جاعل لهما على مرفقيه فكرا وهما. وزار على رأيه أى عائب أى يرى الواحد منهم رأيا ويرجع عنه ويعيبه و هوالبداء ألذى يذكره المتكلمون ثم فسره بقوله وراجع عن عزمه . [صفحه ۱۲۵] فإن قلت فهل يمكن أن يفرق بينهما ليكون الكلام أكثر فائدة قلت نعم بأن يريد بالأول من رأى رأيا وكشفه لغيره وجامعه عليه ثم بدا له وعابه ويريد بالثانى من عزم نفسه عزما و لم يظهر لغيره ثم رجع عنه ويمكن أيضا بأن يفرق بينهما بأن يعنى بالرأى الاعتقاد كمايقال هذارأى أبى حنيفة والعزم أمر مفرد خارج عن ذلك و هو مايعزم عليه الإنسان من أمور نفسه و لايقال عزم فى الاعتقادات ثم قال ع و

قدأدبرت الحيلة أی ولت وأقبلت الغيلة أی الشر و منه قولهم فلان قليل الغائلة أو يكون بمعنى الاغتيال يقال قتله غيلة أی خديعة يذهب به إلى مكان يوهمه أنه لحاجة ثم يقتله . قال ع ولات حين مناص هذه من ألفاظ الكتاب العزيز قال الأخفش شبهوا لات بليس وأضمروا فيهااسم الفاعل قال و لاتكون لات إلا مع حين و قدجاء حذف حين فی الشعر و منه المثل حنت ولات هنت أی ولات حين حنت والهاء بدل من الحاء فحذف الحين و هويريده قال وقرأ بعضهم وَ لاتَ حِينَ مَناصٍ بالرفع وأضمر الخبر و قال أبوعبيد هی لا ـ والتاء إنما زيدت فی حين لا فی لا و إن كتبت مفردة والأصل تحين كما قال فی ألان تلان فزادوا التاء وأنشد لأبی وجزة –قرآن–٨٧٢–٨٩١ العاطفون تحين ما من عاطف || والمطعمون زمان أين المطعم . و قال المؤرج زيدت التاء فی لات كمازيدت فی ربت وثمت . والمناص المهرب ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا أی ليس هذاوقت الهرب والفرار. [صفحه ١٢٦] و يكون المناص أيضا بمعنى الملجأ والمفزع أی ليس هذاحين تجد مفزعا ومعقلا تعتصم به .هيهات اسم للفعل ومعناه بعديقال هيهات زيد فهو مبتدأ وخبر والمعنى يعطی الفعلية والتاء فی هيهات مفتوحة مثل كيف وأصلها هاء وناس يكسرونها على كل حال بمنزلة نون التثنية و قال الراجز هيهات من مصبحها هيهات || هيهات حجر من صنيعات . و قدتبدل الهاء همزة فيقال أيهات مثل هراق وأراق قال أيهات منك الحياة أيهاتا . قال الكسائی فمن كسر التاء وقف عليها بالهاء فقال هيهاه و من فتحها وقف إن شاء بالتاء و إن شاء بالهاء. قوله ع ومضت الدنيا لحال بالها كلمة تقال فيما انقضى وفرط أمره ومعناها مضى بما فيه إن كان خيرا و إن كان شرا. قوله ع فما بكت عليهم السماء هو من كلام الله تعالى والمراد أهل السماء وهم الملائكة و أهل الأرض وهم البشر والمعنى أنهم لايستحقون أن يتأسف عليهم وقيل أراد المبالغة فی تحقير شأنهم لأن العرب كانت تقول فی العظيم القدر يموت بكته السماء وبكته النجوم قال الشاعر فالشمس طالعة ليست بكاسفة || تبكی عليك نجوم الليل والقمرا .فنفى عنهم ذلك و قال ليسوا من يقال فيه مثل هذاالقول وتأولها ابن عباس رضی الله عنه لماقيل له أتبكی السماء و الأرض على أحد فقال نعم يبكيه مصلاه فی الأرض ومصعد عمله فی السماء فيكون نفی البكاء عنهما كناية عن أنه لم يكن لهم فی الأرض عمل صالح يرفع منهما إلى السماء [صفحه ١٢٧]

٢٣٨– و من خطبة له ع و من الناس من يسمی هذه الخطبة بالقاصعة

اشاره

وهی تتضمن ذم إبليس لعنه الله على استكباره وتركه السجود لآدم ع و أنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته الحَمدُ لِلّهِ ألّذِی لَبِسَ العِزّ وَ الكِبرِيَاءَ وَ اختَارَهُمَا لِنَفسِهِ دُونَ خَلقِهِ وَ جَعَلَهُمَا حِمًى وَ حَرَماً عَلَى غَيرِهِ وَ اصطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ وَ جَعَلَ اللّعنَةَ عَلَى مَن نَازَعَهُ فِيهِمَا مِن عِبَادِهِ ثُمّ اختَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ المُقَرّبِينَ لِيَمِيزَ المُتَوَاضِعِينَ مِنهُم مِنَ المُستَكبِرِينَ فَقَالَ سُبحَانَهُ وَ هُوَ العَالِمُ بِمُضمَرَاتِ القُلُوبِ وَ مَحجُوبَاتِ الغُيُوبِإِنّی خالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فَإِذا سَوّيتُهُ وَ نَفَختُ فِيهِ مِن رُوحی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ فَسَجَدَ المَلائِكَةُ كُلّهُم أَجمَعُونَ إِلّا إِبلِيسَاعتَرَضَتهُ الحَمِيّةُ فَافتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلقِهِ وَ تَعَصّبَ عَلَيهِ لِأَصلِهِ فَعَدُوّ اللّهِ إِمَامُ المُتَعَصّبِينَ وَ سَلَفُ المُستَكبِرِينَ ألّذِی وَضَعَ أَسَاسَ العَصَبِيّةِ وَ نَازَعَ اللّهَ رِدَاءَ الجَبرِيّةِ وَ ادّرَعَ لِبَاسَ التّعَزّزِ وَ خَلَعَ قِنَاعَ التّذَلّلِ أَلَا يَرَونَ كَيفَ صَغّرَهُ اللّهُ بِتَكَبّرِهِ وَ وَضَعَهُ بِتَرَفّعِهِ فَجَعَلَهُ فِی الدّنيَا مَدحُوراً وَ أَعَدّ لَهُ فِی الآخِرَةِ سَعِيراً –قرآن–٤٢٠–٥٧٦ [صفحه ١٢٨] يجوز أن تسمى هذه الخطبة القاصعة من قولهم قصعت الناقة بجرتها و هو أن تردها إلى جوفها أوتخرجها من جوفها فتملأ فاها فلما كانت الزواجر والمواعظ فی هذه الخطبة مرددة من أولها إلى آخرها شبهها بالناقة التی تقصع الجرة ويجوز أن تسمى

القاصعة لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبية من قولهم قصعت القملة إذاهشمتها وقتلتها ويجوز أن تسمى القاصعة لأن المستمع لها المعتبر بهايذهب كبره ونخوته فيكون من قولهم قصع الماء عطشه أى أذهبه وسكنه قال ذو الرمة بيتا فى هذاالمعنى فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها || و قدتشح فلارى و لاهيم .الصرائر جمع صريرة وهى العطش ويجوز أن تسمى القاصعة لأنها تتضمن تحقير إبليس وأتباعه وتصغيرهم من قولهم قصعت الرجل إذاامتهنته وحقرته وغلام مقصوع أى قميء لايشب و لايزداد. والعصبية على قسمين عصبية فى الله وهى محمودة وعصبية فى الباطل وهى مذمومة وهى التى نهى أمير المؤمنين ع عنها وكذلك الحمية و جاء فى الخبر العصبية فى الله تورث الجنة والعصبية فى الشيطان تورث النار -روايت-١-٢-روايت-١٥-٧٧ جاء فى الخبر العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته -روايت-١-٢-روايت-١٥-٧٢ و هذامعنى قوله ع اختارهما لنفسه دون خلقه إلى آخر قوله من عباده . قال ع ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين مع علمه بمضمراتهم و ذلك لأن اختباره سبحانه ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان من يعصى وكذلك قوله سبحانه وَ ما جَعَلنَا القِبلَةَ التّيِ كُنتَ عَلَيها إِلّا لِنَعلَمَ مَن يَتّبِعُ -قرآن-٢٥٠-٣٢٤ و هذامعنى قوله ع اختارهما لنفسه دون خلقه إلى آخر قوله من عباده . قال ع ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين مع علمه بمضمراتهم و ذلك لأن اختباره سبحانه ليس ليعلم بل ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان من يعصى وكذلك قوله سبحانه وَ ما جَعَلنَا القِبلَةَ التّيِ كُنتَ عَلَيها إِلّا لِنَعلَمَ مَن يَتّبِعُ الرّسُولَ مِمّن يَنقَلِبُ عَلى عَقِبَيهِالنون فى لنعلم نون الجمع لانون العظمة أى لتصير أنت وغيرك من المكلفين عالمين لمن يطيع و من يعصى كما أناعالم بذلك فتكونوا كلكم مشاركين لى فى العلم بذلك . فإن قلت و مافائدة وقوفهم على ذلك وعلمهم به قلت ليس بممتنع أن يكون ظهور حال العاصى والمطيع وعلم المكلفين أوأكثرهم أوبعضهم به يتضمن لطفا فى التكليف . فإن قلت إن الملائكة لم تكن تعلم ماالبشر و لاتتصور ماهيته فكيف قال لهم إِنّي خالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ قلت قد كان قال لهم إنى خالق جسما من صفته كيت وكيت فلما حكاه اقتصر على الاسم ويجوز أن يكون عرفهم من قبل أن لفظة بشر على ماذا تقع ثم قال لهم إنى خالق هذاالجسم المخصوص ألذى أعلمتكم أن لفظة بشر واقعة عليه من طين . قوله تعالى فَإِذا سَوّيتُهُ أى إذاأكملت خلقه .فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَأمرهم بالسجود له و قداختلف فى ذلك فقال قوم كان قبلة كماالكعبة اليوم قبلة و لايجوز السجود إلالله و قال آخرون بل كان السجود له تكرمة ومحنة والسجود لغير الله غيرقبيح فى العقل إذا لم يكن عبادة و لم يكن فيه مفسدة. و قوله تعالى وَ نَفَختُ فِيهِ مِن رُوحيِ أى أحللت فيه الحياة وأجريت الروح إليه فى عروقه وأضاف الروح إليه تبجيلا لها وسمى ذلك نفخا على وجه الاستعارة لأن العرب تتصور من الروح معنى الريح والنفخ يصدق على الريح فاستعار لفظة النفخ توسعا. -قرآن-١-٤١-قرآن-٤٥٤-٤٨٤-قرآن-٧٣١-٧٤٦-قرآن-٧٦٨-٧٩٠-قرآن-١٠٢٩-١٠٥٦ [صفحه ١٣٠] وقالت الحكماء هذاعبارة عن النفس الناطقة. فإن قلت هل كان إبليس من الملائكة أم لا قلت قداختلف فى ذلك فمن جعله منهم احتج بالاستثناء و من جعله من غيرهم احتج بقوله تعالى كانَ مِنَ الجِنّ وجعل الاستثناء منقطعا وبأن له نسلا وذرية قال تعالى أَ فَتَتّخِذُونَهُ وَ ذُرّيّتَهُ أَولِياءَ مِن دوُنيِ والملائكة لانسل لهم و لاذرية وبأن أصله نار والملائكة أصلها نور و قدمر لنا كلام فى هذا فى أول الكتاب . قوله فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لأصله كانت خلقته أهون من خلقة آدم ع و كان أصله من نار وأصل آدم ع من طين . فإن قلت كيف حكم على إبليس بالكفر و لم يكن منه إلامخالفة الأمر ومعلوم أن تارك الأمر فاسق لاكافر قلت إنه اعتقد أن الله أمره بالقبيح و لم ير أمره بالسجود لآدم ع حكمة وامتنع من السجود تكبرا ورد على الله أمره واستخف بمن أوجب الله إجلاله وظهر أن هذه المخالفة عن فساد عقيدة فكان كافرا. فإن قلت هل كان كافرا فى الأصل أم كان مؤمنا ثم كفر قلت أماالمرجئة فأكثرهم يقول كان فى الأصل كافرا لأن المؤمن عندهم لايجوز أن يكفر و أماأصحابنا فلما كان هذاالأصل عندهم باطلا توقفوا فى حال إبليس وجوزوا كلا الأمرين . -قرآن-١٨٤-١٩٩-قرآن-٢٥٥-٣٠٨ [صفحه ١٣١] قوله ع رداء الجبرية الباء مفتوحة يقال فيه جبرية

وجبروة وجبروت وجبورة كفروجة أى كبر وأنشدوا فإنك إن عاديتنى غضب الحصا || عليك وذو الجبورة المتغطرف . وجعله مدحورا أى مطرودا مبعدا دحره الله دحورا أى أقصاه وطرده وَ لَو أَرَادَ اللّهُ أَن يَخلُقَ آدَمَ مِن نُورٍ يَخطَفُ الأَبصَارَ ضِيَاؤُهُ وَ يَبهَرُ العُقُولَ رُوَاؤُهُ وَ طِيبٍ يَأخُذُ الأَنفَاسَ عَرفُهُ لَفَعَلَ وَ لَو فَعَلَ لَظَلّت لَهُ الأَعنَاقُ خَاضِعَةً وَ لَخَفّتِ البَلوَى فِيهِ عَلَى المَلَائِكَةِ وَ لَكِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ يَبتَلِي خَلقَهُ بِبَعضِ مَا يَجهَلُونَ أَصلَهُ تَميِيزاً بِالِاختِبَارِ لَهُم وَ نَفياً لِلِاستِكبَارِ عَنهُم وَ إِبعَاداً لِلخُيَلَاءِ مِنهُم فَاعتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِن فِعلِ اللّهِ بِإِبلِيسَ إِذ أَحبَطَ عَمَلَهُ الطّوِيلَ وَ جَهدَهُ الجَهِيدَ وَ كَانَ قَد عَبَدَ اللّهَ سِتّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدرَى أَ مِن سِنِي الدّنيَا أَم مِن سِنِي الآخِرَةِ عَن كِبرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَن ذَا بَعدَ إِبلِيسَ يَسلَمُ عَلَى اللّهِ بِمِثلِ مَعصِيَتِهِ كَلّا مَا كَانَ اللّهُ سُبحَانَهُ لِيُدخِلَ الجَنّةَ بَشَراً بِأَمرٍ أَخرَجَ بِهِ مِنهَا مَلَكاً إِنّ حُكمَهُ فِي أَهلِ السّمَاءِ وَ الأَرضِ لَوَاحِدٌ وَ مَا بَينَ اللّهِ وَ بَينَ أَحَدٍ مِن خَلقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرّمَهُ عَلَى العَالَمِينَ خطفت الشىء بكسر الطاء أخطفه إذاأخذته بسرعة استلابا و فيه لغة أخرى [صفحه ۱۳۲] خطف بالفتح ويخطف بالفتح ويخطف بالكسر وهى لغة رديئة قليلة لاتكاد تعرف و قدقرأ بهايونس فى قوله تعالى يَكادُ البَرقُ يَخطَفُ أَبصارَهُم. والرواء بالهمزة والمد المنظر الحسن والعرف الريح الطيبة. والخيلاء بضم الخاء وكسرها الكبر وكذلك الخال والمخيلة تقول اختال الرجل وخال أيضا أى تكبر. وأحبط عمله أبطل ثوابه و قدحبط العمل حبطا بالتسكين وحبوطا والمتكلمون يسمون إبطال الثواب إحباطا وإبطال العقاب تكفيرا. وجهده بفتح الجيم اجتهاده وجده ووصفه بقوله الجهيد أى المستقصى من قولهم مرعى جهيد أى قدجهده المال الراعى واستقصى رعية. وكلامه ع يدل على أنه كان يذهب إلى أن إبليس من الملائكة لقوله أخرج منها ملكا والهوادة الموادعة والمصالحة يقول إن الله تعالى خلق آدم من طين و لوشاء أن يخلقه من النور ألذى يخطف أو من الطيب ألذى يعبق لفعل و لوفعل لهال الملائكة أمره وخضعوا له فصار الابتلاء والامتحان والتكليف بالسجود له خفيفا عليهم لعظمته فى نفوسهم فلم يستحقوا ثواب العمل الشاق و هذايدل على أن الملائكة تشم الرائحة كمانشمها نحن ولكن الله تعالى يبتلى عباده بأمور يجهلون أصلها اختبارا لهم . فإن قلت مامعنى قوله ع تمييزا بالاختبار لهم قلت لأنه ميزهم عن غيرهم من مخلوقاته كالحيوانات العجم وأبانهم عنهم وفضلهم عليهم بالتكليف والامتحان . -قرآن-۱۱۱-۱۴۳ [صفحه ۱۳۳] قال ونفيا للاستكبار عنهم لأن العبادات خضوع وخشوع وذلة ففيها نفى الخيلاء والتكبر عن فاعليها فأمرهم بالاعتبار بحال إبليس ألذى عبد الله ستة آلاف سنة لايدرى أ من سنى الدنيا أم من سنى الآخرة و هذايدل على أنه قدسمع فيه نصا من رسول الله ص مجملا لم يفسره له أوفسره له خاصة و لم يفسره أمير المؤمنين ع للناس لمايعلمه فى كتمانه عنهم من المصلحة. فإن قلت قوله لايدرى على ما لم يسم فاعله يقتضى أنه هو لايدرى قلت إنه لايقتضى ذلك ويكفى فى صدق الخبر إذاورد بهذه الصيغة أن يجهله الأكثرون .فأما القول فى سنى الآخرة كم هى فاعلم أنه قدورد فى الكتاب العزيز آيات مختلفات إحداهن قوله تَعرُجُ المَلائِكَةُ وَ الرّوحُ إِلَيهِ فِي يَوم كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ أَلفَ سَنَةٍ. والأخرى قوله يُدَبّرُ الأَمرَ مِنَ السّماءِ إِلَى الأَرضِ ثُمّ يَعرُجُ إِلَيهِ فِي يَوم كانَ مِقدارُهُ أَلفَ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ. والثالثة قوله وَ إِنّ يَوماً عِندَ رَبّكَ كَأَلفِ سَنَةٍ مِمّا تَعُدّونَ. وأولى ماقيل فيها أن المراد بالآية الأولى مدة عمر الدنيا وسمى ذلك يوما و قال إن الملائكة لاتزال تعرج إليه بأعمال البشر طول هذه المدة حتى ينقضى التكليف وينتقل الأمر إلى دار أخرى و أماالآيتان الأخيرتان فمضمونهما بيان كمية أيام الآخرة و هو أن كل يوم منها مثل ألف سنة من سنى الدنيا. -قرآن-۶۲۱-۷۰۶-قرآن-۷۲۳-۸۴۱-قرآن-۸۵۸-۹۱۵ [صفحه ۱۳۴] فإن قلت فعلى هذاكم تكون مدة عبادة إبليس إذاكانت ستة آلاف سنة من سنى الآخرة قلت يكون مايرتفع من ضرب أحد المضروبين فى الآخرة و هوألفا ألف ألف ثلاث لفظات الأولى منهم مثناة ومائة ألف ألف لفظتان وستون ألف ألف سنة لفظتان أيضا من سنى الدنيا و لمارأى أمير المؤمنين ع هذاالمبلغ عظيما جدا علم أن أذهان السامعين لاتحتمله فلذلك أبهم القول عليهم و قال لايدرى أ من سنى الدنيا أم من سنى الآخرة. فإن قلت فإذاكنتم قدرجحتم قول من يقول إن عمر الدنيا خمسون ألف سنة فكم يكون عمرها إن كان الله تعالى أراد خمسين ألف سنة

من سنى الآخرة لأنه لايؤمن أن يكون أراد ذلك إذاكانت السنة عنده عبارة عن مدة غير هذه المدة التى قداصطلح عليها الناس قلت يكون مايرتفع من ضرب خمسين ألفا فى ثلاثمائة وستين ألف من سنى الدنيا ومبلغ ذلك ثمانية عشر ألف ألف ألف سنة من سنى الدنيا ثلاث لفظات و هذاالقول قريب من القول المحكى عن الهند. وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه روايات كثيرة بأسانيد أوردها عن جماعة من الصحابة أن إبليس كان إليه ملك السماء وملك الأرض و كان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا الجن لأنهم كانوا خزان الجنان و كان إبليس رئيسهم ومقدمهم و كان أصل خلقهم من نار السموم و كان اسمه الحارث قال و قدروى أن الجن كانت فى الأرض وأنهم أفسدوا فيهافبعث الله إليهم إبليس فى جند من الملائكة فقتلهم وطردهم إلى جزائر البحار ثم تكبر فى نفسه ورأى أنه قدصنع شيئا عظيما لم يصنعه غيره قال و كان شديد الاجتهاد فى العبادة. [صفحه ١٣٥] وقيل كان اسمه عزازيل و أن الله تعالى جعله حكما وقاضيا بين سكان الأرض قبل خلق آدم فدخله الكبر والعجب لعبادته واجتهاده وحكمه فى سكان الأرض وقضائه بينهم فانطوى على المعصية حتى كان من أمره مع آدم ع ما كان قلت و لاينبغى أن نصدق من هذه الأخبار وأمثالها إلا ماورد فى القرآن العزيز ألذى لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه أو فى السنة أونقل عمن يجب الرجوع إلى قوله و كل ماعدا ذلك فالكذب فيه أكثر من الصدق والباب مفتوح فليقل كل أحد فى أمثال هذه القصص ماشاء واعلم أن كلام أمير المؤمنين فى هذاالفصل يطابق مذهب أصحابنا فى أن الجنة لايدخلها ذو معصية أ لاتسمع قوله فمن بعدإبليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا إن حكمه فى أهل السماء و الأرض لواحد. فإن قلت أ ليس من قولكم إن صاحب الكبيرة إذاتاب دخل الجنة فهذا صاحب معصية و قدحكمتم له بالجنة قلت إن التوبة أحبطت معصيته فصار كأنه لم يعص . فإن قلت إن أمير المؤمنين ع إنما قال فمن ذا بعدإبليس يسلم على الله بمثل معصيته و لم يقل بالمعصية المطلقة والمرجئة لاتخالف فى أن من وافى القيامة بمثل معصية إبليس لم يكن من أهل الجنة قلت كل معصية كبيرة فهى مثل معصيته و لم يكن إخراجه من الجنة لأنه كافر بل لأنه عاص مخالف للأمر أ لاترى أنه قال سبحانه قالَ فَاهبِط مِنها فَما يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبّرَ فِيهافعلل إخراجه من الجنة بتكبره لابكفره . فإن قلت هذامناقض لماقدمت فى شرح الفصل الأول -قرآن-١٢٣٩-١٢٩٥ [صفحه ١٣٦] قلت كلا لأنى فى الفصل الأول عللت استحقاقه اسم الكفر بأمر زائد على المعصية المطلقة و هوفساد اعتقاده و لم أجعل ذلك علة فى خروجه من الجنة وهاهنا عللت خروجه من الجنة بنفس المعصية فلاتناقض . فإن قلت مامعنى قول أمير المؤمنين ع ما كان الله ليدخل الجنة بشرا بأمر أخرج به منها ملكا وهل يظن أحد أو يقول إن الله تعالى يدخل الجنة أحدا من البشر بالأمر ألذى أخرج به هاهنا إبليس كلا هذا ما لايقوله أحد وإنما ألذى يقوله المرجئة إنه يدخل الجنة من قدعصى وخالف الأمر كماخالف الأمر إبليس برحمته وعفوه و كمايشاء لا أنه يدخله الجنة بالمعصية وكلام أمير المؤمنين ع يقتضى نفى دخول أحد الجنة بالمعصية لأن الباء للسببية قلت الباء هاهنا ليست للسببية كمايتوهمه هذاالمعترض بل هى كالباء فى قولهم خرج زيد بثيابه ودخل زيد بسلاحه أى خرج لابسا ودخل متسلحا أى يصحبه الثياب ويصحبه السلاح فكذلك قوله ع بأمر أخرج به منها ملكا معناه أن الله تعالى لايدخل الجنة بشرا يصحبه أمر أخرج الله به ملكا منها فَاحذَرُوا عِبَادَ اللّهِ عَدُوّ اللّهِ أَن يُعدِيَكُم بِدَائِهِ وَ أَن يَستَفِزّكُم بِخَيلِهِ وَ رَجِلِهِ فَلَعَمرِي لَقَد فَوّقَ لَكُم سَهمَ الوَعِيدِ وَ أَغرَقَ إِلَيكُم بِالنّزعِ الشّدِيدِ وَ رَمَاكُم مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ فَقَالَرَبّ بِما أَغوَيتَنِي لَأُزَيّنَنّ لَهُم فِي الأَرضِ وَ لَأُغوِيَنّهُم أَجمَعِينَقَذفاً بِغَيبٍ بَعِيدٍ وَ رَجماً بِظَنّ -قرآن-٢٣٣-٣١٤ [صفحه ١٣٧] غَيرِ مُصِيبٍ صَدّقَهُ بِهِ أَبنَاءُ الحَمِيّةِ وَ إِخوَانُ العَصَبِيّةِ وَ فُرسَانُ الكِبرِ وَ الجَاهِلِيّةِ حَتّى إِذَا انقَادَت لَهُ الجَامِحَةُ مِنكُم وَ استَحكَمَتِ الطّمَاعِيَةُ مِنهُ فِيكُم فَنَجَمَت فِيهِ الحَالُ مِنَ السّرّ الخَفِيّ إِلَى الأَمرِ الجَلِيّ استَفحَلَ سُلطَانُهُ عَلَيكُم وَ دَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحوَكُم فَأَقحَمُوكُم وَلَجَاتِ الذّلّ وَ أَحَلّوكُم وَرَطَاتِ القَتلِ وَ أَوطَئُوكُم إِثخَانَ الجِرَاحَةِ طَعناً فِي عُيُونِكُم وَ حَزّاً فِي حُلُوقِكُم وَ دَقّاً لِمَنَاخِرِكُم وَ قَصداً لِمَقَاتِلِكُم وَ سَوقاً بِخَزَائِمِ القَهرِ إِلَى النّارِ المُعَدّةِ لَكُم فَأَصبَحَ أَعظَمَ فِي دِينِكُم حَرجاً وَ

أَورَى فِى دُنيَاكُم قَدحاً مِنَ الّذِينَ أَصبَحتُم لَهُم مُنَاصِبِينَ وَ عَلَيهِم مُتَأَلّبِينَ فَاجعَلُوا عَلَيهِ حَدّكُم وَ لَهُ جِدّكُم فَلَعَمرُ اللّهِ لَقَد فَخَرَ عَلَى أَصلِكُم وَ وَقَعَ فِى حَسَبِكُم وَ دَفَعَ فِى نَسَبِكُم وَ أَجلَبَ بِخَيلِهِ عَلَيكُم وَ قَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُم يَقتَنِصُونَكُم بِكُلّ مَكَانٍ وَ يَضرِبُونَ مِنكُم كُلّ بَنَانٍ لَا تَمتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ وَ لَا تَدفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ فِى حَومَةِ ذُلّ وَ حَلقَةِ ضِيقٍ وَ عَرصَةِ مَوتٍ وَ جَولَةِ بَلَاءٍ فَأَطفِئُوا مَا كَمَنَ فِى قُلُوبِكُم مِن نِيرَانِ العَصَبِيّةِ وَ أَحقَادِ الجَاهِلِيّةِ فَإِنّمَا تِلكَ الحَمِيّةُ تَكُونُ فِى المُسلِمِ مِن خَطَرَاتِ الشّيطَانِ وَ نَخَوَاتِهِ وَ نَزَغَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ وَ اعتَمِدُوا وَضعَ التّذَلّلِ عَلَى رُءُوسِكُم وَ إِلقَاءَ التّعَزّزِ تَحتَ أَقدَامِكُم وَ خَلعَ التّكَبّرِ مِن أَعنَاقِكُم وَ اتّخِذُوا التّوَاضُعَ مَسلَحَةً بَينَكُم وَ بَينَ عَدُوّكُم إِبلِيسَ وَ جُنُودِهِ فَإِنّ لَهُ مِن كُلّ أُمّةٍ جُنُوداً وَ أَعوَاناً وَ رَجِلًا وَ فُرسَاناً وَ لَا تَكُونُوا كَالمُتَكَبّرِ عَلَى ابنِ أُمّهِ مِن غَيرِ مَا فَضلٍ جَعَلَهُ اللّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلحَقَتِ العَظَمَةُ بِنَفسِهِ مِن عَدَاوَةِ الحَسَبِ وَ قَدَحَتِ الحَمِيّةُ فِى قَلبِهِ مِن نَارِ الغَضَبِ وَ نَفَخَ الشّيطَانُ فِى أَنفِهِ مِن رِيحِ الكِبرِ أَلّذِى أَعقَبَهُ اللّهُ بِهِ النّدَامَةَ وَ أَلزَمَهُ آثَامَ القَاتِلِينَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ [صفحه ۱۳۸] موضع أن يعديكم نصب على البدل من عدو الله و قال الراوندى يجوز أن يكون مفعولا ثانيا و هذا ليس بصحيح لأن حذر لايتعدى إلى المفعولين والعدوى مايعدى من جرب أوغيره أعدى فلان فلانا من خلقه أو من علته و هومجاوزته من صاحبه إلى غيره و فى الحديث لاعدوى فى الإسلام -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۳۵ . فإن قلت فإذا كان النبى ص قدأبطل أمر العدوى فكيف قال أمير المؤمنين فاحذروه أن يعديكم قلت إن النبى ص أبطل ماكانت العرب تزعمه من عدوى الجرب فى الإبل وغيرها و أمير المؤمنين ع حذر المكلفين من أن يتعلموا من إبليس الكبر والحمية وشبه تعلمهم ذلك منه بالعدوى لاشتراك الأمرين فى الانتقال من أحد الشخصين إلى الآخر. قوله ع يستفزكم أى يستخفكم و هو من ألفاظ القرآن وَ استَفزِز مَنِ استَطَعتَ مِنهُم بِصَوتِكَ أى أزعجه واستخفه وأطر قلبه والخيل الخيالة و منه -قرآن-۳۸۹-۴۳۱ الحديث ياخيل الله اركبى -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۳۰ . و الرجل اسم جمع لراجل كركب اسم جمع لراكب وصحب اسم جمع لصاحب و هذه أيضا من ألفاظ القرآن العزيزوَ أَجلِب عَلَيهِم بِخَيلِكَ وَ رَجِلِكَ وقرئ ورجلك بكسر الجيم على أن فعلا بالكسر بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب -قرآن-۱۰۸-۱۴۷ [صفحه ۱۳۹] ومعناه و قدتضم الجيم أيضا فيكون مثل قولك رجل حدث وحدث وندس وندس . فإن قلت فهل لإبليس خيل تركبها جنده قلت يجوز أن يكون ذلك و قدفسره قوم بهذا والصحيح أنه كلام خرج مخرج المثل شبهت حاله فى تسلطه على بنى آدم بمن يغير على قوم بخيله فيستأصلهم وقيل بصوتك أى بدعائك إلى القبيح وخيله ورجله كل ماش وراكب من أهل الفساد من بنى آدم قوله وفوقت السهم جعلت له فوقا و هوموضع الوتر و هذاكناية عن الاستعداد و لايجوز أن يفسر قوله فقد فوق لكم سهم الوعيد بأنه وضع الفوق فى الوتر ليرمى به لأن ذلك لايقال فيه قدفوق بل يقال أفقت السهم وأوفقته أيضا و لايقال أفوقته و هو من النوادر. و قوله وأغرق إليكم بالنزع أى استوفى مد القوس وبالغ فى نزعها ليكون مرماه أبعد ووقع سهامه أشد. قوله ورماكم من مكان قريب لأنه كماجاء فى الحديث يجرى من ابن آدم مجرى الدم ويخالط القلب -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۵۹ و لا شيءأقرب من ذلك . والباء فى قوله بِما أَغوَيتَنِيمتعلق بفعل محذوف تقديره أجازيك بما أغويتنى تزيينى لهم القبيح فما على هذامصدرية أى أجازيك بإغوائك لى تزيينى لهم القبيح فحذف المفعول ويجوز أن تكون الباء قسما كأنه أقسم بإغوائه إياه ليزينن لهم . فإن قلت و أى معنى فى أن يقسم بإغوائه وهل هذامما يقسم به قلت نعم لأنه ليس إغواء الله تعالى إياه خلق الغى والضلال فى قلبه بل تكليفه -قرآن-۴۲-۵۸ [صفحه ۱۴۰] إياه السجود ألذى وقع الغى عنده من الشيطان لا من الله فصار حيث وقع عنده كأنه موجب عنه فنسب إلى البارى والتكليف تعريض للثواب ولذة الأبد فكان جديرا أن يقسم به و قدأقسم فى موضع آخر فقال فَبِعِزّتِكَ لَأُغوِيَنّهُم أَجمَعِينَفأقسم بالعزة وهاهنا أقسم بالأمر والتكليف ويجوز فيه وجه ثالث و هوألا تكون الباء قسما ويقدر قسم محذوف و يكون المعنى بسبب ماكلفتنى فأفضى إلى غوايتى أقسم لأفعلن بهم نحو مافعلت بى و هو أن أزين لهم المعاصى التى تكون سبب هلاكهم . فإن قلت ليس هذانحو مافعله البارى به لأن البارى أمره بالحسن فأباه وعدل عنه إلى القبيح

والشيطان لايأمرنا بالحسن فنكرهه ونعدل عنه إلى القبيح فكيف يكون ذلك نحو واقعته مع البارى قلت المشابهة بين الواقعتين فى أن كل واحدة منهما تقع عندها المعصية لا على وجه الإجبار والقسر بل على قصد الاختيار لأن معصية إبليس كانت من نفسه ووقعت عندالأمر بالسجود اختيارا منه لافعلا من البارى ومعصيتنا نحن عندالتزيين والوسوسة تقع اختيارا منا لااضطرارا يضطرنا إبليس إليه فلما تشابهت الصورتان فى هذاالمعنى حسن قوله بما فعلت بى كذا لأفعلن بهم نحوه . فإن قلت مامعنى قوله فِى الأَرضِ و من أين كان يعلم إبليس أن آدم سيصير له ذرية فى الأرض قلت أماعلمه بذلك فمن قول الله تعالى له وللملائكةإِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً و أمالفظة الأرض فالمراد بهاهاهنا الدنيا التى هى دار التكليف كقوله تعالى -قرآن-٢٠٥-٢٤٢-قرآن-١٠٨٣-١٠٩٣-قرآن-١٢١١-١٢٤٥ [صفحه ١٤١] وَ لكِنّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ ليس يريد به الأرض بعينها بل الدنيا و ما فيها من الملاذ وهوى الأنفس . قوله ع قذفا بغيب بعيد أى قال إبليس هذاالقول قذفا بغيب بعيد والعرب تقول للشىء المتوهم على بعد هذاقذف بغيب بعيد والقذف فى الأصل رمى الحجر وأشباهه والغيب الأمر الغائب و هذه اللفظة من الألفاظ القرآنية قال الله تعالى فى كفار قريش وَ يَقذِفُونَ بِالغَيبِ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ أى يقولون هذاسحر أو هذا من تعليم أهل الكتاب أو هذه كهانة و غير ذلك مما كانوا يرمونه ع به وانتصب قذفا على المصدر الواقع موقع الحال وكذلك رجما و قال الراوندى انتصبا لأنهما مفعول له و ليس بصحيح لأن المفعول له ما يكون عذرا وعلة لوقوع الفعل وإبليس ما قال ذلك الكلام لأجل القذف والرجم فلا يكون مفعولا له . فإن قلت كيف قال ع قذفا من مكان بعيد ورجما بظن غيرمصيب و قدصح ماتوهمه وأصاب فى ظنه فإن إغواءه وتزيينه تم على الناس كلهم إلا على المخلصين قلت أماأولا فقد روى ورجما بظن مصيب بحذف غير ويؤكد هذه الرواية قوله تعالى وَ لَقَد صَدّقَ عَلَيهِم إِبلِيسُ ظَنّهُ فَاتّبَعُوهُ إِلّا فَرِيقاً و أماثانيا على الرواية التى هى أشهر فنقول أماقذفا من مكان بعيد فإنه قال ما قال على سبيل التوهم والحسبان لأمر مستبعد لايعلم صحته و لايظنها و ليس وقوع ماوقع من المعاصى وصحة ماتوهمه بمخرج لكون قوله الأول قذفا بغيب بعيد و أمارجما بظن غيرمصيب -قرآن-١-٣٢-قرآن-٣٥٣-٣٩٤-قرآن-٩٥٣-١٠٢٠ [صفحه ١٤٢] فيجب أن يحمل قوله لَأُغوِيَنّهُم أَجمَعِينَ على الغواية بمعنى الشرك أوالكفر و يكون الاستثناء و هو قوله إِلّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصِينَمعناه إلاالمعصومين من كل معصية و هذاظن غيرمصيب لأنه ماأغوى كل البشر الغواية التى هى الكفر والشرك إلاالمعصومين العصمة المطلقة بل أغوى بعضهم كذلك وبعضهم بأن زين له الفسق دون الكفر فيكون ظنه أنه قادر على إغواء البشر كافة بمعنى الضلال بالكفر ظنا غيرمصيب . قوله صدقه به أبناء الحمية موضع صدقه جر لأنه صفة ظن و قدروى صدقه أبناء الحمية من غيرذكر الجار والمجرور و من رواه بالجار والمجرور كان معناه صدقه فى ذلك الظن أبناء الحمية فأقام الباء مقام فى . قوله حتى إذاانقادت له الجامحة منكم أى الأنفس الجامحة أوالأخلاق الجامحة. قوله فنجمت فيه الحال أى ظهرت و قدروى فنجمت الحال من السر الخفى من غيرذكر الجار والمجرور و من رواه بالجار والمجرور فالمعنى فنجمت الحال فى هذاالشأن المذكور بينه وبينكم من الخفاء إلى الجلاء. واستفحل سلطانه قوى واشتد وصار فحلا. واستفحل جواب قوله حتى إذا.دلف بجنوده تقدم بهم . والولجات جمع ولجة بالتحريك وهى موضع أوكهف يستتر فيه المارة من مطر أوغيره . وأقحموكم أدخلوكم والورطة الهلكة. قوله وأوطئوكم إثخان الجراحة أى جعلوكم واطئين لذلك والإثخان مصدر أثخن فى القتل أى أكثر منه وبالغ حتى كثف شأنه وصار كالشىء الثخين ومعنى -قرآن-٢١-٤٥-قرآن-١٠٨-١٤٢ [صفحه ١٤٣] إيطاء الشيطان بنى آدم ذلك إلقاؤه إياهم فيه وتوريطهم وحمله لهم عليه فالإثخان على هذامنصوب لأنه مفعول ثان لا كمازعم الراوندى أنه انتصب بحذف حرف الخفض . قوله ع طعنا فى عيونكم انتصب طعنا على المصدر وفعله محذوف أى فعلوا بكم هذه الأفعال فطعنوكم فى عيونكم طعنا فأما من روى وأوطئوكم لإثخان الجراحة باللام فإنه يجعل طعنا منصوبا على أنه مفعول به أى أوطئوكم طعنا وحزا كقولك أوطأته نارا وأوطأته عشوة و يكون لإثخان الجراحة مفعولا له أى أوطئوكم الطعن ليثخنوا جراحكم

وينبغى أن يكون قصدا وسوقا خالصين للمصدرية لأنه يبعد أن يكون مفعولا به . واعلم أنه لماذكر الطعن نسبه إلى العيون و لماذكر الحز و هوالذبح نسبه إلى الحلوق و لماذكر الدق و هوالصدم الشديد أضافه إلى المناخر و هذا من صناعة الخطابة التى علمه الله إياها بلا تعليم وتعلمها الناس كلهم بعده منه . والخزائم جمع خزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى وتره أنف البعير فيشد فيهاالزمام . وتقول قدورى الزند أى خرجت ناره و هذاالزند أورى من هذا أى أكثر إخراجا للنار يقول فأصبح الشيطان أضر عليكم وأفسد لحالكم من أعدائكم الذين أصبحتم مناصبين لهم أى معادين وعليهم متألبين أى مجتمعين . فإن قلت أماأعظم فى الدين حرجا فمعلوم فأى معنى لقوله وأورى فى دنياكم قدحا وهل يفسد إبليس أمر الدنيا كمايفسد أمر الدين قلت نعم لأن أكثر القبائح الدينية مرتبطة بالمصالح والمفاسد الدنيوية أ لاترى أنه إذاأغرى السارق بالسرقة أفسد حال السارق من جهة الدين وحال المسروق منه من جهة الدنيا [صفحه ۱۴۴] وكذلك القول فى الغصب والقتل و مايحدث من مضار الشرور الدنيوية من اختلاط الأنساب واشتباه النسل و مايتولد من شرب الخمر والسكر الحاصل عنها من أمور يحدثها السكران خبطا بيده وقذفا بلسانه إلى غير ذلك من أمثال هذه الأمور وأشباهها. قوله ع فاجعلوا عليه حدكم أى شباتكم وبأسكم . و له جدكم من جددت فى الأمر جدا أى اجتهدت فيه وبالغت . ثم ذكر أنه فخر على أصل بنى آدم يعنى أباهم آدم ع حيث امتنع من السجود له و قال أناخير منه . ووقع فى حسبكم أى عاب حسبكم و هوالطين فقال إن النار أفضل منه ودفع فى نسبكم مثله وأجلب بخيله عليكم أى جمع خيالته وفرسانه وألبها. ويقتنصونكم يتصيدونكم والبنان أطراف الأصابع و هوجمع واحدته بنانة ويجمع فى القلة على بنانات ويقال بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه و بين واحدة إلاالهاء فإنه يذكر ويوحد. والحومة معظم الماء والحرب وغيرهما وموضع هذاالجار والمجرور نصب على الحال أى يقتنصونكم فى حومة ذل . والجولة الموضع ألذى تجول فيه . وكمن فى قلوبكم استتر و منه الكمين فى الحرب . ونزغات الشيطان وساوسه التى يفسد بها ونفثاته مثله . قوله واعتمدوا وضع التذلل على رءوسكم وإلقاء التعزز تحت أقدامكم كلام شريف جليل المحل وكذلك قوله ع واتخذوا التواضع مسلحة بينكم و بين عدوكم إبليس وجنوده والمسلحة خيل معدة للحماية والدفاع . [صفحه ۱۴۵] ثم نهاهم أن يكونوا كقابيل ألذى حسد أخاه هابيل فقتله وهما أخوان لأب وأم وإنما قال ابن أمه فذكر الأم دون الأب لأن الأخوين من الأم أشد حنوا ومحبة والتصاقا من الأخوين من الأب لأن الأم هى ذات الحضانة والتربية. و قوله من غير مافضل ماهاهنا زائدة وتعطى معنى التأكيد نهاهم ع أن يحسدوا النعم و أن يبغوا ويفسدوا فى الأرض فإن آدم لماأمر ولده بالقربان قرب قابيل شر ماله و كان كافرا وقرب هابيل خير ماله و كان مؤمنا فتقبل الله تعالى من هابيل وأهبط من السماء نارا فأكلته قالوا لأنه لم يكن فى الأرض حينئذ فقير يصل القربان إليه فحسده قابيل و كان أكبر منه سنا فقال لأقتلنك قال هابيل إنما يتقبل الله من المتقين أى بذنبك وجرمك كان عدم قبول قربانك لانسلاخك من التقوى فقتله فأصبح نادما لاندم التوبة بل ندم الحير ورقة الطبع البشرى ولأنه تعب فى حمله كماورد فى التنزيل أنه لم يفهم ماذا يصنع به حتى بعث الله الغراب . قوله ع وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة لأنه كان ابتدأ بالقتل و من سن سنة شر كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة كما أن من سن سنة خير كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن الروايات اختلفت فى هذه الواقعة فروى قوم أن الرجلين كانا من بنى إسرائيل وليسا من ولد آدم لصلبه والأكثرون خالفوا فى ذلك . ثم اختلف الأكثرون فروى قوم أن القربان من قابيل وهابيل كان ابتداء والأكثرون قالوا بل أراد آدم ع أن يزوج هابيل أخت قابيل توأمته ويزوج [صفحه ۱۴۶] قابيل أخت هابيل توأمته فأبى قابيل لأن توأمته كانت أحسن فأمرهما أبوهما بالقربان فمن تقبل قربانه نكح الحسناء فتقبل قربان هابيل فقتله أخوه كماورد فى الكتاب العزيز. و روى الطبرى مرفوعا أنه ص قال ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم ع الأول كفل منها و ذلك بأنه أول من سن القتل -روايت-۱-۲-روايت-۳۵-۱۳۱ و هذايشيد قول أمير المؤمنين ع أَلَا وَ قَد أَمعَنتُم فِي البغَيِ وَ أَفسَدتُم فِي الأَرضِ

مُصَارَحَةً لِلّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ وَ مُبَارَزَةً لِلْمُؤمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ فَاللّهَ اللّهَ فِي كِبرِ الحَمِيّةِ وَ فَخرِ الجَاهِلِيّةِ فَإِنّهُ مَلَاقِحُ الشّنَئَانِ وَ مَنَافِخُ الشّيطَانِ الّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ المَاضِيَةَ وَ القُرُونَ الخَالِيَةَ حَتّى أَعنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ وَ مهَاوِي ضَلَالَتِهِ ذُلُلًا عَن سِيَاقِهِ سُلُساً فِي قِيَادِهِ أَمراً تَشَابَهَتِ القُلُوبُ فِيهِ وَ تَتَابَعَتِ القُرُونُ عَلَيهِ وَ كِبراً تَضَايَقَتِ الصّدُورُ بِهِ أَلَا فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِن طَاعَةِ سَادَاتِكُم وَ كُبَرَائِكُم الّذِينَ تَكَبّرُوا عَن حَسَبِهِم وَ تَرَفّعُوا فَوقَ نَسَبِهِم وَ أَلقَوُا الهَجِينَةَ عَلَى رَبّهِم وَ جَاحَدُوا اللّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِم مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ وَ مُغَالَبَةً لِآلَائِهِ فَإِنّهُم قَوَاعِدُ آسَاسِ العَصَبِيّةِ وَ دَعَائِمُ أَركَانِ الفِتنَةِ وَ سُيُوفُ اعتِزَاءِ الجَاهِلِيّةِ فَاتّقُوا اللّهَ وَ لَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيكُم أَضدَاداً وَ لَا لِفَضلِهِ عِندَكُم حُسّاداً [صفحه ۱۴۷] وَ لَا تُطِيعُوا الأَدعِيَاءَ الّذِينَ شَرِبتُم بِصَفوِكُم كَدَرَهُم وَ خَلَطتُم بِصِحّتِكُم مَرَضَهُم وَ أَدخَلتُم فِي حَقّكُم بَاطِلَهُم وَ هُم آسَاسُ الفُسُوقِ وَ أَحلَاسُ العُقُوقِ اتّخَذَهُم إِبلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ وَ جُنداً بِهِم يَصُولُ عَلَى النّاسِ وَ تَرَاجِمَةً يَنطِقُ عَلَى أَلسِنَتِهِم استِرَاقاً لِعُقُولِكُم وَ دُخُولًا فِي عُيُونِكُم وَ نَفثاً فِي أَسمَاعِكُم فَجَعَلَكُم مَرمَى نَبلِهِ وَ مَوطِئَ قَدَمِهِ وَ مَأخَذَ يَدِهِ فَاعتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ المُستَكبِرِينَ مِن قَبلِكُم مِن بَأسِ اللّهِ وَ صَولَاتِهِ وَ وَقَائِعِهِ وَ مَثُلَاتِهِ وَ اتّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِم وَ مَصَارِعِ جُنُوبِهِم وَ استَعِيذُوا بِاللّهِ مِن لَوَاقِحِ الكِبرِ كَمَا تَستَعِيذُونَهُ مِن طَوَارِقِ الدّهرِ أمعنتم فى البغى بالغتم فيه من أمعن فى الأرض أى ذهب فيهابعيدا ومصارحة لله أى مكاشفة. والمناصبة المعاداة. وملاقح الشنئان قال الراوندى الملاقح هى الفحول التى تلقح و ليس بصحيح نص الجوهرى على أن الوجه لواقح كماجاء فى القرآن وَ أَرسَلنَا الرّياحَ لَواقِحَ و قال هو من النوادر لأن الماضى رباعى والصحيح أن ملاقح هاهنا جمع ملقح و هوالمصدر من لقحت كضربت مضربا وشربت مشربا ويجوز فتح النون من الشنئان وتسكينها و هوالبغض . ومنافخ الشيطان جمع منفخ و هومصدر أيضا من نفخ ونفخ الشيطان ونفثه -قرآن-۲۴۳-۲۷۲ [صفحه ۱۴۸] واحد و هووسوسته وتسويله ويقال للمتطاول إلى ما ليس له قدنفخ الشيطان فى أنفه . و فى كلامه ع يقوله لطلحة و هوصريع و قدوقف عليه وأخذ سيفه سيف طالما جلى به الكرب عن وجه رسول الله ص ولكن الشيطان نفخ فى أنفه -روايت-۱-۲-روايت-۶۴-۱۴۲ . قوله وأعنقوا أصرعوا وفرس معناق والسير العنق قال الراجز ياناق سيرى عنقا فسيحا || إلى سليمان فنستريحا . والحنادس الظلم . والمهاوى جمع مهواة بالفتح وهى الهوة يتردى الصيد فيها و قدتهاوى الصيد فى المهواة إذاسقط بعضه فى أثر بعض . قوله ع ذللا عن سياقه انتصب على الحال جمع ذلول و هوالسهل المقادة و هوحال من الضمير فى أعنقوا أى أسرعوا منقادين لسوقه إياهم . وسلسا جمع سلس و هوالسهل أيضا وإنما قسم ذللا وسلسا بين سياقه وقياده لأن المستعمل فى كلامهم قدت الفرس فوجدته سلسا أوصعبا و لايستحسنون سقته فوجدته سلسا أوصعبا وإنما المستحسن عندهم سقته فوجدته ذلولا أوشموسا. قوله ع أمرا منصوب بتقدير فعل أى اعتمدوا أمرا وكبرا معطوف عليه أوينصب كبرا على المصدر بأن يكون اسما واقعا موقعه كالعطاء موضع الإعطاء. و قال الراوندى أمرا منصوب هاهنا لأنه مفعول به وناصبه المصدر ألذى هوسياقه وقياده تقول سقت وقدت قيادا و هذا غيرصحيح لأن مفعول هذين المصدرين محذوف تقديره عن سياقه إياهم وقياده إياهم و هذا هومعنى الكلام و لوفرضنا مفعول [صفحه ۱۴۹] أحد هذين المصدرين أمرا لفسد معنى الكلام و قال الراوندى أيضا ويجوز أن يكون أمرا حالا و هذاأيضا ليس بشيء لأن الحال وصف هيئة الفاعل أوالمفعول وأمرا ليس كذلك . قوله ع تشابهت القلوب فيه أى أن الحمية والفخر والكبر والعصبية مازالت القلوب متشابهة متماثلة فيها. وتتابعت القرون عليه جمع قرن بالفتح وهى الأمة من الناس . وكبرا تضايقت الصدور به أى كبر فى الصدور حتى امتلأت به وضاقت عنه لكثرته . ثم أمر بالحذر من طاعة الرؤساء أرباب الحمية و فيه إشارة إلى قوله تعالى إِنّا أَطَعنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلّونَا السّبِيلَا. و قد كان أمر فى الفصل الأول بالتواضع لله ونهى هاهنا عن التواضع للرؤساء و قدجاء -قرآن-۴۸۸-۵۴۷ فى الخبر المرفوع ماأحسن تواضع الأغنياء للفقراء وأحسن منه تكبر الفقراء على الأغنياء -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۹۱ .الذين تكبروا عن حسبهم أى جهلوا أنفسهم و لم يفكروا فى أصلهم من النطف المستقذرة من الطين المنتن قال الشاعر مابال من أوله نطفة || وجيفة آخره يفخر يصبح لايملك تقديم ما || يرجو و

لاتأخير مايحذر . قوله ع وألقوا الهجينة على ربهم روى الهجينة على فعيلة كالطبيعة والخليقة وروى الهجنة على فعلة كالمضغة واللقمة والمراد بهما الاستهجان من قولك هويهجن كذا أى يقبحه ويستهجنه أى يستقبحه أى نسبوا ما فى الأنساب [صفحه ۱۵۰] من القبح بزعمهم إلى ربهم مثل أن يقولوا للرجل أنت عجمى ونحن عرب فإن هذا ليس إلى الإنسان بل هو إلى الله تعالى فأى ذنب له فيه . قوله وجاحدوا الله أى كابروه وأنكروا صنعه إليهم . وآساس بالمد جمع أساس . واعتزاء الجاهلية قولهم يالفلان وسمع أبى بن كعب رجلا يقول يالفلان فقال عضضت بهن أبيك فقيل له يا أباالمنذر ماكنت فحاشا قال سمعت رسول الله ص يقول من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه و لاتكنوا -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۸۸ . قوله فلاتكونوا لنعمة الله أضدادا لأن البغى والكبر يقتضيان زوال النعمة وتبدلها بالنقمة. قوله و لاتطيعوا الأدعياء مراده هاهنا بالأدعياء الذين ينتحلون الإسلام ويبطنون النفاق . ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم أى شربتم كدرهم مستبدلين ذلك بصفوكم ويروى الذين ضربتم أى مزجتم ويروى شريتم أى بعتم واستبدلتم . والأحلاس جمع حلس و هوكساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له فقيل لكل ملازم أمر هوحلس ذلك الأمر. والترجمان بفتح التاء هو ألذى يفسر لسانا بلسان غيره و قدتضم التاء ويروى ونثا فى أسماعكم من نث الحديث أى أفشاه [صفحه ۱۵۱] فَلَو رَخّصَ اللّهُ فِي الكِبرِ لِأَحَدٍ مِن عِبَادِهِ لَرَخّصَ فِيهِ لِخَاصّةِ أَنبِيَائِهِ وَ لَكِنّهُ سُبحَانَهُ كَرّهَ إِلَيهِمُ التّكَابُرَ وَ رضَيِ‌َ لَهُمُ التّوَاضُعَ فَأَلصَقُوا بِالأَرضِ خُدُودَهُم وَ عَفّرُوا فِي التّرَابِ وُجُوهَهُم وَ خَفَضُوا أَجنِحَتَهُم لِلمُؤمِنِينَ وَ كَانُوا قَوماً مُستَضعَفِينَ قَدِ اختَبَرَهُمُ اللّهُ بِالمَخمَصَةِ وَ ابتَلَاهُم بِالمَجهَدَةِ وَ امتَحَنَهُم بِالمَخَاوِفِ وَ مَحّصَهُم بِالمَكَارِهِ فَلَا تَعتَبِرُوا الرّضَا وَ السّخطَ بِالمَالِ وَ الوَلَدِ جَهلًا بِمَوَاقِعِ الفِتنَةِ وَ الِاختِبَارِ فِي مَوضِعِ الغِنَى وَ الإِقتَارِ فَقَد قَالَ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَي‌ أَ يَحسَبُونَ أَنّما نُمِدّهُم بِهِ مِن مالٍ وَ بَنِينَ نُسارِعُ لَهُم فِي الخَيراتِ بَل لا يَشعُرُونَ -قرآن-۶۱۲-۷۱۳ التكابر التعاظم والغرض مقابلة لفظة التواضع لتكون الألفاظ مزدوجة. وعفر وجهه ألصقه بالعفر. وخفضوا أجنحتهم ألانوا جانبهم . والمخمصة الجوع والمجهدة المشقة و أمير المؤمنين ع كثير الاستعمال لمفعل ومفعلة بمعنى المصدر إذاتصفحت كلامه عرفت ذلك . ومحصهم أى طهرهم وروى مخضهم بالخاء والضاد المعجمة أى حركهم وزلزلهم . [صفحه ۱۵۲] ثم نهى أن يعتبر رضا الله وسخطه بما نراه من إعطائه الإنسان مالا وولدا فإن ذلك جهل بمواقع الفتنة والاختبار. و قوله تعالى أَ يَحسَبُونَالآية دليل على ماقاله ع والأدلة العقلية أيضا دلت على أن كثيرا من الآلام والغموم والبلوى إنما يفعله الله تعالى للألطاف والمصالح و ماالموصولة فى الآية يعود إليها محذوف ومقدر لابد منه و إلا كان الكلام غيرمنتظم و غيرمرتبط بعضه ببعض وتقديره نسارع لهم فى الخيرات -قرآن-۱۳۱-۱۴۳ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ يَختَبِرُ عِبَادَهُ المُستَكبِرِينَ فِي أَنفُسِهِم بِأَولِيَائِهِ المُستَضعَفِينَ فِي أَعيُنِهِم وَ لَقَد دَخَلَ مُوسَى بنُ عِمرَانَ وَ مَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ ع عَلَى فِرعَونَ وَ عَلَيهِمَا مَدَارِعُ الصّوفِ وَ بِأَيدِيهِمَا العصِيِ‌ّ فَشَرَطَا لَهُ إِن أَسلَمَ بَقَاءَ مُلكِهِ وَ دَوَامَ عِزّهِ فَقَالَ أَ لَا تَعجَبُونَ مِن هَذَينِ يَشرِطَانِ لِي دَوَامَ العِزّ وَ بَقَاءَ المُلكِ وَ هُمَا بِمَا تَرَونَ مِن حَالِ الفَقرِ وَ الذّلّ فَهَلّا أُلقيِ‌َ عَلَيهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ إِعظَاماً لِلذّهَبِ وَ جَمعِهِ وَ احتِقَاراً لِلصّوفِ وَ لُبسِهِ وَ لَو أَرَادَ اللّهُ سُبحَانَهُ لِأَنبِيَائِهِ حَيثُ بَعَثَهُم أَن يَفتَحَ لَهُم كُنُوزَ الذّهبَانِ وَ مَعَادِنَ العِقيَانِ وَ مَغَارِسَ الجِنَانِ وَ أَن يَحشُرَ مَعَهُم طُيُورَ السّمَاءِ وَ وُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَ لَو فَعَلَ لَسَقَطَ البَلَاءُ وَ بَطَلَ الجَزَاءُ وَ اضمَحَلّتِ الأَنبَاءُ وَ لَمَا وَجَبَ لِلقَابِلِينَ أُجُورُ المُبتَلَينَ وَ لَا استَحَقّ المُؤمِنُونَ ثَوَابَ المُحسِنِينَ وَ لَا لَزِمَتِ الأَسمَاءُ مَعَانِيَهَا وَ لَكِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوّةٍ فِي عَزَائِمِهِم وَ ضَعَفَةً فِيمَا [صفحه ۱۵۳] تَرَى الأَعيُنُ مِن حَالَاتِهِم مَعَ قَنَاعَةٍ تَملَأُ القُلُوبَ وَ العُيُونَ غِنًى وَ خَصَاصَةٍ تَملَأُ الأَبصَارَ وَ الأَسمَاعَ أَذًى مدارع الصوف جمع مدرعة بكسر الميم وهى كالكساء وتدرع الرجل وتمدرع إذالبسها والعصى جمع عصا. وتقول هذاسوار المرأة والجمع أسورة وجمع الجمع أساورة وقرئفَلَو لا أُلقيِ‌َ عَلَيهِ أَسوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ و قد يكون جمع أساور قال سبحانه يُحَلّونَ فِيها مِن أَساوِرَ مِن ذَهَبٍ قال أبوعمرو بن العلاء أساور هاهنا جمع إسوار و هوالسوار. والذهبان بكسر الذال جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان الذهب أيضا قوله ع واضمحلت الأنباء أى تلاشت وفنيت والأنباء جمع نبأ و هوالخبر أى

لسقط الوعد والوعيد وبطلا. قوله ع و لالزمت الأسماء معانيها أی من يسمی مؤمنا أومسلما حينئذ فإن تسميته مجاز لاحقيقة لأنه ليس بمؤمن إيمانا من فعله وكسبه بل يكون ملجأ إلى الإيمان بما يشاهده من الآيات العظيمة. والمبتلين بفتح اللام جمع مبتلی كالمعطين والمرتضين جمع معطی ومرتضی . والخصاصة الفقر. -قرآن-١٦١-٢٠٦-قرآن-٢٤٠-٢٧٨ [صفحه ١٥۴] و هذاالكلام هو مايقوله أصحابنا بعينه فی تعليل أفعال الباری سبحانه بالحكمة والمصلحة و أن الغرض بالتكليف هوالتعريض للثواب و أنه يجب أن يكون خالصا من الإلجاء و من أن يفعل الواجب بوجه غيروجه وجوبه يرتدع عن القبيح لوجه غيروجه قبحه . وروی أبو جعفر محمد بن جرير الطبری فی التاريخ أن موسی قدم هو وأخوه هارون مصر علی فرعون لمابعثهما الله تعالی إليه حتی وقفا علی بابه يلتمسان الإذن عليه فمكثا سنين يغدوان علی بابه ويروحان لايعلم بهما و لايجترئ أحد علی أن يخبره بشأنهما و قدكانا قالا لمن بالباب إنا رسولا رب العالمين إلی فرعون حتی دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك إن علی الباب رجلا يقول قولا عجيبا عظيما ويزعم أن له إلها غيرك قال ببابی قال نعم قال أدخلوه فدخل وبيده عصاه ومعه هارون أخوه فقال أنا رسول رب العالمين إليك وذكر تمام الخبر. فإن قلت أی خاصية فی الصوف ولبسه و لم اختاره الصالحون علی غيره قلت ورد فی الخبر أن أول لباس لبسه آدم لماهبط إلی الأرض صوف كبش قيضه الله له وأمره أن يذبحه فيأكل لحمه ويلبس صوفه لأنه أهبط عريان من الجنة فذبحه وغزلت حواء صوفه فلبس آدم منه ثوبا وألبس حواء ثوبا آخر فلذلك صار شعار الأولياء وانتسبت إليه الصوفية [صفحه ١٥٥] وَ لَو كَانَتِ الأَنبِيَاءُ أَهلَ قُوّةٍ لَا تُرَامُ وَ عِزّةٍ لَا تُضَامُ وَ مُلكٍ تُمَدّ نَحوَهُ أَعنَاقُ الرّجَالِ وَ تُشَدّ إِلَيهِ عُقَدُ الرّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهوَنَ عَلَی الخَلقِ فِی الِاعتِبَارِ وَ أَبعَدَ لَهُم مِنَ الِاستِكبَارِ وَ لَآمَنُوا عَن رَهبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُم أَو رَغبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِم فَكَانَتِ النّيّاتُ مُشتَرَكَةً وَ الحَسَنَاتُ مُقتَسَمَةً وَ لَكِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ أَرَادَ أَن يَكُونَ الِاتّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَ التّصدِيقُ بِكُتُبِهِ وَ الخُشُوعُ لِوَجهِهِ وَ الِاستِكَانَةُ لِأَمرِهِ وَ الِاستِسلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصّةً لَا يَشُوبُهَا مِن غَيرِهَا شَائِبَةٌ تمد نحوه أعناق الرجال أی لعظمته أی يؤمله المؤملون ويرجوه الراجون و كل من أمل شيئا فقد طمح ببصره إليه معنی لاصورة فكنی عن ذلك بمد العنق . وتشد إليه عقد الرحال يسافر أرباب الرغبات إليه يقول لو كان الأنبياء ملوكا ذوی بأس وقهر لم يمكن إيمان الخلق وانقيادهم إليهم لأن الإيمان فی نفسه واجب عقلا بل كان لرهبة لهم أورغبة فيهم فكانت النيات مشتركة هذافرض سؤال وجواب عنه كأنه قال لنفسه لم لايجوز أن يكون إيمانهم علی هذاالتقدير لوجوبه ولخوف ذلك النبی أولرجاء نفع ذلك النبی ص فقال لأن النيات تكون حينئذ مشتركة أی يكون المكلف قدفعل الإيمان لكلا الأمرين وكذلك تفسير قوله والحسنات مقتسمة قال و لايجوز أن تكون طاعة الله تعالی تعلو إلالكونها طاعة له لا غير و لايجوز أن يشوبها ويخالطها من غيرها شائبة. [صفحه ١٥٦] فإن قلت مامعنی قوله لكان ذلك أهون علی الخلق فی الاعتبار وأبعد لهم من الاستكبار قلت أی لو كان الأنبياء كالملوك فی السطوة والبطش لكان المكلف لايشق عليه الاعتبار والانزجار عن القبائح مشقته عليه إذاتركه لقبحه لالخوف السيف و كان بعدالمكلفين عن الاستكبار والبغی لخوف السيف والتأديب أعظم من بعدهم عنهما إذاتركوهما لوجه قبحهما فكان يكون ثواب المكلف إما ساقطا وإما ناقصا وَ كُلّمَا كَانَتِ البَلوَی وَ الِاختِبَارُ أَعظَمَ كَانَتِ المَثُوبَةُ وَ الجَزَاءُ أَجزَلَ أَ لَا تَرَونَ أَنّ اللّهَ سُبحَانَهُ اختَبَرَ الأَوّلِينَ مِن لَدُن آدَمَ ص إِلَی الآخِرِينَ مِن هَذَا العَالَمِ بِأَحجَارٍ لَا تَضُرّ وَ لَا تَنفَعُ وَ لَا تُبصِرُ وَ لَا تَسمَعُ فَجَعَلَهَا بَيتَهُ الحَرَامَ أَلّذِی جَعَلَهُ اللّهُ لِلنّاسِ قِيَاماً ثُمّ وَضَعَهُ بِأَوعَرِ بِقَاعِ الأَرضِ حَجَراً وَ أَقَلّ نَتَائِقِ الدّنيَا مَدَراً وَ أَضيَقِ بُطُونِ الأَودِيَةِ قُطراً بَينَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَ رِمَالٍ دَمِثَةٍ وَ عُيُونٍ وَشِلَةٍ وَ قُرًی مُنقَطِعَةٍ لَا يَزكُو بِهَا خُفّ وَ لَا حَافِرٌ وَ لَا ظِلفٌ ثُمّ أَمَرَ آدَمَ ع وَ وَلَدَهُ أَن يَثنُوا أَعطَافَهُم نَحوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنتَجَعِ أَسفَارِهِم وَ غَايَةً لِمُلقَی رِحَالِهِم تهَوِی إِلَيهِ ثِمَارُ الأَفئِدَةِ مِن مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَ مهَاَوِی فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَ جَزَائِرِ بِحَارٍ مُنقَطِعَةٍ حَتّی يَهُزّوا مَنَاكِبَهُم ذُلُلًا يُهَلّلُونَ لِلّهِ حَولَهُ وَ يَرمُلُونَ عَلَی أَقدَامِهِم شُعثاً غُبراً لَهُ قَد نَبَذُوا السّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِم وَ شَوّهُوا بِإِعفَاءِ الشّعُورِ مَحَاسِنَ خَلقِهِم ابتِلَاءً عَظِيماً وَ امتِحَاناً شَدِيداً وَ اختِبَاراً مُبِيناً وَ تَمحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللّهُ سَبَباً لِرَحمَتِهِ وَ وُصلَةً إِلَی جَنّتِهِ [صفحه ١٥٧] وَ لَو أَرَادَ

سُبحَانَهُ أَن يَضَعَ بَيتَهُ الحَرَامَ وَ مَشَاعِرَهُ العِظَامَ بَينَ جَنّاتٍ وَ أَنهَارٍ وَ سَهلٍ وَ قَرَارٍ جَمّ الأَشجَارِ دَانِيَ الثّمَارِ مُلتَفّ البُنَى مُتّصِلَ القُرَى بَينَ بُرّةٍ سَمرَاءَ وَ رَوضَةٍ خَضرَاءَ وَ أَريَافٍ مُحدِقَةٍ وَ عِرَاصٍ مُغدِقَةٍ وَ زُرُوعٍ نَاضِرَةٍ وَ طُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَد صَغُرَ قَدرُ الجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعفِ البَلَاءِ وَ لَو كَانَ الأَسَاسُ المَحمُولُ عَلَيهَا وَ الأَحجَارُ المَرفُوعُ بِهَا مِن زُمُرّدَةٍ خَضرَاءَ وَ يَاقُوتَةٍ حَمرَاءَ وَ نُورٍ وَ ضِيَاءٍ لَخَفّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشّكّ فِي الصّدُورِ وَ لَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبلِيسَ عَنِ القُلُوبِ وَ لَنَفَى مُعتَلَجَ الرّيبِ مِنَ النّاسِ وَ لَكِنّ اللّهَ يَختَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنوَاعِ الشّدَائِدِ وَ يَتَعَبّدُهُم بِأَنوَاعِ المَجَاهِدِ وَ يَبتَلِيهِم بِضُرُوبِ المَكَارِهِ إِخرَاجاً لِلتّكَبّرِ مِن قُلُوبِهِم وَ إِسكَاناً لِلتّذَلّلِ فِي نُفُوسِهِم وَ لِيَجعَلَ ذَلِكَ أَبوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضلِهِ وَ أَسبَاباً ذُلُلًا لِعَفوِهِ كانت المثوبة أى الثواب . وأجزل أكثر والجزيل العظيم وعطاء جزل وجزيل والجمع جزال و قدأجزلت له من العطاء أى أكثرت . وجعله للناس قياما أى عمادا وفلان قيام أهله أى يقيم شئونهم و منه قوله تعالى وَ لا تُؤتُوا السّفَهاءَ أَموالَكُمُ التّي جَعَلَ اللّهُ لَكُم قِياماً. وأوعر بقاع الأرض حجرا أى أصعبها ومكان وعر بالتسكين صعب المسلك أوالمقام . -قرآن-٢٠٨-٢٧٩ [صفحه ١٥٨] وأقل نتائق الدنيا مدرا أصل هذه اللفظة من قولهم امرأة منتاق أى كثيرة الحبل والولادة ويقال ضيعة منتاق أى كثيرة الريع فجعل ع الضياع ذوات المدر التى تثار للحرث نتائق و قال إن مكة أقلها صلاحا للزرع لأن أرضها حجرية. والقطر الجانب ورمال دمثة سهلة وكلما كان الرمل أسهل كان أبعد عن أن ينبت . وعيون وشلة أى قليلة الماء والوشل بفتح الشين الماء القليل ويقال وشل الماء وشلانا أى قطر. قوله لايزكو بهاخف أى لاتزيد الإبل فيها أى لاتسمن والخف هاهنا هوالإبل والحافر الخيل والحمير والظلف الشاة أى ليس حولها مرعى يرعاه الغنم فتسمن . و أن يثنوا أعطافهم نحوه أى يقصدوه ويحجوه وعطفا الرجل جانباه . وصار مثابة أى يثاب إليه ويرجع نحوه مرة بعدأخرى و هذه من ألفاظ الكتاب العزيز. قوله ع لمنتجع أسفارهم أى لنجعتها والنجعة طلب الكلأ فى الأصل ثم سمى كل من قصد أمرا يروم النفع منه منتجعا. قوله وغاية لملقى رحالهم أى صار البيت هوالغاية التى هى الغرض والمقصد وعنده تلقى الرحال أى تحط رحال الإبل عن ظهورها ويبطل السفر لأنهم قدانتهوا إلى الغاية المقصودة. [صفحه ١٥٩] قوله تهوى إليه ثمار الأفئدة ثمرة الفؤاد هوسويداء القلب و منه قولهم للولد هوثمرة الفؤاد ومعنى تهوى إليه أى تتشوقه وتحن نحوه . والمفاوز هى جمع مفازة الفلاة سميت مفازة إما لأنها مهلكة من قولهم فوز الرجل أى هلك و أماتفاؤلا بالسلامة والفوز والرواية المشهورة من مفاوز قفار بالإضافة و قدروى قوم من مفاوز بفتح الزاء لأنه لاينصرف و لم يضيفوا جعلوا قفار صفة. والسحيقة البعيدة. والمهاوى المساقط. والفجاج جمع فج و هوالطريق بين الجبلين . قوله ع حتى يهزوا مناكبهم أى يحركهم الشوق نحوه إلى أن يسافروا إليه فكنى عن السفر بهز المناكب . وذللا حال إما منهم وإما من المناكب وواحد المناكب منكب بكسر الكاف و هومجمع عظم العضد والكتف . قوله ويهللون يقولون لا إله إلا الله وروى يهلون لله أى يرفعون أصواتهم بالتلبية ونحوها. ويرملون الرمل السعى فوق المشى قليلا.شعثا غبرا لايتعهدون شعورهم و لاثيابهم و لاأبدانهم قدنبذوا السرابيل ورموا ثيابهم وقمصانهم المخيطة. وشوهوا بإعفاء الشعور أى غيروا وقبحوا محاسن صورهم بأن أعفوا شعورهم فلم يحلقوا مافضل منها وسقط على الوجه ونبت فى غيره من الأعضاء التى جرت العادة بإزالتها عنها. [صفحه ١٦٠] والتمحيص التطهير من محصت الذهب بالنار إذاصفيته مما يشوبه والتمحيص أيضا الامتحان والاختبار والمشاعر معالم النسك . قوله وسهل وقرار أى فى مكان سهل يستقر فيه الناس و لاينالهم من المقام به مشقة. وجم الأشجار كثيرها ودانى الثمار قريبها. وملتف البنى مشتبك العمارة. والبرة الواحدة من البر و هوالحنطة. والأرياف جمع ريف و هوالخصب والمرعى فى الأصل و هوهاهنا السواد والمزارع ومحدقة محيطة ومغدقة غزيرة والغدق الماء الكثير. وناضرة ذات نضارة ورونق وحسن . قوله و لوكانت الإساس يقول لوكانت إساس البيت التى حمل البيت عليها وأحجاره التى رفع بها من زمردة وياقوتة فالمحمول والمرفوع كلاهما مرفوعان لأنهما صفة اسم كان والخبر من زمردة وروى بين زمردة ويجوز أن تحمل لفظتا المفعول وهما المحمول والمرفوع ضمير البيت فيكون قائما مقام اسم الفاعل و يكون موضع الجار والمجرور نصبا ويجوز

ألا۔ تحملهما ذلک الضمير ويجعل الجار والمجرور هوالساد مسد الفاعل فيكون موضعه رفعا. وروى مضارعة الشك بالضاد المعجمة ومعناه مقارنة الشک ودنوه من النفس وأصله من مضارعة القدر إذاحان إدراكها و من مضارعة الشمس إذادنت للمغيب . و قال الراوندى فى تفسير هذه الكلمة من مضارعة الشک أى مماثلته ومشابهته و هذابعيد لأنه لا معنى للمماثلة والمشابهة هاهنا والرواية الصحيحة بالصاد المهملة. قوله ع ولنفى متعلج الريب أى اعتلاجه أى ولنفى اضطراب الشک فى القلوب وروى يستعبدهم ويتعبدهم والثانية أحسن . [صفحه ۱۶۱] والمجاهد جمع مجهدة وهى المشقة. وأبوابا فتحا أى مفتوحة وأسبابا ذللا أى سهلة. واعلم أن محصول هذاالفصل أنه كلما كانت العبادة أشق كان الثواب عليها أعظم و لو أن الله تعالى جعل العبادات سهلة على المكلفين لمااستحقوا عليها من الثواب إلاقدرا يسيرا بحسب ما يكون فيها من المشقة اليسيرة. فإن قلت فهل كان البيت الحرام موجودا أيام آدم ع ثم أمر آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه قلت نعم هكذا روى أرباب السير وأصحاب التواريخ روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه عن ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى آدم لماأهبطه إلى الأرض أن لى حرما حيال عرشى فانطلق فابن لى بيتا فيه ثم طف به كمارأيت ملائكتى تحف بعرشى فهنالک أستجيب دعاءک ودعاء من يحف به من ذريتک فقال آدم إنى لست أقوى على بنائه و لاأهتدى إليه فقيض الله تعالى له ملكا فانطلق به نحو مكة و كان آدم فى طريقه كلما رأى روضة أومكانا يعجبه سأل الملک أن ينزل به هناک ليبنى فيه فيقول الملک إنه ليس هاهنا حتى أقدمه مكة فبنى البيت من خمسة جبال طور سيناء وطور زيتون ولبنان والجودى وبنى قواعده من حراء فلما فرغ خرج به الملک إلى عرفات فأراه المناسک كلها التى يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع إلى أرض الهند فمات -روايت-۱-۲-روايت-۶۲-۷۳۰ . وروى الطبرى فى التاريخ أن آدم حج من أرض الهند إلى الكعبة أربعين حجة على رجليه . [صفحه ۱۶۲] و قدروى أن الكعبة أنزلت من السماء وهى ياقوتة أولؤلؤة على اختلاف الروايات وأنها بقيت على تلک الصورة إلى أن فسدت الأرض بالمعاصى أيام نوح وجاء الطوفان فرفع البيت وبنى ابراهيم هذه البنية على قواعده القديمة -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۲۲۲ روى أبو جعفر عن وهب بن منبه أن آدم دعا ربه فقال يارب أ مالأرضک هذه عامر يسبحک ويقدسک فيهاغيرى فقال الله إنى سأجعل فيها من ولدک من يسبح بحمدى ويقدسنى وسأجعل فيهابيوتا ترفع لذكرى يسبحنى فيهاخلقى ويذكر فيهااسمى وسأجعل من تلک البيوت بيتا أختصه بكرامتى وأوثره باسمى فأسميه بيتى و عليه وضعت جلالتى وخصصته بعظمتى و أنا مع ذلک فى كل شىءأجعل ذلک البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله و من تحته و من فوقه فمن حرمه بحرمتى استوجب كرامتى و من أخاف أهله فقد أباح حرمتى واستحق سخطى وأجعله بيتا مباركا يأتيه بنوک شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا من اعتمده لايريد غيره ووفد إلى وزارنى واستضاف بى أسعفته بحاجته وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه تعمره ياآدم مادمت حيا ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدک أمة بعدأمة وقرنا بعدقرن -روايت-۱-۲-روايت-۳۳-۸۵۲ . قال ثم أمر آدم أن يأتى إلى البيت الحرام الذى أهبط له إلى الأرض فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش و كان البيت حينئذ من درة أو من ياقوتة فلما أغرق الله تعالى قوم نوح رفعه وبقى أساسه فبوأه الله لإبراهيم فبناه [صفحه ۱۶۳] فَاللّهَ اللّهَ فِى عَاجِلِ البغَىِ وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظّلمِ وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الكِبرِ فَإِنّهَا مَصيَدَةُ إِبلِيسَ العُظمَى وَ مَكِيدَتُهُ الكُبرَى التّى تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرّجَالِ مُسَاوَرَةَ السّمُومِ القَاتِلَةِ فَمَا تُكدِى أَبَداً وَ لَا تشُوِى أَحَداً لَا عَالِماً لِعِلمِهِ وَ لَا مُقِلّا فِى طِمرِهِ وَ عَن ذَلِکَ مَا حَرَسَ اللّهُ عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ بِالصّلَوَاتِ وَ الزّكَوَاتِ وَ مُجَاهَدَةِ الصّيَامِ فِى الأَيّامِ المَفرُوضَاتِ تَسكِيناً لِأَطرَافِهِم وَ تَخشِيعاً لِأَبصَارِهِم وَ تَذلِيلًا لِنُفُوسِهِم وَ تَخفِيضاً لِقُلُوبِهِم وَ إِذهَاباً لِلخُيَلَاءِ عَنهُم وَ لِمَا فِى ذَلِکَ مِن تَعفِيرِ عِتَاقِ الوُجُوهِ بِالتّرَابِ تَوَاضُعاً وَ التِصَاقِ كَرَائِمِ الجَوَارِحِ بِالأَرضِ تَصَاغُراً وَ لُحُوقِ البُطُونِ بِالمُتُونِ مِنَ الصّيَامِ تَذَلّلًا مَعَ مَا فِى الزّكَاةِ مِن صَرفِ ثَمَرَاتِ الأَرضِ وَ غَيرِ ذَلِکَ إِلَى أَهلِ المَسكَنَةِ وَ الفَقرِ انظُرُوا إِلَى مَا فِى هَذِهِ الأَفعَالِ مِن قَمعِ نَوَاجِمِ الفَخرِ وَ قَدعِ طَوَالِعِ الكِبرِ بلدة

وخمة ووخيمة بينة الوخامة أى وبيئة.مصيدة إبليس بسكون الصاد وفتح الياء آلته التى يصطاد بها. وتساور قلوب الرجال تواثبها وسار إليه يسور أى وثب والمصدر السور ومصدر تساور المساورة ويقال إن لغضبه سورة و هوسوار أى وثاب معربد. [صفحه ۱۶۴] وسورة الشراب وثوبه فى الرأس وكذلك مساورة السموم التى ذكرها أمير المؤمنين ع . و ماتكدى ماترد عن تأثيرها من قولك أكدى حافر الفرس إذابلغ الكدية وهى الأرض الصلبة فلايمكنه أن يحفر. و لاتشوى أحدا لاتخطئ المقتل وتصيب غيره و هوالشوى والشوى الأطراف كاليد و الرجل . قال لاترد مكيدته عن أحد لا عن عالم لأجل علمه و لا عن فقير لطمره والطمر الثوب الخلق . و ما فى قوله و عن ذلك ماحرس الله زائدة مؤكدة أى عن هذه المكايد التى هى البغى والظلم والكبر حرس الله عباده فعن متعلقة بحرس و قال الراوندى يجوز أن تكون مصدرية فيكون موضعها رفعا بالابتداء وخبر المبتدأ قوله لما فى ذلك و قال أيضا يجوز أن تكون نافية أى لم يحرس الله عباده عن ذلك إلجاء وقهرا بل فعلوه اختيارا من أنفسهم والوجه الأول باطل لأن عن على هذاالتقدير تكون من صلة المصدر فلايجوز تقديمها عليه وأيضا فإن لما فى ذلك لو كان هوالخبر لتعلق لام الجر بمحذوف فيكون التقدير حراسة الله لعباده عن ذلك كائنة لما فى ذلك من تعفير الوجوه بالتراب و هذاكلام غيرمفيد و لامنتظم إلا على تأويل بعيد لاحاجة إلى تعسفه والوجه الثانى باطل لأن سياقة الكلام تدل على فساده أ لاترى قوله تسكينا وتخشيعا و قوله لما فى ذلك من كذا و هذاكله تعليل الحاصل الثابت لاتعليل المنفى المعدوم . ثم بين ع الحكمة فى العبادات فقال إنه تعالى حرس عباده بالصلوات [صفحه ۱۶۵] التى افترضها عليهم من تلك المكايد وكذلك بالزكاة والصوم ليسكن أطرافهم ويخشع أبصارهم فجعل التسكين والتخشيع عذرا وعلة للحراسة ونصب اللفظات على أنها مفعول له . ثم علل السكون والخشوع ألذى هوعلة الحراسة لما فى الصلاة من تعفير الوجه على التراب فصار ذلك علة العلة قال و ذلك لأن تعفير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا يوجب هضم النفس وكسرها وتذليلها. وعتاق الوجوه كرائمها. وإلصاق كرائم الجوارح بالأرض كاليدين والساقين تصاغرا يوجب الخشوع والاستسلام والجوع فى الصوم ألذى يلحق البطن فى المتن يقتضى زوال الأشر والبطر ويوجب مذلة النفس وقمعها عن الانهماك فى الشهوات و ما فى الزكاة من صرف فواضل المكاسب إلى أهل الفقر والمسكنة يوجب تطهير النفوس والأموال ومواساة أرباب الحاجات بما تسمح به النفوس من الأموال وعاصم لهم من السرقات وارتكاب المنكرات ففى ذلك كله دفع مكايد الشيطان . وتخفيض القلوب حطها عن الاعتلاء والتيه . والخيلاء التكبر والمسكنة أشد الفقر فى أظهر الرأيين . والقمع القهر. والنواجم جمع ناجمة وهى مايظهر ويطلع من الكبر وغيره . والقدع بالدال المهملة الكف قدعت الفرس وكبحته باللجام أى كففته . والطوالع كالنواجم [صفحه ۱۶۶] وَ لَقَد نَظَرتُ فَمَا وَجَدتُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ يَتَعَصّبُ لشِيَءٍ مِنَ الأَشيَاءِ إِلّا عَن عِلّةٍ تَحتَمِلُ تَموِيهَ الجُهَلَاءِ أَو حُجّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السّفَهَاءِ غَيرَكُم فَإِنّكُم تَتَعَصّبُونَ لِأَمرٍ مَا يُعرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَ لَا عِلّةٌ أَمّا إِبلِيسُ فَتَعَصّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصلِهِ وَ طَعَنَ عَلَيهِ فِي خِلقَتِهِ فَقَالَ أَنَا نَارِيّ وَ أَنتَ طِينِيّ وَ أَمّا الأَغنِيَاءُ مِن مُترَفَةِ الأُمَمِ فَتَعَصّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النّعَمِ فَقَالُوا نَحنُ أَكثَرُ أَموَالًا وَ أَولَاداً وَ مَا نَحنُ بِمُعَذّبِينَ فَإِن كَانَ لَا بُدّ مِنَ العَصَبِيّةِ فَليَكُن تَعَصّبُكُم لِمَكَارِمِ الخِصَالِ وَ مَحَامِدِ الأَفعَالِ وَ مَحَاسِنِ الأُمُورِ التّيِ تَفَاضَلَت فِيهَا المُجَدَاءُ وَ النّجَدَاءُ مِن بُيُوتَاتِ العَرَبِ وَ يَعَاسِيبِ القَبَائِلِ بِالأَخلَاقِ الرّغِيبَةِ وَ الأَحلَامِ العَظِيمَةِ وَ الأَخطَارِ الجَلِيلَةِ وَ الآثَارِ المَحمُودَةِ فَتَعَصّبُوا لِخِلَالِ الحَمدِ مِنَ الحِفظِ لِلجِوَارِ وَ الوَفَاءِ بِالذّمَامِ وَ الطّاعَةِ لِلبِرّ وَ المَعصِيَةِ لِلكِبرِ وَ الأَخذِ بِالفَضلِ وَ الكَفّ عَنِ البَغيِ وَ الإِعظَامِ لِلقَتلِ وَ الإِنصَافِ لِلخَلقِ وَ الكَظمِ لِلغَيظِ وَ اجتِنَابِ الفَسَادِ فِي الأَرضِ قدروى تحتمل بالتاء وروى تحمل والمعنى واحد. والتمويه التلبيس من موهت النحاس إذاطليته بالذهب ليخفى . ولاط الشىء بقلبى يلوط ويليط أى التصق . والمترف ألذى أطغته النعمة. [صفحه ۱۶۷] وتفاضلت فيها أى تزايدت . والمجداء جمع ماجد والمجد الشرف فى الآباء والحسب والكرم يكونان فى الرجل و إن لم يكونا فى آبائه هكذا قال ابن السكيت و قداعترض عليه بأن المجيد من صفات الله تعالى قال سبحانه ذُو العَرشِ المَجِيدُ على قراءة من رفع و الله سبحانه يتعالى عن الآباء و قدجاء فى

وصف القرآن المجيد قال سبحانه بَل هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ. والنجداء الشجعان واحدهم نجيد و أمانجد ونجد بالكسر والضم فجمعه أنجاد مثل يقظ وأيقاظ. وبيوتات العرب قبائلها ويعاسيب القبائل رؤساؤها واليعسوب فى الأصل ذكر النحل وأميرها. والرغيبة الخصلة يرغب فيها. والأحلام العقول والأخطار الأقدار. ثم أمرهم بأن يتعصبوا لخلال الحمد وعددها وينبغى أن يحمل قوله ع فإنكم تتعصبون لأمر مايعرف له سبب و لاعلة على أنه لايعرف له سبب مناسب فكيف يمكن أن يتعصبوا لغير سبب أصلا. وقيل إن أصل هذه العصبية و هذه الخطبة أن أهل الكوفة كانوا قدفسدوا فى آخر خلافة أمير المؤمنين وكانوا قبائل فى الكوفة فكان الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة أخرى فينادى باسم قبيلته ياللنخع مثلا أو ياللكندة نداء عاليا يقصد به الفتنة وإثارة الشر فيتألب عليه فتيان القبيلة التى مر بهافينادون ياللتميم -قرآن-٢١٤-٢٣٤-قرآن-٣٢٩-٣٥١ [صفحه ١٦٨] و ياللربيعة ويقبلون إلى ذلك الصائح فيضربونه فيمضى إلى قبيلته فيستصرخها فتسل السيوف وتثور الفتن و لا يكون لها أصل فى الحقيقة إلاتعرض الفتيان بعضهم ببعض وَ احذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبلَكُم مِنَ المَثُلَاتِ بِسُوءِ الأَفعَالِ وَ ذَمِيمِ الأَعمَالِ فَتَذَكّرُوا فِي الخَيرِ وَ الشّرّ أَحوَالَهُم وَ احذَرُوا أَن تَكُونُوا أَمثَالَهُم فَإِذَا تَفَكّرتُم فِي تَفَاوُتِ حَالَيهِم فَالزَمُوا كُلّ أَمرٍ لَزِمَتِ العِزّةُ بِهِ حَالَهُم وَ زَاحَتِ الأَعدَاءُ لَهُ عَنهُم وَ مُدّتِ العَافِيَةُ بِهِ عَلَيهِم وَ انقَادَتِ النّعمَةُ لَهُ مَعَهُم وَ وَصَلَتِ الكَرَامَةُ عَلَيهِ حَبلَهُم مِنَ الِاجتِنَابِ لِلفُرقَةِ وَ اللّزُومِ لِلأُلفَةِ وَ التّحَاضّ عَلَيهَا وَ التّوَاصِي بِهَا وَ اجتَنِبُوا كُلّ أَمرٍ كَسَرَ فِقرَتَهُم وَ أَوهَنَ مُنّتَهُم مِن تَضَاغُنِ القُلُوبِ وَ تَشَاحُنِ الصّدُورِ وَ تَدَابُرِ النّفُوسِ وَ تَخَاذُلِ الأَيدِي المثلات العقوبات . وذميم الأفعال مايذم منها. وتفاوت حاليهم اختلافهما وزاحت الأعداء بعدت و له أى لأجله . والتحاض عليها تفاعل يستدعى وقوع الحض و هوالحث من الجهتين أى يحث بعضهم بعضا. والفقرة واحدة فقر الظهر ويقال لمن قدأصابته مصيبة شديدة قدكسرت فقرته . [صفحه ١٦٩] والمنة القوة. وتضاغن القلوب وتشاحنها واحد وتخاذل الأيدى ألا ينصر الناس بعضهم بعضا وَ تَدَبّرُوا أَحوَالَ المَاضِينَ مِنَ المُؤمِنِينَ قَبلَكُم كَيفَ كَانُوا فِي حَالِ التّمحِيصِ وَ البَلَاءِ أَ لَم يَكُونُوا أَثقَلَ الخَلَائِقِ أَعبَاءً وَ أَجهَدَ العِبَادِ بَلَاءً وَ أَضيَقَ أَهلِ الدّنيَا حَالًا اتّخَذَتهُمُ الفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُم سُوءَ العَذَابِ وَ جَرّعُوهُم جُرَعَ المُرَارِ فَلَم تَبرَحِ الحَالُ بِهِم فِي ذُلّ الهَلَكَةِ وَ قَهرِ الغَلَبَةِ لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امتِنَاعٍ وَ لَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ حَتّى إِذَا رَأَى اللّهُ سُبحَانَهُ جِدّ الصّبرِ مِنهُم عَلَى الأَذَى فِي مَحَبّتِهِ وَ الِاحتِمَالَ لِلمَكرُوهِ مِن خَوفِهِ جَعَلَ لَهُم مِن مَضَايِقِ البَلَاءِ فَرَجاً فَأَبدَلَهُمُ العِزّ مَكَانَ الذّلّ وَ الأَمنَ مَكَانَ الخَوفِ فَصَارُوا مُلُوكاً حُكّاماً وَ أَئِمّةً أَعلَاماً وَ قَد بَلَغَتِ الكَرَامَةُ مِنَ اللّهِ لَهُم مَا لَم تَذهَبِ الآمَالُ إِلَيهِ بِهِم تدبروا أى تأملوا والتمحيص التطهير والتصفية. والأعباء الأثقال واحدها عب ء. وأجهد العباد أتعبهم . والفراعنة العتاة و كل عات فرعون . وساموهم سوء العذاب ألزموهم إياه و هذاإشارة إلى قوله تعالى يَسُومُونَكُم سُوءَ -قرآن-١٩٨-٢١٦ تدبروا أى تأملوا والتمحيص التطهير والتصفية. والأعباء الأثقال واحدها عب ء. وأجهد العباد أتعبهم . والفراعنة العتاة و كل عات فرعون . وساموهم سوء العذاب ألزموهم إياه و هذاإشارة إلى قوله تعالى يَسُومُونَكُم سُوءَ العَذابِ يُذَبّحُونَ أَبناءَكُم وَ يَستَحيُونَ نِساءَكُم وَ فِي ذلِكُم بَلاءٌ مِن رَبّكُم عَظِيمٌ. والمرار بضم الميم شجر مر فى الأصل واستعير شرب المرار لكل من يلقى شديد المشقة. ورأى الله منهم جد الصبر أى أشده . وأئمة أعلاما أى يهتدى بهم كالعلم فى الفلاة -قرآن-١-٩٨ فَانظُرُوا كَيفَ كَانُوا حَيثُ كَانَتِ الأَملَاءُ مُجتَمِعَةً وَ الأَهوَاءُ مُؤتَلِفَةً وَ القُلُوبُ مُعتَدِلَةً وَ الأَيدِي مُتَرَادِفَةً وَ السّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً وَ البَصَائِرُ نَافِذَةً وَ العَزَائِمُ وَاحِدَةً أَ لَم يَكُونُوا أَربَاباً فِي أَقطَارِ الأَرَضِينَ وَ مُلُوكاً عَلَى رِقَابِ العَالَمِينَ فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِم حِينَ وَقَعَتِ الفُرقَةُ وَ تَشَتّتَتِ الأُلفَةُ وَ اختَلَفَتِ الكَلِمَةُ وَ الأَفئِدَةُ تَشَعّبُوا مُختَلِفِينَ وَ تَفَرّقُوا مُتَحَارِبِينَ وَ قَد خَلَعَ اللّهُ عَنهُم لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَ سَلَبَهُم غَضَارَةَ نِعمَتِهِ وَ بَقِيَ قَصَصُ أَخبَارِهِم فِيكُم عِبرَةً لِلمُعتَبِرِينَ مِنكُم الأملاء الجماعات الواحد ملأ. [صفحه ١٧١] ومترادفة متعاونة البصائر نافذة يقال نفذت بصيرتى فى هذاالخبر أى اجتمع همى عليه و لم يبق عندى تردد فيه لعلمى به وتحقيقى إياه . وأقطار الأرضين نواحيها وتشتتت تفرقت . وتشعبوا صاروا شعوبا وقبائل مختلفين . وتفرقوا متحزبين اختلفوا أحزابا وروى متحازبين . وغضارة النعمة الطيب اللين

منهـا. والقصـص الحـديث . يقول انظروا فى أخبـار من قبلكم من الأـمم كيف كـانت حـالهم فى العز والملك لماكانت كلمتهم واحـدة و إلى مـاذا آلـت حـالهم حيـن اختلفت كلمتهم فاحـذروا أن تكونـوا مثلهم و أن يحـل بكم إن اختلفتم مثـل ماحـل بهم فَاعتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسـمَاعِيلَ وَ بَنِي إِسحَاقَ وَ بَنِي إِسرَائِيلَ ع فَمَا أَشَدّ اعتِدَالَ الأَحوَالِ وَ أَقرَبَ اشتِبَاهَ الأَمثَالِ تَأَمّلُوا أَمرَهُم فِي حَالِ تَشَتّتِهِم وَ تَفَرّقِهِم لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَ القَيَاصِرَةُ أَربَاباً لَهُم يَحتَازُونَهُم عَن رِيفِ الآفَاقِ وَ بَحرِ العِرَاقِ وَ خُضرَةِ الدّنيَا إِلَى مَنَابِتِ الشّيحِ وَ مَهَافِي الرّيحِ وَ نَكَدِ المَعَاشِ فَتَرَكُوهُم عَالَةً مَسَاكِينَ إِخوَانَ دَبَرٍ وَ وَبَرٍ أَذَلّ الأُمَمِ دَاراً وَ أَجدَبَهُم قَرَاراً لَا يَأوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعوَةٍ يَعتَصِمُونَ بِهَا وَ لَا إِلَى ظِلّ أُلفَةٍ يَعتَمِدُونَ عَلَى عِزّهَا فَالأَحوَالُ مُضطَرِبَةٌ وَ الأَيدِي مُختَلِفَةٌ وَ الكَثرَةُ مُتَفَرّقَةٌ فِي بَلَاءِ أَزلٍ وَ أَطبَاقِ جَهلٍ مِن بَنَاتٍ مَوءُودَةٍ وَ أَصنَامٍ مَعبُودَةٍ وَ أَرحَامٍ مَقطُوعَةٍ وَ غَارَاتٍ مَشنُونَةٍ [صفحه ۱۷۲] لقائل أن يقول مانعرف أحدا من بنى إسـحاق وبنى إسـرائيل احتـازتهم الأكاسـرة والقياصـرة عن ريف الآفـاق إلى الباديـة ومنـابت الشـيح إلاـ أن يقال يهود خيبر والنضـير وبنى قريظـة وبنى قينقـاع وهؤلاـء نفر قليـل لايعتـد بهم ويعلم من فحوى الخطبـة أنهم غيرمرادين بالكلاـم ولأـنه ع قـال تركوهم إخوان دبر ووبر وهؤلاء لـم يكونوا من أهل الوبر والدبر بل من أهل المدر لأنهم كانوا ذوى حصون وآطام والحاصل أن الذين احتازتهم الأكاسـرة والقياصـرة من الريف إلى البادية وصاروا أهل وبر ولد إسـماعيل لابنو إسـحاق وبنو إسرائيل والجواب أنه ع ذكر فى هـذه الكلمـات وهى قوله فـاعتبروا بحال ولـد إسـماعيل وبنى إسـحاق وبنى إسـرائيل المقهورين والقاهرين جميعا أماالمقهورون فبنو إسـماعيل و أماالقاهرون فبنو إسـحاق وبنو إسـرائيل لأن الأكاسـرة من بنى إسحاق ذكر كثير من أهل العلم أن فارس من ولـد إسـحاق والقياصـرة من ولـد إسـحاق أيضا لأن الروم بنو العيص بن إسـحاق و على هذا يكون الضـمير فى أمرهم وتشتتهم وتفرقهم يرجع إلى بنى إسـماعيل خاصـة. فـإن قلت فبنو إسـرائيل أى مـدخل لهم هاهنا قلت لأن بنى إسـرائيل لماكانوا ملوكـا بالشـام فى أيـام أجـاب الملـك وغيره حاربوا العرب من بنى إسـماعيل غيرمرة وطردوهم عن الشام وألجئوهم على المقام ببادية الحجاز ويصـير تقـدير الكلام فاعتبروا بحال ولد إسـماعيل مع بنى إسـحاق وبنى إسـرائيل فجاء بهم فى صدر الكلام على العموم ثم خصـص فقال الأكاسرة والقياصرة وهم داخلون فى عموم ولد إسحاق وإنما لم يخصص عموم بنى إسرائيل لأن العرب لـم تكن تعرف ملـوك [صـفحه ۱۷۳] ولـد يعقوب فيـذكر لهم أسـماءهم فى الخطبـة بخلاف ولـد إسـحاق فإنهم كانوا يعرفون ملوكهم من بنى ساسان و من بنى الأصـفر. قوله ع فما أشد اعتدال الأحوال أى ماأشبه الأشياء بعضها ببعض و إن حالكم لشبيهة بحـال أولئـك فـاعتبروا بهم . قـوله يحتـازونهم عن الريف يبعـدونهم عنه والريف الأـرض ذات الخصب والزرع والجمع أريـاف ورافت الماشية أى رعت الريف و قدأرفنا أى صرنا إلى الريف وأرافت الأرض أى أخصبت وهى أرض ريفة بتشديد الياء. وبحر العراق دجلـة والفرات أماالأكاسـرة فطردوهم عن بحر العراق و أماالقياصـرة فطردوهم عن ريف الآفـاق أى عن الشام و ما فيه من المرعى والمنتجع . قوله ع أربابا لهم أى ملوكا وكانت العرب تسـمى الأكاسـرة أربابا و لماعظم أمر حذيفة بن بدر عندهم سموه رب معـد. ومنـابت الشـيح أرض العرب والشـيح نبت معروف . ومهـافى الريـح المواضـع الـتى تهفو فيهـا أى تهب وهى الفيـافى والصـحارى. ونكد المعاش ضـيقه وقلته . وتركوهم عالة أى فقراء جمع عائل والعائل ذو العيلة والعيلة الفقر قال تعالى وَ إِن خِفتُم عَيلَةً فَسَوفَ يُغنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضلِهِ قال الشاعر –قرآن-۹۲۶-۹۸۴ تعيرنا أننا عالة || صـعاليك نحن وأنتم ملوك . [صفحه ۱۷۴] نظيره قائـد وقـادة وسـائس وساسـة. و قـوله إخوان دبر ووبر الـدبر مصـدر دبر البعير أى عقره القتب والوبر للبعير بمنزلـة الصوف للضأن والشـعر للمعز. قوله أذل الأمم دارا لعـدم المعاقل والحصون المنيعـة فيها. وأجـدبهم قرارا لعـدم الزرع والشـجر والنخل بها والجدب المحل . و لايأوون لايلتجئون و لاينضـمون . والأزل الضيق وأطباق جهل جمع طبق أى جهل متراكم بعضه فوق بعض . وغارات مشنونة متفرقة وهى أصعب الغارات

فصل فى ذكر الأسباب التى دعت العرب إلى وأد البنات

من بنات موءودة كان قوم من العرب يئدون البنات قيل إنهم بنو تميم خاصة وإنه استفاض منهم فى جيرانهم وقيل بل كان ذلك فى تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل قالوا و ذلك أن رسول الله ص دعا عليهم فقال أللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسنى يوسف -روايت-۱-۲-روايت-۹-۶۸ فأجدبوا سبع سنين حتى أكلوا الوبر بالدم وكانوا يسمونه العلهز فوأدوا البنات لإملاقهم وفقرهم و قددل على ذلك بقوله وَ لا تَقتُلُوا أَولادَكُم خَشيَةَ إِملاقٍ قال وَ لا يَقتُلنَ أَولادَهُنّ. و قال قوم بل وأدوا البنات أنفة وزعموا أن تميما منعت النعمان الإتاوة سنة من -قرآن-۱۲۱-۱۶۲-قرآن-۱۶۸-۱۹۳ [صفحه ۱۷۵] السنين فوجه إليهم أخاه الريان بن المنذر و جل من معه من بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذرارى و فى ذلك يقول بعض بنى يشكر لماراأوا راية النعمان مقبلة || قالوا ألا ليت أدنى دارنا عدن ياليت أم تميم لم تكن عرفت || مرا وكانت كمن أودى به الزمن إن تقتلونا فأعيار مخدعة || أوتنعموا فقديما منكم المنن منكم زهير وعتاب ومحتضن || وابنا لقيط وأودى فى الوغى قطن .فوفدت بنو تميم إلى النعمان واستعطفوه فرق عليهم وأعاد عليهم السبى و قال كل امرأة اختارت أباها ردت إليه و إن اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اخترن آباءهن إلاابنة قيس بن عاصم فإنها اختارت من سباها و هوعمرو بن المشمرخ اليشكرى فنذر قيس بن عاصم المنقرى التميمى ألا يولد له بنت إلاوأدها والوأد أن يخنقها فى التراب ويثقل وجهها به حتى تموت ثم اقتدى به كثير من بنى تميم قال سبحانه وَ إِذَا المَوؤُدَةُ سُئِلَت بِأَيّ ذَنبٍ قُتِلَت أى على طريق التبكيت والتوبيخ لمن فعل ذلك أوأجازه كما قال سبحانه يا عِيسَي ابنَ مَريَمَ أَ أَنتَ قُلتَ لِلنّاسِ اتّخِذُونِي وَ أُمّيَ إِلهَينِ مِن دُونِ اللّهِ. و من جيد شعر الفرزدق قوله فى هجاء جرير -قرآن-۴۰۵-۴۵۴-قرآن-۵۲۸-۶۲۲ أ لم تر أنابنى دارم || زرارة منا أبومعبد ومنا الذى منع الوائدات || وأحيا الوليد فلم يوأد ألسنا بأصحاب يوم النسار || وأصحاب ألوية المربد [صفحه ۱۷۶] ألسنا الذين تميم بهم || تسامى وتفخر فى المشهد وناجية الخير والأقرعان || وقبر بكاظمة المورد إذا ماأتى قبره عائذ || أناخ على القبر بالأسعد أيطلب مجد بنى دارم || عطية كالجعل الأسود قرنبى يحك قفا مقرف || لئيم مآثره قعدد ومجد بنى دارم فوقه || مكان السماكين والفرقد فى الحديث أن صعصعة بن ناجية بن عقال لماوفد على رسول الله ص قال يا رسول الله إنى كنت أعمل فى الجاهلية عملا صالحا فهل ينفعنى ذلك اليوم قال ع و ماعملت قال ضللت ناقتين عشراوين فركبت جملا ومضيت فى بغائهما فرفع لى بيت حريد فقصدته فإذاشيخ جالس بفنائه فسألته عن الناقتين فقال مانارهما قلت ميسم بنى دارم قال هما عندى و قدأحيا الله بهما قوما من أهلك من مضر فجلست معه ليخرجهما إلى فإذاعجوز قدخرجت من كسر البيت فقال لها ماوضعت إن كان سقبا شاركنا فى أموالنا و إن كان حائلا وأدناها فقالت العجوز وضعت أنثى فقلت له أتبيعها قال وهل تبيع العرب أولادها قلت إنما أشترى حياتها و لاأشترى رقها قال فبكم قلت احتكم قال بالناقتين والجمل قلت أذاك لك على أن يبلغنى الجمل وإياها قال بعتك فاستنقذتها -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-ادامه دارد [صفحه ۱۷۷] منه بالجمل والناقتين وآمنت بك يا رسول الله و قدصارت لى سنة فى العرب أن أشترى كل موءودة بناقتين عشراوين وجمل فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قدانقذتهن قال ع لاينفعك ذاك لأنك لم تبتغ به وجه الله و أن تعمل فى إسلامك عملا صالحا تثب عليه -روايت-از قبل-۲۷۴ . وروى الزبير فى الموفقيات أن أبابكر قال فى الجاهلية لقيس بن عاصم المنقرى ماحملك على أن وأدت قال مخافة أن يخلف عليهن مثلك فَانظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيهِم حِينَ بَعَثَ إِلَيهِم رَسُولًا فَعَقَدَ بِمِلّتِهِ طَاعَتَهُم وَ جَمَعَ عَلَى دَعوَتِهِ أُلفَتَهُم كَيفَ نَشَرَتِ النّعمَةُ عَلَيهِم جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَ أَسَالَت لَهُم جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا وَ التَفّتِ المِلّةُ بِهِم فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا فَأَصبَحُوا فِي نِعمَتِهَا غَرِقِينَ وَ فِي خُضرَةِ عَيشِهَا فَاكِهِينَ قَد تَرَبّعَتِ الأُمُورُ بِهِم فِي ظِلّ سُلطَانٍ قَاهِرٍ وَ آوَتهُمُ الحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزّ غَالِبٍ وَ تَعَطّفَتِ الأُمُورُ عَلَيهِم فِي ذُرَى مُلكٍ ثَابِتٍ فَهُم حُكّامٌ عَلَى العَالَمِينَ وَ مُلُوكٌ

فِی أَطرَافِ الأَرَضِینَ یَملِکُونَ الأُمُورَ عَلَی مَن کَانَ یَملِکُهَا عَلَیهِم وَ یُمضُونَ الأَحکَامَ فِیمَن کَانَ یُمضِیهَا فِیهِم لَا تُغمَزُ لَهُم قَنَاةٌ وَ لَا تُقرَعُ لَهُم صَفَاةٌ لماذکر ماکانت العرب علیه من الذل والضیم والجهل عاد فذکر ماأبدل الله [صفحه ۱۷۸] به حالهم حین بعث إلیهم محمداص فعقد علیهم طاعتهم کالشیء المنتشر المحلول فعقدها بملة محمدص . والجداول الأنهر. والتفت الملة بهم أی کانوا متفرقین فالتفت ملة محمدبهم أی جمعتهم ویقال التف الحبل بالحطب أی جمعه والتف الحطب بالحبل أی اجتمع به . و فی فی قوله فی عوائد برکتها متعلقة بمحذوف وموضع الجار والمجرور نصب علی الحال أی جمعتهم الملة کائنة فی عوائد برکتها والعوائد جمع عائدة وهی المنفعة تقول هذاأعود علیک أی أنفع لک وروی والتقت الملة بالقاف أی اجتمعت بهم من اللقاء والروایة الأولی أصح . وأصبحوا فی نعمتها غرقین مبالغة فی وصف ماهم فیه من النعمة. وفاکهین ناعمین وروی فکهین أی أشرین و قدقرئ بهما فی قوله تعالی وَ نَعمَةٍ کانُوا فِیها فاکِهِینَ و قال الأصمعی فاکهین مازحین والمفاکهة الممازحة و من أمثالهم لاتفاکه أمة و لاتبل علی أکمة فأما قوله تعالی فَظَلتُم تَفَکّهُونَفقیل تندمون وقیل تعجبون . و عن فی قوله و عن خضرة عیشها متعلقة بمحذوف تقدیره فأصبحوا فاکهین فکاهة صادرة عن خضرة عیشها أی خضرة عیش النعمة سبب لصدور الفکاهة والمزاح عنه . وتربعت الأمور بهم أی أقامت من قولک ربع بالمکان أی أقام به . -قرآن-۶۶۳-۶۹۵-قرآن-۸۰۹-۸۲۸[صفحه ۱۷۹] وآوتهم الحال بالمد أی ضمتهم وأنزلتهم قال تعالی آوی إِلَیهِ أَخاهُ أی ضمه إلیه وأنزله ویجوز أوتهم بغیر مد أفعلت فی هذاالمعنی وفعلت واحد عن أبی زید. والکنف الجانب وتعطفت الأمور علیهم کنایة عن السیادة والإقبال یقال قدتعطف الدهر علی فلان أی أقبل حظه وسعادته بعد أن لم یکن کذلک . و فی ذرا ملک بضم الذال أی فی أعالیه جمع ذروة ویکنی عن العزیز ألذی لایضام فیقال لایغمز له قناة أی هوصلب والقناة إذا لم تلن فی ید الغامز کانت أبعد عن الحطم والکسر. و لاتقرع لهم صفاة مثل یضرب لمن لایطمع فی جانبه لعزته وقوته -قرآن-۵۴-۷۱ أَلَا وَ إِنّکُم قَد نَفَضتُم أَیدِیَکُم مِن حَبلِ الطّاعَةِ وَ ثَلَمتُم حِصنَ اللّهِ المَضرُوبَ عَلَیکُم بِأَحکَامِ الجَاهِلِیّةِ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ قَدِ امتَنّ عَلَی جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمّةِ فِیمَا عَقَدَ بَینَهُم مِن حَبلِ هَذِهِ الأُلفَةِ التّیِ یَتَقَلّبُونَ فِی ظِلّهَا وَ یَأوُونَ إِلَی کَنَفِهَا بِنِعمَةٍ لَا یَعرِفُ أَحَدٌ مِنَ المَخلُوقِینَ لَهَا قِیمَةً لِأَنّهَا أَرجَحُ مِن کُلّ ثَمَنٍ وَ أَجَلّ مِن کُلّ خَطَرٍ وَ اعلَمُوا أَنّکُم صِرتُم بَعدَ الهِجرَةِ أَعرَاباً وَ بَعدَ المُوَالَاةِ أَحزَاباً مَا تَتَعَلّقُونَ مِنَ الإِسلَامِ إِلّا بِاسمِهِ وَ لَا تَعرِفُونَ مِنَ الإِیمَانِ إِلّا رَسمَهُ تَقُولُونَ النّارَ وَ لَا العَارَ کَأَنّکُم تُرِیدُونَ أَن تُکفِئُوا الإِسلَامَ عَلَی وَجهِهِ انتِهَاکاً لِحَرِیمِهِ وَ نَقضاً لِمِیثَاقِهِ ألّذِی وَضَعَهُ اللّهُ لَکُم حَرَماً فِی أَرضِهِ وَ أَمناً بَینَ خَلقِهِ وَ إِنّکُم إِن لَجَأتُم إِلَی غَیرِهِ حَارَبَکُم أَهلُ الکُفرِ ثُمّ لَا جَبرَائِیلَ [صفحه ۱۸۰] وَ لَا مِیکَائِیلَ وَ لَا مُهَاجِرِینَ وَ لَا أَنصَارَ یَنصُرُونَکُم إِلّا المُقَارَعَةَ بِالسّیفِ حَتّی یَحکُمَ اللّهُ بَینَکُم وَ إِنّ عِندَکُمُ الأَمثَالَ مِن بَأسِ اللّهِ وَ قَوَارِعِهِ وَ أَیّامِهِ وَ وَقَائِعِهِ فَلَا تَستَبطِئُوا وَعِیدَهُ جَهلًا بِأَخذِهِ وَ تَهَاوُناً بِبَطشِهِ وَ یَأساً مِن بَأسِهِ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ لَم یَلعَنِ القُرُونَ المَاضِیَةَ بَینَ أَیدِیکُم إِلّا لِتَرکِهِمُ الأَمرَ بِالمَعرُوفِ وَ النّهیَ عَنِ المُنکَرِ فَلَعَنَ اللّهُ السّفَهَاءَ لِرُکُوبِ المَعَاصِی وَ الحُلَمَاءَ لِترَکِ التّنَاهِی نفضتم أیدیکم کلمة تقال فی اطراح الشیء وترکه وهی أبلغ من أن تقول ترکتم حبل الطاعة لأن من یخلی الشیء من یده ثم ینفض یده منه یکون أشد تخلیة له ممن لاینفضها بل یقتصر علی تخلیته فقط لأن نفضها إشعار وإیذان بشدة الاطراح والإعراض . والباء فی قوله بأحکام الجاهلیة متعلقة بثلمتم أی ثلمتم حصن الله بأحکام الجاهلیة التی حکمتم بها فی ملة الإسلام . والباء فی قوله بنعمة لایعرف متعلقة بامتن و فی من قوله فیما عقد متعلقة بمحذوف وموضعها نصب علی الحال و هذاإشارة إلی قوله تعالی لَو أَنفَقتَ ما فِی الأَرضِ جَمِیعاً ما أَلّفتَ بَینَ قُلُوبِهِم وَ لکِنّ اللّهَ أَلّفَ بَینَهُم و قوله فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخواناً. وروی تتقلبون فی ظلها. -قرآن-۵۰۴-۵۹۹-قرآن-۶۰۸-۶۳۹ [صفحه ۱۸۱] قوله صرتم بعدالهجرة أعرابا الأعراب علی عهد رسول الله ص من آمن به من أهل البادیة و لم یهاجر إلیه وهم ناقصو المرتبة عن المهاجرین لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فی بعد من مخالطة العلماء وسماع کلام الرسول ص وفیهم أنزل الأَعرابُ أَشَدّ کُفراً وَ نِفاقاً وَ أَجدَرُ أَلّا یَعلَمُوا حُدُودَ ما أَنزَلَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ ولیست هذه

الآيـة عامـة فی کل الأعراب بل خاصـة ببعضـهم وهم الـذین کانوا حول المدینـة وهم جهینة وأسـلم وأشـجع وغفار وإلیهم أشار سبحـانه بقوله وَ مِمّن حَولَکُم مِنَ الأَعرابِ مُنافِقُونَ وکیف یکون کل الأعراب مـذموما و قـد قال تعالی وَ مِنَ الأَعرابِ مَن یُؤمِنُ بِاللّهِ وَ الیَومِ الآخِرِ وَ یَتّخِذُ ما یُنفِقُ قُرُباتٍ عِندَ اللّهِ وصارت هـذه الکلمة جاریة مجری المثل . وأنشد الحجاج علی منبر الکوفة -قرآن-۲۳۷-۳۳۸-قرآن-۴۸۴-۵۲۷-قرآن-۵۷۶-۶۷۷ قـدلفها اللیـل بعصلبی || أروع خراج من الـدوی مهاجر لیس بأعرابی . و قال عثمان لأبی ذر أخشـی أن تصیر بعدالهجرة أعرابیا. وروی و لایعقلون من الإیمان . وقولهم النار و لاالعار منصوبتان بإضـمار فعـل أی ادخلوا النار و لاتلتزموا العار وهی کلمـة جاریـة مجری المثل أیضا یقولها أرباب الحمیـة والإباء فإذاقیلت فی حق کانت صوابـا و إذاقیلت فی باطـل کانت خطأ. وأکفأت الإناء وکفأته لغتان أی کببته . [صـفحه ۱۸۲] قوله ثم لاجبرائیـل و لامیکائیل و لامهـاجرین الروایـة المشـهورة هکـذا بـالنصب و هوجائز علی التشبیه بالنکرة کقولهم معضلة و لا أباحسن لها قال الراجز لاهیثم اللیلـة للمطی . و قـدروی بـالرفع فی الجمیـع . والمقارعـة منصوبـة علی المصـدر و قـال الراونـدی هی استثناء منقطع والصـواب ماذکرناه و قـدروی إلاالمقارعة بالرفع تقدیره و لانصیر لکم بوجه من الوجوه إلاالمقارعة. والأمثال التی أشار إلیها أمیر المؤمنین ع هی ماتضـمنه القرآن من أیام الله ونقماته علی أعـدائه و قال تعالی وَ ضَرَبنا لَکُمُ الأَمثالَ. والتناهی مصدر تناهی القوم عن کذا أی نهی بعضهم بعضا یقول لعن الله الماضین من قبلکم لأن سفهاءهم ارتکبوا المعصیة وحلماءهم لم ینهوهم عنها و هذا من قوله تعـالی کـانُوا لا یَتَناهَونَ عَن مُنکَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئسَ ما کانُوا یَفعَلُونَ -قرآن-۳۰۹-۳۳۵-قرآن-۵۰۶-۵۷۷ أَلَا وَ قَد قَطَعتُم قَیدَ الإِسلَامِ وَ عَطّلتُم حُدُودَهُ وَ أَمَتّم أَحکَامَهُ أَلَا وَ قَد أَمَرَنیَ اللّهُ بِقِتَالِ أَهلِ البغَیِ وَ النّکثِ وَ الفَسَادِ فِی الأَرضِ فَأَمّا النّاکِثُونَ فَقَد قَاتَلتُ وَ أَمّا القَاسِطُونَ فَقَد جَاهَدتُ وَ أَمّا المَارِقَةُ فَقَد دَوّختُ وَ أَمّا شَیطَانُ الرّدهَةِ فَقَد کُفِیتُهُ بِصَعقَةٍ سُمِعَت لَهَا وَجبَةُ قَلبِهِ وَ رَجّةُ صَدرِهِ [صفحه ۱۸۳] وَ بَقِیَت بَقِیّةٌ مِن أَهلِ البغَیِ وَ لَئِن أَذِنَ اللّهُ فِی الکَرّةِ عَلَیهِم لَأُدِیلَنّ مِنهُم إِلّا مَا یَتَشَذّرُ فِی أَطرَافِ البِلَادِ تَشَذّراً عن النبی ص أنه قـال له ع سـتقاتل بعـدی النـاکثین والقاسـطین والمـارقین -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۸۰ فکان الناکثون أصحاب الجمل لأنهم نکثوا بیعته ع و کان القاسطون أهل الشام بصفین و کان المارقون الخوارج فی النهروان و فی الفرق الثلاث قال الله تعـالی فَمَن نَکَثَ فَإِنّمـا یَنکُثُ عَلی نَفسِهِ و قـال وَ أَمّا القاسِطُونَ فَکانُوا لِجَهَنّمَ حَطَباً و -قرآن-۱۶۳-۲۰۴-قرآن-۲۱۲-۲۵۹ قال النبی ص یخرج من ضئضـئ هذاقوم یمرقون من الدین کمایمرق السهم من الرمیة ینظر أحدکم فی النصل فلایجد شیئا فینظر فی الفوق فلایجد شیئا سبق الفرث والدم -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۱۶۶ و هـذاالخبر من أعلام نبوته ص و من أخبـاره المفصلة بالغیوب . و أماشیطان الردهة فقـد قال قوم إنه ذو الثدیـة صاحب النهروان ورووا فی ذلک خبرا عن النبی ص وممن ذکر ذلک واختاره الجوهری صاحب الصحاح وهؤلاء یقولون إن ذا الثدیة لم یقتل بسیف ولکن الله رماه یوم النهروان بصاعقة وإلیها أشار ع بقوله فقد کفیته بصعقة سمعت لها وجبة [صفحه ۱۸۴] قلبه و قال قوم شیطان الردهـة أحد الأبالسة المردة من أعوان عدو الله إبلیس ورووا فی ذلک خبرا عن النبی ص و أنه کـان یتعوذ منه والردهـة شبه نقرة فی الجبـل یجتمع فیهاالماء و هـذامثل قوله ع هـذاأزب العقبـة أی شیطانها ولعـل أزب العقبـة هوشیطان الردهـة بعینه فتارة یرد بهـذا اللفظ وتارة یرد بـذلک اللفظ و قال قوم شیطان الردهة مارد یتصور فی صورة حیة و یکون علی الردهة وإنما أخذوا هذا من لفظة الشیطان لأن الشیطان الحیة و منه قولهم شیطـان الحماطـة والحماطـة شـجرة مخصوصـة ویقـال إنها کثیرة الحیات . قوله ویتشـذر فی أطراف الأرض یتمزق ویتبـدد و منه قولهم ذهبوا شـذر مـذر. والبقیـة الـتی بقیت من أهـل البغی معاویـة وأصحابه لأنـه ع لم یکن أتی علیهم بـأجمعهم وإنمـا وقفت الحرب بینـه وبینهـم بمکیـدة التحکیـم . قـوله ع ولئن أذن الله فی الکرة علیهم أی إن مـد لی فی العمر لأدیلن منهم أی لتکونن الدولة لی علیهم أدلت من فلان أی غلبته وقهرته وصرت ذا دولة علیه

استدلال قاضی القضاة علی إمامة أبی بکر ورد المرتضی علیه

واعلم أن أصحابنا قداستدلوا علی صحة إمامة أبی بکر بقوله تعالی یا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا مَن یَرتَدّ مِنکُم عَن دِینِهِ فَسَوفَ یأَتیِ اللّهُ بِقَومٍ یُحِبّهُم وَ یُحِبّونَهُ أَذِلّةٍ -قرآن-۶۵-۱۸۷ واعلم أن أصحابنا قداستدلوا علی صحة إمامة أبی بکر بقوله تعالی یا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا مَن یَرتَدّ مِنکُم عَن دِینِهِ فَسَوفَ یأَتیِ اللّهُ بِقَومٍ یُحِبّهُم وَ یُحِبّونَهُ أَذِلّةٍ عَلَی المُؤمِنِینَ أَعِزّةٍ عَلَی الکافِرِینَ یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَومَةَ لائِمٍ ثم قال قاضی القضاة فی المعنی و هذاخبر من الله تعالی و لابد أن یکون کائنا علی ماأخبر به والذین قاتلوا المرتدین هم أبوبکر وأصحابه فوجب أن یکونوا هم الذین عناهم الله سبحانه بقوله یُحِبّهُم وَ یُحِبّونَهُ و ذلک یوجب أن یکونوا علی صواب . واعترض المرتضی رحمه الله علی هذاالاحتجاج فی الشافی فقال من أین قلت إن الآیة نزلت فی أبی بکر وأصحابه فإن قال لأنهم الذین قاتلوا المرتدین بعد رسول الله ص و لاأحد قاتلهم سواهم قیل له و من ألذی سلم لک ذلک أ و لیس أمیر المؤمنین ع قدقاتل الناکثین والقاسطین والمارقین بعدالرسول ص وهؤلاء عندنا مرتدون عن الدین ویشهد بصحة التأویل زائدا علی احتمال القول له ماروی عن أمیر المؤمنین ع من قوله یوم البصرة و الله ماقوتل أهل الآیة حتی الیوم وتلاها و قدروی عن عمار وحذیفة وغیرهما مثل ذلک . فإن قال دلیلی علی أنها فی أبی بکر وأصحابه قول أهل التفسیر قیل له أ و کل أهل التفسیر قال ذلک فإن قال نعم کابر لأنه قدروی عن جماعة التأویل ألذی ذکرناه و لو لم یکن إلا ماروی عن أمیر المؤمنین ع ووجوه أصحابه الذین ذکرناهم لکفی و إن قال حجتی قول بعض المفسرین قلنا و أی حجة فی قول البعض و لم صار البعض ألذی قال ماذکرت أولی بالحق من البعض ألذی قال ماذکرنا. ثم یقال له قدوجدنا الله تعالی قدنعت المذکورین فی الآیة بنعوت یجب أن -قرآن-۱-۱۰۸-قرآن-۳۰۴-۳۲۷ [صفحه ۱۸۶] تراعیها لنعلم أ فی صاحبنا هی أم فی صاحبک و قدجعله الرسول ص فی خیبر حین فر من فر من القوم عن العدو صاحب هذه الأوصاف فقال لأعطین الرایة غدا رجلا یحب الله ورسوله ویحبه الله ورسوله کرارا غیرفرار فدفعها إلی أمیر المؤمنین ع -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۱۷ . ثم قوله تعالی أَذِلّةٍ عَلَی المُؤمِنِینَ أَعِزّةٍ عَلَی الکافِرِینَیقتضی ماذکرنا لأنه من المعلوم بلا خلاف حال أمیر المؤمنین ع فی التخاشع والتواضع وذم نفسه وقمع غضبه و أنه مارئی قط طائشا و لامتطیرا فی حال من الأحوال ومعلوم حال صاحبیکم فی هذاالباب أماأحدهما فإنه اعترف طوعا بأن له شیطانا یعتریه عندغضبه و أماالآخر فکان معروفا بالجد والعجلة مشهورا بالفظاظة والغلظة و أماالعزة علی الکافرین فإنما تکون بقتالهم وجهادهم والانتقام منهم و هذه حال لم یسبق أمیر المؤمنین ع إلیها سابق و لالحقه فیهالاحق . ثم قال تعالی یُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَ لا یَخافُونَ لَومَةَ لائِمٍ و هذاوصف أمیر المؤمنین المستحق له بالإجماع و هومنتف عن أبی بکر وصاحبه إجماعا لأنه لاقتیل لهما فی الإسلام و لاجهاد بین یدی الرسول ص و إذاکانت الأوصاف المراعاة فی الآیة حاصلة لأمیر المؤمنین ع و غیرحاصلة لمن ادعیتم لأنها فیهم علی ضربین ضرب معلوم انتفاؤه کالجهاد وضرب مختلف فیه کالأوصاف التی هی غیرالجهاد و علی من أثبتها لهم الدلالة علی حصولها و لابد أن یرجع فی ذلک إلی غیرظاهر الآیة لم یبق فی یده من الآیة دلیل . هذه جملة ماذکره المرتضی رحمه الله ولقد کان یمکنه التخلص من الاحتجاج بالآیة -قرآن-۱۹-۷۲-قرآن-۵۵۳-۶۱۳ [صفحه ۱۸۷] علی وجه ألطف وأحسن وأصح مما ذکره فیقول المراد بها من ارتد علی عهد رسول الله ص فی واقعة الأسود العنسی بالیمن فإن کثیرا من المسلمین ضلوا به وارتدوا عن الإسلام وادعوا له النبوة واعتقدوا صدقه والقوم الذین یحبهم الله ویحبونه القوم الذین کاتبهم رسول الله ص وأغراهم بقتله والفتک به وهم فیروز الدیلمی وأصحابه والقصة مشهورة و قد کان له أیضا أن یقول لم قلت إن الذین قاتلهم أبوبکر وأصحابه کانوا مرتدین فإن المرتد من ینکر دین الإسلام بعد أن کان قدتدین به والذین منعوا الزکاة لم ینکروا أصل دین الإسلام وإنما تأولوا فأخطئوا لأنهم تأولوا قول الله تعالی خُذ مِن أَموالِهِم صَدَقَةً تُطَهّرُهُم وَ تُزَکّیهِم بِها وَ صَلّ

عَلَيهِم إِنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمفقالوا إنما ندفع زكاة أموالنا إلى من صلاته سكن لنا و لم يبق بعدوفاة النبی ص من هوبهذه الصفة فسقط عنا وجوب الزكاة ليس هذا من الردة فی شیء وإنما سماهم الصحابة أهل الردة على سبيل المجاز إعظاما لماقالوه وتأولوه . فإن قيل إنما الاعتماد على قتال أبی بكر وأصحابه لمسيلمة وطليحة اللذين ادعيا النبوة وارتد بطريقهما كثير من العرب لا على قتال مانعی الزكاة قيل إن مسيلمة وطليحة جاهدهما رسول الله ص قبل موته بالكتب والرسل وأنفذ لقتلهما جماعة من المسلمين وأمرهم أن يفتكوا بهما غيلة إن أمكنهم ذلک واستنفر عليهما قبائل من العرب و كل ذلک مفصل مذكور فی كتب السيرة والتواريخ فلم لا يجوز أن يكون أولئک النفر الذين بعثهم رسول الله ص للفتک بهما هم المعنيون بقوله يُحِبّهُم وَ يُحِبّونَهُ إلى آخر الآية و لم يقل فی الآية يجاهدون -قرآن-595-696-قرآن-1386-1409 [صفحه 188] فيقتلون وإنما ذكر الجهاد فقط و قد كان الجهاد من أولئک النفر حاصلا و إن لم يبلغوا الغرض كما كان الجهاد حاصلا عندحصار الطائف و إن لم يبلغ فيه الغرض . و قد كان له أيضا أن يقول سياق الآية لايدل على ماظنه المستدل بها من أنه من يرتدد عن الدين فإن الله يأتی بقوم يحبهم ويحبونه يحاربونه لأجل ردته وإنما ألذی يدل عليه سياق الآية أنه من يرتد منكم عن دينه بترک الجهاد مع رسول الله ص وسماه ارتدادا على سبيل المجاز فسوف يأتی الله بقوم يحبهم ويحبونه يجاهدون فی سبيل الله معه عوضا عنكم وكذلک كان كل من خذل النبی ص وقعد عن النهوض معه فی حروبه أغناه الله تعالى عنه بطائفة أخرى من المسلمين جاهدوا بين يديه . و أماقول المرتضى رحمه الله إنها أنزلت فی الناكثين والقاسطين والمارقين الذين حاربهم أمير المؤمنين ع فبعيد لأنهم لايطلق عليهم لفظ الردة عندنا و لا عندالمرتضى وأصحابه أمااللفظ فبالاتفاق و إن سموهم كفارا و أماالمعنى فلأن فی مذهبهم أن من ارتد و كان قدولد على فطرة الإسلام بانت امرأته منه وقسم ماله بين ورثته و كان على زوجته عدة المتوفى عنها زوجها ومعلوم أن أكثر محاربی أمير المؤمنين ع كانوا قدولدوا فی الإسلام و لم يحكم فيهم بهذه الأحكام . و قوله إن الصفات غيرمتحققة فی صاحبكم فلعمری إن حظ أمير المؤمنين ع منها هوالحظ الأوفى ولكن الآية ماخصت الرئيس بالصفات المذكورة وإنما أطلقها على المجاهدين وهم الذين يباشرون الحرب فهب أن أبابكر وعمر ماكانا بهذه الصفات لم لايجوز أن يكون مدحا لمن جاهد بين أيديهما من المسلمين وباشر الحرب وهم شجعان المهاجرين والأنصار الذين فتحوا الفتوح ونشروا الدعوة وملكوا الأقاليم . [صفحه 189] و قداستدل قاضی القضاة أيضا عن صحة إمامة أبی بكر وأسند هذاالاستدلال إلى شيخنا أبی على بقوله تعالى سَيَقُولُ لَکَ المُخَلّفُونَ مِنَ الأَعرابِ شَغَلَتنا أَموالُنا وَ أَهلُونا فَاستَغفِر لَنا يَقُولُونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ فِی قُلُوبِهِم و قال تعالى فَإِن رَجَعَکَ اللّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنهُم فَاستَأذَنُوکَ لِلخُرُوجِ فَقُل لَن تَخرُجُوا معَیِ‌َ أَبَداً وَ لَن تُقاتِلُوا معَیِ‌َ عَدُوّا إِنّكُم رَضِيتُم بِالقُعُودِ أَوّلَ مَرّةٍ فَاقعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ و قال تعالى سَيَقُولُ المُخَلّفُونَ إِذَا انطَلَقتُم إِلى مَغانِمَ لِتَأخُذُوها ذَرُونا نَتّبِعكُم يُرِيدُونَ أَن يُبَدّلُوا كَلامَ اللّهِ قُل لَن تَتّبِعُونا كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُيعنی قوله تعالى لَن تَخرُجُوا معَیِ‌َ أَبَداً وَ لَن تُقاتِلُوا معَیِ‌َ عَدُوّا ثم قال سبحانه قُل لِلمُخَلّفِينَ مِنَ الأَعرابِ سَتُدعَونَ إِلى قَومٍ أوُلیِ بَأسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُم أَو يُسلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤتِكُمُ اللّهُ أَجراً حَسَناً وَ إِن تَتَوَلّوا كَما تَوَلّيتُم مِن قَبلُ يُعَذّبكُم عَذاباً أَلِيماًفبين أن ألذی يدعو هؤلاء المخلفين من الأعراب إلى قتال قوم أولی بأس شديد غير النبی ص لأنه تعالى قد بين أنهم لايخرجون معه و لايقاتلون معه عدوا بآية متقدمة و لم يدعهم بعد النبی ص إلى قتال الكفار إلا أبوبكر وعمر وعثمان لأن أهل التأويل لم يقولوا فی هذه الآية غيروجهين من التأويل فقال بعضهم عنی بقوله سَتُدعَونَ إِلى قَومٍ أوُلیِ بَأسٍ شَدِيدٍبنی حنيفة و قال بعضهم عنی فارس والروم و أبوبكر هو ألذی دعا إلى قتال بنی حنيفة وقتال آل فارس والروم ودعاهم بعده إلى قتال فارس والروم عمر فإذا كان الله تعالى قد بين أنهم بطاعتهم لهما يؤتهم أجرا حسنا و إن تولوا عن طاعتهما يعذبهم عذابا أليما صح أنهما على حق و أن طاعتهما طاعة لله تعالى و هذايوجب صحة إمامتهما. -قرآن-104-244-قرآن-259-467-قرآن-482-658-قرآن-677-739-قرآن-756-982-قرآن-1305-1347 [صفحه 190] فإن قيل إنما أراد الله بذلک أهل

الجمل وصفين قيل هذافاسد من وجهين أحدهما قوله تعالى تُقاتِلُونَهُم أَو يُسلِمُونَ والذين حاربوا أمير المؤمنين كانوا على الإسلام و لم يقاتلوا على الكفر والوجه الثانى أنا لانعرف من الذين عناهم الله تعالى بهذا من بقى إلى أيام أمير المؤمنين ع كماعلمنا أنهم كانوا باقين فى أيام أبى بكر.اعترض المرتضى رحمه الله على هذاالكلام من وجهين أحدهما أنه نازع فى اقتضاء الآية داعيا يدعو هؤلاء المخلفين غير النبى ص و ذلك لأن قوله تعالى سَيَقُولُ لَکَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعرابِ شَغَلَتنا أموالُنا وَ أَهلُونا فَاستَغفِر لَنا يَقُولُونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ فِی قُلُوبِهِم قُل فَمَن يَملِکُ لَكُم مِنَ اللّهِ شَيئاً إِن أَرادَ بِكُم ضَرّا أَو أَرادَ بِكُم نَفعاً بَل كانَ اللّهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيراً بَل ظَنَنتُم أَن لَن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَ المُؤمِنُونَ إِلى أَهلِيهِم أَبَداً وَ زُيِّنَ ذلِکَ فِی قُلُوبِكُم وَ ظَنَنتُم ظَنَّ السَّوءِ وَ كُنتُم قَوماً بُوراً.إنما أراد به سبحانه الذين تخلفوا عن الحديبية بشهادة جميع أهل النقل وإطباق المفسرين . ثم قال تعالى سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقتُم إِلى مَغانِمَ لِتَأخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعكُم يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّهِ قُل لَن تَتَّبِعُونا كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُ فَسَيَقُولُونَ بَل تَحسُدُونَنا بَل كانُوا لا يَفقَهُونَ إِلّا قَلِيلًا وإنما التمس هؤلاء المخلفون أن يخرجوا إلى غنيمة خيبر فمنعهم الله تعالى من ذلك وأمر نبيه أن يقول لهم لن تتبعونا إلى هذه الغزاة لأن الله تعالى كان حكم من قبل بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية و أنه لاحظ لمن لم يشهدها و هذا هومعنى قوله تعالى يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّهِ و قوله كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُ ثم قال تعالى قُل لِلمُخَلِّفيـــنَ -قرآن-٩٢-١٢٠-قرآن-٤٨٧-٩١٨-قرآن-١٠٢٥-١٢٧٣-قرآن-١٥٣٤-١٥٧٢-قرآن-١٥٨١-١٦١٠-قرآن-١٦٢٧-١٦٤٤ فإن قيل إنما أراد الله بذلك أهل الجمل وصفين قيل هذافاسد من وجهين أحدهما قوله تعالى تُقاتِلُونَهُم أَو يُسلِمُونَ والذين حاربوا أمير المؤمنين كانوا على الإسلام و لم يقاتلوا على الكفر والوجه الثانى أنا لانعرف من الذين عناهم الله تعالى بهذا من بقى إلى أيام أمير المؤمنين ع كماعلمنا أنهم كانوا باقين فى أيام أبى بكر.اعترض المرتضى رحمه الله على هذاالكلام من وجهين أحدهما أنه نازع فى اقتضاء الآية داعيا يدعو هؤلاء المخلفين غير النبى ص و ذلك لأن قوله تعالى سَيَقُولُ لَکَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعرابِ شَغَلَتنا أموالُنا وَ أَهلُونا فَاستَغفِر لَنا يَقُولُونَ بِأَلسِنَتِهِم ما لَيسَ فِی قُلُوبِهِم قُل فَمَن يَملِکُ لَكُم مِنَ اللّهِ شَيئاً إِن أَرادَ بِكُم ضَرّا أَو أَرادَ بِكُم نَفعاً بَل كانَ اللّهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيراً بَل ظَنَنتُم أَن لَن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَ المُؤمِنُونَ إِلى أَهلِيهِم أَبَداً وَ زُيِّنَ ذلِکَ فِی قُلُوبِكُم وَ ظَنَنتُم ظَنَّ السَّوءِ وَ كُنتُم قَوماً بُوراً.إنما أراد به سبحانه الذين تخلفوا عن الحديبية بشهادة جميع أهل النقل وإطباق المفسرين . ثم قال تعالى سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقتُم إِلى مَغانِمَ لِتَأخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعكُم يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّهِ قُل لَن تَتَّبِعُونا كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُ فَسَيَقُولُونَ بَل تَحسُدُونَنا بَل كانُوا لا يَفقَهُونَ إِلّا قَلِيلًا وإنما التمس هؤلاء المخلفون أن يخرجوا إلى غنيمة خيبر فمنعهم الله تعالى من ذلك وأمر نبيه أن يقول لهم لن تتبعونا إلى هذه الغزاة لأن الله تعالى كان حكم من قبل بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية و أنه لاحظ لمن لم يشهدها و هذا هومعنى قوله تعالى يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللّهِ و قوله كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُ ثم قال تعالى قُل لِلمُخَلِّفِينَ مِنَ الأَعرابِ سَتُدعَونَ إِلى قَومٍ أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُم أَو يُسلِمُونَ وإنما أراد أن الرسول سيدعوكم فيما بعد إلى قتال قوم أولى بأس شديد و قددعاهم النبى ص بعد ذلك إلى غزوات كثيرة إلى قوم أولى بأس شديد كمؤتة وحنين وتبوك وغيرهما فمن أين يجب أن يكون الداعى لهؤلاء غير النبى ص مع ماذكرناه من الحروب التى كانت بعدخيبر. و قوله إن معنى قوله تعالى كَذلِكُم قالَ اللّهُ مِن قَبلُإنما أراد به مابينه فى قوله فَإِن رَجَعَکَ اللّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنهُم فَاستَأذَنُوکَ لِلخُرُوجِ فَقُل لَن تَخرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَن تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاًبتبوك سنة تسع وآية الفتح نزلت فى سنة ست فكيف يكون قبلها. و ليس يجب أن يقال فى القرآن بالإرادة وبما يحتمل من الوجوه فى كل موضع دون الرجوع إلى تاريخ نزول الآى والأسباب التى وردت عليها وتعلقت بها. ومما يبين لك أن هؤلاء المخلفين غيرأولئك لو لم نرجع فى ذلك إلى نقل وتاريخ قوله تعالى فى هؤلاءفَإِن تُطِيعُوا يُؤتِكُمُ اللّهُ أَجراً حَسَناً وَ إِن تَتَوَلَّوا كَما تَوَلَّيتُم مِن قَبلُ يُعَذِّبكُم عَذاباً أَلِيماًفلم يقطع منهم على طاعة و لامعصية بل ذكر الوعد والوعيد على مايفعلونه من طاعة أومعصية وحكم المذكورين فى آية سورة التوبة بخلاف هذه

لأنه تعالى بعد قوله إِنّكم رَضِيتُم بِالقُعُودِ أَوّلَ مَرّةٍ فَاقعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ وَ لا تُصَلّ عَلى أَحَدٍ مِنهُم ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُم عَلى قَبرِهِ إِنّهُم كَفَرُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ماتُوا وَ هُم فاسِقُونَ وَ لا تُعجِبكَ أَموالُهُم وَ أَولادُهُم إِنّما يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذّبَهُم بِها فِي الدّنيا وَ تَزهَقَ أَنفُسُهُم وَ هُم كافِرُونَ واختلاف أحكامهم وصفاتهم يدل -قرآن-١-٨٩-قرآن-٣٩٠-٤١٩-قرآن-٤٥١-٥٨٨-قرآن-٩٠٨-١٠٢٦-قرآن-١١٨٦-١٥٢٥ [صفحه ١٩٢] على اختلافهم و أن المذكورين فى آية سورة الفتح غيرالمذكورين فى آية سورة التوبة. و أما قوله لأن أهل التأويل لم يقولوا فى هذه الآية غيروجهين من التأويل فذكرهما باطل لأن أهل التأويل قدذكروا شيئا آخر لم يذكره لأن المسيب روى عن أبى روق عن الضحاك فى قوله تعالى سَتُدعَونَ إِلى قَومٍ أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍالآية قال هم ثقيف وروى هشيم عن أبى يسر سعيد بن جبير قال هم هوازن يوم حنين . وروى الواقدى عن معمر عن قتادة قال هم هوازن وثقيف فكيف ذكر من أقوال المفسرين مايوافقه مع اختلاف الرواية عنهم على أنا لانرجع فى كل مايحتمله تأويل القرآن إلى أقوال المفسرين فإنهم ربما تركوا مما يحتمله القول وجها صحيحا وكم استخرج جماعة من أهل العدل فى متشابه القرآن من الوجوه الصحيحة التى ظاهر التنزيل بهاأشبه ولها أشد احتمالا مما لم يسبق إليه المفسرون و لادخل فى جملة تفسيرهم وتأويلهم .

والوجه الثانى سلم فيه أن الداعى هؤلاء المخلفين غير النبى ص و قال لايمتنع أن يعنى بهذا الداعى أمير المؤمنين ع لأنه قاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين وبشره النبى ص بأنه يقاتلهم و قدكانوا أولى بأس شديد بلا شبهة. قال فأما تعلق صاحب الكتاب بقوله أَو يُسلِمُونَ و أن الذين حاربهم أمير المؤمنين ع كانوا مسلمين فأول ما فيه أنهم غيرمسلمين عنده و عندأصحابه لأن الكبائر تخرج من الإسلام عندهم كماتخرج عن الإيمان إذ كان الإيمان هوالإسلام -قرآن-٢٧٧-٣١٩-قرآن-١٠٩٨-١١١١ [صفحه ١٩٣] على مذهبهم ثم إن مذهبنا فى محاربى أمير المؤمنين ع معروف لأنهم عندنا كانوا كفارا بمحاربته لوجوه الأول منها أن من حاربه كان مستحلا لقتاله مظهرا أنه فى ارتكابه على حق ونحن نعلم أن من أظهر استحلال شرب جرعة خمر هوكافر بالإجماع واستحلال دماء المؤمنين فضلا عن أفاضلهم وأكابرهم أعظم من شرب الخمر واستحلاله فيجب أن يكونوا من هذاالوجه كفارا.الثانى أنه ع قال له بلا خلاف بين أهل النقل حربك يا على حربى وسلمك سلمى -روايت-١-٢-روايت-٤٥-٧٧ ونحن نعلم أنه لم يرد إلاالتشبيه بينهما فى الأحكام و من أحكام محاربى النبى ص الكفر بلا خلاف .الثالث أن النبى ص قال له بلا خلاف أيضا أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله -روايت-١-٢-روايت-٤٠-١٠٨ و قدثبت عندنا أن العداوة من الله لاتكون إلاللكفار الذين يعادونه دون فساق أهل الملة.الرابع قوله إنا لانعلم ببقاء هؤلاء المخلفين إلى أيام أمير المؤمنين ع فليس بشىء لأنه إذا لم يكن ذلك معلوما ومقطوعا عليه فهو مجوز و غيرمعلوم خلافه والجواز كاف لنا فى هذاالموضع . و لوقيل له من أين علمت بقاء المخلفين المذكورين فى الآية على سبيل القطع إلى أيام أبى بكر لكان يفزع إلى أن يقول حكم الآية يقتضى بقاءهم حتى يتم كونهم مدعوين إلى قتال أولى البأس الشديد على وجه يلزمهم فيه الطاعة و هذابعينه يمكن أن يقال له ويعتمد فى بقائهم إلى أيام أمير المؤمنين ع على مايوجبه حكم الآية. فإن قيل كيف يكون أهل الجمل وصفين كفارا و لم يسر أمير المؤمنين ع [صفحه ١٩٤] فيهم بسيرة الكفار لأنه ماسباهم و لاغنم أموالهم و لاتبع موليهم قلنا أحكام الكفر تختلف و إن شملهم اسم الكفر لأن فى الكفار من يقتل و لايستبقى وفيهم من يؤخذ منه الجزية و لايحل قتله إلابسبب طارئ غيرالكفر ومنهم من لايجوز نكاحه على مذهب أكثر المسلمين فعلى هذايجوز أن يكون أكثر هؤلاء القوم كفارا و إن لم يسر فيهم بجميع سيرة أهل الكفر لأنا قدبينا اختلاف أحكام الكفار ويرجع فى أن حكمهم مخالف لأحكام الكفار إلى فعله ع وسيرته فيهم على أنا لانجد فى الفساق من حكمه أن يقتل مقبلا و لايقتل موليا و لايجهز على جريحه إلى غير ذلك من الأحكام التى سيرها فى أهل البصرة وصفين . فإذاقيل فى جواب ذلك أحكام الفسق مختلفة وفعل أمير المؤمنين هوالحجة فى أن حكم أهل البصرة وصفين مافعله قلنا مثل ذلك حرفا بحرف ويمكن مع تسليم أن الداعى لهؤلاء المخلفين أبوبكر أن يقال

ليس فى الآيـة دلالـة على مـدح الـداعى و لا على إمامته لأنه قـديجوز أن يدعو إلى الحق والصواب من ليس عليهما فيلزم ذلك الفعـل من حيث كـان واجبـا فى نفسه لالـدعاء الـداعى إليه و أبوبكر إنمـا دعا إلى دفع أهل الردة عن الإسـلام و هـذايجب على المسلمين بلا دعاء داع والطاعة فيه طاعة لله تعالى فمن أين له أن الداعى كان على حق وصواب و ليس فى كون مادعا إليه طاعة مايـدل على ذلك . ويمكن أيضا أن يكون قوله تعالى سَيُدعَونَإنما أراد به دعاء الله تعالى لهم بإيجاب القتال عليهم لأنه إذادلهم على وجوب قتال المرتدين ورفعهم عن بيضة الإسلام فقد دعاهم إلى القتال ووجبت عليهم الطاعة ووجب لهم الثواب إن أطاعوا و هذاأيضا تحتمله الآية. -قرآن-١٢٢٣-١٢٢١-١٢٣٢ [صفحه ١٩٥] فهذه جملة ماذكره المرتضى رحمه الله فى هذاالموضع وأكثره جيد لااعتراض عليه و قد كان يمكنه أن يقول لوسلمنا بكل هذالكان ليس فى قوله لَن تَخرُجُوا مَعِيَ أَبَداًالآية مايدل على أن النبى ص لا يكون هوالـداعى لهم إلى القوم أولى البـأس الشديـد لأنه ليس فيها إلامحض الإخبار عنهم بأنهم لايخرجون معه و لايقاتلون العـدو معه و ليس فى هـذا ماينفى كونه داعيا لهم كما -قرآن-١٤٦-١٧٤ أنه ع قـال أبولهب لايؤمن بى -روايت-١-٢-روايت-١۶-٣٧ لم يكن هـذاالقول نافيا لكونه يـدعوه إلى الإسـلام . و قوله فَاقعُدُوا مَعَ الخالِفِينَ ليس بأمر على الحقيقـة وإنما هوتهـديد كقوله اعمَلُوا ما شِئتُم و لابـد للمرتضـى ولقاضـى القضاة جميعا من أن يحملا صـيغة افعل على هـذاالمحمل لأنه ليس لأحدهما بمسوغ أن يحمـل الأمر على حقيقته لأن الشارع لايأمر بالقعود وترك الجهاد مع القـدرة عليه وكونه قـدتعين وجوبه . فإن قلت لوقـدرنا أن هـذه الآيـة وهى قوله تعـالى قُل لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعرابِ سَتُدعَونَ إِلى قَومٍ أُولِي بَأسٍ شَدِيدٍأنزلت بعـدغزوة تبوك و بعدنزول سورة براءة التى تتضـمن قوله تعالى لَن تَخرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وقدرنا أن قوله تعالى لَن تَخرُجُوا مَعِيَ أَبَداً ليس إخبارا محضا كماتأولته أنت وحملت الآية عليه بل معناه لاأخرجكم معى و لاأشهدكم حرب العدو هل كان يتم الاستدلال قلت لالأن للإمامية أن تقـول يجوز أن يكون الـداعى إلى حرب القوم أولى البـأس الشديـد مع تسـليم هـذه المقـدمات كلهـا هو رسول الله ص لأنه دعاهم إلى حرب الروم فى سـرية أسامة بن زيد فى صـفر من سـنة إحدى عشـرة لماسيره إلى البلقاء و قال له سر إلى الروم مقتل أبيـك فأوطئهم الخيول وحشـد معه أكثر المسـلمين فهـذا الجيش قـددعى فيه المخلفون من الأعراب الـذين قعـدوا عن الجهاد -قرآن-٦١-٨٧-قرآن-١٣٠-١٤٧-قرآن-٤٠٧-٤٨٣-قرآن-٥٥٢-٥٨٠-قرآن-٦٠٥-٦٣٣ [صـفحه ١٩٦] فى غزاة تبـوك إلى قـوم أولى بأس شديـد و لم يخرجوا مع رسول الله ص و لاحاربوا معه عدوا. فإن قلت إذاخرجوا مع أسامة فكأنما خرجوا مع رسول الله و إذاحاربوا مع أسامـة العدو فكأنما حاربوا مع رسول الله ص و قد كان سـبق أنهم لايخرجون مع رسول الله ص و لايحاربون معه عـدوا قلت و إذاخرجوا مع خالـد بن الوليـد وغيره فى أيام أبى بكر و مع أبى عبيدة وسـعد فى أيام عمر فكأنما خرجوا مع رسول الله ص وحاربوا العدو معه أيضا. فإن اعتذرت بأنه و إن شابه الخروج معه والحرب معه إلا أنه على الحقيقة ليس معه وإنما هو مع امرئ من قبل خلفائه قيل لك وكـذلك خروجهم مع أسامـة ومحاربـة العـدو معه و إن شابه الخروج مع النبى ومحاربة العدو معه إلا أنه على الحقيقة ليس معه وإنما هو مع بعض أمرائه . ويمكن أن يعترض الاستدلال بالآية فيقال لايجوز حملها على بنى حنيفة لأنهم كـانوا مسلمين وإنما منعوا الزكاة مع قولهم لاإله إلا الله محمـد رسول الله ص ومنع الزكاة لايخرج به الإنسان عن الإسـلام عندالمرجئة والإمامية مرجئة و لايجوز حملها على فارس والروم لأنه تعالى أخبر أنه لاواسطة بين قتالهم وإسـلامهم كماتقول إما كـذا وإمـا كـذا فيقتضـى ذلك نفى الواسطة وقتال فارس والروم بينه و بين إسـلامهم واسطة و هودفع الجزيـة وإنما تنتفى هـذه الواسطة فى قتال العرب لأن مشـركى العرب لاتؤخذ منهم الجزية فالآية إذن دالة على أن المخلفين سيدعون إلى قوم أولى بأس شديـد الحكم فيهم إما قتالهم وإما إسـلامهم وهؤلاء هم مشـركو العرب و لم يحارب مشـركى العرب إلا رسول الله ص فالداعى لهم إذا هو رسول الله وبطل الاستـدلال بالآية [صفحه ١٩٧] أَنَا وَضَعتُ بِكَلَاكِلِ العَرَبِ وَ كَسَرتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَ مُضَرَ وَ قَد عَلِمتُم مَوضِعِي مِن رَسُولِ اللّهِص بِالقَرَابَةِ القَرِيبَةِ وَ المَنزِلَةِ الخَصِيصَةِ وَضَعَنِي فِي حَجرِهِ وَ أَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدرِهِ وَ يَكنُفُنِي

فِی فِرَاشِهِ وَ یمُسِّنِی جَسَدَهُ وَ یشِمِّنِی عَرفَهُ وَ کَانَ یَمضَغُ الشَیءَ ثُمّ یُلقِمُنِیهِ وَ مَا وَجَدَ لِی کَذبَةً فِی قَولٍ وَ لَا خَطلَةً فِی فِعلٍ وَ لَقَد قَرَنَ اللّهُ بِهِص مِن لَدُن أَن کَانَ فَطِیماً أَعظَمَ مَلَکٍ مِن مَلَائِکَتِهِ یَسلُکُ بِهِ طَرِیقَ المَکَارِمِ وَ مَحَاسِنَ أَخلَاقِ العَالَمِ لَیلَهُ وَ نَهَارَهُ وَ لَقَد کُنتُ أَتّبِعُهُ اتّبَاعَ الفَصِیلِ أَثَرَ أُمّهِ یَرفَعُ لِی فِی کُلّ یَومٍ مِن أَخلَاقِهِ عَلَماً وَ یَأمُرُنِی بِالِاقتِدَاءِ بِهِ وَ لَقَد کَانَ یُجَاوِرُ فِی کُلّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَ لَا یَرَاهُ غَیرِی وَ لَم یَجمَع بَیتٌ وَاحِدٌ یَومَئِذٍ فِی الإِسلَامِ غَیرَ رَسُولِ اللّهِص وَ خَدِیجَةَ وَ أَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَی نُورَ الوَحیِ وَ الرّسَالَةِ وَ أَشُمّ رِیحَ النّبُوّةِ وَ لَقَد سَمِعتُ رَنّةَ الشّیطَانِ حِینَ نَزَلَ الوَحیُ عَلَیهِص فَقُلتُ یَا رَسُولَ اللّهِ مَا هَذِهِ الرّنّةُ فَقَالَ هَذَا الشّیطَانُ قَد أَیِسَ مِن عِبَادَتِهِ إِنّکَ تَسمَعُ مَا أَسمَعُ وَ تَرَی مَا أَرَی إِلّا أَنّکَ لَستَ بِنَبِیّ وَ لَکِنّکَ لَوَزِیرٌ وَ إِنّکَ لَعَلَی خَیرٍ الباء فی قوله بکلاکل العرب زائدة والکلاکل الصدور الواحد کلکل والمعنی أنی أذللتهم وصرعتهم إلی الأرض . [صفحه ۱۹۸] ونواجم قرون ربیعة ومضر من نجم منهم وظهر وعلا قدره وطار صیته . فإن قلت أماقهره لمضر فمعلوم فما حال ربیعة و لم نعرف أنه قتل منهم أحدا قلت بلی قدقتل بیده وبجیشه کثیرا من رؤسائهم فی صفین والجمل فقد تقدم ذکر أسمائهم من قبل و هذه الخطبة خطب بها بعدانقضاء أمر النهروان . والعرف بالفتح الریح الطیبة ومضغ الشیء یمضغه بفتح الضاد. والخطلة فی الفعل الخطأ فیه وإیقاعه علی غیروجهه . وحراء اسم جبل بمکة معروف . والرنة الصوت

ذکر ما کان من صلة علی برسول الله فی صغره

والقرابة القریبة بینه و بین رسول الله ص دون غیره من الأعمام کونه رباه فی حجره ثم حامی عنه ونصره عندإظهار الدعوة دون غیره من بنی هاشم ثم ما کان بینهما من المصاهرة التی أفضت إلی النسل الأطهر دون غیره من الأصهار ونحن نذکر ماذکره أرباب السیر من معانی هذاالفصل .روی الطبری فی تاریخه قال حدثنا ابن حمید قال حدثناسلمة قال حدثنی محمد بن إسحاق قال حدثنی عبد الله بن نجیح عن مجاهد قال کان من نعمة الله عز و جل علی علی بن أبی طالب ع و ماصنع الله له وأراده به من الخیر أن قریشا أصابتهم أزمة شدیدة و کان أبوطالب ذا عیال کثیر فقال رسول الله ص للعباس و کان من أیسر بنی هاشم یاعباس إن أخاک أباطالب کثیر العیال و قدتری ماأصاب الناس من هذه الأزمة فانطلق بنا فلنخفف عنه من عیاله آخذ من بیته واحدا وتأخذ واحدا [صفحه ۱۹۹] فنکفیهما عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتی أتیا أباطالب فقالا له إنا نرید أن نخفف عنک من عیالک حتی ینکشف عن الناس ماهم فیه فقال لهما إن ترکتما لی عقیلا فاصنعا ماشئتما فأخذ رسول الله ص علیا فضمه إلیه وأخذ العباس جعفرا رضی الله عنه فضمه إلیه فلم یزل علی بن أبی طالب ع مع رسول الله ص حتی بعثه الله نبیا فاتبعه علی ع فأقر به وصدقه و لم یزل جعفر عندالعباس حتی أسلم واستغنی عنه . قال الطبری و حدثنا ابن حمید قال حدثناسلمة قال حدثنا محمد بن إسحاق قال کان رسول الله ص إذاحضرت الصلاة خرج إلی شعاب مکة وخرج معه علی بن أبی طالب ع مستخفیا من عمه أبی طالب و من جمیع أعمامه وسائر قومه فیصلیان الصلوات فیها فإذاأمسیا رجعا فمکثا کذلک ماشاء الله أن یمکثا. ثم إن أباطالب عثر علیهما وهما یصلیان فقال لرسول الله ص یا ابن أخی ما هذا ألذی أراک تدین به قال یاعم هذادین الله ودین ملائکته ودین رسله ودین أبینا ابراهیم أو کما قال بعثنی الله به رسولا إلی العباد و أنت یاعم أحق من بذلت له النصیحة ودعوته إلی الهدی وأحق من أجابنی إلیه وأعاننی علیه أو کما قال فقال أبوطالب یا ابن أخی إنی لاأستطیع أن أفارق دینی ودین آبائی و ماکانوا علیه ولکن و الله لایخلص إلیک شیءتکرهه مابقیت . قال الطبری و قدروی هؤلاء المذکورون أن أباطالب قال لعلی ع یابنی ما هذا ألذی أنت علیه فقال یاأبت إنی آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما [صفحه ۲۰۰] جاء به وصلیت لله معه قال فزعموا أنه قال له أماإنه لایدعو إلا إلی خیر فالزمه . و روی الطبری فی تاریخه أیضا قال حدثنا أحمد بن الحسین الترمذی قال حدثنا

عبـد الله بن موسـى قـال أخبرنـا العلاءـ عن المنهال بن عمر و عن عبـد الله بن عبـد الله قال سـمعت عليا ع يقول أنا عبـد الله وأخو رسوله و أناالصـديق الأـكبر لايقولهـا بعـدى إلاكاذب مفتر صـليت قبل الناس بسـبع سـنين -روايت-١-٢-روايت-١٨٩-٢٩٤ فى غيرروايهٔ الطبرى أناالصديق الأكبر و أناالفاروق الأول أسلمت قبل إسلام أبى بكر وصليت قبل صلاته بسبع سنين -روايت-١-٢-روايت-٢٤-١٢٢ كـأنه ع لم يرتض أن يـذكر عمر و لاـرآه أهلا للمقايسـهٔ بينه وبينه و ذلك لأن إسـلام عمر كان متأخرا. وروى الفضل بن عباس رحمه الله قال سألت أبى عن ولـد رسول الله ص الـذكور أيهم كان رسول الله ص له أشد حبا فقال على بن أبى طالب ع فقلت له سألتك عن بنيه فقال إنه كان أحب إليه من بنيه جميعا وأرأف مارأيناه زايله يوما من الـدهر منـذ كان طفلا إلا أن يكون فى سـفر لخديجهٔ و مارأينـا أبـاأبر بـابن منه لعلى و لاابنـا أطوع لأـب من على له . وروى الحسـين بن زيـد بن على بن الحسـين ع قال سـمعت زيدا أبى ع يقول كان رسول الله يمضغ اللحمهٔ والتمرهٔ حتى تلين ويجعلهما فى فم على ع و هوصـغير فى حجره وكـذلك كان أبى على بن الحسـين ع يفعل بى ولقـد كان يأخـذ الشـىء من الورك و هوشديد الحرارهٔ فيبرده فى الهواء أوينفخ عليه حتى يبرد ثم يلقمنيه أفيشفق على من حرارهٔ لقمهٔ و لايشفق على من النار لو كان أخى إماما بالوصيهٔ كمايزعم هؤلاء لكان أبى أفضـى بذلك إلى ووقانى من حر جهنم . [صـفحه ٢٠١] وروى جبير بن مطعم قـال قال أبى مطعم بن عـدى لنا ونحن صبيـان بمكـهٔ أ لاـترون حب هـذاالغلام يعنى عليـا لمحمـد واتبـاعه له دون أبيه واللات والعزى لوددت أن ابنى بفتيان بنى نوفل جميعا. وروى سـعيد بن جبير قال سألت أنس بن مالك فقلت أرأيت قول عمر عن الستهٔ إن رسول الله ص مات و هوعنهم راض أ لم يكن راضـيا عن غيرهم من أصـحابه فقـال بلى مـات رسول الله ص و هوراض عن كثير من المسـلمين ولكن كان عن هؤلاء أكثر رضا فقلت له فأى الصـحابهٔ كان رسول الله ص له أحمد أو كما قال قال مافيهم أحد إلا و قدسخط منه فعلا وأنكر عليه أمرا إلااثنان على بن أبى طالب و أبوبكر بن أبى قحافهٔ فإنهما لم يقترفا منذ أتى الله بالإسلام أمرا أسخطا فيه رسول الله ص

ذكر حال رسول الله فى نشوئه

وينبغى أن نذكر الآن ماورد فى شأن رسول الله ص وعصـمته بالملائكهٔ ليكون ذلك تقريرا وإيضاحا لقوله ع ولقد قرن الله به من لـدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته و أن نذكر حديث مجاورته ع بحراء وكون على ع معه هناك و أن نذكر ماورد فى أنه لم يجمع بيت واحـد يومئـذ فى الإسـلام غير رسول الله ص وعليا وخديجهٔ و أن نذكر ماورد فى سـماعه رنهٔ الشـيطان و أن نذكر مـاورد فى كونه ع وزيرا للمصـطفى ص أماالمقام الأول فروى محمـد بن إسـحاق بن يسار فى كتاب السـيرهٔ النبويـهٔ ورواه أيضـا محمـد بن جرير الطبرى فى تـاريخه قـال كانت حليمـهٔ بنت أبى ذؤيب السـعديهٔ [صـفحه ٢٠٢] أم رسول الله ص الـتى أرضـعته تحدث أنها خرجت من بلدها ومعها زوجها و ابن لها ترضـعه فى نسوهٔ من بنى سـعد بن بكر يلتمسن الرضاع بمكهٔ فى سنهٔ شهباء لم تبق شيئا قالت فخرجت على أتان لنا قمراء عجفاء ومعنا شارف لنا ماتبض بقطرهٔ و لاننام ليلنا أجمع من بكاء صبينا ألـذى معنا من الجوع ما فى ثـديى مايغنيه و لا فى شارفنا مايغـديه ولكنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك ولقـد أراثت بالركب ضعفا وعجفا حتى شق ذلك عليهم حتى قـدمنا مكـهٔ نلتمس الرضاع فما منا امرأهٔ إلا و قدعرض عليها محمدص فتأباه إذاقيل لها إنه يتيم و ذلـك أناإنما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول يتيم ماعسـى أن تصـنع أمه وجـده فكنا نكرهه لـذلك فما بقيت امرأهٔ ذهبت معى إلاأخـذت رضـيعا غيرى فلما اجتمعنا للانطلاق قلت لصاحبى و الله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى لم آخـذ رضـيعا و الله لأـذهبن إلى ذلـك اليتيم فلآخـذنه قـال لاعليك أن تفعلى وعسـى الله أن يجعل لنا فيه بركـهٔ فـذهبت إليه فأخذته و مايحملنى على أخذه إلاأنى لم أجد غيره قالت فلما أخذته رجعت إلى رحلى فلما وضـعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى

بما شاء من لبن فرضع حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى و ماكنا نام قبل ذلك من بكاء صبينا جوعا فنام وقام زوجى إلى شارفنا تلك فنظر إليها فإذاأنها حافل فحلب منها ماشرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة قالت يقول [صفحه ۲۰۳] صاحبى حين أصبحنا أتعلمين و الله ياحليمة لقد أخذت نسمة مباركة فقلت و الله إنى لأرجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتانى تلك وحملته معى عليها فو الله لقطعت بالركب مايقدر عليها شىء من حميرهم حتى إن صواحبى ليقلن لى ويحك يابنت أبى ذؤيب اربعى علينا أ ليس هذه أتانك التى كنت خرجت عليها فأقول لهن بلى و الله إنها لهى فيقلن و الله إن لها لشأنا.قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد و ماأعلم أرضا من أرض العرب أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا ملأى لبنا فكنا نحتلب ونشرب و مايحلب إنسان قطرة لبن و لايجدها فى ضرع حتى إن الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى ابنة أبى ذؤيب فيفعلون فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير به حتى مضت سنتاه وفصلته فكان يشب شبابا لايشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه آمنة بنت وهب ونحن أحرص شىء على مكثه فينا لماكنا نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا لها لوتركته عندنا حتى يغلظ فإنا نخشى عليه وباء مكة فلم نزل بها حتى ردته معنا.فرجعنا به إلى بلاد بنى سعد فو الله إنه لبعد ماقدمنا بأشهر مع أخيه فى بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد فقال لى ولأبيه ها هوذاك أخى القرشى قدجاءه [صفحه ۲۰۴] رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه وشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فوجدناه قائما ممتقعا وجهه فالتزمته والتزمه أبوه وقلنا ما لك يابنى قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى ثم شقا بطنى فالتمسا فيه شيئا لاأدرى ما هوقالت فرجعنا به إلى خبائنا و قال لى أبوه ياحليمة لقد خشيت أن يكون هذاالغلام قدأصيب فألحقيه بأهله قالت فاحتملته حتى قدمت به على أمه فقالت ماأقدمك به ياظئر و قدكنت حريصة عليه و على مكثه عندك فقلت لها قدبلغ الله بابنى وقضيت ألذى على وتخوفت عليه الأحداث وأديته إليك كماتحبين قالت أتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا و الله ماللشيطان عليه من سبيل و إن لابنى شأنا أ فلاأخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به أنه خرج منى نور أضاءت له قصور بصرى من الشام ثم حملت به فو الله مارأيت حملا قط كان أخف و لاأيسر منه ثم وقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ورافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقى راشدة. قال وروى الطبرى فى تاريخه عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله ص يحدث عن نفسه ويذكر ماجرى له و هوطفل فى أرض بنى سعد بن بكر قال لماولدت استرضعت فى بنى سعد فبينا أناذات يوم منتبذ من -روايت-۱-۲-روايت-۱۴۳-ادامه دارد [صفحه ۲۰۵] أهلى فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان نتقاذف بالجلة إذاأتانى رهط ثلاثة معهم طشت من ذهب مملوءة ثلجا فأخذونى من بين أصحابى فخرج أصحابى هرابا حتى انتهوا إلى شفير الوادى ثم عادوا إلى الرهط فقالوا ماأربكم إلى هذاالغلام فإنه ليس منا هذا ابن سيد قريش و هومسترضع فينا غلام يتيم ليس له أب فما ذا يرد عليكم قتله و ماذا تصيبون من ذلك ولكن إن كنتم لابد قاتليه فاختاروا منا أينا شئتم فاقتلوه مكانه ودعوا هذاالغلام فإنه يتيم . فلما رأى الصبيان أن القوم لايحيرون لهم جوابا انطلقوا هرابا مسرعين إلى الحى يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم فأضجعنى إضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى و أناأنظر إليه فلم أجد لذلك حسا ثم أخرج بطنى فغسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه تنح فنحاه عنى ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى و أناأنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرماها ثم قال بيده يمنة منه وكأنه يتناول شيئا فإذا فى يده خاتم من نور تحار أبصار الناظرين دونه فختم به قلبى ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح عنه فأمر يده ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق ثم أخذ بيدى فأنهضنى من مكانى إنهاضا لطيفا و قال للأول ألذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته فوزننى بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضمونى إلى صدرهم وقبلوا رأسى و ما بين

عینی وقالوا یاحبیب الله لاترع إنک لوتـدری مایراد بک من الخیر لقرت عیناک فبینا أناکذلک إذا أنابالحی قدجاءوا بحذافیرهم و إذاأمی وهی -روایت-از قبـل-۱-روایت-۲-ادامه دارد [صـفحه ۲۰۶] ظئری أمام الحی تهتف بأعلی صوتها وتقول یاضـعیفاه فـانکب علی أولئـک الرهـط فقبلوا رأسـی و مـا بین عینی وقـالوا حبـذا أنت من ضـعیف ثم قـالت ظئری یاوحیـداه فـانکبوا علی وضـمونی إلی صـدورهم وقبلوا رأسـی و مـا بین عینی ثم قـالوا حبـذا أنت من وحیـد و مـا أنت بوحیـد إن الله وملائکته معک و المؤمنین من أهـل الأـرض ثم قـالت ظئری یایتیمـاه استضـعفت من بین أصـحابک فقتلت لضـعفک فـانکبوا علی وضـمونی إلی صدورهم وقبلوا رأسـی و ما بین عینی وقالوا حبذا أنت من یتیم ماأکرمک علی الله لوتعلم مایراد بک من الخیر قال فوصل الحی إلی شـفیر الوادی فلما بصـرت بی أمی وهی ظئری نادت یابنی أ لاأراک حیا بعدفجاءت حتی انکبت علی وضمتنی إلی صدرها فو ألذی نفسـی بیده إنی لفی حجرها قدضمتنی إلیها و إن یدی لفی ید بعضهم فجعلت ألتفت إلیهم وظننت أن القوم یبصرونهم فإذاهم لایبصـرونهم فیقول بعض القوم إن هـذاالغلام قـدأصابه لمم أوطائف من الجن فانطلقوا به إلی کاهن بنی فلان حتی ینظر إلیه ویـداویه فقلت مابی شـیءمما یذکرون نفسـی سـلیمهٔ و إن فؤادی صـحیح لیست بی قلبهٔ فقال أبی و هوزوج ظئری أ لاترون کلامـه صـحیحا إنی لأـرجو ألا یکون علی ابنی بأس .فاتفق القوم علی أن یـذهبوا إلی الکاهن بی فاحتملونی حتی ذهبوا بی إلیه فقصوا علیه قصتی فقـال اسـکتوا حتی أسـمع من الغلام فهو أعلم بأمره منکم فسألنی فقصـصت علیه أمری و أنایومئـذ ابن خمس سنیـن فلمـا سـمع قـولی وثب و قـال یـاللعرب اقتلـوا هـذاالغلام فهـو واللاـت والعزی لئن عـاش لیبـدلن دینکم ولیخـالفن أمرکم ولیأتینکم بما لم تسمعوا به قط فانتزعتنی ظئری من حجره وقالت لوعلمت أن هذا یکون من قولک ماأتیتک به -روایت-از قبل-۱-روایت-۲-ادامه دارد [صـفحه ۲۰۷] ثم احتملونی فأصـبحت و قـدصار فی جسـدی أثر الشق ما بین صدری إلی منتهی عانتی کأنه الشراک -روایت-از قبل-۹۶ روی أن بعض أصـحاب أبی جعفر محمـد بن علی الباقر ع سأله عن قول الله عز و جل إِلّا مَنِ ارتَضـی مِن رَسُولٍ فَإِنّهُ یَسـلُکُ مِن بَینِ یَـدَیهِ وَ مِن خَلفِهِ رَصَداً فقال ع یوکل الله تعالی بأنبیائه ملائکهٔ یحصون أعمالهم ویؤدون إلیه تبلیغهم الرسالـهٔ ووکل بمحمدص ملکا عظیما منذ فصل عن الرضاع یرشده إلی الخیرات ومکارم الأخلاق ویصده عن الشر ومساوئ الأخلاق و هو ألذی کان ینادیه السلام علیک یا محمد یا رسول الله و هوشاب لم یبلغ درجهٔ الرسالهٔ بعدفیظن أن ذلک من الحجر و الأرض فیتأمل فلایری شیئا -روایت-۱-۲-روایت-۷-۵۲۰ روی الطبری فی التاریـخ عن محمد بن الحنفیهٔ عن أبیه علی ع قـال سـمعت رسول الله ص یقول ماهممت بشـیء مما کان أهل الجاهلیـهٔ یعملون به غیرمرتین کل ذلک یحول الله تعالی بینی و بین ماأریـد من ذلـک ثم مـاهممت بسوء حتی أکرمنی الله برسـالته قلت لیلـهٔ لغلام من قریش کان یرعی معی بأعلی مکهٔ لوأبصـرت لی غنمی حتی أدخـل مکـهٔ فأسـمر بهـا کمایسـمر الشباب فخرجت أریـد ذلـک حتی إذاجئت أول دار من دور مکهٔ سمعت عزفـا بالـدف والمزامیر فقلت مـا هـذاقالوا هـذافلان تزوج ابنـهٔ فلاـن فجلست أنظر إلیهم فضـرب الله علی أذنی فنمت فما أیقظنی إلامس الشـمس فرجعت إلی صاحبی فقال مافعلت فقلت ماصنعت شیئا ثم أخبرته الخبر ثم قلت له لیلهٔ أخری مثل ذلک فقال أفعل فخرجت فسـمعت حین دخلت مکـهٔ مثل ماسـمعت حین دخلتها تلک اللیلهٔ فجلست -روایت-۱-۲-روایت-۹۶-ادامه دارد [صـفحه ۲۰۸] أنظر فضـرب الله علی أذنی فمـا أیقظنی إلاـمس الشـمس فرجعت إلی صـاحبی فـأخبرته الخبر ثم ماهممت بعـدها بسوء حتی أکرمنی الله برسـالته -روایت-از قبـل-۱۳۸ روی محمـد بن حـبیب فی أمـالیه قـال قـال رسـول الله ص أذکر و أناغلام ابن سبع سنین و قدبنی ابن جدعان دارا له بمکهٔ فجئت مع الغلمان نأخذ التراب والمدر فی حجورنا فننقله فملأت حجری ترابا فانکشـفت عورتی فسمعت نداء من فوق رأسی یا محمدأرخ إزارک فجعلت أرفع رأسی فلاأری شیئا إلاأنی أسمع الصوت فتماسـکت و لم أرخه فکـأن إنسانا ضـربنی علی ظهری فخررت لوجهی وانحل إزاری فسترنی وسـقط التراب إلی الأرض فقمت إلی دار أبی طالب عمی و لم أعد -روایت-۱-۲-روایت-۵۷-۴۵۸ . و أماحدیث مجاورته ع بحراء فمشهور و قدورد فی الکتب

الصحاح أنه كان يجاور فی حراء من كل سنة شهرا و كان يطعم فی ذلک الشهر من جاءه من المساكين فإذاقضی جواره من حراء كان أول مايبدأ به إذاانصرف أن يأتی باب الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بهاسبعا أو ماشاء الله من ذلک ثم يرجع إلی بيته حتی جاءت السنة التی أكرمه الله فيهابالرسالة فجاور فی حراء شهر رمضان ومعه أهله خديجة و علی بن أبی طالب وخادم لهم فجاءه جبريل بالرسالة و قال ع جاءنی و أنانائم بنمط فيه كتاب فقال اقرأ قلت ماأقرأ فغتنی حتی ظننت أنه الموت ثم أرسلنی فقال اقرَأ بِاسمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ إلی قوله عَلَّمَ الإِنسانَ -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-ادامه دارد [صفحه ۲۰۹] ما لَم يَعلَمفقرأته ثم انصرف عنی فانتبهت من نومی وكأنما كتب فی قلبی كتاب -روايت-از قبل-۸۲وذكر تمام الحديث . و أماحديث أن الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد يومئذ إلا النبی و هو ع وخديجة فخبر عفيف الكندی مشهور و قدذكرناه من قبل و أن أباطالب قال له أتدری من هذا قال لا قال هذا ابن أخی محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب و هذاابنی علی بن أبی طالب و هذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد زوجة محمد ابن أخی وايم الله ماأعلم علی الأرض كلها أحدا علی هذاالدين غيرهؤلاء الثلاثة. و أمارنة الشيطان فروی أبو عبد الله أحمد بن حنبل فی مسنده عن علی بن أبی طالب ع قال كنت مع رسول الله ص صبيحة الليلة التی أسری به فيها و هوبالحجر يصلی فلما قضی صلاته وقضيت صلاتی سمعت رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة قال أ لاتعلم هذه رنة الشيطان علم أنی أسری بی الليلة إلی السماء فأيس من أن يعبد فی هذه الأرض -روايت-۱-۲-روايت-۷۷-۳۳۶ قدروی عن النبی ص مايشابه هذا لمابايعه الأنصار السبعون ليلة العقبة سمع من العقبة صوت عال فی جوف الليل يا أهل مكة هذامذمم والصباة معه قدأجمعوا علی حربكم فقال رسول الله ص للأنصار أ لاتسمعون ما يقول هذاأزب العقبة يعنی شيطانها و قدروی أزبب العقبة ثم التفت إليه فقال استمع ياعدو الله أما و الله لأفرغن لک -روايت-۱-۲-روايت-۳۷-۳۳۳ [صفحه ۲۱۰] روی عن جعفر بن محمدالصادق ع قال كان علی ع يری مع رسول الله ص قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت و قال له ص لو لاأنی خاتم الأنبياء لكنت شريكا فی النبوة فإن لاتكن نبيا فإنک وصی نبی ووارثه بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۲۴۸ فقد ذكره الطبری فی تاريخه عن عبد الله بن عباس عن علی بن أبی طالب ع قال لماأنزلت هذه الآيةوَ أَنذِر عَشِيرَتَکَ الأَقرَبِينَ علی رسول الله ص دعانی فقال يا علی إن الله أمرنی أن أنذر عشيرتک الأقربين فضقت بذلک ذرعا وعلمت أنی متی أنادهم بهذا الأمر أر منهم ماأكره فصمت حتی جاءنی جبريل ع فقال يا محمدإنک إن لم تفعل ماأمرت به يعذبک ربک فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجمع بنی عبدالمطلب حتی أكلمهم وأبلغهم ماأمرت به ففعلت ماأمرنی به ثم دعوتهم وهم يومئذ أربعون رجلا- يزيدون رجلا- أوينقصونه وفيهم أعمامه أبوطالب وحمزة والعباس و أبولهب فلما اجتمعوا إليه دعا بالطعام ألذی صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله ص بضعة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فی نواحی الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فأكلوا حتی مالهم إلی شیء من حاجة وايم الله ألذی نفس علی بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ماقدمته لجميعهم ثم قال اسق القوم يا علی فجئتهم بذلک العس فشربوا منه حتی رووا جميعا وايم الله إن كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله ص أن يكلمهم بدره أبولهب إلی الكلام فقال لشد ماسحركم صاحبكم فتفرق القوم و لم يكلمهم رسول الله ص فقال من الغد يا علی إن هذا الرجل قدسبقنی -روايت-۱-۲-روايت-۸۵-ادامه دارد [صفحه ۲۱۱] إلی ماسمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا اليوم إلی مثل ماصنعت بالأمس ثم اجمعهم لی ففعلت ثم جمعتهم ثم دعانی بالطعام فقربته لهم ففعل كمافعل بالأمس فأكلوا حتی مالهم بشیء حاجة ثم قال اسقهم فجئتهم بذلک العس فشربوا منه جميعا حتی رووا ثم تكلم رسول الله ص فقال يابنی عبدالمطلب إنی و الله ماأعلم أن شابا فی العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إنی قدجئتكم بخير الدنيا والآخرة و قدأمرنی الله أن أدعوكم إليه فأيكم يوازرنی علی هذاالأمر علی أن يكون أخی ووصيی وخليفتی فيكم فأحجم القوم عنها جميعا و قلت أنا وإنی لأحدثهم سنا

وأرمصـهم عينـا وأعظمهم بطنـا وأحمشـهم ساقا أنا يا رسول الله أكون وزيرک عليه فأعاد القول فأمسكوا وأعـدت ما قلت فأخذ برقبتی ثم قال لهم هذاأخی ووصـيی وخليفتی فيكم فاسـمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضـحكون ويقولون لأبی طالب قدأمرک أن تسمع لابنک وتطيع -روايت-از قبل-۸۴۶ . ويدل علی أنه وزير رسول الله ص من نص الكتاب والسنة قول الله تعالی وَ اجعَل لِی وَزِيراً مِن أَهلِي هـارُونَ أَخِي اشـدُد بِهِ أَزرِي وَ أَشـرِكهُ فِی أَمرِي و -قرآن-۷۷-۱۶۷ قـال النبی ص فی الخبر المجمع علی روايته بين سـائر فرق الإسـلام أنت منی بمنزلـة هارون من موسـی إلا أنه لانبی بعـدی -روايت-۱-۲-روايت-۷۰-۱۲۶ فـأثبت له جميع مراتب هارون عن موسـی فإذن هووزير رسول الله ص وشاد أزره و لو لا أنه خاتم النبيين لكان شريكا فی أمره . [صفحه ۲۱۲] و روی أبو جعفرالطبری أيضا فی التاريـخ أن رجلا قال لعلی ع يا أمير المؤمنين بم ورثت ابن عمک دون عمک فقال علی ع هاؤم ثلاث مرات حتی اشرأب الناس ونشروا آذانهم ثم قال جمع رسول الله ص بنی عبدالمطلب بمكة وهم رهطه كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع مدا من طعام حتی أكلوا وشبعوا وبقی الطعام كما هوكأنه لم يمس ثم دعا بغمر فشربوا ورووا وبقی الشراب كأنه لم يشـرب ثم قال يابنی عبـدالمطلب إنی بعثت إليكم خاصة و إلی الناس عامة فأيكم يبايعنی علی أن يكون أخی وصاحبی ووارثی فلم يقم إليه أحـد فقمت إليه وكنت من أصـغر القوم فقـال اجلس ثم قـال ذلـک ثلاث مرات كل ذلک أقوم إليه فيقول اجلس حتی كان فی الثالثة فضـرب بيده علی يدی فعند ذلک ورثت ابن عمی دون عمی -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۷۰۳ وَ لَقَد كُنتُ مَعَهُص لَمّـا أَتَـاهُ المَلَأُ مِن قُرَيشٍ فَقَـالُوا لَهُ يَـا مُحَمّـدُ إِنّکَ قَـدِ ادّعَيتَ عَظِيماً لَم يَـدّعِهِ آبَاؤُکَ وَ لَا أَحَـدٌ مِن بَيتِکَ وَ نَحنُ نَسأَلُـکَ أَمراً إِن أَنتَ أَجَبتَنَـا إِلَيهِ وَ أَرَيتَنَاهُ عَلِمنَا أَنّکَ نَبِيّ وَ رَسُولٌ وَ إِن لَـم تَفعَل عَلِمنَا أَنّکَ سَاحِرٌ كَـذّابٌ فَقَالَص وَ مَا تَسأَلُونَ قَالُوا تَـدعُو لَنَا هَـذِهِ الشّـجَرَةَ حَتّی تَنقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَ تَقِفَ بَينَ يَدَيکَ فَقَالَص إِنّ اللّهَ عَلَی كُلّ [صـفحه ۲۱۳] شَیءٍ قَدِيرٌ فَإِن فَعَلَ اللّهُ لَكُم ذَلِکَ أَ تُؤمِنُونَ وَ تَشـهَدُونَ بِالحَقّ قَالُوا نَعَم قَالَ فَإِنّی سَأُرِيكُم مَا تَطلُبُونَ وَ إِنّی لَأَعلَمُ أَنّكُم لَا تَفِيئُونَ إِلَی خَيرٍ وَ أَنّ فِيكُم مَن يُطرَحُ فِی القَلِيبِ وَ مَن يُحَزّبُ الأَحزَابَ ثُمّ قَـالَص يَـا أَيّتُهَا الشّـجَرَةُ إِن كُنتِ تُؤمِنِينَ بِاللّهِ وَ اليَوم الآخِرِ وَ تَعلَمِينَ أَنّی رَسُولُ اللّهِ فَـانقَلِعِی بِعُرُوقِـکِ حَتّی تَقِفِی بَينَ يَـدَیّ بِإِذنِ اللّهِ وَ ألّـذِی بَعَثَهُ بِالحَقّ لَانقَلَعَت بِعُرُوقِهَا وَ جَاءَت وَ لَهَا دَوِیّ شَدِيـدٌ وَ قَصـفٌ كَقَصفِ أَجنِحَـةِ الطّيرِ حَتّی وَقَفَت بَينَ يـدَیَ رَسُولِ اللّهِص مُرَفرِفَةً وَ أَلقَت بِغُصـنِهَا الأَعلَی عَلَی رَسُولِ اللّهِص وَ بِبَعضِ أَغصَانِهَا عَلَی مَنكِبِی وَ كُنتُ عَن يَمِينِهِص فَلَمّا نَظَرَ القَومُ إِلَی ذَلِکَ قَالُوا عُلُوّاً وَ استِكبَاراً فَمُرهَا فَليَأتِکَ نِصفُهَا وَ يَبقَی نِصفُهَا فَأَمَرَهَا فَأَقبَلَ إِلَيهِ نِصـفُهَا كَأَعجَبِ إِقبَالٍ وَ أَشَـدّهِ دَوِيّاً فَكَادَت تَلتَفّ بِرَسُولِ اللّهِص فَقَالُوا كُفراً وَ عُتُوّاً فَمُر هَـذَا النّصفَ فَليَرجِع إِلَی نِصـفِهِ كَمَا كَـانَ فَأَمَرَهُص فَرَجَعَ فَقُلتُ أَنَـا لَـا إِلَهَ إِلّا اللّهُ إِنّی أَوّلُ مُؤمِنٍ بِکَ يَا رَسُولَ اللّهِ وَ أَوّلُ مَن أَقَرّ بِأَنّ الشّـجَرَةَ فَعَلَت مَا فَعَلَت بِأَمرِ اللّهِ تَعَالَی تَصدِيقاً بِنُبُوّتِکَ وَ إِجلَالًا لِكَلِمَتِکَ فَقَالَ القَومُ كُلّهُم بَل سَاحِرٌ كَذّابٌ عَجِيبُ السّـحرِ خَفِيفٌ فِيهِ وَ هَل يُصَدّقُکَ فِی أَمرِکَ إِلّا مِثلُ هَذَا يعَنوُننَی وَ إِنّی لَمِن قَومٍ لَا تَأخُذُهُم فِی اللّهِ لَومَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُم سِيمَا الصّدّيقِينَ وَ كَلَامُهُم كَلَامُ الأَبرَارِ عُمّارُ اللّيلِ وَ مَنَارُ النّهَارِ مُتَمَسّكُونَ بِحَبلِ القُرآنِ يُحيُونَ سُنَنَ اللّهِ وَ سُنَنَ رَسُولِهِ لَا يَستَكبِرُونَ وَ لَا يَعلُونَ وَ لَا يَغُلّونَ وَ لَا يُفسِدُونَ قُلُوبُهُم فِی الجِنَانِ وَ أَجسَـادُهُم فِی العَمَلِ [صـفحه ۲۱۴] الملأ الجماعـة و لاـتفيئون لاـترجعون و من يطرح فی القليب كعتبـة وشـيبة ابنی ربيعـة بن عبدشـمس وعمرو بن هشـام بن المغيرة المكنی أباجهل وغيرهم طرحوا فی قليب بـدر بعـدانقضاء الحرب و من يحزب الأحزاب أبوسـفيان صخر بن حرب بن أمية. والقصف والقصيف الصوت وسيماهم علامتهم ومثله سيماء. ومعنی قوله ع قلوبهم فی الجنان وأجسـادهم فی العمـل أن قلوبهم ملتـذة بمعرفـة الله تعـالی وأجسادهم نصـبة بالعبادة. و أماأمر الشـجرة التی دعاها رسول الله ص فالحـديث الوارد فيهـاكثير مستفيض قـدذكره المحـدثون فی كتبهم وذكره المتكلمون فی معجزات الرسول ص والأكثرون رووا الخبر فيها علی الوضع ألذی جاء فی خطبة أمير المؤمنين ومنهم من يروی ذلک مختصـرا أنه دعا شـجرة فأقبلت تخد إليه الأرض خدا. و قدذكر البيهقی فی كتاب دلائل النبوة حديث الشـجرة ورواه أيضا محمد بن إسـحاق بن يسار فی كتاب السيرة والمغازی

على وجه آخر قال محمد بن إسحاق كان ركانة بن عبديزيد بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبدمناف أشد قريش كلها فخلا يوما برسول الله ص فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ص ياركانة أ لاتتقى الله وتقبل ماأدعوك إليه قال لوأعلم أن ألذى تقول حق لاتبعتك قال أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ماأقول لك حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك فقام ركانة فلما بطش به رسول الله ص أضجعه لايملك من نفسه شيئا فقال عد يا محمدفعاد فصرعه فقال يا محمد إن هذالعجب حين تصرعنى فقال رسول الله ص وأعجب من ذلك إن شئت أريتكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى [صفحه ٢١٥] قال ما هو قال أدعو لك هذه الشجرة التى تراها فتأتى قال فادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله ص ثم قال ارجعى إلى مكانك فرجعت إلى مكانها فرجع ركانة إلى قومه و قال يابنى عبدمناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فما رأيت أسحر منه قط ثم أخبرهم بالذى رأى و ألذى صنع

القول فى إسلام أبى بكر و على وخصائص كل منهما

وينبغى أن نذكر فى هذاالموضع ملخص ماذكره الشيخ أبوعثمان الجاحظ فى كتابه المعروف بكتاب العثمانية فى تفضيل إسلام أبى بكر على إسلام على ع لأن هذاالموضع يقتضيه لقوله ع حكاية عن قريش لماصدق رسول الله ص وهل يصدقك فى أمرك إلامثل هذالأنهم استصغروا سنه فاستحقروا أمر محمد رسول الله ص حيث لم يصدقه فى دعواه إلاغلام صغير السن وشبهة العثمانية التى قررها الجاحظ من هذه الشبهة نشأت و من هذه الكلمة تفرعت لأن خلاصتها أن أبابكر أسلم و هو ابن أربعين سنة و على أسلم و لم يبلغ الحلم فكان إسلام أبى بكر أفضل . ثم نذكر مااعترض به شيخنا أبو جعفرالإسكافى على الجاحظ فى كتابه المعروف بنقض العثمانية ويتشعب الكلام بينهما حتى يخرج عن البحث فى الإسلامين إلى البحث فى أفضلية الرجلين وخصائصهما فإن ذلك لايخلو عن فائدة جليلة ونكتة [صفحه ٢١٦] لطيفة لايليق أن يخلو كتابنا هذاعنها ولأن كلامهما بالرسائل والخطابة أشبه و فى الكتابة أقصد وأدخل وكتابنا هذاموضوع لذكر ذلك وأمثاله . قال أبوعثمان قالت العثمانية أفضل الأمة وأولاها بالإمامة أبوبكر بن أبى قحافة لإسلامه على الوجه ألذى لم يسلم عليه أحد فى عصره و ذلك أن الناس اختلفوا فى أول الناس إسلاما فقال قوم أبوبكر و قال قوم زيد بن حارثة و قال قوم خباب بن الأرت . و إذاتفقدنا أخبارهم وأحصينا أحاديثهم وعددنا رجالهم ونظرنا فى صحة أسانيدهم كان الخبر فى تقدم إسلام أبى بكر أعم ورجاله أكثر وأسانيده أصح و هوبذاك أشهر واللفظ فيه أظهر مع الأشعار الصحيحة والأخبار المستفيضة فى حياة رسول الله ص و بعدوفاته و ليس بين الأشعار والأخبار فرق إذاامتنع فى مجيئها وأصل مخرجها التباعد والاتفاق والتواطؤ ولكن ندع هذاالمذهب جانبا ونضرب عنه صفحا اقتدارا على الحجة ووثوقا بالفلج والقوة ونقتصر على أدنى نازل فى أبى بكر وننزل على حكم الخصم فنقول إنا وجدنا من يزعم أنه أسلم قبل زيد وخباب ووجدنا من يزعم أنهما أسلما قبله وأوسط الأمور أعدلها وأقربها من محبة الجميع ورضا المخالف أن نجعل إسلامهم كان معا إذ الأخبار متكافئة والآثار متساوية على ماتزعمون وليست إحدى القضيتين أولى فى صحة العقل من الأخرى ثم نستدل على إمامه أبى بكر بما ورد فيه من الحديث وبما أبانه به الرسول ص من غيره .قالوا فمما روى من تقدم إسلامه ماحدث به أبوداود و ابن مهدى عن شعبة و ابن عيينة عن الجريرى عن أبى هريرة قال أبوبكر أناأحقكم بهذا الأمر يعنى الخلافة ألست أول من صلى . [صفحه ٢١٧] روى عباد بن صهيب عن يحيى بن عمير عن محمد بن المنكدر أن رسول الله ص قال إن الله بعثنى بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة فقالوا كذبت و قال أبوبكر صدقت -روايت-١-٢-روايت-٨٢-١٦٨ . وروى يعلى بن عبيد قال جاء رجل إلى ابن عباس فسأله من كان أول الناس إسلاما فقال أ ماسمعت قول حسان بن ثابت إذاتذكرت شجوا

من أخی ثقة || فاذکر أخاک أبابکر بما فعلا الثانی التالی المحمود مشهده || وأول الناس منهم صدق الرسلا . و قال أبومحجن سبقت إلی الإسلام و الله شاهد || وکنت حبیبا بالعریش المشهر . و قال کعب بن مالک سبقت أخا تیم إلی دین أحمد || وکنت لدی الغیران فی الکهف صاحبا وروی ابن أبی شیبة عن عبد الله بن إدریس ووکیع عن شعبة عن عمرو بن مرة قال قال النخعی أبوبکر أول من أسلم . و روی هیثم عن یعلی بن عطاء عن عمرو بن عنبسة قال أتیت النبی ص و هوبعکاظ فقلت من بایعک علی هذاالأمر فقال بایعنی حر و عبد -روایت-۱-۲-روایت-۵۲-۱۳۰ فلقد رأیتنی یومئذ و أنارابع الإسلام . [صفحه ۲۱۸] قال بعض أصحاب الحدیث یعنی بالحر أبابکر وبالعبد بلالا. و روی اللیث بن سعد عن معاویة بن صالح عن سلیم بن عامر عن أبی أمامه قال حدثنی عمرو بن عنبسة أنه سأل النبی ص و هوبعکاظ فقال له من تبعک قال تبعنی حر و عبد أبوبکر وبلال -روایت-۱-۲-روایت-۹۷-۱۸۰ روی عمرو بن ابراهیم الهاشمی عن عبدالملک بن عمیر عن أسید بن صفوان صاحب النبی ص قال لماقبض أبوبکر جاء علی بن أبی طالب ع فقال رحمک الله أبابکر کنت أول الناس إسلاما -روایت-۱-۲-روایت-۹۴-۱۸۳ . وروی عباد عن الحسن بن دینار عن بشر بن أبی زینب عن عکرمة مولی ابن عباس قال إذالقیت الهاشمیین قالوا علی بن أبی طالب أول من أسلم و إذالقیت الذین یعلمون قالوا أبوبکر أول من أسلم . قال أبوعثمان الجاحظ قالت العثمانیة فإن قال قائل فما بالکم لم تذکروا علی بن أبی طالب فی هذه الطبقة و قدتعلمون کثرة مقدمیه والروایة فیه قلنا قدعلمنا الروایة الصحیحة والشهادة القائمة أنه أسلم و هوحدث غریر وطفل صغیر فلم نکذب الناقلین و لم نستطع أن نلحق إسلامه بإسلام البالغین لأن المقلل زعم أنه أسلم و هو ابن خمس سنین والمکثر زعم أنه أسلم و هو ابن تسع سنین فالقیاس أن یؤخذ بالأوسط بین الروایتین وبالأمر بین الأمرین وإنما یعرف حق ذلک من باطله بأن نحصی سنیه التی ولی فیهاالخلافة وسنی عمر وسنی عثمان وسنی أبی بکر ومقام النبی ص بالمدینة ومقامه بمکة عندإظهار الدعوة فإذافعلنا ذلک صح أنه أسلم و هو ابن سبع سنین فالتاریخ المجمع علیه أنه قتل ع فی شهر رمضان سنة أربعین . [صفحه ۲۱۹] قال شیخنا أبو جعفرالإسکافی لو لا ماغلب علی الناس من الجهل وحب التقلید لم نحتج إلی نقض مااحتجت به العثمانیة فقد علم الناس کافة أن الدولة والسلطان لأرباب مقالتهم وعرف کل أحد علو أقدار شیوخهم وعلمائهم وأمرائهم وظهور کلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقیة عنهم والکرامة والجائزة لمن روی الأخبار والأحادیث فی فضل أبی بکر و ما کان من تأکید بنی أمیة لذلک و ماولده المحدثون من الأحادیث طلبا لما فی أیدیهم فکانوا لایألون جهدا فی طول ماملکوا أن یخملوا ذکر علی ع وولده ویطفئوا نورهم ویکتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم ویحملوا علی شتمهم وسبهم ولعنهم علی المنابر فلم یزل السیف یقطر من دمائهم مع قلة عددهم وکثرة عدوهم فکانوا بین قتیل وأسیر وشرید وهارب ومستخف ذلیل وخائف مترقب حتی إن الفقیه والمحدث والقاضی والمتکلم لیتقدم إلیه ویتوعد بغایة الإیعاد وأشد العقوبة ألا یذکروا شیئا من فضائلهم و لایرخصوا لأحد أن یطیف بهم و حتی بلغ من تقیة المحدث أنه إذاذکر حدیثا عن علی ع کنی عن ذکره فقال قال رجل من قریش وفعل رجل من قریش و لایذکر علیا ع و لایتفوه باسمه . ثم رأینا جمیع المختلفین قدحاولوا نقض فضائله ووجهوا الحیل والتأویلات نحوها من خارجی مارق وناصب حنق وثابت مستبهم وناشئ معاند ومنافق مکذب وعثمانی حسود یعترض فیها ویطعن ومعتزلی قدنقض فی الکلام وأبصر علم الاختلاف [صفحه ۲۲۰] وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأویل قدالتمس الحیل فی إبطال مناقبه وتأول مشهور فضائله فمرة یتأولها بما لایحتمل ومرة یقصد أن یضع من قدرها بقیاس منتقض و لایزداد مع ذلک إلاقوة ورفعة ووضوحا واستنارة و قدعلمت أن معاویة ویزید و من کان بعدهما من بنی مروان أیام ملکهم و ذلک نحو ثمانین سنة لم یدعوا جهدا فی حمل الناس علی شتمه ولعنه وإخفاء فضائله وستر مناقبه وسوابقه روی خالد بن عبد الله الواسطی عن حصین بن عبدالرحمن عن هلال بن یساف عن عبد الله بن ظالم قال لمابویع لمعاویة أقام المغیرة بن شعبة خطباء یلعنون علیا ع فقال سعید بن زید بن عمرو بن نفیل أ لاترون إلی هذا الرجل الظالم یأمر بلعن رجل من

أهل الجنة.روى سليمان بن داود عن شعبة عن الحر بن الصباح قال سمعت عبدالرحمن بن الأخنس يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر عليا ع فنال منه .روى أبوكريب قال حدثنا أبوأسامة قال حدثناصدقة بن المثنى النخعى عن رياح بن الحارث قال بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له قيس بن علقمة فاستقبل المغيرة فسب عليا ع .روى محمد بن سعيد الأصفهانى عن شريك عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن على بن الحسين عن أبيه على بن الحسين ع قال قال لى مروان ما كان فى القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم قلت فما بالكم تسبونه على المنابر قال إنه لايستقيم لنا الأمر إلابذلك .روى مالك بن إسماعيل أبوغسان النهدى عن ابن أبى سيف قال خطب مروان و الحسن ع جالس فنال من على ع فقال الحسن ويلك يامروان أ هذا ألذى تشتم شر الناس قال لا ولكنه خير الناس . [صفحه ٢٢١] وروى أبوغسان أيضا قال قال عمر بن عبدالعزيز كان أبى يخطب فلايزال مستمرا فى خطبته حتى إذاصار إلى ذكر على وسبه تقطع لسانه واصفر وجهه وتغيرت حاله فقلت له فى ذلك فقال أ و قدفطنت لذلك إن هؤلاء لويعلمون من على مايعلمه أبوك ماتبعنا منهم رجل . وروى أبوعثمان قال حدثنا أبواليقظان قال قام رجل من ولد عثمان إلى هشام بن عبدالملك يوم عرفة فقال إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبى تراب . وروى عمرو بن الفناد عن محمد بن فضيل عن أشعث بن سوار قال سب عدى بن أرطاة عليا ع على المنبر فبكى الحسن البصرى و قال لقد سب هذااليوم رجل إنه لأخو رسول الله ص فى الدنيا والآخرة. وروى عدى بن ثابت عن إسماعيل بن ابراهيم قال كنت أنا و ابراهيم بن يزيد جالسين فى الجمعة مما يلى أبواب كندة فخرج المغيرة فخطب فحمد الله ثم ذكر ماشاء أن يذكر ثم وقع فى على ع فضرب ابراهيم على فخذى أوركبتى ثم قال أقبل على فحدثنى فإنا لسنا فى جمعة أ لاتسمع ما يقول هذا. وروى عبد الله بن عثمان الثقفى قال حدثنا ابن أبى سيف قال قال ابن لعامر بن عبد الله بن الزبير لولده لاتذكر يابنى عليا إلابخير فإن بنى أمية لعنوه على منابرهم ثمانين سنة فلم يزده الله بذلك إلارفعة إن الدنيا لم تبن شيئا قط إلارجعت على مابنت فهدمته و إن الدين لم يبن شيئا قط وهدمه . وروى عثمان بن سعيد قال حدثنامطلب بن زياد عن أبى بكر بن عبد الله الأصبهانى قال كان دعى لبنى أمية يقال له خالد بن عبد الله لايزال يشتم عليا ع [صفحه ٢٢٢] فلما كان يوم جمعة و هويخطب الناس قال و الله إن كان رسول الله ليستعمله وإنه ليعلم ما هو ولكنه كان ختنه و قدنعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه ثم قال ويحكم ما قال هذاالخبيث رأيت القبر انصدع و رسول الله ص يقول كذبت ياعدو الله . وروى القناد قال حدثناأسباط بن نصر الهمدانى عن السدى قال بينما أنابالمدينة عندأحجار الزيت إذ أقبل راكب على بعير فوقف فسب عليا ع فخف به الناس ينظرون إليه فبينما هوكذلك إذ أقبل سعد بن أبى وقاص فقال أللهم إن كان سب عبدا لك صالحا فأر المسلمين خزيه فما لبث أن نفر به بعيره فسقط فاندقت عنقه . وروى عثمان بن أبى شيبة عن عبد الله بن موسى عن فطر بن خليفة عن أبى عبد الله الجدلى قال دخلت على أم سلمة رحمها الله فقالت لى أيسب رسول الله ص فيكم وأنتم أحياء قلت وأنى يكون هذاقالت أ ليس يسب على ع و من يحبه . وروى العباس بن بكار الضبى قال حدثنى أبوبكر الهذلى عن الزهرى قال قال ابن عباس لمعاوية أ لاتكف عن شتم هذا الرجل قال ماكنت لأفعل حتى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير فلما ولى عمر بن عبدالعزيز كف عن شتمه فقال الناس ترك السنة. قال و قدروى عن ابن مسعود إما موقوفا عليه أومرفوعا كيف أنتم إذاشملتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيهاالكبير يجرى عليها الناس فيتخذونها سنة فإذا غيرمنها شىءقيل غيرت السنة. [صفحه ٢٢٣] قال أبو جعفر و قدتعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولا_ أودينا لهوى فيحملون الناس على ذلك حتى لا_يعرفوا غيره كنحو ماأخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود و أبى بن كعب وتوعد على ذلك بدون ماصنع هو وجبابرة بنى أمية وطغاة مروان بولد على ع وشيعته وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ونشأ أبناؤهم و لايعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها وكف المعلمين عن تعليمها حتى لوقرأت عليهم قراءة عبد الله و أبى ماعرفوها ولظنوا بتأليفها الاستكراه

والاستهجان لإلف العادة وطول الجهالة لأنه إذااستولت على الرعية الغلبة وطالت عليهم أيام التسلط وشاعت فيهم المخافة وشملتهم التقية اتفقوا على التخاذل والتساكت فلاتزال الأيام تأخذ من بصائرهم وتنقص من ضمائرهم وتنقض من مرائرهم حتى تصير البدعة التى أحدثوها غامرة للسنة التى كانوا يعرفونها ولقد كان الحجاج و من ولاه كعبد الملك والوليد و من كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بنى أمية على إخفاء محاسن على ع وفضائله وفضائل ولده وشيعته وإسقاط أقدارهم أحرص منهم على إسقاط قراءة عبد الله و أبى لأن تلك القراءات لاتكون سببا لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم و فى اشتهار فضل على ع وولده وإظهار محاسنهم بوارهم وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم فحرصوا واجتهدوا فى إخفاء فضائله وحملوا الناس على كتمانها وسترها وأبى الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلااستنارة وإشراقا وحبهم إلاشغفا وشدة وذكرهم إلاانتشارا وكثرة وحجتهم إلاوضوحا وقوة وفضلهم إلاظهورا وشأنهم إلاعلوا وأقدارهم إلاإعظاما حتى أصبحوا بإهانتهم إياهم أعزاء وبإماتتهم ذكرهم أحياء و ماأرادوا به وبهم من الشر تحول خيرا فانتهى إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه ما لم يتقدمه السابقون و لاساواه فيه القاصدون و لايلحقه الطالبون و لو لاأنها كانت [صفحه ۲۲۴] كالقبلة المنصوبة فى الشهرة وكالسنن المحفوظة فى الكثرة لم يصل إلينا منها فى دهرنا حرف واحد إذا كان الأمر كماوصفناه . قال فأما مااحتج به الجاحظ بإمامة أبى بكر بكونه أول الناس إسلاما فلو كان هذااحتجاجا صحيحا لاحتج به أبوبكر يوم السقيفة و مارأيناه صنع ذلك لأنه أخذ بيد عمر ويد أبى عبيدة بن الجراح و قال للناس قدرضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا منهما من شئتم و لو كان هذااحتجاجا صحيحا لما قال عمر كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله شرها و لو كان احتجاجا صحيحا لادعى واحد من الناس لأبى بكر الإمامة فى عصره أو بعدعصره بكونه سبق إلى الإسلام و ماعرفنا أحدا ادعى له ذلك على أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبابكر أسلم إلا بعدعدة من الرجال منهم على بن أبى طالب و جعفرأخوه وزيد بن حارثة و أبوذر الغفارى وعمرو بن عنبسة السلمى وخالد بن سعيد بن العاص وخباب بن الأرت و إذاتأملنا الروايات الصحيحة والأسانيد القوية والوثيقة وجدناها كلها ناطقة بأن عليا ع أول من أسلم .فأما الرواية عن ابن عباس أن أبابكر أولهم إسلاما فقد روى عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رووا وأشهر فمن ذلك مارواه يحيى بن حماد عن أبى عوانة وسعيد بن عيسى عن أبى داود الطيالسى عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس أنه قال أول من صلى من الرجال على ع . و روى الحسن البصرى قال حدثناعيسى بن راشد عن أبى بصير عن عكرمة عن ابن عباس قال فرض الله تعالى الاستغفار لعلى ع فى القرآن -روايت-۱-۲-روايت-۸۶-ادامه دارد [صفحه ۲۲۵] على كل مسلم بقوله تعالى رَبَّنَا اغفِر لَنا وَ لِإِخوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالإِيمانِفكل من أسلم بعد على فهو يستغفر لعلى ع -روايت-از قبل-۱۳۷ روى سفيان بن عيينة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال السباق ثلاثة سبق يوشع بن نون إلى موسى وسبق صاحب يس إلى عيسى وسبق على بن أبى طالب إلى محمد عليه وعليهم السلام -روايت-۱-۲-روايت-۷۰-۱۹۷ .فهذا قول ابن عباس فى سبق على ع إلى الإسلام و هوأثبت من حديث الشعبى وأشهر على أنه قدروى عن الشعبى خلاف ذلك من حديث أبى بكر الهذلى وداود بن أبى هند عن الشعبى قال قال رسول الله ص لعلى ع هذاأول من آمن بى وصدقنى وصلى معى -روايت-۱-۲-روايت-۵۳-۱۲۱ . قال فأما الأخبار الواردة بسبقه إلى الإسلام المذكورة فى الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بهافمنها ماروى شريك بن عبد الله عن سليمان بن المغيرة عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود أنه قال أول شىءعلمته من أمر رسول الله ص أنى قدمت مكة مع عمومة لى وناس من قومى و كان من أنفسنا شراء عطر فأرشدنا إلى العباس بن عبدالمطلب فانتهينا إليه و هوجالس إلى زمزم فبينا نحن عنده جلوسا إذ أقبل رجل من باب الصفا و عليه ثوبان أبيضان و له وفرة إلى أنصاف أذنيه جعدة أشم أقنى أدعج العينين كث اللحية براق الثنايا أبيض تعلوه حمرة كأنه القمر ليلة البدر و على يمينه غلام مراهق أومحتلم حسن الوجه تقفوهم امرأة قدسترت محاسنها حتى قصدوا نحو الحجر فاستلمه واستلمه الغلام ثم استلمته المرأة ثم طاف بالبيت سبعا والغلام والمرأة

يطوفـان معه ثم اسـتقبل الحجر [صـفحه ۲۲۶] فقـام ورفع يـديه وكبر وقـام الغلام إلى جـانبه وقامت المرأة خلفها فرفعت يـديها وكبرت فأطـال القنوت ثم ركع وركع الغلام والمرأة ثم رفع رأسه فأطال ورفع الغلام والمرأة معه يصـنعان مثل مايصـنع فلما رأينا شيئا ننكره لانعرفه بمكـة أقبلنا على العباس فقلنا يا أباالفضل إن هذاالـدين ماكنا نعرفه فيكم قال أجل و الله قلنا فمن هـذا قال هذا ابن أخى هـذا محمـد بن عبد الله و هذاالغلام ابن أخى أيضا هذا على بن أبى طالب و هذه المرأة زوجة محمد هذه خديجة بنت خويلـد و الله ما على وجه الأرض أحـد يـدين بهـذا الـدين إلاهؤلاء الثلاثـة و من حـديث موسـى بن داود عن خالـد بن نافع عن عفيف بن قيس الكندى و قدرواه عن عفيف أيضا مالك بن إسماعيل النهدى و الحسن بن عنبسة الوراق و ابراهيم بن محمد بن ميمونة قالوا جميعا حدثناسعيد بن جشم عن أسد بن عبد الله البجلى عن يحيى بن عفيف بن قيس عن أبيه قال كنت فى الجاهلية عطارا فقدمت مكة فنزلت على العباس بن عبدالمطلب فبينا أناجالس عنده أنظر إلى الكعبة و قدتحلقت الشـمس فى السـماء أقبل شاب كان فى وجهه القمر حتى رمى ببصـره إلى السـماء فنظر إلى الشمس ساعة ثم أقبل حتى دنا من الكعبة فصف قدميه يصلى فخرج على أثره فتى كأن وجهه صـفيحة يمانيـة فقام عن يمينه فجاءت امرأة متلففة فى ثيابها فقامت خلفهما فأهوى الشاب راكعا فركعـا معـه ثـم أهـوى إلى الأـرض ساجـدا فسـجدا معه فقلت للعبـاس يـا أباالفضـل أمر عظيم فقـال أمر و الله عظيم أتـدرى من هذاالشاب قلت لا قال هذا ابن أخى هذا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب أتدرى من هذاالفتى قلت لا قال هذا ابن أخى على بن أبى طالب بن عبدالمطلب أتدرى من المرأة قلت لا قال هذه ابنة خويلد بن أسد بن عبدالعزى هذه خديجة زوج محمد هذا و إن محمدا هذايذكر أن إلهه إله السـماء و الأرض وأمره بهذا الدين فهو عليه كماترى [صفحه ۲۲۷] ويزعم أنه نبى و قدصدقه على قوله على ابن عمه هـذاالفتى وزوجته خديجة هـذه المرأة و الله مـاأعلم على وجه الأـرض كلهـا أحـدا على هذاالـدين غيرهؤلاـء الثلاثة قال عفيف فقلت له فما تقولون أنتم قال ننتظر الشـيخ مايصـنع يعنى أباطالب أخاه . و روى عبد الله بن موسـى والفضل بن دكين و الحسن بن عطية قالوا حدثناخالد بن طهمان عن نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار قال كنت أوصـى النبى ص فقال لى هل لك أن نعود فاطمة قلت نعم يا رسول الله فقام يمشـى متوكئا على و قال أماإنه سيحمل ثقلها غيرك و يكون أجرها لك قال فو الله كأنه لم يكن على من ثقل النبى ص شـىءفدخلنا على فاطمـة ع فقال لهاص كيف تجدينك قالت لقد طال أسـفى واشـتد حزنى و قال لى النساء زوجك أبوك فقيرا لامال له فقال لها أ ماترضـين أنى زوجتك أقدم أمتى سـلما وأكثرهم علما وأفضلهم حلما قالت بلى رضـيت يا رسول الله و قدروى هذاالخبر يحيى بن عبدالحميد و عبد السـلام بن صالح عن قيس بن الربيع عن أبى أيوب الأنصارى بألفاظه أونحوها -روايت-۱-۲-روايت-۱۳۲-۶۸۷ روى عبد السلام بن صالح عن إسحاق الأزرق عن جعفر بن محمـد عن آبـائه أن رسول الله ص لمـازوج فاطمـة دخـل النسـاء عليهـا فقلن يـابنت رسول الله خطبك فلان وفلان فردهم عنك وزوجـك فقيرا لامـال له فلمـا دخـل عليهـا أبوهـاص رأى ذلك فى وجهها فسألها فـذكرت له ذلك فقال يافاطمـة إن الله أمرنى فأنكحتك أقـدمهم سـلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما و مازوجتك إلابأمر من السـماء أ ماعلمت أنه أخى فى الدنيا والآخرة -روايت-۱-۲-روايت-۷۴-۴۱۷ [صفحه ۲۲۸] روى عثمان بن سعيد عن الحكم بن ظهير عن السدى أن أبابكر وعمر خطبا فاطمة ع فردهما رسول الله ص و قال لم أومر بـذلك فخطبها على ع فزوجه إياها و قال لها زوجتك أقدم الأمة إسـلاما -روايت-۱-۲-روايت-۵۰-۱۸۶ وذكر تمام الحديث قال و قدروى هذاالخبر جماعة من الصحابة منهم أسماء بنت عميس وأم أيمن و ابن عباس وجابر بن عبـد الله . قال و قـدروى محمـد بن عبـد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده أبى رافع قال أتيت أباذر بالربذة أودعه فلما أردت الانصـراف قال لى ولأناس معى سـتكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشـيخ على بن أبى طالب فاتبعوه فإنى سـمعت رسول الله ص يقول له أنت أول من آمن بى وأول من يصـافحنى يوم القيامـة و أنت الصـديق الأكبر و أنت الفاروق ألـذى يفرق بين الحق والباطـل و أنـت يعسـوب المـؤمنين والمـال يعسـوب الكـافرين و أنت أخى ووزيرى وخير من أترك بعـدى تقضـى دينى وتنجز

موعدی -روایت-۱-۲-روایت-۸۳-۴۸۸ روی ابن أبی شیبة عن عبد الله بن نمیر عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله الأسدی قال سمعت علی بن أبی طالب یقول أنا عبد الله وأخو رسوله و أناالصدیق الأکبر لایقولها غیری إلاکذاب ولقد صلیت قبل الناس سبع سنین -روایت-۱-۲-روایت-۱۴۶-۲۵۰ روت معاذة بنت عبد الله العدویة قالت سمعت علیا ع یخطب علی منبر البصرة و یقول أناالصدیق الأکبر آمنت قبل أن یؤمن أبوبکر وأسلمت قبل أن یسلم -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-۱۵۱ روی حبة بن جوین العرنی أنه سمع علیا ع یقول أناأول رجل أسلم -روایت-۱-۲-روایت-۵۱-ادامه دارد [صفحه ۲۲۹] مع رسول الله ص -روایت-از قبل-۲۲ رواه أبوداود الطیالسی عن شعبة عن سفیان الثوری عن سلمة بن کهیل عن حبة بن جوین و روی عثمان بن سعید الخراز عن علی بن حرار عن علی بن عامر عن أبی الحجاف عن حکیم مولی زاذان قال سمعت علیا ع یقول صلیت قبل الناس سبع سنین وکنا نسجد و لانرکع وأول صلاة رکعنا فیهاصلاة العصر فقلت یا رسول الله ما هذا قال أمرت به -روایت-۱-۲-روایت-۱۲۵-۲۴۷ روی إسماعیل بن عمرو عن قیس بن الربیع عن عبد الله بن محمد بن عقیل عن جابر بن عبد الله قال صلی رسول الله ص یوم الإثنین وصلی علی یوم الثلاثاء بعده -روایت-۱-۲-روایت-۱۰۲-۱۶۵ عن أنس بن مالک استنبئ النبی ص یوم الإثنین وأسلم علی یوم الثلاثاء بعده -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۸۲ روی أبورافع أن رسول الله ص صلی أول صلاة صلاها غداة الإثنین وصلت خدیجة آخر نهار یومها ذلک وصلی علی ع یوم الثلاثاء غدا ذلک الیوم -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۱۴۴ . قال و قدروی بروایات مختلفة کثیرة متعددة عن زید بن أرقم وسلمان الفارسی وجابر بن عبد الله وأنس بن مالک أن علیا ع أول من أسلم وذکر الروایات والرجال بأسمائهم و روی سلمة بن کهیل عن رجاله الذین ذکرهم أبو جعفر فی الکتاب أن رسول الله ص قال أولکم ورودا علی الحوض أولکم إسلاما علی بن أبی طالب -روایت-۱-۲-روایت-۸۹-۱۴۶ روی یاسین بن محمد بن أیمن عن أبی حازم مولی ابن عباس عن ابن عباس -روایت-۱-۲ [صفحه ۲۳۰] قال سمعت عمر بن الخطاب و هو یقول کفوا عن علی بن أبی طالب فإنی سمعت من رسول الله ص یقول فیه خصالا لو أن خصلة منها فی جمیع آل الخطاب کان أحب لی مما طلعت علیه الشمس کنت ذات یوم و أبوبکر وعثمان و عبدالرحمن بن عوف و أبوعبیدة مع نفر من أصحاب رسول الله ص نطلبه فانتهینا إلی باب أم سلمة فوجدنا علیا متکئا علی نجاف الباب فقلنا أردنا رسول الله ص فقال هو فی البیت رویدکم فخرج رسول الله ص فسرنا حوله فاتکأ علی علی ع وضرب بیده علی منکبه فقال أبشر یا علی بن أبی طالب إنک مخاصم وإنک تخصم الناس بسبع لایجاریک أحد فی واحدة منهن أنت أول الناس إسلاما وأعلمهم بأیام الله -روایت-۳۹-۶۱۸ وذکر الحدیث . قال و قدروی أبوسعید الخدری عن النبی ص مثل هذاالحدیث . قال روی أبوأیوب الأنصاری عن رسول الله ص أنه قال لقد صلت الملائکة علی و علی علی ع سبع سنین و ذلک أنه لم یصل معی رجل فیهاغیره -روایت-۱-۲-روایت-۵۵-۱۴۳ . قال أبو جعفرفأما مارواه الجاحظ من قوله ص إنما تبعنی حر و عبد -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۳ فإنه لم یسم فی هذاالحدیث أبابکر وبلالا وکیف و أبوبکر لم یشتر بلالا إلا بعدظهور الإسلام بمکة فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمیة بن خلف و لم یکن ذلک حال إخفاء رسول الله ص الدعوة و لا فی ابتداء أمر الإسلام . [صفحه ۲۳۱] و قدقیل إنه ع إنما عنی بالحر علی بن أبی طالب وبالعبد زید بن حارثة. وروی ذلک محمد بن إسحاق قال و قدروی إسماعیل بن نصر الصفار عن محمد بن ذکوان عن الشعبی قال قال الحجاج للحسن وعنده جماعة من التابعین وذکر علی بن أبی طالب ماتقول أنت یاحسن فقال ماأقول هوأول من صلی إلی القبلة وأجاب دعوة رسول الله ص و إن لعلی منزلة من ربه وقرابة من رسوله و قدسبقت له سوابق لایستطیع ردها أحد فغضب الحجاج غضبا شدیدا وقام عن سریره فدخل بعض البیوت وأمر بصرفنا. قال الشعبی وکنا جماعة مامنا إلا من نال من علی ع مقاربة للحجاج غیر الحسن بن أبی الحسن رحمه الله . وروی محرز بن هشام عن ابراهیم بن سلمة عن محمد بن عبید الله قال قال رجل للحسن مالنا لانراک تثنی علی علی وتقرظه قال کیف وسیف الحجاج یقطر دما إنه لأول من أسلم

وحسبكم بذلك . قال فهذه الأخبار. و أماالأشعار المروية فمعروفة كثيرة منتشرة فمنها قول عبد الله بن أبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب مجيبا للوليد بن عقبة بن أبى معيط و إن ولى الأمر بعد محمد || على و فى كل المواطن صاحبه وصى رسول الله حقا وصنوه || وأول من صلى و من لان جانبه . و قال خزيمة بن ثابت فى هذا وصى رسول الله من دون أهله || وفارسه مذ كان فى سالف الزمن وأول من صلى من الناس كلهم || سوى خيرة النسوان و الله ذو منن . [صفحه ۲۳۲] و قال أبوسفيان بن حرب بن أمية بن عبدشمس حين بويع أبوبكر ماكنت أحسب أن الأمر منصرف || عن هاشم ثم منها عن أبى حسن أ ليس أول من صلى لقبلتهم || وأعلم الناس بالأحكام والسنن . و قال أبوالأسود الدؤلى يهدد طلحة والزبير و إن عليا لكم مصحر || يماثله الأسد الأسود أماإنه أول العابدين || بمكة و الله لايعبد . و قال سعيد بن قيس الهمدانى يرتجز بصفين هذا على و ابن عم المصطفى || أول من أجابه فيما روى هوالإمام لايبالى من غوى . و قال زفر بن يزيد بن حذيفة الأسدى فحوطوا عليا وانصروه فإنه || وصى و فى الإسلام أول أول و إن تخذلوه والحوادث جمة || فليس لكم عن أرضكم متحول قال والأشعار كالأخبار إذاامتنع فى مجىء القبيلين التواطؤ والاتفاق كان ورودهما حجة فأما قول الجاحظ فأوسط الأمور أن نجعل إسلامهما معا فقد أبطل بهذا مااحتج به لإمامة أبى بكر لأنه احتج بالسبق و قدعدل الآن عنه . قال أبو جعفر ويقال لهم لسنا نحتاج من ذكر سبق على ع إلامجامعتكم إيانا على أنه أسلم قبل الناس ودعواكم أنه أسلم و هوطفل دعوى غيرمقبولة لابحجة. فإن قلتم ودعوتكم أنه أسلم و هوبالغ دعوى غيرمقبولة إلابحجة [صفحه ۲۳۳] قلنا قدثبت إسلامه بحكم إقراركم و لو كان طفلا لكان فى الحقيقة غيرمسلم لأن اسم الإيمان والإسلام والكفر والطاعة والمعصية إنما يقع على البالغين دون الأطفال والمجانين و إذاأطلقتم وأطلقنا اسم الإسلام فالأصل فى الإطلاق الحقيقة كيف و قد قال النبى ص أنت أول من آمن بى و أنت أول من صدقنى -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۶۴ قال لفاطمة زوجتك أقدمهم سلما أو قال إسلاما -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۴۸ فإن قالوا إنما دعاه النبى ص إلى الإسلام على جهة العرض لاالتكليف .قلنا قدوافقتمونا على الدعاء وحكم الدعاء حكم الأمر والتكليف ثم ادعيتم أن ذلك كان على وجه العرض و ليس لكم أن تقبلوا معنى الدعاء عن وجهه إلاالحجة. فإن قالوا لعله كان على وجه التأديب والتعليم كمايعتمد مثل ذلك مع الأطفال قلنا إن ذلك إنما يكون إذاتمكن الإسلام بأهله أو عندالنشوء عليه والولادة فيه فأما فى دار الشرك فلايقع مثل ذلك لاسيما إذا كان الإسلام غيرمعروف و لامعتاد بينهم على أنه ليس من سنة النبى ص دعاء أطفال المشركين إلى الإسلام والتفريق بينهم و بين آبائهم قبل أن يبلغوا الحلم . وأيضا فمن شأن الطفل اتباع أهله وتقليد أبيه والمضى على منشئه ومولده و قدكانت منزلة النبى ص حينئذ منزلة ضيق وشدة ووحدة و هذه منازل لاينتقل إليها إلا من ثبت الإسلام عنده بحجة ودخل اليقين قلبه بعلم ومعرفة. فإن قالوا إن عليا ع كان يألف النبى ص فوافقه على طريق المساعدة له قلنا إنه و إن كان يألفه أكثر من أبويه وإخوته وعمومته و أهل بيته و لم يكن الإلف ليخرجه عما نشأ عليه و لم يكن الإسلام مما غذى به وكرر على سمعه [صفحه ۲۳۴] لأن الإسلام هوخلع الأنداد والبراءة ممن أشرك بالله و هذا لايجتمع فى اعتقاد طفل . و من العجب قول العباس لعفيف بن قيس ننتظر الشيخ و مايصنع فإذا كان العباس وحمزة ينتظران أباطالب ويصدران عن رأيه فكيف يخالفه ابنه ويؤثر القلة على الكثرة ويفارق المحبوب إلى المكروه والعز إلى الذل والأمن إلى الخوف عن غيرمعرفة و لاعلم بما فيه .فأما قوله إن المقلل يزعم أنه أسلم و هو ابن خمس سنين والمكثر يزعم أنه أسلم و هو ابن تسع سنين فأول مايقال فى ذلك إن الأخبار جاءت فى سنه ع يوم أسلم على خمسة أقسام فجعلناه فى قسمين القسم الأول الذين قالوا أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة حدثنابذلك أحمد بن سعيد الأسدى عن إسحاق بن بشر القرشى عن الأوزاعى عن حمزة بن حبيب عن شداد بن أوس قال سألت خباب بن الأرت عن إسلام على فقال أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة ولقد رأيته يصلى قبل الناس مع النبى ص و هويومئذ بالغ مستحكم البلوغ وروى عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أن أول من أسلم على بن أبى طالب و هو ابن

خمس عشرة سنة.القسم الثانی الذین قالوا إنه أسلم و هو ابن أربع عشرة سنة رواه أبوقتادة الحرانی عن أبی حازم الأعرج عن حذیفة بن الیمان قال کنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر و علی من أبناء أربع عشرة سنة قائم یصلی مع النبی ص لیلا ونهارا وقریش یومئذ تسافه رسول الله ص مایذب عنه إلا علی [صفحه ۲۳۵]ع وروی ابن أبی شیبة عن جریر بن عبدالحمید قال أسلم علی و هو ابن أربع عشرة سنة.القسم الثالث الذین قالوا أسلم و هو ابن إحدی عشرة سنة رواه إسماعیل بن عبد الله الرقی عن محمد بن عمر عن عبد الله بن سمعان عن جعفر بن محمد ع عن أبیه عن محمد بن علی ع أن علیا حین أسلم کان ابن إحدی عشرة سنة -روایت-۱-۲-روایت-۱۲۹-۱۷۳ روی عبد الله بن زیاد المدنی عن محمد بن علی الباقر ع قال أول من آمن بالله علی بن أبی طالب و هو ابن إحدی عشرة سنة وهاجر إلی المدینة و هو ابن أربع وعشرین سنة -روایت-۱-۲-روایت-۶۵-۱۷۳ .القسم الرابع الذین قالوا إنه أسلم و هو ابن عشر سنین رواه نوح بن دراج عن محمد بن إسحاق قال أول ذکر آمن وصدق بالنبوة علی بن أبی طالب ع و هو ابن عشر سنین ثم أسلم زید بن حارثة ثم أسلم أبوبکر و هو ابن ست وثلاثین سنة فیما بلغنا.القسم الخامس الذین قالوا إنه أسلم و هو ابن تسع سنین رواه الحسن بن عنبسة الوراق عن سلیم مولی الشعبی عن الشعبی قال أول من أسلم من الرجال علی بن أبی طالب و هو ابن تسع سنین و کان له یوم قبض رسول الله ص تسع وعشرون سنة. قال شیخنا أبو جعفرفهذه الأخبار کماتراها فإما أن یکون الجاحظ جهلها أوقصد العناد.فأما قوله فالقیاس أن نأخذ بأوسط الأمرین من الروایتین فنقول إنه أسلم و هو ابن سبع سنین فإن هذاتحکم منه ویلزمه مثله فی رجل ادعی قبل رجل عشرة [صفحه ۲۳۶] دراهم فأنکر ذلک و قال إنما یستحق قبلی أربعة دراهم فینبغی أن نأخذ الأمر المتوسط ویلزمه سبعة دراهم ویلزمه فی أبی بکر حیث قال قوم کان کافرا و قال قوم کان إماما عادلا أن نقول أعدل الأقاویل أوسطها و هومنزلة بین المنزلتین فنقول کان فاسقا ظالما وکذلک فی جمیع الأمور المختلف فیها.فأما قوله وإنما یعرف حق ذلک من باطله بأن نحصی سنی ولایة عثمان وعمر و أبی بکر وسنی الهجرة ومقام النبی ص بمکة بعدالرسالة إلی أن هاجر فیقال له لوکانت الروایات متفقة علی هذه التاریخات لکان لهذا القول مساغ ولکن الناس قداختلفوا فی ذلک فقیل إن رسول الله ص أقام بمکة بعدالرسالة خمس عشرة سنة رواه ابن عباس وقیل ثلاث عشرة سنة وروی عن ابن عباس أیضا وأکثر الناس یرونه وقیل عشر سنین رواه عرة بن الزبیر و هوقول الحسن البصری وسعید بن المسیب واختلفوا فی سن رسول الله ص فقال قوم کان ابن خمس وستین وقیل کان ابن ثلاث وستین وقیل کان ابن ستین واختلفوا فی سن علی ع فقیل کان ابن سبع وستین وقیل کان ابن خمس وستین وقیل ابن ثلاث وستین وقیل ابن ستین وقیل ابن تسع وخمسین .فکیف یمکن مع هذه الاختلافات تحقیق هذه الحال وإنما الواجب أن یرجع إلی إطلاق قولهم أسلم علی فإن هذاالاسم لا یکون مطلقا إلا علی البالغ کما لایطلق اسم الکافر إلا علی البالغ علی أن ابن إحدی عشرة سنة یکون بالغا ویولد له الأولاد فقد روت الرواة أن عمرو بن العاص لم یکن أسن من ابنه عبد الله [صفحه ۲۳۷] إلاباثنتی عشرة سنة و هذایوجب أنه احتلم وبلغ فی أقل من إحدی عشرة سنة. وروی أیضا أن محمد بن عبد الله بن العباس کان أصغر من أبیه علی بن عبد الله بن العباس بإحدی عشرة سنة فیلزم الجاحظ أن یکون عبد الله بن العباس حین مات رسول الله ص غیرمسلم علی الحقیقة و لامثاب و لامطیع بالإسلام لأنه کان ۰-یومئذ ابن عشر سنین رواه هشیم عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال توفی رسول الله ص و أنا ابن عشر سنین . قال الجاحظ فإن قالوا فلعله و هو ابن سبع سنین أوثمانی سنین قدبلغ من فطنته وذکائه وصحة لبه وصدق حدسه وانکشاف العواقب له و إن لم یکن جرب الأمور و لافاتح الرجال و لانازع الخصوم مایعرف به جمیع مایجب علی البالغ معرفته والإقرار به قیل لهم إنما نتکلم علی ظواهر الأحوال و ماشاهدنا علیه طبائع الأطفال فإنا وجدنا حکم ابن سبع سنین أوثمان ما لم یعلم باطن أمره وخاصة طبعه حکم الأطفال و لیس لنا أن نزیل ظاهر حکمه و ألذی نعرف من حال أفناء جنسه بلعل وعسی لأنا و إن کنا لاندری لعله قد کان ذا فضیلة فی الفطنة فلعله قد کان ذا نقص فیها. هذا علی تجویز أن یکون علی ع فی الغیب قدأسلم

و هو ابن سبع أوثمان إسلام البالغ غير أن الحكم على مجرى أمثاله وأشكاله الذين أسلموا وهم فى مثل سنه إذ كان إسلام هؤلاء عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس .فأما عندالتحقيق فإنه لاتجويز لمثل ذلك لأنه لو كان أسلم و هو ابن سبع [صفحه ۲۳۸] أوثمان وعرف فضل ما بين الأنبياء والكهنة وفرق ما بين الرسل والسحرة وفرق ما بين خبر النبى والمنجم و حتى عرف كيد الأريب وموضع الحجة و بعدغور المتنبئ كيف يلبس على العقلاء وتستمال عقول الدهماء وعرف الممكن فى الطبع من الممتنع و مايحدث بالاتفاق مما يحدث بالأسباب وعرف قدر القوى وغاية الحيلة ومنتهى التمويه والخديعة و ما لايحتمل أن يحدثه إلاالخالق سبحانه و مايجوز على الله فى حكمته مما لايجوز وكيف التحفظ من الهوى والاحتراس من الخداع لكان كونه على هذه الحال و هذه مع فرط الصبا والحداثة وقلة التجارب والممارسة خروجا من العادة و من المعروف مما عليه تركيب هذه الخلقة و ليس يصل أحد إلى معرفة نبى وكذب متنبئ حتى يجتمع فيه هذه المعارف التى ذكرناها والأسباب التى وصفناها وفصلناها و لو كان على ع على هذه الصفة ومعه هذه الخاصية لكان حجة على العامة وآية تدل على النبوة و لم يكن الله عز و جل ليخصه بمثل هذه الأعجوبة إلا و هويريد أن يحتج بها ويجعلها قاطعة لعذر الشاهد وحجة على الغائب و لو لا أن الله أخبر عن يحيى بن زكريا أنه آتاه الحكم صبيا و أنه أنطق عيسى فى المهد ماكانا فى الحكم و لا فى المغيب إلاكسائر الرسل و ما عليه جميع البشر فإذا لم ينطق لعلى ع بذلك قرآن و لاجاء الخبر به مجيء الحجة القاطعة والمشاهدة القائمة فالمعلوم عندنا فى الحكم أن طباعه كطباع عميه حمزة والعباس وهما أمس بمعدن جماع الخير منه أوكطباع جعفر وعقيل من رجال قومه وسادة رهطه و لو أن إنسانا ادعى مثل ذلك لأخيه جعفر أولعميه حمزة والعباس ما كان عندنا فى أمره إلامثل ماعندنا فيه أجاب شيخنا أبو جعفررحمه الله فقال هذاكله مبنى على أنه أسلم و هو ابن سبع أوثمان ونحن قدبينا أنه أسلم بالغا ابن خمس عشرة سنة أو ابن أربع عشرة سنة على [صفحه ۲۳۹] أنا لونزلنا على حكم الخصوم وقلنا ما هوالأشهر والأكثر من الرواية و هو أنه أسلم و هو ابن عشر لم يلزم ماقاله الجاحظ لأن ابن عشر قديستجمع عقله ويعلم من مبادئ المعارف مايستخرج به كثيرا من الأمور المعقولة ومتى كان الصبى عاقلا مميزا كان مكلفا بالعقليات و إن كان تكليفه بالشرعيات موقوفا على حد آخر وغاية أخرى فليس بمنكر أن يكون على ع و هو ابن عشر قدعقل المعجزة فلزمه الإقرار بالنبوة وأسلم إسلام عالم عارف لاإسلام مقلد تابع و إن كان مانسقه الجاحظ وعدده من معرفة السحر والنجوم والفصل بينهما و بين النبوة ومعرفة مايجوز فى الحكمة مما لايجوز و ما لايحدثه إلاالخالق والفرق بينه و بين مايقدر عليه القادرون بالقدرة ومعرفة التمويه والخديعة والتلبيس والمماكرة شرطا فى صحة الإسلام لماصح إسلام أبى بكر و لاعمر و لاغيرهما من العرب وإنما التكليف لهؤلاء بالجمل ومبادئ المعارف لابدقائقها والغامض منها و ليس يفتقر الإسلام إلى أن يكون المسلم قدفاتح الرجال وجرب الأمور ونازع الخصوم وإنما يفتقر إلى صحة الغريزة وكمال العقل وسلامة الفطرة أ لاترى أن طفلا لونشأ فى دار لم يعاشر الناس بها و لافاتح الرجال و لانازع الخصوم ثم كمل عقله وحصلت العلوم البديهية عنده لكان مكلفا بالعقليات .فأما توهمه أن عليا ع أسلم عن تربية الحاضن وتلقين القيم ورياضة السائس فلعمرى إن محمداص كان حاضنه وقيمه وسائسه ولكن لم يكن منقطعا عن أبيه أبى طالب و لا عن إخوته طالب وعقيل و جعفر و لا عن عمومته و أهل بيته و مازال مخالطا لهم ممتزجا بهم مع خدمته لمحمدص فما باله لم يمل إلى الشرك وعبادة الأصنام لمخالطته إخوته وأباه وعمومته وأهله وهم كثير و محمدص واحد و أنت تعلم أن الصبى إذا كان له أهل ذوو كثرة وفيهم واحد [صفحه ۲۴۰] يذهب إلى رأى مفرد لايوافقه عليه غيره منهم فإنه إلى ذوى الكثرة أميل و عن ذى الرأى الشاذ المنفرد أبعد و على أن عليا ع لم يولد فى دار الإسلام وإنما ولد فى دار الشرك وربى بين المشركين وشاهد الأصنام وعاين بعينه أهله ورهطه يعبدونها فلو كان فى دار الإسلام لكان فى القول مجال ولقيل إنه ولد بين المسلمين فإسلامه عن تلقين الظئر و عن سماع كلمة الإسلام ومشاهدة شعاره لأنه لم يسمع غيره و لاخطر بباله سواه فلما لم يكن ولد كذلك ثبت أن إسلامه

إسلام المميز العارف بما دخل عليه و لو لا أنه كذلك لمامدحه رسول الله ص بذلك و لاأرضى ابنته فاطمة لماوجدت من تزويجه بقوله لها زوجتك أقدمهم سلما و لاقرن إلى قوله وأكثرهم علما وأعظمهم حلما والحلم العقل وهذان الأمران غاية الفضل فلو لا أنه أسلم إسلام عارف عالم مميز لماضم إسلامه إلى العلم والحلم اللذين وصفه بهما وكيف يجوز أن يمدحه بأمر لم يكن مثابا عليه و لامعاقبا به لوتركه و لو كان إسلامه عن تلقين وتربية لماافتخر هو ع به على رءوس الأشهاد و لاخطب على المنبر و هو بين عدو ومحارب وخاذل منافق فقال أنا عبد الله وأخو رسوله و أناالصديق الأكبر والفاروق الأعظم صليت قبل الناس سبع سنين وأسلمت قبل إسلام أبى بكر وآمنت قبل إيمانه فهل بلغكم أن أحدا من أهل ذلك العصر أنكر ذلك أوعابه أوادعاه لغيره أو قال له إنما كنت طفلا أسلمت على تربية محمدص ذلك وتلقينه إياك كمايعلم الطفل الفارسية والتركية منذ يكون رضيعا فلافخر له فى تعلم ذلك وخصوصا فى عصر قدحارب فيه أهل البصرة والشام والنهروان و قداعتورته الأعداء وهجته الشعراء فقال فيه النعمان بن بشير [صفحه ۲۴۱] لقد طلب الخلافة من بعيد || وسارع فى الضلال أبوتراب معاوية الإمام و أنت منها || على وتح بمنقطع السراب و قال فيه أيضا بعض الخوارج دسسنا له تحت الظلام ابن ملجم || جزاء إذا ماجاء نفسا كتابها أباحسن خذها على الرأس ضربة || بكف كريم بعدموت ثوابها . و قال عمران بن حطان يمدح قاتله ياضربة من تقى ماأراد بها || إلاليبلغ من ذى العرش رضوانا إنى لأذكره حينا فأحسبه || أوفى البرية عند الله ميزانا فلو وجد هؤلاء سبيلا إلى دحض حجة فيما كان يفخر به من تقدم إسلامه لبدءوا بذلك وتركوا ما لامعنى له . و قدأوردنا مامدحه الشعراء به من سبقه إلى الإسلام فكيف لم يرد على هؤلاء الذين مدحوه بالسبق شاعر واحد من أهل حربه ولقد قال فى أمهات الأولاد قولا خالف فيه عمر فذكروه بذلك وعابوه فكيف تركوا أن يعيبوه بما كان يفتخر به مما لافخر فيه عندهم وعابوه بقوله فى أمهات الأولاد. ثم يقال له خبرنا عن عبد الله بن عمر و قدأجازه النبى ص يوم الخندق و لم يجزه يوم أحد هل كان يميز ماذكرته وهل كان يعلم فرق ما بين النبى والمتنبئ ويفصل بين السحر والمعجزة إلى غيره مما عددت وفصلت . فإن قال نعم وتجاسر على ذلك قيل له فعلى ع بذلك أولى من ابن عمر لأنه أذكى وأفطن بلا خلاف بين العقلاء وأنى يشك فى ذلك و قدرويتم أنه [صفحه ۲۴۲] لم يميز بين الميزان والعود بعدطول السن وكثرة التجارب و لم يميز أيضا بين إمام الرشد وإمام الغى فإنه امتنع من بيعة على ع وطرق على الحجاج بابه ليلا ليبايع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليلة بلا إمام زعم لأنه روى عن النبى ص أنه قال من مات و لاإمام له مات ميتة جاهلية و حتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش فقال أصفق بيدك عليها فذلك تمييزه بين الميزان والعود و هذااختياره فى الأئمة وحال على ع فى ذكائه وفطنته وتوقد حسه وصدق حدسه معلومة مشهورة فإذاجاز أن يصح إسلام ابن عمر ويقال عنه إنه عرف تلك الأمور التى سردها الجاحظ ونسقها وأظهر فصاحته وتشدقه فيهافعلى بمعرفة ذلك أحق وبصحة إسلامه أولى . و إن قال لم يكن ابن عمر يعلم ويعرف ذلك فقد أبطل إسلامه وطعن فى رسول الله ص حيث حكم بصحة إسلامه وأجازه يوم الخندق لأنه ع كان قال لاأجيز إلاالبالغ العاقل ولذلك لم يجزه يوم أحد. ثم يقال له إن مانقوله فى بلوغ على ع الحد الذى يحسن فيه التكليف العقلى بل يجب و هو ابن عشر سنين ليس بأعجب من مجيء الولد لستة أشهر و قدصحح ذلك أهل العلم واستنبطوه من الكتاب و إن كان خارجا من التعارف والتجارب والعادة وكذلك مجيء الولد لسنتين خارج أيضا عن التعارف والعادة و قدصححه الفقهاء و الناس . ويروى أن معاذا لمانهى عمر عن رجم الحامل تركها حتى ولدت غلاما قدنبتت ثنيتاه فقال أبوه ابنى ورب الكعبة فثبت ذلك سنة يعمل بهاالفقهاء و قدوجدنا العادة تقضى بأن الجارية تحيض لاثنتى عشرة سنة و أنه أقل سن تحيض فيه المرأة و قد [صفحه ۲۴۳] يكون فى الأقل نساء يحضن لعشر ولتسع و قدذكر ذلك الفقهاء و قد قال الشافعى فى اللعان لوجاءت المرأة بحمل وزوجها صبى له دون عشر سنين لم يكن ولدا له لأن من لم يبلغ عشر سنين من الصبيان لايولد له و إن كان له عشر سنين جاز أن يكون الولد له و كان بينهما لعان إذا لم يقر به . و قال

الفقهاء أيضا إن نساء تهامة يحضن لتسع سنين لشدة الحر ببلادهن . قال الجاحظ و لو لم يعرف باطل هذه الدعوى من آثر التقوى وتحفظ من الهوى إلابتر كـ على ع ذكر ذلك لنفسه والاحتجاج به على خصمه و قدنازع الرجال وناوى الأكفاء وجامع أهل الشورى لكان كافيا ومتى لم تصح لعلى ع هذه الدعوى فى أيامه و لم يذكرها أهل عصره فهى عن ولده أعجز ومنهم أضعف . و لم ينقل أن عليا ع احتج بذلك فى موقف و لاذكره فى مجلس و لاقام به خطيبا و لاأدلى به واثقا لاسيما و قدرضيه الرسول ص عندكم مفزعا ومعلما وجعله للناس إماما و لاادعى له أحد ذلك فى عصره كما لم يدعه لنفسه حتى يقول إنسان واحد الدليل على إمامته أن النبى ص دعاه إلى الإسلام أوكلفه التصديق قبل بلوغه ليكون ذلك آية للناس فى عصره وحجة له ولولده من بعده فهذا كان أشد على طلحة والزبير وعائشة من كلماادعاه من فضائله وسوابقه وذكر قرابته . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله إن مثل الجاحظ مع فضله وعلمه لايخفى عليه كذب [صفحه ۲۴۴] هذه الدعوى وفسادها ولكنه يقول مايقوله تعصبا وعنادا و قدروى الناس كافة افتخار على ع بالسبق إلى الإسلام و أن النبى ص استنبئ يوم الإثنين وأسلم على يوم الثلاثاء و أنه كان يقول صليت قبل الناس سبع سنين و أنه مازال يقول أناأول من أسلم ويفتخر بذلك ويفتخر له به أولياؤه ومادحوه وشيعته فى عصره و بعدوفاته والأمر فى ذلك أشهر من كل شهير و قدقدمنا منه طرفا و ماعلمنا أحدا من الناس فيما خلا استخف بإسلام على ع و لاتهاون به و لازعم أنه أسلم إسلام حدث غرير وطفل صغير و من العجب أن يكون مثل العباس وحمزة ينتظران أباطالب وفعله ليصدرا عن رأيه ثم يخالفه على ابنه لغير رغبة و لارهبة يؤثر القلة على الكثرة والذل على العزة من غيرعلم و لامعرفة بالعاقبة وكيف ينكر الجاحظ والعثمانية أن رسول الله ص دعاه إلى الإسلام وكلفه التصديق . و قدروى فى الخبر الصحيح أنه كلفه فى مبدإ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكة أن يصنع له طعاما و أن يدعو له بنى عبدالمطلب فصنع له الطعام ودعاهم له فخرجوا ذلك اليوم و لم ينذرهم ص لكلمة قالها عمه أبولهب فكلفه فى اليوم الثانى أن يصنع مثل ذلك الطعام و أن يدعوهم ثانية فصنعه ودعاهم فأكلوا ثم كلمهم ص فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنه من بنى عبدالمطلب ثم ضمن لمن يوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه فى الدين ووصيه بعدموته وخليفته من بعده فأمسكوا كلهم وأجابه هووحده و قال أناأنصرك على ماجئت به وأوازرك وأبايعك فقال لهم لمارأى منهم الخذلان و منه النصر وشاهد منهم المعصية و منه الطاعة وعاين منهم الإباء و منه الإجابة هذاأخى ووصيى وخليفتى من بعدى فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبى طالب أطع ابنك فقد أمره عليك فهل يكلف عمل [صفحه ۲۴۵] الطعام ودعاء القوم صغير مميز وغر غيرعاقل وهل يؤتمن على سر النبوة طفل ابن خمس سنين أو ابن سبع وهل يدعى فى جملة الشيوخ والكهول إلاعاقل لبيب وهل يضع رسول الله ص يده فى يده ويعطيه صفقة يمينه بالأخوة والوصية والخلافة إلا و هو أهل لذلك بالغ حد التكليف محتمل لولاية الله وعداوة أعدائه و مابال هذاالطفل لم يأنس بأقرانه و لم يلصق بأشكاله و لم ير مع الصبيان فى ملاعبهم بعدإسلامه و هوكأحدهم فى طبقته كبعضهم فى معرفته . وكيف لم ينزع إليهم فى ساعة من ساعاته فيقال دعاه داعى الصبا وخاطر من خواطر الدنيا وحملته الغرة والحداثة على حضور لهوهم والدخول فى حالهم بل مارأيناه إلاماضيا على إسلامه مصمما فى أمره محققا لقوله بفعله قدصدق إسلامه بعفافه وزهده ولصق برسول الله ص من بين جميع من بحضرته فهو أمينه وأليفه فى دنياه وآخرته و قدقهر شهوته وجاذب خواطره صابرا على ذلك نفسه لمايرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة و قدذكر هو ع فى كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره حيث أسلم لمادعا رسول الله ص الشجرة فأقبلت تخد الأرض فقالت قريش ساحر خفيف السحر فقال على ع يا رسول الله أناأول من يؤمن بك آمنت بالله ورسوله وصدقتك فيما جئت به و أناأشهد أن الشجرة فعلت مافعلت بأمر الله تصديقا لنبوتك وبرهانا على صحة دعوتك فهل يكون إيمان قط أصح من هذاالإيمان وأوثق عقدة وأحكم مرة ولكن حنق العثمانية وغيظهم وعصبية الجاحظ وانحرافه مما لاحيلة فيه ثم لينظر المنصف وليدع الهوى جانبا ليعلم نعمة الله على على ع بالإسلام حيث أسلم

على الوضع ألذى أسلم عليه فإنه لو لاالألطاف التى خص بها والهداية التى منحها لما كان إلاكبعض أقارب محمدص وأهله فقد كـان ممازجـا له كممـازجته ومخالطا له كمخالطـة كثير من أهله ورهطه و لم يسـتجب منهم [صـفحه ۲۴۶] أحـد له إلا بعدحين ومنهم من لم يستجب له أصلا فإن جعفرا ع كان ملتصقا به و لم يسلم حينئذ و كان عتبة بن أبى لهب ابن عمه وصهره زوج ابنته و لم يصـدقه بـل كـان شديـدا عليه و كـان لخديجـة بنون من غيره و لم يسـلموا حينئـذ وهم ربـائبه ومعه فى دار واحـدة و كـان أبوطـالب أبـاه فى الحقيقـة وكافله وناصـره والمحامى عنه و من لولاه لم تقم له قائمـة و مع ذلك لم يسـلم فى أغلب الروايات و كـان العبـاس عمه وصنو أبيه وكـالقرين له فى الولادة والمنشإ والتربيـة و لم يستجب له إلا بعـدحين طويل و كان أبولهب عمه وكدمه ولحمه و لم يسـلم و كان شديدا عليه فكيف ينسب إسـلام على ع إلى الإلف والتربية والقرابة واللحمة والتلقين والحضانة والدار الجامعة وطول العشـرة والأنس والخلوة و قد كان كل ذلك حاصلا لهؤلاء أولكثير منهم و لم يهتد أحد منهم إذ ذاك بل كانوا بين من جحد وكفر ومات على كفره و من أبطأ وتأخر وسـبق بالإسـلام وجاء سـكيتا و قدفاز بالمنزلة غيره . وهل يدل تأمل حال على ع مع الإنصاف إلا على أنه أسـلم لأنه شاهـد الأعلام ورأى المعجزات وشم ريـح النبوة ورأى نور الرسالـة وثبت اليقين فى قلبه بمعرفة وعلم ونظر صحيح لابتقليد و لاحمية و لارغبة و لارهبة إلافيما يتعلق بأمور الآخرة. قال الجاحظ فلو أن عليا ع كان بالغا حيث أسلم لكان إسلام أبى بكر وزيد بن حارثة وخباب بن الأرت أفضل من إسلامه لأن إسلام المقتضب ألذى لم يعتد به و لم يعوده و لم يمرن عليه أفضل من إسـلام الناشـئ ألذى ربى فيه ونشأ وحبب [صـفحه ۲۴۷] إليه و ذلـك لأن صاحب التربية يبلغ حيث يبلغ و قدأسـقط إلفه عنه مؤنة الروية والخاطر وكفاه علاج القلب واضـطراب النفس وزيد وخباب و أبوبكر يعانون من كلفة النظر ومؤنة التأمل ومشـقة الانتقال من الدين ألذى قدطال إلفهم له ما هو غيرخاف و لو كان على حيث أسـلم بالغا مقتضـبا كغيره ممن عددنا كان إسـلامهم أفضل من إسـلامه لأن من أسـلم و هويعلم أن له ظهرا كأبى طالب وردءا كبنى هاشم وموضـعا فى بنى عبـدالمطلب ليس كالحليف والمولى والتابع والعسـيف وكالرجل من عرض قريش أ ولست تعلم أن قريشا خاصـة و أهل مكـة عامـة لم يقدروا على أذى النبى ص ما كان أبوطالب حيا وأيضا فإن أولئك اجتمع عليهم مع فراق الإلف مشـقة الخواطر و على ع كان بحضرة رسول الله ص يشاهد الأعلام فى كل وقت ويحضر منزل الوحى فالبراهين له أشد انكشافا والخواطر على قلبه أقـل اعتلاجـا و على قـدر الكلفـة والمشـقة يعظـم الفضـل ويكـثر الأـجر. قـال أبـو جعفررحمه الله ينبغى أن ينظر أهـل الإنصـاف هـذاالفصل ويقفوا على قول الجاحـظ والأصم فى نصـرة العثمانيـة واجتهادهما فى القصـد إلى فضائل هـذا الرجل وتهجينها فمرة يبطلا ـن معناهـا ومرة يتوصـلان إلى حـط قـدرها فلينظر فى كـل بـاب اعترضـا فيه أين بلغت حيلتهمـا و ماصـنعا فى احتيالهما فى قصصـهما وسـجعهما أ ليس إذاتأملتهـا علمت أنهـا ألفـاظ ملفقـة بلا ـ معنى وأنهـا عليها شـجى وبلاء و إلافما عسـى أن تبلغ حيلة الحاسـد ويغنى كيـد الكائـد الشانئ لمن قـد جل قدره عن النقص وأضاءت فضائله إضاءة الشـمس وأين قول الجاحظ من دلائل السـماء وبراهين الأنبياء و قدعلم [صفحه ۲۴۸] الصـغير والكبير والعـالم والجاهل ممن بلغه ذكر على ع وعلم مبعث النبى ص أن عليا ع لم يولـد فى دار الإسـلام و لاغذى فى حجر الإيمان وإنما اسـتضافه رسول الله ص إلى نفسه سنة القحط والمجاعة وعمره يومئذ ثمانى سـنين فمكث معه سـبع سـنين حتى أتاه جبرئيل بالرسالة فدعاه و هوبالغ كامل العقل إلى الإسـلام فأسلم بعدمشاهدة المعجزة و بعـدإعمال النظر والفكرة و إن كـان قـدورد فى كلامه أنه صـلى سبع سـنين قبل الناس كلهم فإنما يعنى ما بين الثمان والخمس عشـرة و لم يكن حينئـذ دعوة و لارسالـة و لاادعاء نبوة وإنما كان رسول الله ص يتعبـد على ملـة ابراهيم ودين الحنيفية ويتحنث ويجـانب النـاس ويعتزل ويطلب الخلوة وينقطع فى جبل حراء و كان على ع معه كالتابع والتلميـذ فلما بلغ الحلم وجاءت النبى ص الملائكـة وبشـرته بالرسالـة دعـاه فأجـابه عن نظر ومعرفـة بالأعلاـم المعجزة فكيف يقول الجاحـظ إن إسـلامه لم يكن مقتضـبا. و إن كان إسلامه ينقص عن إسلام غيره فى الفضيلة لما كان يمرن عليه من التعبد مع رسول الله ص قبل الدعوة لتكونن

طاعة كثير من المكلفين أفضل من طاعة رسول الله ص وأمثاله من المعصومين لأن العصمة عند أهل العدل لطف يمنع من اختص به من ارتكاب القبيح فمن اختص بذلك اللطف كانت الطاعة عليه أسهل فوجب أن يكون ثوابه أنقص من ثواب من أطاع مع تلك الألطاف . وكيف يقول الجاحظ إن إسلامه ناقص عن إسلام غيره و قدجاء فی الخبر أنه أسلم يوم الثلاثاء واستنبئ النبی ص يوم الإثنين فمن هذه حاله لم تكثر حجج الرسالة على سمعه و لاتواترت أعلام النبوة على مشاهدته و لاتطاول الوقت عليه لتخف محنته ويسقط ثقل تكليفه بل بان فضله وظهر حسن اختياره لنفسه إذ أسلم فی حال بلوغه وعانی نوازع طبعه و لم يؤخر ذلك بعدسماعه . [صفحه ۲۴۹] و قدغمر الجاحظ فی كتابه هذا أن أبابكر كان قبل إسلامه مذكورا ورئيسا معروفا يجتمع إليه كثير من أهل مكة فينشدون الأشعار ويتذاكرون الأخبار ويشربون الخمر و قد كان سمع دلائل النبوة وحجج الرسل وسافر إلى البلدان ووصلت إليه الأخبار وعرف دعوى الكهنة وحيل السحرة و من كان كذلك كان انكشاف الأمور له أظهر والإسلام عليه أسهل والخواطر على قلبه أقل اعتلاجا و كل ذلك عون لأبی بكر على الإسلام ومسهل إليه سبيله ولذلك لما قال النبی ص أتيت بيت المقدس سأله أبوبكر عن المسجد ومواضعه فصدقه وبان له أمره وخفت مئونته لماتقدم من معرفته بالبيت فخرج إذاإسلام أبی بكر على قول الجاحظ من معنى المقتضب و فی ذلك رويتم عنه ص أنه قال مادعوت أحدا إلى الإسلام إلا و كان له تردد ونبوة إلا ما كان من أبی بكر فإنه لم يتلعثم حتى هجم به اليقين إلى المعرفة والإسلام -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۱۵۶ فأين هذا وإسلام من خلی وعقله وألجئ إلى نظره مع صغر سنه واعتلاج الخواطر على قلبه ونشأته فی ضد مادخل فيه والغالب على أمثاله وأقرانه حب اللعب واللهو فلجأ إلى ماظهر له من دلائل الدعوة و لم يتأخر إسلامه فيلزمه التقصير بالمعصية فقهر شهوته وغالب خواطره وخرج من عادته و ما كان غذی به لصحة نظره ولطافة فكره وغامض فهمه فعظم استنباطه ورجح فضله وشرف قدر إسلامه و لم يأخذ من الدنيا بنصيب و لاتنعم فيهابنعيم حدثا و لاكبيرا وحمى نفسه عن الهوى وكسر شرة حداثته بالتقوى واشتغل بهم الدين عن نعيم الدنيا وأشغل هم الآخرة قلبه ووجه إليه رغبته فإسلامه هوالسبيل ألذی لم يسلم عليه أحد غيره و ماسبيله فی ذلك إلاكسبيل الأنبياء ليعلم أن منزلته من النبی ص كمنزلة هارون من موسى و أنه و إن لم يكن نبيا فقد كان فی سبيل الأنبياء سالكا ولمنهاجهم متبعا وكانت حاله كحال ابراهيم ع فإن [صفحه ۲۵۰] أهل العلم ذكروا أنه لما كان صغيرا جعلته أمه فی سرب لم يطلع عليه أحد فلما نشأ ودرج وعقل قال لأمه من ربی قالت أبوك قال فمن رب أبی فزبرته ونهرته إلى أن طلع من شق السرب فرأى كوكبا فقال هذاربی فلما أفل قال لاأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذاربی فلما أفل قال لئن لم يهدنی ربی لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذاربی هذاأكبر فلما أفلت قال ياقوم إنی بریء مما تشركون إنی وجهت وجهی للذی فطر السموات و الأرض حنيفا و ما أنا من المشركين و فی ذلك يقول الله جل ثناؤه وَ كَذلِكَ نُرِی إِبراهِيمَ مَلَكُوتَ السّماواتِ وَ الأَرضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ و على هذا كان إسلام الصديق الأكبر ع لسنا نقول إنه كان مساويا له فی الفضيلة ولكن كان مقتديا بطريقه على ما قال الله تعالى إِنّ أَولَى النّاسِ بِإِبراهِيمَ لَلّذِينَ اتّبَعُوهُ وَ هذَا النّبِیّ وَ الّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ ولَيِ‌ّ المُؤمِنِينَ و أمااعتلال الجاحظ بأن له ظهرا كأبی طالب وردءا كبنی هاشم فإنه يوجب عليه أن تكون محنة أبی بكر وبلال وثوابهما وفضل إسلامهما أعظم مما لرسول الله ص لأن أباطالب ظهره وبنی هاشم ردؤه وحسبك جهلا من معاند لم يستطع حط قدر علی ع إلابحطه من قدر رسول الله ص و لم يكن أحد أشد على رسول الله ص من قراباته الأدنى منهم فالأدنى كأبی لهب عمه وامرأة أبی لهب وهی أم جميل بنت حرب بن أمية وإحدى أولاد عبدمناف ثم ما كان من عقبة بن أبی معيط و هو ابن عمه و ما كان من النضر بن الحارث و هو من بنی عبدالدار بن قصی و هو ابن عمه أيضا و غيرهؤلاء ممن يطول تعداده وكلهم كان يطرح الأذى فی طريقه وينقل أخباره ويرميه بالحجارة ويرمی الكرش -قرآن-۴۳۴-۵۳۴-۶۲۴-قرآن-۷۵۷-۸۷۷ [صفحه ۲۵۱] والفرث عليه وكانوا يؤذون عليا ع كأذاه ويجتهدون فی غمه ويستهزءون به و ما كان لأبی بكر قرابة تؤذيه كقرابة

علی و لما کان بین علی و بین النبی ص من الاتحاد والإلف والاتفاق أحجم المنافقون بالمدینهٔ عن أذی رسول الله ص خوفا من سیفه ولأنه صاحب الدار والجیش وأمره مطاع و قوله نافذ فخافوا علی دمائهم منه فاتقوه وأمسکوا عن إظهار بغضه وأظهروا بغض علی ع وشنآنه فقال رسول الله ص فی حقه فی الخبر ألذی روی فی جمیع الصحاح لایحبک إلامؤمن و لایبغضک إلامنافق -روایت-۱-۲-روایت-۳۵-۷۴ و قال کثیر من أعلام الصحابهٔ کما روی فی الخبر المشهور بین المحدثین ماکنا نعرف المنافقین إلاببغض علی بن أبی طالب -روایت-۱-۲-روایت-۳۸-۹۰ وأین کان ظهر أبی طالب عن جعفر و قدأزعجه الأذی عن وطنه حتی هاجر إلی بلاد الحبشهٔ ورکب البحر أیتوهم الجاحظ أن أباطالب نصر علیا وخذل جعفرا. قال الجاحظ ولأبی بکر فضیلهٔ فی إسلامه أنه کان قبل إسلامه کثیر الصدیق عریض الجاه ذا یسار وغنی یعظم لماله ویستفاد من رأیه فخرج من عزالغنی وکثرهٔ الصدیق إلی ذل الفاقهٔ وعجز الوحدهٔ و هذا غیرإسلام من لاحراک به و لاعز له تابع غیرمتبوع لأن من أشد مایبتلی الکریم به السب بعدالتحیهٔ والضرب بعدالهیبهٔ والعسر بعدالیسر ثم کان أبوبکر دعیهٔ من دعاهٔ الرسول و کان یتلوه فی جمیع أحواله فکان الخوف إلیه أشد والمکروه نحوه أسرع و کان ممن تحسن مطالبته و لایستحیا من إدراک الثأر عنده لنباهته و بعدذکره والحدث الصغیر یزدری ویحتقر لصغر سنه وخمول ذکره . [صفحه ۲۵۲] قال شیخنا أبو جعفررحمه الله أما ماذکر من کثرهٔ المال والصدیق واستفاضهٔ الذکر و بعدالصیت وکبر السن فکله علیه لا له و ذلک لأنه قدعلم أن من سیرهٔ العرب وأخلاقها حفظ الصدیق والوفاء بالذمام والتهیب لذی الثروهٔ واحترام ذی السن العالیهٔ و فی کل هذاظهر شدید وسند وثقهٔ یعتمد علیها عندالمحن ولذلک کان المرء منهم إذاتمکن من صدیقه أبقی علیه واستحیا منه و کان ذلک سببا لنجاته والعفو عنه علی أن علی بن أبی طالب ع إن لم یکن شهره سنه فقد شهره نسبه وموضعه من بنی هاشم و إن لم یستفض ذکره بلقاء الرجال وکثرهٔ الأسفار استفاض بأبی طالب فأنتم تعلمون أنه لیس تیم فی بعدالصیت کهاشم و لا أبوقحافهٔ کأبی طالب و علی حسب ذلک یعلو ذکر الفتی علی ذی السن ویبعد صیت الحدث علی الشیخ ومعلوم أیضا أن علیا علی أعناق المشرکین أثقل إذ کان هاشمیا و إن کان أبوه حامی رسول الله ص والمانع لحوزته و علی هو ألذی فتح علی العرب باب الخلاف واستهان بهم بما أظهر من الإسلام والصلاهٔ وخالف رهطه وعشیرته وأطاع ابن عمه فیما لم یعرف من قبل و لاعهد له نظیر کما قال تعالی لِتُنذِرَ قَوماً ما أُنذِرَ آباؤُهُم فَهُم غافِلُونَ ثم کان بعدصاحب رسول الله ص ومشتکی حزنه وأنیسه فی خلوته وجلیسه وألیفه فی أیامه کلها و کل هذایوجب التحریض علیه ومعاداهٔ العرب له ثم أنتم معاشر العثمانیهٔ تثبتون لأبی بکر فضیلهٔ بصحبهٔ الرسول ص من مکهٔ إلی یثرب ودخوله معه فی الغار فقلتم مرتبهٔ شریفهٔ وحالهٔ جلیلهٔ إذ کان شریکه فی الهجرهٔ وأنیسه فی الوحشهٔ فأین هذه من صحبهٔ علی ع له فی خلوته وحیث لایجد أنیسا غیره لیله ونهاره أیام مقامه بمکهٔ یعبد الله -قرآن-۱۰۰۹-۱۰۶۰ [صفحه ۲۵۳] معه سرا ویتکلف له الحاجهٔ جهرا ویخدمه کالعبد یخدم مولاه ویشفق علیه ویحوطه وکالولد یبر والده ویعطف علیه و لماسئلت عائشهٔ من کان أحب الناس إلی رسول الله ص قالت أما من الرجال فعلی و أما من النساء ففاطمهٔ -روایت-۱-۱۰۶ . قال الجاحظ و کان أبوبکر من المفتونین المعذبین بمکهٔ قبل الهجرهٔ فضربه نوفل بن خویلد المعروف بابن العدویهٔ مرتین حتی أدماه وشده مع طلحهٔ بن عبید الله فی قرن وجعلهما فی الهاجرهٔ عمیر بن عثمان بن مرهٔ بن کعب بن سعد بن تیم بن مرهٔ ولذلک کانا یدعیان القرینین و لو لم یکن له غیر ذلک لکان لحاقه عسیرا وبلوغ منزلته شدیدا و لو کان یوما واحدا لکان عظیما و علی بن أبی طالب رافه وادع لیس بمطلوب و لاطالب و لیس أنه لم یکن فی طبعه الشهامهٔ والنجدهٔ و فی غریزته البسالهٔ فی الشجاعهٔ لکنه لم یکن قدتمت أداته و لااستکملت آلته ورجال الطلب وأصحاب الثأر یغمصون ذا الحداثهٔ ویزدرون بذی الصبا والغرارهٔ إلی أن یلحق بالرجال ویخرج من طبع الأطفال . قال شیخنا أبو جعفررحمه الله أماالقول فممکن والدعوی سهلهٔ سیما علی مثل الجاحظ فإنه لیس علی لسانه من دینه وعقله رقیب و هو من دعوی الباطل غیربعید فمعناه نزر و قوله لغو ومطلبه سجع وکلامه لعب ولهو یقول الشیء وخلافه

ويحسن القول وضده ليس له من نفسه واعظ و لالدعواه حد قائم و إلافكيف تجاسر على القول بأن عليا حينئذ لم يكن مطلوبا و لاطالبا و قدبينا بالأخبار الصحيحة والحديث المرفوع المسند أنه كان يوم أسلم بالغا كاملا منابذا بلسانه وقلبه لمشركى قريش [صفحه ۲۵۴] ثقيلا على قلوبهم و هوالمخصوص دون أبى بكر بالحصار فى الشعب وصاحب الخلوات برسول الله ص فى تلك الظلمات المتجرع لغصص المرار من أبى لهب و أبى جهل وغيرهما والمصطلى لكل مكروه والشريك لنبيه فى كل أذى قدنهض بالحمل الثقيل وبان بالأمر الجليل و من ألذى كان يخرج ليلا من الشعب على هيئة السارق ويخفى نفسه ويضائل شخصه حتى يأتى إلى من يبعثه إليه أبوطالب من كبراء قريش كمطعم بن عدى وغيره فيحمل لبنى هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح و هو على أشد خوف من أعدائهم كأبى جهل وغيره لوظفروا به لأراقوا دمه أ على كان يفعل ذلك أيام الحصار فى الشعب أم أبوبكر و قدذكر هو ع حاله يومئذ فقال فى خطبة له مشهورة فتعاقدوا ألا يعاملونا و لايناكحونا وأوقدت الحرب علينا نيرانها واضطرونا إلى جبل وعر مؤمننا يرجو الثواب وكافرنا يحامى عن الأصل ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم وقطعوا عنهم المارة والميرة فكانوا يتوقعون الموت جوعا صباحا ومساء لايرون وجها و لافرجا قداضمحل عزمهم وانقطع رجاؤهم -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۳۲۰ فمن ألذى خلص إليه مكروه تلك المحن بعد محمدص إلا على ع وحده و ماعسى أن يقول الواصف والمطنب فى هذه الفضيلة من تقصى معانيها وبلوغ غاية كنهها وفضيلة الصابر عندها ودامت هذه المحنة عليهم ثلاث سنين حتى انفرجت عنهم بقصة الصحيفة والقصة مشهورة. وكيف يستحسن الجاحظ لنفسه أن يقول فى على ع إنه قبل الهجرة كان وادعا رافها لم يكن مطلوبا و لاطالبا و هوصاحب الفراش ألذى فدى رسول الله ص بنفسه ووقاه بمهجته واحتمل السيوف ورضح الحجارة دونه وهل ينتهى الواصف و إن أطنب والمادح و إن أسهب إلى الإبانة عن مقدار هذه الفضيلة والإيضاح بمزية هذه الخصيصة. [صفحه ۲۵۵] فأما قوله إن أبابكر عذب بمكة فإنا لانعلم أن العذاب كان واقعا إلابعبد أوعسيف أولمن لاعشيرة له تمنعه فأنتم فى أبى بكر بين أمرين تارة تجعلونه دخيلا ساقطا وهجينا رذيلا مستضعفا ذليلا وتارة تجعلونه رئيسا متبعا وكبيرا مطاعا فاعتمدوا على أحد القولين لنكلمكم بحسب ماتختارونه لأنفسكم و لو كان الفضل فى الفتنة والعذاب لكان عمار وخباب وبلال و كل معذب بمكة أفضل من أبى بكر لأنهم كانوا من العذاب فى أكثر مما كان فيه ونزل فيهم من القرآن ما لم ينزل فيه كقوله تعالى وَ الَّذِينَ هاجَرُوا فِي اللّهِ مِن بَعدِ ما ظُلِمُواقالوا نزلت فى خباب وبلال ونزل فى عمار قوله إِلّا مَن أُكرِهَ وَ قَلبُهُ مُطمَئِنٌّ بِالإِيمانِ و كان رسول الله ص يمر على عمار و أبيه وأمه وهم يعذبون يعذبهم بنو مخزوم لأنهم كانوا حلفاءهم -قرآن-۴۸۵-۵۳۷-قرآن-۵۸۵-۶۳۴ فيقول صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة -روايت-۱-۲-روايت-۹-۴۱ و كان بلال يقلب على الرمضاء و هو يقول أحد أحد و ماسمعنا لأبى بكر فى شىء من ذلك ذكرا ولقد كان لعلى ع عنده يد غراء إن صح مارويتموه فى تعذيبه لأنه قتل نوفل بن خويلد وعمير بن عثمان يوم بدر ضرب نوفلا فقطع ساقه فقال أذكرك الله والرحم فقال قدقطع الله كل رحم وصهر إلا من كان تابعا لمحمد ثم ضربه أخرى ففاضت نفسه وصمد لعمير بن عثمان التميمى فوجده يروم الهرب و قدارتج عليه المسلك فضربه على شراسيف صدره فصار نصفه الأعلى بين رجليه و ليس أن أبابكر لم يطلب بثأره منهما ويجتهد لكنه لم يقدر على أن يفعل فعل على ع فبان على ع بفعله دونه قال الجاحظ ولأبى بكر مراتب لايشركه فيها على و لاغيره و ذلك قبل الهجرة [صفحه ۲۵۶] فقد علم الناس أن عليا ع إنما ظهر فضله وانتشر صيته وامتحن ولقى المشاق منذ يوم بدر و أنه إنما قاتل فى الزمان ألذى استوفى فيه أهل الإسلام و أهل الشرك وطمعوا فى أن يكون الحرب بينهم سجالا وأعلمهم الله تعالى أن العاقبة للمتقين و أبوبكر كان قبل الهجرة معذبا ومطرودا مشردا فى الزمان ألذى ليس بالإسلام وأهله نهوض و لاحركة ولذلك قال أبوبكر فى خلافته طوبى لمن مات فى فأفأة الإسلام يقول فى ضعفه . قال أبو جعفررحمه الله لاأشك أن الباطل خان أباعثمان والخطأ أقعده والخذلان أصاره إلى الحيرة فما علم وعرف حتى قال ما قال فزعم أن عليا ع قبل الهجرة لم يمتحن و لم يكابد

المشاق و أنه إنما قاسى مشاق التكليف ومحن الابتلاء منذ يوم بدر ونسى الحصار فى الشعب و مامنى به منه و أبوبكر وادع رافه يأكل مايريد ويجلس مع من يحب مخلى سربه طيبة نفسه ساكنا قلبه و على يقاسى الغمرات ويكابد الأهوال ويجوع ويظمأ ويتوقع القتل صباحا ومساء لأنه كان هوالمتوصل المحتال فى إحضار قوت زهيد من شيوخ قريش وعقلائها سرا ليقيم به رمق رسول الله ص وبنى هاشم وهم فى الحصار و لايأمن فى كل وقت مفاجأة أعداء رسول الله ص له بالقتل كأبى جهل بن هشام وعقبة بن أبى معيط والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهم من فراعنة قريش وجبابرتها ولقد كان يجيع نفسه ويطعم رسول الله ص زاده ويظمئ نفسه ويسقيه ماءه و هو كان المعلل له إذامرض والمؤنس له إذااستوحش و أبوبكر بنجوة عن ذلك لايمسه مما يمسهم ألم و لم يلحقه مما يلحقهم مشقة و لايعلم بشىء من أخبارهم وأحوالهم إلا على سبيل الإجمال دون التفصيل ثلاث سنين محرمة معاملتهم ومناكحتهم ومجالستهم محبوسين محصورين ممنوعين من الخروج [صفحه ٢٥٧] والتصرف فى أنفسهم فكيف أهمل الجاحظ هذه الفضيلة ونسى هذه الخصيصة و لانظير لها ولكن لايبالى الجاحظ بعد أن يسوغ له لفظه وتنسق له خطابته ماضيع من المعنى ورجع عليه من الخطأ.فأما قوله واعلموا أن العاقبة للمتقين ففيه إشارة إلى معنى غامض قصده الجاحظ يعنى أن لافضيلة لعلى ع فى الجهاد لأن الرسول كان أعلمه أنه منصور و أن العاقبة له و هذا من دسائس الجاحظ وهمزاته ولمزاته و ليس بحق ماقاله لأن رسول الله ص أعلم أصحابه جملة أن العاقبة لهم و لم يعلم واحدا منهم بعينه أنه لايقتل لاعليا و لاغيره و إن صح أنه كان أعلمه أنه لايقتل فلم يعلمه أنه لايقطع عضو من أعضائه و لم يعلمه أنه لايمسه ألم جراح فى جسده و لم يعلمه أنه لايناله الضرب الشديد. و على أن رسول الله ص قدأعلم أصحابه قبل يوم بدر و هويومئذ بمكة أن العاقبة لهم كماأعلم أصحابه بعدالهجرة ذلك فإن لم يكن لعلى والمجاهدين فضيلة فى الجهاد بعدالهجرة لإعلامه إياهم ذلك فلافضيلة لأبى بكر وغيره فى احتمال المشاق قبل الهجرة لإعلامه إياهم بذلك فقد جاء فى الخبر أنه وعد أبابكر قبل الهجرة بالنصر و أنه قال له أرسلت إلى هؤلاء بالذبح و إن الله تعالى سيغنمنا أموالهم ويملكنا ديارهم فالقول فى الموضعين متساو ومتفق . قال الجاحظ و إن بين المحنة فى الدهر ألذى صار فيه أصحاب النبى ص مقرنين لأهل مكة ومشركى قريش ومعهم أهل يثرب أصحاب النخيل والآطام والشجاعة والصبر والمواساة والإيثار والمحاماة والعدد الدثر والفعل الجزل و بين الدهر ألذى كانوا فيه بمكة يفتنون ويشتمون ويضربون ويشردون ويجوعون ويعطشون [صفحه ٢٥٨] مقهورين لاحراك بهم وأذلاء لا عزلهم وفقراء لامال عندهم ومستخفين لايمكنهم إظهار دعوتهم لفرقا واضحا ولقد كانوا فى حال أحوجت لوطا و هونبى إلى أن قال لَو أَنّ لِي بِكُم قُوّةً أَو آوِي إِلي رُكنٍ شَدِيدٍ و -قرآن-١٦١-٢١٤ قال النبى ص عجبت من أخى لوط كيف قال أَو آوِي إِلي رُكنٍ شَدِيدٍ و هويأوى إلى الله تعالى -روايت-١-٢-روايت-١٨-١٠٢ ثم لم يكن ذلك يوما و لايومين و لاشهرا و لاشهرين و لاعاما و لاعامين ولكن السنين بعدالسنين و كان أغلظ القوم وأشدهم محنة بعد رسول الله ص أبوبكر لأنه أقام بمكة ماأقام رسول الله ص ثلاث عشرة سنة و هوأوسط ماقالوا فى مقام النبى ص . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله مانرى الجاحظ احتج لكون أبى بكر أغلظهم وأشدهم محنة إلابقوله لأنه أقام بمكة مدة مقام الرسول ص بها و هذه الحجة لاتخص أبابكر وحده لأن عليا ع أقام معه هذه المدة وكذلك طلحة وزيد و عبدالرحمن وبلال وخباب وغيرهم و قد كان الواجب عليه أن يخص أبابكر وحده بحجة تدل على أنه كان أغلظ الجماعة وأشدهم محنة بعد رسول الله ص فالاحتجاج فى نفسه فاسد. ثم يقال له مابالك أهملت أمر مبيت على ع على الفراش بمكة ليلة الهجرة هل نسيته أم تناسيته فإنها المحنة العظيمة والفضيلة الشريفة التى متى امتحنها الناظر وأجال فكره فيهارأى تحتها فضائل متفرقة ومناقب متغايرة و ذلك أنه لمااستقر الخبر عندالمشركين أن رسول الله ص مجمع على الخروج من بينهم للهجرة [صفحه ٢٥٩] إلى غيرهم قصدوا إلى معاجلته وتعاقدوا على أن يبيتوه فى فراشه و أن يضربوه بأسياف كثيرة بيد كل صاحب قبيلة من قريش سيف منها ليضيع دمه بين الشعوب ويتفرق بين القبائل و لايطلب بنو هاشم بدمه قبيلة واحدة بعينها

من بطون قريش وتحالفوا على تلك الليلة واجتمعوا عليها فلما علم رسول ص ذلك من أمرهم دعا أوثق الناس عنده وأمثلهم فى نفسه وأبذلهم فى ذات الإله لمهجته وأسرعهم إجابة إلى طاعته فقال له إن قريشا قدتحالفت على أن تبيتنى هذه الليلة فامض إلى فراشى ونم فى مضجعى والتف فى بردى الحضرمى ليروا أنى لم أخرج وإنى خارج إن شاء الله -روايت-١-١٦٠ فمنعه أولا من التحرز وإعمال الحيلة وصده عن الاستظهار لنفسه بنوع من أنواع المكايد والجهات التى يحتاط بها الناس لنفوسهم وألجأه إلى أن يعرض نفسه لظبات السيوف الشحيذة من أيدى أرباب الحنق والغيظة فأجاب إلى ذلك سامعا مطيعا طيبة بهانفسه ونام على فراشه صابرا محتسبا واقيا له بمهجته ينتظر القتل و لانعلم فوق بذل النفس درجة يلتمسها صابر و لايبلغها طالب والجود بالنفس أقصى غاية الجود و لو لا- أن رسول الله ص علم أنه أهل لذلك لماأهله و لو كان عنده نقص فى صبره أو فى شجاعته أو فى مناصحته لابن عمه واختير لذلك لكان من اختاره ص منقوضا فى رأيه مضرا فى اختياره و لايجوز أن يقول هذاأحد من أهل الإسلام وكلهم مجمعون على أن الرسول ص عمل الصواب وأحسن فى الاختيار. ثم فى ذلك إذاتأمله المتأمل وجوه من الفضل منها أنه و إن كان عنده فى موضع الثقة فإنه غيرمأمون عليه ألا يضبط السر فيفسد التدبير بإفشائه تلك الليلة إلى من يلقيه إلى الأعداء. ومنها أنه و إن كان ضابطا للسر وثقة عند من اختاره فغير مأمون عليه الجبن عند [صفحه ٢٦٠] مفاجأة المكروه ومباشرة الأهوال فيفر من الفراش فيفطن لموضع الحيلة ويطلب رسول الله ص فيظفر به . ومنها أنه و إن كان ضابطا للسر شجاعا نجدا فلعله غيرمحتمل للمبيت على الفراش لأن هذاأمر خارج عن الشجاعة إن كان قدقامه مقام المكتوف الممنوع بل هوأشد مشقة من المكتوف الممنوع لأن المكتوف الممنوع يعلم من نفسه أنه لاسبيل له إلى الهرب و هذايجد السبيل إلى الهرب و إلى الدفع عن نفسه و لايهرب و لايدافع . ومنها أنه و إن كان ثقة عنده ضابطا للسر شجاعا محتملا للمبيت على الفراش فإنه غيرمأمون أن يذهب صبره عندالعقوبة الواقعة والعذاب النازل بساحته حتى يبوح بما عنده ويصير إلى الإقرار بما يعلمه و هو أنه أخذ طريق كذا فيطلب فيؤخذ فلهذا قال علماء المسلمين إن فضيلة على ع تلك الليلة لانعلم أحدا من البشر نال مثلها إلا ما كان من إسحاق و ابراهيم عنداستسلامه للذبح و لو لا أن الأنبياء لايفضلهم غيرهم لقلنا إن محنة على أعظم لأنه قدروى أن إسحاق تلكأ لماأمره أن يضطجع وبكى على نفسه و قد كان أبوه يعلم أن عنده فى ذلك وقفة ولذلك قال له فَانظُر ما ذا تَرى وحال على ع بخلاف ذلك لأنه ماتلكأ و لاتتعتع و لاتغير لونه و لااضطربت أعضاؤه ولقد كان أصحاب النبى ص يشيرون عليه بالرأى المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه فيتركه ويعمل بما أشاروا به كماجرى يوم الخندق فى مصانعة الأحزاب بثلث تمر المدينة فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه و هذه كانت قاعدته معهم وعادته بينهم و قد كان لعلى ع أن يعتل بعلة و أن يقف و يقول يا رسول الله أكون معك أحميك من العدو وأذب بسيفى عنك فلست -قرآن-٩٨٤-١٠٠١ [صفحه ٢٦١] مستغنيا فى خروجك عن مثلى ونجعل عبدا من عبيدنا فى فراشك قائما مقامك يتوهم القوم برؤيته نائما فى بردك أنك لم تخرج و لم تفارق مركزك فلم يقل ذلك و لاتحبس و لاتوقف و لاتلعثم و ذلك لعلم كل واحد منهماص أن أحدا لايصبر على ثقل هذه المحنة و لايتورط هذه الهلكة إلا- من خصه الله تعالى بالصبر على مشقتها والفوز بفضيلتها و له من جنس ذلك أفعال كثيرة كيوم دعا عمرو بن عبدود المسلمين إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم عنه لماعلموا من بأسه وشدته ثم كرر النداء فقام على ع فقال أناأبرز إليه فقال له رسول الله ص إنه عمرو قال نعم و أنا على -روايت-١-٢-روايت-٩-٧٨ فأمره بالخروج إليه فلما خرج قال ص برز الإيمان كله إلى الشرك كله -روايت-١-٢-روايت-١١-٤٥ وكيوم أحد حيث حمى رسول الله ص من أبطال قريش وهم يقصدون قتله فقتلهم دونه حتى قال جبرئيل ع يا محمد إن هذه هى المواساة فقال إنه منى و أنا منه -روايت-١-٢-روايت-٩-٣٠ فقال جبريل و أنامنكما و لوعددنا أيامه ومقاماته التى شرى فيهانفسه لله تعالى لأطلنا وأسهبنا قال الجاحظ فإن احتج محتج لعلى ع بالمبيت على الفراش فبين الغار والفراش فرق واضح لأن الغار وصحبة أبى بكر للنبىص قدنطق به القرآن فصار كالصلاة والزكاة

وغيرهما مما نطق به الكتاب وأمر علي ع ونومه على الفراش و إن كان ثابتا صحيحا إلا أنه لم يذكر في القرآن وإنما جاء مجيء الروايات والسير و هذا لايوازن هذا و لايكايله . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله هذافرق غيرمؤثر لأنه قدثبت بالتواتر حديث [صفحه ۲۶۲] الفراش فلافرق بينه و بين ماذكر في نص الكتاب و لايجحده إلامجنون أو غيرمخالط لأهل الملة أرأيت كون الصلوات خمسا وكون زكاة الذهب ربع العشر وكون خروج الريح ناقضا للطهارة وأمثال ذلك مما هومعلوم بالتواتر حكمه هل هومخالف لمانص في الكتاب عليه من الأحكام هذامما لايقوله رشيد و لاعاقل على أن الله تعالى لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب وإنما قال إِذ يَقُولُ لِصاحِبِهِ وإنما علمنا أنه أبوبكر بالخبر و ماورد في السيرة و قد قال أهل التفسير إن قوله تعالى وَ يَمكُرُ اللّهُ وَ اللّهُ خَيرُ الماكِرِينَكناية عن علي ع لأنه مكر بهم وأول الآيةوَ إِذ يَمكُرُ بِكَ الّذِينَ كَفَرُوا لِيُثبِتُوكَ أَو يَقتُلُوكَ أَو يُخرِجُوكَ وَ يَمكُرُونَ وَ يَمكُرُ اللّهُ وَ اللّهُ خَيرُ الماكِرِينَأنزلت في ليلة الهجرة ومكرهم كان توزيع السيوف على بطون قريش ومكر الله تعالى هومنام علي ع على الفراش فلافرق بين الموضعين في أنهما مذكوران كناية لاتصريحا و قدروى المفسرون كلهم أن قول الله تعالى وَ مِنَ النّاسِ مَن يَشرِي نَفسَهُ ابتِغاءَ مَرضاتِ اللّهِأنزلت في علي ع ليلة المبيت على الفراش فهذه مثل قوله تعالى إِذ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لافرق بينهما. قال الجاحظ وفرق آخر و هو أنه لو كان مبيت علي ع على الفراش جاء مجيء كون أبي بكر في الغار لم يكن له في ذلك كبير طاعة لأن الناقلين -قرآن-۳۶۹-۳۹۰-قرآن-۴۷۹-۵۲۳-قرآن-۵۶۷-۷۰۶-قرآن-۹۱۸-۹۷۶-قرآن-۱۰۴۳-۱۰۶۴ نقلوا أنه ص قال له نم فلن يخلص إليك شيءتكرهه -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۵۶ و لم ينقل ناقل أنه [صفحه ۲۶۳] قال لأبي بكر في صحبته إياه وكونه معه في الغار مثل ذلك و لا- قال له أنفق وأعتق فإنك لن تفتقر ولن يصل إليك مكروه . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله هذا هوالكذب الصراح والتحريف والإدخال في الرواية ما ليس منها والمعروف المنقول أنه ص قال له اذهب فاضطجع في مضجعي وتغش ببردي الحضرمي فإن القوم سيفقدونني و لايشهدون مضجعي فلعلهم إذارأوك يسكنهم ذلك حتى يصبحوا فإذاأصبحت فاغد في أداء أمانتي -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۸۰ و لم ينقل ماذكره الجاحظ وإنما ولده أبوبكر الأصم وأخذه الجاحظ و لاأصل له و لو كان هذاصحيحا لم يصل إليه منهم مكروه و قدوقع الاتفاق على أنه ضرب ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا من هو حتى تضور وأنهم قالوا له رأينا تضورك فإنا كنا نرمي محمدا و لايتضور ولأن لفظة المكروه إن كان قالها إنما يراد بهاالقتل فهب أنه أمن القتل كيف يأمن من الضرب والهوان و من أن ينقطع بعض أعضائه وبأن سلمت نفسه أ ليس الله تعالى قال لنبيه بَلّغ ما أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبّكَ وَ إِن لَم تَفعَل فَما بَلّغتَ رِسالَتَهُ وَ اللّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ و مع ذلك فقد كسرت رباعيته وشج وجهه وأدميت ساقه و ذلك لأنها عصمة من القتل خاصة وكذلك المكروه الذي أومن علي ع منه و إن كان صح ذلك في الحديث إنما هومكروه القتل . ثم يقال له و أبوبكر لافضيلة له أيضا في كونه في الغار لأن النبي ص قال له لا تَحزَن إِنّ اللّهَ مَعَنا و من يكن الله معه فهو آمن لامحالة من كل سوء فكيف قلت و لم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في الغار مثل ذلك فكل مايجيب به عن هذافهو جوابنا عما أورده فنقول له هذاينقلب عليك في النبي ص -قرآن-۴۴۶-۵۵۵-قرآن-۸۱۴-۸۴۱ [صفحه ۲۶۴] لأن الله تعالى وعده بظهور دينه وعاقبة أمره فيجب على قولك ألا يكون مثابا عند الله تعالى على مايحتمله من المكروه و لا مايصيبه من الأذى إذ كان قدأيقن بالسلامة والفتح في عدته . قال الجاحظ و من جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله ص فقد كفر لأنه جحد نص الكتاب ثم انظر إلى قوله تعالى إِنّ اللّهَ مَعَنا من الفضيلة لأبي بكر لأنه شريك رسول الله ص في كون الله تعالى معه وإنزال السكينة قال كثير من الناس إنه في الآية مخصوص بأبي بكر لأنه كان محتاجا إلى السكينة لماتداخله من رقة الطبع البشري و النبي ص كان غيرمحتاج إليها لأنه يعلم أنه محروس من الله تعالى فلامعنى لنزول السكينة عليه و هذه فضيلة ثالثة لأبي بكر. قال شيخنا أبو جعفررحمه الله إن أباعثمان يجر على نفسه ما لاطاقة له به من مطاعن الشيعة ولقد كان في غنية عن التعلق بما تعلق به لأن الشيعة تزعم أن هذه الآية بأن تكون طعنا وعيبا على أبي بكر

أولى من أن تكون فضيلة ومنقبة له لأنه لما قال له لا تَحزَندل على أنه قد كان حزن وقنط وأشفق على نفسه و ليس هذا من صفات المؤمنين الصابرين و لايجوز أن يكون حزنه طاعة لأن الله تعالى لاينهى عن الطاعة فلو لم يكن ذنبا لم ينه عنه و قوله إِنّ اللّهَ مَعَنا أى إن الله عالم بحالنا و مانضمره من اليقين أوالشك كما يقول الرجل لصاحبه لاتضمرن سوءا و لاتنوين قبيحا فإن الله تعالى يعلم مانسره و مانعلنه و هذامثل قوله تعالى وَ لا أَدنى مِن ذلِكَ وَ لا أَكثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُم أَينَ ما كانُوا أى هوعالم بهم و أماالسكينة -قرآن-۲۹۹-۳۱۶-قرآن-۹۰۶-۹۱۴-قرآن-۱۱۰۴-۱۱۲۱-قرآن-۱۲۹۸-۱۳۶۷ [صفحه ۲۶۵] فكيف يقول إنها ليست راجعة إلى النبى ص وبعدها قوله وَ أَيّدَهُ بِجُنُودٍ لَم تَرَوها أترى المؤيد بالجنود كان أبابكر أم رسول الله ص . و قوله إنه مستغن عنها ليس بصحيح و لايستغنى أحد عن ألطاف الله وتوفيقه وتأييده وتثبيت قلبه و قد قال الله تعالى فى قصة حنين وَ ضاقَت عَلَيكُمُ الأَرضُ بِما رَحُبَت ثُمّ وَلّيتُم مُدبِرِينَ ثُمّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلى رَسُولِهِص . و أماالصحبة فلاتدل إلا على المرافقة والاصطحاب لا غير و قد يكون حيث لاإيمان كما قال تعالى قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرتَ بِالّذِي خَلَقَكَ ونحن و إن كنا نعتقد إخلاص أبى بكر وإيمانه الصحيح السليم وفضيلته التامة إلا أنا لانحتج له بمثل مااحتج به الجاحظ من الحجج الواهية و لانتعلق بما يجر علينا دواهى الشيعة ومطاعنها. قال الجاحظ و إن كان المبيت على الفراش فضيلة فأين هى من فضائل أبى بكر أيام مكة من عتق المعذبين وإنفاق المال وكثرة المستجيبين مع فرق ما بين الطاعتين لأن طاعة الشاب الغرير والحدث الصغير ألذى فى عزصاحبه عزه ليست كطاعة الحليم الكبير ألذى لايرجع تسويد صاحبه إلى رهطه وعشيرته . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله أماكثرة المستجيبين فالفضل فيهاراجع إلى المجيب -قرآن-۵۶-۸۸-قرآن-۲۷۷-۳۸۷-قرآن-۴۸۷-۵۵۳ [صفحه ۲۶۶] لا إلى المجاب على أنا قدعلمنا أن من استجاب لموسى ع أكثر ممن استجاب لنوح ع وثواب نوح أكثر لصبره على الأعداء ومقاساة خلافهم وعنتهم و أماإنفاق المال فأين محنة الغنى من محنة الفقير وأين يعتدل إسلام من أسلم و هوغنى إن جاع أكل و إن أعيا ركب و إن عرى لبس قدوثق بيساره واستغنى بماله واستعان على نوائب الدنيا بثروته ممن لايجد قوت يومه و إن وجد لم يستأثر به فكان الفقر شعاره و فى ذلك قيل الفقر شعار المؤمن و قال الله تعالى لموسى يا موسى إذارأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۸۵ فى الحديث أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۶۸ كان النبى ص يقول أللهم احشرنى فى زمرة الفقراء -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۵۵ ولذلك أرسل الله محمداص فقيرا و كان بالفقر سعيدا فقاسى محنة الفقر ومكابدة الجوع حتى شد الحجر على بطنه وحسبك بالفقر فضيلة فى دين الله لمن صبر عليه فإنك لاتجد صاحب الدنيا يتمناه لأنه مناف لحال الدنيا وأهلها وإنما هوشعار أهل الآخرة. و أماطاعة على ع وكون الجاحظ زعم أنها كانت لأن فى عز محمدعزه و عزرهطه بخلاف طاعة أبى بكر فهذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك وجهاد عبيدة بن الحارث وهجرة جعفر إلى الحبشة بل لعل محاماة المهاجرين من قريش على رسول الله ص كانت لأن فى دولته دولتهم و فى نصرته استجداد ملك لهم و هذايجر إلى الإلحاد ويفتح باب الزندقة ويفضى إلى الطعن فى الإسلام والنبوة. قال الجاحظ و على أنا لونزلنا إلى مايريدونه جعلنا الفراش كالغار وخلصت فضائل أبى بكر فى غير ذلك عن معارض . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله قدبينا فضيلة المبيت على الفراش على فضيلة الصحبة [صفحه ۲۶۷] فى الغار بما هوواضح لمن أنصف ونزيد هاهنا تأكيدا بما لم نذكره فيما تقدم فنقول إن فضيلة المبيت على الفراش على الصحبة فى الغار لوجهين أحدهما أن عليا ع قد كان أنس بالنبىص وحصل له بمصاحبته قديما أنس عظيم وإلف شديد فلما فارقه عدم ذلك الأنس وحصل به أبوبكر فكان مايجده على ع من الوحشة وألم الفرقة موجبا زيادة ثوابه لأن الثواب على قدر المشقة. وثانيهما أن أبابكر كان يؤثر الخروج من مكة و قد كان خرج من قبل فردا فازداد كراهية للمقام فلما خرج مع رسول الله ص وافق ذلك هوى قلبه ومحبوب نفسه فلم يكن له من الفضيلة مايوازى فضيلة من احتمل المشقة العظيمة وعرض نفسه لوقع السيوف ورأسه لرضخ الحجارة لأنه على قدر

سهولة العبادة يكون نقصان الثواب قال الجاحظ ثم ألذى لقى أبوبكر فى مسجده ألذى بناه على بابه فى بنى جمح فقد كان بنى مسجدا يصلى فيه ويدعو الناس إلى الإسلام و كان له صوت رقيق ووجه عتيق و كان إذاقرأ بكى فيقف عليه المارة من الرجال والنساء والصبيان والعبيد فلما أوذى فى الله ومنع من ذلك المسجد استأذن رسول الله ص فى الهجرة فأذن له فأقبل يريد المدينة فتلقاه الكنانى فعقد له جوارا و قال و الله لاأدع مثلك يخرج من مكة فرجع إليها وعاد لصنيعه فى المسجد فمشت قريش إلى جاره الكنانى وأجلبوا عليه فقال له دع المسجد وادخل بيتك واصنع فيه مابدا لك . [صفحه ٢٦٨] قال شيخنا أبو جعفررحمه الله كيف كانت بنو جمح تؤذى عثمان بن مظعون وتضربه و هوفيهم ذو سطوة وقدر وتترك أبابكر يبنى مسجدا يفعل فيه ماذكرتم وأنتم الذين رويتم عن ابن مسعود أنه قال ماصلينا ظاهرين حتى أسلم عمر بن الخطاب و ألذى تذكرونه من بناء المسجد كان قبل إسلام عمر فكيف هذا. و أما ماذكرتم من رقة صوته وعتاق وجهه فكيف يكون ذلك و قدروى الواقدى وغيره أن عائشة رأت رجلا من العرب خفيف العارضين معروق الخدين غائر العينين أجنأ لايمسك إزاره فقالت مارأيت أشبه بأبى بكر من هذا فلانراها دلت على شيء من الجمال فى صفته . قال الجاحظ وحيث رد أبوبكر جوار الكنانى و قال لاأريد جارا سوى الله لقى من الأذى والذل والاستخفاف والضرب مابلغكم و هذاموجود فى جميع السير و كان آخر مالقى هو وأهله فى أمر الغار و قدطلبته قريش وجعلت فيه مائة بعير كماجعلت فى النبى ص فلقى أبوجهل أسماء بنت بكر فسألها فكتمته فلطمها حتى رمت قرطا كان فى أذنها. قال شيخنا أبو جعفررحمه الله هذاالكلام وهجر السكران سواء فى تقارب المخرج واضطراب المعنى و ذلك أن قريشا لم تقدر على أذى النبى ص و أبوطالب حى يمنعه فلما مات طلبته لتقتله فخرج تارة إلى بنى عامر وتارة إلى ثقيف وتارة إلى بنى شيبان و لم يكن يتجاسر على المقام بمكة إلامستترا حتى أجاره مطعم بن عدى ثم خرج إلى المدينة فبذلت فيه مائة بعير لشدة حنقها عليه حين فاتها فلم تقدر عليه فما بالها بذلت فى أبى بكر مائة بعير أخرى و قد كان رد الجوار وبقى بينهم فردا لاناصر له [صفحه ٢٦٩] و لادافع عنده يصنعون به مايريدون إما أن يكونوا أجهل البرية كلها أو يكون العثمانية أكذب جيل فى الأرض وأوقحه وجها فهذا مما لم يذكر فى سيرة و لاروى فى أثر و لاسمع به بشر و لاسبق الجاحظ به أحد. قال الجاحظ ثم ألذى كان من دعائه إلى الإسلام وحسن احتجاجه حتى أسلم على يديه طلحة والزبير وسعد وعثمان و عبدالرحمن لأنه ساعة أسلم دعا إلى الله و إلى رسوله . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله ماأعجب هذاالقول إذ تدعى العثمانية لأبى بكر الرفق فى الدعاء وحسن الاحتجاج و قدأسلم ومعه فى منزله ابنه عبدالرحمن فما قدر أن يدخله فى الإسلام طوعا برفقه ولطف احتجاجه و لاكرها بقطع النفقة عنه وإدخال المكروه عليه و لا كان لأبى بكر عندابنه عبدالرحمن من القدر مايطيعه فيما يأمره به ويدعوه إليه كماروى أن أباطالب فقد النبى ص يوما و كان يخاف عليه من قريش أن يغتالوه فخرج ومعه ابنه جعفريطلبان النبى ص فوجده قائما فى بعض شعاب مكة يصلى و على ع معه عن يمينه فلما رآهما أبوطالب قال لجعفر تقدم وصل جناح ابن عمك فقام جعفر عن يسار محمدص فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله ص وتأخر الأخوان فبكى أبوطالب و قال إن عليا وجعفرا ثقتى || عندملم الخطوب والنوب لاتخذلا وانصرا ابن عمكما || أخى لأمى من بينهم و أبى و الله لاأخذل النبى و لا || يخذله من بنى ذو حسب [صفحه ٢٧٠] فتذكر الرواة أن جعفرا أسلم منذ ذلك اليوم لأن أباه أمره بذلك وأطاع أمره و أبوبكر لم يقدر على إدخال ابنه عبدالرحمن فى الإسلام حتى أقام بمكة على كفره ثلاث عشرة سنة وخرج يوم أحد فى عسكر المشركين ينادى أنا عبدالرحمن بن عتيق هل من مبارز ثم مكث بعد ذلك على كفره حتى أسلم عام الفتح و هواليوم ألذى دخلت فيه قريش فى الإسلام طوعا وكرها و لم يجد أحد منها إلى ترك ذلك سبيلا وأين كان رفق أبى بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبى قحافة وهما فى دار واحدة هلا رفق به ودعاه إلى الإسلام فأسلم و قدعلمتم أنه بقى على الكفر إلى يوم الفتح فأحضره ابنه عند النبى ص و هوشيخ كبير رأسه كالثغامة فنفر رسول الله ص منه و قال غيروا هذافخضبوه ثم جاءوا به مرة أخرى فأسلم و كان أبوقحافة فقيرا مدقعا

سیئ الحال و أبوبکر عنـدهم کان مثریا فائض المال فلم یمکنه استمالته إلی الإسلام بالنفقهٔ والإحسان و قدکانت امرأهٔ أبی بکر أم عبـد الله ابنه واسـمها نملهٔ بنت عبدالعزی بن أسعد بن عبد بن ود العامریهٔ لم تسلم وأقامت علی شرکها بمکهٔ وهاجر أبوبکر وهی کـافرهٔ فلمـا نزل قوله تعـالی وَ لا تُمسِکُوا بِعِصَمِ الکَوافِرِفطلقها أبوبکر فمن عجز عن ابنه و أبیه وامرأته فهو عن غیرهم من الغرماء أعجز و من لم یقبل منه أبوه وابنه وامرأته لابرفق واحتجاج و لاخوفا من قطع النفقـهٔ عنهم وإدخال المکروه علیهم فغیرهم أقل قبولا منه وأکثر خلافا علیه . قال الجاحظ وقالت أسـماء بنت أبی بکر ماعرفت أبی إلا و هویـدین بالدین ولقد رجع إلینا یوم أسلم فدعانا إلی الإسلام فما رمنا حتی أسلمنا وأسلم أکثر جلسائه ولذلک قالوا من أسلم بدعاء أبی بکر أکثر ممن أسلم بالسیف و لم یـذهبوا فی ذلک إلی العـدد بل عنوا الکثرهٔ فی القـدر لأنه أسـلم علی یدیه خمسهٔ من أهل الشوری -قرآن-۱۰۰۱-۱۰۳۵ [صفحه ۲۷۱] کلهم یصلح للخلافـهٔ وهم أکفـاء علی ع ومنـازعوه الرئاسـهٔ والإمامـهٔ فهؤلاء أکثر من جمیع الناس . قال شیخنا أبو جعفررحمه الله أخبرونا من هذا ألذی أسلم ذلک الیوم من أهل بیت أبی بکر إذاکانت امرأته لم تسلم وابنه عبدالرحمن لم یسلم و أبوقحافـهٔ لم یسلم وأخته أم فروهٔ لم تسـلم وعائشـهٔ لم تکن قدولدت فی ذلک الوقت لأنها ولدت بعدمبعث النبی ص بخمس سنین و محمد بن أبی بکر ولد بعدمبعث رسول الله ص بثلاث وعشـرین سـنهٔ لأنه ولد فی حجهٔ الوداع وأسماء بنت أبی بکر التی قدروی الجاحظ هذاالخبر عنها کانت یوم بعث رسول الله ص بنت أربع سـنین و فی روایهٔ من یقول بنت سـنتین فمن ألذی أسـلم من أهل بیته یوم أسـلم نعوذ بالله من الجهل والکـذب والمکابرهٔ وکیف أسـلم سـعد والزبیر و عبـدالرحمن بدعاء أبی بکر ولیسوا من رهطه و لا من أترابه و لا من جلسائه و لاکانت بینهم قبل ذلک صداقـهٔ متقدمـهٔ و لاأنس وکید وکیف ترک أبوبکر عتبهٔ بن ربیعـهٔ وشـیبهٔ بن ربیعـهٔ لم یـدخلهما فی الإسـلام برفقه وحسن دعائه و قـدزعمتم أنهما کانا یجلسان إلیه لعلمه وطریف حـدیثه و ماباله لم یدخل جبیر بن مطعم فی الإسلام و قدذکرتم أنه أدبه وخرجه و منه أخذ جبیر العلم بأنساب قریش ومآثرها فکیف عجز عن هؤلاء الذین عددناهم وهم منه بالحال التی وصـفنا ودعا من لم یکن بینه وبینه أنس و لامعرفهٔ إلامعرفهٔ عیان وکیف لم یقبل منه عمر بن الخطـاب و قـد کـان شـکله وأقرب النـاس شـبها به فی أغلب أخلاقه ولئن رجعتم إلی الإنصاف لتعلمن أن هؤلاء لم یکن إسـلامهم إلابدعاء الرسول ص لهم و علی یدیه أسلموا و لوفکرتم فی حسن التأتی فی الدعاء لیصحن لأبی طالب فی ذلک [صفحه ۲۷۲] علی شـرکه أضـعاف مـاذکرتموه لأبی بکر لأنکم رویتم أن أباطالب قال لعلی ع یابنی الزمه فإنه لن یـدعوک إلا إلی خیر و قـال لجعفر صـل جناح ابن عمک فأسـلم بقوله ولأجله أصـفق بنو عبـدمناف علی نصـرهٔ رسول الله ص بمکـهٔ من بنی مخزوم وبنی سـهم وبنی جمـح ولأجله صبر بنو هـاشم علی الحصار فی الشـعب وبـدعائه وإقباله علی محمـدص أسـلمت امرأته فاطمهٔ بنت أسد فهو أحسن رفقا وأیمن نقیبهٔ من أبی بکر وغیره وإنما منعه عن الإسـلام أن ثبت أنه لم یسـلم إلاتقیهٔ و أبوبکر لم یکن له إلا ابن واحـد و هو عبـدالرحمن فلم یمکنه أن یـدخله فی الإسـلام و لاأمکنه إذ لم یقبل منه الإسـلام أن یجعله کبعض مشـرکی قریش فی قلـهٔ الأذی لرسول الله ص و فیه أنزل وَ ألّذِی قالَ لِوالِدَیهِ أُفٍّ لَکُما أَ تَعِدانِنِی أَن أُخرَجَ وَ قَد خَلَتِ القُرُونُ مِن قَبلِی وَ هُما یَستَغِیثانِ اللّهَ وَیلَکَ آمِن إِنّ وَعـدَ اللّهِ حَقّ فَیَقُولُ ما هـذا إِلّا أَساطِیرُ الأَوّلِینَ وإنما یعرف حسن رفق الرجل وتأتیه بأن یصلح أولا أمر بیته وأهله ثم یدعو الأقرب فالأقرب فإن رسول الله ص لمابعث کان أول من دعا زوجته خدیجهٔ ثم مکفوله و ابن عمه علیا ع ثم مولاه زیدا ثم أم أیمن خادمته فهل رأیتم أحدا ممن کان یأوی إلی رسول الله ص لم یسارع وهل التاث علیه أحد من هؤلاء فهکـذا یکون حسن التأتی والرفق فی الـدعاء هـذا و رسول الله مقل و هو من جملـهٔ عیال خدیجهٔ حین بعثه الله تعالی و أبوبکر عنـدکم کان موسـرا و کان أبوه مقترا وکـذلک ابنه وامرأته أم عبد الله والموسـر فی فطرهٔ العقول أولی أن یتبع من المقتر وإنما حسن التأتی والرفق فی الـدعاء ماصـنعه مصـعب بن عمیر لسـعد بن معاذ لمادعاه و ماصـنع سـعد بن معاذ ببنی عبدالأشـهل لمادعاهم و ماصـنع بریدهٔ بن الحصـیب بأسلم لمادعاهم قالوا أسلم بدعائه ثمانون بیتا من قومه -قرآن-۶۵۴-۸۶۴ [صفحه ۲۷۳]

وأسلم بنو عبدالأشهل بدعاء سعد فی یوم واحد و أما من لم یسلم ابنه و لاامرأته و لاأبوه و لاأخته بدعائه فهیهات أن یوصف ویذکر بالرفق فی الدعاء وحسن التأتی والأناة قال الجاحظ ثم أعتق أبوبکر بعد ذلک جماعة من المعذبین فی الله وهم ست رقاب منهم بلال وعامر بن فهیرة وزنیرة النهدیة وابنتها ومر بجاریة یعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه وأعتقها وأعتق أباعیسی فأنزل الله فیه فَأَمّا مَن أَعطی وَ اتّقی وَ صَدّقَ بِالحُسنی فَسَنُیَسّرُهُ لِلیُسری إلی آخر السورة. قال شیخنا أبو جعفررحمه الله أمابلال وعامر بن فهیرة فإنما أعتقهما رسول الله ص روی ذلک الواقدی و ابن إسحاق وغیرهما و أماباقی موالیهم الأربعة فإن سامحناکم فی دعواکم لم یبلغ ثمنهم فی تلک الحال لشدة بغض موالیهم لهم إلامائة درهم أونحوها فأی فخر فی هذا و أماالآیة فإن ابن عباس قال فی تفسیرهافَأَمّا مَن أَعطی وَ اتّقی وَ صَدّقَ بِالحُسنی فَسَنُیَسّرُهُ لِلیُسری أی لأن یعود. و قال غیره نزلت فی مصعب بن عمیر قال الجاحظ و قدعلمتم ماصنع أبوبکر فی ماله و کان ماله أربعین ألف درهم فأنفقه فی نوائب الإسلام وحقوقه و لم یکن خفیف الظهر قلیل العیال والنسل فیکون فاقد جمیع الیسارین بل کان ذا بنین وبنات وزوجة وخدم وحشم ویعول والدیه و ماولدا و لم یکن النبی ص قبل ذلک عنده مشهورا فیخاف العار فی ترک مواساته فکان إنفاقه علی الوجه ألذی لانجد فی غایة الفضل مثله ولقد -قرآن-۳۹۲-۴۶۱-قرآن-۷۸۸-۸۵۷ قال النبی ص مانفعنی مال کمانفعنی مال أبی بکر -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۵۶ . [صفحه ۲۷۴] قال شیخنا أبو جعفررحمه الله أخبرونا علی أی نوائب الإسلام أنفق هذاالمال و فی أی وجه وضعه فإنه لیس بجائز أن یخفی ذلک ویدرس حتی یفوت حفظه وینسی ذکره وأنتم فلم تقفوا علی شیءأکثر من عتقه بزعمکم ست رقاب لعلها لایبلغ ثمنها فی ذلک العصر مائة درهم وکیف یدعی له الإنفاق الجلیل و قدباع من رسول الله ص بعیرین عندخروجه إلی یثرب وأخذ منه الثمن فی مثل تلک الحال وروی ذلک جمیع المحدثین و قدرویتم أیضا أنه کان حیث کان بالمدینة غنیا موسرا ورویتم عن عائشة أنها قالت هاجر أبوبکر وعنده عشرة آلاف درهم وقلتم إن الله تعالی أنزل فیه وَ لا یَأتَلِ أُولُوا الفَضلِ مِنکُم وَ السّعَةِ أَن یُؤتُوا أُولِی القُربیقلتم هی فی أبی بکر ومسطح بن أثاثة فأین الفقر ألذی زعمتم أنه أنفق حتی تخلل بالعباءة ورویتم أن لله تعالی فی سمائه ملائکة قدتخللوا بالعباءة و أن النبی ص رآهم لیلة الإسراء فسأل جبرائیل عنهم فقال هؤلاء ملائکة تأسوا بأبی بکر بن أبی قحافة صدیقک فی الأرض فإنه سینفق علیک ماله حتی یخلل عباءه فی عنقه وأنتم أیضا رویتم أن الله تعالی لماأنزل آیة النجوی فقال یا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا إِذا ناجَیتُمُ الرّسُولَ فَقَدّمُوا بَینَ یدَیَ نَجواکُم صَدَقَةً ذلِکَ خَیرٌ لَکُمالآیة لم یعمل بها إلا علی بن أبی طالب وحده مع إقرارکم بفقره وقلة ذات یده و أبوبکر فی الحال التی ذکرنا من السعة أمسک عن مناجاته فعاتب الله المؤمنین فی ذلک فقال أَ أَشفَقتُم أَن تُقَدّمُوا بَینَ یدَیَ نَجواکُم صَدَقاتٍ فَإِذ لَم تَفعَلُوا وَ تابَ اللّهُ عَلَیکُمفجعله سبحانه ذنبا یتوب علیهم منه و هوإمساکهم عن تقدیم الصدقة فکیف سخت نفسه بإنفاق أربعین ألفا وأمسک عن مناجاة الرسول وإنما کان یحتاج فیها إلی إخراج درهمین . و أما ماذکر من کثرة عیاله ونفقته علیهم فلیس فی ذلک دلیل علی تفضیله لأن -قرآن-۵۶۸-۶۴۳-قرآن-۱۰۲۶-۱۱۳۷-قرآن-۱۳۱۵-۱۴۱۶ [صفحه ۲۷۵] نفقته علی عیاله واجبة مع أن أرباب السیرة ذکروا أنه لم یکن ینفق علی أبیه شیئا و أنه کان أجیرا لابن جدعان علی مائدته یطرد عنها الذبان . قال الجاحظ و قدتعلمون ما کان یلقی أصحاب النبی ص ببطن مکة من المشرکین وحسن صنیع کثیر منهم کصنیع حمزة حین ضرب أباجهل بقوسه ففلق هامته و أبوجهل یومئذ سید البطحاء ورئیس الکفر وأمنع أهل مکة و قدعرفتم أن الزبیر سل سیفه واستقبل به المشرکین لماأرجف أن محمداص قدقتل و أن عمر بن الخطاب قال حین أسلم لایعبد الله سرا بعداالیوم و أن سعدا ضرب بعض المشرکین بلحی جمل فأراق دمه فکل هذه الفضائل لم یکن لعلی بن أبی طالب فیهاناقة و لاجمل و قد قال الله تعالی لا یَستَوِی مِنکُم مَن أَنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ وَ قاتَلَ أُولئِکَ أَعظَمُ دَرَجَةً مِنَ الّذِینَ أَنفَقُوا مِن بَعدُ وَ قاتَلُوا فإذا کان الله تعالی قدفضل من أنفق قبل الفتح لأنه لاهجرة بعدالفتح علی من أنفق بعدالفتح فما ظنکم بمن أنفق من قبل الهجرة و من لدن مبعث النبی ص إلی الهجرة و إلی بعدالهجرة. قال شیخنا أبو جعفررحمه

الله إننا لاننكر فضل الصحابة وسوابقهم ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على جحد الأمور المعلومة ولكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابة على على بن أبى طالب ولسنا ننكر غير ذلك وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية وقصده إلى فضائل هذا الرجل ومناقبه بالرد والإبطال و أماحمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم ومقام جليل و هوسيد الشهداء الذين استشهدوا على عهد رسول الله -قرآن-٦٣٣-٧٦٣ [صفحه ٢٧٦] ص و أمافضل عمر فغير منكر وكذلك الزبير وسعد و ليس فيما ذكر مايقتضى كون على ع مفضولا لهم أولغيرهم إلا قوله و كل هذه الفضائل لم يكن لعلى ع فيهاناقة و لاجمل فإن هذا من التعصب البارد والحيف الفاحش و قدقدمنا من آثار على ع قبل الهجرة و ما له إذ ذاك من المناقب والخصائص ما هوأفضل وأعظم وأشرف من جميع ماذكر لهؤلاء على أن أرباب السيرة يقولون إن الشجة التى شجها سعد و إن السيف ألذى سله الزبير هو ألذى جلب الحصار فى الشعب على النبى ص وبنى هاشم و هو ألذى سير جعفرا وأصحابه إلى الحبشة وسل السيف فى الوقت ألذى لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غيرجائز قال تعالى أَ لَم تَرَ إِلَى الّذِينَ قِيلَ لَهُم كُفّوا أَيدِيَكُم وَ أَقِيمُوا الصّلاةَ وَ آتُوا الزّكاةَ فَلَمّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتالُ إِذا فَرِيقٌ مِنهُم يَخشَونَ النّاسَ كَخَشيَةِ اللّهِفتبين أن التكليف له أوقات فمنها وقت لايصلح فيه سل السيف ومنها وقت يصلح فيه ويجب فأما قوله تعالى لا يَستَوِي مِنكُم مَن أَنفَقَفقد ذكرنا ماعندنا من دعواهم لأبى بكر إنفاق المال وأيضا فإن الله تعالى لم يذكر إنفاق المال مفردا وإنما قرن به القتال و لم يكن أبوبكر صاحب قتال وحرب فلاتشمله الآية و كان على ع صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح أماقتاله فمعلوم بالضرورة و أماإنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره و هو ألذى أطعم الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا وأنزلت فيه و فى زوجته وابنيه سورة كاملة من القرآن و هو ألذى ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سرا ودرهما علانية ليلا ثم أخرج منها فى النهار درهما سرا ودرهما علانية فأنزل فيه قوله تعالى الّذِينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُم بِاللّيلِ وَ النّهارِ سِرّا وَ عَلانِيَةً و هو ألذى قدم بين يدى نجواه صدقة -قرآن-٥٩٦-٧٧٩-قرآن-٨٨٨-٩١٨-قرآن-١٤٦٤-١٥٣٥ [صفحه ٢٧٧] دون المسلمين كافة و هو ألذى تصدق بخاتمه و هوراكع فأنزل الله فيه إِنّما وَلِيّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاةَ وَ يُؤتُونَ الزّكاةَ وَ هُم راكِعُونَ. قال الجاحظ والحجة العظمى للقائلين بتفضيل على ع قتله الأقران وخوضه الحرب و ليس له فى ذلك كبير فضيلة لأن كثرة القتل والمشى بالسيف إلى الأقران لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل و كان دليلا على الرئاسة والتقدم لوجب أن يكون للزبير و أبى دجانة و محمد بن مسلمة و ابن عفراء والبراء بن مالك من الفضل ما ليس لرسول الله ص لأنه لم يقتل بيده إلارجلا واحدا و لم يحضر الحرب يوم بدر و لاخالط الصفوف وإنما كان معتزلا عنهم فى العريش ومعه أبوبكر و أنت ترى الرجل الشجاع قديقتل الأقران ويجندل الأبطال وفوقه من العسكر من لايقتل و لايبارز و هوالرئيس أوذوى الرأى والمستشير فى الحرب لأن للرؤساء من الاكتراث والاهتمام وشغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهم ولأن الرئيس هوالمخصوص بالمطالبة و عليه مدار الأمور و به يستبصر المقاتل ويستنصر وباسمه ينهزم العدو و لو لم يكن له إلا أن الجيش لوثبت وفر هو لم يغن ثبوت الجيش كله وكانت الدبرة عليه و لوضيع القوم جميعا وحفظ هولانتصر وكانت الدولة له ولهذا لايضاف النصر والهزيمة إلا إليه ففضل أبى بكر بمقامه فى العريش مع رسول الله يوم بدر أعظم من جهاد على ع ذلك اليوم وقتله أبطال قريش . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله لقد أعطى أبوعثمان مقولا وحرم معقولا إن كان -قرآن-٧٣-١٩٦ [صفحه ٢٧٨] يقول هذا على اعتقاد وجد و لم يذهب به مذهب اللعب والهزل أو على طريق التفاصح والتشادق وإظهار القوة والسلاطة وذلاقة اللسان وحدة الخاطر والقوة على جدال الخصوم أ لم يعلم أبوعثمان أن رسول الله ص كان أشجع البشر و أنه خاض الحروب وثبت فى المواقف التى طاشت فيهاالألباب وبلغت القلوب الحناجر فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم و لم يبق معه إلاأربعة على والزبير وطلحة و أبودجانة فقاتل ورمى بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال يا رسول الله لايبلغ الوتر فقال أوتر مابلغ قال عكاشة فو ألذى بعثه بالحق لقد أوترت

حتى بلغ وطويت منه شبرا على سيۀ القوس ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قدتحطمت وبارز أبى بن خلف فقال له أصحابه إن شئت عطف عليه بعضنا فأبى وتناول الحربۀ من الحارث بن الصمۀ ثم انتقض بأصحابه كماينتقض البعير قالوا فتطايرنا عنه تطاير الشعارير فطعنه بالحربۀ فجعل يخور كمايخور الثور و لو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالى إِذ تُصعِدُونَ وَ لا تَلوُونَ عَلى أَحَدٍ وَ الرّسُولُ يَدعُوكُم فِي أُخراكُمفكونه ع فى أخراهم وهم يصعدون و لايلوون هاربين دليل على أنه ثبت و لم يفر وثبت يوم حنين فى تسعۀ من أهله ورهطه الأدنين و قدفر المسلمون كلهم والنفر التسعۀ محدقون به العباس آخذ بحكمۀ بغلته و على بين يديه مصلت سيفه والباقون حول بغلۀ رسول الله ص يمنۀ ويسرۀ و قدانهزم المهاجرون والأنصار وكلما فروا أقدم هوص يمنۀ ويسرۀ و قدانهزم المهاجرون والأنصار وكلما فرو أقدم هوص وصمم مستقدما يلقى السيوف والنبال بنحره وصدره ثم أخذ كفا من -قرآن-٩٨٢-١٠٥٨ [صفحه ٢٧٩] البطحاء وحصب المشركين و قال شاهت الوجوه و الخبر المشهور عن على ع و هوأشجع البشر كنا إذااشتد البأس وحمى الوطيس اتقينا برسول الله ص ولذنا به -روايت-١-٢-روايت-٤٤-١١٠ فكيف يقول الجاحظ إنه ماخاض الحرب و لاخالط الصفوف و أى فريۀ أعظم من فريۀ من نسب رسول الله ص إلى الإحجام واعتزال الحرب ثم أى مناسبۀ بين أبى بكر و رسول الله ص فى هذاالمعنى ليقيسه وينسبه إلى رسول الله ص صاحب الجيش والدعوۀ ورئيس الإسلام والملۀ والملحوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادۀ و إليه الإيماء والإشارۀ و هو ألذى أحنق قريشا والعرب ووری أكبادهم بالبراءۀ من آلهتهم وعيب دينهم وتضليل أسلافهم ثم وترهم فيما بعدبقتل رؤسائهم وأكابرهم وحق لمثله إذاتنحى عن الحرب واعتزلها أن يتنحى ويعتزل لأن ذلك شأن الملوك والرؤساء إذا كان الجيش منوطا بهم وببقائهم فمتى هلك الملك هلك الجيش ومتى سلم الملك أمكن أن يبقى عليه ملكه و إن عطب جيشه فإنه يستجد جيشا آخر ولذلك نهى الحكماء أن يباشر الملك الحرب بنفسه وخطئوا الإسكندر لمابارز قوسرا ملك الهند ونسبوه إلى مجانبۀ الحكمۀ ومفارقۀ الصواب والحزم فليقل لنا الجاحظ أى مدخل لأبى بكر فى هذاالمعنى و من ألذى كان يعرفه من أعداء الإسلام ليقصده بالقتل وهل هو إلاواحد من عرض المهاجرين حكمه حكم عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما بل كان عثمان أكثر منه صيتا وأشرف منه مركبا والعيون إليه أطمح والعدو إليه أحنق وأكلب و لوقتل أبوبكر فى بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله فى الإسلام ضعفا أويحدث فيه وهنا أويخاف على الملۀ لوقتل أبوبكر فى بعض تلك الحروب أن تندرس وتعفى آثارها وينطمس منارها ليقول الجاحظ إن أبابكر كان حكمه حكم رسول الله ص فى مجانبۀ الحروب واعتزالها نعوذ بالله من الخذلان و قدعلم العقلاء كلهم ممن له [صفحه ٢٨٠] بالسير معرفۀ وبالآثار والأخبار ممارسۀ حال حروب رسول الله ص كيف كانت وحاله ع فيهاكيف كان ووقوفه حيث وقف وحربه حيث حارب وجلوسه فى العريش يوم جلس و إن وقوفه ص وقوف رئاسۀ وتدبير ووقوف ظهر وسند يتعرف أمور أصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم وتخلفه عن التقدم فى أوائلهم لأنهم متى علموا أنه فى أخراهم اطمأنت قلوبهم و لم تتعلق بأمره نفوسهم فيشتغلوا بالاهتمام به عن عدوهم و لا يكون لهم فئۀ يلجئون إليها وظهر يرجعون إليه ويعلمون أنه متى كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم مواقفهم وآوى كل إنسان مكانه فى الحمايۀ والنكايۀ و عندالمنازلۀ فى الكر والحملۀ فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم وأحمى وأحرس لبيضتهم ولأنه المطلوب من بينهم إذ هومدبر أمورهم ووالى جماعتهم أ لاترون أن موقف صاحب اللواء موقف شريف و أن صلاح الحرب فى وقوفه و أن فضيلته فى ترك التقدم فى أكثر حالاته فللرئيس حالات الأولى حالۀ يتخلف ويقف آخرا ليكون سندا وقوۀ وردءا وعدۀ وليتولى تدبير الحرب ويعرف مواضع الخلل . والحالۀ الثانيۀ يتقدم فيها فى وسط الصف ليقوى الضعيف ويشجع الناكص . وحالۀ ثالثۀ وهى إذااصطدم الفيلقان وتكافح السيفان اعتمد ماتقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح أو من مباشرۀ الحرب بنفسه فإنها آخر المنازل و فيهاتظهر شجاعۀ الشجاع النجد وفسالۀ الجبان المموه .فأين مقام الرئاسۀ العظمى لرسول الله ص وأين منزلۀ أبى بكر

ليسوى بين المنزلتين ويناسب بين الحالتين . و لو كان أبوبكر شريكا لرسول الله ص فى الرسالة وممنوحا من الله [صفحه ۲۸۱] بفضيلة النبوة وكانت قريش والعرب تطلبه كماتطلب محمداص و كان يدبر من أمر الإسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا وقتل الأعداء مايدبره محمدص لكان للجاحظ أن يقول ذلك فأما وحاله حاله و هوأضعف المسلمين جنانا وأقلهم عندالعرب ترة لم يرم قط بسهم و لاسل سيفا و لاأراق دما و هوأحد الأتباع غيرمشهور و لامعروف و لاطالب و لامطلوب فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله ص ومنزلته ولقد خرج ابنه عبدالرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبوبكر فقام مغيظا عليه فسل من السيف مقدار إصبع يريد البروز إليه فقال له رسول الله ص يا أبابكر شم سيفك وأمتعنا بنفسك و لم يقل له وأمتعنا بنفسك إلالعلمه بأنه ليس أهلا للحرب وملاقاة الرجال و أنه لوبارز لقتل . وكيف يقول الجاحظ لافضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران وقتل أبطال الشرك وهل قامت عمد الإسلام إلا على ذلك وهل ثبت الدين واستقر إلابذلك أتراه لم يسمع قول الله تعالى إِنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّا كَأَنّهُم بُنيانٌ مَرصُوصٌ والمحبة من الله تعالى هى إرادة الثواب فكل من كان أشد ثبوتا فى هذاالصف وأعظم قتالا كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هوالأكثر ثوابا فعلى ع إذا هوأحب المسلمين إلى الله لأنه أثبتهم قدما فى الصف المرصوص لم يفر قط بإجماع الأمة و لابارزه قرن إلاقتله . أتراه لم يسمع قول الله تعالى وَ فَضّلَ اللّهُ المُجاهِدِينَ عَلَى القاعِدِينَ أَجراً عَظِيماً و قوله إِنّ اللّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنِينَ أَنفُسَهُم وَ أَموالَهُم بِأَنّ لَهُمُ الجَنّةَ يُقاتِلُونَ -قرآن-۸۷۱-۹۵۶-قرآن-۱۲۵۹-۱۳۲۲-قرآن-۱۳۳۱-۱۴۲۶ بفضيلة النبوة وكانت قريش والعرب تطلبه كماتطلب محمداص و كان يدبر من أمر الإسلام وتسريب العساكر وتجهيز السرايا وقتل الأعداء مايدبره محمدص لكان للجاحظ أن يقول ذلك فأما وحاله حاله و هوأضعف المسلمين جنانا وأقلهم عندالعرب ترة لم يرم قط بسهم و لاسل سيفا و لاأراق دما و هوأحد الأتباع غيرمشهور و لامعروف و لاطالب و لامطلوب فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله ص ومنزلته ولقد خرج ابنه عبدالرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبوبكر فقام مغيظا عليه فسل من السيف مقدار إصبع يريد البروز إليه فقال له رسول الله ص يا أبابكر شم سيفك وأمتعنا بنفسك و لم يقل له وأمتعنا بنفسك إلالعلمه بأنه ليس أهلا للحرب وملاقاة الرجال و أنه لوبارز لقتل .

وكيف يقول الجاحظ لافضيلة لمباشرة الحرب ولقاء الأقران وقتل أبطال الشرك وهل قامت عمد الإسلام إلا على ذلك وهل ثبت الدين واستقر إلابذلك أتراه لم يسمع قول الله تعالى إِنّ اللّهَ يُحِبّ الّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّا كَأَنّهُم بُنيانٌ مَرصُوصٌ والمحبة من الله تعالى هى إرادة الثواب فكل من كان أشد ثبوتا فى هذاالصف وأعظم قتالا كان أحب إلى الله ومعنى الأفضل هوالأكثر ثوابا فعلى ع إذا هوأحب المسلمين إلى الله لأنه أثبتهم قدما فى الصف المرصوص لم يفر قط بإجماع الأمة و لابارزه قرن إلاقتله . أتراه لم يسمع قول الله تعالى وَ فَضّلَ اللّهُ المُجاهِدِينَ عَلَى القاعِدِينَ أَجراً عَظِيماً و قوله إِنّ اللّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنِينَ أَنفُسَهُم وَ أَموالَهُم بِأَنّ لَهُمُ الجَنّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقتُلُونَ وَ يُقتَلُونَ وَعداً عَلَيهِ حَقّا فِي التّوراةِ وَ الإِنجِيلِ وَ القُرآنِ ثم قال سبحانه مؤكدا لهذا البيع والشراءوَ مَن أَوفى بِعَهدِهِ مِنَ اللّهِ فَاستَبشِرُوا بِبَيعِكُمُ الّذِي بايَعتُم بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ و قال الله تعالى ذلِكَ بِأَنّهُم لا يُصِيبُهُم ظَمَأٌ وَ لا نَصَبٌ وَ لا مَخمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ لا يَطَؤُنَ مَوطِئاً يَغِيظُ الكُفّارَ وَ لا يَنالُونَ مِن عَدُوّ نَيلًا إِلّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ.فمواقف الناس فى الجهاد على أحوال وبعضهم فى ذلك أفضل من بعض فمن دلف إلى الأقران واستقبل السيوف والأسنة كان أثقل على أكتاف الأعداء لشدة نكايته فيهم ممن وقف فى المعركة وأعان و لم يقدم وكذلك من وقف فى المعركة وأعان و لم يقدم إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل أعظم غناء وأفضل ممن وقف حيث لايناله ذلك و لو كان الضعيف والجبان يستحقان الرئاسة بقلة بسط الكف وترك الحرب و أن ذلك يشاكل فعل النبى ص لكان أوفر الناس حظا فى الرئاسة وأشدهم لها استحقاقا حسان بن ثابت و إن بطل فضل على ع فى الجهاد لأن النبى ص كان أقلهم قتالا كمازعم الجاحظ ليبطلن على هذاالقياس فضل أبى بكر فى الإنفاق لأن رسول الله ص كان أقلهم مالا. و أنت إذاتأملت أمر العرب وقريش

ونظرت السير وقرأت الأخبار عرفت أنها كانت تطلب محمداص وتقصد قصده وتروم قتله فإن أعجزها وفاتها طلبت عليا ع وأرادت قتله لأنه كان أشبههم بالرسول حالا وأقربهم منه قربا وأشدهم عنه دفعا وأنهم متى قصدوا عليا فقتلوه أضعفوا أمر محمدص وكسروا شوكته إذ كان أعلى من ينصره في البأس والقوة والشجاعة -قرآن-۱-۱۰۷-قرآن-۱۵۰-۲۶۲-قرآن-۲۸۳-۴۸۰ [صفحه ۲۸۳] والنجدة والإقدام والبسالة أ لاترى إلى قول عتبة بن ربيعة يوم بدر و قدخرج هو وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة فأخرج إليه الرسول نفرا من الأنصار فاستنسبوهم فانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا إلى قومكم ثم نادوا يا محمدأخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال النبي ص لأهله الأدنين قوموا يابني هاشم فانصروا حقكم ألذى آتاكم الله على باطل هؤلاء قم يا علي قم ياحمزة قم ياعبيدة أ لاترى ماجعلت هند بنت عتبة لمن قتله يوم أحد لأنه اشترك هو وحمزة في قتل أبيها يوم بدر أ لم تسمع قول هند ترثي أهلها ما كان عن عتبة لي من صبر || أبي وعمي وشقيق صدري أخي ألذى كان كضوء البدر || بهم كسرت يا علي ظهري . و ذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة و أماعمها شيبة فإن حمزة تفرد بقتله . و قال جبير بن مطعم لوحشي مولاه يوم أحد إن قتلت محمدا فأنت حر و إن قتلت عليا فأنت حر و إن قتلت حمزة فأنت حر فقال أما محمدفسيمنعه أصحابه و أما علي فرجل حذر كثير الالتفات في الحرب ولكني سأقتل حمزة فقعد له وزرقه بالحربة فقتله . و لماقلنا من مقاربة حال علي ع في هذاالباب لحال رسول الله ص ومناسبتها إياها ماوجدناه في السير والأخبار من إشفاق رسول الله ص وحذره عليه ودعائه له بالحفظ والسلامة قال ص يوم الخندق و قدبرز علي إلى عمرو ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه أللهم إنك أخذت مني -روايت-۱-۲-روايت-۸۵-ادامه دارد [صفحه ۲۸۴] حمزة يوم أحد وعبيدة يوم بدر فاحفظ اليوم علي عليارَبِّ لا تَذَرنِي فَرداً وَ أَنتَ خَيرُ الوارِثِينَ -روايت-از قبل-۱۰۴ ولذلك ضن به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مرارا في كلها يحجمون ويقدم علي فيسأل الإذن له في البراز حتى قال له رسول الله ص إنه عمرو فقال و أنا علي فأدناه وقبله وعممه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودع له القلق لحاله المنتظر لما يكون منه ثم لم يزل ص رافعا يديه إلى السماء مستقبلا لها بوجهه والمسلمون صموت حوله كأنما على رءوسهم الطير حتى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أن عليا قتل عمرا فكبر رسول الله ص وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين ولذلك قال حذيفة بن اليمان لوقسمت فضيلة علي ع بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم و قال ابن عباس في قوله تعالى وَ كَفَى اللّهُ المُؤمِنِينَ القِتالَ قال بعلي بن أبي طالب . قال الجاحظ على أن مشي الشجاع بالسيف إلى الأقران ليس على ماتوهمه من لا يعلم باطن الأمر لأن معه في حال مشيه إلى الأقران بالسيف أمورا أخرى لايبصرها الناس وإنما يقضون على ظاهر مايرون من إقدامه وشجاعته فربما كان سبب ذلك الهوج وربما كان الغرارة والحداثة وربما كان الإحراج والحمية وربما كان لمحبة النفخ والأحدوثة وربما كان طباعا كطباع القاسي والرحيم والسخي والبخيل -قرآن-۶۶۵-۷۰۱ [صفحه ۲۸۵] قال شيخنا أبو جعفررحمه الله فيقال للجاحظ فعلى أيها كان مشي علي بن أبي طالب إلى الأقران بالسيف فأيما قلت من ذلك بانت عداوتك لله تعالى ولرسوله و إن كان مشيه ليس على وجه مما ذكرت وإنما كان على وجه النصرة والقصد إلى المسابقة إلى ثواب الآخرة والجهاد في سبيل الله وإعزاز الدين كنت بجميع ما قلت معاندا و عن سبيل الإنصاف خارجا و في إمام المسلمين طاعنا و إن تطرق مثل هذاالوهم على علي ع ليتطرقن مثله على أعيان المهاجرين والأنصار أرباب الجهاد والقتال الذين نصروا رسول الله ص بأنفسهم ووقوه بمهجهم وفدوه بأبنائهم وآبائهم فلعل ذلك كان لعلة من العلل المذكورة و في ذلك الطعن في الدين و في جماعة المسلمين . و لوجاز أن يتوهم هذا في علي ع و في غيره لما قال رسول الله ص حكاية عن الله تعالى لأهل بدر اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم -روايت-۱-۲-روايت-۵۴-۸۴ قال لعلي ع برز الإيمان كله إلى الشرك كله -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۵۰ و لا قال أوجب طلحة. و قدعلمنا ضرورة من دين الرسول ص تعظيمه لعلي ع تعظيما دينيا لأجل جهاده ونصرته فالطاعن

فيه طاعن فى رسول الله ص إذ زعم أنه قديمكن أن يكون جهاده لالوجه الله تعالى بل لأمر آخر من الأمور التى عددها وبعثه على التفوه بهاإغواء الشيطان وكيده والإفراط فى عداوة من أمر الله بمحبته ونهى عن بغضه وعداوته . [صفحه ۲۸۶] أترى رسول الله ص خفى عليه من أمر على ع مالاح للجاحظ والعثمانية فمدحه و هو غيرمستحق للمدح . قال الجاحظ فصاحب النفس المختارة المعتدلة يكون قتاله طاعة وفراره معصية لأن نفسه معتدلة كالميزان فى استقامة لسانه وكفتيه فإذا لم يكن كذلك كان إقدامه طباعا وفراره طباعا. قال شيخنا أبو جعفررحمه الله فيقال له فلعل إنفاق أبى بكر على ماتزعم أربعين ألف درهم لاثواب له لأن نفسه ربما تكون غيرمعتدلة لأنه يكون مطبوعا على الجود والسخاء ولعل خروجه مع النبى ص يوم الهجرة إلى الغار لاثواب له فيه لأن أسبابه كانت له مهيجة ودواعيه غالبة محبة الخروج وبغض المقام ولعل رسول الله ص فى دعائه إلى الإسلام وإكبابه على الصلوات الخمس فى جوف الليل وتدبيره أمر الأمة لاثواب له فيه لأنه قدتكون نفسه غيرمعتدلة بل يكون فى طباعه الرئاسة وحبها والعبادة والالتذاذ بها ولقد كنا نعجب من مذهب أبى عثمان أن المعارف ضرورة وأنها تقع طباعا و فى قوله بالتولد وحركة الحجر بالطبع حتى رأينا من قوله ما هوأعجب منه فزعم أنه ربما يكون جهاد على ع وقتله المشركين لاثواب له فيه لأنه فعله طبعا و هذاأطرف من قوله فى المعرفة و فى التولد. قال الجاحظ ووجه آخر أن عليا لو كان كمايزعم شيعته ما كان له بقتل الأقران كبير فضيلة و لاعظيم طاعة لأنه قد روى عن النبى ص أنه قال له -روايت-۱-۲-روايت-۳۵-ادامه دارد [صفحه ۲۸۷] ستقاتل بعدى الناكثين والقاسطين والمارقين -روايت-از قبل-۴۸ فإذا كان قدوعده بالبقاء بعده فقد وثق بالسلامة من الأقران وعلم أنه منصور عليهم وقاتلهم فعلى هذا يكون جهاد طلحة والزبير أعظم طاعة منه . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله هذاراجع على الجاحظ فى النبى ص لأن الله تعالى قال له وَ اللّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النّاسِ فلم يكن له فى جهاده كبير طاعة وكثير طاعة و -قرآن-۲۳۵-۲۶۶ كثير من الناس يروى عنه ص اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۶۹ فوجب أن يبطل جهادهما و قد قال للزبير ستقاتل عليا و أنت ظالم له -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۶ فأشعره بذلك أنه لايموت فى حياة رسول الله ص و قال فى الكتاب العزيز لطلحةوَ ما كانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللّهِ وَ لا أَن تَنكِحُوا أَزواجَهُ مِن بَعدِهِقالوا نزلت فى طلحة فأعلمه بذلك أنه يبقى بعده فوجب ألا يكون لهما كبير ثواب فى الجهاد و ألذى صح عندنا من الخبر و هو قوله ستقاتل بعدى الناكثين أنه قال لماوضعت الحرب أوزارها ودخل الناس فى دين الله أفواجا ووضعت الجزية ودانت العرب قاطبة. قال الجاحظ ثم قصد الناصرون لعلى والقائلون بتفضيله إلى الأقران الذين قتلهم فأطروهم وغلوا فيهم وليسوا هناك فمنهم عمرو بن عبدود تركتموه أشجع من عامر بن الطفيل وعتبة بن الحارث وبسطام بن قيس و قدسمعنا بأحاديث حروب الفجار و ما كان بين قريش ودوس وحلف الفضول فما سمعت لعمرو بن عبدود ذكرا فى ذلك . -قرآن-۸۱-۱۶۵ [صفحه ۲۸۸] قال شيخنا أبو جعفررحمه الله أمر عمرو بن عبدود أشهر وأكثر من أن يحتج له فلنتلمح كتب المغازى والسير ولينظر مارثته به شعراء قريش لماقتل فمن ذلك ماذكره محمد بن إسحاق فى مغازيه قال و قال مسافع بن عبدمناف بن زهرة بن حذافة بن جمح يبكى عمرو بن عبد الله بن عبدود حين قتله على بن أبى طالب ع مبارزة لماجزع المذاد أى قطع الخندق عمرو بن عبد كان أول فارس || جزع المذاد و كان فارس مليل سمح الخلائق ماجد ذو مرة || يبغى القتال بشكة لم ينكل ولقد علمتم حين ولوا عنكم || أن ابن عبدمنهم لم يعجل حتى تكفنه الكماة وكلهم || يبغى القتال له و ليس بمؤتل ولقد تكنفت الفوارس فارسا || بجنوب سلع غيرنكس أميل سال النزال هناك فارس غالب || بجنوب سلع ليته لم ينزل فاذهب على ماظفرت بمثلها || فخرا و لولاقيت مثل المعضل نفسى الفداء لفارس من غالب || لاقى حمام الموت لم يتحلحل أعنى ألذى جزع المذاد و لم يكن || فشلا و ليس لدى الحروب بزمل . و قال هبيرة بن أبى وهب المخزومي يعتذر من فراره عن على بن أبى طالب وتركه عمرا يوم الخندق ويبكيه [صفحه ۲۸۹] لعمرك ماوليت ظهرى محمدا || وأصحابه جبنا و لاخيفة القتل ولكننى قلبت أمرى فلم أجد || لسيفى غناء إن وقفت و

لانبلى وقفت فلما لم أجد لى مقدما || صدرت كضرغام هزبر إلى شبل ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد || مجالا و كان الحزم والرأى من فعلى فلاتبعدن ياعمرو حيا وهالكا || فقد مت محمود الثنا ماجد الفعل و لاتبعدن ياعمرو حيا وهالكا || فقد كنت فى حرب العدا مرهف النصل فمن لطراد الخيل تقدع بالقنا || وللبذل يوما عندقرقرة البزل هنالك لو كان ابن عمرو لزارها || وفرجها عنهم فتى غير ماوغل كفتك على لن ترى مثل موقف || وقفت على شلو المقدم كالفحل فما ظفرت كفاك يوما بمثلها || أمنت بها ماعشت من زلة النعل . و قال هبيرة بن أبى وهب أيضا يرثى عمرا ويبكيه لقد علمت عليا لؤى بن غالب || لفارسها عمرو إذاناب نائب وفارسها عمرو إذا مايسوقه || على و إن الموت لاشك طالب عشية يدعوه على وإنه || لفارسها إذ خام عنه الكتائب [صفحه ۲۹۰] فيا لهف نفسى إن عمرا لكائن || بيثرب لازالت هناك المصائب لقد أحرز العليا على بقتله || وللخير يوما لامحالة جالب . و قال حسان بن ثابت الأنصارى يذكر عمرا أمسى الفتى عمرو بن عبدناظرا || كيف العبور وليته لم ينظر ولقد وجدت سيوفنا مشهورة || ولقد وجدت جيادنا لم تقصر ولقد لقيت غداة بدر عصبة || ضربوك ضربا غيرضرب الحسر أصبحت لاتدعى ليوم عظيمة || ياعمرو أولجسيم أمر منكر . و قال حسان أيضا لقد شقيت بنو جمح بن عمرو || ومخزوم وتيم مانقيل وعمرو كالحسام فتى قريش || كأن جبينه سيف صقيل فتى من نسل عامر أريحى || تطاوله الأسنة والنصول دعاه الفارس المقدام لما || تكشفت المقانب والخيول أبوحسن فقنعه حساما || جرازا لاأفل و لانكول فغادره مكبا مسلحبا || على عفراء لا بعدالقتيل .فهذه الأشعار فيه بل بعض ماقيل فيه . و أماالآثار والأخبار فموجودة فى كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم و ليس [صفحه ۲۹۱] أحد من أرباب هذاالعلم يذكر عمرا إلا قال كان فارس قريش وشجاعها وإنما قال له حسان ولقد لقيت غداة بدر عصبة لأنه شهد مع المشركين بدرا وقتل قوما من المسلمين ثم فر مع من فر ولحق بمكة و هو ألذى كان قال وعاهد الله عندالكعبة ألا يدعوه أحد إلى واحدة من ثلاث إلاأجابه وآثاره فى أيام الفجار مشهورة تنطق بهاكتب الأيام والوقائع ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتبة وبسطام وعامر لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب و أهل بادية وقريش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر لايرون الغارات و لاينهبون غيرهم من العرب وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حرمهم فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء. ويقال له إذا كان عمرو كماتذكر ليس هناك فما باله لماجزع الخندق فى ستة فرسان هوأحدهم فصار مع أصحاب النبى ص على أرض واحدة وهم ثلاثة آلاف ودعاهم إلى البراز مرارا لم ينتدب أحد منهم للخروج إليه و لاسمح منهم أحد بنفسه حتى وبخهم وقرعهم وناداهم ألستم تزعمون أنه من قتل منا فإلى النار و من قتل منكم فإلى الجنة أ فلايشتاق أحدكم إلى أن يذهب إلى الجنة أويقدم عدوه إلى النار فجبنوا كلهم ونكلوا وملكهم الرعب والوهل فإما أن يكون هذاأشجع الناس كماقيل عنه أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم و قدروى الناس كلهم الشعر ألذى أنشده لمانكل القوم بجمعهم عنه و أنه جال بفرسه واستدار وذهب يمنة ثم ذهب يسرة ثم وقف تجاه القوم فقال ولقد بححت من النداء || بجمعهم هل من مبارز [صفحه ۲۹۲] ووقفت إذ جبن المشيع || وقفة القرن المناجز وكذاك أنى لم أزل || متسرعا نحو الهزاهز إن الشجاعة فى الفتى || والجود من خير الغرائز . فلما برز إليه على أجابه فقال له لاتعجلن فقد أتاك || مجيب صوتك غيرعاجز ذو نية وبصيرة || يرجو الغداة نجاة فائز إنى لأرجو أن أقيم || عليك نائحة الجنائز من ضربة تفنى ويبقى || ذكرها عندالهزاهز . ولعمرى لقد سبق الجاحظ بما قاله بعض جهال الأنصار لمارجع رسول الله من بدر و قال فتى من الأنصار شهد معه بدرا إن قتلنا إلاعجائز صلعا فقال له النبى ص لاتقل ذلك يا ابن أخ أولئك الملأ. قال الجاحظ و قدأكثروا فى الوليد بن عتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر و ماعلمنا الوليد حضر حربا قط قبلها و لاذكر فيها. قال شيخنا أبو جعفررحمه الله كل من دون أخبار قريش وآثار رجالها وصف الوليد بالشجاعة والبسالة و كان مع شجاعته أنه يصارع الفتيان فيصرعهم و ليس لأنه لم يشهد حربا قبلها مايجب أن يكون بطلا شجاعا فإن عليا ع لم يشهد قبل بدر حربا و قدرأى الناس آثاره فيها. [صفحه ۲۹۳] قال الجاحظ و قدثبت أبوبكر مع النبى

ص يوم أحد كماثبت على فلافخر لأحدهما على صاحبه فى ذلك اليوم . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله أماثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه وجمهورهم يروى أنه لم يبق مع النبى ص إلا على وطلحة والزبير و أبودجانة و قدروى عن ابن عباس أنه قال ولهم خامس و هو عبد الله بن مسعود ومنهم من أثبت سادسا و هوالمقداد بن عمرو وروى يحيى بن سلمة بن كهيل قال قلت لأبى كم ثبت مع رسول الله ص يوم أحد فقال اثنان قلت من هما قال على و أبودجانة. وهب أن أبابكر ثبت يوم أحد كمايدعيه الجاحظ أيجوز له أن يقول ثبت كماثبت على فلافخر لأحدهما على الآخر و هويعلم آثار على ع ذلك اليوم و أنه قتل أصحاب الألوية من بنى عبدالدار منهم طلحة بن أبى طلحة ألذى رأى رسول الله ص فى منامه أنه مردف كبشا فأوله و قال كبش الكتيبة نقتله فلما قتله على ع مبارزة و هوأول قتيل قتل من المشركين ذلك اليوم كبر رسول الله ص و قال هذاكبش الكتيبة. و ما كان منه من المحاماة عن رسول الله ص و قدفر الناس وأسلموه فتصمد له كتيبة من قريش فيقول يا على اكفنى هذه فيحمل عليها فيهزمها ويقتل عميدها حتى سمع المسلمون والمشركون صوتا من قبل السماء لاسيف إلاذو الفقار || و لافتى إلا على و حتى قال النبى ص عن جبرائيل ما قال . أتكون هذه آثاره وأفعاله ثم يقول الجاحظ لافخر لأحدهما على صاحبه . [صفحه ۲۹۴] رَبّنَا افتَح بَينَنا وَ بَينَ قَومِنا بِالحَقّ وَ أَنتَ خَيرُ الفاتِحِينَ. قال الجاحظ ولأبى بكر فى ذلك اليوم مقام مشهور خرج ابنه عبدالرحمن فارسا مكفرا فى الحديد يسأل المبارزة و يقول أنا عبدالرحمن بن عتيق فنهض إليه أبوبكر يسعى بسيفه فقال له النبى ص شم سيفك وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك . قال شيخنا أبو جعفررحمه الله ما كان أغناك يا أباعثمان عن ذكر هذاالمقام المشهور لأبى بكر فإنه لوتسمعه الإمامية لأضافته إلى ماعندها من المثالب لأن قول النبى ص ارجع دليل على أنه لايحتمل مبارزة أحد لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه و أنت تعلم حنو الابن على الأب وتبجيله له وإشفاقه عليه وكفه عنه لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبى. و قوله له ومتعنا بنفسك إيذان له بأنه كان يقتل لوخرج و رسول الله كان أعرف به من الجاحظ فأين حال هذا الرجل من حال الرجل ألذى صلى بالحرب ومشى إلى السيف بالسيف فقتل السادة والقادة والفرسان والرجالة. قال الجاحظ على أن أبابكر و إن لم تكن آثاره فى الحرب كآثار غيره فقد بذل الجهد وفعل مايستطيعه وتبلغه قوته و إذابذل المجهود فلاحال أشرف من حاله . -قرآن-۱-۷۴[صفحه ۲۹۵] قال شيخنا أبو جعفررحمه الله أما قوله إنه بذل الجهد فقد صدق و أما قوله لاحال أشرف من حاله فخطأ لأن حال من بلغت قوته فأعملها فى قتل المشركين أشرف من حال من نقصت قوته عن بلوغ الغاية أ لاترى أن حال الرجل أشرف فى الجهاد من حال المرأة وحال البالغ الأيد أشرف من حال الصبى الضعيف .فهذه جملة ماذكره الشيخ أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافى رحمه الله فى نقض العثمانية اقتصرنا عليها هاهنا وسنعود فيما بعد إلى ذكر جملة أخرى من كلامه إذااقتضت الحال ذكره [صفحه ۲۹۶]

۲۳۹- و من كلام له ع قاله لعبد الله بن عباس و قدجاءه برسالة من عثمان

اشاره

و هومحصور يسأله فيهاالخروج إلى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه للخلافة بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل فقال ع يَا ابنَ عَبّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثمَانُ إِلّا أَن يَجعلَنَي جَمَلًا نَاضِحاً بِالغَربِ أَقبِل وَ أَدبِر بَعَثَ إِلَيّ أَن أَخرُجَ ثُمّ بَعَثَ إِلَيّ أَن أَقدَمَ ثُمّ هُوَ الآنَ يَبعَثُ إِلَيّ أَن أَخرُجَ وَ اللّهِ لَقَد دَفَعتُ عَنهُ حَتّى خَشِيتُ أَن أَكُونَ آثِماً ينبع على يفعل مثل يحلم ويحكم اسم موضع كان فيه نخل لعلى بن أبى طالب ع وينبع الآن بلد صغير من أعمال المدينة. وهتف الناس باسمه نداؤهم ودعاؤهم وأصله الصوت يقال هتف الحمام

يهتف هتفا وهتف زيـد بعمرو هتافا أى صاح به وقوس هتافـۀ وهتفى أى ذات صوت . والناضـح البعير يسـتقى عليه و قال معاوية لقيس بن سعد و قددخل عليه [صفحه ۲۹۷] فى رهط من الأنصار مافعلت نواضـحكم يهزأ به فقال أنصبناها فى طلب أبيك يوم بدر. والغرب الدلو العظيمۀ. قوله أقبل وأدبر أى يقول لى ذلک کمايقال للناضح و قدصرح العباس بن مرداس بهذه الألفاظ فقال أراک إذاأصبحت للقوم ناضحا || يقال له بالغرب أدبر وأقبل . قوله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما يحتمل أن يريد بـالغت واجتهـدت فى الـدفاع عنه حتى خشـيت أن أكون آثمـا فى كثرۀ مبـالغتى واجتهادى فى ذلک وإنه لايسـتحق الـدفاع عنه لجرائمه وأحداثه و هذاتأويل من ينحرف عن عثمان ويحتمل أن يريد لقد دفعت عنه حتى كدت أن ألقى نفسى فى الهلكۀ و أن يقتلنى الناس الـذين ثاروا به فخفت الإثم فى تغريرى بنفسـى وتوريطها فى تلک الورطـۀ العظيمـۀ ويحتمل أن يريد لقد جاهدت الناس دونه ودفعتهم عنه حتى خشيت أن أكون آثما بما نلت منهم من الضرب بالسوط والدفع باليد والإعانۀ بالقول أى فعلت من ذلک أكثر مما يحب

وصيۀ العباس قبل موته لعلى

قرأت فى كتاب صـنفه أبوحيان التوحيدى فى تقريظ الجاحظ قال نقلت من خط الصولى قال الجاحظ إن العباس بن عبدالمطلب أوصـى على بن أبى طالب ع فى علته التى مات فيها فقال أى بنى إنى مشف على الظعن عن الـدنيا إلى الله ألذى فاقتى إلى عفوه وتجوزه أكثر من حاجتى إلى ماأنصـحک فيه وأشـير عليک به [صـفحه ۲۹۸] ولكن العرق نبـوض والرحم عروض و إذاقضـيت حق العمومـۀ فلاأبـالى بعـد إن هـذا الرجل يعنى عثمان قـدجاءنى مرارا بحـديثک وناظرنى ملاينا ومخاشـنا فى أمرک و لم أجد عليـک إلامثـل ماأجـد منـک عليه و لارأيت منه لک إلامثل ماأجـد منک له ولست تؤتى من قلـۀ علم ولكن من قلـۀ قبول و مع هـذاكله فالرأى ألـذى أودعک به أن تمسک عنه لسانک ويـدک وهمزک وغمزک فإنه لايبدؤک ما لم تبدأه و لايجيبک عما لم يبلغه و أنت المتجنى و هوالمتـأنى و أنت العـائب و هوالصامت فإن قلت كيف هـذا و قـدجلس مجلسا أنا به أحق فقـد قاربت ولكن ذاک بمـا كسبت يـداک ونكص عنه عقبـاک لأنـک بالأـمس الأدنى هرولت إليهم تظن أنهم يحلون جيـدک ويختمون إصـبعک ويطئون عقبک ويرون الرشـد بک ويقولون لابـد لنا منک و لامعدل لنا عنک و كان هذا من هفواتک الكبر وهناتک التى ليس لک منها عـذر والآن بعـد ماثللت عرشک بيـدک ونبـذت رأى عمک فى البيـداء يتدهـده فى السافياء خـذ بأحزم مما يتوضـح به وجه الأمر لاتشار هذا الرجل و لاتماره و لايبلغنه عنک مايحنقه عليک فإنه إن كاشـفک أصاب أنصارا و إن كاشـفته لم تر إلاضـرارا و لم تسـتلج إلاعثـارا واعرف من هوبالشـام له و من هاهنـا حوله من يطيع أمره ويمتثل قوله لاتغترر بناس يطيفون بـک ويـدعون الحنو عليـک والحب لـک فـإنهم بين مولى جاهل وصاحب متمن وجليس يرعى العين ويبتـدر المحضـر و لوظن الناس بک ماتظن بنفسک لكان الأمر لک والزمام فى يـدک ولكن هذاحديث يوم مرض رسول الله ص فات ثم حرم الكلام فيه حين مات فعليک الآن بالعزوف عن شىءعرضک [صفحه ۲۹۹] له رسول الله ص فلم يتم وتصديت له مرۀ بعدمرۀ فلم يستقم و من سـاور الـدهر غلب و من حرص على ممنوع تعب فعلى ذلـک فقـد أوصـيت عبـد الله بطاعتک وبعثته على متابعتک وأوجرته محبتـک ووجـدت عنـده من ذلـک ظنى بـه لـک لاـتوتر قوسـک إلا بعدالثقـۀ بها و إذاأعجبتک فانظر إلى سـيتها ثم لاتفوق إلا بعـدالعلم و لاـتغرق فى النزع إلالتصـيب الرميـۀ وانظر لاـتطرف يمينک عينک و لاتجن شـمالک شـينک ودعنى بآيات من آخر سورۀ الكهف وقم إذابـدا لـک قلت النـاس يستحسـنون رأى العباس لعلى ع فى ألا ـيـدخل فى أصـحاب الشورى و أمـا أنافإنى أستحسنه إن قصد به معنى و لاأستحسنه إن قصد به معنى آخر و ذلک لأنه إن أجرى بهذا الرأى إلى ترفعه عليهم وعلو قدره عن

أن يكون مماثلا لهم أوأجرى به إلى زهده فى الإمارة ورغبته عن الولاية فكل هذارأى حسن وصواب و إن كان منزعه فى ذلك إلى أنك إن تركت الدخول معهم وانفردت بنفسك فى دارك أوخرجت عن المدينة إلى بعض أموالك فإنهم يطلبونك ويضربون إليك آباط الإبل حتى يولوك الخلافة و هذا هوالظاهر من كلامه فليس هذاالرأى عندى بمستحسن لأنه لوفعل ذلك لولوا عثمان أوواحدا منهم غيره و لم يكن عندهم من الرغبة فيه ع مايبعثهم على طلبه بل كان تأخره عنهم قرة أعينهم وواقعا بإيثارهم فإن قريشا كلها كانت تبغضه أشد البغض و لوعمر عمر نوح وتوصل إلى الخلافة بجميع أنواع التوصل كالزهد فيهاتارة والمناشدة بفضائله تارة وبما فعله فى ابتداء الأمر من إخراج زوجته وأطفاله ليلا إلى بيوت الأنصار وبما اعتمده إذ ذاك من تخلفه فى بيته وإظهار أنه قدانعكف على جمع القرآن وبسائر أنواع الحيل فيها لم تحصل له إلابتجريد السيف كمافعل فى آخر الأمر ولست ألوم العرب لاسيما قريشا فى بغضها له وانحرافها عنه فإنه وترها وسفك دماءها وكشف القناع فى منابذتها ونفوس العرب وأكبادهم كماتعلم [صفحه ٣٠٠] و ليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد فى النفوس كمانشاهده اليوم عيانا و الناس كالناس الأول والطبائع واحدة فأحسب أنك كنت من سنتين أوثلاث جاهليا أو من بعض الروم و قدقتل واحد من المسلمين ابنك أوأخاك ثم أسلمت أ كان إسلامك يذهب عنك ماتجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه كلا إن ذلك لغير ذاهب هذا إذا كان الإسلام صحيحا والعقيدة محققة لاكإسلام كثير من العرب فبعضهم تقليدا وبعضهم للطمع والكسب وبعضهم خوفا من السيف وبعضهم على طريق الحمية والانتصار أولعداوة قوم آخرين من أضداد الإسلام وأعدائه . واعلم أن كل دم أراقه رسول الله ص بسيف على ع وبسيف غيره فإن العرب بعدوفاته ع عصبت تلك الدماء بعلى بن أبى طالب ع وحده لأنه لم يكن فى رهطه من يستحق فى شرعهم وسنتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلابعلى وحده و هذه عادة العرب إذاقتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل فإن مات أوتعذرت عليها مطالبته طالبت بهاأمثل الناس من أهله . لماقتل قوم من بنى تميم أخا لعمرو بن هند قال بعض أعدائه يحرض عمرا عليهم من مبلغ عمرا بأن || المرء لم يخلق صباره وحوادث الأيام لا- || يبقى لها إلاالحجاره ها إن عجزة أمه || بالسفح أسفل من أواره تسفى الرياح خلال || كشحيه و قدسلبوا إزاره فاقتل زرارة لاأرى || فى القوم أمثل من زراره . [صفحه ٣٠١] فأمره أن يقتل زرارة بن عدس رئيس بنى تميم و لم يكن قاتلا أخا الملك و لاحاضرا قتله . و من نظر فى أيام العرب ووقائعها ومقاتلها عرف ماذكرناه .سألت النقيب أبا جعفريحيى بن أبى زيد رحمه الله فقلت له إنى لأعجب من على ع كيف بقى تلك المدة الطويلة بعد رسول الله ص وكيف مااغتيل وفتك به فى جوف منزله مع تلظى الأكباد عليه . فقال لو لا أنه أرغم أنفه بالتراب ووضع خده فى حضيض الأرض لقتل ولكنه أخمل نفسه واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر فى القرآن وخرج عن ذلك الزى الأول و ذلك الشعار ونسى السيف وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحا فى الأرض أوراهبا فى الجبال و لماأطاع القوم الذين ولوا الأمر وصار أذل لهم من الحذاء تركوه وسكتوا عنه و لم تكن العرب لتقدم عليه إلابمواطاة من متولى الأمر وباطن فى السر منه فلما لم يكن لولاة الأمر باعث وداع إلى قتله وقع الإمساك عنه و لو لا- ذلك لقتل ثم أجل بعدمعقل حصين .فقلت له أحق مايقال فى حديث خالد فقال إن قوما من العلوية يذكرون ذلك . ثم قال و قدروى أن رجلا جاء إلى زفر بن الهذيل صاحب أبى حنيفة فسأله عما يقول أبوحنيفة فى جواز الخروج من الصلاة بأمر غيرالتسليم نحو الكلام والفعل الكثير أوالحدث فقال إنه جائز قد قال أبوبكر فى تشهده ما قال فقال الرجل [صفحه ٣٠٢] و ما ألذى قاله أبوبكر قال لاعليك فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة فقال أخرجوه أخرجوه قدكنت أحدث أنه من أصحاب أبى الخطاب . قلت له فما ألذى تقوله أنت قال أناأستبعد ذلك و إن روته الإمامية. ثم قال أماخالد فلاأستبعد منه الإقدام عليه بشجاعته فى نفسه ولبغضه إياه ولكنى أستبعده من أبى بكر فإنه كان ذا ورع و لم يكن ليجمع بين أخذ الخلافة ومنع فدك وإغضاب فاطمة وقتل على ع حاش لله من ذلك فقلت له أ كان خالد يقدر على قتله قال نعم و لم لايقدر على ذلك والسيف فى عنقه و على أعزل غافل عما يراد به قدقتله ابن

ملجم غيلة وخالد أشجع من ابن ملجم .فسألته عما ترويه الإمامية فی ذلک کيف ألفاظه فضحک و قال کم عالم بالشیء و هويسائل . ثم قال دعنا من هذا ما ألذی تحفظ فی هذاالمعنی قلت قول أبی الطيب نحن أدری و قدسألنا بنجد || أطويل طريقنا أم يطول وکثير من السؤال اشتياق || وکثير من رده تعليل .فاستحسن ذلک و قال لمن عجز البيت ألذی استشهدت به قلت لمحمد بن هانئ المغربی وأوله فی کل يوم أستزيد تجاربا || کم عالم بالشیء و هويسائل .فبارک علی مرارا ثم قال نترک الآن هذا ونتمم ماکنا فيه وکنت أقرأ عليه فی ذلک الوقت جمهرة النسب لابن الکلبی فعدنا إلی القراءة وعدلنا عن الخوض عما کان اعترض الحديث فيه [صفحه ۳۰۳]

۲۴۰- و من کلام له ع اقتص فيه ذکر ما کان منه بعدهجرة النبی ص ثم لحاقه به

فَجَعَلتُ أَتبَعُ مَأخَذَ رَسُولِ اللّهِص فَأَطَأُ ذِکرَهُ حَتّی انتَهَيتُ إِلَی العَرجِ فِی کَلَامٍ طَوِيلٍ قال الرضی رحمه الله تعالی قوله ع فأطأ ذکره من الکلام ألذی رمی به إلی غايتی الإيجاز والفصاحة أراد أنی کنت أعطی خبره ص من بدء خروجی إلی أن انتهيت إلی هذاالموضع فکنی عن ذلک بهذه الکناية العجيبة -روايت-۱-۲۱۶ العرج منزل بين مکة والمدينة إليه ينسب العرجی الشاعر و هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبی العاص بن أمية بن عبدشمس . قال محمد بن إسحاق فی کتاب المغازی لم يعلم رسول الله ص أحدا من المسلمين ما کان عزم عليه من الهجرة إلا علی بن أبی طالب و أبابکر بن أبی قحافة أما علی فإن رسول الله ص أخبره بخروجه وأمره أن يبيت علی [صفحه ۳۰۴] فراشه يخادع المشرکين عنه ليروا أنه لم يبرح فلايطلبوه حتی تبعد المسافة بينهم وبينه و أن يتخلف بعده بمکة حتی يؤدی عن رسول الله ص الودائع التی عنده للناس و کان رسول الله ص استودعه رجال من مکة ودائع لهم لمايعرفونه من أمانته و أما أبوبکر فخرج معه . وسألت النقيب أبا جعفريحيی بن أبی زيد الحسنی رحمه الله فقلت إذاکانت قريش قدمحصت رأيها وألقی إليها إبليس کماروی ذلک الرأی و هو أن يضربوه بأسياف من أيدی جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه فی بطون قريش فلاتطلبه بنو عبدمناف فلما ذا انتظروا به تلک الليلة الصبح فإن الرواية جاءت بأنهم کانوا تسوروا الدار فعاينوا فيهاشخصا مسجی بالبرد الحضرمی الأخضر فلم يشکوا أنه هوفرصدوه إلی أن أصبحوا فوجدوه عليا و هذاطريف لأنهم کانوا قدأجمعوا علی قتله تلک الليلة فما بالهم لم يقتلوا ذلک الشخص المسجی وانتظارهم به النهار دليل علی أنهم لم يکونوا أرادوا قتله تلک الليلة فقال فی الجواب لقد کانوا هموا من النهار بقتله تلک الليلة و کان إجماعهم علی ذلک وعزمهم فی حقنه من بنی عبدمناف لأن الذين محصوا هذاالرأی واتفقوا عليه النضر بن الحارث من بنی عبدالدار و أبوالبختری بن هشام وحکيم بن حزام وزمعة بن الأسود بن المطلب هؤلاء الثلاثة من بنی أسد بن عبدالعزی و أبوجهل بن هشام وأخوه الحارث وخالد بن الوليد بن المغيرة هؤلاء الثلاثة من بنی مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص هؤلاء الثلاثة من بنی سهم وأمية بن خلف وأخوه أبی بن خلف هذان من بنی جمح فنما هذاالخبر من الليل إلی عتبة بن ربيعة بن عبدشمس فلقی منهم قوما فنهاهم عنه و قال إن بنی عبدمناف لاتمسک عن دمه ولکن صفدوه [صفحه ۳۰۵] فی الحديد واحبسوه فی دار من دورکم وتربصوا به أن يصيبه من الموت ماأصاب أمثاله من الشعراء و کان عتبة بن ربيعة سيد بنی عبدشمس ورئيسهم وهم من بنی عبدمناف وبنو عم الرجل ورهطه فأحجم أبوجهل وأصحابه تلک الليلة عن قتله إحجاما ثم تسوروا عليه وهم يظنونه فی الدار فلما رأوا إنسانا مسجی بالبرد الأخضر الحضرمی لم يشکوا أنه هو وائتمروا فی قتله فکان أبوجهل يذمرهم عليه فيهمون ثم يحجمون ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة فرموه فجعل علی يتضور منها ويتقلب ويتأوه تأوها خفيفا فلم يزالوا کذلک فی إقدام عليه وإحجام عنه لمايريده الله تعالی من سلامته ونجاته حتی أصبح و هووقيذ من رمی الحجارة و لو لم يخرج رسول الله

ص إلی المدینـة وأقام بینهم بمکة و لم یقتلوه تلک اللیلة لقتلوه فی اللیلة التی تلیها و إن شـبت الحرب بینهم و بین عبدمناف فإن أباجهل لم یکن بالذی لیمسک عن قتله و کان فاقد البصیرة شدید العزم علی الولوغ فی دمه . قلت للنقیب أفعلم رسول الله ص و علی ع بمـا کان من نهی عتبـة لهم قال لاإنهما لم یعلما ذلک تلک اللیلـة وإنما عرفاه من بعـد ولقـد قال رسول الله ص یوم بـدر لمارأی عتبـة و ما کان منه إن یکن فی القوم خیر ففی صاحب الجمل الأحمر و لوقدرنا أن علیا ع علم ما قال لهم عتبة لم یسـقط ذلـک فضـیلته فی المبیت لأنه لم یکن علی ثقـة من أنهم یقبلون قول عتبـة بل کان ظن الهلاک والقتل أغلب . و أماحال علی ع فلما أدی الودائع خرج بعدثلاث من هجرة النبی [صـفحه ۳۰۶] ص فجاء إلی المدینـة راجلا قدتورمت قدماه فصادف رسول الله ص نازلاـ بقباء علی کلثوم بن الهـدم فنزل معه فی منزله و کان أبوبکر نازلا بقباء أیضا فی منزل حبیب بن یساف ثم خرج رسول الله ص وهما معه من قباء حتی نزل بالمدینة علی أبی أیوب خالد بن یزید الأنصاری وابتنی المسجد [صفحه ۳۰۷]

۲۴۱– و من خطبة له ع

فَاعمَلُوا وَ أَنتُم فِی نَفَسِ البَقَاءِ وَ الصّحُفُ مَنشُورَةٌ وَ التّوبَةُ مَبسُوطَةٌ وَ المُدبِرُ یُدعَی وَ المُسِیءُ یُرجَی قَبلَ أَن یَخمُدَ العَمَلُ وَ یَنقَطِعَ المَهَلُ وَ تَنقَضِیَ المُدّةُ وَ یُسَدّ بَابُ التّوبَةِ وَ تَصعَدَ المَلَائِکَةُ فَأَخَذَ امرُؤٌ مِن نَفسِهِ لِنَفسِهِ وَ أَخَذَ مِن حیَ‌ّ لِمَیّتٍ وَ مِن فَانٍ لِبَاقٍ وَ مِن ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ امرُؤٌ خَافَ اللّهَ وَ هُوَ مُعَمّرٌ إِلَی أَجَلِهِ وَ مَنظُورٌ إِلَی عَمَلِهِ امرُؤٌ أَلجَمَ نَفسَهُ بِلِجَامِهَا وَ زَمّهَا بِزِمَامِهَا فَأَمسَکَهَا بِلِجَامِهَا عَن مَعَاصِی اللّهِ وَ قَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَی طَاعَةِ اللّهِ فی نفس البقاء بفتح الفاء أی فی سعته تقول أنت فی نفس من أمرک أی فی سعة. والصحف منشورة أی وأنتم بعدأحیاء لأنه لاتطوی صحیفة الإنسان إلاـ إذامات والتوبـة مبسوطـة لکم غیرمقبوضـة عنکم و لامردودة علیکم إن فعلتم کماترد علی الإنسان توبته إذااحتضر. والمدبر یـدعی أی من یـدبر منکم ویولی عن الخیر یـدعی إلیه وینادی یافلان أقبل علی مایصلحک . [صفحه ۳۰۸] والمسیء یرجی أی یرجی عوده وإقلاعه .قبل أن یجمد العمل استعارة ملیحة لأن المیت یجمد عمله ویقف ویروی یخمد بالخاء من خمدت النار والأول أحسن . وینقطع المهل أی العمر ألذی أمهلتم فیه . وتصعد الملائکة لأن الإنسان عندموته تصعد حفظته إلی السماء لأنه لم یبق لهم شغل فی الأرض . قوله فأخذ امرؤ ماض یقوم مقام الأمر و قدتقدم شرح ذلک والمعنی أن من یصوم ویصلی فإنما یأخذ بعض قوة نفسه مما یلقی من المشقة لنفسه أی عدة وذخیرة لنفسه یوم القیامـة وکـذلک من یتصدق فإنه یأخذ من ماله و هوجار مجری نفسه لنفسه . وأخذ من حی لمیت أی من حال الحیاة لحال الموت و لو قال من میت لحی کان جیدا أیضا لأن الحی فی الدنیا لیس بحی علی الحقیقة وإنما الحیاة حیاة الآخرة کما قال الله تعالی وَ إِنّ الدّارَ الآخِرَةَ لهَیِ‌َ الحَیَوانُ. وروی أمسکها بلجامها بغیر فاء –قرآن-۷۰۶-۷۴۹ [صفحه ۳۰۹]

۲۴۲– و من خطبة له ع فی شأن الحکمین وذم أهل الشام

اشاره

جُفَاةٌ طَغَامٌ عَبِیدٌ أَقزَامٌ جُمِعُوا مِن کُلّ أَوبٍ وَ تُلُقّطُوا مِن کُلّ شَوبٍ مِمّن یَنبَغِی أَن یُفَقّهَ وَ یُؤَدّبَ وَ یُعَلّمَ وَ یُدَرّبَ وَ یُوَلّی عَلَیهِ وَ یُؤخَذَ عَلَی یَدَیهِ لَیسُوا مِنَ المُهَاجِرِینَ وَ الأَنصَارِ وَ لَا مِنَ الّذِینَ تَبَوّءُوا الدّارَ وَ الإِیمَانَ أَلَا وَ إِنّ القَومَ اختَارُوا لِأَنفُسِهِم أَقرَبَ القَومِ مِمّا یُحِبّونَ وَ إِنّکُمُ اختَرتُم لِأَنفُسِکُم أَقرَبَ القَومِ مِمّا تَکرَهُونَ وَ إِنّمَا عَهدُکُم بِعَبدِ اللّهِ بنِ قَیسٍ بِالأَمسِ یَقُولُ إِنّهَا فِتنَةٌ فَقَطّعُوا أَوتَارَکُم وَ شِیمُوا سُیُوفَکُم فَإِن کَانَ صَادِقاً فَقَد أَخطَأَ بِمَسِیرِهِ غَیرَ مُستَکرَهٍ وَ إِن کَانَ کَاذِباً فَقَد لَزِمَتهُ التّهمَةُ فَادفَعُوا فِی صَدرِ

عَمرِو بنِ العَاصِ بِعَبدِ اللّهِ بنِ العَبّاسِ وَ خُذُوا مَهَلَ الأيّامِ وَ حُوطُوا قوَاصِيَ الإِسلَامِ أَ لَا تَرَونَ إِلَي بِلَادِكُم تُغزَي وَ إِلَي صَفَاتِكُم تُرمَي جفاة جمع جاف أى هم أعراب أجلاف والطغام أوغاد الناس الواحد والجمع فيه سواء. ويقال للأشرار واللئام عبيد و إن كانوا أحرارا. [صفحه ۳۱۰] والأقزام بالزاى رذال الناس وسفلتهم والمسموع قزم الذكر والأنثى والواحد والجمع فيه سواء لأنه فى معنى المصدر قال الشاعر وهم إذاالخيل جالوا فى كتائبها || فوارس الخيل لاميل و لاقزم . ولكنه ع قال أقزام ليوازن بها قوله طغام و قدروى قزام وهى رواية جيدة و قدنطقت العرب بهذه اللفظة و قال الشاعر أحصنوا أمهم من عبدهم || تلك أفعال القزام الوكعه . وجمعوا من كل أوب أى من كل ناحية. وتلقطوا من كل شوب أى من فرق مختلطة. ثم وصف جهلهم وبعدهم عن العلم والدين فقال ممن ينبغى أن يفقه ويؤدب أى يعلم الفقه والأدب ويدرب أى يعود اعتماد الأفعال الحسنة والأخلاق الجميلة. ويولى عليه أى لايستحقون أن يولوا أمرا بل ينبغى أن يحجر عليهم كمايحجر على الصبى والسفيه لعدم رشده وروى ويولى عليه بالتخفيف ويؤخذ على يديه أى يمنع من التصرف . قوله ع و لاالذين تبوءوا الدار والإيمان ظاهر اللفظ يشعر بأن الأقسام ثلاثة وليست إلااثنين لأن الذين تبوءوا الدار والإيمان الأنصار ولكنه ع كرر ذكرهم تأكيدا وأيضا فإن لفظة الأنصار واقعة على كل من كان من الأوس والخزرج الذين أسلموا على عهد رسول الله ص والذين تبوءوا الدار [صفحه ۳۱۱] والإيمان فى الآية قوم مخصوصون منهم وهم أهل الإخلاص والإيمان التام فصار ذكر الخاص بعدالعام كذكره تعالى جبريل وميكائيل ثم قال وَ المَلائِكَةُ بَعدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ وهما من الملائكة ومعنى قوله تبوءوا الدار والإيمان سكنوهما و إن كان الإيمان لايسكن كماتسكن المنازل لكنهم لماثبتوا عليه واطمأنوا سماه منزلا لهم ومتبوأ ويجوز أن يكون مثل قوله -قرآن-۱۴۰-۱۷۴ ورأيت زوجك فى الوغى || متقلدا سيفا ورمحا . ثم ذكر ع أن أهل الشام اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبونه و هوعمرو بن العاص وكرر لفظة القوم و كان الأصل أن يقول ألا و إن القوم اختاروا لأنفسهم أقربهم مما يحبون فأخرجه مخرج قول الله تعالى وَ اتّقُوا اللّهَ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصّدُورِ و ألذى يحبه أهل الشام هوالانتصار على أهل العراق والظفر بهم و كان عمرو بن العاص أقربهم إلى بلوغ ذلك والوصول إليه بمكره وحيلته وخدائعه والقوم فى قوله ثانيا أقرب القوم بمعنى الناس كأنه قال واخترتم لأنفسكم أقرب الناس مما تكرهونه و هو أبو موسى الأشعرى واسمه عبد الله بن قيس و ألذى يكرهه أهل العراق هو مايحبه أهل الشام و هوخذلان عسكر العراق وانكسارهم واستيلاء أهل الشام عليهم و كان أبو موسى أقرب الناس إلى وقوع ذلك وهكذا وقع لبلهه وغفلته وفساد رأيه وبغضه عليا ع من قبل . ثم قال أنتم بالأمس يعنى فى واقعة الجمل قدسمعتم أبا موسى ينهى أهل الكوفة -قرآن-۲۱۱-۲۶۴ [صفحه ۳۱۲] عن نصرتى و يقول لهم هذه هى الفتنة التى وعدنا بهافقطعوا أوتار قسيكم وشيموا سيوفكم أى أغمدوها فإن كان صادقا فما باله سار إلى وصار معى فى الصف وحضر حرب صفين وكثر سواد أهل العراق و إن لم يحارب و لم يسل السيف فإن من حضر فى إحدى الجهتين و إن لم يحارب كمن حارب و إن كان كاذبا فيما رواه من خبر الفتنة فقد لزمته التهمة وقبح الاختلاف إليه فى الحكومة و هذايؤكد صحة إحدى الروايتين فى أمر أبى موسى فإنه قداختلفت الرواية هل حضر حرب صفين مع أهل العراق أم لافمن قال حضر قال حضر و لم يحارب و ماطلبه اليمانيون من أصحاب على ع ليجعلوه حكما كالأشعث بن قيس وغيره إلا و هوحاضر معهم فى الصف و لم يكن منهم على مسافة و لو كان على مسافة لماطلبوه ولكان لهم فيمن حضر غناء عنه و لو كان على مسافة لماوافق على ع على تحكيمه و لا كان على ع ممن يحكم من لم يحضر معه . و قال الأكثرون إنه كان معتزلا للحرب بعيدا عن أهل العراق و أهل الشام . فإن قلت فلم لايحمل قوله ع فإن كان صادقا فقد أخطأ بسيره غيرمستكره على مسيره إلى أمير المؤمنين ع و أهل العراق حيث طلبوه ليفوضوا إليه أمر الحكومة قلت لوحملنا كلامه ع على هذا لم يكن لازما لأبى موسى و كان الجواب عنه هينا و ذلك لأن أبا موسى يقول إنما أنكرت الحرب و ماسرت لأحارب و لالأشهد الحرب و لاأغرى بالحرب وإنما سرت للإصلاح بين الناس وإطفاء نائرة الفتنة فليس يناقض ذلك مارويته

عن الرسول من خبر الفتنة و لا ماقلته فی الكوفة فی واقعة الجمل قطعوا أوتار قسيكم . [صفحه ۳۱۳] قوله ع فادفعوا فی صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس يقال لمن يرام كفه عن أمر يتطاول له ادفع فی صدره و ذلك لأن من يقدم علی أمر ببدنه فيدفع دافع فی صدره حقيقة فإنه يرده أويكاد فنقل ذلك إلی الدفع المعنوی. قوله ع وخذوا مهل الأيام أی اغتنموا سعة الوقت وخذوه مناهبة قبل أن يضيق بكم أويفوت . قوله ع وحوطوا قواصی الإسلام ما بعد من الأطراف والنواحی. ثم قال لهم أ لاترون إلی بلادكم تغزی هذايدل علی أن هذه الخطبة بعدانقضاء أمر التحكيم لأن معاوية بعد أن تم علی أبی موسی من الخديعة ماتم استعجل أمره وبعث السرايا إلی أعمال أمير المؤمنين علی ع . وتقول قدرمی فلان صفاة فلان إذادهاه بداهية قال الشاعر والدهر يوتر قوسه || يرمی صفاتك بالمعابل . وأصل ذلك الصخرة الملساء لايؤثر فيهاالسهام و لايرميها الرامی إلا بعد أن نبل غيرها يقول قدبلغت غارات أهل الشام حدود الكوفة التی هی دار الملك وسرير الخلافة و ذلك لا يكون إلا بعدالإثخان فی غيرها من الأطراف

فصل فی نسب أبی موسی والرأی فيه

عندالمعتزلة ونحن نذكر نسب أبی موسی وشيئا من سيرته وحاله نقلا من كتاب الإستيعاب لابن عبدالبر المحدث ونتبع ذلك بما نقلناه من غيرالكتاب المذكور قال ابن عبدالبر هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضارة بن حرب بن عامر بن عنز بن بكر بن عامر [صفحه ۳۱۴] بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر و هونبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وأمه امرأة من عك أسلمت وماتت بالمدينة واختلف فی أنه هل هو من مهاجرة الحبشة أم لا والصحيح أنه ليس منهم ولكنه أسلم ثم رجع إلی بلاد قومه فلم يزل بها حتی قدم هو وناس من الأشعريين علی رسول الله ص فوافق قدومهم قدوم أهل السفينتين جعفر بن أبی طالب وأصحابه من أرض الحبشة فوافوا رسول الله ص بخيبر فظن قوم أن أبا موسی قدم من الحبشة مع جعفر. وقيل إنه لم يهاجر إلی الحبشة وإنما أقبل فی سفينة مع قوم من الأشعريين فرمت الريح سفينتهم إلی أرض الحبشة وخرجوا منها مع جعفر وأصحابه فكان قدومهم معا فظن قوم أنه كان من مهاجرة الحبشة. قال وولاه رسول الله ص من مخاليف اليمن زبيد وولاه عمر البصرة لماعزل المغيرة عنها فلم يزل عليها إلی صدر من خلافة عثمان فعزله عثمان عنها وولاها عبد الله بن عامر بن كريز فنزل أبو موسی الكوفة حينئذ وسكنها فلما كره أهل الكوفة سعيد بن العاص ودفعوه عنها ولوا أبا موسی وكتبوا إلی عثمان يسألونه أن يوليه فأقره علی الكوفة فلما قتل عثمان عزله علی ع عنها فلم يزل واجدا لذلك علی علی ع حتی جاء منه ما قال حذيفة فيه فقد روی حذيفة فيه كلاما كرهت ذكره و الله يغفر له . قلت الكلام ألذی أشار إليه أبوعمر بن عبدالبر و لم يذكره قوله فيه و قدذكر عنده بالدين أماأنتم فتقولون ذلك و أما أنافأشهد أنه عدو لله ولرسوله وحرب لهما فی الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم [صفحه ۳۱۵] سوء الدار و كان حذيفة عارفا بالمنافقين أسر إليه رسول الله ص أمرهم وأعلمه أسماءهم . وروی أن عمارا سئل عن أبی موسی فقال لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيما سمعته يقول صاحب البرنس الأسود ثم كلح كلوحا علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط. وروی عن سويد بن غفلة قال كنت مع أبی موسی علی شاطئ الفرات فی خلافة عثمان فروی لی خبرا عن رسول الله ص قال سمعته يقول إن بنی إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتی بعثوا حكمين ضالين ضلا وأضلا من اتبعهما و لاينفك أمر أمتی حتی يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من تبعهما -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۸۱ فقلت له احذر يا أبا موسی أن تكون أحدهما قال فخلع قميصه و قال أبرأ إلی الله من ذلك كماأبرأ من قميصی هذا.فأما ماتعتقده المعتزلة فيه فأنا أذكر ماقاله أبو محمد بن متويه فی

كتاب الكفاية قال رحمه الله أما أبو موسى فإنه عظم جرمه بما فعله وأدى ذلك إلى الضرر ألذى لم يخف حاله و كان على ع يقنت عليه و على غيره فيقول أللهم العن معاوية أولا وعمرا ثانيا و أباالأعور السلمى ثالثا و أبا موسى الأشعرى رابعا -روايت-۱-۲-روايت-۹-۹۸ روى عنه ع أنه كان يقول فى أبى موسى صبغ بالعلم صبغا وسلخ منه سلخا -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۷۹ . قال و أبو موسى هو ألذى روى عن النبى ص أنه قال كان فى -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-ادامه دارد [صفحه ۳۱۶] بنى إسرائيل حكمان ضالان وسيكون فى أمتى حكمان ضالان ضال من اتبعهما -روايت-از قبل-۷۷ . و أنه قيل له أ لا يجوز أن تكون أحدهما فقال لا أوكلاما ما هذامعناه فلما بلى به قيل فيه البلاء موكل بالمنطق و لم يثبت فى توبته ماثبت فى توبة غيره و إن كان الشيخ أبو على قدذكر فى آخر كتاب الحكمين أنه جاء إلى أمير المؤمنين ع فى مرض الحسن بن على فقال له أجئتنا عائدا أم شامتا فقال بل عائدا وحدث بحديث فى فضل العيادة. قال ابن متويه و هذه أمارة ضعيفة فى توبته .انتهى كلام ابن متويه وذكرته لك لتعلم أنه عندالمعتزلة من أرباب الكبائر وحكمه حكم أمثاله ممن واقع كبيرة ومات عليها. قال أبوعمر بن عبدالبر واختلف فى تاريخ موته فقيل سنة اثنتين وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين وقيل سنة خمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين . واختلف فى قبره فقيل مات بمكة ودفن بها وقيل مات بالكوفة ودفن بها [صفحه ۳۱۷]

۲۴۳- و من خطبة له ع يذكر فيهاآل محمدص

هُم عَيشُ العِلمِ وَ مَوتُ الجَهلِ يُخبِرُكُم حِلمُهُم عَن عِلمِهِم وَ ظَاهِرُهُم عَن بَاطِنِهِم وَ صَمتُهُم عَن حُكمِ مَنطِقِهِم لَا يُخَالِفُونَ الحَقّ وَ لَا يَختَلِفُونَ فِيهِ وَ هُم دَعَائِمُ الإِسلَامِ وَ وَلَائِجُ الِاعتِصَامِ بِهِم عَادَ الحَقّ إِلَى نِصَابِهِ وَ انزَاحَ البَاطِلُ عَن مَقَامِهِ وَ انقَطَعَ لِسَانُهُ عَن مَنبِتِهِ عَقَلُوا الدّينَ عَقلَ وِعَايَةٍ وَ رِعَايَةٍ لَا عَقلَ سَمَاعٍ وَ رِوَايَةٍ فَإِنّ رُوَاةَ العِلمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ يقول بهم يحيا العلم ويموت الجهل فسماهم حياة ذاك وموت هذانظرا إلى السببية يدلكم حلمهم وصفحهم عن الذنوب على علمهم وفضائلهم ويدلكم ماظهر منهم من الأفعال الحسنة على مابطن من إخلاصهم ويدلكم صمتهم وسكوتهم عما لايعنيهم عن حكمة منطقهم ويروى ويدلكم صمتهم على منطقهم و ليس فى هذه الرواية لفظة حكم . لايخالفون الحق لايعدلون عنه و لايختلفون فيه كمايختلف غيرهم من الفرق وأرباب المذاهب فمنهم من له فى المسألة قولان وأكثر ومنهم من يقول قولا ثم يرجع عنه ومنهم من يرى فى أصول الدين رأيا ثم ينفيه ويتركه . [صفحه ۳۱۸] ودعائم الإسلام أركانه . والولائج جمع وليجة وهى الموضع يدخل إليه ويستتر فيه ويعتصم به . وعاد الحق إلى نصابه رجع إلى مستقره وموضعه وانزاح الباطل زال وانقطع لسانه انقطع حجته .عقلوا الدين عقل رعاية أى عرفوا الدين وعلموه معرفة من وعى الشىء وفهمه وأتقنه ووعاية أى وعوا الدين وحفظوه وحاطوه ليس كمايعقله غيرهم عن سماع ورواية فإن من يروى العلم ويسنده إلى الرجال ويأخذه من أفواه الناس كثير و من يحفظ العلم حفظ فهم وإدراك أصالة لاتقليدا قليل تم الجزء الثالث عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ويليه الجزء الرابع عشر

المجلد ۱۴

الجزء الرابع عشر

باب الكتب والرسائل

اشاره

[صفحه ۵] باب المختار من کتب مولانا أمیر المؤمنین ع ورسائله إلی أعدائه وأولیاء بلاده ویدخل فی ذلک مااختیر من عهوده إلی عماله ووصایاه لأهله وأصحابه -روایت-۱-۱۵۳ لمافرغ من إیراد المختار من خطب أمیر المؤمنین ع وکلامه الجاری مجری الخطب من المواعظ والزواجر شرع فی إیراد باب من مختار کلامه ع و هو ما کان جاریا مجری الرسائل والکتب ویدخل فی ذلک العهود والوصایا و قدأورد فی هذاالباب ما هوبالباب الأول أشبه نحو کلامه ع لشریح القاضی لمااشتری دارا وکلامه لشریح بن هانئ لماجعله علی مقدمته إلی الشام . وسمی مایکتب للولاة عهدا اشتقاقا من قولهم عهدت إلی فلان أی أوصیته [صفحه ۶]

۱- من کتاب له ع إلی أهل الکوفة

اشاره

مِن عَبدِ اللّهِ عَلِیّ أَمِیرِ المُؤمِنِینَ إِلَی أَهلِ الکُوفَةِ جَبهَةِ الأَنصَارِ وَ سَنَامِ العَرَبِ أَمّا بَعدُ فَإِنّی أُخبِرُکُم عَن أَمرِ عُثمَانَ حَتّی یَکُونَ سَمعُهُ کَعِیَانِهِ إِنّ النّاسَ طَعَنُوا عَلَیهِ فَکُنتُ رَجُلًا مِنَ المُهَاجِرِینَ أُکثِرُ استِعتَابَهُ وَ أُقِلّ عِتَابَهُ وَ کَانَ طَلحَةُ وَ الزّبَیرُ أَهوَنُ سَیرِهِمَا فِیهِ الوَجِیفُ وَ أَرفَقُ حِدَائِهِمَا العَنِیفُ وَ کَانَ مِن عَائِشَةَ فِیهِ فَلتَةُ غَضَبٍ فَأُتِیحَ لَهُ قَومٌ قَتَلُوهُ وَ بَایَعَنِی النّاسُ غَیرَ مُستَکرَهِینَ وَ لَا مُجبَرِینَ بَل طَائِعِینَ مُخَیّرِینَ وَ اعلَمُوا أَنّ دَارَ الهِجرَةِ قَد قَلَعَت بِأَهلِهَا وَ قَلَعُوا بِهَا وَ جَاشَت جَیشَ المِرجَلِ وَ قَامَتِ الفِتنَةُ عَلَی القُطبِ فَأَسرِعُوا إِلَی أَمِیرِکُم وَ بَادِرُوا جِهَادَ عَدُوّکُم إِن شَاءَ اللّهُ قوله جبهة الأنصار یمکن أن یرید جماعة الأنصار فإن الجبهة فی اللغة الجماعة ویمکن أن یرید به سادة الأنصار وأشرافهم لأن جبهة الإنسان أعلی أعضائه و لیس یرید بالأنصار هاهنا بنی قیلة بل الأنصار هاهنا الأعوان . [صفحه ۷] قوله ع وسنام العرب أی أهل الرفعة والعلو منهم لأن السنام أعلی أعضاء البعیر. قوله ع أکثر استعتابه وأقل عتابه الاستعتاب طلب العتبی وهی الرضا قال کنت أکثر طلب رضاه وأقل عتابه وتعنیفه علی الأمور و أماطلحة والزبیر فکانا شدیدین علیه . والوجیف سیر سریع و هذامثل للمشمرین فی الطعن علیه حتی إن السیر السریع أبطأ مایسیران فی أمره والحداء العنیف أرفق مایحرضان به علیه . ودار الهجرة المدینة. و قوله قدقلعت بأهلها وقلعوا بهاالباء هاهنا زائدة فی أحد الموضعین و هوالأول وبمعنی من فی الثانی یقول فارقت أهلها وفارقوها و منه قولهم هذامنزل قلعة أی لیس بمستوطن . وجاشت اضطربت والمرجل القدر. و من لطیف الکلام قوله ع فکنت رجلا من المهاجرین فإن فی ذلک من التخلص والتبری ما لایخفی علی المتأمل أ لاتری أنه لم یبق علیه فی ذلک حجة لطاعن حیث کان قدجعل نفسه کواحد من عرض المهاجرین الذین بنفر یسیر منهم انعقدت خلافة أبی بکر وهم أهل الحل والعقد وإنما کان الإجماع حجة لدخولهم فیه . و من لطیف الکلام أیضا قوله فأتیح له قوم قتلوه و لم یقل أتاح الله له قوما و لا قال أتاح له الشیطان قوما وجعل الأمر مبهما. و قدذکر أن خط الرضی رحمه الله مستکرهین بکسر الراء والفتح أحسن وأصوب و إن کان قدجاء استکرهت الشیء بمعنی کرهته . [صفحه ۸] و قال الراوندی المراد بدار الهجرة هاهنا الکوفة التی هاجر أمیر المؤمنین ع إلیها و لیس بصحیح بل المراد المدینة وسیاق الکلام یقتضی ذلک ولأنه کان حین کتب هذاالکتاب إلی أهل الکوفة بعیدا عنهم فکیف یکتب إلیهم یخبرهم عن أنفسهم

أخبار علی

عندمسیره إلی البصرة ورسله إلی أهل الکوفة وروی محمد بن إسحاق عن عمه عبدالرحمن بن یسار القرشی قال لمانزل علی ع الربذة متوجها إلی البصرة بعث إلی الکوفة محمد بن جعفر بن أبی طالب و محمد بن أبی بکر الصدیق وکتب إلیهم هذاالکتاب و زاد فی آخره فحسبی بکم إخوانا وللدین أنصارا فانفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالًا وَ جاهِدُوا بِأَموالِکُم وَ أَنفُسِکُم فِی سَبِیلِ اللّهِ ذلِکُم خَیرٌ لَکُم إِن کُنتُم تَعلَمُونَ -روایت-۱-۲-روایت-۱۵-۱۷۷ روی أبومخنف قال حدثنی الصقعب قال سمعت عبد الله بن جنادة یحدث أن علیا ع لمانزل الربذة بعث هاشم بن عتبة بن أبی وقاص إلی أبی موسی الأشعری و هوالأمیر یومئذ علی الکوفة لینفر إلیه الناس وکتب إلیه معه من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی عبد الله بن قیس أما بعدفإنی قدبعثت إلیک هاشم بن عتبة لتشخص إلی من قبلک من المسلمین لیتوجهوا إلی قوم نکثوا بیعتی وقتلوا شیعتی وأحدثوا فی الإسلام هذاالحدث العظیم فاشخص بالناس إلی معه حین یقدم علیک فإنی لم أولک المصر ألذی أنت فیه و لم أقرک علیه إلالتکون من أعوانی علی الحق وأنصاری علی هذاالأمر و السلام -روایت-۱-۲-روایت-۷۰-۵۹۲ . [صفحه ۹] فأما روایة محمد بن إسحاق فإنه قال لماقدم محمد بن جعفر و محمد بن أبی بکر الکوفة استنفرا الناس فدخل قوم منهم علی أبی موسی لیلا فقالوا له أشر علینا برأیک فی الخروج مع هذین الرجلین إلی علی ع فقال أماسبیل الآخرة فالزموا بیوتکم و أماسبیل الدنیا فاشخصوا معهما فمنع بذلک أهل الکوفة من الخروج وبلغ ذلک المحمدین فأغلظا لأبی موسی فقال أبو موسی و الله إن بیعة عثمان لفی عنق علی وعنقی وأعناقکما و لوأردنا قتالا ماکنا لنبدأ بأحد قبل قتلة عثمان فخرجا من عنده فلحقا بعلی ع فأخبراه الخبر. و أماروایة أبی مخنف فإنه قال إن هاشم بن عتبة لماقدم الکوفة دعا أبو موسی السائب بن مالک الأشعری فاستشاره فقال اتبع ماکتب به إلیک فأبی ذلک وحبس الکتاب وبعث إلی هاشم یتوعده ویخوفه . قال السائب فأتیت هاشما فأخبرته برأی أبی موسی فکتب إلی علی ع لعبد الله علی أمیر المؤمنین من هاشم بن عتبة أما بعد یا أمیر المؤمنین فإنی قدمت بکتابک علی امرئ مشاق بعید الود ظاهر الغل والشنآن فتهددنی بالسجن وخوفنی بالقتل و قدکتبت إلیک هذاالکتاب مع المحل بن خلیفة أخی طیئ و هو من شیعتک وأنصارک وعنده علم ماقبلنا فاسأله عما بدا لک واکتب إلی برأیک و السلام . قال فلما قدم المحل بکتاب هاشم علی علی ع سلم علیه ثم قال الحمد لله ألذی أدی الحق إلی أهله ووضعه موضعه فکره ذلک قوم قد و الله کرهوا نبوة محمدص ثم بارزوه وجاهدوه فرد الله علیهم کیدهم فی نحورهم وجعل دائرة السوء علیهم و الله یا أمیر المؤمنین لنجاهدنهم معک فی کل موطن حفظا لرسول الله ص فی أهل بیته إذ صاروا أعداء لهم بعده . [صفحه ۱۰] فرحب به علی ع و قال له خیرا ثم أجلسه إلی جانبه وقرأ کتاب هاشم وسأله عن الناس و عن أبی موسی فقال و الله یا أمیر المؤمنین ماأثق به و لاآمنه علی خلافک إن وجد من یساعده علی ذلک فقال علی ع و الله ما کان عندی بمؤتمن و لاناصح ولقد أردت عزله فأتانی الأشتر فسألنی أن أقره وذکر أن أهل الکوفة به راضون فأقررته و روی أبومخنف قال وبعث علی ع من الربذة بعدوصول المحل بن خلیفة أخی طیئ عبد الله بن عباس و محمد بن أبی بکر إلی أبی موسی وکتب معهما من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی عبد الله بن قیس أما بعد یا ابن الحائک یاعاض أیر أبیه فو الله إنی کنت لأری أن بعدک من هذاالأمر ألذی لم یجعلک الله له أهلا و لاجعل لک فیه نصیبا سیمنعک من رد أمری والانتزاء علی و قدبعثت إلیک ابن عباس و ابن أبی بکر فخلهما والمصر وأهله واعتزل عملنا مذءوما مدحورا فإن فعلت و إلافإنی قدأمرتهما أن ینابذاک علی سواء إن الله لایهدی کید الخائنین فإذاظهرا علیک قطعاک إربا إربا و السلام علی من شکر النعمة ووفی بالبیعة وعمل برجاء العاقبة -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۶۴۶ . قال أبومخنف فلما أبطأ ابن عباس و ابن أبی بکر عن علی ع و لم یدر ماصنعا رحل عن الربذة إلی ذی قار فنزلها فلما نزل ذا قار بعث إلی الکوفة الحسن ابنه ع وعمار بن یاسر وزید بن صوحان وقیس بن سعد بن عبادة ومعهم کتاب إلی أهل الکوفة فأقبلوا حتی کانوا بالقادسیة فتلقاهم الناس فلما دخلوا الکوفة قرءوا کتاب علی و هو من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی من بالکوفة من المسلمین -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-ادامه دارد [صفحه ۱۱] أما بعدفإنی

خرجت مخرجی هذاإما ظالما وإما مظلوما وإما باغیا وإما مبغیا علی فأنشد الله رجلا بلغه کتابی هذا إلانفر إلی فإن کنت مظلوما أعاننی و إن کنت ظالما استعتبنی و السلام -روایت-از قبل-۱۸۵ . قال أبومخنف فحدثنی موسی بن عبدالرحمن بن أبی لیلی عن أبیه قال أقبلنا مع الحسن وعمار بن یاسر من ذی قار حتی نزلنا القادسیهٔ فنزل الحسن وعمار ونزلنا معهما فاحتبی عمار بحمائل سیفه ثم جعل یسأل الناس عن أهل الکوفهٔ و عن حالهم ثم سمعته یقول ماترکت فی نفسی حزهٔ أهم إلی من ألا نکون نبشنا عثمان من قبره ثم أحرقناه بالنار. قال فلما دخل الحسن وعمار الکوفهٔ اجتمع إلیهما الناس فقام الحسن فاستنفر الناس فحمد الله وصلی علی رسوله ثم قال أیها الناس إنا جئنا ندعوکم إلی الله و إلی کتابه وسنهٔ رسوله و إلی أفقه من تفقه من المسلمین وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون وأوفی من تبایعون من لم یعبه القرآن و لم تجهله السنهٔ و لم تقعد به السابقهٔ إلی من قربه الله تعالی إلی رسوله قرابتین قرابهٔ الدین وقرابهٔ الرحم إلی من سبق الناس إلی کل مأثرهٔ إلی من کفی الله به رسوله و الناس متخاذلون فقرب منه وهم متباعدون وصلی معه وهم مشرکون وقاتل معه وهم منهزمون وبارز معهم وهم محجمون وصدقه وهم یکذبون إلی من لم ترد له روایهٔ و لاتکافأ له سابقهٔ و هویسألکم النصر ویدعوکم إلی الحق ویأمرکم بالمسیر إلیه لتوازروه وتنصروه علی قوم نکثوا بیعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله وانتهبوا بیت ماله فاشخصوا إلیه رحمکم الله فمروا بالمعروف وانهوا عن المنکر واحضروا بما یحضر به الصالحون -روایت-۱-۲-روایت-۸-۹۰۷ . قال أبومخنف حدثنی جابر بن یزید قال حدثنی تمیم بن حذیم الناجی قال قدم علینا [صفحه ۱۲] الحسن بن علی ع وعمار بن یاسر یستنفران الناس إلی علی ع ومعهما کتابه فلما فرغا من قراءهٔ کتابه قام الحسن و هوفتی حدث و الله إنی لأرثی له من حداثهٔ سنه وصعوبهٔ مقامه فرماه الناس بأبصارهم وهم یقولون أللهم سدد منطق ابن بنت نبینا فوضع یده علی عمود یتساند إلیه و کان علیلا من شکوی به فقال الحمد لله العزیز الجبار الواحد القهار الکبیر المتعال سواء منکم من أسر القول و من جهر به و من هومستخف باللیل وسارب بالنهار أحمده علی حسن البلاء وتظاهر النعماء و علی ماأحببنا وکرهنا من شدهٔ ورخاء وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشریک له و أن محمدا عبده ورسوله امتن علینا بنبوته واختصه برسالته وأنزل علیه وحیه واصطفاه علی جمیع خلقه وأرسله إلی الإنس والجن حین عبدت الأوثان وأطیع الشیطان وجحد الرحمن فصلی الله علیه و علی آله وجزاه أفضل ماجزی المسلمین أما بعدفإنی لاأقول لکم إلا ماتعرفون إن أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب أرشد الله أمره وأعز نصره بعثنی إلیکم یدعوکم إلی الصواب و إلی العمل بالکتاب والجهاد فی سبیل الله و إن کان فی عاجل ذلک ماتکرهون فإن فی آجله ماتحبون إن شاء الله ولقد علمتم أن علیا صلی مع رسول الله ص وحده وإنه یوم صدق به لفی عاشرهٔ من سنه ثم شهد مع رسول الله ص جمیع مشاهده و کان من اجتهاده فی مرضاهٔ الله وطاعهٔ رسوله وآثاره الحسنهٔ فی الإسلام ما قدبلغکم و لم یزل رسول الله ص راضیا عنه حتی غمضه بیده وغسله وحده والملائکهٔ أعوانه والفضل ابن عمه ینقل إلیه الماء ثم أدخله حفرته وأوصاه بقضاء دینه وعداته و غیر ذلک من أموره کل ذلک من من الله علیه ثم و الله مادعا إلی نفسه ولقد تداک الناس علیه تداک الإبل الهیم عندورودها فبایعوه طائعین ثم نکث منهم ناکثون بلا حدث أحدثه و لاخلاف أتاه حسدا له وبغیا علیه فعلیکم عباد الله بتقوی الله وطاعته والجد والصبر والاستعانهٔ بالله -روایت-۱-۲-روایت-۹-ادامه دارد [صفحه ۱۳] والخفوف إلی مادعاکم إلیه أمیر المؤمنین عصمنا الله وإیاکم بما عصم به أولیاءه و أهل طاعته وألهمنا وإیاکم تقواه وأعاننا وإیاکم علی جهاد أعدائه وأستغفر الله العظیم لی ولکم -روایت-از قبل-۱۸۷ ثم مضی إلی الرحبهٔ فهیأ منزلا لأبیه أمیر المؤمنین . قال جابر فقلت لتمیم کیف أطاق هذاالغلام ما قدقصصته من کلامه فقال و لماسقط عنی من قوله أکثر ولقد حفظت بعض ماسمعت . قال و لمانزل علی ع ذا قار کتبت عائشهٔ إلی حفصهٔ بنت عمر أما بعدفإنی أخبرک أن علیا قدنزل ذا قار وأقام بهامرعوبا خائفا لمابلغه من عدتنا وجماعتنا فهو بمنزلهٔ الأشقر إن تقدم عقر و إن تأخر نحر فدعت حفصهٔ جواری لها یتغنین ویضربن بالدفوف فأمرتهن أن یقلن فی غنائهن ماالخبر ماالخبر علی فی السفر

كـالفرس الأشـقر إن تقـدم عقر و إن تـأخر نحر. وجعلت بنات الطلقاء يـدخلن على حفصـة ويجتمعن لسـماع ذلك الغناء.فبلغ أم كلثـوم بنـت على ع فلبسـت جلابيبهـا ودخلـت عليهـن فى نسـوة متنكرات ثـم أسـفرت عـن وجههـا فلمـا عرفتهـا حفصـة خجلت واسترجعت فقـالت أم كلثوم لئن تظاهرتما عليه منـذ اليوم لقـد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ماأنزل فقالت حفصـة كفى رحمـك الله وأمرت بالكتـاب فمزق واسـتغفرت الله . قـال أبومخنـف روى هـذاجرير بن يزيـد عن الحكم ورواه الحسن بن دينار عن الحسن البصـرى وذكر الواقدى مثل ذلك وذكر المدائنى أيضا مثله قال فقال سـهل بن حنيف فى ذلك هذه الأشـعار [صفحه ۱۴] عـذرنا الرجـال بحرب الرجـال || فما للنساء و ماللسـباب أ ماحسـبنا ماأتينا به || لك الخير من هتك ذاك الحجاب ومخرجها اليوم من بيتها || يعرفها الـذنب نبح الكلاب إلى أن أتانا كتاب لها || مشوم فيا قبح ذاك الكتاب . قال فحدثنا الكلبى عن أبى صالح أن عليا ع لمانزل ذا قار فى قلة من عسـكره صـعد الزبير منبر البصـرة فقال أ لاألف فارس أسير بهم إلى على فأبيته بياتا وأصبحه صباحا قبل أن يأتيه المدد فلم يجبه أحد فنزل واجما و قال هذه و الله الفتنة التى كنا نحدث بها فقال له بعض مواليه رحمـك الله يا أبا عبـد الله تسـميها فتنـة ثم نقاتل فيها فقال ويحك و الله إنا لنبصـر ثم لانصبر فاسترجع المولى ثم خرج فى الليل فـارا إلى على ع فـأخبره فقـال أللهم عليـك به . قـال أبومخنف و لمـافرغ الحسن بن على ع من خطبته قام بعـده عمار فحمـد الله وأثنى عليه وصـلى على رسـوله ثم قـال أيهـا النـاس أخو نـبيكم و ابن عمه يسـتنفركم لنصـر دين الله و قـدبلاكم الله بحق دينكم وحرمـة أمكم فحق دينكم أوجب وحرمته أعظم أيهـا الناس عليكم بإمام لايؤدب وفقيه لايعلم وصاحب بأس لاينكل وذى سابقة فى الإسـلام ليست لأحـد وإنكم لو قدحضـرتموه بين لكم أمركم إن شاء الله . قال فلما سـمع أبو موسـى خطبة الحسن وعمار قام فصـعد المنبر و قال الحمـد لله ألذى أكرمنا بمحمد فجمعنا بعدالفرقة وجعلنا إخوانا متحابين بعدالعداوة وحرم علينا دماءنا وأموالنا قـال الله سبحانه وَ لاـ تَـأكُلُوا أَموالَكُم بَينَكُم بِالباطِلِ -قرآن-۱۰۵۵-۱۱۰۰ [صـفحه ۱۵] و قـال تعـالى وَ مَن يَقتُل مُؤمِناً مُتَعَمّـِداً فَجَزاؤُهُ جَهَنّمُ خالِداً فِيهافاتقوا الله عباد الله وضـعوا أسـلحتكم وكفوا عن قتال إخوانكم . أما بعد يا أهل الكوفة إن تطيعوا الله باديا وتطيعونى ثانيا تكونوا جرثومـة من جراثيم العرب يأوى إليكم المضـطر ويأمن فيكم الخائف إن عليا إنما يسـتنفركم لجهاد أمكم عائشة وطلحة والزبير حوارى رسول الله و من معهم من المسـلمين و أناأعلم بهذه الفتن أنها إذاأقبلت شـبهت و إذاأدبرت أسفرت إنى أخـاف عليكم أن يلتقى غـاران منكم فيقتتلاـ ثم يتركـا كالأحلاـس الملقـاة بنجـوة من الأـرض ثم يبقى رجرجـة من النـاس لايـأمرون بـالمعروف و لاـينهون عن منكر إنهـا قـدجاءتكم فتنـة كـافرة لايـدرى من أين تؤتى تترك الحليم حيران كأنى أسـمع رسول الله ص بالأـمس يـذكر الفتن فيقول أنت فيهانائمـا خير منـك قاعـدا و أنت فيهاجالسا خير منك قائما و أنت فيهاقائما خير منـك ساعيـا فثلموا سـيوفكم وقصـفوا رمـاحكم وانصـلوا سـهامكم وقطعوا أوتاركم وخلوا قريشا ترتق فتقها وترأب صـدعها فإن فعلت فلأنفسها مافعلت و إن أبت فعلى أنفسها ماجنت سمنها فى أديمها استنصحونى و لاتستغشونى وأطيعونى و لاتعصونى يتبين لكم رشدكم ويصلى هذه الفتنة من جناها فقام إليه عمار بن ياسر فقال أنت سمعت رسول الله ص يقول ذلك قال نعم هذه يدى بما قلت فقال إن كنت صادقا فإنما عناك بـذلك وحـدك واتخـذ عليك الحجة فالزم بيتك و لاتدخلن فى الفتنة أماإنى أشـهد أن رسول الله ص أمر عليا بقتال الناكثين وسـمى له فيهم من سـمى وأمره بقتال القاسطين و إن شئت لأقيمن لك شهودا يشهدون أن رسول الله ص -قرآن-۱۵-۸۲ [صفحه ۱۶] إنما نهاك وحدك وحذرك من الدخول فى الفتنة ثم قال له أعطنى يدك على ماسـمعت فمـد إليه يـده فقـال له عمـار غلب الله من غالبه وجاهـده ثم جـذبه فنزل عن المنبر. وروى محمـد بن جرير الطبرى فى التاريـخ قال لماأتى عليا ع الخبر و هوبالمدينـة بأمر عائشـة وطلحـة والزبير وأنهم قـدتوجهوا نحو العراق خرج يبادر و هويرجو أن يدركهم ويردهم فلما انتهى إلى الربذة أتاه عنهم أنهم قدأمعنوا فأقام بالربذة أياما وأتاه عنهم أنهم يريدون البصـرة فسـر بذلك و قـال إن أهل الكوفـة أشـد لى حبا وفيهم رؤساء العرب وأعلامهم فكتب إليهم إنى قـداخترتكم على الأمصار وإنى بالأثر. قال أبو

جعفر محمـد بن جرير رحمه الله كتب على ع من الربـذة إلى أهـل الكوفـة أما بعـدفإنى قـداخترتكم وآثرت النزول بين أظهركم لماأعرف من مودتكم وحبكم لله ورسوله فمن جاءنى ونصرنى فقد أجاب الحق وقضـى ألذى عليه -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-۲۲۶ . قال أبو جعفرفأول من بعثه على ع من الربـذة إلى الكوفـة محمـد بن أبى بكر و محمـد بن جعفرفجاء أهل الكوفة إلى أبى موسـى و هوالأمير عليهم ليستشيروه فى الخروج إلى على بن أبى طالب ع فقال لهم أماسبيل الآخرة فأن تقعـدوا و أماسبيل الدنيا فأن تخرجوا. وبلغ المحمدين قول أبى موسى الأشعرى فأتياه وأغلظا له فأغلظ لهما و قال [صفحه ۱۷] لايحل لك القتال مع على حتى لايـبقى أحـد من قتلـة عثمان إلاقتل حيث كان وقالت أخت على بن عـدى من بنى عبـدالعزى بن عبدشـمس و كان أخوها على بن عدى من شيعة على ع و فى جملة عسكره لاهم فاعقر بعلى جمله || و لاتبارك فى بعير حمله ألا على بن عدى ليس له . قال أبو جعفر ثم أجمع على ع على المسير من الربـذة إلى البصـرة فقام إليه رفاعة بن رافع فقال يا أمير المؤمنين أى شـىءتريد وأين تـذهب بنـا قـال أما ألـذى نريـد وننوى فإصـلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه قال فإن لم يقبلوا قال نـدعوهم ونعطيهم من الحق مـانرجو أن يرضوا به قـال فـإن لم يرضوا قـال نـدعهم ماتركونا قال فإن لم يتركونا قال نمتنع منهم قال فنعم إذا. وقام الحجاج بن غزية الأنصارى فقال و الله يا أمير المؤمنين لأرضينك بالفعل كماأرضيتنى منذ اليوم بالقول ثم قال دراكها قبل الفوت || وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت لاوألت نفسى إن خفت الموت ولله لننصرن الله عز و جل كماسمانا أنصارا. قال أبو جعفررحمه الله وسار على ع نحو البصرة ورأيته مع ابنه محمد بن الحنفية و على ميمنته عبد الله بن عباس و على ميسرته عمر بن أبى سلمة و على ع فى القلب على ناقة حمراء يقود فرسا كميتا فتلقاه بفيد غلام من [صـفحه ۱۸] بنى سعد بن ثعلبة يدعى مرة فقال من هؤلاء قيل هـذا أمير المؤمنين فقال سـفرة قانيـة فيهادماء من نفوس فانيـة فسـمعها على ع فدعاه فقال مااسـمك قال مرة قال أمر الله عيشـك أكاهن سائر اليوم قال بل عائف فخلى سبيله ونزل بفيد فأتته أسد وطيئ فعرضوا عليه أنفسـهم فقال الزموا قراركم ففى المهاجرين كفايـة. وقـدم رجل من الكوفـة فيـدا فأتى عليا ع فقال له من الرجل قال عامر بن مطرف قال الليثى قال الشيبانى قال أخبرنى عما وراءك قال إن أردت الصلح فأبو موسى صاحبك و إن أردت القتال فأبو موسى ليس لك بصاحب فقال ع ماأريد إلاالصلح إلا أن يرد علينا قال أبو جعفر وقـدم عليه عثمان بن حنيف و قـدنتف طلحـة والزبير شـعر رأسه ولحيته وحاجبيه فقال يا أمير المؤمنين بعثتنى ذا لحية وجئتك أمرد فقال أصبت خيرا وأجرا ثم قال أيها الناس إن طلحة والزبير بايعانى ثم نكثانى بيعتى وألبا على الناس و من العجب انقيادهمـا لأبى بكر وعمر وخلافهمـا على و الله إنهمـا ليعلمـان أنى لست بـدونهما أللهم فاحلل ماعقـدا و لاتبرم ما قدأحكما فى أنفسـهما وأرهما المساءة فيما قدعملا -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۱۸ . قـال أبو جعفر وعاد محمـد بن أبى بكر و محمـد بن جعفر إلى على ع فلقيـاه و قـدانتهى إلى ذى قار فأخبراه الخبر فقال على ع لعبـد الله بن العباس اذهب أنت إلى الكوفة فادع أبا موسى إلى الطاعـة وحـذره من العصـيان والخلاف واسـتنفر الناس فـذهب عبـد الله بن عباس حتى قـدم الكوفـة فلقى أبا موسـى واجتمع الرؤساء من أهل الكوفة فقام أبو موسـى فخطبهم و قال إن أصـحاب رسول الله ص صحبوه فى مواطن كثيرة فهم أعلم بالله ممن لم يصحبه و إن لكم على حقا [صفحه ۱۹] و أنامؤديه إليكم أمر ألا تستخفوا بسلطان الله وألا تجترءوا على الله أن تأخـذوا كـل من قـدم عليكم من أهل المدينـة فى هـذاالأمر فتردوه إلى المدينـة حتى تجتمع الأمـة على إمام ترتضـى به إنها فتنة صمـاء النـائم فيهـاخير من اليقظـان واليقظان خير من القاعـد والقاعـد خير من القائم والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومـة من جراثيـم العرب أغمـدوا سـيوفكم وأنصـلوا أسـنتكم واقطعـوا أوتـار قسـيكم حـتى يلـتئم هـذاالأمر وتنجلى هـذه الفتنـة. قـال أبو جعفررحمه الله فرجع ابن عباس إلى على ع فأخبره فدعا الحسن ابنه ع وعمار بن ياسر وأرسلهما إلى الكوفة فلما قدماها كان أول من أتاهما مسـروق بن الأجدع فسـلم عليهما وأقبل على عمار فقال يا أبااليقظان علام قتلتم أمير المؤمنين قال على شـتم أعراضـنا وضـرب أبشارنا قال فو الله ماعاقبتم بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لكان خيرا للصابرين ثم خرج أبو موسى فلقى الحسن ع فضمه

إليه و قال لعمار يا أباالیقظان أغدوت فیمن غدا علی أمیر المؤمنین وأحللت نفسک مع الفجار قال لم أفعل و لم تسوءنی فقطع علیهما الحسن و قال لأبی موسی یا أبا موسی لم تثبط الناس عنا فو الله ماأردنا إلاالإصلاح و مامثل أمیر المؤمنین یخاف علی شیء قال أبو موسی صدقت بأبی وأمی ولکن المستشار مؤتمن سمعت رسول الله ص یقول ستکون فتنة وذکر تمام الحدیث فغضب عمار وساءه ذلک و قال أیها الناس إنما قال رسول الله ص ذلک له خاصة وقام رجل من بنی تمیم فقال لعمار اسکت أیها العبد أنت أمس مع الغوغاء وتسافه أمیرنا الیوم وثار زید بن صوحان وطبقته فانتصروا لعمار وجعل أبو موسی یکف الناس ویردعهم عن الفتنة ثم انطلق حتی صعد المنبر وأقبل زید بن صوحان ومعه کتاب من عائشة إلیه خاصة و کتاب منها إلی أهل الکوفة عامة تثبطهم عن نصرة [صفحه ۲۰] علی وتأمرهم بلزوم الأرض و قال أیها الناس انظروا إلی هذه أمرت أن تقر فی بیتها وأمرنا نحن أن نقاتل حتی لاتکون فتنة فأمرتنا بما أمرت به ورکبت ماأمرنا به فقام إلیه شبث بن ربعی فقال له و ما أنت وذاک أیها العمانی الأحمق سرقت أمس بجلولاء فقطعک الله وتسب أم المؤمنین فقام زید وشال یده المقطوعة وأومأ بیده إلی أبی موسی و هو علی المنبر و قال له یا عبد الله بن قیس أترد الفرات عن أمواجه دع عنک مالست تدرکه ثم قرأالم أَ حَسِبَ النّاسُ أَن یُترَکُوا أَن یَقُولُوا آمَنّا ...الآیتین ثم نادی سیروا إلی أمیر المؤمنین وصراط سید المرسلین وانفروا إلیه أجمعین وقام الحسن بن علی ع فقال أیها الناس أجیبوا دعوة إمامکم وسیروا إلی إخوانکم فإنه سیوجد لهذا الأمر من ینفر إلیه و الله لأن یلیه أولو النهی أمثل فی العاجلة وخیر فی العاقبة فأجیبوا دعوتنا وأعینونا علی أمرنا أصلحکم الله . وقام عبدخیر فقال یا أبا موسی أخبرنی عن هذین الرجلین أ لم یبایعا علیا قال بلی قال أفأحدث علی حدثا یحل به نقض بیعته قال لاأدری قال لادریت و لاأتیت إذاکنت لاتدری فنحن تارکوک حتی تدری أخبرنی هل تعلم أحدا خارجا عن هذه الفرق الأربع علی بظهر الکوفة وطلحة والزبیر بالبصرة ومعاویة بالشام وفرقة رابعة بالحجاز قعود لایجبی بهم فیء و لایقاتل بهم عدو فقال أبو موسی أولئک خیر الناس قال عبدخیر اسکت یا أبا موسی فقد غلب علیک غشک . قال أبو جعفر وأتت الأخبار علیا ع باختلاف الناس بالکوفة فقال للأشتر أنت شفعت فی أبی موسی أن أقره علی الکوفة فاذهب فأصلح ماأفسدت -قرآن-۴۴۸-۵۰۸ [صفحه ۲۱] فقام الأشتر فشخص نحو الکوفة فأقبل حتی دخلها و الناس فی المسجد الأعظم فجعل لایمر بقبیلة إلادعاهم و قال اتبعونی إلی القصر حتی وصل القصر فاقتحمه و أبو موسی یومئذ یخطب الناس علی المنبر ویثبطهم وعمار یخاطبه و الحسن ع یقول اعتزل عملنا وتنح عن منبرنا لاأم لک . قال أبو جعفروی أبومریم الثقفی قال و الله إنی لفی المسجد یومئذ إذ دخل علینا غلمان أبی موسی یشتدون ویبادرون أبا موسی أیها الأمیر هذاالأشتر قدجاء فدخل القصر فضربنا وأخرجنا فنزل أبو موسی من المنبر وجاء حتی دخل القصر فصاح به الأشتر اخرج من قصرنا لاأم لک أخرج الله نفسک فو الله إنک لمن المنافقین قدیما قال أجلنی هذه العشیة قال قدأجلتک و لاتبیتن فی القصر اللیلة ودخل الناس ینتهبون متاع أبی موسی فمنعهم الأشتر و قال إنی قدأخرجته وعزلته عنکم فکف الناس حینئذ عنه . قال أبو جعفروی الشعبی عن أبی الطفیل قال قال علی ع یأتیکم من الکوفة اثنا عشر ألف رجل و رجل واحد -روایت-۱-۲-روایت-۶۴-۱۱۲ فو الله لقعدت علی نجفة ذی قار فأحصیتهم واحدا واحدا فما زادوا رجلا و لانقصوا رجلا

فصل فی نسب عائشة وأخبارها

وینبغی أن نذکر فی هذاالموضع طرفا من نسب عائشة وأخبارها و مایقوله أصحابنا المتکلمون فیهاجریا علی عادتنا فی ذکر مثل ذلک کلما مررنا بذکر أحد من الصحابة [صفحه ۲۲] أمانسبها فإنها ابنة أبی بکر و قدذکرنا نسبه فیما تقدم وأمها أم رومان ابنة

عامر بن عويمر بن عبدشمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن تميم بن مالك بن كنانة تزوجها رسول الله ص بمكة قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وهى بنت ست سنين وقيل بنت سبع سنين وبنى عليها بالمدينة وهى بنت تسع لم يختلفوا فى ذلك . وكانت تذكر لجبير بن مطعم وتسمى له وورد فى الأخبار الصحيحة أن رسول الله ص أرى عائشة فى المنام فى سرقة حرير متوفى خديجة رضى الله عنها فقال إن يكن هذا من عند الله يمضه فتزوجها بعدموت خديجة بثلاث سنين وتزوجها فى شوال وأعرس بهابالمدينة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا من مهاجره إلى المدينة. و قال ابن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب كانت عائشة تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبتها فى شوال على أزواجهن وتقول هل كان فى نسائه أحظى عنده منى و قدنكحنى وبنى على فى شوال . قلت قرئ هذاالكلام على بعض الناس فقال كيف رأت الحال بينها و بين أحمائها و أهل بيت زوجها. وروى أبوعمر بن عبدالبر فى الكتاب المذكور أن رسول الله ص توفى عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة فكان سنها معه تسع سنين و لم ينكح بكرا غيرها واستأذنت رسول الله ص فى الكنية فقال لها اكتنى بابنك عبد الله بن الزبير يعنى ابن أختها فكانت كنيتها أم عبد الله وكانت فقيهة عالمة بالفرائض والشعر والطب . [صفحه ۲۳] و روى أن النبى ص قال فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۷۳ وأصحابنا يحملون لفظة النساء فى هذاالخبر على زوجاته لأن فاطمة ع عندهم أفضل منها لقوله ص إنها سيدة نساء العالمين -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۷ . وقذفت بصفوان بن المعطل السلمى فى سنة ست منصرف رسول الله ص من غزاة بنى المصطلق وكانت معه فقال فيها أهل الإفك ماقالوا ونزل القرآن ببراءتها. وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التى فى سورة النور لم تنزل فيها وإنما أنزلت فى مارية القبطية و ماقذفت به مع الأسود القبطى وجحدهم لإنزال ذلك فى عائشة جحد لمايعلم ضرورة من الأخبار المتواترة ثم كان من أمرها وأمر حفصة و ماجرى لهما مع رسول الله ص فى الأمر ألذى أسره على إحداهما ما قدنطق الكتاب العزيز به واعتزل رسول الله ص نساءه كلهن واعتزلهما معهن ثم صالحهن وطلق حفصة ثم راجعها وجرت بين عائشة وفاطمة إبلاغات وحديث يوغر الصدور فتولد بين عائشة و بين على ع نوع ضغينة وانضم إلى ذلك إشارته على رسول الله ص فى قصة الإفك بضرب الجارية وتقريرها و قوله إن النساء كثير. ثم جرى حديث صلاة أبى بكر بالناس فتزعم الشيعة أن رسول الله ص لم يأمر بذلك و أنه إنما صلى بالناس عن أمر عائشة ابنته و أن رسول الله ص خرج متحاملا و هومثقل فنحاه عن المحراب وزعم معظم المحدثين أن ذلك كان عن أمر رسول الله ص و قوله ثم اختلفوا فمنهم من قال نحاه وصلى هوبالناس ومنهم من قال بل ائتم بأبى بكر كسائر الناس ومنهم [صفحه ۲۴] من قال كان الناس يصلون بصلاة أبى بكر و أبوبكر يصلى بصلاة رسول الله ص . ثم كان منها فى أمر عثمان وتضريب الناس عليه ما قدذكرناه فى مواضعه ثم تلا ذلك يوم الجمل . واختلف المتكلمون فى حالها وحال من حضر واقعة الجمل فقالت الإمامية كفر أصحاب الجمل كلهم الرؤساء والأتباع و قال قوم من الحشوية والعامة اجتهدوا فلاإثم عليهم و لانحكم بخطئهم و لاخطإ على ع وأصحابه . و قال قوم من هؤلاء بل نقول أصحاب الجمل أخطئوا ولكنه خطأ مغفور وكخطإ المجتهد فى بعض مسائل الفروع عند من قال بالأشبه و إلى هذاالقول يذهب أكثر الأشعرية. و قال أصحابنا المعتزلة كل أهل الجمل هالكون إلا من ثبتت توبته منهم قالوا وعائشة ممن ثبتت توبتها وكذلك طلحة والزبير أماعائشة فإنها اعترفت لعلى ع يوم الجمل بالخطإ وسألته العفو و قدتواترت الرواية عنها بإظهار الندم وأنها كانت تقول ليته كان لى من رسول الله ص بنون عشرة كلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وثكلتهم و لم يكن يوم الجمل وأنها كانت تقول ليتنى مت قبل يوم الجمل وأنها كانت إذاذكرت ذلك اليوم تبكى حتى تبل خمارها و أماالزبير فرجع عن الحرب معترفا بالخطإ لماأذكره على ع ماأذكره و أماطلحة فإنه مر به و هوصريع فارس فقال له قف فوقف قال من أى الفريقين أنت قال من أصحاب أمير المؤمنين قال أقعدنى فأقعده فقال امدد يدك أبايعك لأمير المؤمنين فبايعه . [صفحه ۲۵] و قال شيوخنا ليس لقائل أن يقول مايروى من أخبار الآحاد بتوبتهم لايعارض ماعلم قطعا من

معصيتهم قالوا لأن التوبة إنما يحكم بهاللمكلف على غالب الظن فى جميع المواضع لا على القطع أ لاترى أنانجوز أن يكون من أظهر التوبة منافقا وكاذبا فبان أن المرجع فى قبولها فى كل موضع إنما هو إلى الظن فجاز أن يعارض ماعلم من معصيتهم بما يظن من توبتهم [صفحه ۲۶]

۲– و من كتاب له ع إليهم بعدفتح البصرة

وَ جَزَاكُمُ اللّهُ مِن أَهلِ مِصرٍ عَن أَهلِ بَيتِ نَبِيّكُم أَحسَنَ مَا يجَزيِ العَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَ الشّاكِرِينَ لِنِعمَتِهِ فَقَد سَمِعتُم وَ أَطَعتُم وَ دُعِيتُم فَأَجَبتُم موضع قوله من أهل مصر نصب على التمييز ويجوز أن يكون حالا فإن قلت كيف يكون تمييزا وتقديره وجزاكم الله متمدنين أحسن مايجزى المطيع والتمييز لا يكون إلاجامدا و هذامشتق قلت إنهم أجازوا كون التمييز مشتقا فى نحو قولهم ما أنت جارة وقولهم ياسيدا ما أنت من سيد. و مايجوز أن تكون مصدرية أى أحسن جزاء العاملين ويجوز أن تكون بمعنى ألذى و يكون قدحذف العائد إلى الموصول وتقديره أحسن ألذى يجزى به العاملين [صفحه ۲۷]

۳– و من كتاب له ع كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

اشاره

روُيَ أَنّ شُرَيحَ بنَ الحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ ع اشتَرَى عَلَى عَهدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَاستَدعَى شُرَيحاً وَ قَالَ لَهُ بلَغَنَيِ أَنّكَ ابتَعتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً وَ كَتَبتَ لَهَا كِتَاباً وَ أَشهَدتَ فِيهِ شُهُوداً فَقَالَ لَهُ شُرَيحٌ قَد كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ قَالَ فَنَظَرَ إِلَيهِ نَظَرَ المُغضَبِ ثُمّ قَالَ لَهُ يَا شُرَيحُ أَمَا إِنّهُ سَيَأتِيكَ مَن لَا يَنظُرُ فِي كِتَابِكَ وَ لَا يَسأَلُكَ عَن بَيّنَتِكَ حَتّى يُخرِجَكَ مِنهَا شَاخِصاً وَ يُسلِمَكَ إِلَى قَبرِكَ خَالِصاً فَانظُر يَا شُرَيحُ لَا تَكُونُ ابتَعتَ هَذِهِ الدّارَ مِن غَيرِ مَالِكَ أَو نَقَدتَ الثّمَنَ مِن غَيرِ حَلَالِكَ فَإِذَا أَنتَ قَد خَسِرتَ دَارَ الدّنيَا وَ دَارَ الآخِرَةِ. أَمَا إِنّكَ لَو كُنتَ أَتَيتَنيِ عِندَ شِرَائِكَ مَا اشتَرَيتَ لَكَتَبتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النّسخَةِ فَلَم تَرغَب فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدّارِ بِالدّرهَمِ فَمَا فَوقُ وَ النّسخَةُ هَذِهِ هَذَا مَا اشتَرَى عَبدٌ ذَلِيلٌ مِن مَيّتٍ قَد أُزعِجَ لِلرّحِيلِ اشتَرَى مِنهُ دَاراً مِن دَارِ الغُرُورِ مِن جَانِبِ الفَانِينَ وَ خِطّةِ الهَالِكِينَ وَ تَجمَعُ هَذِهِ الدّارَ حُدُودٌ أَربَعَةٌ الحَدّ الأَوّلُ يَنتَهِي إِلَى دوَاَعيِ الآفَاتِ وَ الحَدّ الثاّنيِ يَنتَهِي إِلَى دوَاَعيِ المُصِيبَاتِ وَ الحَدّ الثّالِثُ يَنتَهِي إِلَى الهَوَى المردُيِ وَ الحَدّ الرّابِعُ يَنتَهِي إِلَى الشّيطَانِ المغُويِ وَ فِيهِ يُشرَعُ بَابُ هَذِهِ الدّارِ اشتَرَى هَذَا المُغتَرّ بِالأَمَلِ مِن هَذَا [صفحه ۲۸] المُزعَجِ بِالأَجَلِ هَذِهِ الدّارَ بِالخُرُوجِ مِن عِزّ القَنَاعَةِ وَ الدّخُولِ فِي ذُلّ الطّلَبِ وَ الضّرَاعَةِ فَمَا أَدرَكَ هَذَا المشُترَيِ فِيمَا اشتَرَى مِن دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلبِلِ أَجسَامِ المُلُوكِ وَ سَالِبِ نُفُوسِ الجَبَابِرَةِ وَ مُزِيلِ مُلكِ الفَرَاعِنَةِ مِثلِ كِسرَى وَ قَيصَرَ وَ تُبّعٍ وَ حِميَرَ وَ مَن جَمَعَ المَالَ عَلَى المَالِ فَأَكثَرَ وَ مَن بَنَى وَ شَيّدَ وَ زَخرَفَ وَ نَجّدَ وَ ادّخَرَ وَ اعتَقَدَ وَ نَظَرَ بِزَعمِهِ لِلوَلَدِ إِشخَاصُهُم جَمِيعاً إِلَى مَوقِفِ العَرضِ وَ الحِسَابِ وَ مَوضِعِ الثّوَابِ وَ العِقَابِ إِذَا وَقَعَ الأَمرُ بِفَصلِ القَضَاءِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ المُبطِلُونَ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ العَقلُ إِذَا خَرَجَ مِن أَسرِ الهَوَى وَ سَلِمَ مِن عَلَائِقِ الدّنيَا

نسب شريح وذكر بعض أخباره

هوشريح بن الحارث بن المنتجع بن معاوية بن جهم بن ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد الكندى وقيل إنه

حليف لكندة من بنى الرائش . و قال ابن الكلبى ليس اسم أبيه الحارث وإنما هوشريح بن معاوية بن ثور. و قال قوم هوشريح بن هانئ . و قال قوم هوشريح بن شراحيل والصحيح أنه شريح بن الحارث ويكنى أباأمية استعمله عمر بن الخطاب على القضاء بالكوفة فلم يزل قاضيا ستين سنة لم يتعطل فيها إلاثلاث سنين فى فتنة ابن الزبير امتنع فيها من القضاء ثم استعفى الحجاج من [صفحه ۲۹] العمل فأعفاه فلزم منزله إلى أن مات وعمر عمرا طويلا قيل إنه عاش مائة سنة وثمانيا وستين وقيل مائة سنة وتوفى سنة سبع وثمانين . و كان خفيف الروح مزاحا فقدم إليه رجلان فأقر أحدهما بما ادعى به خصمه و هو لايعلم فقضى عليه فقال لشريح من شهد عندك بهذا قال ابن أخت خالك وقيل إنه جاءته امرأته تبكى وتتظلم على خصمها فما رق لها حتى قال له إنسان كان بحضرته أ لاتنظر أيها القاضى إلى بكائها فقال إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون . وأقر على ع شريحا على القضاء مع مخالفته له فى مسائل كثيرة من الفقه مذكورة فى كتب الفقهاء. واستأذنه شريح وغيره من قضاة عثمان فى القضاء أول ماوقعت الفرقة فقال اقضوا كماكنتم تقضون حتى تكون للناس جماعة أوأموت كمامات أصحابى. وسخط على ع مرة عليه فطرده عن الكوفة و لم يعزله عن القضاء وأمره بالمقام ببانقيا وكانت قرية قريبة من الكوفة أكثر ساكنها اليهود فأقام بهامدة حتى رضى عنه وأعاده إلى الكوفة. و قال أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب أدرك شريح الجاهلية و لايعد من الصحابة بل من التابعين و كان شاعرا محسنا و كان سناطا لاشعر فى وجهه قوله ع وخطة الهالكين بكسر الخاء وهى الأرض التى يختطها الإنسان [صفحه ۳۰] أى يعلم عليها علامة بالخط ليعمرها و منه خطط الكوفة والبصرة. وزخرف البناء أى ذهب جدرانه بالزخرف و هوالذهب . ونجد فرش المنزل بالوسائد والنجاد ألذى يعالج الفرش والوسائد ويخيطهما والتنجيد التزيين بذلك ويجوز أن يريد بقوله نجد رفع وعلا- من النجد و هوالمرتفع من الأرض . واعتقد جعل لنفسه عقدة كالضيعة أوالذخيرة من المال الصامت . وإشخاصهم مرفوع بالابتداء وخبره الجار المجرور المقدم و هو قوله فعلى مبلبل أجسام الملوك وموضع الاستحسان من هذاالفصل و إن كان كله حسنا أمران أحدهما أنه ع نظر إليه نظر مغضب إنكارا لابتياعه دارا بثمانين دينارا و هذايدل على زهد شديد فى الدنيا واستكثار للقليل منها ونسبه هذاالمشترى إلى الإسراف وخوف من أن يكون ابتاعها بمال حرام .الثانى أنه أملى عليه كتابا زهديا وعظيا مماثلا لكتب الشروط التى تكتب فى ابتياع الأملاك فإنهم يكتبون هذا مااشترى فلان من فلان اشترى منه دارا من شارع كذا وخطة كذا ويجمع هذه الدار حدود أربعة فحد منها ينتهى إلى دار فلان وحد آخر ينتهى إلى ملك فلان وحد آخر ينتهى إلى ما كان يعرف بفلان و هوالآن معروف بفلان وحد آخر ينتهى إلى كذا و منه شروع باب هذه الدار وطريقها اشترى هذاالمشترى المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمن مبلغه كذا وكذا دينارا أودرهما فما أدرك المشترى المذكور من درك فمرجوع به على من يوجب الشرع الرجوع به عليه ثم تكتب الشهود فى آخر الكتاب شهد فلان ابن فلان بذلك وشهد فلان ابن فلان به أيضا و هذايدل على أن الشروط المكتوبة الآن قدكانت [صفحه ۳۱] فى زمن الصحابة تكتب مثلها أونحوها إلا أنا ماسمعنا عن أحد منهم نقل صيغة الشرط الفقهى إلى معنى آخر كما قدنظمه هو ع و لاغرو فما زال سباقا إلى العجائب والغرائب . فإن قلت لم جعل الشيطان المغوى فى الحد الرابع قلت ليقول و فيه يشرع باب هذه الدار لأنه إذا كان الحد إليه ينتهى كان أسهل لدخوله إليها ودخول أتباعه وأوليائه من أهل الشيطنة والضلال [صفحه ۳۲]

۴- و من كتاب له كتبه ع إلى بعض أمراء جيشه

فَإِن عَادُوا إِلَى ظِلّ الطّاعَةِ فَذَاكَ ألّذِى نُحِبّ وَ إِن تَوَافَتِ الأُمُورُ بِالقَومِ إِلَى الشّقَاقِ وَ العِصيَانِ فَانهَد بِمَن أَطَاعَكَ إِلَى مَن عَصَاكَ وَ استَغنِ بِمَنِ انقَادَ مَعَكَ عَمّن تَقَاعَسَ عَنكَ فَإِنّ المُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيرٌ مِن مَشهَدِهِ وَ قُعُودُهُ أَغنَى مِن نُهُوضِهِ انهد أى

انهض وتقاعس أی أبطأ وتأخر. والمتكاره ألذی یخرج إلی الجهاد من غیرنیهٔ وبصیرهٔ وإنما یخرج کارها مرتابا ومثل قوله ع فإن المتکاره مغیبه خیر من مشهده وقعوده أغنی من نهوضه قوله تعالی لَو خَرَجُوا فِیکُم ما زادُوکُم إِلّا خَبالًا -قرآن-۲۰۰-۲۴۴ [صفحه ۳۳]

۵- و من کتاب له ع إلی الأشعث بن قیس و هوعامل أذربیجان

وَ إِنّ عَمَلَکَ لَیسَ لَکَ بِطُعمَهٍ وَ لَکِنّهُ فِی عُنُقِکَ أَمَانَهٌ وَ أَنتَ مُستَرعًی لِمَن فَوقَکَ لَیسَ لَکَ أَن تَفتَاتَ فِی رَعِیّهٍ وَ لَا تُخَاطِرَ إِلّا بِوَثِیقَهٍ وَ فِی یَدَیکَ مَالٌ مِن مَالِ اللّهِ تَعَالَی وَ أَنتَ مِن خُزّانِهِ حَتّی تُسَلّمَهُ إِلَیّ وَ لَعَلّی أَلّا أَکُونَ شَرّ وُلَاتِکَ لَکَ وَ السّلَامُ قدذکرنا نسب أشعث بن قیس فیما تقدم . وأذربیجان اسم أعجمی غیرمصروف الألف مقصورهٔ والذال ساکنهٔ قال حبیب وأذربیجان احتیال بعد ما || کانت معرس عبرهٔ ونکال . و قال الشماخ تذکرتها وهنا و قدحال دونها || قری أذربیجان المسالح والجال . والنسبهٔ إلیه أذری بسکون الذال هکذا القیاس ولکن المروی عن أبی بکر فی الکلام ألذی قاله عندموته ولتألمن النوم علی الصوف الأذری بفتح الذال . والطعمهٔ بضم الطاء المهملهٔ المأکلهٔ ویقال فلان خبیث الطعمهٔ أی ردیء الکسب . والطعمهٔ بالکسر لهیئهٔ التطعم یقول إن عملک لم یسوغه الشرع والوالی من قبلی إیاه [صفحه ۳۴] و لاجعله لک أکلا ولکنه أمانهٔ فی یدک وعنقک للمسلمین وفوقک سلطان أنت له رعیهٔ فلیس لک أن تفتات فی الرعیهٔ الذین تحت یدک یقال افتات فلان علی فلان إذافعل بغیر إذنه ماسبیله أن یستأذنه فیه وأصله من الفوت و هوالسبق کأنه سبقه إلی ذلک الأمر و قوله و لاتخاطر إلابوثیقهٔ أی لاتقدم علی أمر مخوف فیما یتعلق بالمال ألذی تتولاه إلا بعد أن تتوثق لنفسک یقال أخذ فلان بالوثیقهٔ فی أمره أی احتاط ثم قال له ولعلی لاأکون شر ولاتک و هوکلام یطیب به نفسه ویسکن به جأشه لأن فی أول الکلام إیحاشا له إذ کانت ألفاظه تدل علی أنه لم یره أمینا علی المال فاستدرک ذلک بالکلمهٔ الأخیرهٔ أی ربما تحمد خلافتی وولایتی علیک وتصادف منی إحسانا إلیک أی عسی ألا یکون شکرک لعثمان و من قبله أکثر من شکرک لی و هذا من باب وعدک الخفی وتسمیه العرب الملث . وأول هذاالکتاب من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی الأشعث بن قیس أما بعدفلو لاهنات وهنات کانت منک کنت المقدم فی هذاالأمر قبل الناس ولعل أمرا کان یحمل بعضه بعضا إن اتقیت الله عز و جل و قد کان من بیعهٔ الناس إیای ما قدعلمت و کان من أمر طلحهٔ والزبیر ما قدبلغک فخرجت إلیهما فأبلغت فی الدعاء وأحسنت فی البقیهٔ و إن عملک لیس لک بطعمهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۵۷-۳۴۴ إلی آخر الکلام و هذاالکتاب کتبه إلی الأشعث بن قیس بعدانقضاء الجمل [صفحه ۳۵]

۶- و من کتاب له ع إلی معاویهٔ

اشاره

إِنّهُ بَایَعَنِی القَومُ الّذِینَ بَایَعُوا أَبَا بَکرٍ وَ عُمَرَ وَ عُثمَانَ عَلَی مَا بَایَعُوهُم عَلَیهِ فَلَم یَکُن لِلشّاهِدِ أَن یَختَارَ وَ لَا لِلغَائِبِ أَن یَرُدّ وَ إِنّمَا الشّورَی لِلمُهَاجِرِینَ وَ الأَنصَارِ فَإِنِ اجتَمَعُوا عَلَی رَجُلٍ وَ سَمّوهُ إِمَاماً کَانَ ذَلِکَ لِلّهِ رِضًا فَإِن خَرَجَ عَن أَمرِهِم خَارِجٌ بِطَعنٍ أَو بِدعَهٍ رَدّوهُ إِلَی مَا خَرَجَ مِنهُ فَإِن أَبَی قَاتَلُوهُ عَلَی اتّبَاعِهِ غَیرَ سَبِیلِ المُؤمِنِینَ وَ وَلّاهُ اللّهُ مَا تَوَلّی وَ لَعَمرِی یَا مُعَاوِیَهُ لَئِن نَظَرتَ بِعَقلِکَ دُونَ هَوَاکَ لَتَجِدَنّی أَبرَأَ النّاسِ مِن دَمِ عُثمَانَ وَ لَتَعلَمَنّ أَنّی کُنتُ فِی عُزلَهٍ عَنهُ إِلّا أَن تَتَجَنّی فَتَجَنّ مَا بَدَا لَکَ وَ السّلَامُ قدتقدم ذکر هذاالکلام فی أثناء اقتصاص مراسلهٔ أمیر المؤمنین ع معاویهٔ بجریر بن عبد الله البجلی و قدذکره أرباب السیرهٔ کلهم

وأورده شيوخنا المتكلمون فى كتبهم احتجاجا على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة وأول الكتاب أما بعد فإن بيعتى بالمدينة لزمتك و أنت بالشام لأنه بايعنى القوم الذين بايعوا -روايت-١-٨۶ إلى آخر الفصل . [صفحه ٣۶] والمشهور المروى فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أورغبة أى رغبة عن ذلک الإمام ألذى وقع الاختيار له . والمروى بعد قوله ولاه الله بعد ماتولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا و إن طلحة والزبير بايعانى ثم نقضا بيعتى فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلک حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلى فيک العافية إلا أن تتعرض للبلاء فإن تعرضت له قاتلتک واستعنت بالله عليک و قدأكثرت فى قتلة عثمان فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكم القوم إلى أحملک وإياهم على كتاب الله فأما تلک التى تريدها فخدعة الصبى عن اللبن ولعمرى يامعاوية إن نظرت بعقلک -روايت-١-۴٧٠ إلى آخر الكلام . وبعده واعلم أنک من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة و لاتعترض بهم الشورى و قدأرسلت إليک جرير بن عبد الله البجلى و هو من أهل الإيمان والهجرة فبايع و لاقوة إلابالله . واعلم أن هذاالفصل دال بصريحه على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة كمايذكره أصحابنا المتكلمون لأنه احتج على معاوية ببيعة أهل الحل والعقد له و لم يراع فى ذلک إجماع المسلمين كلهم وقياسه على بيعة أهل الحل والعقد لأبى بكر فإنه ماروعى فيهاإجماع المسلمين لأن سعد بن عبادة لم يبايع و لاأحد من أهل بيته وولده ولأن عليا وبنى هاشم و من انضوى إليهم لم يبايعوا فى مبدإ الأمر وامتنعوا و لم يتوقف المسلمون فى تصحيح إمامة أبى بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم و هذادليل على صحة الاختيار وكونه طريقا إلى الإمامة و أنه لايقدح فى إمامته ع امتناع معاوية من البيعة و أهل الشام فأما الإمامية فتحمل هذاالكتاب منه ع على التقية وتقول إنه ما كان يمكنه [صفحه ٣٧] أن يصرح لمعاوية فى مكتوبه بباطن الحال و يقول له أنامنصوص على من رسول الله ص ومعهود إلى المسلمين أن أكون خليفة فيهم بلا فصل فيكون فى ذلک طعن على الأئمة المتقدمين وتفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة و هذاالقول من الإمامية دعوى لوعضدها دليل لوجب أن يقال بها ويصار إليها ولكن لادليل لهم على مايذهبون إليه من الأصول التى تسوقهم إلى حمل هذاالكلام على التقية.فأما قوله ع و قدأكثرت فى قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكم القوم إلى أحملک وإياهم على كتاب الله فيجب أن يذكر فى شرحه ما يقول المتكلمون فى هذه الواقعة قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله هذاالكلام حق وصواب لأن أولياء الدم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته ثم يرفعوا خصومهم إليه فإن حكم بالحق استديمت إمامته و إن حاد عن الحق انقضت خلافته وأولياء عثمان الذين هم بنوه لم يبايعوا عليا ع و لادخلوا تحت طاعته ثم وكذلک معاوية ابن عم عثمان لم يبايع و لاأطاع فمطالبتهم له بأن يقتص لهم من قاتلى عثمان قبل بيعتهم إياه وطاعتهم له ظلم منهم وعدوان . فإن قلت هب أن القصاص من قتلة عثمان موقوف على ماذكره ع أ ما كان يجب عليه لا- من طريق القصاص أن ينهى عن المنكر وأنتم تذهبون إلى أن النهى عن المنكر واجب على من هوسوقة فكيف على الإمام الأعظم قلت هذا غيروارد هاهنا لأن النهى عن المنكر إنما يجب قبل وقوع المنكر لكيلا- يقع فإذاوقع المنكر فأى نهى يكون عنه و قدنهى على ع أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا ونابذهم بيده ولسانه وبأولاده فلم يغن [صفحه ٣٨] شيئا وتفاقم الأمر حتى قتل و لايجب بعدالقتل إلاالقصاص فإذاامتنع أولياء الدم من طاعة الإمام لم يجب عليه أن يقتص من القاتلين لأن القصاص حقهم و قدسقط ببغيهم على الإمام وخروجهم عن طاعته و قدقلنا نحن فيما تقدم أن القصاص إنما يجب على من باشر القتل والذين باشروا قتل عثمان قتلوا يوم قتل عثمان فى دار عثمان والذين كان معاوية يطالبهم بدم عثمان لم يباشروا القتل وإنما كثروا السواد وحصروه عثمان فى الدار وأجلبوا عليه وشتموه وتوعدوه ومنهم من تسور عليه داره و لم ينزل إليه ومنهم من نزل فحضر محضر قتله و لم يشرک فيه و كل هؤلاء لايجب عليهم القصاص فى الشرع

عندمعاویـهٔ و قدذکرنا فیما تقدم شـرح حال جریر بن عبد الله البجلی فی إرسال علی ع إیاه إلی معاویهٔ مستقصـی وذکر الزبیر بن بکار فی الموفقیات أن علیا ع لمابعث جریرا إلی معاویـهٔ خرج و هو لایری أحـدا قدسـبقه إلیه قال فقـدمت علی معاویـهٔ فوجدته یخطب الناس وهم حوله یبکون حول قمیص عثمان و هومعلق علی رمح مخضوب بالدم و علیه أصابع زوجته نائلهٔ بنت الفرافصهٔ مقطوعـهٔ فـدفعت إلیه کتـاب علی ع و کـان معی فی الطریق رجـل یسیر بسـیری ویقیم بمقـامی فمثـل بین یـدیه فی تلک الحال وأنشده إن بنی عمک عبدالمطلب || هم قتلوا شـیخکم غیرکذب و أنت أولی الناس بالوثب فثب . و قدذکرنا تمام هذه الأبیات فیما تقدم . [صـفحه ۳۹] قـال ثم دفع إلیه کتابـا من الولیـد بن عقبـهٔ بن أبی معیط و هوأخو عثمان لأمه کتبه مع هـذا الرجل من الکوفـهٔ سـرا أوله معـاوی إن الملـک قـدجب غاربه .الأبیات التی ذکرنا فیما تقـدم . قال فقال لی معاویـهٔ أقم فإن الناس قـدنفروا عنـدقتل عثمان حتی یسـکنوا فأقمت أربعـهٔ أشـهر ثم جاءه کتاب آخر من الولید بن عقبهٔ أوله ألا أبلغ معاویهٔ بن حرب || فإنک من أخی ثقـهٔ ملیم قطعت الـدهر کالسـدم المعنی || تهـدر فی دمشق و لا‌تریم وإنـک والکتـاب إلی علی || کدابغـهٔ و قـدحلم الأدیم فلو کنت القتیل و کان حیا || لشـمر لاألف و لاسـئوم . قال فلما جاءه هذاالکتاب وصل بین طومارین أبیضـین ثم طواهما وکتب عنوانهما [صفحه ۴۰] من معاویـهٔ بن أبی سـفیان إلی علی بن أبی طالب ودفعهما إلی لاأعلم مافیهما و لاأظنهما إلاجوابا وبعث معی رجلا من بنی عبس لاأدری مامعه فخرجنا حتی قدمنا إلی الکوفهٔ واجتمع الناس فی المسـجد لایشکون أنها بیعهٔ أهل الشـام فلمـا فتـح علی ع الکتـاب لم یجـد شـیئا وقـام العبسـی فقال من هاهنا من أحیاء قیس وأخص من قیس غطفان وأخص من غطفان عبسا إنی أحلف بالله لقد ترکت تحت قمیص عثمان أکثر من خمسین ألف شیخ خاضبی لحاهم بدموع أعینهم متعاقدین متحـالفین لیقتلن قتلته فی البر والبحر وإنی أحلف بـالله لیقتحمنها علیکم ابن أبی سـفیان بأکثر من أربعین ألفا من خصـیان الخیل فما ظنکم بعـدبما فیها من الفحول ثم دفع إلی علی ع کتابا من معاویهٔ ففتحه فوجد فیه أتانی أمر فیه للنفس غمهٔ || و فیه اجتداع للأنوف أصیل مصاب أمیر المؤمنین وهده || تکاد لها صم الجبال تزول . و قدذکرنا هذاالشعر فیما تقدم [صفحه ۴۱]

۷– و من کتاب منه ع إلیه أیضا

أَمّا بَعدُ فَقَد أَتَتنِی مِنکَ مَوعِظَهٌ مُوَصّـِلَهٌ وَ رِسَالَهٌ مُحَبّرَهٌ نَمّقتَهَا بِضَلَالِکَ وَ أَمضَیتَهَا بِسُوءِ رَأیِکَ وَ کِتَابُ امرِئٍ لَیسَ لَهُ بَصَرٌ یَهدِیهِ وَ لَا قَائِـدٌ یُرشِـدُهُ قَـد دَعَاهُ الهَوَی فَأَجَابَهُ وَ قَادَهُ الضّـلَالُ فَاتّبَعَهُ فَهَجَرَ لَاغِطاً وَ ضَلّ خَابِطاً موعظـهٔ موصـلهٔ أی مجموعـهٔ الألفاظ من هاهنا وهاهنا و ذلک عیب فی الکتابهٔ والخطابهٔ وإنما الکاتب من یرتجل فیقول قولا فصلا أویروی فیأتی بالبدیع المستحسن و هو فی الحـالین کلیهما ینفق من کیسه و لایسـتعیر کلام غیره . والرسالـهٔ المحبرهٔ المزینـهٔ الألفاظ کأنه ع یشـیر إلی أنه قـد کان یظهر علیها أثر التکلف والتصـنع . والتنمیق التزیین أیضا. وهجر الرجل أی هـذی و منه قوله تعالی فی أحد التفسـیرین إِنّ قَومِی اتّخَذُوا هـذَا القُرآنَ مَهجُوراً. واللاغـط ذو اللغط و هوالصوت والجلبـهٔ. -قرآن-۳۹۴-۴۳۹ [صـفحه ۴۲] وخبط البعیر فهو خابط إذامشـی ضالا فحبط بیـدیه کل مایلقاه و لایتوقی شـیئا. و هذاالکتاب کتبه علی ع جوابا عن کتاب کتبه معاویهٔ إلیه فی أثناء حرب صـفین بـل فی أواخرها و کان کتاب معاویـهٔ من عبـد الله معاویـهٔ بن أبی سـفیان إلی علی بن أبی طالب أما بعـد فإن الله تعالی یقول فی محکم کتابه وَ لَقَد أُوحِیَ إِلَیکَ وَ إِلَی الّذِینَ مِن قَبلِکَ لَئِن أَشـرَکتَ لَیَحبَطَنّ عَمَلُکَ وَ لَتَکُونَنّ مِنَ الخاسِرِینَ وإنی أحذرک الله أن تحبـط عملـک وسابقتـک بشق عصـا هـذه الأمـهٔ وتفریق جماعتهـا فـاتق الله واذکر موقف القیامـهٔ وأقلع عمـا أسـرفت فیه من

الخوض فی دماء المسلمین و -قرآن-۲۹۸-۴۲۰ إنی سمعت رسول الله ص یقول لوتمالأ أهل صنعاء وعدن علی قتل رجل واحد من المسلمین لأکبهم الله علی مناخرهم فی النار -روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۱۲۶ فکیف یکون حال من قتل أعلام المسلمین وسادات المهاجرین بله ماطحنت رحی حربه من أهل القرآن وذی العبادة والإیمان من شیخ کبیر وشاب غریر کلهم بالله تعالی مؤمن و له مخلص وبرسوله مقر عارف فإن کنت أباحسن إنما تحارب علی الإمرة والخلافة فلعمری لوصحت خلافتک لکنت قریبا من أن تعذر فی حرب المسلمین ولکنها ماصحت لک أنی بصحتها و أهل الشام لم یدخلوا فیها و لم یرتضوا بها وخف الله وسطواته واتق بأسه ونکاله وأغمد سیفک عن الناس فقد و الله أکلتهم الحرب فلم یبق منهم إلاکالثمد فی قرارة الغدیر و الله المستعان . فکتب علی ع إلیه جوابا عن کتابه -روایت-۱-۲-روایت-۳۷-ادامه دارد [صفحه ۴۳] من عبد الله علی أمیر المؤمنین إلی معاویة بن أبی سفیان أما بعدفقد أتتنی منک موعظة موصلة ورسالة محبرة نمقتها بضلالک وأمضیتها بسوء رأیک و کتاب امرئ لیس له بصر یهدیه و لاقائد یرشده دعاه الهوی فأجابه وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا فأما أمرک لی بالتقوی فأرجو أن أکون من أهلها وأستعیذ بالله من أن أکون من الذین إذاأمروا بهاأخذتهم العزة بالإثم و أماتحذیرک إیای أن یحبط عملی وسابقتی فی الإسلام فلعمری لوکنت الباغی علیک لکان لک أن تحذرنی ذلک ولکنی وجدت الله تعالی یقول فَقاتِلُوا الَّتِی تَبغِی حَتّی تفَیِءَ إِلی أَمرِ اللّهِفنظرنا إلی الفئتین أماالفئة الباغیة فوجدناها الفئة التی أنت فیهالأن بیعتی بالمدینة لزمتک و أنت بالشام کمالزمتک بیعة عثمان بالمدینة و أنت أمیرلعمر علی الشام و کمالزمت یزید أخاک بیعة عمر و هو أمیرلأبی بکر علی الشام و أماشق عصا هذه الأمة فأنا أحق أن أنهاک عنه فأما تخویفک لی من قتل أهل البغی فإن رسول الله ص أمرنی بقتالهم وقتلهم و قال لأصحابه إن فیکم من یقاتل علی تأویل القرآن کماقاتلت علی تنزیله وأشار إلی و أناأولی من اتبع أمره و أماقولک إن بیعتی لم تصح لأن أهل الشام لم یدخلوا فیهاکیف وإنما هی بیعة واحدة تلزم الحاضر والغائب لایثنی فیهاالنظر و لایستأنف فیهاالخیار الخارج منها طاعن والمروی فیهامداهن فاربع علی ظلعک وانزع سربال غیک واترک ما لاجدوی له علیک فلیس لک عندی إلاالسیف حتی تفیء إلی أمر الله صاغرا وتدخل فی البیعة راغما و السلام -روایت-از قبل-۱۳۸۱ [صفحه ۴۴] وَ مِن هَذَا الکِتَابِ لِأَنّهَا بَیعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا یُثَنّی فِیهَا النّظَرُ وَ لَا یُستَأنَفُ فِیهَا الخِیَارُ الخَارِجُ مِنهَا طَاعِنٌ وَ المرُوَیّ فِیهَا مُدَاهِنٌ لایثنی فیهاالنظر أی لایعاود و لایراجع ثانیة و لایستأنف فیهاالخیار لیس بعدعقدها خیار لمن عقدها و لالغیرهم لأنها تلزم غیرالعاقدین کماتلزم العاقدین فیسقط الخیار فیهاالخارج منها طاعن علی الأمة لأنهم أجمعوا علی أن الاختیار طریق الإمامة. والمروی فیهامداهن أی ألذی یرتئی ویبطئ عن الطاعة ویفکر وأصله من الرویة والمداهن المنافق [صفحه ۴۵]

۸- و من کتاب له ع إلی جریر بن عبد الله البجلی لماأرسله إلی معاویة

أَمّا بَعدُ فَإِذَا أَتَاکَ کتِاَبیِ فَاحمِل مُعَاوِیَةَ عَلَی الفَصلِ وَ خُذهُ بِالأَمرِ الجَزمِ ثُمّ خَیّرهُ بَینَ حَربٍ مُجلِیَةٍ أَو سِلمٍ مُخزِیَةٍ فَإِنِ اختَارَ الحَربَ فَانبِذ إِلَیهِ وَ إِنِ اختَارَ السّلمَ فَخُذ بَیعَتَهُ وَ السّلَامُ قدتقدم ذکر نسب جریر بن عبد الله البجلی. و قوله ع فاحمل معاویة علی الفصل أی لاتترکه متلکئا مترددا یطمعک تارة ویؤیسک أخری بل احمله علی أمر فیصل إما البیعة أو أن یأذن بالحرب . وکذلک قوله وخذه بالأمر الجزم أی الأمر المقطوع به لاتکن ممن یقدم رجلا ویؤخر أخری وأصل الجزم القطع . وحرب مجلیة تجلی المقهورین فیها عن دیارهم أی تخرجهم . وسلم مخزیة أی فاضحة وإنما جعلها مخزیة لأن معاویة امتنع أولا من البیعة فإذادخل فی السلم فإنما یدخل فیهابالبیعة و إذابایع بعدالامتناع فقد دخل تحت الهضم ورضی بالضیم و ذلک هوالخزی. [صفحه ۴۶] قوله فانبذ إلیه من قوله تعالی فَانبِذ إِلَیهِم عَلی سَواءٍ وأصله العهد والهدنة وعقد الحلف یکون بین الرجلین أو بین

القبیلتین ثم یبدو لهما فی ذلک فینتقلان إلی الحرب فینبذ أحدهما إلی الآخر عهده کأنه کتاب مکتوب بینهما قدنبذه أحدهما یوم الحرب وأبطله فاستعیر ذلک للمجاهرة بالعداوة والمکاشفة ونسخ شریعة السلام السابقة بالحرب المعاقبة لها -قرآن-۳۵-۶۲
[صفحه ۴۷]

۹- و من کتاب له ع إلی معاویة

اشاره

فَأَرَادَ قَومُنَا قَتلَ نَبِیّنَا وَ اجتِیَاحَ أَصلِنَا وَ هَمّوا بِنَا الهُمُومَ وَ فَعَلُوا بِنَا الأَفَاعِیلَ وَ مَنَعُونَا العَذبَ وَ أَحلَسُونَا الخَوفَ وَ اضطَرّونَا إِلَی جَبَلٍ وَعرٍ وَ أَوقَدُوا لَنَا نَارَ الحَربِ فَعَزَمَ اللّهُ لَنَا عَلَی الذّبّ عَن حَوزَتِهِ وَ الرمّیِ مِن وَرَاءِ حَومَتِهِ مُؤمِنُنَا یَبغیِ بِذَلِکَ الأَجرِ وَ کَافِرُنَا یُحَامیِ عَنِ الأَصلِ وَ مَن أَسلَمَ مِن قُرَیشٍ خِلوٌ مِمّا نَحنُ فِیهِ بِحِلفٍ یَمنَعُهُ أَو عَشِیرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ فَهُوَ مِنَ القَتلِ بِمَکَانِ أَمنٍ وَ کَانَ رَسُولُ اللّهِص إِذَا احمَرّ البَأسُ وَ أَحجَمَ النّاسُ قَدّمَ أَهلَ بَیتِهِ فَوَقَی بِهِم أَصحَابَهُ حَرّ السّیُوفِ وَ الأَسِنّةِ فَقُتِلَ عُبَیدَةُ بنُ الحَارِثِ یَومَ بَدرٍ وَ قُتِلَ حَمزَةُ یَومَ أُحُدٍ وَ قُتِلَ جَعفَرٌ یَومَ مُؤتَةَ وَ أَرَادَ مَن لَو شِئتُ ذَکَرتُ اسمَهُ مِثلَ ألّذِی أَرَادُوا مِنَ الشّهَادَةِ وَ لَکِنّ آجَالَهُم عُجّلَت وَ مَنِیّتَهُ أُخّرَت فَیَا عَجَباً لِلدّهرِ إِذ صِرتُ یُقرَنُ بیِ مَن لَم یَسعَ بِقَدَمیِ وَ لَم تَکُن لَهُ کَسَابِقَتیِ التّیِ لَا یدُلیِ أَحَدٌ بِمِثلِهَا إِلّا أَن یدَعّیَ مُدّعٍ مَا لَا أَعرِفُهُ وَ لَا أَظُنّ اللّهَ یَعرِفُهُ وَ الحَمدُ لِلّهِ عَلَی کُلّ حَالٍ وَ أَمّا مَا سَأَلتَ مِن دَفعِ قَتَلَةِ عُثمَانَ إِلَیکَ فإَنِیّ نَظَرتُ فِی هَذَا الأَمرِ فَلَم أَرَهُ یسَعَنُیِ دَفعُهُم إِلَیکَ وَ لَا إِلَی غَیرِکَ وَ لعَمَریِ لَئِن لَم تَنزِع عَن غَیّکَ وَ شِقَاقِکَ لَتَعرِفَنّهُم عَن قَلِیلٍ یَطلُبُونَکَ لَا یُکَلّفُونَکَ طَلَبَهُم فِی بَرّ وَ لَا بَحرٍ وَ لَا جَبَلٍ [صفحه ۴۸] وَ لَا سَهلٍ إِلّا أَنّهُ طَلَبٌ یَسُوءُکَ وِجدَانُهُ وَ زَورٌ لَا یَسُرّکَ لُقیَانُهُ وَ السّلَامُ لِأَهلِهِ قوله ع فأراد قومنا یعنی قریشا. والاجتیاح الاستئصال و منه الجائحة وهی السنة أوالفتنة التی تجتاح المال أوالأنفس . قوله ومنعونا العذب أی العیش العذب لاأنهم منعوهم الماء العذب علی أنه قدنقل أنهم منعوا أیام الحصار فی شعب بنی هاشم من الماء العذب وسنذکر ذلک . قوله وأحلسونا الخوف أی ألزموناه والحلس کساء رقیق یکون تحت برذعة البعیر وأحلاس البیوت مایبسط تحت حر الثیاب و فی الحدیث کن حلس بیتک -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۲۹ أی لاتخالط الناس واعتزل عنهم فلما کان الحلس ملازما ظهر البعیر وأحلاس البیوت ملازمة لها قال وأحلسونا الخوف أی جعلوه لنا کالحلس الملازم . قوله واضطرونا إلی جبل وعر مثل ضربه ع لخشونة مقامهم وشظف منزلهم أی کانت حالنا فیه کحال من اضطر إلی رکوب جبل وعر ویجوز أن یکون حقیقة لامثلا لأن الشعب ألذی حصروهم فیه مضیق بین جبلین . قوله فعزم الله لنا أی قضی الله لنا ووفقنا لذلک وجعلنا عازمین علیه . والحوزة الناحیة وحوزة الملک بیضته . [صفحه ۴۹] وحومة الماء والرمل معظمه . والرمی عنها المناضلة والمحاماة ویروی والرمی من وراء حرمته والضمیر فی حوزته وحومته راجع إلی النبی ص و قدسبق ذکره و هو قوله نبینا ویروی والرمیا. و قال الراوندی وهموا بنا الهموم أی هموا نزول الهم بنا فحذف المضاف وأقام المضاف إلیه مقامه و لیس ماقاله بجید بل الهموم منصوب هاهنا علی المصدر أی هموا بنا هموما کثیرة وهموا بنا أی أرادوا نهبنا کقوله تعالی وَ هَمّ بِها علی تفسیر أصحابنا وإنما أدخل لام التعریف فی الهموم أی هموا بنا تلک الهموم التی تعرفونها فأتی باللام لیکون أعظم وأکبر فی الصدور من تنکیرها أی تلک الهموم معروفة مشهورة بین الناس لتکرر عزم المشرکین فی أوقات کثیرة مختلفة علی الإیقاع . و قوله وفعلوا بنا الأفاعیل یقال لمن أثروا آثارا منکرة فعلوا بنا الأفاعیل وقل أن یقال ذلک فی غیرالضرر والأذی و منه قول أمیة بن خلف لعبد الرحمن بن عوف و هویذکر حمزة بن عبدالمطلب یوم بدر ذاک ألذی فعل بنا الأفاعیل . قوله یحامی عن الأصل أی

يدافع عن محمد ويذب عنه حمية ومحافظة على النسب . قوله خلو مما نحن فيه أى خال والحلف العهد. واحمر البأس كلمة مستعارة أى اشتدت الحرب حتى احمرت الأرض من الدم فجعل البأس هوالأحمر مجازا كقولهم الموت الأحمر. -قرآن-۴۰۴-۴۱۵ [صفحه ۵۰] قوله وأحجم الناس أى كفوا عن الحرب وجبنوا عن الإقدام يقال حجمت فلانا عن كذا أحجمه بالضم فأحجم هو و هذه اللفظة من النوادر كقولهم كبيته فأكب . و يوم مؤتة بالهمز ومؤتة أرض معروفة. و قوله وأراد من لوشئت لذكرت اسمه يعنى به نفسه . قوله إذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى إشارة إلى معاوية فى الظاهر و إلى من تقدم عليه من الخلفاء فى الباطن والدليل عليه قوله التى لايدلى أحد بمثلها فأطلق القول إطلاقا عاما مستغرقا لكل الناس أجمعين . ثم قال إلا أن يدعى مدع ما لاأعرفه و لاأظن الله يعرفه أى كل من ادعى خلاف ماذكرته فهو كاذب لأنه لو كان صادقا لكان على ع يعرفه لامحالة فإذا قال عن نفسه إن كل دعوة تخالف ماذكرت فإنى لاأعرف صحتها فمعناه أنها باطلة. و قوله و لاأظن الله يعرفه فالظن هاهنا بمعنى العلم كقوله تعالى وَ رَأَى المُجرِمُونَ النّارَ فَظَنّوا أَنّهُم مُواقِعُوها وأخرج هذه الكلمة مخرج قوله تعالى قُل أَ تُنَبّئُونَ اللّهَ بِما لا يَعلَمُ فِي السّماواتِ وَ لا فِي الأَرضِ و ليس المراد سلب العلم بل العلم بالسلب كذلك ليس مراده ع سلب الظن ألذى هوبمعنى العلم بل ظن السلب أى علم السلب أى وأعلم أن الله سبحانه يعرف انتفاءه و كل مايعلم الله انتفاءه فليس بثابت . و قال الراوندى قوله ع و لاأظن الله يعرفه مثل قوله تعالى وَ لَنَبلُوَنّكُم حَتّى نَعلَمَ المُجاهِدِينَ مِنكُم وَ الصّابِرِينَ. -قرآن-۷۶۱-۸۱۸-قرآن-۸۵۶-۹۲۹-قرآن-۱۲۰۵-۱۲۷۲ [صفحه ۵۱] و الله يعلم كل شيءقبل وجوده وإنما معناه حتى نعلم جهادهم موجودا وليست هذه الكلمة من الآية بسبيل لتجعل مثالا لها ولكن الراوندى يتكلم بكل مايخطر له من غير أن يميز ما يقول . وتقول أدلى فلان بحجته أى احتج بها وفلان مدل برحمه أى مت بها وأدلى بماله إلى الحاكم دفعه إليه ليجعله وسيلة إلى قضاء حاجته منه فأما الشفاعة فلايقال فيهاأدليت ولكن دلوت بفلان أى استشفعت به و قال عمر لمااستسقى بالعباس رحمه الله أللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وقفية آبائه وكبر رجاله دلونا به إليك مستشفعين قوله ع فلم أره يسعنى أى لم أر أنه يحل لى دفعهم إليك والضمير فى أره ضمير الشأن والقصة وأره من الرأى لا من الرؤية كقولك لم أر الرأى الفلانى. ونزع فلان عن كذا أى فارقه وتركه ينزع بالكسر والغى الجهل والضلال . والشقاق الخلاف .الوجدان مصدر وجدت كذا أى أصبته والزور الزائر. واللقيان مصدر لقيت تقول لقيته لقاء ولقيانا. ثم قال و السلام لأهله لم يستجز فى الدين أن يقول له و السلام عليك لأنه عنده فاسق لايجوز إكرامه فقال و السلام لأهله أى على أهله . ويجب أن نتكلم فى هذاالفصل فى مواضع منها ذكر ماجاء فى السيرة من إجلاب قريش على رسول الله ص وبنى هاشم وحصرهم فى الشعب . [صفحه ۵۲] ومنها الكلام فى المؤمنين والكافرين من بنى هاشم الذين كانوا فى الشعب محصورين معه ص من هم . ومنها شرح قصة بدر. ومنها شرح غزاة أحد. ومنها شرح غزاة مؤتة

الفصل الأول إجلاب قريش على بنى هاشم وحصرهم فى الشعب

فأما الكلام فى الفصل الأول فنذكر منه ماذكره محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة والمغازى فإنه كتاب معتمد عندأصحاب الحديث والمؤرخين ومصنفه شيخ الناس كلهم . قال محمد بن إسحاق رحمه الله لم يسبق عليا ع إلى الإيمان بالله ورسالة محمدص أحد من الناس أللهم إلا أن تكون خديجة زوجة رسول الله ص قال و قد كان ص يخرج ومعه على مستخفين من الناس فيصليان الصلوات فى بعض شعاب مكة فإذاأمسيا رجعا فمكثا بذلك ماشاء الله أن يمكثا لاثالث لهما ثم إن أباطالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لمحمدص يا ابن أخى ما هذا ألذى تفعله فقال أى عم هذادين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم أو كما قال ع بعثنى الله به رسولا إلى العباد و أنت أى عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى

وأحق من أجابنى إليه وأعاننى عليه أو كما قال فقال أبوطالب إنى لاأستطيع يا ابن أخى أن أفارق [صفحه ۵۳] دينى ودين آبائى و ماكانوا عليه ولكن و الله لايخلص إليك شىءتكرهه مابقيت فزعموا أنه قال لعلى أى بنى ما هذا ألذى تصنع قال ياأبتاه آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت إليه واتبعت قول نبيه فزعموا أنه قال له أماإنه لايدعوك أولن يدعوك إلا إلى خير فالزمه . قال ابن إسحاق ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله ص فكان أول من أسلم وصلى معه بعد على بن أبى طالب ع . ثم أسلم أبوبكر بن أبى قحافة فكان ثالثا لهما ثم أسلم عثمان بن عفان وطلحة والزبير و عبدالرحمن وسعد بن أبى وقاص فصاروا ثمانية فهم الثمانية الذين سبقوا الناس إلى الإسلام بمكة ثم أسلم بعدهؤلاء الثمانية أبوعبيدة بن الجراح و أبوسلمة بن عبدالأسد وأرقم بن أبى أرقم ثم انتشر الإسلام بمكة وفشا ذكره وتحدث الناس به وأمر الله رسوله أن يصدع بما أمر به فكانت مدة إخفاء رسول الله ص نفسه وشأنه إلى أن أمر بإظهار الدين ثلاث سنين فيما بلغنى. قال محمد بن إسحاق و لم تكن قريش تنكر أمره حينئذ كل الإنكار حتى ذكر آلهتهم وعابها فأعظموا ذلك وأنكروه وأجمعوا على عداوته وخلافه وحدب عليه عمه أبوطالب فمنعه وقام دونه حتى مضى مظهرا لأمر الله لايرده عنه شىء قال فلما رأت قريش محاماة أبى طالب عنه وقيامه دونه وامتناعه من أن يسلمه مشى إليه رجال من أشراف قريش منهم عتبة بن ربيعة وشيبة أخوه و أبوسفيان بن حرب و أبوالبخترى بن هشام والأسود بن المطلب والوليد بن المغيرة و أبوجهل عمرو بن هشام [صفحه ۵۴] والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأمثالهم من رؤساء قريش فقالوا يا أباطالب إن ابن أخيك قدسب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آراءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه فقال لهم أبوطالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ص على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شرق الأمر بينه وبينهم تباعدا وتضاغنا حتى أكثرت قريش ذكر رسول الله ص بينها وتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه فمشوا إلى أبى طالب مرة ثانية فقالوا يا أباطالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قداستنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا و الله لانصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا فإما أن تكفه عنا أوننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم و لم تطب نفسه بإسلام ابن أخيه لهم وخذلانه فبعث إليه فقال يا ابن أخى إن قومك قدجاءونى فقالوا لى كذا وكذا للذى قالوا فأبق على و على نفسك و لاتحملنى من الأمر ما لاأطيقه قال فظن رسول الله ص أنه قدبدا لعمه فيه بداء و أنه خاذله ومسلمه و أنه قدضعف عن نصرته والقيام دونه فقال ياعم و الله لووضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذاالأمر ماتركته حتى يظهره الله أوأهلك ثم استعبر باكيا وقام فلما ولى ناداه أبوطالب أقبل يا ابن أخى فأقبل راجعا فقال له اذهب يا ابن أخى فقل ماأحببت فو الله لاأسلمك لشىء أبدا. [صفحه ۵۵] قال ابن إسحاق و قال أبوطالب يذكر ماأجمعت عليه قريش من حربه لماقام بنصر محمدص و الله لن يصلوا إليك بجمعهم || حتى أوسد فى التراب دفينا فانفذ لأمرك ماعليك مخافة || وابشر وقر بذاك منه عيونا ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى || ولقد صدقت وكنت قبل أمينا وعرضت دينا قدعلمت بأنه || من خير أديان البرية دينا لو لاالملامة أوحذارى سبة || لوجدتنى سمحا بذاك مبينا . قال محمد بن إسحاق ثم إن قريشا حين عرفت أن أباطالب قدأبى خذلان رسول الله ص وإسلامه إليهم ورأوا إجماعه على مفارقتهم وعداوتهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى و كان أجمل فتى فى قريش فقالوا له يا أباطالب هذاعمارة بن الوليد أبهى فتى فى قريش وأجمله فخذه إليك فاتخذه ولدا فهو لك وأسلم لنا هذا ابن أخيك ألذى قدخالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك لنقتله فإنما هو رجل برجل فقال أبوطالب و الله ماأنصفتمونى تعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا و الله ما لا يكون أبدا فقال له المطعم بن عدى بن نوفل و كان له صديقا مصافيا و الله يا أباطالب ماأراك تريد أن تقبل من قومك شيئا لعمرى قدجهدوا فى التخلص مما تكره وأراك لاتنصفهم فقال أبوطالب و الله ماأنصفونى و لاأنصفتنى ولكنك قدأجمعت على خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع مابدا لك [صفحه ۵۶] قال

فعند ذلک تنابذ القوم وصارت الأحقاد ونادى بعضهم بعضا وتذامروا بينهم على من فى القبائل من المسلمين الذين اتبعوا محمداص فوثبت كل قبيلة على من فيهامنهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله منهم بعمه أبى طالب وقام فى بنى هاشم وبنى عبدالمطلب حين رأى قريشا تصنع ماتصنع فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ص والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى مادعاهم إليه من الدفاع عن رسول الله ص إلا ما كان من أبى لهب فإنه لم يجتمع معهم على ذلک فكان أبوطالب يرسل إليه الأشعار ويناشده النصر منها القطعة التى أولها حديث عن أبى لهب أتانا || وكانفه على ذاكم رجال . ومنها القطعة التى أولها أظننت عنى قدخذلت وغالنى || منک الغوائل بعدشيب المكبر . ومنها القطعة التى أولها تستعرض الأقوام توسعهم || عذرا و ما إن قلت من عذر . قال محمد بن إسحاق فلم يؤثر عن أبى لهب خير قط إلاـ مايروى أن أباسلمة بن عبدالأسد المخزومى لماوثب عليه قومه ليعذبوه ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم فاستجار بأبى طالب وأم أبى طالب مخزومية وهى أم عبد الله والد رسول الله ص فأجاره فمشى إليه رجال من بنى مخزوم وقالوا له يا أباطالب هبک منعت منا ابن أخيک محمدا فما لک ولصاحبنا تمنعه منا قال إنه استجار بى و هو ابن أختى و إن أنا لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى فارتفعت أصواتهم وأصواته فقام أبولهب و لم ينصر أباطالب قبلها و لابعدها فقال يامعشر قريش و الله لقد أكثرتم على هذا [صفحه ۵۷] الشيخ لاـتزالون تتوثبون عليه فى جواره من بين قومه أما و الله لتنتهن عنه أولنقومن معه فيما قام فيه حتى يبلغ ماأراد فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أباعتبة فقاموا فانصرفوا و كان وليا لهم ومعينا على رسول الله ص و أبى طالب فاتقوه وخافوا أن تحمله الحمية على الإسلام فطمع فيه أبوطالب حيث سمعه قال ما قال وأمل أن يقوم معه فى نصرة رسول الله ص فقال يحرضه على ذلک و إن امرأ أبوعتيبة عمه || لفى معزل من أن يسام المظالما و لاتقبلن الدهر ماعشت خطة || تسب بها أماهبطت المواسما أقول له وأين منه نصيحتى || أباعتبة ثبت سوادک قائما وول سبيل العجز غيرک منهم || فإنک لم تخلق على العجز لاـزما وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى || أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما كذبتم وبيت الله نبزى محمدا || و لماتروا يوما من الشعب قائما . و قال يخاطب أبالهب أيضا عجبت لحلم يا ابن شيبة عازب || وأحلام أقوام لديک سخاف يقولون شايع من أراد محمدا || بظلم وقم فى أمره بخلاف أضاميم إما حاسد ذو خيانة || وإما قريب عنک غيرمصاف فلاتركبن الدهر منه ذمامة || و أنت امرؤ من خير عبدمناف و لاتتركنه ماحييت لمعظم || وكن رجلا ذا نجدة وعفاف يذود العدا عن ذروة هاشمية || إلافهم فى الناس خير إلاف فإن له قربى لديک قريبة || و ليس بذى حلف و لابمضاف ولكنه من هاشم ذى صميمها || إلى أبحر فوق البحور طواف [صفحه ۵۸] وزاحم جميع الناس عنه وكن له || وزيرا على الأعداء غيرمجاف و إن غضبت منه قريش فقل لها || بنى عمنا ماقومكم بضعاف و مابالكم تغشون منه ظلامة || و مابال أحقاد هناک خوافى فما قومنا بالقوم يخشون ظلمنا || و مانحن فيما ساءهم بخفاف ولكننا أهل الحفائظ والنهى || و عزببطحاء المشاعر واف . قال محمد بن إسحاق فلما طال البلاء على المسلمين والفتنة والعذاب وارتد كثير عن الدين باللسان لابالقلب كانوا إذاعذبوهم يقولون نشهد أن هذا الله و أن اللات والعزى هى الآلهة فإذاخلوا عنهم عادوا إلى الإسلام فحبسوهم وأوثقوهم بالقد وجعلوهم فى حر الشمس على الصخر والصفا وامتدت أيام الشقاء عليهم و لم يصلوا إلى محمدص لقيام أبى طالب دونه فأجمعت قريش على أن يكتبوا بينهم و بين بنى هاشم صحيفة يتعاقدون فيهاألاـ يناكحوهم و لايبايعوهم و لايجالسوهم فكتبوها وعلقوها فى جوف الكعبة تأكيدا على أنفسهم و كان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبدمناف بن عبدالدار بن قصى فلما فعلوا ذلک انحازت هاشم والمطلب فدخلوا كلهم مع أبى طالب فى الشعب فاجتمعوا إليه وخرج منهم أبولهب إلى قريش فظاهرها على قومه . قال محمد بن إسحاق فضاق الأمر ببنى هاشم وعدموا القوت إلا ما كان يحمل إليهم سرا وخفية و هو شيءقليل لايمسک أرماقهم وأخافتهم قريش فلم يكن يظهر منهم أحد و لايدخل إليهم أحد و ذلک أشد مالقى رسول الله ص و أهل بيته بمكة. قال محمد بن إسحاق فأقاموا

على ذلک سنتين أوثلاثا حتى جهدوا ألا يصل إليهم [صفحه ۵۹] شيء إلاالقليل سرا ممن يريد صلتهم من قريش و قد كان أبوجهل بن هشام لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله محاصرة فى الشعب فتعلق به و قال أتحمل الطعام إلى بنى هاشم و الله لاتبرح أنت وطعامک حتى أفضحک بمكة فجاءه أبوالبخترى العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى فقال ما لک و له قال إنه يحمل الطعام إلى بنى هاشم فقال أبوالبخترى يا هذا إن طعاما كان لعمته عنده بعثت إليه فيه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل فأبى أبوجهل حتى نال كل منهما من صاحبه فأخذ له أبوالبخترى لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئا شديدا فانصرف و هويكره أن يعلم رسول الله ص وبنو هاشم بذلک فيشمتوا فلما أراد الله تعالى من إبطال الصحيفة والفرج عن بنى هاشم من الضيق والأزل ألذى كانوا فيه قام هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالک بن حسل بن عامر بن لؤى فى ذلک أحسن قيام و ذلک أن أباه عمرو بن الحارث كان أخا لنضلة بن هاشم بن عبدمناف بن قصى من أمه فكان هشام بن عمرو يحسب لذلک واصلا ببنى هاشم و كان ذا شرف فى قومه بنى عامر بن لؤى فكان يأتى بالبعير ليلا و قدأوقره طعاما وبنو هاشم وبنو المطلب فى الشعب حتى إذاأقبل به فم الشعب فمنع بخطامه من رأسه ثم يضربه على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتى به مرة أخرى و قدأوقره تمرا فيصنع به مثل ذلک ثم إنه مشى إلى زهير بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى فقال يازهير أرضيت أن تأكل الطعام وتشرب الشراب وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالک حيث قدعلمت لايبتاعون و لايبتاع منهم و لاينكحون و لاينكح إليهم و لايواصلون و لايزارون أماإنى أحلف لو كان أخوک أبوالحكم بن هشام ودعوته إلى مثل مادعاک [صفحه ۶۰] إليه منهم ماأجابک أبدا قال ويحک ياهشام فما ذا أصنع إنما أنا رجل واحد و الله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقض هذه الصحيفة القاطعة قال قدوجدت رجلا قال من هو قال أنا قال زهير أبغنا ثالثا فذهب إلى مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف فقال له يامطعم أرضيت أن يهلک بطنان من عبدمناف جوعا وجهدا و أنت شاهد على ذلک موافق لقريش فيه أما و الله لئن أمكنتموهم من هذالتجدن قريشا إلى مساءتكم فى غيره سريعة قال ويحک ماذا أصنع إنما أنا رجل واحد قال قدوجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال أبغنى ثالثا قال قدوجدت قال من هو قال زهير بن أمية قال أبغنا رابعا فذهب إلى أبى البخترى بن هشام فقال له نحو ما قال للمطعم قال وهل من أحد يعين على هذا قال نعم وذكرهم قال فأبغنا خامسا فمضى إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى فكلمه فقال وهل يعين على ذلک من أحد قال نعم ثم سمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها و قال زهير أناأبدؤكم وأكون أولكم يتكلم فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير بن أبى أمية عليه حلة له فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونشرب الشراب ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى و الله لاأقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة و كان أبوجهل فى ناحية المسجد فقال كذبت و الله لاتشق فقال زمعة بن الأسود لأبى جهل و الله أنت أكذب مارضينا و الله بهاحين كتبت فقال أبوالبخترى معه صدق و الله زمعة لانرضى بها و لانقر بما كتب فيها فقال المطعم بن عدى صدقا و الله وكذب من قال غير ذلک نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها و قال هشام بن عمرو مثل قولهم فقال أبوجهل هذاأمر قضى بليل وقام مطعم بن عدى إلى الصحيفة فحطها وشقها فوجد الأرضة قدأكلتها إلا [صفحه ۶۱] ما كان من باسمک أللهم قالوا و أماكاتبها منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يذكرون فلما مزقت الصحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشعب . قال محمد بن إسحاق فلم يزل أبوطالب ثابتا صابرا مستمرا على نصر رسول الله ص وحمايته والقيام دونه حتى مات فى أول السنة الحادية العشرة من مبعث رسول الله ص فطمعت فيه قريش حينئذ ونالت منه فخرج عن مكة خائفا يطلب أحياء العرب يعرض عليهم نفسه فلم يزل كذلک حتى دخل مكة فى جوار المطعم بن عدى ثم كان من أمره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة. قال و من شعر أبى طالب ألذى يذكر فيه رسول الله ص وقيامه دونه أرقت و قدتصوبت

النجوم || وبت و لاتسالمك الهموم لظلم عشيرة ظلموا وعقوا || وغب عقوقهم لهم وخيم هم انتهكوا المحارم من أخيهم || و كل فعالهم دنس ذميم وراموا خطة جورا وظلما || وبعض القول ذو جنف مليم لتخرج هاشما فتكون منها || بلاقع بطن مكة فالحطيم فمهلا قومنا لاتركبونا || بمظلمة لها خطب جسيم فيندم بعضكم ويذل بعض || و ليس بمفلح أبدا ظلوم أرادوا قتل أحمدزاعميه || و ليس بقتله منهم زعيم ودون محمدمنا ندى || هم العرنين والعضو الصميم و من ذلك قوله وقالوا لأحمد أنت امرؤ || خلوف الحديث ضعيف السبب [صفحه ۶۲] و إن كان أحمد قدجاءهم || بصدق و لم يأتهم بالكذب فإنا و من حج من راكب || وكعبة مكة ذات الحجب تنالون أحمد أوتصطلوا || ظباة الرماح وحد القضب وتغترفوا بين أبياتكم || صدور العوالى وخيلا شزب تراهن من بين ضافى السبيب || قصير الحزام طويل اللبب عليها صناديد من هاشم || هم الأنجبون مع المنتجب . وروى عبد الله بن مسعود قال لمافرغ رسول الله ص من قتلى بدر وأمر بطرحهم فى القليب جعل يتذكر من شعر أبى طالب بيتا فلايحضره فقال له أبوبكر لعله قوله يا رسول الله وإنا لعمر الله إن جد جدنا || لتلتبسن أسيافنا بالأماثل .فسر بظفره بالبيت و قال إى لعمر الله لقد التبست . و من شعر أبى طالب قوله ألا أبلغا عنى لؤيا رسالة || بحق و ماتغنى رسالة مرسل بنى عمنا الأدنين فيما يخصهم || وإخواننا من عبدشمس ونوفل أظاهرتم قوما علينا سفاهة || وأمرا غويا من غواة وجهل يقولون لو أناقتلنا محمدا || أقرت نواصى هاشم بالتذلل كذبتم ورب الهدى تدمى نحوره || بمكة والبيت العتيق المقبل تنالونه أوتصطلوا دون نيله || صوارم تفرى كل عضو ومفصل فمهلا و لماتنتج الحرب بكرها || بخيل تمام أوبآخر معجل [صفحه ۶۳] وتلقوا بيع الأبطحين محمدا || على ربوة فى رأس عنقاء عيطل وتأوى إليه هاشم إن هاشما || عرانين كعب آخر بعدأول فإن كنتم ترجون قتل محمد || فروموا بما جمعتم نقل يذبل فإنا سنحميه بكل طمرة || وذى ميعة نهد المراكل هيكل و كل ردينى ظماء كعوبه || وعضب كإيماض الغمامة مفصل . قلت كان صديقنا على بن يحيى البطريق رحمه الله يقول لو لاخاصة النبوة وسرها لما كان مثل أبى طالب و هوشيخ قريش ورئيسها وذو شرفها يمدح ابن أخيه محمدا و هوشاب قدربى فى حجره و هويتيمه ومكفوله وجار مجرى أولاده بمثل قوله وتلقوا ربيع الأبطحين محمدا || على ربوة فى رأس عنقاء عيطل وتأوى إليه هاشم إن هاشما || عرانين كعب آخر بعدأول . ومثل قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه || ثمال اليتامى عصمة للأرامل يطيف به الهلاك من آل هاشم || فهم عنده فى نعمة وفواضل . فإن هذاالأسلوب من الشعر لايمدح به التابع والذنابى من الناس وإنما هو من مديح الملوك والعظماء فإذاتصورت أنه شعر أبى طالب ذاك الشيخ المبجل العظيم فى محمدص و هوشاب مستجير به معتصم بظله من قريش قدرباه فى حجره غلاما و على عاتقه طفلا و بين يديه شابا يأكل من زاده ويأوى إلى داره علمت موضع خاصية النبوة وسرها و أن أمره كان عظيما و أن الله تعالى أوقع فى القلوب والأنفس له منزلة رفيعة ومكانا جليلا [صفحه ۶۴] وقرأت فى أمالى أبى جعفر بن حبيب رحمه الله قال كان أبوطالب إذارأى رسول الله ص أحيانا يبكى و يقول إذارأيته ذكرت أخى و كان عبد الله أخاه لأبويه و كان شديد الحب والحنو عليه وكذلك كان عبدالمطلب شديد الحب له و كان أبوطالب كثيرا مايخاف على رسول الله ص البيات إذاعرف مضجعه يقيمه ليلا من منامه ويضجع ابنه عليا مكانه فقال له على ليلة ياأبت إنى مقتول فقال له اصبرن يابنى فالصبر أحجى || كل حى مصيره لشعوب قدر الله والبلاء شديد || لفداء الحبيب و ابن الحبيب لفداء الأعز ذى الحسب الثاقب || والباع والكريم النجيب إن تصبك المنون فالنبل تبرى || فمصيب منها و غيرمصيب كل حى و إن تملى بعمر || آخذ من مذاقها بنصيب فأجاب على ع فقال له -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۲۸ أتأمرنى بالصبر فى نصر أحمد || و و الله ما قلت ألذى قلت جازعا ولكننى أحببت أن ترى نصرتى || وتعلم أنى لم أزل لك طائعا سأسعى لوجه الله فى نصر أحمد || نبى الهدى المحمود طفلا ويافعا

الفصل الثانى القول فى المؤمنين والكافرين من بنى هاشم

اشاره

الفصل الثانى فى تفسير قوله ع مؤمننا يبغى بذلک الأجر وکافرنا يحامى عن الأصل و من أسلم من قريش خلو مما نحن فيه لحلف يمنعه أوعشيرة تقوم دونه [صفحه ۶۵] فهم من القتل بمکان أمن فنقول إن بنى هاشم لماحصروا فى الشعب بعد أن منعوا رسول الله ص من قريش کانوا صنفين مسلمين وکفارا فکان على ع وحمزة بن عبدالمطلب مسلمين . واختلف فى جعفر بن أبى طالب هل حصر فى الشعب معهم أم لافقيل حصر فى الشعب معهم وقيل بل کان قدهاجر إلى الحبشة و لم يشهد حصار الشعب و هذا هوالقول الأصح و کان من المسلمين المحصورين فى الشعب مع بنى هاشم عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف و هو و إن لم يکن من بنى هاشم إلا أنه يجرى مجراهم لأن بنى المطلب وبنى هاشم کانوا يدا واحدة لم يفترقوا فى جاهلية و لاإسلام . و کان العباس رحمه الله فى حصار الشعب معهم إلا أنه کان على دين قومه وکذلک عقيل بن أبى طالب وطالب بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب و أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب و کان شديدا على رسول الله ص يبغضه ويهجوه بالأشعار إلا أنه کان لايرضى بقتله و لايقار قريشا فى دمه محافظة على النسب و کان سيد المحصورين فى الشعب ورئيسهم وشيخهم أبوطالب بن عبدالمطلب و هوالکافل والمحامى

اختلاف الرأى فى إيمان أبى طالب

واختلف الناس فى إيمان أبى طالب فقالت الإمامية وأکثر الزيدية مامات إلامسلما. [صفحه ۶۶] و قال بعض شيوخنا المعتزلة بذلک منهم الشيخ أبوالقاسم البلخى و أبو جعفرالإسکافى وغيرهما. و قال أکثر الناس من أهل الحديث والعامة من شيوخنا البصريين وغيرهم مات على دين قومه و يروون فى ذلک حديثا مشهورا أن رسول الله ص قال له عندموته قل ياعم کلمة أشهد لک بهاغدا عند الله تعالى -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-۱۱۶ فقال لو لا أن تقول العرب إن أباطالب جزع عندالموت لأقررت بهاعينک . وروى أنه قال أنا على دين الأشياخ . وقيل إنه قال أنا على دين عبدالمطلب وقيل غير ذلک . وروى کثير من المحدثين أن قوله تعالى ما کانَ لِلنّبِيّ وَ الّذِينَ آمَنُوا أَن يَستَغفِرُوا لِلمُشرِکِينَ وَ لَو کانُوا أُولِي قُربى مِن بَعدِ ما تَبَيّنَ لَهُم أَنّهُم أَصحابُ الجَحِيمِ وَ ما کانَ استِغفارُ إِبراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلّا عَن مَوعِدَةٍ وَعَدَها إِيّاهُ فَلَمّا تَبَيّنَ لَهُ أَنّهُ عَدُوّ لِلّهِ تَبَرّأَ مِنهُالآية أنزلت فى أبى طالب لأن رسول الله استغفر له بعدموته . ورووا أن قوله تعالى إِنّکَ لا تَهدِي مَن أَحبَبتَنزلت فى أبى طالب . ورووا أن عليا ع جاء إلى رسول الله ص بعدموت أبى طالب فقال له إن عمک الضال قدقضى فما ألذى تأمرنى فيه . واحتجوا بأنه لم ينقل أحد عنه أنه رآه يصلى والصلاة هى المفرقة بين المسلم والکافر و أن عليا وجعفرا لم يأخذا من ترکته شيئا و -قرآن-۲۱۱-۴۹۸-قرآن-۵۸۵-۶۱۴ رووا عن النبى ص أنه قال إن الله قدوعدنى بتخفيف عذابه لماصنع فى حقى وإنه فى ضحضاح من نار -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۱۰۵ رووا عنه أيضا أنه قيل له لواستغفرت لأبيک وأمک فقال لواستغفرت لهما لاستغفرت لأبى طالب فإنه صنع إلى ما لم يصنعا و إن عبد الله وآمنة و أباطالب جمرات من جمرات جهنم -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۱۸۲ . [صفحه ۶۷] فأما الذين زعموا أنه کان مسلما فقد رووا خلاف ذلک و أسندوا خبرا إلى أمير المؤمنين ع أنه قال قال رسول الله ص قال لى جبرائيل إن الله مشفعک فى ستة بطن حملتک آمنة بنت وهب وصلب أنزلک عبد الله بن عبدالمطلب وحجر کفلک أبى طالب وبيت آواک عبدالمطلب وأخ کان لک فى الجاهلية قيل يا رسول الله و ما کان فعله قال کان سخيا يطعم الطعام ويجود بالنوال

وثـدی أرضـعتک حلیمهٔ بنت أبی ذؤیب -روایت-۱-۲-روایت-۶۷-۳۵۶ . قلت سألت النقیب أبـا جعفریحیی بن أبی زیـد عن هـذاالخبر و قـدقرأته علیه هل کان لرسول الله ص أخ من أبیه أو من أمه أومنهما فی الجاهلیـهٔ فقال لاإنما یعنی أخا له فی المودهٔ والصحبهٔ قلت له فمن هو قال لاأدری.قالوا و قدنقل الناس کافهٔ عن رسول الله ص أنه قال نقلنا من الأصلاب الطاهرهٔ إلی الأرحام الزکیهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۵۰-۹۶ فوجب بهذا أن یکون آباؤه کلهم منزهین عن الشـرک لأنهم لوکانوا عبدهٔ أصنام لماکانوا طـاهرین .قـالوا و أمـا مـاذکر فی القرآن من ابراهیم و أبیه آزر وکونه کـان ضالاـ مشـرکا فلایقـدح فی مـذهبنا لأن آزر کان عم ابراهیم فأمـا أبوه فتـارخ بن نـاحور وسـمی العم أبـا کما قال أَم کُنتُم شُـهَداءَ إِذ حَضَـرَ یَعقُوبَ المَوتُ إِذ قالَ لِبَنِیهِ ما تَعبُـدُونَ مِن بَعدِی قالُوا نَعبُدُ إِلهَکَ وَ إِلهَ آبائِکَ ثم عد فیهم إسـماعیل و لیس من آبائه ولکنه عمه . قلت و هذاالاحتجاج عندی ضعیف لأن المراد من قوله نقلنا من الأصلاب الطاهرهٔ إلی الأرحام الزکیهٔ تنزیه آبائه وأجداده وأمهاته عن السفاح لا غیر هذامقتضی -قرآن-۲۶۶-۳۹۷ [صفحه ۶۸] سیاقهٔ الکلام لأن العرب کان یعیب بعضـها بعضا باختلاط المیاه واشتباه الأنساب ونکاح الشبههٔ. وقولهم لوکـانوا عبـدهٔ أصـنام لماکـانوا طـاهرین یقال لهم لم قلتم إنهم لوکانوا عبـدهٔ أصـنام لماکانوا طاهری الأصـلاب فإنه لامنافاهٔ بین طهارهٔ الأصـلاب وعبادهٔ الصـنم أ لاتری أنه لوأراد مازعموه لماذکر الأصـلاب والأرحام بل جعل عوضـها العقائد واعتذارهم عن ابراهیم و أبیه یقـدح فی قولهم فی أبی طـالب لأـنه لم یکن أبـا محمـدص بل کان عمه فإذاجاز عنـدهم أن یکون العم و هوآزر مشـرکا کما قـداقترحوه فی تأویلهم لم یکن لهم حجـهٔ من هذاالوجه علی إسـلام أبی طالب . واحتجوا فی إسـلام الآباء بما روی عن جعفر بن محمـد ع أنه قال یبعث الله عبدالمطلب یوم القیامهٔ و علیه سـیماء الأنبیاء وبهاء الملوک -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-۱۱۳ روی أن العباس بن عبـدالمطلب قال لرسول الله ص بالمدینـهٔ یا رسول الله ماترجو لأبی طالب فقال أرجو له کل خیر من الله عز و جل -روایت-۱-۲-روایت-۷-۱۳۶ روی أن رجلا من رجال الشیعهٔ و هوأبان بن محمود کتب إلی علی بن موسی الرضا ع جعلت فـداک إنی قدشـککت فی إسـلام أبی طـالب فکتب إلیه وَ مَن یُشاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ ما تَبَیَّنَ لَهُ الهُـدی وَ یَتَّبِع غَیرَ سَبِیلِ المُؤمِنِینَالآیـهٔ وبعدها إنک إن لم تقر بإیمان أبی طالب کان مصیرک إلی النار -روایت-۱-۲-روایت-۷-۳۰۴ قدروی عن علی بن محمدالباقر ع أنه سئل عما یقوله الناس إن أباطالب فی ضحضاح من نار فقال لووضع إیمان أبی طالب فی کفهٔ میزان وإیمان هـذاالخلق فی الکفـهٔ الأخری لرجـح إیمانه ثم قال أ لم تعلموا أن أمیر المؤمنین علیا ع کان یأمر أن یحـج عن عبـد الله و أبیه أبی طالب فی حیاته ثم أوصـی فی وصیته بالحج عنهم -روایت-۱-۲-روایت-۳۷-۳۲۶ . وروی أن أبابکر جاء بأبی قحافهٔ إلی النبی ص عام الفتح یقوده [صفحه ۶۹] و هوشـیخ کبیر أعمی فقال رسول الله أ لاترکت الشـیخ حتی نأتیه فقال أردت یا رسول الله أن یأجره الله أما و ألذی بعثک بالحق لأنا کنت أشد فرحا بإسـلام عمک أبی طالب منی بإسلام أبی ألتمس بذلک قرهٔ عینک فقال صـدقت . و روی أن علی بن الحسـین ع سـئل عن هـذا فقـال وا عجبـا إن الله تعالی نهی رسوله أن یقر مسـلمهٔ علی نکاح کافر و قـدکانت فاطمـهٔ بنـت أسـد من السابقـات إلی الإسـلام و لم تزل تحت أبی طـالب حتـی مـات -روایت-۱-۲-روایت-۷-۱۹۸ . ویروی قوم من الزیدیـهٔ أن أباطـالب أسـند المحـدثون عنه حـدیثا ینتهی إلی أبی رافع مولی رسول الله ص قـال سـمعت أباطالب یقول بمکهٔ حدثنی محمد ابن أخی أن ربه بعثه بصـلهٔ الرحم و أن یعبده وحده لایعبد معه غیره و محمدعندی الصادق الأمین . و قال قوم إن قول النبی ص أنا وکافل الیتیم کهاتین فی الجنهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۵۴ إنما عنی به أباطالب . وقالت الإمامیهٔ إن مایرویه العامهٔ من أن علیا ع وجعفرا لم یأخذا من ترکهٔ أبی طالب شیئا حدیث موضوع ومذهب أهل البیت بخلاف ذلک فإن المسـلم عندهم یرث الکافر و لایرث الکافر المسلم و لو کان أعلی درجهٔ منه فی النسب .قالوا و قوله ص لاتوارث بین أهل ملتین -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۸ نقـول بمـوجبه لأـن التـوارث تفاعـل و لاتفاعـل عنـدنا فی میراثهمـا واللفـظ یسـتدعی الطرفین کالتضارب لا یکون إلا من اثنین قالوا وحب رسول الله ص [صـفحه ۷۰] لأبی طالب معلوم مشهور و لو کان کافرا ماجاز له حبه

لقوله تعالى لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَ اليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُالآيةَ.قالوا و قداشتهر واستفاض الحديث و هو –قرآن–۶۸–۱۶۲ قوله ص لعقيل أناأحبك حبين حبا لك وحبا لحب أبى طالب فإنه كان يحبك –روايت–۱–۲–روايت–۱۸–۷۸ .قالوا وخطبة النكاح مشهورة خطبها أبوطالب عندنكاح محمدص خديجة وهى قوله الحمد لله ألذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع إسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن محمد بن عبد الله أخى من لايوازن به فتى من قريش إلارجح عليه برا وفضلا وحزما وعقلا ورأيا ونبلا و إن كان فى المال قل فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة و له فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك و ماأحببتم من الصداق فعلى و له و الله بعدنبأ شائع وخطب جليل .قالوا أفتراه يعلم نبأه الشائع وخطبه الجليل ثم يعانده ويكذبه و هو من أولى الألباب هذا غيرسائغ فى العقول .قالوا و قدروى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد ع أن رسول الله ص قال إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكفر فآتاهم الله أجرهم مرتين و إن أباطالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فآتاه الله أجره مرتين –روايت–۱–۲–روايت–۷۰–۲۱۰ فى الحديث المشهور أن جبرائيل ع قال له ليلة مات أبوطالب اخرج منها فقد مات ناصرك –روايت–۱–۲–روايت–۲۲–۹۲ .قالوا و أماحديث الضحضاح من النار فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد و هوالمغيرة بن شعبة وبغضه لبنى هاشم و على الخصوص لعلى ع مشهور معلوم وقصته وفسقه أمر غيرخاف . [صفحه ۷۱] وقالوا و قدروى بأسانيد كثيرة بعضها عن العباس بن عبدالمطلب وبعضها عن أبى بكر بن أبى قحافة أن أباطالب مامات حتى قال لاإله إلا الله محمد رسول الله والخبر مشهور أن أباطالب عندالموت قال كلاما خفيا فأصغى إليه أخوه العباس ثم رفع رأسه إلى رسول الله ص فقال يا ابن أخى و الله لقد قالها عمك ولكنه ضعف عن أن يبلغك صوته . و روى عن على ع أنه قال مامات أبوطالب حتى أعطى رسول الله ص من نفسه الرضا –روايت–۱–۲–روايت–۲۹–۸۶ .قالوا وأشعار أبى طالب تدل على أنه كان مسلما و لافرق بين الكلام المنظوم والمنثور إذاتضمنا إقرارا بالإسلام أ لاترى أن يهوديا لوتوسط جماعة من المسلمين وأنشد شعرا قدارتجله ونظمه يتضمن الإقرار بنبوة محمدص لكنا نحكم بإسلامه كما لو قال أشهد أن محمدا رسول الله ص فمن تلك الأشعار قوله يرجون منا خطة دون نيلها || ضراب وطعن بالوشيج المقوم يرجون أن نسخى بقتل محمد || و لم تختضب سمر العوالى من الدم كذبتم وبيت الله حتى تفلقوا || جماجم تلقى بالحطيم وزمزم وتقطع أرحام وتنسى حليلة || حليلا ويغشى محرم بعدمحرم على مامضى من مقتكم وعقوقكم || وغشيانكم فى أمركم كل مأثم وظلم نبى جاء يدعو إلى الهدى || وأمر أتى من عندذى العرش قيم [صفحه ۷۲] فلاتحسبونا مسلميه فمثله || إذا كان فى قوم فليس بمسلم . و من شعر أبى طالب فى أمر الصحيفة التى كتبتها قريش فى قطيعة بنى هاشم ألا أبلغا عنى على ذات بينها || لؤيا وخصا من لؤى بنى كعب أ لم تعلموا أناوجدنا محمدا || رسولا كموسى خط فى أول الكتب و أن عليه فى العباد محبة || و لاحيف فيمن خصه الله بالحب و أن ألذى رقشتم فى كتابكم || يكون لكم يوما كراغية السقب أفيقوا أفيقوا قبل أن تحفر الزبى || ويصبح من لم يجن ذنبا كذى ذنب و لاتتبعوا أمر الغواة وتقطعوا || أواصرنا بعدالمودة والقرب وتستجلبوا حربا عوانا وربما || أمر على من ذاقه حلب الحرب فلسنا وبيت الله نسلم أحمدا || لعزاء من عض الزمان و لاكرب و لماتبن منا ومنكم سوالف || وأيد أترت بالمهندة الشهب بمعترك ضيق ترى قصد القنا || به والضباع العرج تعكف كالشرب كأن مجال الخيل فى حجراته || وغمغمة الأبطال معركة الحرب أ ليس أبونا هاشم شد أزره || وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب ولسنا نمل الحرب حتى تملنا || و لانشتكى مما ينوب من النكب [صفحه ۷۳] ولكننا أهل الحفائظ والنهى || إذاطار أرواح الكماة من الرعب . و من ذلك قوله فلاتسفهوا أحلامكم فى محمد || و لاتتبعوا أمر الغواة الأشائم تمنيتم أن تقتلوه وإنما || أمانيكم هذى كأحلام نائم وإنكم و الله لاـتقتلونه || و لماتروا قطف اللحى والجماجم زعمتم بأنا مسلمون محمدا || و لمانقاذف دونه ونزاحم من القوم مفضال أبى على العدا || تمكن فى الفرعين من آل هاشم أمين حبيب فى العباد مسوم || بخاتم رب قاهر فى الخواتم يرى الناس برهانا

عليه وهيبـة || و ماجاهـل فی قومه مثـل عـالم نبی أتـاه الوحی من عنـدربه || و من قـال لایقرع بهاسن نادم . و من ذلک قوله و قدغضب لعثمان بن مظعون الجمحی حین عذبته قریش ونالت منه أ من تذکر دهر غیرمأمون || أصبحت مکتئبا تبکی کمحزون أم من تـذکر أقوام ذوی سـفه || یغشون بـالظلم من یـدعو إلی الـدین أ لا یـرون أذل الله جمعهم || أناغضـبنا لعثمان بن مظعون ونمنع الضـیم من یبغی مضامتنا || بکل مطرد فی الکف مسنون ومرهفات کأن الملح خالطها || یشفی بهاالداء من هام المجانین حتی تقر رجـال لاـحلوم لهـا || بعدالصـعوبهٔ بالإسـماح واللین [صـفحه ۷۴] أوتؤمنـوا بکتـاب منزل عجب || علی نـبی موسـی أوکذی النون .قالوا و قدجاء فی الخبر أن أباجهل بن هشام جاء مرهٔ إلی رسول الله ص و هوساجد وبیده حجر یرید أن یرضخ به رأسه فلصق الحجر بکفه فلم یستطع ماأراد فقال أبوطالب فی ذلک من جملهٔ أبیات أفیقوا بنی عمنا وانتهوا || عن الغی من بعض ذا المنطق و إلافـإنی إذاخـائف || بوائق فی دارکم تلتقی کمـاذاق من کان من قبلکم || ثمود وعاد و ماذا بقی . ومنها وأعجب من ذاک فی أمرکم || عجائب فی الحجر الملصق بکف ألـذی قام من حینه || إلی الصابر الصادق المتقی فأثبته الله فی کفه || علی رغمه الخائن الأحمق قالوا و قداشتهر عن عبد الله المأمون رحمه الله أنه کان یقول أسلم أبوطالب و الله بقوله نصرت الرسول رسول الملیک || ببیض تلألأ کلمع البروق أذب وأحمی رسول الإله || حمایـهٔ حام علیه شـفیق و ما إن أدب لأعـدائه || دبیب البکـار حـذار الفنیق ولکن أزیر لهم سامیـا || کمـازار لیث بغیـل مضـیق . [صـفحه ۷۵] قـالوا و قـدجاء فی السـیرهٔ وذکره أکثر المؤرخین أن عمرو بن العاص لماخرج إلی بلاد الحبشـهٔ لیکیـد جعفر بن أبی طالب وأصـحابه عندالنجاشـی قال تقول ابنتی أین أین الرحیـل || و مـاالبین منی بمسـتنکر فقلت دعینی فإنی امرؤ || أریـد النجاشـی فی جعفر لأکویه عنـده کیـهٔ || أقیم بهانخوهٔ الأصـعر ولن أنثنی عن بنی هاشم || بما اسـطعت فی الغیب والمحضـر و عن عائب اللات فی قوله || و لو لارضا اللات لم تمطر وإنی لأشنا قریش له || و إن کان کالذهب الأحمر .قالوا فکان عمرو یسمی الشانئ ابن الشانئ لأن أباه کان إذامر علیه رسول الله ص بمکـهٔ یقول له و الله إنی لأشـنؤک و فیه أنزل إِنّ شانِئَکَ هُوَ الأَبتَرُقالوا فکتب أبوطالب إلی النجاشـی شـعرا یحرضه فیه علی إکرام جعفر وأصـحابه والإعراض عما یقوله عمرو فیه وفیهم من جملته -قرآن-۱۳۳-۱۶۰ ألا لیت شـعری کیف فی الناس جعفر || وعمرو وأعداء النبی الأقارب وهل نال إحسان النجاشی جعفرا || وأصحابه أم عاق عن ذاک شاغب . فی أبیات کثیرهٔ.قالوا و روی عن علی ع أنه قـال قال لی أبی یابنی الزم ابن عمک فإنک تسلم به من کل بأس عاجل وآجل ثم قال لی -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۱۱۹ إن الوثیقهٔ فی لزوم محمد || فاشدد بصحبته علی أیدیکا . [صفحه ۷۶] و من شعره المناسب لهذا المعنی قوله إن علیا وجعفرا ثقتی || عنـدملم الزمان والنوب لاتخذلا وانصـرا ابن عمکما || أخی لأمی من بینهم و أبی و الله لاأخذل النبی و لاـ || یخـذله من بنی ذو حسب .قالوا و قـدجاءت الروایـهٔ أن أباطالب لمامات جاء علی ع إلی رسول الله ص فآذنه بموته فتوجع عظیمـا وحزن شدیـدا ثم قـال له امض فتول غسـله فإذارفعته علی سـریره فأعلمنی ففعل فاعترضه رسول الله ص و هومحمول علی رءوس الرجـال فقـال وصـلتک رحم یـاعم وجزیت خیرا فلقـد ربیت وکفلت صـغیرا ونصـرت وآزرت کـبیرا ثم تبعه إلی حفرته فوقف علیه فقال أما و الله لأستغفرن لک ولأشفعن فیک شفاعهٔ یعجب لها الثقلان .قالوا والمسلم لایجوز أن یتولی غسل الکافر و لایجوز للنبی أن یرق لکافر و لا أن یدعو له بخیر و لا أن یعده بالاسـتغفار والشفاعهٔ وإنما تولی علی ع غسله لأن طالبا وعقیلا لم یکونا أسـلما بعد و کان جعفربالحبشهٔ و لم تکن صلاهٔ الجنائز شرعت بعد و لاصلی رسول الله ص علی خدیجهٔ وإنما کان تشییع ورقـهٔ ودعاء.قـالوا و من شـعر أبی طالب یخاطب أخاه حمزهٔ و کان یکنی أبایعلی فصبرا أبایعلی علی دین أحمـد || وکن مظهرا للـدین وفقت صابرا وحط من أتی بالحق من عنـدربه || بصدق وعزم لاتکن حمز کافرا فقد سـرنی إذ قلت إنک مؤمن || فکن لرسول الله فی الله ناصـرا [صـفحه ۷۷] وباد قریشا بالـذی قـدأتیته || جهارا وقل ما کان أحمدساحرا .قالوا و من شـعره المشـهور أنت النبی محمـد || قرم أعز مسود لمسودین أکارم || طابوا وطاب المولـد نعم الأرومـهٔ أصـلها || عمرو الخضم الأوحد هشـم

الربيكـۀ فی الجفـان || وعیش مکـۀ أنکـد فجرت بـذلک سـنۀ || فیهـاالخبیزۀ تـثرد ولنـا السـقایۀ للحجیـج || بهایمـاث العنجد والمأزمان و ماحوت || عرفاتها والمسـجد أنی تضام و لم أمت || و أناالشجاع العربد وبطاح مکۀ لایری || فیهانجیع أسود وبنو أبیک کأنهم || أسد العرین توقد ولقد عهدتک صادقا || فی القول لاتتزید مازلت تنطق بالصواب || و أنت طفل أمرد .قالوا و من شـعره المشـهور أیضا قوله یخاطب محمـدا ویسـکن جأشه ویأمره بإظهار الـدعوۀ لایمنعنک من حق تقوم به || أید تصول و لاسـلق بأصوات [صفحه ۷۸] فـإن کفـک کفی إن بلیت بهم || ودون نفسک نفسـی فی الملمات . و من ذلک قوله ویقال إنها لطالب بن أبی طالب إذاقیل من خیر هذاالوری || قبیلا وأکرمهم أسره أناف لعبد مناف أب || وفضله هاشم العزه لقد حل مجد بنی هاشم || مکان النعائم والنثره وخیر بنی هاشم أحمـد || رسول الإله علی فتره . و من ذلک قوله لقـد أکرم الله النبی محمـدا || فأکرم خلق الله فی الناس أحمـد وشق له من اسـمه لیجله || فذو العرش محمود و هذا محمد . و قوله أیضا و قدیروی لعلی ع یاشاهـد الله علی فاشـهد || أنی علی دین النبی أحمـد من ضل فی الـدین فإنی مهتـد .قالوا فکل هـذه الأشـعار قـدجاءت مجیء التواتر لأنه إن لم تکن آحادها متواترۀ فمجموعها یـدل علی أمر واحد مشترک و هوتصدیق محمدص ومجموعها متواتر کما أن کل واحدۀ من قتلات علی ع الفرسان منقولۀ آحادا ومجموعها متواتر یفیدنا العلم الضـروری بشـجاعته وکذلک القول فیما روی من سـخاء حـاتم وحلم الأـحنف ومعاویـۀ وذکـاء إیاس وخلاعـۀ أبی نواس و غیر ذلک قالوا واترکوا هـذاکله جانبا ماقولکم فی القصـیدۀ اللامیۀ التی شـهرتها کشـهرۀ قفا نبک و إن جاز الشک فیها أو فی شیء من أبیاتها جاز الشک فی قفا نبک و فی بعض أبیاتها ونحن نـذکر منها هاهنا قطعۀ وهی قوله [صـفحه ۷۹] أعوذ برب البیت من کـل طـاعن || علینـا بسوء أویلوح بباطل و من فاجر یغتابنا بمغیبۀ || و من ملحق فی الدین ما لم نحاول کذبتم وبیت الله یبزی محمد || و لمانطاعن دونه ونناضل وننصره حتی نصـرع دونه || ونـذهل عن أبنائنـا والحلائل و حتی نری ذا الردع یرکب ردعه || من الطعن فعل الأنکب المتحامل وینهض قوم فی الحدیـد إلیکم || نهوض الروایا تحت ذات الصـلاصل وإنا وبیت الله من جد جدنا || لتلتبسن أسـیافنا بالأماثل بکل فتی مثل الشـهاب سـمیدع || أخی ثقـۀ عندالحفیظـۀ باسـل و مـاترک قوم لاـ أبـا لـک سـیدا || یحوط الـذمار غیرنکس مواکـل وأبیض یستسـقی الغمـام بوجهه || ثمـال الیتـامی عصـمۀ للأرامل یلوذ به الهلاک من آل هاشم || فهم عنـده فی نعمـۀ وفواضل ومیزان صـدق لاـیخیس شـعیرۀ || ووزان صـدق وزنه غیرعائل أ لم تعلموا أن ابننا لامکـذب || لـدینا و لایعبأ بقول الأباطل لعمری لقد کلفت وجـدا بأحمـد || وأحببته حب الحبیب المواصـل وجـدت بنفسـی دونه فحمیته || ودافعت عنه بالـذری والکواهل فلازال للدنیا جمالا لأهلها || وشـینا لمن عادی وزین المحافل وأیده رب العباد بنصره || وأظهر دینا حقه غیرباطل . [صفحه ۸۰] وورد فی السـیرۀ والمغـازی أن عتبـۀ بن ربیعـۀ أوشـیبۀ لمـاقطع رجـل عبیـدۀ بن الحـارث بن المطلب یوم بـدر أشـبل علیه علی وحمزۀ فاسـتنقذاه منه وخبطا عتبـۀ بسـیفیهما حتی قتلاه واحتملا صاحبهما من المعرکـۀ إلی العریش فألقیاه بین یدی رسول الله ص و إن مـخ ساقه لیسـیل فقال یا رسول الله لو کان أبوطالب حیا لعلم أنه قدصـدق فی قوله کذبتم وبیت الله نخلی محمدا || و لمانطاعن دونه ونناضـل وننصـره حتی نصـرع حوله || ونـذهل عن أبنائنـا والحلائل .فقالوا إن رسول الله ص اسـتغفر له ولأبی طالب یومئذ وبلغ عبیـدۀ مع النبی ص إلی الصـفراء فمـات فـدفن بهـا. قـالوا و قـدروی أن أعرابیـا جاء إلی رسول الله ص فی عام جـدب فقال أتینـاک یـا رسول الله و لم یبق لنـا صـبی یرتضع و لاشـارف یجتر ثم أنشـده -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۴۵ أتیناک والعـذراء تدمی لبانها || و قدشـغلت أم الرضـیع عن الطفل وألقی بکفیه الفتی لاسـتکانۀ || من الجوع حتی مایمر و لایحلی و لا شیءمما یأکل الناس عندنا || سوی الحنظل العامی والعلهز الفسل و لیس لنا إلاإلیک فرارنا || وأین فرار الناس إلا إلی الرسل .فقام النبی ص یجر رداءه حتی صعد المنبر فحمـد الله وأثنی علیه و قال أللهم اسـقنا غیثا مغیثا مریئا هنیئا مریعا سـحا سـجالا غدقا طبقا قاطبا دائما درا تحیی به الأرض وتنبت به الزرع وتـدر به الضـرع واجعله سـقیا نافعا عاجلا غیررائث فو الله مارد رسول الله ص یـده إلی

نحره حتى ألقت السماء -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۸۱] أرواقها وجاء الناس يضجون الغرق الغرق يا رسول الله فقال أللهم حوالينا و لاعلينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عينه من ينشدنا قوله فقام على فقال يا رسول الله لعلك أردت -روايت-از قبل-۲۸۴ وأبيض يستسقى الغمام بوجهه قال أجل فأنشده أبياتا من هذه القصيدة و رسول الله يستغفر لأبى طالب على المنبر ثم قام رجل من كنانة فأنشده -روايت-۱-۱۱۵ لك الحمد والحمد ممن شكر || سقينا بوجه النبى المطر دعا الله خالقه دعوة || إليه وأشخص منه البصر فما كان إلا كماساعة || أوأقصر حتى رأينا الدرر دفاق العزالى وجم البعاق || أغاث به الله عليا مضر فكان كماقاله عمه || أبوطالب ذو رواء غرر به يسر الله صوب الغمام || فهذا العيان وذاك الخبر فمن يشكر الله يلق المزيد || و من يكفر الله يلق الغير فقال رسول الله إن يكن شاعر أحسن فقد أحسنت -روايت-۱-۵۰ قالوا وإنما لم يظهر أبوطالب الإسلام ويجاهر به لأنه لوأظهره لم يتهيأ له من نصرة النبى ص ماتهيأ له و كان كواحد من المسلمين الذين اتبعوه نحو أبى بكر و عبدالرحمن بن عوف وغيرهما ممن أسلم و لم يتمكن من نصرته والقيام دونه [صفحه ۸۲] حينئذ وإنما تمكن أبوطالب من المحاماة عنه بالثبات فى الظاهر على دين قريش و إن أبطن الإسلام كما لو أن إنسانا كان يبطن التشيع مثلا و هو فى بلد من بلاد الكرامية و له فى ذلك البلد وجاهة وقدم و هويظهر مذهب الكرامية ويحفظ ناموسه بينهم بذلك و كان فى ذلك البلد نفر يسير من الشيعة لايزالون ينالون بالأذى والضرر من أهل ذلك البلد ورؤسائه فإنه مادام قادرا على إظهار مذهب أهل البلد يكون أشد تمكنا من المدافعة والمحاماة عن أولئك النفر فلو أظهر مايجوز من التشيع وكاشف أهل البلد بذلك صار حكمه حكم واحد من أولئك النفر ولحقه من الأذى والضرر مايلحقهم و لم يتمكن من الدفاع أحيانا عنهم كما كان أولا. قلت فأما أنا فإن الحال ملتبسة عندى والأخبار متعارضة و الله أعلم بحقيقة حاله كيف كانت . ويقف فى صدرى رسالة النفس الزكية إلى المنصور و قوله فيهافأنا ابن خير الأخيار و أنا ابن شر الأشرار و أنا ابن سيد أهل الجنة و أنا ابن سيد أهل النار. فإن هذه شهادة منه على أبى طالب بالكفر و هوابنه و غيرمتهم عليه وعهده قريب من عهد النبى ص لم يطل الزمان فيكون الخبر مفتعلا. وجملة الأمر أنه قدروى فى إسلامه أخبار كثيرة وروى فى موته على دين قومه أخبار كثيرة فتعارض الجرح والتعديل فكان كتعارض البينتين عندالحاكم و ذلك يقتضى التوقف فأنا فى أمره من المتوقفين . [صفحه ۸۳] فأما الصلاة وكونه لم ينقل عنه أنه صلى فيجوز أن يكون لأن الصلاة لم تكن بعد قدفرضت وإنما كانت نفلا ـ غيرواجب فمن شاء صلى و من شاء ترك و لم تفرض إلابالمدينة ويمكن أن يقول أصحاب الحديث إذاتعارض الجرح والتعديل كما قدأشرتم إليه فالترجيح عندأصحاب أصول الفقه لجانب الجرح لأن الجارح قداطلع على زيادة لم يطلع عليها المعدل . ولخصومهم أن يجيبوا عن هذافنقول إن هذاإنما يقال ويذكر فى أصول الفقه فى طعن مفصل فى مقابلة تعديل مجمل مثاله أن يروى شعبة مثلا حديثا عن رجل فهو بروايته عنه قدوثقه ويكفى فى توثيقه له أن يكون مستور الحال ظاهره العدالة فيطعن فيه الدار قطنى مثلا بأن يقول كان مدلسا أو كان يرتكب الذنب الفلانى فيكون قدطعن طعنا مفصلا فى مقابلة تعديل مجمل وفيما نحن فيه وبصدده الروايتان متعارضتان تفصيلا لاإجمالا لأن هؤلاء يروون أنه تلفظ بكلمتى الشهادة عندالموت وهؤلاء يروون أنه قال عندالموت أنا على دين الأشياخ . وبمثل هذايجاب على من يقول من الشيعة روايتنا فى إسلامه أرجح لأنا نروى حكما إيجابيا ونشهد على إثبات وخصومنا يشهدون على النفى و لاشهادة على النفى و ذلك أن الشهادة فى الجانبين معا إنما هى على إثبات ولكنه إثبات متضاد. وصنف بعض الطالبيين فى هذاالعصر كتابا فى إسلام أبى طالب وبعثه إلى وسألنى أن أكتب عليه بخطى نظما أونثرا أشهد فيه بصحة ذلك وبوثاقة الأدلة عليه فتحرجت أن أحكم بذلك حكما قاطعا لماعندى من التوقف فيه و لم أستجز أن أقعد عن تعظيم أبى طالب فإنى أعلم أنه لولاه لماقامت للإسلام دعامة وأعلم أن حقه واجب على كل مسلم فى الدنيا إلى أن تقوم الساعة فكتبت على ظاهر المجلد [صفحه ۸۴] و لو لا أبوطالب وابنه

|| لمامثل الـدين شـخصا فقاما فـذاك بمكـهٔ آوى وحامى || و هـذابيثرب جس الحماما تكفل عبـدمناف بأمر || وأودى فكان على تماما فقل فى ثبير مضى بعد ما || قضى ماقضاه وأبقى شماما فلله ذا فاتحا للهدى || ولله ذا للمعالى ختاما و ماضر مجد أبى طالب || جهول لغا أوبصـير تعامى كما لايضر إياهٔ الصباح || من ظن ضوء النهار الظلاما .فوفيته حقه من التعظيم والإجلال و لم أجزم بأمر عندى فيه وقفهٔ

الفصل الثالث قصهٔ غزوهٔ بدر

اشاره

الفصل الثالث فى شـرح القصـهٔ فى غزاهٔ بـدر ونحن نـذكر ذلك من كتاب المغازى لمحمد بن عمر الواقدى ونذكر ماعساه زاده محمد بن إسـحاق فى كتاب المغازى و مازاده أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى تاريخ الأشراف . قال الواقدى بلغ رسول الله ص أن عير قريش قدفصـلت من مكهٔ تريد الشام و قدجمعت قريش فيهاأموالها فندب لها أصحابه وخرج يعترضها على رأس ستهٔ عشـر شـهرا من مهاجره ع فخرج فى خمسـين ومائهٔ ويقال فى مائتين فلم يلق العير وفاتته ذاهبهٔ إلى الشام و هذه غزاهٔ ذى العشـيرهٔ رجع منها إلى المدينهٔ فلم يلق حربا فلما تحين انصـراف العير من الشام قافلهٔ ندب أصحابه لها وبعث طلحهٔ بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قبل خروجه من المدينهٔ بعشر ليال [صفحه ۸۵] يتجسسان خبر العير حتى نزلا على كشد الجهنى بالموضع المعروف بالنخبـار و هـو مـن وراء ذى المروهٔ على الساحـل فأجارهمـا وأنزلهمـا فلم يزالاـ مقيمين فى خبـاء وبر حـتى مرت العير فرفعهمـا على نشـز من الأـرض فنظرا إلى القوم و إلى ماتحمل العير وجعل أهل العير يقولون لكشـد ياكشـد هل رأيت أحـدا من عيون محمـدفيقول أعوذ بـالله وأنى لمحمـد عيون بالنخبار فلما راحت العير باتا حتى أصبحا ثم خرجا وخرج معهما كشـد خفيرا حتى أوردهما ذا المروهٔ وساحلت العير فأسرعت وسار بهاأصحابها ليلا ونهارا فرقا من الطلب وقدم طلحهٔ وسعيد المدينهٔ فى اليوم ألـذى لقى رسول الله ص قريشـا ببـدر فخرجا يعترضان رسول الله ص فلقياه بتربان وتربان بين ملل والسالـهٔ على المحجـهٔ وكانت منزل عروهٔ بن أذينـهٔ الشـاعر وقـدم كشـد بعـد ذلك على النبى ص و قـدأخبر طلحـهٔ وسـعيد رسول الله ص بما صـنع بهما فحباه وأكرمه و قـال أ لاـأقطع لـك ينبع قـال إنى كبير و قدنفـد عمرى ولكن أقطعهـا لابن أخى فأقطعها له قالوا ونـدب رسول الله ص المسـلمين و قال هذه عير قريش فيهاأموالهم لعل الله أن يغنمكموها فأسرع من أسرع حتى إن كان الرجل ليساهم أباه فى الخروج فكان ممن ساهم أباه سـعد بن خيثمـهٔ فقال سـعد لأبيه إنه لو كان غيرالجنـهٔ آثرتك به إنى لأرجو الشـهادهٔ فى وجهى هـذا فقال خيثمهٔ آثرنى وقر مع نسائك فأبى سـعد فقال خيثمهٔ إنه لابد لأحدنا من أن يقيم فاسـتهما فخرج سـهم سـعد فقتل ببدر وأبطأ عن النبى ص بشـر كثير من أصـحابه وكرهوا خروجه و كان فى ذلك كلام كثير واختلاف وبعضهم تخلف من أهل النيات والبصائر لم يظنوا أنه يكون قتـال إنما هوالخروج للغنيمـهٔ و لوظنوا أنه يكون قتال لماتخلفوا منهم أسـيد [صـفحه ۸۶] بن حضـير فلما قدم رسول الله ص قال أسـيد الحمـد لله ألـذى سـرك وأظهرك على عدوك و ألذى بعثك بالحق ماتخلفت عنك رغبهٔ بنفسـى عن نفسك و لاظننت أنك تلاقى عـدوا و لاظننت إلاأنها العير فقال له رسول الله ص صـدقت . قال وخرج رسول الله ص حتى انتهى إلى المكان المعروف بالبقع وهى بيوت السـقيا وهى متصلهٔ ببيوت المدينهٔ فضرب عسكره هناك وعرض المقاتلهٔ فعرض عبد الله بن عمر وأسامهٔ بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت فردهم و لم يجزهم . قال الواقـدى فحـدثنى أبوبكر بن إسـماعيل عن أبيه عن عـامر بن سـعد عن أبيه قال رأيت أخى عمير بن أبى وقاص قبل أن يعرضـنا

رسول الله ص يتوارى فقلت ما لك ياأخي قال إني أخاف أن يراني رسول الله ص فيستصغرني فيردني و أناأحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة قال فعرض على رسول الله ص فاستصغره فقال ارجع فبكى عمير فأجازه . قال فكان سعد يقول كنت أعقد له حمائل سيفه من صغره فقتل ببدر و هو ابن ست عشرة سنة. قال فلما نزل ع بيوت السقيا أمر أصحابه أن يستقوا من بئرهم وشرب ع منها كان أول من شرب وصلى عندها ودعا يومئذ لأهل المدينة فقال -روايت-١-٢-روايت-٩-ادامه دارد [صفحه ٨٧] أللهم إن ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لأهل مكة وإني محمدعبدك ونبيك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم وثمارهم أللهم حبب إلينا المدينة واجعل ما بها من الوباء بخم أللهم إني حرمت ما بين لابتيها كماحرم ابراهيم خليلك مكة -روايت-از قبل-٢٥٧ . قال الواقدي وخم على ميلين من الجحفة. وقدم رسول الله ص أمامه عدي بن أبي الزغباء وبسيس بن عمرو وجاء إليه عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله لقد سرني منزلك هذا وعرضك فيه أصحابك وتفاءلت به إن هذامنزلنا في بني سلمة حيث كان بيننا و بين أهل حسيكة ما كان . قال الواقدي هي حسيكة الذباب والذباب جبل بناحية المدينة و كان بحسيكة يهود و كان لهم بهامنازل . قال عبد الله بن عمرو بن حرام فعرضنا يا رسول الله هاهنا أصحابنا فأجزنا من كان يطيق السلاح ورددنا من صغر عن حمل السلاح ثم سرنا إلى يهود حسيكة وهم أعز يهود كانوا يومئذ فقتلناهم كيف شئنا فذلت لنا سائر يهود إلى اليوم و أناأرجو يا رسول الله أن نلتقي نحن وقريش فيقر الله عينك منهم . قال الواقدي و كان خلاد بن عمرو بن الجموح لما كان من النهار رجع إلى أهله بخرباء فقال له أبوه عمرو بن الجموح ماظننت إلاأنكم قدسرتم فقال إن رسول الله ص يعرض الناس بالبقيع فقال عمرو نعم الفأل و الله إني لأرجو أن تغنموا و أن تظفروا بمشركي قريش إن هذامنزلنا يوم سرنا إلى حسيكة [صفحه ٨٨] قال فإن رسول الله ص قد غيراسمه وسماه السقيا قال فكانت في نفسي أن أشتريها حتى اشتراها سعد بن أبي وقاص ببكرين ويقال بسبع أواق فذكر للنبيص أن سعدا اشتراها فقال ربح البيع . قال الواقدي فراح رسول الله ص من بيوت السقيا لاثنتي عشرة ليلة مضت من رمضان وخرج المسلمون معه ثلاثمائة وخمسة وتخلف ثمانية ضرب لهم بسهامهم وأجورهم فكانت الإبل سبعين بعيرا وكانوا يتعاقبون الإبل الاثنين والثلاثة والأربعة فكان رسول الله ص و علي بن أبي طالب ع ومرثد بن أبي مرثد ويقال زيد بن حارثة مكان مرثد يتعاقبون بعيرا واحدا و كان حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة و أبوكبشة وأنسة موالي النبي ص على بعير و كان عبيدة بن الحارث والطفيل والحصين ابنا الحارث ومسطح بن أثاثة على بعير لعبيدة بن الحارث ناضح ابتاعه من أبي داود المازني و كان معاذ وعوف ومعوذ بنو عفراء ومولاهم أبوالحمراء على بعير و كان أبي بن كعب وعمارة بن حزام وحارثة بن النعمان على بعير و كان خراش بن الصمة وقطبة بن عامر بن حديدة و عبد الله بن عمرو بن حزام على بعير و كان عتبة بن غزوان وطليب بن عمير على جمل لعتبة بن غزوان يقال له العبس و كان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة ومسعود بن ربيع على جمل لمصعب و كان عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود على بعير و كان عبد الله بن كعب و أبوداود المازني وسليط بن قيس على جمل لعبد الله بن كعب و كان عثمان بن عفان وقدامة بن مظعون و عبد الله بن مظعون والسائب بن عثمان على بعير يتعاقبون و كان أبوبكر وعمر و عبدالرحمن بن عوف على بعير و كان سعد بن معاذ وأخوه و ابن أخيه الحارث بن أوس والحارث بن أنس على جمل لسعد بن معاذ ناضح يقال له الذيال و كان سعيد بن زيد وسلمة بن [صفحه ٨٩] سلامة بن وقش وعباد بن بشر ورافع بن يزيد على ناضح لسعيد بن زيد ماتزودوا إلاصاعا من تمر. قال الواقدي فروى معاذ بن رفاعة عن أبيه قال خرجت مع النبي ص إلى بدر و كان كل ثلاثة يتعاقبون بعيرا فكنت أنا وأخي خلاد بن رافع على بكر لنا ومعنا عبيدة بن يزيد بن عامر فكنا نتعاقب فسرنا حتى إذاكنا بالروحاء إذ مر بنا بكرنا وبرك علينا وأعيا فقال أخي أللهم إن لك على نذرا لئن رددتنا إلى المدينة لأنحرنه فمر بنا النبي ص ونحن على تلك الحال فقلنا يا رسول الله برك علينا بكرنا فدعا بماء فتمضمض وتوضأ في إناء ثم قال افتحا فاه ففعلنا فصبه في فيه ثم على رأسه ثم على عنقه ثم على حاركه ثم على سنامه ثم

على عجزه ثم على ذنبه ثم قال اركبا ومضى رسول الله ص فلحقناه أسفل من المنصرف و إن بكرنا لينفر بنا حتى إذاكنا بالمصلى راجعين من بـدر برك علينا فنحره أخى فقسم لحمه وتصـدق به . قال الواقـدى و قـدروى أن سـعد بن عبادة حمل فى بـدر على عشـرين جملا. قال وروى عن سـعد بن أبى وقاص أنه قال فخرجنا إلى بـدر مع رسول الله ص ومعنا سـبعون بعيرا فكانوا يتعاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير وكنت أنا من أعظم أصحاب النبى ع عنه غناء وأرجلهم رجلة وأرماهم لسـهم لم أركب خطوة ذاهبـا و لاراجعـا قـال الواقـدى و قال رسول الله ص حين فصل من بيوت السـقيا أللهم إنهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسـهم وجياع فأشـبعهم وعالة فأغنهم من فضلك فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلاوجد ظهرا للرجل البعير والبعيران واكتسى -روايت-۱-۲-روايت-۶۳-ادامه دارد [صـفحه ۹۰] من كـان عاريـا وأصابوا طعاما من أزوادهم وأصابوا فـداء الأسـرى فأغنى به كل عائل -روايت-از قبل-۸۴ . قال واستعمل رسول الله ص على المشاة قيس بن أبى صعصعة واسم أبى صعصعة عمر بن يزيد بن عوف بن مبذول وأمره النبى ص حين فصل من بيوت السـقيا أن يعد المسـلمين فوقف لهم ببئر أبى عبيدة يعدهم ثم أخبر النبى ص وخرج من بيوت السـقيا حتى سـلك بطن العقيق ثم سلك طريق المكيمن حتى خرج على بطحاء بن أزهر فنزل تحت شجرة هناك فقام أبوبكر إلى حجـارة هنـاك فبنى منها مسـجدا فصـلى فيه رسول الله وأصـبح يوم الاثنين و هوهناك ثم صار إلى بطن ملل وتربان بين الحفيرة وملل . قال الواقدى فكان سعد بن أبى وقاص يقول لماكنا بتربان قال لى رسول الله ص ياسعد انظر إلى الظبى فأفوق له بسـهم وقام رسول الله ص فوضع رأسه بين منكبى وأذنى ثم قال أللهم سدد رميته قال فما أخطأ سـهمى عن نحره فتبسم رسول الله ص وخرجت أعدو فأخذته و به رمق فذكيته فحملناه حتى نزلنا قريبا وأمر به رسول الله ص فقسم بين أصحابه . قال الواقدى و كـان معهم فرسـان فرس لمرثـد بن أبى مرثـد الغنوى وفرس للمقـداد بن عمرو البهرانى حليف بنى زهرة ويقـال فرس للزبير و لم يكن إلافرسان لاختلاف عندهم أن المقداد له فرس و قدروى عن ضباعة بنت الزبير عن المقداد [صفحه ۹۱] قال كان معى يوم بدر فرس يقال له سـبحة و قدروى سعد بن مالك الغنوى عن آبائه أن مرثد بن أبى مرثد الغنوى شهد بدرا على فرس له يقال له السـيل . قـال الواقـدى ولحقت قريش بالشـام فى عيرهـا وكـانت العير ألف بعير و كـان فيهاأموال عظام و لم يبق بمكـة قرشـى و لاقرشـية له مثقال فصاعـدا إلابعث به فى العير حتى إن المرأة لتبعث بالشـىء التافه و كان يقال إن فيهاالخمسـين ألف دينار وقالوا أقل و إن كان ليقال إن أكثر ما فيها من المال لآل سـعيد بن العاص لأبى أحيحة إما مال لهم أومال مع قوم قراض على النصف و كان عامـة العير لهم ويقال بل كان لبنى مخزوم فيهامائتا بعير وخمسـة أوأربعة آلاف مثقال ذهبا و كان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيهاألفا مثقال . قال الواقـدى وحـدثنى هشام بن عمارة بن أبى الحويرث قال كان لبنى عبـدمناف فيهاعشـرة آلاف مثقال و كان متجرهم إلى غزة من أرض الشام . قال الواقـدى وحـدثنى عبد الله بن جعفر عن أبى عون مولى المسور عن مخرمة بن نوفل قـال لمالحقنـا بالشـام أدركنـا رجـل من جـذام فأخبرنا أن محمـدا قـد كان عرض لعيرنا فى بـدأتنا و أنه تركه مقيما ينتظر رجعتنا قدحالف علينا أهل الطريق ووادعهم قال مخرمة فخرجنا خائفين نخاف الرصد فبعثنا ضـمضم بن عمرو حين فصلنا من الشام . قال الواقـدى و كـان عمرو بن العـاص مع العير و كـان يحـدث بعـد ذلـك يقول لماكنـا بالزرقـاء والزرقـاء بالشـام من أذرعـات على مرحلتين ونحن منحدرون إلى مكة لقينا رجلا من جذام فقال قد كان عرض محمدلكم فى بدأتكم فى أصحابه فقلنا ماشعرنا قال بلى فأقام شـهرا ثم رجع إلى يثرب وأنتم يوم عرض محمـدلكم مخفون فهو الآن أحرى أن يعرض لكم إنما يعـد لكم الأيام عـدا فاحذروا على عيركم [صـفحه ۹۲] وارتئوا آراءكم فو الله ماأرى من عـدد و لاكراع و لاحلقة فأجمع القوم أمرهم فبعثوا ضمضـم بن عمرو و كان فى العير و قدكانت قريش مرت به و هوبالساحل معه بكران فاستأجروه بعشـرين مثقالا وأمره أبوسـفيان أن يخبر قريشا أن محمدا قدعرض لعيرهم وأمره أن يجدع بعيره إذادخل ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ودبره ويصـيح الغوث الغوث ويقـال إنمـا بعثوه من تبوك و كـان فى العير ثلاثون رجلا من قريش فيهم عمرو بن العاص ومخرمـة بن نوفل . قال الواقـدى و

قدكانت عاتكة بنت عبدالمطلب رأت قبل مجيء ضمضم بن عمرو رؤيا أفزعتها وعظمت فى صدرها فأرسلت إلى أخيها العباس فقالت ياأخى لقد و الله رأيت رؤيا أفزعتنى وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم على ماأحدثك منها رأيت راكبا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ياآل غدر انفروا إلى مصارعكم فى ثلاث فصرخ بهاثلاث مرات فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد و الناس يتبعونه إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها ثلاثا ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثلاثا ثم أخذ صخرة من أبى قبيس فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذاكانت فى أسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة و لادار من دورها إلادخلته منها فلذة. قال الواقدى و كان عمرو بن العاص يحدث بعد ذلك فيقول لقد رأيت كل هذا ولقد رأيت فى دارنا فلقة من الصخرة التى انفلقت من أبى قبيس ولقد كان ذلك عبرة ولكن الله لم يرد أن نسلم يومئذ لكنه أخر إسلامنا إلى ماأراد. قلت كان بعض أصحابنا يقول لم يكف عمرا أن يقول رأيت الصخرة فى دور مكة عيانا فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطنا على وجه النفاق واستخفافه بعقول المسلمين [صفحه ٩٣] زعم حتى يضيف إلى ذلك القول بالخبر الصراح فيقول إن الله تعالى لم يكن أراد منه الإسلام يومئذ. قال الواقدى قالوا و لم يدخل دارا و لابيتا من دور بنى هاشم و لابنى زهرة من تلك الصخرة شيء قال فقال العباس إن هذه لرؤيا فخرج مغتما حتى لقى الوليد بن عتبة بن ربيعة و كان له صديقا فذكرها له واستكتمه ففشا الحديث فى الناس قال العباس فغدوت أطوف بالبيت و أبوجهل فى رهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة فقال أبوجهل مارأت عاتكة هذه فقلت و ماذاك فقال يابنى عبدالمطلب أ مارضيتم بأن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم زعمت عاتكة أنها رأت فى المنام كذا وكذا للذى رأت فسنتربص بكم ثلاثا فإن يكن ماقالت حقا فسيكون و إن مضت الثلاث و لم يكن نكتب عليكم أنكم أكذب أهل بيت فى العرب فقال له العباس يامصفر استه أنت أولى بالكذب واللؤم منا فقال أبوجهل إنا استبقنا المجد وأنتم فقلتم فينا السقاية فقلنا لانبالى تسقون الحجاج ثم قلتم فينا الحجابة فقلنا لانبالى تحجبون البيت ثم قلتم فينا الندوة قلنا لانبالى يكون الطعام فتطعمون الناس ثم قلتم فينا الرفادة فقلنا لانبالى تجمعون عندكم ماترفدون به الضعيف فلما أطعمنا الناس وأطعمتم وازدحمت الركب واستبقنا المجد فكنا كفرسى رهان قلتم منا نبى ثم قلتم منا نبية فلا واللات والعزى لا كان هذاأبدا. قلت لاأرى كلام أبى جهل منتظما لأنه إذاسلم للعباس أن هذه الخصال كلها فيهم وهى الخصال التى تشرف بهاالقبائل بعضها على بعض فكيف يقول لانبالى لانبالى وكيف يقول فلما أطعمنا للناس وأطعمتم و قد كان الكلام منتظما لو قال ولنا بإزاء هذه المفاخر كذا وكذا ثم يقول بعد ذلك استبقنا المجد فكنا كفرسى رهان وازدحمت الركب و لم يقل شيئا و لاعد مآثره ولعل أباجهل قد قال ما لم ينقل [صفحه ٩٤] قال الواقدى قال العباس فو الله ما كان منى غيرأنى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئا فلما أمسيت لم تبق امرأة أصابتها ولادة عبدالمطلب إلاجاءت فقلن لى أرضيتم بهذا الفاسق الخبيث يقع فى رجالكم ثم قدتناول نساءكم و لم تكن لك عند ذلك غيرة فقلت و الله ما قلت إلاألنى لاأبالى به ولايم الله لأعرضن له غدا فإن عاد كفيتكن إياه فلما أصبحوا من ذلك اليوم ألذى رأت فيه عاتكة مارأت قال أبوجهل هذه ثلاثة أيام مابقى قال العباس وغدوت فى اليوم الثالث و أناحديد مغضب أرى أن قدفاتنى منه أمر أحب أن أدركه وأذكر ماأحفظنى به النساء من مقالتهن فو الله إنى لأمشى نحوه و كان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب بنى سهم يشتد فقلت ماباله لعنه الله أ كل هذافرقا من أن أشاتمه فإذا هو قدسمع صوت ضمضم بن عمرو و هو يقول يامعشر قريش ياآل لؤى بن غالب اللطيمة قدعرض لها محمد فى أصحابه الغوث الغوث و الله ماأرى أن تدركوها وضمضم ينادى بذلك فى بطن الوادى و قدجدع أذنى بعيره وشق قميصه قبلا ودبرا وحول رحله و كان يقول لقد رأيتنى قبل أن أدخل مكة وإنى لأرى فى النوم و أنا على راحلتى كأن وادى مكة يسيل من أسفله إلى أعلاه دما فاستيقظت فزعا مذعورا فكرهتها لقريش ووقع فى نفسى أنها مصيبة فى أنفسهم . قال الواقدى و كان عمير بن وهب الجمحى يقول مارأيت أعجب من

أمر ضمضم قط و ماصرح على لسانه إلاشيطان كأنه لم يملكنا من أمورنا شيئا حتى نفرنا على الصعب والذلول و كان حكيم بن حزام يقول ما كان ألذى جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنسانا إن هو إلاشيطان قيل كيف يا أباخالد قال إنى لأعجب منه ماملكنا من أمرنا شيئا. قال الواقدى فجهز الناس وشغل بعضهم عن بعض و كان الناس بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلا وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة وسر بنو هاشم [صفحه ٩٥] و قال قائلهم كلا زعمتم أناكذبنا وكذبت عاتكة فأقامت قريش ثلاثا تتجهز ويقال يومين وأخرجت أسلحتها واشتروا سلاحا وأعان قويهم ضعيفهم وقام سهيل بن عمرو فى رجال من قريش فقال يامعشر قريش هذا محمد والصباة معه من شبانكم و أهل يثرب قدعرضوا لعيركم ولطيمتكم فمن أراد ظهرا فهذا ظهر و من أراد قوة فهذه قوة وقام زمعة بن الأسود فقال إنه واللات والعزى مانزل بكم أمر أعظم من أن طمع محمد و أهل يثرب أن يعرضوا لعيركم فيهاخزائنكم فأوعبوا و لايتخلف منكم أحد و من كان لاقوة له فهذه قوة و الله لئن أصابها محمد وأصحابه لايروعكم منهم إلا و قددخلوا عليكم بيوتكم و قال طعيمة بن عدى يامعشر قريش و الله مانزل بكم أمر أجل من هذه أن يستباح عيركم ولطيمة قريش فيهاأموالكم وخزائنكم و الله ماأعرف رجلا و لاامرأة من بنى عبدمناف له نش فصاعدا إلا و هو فى هذه العير فمن كان لاقوة به فعندنا قوة نحمله ونقويه فحمل على عشرين بعيرا وقوى بهم وخلفهم فى أهلهم بمعونة وقام حنظلة بن أبى سفيان وعمرو بن أبى سفيان فحضا الناس على الخروج و لم يدعوا إلى قوة و لاحملان فقيل لهما أ لاتدعوان إلى مادعا إليه قومكما من الحملان قالا و الله مالنا مال و ماالمال إلالأبى سفيان ومشى نوفل بن معاوية الديلمى إلى أهل القوة من قريش وكلمهم فى بذل النفقة والحملان لمن خرج فكلم عبد الله بن أبى ربيعة فقال هذه خمسمائة دينار تضعها حيث رأيت وكلم حويطب بن عبدالعزى فأخذ منه مائتى دينار أوثلاثمائة ثم قوى بها فى السلاح والظهر. قال الواقدى وذكروا أنه كان لايتخلف أحد من قريش إلاأبعث مكانه بعثا فمشت قريش إلى أبى لهب فقالوا له إنك سيد من سادات قريش وإنك إن تخلفت عن [صفحه ٩٦] النفير يعتبر بك غيرك من قومك فاخرج أوابعث رجلا. فقال واللات والعزى لاأخرج و لاأبعث أحدا فجاءه أبوجهل فقال أقم يا أباعتبة فو الله ماخرجنا إلاغضبا لدينك ودين آبائك وخاف أبوجهل أن يسلم أبولهب فسكت أبولهب و لم يخرج و لم يبعث و مامنع أبالهب أن يخرج إلاالإشفاق من رؤيا عاتكة كان يقول إنما رؤيا عاتكة أخذ باليد ويقال إنه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة و كان له عليه دين فقال اخرج ودينى عليك لك فخرج عنه . و قال محمد بن إسحاق فى المغازى كان دين أبى لهب على العاص بن هشام أربعة آلاف درهم فمطله بها وأفلس فتركها له على أن يكون مكانه فخرج مكانه . قال الواقدى وأخرج عتبة وشيبة دروعا لهما فنظر إليهما مولاهما عداس وهما يصلحان دروعهما وآلة حربهما فقال ماتريدان فقالا أ لم تر إلى الرجل ألذى أرسلناك إليه بالعنب فى كرمنا بالطائف قال نعم قالا نخرج فنقاتله فبكى و قال لاتخرجا فو الله إنه لنبى فأبيا فخرجا وخرج معهما فقتل ببدر معهما. قلت حديث العنب فى كرم ابنى ربيعة بالطائف قدذكره أرباب السيرة وشرحه الطبرى فى التاريخ قال لمامات أبوطالب بمكة طمعت قريش فى رسول الله ص ونالت منه ما لم تكن تناله فى حياة أبى طالب فخرج من مكة خائفا على نفسه مهاجرا إلى ربه يؤم الطائف راجيا أن يدعو أهلها إلى الإسلام فيجيبوه و ذلك فى شوال من سنة عشر من النبوة فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لايدع أحدا من أشراف ثقيف إلاجاءه وكلمه فلم يجيبوه وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم ويلحق بمجاهل الأرض وبحيث لايعرف وأغروا به سفهاءهم فرموه بالحجارة حتى إن رجليه لتدميان فكان معه زيد بن حارثة فكان يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه . [صفحه ٩٧] والشيعة تروى أن على بن أبى طالب كان معه أيضا فى هجرة الطائف فانصرف رسول الله ص عن ثقيف و هومحزون بعد أن مشى إلى عبدياليل ومسعود وحبيب ابنى عمرو بن عمير وهم يومئذ سادة ثقيف فجلس إليهم ودعاهم إلى الله و إلى نصرته والقيام معه على قومه فقال له أحدهم أناأمرط بباب الكعبة إن كان الله أرسلك و قال الآخر أ ماوجد الله أحدا أرسله غيرك و قال الثالث و الله لاأكلمك كلمة أبدا لئن كنت رسولا من الله كماتقول لأنت أعظم خطرا من أن أرد

عليك الكلام ولئن كنت كاذبا على الله ماينبغى أن أكلمك فقام رسول الله ص من عندهم و قديئس من خير ثقيف واجتمع عليه صبيانهم وسفهاؤهم وصاحوا به وسبوه وطردوه حتى اجتمع عليه الناس يعجبون منه وألجئوه بالحجارة والطرد والشتم إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما يومئذ فى الحائط فلما دخل الحائط رجع عنه سفهاء ثقيف فعمد إلى ظل حبلة منه فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران ويريان مالقى من سفهاء ثقيف قال الطبرى فلما اطمأن به قال فيما ذكر لى أللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين و أنت ربى إلى من تكلنى إلى بعيد فيتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى فإن لم يكن منك غضب على فلاأبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك ألذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أويحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لاحول و لاقوة إلابك -روايت-١-٢-روايت-٤٨-٤٣٥ . فلما رأى عتبة وشيبة مالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما نصرانيا لهما يقال له [صفحه ٩٨] عداس فقالا له خذ قطفا من هذاالعنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له فليأكل منه ففعل وأقبل به حتى وضعه بين يديه فوضع يده فيه فقال بسم الله وأكل فقال عداس و الله إن هذه الكلمة لايقولها أهل هذه البلدة فقال له رسول الله ص من أى البلاد أنت و مادينك قال أنانصرانى من أهل نينوى قال أ من قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال و مايدريك من يونس بن متى قال ذاك أخى كان نبيا و أنانبى فأكب عداس على يديه ورجليه ورأسه يقبلها قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أماغلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما قالا ويلك ويلك ياعداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى ما فى الأرض خير من هذافقد أخبرنى بأمر لايعلمه إلانبى. قال الواقدى واستقسمت قريش بالأزلام عندهبل للخروج واستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة بالآمر والناهى فخرج القدح الناهى فأجمعوا المقام حتى أزعجهم أبوجهل فقال مااستقسمت و لانتخلف عن عيرنا. قال الواقدى لماتوجه زمعة بن الأسود خارجا فكان بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بهافخرج الناهى عن الخروج فلقى غيظا ثم أعادها الثانية فخرج مثل ذلك فكسرها و قال مارأيت كاليوم قدحا أكذب ومر به سهيل بن عمرو و هو على تلك الحال فقال ما لى أراك غضبان يا أباحكيمة فأخبره زمعة فقال امض عنك أيها الرجل قدأخبرنى عمير بن وهب أنه لقيه مثل ألذى أخبرتنى فمضوا على هذاالحديث . [صفحه ٩٩] قال الواقدى وحدثنى موسى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه قال قال أبوسفيان بن حرب لضمضم إذاقدمت على قريش فقل لها لاتستقسم بالأزلام . قال الواقدى وحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن أبى بكر بن سليم بن أبى خيثمة قال سمعت حكيم بن حزام يقول ماتوجهت وجها قط كان أكره إلى من مسيرى إلى بدر و لابان لى فى وجه قط مابان لى قبل أن أخرج ثم قال قدم ضمضم فصاح بالنفير فاستقسمت بالأزلام كل ذلك يخرج ألذى أكره ثم خرجت على ذلك حتى نزلنا مر الظهران فنحر ابن الحنظلية جزورا منها بهاحياة فما بقى خباء من أخبية العسكر إلاأصابه من دمها فكان هذا بين ثم هممت بالرجوع ثم أذكر ابن الحنظلية وشؤمه فيردنى حتى مضيت لوجهى و كان حكيم يقول لقد رأينا حين بلغنا الثنية البيضاء وهى الثنية التى تهبطك على فخ و أنت مقبل من المدينة إذاعداس جالس عليها و الناس يمرون إذ مر علينا ابنا ربيعة فوثب إليهما فأخذ بأرجلهما فى غرزهما و هو يقول بأبى أنتما وأمى و الله إنه لرسول الله ص و ماتساقان إلا إلى مصارعكما و إن عينيه لتسيل دمعا على خديه فأردت أن أرجع أيضا ثم مضيت ومر به العاص بن منبه بن الحجاج فوقف عليه حين ولى عتبة وشيبة فقال مايبكيك قال يبكينى سيدى أوسيدا أهل الوادى يخرجان إلى مصارعهما ويقاتلان رسول الله ص فقال العاص و إن محمدا لرسول الله فانتفض عداس انتفاضة واقشعر جلده ثم بكى و قال إى و الله إنه لرسول الله إلى الناس كافة قال فأسلم العاص بن منبه ومضى و هو على الشك حتى قتل مع المشركين على شك وارتياب ويقال رجع عداس و لم يشهد بدرا ويقال شهد بدرا وقتل . قال الواقدى والقول الأول أثبت عندنا. [صفحه ١٠٠] قال الواقدى وخرج سعد بن معاذ معتمرا قبل بدر فنزل على أمية بن خلف فأتاه أبوجهل و قال أتترك هذا و قدآوى

محمدا وآذننا بالحرب فقال سعد بن معاذ قل ماشئت أما إن طريق عيركم علينا قال أمية بن خلف مه لاتقل هذالأبى الحكم فإنه سيد أهل الوادى قال سعد بن معاذ و أنت تقول ذلك ياأمية أما و الله لسمعت محمدا يقول لأقتلن أمية بن خلف قال أمية أنت سمعته قال سعد بن معاذ فقلت نعم قال فوقع فى نفسه فلما جاء النفير أبى أمية أن يخرج معهم إلى بدر فأتاه عقبة بن أبى معيط و أبوجهل و مع عقبة مجمرة فيهابخور و مع أبى جهل مكحلة ومرود فأدخلها عقبة تحته فقال تبخر فإنما أنت امرأة و قال أبوجهل اكتحل فإنما أنت امرأة فقال أمية ابتاعوا لى أفضل بعير فى الوادى فابتاعوا له جملاـ بثلاثمائة دينار من نعم بنى قشير فغنمه المسلمون يوم بدر فصار فى سهم خبيب بن يساف . قال الواقدى وقالوا ما كان أحد ممن خرج إلى العير أكره للخروج من الحارث بن عامر و قال ليت قريشا تعزم على القعود و أن مالى فى العير تلف ومال بنى عبدمناف أيضا فيقال له إنك سيد من ساداتها أ فلاتردعها عن الخروج قال إنى أرى قريشا قدأزمعت على الخروج و لاأرى أحدا به طرق تخلف إلا من علة و أناأكره خلافها و ماأحب أن تعلم قريش ماأقول على أن ابن الحنظلية رجل مشئوم على قومه ماأعلمه إلايحرز قومه أهل يثرب ولقد قسم الحارث مالاـ من ماله بين ولده ووقع فى نفسه أنه لاـيرجع إلى مكة وجاءه ضمضم بن عمرو وكانت للحارث عنده أياد فقال أباعامر إنى رأيت رؤيا كرهتها وإنى لكاليقظان على راحلتى وأراكم أن واديكم يسيل دما من أسفله إلى أعلاه فقال الحارث ماخرج أحد وجها من الوجوه أكره له من وجهى هذا قال يقول ضمضم و الله إنى لأرى لك أن تجلس فقال لوسمعت [صفحه ١٠١] هذامنك قبل أن أخرج ماسرت خطوة فاطو هذاالخبر أن تعلمه قريش فإنها تتهم كل من عوقها عن المسير و كان ضمضم قدذكر هذاالحديث للحارث ببطن يأجج قالوا وكرهت قريش أهل الرأى منهم المسير ومشى بعضهم إلى بعض و كان ممن أبطأ بهم عن ذلك الحارث بن عامر وأمية بن خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام و أبوالبخترى و على بن أمية بن خلف والعاص بن منبه حتى بكتهم أبوجهل بالجبن وأعانه عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث بن كلدة وحضوهم على الخروج وقالوا هذافعل النساء فأجمعوا المسير وقالت قريش لاتدعوا أحدا من عدوكم خلفكم . قال الواقدى ومما استدل به على كراهة الحارث بن عامر للخروج وعتبة وشيبة أنه ماعرض رجل منهم حملانا و لاحملوا أحدا من الناس و إن كان الرجل ليأتيهم حليفا أوعديدا و لاقوة له فيطلب الحملان منهم فيقولون إن كان لك مال وأحببت أن تخرج فافعل و إلافأقم حتى كانت قريش تعرف ذلك منهم . قال الواقدى فلما اجتمعت قريش إلى الخروج والمسير ذكروا ألذى بينهم و بين بنى بكر من العداوة وخافوهم على من يخلفونه و كان أشدهم خوفا عتبة بن ربيعة و كان يقول يامعشر قريش إنكم و إن ظفرتم بالذى تريدون فإنا لانأمن على من نخلف إنما نخلف نساء و لاذرية و من لاطعم به فارتئوا آراءكم فتصور لهم إبليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى فقال يامعشر قريش قدعرفتم شرفى ومكانى فى قومى أنالكم جار أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه فطابت نفس عتبة و قال له أبوجهل [صفحه ١٠٢] فما تريد هذاسيد كنانة هولنا جار على من نخلف فقال عتبة لا شىء أناخارج قال الواقدى و كان ألذى بين بنى كنانة وقريش أن ابنا لحفص بن الأحنف أحد بنى معيط بن عامر بن لؤى خرج يبغى ضالة و هوغلام فى رأسه ذؤابة و عليه حلة و كان غلاما وضيئا فمر بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوح بن يعمر أحد رؤساء بنى كنانة و كان بضجنان فقال من أنت ياغلام قال ابن لحفص بن الأحنف فقال يابنى بكر ألكم فى قريش دم قالوا نعم قال ما كان رجل يقتل هذابرجله إلااستوفى فاتبعه رجل من بنى بكر فقتله بدم له فى قريش فتكلمت فيه قريش فقال عامر بن يزيد قدكانت لنا فيكم دماء فإن شئتم فأدوا مالنا قبلكم ونؤدى إليكم ما كان فينا و إن شئتم فإنما هوالدم رجل برجل و إن شئتم فتجافوا عنا فيما قبلنا ونتجافى عنكم فيما قبلكم فهان ذلك الغلام على قريش وقالوا صدق رجل برجل فلهوا عنه أن يطلبوا بدمه فبينا أخوه مكرز بن حفص بمر الظهران إذ نظر عامر بن يزيد و هوسيد بنى بكر على جمل له فلما رآه قال ماأطلب أثرا بعدعين وأناخ بعيره و هومتوشح سيفه فعلاه به حتى قتله ثم أتى مكة من الليل فعلق سيف عامر بن يزيد بأستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر بن يزيد فعرفوا أن مكرز بن

حفص قتله و قـدكانت تسـمع من مكرز فى ذلـك قولاـ وجزعت بنو بكر من قتـل سـيدها فكـانت معـدة لقتـل رجلين من قريش سيـدين أوثلاثـة من ساداتها فجاء النفير وهم على هـذاالأمر فخافوهم على من تخلف بمكة من ذراريهم فلما قال سـراقة ما قال و هوينطق بلسـان إبليس شـجع القوم . [صـفحه ١٠٣] قـال الواقـدى وخرجت قريش سـراعا وخرجوا بالقيان والـدفوف سارة مولاة عمرو بن هـاشم بن عبـدالمطلب وعزة مولاـة أسود بن المطلب وفلانـة مولاـة أميـة بن خلف يغنين فى كل منهل وينحرون الجزر وخرجوا بالجيش يتقاذفون بالحراب وخرجوا بتسـعمائة وخمسـين مقاتلا وقادوا مائة فرس بطرا ورئاء الناس كماذكر الله تعالى فى كتابه و أبوجهل يقول أيظن محمد أن يصيب منا ماأصاب بنخلة وأصحابه سيعلم أنمنع عيرنا أم لا. قلت سرية نخلة سرية قبل بدر و كان أميرها عبد الله بن جحش قتل فيهاعمرو بن الحضرمى حليف بنى عبدشمس قتله واقد بن عبد الله التميمى رماه بسهم فقتله وأسـر الحكم بن كيسـان وعثمان بن عبـد الله بن المغيرة واسـتاق المسـلمون العير وكانت خمسـمائة بعير فخمسـها رسول الله ص وقسم أربعمائة فيمن شهدها من المسلمين وهم مائتا رجل فأصاب كل رجل بعيران . قال الواقدى وكانت الخيل لأهل القوة منهم و كـان فى بنى مخزوم منها ثلاثون فرسا وكانت الإبل سـبعمائة بعير و كان أهل الخيل كلهم دارع وكانوا مائـة و كان فى الرجالة دروع سوى ذلك . قال الواقدى وأقبل أبوسفيان بالعير وخاف هو وأصحابه خوفا شديدا حين دنوا من المدينة واستبطئوا ضمضما والنفير فلما كانت الليلـة التى يصبحون فيها على ماء بـدر جعلت العير تقبل بوجوهها إلى ماء بـدر وكانوا باتوا من وراء بدر آخر ليلتهم وهم على [صـفحه ١٠٤] أن يصبحوا بدرا إن لم يعترض لهم فما أقرتهم العير حتى ضـربوها بالعقل على أن بعضـها ليثنى بعقـالين وهى ترجع الحنين تواردا إلى ماء بـدر و ما إن بها إلى الماء من حاجـة لقـد شـربت بالأمس وجعل أهل العير يقولون إن هذا شـىء ماصـنعته الإبل منذ خرجنا قالوا وغشينا تلك الليلة ظلمة شديدة حتى مانبصر شيئا. قال الواقدى و كان بسبس بن عمرو وعـدى بن أبى الزغبـاء وردا على مجـدى بـدرا يتجسـسان الخبر فلمـا نزلاـ مـاء بـدر أناخا راحلتيهما إلى قريب من الماء ثم أخذ أسـقيتهما يسـقيان من المـاء فسـمعا جاريتين من جوارى جهينـة يقال لإحـداهما برزة وهى تلزم صاحبتها فى درهم كان لها عليها وصاحبتها تقول إنما العير غـدا أو بعدغـد قـدنزلت ومجدى بن عمر يسـمعها فقال صدقت فلما سـمع ذلك بسـبس وعدى انطلقا راجعين إلى النبى ص حتى أتياه بعرق الظبيـة فأخبراه الخبر. قال الواقدى وحدثنى كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى عن أبيه عن جده و كان أحد البكاءين قال قال رسول الله ص لقد سـلك فج الروحاء موسـى النبى ع فى سـبعين ألفا من بنى إسرائيل وصـلوا فى المسـجد ألـذى بعرق الظبية -روايت-١-٢-روايت-١٣٠-٢٣٣ . قـال الواقـدى وهى من الروحـاء على ميلين ممـا يلى المدينـة إذاخرجت على يسارك . قال الواقـدى وأصبـح أبوسـفيان ببـدر قدتقـدم العير و هوخائف من الرصد فقال يامجدى هل أحسـست أحدا تعلم و الله مابمكة قرشـى و لاقرشية له نش [صفحه ١٠٥] فصاعدا والنش نصف أوقية وزن عشـرين درهما إلا و قـدبعث به معنـا ولئن كتمتنا شأن عـدونا لايصالحك رجل من قريش مابل بحر صوفـة فقال مجـدى و الله مارأيت أحـدا أنكره و لابينك و بين يثرب من عـدو و لو كان بينك وبينها عـدو لم يخف علينا و ماكنت لأخفيه عنك إلاأنى قدرأيت راكبين أتيا إلى هذاالمكان وأشار إلى مناخ عدى وبسـبس فأناخا به ثم اسـتقيا بأسـقيتهما ثم انصرفا فجاء أبوسفيان مناخهما فأخذ أبعارا من أبعار بعيريهما ففتها فإذا فيهانوى فقال هذه و الله علائف يثرب هذه و الله عيون محمد وأصـحابه ماأرى القوم إلاقريبا فضرب وجه عيره فساحل بها وترك بدرا يسارا وانطلق سـريعا وأقبلت قريش من مكة ينزلون كل منهل يطعمون الطعام من أتاهم وينحرون الجزور فبينا هم كـذلك فى مسيرهم إذ تخلف عتبة وشيبة وهما يترددان قال أحدهما لصاحبه أ لم تر إلى رؤيا عاتكة بنت عبدالمطلب لقـد خشـيت منهـا قـال الآخر فاذكرها وذكرها فأدركهما أبوجهل فقال ماتتحادثون به فقالا نـذكر رؤيا عاتكـة قال ياعجبا من بنى عبـدالمطلب لم يرضوا أن تتنبأ علينا رجالهم حتى تنبأت علينا النساء أما و الله لئن رجعنا إلى مكة لنفعلن بهم ولنفعلن قال عتبة إن لهم أرحاما وقرابـة قريبـة ثم قال أحدهما لصاحبه هل لك أن ترجع قال أبوجهل أترجعان بعد ماسـرنا فتخذلان قومكما وتقطعان

بهم بعد أن رأيتم ثأركم بأعينكم أتظنان أن محمدا وأصحابه يلاقونكما كلا و الله إن معى من قومى مائة وثمانين كلهم من أهل بيتى يحلون إذاأحللت ويرحلون إذارحلت فارجعا إن شئتما قالا و الله لقد هلكت وأهلكت قومك . ثم قال عتبة لأخيه شيبة إن هذا رجل مشئوم يعنى أباجهل وإنه لايمسه من قرابة محمد مايمسنا مع أن محمدا معه الولد فارجع بنا ودع قوله . [صفحه ١٠٦] قلت مراده بقوله مع أن محمدا معه الولد أبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة كان أسلم وشهد بدرا مع رسول الله ص قال الواقدى فقال شيبة و الله تكون علينا سبة يا أباالوليد أن نرجع الآن بعد ماسرنا فمضينا ثم انتهى إلى الجحفة عشاء فنام جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبدالمطلب بن عبدمناف فقال إنى لأرى بين النائم واليقظان أنظر إلى رجل أقبل على فرس معه بعير له حتى وقف على فقال قتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الأسود وأمية بن خلف و أبوالبخترى و أبوالحكم ونوفل بن خويلد فى رجال سماهم من أشراف قريش وأسر سهيل بن عمرو وفر الحارث بن هشام عن أخيه قال وكأن قائلا يقول و الله إنى لأظنهم الذين يخرجون إلى مصارعهم ثم قال أراه ضرب فى لبة بعيره فأرسله فى العسكر فقال أبوجهل و هذانبى آخر من بنى عبدمناف ستعلم غدا من المقتول نحن أو محمد وأصحابه وقالت قريش لجهيم إنما يلعب بك الشيطان فى منامك فسترى غدا خلاف مارأيت يقتل أشراف محمد ويؤسرون قال فخلا عتبة بأخيه شيبة فقال له هل لك فى الرجوع فهذه الرؤيا مثل رؤيا عاتكة ومثل قول عداس و الله ماكذبنا عداس ولعمرى لئن كان محمدكاذبا إن فى العرب لمن يكفيناه ولئن كان صادقا إنا لأسعد العرب به للحمته فقال شيبة هو على ماتقول أفنرجع من بين أهل العسكر فجاء أبوجهل وهما على ذلك فقال ماتريدان قالا الرجوع أ لاترى إلى رؤيا عاتكة و إلى رؤيا جهيم بن الصلت مع قول عداس لنا فقال لاتخذلان و الله قومكما وتقطعان بهم قالا هلكت و الله وأهلكت قومك فمضيا على ذلك . قال الواقدى فلما أفلت أبوسفيان بالعير ورأى أن قدأحرزها وأمن عليها أرسل إلى قريش قيس بن إمرئ القيس و كان مع أصحاب العير خرج معهم من مكة فأرسله أبوسفيان يأمرهم بالرجوع و يقول قدنجت عيركم وأموالكم فلاتحرزوا أنفسكم [صفحه ١٠٧] أهل يثرب فلاحاجة لكم فيما وراء ذلك إنما خرجتم لتمنعوا عيركم وأموالكم و قدنجاها الله فإن أبوا عليك فلايأبون خصلة واحدة يردون القيان فعالج قيس بن إمرئ القيس قريشا فأبت الرجوع قالوا أماالقيان فسنردهن فردوهن من الجحفة. قلت لاأعلم مراد أبى سفيان برد القيان و هو ألذى أخرجهن مع الجيش يوم أحد يحرضن قريشا على إدراك الثأر ويغنين ويضربن الدفوف فكيف نهى عن ذلك فى بدر وفعله فى أحد وأقول من تأمل الحال علم أن قريشا لم يمكن أن تنتصر يوم بدر لأن ألذى خالطها من التخاذل والتواكل وكراهية الحرب وحب الرجوع وخوف اللقاء وخفوق الهمم وفتور العزائم ورجوع بنى زهرة وغيرهم من الطريق واختلاف آرائهم فى القتال يكفى بعضه فى هلاكهم وعدم فلاحهم لوكانوا قدلقوا قوما جبناء فكيف وإنما لقوا الأوس والخزرج وهم أشجع العرب وفيهم على بن أبى طالب ع وحمزة بن عبدالمطلب وهما أشجع البشر وجماعة من المهاجرين أنجاد أبطال ورئيسهم محمد بن عبد الله رسول الله الداعى إلى الحق والعدل والتوحيد المؤيد بالقوة الإلهية دع ماأضيف إلى ذلك من ملائكة السماء كمانطق به الكتاب . قال الواقدى ولحق الرسول أباسفيان بالهدة والهدة على سبعة أميال من عقبة عسفان على تسعة وثلاثين ميلا من مكة فأخبره بمضى قريش فقال وا قوماه هذاعمل عمرو بن هشام يكره أن يرجع لأنه قدترأس على الناس وبغى والبغى منقصة وشؤم و الله لئن أصاب أصحاب محمدالنفير ذللنا إلى أن يدخل مكة علينا. قال الواقدى و قال أبوجهل و الله لانرجع حتى نرد بدرا وكانت بدر موسما [صفحه ١٠٨] من مواسم العرب فى الجاهلية يجتمعون بها و فيهاسوق تسمع بنا العرب وبمسيرنا فنقيم على بدر ثلاثا ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان فلن تزال العرب تهابنا أبدا. قال الواقدى و كان الفرات بن حيان العجلى أرسلته قريش حين فصلت من مكة إلى أبى سفيان بن حرب يخبره بمسيرها وفصولها و ما قدحشدت فحالف أباسفيان فى الطريق و ذلك أن أباسفيان لصق بالبحر ولزم الفرات بن حيان المحجة فوافى المشركين بالجحفة فسمع كلام أبى جهل و هو يقول لانرجع فقال مابأنفسهم عن نفسك رغبة و

إن ألذی یرجع بعد أن رأی ثأره من كثب لضعیف فمضی مع قریش فترك أباسفیان وجرح یوم بدر جراحات كثیرة وهرب علی قدمیه و هو یقول مارأیت كالیوم أمرا أنكد إن ابن الحنظلیة لغیر مبارك الأمر. قال الواقدی و قال الأخنس بن شریق واسمه أبی و كان حلیفا لبنی زهرة یابنی زهرة قدنجی الله عیركم وخلص أموالكم ونجی صاحبكم مخرمة بن نوفل وإنما خرجتم لتمنعوه وماله وإنما محمد رجل منكم ابن أختكم فإن یك نبیا فأنتم أسعد به و إن یك كاذبا یلی قتله غیركم خیر من أن تلوا قتل ابن أختكم فارجعوا واجعلوا خبثها لی فلاحاجة لكم أن تخرجوا فی غیر مایهمكم ودعوا مایقوله هذا الرجل یعنی أباجهل فإنه مهلك قومه سریع فی فسادهم فأطاعته بنو زهرة و كان فیهم مطاعا وكانوا یتیمنون به فقالوا فكیف نصنع بالرجوع حتی نرجع فقال الأخنس نسیر مع القوم فإذاأمسیت سقطت عن بعیری فیقولون نحل الأخنس فإذاأصبحوا فقالوا سیروا فقولوا لانفارق صاحبنا حتی نعلم أحی هوأم میت [صفحه ۱۰۹] فندفنه فإذامضوا رجعنا إلی مكة ففعلت بنو زهرة ذلك فلما أصبحوا بالأبواء راجعین تبین للناس أن بنی زهرة رجعوا فلم یشهدها زهری البتة وكانوا مائة وقیل أقل من مائة و هوأثبت و قال قوم كانوا ثلاثمائة و لم یثبت ذلك . قال الواقدی و قال عدی بن أبی الزغباء منحدره من بدر إلی المدینة وانتشرت الركاب علیه فجعل عدی یقول أقم لها صدورها یابسبس || إن مطایا القوم لاتحبس وحملها علی الطریق أكیس || قدنصر الله وفر الأخنس . قال الواقدی وذكر أبوبكر بن عمر بن عبدالرحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطاب إن بنی عدی خرجوا من النفیر حتی كانوا بثنیة لفت فلما كان فی السحر عدلوا فی الساحل منصرفین إلی مكة فصادفهم أبوسفیان فقال كیف رجعتم یابنی عدی و لا فی العیر و لا فی النفیر قالوا أنت أرسلت إلی قریش أن ترجع فرجع من رجع ومضی من مضی فلم یشهدها أحد من بنی عدی ویقال إنه لاقاهم بمر الظهران فقال تلك المقالة لهم . قال الواقدی و أما رسول الله ص فكان صبیحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظبیة فجاء أعرابی قدأقبل من تهامة فقال له أصحاب النبی ص هل لك علم بأبی سفیان بن حرب قال ما لی بأبی سفیان علم قالوا تعال فسلم علی رسول الله ص قال أ وفیكم رسول الله قالوا نعم قال فأیكم رسول الله قالوا هذا فقال أنت رسول الله قال نعم قال فما فی [صفحه ۱۱۰] بطن ناقتی هذه إن كنت صادقا فقال سلمة بن سلامة بن وقش نكحتها وهی حبلی منك فكره رسول الله ص مقالته وأعرض عنه . قال الواقدی وسار رسول الله ص حتی أتی الروحاء لیلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان فقال لأصحابه هذاسجاسج یعنی وادی الروحاء هذاأفضل أودیة العرب . قال الواقدی وصلی رسول الله ص بالروحاء فلما رفع رأسه من الركعة الأخیرة من وتره لعن الكفرة ودعا علیهم فقال أللهم لاتفلتن أباجهل بن هشام فرعون هذه الأمة أللهم لاتفلتن زمعة بن الأسود أللهم أسخن عین أبی زمعة أللهم أعم بصر أبی دبیلة أللهم لاتفلتن سهیل بن عمرو ثم دعا لقوم من قریش فقال أللهم أنج سلمة بن هشام وعیاش بن أبی ربیعة والمستضعفین من المؤمنین -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۳۸۲ و لم یدع للولید بن المغیرة یومئذ وأسر ببدر ولكنه لمارجع إلی مكة بعدبدر أسلم وأراد أن یخرج إلی المدینة فحبس فدعا له النبی ص بعد ذلك قال الواقدی و كان خبیب بن یساف رجلا شجاعا و كان یأبی الإسلام فلما خرج النبی ص إلی بدر خرج هو وقیس بن محرث ویقال ابن الحارث وهما علی دین قومهما فأدركا رسول الله ص بالعقیق وخبیب مقنع فی الحدید فعرفه رسول الله ص من تحت المغفر فالتفت إلی سعد بن معاذ و هویسیر إلی جنبه فقال أ لیس بخبیب بن یساف قال بلی فأقبل خبیب حتی أخذ [صفحه ۱۱۱] ببطان ناقة رسول الله ص فقال له ولقیس بن محرث ماأخرجكما قال كنت ابن أختنا وجارنا وخرجنا مع قومنا للغنیمة فقال ص لایخرجن معنا رجل لیس علی دیننا فقال خبیب لقد علم قومی أنی عظیم الغناء فی الحرب شدید النكایة فأقاتل معك للغنیمة و لاأسلم فقال رسول الله ص لا ولكن أسلم ثم قاتل فلما كان بالروحاء جاء فقال یا رسول الله أسلمت لرب العالمین وشهدت أنك رسول الله فسر بذلك و قال امضه فكان عظیم الغناء فی بدر و فی غیربدر و أماقیس بن الحارث فأبی أن یسلم فرجع إلی المدینة فلما قدم النبی ص من بدر أسلم وشهد أحدا فقتل . قال الواقدی و لماخرج رسول الله ص صام یوما أویومین ثم نادی منادیه

يامعشر العصاة إنى مفطر فأفطروا و ذلك أنه قد كان قال لهم قبل ذلك أفطروا فلم يفعلوا. قلت هذا هوسر النبوة وخاصيتها إذاتأمل المتأملون ذلك و هو أن يبلغ بهم حبه وطاعته وقبول قوله على أن يكلفهم مايشق عليهم فيمتثلوه امتثالا صادرا عن حب شديد وحرص عظيم على الطاعة حتى إنه لينسخه عنهم ويسقط وجوبه عليهم فيكرهون ذلك و لايسقطونه عن أنفسهم إلا بعدالإنكار التام و هذاأحسن من المعجزات الخارقة للعادات بل هذابعينه معجزة خارقة للعادة أقوى وآكد من شق البحر وقلب العصا حية. قال الواقدى ومضى رسول الله ص حتى إذا كان دوين بدر أتاه الخبر بمسير قريش فأخبر رسول الله ص بمسيرهم واستشار الناس [صفحه ١١٢] فقام أبوبكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قال يا رسول الله إنها قريش وعزها و الله ماذلت منذ عزت و لاآمنت منذ كفرت و الله لاتسلم عزها أبدا ولتقاتلنك فاتهب لذلك أهبته وأعد عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله لأمر الله فنحن معك و الله لانقول لك كماقالت بنو إسرائيل لنبيهافَاذهَب أَنتَ وَ رَبّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون و ألذى بعثك بالحق لوسرت بنا إلى برك الغماد لسرنا. قال الواقدى برك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل مما يلى البحر و هو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن . فقال له رسول الله ص خيرا ودعا له بخير ثم قال ص أشيروا على أيها الناس وإنما يريد الأنصار و كان يظن أن الأنصار لاتنصره إلا فى الدار و ذلك أنهم شرطوا أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم فقال رسول الله ص أشيروا على فقام سعد بن معاذ فقال أناأجيب عن الأنصار كأنك يا رسول الله تريدنا قال أجل قال إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قدأوحى إليك وإنا قدآمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به حق وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يانبى الله لماأردت فو ألذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذاالبحر فخضته لخضناه معك مابقى منا رجل وصل من شئت وخذ من أموالنا ماأردت فما أخذته من أموالنا أحب إلينا مما تركت و ألذى نفسى بيده ماسلكت هذه الطريق قط و ما لى بها من علم وإنا لانكره أن نلقى عدونا غدا إنا لصبر عندالحرب صدق عنداللقاء لعل الله يريك منا بعض ماتقر به عينك . -قرآن-٣١٥-٣٦٩ [صفحه ١١٣] قال الواقدى وحدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال قال سعد بن معاذ يومئذ يا رسول الله إنا قدخلفنا من قومنا قوما مانحن بأشد حبا لك منهم و لاأطوع لهم رغبة ونية فى الجهاد و لوظنوا أنك يا رسول الله ملاق عدوا ماتخلفوا عنك ولكن إنما ظنوا أنها العير نبنى لك عريشا فتكون فيه ونعد عندك رواحلك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ماأحببنا و إن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا فقال له النبى ص خيرا ثم قال أ ويقضى الله خيرا ياسعد. قال الواقدى فلما فرغ سعد من المشورة قال رسول الله ص سيروا على بركة الله فإن الله قدوعدنى إحدى الطائفتين و الله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم . قال الواقدى وقالوا لقد أرانا رسول الله ص مصارعهم يومئذ هذامصرع فلان و هذامصرع فلان فما عدا كل رجل منهم مصرعه قال فعلم القوم أنهم يلاقون القتال و أن العير تفلت ورجا القوم النصر لقول النبى ص . قال الواقدى فمن يومئذ عقد رسول الله ص الألوية وكانت ثلاثة وأظهر السلاح و كان خرج من المدينة على غيرلواء معقود وسار فلقى سفيان الضمرى و مع رسول الله ص قتادة بن النعمان ومعاذ بن جبل فقال رسول الله ص من الرجل فقال الضمرى بل و من أنتم فقال رسول الله ص تخبرنا ونخبرك فقال الضمرى وذاك بذاك قال نعم قال الضمرى فاسألوا عما شئتم فقال له ص أخبرنا عن قريش قال الضمرى بلغنى أنهم خرجوا يوم كذا من مكة فإن كان الخبر صادقا فإنهم بجنب هذاالوادى ثم قال [صفحه ١١٤] الضمرى فمن أنتم فقال النبى ص نحن من ماء وأشار بيده نحو العراق فجعل الضمرى يقول من ماء من أى ماء من العراق أم من غيره ثم انصرف رسول الله ص إلى أصحابه . قال الواقدى فبات الفريقان كل منهم لايعلم بمنزل صاحبه إنما بينهم قوز من رمل . قال الواقدى ومر رسول الله ص بجبلين فسأل عنهما فقالوا هذامسلح ومخرئ فقال من ساكنهما فقيل بنو النار وبنو حراق فانصرف عنهما وجعلهما يسارا ولقيه بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزغباء فأخبراه خبر قريش ونزل رسول الله ص وادى بدر عشاء ليلة

الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان فبعث عليا ع والزبير وسعد بن أبى وقاص وبسبس بن عمرو يتحسسون على الماء وأشار لهم إلى ظريب و قال أرجو أن تجدوا الخير عندالقليب ألذى يلى هذاالظريب فاندفعوا تلقاءه فوجدوا على تلك القليب روايا قريش فيهاسقاؤهم فأسروهم وأفلت بعضهم فكان ممن عرف أنه أفلت عجير فكان أول من جاء قريشا بخبر النبى ص وأصحابه فنادى ياآل غالب هذا ابن أبى كبشة وأصحابه و قدأخذوا سقاءكم فماج العسكر وكرهوا ماجاء به . [صفحه ۱۱۵] قال الواقدى فكان حكيم بن حزام يحدث قال كنا يومئذ فى خباء لنا على جزور نشوى من لحمها فما هو إلا أن سمعنا الخبر فامتنع الطعام منا ولقى بعضنا بعضا ولقينى عتبة بن ربيعة فقال يا أباخالد ماأعلم أحدا يسير أعجب من مسيرنا إن عيرنا قدنجت وإنا جئنا إلى قوم فى بلادهم بغيا عليهم فقلت أراه لأمر حم و لارأى لمن لايطاع هذاشؤم ابن الحنظلية فقال عتبة أباخالد أتخاف أن تبيتنا القوم قلت لأنت آمن من ذلك قال فما الرأى يا أباخالد قلت نتحارس حتى نصبح وترون رأيكم قال عتبة هذاالرأى قال فتحارسنا حتى أصبحنا فقال أبوجهل هذا عن أمر عتبة كره قتال محمد وأصحابه إن هذالهو العجب أتظنون أن محمدا وأصحابه يعترضون لجمعكم و الله لأنتحين ناحية بقومى فلايحرسنا أحد فتنحى ناحية و إن السماء لتمطر عليه قال يقول عتبة إن هذالهو النكد قال الواقدى أخذ من السقاء من على القليب يسار غلام سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج و أبورافع غلام أمية بن خلف فأتى بهم النبى ص و هوقائم يصلى فسألهم المسلمون فقالوا نحن سقاء قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهم ورجوا أن يكونوا لأبى سفيان وأصحاب العير فضربوهم فلما أذلقوهم بالضرب قالوا نحن لأبى سفيان ونحن فى العير و هذاالعير بهذا القوز فكانوا إذاقالوا ذلك يمسكون عن ضربهم فسلم رسول الله ص من صلاته ثم قال إن صدقوكم ضربتموهم و إن كذبوكم تركتموهم فقال أصحابه ع إنهم يا رسول الله يقولون إن قريشا قدجاءت فقال لقد صدقوكم خرجت قريش تمنع عيرها وخافوكم عليها ثم أقبل ص على السقاء فقال أين [صفحه ۱۱۶] قريش فقالوا خلف هذاالكثيب ألذى ترى قال كم هم قالوا كثير قال كم عددهم قالوا لاندرى قال كم ينحرون قالوا يوما عشرة ويوما تسعة فقال القوم ما بين الألف والتسعمائة ثم قال للسقاء كم خرج من أهل مكة قالوا لم يبق أحد به طعم إلاخرج فأقبل رسول الله ص على الناس فقال هذه مكة قدألقت إليكم أفلاذ كبدها ثم سألهم رسول الله ص هل رجع منهم أحد قالوا نعم رجع ابن أبى شريق ببنى زهرة فقال ص راشدهم و ما كان برشيد و إن كان ماعلمت لمعاديا لله ولكتابه ثم قال فأحد غيرهم قالوا نعم بنو عدى بن كعب فتركهم رسول الله ص ثم قال لأصحابه أشيروا على فى المنزل فقال الحباب بن المنذر يا رسول الله أرأيت منزلك هذا أ هومنزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدمه و لانتأخر عنه أم هوالرأى والحرب والمكيدة قال بل هوالرأى والحرب والمكيدة قال فإن هذا ليس بمنزل انطلق بنا إلى أدنى مياه القوم فإنى عالم بها وبقلبها فإن بهاقليبا قدعرفت عذوبة مائها وماؤها كثير لاينزح نبنى عليها حوضا ونقذف فيهابالآنية فنشرب ونقاتل ونعور ماسواها من القلب . قال الواقدى فكان ابن عباس يقول نزل جبريل على النبى ص فقال الرأى ماأشار به الحباب فقال ياحباب أشرت بالرأى ونهض وفعل كل ذلك . قال الواقدى وبعث الله السماء و كان الوادى دهسا أى كثير الرمل فأصاب المسلمين مالبد الأرض و لم يمنعهم من المسير وأصاب قريشا ما لم يقدروا معه أن يرتحلوا منه وإنما بين الطائفتين قوز من رمل . قال الواقدى وأصاب المسلمين تلك الليلة النعاس ألقى عليهم فناموا و لم يصبهم من المطر مايؤذيهم . [صفحه ۱۱۷] قال الزبير بن العوام لقد سلط الله عليهم النعاس تلك الليلة حتى إنى كنت لأتشدد والنعاس يجلد بى الأرض فما أطيق إلا ذلك فكان رسول الله ص وأصحابه على مثل ذلك الحال و قال سعد بن أبى وقاص لقد رأيتنى و إن ذقنى بين ثديى فما أشعر حتى أقع على جنبى. و قال رفاعة بن رافع بن مالك لقد غلبنى النوم فاحتلمت حتى اغتسلت آخر الليل . قال الواقدى فلما تحول رسول الله ص إلى المنزل بعد أن أخذ السقاء أرسل عمار بن ياسر و عبد الله بن مسعود فأطافا بالقوم ثم رجعا إليه فقالا له يا رسول الله القوم مذعورون فزعون إن الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه مع أن السماء تسح عليهم . قال الواقدى فلما أصبحوا قال منبه بن الحجاج و

كان رجلا يبصر الأثر هذا و الله أثر ابن سمية و ابن أم عبدأعرفهما لقد جاءنا محمدبسفهائنا وسفهاء أهل يثرب ثم قال لم يترك الجوع لنا مبيتا || لابد أن نموت أونميتا . يامعشر قريش انظروا غدا إن لقينا محمد وأصحابه فاتقوا على شبانكم وفتيانكم [صفحه ١١٨] بأهل يثرب فإنا إن نرجع بهم إلى مكة يبصروا من ضلالتهم مافارقوا من دين آبائهم . قال الواقدى و لمانزل رسول الله ص على القليب بنى له عريش من جريد فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشحا سيفه فدخل النبى ص و أبوبكر. قلت لأعجب من أمر العريش من أين كان لهم أومعهم من سعف النخل مايبنون به عريشا و ليس تلك الأرض أعنى أرض بدر أرض نخل و ألذى كان معهم من سعف النخل يجرى مجرى السلاح كان يسيرا جدا قيل إنه كان بأيدى سبعة منهم سعاف عوض السيوف والباقون كانوا بالسيوف والقسى و هذاقول شاذ والصحيح أنه ماخلا أحد منهم عن سلاح أللهم إلا أن يكون معهم سعافات يسيرة وظلل عليها بثوب أوستر و إلا فلاأرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجها. قال الواقدى وصف رسول الله ص أصحابه قبل أن تنزل قريش فطلعت قريش و رسول الله ص يصف أصحابه و قدأترعوا حوضا يفرطون فيه من السحر وقذفت فيه الآنية ودفع رسول الله ص رايته إلى مصعب بن عمير فتقدم بها إلى الموضع ألذى أمره أن يضعها ووقف رسول الله ص ينظر إلى الصفوف فاستقبل المغارب وجعل الشمس خلفه وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس ونزل بالعدوة الدنيا من الوادى ونزلوا بالعدوة اليمانية وهى القصوى وجاءه رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن كان هذا عن وحى فامض له و إلافإنى [صفحه ١١٩] أرى أن تعلوا الوادى فإنى أرى ريحا قدهاجت من أعلاها وأراها بعثت بنصرك فقال رسول الله ص قدصففت صفوفى ووضعت رايتى فلاأغير ذلك ثم دعا رسول الله ص فأمده الله بالملائكة. قال الواقدى وروى عروة بن الزبير قال عدل رسول الله ص الصفوف يومئذ فتقدم سواد بن غزية أمام الصف فدفع النبى ص بقدح فى بطنه و قال استو ياسواد فقال أوجعتنى و ألذى بعثك بالحق أقدنى فكشف ص عن بطنه و قال استقد فاعتنقه وقبله فقال ماحملك على ماصنعت قال حضر يا رسول الله من أمر الله ما قدترى وخشيت القتل فأردت أن يكون آخر عهدى بك و أن أعتنقك . قال الواقدى فحدثنى موسى بن يعقوب عن أبى الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن رجل من بنى أود قال سمعت عليا ع يخطب على منبر الكوفة و يقول بينا أناأميح فى قليب بدر جاءت ريح لم أر مثلها قط شدة ثم ذهبت فجاءت أخرى لم أر مثلها إلاالتى كانت قبلها ثم جاءت ريح أخرى لم أر مثلها إلاالأوليين فكانت الأولى جبريل فى ألف مع رسول الله ص والثانية ميكائيل فى ألف عن ميمنته والثالثة إسرافيل فى ألف عن ميسرته فلما هزم الله أعداءه حملنى رسول الله ص على فرس فجرت بى فلما جرت بى خررت على عنقها فدعوت ربى فأمسكنى حتى استويت و ما لى وللخيل وإنما كنت صاحب الحشم فلما استويت طعنت فيهم بيدى هذه حتى اختضبت منى ذى يعنى إبطه -روايت-١-٢-روايت-١٥١-٦٦٨ [صفحه ١٢٠] قلت أكثر الرواة يروونه فحملنى رسول الله على فرسه والصحيح ماذكرناه لأنه لم يكن لرسول الله ص فرس يوم بدر وإنما حضرها راكب بعير ولكنه لمااصطدم الصفان وقتل قوم من فرسان المشركين حمل رسول الله ص عليا ع على بعض الخيل المأخوذة منهم . قال الواقدى قالوا كان على ميمنة رسول الله ص أبوبكر و كان على ميسرته على بن أبى طالب ع و كان على ميمنة قريش هبيرة بن أبى وهب المخزومى و على ميسرتهم عمرو بن عبدود قيل كان زمعة بن الأسود على ميسرتهم وقيل بل كان على خيل المشركين وقيل ألذى على الخيل الحارث بن هشام و قال قوم لم يكن هبيرة على الميمنة بل كان عليها الحارث بن عامر بن نوفل . قال الواقدى وحدثنى محمد بن صالح عن يزيد بن رومان و ابن أبى حبيبة قالا ـ ما كان على ميمنة النبى ص يوم بدر و لا على ميسرته أحد يسمى وكذلك ميمنة المشركين وميسرتهم ماسمعنا فيهابأحد قال الواقدى و هذا هوالثبت عندنا قال و كان لواء رسول الله ص يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ و كان مع قريش ثلاثة ألوية لواء مع أبى عزيز ولواء مع المنذر بن الحارث ولواء مع طلحة بن أبى طلحة. قال الواقدى وخطب رسول الله ص المسلمين يومئذ فحمد الله

وأثنى عليه ثم قال أما بعدفإنى أحثكم على ماحثكم الله عليه وأنهاكم عما نهاكم الله عنه فإن الله عظيم شأنه يأمر بالحق ويحب الصدق ويعطى على الخير أهله على منازلهم عنده -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-ادامه دارد [صفحه ۱۲۱] به يذكرون و به يتفاضلون وإنكم أصبحتم بمنزل من منازل الحق لايقبل الله فيه من أحد إلا ماابتغى به وجهه و إن الصبر فى البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم تدركون به النجاة فى الآخرة فيكم نبى الله يحذركم ويأمركم فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شىء من أمركم يمقتكم عليه فإنه تعالى يقول لَمَقتُ اللّهِ أَكبَرُ مِن مَقتِكُم أَنفُسَكُمانظروا إلى ألذى أمركم به من كتابه وأراكم من آياته و ماأعزكم به بعدالذلة فاستمسكوا به يرض ربكم عنكم وابلوا ربكم فى هذه المواطن أمرا تستوجبون به ألذى وعدكم من رحمته ومغفرته فإن وعده حق و قوله صدق وعقابه شديد وإنما أنا وأنتم بالله الحى القيوم إليه ألجأنا ظهورنا و به اعتصمنا و عليه توكلنا و إليه المصير ويغفر الله لى وللمسلمين -روايت-از قبل-۷۲۳ . قال الواقدى و لمارأى رسول الله ص قريشا تصوب من الوادى و كان أول من طلع زمعة بن الأسود على فرس له يتبعه ابنه فاستجال بفرسه يريد أن يبنوا للقوم منزلا فقال رسول الله ص أللهم إنك أنزلت على الكتاب وأمرتنى بالقتال ووعدتنى إحدى الطائفتين و أنت لاتخلف الميعاد أللهم هذه قريش قدأقبلت بخيلائها وفخرها تخاذل وتكذب رسولك أللهم نصرك ألذى وعدتنى أللهم أحنهم الغداة -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۲۳۰ وطلع عتبة بن ربيعة على جمل أحمر فقال رسول الله ص إن يك فى أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا. قال الواقدى و كان إيماء بن رحضة قدبعث إلى قريش ابنا له بعشر جزائر حين مروا به أهداها لهم و قال إن أحببتم أن يمدكم بسلاح ورجال فإنا معدون لذلك مؤدون فعلنا فأرسلوا أن وصلتك رحم قدقضيت ألذى عليك ولعمرى لئن [صفحه ۱۲۲] كنا إنما نقاتل الناس مابنا ضعف عنهم ولئن كنا نقاتل الله بزعم محمدفما لأحد بالله طاقة. قال الواقدى فروى خفاف بن إيماء بن رحضة قال كان أبى ليس شىءأحب إليه من إصلاح بين الناس موكلا بذلك فلما مرت به قريش أرسلنى بجزائر عشر هدية لها فأقبلت أسوقها وتبعنى أبى فدفعتها إلى قريش فقبلوها ووزعوها فى القبائل فمر أبى على عتبة بن ربيعة و هوسيد الناس يومئذ فقال يا أباالوليد ما هذاالمسير قال لاأدرى و الله غلبت قال فأنت سيد العشيرة فما يمنعك أن ترجع بالناس وتحمل دم حليفك وتحمل العير التى أصابوا بنخلة فتوزعها على قومك فو الله مايطلبون قبل محمد إلا هذا و الله يا أباالوليد ماتقتلون بمحمد وأصحابه إلاأنفسكم . قال الواقدى وحدثنى ابن أبى الزناد عن أبيه قال ماسمعنا بأحد سار بغير مال إلاعتبة بن ربيعة. قال الواقدى وروى محمد بن جبير بن مطعم قال لمانزل القوم أرسل رسول الله ص عمر بن الخطاب إلى قريش فقال ارجعوا فلأن يلى هذاالأمر منى غيركم أحب إلى من أن تلوه منى و أن أليه من غيركم أحب إلى من أن أليه منكم فقال حكيم بن حزام قدعرض نصفا فلبوه و الله لاتنصرون عليه بعد أن عرض عليكم من النصف ماعرض و قال أبوجهل لانرجع بعد أن أمكننا الله منهم و لانطلب أثرا بعدعين و لايعرض لعيرنا بعد هذاأبدا. قال الواقدى وأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض منهم حكيم بن حزام فأراد المسلمون تنحيتهم عنه فقال النبى ص دعوهم فوردوا الماء [صفحه ۱۲۳] فشربوا فلم يشرب منهم أحد إلاقتل إلا ما كان من حكيم بن حزام . قال الواقدى فكان سعيد بن المسيب يقول نجا حكيم من الدهر مرتين لماأراد الله تعالى به من الخير خرج رسول الله ص على نفر من المشركين وهم جلوس يريدونه فقرأ يس ونثر على رءوسهم التراب فما أفلت منهم أحد إلاقتل ماعدا حكيم بن حزام وورد الحوض يوم بدر مع من ورده مع المشركين فما ورده إلا من قتل إلاحكيم بن حزام . قال الواقدى فلما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحى و كان صاحب قداح فقالوا احزر لنا محمدا وأصحابه فاستجال بفرسه حول العسكر وصوب فى الوادى وصعد يقول عسى أن يكون لهم مدد أوكمين ثم رجع فقال لامدد و لاكمين والقوم ثلاثمائة إن زادوا قليلاـ ومعهم سبعون بعيرا ومعهم فرسان ثم قال يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة و لاملجأ إلاسيوفهم أ لاـترونهم خرسا لاـيتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعى و الله ماأرى أن يقتل منهم رجل حتى

يقتل رجلا فإذاأصابوا منكم عـددهم فما خير فى العيش بعـد ذلك فروا رأيكم . قال الواقـدى وحـدثنى يونس بن محمدالظفرى عن أبيه أنه قـال لما قال لهم عمير بن وهب هـذه المقالـة أرسلوا أباأسامـة الجشـمى و كان فارسا فأطاف بالنبىص وأصحابه ثم رجع إليهم فقالوا له مارأيت قال و الله مارأيت جلدا و لاعددا و لاحلقة و لاكراعا ولكنى و الله رأيت قوما لايريدون أن يردوا إلى أهليهم رأيت قوما مستميتين ليست معهم منعة و لاملجأ إلاسيوفهم زرق العيون [صـفحه ١٢۴] كـأنهم الحصا تحت الحجف ثم قـال أخشـى أن يكـون لهم كمين أومـدد فصوب فى الوادى ثم صعد ثم رجع إليهم فقـال لا ـكمين و لامـدد فروا رأيكم . قـال الواقـدى و لماسمع حكيم بن حزام ما قال عمير بن وهب مشـى فى الناس فأتى عتبـة بن ربيعـة فقال يا أباالوليد أنت كبير قريش وسيدها والمطاع فيهافهل لك ألا تزال تذكر فيهابخير آخر الدهر مع مافعلت يوم عكاظ وعتبة يومئذ رئيس الناس فقال و ماذاك يـا أباخالـد قال ترجع بالناس وتحمل دم حليفك و ماأصابه محمـد من تلك العير ببطن نخلـة إنكم لاتطلبون من محمدشـيئا غير هذاالـدم والعير فقـال عتبـة قـدفعلت و أنـت على بـذلك ثم جلس عتبـة على جمله فسار فى المشـركين من قريش يقـول يـاقوم أطيعونى و لاتقـاتلوا هـذا الرجـل وأصـحابه واعصـبوا هـذاالأمر برأسـى واجعلوا جبنها فى فإن منهم رجالا قرابتهم قريبـة و لايزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه فيورث ذلك بينكم شـحناء وأضغانا ولن تخلصوا إلى قتلهم حتى يصيبوا منكم عددهم مع أنه لا ـآمن أن تكون الـدائرة عليكم وأنتم لا ـتطلبون إلادم القتيل منكم والعير التى أصـيبت و أناأحتمل ذلك و هو على ياقوم إن يـك محمـدكاذبا يكفيكموه ذؤبـان العرب و إن يـك ملكا كنتم فى ملك ابن أخيكم و إن يك نبيا كنتم أسعد الناس به ياقوم لاتردوا نصـيحتى و لاتسـفهوا رأيى فحسده أبوجهل حين سـمع خطبته و قال إن يرجع الناس عن خطبة عتبة يكن سيد الجماعة و كـان عتبـة أنطق النـاس وأطولهم لسانـا وأجملهم جمالا ـ ثم قال عتبـة لهم أنشـدكم الله فى هـذه الوجوه التى كأنها المصابيـح أن تجعلوها أنـدادا لهـذه الوجوه التى كأنها وجوه الحيات فلما فرغ عتبـة من كلامه قال أبوجهل إن عتبة يشـير عليكم بهذا [صـفحه ١٢۵] لأـن محمـدا ابن عمه و هويكره أن يقتـل ابنه و ابن عمه امتلأـ و الله سـحرك ياعتبـة وجبنت حين التقت حلقتـا البطان الآن تخـذل بيننـا وتأمرنا بالرجوع لا و الله لانرجع حتى يحكم الله بيننا و بين محمـدفغضب عتبـة فقال يامصـفرا استه سـتعلم أينا أجبن وألأـم وسـتعلم قريش من الجبـان المفسـد لقـومه وأنشـد هـذاى وأمرت أمرى || فبشـرى بالثكـل أم عمرو قـال الواقـدى وذهب أبوجهل إلى عامر بن الحضـرمى أخى عمرو بن الحضـرمى المقتول بنخلة فقال له هذاحليفك يعنى عتبة يريد أن يرجع بالناس و قـدرأيت ثأرك بعينك وتخـذل بين الناس أ قـدتحمل دم أخيك وزعم أنك قابل الدية أ لاتسـتحى تقبل الدية و قدقدرت على قاتل أخيك قم فانشـد خفرتك فقام عامر بن الحضـرمى فاكتشف ثم حثا على اسـته التراب وصـرخ وا عمراه يخزى بـذلك عتبة لأنه حليفه من بين قريش فأفسـد على الناس الرأى ألـذى دعاهم إليه عتبـة وحلف عامر لايرجع حتى يقتل من أصـحاب محمد و قال أبوجهل لعمير بن وهب حرش بين الناس فحمل عمير فناوش المسـلمين لأن ينفض الصف فثبت المسـلمون على صفهم و لم يزولوا وتقـدم ابن الحضـرمى فشد على القوم فنشبت الحرب . قال الواقدى فروى نافع بن جبير عن حكيم بن حزام قال لماأفسـد الرأى أبوجهـل على الناس وحرش بينهم عامر بن الحضـرمى فأقحم فرسه كان أول من خرج إليه من المسـلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر و كان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة قتله حيان بن العرقة. قال الواقدى و قال عمر بن الخطاب فى مجلس ولا ـيته يـاعمير بن وهب أنت [صـفحه ١٢۶] حاذرنا للمشـركين يوم بـدر تصـعد فى الوادى وتصوب كأنى أنظر إلى فرسك تحتك تخبر المشـركين أنه لاكمين لنا و لامـدد قال إى و الله يا أمير المؤمنين وأخرى أنا و الله ألـذى حرشت بين الناس يومئـذ ولكن الله جاءنا بالإسـلام وهـدانا له و ما كان فينا من الشـرك أعظم من ذلك قال عمر صدقت . قال الواقدى و كان عتبة بن ربيعـة كلم حكيم بن حزام و قـال ليس عندأحـد خلاـف إلا ـعنـد ابن الحنظليـة فاذهب إليه فقل له إن عتبـة يحمل دم حليفه ويضمن العير قال حكيم فدخلت على أبى جهل و هويتخلق بخلوق طيب ودرعه موضوعة بين يديه فقلت إن عتبة بن ربيعة بعثنى

إليک فأقبل على مغضبا فقال ماوجد عتبة أحدا يرسله غيرک فقلت و الله لو کان غيره أرسلنى مامشيت فى ذلک ولکنى مشيت فى إصلاح بين الناس و کان أبوالوليد سيد العشيرة فغضب غضبة أخرى قال وتقول أيضا سيد العشيرة فقلت أناأقوله وقريش کلها تقوله فأمر عامرا أن يصيح بخفرته واکتشف و قال إن عتبة جاع فاسقوه سويقا وجعل المشرکين يقولون عتبة جاع فاسقوه سويقا وجعل أبوجهل يسر بما صنع المشرکون بعتبة قال حکيم فجئت إلى منبه بن الحجاج فقلت له مثل ما قلت لأبى جهل فوجدته خيرا من أبى جهل قال نعما مشيت فيه و مادعا إليه عتبة فرجعت إلى عتبة فوجدته قدغضب من کلام قريش فنزل عن جمله و قد کان طاف عليهم فى عسکرهم يأمرهم بالکف عن القتال فيأبون فحمى فنزل فلبس درعه وطلبوا له بيضة فلم يوجد فى الجيش بيضة تسع رأسه من عظم هامته فلما رأى ذلک اعتجر ثم برز راجلا بين أخيه شيبة و بين ابنه الوليد بن عتبة فبينا أبوجهل فى الصف على فرس أنثى حاذاه عتبة وسل سيفه فقيل هو و الله يقتله فضرب بالسيف عرقوب فرس أبى جهل فاکتسعت الفرس [صفحه ۱۲۷] و قال انزل فإن هذااليوم ليس بيوم رکوب ليس کل قومک راکبا فنزل أبوجهل وعتبة يقول سيعلم أينا شؤم عشيرته الغداة قال حکيم فقلت تالله مارأيت کاليوم . قال الواقدى ثم دعا عتبة إلى المبارزة و رسول الله ص فى العريش وأصحابه على صفوفهم فاضطجع فغشيه النوم و قال لاتقاتلوا حتى أوذنکم و إن کثبوکم فارموهم و لاتسلوا السيوف حتى يغشوکم فقال أبوبکر يا رسول الله قددنا القوم و قدنالوا منا فاستيقظ و قدأراه الله إياهم فى منامه قليلا وقلل بعضهم فى أعين بعض ففزع رسول الله ص و هورافع يديه يناشد ربه ماوعده من النصر و يقول أللهم إن تظهر على هذه العصابة يظهر الشرک و لايقم لک دين -روايت-۱-۱۳۵ و أبوبکر يقول و الله لينصرنک الله وليبيضن وجهک قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله إنى أشير عليک و أنت أعظم وأعلم بالله من أن يشار عليک إن الله أجل وأعظم من أن ينشد وعده فقال ع يا ابن رواحة أ لاأنشد الله وعده إن الله لايخلف الميعاد وأقبل عتبة يعمد إلى القتال فقال له حکيم بن حزام مهلا مهلا يا أباالوليد لاتنه عن شىء وتکون أوله . قال الواقدى قال خفاف بن إيماء فرأيت أصحاب النبى ص يوم بدر و قدتصاف الناس وتزاحفوا وهم لايسلون السيوف ولکنهم قدانتضوا القسى و قدتترس بعضهم عن بعض بصفوف متقاربة لافرج بينها والآخرون قدسلوا السيوف حين طلعوا فعجبت من ذلک فسألت بعد ذلک رجلا من المهاجرين فقال أمرنا رسول الله ص ألا نسل السيوف حتى يغشونا. قال الواقدى فلما تزاحف الناس قال الأسود بن عبدالأسد المخزومى حين دنا من [صفحه ۱۲۸] الحوض أعاهد الله لأشربن من حوضهم أولأهدمنه أولأموتن دونه فشد حتى دنا من الحوض واستقبله حمزة بن عبدالمطلب فضربه فأطن قدمه فزحف الأسود ليبر قسمه زعم حتى وقف فى الحوض فهدمه برجله الصحيحة وشرب منه وأتبعه حمزة فضربه فى الحوض فقتله والمشرکون ينظرون ذلک على صفوفهم . قال الواقدى ودنا الناس بعضهم من بعض فخرج عتبة وشيبة والوليد حتى فصلوا من الصف ثم دعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار وهم بنو عفراء معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث ويقال إن ثالثهم عبد الله بن رواحة والثابت عندنا أنهم بنو عفراء فاستحى رسول الله ص من ذلک وکره أن يکون أول قتال لقى المسلمون فيه المشرکين فى الأنصار وأحب أن تکون الشوکة لبنى عمه وقومه فأمرهم فرجعوا إلى مصافهم و قال لهم خيرا ثم نادى منادى المشرکين يا محمدأخرج إلينا الأکفاء من قومنا فقال لهم رسول الله ص يابنى هاشم قوموا فقاتلوا بحقکم ألذى بعث الله به نبيکم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله فقام حمزة بن عبدالمطلب و على بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف فمشوا إليهم فقال عتبة تکلموا نعرفکم و کان عليهم البيض فأنکروهم فإن کنتم أکفاءنا قاتلناکم وروى محمد بن إسحاق فى کتاب المغازى خلاف هذه الرواية قال إن بنى عفراء و عبد الله بن رواحة برزوا إلى عتبة وشيبة والوليد فقالوا لهم من أنتم قالوا رهط من الأنصار فقالوا ارجعوا فما لنا بکم من حاجة ثم نادى مناديهم يا محمد [صفحه ۱۲۹] أخرج إلينا أکفاءنا من قومنا فقال رسول الله ص قم يافلان قم يافلان قم يافلان . قلت و هذه الرواية أشهر من رواية الواقدى و فى رواية الواقدى مايؤکد صحة رواية محمد بن

إسحاق و هو قوله إن منادى المشركين نادى يا محمدأخرج إلينا الأكفاء من قومنا فلو لم يكن قدكلمهم بنو عفراء وكلموهم وردوهم لمانادى مناديهم بذلك ويدل على ذلك قول بعض القرشيين لبعض الأنصار فى فخر فخر به عليه أنا من قوم لم يرض مشركوهم أن يقتلوا مؤمنى قومك . قال الواقدى فقال حمزة أناحمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة كف ء كريم و أناأسد الحلفاء من هذان معك قال على بن أبى طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلب فقال كفآن كريمان . قال الواقدى قال ابن أبى الزناد حدثنى أبى قال لم أسمع لعتبة كلمة قط أوهن من قوله أناأسد الحلفاء يعنى بالحلفاء الأجمة. قلت قدروى هذه الكلمة على صيغة أخرى و أناأسد الحلفاء وروى أناأسد الأحلاف .قالوا فى تفسيرهما أراد أناسيد أهل الحلف المطيبين و كان الذين حضروه بنى عبدمناف وبنى أسد بن عبدالعزى وبنى تيم وبنى زهرة وبنى الحارث بن فهر خمس قبائل ورد قوم هذاالتأويل فقالوا إن المطيبين لم يكن يقال لهم الحلفاء و لاالأحلاف وإنما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الذين وقع التحالف لأجلهم وهم بنو عبدالدار وبنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب خمس [صفحه ١٣٠] قبائل و قال قوم فى تفسيرهما إنما عنى حلف الفضول و كان بعدحلف المطيبين بزمان وشهد حلف الفضول رسول الله ص و هوصغير فى دار ابن جدعان و كان سببه أن رجلا من اليمن قدم مكة بمتاع فاشتراه العاص بن وائل السهمى ومطله بالثمن حتى أتعبه فقام بالحجر وناشد قريشا ظلامته فاجتمع بنو هاشم وبنو أسد بن عبدالعزى وبنو زهرة وبنو تميم فى دار ابن جدعان فتحالفوا غمسوا أيديهم فى ماء زمزم بعد أن غسلوا به أركان البيت أن ينصروا كل مظلوم بمكة ويردوا عليه ظلامته ويأخذوا على يد الظالم وينهوا عن كل منكر مابل بحر صوفة فسمى حلف الفضول لفضله و قدذكره رسول الله ص فقال شهدته و ماأحب أن لى به حمر النعم و لايزيده الإسلام إلاشدة -روايت-١-٢-روايت-٢٦-٩٧ و هذاالتفسير أيضا غيرصحيح لأن بنى عبدالشمس لم يكونوا فى حلف الفضول فقد بان أن ماذكره الواقدى أصح وأثبت . قال الواقدى ثم قال عتبة لابنه قم ياوليد فقام الوليد وقام إليه على وكانا أصغر النفر فاختلفا ضربتين فقتله على بن أبى طالب ع ثم قام عتبة وقام إليه حمزة فاختلفا ضربتين فقتله حمزة رضى الله عنه ثم قام شيبة وقام إليه عبيدة و هويومئذ أسن أصحاب رسول الله ص فضرب شيبة رجل عبيدة بذباب السيف فأصاب عضلة ساقه فقطعها وكر حمزة و على على شيبة فقتلاه واحتملا عبيدة فحازاه إلى الصف ومخ ساقه يسيل فقال عبيدة يا رسول الله ألست شهيدا قال بلى قال أما و الله لو كان أبوطالب حيا لعلم أنى أحق بما قال حين يقول كذبتم وبيت الله نخلى محمدا || و لمانطاعن دونه ونناضل وننصره حتى نصرع حوله || ونذهل عن أبنائنا والحلائل . ونزلت فيهم هذه الآيةهـذانِ خَصمانِ اختَصَمُوا فِى رَبّهِم. -قرآن-٢٥-٦٠ [صفحه ١٣١] وروى محمد بن إسحاق أن عتبة بارز عبيدة بن الحارث و أن شيبة بارز حمزة بن عبدالمطلب فقتل حمزة شيبة لم يمهله أن قتله و لم يمهل على الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة و على ع على عتبة بأسيافهما حتى وقعا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى الصف . قلت و هذه الرواية توافق مايذكره أمير المؤمنين ع فى كلامه إذ يقول لمعاوية وعندى السيف ألذى أعضضت به أخاك وخالك وجدك يوم بدر و يقول فى موضع آخر قدعرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدك و ماهى من الظالمين ببعيد. واختار البلاذرى رواية الواقدى و قال إن حمزة قتل عتبة و إن عليا ع قتل الوليد وشرك فى قتل شيبة. و هذا هوالمناسب لأحوالهم من طريق السن لأن شيبة أسن الثلاثة فجعل بإزاء عبيدة و هوأسن الثلاثة والوليد أصغر الثلاثة سنا فجعل بإزاء على ع و هوأصغر الثلاثة سنا وعتبة أوسطهم سنا فجعل بإزاء حمزة و هوأوسطهم سنا وأيضا فإن عتبة كان أمثل الثلاثة فمقتضى القياس أن يكون قرنه أمثل الثلاثة و هوحمزة إذ ذاك لأن عليا ع لم يكن قداشتهر أمره جدا وإنما اشتهر الشهرة التامة بعدبدر ولمن روى أن حمزة بارز شيبة وهى رواية ابن إسحاق أن ينتصر بشعر هند بنت عتبة ترثى أباها أعينى جودا بدمع سرب || على خير خندف لم ينقلب تداعى له رهطه قصرة || بنو هاشم وبنو المطلب يذيقونه حر أسيافهم || يعلونه بعد ما قدعطب . [صفحه ١٣٢] فإذاكانت قدقالت إن عتبة أباها أذاقه بنو هاشم وبنو المطلب حر

أسيافهم فقد ثبت أن المبارز لعتبة إنما هوعبيدة لأنه من بنى المطلب جرح عتبة فأثبته ثم ذفف عليه حمزة و على ع فأما الشيعة فإنها تروى أن حمزة بادر عتبة فقتله و أن اشتراك على وحمزة إنما هو فى دم شيبة بعد أن جرحه عبيدة بن الحارث هكذا ذكر محمد بن النعمان فى كتاب الإرشاد و هوخلاف ماتنطق به كتب أمير المؤمنين ع إلى معاوية والأمر عندى مشتبه فى هذاالموضع . و روى محمد بن النعمان عن أمير المؤمنين ع أنه كان يذكر يوم بدر و يقول أختلف أنا والوليد بن عتبة ضربتين فأخطأتنى ضربته وأضربه فاتقانى بيده اليسرى فأبانها السيف فكأنى أنظر إلى وميض خاتم فى شماله ثم ضربته أخرى فصرعته وسلبته فرأيت به الردع من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعرس -روايت-١-٢-روايت-٤٦-٢٩٧ قال الواقدى و قدروى أن عتبة بن ربيعة حين دعا إلى البراز قام إليه ابنه أبوحذيفة بن عتبة يبارزه فقال له النبى ص اجلس فلما قام إليه النفر أعان أبوحذيفة على أبيه عتبة بضربة. قال الواقدى وأخبرنى ابن أبى الزناد عن أبيه قال شيبة أكبر من عتبة بثلاث سنين وحمزة أسن من النبى ص بأربع سنين والعباس أسن من النبى ص بثلاث سنين . قال الواقدى واستفتح أبوجهل يوم بدر فقال أللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لايعلم فأحنه الغداة فأنزل الله تعالى إِن تَستَفتِحُوا فَقَد جاءَكُمُ الفَتحُالآية. -قرآن-٤٦٢-٥٠٠ [صفحه ١٣٣] قال الواقدى وروى عروة عن عائشة أن النبى ص جعل شعار المهاجرين يوم بدر يابنى عبدالرحمن وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الأوس يابنى عبد الله . قال وروى زيد بن على بن الحسين ع أن شعار رسول الله ص يوم بدر يامنصور أمت . قال الواقدى ونهى رسول الله ص عن قتل أبى البخترى و كان قدلبس السلاح بمكة يوما قبل الهجرة فى بعض ما كان ينال النبى ص من الأذى و قال لايعرض اليوم أحد لمحمد بأذى إلاوضعت فيه السلاح فشكر ذلك له النبى ص قال أبوداود المازنى فلحقته يوم بدر فقلت له إن رسول الله ص قدنهى عن قتلك إن أعطيت بيدك قال و ماتريد إلى إن كان قدنهى عن قتلى فقد كنت أبليته ذلك فأما أن أعطى بيدى فو اللات والعزى لقد علمت نسوة بمكة أنى لاأعطى بيدى و قدعرفت أنك لاتدعنى فافعل ألذى تريد فرماه أبوداود بسهم و قال أللهم سهمك و أبوالبخترى عبدك فضعه فى مقتله و أبوالبخترى دارع ففتق السهم الدرع فقتله . قال الواقدى ويقال إن المجذر بن ذياد قتل أباالبخترى و لايعرفه و قال المجذر فى ذلك شعرا عرف منه أنه قاتله . و فى رواية محمد بن إسحاق أن رسول الله ص نهى يوم بدر عن قتل أبى البخترى واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى لأنه كان أكف [صفحه ١٣٤] الناس عن رسول الله ص بمكة كان لايؤذيه و لايبلغه عنه شىءيكرهه و كان فيمن قام فى نقض الصحيفة التى كتبتها قريش على بنى هاشم فلقيه المجذر بن ذياد البلوى حليف الأنصار فقال له إن رسول الله ص نهانا عن قتلك و مع أبى البخترى زميل له خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال البخترى وزميلى قال المجذر و الله مانحن بتاركى زميلك مانهانا رسول الله ص إلاعنك وحدك قال إذا و الله لأموتن أنا و هوجميعا لاتتحدث عنى نساء أهل مكة أنى تركت زميلى حرصا على الحياة فنازله المجذر وارتجز أبوالبخترى فقال لن يسلم ابن حرة زميله || حتى يموت أويرى سبيله . ثم اقتتلا فقتله المجذر وجاء إلى رسول الله ص فأخبره و قال و ألذى بعثك بالحق لقد جهدت أن يستأسر فآتيك به فأبى إلاالقتال فقاتلته فقتلته . قال الواقدى ونهى النبى ص عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل و قال ائسروه و لاتقتلوه و كان كارها للخروج إلى بدر فلقيه خبيب بن يساف فقتله و لايعرفه فبلغ النبى ص ذلك فقال لووجدته قبل أن يقتل لتركته لنسائه ونهى عن قتل زمعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجذع و لايعرفه . قال الواقدى وارتجز عدى بن أبى الزغباء يوم بدر فقال أناعدى والسحل || أمشى بهامشى الفحل .يعنى درعه فقال النبى ص من عدى فقال رجل من القوم أنا يا رسول الله قال و ماذا قال ابن فلان قال لست أنت عديا فقال عدى بن أبى [صفحه ١٣٥] الزغباء أنا يا رسول الله عدى قال و ماذا قال والسحل أمشى بهامشى الفحل قال النبى ص و ماالسحل قال درعى فقال ص نعم العدى عدى بن أبى الزغباء. قال الواقدى و كان عقبة بن أبى معيط قال بمكة حين هاجر رسول الله ص إلى المدينة ياراكب الناقة القصواء هاجرنا || عما قليل ترانى راكب الفرس أعل رمحى فيكم ثم أنهله || والسيف يأخذ منكم كل ملتبس .فبلغ قوله

النبی ص فقال أللهم أکبه لمنخره واصرعه فجمح به فرسه یوم بدر بعد أن ولی الناس فأخذه عبد الله بن سلمة العجلانی أسیرا وأمر النبی ص عاصم بن أبی الأقلح فضرب عنقه صبرا. قال الواقدی و کان عبدالرحمن یحدث یقول إنی لأجمع أدراعا یوم بدر بعد أن ولی الناس فإذاأمیة بن خلف و کان لی صدیقا فی الجاهلیة و کان اسمی عبدعمرو فلما جاء الإسلام تسمیت عبدالرحمن فکان یلقانی بمکة فیقول یا عبدعمرو فلاأجیبه فیقول إنی لاأقول لک عبدالرحمن إن مسیلمة بالیمامة تسمی بالرحمن فأنا لاأدعوک إلیه فکان یدعونی عبدالإله فلما کان یوم بدر رأیته وکأنه جمل یساق ومعه ابنه علی فنادانی یا عبدعمرو فأبیت أن أجیبه فنادانی یا عبدالإله فأجبته فقال أ مالکم حاجة فی اللبن نحن خیر لک من أدرعک هذه فقلت امضیا فجعلت أسوقهما أمامی و قدرأی أمیة أنه قدأمن بعض الأمن فقال لی أمیة رأیت رجلا فیکم الیوم معلما فی صدره بریشة نعامة من هوفقلت حمزة بن عبدالمطلب [صفحه ۱۳۶] فقال ذاک ألذی فعل بنا الأفاعیل ثم قال فمن رجل دحداح قصیر معلم بعصابة حمراء قلت ذاک رجل من الأنصار یقال له سماک بن خرشة قال وبذاک أیضا یا عبدالإله صرنا الیوم جزرا لکم قال فبینا هومعی أزجیه أمامی ومعه ابنه إذ بصر به بلال و هویعجن عجینا له فترک العجین وجعل یفتل یدیه منه فتلا ذریعا و هوینادی یامعشر الأنصار أمیة بن خلف رأس الکفر لانجوت إن نجوت قال لأنه کان یعذبه بمکة فأقبلت الأنصار کأنهم عوذ حنت إلی أولادها حتی طرحوا أمیة علی ظهره واضطجعت علیه أحمیه منهم فأقبل الخباب بن المنذر فأدخل سیفه فاقتطع أرنبة أنفه فلما فقد أمیة أنفه قال لی إیها عنک أی خل بینی وبینهم قال عبدالرحمن فذکرت قول حسان أو عن ذلک الأنف جادع . قال ویقبل إلیه خبیب بن یساف فضربه حتی قتله و قد کان أمیة ضرب خبیب بن یساف حتی قطع یده من المنکب فأعادها النبی ص فالتحمت واستوت فتزوج خبیب بن یساف بعد ذلک ابنة أمیة بن خلف فرأت تلک الضربة فقالت لایشل الله ید رجل فعل هذا فقال خبیب و أنا و الله قدأوردته شعوب فکان خبیب یحدث یقول فأضربه فوق العاتق فأقطع عاتقه حتی بلغت مؤتزره و علیه الدرع و أناأقول خذها و أنا ابن یساف وأخذت سلاحه ودرعه وأقبل علی بن أمیة فتعرض له الخباب فقطع رجله فصاح صیحة ماسمع مثلها قط ولقیه عمار فضربه ضربة فقتله ویقال إن عمارا لاقاه قبل ضربة الخباب فاختلفا ضربات فقتله عمار والأولی أثبت أنه ضربه بعد أن قطعت رجله . قال الواقدی و قدسمعنا فی قتل أمیة غیر ذلک حدثنی عبید بن یحیی عن معاذ بن [صفحه ۱۳۷] رفاعة عن أبیه قال لما کان یوم بدر وأحدقنا بأمیة بن خلف و کان له فیهم شأن ومعی رمحی ومعه رمحه فتطاعنا حتی سقطت أزجتها ثم صرنا إلی السیفین فتضاربنا بهما حتی انثلما ثم بصرت بفتق فی درعه تحت إبطه فحششت السیف فیه حتی قتلته وخرج السیف علیه الودک قال الواقدی و قدسمعنا وجها آخر حدثنی محمد بن قدامة بن موسی عن أبیه عن عائشة بنت قدامة قالت قال صفوان بن أمیة بن خلف یوما یاقدام لقدامة بن مظعون أنت المشلی بأبی یوم بدر الناس فقال قدامة لا و الله مافعلت و لوفعلت مااعتذرت من قتل مشرک قال صفوان فمن یاقدام المشلی به یوم بدر قال رأیت فتیة من الأنصار أقبلوا إلیه فیهم معمر بن خبیب بن عبید الحارث یرفع سیفه ویضعه فیه فقال صفوان أبوقرد و کان معمر رجلا دمیما فسمع بذلک الحارث بن حاطب فغضب له فدخل علی أم صفوان فقال مایدعنا صفوان من الأذی فی الجاهلیة والإسلام قالت و ماذاک فأخبرها بمقالة صفوان لمعمر حین قال أبوقرد فقالت أم صفوان یاصفوان أتنتقص معمر بن خبیب من أهل بدر و الله لاأقبل لک کرامة سنة قال صفوان یاأمة لاأعود و الله أبدا تکلمت بکلمة لم ألق لها بالا. قال الواقدی وحدثنی محمد بن قدامة عن أبیه عن عائشة بنت قدامة قالت قیل لأم صفوان بن أمیة ونظرت إلی الخباب بن المنذر بمکة هذا ألذی قطع رجل علی بن أمیة یوم بدر قالت دعونا عن ذکر من قتل علی الشرک قدأهان الله علیا بضربة الخباب بن المنذر وأکرم الله الخباب بضربته علیا ولقد کان علی الإسلام حین خرج من هاهنا فقتل علی غیر ذلک . [صفحه ۱۳۸] فأما محمد بن إسحاق فإنه قال قال عبدالرحمن بن عوف أخذت بید أمیة بن خلف وید ابنه علی بن أمیة أسیرین یوم بدر فبینا أناأمشی بینهما رآنا بلال و کان أمیة هو ألذی یعذب بلالا بمکة یخرجه إلی رمضاء مکة

إذاحميت فيضجعه على ظهره ثم يأمره بالصخرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره و يقول له لاتزال هكذا أوتفارق دين محمدفيقول بلال أحد أحد لايزيده على ذلك فلما رآه صاح رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت إن نجوت قال عبدالرحمن فقلت أى بلال أسيرى فقال لانجوت إن نجا فقلت استمع يا ابن السوداء قال لانجوت إن نجا ثم صرخ بأعلى صوته ياأنصار الله أمية بن خلف رأس الكفر لانجوت إن نجا فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى مثل المسكة و أناأذب عنه ويحذف عمار بن ياسر عليا ابنه بالسيف فأصاب رجله فوقع وصاح أمية صيحة ماسمعت مثلها قط فخليت عنه و قلت انج بنفسك و لانجاء به فو الله ماأغنى عنك شيئا قال فهبروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما قال فكان عبدالرحمن بن عوف يقول رحم الله بلالا أذهب أدرعى وفجعنى بأسيرى. قال الواقدى و كان الزبير بن العوام يحدث فيقول لما كان يومئذ لقيت عبيدة بن سعد بن العاص على فرس عليه لأمة كاملة لايرى منه إلاعيناه و هو يقول وكانت له صبية صغيرة يحملها و كان لها بطين وكانت مقسمة أنا أبوذات الكرش أنا أبوذات [صفحه ١٣٩] الكرش قال و فى يدى عنزة فأطعن بها فى عينه ووقع وأطؤه برجلى على خده حتى أخرجت العنزة متعقفة وأخرجت حدقته وأخذ رسول الله ص تلك العنزة فكانت تحمل بين يديه ثم صارت تحمل بين يدى أبى بكر وعمر وعثمان . قال الواقدى وأقبل عاصم بن أبى عوف بن صبيرة السهمى لماجال الناس واختلطوا وكأنه ذئب و هو يقول يامعشر قريش عليكم بالقاطع مفرق الجماعة الآتى بما لايعرف محمد لانجوت إن نجا ويعترضه أبودجانة فاختلفا ضربتين ويضربه أبودجانة فقتله ووقف على سلبه يسلبه فمر به عمر بن الخطاب فقال دع سلبه حتى يجهض العدو و أناأشهد لك به قال الواقدى ويقبل معبد بن وهب أحد بنى عامر بن لؤى فضرب أبادجانة ضربة برك منها أبودجانة كمايبرك الجمل ثم انتهض وأقبل على معبد فضربه ضربات لم يصنع سيفه شيئا حتى يقع معبد بحفرة أمامه لايراها ونزل أبودجانة عليه فذبحه ذبحا وأخذ سلبه . قال الواقدى و لما كان يومئذ ورأت بنو مخزوم مقتل من قتل قالت أبوالحكم لايخلص إليه فإن ابنى ربيعة عجلا وبطرا و لم تحام عنهما عشيرتهما فاجتمعت بنو مخزوم فأحدقوا به فجعلوه فى مثل الحرجة وأجمعوا أن يلبسوا لأمة أبى جهل رجلا منهم فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبى رفاعة فصمد له على ع فقتله و هويراه أباجهل ومضى عنه و هو يقول أنا ابن عبدالمطلب ثم ألبسوها أباقيس بن [صفحه ١٤٠] الفاكه بن المغيرة فصمد له حمزة و هويراه أباجهل فضربه فقتله و هو يقول خذها و أنا ابن عبدالمطلب ثم ألبسوها حرملة بن عمرو فصمد له على ع فقتله ثم أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم فأبى أن يلبسها قال معاذ بن عمرو بن الجموح فنظرت يومئذ إلى أبى جهل فى مثل الحرجة وهم يقولون أبوالحكم لايخلص إليه فعرفت أنه هوفقلت و الله لأموتن دونه اليوم أولأخلصن إليه فصمدت له حتى إذاأمكننى منه غرة حملت عليه فضربته ضربة طرحت رجله من الساق فشبهتها النواة تنزو من تحت المراضخ فأقبل ابنه عكرمة على فضربنى على عاتقى فطرح يدى من العاتق إلا أنه بقيت جلدة فذهبت أسحب يدى بتلك الجلدة خلفى فلما آذتنى وضعت عليها رجلى ثم تمطيت عليها فقطعتها ثم لاقيت عكرمة و هويلوذ كل ملاذ و لوكانت يدى معى لرجوت يومئذ أن أصيبه ومات معاذ فى زمن عثمان . قال الواقدى فروى أن رسول الله ص نفل معاذ بن عمرو بن الجموح سيف أبى جهل و أنه عندآل معاذ بن عمرو اليوم و به فل بعد أن أرسل النبى ص إلى عكرمة بن أبى جهل يسأله من قتل أباك قال ألذى قطعت يده فدفع رسول الله ص سيفه إلى معاذ بن عمرو لأن عكرمة بن أبى جهل قطع يده يوم بدر. قال الواقدى و ما كان بنو المغيرة يشكون أن سيف أبى الحكم صار إلى معاذ بن عمرو بن الجموح و أنه قاتله يوم بدر. قال الواقدى و قدسمعت فى قتله وأخذ سلبه غير هذاحدثنى عبدالحميد بن جعفر عن عمر بن الحكم بن ثوبان عن عبدالرحمن بن عوف قال عبأنا رسول الله ص بليل فأصبحنا ونحن على صفوفنا فإذابغلامين ليس منهما واحد إلا قد [صفحه ١٤١] ربطت حمائل سيفه فى عنقه لصغره فالتفت إلى أحدهما فقال ياعم أيهم أبوجهل قال قلت و ماتصنع به يا ابن أخى قال بلغنى أنه يسب رسول الله ص فحلفت لئن رأيته لأقتلنه أولأموتن دونه فأشرت إليه فالتفت إلى الآخر و قال لى مثل ذلك فأشرت له إليه و قلت له من أنتما قالا ابنا الحارث

قـال فجعلاـ لايطرفـان عن أبى جهـل حتى إذا كـان القتال خلصا إليه فقتلاه وقتلهما. قال الواقـدى فحـدثنى محمـد بن عوف عن ابراهيم بن يحيى بن زيـد بن ثابت قال لما كان يومئذ قال عبدالرحمن ونظر إليهما عن يمينه و عن شـماله ليته كان إلى جنبى من هوأبـدن من هذين الصبيين فلم أنشب أن التفت إلى عوف فقال أيهم أبوجهل فقلت ذاك حيث ترى فخرج يعدو إليه كأنه سبع ولحقه أخوه فأنا أنظر إليهم يضـطربون بالسيوف ثم نظرت إلى رسول الله ص يمر بهم فى القتلى وهما إلى جانب أبى جهل . قال الواقدى وحدثنى محمد بن رفاعة بن ثعلبة قال سـمعت أبى ينكر ما يقول الناس فى ابنى عفراء من صغرهما و يقول كانا يوم بدر أصـغرهما ابن خمس وثلاثين سـنة فهذا يربط حمائل سـيفه قال الواقدى والقول الأول أثبت . وروى محمد بن عمار بن ياسر عن ربيع بنت معوذ قالت دخلت فى نسوة من الأنصار على أسـماء أم أبى جهل فى زمن عمر بن الخطاب و كان ابنها عبـد الله بن أبى ربيعـة يبعث إليهـا بعطر من اليمن فكـانت تبيعه إلى الأعطيـة فكنـا نشترى منهـا فلما جعلت لى فى قواريرى ووزنت لى كماوزنت لصواحبى قـال اكتبن لى عليكن حقى قلت نعم اكتب لهـا على الربيع بنت معوذ فقالت أسـماء خلفى وإنك [صـفحه ۱۴۲] لابنة قاتل سـيده فقلت لا ولكن ابنـة قاتل عبـده فقالت و الله لاأبيعك شـيئا أبدا فقلت أنا و الله لاأشترى منك أبدا فو الله ما هوبطيب و لاعرف و الله يابنى ماشـممت عطرا قط كان أطيب منه ولكنى يابنى غضـبت قال الواقدى فلما وضعت الحرب أوزارها أمر رسول الله ص أن يلتمس أبوجهل قال ابن مسـعود فوجـدته فى آخر رمق فوضـعت رجلى على عنقه فقلت الحمـد لله ألذى أخزاك قال إنما أخزى الله العبـد ابن أم عبدلقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صـعبا لمن الدبرة قلت لله ولرسوله قال ابن مسـعود فأقلع بيضـته عن قفـاه و قلت إنى قاتلـك قـال لست بـأول عبـدقتل سـيده أمـا إن أشـد مالقيته اليوم لقتلك إياى ألا يكون ولى قتلى رجل من الأحلاف أو من المطيبين قال فضـربه عبد الله ضـربة وقع رأسه بين يديه ثم سـلبه وأقبل بسلاحه ودرعه وبيضته فوضعها بين يدى رسول الله ص فقال أبشـر يانبى الله بقتل عدو الله أبى جهل فقال رسول الله أحقا يا عبد الله فو ألذى نفسى بيده لهو أحب إلى من حمر النعم أو كمـا قـال ثم قـال إنه أصـابه جحش من دفع دفعته فى مأدبـة ابن جـدعان فجحشت ركبته فالتمسوه فوجـدوا ذلك الأثر. قال الواقـدى وروى أن أباسـلمة بن عبدالأسـد المخزومى كان عنـد النبى ص تلك الساعـة فوجـد فى نفسه وأقبل على ابن مسـعود و قال أنت قتلته قال نعم الله قتله قال أبوسـلمة أنت وليت قتله قال نعم قال لوشاء لجعلك فى كمه فقال ابن مسـعود فقد و الله قتلته وجردته فقـال أبوسـلمة فمـا علامته قال شامـة سوداء ببطن فخـذه اليمنى فعرف أبوسـلمة النعت فقال أجردته و لم يجرد قرشى غيره فقال [صفحه ۱۴۳] ابن مسـعود إنه و الله لم يكن فى قريش و لا فى حلفائها أحد أعدى لله و لالرسوله منه و ماأعتذر من شىءصـنعته به فأمسك أبوسـلمة. قال الواقدى سمع أبوسلمة بعد ذلك يستغفر الله من كلامه فى أبى جهل و قال أللهم إنك قدأنجزت ماوعدتنى فتمم على نعمتك قال و كان عبد الله بن عتبة بن مسعود يقول سيف أبى جهل عندنا محلى بفضة غنمه عبد الله بن مسـعود يومئـذ. قال الواقـدى اجتمع قول أصـحابنا أن معاذ بن عمرو وابنى عفراء أثبتوه وضـرب ابن مسـعود عنقه فى آخر رمق فكل شرك فى قتله . قال الواقدى و قدروى أن رسول الله ص وقف على مصرع ابنى عفراء فقال يرحم الله ابنى عفراء فإنهما قدشـركا فى قتـل فرعون هـذه الأمـة ورأس أئمـة الكفر فقيل يا رسول الله و من قتله معهما قال الملائكـة وذفف عليه ابن مسـعود فكان قدشرك فى قتله -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۲۳۵ قال الواقـدى وحدثنى معمر عن الزهرى قال قال رسول الله ص يوم بدر أللهم اكفنى نوفل بن العدوية و هونوفل بن خويلد من بنى أسد بن عبدالعزى وأقبل نوفل يومئذ يصـيح و هومرعوب قدرأى قتل أصـحابه و كان فى أول ماالتقوا هم والمسلمون يصيح بصوت له زجل رافعا عقيرته يامعشر قريش إن هذااليوم يوم العلاء والرفعة فلمـا رأى قريشا قدانكشـفت جعل يصـيح بالأنصار ماحاجتكم إلى دمائنا أ ماترون من تقتلون أ مالكم فى اللبن من حاجـة فأسـره جبار بن صخر فهو يسوقه أمامه فجعل نوفل يقول لجبار ورأى عليا ع مقبلا نحوه ياأخا الأنصار من هذا واللات والعزى إنى لأرى رجلا إنه ليريدنى قال -روايت-۱-۲-روايت-۷۳-ادامه دارد [صفحه ۱۴۴] جبار هـذا على بن أبى طالب قال نوفل تالله مارأيت

كـاليوم رجلاـ أسرع فى قومه فصـمد له على ع فيضـربه فينشب سـيف على فى حجفته ساعـة ثم ينزعه فيضـرب به سـاقيه ودرعه مشـتمرة فيقطعها ثم أجهز عليه فقتله فقال رسول الله ص من له علم بنوفل بن خويلد قال على ع أناقتلته فكبر رسول الله ص و قال الحمد لله ألذى أجاب دعوتى فيه -روايت-از قبل-۳۴۰ . قال الواقدى وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال فالتقى هو و على ع وقتله على فكـان عمر بن الخطـاب يقول لابنه سـعيد بن العاص بن سـعيد بن العاص ما لى أراك معرضا تظن أنى قتلت أباك فقال سـعيد لوقتلته لكان على الباطل وكنت على الحق قال فقال عمر إن قريشا أعظم الناس أحلاما وأكثرها أمانـة لايبغيهم أحـد الغوائل إلاكبه الله لفيه . قال الواقدى وروى أن عمر قال لسعيد بن العاص ما لى أراك معرضا كأنى قتلت أباك يوم بدر و إن كنت لأعتذر من قتل مشرك لقد قتلت خالى بيدى العاص بن هاشم بن المغيرة. ونقلت من غير كتاب الواقدى أن عثمان بن عفان وسعيد بن العاص حضـرا عنـدعمر فى أيام خلافته فجلس سـعيد بن العاص حجرة فنظر إليه عمر فقال ما لى أراك معرضـا كـأنى قتلت أبـاك إنى لم أقتله ولكنه قتله أبوحسن و كـان على ع حاضـرا فقال أللهم غفرا ذهب الشـرك بما فيه ومحا الإسـلام ماقبله فلما ذا تهاج [صـفحه ۱۴۵] القلوب فسـكت عمر و قال سـعيد لقـد قتله كف ء كريم و هوأحب إلى من أن يقتله من ليس من بنى عبـدمناف . قال الواقدى و كان على ع يحدث فيقول إنى يومئذ بعد مامتع النهار ونحن والمشـركون قداختلطت صـفوفنا وصفوفهم خرجت فى إثر رجل منهم فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خيثمة وهما يقتتلان حتى قتل المشرك سعـد بن خيثمـة والمشـرك مقنع فى الحديـد و كـان فارسا فاقتحم عن فرسه فعرفنى و هومعلم فنادانى هلم يا ابن أبى طالب إلى البراز فعطفت إلى البراز فعطفت عليه فانحط إلى مقبلاـ وكنت رجلاـ قصـيرا فـانحططت راجعا لكى ينزل إلى كرهت أن يعلونى فقال يا ابن أبى طالب فررت فقلت قريبا مفر ابن الشتراء فلما استقرت قدماى وثبت أقبل فاتقيت فلما دنا منى ضربنى بالدرقة فوقع سيفه فلحـج فأضربه على عـاتقه و هودارع فـارتعش ولقـد قـط سـيفى درعه فظننت أن سـيفى سـيقتله فإذابريق سـيف من ورائى فطأطأت رأسـى ويقع السـيف فأطن قحف رأسه بالبيضـة و هو يقول خـذها و أنا ابن عبـدالمطلب فالتفت من ورائى فإذا هوحمزة عمى والمقتول طعيمة بن عدى -روايت-۱-۲-روايت-۴۳-۸۶۰ . قلت فى رواية محمد بن إسحاق بن يسار أن طعيمة بن عدى قتلـه على بـن أبى طـالب ع ثـم قـال وقيـل قتلـه حمزة. و فى روايـة الشـيعة قتلـه على بن أبى طـالب شـجره بالرمـح فقـال له و الله لاتخاصـمنا فى الله بعداليوم أبدا وهكذا روى محمد بن إسـحاق . [صفحه ۱۴۶] و روى محمد بن إسـحاق قال وخرج النبى ص من العريش إلى الناس ينظر القتال فحرض المسـلمين و قال كل امرئ بما أصاب و قال و ألـذى نفس محمدبيـده لايقاتلهم اليوم رجل فى جملة فيقتل صابرا محتسـبا مقبلا غيرمدبر إلاأدخله الله الجنة -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۲۳۶ فقال عمير بن الحمام أخو بنى سـلمة و فى يـده تمرات يأكلهن بـخ بـخ فما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتـل القوم حتى قتـل قال محمـد بن إسـحاق وحـدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة أن عوف بن الحارث و هو ابن عفراء قال لرسول الله ص يوم بـدر يا رسول الله ص مايضـحك الرب من عبده قال غمسه يده فى العدو حاسـرا فنزع عوف درعا كانت عليه وقـذفها ثم أخـذ سـيفه فقاتل القوم حتى قتل . قال الواقدى و ابن إسـحاق وأخذ رسول الله ص كفا من البطحاء فرماهم بها و قال شـاهت الوجـوه أللهـم أرعـب قلـوبهم وزلزل أقـدامهم -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۱۳۲ فـانهزم المشـركون لاـيلوون على شـىء والمسـلمون يتبعونهم يقتلون ويأسـرون . قال الواقدى و كان هبيرة بن أبى وهب المخزومى لمارأى الهزيمة انخزل ظهره فعقر فلم يسـتطع أن يقوم فأتاه أبوأسامة الجشمى حليفه ففتق درعه واحتمله ويقال ضربه أبوداود المازنى بالسيف فقطع درعه ووقع لوجهه وأخلـد إلى الأرض وجاوزه أبوداود وبصـر به ابنا زهير الجشـميان مالك و أبوأسامـة وهما حليفاه فذبا عنه حتى نجوا به واحتمله أبوأسامـة ومالك يذب عنه حتى خلصاه فقال رسول الله ص حماه كلباه الحليفان . [صـفحه ۱۴۷] قال الواقدى وحدثنى عمر بن عثمان عن عكاشـة بن محصن قال انقطع سـيفى يوم بدر فأعطانى رسول الله ص عودا فإذا هوسـيف أبيض طويل فقاتلت به حتى

هزم الله المشركين و لم يزل ذلك السيف عندعكاشة حتى هلك . قال و قدروى رجال من بنى عبدالأشهل عدة قالوا انكسر سيف سلمة بن أسلم بن حريش يوم بدر فبقى أعزل لاسلاح معه فأعطاه رسول الله ص قضيبا كان فى يده من عراجين ابن طاب فقال اضرب به فإذا هوسيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد. قال الواقدى وأصاب حارثة بن سراقة و هويكرع فى الحوض سهم غرب من المشركين فوقع فى نحره فمات فلقد شرب القوم آخر النهار من دمه وبلغ أمه وأخته وهما بالمدينة مقتله فقالت أمه و الله لاأبكى عليه حتى يقدم رسول الله ص فأسأله فإن كان فى الجنة لم أبك عليه و إن كان فى النار بكيته لعمر الله فأعولته فلما قدم رسول الله ص من بدر جاءت أمه إليه فقالت يا رسول الله قدعرفت موضع حارثة فى قلبى فأردت أن أبكى عليه ثم قلت لاأفعل حتى أسأل رسول الله ص عنه فإن كان فى الجنة لم أبكه و إن كان فى النار بكيته فأعولته فقال النبى ص هبلت أجنة واحدة إنها جنان كثيرة و ألذى نفسى بيده إنه لفى الفردوس الأعلى قالت فلاأبكى عليه أبدا. قال الواقدى ودعا رسول الله ص حينئذ بماء فى إناء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة بن سراقة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت [صفحه ۱۴۸] ثم أمرهما فنضحتا فى جيوبهما ثم رجعتا من عند النبى ص و مابالمدينة امرأتان أقر عينا منهما و لاأسر. قال الواقدى و كان حكيم بن حزام يقول انهزمنا يوم بدر فجعلت أسعى وأقول قاتل الله ابن الحنظلية يزعم أن النهار قدذهب و الله إن النهار لكما هو قال حكيم و ماذا بى إلاحبا أن يأتى الليل فيقصر عنا طلب القوم فيدرك حكيم عبيد الله و عبدالرحمن بنى العوام على جمل لهما فقال عبدالرحمن لأخيه انزل فاحمل أباخالد و كان عبيد الله رجلا أعرج لارجلة به فقال عبيد الله إنه لارجلة بى كماترى و قال عبدالرحمن و الله أن منه لابد ألا نحمل رجلا إن متنا كفانا ماخلفنا من عيالنا و إن عشنا حملنا كلنا فنزل عبدالرحمن وأخوه الأعرج فحملاه فكانوا يتعاقبون الجمل فلما دنا من مكة و كان بمر الظهران قال و الله لقد رأيت هاهنا أمرا ما كان يخرج على مثله أحد له رأى ولكنه شؤم ابن الحنظلية إن جزورا نحرت هاهنا فلم يبق خباء إلاأصابه من دمها فقالا قدرأينا ذلك ولكن رأيناك وقومك قدمضيتم فمضينا معكم و لم يكن لنا معكم أمر. قال الواقدى فحدثنى عبدالرحمن بن الحارث عن مخلد بن خفاف عن أبيه قال كانت الدروع فى قريش كثيرة يومئذ فلما انهزموا جعلوا يلقونها وجعل المسلمون يتبعونهم ويلقطون ماطرحوا ولقد رأيتنى يومئذ التقطت ثلاث أدرع جئت بهاأهلى فكانت عندنا بعدفزعم لى رجل من قريش ورأى درعا منها عندنا فعرفها قال هذه درع الحارث بن هشام . قال الواقدى وحدثنى محمد بن حميد عن عبد الله بن عمرو بن أمية قال أخبرنى من انكشف من قريش يومئذ منهزما وإنه ليقول فى نفسه مارأيت مثل هذافر منه إلاالنساء. [صفحه ۱۴۹] قال الواقدى كان قباث بن أشيم الكنانى يقول شهدت مع المشركين بدرا وإنى لأنظر إلى قلة أصحاب محمد فى عينى وكثرة من معنا من الخيل و الرجل فانهزمت فيمن انهزم فلقد رأيتنى وإنى لأنظر إلى المشركين فى كل وجه وإنى لأقول فى نفسى مارأيت مثل هذاالأمر فر منه إلاالنساء وصاحبنى رجل فبينا هويسير معى إذ لحقنا من خلفنا فقلت لصاحبى أبك نهوض قال لا و الله مابى قال وعقر وترفعت فلقد صبحت غيقة قال وغيقة عن يسار السقيا بينها و بين الفرع ليلة و بين الفرع والمدينة ثمانية برد قبل الشمس كنت هاديا بالطريق و لم أسلك المحاج وخفت من الطلب فتنكبت عنها فلقينى رجل من قومى بغيقة فقال ماوراءك قلت لا شيءقتلنا وأسرنا وانهزمنا فهل عندك من حملان قال فحملنى على بعير وزودنى زادا حتى لقيت الطريق بالجحفة ثم مضيت حتى دخلت مكة وإنى لأنظر إلى الحيسمان بن حابس الخزاعى بالغميم فعرفت أنه تقدم ينعى قريشا بمكة فلو أردت أن أسبقه لسبقته فتنكبت عنه حتى سبقنى ببعض النهار فقدمت و قدانتهى إلى مكة خبر قتلاهم وهم يلعنون الخزاعى ويقولون ماجاءنا بخير فمكثت بمكة فلما كان بعدالخندق قلت لوقدمت المدينة فنظرت ما يقول محمد و قدوقع فى قلبى الإسلام فقدمت المدينة فسألت عن رسول الله ص فقالوا هوذاك فى ظل المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته و أنا لاأعرفه من بينهم فسلمت فقال ياقباث بن أشيم أنت القائل يوم بدر مارأيت مثل هذاالأمر فر منه إلاالنساء قلت أشهد أنك رسول الله و أن هذاالأمر ماخرج منى إلى أحد قط و ماترمرمت به

إلاشيئا حدثت به نفسى فلو لاأنك نبى ماأطلعك الله عليه هلم حتى أبايعك فأسلمت [صفحه ١٥٠] قال الواقدى و قدروى أنه لماتوجه المشركون إلى بدر كان فتيان ممن تخلف عنهم بمكة سمارا يسمرون بذى طوى فى القمر حتى يذهب الليل يتناشدون الأشعار ويتحدثون فبينا هم كذلك إذ سمعوا صوتا قريبا منهم و لايرون القائل رافعا صوته يتغنى أزاد الحنيفيون بدرا مصيبة || سينقض منها ركن كسرى وقيصرا أرنت لها صم الجبال وأفزعت || قبائل ما بين الوتير فخيبرا أجازت جبال الأخشبين وجردت || حرائر يضربن الترائب حسرا . قال الواقدى أنشدنيه ورواه لى عبد الله بن أبى عبيدة عن محمد بن عمار بن ياسر قال فاستمعوا الصوت فلايرون أحدا فخرجوا فى طلبه فلم يروا أحدا فخرجوا فزعين حتى جازوا الحجر فوجدوا مشيخة منهم جلة سمارا فأخبروهم الخبر فقالوا لهم إن كان ماتقولون فإن محمدا وأصحابه يسمون الحنيفية قال فلم يبق أحد من الفتيان الذين كانوا بذى طوى إلاوعك فما مكثوا إلاليلتين أوثلاثا حتى قدم الحيسمان الخزاعى بخبر أهل بدر و من قتل منهم فجعل يخبرهم فيقول قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقتل ابنا الحجاج و أبوالبخترى وزمعة بن الأسود قال وصفوان بن أمية فى الحجر جالس يقول لايعقل هذاشيئا مما يتكلم به سلوه عنى فقالوا صفوان بن أمية لك به علم قال نعم هوذاك فى الحجر ولقد رأيت أباه وأخاه مقتولين ورأيت سهيل بن عمرو والنضر بن الحارث أسيرين رأيتهما مقرونين فى الحبال . [صفحه ١٥١] قال الواقدى وبلغ النجاشى مقتل قريش و ماظفر الله به رسوله فخرج فى ثوبين أبيضين ثم جلس على الأرض ودعا جعفر بن أبى طالب وأصحابه فقال أيكم يعرف بدرا فأخبروه فقال أناعارف بها قدرعيت الغنم فى جوانبها هى من الساحل على بعض نهار ولكنى أردت أن أتثبت منكم قدنصر الله رسوله ببدر فاحمدوا الله على ذلك فقال بطارقته أصلح الله الملك إن هذا شىء لم تكن تصنعه يريدون لبس البياض والجلوس على الأرض فقال إن عيسى ابن مريم كان إذاحدثت له نعمة ازداد بهاتواضعا. قال الواقدى فلما رجعت قريش إلى مكة قام فيهم أبوسفيان بن حرب فقال يامعشر قريش لاتبكوا على قتلاكم و لاتنح عليهم نائحة و لايندبهم شاعر وأظهروا الجلد والعزاء فإنكم إذانحتم عليهم وبكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم فأكلكم ذلك عن عداوة محمد وأصحابه مع أن محمدا إن بلغه وأصحابه ذلك شمتوا بكم فتكون أعظم المصيبتين ولعلكم تدركون ثأركم فالدهن والنساء على حرام حتى أغزو محمدا فمكثت قريش شهرا لايبكيهم شاعر و لاتنوح عليهم نائحة. قال الواقدى و كان الأسود بن المطلب قدذهب بصره و قدكمد على من قتل من ولده و كان يحب أن يبكى عليهم فتأبى عليه قريش ذلك فكان يقول لغلامه بين اليومين ويلك احمل معى خمرا واسلك بى الفج ألذى سلكه أبوحكيمة يعنى زمعة ولده المقتول ببدر فيأتى به غلامه على الطريق عند ذلك الفج فيجلس فيسقيه الخمر [صفحه ١٥٢] حتى ينتشى ثم يبكى على أبى حكيمة وإخوته ثم يحثى التراب على رأسه و يقول لغلامه ويحك اكتم على فإنى أكره أن تعلم بى قريش إنى أراها لم تجمع البكاء على قتلاها. قال الواقدى حدثنى مصعب بن ثابت عن عيسى بن معمر عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت قالت قريش حين رجعوا إلى مكة لاتبكوا على قتلاكم فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم و لاتبعثوا فى أسراكم فيأرب بكم القوم ألا فأمسكوا عن البكاء. قال و كان الأسود بن المطلب أصيب له ثلاثة من ولده زمعة وعقيل والحارث بن زمعة فكان يحب أن يبكى على قتلاه فبينا هوكذلك إذ سمع نائحة من الليل فقال لغلامه و قدذهب بصره انظر هل بكت قريش على قتلاها لعلى أبكى على أبى حكيمة يعنى زمعة فإن جوفى قداحترق فذهب الغلام ورجع إليه فقال إنما هى امرأة تبكى على بعيرها قدأضلته فقال الأسود تبكى أن يضل لها بعير || ويمنعها من النوم السهود فلاتبكى على بكر ولكن || على بكر تصاغرت الخدود فبكى إن بكيت على عقيل || وبكى حارثا أسد الأسود وبكيهم و لاتسمى جميعا || فما لأبى حكيمة من نديد [صفحه ١٥٣] على بدر سراة بنى هصيص || ومخزوم ورهط أبى الوليد ألا قدساد بعدهم رجال || و لو لا يوم بدر لم يسودوا . قال الواقدى ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة فقلن أ لاتبكين على أبيك وأخيك وعمك و أهل بيتك فقالت حلأنى أن أبكيهم فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بنا ونساء بنى الخزرج لا و الله حتى أثأر

محمـدا وأصـحابه والـدهن على حرام إن دخـل رأسـى حتى نغزو محمـدا و الله لوأعلم أن الحزن يـذهب عن قلبى لبكيت ولكن لايـذهبه إلاـ أن أرى ثأرى بعينى من قتلـهٔ الأحبـهٔ فمكثت على حالها لاتقرب الـدهن و لاقربت فراش أبى سـفيان من يوم حلفت حتى كانت وقعـهٔ أحـد. قال الواقـدى وبلغ نوفل بن معاويـهٔ الديلى و هو فى أهله و قد كان شـهد معهم بدرا أن قريشا بكت على قتلاها فقـدم مكهٔ فقال يامعشـر قريش لقد خفت أحلامكم وسـفه رأيكم وأطعتم نساءكم أمثل قتلاكم يبكى عليهم هم أجل من البكاء مع أن ذلك يذهب غيظكم عن عداوهٔ محمد وأصحابه فلاينبغى أن يذهب الغيظ عنكم إلا أن تدركوا ثأركم من عدوكم فسمع أبوسفيان بن حرب كلامه فقال يا أبامعاويهٔ غلبت و الله ماناحت امرأهٔ من بنى عبدشمس على قتيل لها إلى اليوم و لابكاهم شـاعر إلاـنهيته حتى نـدرك ثأرنـا من محمـد وأصـحابه وإنى لأنـا الموتور الثائر قتل ابنى حنظلـهٔ وسادهٔ أهل هـذاالوادى أصبح هذاالوادى مقشـعرا لفقدهم . قال الواقدى وحدثنى معاذ بن محمدالأنصارى عن عاصم بن عمر بن قتادهٔ قال لمارجع المشـركون إلى مكـهٔ و قدقتل صـناديدهم وأشـرافهم أقبل عمير بن وهب بن عمير الجمحى حتى جلس إلى صـفوان بن أميهٔ فى الحجر فقال صفوان بن أميهٔ قبح العيش [صـفحه ۱۵۴] بعـدقتلى بـدر قال عمير بن وهب أجل و الله ما فى العيش بعدهم خير و لو لادين على لاأجد له قضاء وعيال لاأدع لهم شـيئا لرحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عينى منه فإنه بلغنى أنه يطوف فى الأسواق فإن لى عنـدهم علـهٔ أقول قـدمت على ابنى هذاالأسير ففرح صـفوان بقوله و قال يا أباأميهٔ وهل نراك فاعلا قال إى ورب هذه البنيهٔ قال صفوان فعلى دينك وعيالك أسوهٔ عيالى فأنت تعلم أنه ليس بمكـهٔ رجل أشد توسـعا على عياله منى قال عمير قدعرفت ذلك يا أباوهب قال صفوان فإن عيالك مع عيالى لايسعنى شىء ونعجز عنهم ودينك على فحمله صفوان على بعيره وجهزه وأجرى على عياله مثل مايجرى على عيال نفسه وأمر عمير بسـيفه فشحذ وسم ثم خرج إلى المدينهٔ و قال لصفوان اكتم على أياما حتى أقدمها وخرج فلم يـذكره صـفوان وقـدم عمير فنزل على باب المسـجد وعقل راحلته وأخـذ السـيف فتقلـده ثم عمد نحو رسول الله ص وعمر بن الخطاب فى نفر من المسـلمين يتحـدثون ويـذكرون نعمهٔ الله عليهم فى بدر فرأى عميرا و عليه السـيف ففزع عمر منه و قال لأصـحابه دونكم الكلب هـذاعمير بن وهب عدو الله ألذى حرش بيننا يوم بدر وحزرنا للقوم وصـعد فينا وصوب يخبر قريشـا أنه لاعـدد لنا و لاكمين فقاموا إليه فأخـذوه فانطلق عمر إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله هذاعمير بن وهب قددخل المسـجد ومعه السـلاح و هوالغادر الخبيث ألذى لايؤمن على شـىء فقال النبى ص أدخله على فخرج عمر فأخذ بحمائل سـيفه فقبض بيده عليها وأخـذ بيده الأخرى قائم السـيف ثم أدخله على رسول الله ص فلما رآه قال ياعمر تأخر عنه فلما دنا عمير إلى النبى ص قال أنعم صـباحا فقـال له النـبى ص قـدأكرمنا الله عن تحيتـك وجعـل تحيتنـا السـلام وهى تحيـهٔ أهـل الجنـهٔ قـال عمير إن عهـدك بهالحديث فقال النبى ص قدأبدلنا [صـفحه ۱۵۵] الله خيرا فما أقـدمك ياعمير قال قدمت فى أسـيرى عندكم تفادونه وتقاربوننا فيه فإنكم العشيرهٔ والأصل قال النبى ص فما بال السيف قال عمير قبحها الله من سيوف وهل أغنت من شىءإنما نسيته حين نزلت و هو فى رقبتى ولعمرى إن لى لهما غيره فقال رسول الله ص اصدق ياعمير ما ألذى أقدمك قال ماقدمت إلا فى أسيرى قال ص فما شـرطت لصـفوان بن أميهٔ فى الحجر ففزع عمير و قال ماذا شرطت له قال تحملت بقتلى على أن يقضى دينك ويعول عيالك و الله حائل بينك و بين ذلك قال عمير أشـهد أنك صادق وأشهد أن لاإله إلا الله كنا يا رسول الله نكذبك بالوحى وبما يأتيك من السـماء و إن هذاالحديث كان بينى و بين صـفوان كما قلت لم يطلع عليه غيره وغيرى و قدأمرته أن يكتمه ليالى فأطلعك الله عليه فآمنت بالله ورسوله وشـهدت أن ماجئت به حق الحمد لله ألذى ساقنى هذاالمساق وفرح المسلمون حين هداه الله و قال عمر بن الخطـاب لخنزير كـان أحب إلى منه حين طلع و هوالساعـهٔ أحب إلى من بعض ولـدى و قـال النبى ص علموا أخـاكم القرآن وأطلقوا له أسيره فقال عمير يا رسول الله إنى كنت جاهدا على إطفاء نور الله فله الحمد أن هدانى فأذن لى فألحق قريشا فأدعوهم إلى الله و إلى الإسلام فلعل الله يهديهم ويستنقذهم من الهلكهٔ فأذن له فخرج فلحق بمكهٔ و كان صفوان يسأل عن عمير بن وهب

كل راكب يقدم من المدينة يقول هل حدث بالمدينة من حدث و يقول لقريش أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر فقدم رجل من المدينة فسأله صفوان عن عمير فقال أسلم فلعنه صفوان ولعنه المشركون بمكة وقالوا صبأ عمير وحلف صفوان ألا يكلمه أبدا و لاينفعه وطرح عياله وقدم عمير فنزل فى أهله و لم يأت صفوان وأظهر الإسلام فبلغ صفوان فقال قدعرفت حين لم يبدأ بى قبل منزله و قد كان رجل [صفحه ۱۵۶] أخبرنى أنه ارتكس لاأكلمه من رأسى أبدا و لاأنفعه و لاعياله بنافعة أبدا فوقع عليه عمير و هو فى الحجر فقال يا أباوهب فأعرض صفوان عنه فقال عمير أنت سيد من ساداتنا أرأيت ألذى كنا عليه من عبادة حجر والذبح له أ هذادين أشهد أن لاإله إلا الله و أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وأسلم مع عمير بشر كثير. قال الواقدى و كان فتية من قريش خمسة قدأسلموا فاحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع أهلهم وقومهم إلى بدر وهم على الشك والارتياب لم يخلصوا إسلامهم وهم قيس بن الوليد بن المغيرة و أبوقيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود و على بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج فلما قدموا بدرا ورأوا قلة أصحاب النبى ص قالوا غر هؤلاء دينهم ففيهم أنزل إِذ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَ الّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ غَرّ هؤُلاءِ دِينُهُم ثم أنزل فيهم إِنّ الّذِينَ تَوَفّاهُمُ المَلائِكَةُ ظالِمِي أَنفُسِهِم قالُوا فِيمَ كُنتُم قالُوا كُنّا مُستَضعَفِينَ فِي الأَرضِ قالُوا أَ لَم تَكُن أَرضُ اللّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها إلى تمام ثلاث آيات . قال فكتب بهاالمهاجرون بالمدينة إلى من أقام بمكة مسلما فقال جندب بن ضمرة الخزاعى لاعذر لى و لاحجة فى مقامى بمكة و كان مريضا فقال لأهله أخرجونى لعلى أجد روحا قالوا أى وجه أحب إليك قال نعم التنعيم فخرجوا به إلى التنعيم و بين التنعيم ومكة أربعة أميال من طريق المدينة فقال أللهم إنى خرجت إليك مهاجرا فأنزل الله تعالى وَ مَن يَخرُج مِن بَيتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللّهِ وَ رَسُولِهِالآية فلما رأى ذلك من كان بمكة ممن يطيق الخروج خرجوا فطلبهم أبوسفيان فى رجال من المشركين -قرآن-۶۸۹-۷۶۹-قرآن-۷۸۵-۹۶۲-قرآن-۱۳۲۶-۱۳۸۶ [صفحه ۱۵۷] فردوهم وسجنوهم فافتتن منهم ناس و كان الذين افتتنوا إنما افتتنوا حين أصابهم البلاء فأنزل الله تعالى فيهم وَ مِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ آمَنّا بِاللّهِ فَإِذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتنَةَ النّاسِ كَعَذابِ اللّهِالآية و مابعدها فكتب بهاالمهاجرون بالمدينة إلى من كان بمكة مسلما فلما جاءهم الكتاب بما أنزل فيهم قالوا أللهم إن لك علينا إن أفلتنا ألا نعدل بك أحدا فخرجوا الثانية فطلبهم أبوسفيان والمشركون فأعجزوهم هربا فى الجبال حتى قدموا المدينة واشتد البلاء على من ردوا من المسلمين فضربوهم وآذوهم وأكرهوهم على ترك الإسلام ورجع ابن أبى سرح مشركا فقال لقريش ما كان يعلم محمدا إلا ابن قمطة عبدنصرانى لقد كنت أكتب له فأحول ماأردت فأنزل الله تعالى وَ لَقَد نَعلَمُ أَنّهُم يَقُولُونَ إِنّما يُعَلّمُهُ بَشَرٌالآية -قرآن-۱۱۵-۲۲۳-قرآن-۶۸۹-۷۴۸

القول فى نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين

اختلف المسلمون فى ذلك فقال الجمهور منهم نزلت الملائكة حقيقة كماينزل الحيوان والحجر من الموضع العالى إلى الموضع السافل . و قال قوم من أصحاب المعانى غير ذلك . واختلف أرباب القول الأول فقال الأكثرون نزلت وحاربت و قال قوم منهم نزلت و لم تحارب وروى كل قوم فى نصرة قولهم روايات . فقال الواقدى فى كتاب المغازى حدثنى عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس قال سمعت ابن عباس يقول لماتواقف الناس أغمى على رسول الله [صفحه ۱۵۸] ص ساعة ثم كشف عنه فبشر المؤمنين بجبرائيل فى جند من الملائكة فى ميمنة الناس وميكائيل فى جند آخر فى ميسرة الناس وإسرافيل فى جند آخر فى ألف و كان إبليس قدتصور للمشركين فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى يذمر المشركين ويخبرهم أنه لاغالب لهم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه و قال إِنّي بَرِيءٌ مِنكُم إِنّي أَرى ما لا تَرَونَفتشبث به الحارث بن هشام و هويرى أنه سراقة لماسمع من كلامه فضرب فى صدر الحارث فسقط الحارث وانطلق إبليس لايرى حتى وقع فى البحر ورفع يديه قائلا

يارب موعدك ألذى وعدتنى وأقبل أبوجهل على أصحابه يحضهم على القتال و قال لايغرنكم خذلان سراقة بن جعشم إياكم فإنما كان على ميعاد من محمد وأصحابه سيعلم إذارجعنا إلى قديد مانصنع بقومه و لايهولنكم مقتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا وايم الله لانرجع اليوم حتى نقرن محمدا وأصحابه فى الجبال فلاألفين أحدا منكم قتل منهم أحدا ولكن خذوهم أخذا نعرفهم بالذى صنعوا لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عما كان يعبد آباؤهم . قال الواقدى وحدثنى عتبة بن يحيى عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه قال إن كنا لنسمع لإبليس يومئذ خوارا ودعاء بالثبور والويل وتصور فى صورة سراقة بن جعشم حتى هرب فاقتحم البحر ورفع يديه مادا لهما يقول يارب ماوعدتنى ولقد كانت قريش بعد ذلك تعير سراقة بما صنع يومئذ فيقول و الله ماصنعت شيئا. قال الواقدى فحدثنى أبوإسحاق الأسلمى عن الحسن بن عبيد الله مولى بنى العباس عن عمارة الليثى قال حدثنى شيخ صياد من الحى و كان يومئذ على ساحل البحر قال سمعت صياحا ياويلاه ياويلاه قدملأ الوادى ياحرباه ياحرباه فنظرت فإذاسراقة بن جعشم فدنوت منه فقلت ما لك فداك أبى وأمى فلم يرجع إلى شيئا ثم أراه اقتحم البحر ورفع يديه مادا يقول يارب ماوعدتنى فقلت -قرآن-٣١١-٣٥٨ [صفحه ١٥٩] فى نفسى جن وبيت الله سراقة و ذلك حين زاغت الشمس و ذلك عندانهزامهم يوم بدر. قال الواقدى قالوا كانت سيماء الملائكة عمائم قدأرخوها بين أكتافهم خضراء وصفراء وحمراء من نور والصوف فى نواصى خيلهم . قال الواقدى حدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال قال رسول الله ص يوم بدر إن الملائكة قدسومت فسوموا فأعلم المسلمون بالصوف فى مغافرهم وقلانسهم قال الواقدى حدثنى محمد بن صالح قال كان أربعة من أصحاب محمدص يعلمون فى الزحوف حمزة بن عبدالمطلب كان يوم بدر معلما بريشة نعامة و كان على ع معلما بصوفة بيضاء و كان الزبير معلما بعصابة صفراء و كان أبودجانة يعلم بعصابة حمراء و كان الزبير يحدث أن الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمائم صفر فكانت على صورة الزبير. قال الواقدى فروى عن سهيل بن عمرو قال لقد رأيت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض معلمين يقبلون ويأسرون . قال الواقدى و كان أبوأسد الساعدى يحدث بعد أن ذهب بصره و يقول لوكنت معكم الآن ببدر ومعى بصرى لأريتكم الشعب ألذى خرجت منه الملائكة لاأشك فيه و لاأمترى قال و كان أسيد يحدث عن رجل من بنى غفار حدثه قال أقبلت أنا و ابن عم لى يوم بدر حتى صعدنا على جبل ونحن يومئذ على الشرك ننظر الوقعة و على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب إذ رأيت سحابة دنت منا فسمعت منها [صفحه ١٦٠] همهمة الخيل وقعقعة الحديد وسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه فمات و أما أنافكدت أهلك فتماسكت وأتبعت بصرى حيث تذهب السحابة فجاءت إلى النبى ص وأصحابه ثم رجعت و ليس فيها شيءمما كنت أسمع . قال الواقدى وحدثنى خارجة بن ابراهيم بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه قال سأل رسول الله ص جبرائيل من القائل يوم بدر أقبل حيزوم فقال جبرائيل يا محمد ما كل أهل السماء أعرف -روايت-١-٢-روايت-٩٣-١٩٩ قال الواقدى وحدثنى عبدالرحمن بن الحارث عن أبيه عن جده عبيدة بن أبى عبيدة عن أبى رهم الغفارى عن ابن عم له قال بينا أنا و ابن عم لى على ماء بدر فلما رأينا قلة من مع محمد وكثرة قريش قلنا إذاالتقت الفئتان عمدنا إلى عسكر محمد وأصحابه فانتهبناه فانطلقنا نحو المجنبة اليسرى من أصحاب محمد ونحن نقول هؤلاء ربع قريش فبينا نحن نمشى فى الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا فرفعنا أبصارنا لها فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه أقدم حيزوم وسمعناهم يقولون رويدا تتاءم أخراكم فنزلوا على ميمنة رسول الله ص ثم جاءت أخرى مثل تلك فكانت مع النبى ص فنظرنا إلى أصحاب محمد و إذاهم على الضعف من قريش فمات ابن عمى و أما أنافتماسكت وأخبرت النبى ص بذلك وأسلمت . قال الواقدى و قدروى عن رسول الله ص أنه قال مارئى الشيطان يوما هو فيه أصغر و لاأحقر و لاأدحر و لاأغضب منه فى يوم عرفة و ماذاك إلا لمارأى من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام إلا مارأى يوم بدر قيل و مارأى -روايت-١-٢-روايت-٥٤-ادامه دارد [

صفحه ۱۶۱] یا رسول الله یوم بـدر قال أماإنه رأی جبریل یوزع الملائکة -روایت-از قبل-۶۶ قدروی عن رسول الله ص أنه قال یومئذ هذاجبرائیل یسوق بریح کأنه دحیة الکلبی إنی نصـرت بالصبا وأهلکت عاد بالدبور -روایت-۱-۲-روایت-۴۴-۱۲۶ . قال الواقـدی و کان عبـدالرحمن بن عوف یقول رأیت یوم بـدر رجلین أحـدهما عن یمین النبی ص والآخر عن یساره یقاتلان أشـد القتـال ثم ثلثهما ثالث من خلفه ثم ربعهما رابع أمامه . قال و قـدروی سـعد بن أبی وقاص مثل ذلک قال رأیت رجلین یوم بـدر یقاتلان عن النبی ص أحـدهما عن یمینه والآخر عن یساره وإنی لأراه ینظر إلی ذا مرة و إلی ذا مرة سـرورا بما فتحه الله تعالی . قال الواقـدی وحدثنی إسـحاق بن یحیی عن حمزة بن صـهیب عن أبیه قال ماأدری کم ید مقطوعة وضـربة جائفة لم یدم کلمها یوم بـدر قدرأیتها. قال الواقدی وروی أبوبردة بن نیار قال جئت یوم بدر بثلاثة رءوس فوضـعتها بین یدی رسول الله ص فقلت یا رسول الله أمااثنـان فقتلتهمـا و أماالثـالث فـإنی رأیت رجلاـ طویلا أبیض ضـربه فتدهـده أمامه فأخـذت رأسه فقال رسول الله ص ذاک فلان من الملائکـة. قال الواقـدی و کان ابن عباس رحمه الله یقول لم تقاتل الملائکـة إلا یوم بـدر -روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۸۳ . [صفحه ۱۶۲] قال وحدثنی ابن أبی حبیبة عن داود بن الحصـین عن عکرمة عن ابن عباس قال کان الملک یتصور فی صورة من یعرفه المسلمون من الناس لیثبتهم فیقول إنی قددنوت من المشرکین فسمعتهم یقولون لوحملوا علینا ماثبتنا لهم ولیسوا بشـیء فاحملوا علیهم و ذلک قول الله عز و جل إِذ یُوحِی رَبّکَ إِلَی المَلائِکَةِ أَنّی مَعَکُم فَثَبّتُوا الّذِینَ آمَنُواالآیة -روایت-۱-۲-روایت-۷۸-۳۵۹ . قال الواقدی وحدثنی موسی بن محمد عن أبیه قال کان السائب بن أبی حبیش الأسدی یحدث فی زمن عمر بن الخطاب فیقول و الله ماأسرنی یوم بدر أحد من الناس فیقال فمن فیقول لماانهزمت قریش انهزمت معها فیدرکنی رجل أبیض طویل علی فرس أبلق بین السمـاء و الأرض فأوثقنی رباطا وجاء عبـدالرحمن بن عوف فوجدنی مربوطا و کان عبدالرحمن ینادی فی العسکر من أسر هـذافلیس أحد یزعم أنه أسـرنی حتی انتهی بی إلی رسول الله ص فقال لی رسول الله یا ابن أبی حبیش من أسـرک قلت لاـأعرفه وکرهت أن أخبره بالـذی رأیت فقـال رسول الله ص أسـره ملـک من الملائکـة کریم اذهب یـا ابن عوف بأسـیرک فذهب بی عبدالرحمن قال السائب و مازالت تلک الکلمة أحفظها وتأخر إسـلامی حتی کان من إسـلامی ما کان . قال الواقـدی و کان حکیم بن حزام یقول لقـد رأیتنا یوم بـدر و قدوقع بوادی خلص بجاد من السـماء قدسد الأفق قال ووادی خلص ناحیة الرویثة قال فإذاالوادی یسیل نملا فوقع فی نفسی أن هذا شیء من السماء أید به محمدفما کانت إلاالهزیمة وهی الملائکة. [صفحه ۱۶۳] قال الواقـدی و قـدقالوا إنه لماالتحم القتال و رسول الله ص رافع یـدیه یسأل الله النصـر و ماوعده و یقول أللهم إن ظهرت علی هـذه العصابـة ظهر الشـرک و لایقوم لک دین و أبوبکر یقول و الله لینصـرنک الله ولیبیضن وجهک فأنزل الله تعالی ألفا من الملائکة مردفین عندأکتاف العدو فقال رسول الله ص یا أبابکر أبشـر هذاجبرائیل معتجر بعمامة صـفراء آخذ بعنان فرسه بین السماء و الأرض ثم قال إنه لمانزل الأرض تغیب عنی ساعة ثم طلع علی ثنایاه النقع یقول أتاک النصر من الله إذ دعوته . قال الواقدی وحدثنی موسـی بن یعقوب عن عمه قال سـمعت أبابکر بن سـلیمان بن أبی خیثمة یقول سـمعت مروان بن الحکم یسأل حکیم بن حزام عن یوم بدر فجعل الشـیخ یکره ذلک حتی ألح علیه فقال حکیم التقینا فاقتتلنا فسـمعت صوتا وقع من السماء إلی الأرض مثل وقع الحصاة فی الطست وقبض النبی ص القبضـة فرمی بهافانهزمنا. قال الواقدی و قدروی عبد الله بن ثعلبة بن صـغیر قال سـمعت نوفل بن معاویـة الـدؤلی یقول انهزمنا یوم بدر ونحن نسـمع کوقع الحصـی فی الطساس بین أیدینا و من خلفنا فکان ذلـک أشـد الرعب علینـا فأمـا الـذین قـالوا نزلت الملائکـة و لم تقاتـل فـذکر الزمخشـری فی کتابه فی تفسـیر القرآن المعروف بالکشاف أن قوما أنکروا قتال الملائکة یوم بدر وقالوا لوقاتل واحد من الملائکة جمیع البشـر لم یثبتوا له ولاستأصـلهم بأجمعهم ببعض قوته فإن جبرائیل ع رفع مـدائن قوم لوط کماجاء فی الخبر علی خافقة من جناحه [صـفحه ۱۶۴] حتی بلغ بها إلی السماء ثم قلبهـا فجعل عالیها سافلها فما عسـی أن یبلغ قوة ألف رجل من قریش لیحتاج فی مقاومتها وحربها إلی ألف ملک من ملائکة

السماء مضافين إلى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا من بنى آدم وجعل هؤلاء قوله تعالى فَاضرِبُوا فَوقَ الأعناقِأمرا للمسلمين لاأمرا للملائكة. ورووا فى نصرة قولهم روايات قالوا وإنما كان نزول الملائكة ليكثروا سواد المسلمين فى أعين المشركين فإنهم كانوا يرونهم فى مبدأ الحال قليلين فى أعينهم كما قال تعالى وَ يُقَلِّلُكُمليطمع المشركون فيهم ويجترءوا على حربهم فلما نشبت الحرب كثرهم الله تعالى بالملائكة فى أعين المشركين ليفروا و لايثبتوا وأيضا فإن الملائكة نزلت وتصورت بصور البشر الذين يعرفهم المسلمون وقالوا لهم ماجرت العادة أن يقال مثله من تثبيت القلوب يوم الحرب نحو قولهم ليس المشركون بشىء لاقوة عندهم لاقلوب لهم لوحملتم عليهم لهزمتموهم وأمثال ذلك . ولقائل أن يقول إذا كان قادرا على أن يقلل ثلاثمائة إنسان فى أعين قريش حتى يظنوهم مائة فهو قادر على أن يكثرهم فى أعين قريش بعدالتقاء حلقتى البطان فيظنوهم ألفين وأكثر من غيرحاجة إلى إنزال الملائكة. فإن قلت لعل فى إنزالهم لطفا للمكلفين قلت ولعل فى محاربتهم لطفا للمكلفين و أماأصحاب المعانى فإنهم لم يحملوا الكلام على ظاهره ولهم فى تأويله قول ليس هذاموضع ذكره -قرآن-۲۲۸-۲۵۳-قرآن-۴۵۸-۴۷۱ [صفحه ۱۶۵]

القول فيما جرى فى الغنيمة والأسارى بعدهزيمة قريش ورجوعها إلى مكة

قال الواقدى لماتصاف المشركون والمسلمون قال النبى ص من قتل قتيلا فله كذا وكذا و من أسر أسيرا فله كذا وكذا فلما انهزم المشركون كان الناس ثلاث فرق فرقة قامت عندخيمة رسول الله ص و كان أبوبكر معه فى الخيمة وفرقة أغارت على النهب تنتهب وفرقة طلبت العدو فأسروا وغنموا فتكلم سعد بن معاذ و كان ممن أقام على خيمة رسول الله ص فقال يا رسول الله مامنعنا أن نطلب العدو زهادة فى الأجر و لاجبن عن العدو ولكنا خفنا أن نعرى موضعك فيميل عليك خيل من خيل المشركين ورجال من رجالهم و قدأقام عندخيمتك وجوه الناس من المهاجرين والأنصار و الناس كثير ومتى تعط هؤلاء لايبقى لأصحابك شىء والقتلى والأسرى كثير والغنيمة قليلة فاختلفوا فأنزل الله عز و جل يَسئَلُونَكَ عَنِ الأَنفالِ قُلِ الأَنفالُ لِلّهِ وَ الرّسُولِالآية فرجع المسلمون و ليس لهم من الغنيمة شىء ثم أنزل الله فيما بعدوَ اعلَمُوا أَنّما غَنِمتُم مِن شَيءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرّسُولِفقسمه عليهم بينهم . قال الواقدى و قدروى عبادة بن الوليد بن عبادة عن جده عبادة بن الصامت قال سلمنا الأنفال يوم بدر لله وللرسول و لم يخمس رسول الله ص بدرا ونزلت بعدوَ اعلَمُوا أَنّما غَنِمتُم مِن شَيءٍفاستقبل رسول الله ص بالمسلمين -قرآن-۶۷۹-۷۴۰-قرآن-۸۱۱-۸۸۴-قرآن-۱۰۶۰-۱۰۹۶ [صفحه ۱۶۶] الخمس فيما كان من أول غنيمة بعدبدر. قال الواقدى و قدروى عن أبى أسيد الساعدى مثله . وروى عكرمة قال اختلف الناس فى الغنائم يوم بدر فأمر رسول الله ص بالغنائم أن ترد فى المقسم فلم يبق منها شىء إلارد وظن أهل الشجاعة أنه ص يخصهم بهادون غيرهم من أهل الضعف ثم أمر رسول الله ص أن تقسم بينهم على سواء فقال سعد بن أبى وقاص يا رسول الله تعطى فارس القوم ألذى يحميهم مثل ماتعطى الضعيف فقال ص ثكلتك أمك وهل تنصرون إلابضعفائكم . قال الواقدى فروى محمد بن سهل بن خيثمة قال أمر رسول الله ص أن ترد الأسرى والأسلاب و ماأخذوا من المغنم ثم أقرع بينهم فى الأسرى وقسم أسلاب المقتولين الذين يعرف قاتلوهم بين قاتليهم وقسم ماوجده فى العسكر بين جميع المسلمين عن فراق . قال الواقدى وحدثنى عبدالحميد بن جعفر قال سألت موسى بن سعد بن زيد بن ثابت كيف فعل النبى ص يوم بدر فى الأسرى والأسلاب والأنفال فقال نادى مناديه يومئذ من قتل قتيلا فله سلبه و من أسر أسيرا فهو له وأمر بما وجد فى العسكر و ماأخذ بغير قتال فقسمه بينهم عن فراق فقلت لعبد الحميد فلمن أعطى سلب أبى جهل فقال قدقيل إنه أعطاه معاذ بن عمرو بن الجموح وقيل أعطاه ابن مسعود. قال وأخذ على ع درع الوليد بن عتبة وبيضته ومغفره وأخذ حمزة سلاح عتبة وأخذ عبيدة بن الحارث سلاح شيبة ثم صار إلى ورثته . [صفحه ۱۶۷] قال الواقدى فكانت القسمة على ثلاثمائة وسبعة عشر سهما لأن الرجال كانت ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا و كان معهم فرسان لهما أربعة أسهم وقسم أيضا فوق ذلك لثمانية أسهم لم

يحضروا ضرب لهم بسهامهم وأجورهم ثلاثة من المهاجرين لاخلاف فيهم وهم عثمان بن عفان خلفه رسول الله ص على ابنته رقية وماتت يوم قدم زيد بن حارثة بالبشارة إلى المدينة وطلحة بن عبيد الله وسعد بن زيد بن عمرو بن نفيل بعثهما رسول الله ص يتجسسان خبر العير وخمسة من الأنصار هم أبولبابة بن عبدالمنذر خلفه على المدينة وعاصم بن عدى خلفه على قباء و أهل العالية والحارث بن حاطب أمره بأمر فى بنى عمرو بن عوف وخوات بن جبير كسر بالروحاء والحارث بن الصمة مثله فلااختلاف فى هؤلاء واختلف فى أربعة غيرهم فروى أنه ضرب لسعد بن عبادة بسهمه وأجره و قال لئن لم يشهدها لقد كان فيهاراغبا و ذلك أنه كان يحض الناس على الخروج إلى بدر فنهش فمنعه ذلك من الخروج . وروى أنه ضرب لسعد بن مالك الساعدى بسهمه وأجره و كان تجهز إلى بدر فمرض بالمدينة فمات خلاف رسول الله ص وأوصى إليه ع . وروى أنه ضرب لرجلين آخرين من الأنصار و لم يسمهما الواقدى و قال هؤلاء الأربعة غيرمجمع عليهم كإجماعهم على الثمانية. قال و قداختلف هل ضرب بسهم فى الغنيمة لقتلى بدر فقال الأكثرون لم يضرب لهم و قال بعضهم بل ضرب لهم حدثنى ابن أبى سبرة عن يعقوب بن زيد عن أبيه أن رسول الله ص ضرب لشهداء بدر أربعة عشر رجلا قال و قد قال عبد الله ابن سعد بن خيثمة أخذنا سهم أبى ألذى ضرب له رسول الله ص حين [صفحه ١٦٨] قسم الغنائم وحمله إلينا عويمر بن ساعدة قال و قدروى السائب بن أبى لبابة أن رسول الله ص أسهم لمبشر بن عبدالمنذر قال و قدقدم بسهمه علينا معن بن عدى. قال الواقدى وكانت الإبل التى أصابوا يومئذ مائة وخمسين بعيرا و كان معه أدم كثير حملوه للتجارة فمنعه المسلمون يومئذ و كان فيما أصابوا قطيفة حمراء فقال بعضهم مالنا لانرى القطيفة مانرى رسول الله ص إلاأخذها فأنزل الله تعالى وَ ما كانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وجاء رجل إلى رسول الله ص و قال يا رسول الله إن فلانا غل قطيفة فسأل رسول الله ص الرجل فقال لم أفعل فقال الدال يا رسول الله احفروا هاهنا فحفرنا فاستخرجت القطيفة فقال قائل يا رسول الله استغفر لفلان مرتين أومرارا فقال ع دعونا من أبى حر. قال الواقدى وأصاب المسلمون من خيولهم عشرة أفراس و كان جمل أبى جهل فيما غنموه فأخذه النبى ص فلم يزل عنده يضرب فى إبله ويغزو عليه حتى ساقه فى هدى الحديبية فسأله يومئذ المشركون الجمل بمائة بعير فقال لو لا أناسميناه فى الهدى لفعلنا قال الواقدى و كان لرسول الله ص صفى من الغنيمة قبل القسمة فتنفل سيفه ذا الفقار يومئذ كان لمنبه بن الحجاج و كان رسول الله ص قدغزا إلى بدر بسيف وهبه له سعد بن عبادة يقال له العضب . قال وسمعت ابن أبى سبرة يقول سمعت صالح بن كيسان يقول خرج رسول -قرآن-٤٠٢-٤٣٢ [صفحه ١٦٩] الله ص يوم بدر و مامعه سيف و كان أول سيف قلده سيف منبه بن الحجاج غنمه يوم بدر. و قال البلاذرى كان ذو الفقار للعاص بن منبه بن الحجاج ويقال لمنبه ويقال لشيبة والثبت عندنا أنه كان للعاص بن منبه . قال الواقدى و كان أبوأسيد الساعدى إذاذكر الأرقم بن أبى الأرقم يقول مايومى منه بواحد فيقال ما هذا هوفيقول أمر رسول الله ص المسلمين أن يردوا يوم بدر ما فى أيديهم من المغنم فرددت سيف أبى عائذ المخزومى واسم السيف المرزبان و كان له قيمة وقدر و أناأطمع أن يرد إلى فكلم الأرقم رسول الله ص فيه و كان رسول الله ص لايمنع شيئا يسأله فأعطاه السيف وخرج بنى له يفعة فاحتمله الغول فذهبت به متوركة ظهرا فقيل لأبى أسيد وكانت الغيلان فى ذلك الزمان فقال نعم ولكنها قدهلكت فلقى بنى الأرقم بن أبى الأرقم فبهش إليه باكيا مستجيرا به فقال من أنت فأخبره فقالت الغول أناحاضنته فلها عنه والصبى يكذبها فلم يعرج عليه حتى الساعة فخرج من دارى فرس لى فقطع رسنه فلقيه الأرقم بالغابة فركبه حتى إذادنا من المدينة أفلت منه فتعذر إلى أنه أفلت منى فلم أقدر عليه حتى الساعة. قال وروى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه أنه سأل رسول الله ص يوم بدر سيف العاص بن منبه فأعطاه قال وأخذ ع مماليك حضروا بدرا و لم يسهم لهم وهم ثلاثة أعبد غلام لحاطب بن أبى بلتعة وغلام لعبد الرحمن [صفحه ١٧٠] بن عوف وغلام لسعد بن معاذ واستعمل ص شقران غلامه على الأسرى فأخذوا من كل أسير ما لو كان حرا ماأصابه فى المقسم . وروى عامر بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال رميت سهيل بن عمرو يوم بدر فقطعت

نساءه فاتبعت أثر الدم حتى وجدته قدأخذه مالك بن الدخشم و هوممسک بناصيته فقلت أسيرى رميته فقال أسيرى أخذته فأتينا رسول الله فأخـذه منا جميعا وأفلت سـهل الروحاء فصاح ع بالناس فخرجوا فى طلبه فقال ص من وجـده فليقتله فوجده هوص فلم يقتله . قـال الواقـدى وأصـاب أبـوبردة بن نيـار أسيرا من المشـركين يقـال له معبـد بن وهب من بنى سـعد بن ليث فلقيه عمر بن الخطاب و كان عمر يحض على قتل الأسـرى لايرى أحـدا فى يـديه أسـيرا إلاأمر بقتله و ذلک قبل أن يتفرق الناس فلقيه معبد و هوأسـير مع أبى بردة فقال أترون ياعمر أنكم قـدغلبتم كلا واللات والعزى فقال عمر عباد الله المسـلمين أتتكلم و أنت أسـير فى أيـدينا ثم أخـذه من أبى بردة فضـرب عنقه ويقال إن أبابردة قتله . قال الواقدى وروى أبوبكر بن إسـماعيل عن أبيه عن عامر بن سعد قال قال النبى ص يومئذ لاتخبروا سـعدا بقتل أخيه فيقتل كل أسير فى أيديكم . قال الواقدى و لماجىء بالأسرى كره ذلک سعـد بن معـاذ فقـال له رسول الله ص كـأنه شق عليـک أن يؤسـروا قـال نعم يـا رسول الله كانت أول [صـفحه ۱۷۱] وقعة التقينا فيهابالمشـركين فأحببت أن يـذلهم الله و أن يثخن فيهم القتل . قال الواقـدى و كان النضـر بن الحارث أسـره المقـداد يومئـذ فلما خرج رسول الله ص من بدر فكان الأثيل عرض عليه الأسرى فنظر إلى النضر بن الحارث فأبده البصر فقال لرجل إلى جنبه محمد و الله قـاتلى لقـد نظر إلى بعينين فيهمـا الموت فقـال ألـذى إلى جنبه و الله مـا هـذامنک إلاـرعب فقال النضـر لمصـعب بن عمير يامصـعب أنت أقرب من هاهنـا بى رحما كلم صاحبک أن يجعلنى كرجل من أصـحابى هو و الله قاتلى إن لم تفعل قال مصـعب إنک كنت تقول فى كتاب الله كـذا وكـذا وتقول فى نبيه كذا وكذا قال يامصـعب فليجعلنى كأحد أصـحابى إن قتلوا قتلت و إن من عليهم من على قال مصـعب إنک كنت تعذب أصحابه قال أما و الله لوأسرتک قريش ماقتلت أبدا و أناحى قال مصعب و الله إنى لأـراک صادقـا ولكن لست مثلک قطع الإسـلام العهود. قال الواقـدى وعرضت الأسـرى على رسول الله ص فرأى النضـر بن الحارث فقال اضـربوا عنقه فقال المقـداد أسيرى يا رسول الله فقال أللهم أغن المقداد من فضـلک قم يا على فاضـرب عنقه فقام على فضـرب عنقه بالسـيف صبرا و ذلک بالأثيل فقالت أخته ياراكبا إن الأثيل مظنة || من صـبح خامسة و أنت موفق بلغ به ميتا فـإن تحيـة || مـا إن تزال بهاالركـائب تخفق منى إليه وعبرة مسـفوحة || جادت لمائحها وأخرى تخنق [صـفحه ۱۷۲] فليسمعن النضـر إن نـاديته || إن كـان يسـمع ميت أوينطق ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه || لله أرحـام هناک تمزق صبرا يقاد إلى المـدينة راغما || رسف المقيد و هوعان موثق أ محمد ولأنت نجل نجيبة || فى قومها والفحل فحل معرق ما كان ضـرک لومننت وربما || من الفتى و هوالمغيظ المحنق والنضـر أقرب من قتلت وسيلة || وأحقهم إن كان عتق يعتق . قال الواقدى وروى أن النبى ص لماوصل إليه شـعرها رق له و قال لوكنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لماقتلته . قال الواقدى و لماأسر سهيل بن عمرو قال عمر بن الخطاب يا رسول الله انزع ثنيتيه يـدلع لسانه فلايقوم عليک خطيبا أبـدا فقال رسول الله ص لاأمثل به فيمثل الله بى و إن كنت نبيا ولعله يقوم مقاما لاتكرهه فقام سـهيل بن عمرو بمكـة حين جاءه وفاة النبى ص بخطبـة أبى بكر بالمدينة كأنه كان يسـمعها فقال عمر حين بلغه كلاـم سـهيل أشـهد أنک رسول الله يريـد قوله ص لعله يقوم مقاما لاتكرهه . قال الواقـدى و كان على ع يحـدث فيقول أتى جبريل النبى ص يوم بدر فخيره فى الأسـرى أن يضـرب أعناقهم أويأخذ منهم الفداء ويستشهد من المسلمين فى قابل عدتهم فدعا رسول الله ص أصـحابه و قال هذاجبريل يخيركم فى الأسرى بين أن تضرب أعناقهم أوتؤخذ منهم الفدية ويستشهد [صفحه ۱۷۳] منكم قابلا عـدتهم قالوا بل نأخـذ الفديـة ونسـتعين بها ويستشـهد منا من يـدخل الجنة فقبل منهم الفداء وقتل من المسـلمين قابلا عـدتهم بأحد. قلت لو كان هذاالحديث صـحيحا لماعوتبوا فقيل لهم ما كانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسرى حَتّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدّنيا وَ اللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثم قال لَو لا كِتابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسّكُم فِيما أَخَذتُم عَذابٌ عَظِيمٌلأنه إذا كان خيرهم فقـد أبـاحهم أخـذ الفـداء وأخبرهم أنه حسن فلايجوز فيما بعـد أن ينكره عليهم و يقول إنه قبيـح قال الواقـدى لماحبس الأسـرى وجعـل عليهم شـقران مولى رسول الله ص طمعوا فى الحيـاة فقالوا لوبعثنا إلى أبى بكر فإنه أوصل قريش لأرحامنا فبعثوا

إلى أبى بكر فأتـاهم فقالوا يا أبابكر إن فينا الآباء والأبناء والإخوان والعمومـة وبنى العم وأبعـدنا قريب كلم صاحبك فليمن علينا ويفادنـا فقـال نعم إن شاء الله لاآلوكم خيرا ثم انصـرف إلى رسول الله ص قالوا وابعثوا إلى عمر بن الخطاب فإنه من قـدعلمتم و لايؤمن أن يفسد عليكم لعله يكف عنكم فأرسـلوا إليه فجاءهم فقالوا له مثل ماقالوا لأبى بكر فقال لاآلوكم شـرا ثم انصرف إلى النبى ص فوجـد أبابكر عنـده و الناس حوله و أبوبكر يلينه ويغشاه و يقول يا رسول الله بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومـة والإخوان وبنو العم وأبعـدهم عنـك قريب فـامنن عليهم من الله عليـك أوفادهم قوة للمسـلمين فلعل الله يقبل بقلوبهم إليـك ثم قـام فتنحى ناحيـة وسـكت رسول الله ص فلم يجبه فجـاء عمر فجلس مجلس أبى بكر فقال يا رسول الله هم أعـداء الله كذبوك -قرآن-۱۹۰-۳۰۹-قرآن-۳۱۹-۳۹۰ [صـفحه ۱۷۴] وقـاتلوك وأخرجـوك اضـرب رقـابهم فهـم رءوس الكفر وأئمة الضـلالة يوطئ الله بهم الإسلام ويذل بهم الشرك فسكت رسول الله ص و لم يجبه وعاد أبوبكر إلى مقعده الأول فقال بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العم وأبعدهم منك قريب فامنن عليهم أوفادهم هم عشيرتك وقومك لاتكن أول من يستأصـلهم و أن يهـديهم الله خير من أن يهلكهم فسـكت ص عنه فلم يرد عليه شـيئا وقام ناحيـة فقام عمر فجلس مجلسـه فقـال يـا رسـول الله مـاتنتظر بهـم اضـرب أعنـاقهم يـوطئ الله بهم الإسـلام ويـذل أهـل الشـرك هم أعـداء الله كـذبوك وأخرجوك يا رسول الله اشف صدور المؤمنين لوقدروا منا على مثل هذا ماأقالونا أبدا فسكت رسول الله ص فلم يجبه فقام ناحية فجلس وعـاد أبوبكر فكلمه مثـل كلامه الأول فلم يجبه ثم تنحى فجاء عمر فكلمه بمثل كلامه الأول فلم يجبه ثم قام رسول الله ص فدخل قبته فمكث فيهاساعة ثم خرج و الناس يخوضون فى شأنهم يقول بعضهم القول ما قال أبوبكر وآخرون يقولون القول ما قال عمر فلما خرج قال للناس ماتقولون فى صاحبيكم هـذين دعوهما فإن لهما مثلا مثل أبى بكر فى الملائكة كميكائيل ينزل برضـا الله وعفوه على عبـاده ومثله فى الأنبياء كمثل ابراهيم كان ألين على قومه من العسل أوقـد له قومه النار فطرحوه فيهافما زاد على أن قـال أُفّ لَكُم وَ لِمـا تَعبُـدُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعقِلُونَ و قـال فَمَن تبَعِنَي فَـإِنّهُ مِنيّ وَ مَن عصَـانيِ فَإِنّـكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وكعيسـى إذ يقول إِن تُعَذّبهُم فَإِنّهُم عِبادُكَ وَ إِن تَغفِر لَهُم فَإِنّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسـخط من الله والنقمـة على أعـداء الله ومثله فى الأنبياء كمثل نوح كان أشد على قومه من الحجارة إذ يقول رَبّ لا تَذَر عَلَى -قرآن-۱۱۹۹-۱۲۶۳-قرآن-۱۲۷۱-۱۳۴۳-قرآن-۱۳۶۱-۱۴۴۸-قرآن-۱۵۹۹-۱۶۱۷ وقـاتلوك وأخرجـوك اضـرب رقـابهم فهم رءوس الكفر وأئمة الضـلالة يوطئ الله بهم الإسـلام ويذل بهم الشـرك فسكت رسول الله ص و لم يجبه وعاد أبوبكر إلى مقعده الأول فقال بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومـة والإخوان وبنو العم وأبعـدهم منك قريب فامنن عليهم أوفادهم هم عشـيرتك وقومك لاتكن أول من يستأصـلهم و أن يهـديهم الله خير من أن يهلكهم فسـكت ص عنه فلم يرد عليه شـيئا وقام ناحية فقام عمر فجلس مجلسه فقال يا رسول الله ماتنتظر بهم اضـرب أعناقهم يوطئ الله بهم الإسلام ويذل أهل الشرك هم أعداء الله كـذبوك وأخرجوك يا رسول الله اشف صـدور المؤمنين لوقـدروا منا على مثل هذا ماأقالونا أبدا فسـكت رسول الله ص فلم يجبه فقام ناحيـة فجلس وعاد أبوبكر فكلمه مثل كلامه الأول فلم يجبه ثم تنحى فجاء عمر فكلمه بمثل كلامه الأول فلم يجبه ثم قام رسول الله ص فدخل قبته فمكث فيهاساعة ثم خرج و الناس يخوضون فى شأنهم يقول بعضـهم القول ما قال أبوبكر وآخرون يقولون القول مـا قـال عمر فلمـا خرج قال للناس ماتقولون فى صاحبيكم هـذين دعوهما فإن لهما مثلا مثل أبى بكر فى الملائكة كميكائيـل ينزل برضـا الله وعفوه على عبـاده ومثله فى الأنبيـاء كمثـل ابراهيم كـان ألين على قومه من العسـل أوقـد له قومه النـار فطرحوه فيهافما زاد على أن قال أُفّ لَكُم وَ لِما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَ فَلا تَعقِلُونَ و قال فَمَن تبَعِنَي فَإِنّهُ مِنيّ وَ مَن عصَانيِ فَإِنّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وكعيسى إذ يقول إِن تُعَـذّبهُم فَإِنّهُم عِبادُكَ وَ إِن تَغفِر لَهُم فَإِنّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسـخط من الله والنقمة على أعداء الله ومثله فى الأنبياء كمثل نوح كان أشد على قومه من الحجارة إذ يقول رَبّ لا

تَـذَر عَلَى الأرضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراًفدعا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا ومثل موسـى إذ يقول رَبّنَا اطمِس عَلى أَموالِهِم وَ اشـدُد عَلى قُلُوبِهِم فَلا يُؤمِنُوا حَتّى يَرَوُا العَـذابَ الأَلِيمَ و إن بكم عيلـة فلايفوتنكم رجل من هؤلاء إلاـبفـداء أوضـربة عنق فقال عبد الله بن مسـعود يا رسول الله إلاسـهيل بن بيضاء. قال الواقدى هكذا روى ابن أبى حبيبة و هذاوهم سـهيل بن بيضاء مسلم من مهاجرة الحبشة وشـهد بدرا وإنما هوأخ له ويقال له سـهيل قال قال عبد الله بن مسعود فإنى رأيته يظهر الإسلام بمكة قال فسكت النبى ص قال عبـد الله فما مرت على ساعة قط كانت أشد على من تلك الساعة جعلت أنظر إلى السـماء أتخوف أن تسـقط على الحجـارة لتقـدمى بين يـدى الله ورسوله بالكلاـم فرفع رسول الله ص رأسه فقـال إلاسـهيل بن بيضاء قال فما مرت على سـاعـة أقر لعينى منهـا إذ قالهـا رسـول الله ص ثم -قرآن-١-٣۴-قرآن-٩٩-٢٠٠ قـال إن الله عز و جـل ليشـدد القلب حتـى يكون أشـد من الحجـارة وإنه ليلين القلب حتـى يكون ألين من الزبـد -روايت-١-٢-روايت-٨-١١٠ فقبل الفـداء ثم قال بعـد لونزل عذاب يوم بـدر لمانجا منه إلاعمر كان يقول اقتل و لاتأخذ الفداء و كان سـعد بن معاذ يقول اقتل و لاتأخذ الفداء. قلت عندى فى هذاكلام أمـا فى أصل الحـديث فلأن فيه أن رسول الله ص قال ومثله كعيسـى إذ قال إِن تُعَـذِّبهُم فَإِنّهُم عِبادُكَ وَ إِن تَغفِر لَهُم فَإِنّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ و هـذه الآيـة من المائدة والمائدة أنزلت فى آخر عمره و لم ينزل بعدها إلاسورة براءة وبدر كانت فى السـنة الثانية مـن الهجرة فكيـف هـذا أللهـم إلاـ أن يكـون قـوله تعـالى وَ إِذ قـالَ اللّهُ يـا عِيسَـى ابنَ مَريَمَ أَ أَنتَ قُلتَ لِلنّـاسِ اتّخِـذُونِي وَ أُمّيَ إِلهَينِالآيات قـدكانت أنزلت أمابمكـة أوبالمدينـة قبل بدر -قرآن-٢۴۴-٣٣١-قرآن-۴٩٧-۵٩٣ [صـفحه ١٧۶] فلمـا جمع عثمان القرآن ضـمها إلى سورة المائدة فلعله قد كان ذلك فينبغى أن ننظر فى هذافهو مشـكل . و أماحديث سـهيل بن بيضاء فإنه يوهم مـذهب موسـى بن عمران فى أن النبى ص كان يحكم فى الوقائع بما يشاء لأنه قيل له احكم بما تشاء فإنك لاتحكم إلابالحق و هومذهب متروك إلا أنه يمكن أن يقال لعله لماسكت ص عند ما قال ابن مسعود ذلك القول نزل عليه فى تلك السكتة الوحى وقيل له إلاسهيل بن بيضاء فقال حينئذ إلاسهيل بن بيضاء كماأوحى إليه . و أماالحديث ألذى فيه لونزل عذاب لمانجا منه إلاعمر فالواقـدى وغيره من المحـدثين اتفقوا على أن سـعد بن معاذ كان يقول مثل ماقاله عمر بل هوالمتبـدئ بذلك الرأى و رسول الله ص بعد فى العريش والمشـركون لم ينفض جمعهم كل ذلك الانفضاض فكيف خص عمر بالنجاة وحده دون سـعد ويمكن أن يقال إنه كان شديد التأليب والتحريض عليهم وكثير الإلحاح على رسول الله ص فى أمرهم فنسب ذلك الرأى إليه لاشـتهاره به و إن شـركه فيه غيره . قال الواقدى وحدثنى معمر عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله ص يوم بدر لو كان مطعم بن عـدى حيا لوهبت له هؤلاء النتنى -روايت-١-٢-روايت-١٠٩-١۵٩ قال وكانت لمطعم بن عدى عند النبى ص يد أجاره حين رجع من الطائف . [صـفحه ١٧٧] قال الواقدى وحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن سـعيد بن المسيب قال أمن رسول الله ص من الأسرى يوم بدر أباعزة عمرو بن عبد الله بن عمير الجمحى و كان شاعرا فأعتقه رسول الله ص و قال له إن لى خمس بنات ليس لهن شـىءفتصدق بى عليهن يا محمـدففعل رسول الله ص ذلك و قال أبوعزة أعطيك موثقا ألا أقاتلك و لاأكثر عليك أبـدا فأرسـله رسول الله ص فلما خرجت قريش إلى أحـد جاء صـفوان بن أميـة فقال اخرج معنا قال إنى قدأعطيت محمـدا موثقا ألا أقاتله و لاأكثر عليه أبـدا و قـد من على و لم يمن على غيرى حتى قتله أوأخذ منه الفداء فضـمن له صـفوان أن يجعل بناته مع بناته إن قتل و إن عاش أعطاه مالا كثيرا لايأكله عياله فخرج أبوعزة يدعو العرب ويحشرها ثم خرج مع قريش يوم أحـد فأسـر و لم يؤسـر غيره من قريش فقال يا محمدإنما خرجت كرها و لى بنات فامنن على فقال رسول الله ص أين ماأعطيتنى من العهد والميثاق لا و الله لاتمسح عارضيك بمكة تقول سـخرت بمحمد مرتين فقتله . قال وروى سـعيد بن المسيب أن رسول الله ص قـال يومئـذ إن المؤمن لايلـدغ من جحر مرتين ياعـاصم بن ثـابت قـدمه فاضـرب عنقه فقـدمه عـاصم فضـرب عنقه . قال الواقدى وأمر رسول الله ص يوم بدر بالقلب أن تغور ثم أمر بالقتلى فطرحوا فيهاكلهم إلاأمية بن خلف فإنه كان مسمنا انتفخ من

يومه فلما أرادوا أن يلقوه تزايل لحمه فقال النبى ص اتركوه [صفحه ۱۷۸] و قال ابن إسحاق انتفخ أمية بن خلف فى درعه حتى ملأها فلما ذهبوا يحركونه تزايل فأقروه وألقوا عليه التراب والحجارة ماغيبه . قال الواقدى ونظر رسول الله ص إلى عتبة بن ربيعة يجر إلى القليب و كان رجلا جسيما و فى وجهه أثر الجدرى فتغير وجه ابنه أبى حذيفة بن عتبة فقال له النبى ص ما لك كأنك ساءك ماأصاب أباك قال لا و الله يا رسول الله ولكنى رأيت لأبى عقلا وشرفا كنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام فلما أخطأه ذلك ورأيت ماأصابه غاظنى فقال أبوبكر كان و الله يا رسول الله أبقى فى العشيرة من غيره ولقد كان كارها لوجهه ولكن الحين ومصارع السوء فقال رسول الله ص الحمد لله ألذى جعل خد أبى جهل الأسفل وصرعه وشفانا منه فلما توافوا فى القليب و قد كان رسول الله ص يطوف عليهم وهم مصرعون جعل أبوبكر يخبره بهم رجلا رجلا و رسول الله ص يحمد الله ويشكره و يقول الحمد لله ألذى أنجز لى ماوعدنى فقد وعدنى إحدى الطائفتين ثم وقف على أهل القليب فناداهم رجلا رجلا ياعتبة بن ربيعة و ياشيبة بن ربيعة و ياأمية بن خلف و يا أباجهل بن هشام هل وجدتم ماوعد ربكم حقا فإنى وجدت ماوعدنى ربى حقا بئس القوم كنتم لنبيكم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقالوا يا رسول الله أتنادى قوما قدماتوا فقال لقد علموا أن ماوعدهم ربهم حق -روايت-۱-۵۴۷ . و قال ابن إسحاق فى كتاب المغازى إن عائشة كانت تروى هذاالخبر وتقول فالناس يقولون إن رسول الله ص قال لقد سمعوا ما قلت لهم و ليس كذلك إنما قال لقد علموا أن ماوعدهم ربهم حق . [صفحه ۱۷۹] قال محمد بن إسحاق وحدثنى حميد الطويل عن أنس بن مالك قال لماناداهم رسول الله ص قال له المسلمون يا رسول الله أتنادى قوما قدأنتنوا فقال ماأنتم بأسمع لماأقول منهم ولكنهم لايستطيعون أن يجيبونى -روايت-۱-۲-روايت-۶۶-۲۱۶ . قلت لقائل أن يقول لعائشة إذاجاز أن يعلموا وهم موتى جاز أن يسمعوا وهم موتى فإن قالت ماأخبرت أن يعلموا وهم موتى ولكن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهى فى القليب ويرون العذاب فيعلمون أن ماوعدهم به الرسول حق قيل لها و لامانع من أن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهى فى القليب فيسمعوا صوت رسول الله ص فإذن لاوجه لإنكارها مايقوله الناس . ويمكن أن ينتصر لقول عائشة على وجه حكمى و هو أن الأنفس بعدالمفارقة تعلم و لاتسمع لأن الإحساس إنما يكون بواسطة الآلة و بعدالموت تفسد الآلة فأما العلم فإنه لايحتاج إلى الآلة لأن النفس تعلم بجوهرها فقط. قال الواقدى و كان انهزام قريش وتوليها حين زالت الشمس فأقام رسول الله ص ببدر وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحملها وأمر نفرا من أصحابه أن يعينوه فصلى العصر ببدر ثم راح فمر بالأثيل قبل غروب الشمس فنزل به وبات به وبأصحابه جراح وليست بالكثيرة و قال من رجل يحفظنا الليلة فأسكت القوم فقام رجل فقال من أنت قال ذكوان بن عبدقيس قال اجلس ثم أعاد القول الثانية فقام رجل فقال من أنت قال ابن عبدالقيس فقال اجلس ثم مكث ساعة وأعاد القول فقام رجل فقال من أنت قال أبوسبع فسكت . [صفحه ۱۸۰] ثم مكث ساعة و قال قوموا ثلاثتكم فقام ذكوان بن عبدقيس وحده فقال له وأين صاحباك قال يا رسول الله أنا ألذى كنت أجيبك الليلة فقال رسول الله ص فحفظك الله فبات ذكوان يحرس المسلمين تلك الليلة حتى كان آخر الليل فارتحل . قال الواقدى وروى أن رسول الله ص صلى العصر بالأثيل فلما صلى ركعة تبسم فلما سلم سئل عن تبسمه فقال مر بى ميكائيل و على جناحه النقع فتبسم إلى و قال إنى كنت فى طلب القوم وأتانى جبريل على فرس أنثى معقود الناصية قدعم ثنيتيه الغبار فقال يا محمد إن ربى بعثنى إليك وأمرنى ألا أفارقك حتى ترضى فهل رضيت فقلت نعم . قال الواقدى وأقبل رسول الله ص بالأسرى حتى إذا كان بعرق الظبية أمر عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح أن يضرب عنق عقبة بن أبى معيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبدشمس و كان أسره عبد الله بن سلمة العجلانى فجعل عقبة يقول ياويلى علام أقتل يامعشر قريش من بين من هاهنا فقال رسول الله ص لعداوتك لله ولرسوله فقال يا محمدمنك أفضل فاجعلنى كرجل من قومى إن قتلتهم قتلتنى و إن مننت عليهم مننت على و إن أخذت منهم الفداء كنت كأحدهم يا محمد من للصبية فقال النار قدمه ياعاصم فاضرب عنقه فقدمه

عاصم فضرب عنقه فقال النبى ص بئس الرجل كنت و الله ماعلمت كافرا بالله وبرسوله وبكتابه مؤذيا لنبيه فأحمد الله ألذى قتلك وأقر عينى منك . قال محمد بن إسحاق وروى عكرمة مولى ابن عباس عن أبى رافع قال كنت غلاما للعباس بن عبدالمطلب و كان الإسلام قدفشا فينا أهل البيت فأسلم العباس [صفحه ١٨١] وأسلمت أم الفضل زوجته و كان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم فكان يكتم إسلامه و كان ذا مال كثير متفرق فى قومه و كان عدو الله أبولهب قدتخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا لم يتخلف رجل إلابعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزا. قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح أنحتها فى حجرة زمزم فو الله إنى لجالس أنحت قداحى وعندى أم الفضل جالسة و قدسرنا ماجاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسق أبولهب يجر رجليه بشر حتى جلس إلى طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى فبينا هوجالس إذ قال للناس هذا أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قدقدم و كان شهد مع المشركين بدرا فقال أبولهب هلم يا ابن أخى فعندك و الله الخبر قال فجلس إليه و الناس قيام حوله فقال يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس قال لا شىء و الله إن هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا فقتلونا كيف شاءوا وأسرونا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك مالمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض لا و الله ماتبقى شيئا و لايقوم لها شىء قال أبورافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت تلك و الله الملائكة قال فرفع أبولهب يده فضرب بى الأرض ثم برك على يضربنى وكنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته على رأسه فشجته شجة منكرة وقالت استضعفته إذ غاب [صفحه ١٨٢] سيده فقام موليا ذليلا فو الله ماعاش إلاسبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . ولقد تركه ابناه ليلتين أوثلاثا و مايدفنانه حتى أنتن فى بيته وكانت قريش تتقى العدسة وعدواها كمايتقى الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما أ لاتستحيان أن أباكما قدأنتن فى بيته لاتغيبانه قالا إنا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا و أنامعكما فو الله ماغسلوه إلاقذفا عليه بالماء من بعيد مايمسونه وأخرجوه فألقوه بأعلى مكة إلى كنان هناك وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه . قال محمد بن إسحاق فحضر العباس بدرا فأسر فيمن أسر و كان ألذى أسره أبواليسر كعب بن عمرو أحد بنى سلمة فلما أمسى القوم والأسارى محبوسون فى الوثاق وبات رسول الله ص تلك الليلة ساهرا فقال له أصحابه ما لك لاتنام يا رسول الله قال سمعت أنين العباس من وثاقه فقاموا إليه فأطلقوه فنام رسول الله ص . قال وروى ابن عباس رحمه الله قال كان أبواليسر رجلا مجموعا و كان العباس طويلا جسيما فقال رسول الله ص يا أبااليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعاننى عليه رجل مارأيته من قبل من هيئته كذا قال ص لقد أعانك عليه ملك كريم قال محمد بن إسحاق قد كان رسول الله ص فى أول الوقعة فنهى أن يقتل أحد من بنى هاشم قال حدثنى بذلك الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة حليف بنى زهرة قال وحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رحمه الله -روايت-١-٢ [صفحه ١٨٣] قال و قال النبى ص لأصحابه إنى قدعرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قدأخرجوا كرها لاحاجة لنا بقتلهم فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلايقتله و من لقى أباالبخترى فلايقتله و من لقى العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ص فلايقتله فإنه إنما خرج مستكرها فقال أبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة أنقتل آباءنا وإخواننا وعشائرنا ونترك العباس و الله لئن لقيته لألحمنه السيف فسمعها رسول الله ص فقال لعمر بن الخطاب يا أباحفص يقول عمر و الله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله ص بأبى حفص أيضرب وجه عم رسول الله ص بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعنى أضرب عنقه بالسيف فو الله لقد نافق قال فكان أبوحذيفة يقول و الله ما أناآمن من تلك الكلمة التى قلت يومئذ و لاأزال منها خائفا أبدا إلا أن يكفرها الله عنى بشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا -روايت-٣٣-٧٧١ قال محمد بن إسحاق و كان رسول الله ص لمااستشار أبابكر وعمر وسعد بن معاذ فى أمر الأسارى غلظ عمر عليهم غلظة شديدة فقال يا رسول الله أطعنى فيما أشير به عليك فإنى لاآلوك نصحا قدم عمك العباس فاضرب عنقه بيدك وقدم عقيلا إلى على أخيه يضرب

عنقه وقدم كل أسير منهم إلى أقرب الناس إليه يقتله قال فكره رسول الله ص ذلك و لم يعجبه . قال محمد بن إسحاق فلما قدم بالأسرى إلى المدينة قال رسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-٧۴-ادامه دارد [صفحه ١٨۴] افد نفسك ياعباس وابنى أخويك عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وحليفك عقبة بن عمرو فإنك ذو مال فقال العباس يا رسول الله إنى كنت مسلما ولكن القوم استكرهونى فقال ص الله أعلم بإسلامك إن يكن ما قلت حقا فإن الله يجزيك به و أماظاهر أمرك فقد كان علينا فافتد نفسك و قد كان رسول الله ص أخذ منه عشرين أوقية من ذهب أصابها معه حين أسر فقال العباس يا رسول الله احسبها لى من فدائى فقال ص ذاك شيءأعطانا الله منك فقال يا رسول الله فإنه ليس لى مال قال فأين المال ألذى وضعته بمكة حين خرجت عندأم الفضل بنت الحارث و ليس معكما أحد ثم قلت إن أصبت فى سفرى هذافللفضل كذا وكذا ولعبد الله كذا وكذا ولقثم كذا وكذا فقال العباس و ألذى بعثك بالحق يا رسول الله ماعلم بهذا أحد غيرى وغيرها وإنى لأعلم أنك رسول الله ثم فدى نفسه وابنى أخويه وحليفه -روايت-از قبل-٨٠٨ قال الواقدى قدم رسول الله ص من الأثيل زيد بن حارثة و عبد الله بن رواحة يبشران الناس بالمدينة فجاء يوم الأحد فى الضحى وفارق عبد الله زيدا بالعقيق فجعل عبد الله ينادى عوالى المدينة يامعشر الأنصار أبشروا بسلامة رسول الله وقتل المشركين وأسرهم قتل ابنا ربيعة وابنا الحجاج و أبوجهل وزمعة بن الأسود وأمية بن خلف وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب فى أسرى كثير قال عاصم بن عدى فقمت إليه فنحوته فقلت أحقا ماتقول يا ابن رواحة قال إى و الله وغدا يقدم رسول الله إن شاء الله ومعه الأسرى مقرنين ثم تتبع دور الأنصار بالعالية يبشرهم دارا دارا والصبيان يشتدون معه ويقولون قتل أبوجهل الفاسق حتى انتهوا إلى [صفحه ١٨۵] دور بنى أمية بن زيد وقدم زيد بن حارثة على ناقة النبى ص القصواء يبشر أهل المدينة فلما جاء المصلى صاح على راحلته قتل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابنا الحجاج و أبوجهل و أبوالبخترى وزمعة بن الأسود وأمية بن خلف وأسر سهيل بن عمرو ذو الأنياب فى أسرى كثيرة فجعل الناس لايصدقون زيد بن حارثة ويقولون ماجاء زيد إلا فلا حتى غاظ المسلمين ذلك وخافوا قال و كان قدوم زيد حين سووا على رقية بنت رسول الله ص التراب بالبقيع فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد قتل صاحبكم و من معه و قال رجل من المنافقين لأبى لبابة بن عبدالمنذر قدتفرق أصحابكم تفرقا لايجتمعون معه أبدا و قدقتل علية أصحابكم وقتل محمد و هذه ناقته نعرفها و هذازيد بن حارثة لايدرى ما يقول من الرعب و قدجاء فلا فقال أبولبابة كذب الله قولك وقالت يهود ماجاء زيد إلا فلا قال أسامة بن زيد فجئت حتى خلوت بأبى فقلت ياأبت أحق ماتقول فقال إى و الله حقا يابنى فقويت نفسى فرجعت إلى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين لنقدمنك إلى رسول الله ص إذاقدم فليضربن عنقك فقال يا أبا محمدإنما هو شيءسمعت الناس يقولونه . قال الواقدى فقدم بالأسرى وعليهم شقران وهم تسعة وأربعون رجلا الذين أحصوا وهم سبعون فى الأصل مجمع عليه لاشك فيه إلا-أنهم لم يحص سائرهم ولقى الناس رسول الله ص بالروحاء يهنئونه بفتح الله عليه فلقيه وجوه الخزرج فقال سلمة بن سلامة بن وقش ما ألذى تهنئونه فو الله ماقتلنا إلاعجائز صلعا فتبسم النبى ص فقال يا ابن أخى أولئك الملأ لورأيتهم لهبتهم و لوأمروك لأطعتهم و لورأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرتها وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم فقال سلمة أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله إنك يا رسول الله لم تزل عنى معرضا منذ كنا بالروحاء [صفحه ١٨۶] فى بدأتنا فقال ص أما ما قلت للأعرابى وقعت على ناقتك فهى حبلى منك ففحشت و قلت ما لاعلم لك به و أما ما قلت فى القوم فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تزهدها فقبل رسول الله ص معذرته و كان من علية أصحابه . قال الواقدى فروى الزهرى قال لقى أبوهند البياضى مولى فروة بن عمرو رسول الله ومعه حميت مملوء حيسا أهداه له فقال رسول الله ص إنما أبوهند رجل من الأنصار فأنكحوه وأنكحوا إليه . قال الواقدى ولقيه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله الحمد لله ألذى ظفرك وأقر عينك و الله يا رسول الله ما كان تخلفى عن بدر و أناأظن بك أنك تلقى عدوا ولكنى ظننت أنها العير و لوظننت أنه عدو لماتخلفت فقال رسول الله صدقت . قال ولقيه

عبـد الله بن قيس بتربان فقال يا رسول الله الحمد لله على سـلامتك وظفرك كنت يا رسول الله ليالى خرجت مورودا أى محموما فلم تفـارقنى حتى كان بالأمس فأقبلت إليك فقال آجرك الله . قال الواقـدى و كان سـهيل بن عمرو لما كان بتنوكـة بين السـقيا وملل كان مع مالك بن الدخشم ألذى أسره فقال له خل سبيلى للغائط فقام معه فقال سـهيل إنى أحتشم فاسـتأخر عنى فاسـتأخر عنه فمضـى سهيل على وجهه انتزع يده من القرآن ومضى فلما أبطأ سهيل على مالك بن الدخشم أقبل فصاح فى الناس فخرجوا فى طلبه وخرج النـبى ص فى طلبه بنفسه و قـال من وجـده فليقتله فوجـده رسـول الله [صـفحه ١٨٧] ص بنفسـه أخفى نفسه بين شجرات فـأمر به فربطت يـداه إلى عنقه ثم قرنه إلى راحلته فلم يركـب سـهيل خطوة حتى قـدم المدينـة. قـال الواقـدى فحـدثنى إسـحاق بن حازم بن عبد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال لقى رسول الله ص أسامة بن زيد و رسول الله ص على ناقته القصوى فأجلسه بين يـديه وسـهيل بن عمرو مجبوب ويـداه إلى عنقه فلما نظر إلى سـهيل قالوا يا رسول الله أبويزيد قال نعم هـذا ألـذى كـان يطعم الخبز بمكـة و قال البلاذرى قال أسامـة و هويومئـذ غلام يا رسول الله هـذا ألـذى كان يطعم الناس بمكة السـريد يعنى الثريد. قلت هذه لثغة مقلوبة لأن الألثغ يبدل السـين ثاء و هذاأبدل الثاء سـينا و من الناس من يرويها هذا ألذى كان يطعم الناس بمكة الشريد بالشـين المعجمة. قال البلاذرى وحدثنى مصـعب بن عبد الله الزبيرى عن أشياخه أن أسامة رأى سهيلا يومئـذ فقال يا رسول الله هـذا ألذى كان يطعم السـريد بمكة فقال رسول الله ص هذا أبويزيد ألذى يطعم الطعام ولكنه سـعى فى إطفاء نور الله فأمكن الله منه . قال و فيه يقول أمية بن أبى الصـلت الثقفى يابا يزيد رأيت سيبك واسعا || وسماء جودك تستهل فتمطر . [صفحه ١٨٨] قال و فيه يقول مالك بن الدخشم و هو ألذى أسـره يوم بدر أسـرت سهيلا فلاأبتغى || به غيره من جميع الأمم وخندف تعلم أن الفتى || سـهيلا فتاها إذاتظلم ضـربت بذى الشفر حتى انثنى || وأكرهت نفسى على ذى العلم . أى على ذى العلم بسـكون اللام ولكنه حركه للضرورة. و كان سهيل أعلم مشقوق الشفة العليا فكانت أنيابه بادية فلذلك قالوا ذو الأنياب . قال الواقدى و لماقدم بالأسـرى كانت سودة بنت زمعة زوج النبى ص عندآل عفراء فى مناحتهم على عوف ومعوذ و ذلك قبل أن يضـرب الحجـاب قـالت سودة فأتينـا فقيـل لنا هؤلاء الأسـرى قـدأتى بهم فخرجت إلى بيتى و رسول الله ص فيه و إذا أبويزيد مجموعة يداه إلى عنقه فى ناحية البيت فو الله ماملكت نفسـى حين رأيته مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت أبايزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كراما فو الله ماراعنى إلاقول رسول الله ص من البيت ياسودة أ على الله و على رسوله فقلت يانبى الله و ألذى بعثك بالحق إنى مـاملكت نفسـى حين رأيت أبايزيـد مجموعـة يـداه إلى عنقه أن قلت مـا قلت . قـال الواقـدى وحـدثنى خالـد بن إلياس قال حدثنى أبوبكر بن عبد الله بن أبى جهم قال دخل يومئذ خالد بن هشام بن المغيرة وأمية بن أبى حذيفة منزل أم سـلمة وأم سـلمة فى مناحة آل عفراء فقيل لها أتى بالأسـرى فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلمهم حتى [صفحه ١٨٩] رجعت فتجد رسول الله ص فى بيت عائشة فقالت يا رسول الله إن بنى عمى طلبوا أن يدخل بهم على فأضـيفهم وأدهن رءوسـهم وألم من شـعثهم و لم أحب أن أفعـل شيئا من ذلك حتى أسـتأمرك فقال ص لست أكره شـيئا من ذلك فافعلى من هـذا مابـدا لك قال الواقـدى وحـدثنى محمـد بن عبـد الله عن الزهرى قـال قـال أبوالعـاص بن الربيع كنت مستأسـرا مع رهـط من الأنصار جزاهم الله خيرا كنا إذاتعشـينا أوتغـدينا آثرونى بالخبز وأكلوا التمر والخبز عنـدهم قليل والتمر زادهم حتى إن الرجل لتقع فى يـده الكسـرة فيدفعها إلى و كان الوليـد بن الوليـد بن المغيرة يقول مثـل ذلـك ويزيـد قـال وكـانوا يحملوننـا ويمشون . و قـال محمـد بن إسـحاق فى كتـابه كان أبوالعاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشـمس ختن رسول الله ص زوج ابنته زينب و كان أبوالعاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانـة وتجارة و كان ابنا لهالـة بنت خويلـد أخت خديجـة بنت خويلـد و كان الربيع بن عبدالعزى بعل هذه فكانت خديجة خـالته فسـألت خديجـة رسول الله ص أن يزوجه زينب و كـان رسول الله ص لايخالف خديجـة و ذلك قبل أن ينزل عليه الوحى فزوجه إياها فكان أبوالعاص من خديجة بمنزلة ولدها فلما أكرم الله رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته كلهن وصدقته وشـهدن

أن ماجاء به حق ودن بدينه وثبت أبوالعاص على شركه و كان رسول الله ص قدزوج عتبة بن أبى إحدى ابنتيه رقية أوأم كلثوم و ذلك من قبل أن ينزل عليه فلما أنزل عليه الوحى ونادى قومه بأمر الله باعدوه فقال بعضهم لبعض إنكم قدفرغتم محمد من همه أخذتم عنه بناته وأخرجتموهن من عياله فردوا عليه بناته فاشغلوه بهن فمشوا إلى أبى العاص بن الربيع فقالوا فارق صاحبتك بنت محمد ونحن نزوجك أى [صفحه ١٩٠] امرأة شئت من قريش فقال لاها الله إذن لاأفارق صاحبتى و ماأحب أن لى بهاامرأة من قريش فكان رسول الله ص إذاذكره يثنى عليه خيرا فى صهره ثم مشوا إلى الفاسق عتبة بن أبى لهب فقالوا له طلق بنت محمد ونحن ننكحك أى امرأة شئت من قريش فقال إن أنتم زوجتمونى ابنة أبان بن سعيد بن العاص أوابنة سعيد بن العاص فارقتها فزوجوه ابنة سعيد بن العاص ففارقها و لم يكن دخل بهافأخرجها الله من يده كرامة لها وهوانا له ثم خلف عليها عثمان بن عفان بعده و كان رسول الله ص مغلوبا على أمره بمكة لايحل و لايحرم و كان الإسلام قدفرق بين زينب و أبى العاص إلا أن رسول الله ص كان لايقدر و هوبمكة أن يفرق بينهما فأقامت معه على إسلامها و هو على شركه حتى هاجر رسول الله ص إلى المدينة وبقيت زينب بمكة مع أبى العاص فلما سارت قريش إلى بدر سار أبوالعاص معهم فأصيب فى الأسرى يوم بدر فأتى به النبى ص فكان عنده مع الأسارى فلما بعث أهل مكة فى فداء أساراهم بعثت زينب فى فداء أبى العاص بعلها بمال و كان فيما بعثت به قلادة كانت خديجة أمها أدخلتها بها على أبى العاص ليلة زفافها عليه فلما رآها رسول الله ص رق لها رقة شديدة و قال للمسلمين إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مابعثت به من الفداء فافعلوا فقالوا نعم يا رسول الله نفديك بأنفسنا وأموالنا فردوا عليها مابعثت به وأطلقوا لها أباالعاص بغير فداء. قلت قرأت على النقيب أبى جعفريحيى بن أبى زيد البصرى العلوى رحمه الله هذاالخبر فقال أترى أبابكر وعمر لم يشهدا هذاالمشهد أ ما كان يقتضى التكريم والإحسان [صفحه ١٩١] أن يطيب قلب فاطمة بفدك ويستوهب لها من المسلمين أتقصر منزلتها عند رسول الله ص عن منزله زينب أختها وهى سيدة نساء العالمين هذا إذا لم يثبت لها حق لابالنحلة و لابالإرث فقلت له فدك بموجب الخبر ألذى رواه أبوبكر قدصار حقا من حقوق المسلمين فلم يجز له أن يأخذه منهم فقال وفداء أبى العاص بن الربيع قدصار حقا من حقوق المسلمين و قدأخذه رسول الله ص منهم فقلت رسول الله ص صاحب الشريعة والحكم حكمه و ليس أبوبكر كذلك فقال ما قلت هلا أخذه أبوبكر من المسلمين قهرا فدفعه إلى فاطمة وإنما قلت هلا استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها كمااستوهب رسول الله ص المسلمين فداء أبى العاص أتراه لو قال هذه بنت نبيكم قدحضرت تطلب هذه النخلات أفتطيبون عنها نفسا أكانوا منعوها ذلك فقلت له قد قال قاضى القضاة أبو الحسن عبدالجبار بن أحمدنحو هذا قال إنهما لم يأتيا بحسن فى شرع التكرم و إن كان ماأتياه حسنا فى الدين . قال محمد بن إسحاق و كان رسول الله ص لماأطلق سبيل أبى العاص أخذ عليه فيما نرى أوشرط عليه فى إطلاقه أو أن أباالعاص وعد رسول الله ص ابتداء بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة و لم يظهر ذلك من أبى العاص و لا- من رسول الله ص إلا أنه لماخلى سبيله وخرج إلى مكة بعث رسول الله ص بعده زيد بن حارثة ورجلا- من الأنصار فقال لهما كونا بمكان كذا حتى تمر بكما زينب فتصحبانها حتى تأتيانى بهافخرجا نحو مكة و ذلك بعدبدر بشهر [صفحه ١٩٢] أوشيعه فلما قدم أبوالعاص مكة أمرها باللحوق بأبيها فأخذت تتجهز قال محمد بن إسحاق فحدثت عن زينب أنها قالت بينا أناأتجهز للحوق بأبى لقيتنى هند بنت عتبة فقالت أ لم يبلغنى ياابنت محمدأنك تريدين اللحوق بأبيك فقلت ماأردت ذلك فقالت أى بنت عم لاتفعلى إن كانت لك حاجة فى متاع أوفيما يرفق بك فى سفرك أومال تبلغين به إلى أبيك فإن عندى حاجتك فلاتضطنى منى فإنه لايدخل بين النساء مايدخل بين الرجال قالت وايم الله إنى لأظنها حينئذ صادقة ماأظنها قالت حينئذ إلالتفعل ولكن خفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك قالت وتجهزت حتى فرغت من جهازى فحملنى أخو بعلى و هوكنانة بن الربيع . قال محمد بن إسحاق قدم لها كنانة بن الربيع بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته وخرج بهانهارا يقود بعيرها وهى فى هودج لها وتحدث بذلك الرجال من قريش والنساء

وتلاومت فى ذلك وأشفقت أن تخرج ابنة محمد من بينهم على تلك الحال فخرجوا فى طلبها سراعا حتى أدركوها بذى طوى فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن عبدالمطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصى ونافع بن عبدالقيس الفهرى فروعها هبار بالرمح وهى فى الهودج وكانت حاملا فلما رجعت طرحت ما فى بطنها و قدكانت من خوفها رأت دما وهى فى الهودج فلذلك أباح رسول الله ص يوم فتح مكة دم هبار بن الأسود. [صفحه ۱۹۳] قلت و هذاالخبر أيضا قرأته على النقيب أبى جعفررحمه الله فقال إذا كان رسول الله ص أباح دم هبار بن الأسود لأنه روع زينب فألقت ذا بطنها فظهر الحال أنه لو كان حيا لأباح دم من روع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها فقلت أروى عنك مايقوله قوم إن فاطمة روعت فألقت المحسن فقال لاتروه عنى و لاترو عنى بطلانه فإنى متوقف فى هذاالموضع لتعارض الأخبار عندى فيه . قال الواقدى فبرك حموها كنانة بن الربيع ونثل كنانته بين يديه ثم أخذ منها سهما فوضعه فى كبد قوسه و قال أحلف بالله لايدنو اليوم منها رجل إلاوضعت فيه سهما فتكر الناس عنه . قال وجاء أبوسفيان بن حرب فى جلة من قريش فقال أيها الرجل اكفف عنا نبلك حتى نكلمك فكف فأقبل أبوسفيان حتى وقف عليه فقال إنك لم تحسن و لم تصب خرجت بالمرأة على رءوس الناس علانية جهارا و قدعرفت مصيبتنا ونكبتنا و مادخل علينا من محمدأبيها فيظن الناس إذا أنت خرجت بابنته إليه جهارا أن ذلك عن ذل أصابنا و أن ذلك منا وهن ولعمرى مالنا فى حبسها عن أبيها من حاجة و ما فيها من ثأر ولكن ارجع بالمرأة حتى إذاهدأت الأصوات وتحدث الناس بردها سلها سلا خفيا فألحقها بأبيها فردها كنانة بن الربيع إلى مكة فأقامت بهاليالى حتى إذاهدأ الصوت عنها حملها على بعيرها وخرج بهاليلا حتى سلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها على رسول الله ص . قال محمد بن إسحاق فروى سليمان بن يسار عن أبى إسحاق الدوسى عن -روايت-۱-۲ [صفحه ۱۹۴] أبى هريرة قال بعث رسول الله ص سرية أنا فيها إلى عير لقريش فيهامتاع لهم وناس منهم فقال إن ظفرتم بهبار بن الأسود ونافع بن عبدقيس فحرقوهما بالنار حتى إذا كان الغد بعث فقال لنا إنى كنت قدأمرتكم بتحريق الرجلين إن أخذتموهما ثم رأيت أنه لاينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله تعالى فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما و لاتحرقوهما -روايت-۱۸-۳۴۲ . قلت لقائل من المجبرة أن يقول أ ليس هذانسخ الشىء قبل تقضى وقت فعله و أهل العدل لايجيزون ذلك و هذاالسؤال مشكل و لاجواب عنه إلابدفع الخبر أمابتضعيف أحد من رواته أوإبطال الاحتجاج به لكونه خبر واحد أوبوجه آخر و هو أن نجيز للنبى الاجتهاد فى الأحكام الشرعية كمايذهب إليه كثير من شيوخنا و هومذهب القاضى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ومثل هذاالخبر حديث براءة وإنفاذها مع أبى بكر وبعث على ع فأخذها منه فى الطريق وقرأها على أهل مكة بعد أن كان أبوبكر هوالمأمور بقراءتها عليهم .فأما البلاذرى فإنه روى أن هبار بن الأسود كان ممن عرض لزينب بنت رسول الله ص حين حملت من مكة إلى المدينة فكان رسول الله ص يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرقوه بالنار ثم قال لايعذب بالنار إلارب النار وأمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديه ورجليه ويقتلوه فلم يظفروا به حتى إذا كان يوم الفتح هرب هبار ثم قدم على رسول الله ص بالمدينة ويقال أتاه بالجعرانة حين فرغ من أمر حنين فمثل بين يديه و هو يقول أشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله فقبل إسلامه وأمر ألا يعرض له وخرجت سلمى مولاة رسول الله ص [صفحه ۱۹۵] فقالت لاأنعم الله بك عينا فقال رسول الله ص مهلا فقد محا الإسلام ماقبله . قال البلاذرى فقال الزبير بن العوام لقد رأيت رسول الله ص بعدغلظته على هبار بن الأسود يطأطئ رأسه استحياء منه وهبار يعتذر إليه و هويعتذر إلى هبار أيضا. قال محمد بن إسحاق فأقام أبوالعاص بمكة على شركه وأقامت زينب عندأبيهاص بالمدينة قدفرق بينهما الإسلام حتى إذا كان قبل الفتح خرج أبوالعاص تاجرا إلى الشام بمال له وأموال لقريش أبضعوا بهامعه و كان رجلاـ مأمونا فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا لقيته سرية لرسول الله ص فأصابوا مامعه وأعجزهم هوهاربا فخرجت السرية بما أصابت من ماله حتى قدمت به على رسول الله ص وخرج أبوالعاص تحت الليل حتى دخل على زينب ابنة رسول الله ص منزلها فاستجار بهافأجارته وإنما جاء فى طلب ماله ألذى أصابته تلك السرية فلما كبر رسول الله ص فى صلاة

الصبح وكبر الناس معه صرخت زينب من صفة النساء أيها الناس إنى قدأجرت أباالعاص بن الربيع فصلى رسول الله ص بالناس الصبح فلما سلم من الصلاة أقبل عليهم فقال أيها الناس هل سمعتم ماسمعت قالوا نعم قال أما و ألذى نفس محمدبيده ماعلمت بشىء مما كان حتى سمعتم إنه يجير على الناس أدناهم ثم انصرف ودخل على ابنته زينب فقال أى بنية أكرمى مثواه وأحسنى قراه و لايصلن إليك فإنك [صفحه ١٩٦] لاتحلين له ثم بعث إلى تلك السرية الذين كانوا أصابوا مال أبى العاص فقال لهم إن هذا الرجل منا بحيث علمتم و قدأصبتم له مالا فإن تحسنوا وتردوا عليه ألذى له فإنا نحب ذلك و إن أبيتم فهو فىء الله ألذى أفاء عليكم وأنتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله ومتاعه حتى إن الرجل كان يأتى بالحبل ويأتى الآخر بالشنة ويأتى الآخر بالإداوة والآخر بالشظاظ حتى ردوا ماله ومتاعه بأسره من عندآخره و لم يفقد منه شيئا ثم احتمل إلى مكة فلما قدمها أدى إلى كل ذى مال من قريش ماله ممن كان أبضع معه بشىء حتى إذافرغ من ذلك قال لهم يامعشر قريش هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لافجزاك الله خيرا لقد وجدناك وفيا كريما قال فإنى أشهد أن لاإله إلا الله و أن محمدا رسول الله و الله مامنعنى من الإسلام إلاتخوف أن تظنوا أنى أردت أن آكل أموالكم وأذهب بهافإذ سلمها الله لكم وأداها إليكم فإنى أشهدكم أنى قدأسلمت واتبعت دين محمد ثم خرج سريعا حتى قدم على رسول الله المدينة. قال محمد بن إسحاق فحدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ص رد زينب بعدست سنين على أبى العاص بالنكاح الأول لم يحدث شيئا قال الواقدى فلما فرغ رسول الله ص من أمر الأسارى وفرق الله عز و جل ببدر بين الكفر والإيمان أذل رقاب المشركين والمنافقين واليهود و لم يبق بالمدينة يهودى و لامنافق إلاخضعت عنقه . [صفحه ١٩٧] و قال قوم من المنافقين ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمة وقالت يهود فيما بينها هو ألذى نجد نعته فى كتبنا و الله لاترفع له راية بعداليوم إلاظهرت . و قال كعب بن الأشرف بطن الأرض اليوم خير من ظهرها هؤلاء أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب و أهل الحرم والأمن قدأصيبوا وخرج إلى مكة فنزل على أبى وداعة بن ضبيرة وجعله يرسل هجاء المسلمين ورثى قتلى بدر من المشركين فقال طحنت رحى بدر لمهلك أهله || ولمثل بدر يستهل ويدمع قتلت سراة الناس حول حياضه || لاتبعدوا إن الملوك تصرع و يقول أقوام أذل بعزهم || إن ابن أشرف ظل كعبا يجزع صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا || ظلت تسيخ بأهلها وتصدع نبئت أن الحارث بن هشامهم || فى الناس يبنى الصالحات ويجمع ليزور يثرب بالجموع وإنما || يسعى على الحسب القديم الأروع . قال الواقدى أملاها على عبد الله بن جعفر و محمد بن صالح و ابن أبى الزناد فلما أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكة عنه وأظهروا المراثى و قدكانوا حرموها كيلا يشمت المسلمون بهم وجعل الصبيان والجوارى ينشدونها بمكة فناحت بهاقريش [صفحه ١٩٨] على قتلاها شهرا و لم تبق دار بمكة إلا فيهاالنوح وجز النساء شعورهن و كان يؤتى براحلة الرجل منهم أوبفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها وخرجن إلى السكك وضربن الستور فى الأزقة وقطعن فخرجن إليها ينحن وصدق أهل مكة رؤيا عاتكة وجهيم بن الصلت . قال الواقدى و كان الذين قدموا من قريش فى فداء الأسرى أربعة عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا و كان أول من قدم المطلب بن أبى وداعة ثم قدم الباقون بعده بثلاث ليال . قال فحدثنى إسحاق بن يحيى قال سألت نافع بن جبير كيف كان الفداء قال أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف إلاقوما لامال لهم من عليهم رسول الله ص . قال الواقدى و قال رسول الله ص فى أبى وداعة إن له بمكة ابنا كيسا له مال و هومغل فداءه فلما قدم افتداه بأربعة آلاف و كان أول أسير افتدى و ذلك أن قريشا قالت لابنه المطلب بن أبى وداعة ورأته يتجهز يخرج إليه لاتعجل فإنا نخاف أن تفسد علينا فى أسارانا ويرى محمدتهالكنا فيغلى علينا الفدية فإن كنت تجد فإن كل قومك لايجدون من السعة ماتجد فقال لاأخرج حتى تخرجوا فخادعهم حتى إذاغفلوا خرج من الليل على راحلته فسار أربعة ليال إلى المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف فلامه قريش فى ذلك فقال ماكنت لأترك أبى أسيرا فى أيدى القوم وأنتم مضجعون فقال أبوسفيان بن حرب إن هذاغلام

حدث يعجب بنفسه وبرأيه و هومفسد عليكم إني و الله غيرمفتد عمرو بن أبى سفيان و لومكث سنة [صفحه ۱۹۹] أويرسله محمد و الله ما أنابأعوذكم ولكنى أكره أن أدخل عليكم مايشق عليكم ولكن يكون عمرو كأسوتكم . قال الواقدى فأما أسماء القوم الذين قدموا فى الأسرى فإنه قدم من بنى عبدشمس الوليد بن عقبة بن أبى معيط وعمرو بن الربيع أخو أبى العاص بن الربيع و من بنى نوفل بن عبدمناف جبير بن مطعم و من بنى عبدالدار بن قصى طلحة بن أبى طلحة و من بنى أسد بن عبدالعزى بن قصى عثمان بن أبى حبيش و من بنى مخزوم عبد الله بن أبى ربيعة وخالد بن الوليد وهشام بن الوليد بن المغيرة وفروة بن السائب وعكرمة بن أبى جهل و من بنى جمح أبى بن خلف وعمير بن وهب و من بنى سهم المطلب بن أبى وداعة وعمرو بن قيس و من بنى مالك بن حسل مكرز بن حفص بن الأحنف كل هؤلاء قدموا المدينة فى فداء أهلهم وعشائرهم و كان جبير بن مطعم يقول دخل الإسلام فى قلبى منذ قدمت المدينة فى الفداء سمعت رسول الله ص يقرأ فى صلاة المغرب وَ الطّورِ وَ كِتابٍ مَسطُورٍفاستمعت قراءته فدخل الإسلام فى قلبى منذ ذلك اليوم -قرآن-۸۳۳-۸۶۱

القول فى تفصيل أسماء أسارى بدر و من أسرهم

قال الواقدى أسر من بنى هاشم العباس بن عبدالمطلب أسره أبواليسر كعب بن عمرو وعقيل بن أبى طالب أسره عبيد بن أوس الظفرى ونوفل بن الحارث [صفحه ۲۰۰] بن عبدالمطلب أسره جبار بن صخر وأسر حليف لبنى هاشم من بنى فهر اسمه عتبة فهؤلاء أربعة. و من بنى المطلب بن عبدمناف السائب بن عبيد وعبيد بن عمرو بن علقمة رجلان أسرهما سلمة بن أسلم بن حريش الأشهلى. قال الواقدى حدثنى بذلك ابن أبى حبيبة قال و لم يقدم لهما أحد وكانا لامال لهما ففكهما رسول الله ص عنهما بغير فدية. و من بنى عبدشمس بن عبدمناف عقبة بن أبى معيط المقتول صبرا على يد عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح بأمر رسول الله أسره عبد الله بن أبى سلمة العجلانى والحارث بن أبى وحرة بن أبى عمرو بن أمية أسره سعد بن أبى وقاص فقدم فى فدائه الوليد بن عقبة بن أبى معيط فافتداه بأربعة آلاف . قال الواقدى و قد كان الحارث هذا لماأمر النبى ص برد الأسارى ثم أقرع بين أصحابه عليهم وقع فى سهم سعد بن أبى وقاص ألذى كان أسره أول مرة وعمرو بن أبى سفيان أسره على بن أبى طالب ع وصار بالقرعة فى سهم رسول الله ص فأطلقه بغير فدية أطلقه بسعد بن النعمان بن أكال من بنى معاوية خرج معتمرا فحبس بمكة فلم يطلقه المشركون حتى أطلق رسول الله ص عمرو بن أبى سفيان . وروى محمد بن إسحاق فى كتاب المغازى أن عمرو بن أبى سفيان أسره على ع يوم بدر وكانت أمه ابنة عقبة بن أبى معيط فمكث فى يد رسول الله ص فقيل لأبى سفيان أ لاتفتدى ابنك عمرا قال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة وأفتدى عمرا دعوه فى أيديهم فليمسكوه مابدا لهم فبينا هومحبوس بالمدينة خرج [صفحه ۲۰۱] سعد بن النعمان بن أكال أخو بنى عمرو بن عوف معتمرا ومعه امرأة له و كان شيخا كبيرا لايخشى ماصنع به أبوسفيان و قدعهد قريشا ألا يعرض لحاج و لامعتمر فعدا عليه أبوسفيان فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبى سفيان وأرسل إلى قوم بالمدينة هذاالشعر أرهط ابن أكال أجيبوا دعاءه || تعاقدتم لاتسلموا السيد الكهلا فإن بنى عمرو لئام أذلة || لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكبلا .فمشى بنو عمرو بن عوف حين بلغهم الخبر إلى رسول الله ص فأخبروه بذلك وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان ليفكوا به صاحبهم فأعطاهم إياه فبعثوا به إلى أبى سفيان فخلى سبيل سعد و قال حسان بن ثابت يجيب أباسفيان و لو كان سعد يوم مكة مطلقا || لأكثر فيكم قبل أن يؤسر القتلى بعضب حسام أوبصفراء نبعة || تحن إذا ماأنبضت تحفز التبلا . و أبوالعاص بن الربيع أسره خراش بن الصمة فقدم فى فدائه عمرو بن أبى الربيع أخوه وحليف لهم يقال له أبوريشة افتداه عمرو بن الربيع أيضا وعمرو بن الأزرق افتكه عمرو بن الربيع أيضا و كان قدصار فى سهم تميم مولى خراش بن الصمة وعقبة بن الحارث الحضرمى أسره عمارة بن حزم فصار فى القرعة لأبى بن كعب افتداه عمرو بن أبى سفيان بن أمية و أبوالعاص بن نوفل بن

عبدشمس أسره عمار بن ياسر قدم فی فدائه ابن عمه فهؤلاء ثمانية. [صفحه ۲۰۲] و من بنی نوفل بن عبدمناف عدی بن الخيار أسره خراش بن الصمة وعثمان بن عبدشمس ابن أخی عتبة بن غزوان حليفهم أسره حارثة بن النعمان و أبوثور أسره أبومرثد الغنوی فهؤلاء ثلاثة افتداهم جبير بن مطعم . و من بنی عبدالدار بن قصی أبوعزيز بن عمير أسره أبواليسر ثم صار بالقرعة لمحرز بن نضلة قال الواقدی أبوعزيز هذا هوأخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه و قال مصعب لمحرز بن نضلة اشدد يديک به فإن له أمابمكة كثيرة المال فقال له أبوعزيز هذه وصاتک بی ياأخی فقال مصعب إنه أخی دونک فبعثت فيه أمه أربعة آلاف و ذلک بعد أن سألت ماأغلی ماتفادی به قريش فقيل لها أربعة آلاف والأسود بن عامر بن الحارث بن السباق أسره حمزة بن عبدالمطلب فهذان اثنان قدم فی فدائهما طلحة بن أبی طلحة و من بنی أسد بن عبدالعزی بن قصی السائب بن أبی حبيش بن المطلب بن أسد بن عبدالعزی أسره عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن الحويرث بن عثمان بن أسد بن عبدالعزی أسره حاطب بن أبی بلتعة وسالم بن شماخ أسره سعد بن أبی وقاص فهؤلاء ثلاثة قدم فی فدائهم عثمان بن أبی حبيش بأربعة آلاف لكل رجل منهم . و من بنی تميم بن مرة مالک بن عبد الله بن عثمان أسره قطبة بن عامر بن حديدة فمات فی المدينة أسيرا. و من بنی مخزوم خالد بن هشام بن المغيرة أسره سواد بن غزية وأمية بن أبی حذيفة بن المغيرة أسره بلال وعثمان بن عبد الله بن المغيرة و كان أفلت يوم نخلة أسره واقد بن عبد الله التميمی يوم بدر فقال له الحمد لله ألذی أمكننی منک فقد كنت أفلت يوم نخلة وقدم فی فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبی ربيعة افتدی كل واحد منهم بأربعة آلاف والوليد بن الوليد بن المغيرة أسره عبد الله بن جحش [صفحه ۲۰۳] فقدم فی فدائه أخواه خالد بن الوليد وهشام بن الوليد فتمنع عبد الله بن جحش حتی افتكاه بأربعة آلاف فجعل هشام بن الوليد يريد ألا يبلغ ذلک يريد ثلاثة آلاف فقال خالد لهشام إنه ليس بابن أمک و الله لوأبی فيه إلاكذا وكذا لفعلت فلما افتدياه خرجا به حتی بلغا به ذا الحليفة فأفلت فأتی النبی ص فأسلم فقيل أ لاأسلمت قبل أن تفتدی قال كرهت أن أسلم حتی أكون أسوة بقومی. قال الواقدی ويقال إن ألذی أسر الوليد بن الوليد سليط بن قيس المازنی وقيس بن السائب أسره عبدة بن الحسحاس فحبسه عنده حينا و هويظن أن له مالا ثم قدم فی فدائه أخوه فروة بن السائب فأقام أيضا حينا ثم افتداه بأربعة آلاف فيهاعروض . و من بنی أبی رفاعة صيفی بن أبی رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم و كان لامال له أسره رجل من المسلمين فمكث عندهم ثم أرسله و أبوالمنذر بن أبی رفاعة بن عائذ افتدی بألفين و لم يذكر الواقدی من أسره و عبد الله و هو أبوعطاء بن السائب بن عائذ بن عبد الله افتدی بألف درهم أسره سعد بن أبی وقاص والمطلب بن حنظلة بن الحارث بن عبيد بن عمير بن مخزوم أسره أبوأيوب الأنصاری و لم يكن له مال فأرسله بعدحين وخالد بن الأعلم العقيلی حليف لبنی مخزوم و هو ألذی يقول ولسنا علی الأعقاب تدمی كلومنا || ولكن علی أقدامنا تقطر الدما . [صفحه ۲۰۴] و قال محمد بن إسحاق روی أنه كان أول المنهزمين أسره الخباب بن المنذر بن الجموح وقدم فی فدائه عكرمة بن أبی جهل فهؤلاء عشرة. و من بنی جمح عبد الله بن أبی بن خلف أسره فروة بن أبی عمرو البياضی قدم فی فدائه أبوه أبی بن خلف فتمنع به فروة حينا و أبوغزة عمرو بن عبد الله بن وهب أطلقه رسول الله ص بغير فدية و كان شاعرا خبيث اللسان ثم قتله يوم أحد بعد أن أسره و لم يذكر الواقدی ألذی أسره يوم بدر ووهب بن عمير بن وهب أسره رفاعة بن رافع الزرقی وقدم أبوه عمير بن وهب فی فدائه فأسلم فأرسل النبی ص له ابنه بغير فداء وربيعة بن دراج بن العنبس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح و كان لامال له فأخذ منه بشیء يسير وأرسل به و لم يذكر الواقدی من أسره والفاكه مولی أمية بن خلف أسره سعد بن أبی وقاص فهؤلاء خمسة. و من بنی سهم بن عمرو أبووداعة بن ضبيرة و كان أول أسير افتدی قدم فی فدائه ابنه المطلب فافتداه بأربعة آلاف و لم يذكر الواقدی من أسره وفروة بن قيس بن عدی بن حذافة بن سعيد بن سهم أسره ثابت بن أقزم وقدم فی فدائه عمرو بن قيس افتداه بأربعة آلاف وحنظلة بن قبيصة بن حذاقة بن سعد أسره عثمان بن مظعون والحجاج بن الحارث بن قيس بن سعد بن سهم أسره عبدالرحمن بن عوف

فأفلت فأخذه أبوداود المازنی فهؤلاء أربعة. و من بنی مالك بن حسل سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نصر بن مالك أسره مالك بن الدخشم وقدم فی فدائه مكرز بن حفص بن الأحنف وانتهى فی فدائه إلى إرضائهم بأربعة آلاف فقالوا هات المال فقال نعم اجعلوا رجلا مكان رجل [صفحه ۲۰۵] وقوم يروونها رجلا مكان رجل فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرز بن حفص عندهم حتى بعث سهيل بالمال من مكة و عبد الله بن زمعة بن قيس بن نصر بن مالك أسره عمير بن عوف مولى سهيل بن عمرو و عبدالعزى بن مشنوء بن وقدان بن قيس بن عبدشمس بن عبدود سماه رسول الله ص بعدإسلامه عبدالرحمن أسره النعمان بن مالك فهؤلاء ثلاثة. و من بنی فهر الطفيل بن أبی قنيع فهؤلاء ستة وأربعون أسيرا. و فی كتاب الواقدی أنه كان الأساری الذين أحصوا وعرفوا تسعة وأربعين و لم نجد التفصيل يلحق هذه الجملة. وروى الواقدی عن سعيد بن المسيب قال كانت الأساری سبعين و أن القتلى كانت زيادة على سبعين إلا أن المعروفين من الأسرى هم الذين ذكرناهم والباقون لم يذكر المؤرخون أسماءهم

القول فی المطعمين فی بدر من المشركين

قال الواقدی المتفق عليه و لاخلاف بينهم فيه تسعة فمن بنی عبدمناف الحارث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبدشمس . و من بنی أسد بن عبدالعزى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ونوفل بن خويلد المعروف بابن العدوية. و من بنی مخزوم أبوجهل عمرو بن هشام بن المغيرة. و من بنی جمح أمية بن خلف . [صفحه ۲۰۶] و من بنی سهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج .فهؤلاء تسعة. قال الواقدی و كان سعيد بن المسيب يقول ماأطعم أحد ببدر إلاقتل . قال الواقدی قدذكروا عدة من المطعمين اختلف فيهم كسهيل بن عمرو و أبی البختری وغيرهما. قال حدثنی إسماعيل بن ابراهيم عن موسى بن عتبة قال أول من نحر لهم أبوجهل بمر الظهران عشرا ثم أمية بن خلف بعسفان تسعا ثم سهيل بن عمرو بقديد عشرا ثم مالوا إلى مياه من نحو البحر ضلوا الطريق فأقاموا بهايوما فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسعا ثم أصبحوا بالأبواء فنحر لهم قيس الجمحی تسعا ثم نحر عتبة عشرا ونحر لهم الحارث بن عمرو تسعا ثم نحر لهم أبوالبختری على ماء بدر عشرا ونحر لهم مقيس بن ضبابة على ماء بدر تسعا ثم شغلتهم الحرب . قال الواقدی و قد كان ابن أبی الزناد يقول و الله ماأظن مقيسا كان يقدر على قلوص واحدة. قال الواقدی و أما أنا فلاأعرف قيسا الجمحی قال و قدروت أم بكر عن المسور بن مخرمة ابنها قال كان النفر يشتركون فی الإطعام فينسب إلى الرجل الواحد ويسكت عن سائرهم . وروى محمد بن إسحاق أن العباس بن عبدالمطلب كان من المطعمين فی بدر وكذلك طعيمة بن عدی بن نوفل كان يعتقب هو وحكيم والحارث بن عامر بن نوفل و كان أبوالبختری يعتقب هو وحكيم بن حزام فی الإطعام و كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبدمناف بن عبدالدار من المطعمين قال و كان النبی ص يكره قتل [صفحه ۲۰۷] الحارث بن عامر قال يوم بدر من ظفر به منكم فليتركه لأيتام بنی نوفل فقتل فی المعركة

القول فيمن استشهد من المسلمين ببدر

قال الواقدی حدثنی عبد الله بن جعفر قال سألت الزهری كم استشهد من المسلمين ببدر قال أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. قال فمن بنی المطلب بن عبدمناف عبيدة بن الحارث قتله شيبة بن ربيعة. و فی رواية الواقدی قتله عتبة فدفنه النبی ص بالصفراء. و من بنی زهرة عمير بن أبی وقاص قتله عمرو بن عبدود فارس الأحزاب وعمير بن عبدود ذو الشمالين حليف لبنی زهرة بن خزاعة قتله أبوأسامة الجشمی. و من بنی عدی بن كعب عاقل بن أبی البكير حليف لهم من بنی سعد بن بكر قتله مالك بن زهير الجشمی ومهجع مولى عمر بن الخطاب قتله عامر بن الحضرمی ويقال إن مهجعا أول من قتل من

المهاجرين . و من بنى الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء قتله طعيمة بن عدى. وهؤلاء الستة من المهاجرين . و من الأنصار ثم من بنى عمرو بن عوف مبشر بن عبدالمنذر قتله أبوثور وسعد بن خيثمة قتله عمرو بن عبدود ويقال طعيمة بن عدى و من بنى عدى بن النجار حارثة بن سراقة رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته فقتله . و من بنى مالك بن النجار عوف ومعوذ ابنا عفراء قتلهما أبوجهل . [صفحه ٢٠٨] و من بنى سلمة بن حرام عمير بن الحمام بن الجموح قتله خالد بن الأعلم العقيلى ويقال إن عمير بن الحمام أول قتيل قتل من الأنصار و قدروى أن أول قتيل منهم حارث بن سراقة. و من بنى زريق رافع بن المعلى قتله عكرمة بن أبى جهل . و من بنى الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسحم قتله نوفل بن معاوية الديلى.فهؤلاء الثمانية من الأنصار. قال الواقدى و قدروى عن عكرمة عن ابن عباس أن أنسة مولى النبى ص قتل ببدر. وروى أن معاذ بن ماعص جرح ببدر فمات من جراحته بالمدينة و أن عبيد بن السكن جرح فاشتكى جرحه فمات منه حين قدم

القول فيمن قتل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم

قال الواقدى فمن بنى عبدشمس بن عبدمناف حنظلة بن أبى سفيان بن حرب قتله على بن أبى طالب ع والحارث بن الحضرمى قتله عمار بن ياسر وعامر بن الحضرمى قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وعمير بن أبى عمير وابنه موليان لهم قتل سالم مولى أبى حذيفة منهم عمير بن أبى عمير و لم يذكر الواقدى من قتل ابنه وعبيدة بن سعيد بن العاص قتله الزبير بن العوام والعاص بن سعيد بن العاص قتله على بن أبى طالب ع وعقبة بن أبى معيط قتله عاصم بن ثابت صبرا بالسيف بأمر رسول الله ص . [صفحه ٢٠٩] وروى البلاذرى أن رسول الله ص صلبه بعدقتله فكان أول مصلوب فى الإسلام قال و فيه يقول ضرار بن الخطاب عين بكى لعقبة بن أبان || فرع فهر وفارس الفرسان . وعتبة بن ربيعة قتله حمزة بن عبدالمطلب وشيبة بن ربيعة قتله عبيدة بن الحارث وحمزة و على الثلاثة اشتركوا فى قتله والوليد بن عتبة بن ربيعة قتله على بن أبى طالب ع وعامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار قتله على بن أبى طالب ع وقيل قتله سعد بن معاذ فهؤلاء اثنا عشر. و من بنى نوفل بن عبدمناف الحارث بن نوفل قتله خبيب بن يساف وطعيمة بن عدى ويكنى أباالريان قتله حمزة بن عبدالمطلب فى رواية الواقدى وقتله على بن أبى طالب ع فى رواية محمد بن إسحاق وروى البلاذرى رواية غريبة أن طعيمة بن عدى أسر يوم بدر فقتله النبى ص صبرا على يد حمزة فهؤلاء اثنان . و من بنى أسد بن عبدالعزى زمعة بن الأسود قتله أبودجانة وقيل قتله ثابت بن الجذع والحارث بن زمعة بن الأسود قتله على بن أبى طالب ع وعقيل بن الأسود بن المطلب قتله على وحمزة شركا فى قتله . قال الواقدى وحدثنى أبومعشر قال قتله على بن أبى طالب ع وحده وقيل قتله أبوداود المازنى وحده و أبوالبخترى و هوالعاص بن هشام قتله المجذر بن [صفحه ٢١٠] زياد وقيل قتله أبواليسر ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى و هو ابن العدوية قتله على ع فهؤلاء خمسة. و من بنى عبدالدار بن قصى النضر بن الحارث بن كلدة قتله على بن أبى طالب ع صبرا بالسيف بأمر رسول الله ص و كان ألذى أسره المقداد بن عمرو فوعد المقداد إن استنقذه بفداء جليل فلما قدم ليقتل قال المقداد يا رسول الله إنى ذو عيال وأحب الدين فقال أللهم أغن المقداد من فضلك يا على قم فاضرب عنقه وزيد بن مليص مولى عمرو بن هاشم بن عبدمناف من عبدالدار قتله على بن أبى طالب ع وقيل قتله بلال فهؤلاء اثنان . و من بنى تيم بن مرة عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة قتله على بن أبى طالب ع وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان قتله صهيب فهؤلاء اثنان و لم يذكر البلاذرى عثمان بن مالك . و من بنى مخزوم بن يقظة ثم من بنى المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم أبوجهل عمرو بن هشام بن المغيرة ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ وعوف ابنا عفراء وذففه عليه عبد الله بن مسعود والعاص بن هاشم بن المغيرة خال عمر بن الخطاب قتله عمرو بن يزيد بن تميم التميمى حليف لهم قتله عمار بن ياسر وقيل قتله على ع . و من بنى الوليد بن المغيرة أبوقيس بن الوليد بن الوليد أخو خالد

بن الوليد قتله على بن أبى طالب ع . و من بنى الفاكه بن المغيرة أبوقيس بن الفاكه بن المغيرة قتله حمزة بن عبدالمطلب وقيل قتله الحباب بن المنذر. [صفحه ٢١١] و من بنى أمية بن المغيرة مسعود بن أبى أمية قتله على بن أبى طالب ع . و من بنى عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ثم من بنى رفاعة أمية بن عائذ بن رفاعة بن أبى رفاعة قتله سعد بن الربيع و أبوالمنذر بن أبى رفاعة قتله معن بن عدى العجلانى و عبد الله بن أبى رفاعة قتله على بن أبى طالب ع وزهير بن أبى رفاعة قتله أبوأسيد الساعدى والسائب بن أبى رفاعة قتله عبدالرحمن بن عوف . و من بنى أبى السائب المخزومى و هوصيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم السائب بن السائب قتله الزبير بن العوام والأسود بن عبدالأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله حمزة بن عبدالمطلب وحليف لهم من طيئ و هوعمرو بن شيبان قتله يزيد بن قيس وحليف آخر و هوجبار بن سفيان أخو عمرو بن سفيان المقدم ذكره قتله أبوبردة بن نيار. و من بنى عمران بن مخزوم حاجز بن السائب بن عويمر بن عائذ قتله على ع . وروى البلاذرى أن حاجزا هذا وأخاه عويمر بن السائب بن عويمر قتلهما على بن أبى طالب ع وعويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم قتله النعمان بن أبى مالك فهؤلاء تسعة عشر. و من بنى جمح بن عمرو بن هصيص أمية بن خلف قتله خبيب بن يساف وبلال شركا فيه . قال الواقدى و كان معاذ بن رفاعة بن رافع يقول بل قتله أبورفاعة بن رافع . [صفحه ٢١٢] و على بن أمية بن خلف قتله عمار بن ياسر وأوس بن المغيرة بن لوذان قتله على ع وعثمان بن مظعون شركا فيه فهؤلاء ثلاثة. و من بنى سهم منبه بن الحجاج قتله على بن أبى طالب ع وقيل قتله أبوأسيد الساعدى ونبيه بن الحجاج قتله على بن أبى طالب ع والعاص بن منبه بن الحجاج قتله على ع و أبوالعاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم قتله أبودجانة قال الواقدى وحدثنى أبومعشر عن أصحابه قالوا قتله على ع وعاص بن أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد قتله أبودجانة فهؤلاء خمسة و من بنى عامر بن لؤى ثم من بنى مالك بن حسل معاوية بن عبدقيس حليف لهم قتله عكاشة بن محصن ومعبد بن وهب حليف لهم من كلب قتله أبودجانة فهؤلاء اثنان .فجميع من قتل ببدر فى رواية الواقدى من المشركين فى الحرب صبرا اثنان وخمسون رجلا قتل على ع منهم مع الذين شرك فى قتلهم أربعة وعشرين رجلا و قدكثرت الرواية أن المقتولين ببدر كانوا سبعين ولكن الذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه و فى رواية الشيعة أن زمعة بن الأسود بن المطلب قتله على والأشهر فى الرواية أنه قتله الحارث بن زمعة و أن زمعة قتله أبودجانة

القول فيمن شهد بدرا من المسلمين

قال الواقدى كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا مع القوم الذين ضرب لهم رسول الله ص بسهامهم وهم غائبون وعدتهم ثمانية قال و هذا هوالأغلب فى الرواية [صفحه ٢١٣] قال و لم يشهد بدرا من المسلمين إلاقرشى أوحليف لقرشى أوأنصارى أوحليف لأنصارى أومولى واحد منهما وهكذا من جانب المشركين فإنه لم يشهدها إلاقرشى أوحليف لقرشى أومولى لهم . قال فكانت قريش ومواليها وحلفاؤها ستة وثمانين رجلا وكانت الأنصار ومواليها وحلفاؤها مائتين وسبعة وعشرين رجلا.فأما تفصيل أسماء من شهدها من المسلمين فله موضع فى كتب المحدثين أملك به من هذاالموضع

قصة غزوة أحد

الفصل الرابع فى شرح قصة غزاة أحد ونحن نذكر ذلك من كتاب الواقدى رحمه الله على عاداتنا فى ذكر غزاة بدر ونضيف إليه من الزيادات التى ذكرها ابن إسحاق والبلاذرى مايقتضى الحال ذكره . قال الواقدى لمارجع من حضر بدرا من المشركين إلى

مکهٔ وجدوا العیر التی قدم بها أبوسـفیان بن حرب من الشام موقوفهٔ فی دار الندوهٔ وکذلک کانوا یصنعون فلم یحرکها أبوسفیان و لم یفرقها لغیبـهٔ أهل العیر ومشت أشـراف قریش إلی أبی سـفیان الأسود بن عبـدالمطلب بن أسد وجبیر بن مطعم وصـفوان بن أمیـهٔ وعکرمـهٔ بن أبی جهل والحارث بن هشام و عبد الله بن أبی ربیعهٔ وحویطب بن عبدالعزی فقالوا یا أباسـفیان انظر هذه العیر التی قـدمت بهافاحتبسـتها فقـد عرفت أنها أموال أهل مکـهٔ ولطیمهٔ قریش وهم طیبوا الأنفس یجهزون بهذه العیر جیشا کثیفا إلی محمدفقد [صفحه ۲۱۴] تری من قتل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا فقال أبوسفیان و قدطابت أنفس قریش بذلک قالوا نعم قال فأنا أول من أجـاب إلی ذلک وبنو عبـدمناف معی فأنا و الله الموتور والثائر و قـدقتل ابنی حنظلـهٔ ببـدر وأشـراف قومی فلم تزل العیر موقوفـهٔ حتی تجهزوا للخروج فباعوهـا فصـارت ذهبا عینا ویقال إنما قالوا یا أباسـفیان بع العیر ثم اعزل أرباحها فکانت العیر ألف بعیر و کـان المـال خمسـین ألف دینـار وکانوا یربحون فی تجاراتهم للـدینار دینارا و کان متجرهم من الشام غزهٔ لایعـدونها إلی غیرهـا و کـان أبوسـفیان قـدحبس عیر بنی زهرهٔ لأنـهم رجعوا من طریق بـدر وسـلم مـا کـان لمخرمـهٔ بن نوفـل ولبنی أبیه وبنی عبـدمناف بن زهرهٔ فـأبی مخرمـهٔ أن یقبـل عیره حتی یسـلم إلی بنی زهرهٔ جمیعا وتکلم الأخنس فقال و مالعیر بنی زهرهٔ من بین عیرات قریش قال أبوسـفیان لأنهم رجعوا عن قریش قال الأخنس أنت أرسـلت إلی قریش أن ارجعوا فقد أحرزنا العیر لاتخرجوا فی غیر شـیءفرجعنا فأخـذت بنو زهرهٔ عیرهـا وأخـذ أقوام من أهل مکـهٔ أهل ضـعف لاعشائر لهم و لامنعـهٔ کل ما کان لهم فی العیر. قال الواقـدی و هـذاییبن أنه إنما أخرج القوم أرباح العیر قال وفیهم أنزل إِنّ الّذِینَ کَفَرُوا یُنفِقُونَ أَموالَهُم لِیَصُدّوا عَن سَبِیلِ اللّهِالآیهٔ. قال فلما أجمعوا علی المسیر قالوا نسیر فی العرب فنستنصرهم فإن عبدمناهٔ غیرمتخلفین عنا هم أوصل العرب لأرحامنا و من اتبعنا من الأحابیش فأجمعوا علی أن یبعثوا أربعهٔ من قریش یسیرون فی العرب یدعونهم إلی نصـرهم فبعثوا عمرو بن العاص وهبیرهٔ بن وهب و ابن الزبعری و أباعزهٔ الجمحی فأبی أبوعزهٔ أن یسیر و قال من -قرآن-۱۰۳۸-۱۱۱۱ [صفحه ۲۱۵] علی محمد یوم بـدر وحلفت ألا أظاهر علیه عدوا أبدا فمشـی إلیه صـفوان بن أمیهٔ فقال اخرج فأبی و قال عاهدت محمدا یوم بدر ألا أظاهر علیه عدوا أبدا و أناأفی له بما عاهدته علیه من علی و لم یمن علی غیری حتی قتله أوأخذ منه الفداء فقال صفوان اخرج معنا فإن تسلم أعطک من المال ماشئت و إن تقتل تکن عیالک مع عیالی فأبی أبوعزهٔ حتی کان الغد وانصرف عنه صفوان بن أمیهٔ آیسا منه فلما کان الغد جاءه صفوان وجبیر بن مطعم فقال له صفوان الکلام الأول فأبی فقال جبیر ماکنت أظن أنی أعیش حتی یمشی إلیـک أبووهب فی أمر تـأبی علیه فـأحفظه فقـال أنـاأخرج قال فخرج إلی العرب یجمعها و یقول إیه بنی عبـدمناهٔ الرزام || أنتم حماهٔ وأبوکم حام لاتسلمونی لایحل إسـلام || لایعدونی نصـرکم بعدالعام وخرج النفر مع أبی عزهٔ فألبوا العرب وجمعوا وبلغوا ثقیفا فأوعبوا فلما أجمعوا المسیر وتألب من کان معهم من العرب وحضـروا واختلفت قریش فی إخراج الظعن معهم قال صـفوان بن أمیـهٔ اخرجوا بـالظعن فأنا أول من فعل فإنه أقمن أن یحفظنکم ویـذکرنکم قتلی بـدر فإن العهـد حـدیث ونحن قوم موتورون مسـتمیتون لانریـد أن نرجع إلی دیارنا حتی ندرک ثأرنا أونموت دونه فقال عکرمهٔ بن أبی جهل أناأول من أجاب إلی مادعوت إلیه و قال عمرو بن العاص مثل ذلک فمشی فی ذلک [صفحه ۲۱۶] نوفل بن معاویهٔ الدیلی فقال یامعشر قریش هذا لیس برأی أن تعرضوا حرمکم لعدوکم و لاآمن أن تکون الدبرهٔ لهم فتفتضحوا فی نسائکم فقال صفوان لا کان غیر هذاأبدا فجاء نوفل إلی أبی سـفیان بن حرب فقال له تلک المقالـهٔ فصاحت هنـد بنت عتبـهٔ إنک و الله سـلمت یوم بـدر فرجعت إلی نسائک نعم نخرج فنشـهد القتال فقد ردت القیان من الجحفهٔ فی سـفرهم إلی بدر فقتلت الأحبهٔ یومئذ فقال أبوسـفیان لست أخالف قریشا أنا رجل منهـا مافعلت فعلت فخرجوا بالظعن فخرج أبوسـفیان بن حرب بامرأتین هنـد بنت عتبـهٔ بن ربیعـهٔ وأمیمـهٔ بنت سـعد بن وهب بن أشـیم بن کنانـهٔ وخرج صـفوان بن أمیـهٔ بامرأتین برزهٔ بنت مسـعود الثقفی وهی أم عبـد الله الأکبر والبغوم بنت المعذل من کنانهٔ وهی أم عبـد الله الأصـغر وخرج طلحـهٔ بـن أبی طلحـهٔ بـامرأته سـلافهٔ بنت سـعد بن شـهید وهی من الأـوس وهی أم بنیه مسـافع

والحارث وكلاب والجلاس بنى طلحة بن أبى طلحة وخرج عكرمة بن أبى جهل بامرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله بن عمرو بن العاص و قال محمد بن إسحاق اسمها ريطة وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير أخى مصعب بن عمير من بنى عبدالدار وخرج الحارث بن سفيان بن عبدالأسد بامرأته رملة بنت طارق بن علقمة الكنانية وخرج كنانة بن على بن ربيعة بن عبدالعزى بن عبدشمس بن عبدمناف بامرأته أم حكيم بنت طارق وخرج سفيان بن عويف بامرأته قتيلة بنت عمرو بن هلال وخرج النعمان بن عمرو وجابر مسك الذئب أخوه بأمهما [صفحه ٢١٧] الدغينة وخرج غراب بن سفيان بن عويف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية وهى التى رفعت لواء قريش حين سقطت حتى تراجعت قريش إلى لوائها و فيها يقول حسان و لو لالواء الحارثية أصبحوا || يباعون فى الأسواق بالثمن البخس .قالوا وخرج سفيان بن عويف بعشرة من ولده وحشدت بنو كنانة وكانت الألوية يوم خرجوا من مكة ثلاثة عقدوها فى دار الندوة لواء يحمله سفيان بن عويف لبنى كنانة ولواء الأحابيش يحمله رجل منهم ولواء لقريش يحمله طلحة بن أبى طلحة. قال الواقدى ويقال خرجت قريش ولفها كلهم من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحد يحمله طلحة بن أبى طلحة و هوالأثبت عندنا. قال وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضوى إليها و كان فيهم من ثقيف مائة رجل وخرجوا بعدة وسلاح كثير وقادوا مائتى فرس و كان فيهم سبعمائة دراع وثلاثة آلاف بعير فلما أجمعوا على المسير كتب العباس بن عبدالمطلب كتابا وختمه واستأجر رجلا من بنى غفار وشرط عليه أن يسير ثلاثا إلى رسول الله ص يخبره أن قريشا قداجتمعت للمسير إليك فما كنت صانعا إذاحلوا بك فاصنعه و قدوجهوا وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتى فرس وفيهم سبعمائة دراع وثلاثة آلاف بعير و قدأوعبوا من السلاح فقدم الغفارى فلم يجد رسول الله ص بالمدينة وجده بقباء فخرج حتى وجد رسول الله ص على باب مسجد قباء يركب [صفحه ٢١٨] حماره فدفع إليه الكتاب فقرأه عليه أبى بن كعب واستكتم أبيا ما فيه ودخل منزل سعد بن الربيع فقال أ فى البيت أحد فقال سعد لافتكلم بحاجتك فأخبره بكتاب العباس بن عبدالمطلب فجعل سعد يقول يا رسول الله و الله إنى لأرجو أن يكون فى ذلك خير وأرجعت يهود المدينة والمنافقون وقالوا ماجاء محمدا شىءيحبه وانصرف رسول الله ص إلى المدينة و قداستكتم سعد بن الربيع الخبر فلما خرج رسول الله ص من منزله خرجت امرأة سعد بن الربيع إليه فقالت ما قال لك رسول الله ص قال ما لك ولذاك لاأم لك قالت كنت أستمع عليكم وأخبرت سعدا الخبر فاسترجع سعد و قال لاأراك تستمعين علينا و أناأقول لرسول الله ص تكلم بحاجتك ثم أخذ بجمع لمتها ثم خرج يعدو بها حتى أدرك رسول الله ص بالجسر و قدبلحت فقال يا رسول الله إن امرأتى سألتنى عما قلت فكتمتها فقالت قدسمعت قول رسول الله ص ثم جاءت بالحديث كله فخشيت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شىءفتظن أنى أفشيت سرك فقال ص خل سبيلها وشاع الخبر بين الناس بمسير قريش وقدم عمرو بن سالم الخزاعى فى نفر من خزاعة ساروا من مكة أربعا فوافوا قريشا و قدعسكروا بذى طوى فأخبروا رسول الله ص الخبر ثم انصرفوا ولقوا قريشا ببطن رابغ و هوأربع ليال من المدينة فنكبوا عن قريش . قال الواقدى فلما أصبح أبوسفيان بالأبواء أخبر أن عمرو بن سالم وأصحابه راحوا أمس ممسين إلى مكة فقال أبوسفيان أحلف بالله أنهم جاءوا محمدا فخبروه بمسيرنا وعددنا وحذروه منا فهم الآن يلزمون صياصيهم فما أرانا نصيب منهم شيئا فى وجهنا فقال صفوان بن أمية إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه [صفحه ٢١٩] فتركناهم و لاأموال لهم فلايختارونها أبدا و إن أصحروا لنا فعددنا أكثر من عددهم وسلاحنا أكثر من سلاحهم ولنا خيل و لاخيل معهم ونحن نقاتل على وتر عندهم و لاوتر لهم عندنا قال الواقدى و كان أبوعامر الفاسق قدخرج فى خمسين رجلا من الأوس حتى قدم بهم مكة حين قدم النبى ص يحرضها ويعلمها أنها على الحق و ماجاء به محمدباطل فسارت قريش إلى بدر و لم يسر معها فلما خرجت قريش إلى أحد سار معها و كان يقول لقريش

إنى لوقدمت على قومى لم يختلف عليكم منهم اثنان وهؤلاء معى نفر منهم خمسون رجلا فصدقوه بما قال وطمعوا فى نصره . قال الواقدى وخرج النساء معهن الدفوف يحرضن الرجال ويذكرنهم قتلى بدر فى كل منزل وجعلت قريش تنزل كل منهل ينحرون مانحروا من الجزر مما كانوا جمعوا من العين ويتقوون به فى مسيرهم ويأكلون من أزوادهم مما جمعوا من الأموال . قال الواقدى وكانت قريش لمامرت بالأبواء قالت إنكم قدخرجتم بالظعن معكم ونحن نخاف على نسائنا فتعالوا ننبش قبر أم محمد فإن النساء عورة فإن يصب من نسائكم أحدا قلتم هذه رمة أمك فإن كان برا بأمه كمايزعم فلعمرى لنفادينكم برمة أمه و إن لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمرى ليفدين رمة أمه بمال كثير إن كان بهابرا فاستشار أبوسفيان بن حرب أهل الرأى من قريش فى ذلك فقالوا لاتذكر من هذاشيئا فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا. قال الواقدى وكانت قريش بذى الحليفة يوم الخميس صبيحة عشر من مخرجهم من مكة و ذلك لخمس ليال مضين من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة فلما [صفحه ٢٢٠] أصبحوا بذى الحليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوطاء وبعث النبى ص عينين له آنسا ومؤنسا ابنى فضالة ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتى نزلوا الوطاء وأتيا رسول الله ص فأخبراه و كان المسلمون قدازدرعوا العرض والعرض ما بين الوطاء بأحد إلى الجرف إلى العرصة عرصة البقل اليوم و كان أهله بنو سلمة وحارثة وظفر و عبدالأشهل و كان الماء يومئذ بالجرف نشطة لايرمم سابق الناضح مجلسا واحدا ينفتل الجمل فى ساعته حتى ذهبت بمياهه عيون الغابة التى حفرها معاوية بن أبى سفيان و كان المسلمون قدأدخلوا آلة زرعهم ليلة الخميس المدينة فقدم المشركون على زرعهم فخلوا فيه إبلهم وخيولهم و كان لأسيد بن حضير فى العرض عشرون ناضحا تسقى شعيرا و كان المسلمون قدحذروا على جمالهم وعمالهم وآلة حرثهم و كان المشركون يرعون يوم الخميس فلما أمسوا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل وقصلوا على خيولهم ليلة الجمعة فلما أصبحوا يوم الجمعة خلوا ظهرهم فى الزرع وخيلهم حتى تركوا العرض ليس به خضراء. قال الواقدى فلما نزلوا وحلوا العقد واطمأنوا بعث رسول الله ص الحباب بن المنذر بن الجموح إلى القوم فدخل فيهم وحزر ونظر إلى جميع مايريد و كان قدبعثه سرا و قال له إذارجعت فلاتخبرنى بين أحد من المسلمين إلا أن ترى فى القوم قلة فرجع إليه فأخبره خاليا و قال له رأيت عددا حزرتهم ثلاث آلاف يزيدون قليلا أوينقصون قليلا والخيل مائتا فرس ورأيت دروعا ظاهرة حزرتها سبعمائة درع قال هل رأيت ظعنا قال نعم رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار وهى الطبول فقال رسول الله ص أردن أن يحرضن القوم ويذكرنهم قتلى بدر هكذا -روايت-١-٢-روايت-١٦-ادامه دارد [صفحه ٢٢١] جاءنى خبرهم لاتذكر من شأنهم حرفا حسبنا الله ونعم الوكيل أللهم بك أحول وبك أصول -روايت-از قبل-٩٢ . قال الواقدى وخرج سلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة حتى إذا كان بأدنى العرض إذاطليعة خيل المشركين عشرة أفراس ركضوا فى أثره فوقف لهم على نشز من الحرة فرشقهم بالنبل مرة وبالحجارة أخرى حتى انكشفوا عنه فلما ولوا جاء إلى مزرعته بأدنى العرض فاستخرج سيفا كان له ودرع حديد كان له دفنا فى ناحية المزرعة وخرج بهما يعدو حتى أتى بنى عبدالأشهل فخبر قومه بما لقى. قال الواقدى و كان مقدم قريش يوم الخميس لخمس خلون من شوال وكانت الوقعة يوم السبت لسبع خلون من شوال وباتت وجوه الأوس والخزرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة فى عدة منهم ليلة الجمعة عليهم السلاح فى المسجد بباب النبى ص خوفا من تبييت المشركين وحرست المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا ورأى رسول الله ص رؤيا ليلة الجمعة فلما أصبح واجتمع المسلمون خطبهم . قال الواقدى فحدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد قال ظهر النبى ص المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى رأيت فى منامى رؤيا رأيت كأنى فى درع حصينة ورأيت كأن سيفى ذا الفقار انفصم من عندظبته ورأيت بقرا تذبح ورأيت كأنى مردف كبشا فقال الناس يا رسول الله فما أولتها قال أماالدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها و أما -روايت-١-٢-روايت-٨٥-ادامه دارد [صفحه ٢٢٢] انفصام سيفى عندظبته فمصيبة فى نفسى و أماالبقر المذبح فقتلى فى أصحابى و أماأنى مردف

كبشا فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله -روايت-از قبل-١٣٣ قال الواقدى وروى عن ابن عباس أن رسول الله ص قال أماانفصام سيفى فقتل رجل من أهل بيتى -روايت-١-٢-روايت-٦٠-١٠٣ قال الواقدى وروى المسور بن مخرمة قال قال النبى ص ورأيت فى سيفى فلافكرهته هو ألذى أصاب وجهه ع -روايت-١-٢-روايت-٥٨-١٠٩ قال الواقدى و قال النبى ص أشيروا على ورأى ص ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا و رسول الله ص يحب أن يوافق على مثل مارأى و على ماعبر عليه الرؤيا فقام عبد الله بن أبى فقال يا رسول الله كنا نقاتل فى الجاهلية فى هذه المدينة ونجعل النساء والذرارى فى هذه الصياصى ونجعل معهم الحجارة و الله لربما مكث الولدان شهرا ينقلون الحجارة إعدادا لعدونا ونشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية وترمى المرأة والصبى من فوق الصياصى والآطام ونقاتل بأسيافنا فى السكك يا رسول الله إن مدينتنا عذراء مافضت علينا قط و ماخرجنا إلى عدو قط منها إلاأصاب منا و مادخل علينا قط إلاأصبناه فدعهم يا رسول الله فإنهم إن أقاموا أقاموا بشر محبس و إن رجعوا رجعوا خاسرين مغلوبين لم ينالوا خيرا يا رسول الله أطعنى فى هذاالأمر واعلم أنى ورثت هذاالرأى من أكابر قومى و أهل الرأى منهم فهم كانوا أهل الحرب والتجربة. قال الواقدى فكان رأى رسول الله ص مع رأى ابن أبى و كان ذلك رأى الأكابر من أصحاب رسول الله ص من المهاجرين والأنصار [صفحه ٢٢٣] فقال رسول الله ص امكثوا فى المدينة واجعلوا النساء والذرارى فى الآطام فإن دخل علينا قاتلناهم فى الأزقة فنحن أعلم بهامنهم ورموا من فوق الصياصى والآطام وكانوا قدشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدرا وطلبوا من رسول الله الخروج إلى عدوهم ورغبوا فى الشهادة وأحبوا لقاء العدو وقالوا اخرج بنا إلى عدونا و قال رجال من أهل النبه و أهل السن منهم حمزة بن عبدالمطلب وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك بن ثعلبة وغيرهم من الأوس والخزرج إنا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أناكرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم فيكون هذاجرأة منهم علينا و قدكنت يوم بدر فى ثلاثمائة رجل فظفرك الله بهم ونحن اليوم بشر كثير وكنا نتمنى هذااليوم وندعو الله به فقد ساقه الله إلينا فى ساحتنا هذه و رسول الله ص لمارأى من إلحاحهم كاره و قدلبسوا السلاح يخطرون بسيوفهم يتساومون كأنهم الفحول و قال مالك بن سنان أبو أبى سعيد الخدرى يا رسول الله نحن و الله بين إحدى الحسنيين إما يظفرنا الله بهم فهذا ألذى نريد فيذلهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر فلايبقى منهم إلاالشريد والأخرى يا رسول الله يرزقنا الله الشهادة و الله يا رسول الله مانبالى أيهما كان إن كلا لفيه الخير فلم يبلغنا أن النبى ص رجع إليه قولا وسكت و قال حمزة بن عبدالمطلب و ألذى أنزل عليه الكتاب لاأطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارجا من المدينة و كان يقال كان حمزة يوم الجمعة صائما و يوم السبت فلاقاهم و هوصائم و قال النعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بنى سالم يا رسول الله أناأشهد أن البقر المذبح قتلى من أصحابك وأنى منهم فلم تحرمنا الجنة فو الله ألذى لاإله إلا هو [صفحه ٢٢٤] لأدخلنها قال رسول الله بم قال إنى أحب الله ورسوله و لاأفر يوم الزحف فقال صدقت فاستشهد يومئذ. و قال إياس بن أوس بن عتيك يا رسول الله نحن بنو عبدالأشهل من البقر المذبح نرجو يا رسول الله أن نذبح فى القوم ويذبح فينا فنصير إلى الجنة ويصيرون إلى النار مع أنى يا رسول الله لاأحب أن ترجع قريش إلى قومها فتقول حصرنا محمد فى صياصى يثرب وآطامها فتكون هذه جرأة لقريش و قدوطئوا سعفنا فإذا لم نذب عن عرضنا فلم ندرع و قدكنا يا رسول فى جاهليتنا والعرب يأتوننا فلايطمعون بهذا منا حتى نخرج إليهم بأسيافنا فنذبهم عنا فنحن اليوم أحق إذ أمدنا الله بك وعرفنا مصيرنا لانحصر أنفسنا فى بيوتنا. وقام خيثمة أبوسعد بن خيثمة فقال يا رسول الله إن قريشا مكثت حولا تجمع الجموع وتستجلب العرب فى بواديها و من اتبعها من أحابيشها ثم جاءونا قدقادوا الخيل واعتلوا الإبل حتى نزلوا بساحتنا فيحصروننا فى بيوتنا وصياصينا ثم يرجعون وافرين لم يكلموا فيجرئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا ويصيبوا أطلالنا ويضعوا العيون والأرصاد علينا مع ما قدصنعوا بحروثنا ويجترئ علينا العرب حولنا حتى يطمعوا فينا إذارأونا لم نخرج إليهم فنذبهم عن حريمنا وعسى الله أن يظفرنا بهم فتلك عادة الله عندنا أوتكون الأخرى فهى الشهادة لقد أخطأتنى وقعة بدر و

قدكنت عليها حريصا لقد بلغ من حرصى أن ساهمت ابنى فى الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة و قدكنت حريصا على الشهادة و قدرأيت ابنى البارحة فى النوم فى أحسن صوره يسرح فى ثمار الجنة وأنهارها و هو يقول الحق بنا ترافقنا فى الجنة فقد وجدت ماوعدنى ربى حقا و قد و الله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته فى الجنة و قدكبرت سنى ودق عظمى وأحببت [صفحه ٢٢٥] لقاء ربى فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة ومرافقة سعد فى الجنة فدعا له رسول الله بذلك فقتل بأحد شهيدا. قال أنس بن قتادة يا رسول الله هى إحدى الحسنيين إما الشهادة وإما الغنيمة والظفر بقتلهم فقال رسول الله ص إنى أخاف عليكم الهزيمة. فلما أبوا إلاالخروج والجهاد صلى رسول الله يوم الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم أن لهم الصبر ماصبروا ففرح الناس حيث أعلمهم رسول الله ص بالشخوص إلى عدوهم وكره ذلك المخرج بشر كثير من أصحاب رسول الله وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ثم صلى العصر بالناس و قدحشد الناس وحضر أهل العوالى ورفعوا النساء إلى الآطام فحضرت بنو عمرو بن عوف بلفها والنبيت ولفها وتلبسوا السلاح فدخل رسول الله ص بيته ودخل معه أبوبكر وعمر فعمماه ولبساه وصف الناس له ما بين حجرته إلى منبره ينتظرون خروجه فجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير فقالا لهم قلتم لرسول الله ماقلتم واستكرهتموه على الخروج والأمر ينزل عليه من السماء فردوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه و مارأيتم فيه له هوى أوأدبا فأطيعوه فبينا القوم على ذلك من الأمر وبعض القوم يقول القول ما قال سعد وبعضهم على البصيرة على الشخوص وبعضهم للخروج كاره إذ خرج رسول الله ص قدلبس لأمته و قدلبس الدرع فأظهرها وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف من أدم كانت بعد عندآل أبى رافع مولى رسول الله ص واعتم وتقلد السيف فلما خرج رسول الله ص ندموا جميعا [صفحه ٢٢٦] على ماصنعوا و قال الذين يلحون على رسول الله ص ما كان لنا أن نخالفك فاصنع مابدا لك و ما كان لنا أن نستكرهك والأمر إلى الله ثم إليك فقال قددعوتكم إلى هذاالحديث فأبيتم و لاينبغى لنبى إذالبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه و بين أعدائه قال وكانت الأنبياء قبله إذالبس النبى لأمته لم يضعها حتى يحكم الله بينه و بين أعدائه ثم قال لهم انظروا ماأمرتكم به فاتبعوه امضوا على اسم الله فلكم النصر ماصبرتم . قلت فمن تأمل أحوال المسلمين فى هذه الغزاة من فشلهم وخورهم واختلافهم فى الخروج من المدينة والمقام بها وكراهة النبى ص للخروج ثم خروجه على مضض ثم ندم القوم الذين أشاروا بالخروج ثم انخزال طائفة كثيرة من الجيش عن الحرب ورجوعهم إلى المدينة علم أنه لاانتصار لهم على العدو أصلا فإن النصر معروف بالعزم والجد والبصيرة فى الحرب واتفاق الكلمة و من تأمل أيضا هذه الأحوال علم أنها ضد الأحوال التى كانت فى غزاة بدر و أن أحوال قريش لماخرجت إلى بدر كانت مماثلة لأحوال المسلمين لماخرجوا إلى أحد ولذلك كانت الدبرة فى بدر على قريش . قال الواقدى و كان مالك بن عمرو النجارى مات يوم الجمعة فلما دخل رسول الله ص فلبس لأمته وخرج و هوموضوع عندموضع الجنائز صلى عليه ثم دعا بدابته فركب إلى أحد. قال الواقدى وجاء جعيل بن سراقة إلى النبى ص و هومتوجه إلى أحد فقال يا رسول الله قيل لى إنك تقتل غدا و هويتنفس مكروبا فضرب النبى ص بيده إلى صدره و قال أ ليس الدهر كله غدا قال ثم دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية فدفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر بن الجموح ويقال إلى سعد بن عبادة ودفع لواء المهاجرين [صفحه ٢٢٧] إلى على بن أبى طالب ع ويقال إلى مصعب بن عمير ثم دعا بفرسه فركبه وتقلد القوس وأخذ بيده قناة زج الرمح يومئذ من شبه والمسلمون متلبسون السلاح قدأظهروا الدروع فهم مائة دارع فلما ركب ص خرج السعدان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة كل واحد منهما دارع و الناس عن يمينه وشماله حتى سلك على البدائع ثم زقاق الحسى حتى أتى الشيخين وهما أطمان كانا فى الجاهلية فيهما شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدثان فسمى الأطمان الشيخين فلما انتهى إلى رأس الثنية التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل خلفه فقال ما هذه قال هذه حلفاء ابن أبى من اليهود فقال رسول الله ص لانستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٦٣ ومضى

رسول الله ص وعرض عسكره بالشيخين فعرض عليه غلمان منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد والنعمان بن بشير وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وعرابة بن أوس و أبوسعيد الخدرى وسمرة بن جندب ورافع بن خديج . قال الواقدى فردهم رسول الله ص قال رافع بن خديج فقال ظهير بن رافع يا رسول الله إنه رام يعيننى قال وجعلت أتطاول و على خفان لى فأجازنى رسول الله ص فلما أجازنى قال سمرة بن جندب لمرى بن سنان الحارثى و هوزوج أمه يا أبيه أجاز رسول الله ص رافع بن خديج وردنى و أناأصرع رافعا فقال مرى يا رسول الله رددت ابنى وأجزت رافع بن خديج وابنى يصرعه فقال رسول الله ص تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله ص قال الواقدى وأقبل ابن أبى فنزل ناحية العسكر فجعل حلفاؤه و من معه من المنافقين يقولون لابن أبى أشرت عليه بالرأى ونصحته وأخبرته أن هذارأى من [صفحه ٢٢٨] مضى من آبائك و كان ذلك رأيه مع رأيك فأبى أن يقبله وأطاع هؤلاء الغلمان الذين معه قال فصادفوا من ابن أبى نفاقا وغشا فبات رسول الله ص بالشيخين وبات ابن أبى فى أصحابه وفرغ رسول الله ص من عرض من عرض وغابت الشمس فأذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله ص بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى رسول الله ص بأصحابه و رسول الله ص نازل فى بنى النجار واستعمل على الحرس محمد بن مسلمة فى خمسين رجلا يطيفون بالعسكر حتى ادلج رسول الله ص و كان المشركون قدرأوا رسول الله ص حيث ادلج ونزل بالشيخين فجمعوا خيلهم وظهرهم واستعملوا على حرسهم عكرمة بن أبى جهل فى خيل من المشركين وباتت صاهلة خيلهم لاتهدأ تدنو طلائعهم حتى تلصق بالحرة فلاتصعد فيها حتى ترجع خيلهم ويهابون موضع الحرة و محمد بن مسلمة. قال الواقدى و قد كان رسول الله ص قال حين صلى العشاء من يحفظنا الليلة فقال رجل أنا يا رسول الله فقال من أنت قال ذكوان بن عبدالقيس فقال اجلس ثم قال ثانية من رجل يحفظنا الليلة فقام رجل فقال من أنت قال أبوسبع قال اجلس ثم قال ثالثة مثل ذلك فقام رجل فقال من أنت فقال أنا ابن عبدقيس فمكث رسول الله ص ساعة ثم قال قوموا ثلاثتكم فقام ذكوان بن عبدقيس فقال رسول الله وأين صاحباك فقال ذكوان أنا الذى كنت أجيبك الليلة قال فاذهب حفظك الله . قلت قدتقدم هذاالحديث بذاته فى غزوة بدر وظاهر الحال أنه مكرر [صفحه ٢٢٩] و أنه إنما كان فى غزاة واحدة ويجوز أن يكون قدوقع فى الغزاتين ولكن على بعد. قال الواقدى فلبس ذكوان درعه وأخذ درقته فكان يطوف على العسكر تلك الليلة ويقال كان يحرس رسول الله ص لم يفارقه . قال ونام رسول الله ص حتى ادلج فلما كان فى السحر قال رسول الله أين الأدلاء من رجل يدلنا على الطريق ويخرجنا على القوم من كثب فقام أبوخثيمة الحارثى فقال أنا يا رسول الله ويقال أوس بن قيظى ويقال محيصة. قال الواقدى وأثبت ذلك عندنا أبوخثيمة خرج برسول الله ص وركب فرسه فسلك به فى بنى حارثة ثم أخذ فى الأموال حتى مر بحائط مربع بن قيظى و كان أعمى البصر منافقا فلما دخل رسول الله ص حائطه قام يحثى التراب فى وجوه المسلمين و يقول إن كنت رسول الله فلاتدخل حائطى فلاأحله لك . قال محمد بن إسحاق وقد ذكر أنه أخذ حفنة من تراب و قال و الله لوأعلم أنى لاأصيب غيرك يا محمدلضربت بهاوجهك . قال الواقدى فضربه سعد بن زيد الأشهلى بقوس فى يده فشجه فى رأسه فنزل الدم فغضب له بعض بنى حارثة ممن هو على مثل رأيه فقال هى على عداوتكم يابنى عبدالأشهل لاتدعونها أبدا لنا فقال أسيد بن حضير لا و الله ولكن نفاقكم و الله لو لا أنى لاأدرى مايوافق النبى ص لضربت عنقه وعنق من هو على مثل رأيه . قال ونهاهم النبى ص عن الكلام فأسكتوا. [صفحه ٢٣٠] و قال محمد بن إسحاق قال رسول الله ص دعوه فإنه أعمى البصر أعمى القلب يعنى مربع بن قيظى. قال الواقدى ومضى رسول الله ص فبينا هو فى مسيره إذ ذب فرس أبى بردة بن نيار بذنبه فأصاب كلاب سيفه فسل سيفه فقال رسول الله ص ياصاحب السيف شم سيفك فإنى أخال السيوف ستسل اليوم فيكثر سلها. قال و كان رسول الله ص يحب الفأل ويكره الطيرة قال ولبس رسول الله ص من الشيخين درعا واحدة حتى انتهى إلى أحد فلبس درعا أخرى ومغفرا وبيضة فوق المغفر فلما نهض رسول الله ص من الشيخين زحف المشركين على تعبئة حتى انتهوا إلى موضع أرض ابن عامر اليوم فلما انتهى

رسول الله ص إلى موضع القنطرة اليوم جاءه و قدحانت الصلاة و هويرى المشركين فأمر بلالا فأذن وأقام وصلى بأصحابه الصبح صفوفا وانخزل عبد الله بن أبى من ذلك المكان فى كتيبته كأنه هيقه تقدمهم فأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام فقال أذكركم الله ودينكم ونبيكم و ماشرطتم له أن تمنعوه مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم فقال ابن أبى ماأرى أنه يكون بينهم قتال و إن أطعتنى يا أباجابر لترجعن فإن أهل الرأى والحجى قدرجعوا ونحن ناصروه فى مدينتنا و قدخالفنا وأشرت عليه بالرأى فأبى إلاطواعية الغلمان فلما أبى على عبد الله بن عمرو أن يرجع ودخل هو وأصحابه أزقة المدينة قال لهم أبوجابر أبعدكم الله إن الله سيغنى النبى و المؤمنين عن نصركم فانصرف ابن أبى و هو يقول أيعصينى ويطيع الولدان وانصرف عبد الله بن عمرو يعدو حتى لحق رسول الله و هويسوى الصفوف فلما أصيب أصحاب [صفحه ۲۳۱] رسول الله ص سر ابن أبى وأظهر الشماتة و قال عصانى وأطاع من لارأى له . قال الواقدى وجعل رسول الله ص يصف أصحابه وجعل الرماة خمسين رجلا على عينين عليهم عبد الله بن جبير ويقال سعد بن أبى وقاص والثبت أنه عبد الله بن جبير قال وجعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة وجعل عينين عن يساره وأقبل المشركون واستدبروا المدينة فى الوادى واستقبلوا أحدا ويقال جعل عينين خلف ظهره واستدبر الشمس واستقبلها المشركون . قال والقول الأول أثبت عندنا أن أحدا كان خلف ظهره و هو ع مستقبل المدينة قال ونهى أن يقاتل أحد حتى يأمرهم بالقتال فقال عمارة بن يزيد بن السكن أنى نغير على زرع بنى قيلة و لمانضارب وأقبل المشركون قدصفوا صفوفهم واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد و على الميسرة عكرمة بن أبى جهل ولهم مجنبتان مائتا فرس وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ويقال عمرو بن العاص و على الرماة عبد الله بن أبى ربيعة وكانوا مائة رام ودفعوا اللواء إلى طلحة بن أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصى وصاح أبوسفيان يومئذ يابنى عبدالدار نحن نعرف أنكم أحق باللواء منا و أناإنما أتينا يوم بدر من اللواء وإنما يؤتى القوم من قبل لوائهم فالزموا لواءكم وحافظوا عليه وخلوا بيننا وبينه فإنا قوم مستميتون موتورون نطلب ثأرا حديث العهد وجعل يقول إذازالت الألوية فما قوام الناس وبقاؤهم بعدها فغضبت بنو عبدالدار وقالوا نحن نسلم لواءنا لا كان هذاأبدا و أماالمحافظة عليه فسترى ثم أسندوا الرماح إليه وأحدقت به بنو عبدالدار [صفحه ۲۳۲] وأغلظوا لأبى سفيان بعض الإغلاظ فقال أبوسفيان فنجعل لواء آخر قالوا نعم و لايحمله إلا رجل من بنى عبدالدار لا كان غير ذلك أبدا. قال الواقدى وجعل رسول الله ص يمشى على رجليه يسوى تلك الصفوف ويبوئ أصحابه مقاعد للقتال يقول تقدم يافلان وتأخر يافلان حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجا فيؤخره فهو يقومهم كأنما يقوم القداح حتى إذااستوت الصفوف سأل من يحمل لواء المشركين قيل عبدالدار قال نحن أحق بالوفاء منهم أين مصعب بن عمير قال ها أناذا قال خذ اللواء فأخذه مصعب فتقدم به بين يدى رسول الله ص . قال البلاذرى أخذه من على ع فدفعه إلى مصعب بن عمير لأنه من بنى عبدالدار. قال الواقدى ثم قام ع فخطب الناس فقال ص أيها الناس أوصيكم بما أوصانى به الله فى كتابه من العمل بطاعته والتناهى عن محارمه ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر ألذى عليه ثم وطن نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط فإن جهاد العدو شديد كريه قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده إن الله مع من أطاعه و إن الشيطان مع من عصاه فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد والتمسوا بذلك ماوعدكم الله وعليكم بالذى آمركم به فإنى حريص على رشدكم إن الاختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضعف و هومما لايحبه الله و لايعطى عليه النصر والظفر أيها الناس إنه قذف فى قلبى أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر الله له ذنبه و من صلى على محمدصلى الله عليه وملائكته -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-ادامه دارد [صفحه ۲۳۳] عشرا و من أحسن من مسلم أوكافر وقع أجره على الله فى عاجل دنياه أو فى آجل آخرته و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلاصبيا أوامرأة أومريضا أوعبدا مملوكا و من استغنى عنها استغنى الله عنه و الله غنى حميد ماأعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا و قدأمرتكم به و لاأعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا و قدنهيتكم عنه وإنه قدنفث الروح الأمين فى روعى

أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لاينقص منه شىء و إن أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم وأجملوا فى طلب الرزق و لايحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم فإنه لايقدر على ماعنده إلابطاعته قد بين لكم الحلال والحرام غير أن بينهما شبها من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عصم فمن تركها حفظ عرضه ودينه و من وقع فيها كان كالراعى إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه ويفعله و ليس ملك إلا و له حمى ألا و إن حمى الله محارمه والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد إذااشتكى تداعى إليه سائر جسده و السلام عليكم -روايت-از قبل-٩٣٣ . قال الواقدى فحدثنى ابن أبى سبرة عن خالد بن رباح عن المطلب بن عبد الله قال أول من أنشب الحرب بينهم أبوعامر طلع فى خمسين من قومه معه عبيد قريش فنادى أبوعامر واسمه عبدعمرو ياللأوس أنا أبوعامر قالوا لامرحبا بك و لاأهلا يافاسق فقال لقد أصاب قومى بعدى شر قال ومعه عبيد أهل مكة فتراموا بالحجارة هم والمسلمون حتى تراضخوا بهاساعة إلى أن ولى أبوعامر وأصحابه ويقال إن العبيد لم يقاتلوا وإنهم أمروهم بحفظ عسكرهم . قال الواقدى وجعل نساء المشركين قبل أن يلتقى الجمعان أمام صفوف المشركين يضربن بالأكبار والدفاف والغرابيل ثم يرجعن فيكن إلى مؤخر الصف حتى [صفحه ٢٣٤] إذادنوا من المسلمين تأخر النساء فقمن خلف الصفوف وجعلن كلما ولى رجل حرضنه وذكرنه قتلى بدر. و قال الواقدى و كان قزمان من المنافقين و كان قدتخلف عن أحد فلما أصبح عيره نساء بنى ظفر فقلن ياقزمان قدخرج الرجال وبقيت استحى ياقزمان أ لاتستحيى مما صنعت ما أنت إلاامرأة خرج قومك وبقيت فى الدار فأحفظنه فدخل بيته فأخرج قوسه وجعبته وسيفه و كان يعرف بالشجاعة وخرج يعدو حتى انتهى إلى رسول الله ص و هويسوى صفوف المسلمين فجاء من خلف الصف حتى انتهى إلى الصف الأول فكان فيه و كان أول من رمى بسهم من المسلمين جعل يرسل نبلا كأنها الرماح وإنه ليكت كتيت الجمل ثم صار إلى السيف ففعل الأفاعيل حتى إذا كان آخر ذلك قتل نفسه و كان رسول الله ص إذاذكره قال من أهل النار قال فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول الموت أحسن من الفرار ياللأوس قاتلوا على الأحساب واصنعوا مثل ماأصنع قال فيدخل بالسيف وسط المشركين حتى يقال قدقتل ثم يطلع فيقول أناالغلام الظفرى حتى قتل منهم سبعة وأصابته الجراحة وكثرت فيه فوقع فمر به قتادة بن النعمان فقال له أباالغيداق قال قزمان لبيك قال هنيئا لك الشهادة قال قزمان إنى و الله ماقاتلت يا أباعمرو على دين ماقاتلت إلا على الحفاظ أن تسير قريش إلينا فتطأ سعفنا قال فآذته الجراحة فقتل نفسه فقال النبى ص إن الله يؤيد هذاالدين بالرجل الفاجر -روايت-١-٢-روايت-١٩-٥٩ [صفحه ٢٣٥] قال الواقدى وتقدم رسول الله ص إلى الرماة فقال احموا لنا ظهورنا فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا والزموا مكانكم لاتبرحوا منه و إن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلاتفارقوا مكانكم و إن رأيتمونا نقتل فلاتعينونا و لاتدفعوا عنا أللهم إنى أشهدك عليهم ارشقوا خيلهم بالنبل فإن الخيل لاتقدم على النبل و كان للمشركين مجنبتان ميمنة عليها خالد بن الوليد وميسرة عليها عكرمة بن أبى جهل -روايت-١-٢-روايت-١٦-٣٩٨ قال الواقدى وعمل رسول الله ص لنفسه ميمنة وميسرة ودفع اللواء الأعظم إلى مصعب بن عمير ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ولواء الخزرج إلى سعد بن عبادة وقيل إلى الحباب بن المنذر فجعلت الرماة تحمى ظهور المسلمين وترشق خيل المشركين بالنبل فولت هاربه قال بعض المسلمين و الله لقد رمقت نبلنا يومئذ مارأيت سهما واحدا مما يرمى به خيلهم يقع فى الأرض إما فى فرس أو فى رجل ودنا القوم بعضهم من بعض وقدموا طلحة بن أبى طلحة صاحب لوائهم وصفوا صفوفهم وأقاموا النساء خلف الرجال يضربن بين أكتافهم بالأكبار والدفوف وهند وصواحبها يحرضن ويذمرن الرجال ويذكرن من أصيب ببدر ويقلن نحن بنات طارق || نمشى على النمارق إن تقبلوا نعانق || أوتدبروا نفارق فراق غيروامق . قال الواقدى وبرز طلحة فصاح من يبارز فقال على ع له هل لك فى مبارزتى قال نعم فبرزا بين الصفين و رسول الله ص جالس تحت [صفحه ٢٣٦] الراية عليه درعان ومغفر وبيضته فالتقيا فبدره على ع بضربة على رأسه فمضى السيف حتى فلق هامته إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع وانصرف على ع فقيل له هلا ذففت عليه قال إنه لماصرع استقبلنى

بعورته فعطفتنی علیه الرحم و قدعلمت أن الله سیقتله هوکبش الکتیبة. قال الواقدی وروی أن طلحة حمل علی علی ع فضربه بالسیف فاتقاه بالدرقة فلم یصنع شیئا وحمل علی ع و علی طلحة درع ومغفر فضربه بالسیف فقطع ساقیه ثم أراد أن یذفف علیه فسأله طلحة بالرحم ألا یفعل فترکه و لم یذفف علیه . قال الواقدی ویقال إن علیا ع دفف علیه ویقال إن بعض المسلمین مر به فی المعرکة فذفف علیه قال فلما قتل طلحة سر رسول الله ص وکبر تکبیرا عالیا وکبر المسلمون ثم شد أصحاب رسول الله ص علی کتائب المشرکین فجعلوا یضربون وجوههم حتی انتقضت صفوفهم و لم یقتل إلاطلحة بن أبی طلحة وحده . قال الواقدی ثم حمل لواء المشرکین بعدطلحة أخوه عثمان بن أبی طلحة و هو أبوشیبة فارتجز و قال إن علی رب اللواء حقا || أن تخضب الصعدة أوتندقا .فتقدم باللواء والنسوة خلفه یحرضن ویضربن بالدفوف فحمل علیه حمزة بن عبدالمطلب رحمه الله فضربه بالسیف علی کاهله فقطع یده وکتفه حتی انتهی إلی [صفحه ۲۳۷] مؤتزره فبدا سحره ورجع فقال أنا ابن ساقی الحجیج ثم حمل اللواء أخوهما أبوسعد بن أبی طلحة فرماه سعد بن أبی وقاص فأصاب حنجرته و کان دراعا و علیه مغفر لارفرف علیه و علی رأسه بیضته فأدلع لسانه إدلاع الکلب . قال الواقدی و قدروی أن أباسعد لماحمل اللواء قام النساء خلفه یقلن ضربا بنی عبدالدار || ضربا حماة الأدبار ضربا بکل بتار . قال سعد بن أبی وقاص فأحمل علیه فأقطع یده الیمنی فأخذ اللواء بالید الیسری فأضربه علی یده الیسری فقطعتها فأخذ اللواء بذراعیه جمیعا وضمه إلی صدره وحنی علیه ظهره قال سعد فأدخل سیة القوس بین الدرع والمغفر فأقلع المغفر فأرمی به وراء ظهره ثم ضربته حتی قتلته وأخذت أسلبه درعه فنهض إلی سبیع بن عبدعوف ونفر معه فمنعونی سلبه و کان سلبه أجود سلب رجل من المشرکین درع فضفاضة ومغفر وسیف جید ولکن حیل بینی وبینه . قال الواقدی و هذاأثبت القولین . قلت شتان بین علی وسعد هذایجاحش علی السلب ویتأسف علی فواته و ذلک یقتل عمرو بن عبدود یوم الخندق و هوفارس قریش وصندیدها ومبارزه فیعرض عن سلبه فیقال له کیف ترکت سلبه و هوأنفس سلب فیقول کرهت أن أبز السبی ثیابه فکأن حبیبا عناه بقوله [صفحه ۲۳۸] إن الأسود أسود الغاب همتها || یوم الکریهة فی المسلوب لاالسلب . قال الواقدی ثم حمل لواء المشرکین بعد أبی سعد بن أبی طلحة مسافع بن أبی طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبی الأقلح فقتله فحمل إلی أمه سلافة بنت سعد بن الشهید وهی مع النساء بأحد فقالت من أصابک قال لاأدری سمعته یقول خذها و أنا ابن الأقلح فقالت أقلحی و الله أی هو من رهطی وکانت من الأوس . قال الواقدی وروی أن عاصما لمارماه قال له خذها و أنا ابن کسرة وکانوا یقال لهم فی الجاهلیة بنو کسر الذهب فقال لأمه لاأدری إلاأنی سمعته یقول خذها و أنا ابن کسرة فقالت سلافة أوسی و الله کسری أی أنه منا فیومئذ نذرت سلافة أن تشرب فی قحف رأس عاصم بن ثابت الخمر وجعلت لمن جاءها به مائة من الإبل . قلت فلما قتله المشرکون فی یوم الرجیع أرادوا أن یأخذوا رأسه فیحملوه إلی سلافة فحمته الدبر یومه ذلک فلما جاء اللیل فظنوا أن الدبر لاتحمیه لیلا جاء الوادی بسیل عظیم فذهب برأسه وبدنه اتفق المؤرخون علی ذلک . قال الواقدی ثم حمل اللواء بعدالحارث أخوه کلاب بن طلحة بن أبی طلحة فقتله الزبیر بن العوام ثم حمله أخوه الجلاس بن طلحة بن أبی طلحة فقتله طلحة بن عبید الله ثم حمله أرطاة بن عبدشرحبیل فقتله علی بن أبی طالب ع ثم حمله شریح بن [صفحه ۲۳۹] قانط فقتل لایدری من قتله ثم حمله صواب غلام بنی عبدالدار فاختلف فی قاتله فقیل قتله علی بن أبی طالب ع وقیل سعد بن أبی وقاص وقیل قزمان و هوأثبت الأقوال . قال الواقدی انتهی قزمان إلی صواب فحمل علیه فقطع یده الیمنی فاحتمل اللواء بالیسری فقطع الیسری فاحتضن اللواء بذراعیه وعضدیه وحنی علیه ظهره و قال یابنی عبدالدار هل أعذرت فحمل علیه قزمان فقتله . قال الواقدی وقالوا ماظفر الله تعالی نبیه فی موطن قط ماظفره وأصحابه یوم أحد حتی عصوا الرسول وتنازعوا فی الأمر لقد قتل أصحاب اللواء وانکشف المشرکون منهم لایلوون ونساؤهم یدعون بالویل بعدضرب الدفاف والفرح . قال الواقدی و قدروی کثیر من الصحابة ممن شهد أحدا قال کل واحد منهم و الله إنی لأنظر إلی هند وصواحبها منهزمات مادون أخذهن شیءلمن

أراده ولكن لامرد لقضاء الله قالوا و كان خالد بن الوليد كلما أتى من قبل ميسرة النبى ص ليجوز حتى يأتيهم من قبل السفح ترده الرماة حتى فعل وفعلوا ذلك مرارا ولكن المسلمين أتوا من قبل الرماة أن رسول الله ص أوعز إليهم فقال قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قدغنمنا فلاتشركونا و إن رأيتمونا نقتل فلاتنصرونا فلما انهزم المشركون وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهزوهم عن المعسكر ووقعوا ينتهبونه قال بعض الرماة لبعض لم تقيمون هاهنا فى غير شىء قدهزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينهبون عسكرهم فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم فقال بعضهم أ لم تعلموا أن رسول الله ص قال لكم احموا ظهورنا و إن غنمنا فلاتشركونا [صفحه ٢٤٠] فقال الآخرون لم يرد رسول الله ص هذا و قدأذل الله المشركين وهزمهم فادخلوا العسكر فانتهبوا مع إخوانكم فلما اختلفوا خطبهم أميرهم عبد الله بن جبير و كان يومئذ معلما بثياب بيض فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله وألا يخالف أمره فعصوه وانطلقوا فلم يبق معه إلانفير مايبلغون العشرة منهم الحارث بن أنس بن رافع يقول ياقوم اذكروا عهد نبيكم إليكم وأطيعوا أميركم فأبوا وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون وخلوا الجبل وانتقضت صفوف المشركين واستدارت رحالهم ودارت الريح وكانت إلى أن انتقض صفهم صبا فصارت دبورا فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بالخيل فانطلقا إلى موضع الرماة فحملوا عليهم فرماهم القوم حتى أصيبوا ورمى عبد الله بن جبير حتى فنيت نبله ثم طاعن بالرمح حتى انكسر ثم كسر جفن سيفه فقاتل حتى قتل وأفلت جعيل بن سراقة و أبوبردة بن نيار بعد أن شاهدا قتل عبد الله بن جبير و كان آخر من انصرف من الخيل فلحقا بالمسلمين قال الواقدى فروى رافع بن خديج قال لماقتل خالد الرماة أقبل بالخيل وعكرمة بن أبى جهل يتلوه فخالطنا و قدانتقضت صفوفنا ونادى إبليس وتصور فى صورة جعيل بن سراقة أن محمدا قدقتل ثلاث صرخات فابتلى يومئذ جعيل بن سراقة ببلية عظيمة حين تصور إبليس فى صورته و إن جعيلا ليقاتل مع المسلمين أشد القتال وإنه إلى جنب أبى بردة بن نيار وخوات بن جبير قال رافع بن خديج فو الله مارأينا دولة كانت أسرع من دولة المشركين علينا وأقبل المسلمون على جعيل بن سراقة يريدون قتله يقولون هذا ألذى صاح أن محمدا قدقتل فشهد له خوات بن جبير و أبوبردة أنه كان إلى جنبهما حين صاح الصائح و أن الصائح غيره . [صفحه ٢٤١] قال الواقدى فروى رافع قال أتينا من قبل أنفسنا ومعصية نبينا واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضا و مايشعرون بما يصنعون من الدهش والعجل و قدجرح يومئذ أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبوبردة بن نيار و مايدرى يقول خذها و أناالغلام الأنصارى وكر أبوزعنة فى حومة القتال فضرب أبابردة ضربتين مايشعر أنه هو يقول خذها و أنا أبوزعنة حتى عرفه بعدفكان إذالقيه قال انظر ماصنعت بى فيقول أبوزعنة و أنت فقد ضربت أسيد بن حضير و لاتشعر ولكن هذاالجرح فى سبيل الله فذكر ذلك لرسول الله ص فقال هو فى سبيل الله يا أبابردة لك أجره حتى كأنك ضربك أحد المشركين و من قتل فهو شهيد. قال الواقدى و كان الشيخان حسيل بن جابر ورفاعة بن وقش شيخين كبيرين قدرفعا فى الآطام مع النساء فقال أحدهما لصاحبه لا أبا لك مانستبقى من أنفسنا فو الله مانحن إلاهامة اليوم أوغد و مابقى من أجلنا قدر ظم ء دابة فلو أخذنا أسيافنا فلحقنا برسول الله ص لعل الله يرزقنا الشهادة قال فلحقا برسول الله ص فأما رفاعة فقتله المشركون و أماحسيل بن جابر فالتفت عليه سيوف المسلمين وهم لايعرفونه حين اختلطوا وابنه حذيفة يقول أبى أبى حتى قتل فقال حذيفة يغفر الله لكم و هوأرحم الراحمين ماصنعتم فزاد به عند رسول الله ص خيرا وأمر رسول الله بديته أن تخرج ويقال إن ألذى أصابه عتبة بن مسعود فتصدق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين . قال الواقدى وأقبل يومئذ الحباب بن المنذر بن الجموح يصيح ياآل سلمة فأقبلوا [صفحه ٢٤٢] عنقا واحدا لبيك داعى الله لبيك داعى الله فيضرب يومئذ جبار بن صخر ضربة فى رأسه مثقلة و مايدرى حتى أظهروا الشعار بينهم فجعلوا يصيحون أمت أمت فكف بعضهم عن بعض . قال الواقدى و كان نسطاس مولى ضرار بن أمية ممن حضر أحدا مع المشركين ثم أسلم بعد وحسن إسلامه فكان يحدث قال قدكنت ممن خلف فى العسكر يومئذ و لم يقاتل

معهم عبد إلاوحشى وصواب غلام بنى عبدالدار فكان أبوسفيان صاح فيهم يامعشر قريش خلوا غلمانكم على متاعكم يكونوا هم الذين يقومون على رحالكم فجمعنا بعضها إلى بعض وعقلنا الإبل وانطلق القوم على تعبئتهم ميمنة وميسرة وألبسنا الرحال الأنطاع ودنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا ساعة و إذاأصحابنا منهزمون فدخل المسلمون معسكرنا ونحن فى الرحال فأحدقوا بنا فكنت فيمن أسروا وانتهبوا المعسكر أقبح انتهاب حتى إن رجلا منهم قال أين مال صفوان بن أمية فقلت ماحمل إلانفقة فى الرحل فخرج يسوقنى حتى أخرجتها من العيبة خمسين ومائة مثقال ذهبا و قدولى أصحابنا وأيسنا منهم وانحاش النساء فهن فى حجرهن سلم لمن أرادهن فصار النهب فى أيدى المسلمين . قال نسطاس فإنا لعلى مانحن عليه من الاستسلام ونظرت إلى الجبل فإذاخيل مقبلة تركض فدخلوا العسكر فلم يكن أحد يردهم قدضيعت الثغور التى كان بهاالرماة وجاءوا إلى النهب والرماة ينتهبون و أناأنظر إليهم متأبطى قسيهم وجعابهم كل واحد منهم فى يديه أوحضنه شىء قدأخذه فلما دخلت خيلنا دخلت على قوم غارين آمنين فوضعوا فيهم السيوف فقتلوهم قتلا ذريعا وتفرق المسلمون فى كل وجه [صفحه ۲۴۳] وتركوا ماانتهبوا وأجلوا عن عسكرنا فارتجعنا بعد لم نفقد منه شيئا وخلوا أسرانا ووجدنا الذهب فى المعركة ولقد رأيت يومئذ رجلا من المسلمين ضم صفوان بن أمية إليه ضمة ظننت أنه سيموت حتى أدركته و به رمق فوجأت ذلك المسلم بخنجر معى فوقع فسألت عنه فقيل رجل من بنى ساعدة ثم هدانى الله بعدللإسلام . قال الواقدى فحدثنى ابن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله عن عمر بن الحكم قال ماعلمنا أحدا من أصحاب رسول الله ص الذين أغاروا على النهب فأخذوا ماأخذوا من الذهب بقى معه من ذلك شىءيرجع به حيث غشينا المشركون واختلفوا إلارجلين أحدهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح جاء بمنطقة وجدها فى العسكر فيهاخمسون دينارا فشدها على حقويه من تحت ثيابه وجاء عباد بن بشر بصرة فيهاثلاثة عشر مثقالا ألقاها فى جيب قميصه وفوقها الدرع و قدحزم وسطه فأتيا بذلك رسول الله ص فلم يخمسه ونفلهما إياه . قال الواقدى وروى يعقوب بن أبى صعصعة عن موسى بن ضمرة عن أبيه قال لماصاح الشيطان أزب العقبة أن محمدا قدقتل لماأراد الله عز و جل من ذلك سقط فى أيدى المسلمين وتفرقوا فى كل وجه وأصعدوا فى الجبل فكان أول من بشرهم بكون رسول الله ص سالما كعب بن مالك قال كعب عرفته فجعلت أصيح هذا رسول الله و هويشير إلى بإصبعه على فيه أن اسكت . قال الواقدى وروت عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيها قالت قال أبى لماانكشف الناس كنت أول من عرف رسول الله ص [صفحه ۲۴۴] وبشرت به المسلمين حيا سويا عرفت عينيه من تحت المغفر فناديت يامعشر الأنصار أبشروا فهذا رسول الله ص فأشار إلى رسول الله ص أن اصمت قال ودعا رسول الله ص بكعب فلبس لأمته وألبس كعبا لأمة نفسه وقاتل كعب قتالا شديدا جرح سبعة عشر جرحا. قال الواقدى وحدثنى ابن أبى سبرة عن خالد بن رباح عن الأعرج قال لماصاح الشيطان أن محمدا قدقتل قال أبوسفيان بن حرب يامعشر قريش أيكم قتل محمدا قال ابن قميئة أناقتلته قال نسوركك كماتفعل الأعاجم بأبطالها وجعل أبوسفيان يطوف بأبى عامر الفاسق فى المعركة هل يرى محمدا بين القتلى فمر بخارجة بن زيد بن أبى زهير فقال يا أباسفيان هل تدرى من هذا قال لا قال هذاخارجة بن زيد هذاأسيد بنى الحارث بن الخزرج ومر بعباس بن عبادة بن نضلة إلى جنبه قال أتعرفه قال لا قال هذا ابن قوقل هذاالشريف فى بيت الشرف ثم مر بذكوان بن عبدقيس فقال و هذا من ساداتهم ثم مر بابنه حنظلة بن أبى عامر فوقف عليه فقال أبوسفيان من هذا قال هذاأعز من هاهنا على هذاابنى حنظلة قال أبوسفيان مانرى مصرع محمد و لو كان قتل لرأيناه كذب ابن قميئة ولقى خالد بن الوليد فقال هل تبين عندك قتل محمد قال لارأيته أقبل فى نفر من أصحابه مصعدين فى الجبل فقال أبوسفيان هذاحق كذب ابن قميئة زعم أنه قتله . قلت قرأت على النقيب أبى يزيد رحمه الله هذه الغزاة من كتاب الواقدى و قلت له كيف جرى لهؤلاء فى هذه الوقعة فإنى أستعظم ماجرى فقال و ما فى ذلك مما تستعظمه حمل قلب المسلمين من بعدقتل أصحاب الألوية على قلب المشركين فكسره [صفحه ۲۴۵] فلو ثبتت مجنبتا رسول الله اللتان فيهما أسيد بن حضير والحباب بن المنذر بإزاء

مجنبتى المشركين لم ينكسر عسكر الإسلام ولكن مجنبتا المسلمين أطبقت إطباقا واحدا على قلب المشركين مضافا إلى قلب المسلمين فصار عسكر رسول الله ص قلبا واحدا وكتيبة واحدة فحطمه قلب قريش حطمة شديدة فلما رأت مجنبتا قريش أنه ليس بإزائها أحد استدارت المجنبتان من وراء عسكر المسلمين وصمد كثير منهم للرماة الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين فقتلوهم عن آخرهم لأنهم لم يكونوا ممن يقومون لخالد وعكرمة وهما فى ألفى رجل وإنما كانوا خمسين رجلا لاسيما و قدترك كثير منهم مركزه وشره إلى الغنيمة فأكب على النهب قال رحمه الله و ألذى كسر المسلمين يومئذ ونال كل منال خالد بن الوليد و كان فارسا شجاعا ومعه خيل كثيرة ورجال أبطال موتورون واستدار خلف الجبل فدخل من الثغرة التى كان الرماة عليها فأتاه من وراء المسلمين وتراجع قلب المشركين بعدالهزيمة فصار المسلمون بينهم فى مثل الحلقة المستديرة واختلط الناس فلم يعرف المسلمون بعضهم بعضا وضرب الرجل منهم أخاه وأباه بالسيف و هو لايعرفه لشدة النقع والغبار و لمااعتراهم من الدهش والعجلة والخوف فكانت الدبرة عليهم بعد أن كانت لهم ومثل هذايجرى دائما فى الحرب .فقلت له رحمه الله فلما انكشف المسلمون وفر منهم من فر ماكانت حال رسول الله ص فقال ثبت فى نفر يسير من أصحابه يحامون عنه .فقلت ثم ماذا قال ثم ثابت إليه الأنصار وردت إليه عنقا واحدا بعدفرارهم وتفرقهم وامتاز المسلمون عن المشركين وكانوا ناحية ثم التحمت الحرب واصطدم الفيلقان . [صفحه ۲۴۶] قلت ثم ماذا قال لم يزل المسلمون يحامون عن رسول الله ص والمشركون يتكاثرون عليهم ويقتلون فيهم حتى لم يبق من النهار إلاالقليل والدولة للمشركين . قلت ثم ماذا قال ثم علم الذين بقوا من المسلمين أنه لاطاقة لهم بالمشركين فأصعدوا فى الجبل فاعتصموا به .فقلت له فرسول الله ص ما ألذى صنع فقال صعد فى الجبال . قلت له أفيجوز أن يقال إنه فر فقال إنما يكون الفرار ممن أمعن فى الهرب فى الصحراء والبيداء فأما من الجبل مطل عليه و هو فى سفحه فلما رأى ما لايعجبه أصعد فى الجبل فإنه لايسمى فارا ثم سكت رحمه الله ساعة ثم قال هكذا وقعت الحال فإن شئت أن تسمى ذلك فرارا فسمه فقد خرج من مكة يوم الهجرة فارا من المشركين و لاوصمة عليه فى ذلك .فقلت له قدروى الواقدى عن بعض الصحابة قال لم يبرح رسول الله ص ذلك اليوم شبرا واحدا حتى تحاجزت الفئتان فقال دع صاحب هذه الرواية فليقل ماشاء فالصحيح ماذكرته لك ثم قال كيف يقال لم يزل واقفا حتى تحاجزت الفئتان وإنما تحاجرا بعد أن ناداه أبوسفيان و هو فى أعلى الجبل بما ناداه فلما عرف أنه حى و أنه فى أعلى الجبل و أن الخيل لاتستطيع الصعود إليه و أن القوم إن صعدوا إليه رجالة لم يثقوا بالظفر به لأن معه أكثر أصحابه وهم مستميتون إن صعد القوم إليهم وأنهم لايقتلون منهم واحدا حتى يقتلوا منهم اثنين أوثلاثة لأنهم لاسبيل لهم إلى الهرب لكونهم محصورين فى ذرو واحد فالرجل منهم يحامى عن خيط رقبته كفوا عن الصعود وقنعوا بما وصلوا إليه من قتل من قتلوه فى الحرب وأملوا [صفحه ۲۴۷] يوما ثانيا يكون لهم فيه الظفر الكلى بالنبى‌ص فرجعوا عنهم وطلبوا مكة. وروى الواقدى عن أبى سبرة عن إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن أبى الحويرث عن نافع بن جبير قال سمعت رجلا من المهاجرين يقول شهدت أحدا فنظرت إلى النبل يأتى من كل ناحية و رسول الله ص فى وسطها كل ذلك يصرف عنه ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهرى يقول يومئذ دلونى على محمد فلانجوت إن نجا و إن رسول الله ص إلى جنبه مامعه أحد ثم جاوزه ولقى عبد الله بن شهاب صفوان بن أمية فقال له صفوان ترحت هلا ضربت محمدا فقطعت هذه الشأفة فقد أمكنك الله منه قال ابن شهاب وهل رأيته قال نعم أنت إلى جنبه قال و الله مارأيته أحلف بالله إنه منا لممنوع خرجنا أربعة تعاهدنا وتعاقدنا على قتله فلم نخلص إلى ذلك . قال الواقدى فروى نملة واسم أبى نملة عبد الله بن معاذ و كان أبوه معاذ أخا البراء بن معرور لأمه قال لماانكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله ص و مامعه أحد إلا نفير قدأحدقوا به من أصحابه من المهاجرين والأنصار فانطلقوا به إلى الشعب و ماللمسلمين لواء قائم و لافئة و لاجمع و إن كتائب المشركين لتحوشهم مقبلة ومدبرة فى الوادى يلتقون ويفترقون مايرون أحدا يردهم . قال الواقدى وحدثنى ابراهيم بن محمد بن شرحبيل

العبدری عن أبيه قال حمل مصعب اللواء فلما جال المسلمون ثبت به مصعب قبل ابن قمئة و هوفارس فضرب يد مصعب فقطعها فقال مصعب وَ ما مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرّسُلُ. وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنى عليه فضربه فقطع اليسرى فضمه بعضديه إلى صدره -قرآن-١٢٨٩-١٣٤٧ [صفحه ٢٤٨] و هو يقول وَ ما مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرّسُلُ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء وابتدره رجلان من بنی عبدالدار سويبط بن حرملة و أبوالروم فأخذه أبوالروم فلم يزل بيده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون . قال الواقدی وقالوا إن رسول الله لمالحمه القتال وخلص إليه وذب عنه مصعب بن عمير و أبودجانة حتى كثرت به الجراحة جعل رسول الله ص يقول من رجل يشری نفسه فوثب فئة من الأنصار خمسة منهم عمارة بن زياد بن السكن فقاتل حتى أثبت وفاءت فئة من المسلمين حتى أجهضوا أعداء الله فقال رسول الله ص لعمارة بن زياد ادن منی حتى وسده رسول الله ص قدمه و إن به لأربعة عشر جرحا حتى مات وجعل رسول الله ص يذمر الناس ويحضهم على القتال و كان رجال من المشركين قدأذلقوا المسلمين بالرمی منهم حيان بن العرقة و أبوأسامة الجشمی فجعل النبی ص يقول لسعد ارم فداک أبی وأمی فرمی حيان بن العرقة بسهم فأصاب ذيل أم أيمن وكانت جاءت يومئذ تسقی الجرحى فقلبها وانكشف ذيلها عنها فاستغرب حيان بن العرقة ضحكا وشق ذلک على رسول الله ص فدفع إلى سعد بن أبی وقاص سهما لانصل له و قال ارم به فرمی فوضع السهم فی ثغرة نحر حيان فوقع مستلقيا وبدت عورته . قال سعد فرأيت النبی ص ضحک يومئذ حتى بدت نواجذه و قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوتک وسدد رميتک ورمی يومئذ مالک بن زهير الجشمی أخو أبی أسامة الجشمی المسلمين رميا شديدا و كان هو وريان بن العرقة قدأسرعا فی أصحاب رسول الله ص وأكثرا فيهم القتل يستتران بالصخر ويرميان -قرآن-١٢-٧٠ [صفحه ٢٤٩] فبينا هم على ذلک أبصر سعد بن أبی وقاص مالک بن زهير يرمی من وراء صخرة قدرمی وأطلع رأسه فيرميه سعد فأصاب السهم عينه حتى خرج من قفاه فنزی فی السماء قامة ثم رجع فسقط فقتله الله عز و جل . قال الواقدی ورمی رسول الله ص عن قوسه يومئذ حتى صارت شظايا فأخذها قتادة بن النعمان وكانت عنده وأصيبت يومئذ عين قتادة حتى وقعت على وجنته قال قتادة فجئت إلى رسول الله ص فقلت يا رسول الله إن تحتی امرأة شابة جميلة أحبها وتحبنی و أناأخشى أن تقذر مكان عينی فأخذها رسول الله ص فردها وانصرف بها وعادت كماكانت فلم تضرب عليه ساعة من ليل ونهار و كان يقول بعد أن أسن هی أقوى عينی وكانت أحسنهما. قال الواقدی وباشر رسول الله ص القتال بنفسه فرمی بالنبل حتى فنيت نبله وانكسرت سية قوسه وقبل ذلک انقطع وتره وبقيت فی يده قطعة تكون شبرا فی سية القوس فأخذ القوس عكاشة بن محصن يوتره له فقال يا رسول الله لايبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فو ألذی بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه ليتين أوثلاثة على سية القوس ثم أخذه رسول الله ص فما زال يرامی القوم و أبوطلحة أمامه يستره مترسا عنه حتى نظرت إلى سية قوسه قدتحطمت فأخذها قتادة بن النعمان قال الواقدی و كان أبوطلحة يوم أحد قدنثل كنانته بين يدی النبی ص و كان راميا و كان صيتا فقال رسول الله ص لصوت أبی طلحة فی الجيش خير من أربعين رجلا و كان فی كنانته خمسون سهما نثلها بين يدی [صفحه ٢٥٠] رسول الله ص وجعل يصيح نفسی دون نفسک يا رسول الله فلم يزل يرمی بهاسهما سهما و كان رسول الله ص يطلع رأسه من خلف أبی طلحة بين أذنه ومنكبه ينظر إلى مواقع النبل حتى فنيت نبله و هو يقول نحری دون نحرک جعلنی الله فداک قالوا إنه كان رسول الله ص ليأخذ العود من الأرض فيقول ارم يا أباطلحة فيرمی به سهما جيدا. قال الواقدی و كان الرماة المذكورون من أصحاب رسول الله ص جماعة منهم سعد بن أبی وقاص و أبوطلحة وعاصم بن ثابت والسائب بن عثمان بن مظعون والمقداد بن عمرو وزيد بن حارثة وحاطب بن أبی بلتعة وعتبة بن غزوان وخراش بن الصمة وقطبة بن عامر بن حديدة وبشر بن البراء بن معرور و أبونائلة ملكان بن سلامة وقتادة بن النعمان . قال الواقدی ورمی أبورهم الغفاری بسهم فأصاب نحره فجاء إلى رسول الله ص فبصق عليه فبرأ فكان أبورهم بعد ذلک يسمى المنحور. وروی أبوعمر محمد بن عبدالواحد الزاهد

اللغوى غلام ثعلب ورواه أيضا محمد بن حبيب فى أماليه أن رسول الله ص لمافر معظم أصحابه عنه يوم أحد كثرت عليه كتائب المشركين وقصدته كتيبة من بنى كنانة ثم من بنى عبدمناة بن كنانة فيهابنو سفيان بن عويف وهم خالد بن سفيان و أبوالشعثاء بن سفيان و أبوالحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان فقال رسول الله ص يا على اكفنى هذه الكتيبة فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارسا و هو ع راجل فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل بنى سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منها ممن لايعرف بأسمائهم فقال جبرئيل [صفحه ۲۵۱] ع لرسول الله ص يا محمد إن هذه المواساة لقد عجبت الملائكة من مواساة هذاالفتى فقال رسول الله ص و مايمنعه و هومنى و أنا منه فقال جبرائيل ع و أنامنكما قال وسمع ذلك اليوم صوت من قبل السماء لايرى شخص الصارخ به ينادى مرارا لاسيف إلاذو الفقار || و لافتى إلا على فسئل رسول الله ص عنه فقال هذاجبرائيل . قلت و قدروى هذاالخبر جماعة من المحدثين و هو من الأخبار المشهورة ووقفت عليه فى بعض نسخ مغازى محمد بن إسحاق ورأيت بعضها خاليا عنه وسألت شيخى عبدالوهاب بن سكينة رحمه الله عن هذاالخبر فقال خبر صحيح فقلت فما بال الصحاح لم تشتمل عليه قال أ وكلما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح كم قدأهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة. قال الواقدى وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومى يحضر فرسا له أبلق يريد رسول الله ص عليه لأمة كاملة و رسول الله ص متوجه إلى الشعب و هويصيح لانجوت إن نجوت فيقف رسول الله ص ويعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر التى حفرها أبوعامر الفاسق للمسلمين فيقع الفرس لوجهه وسقط عثمان عنه وخرج الفرس غائرا فيأخذه بعض أصحاب رسول الله ص ويمشى إليه الحارث بن الصمة فاضطربا ساعة بالسيفين ثم يضرب الحارث رجله وكانت درعه مشمرة فبرك وذفف عليه وأخذ الحارث [صفحه ۲۵۲] يومئذ سلبه درعا جيدا ومغفرا وسيفا جيدا و لم يسمع بأحد من المشركين سلب يومئذ غيره و رسول الله ص ينظر إلى قتالهما فسأل عن الرجل قيل عثمان بن عبد الله بن المغيرة قال الحمد لله ألذى أحانه و قد كان عبد الله بن جحش أسره من قبل ببطن نخلة حتى قدم به على رسول الله ص فافتدى ورجع إلى قريش وغزا معهم أحدا فقتل هناك ويرى مصرع عثمان عبيد بن حاجز العامرى أحد بنى عامر بن لؤى فأقبل يعدو كأنه سبع فيضرب حارث بن الصمة ضربة على عاتقه فوقع الحارث جريحا حتى احتمله أصحابه ويقبل أبودجانة على عبيد بن حاجز فتناوشا ساعة من نهار و كل واحد منهما يتقى بالدرقة سيف صاحبه ثم حمل عليه أبودجانة فاحتضنه ثم جلد به الأرض وذبحه بالسيف كماتذبح الشاة ثم انصرف فلحق برسول الله ص . قال الواقدى ويروى أن سهل بن حنيف جعل ينضح بالنبل عن رسول الله ص فقال نبلوا سهلا فإنه سهل ونظر رسول الله ص إلى أبى الدرداء و الناس منهزمون فى كل وجه فقال نعم الفارس عويمر غير أنه لم يشهد أحدا. قال الواقدى وروى الحارث بن عبيد الله بن كعب بن مالك قال حدثنى من نظر إلى أبى سبرة بن الحارث بن علقمة ولقى أحد المشركين فاختلفا ضربات كل ذلك يروغ أحدهما عن الآخر قال فنظر الناس إليهما كأنهما سبعان ضاريان يقفان مرة ويقتلان أخرى ثم تعانقا فوقعا إلى الأرض جميعا فعلاه أبوسبرة فذبحه بسيفه كماتذبح الشاة ونهض عنه فيقبل خالد بن الوليد و هو على فرس أدهم أغر محجل يجر قناة طويلة فطعن أباسبرة من خلفه فنظرت إلى سنان الرمح خرج من صدره [صفحه ۲۵۳] ووقع أبوسبرة ميتا وانصرف خالد بن الوليد يقول أنا أبوسليمان . قال الواقدى وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النبى ص قتالا شديدا و كان طلحة يقول لقد رأيت رسول الله ص حيث انهزم أصحابه وكثر المشركون فأحدقوا بالنبىص من كل ناحية فما أدرى أقوم من بين يديه أو من ورائه أم عن يمينه أم شماله فأذب بالسيف عنه هاهنا وهاهنا حتى انكشفوا فجعل رسول الله ص يومئذ يقول لطلحة لقد أوجب وروى لقد أنحب أى قضى نذره . قال الواقدى وروى أن سعد بن أبى وقاص ذكر طلحة فقال يرحمه الله إنه كان أعظمنا غناء عن رسول الله ص يوم أحد قيل كيف يا أباإسحاق قال لزم النبى ص وكنا نتفرق عنه ثم نثوب إليه لقد رأيته يدور حول النبى ص يترس بنفسه . قال الواقدى وسئل طلحة يا أبا محمد ماأصاب إصبعك قال رمى مالك بن زهير الجشمى بسهم

يريـد رسول الله ص و كـان لاتخطئ رميته فاتقيت بيـدى عن وجه رسول الله ص فأصاب خنصرى فشل . قال الواقـدى وقالوا إن طلحة قال لمارمى حس فقال رسول الله ص لو قال بسم الله لدخل الجنة و الناس ينظرون إليه من أحب أن ينظر إلى رجل يمشى فى الـدنيا و هو من أهل الجنـة فلينظر إلى طلحـة بن عبيـد الله طلحة ممن قضـى نحبه . [صـفحه ۲۵۴] قال الواقـدى و كان طلحة يحدث يقول لماجال المسلمون تلك الجولة ثم تراجعوا أقبل رجل من بنى عامر بن لؤى يدعى شيبة بن مالك بن المضرب يجر رمحه و هو على فرس أغر كميت مدججا فى الحديد يصيح أنا أبوذات الوذع دلونى على محمدفأضرب عرقوب فرسه فاكتسعت به ثم أتناول رمحه فو الله ماأخطأت به عن حدقته فخار كمايخور الثور فما برحت به واضعا رجلى على خده حتى أزرته شعوب . قال الواقدى و كان طلحة قدأصابته فى رأسه المصلبة ضربه رجل من المشركين ضربتين ضربة و هومقبل وضربة و هومعرض عنه و كـان نزف منهـا الـدم قـال أبوبكر جئت النبى ص يوم أحـد فقـال عليك بابن عمك فأتى طلحة بن عبيـد الله و قـدنزف الـدم فجعلت أنضـح فى وجهه المـاء و هومغشـى عليه ثم أفاق فقال مافعل رسول الله ص فقلت خيرا هوأرسـلنى إليك فقال الحمـد لله كل مصيبة بعده جلل . قال الواقدى و كان ضرار بن الخطاب الفهرى يقول نظرت إلى طلحة بن عبيد الله قدحلق رأسه عندالمروة فى عمرة فنظرت إلى المصـلبة فى رأسه فكان ضـرار يقول أنا و الله ضـربته هواسـتقبلنى فضـربته ثم أكر عليه و قدأعرض فأضربه ضربة أخرى [صـفحه ۲۵۵] قـال الواقـدى و لمـا كـان يوم الجمـل وقتل على ع من قتل من الناس ودخل البصـرة جاءه رجل من العرب فتكلم بين يـديه ونال من طلحة فزبره على ع و قال إنك لم تشـهد يوم أحد وعظم غنائه عن الإسـلام مع مكانه من رسول الله ص فانكسـر الرجل وسـكت فقال له قائل من القوم و ما كان غناؤه وبلاؤه يرحمه الله يوم أحد فقال على ع نعم يرحمه الله لقد رأيته وإنه ليترس بنفسه دون رسول الله ص و إن السـيوف لتغشاه والنبل من كل ناحيـة و ما هو إلاجنة لرسول الله ص يقيه بنفسـه فقال رجل لقد كان يوم أحد يوما قتل فيه أصحاب رسول الله ص وأصابت رسول الله ص فيه الجراحة فقال على ع أشهد لسمعت رسول الله ص يقول ليت أنى غودرت مع أصـحابى بنحص الجبل ثم قال على ع لقـد رأيتنى يومئـذ وإنى لأذبهم فى ناحيـة و إن أبادجانـة لفى ناحيـة يذب طائفة منهم حتى فرج الله ذلك كله ولقد رأيتنى وانفردت منهم يومئذ فرقة خشـناء فيهاعكرمة بن أبى جهل فدخلت وسـطهم بالسـيف فضربت به واشتملوا على حتى أفضيت إلى آخرهم ثم كررت فيهم الثانية حتى رجعت من حيث جئت ولكن الأجل استأخر ويقضى الله أمرا كان مفعولا. قال الواقدى وحدثنى جابر بن سليم عن عثمان بن صفوان عن عمارة بن خزيمة قال حدثنى من نظر إلى الحباب بن المنذر بن الجموح وإنه ليحوشـهم يومئذ كماتحاش الغنم ولقد اشتملوا عليه حتى قيل قدقتل ثم برز والسـيف فى يده وافترقوا عنه وجعل يحمل على فرقة منهم وإنهم ليهربون منه إلى جمع منهم [صـفحه ۲۵۶] وصار الحباب إلى النبى ص و كان الحباب يومئـذ معلما بعصابـة خضـراء فى مغفره . قال الواقـدى وطلع يومئذ عبدالرحمن بن أبى بكر على فرس مـدججا لايرى منه إلاعيناه فقال من يبارز أنا عبدالرحمن بن عتيق فنهض إليه أبوبكر و قال أناأبارزه وجرد سـيفه فقال له رسول الله ص شم سـيفك وارجع إلى مكانك ومتعنا بنفسك . قال الواقدى و قال رسول الله ص ماوجدت لشماس بن عثمان شبهـا إلاالجنـة يعنى ممـا يقاتل عن رسول الله يومئـذ و كان رسول الله ص لايأخـذ يمينا و لاشـمالا إلارأى شـماس بن عثمان فى ذلك الوجه يذب بسـيفه عنه حتى غشـى رسول الله ص فترس بنفسه دونه حتى قتل فذلك قول رسول الله ص ماوجدت لشماس شبها إلاالجنة. قال الواقـدى و لماولى المسـلمون حين عطف عليهم خالـد بن الوليد من خلفهم كان أول من أقبل من المسـلمين بعدالتولية قيس بن محرث مع طائفة من الأنصار و قدكانوا بلغوا بنى حارثة فرجعوا سـراعا فصادفوا المشركين فى كثرتهم فدخلوا فى حومتهم فمـا أفلت منهم رجـل حـتى قتلوا كلهم ولقـد ضـاربهم قيس بن محرث فـامتنع بسـيفه حتى قتـل منهم نفرا فمـا قتلوه إلابالرماح نظموه ولقـد وجـد به أربع عشـرة طعنـة جائفـة وعشر ضـربات بالسـيف . قال الواقدى و كان عباس بن عبادة بن نظلة المعروف بـابن قوقل وخارجـة بن [صـفحه ۲۵۷] زيـد بن أبى زهير وأوس بن أرقم بن زيـد وعبـاس رافع صـوته يقول يامعشـر

المسلمين الله ونبيكم هذا ألذى أصابكم بمعصية نبيكم وعدكم النصر فما صبرتم ثم نزع مغفره عن رأسه وخلع درعه و قال لخارجة بن زيد هل لك فى درعى ومغفرى قال خارجة لا أناأريد ألذى تريد فخالطوا القوم جميعا وعباس يقول ماعذرنا عندربنا إن أصيب نبينا ومنا عين تطرف قال فيقول خارجة لاعذر لنا و الله عندربنا و لاحجة فأما عباس فقتله سفيان بن عبدشمس السلمى ولقد ضربه عباس ضربتين فجرحه جرحين عظيمين فارتث يومئذ جريحا فمكث جريحا سنة ثم استبل وأخذت خارجة بن زيد الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية فعرفه فقال هذا من أكابر أصحاب محمد و به رمق فأجهز عليه وقتل أوس بن أرقم و قال صفوان من رأى خبيب بن يساف و هويطلبه فلايقدر عليه ومثل يومئذ بخارجة و قال هذاممن أغرى بأبى يوم بدر يعنى أمية بن خلف و قال الآن شفيت نفسى حين قتلت الأماثل من أصحاب محمدقتلت ابن قوقل وقتلت ابن أبى زهير وقتلت أوس بن أرقم . قال الواقدى و قال رسول الله ص يومئذ من يأخذ هذاالسيف بحقه قالوا و ماحقه يا رسول الله قال يضرب به العدو فقال عمر أنا يا رسول الله فأعرض عنه ثم عرضه رسول الله ص بذلك الشرط فقام الزبير فقال أنافأعرض عنه حتى وجد عمر والزبير فى أنفسهما ثم عرضه الثالثة فقام أبودجانة و قال أنا يا رسول الله آخذه بحقه فدفعه إليه فصدق حين لقى به العدو وأعطى السيف حقه فقال أحد الرجلين إما عمر بن الخطاب أوالزبير و الله لأجعلن هذا الرجل ألذى أعطاه السيف ومنعنيه من شأنى قال فاتبعته فو الله مارأيت أحدا قاتل أفضل [صفحه ۲۵۸] من قتاله لقد رأيته يضرب به حتى إذا كل عليه وخاف ألا يحيك عمد به إلى الحجارة فشحذه ثم يضرب به العدو حتى يرده كأنه منجل و كان حين أعطاه رسول الله ص السيف مشى بين الصفين واختال فى مشيته فقال رسول الله ص حين رآه يمشى تلك المشية إن هذه لمشية يبغضها الله تعالى إلا فى مثل هذاالموطن قال و كان أربعة من أصحاب النبى ص يعلمون فى الزحوف أحدهم أبودجانة كان يعصب رأسه بعصابة حمراء و كان قومه يعلمون أنه إذااعتصب بهاأحسن القتال و كان على ع يعلم بصوفة بيضاء و كان الزبير يعلم بعصابة صفراء و كان حمزة يعلم بريش نعامة. قال الواقدى و كان أبودجانة يحدث يقول إنى لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذف الناس وتحوشهم حوشا منكرا فرفعت عليها السيف و ماأحسبها إلارجلا حتى علمت أنها امرأة وكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ص امرأة والمرأة عمرة بنت الحارث . قال الواقدى و كان كعب بن مالك يقول أصابنى الجراح يوم أحد فلما رأيت المشركين يمثلون بالمسلمين أشد المثل وأقبحها قمت فتنحيت عن القتلى فإنى لفى موضعى أقبل خالد بن الأعلم العقيلى جامع اللأمة يحوش المسلمين يقول استوسقوا كمايستوسق جرب الغنم و هومدجج فى الحديد يصيح يامعشر قريش لاتقتلوا محمدا ائسروه أسرا حتى نعرفه ماصنع ويصمد له قزمان فيضربه بالسيف ضربة على عاتقه رأيت منها سحره ثم أخذ سيفه وانصرف فطلع عليه من المشركين فارس ماأرى منه إلاعينيه فحمل عليه قزمان فضربه ضربة جزله اثنين فإذا هوالوليد بن العاص بن هشام المخزومى ثم يقول كعب إنى لأنظر يومئذ وأقول مارأيت مثل هذا الرجل أشجع [صفحه ۲۵۹] بالسيف ثم ختم له بما ختم له به فيقال له فما ختم له به فيقول من أهل النار قتل نفسه يومئذ. قال الواقدى وروى أبوالنمر الكنانى قال أقبلت يوم أحد و أنا من المشركين و قدانكشف المسلمون و قدحضرت فى عشرة من إخوتى فقتل منهم أربعة و كان الريح للمسلمين أول ماالتقينا فلقد رأيتنى وانكشفنا مولين وأقبل أصحاب النبى ص على نهب العسكر حتى بلغت الجماء ثم كرت خيلنا فقلت و الله ماكرت الخيل إلا عن أمر رأته فكررنا على أقدامنا كأننا الخيل فنجد القوم قدأخذ بعضهم بعضا يقاتلون على غيرصفوف مايدرى بعضهم من يضرب و ماللمسلمين لواء قائم و مع رجل من بنى عبدالدار لواء المشركين و أناأسمع شعار أصحاب محمدبينهم أمت أمت فأقول فى نفسى ماأمت وإنى لأنظر إلى رسول الله ص و إن أصحابه محدقون به و إن النبل ليمر عن يمينه ويساره ويقع بين يديه ويخرج من ورائه ولقد رميت يومئذ بخمسين مرماة فأصبت منها بأسهم بعض أصحابه ثم هدانى الله إلى الإسلام . قال الواقدى و كان عمرو بن ثابت بن وقش شاكا فى الإسلام و كان قومه يكلمونه فى الإسلام فيقول لوأعلم ماتقولون حقا ماتأخرت عنه حتى إذا كان يوم أحد بدا له

الإسلام و رسول الله ص بأحد وأخذ سيفه وأسلم وخرج حتى دخل فى القوم فقاتل حتى أثبت فوجد فى القتلى جريحا ميتا فدنوا منه و هوبآخر رمق فقالوا ماجاء بك ياعمرو قال الإسلام آمنت بالله وبرسوله وأخذت سيفى وحضرت فرزقنى الله الشهادة ومات فى أيديهم فقال رسول الله ص إنه لمن أهل الجنة [صفحه ٢٦٠] قال الواقدى فكان أبوهريرة يقول و الناس حوله أخبرونى برجل يدخل الجنة لم يصل لله تعالى سجدة فيسكت الناس فيقول أبوهريرة هوأخو بنى عبدالأشهل عمرو بن ثابت بن وقش . قال الواقدى و كان مخيرق اليهودى من أحبار يهود فقال يوم السبت و رسول الله ص بأحد يامعشر يهود و الله إنكم لتعلمون أن محمدا نبى و أن نصره عليكم حق فقالوا ويحك اليوم يوم السبت فقال لاسبت ثم أخذ سلاحه وحضر مع النبى ص فأصيب فقال رسول الله ص مخيرق خير يهود. قال الواقدى و كان مخيرق قال حين خرج إلى أحد إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراه الله فيه فهى عامة صدقات النبى ص . قال الواقدى و كان حاطب بن أمية منافقا و كان ابنه يزيد بن حاطب رجل صدق شهد أحدا مع النبى ص فارتث جريحا فرجع به قومه إلى منزله قال يقول أبوه و هويرى أهل الدار يبكون عنده أنتم و الله صنعتم هذا به قالوا كيف قال أغررتموه من نفسه حتى خرج فقتل ثم صرتم معه إلى شىءآخر تعدونه جنة يدخل فيهاحبة من حرمل قالوا قاتلك الله قال هوذاك و لم يقر بالإسلام . قال الواقدى و كان قزمان عسيفا من بنى ظفر لايدرى ممن هو و كان لهم محبا [صفحه ٢٦١] و كان مقلا و لاولد له و لازوجة و كان شجاعا يعرف بذلك فى حروبهم التى كانت تكون بينهم فشهد أحدا وقاتل قتالا شديدا فقتل ستة أوسبعة فأصابته الجراح فقيل للنبىص إن قزمان قدأصابته الجراح فهو شهيد فقال بل من أهل النار فجاءوا إلى قزمان فقالوا هنيئا لك أباالغيداق الشهادة فقال بم تبشروننى و الله ماقاتلنا إلا على الأحساب قالوا بشرناك بالجنة قال حبة و الله من حرمل إنا و الله ماقاتلنا على جنة و لا على نار إنما قاتلنا على أحسابنا ثم أخرج سهما من كنانته فجعل يتوجأ به نفسه فلما أبطأ عليه المشقص أخذ السيف فاتكأ عليه حتى خرج من ظهره فذكر ذلك للنبىص فقال هو من أهل النار. قال الواقدى و كان عمرو بن الجموح رجلا أعرج فلما كان يوم أحد و كان له بنون أربعة يشهدون مع النبى ص المشاهد أمثال الأسد أراد قومه أن يحبسوه وقالوا أنت رجل أعرج و لاحرج عليك و قدذهب بنوك مع النبى ص قال بخ يذهبون إلى الجنة وأجلس أناعندكم فقالت هند بنت عمرو بن حزام امرأته كأنى أنظر إليه موليا قدأخذ درقته و هو يقول أللهم لاتردنى إلى أهلى فخرج ولحقه بعض قومه يكلمونه فى القعود فأبى وجاء إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله إن قومى يريدون أن يحبسونى عن هذاالوجه والخروج معك و الله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة فقال له أما أنت فقد عذرك الله و لاجهاد عليك فأبى فقال النبى ص لقومه وبنيه لاعليكم أن تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخلوا عنه فقتل يومئذ شهيدا و كان أبوطلحة يحدث يقول نظرت إلى عمرو بن الجموح حين انكشف المسلمون ثم ثابوا و هو فى الرعيل الأول لكأنى أنظر إلى ضلعه و هويعرج فى مشيته و هو يقول أنا و الله مشتاق إلى الجنة ثم أنظر إلى ابنه يعدو فى أثره حتى قتلا جميعا. [صفحه ٢٦٢] قال الواقدى وكانت عائشة خرجت فى نسوة تستروح الخبر و لم يكن قدضرب الحجاب يومئذ حتى كانت بمنقطع الحرة وهى هابطة من بنى حارثة إلى الوادى لقيت هندا بنت عمرو بن حزام أخت عبد الله بن عمرو بن حزام تسوق بعيرا لها عليه زوجها عمرو بن الجموح وابنها خلاد بن عمرو بن الجموح وأخوها عبد الله بن عمرو بن حزام أبوجابر بن عبد الله فقالت لها عائشة عندك الخبر فما وراءك فقالت هند خير أما رسول الله ص فصالح و كل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداءوَ رَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا بِغَيظِهِم لَم يَنالُوا خَيراً وَ كَفَى اللّهُ المُؤمِنِينَ القِتالَ وَ كانَ اللّهُ قَوِيّا عَزِيزاً. قلت هكذا وردت الرواية وعندى أنها لم تقل كل ذلك ولعلها قالت وَ رَدّ اللّهُ الّذِينَ كَفَرُوا بِغَيظِهِم لا غير و إلافكيف يواطئ كلامها آية من كلام الله تعالى أنزلت بعدالخندق والخندق بعدأحد هذا من البعيد جدا. قال فقالت لها عائشة فمن هؤلاء قالت أخى وابنى وزوجى قتلى قالت فأين تذهبين بهم قالت إلى المدينة أقبرهم بهاحل حل تزجر بعيرها فبرك البعير فقالت عائشة لثقل ماحمل قالت هند ماذاك به لربما حمل مايحمله البعيران ولكنى أراه لغير ذلك

فزجرته فقام فلما وجهت به إلى المدينة برك فوجهته راجعة إلى أحد فأسرع فرجعت إلى النبى ص فأخبرته بذلك فقال إن الجمل لمأمور هل قال عمرو شيئا قالت نعم إنه لماوجه إلى أحد استقبل القبلة ثم قال أللهم لاتردنى إلى أهلى وارزقنى الشهادة فقال ص فلذلك الجمل لايمضى إن منكم يامعشر الأنصار من لوأقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ياهند مازالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن ثم مكث رسول الله ص فى قبرهم ثم قال ياهند قدترافقوا فى الجنة -قرآن-۴۷۱-۶۰۳-قرآن-۶۷۰-۷۱۲ [صفحه ۲۶۳] جميعا عمرو بن الجموح بعلك وخلاد ابنك و عبد الله أخوك فقالت هند يا رسول الله فادع الله لى عسى أن يجعلنى معهم . قال الواقدى و كان جابر بن عبد الله يقول اصطبح ناس يوم أحد الخمر منهم أبى فقتلوا شهداء. قال الواقدى و كان جابر يقول أول قتيل من المسلمين يوم أحد أبى قتله سفيان بن عبدشمس أبوالأعور السلمى فصلى عليه رسول الله ص قبل الهزيمة. قال الواقدى و كان جابر يحدث و يقول استشهد أبى وجعلت عمتى تبكى فقال النبى ص مايبكيها مازالت الملائكة تظل عليه بأجنحتها حتى دفن . قال الواقدى و قال عبيد الله بن عمرو بن حزام رأيت فى النوم قبل يوم أحد بأيام مبشر بن عبدالمنذر أحد الشهداء ببدر يقول لى أنت قادم علينا فى أيام فقلت فأين أنت قال فى الجنة نسرح منها حيث نشاء فقلت له أ لم تقتل يوم بدر قال بلى ثم أحييت فذكر ذلك لرسول الله ص قال هذه الشهادة ياجابر. قال الواقدى و قال رسول الله ص يوم أحد ادفنوا عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ويقال إنهما وجدا و قدمثل بهما كل مثلة قطعت آرابهما عضوا عضوا فلاتعرف أبدانهما فقال النبى ص ادفنوهما فى قبر واحد ويقال إنما أمر بدفنهما فى قبر واحد لما كان بينهما [صفحه ۲۶۴] من الصفاء فقال ادفنوا هذين المتحابين فى الدنيا فى قبر واحد. و كان عبد الله بن عمرو بن حزام رجلا أحمر أصلع ليس بالطويل و كان عمرو بن الجموح طويلا فعرفا ودخل السيل بعدعليهما و كان قبرهما مما يلى السيل فحفر عنهما وعليهما نمرتان و عبد الله قدأصابه جرح فى وجهه فيده على وجهه فأميطت يده عن جرحه فثعب الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم . قال الواقدى و كان جابر بن عبد الله يقول رأيت أبى فى حفرته وكأنه نائم و ماتغير من حاله قليل و لاكثير فقيل له أفرأيت أكفانه قال إنما كفن فى نمرة خمر بهاوجهه و على رجليه الحرمل فوجدنا النمرة كماهى والحرمل على رجليه كهيئته و بين ذلك و بين وقت دفنه ست وأربعون سنة فشاورهم جابر فى أن يطيبه بمسك فأبى ذلك أصحاب النبى ص وقالوا لاتحدثوا فيهم شيئا. قال ويقال إن معاوية لماأراد أن يجرى العين التى أحدثها بالمدينة وهى كظلمة نادى مناديه بالمدينة من كان له قتيل بأحد فليشهد فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا يتثنون فأصابت المسحاة رجل رجل منهم فثعبت دما فقال أبوسعيد الخدرى لاينكر بعد هذامنكر أبدا. قال ووجد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح فى قبر واحد ووجد خارجة بن زيد بن أبى زهير وسعد بن الربيع فى قبر واحد فأما قبر عبد الله وعمرو فحول و ذلك أن القناة كانت تمر على قبرها و أماقبر خارجة وسعد فترك و ذلك لأن مكانه كان معتزلا وسوى عليهما التراب ولقد كانوا يحفرون التراب فكلما حفروا قترة من تراب فاح عليهم المسك . [صفحه ۲۶۵] قال وقالوا إن رسول الله ص قال لجابر ياجابر أ لاأبشرك فقال بلى بأبى وأمى قال فإن الله أحيا أباك ثم كلمه كلاما فقال له تمن على ربك ماشئت فقال أتمنى أن أرجع فأقتل مع نبيك ثم أحيا فأقتل مع نبيك فقال إنى قدقضيت أنهم لايرجعون -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۲۵۱ قال الواقدى وكانت نسيبة بنت كعب أم عمارة بن غزية بن عمرو قدشهدت أحدا وزوجها غزية وابناها عمارة بن غزية و عبد الله بن زيد وخرجت ومعها شن لها فى أول النهار تريد تسقى الجرحى فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنا فجرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح أوضربة بسيف فكانت أم سعد بنت سعد بن الربيع تحدث فتقول دخلت عليها فقالت لها ياخالة حدثينى خبرك فقالت خرجت أول النهار إلى أحد و أناأنظر مايصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله ص و هو فى الصحابة والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ص فجعلت أباشر القتال وأذب عن رسول الله ص بالسيف وأرمى بالقوس حتى خلصت إلى الجراح فرأيت على

عاتقهـا جرحا أجوف له غور فقلت ياأم عمارة من أصابك بهـذا قالت أقبل ابن قميئـة و قـدولى الناس عن رسول الله ص يصيح دلونى على محمـد لانجوت إن نجا فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه فكنت فيهم فضـربنى هذه الضـربة ولقد ضـربته على ذلـك ضـربات ولكن عـدو الله كـان عليه درعـان فقالت لها يـدك ماأصابها قالت أصيبت يوم اليمامـة لماجعلت الأعراب تنهزم بالنـاس نـادت الأنصـار أخلصونـا فـأخلصت الأنصـار فكنت معهم حتى انتهينـا إلى حديقـة الموت فاقتتلنـا عليهـا ساعـة حتى قتل أبودجانـة على باب الحديقـة ودخلتها [صـفحه ٢۶۶] و أناأريـد عـدو الله مسـيلمة فيعرض لى رجـل فضـرب يـدى فقطعها فو الله ماكانت ناهية و لاعرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولا وابنى عبد الله بن يزيد المازنى يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته قال نعم فسجدت شكرا لله عز و جل وانصرفت . قال الواقدى و كان ضـمرة بن سـعيد يحدث عن جـدته وكانت قدشـهدت أحدا تس‌قى المـاء قـال سـمعت رسول الله ص يقول يومئـذ لمقـام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان و كان يراها يومئذ تقاتل أشـد القتال وإنها لحاجزة ثوبها على وسـطها حتى جرحت ثلاثـة عشـر جرحا. قلت ليت الراوى لم يكن هذه الكناية و كان يذكرهما باسـمهما حتى لاتترامى الظنون إلى أمور مشـتبهة و من أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه و لايكتم منه شـيئا فما باله كتم اسم هـذين الرجلين . قال فلما حضـرت نسيبة الوفاة كنت فيمن غسـلها فعددت جراحها جرحا جرحا فوجدتها ثلاثة عشـر وكانت تقول إنى لأنظر إلى ابن قميئـة و هويضـربها على عاتقها و كان أعظم جراحها لقـد داوته سـنة ثم نادى منادى النبى ص بعـدانقضاء أحـد إلى حمراء الأسـد فشـدت عليهـا ثيابهـا فما اسـتطاعت من نزف الـدم ولقـد مكثنا ليلتنا نكمـد الجراح حتى أصبحنا فلما رجع رسول الله من حمراء الأسـد لم يصل إلى بيته حتى أرسل إليها عبـد الله بن كعب المازنى يسأل عنها فرجع إليه فأخبره بسـلامتها فسر بذلك . قال الواقدى وحدثنى عبدالجبار بن عمارة بن غزية قال قالت أم عمارة [صـفحه ٢۶٧] لقد رأيتنى وانكشف النـاس عن رسول الله ص فما بقى إلانفير مايتمون عشـرة و أنا وأبنائى وزوجى بين يـديه نـذب عنه و الناس يمرون عنه منهزمين فرآنى و لاـترس معى ورأى رجلاـ موليا معه ترس فقال ياصاحب الترس ألق ترسك إلى من يقاتل فألقى ترسه فأخـذته فجعلت أترس به على النبى ص وإنمـا فعـل بنـا الأفاعيـل أصـحاب الخيـل و لوكانوا رجالـة مثلنا أصـبناهم فيقبل رجل على فرس فضـربنى وترست له فلم يصـنع سيفه شيئا وولى وأضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبى ص يصيح يا ابن عمارة أمك أمك قالت فعاوننى عليه حتى أوردته شـعوب . قال الواقـدى وحـدثنى ابن أبى سبرة عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن عبـد الله بن زيد المازنى قال جرحت جرحا فى عضدى اليسـرى ضربنى رجل كأنه الرقل و لم يعرج على ومضى عنى وجعل الدم لايرقأ فقال رسول الله ص اعصب جرحـك فتقبـل أمى إلى ومعهـا عصـائب فى حقويها قدأعـدتها للجراح فربطت جرحى و النبى ص واقف ينظر ثم قـالت انهض يـابنى فضـارب القوم فجعل رسول الله ص يقول و من يطيق ماتطيقين ياأم عمارة قالت وأقبل الرجل ألـذى ضربنى فقال رسول الله ص هذاضارب ابنك فاعترضت أمى له فضربت ساقه فبرك فرأيت النبى ص تبسم حتى بدت نواجذه ثم قـال استقدت يـاأم عمـارة ثم أقبلنـا نعلوه بالسـلاح حتى أتينا على نفسه فقال النبى ص الحمـد لله ألـذى ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك ثأرك بعينك . [صفحه ٢۶٨] قال الواقدى وروى موسـى بن ضمرة بن سعيد عن أبيه قال أتى عمر بن الخطاب فى أيام خلافته بمروط كان فيهامرط واسع جيـد فقال بعضـهم إن هذاالمرط بثمن كذا فلو أرسـلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفيـة بنت أبى عبيـد و ذلـك حـدثان مـادخلت على ابن عمر فقال بل أبعث به إلى من هوأحق منها أم عمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله ص يوم أحـد يقول مـاألتفت يمينـا وشـمالا إلا و أناأراها تقاتل دونى. قال الواقـدى وروى مروان بن سـعيد بن المعلى قال قيل لأم عمارة ياأم عمارة هل كن نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهن فقالت أعوذ بالله لا و الله مارأيت امرأة منهن رمت بسـهم و لاـحجر ولكن رأيت معهن الـدفاف والأكبار يضـربن ويـذكرن القوم قتلى بـدر ومعهن مكاحل ومراود فكلما ولى رجـل أوتكعكع نـاولته إحـداهن مرودا ومكحلـة ويقلن إنما أنت امرأة ولقـد رأيتهن ولين منهزمات مشـمرات ولها عنهن الرجال

أصحاب الخيل ونجوا على متون خيلهم وجعلن يتبعن الرجال على أقدامهن فجعلن يسقطن فى الطريق ولقد رأيت هندا بنت عتبة وكانت امرأة ثقيلة ولها خلق قاعدة خاشية من الخيل ما بهامشى ومعها امرأة أخرى حتى كثر القوم علينا فأصابوا منا ماأصابوا فعند الله نحتسب ماأصابنا يومئذ من قبل الرماة ومعصيتهم لرسول الله ص . قال الواقدى وحدثنى ابن أبى سبرة عن عبدالرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة عن الحارث بن عبد الله قال سمعت عبد الله بن زيد بن عاصم يقول شهدت أحدا [صفحه ٢٦٩] مع رسول الله ص فلما تفرق الناس عنه دنوت منه وأمى تذب عنه فقال يا ابن عمارة قلت نعم قال ارم فرميت بين يديه رجلا من المشركين بحجر و هو على فرس فأصيبت عين الفرس فاضطرب الفرس حتى وقع هو وصاحبه وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت عليه منها وقرا و النبى ص ينظر إلى ويتبسم فنظر إلى جرح بأمى على عاتقها فقال أمك أمك اعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت لمقام أمك خير من مقام فلان وفلان ومقام ربيبك يعنى زوج أمه خير من مقام فلان رحمكم الله من أهل بيت فقالت أمى ادع لنا الله يا رسول الله أن نرافقك فى الجنة فقال أللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة قالت فما أبالى ماأصابنى من الدنيا قال الواقدى و كان حنظلة بن أبى عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبى بن سلول فأدخلت عليه فى الليلة التى فى صبيحتها قتال أحد و كان قداستأذن رسول الله ص أن يبيت عندها فأذن له فلما صلى الصبح غدا يريد النبى ص فلزمته جميلة فعاد فكان معها فأجنب منها ثم أراد الخروج و قدأرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قددخل بهافقيل لها بعد لم أشهدت عليه قالت رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة فأشهدت عليه أنه قددخل بى فعلقت منه بعبد الله بن حنظلة ثم تزوجها ثابت بن قيس بعدفولدت له محمد بن ثابت بن قيس وأخذ حنظلة بن أبى عامر سلاحه فلحق برسول الله ص بأحد و هويسوى الصفوف فلما انكشف المشركون اعترض حنظلة لأبى سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرس ويقع أبوسفيان إلى الأرض فجعل يصيح يامعشر قريش أنا أبوسفيان بن حرب وحنظلة يريد ذبحه بالسيف فأسمع الصوت رجالا لايلتفتون إليه من الهزيمة حتى عاينه الأسود بن شعوب فحمل على حنظلة بالرمح [صفحه ٢٧٠] فأنفذه ومشى حنظلة إليه فى الرمح فضربه ثانية فقتله وهرب أبوسفيان يعدو على قدميه فلحق ببعض قريش فنزل عن صدر فرسه وردف وراءه أباسفيان فذلك قول أبى سفيان يذكر صبره ووقوفه و أنه لم يفر وذكره محمد بن إسحاق و لوشئت نجتنى كميت طمرة || و لم أحمل النعماء لابن شعوب و مازال مهرى مزجر الكلب فيهم || لدن غدوة حتى دنت لغروب أقاتلهم وأدعى يال غالب || وأدفعهم عنى بركن صليب فبكى و لاترعى مقالة عاذل || و لاتسأمى من عبرة ونحيب أباك وإخوانا لنا قدتتابعوا || وحق لهم من حسرة بنصيب وسلى ألذى قد كان فى النفس إننى || قتلت من النجار كل نجيب و من هاشم قرما كريما ومصعبا || و كان لدى الهيجاء غيرهيوب و لوأننى لم أشف نفسى منهم || لكانت شجا فى الصدر ذات ندوب فآبوا و قدأودى الجلابيب منهم || بهم كمد من واجم وكئيب أصابهم من لم يكن لدمائهم || كفاء و لا فى سنخهم بضريب . قال الواقدى مر أبوعامر الراهب على حنظلة ابنه و هومقتول إلى جنب [صفحه ٢٧١] حمزة بن عبدالمطلب و عبد الله بن جحش فقال إن كنت لأحذرك هذا الرجل يعنى رسول الله ص من قبل هذاالمصرع و الله إن كنت لبرا بالوالد شريف الخلق فى حياتك و إن مماتك لمع سراة أصحابك وأشرافهم إن جزى الله هذاالقتيل يعنى حمزة خيرا أوجزى أحدا من أصحاب محمدخيرا فليجزك ثم نادى يامعشر قريش حنظلة لايمثل به و إن كان خالفنى وخالفكم فلم يأل لنفسه فيما يرى خيرا فمثل بالناس وترك حنظلة فلم يمثل به . وكانت هند بنت عتبة أول من مثل بأصحاب النبى ص وأمرت النساء بالمثل وبجدع الأنوف والآذان فلم تبق امرأة إلاعليها معضدان ومسكتان وخدمتان إلاحنظلة لم يمثل به و قال رسول الله ص إنى رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء و الأرض بماء المزن فى صحاف الفضة -روايت-١-٢-روايت-٢٣-١١٤ قال أبوأسيد الساعدى فذهبنا فنظرنا إليه فإذارأسه يقطر ماء فرجعت إلى رسول الله ص فأخبرته فأرسل إلى امرأته فسألها فأخبرته أنه خرج و هوجنب . قال الواقدى وأقبل وهب بن قابوس المزنى ومعه ابن أخيه

الحارث بن عقبة بن قابوس بغنم لهما من جبل مزينة فوجد المدينة خلوا فسألا أين الناس قالوا بأحد خرج رسول الله ص يقاتل المشركين من قريش فقال لانبتغى أثرا بعدعين فخرجا حتى أتيا النبى ص بأحد فيجدان القوم يقتتلون والدولة لرسول الله ص وأصحابه فأغارا مع المسلمين فى النهب وجاءت الخيل من ورائهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فاختلط الناس فقاتلا أشد القتال فانفرقت فرقة من المشركين فقال رسول الله ص من لهذه الفرقة فقال وهب بن قابوس أنا يا رسول الله فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع فانفرقت فرقة [صفحه ٢٧٢] أخرى فقال رسول الله ص من لهذه الكتيبة فقال المزنى أنا يا رسول الله فقام فذبها بالسيف حتى ولت ثم رجع فطلعت كتيبة أخرى فقال النبى ص من يقوم لهؤلاء فقال المزنى أنا يا رسول الله فقال قم وأبشر بالجنة. فقال المزنى مسرورا يقول و الله لاأقيل و لاأستقيل فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف و رسول الله ص ينظر إليه والمسلمون حتى خرج من أقصى الكتيبة و رسول الله ص يقول أللهم ارحمه ثم يرجع فيهم فما زال كذلك وهم محدقون به حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم فقتلوه فوجد به يومئذ عشرون طعنة بالرماح كلها قدخلصت إلى مقتلى ومثل به أقبح المثل يومئذ ثم قام ابن أخيه فقاتل كنحو قتاله حتى قتل فكان عمر بن الخطاب يقول إن أحب ميتة أموت عليها لمامات عليها المزنى. قال الواقدى و كان بلال بن الحارث المزنى يحدث يقول شهدنا القادسية مع سعد بن أبى وقاص فلما فتح الله علينا وقسمت بيننا غنائمنا أسقط فتى من آل قابوس من مزينة فجئت سعدا حين فزع من نومه فقال بلال قلت بلال قال مرحبا بك من هذامعك قلت رجل من قومى قال ما أنت يافتى من المزنى ألذى قتل يوم أحد قال ابن أخيه قال سعد مرحبا وأهلا أنعم الله بك عينا لقد شهدت من ذلك الرجل يوم أحد مشهدا ماشهدت من أحد قط لقد رأيتنا و قدأحدق المشركون بنا من كل ناحية و رسول الله ص وسطنا والكتائب تطلع من كل ناحية و إن رسول الله ص يرمى ببصره فى الناس يتوسمهم و يقول من لهذه الكتيبة كل ذلك يقول المزنى أنا يا رسول الله كل ذلك يرد الكتيبة فما أنسى آخر مرة قالها فقال له رسول الله ص قم [صفحه ٢٧٣] وأبشر بالجنة فقام وقمت على أثره يعلم الله أنى أطلب مثل مايطلب يومئذ من الشهادة فخضنا حومتهم حتى رجعنا فيهم الثانية فأصابوه رحمه الله ووددت و الله أنى كنت أصبت يومئذ معه ولكن أجل استأخر ثم دعا من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله و قال اختر فى المقام عندنا أوالرجوع إلى أهلك فقال بلال إنه يستحب الرجوع فرجع . فقال الواقدى و قال سعد بن أبى وقاص أشهد لرأيت رسول الله ص واقفا على المزنى و هومقتول و هو يقول رضى الله عنك فإنى عنك راض ثم رأيت رسول الله ص قام على قدميه و قدناله ع من ألم الجراح مناله وإنى لأعلم أن القيام يشق عليه على قبره حتى وضع فى لحده و عليه بردة لها أعلام حمر فمد رسول الله ص البردة على رأسه فخمره وأدرجه فيهاطولا فبلغت نصف ساقيه فأمرنا فجمعنا الحرمل فجعلناه على رجليه و هو فى لحده ثم انصرف فما حال أحب إلى من أن أموت عليها وألقى الله عليها من حال المزنى قال الواقدى و كان رسول الله ص يوم أحد قدخاصم إليه يتيم من الأنصار أبالبابة بن عبدالمنذر فطلب بينهما فقضى رسول الله ص لأبى لبابة فجزع اليتيم على العذق فطلب رسول الله ص العذق إلى أبى لبابة لليتيم فأبى أن يدفعه إليه فجعل رسول الله ص يقول لأبى لبابة ادفعه إليه و لك عذق فى الجنة فأبى أبولبابة و قال ثابت بن أبى الدحداحة يا رسول الله أرأيت إن أعطيت اليتيم عذقه من مالى قال لك به عذق فى الجنة فذهب ثابت بن الدحداحة فاشترى من أبى لبابة ذلك العذق بحديقة نخل ثم رد العذق إلى الغلام [صفحه ٢٧٤] فقال رسول الله ص رب عذق مذلل لابن الدحداحة فى الجنة فكانت ترجى له الشهادة بذلك القول فقتل يوم أحد. قال الواقدى ويقبل ضرار بن الخطاب فارسا يجر قناة له طويلة فيطعن عمرو بن معاذ فأنفذه ويمشى عمرو إليه حتى غلب فوقع لوجهه قال يقول ضرار لاتعدمن رجلا زوجك من الحور العين و كان يقول زوجت يوم أحد عشرة من أصحاب محمدالحور العين . قال الواقدى فسألت شيوخ الحديث هل قتل عشرة قالوا مابلغنا أنه قتل إلاثلاثة ولقد ضرب يومئذ عمر بن الخطاب حين جال المسلمون تلك الجولة بالقناة و قال يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة ماكنت لأقتلك . قال الواقدى و كان ضرار يحدث بعد

ویذکر وقعة أحد ویذکر الأنصار فیترحم علیهم ویذکر غناءهم فی الإسلام وشجاعتهم وإقدامهم علی الموت ثم یقول لقد قتل أشراف قومی ببدر فأقول من قتل أباالحکم فیقال ابن عفراء من قتل أمیة بن خلف فیقال خبیب بن یساف من قتل عقبة بن أبی معیط فیقال عاصم بن ثابت من قتل فلان بن فلان فیسمی لی من الأنصار من أسر سهیل بن عمرو فیقال مالک بن الدخشم فلما خرجنا إلی أحد و أناأقول إن قاموا فی صیاصیهم فهی منیعة لاسبیل لنا إلیهم نقیم أیاما ثم ننصرف و إن خرجوا إلینا من صیاصیهم أصبنا منهم فإن معنا عددا أکثر من عددهم ونحن قوم موتورون خرجنا بالظعن یذکرننا قتلی بدر ومعنا کراع و لاکراع معهم وسلاحنا أکثر من سلاحهم فقضی لهم أن خرجوا فالتقینا فو الله ماقمنا لهم حتی هزمنا وانکشفنا مولین فقلت [صفحه ۲۷۵] فی نفسی هذه أشد من وقعة بدر وجعلت أقول لخالد بن الولید کر علی القوم فیقول وتری وجها نکر فیه حتی نظرت إلی الجبل ألذی کان علیه الرماة خالیا فقلت یا أباسلیمان انظر وراءک فعطف عنان فرسه وکررنا معه فانتهینا إلی الجبل فلم نجد علیه أحدا له بال وجدنا نفیرا فأصبناهم ثم دخلنا العسکر والقوم غارون ینتبهون عسکرنا فأقحمنا الخیل علیهم فتطایروا فی کل وجه ووضعنا السیوف فیهم حیث شئنا وجعلت أطلب الأکابر من الأوس والخزرج قتلة الأحبة فلاأری أحدا هربوا فما کان حلب ناقة حتی تداعت الأنصار بینها فأقبلت فخالطونا ونحن فرسان فصبرنا لهم وصبروا لنا وبذلوا أنفسهم حتی عقروا فرسی وترجلت فقتلت منهم عشرة ولقیت من رجل منهم الموت الناقع حتی وجدت ریح الدم و هومعانقی مایفارقنی حتی أخذته الرماح من کل ناحیة فوقع فالحمد لله ألذی أکرمهم بیدی و لم یهنی بأیدیهم . قال الواقدی و قال رسول الله ص یوم أحد من له علم بذکوان بن عبدقیس فقال علی ع أنارأیت یا رسول الله فارسا یرکض فی أثره حتی لحقه و هو یقول لانجوت إن نجوت فحمل علیه فرسه وذکوان راجل فضربه و هو یقول خذها و أنا ابن علاج فقتله فأهویت إلی الفارس فضربت رجله بالسیف حتی قطعتها من نصف الفخذ ثم طرحته عن فرسه فذففت علیه و إذا هو أبوالحکم بن أخنس بن شریق بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفی. قال الواقدی و قال علی ع لما کان یوم أحد وجال الناس تلک الجولة أقبل أمیة بن أبی حذیفة بن المغیرة و هودارع مقنع فی الحدید مایری منه إلاعیناه و هو یقول یوم بیوم بدر فیعرض له رجل من المسلمین فقتله أمیة قال علی ع وأصمد له فأضربه بالسیف علی هامته و علیه بیضة وتحت البیضة مغفر فنبا سیفی [صفحه ۲۷۶] وکنت رجلا قصیرا ویضربنی بسیفه فأتقی بالدرقة فلحج سیفه فأضربه وکانت درعه مشمرة فأقطع رجلیه فوقع وجعل یعالج سیفه حتی خلصه من الدرقة وجعل یناوشنی و هوبارک حتی نظرت إلی فتق تحت إبطه فأحش فیه بالسیف فمال فمات وانصرفت . قال الواقدی و فی یوم أحد انتمی رسول الله ص فقال أنا ابن العواتک و قال أیضا أنا النبی لاکذب || أنا ابن عبدالمطلب قال الواقدی بینا عمر بن الخطاب یومئذ فی رهط من المسلمین قعود مر بهم أنس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالک فقال مایقعدکم قالوا قتل رسول الله ص قال فما تصنعون بالحیاة بعده قوموا فموتوا علی مامات علیه ثم قام فجالد بسیفه حتی قتل فقال عمر بن الخطاب إنی لأرجو أن یبعثه الله أمة وحده یوم القیامة وجد به سبعون ضربة فی وجهه ماعرف حتی عرفته أخته . قال الواقدی وقالوا إن مالک بن الدخشم مر علی خارجة بن زید بن زهیر یومئذ و هوقاعد و فی حشوته ثلاثة عشر جرحا کلها قدخلصت إلی مقتل فقال له مالک أ ماعلمت أن محمدا قدقتل قال خارجة فإن کان محمد قدقتل فإن الله حی لایقتل و لایموت و إن محمدا قدبلغ رسالة ربه فاذهب أنت فقاتل عن دینک . قال ومر مالک بن الدخشم أیضا علی سعد بن الربیع و به اثنا عشر جرحا کلها قدخلصت إلی مقتل فقال أعلمت أن محمدا قدقتل فقال سعد أشهد أن محمدا قدبلغ رسالة ربه فقاتل أنت عن دینک فإن الله حی لایموت . [صفحه ۲۷۷] قال محمد بن إسحاق وحدثنی محمد بن عبد الله بن عبدالرحمن بن أبی صعصعة المازنی أخو بنی النجار قال قال رسول الله ص یومئذ من رجل ینظر مافعل سعد بن الربیع أ فی الأحیاء هوأم فی الأموات فقال رجل من الأنصار أناأنظر یا رسول الله مافعل فنظر فوجده جریحا فی القتلی و به رمق فقال له إن رسول الله ص أمرنی أن أنظر فی الأحیاء أنت أم فی الأموات قال أنا فی الأموات فأبلغ رسول الله منی

السلام وقل له إن سعد بن الربيع يقول جزاك الله خيرا عنا ماجزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك السلام عنى وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم لاعذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف قال فلم أبرح عنده حتى مات ثم جئت إلى رسول الله ص فأخبرته فقال أللهم ارض عن سعد بن الربيع قال الواقدى وحدثنى عبد الله بن عمار عن الحارث بن الفضيل الخطمى قال أقبل ثابت بن الدحداحة يومئذ والمسلمون أوزاع قدسقط فى أيديهم فجعل يصيح يامعشر الأنصار إلى إلى أناثابت بن الدحداحة إن كان محمد قدقتل فإن الله حى لايموت قاتلوا عن دينكم فإن الله مظهركم وناصركم فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين و قدوقفت لهم كتيبة خشناء فيهارؤساؤهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب وجعلوا يناوشونهم ثم حمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه فأنفذه فوقع ميتا وقتل من كان معه من الأنصار فيقال إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين فى ذلك اليوم و قال عبد الله بن الزبعرى يذكر يوم أحد ألا ذرفت من مقلتيك دموع || و قدبان فى حبل الشباب قطوع [صفحه ٢٧٨] وشط بمن تهوى المزار وفرقت || نوى الحى دار بالحبيب فجوع و ليس لماولى على ذى صبابة || و إن طال تذراف الدموع رجوع فدع ذا ولكن هل أتى أم مالك || أحاديث قومى والحديث يشيع ومجنبنا جردا إلى أهل يثرب || عناجيج فيهاضامر وبديع عشية سرنا من كداء يقودها || ضرور الأعادى للصديق نفوع يشد علينا كل زحف كأنها || غدير نضوح الجانبين نقيع فلما رأونا خالطتهم مهابة || وخامرهم رعب هناك فظيع فودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها || بهم وصبور القوم ثم جزوع و قدعريت بيض كأن وميضها || حريق وشيك فى الآباء سريع بأيماننا نعلو بها كل هامة || و فيهاسمام للعدو ذريع فغادرن قتلى الأوس عاصبة بهم || ضباع وطير فوقهن وقوع ومر بنو النجار فى كل تلعة || بأثوابهم من وقعهن نجيع و لو لاعلو الشعب غادرن أحمدا || ولكن علا والسمهرى شروع كماغادرت فى الكر حمزة ثاويا || و فى صدره ماضى الشباة وقيع . و قال ابن الزبعرى أيضا من قصيدة مشهورة وهى [صفحه ٢٧٩] ياغراب البين أسمعت فقل || إنما تندب أمرا قدفعل إن للخير وللشر مدى || وسواء قبر مثر ومقل كل خير ونعيم زائل || وبنات الدهر يلعبن بكل أبلغا حسان عنى آية || فقريض الشعر يشفى ذا الغلل كم ترى بالجسر من جمجمة || وأكفا قدأترت و رجل وسرابيل حسان شققت || عن كماة غودروا فى المنتزل كم قتلنا من كريم سيد || ماجد الجدين مقدام بطل صادق النجدة قرم بارع || غيرملطاط لدى وقع الأسل فسل المهراس من ساكنه || من كراديس وهام كالحجل ليت أشياخى ببدر شهدوا || جزع الخزرج من وقع الأسل حين حطت بقباء بركها || واستحر القتل فى عبدالأشل ثم خفوا عندذاكم رقصا || رقص الحفان تعدو فى الجبل [صفحه ٢٨٠] فقتلنا النصف من ساداتهم || وعدلنا ميل بدر فاعتدل لاألوم النفس إلاأننا || لوكررنا لفعلنا المفتعل بسيوف الهند تعلو هامهم || تبرد الغيظ ويشفين الغلل . قلت كثير من الناس يعتقدون أن هذاالبيت ليزيد بن معاوية و هو قوله ليت أشياخى و قال من أكره التصريح باسمه هذاالبيت ليزيد فقلت له إنما قاله يزيد متمثلا لماحمل إليه رأس الحسين ع و هولابن الزبعرى فلم تسكن نفسه إلى ذلك حتى أوضحته له فقلت أ لاتراه يقول جزع الخزرج من وقع الأسل و الحسين ع لم تحارب عنه الخزرج و كان يليق أن يقول جزع بنى هاشم من وقع الأسل فقال بعض من كان حاضرا لعله قاله فى يوم الحرة فقلت المنقول أنه أنشده لماحمل إليه رأس الحسين ع والمنقول أنه شعر ابن الزبعرى و لايجوز أن يترك المنقول إلى ما ليس بمنقول .

و على ذكر هذاالشعر فإنى حضرت و أناغلام بالنظامية ببغداد فى بيت عبدالقادر بن داود الواسطى المعروف بالمحب خازن دار الكتب بها وعنده فى البيت باتكين الرومى ألذى ولى إربل أخيرا وعنده أيضا جعفر بن مكى الحاجب فجرى ذكر يوم أحد وشعر ابن الزبعرى هذا وغيره و أن المسلمين اعتصموا بالجبل فأصعدوا فيه و أن الليل حال أيضا بين المشركين وبينهم فأنشد ابن مكى بيتين لأبى تمام متمثلا لو لاالظلام وقلة علقوا بها || باتت رقابهم بغير قلال [صفحه ٢٨١] فليشكروا جنح الظلام ودروذا || فهم لدروذ والظلام موالى . فقال باتكين لاتقل هذا ولكن قل وَ لَقَد صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعدَهُ إِذ تَحُسّونَهُم بِإِذنِهِ حَتّى إِذا فَشِلتُم وَ

تَنازَعتُم فِی الأمرِ وَ عَصَیتُم مِن بَعدِ ما أَراکُم ما تُحِبّونَ مِنکُم مَن یُرِیدُ الدّنیا وَ مِنکُم مَن یُرِیدُ الآخِرَةَ ثُمّ صَرَفَکُم عَنهُم لِیَبتَلِیَکُم وَ لَقَد عَفا عَنکُم وَ اللّهُ ذُو فَضلٍ عَلَی المُؤمِنِینَ و کان باتکین مسلما و کان جعفرسامحه الله مغموصا علیه فی دینه -قرآن-۳۶-۳۴۴

المجلد ۱۵

الجزء الخامس عشر

تتمة باب الکتب والرسائل

تتمة ۹- و من کتاب له ع إلی معاویة

تتمة الفصل الرابع فی قصة غزوة أحد

اشاره

[صفحه ۳] بسم الله الرحمن الرحیم و به ثقتی الحمد لله الواحد العدل

القول فی أسماء الذین تعاقدوا من قریش علی قتل رسول الله ص و ماأصابوه به فی المعرکة یوم الحرب

قال الواقدی تعاقد من قریش علی قتل رسول الله ص عبد الله بن شهاب الزهری و ابن قمیئة أحد بنی الحارث بن فهر وعتبة بن أبی وقاص الزهری و أبی بن خلف الجمحی فلما أتی خالد بن الولید من وراء المسلمین واختلطت الصفوف ووضع المشرکون السیف فی المسلمین رمی عتبة بن أبی وقاص رسول الله ص بأربعة أحجار فکسر رباعیته وشجه فی وجهه حتی غاب حلق المغفر فی وجنتیه وأدمی شفتیه . قال الواقدی و قدروی أن عتبة أشظی باطن رباعیته السفلی قال والثبت عندنا أن ألذی رمی وجنتی رسول الله ص ابن قمیئة و ألذی رمی شفته وأصاب رباعیته عتبة بن أبی وقاص . قال الواقدی أقبل ابن قمیئة یومئذ و هو یقول دلونی علی محمدفو ألذی یحلف به لئن رأیته لأقتلنه فوصل إلی رسول الله ص فعلاه بالسیف ورماه عتبة [صفحه ۴] بن أبی وقاص فی الحال التی جلله ابن قمیئة فیهاالسیف و کان ع فارسا و هولابس درعین مثقل بهما فوقع رسول الله ص عن الفرس فی حفرة کانت أمامه . قال الواقدی أصیب رکبتاه جحشتا لماوقع فی تلک الحفرة وکانت هناک حفر حفرها أبوعامر الفاسق کالخنادق للمسلمین و کان رسول الله ص واقفا علی بعضها و هو لایشعر فجحشت رکبتاه و لم یصنع سیف ابن قمیئة شیئا إلاوهز الضربة بثقل السیف فقد وقع رسول الله ص ثم انتهض وطلحة یحمله من ورائه و علی ع آخذ بیدیه حتی استوی قائما. قال الواقدی فحدثنی الضحاک بن عثمان عن حمزة بن سعید عن أبی بشر المازنی قال حضرت یوم أحد و أناغلام فرأیت ابن قمیئة علا رسول الله ص بالسیف ورأیت رسول الله ص وقع علی رکبتیه فی حفرة أمامه حتی تواری فی الحفرة فجعلت أصیح و أناغلام حتی رأیت الناس ثابوا إلیه . قال فأنظر إلی طلحة بن عبید الله آخذا بحضنه حتی قام . قال الواقدی ویقال إن ألذی شج رسول الله ص فی جبهته ابن شهاب و ألذی أشظی رباعیته وأدمی شفتیه عتبة بن أبی وقاص و ألذی أدمی وجنتیه حتی غاب الحلق فیهما ابن قمیئة وإنه سال الدم من الشجة التی فی جبهته حتی أخضل لحیته و کان سالم مولی أبی حذیفة یغسل الدم عن وجهه و رسول الله ص یقول کیف یفلح قوم فعلوا هذابنبیهم و هویدعوهم إلی الله تعالی فأنزل الله تعالی قوله لَیسَ لَکَ مِنَ الأَمرِ

شَيءٌ أَو يَتُوبَ عَلَيهِم أَو يُعَذِّبَهُمالآيَةَ -روايت-١-٢٣٢ [صفحه ۵] قال الواقدی وروی سعد بن أبی وقاص قال قال رسول الله ص یومئذ اشتد غضب الله علی قوم دموا فا رسول الله ص اشتد غضب الله علی قوم دموا وجه رسول الله اشتد غضب الله علی رجل قتله رسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-٧٠-٢٠٩ قال سعد فلقد شفانی من عتبة أخی دعاء رسول الله ص ولقد حرصت علی قتله حرصا ماحرصت علی شیءقط و إن کان ماعلمت لعاقا بالوالد سیئ الخلق ولقد تخرقت صفوف المشرکین مرتین أطلب أخی لأقتله ولکنه راغ منی روغان الثعلب فلما کان الثالثة قال رسول الله ص یا عبد الله ماترید أترید أن تقتل نفسک فکففت فقال رسول الله ص أللهم لاتحولن الحول علی أحد منهم قال سعد فو الله ماحال الحول علی أحد ممن رماه أوجرحه مات عتبة و أما ابن قمیئة فاختلف فیه فقائل یقول قتل فی المعرک وقائل یقول إنه رمی بسهم فی ذلک الیوم فأصاب مصعب بن عمیر فقتله فقال خذها و أنا ابن قمیئة فقال رسول الله ص أقمأه الله فعمد إلی شاة یحتلبها فتنطحه بقرنها و هومعتلقها فقتلته فوجد میتا بین الجبال لدعوة رسول الله ص و کان عدو الله رجع إلی أصحابه فأخبرهم أنه قتل محمدا. قال و ابن قمیئة رجل من بنی الأدرم من بنی فهر. وزاد البلاذری فی الجماعة التی تعاهدت وتعاقدت علی قتل رسول الله ص یوم أحد عبد الله بن حمید بن زهیر بن الحارث بن أسد بن عبدالعزی بن قصی. قال و ابن شهاب ألذی شج رسول الله ص فی جبهته هو عبد الله [صفحه ۶] بن شهاب الزهری جد الفقیه المحدث محمد بن مسلم بن عبید الله بن عبد الله بن شهاب و کان ابن قمیئة أدرم ناقص الذقن و لم یذکر اسمه و لاذکره الواقدی أیضا. قلت سألت النقیب أبا جعفر عن اسمه فقال عمرو فقلت له أ هوعمرو بن قمیئة الشاعر قال لا هوغیره فقلت له مابال بنی زهرة فی هذاالیوم فعلوا الأفاعیل برسول الله ص وهم أخواله ابن شهاب وعتبة بن أبی وقاص فقال یا ابن أخی حرکهم أبوسفیان وهاجهم علی الشر لأنهم رجعوا یوم بدر من الطریق إلی مکة فلم یشهدوها فاعترض عیرهم ومنعهم عنها وأغری بهاسفهاء أهل مکة فعیروهم برجوعهم ونسبوهم إلی الجبن و إلی الإدهان فی أمر محمدص واتفق أنه کان فیهم مثل هذین الرجلین فوقع منهما یوم أحد ماوقع . قال البلاذری مات عتبة یوم أحد من وجع ألیم أصابه فتعذب به وأصیب ابن قمیئة فی المعرکة وقیل نطحته عنز فمات . قال و لم یذکر الواقدی ابن شهاب کیف مات وأحسب ذلک بالوهم منه . قال وحدثنی بعض قریش أن أفعی نهشت عبد الله بن شهاب فی طریقه إلی مکة فمات قال وسألت بعض بنی زهرة عن خبره فأنکروا أن یکون رسول الله ص دعا علیه أو یکون شج رسول الله ص وقالوا إن ألذی شجه فی وجهه عبد الله بن حمید الأسدی.فأما عبد الله بن حمید الفهری فإن الواقدی و إن لم یذکره فی الجماعة الذین [صفحه ۷] تعاقدوا علی قتل رسول الله ص إلا أنه قدذکر کیفیة قتله . قال الواقدی ویقبل عبد الله بن حمید بن زهیر حین رأی رسول الله ص علی تلک الحال یعنی سقوطه من ضربة ابن قمیئة یرکض فرسه مقنعا فی الحدید یقول أنا ابن زهیر دلونی علی محمدفو الله لأقتلنه أولأموتن دونه فتعرض له أبودجانة فقال هلم إلی من یقی نفس محمدص بنفسه فضرب فرسه فعرقبها فاکتسعت ثم علاه بالسیف و هو یقول خذها و أنا ابن خرشة حتی قتله و رسول الله ص ینظر إلیه و یقول أللهم ارض عن ابن خرشة کما أنا عنه راض -روايت-١-٧٨ هذه روایة الواقدی و بها قال البلاذری إن عبد الله بن حمید قتله أبودجانة.فأما محمد بن إسحاق فقال إن ألذی قتل عبد الله بن حمید علی بن أبی طالب ع و به قالت الشیعة. وروی الواقدی والبلاذری أن قوما قالوا إن عبد الله بن حمید هذاقتل یوم بدر.فالأول الصحیح أنه قتل یوم أحد و قدروی کثیر من المحدثین أن رسول الله ص قال لعلی ع حین سقط ثم أقیم اکفنی هؤلاء لجماعة قصدت نحوه فحمل علیهم فهزمهم وقتل منهم عبد الله بن حمید من بنی أسد بن عبدالعزی ثم حملت علیه طائفة أخری فقال له اکفنی هؤلاء فحمل علیهم فانهزموا من بین یدیه وقتل منهم أمیة بن أبی حذیفة بن المغیرة المخزومی. قال فأما أبی بن خلف فروی الواقدی أنه أقبل یرکض فرسه حتی إذادنا من رسول الله ص اعترض له ناس من أصحابه لیقتلوه فقال لهم استأخروا [صفحه ۸] عنه ثم قام إلیه وحربته فی یده فرماه بها بین سابغة البیضة والدرع فطعنه هناک فوقع عن فرسه فانکسر ضلع من أضلاعه واحتمله قوم من

المشـركين ثقيلاـ حتى ولوا قـافلين فمـات فى الطريق و قال و فيه أنزلت وَ ما رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَ لكِنّ اللّهَ رَمى قال يعنى قـذفه إياه بالحربـۀ قال الواقـدى وحـدثنى يونس بن محمدالظفرى عن عاصم بن عمر عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال كان أبى بن خلف قـدم فى فداء ابنه و كان أسـر يوم بدر فقال يا محمد إن عندى فرسا لى أعلفها فرقا من ذرۀ كل يوم لأقتلك عليها فقال رسول الله ص بـل أناأقتلـك عليها إن شاء الله تعالى . ويقال إن أبيا إنما قال ذلك بمكـۀ فبلغ رسول الله ص بالمدينـۀ كلمته فقال بل أناأقتله عليها إن شاء الله قال و كان رسول الله ص فى القتال لايلتفت وراءه فكان يوم أحد يقول لأصحابه إنى أخشى أن يأتى أبى بن خلف من خلفى فـإذارأيتموه فـآذنونى و إذابـأبى يركض على فرسه و قـدرأى رسول الله ص فعرفه فجعـل يصـيح بـأعلى صوته يا محمد لانجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله ماكنت صانعا حين يغشاك أبى فاصنع فقد جاءك و إن شئت عطف عليه بعضـنا فـأبى رسول الله ص ودنـا أبى فتنـاول رسول الله ص الحربـۀ من الحـارث بن الصـمۀ ثم انتفض كمـاينتفض البعير قال فتطايرنا –قرآن–۲۱۰–۲۵۵ [صفحه ۹] عنه تطاير الشـعارير و لم يكن أحـد يشـبه رسول الله ص إذاجد الجد ثم طعنه بالحربۀ فى عنقه و هو على فرسه لم يسـقط إلاـ أنه خـار كمايخور الثور فقال له أصـحابه أباعامر و الله مابك بأس و لو كان هـذا ألـذى بك بعين أحـدنا ماضـره قـال واللاـت والعزى لو كـان ألـذى بى بأهـل ذى المجـاز لمـاتوا كلهم أجمعون أ ليس قال لأقتلنه فاحتملوه وشـغلهم ذلك عن طلب رسول الله ص حتى التحق بعظم أصـحابه فى الشـعب . قال الواقدى ويقال إنه تناول الحربۀ من الزبير بن العوام قـال ويقـال إنه لماتناول الحربـۀ من الزبير حمل أبى على رسول الله ص ليضـربه بالسـيف فاسـتقبله مصـعب بن عمير حائلا بنفسه بينهما و إن مصعبا ضرب بالسيف أبيا فى وجهه وأبصر رسول الله ص فرجۀ من بين سابغۀ البيضۀ والدرع فطعنه هناك فوقع و هويخور. قال الواقدى و كان عبد الله بن عمر يقول مات أبى بن خلف ببطن رابغ منصـرفهم إلى مكۀ قال فإنى لأسير ببطن رابغ بعد ذلك و قدمضى هوى من الليل إذانار تأجج فهبتها و إذا رجل يخرج منها فى سلسلۀ يجتذبها يصيح العطش و إذا رجل يقول لاتسقه فإن هذاقتيل رسول الله ص هذا أبى بن خلف فقلت ألا سحقا ويقال إنه مات بسرف [صفحه ۱۰]

القول فى الملائكۀ نزلت بأحد وقاتلت أم لا

قال الواقدى حدثنى الزبير بن سعيد عن عبد الله بن الفضل قال أعطى رسول الله ص مصعب بن عمير اللواء فقتل فأخذه ملك فى صورۀ مصـعب فجعل رسول الله ص يقول له فى آخر النهار تقدم يامصعب فالتفت إليه الملك فقال لست بمصعب فعرف رسول الله ص أنه ملك أيـد به . قال الواقدى سـمعت أبامعشـر يقول مثل ذلك . قال وحدثتنى عبيدۀ بنت نائل عن عائشۀ بنت سـعد بن أبى وقاص عنه قال لقـد رأيتنى أرمى بالسـهم يومئذ فيرده عنى رجل أبيض حسن الوجه لاأعرفه حتى كان بعدفظننت أنه ملك . قـال الواقـدى وحـدثنى ابراهيم بن سـعد عن أبيه عن جـده سـعد بن أبى وقـاص قال رأيت ذلك اليوم رجلين عليهما ثياب بيض أحـدهما عن يمين رسول الله ص والآـخر عن شـماله يقاتلاـن أشـد القتـال مارأيتهمـا قبل و لا بعـد قال وحـدثنى عبـدالملك بن سليمان عن قطن بن وهب عن عبيـد بن عمير قال لمارجعت قريش من أحـد جعلوا يتحدثون فى أنديتهم بما ظفروا يقولون لم نر الخيـل البلق و لاالرجـال البيض الـذين كنـا نراهم يوم بـدر. قال و قال عبيـد بن عمير لم تقاتل الملائكـۀ يوم أحـد. قال الواقـدى وحدثنى ابن أبى سبرۀ عن عبدالمجيد بن سهيل عن عمر بن الحكم قال لم يمد رسول الله ص يوم أحد بملك واحد وإنما كانوا يوم بدر قال ومثله عن عكرمۀ. [صـفحه ۱۱] قال و قال مجاهـد حضـرت الملائكۀ يوم أحد و لم تقاتل وإنما قاتلت يوم بدر. قال وروى عن أبى هريرۀ أنه قال وعدهم الله أن يمدهم لوصبروا فلما انكشفوا لم تقاتل الملائكۀ يومئذ

القول فى مقتل حمزۀ بن عبدالمطلب رضى الله عنه

قـال الواقـدى كان وحشـى عبـدا لابنـة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبـدمناف ويقال كان لجبير بن مطعم بن عـدى بن نوفل بن عبـدمناف فقالت له ابنة الحارث إن أبى قتل يوم بدر فإن أنت قتلت أحد الثلاثة فأنت حر محمد و على بن أبى طالب وحمزة بن عبدالمطلب فإنى لاأرى فى القوم كفؤا لأبى غيرهم فقال وحشـى أما محمدفقد علمت أنى لاأقدر عليه و أن أصـحابه لن يسلموه و أمـاحمزة فو الله لووجـدته نائمـا ماأيقظته من هيبته و أما على فألتمسه قال وحشـى فكنت يوم أحـد ألتمسه فبينا أنا فى طلبه طلع على فطلع رجـل حـذر مرس كثير الالتفـات فقلت ما هـذابصاحبى ألـذى ألتمس إذ رأيت حمزة يفرى الناس فريا فكمنت له إلى صخرة و هومكبس له كتيت فـاعترض له سباع ابن أم نيـار وكـانت أمه ختانـة بمكـة مولاة لشريف بن علاج بن عمرو بن وهب الثقفى و كـان سباع يكنى أبانيار فقال له حمزة و أنت أيضا يا ابن مقطعـة البظور ممن يكثر علينا هلم إلى فاحتمله حتى إذابرقت قدماه رمى به فبرك عليه فشحطه شحط الشاة ثم أقبل على مكبا حين رآنى فلما [صفحه ۱۲] بلغ المسيل وطئ على جرف فزلت قـدمه فهززت حربتى حتى رضـيت منها فأضـرب بها فى خاصـرته حتى خرجت من مثانته وكر عليه طائفة من أصـحابه فأسـمعهم يقولون أباعمـارة فلاـيجيب فقلت قـد و الله مات الرجل وذكرت هنـدا و مالقيت على أبيها وعمها وأخيها وانكشف عنه أصـحابه حين أيقنوا بموته و لايرونى فأكر عليه فشـققت بطنه فاسـتخرجت كبده فجئت بها إلى هند بنت عتبة فقلت ماذا لى إن قتلت قاتل أبيك قالت سلنى فقلت هذه كبد حمزة فمضـغتها ثم لفظتها فلاأدرى لم تسغها أوقذرتها فنزعت ثيابها وحليها فأعطتنيه ثم قالت إذاجئت مكـة فلك عشـرة دنانير ثم قالت أرنى مصرعه فأريتها مصـرعه فقطعت مـذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت ذلك مسـكتين ومعضـدين وخـدمتين حتى قدمت بذلك مكة وقدمت بكبده أيضا معها. قال الواقدى وحدثنى عبد الله بن جعفر عن ابن أبى عون عن الزهرى عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال غزونا الشام فى زمن عثمان بن عفان فمررنا بحمص بعدالعصـر فقلنا وحشـى فقيل لاتقدرون عليه هوالآن يشـرب الخمر حتى يصـبح فبتنا من أجله وإننا لثمانون رجلا فلما صلينا الصبح جئنا إلى منزله فإذاشـيخ كبير قدطرحت له زربية قدر مجلسه فقلنا له أخبرنا عن قتل حمزة و عن قتل مسيلمة فكره ذلك وأعرض عنه فقلنا مابتنـا هـذه الليلـة إلا من أجلك فقال إنى كنت عبـدا لجبير بن مطعم بن عـدى فلما خرج الناس إلى أحـد دعانى فقال قـدرأيت مقتل طعيمـة بن عـدى قتله حمزة بن عبدالمطلب يوم بدر فلم تزل نساؤنا فى حزن [صـفحه ۱۳] شديـد إلى يومى هذا فإن قتلت حمزة فأنت حر فخرجت مع الناس و لى مزاريق كنت أمر بهند بنت عتبة فتقول إيه أبادسمة اشف واشتف فلما وردنا أحدا نظرت إلى حمزة يقـدم الناس يهـدهم هدا فرآنى و قدكمنت له تحت شـجرة فأقبل نحوى وتعرض له سـباع الخزاعى فأقبل إليه و قال و أنت أيضـا يـا ابن مقطعـة البظور ممن يكثر علينـا هلم إلى وأقبـل نحوه حتى رأيت برقان رجليه ثم ضـرب به الأرض وقتله وأقبل نحوى سـريعا فيعـترض لـه جرف فيقـع فيـه وأزرقه بمزراق فيقـع فى لبته حـتى خرج من بين رجليه فقتله ومررت بهنـد بنت عتبة فآذنتهـا فـأعطتنى ثيابهـا وحليهـا و كـان فى ساقيهـا خـدمتان من جزع ظفار ومسـكتان من ورق وخواتيم من ورق كن فى أصابع رجليها فأعطتنى بكل ذلك و أمامسـيلمة فإنا دخلنا حديقة الموت يوم اليمامة فلما رأيته زرقته بالمزراق وضربه رجل من الأنصار بالسيف فربك أعلم أينا قتله إلاأنى سمعت امرأة تصيح فوق جدار قتله العبد الحبشى قال عبيد الله فقلت أتعرفنى فأكر بصره على و قـال ابن عـدى لعاتكـة بنت العيص قلت نعم قـال أما و الله ما لى بك عهـد بعـد أن دفعتك إلى أمك فى محفتك التى كانت ترضـعك فيهـا ونظرت إلى برقـان قـدميك حتى كـأنه الآن . وروى محمـد بن إسـحاق فى كتاب المغازى قال علت هنـد يومئذ صخرة مشـرفة وصـرخت بأعلى صوتها نحن جزيناكم بيوم بدر || والحرب بعدالحرب ذات سعر ما كان عن عتبة لى من صبر || و لاأخى وعمه وبكرى شـفيت نفسـى وقضيت نذرى || شفيت وحشى غليل صدرى [صفحه ۱۴] فشكر وحشى على عمرى || حتى ترم أعظمى فى قبرى . قال فأجابتها هنـد بنت أثاثـة بن المطلب بن عبدمناف خزيت فى بدر و غيربدر || يابنت غدار عظيم الكفر أفحمـك الله غـداة الفجر || بالهاشـميين الطوال الزهر بكـل قطـاع حسام يفرى || حمزة ليثى و على صـقرى إذ رام شـيب

وأبوک قهری || فخضبا منه ضواحی النحر . قال محمد بن إسحاق و من الشعر ألذی ارتجزت به هند بنت عتبة یوم أحد شفیت من حمزة نفسی بأحد || حین بقرت بطنه عن الکبد أذهب عنی ذاک ماکنت أجد || من لوعة الحزن الشدید المعتمد والحرب تعلوکم بشؤبوب برد || نقدم إقداما علیکم کالأسد قال محمد بن إسحاق حدثنی صالح بن کیسان قال حدثت أن عمر بن الخطاب قال لحسان یا أباالفریعة لوسمعت ماتقول هند و لورأیت شرها قائمة علی صخرة ترتجز بنا وتذکر ماصنعت بحمزة فقال حسان و الله إنی لأنظر إلی الحربة تهوی و أنا علی فارع یعنی أطمة فقلت و الله إن هذه لسلاح لیس بسلاح العرب و إذا بهاتهوی إلی حمزة و لاأدری ولکن أسمعنی بعض قولها أکفیکموها فأنشده عمر بعض ماقالت فقال حسان یهجوها أشرت لکاع و کان عادتها || لؤما إذاأشرت مع الکفر [صفحه ۱۵] أخرجت مرقصة إلی أحد || فی القوم مقتبة علی بکر بکر ثفال لاحراک به || لا عن معاتبة و لازجر أخرجت ثائرة محاربة || بأبیک وابنک بعد فی بدر وبعمک المتروک منجدلا || وأخیک منعفرین فی الجفر فرجعت صاغرة بلا ترة || منا ظفرت بها و لاوتر . و قال أیضا یهجوها لمن سواقط ولدان مطرحة || باتت تفحص فی بطحاء أجیاد باتت تمخض لم تشهد قوابلها || إلاالوحوش و إلاجنة الوادی یظل یرجمه الصبیان منعفرا || وخاله وأبوه سیدا النادی . فی أبیات کرهت ذکرها لفحشها. قال وروی الواقدی عن صفیة بنت عبدالمطلب قالت کنا قدرفعنا یوم أحد فی الآطام ومعنا حسان بن ثابت و کان من أجبن الناس ونحن فی فارع فجاء نفر من یهود یرومون الأطم فقلت دونک یا ابن الفریعة فقال لا و الله لاأستطیع القتال ویصعد یهودی إلی الأطم فقلت شد علی یدی السیف ثم برئت ففعل فضربت [صفحه ۱۶] عنق الیهودی ورمیت برأسه إلیهم فلما رأوه انکشفوا قالت وإنی لفی فارع أول النهار مشرفة علی الأطم فرأیت المزراق فقلت أ و من سلاحهم المزاریق أ فلاأراه هوی إلی أخی و لاأشعر ثم خرجت آخر النهار حتی جئت رسول الله ص و قدکنت أعرف انکشاف المسلمین و أنا علی الأطم برجوع حسان إلی أقصی الأطم فلما رأی الدولة للمسلمین أقبل حتی وقف علی جدار الأطم قال فلما انتهیت إلی رسول الله ص ومعی نسوة من الأنصار لقیته وأصحابه أوزاع فأول من لقیت علی ابن أخی فقال ارجعی یاعمة فإن فی الناس تکشفا فقلت رسول الله ص قال صالح قلت ادللنی علیه حتی أراه فأشار إلیه إشارة خفیة فانتهیت إلیه و به الجراحة. قال الواقدی و کان رسول الله ص یقول یوم أحد مافعل عمی مافعل عمی فخرج الحارث بن الصمة یطلبه فأبطأ فخرج علی ع یطلبه فیقول -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۱۴۰ یارب إن الحارث بن الصمة || کان رفیقا وبنا ذا ذمة قدضل فی مهامة مهمة || یلتمس الجنة فیهاثمة حتی انتهی إلی الحارث ووجد حمزة مقتولا فجاء فأخبر النبی ص فأقبل یمشی حتی وقف علیه فقال ماوقفت موقفا قط أغیظ إلی من هذاالموقف -روایت-۱-۱۳۸ .فطلعت صفیة فقال یازبیر أغن عنی أمک وحمزة یحفر له فقال الزبیر یاأمه إن فی الناس تکشفا فارجعی فقالت ما أنابفاعلة حتی أری رسول الله ص فلما رأته قالت یا رسول الله أین ابن أمی حمزة فقال هو فی الناس قالت لاأرجع حتی أنظر إلیه قال الزبیر فجعلت أطدها إلی الأرض حتی دفن و قال رسول الله -روایت-۱-۲ [صفحه ۱۷] ص لو لا أن تحزن نساؤنا لذلک لترکناه للعافیة یعنی السباع والطیر حتی یحشر یوم القیامة من بطونها وحواصلها -روایت-۶-۱۱۳ . قال الواقدی وروی أن صفیة لماجاءت حالت الأنصار بینها و بین رسول الله ص فقال دعوها فجلست عنده فجعلت إذابکت یبکی رسول الله ص و إذانشجت ینشج رسول الله ص وجعلت فاطمة ع تبکی فلما بکت بکی رسول الله ص ثم قال لن أصاب بمثل حمزة أبدا ثم قال ص لصفیة وفاطمة أبشرا أتانی جبرائیل ع فأخبرنی أن حمزة مکتوب فی أهل السموات السبع حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۱۴۱ قال الواقدی ورأی رسول الله ص بحمزة مثلا شدیدا فحزنه ذلک و قال إن ظفرت بقریش لأمثلن بثلاثین منهم فأنزل الله علیه وَ إِن عاقَبتُم فَعاقِبُوا بِمِثلِ ما عُوقِبتُم بِهِ وَ لَئِن صَبَرتُم لَهُوَ خَیرٌ لِلصّابِرِینَ فقال ص بل نصبر فلم یمثل بأحد من قریش -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۲۷۰ قال الواقدی وقام أبوقتادة الأنصاری فجعل ینال من قریش لمارأی من غم رسول الله ص و فی کل ذلک یشیر إلیه أن اجلس ثلاثا فقال رسول الله ص یا أباقتادة إن

قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر كبه الله لفيه وعسى إن طالت بك مدة أن تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم -روايت-١-٢-روايت-١۶-ادامه دارد [صفحه ١٨] لو لا- أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبوقتادة و الله يا رسول الله ماغضبت إلالله ورسوله حين نالوا منه مانالوا فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم -روايت-از قبل-١٨٠ . قال الواقدى و كان عبد الله بن جحش قبل أن تقع الحرب قال يا رسول الله إن هؤلاء القوم قدنزلوا بحيث ترى فقد سألت الله فقلت أللهم أقسم عليك أن نلقى العدو غدا فيقتلونى ويبقروا بطنى ويمثلوا بى فتقول لى فيم صنع بك هذافأقول فيك قال و أناأسألك يا رسول الله أخرى أن تلى تركتى من بعدى فقال له نعم فخرج عبد الله فقتل ومثل به كل المثل ودفن هو وحمزة فى قبر واحد وولى تركته رسول الله ص فاشترى لأمه مالا بخيبر. قال الواقدى وأقبلت أخته حمنة بنت جحش فقال لها رسول الله ص ياحمن احتسبى قالت من يا رسول الله قال خالك حمزة قالت إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيهِ راجِعُونَغفر الله له ورحمه وهنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال أخوك عبد الله قالت إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيهِ راجِعُونَغفر الله له ورحمه وهنيئا له الشهادة ثم قال احتسبى قالت من يا رسول قال بعلك مصعب بن عمير فقالت وا حزناه ويقال إنها قالت وا عقراه . قال محمد بن إسحاق فى كتابه فصرخت وولولت -قرآن-٥٧١-۶٠٩-قرآن-٧١٨-٧۵۶ قال الواقدى فقال رسول الله ص إن للزوج من المرأة مكانا ما هولأحد -روايت-١-٢-روايت-٣٧-٧۴ وهكذا روى ابن إسحاق أيضا. قال الواقدى ثم قال لها رسول الله ص لم قلت هذاقالت ذكرت يتم بنيه فراعنى فدعا رسول الله ص لولده أن يحسن الله عليهم الخلف [صفحه ١٩] فتزوجت طلحة بن عبيد الله فولدت منه محمد بن طلحة فكان أوصل الناس لولد مصعب بن عمير

القول فيمن ثبت مع رسول الله ص يوم أحد

قال الواقدى حدثنى موسى بن يعقوب عن عمته عن أمها عن المقداد قال لماتصاف القوم للقتال يوم أحد جلس رسول الله ص تحت راية مصعب بن عمير فلما قتل أصحاب اللواء وهزم المشركون الهزيمة الأولى وأغار المسلمون على معسكرهم ينهبونه ثم كر المشركون على المسلمين فأتوهم من خلفهم فتفرق الناس ونادى رسول الله ص فى أصحاب الألوية فقتل مصعب بن عمير حامل لوائه ص وأخذ راية الخزرج سعد بن عبادة فقام رسول الله ص تحتها وأصحابه محدقون به ودفع لواء المهاجرين إلى أبى الردم أحد بنى عبدالدار آخر نهار ذلك اليوم ونظرت إلى لواء الأوس مع أسيد بن حضير فناوشوا المشركين ساعة واقتتلوا على اختلاط من الصفوف ونادى المشركون بشعارهم ياللعزى يالهبل فأوجعوا و الله فينا قتلا ذريعا ونالوا من رسول الله ص مانالوا لا و ألذى بعثه بالحق مازال شبرا واحدا إنه لفى وجه العدو وتثوب إليه طائفة من أصحابه مرة وتتفرق عنه مرة فربما رأيته قائما يرمى عن قوسه أويرمى بالحجر حتى تحاجزوا وكانت العصابة التى ثبتت مع رسول الله ص أربعة عشر رجلا- سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار أماالمهاجرون فعلى ع و أبوبكر و عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله و أبوعبيدة بن الجراح والزبير بن العوام [صفحه ٢٠] و أماالأنصار فالحباب بن المنذر و أبودجانة وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير. قال الواقدى و قدروى أن سعد بن عبادة و محمد بن مسلمة ثبتا يومئذ و لم يفرا و من روى ذلك جعلهما مكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير. قال الواقدى وبايعه يومئذ على الموت ثمانية ثلاثة من المهاجرين وخمسة من الأنصار فأما المهاجرون فعلى ع وطلحة والزبير و أماالأنصار فأبو دجانة والحارث بن الصمة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف و لم يقتل منهم ذلك اليوم أحد و أماباقى المسلمين ففروا و رسول الله ص يدعوهم فى أخراهم حتى انتهى منهم إلى قريب من المهراس . قال الواقدى وحدثنى عتبة بن جبير عن يعقوب بن عمير بن قتادة قال ثبت يومئذ بين يديه ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك وعليك السلام غيرمودع . قلت

قداختلف فی عمر بن الخطاب هل ثبت یومئذ أم لا مع اتفاق الرواة کافة علی أن عثمان لم یثبت فالواقدی ذکر أنه لم یثبت و أما محمد بن إسحاق والبلاذری فجعلاه مع من ثبت و لم یفر واتفقوا کلهم علی أن ضرار بن الخطاب الفهری قرع رأسه بالرمح و قال إنها نعمة مشکورة یا ابن الخطاب إنی آلیت ألا أقتل رجلا من قریش . وروی ذلک محمد بن إسحاق وغیره و لم یختلفوا فی ذلک وإنما اختلفوا هل قرعه بالرمح و هوفار هارب أم مقدم ثابت والذین رووا أنه قرعه بالرمح و هوهارب لم یقل [صفحه ۲۱] أحد منهم إنه هرب حین هرب عثمان و لا إلی الجهة التی فر إلیها عثمان وإنما هرب معتصما بالجبل و هذا لیس بعیب و لاذنب لأن الذین ثبتوا مع رسول الله ص اعتصموا بالجبل کلهم وأصعدوا فیه ولکن یبقی الفرق بین من أصعد فی الجبل فی آخر الأمر و من أصعد فیه والحرب لم تضع أوزارها فإن کان عمر أصعد فیه آخر الأمر فکل المسلمین هکذا صنعوا حتی رسول الله ص و إن کان ذلک والحرب قائمة بعدتفرق . و لم یختلف الرواة من أهل الحدیث فی أن أبابکر لم یفر یومئذ و أنه ثبت فیمن ثبت و إن لم یکن نقل عنه قتل أوقتال والثبوت جهاد و فیه وحده کفایة. و أمارواة الشیعة فإنهم یروون أنه لم یثبت إلا علی وطلحة والزبیر و أبودجانة وسهل بن حنیف وعاصم بن ثابت ومنهم من روی أنه ثبت معه أربعة عشر رجلا من المهاجرین والأنصار و لایعدون أبابکر وعمر منهم روی کثیر من أصحاب الحدیث أن عثمان جاء بعدثالثة إلی رسول الله ص فسأله إلی أین انتهیت فقال إلی الأعرض فقال لقد ذهبت فیهاعریضة.روی الواقدی قال کان بین عثمان أیام خلافته و بین عبدالرحمن بن عوف کلام فأرسل عبدالرحمن إلی الولید بن عقبة فدعاه فقال اذهب إلی أخیک فأبلغه عنی ماأقول لک فإنی لاأعلم أحدا یبلغه غیرک قال الولید أفعل قال قل له یقول لک عبدالرحمن شهدت بدرا و لم تشهدها وثبت یوم أحد وولیت وشهدت بیعة الرضوان و لم تشهدها فلما أخبره قال عثمان صدق أخی تخلفت عن بدر علی ابنة رسول الله ص وهی مریضة فضرب لی رسول الله ص بسهمی وأجری فکنت بمنزلة من [صفحه ۲۲] حضر بدرا وولیت یوم أحد فعفا الله عنی فی محکم کتابه و أمابیعة الرضوان فإنی خرجت إلی أهل مکة بعثنی رسول الله ص و قال إن عثمان فی طاعة الله وطاعة رسوله وبایع عنی بإحدی یدیه علی الأخری فکان شمال النبی خیرا من یمینی فلما جاء الولید إلی عبدالرحمن بما قال قال صدق أخی. قال الواقدی ونظر عمر إلی عثمان بن عفان فقال هذاممن عفا الله عنه وهم الذین تولوا یوم التقی الجمعان و الله ماعفا الله عن شیءفرده قال وسأل رجل عبد الله بن عمر عن عثمان فقال أذنب یوم أحد ذنبا عظیما فعفا الله عنه وأذنب فیکم ذنبا صغیرا فقتلتموه واحتج من روی أن عمر فر یوم أحد بما روی أنه جاءته فی أیام خلافته امرأة تطلب بردا من برود کانت بین یدیه وجاءت معها بنت لعمر تطلب بردا أیضا فأعطی المرأة ورد ابنته فقیل له فی ذلک فقال إن أبا هذه ثبت یوم أحد و أبا هذه فر یوم أحد و لم یثبت . وروی الواقدی أن عمر کان یحدث فیقول لماصاح الشیطان قتل محمد قلت أرقی فی الجبل کأنی أرویة وجعل بعضهم هذاحجة فی إثبات فرار عمر وعندی أنه لیس بحجة لأن تمام الخبر فانتهیت إلی رسول الله ص و هو یقول وَ ما مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرّسُلُالآیة و أبوسفیان فی سفح الجبل فی کتیبته یرومون أن یعلوا الجبل فقال رسول الله ص أللهم إنه لیس لهم أن یعلونا فانکشفوا و هذایدل علی أن رقیه فی الجبل قد کان بعدإصعاد رسول الله ص فیه و هذاأن یکون منقبة له أشبه . وروی الواقدی قال حدثنی ابن أبی سبرة عن أبی بکر بن عبد الله بن أبی جهم اسم أبی جهم عبید قال کان خالد بن الولید یحدث و هوبالشام فیقول الحمد لله -قرآن-۱۰۲۸-۱۰۸۶ [صفحه ۲۳] ألذی هدانی للإسلام لقد رأیتنی ورأیت عمر بن الخطاب حین جال المسلمون وانهزموا یوم أحد و مامعه أحد وإنی لفی کتیبة خشناء فما عرفه منهم أحد غیری وخشیت إن أغریت به من معی أن یصمدوا له فنظرت إلیه و هومتوجه إلی الشعب قلت یجوز أن یکون هذاحقا و لاخلاف أنه توجه إلی الشعب تارکا للحرب لکن یجوز أن یکون ذلک فی آخر الأمر لمایئس المسلمون من النصرة فکلهم توجه نحو الشعب حینئذ وأیضا فإن خالدا متهم فی حق عمر بن الخطاب لما کان بینه وبینه من الشحناء والشنئان فلیس بمنکر من خالد أن ینعی علیه حرکاته ویؤکد صحة هذاالخبر

وكون خالد عف عن قتل عمر يومئذ ما هومعلوم من حال النسب بينهما من قبل الأم فإن أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وخالد هو ابن الوليد بن المغيرة فأم عمر ابنة عم خالد لحا والرحم تعطف .حضرت عند محمد بن معد العلوى الموسوى الفقيه على رأى الشيعة الإمامية رحمه الله فى داره بدرب الدواب ببغداد فى سنة ثمان وستمائة وقارئ يقرأ عنده مغازى الواقدى فقرأ حدثناالواقدى قال حدثنى ابن أبى سبرة عن خالد بن رياح عن أبى سفيان مولى ابن أبى أحمد قال سمعت محمد بن مسلمة يقول سمعت أذناى وأبصرت عيناى رسول الله ص يقول يوم أحد و قدانكشف الناس إلى الجبل و هويدعوهم وهم لايلوون عليه سمعته يقول إلى يافلان إلى يافلان أنا رسول الله فما عرج عليه واحد منهما ومضيا فأشار ابن معد إلى أن اسمع فقلت و ما فى هذا قال هذه كناية عنهما فقلت ويجوز ألا يكون عنهما لعله عن غيرهما قال ليس فى الصحابة من [صفحه ۲۴] يحتشم ويستحيا من ذكره بالفرار و ماشابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية إلاهما قلت له هذاوهم فقال دعنا من جدلك ومنعك ثم حلف أنه ماعنى الواقدى غيرهما و أنه لو كان غيرهما لذكره صريحا وبان فى وجهه التنكر من مخالفتى له .روى الواقدى قال لماصاح إبليس أن محمدا قدقتل تفرق الناس فمنهم من ورد المدينة فكان أول من وردها يخبر أن محمدا قدقتل سعد بن عثمان أبوعبادة ثم ورد بعده رجال حتى دخلوا على نسائهم حتى جعل النساء يقلن أ عن رسول الله تفرون و يقول لهم ابن أم مكتوم أ عن رسول الله تفرون يؤنب بهم و قد كان رسول الله ص خلفه بالمدينة يصلى بالناس ثم قال دلونى على الطريق يعنى طريق أحد فدلوه فجعل يستخبر كل من لقى فى الطريق حتى لحق القوم فعلم بسلامة النبى ص ثم رجع و كان ممن ولى عمر وعثمان والحارث بن حاطب وثعلبة بن حاطب وسواد بن غزية وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان وخارجة بن عمر بلغ ملل وأوس بن قيظى فى نفر من بنى حارثة بلغوا الشقرة ولقيتهم أم أيمن تحثى فى وجوههم التراب وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم واحتج من قال بفرار عمر بما رواه الواقدى فى كتاب المغازى فى قصة الحديبية قال قال عمر يومئذ يا رسول الله أ لم تكن حدثتنا أنك ستدخل المسجد الحرام وتأخذ مفتاح الكعبة وتعرف مع المعرفين وهدينا لم يصل إلى البيت و لانحر فقال رسول الله ص أ قلت لكم فى سفركم هذا قال عمر لا قال أماإنكم ستدخلونه وآخذ مفتاح الكعبة وأحلق رأسى ورءوسكم ببطن مكة وأعرف مع المعرفين ثم أقبل على عمر و قال أنسيتم يوم [صفحه ۲۵] أحدإِذ تُصعِدُونَ وَ لا تَلوُونَ عَلى أَحَدٍ و أناأدعوكم فى أخراكم أنسيتم يوم الأحزاب إِذ جاؤُكُم مِن فَوقِكُم وَ مِن أَسفَلَ مِنكُم وَ إِذ زاغَتِ الأَبصارُ وَ بَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ أنسيتم يوم كذا وجعل يذكرهم أمورا أنسيتم يوم كذا فقال المسلمون صدق الله وصدق رسوله أنت يا رسول الله أعلم بالله منا فلما دخل عام القضية وحلق رأسه قال هذا ألذى كنت وعدتكم به فلما كان يوم الفتح وأخذ مفتاح الكعبة قال ادعوا إلى عمر بن الخطاب فجاء فقال هذا ألذى كنت قلت لكم قالوا فلو لم يكن فر يوم أحد لما قال له أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون و لاتلوون -قرآن-۴-۴۴-قرآن-۹۰-۱۹۲

القول فيما جرى للمسلمين بعدإصعادهم فى الجبل

قال الواقدى حدثنى موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال لماصاح الشيطان لعنه الله أن محمدا قدقتل يحزنهم بذلك تفرقوا فى كل وجه وجعل الناس يمرون على النبى ص لايلوى عليه أحد منهم و رسول الله يدعوهم فى أخراهم حتى انتهت هزيمة قوم منهم إلى المهراس فتوجه رسول الله ص يريد أصحابه فى الشعب فانتهى إلى الشعب وأصحابه فى الجبل أوزاع يذكرون مقتل من قتل منهم ويذكرون ماجاءهم عن رسول الله ص قال كعب بن مالك فكنت أول من عرفه و عليه المغفر فجعلت أصيح و أنا فى الشعب هذا رسول الله ص حى فجعل يومئ إلى بيده على فيه أى اسكت ثم دعا بلأمتى فلبسها ونزع لأمته . قال الواقدى طلع رسول الله ص على أصحابه فى الشعب بين السعدين [صفحه ۲۶] سعد بن عبادة وسعد بن معاذ يتكفأ فى الدرع و كان إذامشى تكفأ تكفؤا ويقال إنه كان يتوكأ على طلحة بن عبيد الله . قال الواقدى و ماصلى يومئذ الظهر إلاجالسا للجرح ألذى كان أصابه .

قال الواقدى و قد كان طلحة قال له إن بى قوة فقم لأحملك فحمله حتى انتهى إلى الصخرة التى على فم شعب الجبل فلم يزل يحمله حتى رفعه عليها ثم مضى إلى أصحابه ومعه النفر الذين ثبتوا معه فلما نظر المسلمون إليهم ظنوهم قريشا فجعلوا يولون فى الشعب هاربين منهم ثم جعل أبودجانة يليح إليهم بعمامة حمراء على رأسه فعرفوه فرجعوا أوبعضهم . قال الواقدى روى أنه لماطلع عليهم فى النفر الذين ثبتوا معه وهم أربعة عشر سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار جعلوا يولون فى الجبل خائفين منهم يظنونهم المشركين جعل رسول الله ص يتبسم إلى أبى بكر و هو على جنبه و يقول له ألح إليهم فجعل أبوبكر يليح إليهم وهم لا-يعرجون حتى نزع أبودجانة عصابة حمراء على رأسه فأوفى على الجبل فجعل يصيح ويليح فوقفوا حتى عرفوهم ولقد وضع أبوبردة بن نيار سهما على كبد قوسه فأراد أن يرمى به رسول الله ص وأصحابه فلما تكلموا وناداهم رسول الله ص أمسك وفرح المسلمون برؤيته حتى كأنهم لم تصبهم فى أنفسهم مصيبة وسروا لسلامته وسلامتهم من المشركين . قال الواقدى ثم إن قوما من قريش صعدوا الجبل فعلوا على المسلمين وهم فى الشعب قال فكان رافع بن خديج يحدث فيقول إنى يومئذ إلى جنب أبى مسعود الأنصارى و هويذكر من قتل من قومه ويسأل عنهم فيخبر برجال منهم سعد بن [صفحه ۲۷] الربيع وخارجة بن زهير و هويسترجع ويترحم عليهم وبعض المسلمين يسأل بعضا عن حميمه وذى رحمه فيهم يخبر بعضهم بعضا فبينا هم على ذلك رد الله المشركين ليذهب ذلك الحزن عنهم فإذاعدوهم فوقهم قدعلوا و إذاكتائب المشركين بالجبل فنسوا ماكانوا يذكرون وندبنا رسول الله ص وحضنا على القتال و الله لكأنى أنظر إلى فلان وفلان فى عرض الجبل يعدوان هاربين قال الواقدى فكان عمر يحدث يقول لماصاح الشيطان قتل محمدأقبلت أرقى إلى الجبل فكأنى أروية فانتهيت إلى النبى ص و هو يقول وَ ما مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرّسُلُالآية و أبوسفيان فى سفح الجبل فقال رسول الله ص يدعو ربه أللهم ليس لهم أن يعلوا فانكشفوا. قال الواقدى فكان أبوأسيد الساعدى يحدث فيقول لقد رأيتنا قبل أن يلقى النعاس علينا فى الشعب وإنا لسلم لمن أرادنا لمابنا من الحزن فألقى علينا النعاس فنمنا حتى تناطح الحجف ثم فزعنا وكانا لم يصبنا قبل ذلك نكبة قال و قال الزبير بن العوام غشينا النعاس فما منا رجل إلا وذقنه فى صدره من النوم فأسمع معتب بن قشير و كان من المنافقين يقول وإنى لكالحالم لَو كانَ لَنا مِنَ الأَمرِ شَيءٌ ما قُتِلنا هاهُنافأنزل الله تعالى فيه ذلك . قال و قال أبواليسر لقد رأيتنى ذلك اليوم فى رجال من قومى إلى جنب رسول الله ص و قدأنزل الله علينا النعاس أمنة منه مامنهم رجل إلايغط غطيطا حتى إن الحجف لتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده -قرآن-۴۹۹-۵۵۷-قرآن-۱۰۲۶-۱۰۷۵ [صفحه ۲۸] و مايشعر به حتى أخذه بعد ماتثلم و إن المشركين لتحتنا وسقط سيف أبى طلحة أيضا و لم يصب أهل الشك والنفاق نعاس يومئذ وإنما أصاب النعاس أهل الإيمان واليقين فكان المنافقون يتكلم كل منهم بما فى نفسه والمؤمنون ناعسون . قلت سألت ابن النجار المحدث عن هذاالموضع فقلت له من قصة أحد تدل على أن المسلمين كانت الدولة لهم بادئ الحال ثم صارت عليهم وصاح الشيطان قتل محمدفانهزم أكثرهم ثم ثاب أكثر المنهزمين إلى النبى ص فحاربوا دونه حربا كثيرة طالت مدتها حتى صار آخر النهار ثم أصعدوا فى الجبل معتصمين به وأصعد رسول الله ص معهم فتحاجز الفريقان حينئذ و هذا هو ألذى يدل عليه تأمل قصة أحد إلا أن بعض الروايات التى ذكرها الواقدى يقتضى غير ذلك نحو روايته فى هذاالباب أن رسول الله ص لماصاح الشيطان إن محمدا قدقتل كان ينادى المسلمين فلايعرجون عليه وإنما يصعدون فى الجبل وإنه وجه نحو الجبل فانتهى إليهم وهم أوزاع يتذاكرون بقتل من قتل منهم و هذه الرواية تدل على أنه أصعدص فى الجبل من أول الحرب حيث صاح الشيطان وصياح الشيطان كان حال كون خالد بن الوليد بالجبل من وراء المسلمين لماغشيهم وهم مشتغلون بالنهب واختلط الناس فكيف هذا فقال إن الشيطان صاح قتل محمددفعتين دفعة فى أول الحرب ودفعة فى آخر الحرب لماتصرم النهار وغشيت الكتائب رسول الله ص و قدقتل ناصروه وأكلتهم الحرب فلم يبق معه إلا-نفر يسير لا-يبلغون عشرة و هذه كانت أصعب وأشد من الأولى و فيهااعتصم و مااعتصم فى

صرخة الشيطان الأولى بالجبل بل ثبت وحامى عنه أصحابه ولقد لقى فى الأولى مشقة عظيمة من ابن قمية وعتبة بن أبى وقاص وغيرهما [صفحه ٢٩] ولكنه لم يفارق عرصة الحرب وإنما فارقها وعلم أنه لم يبق له وجه مقام فى صرخته الثانية. قلت له فكان القوم مختلطين فى الصرخة الثانية حتى يصرخ الشيطان قتل محمد قال نعم المشركون قدأحاطوا بالنبى‌ص وبمن بقى معه من أصحابه فاختلط المسلمون بهم وصاروا مغمورين بينهم لقلتهم بالنسبة إليهم وظن قوم من المشركين أنهم قدقتلوا النبى ص لأنهم فقدوا وجهه وصورته فنادى الشيطان قتل محمد و لم يكن قتل ص ولكن اشتبهت صورته عليهم وظنوه غيره وأكثر من حامى عنه فى تلك الحال على ع و أبودجانة وسهل بن حنيف وحامى هو عن نفسه وجرح قوما بيده تارة بالسهام وتارة بالسيف ولكن لم يعلموا بأعيانهم لاختلاط القوم وثوران النقع وكانت قريش تظنه واحدا من المسلمين و لوعرفوه بعينه فى تلك الثورة لكان الأمر صعبا جدا ولكن الله تعالى عصمه منهم بأن أزاغ أبصارهم عنه فلم يزل هؤلاء الثلاثة يجالدون دونه و هويقرب من الجبل حتى صار فى أعلى الجبل أصعد من فم الشعب إلى تدريج هناك فى الجبل ورقى فى ذلك التدريج صاعدا حتى صار فى أعلى الجبل وتبعه النفر الثلاثة فلحقوا به . قلت له فما بال القوم الذين صعدوا الجبل من المشركين وكيف كان إصعادهم وعودهم . قال أصعدوا لحرب المسلمين لالطلب رسول الله ص لأنهم ظنوا أنه قدقتل و هذا هو كان السبب فى عودهم من الجبل لأنهم قالوا قدبلغنا الغرض [صفحه ٣٠] الأصلى وقتلنا محمدا فما لنا والتصميم على الأوس والخزرج وغيرهم من أصحابه مع ما فى ذلك من عظم الخطر بالأنفس قلت له فإذا كان هذا قدخطر لهم فلما ذا صعدوا فى الجبل . قال يخطر لك خاطر ويدعوك داع إلى بعض الحركات فإذاشرعت فيهاخطر لك خاطر آخر يصرفك عنها فترجع و لاتتمها قلت نعم فما بالهم لم يقصدوا قصد المدينة وينهبوها. قال كان فيها عبد الله بن أبى فى ثلاثمائة مقاتل و فيهاخلق كثير من الأوس والخزرج لم يحضروا الحرب وهم مسلمون وطوائف أخر من المنافقين لم يخرجوا وطوائف أخرى من اليهود أولو بأس وقوة ولهم بالمدينة عيال و أهل ونساء و كل هؤلاء كانوا يحامون عن المدينة و لم تكن قريش تأمن مع ذلك أن يأتيها رسول الله ص من ورائها بمن يجامعه من أصحابه فيحصلوا بين الأعداء من خلفهم و من أمامهم فكان الرأى الأصوب لهم العدول عن المدينة وترك قصدها. قال الواقدى حدثنى الضحاك بن عثمان عن حمزة بن سعيد قال لماتحاجزوا وأراد أبوسفيان الانصراف أقبل يسير على فرس له حوراء فوقف على أصحاب النبى ص وهم فى عرض الجبل فنادى بأعلى صوته أعل هبل ثم صاح أين ابن أبى كبشة يوم بيوم بدر ألا إن الأيام دول . و فى رواية أنه نادى أبابكر وعمر أيضا فقال أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ثم قال الحرب سجال حنظلة بحنظلة يعنى حنظلة بن أبى عامر بحنظلة بن [صفحه ٣١] أبى سفيان فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله أجيبه قال نعم فأجبه فلما قال أعل هبل قال عمر الله أعلى وأجل . ويروى أن رسول الله ص قال لعمر قل له الله أعلى وأجل فقال أبوسفيان إن لنا العزى و لاعزى لكم فقال عمر أو قال رسول الله ص قل له الله مولانا و لامولى لكم فقال أبوسفيان إنها قدأنعمت فقال عنها يا ابن الخطاب فقال سعيد بن أبى سفيان ألا إن الأيام دول و إن الحرب سجال فقال عمر و لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبوسفيان إنكم لتقولون ذلك لقد جبنا إذا وخسرنا ثم قال يا ابن الخطاب قم إلى أكلمك فقام إليه فقال أنشدك بدينك هل قتلنا محمدا قال أللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن قال أنت عندى أصدق من ابن قمية ثم صاح أبوسفيان ورفع صوته إنكم واجدون فى قتلاكم عنتا ومثلا إلا أن ذلك لم يكن عن رأى سراتنا ثم أدركته حمية الجاهلية فقال و أماإذ كان ذلك فلم نكرهه ثم نادى ألا إن موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول فوقف عمر وقفة ينتظر ما يقول رسول الله ص فقال له قل نعم فانصرف أبوسفيان إلى أصحابه وأخذوا فى الرحيل فأشفق رسول الله ص والمسلمون من أن يغيروا على المدينة فيهلك الذرارى والنساء فقال رسول الله ص لسعد بن أبى وقاص اذهب فأتنا بخبر القوم فإنهم إن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الظعن إلى مكة و إن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهو الغارة على المدينة و ألذى نفسى بيده إن ساروا إليها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم قال سعد

فتوجهت أسعى وأرصدت نفسى إن أفرعنى شىءرجعت إلى النبى ص و أناأسعى فبدأت بالسعى حين ابتدأت فخرجت فى آثارهم [صفحه ۳۲] حتى إذاكانوا بالعقيق و أنابحيث أراهم وأتأملهم ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فقلت إنه الظعن إلى بلادهم ثم وقفوا وقفةً بالعقيق وتشاوروا فى دخول المدينة فقال لهم صفوان بن أمية قدأصبتم القوم فانصرفوا و لاتدخلوا عليهم وأنتم كالون ولكم الظفر فإنكم لاتدرون مايغشاكم فقد وليتم يوم بدر لا و الله ماتبعوكم و كان الظفر لهم فيقال إن رسول الله ص قال نهاهم صفوان فلما رآهم سعد على تلك الحال منطلقين و قددخلوا فى المكمن رجع إلى رسول الله ص و هوكالمنكسر فقال وجه القوم يا رسول الله إلى مكة امتطوا الإبل وجنبوا الخيل فقال ماتقول قلت ما قلت يا رسول الله فخلا بى فقال أحقا ماتقول قلت نعم يا رسول الله قال فما بالى رأيتك منكسرا فقلت كرهت أن آتى المسلمين فرحا بقفولهم إلى بلادهم فقال ص إن سعدا لمجرب . قال الواقدى و قدروى خلاف هذاروى أن سعدا لمارجع رفع صوته بأن جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فجعل رسول الله ص يشير إلى سعد خفض صوتك فإن الحرب خدعة فلاترى الناس مثل هذاالفرح بانصرافهم فإنما ردهم الله تعالى . قال الواقدى وحدثنى ابن أبى سبرة عن يحيى بن شبل عن أبى جعفر قال قال رسول الله ص لسعد بن أبى وقاص إن رأيت القوم يريدون المدينة فأخبرنى فيما بينى وبينك و لاتفت فى أعضاد المسلمين فذهب فرآهم قدامتطوا الإبل فرجع فما ملك أن جعل يصيح سرورا بانصرافهم -روايت-۱-۲-روايت-۷۴-۲۷۵ . قال الواقدى وقيل لعمرو بن العاص كيف كان افتراق المسلمين والمشركين يوم [صفحه ۳۳] أحد فقال ماتريدون إلى ذلك قدجاء الله بالإسلام ونفى الكفر وأهله ثم قال لماكررنا عليهم أصبنا من أصبنا منهم وتفرقوا فى كل وجه وفاءت لهم فئة بعدفتشاورت قريش فقالوا لنا الغلبة فلو انصرفنا فإنه بلغنا أن ابن أبى انصرف بثلث الناس و قدتخلف الناس من الأوس والخزرج و لانأمن أن يكروا علينا وفينا جراح وخيلنا عامتها قدعقرت من النبل فمضينا فما بلغنا الروحاء حتى قام علينا عدة منها وانصرفنا إلى مكة. قال الواقدى حدثنى إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عائشة قال سمعت أبابكر يقول لما كان يوم أحد ورمى رسول الله ص فى وجهه حتى دخلت فى وجهه حلقتان من المغفر أقبلت أسعى إلى رسول الله ص وإنسان قدأقبل من قبل المشرق يطير طيرانا فقلت أللهم اجعله طلحة بن عبيد الله حتى توافينا إلى رسول الله ص فإذا أبوعبيدة بن الجراح فبدرنى فقال أسألك بالله يا أبابكر إلاتركتنى فأنتزعه من وجه رسول الله ص قال أبوبكر فتركته و قال رسول الله ص عليكم صاحبكم يعنى طلحة فأخذ أبوعبيدة بثنيته حلقة المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبى عبيدة ثم أخذ الحلقة بثنيته الأخرى فكان أبوعبيدة فى الناس أثرم ويقال إن ألذى نزع الحلقتين من وجه رسول الله ص عقبة بن وهب بن كلدة ويقال أبواليسر. قال الواقدى وأثبت ذلك عندنا عقبة بن وهب بن كلدة. قال الواقدى و كان أبوسعيد الخدرى يحدث أن رسول الله ص [صفحه ۳۴] أصيب وجهه يوم أحد فدخلت الحلقتان من المغفر فى وجنتيه فلما نزعتا جعل الدم يسرب كمايسرب الشن فجعل مالك بن سنان يمج الدم بفيه ثم ازدرده فقال رسول الله ص من أحب أن ينظر إلى من خالط دمه بدمى فلينظر إلى مالك بن سنان -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۹۱ فقيل لمالك تشرب الدم فقال نعم أشرب دم رسول الله ص فقال رسول الله ص من مس دمه دمى لم تصبه النار -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۵۷ قال الواقدى و قال أبوسعيد كنا ممن رد من الشيخين لم نجئ مع المقاتلة فلما كان من النهار بلغنا مصاب رسول الله ص وتفرق الناس عنه جئت مع غلمان بنى خدرة نعرض لرسول الله ص ننظر إلى سلامته فنرجع بذلك إلى أهلنا فلقينا الناس متفرقين ببطن قناة فلم يكن لنا همة إلا النبى ص ننظر إليه فلما رآنى قال سعد بن مالك قلت نعم بأبى أنت وأمى ودنوت منه فقبلت ركبته و هو على فرسه فقال آجرك الله فى أبيك ثم نظرت إلى وجهه فإذا فى وجنتيه مثل موضع الدرهم فى كل وجنة و إذاشجة فى جبهته عندأصول الشعر و إذاشفته السفلى تدمى و إذا فى رباعيته اليمنى شظية و إذا على جرحه شىءأسود فسألت ما هذا على وجهه فقالوا حصير محرق وسألت من أدمى وجنتيه فقيل ابن قميئة فقلت فمن شجه فى وجهه فقيل ابن شهاب فقلت من أصاب شفتيه قيل عتبة بن أبى وقاص فجعلت أعدو بين يديه حتى نزل ببابه مانزل إلامحمولا

وأرى ركبتيه مجحوشتين يتكئ على السعدين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة حتى دخل بيته فلما غربت الشمس وأذن بلال بالصلاة خرج على تلك الحال [صفحه ۳۵] يتوكأ على السعدين سعد بن عبادة وسعد بن معاذ ثم انصرف إلى بيته و الناس فى المسجد يوقدون النيران يتمكدون بها من الجراح ثم أذن بلال بالعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله ص فجلس بلال عندبابه ص حتى ذهب ثلث الليل ثم ناداه الصلاة يا رسول الله فخرج و قد كان نائما قال فرمقته فإذا هوأخف فى مشيته منه حين دخل بيته فصليت معه العشاء ثم رجع إلى بيته قدصفف له الرجال ما بين بيته إلى مصلاه يمشى وحده حتى دخل ورجعت إلى أهلى فخبرتهم بسلامته فحمدوا الله وناموا وكانت وجوه الأوس والخزرج فى المسجد على النبى ص يحرسونه فرقا من قريش أن تكر. قال الواقدى وخرجت فاطمة ع فى نساء و قدرأت ألذى بوجه أبيهاص فاعتنقته وجعلت تمسح الدم عن وجهه و رسول الله ص يقول اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۶۶ وذهب على ع فأتى بماء من المهراس و قال لفاطمة أمسكى هذاالسيف غيرذميم فنظر إليه رسول الله ص مختضبا بالدم فقال لئن كنت أحسنت القتال اليوم فلقد أحسن عاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسيف أبى دجانة غيرمذموم هكذا روى الواقدى. و روى محمد بن إسحاق أن عليا ع قال لفاطمة بيتى شعر وهما -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۶۰ أفاطم هاء السيف غيرذميم || فلست برعد يد و لابلئيم لعمرى لقد جاهدت فى نصر أحمد || وطاعة رب بالعباد رحيم فقال رسول الله ص لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك سماك بن خرشة وسهل بن حنيف -روايت-۱-۹۶ . [صفحه ۳۶] قال الواقدى فلما أحضر على ع الماء أراد رسول الله ص أن يشرب منه فلم يستطع و قد كان عطشا ووجد ريحا من الماء كرهها فقال هذاماء آجن فتمضمض منه للدم ألذى كان بفيه ثم مجه وغسلت فاطمة به الدم عن أبيهاص فخرج محمد بن مسلمة يطب مع النساء وكن أربع عشرة امرأة قدجئن من المدينة يتلقين الناس منهن فاطمة ع يحملن الطعام والشراب على ظهورهن ويسقين الجرحى ويداوينهم . قال الواقدى قال كعب بن مالك رأيت عائشة وأم سليم على ظهورهما القرب تحملانها يوم أحد وكانت حمنة بنت جحش تسقى العطشى وتداوى الجرحى فلم يجد محمد بن مسلمة عندهن ماء و رسول الله ص قداشتد عطشه فذهب محمد بن مسلمة إلى قناة ومعه سقاؤه حتى استقى من حسى قناة عندقصور التيميين اليوم فجاء بماء عذب فشرب منه رسول الله ص ودعا له بخير وجعل الدم لاينقطع من وجهه ع و هو يقول لن ينالوا منا مثلها حتى نستلم الركن فلما رأت فاطمة الدم لايرقأ وهى تغسل جراحه و على يصب الماء عليها بالمجن أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم ويقال إنها داوته بصوفة محرقة و كان رسول الله ص بعديداوى الجراح ألذى فى وجهه بعظم بال حتى ذهب أثره ولقد مكث يجد وهن ضربة ابن قميئة على عاتقه شهرا أوأكثر من شهر ويداوى الأثر ألذى فى وجهه بعظم . قال الواقدى و قال رسول الله ص قبل أن ينصرف إلى المدينة من يأتينا بخبر سعد بن الربيع فإنى رأيته وأشار بيده إلى ناحية من الوادى قدشرع فيه اثنا عشر سنانا فخرج محمد بن مسلمة ويقال أبى بن كعب نحو تلك الناحية قال فأنا وسط القتلى لتعرفهم إذ مررت به صريعا فى الوادى فناديته فلم يجب ثم قلت إن رسول الله ص أرسلنى إليك قال فتنفس كمايتنفس الطير ثم قال [صفحه ۳۷] و إن رسول الله ص لحى قلت نعم و قدأخبرنا أنه شرع لك اثنا عشر سنانا فقال طعنت اثنتى عشرة طعنة كلها أجافتنى أبلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم الله الله و ماعاهدتم عليه رسول الله ص ليلة العقبة و الله مالكم عذر عند الله إن خلص إلى نبيكم ومنكم عين تطرف فلم أرم من عنده حتى مات فرجعت إلى النبى ص فأخبرته فرأيته استقبل القبلة رافعا يديه يقول أللهم الق سعد بن الربيع و أنت عنه راض . قال الواقدى وخرجت السمداء بنت قيس إحدى نساء بنى دينار و قدأصيب ابناها مع النبى ص بأحد النعمان بن عبدعمر وسليم بن الحارث فلما نعيا لها قالت فما فعل رسول الله ص قالوا بخير هوبحمد الله صالح على ماتحبين فقالت أرونيه أنظر إليه فأشاروا لها إليه فقالت كل مصيبة بعدك يا رسول الله جلل وخرجت تسوق بابنيها بعيرا تردهما إلى المدينة فلقيتها عائشة فقالت ماوراءك فأخبرتها قالت فمن هؤلاء معك

قالت ابناى حل حل تحملهما إلى القبر. قال الواقدى و كان حمزة بن عبدالمطلب أول من جيء به إلى النبى ص بعدانصراف قريش أو كان من أولهم فصلى عليه رسول الله ص ثم قال رأيت الملائكة تغسله قالوا لأن حمزة كان جنبا ذلك اليوم و لم يغسل رسول الله ص الشهداء يومئذ و قال لفوهم بدمائهم وجراحهم فإنه ليس أحد يجرح فى سبيل الله إلاجاء يوم القيامة لون جرحه لون الدم وريحه ريح المسك ثم [صفحه ٣٨] قال ضعوهم فأنا الشهيد على هؤلاء يوم القيامة و كان حمزة أول من كبر عليه أربعا ثم جمع إليه الشهداء فكان كلما أتى بشهيد وضع إلى جنب حمزة فصلى عليه و على الشهيد حتى صلى عليه سبعين مرة لأن الشهداء سبعون . قال الواقدى ويقال كان يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم وترفع التسعة ويترك حمزة مكانه ويؤتى بتسعة آخرين فيوضعون إلى جنب حمزة فيصلى عليه وعليهم حتى فعل ذلك سبع مرات ويقال إنه كبر عليه خمسا وسبعا وتسعا. قال الواقدى و قداختلفت الرواية فى هذا و كان طلحة بن عبيد الله و ابن عباس وجابر بن عبد الله يقولون صلى رسول الله ص على قتلى أحد و قال أناشهيد على هؤلاء فقال أبوبكر ألسنا إخوانهم أسلمنا كماأسلموا وجاهدنا كماجاهدوا قال بلى ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئا و لاأدرى ماتحدثون بعدى فبكى أبوبكر و قال إنا لكائنون بعدك . و قال أنس بن مالك وسعيد بن المسيب لم يصل رسول الله ص على قتلى أحد. قال الواقدى و قال لأهل القتلى احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة فى القبر وقدموا أكثرهم قرآنا وأمر بحمزة أن تمد بردته عليه و هو فى القبر وكانت قصيرة فكانوا إذاخمروا بهارأسه بدت رجلاه و إذاخمروا بهارجليه انكشف وجهه فبكى المسلمون يومئذ فقالوا يا رسول الله عم رسول الله يقتل فلايوجد له ثوب فقال بلى إنكم بأرض جردية ذات أحجار وستفتح يعنى الأرياف والأمصار فيخرج الناس إليها ثم يبعثون إلى أهليهم والمدينة خير لهم لوكانوا يعلمون [صفحه ٣٩] و ألذى نفسى بيده لاتصبر نفس على لأوائها وشدتها إلاكنت لها شفيعا أو قال شهيدا يوم القيامة. قال الواقدى وأتى عبدالرحمن بن عوف فى خلافة عثمان بثياب وطعام فقال ولكن حمزة لم يوجد له كفن ومصعب بن عمير لم يوجد له كفن وكانا خيرا منى. قال الواقدى ومر رسول الله ص بمصعب بن عمير و هومقتول مسجى ببردة خلق فقال لقد رأيتك بمكة و ما بهاأحد أرق حلة و لاأحسن لمة منك ثم أنت اليوم أشعث الرأس فى هذه البردة ثم أمر به فقبر ونزل فى قبره أخوه أبوالروم وعامر بن ربيعة وسويبطة بن عمرو بن حرملة ونزل فى قبر حمزة على ع والزبير و أبوبكر وعمر و رسول الله ص جالس على حفرته . قال الواقدى ثم إن الناس أوعامتهم حملوا قتلاهم إلى المدينة فدفن بالبقيع منهم عدة عنددار زيد بن ثابت ودفن بعضهم ببنى سلمة فنادى منادى رسول الله ص ردوا القتلى إلى مضاجعهم و كان الناس قددفنوا قتلاهم فلم يرد أحد أحدا منهم إلارجلا واحدا أدركه المنادى و لم يدفن و هوشماس بن عثمان المخزومى كان قدحمل إلى المدينة و به رمق فأدخل على عائشة فقالت أم سلمة ابن عمى يدخل إلى غيرى فقال رسول الله ص احملوه إلى أم سلمة فحملوه إليها فمات عندها فأمر رسول الله ص أن يرد إلى أحد فيدفن هناك كما هو فى ثيابه التى مات فيها و كان قدمكث يوما وليلة و لم يذق شيئا فلم يصل عليه رسول الله ص و لاغسله . قال الواقدى فأما القبور المجتمعة هناك فكثير من الناس يظنها قبور قتلى أحد و كان طلحة بن عبيد الله وعباد بن تميم المازنى يقولان هى قبور قوم من الأعراب كانوا [صفحه ٤٠] عام الرمادة فى عهد عمر هناك فماتوا فتلك قبورهم و كان ابن أبى ذئب و عبدالعزيز بن محمديقولان لانعرف تلك القبور المجتمعة إنما هى قبور ناس من أهل البادية قالوا إنا نعرف قبر حمزة وقبر عبد الله بن حزام وقبر سهل بن قيس و لانعرف غير ذلك . قال الواقدى و كان رسول الله ص يزور قتلى أحد فى كل حول و إذالقوه بالشعب رفع صوته يقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار و كان أبوبكر يفعل مثل ذلك وكذلك عمر بن الخطاب ثم عثمان ثم معاوية حين يمر حاجا ومعتمرا. قال وكانت فاطمة بنت رسول الله ص تأتيهم بين اليومين والثلاثة فتبكى عندهم وتدعو و كان سعد بن أبى وقاص يذهب إلى ما له بالغابة فيأتى من خلف قبور الشهداء فيقول السلام عليكم ثلاثا و يقول لايسلم عليهم أحد إلاردوا عليه السلام إلى يوم القيامة قال ومر رسول الله ص على قبر

مصعب بن عمير فوقف عليه ودعا وقرأمِنَ الْمُؤمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيهِ فَمِنهُم مَن قَضى نَحبَهُ وَ مِنهُم مَن يَنتَظِرُ وَ ما بَدّلُوا تَبدِيلًا ثم قال إن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة فأتوهم فزوروهم وسلموا عليهم و ألذى نفسى بيده لايسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلاردوا عليه و كان أبوسعيد الخدرى يقف على قبر حمزة فيدعو ويقرأ و يقول مثل ذلك وكانت أم سلمة رحمها الله تذهب فتسلم عليهم فى كل شهر فتظل يومها فجاءت يوما ومعها غلامها أنبهان فلم يسلم فقالت أى لكع أ لاتسلم عليهم و الله لايسلم عليهم أحد إلاردوا عليه إلى يوم القيامة. قال و كان أبوهريرة و عبد الله بن عمر يذهبان فيسلمان عليهم قالت فاطمة -قرآن-٨١١-٩٤٥ [صفحه ٤١] الخزاعية سلمت على قبر حمزة يوما ومعى أخت لى فسمعنا من القبر قائلا يقول وعليكما السلام ورحمه الله قالت و لم يكن قربنا أحد من الناس قال الواقدى فلما فرغ رسول الله ص من دفنهم دعا بفرسه فركبه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى و لامثل بنى سلمة وبنى عبدالأشهل فلما كانوا بأصل الحرة قال اصطفوا فاصطفت الرجال صفين وخلفهم النساء وعدتهن أربع عشرة امرأة فرفع يديه فدعا فقال أللهم لك الحمد كله أللهم لاقابض لمابسطت و لامانع لماأعطيت و لامعطى لمامنعت و لاهادى لمن أضللت و لامضل لمن هديت و لامقرب لماباعدت و لامباعد لماقربت أللهم إنى أسألك من بركتك ورحمتك وفضلك وعافيتك أللهم إنى أسألك النعيم المقيم ألذى لايحول و لايزول أللهم إنى أسألك الأمن يوم الخوف والغناء يوم الفاقة عائذا بك أللهم من شر ماأعطيت و من شر مامنعت أللهم توفنا مسلمين أللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين أللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك أللهم أنزل عليهم رجسك وعذابك إله الحق آمين -روايت-١-٢-روايت-١٦-٨٧٧ . قال الواقدى وأقبل حتى نزل ببنى حارثة يمينا حتى طلع على بنى عبدالأشهل وهم يبكون على قتلاهم فقال لكن حمزة لابواكى له فخرج النساء ينظرن إلى سلامة رسول الله ص فخرجت إليه أم عامر الأشهلية وتركت النوح فنظرت إليه و عليه الدرع كماهى فقالت كل مصيبة بعدك جلل وخرجت كبشة بنت عتبة بن معاوية بن بلحارث بن الخزرج تعدو نحو رسول الله ص و هوواقف على فرسه وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه فقال سعد يا رسول الله أمى فقال مرحبا بهافدنت حتى تأملته وقالت إذ رأيتك سالما فقد شفت المصيبة فعزاها بعمرو [صفحه ٤٢] بن معاذ ثم قال ياأم سعد أبشرى وبشرى أهليهم أن قتلاهم قدترافقوا فى الجنة جميعا وهم اثنا عشر رجلا و قدشفعوا فى أهليهم فقالت رضينا يا رسول الله و من يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال أللهم أذهب حزن قلوبهم وآجر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا ثم قال لسعد بن معاذ حل أباعمرو الدابة فحل الفرس وتبعه الناس فقال يا أباعمرو إن الجراح فى أهل دارك فاشية و ليس منهم مجروح إلايأتى يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان اللون لون دم والريح ريح مسك فمن كان مجروحا فليقر فى داره وليداو جرحه و لاتبلغ معى بيتى عزمة منى فنادى فيهم سعد عزمة من رسول الله ص ألا يتبعه جريح من بنى عبدالأشهل فتخلف كل مجروح وباتوا يوقدون النيران ويداوون الجراح و إن فيهم لثلاثين جريحا ومضى سعد بن معاذ مع رسول الله ص إلى بيته ثم رجع إلى نسائه فساقهن فلم تبق امرأة إلاجاء بها إلى بيت رسول الله ص فبكين بين المغرب والعشاء وقام رسول الله ص حين فرغ من النوم لثلث الليل فسمع البكاء فقال ما هذاقيل نساء الأنصار يبكين على حمزة فقال رضى الله تعالى عنكن و عن أولادكن وأمر النساء أن يرجعن إلى منازلهن قالت أم سعد بن معاذ فرجعنا إلى بيوتنا بعدليل ومعنا رجالنا فما بكت منا امرأة قط إلابدأت بحمزة إلى يومنا هذا ويقال إن معاذ بن جبل جاء بنساء بنى سلمة وجاء عبد الله بن رواحة بنساء بلحارث بن الخزرج فقال رسول الله ص ماأردت هذا ونهاهن الغد عن النوح أشد النهى. قال الواقدى وجعل ابن أبى والمنافقون معه يشمتون ويسرون بما أصاب المسلمين ويظهرون أقبح القول ورجع عبد الله بن أبى إلى ابنه و هوجريح فبات يكوى الجراحة بالنار حتى ذهب عامة الليل وأبوه يقول ما كان خروجك مع محمد إلى هذا [صفحه ٤٣] الوجه برأيى عصانى محمد وأطاع الولدان و الله لكأنى كنت أنظر إلى هذا فقال ابنه ألذى صنع الله لرسوله وللمسلمين خير إن

شاء الله قال وأظهرت اليهود القول السيئ وقالوا ما محمد إلاطالب ملك ماأصيب هكذا نبى قط فى بدنه وأصيب فى أصحابه وجعل المنافقون يخذلون عن رسول الله ص وأصحابه ويأمرونهم بالتفرق عنه وقالوا لأصحاب النبى ص لو كان من قتل منكم عندنا ماقتل حتى سمع عمر بن الخطاب ذلك فى أماكن فمشى إلى رسول الله ص يستأذنه فى قتل من سمع ذلك منهم من اليهود والمنافقين فقال له ياعمر إن الله مظهر دينه ومعز نبيه ولليهود ذمة فلاأقتلهم قال فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون فقال أ ليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله قال بلى وإنما يفعلون تعوذا من السيف و قدبان لنا أمرهم وأبدى الله أضغانهم عند هذه النكبة فقال إنى نهيت عن قتل من قال لاإله إلا الله محمد رسول الله يا ابن الخطاب إن قريشا لن ينالوا مانالوا منا مثل هذااليوم حتى نستلم الركن . و روى ابن عباس أن النبى ص قال إخوانكم لماأصيبوا بأحد جعلت أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مطعمهم ومشربهم ورأوا حسن منقلبهم قالوا ليت إخواننا يعلمون بما أكرمنا الله وبما نحن فيه لئلا يزهدوا فى الجهاد ويكلوا عندالحرب فقال لهم الله تعالى أناأبلغهم عنكم فأنزل وَ لا تَحسَبَنّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمواتاً بَل أَحياءٌ عِندَ رَبّهِم يُرزَقُونَ -روايت-۱-۲-روايت-۳۶-۴۶۲ [صفحه ۴۴]

القول فيما جرى للمشركين بعدانصرافهم إلى مكة

قال الواقدى حدثنى موسى بن شيبة عن قطن بن وهيب الليثى قال لماتحاجز الفريقان ووجه قريش إلى مكة وامتطوا الإبل وجنبوا الخيل سار وحشى عبدجبير بن مطعم على راحلته أربعا فقدم مكة يبشر قريشا بمصاب المسلمين فانتهى إلى الثنية التى تطلع على الحجون فنادى بأعلى صوته يامعشر قريش مرارا حتى ثاب الناس إليه وهم خائفون أن يأتيهم بما يكرهون فلما رضى منهم قال أبشروا فقد قتلنا من أصحاب محمدمقتلة لم نقتل مثلها فى زحف قط وجرحنا محمدا فأثبتناه بالجراح وقتلنا رأس الكتيبة حمزة بن عبدالمطلب فتفرق الناس عنه فى كل وجه بالشماتة بقتل أصحاب النبى ص وإظهار السرور وخلا جبير بن مطعم بوحشى فقال أنظر ماتقول قال وحشى قد و الله صدقت قال قتلت حمزة قال إى و الله ولقد زرقته بالمزراق فى بطنه فخرج من بين فخذيه ثم نودى فلم يجب فأخذت كبده وحملتها إليك لتراها فقال أذهبت حزن نسائنا وبردت حر قلوبنا فأمر يومئذ نساءه بمراجعة الطيب والدهن . قال الواقدى و قد كان عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى لماانكشف المشركون بأحد فى أول الأمر خرج هاربا على وجهه وكره أن يقدم مكة فقدم الطائف فأخبر ثقيفا أن أصحاب محمد قدظفروا وانهزمنا وكنت أول من قدم عليكم ثم جاءهم الخبر بعد أن قريشا ظفرت وعادت الدولة لها. قال الواقدى فسارت قريش قافلة إلى مكة فدخلتها ظافرة فكان مادخل على قلوبهم من السرور يومئذ نظير مادخل عليهم من الكتابة والحزن يوم بدر و كان مادخل [صفحه ۴۵] على قلوب المسلمين من الغيظ والحزن يومئذ نظير مادخل عليهم من السرور والجذل يوم بدر كما قال الله تعالى وَ تِلكَ الأَيّامُ نُداوِلُها بَينَ النّاسِ و قال سبحانه أَ وَ لَمّا أَصابَتكُم مُصِيبَةٌ قَد أَصَبتُم مِثلَيها قُلتُم أَنّى هذا قُل هُوَ مِن عِندِ أَنفُسِكُم قال يعنى إنكم يوم بدر قتلتم من قريش سبعين وأسرتم سبعين و أما يوم أحد فقتل منكم سبعون و لم يؤسر منكم أحد فقد أصبتم قريشا بمثلى ماأصابوكم يوم أحد و قوله أَنّى هذا أى كيف هذا ونحن موعودون بالنصر ونزول الملائكة وفينا نبى ينزل عليه الوحى من السماء فقال لهم فى الجواب هُوَ مِن عِندِ أَنفُسِكُميعنى الرماة الذين خالفوا الأمر وعصوا الرسول وإنما كان النصر ونزول الملائكة مشروطا بالطاعة و إلايعصى أمر الرسول أ لاترى إلى قوله بَلى إِن تَصبِرُوا وَ تَتّقُوا وَ يَأتُوكُم مِن فَورِهِم هذا يُمدِدكُم رَبّكُم بِخَمسَةِ آلافٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُسَوّمِينَفعلقه على الشرط -قرآن-۱۱۱-۱۵۳-قرآن-۱۶۸-۲۶۸-قرآن-۴۳۵-۴۴۳-قرآن-۵۵۴-۵۷۸-قرآن-۷۱۵-۸۳۸

القول فى مقتل أبى عزة الجمحى ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس

قال الواقدى أما أبوعزة واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح فإن رسول الله ص أخذه أسيرا يوم أحد و لم يؤخذ يوم أحد أسير غيره فقال يا محمد من على فقال رسول الله ص إن المؤمن لايلدغ من جحر مرتين -روايت-١-٢-روايت-٢۴-۵٨ لاترجع إلى مكة تمسح عارضيك فتقول سخرت بمحمد مرتين ثم أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقه . [صفحه ۴۶] قال الواقدى و قدسمعنا فى أسره غير هذاحدثنى بكير بن مسمار قال لماانصرف المشركون عن أحد نزلوا بحمراء الأسد فى أول الليل ساعة ثم رحلوا وتركوا أباعزة مكانه حتى ارتفع النهار فلحقه المسلمون و هومستنبه يتلدد و كان ألذى أخذه عاصم بن ثابت فأمره النبى ص فضرب عنقه . قلت و هذه الرواية هى الصحيحة عندى لأن المسلمين لم تكن حالهم يوم أحد حال من يتهيأ له أسر أحد من المشركين فى المعركة لماأصابهم من الوهن .فأما معاوية بن المغيرة فروى البلاذرى أنه هو ألذى جدع أنف حمزة ومثل به و أنه انهزم يوم أحد فمضى على وجهه فبات قريبا من المدينة فلما أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفان بن أبى العاص و هو ابن عمه لحا فضرب بابه فقالت أم كلثوم زوجته وهى ابنة رسول الله ص ليس هوهاهنا فقال ابعثى إليه فإن له عندى ثمن بعير ابتعته منه عام أول و قدجئته به فإن لم يجئ ذهبت فأرسلت إليه و هو عند رسول الله ص فلما جاء قال لمعاوية أهلكتنى وأهلكت نفسك ماجاء بك قال يا ابن عم لم يكن أحد أقرب إلى و لاأمس رحما بى منك فجئتك لتجيرنى فادخله عثمان داره وصيره فى ناحية منها ثم خرج إلى النبى ص ليأخذ له منه أمانا فسمع رسول الله ص يقول إن معاوية فى المدينة و قدأصبح بهافاطلبوه فقال بعضهم ما كان ليعدو منزل عثمان فاطلبوه به فدخلوا منزل عثمان فأشارت أم كلثوم إلى الموضع ألذى صيره فيه فاستخرجوه من تحت خمارة لهم فانطلقوا به إلى النبى ص فقال عثمان حين رآه و ألذى بعثك بالحق ماجئت إلالأطلب له الأمان فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا [صفحه ۴٧] وأقسم لئن وجده بعدها يمشى فى أرض المدينة و ماحولها ليقتلنه وخرج عثمان فجهزه واشترى له بعيرا ثم قال ارتحل وسار رسول الله ص إلى حمراء الأسد وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبى ص ويأتى بهاقريشا فلما كان فى اليوم الرابع قال رسول الله ص إن معاوية أصبح قريبا لم ينفذ فاطلبوه فأصابوه و قدأخطأ الطريق فأدركوه و كان اللذان أسرعا فى طلبه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فوجداه بالجماء فضربه زيد بالسيف و قال عمار إن لى فيه حقا فرمياه بسهم فقتلاه ثم انصرفا إلى المدينة بخبره ويقال إنه أدرك على ثمانية أميال من المدينة فلم يزل زيد وعمار يرميانه بالنبل حتى مات . قال ومعاوية هذا أبوعائشة بنت معاوية أم عبدالملك بن مروان . قال وذكر الواقدى فى كتابه مثل هذه الرواية سواء. قال البلاذرى و قال ابن الكلبى إن معاوية بن المغيرة جدع أنف حمزة يوم أحد و هوقتيل فأخذ بقرب أحد فقتل على أحد بعدانصراف قريش بثلاث و لاعقب له إلاعائشة أم عبدالملك بن مروان قال ويقال إن عليا ع هو ألذى قتل معاوية بن المغيرة. قلت ورواية ابن الكلبى عندى أصح لأن هزيمة المشركين كانت فى الصدمة الأولى عقيب قتل بنى عبدالدار أصحاب الألوية و كان قتل حمزة بعد ذلك لماكر خالد بن الوليد الخيل من وراء المسلمين فاختلطوا وانتقض صفهم وقتل بعضهم بعضا فكيف يصح إن يجتمع لمعاوية كونه قدجدع أنف حمزة وكونه قدانهزم مع المشركين فى الصدمة الأولى هذامتناقض لأنه إذا كان قدانهزم فى أول الحرب استحال أن يكون [صفحه ۴٨] حاضرا عندحمزة حين قتل والصحيح ماذكره ابن الكلبى من أنه شهد الحرب كلها وجدع أنف حمزة ثم حصل فى أيدى المسلمين بعدانصراف قريش لأنه تأخر عنهم لعارض عرض له فأدركه حينه فقتل

القول فى مقتل المجذر بن زياد البلوى والحارث بن يزيد بن الصامت

قال الواقدى كان المجذر بن زياد البلوى حليف بنى عوف بن الخزرج ممن شهد بدرا مع رسول الله ص وكانت له قصة فى الجاهلية قبل قدوم النبى ص المدينة و ذلك أن حضير الكتائب والد أسيد بن حضير جاء إلى بنى عمرو بن عوف فكلم سويد بن الصامت وخوات بن جبير و أبالبابة بن عبدالمنذر ويقال سهل بن حنيف فقال هل لكم إن تزوروني فأسقيكم شرابا وأنحر لكم وتقيمون عندى أياما قالوا نعم نحن نأتيك يوم كذا فلما كان ذلك اليوم جاءوه فنحر لهم جزورا وسقاهم خمرا وأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى تغير اللحم و كان سويد بن الصامت يومئذ شيخا كبيرا فلما مضت الأيام الثلاثة قالوا مانرانا إلاراجعين إلى أهلنا فقال حضير ماأحببتم إن أحببتم فأقيموا و إن أحببتم فانصرفوا فخرج الفتيان بسويد بن الصامت يحملانه على جمل من الثمل فمروا لاصقين بالحرة حتى كانوا قريبا من بنى عيينة فجلس سويد يبول و هوثمل سكرا فبصر به إنسان من الخزرج فخرج حتى أتى المجذر بن زياد فقال هل لك فى الغنيمة الباردة قال ماهى قال سويد بن الصامت أعزل لاسلاح معه ثمل فخرج المجذر بن زياد بالسيف مصلتا فلما رآه الفتيان وهما أعزلان لاسلاح معهما وليا والعداوة بين الأوس [صفحه ۴۹] والخزرج شديدة فانصرفا مسرعين وثبت الشيخ و لاحراك به فوقف المجذر بن زياد فقال قدأمكن الله منك قال ماتريد بى قال قتلك قال فارفع عن الطعام واخفض عن الدماغ فإذارجعت إلى أمك فقل إنى قتلت سويد بن الصامت فقتله فكان قتله هو ألذى هيج وقعة بعاث فلما قدم رسول الله ص المدينة أسلم الحارث بن سويد بن الصامت وأسلم المجذر فشهدا بدرا فجعل الحارث بن سويد يطلب المجذر فى المعركة ليقتله بأبيه فلايقدر عليه يومئذ فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث من خلفه فضرب عنقه فرجع رسول الله ص إلى المدينة ثم خرج إلى حمراء الأسد فلما رجع من حمراء الأسد أتاه جبرائيل ع فأخبره أن الحارث بن سويد قتل المجذر غيلة وأمره بقتله فركب رسول الله ص إلى قباء فى اليوم ألذى أخبره جبرائيل فى يوم حار و كان ذلك يوما لايركب فيه رسول الله ص إلى قباء إنما كانت الأيام التى يأتى فيها رسول الله ص قباء يوم السبت و يوم الإثنين فلما دخل رسول الله ص مسجد قباء صلى فيه ماشاء الله أن يصلى وسمعت الأنصار فجاءوا يسلمون عليه وأنكروا إتيانه تلك الساعة فى ذلك اليوم فجلس ع يتحدث ويتصفح الناس حتى طلع الحارث بن سويد فى ملحفة مورسة فلما رآه رسول الله ص دعا عويم بن ساعدة فقال له قدم الحارث بن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذر بن زياد فإنه قتله يوم أحد فأخذه عويم فقال الحارث دعنى أكلم رسول الله و رسول الله ص يريد أن يركب ودعا بحماره إلى باب المسجد فجعل الحارث يقول قد و الله قتلته يا رسول الله و ما كان قتلى إياه رجوعا عن الإسلام [صفحه ۵۰] و لاارتيابا فيه ولكنه حمية الشيطان وأمر وكلت فيه إلى نفسى وإنى أتوب إلى الله و إلى رسوله مما عملت وأخرج ديته وأصوم شهرين متتابعين وأعتق رقبة وأطعم ستين مسكينا إنى أتوب إلى الله يا رسول الله وجعل يمسك بركاب رسول الله ص وبنو المجذر حضور لا يقول لهم رسول الله ص شيئا حتى إذااستوعب كلامه قال قدمه ياعويم فاضرب عنقه وركب رسول الله ص فقدمه عويم بن ساعدة على باب المسجد فضرب عنقه . قال الواقدى ويقال إن ألذى أعلم رسول الله قتل الحارث المجذر يوم أحد حبيب بن يساف نظر إليه حين قتله فجاء إلى النبى ص فأخبره فركب رسول الله ص يتفحص عن هذاالأمر فبينا هو على حماره نزل جبرائيل ع فخبره بذلك فأمر رسول الله ص عويما فضرب عنقه ففى ذلك قال حسان ياحار فى سنة من نوم أولكم || أم كنت ويحك مغترا بجبريل .فأما البلاذرى فإنه ذكر هذا و قال ويقال إن الجلاس بن سويد بن الصامت هو ألذى قتل المجذر يوم أحد غيلة إلا أن شعر حسان يدل على أنه الحارث . قال الواقدى والبلاذرى و كان سويد بن الصامت حين ضربه المجذر بقى قليلا ثم مات فقال قبل أن يموت يخاطب أولاده أبلغ جلاسا و عبد الله مالكه || و إن دعيت فلاتخذلهما حار [صفحه ۵۱] اقتل جذارة إذ ماكنت لاقيهم || والحى عوفا على عرف وإنكار . قال البلاذرى جذرة وجذارة أخوان وهما ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج . قلت هذه الروايات كماترى و قدذكر ابن ماكولا فى الإكمال أن الحارث بن سويد قتل المجذر غيلة يوم أحد ثم التحق بمكة كافرا ذكره فى حرف الميم من هذاالكتاب

و هذا هوالأشبه عندى

القول فيمن مات من المسلمين بأحد جملة

قال الواقدى ذكر سعيد بن المسيب و أبوسعيد الخدرى أنه قتل من الأنصار خاصة أحد وسبعون وبمثله قال مجاهد. قال فأربعة من قريش وهم حمزة بن عبدالمطلب قتله وحشى و عبد الله بن جحش بن رئاب قتله أبوالحكم بن الأخنس بن شريق وشماس بن عثمان بن الشريد من بنى مخزوم قتله أبى بن خلف ومصعب بن عمير قتله ابن قميئة. قال و قدزاد قوم خامسا و هوسعد مولى حاطب من بنى أسد بن عبدالعزى و قال قوم أيضا إن أباسلمة بن عبدالأسد المخزومى جرح يوم أحد ومات من تلك الجراحة بعدأيام . قال الواقدى و قال قوم قتل ابنا الهبيب من بنى سعد بن ليث وهما عبد الله [صفحه ۵۲] و عبدالرحمن ورجلان من بنى مزينة وهما وهب بن قابوس و ابن أخيه الحارث بن عتبة بن قابوس فيكون جميع من قتل من المسلمين ذلك اليوم نحو أحد وثمانين رجلا فأما تفصيل أسماء الأنصار فمذكور فى كتب المحدثين و ليس هذاالموضع مكان ذكره

القول فيمن قتل من المشركين بأحد

قال الواقدى قتل من بنى عبدالدار طلحة بن أبى طلحة صاحب لواء قريش قتله على بن أبى طالب ع مبارزة وعثمان بن أبى طلحة قتله حمزة بن عبدالمطلب و أبوسعيد بن أبى طلحة قتله سعد بن أبى وقاص ومسافع بن طلحة بن أبى طلحة قتله عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح وكلاب بن طلحة بن أبى طلحة قتله الزبير بن العوام والحارث بن طلحة بن أبى طلحة قتله عاصم بن ثابت والجلاس بن طلحة بن أبى طلحة قتله طلحة بن عبيد الله وأرطاة بن عبدشرحبيل قتله على بن أبى طالب ع وقارظ بن شريح بن عثمان بن عبدالدار ويروى قاسط بالسين والطاء المهملتين قال الواقدى لايدرى من قتله و قال البلاذرى قتله على بن أبى طالب ع وصواب مولاهم قتله على بن أبى طالب ع وقيل قتله قزمان و أبوعزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير قتله قزمان فهؤلاء أحد عشر. و من بنى أسد بن عبدالعزى عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد قتله أبودجانة فى رواية الواقدى و فى رواية محمد بن إسحاق قتله على بن أبى طالب ع و قال البلاذرى قال ابن الكلبى إن عبد الله بن حميد قتل يوم بدر [صفحه ۵۳] و من بنى زهرة أبوالحكم بن الأخنس بن شريق قتله على بن أبى طالب ع وسباع بن عبدالعزى الخزاعى واسم عبدالعزى عمر بن نضله بن عباس بن سليم و هو ابن أم أنمار الحجامة بمكة قتله حمزة بن عبدالمطلب فهذان رجلان . و من بنى مخزوم أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة قتله على ع وهشام بن أبى أمية بن المغيرة قتله قزمان والوليد بن العاص بن هشام قتله قزمان وخالد بن أعلم العقيلى قتله قزمان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة قتله الحارث بن الصمة فهؤلاء خمسة. و من بنى عامر بن لؤى عبيد بن حاجز قتله أبودجانة وشيبة بن مالك بن المضرب قتله طلحة بن عبيد الله وهذان اثنان . و من بنى جمح أبى بن خلف قتله رسول الله ص بيده و أبوعزة قتله عاصم بن ثابت صبرا بأمر رسول الله ص فهذان اثنان . و من بنى عبدمناة بن كنانة خالد بن سفيان بن عويف و أبوالشعثاء بن سفيان بن عويف و أبوالحمراء بن سفيان بن عويف وغراب بن سفيان بن عويف هؤلاء الإخوة الأربعة قتلهم على بن أبى طالب ع فى رواية محمد بن حبيب .فأما الواقدى فلم يذكر فى باب من قتل من المشركين بأحد لهم قاتلا معينا ولكنه ذكر فى كلام آخر قبل هذاالباب أن أباسبرة بن الحارث بن علقمة قتل أحد بنى سفيان بن عويف و أن رشيدا الفارسى مولى بنى معاوية لقى آخر من بنى سفيان بن عويف مقنعا فى الحديد و هو يقول أنا ابن عويف فيعرض له سعد مولى حاطب فضربه ابن [صفحه ۵۴] عويف ضربة جزله باثنتين فأقبل رشيد على ابن عويف فضربه على عاتقه فقطع الدرع حتى جزله اثنتين و قال خذها و أناالغلام الفارسى فقال رسول الله ص و هويراه ويسمعه أ لا قلت أناالغلام الأنصارى قال فيعرض لرشيد أخ للمقتول أحد

بنی سفیان بن عویف أیضا وأقبل یعدو نحوه کأنه کلب یقول أنا ابن عویف ویضربه رشید أیضا علی رأسه و علیه المغفر ففلق رأسه و قال خذها و أناالغلام الأنصاری فتبسم رسول الله ص و قال أحسنت یا أبا عبد الله فکناه رسول الله ص یومئذ و لاولد له . قلت فأما البلاذری فلم یذکر لهم قاتلا ولکنه عدهم فی جملة من قتل من المشرکین بأحد وکذلک ابن إسحاق لم یذکر من قتلهم فإن صحت روایة الواقدی فعلی ع لم یکن قدقتل منهم إلاواحدا و إن کانت روایة ابن حبیب صحیحة فالأربعة من قتلاه ع و قدرأیت فی بعض کتب أبی الحسن المدائنی أیضا أن علیا ع هو ألذی قتل بنی سفیان بن عویف یوم أحد وروی له شعرا فی ذلک . و من بنی عبدشمس معاویة بن المغیرة بن أبی العاص قتله علی ع فی إحدی الروایات وقیل قتله زید بن حارثة وعمار بن یاسر.فجمیع من قتل من المشرکین یوم أحد ثمانیة وعشرون قتل علی ع منهم مااتفق علیه و مااختلف فیه اثنی عشر و هو إلی جملة القتلی کعدة من قتل یوم بدر إلی جملة القتلی یومئذ و هوقریب من النصف [صفحه ۵۵]

القول فی خروج النبی ص و بعدانصرافه من أحد إلی المشرکین لیوقع بهم علی ما هو به من الوهن

قال الواقدی بلغ رسول الله ص أن المشرکین قدعزموا أن یردوا إلی المدینة فینهبوها فأحب أن یریهم قوة فصلی الصبح یوم الأحد لثمان خلون من شوال ومعه وجوه الأوس والخزرج وکانوا باتوا تلک اللیلة فی بابه یحرسونه من البیات فیهم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ والحباب بن المنذر وأوس بن خولی وقتادة بن النعمان فی عدة منهم فلما انصرف من صلاة الصبح أمر بلالا أن ینادی فی الناس أن رسول الله ص یأمرکم بطلب عدوکم و لایخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس فخرج سعد بن معاذ راجعا إلی قومه یأمرهم بالمسیر والجراح فی الناس فاشیة عامة بنی عبدالأشهل جریح بل کلها فجاء سعد بن معاذ فقال إن رسول الله ص یأمرکم أن تطلبوا عدوکم قال یقول أسید بن حضیر و به سبع جراحات و هویرید أن یداویها سمعا وطاعة لله ولرسوله فأخذ سلاحه و لم یعرج علی دواء جراحة ولحق برسول الله ص وجاء سعد بن عبادة قومه بنی ساعدة فأمرهم بالمسیر فلبسوا ولحقوا وجاء أبوقتادة أهل خربا وهم یداوون الجراح فقال هذامنادی رسول الله ص یأمرکم بطلب العدو فوثبوا إلی سلاحهم و لم یعرجوا علی جراحاتهم فخرج من بنی سلمة أربعون جریحا بالطفیل بن النعمان ثلاثة عشر جرحا وبخراش بن الصمة عشر جراحات وبکعب بن مالک بضعة عشر جرحا وبقطبة بن عامر بن خدیج بیده تسع جراحات حتی وافوا النبی ص بقبر أبی عتبة وعلیهم السلاح [صفحه ۵۶] و قدصفوا لرسول الله ص فلما نظر إلیهم والجراح فیهم فاشیة قال أللهم ارحم بنی سلمة. قال الواقدی وحدثنی عتبة بن جبیرة عن رجال من قومه أن عبد الله بن سهل ورافع بن سهل من بنی عبدالأشهل رجعا من أحد وبهما جراح کثیرة و عبد الله أثقلهما جرحا فلما أصبحا وجاء سعد بن معاذ قومه یخبرهم أن رسول الله ص یأمرهم بطلب العدو قال أحدهما لصاحبه و الله إن ترکنا غزاة مع رسول الله ص لغبن و الله ماعندنا دابة نرکبها و لاندری کیف نصنع قال عبد الله انطلق بنا قال رافع لا و الله مابی مشی قال أخوه انطلق بنا نقصد ونجوز وخرجا یزحفان فضعف رافع فکان عبد الله یحمله علی ظهره عقبه ویمشی الآخر عقبه حتی أتوا رسول الله ص عندالعشاء وهم یوقدون النیران فأتی بهما رسول الله ص و علی حرسه تلک اللیلة عباد بن بشر فقال رسول الله ص لهما ماحبسکما فأخبراه بعلتهما فدعا لهما بخیر و قال إن طالت لکما مدة کانت لکما مراکب من خیل وبغال وإبل و لیس ذلک بخیر لکما. قال الواقدی و قال جابر بن عبد الله یا رسول الله إن منادیا نادی ألا یخرج معنا إلا من حضر القتال بالأمس و قدکنت حریصا بالأمس علی الحضور ولکن أبی خلفنی علی أخوات لی و قال یابنی لاینبغی لک أن تدعهن و لا رجل معهن وأخاف علیهن وهن نسیات ضعاف و أناخارج مع رسول الله ص لعل الله یرزقنی الشهادة فتخلفت علیهن فاستأثر علی بالشهادة وکنت رجوتها فأذن لی یا رسول الله أن أسیر معک فأذن له رسول الله ص قال جابر فلم یخرج معه أحد لم یشهد القتال بالأمس غیری واستأذنه رجال لم یحضروا القتال فأبی ذلک [صفحه ۵۷] علیهم فدعا رسول الله ص بلواءه و هومعقود لم یحل

من أمس فدفعه إلى على ع ويقال دفعه إلى أبى بكر فخرج رسول الله ص و هومجروح فى وجهه أثر الحلقتين ومشجوج فى جبهته فى أصول الشعر ورباعيته قدشظيت وشفته قدكلمت من باطنها ومنكبه الأيمن موهن بضربة ابن قميئة وركبتاه مجحوشتان فدخل المسجد فصلى ركعتين و الناس قدحشدوا ونزل أهل العوالى حيث جاءهم الصريخ ودعا بفرسه على باب المسجد وتلقاه طلحة بن عبيد الله و قدسمع المنادى فخرج ينظر متى يسير رسول الله ص فإذا هو و عليه الدرع والمغفر لايرى منه إلاعيناه فقال ياطلحة سلاحك قال قريبا قال طلحة فأخرج وأعدو فألبس درعى وآخذ سيفى وأطرح درقتى فى صدرى و إن بى لتسع جراحات ولأنا أهتم بجراح رسول الله ص منى بجراحى فأقبل رسول الله ص على طلحة فقال أين ترى القوم الآن قال هم بالسيالة فقال رسول الله ص ذلك ألذى ظننت أماإنهم ياطلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا قال وبعث رسول الله ص ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فانقطع أحدهم وانقطع قبال نعل الآخر ولحق الثالث بقريش وهم بحمراء الأسد ولهم زجل يأتمرون فى الرجوع إلى المدينة وصفوان بن أمية ينهاهم عن ذلك ولحق ألذى انقطع قبال نعله بصاحبه فبصرت قريش بالرجلين فعطفت عليهما فأصابوهما وانتهى المسلمون إلى مصرعهما بحمراء الأسد فقبرهما رسول الله ص فى قبر واحد فهما القرينان . [صفحه ۵۸] قال الواقدى اسماهما سليط ونعمان . قال الواقدى قال جابر بن عبد الله كانت عامة أزوادنا ذلك اليوم التمر وحمل سعد بن عبادة ثلاثين بعيرا تمرا حتى وافت حمراء الأسد وساق جزرا فنحروا فى يوم ثنتين و فى يوم ثلاثا وأمرهم رسول الله ص بجمع الحطب فإذاأمسوا أمرهم أن يوقدوا النيران فيوقد كل رجل نارا فلقد كنا تلك الليلة نوقد خمسمائة نار حتى نرى من المكان البعيد وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا فى كل وجه و كان ذلك مما كبت الله به عدونا. قال الواقدى وجاء معبد بن أبى معبد الخزاعى و هويومئذ مشرك إلى النبى ص وكانت خزاعة سلما للنبىص فقال يا محمد عزعلينا ماأصابك فى نفسك و ماأصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك و أن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى معبد حتى يجد أباسفيان وقريشا بالروحاء وهم يقولون لامحمدا أصبتم و لاالكواعب أردفتم فبئسما صنعتم وهم مجمعون على الرجوع إلى المدينة و يقول قائلهم فيما بينهم ماصنعنا شيئا أصبنا أشرافهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم وقبل أن يكون لهم وفر و كان المتكلم بهذا عكرمة بن أبى جهل فلما جاء معبد إلى أبى سفيان قال هذامعبد وعنده الخبر ماوراءك يامعبد قال تركت محمدا وأصحابه خلفى يتحرقون عليكم بمثل النيران و قداجتمع معه من تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج وتعاهدوا ألا يرجعوا حتى يلحقوكم فيثأروا منكم و قدغضبوا لقومهم غضبا شديدا ولمن أصبتم من أشرافهم قالوا ويحك ماتقول قال و الله ماأرى [صفحه ۵۹] أن ترتحلوا حتى تروا نواصى الخيل ولقد حملنى مارأيت منهم أن قلت أبياتا قالوا و ماهى فأنشدهم هذاالشعر كادت تهد من الأصوات راحلتى || إذ سألت الأرض بالجرد الأبابيل تعدو بأسد ضراء لاتنابلة || عنداللقاء و لاميل معازيل فقلت ويل ابن حرب من لقائهم || إذاتغطمطت البطحاء بالجيل . و قد كان صفوان بن أمية رد القوم بكلامه قبل أن يطلع معبد و قال لهم صفوان ياقوم لاتفعلوا فإن القوم قدحربوا وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فإنى لاآمن إن رجعتم إليهم أن تكون الدولة عليكم قال فلذلك قال رسول الله ص أرشدهم صفوان و ما كان برشيد ثم قال و ألذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة و لورجعوا لكانوا كأمس الذاهب -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۱۳۵ قال فانصرف القوم سراعا خائفين من الطلب لهم ومر بأبى سفيان قوم من عبدالقيس يريدون المدينة فقال لهم هل أنتم مبلغو محمد وأصحابه ماأرسلكم به على أن أوقر لكم أباعركم زبيبا غدا بعكاظ إن أنتم جئتمونى قالوا نعم قال حيثما [صفحه ۶۰] لقيتم محمدا وأصحابه فأخبروهم أنا قدأجمعنا الرجعة إليهم و أناآثاركم وانطلق أبوسفيان إلى مكة وقدم الركب على النبى ص وأصحابه بالحمراء فأخبروهم بالذى أمرهم أبوسفيان فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل ذلك فى القرآن وأرسل معبد رجلا من خزاعة إلى رسول الله ص يعلمه أنه قدانصرف أبوسفيان وأصحابه خائفين وجلين فانصرف رسول الله ص بعدثلاث إلى المدينة [صفحه ۶۱]

نـذكرها من كتاب الواقدی ونزيد على ذلک مارواه محمد بن إسـحاق فی كتابه على عادتنا فيما تقدم قال الواقدی حدثنی ربيعهٔ بن عثمـان عن عمر بن الحكم قال بعث رسول الله ص الحارث بن عمير الأزدی فی سـنهٔ ثمان إلی ملک بصـری بكتاب فلما نزل مؤتـهٔ عرض له شـرحبيل بن عمرو الغسـانی فقـال أين تريـد قال الشام قال لعلک من رسل محمـد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قـدمه فضـرب عنقه و لم يقتـل لرسول الله ص رسول غيره وبلغ ذلـک رسول الله ص فاشـتد عليه ونـدب النـاس وأخـبرهم بمقتل الحارث فأسـرعوا وخرجوا فعسكروا بالجرف فلما صلی رسول الله ص الظهر جلس وجلس أصحابه حوله وجاء النعمان بن مهض اليهودی فوقف مع الناس فقال رسول الله ص زيـد بن حارثـهٔ أمير الناس فإن قتل زيد بن حارثهٔ فجعفر بن أبی طالب فإن أصـيب جعفرفعبـد الله بن رواحـهٔ فإن أصـيب ابن رواحهٔ فليرتض المسـلمون من بينهم رجلا فليجعلوه عليهم -روايت-١-٢-روايت-٢۴-١٩۵ فقـال النعمـان بن مهض يا أباالقاسم إن كنت نبيا فسـيصاب من سـميت قليلا كانوا أوكثيرا إن الأنبياء فی بنی إسـرائيل كانوا إذااسـتعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصـيب فلان فلو سـمی مائهٔ أصيبوا جميعا ثم جعل اليهودی يقول لزيد بن حارثهٔ اعهد فلاـترجع إلی محمدأبـدا إن كان نبيا قال زيـد أشـهد أنه نبی صادق فلما أجمعوا [صـفحه ۶٢] المسـير وعقد رسول الله ص لهم اللواء بيـده دفعه إلی زيـد بن حارثـهٔ و هولواء أبيض ومشـی الناس إلی أمراء رسول الله ص يودعونهم ويدعون لهم وكانوا ثلاثهٔ آلاف فلما ساروا فی معسـكرهم ناداهم المسـلمون دفع الله عنكم ورد كم صالحين سالمين غانمين فقال عبد الله بن رواحهٔ لكننی أسأل الرحمن مغفرهٔ || وضـربهٔ ذات فرغ تقـذف الزبـدا أوطعنـهٔ بيـدی حران مجهزهٔ || بحربهٔ تنفذ الأحشاء والكبدا حتی يقولوا إذامروا على جـدثی || يا أرشـد الله من غاز فقد رشدا . قلت اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثهٔ كان هوالأمير الأول وأنكرت الشـيعهٔ ذلک وقالوا كان جعفر بن أبی طالب هوالأمير الأول فإن قتل فزيـد بن حارثهٔ فإن قتل فعبد الله بن رواحهٔ ورووا فی ذلک روايات و قدوجدت فی الأشـعار التی ذكرها محمد بن إسـحاق فی كتاب المغازی مايشـهد لقولهم فمن ذلک مارواه عن حسان بن ثابت و هو تأوبنی ليل بيثرب أعسـر || وهم إذا مانوم الناس مسـهر لذكری حبيب هيجت لی عبرهٔ || سـفوحا وأسـباب البكاء التـذكر بلی إن فقـدان الحبيب بليـهٔ || وكم من كريم يبتلی ثم يصبر فلايبعدن الله قتلی تتابعوا || بمؤتهٔ منهم ذو الجناحين جعفر وزيد و عبد الله حين تتابعوا || جميعا وأسـياف المنيهٔ تخطر [صـفحه ۶٣] رأيت خيار المؤمنين تواردوا || شـعوب وخلق بعدهم يتـأخر غـداهٔ غـدوا بالمؤمنين يقودهم || إلی الموت ميمون النقيبـهٔ أزهر أغر كضوء البـدر من آل هاشم || أبی إذاسـيم الظلامهٔ أصـعر فطاعن حتی مال غيرموسد || بمعترک فيه القنا متكسـر فصار مع المستشهـدين ثوابه || جنان وملتف الحدائق أخضر وكنا نری فی جعفر من محمـد || وقـارا وأمرا حازمـا حين يـأمر و مازال فی الإسـلام من آل هاشم || دعائم صـدق لاترام ومفخر هم جبـل الإسـلام و الناس حولهم || رضام إلی طور يطول ويقهر بهاليل منهم جعفر و ابن أمه || علی ومنهم أحمـدالمتخير وحمزهٔ والعباس منهم ومنهم || عقيل وماء العود من حيث يعصر بهم تفرج الغماء من كل مأزق || عماس إذا ماضاق بالناس مصدر هم أوليـاء الله أنزل حكمه || عليهم وفيهم والكتاب المطهر . ومنها قول كعب بن مالک الأنصاری من قصـيدهٔ أولها نام العيون ودمع عينـک يهمـل || سـحا كمـاوكف الربـاب المسـبل وجـدا على النفر الـذين تتـابعوا || قتلی بمؤتـهٔ أسـندوا لم ينقلوا سـاروا أمام المسـلمين كأنهم || طود يقودهم الهزبر المشـبل إذ يهتـدون بجعفر ولوائه || قدام أولهم ونعم الأول حتی تقوضت الصـفوف و جعفر || حيث التقی جمع الغواهٔ مجـدل [صـفحه ۶۴] فتغير القمر المنير لفقـده || والشـمس قدكسـفت وكـادت تأفل قوم علا بنيانهم من هاشم || فرع أشم وسؤدد متأثل قوم بهم عصم الإله عباده || وعليهم نزل الكتاب المنزل فضـلوا المعاشـر عفهٔ وتكرما || وتعمـدت أخلاقهم من يجهل قال الواقـدی فحدثنی ابن أبی سبرهٔ عن إسـحاق بن عبد الله بن أبی طلحهٔ عن رافع بن إسـحاق

عن زيـد بن أرقم أن رسول الله ص خطبهم فأوصـاهم فقال أوصيـكم بتقوى الله وبمن معكم من المسـلمين خيرا اغزوا باسم الله و فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لاتغـدروا و لاتغلوا و لاتقتلوا وليـدا و إذالقيت عـدوك من المشـركين فادعهم إلى إحـدى ثلاث فـأيتهن أجـابوك إليها فاقبل منهم واكفف عنهم ادعهم إلى الـدخول فى الإسـلام فإن فعلوا فاقبل واكفف ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى المهـاجرين فـإن فعلوا فأخبرهم أن لهم ماللمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين و إن دخلوا فى الإسـلام واختاروا دارهم فـأخبرهم أنهم يكونون كـأعراب المسـلمين يجرى عليهم حكم الله و لا يكون لهم فى الفىء و لا فى الغنيمـة شـىء إلا أن يجاهـدوا مع المسـلمين فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم فإن أبوا فاسـتعن بالله وقاتلهم و إن أنت حاصـرت أهـل حصن أومدينـة فـأرادوا أن تسـتنزلهم على حكم الله فلاتسـتنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لاتـدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا و إن حاصـرت أهل حصن أومدينـة وأرادوا أن تجعل لهم ذمـة الله وذمـة رسول الله فلاتجعل لهم ذمـة الله وذمـة رسول الله ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وأصـحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمـة الله وذمة رسوله -روايت-۱-۲-روايت-۱۵۰-۱۲۵۳ [صفحه ۶۵] قال الواقدى وحدثنى أبوصفوان عن خالـد بن يزيـد قال خرج النبى ص مشيعا لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعـدوكم بالشـام وسـتجدون فيهارجالا فى الصوامع معتزلين الناس فلاتعرضوا لهم وسـتجدون آخرين للشـيطان فى رءوسـهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف و لاتقتلن امرأة و لاصغيرا ضرعا و لاكبيرا فانيا و لاتقطعن نخلا و لاشجرا و لاتهدمن بناء -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-۳۹۴ قال الواقـدى فلما دعا ودع عبد الله بن رواحة رسول الله ص قال له مرنى بشـىء أحفظه عنك قال إنك قادم غدا بلدا السجود فيه قليل فأكثروا السجود فقال عبد الله زدنى يا رسول الله قال اذكر الله فإنه عون لك على ماتطلب فقام من عنده حتى إذامضى ذاهبا رجع فقال يا رسول الله إن الله وتر يحب الوتر فقال يا ابن رواحة ماعجزت فلاتعجز إن أسأت عشرا أن تحسن واحـدة فقال ابن رواحـة لاأسألك عن شـىءبعدها -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۴۱۷ . وروى محمـد بـن إسـحاق أن عبـد الله بن رواحة ودع رسول الله ص بشـعر منه فثبت الله ماآتاك من حسن || تثبيت موسـى ونصـرا كالذى نصروا إنى تفرست فيك الخير نافلـة || فراسة خالفتهم فى ألذى نظروا أنت الرسول فمن يحرم نوافله || والبشـر منه فقد أودى به القدر . قال محمد بن إسـحاق فلما ودع المسـلمين بكى فقالوا له مايبكيك يا عبد الله قال و الله مابى حب الدنيا و لاصـبابة إليها ولكنى سـمعت رسول الله ص [صفحه ۶۶] يقرأَوَ إِن مِنكُم إِلّا وارِدُهافلست أدرى كيف لى بالصـدر بعـدالورود قال الواقـدى و كان زيـد بن أرقم يحـدث قال كنت يتيما فى حجر عبـد الله بن رواحـة فلم أر والى يتيم كان خيرا لى منه خرجت معه فى وجهة إلى مؤتة وصب بى وصـببت به فكـان يردفنى خلف رحله فقـال ذات ليلـة و هو على راحلته بين شـعبتى رحله -قرآن-۵-۳۲ إذابلغتنى وحملت رحلى || مسـافة أربع بعـدالحساء فشأنـك فـانعمى وخلاـك ذم || و لاأرجع إلى أهلى ورائى وآب المسلمون وخلفونى || بأرض الشام مشـتهر الثواء وزودنى الأقـارب من دعاء || إلى الرحمن وانقطع الإخاء هنالك لاأبالى طلع نخل || و لانخل أسافلها رواء . فلما سـمعت منه هذاالشـعر بكيت فخفقنى بالدرة و قال و ماعليك يالكع أن يرزقنى الله الشـهادة فأستريح من الدنيا ونصبها وهمومها وأحزانها وأحـداثها وترجع أنت بين شـعبتى الرحـل . قال الواقـدى ومضـى المسـلمون فنزلوا وادى القرى فأقاموا به أياما وساروا حتى نزلوا بمؤتـة وبلغهم أن هرقل ملك الروم قدنزل ماء من مياه البلقاء فى بكر وبهراء ولخم وجذام وغيرهم مائة ألف مقاتل وعليهم رجل من بلى فأقـام المسلمون ليلـتين ينظرون [صـفحه ۶۷] فى أمرهـم وقـالوا نكتـب إلى رسـول الله ص فنخبره الخبر فإمـا أن يردنا أويزيـدنا رجالا فبينا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم عبـد الله بن رواحة فشـجعهم و قال و الله ماكنا نقاتل الناس بكثرة عدة و لاكثرة سـلاح و لاكثرة خيل إلابهـذا الـدين ألذى أكرمنا الله به انطلقوا فقاتلوا فقد و الله رأينا يوم بدر و مامعنا إلافرسان إنما هى إحـدى الحسـنيين إمـا الظهور عليهم فـذاك ماوعـدنا الله ورسوله و ليس لوعـده خلف وإما الشـهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم فى

الجنان فشجع الناس على قول ابن رواحة. قال الواقدى وروى أبوهريرة قال شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لاقبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصرى فقال لى ثابت بن أرقم ما لك يا أباهريرة كأنك ترى جموعا كثيرة قلت نعم قال لم تشهدنا ببدر إنا لم ننصر بالكثرة. قال الواقدى فالتقى القوم فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل طعنوه بالرماح ثم أخذه جعفرفنزل عن فرس له شقراء فعرقبها ثم قاتل حتى قتل . قال الواقدى قيل إنه ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوقع أحد نصفيه فى كرم هناك فوجد فيه ثلاثون أوبضع وثلاثون جرحا. قال الواقدى و قدروى نافع عن ابن عمر أنه وجد فى بدن جعفر بن أبى طالب اثنتان وسبعون ضربة وطعنة بالسيوف والرماح . قال البلاذرى قطعت يداه ولذلك قال رسول الله ص لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما فى الجنة -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٧١ ولذلك سمى الطيار. قال الواقدى ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فنكل يسيرا ثم حمل فقاتل [صفحه ٦٨] حتى قتل فلما قتل انهزم المسلمون أسوأ هزيمة كانت فى كل وجه ثم تراجعوا فأخذ اللواء ثابت بن أرقم وجعل يصيح بالأنصار فثاب إليه منهم قليل فقال لخالد بن الوليد خذ اللواء يا أباسليمان قال خالد لابل خذه أنت فلك سن و قدشهدت بدرا قال ثابت خذه أيها الرجل فو الله ماأخذته إلا لك فأخذه خالد وحمل به ساعة وجعل المشركون يحملون عليه حتى دهمه منهم بشر كثير فانحاز بالمسلمين وانكشفوا راجعين . قال الواقدى و قدروى أن خالدا ثبت بالناس فلم ينهزموا والصحيح أن خالدا انهزم بالناس . قال الواقدى حدثنى محمد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة أن النبى ص لماالتقى الناس بمؤتة جلس على المنبر وكشف له مابينه و بين الشام فهو ينظر إلى معركتهم فقال أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءه الشيطان فحبب إليه الحياة وكره إليه الموت وحبب إليه الدنيا فقال الآن حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين تحبب إلى الدنيا فمضى قدما حتى استشهد ثم صلى عليه و قال استغفروا له فقد دخل الجنة و هويسعى ثم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب فجاءه الشيطان فمناه الحياة وكره إليه الموت ومناه الدنيا فقال الآن حين استحكم الإيمان فى قلوب المؤمنين تتمنى الدنيا ثم مضى قدما حتى استشهد فصلى عليه رسول الله ص ودعا له ثم قال استغفروا لأخيكم فإنه شهيد قددخل الجنة فهو يطير فيهابجناحين من ياقوت حيث شاء -روايت-١-٢-روايت-١٢-٩٤ ثم قال أخذ الراية عبد الله بن رواحة ثم دخل معترضا فشق ذلك على الأنصار فقال رسول الله ص أصابته الجراح قيل يا رسول الله فما اعتراضه قال لماأصابته الجراح نكل فعاتب نفسه فشجع فاستشهد فدخل الجنة فسرى عن قومه . [صفحه ٦٩] و روى محمد بن إسحاق قال لماذكر رسول الله ص زيدا وجعفرا سكت عن عبد الله بن رواحة حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان من عبد الله بعض مايكرهون ثم قال أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا لى فى الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت فى سرير ابن رواحة ازورارا عن سريرى صاحبيه فقلت لم هذافقيل لأنهما مضيا وتردد هذابعض التردد ثم مضى -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٣٩٢ . قال وروى محمد بن إسحاق أنه لماأخذ جعفر بن أبى طالب الراية قاتل قتالا شديدا حتى إذالحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم قاتل القوم حتى قتل فكان جعفررضى الله عنه أول رجل عقر فرسه فى الإسلام . قال محمد بن إسحاق و لماأخذ ابن رواحة الراية جعل يتردد بعض التردد ويستقدم نفسه يستنزلها و قال أقسمت يانفس لتنزلنه || طوعا و إلاسوف تكرهنه ما لى أراك تكرهين الجنة || إذ أجلب الناس وشدوا الرنه قدطالما قدكنت مطمئنه || هل أنت إلانطفة فى شنه . ثم ارتجز أيضا فقال يانفس إلاتقتلى تموتى || هذاحمام الموت قدصليت [صفحه ٧٠] و ماتمنيت فقد أعطيت || إن تفعلى فعلهما هديت و إن تأخرت فقد شقيت . ثم نزل عن فرسه فقاتل فأتاه ابن عم له ببضعة من لحم فقال اشدد بهذا صلبك فأخذها من يده فانتهش منها نهشة ثم سمع الحطمة فى ناحية من الناس فقال و أنت يا ابن رواحة فى الدنيا ثم ألقاها من يده وأخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل . قال الواقدى حدثنى داود بن سنان قال سمعت ثعلبة بن أبى مالك يقول انكشف خالد بن الوليد يومئذ بالناس حتى عيروا بالفرار وتشاءم الناس به . قال وروى أبوسعيد الخدرى قال أقبل خالد بالناس منهزمين فلما سمع

أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف فجعلوا يحثون فی وجوههم التراب ويقولون يافرار أفررتم فی سبيل الله فقال رسول الله ص ليسوا بالفرار ولكنهم كرار إن شاء الله . قال الواقدی و قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مالقی جيش بعثوا مبعثا مالقی أصحاب مؤتة من أهل المدينة لقوهم بالشر حتی إن الرجل ينصرف إلی بيته وأهله فيدق عليهم فيأبون أن يفتحوا له يقولون ألا تقدمت مع أصحابك فقتلت وجلس الكبراء منهم فی بيوتهم استحياء من الناس حتی أرسل النبی ص رجلا- يقول لهم أنتم الكرار فی سبيل الله فخرجوا. قال الواقدی فحدثنی مالك بن أبی الرجال عن عبد الله بن أبی بكر بن حزم عن أم جعفربنت محمد بن جعفر عن جدتها أسماء بنت عميس قالت أصبحت فی اليوم ألذی أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتانی رسول الله ص و قدمنأت أربعين منا من أدم وعجنت عجينی وأخذت بنی فغسلت وجوههم ودهنتهم فدخلت علی -روايت-۱-۲-روايت-۱۴۲-ادامه دارد [صفحه ۷۱] رسول الله ص فقال ياأسماء أين بنو جعفرفجئت بهم إليه فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه فبكی فقلت يا رسول الله لعله بلغك عن جعفر شیء قال نعم إنه قتل اليوم فقمت أصيح واجتمع إلی النساء فجعل رسول الله ص يقول ياأسماء لاتقولی هجرا و لاتضربی صدرا ثم خرج حتی دخل علی ابنته فاطمة رضی الله عنها وهی تقول وا عماه فقال علی مثل جعفرفلتبك الباكية ثم قال اصنعوا لآل جعفرطعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم -روايت-از قبل-۴۲۵ قال الواقدی وحدثنی محمد بن مسلم عن يحيی بن أبی يعلی قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول أناأحفظ حين دخل النبی ص علی أمی فنعی إليها أبی فأنظر إليه و هويمسح علی رأسی ورأس أخی وعيناه تهراقان بالدمع حتی قطرت لحيته ثم قال أللهم إن جعفرا قدم إلی أحسن الثواب فاخلفه فی ذريته بأحسن ماخلفت أحدا من عبادك فی ذريته ثم قال ياأسماء أ لاأبشرك قالت بلی بأبی وأمی قال فإن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما فی الجنة قالت بأبی وأمی فأعلم الناس ذلك فقام رسول الله ص وأخذ بيدی يمسح بيده رأسی حتی رقی علی المنبر وأجلسنی أمامه علی الدرجة السفلی و إن الحزن ليعرف عليه فتكلم فقال إن المرء كثير بأخيه و ابن عمه ألا- إن جعفرا قداستشهد و قدجعل الله له جناحين يطير بهما فی الجنة ثم نزل فدخل بيته وأدخلنی وأمر بطعام فصنع لنا وأرسل إلی أخی فتغدينا عنده غداء طيبا عمدت سلمی خادمته إلی شعير فطحنته ثم نشفته ثم أنضجته وآدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا فتغديت أنا وأخی معه وأقمنا عنده ثلاثة أيام ندور معه فی بيوت نسائه ثم أرجعنا إلی بيتنا وأتانی رسول الله ص بعد ذلك و أناأساوم فی شاة فقال أللهم بارك له فی صفقته فو الله مابعت شيئا و لااشتريت إلابورك فيه -روايت-۱-۲-روايت-۹۶-۱۱۲۸ [صفحه ۷۲]

فصل فی ذكر بعض مناقب جعفر بن أبی طالب

روی أبوالفرج الأصفهانی فی كتاب مقاتل الطالبيين أن كنية جعفر بن أبی طالب أبوالمساكين و قال و كان ثالث الإخوة من ولد أبی طالب أكبرهم طالب وبعده عقيل وبعده جعفر وبعده علی و كل واحد منهم أكبر من الآخر بعشر سنين و علی أصغرهم سنا وأمهم جميعا فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف وهی أول هاشمية ولدت لهاشمی وفضلها كثير وقربها من رسول الله ص وتعظيمه لها معلوم عند أهل الحديث . وروی أبوالفرج لجعفر رضی الله عنه فضل كثير و قدورد فيه حديث كثير من ذلك أن رسول الله ص لمافتح خيبر قدم جعفر بن أبی طالب من الحبشة فالتزمه رسول الله ص وجعل يقبل بين عينيه و يقول مأأدری بأيهما أناأشد فرحا بقدوم جعفرأم بفتح خيبر -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۸۷ . قال و قدروی خالد الحذاء عن عكرمة عن أبی هريرة أنه قال ماركب المطايا و لاركب الكور و لاانتعل و لااحتذی النعال أحد بعد رسول الله ص أفضل من جعفر بن أبی طالب . قال و قدروی عطية عن أبی سعيد الخدری قال قال رسول الله ص خير الناس حمزة و جعفر و علی -روايت-۱-۲-روايت-۶۸-۹۷ قدروی جعفر بن محمد عن أبيه ع قال قال رسول الله ص خلق الناس من أشجار شتی وخلقت أنا و جعفر من شجرة واحدة

أو قال من طينة واحدة -روايت-۱-۲-روايت-۶۲-۱۴۲ [صفحه ۷۳] قال وبالإسناد قال رسول الله ص لجعفر أنت أشبهت خلقى وخلقى -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۶۸ . و قال أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الاستيعاب كانت سن جعفرع يوم قتل إحدى وأربعين سنة. قال أبوعمر و قدروى ابن المسيب أن رسول الله ص قال مثل لى جعفر وزيد و عبد الله فى خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا و ابن رواحة فى أعناقهما صدودا ورأيت جعفرا مستقيما ليس فيه صدود فسألت فقيل لى إنهما حين غشيهما الموت أعرضا وصدا بوجهيهما و أما جعفرفلم يفعل -روايت-۱-۲-روايت-۶۰-۲۸۷ قال أبوعمر أيضا وروى عن الشعبى قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول كنت إذاسألت عمى عليا ع شيئا ويمنعنى أقول له بحق جعفرفيعطينى. و روى أبوعمر أيضا فى حرف الزاى فى باب زيد بن حارثة أن رسول الله ص لماأتاه قتل جعفر وزيد بمؤتة بكى و قال أخواى ومؤنساى ومحدثاى -روايت-۱-۲-روايت-۵۵-۱۴۱ واعلم أن هذه الكلمات التى ذكرها الرضى رحمة الله عليه ملتقطة من كتابه ع ألذى كتبه جوابا عن كتاب معاوية النافذ إليه مع أبى مسلم الخولانى و قدذكره أهل السيرة فى كتبهم روى نصر بن مزاحم فى كتاب صفين عن عمر بن سعد عن أبى ورقاء قال جاء أبومسلم الخولانى فى ناس من قراء أهل الشام إلى معاوية قبل مسير أمير المؤمنين ع إلى صفين فقالوا له يامعاوية علام تقاتل عليا و ليس لك [صفحه ۷۴] مثل صحبته و لاهجرته و لاقرابته و لاسابقته فقال إنى لاأدعى أن لى فى الإسلام مثل صحبته و لامثل هجرته و لاقرابته ولكن خبرونى عنكم ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما قالوا بلى قال فليدفع إلينا قتلته لنقتلهم به و لاقتال بيننا وبينه قالا فاكتب إليه كتابا يأته به بعضنا فكتب مع أبى مسلم الخولانى من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعد فإن الله اصطفى محمدا بعلمه وجعله الأمين على وحيه والرسول إلى خلقه واجتبى له من المسلمين أعوانا أيده الله تعالى بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام فكان أفضلهم فى الإسلام وأنصحهم لله ورسوله الخليفة من بعده ثم خليفة خليفته من بعدخليفته ثم الثالث الخليفة المظلوم عثمان فكلهم حسدت و على كلهم بغيت عرفنا ذلك فى نظرك الشزر وقولك الهجر وتنفسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء تقاد إلى كل منهم كمايقاد الفحل المخشوش حتى تبايع و أنت كاره ثم لم تكن لأحد منهم بأعظم حسدا منك لابن عمك عثمان و كان أحقهم ألا تفعل ذلك فى قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه وألبت الناس عليه وبطنت وظهرت حتى ضربت إليه آباط الإبل وقيدت إليه الإبل العراب وحمل عليه السلاح فى حرم رسول الله ص فقتل معك فى المحلة و أنت تسمع فى داره الهائعة لاتردع الظن والتهمة عن نفسك بقول و لاعمل وأقسم قسما صادقا لوقمت فيما كان من أمره مقاما واحدا تنهنه الناس [صفحه ۷۵] عنه ماعدل بك من قبلنا من الناس أحدا ولمحا ذلك عندهم ماكانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغى عليه وأخرى أنت بها عندأنصار عثمان ظنين إيواؤك قتلة عثمان فهم عضدك وأنصارك ويدك وبطانتك و قدذكر لى أنك تتنصل من دمه فإن كنت صادقا فأمكنا من قتلته نقتلهم به ونحن أسرع الناس إليك و إلافإنه ليس لك ولأصحابك إلاالسيف و ألذى لاإله إلا هولنطلبن قتلة عثمان فى الجبال والرمال والبر والبحر حتى يقتلهم الله أولتلحقن أرواحنا بالله و السلام . قال نصر فلما قدم أبومسلم على على ع بهذا الكتاب قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعدفإنك قدقمت بأمر وليته و و الله ماأحب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك إن عثمان قتل مسلما محرما مظلوما فادفع إلينا قتلته و أنت أميرنا فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة وألسنتنا لك شاهدة وكنت ذا عذر وحجة فقال له على ع اغد على غدا فخذ جواب كتابك فانصرف ثم رجع من غد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قدبلغهم ألذى جاء فيه قبل فلبست الشيعة أسلحتها ثم غدوا فملئوا المسجد فنادوا كلنا قتلة عثمان وأكثروا من النداء بذلك وأذن لأبى مسلم فدخل فدفع على ع جواب كتاب معاوية فقال أبومسلم لقد رأيت قوما ما لك معهم أمر قال و ماذاك قال بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنهم قتلة عثمان فقال على ع و الله ماأردت أن أدفعهم إليكم طرفة عين قط

لقد ضربت هذاالأمر أنفه وعينه فما رأيته ينبغى لى أن أدفعهم إليک و لا إلى غيرک فخرج أبومسلم بالكتاب و هو يقول الآن طاب الضراب [صفحه ۷۶] و كان جواب على ع من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فإن أخا خولان قدم على بكتاب منک تذكر فيه محمداص و ماأنعم الله به عليه من الهدى والوحى فالحمد لله ألذى صدقه الوعد وأيده بالنصر ومكن له فى البلاد وأظهره على أهل العداوة والشنئان من قومه الذين وثبوا عليه وشنفوا له وأظهروا تكذيبه وبارزوه بالعداوة وظاهروا على إخراجه و على إخراج أصحابه وأهله وألبوا عليه العرب وجادلوهم على حربه وجهدوا فى أمره كل الجهد وقلبوا له الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون و كان أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا أسرته والأدنى فالأدنى من قومه إلا من عصم الله وذكرت أن الله تعالى اجتبى له من المسلمين أعوانا أيده الله بهم فكانوا فى منازلهم عنده على قدر فضائلهم فى الإسلام فكان أفضلهم زعمت فى الإسلام وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة ولعمرى إن مكانهما فى الإسلام لعظيم و إن المصاب بهما لجرح فى الإسلام شديد فرحمهما الله وجزاهما أحسن ماعملا وذكرت أن عثمان كان فى الفضل تاليا فإن يک عثمان محسنا فسيجزيه الله بإحسانه و إن يک مسيئا فسيلقى ربا غفورا لايتعاظمه ذنب أن يغفره ولعمرى إنى لأرجو إذاأعطى الله الناس على قدر فضائلهم فى الإسلام ونصيحتهم لله ولرسوله أن يكون نصيبنا فى ذلک الأوفر إن محمداص لمادعا إلى الإيمان بالله والتوحيد له كنا أهل البيت أول من آمن به وصدقه فيما جاء فبتنا أحوالا كاملة مجرمة تامة و مايعبد الله فى ربع ساكن من -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-ادامه دارد [صفحه ۷۷] العرب غيرنا فأراد قومنا قتل نبينا واجتياح أصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الأفاعيل ومنعونا الميرة وأمسكوا عنا العذب وأحلسونا الخوف وجعلوا علينا الأرصاد والعيون واضطرونا إلى جبل وعر وأوقدوا لنا نار الحرب وكتبوا بينهم كتابا لايؤاكلوننا و لايشاربوننا و لايناكحوننا و لايبايعوننا و لانأمن منهم حتى ندفع إليهم محمدا فيقتلوه ويمثلوا به فلم نكن نأمن فيهم إلا من موسم إلى موسم فعزم الله لنا على منعه والذب عن حوزته والرمى من وراء حرمته والقيام بأسيافنا دونه فى ساعات الخوف بالليل والنهار فمؤمننا يرجو بذلک الثواب وكافرنا يحامى عن الأصل و أما من أسلم من قريش فإنهم مما نحن فيه خلاء منهم الحليف الممنوع ومنهم ذو العشيرة التى تدافع عنه فلايبغيه أحد مثل مابغانا به قومنا من التلف فهم من القتل بمكان نجوة وأمن فكان ذلک ماشاء الله أن يكون ثم أمر الله تعالى رسوله بالهجرة وأذن له بعد ذلک فى قتال المشركين فكان إذااحمر البأس ودعيت نزال أقام أهل بيته فاستقدموا فوقى أصحابه بهم حد الأسنة والسيوف فقتل عبيدة يوم بدر وحمزة يوم أحد و جعفر وزيد يوم مؤتة وأراد من لوشئت ذكرت اسمه مثل ألذى أرادوا من الشهادة مع النبى ص غيرمرة إلا أن آجالهم عجلت ومنيته أخرت و الله ولى الإحسان إليهم والمنة عليهم بما أسلفوا من أمر الصالحات فما سمعت بأحد و لارأيته هوأنصح فى طاعة رسوله و لالنبيه و لاأصبر على اللأواء والسراء والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبى ص من هؤلاء النفر الذين سميت لک و فى المهاجرين خير كثير يعرف جزاهم الله خيرا بأحسن -روايت-از قبل-۱۴۲۵ [صفحه ۷۸] أعمالهم وذكرت حسدى الخلفاء وإبطائى عنهم وبغيى عليهم فأما البغى فمعاذ الله أن يكون و أماالإبطاء عنهم والكراهية لأمرهم فلست أعتذر إلى الناس من ذلک إن الله تعالى ذكره لماقبض نبيه ص قالت قريش منا أمير وقالت الأنصار منا أميرفقالت قريش منا محمدنحن أحق بالأمر فعرفت ذلک الأنصار فسلمت لهم الولاية والسلطان فإذااستحقوها بمحمدص دون الأنصار فإن أولى الناس بمحمد أحق به منهم و إلا فإن الأنصار أعظم العرب فيهانصيبا فلاأدرى أصحابى سلموا من أن يكونوا حقى أخذوا أوالأنصار ظلموا بل عرفت إن حقى هوالمأخوذ و قدتركته لهم تجاوزا لله عنهم و أما ماذكرت من أمر عثمان وقطيعتى رحمه وتأليبى عليه فإن عثمان عمل ما قدبلغک فصنع الناس به مارأيت وإنک لتعلم أنى قدكنت فى عزلة عنه إلا أن تتجنى فتجن مابدا لک و أما ماذكرت من أمر قتله عثمان فإنى نظرت فى هذاالأمر وضربت أنفه وعينه فلم أر دفعهم إليک و لا إلى غيرک ولعمرى لئن لم تنزع عن غيک وشقاقک لتعرفنهم عن قليل يطلبونک لايكلفونک أن تطلبهم فى بر و لابحر و لاسهل و لاجبل و قدأتانى

أبوک حین ولی الناس أبابکر فقال أنت أحق بمقام محمد وأولی الناس بهذا الأمر و أنازعیم لک بذلک علی من خالف ابسط یدک أبایعک فلم أفعل و أنت تعلم أن أباک قد قال ذلک وأراده حتی کنت أنا ألذی أبیت لقرب عهد الناس بالکفر مخافة الفرقة بین أهل الإسلام فأبوک کان أعرف بحقی منک فإن تعرف من حقی ما کان أبوک یعرف تصب رشدک و إن لم تفعل فسیغنی الله عنک و السلام -روایت-۱-۱۳۷۷ [صفحه ۷۹]

۱۰- و من کتاب له ع إلی معاویة أیضا

وَ کَیفَ أَنتَ صَانِعٌ إِذَا تَکَشّفَت عَنکَ جَلَابِیبُ مَا أَنتَ فِیهِ مِن دُنیَا قَد تَبَهّجَت بِزِینَتِهَا وَ خَدَعَت بِلَذّتِهَا دَعَتکَ فَأَجَبتَهَا وَ قَادَتکَ فَاتّبَعتَهَا وَ أَمَرَتکَ فَأَطَعتَهَا وَ إِنّهُ یُوشِکُ أَن یَقِفَکَ وَاقِفٌ عَلَی مَا لَا یُنجِیکَ مِنهُ مُنجٍ فَاقعَس عَن هَذَا الأَمرِ وَ خُذ أُهبَةَ الحِسَابِ وَ شَمّر لِمَا قَد نَزَلَ بِکَ وَ لَا تُمَکّنِ الغُوَاةَ مِن سَمعِکَ وَ إِلّا تَفعَل أُعلِمکَ مَا أَغفَلتَ مِن نَفسِکَ فَإِنّکَ مُترَفٌ قَد أَخَذَ الشّیطَانُ مِنکَ مَأخَذَهُ وَ بَلَغَ فِیکَ أَمَلَهُ وَ جَرَی مِنکَ مَجرَی الرّوحِ وَ الدّمِ وَ مَتَی کُنتُم یَا مُعَاوِیَةُ سَاسَةَ الرّعِیّةِ وَ وُلَاةَ أَمرِ الأُمّةِ بِغَیرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَ لَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَ نَعُوذُ بِاللّهِ مِن لُزُومِ سَوَابِقِ الشّقَاءِ وَ أُحَذّرُکَ أَن تَکُونَ مُتَمَادِیاً فِی غِرّةِ الأُمنِیّةِ مُختَلِفَ العَلَانِیَةِ وَ السّرِیرَةِ وَ قَد دَعَوتَ إِلَی الحَربِ فَدَعِ النّاسَ جَانِباً وَ اخرُج إِلَیّ وَ أَعفِ الفَرِیقَینِ مِنَ القِتَالِ لِتَعلَمَ أَیّنَا المَرِینُ عَلَی قَلبِهِ وَ المُغَطّی عَلَی بَصَرِهِ فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدّکَ وَ أَخِیکَ وَ خَالِکَ شَدخاً یَومَ بَدرٍ وَ ذَلِکَ السّیفُ مَعِی وَ بِذَلِکَ القَلبِ أَلقَی عَدُوّی مَا استَبدَلتُ دِیناً وَ لَا استَحدَثتُ نَبِیّاً وَ إِنّی لَعَلَی المِنهَاجِ ألّذِی تَرَکتُمُوهُ طَائِعِینَ وَ دَخَلتُم فِیهِ مُکرَهِینَ وَ زَعَمتَ أَنّکَ جِئتَ ثَائِراً بِدَمِ عُثمَانَ وَ لَقَد عَلِمتَ حَیثُ وَقَعَ دَمُ عُثمَانَ فَاطلُبهُ [صفحه ۸۰] مِن هُنَاکَ إِن کُنتَ طَالِباً فَکَأَنّی قَد رَأَیتُکَ تَضِجّ مِنَ الحَربِ إِذَا عَضّتکَ ضَجِیجَ الجِمَالِ بِالأَثقَالِ وَ کَأَنّی بِجَمَاعَتِکَ تَدعُونِی جَزَعاً مِنَ الضّربِ المُتَتَابِعِ وَ القَضَاءِ الوَاقِعِ وَ مَصَارِعَ بَعدَ مَصَارِعَ إِلَی کِتَابِ اللّهِ وَ هِیَ کَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ أَو مُبَایِعَةٌ حَائِدَةٌ الجلابیب جمع جلباب وهی الملحفة فی الأصل واستعیر لغیرها من الثیاب وتجلبب الرجل جلببة و لم تدغم لأنها ملحقة بدحرجة. قوله وتبهجت بزینتها صارت ذات بهجة أی زینة وحسن و قدبهج الرجل بالضم ویوشک یسرع . ویقفک واقف یعنی الموت ویروی و لاینحیک مجن و هوالترس والروایة الأولی أصح . قوله فاقعس عن هذاالأمر أی تأخر عنه والماضی قعس بالفتح ومثله تقاعس واقعنسس . وأهبة الحساب عدته وتأهب استعد وجمع الأهبة أهب . وشمر لما قدنزل بک أی جد واجتهد وخف و منه رجل شمری بفتح الشین وتکسر. والغواة جمع غاو و هوالضال . قوله و إلاتفعل یقول و إن کنت لاتفعل ما قدأمرتک ووعظتک به فإنی أعرفک من نفسک ماأغفلت معرفته .إنک مترف والمترف ألذی قدأترفته النعمة أی أطغته [صفحه ۸۱] قدأخذ الشیطان منک مأخذه ویروی مآخذه بالجمع أی تناول الشیطان منک لبک وعقلک ومأخذه مصدر أی تناولک الشیطان تناوله المعروف وحذف مفعول أخذ لدلالة الکلام علیه ولأن اللفظة تجری مجری المثل . قوله وجری منک مجری الروح والدم هذه کلمة رسول الله ص إن الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۶۷ . ثم خرج ع إلی أمر آخر فقال لمعاویة ومتی کنتم ساسة الرعیة وولاة أمر الأمة ینبغی أن یحمل هذاالکلام علی نفی کونهم سادة وولاة فی الإسلام و إلافقی الجاهلیة لاینکر رئاسة بنی عبدشمس ولست أقول بریاستهم علی بنی هاشم ولکنهم کانوا رؤساء علی کثیر من بطون قریش أ لاتری أن بنی نوفل بن عبدمناف مازالوا أتباعا لهم و أن بنی عبدشمس کانوا فی یوم بدر قادة الجیش کان رئیس الجیش عتبة بن ربیعة وکانوا فی یوم أحد و یوم الخندق قادة الجیش کان الرئیس فی هذین الیومین أباسفیان بن حرب وأیضا فإن فی لفظة أمیر المؤمنین ع مایشعر بما قلناه و هو قوله وولاة أمر الأمة فإن الأمة فی العرب هم المسلمون أمة محمدص . قوله ع بغیر قدم سابق یقال لفلان قدم صدق أی سابقة وأثرة حسنة. قوله ع و لاشرف باسق أی عال . وتمادی تفاعل

من المـدى و هوالغايـﺔ أى لم يقف بل مضـى قـدما. والغرﺓ الغفلﺔ والأمنيﺔ طمع النفس ومختلف السـريرﺓ والعلانيﺔ منافق . قوله ع فدع الناس جانبا منصوب على الظرف . [صـفحه ۸۲] والمرين على قلبه المغلوب عليه من قوله تعـالى كَلّا بَل رانَ عَلى قُلُوبِهِم ما كانُوا يَكسِبُونَ وقيل الرين الـذنب على القريب . وإنما قال أمير المؤمنين ع لمعاويـﺔ هذه الكلمﺔ لأن معاويﺔ قالها فى رسالﺔ كتبها ووقفت عليهـا من كتـاب أبى العباس يعقوب بن أبى أحمدالصـيمرى ألـذى جمعه من كلام على ع وخطبه وأولها أما بعـدفإنك المطبوع على قلبك المغطى على بصـرك الشر من شيمتك والعتو من خليقتك فشمر للحرب واصبر للضرب فو الله ليرجعن الأمر إلى مـاعلمت والعاقبـﺔ للمتقين هيهـات هيهـات أخطأك ماتمنى وهوى قلبك فيما هوى فأربع على ظلعك وقس شبرك بفترك تعلـم أيـن حالـك من حـال من يزن الجبـال حلمه ويفصـل بين أهـل الشـك علمه و السـلام . -قرآن-۵۲-۱۰۲ فكتـب إليه أمير المؤمنين ع أمـا بعـد يـا ابن صـخر يـا ابن اللعين يزن الجبـال فيما زعمت حلمك ويفصل بين أهل الشك علمك و أنت الجاهل القليـل الفقه المتفـاوت العقـل الشارد عن الـدين و قلت فشـمر للحرب واصبر فإن كنت صادقا فيما تزعم ويعينك عليه ابن النابغﺔ فـدع النـاس جانبـا وأعف الفريقين من القتـال وابرز إلى لتعلم أينـا المرين على قلبه المغطى على بصـره فأنـا أبو الحسن حقا قاتل أخيك وخالك وجـدك شـدخا يوم بدر و ذلك السيف معى وبذلك القلب ألقى عدوى -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۴۶۸ . [صفحه ۸۳] قوله ع شـدخا الشـدخ كسـر الشـىء الأجوف شدخت رأسه فانشدخ وهؤلاء الثلاثﺔ حنظلﺔ بن أبى سـفيان والوليد بن عتبـﺔ وأبوه عتبـﺔ بن ربيعـﺔ فحنظلﺔ أخوه والوليد خاله وعتبﺔ جده و قدتقدم ذكر قتلﺔ إياهم فى غزاﺓ بدر. والثائر طالب الثأر و قوله قدعلمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك يريد به إن كنت تطلب ثأرك من عند من أجلب وحاصر فالذى فعل ذلك طلحﺔ والزبير فـاطلب ثـأرك من بنى تميم و من بنى أسـد بن عبـدالعزى و إن كنت تطلبه ممن خـذل فـاطلبه من نفسك فإنك خـذلته وكنت قادرا على أن ترفـده وتمـده بالرجال فخـذلته وقعـدت عنه بعـد أن اسـتنجدك واسـتغاث بك . وتضج تصوت والجاحدﺓ المنكرﺓ والحائـدﺓ العادلـﺔ عن الحق . واعلم أن قوله وكـأنى بجماعتـك يـدعوننى جزعـا من السـيف إلى كتاب الله تعالى إما أن يكون فراسـﺔ نبويـﺔ صادقـﺔ و هـذاعظيم وإمـا أن يكون إخبـارا عن غيب مفصل و هوأعظم وأعجب و على كلا الأمرين فهو غايﺔ العجب و قـدرأيت له ذكر هـذاالمعنى فى كتاب غير هـذا و هو أما بعـدفما أعجب مايأتينى منك و ماأعلمنى بمنزلتك التى أنت إليهـا صـائر ونحوهـا سائر و ليس إبطائى عنك إلالوقت أنا به مصـدق و أنت به مكـذب وكأنى أراك و أنت تضـج من الحرب وإخوانك يـدعوننى خوفا من السيف إلى كتاب هم به كافرون و له جاحـدون . ووقفت له ع على كتاب آخر إلى معاويﺔ يذكر فيه هـذاالمعنى أوله أمـا بعـدفطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشـيطان الحق أساطير ونبـذتموه وراء -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۸۴] ظهوركم وحاولتم إطفاءه بأفواهكم وَ يَأبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمّ نُورَهُ وَ لَو كَرِهَ الكافِرُونَ ولعمرى لينفذن العلم فيك وليتمن النور بصـغرك وقماءتـك ولتخسأن طريـدا مـدحورا أوقتيلا مثبورا ولتجزين بعملـك حيث لاناصـر لك و لامصـرخ عنـدك و قدأسـهبت فى ذكر عثمـان ولعمرى مـاقتله غيرك و لاخـذله سواك ولقـد تربصت به الـدوائر وتمنيت له الأمـانى طمعا فيما ظهر منـك ودل عليه فعلـك وإنى لأرجو أن ألحقك به على أعظم من ذنبه وأكبر من خطيئته فأنا ابن عبـدالمطلب صاحب السـيف و إن قائمه لفى يـدى و قـدعلمت من قتلت به من صـناديد بنى عبدشـمس وفراعنﺔ بنى سـهم وجمح وبنى مخزوم وأيتمت أبناءهم وأيمت نساءهم وأذكرك مالست له ناسيا يوم قتلت أخاك حنظلﺔ وجررت برجله إلى القليب وأسرت أخاك عمرا فجعلت عنقه بين سـاقيه رباطا وطلبتك ففررت و لك حصاص فلو لاأنى لاأتبع فارا لجعلتك ثالثهما و أناأولى لك بالله أليـﺔ برﺓ غيرفاجرﺓ لئن جمعتنى وإيـاك جوامع الأقـدار لأتركنـك مثلا يتمثل به الناس أبـدا ولأجعجعن بك فى مناخك حتى يحكم الله بينى وبينك و هوخير الحاكمين ولئن أنسأ الله فى أجلى قليلا لأغزينك سـرايا المسـلمين ولأنهدن إليك فى جحفل من المهاجرين والأنصار ثم لاأقبل لك معـذرﺓ و لاشـفاعﺔ و لاأجيبك إلى طلب وسؤال ولترجعن إلى تحيرك وترددك وتلـددك فقـد شاهدت وأبصـرت

ورأيت -روايت-از قبل-۱-روايت-۲-ادامه دارد [صفحه ۸۵] سحب الموت كيف هطلت عليك بصيبها حتى اعتصمت بكتاب أنت وأبوك أول من كفر وكذب بنزوله ولقد كنت تفرستها وآذنتك أنك فاعلها و قدمضى منها مامضى وانقضى من كيدك فيها ماانقضى و أناسائر نحوك على أثر هذاالكتاب فاختر لنفسك وانظر لها وتداركها فإنك إن فطرت واستمررت على غيك وغلوائك حتى ينهد إليك عباد الله أرتجت عليك الأمور ومنعت أمرا هواليوم منك مقبول يا ابن حرب إن لجاجك فى منازعة الأمر أهله من سفاه الرأى فلايطمعنك أهل الضلال و لايوبقنك سفه رأى الجهال فو الذى نفس على بيده لئن برقت فى وجهك بارقة من ذى الفقار لتصعقن صعقة لاتفيق منها حتى ينفخ فى الصور النفخة التى يئست منهاكَما يَئِسَ الكُفّارُ مِن أَصحابِ القُبُورِ -روايت-از قبل-۶۶۲ . قلت سألت النقيب أبازيد عن معاوية هل شهد بدرا مع المشركين فقال نعم شهدها ثلاثة من أولاد أبى سفيان حنظلة وعمرو ومعاوية قتل أحدهم وأسر الآخر وأفلت معاوية هاربا على رجليه فقدم مكة و قدانتفخ قدماه وورمت ساقاه فعالج نفسه شهرين حتى برأ. قال النقيب أبوزيد و لاخلاف عندأحد أن عليا ع قتل حنظلة وأسر عمرا أخاه ولقد شهد بدرا وهرب على رجليه من هوأعظم منهما و من أخيهما عمرو بن عبدود فارس يوم الأحزاب شهدها ونجا هاربا على قدميه و هوشيخ كبير [صفحه ۸۶] وارتث جريحا فوصل إلى مكة و هووقيذ فلم يشهد أحدا فلما برأ شهد الخندق فقتله قاتل الأبطال و الذى فاته يوم بدر استدركه يوم الخندق . ثم قال لى النقيب رحمه الله أ ماسمعت نادرة الأعمش ومناظره فقلت ماأعلم ماتريد فقال سأل رجل الأعمش و كان قدناظر صاحبا له هل معاوية من أهل بدر أم لا فقال له أصلحك الله هل شهد معاوية بدرا فقال نعم من ذلك الجانب واعلم أن هذه الخطبة قدذكرها نصر بن مزاحم فى كتاب صفين على وجه يقتضى أن ماذكره الرضى رحمه الله منها قدضم إليه بعض خطبة أخرى و هذه عادته لأن غرضه التقاط الفصيح والبليغ من كلامه و الذى ذكره نصر بن مزاحم هذه صورته من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان سلام على من اتبع الهدى فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعدفإنك قدرأيت مرور الدنيا وانقضاءها وتصرمها وتصرفها بأهلها وخير مااكتسب من الدنيا ماأصابه العباد الصالحون منها من التقوى و من يقس الدنيا بالآخرة يجد بينهما بعيدا واعلم يامعاوية أنك قدادعيت أمرا لست من أهله لا فى القديم و لا فى الحديث ولست تقول فيه بأمر بين يعرف له أثر و لاعليك منه شاهد من كتاب الله ولست متعلقا بآية من -روايت-۱-۲-روايت-۳۹-ادامه دارد [صفحه ۸۷] كتاب الله و لاعهد من رسول الله ص فكيف أنت صانع إذاتقشعت عنك غيابة ماأنت فيه من دنيا قدفتنت بزينتها وركنت إلى لذاتها وخلى بينك و بين عدوك فيها و هوعدو وكلب مضل جاهد مليح ملح مع ما قدثبت فى نفسك من جهتها دعتك فأجبتها وقادتك فاتبعتها وأمرتك فأطعتها فاقعس عن هذاالأمر وخذ أهبة الحساب فإنه يوشك أن يقفك واقف على ما لايجنك مجن ومتى كنتم يامعاوية ساسة الرعية أوولاة لأمر هذه الأمة بلا قدم حسن و لاشرف تليد على قومكم فاستيقظ من سنتك وارجع إلى خالقك وشمر لماسينزل بك و لاتمكن عدوك الشيطان من بغيته فيك مع أنى أعرف أن الله ورسوله صادقان نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء و إلاتفعل فإنى أعلمك ماأغفلت من نفسك إنك مترف قدأخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم فى العروق ولست من أئمة هذه الأمة و لا من رعاتها واعلم أن هذاالأمر لو كان إلى الناس أوبأيديهم لحسدوناه ولامتنوا علينا به ولكنه قضاء ممن منحناه واختصنا به على لسان نبيه الصادق المصدق لاأفلح من شك بعدالعرفان والبينة رب احكم بيننا و بين عدونا بالحق و أنت خير الحاكمين -روايت-از قبل-۱۰۱۴ . قال نصر فكتب معاوية إليه الجواب من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب أما بعدفدع الحسد فإنك طالما لم تنتفع به و لاتفسد سابقة [صفحه ۸۸] جهادك بشرة نخوتك فإن الأعمال بخواتيمها و لاتمحص سابقتك بقتال من لاحق لك فى حقه فإنك إن تفعل لاتضر بذلك إلانفسك و لاتمحق إلاعملك و لاتبطل إلاحجتك ولعمرى إن مامضى لك من السابقات لشبيه أن يكون ممحوقا لمااجترأت عليه من سفك الدماء وخلاف أهل الحق فاقرأ السورة التى يذكر فيهاالفلق وتعوذ من نفسك فإنك الحاسد

إذاحسد [صفحه ٨٩]

١١– و من وصیة له ع وصی بهاجیشا بعثه إلی العدو

فَإِذَا نَزَلتُم بِعَدُوٍّ أَو نَزَلَ بِكُم فَليَكُن مُعَسكَرُكُم فِي قُبُلِ الأَشرَافِ أَو سِفَاحِ الجِبَالِ أَو أَثنَاءِ الأَنهَارِ كَيمَا يَكُونَ لَكُم رِدءاً وَ دُونَكُم مَرَدّاً وَ لتَكُن مُقَاتَلَتُكُم مِن وَجهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثنَينِ وَ اجعَلُوا لَكُم رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الجِبَالِ وَ مَنَاكِبِ الهِضَابِ لِئَلّا يَأتِيَكُمُ العَدُوّ مِن مَكَانِ مَخَافَةٍ أَو أَمنٍ وَ اعلَمُوا أَنّ مُقَدّمَةَ القَومِ عُيُونُهُم وَ عُيُونَ المُقَدّمَةِ طَلَائِعُهُم وَ إِيّاكُم وَ التّفَرّقَ فَإِذَا نَزَلتُم فَانزِلُوا جَمِيعاً وَ إِذَا ارتَحَلتُم فَارتَحِلُوا جَمِيعاً وَ إِذَا غَشِيَكُمُ اللّيلُ فَاجعَلُوا الرّمَاحَ كِفّةً وَ لَا تَذُوقُوا النّومَ إِلّا غِرَاراً أَو مَضمَضَةً المعسكر بفتح الكاف موضع العسكر وحيث ينزل .الأشراف الأماكن العالية وقبلها مااستقبلك منها وضده الدبر. وسفاح الجبال أسافلها حيث يسفح منها الماء. وأثناء الأنهار ماانعطف منها واحدها ثنى والمعنى أنه أمرهم أن ينزلوا مسندين ظهورهم إلى مكان عال كالهضاب العظيمة أوالجبال أومنعطف الأنهار التى تجرى مجرى الخنادق على العسكر ليأمنوا بذلك من البيات وليأمنوا أيضا من إتيان العدو لهم [صفحه ٩٠] من خلفهم و قدفسر ذلك بقوله كيما يكون لكم ردءا والردء العون قال الله تعالى فَأَرسِلهُ مَعِي رِدءاً يُصَدّقُنِي. ودونكم مردا أى حاجزا بينكم و بين العدو. ثم أمرهم بأن يكون مقاتلتهم بفتح التاء وهى مصدر قاتل من وجه واحد أواثنين أى لاتتفرقوا و لايكن قتالكم العدو فى جهات متشعبة فإن ذلك أدعى إلى الوهن واجتماعكم أدعى إلى الظفر ثم أمرهم أن يجعلوا رقباء فى صياصى الجبال وصياصى الجبال أعاليها و ماجرى مجرى الحصون منها وأصل الصياصى القرون ثم استعير ذلك للحصون لأنه يمتنع بها كمايمتنع ذو القرن بقرنه ومناكب الهضاب أعاليها لئلا يأتيكم العدو إما من حيث تأمنون أو من حيث تخافون . قوله ع مقدمة القوم عيونهم المقدمة بكسر الدال وهم الذين يتقدمون الجيش أصله مقدمة القوم أى الفرقة المتقدمة والطلائع طائفة من الجيش تبعث ليعلم منها أحوال العدو و قال ع المقدمة عيون الجيش والطلائع عيون المقدمة فالطلائع إذاعيون الجيش . ثم نهاهم عن التفرق وأمرهم أن ينزلوا جميعا ويرحلوا جميعا لئلا يفجأهم العدو بغتة على غيرتعبئة واجتماع فيستأصلهم ثم أمرهم أن يجعلوا الرماح كفة إذاغشيهم الليل والكاف مكسورة أى اجعلوها مستديرة حولكم كالدائرة و كل مااستدار كفة بالكسر نحو كفة الميزان و كل مااستطال كفة بالضم نحو كفة الثوب وهى حاشيته وكفة الرمل و هو ما كان منه كالحبل . ثم نهاهم عن النوم إلاغرارا أومضمضة وكلا اللفظتين ماقل من النوم . –قرآن–٨٢–١١٨ [صفحه ٩١] و قال شبيب الخارجى الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع . و كان إذاأمسى قال لأصحابه أتاكم المدد يعنى الليل .قيل لبعض الملوك بيت عدوك قال أكره أن أجعل غلبتى سرقة. و لمافصل قحطبة من خراسان و فى جملته خالد بن برمك بينا هو على سطح بيت فى قرية نزلاها وهم يتغدون نظر إلى الصحراء فرأى أقاطيع ظباء قدأقبلت من جهة الصحارى حتى كادت تخالط العسكر فقال خالد لقحطبة أيها الأمير ناد فى الناس ياخيل الله اركبى فإن العدو قدقرب منك وعامة أصحابك لن يسرجوا ويلجموا حتى يروا سرعان الخيل فقام قحطبة مذعورا فلم ير شيئا يروعه و لم يعاين غبارا فقال لخالد ما هذاالرأى فقال أيها الأمير لاتتشاغل بى وناد فى الناس أ ماترى أقاطيع الوحوش قدأقبلت وفارقت مواضعها حتى خالطت الناس و إن وراءها لجمعا كثيفا قال فو الله ماأسرجوا و لاألجموا حتى رأوا النقع وساطع الغبار فسلموا و لو لا ذلك لكان الجيش قداصطلم [صفحه ٩٢]

١٢– و من وصیة له ع وصی بهامعقل بن قیس الریاحی حین أنفذه إلی الشام فی ثلاثة آلاف مقدمة له

اشاره

اتّقِ اللّهَ ألّذِی لَا بُدّ لَکَ مِن لِقَائِهِ وَ لَا مُنتَهَی لَکَ دُونَهُ وَ لَا تُقَاتِلَنّ إِلّا مَن قَاتَلَکَ وَ سِرِ البَردَینِ وَ غَوّر بِالنّاسِ وَ رَفّه فِی السّیرِ وَ لَا تَسِر أَوّلَ اللّیلِ فَإِنّ اللّهَ جَعَلَهُ سَکَناً وَ قَدّرَهُ مُقَاماً لَا ظَعناً فَأَرِح فِیهِ بَدَنَکَ وَ رَوّح ظَهرَکَ فَإِذَا وَقَفتَ حِینَ یَنبَطِحُ السّحَرُ أَو حِینَ یَنفَجِرُ الفَجرُ فَسِر عَلَی بَرَکَةِ اللّهِ فَإِذَا لَقِیتَ العَدُوّ فَقِف مِن أَصحَابِکَ وَسَطاً وَ لَا تَدنُ مِنَ القَومِ دُنُوّ مَن یُرِیدُ أَن یُنشِبَ الحَربَ وَ لَا تَبَاعَد عَنهُم تَبَاعُدَ مَن یَهَابُ البَأسَ حَتّی یَأتِیَکَ أمرِی وَ لَا یَحمِلَنّکُمُ شَنَآنُهُم عَلَی قِتَالِهِم قَبلَ دُعَائِهِم وَ الإِعذَارِ إِلَیهِم معقل بن قیس کان من رجال الکوفة وأبطالها و له رئاسة وقدم أوفده عمار بن یاسر إلی عمر بن الخطاب مع الهرمزان لفتح تستر و کان من شیعة علی ع وجهه إلی بنی ساقة فقتل منهم وسبی وحارب المستورد بن علفة الخارجی [صفحه ۹۳] من تمیم الرباب فقتل کل واحد منهما صاحبه بدجلة و قدذکرنا خبرهما فیما سبق ومعقل بن قیس ریاحی من ولد ریاح بن یربوع بن حنظلة بن مالک بن زید مناة بن تمیم . قوله ع و لاتقاتلن إلاـ من قاتلک نهی عن البغی. وسر البردین هما الغداة والعشی وهما الأبردان أیضا. ووصاه أن یرفق بالناس و لایکلفهم السیر فی الحر. قوله ع وغور بالناس انزل بهم القائلة والمصدر التغویر ویقال للقائلة الغائرة. قوله ع ورفه فی السیر أی دع الإبل ترد رفها و هو أن ترد الماء کل یوم متی شاءت و لاترهقها وتجشمها السیر ویجوز أن یکون قوله ورفه فی السیر من قولک رفهت عن الغریم أی نفست عنه . قوله ع و لاتسر أول اللیل قدورد فی ذلک خبر مرفوع و فی الخبر أنه حین تنشر الشیاطین و قدعلل أمیر المؤمنین ع النهی بقوله فإن الله تعالی جعله سکنا وقدره مقاما لاظعنا یقول لماامتن الله تعالی علی عباده بأن جعل لهم اللیل لیسکنوا فیه کره أن یخالفوا ذلک ولکن لقائل أن یقول فکیف لم یکره السیر والحرکة فی آخره و هو من جملة اللیل أیضا ویمکن أن یکون فهم من رسول الله ص أن اللیل ألذی جعل سکنا للبشر إنما هو من أوله إلی وقت السحر. [صفحه ۹۴] ثم أمره ع بأن یریح فی اللیل بدنه وظهره وهی الإبل وبنو فلان مظهرون أی لهم ظهر ینقلون علیه کماتقول منجبون أی لهم نجائب . قال الراوندی الظهر الخیول و لیس بصحیح والصحیح ماذکرناه . قوله ع فإذاوقفت أی فإذاوقفت ثقلک ورحلک لتسیر فلیکن ذلک حین ینبطح السحر. قال الراوندی فإذاوقفت ثم قال و قدروی فإذاواقفت قال یعنی إذاوقفت تجارب العدو و إذاواقفته و ماذکره لیس بصحیح و لاروی وإنما هوتصحیف أ لاتراه کیف قال بعده بقلیل فإذالقیت العدو وإنما مراده هاهنا الوصاة بأن یکون السیر وقت السحر ووقت الفجر. قوله ع حین ینبطح السحر أی حین یتسع ویمتد أی لا یکون السحر الأول أی ما بین السحر الأول و بین الفجر الأول وأصل الانبطاح السعة و منه الأبطح بمکة و منه البطیحة وتبطح السیل أی اتسع فی البطحاء والفجر انفجر انشق . ثم أمره ع إذالقی العدو أن یقف بین أصحابه وسطا لأنه الرئیس والواجب أن یکون الرئیس فی قلب الجیش کما أن قلب الإنسان فی وسط جسده ولأنه إذا کان وسطا کانت نسبته إلی کل الجوانب واحدة و إذا کان فی أحد الطرفین بعد من الطرف الآخر فربما یختل نظامه ویضطرب . ثم نهاه ع أن یدنو من العدو دنو من یرید أن ینشب الحرب ونهاه أن یبعد منهم بعد من یهاب الحرب وهی البأس قال الله تعالی وَ حِینَ البَأسِ -قرآن-۱۱۵۸-۱۱۷۳ [صفحه ۹۵] أی حین الحرب بل یکون علی حال متوسطة بین هذین حتی یأتیه الأمر من أمیر المؤمنین ع لأنه أعرف بما تقتضیه المصلحة. ثم قال له لایحملنکم بغضکم لهم علی أن تبدءوهم بالقتال قبل أن تدعوهم إلی الطاعة وتعذروا إلیهم أی تصیروا ذوی عذر فی حربهم . والشنئان البغض بسکون النون وتحریکها

نبذ من الأقوال الحکیمة فی الحروب

فی الحدیث المرفوع لاتتمنوا العدو فعسی أن تبتلوا بهم ولکن قولوا أللهم اکفنا شرهم وکف عنا بأسهم و إذاجاءوک یعرفون أن یضجون فعلیکم الأرض جلوسا وقولوا أللهم أنت ربنا وربهم وبیدک نواصینا ونواصیهم فإذاغشوکم فثوروا فی وجوههم –

روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۲۴۰ . و کان أبوالدرداء یقول أیها الناس اعملوا عملاـ صالحا قبل الغزو فإنما تقاتلون بأعمالکم . وأوصى أبوبکر یزید بن أبی سفیان حین استعمله فقال سر علی برکة الله فإذادخلت بلاد العدو فکن بعیدا من الحملة فإنی لاآمن علیک الجولة واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء و لاتقاتل بمجروح فإن بعضه لیس منه واحترس من البیات فإن فی العرب غرة وأقلل من الکلام فإن ماوعی عنک هوعلیک و إذاأتاک کتابی فأمضه فإنما أعمل علی حسب إنفاذه و إذاقدم علیک وفود العجم فأنزلهم معظم عسکرک وأسبغ علیهم من النفقة وامنع الناس من محادثتهم لیخرجوا جاهلین کمادخلوا جاهلین و لا [صفحه ۹۶] تلحن فی عقوبة فإن أدناها وجیعة و لاتسرعن إلیها و أنت تکتفی بغیرها واقبل من الناس علانیتهم وکلهم إلی الله فی سریرتهم و لاتعرض عسکرک فتفضحه وأستودعک الله ألذی لاتضیع ودائعه . وأوصى أبوبکر أیضا عکرمة بن أبی جهل حین وجهه إلی عمان فقال سر علی اسم الله و لاتنزلن علی مستأمن وقدم النذیر بین یدیک ومهما قلت إنی فاعل فافعله و لاتجعلن قولک لغوا فی عقوبة و لاعفو فلاترجی إذاأمنت و لاتخاف إذاخوفت وانظر متی تقول ومتی تفعل و ماتقول و ماتفعل و لاتتوعدن فی معصیة بأکثر من عقوبتها فإنک إن فعلت أثمت و إن ترکت کذبت واتق الله و إذالقیت فاصبر. و لماولی یزید بن معاویة سلم بن زیاد خراسان قال له إن أباک کفی أخاه عظیما و قداستکفیتک صغیرا فلاتتکلن علی عذر منی فقد اتکلت علی کفایة منک وإیاک منی من قبل أن أقول إیاک منک واعلم أن الظن إذاأخلف منک أخلف فیک و أنت فی أدنی حظک فاطلب أقصاه و قدتبعک أبوک فلاتریحن نفسک واذکر فی یومک أحادیث غدک . و قال بعض الحکماء ینبغی للأمیر أن یکون له ستة أشیاء وزیر یثق به ویفشی إلیه سره وحصن إذالجأ إلیه عصمه یعنی فرسا وسیف إذانزل به الأقران لم یخف نبوته وذخیرة خفیفة المحمل إذانابته نائبة وجدها یعنی جوهرا وطباخ إذاأقوی من الطعام صنع له مایهیج شهوته وامرأة جمیلة إذادخل أذهبت همه فی الحدیث المرفوع خیر الصحابة أربعة وخیر السرایا أربعمائة وخیر الجیوش أربعة آلاف -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-ادامه دارد [صفحه ۹۷] ولن یغلب اثنا عشر ألفا من قلة إذااجتمعت کلمتهم -روایت-از قبل-۵۴ . کان یقال ثلاثة من کن فیه لم یفلح فی الحرب البغی قال الله تعالی إِنّما بَغیُکُم عَلی أَنفُسِکُم والمکر السیئ قال سبحانه وَ لا یَحِیقُ المَکرُ السّیّئُ إِلّا بِأَهلِهِ والنکث قال تعالی فَمَن نَکَثَ فَإِنّما یَنکُثُ عَلی نَفسِهِ.یقال خرجت خارجة بخراسان علی قتیبة بن مسلم فأهمه ذلک فقیل مایهمک منهم وجه إلیهم وکیع بن أبی أسود یکفیک أمرهم فقال لاأوجهه و إن وکیعا رجل فیه کبر وعنده بغی یحقر أعداءه و من کان هکذا قلت مبالاته بخصمه فلم یحترس فوجد عدوه فیه غرة فأوقع به . و فی بعض کتب الفرس إن بعض ملوکهم سأل أی مکاید الحرب أحزم فقال إذکاء العیون واستطلاع الأخبار وإظهار القوة والسرور والغلبة وإماتة الفرق والاحتراس من البطانة من غیرإقصاء لمن ینصح و لاانتصاح لمن یغش وکتمان السر وإعطاء المبلغین علی الصدق ومعاقبة المتوصلین بالکذب وألا تخرج هاربا فتحوجه إلی القتال و لاتضیق أمانا علی مستأمن و لاتدهشنک الغنیمة عن المجاوزة. و فی بعض کتب الهند ینبغی للعاقل أن یحذر عدوه المحارب له علی کل حال یرهب منه المواثبة إن قرب والغارة إن بعد والکمین إن انکشف والاستطراد إن ولی والمکر إن رآه وحیدا وینبغی أن یؤخر القتال ماوجد بدا فإن النفقة علیه من الأنفس و علی غیره من المال -قرآن-۷۴-۱۰۴-قرآن-۱۳۱-۱۷۶-قرآن-۱۹۷-۲۳۸ [صفحه ۹۸]

۱۳- و من کتاب له ع إلی أمیرین من أمراء جیشه

اشاره

وَ قَد أَمّرتُ عَلَيكَمَا وَ عَلَى مَن فِي حَيّزِكُمَا مَالِكَ بنَ الحَارِثِ الأَشتَرَ فَاسمَعَا لَهُ وَ أَطِيعَا وَ اجعَلَاهُ دِرعاً وَ مِجَنّاً فَإِنّهُ مِمّن لَا يُخَافُ وَهنُهُ وَ لَا سَقطَتُهُ وَ لَا بُطؤُهُ عَمّا الإِسرَاعُ إِلَيهِ أَحزَمُ وَ لَا إِسرَاعُهُ إِلَى مَا البُطءُ عَنهُ أَمثَلُ

فصل فی نسب الأشتر وذکر بعض فضائله

هومالک بن الحارث بن عبدیغوث بن مسلمۀ بن ربیعۀ بن خزیمۀ بن سعد بن مالک بن النخع بن عمرو بن علۀ بن خالد بن مالک بن أدد و کان فارسا شجاعا رئیسا من أکابر الشیعۀ وعظمائها شدید التحقق بولاء أمیر المؤمنین ع ونصره و قال فیه بعدموته رحم الله مالکا فلقد کان لی کماکنت لرسول الله ص -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۷۶ . و لماقنت علی ع علی خمسۀ ولعنهم وهم معاویۀ وعمرو بن العاص و أبوالأعور السلمی وحبیب بن مسلمۀ وبسر بن أرطاۀ قنت معاویۀ علی خمسۀ وهم علی و الحسن و الحسین ع و عبد الله بن العباس والأشتر ولعنهم . و قدروی أنه قال لماولی علی ع بنی العباس علی الحجاز والیمن والعراق فلما ذا قتلنا الشیخ بالأمس و إن علیا ع لمابلغته هذه الکلمۀ أحضره ولاطفه واعتذر إلیه و قال له فهل ولیت حسنا أوحسینا أوأحدا من ولد جعفرأخی أوعقیلا [صفحه ۹۹] أوواحدا من ولده وإنما ولیت ولد عمی العباس لأنی سمعت العباس یطلب من رسول الله ص الإمارۀ مرارا فقال له رسول الله ص یاعم إن الإمارۀ إن طلبتها وکلت إلیها و إن طلبتک أعنت علیها -روایت-۱-۱۴۷ ورأیت بنیه فی أیام عمر وعثمان یجدون فی أنفسهم إذ ولی غیرهم من أبناء الطلقاء و لم یول أحدا منهم فأحببت أن أصل رحمهم وأزیل ما کان فی أنفسهم و بعد فإن علمت أحدا من أبناء الطلقاء هوخیر منهم فأتنی به فخرج الأشتر و قدزال ما فی نفسه . و قدروی المحدثون حدیثا یدل علی فضیلۀ عظیمۀ للأشتر رحمه الله وهی شهادۀ قاطعۀ من النبی ص بأنه مؤمن روی هذاالحدیث أبوعمر بن عبدالبر فی کتاب الإستیعاب فی حرف الجیم فی باب جندب قال أبوعمر لماحضرت أباذر الوفاۀ و هوبالربذۀ بکت زوجته أم ذر فقال لها مایبکیک فقالت ما لی لاأبکی و أنت تموت بفلاۀ من الأرض و لیس عندی ثوب یسعک کفنا و لابد لی من القیام بجهازک فقال أبشری و لاتبکی فإنی سمعت رسول الله ص یقول لایموت بین امرءین مسلمین ولدان أوثلاثۀ فیصبران ویحتسبان فیریان النار أبدا -روایت-۱-۲-روایت-۳۵-۱۱۷ و قدمات لنا ثلاثۀ من الولد و سمعت أیضا رسول الله ص یقول لنفر أنافیهم لیموتن أحدکم بفلاۀ من الأرض یشهده عصابۀ من المؤمنین -روایت-۱-۲-روایت-۴۷-۱۰۵ و لیس من أولئک النفر أحد إلا و قدمات فی قریۀ وجماعۀ فأنا لاأشک ذلک الرجل و الله ماکذبت و لاکذبت فانظری الطریق قالت أم ذر فقلت أنی و قدذهب الحاج وتقطعت الطرق فقال اذهبی فتبصری قالت فکنت [صفحه ۱۰۰] أشتد إلی الکثیب فأصعد فأنظر ثم أرجع إلیه فأمرضه فبینا أنا و هو علی هذه الحال إذ أنابرجال علی رکابهم کأنهم الرخم تخب بهم رواحلهم فأسرعوا إلی حتی وقفوا علی وقالوا یاأمۀ الله ما لک فقلت امرؤ من المسلمین یموت تکفنونه قالوا و من هو قلت أبوذر قالوا صاحب رسول الله ص قلت نعم ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا إلیه حتی دخلوا علیه فقال لهم أبشروا فأنی سمعت رسول الله ص یقول لنفر أنافیهم لیموتن رجل منکم بفلاۀ من الأرض تشهده عصابۀ من المؤمنین -روایت-۱-۲-روایت-۴۸-۱۰۹ و لیس من أولئک النفر إلا و قدهلک فی قریۀ وجماعۀ و الله ماکذبت و لاکذبت و لو کان عندی ثوب یسعنی کفنا لی أولامرأتی لم أکفن إلا فی ثوب لی أولها وإنی أنشدکم الله ألا یکفننی رجل منکم کان أمیرا أوعریفا أوبریدا أونقیبا قالت و لیس فی أولئک النفر أحد إلاـو قدقارف بعض ما قال إلافتی من الأنصار قال له أناأکفنک یاعم فی ردائی هذا و فی ثوبین معی فی عیبتی من غزل أمی فقال أبوذر أنت تکفننی فمات فکفنه الأنصاری وغسله النفر الذین حضروه وقاموا علیه ودفنوه فی نفر کلهم یمان .روی أبوعمر بن عبدالبر قبل أن یروی هذاالحدیث فی أول باب جندب کان النفر الذین حضروا موت أبی ذر بالربذۀ مصادفۀ

جماعـة منهم حجر بن الأدبر ومالك بن الحارث الأشتر. قلت حجر بن الأدبر هوحجر بن عـدى ألذى قتله معاوية و هو من أعلام الشـيعة وعظمائها و أماالأشتر فهو أشـهر فى الشيعة من أبى الهذيل فى المعتزلة. [صفحه ۱۰۱] قرئ كتاب الإستيعاب على شيخنا عبدالوهاب بن سـكينة المحدث و أناحاضـر فلما انتهى القارئ إلى هذاالخبر قال أسـتاذى عمر بن عبد الله الدباس وكنت أحضـر معه سـماع الحديث لتقل الشـيعة بعد هذا ماشاءت فما قال المرتضـى والمفيد إلابعض ما كان حجر والأشتر يعتقدانه فى عثمان و من تقدمه فأشار الشيخ إليه بالسكوت فسكت . وذكرنا آثار الأشتر ومقاماته بصفين فيما سبق . والأشتر هو ألذى عانق عبد الله بن الزبير يوم الجمل فاصـطرعا على ظهر فرسـيهما حتى وقعا فى الأرض فجعل عبـد الله يصـرخ من تحته اقتلونى ومالكا فلم يعلم من ألـذى يعنيه لشـدة الاختلـاط وثوران النقع فلو قال اقتلونى والأشتر لقتلا جميعا فلما افترقا قال الأشتر أعائش لو لاأننى كنت طاويا || ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا غداة ينادى والرماح تنوشه || كوقع الصياصـى اقتلونى ومالكا فنجاه منى شبعه وشبابه || وأنى شيـخ لم أكن متماسكا . ويقال إن عائشـة فقـدت عبد الله فسألت عنه فقيل لها عهدنا به و هومعانق للأشتر فقالت وا ثكل أسـماء ومات الأشتر فى سـنة تسع وثلاثين متوجها إلى مصـر واليا عليها لعلى ع قيل سـقى سما وقيل إنه لم يصح ذلك وإنما مات حتف أنفه .فأمـا ثنـاء أمير المؤمنين ع عليه فى هـذاالفصل فقـد بلغ مع اختصاره ما لايبلغ بالكلام الطويل ولعمرى لقـد كان الأشتر أهلا لذلك كان شديد البأس جوادا [صفحه ۱۰۲] رئيسا حليما فصيحا شاعرا و كان يجمع بين اللين والعنف فيسطو فى موضع السطوة ويرفق فى موضع الرفق

نبذ من الأقوال الحكيمة

و من كلام عمر إن هذاالأمر لايصـلح إلاالقوى فى غيرعنف ولين فى غيرضـعف . و كان أنو شروان إذاولى رجلا أمر الكاتب أن يدع فى العهد موضع ثلاثة أسطر ليوقع فيهابخطه فإذاأتى بالعهد وقع فيه سس خيار الناس بالمودة وسفلتهم بالإخافة وامزج العامة رهبـة برغبـة. و قـال عمر بن عبـدالعزيز إنى لأهم أن أخرج للناس أمرا من العـدل فأخاف ألا تحتمله قلوبهم فأخرج معه طمعا من طمع الـدنيا فإن نفرت القلوب من ذاك سـكنت إلى هـذا. و قال معاوية إنى لاأضع سـيفى حيث يكفينى سوطى و لاأضع سوطى حيث يكفينى لسـانى و لو أن بينى و بين النـاس شـعرة مـاانقطعت فقيل له كيف قال إذامـدوها خليتها و إذاخلوها مـددتها. و قال الشعبى فى معاوية كان كالجمل الطب إذاسكت عنه تقدم و إذارد تأخر. و قال ليزيد ابنه قدتبلغ بالوعيد ما لاتبلغ بالإيقاع وإياك والقتـل فإن الله قاتل القتالين . وأغلظ له رجل فحلم عنه فقيل له أتحلم عن هـذا قال إنا لانحول بين الناس وألسـنتهم ما لم يحولوا بيننا و بين سـلطاننا. [صفحه ۱۰۳] وفخر سـليم مولى زياد عندمعاويـة بن زياد فقال معاوية اسـكت ويحك فما أدرك صاحبك بسـيفه شـيئا قط إلا و قـدأدركت أكثر منه بلسانى. و قال الوليـد بن عبـدالملك لأبيه ماالسـياسة ياأبت قال هيبـة الخاصـة لك مع صـدق مودتهـا واقتيـادك قلوب العامـة بالإنصـاف لهـا واحتمـال هفوات الصـنائع . و قـدجمع أمير المؤمنين ع من أصـناف الثناء والمدح مافرقه هؤلاء فى كلماتهم بكلمة واحدة قالها فى الأشتر وهى قوله لايخاف بطؤه عما الإسـراع إليه أحزم و لاإسـراعه إلى ماالبطـء عنه أمثل –روايت–۱–۲–روايت–۹–۸۳ . قـوله ع و على مـن فى حيزكمـا أى فى ناحيتكمـا. والمجـن الـترس . والـوهن الضـعف . والسقطة الغلطة والخطأ. و هذاالرأى أحزم من هذا أى أدخل فى باب الحزم والاحتياط و هذاأمثل من هذا أى أفضل [صفحه ۱۰۴]

۱۴– و من وصية له ع لعسكره بصفين قبل لقاء العدو

اشاره

لَا تُقَاتِلُونَهُم حَتّى يَبدَءُوكُم فَإِنّكُم بِحَمدِ اللّهِ عَلَى حُجّةٍ وَ تَركُكُم إِيّاهُم حَتّى يَبدَءُوكُم حُجّةٌ أُخرَى لَكُم عَلَيهِم فَإِذَا كَانَتِ الهَزِيمَةُ بِإِذنِ اللّهِ فَلَا تَقتُلُوا مُدبِراً وَ لَا تُصِيبُوا مُعوِراً وَ لَا تُجهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَ لَا تَهِيجُوا النّسَاءَ بِأَذًى وَ إِن شَتَمنَ أَعرَاضَكُم وَ سَبَبنَ أُمَرَاءَكُم فَإِنّهُنّ ضَعِيفَاتُ القُوَى وَ الأَنفُسِ وَ العُقُولِ إِن كُنّا لَنُؤمَرُ بِالكَفّ عَنهُنّ وَ إِنّهُنّ لَمُشرِكَاتٌ وَ إِن كَانَ الرّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ المَرأَةَ فِي الجَاهِلِيّةِ بِالفَهرِ أَوِ الهِرَاوَةِ فَيُعَيّرُ بِهَا وَ عَقِبُهُ مِن بَعدِهِ نهى أصحابه عن البغى والابتداء بالحرب و قدروى عنه أنه قال مانصرت على الأقران الذين قتلتهم إلاأنىماابتدأت بالمبارزة -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۹۱ ونهى إذاوقعت الهزيمة عن قتل المدبر والإجهاز على الجريح و هوإتمام قتله . قوله ع و لاتصيبوا معورا هو من يعتصم منك فى الحرب بإظهار عورته لتكف عنه ويجوز أن يكون المعور هاهنا المريب ألذى يظن أنه من القوم و أنه حضر للحرب و ليس منهم لأنه حضر لأمر آخر. قوله ع و لاتهيجوا النساء بأذى أى لاتحركوهن . [صفحه ۱۰۵] والفهر الحجر والهراوة العصا. وعطف وعقبه على الضمير المستكن المرفوع فى فيعير و لم يؤكد للفصل بقوله بهاكقوله تعالى ما أَشرَكنا وَ لا آباؤُنا لمافصل بلا عطف و لم يحتج إلى تأكيد -قرآن-۱۲۲-۱۴۶

نبذ من الأقوال الحكيمة

ومما ورد فى الشعر فى هذاالمعنى قول الشاعر إن من أعظم الكبائر عندى || قتل بيضاء حرة عطبول كتب القتل والقتال علينا || و على المحصنات جر الذيول . وقالت امرأة عبد الله بن خلف الخزاعى بالبصرة لعلى ع بعدظفره و قدمر ببابها يا على ياقاتل الأحبة لامرحبا بك أيتم الله منك ولدك كماأيتمت بنى عبد الله بن خلف فلم يرد عليها ولكنه وقف وأشار إلى ناحية من دارها ففهمت إشارته فسكتت وانصرفت وكانت قدسترت عندها عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم فأشار إلى الموضع ألذى كانا فيه أى لوشئت أخرجتهما فلما فهمت انصرفت و كان ع حليما كريما. و كان عمر بن الخطاب إذابعث أمراء الجيوش يقول بسم الله و على عون الله [صفحه ۱۰۶] وبركته فامضوا بتأييد الله ونصره أوصيكم بتقوى الله ولزوم الحق والصبر فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله و لاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين و لاتجبنوا عنداللقاء و لاتمثلوا عندالغارة و لاتسرفوا عندالظهور و لاتقتلوا هرما و لاامرأة و لاوليدا وتوقوا أن تطئوا هؤلاء عندالتقاء الزحفين و عندحمة النهضات و فى شن الغارات و لاتغلوا عندالغنائم ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا وأبشروا بالأرباح فى البيع ألذى بايعتم به و ذلك هوالفوز العظيم . واستشار قوم أكثم بن صيفى فى حرب قوم أرادوهم وسألوه أن يوصيهم فقال أقلوا الخلاف على أمرائكم واثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين ورب عجلة تهب ريثا. و كان قيس بن عاصم المنقرى إذاغزا شهد معه الحرب ثلاثون من ولده يقول لهم إياكم والبغى فإنه مابغى قوم قط إلاذلوا قالوا فكان الرجل من ولده يظلم فلاينتصف مخافة الذل . قال أبوبكر يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثنى عشر ألفا فهزموا يومئذ هزيمة قبيحة وأنزل الله تعالى قوله وَ يَومَ حُنَينٍ إِذ أَعجَبَتكُم كَثرَتُكُم فَلَم تُغنِ عَنكُم شَيئاً. و كان يقال لاظفر مع بغى و لاصحة مع نهم و لاثناء مع كبر و لاسؤدد مع شح -قرآن-۹۰۵-۹۷۳ [صفحه ۱۰۷]

قصة فيروز بن يزدجرد حين غزا ملك الهياطلة

و من الكلمات المستحسنة فى سوء عاقبة البغى ماذكره ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار إن فيروز بن يزدجرد بن بهرام لماملك

سـار بجنوده نحو بلاد الهياطلـة فلما انتهى إليهم اشـتد رعب ملكهم أخشـنوار منه وحـذره فناظر أصـحابه ووزراءه فى أمره فقال رجل منهم أعطنى موثقا من الله وعهدا تطمئن إليه نفسـى أن تكفينى الغم بأمر أهلى وولدى و أن تحسن إليهم وتخلفنى فيهم ثم اقطع يـدى ورجلى وألقنى فى طريق فيروز حـتى يمر بى هو وأصـحابه و أناأكفيـك أمرهم وأورطهم مورطا تكون فيه هلكتهم فقال له أخشـنوار و ما ألذى تنتفع به من سـلامتنا وصـلاح حالنا إذا أنت هلكت و لم تشركنا فى ذلك فقال إنى قدبلغت ماكنت أحب أن أبلغ من الـدنيا و أناموقن أن الموت لابـد منه و إن تأخر أياما قليلـة فأحب أن أختم عملى بأفضل مايختم به الأعمال من النصـيحة بسلطانى والنكاية فى عدوى فيشـرف بذلك عقبى وأصـيب سـعادة وحظوة فيما أمامى.ففعل أخشنوار به ذلك وحمله فألقاه فى الموضع ألـذى أشار إليه فمر به فيروز فى جنوده فسأله عن حاله فأخبره أن أخشـنوار فعل به مايراه و أنه شديـد الأسـف كيف لايستطيع أن يكون أمـام الجيش فى غزو بلاده وتخريب مـدينته ولكنه سـيدل الملك على طريق هوأقرب من هـذاالطريق ألـذى يريدون سـلوكه وأخفى فلايشـعر أخشـنوار حتى يهجم عليه فينتقم الله منه بكم و ليس فى هذاالطريق من المكروه إلاتغور يومين ثم تفضون إلى كل ماتحبون . [صفحه ١٠٨] فقبل فيروز قوله بعد أن أشار إليه وزراؤه بالاتهام له والحذر منه وبغير ذلك فخالفهم وسـلك تلك الطريق فانتهوا بعـديومين إلى موضع من المفازة لاصدر لهم عنه و لاماء معهم و لا بين أيديهم وتبين لهم أنهم قدخـدعوا فتفرقوا فى تلـك المفـازة يمينا وشـمالا يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم و لم يسـلم مع فيروز إلاعـدة يسـيرة فـانتهى إليهم أخشـنوار بجيشه فواقعهم فى تلـك الحـال التى هم فيها من القلـة والضـر والجهـد فاسـتمكنوا منهم بعـد أن أعظموا الكناية فيهم . وأسـر فيروز فرغب أخشنوار أن يمن عليه و على من بقى من أصحابه على أن يجعل له عهد الله وميثاقه ألا يغزوهم أبـدا مـابقى و على أن يحـد فيمـا بينه و بين مملكتهم حـدا لايتجـاوزه جنـوده فرضـى أخشـنوار بـذلك فخلى سـبيله وجعلاـ بين المملكـتين حجرا لايتجـاوزه كـل واحـد منهمـا.فمكث فيروز برهـة مـن دهره ثم حمله الأنف على أن يعـود لغزو الهياطلـة ودعا أصـحابه إلى ذلـك فنهوه عنه وقـالوا إنك قدعاهـدته ونحن نتخوف عليك عاقبـة البغى والغـدر مع ما فى ذلك من العار وسوء القالـة. فقـال لهم إنما اشترطت له ألا أجوز الحجر ألـذى جعلناه بيننا و أناآمر بالحجر فيحمل أمامنا على عجل .فقالوا أيها الملك إن العهود والمواثيق التى يتعاطاهـا النـاس بينهم لاتحمل على مايسره المعطى لها ولكن على مايعلن به المعطى إياها وإنما جعلت عهـد الله وميثاقه على الأمر ألـذى عرفه لا على الأمر ألذى لم يخطر له ببال فأبى فيروز ومضـى فى غزوته حتى انتهى إلى الهياطلة وتصاف الفريقان للقتال [صـفحه ١٠٩] فأرسـل أخشـنوار إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صـفيهم فخرج إليه فقال له أخشـنوار إنى قـدظننت أنه لم يـدعك إلى مقامك هـذا إلاالأنف مما أصابك ولعمرى إن كنا قداحتلنا لك بما رأيت لقد كنت التمسـت منا أعظم منه وماابتـدأناك ببغى و لاظلم و ماأردنا إلادفعك عن أنفسـنا وحريمنا ولقـد كنت جـديرا أن تكون من سوء مكافاتنا بمننـا عليك و على من معك و من نقض العهـد والميثاق ألـذى أكـدته على نفسك أعظم أنفا وأشـد امتعاضا مما نالك منا فإنا أطلقنـاكم وأنتم أسـارى ومننـا عليكم وأنتم على الهلكـة مشـرفون وحقنـا دمـاءكم ولنـا على سـفكها قـدرة وإنا لم نجبرك على ماشـرطت لنا بل كنت أنت الراغب إلينا فيه والمريـد لنا عليه ففكر فى ذلك وميز بين هـذين الأمرين فانظر أيهما أشد عارا وأقبح سماعا إن طلب رجل أمرا فلم يقدر له و لم ينجح فى طلبته وسـلك سبيلا فلم يظفر فيه ببغيته واستمكن منه عدوه على حال جهد وضـيعة منه وممن هم معه .فمن عليهم وأطلقهم على شرط شرطوه وأمر اصطلحوا عليه فاصطبر بمكروه القضاء واستحيا من الغدر والنكث أن يقال نقض العهـد وأخفر الميثاق مع أنى قـدظننت أنه يزيدك لجاجة ماتثق به من كثرة جنودك و ماترى من حسـن عدتهم و ماأجدنى أشك أنهم أوأكثرهم كارهون لما كان من شخوصك بهم عارفون بأنك قدحملتهم على غيرالحق ودعوتهم إلى مايسـخط الله وأنهم فى حربنا غيرمستبصـرين ونياتهم على مناصـحتك مدخولة.فانظر ماقدر غناء من يقاتل على هذه الحال و ماعسـى أن يبلغ نكايته فى عـدوه إذا كان عارفا بأنه إن ظفر فمع عار و إن قتل فإلى النار و أناأذكرك الله ألـذى جعلته [صـفحه

١١٠] على نفسك كفيلا وأذكرك نعمتى عليك و على من معك بعديأسكم من الحياة وإشفائكم على الممات وأدعوك إلى ما فيه حظك ورشدك من الوفاء بالعهد والاقتداء بآبائك وأسلافك الذين مضوا على ذلك فى كل ماأحبوه وكرهوه فأحمدوا عواقبه وحسن عليهم أثره . و مع ذلك فإنك لست على ثقة من الظفر بنا وبلوغ نهمتك فينا وإنما تلتمس أمرا يلتمس منك مثله وتنادى عدوا لعله يمنح النصر عليك فاقبل هذه النصيحة فقد بالغت فى الاحتجاج عليك وتقدمت بالإعذار إليك ونحن نستظهر بالله ألذى اعتذرنا إليه ووثقنا بما جعلت لنا من عهده إذااستظهرت بكثرة جنودك وازدهتك عدة أصحابك فدونك هذه النصيحة فبالله ما كان أحد من أصحابك يبالغ لك أكثر منها و لايزيدك عليها و لايحرمنك منفعتها مخرجها منى فإنه ليس يزرى بالمنافع والمصالح عندذوى الآراء صدورها عن الأعداء كما لاتحسن المضار أن تكون على أيدى الأصدقاء. واعلم أنه ليس يدعونى إلى ماتسمع من مخاطبتى إياك ضعف من نفسى و لا من قلة جنودى ولكنى أحببت أن ازداد بذلك حجة واستظهارا فأزداد به للنصر والمعونة من الله استيجابا و لاأوثر على العافية والسلامة شيئا ماوجدت إليهما سبيلا. فقال فيروز لست ممن يردعه عن الأمر يهم به الوعيد و لايصده التهدد والترهيب و لوكنت أرى ماأطلب غدرا منى إذا ما كان أحد أنظر و لاأشد إبقاء منى على نفسى و قديعلم الله أنى لم أجعل لك العهد والميثاق إلابما أضمرت فى نفسى فلايغرنك الحال التى كنت صادفتنا عليها من القلة والجهد والضعف . [صفحه ١١١] فقال أخشنوار لايغرنك ماتخدع به نفسك من حملك الحجر أمامك فإن الناس لوكانوا يعطون العهود على ماتصف من إسرار أمر وإعلان آخر إذا ما كان ينبغى لأحد أن يغتر بأمان أويثق بعهد و إذا ماقبل الناس شيئا مما كانوا يعطون من ذلك ولكنه وضع على العلانية و على نية من تعقد له العهود والشروط ثم انصرف . فقال فيروز لأصحابه لقد كان أخشنوار حسن المحاورة و مارأيت للفرس ألذى كان تحته نظيرا فى الدواب فإنه لم يزل قوائمه و لم يرفع حوافره عن مواضعها و لاصهل و لاأحدث شيئا يقطع به المحاورة فى طول ماتواقفنا. و قال أخشنوار لأصحابه لقد وافقت فيروز كماأرأيتم و عليه السلاح كله فلم يتحرك و لم ينزع رجله من ركابه و لاحنى ظهره و لاالتفت يمينا و لاشمالا ولقد تورکت أنامرارا وتمطيت على فرسى والتفت إلى من خلفى ومددت بصرى فيما أمامى و هومنتصب ساكن على حاله و لو لامحاورته إياى لظننت أنه لايبصرنى وإنما أراد بما وصفا من ذلك أن ينشر هذان الحديثان فى أهل عسكرهما فيشتغلوا بالإفاضة فيهما عن النظر فيما تذاكرا. فلما كان فى اليوم الثانى أخرج أخشنوار الصحيفة التى كتبها لهم فيروز ونصبها على رمح ليراها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره وبغيه ويخرجوا من متابعته على هواه فما هو إلا أن راوها حتى انتقض عسكرهم واختلفوا و ماتلبثوا إلايسيرا حتى انهزموا وقتل منهم خلق كثير وهلك فيروز فقال أخشنوار لقد صدق ألذى قال لامرد لماقدر و لا شيءأشد إحالة لمنافع الرأى من الهوى واللجاج و لاأضيع من نصيحة يمنحها من لايوطن نفسه على قبولها والصبر على مكروهها و لاأسرع عقوبة وأسوأ عاقبة من البغى والغدر و لاأجلب لعظيم العار والفضوح من الأنف وإفراط العجب [صفحه ١١٢]

١٥– و كان ع يقول إذالقى العدو محاربا

أَللّهُمّ إِلَيكَ أَفضَتِ القُلُوبُ وَ مُدّتِ الأَعنَاقُ وَ شَخَصَتِ الأَبصَارُ وَ نُقِلَتِ الأَقدَامُ وَ أُنضِيَتِ الأَبدَانُ أَللّهُمّ قَد صَرّحَ مَكنُونُ الشّنَآنِ وَ جَاشَت مَرَاجِلُ الأَضغَانِ أَللّهُمّ إِنّا نَشكُو إِلَيكَ غَيبَةَ نَبِيّنَا وَ كَثرَةَ عَدُوّنَا وَ تَشَتّتَ أَهوَائِنَارَبّنَا افتَح بَينَنا وَ بَينَ قَومِنا بِالحَقّ وَ أَنتَ خَيرُ الفاتِحِينَ -قرآن-٢٨٩-٣٦٢ أفضت القلوب أى دنت وقربت و منه أفضى الرجل إلى امرأته أى غشيها ويجوز أن يكون أفضت أى بسرها فحذف المفعول . وأنضيت الأبدان هزلت و منه النضو و هوالبعير المهزول . وصرح انكشف والشنئان البغضة. وجاشت تحركت واضطربت . والمراجل جمع مرجل وهى القدر. والأضغان الأحقاد واحدها ضغن . وأخذ سديف مولى

المنصور هذه اللفظة فكان يقول فی دعائه أللهم إنا نشكو [صفحه ۱۱۳] إليك غيبة نبينا وتشتت أهوائنا و ماشملنا من زيغ الفتن واستولی علينا من غشوة الحيرة حتی عاد فينا دولة بعدالقسمة وإمارتنا غلبة بعدالمشورة وعدنا ميراثا بعدالاختيار للأمة واشتريت الملاهی والمعازف بمال اليتيم والأرملة ورعی فی مال الله من لا يرعی له حرمة وحكم فی أبشار المؤمنين أهل الذمة وتولی القيام بأمورهم فاسق كل محلة فلاذائد يذودهم عن هلكة و لاراع ينظر إليهم بعين رحمة و لاذو شفقة يشبع الكبد الحری من مسغبة فهم أولو ضرع وفاقة وأسراء فقر ومسكنة وحلفاء كئابة وذلة أللهم و قداستحصد زرع الباطل وبلغ نهايته واستحكم عموده واستجمع طريده وحذف وليده وضرب بجرانه فأتح له من الحق يدا حاصدة تجذ سنامه وتهشم سوقه وتصرع قائمه ليستخفی الباطل بقبح حليته ويظهر الحق بحسن صورته . ووجدت هذه الألفاظ فی دعاء منسوب إلی علی بن الحسين زين العابدين ع ولعله من كلامه و قد كان سديف يدعو به [صفحه ۱۱۴]

۱۶- و كان يقول ع لأصحابه

اشاره

لَا تَشتَدّنّ عَلَيكُم فَرّةٌ بَعدَهَا كَرّةٌ وَ لَا جَولَةٌ بَعدَهَا حَملَةٌ وَ أَعطُوا السّيُوفَ حُقُوقَهَا وَ وَطّنُوا لِلجُنُوبِ مَصَارِعَهَا وَ اذمُرُوا أَنفُسَكُم عَلَی الطّعنِ الدعّسيِ‌ّ وَ الضّربِ الطّلَحفيِ‌ّ وَ أَمِيتُوا الأَصوَاتَ فَإِنّهُ أَطرَدُ لِلفَشَلِ وَ ألّذِی فَلَقَ الحَبّةَ وَ بَرَأَ النّسَمَةَ مَا أَسلَمُوا وَ لَكِن استَسلَمُوا وَ أَسَرّوا الكُفرَ فَلَمّا وَجَدُوا أَعوَاناً عَلَيهِ أَظهَرُوهُ قال لاتستصعبوا فرة تفرونها بعدها كرة تجبرون بها ماتكسر من حالكم وإنما ألذی ينبغی لكم أن تستصعبوه فرة لاكرة بعدها و هذاحض لهم علی أن يكروا ويعودوا إلی الحرب إن وقعت عليهم كسرة. ومثله قوله و لاجولة بعدها حملة والجولة هزيمة قريبة ليست بالممعنة. واذمروا أنفسكم من ذمره علی كذا أی حضه عليه والطعن الدعسی ألذی يحشی به أجواف الأعداء وأصل الدعس الحشو دعست الوعاء حشوته . وضرب طلحفی بكسر الطاء وفتح اللام أی شديد واللام زائدة. [صفحه ۱۱۵] ثم أمرهم بإماتة الأصوات لأن شدة الضوضاء فی الحرب أمارة الخوف والوجل . ثم أقسم أن معاوية وعمرا و من والاهما من قريش ماأسلموا ولكن استسلموا خوفا من السيف ونافقوا فلما قدروا علی إظهار ما فی أنفسهم أظهروه و هذايدل علی أنه ع جعل محاربتهم له كفرا. و قدتقدم فی شرح حال معاوية و مايذكره كثير من أصحابنا من فساد عقيدته ما فيه كفاية

نبذ من الأقوال المتشابهة فی الحرب

وأوصی أكثم بن صيفی قوما نهضوا إلی الحرب فقال ابرزوا للحرب وادرعوا الليل فإنه أخفی للويل و لاجماعة لمن اختلف واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل والمرء يعجز لامحالة. وسمعت عائشة يوم الجمل أصحابها يكبرون فقالت لاتكبروا هاهنا فإن كثرة التكبير عندالقتال من الفشل . و قال بعض السلف قدجمع الله أدب الحرب فی قوله تعالی يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُم فِئَةً فَاثبُتُواالآيتين . و قال عتبة بن ربيعة لقريش يوم بدر أ لاترونهم يعنی أصحاب النبی ص جثيا علی الركب يتلمظون تلمظ الحيات . وأوصی عبدالملك بن صالح أميرسرية بعثها فقال أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس ألذی إن وجد ربحا تجر و إلااحتفظ برأس المال و لاتطلب -قرآن-۳۳۵-۳۹۳ [صفحه ۱۱۶] الغنيمة حتی تحوز السلامة وكن من احتيالك علی عدوك

أشد حذرا من احتيال عدوك عليك . و فی الحدیث المرفوع إنه ص قال لزید بن حارثة لاتشق جیشک فإن الله تعالی ینصر القوم بأضعفهم -روایت-۱-۲-روایت-۴۹-۱۰۱ قال ابن عباس وذکر علیا ع مارأیت رئیسا یوزن به لقد رأیته یوم صفین وکأن عینیه سراجا سلیط و هویحمس أصحابه إلی أن انتهی إلی و أنا فی کنف فقال یامعشر المسلمین استشعروا الخشیة وتجلببوا السکینة وأکملوا اللأمة -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۲۲۳ ... الفصل المذکور فیما تقدم [صفحه ۱۱۷]

۱۷- و من کتاب له ع إلی معاویة جوابا عن کتاب منه إلیه

اشاره

وَ أَمّا طَلَبُکَ إِلَی الشّام فَإِنّی لَم أَکُن لِأُعطِیَکَ الیَومَ مَا مَنَعتُکَ أَمسِ وَ أَمّا قَولُکَ إِنّ الحَربَ قَد أَکَلتِ العَرَبَ إِلّا حُشَاشَاتِ أَنفُسٍ بَقِیَت أَلَا وَ مَن أَکَلَهُ الحَقّ فَإِلَی الجَنّةِ وَ مَن أَکَلَهُ البَاطِلُ فَإِلَی النّارِ وَ أَمّا استِوَاؤُنَا فِی الحَربِ وَ الرّجَالِ فَلَستَ بِأَمضَی عَلَی الشّکّ منِیّ عَلَی الیَقِینِ وَ لَیسَ أَهلُ الشّامِ بِأَحرَصَ عَلَی الدّنیَا مِن أَهلِ العِرَاقِ عَلَی الآخِرَةِ وَ أَمّا قَولُکَ إِنّا بَنُو عَبدِ مَنَافٍ فَکَذَلِکَ نَحنُ وَ لَکِن لَیسَ أُمَیّةُ کَهَاشِمٍ وَ لَا حَربٌ کَعَبدِ المُطّلِبِ وَ لَا أَبُو سُفیَانَ کَأَبِی طَالِبٍ وَ لَا المُهَاجِرُ کَالطّلِیقِ وَ لَا الصّرِیحُ کَاللّصِیقِ وَ لَا المُحِقّ کَالمُبطِلِ وَ لَا المُؤمِنُ کَالمُدغِلِ وَ لَبِئسَ الخَلفُ خَلفٌ یَتبَعُ سَلَفاً هَوَی فِی نَارِ جَهَنّمَ وَ فِی أَیدِینَا بَعدُ فَضلُ النّبُوّةِ التّیِ أَذلَلنَا بِهَا العَزِیزَ وَ نَعَشنَا بِهَا الذّلِیلَ وَ لَمّا أَدخَلَ اللّهُ العَرَبَ فِی دِینِهِ أَفوَاجاً وَ أَسلَمَت لَهُ هَذِهِ الأُمّةُ طَوعاً وَ کَرهاً کُنتُم مِمّن دَخَلَ فِی الدّینِ إِمّا رَغبَةً وَ إِمّا رَهبَةً عَلَی حِینَ فَازَ أَهلُ السّبقِ بِسَبقِهِم وَ ذَهَبَ المُهَاجِرُونَ الأَوّلُونَ بِفَضلِهِم فَلَا تَجعَلَنّ لِلشّیطَانِ فِیکَ نَصِیباً وَ لَا عَلَی نَفسِکَ سَبِیلًا وَ السّلَامُ [صفحه ۱۱۸] یقال طلبت إلی فلان کذا والتقدیر طلبت کذا راغبا إلی فلان کما قال تعالی فِی تِسعِ آیاتٍ إِلی فِرعَونَ أی مرسلا. ویروی إلاحشاشة نفس بالإفراد و هوبقیة الروح فی بدن المریض . وروی ألا و من أکله الحق فإلی النار و هذه الروایة ألیق من الروایة المذکورة فی أکثر الکتب لأن الحق یأکل أهل الباطل و من روی تلک الروایة أضمر مضافا تقدیره أعداء الحق ومضافا آخر تقدیره أعداء الباطل ویجوز أن یکون من أکله الحق فإلی الجنة أی من أفضی به الحق ونصرته والقیام دونه إلی القتل فإن مصیره إلی الجنة فیسمی الحق لماکانت نصرته کالسبب إلی القتل أکلا لذلک المقتول وکذلک القول فی الجانب الآخر. و کان الترتیب یقتضی أن یجعل هاشما بإزاء عبدشمس لأنه أخوه فی قعدد وکلاهما ولد عبدمناف لصلبه و أن یکون أمیة بإزاء عبدالمطلب و أن یکون حرب بإزاء أبی طالب و أن یکون أبوسفیان بإزاء أمیر المؤمنین ع لأن کل واحد من هؤلاء فی قعدد صاحبه إلا أن أمیر المؤمنین ع لما کان فی صفین بإزاء معاویة اضطر إلی أن جعل هاشما بإزاء أمیة بن عبدشمس . فإن قلت فهلا قال و لا أناکانت قلت قبیح أن یقال ذلک کما لایقال السیف أمضی من العصا بل قبیح به أن یقولها مع أحد من المسلمین کافة نعم قدیقولها لاتصریحا بل تعریضا لأنه یرفع نفسه علی أن یقیسها بأحد. وهاهنا قدعرض بذلک فی قوله و لاالمهاجر کالطلیق فإن قلت فهل معاویة -قرآن-۷۷-۱۰۵ [صفحه ۱۱۹] من الطلقاء قلت نعم کل من دخل علیه رسول الله ص مکة عنوة بالسیف فملکه ثم من علیه عن إسلام أو غیرإسلام فهو من الطلقاء ممن لم یسلم کصفوان بن أمیة و من أسلم کمعاویة بن أبی سفیان وکذلک کل من أسر فی حرب رسول الله ص ثم امتن علیه بفداء أوبغیر فداء فهو طلیق فممن امتن علیه بفداء کسهیل بن عمرو وممن امتن علیه بغیر فداء أبوعزة الجمحی وممن امتن علیه معاوضة أی أطلق لأنه بإزاء أسیر من المسلمین عمرو بن أبی سفیان بن حرب کل هؤلاء معدودون من الطلقاء. فإن قلت فما معنی قوله و لاالصریح کاللصیق وهل کان فی نسب معاویة شبهة لیقول له هذا. قلت کلا إنه لم یقصد ذلک وإنما أراد الصریح بالإسلام واللصیق فی الإسلام فالصریح

فیه هو من أسلم اعتقادا وإخلاصا واللصیق فیه من أسلم تحت السیف أورغبهٔ فی الدنیا و قدصرح بذلک فقال کنتم ممن دخل فی هذاالدین إما رغبهٔ وإما رهبهٔ. فإن قلت فما معنی قوله ولبئس الخلف خلفا یتبع سلفا هوی فی نار جهنم وهل یعاب المسلم بأن سلفه کانوا کفارا. قلت نعم إذاتبع آثار سلفه واحتذی حذوهم و أمیر المؤمنین ع ماعاب معاویهٔ بأن سلفه کفار فقط بل بکونه متبعا لهم . قوله ع و فی أیدینا بعدفضل النبوهٔ أی إذافرضنا تساوی الأقدام فی مآثر أسلافکم کان فی أیدینا بعدالفضل علیکم بالنبوهٔ التی نعشنا بهاالخامل وأخملنا بهاالنبیه . قوله ع علی حین فاز أهل السبق قال قوم من النحاهٔ [صفحه ۱۲۰] حین مبنی هاهنا علی الفتح و قال قوم بل منصوب لإضافته إلی الفعل . قوله ع فلاتجعلن للشیطان فیک نصیبا أی لاتستلزم من أفعالک مایدوم به کون الشیطان ضاربا فیک بنصیب لأنه ماکتب إلیه هذه الرسالهٔ إلا بعد أن صار للشیطان فیه أوفر نصیب وإنما المراد نهیه عن دوام ذلک واستمراره

ذکر بعض ما کان بین علی ومعاویهٔ یوم صفین

وذکر نصر بن مزاحم بن بشار العقیلی فی کتاب صفین أن هذاالکتاب کتبه علی ع إلی معاویهٔ قبل لیلهٔ الهریر بیومین أوثلاثهٔ قال نصر أظهر علی ع أنه مصبح معاویهٔ ومناجز له وشاع ذلک من قوله ففزع أهل الشام لذلک وانکسروا لقوله و کان معاویهٔ بن الضحاک بن سفیان صاحب رایهٔ بنی سلیم مع معاویهٔ مبغضا لمعاویهٔ و أهل الشام و له هوی مع أهل العراق و علی بن أبی طالب ع و کان یکتب بأخبار معاویهٔ إلی عبد الله بن الطفیل العامری و هو مع أهل العراق فیخبر بهاعلیا ع فلما شاعت کلمهٔ علی ع وجل لها أهل الشام وبعث ابن الضحاک إلی عبد الله بن الطفیل إنی قائل شعرا أذعر به أهل الشام وأرغم به معاویهٔ و کان معاویهٔ لایتهمه و کان له فضل ونجدهٔ ولسان فقال لیلا لیستمع أصحابه ألا لیت هذااللیل أطبق سرمدا || علینا وإنا لانری بعده غدا و یالیته إن جاءنا بصباحه || وجدنا إلی مجری الکواکب مصعدا حذار علی إنه غیرمخلف || مدی الدهر مالب الملبون موعدا و أماقراری فی البلاد فلیس لی || مقام و إن جاوزت جابلق مصعدا [صفحه ۱۲۱] کأنی به فی الناس کاشف رأسه || علی ظهر خوار الرحالهٔ أجردا یخوض غمار الموت فی مرجحنهٔ || ینادون فی نقع العجاج محمدا فوارس بدر والنضیر وخیبر || وأحد یهزون الصفیح المهندا و یوم حنین جالدوا عن نبیهم || فریقا من الأحزاب حتی تبددا هنالک لاتلوی عجوز علی ابنها || و إن أکثرت من قول نفسی لک الفدا فقل لا بن حرب ما ألذی أنت صانع || أتثبت أم ندعوک فی الحرب قعددا فلارأی إلاترکنا الشام جهرهٔ || و إن أبرق الفجفاج فیها وأرعدا . فلما سمع أهل الشام شعره أتوا به معاویهٔ فهم بقتله ثم راقب فیه قومه فطرده من الشام فلحق بمصر وندم معاویهٔ علی تسییره إیاه و قال معاویهٔ لشعر السلمی أشد علی أهل الشام من لقاء علی ما له قاتله الله لوصار خلف جابلق مصعدا لم یأمن علیا أ لاتعلمون ماجابلق یقوله لأهل الشام قالوا لا قال مدینهٔ فی أقصی المشرق لیس بعدها شیء. قال نصر وتناقل الناس کلمهٔ علی ع لأناجزنهم مصبحا فقال الأشتر قددنا الفضل فی الصباح وللسلم || رجال وللحروب رجال [صفحه ۱۲۲] فرجال الحروب کل خدب || مقحم لاتهده الأهوال یضرب الفارس المدجج بالسیف || إذافر فی الوغا الأکفال یا ابن هند شد الحیازیم للموت || و لاتذهبن بک الآمال إن فی الصبح إن بقیت لأمرا || تتفادی من هوله الأبطال فیه عزالعراق أوظفر الشام || بأهل العراق والزلزال فاصبروا للطعان بالأسل السمر || وضرب تجری به الأمثال إن تکونوا قتلتم النفر البیض || وغالت أولئک الآجال فلنا مثلهم غداهٔ التلاقی || وقلیل من مثلهم أبدال یخضبون الوشیج طعنا إذا || جرت من الموت بینهم أذیال طلب الفوز فی المعاد و فیه || تستهان النفوس والأموال . قال فلما انتهی إلی معاویهٔ شعر الأشتر قال شعر منکر من شاعر منکر رأس أهل العراق وعظیمهم ومسعر حربهم وأول الفتنهٔ وآخرها قدرأیت أن أعاود علیا وأسأله إقراری علی الشام فقد کنت

كتبت إليه ذلك فلم يجب إليه ولأكتبن ثانية فألقى فى نفسه الشك والرقة فقال له عمرو بن العاص وضحك أين أنت يامعاوية من خدعة على قال ألسنا بنى عبدمناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك و إن شئت أن تكتب فاكتب فكتب معاوية إلى على ع مع رجل من السكاسك يقال له عبد الله بن عقبة و كان من نافلة أهل العراق أما بعدفإنك لوعلمت أن الحرب تبلغ بنا وبك مابلغت لم يجنها بعضنا على [صفحه ۱۲۳] بعض ولئن كنا قدغلبنا على عقولنا لقد بقى لنا منها ماننده به على مامضى ونصلح به مابقى و قدكنت سألتك الشام على أن تلزمنى لك بيعة وطاعة فأبيت ذلك على فأعطانى الله مامنعت و أناأدعوك اليوم إلى مادعوتك إليه أمس فإنى لاأرجو من البقاء إلاـ ماترجو و لاأخاف من الموت إلا ماتخاف و قد و الله فارقت الأجناد وذهبت الرجال ونحن بنو عبدمناف ليس لبعضنا على بعض فضل إلافضل لايستذل به عزيز و لايسترق به حر و السلام . فلما انتهى كتاب معاوية إلى على ع قرأه ثم قال العجب لمعاوية وكتابه ودعا عبيد بن أبى رافع كاتبه فقال اكتب جوابه أما بعدفقد جاءنى كتابك تذكر أنك لوعلمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بنا وبك مابلغت لم يجنها بعضنا على بعض فإنى لوقتلت فى ذات الله وحييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم أرجع عن الشدة فى ذات الله والجهاد لأعداء الله و أماقولك إنه قدبقى من عقولنا ماننده به على مامضى فإنى مانقصت عقلى و لاندمت على فعلى و أماطلبك الشام فإنى لم أكن أعطيك اليوم مامنعتك أمس و أمااستواؤنا فى الخوف والرجاء فلست أمضى على الشك منى على اليقين و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة و أماقولك إنا بنو عبدمناف ليس لبعضنا فضل على بعض فلعمرى إنا بنو أب واحد ولكن ليس أمية كهاشم و لاحرب كعبد المطلب و لاالمهاجر كالطليق و لاالمحق كالمبطل و فى أيدينا بعدفضل النبوة التى أذللنا بهاالعزيز وأعززنا بهاالذليل و السلام – روايت-۱-۸۸۱ . فلما أتى معاوية كتاب على ع كتمه عن عمرو بن العاص أياما ثم دعاه [صفحه ۱۲۴] فاقرأه إياه فشمت به عمرو و لم يكن أحد من قريش أشد إعظاما لعلى من عمرو بن العاص منذ يوم لقيه وصفح عنه فقال عمرو فيما كان أشار به على معاوية ألاـ لله درك يا ابن هند || ودر الأمرين لك الشهود أتطمع لا أبا لك فى على || و قدقرع الحديد على الحديد وترجو أن تحيره بشك || وتأمل أن يهابك بالوعيد و قدكشف القناع وجر حربا || يشيب لهولها رأس الوليد له جأواء مظلمة طحون || فوارسها تلهب كالأسود يقول لها إذارجعت إليه || و قدملت طعان القوم عودى فإن وردت فأولها ورودا || و إن صدت فليس بذى صدود و ماهى من أبى حسن بنكر || و لا هو من مسائك بالبعيد و قلت له مقالة مستكين || ضعيف الركن منقطع الوريد دعن لى الشام حسبك يا ابن هند || من السوآة والرأى الزهيد و لوأعطاكهاماازددت عزا || و لا لك لوأجابك من مزيد فلم تكسر بذاك الرأى عودا || لركته و لا مادون عود . فلما بلغ معاوية شعر عمرو دعاه فقال له العجب لك تفيل رأيى وتعظم عليا و قدفضحك فقال أماتفييلى رأيك فقد كان و أماإعظامى عليا فإنك بإعظامه أشد معرفة منى ولكنك تطويه و أناأنشره و أمافضيحتى فلم يفتضح امرؤ لقى أباحسن [صفحه ۱۲۵]

۱۸– و من كتاب له ع إلى عبد الله بن عباس و هوعامله على البصرة

اشاره

وَ اعلَم أَنّ البَصرَةَ مَهبِطُ إِبلِيسَ وَ مَغرِسُ الفِتَنِ فَحَادِث أَهلَهَا بِالإِحسَانِ إِلَيهِم وَ احلُل عُقدَةَ الخَوفِ عَن قُلُوبِهِم وَ قَد بلَغَنَي تَنَمّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَ غِلظَتُكَ عَلَيهِم وَ إِنّ بنَيِ تَمِيمٍ لَم يَغِب لَهُم نَجمٌ إِلّا طَلَعَ لَهُم آخَرُ وَ إِنّهُم لَم يُسبَقُوا بِوَغمٍ فِي جَاهِلِيّةٍ وَ لَا إِسلَامٍ وَ إِنّ لَهُم بِنَا رَحِماً مَاسّةً وَ قَرَابَةً خَاصّةً نَحنُ مَأجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَ مَأزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا فَاربَع أَبَا العَبّاسِ رَحِمَكَ اللّهُ فِيمَا جَرَى

عَلَى يَدِكَ وَ لِسَانِكَ مِن خَيرٍ وَ شَرّ فَإِنّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ وَ كُن عِندَ صَالِحِ ظَنّيّ بِكَ وَ لَا يَفِيلَنّ رأَيِي فِيكَ وَ السّلَامُ قوله ع مهبط إبليس موضع هبوطه . ومغرس الفتن موضع غرسها ويروى ومغرس الفتن و هوالموضع ألذى ينزل فيه القوم آخر الليل للاستراحة يقال غرسوا وأغرسوا. و قوله ع فحادث أهلها أى تعهدهم بالإحسان من قولك حادثت السيف بالصقال . [صفحه ١٢٦] والتنمر للقوم الغلظة عليهم والمعاملة لهم بأخلاق النمر من الجرأة والوثوب وسنذكر تصديق قوله ع لم يغب لهم نجم إلاطلع لهم آخر. والوغم الترة والأوغام الترات أى لم يهدر لهم دم فى جاهلية و لاإسلام يصفهم بالشجاعة والحمية. ومأزورون كان أصله موزورون ولكنه جاء بالألف ليحاذى به ألف مأجورون و قد قال النبى ص مثل ذلك . قوله ع فاربع أباالعباس أى قف وتثبت فى جميع ماتعتمده فعلاـ وقولاـ من خير وشر و لاتعجل به فإنى شريكك فيه إذ أنت عاملى والنائب عنى. ويعنى بالشر هاهنا الضرر فقط لاالظلم والفعل القبيح . قوله ع وكن عندصالح ظنى فيك أى كن واقفا عنده كأنك تشاهده فتمنعك مشاهدته عن فعل ما لايجوز.فال الرأى يفيل أى ضعف وأخطأ

فصل فى بنى تميم وذكر بعض فضائلهم

و قدذكر أبوعبيدة معمر بن المثنى فى كتاب التاج أن لبنى تميم مآثر لم يشركهم فيهاغيرهم أمابنو سعد بن زيد مناة فلها ثلاث خصال يعرفها العرب إحداها كثرة العدد فإنه أضعف عددها على بنى تميم حتى ملأت السهل والجبل عدلت مضر كثرة وعامة العدد منها فى كعب بن سعد بن زيد مناة ولذلك قال أوس بن مغراء [صفحه ١٢٧] كعبى من خير الكعاب كعبا || من خيرها فوارسا وعقبا تعدل جنبا وتميم جنبا . و قال الفرزدق أيضا فيهم هذه الأبيات لوكنت تعلم مابرمل مويسل || فقرى عمان إلى ذوات حجور لعلمت أن قبائلاـ وقبائلاـ || من آل سعد لم تدن لأمير . و قال أيضا تبكى على سعد وسعد مقيمة || بيبرين قدكادت على الناس تضعف ولذلك كانت تسمى سعد الأكثرين و فى المثل فى كل واد بنو سعد. والثانية الإفاضة فى الجاهلية كان ذلك فى بنى عطارد وهم يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى قام الإسلام وكانوا إذااجتمع الناس أيام الحج بمنى لم يبرح أحد من الناس دينا وسنة حتى يجوز القائم بذلك من آل كرب بن صفوان و قال أوس بن مغراء و لايريمون فى التعريف موقفهم || حتى يقال أجيزوا آل صفوانا . و قال الفرزدق إذا ماالتقينا بالمحصب من منى || صبيحة يوم النحر من حيث عرفوا ترى الناس ماسرنا يسيرون حولنا || و إن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا . والثالثة أن منهم أشرف بيت فى العرب ألذى شرفته ملوك لخم قال المنذر بن المنذر بن ماء السماء ذات يوم وعنده وفود العرب ودعا ببردى أبيه محرق بن المنذر فقال ليلبس هذين أعز العرب وأكرمهم حسبا فأحجم الناس فقال أحيمر بن [صفحه ١٢٨] خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم أنالهما قال الملك بما ذا قال بأن مضر أكرم العرب وأعزها وأكثرها عديدا و أن تميما كاهلها وأكثرها و أن بيتها وعددها فى بنى بهدلة بن عوف و هوجدى فقال هذا أنت فى أصلك وعشيرتك فكيف أنت فى عترتك وأدانيك . قال أنا أبوعشرة وأخو عشرة وعم عشرة فدفعهما إليه و إلى هذاأشار الزبرقان بن بدر فى قوله وبردا ابن ماء المزن عمى اكتساهما || بفضل معد حيث عدت محاصله قال أبوعبيدة ولهم فى الإسلام خصلة قدم قيس بن عاصم المنقرى على رسول الله ص فى نفر من بنى سعد فقال له رسول الله ص هذاسيد أهل الوبر فجعله سيد خندف وقيس ممن يسكن الوبر. قال و أمابنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فلهم خصال كثيرة قال فى بنى دارم بن مالك بن حنظلة و هوبيت مضر فمن ذلك زرارة بن عدس بن زيد بن دارم يقال إنه أشرف البيوت فى بنى تميم و من ذلك قوس حاجب بن زرارة المرهونة عندكسرى عن مضر كلها و فى ذلك قيل وأقسم كسرى لايصالح واحدا || من الناس حتى يرهن القوس حاجب . و من ذلك فى بنى مجاشع بن دارم صعصعة بن

ناجیۀ بن عقال بن محمد بن سفیان بن مجاشع و هوأول من أحیا الوئید قام الإسلام و قداشتری ثلاثمائۀ موءودۀ فأعتقهن ورباهن وکانت العرب تئد البنات خوف الإملاق . و من ذلک غالب بن صعصعۀ و هو أبوالفرزدق وغالب هو ألذی قری مائۀ ضیف واحتمل عشر دیات لقوم لایعرفهم و کان من حدیث ذلک أن بنی کلب [صفحه ۱۲۹] بن وبرۀ افتخرت بینها فی أندیتها فقالت نحن لباب العرب وقلبها ونحن الذین لاننازع حسبا وکرما فقال شیخ منهم إن العرب غیرمقرۀ لکم بذلک إن لها أحسابا و إن منها لبابا و إن لها فعالا ولکن ابعثوا مائۀ منکم فی أحسن هیئۀ وبزۀ ینفرون من مروا به فی العرب ویسألونه عشر دیات و لاینتسبون له فمن قرأهم وبذل لهم الدیات فهو الکریم ألذی لاینازع فضلا فخرجوا حتی قدموا علی أرض بنی تمیم وأسد فنفروا الأحیاء حیا فحیا وماء فماء لایجدون أحدا علی مایریدون حتی مروا علی أکثم بن صیفی فسألوه ذلک فقال من هؤلاء القتلی و من أنتم و ماقصتکم فإن لکم لشأنا باختلافکم فی کلامکم فعدلوا عنه ثم مروا بقتیبۀ بن الحارث بن شهاب الیربوعی فسألوه عن ذلک فقال من أنتم قالوا من کلب بن وبرۀ فقال إنی لأبغی کلبا بدم فإن انسلخ الأشهر الحرم وأنتم بهذه الأرض وأدرککم الخیل نکلت بکم وأثکلتکم أمهاتکم فخرجوا من عنده مرعوبین فمروا بعطارد بن حاجب بن زرارۀ فسألوه ذلک فقال قولوا بیانا وخذوها فقالوا أما هذافقد سألکم قبل أن یعطیکم فترکوه ومروا ببنی مجاشع بن دارم فأتوا علی واد قدامتلأ إبلا فیهاغالب بن صعصعۀ یهنأ منها إبلا فسألوه القری والدیات فقال هاکم البزل قبل النزول فابتزوها من البرک وحوزوا دیاتکم ثم انزلوا فتنزلوا وأخبروه بالحال وقالوا أرشدک الله من سید قوم لقد أرحتنا من طول النصب و لوعلمنا لقصدنا إلیک فذلک قول الفرزدق فلله عینا من رأی مثل غالب || قری مائۀ ضیفا و لم یتکلم وإذ نبحت کلب علی الناس إنهم || أحق بتاج الماجد المتکرم [صفحه ۱۳۰] فلم یجل عن أحسابها غیرغالب || جری بعنانی کل أبلج خضرم قال فأما بنو یربوع بن حنظلۀ فمنهم ثم من بنی ریاح بن یربوع عتاب بن هرمی بن ریاح کانت له ردافۀ الملوک ملوک آل المنذر وردافۀ الملک أن یثنی به فی الشرب و إذاغاب الملک خلفه فی مجلسه وورث ذلک بنوه کابرا عن کابر حتی قام الإسلام قال لبید بن ربیعۀ وشهدت أنجیۀ الأکارم غالبا || کعبی وأرداف الملوک شهود ویربوع أول من قتل قتیلا ـ من المشرکین و هوواقد بن عبد الله بن ثعلبۀ بن یربوع حلیف عمر بن الخطاب قتل عمرو بن الحضرمی فی سریۀ نخلۀ فقال عمر بن الخطاب یفتخر بذلک سقینا من ابن الحضرمی رماحنا || بنخلۀ لماأوقد الحرب واقد وظل ابن عبد الله عثمان بیننا || ینازعه غل من القد عاند . ولها جواد العرب کلها فی الإسلام بدأ العرب کلها جودا خالد بن عتاب بن ورقاء الریاحی دخل الفرزدق علی سلیمان بن عبدالملک و کان یشنؤه لکثرۀ بأوه وفخره فتهجمه وتنکر له وأغلظ فی خطابه حتی قال من أنت لا ـ أم لک قال أ و ماتعرفنی یا أمیر المؤمنین أنا من حی هم من أوفی العرب وأحلم العرب وأسود العرب وأجود العرب وأشجع العرب وأشعر العرب فقال سلیمان و الله لتحتجن لماذکرت أولأوجعن ظهرک ولأبعدن دارک قال أماأوفی العرب فحاجب بن زرارۀ رهن قوسه عن العرب کلها وأوفی و أماأحلم العرب فالأحنف بن قیس یضرب به المثل حلما و أماأسود العرب فقیس بن عاصم قال له رسول الله ص هذاسید أهل الوبر [صفحه ۱۳۱] و أماأشجع العرب فالحریش بن هلال السعدی و أماأجود العرب فخالد بن عتاب بن ورقاء الریاحی و أماأشعر العرب فها أناذا عندک قال سلیمان فما جاء بک لا شیء لک عندنا فارجع علی عقبک وغمه ماسمع من عزۀ و لم یستطع له ردا فقال الفرزدق فی أبیات أتیناک لا من حاجۀ عرضت لنا || إلیک و لا من قلۀ فی مجاشع . قلت و لوذکر عتیبۀ بن الحارث بن شهاب الیربوعی و قال إنه أشجع العرب لکان غیرمدافع قالوا کانت العرب تقول لووقع القمر إلی الأرض لماالتقفه إلاعتیبۀ بن الحارث لثقافته بالرمح و کان یقال له صیاد الفوارس وسم الفوارس و هو ألذی أسر بسطام بن قیس و هوفارس ربیعۀ وشجاعها ومکث عنده فی القید مدۀ حتی استوفی فداءه وجز ناصیته وخلی سبیله علی ألا یغزو بنی یربوع وعتیبۀ هذا هوالمقدم علی فرسان العرب کلها فی کتاب طبقات الشجعان ومقاتل الفرسان ولکن الفرزدق لم یذکره و إن کان تمیمیا لأن جریرا یفتخر به لأنه من بنی یربوع فحملته عداوۀ جریر علی أن عدل عن ذکره .

قال أبوعبيدة ولبنى عمرو بن تميم خصال تعرفها لهم العرب و لاينازعهم فيهاأحد فمنها أكرم الناس عما وعمة وجدا وجدة و هوهند بن أبى هالة واسم أبى هالة نباش بن زرارة أحد بنى عمرو بن تميم كانت خديجة بنت خويلد قبل [صفحه ۱۳۲] النبى ص تحت أبى هالة فولدت له هندا ثم تزوجها رسول الله ص وهند بن أبى هالة غلام صغير فتبناه النبى ص ثم ولدت خديجة من رسول الله ص القاسم والطاهر وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة فكان هند بن أبى هالة أخاهم لأمهم ثم أولد هند بن أبى هالة هند بن هند فهند الثانى أكرم الناس جدا وجدة يعنى رسول الله ص وخديجة وأكرم الناس عما وعمة يعنى بنى النبى ص وبناته . ومنها أن لهم أحكم العرب فى زمانه أكثم بن صيفى أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم كان أكثر أهل الجاهلية حكما ومثلا وموعظة سائرة. ومنها ذو الأعواز كان له خراج على مضر كافة تؤديه إليه فشاخ حتى كان يحمل على سرير يطاف به على مياه العرب فيؤدى إليه الخراج و قال الأسود بن يعفر النهشلى و كان ضريرا ولقد علمت خلاف ماتناشى || أن السبيل سبيل ذى الأعواز . ومنها هلال بن أحوز المازنى ألذى ساد تميما كلها فى الإسلام و لم يسدها غيره . قال ودخل خالد بن عبدالرحمن بن الوليد بن المغيرة المخزومى مسجد الكوفة فانتهى إلى حلقة فيها أبوالصقعب التيمى من تيم الرباب والمخزومى لايعرفه و كان أبوالصقعب من أعلم الناس فلما سمع علمه وحديثه حسده فقال له ممن الرجل قال من تيم الرباب فظن المخزومى أنه وجد فرصة فقال و الله ما أنت من سعد الأكثرين و لا من حنظلة الأكرمين و لا من عمرو الأشدين فقال أبوالصقعب فممن أنت قال من بنى مخزوم قال و الله ما أنت من هاشم المنتخبين و لا من أمية المستخلفين [صفحه ۱۳۳] و لا من عبدالدار المستحجبين فبم تفخر قال نحن ريحانة قريش قال أبوالصقعب قبحا لماجئت به وهل تدرى لم سميت مخزوم ريحانة قريش سميت لحظوة نسائها عندالرجال فأفحمه روى أبوالعباس المبرد فى كتاب الكامل أن معاوية قال للأحنف بن قيس وجارية بن قدامة ورجال من بنى سعد معهما كلاما أحفظهم فردوا عليه جوابا مقذعا وامرأته فاختة بنت قرظة فى بيت يقرب منهم وهى أم عبد الله بن معاوية فسمعت ذلك فلما خرجوا قالت يا أمير المؤمنين لقد سمعت من هؤلاء الأجلاف كلاما تلقوك به فلم تنكر فكدت أن أخرج إليهم فأسطو بهم فقال معاوية إن مضر كأهل العرب وتميما كأهل مضر وسعدا كأهل تميم وهؤلاء كأهل سعد. وروى أبوالعباس أيضا أن عبدالملك ذكر يوما بنى دارم فقال أحد جلسائه يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون يعنى فى كثرة النسل ونماء الذرية فلذلك انتشر صيتهم فقال عبدالملك ماتقول هذا و قدمضى منهم لقيط بن زرارة و لم يخلف عقبا ومضى قعقاع بن معبد بن زرارة و لم يخلف عقبا ومضى محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة و لم يخلف عقبا و الله لاتنسى العرب هذه الثلاثة أبدا. قال أبوالعباس إن الأصمعى قال إن حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا فى المسجد الجامع قال فبعثت و أناغلام إلى ضرار بن القعقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فإذا به فى شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب فخبرته بمجتمع القوم فأمهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصحفة وصاح ياجارية غدينا فأتته بزيت وتمر فدعانى فقذرته [صفحه ۱۳۴] أن آكل معه حتى إذاقضى من أكله وحاجته وطرا وثب إلى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح ياجارية اسقينى ماء فأتته بماء فشربه ومسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدى شكر هذه النعم ثم قال على بردائى فأتته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة قال الأصمعى فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى إلى القوم فلم تبق حبوة إلاحلت إعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء فى ماله ثم انصرف . قال أبوالعباس وحدثنى أبوعثمان المازنى عن أبى عبيدة قال لماأتى زياد بن عمرو المربد فى عقب قتل مسعود بن عمرو العتكى وجاء زياد بن عمرو بن الأشرف العتكى ليثأر به من بنى تميم صف أصحابه فجعل فى الميمنة بكر بن وائل و فى الميسرة عبدالقيس وهم لكيز بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة و كان زياد بن عمرو العتكى فى القلب فبلغ ذلك الأحنف بن قيس فقال هذاغلام حدث شأنه الشهرة و ليس يبالى أين قذف بنفسه فندب أصحابه

فجاءه حارثة بن بدر الغدانى و قداجتمعت بنو تميم فلما أتى قال قوموا إلى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعدا والرباب فى القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف بأخى كهمس و هوأحد بنى صريم بن يربوع فكانوا بحذاء زياد بن عمرو و من معه من الأزد وجعل حارثة بن بدر الغدانى فى بنى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وجعل عمرو بن تميم بحذاء عبدالقيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للأحنف سيكفيك عبس أخو كهمس || مقارعة الأزد فى المربد ويكفيك عمرو على رسلها || لكيز بن أفصى و ماعددوا [صفحه ١٣٥] ونكفيك بكرا إذاأقبلت || بضرب يشيب له الأمرد ولكيز بن أفصى تعم عبدالقيس قال فلما تواقفوا بعث إليهم الأحنف يامعشر الأزد من اليمن وربيعة من أهل البصرة أنتم و الله أحب إلينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا فى الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حريمنا وحرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا و لاحاجة لنا فى الشر ماطلبنا فى الخير مسلكا فتيمموا بنا طريقة مستقيمة فوجه إليه زياد بن عمرو تخير خلة من ثلاث إن شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا و إن شئت فخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك إلى حيث شئتم و إلافدوا قتلانا وأهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة. قال أبوالعباس وتأويل قوله دية المشعرة يريد أمر الملوك فى الجاهلية و كان الرجل إذاقتل و هو من أهل بيت المملكة ودى عشر ديات فبعث إليه الأحنف سنختار فانصرفوا فى يومكم فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث الأحنف إليهم إنكم خيرتمونا خلالا ـ ليس لنا فيهاخيار أماالنزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر و أماترك ديارنا فهو أخو القتل قال الله عز و جل وَ لَو أَنّا كَتَبنا عَلَيهِم أَنِ اقتُلُوا أَنفُسَكُم أَوِ اخرُجُوا مِن دِيارِكُم ما فَعَلُوهُ إِلّا قَلِيلٌ ولكن الثالثة إنما هى حمل على المال فنحن نبطل دماءنا وندى قتلاكم وإنما مسعود رجل من المسلمين و قدأذهب الله عز و جل أمر الجاهلية فاجتمع القوم على أن يقفوا أمر مسعود ويغمدوا السيف وتودى سائر القتلى من الأزد وربيعة فضمن ذلك الأحنف ودفع إليهم إياس بن قتادة المجاشعى رهينة حتى يؤدى هذاالمال فرضى به القوم ففخر بذلك الفرزدق فقال لجرير –قرآن-٩١٣-١٠٢١ [صفحه ١٣٦] ومنا ألذى أعطى يديه رهينة || لغارى معد يوم ضرب الجماجم عشية سال المربدان كلاهما || عجاجة موت بالسيوف الصوارم هنالك لوتبغى كليبا وجدتها || أذل من القردان تحت المناسم ويقال إن تميما فى ذلك الوقت مع باديتها وحلفائها من الأساورة والزط والسبابجة وغيرهم كانوا زهاء سبعين ألفا و فى ذلك يقول جرير سائل ذوى يمن ورهط محرق || والأزد إذ ندبوا لنا مسعودا فأتاهم سبعون ألف مدجج || متسربلين يلامقا وحديدا . قال الأحنف بن قيس فكثرت على الديات فلم أجدها فى حاضرة تميم فخرجت نحو يبرين إلى بادية تميم فسألت عن المقصود هناك فأرشدت إلى قبة فإذاشيخ جالس بفنائها مؤتزر بشملة محتب بحبل فسلمت عليه وانتسبت له فقال لى مافعل رسول الله ص قلت توفى قال فما فعل عمر بن الخطاب ألذى كان يحفظ العرب ويحوطها قلت توفى قال فأى خير فى حاضرتكم بعدهما قال فذكرت له الديات التى لزمتنا للأزد وربيعة قال فقال لى أقم فإذاراع قدأراح عليه ألف بعير فقال خذها ثم أراح علينا آخر مثلها فقال خذها فقلت لاأحتاج إليها قال فانصرفت بالألف عنه و و الله ماأدرى من هو إلى الساعة [صفحه ١٣٧]

١٩– و من كتاب له ع إلى بعض عماله

أَمّا بَعدُ فَإِنّ دَهَاقِينَ أَهلِ بَلَدِكَ شَكَوا مِنكَ غِلظَةً وَ قَسوَةً وَ احتِقَاراً وَ جَفوَةً وَ نَظَرتُ فَلَم أَرَهُم أَهلًا لِأَنّ يُدنَوا لِشِركِهِم وَ لَا أَن يُقصَوا وَ يُجفَوا لِعَهدِهِم فَالبَس لَهُم جِلبَاباً مِنَ اللّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشّدّةِ وَ دَاوِل لَهُم بَينَ القَسوَةِ وَ الرّأفَةِ وَ امزُج لَهُم بَينَ التّقرِيبِ وَ الإِدنَاءِ وَ الإِبعَادِ وَ الإِقصَاءِ إِن شَاءَ اللّهُ الدهاقين الزعماء أرباب الأملاك بالسواد واحدهم دهقان بكسر الدال ولفظه معرب . وداول بينهم أى مرة هكذا ومرة هكذا أمره أن يسلك معهم منهجا متوسطا لايدنيهم كل الدنو لأنهم مشركون و

لايقصيهم كل الإقصاء لأنهم معاهدون فوجب أن يعاملهم معاملة آخذة من كل واحد من القسمين بنصيب [صفحه ۱۳۸]

۲۰- و من كتاب له ع إلى زياد ابن أبيه و هوخليفة عامله عبد الله بن عباس على البصـرة و عبد الله عامل أمير المؤمنين ع يومئذ عليها و على كور الأهواز وفارس وكرمان وغيرها

وَ إِنِيّ أُقسِمُ بِاللّهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِن بلَغَنَيِ أَنّكَ خُنتَ مِن فيَ‌ءِ المُسلِمِينَ شَيئاً صَغِيراً أَو كَبِيراً لَأَشُدّنّ عَلَيكَ شَدّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الوَفرِ ثَقِيلَ الظّهرِ ضَئِيلَ الأَمرِ وَ السّلَامُ سيأتي ذكر نسب زياد وكيفية استلحاق معاوية له فيما بعد إن شاء الله تعالى . قوله ع لأشدن عليك شدة مثل قوله لأحملن عليك حملة والمراد تهديده بالأخذ واستصفاء المال . ثم وصف تلك الشدة فقال إنها تترككقليل الوفر أى أفقرك بأخذ مااحتجت من بيت مال المسلمين . وثقيل الظهر أى مسكين لاتقدر على مئونة عيالك . وضئيل الأمر أى حقير لأنك إنما كنت نبيها بين الناس بالغنى والثروة فإذاافتقرت صغرت عندهم واقتحمتك أعينهم [صفحه ۱۳۹]

۲۱- و من كتاب له ع إلى زياد أيضا

فَدَعِ الإِسرَافَ مُقتَصِداً وَ اذكُر فِي اليَومِ غَداً وَ أَمسِك مِنَ المَالِ بِقَدرِ ضَرُورَتِكَ وَ قَدّمِ الفَضلَ لِيَومِ حَاجَتِكَ أَ تَرجُو أَن يُعطِيَكَ اللّهُ أَجرَ المُتَوَاضِعِينَ وَ أَنتَ عِندَهُ مِنَ المُتَكَبّرِينَ وَ تَطمَعُ وَ أَنتَ مُتَمَرّغٌ فِي النّعِيمِ أَن تَمنَعَهُ الضّعِيفَ وَ الأَرمَلَةَ وَ أَن يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ المُتَصَدّقِينَ وَ إِنّمَا المَرءُ مجَزيِ‌ّ بِمَا أَسلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدّمَ وَ السّلَامُ المتمرغ فى النعيم المتقلب فيه ونهاه عن الإسراف و هوالتبذير فى الإنفاق وأمره أن يمسك من المال ماتدعو إليه الضرورة و أن يقدم فضول أمواله و ما ليس له إليه حاجة ضرورية فى الصدقة فيدخره ليوم حاجته و هو يوم البعث والنشور. قلت قبح الله زيادا فإنه كافأ إنعام علي ع وإحسانه إليه واصطناعه له بما لاحاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبيه والإسراف فى لعنه وتهجين أفعاله والمبالغة فى ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير منه و لم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاوية كلا بل يفعله بطبعه ويعاديه بباطنه وظاهره وأبى الله إلا أن يرجع إلى أمه ويصحح نسبه و كل إناء ينضح بما فيه ثم جاء ابنه بعدفختم تلك الأعمال السيئة بما ختم و إلى الله ترجع الأمور [صفحه ۱۴۰]

۲۲- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رحمه الله تعالى

و كان ابن عباس يقول ماانتفعت بكلام بعدكلام رسول الله ص كانتفاعى بهذا الكلام أَمّا بَعدُ فَإِنّ المَرءَ قَد يَسُرّهُ دَركُ مَا لَم يَكُن لِيَفُوتَهُ وَ يَسُوؤُهُ فَوتُ مَا لَم يَكُن لِيُدرِكَهُ فَليَكُن سُرُورُكَ بِمَا نِلتَ مِن آخِرَتِكَ وَ ليَكُن أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنهَا وَ مَا نِلتَ مِن دُنيَاكَ فَلَا تُكثِر بِهِ فَرَحاً وَ مَا فَاتَكَ مِنهَا فَلَا تَأسَ عَلَيهِ جَزَعاً وَ ليَكُن هَمّكَ فِيمَا بَعدَ المَوتِ يقول إن كل شي‌ءيصيب الإنسان فى الدنيا من نفع وضر فبقضاء من الله وقدره تعالى لكن الناس لاينظرون حق النظر فى ذلك فيسر الواحد منهم بما يصيبه من النفع ويساء بفوت مايفوته منه غيرعالم بأن ذلك النفع ألذى أصابه كان لابد أن يصيبه و أن مافاته منه كان لابد أن يفوته و لوعرف ذلك حق المعرفة لم يفرح و لم يحزن . ولقائل أن يقول هب أن الأمور كلها بقضاء وقدر فلم لاينبغى للإنسان أن يفرح بالنفع و إن وقع بالقدر ويساء بفوته أوبالضرر و إن وقعا بقدر أ ليس العريان يساء [صفحه ۱۴۱] بقدوم الشتاء و إن كان لابد من قدومه والمحموم غبا يساء بتجدد نوبة الحمى و إن كان لابد من تجددها فليس سبب الاختيار فى الأفعال مما يوجب أن لايسر الإنسان و لايساء بشي‌ء منها. والجواب ينبغى أن يحمل هذاالكلام على أن الإنسان ينبغى أن لايعتقد فى الرزق أنه أتاه بسعيه

وحركته فيفرح معجبا بنفسه معتقدا أن ذلك الرزق ثمرة حركته واجتهاده وكذلك ينبغى ألا يساء بفوات مايفوته من المنافع لائما نفسه فى ذلك ناسبا لها إلى التقصير وفساد الحيلة والاجتهاد لأن الرزق هو من الله تعالى لاأثر للحركة فيه و إن وقع عندها و على هذاالتأويل ينبغى أن يحمل قوله تعالى ما أَصابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرضِ وَ لا فِي أَنفُسِكُم إِلّا فِي كِتابٍ مِن قَبلِ أَن نَبرَأَها إِنّ ذلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ لِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُم وَ لا تَفرَحُوا بِما آتاكُم وَ اللّهُ لا يُحِبّ كُلّ مُختالٍ فَخُورٍ. من النظم الجيد الروحانى فى صفة الدنيا والتحذير منها والوصاة بترك الاغترار بها والعمل لمابعدها ماأورده أبوحيان فى كتاب الإشارات الإلهية و لم يسم قائله -قرآن-٥٨٧-٨١٦ دار الفجائع والهموم ودار || البث والأحزان والبلوى مر المذاقة غب مااحتلبت || منها يداك وبئة المرعى بينا الفتى منها بمنزلة || إذ صار تحت ترابها ملقى تقفو مساويها محاسنها || لا شيء بين النعى والبشرى ولقل يوم ذر شارقه || إلاسمعت بهالك ينعى لاتعتبن على الزمان لما || يأتى به فلقلما يرضى [صفحه ١٤٢] للمرء رزق لايفوت و لو || جهد الخلائق دون أن يفنى ياعامر الدنيا المعد لها || ماذا عملت لدارك الأخرى وممهد الفرش الوطيئة لا || تغفل فراش الرقدة الكبرى لو قددعيت لقد أجبت لما || تدعى له فانظر متى تدعى أتراك تحصى كم رأيت من || الأحياء ثم رأيتهم موتى من أصبحت دنياه همته || فمتى ينال الغاية القصوى سبحان من لا شيءيعدله || كم من بصير قلبه أعمى والموت لايخفى على أحد || ممن أرى وكأنه يخفى والليل يذهب والنهار || بأحبابى و ليس عليهما عدوى [صفحه ١٤٣]

٢٣- و من كلام له ع قاله قبل موته على سبيل الوصية لماضربه ابن ملجم لعنه الله

وصِيّتِي لَكُم أَلّا تُشرِكُوا بِاللّهِ شَيئاً وَ مُحَمّدٌص فَلَا تُضَيّعُوا سُنّتَهُ أَقِيمُوا هَذَينِ العَمُودَينِ وَ أَوقِدُوا هَذَينِ المِصبَاحَينِ وَ خَلَاكُم ذَمّ أَنَا بِالأَمسِ صَاحِبُكُم وَ اليَومَ عِبرَةٌ لَكُم وَ غَداً مُفَارِقُكُم إِن أَبقَ فَأَنَا ولَيّ دمَيِ وَ إِن أَفنَ فَالفَنَاءُ ميِعاَديِ وَ إِن أَعفُ فَالعَفوُ لِي قُربَةٌ وَ هُوَ لَكُم حَسَنَةٌ فَاعفُواأَ لا تُحِبّونَ أَن يَغفِرَ اللّهُ لَكُم وَ اللّهِ مَا فجَأَنَيِ مِنَ المَوتِ وَارِدٌ كَرِهتُهُ وَ لَا طَالِعٌ أَنكَرتُهُ وَ مَا كُنتُ إِلّا كَقَارِبٍ وَرَدَ وَ طَالِبٍ وَجَدَوَ ما عِندَ اللّهِ خَيرٌ لِلأَبرارِ -قرآن-٣٨٣-٤٢٢-قرآن-٥٥٩-٥٩٣ قال الرضى رحمه الله تعالى أقول و قدمضى بعض هذاالكلام فيما تقدم من الخطب إلا أن فيه هاهنا زيادة أوجبت تكريره -روايت-١-١٢٢ فإن قلت لقائل أن يقول إذاأوصاهم بالتوحيد واتباع سنة النبى ص [صفحه ١٤٤] فلم يبق شيء بعد ذلك يقول فيه أقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم لأن سنة النبى ص فعل كل واجب وتجنب كل قبيح فخلاهم ذم فما ذا يقال . والجواب أن كثيرا من الصحابة كلفوا أنفسهم أمورا من النوافل شاقة جدا فمنهم من كان يقوم الليل كله ومنهم من كان يصوم الدهر كله ومنهم المرابط فى الثغور ومنهم المجاهد مع سقوط الجهاد عنه لقيام غيره به ومنهم تارك النكاح ومنهم تارك المطاعم والملابس وكانوا يتفاخرون بذلك ويتنافسون فيه فأراد ع أن يبين لأهله وشيعته وقت الوصية أن المهم الأعظم هوالتوحيد والقيام بما يعلم من دين محمدص أنه واجب و لاعليكم بالإخلال بما عدا ذلك فليت من المائة واحدا نهض بذلك والمراد ترغيبهم بتخفيف وظائف التكاليف عنهم فإن الله تعالى يقول يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ اليُسرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ العُسرَ و -قرآن-٧٠٠-٧٥٧ قال ص بعثت بالحنيفية السهلة السمحة -روايت-١-٢-روايت-١١-٤١ . قوله وخلاكم ذم لفظة تقال على سبيل المثل أى قدأعذرتم وسقط عنكم الذم . ثم قسم أيامه الثلاثة أقساما فقال أنابالأمس صاحبكم أى كنت أرجى وأخاف و أنااليوم عبرة لكم أى عظة تعتبرون بها و أناغدا مفارقكم أكون فى دار أخرى غيرداركم . ثم ذكر أنه إن بقى و لم يمت من هذه الضربة فهو ولى دمه إن شاء عفا و إن شاء اقتص و إن لم يبق فالفناء الموعد ألذى لابد منه . ثم عاد فقال و إن أعف والتقسيم ليس على قاعدة تقسيم المتكلمين والمعنى منه مفهوم و هوإما أن أسلم من هذه الضربة أو لاأسلم فإن سلمت منها فأنا ولى دمى إن شئت عفوت فلم أقتص و إن شئت اقتصصت و

لايعنى بالقصاص هاهنا القتل بل ضربة بضربة فإن سرت إلى النفس كانت السراية مهدرة كقطع اليد. [صفحه ۱۴۵] ثم أومأ إلى أنه إن سلم عفا بقوله إن العفو لى إن عفوت قربة. ثم عدنا إلى القسم الثانى من القسمين الأولين و هو أنه ع لايسلم من هذه فولاية الدم إلى الورثة إن شاءوا اقتصوا و إن شاءوا عفوا. ثم أومأ إلى أن العفو منهم أحسن بقوله و هولكم حسنة بل أمرهم أمرا صريحا بالعفو فقال فاعفواأ لا تُحِبّونَ أَن يَغفِرَ اللّهُ لَكُم و هذالفظ الكتاب العزيز وينبغى أن يكون أمره بالعفو فى هذاالكلام محمولا على الندب . ثم أقسم ع أنه مافجأة من الموت أمر أنكره و لاكرهه فجأنى الشيء أتانى بغتة. ثم قال ماكنت إلاكقارب ورد والقارب ألذى يسير إلى الماء و قدبقى بينه وبينه ليلة واحدة والاسم القرب فهم قاربون و لايقال مقربون و هوحرف شاذ – قرآن-۲۹۶-۳۳۵ [صفحه ۱۴۶]

۲۴– و من وصية له ع بما يعمل فى أمواله كتبها بعدمنصرفه من صفين

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبدُ اللّهِ عَلِيّ بنُ أَبِى طَالِبٍ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ فِى مَالِهِ ابتِغَاءَ وَجهِ اللّهِ لِيُولِجَهُ بِهِ الجَنّةَ وَ يُعطِيَهُ بِهِ الأَمَنَةَ قدعاتبت العثمانية وقالت إن أبابكر مات و لم يخلف دينارا و لادرهما و إن عليا ع مات وخلف عقارا كثيرا يعنون نخلا قيل لهم قدعلم كل أحد أن عليا ع استخرج عيونا بكد يده بالمدينة وينبع وسويعة وأحيا بهامواتا كثيرا ثم أخرجها عن ملكه وتصدق بها على المسلمين و لم يمت و شيءمنها فى ملكه أ لاترى إلى ماتتضمنه كتب السير والأخبار من منازعة زيد بن على و عبد الله بن الحسن فى صدقات على ع و لم يورث على ع بنيه قليلا من المال و لاكثيرا إلاعبيده وإماءه وسبعمائة درهم من عطائه تركها ليشترى بهاخادما لأهله قيمتها ثمانية وعشرون دينارا على حسب المائة أربعة دنانير وهكذا كانت المعاملة بالدراهم إذ ذاك وإنما لم يترك أبوبكر قليلا و لاكثيرا لأنه ماعاش و لوعاش لترك أ لاترى أن عمر أصدق أم كلثوم أربعين ألف درهم ودفعها إليها و ذلك لأن هؤلاء طالت أعمارهم فمنهم من درت عليه أخلاف التجارة ومنهم من كان يستعمر الأرض ويزرعها ومنهم من استفضل من رزقه من الفيء. [صفحه ۱۴۷] وفضلهم أمير المؤمنين ع بأنه كان يعمل بيده ويحرث الأرض ويستقى الماء ويغرس النخل كل ذلك يباشره بنفسه الشريفة و لم يستبق منه لوقته و لالعقبه قليلا و لاكثيرا وإنما كان صدقة و قدمات رسول الله ص و له ضياع كثيرة جليلة جدا بخيبر وفدك وبنى النضير و كان له وادى نخلة وضياع أخرى كثيرة بالطائف فصارت بعدموته صدقة بالخبر ألذى رواه أبوبكر فإن كان على ع معيبا بضياعه ونخله فكذلك رسول الله ص و هذاكفر وإلحاد و إن كان رسول الله ص إنما ترك ذلك صدقة فرسول الله ص ماروى عنه الخبر فى ذلك إلاواحد من المسلمين و على ع كان فى حياته قدأثبت عندجميع المسلمين بالمدينة أنها صدقة فالتهمة إليه فى هذاالباب أبعد وروى ويعطينى به الأمنة وهى الأمن مِنهَا فَإِنّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الحَسَنُ بنُ عَلِيّ يَأكُلُ مِنهُ بِالمَعرُوفِ وَ يُنفِقُ مِنهُ بِالمَعرُوفِ فَإِن حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَ حُسَينٌ حيَ‌ّ قَامَ بِالأَمرِ بَعدَهُ وَ أَصدَرَهُ مَصدَرَهُ وَ إِنّ لِابنَيَ فَاطِمَةَ مِن صَدَقَةِ عَلِيّ مِثلَ ألّذِى لِبَنِي عَلِيّ وَ إنِيّ إِنّمَا جَعَلتُ القِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابنيَ فَاطِمَةَ ابتِغَاءَ وَجهِ اللّهِ وَ قُربَةً إِلَى رَسُولِ اللّهِص وَ تَكرِيماً لِحُرمَتِهِ وَ تَشرِيفاً لِوُصلَتِهِ وَ يَشتَرِطُ عَلَى ألّذِى يَجعَلُهُ إِلَيهِ أَن يَترُكَ المَالَ عَلَى أُصُولِهِ وَ يُنفِقَ مِن ثَمَرِهِ حَيثُ أُمِرَ بِهِ وَ هُدِيَ لَهُ وَ أَلّا يَبِيعَ مِن أَولَادِ نَخِيلِ هَذِهِ القُرَى وَدِيّةً حَتّى تُشكِلَ أَرضُهَا غِرَاساً [صفحه ۱۴۸] وَ مَن كَانَ مِن إِمَائِي اللّاتيِ أَطُوفُ عَلَيهِنّ لَهَا وَلَدٌ أَو هيِ‌َ حَامِلٌ فَتُمسَكُ عَلَى وَلَدِهَا وَ هيِ‌َ مِن حَظّهِ فَإِن مَاتَ وَلَدُهَا وَ هيِ‌َ حَيّةٌ فهَيِ‌َ عَتِيقَةٌ قَد أَفرَجَ عَنهَا الرّقّ وَ حَرّرَهَا العِتقُ قال السيد الرضى رحمه الله تعالى قوله ع فى هذه الوصية وألا يبيع من نخلها ودية الودية الفسيلة وجمعها ودى. قوله ع حتى تشكل أرضها غراسا هو من أفصح الكلام والمراد به أن الأرض يكثر فيهاغراس النخل حتى يراها الناظر على غيرتلك الصفة التى عرفها بهافيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها –روايت-۱-۲۹۳ جعل للحسن ابنه ع ولاية صدقات

أمواله وأذن له أن يأكل منه بالمعروف أى لايسرف وإنما يتناول منه مقدار الحاجة و ماجرت بمثله عادة من يتولى الصدقات كما قال الله تعالى وَ العامِلِينَ عَلَيها. ثم قال فإن مات الحسن و الحسين بعده حى فالولاية للحسين والهاء فى مصدره ترجع إلى الأمر أى يصرفه فى مصارفه التى كان الحسن يصرفه فيها ثم ذكر أن لهذين الولدين حصة من صدقاته أسوة بسائر البنين وإنما قال ذلك لأنه قديتوهم متوهم -قرآن-١٧٩-٢٠٠ [صفحه ١٤٩] أنهما لكونهما قدفوض إليهما النظر فى هذه الصدقات قدمنعا أن يسهما فيهابشىء و إن الصدقات إنما يتناولها غيرهما من بنى على ع ممن لاولاية له مع وجودهما ثم بين لماذا خصهما بالولاية فقال إنما فعلت ذلك لشرفهما برسول الله ص فتقربت إلى رسول الله ص بأن جعلت لسبطيه هذه الرئاسة و فى هذارمز وإزراء بمن صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله ص مع وجود من يصلح للأمر أى كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهله قربة إلى رسول الله ص وتكريما لحرمته وطاعة له وأنفة لقدره ص أن تكون ورثته سوقة يليهم الأجانب و من ليس من شجرته وأصله أ لاترى أن هيبة الرسالة والنبوة فى صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم فى الخلق من بيت النبوة و ليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال فى نفوس الناس للنبوة إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوة ع . ثم اشترط على من يلى هذه الأموال أن يتركها على أصولها وينفق من ثمرتها أى لايقطع النخل والثمر ويبيعه خشبا وعيدانا فيفضى الأمر إلى خراب الضياع وعطلة العقار. قوله وألا يبيع من أولاد نخيل هذه القرى أى من الفسلان الصغار سماها أولادا و فى بعض النسخ ليست أولاد مذكورة والودية الفسيلة.تشكل أرضها تمتلى بالغراس حتى لايبقى فيه طريقة واضحة. قوله أطوف عليهن كناية لطيفة عن غشيان النساء أى من السرارى و كان ع يذهب إلى حل بيع أمهات الأولاد فقال من كان من إمائى لها ولد منى أوهى حامل منى وقسمتم تركتى فلتكن أم ذلك الولد مبيعة على ذلك الولد ويحاسب بالثمن من حصته من التركة فإذابيعت عليه عتقت عليه لأن الولد إذااشترى الوالد عتق الوالد [صفحه ١٥٠] عنه و هذامعنى قوله فتمسك على ولدها أى تقوم عليه بقيمة الوقت الحاضر وهى من حظه أى من نصيبه وقسطه من التركة. قال فإن مات ولدها وهى حية بعد أن تقوم عليه فلايجوز بيعها لأنها خرجت عن الرق بانتقالها إلى ولدها فلايجوز بيعها. فإن قلت فلما ذا قال فإن مات ولدها وهى حية وهلا قال فإذاقومت عليه عتقت . قلت لأن موضع الاشتباه هوموت الولد وهى حية لأنه قديظن ظان أنه إنما حرم بيعها لمكان وجود ولدها فأراد ع أن يبين أنها قدصارت حرة مطلقا سواء كان ولدها حيا أوميتا [صفحه ١٥١]

٢٥- و من وصية له ع كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات

وإنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه ع كان يقيم عماد الحق ويشرع أمثلة العدل فى صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها انطَلِق عَلَى تَقوَى اللّهِ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَ لَا تُرَوّعَنّ مُسلِماً وَ لَا تَجتَازَنّ عَلَيهِ كَارِهاً وَ لَا تَأخُذَنّ مِنهُ أَكثَرَ مِن حَقّ اللّهِ فِي مَالِهِ فَإِذَا قَدِمتَ عَلَى الحيَ‌ّ فَانزِل بِمَائِهِم مِن غَيرِ أَن تُخَالِطَ أَبيَاتَهُم ثُمّ امضِ إِلَيهِم بِالسّكِينَةِ وَ الوَقَارِ حَتّى تَقُومَ بَينَهُم فَتُسَلّمَ عَلَيهِم وَ لَا تُخدِج بِالتّحِيّةِ لَهُم ثُمّ تَقُولَ عِبَادَ اللّهِ أَرسَلَنِي إِلَيكُم ولَيِ‌ّ اللّهِ وَ خَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنكُم حَقّ اللّهِ فِي أَموَالِكُم فَهَل لِلّهِ فِي أَموَالِكُم مِن حَقّ فَتُؤَدّوهُ إِلَى وَلِيّهِ فَإِن قَالَ قَائِلٌ لَا فَلَا تُرَاجِعهُ وَ إِن أَنعَمَ لَكَ مُنعِمٌ فَانطَلِق مَعَهُ مِن غَيرِ أَن تُخِيفَهُ أَو تُوعِدَهُ أَو تَعسِفَهُ أَو تُرهِقَهُ فَخُذ مَا أَعطَاكَ مِن ذَهَبٍ أَو فِضّةٍ فَإِن كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَو إِبِلٌ فَلَا تَدخُلهَا إِلّا بِإِذنِهِ فَإِنّ أَكثَرَهَا لَهُ فَإِذَا أَتَيتَهَا فَلَا تَدخُل عَلَيهَا دُخُولَ مُتَسَلّطٍ عَلَيهِ وَ لَا عَنِيفٍ بِهِ وَ لَا تُنَفّرَنّ بَهِيمَةً وَ لَا تُفزِعَنّهَا وَ لَا تَسُوءَنّ صَاحِبَهَا فِيهَا وَ اصدَعِ المَالَ صَدعَينِ ثُمّ خَيّرهُ فَإِذَا اختَارَ فَلَا تَعرِضَنّ لِمَا اختَارَهُ ثُمّ اصدَعِ البَاقِيَ صَدعَينِ ثُمّ خَيّرهُ فَإِذَا اختَارَ فَلَا تَعرِضَنّ لِمَا اختَارَهُ فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتّى يَبقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقّ اللّهِ فِي مَالِهِ فَاقبِض حَقّ اللّهِ مِنهُ [صفحه ١٥٢] فَإِنِ استَقَالَكَ فَأَقِلهُ ثُمّ اصنَع مِثلَ ألّذِي صَنَعتَ أَوّلًا حَتّى تَأخُذَ حَقّ اللّهِ فِي مَالِهِ وَ

لَا تَأْخُذَنّ عَوداً وَ لَا هَرِمَةً وَ لَا مَكسُورَةً وَ لَا مَهلُوسَةً وَ لَا ذَاتَ عَوَارٍ وَ لَا تَأْمَنَنّ عَلَيهَا إِلّا مَن تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ المُسلِمِينَ حَتّى يُوَصّلَهُ إِلَى وَلِيّهِم فَيَقسِمَهُ بَينَهُم وَ لَا تُوَكّل بِهَا إِلّا نَاصِحاً شَفِيقاً وَ أَمِيناً حَفِيظاً غَيرَ مُعنِفٍ وَ لَا مُجحِفٍ وَ لَا مُلغِبٍ وَ لَا مُتعِبٍ ثُمّ احدُر إِلَينَا مَا اجتَمَعَ عِندَكَ نُصَيّرهُ حَيثُ أَمَرَ اللّهُ فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوعِز إِلَيهِ أَلّا يَحُولَ بَينَ نَاقَةٍ وَ بَينَ فَصِيلِهَا وَ لَا يَمصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرّ[فَيُضِرّ] ذَلِكَ بِوَلَدِهَا وَ لَا يَجهَدَنّهَا رُكُوباً وَ لِيَعدِل بَينَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَ بَينَهَا وَ لِيُرَفّه عَلَى اللّاغِبِ وَ لِيَستَأنِ بِالنّقِبِ وَ الظّالِعِ وَ لِيُورِدهَا مَا تَمُرّ بِهِ مِنَ الغُدُرِ وَ لَا يَعدِل بِهَا عَن نَبتِ الأَرضِ إِلَى جَوَادّ الطّرُقِ وَ لِيُرَوّحهَا فِي السّاعَاتِ وَ لِيُمهِلهَا عِندَ النّطَافِ وَ الأَعشَابِ حَتّى تَأْتِيَنَا بِإِذنِ اللّهِ بُدّناً مُنقِيَاتٍ غَيرَ مُتعَبَاتٍ وَ لَا مَجهُودَاتٍ لِنَقسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللّهِ وَ سُنّةِ نَبِيّهِص فَإِنّ ذَلِكَ أَعظَمُ لِأَجرِكَ وَ أَقرَبُ لِرُشدِكَ إِن شَاءَ اللّهُ و قدكرر ع قوله لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه ص فى ثلاثة مواضع من هذاالفصل الأول قوله حتى يوصله إلى وليهم ليقسمه بينهم .الثانى قوله ع نصيره حيث أمر الله به . [صفحه ۱۵۳] الثالث قوله لنقسمها على كتاب الله والبلاغة لاتقتضى ذلك ولكنى أظنه أحب أن يحتاط و أن يدفع الظنة عن نفسه فإن الزمان كان فى عهده قدفسد وساءت ظنون الناس لاسيما مع مارآه من عثمان واستئثاره بمال الفيء. ونعود إلى الشرح قوله ع على تقوى الله على ليست متعلقة بانطلق بل بمحذوف تقديره مواظبا. قوله و لاتروعن أى لاتفزعن والروع الفزع رعته أروعه و لاتروعن بتشديد الواو وضم حرف المضارعة من روعت للتكثير. قوله ع و لاتجتازن عليه كارها أى لاتمرن ببيوت أحد من المسلمين يكره مرورك وروى و لاتختارن عليه أى لاتقسم ماله وتختر أحد القسمين والهاء فى عليه ترجع إلى مسلما وتفسير هذاسيأتى فى وصيته له أن يصدع المال ثم يصدعه فهذا هوالنهى عن أن يختار على المسلم والرواية الأولى هى المشهورة. قوله ع فانزل بمائهم و ذلك لأن الغريب يحمد منه الانقباض ويستهجن فى القادم أن يخالط بيوت الحى ألذى قدم عليه فقد يكون من النساء من لاتليق رؤيته و لايحسن سماع صوته و من الأطفال من يستهجن أن يرى الغريب انبساطه على أبويه وأهله و قديكره القوم أن يطلع الغريب على مأكلهم ومشربهم وملبسهم وبواطن أحوالهم و قديكونون فقراء فيكرهون أن يعرف فقرهم فيحتقرهم أوأغنياء أرباب ثروة كثيرة فيكرهون أن يعلم الغريب ثروتهم فيحسدهم ثم أمره أن يمضى إليهم غيرمتسرع و لاعجل و لاطائش نزق حتى يقوم بينهم فيسلم عليهم [صفحه ۱۵۴] ويحييهم تحية كاملة غيرمخدجة أى غيرناقصة أخدجت الناقة إذاجاءت بولدها ناقص الخلق و إن كانت أيامه تامة وخدجت ألقت الولد قبل تمام أيامه وروى و لاتحدج بالتحية والباء زائدة. ثم أمره أن يسألهم هل فى أموالهم حق لله تعالى يعنى الزكاة فإن قالوا لافلينصرف عنهم لأن القول قول رب المال فلعله قدأخرج الزكاة قبل وصول المصدق إليه . قوله وأنعم لك أى قال نعم . و لاتعسفه أى لاتطلب منه الصدقة عسفا وأصله الأخذ على غيرالطريق . و لاترهقه لاتكلفه العسر والمشقة. ثم أمره أن يقبض مايدفع إليه من الذهب والفضة و هذايدل على أن المصدق كان يأخذ العين والورق كمايأخذ الماشية و أن النصاب فى العين والورق تدفع زكاته إلى الإمام ونوابه و فى هذه المسألة اختلاف بين الفقهاء. قوله فإن أكثرها له كلام لامزيد عليه فى الفصاحة والرئاسة والدين و ذلك لأن الصدقة المستحقة جزء يسير من النصاب والشريك إذا كان له الأكثر حرم عليه أن يدخل ويتصرف إلابإذن شريكه فكيف إذا كان له الأقل . قوله فلاتدخلها دخول متسلط عليه قدعلم ع أن الظلم من طبع الولاة وخصوصا من يتولى قبض الماشية من أربابها على وجه الصدقة فإنهم يدخلونها دخول متسلط حاكم قاهر و لايبقى لرب المال فيهاتصرف فنهى ع عن مثل ذلك . [صفحه ۱۵۵] قوله و لاتنفرن بهيمة و لاتفزعنها و ذلك أنهم على عادة السوء يهجهجون بالقطيع حتى تنفر الإبل وكذلك بالشاء إظهارا للقوة والقهر وليتمكن أعوانهم من اختيار الجيد ورفض الرديء. قوله و لاتسوءن صاحبها فيها أى لاتغموه و لاتحزنوه يقال سؤته فى كذا سوائية ومسائية. قوله واصدع المال صدعين وخيره أى شقه نصفين ثم خيره فإذااختار أحد النصفين فلاتعرضن لمااختار ثم اصدع النصف ألذى ماارتضاه لنفسه صدعين وخيره ثم لاتزال تفعل هكذا حتى تبقى من المال بمقدار الحق ألذى عليه فأقبضه منه فإن استقالك فأقله ثم اخلط المال ثم عد لمثل

ماصنعت حتى يرضى وينبغى أن يكون المعيبات الخمس وهى المهلوسة والمكسورة وأخواتهما يخرجها المصدق من أصل المال قبل قسمته ثم يقسم و إلافربما وقعت فى سهم المصدق إذا كان يعتمد ماأمره به من صدع المال مرة بعدمرة. والعود المسن من الإبل والهرمة المسنة أيضا والمكسورة التى أحد قوائمها مكسورة العظم أوظهرها مكسور والمهلوسة المريضة قدهلسها المرض وأفنى لحمها والهلاس السل والعوار بفتح العين العيب و قدجاء بالضم . والمعنف ذو العنف بالضم و هوضد الرفق والمجحف ألذى يسوق المال سوقا عنيفا فيجحف به أى يهلكه أويذهب كثيرا من لحمه ونقية. والملغب المتعب واللغوب الإعياء. وحدرت السفينة وغيرها بغير ألف أحدرها بالضم . [صفحه ۱۵۶] قوله بين ناقة و بين فصيلها الأفصح حذف بين الثانية لأن الاسمين ظاهران وإنما تكرر إذاجاءت بعدالمضمر كقولك المال بينى و بين زيد و بين عمرو و ذلك لأن المجرور لايعطف عليه إلابإعادة حرف الجر والاسم المضاف و قدجاء المال بين زيد وعمرو وأنشدوا بين السحاب و بين الريح ملحمة || قعاقع وظبى فى الجو تخترط . وأيضا بين الندى و بين برقة ضاحك || غيث الضريك وفارس مقدام . و من شعر الحماسة و إن ألذى بينى و بين بنى أبى || و بين بنى عمى لمختلف جدا . و ليس قول من يقول إنه عطف بين الثالثة على الضمير المجرور بأولى من قول من يقول بل عطف بين الثالثة على بين الثانية لأن المعنى يتم بكل واحد منها. قوله ع و لاتمصر لبنها المصر حلب ما فى الضرع جميعه نهاه من أن يحلب اللبن كله فيبقى الفصيل جائعا ثم نهاه أن يجهدها ركوبا أى يتعبها ويحملها مشقة ثم أمره أن يعدل بين الركاب فى ذلك لايخص بالركوب واحدة بعينها ليكون ذلك أروح لهن ليرفه على اللاغب أى ليتركه وليعفه عن الركوب ليستريح والرفاهية الدعة والراحة. والنقب ذو النقب و هورقة خف البعير حتى تكاد الأرض تجرحه أمره أن يستأنى بالبعير ذى النقب من الأناة وهى المهلة. [صفحه ۱۵۷] والظالع ألذى ظلع أى غمز فى مشيه . والغدر جمع غدير الماء وجواد الطريق حيث لاينبت المرعى . والنطاف جمع نطفة وهى الماء الصافى القليل . والبدن بالتشديد السمان واحدها بادن . ومنقيات ذوات نقى و هوالمخ فى العظم والشحم فى العين من السمن وأنقت الإبل وغيرها سمنت وصار فيهانقى وناقة منقية و هذه الناقة لاتنقى [صفحه ۱۵۸]

۲۶- و من عهد له ع إلى بعض عماله و قدبعثه على الصدقة

آمُرُهُ بِتَقوَى اللّهِ فِي سَرَائِرِ أَمرِهِ وَ خَفِيّاتِ عَمَلِهِ حَيثُ لَا شَاهِدَ غَيرُهُ وَ لَا وَكِيلَ دُونَهُ وَ آمُرُهُ أَلّا يَعمَلَ بشَيءٍ مِن طَاعَةِ اللّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيرِهِ فِيمَا أَسَرّ وَ مَن لَم يَختَلِف سِرّهُ وَ عَلَانِيَتُهُ وَ فِعلُهُ وَ مَقَالَتُهُ فَقَد أَدّى الأَمَانَةَ وَ أَخلَصَ العِبَادَةَ وَ آمُرُهُ أَلّا يَجبَهَهُم وَ لَا يَعضَهَهُم وَ لَا يَرغَبَ عَنهُم تَفَضّلًا بِالإِمَارَةِ عَلَيهِم فَإِنّهُمُ الإِخوَانُ فِي الدّينِ وَ الأَعوَانُ عَلَى استِخرَاجِ الحُقُوقِ وَ إِنّ لَكَ فِي هَذِهِ الصّدَقَةِ نَصِيباً مَفرُوضاً وَ حَقّاً مَعلُوماً وَ شُرَكَاءَ أَهلَ مَسكَنَةٍ وَ ضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وَ إِنّا مُوَفّوكَ حَقّكَ فَوَفّهِم حُقُوقَهُم وَ إِلّا تَفعَل فَإِنّكَ مِن أَكثَرِ النّاسِ خُصُوماً يَومَ القِيَامَةِ وَ بُؤسَى لِمَن خَصمُهُ عِندَ اللّهِ الفُقَرَاءُ وَ المَسَاكِينُ وَ السّائِلُونَ وَ المَدفُوعُونَ وَ الغَارِمُونَ وَ ابنُ السّبِيلِ وَ مَنِ استَهَانَ بِالأَمَانَةِ وَ رَتَعَ فِي الخِيَانَةِ وَ لَم يُنَزّه نَفسَهُ وَ دِينَهُ عَنهَا فَقَد أَحَلّ بِنَفسِهِ الذّلّ وَ الخزيَ فِي الدّنيَا وَ هُوَ فِي الآخِرَةِ أَذَلّ وَ أَخزَى وَ إِنّ أَعظَمَ الخِيَانَةِ خِيَانَةُ الأُمّةِ وَ أَفظَعَ الغِشّ غِشّ الأَئِمّةِ وَ السّلَامُ [صفحه ۱۵۹] حيث لاشهيد و لاوكيل دونه يعنى يوم القيامة. قوله ألا يعمل بشىء من طاعة الله فيما ظهر أى لاينافق فيعمل الطاعة فى الظاهر والمعصية فى الباطن . ثم ذكر أن الذين يتجنبون النفاق والرياء هم المخلصون . وألا يجبههم لايواجههم بما يكرهونه وأصل الجبه لقاء الجبهة أوضربها فلما كان المواجه غيره بالكلام القبيح كالضارب جبهته به سمى بذلك جبها. قوله و لايعضههم أى لايرميهم بالبهتان والكذب وهى العضيهة وعضهت فلانا عضها و قدعضهت يافلان أى جئت بالبهتان قوله و لايرغب عنهم تفضلا يقول لايحقرهم ادعاء

لفضله عليهم وتمييزه عنهم بالولايـة والإمرة يقال فلان يرغب عن القوم أى يأنف من الانتماء إليهم أو من المخالطة لهم . و كان عمر بن عبـدالعزيز يـدخل إليه سـالم مولى بنى مخزوم وعمر فى صـدر بيته فيتنحى عن الصـدر و كـان سالم رجلا صالحا و كان عمر أراد شـراءه وعتقه فـأعتقه مواليه فكـان يسـميه أخى فى الله فقيـل له أتتنحى لسـالم فقال إذادخل عليك من لاترى لك عليه فضـلا فلاتأخذ عليه شـرف المجلس وهم السـراج ليلة بأن يخمد فوثب إليه رجاء بن حيوة ليصلحه فأقسم عليه عمر بن عبدالعزيز فجلس ثم قام عمر فأصـلحه فقال له رجاء أتقوم أنت يا أمير المؤمنين قال نعم قمت و أناعمر بن عبـدالعزيز ورجعت و أناعمر بن عبدالعزيز [صـفحه ۱۶۰] قـال رسول الله ص لاـترفعونى فوق قـدرى فتقولوا فى ماقـالت النصـارى فى ابن مريم فإن الله عز و جل اتخذنى عبدا قبل أن يتخذنى رسولا -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۱۴۳ . ثم قال إن أرباب الأموال الـذين تجب الصدقة عليهم فى أموالهم إخوانك فى الدين وأعوانك على اسـتخراج الحقوق لأن الحق إنما يمكن العامل استيفاؤه بمعاونة رب المال واعترافه به ودفعه إليه فإذاكانوا بهذه الصـفة لم يجز لك عضـهم وجبههم وادعاء الفضل عليهم . ثم ذكر أن لهذا العامل نصيبا مفروضا من الصدقة و ذلك بنص الكتاب العزيز فكما نوفيك نحن حقك يجب عليك أن توفى شركاءك حقوقهم وهم الفقراء والمساكين والغارمون وسائر الأصـناف المذكورة فى القرآن و هذايدل على أنه ع قدفوضه فى صرف الصدقات إلى الأصناف المعلومة و لم يأمره بأن يحمل مااجتمع إليه ليوزعه هو ع على مسـتحقيه كما فى الوصـية الأولى ويجوز للإمام أن يتولى ذلك بنفسه و أن يكله إلى من يثق به من عماله . وانتصب أهل مسـكنة لأنه صـفة شركـاء و فى التحقيق أن شركاء صفة أيضا موصوفها محذوف فيكون صفة بعدصفة. و قال الراوندى انتصب أهل مسكنه لأنه بدل من شركاء و هذاغلط لأنه لايعطى معناه ليكون بدلا منه . و قال أيضا بؤسـى أى عذابا وشدة فظنه منونا و ليس كذلك بل هوبؤسى على وزن فعلى كفضلى ونعمى وهى لفظة مؤنثة يقال بؤسى لفلان قـال الشـاعر أرى الحلم بؤسـى للفتى فى حيـاته || و لاعيش إلا ماحباك به الجهل . [صـفحه ۱۶۱] والسـائلون هاهنا هم الرقاب المـذكورون فى الآيـة وهم المكـاتبون يتعـذر عليهم أداء مـال الكتابـة فيسألون الناس ليتخلصوا من ربقـة الرق وقيل هم الأسارى يطلبون فكـاك أنفسـهم وقيـل بـل المراد بالرقـاب فى الآيـة الرقيق يسأل أن يبتاعه الأغنياء فيعتقوه والمـدفوعون هاهنا هم الـذين عناهم الله تعالى فى الآيـة بقوله وَ فِى سَبِيلِ اللّهِ وهم فقراء الغزاة سـماهم مدفوعين لفقرهم والمدفوع والمدفع الفقير لأن كل أحد يكرهه ويـدفعه عن نفسه وقيـل هم الحجيـج المنقطع بهم سـماهم مـدفوعين لأنهم دفعوا عن إتمام حجهم أودفعوا عن العود إلى أهلهم . فإن قلت لم حملت كلام أمير المؤمنين ع على مافسـرته به قلت لأنه ع إنما أراد أن يـذكر الأصـناف المـذكورة فى الآية فترك ذكر المؤلفـة قلوبهم لأن سـهمهم سـقط بعـدموت رسول الله ص فقد كان يدفع إليهم حين الإسـلام ضـعيف و قدأعزه الله سبحانه فاسـتغنى عن تأليف قلوب المشـركين وبقيت سبعة أصناف وهم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والرقاب والغارمون و فى سبيـل الله و ابن السبيـل .فأمـا العـاملون عليهـا فقـد ذكرهم ع فى قوله و إن لك فى هـذه الصدقـة نصيبا مفروضا فبقيت سـتة أصـناف أتى ع بألفاظ القرآن فى أربعة أصـناف منها وهى الفقراء والمساكين والغارم و ابن السبيل وأبدل لفظتين وهما الرقاب و فى سبيـل الله بلفظتين وهمـا السـائلون والمـدفوعون . فإن قلت مايقوله الفقهاء فى الصـدقات هل تصـرف إلى الأصـناف كلها أم يجوز صـرفها إلى واحـد منها. -قرآن-۳۱۹-۳۳۹ [صـفحه ۱۶۲] قلت أما أبوحنيفـة فإنه يقول الآيـة قصـر لجنس الصـدقات على الأصـناف المعـدودة فهى مختصـة بها لاتتجاوزها إلى غيرها كأنه تعالى قال إنما هى لهم لالغيرهم كقولك إنما الخلافة لقريش فيجوز أن تصرف الصدقة إلى الأصناف كلها ويجوز أن تصرف إلى بعضها و هومذهب ابن عباس وحذيفة وجماعة من الصحابة والتـابعين و أماالشـافعى فلاـيرى صـرفها إلا إلى الأصـناف المعـدودة كلها و به قال الزهرى وعكرمـة. فإن قلت فمن الغارم و ابن السبيل . قلت الغارمون الـذين ركبتهم الـديون و لايملكون بعـدها مايبلغ النصاب وقيل هم الـذين يحملون الحمالات فـدينوا فيها وغرموا و ابن السبيـل المسـافر المنقطع عن مـاله فهو و إن كان غنيا حيث ماله موجود فقير حيث هوبعيـد. و قدسـبق تفسـير الفقير

والمسكين فيما تقدم . قوله فقد أحل بنفسه الذل والخزى أى جعل نفسه محلا لهما ويروى فقد أخل بنفسه بالخاء المعجمة و لم يذكر الذل والخزى أى جعل نفسه مخلا ومعناه جعل نفسه فقيرا يقال خل الرجل إذاافتقر وأخل به غيره وبغيره أى جعل غيره فقيرا وروى أحل بنفسه بالحاء المهملة و لم يذكر الذل والخزى ومعنى أحل بنفسه أباح دمه والرواية الأولى أصح لأنه قال بعدها و هو فى الآخرة أذل وأخزى . وخيانة الأمة مصدر مضاف إلى المفعول به لأن الساعى إذاخان فقد خان الأمة كلها وكذلك غش الأئمة مصدر مضاف إلى المفعول أيضا لأن الساعى إذاغش فى الصدقة فقد غش الإمام [صفحه ۱۶۳]

۲۷- و من عهد له ع إلى محمد بن أبى بكر رضى الله عنه حين قلده مصر

اشاره

فَاخفِض لَهُم جَنَاحَکَ وَ أَلِن لَهُم جَانِبَکَ وَ ابسُط لَهُم وَجهَکَ وَ آسِ بَينَهُم فِي اللّحظَةِ وَ النّظرَةِ حَتّي لَا يَطمَعَ العُظَمَاءُ فِي حَيفِکَ لَهُم وَ لَا يَيأَسَ الضّعَفَاءُ مِن عَدلِکَ عَلَيهِم فَإِنّ اللّهَ تَعَالَي يُسَائِلُکُم مَعشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصّغِيرَةِ مِن أَعمَالِکُم وَ الکَبِيرَةِ وَ الظّاهِرَةِ وَ المَستُورَةِ فَإِن يُعَذّب فَأَنتُم أَظلَمُ وَ إِن يَعفُ فَهُوَ أَکرَمُ وَ اعلَمُوا عِبَادَ اللّهِ أَنّ المُتّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدّنيَا وَ آجِلِ الآخِرَةِ فَشَارَکُوا أَهلَ الدّنيَا فِي دُنيَاهُم وَ لَم يُشَارِکهُم أَهلُ الدّنيَا فِي آخِرَتِهِم سَکَنُوا الدّنيَا بِأَفضَلِ مَا سُکِنَت وَ أَکَلُوهَا بِأَفضَلِ مَا أُکِلَت فَحَظُوا مِنَ الدّنيَا بِمَا حظَيَ بِهِ المُترَفُونَ وَ أَخَذُوا مِنهَا مَا أَخَذَهُ الجَبَابِرَةُ المُتَکَبّرُونَ ثُمّ انقَلَبُوا عَنهَا بِالزّادِ المُبَلّغِ وَ المَتجَرِ الرّابِحِ أَصَابُوا لَذّةَ زُهدِ الدّنيَا فِي دُنيَاهُم وَ تَيَقّنُوا أَنّهُم جِيرَانُ اللّهِ غَداً فِي آخِرَتِهِم لَا تُرَدّ لَهُم دَعوَةٌ وَ لَا يَنقُصُ لَهُم نَصِيبٌ مِن لَذّةٍ فَاحذَرُوا عِبَادَ اللّهِ المَوتَ وَ قُربَهُ وَ أَعِدّوا لَهُ عُدّتَهُ فَإِنّهُ يأَتيِ بِأَمرٍ عَظِيمٍ وَ خَطبٍ جَلِيلٍ بِخَيرٍ لَا يَکُونُ مَعَهُ شَرّ أَبَداً أَو شَرّ لَا يَکُونُ مَعَهُ خَيرٌ أَبَداً فَمَن أَقرَبُ إِلَي الجَنّةِ مِن عَامِلِهَا وَ مَن أَقرَبُ إِلَي النّارِ مِن عَامِلِهَا وَ أَنتُم طُرَدَاءُ المَوتِ إِن أَقَمتُم لَهُ أَخَذَکُم وَ إِن فَرَرتُم مِنهُ أَدرَکَکُم وَ هُوَ أَلزَمُ لَکُم مِن ظِلّکُم المَوتُ مَعقُودٌ بِنَوَاصِيکُم وَ الدّنيَا تُطوَي مِن خَلفِکُم [صفحه ۱۶۴] فَاحذَرُوا نَاراً قَعرُهَا بَعِيدٌ وَ حَرّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ دَارٌ لَيسَ فِيهَا رَحمَةٌ وَ لَا تَسمَعُ فِيهَا دَعوَةٌ وَ لَا تُفَرّجُ فِيهَا کُربَةٌ وَ إِنِ استَطَعتُم أَن يَشتَدّ خَوفُکُم مِنَ اللّهِ وَ أَن يَحسُنَ ظَنّکُم بِهِ فَاجمَعُوا بَينَهُمَا فَإِنّ العَبدَ إِنّمَا يَکُونُ حُسنُ ظَنّهِ بِرَبّهِ عَلَي قَدرِ خَوفِهِ مِن رَبّهِ وَ إِنّ أَحسَنَ النّاسِ ظَنّاً بِاللّهِ أَشَدّهُم خَوفاً لِلّهِ وَ اعلَم يَا مُحَمّدَ بنَ أَبِي بَکرٍ أنَيّ قَد وَلّيتُکَ أَعظَمَ أَجنَادِي فِي نفَسيِ أَهلَ مِصرَ فَأَنتَ مَحقُوقٌ أَن تُخَالِفَ عَلَي نَفسِکَ وَ أَن تُنَافِحَ عَن دِينِکَ وَ لَو لَم يَکُن لَکَ إِلّا سَاعَةٌ مِنَ الدّهرِ وَ لَا تُسخِطِ اللّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِن خَلقِهِ فَإِنّ فِي اللّهِ خَلَفاً مِن غَيرِهِ وَ لَيسَ مِنَ اللّهِ خَلَفٌ فِي غَيرِهِ صَلّ الصّلَاةَ لِوَقتِهَا المُؤَقّتِ لَهَا وَ لَا تُعَجّل وَقتَهَا لِفَرَاغٍ وَ لَا تُؤَخّرهَا عَن وَقتِهَا لِاشتِغَالٍ وَ اعلَم أَنّ کُلّ شَيءٍ مِن عَمَلِکَ تَبَعٌ لِصَلَاتِکَ آس بينهم اجعلهم أسوة لاتفضل بعضهم على بعض فى اللحظة والنظرة ونبه بذلك على وجوب أن يجعلهم أسوة فى جميع ماعدا ذلك من العطاء والإنعام والتقريب كقوله تعالى فَلا تَقُل لَهُما أُفّ. قوله حتى لايطمع العظماء فى حيفك لهم الضمير فى لهم راجع إلى الرعية لا إلى العظماء و قد كان سبق ذكرهم فى أول الخطبة أى إذاسلكت هذاالمسلك لم يطمع العظماء فى أن تحيف على الرعية وتظلمهم وتدفع أموالهم إليهم فإن ولاة الجور -قرآن-۱۶۸-۱۸۹ [صفحه ۱۶۵] هكذا يفعلون يأخذون مال هذافيعطونه هذا ويجوز أن يرجع الضمير إلى العظماء أى حتى لايطمع العظماء فى جورك فى القسم ألذى إنما تفعله لهم ولأجلهم فإن ولاة الجور يطمع العظماء فيهم أن يحيفوا فى القسمة فى الفيء ويخالفوا ماحده الله تعالى فيهاحفظا لقلوبهم واستمالة لهم و هذاالتفسير أليق بالخطابة لأن الضمير فى عليهم فى الفقرة الثالثة عائد إلى الضعفاء فيجب أن يكون الضمير فى لهم فى الفقرة الثانية عائدا إلى العظماء. قوله فإن يعذب فأنتم أظلم أفعل هاهنا بمعنى الصفة لابمعنى التفضيل وإنما

يراد فأنتم الظالمون كقوله تعالى وَ هُوَ أَهوَنُ عَلَيهِ وكقولهم الله أكبر. ثم ذكر حال الزهاد فقال أخذوا من الدنيا بنصيب قوى وجعلت لهم الآخرة ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له فى بعض الصحارى فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجليه فى الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التى هو فيها فقال لرفيقه لوعلم الملوك وأبناء الملوك مانحن فيه من العيش واللذة لحسدونا. وروى والمتجر المربح فالرابح فاعل من ربح ربحا يقال بيع رابح أى يربح فيه والمربح اسم فاعل قدعدى ماضيه بالهمزة كقولك قام وأقمته . قوله جيران الله غدا فى آخرتهم ظاهر اللفظ غيرمراد لأن البارئ تعالى ليس فى مكان وجهة ليكونوا جيرانه ولكن لما كان الجار يكرم جاره سماهم جيران الله لإكرامه إياهم وأيضا فإن الجنة إذاكانت فى السماء والعرش هوالسماء العليا كان فى الكلام محذوف مقدر أى جيران عرش الله غدا. -قرآن-۵۴۴-۵۶۶ [صفحه ۱۶۶] قوله فإنه يأتى بأمر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون معه شر أبدا وشر لا يكون معه خير أبدا نص صريح فى مذهب أصحابنا فى الوعيد و أن من دخل النار من جميع المكلفين فليس بخارج لأنه لوخرج منها لكان الموت قدجاءه بشر معه خير و قدنفى نفيا عاما أن يكون مع الشر المعقب للموت خير البتة. قوله من عاملها أى من العامل لها. قوله طرداء الموت جمع طريد أى يطردكم عن أوطانكم ويخرجكم منها لابد من ذلك إن أقمتم أخذكم و إن هربتم أدرككم . و قال الراوندى طرداء هاهنا جمع طريدة وهى ماطردت من الصيد أوالوسيقة و ليس بصحيح لأن فعيلة بالتأنيث لاتجمع على فعلاء و قال النحويون إن قوله تعالى وَ يَجعَلُكُم خُلَفاءَ الأَرضِ‌جاء على خليف لا على خليفة وأنشدوا لأوس بن حجر بيتا استعملها جميعا فيه و هو -قرآن-۶۰۶-۶۳۵ إن من القوم موجودا خليفته || و ماخليف أبى ليلى بموجود . قوله ألزم لكم من ظلكم لأن الظل لاتصح مفارقته لذى الظل مادام فى الشمس و هذا من الأمثال المشهورة. قوله معقود بنواصيكم أى ملازم لكم كالشيء المعقود بناصية الإنسان أين ذهب ذهب منه . و قال الراوندى أى الموت غالب عليكم قال تعالى فَيُؤخَذُ بِالنَّواصِي وَ الأَقدام فإن الإنسان إذاأخذ بناصيته لايمكنه الخلاص و ليس بصحيح لأنه لم يقل أخذ بنواصيكم . قوله والدنيا تطوى من خلفكم من كلام بعض الحكماء الموت و الناس كسطور -قرآن-۲۵۰-۲۸۴ [صفحه ۱۶۷] فى صحيفة يقرؤها قارئ ويطوى مايقرأ فكلما ظهر سطر خفى سطر. ثم أمره ع بأن يجمع بين حسن الظن بالله و بين الخوف منه و هذامقام جليل لايصل إليه إلا كل ضامر مهزول و قدتقدم كلامنا فيه و قال على بن الحسين ع لوأنزل الله عز و جل كتابا أنه معذب رجلا واحدا لرجوت أن أكونه و أنه راحم رجلا واحدا لرجوت أن أكونه أو أنه معذبى لامحالة ماازددت إلااجتهادا لئلا أرجع إلى نفسى بلائمة -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۲۰۵ . ثم قال وليتك أعظم أجنادى يقال للأقاليم والأطراف أجناد تقول ولى جند الشام وولى جند الأردن وولى جند مصر. قوله فأنت محقوق كقولك حقيق وجدير وخليق قال الشاعر وإنى لمحقوق بألا يطولنى || نداه إذاطاولته بالقصائد . وتنافح تجالد نافحت بالسيف أى خاصمت به . قوله و لو لم يكن إلاساعة من النهار المراد تأكيد الوصاة عليه أن يخالف على نفسه وألا يتبع هواها و أن يخاصم عن دينه و أن ذلك لازم له وواجب عليه ويلزم أن يفعله دائما فإن لم يستطع فليفعله و لوساعة من النهار وينبغى أن يكون هذاالتقييد مصروفا إلى المنافحة عن الدين لأن الخصام فى الدين قديمنعه عنه مانع فأما أمره إياه أن يخالف على نفسه فلايجوز صرف التقييد إليه لأنه يشعر بأنه مفسوح له أن يتبع هوى نفسه فى بعض الحالات و ذلك غيرجائز بخلاف المخاصمة والنضال عن المعتقد. قال و لاتسخط الله برضا أحد من خلقه فإن فى الله خلفا من غيره و ليس من الله خلف فى غيره أخذه الحسن البصرى فقال لعمر بن هبيرة [صفحه ۱۶۸] أميرالعراق إن الله مانعك من يزيد و لم يمنعك يزيد من الله يعنى يزيد بن عبدالملك . ثم أمره بأن يصلى الصلاة لوقتها أى فى وقتها ونهاه أن يحمله الفراغ من الشغل على أن يعجلها قبل وقتها فإنها تكون غيرمقبولة أو أن يحمله الشغل على تأخيرها عن وقتها فيأثم . و من كلام هشام بن عقبة أخى ذى الرمة و كان من عقلاء الرجال قال المبرد فى الكامل حدثنى العباس بن الفرج الرياشى بإسناده قال هشام لرجل أراد سفرا اعلم أن لكل رفقة كلبا يشركهم فى فضل الزاد ويهر دونهم فإن

قدرت ألا تكون كلب الرفقة فافعل وإياك وتأخير الصلاة عن وقتها فإنك مصليها لامحالة فصلها وهي تقبل منك . قوله واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك فيه شبه من قول رسول الله ص الصلاة عماد الإيمان و من تركها فقد هدم الإيمان -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۷۲ قال ص أول مايحاسب به العبد صلاته فإن سهل عليه كان مابعده أسهل و إن اشتد عليه كان مابعده أشد -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۰۸ . ومثل قوله و لاتسخط الله برضا أحد من خلقه مارواه المبرد في الكامل عن عائشة قالت من أرضى الله بإسخاط الناس كفاه الله مابينه و بين الناس و من أرضى الناس بإسخاط الله وكله الله إلى الناس . ومثل هذا مارواه المبرد أيضا قال لماولي الحسن بن زيد بن الحسن المدينة قال لابن هرمة إني لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك أوخوف ذمك فقد رزقني [صفحه ۱۶۹] الله عز و جل بولادة نبيه ص الممادح وجنبني المقابح و إن من حقه علي ألا أغضي على تقصير في حق الله و أناأقسم بالله لئن أتيت بك سكران لأضربنك حدا للخمر وحدا للسكر ولأزيدن لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله عز و جل تعن عليه و لاتدعها للناس فتوكل إليهم فقال ابن هرمة نهاني ابن الرسول عن المدام || وأدبني بآداب الكرام و قال لي اصطبر عنها ودعها || لخوف الله لاخوف الأنام وكيف تصبري عنها وحبي || لها حب تمكن في عظامي أرى طيب الحلال على خبثا || وطيب النفس في خبث الحرام [صفحه ۱۷۰] وَ مِن هَذَا العَهدِ فَإِنّهُ لَا سَوَاءَ إِمَامُ الهُدَى وَ إِمَامُ الرّدَى وَ ولَيِّ النّبِيّ وَ عَدُوّ النّبِيّ وَ لَقَد قَالَ لِي رَسُولُ اللّهِص إنِيّ لَا أَخَافُ عَلَى أمُتّيِ مُؤمِناً وَ لَا مُشرِكاً أَمّا المُؤمِنُ فَيَمنَعُهُ اللّهُ بِإِيمَانِهِ وَ أَمّا المُشرِكُ فَيَقمَعُهُ اللّهُ بِشِركِهِ وَ لكَنِيّ أَخَافُ عَلَيكُم كُلّ مُنَافِقِ الجَنَانِ عَالِمِ اللّسَانِ يَقُولُ مَا تَعرِفُونَ وَ يَفعَلُ مَا تُنكِرُونَ الإشارة بإمام الهدى إليه نفسه وبإمام الردى إلى معاوية وسماه إماما كماسمى الله تعالى أهل الضلال أئمة فقال وَ جَعَلناهُم أَئِمّةً يَدعُونَ إِلَى النّارِ ثم وصفه بصفة أخرى و هو أنه عدو النبي ص ليس يعني بذلك أنه كان عدوا أيام حرب النبي ص لقريش بل يريد أنه الآن عدو النبي ص -قرآن-۱۱۶-۱۶۰ لقوله ص له ع وعدوك عدوي وعدوي عدو الله وأول الخبر وليك وليي ووليي ولي الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۹۲ وتمامه مشهور ولأن دلائل النفاق كانت ظاهرة عليه من فلتات لسانه و من أفعاله و قد قال أصحابنا في هذاالمعنى أشياء كثيرة فلتطلب من كتبهم خصوصا [صفحه ۱۷۱] من كتب شيخنا أبي عبد الله و من كتب الشيخين أبي جعفرالإسكافي و أبي القاسم البلخي و قدذكرنا بعض ذلك فيما تقدم . ثم قال ع إن رسول الله ص قال إني لاأخاف على أمتي مؤمنا و لامشركا أي و لامشركا يظهر الشرك قال لأن المؤمن يمنعه الله بإيمانه أن يضل الناس والمشرك مظهر الشرك يقمعه الله بإظهار شركه ويخذله ويصرف قلوب الناس عن اتباعه لأنهم ينفرون منه لإظهاره كلمة الكفر فلاتطمئن قلوبهم إليه و لاتسكن نفوسهم إلى مقالته ولكني أخاف على أمتي المنافق ألذي يسر الكفر والضلال ويظهر الإيمان والأفعال الصالحة و يكون مع ذلك ذا لسن وفصاحة يقول بلسانه ماتعرفون صوابه ويفعل سرا ماتنكرونه لواطلعتم عليه وذاك أن من هذه صفته تسكن نفوس الناس إليه لأن الإنسان إنما يحكم بالظاهر فيقلده الناس فيضلهم ويوقعهم في المفاسد

كتاب المعتضد بالله

و من الكتب المستحسنة الكتاب ألذي كتبه المعتضد بالله أبوالعباس أحمد بن الموفق أبي أحمدطلحة بن المتوكل على الله في سنة أربع وثمانين ومائتين ووزيره حينئذ عبيد الله بن سليمان و أناأذكره مختصرا من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري. قال أبو جعفر و في هذه السنة عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس فخوفه عبيد الله بن سليمان اضطراب العامة [صفحه ۱۷۲] و أنه لايأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إليه فكان أول شيءبدأ به المعتضد من ذلك التقدم إلى العامة بلزوم أعمالهم وترك الاجتماع والعصبية والشهادات عندالسلطان إلا أن يسألوا ومنع القصاص عن القعود

على الطرقات وأنشأ هذاالكتاب وعملت به نسخ قرئت بالجانبين من مدينة السلام فى الأرباع والمحال والأسواق يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منه ومنع القصاص من القعود فى الجانبين ومنع أهل الحلق من القعود فى المسجدين ونودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع وغيره وبمنع القصاص و أهل الحلق من القعود ونودى إن الذمة قدبرئت ممن اجتمع من الناس فى مناظرة أوجدال وتقدم إلى الشراب الذين يسقون الماء فى الجامعين ألا يترحموا على معاوية و لايذكروه بخير وكانت عادتهم جارية بالترحم عليه وتحدث الناس أن الكتاب ألذى قدأمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعدصلاة الجمعة على المنبر فلما صلى الناس بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ وقيل إن عبيد الله بن سليمان صرفه عن قراءته و أنه أحضر يوسف بن يعقوب القاضى وأمره أن يعمل الحيلة فى إبطال ماعزم المعتضد عليه فمضى يوسف فكلم المعتضد فى ذلك و قال له إنى أخاف أن تضطرب العامة و يكون منها عندسماعها هذاالكتاب حركة فقال إن تحركت العامة أونطقت وضعت السيف فيها فقال يا أمير المؤمنين فما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون فى كل ناحية ويميل إليهم خلق كثير لقربتهم من رسول الله ص و ما فى هذاالكتاب من إطرائهم أو كما قال و إذاسمع الناس هذاكانوا إليهم أميل وكانوا هم أبسط [صفحه ۱۷۳] ألسنة وأثبت حجة منهم اليوم فأمسك المعتضد فلم يرد إليه جوابا و لم يأمر بعد ذلك فى الكتاب بشىء و كان من جملة الكتاب بعد أن قدم حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله ص أما بعدفقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة العامة من شبهة قددخلتهم فى أديانهم وفساد قدلحقهم فى معتقدهم وعصبية قدغلبت عليها أهواؤهم ونطقت بهاألسنتهم على غيرمعرفة و لاروية قدقلدوا فيهاقادة الضلالة بلا بينة و لابصيرة وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة قال الله تعالى وَ مَن أَضَلّ مِمّنِ اتّبَعَ هَواهُ بِغَيرِ هُديً مِنَ اللّهِ إِنّ اللّهَ لا يهَديِ القَومَ الظّالِمِينَخروجا عن الجماعة ومسارعة إلى الفتنة وإيثارا للفرقة وتشتيتا للكلمة وإظهارا لموالاة من قطع الله عنه الموالاة وبتر منه العصمة وأخرجه من الملة وأوجب عليه اللعنة وتعظيما لمن صغر الله حقه وأوهن أمره وأضعف ركنه من بنى أمية الشجرة الملعونة ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة وأسبغ عليهم به النعمة من أهل بيت البركة والرحمةوَ اللّهُ يَختَصّ بِرَحمَتِهِ مَن يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ.فأعظم أمير المؤمنين ماانتهى إليه من ذلك ورأى ترك إنكاره حرجا عليه فى الدين وفسادا لمن قلده الله أمره من المسلمين وإهمالا لماأوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين وإقامة الحجة على الشاكين وبسط اليد على المعاندين و أمير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين أن الله جل ثناؤه لماابتعث محمداص بدينه وأمره أن يصدع بأمره بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربه وأنذرهم وبشرهم -قرآن-۴۸۳-۵۸۷-قرآن-۹۲۵-۹۹۶ [صفحه ۱۷۴] ونصح لهم وأرشدهم فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره نفير يسير من بنى أبيه من بين مؤمن بما أتى به من ربه وناصر لكلمته و إن لم يتبع دينه إعزازا له وإشفاقا عليه فمؤمنهم مجاهد ببصيرته وكافرهم مجاهد بنصرته وحميته يدفعون من نابذه ويقهرون من عازه وعانده ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده ويبايعون من سمح بنصرته ويتجسسون أخبار أعدائه ويكيدون له بظهر الغيب كمايكيدون له برأى العين حتى بلغ المدى وحان وقت الاهتداء فدخلوا فى دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيرة وأحسن هدى ورغبة فجعلهم الله أهل بيت الرحمة و أهل بيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا معدن الحكمة وورثة النبوة وموضع الخلافة أوجب الله لهم الفضيلة وألزم العباد لهم الطاعة. و كان ممن عانده وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم يتلقونه بالضرر والتثريب ويقصدونه بالأذى والتخويف وينابذونه بالعداوة وينصبون له المحاربة ويصدون من قصده وينالون بالتعذيب من اتبعه و كان أشدهم فى ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة أولهم فى كل حرب ومناصبة ورأسهم فى كل إجلاب وفتنة لايرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها أباسفيان بن حرب صاحب أحد والخندق وغيرهما وأشياعه من بنى أمية الملعونين فى كتاب الله ثم الملعونين على لسان رسول الله ص فى مواطن عدة لسابق علم الله فيهم وماضى حكمه فى أمرهم وكفرهم

ونفـاقهم فلم يزل لعنه الله يحـارب مجاهـدا ويـدافع مكايـدا ويجلب منابـذا حـتى قهره السـيف وعلاـ أمر الله وهـم كـارهون فتعوذ بالإسـلام غيرمنطو عليه وأسـر الكفر غيرمقلع عنه فقبله وقبـل ولـده على علم منه بحـاله وحالهم ثم أنزل الله [صـفحه ١٧٥] تعالى كتابـا فيمـا أنزله على رسوله يـذكر فيه شـأنهم و هو قوله تعالى وَ الشَّجَرَةَ المَلعُونَـةَ فِی القُرآنِ و لاخلاف بين أحـد فی أنه تعالى وتبارک أراد بهابنی أميۀ. ومما ورد من ذلک فی السنۀ ورواه ثقات الأمۀ -قرآن-٧٠-١٠٨ قول رسول الله ص فيه و قدرآه مقبلا على حمار ومعاويۀ يقوده ويزيد يسوقه لعن الله الراکب والقائد والسائق -روايت-١-٢-روايت-٢٧-١١٥ . و منه ماروته الرواۀ عنه من قوله يوم بيعـۀ عثمـان تلقفوهـا يابنی عبدشـمس تلقف الکرۀ فو الله ما من جنـۀ و لانار و هـذاکفر صـراح يلحقه اللعنـۀ من الله کمـالحقت الـذين کفروا من بنی إسـرائيل على لسان داود وعيسـى ابن مريم ذلک بما عصوا وکانوا يعتـدون . و منه مايروى من وقوفه على ثنيـۀ أحـد من بعـدذهاب بصـره و قوله لقائـده هاهنا رمينا محمـدا وقتلنا أصـحابه . ومنها الکلمۀ التی قالها للعباس قبل الفتح و قدعرضت عليه الجنود لقد أصـبح ملک ابن أخيک عظيما فقال له العباس ويحک إنه ليس بملک إنها النبوۀ. ومنها قوله يوم الفتـح و قـدرأى بلالا على ظهر الکعبـۀ يؤذن و يقول أشـهد أن محمـدا رسول الله لقـد أسـعد الله عتبۀ بن ربيعۀ إذ لم يشـهد هذاالمشـهد. و منه الرؤيا التی رآها رسول الله ص فوجم لها قالوا فما رئی بعـدها ضاحکا رأى نفرا من بنی أميـۀ ينزون على منبره نزوۀ القردۀ. ومنها طرد رسول الله ص الحکم بن أبی العاص لمحاکاته إياه فی [صـفحه ١٧٦] مشيته وألحقه الله بدعوۀ رسول الله ص آفـۀ باقيۀ حين التفت إليه فرآه يتخلج يحکيه فقال کن کما أنت فبقی على ذلک سائر عمره . هذا إلی ما کان من مروان ابنه فی افتتـاحه أول فتنـۀ کـانت فی الإسـلام واحتقـابه کل حرام سـفک فيها أوأريق بعـدها. ومنها ماأنزل الله تعالى على نبيه ص لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ مِن أَلفِ شَهرٍقالوا ملک بنی أميۀ. ومنها -قرآن-٢٨٨-٣٢٤ أن رسول الله ص دعا معاويـۀ ليکتب بين يديه فدافع بأمره واعتل بطعامه فقال ص لاأشـبع الله بطنه -روايت-١-١٠٥ فبقی لايشـبع و هو يقول و الله ماأترک الطعام شـبعا ولکن إعياء. ومنها أن رسول الله ص قال يطلع من هذاالفج رجل من أمتی يحشر على غيرملتی -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٧٩ أن رسول الله ص قال إذارأيتم معاويـۀ على منبری فاقتلوه -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٦٥ الحـديث المشـهور المرفوع أنه ص قال إن معاويۀ فی تابوت من نـار فی أسـفل درک من جهنم ينادی ياحنان يامنان فيقال له آلآنَ وَ قَد عَصَيتَ قَبلُ وَ کُنتَ مِنَ المُفسِدِينَ -روايت-١-٢-روايت-٤٠-١٧٨ . ومنها افتراؤه بالمحاربۀ لأفضل المسـلمين فی الإسـلام مکانا وأقدمهم إليه سـبقا وأحسنهم فيه أثرا وذکرا على بن أبی طـالب ينازعه حقه بباطله ويجاهـد أنصاره بضـلاله أعوانه ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه [صفحه ١٧٧] وَ يَأبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمّ نُورَهُ وَ لَو کَرِهَ الکافِرُونَ ويسـتهوی أهل الجهالۀ ويموه لأهل الغباوۀ بمکره وبغيه اللذين قـدم رسول الله ص الخبر عنهما -قرآن-١-٦٧ فقال لعمار بن ياسـر تقتلک الفئـۀ الباغيۀ -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٤٣ تدعوهم إلی الجنـۀ ويدعونک إلی النار مؤثرا للعاجلۀ کافرا بالآجلۀ خارجا من ربقۀ الإسـلام مسـتحلا للدم الحرام حتى سـفک فی فتنته و على سبيل غوايته وضـلالته ما لايحصـى عـدده من أخيار المسـلمين الـذابين عن دين الله والناصـرين لحقه مجاهـدا فی عداوۀ الله مجتهـدا فی أن يعصـى الله فلايطـاع وتبطـل أحکـامه فلاتقـام ويخالف دينه فلايـد و أن تعلو کلمـۀ الضـلال وترتفع دعوۀ الباطل وکلمـۀ الله هی العليـا ودينه المنصور وحکمه النافـذ وأمره الغـالب وکيـد من عـاداه وحاده المغلوب الـداحض حتى احتمل أوزار تلک الحروب و ماتبعها وتطوق تلک الدماء و ماسفک بعدها وسن سنن الفساد التی عليه إثمها وإثم من عمل بها وأباح المحارم لمن ارتکبها ومنع الحقوق أهلها وغرته الآمال واسـتدرجه الإمهال و کان مما أوجب الله عليه به اللعنـۀ قتله من قتل صبرا من خيار الصـحابۀ والتـابعين و أهل الفضل والـدين مثل عمرو بن الحمق الخزاعی وحجر بن عـدی الکنـدی فيمن قتل من أمثالهم على أن تکون له العزۀ والملک والغلبۀ ثم ادعاؤه زياد ابن سـميۀ أخا ونسبته إياه إلی أبيه و الله تعالى يقول ادعُوهُم لِآبائِهِم هُوَ أَقسَطُ عِندَ اللّهِ و -قرآن-٩٨٣-١٠٢٧ رسـول الله ص يقول ملعون من ادعى إلی غير أبيه أوانتمی إلی غيرمواليه -روايت-١-٢-روايت-٢٤-

۸۰ قال الولد للفراش وللعاهر الحجر -روایت-۱-۲-روایت-۸-۳۶ فخالف حکم الله تعالی ورسوله جهارا وجعل الولد لغیر الفراش والحجر لغیر العاهر فأحل بهذه الدعوة من محارم الله ورسوله فی أم حبیبة أم المؤمنین و فی غیرها من النساء من شعور ووجوه قد [صفحه ۱۷۸] حرمها الله وأثبت بها من قربی قدأبعدها الله ما لم یدخل الدین خلل مثله و لم ینل الإسلام تبدیل یشبهه . و من ذلک إیثاره لخلافة الله علی عباده ابنه یزید السکیر الخمیر صاحب الدیکة والفهود والقردة وأخذ البیعة له علی خیار المسلمین بالقهر والسطوة والتوعد والإخافة والتهدید والرهبة و هویعلم سفهه ویطلع علی رهقه وخبثه ویعاین سکراته وفعلاته وفجوره وکفره فلما تمکن قاتله الله فیما تمکن منه طلب بثارات المشرکین وطوائلهم عندالمسلمین فأوقع بأهل المدینة فی وقعة الحرة الوقعة التی لم یکن فی الإسلام أشنع منها و لاأفحش فشفی عندنفسه غلیله وظن أنه قدانتقم من أولیاء الله وبلغ الثأر لأعداء الله فقال مجاهرا بکفره ومظهرا لشرکه لیت أشیاخی ببدر شهدوا || جزع الخزرج من وقع الأسل .قول من لایرجع إلی الله و لا إلی دینه و لا إلی رسوله و لا إلی کتابه و لایؤمن بالله وبما جاء من عنده . ثم أغلظ ماانتهک وأعظم مااجترم سفکه دم الحسین بن علی ع مع موقعه من رسول الله ص ومکانه ومنزلته من الدین والفضل والشهادة له ولأخیه بسیادة شباب أهل الجنة اجتراء علی الله وکفرا بدینه وعداوة لرسوله ومجاهرة لعترته واستهانة لحرمته کأنما یقتل منه و من أهل بیته قوما من کفره الترک [صفحه ۱۷۹] والدیلم و لایخاف من الله نقمة و لایراقب منه سطوة فبتر الله عمره أخبث أصله وفرعه وسلبه ماتحت یده وأعد له من عذابه وعقوبته مااستحقه من الله بمعصیته . هذا إلی ما کان من بنی مروان من تبدیل کتاب الله وتعطیل أحکام الله واتخاذ مال الله بینهم دولا وهدم بیت الله واستحلالهم حرمه ونصبهم المجانیق علیه ورمیهم بالنیران إیاه لایألون له إحراقا وإخرابا و لماحرم الله منه استباحة وانتهاکا ولمن لجأ إلیه قتلا وتنکیلا ولمن أمنه الله به إخفاقة وتشریدا حتی إذاحقت علیهم کلمة العذاب واستحقوا من الله الانتقام وملئوا الأرض بالجور والعدوان وعموا عباد بلاد الله بالظلم والاقتسار وحلت علیهم السخطة ونزلت بهم من الله السطوة أتاح الله لهم من عترة نبیه و أهل وراثته و من استخلصه منهم لخلافته مثل ماأتاح من أسلافهم المؤمنین وآبائهم المجاهدین لأوائلهم الکافرین فسفک الله به دماءهم ودماء آبائهم مرتدین کماسفک بآبائهم مشرکین وقطع الله دابر الذین ظلموا والحمد لله رب العالمین .أیها الناس إن الله إنما أمر لیطاع ومثل لیتمثل وحکم لیفعل قال الله سبحانه و تعالی إِنّ اللّهَ لَعَنَ الکافِرِینَ وَ أَعَدّ لَهُم سَعِیراً و قال أُولئِکَ یَلعَنُهُمُ اللّهُ وَ یَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَ.فالعنوا أیها الناس من لعنه الله ورسوله وفارقوا من لاتنالون القربة من الله إلابمفارقته أللهم العن أباسفیان بن حرب بن أمیة ومعاویة بن أبی سفیان ویزید بن معاویة ومروان بن الحکم وولده وولد ولده أللهم العن أئمة الکفر وقادة الضلال وأعداء الدین ومجاهدی الرسول ومعطلی الأحکام ومبدلی الکتاب ومنتهکی الدم الحرام أللهم إنا نبرأ إلیک من موالاة أعدائک و من الإغماض لأهل معصیتک -قرآن-۱۰۲۲-۱۰۷۶-قرآن-۱۰۸۴-۱۱۳۸ [صفحه ۱۸۰] کما قلت لا تَجِدُ قَوماً یُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ الیَومِ الآخِرِ یُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ.أیها الناس اعرفوا الحق تعرفوا أهله وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها فقفوا عند ماوقفکم الله علیه وانفذوا کماأمرکم الله به و أمیر المؤمنین یستعصم بالله لکم ویسأله توفیقکم ویرغب إلیه فی هدایتکم و الله حسبه و علیه توکله و لاقوة إلابالله العلی العظیم . قلت هکذا ذکر الطبری الکتاب وعندی أنه الخطبة لأن کل مایخطب به فهو خطبة و لیس بکتاب والکتاب مایکتب إلی عامل أو أمیر ونحوهما و قدیقرأ الکتاب علی المنبر فیکون کالخطبة ولکن لیس بخطبة ولکنه کتاب قرئ علی الناس . ولعل هذاالکلام کان قدأنشئ لیکون کتابا ویکتب به إلی الآفاق ویؤمروا بقراءته علی الناس و ذلک بعدقراءته علی أهل بغداد و ألذی یؤکد کونه کتابا وینصر ماقاله الطبری إن فی آخره کتب عبید الله بن سلیمان فی سنة أربع وثمانین ومائتین و هذا لا یکون فی الخطب بل فی الکتب ولکن الطبری لم یذکر أنه أمر بأن یکتب إلی الآفاق و لا قال وقع العزم علی ذلک و لم یذکر إلاوقوع العزم علی أن یقرأ فی الجوامع ببغداد -قرآن-۱۰-۱۰۴ [صفحه ۱۸۱]

۲۸- و من كتاب له ع إلى معاوية جوابا

اشاره

و هو من محاسن الكتب أَمّا بَعدُ فَقَد أَتَانِي كِتَابُكَ تَذكُرُ فِيهِ اصطِفَاءَ اللّهِ مُحَمّداًص لِدِينِهِ وَ تَأيِيدَهُ إِيّاهُ لِمَن أَيّدَهُ مِن أَصحَابِهِ فَلَقَد خَبّأَ لَنَا الدّهرُ مِنكَ عَجَباً إِذ طَفِقتَ تُخبِرُنَا بِبَلَاءِ اللّهِ تَعَالَى عِندَنَا وَ نِعمَتِهِ عَلَينَا فِي نَبِيّنَا فَكُنتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التّمرِ إِلَى هَجَرَ أَو دَاعِي مُسَدّدِهِ إِلَى النّضَالِ وَ زَعَمتَ أَنّ أَفضَلَ النّاسِ فِي الإِسلَامِ فُلَانٌ وَ فُلَانٌ فَذَكَرتَ أَمراً إِن تَمّ اعتَزَلَكَ كُلّهُ وَ إِن نَقَصَ لَم يَلحَقكَ ثَلمُهُ وَ مَا أَنتَ وَ الفَاضِلَ وَ المَفضُولَ وَ السّائِسَ وَ المَسُوسَ وَ مَا لِلطّلَقَاءِ وَ أَبنَاءِ الطّلَقَاءِ وَ التّميِيزَ بَينَ المُهَاجِرِينَ الأَوّلِينَ وَ تَرتِيبَ دَرَجَاتِهِم وَ تَعرِيفَ طَبَقَاتِهِم هَيهَاتَ لَقَد حَنّ قِدحٌ لَيسَ مِنهَا وَ طَفِقَ يَحكُمُ فِيهَا مَن عَلَيهِ الحُكمُ لَهَا أَ لَا تَربَعُ أَيّهَا الإِنسَانُ عَلَى ظَلعِكَ وَ تَعرِفُ قُصُورَ ذَرعِكَ وَ تَتَأَخّرُ حَيثُ أَخّرَكَ القَدَرُ فَمَا عَلَيكَ غَلَبَةُ المَغلُوبِ وَ لَا ظَفَرُ الظّافِرِ فَإِنّكَ لَذَهّابٌ فِي التّيهِ رَوّاغٌ عَنِ القَصدِ أَ لَا تَرَى غَيرَ مُخبِرٍ لَكَ وَ لَكِن بِنِعمَةِ اللّهِ أُحَدّثُ أَنّ قَوماً استُشهِدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ تَعَالَى مِنَ المُهَاجِرِينَ وَ الأَنصَارِ وَ لِكُلّ فَضلٌ حَتّى إِذَا استُشهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيّدُ الشّهَدَاءِ وَ خَصّهُ رَسُولُ اللّهِص بِسَبعِينَ تَكبِيرَةً عِندَ صَلَاتِهِ عَلَيهِ [صفحه ۱۸۲] أَ وَ لَا تَرَى أَنّ قَوماً قُطّعَت أَيدِيهِم فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ لِكُلّ فَضلٌ حَتّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِم قِيلَ الطّيّارُ فِي الجَنّةِ وَ ذُو الجَنَاحَينِ وَ لَو لَا مَا نَهَى اللّهُ عَنهُ مِن تَزكِيَةِ المَرءِ نَفسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمّةً تَعرِفُهَا قُلُوبُ المُؤمِنِينَ وَ لَا تَمُجّهَا آذَانُ السّامِعِينَ فَدَع عَنكَ مَن مَالَت بِهِ الرّمِيّةُ فَإِنّا صَنَائِعُ رَبّنَا وَ النّاسُ بَعدُ صَنَائِعُ لَنَا لَم يَمنَعنَا قَدِيمُ عِزّنَا وَ لَا عَادِيّ طَولِنَا عَلَى قَومِكَ أَن خَلَطنَاكُم بِأَنفُسِنَا فَنَكَحنَا وَ أَنكَحنَا فِعلَ الأَكفَاءِ وَ لَستُم هُنَاكَ وَ أَنّى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَ مِنّا النّبِيّ وَ مِنكُمُ المُكَذّبُ وَ مِنّا أَسَدُ اللّهِ وَ مِنكُم أَسَدُ الأَحلَافِ وَ مِنّا سَيّدَا شَبَابِ أَهلِ الجَنّةِ وَ مِنكُم صِبيَةُ النّارِ وَ مِنّا خَيرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ وَ مِنكُم حَمّالَةُ الحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمّا لَنَا وَ عَلَيكُم فَإِسلَامُنَا مَا قَد سُمِعَ وَ جَاهِلِيّتُنَا لَا تُدفَعُ وَ كِتَابُ اللّهِ يَجمَعُ لَنَا مَا شَذّ عَنّا وَ هُوَ قَولُهُ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَيَ أُولُوا الأَرحامِ بَعضُهُم أَولى بِبَعضٍ فِي كِتابِ اللّهِ وَ قَولُهُ تَعَالَيإِنّ أَولَى النّاسِ بِإِبراهِيمَ لَلّذِينَ اتّبَعُوهُ وَ هذَا النّبِيّ وَ الّذِينَ آمَنُوا وَ اللّهُ ولَيِّ المُؤمِنِينَفَنَحنُ مَرّةً أَولَى بِالقَرَابَةِ وَ تَارَةً أَولَى بِالطّاعَةِ وَ لَمّا احتَجّ المُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنصَارِ يَومَ السّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللّهِص فَلَجُوا عَلَيهِم فَإِن يَكُنِ الفَلَجُ بِهِ فَالحَقّ لَنَا دُونَكُم وَ إِن يَكُن بِغَيرِهِ فَالأَنصَارُ عَلَى دَعوَاهُم وَ زَعَمتَ أَنّيَ لِكُلّ الخُلَفَاءِ حَسَدتُ وَ عَلَى كُلّهِم بَغَيتُ فَإِن يَكُن ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيسَتِ الجِنَايَةُ عَلَيكَ فَيَكُونَ العُذرُ إِلَيكَ -قرآن-۱۰۴۴-۱۱۰۴-قرآن-۱۱۲۵-۱۲۴۵ [صفحه ۱۸۳] وَ تِلكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنكَ عَارُهَا وَ قُلتَ إِنّي كُنتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الجَمَلُ المَخشُوشُ حَتّى أُبَايِعَ وَ لَعَمرُ اللّهِ لَقَد أَرَدتَ أَن تَذُمّ فَمَدَحتَ وَ أَن تَفضَحَ فَافتَضَحتَ وَ مَا عَلَى المُسلِمِ مِن غَضَاضَةٍ فِي أَن يَكُونَ مَظلُوماً مَا لَم يَكُن شَاكّاً فِي دِينِهِ وَ لَا مُرتَاباً بِيَقِينِهِ وَ هَذِهِ حُجّتِي إِلَى غَيرِكَ قَصدُهَا وَ لَكِنّي أَطلَقتُ لَكَ مِنهَا بِقَدرِ مَا سَنَحَ مِن ذِكرِهَا ثُمّ ذَكَرتَ مَا كَانَ مِن أَمرِي وَ أَمرِ عُثمَانَ فَلَكَ أَن تُجَابَ عَن هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنهُ فَأَيّنَا كَانَ أَعدَى لَهُ وَ أَهدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَ مَن بَذَلَ لَهُ نُصرَتَهُ فَاستَقعَدَهُ وَ استَكَفّهُ أَمّن استَنصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنهُ وَ بَثّ المَنُونَ إِلَيهِ حَتّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيهِ كَلّا وَ اللّهِ لَقَد يَعلَمُ اللّهُ المُعَوّقِينَ مِنكُم وَ القَائِلِينَ لِإِخوَانِهِم هَلُمّ إِلَينَا وَ لَا يَأتُونَ البَأسَ إِلّا قَلِيلًا. وَ مَا كُنتُ لِأَعتَذِرَ مِن أَنّي كُنتُ أَنقِمُ عَلَيهِ أَحدَاثاً فَإِن كَانَ الذّنبُ إِلَيهِ إِرشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ فَرُبّ مَلُومٍ لَا ذَنبَ لَهُ وَ قَد يَستَفِيدُ الظّنّةَ المُتَنَصّحُ وَ مَا أَرَدتُ إِلّا الإِصلَاحَ مَا استَطَعتُ وَ مَا تَوفِيقِي إِلّا بِاللّهِ عَلَيهِ تَوَكّلتُ وَ إِلَيهِ أُنِيبُ وَ ذَكَرتَ أَنّهُ لَيسَ لِي وَ لِأَصحَابِي عِندَكَ إِلّا السّيفُ فَلَقَد أَضحَكتَ بَعدَ استِعبَارٍ مَتَى أَلفَيتَ بَنِي عَبدِ المُطّلِبِ عَنِ الأَعدَاءِ نَاكِلِينَ وَ بِالسّيفِ مُخَوّفِينَ [صفحه ۱۸۴] فَلَبّث قَلِيلًا يَلحَقِ الهَيجَا حَمَل فَسَيَطلُبُكَ مَن تَطلُبُ وَ يَقرُبُ مِنكَ مَا تَستَبعِدُ وَ أَنَا مُرقِلٌ نَحوَكَ فِي جَحفَلٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَ الأَنصَارِ وَ التّابِعِينَ لَهُم بِإِحسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُم سَاطِعٍ قَتَامُهُم مُتَسَربِلِينَ سَرَابِيلَ المَوتِ أَحَبّ اللّقَاءِ إِلَيهِم لِقَاءُ رَبّهِم وَ

قَد صَحِبَتهُم ذُرِّيَّةٌ بَدرِيَّةٌ وَ سُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَد عَرَفتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَ خَالِكَ وَ جَدِّكَ وَ أَهلِكَ وَ مَا هيَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ

كتاب لمعاوية إلى على

سألت النقيب أبا جعفريحيى بن أبى زيد فقلت أرى هذاالجواب منطبقا على كتاب معاوية ألذى بعثه مع أبى مسلم الخولانى إلى على ع فإن كان هذا هوالجواب فالجواب ألذى ذكره أرباب السيرة وأورده نصر بن مزاحم فى كتاب صفين إذن غيرصحيح و إن كان ذلك الجواب فهذا الجواب إذن غيرصحيح و لاثابت فقال لى بل كلاهما ثابت مروى وكلاهما كلام أمير المؤمنين ع وألفاظه ثم أمرنى أن أكتب ما عليه على ع فكتبته قال رحمه الله كان معاوية يتسقط عليا وينعى عليه ماعساه يذكره من حال أبى بكر وعمر وأنهما غصباه حقه و لايزال يكيده بالكتاب يكتبه والرسالة يبعثها يطلب غرته لينفث بما فى صدره من حال أبى بكر وعمر إما مكاتبة أومراسلة فيجعل ذلك حجة [صفحه ۱۸۵] عليه عند أهل الشام ويضيفه إلى ماقرره فى أنفسهم من ذنوبه كمازعم فقد كان غمصه عندهم بأنه قتل عثمان ومالأ على قتله و أنه قتل طلحة والزبير وأسر عائشة وأراق دماء أهل البصرة وبقيت خصلة واحدة و هو أن يثبت عندهم أنه يتبرأ من أبى بكر وعمر وينسبهما إلى الظلم ومخالفة الرسول فى أمر الخلافة وأنهما وثبا عليها غلبة وغصباه إياها فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه بل و أهل العراق الذين هم جنده وبطانته وأنصاره لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلاالقليل الشاذ من خواص الشيعة فلما كتب ذلك الكتاب مع أبى مسلم الخولانى قصد أن يغضب عليا ويحرجه ويحوجه إذاقرأ ذكر أبى بكر و أنه أفضل المسلمين إلى أن يخلط خطه فى الجواب بكلمة تقتضى طعنا فى أبى بكر فكان الجواب مجمجما غير بين ليس فيه تصريح بالتظليم لهما و لاالتصريح ببراءتهما وتارة يترحم عليهما وتارة يقول أخذا حقى و قدتركته لهما فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتابا ثانيا مناسبا للكتاب الأول ليستفزا فيه عليا ع ويستخفاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاما يتعلقان به فى تقبيح حاله وتهجين مذهبه و قال له عمرو إن عليا ع رجل نزق تياه و مااستطعمت منه الكلام بمثل تقريظ أبى بكر وعمر فاكتب فكتب كتابا أنفذه إليه مع أبى أمامة الباهلى و هو من الصحابة بعد أن عزم على بعثته مع أبى الدرداء ونسخة الكتاب من عبد الله معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب أما بعد فإن الله تعالى جده اصطفى محمدا ع لرسالته واختصه بوحيه وتأدية شريعته فأنقذ به من العماية وهدى به من الغواية ثم قبضه إليه رشيدا حميدا قدبلغ الشرع ومحق الشرك وأخمد نار الإفك فأحسن الله جزاءه وضاعف عليه نعمه وآلاءه ثم إن الله سبحانه اختص محمدا ع بأصحاب أيدوه وآزروه ونصروه [صفحه ۱۸۶] وكانوا كما قال الله سبحانه لهم أَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَينَهُمفكان أفضلهم مرتبة وأعلاهم عند الله والمسلمين منزلة الخليفة الأول ألذى جمع الكلمة و لم الدعوة وقاتل أهل الردة ثم الخليفة الثانى ألذى فتح الفتوح ومصر الأمصار وأذل رقاب المشركين ثم الخليفة الثالث المظلوم ألذى نشر الملة وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية. فلما استوثق الإسلام وضرب بجرانه عدوت عليه فبغيته الغوائل ونصبت له المكايد وضربت له بطن الأمر وظهره ودسست عليه وأغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصره وسألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته و ما يوم المسلمين منك بواحد.لقد حسدت أبابكر والتويت عليه ورمت إفساد أمره وقعدت فى بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه حتى إنك حاولت قتل ولده لأنه قتل قاتل أبيه ثم لم تكن أشد منك حسدا لابن عمك عثمان نشرت مقابحه وطويت محاسنه وطعنت فى فقهه ثم فى دينه ثم فى سيرته ثم فى عقله وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتى قتلوه بمحضر منك لاتدفع عنه بلسان و لايد و

ما من هؤلاء إلا من بغيت عليه وتلكأت فی بيعته حتی حملت إليه قهرا تساق بخزائم الاقتسار كمايساق الفحل المخشوش ثم نهضت الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك والمحدقون بك وتلك من أمانی النفوس وضلالات الأهواء.فدع اللجاج والعبث جانبا وادفع إلينا قتلة عثمان وأعد الأمر شوری بين المسلمين ليتفقوا علی من هولله رضا فلابيعة لك فی أعناقنا و لاطاعة لك علينا و لاعتبی لك -قرآن-٣٥-٧٧ [صفحه ١٨٧] عندنا و ليس لك ولأصحابك عندی إلاالسيف و ألذی لاإله إلا هولأطلبن قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا حتی أقتلهم أوتلتحق روحی بالله .فأما ما لاتزال تمن به من سابقتك وجهادك فإنی وجدت الله سبحانه يقول يَمُنّونَ عَلَيكَ أَن أَسلَمُوا قُل لا تَمُنّوا عَلَيّ إِسلامَكُم بَلِ اللّهُ يَمُنّ عَلَيكُم أَن هَداكُم لِلإِيمانِ إِن كُنتُم صادِقِينَ و لونظرت فی حال نفسك لوجدتها أشد الأنفس امتنانا علی الله بعملها و إذا كان الامتنان علی السائل يبطل أجر الصدقة فالامتنان علی الله يبطل أجر الجهاد ويجعله كصَفوانٍ عَلَيهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلداً لا يَقدِرُونَ عَلی شَيءٍ مِمّا كَسَبُوا وَ اللّهُ لا يَهدِي القَومَ الكافِرِينَ. قال النقيب أبو جعفر فلما وصل هذاالكتاب إلی علی ع مع أبی أمامة الباهلی كلم أباأمامة بنحو مما كلم به أبامسلم الخولانی وكتب معه هذاالجواب . قال النقيب و فی كتاب معاوية هذاذكر لفظ الجمل المخشوش أوالفحل المخشوش لا فی الكتاب الواصل مع أبی مسلم و ليس فی ذلك هذه اللفظة وإنما فيه حسدت الخلفاء وبغيت عليهم عرفنا ذلك من نظرك الشزر وقولك الهجر وتنفسك الصعداء وإبطائك عن الخلفاء. قال وإنما كثير من الناس لايعرفون الكتابين والمشهور عندهم كتاب أبی مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه والصحيح أنها فی كتاب أبی أمامة أ لاتراها عادت -قرآن-٢١٦-٣٥٢-قرآن-٥١٩-٦٥٧ [صفحه ١٨٨] فی جوابه و لوكانت فی كتاب أبی مسلم لعادت فی جوابه .انتهی كلام النقيب أبی جعفر ونحن الآن مبتدءون فی شرح ألفاظ الجواب المذكور. قوله فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبا موضع التعجب إن معاوية يخبر عليا ع باصطفاء الله تعالی محمدا وتشريفه له وتأييده له و هذاظريف لأنه يجری كإخبار زيد عمرا عن حال عمرو إذ كان النبی ص و علی ع كالشیء الواحد وخبأ مهموز والمصدر الخب ء و منه الخابية وهی الخب ء إلاأنهم تركوا همزها والخب ء أيضا والخبیء علی فعيل ماخبئ . وبلاء الله تعالی إنعامه وإحسانه . و قوله ع كناقل التمر إلی هجر مثل قديم وهجر اسم مدينة لاينصرف للتعريف والتأنيث وقيل هواسم مذكر مصروف وأصل المثل كمستبضع تمر إلی هجر والنسبة إليه هاجری علی غيرقياس وهی بلدة كثيرة النخل يحمل منها التمر إلی غيرها قال الشاعر فی هذاالمعنی أهدی له طرف الكلام كما || يهدی لوالی البصرة التمر . قوله وداعی مسدده إلی النضال أی معلمه الرمی و هذاإشارة إلی قول القائل الأول [صفحه ١٨٩] أعلمه الرماية كل يوم || فلما استد ساعده رمانی .هكذا الرواية الصحيحة بالسين المهملة أی استقام ساعده علی الرمی وسددت فلانا علمته النضال وسهم سديد مصيب ورمح سديد أی قل أن تخطئ طعنته و قدظرف القاضی الأرجانی فی قوله لسديد الدولة محمد بن عبدالكريم الأنباری كاتب الإنشاء إلی ألذی نصب المكارم للوری || غرضا يلوح من المدی المتباعد نثل الأماثل من كنانته فما || وجدت يداه سوی سديد واحد . و من الأمثال فی هذاالمعنی سمن كلبك يأكلك ومنها أحشك وتروثنی. قوله ع وزعمت أن أفضل الناس فی الإسلام فلان وفلان أی أبوبكر وعمر. قوله ع فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله و إن نقص لم يلحقك ثلمه من هذاالمعنی قول الفرزدق لجرير و قد كان جرير فی مهاجاته إياه يفخر عليه بقيس عيلان فقد كانت لجرير فی قيس خئولة يعيره بأيامهم علی بنی تميم فلما قتل بنو تميم قتيبة بن مسلم الباهلی بخراسان قال الفرزدق يفتخر أتانی وأهلی بالمدينة وقعة || لآل تميم أقعدت كل قائم [صفحه ١٩٠] كان رءوس الناس إذ سمعوا بها || مشدخة هاماتها بالأمائم و ما بين من لم يؤت سمعا وطاعة || و بين تميم غيرجز الحلاقم ثم خرج إلی خطاب جرير بعدأبيات تركنا ذكرها فقال أتغضب إن أذنا قتيبة جزتا || جهارا و لم تغضب لقتل ابن حازم و مامنهما إلانقلنا دماغه || إلی الشام فوق الشاحجات الرواسم تذبذب فی المخلاة تحت بطونها || محذفة الأذناب جلح المقادم و ما أنت من قيس فتنبح دونها || و لا من تميم فی الرءوس الأعاظم تخوفنا أيام قيس و لم تدع || لعيلان

أنفا مستقيم الخياشم لقد شهدت قيس فما كان نصرها || قتيبة إلاعضها بالأباهم فقوله و ما أنت من قيس فتنبح دونها هومعنى قول على ع لمعاوية فذكرت أمرا إن تم اعتزلك كله و ابن حازم المذكور فى الشعر هو عبد الله بن حازم من بنى سليم وسليم من قيس عيلان وقتلته تميم أيضا و كان والى خراسان . قوله ع و ما أنت والفاضل والمفضول الرواية المشهورة بالرفع و قدرواها قوم بالنصب فمن رفع احتج بقوله و ما أنت وبيت أبيك والفخر. وبقوله فما القيسى بعدك والفخار و من نصب فعلى تأويل مالك والفاضل و فى ذلك معنى الفعل أى ماتصنع لأن [صفحه ١٩١] هذاالباب لابد أن يتضمن الكلام فيه فعلا أومعنى فعل وأنشدوا فما أنت والسير فى متلف والرفع عندالنحويين أولى . ثم قال و ماللطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز النصب هاهنا لا غيرلأجل اللام فى الطلقاء. ثم قال ع بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هذاالكلام ينقض ما يقول من يطعن فى السلف فإن أمير المؤمنين ع أنكر على معاوية تعرضه بالمفاضلة بين أعلام المهاجرين و لم يذكر معاوية إلاالمفاضلة بينه ع و بين أبى بكر وعمر فشهادة أمير المؤمنين ع بأنهما من المهاجرين الأولين و من ذوى الدرجات والطبقات التى اشتبه الحال بينهما وبينه ع فى أى الرجال منهم أفضل و أن قدر معاوية يصغر أن يدخل نفسه فى مثل ذلك شهادة قاطعة على علو شأنهما وعظم منزلتهما. قوله ع هيهات لقد حن قدح ليس منها هذامثل يضرب لمن يدخل نفسه بين قوم ليس له أن يدخل بينهم وأصله القداح من عود واحد يجعل فيهاقدح من غير ذلك الخشب فيصوت بينها إذاأرادها المفيض فذلك الصوت هوحنينه . قوله وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها أى وطفق يحكم فى هذه القصة [صفحه ١٩٢] أو فى هذه القضية من يجب أن يكون الحكم لها عليه لا ـ له فيها ويجوز أن يكون الضمير يرجع إلى الطبقات . ثم قال أ لا ـتربع أيها الإنسان على ظلعك أى أ لاترفق بنفسك وتكف و لاتحمل عليها ما لاتطيقه والظلع مصدر ظلع البعير يظلع أى غمز فى مشيه . قوله وتعرف قصور ذرعك أصل الذرع بسط اليد يقال ضقت به ذرعا أى ضاق ذرعى به فنقلوا الاسم من الفاعلية فجعلوه منصوبا على التمييز كقولهم طبت به نفسا. قوله وتتأخر حيث أخرك القدر مثل قولك ضع نفسك حيث وضعها الله يقال ذلك لمن يرفع نفسه فوق استحقاقه . ثم قال فما عليك غلبة المغلوب و لاعليك ظفر الظافر يقول و ما ألذى أدخلك بينى و بين أبى بكر وعمر و أنت من بنى أمية لست هاشميا و لاتيميا و لاعدويا هذافيما يرجع إلى أنسابنا ولست مهاجرا و لاذا قدم فى الإسلام فتزاحم المهاجرين وأرباب السوابق بأعمالك واجتهادك فإذن لايضرك غلبة الغالب منا و لايسرك ظفر الظافر ويروى أن مروان بن الحكم كان ينشد يوم مرج راهط والرءوس تندر عن كواهلها بينه و بين الضحاك بن قيس الفهرى و ماضرهم غيرحين النفوس || أى غلامى قريش غلب . قوله ع وإنك لذهاب فى التيه رواغ عن القصد يحتمل قوله ع فى التيه معنيين أحدهما بمعنى الكبر والآخر التيه من قولك تاه فلان فى البيداء و منه قوله تعالى فَإِنّها مُحَرّمَةٌ عَلَيهِم أَربَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرضِ و هذاالثانى أحسن -قرآن-١٦٨-٢٣٦ [صفحه ١٩٣] يقول إنك شديد الإيغال فى الضلال وذهاب فعال للتكثير ويقال أرض متيهة مثل معيشة أى يتاه فيها. قال ع رواغ عن القصد أى تترك مايلزمك فعله وتعدل عما يجب عليك أن تجيب عنه إلى حديث الصحابة و ماجرى بعدموت النبى ص ونحن إلى الكلام فى غير هذاأحوج إلى الكلام فى البيعة وحقن الدماء والدخول تحت طاعة الإمام . ثم قال أ لاترى غيرمخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أى لست عندى أهلا لأن أخبرك بذلك أيضا فإنك تعلمه و من يعلم الشىء لايجوز أن يخبر به ولكن أذكر ذلك لأنه تحدث بنعمة الله علينا و قدأمرنا بأن نحدث بنعمته سبحانه . قوله ع إن قوما استشهدوا فى سبيل الله المراد هاهنا سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه وينبغى أن يحمل قول النبى ص فيه إنه سيد الشهداء على أنه سيد الشهداء فى حياة النبى ص لأن عليا ع مات شهيدا و لايجوز أن يقال حمزة سيده بل هوسيد المسلمين كلهم و لاخلاف بين أصحابنا رحمهم الله أنه أفضل من حمزة و جعفررضى الله عنهما و قدتقدم ذكر التكبير ألذى كبره رسول الله ص على حمزة فى قصة أحد. قوله ع ولكل فضل أى ولكل واحد من هؤلاء فضل لايجحد. قوله أ و لاترى أن قوما قطعت أيديهم هذاإشارة إلى جعفر و قدتقدم ذلك فى قصة مؤتة.

قوله و لو لا مانهى الله عنه هذاإشارة إلى نفسه ع . [صفحه ۱۹۴] قوله و لاتمجها آذان السامعين أى لاتقذفها يقال مج الرجل من فيه أى قذفه قوله ع فدع عنك من مالت به الرمية يقال للصيد يرمى هذه الرمية وهى فعيلة بمعنى مفعولة والأصل فى مثلها ألا تلحقها الهاء نحو كف خضيب وعين كحيل إلاأنهم أجروها مجرى الأسماء لاالنعوت كالقصيدة والقطيعة. والمعنى دع ذكر من مال إلى الدنيا ومالت به أى أمالته إليها. فإن قلت فهل هذاإشارة إلى أبى بكر وعمر قلت ينبغى أن ينزه أمير المؤمنين ع عن ذلك و أن تصرف هذه الكلمة إلى عثمان لأن معاوية ذكره فى كتابه و قدأوردناه و إذاأنصف الإنسان من نفسه علم أنه ع لم يكن يذكرهما بما يذكر به عثمان فإن الحال بينه و بين عثمان كانت مضطربة جدا. قال ع فإن صنائع ربنا و الناس بعدصنائع لنا هذاكلام عظيم عال على الكلام ومعناه عال على المعانى وصنيعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره . يقول ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو ألذى أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة و الناس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطة بينهم و بين الله تعالى و هذامقام جليل ظاهره ماسمعت وباطنه أنهم عبيد الله و أن الناس عبيدهم . ثم قال لم يمنعنا قديم عزنا وعادى طولنا الطول الفضل وعادى أى قديم بئر عادية. قوله على قومك أن خلطناهم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هناك يقول تزوجنا فيكم وتزوجتم فينا كمايفعل الأكفاء ولستم أكفاءنا وينبغى أن يحمل قوله قديم وعادى على مجازه لا على حقيقته لأن بنى هاشم وبنى أمية لم يفترقا فى الشرف إلامذ نشأ هاشم بن عبدمناف وعرف بأفعاله ومكارمه ونشأ حينئذ أخوه عبدشمس وعرف بمثل ذلك وصار لهذا بنون ولهذا بنون وادعى كل من الفريقين [صفحه ۱۹۵] أنه أشرف بالفعال من الآخر ثم لم تكن المدة بين نش ء هاشم وإظهار محمدص الدعوة إلانحو تسعين سنة ومثل هذه المدة القصيرة لايقال فيهاقديم عزنا وعادى طولنا فيجب أن يحمل اللفظ على مجازه لأن الأفعال الجميلة كماتكون عادية بطول المدة تكون بكثرة المناقب والمآثر والمفاخر و إن كانت المدة قصيرة ولفظة قديم ترد و لايراد بهاقدم الزمان بل من قولهم لفلان قدم صدق وقديم أثر أى سابقة حسنة

مناكحات بنى هاشم وبنى عبدشمس

وينبغى أن نذكرها هاهنا مناكحات بنى هاشم وبنى عبدشمس زوج رسول الله ص ابنتيه رقية وأم كلثوم من عثمان بن عفان بن أبى العاص وزوج ابنته زينب من أبى العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبدشمس فى الجاهلية وتزوج أبولهب بن عبدالمطلب أم جميل بنت حرب بن أمية فى الجاهلية وتزوج رسول الله ص أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وتزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب ع . وروى شيخنا أبوعثمان عن إسحاق بن عيسى بن على بن عبد الله بن العباس قال قلت للمنصور أبى جعفر من أكفاؤنا فقال أعداؤنا فقلت من هم فقال بنو أمية. و قال إسحاق بن سليمان بن على قلت للعباس بن محمد إذااتسعنا من البنات وضقنا من البنين وخفنا بوار الأيامى فإلى من نخرجهن من قبائل قريش فأنشدنى عبدشمس كان يتلو هاشما || وهما بعدلأم ولأب [صفحه ۱۹۶] فعرفت ماأراد وسكتت . وروى أيوب بن جعفر بن سليمان قال سألت الرشيد عن ذلك فقال زوج النبى ص بنى عبدشمس فأحمد صهرهم و قال ماذممنا من صهرنا فإنا لانذم صهر أبى العاص بن الربيع . قال شيخنا أبوعثمان و لماماتت الابنتان تحت عثمان قال النبى ص لأصحابه ماتنتظرون بعثمان أ لا أبوأيم أ لاأخو أيم زوجته ابنتين و لو أن عندى ثالثة لفعلت -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۱۶۷ قال ولذلك سمى ذا النورين ثم قال ع وأنى يكون ذلك أى كيف يكون شرفكم كشرفنا ومنا النبى ومنكم المكذب يعنى أباسفيان بن حرب كان عدو رسول الله والمكذب له والمجلب عليه وهؤلاء ثلاثة بإزاء أبى سفيان رسول الله ص ومعاوية بإزاء على ع ويزيد بإزاء الحسين ع بينهم من العداوة ما لاتبرك عليه الإبل . قال ومنا أسد الله يعنى حمزة ومنكم أسد الأحلاف يعنى عتبة بن ربيعة و قدتقدم شرح ذلك فى قصة بدر. و قال الراوندى

المكذب من كان يكذب رسول الله ص عنادا من قريش وأسد الأحلاف أسد بن عبدالعزى قال لأن بنى أسد بن عبدالعزى كانوا أحد البطون الذين اجتمعوا فى حلف المطيبين وهم بنو أسد بن عبدالعزى وبنو عبدمناف وبنو تميم بن مرة وبنو زهرة وبنو الحارث بن فهر و هذاكلام طريف جدا لأنه لم يلحظ أنه يجب أن يجعل بإزاء النبى ص مكذب [صفحه ١٩٧] من بنى عبدشمس فقال المكذب من كذب النبى ص من قريش عنادا و ليس كل من كذبه ع من قريش يعير معاوية به ثم قال أسد الأحلاف أسد بن عبدالعزى و أى عار يلزم معاوية من ذلك ثم إن بنى عبدمناف كانوا فى هذاالحلف و على ومعاوية من بنى عبدمناف ولكن الراوندى يظلم نفسه بتعرضه لما لايعلمه . قوله ومنا سيدا شباب أهل الجنة يعنى حسنا وحسينا ع ومنكم صبية النار هى الكلمة التى قالها النبى ص لعقبة بن أبى معيط حين قتله صبرا يوم بدر و قد قال كالمستعطف له ع من للصبية يا محمد قال النار. وعقبة بن أبى معيط من بنى عبدشمس و لم يعلم الراوندى مالمراد بهذه الكلمة فقال صبية النار أولاد مروان بن الحكم الذين صاروا من أهل النار عندالبلوغ و لماأخبر النبى ص عنهم بهذه الكلمة كانوا صبية ثم ترعرعوا واختاروا الكفر و لاشبهة أن الراوندى قد كان يفسر من خاطره ماخطر له . قال قوله ع ومنا خير نساء العالمين يعنى فاطمة ع نص رسول الله ص على ذلك لاخلاف فيه . ومنكم حمالة الحطب هى أم جميل بنت حرب بن أمية امرأة أبى لهب ألذى ورد نص القرآن فيهابما ورد. قوله فى كثير مما لنا وعليكم أى أناقادر على أن أذكر من هذاشيئا كثيرا ولكنى أكتفى بما ذكرت . فإن قلت فبما ذا يتعلق فى قوله فى كثير قلت بمحذوف تقديره هذاالكلام داخل فى جملة كلام كثير تتضمن مالنا وعليكم . قوله ع فإسلامنا ما قدسمع وجاهليتنا لاتدفع كلام قدتعلق به [صفحه ١٩٨] بعض من يتعصب للأموية و قال لوكانت جاهلية بنى هاشم فى الشرف كإسلامهم لعد من جاهليتهم حسب ماعد من فضيلتهم فى الإسلام

فضل بنى هاشم على بنى عبدشمس

وينبغى أن نذكر فى هذاالموضع فضل هاشم على عبدشمس فى الجاهلية و قديمتزج بذلك بعض مايمتازون به فى الإسلام أيضا فإن استقصاءه فى الإسلام كثير لأنه لايمكن جحد ذلك وكيف والإسلام كله عبارة عن محمدص و هوهاشمى ويدخل فى ضمن ذلك مايحتج به الأموية أيضا فنقول إن شيخنا أباعثمان قال إن أشرف خصال قريش فى الجاهلية اللواء والندوة والسقاية والرفادة وزمزم والحجابة و هذه الخصال مقسومة فى الجاهلية لبنى هاشم و عبدالدار و عبدالعزى دون بنى عبدشمس . قال على أن معظم ذلك صار شرفه فى الإسلام إلى بنى هاشم لأن النبى ص لماملك مكة صار مفتاح الكعبة بيده فدفعه إلى عثمان بن طلحة فالشرف راجع إلى من ملك المفتاح لا إلى من دفع إليه وكذلك دفع ص اللواء إلى مصعب بن عمير فالذى دفع اللواء إليه وأخذه مصعب من يديه أحق بشرفه وأولى بمجده وشرفه راجع إلى رهطه من بنى هاشم . قال و كان محمد بن عيسى المخزومى أميرا على اليمن فهجاه أبى بن مدلج فقال قل لابن عيسى المستغيث || من السهولة بالوعورة الناطق العوراء فى || جل الأمور بلا بصيرة ولد المغيرة تسعة || كانوا صناديد العشيرة [صفحه ١٩٩] وأبوك عاشرهم كما || نبتت مع النخل الشعيرة إن النبوة والخلافة || والسقاية والمشورة فى غيركم فاكفف إليك || يدا مجذمة قصيرة . قال فانبرى له شاعر من ولد كريز بن حبيب بن عبدشمس كان مع محمد بن عيسى باليمن يهجو عنه ابن مدلج فى كلمة له طويلة قال فيها لالواء يعد يا ابن كريز || لا و لارفد بيته ذى السناء لاحجاب و ليس فيكم سوى الكبر || وبغض النبى والشهداء بين حاك ومخلج وطريد || وقتيل يلعنه أهل السماء ولهم زمزم كذاك وجبريل || ومجد السقاية الغراء . قال شيخنا أبوعثمان فالشهداء على وحمزة و جعفر والحاكى والمخلج هوالحكم بن أبى العاص كان يحكى مشية رسول الله ص فالتفت يوما فرآه فدعا عليه فلم يزل مخلج المشية عقوبة من

الله تعالى والطريـد اثنان الحكم بن أبى العاص ومعاويـة بن المغيرة بن أبى العاص وهما جـدا عبدالملك بن مروان من قبل أمه و أبيه . و كان النبى ص طرد معاوية بن المغيرة هذا من المدينة وأجله ثلاثا فحيره الله و لم يزل يتردد فى ضلاله حتى بعث فى أثره عليا ع وعمارا فقتلاه فأما القتلى فكثير نحو شيبة وعتبة ابنى ربيعة والوليـد بن عتبـة وحنظلـة بن أبى سـفيان وعقبة بن أبى معيط والعـاص بن سـعيد بن أميـة ومعاويـة بن المغيرة وغيرهم قـال أبوعثمـان و كان اسم هاشم عمرا وهاشم لقب و كان أيضا يقال له القمر و فى ذلك يقول مطرود الخزاعى [صـفحه ٢٠٠] إلى القمر السـارى المنير دعوته || ومطعمهم فى الأـزل من قمع الجزر . قـال ذلـك فى شـىء كان بينه و بين بعض قريش فـدعاه مطرود إلى المحاكمـة إلى هاشم و قال ابن الزبعرى كانت قريش بيضـة فتفلقت || فالمخ خالصة لعبد مناف الرائشون و ليس يوجد رائش || والقائلون هلم للأضـياف عمرو العلى هشم الثريد لقومه || ورجال مكـة مسنتون عجاف .فعم كماترى أهل مكـة بالأزل والعجف وجعله ألـذى هشم لهم الخبز ثريـدا فغلب هذااللقب على اسـمه حتى صار لايعرف إلا به و ليس لعبد شـمس لقب كريم و لااشـتق له من صالح أعماله اسم شـريف و لم يكن لعبد شمس ابن يأخـذ بضـبعه ويرفع من قدره ويزيد فى ذكره ولهاشم عبدالمطلب سيد الوادى غيرمدافع أجمل الناس جمالا وأظهرهم جودا وأكملهم كمالا و هوصاحب الفيل والطير الأبابيل وصاحب زمزم وساقى الحجيـج وولد عبدشـمس أمية بن عبدشـمس وأمية فى نفسه ليس هنـاك وإنمـا ذكر بأولاده و لالقب له ولعبـد المطلب لقب شـهير واسم شـريف شـيبة الحمـد قال مطرود الخزاعى فى مدحه ياشيبة الحمد ألذى تثنى له || أيامه من خير ذخر الذاخر المجد ماحجت قريش بيته || ودعا هذيل فوق غصن ناضر و الله لاأنسـاكم وفعـالكم || حتى أغيب فى سـفاه القابر . و قال حذافـة بن غانم العـدوى و هويمـدح أبالهب ويوصـى ابنه خارجـة بن حذافة بالانتمـاء إلى بنى هـاشم أخـارج إمـا أهلكن فلاـتزل || لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر [صـفحه ٢٠١] بنى شـيبة الحمد الكريم فعاله || يضىء ظلام الليل كالقمر البدر لساقى الحجيج ثم للشيخ هاشم || و عبدمناف ذلك السيد الغمر أبوعتبة الملقى إلى جواره || أغر هجـان اللون من نفر غر أبوكم قصـى كان يـدعى مجمعا || به جمع الله القبائل من فهر .فأبو عتبـة هو أبولهب عبـدالعزى بن عبدالمطلب بن هاشم وابناه عتبة وعتيبة و قال العبدى حين احتفل فى الجاهلية فلم يترك لاترى فى الناس حيا مثلنا || ماخلا أولاد عبدالمطلب . وإنما شـرف عبدشـمس بأبيه عبدمناف بن قصـى وبنى ابنه أمية بن عبدشـمس وهاشم شرف بنفسه وبـأبيه عبـدمناف وبـابنه عبـدالمطلب والأمر فى هـذا بين و هو كماأوضـحه الشاعر فى قوله إنما عبـدمناف جوهر || زين الجوهر عبدالمطلب . قال أبوعثمان ولسـنا نقول إن عبدشـمس لم يكن شريفا فى نفسه ولكن الشرف يتفاضل و قدأعطى الله عبدالمطلب فى زمـانه وأجرى على يـديه وأظهر من كرامته ما لايعرف مثله إلالنبى مرسل و إن فى كلامه لأبرهـة صاحب الفيل وتوعـده إياه برب الكعبـة وتحقيق قوله من الله تعـالى ونصـره وعيـده بحبس الفيـل وقتل أصـحابه بالطير الأبابيل وحجارة السـجيل حتى تركوا كـالعصف المـأكول لأـعجب البرهانـات وأسـنى الكرامات وإنما كان ذلك إرهاصا لنبوة النبى ص وتأسيسا لمايريـده الله به من الكرامـة وليجعـل ذلك البهاء متقـدما له ومردودا عليه وليكون أشـهر فى الآفاق وأجل فى صـدور الفراعنـة والجبابرة والأكاسـرة وأجـدر أن يقهر المعانـد ويكشف غبـاوة الجاهـل و بعـدفمن يناهض ويناضل رجالا ولـدوا محمـداص و لوعزلنا [صـفحه ٢٠٢] ماأكرمه الله به من النبوة حتى نقتصـر على أخلاقه ومذاهبه وشيمه لماوفى به بشر و لاعدله شىء و لوشئنا أن نذكر ماأعطى الله به عبـدالمطلب مـن تفجر العيـون وينـابيع المـاء مـن تحـت كلكـل بعيره وأخفـافه بالأـرض القسـى وبمـا أعطى مـن المساهمـة و عندالمقارعة من الأمور العجيبة والخصال البائنة لقلنا ولكنا أحببنا ألا نحتج عليكم إلابالموجود فى القرآن الحكيم والمشـهور فى الشـعر القـديم الظاهر على ألسـنة الخاصـة والعامـة ورواة الأخبار وحمال الآثار. قال ومما هومذكور فى القرآن عدا حديث الفيل قوله تعـالى لِإِيلافِ قُرَيشٍ و قـداجتمعت الرواة على أن أول من أخـذ الإيلاـف لقريش هـاشم بن عبـدمناف فلما مات قام أخوه المطلب مقامه فلما مات قام عبدشـمس مقامه فلما مات قام نوفل مقامه و كان أصـغرهم والإيلاف هو أن هاشـما كان رجلا كثير

السفر والتجارة فكان يسافر فى الشتاء إلى اليمن و فى الصيف إلى الشام وشرك فى تجارته رؤساء القبائل من العرب و من ملوك اليمن والشام نحو العباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم معه ربحا فيما يربح وساق لهم إبلا مع إبله فكفاهم مئونة الأسفار على أن يكفوه مئونة الأعداء فى طريقه ومنصرفه فكان فى ذلك صلاح عام للفريقين و كان المقيم رابحا والمسافر محفوظا فأخصبت قريش بذلك وحملت معه أموالها وأتاها الخير من البلاد السافلة والعالية وحسنت حالها وطاب عيشها قال و قدذكر حديث الإيلاف الحارث بن الحنش السلمى و هوخال هاشم والمطلب و عبدشمس فقال -قرآن-۵۰۴-۵۲۰ إن أخى هاشما || ليس أخا واحد الآخذ الإيلاف و || القائم للقاعد . قال أبوعثمان وقيل إن تفسير قوله تعالى وَ آمَنَهُم مِن خَوفٍ هوخوف من كان هؤلاء الإخوة يمرون به من القبائل والأعداء وهم مغتربون ومعهم -قرآن-۴۵-۶۵ [صفحه ۲۰۳] الأموال و هذا مافسرنا به الإيلاف آنفا و قدفسره قوم بغير ذلك قالوا إن هاشما جعل على رؤساء القبائل ضرائب يؤدونها إليه ليحمى بها أهل مكة فإن ذؤبان العرب وصعاليك الأحياء وأصحاب الغارات وطلاب الطوائل كانوا لايؤمنون على الحرم لاسيما وناس من العرب كانوا لايرون للحرم حرمة و لاللشهر الحرام قدرا مثل طيئ وخثعم وقضاعة وبعض بلحارث بن كعب وكيفما كان الإيلاف فإن هاشما كان القائم به دون غيره من إخوته . قال أبوعثمان ثم حلف الفضول وجلالته وعظمته و هوأشرف حلف كان فى العرب كلها وأكرم عقد عقدته قريش فى قديمها وحديثها قبل الإسلام لم يكن لبنى عبدشمس فيه نصيب قال النبى ص و هويذكر حلف الفضول لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا لودعيت إلى مثله فى الإسلام لأجبت -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۱۱۹ ويكفى فى جلالته وشرفه أن رسول الله ص شهده و هوغلام و كان عتبة بن ربيعة يقول لو أن رجلا خرج مما عليه قومه لداخلت فى حلف الفضول لماأرى من كماله وشرفه و لماأعلم من قدره وفضيلته . قال ولفضل ذلك الحلف وفضيلة أهله سمى حلف الفضول وسميت تلك القبائل الفضول فكان هذاالحلف فى بنى هاشم وبنى المطلب وبنى أسد بن عبدالعزى وبنى زهرة وبنى تميم بن مرة تعاقدوا فى دار ابن جدعان فى شهر حرام قياما يتماسحون بأكفهم صعدا ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه مابل بحر صوفة و فى التأسى فى المعاش والتساهم بالمال وكانت النباهة فى هذاالحلف للزبير بن عبدالمطلب ولعبد الله بن جدعان أما ابن جدعان فلأن الحلف عقد فى داره و أماالزبير فلأنه ألذى نهض فيه ودعا إليه وحث عليه و هو ألذى سماه حلف الفضول و ذلك لأنه لماسمع الزبيدى المظلوم [صفحه ۲۰۴] ثمن سلعته قدأوفى على أبى قبيس قبل طلوع الشمس رافعا عقيرته وقريش فى أنديتها قائلا ياللرجال لمظلوم بضاعته || ببطن مكة نائى الحى والنفر إن الحرام لمن تمت حرامته || و لاحرام لثوبى لابس الغدر .حمى وحلف ليعقدن حلفا بينه و بين بطون من قريش يمنعون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من عنف الغريب ثم قال حلفت لنعقدن حلفا عليهم || و إن كنا جميعا أهل دار نسميه الفضول إذاعقدنا || يعز به الغريب لدى الجوار ويعلم من حوالى البيت أنا || أباة الضيم نهجر كل عار .فبنو هاشم هم الذين سموا ذلك الحلف حلف الفضول وهم كانوا سببه والقائمين به دون جميع القبائل العاقدة له والشاهدة لأمره فما ظنك بمن شهده و لم يقم بأمره . قال أبوعثمان و كان الزبير بن عبدالمطلب شجاعا أبيا وجميلا بهيا و كان خطيبا شاعرا وسيدا جوادا و هو ألذى يقول و لو لاالحمس لم يلبس رجال || ثياب أعزة حتى يموتوا ثيابهم شمال أوعباء || بهادنس كمادنس الحميت ولكنا خلقنا إذاخلقنا || لنا الحبرات والمسك الفتيت وكأس لوتبين لهم كلاما || لقالت إنما لهم سبيت تبين لنا القذى إن كان فيها || رضين الحلم يشربها هبيت [صفحه ۲۰۵] ويقطع نخوة المختال عنا || رقيق الحد ضربته صموت بكف مجرب لاعيب فيه || إذالقى الكريهة يستميت . قال والزبير هو ألذى يقول وأسحم من راح العراق مملا || محيط عليه الجيش جلد مرائره صبحت به طلقا يراح إلى الندى || إذا ماانتشى لم يختصره معاقره ضعيف بجنب الكأس قبض بنانه || كليل على جلد النديم أظافره . قال وبنو هاشم هم الذين ردوا على الزبيدى ثمن بضاعته وكانت عندالعاص بن وائل وأخذوا للبارقى ثمن سلعته من أبى بن خلف الجمحى و فى

ذلـك يقول البـارقى ويـأبى لكم حلف الفضول ظلامتى || بنى جمـح والحق يؤخـذ بـالغصب . وهم الـذين انـتزعوا من نبيه بن الحجـاج قتول الحسـناء بنت التـاجر الخثعمى و كـان كـابره عليهـا حين رأى جمالهـا و فى ذلك يقول نبيه بن الحجاج وخشـيت الفضول حين أتونى || قـدأرانى و لاأخاف الفضولا إنى و ألـذى يحج له شـمط || إياد وهللوا تهليلا لبراء منى قتيلة ياللناس || هـل يتبعون إلاالقتولاـ . و فيهاأيضـا يقول لو لاـالفضول و أنه || لاـأمن من عروائهـا لـدنوت من أبياتها || ولطفت حول خبائها [صفحه ۲۰۶] فى كلمته التى يقول فيها حى النخيلة إذ نأت || منا على عدوائها لابالفراق تنيلنا || شيئا و لابلقائها حلت بمكة حلة || فى مشـيها ووطائها . فى رجال كثير انتزعوا منهم الظلامات و لم يكن يظلم بمكـة إلارجال أقوياء ولهم العـدد والعارضة منهم من ذكرنا قصـته . قال أبوعثمان ولهاشم أخرى لايعد أحد مثلها و لايأتى بما يتعلق بها و ذلك أن رؤساء قبائل قريش خرجوا إلى حرب بنى عامر متساندين فكان حرب بن أمية على بنى عبدشمس و كان الزبير بن عبدالمطلب على بنى هاشم و كان عبد الله بن جـدعان على بنى تيم و كـان هشـام بن المغيرة على بنى مخزوم و كان على كل قبيلـة رئيس منها فهم متكافئون فى التسانـد و لم يحقق واحـد منهم الرئاسـة على الجميع ثم آب هاشم بما لاتبلغه يـد متناول و لايطمع فيه طامع و ذلك أن النبى ص قال شـهدت الفجـار و أناغلاـم فكنت أنبل فيه على عمومتى -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۷۵ فنفى مقـامه ع أن تكون قريش هى الـتى فجرت فسـميت تلـك الحرب حرب الفجار وثبت أن الفجور إنما كان ممن حاربهم وصاروا بيمنه وبركته و لمايريـد الله تعالى من إعزاز أمره وإعظامه الغالبين العالين و لم يكن الله ليشـهده فجرة و لاغدرة فصار مشـهده نصرا وموضعه فيهم حجة ودليلا. قال أبوعثمان وشـرف هـاشم متصـل من حيث عـددت كـان الشـرف معـك كابرا عن كابر و ليس بنو عبدشـمس كـذلك فإن الحكم بن أبى العاص كان عاديا فى الأعلام و لم يكن له سناء فى الجاهلية. [صفحه ۲۰۷] و أماأمية فلم يكن فى نفسه هناك وإنما رفعه أبوه و كـان مضعوفا و كـان صـاحب عهـار يـدل على ذلك قول نفيل بن عـدى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أميـة و عبـدالمطلب بن هـاشم فنفر عبـدالمطلب وتعجب من إقـدام حرب عليه و قـال له أبوك معـاهر وأبوه عف || وذاد الفيل عن بلد حرام . و ذلك أن أميـة كان تعرض لامرأة من بنى زهرة فضـربه رجل منهم بالسـيف فأراد بنو أميـة و من تبعهم إخراج زهرة من مكـة فقام دونهم قيس بن عدى السـهمى وكانوا أخواله و كان منيع الجانب شديد العارضة حمى الأنفس أبى النفس فقام دونهم وصاح أصبح ليل فـذهبت مثلا ونادى الآن الظاعن مقيم و فى هـذه القصـة يقول وهب بن عبدمناف بن زهرة جد رسول الله ص مهلا أمى فإن البغى مهلكـة || لايكسـبنك يوم شره ذكر تبـدو كواكبه والشـمس طالعة || يصب فى الكأس منه الصبر والمقر . قال أبوعثمان وصـنع أميـة فى الجاهلية شـيئا لم يصـنعه أحد من العرب زوج ابنه أباعمرو امرأته فى حياته منه فأولدها أبامعيط بن أبى عمرو بن أميـة والمقيتون فى الإسـلام هم الـذين نكحوا نساء آبائهم بعـدموتهم فإما أن يتزوجها فى حياة الأب ويبنى عليها و هويراه فـإنه شـىء لم يكن قـط. قـال أبوعثمـان و قـدأقر معاويـة على نفسه ورهطه لبنى هـاشم حين قيـل له أيهمـا كان أسود فى الجاهليـة أنتم أم بنو هـاشم فقال كانوا أسود منا واحـدا وكنا [صـفحه ۲۰۸] أكثر منهم سـيدا فـأقر وادعى فهو فى إقراره بالنقص مخصوم و فى ادعـائه الفضل خصـيم . و قال جحش بن رئاب الأسـدى حين نزل مكـة بعـدموت عبـدالمطلب و الله لأتزوجن ابنة أكرم أهل هـذاالوادى ولأحالفن أعزهم فتزوج أميمـة بنت عبـدالمطلب وحالف أباسـفيان بن حرب و قـديمكن أن يكون أعزهم ليس بـأكرمهم و لاـيمكن أن يكون أكرمهم ليس بـأكرمهم و قـدأقر أبوجهل على نفسه ورهطه من بنى مخزوم حين قال تحاربنا نحن وهم حتى إذاصرنا كهاتين قالوا منا نبى فأقر بالتقصير ثم ادعى المساواة أ لاتراه كيف أقر أنه لم يزل يطلب شأوهم ثم ادعى أنه لحقهم فهو مخصوم فى إقراره خصـيم فى دعواه و قـدحكم لهاشم دغفل بن حنظلـة النسابـة حين سأله معاوية عن بنى هاشـم فقـال هم أطعم للطعـام وأضـرب للهـام وهاتـان خصـلتان يجمعان أكثر الشـرف . قال أبوعثمان والعجب من منافرة حرب بن أمية عبـدالمطلب بن هاشم و قـدلطم حرب جارا لخلف بن أسـعد جـد طلحة الطلحات فجاء جاره فشـكا ذلك إليه فمشـى خلف إلى

حرب و هوجالس عندالحجر فلطم وجهه عنوة من غيرتحاكم و لاتراض فما انتطح فيه عنزان ثم قام أبوسفيان بن حرب مقام أبيه بعدموته فحالفه أبوالأزيهر الدوسى و كان عظيم الشأن فى الأزد وكانت بينه و بين بنى الوليد بن المغيرة محاكمة فى مصاهرة كانت بين الوليد وبينه فجاءه هشام بن الوليد و أبوالأزيهر قاعد فى مقعد أبى سفيان بذى المجاز فضرب عنقه فلم يدرك به أبوسفيان عقلا و لاقودا فى بنى المغيرة و قال حسان بن ثابت يذكر ذلك [صفحه ٢٠٩] غدا أهل حصنى ذى المجاز بسحرة || وجار ابن حرب لايروح و لايغدو كساك هشام بن الوليد ثيابه || فأبل وأخلق مثلها جددا بعد .فهذه جملة صالحة مما ذكره شيخنا أبوعثمان . ونحن نورد من كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار مايتضمن شرحا لماأجمله شيخنا أبوعثمان أولبعضه فإن كلام أبى عثمان لمحة وإشارة و ليس بالمشروح . قال الزبير حدثنى عمر بن أبى بكر العدوى من بنى عدى بن كعب قال حدثنى يزيد بن عبدالملك بن المغيرة بن نوفل عن أبيه قال اصطلحت قريش على أن ولى هاشم بعدموت أبيه عبدمناف السقاية والرفادة و ذلك أن عبدشمس كان يسافر قل أن يقيم بمكة و كان رجلا معيلا و كان له ولد كثير و كان هاشم رجلا موسرا فكان إذاحضر الحج قام فى قريش فقال يامعشر قريش إنكم جيران الله و أهل بيته وإنه يأتيكم فى هذاالموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته فهم لذلك ضيف الله وأحق ضيف بالكرامة ضيف الله و قدخصكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم أفضل ماحفظ جار من جاره فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون شعثا غبرا من كل بلد ضوامر كالقداح و قدأرجفوا وتفلوا وقملوا وأرملوا فأقروهم وأعينوهم قال فكانت قريش تترافد على ذلك حتى إن كل أهل بيت ليرسلون بالشىء اليسير على قدر حالهم و كان هاشم يخرج فى كل سنة مالا كثيرا و كان قوم من قريش يترافدون وكانوا أهل يسار فكان كل إنسان ربما أرسل بمائة مثقال ذهب هرقلية [صفحه ٢١٠] و كان هاشم يأمر بحياض من أدم تجعل فى مواضع زمزم من قبل أن تحفر يستقى فيها من البئار التى بمكة فيشرب الحاج و كان يطعمهم أول مايطعم قبل يوم التروية بيوم بمكة وبمنى وبجمع وعرفة و كان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء فيسقون بمنى والماء يومئذ قليل إلى أن يصدر الحاج من منى ثم تنقطع الضيافة وتتفرق الناس إلى بلادهم . قال الزبير وإنما سمى هاشما لهشمه الثريد و كان اسمه عمرا ثم قالوا عمرو العلا لمعاليه و كان أول من سن الرحلتين رحلة إلى الحبشة ورحلة إلى الشام ثم خرج فى أربعين من قريش فبلغ غزة فمرض بهافمات فدفنوه بها ورجعوا بتركته إلى ولده ويقال إن ألذى رجع بتركته إلى ولده أبورهم عبدالعزى بن أبى قيس العامرى من بنى عامر بن لؤى. قال الزبير و كان يقال لهاشم والمطلب البدران ولعبد شمس ونوفل الأبهران . قال الزبير و قداختلف فى أى ولد عبدمناف أسن والثبت عندنا أن أسنهم هاشم و قال آدم بن عبدالعزيز بن عمر بن عمر بن عبدالعزيز بن مروان ياأمين الله إنى قائل || قول ذى دين وبر وحسب عبدشمس لاتهنها إنما || عبدشمس عم عبدالمطلب عبدشمس كان يتلو هاشما || وهما بعدلأم ولأب . قال الزبير وحدثنى محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن عثمان بن عبدالرحمن قال قال عبد الله بن عباس و الله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف وأجاز لها العيرات لهاشم و الله ماشدت قريش رحالا و لاحبلا بسفر و لاأناخت بعيرا لحضر [صفحه ٢١١] إلابهاشم و الله إنه أول من سقى بمكة ماء عذبا وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب . قال الزبير وكانت قريش تجارا لاتعدو تجارتهم مكة إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم يتبايعون بهابينهم ويبيعون من حولهم من العرب حتى رحل هاشم بن عبدمناف إلى الشام فنزل بقيصر فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة من ثريد ويدعو الناس فيأكلون و كان هاشم من أحسن الناس خلقا وتماما فذكر لقيصر وقيل له هاهنا شاب من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ويدعو الناس قال وإنما كانت الأعاجم والروم تصنع المرق فى الصحاف ثم تأتدم عليه بالخبز فدعا به قيصر فلما رآه وكلمه أعجب به وجعل يرسل إليه فيدخل عليه فلما رأى مكانه سأله أن يأذن لقريش فى القدوم عليه بالمتاجر و أن يكتب لهم كتب الأمان فيما بينهم وبينه ففعل فبذلك ارتفع هاشم من قريش قال الزبير و كان هاشم يقوم أول نهار اليوم الأول من ذى الحجة فيسند ظهره

إلی الکعبة من تلقاء بابها فیخطب قریشا فیقول یامعشر قریش أنتم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما وأوسطها أنسابا وأقربها أرحاما یامعشر قریش أنتم جیران بیت الله أکرمکم بولایته وخصکم بجواره دون بنی إسماعیل وحفظ منکم أحسن ماحفظ منکم جار من جاره فأکرموا ضیفه وزوار بیته فإنهم یأتونکم شعثا غبرا من کل بلد فو رب هذه البنیة لو کان لی مال یحمل ذلک لکفیتموه ألا وإنی مخرج من طیب مالی وحلاله ما لم تقطع فیه رحم و لم یؤخذ بظلم و لم یدخل فیه حرام فواضعه فمن شاء منکم أن یفعل مثل ذلک فعل وأسألکم بحرمة هذاالبیت ألا یخرج منکم رجل من ماله لکرامة زوار بیت الله ومعونتهم إلاطیبا لم یؤخذ ظلما و لم تقطع فیه رحم و لم یغتصب قال فکانت قریش تخرج من صفو أموالها ماتحتمله أحوالها وتأتی بها إلی هاشم فیضعه فی دار الندوة لضیافة الحاج . [صفحه ۲۱۲] قال الزبیر ومما رثی به مطرود الخزاعی هاشما قوله مات الندی بالشام لما أن ثوی || أودی بغزة هاشم لایبعد فجفانه رذم لمن ینتابه || والنصر أدنی باللسان وبالید . و من مراثیه له یاعین جودی وأذری الدمع واحتفلی || وابکی خبیئة نفسی فی الملمات وابکی علی کل فیاض أخی حسب || ضخم الدسیعة وهاب الجزیلات ماضی الصریمة عالی الهم ذی شرف || جلد النحیزة حمال العظیمات صعب المقادة لانکس و لاوکل || ماض علی الهول متلاف الکریمات محض توسط من کعب إذانسبوا || بحبوحة المجد فی الشم الرفیعات فابکی علی هاشم فی وسط بلقعة || تسقی الریاح علیه وسط غزات یاعین بکی أباالشعث الشجیات || یبکینه حسرا مثل البنیات یبکین عمرو العلا إذ حان مصرعه || سمح السجیة بسام العشیات یبکینه معولات فی معاوزها || یاطول ذلک من حزن وعولات محزمات علی أوساطهن لما || جر الزمان من أحداث المصیبات أبیت أرعی نجوم اللیل من ألم || أبکی وتبکی معی شجوا بنیاتی . قال الزبیر وحدثنی ابراهیم بن المنذر عن الواقدی عن عبدالرحمن بن الحارث عن عکرمة عن ابن عباس قال أول من سن دیة النفس مائة من الإبل عبدالمطلب فجرت فی قریش والعرب سنته وأقرها رسول الله ص قال وأم عبدالمطلب سلمی بنت عمرو بن زید بن لبید من بنی النجار من الأنصار و کان سبب [صفحه ۲۱۳] تزوج هاشم بها أنه قدم فی تجارة له المدینة فنزل علی عمرو بن زید فجاءته سلمی بطعام فأعجبت هاشما فخطبها إلی أبیها فأنکحه إیاها وشرط علیه أن تلد عندأهلها فبنی علیها بالمدینة وأقام معها سنتین ثم ارتحل بها إلی مکة فحملت وأثقلت فخرج بها إلی المدینة فوضعها عندأهلها ومضی إلی الشام فمات بغزة من وجهه ذلک وولدت عبدالمطلب فسمته شیبة الحمد لشعرة بیضاء کانت فی ذوائبه حین ولد فمکث بالمدینة ست سنین أوثمانیا ثم إن رجلا من تهامة مر بالمدینة فإذاغلمان ینتضلون وغلام منهم یقول کلما أصاب أنا ابن هاشم بن عبدمناف سید البطحاء فقال له الرجل من أنت یاغلام قال أنا ابن هاشم بن عبدمناف قال مااسمک قال شیبة الحمد فانصرف الرجل حتی قدم مکة فیجد المطلب بن عبدمناف جالسا فی الحجر فقال قم إلی یا أباالحارث فقام إلیه فقال تعلم أنی جئت الآن من یثرب فوجدت بهاغلمانا ینتضلون ... وقص علیه مارأی من عبدالمطلب و قال إنه أضرب غلام رأیته قط فقال له المطلب أغفلته و الله أماإنی لاأرجع إلی أهلی ومالی حتی آتیه فخرج المطلب حتی أتی المدینة فأتاها عشاء ثم خرج براحلته حتی أتی بنی عدی بن النجار فإذاالغلمان بین ظهرانی المجلس فلما نظر إلی ابن أخیه قال للقوم هذا ابن هاشم قالوا نعم وعرفه القوم فقالوا هذا ابن أخیک فإن کنت ترید أخذه فالساعة لانعلم أمه فإنها إن علمت حلنا بینک وبینه فأناخ راحلته ثم دعاه فقال یا ابن أخی أناعمک و قدأردت الذهاب بک إلی قومک فارکب قال فو الله ماکذب أن جلس علی عجز الراحلة وجلس المطلب علی الراحلة ثم بعثها فانطلقت فلما علمت أمه قامت تدعو حزنها علی ابنها فأخبرت أنه عمه و أنه ذهب به إلی قومه قال فانطلق به المطلب فدخل به مکة ضحوة مردفه خلفه و الناس فی أسواقهم ومجالسهم فقاموا یرحبون به ویقولون من هذاالغلام معک فیقول عبد لی ابتعته بیثرب ثم خرج به [صفحه ۲۱۴] حتی جاء إلی الحزورة فابتاع له حلة ثم أدخله علی امرأته خدیجة بنت سعد بن سهم فرجلت شعره ثم ألبسه الحلة عشیة فجاء به فأجلسه فی مجلس بنی عبدمناف وأخبرهم خبره فکان الناس بعد ذلک إذارأوه یطوف فی سکک مکة و هوأحسن

الناس يقولون هذا عبدالمطلب لقول المطلب هذاعبدى فلج به الاسم وترك به شيبة. وروى الزبير رواية أخرى أن سلمى أم عبدالمطلب حالت بين المطلب و بين ابنها شيبة و كان بينها وبينه فى أمره محاورة ثم غلبها عليه و قال عرفت شيبة والنجار قدحلفت || أبناؤها حوله بالنبل تنتضل .فأما الشعر ألذى لحذافة العذرى و ألذى ذكره شيخنا أبوعثمان فقد ذكره الزبير بن بكار فى كتاب النسب وزاد فيه كهولهم خير الكهول ونسلهم || كنسل الملوك لايبور و لايجرى ملوك وأبناء الملوك وسادة || تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر متى تلق منهم طامحا فى عنانه || تجده على أجراء والده يجرى هم ملكوا البطحاء مجدا وسؤددا || وهم نكلوا عنها غواة بنى بكر وهم يغفرون الذنب ينقم مثله || وهم تركوا رأى السفاهة والهجر أخارج إما أهلكن فلاتزل || لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر . قال الزبير وحدثنى عن سبب هذاالشعر محمد بن حسن عن محمد بن طلحة عن أبيه قال إن ركبا من جذام خرجوا صادرين عن الحج من مكة ففقدوا رجلا منهم عالية بيوت مكة فيلقون حذافة العذرى فربطوه وانطلقوا به فتلقاهم عبدالمطلب مقبلا من الطائف ومعه ابنه أبولهب يقود به و عبدالمطلب حينئذ قدذهب بصره فلما نظر إليه حذافة بن غانم هتف به فقال عبدالمطلب لابنه [صفحه ٢١٥] ويلك من هذا قال هذاحذافة بن غانم مربوطا مع ركب قال فالحقهم فسلهم ماشأنهم وشأنه فلحقهم أبولهب فأخبروه الخبر فرجع إلى أبيه فأخبره فقال ويحك مامعك قال لا و الله مامعى شيء قال فالحقهم لاأم لك فأعطهم بيدك وأطلق الرجل فلحقهم أبولهب فقال قدعرفتم تجارتى ومالى و أناأحلف لكم لأعطينكم عشرين أوقية ذهبا وعشرا من الإبل وفرسا و هذاردائى رهن فقبلوا ذلك منه وأطلقوا حذافة فلما أقبل به وقربا من عبدالمطلب سمع عبدالمطلب صوت أبى لهب و لم يسمع صوت حذافة فصاح به و أبى إنك لعاص ارجع لاأم لك قال ياأبتا هذا الرجل معى فناداه عبدالمطلب ياحذافة أسمعنى صوتك قال ها أناذا بأبى أنت وأمى ياساقى الحجيج أردفنى فأردفه حتى دخل مكة فقال حذافة هذاالشعر. قال الزبير وحدثنى عبد الله بن معاذ عن معمر عن ابن شهاب قال أول ماذكر من عبدالمطلب أن قريشا خرجت فارة من الحرم خوفا من أصحاب الفيل و عبدالمطلب يومئذ غلام شاب فقال و الله لاأخرج من حرم الله أبغى العز فى غيره فجلس فى البيت وأجلت قريش عنه فقال عبدالمطلب لاهم إن المرء يمنع || رحله فامنع حلالك لايغلبن صليبهم || ومحالهم أبدا محالك .فلم يزل ثابتا فى الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه فرجعت قريش و قدعظم فيهم بصبره وتعظيمه محارم الله عز و جل فبينا هو على ذلك و كان أكبر ولده و هوالحارث بن عبدالمطلب قدبلغ الحلم أرى عبدالمطلب فى المنام فقيل له احفر زمزم خبيئة الشيخ الأعظم فاستيقظ فقال أللهم بين لى الشيخ فأرى فى المنام مرة أخرى [صفحه ٢١٦] احفر تكتم بين الفرث والدم فى مبحث الغراب فى قرية النمل مستقبلة الأنصاب الحمر فقام عبدالمطلب فمشى حتى جلس فى المسجد الحرام ينتظر ماسمى له من الآيات فنحر بقرة فى الحزورة فأفلتت من جازرها بحشاشة نفسها حتى غلب عليها الموت فى المسجد فى موضع زمزم فاحتمل لحمها من مكانها وأقبل غراب يهوى حتى وقع فى الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبدالمطلب يحفرها فجاءته قريش فقالت له ما هذاالصنع إنا لم نكن نراك بالجهل لم تحفر فى مسجدنا فقال عبدالمطلب إنى لحافر هذاالبئر ومجاهد من صدنى عنها فطفق يحفر هو وابنه الحارث و ليس له يومئذ ولد غيره فيسفه عليهما الناس من قريش فينازعونهما ويقاتلونهما وتناهى عنه ناس من قريش لمايعلمون من زعيق نسبه وصدقه واجتهاده فى دينهم يومئذ حتى إذاأتعبه الحفر واشتد عليه الأذى نذر إن وفى له عشرة من الولدان ينحر أحدهم ثم حفر فأدرك سيوفا دفنت فى زمزم حين دفنت فلما رأت قريش أنه قدأدرك السيوف قالت يا عبدالمطلب أحذنا مما وجدت فقال عبدالمطلب بل هذه السيوف لبيت الله ثم حفر حتى أنبط الماء فحفرها فى القرار ثم بحرها حتى لاتنزف ثم بنى عليها حوضا وطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشرب منه الحاج ويكسره قوم حسدة له من قريش بالليل فيصلحه عبدالمطلب حين يصبح فلما أكثروا فساده دعا عبدالمطلب ربه فأرى فقيل له قل أللهم إنى لاأحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل ثم كفيتهم فقام عبدالمطلب حين اختلف قريش فى المسجد فنادى بالذى أرى ثم انصرف فلم يكن يفسد

حوضه عليه أحد من قريش إلارمى فى جسده بداء حتى تركوا حوضه ذلك وسقايته ثم تزوج عبدالمطلب النساء فولد له عشرة رهط فقال أللهم إنى [صفحه ٢١٧] كنت نذرت لك نحر أحدهم وإنى أقرع بينهم فأصيب بذلك من شئت فأقرع بينهم فطارت القرعة على عبد الله بن عبدالمطلب أبى رسول الله ص و كان أحب ولده إليه فقال عبدالمطلب أللهم هوأحب إليك أم مائة من الإبل فنحرها عبدالمطلب مكان عبد الله و كان عبد الله أحسن رجل رئى فى قريش قط. وروى الزبير أيضا قال حدثنى ابراهيم بن المنذر عن عبدالعزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن سليمان قال سمعت أبى يقول لماحفرت زمزم وأدرك منها عبدالمطلب ماأدرك وجدت قريش فى أنفسها مما أعطى عبدالمطلب فلقيه خويلد بن أسد بن عبدالعزى فقال يا ابن سلمى لقد سقيت ماء رغدا ونثلت عادية حسدا فقال يا ابن أسد أماإنك تشرك فى فضلها و الله لايساعدنى أحد عليها ببر و لايقوم معى بارزا إلابذلت له خير الصهر فقال خويلد بن أسد أقول و ماقولى عليهم بسبة || إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر || وركضة جبريل على عهد آدم فقال عبدالمطلب ماوجدت أحدا ورث العلم الأقدم غيرخويلد بن أسد. قال الزبير فأما ركضة جبريل فإن سعيد بن المسيب قال إن ابراهيم قدم بإسماعيل وأمه مكة فقال لهما كلا من الشجر واشربا من الشعاب وفارقهما فلما ضاقت الأرض تقطعت المياه فعطشا فقالت له أمه اصعد وانصب فى هذاالوادى فلاأرى موتك و لاترى موتى ففعل فأنزل الله تعالى ملكا من السماء على أم إسماعيل فأمرها فصرحت به فاستجاب لها وطار الملك فضرب بجناحيه مكان زمزم فقال اشربا فكان سيحا يسيح و لوتركاه مازال كذلك أبدا لكنها فرقت عليه من العطش فقرت له فى السقاء وحفرت فى البطحاء فلما نضب الماء طوياه ثم [صفحه ٢١٨] هلك الناس ودفنته السيول ثم أرى عبدالمطلب فى المنام أن احفر زمزم لاتثرب و لاتذم تروى الحجيج الأعظم ثم أرى مرة أخرى أن احفر الرواء أعطيتها على رغم الأعداء ثم أرى مرة أخرى أن احفر تكتم بين الأنصاب الحمر فى قرية النمل فأصبح يحفر حيث أرى فطفقت قريش يستهزءون به حتى إذابدا عن الطى وجد فيهاغزالا من ذهب وحلية سيف فضرب عليها بالسهام فخرج سهم البيت فكان أول حلى حلى به الكعبة. قال الزبير و كان حرب بن أمية بن عبدشمس نديم عبدالمطلب و كان عبيد بن الأبرص تربه وبلغ عبيد مائة وعشرين سنة وبقى عبدالمطلب بعده عشرين سنة. قال و قال بعض أهل العلم توفى عبدالمطلب عن خمس وتسعين سنة ويقال كان يعرف فى عبدالمطلب نور النبوة وهيبة الملك و فيه يقول الشاعر إننى واللات والبيت ألذى || لز بالهبرز عبدالمطلب . قال الزبير حدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال بينا عبدالمطلب يطوف بالبيت بعد ماأسن وذهب بصره إذ زحمه رجل فقال من هذافقيل رجل من بنى بكر. قال فما منعه أن ينكب عنى و قدرآنى لاأستطيع لأن أنكب عنه فلما رأى بنيه قدتوالوا عشرة قال لابد لى من العصا فإن اتخذتها طويلة شقت على و إن اتخذتها قصيرة قويت عليها ولكن ينحدب لها ظهرى والحدبة ذل فقال بنوه أو غير ذلك يوافيك كل يوم منا رجل تتوكأ عليه فتطوف فى حوائجك قال ولذلك قال الزبير ومكارم عبدالمطلب أكثر من أن يحاط بها كان سيد قريش غيرمدافع نفسا و أبا وبيتا وجمالا وبهاء وكمالا وفعالا قال أحد بنى كنانة يمدحه [صفحه ٢١٩] إنى و ماسترت قريش و ألذى || تعزو لآل كلهن ظباء و وحق من رفع الجبال منيفة || و الأرض مدا فوقهن سماء مثن ومهد لابن سلمى مدحة || فيهاأداء ذمامه ووفاء قال الزبير فأما أبوطالب بن عبدالمطلب واسمه عبدمناف و هوكافل رسول الله ص وحاميه من قريش وناصره والرفيق به الشفيق عليه ووصى عبدالمطلب فيه فكان سيد بنى هاشم فى زمانه و لم يكن أحد من قريش يسود فى الجاهلية بمال إلا أبوطالب وعتبة بن ربيعة. قال الزبير أبوطالب أول من سن القسامة فى الجاهلية فى دم عمرو بن علقمة ثم أثبتتها السنة فى الإسلام وكانت السقاية فى الجاهلية بيد أبى طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس بن عبدالمطلب . قال الزبير و كان أبوطالب شاعرا مجيدا و كان نديمه فى الجاهلية مسافر بن عمرو بن أمية بن عبدشمس و كان قدحبن فخرج ليتداوى بالحيرة فمات بهبالة فقال أبوطالب يرثيه ليت شعرى مسافر ابن أبى عمرو || وليث يقولها المحزون كيف كانت مذاقة الموت إذ مت || و ماذا بعدالممات يكون رحل

الركب قافلين إلينا || وخليلى فى مرمس مدفون بورك الميت الغريب كمابورك || نضر الريحان والزيتون [صفحه ٢٢٠] رزء ميت على هبالة قدحالت || فياف من دونه وحزون مدرة يدفع الخصوم بأيد || وبوجه يزينه العرنين كم خليل وصاحب و ابن عم || وحميم قفت عليه المنون فتعزيت بالجلادة والصبر || وإنى بصاحبى لضنين . قال الزبير فلما هلك مسافر نادم أبوطالب بعده عمرو بن عبد بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولذلك قال عمرو لعلى ع يوم الخندق حين بارزه إن أباك كان لى صديقا. قال الزبير وحدثنى محمد بن حسن عن نصر بن مزاحم عن معروف بن خربوذ قال كان أبوطالب يحضر أيام الفجار ويحضر معه النبى ص و هوغلام فإذاجاء أبوطالب هزمت قيس و إذا لم يجيء هزمت كنانة فقالوا لأبى طالب لا ـ أبا لك لاـ تغب عنا ففعل . قال الزبير فأما الزبير بن عبدالمطلب فكان من أشراف قريش ووجوهها و هو ألذى استثنته بنو قصى على بنى سهم حين هجا عبد الله بن الزبعرى بن قصى فأرسلت بنو قصى عتبة بن ربيعة بن عبدشمس إلى بنى سهم فقال لهم إن قومكم قدكرهوا أن يعجلوا عليكم فأرسلونى إليكم فى هذاالسفيه ألذى هجاهم فى غيرذنب اجترموا إليه فإن كان ماصنع عن رأيكم فبئس الرأى رأيكم و إن كان عن غيررأيكم فادفعوه إليهم فقال القوم نبرأ إلى الله أن يكون عن رأينا قال فأسلموه إليهم فقال بعض بنى سهم إن شئتم فعلنا على أن من هجانا منكم دفعتموه إلينا فقال عتبة مايمنعنى أن أقول ماتقول إلا أن الزبير بن عبدالمطلب غائب بالطائف [صفحه ٢٢١] و قدعرفت أنه سيفرغ لهذا الأمر فيقول و لم أكن أجعل الزبير خطرا لابن الزبعرى فقال قائل منهم أيها القوم ادفعوه إليهم فلعمرى أن لكم مثل ألذى عليكم فكثر فى ذلك الكلام واللغط فلما رأى العاص بن وائل ذلك دعا برمة فأوثق بها عبد الله بن الزبعرى ودفعه إلى عتبة بن ربيعة فأقبل به مربوطا حتى أتى به قومه فأطلقه حمزة بن عبدالمطلب وكساه فأغرى ابن الزبعرى أناس من قريش بقومه بنى سهم وقالوا له اهجهم كماأسلموك فقال لعمرى ماجاءت بنكر عشيرتى || و إن صالحت إخوانها لاألومها فود جناة الشر أن سيوفنا || بأيماننا مسلولة لانشيمها فيقطع ذو الصهر القريب ويتركوا || غماغم منها إذ أجد بريمها فإن قصيا أهل مجد وثروة || و أهل فعال لايرام قديمها هم منعوا يومى عكاظ نساءنا || كمامنع الشول الهجان قرومها و إن كان هيج قدموا فتقدموا || وهل يمنع المخزاة إلاحميمها محاشيد للمقرى سراع إلى الندى || مرازبة غلب رزان حلومها . قال فقدم الزبير بن عبدالمطلب من الطائف فقال قصيدته التى يقول فيها فلو لاالحمس لم يلبس رجال || ثياب أعزة حتى يموتوا . و قدذكرنا قطعة منها فيما تقدم . قال الزبير و قال الزبير بن عبدالمطلب أيضا فى هذاالمعنى [صفحه ٢٢٢] قومى بنو عبدمناف إذا || أظلم من حولى بالجندل لاأسد لن يسلمونى و لا || تيم و لازهرة للنيطل و لابنو الحارث إن مر بى || يوم من الأيام لاينجلى ياأيها الشاتم قومى و لا || حق له عندهم أقبل إنى لهم جار لئن أنت لم || تقصر عن الباطل أوتعدل . قال الزبير و من شعر الزبير بن عبدالمطلب ياليت شعرى إذا ماحمتى وقعت || ماذا تقول ابنتى فى النوح تنعانى تنعى أبا كان معروف الدفاع عن المولى || المضاف وفكاكا عن العانى ونعم صاحب عان كان رافده || إذاتضجع عنه العاجز الوانى . قال الزبير و كان الزبير بن عبدالمطلب ذا نظر وفكر أتى فقيل له مات فلان لرجل من قريش كان ظلوما فقال بأى عقوبة مات قالوا مات حتف أنفه فقال لئن كان ماقلتموه حقا إن للناس معادا يؤخذ فيه للمظلوم من الظالم . قال و كان الزبير يكنى بأبى الطاهر وكانت صفية بنت عبدالمطلب كنت ابنها الزبير بن العوام أباالطاهر دهرا بكنية أخيها و كان للزبير بن عبدالمطلب ابن يقال له الطاهر كان من أظرف فتيان مكة مات غلاما و به سمى رسول الله ص ابنه الطاهر وباسم الزبير سمت أخته صفية ابنها الزبير وقالت صفية ترثى أخاها الزبير بن عبدالمطلب بكى زبير الخير إذ مات إن || كنت على ذى كرم باكيه [صفحه ٢٢٣] لولفظته الأرض مالمتها || أوأصبحت خاشعة عاريه قد كان فى نفسى أن أترك الموتى || و لاأتبعهم قافيه فلم أطق صبرا على رزئه || وجدته أقرب إخوانيه لو لم أقل من فى قولا له || لقضت العبرة أضلاعيه فهو الشآمى واليمانى إذا || ماخضروا ذو الشفرة الداميه . و قال ضرار بن الخطاب يبكيه بكى ضباع على أبيك || بكاء محزون أليم قدكنت أنشده فلا ـ || رث السلاح و لاسليم

كالكوكب الـدرى يعلو || ضوءه ضوء النجوم زخرت به أعراقه || ونماه والده الكريم بين الأغر وهاشم || فرعين قدفرعا القروم .فأما القتول الخثعمية التى اغتصبها نبيه بن الحجاج السهمى من أبيها فقد ذكر الزبير بن بكار قصتها فى كتاب أنساب قريش . قال الزبير إن رجلا من خثعم قـدم مكـة تاجرا ومعه ابنة يقال لها القتول أوضأ نساء العالمين فعلقها نبيه بن الحجاج السـهمى فلم يبرح حتى غلب أباها عليها ونقلها إليه فقيل لأبيها عليك بحلف الفضول فأتاهم فشكا إليهم ذلك فأتوا نبيه بن الحجاج فقالوا له أخرج ابنة هذا الرجل و هويومئذ منتبذ بناحية مكة وهى معه و إلافإنا من قدعرفت فقال ياقوم متعونى بهاالليلة فقالوا قبحك الله [صفحه ٢٢٤] ماأجهلك لا و الله و لاشخب لقحة فأخرجها إليهم فأعطوها أباها فقال نبيه بن الحجاج فى ذلك قصيدة أولها راح صحى و لم أحى القتولا ـ || لم أودعهم وداعا جميلا ـ إذ أجـد الفضول أن يمنعوهـا || قـدأرانى و لاأخـاف الفضولا ـ فى أبيات طويلة و أماقصة البارقى فقد ذكرها الزبير أيضا. قال قدم رجل من ثمالة من الأزد مكة فباع سلعة من أبى بن خلف الجمحى فمطله بالثمن و كـان سـيئ المخالطـة فـأتى الثمـالى أهـل حلف الفضول فـأخبرهم فقـالوا اذهب فـأخبره أنـك قـدأتيتنا فـإن أعطاك حقك و إلافـارجع إلينا فأتاه فأخبره بما قال أهل حلف الفضول فأخرج إليه حقه فأعطاه فقال الثمالى أيفجر بى ببطن مكـة ظالما || أبى و لاقومى لـدى و لاصـحبى ونـاديت قـومى بارقـا لتجيبنى || وكـم دون قـومى من فيـاف و من سـهب ويـأبى لكـم حلـف الفضول ظلامتى || بنى جمح والحق يؤخذ بالغصب . و أماقصة حلف الفضول وشـرفه فقد ذكرها الزبير فى كتابه أيضا قال كان بنو سهم وبنو جمـح أهـل بغى وعـدوان فـأكثروا من ذلـك فـأجمع بنو هـاشم وبنو المطلب وبنو أسـد وبنو زهرة وبنو تيم على أن تحالفوا وتعاقدوا على رد الظلم بمكة وألا يظلم أحد [صـفحه ٢٢٥] إلامنعوه وأخـذوا له بحقه و كان حلفهم فى دار عبـد الله بن جدعان قال رسول الله ص لقـد شـهدت فى دار عبـد الله بن جـدعان حلفا ماأحب أن لى به حمر النعم و لودعيت به اليوم لأجبت لايزيده الإسـلام إلاشدة -روايت-١-٢-روايت-٢٣-١٤٦ . قـال الزبير كـان رجل من بنى أسـد قدقـدم مكـة معتمرا ببضاعـة فاشتراها منه العاص بن وائل السـهمى فآواها إلى بيته ثم تغيب فابتغى الأسدى متاعه فلم يقدر عليه فجاء إلى بنى سهم يستعديهم عليه فأغلظوا له فعرف أن لاسبيل له إلى ماله وطوف فى قبائل قريش يستنفر بهم فتخاذلت القبائل عنه فلما رأى ذلك أشـرف على أبى قبيس حين أخـذت قريش مجالسـها ونـادى بـأعلى صوته ياللرجـال لمظلوم بضاعته || ببطن مكـة نائى الأهل والنفر ومحرم أشـعث لم يقض عمرته || ياآل فهر و بين الحجر والحجر هل منصف من بنى سهم فمرتجع || ماغيبوا أم حلال مال معتمر .فأعظمت ذلك قريش وتكلموا فيه فقال المطيبون و الله إن قمنا فى هذاليغضـبن الأحلاف وقالت الأحلاف و الله إن قمنا فى هذاليغضبن المطيبون فقالت قبائل من قريش هلموا فلنحتلف حلفا جديدا لننصرن المظلوم على الظالم مابل بحر صوفة فاجتمعت هاشم والمطلب وأسد وتيم وزهرة فى دار عبد الله بن جدعان و رسول الله ص يومئذ معهم و هوشاب ابن خمس وعشـرين سنة لم يوح إليه بعدفتحالفوا ألا يظلم بمكـة غريب و لاقريب و لاحر و لا عبـد إلاكانوا معه حتى يأخذوا له بحقه ويردوا إليه مظلمته من أنفسـهم و من غيرهم ثم عمـدوا إلى مـاء زمزم فجعلوه فى جفنـة ثم بعثوا به إلى البيت فغسـلوا به أركـانه ثم جمعوه وأتوهم به فشـربوه ثم انطلقوا إلى العاص بن وائل [صفحه ٢٢٦] فقالوا له أد إلى هـذاحقه فأدى إليه حقه فمكثوا كذلك دهرا لايظلم أحد بمكة إلاأخذوا له حقه فكان عتبة بن ربيعة بن عبدشـمس يقول لو أن رجلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبدشمس حتى أدخل فى حلف الفضول . قال الزبير وحـدثنى محمـد بن حسن عن محمـد بن طلحـة عن موسـى بن محمـد عن أبيه أن الحلف كان على ألا يـدعوا بمكة كلها و لا فى الأحابيش مظلوما يـدعوهم إلى نصـرته إلاأنجدوه حتى يردوا عليه ماله ومظلمته أويبلوا فى ذلك عذرا و على الأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر و على التأسـى فى المعـاش . قـال الزبير ويقـال إنه إنمـا سـمى حلف الفضول لأـن رجالا كانوا فى وجوههم تحالفوا على رد المظالم يقال لهم فضـيل وفضال وفضل ومفضل فسمى هذاالحلف حلف الفضول لأنه أحيا تلك السنة التى كانت ماتت . قال الزبير وقدم محمد بن جبير بن مطعم على عبدالملك بن مروان و كان من علماء قريش فقال له يا أباسعيد

أ لم نكن يعنى بنى عبدشمس وأنتم فى حلف الفضول فقال أمير المؤمنين أعلم قال لتخبرنى بالحق قال لا و الله يا أمير المؤمنين لقد خرجنا نحن وأنتم منه و ماكانت يدنا ويدكم إلاجميعا فى الجاهلية والإسلام . قال الزبير وحدثنى محمد بن حسن عن ابراهيم بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهادى الليثى أن محمد بن الحارث أخبره قال كان بين الحسين بن على ع و بين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان كلام فى مال كان بينهما بذى المروة والوليد يومئذ أميرالمدينة فى أيام معاوية فقال الحسين ع أيستطيل الوليد على بسلطانه [صفحه ۲۲۷] أقسم بالله لينصفنى من حقى أولآخذن سيفى ثم أقوم فى مسجد الله فأدعو بحلف الفضول فبلغت كلمته عبد الله بن الزبير فقال أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لأقومن معه حتى ينتصف أونموت جميعا فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى فقال مثل ذلك فبلغت عبدالرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى فقال مثل ذلك فبلغ ذلك الوليد بن عتبة فأنصف الحسين ع من نفسه حتى رضى. قال الزبير و قد كان للحسين ع مع معاوية قصة مثل هذه كان بينهما كلام فى أرض للحسين ع فقال له الحسين ع اختر منى ثلاث خصال إما أن تشترى منى حقى وإما أن ترده على أوتجعل بينى وبينك ابن عمر أو ابن الزبير حكما و إلافالرابعة وهى الصيلم قال معاوية و ماهى قال أهتف بحلف الفضول ثم قام فخرج و هومغضب فمر بعبد الله بن الزبير فأخبره فقال و الله لئن هتفت به و أنامضطجع لأقعدن أوقاعد لأقومن أوقائم لأمشين أوماش لأسعين ثم لتنفدن روحى مع روحك أولينصفنك فبلغت معاوية فقال لاحاجة لنا بالصيلم ثم أرسل إليه أن ابعث فانتقد مالك فقد ابتعناه منك . قال الزبير وحدثنى بهذه القصة على بن صالح عن جدى عبد الله بن مصعب عن أبيه قال خرج الحسين ع من عندمعاوية و هومغضب فلقى عبد الله بن الزبير فحدثه بما دار بينهما و قال لأخيرنه فى خصال فقال له ابن الزبير ما قال ثم ذهب إلى معاوية فقال لقد لقينى الحسين فخيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية فلاحاجة لنا بالصيلم أظنك لقيته مغضبا فهات الثلاث قال أن تجعلنى [صفحه ۲۲۸] أو ابن عمر بينك وبينه قال قدجعلتك بينى وبينه أوجعلت ابن عمر أوجعلتكما جميعا قال أوتقر له بحقه ثم تسأله إياه قال قدأقررت له بحقه و أناأسأله إياه قال أوتشريه منه قال قداشتريته منه فما الصيلم قال يهتف بحلف الفضول و أناأول من يجيبه قال فلاحاجة لنا فى ذلك . وبلغ الكلام عبد الله بن أبى بكر والمسور بن مخرمة فقالا للحسين مثل ماقاله ابن الزبير.فأما تفجر الماء من تحت أخفاف بعير عبدالمطلب فى الأرض الجرز فقد ذكره محمد بن إسحاق بن يسار فى كتاب السيرة قال لماأنبط عبدالمطلب الماء فى زمزم حسدته قريش فقالت له يا عبدالمطلب إنها بئر أبينا إسماعيل و إن لنا فيهاحقا فأشركنا معك قال ما أنابفاعل إن هذاالأمر أمر خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فإنا غيرتاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم حكما أحاكمكم إليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيم قال نعم وكانت بأشراف الشام فركب عبدالمطلب فى نفر من بنى عبدمناف وخرج من كل قبيلة من قبائل قريش قوم و الأرض إذ ذاك مفاوز حتى إذاكانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام نفد ما كان مع عبدالمطلب وبنى أبيه من الماء فعطشوا عطشا شديدا فاستسقوا قومهم فأبوا أن يسقوهم وقالوا نحن بمفازة ونخشى على أنفسنا مثل ألذى أصابكم فلما رأى عبدالمطلب ماصنع القوم وخاف على نفسه وأصحابه الهلاك قال لأصحابه ماترون قالوا مارأينا إلاتبع لرأيك فمرنا بما أحببت قال فإنى أرى أن يحفر كل رجل منا حفرة لنفسه بما معه الآن من القوة فكلما مات رجل دفنه أصحابه فى حفرته حتى يكون رجل واحد فضيعة [صفحه ۲۲۹] رجل واحد أيسر من ضيعة ركب قالوا نعم ماأشرت فقام كل رجل منهم فحفر حفيرة لنفسه وقعدوا ينتظرون الموت ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه و الله إن إلقاءنا بأيدينا كذا للموت لانضرب فى الأرض فنطلب الماء لعجز قوموا فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض الأرض ارتحلوا فارتحلوا و من معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ماهم صانعون فتقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجر من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال لهم هلموا إلى الماء فقد أسقانا الله فاشربوا واستقوا فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد و

الله قضـى الله لک علينا و الله لانخاصـمک فی زمزم أبدا إن ألذی سقاک هذاالماء بهذه الفلاۀ هو ألذی سقاک زمزم فارجع إلی سقايتک راشـدا فرجع ورجعوا معه لم يصلوا إلی الکاهنـۀ وخلوا بينه و بين زمزم . وروی صاحب کتاب الواقـدی أن عبد الله بن جعفرفـاخر يزيـد بن معاويـۀ بين يـدی معاويـۀ فقال له بأی آبائک تفاخرنی أبحرب ألـذی أجرناه أم بأميـۀ ألـذی ملکناه أم بعبد شمس ألـذی کفلناه فقال معاويـۀ لحرب بن أميـۀ يقال هـذا ماکنت أحسب أن أحدا فی عصـر حرب يزعم أنه أشـرف من حرب فقال عبـد الله بلی أشـرف منه من کفأ عليه إناءه وجلله بردائه فقال معاويـۀ ليزيـد رويدا يابنی إن عبد الله يفخر عليک بک لأنک منه و هومنک فاستحيا عبد الله و قال يا أمير المؤمنين يدان انتشطتا وأخوان اصطرعا فلما قام عبد الله قال معاويۀ ليزيد يابنی إياک ومنازعۀ [صفحه ۲۳۰] بنی هاشم فإنهم لايجهلون ماعلموا و لايجد مبغضهم لهم سبا قال أما قوله أبحرب ألذی أجرناه فإن قريشا کانت إذاسافرت فصارت علی العقبـۀ لم يتجاوزها أحـد حتی تجوز قريش فخرج حرب ليلـۀ فلما صار علی العقبـۀ لقيه رجل من بنی حاجب بن زرارۀ تميمی فتنحنح حرب بن أميۀ و قال أناحرب بن أميۀ فتنحنح التميمی و قال أنا ابن حاجب بن زرارۀ ثم بدر فجاز العقبـۀ فقال حرب لاها الله لاتـدخل بعـدها مکۀ و أناحی فمکث التميمی حينا لايدخل و کان متجره بمکۀ فاسـتشار بهابمن يستجير من حرب فأشير عليه بعبد المطلب أوبابنه الزبير بن عبدالمطلب فرکب ناقته وصار إلی مکۀ ليلا فدخلها وأناخ ناقته بباب الزبير بن عبـدالمطلب فرغت الناقـۀ فخرج إليه الزبير فقـال أمسـتجير فتجار أم طالب قری فتقری فقال لاقيت حربا بالثنيـۀ مقبلا || والليل أبلج نوره للساری فعلا بصوت واکتنی ليروعنی || ودعا بدعوۀ معلن وشعار فترکته خلفی وجزت أمامه || وکـذاک کنت أکون فی الأسـفار فمضـی يهـددنی ويمنع مکـۀ || إلاأحل بهابدار قرار فترکته کالکلب ينبح وحده || وأتيت قرم مکارم وفخار ليثا هزبرا يسـتجار بقربه || رحب المباءۀ مکرما للجار وحلفت بالبيت العتيق وحجه || وبزمزم والحجر والأسـتار إن الزبير لمانعی بمهنـد || صافی الحديـدۀ صارم بتار فقال الزبير اذهب إلی المنزل فقـد أجرتک فلما أصـبح نادی الزبير أخاه الغيـداق [صـفحه ۲۳۱] فخرجا متقلدين سـيفيهما وخرج التميمی معهما فقالا له إنا إذاأجرنا رجلا لم نمش أمامه فامش أمامنا ترمقک أبصارنا کی لاـتختلس من خلفنا فجعل التميمی يشق مکـۀ حتی دخل المسجد فلما بصـر به حرب قال وإنک لهاهنا وسـبق إليه فلطمه وصاح الزبير ثکلتک أمک أتلطمه و قدأجرته فثنی عليه حرب فلطمه ثانيۀ فانتضـی الزبير سـيفه فحمل علی حرب بين يديه وسعی الزبير خلفه فلم يرجع عنه حتی هجم حرب علی عبـدالمطلب داره فقال ماشأنک قال الزبير قال اجلس وکفأ عليه إناء کان هاشم يهشـم فيه الثريـد واجتمع الناس وانضم بنو عبـدالمطلب إلی الزبير ووقفوا علی باب أبيهم بأيـديهم سـيوفهم فأزر عبدالمطلب حربا بإزار کـان له ورداه برداء له طرفـان وأخرجه إليهم فعلموا أن أباهم قـدأجاره . و أمامعنی قوله أم بأميـۀ ألـذی ملکناه فإن عبـدالمطلب راهن أميۀ بن عبدشـمس علی فرسـين وجعل الخطر ممن سـبقت فرسه مائۀ من الإبل وعشـرۀ أعبد وعشر إماء واستعباد سنۀ وجز الناصيـۀ فسبق فرس عبدالمطلب فأخذ الخطر فقسـمه فی قريش وأراد جز ناصيته فقال أوأفتدی منک باسـتعباد عشر سنين ففعل فکان أميـۀ بعد فی حشم عبدالمطلب وعضاريطه عشر سـنين . و أما قوله أم بعبد شـمس ألذی کفلناه فإن عبدشـمس کان مملقا لامـال له فکـان أخوه هـاشم يکفله ويمونه إلی أن مـات هـاشم . و فی کتـاب الأغانی لأبی الفرج إن معاويـۀ قال لـدغفل النسابۀ أرأيت عبـدالمطلب قـال نعم قـال کيف رأيته قـال رأيته رجلا نبيلا جميلا وضـيئا کان علی [صـفحه ۲۳۲] وجهه نور النبوۀ قـال أفرأيت أميۀ بن عبدشمس قال نعم قال کيف رأيته قال رأيته رجلا ضئيلا منحنيا أعمی يقوده عبده ذکوان فقال معاويۀ ذلک ابنه أبوعمرو قـال أنتم تقولون ذلـک فأمـا قريش فلم تکن تعرف إلاـ أنه عبـده . ونقلت من کتاب هاشم و عبدشـمس لابن أبی رؤبۀ الـدباس . قال روی هشام بن الکلبی عن أبيه أن نوفل بن عبـدمناف ظلم عبدالمطلب ابن هاشم أرکاحا له بمکۀ وهی الساحات و کـان بنو نوفل يـدا مع عبدشـمس و عبـدالمطلب يـدا مع هاشم فاستنصر عبـدالمطلب قوما من قومه فقصـروا عن ذلک فاسـتنجد أخواله من بنی النجار بيثرب فأقبل معه سبعون راکبا فقالوا لنوفل لا و الله يا أباعدی مارأينا بهذا الغائط ناشئا أحسن وجها و لاأمد

جسما و لاأعف نفسا و لاأبعد من كل سوء من هذاالفتى يعنون عبدالمطلب و قدعرفت قرابته منا و قدمنعته ساحات له ونحن نحب أن ترد عليه حقه فرده عليه فقال عبدالمطلب تأبى مازن وبنو عدى || وذبيان بن تيم اللات ضيمى وزادت مالك حتى تناهت || ونكب بعدنوفل عن حريمى . قال ويقال إن ذلك كان سبب مخالفة خزاعة عبدالمطلب . قال وروى أبواليقظان سحيم بن حفص أن عبدالمطلب جمع بنيه عندوفاته وهم عشرة يومئذ فأمرهم ونهاهم وأوصاهم و قال إياكم والبغى فو الله ماخلق الله شيئا [صفحه ۲۳۳] أعجل عقوبة من البغى و مارأيت أحدا بقى على البغى إلاإخوتكم من بنى عبدشمس . وروى الوليد بن هشام بن قحذم قال قال عثمان يوما وددت أنى رأيت رجلا قدأدرك الملوك يحدثنى عما مضى فذكر له رجل بحضرموت فبعث إليه فحدثه حديثا طويلا تركنا ذكره إلى أن قال أرأيت عبدالمطلب بن هاشم قال نعم رأيت رجلا قعدا أبيض طويلا مقرون الحاجبين بين عينيه غرة يقال إن فيهابركة و إن فيه بركة قال أفرأيت أمية بن عبدشمس قال نعم رأيت رجلا آدم دميما قصيرا أعمى يقال إنه نكد و إن فيه نكدا فقال عثمان يكفيك من شر سماعه وأمر بإخراج الرجل . وروى هشام بن الكلبى أن أمية بن عبدشمس لما كان غلاما كان يسرق الحاج فسمى حارسا. وروى ابن أبى رؤبة فى هذاالكتاب أن أول قتيل قتله بنو هاشم من بنى عبدشمس عفيف بن أبى العاص بن أمية قتله حمزة بن عبدالمطلب و لم أقف على هذاالخبر إلا من كتاب ابن أبى رؤبة. قال ومما يصدق قول من روى أن أمية بن عبدشمس استعبده عبدالمطلب شعر أبى طالب بن عبدالمطلب حين تظاهرت عبدشمس ونوفل عليه و على رسول الله ص وحصروهما فى الشعب فقال أبوطالب توالى علينا موليانا كلاهما || إذاسئلا قالا إلى غيرنا الأمر بلى لهما أمر ولكن تراجما || كماارتجمت من رأس ذى القلع الصخر أخص خصوصا عبدشمس ونوفلا || هما نبذانا مثل ماتنبذ الخمر هما أغمضا للقوم فى أخويهما || فقد أصبحت أيديهما وهما صفر [صفحه ۲۳۴] قديما أبوهم كان عبدا لجدنا || بنى أمة شهلاء جاش بهاالبحر لقد سفهوا أحلامهم فى محمد || فكانوا كجعر بئس ماضفطت جعر ثم نرجع إلى حكاية شيخنا أبى عثمان و قدنمزجه بكلام آخر لنا أولغيرنا ممن تعاطى الموازنة بين هذين البيتين . قال أبوعثمان فإن قالت أمية لنا الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصى أربعة خلفاء فى نسق قلنا لهم ولبنى هاشم هارون الواثق بن محمدالمعتصم بن هارون الرشيد بن محمدالمهدى بن عبد الله المنصور بن محمدالكامل بن على السجاد كان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة فكان يقال له السجاد لعبادته وفضله و كان أجمل قريش على وجه الأرض وأوسمها ولد ليلة قتل على بن أبى طالب ع فسمى باسمه وكنى بكنيته فقال عبدالملك لا و الله لاأحتمل لك الاسم و لاالكنية فغير أحدهما فغير الكنية فصيرها أبا محمد بن عبد الله و هوالبحر و هوحبر قريش و هوالمفقه فى الدين المعلم التأويل ابن العباس ذى الرأى وحليم قريش بن شيبة الحمد و هو عبدالمطلب سيد الوادى بن عمرو و هوهاشم هشم الثريد و هوالقمر سمى بذلك لجماله ولأنهم كانوا يقتدون ويهتدون برأيه ابن المغيرة و هو عبدمناف بن زيد و هوقصى و هومجمع فهؤلاء ثلاثة عشر سيدا لم يحرم منهم واحد و لاقصر عن الغاية و ليس منهم واحد إلا و هوملقب بلقب اشتق له من فعله الكريم و من خلقه الجميل و ليس منهم إلاخليفة أوموضع للخلافة أوسيد فى قديم الدهر منيع أوناسك مقدم أوفقيه بارع أوحليم ظاهر الركانة و ليس هذاالأحد سواهم ومنهم خمسة خلفاء فى نسق وهم أكثر مما عدته الأموية و لم يكن [صفحه ۲۳۵] مروان كالمنصور لأن المنصور ملك البلاد ودوخ الأقطار وضبط الأطراف اثنتين وعشرين سنة وكانت خلافة مروان على خلاف ذلك كله وإنما بقى فى الخلافة تسعة أشهر حتى قتلته امرأته عاتكة بنت يزيد بن معاوية حين قال لابنها خالد من بعلها الأول يا ابن الرطبة ولئن كان مروان مستوجبا لاسم الخلافة مع قلة الأيام وكثرة الاختلاف واضطراب البلدان فضلا عن الأطراف فابن الزبير أولى بذلك منه فقد كان ملك الأرض إلابعض الأردن ولكن سلطان عبدالملك وأولاده لمااتصل بسلطان مروان اتصل عندالقوم ماانقطع منه وأخفى موضع الوهن عند من لاعلم له وسنو المهدى كانت سنى سلامة و مازال عبدالملك فى انتقاض وانتكاث و لم يكن

ملك يزيد كملك هارون و لاملك الوليد كملك المعتصم . قلت رحم الله أباعثمان لو كان اليوم لعد من خلفاء بنى هاشم تسعة فى نسق المستعصم بن المستنصر بن الطاهر بن المستضىء بن المستنجد بن المقتفى بن المستظهر بن المقتدر والطالبيون بمصر يعدون عشرة فى نسق الآمر بن المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعتز بن المنصور بن القائم بن المهدى. قال أبوعثمان وتفخر عليهم بنو هاشم بأن سنى ملكهم أكثر ومدته أطول فإنه قدبلغت مدة ملكهم إلى اليوم أربعا وتسعين سنة ويفخرون أيضا عليهم بأنهم ملكوا بالميراث وبحق العصبة والعمومة و إن ملكهم فى مغرس نبوة و إن أسبابهم غيرأسباب بنى مروان بل ليس لبنى مروان فيهاسبب و لابينهم وبينها نسب إلا أن يقولوا إنا من قريش فيساووا فى هذاالاسم قريش الظواهر لأن رواية الراوى الأئمة من قريش واقعة على كل قرشى وأسباب الخلافة معروفة و مايدعيه كل جيل معلوم و إلى كل ذلك قدذهب الناس فمنهم من ادعاه لعلى ع لاجتماع القرابة والسابقة والوصية فإن كان الأمر كذلك فليس لآل أبى سفيان وآل مروان فيهادعوى و إن كانت [صفحه ۲۳۶] إنما تنال بالوراثة وتستحق بالعمومة وتستوجب بحق العصبة فليس لهم أيضا فيهادعوى و إن كانت لاتنال إلابالسوابق والأعمال والجهاد فليس لهم فى ذلك قدم مذكور و لا يوم مشهور بل كانوا إذ لم تكن لهم سابقة و لم يكن فيهم مايستحقون به الخلافة و لم يكن فيهم مايمنعهم منها أشد المنع لكان أهون ولكان الأمر عليهم أيسر قدعرفنا كيف كان أبوسفيان فى عداوة النبى ص و فى محاربته له وإجلابه عليه وغزوة إياه وعرفنا إسلامه حيث أسلم وإخلاصه كيف أخلص ومعنى كلمته يوم الفتح حين رأى الجنود وكلامه يوم حنين و قوله يوم صعد بلال على الكعبة فأذن على أنه إنما أسلم على يدى العباس رحمه الله والعباس هو ألذى منع الناس من قتله وجاء به رديفا إلى رسول الله ص وسأله فيه أن يشرفه و أن يكرمه وينوه به وتلك يد بيضاء ونعمة غراء ومقام مشهود و يوم حنين غيرمجحود فكان جزاء بنى هاشم من بنيه أن حاربوا عليا وسموا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب حواسر وكشفوا عن عورة على بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كمايصنع بذرارى المشركين إذادخلت دورهم عنوة وبعث معاوية بسر بن أرطاة إلى اليمن فقتل ابنى عبيد الله بن العباس وهما غلامان لم يبلغا الحلم وقتل عبيد الله بن زياد يوم الطف تسعة من صلب على ع وسبعة من صلب عقيل ولذلك قال ناعيهم عين جودى بعبرة وعويل || واندبى إن ندبت آل الرسول تسعة كلهم لصلب على || قدأصيبوا وسبعة لعقيل ثم إن أمية تزعم أن عقيلا أعان معاوية على على ع فإن كانوا كاذبين فما أولاهم بالكذب و إن كانوا صادقين فما جازوا عقيلا بما صنع وضرب عنق مسلم [صفحه ۲۳۷] بن عقيل صبرا وغدرا بعدالأمان وقتلوا معه هانئ بن عروة لأنه آواه ونصره ولذلك قال الشاعر فإن كنت لاتدرين ماالموت فانظرى || إلى هانئ فى السوق و ابن عقيل ترى بطلا قدهشم السيف وجهه || وآخر يهوى من طمار قتيل وأكلت هند كبد حمزة فمنهم آكلة الأكباد ومنهم كهف النفاق ومنهم من نقر بين ثنيتى الحسين ع بالقضيب ومنهم القاتل يوم الحرة عون بن عبد الله بن جعفر و يوم الطف أبابكر بن عبد الله بن جعفر وقتل يوم الحرة أيضا من بنى هاشم الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب والعباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبدالمطلب و عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب . قلت إن أباعثمان قايس بين مدتى ملكهما و هوحينئذ فى أيام الواثق ففضل هؤلاء عليهم لأن ملكهم أطول من ملكهم بعشر سنين فكيف به لو كان اليوم حيا و قدامتد ملكهم خمسمائة وست عشرة سنة و هذاأكثر من ملك البيت الثالث من ملوك الفرس بنحو ثلاثين سنة وأيضا فإن كان الفخر بطول مدة الملك فبنو هاشم قد كان لهم أيضا ملك بمصر نحو مائتين وسبعين سنة مع ماملكوه بالمغرب قبل أن ينتقلوا إلى مصر [صفحه ۲۳۸] قال أبوعثمان وقالت هاشم لأمية قدعلم الناس ماصنعتم بنا من القتل والتشريد لالذنب أتيناه إليكم ضربتم على بن عبد الله بن عباس بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التى كانت عند عبدالملك و على أن نحلتموه قتل سليط وسممتم أباهاشم عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب ع ونبشتم زيدا وصلبتموه وألقيتم رأسه فى عرصة الدار توطأ بالأقدام وينقر دماغه الدجاج حتى قال القائل اطرد الديک عن ذؤابة زيد ||

طالما كان لاتطأه الـدجاج . و قال شاعركم أيضا صـلبنا لكم زيـدا على جـذع نخلة || و لم نر مهديا على الجذع يصـلب وقسـتم بعثمـان عليـا سـفاهة || وعثمـان خير من على وأطيب فروى أن بعض الصالحين من أهل البيت ع قال أللهم إن كان كاذبا فسـلط عليه كلبا من كلابك فخرج يوما بسـفر له فعرض له الأسـد فافترسه وقتلتم الإمام جعفرا الصادق ع وقتلتم يحيى بن زيـد وسـميتم قاتله ثائر مروان وناصـر الـدين هذا إلى ماصـنع سـليمان بن حبيب بن المهلب عن أمركم وقولكم بعبد الله أبى جعفرالمنصور قبل الخلافـة و ماصـنع مروان بإبراهيم الإمام أدخل رأسه فى جراب نورة حتى مات فإن أنشـدتم أفاض المدامع قتلى كدى || وقتلى بكثوة لم ترمس وبالزابيين نفوس ثوت || وأخرى بنهر أبى فطرس أنشدنا نحن واذكروا مصـرع الحسـين وزيدا || وقتيلا بجانب المهراس [صفحه ۲۳۹] والقتيل ألـذى بنجران أمسـى || ثاويا بين غربة وتناس و قدعلمتم حال مروان أبيكم وضـعفه و أنه كان رجلا لافقه له و لايعرف بالزهد و لاالصلاح و لابرواية الآثار و لابصحبة و لابعبد همة وإنما ولى رستاقا من رساتيق درابجرد لابن عـامر ثم ولى البحرين لمعاويـة و قـد كـان جمع أصـحابه و من تـابعه ليبايع ابن الزبير حتى رده عبيـد الله بن زياد و قال يوم مرج راهط والرءوس تنـدر عن كواهلها فى طاعته و ماضـرهم غيرحين النفوس || و أى غلامى قريش غلب هـذاقول من لايسـتحق أن يلى ربعـا من الأربـاع و لاخمسـا من الأخمـاس و هوأحـد من قتلته النسـاء لكلمـة كان حتفه فيها. و أماأبوه الحكم بن العاص فهو طريد رسول الله ص ولعينه والمتخلج فى مشيته الحاكى لرسول الله ص والمستمع عليه ساعة خلوته ثم صار طريدا لأبى بكر وعمر امتنعـا عن إعادته إلى المدينـة و لم يقبلا شـفاعة عثمان فلما ولى أدخله فكان أعظم الناس شؤما عليه و من أكبر الحجـج فى قتله وخلعه من الخلافـة فعبـد الملك أبوهؤلاء الملوك الـذين تفتخر الأمويـة بهم أعرق الناس فى الكفر لأن أحـد أبويه الحكم هـذا والآـخر من قبـل أمه معاويـة بن المغيرة بن أبى العـاص كـان النبى ص طرده من المدينـة وأجله ثلاثـا فحيره الله تعالى حين خرج وبقى مترددا متلـددا حولهـا لايهتـدى لسبيله حتى أرسـل فى أثره عليـا ع وعمـارا فقتلاه فأنتم أعرق الناس فى الكفر ونحن أعرق الناس فى الإيمان و لا يكون أمير المؤمنين إلاأولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه . قال أبوعثمان وتفخر هاشم بأن أحدا لم يجد تسعين عامـا لاـطواعين فيها إلاامنـذ ملكوا قالوا لو لم يكن من بركـة دعوتنا إلا أن تعـذيب الأمراء بعمال الخراج [صـفحه ۲۴۰] بالتعليق والزهق والتجريـد والتسـهير والمسالـد والنورة والجورتين والعـذراء والجامعـة والتشـطيب قـدارتفع لكـان ذلـك خيرا كـثيرا و فى الطـاعون يقول العمـانى الراجز يـذكر دولتنا قـدرفع الله رماح الجن || وأذهب التعـذيب والتجنى والعرب تسـمى الطواعين رماح الجن و فى ذلـك يقول الشـاعر لعمرك ماخشيت على أبى || رماح بنى مقيـدة الحمار ولكنى خشيت على أبى || رماح الجن أوإيـاك حـار يقول بعض بنى أسـد للحـارث الغسـانى الملك . قال أبوعثمان وتفخر هاشم عليهم بأنهم لم يهـدموا الكعبـة و لم يحولـوا القبلـة و لم يجعلـوا الرسول دون الخليفـة و لم يختموا فى أعنـاق الصـحابة و لم يغيروا أوقـات الصـلاة و لم ينقشوا أكف المسـلمين و لم يـأكلوا الطعام ويشـربوا على منبر رسول الله ص و لم ينهبوا الحرم و لم يطئوا المسـلمات دار فى الإسـلام بالسـباء. قلت نقلت من كتاب افتراق هاشم و عبدشـمس لأبى الحسـين محمـد بن على بن نصـر المعروف بابن أبى رؤبة الدباس قال كان بنـو أميـة فى ملكهم يؤذنون ويقيمون فى العيـد ويخطبون بعدالصـلاة وكـانوا فى سـائر صـلاتهم لاـيجهرون بـالتكبير فى الركوع والسـجود و كان لهشام بن عبدالملك خصـى إذاسـجد هشام و هويصـلى فى المقصورة قال لاإله إلا الله فيسمع الناس فيسجدون وكـانوا يقعـدون فى إحـدى خطبتى العيـد والجمعـة ويقومون فى الأـخرى قال ورأى كعب مروان بن الحكم يخطب قاعـدا فقال انظروا [صفحه ۲۴۱] إلى هذايخطب قاعدا و الله تعالى يقول لرسوله وَ تَرَكُوكَ قائِماً. قال وأول من قعد فى الخطب معاوية وأول من أذن وأقام فى صـلاة العيد بشر بن مروان و كان عمال بنى أمية يأخذون الجزية ممن أسلم من أهل الذمة ويقولون هؤلاء فروا من الجزيـة ويأخـذون الصدقـة من الخيل وربما دخلوا دار الرجل قدنفق فرسه أوباعه فإذاأبصـروا الآخية قالوا قد كان هاهنا فرس فهات صدقتها وكانوا يؤخرون صـلاة الجمعة تشاغلا عنها بالخطبة ويطيلون فيها إلى أن تتجاوز وقت العصر وتكاد الشمس تصفر

فعل ذلك الوليد بن عبدالملك ويزيد أخوه والحجاج عاملهم ووكل بهم الحجاج المسالخ معه والسيوف على رءوسهم فلايستطيعون أن يصلوا الجمعة فى وقتها. و قال الحسن البصرى وا عجبا من أخيفش أعيمش جاءنا ففتننا عن ديننا وصعد على منبرنا فيخطب و الناس يلتفتون إلى الشمس فيقول مابالكم تلتفتون إلى الشمس إنا و الله مانصلى للشمس إنما نصلى لرب الشمس أ فلاتقولون ياعدو الله إن لله حقا بالليل لايقبله بالنهار وحقا بالنهار لايقبله بالليل ثم يقول الحسن وكيف يقولون ذلك و على رأس كل واحد منهم علج قائم بالسيف قال وكانوا يسبون ذرارى الخوارج من العرب وغيرهم لماقتل قريب وزحاف الخارجيان سبى زياد ذراريهما فأعطى شقيق بن ثور السدوسى إحدى بناتهما وأعطى عباد بن حصين الأخرى وسبيت بنت لعبيدة بن هلال اليشكرى وبنت لقطرى بن الفجاءة المازنى فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبدالملك واسمها أم سلمة -قرآن-۴۹-۶۸ [صفحه ۲۴۲] فوطئها بملك اليمين على رأيهم فولدت له المؤمل ومحمدا و ابراهيم و أحمد وحصينا بنى عباس بن الوليد بن عبدالملك وسبى واصل بن عمرو القنا واسترق وسبى سعيد الصغير الحرورى واسترق وأم يزيد بن عمر بن هبيرة وكانت من سبى عمان الذين سباهم مجاعة وكانت بنو أمية تبيع الرجل فى الدين يلزمه وترى أنه يصير بذلك رقيقا. كان معن أبوعمير بن معن الكاتب حرا مولى لبنى العنبر فبيع فى دين عليه فاشتراه أبوسعيد بن زياد بن عمرو العتكى وباع الحجاج على بن بشير بن الماحوز لكونه قتل رسول المهلب على رجل من الأزد.فأما الكعبة فإن الحجاج فى أيام عبدالملك هدمها و كان الوليد بن يزيد يصلى إذاصلى أوقات إفاقته من السكر إلى غيرالقبلة فقيل له فقرأَفَأَينَما تُوَلّوا فَثَمّ وَجهُ اللّهِ. وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ص بالمدينة فقال تبا لهم إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبدالملك أ لا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله . قال وكانت بنو أمية تختم فى أعناق المسلمين كماتوسم الخيل علامة لاستعبادهم . وبايع مسلم بن عقبة أهل المدينة كافة و فيهابقايا الصحابة وأولادها وصلحاء التابعين على أن كلا منهم عبدقن لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية إلا على بن الحسين ع فإنه بايعه على أنه أخوه و ابن عمه . قال ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كمايصنع بالعلوج من الروم والحبشة وكانت خطباء بنى أمية تأكل وتشرب على المنبر يوم الجمعة لإطالتهم -قرآن-۶۶۳-۷۰۰ [صفحه ۲۴۳] فى الخطبة و كان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون قال أبوعثمان ويفخر بنو العباس على بنى مروان وهاشم على عبدشمس بأن الملك كان فى أيديهم فانتزعوه منهم وغلبوهم بالبطش الشديد وبالحيلة اللطيفة ثم لم ينزعوه إلا من يد أشجعهم شجاعة وأشدهم تدبيرا وأبعدهم غورا و من نشأ فى الحروب وربى فى الثغور و من لايعرف إلاالفتوح وسياسة الجنود ثم أعطى الوفاء من أصحابه والصبر من قواده فلم يغدر منهم غادر و لاقصر منهم مقصر كما قدبلغك عن حنظلة بن نباتة وعامر بن ضبارة ويزيد بن عمر بن هبيرة و لاأحد من سائر قواده حتى من أحبابه وكتابه كعبد الحميد الكاتب ثم لم يلقه و لالقى تلك الحروب فى عامة تلك الأيام إلارجال ولد العباس بأنفسهم و لاقام بأكثر الدولة إلامشايخهم كعبد الله بن على وصالح بن على وداود بن على و عبدالصمد بن على و قدلقيهم المنصور نفسه . قال وتفخر هاشم أيضا عليهم بقول النبى ص و هوالصادق المصدق نقلت من الأصلاب الزاكية إلى الأرحام الطاهرة و ماافترقت فرقتان إلاكنت فى خيرهما -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-۱۲۳ قال أيضا بعثت من خيرة قريش -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۲ . ومعلوم أن بنى عبدمناف افترقوا فكانت هاشم والمطلب يدا و عبدشمس ونوفل يدا قال و إن كان الفخر بكثرة العدد فإنه من أعظم مفاخر العرب فولد على بن عبد الله بن العباس اليوم مثل جميع بنى عبدشمس وكذلك ولد الحسين بن على ع هذا مع قرب ميلادهما و قد قال النبى ص شوهاء ولود خير من حسناء عقيم -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۵۱ قال أنامكاثر بكم الأمم -روايت-۱-۲-روايت-۸-۳۰ قدروى الشعبى عن جابر بن عبد الله أن النبى ص قدم من سفر -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-ادامه دارد [صفحه ۲۴۴] فأراد الرجال أن يطرقوا النساء ليلا فقال أمهلوا حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة فإذاقدمتم فالكيس الكيس -روايت-از قبل-۱۰۹ قالوا ذهب إلى طلب الولد

وكانت العرب تفخر بكثرة الولد وتمدح الفحل القبيس وتذم العاقر والعقيم . و قال عامر بن الطفيل يعنى نفسه لبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا || جبانا فما عذرى لدى كل محضر و قال علقمة بن علاثة يفخر على عامر آمنت وكفر ووفيت وغدر وولدت وعقر. و قال الزبرقان فاسأل بنى سعد وغيرهم || يوم الفخار فعندهم خبرى أى امرئ أناحين يحضرنى || رفد العطاء وطالب النصر و إذاهلكت تركت وسطهم || ولدى الكرام ونابه الذكر . و قال طرفة بن العبد فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد || و لوشاء ربى كنت عمرو بن مرثد فأصبحت ذا مال كثير وعادنى || بنون كرام سادة لمسود . ومدح النابغة الذبيانى ناسا فقال لم يحرموا طيب النساء وأمهم || طفحت عليك بناتق مذكار . [صفحه ۲۴۵] و قال نهشل بن حرى على بنى يشد الله عظمهم || والنبع ينبت قضبانا فيكتهل . ومكث الفرزدق زمانا لايولد له فعيرته امرأته فقال قالت أراه واحدا لاأخا له || يؤمله فى الوارثين الأباعد لعلك يوما أن تريني كأنما || بنى حوالى الليوث الحوارد فإن تميما قبل أن يلد الحصى || أقام زمانا و هو فى الناس واحد . و قال الآخر و قدمات إخوته وملأ حوضه ليسقى فجاء رجل صاحب عشيرة وعترة فأخذ بضبعه فنحاه ثم قال لراعيه اسق إبلك لو كان حوض حمار ماشربت به || إلاباذن حمار آخر الأبد لكنه حوض من أودى بإخوته || ريب المنون فأمسى بيضة البلد لو كان يشكى إلى الأموات مالقى || الحياء بعدهم من قلة العدد ثم اشتكيت لأشكانى وأنجدنى || قبر بسنجار أوقبر على فحد . و قال الأعشى و هويذكر الكثرة ولست بالأكثر منهم حصى || وإنما العزة للكاثر . قال و قدولد رجال من العرب كل منهم يلد لصلبه أكثر من مائة فصاروا بذلك مفخرا منهم عبد الله بن عمير الليثى وأنس بن مالك الأنصارى وخليفة بن بر السعدى أتى على عامتهم الموت الجارف ومات جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس عن ثلاثة وأربعين ذكرا وخمس وثلاثين امرأة كلهم لصلبه فما ظنك بمن مات من ولده فى حياته و ليس طبقة من طبقات الأسنان الموت إليها أسرع و فيهاأعم [صفحه ۲۴۶] وأفشى من سن الطفولية وأمر جعفر بن سليمان قدعاينه عالم من الناس وعامتهم أحياء و ليس خبر جعفركخبر غيره من الناس . قال الهيثم بن عدى أفضى الملك إلى ولد العباس وجميع ولد العباس يومئذ من الذكور ثلاثة وأربعون رجلا ومات جعفر بن سليمان وحده عن مثل ذلك العدد من الرجال وممن قرب ميلاده وكثر نسله حتى صار كبعض القبائل والعمائر أبوبكر صاحب رسول الله ص والمهلب بن أبى صفرة ومسلم بن عمرو الباهلى وزياد بن عبيد أميرالعراق ومالك بن مسمع وولد جعفر بن سليمان اليوم أكثر عددا من أهل هذه القبائل وأربعة من قريش ترك كل واحد منهم عشرة بنين مذكورين معروفين وهم عبدالمطلب بن هاشم والمطلب بن عبدمناف وأمية بن عبدشمس والمغيرة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم و ليس على ظهر الأرض هاشمى إلا من ولد عبدالمطلب و لايشك أحد أن عدد الهاشميين شبيه بعدد الجميع فهذا ما فى الكثرة والقلة. قلت رحم الله أباعثمان لو كان حيا اليوم لرأى ولد الحسن و الحسين ع أكثر من جميع العرب الذين كانوا فى الجاهلية على عصر النبى ص المسلمين منهم والكافرين لأنهم لوأحصوا لمانقص ديوانهم عن مائتى ألف إنسان . قال أبوعثمان و إن كان الفخر بنبل الرأى وصواب القول فمن مثل عباس بن عبدالمطلب و عبد الله بن العباس و إن كان فى الحكم والسؤدد وأصالة الرأى والغناء العظيم فمن مثل عبدالمطلب و إن كان إلى الفقه والعلم بالتأويل ومعرفة التأويل و إلى القياس السديد و إلى الألسنة الحداد والخطب الطوال فمن مثل على بن أبى طالب ع و عبد الله بن عباس . [صفحه ۲۴۷] قالوا خطبنا عبد الله بن عباس خطبة بمكة أيام حصار عثمان لوشهدها الترك والديلم لأسلموا. و فى عبد الله بن العباس يقول حسان بن ثابت إذا قال لم يترك مقالا لقائل || بملتقطات لاترى بينها فضلا شفى وكفى ما فى النفوس فلم يدع || لذى إربة فى القول جدا و لاهزلا و هوالبحر و هوالحبر و كان عمر يقول له فى حداثته عندإجالة الرأى غص ياغواص و كان يقدمه على جلة السلف . قلت أبى أبوعثمان إلاإعراضا عن على ع هلا قال فيه كما قال فى عبد الله فلعمرى لوأراد لوجد مجالا ولألفى قولا وسيعا وهل تعلم الناس الخطب والعهود والفصاحة إلا من كلام على ع وهل أخذ عبد الله رحمه الله الفقه وتفسير القرآن إلا عنه فرحم الله أباعثمان لقد غلبت البصرة

وطينتها على إصابة رأيه . قال أبوعثمان و إن كان الفخر فى البسالة والنجدة وقتل الأقران وجزر الفرسان فمن كحمزة بن عبدالمطلب و على بن أبى طالب و كان الأحنف إذاذكر حمزة قال أكيس و كان لايرضى أن يقول شجاع لأن العرب كانت تجعل ذلك أربع طبقات فتقول شجاع فإذا كان فوق ذلك قالت بطل فإذا كان فوق ذلك قالت بهمة فإذا كان فوق ذلك قالت أكيس و قال العجاج أكيس عن حوبائه سخى وهل أكثر مايعد الناس من جرحاهما وصرعاهما إلاسادتكم وأعلامكم قتل حمزة و على ع عتبة والوليد وقتلا شيبة أيضا شركا عبيدة بن الحارث فيه وقتل على ع حنظلة بن أبى سفيان فأما آباء ملوككم من بنى مروان فإنهم كما قال [صفحه ۲۴۸] عبد الله بن الزبير لماأتاه خبر المصعب إنا و الله مانموت حبجا كمايموت آل أبى العاص و الله ماقتل منهم قتيل فى جاهلية و لاإسلام و مانموت إلاقتلا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف . قال أبوعثمان كأنه لم يعد قتل معاوية بن المغيرة بن أبى العاص قتلا إذ كان إنما قتل فى غيرمعركة وكذلك قتل عثمان بن عفان إذ كان إنما قتل محاصرا و لاقتل مروان بن الحكم لأنه قتل خنقا خنقته النساء قال وإنما فخر عبد الله بن الزبير بما فى بنى أسد بن عبدالعزى من القتلى لأن من شأن العرب أن يفخروا بذلك كيف كانوا قاتلين أومقتولين أ لاترى أنك لاتصيب كثرة القتلى إلافى القوم المعروفين بالبأس والنجدة وبكثرة اللقاء والمحاربة كآل أبى طالب وآل الزبير وآل المهلب . قال و فى آل الزبير خاصة سبعة مقتولون فى نسق و لم يوجد ذلك فى غيرهم قتل عمارة وحمزة ابنا عبد الله بن الزبير يوم قديد فى المعركة قتلهما الإباضية وقتل عبد الله بن الزبير فى محاربة الحجاج وقتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق فى المعركة أكرم قتل وبإزائه عبدالملك بن مروان وقتل الزبير بوادى السباع منصرفه عن وقعة الجمل وقتل العوام بن خويلد فى حرب الفجار وقتل خويلد بن أسد بن عبدالعزى فى حرب خزاعة فهؤلاء سبعة فى نسق . قال و فى بنى أسد بن عبدالعزى قتلى كثيرون غيرهؤلاء قتل المنذر بن الزبير بمكة قتله أهل الشام فى حرب الحجاج و هو على بغل ورد كان نفر به فأصعد به فى الجبل [صفحه ۲۴۹] وإياه يعنى يزيد بن مفرغ الحميرى و هويهجو صاحبكم عبيد الله بن زياد ويعيره بفراره يوم البصرة لابن الزبير غداة تدمر منذرا || أولى بكل حفيظة ودفاع . وقتل عمرو بن الزبير قتله أخوه عبد الله بن الزبير و كان فى جوار أخيه عبيدة بن الزبير فلم يغن عنه فقال الشاعر يحرض عبيدة على قتل أخيه عبد الله بن الزبير ويعيره بإخفاره جوار عمرو أخيهما أعبيد لو كان المجير لولولت || بعدالهدو برنة أسماء أعبيد إنك قدأجرت وجاركم || تحت الصفيح تنوبه الأصداء اضرب بسيفك ضربة مذكورة || فيهاأداء أمانه ووفاء . وقتل بجير بن العوام أخو الزبير بن العوام قتله سعد بن صفح الدوسى جد أبى هريرة من قبل أمه قتله بناحية اليمامة وقتل معه أصرم وبعلك أخويه ابنى العوام بن خويلد و قدقتل منهم فى محاربة النبى ص قوم مشهورون منهم زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى كان شريفا قتل يوم بدر وأبوه الأسود كان المثل يضرب بعزته بمكة و فيه قال رسول الله ص و هويذكر عاقر الناقة كان عزيزا منيعا كأبى زمعة ويكنى زمعة بن الأسود أباحكيمة وقتل الحارث بن الأسود بن المطلب يوم بدر أيضا وقتل عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن الأسود بن المطلب بن أسد يوم بدر أيضا وقتل نوفل بن خويلد يوم بدر أيضا قتله على بن أبى طالب ع وقتل يوم الحرة يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ضرب عنقه مسرف بن عقبة صبرا قال له بايع لأمير المؤمنين يزيد [صفحه ۲۵۰] بن معاوية على أنك عبدقن له قال بل أبايعه على أنى أخوه و ابن عمه فضرب عنقه وقتل إسماعيل بن هبار بن الأسود ليلا و كان ادعى حيلة فخرج مصرخا لمن استصرخه فقتل فاتهم به مصعب بن عبد الله بن عبدالرحمن فأحلفه معاوية خمسين يمينا وخلى سبيله فقال الشاعر و لاأجيب بليل داعيا أبدا || أخشى الغرور كماغر ابن هبار باتوا يجرونه فى الحش منعقرا || بئس الهدية لابن العم والجار . وقتل عبدالرحمن بن العوام بن خويلد فى خلافة عمر بن الخطاب فى بعض المغازى وقتل ابنه عبدالرحمن يوم الدار مع عثمان فعبد الله بن عبدالرحمن بن العوام بن خويلد قتيل ابن قتيل ابن قتيل ابن قتيل أربعة و من قتلاهم عيسى بن مصعب بن الزبير قتل بين يدى أبيه بمسكن فى حرب عبدالملك و كان مصعب يكنى أباعيسى و أبا عبد الله و فيه

يقول الشاعر لتبك أباعيسى وعيسى كلاهما || موالى قريش كهلها وصميمها . ومنهم مصعب بن عكاشة بن مصعب بن الزبير قتل يوم قديد فى حرب الخوارج و قدذكره الشاعر فقال فمن فاندبن رجالا قتلوا || بقديد ولنقصان العدد ثم لاتعدلن فيهامصعبا || حين يبكى من قتيل بأحد إنه قد كان فيهاباسلا || صارما يقدم إقدام الأسد . ومنهم خالد بن عثمان بن خالد بن الزبير خرج مع محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن فقتله أبو جعفر وصلبه ومنهم عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قتل بقديد أيضا وسمى عتيقا باسم جده أبى بكر الصديق . [صفحه ٢٥١] قلت هذاأيضا من تحامل أبى عثمان هلا ذكر قتلى الطف وهم عشرون سيدا من بيت واحد قتلوا فى ساعة واحدة و هذا ما لم يقع مثله فى الدنيا لا فى العرب و لا فى العجم . و لماقتل حذيفة بن بدر يوم الهباءة وقتل معه ثلاثة أوأربعة من أهل بيته ضربت العرب بذلك الأمثال واستعظموه فجاء يوم الطف جرى الوادى فطم على القرى. وهلاـ عدد القتلى من آل أبى طالب فإنهم إذاعدوا إلى أيام أبى عثمان كانوا عددا كثيرا أضعاف ماذكره من قتلى الأسديين قال أبوعثمان و إن كان الفخر والفضل فى الجود والسماح فمن مثل عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و من مثل عبيد الله بن العباس بن عبدالمطلب . و قداعترضت الأموية هذاالموضع فقالت إنما كان عبد الله بن جعفريهب ما كان معاوية ويزيد يهبان له فمن فضل جودنا جاد.قالوا ومعاوية أول رجل فى الأرض وهب ألف ألف درهم وابنه أول من ضاعف ذلك فإنه كان يجيز الحسن و الحسين ابنى على ع فى كل عام لكل واحد منهما بألف ألف درهم وكذلك كان يجيز عبد الله بن العباس و عبد الله بن جعفر فلما مات وقام يزيد وفد عليه عبد الله بن جعفر فقال له إن أمير المؤمنين معاوية كان يصل رحمى فى كل سنة بألف ألف درهم قال فلك ألفا ألف درهم فقال بأبى أنت وأمى أماإنى ماقلتها لابن أنثى قبلك قال فلك أربعة آلاف ألف درهم . و هذاالاعتراض ساقط لأن ذلك إن صح لم يعد جودا و لاجائزة و لاصلة رحم هؤلاء [صفحه ٢٥٢] قوم كان يخافهم على ملكه ويعرف حقهم فيه وموقعهم من قلوب الأمة فكان يدبر فى ذلك تدبيرا ويريع أمورا ويصانع عن دولته وملكه ونحن لم نعد قط ماأعطى خلفاء بنى هاشم قوادهم وكتابهم وبنى عمهم جودا فقد وهب المأمون للحسن بن سهل غلة عشرة آلاف ألف فما عد ذلك منه مكرمة وكذلك كل ما يكون داخلاـ فى باب التجارة واستمالة القلوب وتدبير الدولة وإنما يكون الجود مايدفعه الملوك فى الوفود والخطباء والشعراء والأشراف والأدباء والسمار ونحوهم و لو لا ذلك لكان الخليفة إذاوفى الجند أعطياتهم احتسب ذلك فى جوده فالعمالات شىء والإعطاء على دفع المكروه شىء والتفضل والجود شىء ثم إن الذين أعطاهم معاوية ويزيد هوبعض حقهم و ألذى فضل عليهما أكثر مما خرج منهما. و إن أريد الموازنة بين ملوك بنى العباس وملوك بنى أمية فى العطاء افتضح بنو أمية وناصروهم فضيحة ظاهرة فإن نساء خلفاء بنى عباس أكثر معروفا من رجال بنى أمية و لوذكرت معروف أم جعفروحدها لأـتى ذلك على جميع صنائع بنى مروان و ذلك معروف و لوذكر معروف الخيزران وسلسبيل لملئت الطوامير الكثيرة به و مانظن خالصة مولاتهم إلافوق أجواد أجوادهم و إن شئت أن تذكر مواليهم وكتابهم فاذكر عيسى بن ماهان وابنه عليا وخالد بن برمك وابنه يحيى وابنه جعفرا والفضل وكاتبهم منصور بن زياد و محمد بن منصور وفتى العسكر فإنك تجد لكل واحد من هؤلاء مايحيط بجميع صنائع بنى عبدشمس .فأما ملوك الأموية فليس منهم إلا من كان يبخل على الطعام و كان جعفر بن سليمان كثيرا مايذكر ذلك و كان معاوية يبغض الرجل النهم على مائدته و كان [صفحه ٢٥٣] المنصور إذاذكرهم يقول كان عبدالملك جبارا لايبالى ماصنع و كان الوليد مجنونا و كان سليمان همه بطنه وفرجه و كان عمر أعور بين عميان و كان هشام رجل القوم و كان لايذكر ابن عاتكة ولقد كان هشام مع مااستثناه به يقول هوالأحول السراق مازال يدخل إعطاء الجند شهرا فى شهر وشهرا فى شهر حتى أخذ لنفسه مقدار رزق سنة وأنشده أبوالنجم العجلى أرجوزته التى أولها ألحد لله الوهوب المجزل .فما زال يصفق بيديه استحسانا لها حتى صار إلى ذكر الشمس فقال والشمس فى الأفق كعين الأحول فأمر بوج ء عنقه وإخراجه و هذاضعف شديد وجهل عظيم . و قال خاله ابراهيم بن هشام المخزومى مارأيت من هشام خطأ قط إلامرتين

حدا به الحادی مرة فقال إن علیک أیها البختی || أکرم من تمشی به المطی فقال صدقت و قال مرة و الله لأشکون سلیمان یوم القیامة إلی أمیر المؤمنین عبدالملک و هذاضعف شدید وجهل مفرط. و قال أبوعثمان و کان هشام یقول و الله إنی لأستحیی أن أعطی رجلا أکثر من أربعة آلاف درهم ثم أعطی عبد الله بن الحسن أربعة آلاف دینار فاعتدها فی جوده وتوسعه وإنما اشتری بهاملکه وحصن بها عن نفسه و ما فی یدیه قال له أخوه مسلمة أتطمع أن تلی الخلافة و أنت بخیل جبان فقال ولکنی حلیم عفیف فاعترف بالجبن والبخل وهل تقوم الخلافة مع واحد منهما و إن قامت فلاتقوم إلا مع الخطر العظیم والتغریر الشدید و لوسلمت من الفساد لم تسلم من العیب . [صفحه ۲۵۴] ولقد قدم المنصور علیهم عمر بن عبدالعزیز بقوله أعور بین عمیان وزعمتم أنه کان ناسکا ورعا تقیا فکیف و قدجلد خبیب بن عبد الله بن الزبیر مائة جلدة وصب علی رأسه جرة من ماء بارد فی یوم شات حتی کز فمات فما أقر بدمه و لاخرج إلی ولیه من حقه و لاأعطی عقلا و لاقودا و لا کان خبیب ممن أتت علیه حدود الله وأحکامه وقصاصه فیقال کان مطیعا بإقامتها و أنه أزهق الحد نفسه واحتسبوا الضرب کان أدبا وتعزیرا فما عذره فی الماء البارد فی الشتاء علی أثر جلد شدید ولقد بلغه أن سلیمان بن عبدالملک یوصی فجاء حتی جلس علی طریق من یجلس عنده أویدخل إلیه فقال رجاء بن حیوة فی بعض من یدخل و من یخرج نشدتک الله أن تذکرنی لهذا الأمر أوتشیر بی فی هذاالشأن فو الله ما لی علیه من طاقة فقال له رجاء قاتلک الله ماأحرصک علیها. و لماجاء الولید بن عبدالملک بنعی الحجاج قال له الولید مات الحجاج یا أباحفص فقال وهل کان الحجاج إلارجلا منا أهل البیت و قال فی خلافته لو لابیعة فی أعناق الناس لیزید بن عاتکة لجعلت هذاالأمر شوری بین صاحب الأعوص إسماعیل بن أمیة بن عمرو بن سعید الأشدق و بین أحمس قریش القاسم بن محمد بن أبی بکر و بین سالم بن عبد الله بن عمر فما کان علیه من الضرر والحرج و ما کان علیه من الوکف والنقص أن لو قال بین علی بن العباس و علی بن الحسین بن علی و علی أنه لم یرد التیمی و لاالعدوی وإنما دبر الأمر للأموی و لم یکن عنده أحد من هاشم یصلح للشوری ثم دبر الأمر لیبایع لأخیه أبی بکر بن عبدالعزیز من بعده حتی عوجل بالسم . وقدم علیه عبد الله بن حسن بن حسن فلما رأی کماله وبیانه وعرف نسبه ومرکبه [صفحه ۲۵۵] وموضعه وکیف ذلک من قلوب المسلمین و فی صدور المؤمنین لم یدعه یبیت بالشام لیلة واحدة و قال له الحق بأهلک فإنک لم تغنهم شیئا هوأنفس منک و لاأرد علیهم من حیاتک أخاف علیک طواعین الشام وستلحقک الحوائج علی ماتشتهی وتحب . وإنما کره أن یروه ویسمعوا کلامه فلعله یبذر فی قلوبهم بذرا ویغرس فی صدورهم غرسا و کان أعظم خلق قولا بالجبر حتی یتجاوز الجهمیة ویربی علی کل ذی غایة صاحب شنعة و کان یصنع ذلک الکتب مع جهله بالکلام وقلة اختلافه إلی أهل النظر و قال له شوذب الخارجی لم لاتلعن رهطک وتذکر أباک إن کانوا عندک ظلمة فجرة فقال عمر متی عهدک بلعن فرعون قال ما لی به عهد قال أفیسعک أن تمسک عن لعن فرعون و لایسعنی أن أمسک عن لعن آبائی فرأی أنه قدخصمه وقطع حجته وکذلک یظنه کل من قصر عن مقدار العالم وجاوز مقدار الجاهل و أی شبه لفرعون بآل مروان وآل أبی سفیان هؤلاء قوم لهم حزب وشیعة وناس کثیر یدینون بتفضیلهم و قداعتورتهم الشبه فی أمرهم وفرعون علی خلاف ذلک وضده لاشیعة له و لاحزب و لانسل و لاموالی و لاصنائع و لا فی أمره شبهة ثم إن عمر ظنین فی أمر أهله فیحتاج إلی غسل ذلک عنه بالبراءة منهم وشوذب لیس بظنین فی أمر فرعون و لیس الإمساک عن لعن فرعون والبراءة منه مما یعرفه الخوارج فکیف استویا عنده . وشکا إلیه رجل من رهطه دینا فادحا وعیالا کثیرا فاعتل علیه فقال له فهلا اعتللت علی عبد الله بن الحسن قال ومتی شاورتک فی أمری قال أومشیرا [صفحه ۲۵۶] ترانی قال أوهل أعطیته إلابعض حقه قال و لم قصرت عن کله فأمر بإخراجه و مازال إلی أن مات محروما منه . و کان عمال أهله علی البلاد عماله وأصحابه و ألذی حسن أمره وشبه علی الأغنیاء حاله أنه قام بعقب قوم قدبدلوا عامة شرائع الدین وسنن النبی ص و کان الناس قبله من الظلم والجور والتهاون بالإسلام فی أمر صغر فی جنبه عاینوا منه وألفوه علیه فجعلوه بما نقص من تلک

الأمور الفظيعـة فی عداد الأئمة الراشدین وحسـبک من ذلک أنهم کانوا یلعنون علیا ع علی منابرهم فلما نهی عمر عن ذلک عد محسـنا ویشـهد لذلک قول کثیر فیه ولیت فلم تشـتم علیا و لم تخف || بریا و لم تتبع مقالة مجرم و هذاالشـعر یدل علی أن شتم علی ع قد کان لهم عادة حتی مدح من کف عنه و لماولی خالد بن عبد الله القسـری مکة و کان إذاخطب بهالعن علیا و الحسـن و الحسـین ع قال عبید الله بن کثیر السهمی لعن الله من یسب علیا || وحسینا من سوقة وإمام أیسب المطهرون جدودا || والکرام الآبـاء والأعمام یأمن الطیر والحمام و لایأمن || آل الرسول عنـدالمقام طبت بیتا وطاب أهلک أهلا || أهل بیت النبی والإسـلام رحمة الله و السلام علیهم || کلما قام قائم بسلام . وقام عبد الله بن الولید بن عثمان بن عفان و کان ممن یناله بزعمهم إلی هشام بن عبـدالملک و هویخطب علی المنبر بعرفـة فقال یا أمیر المؤمنین هـذا یوم کانت [صـفحه ۲۵۷] الخلفاء تسـتحب فیه لعن أبی تراب فقال هشام لیس لهـذا جئنا أ لاتری أن ذلک یدل علی أنه قد کان لعنه فیهم فاشـیا ظاهرا و کان عبد الله بن الولید هذایلعن علیا ع و یقول قتل جـدی جمیعا الزبیر وعثمان . و قال المغیرة و هوعامل معاویـة یومئـذ لصعصـعة بن صوحان قم فالعن علیا فقام فقال إن أمیرکم هـذاأمرنی أن ألعن علیا فالعنوه لعنه الله و هویضـمر المغیرة. و أما عبـدالملک فحسـبک من جهله تبـدیله شـرائع الدین والإسلام و هویرید أن یلی أمور أصحابها بذلک الدین بعینه وحسبک من جهله أنه رأی من أبلغ التدبیر فی منع بنی هاشم الخلافـة أن یلعن علی بن أبی طالب ع علی منابره ویرمی بالفجور فی مجالسه و هذاقرة عین عدوه وعیر ولیه وحسـبک من جهله قیامه علی منبر الخلافـة قائلا إنی و الله ما أنابالخلیفـة المستضـعف و لابالخلیفة المداهن و لابالخلیفة المأفون وهؤلاء سـلفه وأئمته وبشـفعتهم قام ذلک المقام وبتقدمهم وتأسیسهم نال تلک الرئاسة و لو لاالعادة المتقدمة والأجناد المجندة والصنائع القائمة لکان أبعد خلق الله من ذلک المقام وأقربهم إلی المهلکة إن رام ذلک الشرف وعنی بالمستضعف عثمان وبالمداهن معاویة وبالمأفون یزیـد بن معاویـة و هذاالکلام نقض لسـلطانه وعداوة لأهله وإفساد لقلوب شـیعته و لو لم یکن من عجز رأیه إلا أنه لم یقدر علی إظهار قوته إلابأن یظهر عجز أئمته لکفاک ذلک منه فهذا ماذکرته هاشم لأنفسها

مفاخر بنی أمیة

قالت أمیة لنا من نوادر الرجال فی العقل والدهاء والأدب والمکر ما لیس لأحد [صفحه ۲۵۸] ولنا من الأجواد وأصحاب الصنائع ما لیس لأحد زعم الناس أن الدهاة أربعة معاویة بن أبی سفیان وزیاد وعمرو بن العاص والمغیرة بن شعبة فمنا رجلان و من سائر النـاس رجلاـن ولنا فی الأجواد سـعید بن العاص و عبـد الله بن عامر لم یوجـد لهما نظیر إلی الساعـة و أمانوادر الرجال فی الرأی والتـدبیر فـأبو سـفیان بن حرب و عبـدالملک بن مروان ومسـلمة بن عبـدالملک و علی أنهم یعـدون فی الحلمـاء والرؤساء فأهل الحجـاز یضـربون المثل فی الحلم بمعاویـة کمایضـرب أهل العراق المثل فیه بالأحنف .فأما الفتوح والتـدبیر فی الحرب فلمعاویة غیرمدافع و کان خطیبا مصقعا ومجربا مظفرا و کان یجید قول الشعر إذاآثر أن یقوله و کان عبدالملک خطیبا حازما مجربا مظفرا و کان مسـلمة شـجاعا مـدبرا وسائسا مقـدما وکثیر الفتوح کثیر الأدب و کان یزیـد بن معاویة خطیبا شاعرا و کان الولید بن یزید خطیبـا شـاعرا و کـان مروان بن الحکم و عبـدالرحمن بن الحکم شـاعرین و کان بشـر بن مروان شاعرا ناسـبا وأدیبا عالما و کان خالـد بن یزید بن معاویة خطیبا شاعرا جید الرأی أدیبا کثیر الأدب حکیما و کان أول من أعطی التراجمة والفلاسـفة وقرب أهل الحکمـة ورؤسـاء أهـل کـل صـناعة وترجم کتب النجوم والطب والکیمیـاء والحروب والآـداب والآلات والصـناعات .قالوا و إن ذکرت البـأس والشـجاعة فالعبـاس بن الولیـد بن عبـدالملک ومروان بن محمـد وأبوه محمـد بن مروان بن الحکم و هوصـاحب مصـعب وهؤلاـء قوم لهم آثـار بـالروم لاتجهل وآثار بإرمینیـة لاتنکر ولهم یوم العقر شـهده مسـلمة والعباس بن الولیـد.قالوا ولنا

الفتوح العظام ولنا فارس وخراسان وإرمينية وسجستان وإفريقية وجميع فتوح عثمان فأما فتوح بنى مروان فأكثر وأعم وأشهر من أن [صفحه ۲۵۹] تحتاج إلى عدد أو إلى شاهد والذين بلغوا فى ذلك الزمان أقصى مايمكن صاحب خف وحافر أن يبلغه حتى لم يحتجز منهم إلابحر أوخليج بحر أوغياض أوعقاب أوحصون وصياصى ثلاثة رجال قتيبة بن مسلم بخراسان و موسى بن نصير بإفريقية والقاسم بن محمد بن القاسم الثقفى بالسند والهند وهؤلاء كلهم عمالنا وصنائعنا ويقال إن البصرة كانت صنائع ثلاثة رجال عبد الله بن عامر وزياد والحجاج فرجلان من أنفسنا والثالث صنيعنا.قالوا ولنا فى الأجواد و أهل الأقدار بنو عبد الله بن خالد بن أسيد بن أمية وأخوه خالد و فى خالد يقول الشاعر إلى خالد حتى أنخنا بخالد || فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل . ولنا سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد و هوعقيد الندى كان يسبت ستة أشهر ويفيق ستة أشهر ويرى كحيلا من غيراكتحال ودهينا من غيرتدهين و له يقول موسى شهوات أباخالد أعنى سعيد بن خالد || أخا العرف لاأعنى ابن بنت سعيد ولكننى أعنى ابن عائشة ألذى || أبوأبويه خالد بن أسيد عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى || فإن مات لم يرض الندى بعقيد قالوا وإنما تمكن فينا الشعر وجاد ليس من قبل أن الذين مدحونا ماكانوا غير من مدح الناس ولكن لماوجدوا فينا مما يتسع لأجله القول ويصدق فيه القائل قدمدح عبد الله بن قيس الرقيات من الناس آل الزبير عبد الله ومصعبا وغيرهما فكان يقول كما يقول غيره فلما صار إلينا قال مانقموا من بنى أمية إلا || أنهم يحلمون أن غضبوا [صفحه ۲۶۰] وأنهم معدن الملوك فما || تصلح إلاعليهم العرب . و قال نصيب من النفر الشم الذين إذاانتجوا || أقرت لنجواهم لؤى بن غالب يحيون بسامين طورا وتارة || يحيون عباسين شوس الحواجب . و قال الأخطل شمس العداوة حتى يستقاد لهم || وأعظم الناس أحلاما إذاقدروا .قالوا وفينا يقول شاعركم والمتشيع لكم الكميت بن زيد فالآن صرت إلى أمية || والأمور لها مصائر . و فى معاوية يقول أبوالجهم العدوى نقلبه لنخبر حالتيه || فنخبر منهما كرما ولينا نميل على جوانبه كأنا || إذاملنا نميل على أبينا . و فيه يقول تريع إليه هوادى الكلام || إذاضل خطبته المهذر .قالوا و إذانظرتم فى امتداح الشعراء عبدالعزيز بن مروان عرفتم صدق مانقوله .قالوا و فى إرسال النبى ص إلى أهل مكة عثمان واستعماله عليها عتاب بن أسيد و هو ابن اثنتين وعشرين سنة دليل على موضع المنعة أن تهاب العرب وتعز قريش و قال النبى ص قبل الفتح فتيان أضن بهما على النار عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۸۵ فولى عتابا وترك جبير بن مطعم . [صفحه ۲۶۱] و قال الشعبى لوولد لى مائة ابن لسميتهم كلهم عبدالرحمن للذى رأيت فى قريش من أصحاب هذاالاسم ثم عد عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد و عبدالرحمن بن الحارث بن هشام و عبدالرحمن بن الحكم بن أبى العاص فأما عبدالرحمن بن عتاب فإنه صاحب الخيل يوم الجمل و هوصاحب الكف والخاتم و هو ألذى مر به على و هوقتيل فقال لهفى عليك يعسوب قريش هذااللباب المحض من بنى عبدمناف فقال له قائل لشد ماأتيته اليوم يا أمير المؤمنين قال إنه قام عنى و عنه نسوة لم يقمن عنك .قالوا ولنا من الخطباء معاوية بن أبى سفيان أخطب الناس قائما وقاعدا و على منبر و فى خطبة نكاح و قال عمر بن الخطاب مايتصعدنى شىء من الكلام كمايتصعدنى خطبة النكاح و قد يكون خطيبا من ليس عنده فى حديثه ووصفه للشىء احتجاجه فى الأمر لسان بارع و كان معاوية يجرى مع ذلك كله .قالوا و من خطبائنا يزيد بن معاوية كان أعرابى اللسان بدوى اللهجة قال معاوية وخطب عنده خطيب فأجاد لأرمينه بالخطيب الأشدق يريد يزيد بن معاوية. و من خطبائنا سعيد بن العاص لم يوجد كتحبيره تحبير و لاكارتجاله ارتجال . ومنا عمرو بن سعيد الأشدق لقب بذلك لأنه حيث دخل على معاوية و هوغلام بعدوفاة أبيه فسمع كلامه فقال إن ابن سعيد هذاالأشدق . و قال له معاوية إلى من أوصى بك أبوك قال إن أبى أوصى إلى و لم يوص بى قال فبم أوصى إليك قال ألا يفقد إخوانه منه إلاوجهه .قالوا ومنا سعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب تكلم الناس عند عبدالملك قياما وتكلم قاعدا قال عبدالملك فتكلم و أنا و الله أحب عثرته وإسكاته فأحسن حتى استنطقته واستزدته و كان عبدالملك خطيبا خطب [صفحه ۲۶۲] الناس مرة فقال ماأنصفتمونا معشر

رعيتنا طلبتم منا أن نسير فيكم و فى أنفسنا سيرة أبى بكر وعمر فى أنفسهما ورعيتهما و لم تسيروا فينا و لا فى أنفسكم سيرة رعية أبى بكر وعمر فيهما و فى أنفسهما ولكل من النصفة نصيب قالوا فكانت خطبته نافعة.قالوا ولنا زياد وعبيد الله بن زياد وكانا غنيين فى صحة المعانى وجودة اللفظ ولهما كلام كثير محفوظ قالوا و من خطبائنا سليمان بن عبدالملك والوليد بن يزيد بن عبدالملك . و من خطبائنا ونساكنا يزيد بن الوليد الناقص قال عيسى بن حاضر قلت لعمرو بن عبيد ماقولك فى عمر بن عبدالعزيز فكلح ثم صرف وجهه عنى قلت فما قولك فى يزيد الناقص فقال أوالكامل قال بالعدل وعمل بالعدل وبذل نفسه وقتل ابن عمه فى طاعة ربه و كان نكالا لأهله ونقص من أعطياتهم مازادته الجبابرة وأظهر البراءة من آبائه وجعل فى عهده شرطا و لم يجعله جزما لا و الله لكأنه ينطق عن لسان أبى سعيد يريد الحسن البصرى قال و كان الحسن من أنطق الناس .قالوا و قدقرئ فى الكتب القديمة يامبذر الكنوز ياساجدا بالأسحار كانت ولايتك رحمة بهم وحجة عليهم قالوا هويزيد بن الوليد. و من خطبائنا ثم من ولد سعيد بن العاص عمرو بن خولة كان ناسبا فصيحا خطيبا. و قال ابن عائشة الأكبر ماشهد خطيبا قط إلا ولجلج هيبة له ومعرفة بانتقاده . و من خطبائنا عبد الله بن عامر و عبدالأعلى بن عبد الله بن عامر وكانا من أكرم الناس وأبين الناس كان مسلمة بن عبدالملك يقول إنى لأنحى كور عمامتى على أذنى لأسمع كلام عبدالأعلى . [صفحه ۲۶۳] وكانوا يقولون أشبه قريش نعمة وجهارة واقتدارا وبيانا بعمرو بن سعيد عبدالأعلى بن عبد الله .قالوا و من خطبائنا ورجالنا الوليد بن عبدالملك و هو ألذى كان يقال له فحل بنى مروان كان يركب معه ستون رجلا ـ لصلبه . و من ذوى آدابنا وعلمائنا وأصحاب الأخبار ورواية الأشعار والأنساب بشر بن مروان أميرالعراق .قالوا ونحن أكثر نساكا منكم منا معاوية بن يزيد بن معاوية و هو ألذى قيل له فى مرضه ألذى مات فيه لوأقمت للناس ولى عهد قال و من جعل لى هذاالعهد فى أعناق الناس و الله لو لاخوفى الفتنة لماأقمت عليها طرفة عين و الله لاأذهب بمرارتها وتذهبون بحلاوتها فقالت له أمه لوددت أنك حيضة قال أنا و الله وددت ذلك .قالوا ومنا سليمان بن عبدالملك ألذى هدم الديماس ورد المسيرين وأخرج المسجونين وترك القريب واختار عمر بن عبدالعزيز و كان سليمان جوادا خطيبا جميلا صاحب سلامة ودعة وحب للعافية وقرب من الناس حتى سمى المهدى وقيلت الأشعار فى ذلك .قالوا ولنا عمر بن عبدالعزيز شبه عمر بن الخطاب قدولده عمر وباسمه سمى و هوأشج قريش المذكور فى الآثار المنقولة فى الكتب العدل فى أشد الزمان وظلف نفسه بعداعتياد النعم حتى صار مثلا ومفخرا وقيل للحسن أ مارويت أن رسول الله ص قال لايزداد الزمان إلاشدة و الناس إلاشحا و لاتقوم الساعة إلا على شرار الخلق -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۱۰۴ قال بلى قيل فما بال عمر بن عبدالعزيز وعدله [صفحه ۲۶۴] وسيرته فقال لابد للناس من متنفس و كان مذكورا مع الخطباء و مع النساك و مع الفقهاء قالوا ولنا ابنه عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز كان ناسكا زكيا طاهرا و كان من أتقى الناس وأحسنهم معونة لأبيه و كان كثيرا مايعظ أباه وينهاه .قالوا ولنا من لانظير له فى جميع أموره و هوصاحب الأعوص إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص و هو ألذى قال فيه عمر بن عبدالعزيز لو كان إلى من الأمر شىءلجعلتها شورى بين القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وصاحب الأعوص .قالوا و من نساكنا أبوحراب من بنى أمية الصغرى أداود بن على و من نساكنا يزيد بن محمد بن مروان كان لايهدب ثوبا و لايصبغه و لايتخلق بخلوق و لااختار طعاما على طعام ماأطعم أكله و كان يكره التكلف وينهى عنه .قالوا و من نساكنا أبوبكر بن عبدالعزيز بن مروان أراد عمر أخوه أن يجعله ولى عهده لمارأى من فضله وزهده فسما فيهما جميعا. و من نساكنا عبدالرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان كان يصلى كل يوم ألف ركعة و كان كثير الصدقة و كان إذاتصدق بصدقة قال أللهم إن هذالوجهك فخفف عنى الموت فانطلق حاجا ثم تصبح بالنوم فذهبوا ينبهونه للرحيل فوجدوه ميتا فأقاموا عليه المأتم بالمدينة وجاء أشعب فدخل إلى المأتم و على رأسه كبة من طين فالتدم مع النساء و كان إليه محسنا. و من نساكنا عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . [صفحه ۲۶۵] قالوا فنحن نعد من الصلاح والفضل ماسمعتموه و ما لم نذكره أكثر وأنتم تقولون أمية هى الشجرة

الملعونة فی القرآن وزعمتم أن الشجرة الخبيثة لاتثمر الطيب كما أن الطيب لايثمر الخبيث فإن كان الأمر كماتقولون فعثمان بن عفان ثمرة خبيثة. وينبغی أن يكون النبی ص دفع ابنتيه إلی خبيث وكذلک يزيد بن أبی سفيان صاحب مقدمة أبی بكر الصديق علی جيوش الشام وينبغی لأبی العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ص أن يكون كذلک وينبغی لمحمد بن عبد الله المدبج أن يكون كذلک و إن ولدته فاطمة ع لأنه من بنی أمية وكذلک عبد الله بن عثمان بن عفان سبط رسول الله ص ألذی مات بعد أن شدن ونقر الديک عينه فمات لأنه من بنی أمية وكذلک ينبغی أن يكون عتاب بن أسيد بن أبی العيص بن أمية و إن كان النبی ص ولاه مكة أم القری وقبلة الإسلام مع قوله ع فتيان أضن بهما عن النار عتاب ابن أسيد وجبير بن مطعم -روايت-١-٢-روايت-١٢-٦٨ وكذلک ينبغی أن يكون عمر بن عبدالعزيز شبيه عمر بن الخطاب كذلک وكذلک معاوية بن يزيد بن معاوية وكذلک يزيد الناقص وينبغی ألا يكون النبی ص عد عثمان فی العشرة الذين بشرهم بالجنة وينبغی أن يكون خالد بن سعيد بن العاص شهيد يوم مرج الصفر والحبيس فی سبيل الله ووالی النبی ص علی اليمن ووالی أبی بكر علی جميع أجناد الشام ورابع أربعة فی الإسلام والمهاجر إلی أرض الحبشة كذلک وكذلک أبان بن سعيد بن العاص المهاجر إلی المدينة والقديم فی الإسلام والحبيس علی الجهاد ويجب أن يكون ملعونا خبيثا وكذلک أبوحذيفة بن عتبة بن ربيعة و هوبدری من المهاجرين الأولين وكذلک أمامة بنت أبی العاص بن الربيع وأمها زينب بنت [صفحه ٢٦٦] رسول الله ص وكذلک أم كلثوم بنت عقبة بن أبی معيط و كان النبی ص يخرجها من المغازی ويضرب لها بسهم ويصافحها وكذلک فاطمة بنت أبی معيط وهی من مهاجرة الحبشة.قالوا ومما نفخر به و ليس لبنی هاشم مثله إن منا رجلا ولی أربعين سنة منها عشرون سنة خليفة و هومعاوية بن أبی سفيان ولنا أربعة إخوة خلفاء الوليد وسليمان وهشام بنو عبدالملک و ليس لكم ويزيد إلاثلاثة إخوة محمد و عبد الله و أبی إسحاق أولاد هارون .قالوا ومنا رجل ولد سبعة من الخلفاء و هو عبد الله بن يزيد بن عبدالملک بن مروان أبوه يزيد بن عاتكة خليفة وجده عبدالملک خليفة و أبوجده مروان الحكم خليفة وجده من قبل عاتكة ابنة يزيد بن معاوية أبوها يزيد بن معاوية و هوخليفة ومعاوية بن أبی سفيان و هوخليفة فهؤلاء خمسة وأم عبد الله هذاعاتكة بنت عبد الله بن عثمان بن عفان وحفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب فهذان خليفتان فهذه سبعة من الخلفاء ولدوا هذا الرجل .قالوا ومنا امرأة أبوها خليفة وجدها خليفة وابنها خليفة وأخوها خليفة وبعلها خليفة فهؤلاء خمسة وهی عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبی سفيان أبوها يزيد بن معاوية خليفة وجدها معاوية بن أبی سفيان خليفة وابنها يزيد بن عبدالملک بن مروان خليفة وأخوها معاوية بن يزيد خليفة وبعلها عبدالملک بن مروان خليفة.قالوا و من ولد المدبج محمد بن عبد الله الأصغر امرأة ولدها النبی ص و أبوبكر وعمر وعثمان و علی وطلحة والزبير وهی عائشة بنت محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان وأمها خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير وأم عروة أسماء ذات النطاقين بنت أبی بكر الصديق وأم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان و هو [صفحه ٢٦٧] المدبج فاطمة بنت الحسين بن علی ع وأم الحسين بن علی ع فاطمة بنت رسول الله ص وأم فاطمة بنت الحسين بن علی ع أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله وأم عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ابنة عبد الله بن عمر بن الخطاب .قالوا ولنا فی الجمال و الحسن ما ليس لكم منا المدبج والديباج قيل ذلک لجماله . ومنا المطرف ومنا الأرجوان فالمطرف و هو عبد الله بن عمرو بن عثمان سمی المطرف لجماله و فيه يقول الفرزدق نما الفاروق أنک و ابن أروی || أبوک فأنت منصدع النهار . والمدبج هوالديباج كان أطول الناس قياما فی الصلاة وهلک فی سجن المنصور.قالوا ومنا ابن الخلائف الأربعة دعی بذلک وشهر به و هوالمؤمل بن العباس بن الوليد بن عبدالملک كان هو وأخوه الحارث ابنی العباس بن الوليد من الفجاءة بنت قطری بن الفجاءة إمام الخوارج وكانت سبيت فوقعت إليه فلما قام عمر بن عبدالعزيز أتت وجوه بنی مازن وفيهم حاجب بن ذبيان المازنی الشاعر فقال حاجب أتيناک زوارا ووفدا إلی التی || أضاءت فلايخفی علی الناس نورها أبوها عميد الحی جمعا وأمها || من

الحنظليات الكرام حجورها فإن تك صارت حين صارت فإنها || إلى نسب زاك كرام نفيرها .فبعث عمر بن عبدالعزيز إلى العباس بن الوليد إما أن تردها إلى أهلها وإما أن تزوجها فقال قائل ذات يوم للمؤمل يا ابن الخلائف الأربعة قال ويلك من الرابع [صفحه ۲۶۸] قال قطرى فأما الثلاثة فالوليد و عبدالملك ومروان و أماقطرى فبويع بالخلافة و فيه يقول الشاعر و أبونعامة سيد الكفار قالوا و من أين صار محمد بن على بن عبد الله بن العباس أحق بالدعوة والخلافة من سائر إخوته و من أين كان له أن يضعها فى بيته دون إخوته وكيف صار بنو الأخ أحق بها من الأعمام . وقالوا إن يكن هذاالأمر إنما يستحق بالميراث فالأقرب إلى العباس أحق و إن كان بالسن والتجربة فالعمومة بذلك أولى .قالوا فقد ذكرنا جملا من حال رجالنا فى الإسلام و أماالجاهلية فلنا الأعياص والعنابس . ولنا ذو العصابة أبوأحيحة سعيد بن العاص كان إذااعتم لم يعتم بمكة أحد ولنا حرب بن أمية رئيس يوم الفجار ولنا أبوسفيان بن حرب رئيس أحد والخندق وسيد قريش كلها فى زمانه . و قال أبوالجهم بن حذيفة العدوى لعمر حين رأى العباس و أباسفيان على فراشه دون الناس مانرانا نستريح من بنى عبدمناف على حال قال عمر بئس أخو العشيرة أنت هذاعم رسول الله ص و هذاسيد قريش . [صفحه ۲۶۹] قالوا ولنا عتبة بن ربيعة ساد مملقا و لا يكون السيد إلامترفا لو لا مارأوا عنده من البراعة والنبل والكمال و هو ألذى لماتحاكمت بجيلة وكلب فى منافرة جرير والفرافصة وتراهنوا بسوق عكاظ وصنعوا الرهن على يده دون جميع من شهد على ذلك المشهد و قال رسول الله ص ونظر إلى قريش مقبلة يوم بدر إن يكن منهم عندأحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۱۰۳ و ماظنك بشيخ طلبوا له من جميع العسكر عندالمبارزة بيضة فلم يقدروا على بيضة يدخل رأسه فيها و قد قال الشاعر وإنا أناس يملأ البيض هامنا قالوا وأمية الأكبر صنفان الأعياص والعنابس قال الشاعر من الأعياص أو من آل حرب || أغر كغرة الفرس الجواد سموا بذلك فى حرب الفجار حين حفروا لأرجلهم الحفائر وثبتوا فيها وقالوا نموت جميعا أونظفر وإنما سموا بالعنابس لأنها أسماء الأسود وإنما سموا الأعياص لأنها أسماء الأصول فالعنابس حرب وسفيان و أبوسفيان وعمرو والأعياص العيص و أبوالعيص والعاص و أبوالعاص و أبوعمرو و لم يعقب من العنابس إلاحرب و ماعقب الأعياص إلاالعيص ولذلك كان معاوية يشكو القلة.قالوا و ليس لبنى هاشم والمطلب مثل هذه القسمة و لامثل هذااللقب المشهور و هذا ماقالته أمية عن نفسها [صفحه ۲۷۰]

ذكر الجواب عما فخرت به بنو أمية

ونحن نذكر ماأجاب به أبوعثمان عن كلامهم ونضيف إليه من قبلنا أمورا لم يذكرها فنقول قالت هاشم أماذكرتم من الدهاء والمكر فإن ذلك من أسماء فجار العقلاء و ليس من أسماء أهل الصواب فى الرأى من العقلاء والأبرار و قدبلغ أبوبكر وعمر من التدبير وصواب الرأى والخبرة بالأمور العامة و ليس من أوصافهما و لا من أسمائهما أن يقال كانا داهيين و لاكانا مكيرين و ماعامل معاوية وعمرو بن العاص عليا ع قط بمعاملة إلا و كان على ع أعلم بهامنهما ولكن الرجل ألذى يحارب و لايستعمل إلا مايجل له أقل مذاهب فى وجوه الحيل والتدبير من الرجل ألذى يستعمل مايحل و ما لايحل وكذلك من حدث وأخبر أ لاترى أن الكذاب ليس لكذبه غاية و لا لمايولد ويصنع نهاية والصدوق إنما يحدث عن شيءمعروف ومعنى محدود ويدل على ماقلنا أنكم عددتم أربعة فى الدهاء و ليس واحد منهم عندالمسلمين فى طريق المتقين و لو كان الدهاء مرتبة والمكر منزلة لكان تقدم هؤلاء الجميع السابقين الأولين عيبا شديدا فى السابقين الأولين و لو أن إنسانا أراد أن يمدح أبابكر وعمر وعثمان وعليا ثم قال الدهاة أربعة وعدهم لكان قد قال قولا مرغوبا عنه لأن الدهاء والمكر ليس من صفات الصالحين و إن علموا من غامض الأمور مايجهله جميع العقلاء أ لاترى أنه قديحسن أن يقال كان رسول الله ص أكرم الناس وأحلم الناس وأجود الناس وأشجع الناس و

لا-يجوز أن يقال كان أمكر الناس وأدهى الناس و إن علمنا أن علمه قدأحاط بكل مكر وخديعة وبكل أدب ومكيدة. و أما ماذكرتم من جود سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر فأين أنتم من عبد الله بن جعفر وعبيد الله بن العباس و الحسن بن على وأين أنتم من جود خلفاء بنى [صفحه ٢٧١] العباس كمحمد المهدى وهارون و محمد بن زبيدة و عبد الله المأمون و جعفرالمقتدر بل لعل جود بعض صنائع هؤلاء كبنى برمك وبنى الفرات أعظم من جود الرجلين اللذين ذكرتموهما بل من جميع ماجاء به خلفاء بنى أمية. و أما ماذكرتم من حلم معاوية فلو شئنا أن نجعل جميع ساداتنا حلماء لكانوا محتملين لذلك ولكن الوجه فى هذاألا يشتق للرجل اسم إلا من أشرف أعماله وأكرم أخلاقه و إلا أن يتبين بذلك عندأصحابه حتى يصير بذلك اسما يسمى ويصير معروفا به كماعرف الأحنف بالحلم و كماعرف حاتم بالجود وكذلك هرم قالوا هرم الجواد و لوقلتم كان أبوالعاص بن أمية أحلم الناس لقلنا ولعله يكون قد كان حليما ولكن ليس كل حلم يكون صاحبه به مذكورا و من إشكاله بائنا وإنكم لتظلمون خصومكم فى تسميتكم معاوية بالحلم فكيف من دونه لأن العرب تقول أحلم الحلمين ألا- يتعرض ثم يحلم و لم يكن فى الأرض رجل أكثر تعرضا من معاوية والتعرض هوالسفه فإن ادعيتم أن الأخبار التى جاءت فى تعرضه كلها باطلة فإن لقائل أن يقول و كل خبر رويتموه فى حلمه باطل ولقد شهر الأحنف بالحلم ولكنه تكلم بكلام كثير يجرح فى الحلم ويثلم فى العرض و لايستطيع أحد أن يحكى عن العباس بن عبدالمطلب و لا عن الحسن بن على بن أبى طالب لفظا فاحشا و لاكلمة ساقطة و لاحرفا واحدا مما يحكى عن الأحنف ومعاوية. و كان المأمون أحلم الناس و كان عبد الله السفاح أحلم الناس و بعدفمن يستطيع أن يصف هاشما أو عبدالمطلب بالحلم دون غيره من الأخلاق والأفعال حتى يسميه بذلك ويخص به دون كل شىء فيه من الفضل وكيف وأخلاقهم متساوية وكلها فى الغاية و لو أن رجلا كان أظهر الناس زهدا وأصدقهم للعدو لقاء وأصدق الناس لسانا [صفحه ٢٧٢] وأجود الناس كفا وأفصحهم منطقا و كان بكل ذلك مشهورا لمنع بعض ذلك من بعض و لما كان له اسم السيد المقدم والكامل المعظم و لم يكن الجواد أغلب على اسمه و لاالبيان و لاالنجدة. و أما ماذكرتم من الخطابة والفصاحة والسؤدد والعلم بالأدب والنسب فقد علم الناس أن بنى هاشم فى الجملة أرق ألسنة من بنى أمية كان أبوطالب والزبير شاعرين و كان أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب شاعرا و لم يكن من أولاد أمية بن عبدشمس لصلبه شاعر و لم يكن فى أولاد أمية إلا أن تعدوا فى الإسلام العرجى من ولد عثمان بن عفان و عبدالرحمن بن الحكم فنعد نحن الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب و عبد الله بن معاوية بن جعفر ولنا من المتأخرين محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالرضى وأخوه أبوالقاسم ولنا الحمانى و على بن محمدصاحب الزنج و كان ابراهيم بن الحسن صاحب باخمرى أديبا شاعرا فاضلا ولنا محمد بن على بن صالح ألذى خرج فى أيام المتوكل . قال أبوالفرج الأصفهانى كان من فتيان آل أبى طالب وفتاكهم وشجعانهم وظرافهم وشعرائهم و إن عددتم الخطابة والبيان والفصاحة لم تعدوا كعلى بن أبى طالب ع و لاكعبد الله بن العباس ولنا من الخطباء زيد بن على بن الحسين و عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر و جعفر بن الحسين بن الحسن وداود بن على بن عبد الله بن العباس وداود وسليمان ابنا جعفر بن سليمان .قالوا كان جعفر بن الحسين بن الحسن ينازع زيد بن على بن الحسين فى الوصية [صفحه ٢٧٣] و كان الناس يجتمعون ليستمعوا محاورتهما و كان سليمان بن جعفر بن سليمان بن على والى مكة فكان أهل مكة يقولون لم يرد علينا أمير إلا- وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما و كان داود إذاخطب اسحنفر فلم يرده شىء.قالوا ولنا عبدالملك بن صالح بن على كان خطيبا بليغا وسأله الرشيد وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفرحاضران فقال له كيف رأيت أرض كذا قال مسافى ريح ومنابت شيح قال فأرض كذا قال هضبات حمر وربوات عفر حتى أتى على جميع ماسأله عنه فقال عيسى لسليمان و الله ماينبغى لنا أن نرضى لأنفسنا بالدون من الكلام .قالوا و أما ماذكرتم من نساك الملوك فلنا على بن أبى طالب ع وبزهده وبدينه يضرب المثل ولنا محمد بن الواثق من خلفاء بنى العباس و هوالملقب بالمهتدى كان يقول إنى

لآنف لبنى العباس ألا يكون منهم مثل عمر بن عبدالعزيز فكان مثله وفوقه ولنا القادر أبوالعباس بن إسحاق بن المقتدر ولنا القائم عبد الله بن القادر كانا على قدم عظيمة من الزهد والدين والنسک و إن عددتم النساک من غيرالملوک فأين أنتم عن على بن الحسين زين العابدين وأين أنتم عن على بن عبد الله بن العباس وأين أنتم عن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ع ألذى كان يقال له على الخير و على الأغر و على العابد و ماأقسم على الله بشىء إلا وأبر قسمه وأين أنتم عن موسى بن جعفر بن محمد وأين أنتم عن على بن محمدالرضا لابس الصوف طول عمره مع سعة أمواله وكثرة ضياعه وغلاته . [صفحه ۲۷۴] و أما ماذكرتم من الفتوح فلنا الفتوح المعتصمية التى سارت بهاالركبان وضربت بهاالأمثال ولنا فتوح الرشيد ولنا الآثار الشريفة فى قتل بابک الخرمى بعد أن دامت فتنته فى دار الإسلام نحو ثلاثين سنة و إن شئت أن تعد فتوح الطالبيين بإفريقية ومصر و ماملكوه من مدن الروم والفرنج والجلالقة فى سنى ملكهم عددت الكثير الجم ألذى يخرج عن الحصر ويحتاج إلى تاريخ مفرد يشتمل على جلود كثيرة.فأما الفقه والعلم والتفسير والتأويل فإن ذكرتموه لم يكن لكم فيه أحد و كان لنا فيه مثل على بن أبى طالب ع و عبد الله بن العباس وزيد بن على و محمد بن على ابنى على بن الحسين بن على و جعفر بن محمد ألذى ملأ الدنيا علمه وفقهه ويقال إن أباحنيفة من تلامذته وكذلک سفيان الثورى وحسبک بهما فى هذاالباب ولذلک نسب سفيان إلى أنه زيدى المذهب وكذلک أبوحنيفة. و من مثل على بن الحسين زين العابدين و قال الشافعى فى الرسالة فى إثبات خبر الواحد وجدت على بن الحسين و هوأفقه أهل المدينة يعول على أخبار الآحاد. و من مثل محمد بن الحنفية وابنه أبى هاشم ألذى قرر علوم التوحيد والعدل وقالت المعتزلة غلبنا الناس كلهم بأبى هاشم الأول و أبى هاشم الثانى. و إن ذكرتم النجدة والبسالة والشجاعة فمن مثل على بن أبى طالب ع و قدوقع اتفاق أوليائه وأعدائه على أنه أشجع البشر. و من مثل حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله و من مثل الحسين بن على ع قالوا يوم الطف مارأينا مكثورا قدأفرد من إخوته وأهله وأنصاره أشجع منه كان كالليث المحرب يحطم الفرسان حطما و ماظنک برجل أبت نفسه الدنية و أن يعطى [صفحه ۲۷۵] بيده فقاتل حتى قتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمه بعدبذل الأمان لهم والتوثقة بالأيمان المغلظة و هو ألذى سن للعرب الإباء واقتدى بعده أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم . و من لكم مثل محمد و ابراهيم بن عبد الله و من لكم كزيد بن على و قدعلمتم كلمته التى قالها حيث خرج من عندهشام ماأحب الحياة إلا من ذل فلما بلغت هشاما قال خارج ورب الكعبة فخرج بالسيف ونهى عن المنكر ودعا إلى إقامة شعائر الله حتى قتل صابرا محتسبا. و قدبلغتكم شجاعة أبى إسحاق المعتصم ووقوفه فى مشاهد الحرب بنفسه حتى فتح الفتوح الجليلة وبلغتكم شجاعة عبد الله بن على و هو ألذى أزال ملک بنى مروان وشهد الحروب بنفسه وكذلک صالح بن على و هو ألذى اتبع مروان بن محمد إلى مصر حتى قتله .قالوا و إن كان الفضل والفخر فى تواضع الشريف وإنصاف السيد وسجاحة الخلق ولين الجانب للعشيرة والموالى فليس لأحد من ذلک مالبنى العباس ولقد سألنا طارق بن المبارک و هومولى لبنى أمية وصنيعة من صنائعهم فقلنا أى القبيلتين أشد نخوة وأعظم كبرياء وجبرية أبنو مروان أم بنو العباس فقال و الله لبنو مروان فى غيردولتهم أعظم كبرياء من بنى العباس فى دولتهم و قد كان أدرک الدولتين ولذلک قال شاعرهم إذانابه من عبدشمس رأيته || يتيه فرشحه لكل عظيم [صفحه ۲۷۶] و إن تاه تياه سواهم فإنما || يتيه لنوک أويتيه للوم و من كلامهم من لم يكن من بنى أمية تياها فهو دعى قالوا و إن كان الكبر مفخرا يمدح به الرجال ويعد من خصال الشرف والفضل فمولانا عمارة بن حمزة أعظم كبرا من كل أموى كان و يكون فى الدنيا وأخباره فى كبره وتيهه مشهورة متعالمة.قالوا و إن كان الشرف والفخر فى الجمال و فى الكمال و فى البسطة فى الجسم وتمام القوام فمن كان كالعباس بن عبدالمطلب .قالوا رأينا العباس يطوف بالبيت وكأنه فسطاط أبيض . و من مثل على بن عبد الله بن العباس وولده و كان كل واحد منهم إذاقام إلى جنب أبيه كان رأسه عندشحمة أذنه وكانوا من أطول الناس وإنک لتجد ميراث ذلک اليوم فى أولادهم . ثم ألذى رواه أصحاب الأخبار وحمال الآثار فى عبدالمطلب من التمام

والقوام والجمال والبهاء و ما كان من لقب هاشم بالقمر لجماله ولأنهم يستضيئون برأيه و كمارواه الناس أن عبدالمطلب ولد عشرة كان الرجل منهم يأكل فى المجلس الجذعة ويشرب الفرق وترد آنفهم قبل شفاههم و إن عامر بن مالك لمارآهم يطوفون بالبيت كأنهم جمال جون قال بهؤلاء تمنع مكة وتشرف مكة. و قدسمعتم ماذكره الناس من جمال السفاح وحسنه وكذلك المهدى وابنه هارون الرشيد وابنه محمد بن زبيدة وكذلك هارون الواثق و محمدالمنتصر والزبير المعتز. [صفحه ٢٧٧] قالوا مارئى فى العرب و لا ـ فى العجم أحسن صورة منه و كان المكتفى على بن المعتضد بارع الجمال ولذلك قال الشاعر يضرب المثل به و الله لاكلمته و لو أنه || كالشمس أوكالبدر أوكالمكتفى فجعله ثالث القمرين و كان الحسن بن على ع أصبح الناس وجها كان يشبه برسول الله ص وكذلك عبد الله بن الحسن المحض .قالوا ولنا ثلاثة فى عصر بنو عم كلهم يسمى عليا وكلهم كان يصلح للخلافة بالفقه والنسك والمركب والرأى والتجربة والحال الرفيعة بين الناس على بن الحسين بن على و على بن عبد الله بن العباس و على بن عبد الله بن جعفر كل هؤلاء كان تاما كاملا بارعا جامعا وكانت لبابة بنت عبد الله بن العباس عند على بن عبد الله بن جعفرقالت مارأيته ضاحكا قط و لاقاطبا و لا قال شيئا احتاج إلى أن يعتذر منه و لاضرب عبدا قط و لاملكه أكثر من سنة.قالوا و بعدهؤلاء ثلاثة بنو عم وهم بنو هؤلاء الثلاثة وكلهم يسمى محمدا كما أن كل واحد من أولئك يسمى عليا وكلهم يصلح للخلافة بكرم النسب وشرف الخصال محمد بن على بن الحسين بن على و محمد بن على بن عبد الله بن العباس و محمد بن على بن عبد الله بن جعفر.قالوا كان محمد بن على بن الحسين لايسمع المبتلى الاستعاذة و كان ينهى الجارية والغلام أن يقولا للمسكين ياسائل و هوسيد فقهاء الحجاز و منه و من ابنه جعفرتعلم الناس الفقه و هوالملقب بالباقر باقر العلم لقبه به رسول الله ص و لم يخلق بعد وبشر به ووعد جابر بن عبد الله برؤيته و قال ستراه طفلا فإذارأيته فأبلغه عنى السلام فعاش جابر حتى رآه و قال له ماوصى به . [صفحه ٢٧٨] وتوعد خالد بن عبد الله القسرى هشام بن عبدالملك فى رسالة له إليه و قال و الله إنى لأعرف رجلا حجازى الأصل شامى الدار عراقى الهوى يريد محمد بن على بن عبد الله بن العباس .قالوا و أما ماذكرتم من أمر عاتكة بنت يزيد بن معاوية فإنا نذكر فاطمة بنت رسول الله ص وهى سيدة نساء العالمين وأمها خديجة سيدة نساء العالمين وبعلها على بن أبى طالب سيد المسلمين كافة و ابن عمها جعفرذو الجناحين وذو الهجرتين وابناها الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة وجدهما أبوطالب بن عبدالمطلب أشد الناس عارضة وشكيمة وأجودهم رأيا وأشهمهم نفسا وأمنعهم لماوراء ظهره منع النبى ص من جميع قريش ثم بنى هاشم وبنى المطلب ثم منع بنى إخوانه من بنى أخواته من بنى مخزوم الذين أسلموا و هوأحد الذين سادوا مع الإقلال و هو مع هذاشاعر خطيب و من يطيق أن يفاخر بنى أبى طالب وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وهى أول هاشمية ولدت لهاشمى وهى التى ربى رسول الله فى حجرها و كان يدعوها أمى ونزل فى قبرها و كان يوجب حقها كمايوجب حق الأم من يستطيع أن يسامى رجالا ولدهم هاشم مرتين من قبل أبيهم و من قبل أمهم قالوا و من العجائب أنها ولدت أربعة كل منهم أسن من الآخر بعشر سنين طالب وعقيل و جعفر و على . و من الذى يعد من قريش أو من غيرهم مايعده الطالبيون عشرة فى نسق كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك فمنهم خلفاء ومنهم مرشحون ابن ابن ابن ابن هكذا إلى عشرة وهم الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ع و هذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب و لا ـ من بيوت العجم . [صفحه ٢٧٩] قالوا فإن فخرتم بأن منكم اثنتين من أمهات المؤمنين أم حبيبة بنت أبى سفيان وزينب بنت جحش وفزينب امرأة من بنى أسد بن خزيمة ادعيتموه بالحلف لابالولادة وفينا رجل ولدته أمان من أمهات المؤمنين محمد بن عبد الله بن الحسن المحض ولدته خديجة أم المؤمنين وأم سلمة أم المؤمنين وولدته مع ذلك فاطمة بنت الحسين بن على وفاطمة سيدة نساء العالمين ابنة رسول الله ص وفاطمة بنت أسد بن هاشم و كان يقال خير النساء الفواطم والعواتك وهن أمهاته .قالوا ونحن إذاذكرنا إنسانا فقبل أن نعد من ولده نأتى به شريفا فى

نفسه مذكورا بما فيه دون ما فى غيره قلتم لنا عاتكة بنت يزيد وعاتكة فى نفسها كامرأة من عرض قريش ليس فيها فى نفسها خاصة أمر تستوجب به المفاخرة ونحن نقول منا فاطمة وفاطمة سيدة نساء العالمين وكذلك أمها خديجة الكبرى وإنما تذكران مع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم اللتين ذكرهما النبى ص وذكر إحداهما القرآن وهن المذكورات من جميع نساء العالم من العرب والعجم . وقلتم لنا عبد الله بن يزيد بن عبدالملك بن مروان ولده سبعة من الخلفاء و عبد الله هذا فى نفسه ليس هناك ونحن نقول منا محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم كلهم سيد وأمه العالية بنت عبيد الله بن العباس وإخوته داود وصالح وسليمان و عبد الله رجال كلهم أغر محجل ثم ولدت الرؤساء ابراهيم الإمام وأخويه أباالعباس و أبا جعفر و من جاء بعدهما من خلفاء بنى العباس . وقلتم منا عبد الله بن يزيد وقلنا منا الحسين بن على سيد شباب أهل الجنة [صفحه ٢٨٠] وأولى الناس بكل مكرمة وأطهرهم طهارة مع النجدة والبصيرة والفقه والصبر والحلم والأنف وأخوه الحسن سيد شباب أهل الجنة وأرفع الناس درجة وأشبههم برسول الله خلقا وخلقا وأبوهما على بن أبى طالب قال شيخنا أبوعثمان و هو ألذى ترك وصفه أبلغ فى وصفه إذ كان هذاالكتاب يعجز عنه ويحتاج إلى كتاب يفرد له وعمهما ذو الجناحين وأمهما فاطمة وجدتهما خديجة وأخوالهما القاسم و عبد الله و ابراهيم وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم وجدتاهما آمنة بنت وهب والدة رسول الله ص وفاطمة بنت أسد بن هاشم وجدهما رسول الله ص المخرس لكل فاخر والغالب لكل منافر قل ماشئت واذكر أى باب شئت من الفضل فإنك تجدهم قدحووه . وقالت أمية نحن لاننكر فخر بنى هاشم وفضلهم فى الإسلام ولكن لافرق بيننا فى الجاهلية إذ كان الناس فى ذلك الدهر لايقولون هاشم و عبدشمس و لاهاشم وأمية بل يقولون كانوا لايزيدون فى الجميع على عبدمناف حتى كان أيام تميزهم فى أمر على وعثمان فى الشورى ثم ما كان فى أيام تحزبهم وحربهم مع على ومعاوية. و من تأمل الأخبار والآثار علم أنه ما كان يذكر فرق بين البيتين وإنما يقال بنو عبدمناف أ لاترى أن أباقحافة سمع رجة شديدة وأصواتا مرتفعة و هويومئذ شيخ كبير مكفوف فقال ما هذاقالوا قبض رسول الله ص قال فما صنعت قريش قالوا ولوا الأمر ابنك قال ورضيت بذلك بنو عبدمناف قالوا نعم قال ورضى بذلك بنو المغيرة قالوا نعم قال فلامانع لماأعطى الله و لامعطى [صفحه ٢٨١] لمامنع و لم يقل أرضى بذلك بنو عبدشمس وإنما جمعهم على عبدمناف لأنه كذلك كان يقال . وهكذا قال أبوسفيان بن حرب لعلى ع و قدسخط إمارة أبى بكر أرضيتم يابنى عبدمناف أن تلى عليكم تيم و لم يقل أرضيتم يابنى هاشم وكذلك قال خالد بن سعيد بن العاص حين قدم من اليمن و قداستخلف أبوبكر أرضيتم معشر بنى عبدمناف أن تلى عليكم تيم قالوا وكيف يفرقون بين هاشم و عبدشمس وهما أخوان لأب وأم ويدل على أن أمرهما كان واحدا و أن اسمهم كان جامعا قول النبى ص وصنيعه حين قال منا خير فارس فى العرب عكاشة بن محصن -روايت-١-٢-روايت-٣٥-٧٤ و كان أسديا و كان حليفا لبنى عبدشمس و كل من شهد بدرا من بنى كبير بن داود كانوا حلفاء بنى عبدشمس فقال ضرار بن الأزور الأسدى ذاك منا يا رسول الله فقال ع بل هومنا بالحلف فجعل حليف بنى عبدشمس حليف بنى هاشم و هذا بين لايحتاج صاحب هذه الصفة إلى أكثر منه .قالوا ولهذا نكح هذاالبيت فى هذاالبيت فكيف صرنا نتزوج بنات النبى وبنات بنى هاشم على وجه الدهر إلا ونحن أكفاء وأمرنا واحد و قدسمعتم إسحاق بن عيسى يقول لمحمد بن الحارث أحد بنى عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد لو لاحى أكرمهم الله بالرسالة لزعمت أنك أشرف الناس أ فلاترى أنه لم يقدم علينا رهطه إلابالرسالة.قالت هاشم قلتم لو لا أناكنا أكفاءكم لماأنكحتمونا نساءكم فقد نجد القوم يستوون فى حسب الأب ويفترقون فى حسب الأنفس وربما استووا فى حسب أبى [صفحه ٢٨٢] القبيلة كاستواء قريش فى النضر بن كنانة ويختلفون كاختلاف كعب بن لؤى وعامر بن لؤى وكاختلاف ابن قصى و عبدمناف و عبدالدار و عبدالعزى والقوم قديساوى بعضهم بعضا فى وجوه ويفارقونهم فى وجوه ويستجيزون بذلك القدر مناكحتهم و إن كانت معانى الشرف لم تتكامل فيهم كماتكاملت فيمن زوجهم و قديزوج السيد ابن أخيه و هوحارض ابن حارض على وجه

صلـة الرحم فيكون ذلـک جـائزا عنـدهم ولوجوه فی هـذاالباب کثيرة فليس لکم أن تزعموا أنکم أکفاؤنا من کل وجه و إن کنا قدزوجناکم وساويناکم فی بعض الآباء والأجداد و بعدفأنتم فی الجاهلية والإسلام قدأخرجتم بناتکم إلی سائر قريش و إلی سائر العرب أفتزعمون أنهم أکفاؤکم عينـا بعين و أماقولکم إن الحيين کان يقال لهما عبـدمناف فقـد کان يقال لهما أيضا مع غيرهما من قريش وبنيها بنو النضـر و قال الله تعالی وَ أَنذِر عَشِيرَتَکَ الأَقرَبِينَفلم يدع النبی ص أحدا من بنی عبدشـمس وکانت عشيرته الأقربون بنی هاشم وبنی المطلب وعشيرته فوق ذاک عبـدمناف وفوق ذلک قصـی و من ذلک أن النبی ص لماأتی بعبد الله بن عامر بن کريز بن حبيب بن عبدشـمس وأم عامر بن کريز أم حکيم البيضاء بنت عبدالمطلب بن هاشم قال ع هذاأشبه بنا منه بکم ثم تفل فی فيه فازدرده فقال أرجو أن تکون مشـفيا فکان کما قال ففی قوله هوأشبه بنا منه بکم خصلتان إحداهما أن عبدشمس وهاشـما لوکانا شيئا واحـدا کما أن عبدالمطلب شـیءواحد لما قال هوبنا أشـبه به منکم والأخری أن فی هذاالقول تفضـيلا لبنی هاشم علی بنی عبدشمس أ لاترون أنه خرج خطيبا جوادا نبيلا وسيدا مشفيا له مصانع وآثار کريمة لأنه قال و هوبنا أشبه به منکم وأتی عبدالمطلب –قرآن-٧٦٥-٧٩٨ [صـفحه ٢٨٣] بعـامر بن کريز و هو ابن ابنته أم حکيم البيضـاء فتـأمله و قـال وعظام هاشـم ماولدنا ولدا أحرض منه فکان کما قال عبد الله يحمق و لم يقل وعظام عبدمناف لأن شـرف جده عبدمناف له فيه شرکاء وشرف هاشم أبيه خالص له .فأما ماذکرتم من قول أبی سـفيان وخالد بن سـعيد أرضيتم معشر بنی عبدمناف أن تلی عليکم تيم فإن هذه الکلمـة کلمـة تحريض وتهييـج فکان الأبلغ فيما يريد من اجتماع قلوب الفريقين أن يدعوهم لأب و أن يجمعهم علی واحد و إن کانا مفترقين و هذاالمـذهب سديـد و هذاالتدبير صـحيح . قال معاوية بن صعصـعة للأشـهب بن رميلة و هونهشـلی وللفرزدق بن غالب و هومجاشـعی ولمسـکن بن أنيف و هوعبدلی أرضيتم معشر بنی دارم أن يسب آباءکم ويشتم أعراضکم کلب بنی کليب وإنما نسـبهم إلی دارم الأب الأکبر المشـتمل علی آباء قبائلهم ليسـتووا فی الحمية ويتفقوا علی الأنف و هذا فی مثل هذاالموضع تـدبير صـحيح .قالوا ويدل علی ماقلنا ماقاله الشعراء فی هذاالباب قبل مقتل عثمان وقبل صـفين قال حسان بن ثابت لأبی سـفيان الحارث بن عبـدالمطلب و أنت منوط نيط فی آل هاشم || کمانيط خلف الراکب القـدح الفرد لم يقل نيط فی آل عبدمناف . و قـال ما أنت من هاشم فی بيت مکرمـة || و لابنی جمـح الخضـر الجلاعيـد [صـفحه ٢٨٤] و لم يقـل مـا أنت من آل عبـدمناف وکيف يقول هـذا و قـدعلم الناس أن عبـدمناف ولد أربعة هاشـما والمطلب و عبدشـمس ونوفلا و أن هاشـما والمطلب کانا يدا واحدة و أن عبدشـمس ونوفلا کانا يدا واحدة و کان مما بطأ ببنی نوفل عن الإسلام إبطاء إخوتهم من بنی عبدشمس و کان مما حث بنی المطلب علی الإسـلام فضـل محبتهم لبنی هـاشم لأـن أمر النبی ص کـان بينا وإنما کانوا يمتنعون منه من طريق الحسـد والبغضـة فمن لم يکن فيه هـذه العلـة لم يکن له دون الإسـلام مانع ولـذلک لم يصـحب النبی ص من بنی نوفل أحـد فضـلا أن يشـهدوا معه المشاهـد الکريمـة وإنمـا صـحبه حلفاؤهم کيعلی بن منبه وعتبـة بن غزوان وغيرهما وبنو الحارث بن المطلب کلهم بـدری عبيـد وطفيل وحصـين و من بنی المطلب مسـطح بن أثاثة بدری. وکيف يکون الأمر کماقلتم و أبوطالب يقول لمطعم بن عدی بن نوفل فی أمر النبی ص لماتمالأت قريش عليه جزی الله عنا عبدشـمس ونوفلا || جزاء مسیء عاجلا غيرآجل أمطعم إما سامنی القوم خطـة || فأنی متی أوکل فلست بأکل أمطعم لم أخذلک فی يوم شدة || و لامشـهد عندالأمور الجلائل ولقد قسـم النبی ص قسـمة فجعلهـا فی بنی هـاشم وبنی المطلب فأتـاه عثمـان بن عفان بن أبی العاص بن أميـة بن عبدشـمس بن عبـدمناف وجبير بن مطعم بن عـدی بن نوفل بن عبـدمناف فقالا له يا رسول الله إن قرابتنا منک وقرابـة بنی المطلب واحدة فکيف أعطيتهم دوننـا فقـال النبی ص إنـا لم نزل وبنی المطلب کهـاتين وشـبک بين أصابعه فکيف تقولون کنا شـيئا واحـدا و کان الاسم ألـذی يجمعنا واحدا [صفحه ٢٨٥] ثم نرجع إلی افتخار بنی هاشم قالوا و إن کان الفخر بالأيد والقوة واهتصار الأقران ومباطشة الرجال فمن أين لکم کمحمد بن الحنفية و قدسـمعتم أخباره و أنه قبض علی درع فاضـلة فجذبها فقطع ذيلها مااسـتدار منه کله وسمعتم

أيضا حديث الأيد القوى ألذى أرسله ملك الروم إلى معاوية يفخر به على العرب و أن محمدا قعد له ليقيمه فلم يستطع فكأنما يحرك جبلا و أن الرومى قعد ليقيمه محمدفرفعه إلى فوق رأسه ثم جلد به الأرض هذا مع الشجاعة المشهورة والفقه فى الدين والحلم والصبر والفصاحة والعلم بالملاحم والأخبار عن الغيوب حتى ادعى له أنه المهدى و قدسمعتم أحاديث أبى إسحاق المعتصم و أن أحمد بن أبى دواد عض ساعده بأسنانه أشد العض فلم يؤثر فيه و أنه قال ماأظن الأسنة و لاالسهام تؤثر فى جسده وسمعتم ماقيل فى عبدالكريم المطيع و أنه جذب ذنب ثور فاستله من بين وركيه . و إن كان الفخر بالبشر وطلاقة الأوجه وسجاحة الأخلاق فمن مثل على بن أبى طالب ع و قدبلغ من سجاحة خلقه وطلاقة وجهه أن عيب بالدعابة و من ألذى يسوى بين عبدشمس و بين هاشم فى ذلك كان الوليد جبارا و كان هشام شرس الأخلاق و كان مروان بن محمد لايزال قاطبا عابسا وكذلك كان يزيد بن الوليد الناقص و كان المهدى المنصور أسرى خلق الله وألطفهم خلقا وكذلك محمدالأمين وأخوه المأمون و كان السفاح يضرب به المثل فى السرو وسجاحة الخلق .قالوا ونحن نعد من رهطنا رجالا لاتعدون أمثالهم أبدا فمنا الأمراء بالديلم الناصر الكبير و هو الحسن الأطروش بن على بن الحسن بن عمر بن على بن عمر الأشرف [صفحه ٢٨٦] بن زين العابدين و هو ألذى أسلمت الديلم على يده والناصر الأصغر و هو أحمد بن يحيى بن الحسن بن القاسم بن ابراهيم بن طباطبا وأخوه محمد بن يحيى و هوالملقب بالمرتضى وأبوه يحيى بن الحسن و هوالملقب بالهادى و من ولد الناصر الكبير الثائر و هو جعفر بن محمد بن الحسن الناصر الكبير وهم الأمراء بطبرستان وجيلان وجرجان ومازندران وسائر ممالك الديلم ملكوا تلك الأصقاع مائة وثلاثين سنة وضربوا الدنانير والدراهم بأسمائهم وخطب لهم على المنابر وحاربوا الملوك السامانية وكسروا جيوشهم وقتلوا أمراءهم فهؤلاء واحدهم أعظم كثيرا من ملوك بنى أمية وأطول مدة وأعدل وأنصف وأكثر نسكا وأشد حضا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وممن يجرى مجراهم الداعى الأكبر والداعى الأصغر ملكا الديلم قادا الجيوش واصطنعا الصنائع .قالوا ولنا ملوك مصر وإفريقية ملكوا مائتين وسبعين سنة فتحوا الفتوح واستردوا ماتغلب عليه الروم من مملكة الإسلام واصطنعوا الصنائع الجليلة. ولهم الكتاب والشعراء والأمراء والقواد فأولهم المهدى عبيد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب وآخرهم العاضد و هو عبد الله بن الأمير أبى القاسم بن الحافظ أبى الميمون بن المستعلى بن المستنصر بن الطاهر بن الحاكم بن عبدالعزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى فإن افتخرت الأموية بملوكها فى الأندلس من ولد هشام بن عبدالملك واتصال ملكهم وجعلوهم بإزاء ملوكنا بمصر وإفريقية قلنا لهم إلا أنانحن أزلنا ملككم بالأندلس كماأزلنا ملككم بالشام والمشرق كله لأنه لماملك قرطبة [صفحه ٢٨٧] الظافر من بنى أمية و هوسليمان بن الحكم بن سليمان بن عبدالرحمن الملقب بالناصر خرج عليه على بن حميد بن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع فقتله وأزال ملكه . وملك قرطبة دار ملك بنى أمية ويلقب بالناصر ثم قام بعده أخوه القاسم بن حمود ويلقب بالمعتلى فنحن قتلناكم وأزلنا ملككم فى المشرق والمغرب ونحن لكم على الرصد حيث كنتم اتبعناكم فقتلناكم وشردناكم كل مشرد والفخر للغالب على المغلوب بهذا قضت الأمم قاطبة قالوا ولنا من أفراد الرجال من ليس لكم مثله منا يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس كان شجاعا جريئا و هو ألذى ولى الموصل لأخيه السفاح فاستعرض أهلها حتى ساخت الأقدام فى الدم . ومنا يعقوب بن ابراهيم بن عيسى بن أبى جعفرالمنصور كان شاعرا فصيحا و هوالمعروف بأبى الأسباط ومنا محمد و جعفرابنا سليمان بن على كانا أعظم من ملوك بنى أمية وأجل قدرا وأكثر أموالا ومكانا عند الناس وأهدى محمد بن سليمان من البصرة إلى الخيزران مائة وصيفة فى يد كل واحدة منهن جام من ذهب وزنه ألف مثقال مملوء مسكا و كان لجعفر بن سليمان ألفا عبد من السودان خاصة فكم يكون ليت شعرى غيرهم من البيض و من الإماء و مارئى جعفر بن سليمان راكبا قط إلاظن أنه الخليفة. و من رجالنا محمد بن السفاح كان جوادا أيدا شديد

البطش قالوا مارئی أخوان [صفحه ۲۸۸] أشد قوۀ من محمد وريطۀ أخته ولدى أبی العباس السفاح كان محمدیأخذ الحديد فيلويه فتأخذه هی فترده . و من رجالنا محمد بن ابراهيم طباطبا صاحب أبی السرايا كان ناسكا عابدا فقيها عظيم القدر عند أهل بيته و عندالزيديۀ. و من رجالنا عيسی بن موسی بن محمد بن علی بن عبد الله بن العباس و هو ألذی شيد ملک المنصور وحارب ابنی عبد الله بن حسن وأقام عمود الخلافۀ بعداضطرابه و كان فصيحا أديبا شاعرا. و من رجالنا عبدالوهاب بن ابراهيم الإمام حج بالناس وولی الشام و كان فصيحا خطيبا. و من رجالنا عبد الله بن موسی الهادی كان أكرم الناس وجوادا ممدوحا أديبا شاعرا وأخوه عيسی بن موسی الهادی كان أكرم الناس وأجود الناس كان يلبس الثياب و قدحدد ظفره فيخرقها بظفره لئلا تعاد إليه و عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن موسی الهادی و كان أديبا ظريفا. و من رجالنا عبد الله بن المعتز بالله كان أوحد الدنيا فی الشعر والأدب والأمثال الحكميۀ والسؤدد والرئاسۀ كان كماقيل فيه لماقتل لله دركـ من ميت بمضيعۀ || ناهيكـ فی العلم والأشعار والخطب ما فيه لو و لا لو لافتنقصه || وإنما أدركته حرفۀ الأدب و من رجالنا النقيب أبو أحمد الحسين بن موسی شيخ بنی هاشم الطالبيين والعباسيين فی عصره و من أطاعه الخلفاء والملوكـ فی أقطار الأرض ورجعوا إلی قوله وابناه علی و محمد وهما المرتضی والرضی وهما فريدا العصر فی الأدب والشعر والفقه والكلام و كان الرضی شجاعا أديبا شديد الأنف [صفحه ۲۸۹] و من رجالنا القاسم بن عبدالرحيم بن عيسی بن موسی الهادی كان شاعرا ظريفا. و من رجالنا القاسم بن ابراهيم طباطبا صاحب المصنفات والورع والدعاء إلی الله و إلی التوحيد والعدل ومنابذۀ الظالمين و من أولاده أمراء اليمن . و من رجالنا محمدالفأفاء بن ابراهيم الإمام كان سيدا مقدما ولی الموسم وحج بالناس و كان الرشيد يسايره و هومقنع بطيلسانه . و من رجالنا محمد بن محمد بن زيد بن علی بن الحسين صاحب أبی السرايا ساد حدثا و كان شاعرا أديبا فقيها يأمر بالمعروف وينهی عن المنكر و لماأسر وحمل إلی المأمون أكرمه وأفضل عليه ورعی له فضله ونسبه . و من رجالنا موسی بن عيسی بن محمد بن علی بن عبد الله بن العباس كنيته أبوعيسی و هوأجل ولد عيسی وأنبلهم ولی الكوفۀ وسوادها زمانا طويلا للمهدی ثم الهادی وولی المدينۀ وإفريقيۀ ومصر للرشيد قال له ابن السماكـ لمارأی تواضعه إن تواضعكـ فی شرفكـ لأحب إلی من شرفكـ فقال موسی إن قومنا يعنی بنی هاشم يقولون إن التواضع أحد مصائد الشرف . و من رجالنا موسی بن محمدأخو السفاح والمنصور كان نبيلا عندهم هو و ابراهيم الإمام لأم واحدۀ رأی فی منامه قبل أن يصير من أمرهم ماصار أنه دخل بستانا فلم يأخذ إلاعنقودا واحدا عليه من الحب المتراص ماربكـ به عليم فلم يولد له إلاعيسی ثم ولد لعيسی من ظهره أحد وثلاثون ذكرا وعشرون أنثی . و من رجالنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب ع و هو عبد الله المحض وأبوه الحسن بن الحسن وأمه فاطمۀ بنت الحسين و كان إذاقيل من [صفحه ۲۹۰] أجمل الناس قالوا عبد الله بن الحسن فإذاقيل من أكرم الناس قالوا عبد الله بن الحسن فإذاقالوا من أشرف الناس قالوا عبد الله بن الحسن . و من رجالنا أخوه الحسن بن الحسن وعمه زيد بن الحسن وبنوه محمد و ابراهيم و موسی ويحيی أما محمد و ابراهيم فأمرهما مشهور وفضلهما غيرمجحود فی الفقه والأدب والنسكـ والشجاعۀ والسؤدد و أمايحيی صاحب الديلم فكان حسن المذهب والهدی مقدما فی أهل بيته بعيدا مما يعاب علی مثله و قدروی الحديث وأكثر الروايۀ عن جعفر بن محمد وروی عن أكابر المحدثين وأوصی جعفر بن محمد إليه لماحضرته الوفاۀ و إلی ولده موسی بن جعفر و أما موسی بن عبد الله بن الحسن فكان شابا نجيبا صبورا شجاعا سخيا شاعرا. و من رجالنا الحسن المثلث و هو الحسن بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب ع كان متألها فاضلا ورعا يذهب فی الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر مذهب أهله و ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علی بن أبی طالب ع كان مقدما فی أهله يقال إنه أشبه أهل زمانه برسول الله ص . و من رجالنا عيسی بن زيد ويحيی بن زيد أخوه وكانا أفضل أهل زمانهما شجاعۀ وزهدا وفقها ونسكا. و من رجالنا يحيی بن عمر بن يحيی بن الحسين بن زيد صاحب الدعوۀ كان فقيها فاضلا شجاعا فصيحا شاعرا ويقال إن الناس ماأحبوا طالبيا قط دعا إلی نفسه حبهم

يحيى و لارثى أحد منهم بمثل مارثى به . [صفحه ۲۹۱] قال أبوالفرج الأصفهانى كان يحيى فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب بعيدا عن زهو الشباب و مايعاب به مثله كان له عمود حديد ثقيل يصحبه فى منزله فإذاسخط على عبد أوأمة من حشمه لواه فى عنقه فلايقدر أحد أن يحله عنه حتى يحله هو. و من رجالنا محمد بن القاسم بن على بن عمر بن الحسين بن على بن أبى طالب ع صاحب الطالقان لقب بالصوفى لأنه لم يكن يلبس إلاالصوف الأبيض و كان عالما فقيها دينا زاهدا حسن المذهب يقول بالعدل والتوحيد. و من رجالنا محمد بن على بن صالح بن عبد الله بن موسى بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ع كان من فتيان آل أبى طالب وفتاكهم وشجعانهم وظرفائهم وشعرائهم و له شعر لطيف محفوظ. ومنهم أحمد بن عيسى بن زيد كان فاضلا عالما مقدما فى عشيرته معروفا بالفضل و قدروى الحديث وروى عنه . و من رجالنا موسى بن جعفر بن محمد و هوالعبد الصالح جمع من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر وابنه على بن موسى المرشح للخلافة والمخطوب له بالعهد كان أعلم الناس وأسخى الناس وأكرم الناس أخلاقا.قالوا و أما ماذكرتم من أمر الشجرة الملعونة فإن المفسرين كلهم قالوا ذلك ورووا فيه أخبارا كثيرة عن النبى ص ولستم قادرين على جحد ذلك و قدعرفتم تأخركم عن الإسلام وشدة عداوتكم للرسول الداعى إليه ومحاربتكم فى بدر وأحد والخندق وصدكم الهدى عن البيت و ليس ذلك مما يوجب أن يعمكم اللعن حتى [صفحه ۲۹۲] لايغادر واحدا فإن زعم ذلك زاعم فقد تعدى و أمااختصاص محمد بن على بالوصية والخلافة دون إخوته فقد علمتم أن وراثة السيادة والمرتبة ليس من جنس وراثة الأموال أ لاترى أن المرأة والصبى والمجنون يرثون الأموال و لايرثون المراتب وسواء فى الأموال كان الابن حارضا بائرا أوبارعا جامعا. وقيل وراثة المقام سبيل وراثة اللواء دفع رسول الله ص لواء بنى عبدالدار إلى مصعب بن عمير ودفع عمر بن الخطاب لواء بنى تميم إلى وكيع بن بشر ثم دفعه إلى الأحنف حين لم يوجد فى بنى زرارة من يستحق وراثة اللواء فإن كان الأمر بالسن فإنما كان بين محمد بن على و أبيه على بن عبد الله أربع عشرة سنة كان على يخضب بالسواد و محمديخضب بالحمرة فكان القادم يقدم عليهما والزائر يأتيهما فيظن أكثرهم أن محمدا هو على و أن عليا هو محمد حتى ربما قيل لعلى كيف أصبح الشيخ من علته ومتى رجع الشيخ إلى منزله وأخرى أن أمه كانت العالية بنت عبد الله بن العباس فقد ولده العباس مرتين وولده جواد بنى العباس كماوالده خيرهم وحبرهم و لم يكن لأحد من إخوته مثل ذلك و كان بعض ولد محمدأسن من عامة ولد على وولد محمدالمهدى بن عبد الله المنصور والعباس بن محمد بن على فى عام واحد وكذلك محمد بن سليمان بن على و لم يكن لأحد من ولد على بن عبد الله بن العباس و إن كانوا فضلاء نجباء كرماء نبلاء مثل عقله و لاكجماله كان إذادخل المدينة ومكة جلس الناس على أبواب دورهم والنساء على سطوحهن للنظر إليه والتعجب من كماله وبهائه و قدقاتل إخوته أعداءه فى دفع الملك إلى ولده غيرمكرهين و لامجبرين على أن محمدا إنما أخذ الأمر عن أساس مؤسس وقاعدة مقررة ووصية انتقلت إليه من أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأخذها أبوهاشم عن أبيه محمد وأخذها محمد عن على بن أبى طالب أبيه . [صفحه ۲۹۳] قالوا لماسمت بنو أمية أباهاشم مرض فخرج من الشام وقيذا يؤم المدينة فمر بالحميمة و قدأشفى فاستدعى محمد بن على بن عبد الله بن العباس فدفع الوصية إليه وعرفه مايصنع وأخبره بما سيكون من الأمر و قال له إنى لم أدفعها إليك من تلقاء نفسى ولكن أبى أخبرنى عن أبيه على بن أبى طالب ع بذلك وأمرنى به وأعلمنى بلقائى إياك فى هذاالمكان ثم مات فتولى محمد بن على تجهيزه ودفنه وبث الدعاة حينئذ فى طلب الأمر و هو الذى قال لرجال الدعوة والقائمين بأمر الدولة حين اختارهم للتوجه وانتخبهم للدعاء وحين قال بعضهم ندعو بالكوفة و قال بعضهم بالبصرة و قال بعضهم بالجزيرة و قال بعضهم بالشام و قال بعضهم بمكة و قال بعضهم بالمدينة واحتج كل إنسان لرأيه واعتل لقوله فقال محمد أماالكوفة وسوادها فشيعة على وولده و أماالبصرة فعثمانية تدين بالكف وقبيل عبد الله المقتول يدينون بجميع الفرق و لايعينون أحدا و أماالجزيرة فحرورية مارقة والخارجية فيهم فاشية وأعراب كأعلاج ومسلمون فى أخلاق النصارى

و أماالشـام فلايعرفون إلاآل أبی سـفيان وطاعـة بنی مروان عـداوة راسـخة وجهلا متراكما و أمامكـة والمدينـة فقـد غلب عليهما أبوبكر وعمر و ليس يتحرک معنا فی أمرنا هذامنهم أحد و لايقوم بنصرنا إلاشيعتنا أهل البيت ولكن عليكم بخراسان فإن هناک العـدد الكثير والجلـد الظاهر وصـدورا سـليمة وقلوبا مجتمعة لم تتقسـمها الأهواء و لم تتوزعها النحل و لم تشـغلها ديانة و لاهدم فيهافسـاد و ليس لهم اليوم همم العرب و لاـفيهم تجارب كتجـارب الأتبـاع مع السـادات و لاتحالف كتحالف القبائل و لاعصبية كعصبية العشائر و مازالوا ينالون ويمتهون ويظلمون فيكظمون وينتظرون الفرج ويؤملون [صفحه ۲۹۴] دولة وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحی وشوارب وأصوات هائلـة ولغات فخمـة تخرج من أجواف منكرة. و بعـدفكأنی أتفاءل جانب المشـرق فإن مطلع الشـمس سراج الدنيا ومصباح هذاالخلق فجاء الأمر كمادبر و كماقدر فإن كان الرأی ألذی رأی صوابا فقـد وافق الرشـاد وطبق المفصـل و إن كـان ذلک عن روايـة متقدمـة فلم يتلق تلک الروايـة إلا عن نبوة.قالوا و أماقولكم إن منا رجلاـ مكث أربعين سـنة أميرا وخليفـة فـإن الإمـارة لاتعـد فخرا مع الخلافـة و لاـتضم إليها ونحن نقول إن منا رجلا مكث سـبعا وأربعين سـنة خليفـة و هو أحمدالناصـر بن الحسن المستضـیء ومنـا رجل مكث خمسا وأربعين سـنة خليفـة و هو عبـد الله القائم ومكث أبـوه أحمـدالقادر ثلاثـا وأربعين سـنة خليفـة فملكهمـا أكـثر من ملـک بنی أميـة كلهم وهم أربعـة عشـر خليفـة. و يقول الطالبيون منا رجل مكث ستين سـنة خليفـة و هومعـد بن الطاهر صاحب مصـر و هـذه مـدة لم يبلغها خليفـة و لاملک من ملوک العرب فی قـديم الـدهر و لاـ فی حـديثه . وقلتـم لنـا عاتكـة بنـت يزيـد يكتنفهـا خمسـة من الخلفـاء ونحن نقـول لنـا زبيـدة بنت جعفريكتنفها ثمانيـة من الخلفاء جـدها المنصور خليفـة وعم أبيها السـفاح خليفة وعمها المهدی خليفة و ابن عمها الهادی خليفة وبعلها الرشيد خليفة وابنها الأمين خليفة وابنا بعلها المأمون والمعتصم خليفتان .قالوا و أما ماذكرتموه من الأعياص والعنابس فلسنا نصـدقكم فيمـا زعمتموه أصـلا بهـذه التسـمية وإنمـا سـموا الأعيـاص لمكان العيص و أبی العيص والعاص و أبی العاص و هـذه أسـماؤهم الأعلام ليست مشـتقة من أفعال لهم كريمة و لاخسـيسة و أماالعنابس [صفحه ۲۹۵] فإنما سـموا بذلک لأن حرب بن أمية كان اسمه عنبسة و أماحرب فلقبه ذكر ذلک النسابون و لما كان حرب أمثلهم سموا جماعتهم باسمه فقيل العنابس كمايقال المهالبة والمناذرة ولهذا المعنی سمی أبوسفيان بن حرب بن عنبسة وسمی سعيد بن العاص بن عنبسة

المجلد ۱۶

الجزء السادس عشر

تتمة باب الكتب والرسائل

اشاره

[صفحه ۳] بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

۲۹– و من كتاب له ع إلی أهل البصرة

وَ قَد كَانَ مِن انتِشَارِ حَبلِكُم وَ شِقَاقِكُم مَا لَم تَغبَوا عَنهُ فَعَفَوتُ عَن مُجرِمِكُم وَ رَفَعتُ السّيفَ عَن مُدبِرِكُم وَ قَبِلتُ مِن مُقبِلِكُم فَإِن خَطَت بِكُمُ الأُمُورُ المُردِيَةُ وَ سَفَهُ الآرَاءِ الجَائِرَةِ إِلَی مُنَابَـذَتِی وَ خِلَافِی فَهَأَنَذَا قَد قَرّبتُ جِيَادِی وَ رَحَلتُ رِكَابِی وَ لَئِن أَلجَأتُمُونِی

إِلَى المَسِيرِ إِلَيكَم لَأُوقِعَنّ بِكَم وَقعَةً لَا يَكُونُ يَومُ الجَمَلِ إِلَيهَا إِلّا كَلَعقَةِ لَاعِقٍ مَعَ أَنّي عَارِفٌ لِذِي الطّاعَةِ مِنكَم فَضلَهُ وَ لِذِي النّصِيحَةِ حَقّهُ غَيرُ مُتَجَاوِزٍ مُتّهَماً إِلَى برَيِّ وَ لَا نَاكِثاً إِلَى وفَيِّ ما لم تغبوا عنه أى لم تسهوا عنه و لم تغفلوا يقال غبيت عن الشيء أغبى غباوة إذا لم يفطن وغبى الشيء على كذلك إذا لم تعرفه وفلان غبى على فعيل أى قليل الفطنة و قدتغابى أى تغافل يقول لهم قد كان من خروجكم يوم الجمل عن الطاعة [صفحه ۴] ونشركم حبل الجماعة وشقاقكم لى مالستم أغبياء عنه فغفرت ورفعت السيف وقبلت التوبة والإنابة. والمدبر هاهنا الهارب والمقبل ألذى لم يفر لكن جاءنا فاعتذر وتنصل . ثم قال فإن خطت بكم الأمور خطا فلان خطوة يخطو و هومقدار ما بين القدمين فهذا لازم فإن عديته قلت أخطيت بفلان وخطوت به وهاهنا قدعداه بالباء. والمردية المهلكة والجائرة العادلة عن الصواب والمنابذة مفاعلة من نبذت إليه عهده أى ألقيته وعدلت عن السلم إلى الحرب أو من نبذت زيدا أى أطرحته و لم أحفل به . قوله قربت جيادى أى أمرت بتقريب خيلى إلى لأركب وأسير إليكم . ورحلت ركابى الركاب الإبل ورحلتها شددت على ظهورها الرحل قال رحلت سمية غدوة أجمالها || غضبى عليك فما تقول بدا لها كلعقة لاعق مثل يضرب للشيء الحقير التافه ويروى بضم اللام وهى ماتأخذه الملعقة. ثم عاد فقال مازجا الخشونة باللين مع أنى عارف فضل ذى الطاعة منكم وحق ذى النصيحة و لوعاقبت لماعاقبت البريء بالسقيم و لاأخذت الوفى بالناكث .خطب زياد بالبصرة الخطبة الغراء المشهورة و قال فيها و الله لآخذن البريء بالسقيم والبر باللئيم والوالد بالولد والجار بالجار أوتستقيم إلى قناتكم فقام أبوبلال مرداس [صفحه ۵] ابن أدية يهمس و هوحينئذ شيخ كبير فقال أيها الأمير أنبأنا الله بخلاف ما قلت وحكم بغير ماحكمت قال سبحانه وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرى فقال زياد يا أبابلال إنى لم أجهل ماعلمت ولكنا لانخلص إلى الحق منكم حتى نخوض إليه الباطل خوضا. و فى رواية الرياشى لآخذن الولى بالولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والصحيح بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد أوتستقيم لى قناتكم –قرآن-۱۱۱-۱۴۳ [صفحه ۶]

۳۰– و من كتاب له ع إلى معاوية

فَاتّقِ اللّهَ فِيمَا لَدَيكَ وَ انظُر فِي حَقّهِ عَلَيكَ وَ ارجِع إِلَى مَعرِفَةِ مَا لَا تُعذَرُ بِجَهَالَتِهِ فَإِنّ لِلطّاعَةِ أَعلَاماً وَاضِحَةً وَ سُبُلًا نَيّرَةً وَ مَحَجّةً نَهجَةً وَ غَايَةً مُطّلَبَةً يَرِدُهَا الأَكيَاسُ وَ يُخَالِفُهَا الأَنكَاسُ مَن نَكَبَ عَنهَا جَارَ عَنِ الحَقّ وَ خَبَطَ فِي التّيهِ وَ غَيّرَ اللّهُ نِعمَتَهُ وَ أَحَلّ بِهِ نِقمَتَهُ فَنَفسَكَ نَفسَكَ فَقَد بَيّنَ اللّهُ لَكَ سَبِيلَكَ وَ حَيثُ تَنَاهَت بِكَ أُمُورُكَ فَقَد أَجرَيتَ إِلَى غَايَةِ خُسرٍ وَ مَحَلّةِ كُفرٍ فَإِنّ نَفسَكَ قَد أَولَجَتكَ شَرّاً وَ أَقحَمَتكَ غَيّاً وَ أَورَدَتكَ المَهَالِكَ وَ أَوعَرَت عَلَيكَ المَسَالِكَ قوله وغاية مطلبة أى مساعفة لطالبها بما يطلبه تقول طلب فلان منى كذا فأطلبته أى أسعفت به قال الراوندى مطلبة بمعنى متطلبة يقال طلبت كذا وتطلبته و هذا ليس بشيء ويخرج الكلام عن أن يكون له معنى . والأكياس العقلاء والأنكاس جمع نكس و هوالدنيء من الرجال ونكب عنها عدل . قوله وحيث تناهت بك أمورك الأولى ألا يكون هذامعطوفا و لامتصلا [صفحه ۷] بقوله فقد بين الله لك سبيلك بل يكون كقولهم لمن يأمرونه بالوقوف حيث أنت أى قف حيث أنت فلايذكرون الفعل ومثله قولهم مكانك أى قف مكانك . قوله فقد أجريت يقال فلان قدأجرى بكلامه إلى كذا أى الغاية التى يقصدها هى كذا مأخوذ من إجراء الخيل للمسابقة وكذلك قدأجرى بفعله إلى كذا أى انتهى به إلى كذا ويروى قدأوحلتك شرا أوأورطتك فى الوحل والغى ضد الرشاد. وأقحمتك غيا جعلتك مقتحما له . وأوعرت عليك المسالك جعلتها وعرة. و أول هذاالكتاب أما بعدفقد بلغنى كتابك تذكر مشاغبتى وتستقبح موازرتى وتزعمنى متحيرا و عن الحق مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة أى لم أشاغب إلا فى أمر بمعروف

أونهى عن منكر و لم أتجبر إلا على باغ مارق أوملحد منافق و لم آخذ فى ذلك إلابقول الله سبحانه لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ اليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَو كانُوا آباءَهُم أَو أَبناءَهُم أَو إِخوانَهُم و أماالتقصير فى حق الله تعالى فمعاذ الله وإنما المقصر فى حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة وركن إلى الأهواء المبتدعة وأخلد إلى الضلالة المحيرة و من العجب أن تصف يامعاوية الإحسان وتخالف البرهان وتنكث الوثائق التى هى لله عز و جل طلبة و على عباده حجة مع نبذ الإسلام وتضييع الأحكام وطمس الأعلام -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-ادامه دارد [صفحه ۸] والجرى فى الهوى والتهوس فى الردى فاتق الله فيما لديك وانظر فى حقه عليك -روايت-از قبل-۸۲ الفصل المذكور فى الكتاب . و فى الخطبة زيادات يسيرة لم يذكرها الرضى رحمه الله منها و إن للناس جماعة يد الله عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فإنك إلى الله راجع و إلى حشره مهطع وسيبهظك كربه ويحل بك غمه فى يوم لايغنى النادم ندمه و لايبل من المعتذر عذره يَومَ لا يُغنِي مَولًى عَن مَولًى شَيئاً وَ لا هُم يُنصَرُونَ -روايت-۱-۲۸۰ [صفحه ۹]

۳۱- و من وصيته ع للحسن ع كتبها إليه بحاضرين

اشاره

مِنَ الوَالِدِ الفَانِ المُقِرّ لِلزّمَانِ المُدبِرِ العُمُرِ المُستَسلِمِ لِلدّهرِ الذّامّ لِلدّنيَا السّاكِنِ مَسَاكِنَ المَوتَى الظّاعِنِ عَنهَا غَداً إِلَى المَولُودِ المُؤَمّلِ مَا لَا يُدرِكُ السّالِكِ سَبِيلَ مَن قَد هَلَكَ غَرَضِ الأَسقَامِ وَ رَهِينَةِ الأَيّامِ وَ رَمِيّةِ المَصَائِبِ وَ عَبدِ الدّنيَا وَ تَاجِرِ الغُرُورِ وَ غَرِيمِ المَنَايَا وَ أَسِيرِ المَوتِ وَ حَلِيفِ الهُمُومِ وَ قَرِينِ الأَحزَانِ وَ نُصُبِ الآفَاتِ وَ صَرِيعِ الشّهَوَاتِ وَ خَلِيفَةِ الأَموَاتِ

ترجمة الحسن بن على وذكر بعض أخباره

قال الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش ولد الحسن بن على ع للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وسماه رسول الله ص حسنا وتوفى لليال خلون من شهر ربيع الأول سنة خمسين . قال والمروى أن رسول الله ص سمى حسنا وحسينا رضى الله عنهما يوم سابعهما واشتق اسم حسين من اسم حسن . [صفحه ۱۰] قال وروى جعفر بن محمد ع أن فاطمة ع حلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضة -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۱۰۶ قال الزبير وروت زينب بنت أبى رافع قالت أتت فاطمة ع بابنيها إلى رسول الله ص فى شكوه ألذى توفى فيه فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئا فقال أماحسن فإن له هيبتى وسوددى و أماحسين فإن له جرأتى وجودى -روايت-۱-۲-روايت-۴۷-۲۲۹ . وروى محمد بن حبيب فى أماليه أن الحسن ع حج خمس عشرة حجة ماشيا تقاد الجنائب معه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله عز و جل ثلاث مرات ماله حتى أنه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا ويعطى خفا ويمسك خفا. و روى أبو جعفر محمد بن حبيب أيضا أن الحسن ع أعطى شاعرا فقال له رجل من جلسائه سبحان الله أتعطى شاعرا يعصى الرحمن و يقول البهتان فقال يا عبد الله إن خير مابذلت من مالك ماوقيت به عرضك و إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر -روايت-۱-۲-روايت-۳۵-۲۳۶ . وروى أبو جعفر قال قال ابن عباس رحمه الله أول ذل دخل على العرب موت الحسن ع . و روى أبو الحسن المدائنى قال سقى الحسن ع السم أربع مرات فقال لقد سقيته مرارا فما شق على مثل مشقته هذه المرة فقال له الحسين ع أخبرنى من سقاك قال لتقتله قال نعم قال ما

أنـابمخبرک إن يکن صـاحبی ألـذی أظن فالله أشـد نقمـۀ و إلافما أحب أن يقتل بی بریء -روايت-۱-۲-روايت-۳۲-۲۷۱ . [صفحه ۱۱] وروی أبو الحسن قال قال معاويـۀ لابن عباس ولقيه بمکـۀ ياعجبا من وفاۀ الحسن شـرب علـۀ بماء رومۀ فقضـی نحبۀ فوجم ابن عباس فقال معاويۀ لايحزنک الله و لايسوءک فقال لايسوءنی ماأبقاک الله فأمر له بمائۀ ألف درهم . وروی أبو الحسن قال أول من نعی الحسن ع بالبصـرۀ عبد الله بن سـلمۀ نعاه لزياد فخرج الحکم بن أبی العاص الثقفی فنعاه فبکی الناس و أبوبکرۀ يومئذ مريض فسـمع الضـجۀ فقال ما هذافقالت امرأته ميسۀ بنت سـخام الثقفيۀ مات الحسن بن علی فالحمد لله ألذی أراح الناس منه فقـال اسـکتی ويحـک فقـد أراحه الله من شـر کثير وفقـد النـاس بموته خيرا کثيرا يرحم الله حسـنا. قـال أبو الحسن المـدائنی وکانت وفاته فی سـنۀ تسع وأربعين و کان مرضه أربعين يوما وکانت سـنه سبعا وأربعين سنۀ دس إليه معاويۀ سما علی يد جعدۀ بنت الأشـعث بن قيس زوجۀ الحسن و قال لها إن قتلتيه بالسم فلک مائۀ ألف وأزوجک يزيد ابنی فلما مات وفی لها بالمال و لم يزوجها من يزيد قال أخشـی أن تصـنع بابنی کماصـنعت بابن رسول الله ص . و روی أبو جعفر محمد بن حبيب عن المسـيب بن نجبۀ قال سـمعت أمير المؤمنين ع يقول أناأحدثکم عنی و عن أهل بيتی أما عبد الله ابن أخی فصاحب لهو وسـماح و أما الحسن فصاحب جفنۀ وخوان فتی من فتيان قريش و لو قدالتقت حلقتا البطان لم يغن عنکم شيئا فی الحرب و أما أنا وحسين فنحن منکم وأنتم منا -روايت-۱-۲-روايت-۸۳-۳۰۶ [صفحه ۱۲] قـال أبو جعفر وروی ابن عباس قال دخل الحسن بن علی ع علی معاويۀ بعدعام الجماعۀ و هوجالس فی مجلس ضيق فجلس عندرجليه فتحدث معاويۀ بما شاء أن يتحدث ثم قال عجبا لعائشۀ تزعم أنی فی غير ما أناأهله و أن ألذی أصـبحت فيه ليس لی بحق مالها ولهذا يغفر الله لها إنما کان ينازعنی فی هذاالأمر أبو هذاالجالس و قداسـتأثر الله به فقـال الحسن أ وعجب ذلـک يامعاويـۀ قـال إی و الله قـال أ فلاـأخبرک بمـا هـوأعجب من هـذا قـال مـا هو قـال جلوسک فی صـدر المجلس و أنا عندرجليک فضـحک معاويۀ و قال يا ابن أخی بلغنی أن عليک دينا قال إن لعلی دينا قال کم هو قال مائۀ ألف فقال قدأمرنا لک بثلاثمائۀ ألف مائۀ منها لدينک ومائۀ تقسمها فی أهل بيتک ومائۀ لخاصۀ نفسک فقم مکرما واقبض صـلتک فلما خرج الحسن ع قال يزيد بن معاويۀ لأبيه تالله مارأيت رجلا اسـتقبلک بما استقبلک به ثم أمرت له بثلاثمائۀ ألف قـال يابنی إن الحق حقهم فمن أتاک منهم فاحث له -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-۸۷۰ روی أبو جعفر محمـد بن حبيب قال قـال علی ع لقـد تزوج الحسن وطلـق حـتی خفت أن يـثير عـداوۀ -روايت-۱-۲-روايت-۴۸-۹۴ قـال أبو جعفر و کـان الحسـن إذاأراد أن يطلق امرأۀ جلس إليها فقال أيسـرک أن أهب لک کـذا وکـذا فتقول له ماشاءت أونعم فيقول هو لک فإذاقام أرسـل إليها بالطلاق وبما سـمی لها. وروی أبو الحسن المدائنی قال تزوج الحسن بن علی ع هندا بنت سهيل ابن عمرو وکانت عند عبد الله بن عـامر بن کريز فطلقهـا فکتب معاويـۀ إلی أبی هريرۀ أن يخطبهـا علی يزيـد بن معاويـۀ فلقيه الحسن ع فقال أين تريـد قال أخطب هنـدا بنت سـهيل بن عمرو علی يزيـد بن معاويـۀ قال الحسن ع [صـفحه ۱۳] فـاذکرنی لها فأتاها أبوهريرۀ فأخبرها الخبر فقالت اختر لی فقال أختار لک الحسن فتزوجته فقـدم عبـد الله بن عامر المدينۀ فقال للحسن إن لی عندهند وديعۀ فدخل إليها و الحسن معه فخرجت حتی جلست بين يـدی عبـد الله بن عامر فرق لها رقـۀ عظيمـۀ فقال الحسن أ لاأنزل لک عنها فلاأراک تجد محللاـ خيرا لکما منی قال لا ثم قال لها وديعتی فأخرجت سـفطين فيهما جوهر ففتحهما وأخـذ من أحـدهما قبضـۀ وترک الآخر عليها وکانت قبل ابن عامر عنـد عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد فکانت تقول سيدهم جميعا الحسن وأسـخاهم ابن عامر وأحبهم إلی عبـدالرحمن بن عتاب . وروی أبو الحسن المـدائنی قال تزوج الحسن حفصـۀ بنت عبدالرحمن بن أبی بکر و کان المنذر بن الزبير يهواهـا فـأبلغ الحسن عنها شـيئا فطلقها فخطبها المنـذر فأبت أن تتزوجه وقالت شـهر بی فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها فأبلغه المنـذر عنها شـيئا فطلقها فخطبها المنـذر فقيل لها تزوجيه فقالت لا و الله ماأفعل و قدفعل بی ما قدفعل مرتين لا و الله لايرانی فی منزله أبـدا. وروی المـدائنی عن جويريۀ بن أسـماء قال لمامات الحسن ع أخرجوا جنازته فحمل مروان بن الحکم

سريره فقال له الحسين ع تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ قال مروان نعم كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال . و روى المدائنی عن يحيى بن زكريا عن هشام بن عروة قال قال الحسن عندوفاته ادفنونی عندقبر رسول الله ص إلا أن تخافوا أن يكون فی ذلك شر -روايت-١-٢-روايت-٧٩-١٤٥ فلما أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم لايدفن عثمان فی حش كوكب ويدفن الحسن هاهنا [صفحه ١٤] فاجتمع بنو هاشم وبنو أمية وأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم وجاءوا بالسلاح فقال أبوهريرة لمروان أتمنع الحسن أن يدفن فی هذاالموضع و قدسمعت رسول الله ص يقول الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة -روايت-١-٢-روايت-٣٢-٧٠ قال مروان دعنا منك لقد ضاع حديث رسول الله ص إذ كان لايحفظه غيرك و غير أبی سعيد الخدری وإنما أسلمت أيام خيبر قال أبوهريرة صدقت أسلمت أيام خيبر ولكننی لزمت رسول الله ص و لم أكن أفارقه وكنت أسأله وعنيت بذلك حتى علمت من أحب و من أبغض و من قرب و من أبعد و من أقر و من نفى و من لعن و من دعا له فلما رأت عائشة السلاح والرجال وخافت أن يعظم الشر بينهم وتسفك الدماء قالت البيت بيتی و لاآذن لأحد أن يدفن فيه وأبى الحسين ع أن يدفنه إلاـ مع جده فقال له محمد بن الحنفية ياأخی إنه لوأوصى أن ندفنه لدفناه أونموت قبل ذلك ولكنه قداستثنى و قال إلا أن تخافوا الشر فأی شر يرى أشد مما نحن فيه فدفنوه فی البقيع . قال أبو الحسن المدائنی وصل نعی الحسن ع إلى البصرة فی يومين وليلتين فقال الجارود بن أبی سبرة إذا كان شر سار يوما وليلة || و إن كان خير أخر السير أربعا إذا مابريد الشر أقبل نحونا || بإحدى الدواهی الربد سار وأسرعا . وروى أبو الحسن المدائنی قال خرج على معاوية قوم من الخوارج بعددخوله الكوفة وصلح الحسن ع له فأرسل معاوية إلى الحسن ع يسأله أن يخرج فيقاتل الخوارج فقال الحسن سبحان الله تركت قتالك و هو لی حلال لصلاح الأمة وألفتهم أفترانی أقاتل معك فخطب معاوية أهل الكوفة فقال يا أهل الكوفة [صفحه ١٥] أترونی قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج و قدعلمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون ولكننی قاتلتكم لأتأمر عليكم و على رقابكم و قدآتانی الله ذلك وأنتم كارهون ألا إن كل مال أودم أصيب فی هذه الفتنة فمطلول و كل شرط شرطته فتحت قدمی هاتين و لايصلح الناس إلاثلاث إخراج العطاء عندمحله وإقفال الجنود لوقتها وغزو العدو فی داره فإنهم إن لم تغزوهم غزوكم ثم نزل . قال المدائنی فقال المسيب بن نجبة للحسن ع ماينقضی عجبی منك بايعت معاوية ومعك أربعون ألفا و لم تأخذ لنفسك وثيقة وعقدا ظاهرا أعطاك أمرا فيما بينك وبينه ثم قال ما قدسمعت و الله ماأراد بهاغيرك قال فما ترى قال أرى أن ترجع إلى ماكنت عليه فقد نقض ما كان بينه وبينك فقال يامسيب إنی لوأردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عنداللقاء و لاأثبت عندالحرب منی ولكنی أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض فارضوا بقدر الله وقضائه حتى يستريح بر أويستراح من فاجر -روايت-١-٢-روايت-١٧-٤٨٨ . قال المدائنی ودخل عبيدة بن عمرو الكندی على الحسن ع و كان ضرب على وجهه ضربة و هو مع قيس بن سعد بن عبادة فقال ما ألذی أرى بوجهك قال أصابنی مع قيس فالتفت حجر بن عدی إلى الحسن فقال لوددت أنك كنت مت قبل هذااليوم و لم يكن ما كان إنا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا فتغير وجه الحسن وغمز الحسين ع حجرا فسكت فقال الحسن ع ياحجر ليس كل الناس يحب ماتحب و لارأيه كرأيك و مافعلت إلاإبقاء عليك و الله كل يوم فی شأن . [صفحه ١٦] قال المدائنی ودخل عليه سفيان بن أبی ليلى النهدی فقال له السلام عليك يامذل المؤمنين فقال الحسن اجلس يرحمك الله إن رسول الله ص رفع له ملك بنی أمية فنظر إليهم يعلون منبره واحدا فواحدا فشق ذلك عليه فأنزل الله تعالى فی ذلك قرآنا قال له وَ ما جَعَلنَا الرُّؤيَا التّيِ أَرَيناكَ إِلّا فِتنَةً لِلنّاسِ وَ الشّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِی القُرآنِ وسمعت عليا أبی رحمه الله يقول سيلی أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم كبير البطن فسألته من هو فقال معاوية و قال لی إن القرآن قدنطق بملك بنی أمية ومدتهم قال تعالى لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ مِن أَلفِ شَهرٍ قال أبی هذه ملك بنی أمية -روايت-١-٢-روايت-١٧-٦١٣ قال المدائنی فلما كان عام الصلح أقام الحسن ع بالكوفة أياما ثم تجهز للشخوص إلى المدينة فدخل عليه

المسيب بن نجبة الفزارى وظبيان بن عمارة التيمى ليودعاه فقال الحسن الحمد لله الغالب على أمره لوأجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هوكائن مااستطاعوا فقال أخوه الحسين ع لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل أبى حتى عزم على أخى فأطعته وكأنما يجذ أنفى بالمواسى فقال المسيب إنه و الله مايكبر علينا هذاالأمر إلا أن تضاموا وتنتقصوا فأما نحن فإنهم سيطلبون مودتنا بكل ماقدروا عليه فقال الحسين يامسيب نحن نعلم أنك تحبنا فقال الحسن ع سمعت أبى يقول سمعت رسول الله ص يقول من أحب قوما كان معهم -روايت-١-٢-روايت-١٧-٦٣٧ فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع فقال ليس لى إلى ذلك سبيل فلما كان من غد خرج فلما صار بدير هند نظر إلى الكوفة و قال و لا عن قلى فارقت دار معاشرى || هم المانعون حوزتى وذمارى [صفحه ١٧] ثم سار إلى المدينة. قال المدائنى فقال معاوية يومئذ للوليد بن عقبة بن أبى معيط بعدشخوص الحسن ع يا أباوهب هل رمت قال نعم وسموت . قال المدائنى أراد معاوية قول الوليد بن عقبة يحرضه على الطلب بدم عثمان ألا أبلغ معاوية بن حرب || فإنك من أخى ثقة مليم قطعت الدهر كالسدم المعنى || تهدر فى دمشق و لاتريم فلو كنت القتيل و كان حيا || لشمر لاألف و لاسئوم وإنك والكتاب إلى على || كدابغة و قدحلم الأديم روى المدائنى عن ابراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال دخل رجل على الحسن ع بالمدينة و فى يده صحيفة فقال له الرجل ما هذه قال هذا كتاب معاوية يتوعد فيه على أمر كذا فقال الرجل لقد كنت على النصف فما فعلت فقال له الحسن ع أجل ولكنى خشيت أن يأتى يوم القيامة سبعون ألفا أوثمانون ألفا تشخب أوداجهم دما كلهم يستعدى الله فيم هريق دمه -روايت-١-٢-روايت-٦٠-٣٥٩ . قال أبو الحسن و كان الحصين بن المنذر الرقاشى يقول و الله ماوفى معاوية للحسن بشىء مما أعطاه قتل حجرا وأصحاب حجر وبايع لابنه يزيد وسم الحسن . [صفحه ١٨] قال المدائنى وروى أبوالطفيل قال قال الحسن ع لمولى له أتعرف معاوية بن خديج قال نعم قال إذارأيته فأعلمنى فرآه خارجا من دار عمرو ابن حريث فقال هو هذافدعاه فقال له أنت الشاتم عليا عند ابن آكلة الأكباد أما و الله لئن وردت الحوض و لم ترده لترينه مشمرا عن ساقيه حاسرا عن ذراعيه يذود عنه المنافقين -روايت-١-٢-روايت-٣٩-٣٢٣ قال أبو الحسن وروى هذاالخبر أيضا قيس بن الربيع عن بدر بن الخليل عن مولى الحسن ع . قال أبو الحسن و حدثناسليمان بن أيوب عن الأسود بن قيس العبدى إن الحسن ع لقى يوما حبيب بن مسلمة فقال له ياحبيب رب مسير لك فى غيرطاعة الله فقال أمامسيرى إلى أبيك فليس من ذلك قال بلى و الله ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة فلئن قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى آخرتك و لوكنت إذ فعلت شرا قلت خيرا كان ذلك كما قال عز و جل خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً ولكنك كما قال سبحانه كَلّا بَل رانَ عَلى قُلُوبِهِم ما كانُوا يَكسِبُونَ -روايت-١-٢-روايت-٦٩-٤٧٧ قال أبو الحسن طلب زياد رجلا من أصحاب الحسن ممن كان فى كتاب الأمان فكتب إليه الحسن من الحسن بن على إلى زياد أما بعدفقد علمت ماكنا أخذنا من الأمان لأصحابنا و قدذكر لى فلان أنك تعرضت له فأحب ألا تعرض له إلابخير و السلام -روايت-١-٢-روايت-١٩-٢٤٤ . [صفحه ١٩] فلما أتاه الكتاب و ذلك بعدادعاء معاوية إياه غضب حيث لم ينسبه إلى أبى سفيان فكتب إليه من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن أما بعدفإنه أتانى كتابك فى فاسق تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك وايم الله لأطلبنه بين جلدك ولحمك و إن أحب الناس إلى لحما أن آكله للحم أنت منه و السلام . فلما قرأ الحسن ع الكتاب بعث به إلى معاوية فلما قرأه غضب وكتب من معاوية بن أبى سفيان إلى زياد أما بعد فإن لك رأيين رأيا من أبى سفيان ورأيا من سمية فأما رأيك من أبى سفيان فحلم وحزم و أمارأيك من سمية فما يكون من مثلها إن الحسن بن على ع كتب إلى بأنك عرضت لصاحبه فلاتعرض له فإنى لم أجعل لك عليه سبيلا و إن الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان والعجب من كتابك إليه لاتنسبه إلى أبيه أو إلى أمه فالآن حين اخترت له و السلام . قلت جرى فى مجلس بعض الأكابر و أناحاضر القول فى أن عليا ع شرف بفاطمة ع فقال إنسان كان حاضر المجلس بل فاطمة ع شرفت به وخاض الحاضرون فى ذلك بعدإنكارهم تلك اللفظة وسألنى صاحب المجلس أن

أذكر ماعندى فى المعنى و أن أوضح أيما أفضل على أم فاطمة فقلت أماأيهما أفضل فإن أريد بالأفضل الأجمع للمناقب التى تتفاضل بها الناس نحو العلم والشجاعة ونحو ذلك فعلى أفضل و إن أريد بالأفضل الأرفع منزلة عند الله فالذى [صفحه ٢٠] استقر عليه رأى المتأخرين من أصحابنا أن عليا أرفع المسلمين كافة عند الله تعالى بعد رسول الله ص من الذكور والإناث وفاطمة امرأة من المسلمين و إن كانت سيدة نساء العالمين ويدل على ذلك أنه قدثبت أنه أحب الخلق إلى الله تعالى بحديث الطائر وفاطمة من الخلق وأحب الخلق إليه سبحانه أعظمهم ثوابا يوم القيامة على مافسره المحققون من أهل الكلام و إن أريد بالأفضل الأشرف نسبا ففاطمة أفضل لأن أباها سيد ولد آدم من الأولين والآخرين فليس فى آباء على ع مثله و لامقارنه و إن أريد بالأفضل من كان رسول الله ص أشد عليه حنوا وأمس به رحما ففاطمة أفضل لأنها ابنته و كان شديد الحب لها والحنو عليها جدا وهى أقرب إليه نسبا من ابن العم لاشبهة فى ذلك .فأما القول فى أن عليا شرف بها أوشرفت به فإن عليا ع كانت أسباب شرفه وتميزه على الناس متنوعة فمنها ما هومتعلق بفاطمة ع ومنها ما هومتعلق بأبيهاص ومنها ما هومستقل بنفسه .فأما ألذى هومستقل بنفسه فنحو شجاعته وعفته وحلمه وقناعته وسجاحة أخلاقه وسماحة نفسه و أما ألذى هومتعلق برسول الله ص فنحو علمه ودينه وزهده وعبادته وسبقه إلى الإسلام وإخباره بالغيوب . و أما ألذى يتعلق بفاطمة ع فنكاحه لها حتى صار بينه و بين رسول الله ص الصهر المضاف إلى النسب والسبب و حتى إن ذريته منها صارت ذرية لرسول الله ص وأجزاء من ذاته ع و ذلك لأن الولد إنما يكون من منى الرجل ودم المرأة وهما جزءان من ذاتى الأب والأم ثم هكذا أبدا فى ولد الولد و من بعده من البطون دائما فهذا هوالقول فى شرف على ع بفاطمة. [صفحه ٢١] فأما شرفها به فإنها و إن كانت ابنة سيد العالمين إلا أن كونها زوجة على أفادها نوعا من شرف آخر زائدا على ذلك الشرف الأول أ لاترى أن أباها لوزوجها أباهريرة أوأنس بن مالك لم يكن حالها فى العظمة والجلالة كحالها الآن وكذلك لو كان بنوها وذريتها من أبى هريرة وأنس بن مالك لم يكن حالهم فى أنفسهم كحالهم الآن . قال أبو الحسن المدائنى و كان الحسن كثير التزوج تزوج خولة بنت منظور بن زبان الفزارية وأمها مليكة بنت خارجة بن سنان فولدت له الحسن بن الحسن وتزوج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة وتزوج أم بشر بنت أبى مسعود الأنصارى واسم أبى مسعود عقبة بن عمر فولدت له زيد بن الحسن وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهى التى سقته السم وتزوج هند ابنة سهيل بن عمرو وحفصة ابنة عبدالرحمن بن أبى بكر وتزوج امرأة من كلب وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقرى وامرأة من ثقيف فولدت له عمرا وتزوج امرأة من بنات علقمة ابن زرارة وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة فقيل له إنها ترى رأى الخوارج فطلقها و قال إنى أكره أن أضم إلى نحرى جمرة من جمر جهنم . و قال المدائنى وخطب إلى رجل فزوجه و قال له إنى مزوجك وأعلم أنك ملق طلق غلق ولكنك خير الناس نسبا وأرفعهم جدا و أبا. قلت أما قوله ملق طلق فقد صدق و أما قوله غلق فلا فإن الغلق الكثير الضجر و كان الحسن ع أوسع الناس صدرا وأسجحهم خلقا. [صفحه ٢٢] قال المدائنى أحصيت زوجات الحسن بن على فكن سبعين امرأة. قال المدائنى و لماتوفى على ع خرج عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب إلى الناس فقال إن أمير المؤمنين ع توفى و قدترك خلفا فإن أحببتم خرج إليكم و إن كرهتم فلاأحد على أحد فبكى الناس وقالوا بل يخرج إلينا فخرج الحسن ع فخطبهم فقال أيها الناس اتقوا الله فإنا أمراؤكم وأولياؤكم وإنا أهل البيت الذين قال الله تعالى فيناإِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرّجسَ أَهلَ البَيتِ وَ يُطَهّرَكُم تَطهِيراًفبايعه الناس -روايت-١-٢٢١ . و كان خرج إليهم و عليه ثياب سود ثم وجه عبد الله بن عباس ومعه قيس بن سعد بن عبادة مقدمة له فى اثنى عشر ألفا إلى الشام وخرج و هويريد المدائن فطعن بساباط وانتهب متاعه ودخل المدائن وبلغ ذلك معاوية فأشاعه وجعل أصحاب الحسن الذين وجههم مع عبد الله يتسللون إلى معاوية الوجوه و أهل البيوتات فكتب عبد الله بن العباس بذلك إلى الحسن ع فخطب الناس ووبخهم و قال خالفتم أبى حتى حكم و هوكاره ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعدالتحكيم فأبيتم حتى صار إلى كرامة الله ثم

بـايعتمونی علی أن تسـالموا من سـالمنی وتحـاربوا من حاربنی و قـدأتانی أن أهل الشـرف منکم قـدأتوا معاویـهٔ وبایعوه فحسبی منکم لاتغرونی من دینی ونفسـی. وأرسل عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وأمه هند بنت أبی سـفیان بن حرب إلی معاویهٔ یسأله المسالمهٔ واشترط علیه العمل بکتاب الله وسنهٔ نبیه وألا یبایع لأحد من بعده و أن یکون الأمر شوری و أن یکون النـاس أجمعون آمنین . [صـفحه ۲۳] وکتب بـذلک کتابا فأبی الحسـین ع وامتنع فکلمه الحسن حتی رضـی وقدم معاویهٔ إلی الکوفهٔ. قال أبو الحسن و حدثنا أبوبکر بن الأسود قال کتب ابن العباس إلی الحسن أما بعد فإن المسلمین ولوک أمرهم بعد علی ع فشـمر للحرب وجاهـد عدوک وقارب أصـحابک واشتر من الظنین دینه بما لایثلم لک دینا ووال أهل البیوتات والشـرف تستصلح به عشائرهم حتی یکون الناس جماعهٔ فإن بعض مایکره الناس ما لم یتعد الحق وکانت عواقبه تؤدی إلی ظهور العدل و عزالـدین خیر من کثیر ممـا یحبه النـاس إذاکـانت عواقبه تـدعو إلی ظهور الجور وذل المؤمنین و عزالفاجرین واقتـد بما جاء عن أئمـهٔ العـدل فقـد جـاء عنهم أنه لایصـلح الکـذب إلاـ فی حرب أوإصـلاح بین النـاس فإن الحرب خدعـهٔ و لک فی ذلک سـعهٔ إذاکنت محاربـا ما لم تبطل حقا. واعلم أن علیا أباک إنما رغب الناس عنه إلی معاویـهٔ أنه أساء بینهم فی الفیء وسوی بینهم فی العطاء فثقل علیهم واعلم أنک تحارب من حارب الله ورسوله فی ابتداء الإسـلام حتی ظهر أمر الله فلما وحد الرب ومحق الشرک و عزالدین أظهروا الإیمان وقرءوا القرآن مستهزءین بآیاته وقاموا إلی الصـلاهٔ وهم کسالی وأدوا الفرائض [صـفحه ۲۴] وهم لها کارهون فلما رأوا أنه لایعز فی الدین إلاالأتقیاء الأبرار توسـموا بسیما الصالحین لیظن المسـلمون بهم خیرا فما زالوا بذلک حتی شرکوهم فی أمانـاتهم وقـالوا حسـابهم علی الله فـإن کـانوا صـادقین فإخواننـا فی الـدین و إن کـانوا کاذبین کانوا بما اقترفوا هم الأخسـرین و قدمنیت بأولئک وبأبنائهم وأشباههم و الله مازادهم طول العمر إلاغیا و لازادهم ذلک لأهل الدین إلامقتا فجاهدهم و لاـترض دنیـهٔ و لاتقبـل خسـفا فـإن علیـا لم یجب إلی الحکومـهٔ حتی غلب علی أمره فأجاب وإنهم یعلمون أنه أولی بالأمر إن حکموا بالعـدل فلمـا حکموا بـالهوی رجع إلی مـا کـان علیه حتـی أتی علیه أجله و لاـتخرجن من حق أنت أولی به حتی یحول الموت دون ذلک و السـلام قال المـدائنی وکتب الحسن ع إلی معاویـهٔ من عبد الله الحسن بن علی أمیر المؤمنین إلی معاویهٔ بن أبی سـفیان أما بعد فإن الله بعث محمداص رحمهٔ للعالمین فأظهر به الحق وقمع به الشـرک وأعز به العرب عامهٔ وشـرف به قریشا خاصـهٔ فقـال وَ إِنّـهُ لَـذِکرٌ لَـکَ وَ لِقَومِـکَ فلمـا توفـاه الله تنـازعت العرب فی الأـمر بعـده فقـالت قریش نحـن عشـیرته وأولیـاؤه فلاتنازعونـا سـلطانه فعرفت العرب لقریش ذلک وجاحـدتنا قریش ماعرفت لها العرب فهیهات ماأنصـفتنا قریش و قـدکانوا ذوی فضـیلهٔ فی الـدین وسابقـهٔ فی الإسـلام و لاـغرو إلامنازعته إیانا الأمر بغیر حق فی الـدنیا معروف و لاأثر فی الإسـلام محمود فالله الموعـد نسأل الله ألا یؤتینا فی هـذه الـدنیا شـیئا ینقصـنا عنده فی الآخرهٔ إن علیا لماتوفاه الله ولانی المسـلمون الأمر بعده فاتق الله یامعاویهٔ وانظر لأمهٔ محمد -روایت-۱-۲-روایت-۴۴-ادامه دارد [صفحه ۲۵] ص ماتحقن به دماءها وتصـلح به أمرها و السلام -روایت-از قبل-۵۰ . وبعث بالکتاب مع الحارث بن سویـد التیمی تیم الرباب وجنـدب الأزدی فقـدما علی معاویـهٔ فـدعواه إلی بیعـهٔ الحسن ع فلم یجبهمـا وکتب جـوابه أمـا بعدفقـد فهمت مـاذکرت به رسـول الله و هوأحـق الأـولین والآـخرین بالفضـل کله وذکرت تنازع المسلمین الأمر بعده فصرحت بتهمهٔ أبی بکر الصدیق وعمر و أبی عبیدهٔ الأمین وصلحاء المهاجرین فکرهت لک ذلک إن الأمهٔ لماتنازعت الأمر بینها رأت قریشا أخلقها به فرأت قریش والأنصار وذوو الفضل والدین من المسلمین أن یولوا من قریش أعلمها بالله وأخشاها له وأقواها علی الأمر فاختاروا أبابکر و لم یألوا و لوعلموا مکان رجل غیر أبی بکر یقوم مقامه ویذب عن حرم الإسـلام ذبه ماعدلوا بالأمر إلی أبی بکر والحال الیوم بینی وبینک علی ماکانوا علیه فلو علمت أنک أضـبط لأمر الرعیهٔ وأحوط علی هـذه الأمهٔ وأحسن سـیاسهٔ وأکید للعدو وأقوی علی جمع الفیء لسـلمت لک الأمر بعدأبیک فإن أباک سـعی علی عثمـان حتی قتـل مظلومـا فطـالب الله بـدمه و من یطلبه الله فلن یفوته ثم ابتز الأمـهٔ أمرهـا وفرق جماعتهـا فخـالفه نظراؤه من أهل

السابقة والجهاد والقدم فى الإسلام وادعى أنهم نكثوا بيعته فقاتلهم فسفكت الدماء واستحلت الحرم ثم أقبل إلينا لايدعى علينا بيعة ولكنه يريد أن يملكنا اغترارا فحاربناه وحاربنا ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلا واخترنا رجلا ليحكما بما تصلح عليه الأمة وتعود به الجماعة والألفة وأخذنا بذلك عليهما ميثاقا و عليه مثله وعلينا مثله على الرضا بما حكما فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلعاه فو الله مارضى بالحكم و لاصبر لأمر الله فكيف تدعونى إلى أمر إنما تطلبه بحق أبيك و قدخرج منه فانظر لنفسك ولدينك و السلام . [صفحه ۲۶] قال ثم قال للحارث وجندب ارجعا فليس بينى وبينكم إلاالسيف فرجعا وأقبل إلى العراق فى ستين ألفا واستخلف على الشام الضحاك بن قيس الفهرى و الحسن مقيم بالكوفة لم يشخص حتى بلغه أن معاوية قدعبر جسر منبج فوجه حجر بن عدى يأمر العمال بالاحتراس ويذب الناس فسارعوا فعقد لقيس بن سعد بن عبادة على اثنى عشر ألفا فنزل دير عبدالرحمن واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث ابن عبدالمطلب وأمر قيس بن سعد بالمسير وودعه وأوصاه فأخذ على الفرات وقرى الفلوجة ثم إلى مسكن وارتحل الحسن ع متوجها نحو المدائن فأتى ساباط فأقام بهاأياما فلما أراد أن يرحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال أيها الناس إنكم بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت وإنى و الله ماأصبحت محتملا على أحد من هذه الأمة ضغينة فى شرق و لاغرب و لماتكرهون فى الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون فى الفرقة والخوف والتباغض والعداوة و إن عليا أبى كان يقول لاتكرهوا إمارة معاوية فإنكم لوفارقتموه لرأيتم الرءوس تندر عن كواهلها كالحنظل ثم نزل -روايت-۱-۴۹۷ . فقال الناس ما قال هذاالقول إلا و هوخالع نفسه ومسلم الأمر لمعاوية فثاروا به فقطعوا كلامه وانتهبوا متاعه وانتزعوا مطرفا كان عليه وأخذوا جارية كانت معه واختلف الناس فصارت طائفة معه وأكثرهم عليه فقال أللهم أنت المستعان وأمر بالرحيل فارتحل الناس وأتاه رجل بفرس فركبه وأطاف به بعض أصحابه فمنعوا الناس عنه وساروا فقدمه سنان بن الجراح الأسدى إلى مظلم ساباط فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه وطعنه فى فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى العظم فغشى عليه وابتدره أصحابه فسبق إليه عبيد الله الطائى فصرع سنانا وأخذ ظبيان بن عمارة المعول [صفحه ۲۷] من يده فضربه به فقطع أنفه ثم ضربه بصخرة على رأسه فقتله وأفاق الحسن ع من غشيته فعصبوا جرحه و قدنزف وضعف فقدموا به المدائن وعليها سعد بن مسعود عم المختار بن أبى عبيد وأقام بالمدائن حتى برأ من جرحه . قال المدائنى و كان الحسن ع أكبر ولد على و كان سيدا سخيا حليما خطيبا و كان رسول الله ص يحبه سابق يوما بين الحسين وبينه فسبق الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى ثم أجلس الحسين على الفخذ اليسرى فقيل له يا رسول الله أيهما أحب إليك فقال أقول كما قال ابراهيم أبونا وقيل له أى ابنيك أحب إليك قال أكبرهما و هو ألذى يلد ابنى محمداص . و روى المدائنى عن زيد بن أرقم قال خرج الحسن ع و هوصغير و عليه بردة و رسول الله ص يخطب فعثر فسقط فقطع رسول الله ص الخطبة ونزل مسرعا إليه و قدحمله الناس فتسلمه وأخذه على كتفه و قال إن الولد لفتنة لقد نزلت إليه و ماأدرى ثم صعد فأتم الخطبة -روايت-۱-۲-روايت-۳۸-۲۶۰ روى المدائنى قال لقى عمرو بن العاص الحسن ع فى الطواف فقال له ياحسن زعمت أن الدين لايقوم إلابك وبأبيك فقد رأيت الله أقامه بمعاوية فجعله راسيا بعدميله وبينا بعدخفائه أفرضى الله بقتل عثمان أ و من الحق أن تطوف بالبيت كمايدور الجمل بالطحين عليك ثياب كغرقئ البيض و أنت قاتل عثمان و الله إنه لألم للشعث وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أبيك فقال الحسن ع إن لأهل النار علامات يعرفون بهاإلحادا لأولياء الله وموالاة لأعداء الله و الله إنك -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-ادامه دارد [صفحه ۲۸] لتعلم أن عليا لم يرتب فى الدين و لايشك فى الله ساعة و لاطرفة عين قط وايم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو أولأنفذن حضنيك بنوافذ أشد من القعضبية فإياك والتهجم على فإنى من قدعرفت لست بضعيف الغمزة و لاهش المشاشة و لامرىء المأكلة وإنى من قريش كواسطة القلادة يعرف حسبى و لاأدعى لغير أبى و أنت من تعلم ويعلم الناس تحاكمت فيك رجال قريش فغلب عليك جزاروها ألأمهم حسبا وأعظمهم لؤما فإياك

عنی فإنـک رجس ونحن أهـل بیت الطهـارهٔ أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهیرا فأفحم عمرو وانصـرف کئیبا -روایت-از قبل-
۵۱۵ روی أبو الحسن المـدائنی قـال سـأل معاویـهٔ الحسن بن علی بعدالصـلح أن یخطب النـاس فامتنع فناشـده أن یفعل فوضع له کرسـی فجلس علیه ثم قال الحمد لله ألذی توحد فی ملکه وتفرد فی ربوبیته یؤتی الملک من یشاء وینزعه عمن یشاء والحمد لله ألـذی أکرم بنا مؤمنکم وأخرج من الشـرک أولکم وحقن دماء آخرکم فبلاؤنا عنـدکم قـدیما وحدیثا أحسن البلاء إن شـکرتم أوکفرتم أیهـا النـاس إن رب علی کـان أعلم بعلی حین قبضه إلیه ولقـد اختصه بفضـل لم تعتـادوا مثله و لم تجـدوا مثـل سابقته فهیهات هیهات طالما قلبتم له الأمور حتی أعلاه الله علیکم و هوصاحبکم وعدوکم فی بدر وأخواتها جرعکم رنقا وسـقاکم علقا وأذل رقابکم وأشرقکم بریقکم فلستم بملومین علی بغضه وایم الله لاتری أمهٔ محمدخفضا ماکانت سادتهم وقادتهم فی بنی أمیهٔ ولقد وجه الله إلیکم فتنهٔ لن تصدروا عنها حتی تهلکوا لطاعتکم طواغیتکم وانضوائکم إلی شیاطینکم فعند الله أحتسب مامضی و ماینتظر من سوء دعتکم وحیف حکمکم ثم قال یا أهل الکوفـهٔ لقـد فارقکم بالأمس سـهم من مرامی الله صائب -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-ادامه دارد [صـفحه ۲۹] علی أعـداء الله نکـال علی فجـار قریش لم یزل آخـذا بحناجرهـا جاثما علی أنفاسـها لیس بالملومـهٔ فی أمر الله و لابالسـروقهٔ لمـال الله و لابالفروقـهٔ فی حرب أعـداء الله أعطی الکتـاب خواتمه وعزائمه دعـاه فأجـابه وقاده فاتبعه لاتأخـذه فی الله لومهٔ لائم -روایت-از قبل-۲۵۱ فصـلوات الله علیه ورحمته ثم نزل فقال معاویهٔ أخطأ عجل أوکاد وأصاب مثبت أوکاد ماذا أردت من خطبهٔ الحسن .فأما أبوالفرج علی بن الحسـین الأصفهانی فإنه قال کان فی لسان أبی محمد الحسن ع ثقل کالفأفأهٔ حدثنی بذلک محمد بن الحسین الأشنانی قال حدثنی محمد بن إسماعیل الأحمسی عن مفضل بن صالح عن جابر قال کان فی لسان الحسن ع رتهٔ فکان سلمان الفارسی رحمه الله یقول أتته من قبل عمه موسی بن عمران ع . قال أبوالفرج ومات شهیـدا مسـموما دس معاویـهٔ إلیه و إلی سـعد بن أبی وقاص حین أراد أن یعهـد إلی یزید ابنه بالأمر بعده سـما فماتا منه فی أیام متقاربهٔ و کان ألذی تولی ذلک من الحسن ع زوجته جعدهٔ بنت الأشـعث بن قیس بمال بذله لها معاویهٔ ویقال إن اسـمها سـکینهٔ ویقال عائشهٔ ویقال شعثاء والصـحیح أن اسـمها جعـدهٔ. قال أبوالفرج فروی عمرو بن ثابت قال کنت أختلف إلی أبی إسـحاق [صفحه ۳۰] السبیعی سـنهٔ أسأله عن الخطبـهٔ التی خطب بها الحسن بن علی ع عقیب وفاهٔ أبیه و لایحدثنی بهافدخلت إلیه فی یوم شات و هو فی الشمس و علیه برنسه فکأنه غول فقال لی من أنت فأخبرته فبکی و قال کیف أبوک وکیف أهلک قلت صالحون قال فی أی شـیءتتردد منذ سنهٔ قلت فی خطبهٔ الحسن بن علی بعدوفاه أبیه . حدثنی هبیرهٔ ابن مریم قال خطب الحسن ع بعدوفاهٔ أمیر المؤمنین ع فقال قدقبض فی هذه اللیلهٔ رجل لم یسـبقه الأولون و لایدرکه الآخرون بعمل لقد کان یجاهد مع رسول الله ص فیسـبقه بنفسه ولقـد کان یوجهه برایته فیکنفه جبرائیل عن یمینه ومیکائیل عن یساره فلایرجع حتی یفتـح الله علیه ولقد توفی فی اللیلـهٔ التی عرج فیهابعیسـی ابن مریم والتی توفی فیهایوشع بن نوح و ماخلف صـفراء و لابیضاء إلاسـبعمائهٔ درهم من عطائه أراد أن یبتـاع بهاخادمـا لأهله ثم خنقته العبرهٔ فبکی وبکی النـاس معه ثم قـال أیهـا الناس من عرفنی فقـد عرفنی و من لم یعرفنی فأنا الحسن بن محمـد رسول الله ص أنا ابن البشـیر أنا ابن النذیر أنا ابن الداعی إلی الله بإذنه والسـراج المنیر أنا من أهل البیت الذین أذهـب الله عنهـم الرجس وطهرهـم تطهیرا والـذین افـترض الله مـودتهم فی کتـابه إذ یقـول وَ مَن یَقـتَرِف حَسَـنَهً نَزِد لَهُ فِیها حُسـناًفاقتراف الحسنهٔ مودتنا أهل البیت -روایت-۱-۲-روایت-۷۶-۸۷۱ . قـال أبوالفرج فلما انتهی إلی هـذاالموضع من الخطبهٔ قام عبد الله بن العباس بین [صـفحه ۳۱] یـدیه فدعا الناس إلی بیعته فاسـتجابوا وقالوا ماأحبه إلینا وأحقه بالخلافهٔ فبایعوه ثم نزل من المنبر. قال أبوالفرج ودس معاویهٔ رجلا من حمیر إلی الکوفهٔ ورجلا من بنی القین إلی البصـرهٔ یکتبان إلیه بالأخبار فدل علی الحمیری و علی القینی فأخذا وقتلا. و کتب الحسن ع إلی معاویهٔ أما بعدفإنک دسـست إلی الرجال کأنک تحب اللقاء لاأشـک فی ذلـک فتوقعه إن شاء الله وبلغنی أنک شـمت بما لم یشـمت به ذو الحجی وإنما مثلک فی ذلک کما قال الأول -روایت-۱-

۲-روایت-۲۸-۱۹۵ فإنا و من قدمات منا لكالذى || يروح فيمسى فى المبيت ليغتدى فقل للذى يبغى خلاف ألذى مضى || تجهز لأخرى مثلها فكأن قد .فأجابه معاوية أما بعدفقد وصل كتابك وفهمت ماذكرت فيه ولقد علمت بما حدث فلم أفرح و لم أحزن و لم أشمت و لم آس و إن عليا أباك لكما قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة فأنت الجواد و أنت ألذى || إذا ماالقلوب ملأن الصدورا جدير بطعنة يوم اللقاء || يضرب منها النساء النحورا و مامزيد من خليج البحار || يعلو الإكام ويعلو الجسورا بأجود منه بما عنده || فيعطى الألوف ويعطى البدورا . [صفحه ۳۲] قال أبوالفرج وكتب عبد الله بن العباس من البصرة إلى معاوية أما بعدفإنك ودسك أخا بنى القين إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش بمثل ماظفرت به من يمانيتك لكما قال أمية بن أبى الأسكر لعمرك إنى والخزاعى طارقا || كنعجة عاد حتفها تتحفر أثارت عليها شفرة بكراعها || فظلت بها من آخر الليل تنحر شمت بقوم من صديقك أهلكوا || أصابهم يوم من الدهر أصفر .فأجابه معاوية أما بعد فإن الحسن بن على قدكتب إلى بنحو مما كتبت به وأنبأنى بما لم يحقق سوء ظن ورأى فى وإنك لم تصب مثلى ومثلكم وإنما مثلنا كما قال طارق الخزاعى يجيب أمية عن هذاالشعر فو الله ماأدرى وإنى لصادق || إلى أى من يظننى أتعذر أعنف إن كانت زبينة أهلكت || ونال بنى لحيان شر فأنفروا . [صفحه ۳۳] قال أبوالفرج و كان أول شيءأحدثه الحسن ع أنه زاد المقاتلة مائة مائة و قد كان على ع فعل ذلك يوم الجمل وفعله الحسن حال الاستخلاف فتبعه الخلفاء من بعده فى ذلك . قال وكتب الحسن ع إلى معاوية مع حرب بن عبد الله الأزدى من الحسن بن على أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان سلام عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين ومنة للمؤمنين وكافة للناس أجمعين لِيُنذِرَ مَن كانَ حَيّا وَ يَحِقّ القَولُ عَلَى الكافِرِينَفبلغ رسالات الله وقام بأمر الله حتى توفاه الله غيرمقصر و لاوان و بعد أن أظهر الله به الحق ومحق به الشرك وخص به قريشا خاصة فقال له وَ إِنّهُ لَذِكرٌ لَكَ وَ لِقَومِكَ فلما توفى تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه و لايحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه فرأت العرب أن القول ماقالت قريش و أن الحجة فى ذلك لهم على من نازعهم أمر محمدفأنعمت لهم وسلمت إليهم ثم حاججنا نحن قريشا بمثل ماحاججت به العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها إنهم أخذوا هذاالأمر دون العرب بالانتصاف والاحتجاج فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم وطلب النصف منهم باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا فالموعد الله و هوالولى النصير -روایت-۱-۲-روایت-۶۴-ادامه دارد [صفحه ۳۴] ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا و إن كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الإسلام وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب فى ذلك مغمزا يثلمونه به أو يكون لهم بذلك سبب إلى ماأرادوا من إفساده فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يامعاوية على أمر لست من أهله لابفضل فى الدين معروف و لاأثر فى الإسلام محمود و أنت ابن حزب من الأحزاب و ابن أعدى قريش لرسول الله ص ولكتابه و الله حسيبك فسترد فتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربك ثم ليجزينك بما قدمت يداك و ما الله بظلام للعبيد إن عليا لمامضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض و يوم من الله عليه بالإسلام و يوم يبعث حيا ولانى المسلمون الأمر بعده فأسأل الله ألا يؤتينا فى الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به فى الآخرة مما عنده من كرامة وإنما حملنى على الكتاب إليك الإعذار فيما بينى و بين الله عز و جل فى أمرك و لك فى ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين فدع التمادى فى الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى فإنك تعلم أنى أحق بهذا الأمر منك عند الله و عند كل أواب حفيظ و من له قلب منيب واتق الله ودع البغى واحقن دماء المسلمين فو الله ما لك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به وادخل فى السلم والطاعة و لاتنازع الأمر أهله و من هوأحق به منك ليطفئ الله النائرة بذلك ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين و إن أنت أبيت إلاالتمادى فى غيك سرت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا و هوخير الحاكمين -روایت-از قبل-۱۴۲۰ .فكتب معاوية إليه [صفحه ۳۵] من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى

الحسن بن على سلام الله عليك فإنى أحمدإليك الله ألذى لاإله إلا هو أما بعدفقد بلغنى كتابك وفهمت ماذكرت به محمدا رسول الله من الفضل و هوأحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه وصغيره وكبيره و قد و الله بلغ وأدى ونصح وهدى حتى أنقذ الله به من الهلكة وأنار به من العمى وهدى به من الجهالة والضلالة فجزاه الله أفضل ماجزى نبيا عن أمته وصلوات الله عليه يوم ولد و يوم بعث و يوم قبض و يوم يبعث حيا. وذكرت وفاة النبى ص وتنازع المسلمين الأمر بعده وتغلبهم على أبيك فصرحت بتهمة أبى بكر الصديق وعمر الفاروق و أبى عبيدة الأمين وحوارى رسول الله ص وصلحاء المهاجرين والأنصار فكرهت ذلك لك إنك امرؤ عندنا و عند الناس غيرالظنين و لاالمسىء و لااللئيم و أناأحب لك القول السديد والذكر الجميل إن هذه الأمة لمااختلفت بعدنبيها لم تجهل فضلكم و لاسابقتكم و لاقرابتكم من نبيكم و لامكانكم فى الإسلام وأهله فرأت الأمة أن تخرج من هذاالأمر لقريش لمكانها من نبيها ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذاالأمر من قريش أقدمها إسلاما وأعلمها بالله وأحبها له وأقواها على أمر الله فاختاروا أبابكر و كان ذلك رأى ذوى الدين والفضل والناظرين للأمة فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة و لم يكونوا متهمين و لافيما أتوا بالمخطئين و لورأى المسلمون أن فيكم من يغنى غناءه ويقوم مقامه ويذب عن حريم الإسلام ذبه [صفحه ٣٦] ماعدلوا بالأمر إلى غيره رغبة عنه ولكنهم علموا فى ذلك بما رأوه صلاحا للإسلام وأهله و الله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرا. و قدفهمت ألذى دعوتنى إليه من الصلح والحال فيما بينى وبينك اليوم مثل الحال التى كنتم عليها أنتم و أبوبكر بعدوفاة النبى ص فلو علمت أنك أضبط منى للرعية وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع الأموال وأكيد للعدو لأجبتك إلى مادعوتنى إليه ورأيتك لذلك أهلا ولكن قدعلمت أنى أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الأمة تجربة وأكبر منك سنا فأنت أحق أن تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى فادخل فى طاعتى و لك الأمر من بعدى و لك ما فى بيت مال العراق من مال بالغا مايبلغ تحمله إلى حيث أحببت و لك خراج أى كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجبيها أمينك ويحملها إليك فى كل سنة و لك ألا نستولى عليك بالإساءة و لانقضى دونك الأمور و لانعصى فى أمر أردت به طاعة الله أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء و السلام . قال جندب فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية قلت له إن الرجل سائر إليك فابدأه بالمسير حتى تقاتله فى أرضه وبلاده وعمله فإما أن تقدر أنه ينقاد لك فلا و الله حتى يرى منا أعظم من يوم صفين فقال افعل ثم قعد عن مشورتى وتناسى قولى.قالوا وكتب معاوية إلى الحسن [صفحه ٣٧] أما بعد فإن الله يفعل فى عباده مايشاء لامعقب لحكمه و هوسريع الحساب فاحذر أن تكون منيتك على أيدى رعاع من الناس وايئس من أن تجد فينا غميزة و إن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتنى وفيت لك بما وعدت وأجريت لك ماشرطت وأكون فى ذلك كما قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة و إن أحد أسدى إليك أمانة || فأوف بهاتدعى إذامت وافيا و لاتحسد المولى إذا كان ذا غنى || و لاتجفه إن كان فى المال فانيا ثم الخلافة لك من بعدى فأنت أولى الناس بها و السلام . فأجابه الحسن أما بعدفقد وصل إلى كتابك تذكر فيه ماذكرت فتركت جوابك خشية البغى منى عليك وبالله أعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم أنى من أهله و على إثم أن أقول فأكذب و السلام -روايت-١-٢-روايت-١٧-١٩٢ . فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه ثم كتب إلى عماله على النواحى بنسخة واحدة من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان و من قبله من المسلمين سلام عليكم فإنى أحمدإليكم الله ألذى لاإله إلا هو أما بعدفالحمد لله ألذى كفاكم مؤنة عدوكم وقتل خليفتكم إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده [صفحه ٣٨] فاغتاله فقتله فترك أصحابه متفرقين مختلفين و قدجاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابى هذابجهدكم وجندكم وحسن عدتكم فقد أصبتم بحمد الله الثأر وبلغتم الأمل وأهلك الله أهل البغى والعدوان و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . قال فاجتمعت العساكر إلى معاوية فسار بهاقاصدا إلى العراق وبلغ الحسن خبره ومسيره نحوه وإنه قدبلغ

جسر منبج فتحرک عند ذلک وبعث حجر بن عدی فأمر العمال و الناس بالتهیؤ للمسیر ونادی المنادی الصلاة جامعة فأقبل الناس یثوبون ویجتمعون و قال الحسن إذارضیت جماعة الناس فأعلمنی وجاءه سعید بن قیس الهمدانی فقال له اخرج فخرج الحسن ع وصعد المنبر فحمد الله وأثنی علیه ثم قال أما بعد فإن الله کتب الجهاد علی خلقه وسماه کرها ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنین اصبِرُوا إِنّ اللّهَ مَعَ الصّابِرِینَفلستم أیها الناس نائلین ماتحبون إلابالصبر علی ماتکرهون بلغنی أن معاویة بلغه أناکنا أزمعنا علی المسیر إلیه فتحرک لذلک اخرجوا رحمکم الله إلی معسکرکم بالنخیلة حتی ننظر وتنظروا ونری وتروا. قال وإنه فی کلامه لیتخوف خذلان الناس له قال فسکتوا فما تکلم منهم أحد و لاأجابه بحرف فلما رأی ذلک عدی بن حاتم قام فقال أنا ابن حاتم سبحان الله ماأقبح هذاالمقام أ لاتجیبون إمامکم و ابن بنت نبیکم أین خطباء مضر أین المسلمون أین -روایت-١-ادامه دارد [صفحه ٣٩] الخواضون من أهل المصر الذین ألسنتهم کالمخاریق فی الدعة فإذاجد الجد فرواغون کالثعالب أ ماتخافون مقت الله و لاعیبها وعارها. ثم استقبل الحسن بوجهه فقال أصاب الله بک المراشد وجنبک المکاره ووفقک لمایحمد ورده وصدره قدسمعنا مقالتک وانتهینا إلی أمرک وسمعنا لک وأطعناک فیما قلت و مارأیت و هذاوجهی إلی معسکری فمن أحب أن یوافینی فلیواف -روایت-از قبل-٣٥٩ . ثم مضی لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب فرکبها ومضی إلی النخیلة وأمر غلامه أن یلحقه بما یصلحه و کان عدی بن حاتم أول الناس عسکرا. وقام قیس بن سعد بن عبادة الأنصاری ومعقل بن قیس الریاحی وزیاد بن صعصعة التیمی فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم وکلموا الحسن ع بمثل کلام عدی بن حاتم فی الإجابة والقبول فقال لهم الحسن ع صدقتم رحمکم الله مازلت أعرفکم بصدق النیة والوفاء والقبول والمودة الصحیحة فجزاکم الله خیرا ثم نزل . وخرج الناس فعسکروا ونشطوا للخروج وخرج الحسن إلی العسکر واستخلف علی الکوفة المغیرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وأمره باستحثاث الناس وأشخاصهم إلیه فجعل یستحثهم ویستخرجهم حتی یلتئم العسکر. وسار الحسن ع فی عسکر عظیم وعدة حسنة حتی نزل دیر عبدالرحمن -روایت-١-ادامه دارد [صفحه ٤٠] فأقام به ثلاثا حتی اجتمع الناس ثم دعا عبید الله بن العباس بن عبدالمطلب فقال له یا ابن عم إنی باعث إلیک اثنی عشر ألفا من فرسان العرب وقراء المصر الرجل منهم یزید الکتیبة فسر بهم وألن لهم جانبک وابسط لهم وجهک وافرش لهم جناحک وأدنهم من مجلسک فإنهم بقیة ثقات أمیر المؤمنین وسر بهم علی شط الفرات حتی تقطع بهم الفرات ثم تصیر إلی مسکن ثم امض حتی تستقبل بهم معاویة فإن أنت لقیته فاحبسه حتی آتیک فإنی علی أثرک وشیکا ولیکن خبرک عندی کل یوم وشاور هذین یعنی قیس بن سعد وسعید بن قیس و إذالقیت معاویة فلاتقاتله حتی یقاتلک فإن فعل فقاتله و إن أصبت فقیس بن سعد علی الناس و إن أصیب قیس بن سعد فسعید بن قیس علی الناس -روایت-از قبل-٦٧٠ .فسار عبید الله حتی انتهی إلی شینور حتی خرج إلی شاهی ثم لزم الفرات والفلوجة حتی أتی مسکن وأخذ الحسن علی حمام عمر حتی أتی دیر کعب ثم بکر فنزل ساباط دون القنطرة فلما أصبح نادی فی الناس الصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال الحمد لله کلما حمده حامد وأشهد أن لاإله إلا الله کلما شهد له شاهد وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالحق وائتمنه علی الوحیص أما بعدفو الله إنی لأرجو أن أکون قدأصبحت بحمد الله و منه و أناأنصح خلقه لخلقه و ماأصبحت محتملا علی مسلم ضغینة و لامرید له بسوء و لاغائلة ألا و إن ماتکرهون فی الجماعة خیر لکم مما تحبون فی الفرقة ألا وإنی ناظر لکم خیرا -روایت-١-٢-روایت-٢٨-ادامه دارد [صفحه ٤١] من نظرکم لأنفسکم فلاتخالفوا أمری و لاتردوا علی رأیی غفر الله لی ولکم وأرشدنی وإیاکم لما فیه محبته ورضاه إن شاء الله ثم نزل -روایت-از قبل-١٣٩ . قال فنظر الناس بعضهم إلی بعض وقالوا ماترونه یرید بما قال قالوا نظنه یرید أن یصالح معاویة ویکل الأمر إلیه کفر و الله الرجل ثم شدوا علی فسطاطه فانتهبوه حتی أخذوا مصلاه من تحته ثم شد علیه عبدالرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدی فنزع مطرفه عن عاتقه فبقی جالسا متقلدا سیفا بغیر رداء فدعا بفرسه فرکبه وأحدق به طوائف من خاصته وشیعته ومنعوا منه من أراده ولاموه

وضعفوه لماتكلم به فقال ادعوا إلى ربيعة وهمدان فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه ومعهم شوب من غيرهم فلما مر فى مظلم ساباط قام إليه رجل من بنى أسد ثم من بنى نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان وبيده معول فأخذ بلجام فرسه و قال الله أكبر ياحسن أشركت أبوك ثم أشركت أنت وطعنه بالمعول فوقعت فى فخذه فشقته حتى بلغت أربيته وسقط الحسن ع إلى الأرض بعد أن ضرب ألذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه فخرا جميعا إلى الأرض فوثب عبد الله بن الأخطل الطائى ونزع المعول من يد جراح بن سنان فخضخضه به وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه ثم أخذا له الآجر فشدخا رأسه ووجهه حتى قتلوه . [صفحه ۴۲] وحمل الحسن ع على سرير إلى المدائن و بهاسعيد بن مسعود الثقفى واليا عليها من قبله و قد كان على ع ولاه المدائن فأقره الحسن ع عليها فأقام عنده يعالج نفسه فأما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوبية بمسكن وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بإزائه فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليه فخرج إليهم عبيد الله فيمن معه فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم فلما كان الليل أرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس أن الحسن قدراسلنى فى الصلح و هومسلم الأمر إلى فإن دخلت فى طاعتى الآن كنت متبوعا و إلادخلت و أنت تابع و لك إن أجبتنى الآن أن أعطيك ألف ألف درهم أعجل لك فى هذاالوقت نصفها و إذادخلت الكوفة النصف الآخر فانسل عبيد الله إليه ليلا فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلى بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثم خطبهم فثبتهم وذكر عبيد الله فنال منه ثم أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدو فأجابوه بالطاعة وقالوا له انهض بنا إلى عدونا على اسم الله فنزل فنهض بهم . وخرج إليه بسر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق ويحكم هذاأميركم عندنا قدبايع وإمامكم الحسن قدصالح فعلام تقتلون أنفسكم . [صفحه ۴۳] فقال لهم قيس بن سعد اختاروا إحدى اثنتين إما القتال مع غيرإمام وإما أن تبايعوا بيعة ضلال فقالوا بل نقاتل بلا إمام فخرجوا فضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم .فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه فكتب إليه قيس لا و الله لاتلقانى أبدا إلابينى وبينك الرمح فكتب إليه معاوية حينئذ لمايئس منه أما بعدفإنك يهودى ابن يهودى تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك فإن ظهر أحب الفريقين إليك نبذك وغدرك و إن ظهر أبغضهم إليك نكل بك وقتلك و قد كان أبوك أوتر غيرقوسه ورمى غيرغرضه فأكثر الحز وأخطأ المفصل فخذله قومه وأدركه يومه فمات بحوران طريدا غريبا و السلام .فكتب إليه قيس بن سعد أما بعدفإنما أنت وثن ابن وثن دخلت فى الإسلام كرها وأقمت فيه فرقا وخرجت منه طوعا و لم يجعل الله لك فيه نصيبا لم يقدم إسلامك و لم يحدث نفاقك و لم تزل حربا لله ولرسوله وحزبا من أحزاب المشركين وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده وذكرت أبى فلعمرى ماأوتر إلاقوسه و لارمى إلاغرضه فشغب عليه من لايشق غباره و لايبلغ كعبه وزعمت أنى يهودى ابن يهودى و قدعلمت وعلم الناس أنى و أبى أعداء الدين ألذى خرجت منه وأنصار الدين ألذى دخلت فيه وصرت إليه و السلام . فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته فقال له عمرو مهلا فإنك إن كاتبته أجابك بأشد من هذا و إن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فأمسك عنه . قال وبعث معاوية عبد الله بن عامر و عبدالرحمن بن سمرة إلى الحسن للصلح فدعواه [صفحه ۴۴] إليه فزهداه فى الأمر وأعطياه ماشرط له معاوية وألا يتبع أحد بما مضى و لاينال أحد من شيعة على بمكروه و لايذكر على إلابخير وأشياء شرطها الحسن فأجاب إلى ذلك وانصرف قيس بن سعد فيمن معه إلى الكوفة وانصرف الحسن أيضا إليها وأقبل معاوية قاصدا نحو الكوفة واجتمع إلى الحسن ع وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أمير المؤمنين ع يلومونه ويبكون إليه جزعا مما فعله قال أبوالفرج فحدثنى محمد بن أحمد بن عبيد قال حدثناالفضل بن الحسن البصرى قال حدثنا ابن عمرو قال حدثنامكى بن ابراهيم قال حدثناالسرى بن إسماعيل عن الشعبى عن سفيان بن أبى ليلى قال أبوالفرج وحدثنى به أيضا محمد بن الحسين الأشناندانى و على بن العباس المقانعى عن عباد بن يعقوب عن عمرو بن ثابت عن الحسن بن الحكم عن عدى بن ثابت عن سفيان بن أبى ليلى قال أتيت الحسن بن على حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره

وعنده رهط فقلت السلام عليك يامذل المؤمنين قال وعليك السلام ياسفيان ونزلت فعقلت راحلتي ثم أتيته فجلست إليه فقال كيف قلت ياسفيان قلت السلام عليك يامذل المؤمنين فقال لم جرى هذامنك إلينا قلت أنت و الله بأبي وأمي أذللت رقابنا حيث أعطيت هذاالطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك فقد جمع الله عليك أمر الناس فقال ياسفيان إنا أهل بيت إذاعلمنا الحق تمسكنا به وإني سمعت عليا يقول سمعت رسول الله ص يقول لاتذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم -روايت-١-٢-روايت-٣٨٥-ادامه دارد [صفحه ۴۵] ضخم البلعوم يأكل و لايشبع لاينظر الله إليه و لايموت حتى لا يكون له في السماء عاذر و لا في الأرض ناصر وإنه لمعاوية وإني عرفت أن الله بالغ أمره ثم أذن المؤذن فقمنا على حالب نحلب ناقته فتناول الإناء فشرب قائما ثم سقاني وخرجنا نمشي إلى المسجد فقال لي ماجاء بك ياسفيان قلت حبكم و ألذي بعث محمدا بالهدى ودين الحق قال فأبشر ياسفيان فإني سمعت عليا يقول سمعت رسول الله ص يقول يرد على الحوض أهل بيتي و من أحبهم من أمتي كهاتين يعني السبابتين أوكهاتين يعني السبابة والوسطى إحداهما تفضل على الأخرى أبشر ياسفيان فإن الدنيا تسع البر والفاجر حتى يبعث الله إمام الحق من آل محمدص -روايت-از قبل-۶۲۷ . قلت قوله و لا في الأرض ناصر أي ناصر ديني أي لايمكن أحدا أن ينتصر له بتأويل ديني يتكلف به عذرا لأفعاله القبيحة. فإن قلت قوله وإنه لمعاوية من الحديث المرفوع أو من كلام علي ع أو من كلام الحسن ع قلت الظاهر أنه من كلام الحسن ع فإنه قدغلب على ظنه أن معاوية صاحب هذه الصفات و إن كان القسمان الأولان غيرممتنعين . فإن قلت فمن هوإمام الحق من آل محمد قلت أماالإمامية فتزعم أنه صاحبهم ألذي يعتقدون أنه الآن حي في الأرض و أماأصحابنا فيزعمون أنه فاطمي يخلقه الله في آخر الزمان . [صفحه ۴۶] قال أبوالفرج وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس بهافخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة وجاءت منقطعة في الحديث وسنذكر ماانتهى إلينا منها.فأما الشعبي فإنه روى أنه قال في الخطبة مااختلف أمر أمة بعدنبيها إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها ثم انتبه فندم فقال إلا هذه الأمة فإنها وإنها و أما أبوإسحاق السبيعي فقال إن معاوية قال في خطبته بالنخيلة ألا إن كل شيءأعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لاأفي به . قال أبوإسحاق و كان و الله غدارا. وروى الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطبنا فقال و الله إني ماقاتلتكم لتصلوا و لالتصوموا و لالتحجوا و لالتزكوا إنكم لتفعلون ذلك وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم و قدأعطاني الله ذلك وأنتم كارهون . قال و كان عبدالرحمن بن شريك إذاحدث بذلك يقول هذا و الله هوالتهتك . قال أبوالفرج وحدثني أبوعبيد محمد بن أحمد قال حدثني الفضل بن الحسن البصري قال حدثني يحيى بن معين قال حدثني أبوحفص اللبان عن عبدالرحمن بن شريك عن إسماعيل بن أبي خالد عن حبيب بن أبي ثابت قال خطب معاوية بالكوفة حين دخلها و الحسن و الحسين ع جالسان تحت المنبر فذكر عليا ع -روايت-١-٢-روايت-٢١۴-ادامه دارد [صفحه ۴۷] فنال منه ثم نال من الحسن فقام الحسين ع ليرد عليه فأخذه الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال أيها الذاكر عليا أنا الحسن و أبي علي و أنت معاوية وأبوك صخر وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة وجدتي خديجة وجدتك قتيلة فلعن الله أخملنا ذكرا وألأمنا حسبا وشرنا قديما وحديثا وأقدمنا كفرا ونفاقا فقال طوائف من أهل المسجد آمين -روايت-از قبل-٣۵۵ قال الفضل قال يحيى بن معين و أناأقول آمين . قال أبوالفرج قال أبوعبيد قال الفضل و أناأقول آمين و يقول علي بن الحسين الأصفهاني آمين . قلت و يقول عبدالحميد بن أبي الحديد مصنف هذاالكتاب آمين . قال أبوالفرج ودخل معاوية الكوفة بعدفراغه من خطبته بالنخيلة و بين يديه خالد ابن عرفطة ومعه حبيب بن حماد يحمل رايته فلما صار بالكوفة دخل المسجد من باب الفيل واجتمع الناس إليه . قال أبوالفرج فحدثني أبوعبيد الصيرفي و أحمد بن عبيد الله بن عمار عن محمد بن علي بن خلف عن محمد بن عمرو الرازي عن مالك بن سعيد عن محمد بن عبد الله الليثي عن عطاء بن السائب عن أبيه قال بينما علي بن أبي

طالب ع على منبر الكوفة إذ دخل رجل فقال يا أمير المؤمنين مات خالد بن عرفطة فقال لا و الله مامات و لايموت حتى يدخل من باب المسجد وأشار إلى باب الفيل ومعه راية ضلالة يحملها حبيب بن حماد قال فوثب رجل فقال يا أمير المؤمنين أناحبيب بن حماد و أنا لك شيعة فقال -روايت-۱-۲-روايت-۲۰۴-ادامه دارد [صفحه ۴۸] فإنه كماأقول فو الله لقد قدم خالد بن عرفطة على مقدمة معاوية يحمل رايته حبيب بن حماد قال أبوالفرج و قال مالك بن سعيد وحدثنى الأعمش بهذا الحديث قال حدثنى صاحب هذه الدار وأشار إلى دار السائب أبى عطاء إنه سمع عليا ع يقول هذا -روايت-از قبل-۲۴۲ . قال أبوالفرج فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد يدعوه إلى البيعة فجاءه و كان رجلا طوالا يركب الفرس المشرف ورجلاه تخطان فى الأرض و ما فى وجهه طاقة شعر و كان يسمى خصى الأنصار فلما أرادوا إدخاله إليه قال إنى حلفت ألا ألقاه إلا وبينى وبينه الرمح أوالسيف فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر يمينه . قال أبوالفرج و قدروى أن الحسن لماصالح معاوية اعتزل قيس بن سعد فى أربعة آلاف فارس فأبى أن يبايع فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع فأقبل على الحسن فقال أ فى حل أنا من بيعتك فقال نعم فألقى له كرسى وجلس معاوية على سرير و الحسن معه فقال له معاوية أتبايع ياقيس قال نعم ووضع يده على فخذه و لم يمدها إلى معاوية فجاء معاوية من سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده و مارفع إليه قيس يده . [صفحه ۴۹] قال أبوالفرج ثم إن معاوية أمر الحسن أن يخطب فظن أنه سيحصر فقام فخطب فقال فى خطبته إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه و ليس الخليفة من سار بالجور ذاك رجل ملك ملكا تمتع به قليلا ثم تنخمه تنقطع لذته وتبقى تبعته وَ إِن أَدرِي لَعَلّهُ فِتنَةٌ لَكُم وَ مَتاعٌ إِلي حِينٍ -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۲۲۰ قال وانصرف الحسن إلى المدينة فأقام بها وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد فلم يكن عليه شىءأثقل من أمر الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص فدس إليهما سما فماتا منه . قال أبوالفرج فحدثنى أحمد بن عبيد الله بن عمار عن عيسى بن مهران عن عبيد بن الصباح الخراز عن جرير عن مغيرة قال أرسل معاوية إلى بنت الأشعث بن قيس وهى تحت الحسن فقال لها إنى مزوجك يزيد ابنى على أن تسمى الحسن وبعث إليها بمائة ألف درهم ففعلت وسمت الحسن فسوغها المال و لم يزوجها منه فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذاوقع بينهم و بين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا يابنى مسمة الأزواج . قال حدثنى أحمد قال حدثنى يحيى بن بكير عن شعبة عن أبى بكر بن حفص قال توفى الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص فى أيام متقاربة و ذلك بعد مامضى من ولاية إمارة معاوية عشر سنين وكانوا يروون أنه سقاهما السم قال أبوالفرج وحدثنى أحمد بن عون عن عمران بن إسحاق قال كنت مع الحسن و الحسين ع فى الدار فدخل الحسن المخرج ثم خرج فقال لقد سقيت السم مرارا ماسقيت مثل هذه المرة لقد لفظت قطعة من كبدى فجعلت -روايت-۱-۲-روايت-۶۴-ادامه دارد [صفحه ۵۰] أقلبها بعود معى فقال الحسين و من سقاك قال و ماتريد منه أتريد أن تقتله إن يكن هو هوفالله أشد نقمة منك و إن لم يكن هوفما أحب أن يؤخذ بى برىء -روايت-از قبل-۱۵۷ . قال أبوالفرج دفن الحسن ع فى قبر فاطمة بنت رسول الله ص فى البقيع و قد كان أوصى أن يدفن مع النبى ص فمنع مروان بن الحكم من ذلك وركبت بنو أمية فى السلاح وجعل مروان يقول يارب هيجا هى خير من دعه يدفن عثمان فى البقيع ويدفن الحسن فى بيت النبى ص و الله لا يكون ذلك أبدا و أناأحمل السيف وكادت الفتنة تقع وأبى الحسين ع أن يدفنه إلا مع النبى ص فقال له عبد الله بن جعفرعزمت عليك يا أبا عبد الله بحقى ألا تكلم بكلمة فمضوا به إلى البقيع وانصرف مروان . قال أبوالفرج و قدروى الزبير بن بكار أن الحسن ع أرسل إلى عائشة أن تأذن له أن يدفن مع النبى ص فقالت نعم فلما سمعت بنو أمية بذلك استلأموا فى السلاح وتنادوا هم وبنو هاشم فى القتال فبلغ ذلك الحسن فأرسل إلى بنى هاشم أما إذا كان هذا فلاحاجة لى فيه ادفنونى إلى جنب أمى فدفن إلى جنب فاطمة ع -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-۳۱۸ . قال أبوالفرج فأما يحيى بن الحسن صاحب كتاب النسب فإنه روى أن عائشة [صفحه ۵۱] ركبت ذلك اليوم بغلا واستنفرت بنو أمية مروان بن الحكم و من كان هناك منهم و من

حشمهم و هوقول القائل فيوما على بغل ويوما على جمل . قلت و ليس فى رواية يحيى بن الحسن مايؤخذ على عائشة لأنه لم يرو أنها استنفرت الناس لماركبت البغل وإنما المستنفرون هم بنو أمية ويجوز أن تكون عائشة ركبت لتسكين الفتنة لاسيما و قدروى عنها أنه لماطلب منها الدفن قالت نعم فهذه الحال والقصة منقبة من مناقب عائشة. قال أبوالفرج و قال جويرية بن أسماء لمامات الحسن وأخرجوا جنازته جاء مروان حتى دخل تحته فحمل سريره فقال له الحسين ع أتحمل اليوم سريره وبالأمس كنت تجرعه الغيظ قال مروان كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۲۳۲ . قال وقدم الحسين ع للصلاة عليه سعيد بن العاص و هويومئذ أميرالمدينة و قال تقدم فلو لاأنها سنة لماقدمتك . قال قيل لأبى إسحاق السبيعى متى ذل الناس فقال حين مات الحسن وادعى زياد وقتل حجر بن عدى. قال اختلف الناس فى سن الحسن ع وقت وفاته فقيل ابن ثمان وأربعين و هوالمروى عن جعفر بن محمد ع فى رواية هشام بن سالم وقيل ابن ست وأربعين و هوالمروى أيضا عن جعفر بن محمد ع فى رواية أبى بصير. [صفحه ۵۲] قال و فى الحسن ع يقول سليمان بن قتة يرثيه و كان محبا له ياكذب الله من نعى حسنا || ليس لتكذيب نعيه ثمن كنت خليلى وكنت خالصتى || لكل حى من أهله سكن أجول فى الدار لاأراك و فى || الدار أناس جوارهم غبن بدلتهم منك ليت أنهم || أضحوا وبينى وبينهم عدن . ثم نرجع إلى تفسير ألفاظ الفصل أما قوله كتبها إليه بحاضرين فالذى كنا نقرؤه قديما كتبها إليه بالحاضرين على صيغة التثنية يعنى حاضر حلب وحاضر قنسرين وهى الأرباض والضواحى المحيطة بهذه البلاد ثم قرأناه بعد ذلك على جماعة من الشيوخ بغير لام و لم يفسروه ومنهم من يذكره بصيغة الجمع لابصيغة التثنية ومنهم من يقول بخناصرين يظنونه تثنية خناصرة أوجمعها و قدطلبت هذه الكلمة فى الكتب المصنفة سيما فى البلاد والأرضين فلم أجدها ولعلى أظفر بهافيما بعدفألحقها فى هذاالموضع . قوله من الوالد الفان حذف الياء ها هنا للازدواج بين الفان والزمان ولأنه وقف و فى الوقف على المنقوص يجوز مع اللام حذف الياء وإثباتها والإثبات هوالوجه و مع عدم اللام يجوز الأمران وإسقاط الياء هوالوجه . قوله المقر للزمان أى المقر له بالغلبة كأنه جعل نفسه فيما مضى خصما للزمان بالقهر. قوله المدبر العمر لأنه كان قدجاوز الستين و لم يبق بعدمجاوزة الستين إلاإدبار العمر لأنها نصف العمر الطبيعى ألذى قل أن يبلغه أحد فعلى تقدير أنه [صفحه ۵۳] يبلغه فكل ما بعدالستين أقل مما مضى فلاجرم يكون العمر قدأدبر. قوله المستسلم للدهر هذاآكد من قوله المقر للزمان لأنه قديقر الإنسان لخصمه و لايستسلم . قوله الذام للدنيا هذاوصف لم يستحدثه عندالكبر بل لم يزل عليه ولكن يجوز أن يزيد ذمه لها لأن الشيخ تنقص قواه التى يستعين بها على الدنيا والدين جميعا و لايزال يتأفف من الدنيا. قوله الساكن مساكن الموتى إشعار بأنه سيموت و هذا من قوله تعالى وَ سَكَنتُم فِي مَساكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم. قوله الظاعن عنها غدا لايريد الغد بعينه بل يريد قرب الرحيل والظعن . و هذاالكلام من أمير المؤمنين ع كلام من قدأيقن بالفراق و لاريب فى ظهور الاستكانة والخضوع عليه ويدل أيضا على كرب وضيق عطن لكونه لم يبلغ أربه من حرب أهل الشام وانعكس ماقدره بتخاذل أصحابه عنه ونفوذ حكم عمرو بن العاص فيه لحمق أبى موسى وغباوته وانحرافه أيضا. قوله إلى المولود هذه اللفظة بإزاء الوالد. قوله المؤمل ما لايدرك لو قال قائل إنه كنى بذلك عن أنه لاينال الخلافة بعدموتى و إن كان مؤملا لها لم يبعد و يكون ذلك إخبارا عن غيب ولكن الأظهر أنه لم يرد ذلك إنما أراد جنس البشر لاخصوص الحسن وكذلك سائر الأوصاف التى تلى هذه اللفظة لاتخص الحسن ع بعينه بل هى و إن كانت له فى الظاهر بل هى للناس كلهم فى الحقيقة أ لاترى إلى قوله بعدها السالك سبيل من قدهلك فإن كل واحد من الناس يؤمل أمورا لايدركها و كل واحد من الناس سألك سبيل من هلك قبله . -قرآن-۴۱۸-۴۷۰ [صفحه ۵۴] قوله ع غرض الأسقام لأن الإنسان كالهدف لآفات الدنيا وأعراضها. قوله ع ورهينة الأيام الرهينة هاهنا المهزول يقال إنه لرهن وإنه لرهينة إذا كان مهزولا بالياء قال الراجز أماترى جسمى خلاء قدرهن || هزلا و مامجد الرجال فى السمن ويجوز أن يريد بالرهينة واحدة الرهائن يقال للأسير أوللزمن أوللعاجز عندالرحيل أنه لرهينة و ذلك لأن

الرهائن محتبسة عندمرتهنها. قوله ورمية المصائب الرمية مايرمى . قوله و عبدالدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا لأن الإنسان طوع شهواته فهو عبدالدنيا وحركاته فيهامبنية على غرور لاأصل له فهو تاجر الغرور لامحالة و لماكانت المنايا تطالبه بالرحيل عن هذه الدار كانت غريما له يقتضيه ما لابد له من أدائه . قوله وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان ونصب الآفات وسريع الشهوات لما كان الإنسان مع الموت كما قال طرفة لعمرك إن الموت ماأخطأ الفتى || لكالطول المرخى وثنياه باليد كان أسيرا له لامحالة و لما كان لابد لكل إنسان من الهم كان حليف الهموم وكذلك لايخلو و لاينفك من الحزن فكان قرينا له و لما كان معرضا للآفات كان نصبا لها و لما كان إنما يهلك بشهواته كان صريعا لها. قوله وخليفة الأموات قدأخذه من قال إن أمرا ليس بينه و بين آدم إلاأب ميت لمعرق فى الموت . واعلم أنه عد من صفات نفسه سبعا وعد من صفات ولده أربع عشرة صفة فجعل [صفحه ۵۵] بإزاء كل واحدة مما له اثنتين فليلمح ذلك

بعض ماقيل من الشعر فى الدهر وفعله بالإنسان

و من جيد مانعى به شاعر نفسه ووصف مانقص الدهر من قواه قول عوف بن محلم الشيبانى فى عبد الله بن طاهر أميرخراسان يا ابن ألذى دان له المشرقان || وألبس الأمن به المغربان إن الثمانين وبلغتها || قدأحوجت سمعى إلى ترجمان وبدلتنى بالشطاط انحنا || وكنت كالصعدة تحت السنان وقاربت منى خطا لم تكن || مقاربات وثنت من عنان وعوضتنى من زماع الفتى || وهمه هم الجبان الهدان وأنشأت بينى و بين الورى || عنانة من غيرنسج العنان و لم تدع فى لمستمتع || إلالسانى وكفانى لسان أدعو به الله وأثنى به || على الأمير المصعبى الهجان . [صفحه ۵۶] و من الشعر القديم الجيد فى هذاالمعنى قول سالم بن عونة الضبى لايبعدن عصر الشباب و لا || لذاته ونباته النضر والمشرفات من الخدور كإيماض || الغمام يجوز بالقطر وطراد خيل مثلها التقتا || لحفيظة ومقاعد الخمر لو لاأولئك ماحلفت متى || عوليت فى خرج إلى قبرى هربت زبيبة أن رأت ثرمى || و أن انحنى لتقادم ظهرى من بعد ماعهدت فأدلفنى || يوم يمر وليلة تسرى حتى كأنى خاتل قنصا || والمرء بعدتمامه يجرى لاتهزئى منى زبيب فما || فى ذاك من عجب و لاسخر أ و لم ترى لقمان أهلكه || مااقتات من سنة و من شهر وبقاء نسر كلما انقرضت || أيامه عادت إلى نسر ماطال من أمد على لبد || رجعت محارته إلى قصر ولقد حلبت الدهر أشطره || وعلمت ماآتى من الأمر أناأستفصح قوله مااقتات من سنة و من شهر جعل الزمان كالقوت له و من اقتات الشيء فقد أكله والأكل سبب المرض والمرض سبب الهلاك [صفحه ۵۷] أَمّا بَعدُ فَإِنّ فِيمَا تَبَيّنتُ مِن إِدبَارِ الدّنيَا عنَيّ وَ جُمُوحِ الدّهرِ عَلَيّ وَ إِقبَالِ الآخِرَةِ إلِيَ‌ّ مَا يزَعَنُيِ عَن ذِكرِ مَن سوِاَي‌َ وَ الِاهتِمَامِ بِمَا ورَاَئيِ غَيرَ أنَيّ‌ حَيثُ تَفَرّدَ بيِ دُونَ هُمُومِ النّاسِ هَمّ نفَسيِ فصَدَقّنَيِ رأَييِ وَ صرَفَنَيِ عَن هوَاَي‌َ وَ صَرّحَ لِي مَحضُ أمَريِ فَأَفضَي بيِ إِلَي جِدّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ وَ صِدقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَجَدتُكَ بعَضيِ بَل وَجَدتُكَ كلُيّ حَتّي كَأَنّ شَيئاً لَو أَصَابَكَ أصَاَبنَيِ وَ كَأَنّ المَوتَ لَو أَتَاكَ أتَاَنيِ فعَنَاَنيِ مِن أَمرِكَ مَا يعَنيِنيِ مِن أَمرِ نفَسيِ فَكَتَبتُ إِلَيكَ كتِاَبيِ هَذَا مُستَظهِراً بِهِ إِن أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَو فَنِيتُ يزعنى يكفنى ويصدنى وزعت فلانا و لابد للناس من وزعة. وسوى لفظة تقصر إذاكسرت سينها وتمد إذافتحتها وهى هاهنا بمعنى غير و من قبلها بمعنى شيءمنكر كقوله رب من أنضجت غيظا قلبه . والتقدير غيرذكر إنسان سواى ويجوز أن تكون من موصولة و قدحذف أحد جزأى الصلة والتقدير عن ذكر ألذى هوغيرى كماقالوا فى لَنَنزِعَنّ مِن كُلّ شِيعَةٍ أَيّهُم أَشَدّ أى هوأشد يقول ع إن فيما قدبان لى من تنكر الوقت وإدبار الدنيا وإقبال الآخرة شاغلا لى عن الاهتمام بأحد غيرى والاهتمام والفكر فى أمر الولد وغيره ممن أخلفه ورائى. -قرآن-۱۲۴-۱۶۶ [صفحه ۵۸] ثم عاد فقال ألا إن همى بنفسى يقتضى اهتمامى بك لأنك بعضى بل كلى فإن كان اهتمامى بنفسى يصرفنى عن غيرى لم تكن أنت داخلا فى جملة من

يصرفنى همى بنفسى عنهم لأنك لست غيرى. فإن قلت أفهذا الهم حدث لأمير المؤمنين ع الآن أو من قبل لم يكن عالما بأن الدنيا مدبرة والآخرة مقبلة. قلت كلا بل لم يزل عالما عارفا بذلك ولكنه الآن تأكد وقوى بطريق علو السن وضعف القوى و هذاأمر يحصل للإنسان على سبيل الإيجاب لابد من حصوله لكل أحد و إن كان عالما بالحال من قبل ولكن ليس العيان كالخبر. و من مستحسن ماقيل فى هذاالمعنى قول أبى إسحاق الصابئ أقيك الردى إنى تنبهت من كرى || وسهو على طول المدى اعتريانى فأثبت شخصا دانيا كان خافيا || على البعد حتى صار نصب عيانى هوالأجل المحتوم لى جد جده || و كان يرينى غفلة المتوانى له نذر قدآذنتنى بهجمة || له لست منها آخذا بأمان و لابد منه ممهلا أومعاجلا || سيأتى فلايثنيه عنى ثان . وأول هذه القصيدة و هوداخل له فى هذاالمعنى أيضا إذا ماتعدت بى وسارت محفة || لها أرجل يسعى بهارجلان و ماكنت من فرسانها غيرأنها || وفت لى لماخانت القدمان نزلت إليها عن سراة حصانى || بحكم مشيب أوفراش حصان فقد حملت منى ابن سبعين سالكا || سبيلا عليها يسلك الثقلان [صفحه ۵۹] كماحمل المهد الصبى وقبلها || ذعرت أسود الغيل بالنزوان و لى بعدها أخرى تسمى جنازة || جنيبة يوم للمنية دان تسير على أقدام أربعة إلى || ديار البلى معدودهن ثمان وإنى على عيث الردى فى جوارحى || و ماكف من خطوى وبطش بنانى و إن لم يدع إلافؤادا مروعا || به غيرباق من الحدثان تلوم تحت الحجب ينفث حكمه || إلى أذن تصغى لنطق لسان لأعلم أنى ميت عاق دفنه || ذماء قليل فى غد هوفان و إن فما للأرض غرثان حائما || يراصد من أكلى حضور أوان به شره عم الورى بفجائع || تركن فلانا ثاكلا لفلان غدا فاغرا يشكو الطوى و هوراتع || فما تلتقى يوما له الشفتان إذاعاضنا بالنسل ممن نعوله || تلا أولا منه بمهلك ثان إلى ذات يوم لاترى الأرض وارثا || سوى الله من إنس تراه وجان . قوله تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى أى دون الهموم التى قدكانت تعترينى لأجل أحوال الناس .فصدقنى رأيى يقال صدقته كذا أى عن كذا و فى المثل صدقنى سن بكره لأنه لمانفر قال له هدع وهى كلمة تسكن بهاصغار الإبل إذانفرت والمعنى أن هذاالهم صدقنى عن الصفة التى يجب أن يكون رأيى عليها وتلك الصفة هى ألا يفكر فى [صفحه ۶۰] أمر شىء من الموجودات أصلا إلا الله تعالى ونفسه وفوق هذه الطبقة طبقة أخرى جدا وهى ألا تفكر فى شىءقط إلا فى الله وحده وفوق هذه الطبقة طبقة أخرى تجل عن الذكر والتفسير و لاتصلح لأحد من المخلوقين إلاالنادر الشاذ و قدذكرها هوفيما سبق و هوألا يفكر فى شىءأصلا لا فى المخلوق و لا فى الخالق لأنه قدقارب أن يتحد بالخالق ويستغنى عن الفكر فيه . قوله وصرفنى عن هواى أى عن هواى وفكرى فى تدبير الخلافة وسياسة الرعية والقيام بما يقوم به الأئمة. قوله ع وصرح لى محض أمرى يروى بنصب محض ورفعه فمن نصب فتقديره عن محض أمرى فلما حذف الجار نصب و من رفع جعله فاعلا وصرح كشف أوانكشف . قوله فأفضى بى إلى كذا ليس بمعنى أنه قد كان من قبل يمازج جده باللعب بل المعنى أن همومه الأولى قدكانت بحيث يمكن أن يتخللها وقت راحة أودعابة لايخرج بها عن الحق كما كان رسول الله ص يمزح و لا يقول إلاحقا فالآن قدحدث عنده هم لايمكن أن يتخلله من ذلك شىءأصلا ومدار الفرق بين الحالتين أعنى الأولى والثانية على إمكان اللعب لانفس اللعب و مايلزم من قوله أفضى لك بى هذاالهم إلى انتفاء إمكان اللعب أن تكون همومه الأولى قد كان يمازجها اللعب ولكن يلزم من ذلك أنها قدكانت يمكن ذلك فيهاإمكانا محضا على أن اللعب غيرمنكر إذا لم يكن باطلا أ لاترى إلى قول النبى ص المؤمن دعب لعب -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۳۵ قوله وصدق لايشوبه كذب -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۰ أى لايمكن أن يشوبه كذب و ليس المراد بالصدق والكذب هاهنا مفهومهما المشهورين بل هو من قولهم صدقونا اللقاء و من قولهم حمل عليهم فما كذب قال زهير [صفحه ۶۱] ليث بعثر يصطاد الليوث إذا || ماكذب الليث عن أقرانه صدقا أى أفضى بى هذاالهم إلى أن صدقتنى الدنيا حربها كأنه جعل نفسه محاربا للدنيا أى صدقتنى الدنيا حربها و لم تكذب أى لم تجبن و لم تخن .أخبر عن شدة اتحاد ولده به فقال وجدتك بعضى قال الشاعر وإنما أولادنا بيننا || أكبادنا تمشى على الأرض

لوهبت الريح على بعضهم || لامتنعت عينى من الغمض . وغضب معاوية على ابنه يزيد فهجره فاستعطفه له الأحنف قال له يا أمير المؤمنين أولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة فإن غضبوا فأرضهم و إن سألوا فأعطهم فلاتكن عليهم قفلا فيملوا حياتك ويتمنوا موتك . وقيل لابنة الخس أى ولديك أحب إليك قالت الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يقدم .غضب الطرماح على امرأته فشفع فيهاولده منها صمصام و هوغلام لم يبلغ عشرا فقال الطرماح أصمصام إن تشفع لأمك تلقها || لها شافع فى الصدر لم يتزحزح هل الحب إلاأنها لوتعرضت || لذبحك ياصمصام قلت لها اذبحى أحاذر ياصمصام إن مت أن يلى || تراثى وإياك امرؤ غيرمصلح إذاصكك وسط القوم رأسك صكة || يقول له الناهى ملكت فأسجح فى الحديث المرفوع إن ريح الولد من ريح الجنة –روايت–۱–۲–روايت–۲۳–۵۲ [صفحه ۶۲] فى الحديث الصحيح أنه قال لحسن وحسين ع إنكم لتجبنون وإنكم لتبخلون وإنكم لمن ريحان الله –روايت–۱–۲–روايت–۴۷–۱۰۳ . و من ترقيص الأعراب قول أعرابية لولدها ياحبذا ريح الولد || ريح الخزامى فى البلد أهكذا كل ولد || أم لم يلد قبلى أحد فى الحديث المرفوع من كان له صبى فليستصب له –روايت–۱–۲–روايت–۲۳–۵۴ . وأنشد الرياشى من سره الدهر أن يرى الكبدا || يمشى على الأرض فلير الولدا فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقوَى اللّهِ أَيّ بُنَيّ وَ لُزُومِ أَمرِهِ وَ عِمَارَةِ قَلبِكَ بِذِكرِهِ وَ الِاعتِصَامِ بِحَبلِهِ وَ أَيّ سَبَبٍ أَوثَقُ مِن سَبَبٍ بَينَكَ وَ بَينَ اللّهِ إِن أَنتَ أَخَذتَ بِهِ أَحيِ قَلبَكَ بِالمَوعِظَةِ وَ أَمِتهُ بِالزّهَادَةِ وَ قَوّهِ بِاليَقِينِ وَ نَوّرهُ بِالحِكمَةِ وَ ذَلّلهُ بِذِكرِ المَوتِ وَ قَرّرهُ بِالفَنَاءِ وَ بَصّرهُ فَجَائِعَ الدّنيَا وَ حَذّرهُ صَولَةَ الدّهرِ وَ فُحشَ تَقَلّبِ اللّيَالِي وَ الأَيّامِ وَ اعرِض عَلَيهِ أَخبَارَ المَاضِينَ وَ ذَكّرهُ بِمَا أَصَابَ مَن كَانَ قَبلَكَ مِنَ الأَوّلِينَ وَ سِر فِي دِيَارِهِم وَ آثَارِهِم فَانظُر فِيمَا فَعَلُوا وَ عَمّا انتَقَلُوا وَ أَينَ حَلّوا وَ نَزَلُوا فَإِنّكَ تَجِدُهُم انتَقَلُوا عَنِ الأَحِبّةِ وَ حَلّوا دَارَ الغُربَةِ وَ كَأَنّكَ عَن قَلِيلٍ قَد صِرتَ كَأَحَدِهِم [صفحه ۶۳] فَأَصلِح مَثوَاكَ وَ لَا تَبِع آخِرَتَكَ بِدُنيَاكَ وَ دَعِ القَولَ فِيمَا لَا تَعرِفُ وَ الخِطَابَ فِيمَا لَم تُكَلّف وَ أَمسِك عَن طَرِيقٍ إِذَا خِفتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنّ الكَفّ عِندَ حَيرَةِ الضّلَالِ خَيرٌ مِن رُكُوبِ الأَهوَالِ قوله ع و أى سبب أوثق إشارة إلى القرآن لأنه هوالمعبر عنه بقوله تعالى وَ اعتَصِمُوا بِحَبلِ اللّهِ جَمِيعاً وَ لا تَفَرّقُوا. ثم أتى بلفظتين متقابلتين و ذلك من لطيف الصنعة فقال أحى قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة والمراد إحياء دواعيه إلى الطاعة وإماتة الشهوات عنه . قوله ع واعرض عليه أخبار الماضين معنى قدتداوله الناس قال الشاعر –قرآن–۷۷–۱۳۰ سل عن الماضين إن نطقت || عنهم الأجداث والترك أى دار للبلى نزلوا || وسبيل للردى سلكوا . قوله ع ودع القول فيما لاتعرف من قول رسول الله ص لعبد الله بن عمرو بن العاص يا عبد الله كيف بك إذابقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم وصار الناس هكذا وشبك بين أصابعه قال عبد الله فقلت مرنى يا رسول الله فقال خذ ماتعرف ودع ما لاتعرف وعليك بخويصة نفسك –روايت–۱–۲–روايت–۵۴–۲۵۶ . [صفحه ۶۴] قوله والخطاب فيما لم تكلف من قول رسول الله ص من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه –روايت–۱–۲–روايت–۲۶–۶۶ و قال معاوية فى عبدالملك بن مروان و هوحينئذ غلام إن لهذا الغلام لهمة وإنه مع ذلك تارك لثلاث آخذ بثلاث تارك مساءة الصديق جدا وهزلا تارك ما لايعنيه تارك ما لايعتذر منه آخذ بأحسن الحديث إذاحدث وبأحسن الاستماع إذاحدث وبأهون الأمرين إذاخولف . قوله ع وأمسك عن طريق إذاخفت ضلالته مأخوذ من قول النبى ص دع مايريبك إلى ما لايريبك –روايت–۱–۲–روايت–۱۷–۴۷ فى خبر آخر إذارابك أمر فدعه –روايت–۱–۲–روايت–۱۴–۳۴ وَ أمُر بِالمَعرُوفِ تَكُن مِن أَهلِهِ وَ أَنكِرِ المُنكَرَ بِيَدِكَ وَ لِسَانِكَ وَ بَايِن مَن فَعَلَهُ بِجُهدِكَ وَ جَاهِد فِي اللّهِ حَقّ جِهَادِهِ وَ لَا تَأخُذكَ فِي اللّهِ لَومَةُ لَائِمٍ وَ خُضِ الغَمَرَاتِ إِلَى الحَقّ حَيثُ كَانَ وَ تَفَقّه فِي الدّينِ وَ عَوّد نَفسَكَ الصّبرَ عَلَى المَكرُوهِ وَ نِعمَ الخُلُقُ التّصَبّرُ فِي الحَقّ وَ أَلجِئ نَفسَكَ فِي أُمُورِكَ كُلّهَا إِلَى إِلَهِكَ فَإِنّكَ تُلجِئُهَا إِلَى كَهفٍ حَرِيزٍ وَ مَانِعٍ عَزِيزٍ وَ أَخلِص فِي المَسأَلَةِ لِرَبّكَ فَإِنّ بِيَدِهِ العَطَاءَ وَ الحِرمَانَ وَ أَكثِرِ الِاستِخَارَةَ وَ تَفَهّم وَصِيّتِي وَ لَا تَذهَبَنّ عَنكَ صَفحاً فَإِنّ خَيرَ القَولِ مَا نَفَعَ وَ اعلَم أَنّهُ لَا خَيرَ فِي عِلمٍ لَا يَنفَعُ وَ لَا يُنتَفَعُ بِعِلمٍ لَا يَحِقّ تَعَلّمُهُ [صفحه ۶۵] أمره يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

وهما واجبان عندنا وأحد الأصول الخمسة التى هى أصول الدين . ومعنى قوله تكن من أهله لأن أهل المعروف هم الأبرار الصالحون ويجب إنكار المنكر باللسان فإن لم ينجع فباليد وتفصيل ذلك وترتيبه مذكور فى كتبى الكلامية. قوله وخض الغمرات إلى الحق لاشبهة أن الحسن ع لوتمكن لخاضها إلا أن من فقد الأنصار لاحيلة له . وهل ينهض البازى بغير جناح و ألذى خاضها مع عدم الأنصار هو الحسين ع ولهذا عظم عند الناس قدره فقدمه قوم كثير على الحسن ع فإن قلت فما قول أصحابكم فى ذلك قلت هما عندنا فى الفضيلة سيان أما الحسن فلوقوفه مع قوله تعالى إِلّا أَن تَتّقُوا و أما الحسين فلإعزاز الدين . قوله فنعم التصبر قدتقدم منا كلام شاف فى الصبر. و قوله وأكثر الاستخارة ليس يعنى بها مايفعله اليوم قوم من الناس من سطر رقاع وجعلها فى بنادق وإنما المراد أمره إياه بأن يطلب الخيرة من الله فيما يأتى ويذر. قوله لاخير فى علم لاينفع قول حق لأنه إذا لم ينفع كان عبثا. -قرآن-٢٠٦-٢٢٣ [صفحه ۶۶] قوله و لاينتفع بعلم لايحق تعلمه أى لايجب و لايندب إليه و ذلك لأن النفع إنما هونفع الآخرة فما لم يكن من العلوم مرغبا فيه إما بإيجاب أوندب فلاانتفاع به فى الآخرة و ذلك كعلم الهندسة والأرثماطيقى ونحوهما أَى بُنَيّ إِنّي لَمّا رأَيَتنُي قَد بَلَغتُ سِنّاً وَ رأَيَتنُيِ أَزدَادُ وَهناً بَادَرتُ بوِصَيِتّيِ إِلَيكَ وَ أَورَدتُ خِصَالًا مِنهَا قَبلَ أَن يَعجَلَ بيِ أجَلَيِ دُونَ أَن أُفضيَِ إِلَيكَ بِمَا فِي نفَسيِ أَو أَن أُنقَصَ فِي رأَييِ كَمَا نُقِصتُ فِي جسِميِ أَو يسَبقِنَيِ إِلَيكَ بَعضُ غَلَبَاتِ الهَوَى وَ فِتَنِ الدّنيَا فَتَكُونَ كَالصّعبِ النّفُورِ وَ إِنّمَا قَلبُ الحَدَثِ كَالأَرضِ الخَالِيَةِ مَا أُلقيَِ فِيهَا مِن شَيءٍ قَبِلَتهُ فَبَادَرتُكَ بِالأَدَبِ قَبلَ أَن يَقسُوَ قَلبُكَ وَ يَشتَغِلَ لُبّكَ لِتَستَقبِلَ بِجِدّ رَأيِكَ مِنَ الأَمرِ مَا قَد كَفَاكَ أَهلُ التّجَارِبِ بُغيَتَهُ وَ تَجرِبَتَهُ فَتَكُونَ قَد كُفِيتَ مَئُونَةَ الطّلَبِ وَ عُوفِيتَ مِن عِلَاجِ التّجرِبَةِ فَأَتَاكَ مِن ذَلِكَ مَا قَد كُنّا نَأتِيهِ وَ استَبَانَ لَكَ مَا رُبّمَا أَظلَمَ عَلَينَا مِنهُ هذه الوصية كتبها ع للحسن بعد أن تجاوز الستين وروى أنه ذكر عند رسول الله ص ما بين الستين والسبعين فقال معترك المنايا. قوله ع أو أن أنقص فى رأيى هذايدل على بطلان قول من قال إنه لايجوز أن ينقص فى رأيه و أن الإمام معصوم عن أمثال ذلك وكذلك قوله [صفحه ۶۷] للحسن أويسبقنى إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا يدل على أن الإمام لايجب أن يعصم عن غلبات الهوى و لا عن فتن الدنيا. قوله فتكون كالصعب النفور أى كالبعير الصعب ألذى لايمكن راكبا و هو مع ذلك نفور عن الأنس . ثم ذكر أن التعلم إنما هو فى الصبا و فى المثل الغلام كالطين يقبل الختم مادام رطبا. و قال الشاعر اختم وطينك رطب إن قدرت فكم || قدأمكن الختم أقواما فما ختموا . ومثل هو ع قلب الحدث بالأرض الخالية ماألقى فيها من شىءقبلته و كان يقال التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر والتعلم فى الكبر كالخط على الماء. قوله فأتاك من ذلك ماكنا نأتيه أى ألذى كنا نحن نتجشم المشقة فى اكتسابه ونتكلف طلبه يأتيك أنت الآن صفوا عفوا أَي بُنَيّ إِنّي وَ إِن لَم أَكُن عُمّرتُ عُمُرَ مَن كَانَ قبَليِ فَقَد نَظَرتُ فِي أَعمَالِهِم وَ فَكّرتُ فِي أَخبَارِهِم وَ سِرتُ فِي آثَارِهِم حَتّى عُدتُ كَأَحَدِهِم بَل كأَنَيّ بِمَا انتَهَى إلِيَّ مِن أُمُورِهِم قَد عُمّرتُ مَعَ أَوّلِهِم إِلَى آخِرِهِم فَعَرَفتُ صَفوَ ذَلِكَ مِن كَدَرِهِ وَ نَفعَهُ مِن ضَرَرِهِ فَاستَخلَصتُ لَكَ مِن كُلّ أَمرٍ جَلِيلَهُ وَ تَوَخّيتُ لَكَ [صفحه ۶۸] جَمِيلَهُ وَ صَرَفتُ عَنكَ مَجهُولَهُ وَ رَأَيتُ حَيثُ عنَاَنيِ مِن أَمرِكَ مَا يعَنيِ الوَالِدَ الشّفِيقَ وَ أَجمَعتُ عَلَيهِ مِن أَدَبِكَ أَن يَكُونَ ذَلِكَ وَ أَنتَ مُقبِلُ العُمُرِ وَ مُقتَبَلُ الدّهرِ ذُو نِيّةٍ سَلِيمَةٍ وَ نَفسٍ صَافِيَةٍ وَ أَن أَبتَدِئَكَ بِتَعلِيمِ كِتَابِ اللّهِ عَزّ وَ جَلّ وَ تَأوِيلِهِ وَ شَرَائِعِ الإِسلَامِ وَ أَحكَامِهِ وَ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ لَا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيرِهِ ثُمّ أَشفَقتُ أَن يَلتَبِسَ عَلَيكَ مَا اختَلَفَ النّاسُ فِيهِ مِن أَهوَائِهِم وَ آرَائِهِم مِثلَ ألّذِي التَبَسَ عَلَيهِم فَكَانَ إِحكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهتُ مِن تَنبِيهِكَ لَهُ أَحَبّ إلِيَّ مِن إِسلَامِكَ إِلَى أَمرٍ لَا آمَنُ عَلَيكَ فِيهِ الهَلَكَةَ وَ رَجَوتُ أَن يُوَفّقَكَ اللّهُ فِيهِ لِرُشدِكَ وَ أَن يَهدِيَكَ لِقَصدِكَ فَعَهِدتُ إِلَيكَ وَصِيّتِي هَذِهِ هذاالفصل و مابعده يشعر بالنهى عن علم الكلام حسب مايقتضيه ظاهر لفظه أ لاتراه قال له كنت عازما على أن أعلمك القرآن وتفسيره والفقه و هوالمعرفة بأحكام الشريعة و لاأجاوز ذلك بك إلى غيره ثم خفت أن تدخل عليك شبهة فى أصول الدين فيلتبس عليك فى عقيدتك الأصلية ماالتبس على غيرك من الناس فعدلت عن العزم الأول إلى أن أوصيك بوصايا تتعلق بأصول الدين

. ومعنى قوله ع و كان إحكام ذلك إلى قوله لاآمن عليك به الهلكة أى فكان إحكامى الأمور الأصلية عندك وتقرير الوصية التى أوصيك بها فى ذهنك فيما رجع إلى النظر فى العلوم الإلهية و إن كنت كارها للخوض معك [صفحه ۶۹] فيه وتنبيهك عليه أحب إلى من أن أتركك سدى مهملا تتلاعب بك الشبه وتعتورك الشكوك فى أصول دينك فربما أفضى ذلك بك إلى الهلكة. فإن قلت فلما ذا كان كارها تنبيه ولده على ذلك وأنتم تقولون إن معرفة الله واجبة على المكلفين و ليس يليق بأمير المؤمنين أن يكره ماأوجبه الله تعالى قلت لعله علم إما من طريق وصية رسول الله ص أو من طريق معرفته بما يصلح أن يكون لطفا لولده ومعرفته بما يكون مفسدة له لكثرة التجربة له وطول الممارسة لأخلاقه وطباعه أن الأصلح له ألا يخوض فى علم الكلام الخوض الكلى و أن يقتنع بالمبادئ والجمل فمصالح البشر تختلف فرب إنسان مصلحته فى أمر ذلك الأمر بعينه مفسدة لغيره ونحن و إن أوجبنا المعرفة فلم نوجب منها إلاالأمور المجملة و أماالتفصيلات الدقيقة الغامضة فلاتجب إلا عندورود الشبهة فإذا لم تقع الشبهة فى نفس المكلف لم يجب عليه الخوض فى التفصيلات . قوله ع قدعمرت مع أولهم إلى آخرهم العين مفتوحة والميم مكسورة مخففة تقول عمر الرجل يعمر عمرا وعمرا على غيرقياس لأن قياس مصدره التحريك أى عاش زمانا طويلا واستعمل فى القسم أحدهما فقط و هوالمفتوح . قوله ع حيث عنانى من أمرك أى أهمنى قال عنانى من صدودك ماعنا قوله وأجمعت عليه أى عزمت . ومقتبل الدهر يقال اقتبل الغلام فهو مقتبل بالفتح و هو من الشواذ ومثله أحصن الرجل إذاتزوج فهو محصن و إذاعف فمحصن أيضا وأسهب إذاأطال الحديث فهو مسهب وألفج إذاافتقر فهو ملفج وينبغى أن يكون له من قوله تنبيهك له بمعنى [صفحه ۷۰] عليه أوتكون على أصلها أى ماكرهت تنبيهك لأجله . فإن قلت إلى الآن مافسرت لماذا كره تنبيهه على هذاالفن قلت بلى قدأشرت إليه و هو أنه كره أن يعدل به عن تفسير القرآن وعلم الفقه إلى الخوض فى الأمور الأصولية فنبهه على أمور يجره النظر وتأمل الأدلة والشبهات إليها دقيقة يخاف على الإنسان من الخوض فيها أن تضطرب عقيدته إلا أنه لم يجد به بدا من تنبيهه على أصول الديانة و إن كان كارها لتعريضه لخطر الشبهة فنبهه على أمور جملية غيرمفصلة وأمره أن يلزم ذلك و لايتجاوزه إلى غيره و أن يمسك عما يشتبه عليه وسيأتى ذكر ذلك وَ اعلَم يَا بُنَيّ أَنّ أَحَبّ مَا أَنتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيّ مِن وَصِيّتِي تَقوَى اللّهِ وَ الِاقتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللّهُ عَلَيكَ وَ الأَخذُ بِمَا مَضَى عَلَيهِ الأَوّلُونَ مِن آبَائِكَ وَ الصّالِحُونَ مِن أَهلِ بَيتِكَ فَإِنّهُم لَم يَدَعُوا أَن نَظَرُوا لِأَنفُسِهِم كَمَا أَنتَ نَاظِرٌ وَ فَكّرُوا كَمَا أَنتَ مُفَكّرٌ ثُمّ رَدّهُم آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الأَخذِ بِمَا عَرَفُوا وَ الإِمسَاكِ عَمّا لَم يُكَلّفُوا فَإِن أَبَت نَفسُكَ أَن تَقبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَن تَعلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَليَكُن طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهّمٍ وَ تَعَلّمٍ لَا بِتَوَرّطِ الشّبُهَاتِ وَ عُلَقِ الخُصُومَاتِ وَ ابدَأ قَبلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاستِعَانَةِ بِإِلَهِكَ وَ الرّغبَةِ إِلَيهِ فِي تَوفِيقِكَ وَ تَركِ كُلّ شَائِبَةٍ أَولَجَتكَ فِي شُبهَةٍ أَو أَسلَمَتكَ إِلَى ضَلَالَةٍ فَإِن أَيقَنتَ أَن قَد صَفَا قَلبُكَ فَخَشَعَ وَ تَمّ رَأيُكَ فَاجتَمَعَ وَ كَانَ هَمّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً فَانظُر فِيمَا فَسّرتُ لَكَ وَ إِن أَنتَ لَم يَجتَمِع لَكَ مَا تُحِبّ مِن نَفسِكَ وَ فَرَاغِ نَظَرِكَ وَ فِكرِكَ [صفحه ۷۱] فَاعلَم أَنّكَ إِنّمَا تَخبِطُ العَشوَاءَ وَ تَتَوَرّطُ الظّلمَاءَ وَ لَيسَ طَالِبُ الدّينِ مَن خَبَطَ أَو خَلَطَ وَ الإِمسَاكُ عَن ذَلِكَ أَمثَلُ أمره أن يقتصر على القيام بالفرائض و أن يأخذ بسنة السلف الصالح من آبائه و أهل بيته فإنهم لم يقتصروا على التقليد بل نظروا لأنفسهم وتأملوا الأدلة ثم رجعوا آخر الأمر إلى الأخذ بما عرفوا والإمساك عما لم يكلفوا. فإن قلت من سلفه هؤلاء الذين أشار إليهم قلت المهاجرون الأولون من بنى هاشم وبنى المطلب كحمزة و جعفر والعباس وعبيدة بن الحارث وكأبى طالب فى قول الشيعة وكثير من أصحابنا وكعبد المطلب فى قول الشيعة خاصة. فإن قلت فهل يكون أمير المؤمنين ع نفسه معدودا من جملة هؤلاء قلت لافإنه لم يكن من أهل المبادئ والجمل المقتصر بهم فى تكليفهم العقليات على أوائل الأدلة بل كان سيد أهل النظر كافة وإمامهم . فإن قلت مامعنى قوله لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم قلت لأنهم إذاتأملوا الأدلة وفكروا فيهافقد نظروا لأنفسهم كماينظر الإنسان لنفسه ليخلصها من مضرة عظيمة سبيلها أن تقع به إن لم ينظر فى الخلاص منها و هذا هوالوجه فى وجوب النظر فى طريق معرفة الله والخوف من إهمال

النظر. فإن قلت مامعنى قوله إلى الأخـذ بما عرفوا والإمساك عما لم يكلفوا [صـفحه ٧٢] قلت الأخذ بما عرفوا مثل أدلة حدوث الأجسام وتوحيـد البارئ وعـدله والإمساك عما لم يكلفوا مثل النظر فى إثبات الجزء ألـذى لايتجزأ ونفيه ومثل الكلام فى الخلإ والملإ والكلام فى أن هل بين كل حركتين مستقيمتين سكون أم لا وأمثال ذلك مما لايتوقف أصول التوحيد والعدل عليه فإنه لا يلزم أصحاب الجمل والمبادئ أن يخوضوا فى ذلك لأنهم لم يكلفوا الخوض فيه و هو من وظيفة قوم آخرين . قوله ع فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كماعلموا هذاالموضع فيه نظر لأنا قدقلنا إنهم لم يعلموا التفاصيل الدقيقة فكيف يجعلهم عالمين بها و يقول أن تعلم كماعلموا وينبغى أن يقال إن الكاف و ماعملت فيه فى موضع نصب لأنه صفة مصدر محذوف وتقديره فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك علما كماعلموا دون أن تعلم التفاصيل الدقيقة وجاز انتصاب علما والعامل فيه تقبل لأن القبول من جنس العلم لأن القبول اعتقاد والعلم اعتقاد و ليس لقائل أن يقول فإذن يكون قدفصل بين الصفة والموصوف بأجنبى لأن الفصل بينهما قدجاء كثيرا قال الشاعر جزى الله كفا ملئها من سعادة || سرت فى هلاك المال والمال نائم ويجوز أن يقال كماعلموا الآن بعدموتهم فإنهم بعدالموت يكونون عالمين بجميع مايشتبه علمه على الناس فى الحياة الدنيا لأن المعارف ضرورية بعدالموت والنفوس باقية على قول كثير من المسلمين وغيرهم . واعلم أن ألـذى يدعو إلى تكلف هذه التأويلات أن ظاهر الكلام كونه يأمر بتقليد النبى ص والأخذ بما فى القرآن وترك النظر العقلى هذا هوظاهر الكلام أ لاتراه كيف يقول له الاقتصار على مافرضه الله عليك والأخذ بما مضى عليه أهل [صفحه ٧٣] بيتك وسلفك فإنهم لماحاولوا النظر رجعوا بأخرة إلى السمعيات وتركوا العقليات لأنها أفضت بهم إلى ما لا يعرفونه و لا هو من تكليفهم . ثم قال له فإن كرهت التقليد المحض وأحببت أن تسلك مسلكهم فى النظر و إن أفضى بك الأمر بأخرة إلى تركه والعود إلى المعروف من الشرعيات و ماورد به الكتاب والسنة فينبغى أن تنظر و أنت مجتمع الهم خال من الشبهة وتكون طالبا للحق غيرقاصد إلى الجدل والمراء فلما وجدنا ظاهر اللفظ يقتضى هذه المعانى و لم يجز عندنا أن يأمر أمير المؤمنين ع ولده مع حكمته وأهلية ولده بالتقليد وترك النظر رجعنا إلى تأويل كلامه على وجه يخرج به ع من أن يأمر بما لايجوز لمثله أن يأمر به . واعلم أنه قدأوصاه إذاهم بالشروع فى النظر بمحض ماذكره المتكلمون و ذلك أمور منها أن يرغب إلى الله فى توفيقه وتسديده . ومنها أن يطلب المطلوب النظرى بتفهم وتعلم لابجدال ومغالبة ومراء ومخاصمة. ومنها إطراح العصبية لمذهب بعينه والتورط فى الشبهات التى يحاول بهانصره ذلك المذهب . ومنها ترك الإلف والعادة ونصرة أمر يطلب به الرئاسة و هوالمعنى بالشوائب التى تولج فى الضلال . ومنها أن يكون صافى القلب مجتمع الفكر غيرمشغول السر بأمر من جوع [صفحه ٧٤] أوشبع أوشبق أوغضب و لا يكون ذا هموم كثيرة وأفكار موزعة مقسمة بل يكون فكره وهمه هما واحدا. قال فإذااجتمع لك كل ذلك فانظر و إن لم يجتمع لك ذلك ونظرت كنت كالناقة العشواء الخابطة لاتهتدى وكمن يتورط فى الظلماء لا يعلم أين يضع قدمه و ليس طالب الدين من كان خابطا أوخالطا والإمساك عن ذلك أمثل وأفضل فَتَفَهّم يَا بُنَيّ وَصِيّتِي وَ اعلَم أَنّ مَالِكَ المَوتِ هُوَ مَالِكُ الحَيَاةِ وَ أَنّ الخَالِقَ هُوَ المُمِيتُ وَ أَنّ المُفنِيَ هُوَ المُعِيدُ وَ أَنّ المُبتَلِيَ هُوَ المُعَافِي وَ أَنّ الدّنيَا لَم تَكُن لِتَستَقِرّ إِلّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللّهُ عَلَيهِ مِنَ النّعمَاءِ وَ الِابتِلَاءِ وَ الجَزَاءِ فِي المَعَادِ أَو مَا شَاءَ مِمّا لَا تَعلَمُ فَإِن أَشكَلَ عَلَيكَ شَيءٌ مِن ذَلِكَ فَاحمِلهُ عَلَى جَهَالَتِكَ فَإِنّكَ أَوّلُ مَا خُلِقتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمّ عُلّمتَ وَ مَا أَكثَرَ مَا تَجهَلُ مِنَ الأَمرِ وَ يَتَحَيّرُ فِيهِ رَأيُكَ وَ يَضِلّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمّ تُبصِرُهُ بَعدَ ذَلِكَ قدتعلق بهذه اللفظة و هو قوله أو ماشاء مما لاتعلم قوم من التناسخية وقالوا المعنى بهاالجزاء فى الهياكل التى تنتقل النفوس إليها و ليس ماقالوه بظاهر ويجوز أن يريد ع أن الله تعالى قديجازى المذنب فى الدنيا بنوع من العقوبة كالأسقام والفقر وغيرهما والعقاب و إن كان مفعولا على وجه الاستحقاق والإهانة فيجوز لمستحقه و هوالبارى [صفحه ٧٥] أن يقتصر منه على الإيلام فقط لأن الجميع حقه فله أن يستوفى البعض ويسقط البعض و قدروى أوبما شاء بالباء الزائدة وروى بما لايعلم و أماالثواب فلايجوز أن يجازى به المحسن فى

الدنيا لأنه على صفة لايمكن أن تجامع التكليف فيحمل لفظ الجزاء على جزاء العقاب خاصة. ثم أعاد ع وصيته الأولى فقال و إن أشكل عليك شىء من أمر القضاء والقدر و هوكون الكافر مخصوصا بالنعماء والمؤمن مخصوصا بضرب من الابتلاء وكون الجزاء قد يكون فى المعاد و قد يكون فى غيرالمعاد فلاتقدحن جهالتك به فى سكون قلبك إلى ماعرفتك جملته و هو أن الله تعالى هوالمحيى المميت المفنى المعيد المبتلى المعافى و أن الدنيا بنيت على الابتلاء والأنعام وأنهما لمصالح وأمور يستأثر الله تعالى بعلمها و أنه يجازى عباده إما فى الآخرة أو غيرالآخرة على حسب مايريده ويختاره . ثم قال له إنما خلقت فى مبدإ خلقتك جاهلا ـ فلاتطلبن نفسك غاية من العلم لاوصول لها إليها أولها إليها وصول بعدأمور صعبة ومتاعب شديدة فمن خلق جاهلا حقيق أن يكون جهله مدة عمره أكثر من علمه استصحابا للأصل . ثم أراد أن يؤنسه بكلمة استدرك بهاإيحاشه فقال له وعساك إذاجهلت شيئا من ذلك أن تعلمه فيما بعدفما أكثر ماتجهل من الأمور وتتحير فيه ثم تبصره وتعرفه و هذا من الطب اللطيف والرقى الناجعة والسحر الحلال [صفحه ٧٦] فَاعتَصِم بِالّذِي خَلَقَكَ وَ رَزَقَكَ وَ سَوّاكَ فَليَكُن لَهُ تَعَبّدُكَ وَ إِلَيهِ رَغبَتُكَ وَ مِنهُ شَفَقَتُكَ وَ اعلَم يَا بُنَيّ أَنّ أَحَداً لَم يُنبِئ عَنِ اللّهِ سُبحَانَهُ كَمَا أَنبَأَ عَلَيهِ نَبِيّنَاص فَارضَ بِهِ رَائِداً وَ إِلَى النّجَاةِ قَائِداً فإَنِيّ لَم آلُكَ نَصِيحَةً وَ إِنّكَ لَن تَبلُغَ فِي النّظَرِ لِنَفسِكَ وَ إِنِ اجتَهَدتَ مَبلَغَ نَظَرِي لَكَ عاد إلى أمره باتباع الرسول ص و أن يعتمد على السمع و ماوردت به الشريعة ونطق به الكتاب و قال له إن أحدا لم يخبر عن الله تعالى كماأخبر عنه نبيناص وصدق ع فإن التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب أنبياء بنى إسرائيل لم تتضمن من الأمور الإلهية ماتضمنه القرآن وخصوصا فى أمر المعاد فإنه فى أحد الكتابين مسكوت عنه و فى الآخر مذكور ذكرا مضطربا و ألذى كشف هذاالقناع فى هذاالمعنى وصرح بالأمر هوالقرآن ثم ذكر له أنه أنصح له من كل أحد و أنه ليس يبلغ و إن اجتهد فى النظر لنفسه مايبلغه هو ع له لشدة حبه له وإيثاره مصلحته و قوله لم آلك نصحا لم أقصر فى نصحك ألى الرجل فى كذا يألو أى قصر فهو آل والفعل لازم ولكنه حذف اللام فوصل الفعل إلى الضمير فنسبه و كان أصله لاآلو لك نصحا ونصحا منصوب على التميز و ليس كماقاله الراوندى إن انتصابه على أنه مفعول ثان فإنه إلى مفعول واحد لايتعدى فكيف إلى اثنين [صفحه ٧٧] و يقول هذه امرأة آلية أى مقصرة وجمعها أوال و فى المثل إلاحظية فلاألية أصله فى المرأة تصلف عندبعلها فتوصى حيث فاتتها الحظوة ألا تألوه فى التودد إليه والتحبب إلى قلبه . قوله و منه شفقتك أى خوفك . ورائد أصله الرجل يتقدم القوم فيرتاد بهم المرعى وَ اعلَم يَا بُنَيّ أَنّهُ لَو كَانَ لِرَبّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتكَ رُسُلُهُ وَ لَرَأَيتَ آثَارَ مِلكِهِ وَ سُلطَانِهِ وَ لَعَرَفتَ أَفعَالَهُ وَ صِفَاتَهُ وَ لَكِنّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفسَهُ لَا يُضَادّهُ فِي مُلكِهِ أَحَدٌ وَ لَا يَزُولُ أَبَداً وَ لَم يَزَل أَوّلٌ قَبلَ الأَشيَاءِ بِلَا أَوّلِيّةٍ وَ آخِرٌ بَعدَ الأَشيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ عَظُمَ أَن تُثبَتَ رُبُوبِيّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلبٍ أَو بَصَرٍ فَإِذَا عَرَفتَ ذَلِكَ فَافعَل كَمَا يَنبَغِي لِمِثلِكَ أَن يَفعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ وَ قِلّةِ مَقدِرَتِهِ وَ كَثرَةِ عَجزِهِ وعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ وَ الرّهبَةِ مِن عُقُوبَتِهِ وَ الخَشيَةِ مِن عُقُوبَتِهِ وَ الشّفَقَةِ مِن سُخطِهِ فَإِنّهُ لَم يَأمُركَ إِلّا بِحَسَنٍ وَ لَم يَنهَكَ إِلّا عَن قَبِيحٍ يمكن أن يستدل بهذا الكلام على نفى الثانى من وجهين أحدهما أنه لو كان فى الوجود ثان للبارئ تعالى لما كان القول بالوحدانية حقا بل كان الحق هوالقول بالتثنية ومحال ألا يكون ذلك الثانى حكيما و لو كان الحق هو [صفحه ٧٨] إثبات ثان حكيم لوجب أن يبعث رسولا يدعو المكلفين إلى التثنية لأن الأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد لكن التوحيد على هذاالفرض ضلال فيجب على الثانى الحكيم أن يبعث من ينبه المكلفين على ذلك الضلال ويرشدهم إلى الحق و هوإثبات الثانى و إلا كان منسوبا فى إهمال ذلك إلى السفه واستفساد المكلفين و ذلك لايجوز ولكنا ماأتانا رسول يدعو إلى إثبات ثان فى الإلهية فبطل كون القول بالتوحيد ضلالا و إذا لم يكن ضلالا كان حقا فنقيضه و هوالقول بإثبات الثانى باطل الوجه الثانى أنه لو كان فى الوجود ثان للقديم تعالى لوجب أن يكون لنا طريق إلى إثباته إما من مجرد أفعاله أو من صفات أفعاله أو من صفات نفسه أو لا من هذا و لا من هذافمن التوقيف . و هذه هى الأقسام التى ذكرها أمير المؤمنين ع لأن قوله أتتك رسله هوالتوقيف و قوله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه هى صفات

أفعاله و قوله ولعرفت أفعاله وصفاته هما القسمان الآخران . أماإثبات الثانى من مجرد الفعل فباطل لأن الفعل إنما يدل على فاعل و لايـدل على التعـدد و أماصـفات أفعاله وهى كون أفعاله محكمة متقنة فإن الأحكام ألذى نشاهده إنما يدل على عالم و لايدل على التعـدد و أماصـفات ذات البارئ فالعلم بهافرع على العلم بـذاته فلو أثبتنا ذاته بهالزم الـدور. و أماالتوقيف فلم يأتنا رسول ذو معجزة صـحيحة يـدعونا إلى الثـانى و إذابطلت الأقسـام كلهـا و قـدثبت أن ما لاطريق إلى إثباته لايجوز إثباته بطل القول بإثبات الثانى. ثم قال لايضاده فى ملكه أحـد ليس يريـد بالضـد مايريـده المتكلمون من نفى ذات هى معاكسـة لـذات البارئ تعالى فى صفاتهـا كمضادة السواد للبياض بل مراده نفى الثانى لا غير فإن نفى الضـد بحث آخر لادخول له بين هـذاالكلام . [صـفحه ۷۹] ثم ذكر له أن البارئ تعالى قـديم سابق للأشـياء لاسـبقا له حـد محـدود وأول معين بل لاأول له مطلقا. ثم قال و هو مع هـذاآخر الأشـياء آخريـة مطلقـة ليس تنتهى إلى غايـة معينـة. ثم ذكر أن له ربوبيـة جلت عن أن تحيط بهاالأبصار والعقول . و قدسـبق منا خوض فى هـذاالمعنى وذكرنـا من نظمنا فى هـذاالنمط أشـياء لطيفـة ونحن نـذكر هاهنا من نظمنا أيضا فى هـذاالمعنى و فى فننا ألـذى اشـتهرنا به و هوالمناجاة والمخاطبـة على طريقـة أرباب الطريقـة ما لم نذكره هناك فمن ذاك قولى فلا و الله ماوصل ابن سينا || و لاأغنى ذكاء أبى الحسـين و لارجعا بشـىء بعـدبحث || وتدقيق سوى خفى حنين لقد طوفت أطلبكم ولكن || يحول الوقت بينكم وبينى فهل بعدانقضاء الوقت أحظى || بوصـلكم غدا وتقر عينى منى عشنا بهازمنا وكانت || تسوفنا بصدق أوبمين فإن أكـدت فـذاك ضـياع دينى || و إن أجـدت فذاك حلول دينى . ومنها أمولاى قدأحرقت قلبى فلاتكن || غدا محرقا بالنار من كان يهواكا أتجمع لى نارين نار محبة || ونار عذاب أنت أرحم من ذاكا . ومنها قوم موسـى تاهوا سـنين كما قد || جاء فى النص قدرها أربعونا و لى اليوم تائها فى جوى من || لاأسمى وحبه خمسونا قل لأحبابنا إلام نروم || الوصل منكم وأنتم تمنعونا [صـفحه ۸۰] كم نـاجيكم فلاترشـدونا || ونـناديكم فلاتسـمعونا حسـبنا علمكم بأنـا مواليكم || و إن كنتم لنـا كارهينا فعسـى تدرك السـعادة أرباب || المعاصى فيصبحوا فائزينا . ومنها و الله ماآسى من الدنيا على || مال و لاولد و لاسلطان بل فى صميم القلب منى حسـرة || تبقى معى وتلف فى أكفـانى إنى أراك ببـاطنى لاظاهرى || فـالحسن مشـغلة عن العرفـان يـا من سـهرت مفكرا فى أمره || خمسـين حولا دائم الجولان فرجعت أحمق من نعامة بيهس || وأضل سعيا من أبى غبشان . ومنها وحقك إن أدخلتنى النار قلت || للـذين بها قدكنت ممن أحبه وأفنيت عمرى فى علوم دقيقة || و مابغيتى إلارضاه وقربه هبونى مسيئا أوتغ الحلم جهله || وأوبقه بين البريـة ذنبه أ مايقتضـى شـرع التكرم عتقه || أيحسن أن ينسـى هـواه وحبه أ مـا كـان ينوى الحق فيما يقوله || أ لم تنصـر التوحيد والعدل كتبه أ مارد زيغ ابن الخطيب وشكه || وإلحاده إذ جل فى الدين خطبه أ ماقلتم من كان فينا مجاهـدا || سـيكرم مثواه ويعـذب شـربه ونهديه سـبلا من هدانا جهاده || ويدخله خير المداخل كسبه فأى اجتهاد فوق ما كان صانعا || و قدأحرقت زرق الشـياطين شـهبه و مانال قلب الجيش جيش محمد || كمانال من أهل الضلالة قلبه [صفحه ۸۱] فإن تصفحوا يغنم و إن تتجرموا || فتعذيبكم حلو المذاقة عذبه وآية صدق الصب أن يعذب الأذى || إذ كان من يهوى عليه يصبه . ومنهـا إذافكرت فيك يحار عقلى || وألحق بالمجانين الكبار وأصـحو تارة فيشوب ذهنى || ويقـدح خاطرى كشواظ نار فيا من تـاهت العقلاء فيه || فأمسوا كلهم صـرعى عقار و يا من كاعت الأفكار عنه || فآبت بالمتاعب والخسار و يا من ليس يعلمه نبى || و لاملك و لايدريه دار و يا من ليس قداما وخلفا || و لاجهة اليمين و لااليسار و لافوق السماء و لاتدلى || من الأرضين فى لجج البحار و يا من أمره من ذاك أجلى || من ابن ذكاء أوصبح النهار سألتك باسمك المكتوم إلا || فككت النفس من رق الإسـار وجـدت لهـا بمـا تهوى فأنت || العليم بباطن اللغز الضـمار . ومنها يارب إنك عالم || بمحبتى لك واجتهادى وتجردى للـذب عنك || على مراغمـة الأعادى بالعـدل والتوحيـد أصـدع || معلنا فى كل نادى وكشـفت زيغ ابن الخطيب || ولبسه بين العبـاد ونقضت سائر مابناه || من الضـلالة والفساد [صـفحه ۸۲] وأبنت عن إغوائه || فى دين أحمـدذى الرشـاد وجعلت أوجه

ناصريه || محممات بالسواد وكففت من غلوائهم || بعدالتمرد والعناد فكأنما نخل الرماد || عليهم بعدالرماد وقصدت وجهك أبتغى || حسن المثوبة فى المعاد فأفض على العبد الفقير || إليكم نور السداد وارزقه قبل الموت || معرفة المصائر والمبادى وافكك أسير الحرص || باللأصفاد من أسر الصفاد واغسل بصفو القرب من || أبوابكم كدر البعاد وأعضه من حر الغليل || بوصلكم برد الفؤاد وارحم عيونا فيك || هامية وقلبا فيك صاد ياساطح الأرض المهاد || وممسك السبع الشداد يَا بُنَيّ إِنِّي قَد أَنبَأتُكَ عَنِ الدّنيَا وَ حَالِهَا وَ زَوَالِهَا وَ انتِقَالِهَا وَ أَنبَأتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَ مَا أُعِدّ لِأَهلِهَا وَ ضَرَبتُ لَكَ فِيهِمَا الأَمثَالَ لِتَعتَبِرَ بِهَا وَ تَحذُوَ عَلَيهَا إِنّمَا مَثَلُ مَن خَبَرَ الدّنيَا كَمَثَلِ قَومٍ سَفرٍ نَبَا بِهِم مَنزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمّوا مَنزِلًا خَصِيباً وَ جَنَاباً مَرِيعاً فَاحتَمَلُوا وَعثَاءَ الطّرِيقِ وَ فِرَاقَ الصّدِيقِ وَ خُشُونَةَ السّفَرِ وَ جُشُوبَةَ المَطعَمِ لِيَأتُوا سَعَةَ دَارِهِم وَ مَنزِلَ قَرَارِهِم فَلَيسَ يَجِدُونَ لِشَيءٍ مِن ذَلِكَ أَلَماً وَ لَا يَرَونَ نَفَقَةً فِيهِ مَغرَماً وَ لَا شَيءَ أَحَبّ إِلَيهِم مِمّا قَرّبَهُم مِن مَنزِلِهِم [صفحه ۸۳] وَ أَدنَاهُم إِلَى مَحَلّتِهِم وَ مَثَلُ مَنِ اغتَرّ بِهَا كَمَثَلِ قَومٍ كَانُوا بِمَنزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِم إِلَى مَنزِلٍ جَدِيبٍ فَلَيسَ شَيءٌ أَكرَهَ إِلَيهِم وَ لَا أَفظَعَ عِندَهُم مِن مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهجُمُونَ عَلَيهِ وَ يَصِيرُونَ إِلَيهِ حذا عليه يحذو واحتذى مثاله يحتذى أى اقتدى به وقوم سفر بالتسكين أى مسافرون . وأموا قصدوا والمنزل الجديب ضد المنزل الخصيب . والجناب المريع بفتح الميم ذو الكلإ والعشب و قدمرع الوادى بالضم . والجناب الفناء ووعثاء الطريق مشقتها. وجشوبة المطعم غلظه طعام جشيب ومجشوب ويقال إنه ألذى لا أدم معه . يقول مثل من عرف الدنيا وعمل فيهاللآخرة كمن سافر من منزل جدب إلى منزل خصيب فلقى فى طريقه مشقة فإنه لايكترث بذلك فى جنب مايطلب وبالعكس من عمل للدنيا وأهمل أمر الآخرة فإنه كمن يسافر إلى منزل ضنك ويهجر منزلا رحيبا طيبا و هذا من قول رسول الله ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۵۴ [صفحه ۸۴] يَا بُنَيّ اجعَل نَفسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَينَكَ وَ بَينَ غَيرِكَ فَأَحبِب لِغَيرِكَ مَا تُحِبّ لِنَفسِكَ وَ اكرَه لَهُ مَا تَكرَهُ لَهَا وَ لَا تَظلِم كَمَا لَا تُحِبّ أَن تُظلَمَ وَ أَحسِن كَمَا تُحِبّ أَن يُحسَنَ إِلَيكَ وَ استَقبِح مِن نَفسِكَ مَا تَستَقبِحُهُ مِن غَيرِكَ وَ ارضَ مِنَ النّاسِ بِمَا تَرضَاهُ لَهُم مِن نَفسِكَ وَ لَا تَقُل مَا لَا تَعلَمُ وَ إِن قَلّ مَا تَعلَمُ وَ لَا تَقُل مَا لَا تُحِبّ أَن يُقَالَ لَكَ وَ اعلَم أَنّ الإِعجَابَ ضِدّ الصّوَابِ وَ آفَةُ الأَلبَابِ فَاسعَ فِي كَدحِكَ وَ لَا تَكُن خَازِناً لِغَيرِكَ وَ إِذَا أَنتَ هُدِيتَ لِقَصدِكَ فَكُن أَخشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبّكَ جاء فى الحديث المرفوع لايكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه ويكره لأخيه مايكره لنفسه -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۱۰۵ و قال بعض الأسارى لبعض الملوك افعل معى ماتحب أن يفعل الله معك فأطلقه و هذا هومعنى قوله ع و لاتظلم كما لاتحب أن تظلم . و قوله وأحسن من قول الله تعالى وَ أَحسِن كَما أَحسَنَ اللّهُ إِلَيكَ. و قوله واستقبح من نفسك سئل الأحنف عن المروءة فقال أن تستقبح من نفسك ماتستقبحه من غيرك وروى وارض من الناس لك وهى أحسن . و أماالعجب و ماورد فى ذمة فقد قدمنا فيه قولا مقنعا. -قرآن-۱۷۰-۲۰۶ [صفحه ۸۵] قوله ع واسع فى كدحك أى أذهب مااكتسبت بالإنفاق والكدح هاهنا هوالمال ألذى كدح فى حصوله والسعى فيه إنفاقه و هذه كلمة فصيحة و قدتقدم نظائر قوله و لاتكن خازنا لغيرك . ثم أمره أن يكون أخشع ما يكون لله إذ هداه لرشده و ذلك لأن هدايته إياه إلى رشده نعمة عظيمة منه فوجب أن يقابل بالخشوع لأنه ضرب من الشكر وَ اعلَم أَنّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ وَ مَشَقّةٍ شَدِيدَةٍ وَ أَنّهُ لَا غِنَى بِكَ فِيهِ عَن حُسنِ الِارتِيَادِ وَ قَدرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزّادِ مَعَ خِفّةِ الظّهرِ فَلَا تَحمِلَنّ عَلَى ظَهرِكَ فَوقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيكَ وَ إِذَا وَجَدتَ مِن أَهلِ الفَاقَةِ مَن يَحمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيثُ تَحتَاجُ إِلَيهِ فَاغتَنِمهُ وَ حَمّلهُ إِيّاهُ وَ أَكثِر مِن تَزوِيدِهِ وَ أَنتَ قَادِرٌ عَلَيهِ فَلَعَلّكَ تَطلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ وَ اغتَنِم مَنِ استَقرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَومِ عُسرَتِكَ وَ اعلَم أَنّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَئُوداً المُخِفّ فِيهَا أَحسَنُ حَالًا مِنَ المُثقِلِ وَ المُبطِئُ عَلَيهَا أَقبَحُ أَمراً مِنَ المُسرِعِ وَ أَنّ مَهبِطَهَا بِكَ لَا مَحَالَةَ إِمّا عَلَى جَنّةٍ أَو عَلَى نَارٍ فَارتَد لِنَفسِكَ قَبلَ نُزُولِكَ وَ وَطّئِ المَنزِلَ قَبلَ حُلُولِكَ فَلَيسَ بَعدَ المَوتِ مُستَعتَبٌ وَ لَا إِلَى الدّنيَا مُنصَرَفٌ [صفحه ۸۶] أمره فى هذاالفصل بإنفاق المال والصدقة والمعروف فقال إن بين يديك

طريقا بعيد المسافة شديد المشقة و من سلك طريقا فلاغنى له عن أن يرتاد لنفسه ويتزود من الزاد قدر مايبلغه الغاية و أن يكون خفيف الظهر فى سفره ذلك فإياك أن تحمل من المال مايثقلك و يكون وبالا عليك و إذاوجدت من الفقراء والمساكين من يحمل ذلك الثقل عنك فيوافيك به غدا وقت الحاجة فحمله إياه فلعلك تطلب مالك فلاتجده جاء فى الحديث المرفوع خمس من أتى الله بهن أوبواحدة منهن أوجب له الجنة من سقى هامة صادية أوأطعم كبدا هافية أوكسا جلدة عارية أوحمل قدما حافية أوأعتق رقبة عانية -روايت-١-٢-روايت-٢٦-١٧١ قيل لحاتم الأصم لوقرأت لنا شيئا من القرآن قال نعم فاندفع فقرألم ذلِكَ الكِتابُ لا رَيبَ فِيهِ هُدىً لِلمُتّقِينَ الّذِينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيبِ وَ يُقِيمُونَ الصّلاةَ وَ مِمّا رَزَقناهُم يُنفِقُونَيكنزون فقالوا أيها الشيخ ماهكذا أنزل قال صدقتم ولكن هكذا أنتم -قرآن-٦٩-٢٠٥ وَ اعلَم أَنّ أَلّذِى بِيَدِهِ خَزَائِنُ السّمَاوَاتِ وَ الأَرضِ قَد أَذِنَ لَكَ فِى الدّعَاءِ وَ تَكَفّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَن تَسأَلَهُ لِيُعطِيَكَ وَ تَستَرحِمَهُ لِيَرحَمَكَ وَ لَم يَجعَل بَينَهُ وَ بَينَكَ مَن يَحجُبُكَ عَنهُ وَ لَم يُلجِئكَ إِلَى مَن يَشفَعُ لَكَ إِلَيهِ [صفحه ٨٧] وَ لَم يَمنَعكَ إِن أَسَأتَ مِنَ التّوبَةِ وَ لَم يُعَاجِلكَ بِالنّقمَةِ وَ لَم يَفضَحكَ حَيثُ تَعَرّضتَ لِلفَضِيحَةِ وَ لَم يُشَدّد عَلَيكَ فِى قَبُولِ الإِنَابَةِ وَ لَم يُنَاقِشكَ بِالجَرِيمَةِ وَ لَم يُؤيِسكَ مِنَ الرّحمَةِ بَل جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذّنبِ حَسَنَةً وَ حَسَبَ سَيّئَتَكَ وَاحِدَةً وَ حَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشراً وَ فَتَحَ لَكَ بَابَ المَتَابِ وَ بَابَ الِاستِعتَابِ فَإِذَا نَادَيتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ وَ إِذَا نَاجَيتَهُ عَلِمَ نَجوَاكَ فَأَفضَيتَ إِلَيهِ بِحَاجَتِكَ وَ أَبثَثتَهُ ذَاتَ نَفسِكَ وَ شَكَوتَ إِلَيهِ هُمُومَكَ وَ استَكشَفتَهُ كُرُوبَكَ وَ استَعَنتَهُ عَلَى أُمُورِكَ وَ سَأَلتَهُ مِن خَزَائِنِ رَحمَتِهِ مَا لَا يَقدِرُ عَلَى إِعطَائِهِ غَيرُهُ مِن زِيَادَةِ الأَعمَارِ وَ صِحّةِ الأَبدَانِ وَ سَعَةِ الأَرزَاقِ ثُمّ جَعَلَ فِى يَدَيكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِن مَسأَلَتِهِ فَمَتَى شِئتَ استَفتَحتَ بِالدّعَاءِ أَبوَابَ نِعمَتِهِ وَ استَمطَرتَ شَآبِيبَ رَحمَتِهِ فَلَا يُقنِطَنّكَ إِبطَاءُ إِجَابَتِهِ فَإِنّ العَطِيّةَ عَلَى قَدرِ النّيّةِ وَ رُبّمَا أُخّرَت عَنكَ الإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعظَمَ لِأَجرِ السّائِلِ وَ أَجزَلَ لِعَطَاءِ الآمِلِ وَ رُبّمَا سَأَلتَ الشّيءَ فَلَا تُعطَاهُ وَ أُوتِيتَ خَيراً مِنهُ عَاجِلًا أَو آجِلًا أَو صُرِفَ عَنكَ لِمَا هُوَ خَيرٌ لَكَ فَلَرُبّ أَمرٍ قَد طَلَبتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَو أُوتِيتَهُ فَلتَكُن مَسأَلَتُكَ فِيمَا يَبقَى لَكَ جَمَالُهُ وَ يُنفَى عَنكَ وَبَالُهُ فَالمَالُ لَا يَبقَى لَكَ وَ لَا تَبقَى لَهُ قدتقدم القول فى الدعاء. قوله بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة هذامتفق عليه بين أصحابنا و هو أن تارك القبيح لأنه قبيح يستحق الثواب . [صفحه ٨٨] قوله حسب سيئتك واحدة وحسب حسنتك عشرا هذاإشارة إلى قوله تعالى مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشرُ أَمثالِها وَ مَن جاءَ بِالسّيّئَةِ فَلا يُجزى إِلّا مِثلَها. قوله وأبثثته ذات نفسك أى حاجتك . ثم ذكر له وجوها فى سبب إبطاء الإجابة منها أن ذلك أمر عائد إلى النية فلعلها لم تكن خالصة. ومنها أنه ربما أخرت ليكون أعظم لأجر السائل لأن الثواب على قدر المشقة. ومنها أنه ربما أخرت ليعطى السائل خيرا مما سائل إما عاجلا أوآجلا أو فى الحالين . ومنها أنه ربما صرف ذلك عن السائل لأن فى إعطائه إياه مفسدة فى الدين . قوله فالمال لايبقى لك و لاتبقى له لفظ شريف فصيح ومعنى صادق محقق فيه عظة بالغة و قال أبوالطيب -قرآن-٦٩-١٦٢ أين الجبابرة الأكاسرة الألى || كنزوا الكنوز فما بقين و لابقوا . ويروى من يحجبه عنك . وروى حيث الفضيحة أى حيث الفضيحة موجودة منك . واعلم أن فى قوله قدأذن لك فى الدعاء وتكفل لك بالإجابة إشارة إلى قوله تعالى ادعُونِي أَستَجِب لَكُم. و فى قوله وأمر أن تسأله ليعطيك إشارة إلى قوله وَ سئَلُوا اللّهَ مِن فَضلِهِ. -قرآن-١٥٨-١٨١-قرآن-٢٣٥-٢٦٣ [صفحه ٨٩] و فى قوله وتسترحمه ليرحمك إشارة إلى قوله وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُم وَ هُم يَستَغفِرُونَ. و فى قوله و لم يمنعك إن أسأت من التوبة إشارة إلى قوله إِلّا مَن تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صالِحاً فَأُولئِكَ يُبَدّلُ اللّهُ سَيّئاتِهِم حَسَناتٍ وَ كانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً -قرآن-٤٨-٩٧-قرآن-١٥٩-٢٨٨ وَ اعلَم يَا بُنَيّ أَنّكَ إِنّمَا خُلِقتَ لِلآخِرَةِ لَا لِلدّنيَا وَ لِلفَنَاءِ لَا لِلبَقَاءِ وَ لِلمَوتِ لَا لِلحَيَاةِ وَ أَنّكَ فِى مَنزِلِ قُلعَةٍ وَ دَارِ بُلغَةٍ وَ طَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ وَ أَنّكَ طَرِيدُ المَوتِ أَلّذِى لَا يَنجُو هَارِبُهُ وَ لَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ وَ لَا بُدّ أَنّهُ مُدرِكُهُ فَكُن مِنهُ عَلَى حَذَرٍ أَن يُدرِكَكَ وَ أَنتَ عَلَى حَالٍ سَيّئَةٍ قَد كُنتَ تُحَدّثُ نَفسَكَ مِنهَا بِالتّوبَةِ فَيَحُولَ بَينَكَ وَ بَينَ ذَلِكَ فَإِذَا أَنتَ قَد أَهلَكتَ نَفسَكَ يَا بُنَيّ أَكثِر مِن ذِكرِ المَوتِ وَ ذِكرِ مَا تَهجُمُ عَلَيهِ وَ تُفضِي بَعدَ المَوتِ إِلَيهِ حَتّى يَأتِيَكَ وَ قَد أَخَذتَ

مِنهُ حِذرَکَ وَ شَدَدتَ لَهُ أزرَکَ وَ لَا یَأتِیکَ بَغتَةً فَیَبهَرَکَ وَ إِیّاکَ أَن تَغتَرّ بِمَا تَرَی مِن إِخلَادِ أَهلِ الدّنیَا إِلَیهَا وَ تَکَالُبِهِم عَلَیهَا فَقَد نَبّأَکَ اللّهُ عَنهَا وَ نَعَتَت لَکَ نَفسَهَا وَ تَکَشّفَت لَکَ عَن مَسَاوِیهَا فَإِنّمَا أَهلُهَا کِلَابٌ عَاوِیَةٌ وَ سِبَاعٌ ضَارِیَةٌ یَهِرّ بَعضُهَا عَلَی بَعضٍ وَ یَأکُلُ عَزِیزُهَا ذَلِیلَهَا وَ یَقهَرُ کَبِیرُهَا صَغِیرَهَا [صفحه ۹۰] نَعَمٌ مُعَقّلَةٌ وَ أُخرَی مُهمَلَةٌ قَد أَضَلّت عُقُولَهَا وَ رَکِبَت مَجهُولَهَا سُرُوحُ عَاهَةٍ بِوَادٍ وَعثٍ لَیسَ لَهَا رَاعٍ یُقِیمُهَا وَ لَا مُسِیمٌ یُسِیمُهَا سَلَکَت بِهِمُ الدّنیَا طَرِیقَ العَمَی وَ أَخَذَت بِأَبصَارِهِم عَن مَنَارِ الهُدَی فَتَاهُوا فِی حَیرَتِهَا وَ غَرِقُوا فِی نِعمَتِهَا وَ اتّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَت بِهِم وَ لَعِبُوا بِهَا وَ نَسُوا مَا وَرَاءَهَا رُوَیداً یُسفِرُ الظّلَامُ کَأَن قَد وَرَدَتِ الأَظعَانُ یُوشِکُ مَن أَسرَعَ أَن یَلحَقَ یقول هذامنزل قلعة بضم القاف وسکون اللام أی لیس بمستوطن ویقال هذامجلس قلعة إذا کان صاحبه یحتاج إلی أن یقوم مرة بعدمرة ویقال أیضا هم علی قلعة أی علی رحلة والقلعة أیضا هوالمال العاریة و فی الحدیث بئس المال القلعة -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۳۳ وکله یرجع إلی معنی واحد. قوله ودار بلغة والبلغة مایتبلغ به من العیش . قوله سروح عاهة والسروح جمع سرح و هوالمال السارح والعاهة الآفة أعاه القوم أصابت ماشیتهم العاهة. وواد وعث لایثبت الحافر والخف فیه بل یغیب فیه ویشق علی من یمشی فیه . وأوعث القوم وقعوا فی الوعث . ومسیم یسیمها راع یرعاها. قوله رویدا یسفر الظلام إلی آخر الفصل ثلاثة أمثال محرکة لمن عنده [صفحه ۹۱] استعداد واستقرأنی أبوالفرج محمد بن عباد رحمه الله و أنایومئذ حدث هذه الوصیة فقرأتها علیه من حفظی فلما وصلت إلی هذاالموضع صاح صیحة شدیدة وسقط و کان جبارا قاسی القلب

أقوال حکیمة فی وصف الدنیا وفناء الخلق

واعلم أناقدمنا فی وصف الدنیا والفناء والموت من محاسن کلام الصالحین والحکماء ما فیه الشفاء ونذکر الآن أشیاء آخر.فمن کلام الحسن البصری یا ابن آدم إنما أنت أیام مجموعة فإذامضی یوم مضی بعضک . عن بعض الحکماء رحم الله امرأ لایغره مایری من کثرة الناس فإنه یموت وحده ویقبر وحده ویحاسب وحده . و قال بعضهم لاوجه لمقاساة الهموم لأجل الدنیا و لاالاعتداد بشیء من متاعها و لاالتخلی منها أماترک الاهتمام لها فمن جهة أنه لاسبیل إلی دفع الکائن من مقدورها و أماترک الاعتداد بها فإن مرجع کل أحد إلی ترکها و أماترک التخلی عنها فإن الآخرة لاتدرک إلا بها. و من کلام بعض الحکماء أفضل اختیار الإنسان ماتوجه به إلی الآخرة وأعرض به عن الدنیا و قدتقدمت الحجة وأذنا بالرحیل ولنا من الدنیا علی الدنیا دلیل وإنما أحدنا فی مدة بقائه صریع لمرض أومکتئب بهم أومطروق بمصیبة أومترقب لمخوف لایأمن المرء أصناف لذته من المطعوم والمشروب أن یکون موته فیه و لایأمن مملوکه [صفحه ۹۲] وجاریته أن یقتلاه بحدید أوسم و هو مع ذلک عاجز عن استدامة سلامة عقله من زوال وسمعه من صمم وبصره من عمی ولسانه من خرس وسائر جوارحه من زمانة ونفسه من تلف وماله من بوار وحبیبه من فراق و کل ذلک یشهد شهادة قطعیة أنه فقیر إلی ربه ذلیل فی قبضته محتاج إلیه لایزال المرء بخیر ماحاسب نفسه وعمر آخرته بتخریب دنیاه و إذااعترضته بحار المکاره جعل معابرها الصبر والتأسی و لم یغتر بتتابع النعم وإبطاء حلول النقم وأدام صحبة التقی وفطم النفس عن الهوی فإنما حیاته کبضاعة ینفق من رأس المال منها و لایمکنه أن یزید فیها ومثل ذلک یوشک فناؤه وسرعة زواله . و قال أبوالعتاهیة فی ذکر الموت ستباشر الترباء خدک || وسیضحک الباکون بعدک ولینزلن بک البلی || ولیخلفن الموت عهدک ولیفنینک مثل ما || أفنی أباک بلی وجدک لو قدرحلت عن القصور || وطیبها وسکنت لحدک لم تنتفع إلابفعل || صالح قد کان عندک [صفحه ۹۳] وتری الذین قسمت مالک || بینهم حصصا وکدک یتلذذون بما جمعت || لهم و لایجدون فقدک وَ اعلَم یَا بُنَیّ أَنّ مَن کَانَت مَطِیّتُهُ اللّیلَ وَ النّهَارَ فَإِنّهُ یُسَارُ بِهِ وَ إِن کَانَ وَاقِفاً وَ یَقطَعُ المَسَافَةَ وَ إِن کَانَ مُقِیماً وَادِعاً وَ اعلَم یَقِیناً أَنّکَ لَن تَبلُغَ أَمَلَکَ وَ لَن تَعدُوَ أَجَلَکَ وَ أَنّکَ فِی سَبِیلِ مَن کَانَ قَبلَکَ فَخَفّض فِی

الطّلَبِ وَ أَجمِل فِی المُکتَسَبِ فَإِنَّهُ رُبّ طَلَبٍ قَد جَرّ إِلَی حَرَبٍ وَ لَیسَ کُلّ طَالِبٍ بِمَرزُوقٍ وَ لَا کُلّ مُجمِلٍ بِمَحرُومٍ وَ أَکرِم نَفسَکَ عَن کُلّ دَنِیّةٍ وَ إِن سَاقَتکَ إِلَی الرّغَائِبِ فَإِنّکَ لَن تَعتَاضَ بِمَا تَبذُلُ مِن نَفسِکَ عِوَضاً وَ لَا تَکُن عَبدَ غَیرِکَ وَ قَد جَعَلَکَ اللّهُ حُرّاً وَ مَا خَیرُ خَیرٍ لَا یُنَالُ إِلّا بِشَرّ وَ یُسرٍ لَا یُنَالُ إِلّا بِعُسرٍ وَ إِیّاکَ أَن تُوجِفَ بِکَ مَطَایَا الطّمَعِ فَتُورِدَکَ مَنَاهِلَ الهَلَکَةِ وَ إِنِ استَطَعتَ أَلّا یَکُونَ بَینَکَ وَ بَینَ اللّهِ ذُو نِعمَةٍ فَافعَل فَإِنّکَ مُدرِکٌ قَسمَکَ وَ آخِذٌ سَهمَکَ وَ إِنّ الیَسِیرَ مِنَ اللّهِ سُبحَانَهُ أَکرَمُ وَ أَعظَمُ مِنَ الکَثِیرِ مِن خَلقِهِ وَ إِن کَانَ کُلّ مِنهُ [صفحه ۹۴] مثل الکلمة الأولی قول بعض الحکماء و قدنسب أیضا إلی أمیر المؤمنین ع أهل الدنیا کرکب یسار بهم وهم نیام -روایت-۱-۲-روایت-۳۸-۷۷ . قوله فخفضن فی الطلب من قول رسول الله ص إن روح القدس نفث فی روعی أنه لن تموت نفس حتی تستکمل رزقها فأجملوا فی الطلب -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۱۰۷ . و قال الشاعر مااعتاض باذل وجهه بسؤاله || عوضا و لونال الغنی بسؤال و إذاالنوال إلی السؤال قرنته || رجح السؤال وخف کل نوال . و قال آخر رددت رونق وجهی عن صحیفته || رد الصقال بهاء الصارم الخذم و ماأبالی وخیر القول أصدقه || حقنت لی ماء وجهی أم حقنت دمی . و قال آخر وإنی لأختار الزهید علی الغنی || وأجزأ بالمال القراح عن المحض وأدرع الإملاق صبرا و قدأری || مکان الغنی کی لاأهین له عرضی . و قال أبو محمدالیزیدی فی المأمون أبقی لنا الله الإمام وزاده || شرفا إلی الشرف ألذی أعطاه و الله أکرمنا بأنا معشر || عتقاء من نعم العباد سواه . و قال آخر کیف النهوض بما أولیت من حسن || أم کیف أشکر ماطوقت من نعم [صفحه ۹۵] ملکتنی ماء وجه کاد یسکبه || ذل السؤال و لم تفجع به هممی . و قال آخر لاتحرصن علی الحطام فإنما || یأتیک رزقک حین یؤذن فیه سبق القضاء بقدره وزمانه || وبأنه یأتیک أویأتیه . و کان یقال مااستغنی أحد بالله إلاافتقر الناس إلیه . و قال رجل فی مجلس فیه قوم من أهل العلم لاأدری مایحمل من یوقن بالقدر علی الحرص علی طلب الرزق فقال له أحد الحاضرین یحمله القدر فسکت .أقول لوکنت حاضرا لقلت لوحمله القدر لمانهاه العقلاء عن الحرص و لمامدحوه علی العفة والقناعة فإن عاد و قال وأولئک ألجأهم القدر إلی المدح والذم والأمر والنهی فقد جعل نفسه وغیره من الناس بل من جمیع الحیوانات بمنزلة الجمادات التی یحرکها غیرها و من بلغ إلی هذاالحد لایکلم . و قال الشاعر أراک تزیدک الأیام حرصا || علی الدنیا کأنک لاتموت فهل لک غایة إن صرت یوما || إلیها قلت حسبی قدرضیت . أبوالعتاهیة أی عیش یکون أطیب من عیش || کفاف قوت بقدر البلاغ قمرتنی الأیام عقلی ومالی || وشبابی وصحتی وفراغی . وأوصی بعض الأدباء ابنه فکتب إلیه [صفحه ۹۶] کن حسن الظن برب خلقک || بنی واحمده علی مارزقک واعلم بأن الحرص یطفی رونقک || فجانب الحرص وحسن خلقک واصدق وصادق أبدا من صدقک || دار معادیک ومق من ومقک واجعل لأعدائک حزما ملقک || وجنبن حشو الکلام منطقک هذی وصاة والد قدعشقک || وصاة من یقلقه ماأقلقک أرشدک الله لها ووفقک . أبوالعتاهیة أجل الغنی مما یؤمل أسرع || وأراک تجمع دائما لاتشبع قل لی لمن أصبحت تجمع دائبا || ألبعل عرسک لا أبا لک تجمع . وأوصی زیاد ابنه عبید الله عندموته فقال لاتدنسن عرضک و لاتبذلن وجهک و لاتخلقن جدتک بالطلب إلی من إن ردک کان رده علیک عیبا و إن قضی حاجتک جعلها علیک منا واحتمل الفقر بالتنزه عما فی أیدی الناس والزم القناعة بما قسم لک فإن سوء عمل الفقیر یضع الشریف ویخمل الذکر ویوجب الحرمان وَ تَلَافِیکَ مَا فَرَطَ مِن صَمتِکَ أَیسَرُ مِن إِدرَاکِکَ مَا فَاتَ مِن مَنطِقِکَ وَ حِفظُ مَا فِی الوِعَاءِ بِشَدّ الوِکَاءِ وَ حِفظُ مَا فِی یَدَیکَ أَحَبّ إِلَیّ مِن طَلَبِ مَا فِی یَدَیَ غَیرِکَ وَ مَرَارَةُ الیَأسِ خَیرٌ مِنَ الطّلَبِ إِلَی النّاسِ وَ الحِرفَةُ مَعَ العِفّةِ خَیرٌ مِنَ الغِنَی مَعَ الفُجُورِ وَ المَرءُ أَحفَظُ لِسِرّهِ وَ رُبّ سَاعٍ فِیمَا یَضُرّهُ [صفحه ۹۷] مَن أَکثَرَ أَهجَرَ وَ مَن تَفَکّرَ أَبصَرَ قَارِن أَهلَ الخَیرِ تَکُن مِنهُم وَ بَایِن أَهلَ الشّرّ تَبِن عَنهُم بِئسَ الطّعَامُ الحَرَامُ وَ ظُلمُ الضّعِیفِ أَفحَشُ الظّلمِ إِذَا کَانَ الرّفقُ خُرقاً کَانَ الخُرقُ رِفقاً رُبّمَا کَانَ الدّوَاءُ دَاءً وَ الدّاءُ دَوَاءً وَ رُبّمَا نَصَحَ غَیرُ النّاصِحِ وَ غَشّ المُستَنصَحُ وَ إِیّاکَ وَ الِاتّکَالَ عَلَی المُنَی فَإِنّهَا بَضَائِعُ النّوکَی وَ العَقلُ حِفظُ التّجَارِبِ وَ خَیرُ مَا جَرّبتَ مَا وَعَظَکَ

بَادِرِ الفُرصَةَ قَبلَ أَن تَكَونَ غُصَّةً لَيسَ كُلّ طَالِبٍ يُصِيبُ وَ لَا كُلّ غَائِبٍ يَئُوبُ وَ مِنَ الفَسَادِ إِضَاعَةُ الزّادِ وَ مَفسَدَةُ المَعَادِ وَ لِكَلّ أَمرٍ عَاقِبَةٌ سَوفَ يَأتِيكَ مَا قُدّرَ لَكَ التّاجِرُ مُخَاطِرٌ وَ رُبّ يَسِيرٍ أَنمَى مِن كَثِيرٍ هذاالكلام قداشتمل على أمثال كثيرة حكمية.أولها قوله تلافيك مافرط من صمتك أيسر من إدراكك مافات من منطقك و هذامثل قولهم أنت قادر على أن تجعل صمتك كلاما ولست بقادر على أن تجعل كلامك صمتا و هذاحق لأن الكلام يسمع وينقل فلايستطاع إعادته صمتا والصمت عدم الكلام فالقادر على الكلام قادر على أن يبدله بالكلام و ليس الصمت بمنقول و لامسموع فيتعذر استدراكه . [صفحه ٩٨] وثانيها قوله حفظ ما في يديك أحب إلى من طلب ما فى أيدى غيرك هذامثل قولهم فى المثل البخل خير من سؤال البخيل و ليس مراد أمير المؤمنين ع وصايته بالإمساك والبخل بل نهيه عن التفريط والتبذير قال الله تعالى وَ لا تَبسُطها كُلّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَحسُوراً وأحمق الناس من أضاع ماله اتكالا على مال الناس وظنا أنه يقدر على الاستخلاف قال الشاعر -قرآن-٢٢١-٢٧٦ إذاحدثتك النفس أنك قادر || على ماحوت أيدى الرجال فكذب . وثالثها قوله مرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس من هذاأخذ الشاعر قوله و إن كان طعم اليأس مرا فإنه || ألذ وأحلى من سؤال الأراذل . و قال البحترى واليأس إحدى الراحتين ولن ترى || تعبا كظن الخائب المغرور . ورابعها قوله الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور والحرفة بالكسر مثل الحرف بالضم و هونقصان الحظ وعدم المال و منه قوله رجل محارف بفتح الراء يقول لأن يكون المرء هكذا و هوعفيف الفرج واليد خير من الغنى مع الفجور و ذلك لأن ألم الحرفة مع العفة ومشقتها إنما هى فى أيام قليلة وهى أيام العمر ولذة الغنى إذا كان مع الفجور ففى مثل تلك الأيام يكون ولكن يستعقب عذابا طويلا فالحال الأولى خير لامحالة وأيضا ففى الدنيا خير أيضا للذكر الجميل فيها والذكر القبيح فى الثانية وللمحافظة على المروءة فى الأولى وسقوط المروءة فى الثانية. [صفحه ٩٩] وخامسها قوله المرء أحفظ لسره أى الأولى ألا تبوح بسرك إلى أحد فأنت أحفظ له من غيرك فإن أذعته فانتشر فلاتلم إلانفسك لأنك كنت عاجزا عن حفظ سر نفسك فغيرك عن حفظ سرك و هوأجنبى أعجز قال الشاعر إذاضاق أصدر المرء عن حفظ سره || فصدر ألذى يستودع السر أضيق . وسادسها قوله رب ساع فيما يضره قال عبدالحميد الكاتب فى كتابه إلى أبى مسلم لوأراد الله بالنملة صلاحا لماأنبت لها جناحا. وسابعها قوله من أكثر أهجر يقال أهجر الرجل إذاأفحش فى المنطق السوء والخنى قال الشماخ كماجدة الأعراق قال ابن ضرة || عليها كلاما جار فيه وأهجرا . و هذامثل قولهم من كثر كلامه كثر سقطه وقالوا أيضا قلما سلم مكثار أوأمن من عثار. وثامنها قوله من تفكر أبصر قالت الحكماء الفكر تحديق العقل نحو المعقول كما أن النظر البصرى تحديق البصر نحو المحسوس و كما أن من حدق نحو المبصر وحدقته صحيحة والموانع مرتفعة لابد أن يبصره كذلك من نظر بعين عقله وأفكر فكرا صحيحا لابد أن يدرك الأمر ألذى فكر فيه ويناله . وتاسعها قوله قارن أهل الخير تكن معهم وباين أهل الشر تبن عنهم كأن يقال حاجبك وجهك وكاتبك لسانك وجليسك كلك و قال الشاعر عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه || فكل قرين بالمقارن مقتد . [صفحه ١٠٠] وعاشرها قوله بئس الطعام الحرام هذا من قوله تعالى إِنّ الّذِينَ يَأكُلُونَ أَموالَ اليَتامى ظُلماً إِنّما يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِم ناراً وَ سَيَصلَونَ سَعِيراً. وحادى عشرها قوله ظلم الضعيف أفحش الظلم رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاما فقال يابنى كيف لايسع حلمك من تضربه فلايمتنع منك وأمر المأمون بإشخاص الخطابى القاص من البصرة فلما مثل بين يديه قال له ياسليمان أنت القائل العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ومسجدى عين المربد و أناعين مسجدى و أنت أعور فإن عين الدنيا عوراء قال يا أمير المؤمنين لم أقل ذاك و لاأظن أمير المؤمنين أحضرنى لذلك قال بلغنى أنك أصبحت فوجدت على سارية من سوارى مسجدك -قرآن-٥٦-١٦٥ رحم الله عليا || إنه كان تقيا فأمرت بمحوه قال يا أمير المؤمنين كان ولقد كان نبيا فأمرت بإزالته فقال كذبت كانت القاف أصح من عينك الصحيحة ثم قال و الله لو لا أن أقيم لك عندالعامة سوقا لأحسنت تأديبك قال يا أمير المؤمنين قدترى ما أنا عليه من الضعف والزمانة والهرم وقلة البصر فإن عاقبتنى

مظلوما فاذكر قول ابن عمك علی ع ظلم الضعيف أفحش الظلم -روايت-١-٢-روايت-٢۴-۵٠ و إن عاقبتنی بحق فاذكر أيضا قوله لكل شیءرأس والحلم رأس السؤدد -روايت-١-٢-روايت-٩-۴٢ فنهض المأمون من مجلسه وأمر برده إلى البصرة و لم يصله بشیء و لم يحضر أحد قط مجلس المأمون إلاوصله عدا الخطابی و ليس هذا هوالمحدث الحافظ المشهور ذاك أبوسليمان أحمد بن محمد بن أحمدالبستی كان فی أيام المطيع والطائع و هذاقاص بالبصرة كان يقال له أبوزكريا سليمان بن محمدالبصری. وثانی عاشرها قوله إذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا يقول إذا كان استعمال [صفحه ١٠١] الرفق مفسدة وزيادة فی الشر فلاتستعمله فإنه حينئذ ليس برفق بل هوخرق ولكن استعمل الخرق فإنه يكون رفقا والحالة هذه لأن الشر لايلقی إلابشر مثله قال عمرو ابن كلثوم ألا لايجهلن أحد علينا || فنجهل فوق جهل الجاهلينا . و فی المثل إن الحديد بالحديد يفلج . و قال زهير و من لايذد عن حوضه بسلاحه || يهدم و من لايظلم الناس يظلم . و قال أبوالطيب ووضع الندی فی موضع السيف بالعلی || مضر كوضع السيف فی موضع الندی . وثالث عشرها قوله وربما كان الدواء داء والداء دواء هذامثل قول أبی الطيب ربما صحت الأجسام بالعلل . ومثله قول أبی نواس وداونی بالتی كانت هی الداء . ومثل قول الشاعر تداويت من ليلی بليلی فلم يكن || دواء ولكن كان سقما مخالفا . ورابع عشرها قوله ربما نصح غيرالناصح وغش المستنصح كان المغيرة بن شعبة يبغض عليا ع منذ أيام رسول الله ص وتأكدت [صفحه ١٠٢] بغضته إلى أيام أبی بكر وعثمان وعمر وأشار عليه يوم بويع بالخلافة أن يقر معاوية على الشام مدة يسيرة فإذاخطب له بالشام وتوطأت دعوته دعاه إليه كما كان عمر وعثمان يدعوانه إليهما وصرفه فلم يقبل و كان ذلك نصيحة من عدو كاشح . واستشار الحسين ع عبد الله بن الزبير وهما بمكة فی الخروج عنها وقصد العراق ظانا أنه ينصحه فغشه و قال له لاتقم بمكة فليس بها من يبايعك ولكن دونك العراق فإنهم متی رأوك لم يعدلوا بك أحدا فخرج إلى العراق حتی كان من أمره ما كان . وخامس عشرها قوله إياك والاتكال على المنی فإنها بضائع النوكی جمع أنوك و هوالأحمق من هذاأخذ أبوتمام قوله من كان مرعی عزمه وهمومه || روض الأمانی لم يزل مهزولا . و من كلامهم ثلاثة تخلق العقل و هوأوضح دليل على الضعف طول التمنی وسرعة الجواب والاستغراب فی الضحك و كان يقال التمنی والحلم سيان و قال آخر شرف الفتی ترك المنی . وسادس عشرها قوله العقل حفظ التجارب من هذاأخذ المتكلمون قولهم العقل نوعان غريزی ومكتسب فالغريزی العلوم البديهية والمكتسب ماأفادته التجربة وحفظته النفس . وسابع عشرها قوله خير ماجربت ماوعظك مثل هذاقول أفلاطون إذا لم تعظك التجربة فلم تجرب بل أنت ساذج كماكنت . وثامن عشرها قوله بادر الفرصة قبل أن تكون غصة حضر عبيد الله بن زياد عندهانئ بن عروة عائدا و قدكمن له مسلم بن عقيل وأمره أن يقتله إذاجلس [صفحه ١٠٣] واستقر فلما جلس جعل مسلم يؤامر نفسه ويريدها على الوثوب به فلم تطعه وجعل هانئ ينشد كأنه يترنم بالشعر ماالانتظار بسلمی لاتحييها ويكرر ذلك فأوجس عبيد الله خيفة ونهض فعاد إلى قصر الإمارة وفات مسلما منه ما كان يؤمله بإضاعة الفرصة حتی صار أمره إلى ماصار وتاسع عشرها قوله ليس كل طالب يصيب و لا كل غائب يثوب الأولی كقول القائل ما كل وقت ينال المرء ماطلبا || و لايسوغه المقدار ماوهبا والثانية كقول عبيد و كل ذی غيبة يئوب || وغائب الموت لايئوب .العشرون قوله من الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد و لاريب أن من كان فی سفر وأضاع زاده وأفسد الحال التی يعود إليها فإنه أحمق و هذامثل ضربه للإنسان فی حالتی دنياه وآخرته .الحادی والعشرون قوله ولكل أمر عاقبة هذامثل المثل المشهور لكل سائلة قرار.الثانی والعشرون قوله سوف يأتيك ماقدر لك هذا من قول رسول الله ص و إن يقدر لأحدكم رزق فی قبة جبل أوحضيض بقاع يأته -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٧٨ .الثالث والعشرون قوله التاجر مخاطر هذاحق لأنه يتعجل بإخراج الثمن و لايعلم هل يعود أم لا و هذاالكلام ليس على ظاهره بل له باطن و هو أن من مزج الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة مثل قوله خَلَطُوا عَمَلًا صالِحاً وَ آخَرَ سَيِّئاً -قرآن-٢٠٢-٢۴٢ [صفحه ١٠۴] فإنه مخاطر لأنه لايأمن أن يكون بعض تلك السيئات تحبط أعماله الصالحة كما لايأمن أن يكون بعض

أعماله الصالحة يكفر تلك السيئات والمراد أنه لايجوز للمكلف أن يفعل إلاالطاعة أوالمباح .الرابع والعشرون قوله رب يسير أنمى من كثير قدجاء فى الأثر قديجعل الله من القليل الكثير ويجعل من الكثير البركة و قال الفرزدق فإن تميما قبل أن يلد الحصى || أقام زمانا و هو فى الناس واحد . و قال أبوعثمان الجاحظ رأينا بالبصرة أخوين كان أبوهما يحب أحدهما ويبغض الآخر فأعطى محبوبه يوم موته كل ماله و كان أكثر من مائتى ألف درهم و لم يعط الآخر شيئا و كان يتجر فى الزيت ويكتسب منه مايصرفه فى نفقة عياله ثم رأينا أولاد الأخ الموسر بعدموت الأخوين من عائلة ولد الأخ المعسر يتصدقون عليهم من فواضل أرزاقهم لَا خَيرَ فِي مُعِينٍ مُهِينٍ وَ لَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ سَاهِلِ الدّهرَ مَا ذَلّ لَكَ قَعُودُهُ وَ لَا تُخَاطِر بشَيءٍ رَجَاءَ أَكثَرَ مِنهُ وَ إِيّاكَ أَن تَجمَحَ بِكَ مَطِيّةُ اللّجَاجِ احمِل نَفسَكَ مِن أَخِيكَ عِندَ صَرمِهِ عَلَى الصّلَةِ وَ عِندَ صُدُودِهِ عَلَى اللّطفِ وَ المُقَارَبَةِ وَ عِندَ جُمُودِهِ عَلَى البَذلِ وَ عِندَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدّنُوّ وَ عِندَ شِدّتِهِ عَلَى اللّينِ وَ عِندَ جُرمِهِ عَلَى العُذرِ حَتّى كَأَنّكَ لَهُ عَبدٌ وَ كَأَنّهُ ذُو نِعمَةٍ عَلَيكَ [صفحه ١٠٥] وَ إِيّاكَ أَن تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيرِ مَوضِعِهِ أَو أَن تَفعَلَهُ بِغَيرِ أَهلِهِ لَا تَتّخِذَنّ عَدُوّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ وَ امحَض أَخَاكَ النّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَت أَو قَبِيحَةً وَ تَجَرّعِ الغَيظَ فإَنِيّ لَم أَرَ جُرعَةً أَحلَى مِنهَا عَاقِبَةً وَ لَا أَلَذّ مَغَبّةً وَ لِن لِمَن غَالَظَكَ فَإِنّهُ يُوشِكُ أَن يَلِينَ لَكَ وَ خُذ عَلَى عَدُوّكَ بِالفَضلِ فَإِنّهُ أَحَدُ الظّفَرَينِ وَ إِن أَرَدتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاستَبقِ لَهُ مِن نَفسِكَ بَقِيّةً يَرجِعُ إِلَيهَا إِن بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوماً مَا وَ مَن ظَنّ بِكَ خَيراً فَصَدّق ظَنّهُ وَ لَا تُضِيعَنّ حَقّ أَخِيكَ اتّكَالًا عَلَى مَا بَينَكَ وَ بَينَهُ فَإِنّهُ لَيسَ لَكَ بِأَخٍ مَن أَضَعتَ حَقّهُ وَ لَا يَكُن أَهلُكَ أَشقَى الخَلقِ بِكَ وَ لَا تَرغَبَنّ فِيمَن زَهِدَ عَنكَ وَ لَا يَكُونَنّ أَخُوكَ أَقوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنكَ عَلَى صِلَتِهِ وَ لَا تَكُونَنّ عَلَى الإِسَاءَةِ أَقوَى مِنكَ عَلَى الإِحسَانِ وَ لَا يَكبُرَنّ عَلَيكَ ظُلمُ مَن ظَلَمَكَ فَإِنّهُ يَسعَى فِي مَضَرّتِهِ وَ نَفعِكَ وَ لَيسَ جَزَاءُ مَن سَرّكَ أَن تَسُوءَهُ هذاالفصل قداشتمل على كثير من الأمثال الحكمية.فأولها قوله لاخير فى معين مهين و لا فى صديق ظنين مثل الكلمة الأولى قولهم إذاتكفيت بغير كاف || وجدته للهم غيرشاف . و من الكلمة الثانية أخذ الشاعر قوله فإن من الإخوان من شحط النوى || به و هوراع للوصال أمين ومنهم صديق العين أمالقاؤه || فحلو و أماغيبه فظنين . [صفحه ١٠٦] وثانيها قوله ساهل الدهر ما ذلك لك قعوده هذااستعارة والقعود البكر حين يمكن ظهره من الركوب إلى أن يثنى ومثل هذاالمعنى قولهم فى المثل من ناطح الدهر أصبح أجم . ومثله ودر مع الدهر كيفما دارا ومثله و من قامر الأيام عن ثمراتها || فأحر بها أن تنجلى ولها القمر . ومثله إذاالدهر أعطاك العنان فسر به || رويدا و لاتعنف فيصبح شامسا . وثالثها قوله لاتخاطر بشىء رجاء أكثر منه هذامثل قولهم من طلب الفضل حرم الأصل . ورابعها قوله إياك و أن تجمح بك مطية اللجاج هذااستعارة و فى المثل ألج من خنفساء وألج من زنبور و كان يقال اللجاج من القحة والقحة من قلة الحياء وقلة الحياء من قلة المروءة و فى المثل لج صاحبك فحج . وخامسها قوله احمل نفسك من أخيك إلى قوله أوتفعله بغير أهله اللطف بفتح اللام والطاء الاسم من ألطفه بكذا أى بره به وجاءتنا لطفة من فلان أى هدية والملاطفة المبارة وروى عن اللطف و هوالرفق للأمر والمعنى أنه أوصاه إذاقطعه أخوه أن يصله و إذاجفاه أن يبره و إذابخل عليه أن يجود عليه إلى آخر الوصاة. ثم قال له لاتفعل ذلك مع غيرأهله قال الشاعر [صفحه ١٠٧] و أن ألذى بينى و بين بنى أبى || و بين بنى أمى لمختلف جدا فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم || و إن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا و إن زجروا طيرا بنحس تمر بى || زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا و لاأحمل الحقد القديم عليهم || و ليس رئيس القوم من يحمل الحقدا . و قال الشاعر إنى و إن كان ابن عمى كاشحا || لمقاذف من خلفه وورائه ومفيده نصرى و إن كان امرأ || متزحزحا فى أرضه وسمائه وأكون والى سره وأصونه || حتى يحق على وقت أدائه و إذاالحوادث أجحفت بسوامه || قرنت صحيحتنا إلى جربائه و إذادعا باسمى ليركب مركبا || صعبا قعدت له على سيسائه و إذاأجن فليقة فى خدره || لم أطلع مما وراء خبائه و إذاارتدى ثوبا جميلا لم أقل || ياليت أن على فضل ردائه . وسادسها قوله لاتتخذن عدو صديقك صديقا فتعادى صديقك قد قال الناس فى هذاالمعنى فأكثروا قال بعضهم إذاصافى صديقك من تعادى || فقد

عـاداك وانقطع الكلام . و قال آخر صـديق صـديقى داخل فى صـداقتى || وخصم صـديقى ليس لى بصـديق . و قال آخر تود عـدوى ثم تزعم أننى || صديقك إن الرأى عنك لعازب . [صـفحه ١٠٨] وسابعها قوله وامحض أخاك النصـيحة حسنة كانت أوقبيحـة ليس يعنى ع بقبيحـة هاهنا القبيـح ألـذى يسـتحق به الـذم والعقاب وإنما يريـد نافعة له فى العاجل كانت أوضارة له فى الأجل فعبر عن النفع والضـرر بالحسن والقبيح كقوله تعالى وَ إِن تُصِبهُم سَيِّئَةٌ بِما قَدّمَت أَيدِيهِم إِذا هُم يَقنَطُونَ. و قدفسـره قوم فقالوا أراد كانت نافعة لك أوضارة لك ويحتمل تفسير آخر و هووصيته إياه أن يمحض أخاه النصيحة سواء كانت مما لايستحيا من ذكرهـا وشـياعها أوكـانت ممـا يسـتحيا من ذكرها واستفاضـتها بين الناس كمن ينصـح صـديقه فى أهله ويشـير عليه بفراقهم لفجور اطلع عليه منهم فـإن الناس يسـمون مثل هـذا إذاشاع قبيحا. وثامنها قوله تجرع الغيظ فإنى لم أر جرعـة أحلى منها عاقبـة و لاألذ مغبة هذامثل قولهم الحلم مرارة ساعة وحلاوة الدهر كله و كان يقال التذلل للناس مصايد الشـرف . -قرآن-٢٣٠-٢٩٦ قال المبرد فى الكامـل أوصـى على بن الحسـين ابنه محمـد بن على ع فقـال يـابنى عليك بتجرع الغيظ من الرجال فإن أباك لايسـره بنصـيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم والحلم أعز ناصـرا وأكثر عددا -روايت-١-٢-روايت-٢٥-٢٠٥ . وتاسعها قوله لن لمن غالظـك فـإنه يوشـك أن يلين لك هـذامثل المثل المشـهور إذا عزأخوك فهن والأصل فى هـذا قوله تعالى ادفَع بِالّتِي هيَ أَحسَنُ فَإِذَا الّذِي بَينَكَ وَ بَينَهُ عَداوَةٌ كَأَنّهُ ولَيِ‌ّ حَمِيمٌ. وعاشـرها قوله خذ على عدوك بالفضل فإنه أحد الظفرين هذامعنى مليح و منه قـول ابن هـانئ فى المعز -قرآن-١٢٥-٢٢١ [صـفحه ١٠٩] ضـراب هـام الروم منتقمـا و فى || أعنـاقهم من جوده أعباء لو لاانبعاث السـيف و هومسلط || فى قتلهم قتلتهم النعماء . وكنت كاتبا بديوان الخلافة والوزير حينئذ نصير الدين أبوالأزهر أحمد بن الناقـد رحمه الله فوصل إلى حضـرة الديوان فى سنة اثنتين وثلاثين وسـتمائة محمد بن محمد أميرالبحرين على البر ثم وصـل بعـده الهرمزى صاحب هرمز فى دجلـة بالمراكـب البحريـة وهرمز هذه فرضة فى البحر نحو عمان وامتلأت بغداد من عرب محمد بن محمد وأصـحاب الهرمزى وكـانت تلك الأيام أياما غراء زاهرة لماأفاض المستنصـر على الناس من عطاياه والوفود تزدحم من أقطـار الأرض على أبواب ديوانه فكتبت يوم دخول الهرمزى إلى الوزير أبياتا سـنحت على البديهـة و أنامتشاغل بما كنت فيه من مهام الخدمـة و كـان رحمه الله لايزال يذكرها وينشدها ويستحسـنها يا أحمد بن محمد أنت ألذى || علقت يداه بأنفس الأعلاق مـاأملت بغـداد قبلـك أن ترى || أبـدا ملوك البحر فى الأـسواق ولهوا عليها غيرة وتنافسوا || شـغفا بهاكتنافس العشاق وغـدت صلاتك فى رقاب سـراتهم || ونداك كالأطواق فى الأعناق بسديد رأيك أصلحت جمحاتهم || وتألفوا من بعدطول شقاق لله همه ماجـد لم تعتلق || بسـحيل آراء و لاأحذاق جلب السـلاهب من أراك وبعدها || جلب المراكـب من جزيرة واق هذاالعداء هوالعداء فعد عن || قول ابن حجر فى لأى وعناق وأظنه والظن علم أنه || سـيجيئنا بممالك الآفاق إما أسير صنيعة فى جيده || بالجود غل أوأسـير وثاق [صفحه ١١٠] لاـزال فى ظل الخليفـة ما له || فان وسودده المعظم باق وحادى عشـرها قوله إن أردت قطيعـة أخيك فاسـتبق له من نفسك بقيـة يرجع إليها إن بـدا ذلك له يوما هـذامثل قولهم أحبب حبيبك هونا ماعسـى أن يكون بغيضـك يومـا مـا وأبغض بغيضـك هونـا ماعسـى أن يكون حبيبـك يومـا ما و ما كان يقال إذاهويت فلاتكن غاليا و إذاتركت فلاـتكن قاليـا. وثـانى عشـرها قوله من ظن خيرا فصـدق ظنه كثير من أربـاب الهمم يفعلون هـذايقال لمن قدشـدا طرفـا من العلم هذاعالم هذافاضل فيدعوه ماظن فيه من ذلك إلى تحقيقه فيواظب على الاشـتغال بالعلم حتى يصير عالما فاضلا حقيقة وكذلك يقول النـاس هـذاكثير العبادة هـذاكثير الزهـد لمن قدشـرع فى شـىء من ذلك فتحمله أقوال الناس على الالتزام بالزهـد والعبادة. وثـالث عشـرها قوله و لاتضـيعن حق أخيـك اتكالاـ على مابينـك وبينه فـإنه ليس لـك بأخ من أضـعت حقه من هـذاالنحو قول الشاعر. إذاخنتم بالغيب عهدى فما لكم || تدلون إدلال المقيم على العهد صلوا وافعلوا فعل المدل بوصله || و إلافصدوا وافعلوا فعل ذى الصـدى . و كان يقال إضاعـة الحقوق داعية العقوق . ورابع عشـرها قوله لاترغبن فيمن زهد فيك الرغبة فى الزاهد هى

الـداء العياء قال العباس بن الأحنف مازلت أزهـد فى مودة راغب || حتى ابتليت برغبة فى زاهد هذا هوالداء ألذى ضاقت به || حيل الطبيب وطال يأس العائد . [صفحه ١١١] و قد قال الشعراء المتقدمون والمتأخرون فأكثروا نحو قولهم و فى الناس إن رثت حبالـك واصل || و فى الأرض عن دار القلى متحول . وقول تأبط شـرا إنى إذاخلـة ضـنت بنائلها || وأمسكت بضـعيف الحبل أحـذاقى نجوت منها نجائى من بجيلـة إذ || ألقيت ليلـة خبت الرهط أرواقى . وخامس عشرها قوله لايكونن أخوک أقوى على قطيعتـک منک على صـلته و لاتكونن على الإساءة أقوى منک على الإحسان هـذاأمر له بأن يصل من قطعه و أن يحسن إلى من أساء إليه .ظفر المأمون عبد الله بن هارون الرشيد بكتب قدكتبها محمد بن إسماعيل بن جعفرالصادق ع إلى أهل الكرخ وغيرهم من أعمال أصفهان يدعوهم فيها إلى نفسه فأحضرها بين يديه ودفعها إليه و قال له أتعرف هذه فأطرق خجلا فقال له أنت آمن و قـدوهبت هذاالـذنب لعلى وفاطمـة ع فقم إلى منزلـک وتخير ماشـئت من الـذنوب فإنـا نتخير لک مثل ذلک من العفو. وسادس عشـرها قوله لا ـيكبرن عليـک ظلم من ظلمـک فـإنه يسـعى فى مضـرته ونفعک و ليس جزاء من سـرک أن تسوءه جاء فى الخبر المرفوع إنه ص سـمع عائشـة تدعو على من سـرق عقدا لها فقال لها لاتمسـحى عنه بدعائک -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٩٩ أى لا ـتخففى عـذابه و قوله ع و ليس جزاء من سـرک أن تسوءه يقول لا ـتنتقم ممن ظلمـک فإنه قـدنفعک فى الآخرة بظلمه لک و ليس جزاء من ينفع إنسانا أن يسـىء إليه و هـذامقام جليل [صـفحه ١١٢] لايقـدر عليه إلاالأفراد من الأولياء الأبرار وقبض بعض الجبابرة على قوم صالحين فحبسـهم وقيدهم فلما طال عليهم الأمر زفر بعضـهم زفرة شديدة ودعا على ذلک الجبار فقال له بعض أولاده و كان أفضل أهل زمانه فى العبادة و كان مستجاب الدعوة لاتدع عليه فتخفف عن عذابه قالوا يافلان أ لاترى مابنا وبک لايـأنف ربـک لنـا قـال إن لفلان مهبطا فى النار لم يكن ليبلغه إلابما ترون و إن لكم لمصـعدا فى الجنـة لم تكونوا لتبلغوه إلابما ترون قالوا فقد نال منا العذاب والحديد فادع الله لنا أن يخلصـنا وينقذنا مما نحن فيه قال إنى لأظن أنى لوفعلت لفعل ولكن و الله لاأفعـل حتى أموت هكـذا فـألقى الله فـأقول له أى رب سـل فلانا لم فعل بى هـذا و من الناس من يجعل قوله ع و ليس جزاء من سرک أن تسوءه كلمة مفردة مستقلة بنفسها ليست من تمام الكلام الأول والصحيح ماذكرناه . وسابع عشرها و من حقه أن يقدم ذكره قوله و لا ـيكن أهلـک أشـقى الخلق بک هـذا كمايقال فى المثل من شؤم الساحرة أنها أول ماتبـدأ بأهلها والمراد من هـذه الكلمة النهى عن قطيعة الرحم وإقصاء الأهل وحرمانهم و فى الخبر المرفوع صـلوا أرحامكم و لوبالسلام -روايت-١-٢-روايت-٢١-٤٨ وَ اعلَم يَا بُنَيّ أَنّ الرّزقَ رِزقَانِ رِزقٌ تَطلُبُهُ وَ رِزقٌ يَطلُبُکَ فَإِن أَنتَ لَم تَأتِهِ أَتَاکَ مَا أَقبَحَ الخُضُوعَ عِنـدَ الحَاجَـةِ وَ الجَفَاءَ عِنـدَ الغِنَى إِنّمَـا لَـکَ مِن دُنيَاکَ مَا أَصلَحتَ بِهِ مَثوَاکَ وَ إِن كُنتَ جَازِعاً عَلَى مَا تَفَلّتَ مِن يَـدَيکَ فَاجزَع عَلَى كُلّ مَا لَم يَصِـل إِلَيکَ [صفحه ١١٣] استَدِلّ عَلَى مَا لَم يَكُن بِمَا قَد كَانَ فَإِنّ الأُمُورَ أَشبَاهٌ وَ لَا تَكُونَنّ مِمّن لَا تَنفَعُهُ العِظَةُ إِذَا بَالَغتَ فِى إِيلَامِهِ فَإِنّ العَاقِلَ يَتّعِظُ بِالآدَابِ وَ البَهَائِمَ لَا تَتّعِظُ إِلّا بِالضّـربِ.اطرَح عَنکَ وَارِدَاتِ الهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصّبرِ وَ حُسنِ اليَقِينِ مَن تَرَکَ القَصدَ جَارَ وَ الصّاحِبُ مُنَاسِبٌ وَ الصّدِيقُ مَن صَدَقَ غَيبُهُ وَ الهَوَى شَرِيکُ العَمَى وَ رُبّ بَعِيدٍ أَقرَبُ مِن قَرِيبٍ وَ قَرِيبٍ أَبعَدُ مِن بَعِيدٍ وَ الغَرِيبُ مَن لَم يَكُن لَهُ حَبِيبٌ مَن تَعَدّى الحَقّ ضَاقَ مَذهَبُهُ وَ مَنِ اقتَصَـرَ عَلَى قَدرِهِ كَانَ أَبقَى لَهُ وَ أَوثَقُ سَبَبٍ أَخَذتَ بِهِ سَبَبٌ بَينَکَ وَ بَينَ اللّهِ سُبحَانَهُ وَ مَن لَم يُبَالِکَ فَهُوَ عَدُوّکَ قَد يَكُونُ اليَأسُ إِدرَاكاً إِذَا كَانَ الطّمَعُ هَلَاكاً لَيسَ كُلّ عَورَةٍ تَظهَرُ وَ لَا كُلّ فُرصَةٍ تُصَابُ وَ رُبّمَا أَخطَأَ البَصِـيرُ قَصدَهُ وَ أَصَابَ الأَعمَى رُشدَهُ أَخّرِ الشّرّ فَإِنّکَ إِذَا شِـئتَ تَعَجّلتَهُ وَ قَطِيعَةُ الجَاهِلِ تَعدِلُ صِـلَةَ العَاقِلِ مَن أَمِنَ الزّمَانَ خَانَهُ وَ مَن أَعظَمَهُ أَهَانَهُ لَيسَ كُلّ مَن رَمَى أَصَابَ إِذَا تَغَيّرَ السّـلطَانُ تَغَيّرَ الزّمَانُ سَل عَنِ الرّفِيقِ قَبلَ الطّرِيقِ وَ عَنِ الجَارِ قَبلَ الدّارِ [صـفحه ١١٤] فى بعض الروايـات اطرح عنـک واردات الهمـوم بحسن الصـبر وكرم العزاء -روايت-١-٢-روايت-٢١-٧٣ قدمضـى لنا كلام شاف فى الرزق . وروى أبوحيان قال رفع الواقـدى إلى المأمون رقعـة يـذكر فيهاغلبـة الدين عليه وكثرة العيال وقلـة الصبر فوقع المأمون عليها أنت رجل فيک خلتان السخاء والحياء فأما السـخاء فهو ألذى أطلق ما فى يديک و أماالحياء فهو

ألـذى بلغ بك إلى ماذكرت و قـدأمرنا لك بمائـة ألف درهم فإن كنا أصبنا إرادتك فازدد فى بسط يدك و إن كنا لم نصب إرادتك فبجنايتك على نفسك و أنت كنت حـدثتنى و أنت على قضاء الرشـيد عن محمد بن إسـحاق عن الزهرى عن أنس بن مالك إن رسول الله ص قال للزبير يازبير إن مفاتيـح الرزق بإزاء العرش ينزل الله تعالى للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له و من قلل قلل له -روايت-١-٢-روايت-٨٠-٢٠۶ قال الواقدى وكنت أنسيت هذاالحديث وكانت مذاكرته إياى به أحب من صلته . واعلم أن هذاالفصل يشتمل على نكت كثيرة حكمية منها قوله الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك و هذاحق لأن ذلك إنما يكون على حسب مايعلمه الله تعالى من مصلحة المكلف فتارة يأتيه الرزق بغير اكتساب و لاتكلف حركـة و لاتجشم سعى وتـارة يكون الأـمر بالعكس .دخل عماد الدولـة أبو الحسن بن بويه شـيراز بعـد أن هزم ابن ياقوت عنها و هوفقير [صـفحه ١١۵] لامـال له فسـاخت إحـدى قوائم فرسه فى الصـحراء فى الأـرض فنزل عنهـا وابتـدرها غلمـانه فخلصوها فظهر لهم فى ذلك الموضع نقب وسـيع فأمرهـم بحفرة فوجدوا فيه أموالا عظيمة وذخائر لابن ياقوت ثم اسـتلقى يوما آخر على ظهره فى داره بشيراز التى كان ابن ياقوت يسـكنها فرأى حية فى السقف فأمر غلمانه بالصعود إليها وقتلها فهربت منهم ودخلت فى خشب الكنيسة فأمر أن يقلع الخشب وتسـتخرج وتقتـل فلمـا قلعوا الخشب وجـدوا فيه أكثر من خمسـين ألف دينـار ذخيرة لاـبن ياقوت . واحتاج أن يفصل ويخيط ثيابا له ولأهله فقيل هاهنا خياط حاذق كان يخيط لابن ياقوت و هو رجل منسوب إلى الـدين والخير إلا أنه أصـم لايسـمع شـيئا أصـلا فأمر بإحضاره فأحضـر وعنـده رعب وهلع فلما أدخله إليه كلمه و قال أريد أن تخيط لنا كذا وكذا قطعة من الثياب فارتعـد الخياط واضـطرب كلامه و قال و الله ياءولانا ما له عنـدى إلاأربعـة صـناديق ليس غيرها فلاتسـمع قول الأعداء فى فتعجب عماد الدولة وأمر بإحضار الصناديق فوجدها كلها ذهبا وحليا وجواهر مملوءة وديعة لابن ياقوت . و أماالرزق ألذى يطلبه الإنسان ويسعى إليه فهو كثير جدا لايحصى ومنها قوله ماأقبح الخضوع عندالحاجة والجفاء عندالغنى هذا من قول الله تعالى حَتّى إِذا كُنتُم فِى الفُلكِ وَ جَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِها جاءَتها رِيحٌ عاصِفٌ وَ جاءَهُمُ المَوجُ مِن كُلّ مَكانٍ وَ ظَنّوا أَنّهُم أُحِيطَ بِهِم دَعَوُا اللّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدّينَ لَئِن أَنجَيتَنا مِن هذِهِ لَنَكُونَنّ مِنَ الشّاكِرِينَ فَلَمّا أَنجاهُم إِذا هُم يَبغُونَ فِى الأَرضِ بِغَيرِ الحَقّ. و من الشـعر الحكمى فى هذاالباب قول الشاعر -قرآن-١٠٨٧-١٤١٣ خلقان لاأرضاهما لفتى || تيه الغنى ومذلـة الفقر [صـفحه ١١۶] فـإذاغنيت فلاـتكن بطرا || و إذاافتقرت فته على الـدهر . ومنهـا قوله إنمـا لـك من دنيـاك ماأصلحت به مثواك هـذا من كلام رسول الله ص يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ماأكلت فأفنيت أولبست فأبليت أوتصدقت فأبقيت -روايت-١-٢-روايت-٢٣-١٠٧ . و قـال أبوالعتاهيـة ليس للمتعب المكادح من دنياه || إلاالرغيف والطمران . ومنها قوله و إن كنت جازعا على ماتفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل إليك يقول لاينبغى أن تجزع على ماذهب من مالك كما لاينبغى أن تجزع على مافاتك من المنافع والمكاسب فإنه لافرق بينهما إلا أن هـذاحصل وذاك لم يحصل بعـد و هـذافرق غيرمؤثر لأن ألذى تظن أنه حاصل لك غيرحاصـل فى الحقيقـة وإنما الحاصل على الحقيقـة ماأكلته ولبسـته و أماالقنيات والمـدخرات فلعلها ليست لك كما قال الشاعر وذى إبل يسـقى ويحسبها له || أخى تعب فى رعيها ودءوب غدت وغدا رب سواه يسوقها || وبدل أحجارا وجال قليب . ومنها قوله اسـتدل على ما لم يكن بما كان فإن للأمور أشـباها يقال إذاشئت أن تنظر للدنيا بعدك فانظرها بعدغيرك . و قال أبوالطيب فى سيف الدولـة ذكى تظنيه طليعـة عينه || يرى قلبه فى يومه مايرى غدا . ومنها قوله و لاتكونن ممن لاتنفعه العظة ... إلى قوله إلابالضـرب هوقول الشاعر [صفحه ١١٧] العبـد يقرع بالعصا || والحر تكفيه الملامـة و كان يقال اللئيم كالعبـد والعبد كالبهيمة عتبهـا ضـربها. ومنها قوله اطرح عنك واردات الهموم بحسن الصبر وكرم العزاء هـذاكلام شـريف فصـيح عظيم النفع والفائـدة و قدأخذ عبد الله بن الزبير بعض هذه الألفاظ فقال فى خطبته لماورد عليه الخبر بقتل مصعب أخيه لقد جاءنا من العراق خبر أحزننا وسـرنا جاءنا خبر قتل مصعب فأما سـرورنا فلأن ذلك كان له شهادة و كان لنا إن شاء الله خيرة و أماالحزن فلوعة يجدها الحميم

عنـدفراق حميمـه ثـم يرعـوى بعـدها ذو الرأى إلى حسن الصبـر وكرم العزاء. ومنهـا قـوله من ترک القصـد جـار القصـد الطريق المعتـدل يعنى أن خير الأمور أوسـطها فإن الفضائل تحيط بهاالرذائل فمن تعـدى هـذه يسيرا وقع فى هـذه . ومنها قوله الصاحب مناسب كان يقال الصديق نسيب الروح والأخ نسيب البدن قال أبوالطيب ماالخل إلا من أود بقلبه || وأرى بطرف لايرى بسوائه . ومنها قوله الصـديق من صدق غيبه من هاهنا أخذ أبونواس قوله فى المنهوكهٔ هل لک والهل خبر || فيمن إذاغبت حضـر أو ما لک اليوم أثر || فإن رأى خيرا شـكر أو كان تقصـير عذر . ومنها قوله الهوى شـريک العمى هذامثل قولهم حبک الشـىء يعمى ويصم قال الشاعر [صـفحه ١١٨] وعين الرضا عن كل عيب كليلـهٔ || كما أن عين السـخط تبـدى المساويا . ومنها قوله رب بعيد أقرب من قريب وقريب أبعـد من بعيد هذامعنى مطروق قال الشاعر لعمرک مايضـر البعد يوما || إذادنت القلوب من القلوب . و قـال الأحوص إنى لأمنحک الصـدود وإننى || قسـما إليک مع الصـدود لأميل . و قال البحترى ونازحـهٔ والـدار منها قريبـهٔ || و ماقرب ثاو فى التراب مغيب . ومنها قوله والغريب من لم يكن له حبيب يريد بالحبيب هاهنا المحب لاالمحبوب قال الشاعر أسـرهٔ المرء والـداه وفيمـا || بين جنبيهمـا الحيـاهٔ تطيب و إذاوليا عن المرء يوما || فهو فى الناس أجنبى غريب . ومنها قوله من تعـدى الحق ضاق بمذهبه يريد بمذهبه هاهنا طريقته و هذه اسـتعارهٔ ومعناه أن طريق الحق لامشقهٔ فيهالسالكها وطرق الباطل فيهاالمشاق والمضار و كان سالكها سالک طريقهٔ ضـيقهٔ يتعثر فيها ويتخبط فى سلوكها. ومنها قوله من اقتصر على قدره كان أبقى له هذامثل قـوله رحـم الله امرأ عرف قـدره و لـم يتعـد طـوره -روايت-١-٢-روايت-٩-٥١ قـال من جهـل قـدره قتـل نفسه -روايت-١-٢-روايت-٨-٣۴ و قال أبوالطيب و من جهلت نفسه قدره || رأى غيره منه ما لايرى . [صـفحه ١١٩] ومنها قوله أوثق سبب أخذت به سبب بينک و بين الله سبحانه هذا من قول الله تعالى فَمَن يَكفُر بِالطّاغُوتِ وَ يُؤمِن بِاللّهِ فَقَدِ استَمسَکَ بِالعُروَهِٔ الوُثقى لَا انفِصامَ لَها. ومنها قوله فمن لم يبالک فهو عـدوک أى لم يكترث بک و هـذه الوصاهٔ خاصهٔ بالحسن ع وأمثاله من الولاهٔ وأرباب الرعايا وليست عامهٔ للسوقهٔ من أفناء الناس و ذلک لأن الوالى إذاأنس من بعض رعيته أنه لايباليه و لايكترث به فقد أبدى صفحته و من أبـدى لک صـفحته فهو عـدوک و أما غيرالوالى من أفناء الناس فليس أحـدهم إذا لم يبال الآخر بعـدو له . ومنها قوله قد يكون اليـأس إدراكـا إذا كان الطمع هلاكا هـذامثل قول القائل -قرآن-٨٨-١٨۶ من عـاش لاـقى مايسوء || من الأمور و مايسـر ولرب حتف فوقه || ذهب ويـاقوت ودر . والمعنى ربمـا كان بلوغ الأمل فى الـدنيا والفوز بالمطلوب منها سـببا للهلاک فيها و إذا كان كـذلک كان الحرمان خيرا من الظفر. ومنها قوله ليس كل عورهٔ تظهر و لا كل فرصـهٔ تصاب يقول قدتكون عورهٔ العدو مسـترهٔ عنـک فلاـتظهر و قــدتظهر لـک و لايمكنـک إصابتهـا. و قـال بعض الحكمـاء الفرصـهٔ نوعـان فرصـهٔ مـن عـدوک وفرصـهٔ فى غيرعـدوک فالفرصـهٔ من عدوک ما إذابلغتها نفعتک و إن فاتتک ضـرتک و فى غيرعدوک ما إذاأخطأک نفعه لم يصل إليک ضره . [صفحه ١٢٠] ومنها قوله فربما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده من هذاالنحو قولهم فى المثل مع الخواطئ سهم صـائب وقولهم رميـهٔ من غيررام وقالوا فى مثل اللفظـهٔ الأولى الجواد يكبو والحسام قـدينبو وقالوا قـديهفو الحليم ويجهل العليم . ومنها قوله أخر الشر فإنک إذاشئت تعجلته مثل هذاقولهم فى الأمثال الطفيليهٔ كل إذاوجدت فإنک على الجوع قادر و من الأمثال الحكميـهٔ ابـدأ بالحسـنهٔ قبـل السـيئهٔ فلست بمستطيع للحسـنهٔ فى كل وقت و أنت على الإساءهٔ متى شـئت قادر. ومنها قوله قطيعهٔ الجاهل تعـدل صـلهٔ العاقل هذاحق لأن الجاهل إذاقطعک انتفعت ببعده عنک كماتنتفع بمواصـلهٔ الصديق العاقل لک و هذا كما يقول المتكلمون عـدم المضـرهٔ كوجود المنفعـهٔ ويكاد أن يبتنى على هـذاقولهم كما أن فعل المفسـدهٔ قبيح من البارئ فالإخلال بـاللطف منه أيضـا يجب أن يكون قبيحا. ومنها قوله من أمن الزمان خانه و من أعظمه أهانه مثل الكلمـهٔ الأولى قول الشاعر و من يأمن الدنيا يكن مثل قابض || على الماء خانته فروج الأنامل . وقالوا احذر الدنيا مااسـتقامت لک و من الأمثال الحكميهٔ من أمن الزمان ضـيع ثغرا مخوفا ومثل الكلمـهٔ الثانيـهٔ قولهم الـدنيا كالأمـهٔ اللئيمـهٔ المعشوقهٔ كلما ازددت لها عشـقا وعليها تهالكا ازدادت

إذلالا وعليك شطاطا. و قال أبوالطيب وهى معشوقة على الغدر لاتحفظ || عهدا و لاتتمم وصلا [صفحه ١٢١] شيم الغانيات فيها فلاأدرى || لذا أنث اسمها الناس أم لا . ومنها قوله ليس كل من رمى أصاب هذامعنى مشهور قال أبوالطيب ما كل من طلب المعالى نافذا || فيها و لا كل الرجال فحولا . ومنها قوله إذاتغير السلطان تغير الزمان فى كتب الفرس أن أنوشروان جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها فقال أى شىءأضر بارتفاع السواد وأدعى إلى محقه أيكم قال ما فى نفسى جعلت هذه الدرة فى فيه فقال بعضهم انقطاع الشرب و قال بعضهم احتباس المطر و قال بعضهم استيلاء الجنوب وعدم الشمال فقال لوزيره قل أنت فإنى أظن عقلك يعادل عقول الرعية كلها أويزيد عليها قال تغير رأى السلطان فى رعيته وإضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله أبوك بهذا العقل أهلك آبائى وأجدادى لماأهلوك له ودفع إليه الدرة فجعلها فى فيه . ومنها قوله سل عن الرفيق قبل الطريق و عن الجار قبل الدار و قدروى هذاالكلام مرفوعا و فى المثل جار السوء كلب هارش وأفعى ناهش . و فى المثل الرفيق إما رحيق أوحريق إِيّاكَ أَن تَذكُرَ مِنَ الكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضحِكاً وَ إِن حَكَيتَ ذَلِكَ عَن غَيرِكَ [صفحه ١٢٢] وَ إِيّاكَ وَ مُشَاوَرَةَ النّسَاءِ فَإِنّ رَأيَهُنّ إِلَى أَفنٍ وَ عَزمَهُنّ إِلَى وَهنٍ وَ اكفُف عَلَيهِنّ مِن أَبصَارِهِنّ بِحِجَابِكَ إِيّاهُنّ فَإِنّ شِدّةَ الحِجَابِ أَبقَى عَلَيهِنّ وَ لَيسَ خُرُوجُهُنّ بِأَشَدّ مِن إِدخَالِكَ مَن لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيهِنّ وَ إِنِ استَطَعتَ أَلّا يَعرِفنَ غَيرَكَ فَافعَل وَ لَا تُمَلّكِ المَرأَةَ مِن أَمرِهَا مَا جَاوَزَ نَفسَهَا فَإِنّ المَرأَةَ رَيحَانَةٌ وَ لَيسَت بِقَهرَمَانَةٍ وَ لَا تَعدُ بِكَرَامَتِهَا نَفسَهَا وَ لَا تُطمِعهَا فِي أَن تَشفَعَ لِغَيرِهَا وَ إِيّاكَ وَ التّغَايُرَ فِي غَيرِ مَوضِعِ غَيرَةٍ فَإِنّ ذَلِكَ يَدعُو الصّحِيحَةَ إِلَى السّقَمِ وَ البَرِيئَةَ إِلَى الرّيَبِ وَ اجعَل لِكُلّ إِنسَانٍ مِن خَدَمِكَ عَمَلًا تَأخُذُهُ بِهِ فَإِنّهُ أَحرَى أَلّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدمَتِكَ وَ أَكرِم عَشِيرَتَكَ فَإِنّهُم جَنَاحُكَ ألّذِي بِهِ تَطِيرُ وَ أَصلُكَ ألّذِي إِلَيهِ تَصِيرُ وَ يَدُكَ التّي بِهَا تَصُولُ استَودِعِ اللّهَ دِينَكَ وَ دُنيَاكَ وَ اسأَلهُ خَيرَ القَضَاءِ لَكَ فِي العَاجِلَةِ وَ الآجِلَةِ وَ الدّنيَا وَ الآخِرَةِ وَ السّلَامُ نهاه أن يذكر من الكلام ما كان مضحكا لأن ذلك من شغل أرباب الهزل والبطالة وقل أن يخلو ذلك من غيبة أوسخرية ثم قال و إن حكيت ذلك عن غيرك فإنه كمايستهجن الابتداء بذلك يستهجن حكايته عن الغير و ذلك كلام فصيح أ لاترى أنه لايجوز الابتداء بكلمة الكفر ويكره أيضا حكايتها و قال عمر لمانهاه [صفحه ١٢٣] رسول الله ص أن يحلف بالله فما حلفت به ذاكرا و لاآثرا و لاحاكيا. و كان يقال من مازح استخف به و من كثر ضحكه قلت هيبته .فأما مشاورة النساء فإنه من فعل عجزة الرجال قال الفضل بن الربيع أيام الحرب بين الأمين والمأمون فى كلام يذكر فيه الأمين ويصفه بالعجز ينام نوم الظربان وينتبه انتباهة الذئب همه بطنه ولذته فرجه لايفكر فى زوال نعمة و لايروى فى إمضاء رأى و لامكيدة قدشمر له عبد الله عن ساقه وفوق له أشد سهامه يرميه على بعدالدار بالحتف النافذ والموت القاصد قدعبى له المنايا على متون الخيل وناط له البلايا بأسنة الرماح وشفار السيوف فكأنه هو قال هذاالشعر ووصف به نفسه وأخاه يقارع أتراك ابن خاقان ليله || إلى أن يرى الإصباح لايتلعثم فيصبح من طول الطراد وجسمه || نحيل وأضحى فى النعيم أصمم وهمى كأس من عقار وقينة || وهمته درع ورمح ومخذم فشتان مابينى و بين ابن خالد || أمية فى الرزق ألذى الله يقسم . ونحن معه نجرى إلى غاية إن قصرنا عنها ذممنا و إن اجتهدنا فى بلوغها انقطعنا وإنما نحن شعب من أصل إن قوى قوينا و إن ضعف ضعفنا إن هذا الرجل قدألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء يشاور النساء ويعتزم على الرؤيا قدأمكن أهل الخسارة واللهو من سمعه فهم يمنونه الظفر ويعدونه عقب الأيام والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل . قوله ع فإن رأيهن إلى أفن الأفن بالسكون النقص والمتأفن [صفحه ١٢٤] المتنقص يقال فلان يتأفن فلانا أى يتنقصه ويعيبه و من رواه إلى أفن بالتحريك فهو ضعف الرأى أفن الرجل يأفن أفنا أى ضعف رأيه و فى المثل إن الرقين تغطى أفن الأفين والوهن الضعف . قوله واكفف عليهن من أبصارهن من هاهنا زائدة و هومذهب أبى الحسن الأخفش فى زيادة من فى الموجب ويجوز أن يحمل على مذهب سيبويه فيعنى به فاكفف عليهن بعض أبصارهن . ثم ذكر فائدة الحجاب ونهاه أن يدخل عليهن من لايوثق به و قال إن خروجهن أهون من ذلك و ذلك لأن من تلك صفته يتمكن من الخلوة ما لايتمكن منه من

يراهـن فی الطرقـات . ثم قـال إن اسـتطعت ألاـ يعرفن غيرک فافعـل كـان لبعضـهم بنت حسـناء فحـج بهـا و كـان يعصب عينيها ويكشف للنـاس وجههـا فقيـل له فی ذلـک فقـال إنمـا الحـذر من رؤيتها الناس لا من رؤيـة الناس لها. قال و لاتملک المرأة من أمرها ماجاوز نفسـها أی لاتدخلها معک فی تدبير و لامشورة و لاتتعدين حال نفسـها و مايصلح شأنها. فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة أی إنما تصلح للمتعة واللذة وليست وكيلا فی مال و لاوزيرا فی رأی. ثم أكد الوصية الأولی فقال لاتعد بكرامتها نفسها هـذا هو قوله و لاتملكهـا من أمرها ماجاوز نفسـها. ثم نهاه أن يطمعها فی الشـفاعات . [صـفحه ١٢٥] وروی الزبير بن بكـار قال كـانت الخيزران كثيرا ماتكلم موسـی ابنها لمااسـتخلف فی الحوائـج و كان يجيبها إلی كل ماتسأل حتی مضت أربعـة أشـهر من خلافـته وتـتألی الناس عليها وطمعوا فيهافكانت المواكب تغـدو إلی بابها وكلمته يوما فی أمر فلم يجـد إلی إجابتها سبيلا واحتج عليها بحجـة فقالت لابـد من إجابتی فقال لاأفعل قالت إنی قدضـمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالک فغضب موسـی و قال ويلی علی ابن الفاعلـة قـدعلمت أنه صاحبها و الله لاقضـيتها لک و لا له قالت و الله لاأسألک حاجـة أبـدا قال إذن و الله لاأبالی فقامت مغضـبة فقـال مكانـک تسـتوعبی كلاـمی و أنـا و الله بریء مـن قرابـتی مـن رسـول الله ص لئن بلغنی أنه وقـف أحـد من قـوادی وخـاصتی وخـدمی وكتابی علی بابک لأضـربن عنقه وأقبضن ماله فمن شاء فليلزم ذلک ما هـذه المواكب التی تغـدو إلی بابک كل يوم أ ما لک مغزل يشـغلک أومصـحف يـذكرک أوبيت يصونک إياک ثم إياک أن تفتحی فاک فی حاجـة لملی أوذمی فانصـرفت و ماتعقـل ماتطأ عليه و لم تنطق عنـده بحلوة و لامرة بعـدها حتی هلک . وأخـذ هـذه اللفظـة منه وهی قوله إن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة الحجاج فقالها للوليد بن عبدالملک روی ابن قتيبة فی كتاب عيون الأخبار قال دخل الحجاج علی الوليد بن عبـدالملک و عليه درع وعمامـة سوداء وفرس عربيـة وكنانة و ذلک فی أول قدمة قدمها عليه من العراق فبعثت أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان وهی تحت الوليد إليه من هذاالأعرابی المستلئم فی السلاح عندک و أنت فی غلالة فأرسل إليها هذاالحجاج فأعادت إليه الرسول فقال تقول لک و الله لأن يخلو بک ملک الموت فی اليوم أحيانا أحب [صفحه ١٢٦] إلی من أن يخلو بک الحجـاج فـأخبره الوليـد بـذلک و هويمـازحه فقـال يـا أمير المؤمنين دع عنک مفاكهـة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانـة فلاتطلعها علی سـرک ومكايـدة عـدوک فلما دخل الوليـد عليها أخبرها و هويمازحها بمقالة الحجاج فقالت يا أمير المؤمنين حاجتی أن تأمره غدا أن يأتينی مسلما ففعل ذلک فأتاها الحجاج فحجبته فلم يزل قائما ثم أذنت له فقالت ياحجاج أنت الممتن علی أمير المؤمنين بقتلـک ابن الزبير و ابن الأشـعث أما و الله لو لا أن الله علم أنک شـر خلقهماابتلاـک برمی الكعبة الحرام و لابقتـل ابن ذات النطـاقين أول مولود فی دار هجرة الإسـلام و أمانهيـک أمير المؤمنين عن مفاكهـة النسـاء وبلوغ لـذاته وأوطـاره فإن كن ينفرجن عن مثلک فما أحقه بالأخـذ منک و إن كن ينفرجن عن مثله فهو غيرقابل لقولک أما و الله لقـد نقص نسـاء أمير المؤمنين الطيب من غـدائرهن فبعنه فی أعطيـة أهـل الشام حين كنت فی أضـيق من قرن قـدأظلتک رماحهم وأثخنک كفاحهم وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من أبنائهم وآبائهم فأنجاک الله من عـدو أمير المؤمنين بحبهم إياه قاتل الله القائل حين ينظر إليک وسنان غزالة بين كتفيک أسد علی و فی الحروب نعامة || ربداء تنفر من صفير الصافر هلا برزت إلی غزالة فی الوغی || بل كان قلبک فی جناحی طائر .قم فاخرج فقام فخرج [صفحه ١٢٧]

بعض ماقيل فی الغيرة من الشعر

فأمـا قوله ع إيـاک والتغـاير فی غيرموضع غيرة فقـد قيـل هـذاالمعنی قال بعض المحـدثين ياأيها الغائر مه لاتغر || إلا لماتـدركه بالبصـر ما أنت فی ذلک إلاكمن || بيته الدب لرمی الحجر . و كان مسـكين الدارمی أحد من يسـتهجن الغيرة ويستقبح وقوعها

فی غیرمحلها فمن شعره فی هـذاالمعنی ماأحسن الغیرة فی حینها || وأقبح الغیرة فی غیرحین من لم یزل متهما عرسه || مناصبا فیهالرجم الظنون یوشکک أن یغریها بالذی || یخاف أوینصبها للعیون حسبک من تحصینها ضمها || منک إلی خیم کریم ودین لاـتظهرن یوما علی عورة || فیتبع المقرون حبل القرین . و قال أیضا ألا أیها الغائر المستشیط || علام تغار إذ لم تغر فما خیر عرس إذاخفتها || و ماخیر بیت إذا لم یزر تغار من الناس أن ینظروا || وهـل یفتن الصالحات النظر فإنی سأخلی لها بیتها || فتحفظ لی نفسها أوتذر [صفحه ۱۲۸] إذا الله لم یعطه ودها || فلن یعطی الود سوط ممر و من ذا یراعی له عرسه || إذاضمه والرکاب السقر . و قال أیضا ولست امرأ لاأبرح الدهر قاعدا || إلی جنب عرسی لاأفارقها شبرا و لامقسما لاأبرح الدهر بیتها || لأـجعله قبل الممات لها قبرا و لاحاملا ظنی و لاقول قائل || علی غیره حتی أحیط به خبرا وهبنی امرأ راعیت مادمت شاهدا || فکیف إذا ماسرت من بیتها شهرا إذاهی لم تحصن لما فی فنائها || فلیس بمنجیها بنائی لها قصرا .فأما قوله واجعل لکل إنسان من خدمک عملا تأخذه به فقد قالت الحکماء هذاالمعنی قال أبرویز فی وصیته لولده شیرویه وانظر إلی کتابک فمن کان منهم ذا ضیاع قدأحسن عمارتها فوله الخراج و من کان منهم ذا عبید قدأحسن سیاستهم وتثقیفهم فوله الجند و من کان منهم ذا سراری وضرائر قدأحسن القیام علیهن فوله النفقات والقهرمة وهکذا فاصنع فی خدم دارک و لاتجعل أمرک فوضی بین خدمک فیفسد علیک ملکک . و أما قوله فأکرم عشیرتک فإنهم جناحک فقد تقدم منا کلام فی وجوب الاعتضاد بالعشائر

اعتزاز الفرزدق بقومه

روی أبوعبیدة قال کان الفرزدق لاینشد بین یدی الخلفاء والأمراء إلاقاعدا [صفحه ۱۲۹] فدخل علی سلیمان بن عبدالملک یوما فأنشده شعرا فخر فیه بآبائه و قال من جملته تالله ماحملت من ناقة رجلاـ || مثلی إذاالریح لفتنی علی الکور . فقال سلیمان هذاالمدح لی أم لک قال لی و لک یا أمیر المؤمنین فغضب سلیمان و قال قم فأتمم و لاتنشد بعده إلاقائما فقال الفرزدق لا و الله أویسقط إلی الأرض أکثری شعرا فقال سلیمان ویلی علی الأحمق ابن الفاعلة لایکنی وارتفع صوته فسمع الضوضاء بالباب فقال سلیمان ما هذاقیل بنو تمیم علی الباب قالوا لاینشد الفرزدق قائما وأیدینا فی مقابض سیوفنا قال فلینشد قاعدا

وفود الولید بن جابر علی معاویة

وروی أبوعبید الله محمد بن موسی بن عمران المرزبانی قال کان الولید بن جابر بن ظالم الطائی ممن وفد علی رسول الله ص فأسلم ثم صحب علیا ع وشهد معه صفین و کان من رجاله المشهورین ثم وفد علی معاویة فی الاستقامة و کان معاویة لایثبته معرفة بعینه فدخل علیه فی جملة الناس فلما انتهی إلیه استنسبه فانتسب له فقال أنت صاحب لیلة الهریر قال نعم قال و الله ماتخلو مسامعی من رجزک تلک اللیلة و قدعلا صوتک أصوات الناس و أنت تقول شدوا فداء لکم أمی وأب || فإنما الأمر غدا لمن غلب هذا ابن عم المصطفی والمنتجب || تنمه للعلیاء سادات العرب لیس بموصوم إذانص النسب || أول من صلی وصام واقترب . قال نعم أناقائلها قال فلما ذا قلتها قال لأنا کنا مع رجل لانعلم خصلة [صفحه ۱۳۰] توجب الخلافة و لافضیلة تصیر إلی التقدمة إلا وهی مجموعة له کان أول الناس سلما وأکثرهم علما وأرجحهم حلما فات الجیاد فلایشق غباره یستولی علی الأمد فلایخاف عثاره وأوضح منهج الهدی فلایبید مناره وسلک القصد فلاتدرس آثاره فلما ابتلانا الله تعالی بافتقاده وحول الأمر إلی من یشاء من عباده دخلنا فی جملة المسلمین فلم ننزع یدا عن طاعة و لم نصدع صفاة جماعة علی أن لک منا ماظهر وقلوبنا بید

الله و هوأملك بهامنك فاقبل صفونا وأعرض عن كدرنا و لاتثر كوامن الأحقاد فإن النار تقدح بالزناد قال معاوية وإنك لتهددنى ياأخا طيئ بأوباش العراق أهل النفاق ومعدن الشقاق فقال يامعاوية هم الذين أشرقوك بالريق وحبسوك فى المضيق وذادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف ودعوت إليها من صدق بها وكذبت وآمن بمنزلها وكفرت وعرف من تأويلها ماأنكرت فغضب معاوية وأدار طرفه فيمن حوله فإذاجلهم من مضر ونفر قليل من اليمن فقال أيها الشقى الخائن إنى لإخال أن هذاآخر كلام تفوه به و كان عفير بن سيف بن ذى يزن بباب معاوية حينئذ فعرف موقف الطائى ومراد معاوية فخافه عليه فهجم عليهم الدار وأقبل على اليمانية فقال شاهت الوجوه ذلا وقلا وجدعا و فلاكشم الله هذه الأنف كشما مرعبا ثم التفت إلى معاوية فقال إنى و الله يامعاوية ماأقول قولى هذاحبا لأهل العراق و لاجنوحا إليهم ولكن الحفيظة تذهب الغضب لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعة يعنى صعصعة بن صوحان و هوأعظم جرما عندك من هذا وأنكأ لقلبك وأقدح فى صفاتك وأجد فى عداوتك وأشد انتصارا فى حربك ثم أثبته وسرحته و أنت الآن مجمع على قتل هذازعمت استصغارا لجماعتنا فإنا لانمر و لانحلى ولعمرى لووكلتك أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر وذكرك الداثر [صفحه ١٣١] وحدك المفلول وعرشك المثلول فاربع على ظلعك واطونا على بلالتنا ليسهل لك حزننا ويتطامن لك شاردنا فإنا لانرام بوقع الضيم و لانتلمظ جرع الخسف و لانغمز بغماز الفتن و لانذر على الغضب فقال معاوية الغضب شيطان فاربع نفسك أيها الإنسان فإنا لم نأت إلى صاحبك مكروها و لم نرتكب منه مغضبا و لم ننتهك منه محرما فدونكه فإنه لم يضق عنه حلمنا ويسع غيره فأخذ عفير بيد الوليد وخرج به إلى منزله و قال له و الله لتئوبن بأكثر مما آب به معدى من معاوية وجمع من بدمشق من اليمانية وفرض على كل رجل دينارين فى عطائه فبلغت أربعين ألفا فتعجلها من بيت المال ودفعها إلى الوليد ورده إلى العراق [صفحه ١٣٢]

٣٢- و من كتاب له ع إلى معاوية

اشاره

وَ أَردَيتَ جِيلًا مِنَ النّاسِ كَثِيراً خَدَعتَهُم بِغَيّكَ وَ أَلقَيتَهُم فِي مَوجِ بَحرِكَ تَغشَاهُمُ الظّلُمَاتُ وَ تَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشّبُهَاتُ فَجَارُوا عَن وِجهَتِهِم وَ نَكَصُوا عَلَى أَعقَابِهِم وَ تَوَلّوا عَلَى أَدبَارِهِم وَ عَوّلُوا عَلَى أَحسَابِهِم إِلّا مَن فَاءَ مِن أَهلِ البَصَائِرِ فَإِنّهُم فَارَقُوكَ بَعدَ مَعرِفَتِكَ وَ هَرَبُوا إِلَى اللّهِ مِن مُوَازَرَتِكَ إِذ حَمَلتَهُم عَلَى الصّعبِ وَ عَدَلتَ بِهِم عَنِ القَصدِ فَاتّقِ اللّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفسِكَ وَ جَاذِبِ الشّيطَانَ قِيَادَكَ فَإِنّ الدّنيَا مُنقَطِعَةٌ عَنكَ وَ الآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنكَ وَ السّلَامُ أرديتهم أهلكتهم وجيلا من الناس أى صنفا من الناس والغى الضلال وجاروا عدلوا عن القصد ووجهتهم بكسر الواو يقال هذاوجه الرأى أى هوالرأى بنفسه والاسم الوجه بالكسر ويجوز بالضم . قوله وعولوا على أحسابهم أى لم يعتمدوا على الدين وإنما أردتهم الحمية ونخوة الجاهلية فأخلدوا إليها وتركوا الدين والإشارة إلى بنى أمية وخلفائهم الذين اتهموه ع بدم عثمان فحاموا عن الحسب و لم يأخذوا بموجب الشرع فى تلك الواقعة [صفحه ١٣٣] ثم استثنى قوما فاءوا أى رجعوا عن نصرة معاوية و قدذكرنا فى أخبار صفين من فارق معاوية ورجع إلى أمير المؤمنين ع أوفارقه واعتزل الطائفتين . قوله حملتهم على الصعب أى على الأمر الشاق والأصل فى ذلك البعير المستصعب يركبه الإنسان فيغرر بنفسه

ذكر بعض مادار بين على ومعاوية من الكتب

أول هذاالكتاب من عبد الله على أمير المؤمنين ع إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فإن الدنيا دار تجارة وربحها أوخسرها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيهاالأعمال الصالحة و من رأى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وإنى لأعظك مع علمى بسابق العلم فيك مما لامرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدوا الأمانة و أن ينصحوا الغوى والرشيد فاتق الله و لاتكن ممن لايرجو لله وقارا و من حقت عليه كلمة العذاب فإن الله بالمرصاد و إن دنياك ستدبر عنك وستعود حسرة عليك فاقلع عما أنت عليه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فإن حالك اليوم كحال الثوب المهيل ألذى لايصلح من جانب إلافسد من آخر و قدأرديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم بغيك -روايت-١-٢-روايت-١٨-٦٧٩ إلى آخر الكتاب . قال أبو الحسن على بن محمدالمدائنى فكتب إليه معاوية من معاوية بن أبى سفيان إلى على بن أبى طالب أما بعدفقد وقفت على كتابك و قدأبيت على الفتن إلاتماديا وإنى لعالم أن ألذى يدعوك إلى ذلك مصرعك ألذى [صفحه ١٣٤] لابد لك منه و إن كنت موائلا فازدد غيا إلى غيك فطالما خف عقلك ومنيت نفسك ما ليس لك والتويت على من هوخير منك ثم كانت العاقبة لغيرك واحتملت الوزر بما أحاط بك من خطيئتك و السلام . فكتب على ع إليه أما بعد فإن ماأتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك الذين حملهم الكفر وتمنى الأباطيل على حسد محمدص حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريما و لم يدفعوا عظيما و أناصاحبهم فى تلك المواطن الصالى بحربهم والفال لحدهم والقاتل لرءوسهم ورءوس الضلالة والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم فبئس الخلف خلف أتبع سلفا محله ومحطه النار و السلام -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٤٠٥ . قال فكتب إليه معاوية أما بعدفقد طال فى الغى مااستمررت أدراجك كماطالما تمادى عن الحرب نكوصك وإبطاؤك فتوعد وعيد الأسد وتروغ روغان الثعلب فحتام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية والأفاعى القاتلة و لاتستبعدنها فكل ما هوآت قريب إن شاء الله و السلام . قال فكتب إليه على ع أما بعدفما أعجب مايأتينى منك و ماأعلمنى بما أنت إليه صائر و ليس إبطائى عنك إلاترقبا لما أنت له مكذب و أنا به مصدق وكأنى بك غدا و أنت تضج من الحرب ضجيج الجمال من الأثقال وستدعونى أنت وأصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم و السلام -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٢٩٦ . قال فكتب إليه معاوية [صفحه ١٣٥] أما بعدفدعنى من أساطيرك واكفف عنى من أحاديثك واقصر عن تقولك على رسول الله ص وافترائك من الكذب ما لم يقل وغرور من معك والخداع لهم فقد استغويتهم ويوشك أمرك أن ينكشف لهم فيعتزلوك ويعلموا أن ماجئت به باطل مضمحل و السلام . قال فكتب إليه على ع أما بعدفطالما دعوت أنت وأولياؤك أولياء الشيطان الرجيم الحق أساطير الأولين ونبذتموه وراء ظهوركم وجهدتم بإطفاء نور الله بأيديكم وأفواهكم وَ اللّهُ مُتِمّ نُورِهِ وَ لَو كَرِهَ الكافِرُونَ ولعمرى ليتمن النور على كرهك ولينفذن العلم بصغارك ولتجازين بعملك فعث فى دنياك المنقطعة عنك ماطاب لك فكأنك بباطلك و قدانقضى وبعملك و قدهوى ثم تصير إلى لظى لم يظلمك الله شيئاوَ ما رَبّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٤٤٩ . قال فكتب إليه معاوية أما بعدفما أعظم الرين على قلبك والغطاء على بصرك الشره من شيمتك والحسد من خليقتك فشمر للحرب واصبر للضرب فو الله ليرجعن الأمر إلى ماعلمت والعاقبة للمتقين هيهات هيهات أخطأك ماتمنى وهوى قلبك مع من هوى فاربع على ظلعك وقس شبرك بفترك لتعلم أين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ويفصل بين أهل الشك علمه و السلام . قال فكتب إليه على ع أما بعد فإن مساوئك مع علم الله تعالى فيك حالت بينك و بين أن يصلح لك أمرك و أن يرعوى قلبك يا ابن الصخر اللعين زعمت أن يزن الجبال حلمك ويفصل بين أهل الشك علمك و أنت الجلف المنافق الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل فإن كنت صادقا فيما تسطر ويعينك عليه أخو بنى سهم فدع الناس جانبا وتيسر لمادعوتنى إليه من الحرب والصبر على -روايت-١-٢-روايت-٨-ادامه دارد [صفحه ١٣٦] الضرب وأعف الفريقين من القتال ليعلم أينا المرين على قلبه المغطى على بصره فأنا أبو الحسن قاتل جدك وأخيك وخالك و ما أنت منهم ببعيد و السلام

-روايت-از قبل-۱۵۵ . قلت وأعجب وأطرب ماجاء به الدهر و إن كانت عجائبه وبدائعه جمة أن يفضى أمر على ع إلى أن يصير معاوية ندا له ونظيرا مماثلا يتعارضان الكتاب والجواب ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه و لا يقول له على ع كلمة إلا قال مثلها وأخشن مسا منها فليت محمداص كان شاهد ذلك ليرى عيانا لاخبرا أن الدعوة التى قام بها وقاسى أعظم المشاق فى تحملها وكابد الأهوال فى الذب عنها وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها وشيد أركانها وملأ الآفاق بهاخلصت صفوا عفوا لأعدائه الذين كذبوه لمادعا إليها وأخرجوه عن أوطانه لماحض عليها وأدموا وجهه وقتلوا عمه وأهله فكأنه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم كما قال أبوسفيان فى أيام عثمان و قدمر بقبر حمزة وضربه برجله و قال يا أباعمارة إن الأمر ألذى اجتلدنا عليه بالسيف أمسى فى يد غلماننا اليوم يتلعبون به ثم آل الأمر إلى أن يفاخر معاوية عليا كمايتفاخر الأكفاء والنظراء. إذاعير الطائى بالبخل مادر || وقرع قسا بالفهاهة باقل و قال السها للشمس أنت خفية || و قال الدجى ياصبح لونك حائل وفاخرت الأرض السماء سفاهة || وكاثرت الشهب الحصى والجنادل فيا موت زر إن الحياة ذميمة || و يانفس جدى إن دهرك هازل . ثم أقول ثانيا لأمير المؤمنين ع ليت شعرى لماذا فتح باب الكتاب [صفحه ۱۳۷] والجواب بينه و بين معاوية و إذاكانت الضرورة قدقادت إلى ذلك فهلا اقتصر فى الكتاب إليه على الموعظة من غيرتعرض للمفاخرة والمنافرة و إذا كان لابد منهما فهلا اكتفى بهما من غيرتعرض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله وبأشد منه وَ لا تَسُبّوا الّذِينَ يَدعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبّوا اللّهَ عَدواً بِغَيرِ عِلمٍ وهلا دفع هذا الرجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذاالسفيه الأحمق هذا مع أنه القائل من واجه الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لايعلمون أى افتروا عليه وقالوا فيه الباطل . -قرآن-۲۴۱-۳۲۸ أيها الشاتمى لتحسب مثلى || إنما أنت فى الضلال تهيم لاتسبننى فلست بسبى || إن سبى من الرجال الكريم . وهكذا جرى فى القنوت واللعن قنت بالكوفة على معاوية ولعنه فى الصلاة وخطبة الجمعة وأضاف إليه عمرو بن العاص و أبا موسى و أباالأعور السلمى وحبيب بن مسلمة فبلغ ذلك معاوية بالشام فقنت عليه ولعنه بالصلاة وخطبة الجمعة وأضاف إليه الحسن و الحسين و ابن عباس والأشتر النخعى ولعله ع قد كان يظهر له من المصلحة حينئذ مايغيب عنا الآن ولله أمر هوبالغه [صفحه ۱۳۸]

۳۳- و من كتاب له ع إلى قثم بن العباس و هوعامله على مكة

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّ عيَنيِ بِالمَغرِبِ كَتَبَ إلِيَّ يعُلمِنُيِ أَنّهُ وُجّهَ إِلَى المَوسِمِ أُنَاسٌ مِن أَهلِ الشّامِ العمُيِ القُلُوبِ الصّمّ الأَسمَاعِ الكُمهِ الأَبصَارِ الّذِينَ يَلبِسُونَ الحَقّ بِالبَاطِلِ وَ يُطِيعُونَ المَخلُوقَ فِي مَعصِيَةِ الخَالِقِ وَ يَحتَلِبُونَ الدّنيَا دَرّهَا بِالدّينِ وَ يَشتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الأَبرَارِ المُتّقِينَ وَ لَن يَفُوزَ بِالخَيرِ إِلّا عَامِلُهُ وَ لَا يُجزَى جَزَاءَ الشّرّ إِلّا فَاعِلُهُ فَأَقِم عَلَى مَا فِي يَدَيكَ قِيَامَ الحَازِمِ الطّبِيبِ وَ النّاصِحِ اللّبِيبِ التّابِعِ لِسُلطَانِهِ المُطِيعِ لِإِمَامِهِ وَ إِيّاكَ وَ مَا يُعتَذَرُ مِنهُ وَ لَا تَكُن عِندَ النّعمَاءِ بَطِراً وَ لَا عِندَ البَأسَاءِ فَشِلًا وَ السّلَامُ كان معاوية قدبعث إلى مكة دعاة فى السر يدعون إلى طاعته ويثبطون العرب عن نصرة أمير المؤمنين ويوقعون فى أنفسهم أنه إما قاتل لعثمان أوخاذل و إن الخلافة [صفحه ۱۳۹] لاتصلح فيمن قتل أوخذل وينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم وأخلاقه وسيرته فكتب أمير المؤمنين ع هذاالكتاب إلى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسة و لم يصرح فى هذاالكتاب بما ذا يأمره أن يفعل إذاظفر بهم . قوله عينى بالمغرب أى أصحاب أخباره عندمعاوية وسمى الشام مغربا لأنه من الأقاليم المغربية. والموسم الأيام التى يقام فيهاالحج . و قوله ويحتلبون الدنيا درها بالدين دلالة على ماقلنا إنهم كانوا دعاة يظهرون سمت

الـدين وناموس العبادهٔ و فيه إبطال قول من ظن أن المراد بـذلك السـرايا التى كان معاويـهٔ يبعثها فتغير على أعمال على ع ودرها منصوب بالبـدل من الدنيا وروى الذين يلتمسون الحق بالباطل أى يطلبونه أى يتبعون معاويهٔ و هو على الباطل التماسا وطلبا للحق و لا ـيعلمون أنهم قدضـلوا. قوله وإيـاك و مايعتـذر منه من الكلمات الشـريفهٔ الجليلـهٔ الموقع و قـدرويت مرفوعـهٔ و كان يقال ما شيءأشـد على الإنسـان من حمـل المروءهٔ والمروءهٔ ألاـ يعمل الإنسان فى غيبـهٔ صاحبه مايعتـذر منه عنـدحضوره . قوله و لاتكن عندالنعماء بطرا و لا عندالبأساء فشـلا معنى مستعمل قال الشاعر فلست بمفراح إذاالدهر سرنى || و لاجازع من صرفه المتقلب و لاأتمنى الشر والشر تاركى || ولكن متى أحمل على الشر أركب [صفحه ۱۴۰]

قثم بن عباس وبعض أخباره

فأمـا قثم بن العباس فأمه أم إخوته وروى ابن عبـدالبر فى كتاب الاستيعاب عن عبـد الله بن جعفر قال كنت أنا وعبيـد الله وقثم ابنا العباس نلعب فمر بنا رسول الله ص راكبا فقال ارفعوا إلى هذاالفتى يعنى قثم فرفع إليه فأردفه خلفه ثم جعلنى بين يديه ودعا لنا – روايت–۱–۲–روايت–۳۱–۱۹۷ فاستشـهد قثم بسـمرقند. قال ابن عبـدالبر وروى عبـد الله بن عباس قال كان قثم آخر الناس عهـدا برسول الله ص أى آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه قال و كان المغيرهٔ بن شـعبهٔ يـدعى ذلك لنفسه فأنكر على بن أبى طالب ع ذلك و قال بل آخر من خرج من القبر قثم بن العباس . قال ابن عبدالبر و كان قثم واليا لعلى ع على مكهٔ عزل على ع خالد بن العـاص بن هشـام بن المغيرهٔ المخزومى و كـان واليهـا لعثمـان وولاها أباقتادهٔ الأنصارى ثم عزله عنها وولى مكانه قثم بن العباس فلم يزل واليه عليها حتى قتل على ع قال هذاقول خليفهٔ و قال الزبير بن بكار اسـتعمل على ع قثم بن العباس على المدينهٔ. قال ابن عبدالبر واستشـهد قثم بسمرقند كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاويهٔ فقتل هناك . قال و كان قثم يشبه رسول الله ص و فيه يقول داود بن مسلم [صفحه ۱۴۱] عتقت من حل و من رحلـهٔ || ياناق إن أدنيتنى من قثم إنك إن أدنيت منه غدا || حـالفنى اليسـر ومـات العـدم فى كفه بحر و فى وجهه || بـدر و فى العرنين منه شـمم أصم عن قيل الخنا سـمعه || و ما على الخير به من صمم لم يدر ما لا وبلا قددرى || فعافها واعتاض منها نعم [صفحه ۱۴۲]

۳۴– و من كتاب له ع إلى محمد بن أبى بكر

اشاره

لمابلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفى الأشتر فى توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها أَمّا بَعدُ فَقَد بلَغَنِي مَوجِدَتُکَ مِن تَسرِيحِ الأَشتَرِ إِلَى عَمَلِکَ وَ إِنيّ لَم أَفعَل ذَلِکَ استِبطَاءً لَکَ فِي الجَهدَ وَ لَا ازدِيَاداً لَکَ فِي الجِدّ وَ لَو نَزَعتُ مَا تَحتَ يَدِکَ مِن سُلطَانِکَ لَوَلّيتُکَ مَا هُوَ أَيسَرُ عَلَيکَ مَئُونَةً وَ أَعجَبُ إِلَيکَ وِلَايَةً إِنّ الرّجُلَ ألّذِى کُنتُ وَلّيتُهُ أَمرَ مِصرَ کَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحاً وَ عَلَى عَدُوّنَا شَدِيداً نَاقِماً فَرَحِمَهُ اللّهُ فَلَقَدِ استَکمَلَ أَيّامَهُ وَ لَاقَى حِمَامَهُ وَ نَحنُ عَنهُ رَاضُونَ أَولَاهُ اللّهُ رِضوَانَهُ وَ ضَاعَفَ الثّوَابَ لَهُ فَأَصحِر لِعَدُوّکَ وَ امضِ عَلَى بَصِيرَتِکَ وَ شَمّر لِحَربِ مَن حَارَبَکَ وَ ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبّکَ وَ أَكثِرِ الِاستِعَانَةَ بِاللّهِ يَكفِكَ مَا أَهَمّكَ وَ يُعِنكَ عَلَى مَا يُنزِلُ بِكَ إِن شَاءَ اللّهُ

أم محمدرحمه الله أسماء بنت عميس الخثعمية وهى أخت ميمونة زوج النبى ص [صفحه ۱۴۳] وأخت لبابة أم الفضل و عبد الله زوج العباس بن عبدالمطلب وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة وهى إذ ذاك تحت جعفر بن أبى طالب ع فولدت له هناك محمد بن جعفر و عبد الله وعونا ثم هاجرت معه إلى المدينة فلما قتل جعفر يوم مؤتة تزوجها أبوبكر فولدت له محمد بن أبى بكر هذا ثم مات عنها فتزوجها على ع وولدت له يحيى بن على لاخلاف فى ذلك . و قال ابن عبدالبر فى الإستيعاب ذكر ابن الكلبى أن عون بن على اسم أمه أسماء بنت عميس و لم يقل ذلك أحد غيره . و قدروى أن أسماء كانت تحت حمزة بن عبدالمطلب فولدت له بنتا تسمى أمة الله وقيل أمامة و محمد بن أبى بكر ممن ولد فى عصر رسول الله ص . قال ابن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب ولد عام حجة الوداع فى عقب ذى القعدة بذى الحليفة حين توجه رسول الله ص إلى الحج فسمته عائشة محمدا وكنته أباالقاسم بعد ذلك لماولد له ولد سماه القاسم و لم تكن الصحابة ترى بذلك بأسا ثم كان فى حجر على ع وقتل بمصر و كان على ع يثنى عليه ويقرظه ويفضله و كان لمحمد رحمه الله عبادة واجتهاد و كان ممن حضر عثمان ودخل عليه فقال له لورآك أبوك لم يسره هذاالمقام منك فخرج وتركه ودخل عليه بعده من قتله ويقال إنه أشار إلى من كان معه فقتلوه . قوله وبلغنى موجدتك أى غضبك وجدت على فلان موجدة ووجدانا لغة قليلة وأنشدوا كلانا رد صاحبه بغيظ || على حنق ووجدان شديد . [صفحه ۱۴۴] فأما فى الحزن فلايقال إلاوجدت أنابالفتح لا غير. والجهد الطاقة أى لم أستبطئك فى بذل طاقتك ووسعك و من رواها الجهد بالفتح فهو من قولهم اجهد جهدك فى كذا أى أبلغ الغاية و لايقال هذاالحرف هاهنا إلامفتوحا. ثم طيب ع نفسه بأن قال له لوتم الأمر ألذى شرعت فيه من ولاية الأشتر مصر لعوضتك بما هوأخف عليك مئونة وثقلا وأقل نصبا من ولاية مصر لأنه كان فى مصر بإزاء معاوية من الشام و هومدفوع إلى حربه . ثم أكد ع ترغيبه بقوله وأعجب إليك ولاية. فإن قلت ما ألذى بيده مما هوأخف على محمدمئونة وأعجب إليه من ولاية مصر قلت ملك الإسلام كله كان بيد على ع إلاالشام فيجوز أن يكون قد كان فى عزمه أن يوليه اليمن أوخراسان أوأرمينية أوفارس . ثم أخذ فى الثناء على الأشتر و كان على ع شديد الاعتضاد به كما كان هوشديد التحقق بولايته وطاعته . وناقما من نقمت على فلان كذا إذاأنكرته عليه وكرهته منه . ثم دعا له بالرضوان ولست أشك بأن الأشتر بهذه الدعوة يغفر الله له ويكفر ذنوبه ويدخله الجنة و لافرق عندى بينها و بين دعوة رسول الله ص و ياطوبى لمن حصل له من على ع بعض هذا. قوله وأصحر لعدوك أى ابرز له و لاتستتر عنه بالمدينة التى أنت فيهاأصحر الأسد من خيسه إذاخرج إلى الصحراء. وشمر فلان للحرب إذاأخذ لها أهبتها [صفحه ۱۴۵]

۳۵- و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس بعدمقتل محمد بن أبى بكر

أَمّا بَعدُ فَإِنّ مِصرَ قَدِ افتُتِحَت وَ مُحَمّدُ بنُ أَبِي بَكرٍ رَحِمَهُ اللّهُ قَدِ استُشهِدَ فَعِندَ اللّهِ نَحتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً وَ عَامِلًا كَادِحاً وَ سَيفاً قَاطِعاً وَ رُكناً دَافِعاً وَ قَد كُنتُ حَثَثتُ النّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ وَ أَمَرتُهُم بِغِيَاثِهِ قَبلَ الوَقعَةِ وَ دَعَوتُهُم سِرّاً وَ جَهراً وَ عَوداً وَ بَدءاً فَمِنهُمُ الآتِي كَارِهاً وَ مِنهُمُ المُعتَلّ كَاذِباً وَ مِنهُمُ القَاعِدُ خَاذِلًا أَسأَلُ اللّهَ تَعَالَى أَن يَجعَلَ لِي مِنهُم فَرَجاً عَاجِلًا فَوَاللّهِ لَو لَا طَمَعِي عِندَ لِقَائِي عَدُوّيَ فِي الشّهَادَةِ وَ تَوطِينِي نفَسيِ عَلَى المَنِيّةِ لَأَحبَبتُ أَلّا أَبقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوماً وَاحِداً وَ لَا أَلتَقِيَ بِهِم أَبَداً انظر إلى الفصاحة كيف تعطى هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها واعجب لهذه الألفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه وتطاوعه سلسة سهلة تتدفق من غيرتعسف و لاتكلف حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال يوما واحدا و لاألتقى بهم أبدا و أنت وغيرك من الفصحاء إذاشرعوا

فى كتاب أوخطبة جاءت القرائن والفواصل [صفحه ۱۴۶] تارة مرفوعة وتارة مجرورة وتارة منصوبة فإن أرادوا قسرها بإعراب واحد ظهر منها فى التكلف أثر بين وعلامة واضحة و هذاالصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز فى القرآن ذكره عبدالقاهر قال انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة الأولى منصوبة الفواصل والثانية ليس فيهامنصوب أصلا و لومزجت إحدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما. ثم إن فواصل كل واحد منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعى لاالصناعة التكلفية ثم انظر إلى الصفات والموصوفات فى هذاالفصل كيف قال ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا وركنا دافعا لو قال ولدا كادحا وعاملا ناصحا وكذلك مابعده لما كان صوابا و لا فى الموقع واقعا فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة أن يكون غلام من أبناء عرب مكة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من أفلاطون وأرسطو و لم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية لأن قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط و لم يرب بين الشجعان لأن أهل مكة كانوا ذوى تجارة و لم يكونوا ذوى حرب وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض قيل لخلف الأحمر أيما أشجع عنبسة وبسطام أم على بن أبى طالب فقال إنما يذكر عنبسة وبسطام مع البشر و الناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة فقيل له فعلى كل حال قال و الله لوصاح فى وجوههما لماتا قبل أن يحمل عليهما وخرج أفصح من سحبان وقس و لم تكن قريش بأفصح العرب كان غيرها أفصح منها قالوا أفصح العرب جرهم و إن لم تكن لهم نباهة وخرج أزهد الناس فى الدنيا وأعفهم مع أن قريشا ذوو حرص ومحبة للدنيا و لاغرو فيمن كان [صفحه ۱۴۷] محمدص مربيه ومخرجه والعناية الإلهية تمده وترفده أن يكون منه ما كان .يقال احتسب ولده إذامات كبيرا وافترط ولده إذامات صغيرا قوله فمنهم الآتى قسم جنده أقساما فمنهم من أجابه وخرج كارها للخروج كما قال تعالى كَأَنّما يُساقُونَ إِلَى المَوتِ وَ هُم يَنظُرُونَ ومنهم من قعد واعتل بعلة كاذبة كما قال تعالى يَقُولُونَ إِنّ بُيُوتَنا عَورَةٌ وَ ما هيَ بِعَورَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلّا فِراراً ومنهم من تأخر وصرح بالقعود والخذلان كما قال تعالى فَرِحَ المُخَلّفُونَ بِمَقعَدِهِم خِلافَ رَسُولِ اللّهِ وَ كَرِهُوا أَن يُجاهِدُوا بِأَموالِهِم وَ أَنفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللّهِ والمعنى أن حاله كانت مناسبة لحال النبى ص و من تذكر أحوالهما وسيرتهما و ماجرى لهما إلى أن قبضا علم تحقيق ذلك . ثم أقسم أنه لو لاطمعه فى الشهادة لماأقام مع أهل العراق و لاصحبهم . فإن قلت فهلا خرج إلى معاوية وحده من غيرجيش إن كان يريد الشهادة قلت ذلك لايجوز لأنه إلقاء النفس إلى التهلكة وللشهادة شروط متى فقدت فلايجوز أن تحمل إحدى الحالتين على الأخرى -قرآن-۲۲۷-۲۷۶-قرآن-۳۲۵-۴۰۸-قرآن-۴۶۴-۵۹۱ [صفحه ۱۴۸]

۳۶- و من كتاب له ع إلى أخيه عقيل بن أبى طالب فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء

و هوجواب كتاب كتبه إليه عقيل فَسَرّحتُ إِلَيهِ جَيشاً كَثِيفاً مِنَ المُسلِمِينَ فَلَمّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمّرَ هَارِباً وَ نَكَصَ نَادِماً فَلَحِقُوهُ بِبَعضِ الطّرِيقِ وَ قَد طَفّلَتِ الشّمسُ لِلإِيَابِ فَاقتَتَلُوا شَيئاً كَلَا وَ لَا فَمَا كَانَ إِلّا كَمَوقِفِ سَاعَةٍ حَتّى نَجَا جَرِيضاً بَعدَ مَا أُخِذَ مِنهُ بِالمُخَنّقِ وَ لَم يَبقَ مَعَهُ غَيرُ الرّمَقِ فَلَأْياً بِلَأيٍ مَا نَجَا فَدَع عَنكَ قُرَيشاً وَ تَركَاضَهُم فِي الضّلَالِ وَ تَجوَالَهُم فِي الشّقَاقِ وَ جِمَاحَهُم فِي التّيهِ فَإِنّهُم قَد أَجمَعُوا عَلَى حَربِي كَإِجمَاعِهِم عَلَى حَربِ رَسُولِ اللّهِص قَبلِي فَجَزَت قُرَيشاً عَنّي الجَوَازِي فَقَد قَطَعُوا رَحِمِي وَ سَلَبُونِي سُلطَانَ ابنِ أُمّيَ وَ أَمّا مَا سَأَلتَ عَنهُ مِن رَأيِي فِي القِتَالِ فَإِنّ رَأيِي قِتَالُ المُحِلّينَ حَتّى أَلقَى اللّهَ لَا يَزِيدُنِي كَثرَةُ النّاسِ حَولِي عِزّةً وَ لَا تَفَرّقُهُم عَنّي وَحشَةً وَ لَا تَحسَبَنّ ابنَ أَبِيكَ وَ لَو أَسلَمَهُ النّاسُ مُتَضَرّعاً مُتَخَشّعاً وَ لَا مُقِرّاً لِلضّيمِ وَاهِناً وَ لَا سَلِسَ الزّمَامِ لِلقَائِدِ وَ لَا وَطِئَ الظّهرِ لِلرّاكِبِ المُقتَعِدِ وَ لَكِنّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ فَإِن تَسأَلِينِي كَيفَ أَنتَ فَإِنّنِي || صَبُورٌ عَلَى رَيبِ الزّمَانِ صَلِيبُ يَعِزّ

عَلَىّ أَن تُرَى بِي كَآبَةٌ || فَيَشمَتَ عَادٍ أَو يُسَاءَ حَبِيبُ [صفحه ۱۴۹] قدتقدم ذكر هذاالكتاب فى اقتصاصنا ذكر حال بسر بن أرطاة وغارته على اليمن فى أول الكتاب . ويقال طفلت الشمس بالتشديد إذامالت للغروب وطفل الليل مشددا أيضا إذاأقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعدالعصر حين تطفل الشمس للغروب ويقال أتيته طفلى أى فى ذلك الوقت . و قوله ع للإياب أى للرجوع أى ماكانت عليه فى الليلة التى قبلها يعنى غيبوبتها تحت الأرض و هذاالخطاب إنما هو على قدر أفهام العرب كانوا يعتقدون أن الشمس منزلها ومقرها تحت الأرض وأنها تخرج كل يوم فتسير على العالم ثم تعود إلى منزلها فتأوى إليه كمايأوى الناس ليلا إلى منازلهم . و قال الراوندى عندالإياب عندالزوال و هذا غيرصحيح لأن ذلك الوقت لايسمى طفلا ليقال إن الشمس قدطفلت فيه . قوله ع فاقتتلوا شيئا كلا و لا أى شيئا قليلا وموضع كلا و لانصب لأنه صفة شيئا وهى كلمة تقال لمايستقصر وقته جدا والمعروف عند أهل اللغة كلا وذا قال ابن هانئ المغربى وأسرع فى العين من لحظة || وأقصر فى السمع من لا وذا . و فى شعر الكميت كلا وكذا تغميضة. و قدرويت فى نهج البلاغة كذلك إلا أن فى أكثر النسخ كلا و لا و من الناس من يرويها كلا ولات وهى حرف أجرى مجرى ليس و لاتجىء [صفحه ۱۵۰] حين إلا أن تحذف فى شعر و من الرواة من يرويها كلا ولأى ولأى فعل معناه أبطأ. قوله ع نجا جريضا أى قدغص بالريق من شدة الجهد والكرب يقال جرض بريقه يجرض بالكسر مثال كسر يكسر و رجل جريض مثل قدر يقدر فهو قدير ويجوز أن يريد بقوله فنجا جريضا أى ذا جريض والجريض الغصة نفسها و فى المثل حال الجريض دون القريض قال الشاعر كان الفتى لم يغن فى الناس ليلة || إذااختلف اللحيان عندالجريض . قال الأصمعى ويقال هويجرض بنفسه أى يكاد يموت و منه قول إمرئ القيس وأفلتهن علباء جريضا || و لوأدركنه صفر الوطاب . وأجرضه الله بريقه أغصه . قوله ع بعد ماأخذ منه بالمخنق هوموضع الخنق من الحيوان وكذلك الخناق بالضم يقال أخذ بخناقه فأما الخناق بالكسر فالحبل تخنق به الشاة والرمق بقية الروح . قوله ع فلأيا بلأى مانجا أى بعدبطء وشدة و مازائدة أومصدرية وانتصب لأيا على المصدر القائم مقام الحال أى نجا مبطئا والعامل فى المصدر محذوف أى أبطأ بطئا والفائدة فى تكرير اللفظة المبالغة فى وصف البطء ألذى نجا موصوفة به أى لأيا مقرونا بلأى [صفحه ۱۵۱] و قال الراوندى هذه القصة و هذاالهارب جريضا و بعدلأى مانجا هومعاوية قال و قدقيل إن معاوية بعث أمويا فهرب على هذه الحال والأول أصح و هذاعجيب مضحك وددت له ألا يكون شرح هذاالكتاب . قوله فدع عنك قريشا إلى قوله على حرب رسول الله ص هذاالكلام حق فإن قريشا اجتمعت على حربه منذ يوم بويع بغضا له وحسدا وحقدا عليه فأصفقوا كلهم يدا واحدة على شقاقه وحربه كماكانت حالهم فى ابتداء الإسلام مع رسول الله ص لم تخرم حاله من حاله أبدا إلا أن ذاك عصمه الله من القتل فمات موتا طبيعيا و هذااغتاله إنسان فقتله . قوله فجزت قريشا عنى الجوازى فقد قطعوا رحمى وسلبونى سلطان ابن أمى هذه كلمة تجرى مجرى المثل تقول لمن يسىء إليك وتدعو عليه جزتك عنى الجوازى يقال جزاه الله بما صنع وجازاه الله بما صنع ومصدر الأول جزاء والثانى مجازاة وأصل الكلمة أن الجوازى جمع جازية كالجوارى جمع جارية فكأنه يقول جزت قريشا عنى بما صنعت لى كل خصلة من نكبة أوشدة أومصيبة أوجائحة أى جعل الله هذه الدواهى كلها جزاء قريش بما صنعت بى وسلطان ابن أمى يعنى به الخلافة و ابن أمه هو رسول الله ص لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبد الله و أبى طالب و لم يقل سلطان ابن أبى لأن غير أبى طالب من الأعمام يشركه فى النسب إلى عبدالمطلب . قال الراوندى الجوازى جمع جازية وهى النفس التى تجزى أى جزاهم وفعل بهم مايستحقون عساكر لأجلى و فى نيابتى وكافأهم سرية تنهض إليهم و هذاإشارة إلى بنى أمية يهلكون من بعده و هذاتفسير غريب طريف . [صفحه ۱۵۲] و قال أيضا قوله سلطان ابن أمى يعنى نفسه أى سلطانه لأنه ابن أم نفسه قال و هذا من أحسن الكلام و لاشبهة أنه على تفسير الراوندى لو قال وسلبونى سلطان ابن أخت خالتى أو ابن أخت عمتى لكان أحسن وأحسن و هذا الرجل قد كان يجب أن يحجر عليه و لايمكن من تفسير هذاالكتاب ويؤخذ عليه أيمان البيعة ألا يتعرض له . قوله

فإن رأیی قتال المحلین أی الخارجین من المیثاق والبیعة یعنی البغاة ومخالفی الإمام ویقال لکل من خرج من إسلام أوحارب فی الحرم أو فی الأشهر الحرم محل و علی هذافسر قول زهیر وکم بالقنان من محل ومحرم . أی من لاذمة له و من له ذمة وکذلک قول خالد بن یزید بن معاویة فی زوجته رملة بنت الزبیر بن العوام ألا من لقلب معنی غزل || یحب المحلة أخت المحل . أی ناقضة العهد أخت المحارب فی الحرم أوأخت ناقض بیعة بنی أمیة وروی متخضعا متضرعا بالضاد. ومقرا للضیم وبالضیم أی هوراض به صابر علیه وواهنا أی ضعیفا.السلس السهل ومقتعد البعیر راکبه . والشعر ینسب إلی العباس بن مرداس السلمی و لم أجده فی دیوانه ومعناه ظاهر و فی الأمثال الحکمیة لاتشکون حالک إلی مخلوق مثلک فإنه إن کان صدیقا أحزنته و إن کان عدوا أشمته و لاخیر فی واحد من الأمرین [صفحه ۱۵۳]

۳۷- و من کتاب له ع إلی معاویة

فَسُبحَانَ اللّهِ مَا أَشَدّ لُزُومَکَ لِلأَهوَاءِ المُبتَدَعَةِ وَ الحَیرَةِ المُتّبَعَةِ مَعَ تَضیِیعِ الحَقَائِقِ وَ اطّرَاحِ الوَثَائِقِ التّیِ هیِ‌َ لِلّهِ تَعَالَی طِلبَةٌ وَ عَلَی عِبَادِهِ حُجّةٌ فَأَمّا إِکثَارُکَ الحِجَاجَ عَلَی عُثمَانَ وَ قَتَلَتِهِ فَإِنّکَ إِنّمَا نَصَرتَ عُثمَانَ حَیثُ کَانَ النّصرُ لَکَ وَ خَذَلتَهُ حَیثُ کَانَ النّصرُ لَهُ وَ السّلَامُ قوله أما بعد فإن الدنیا حلوة خضرة ذات زینة وبهجة لم یصب إلیها أحد إلا وشغلته بزینتها عما هوأنفع له منها وبالآخرة أمرنا وعلیها حثثنا فدع یامعاویة مایفنی واعمل لمایبقی واحذر الموت ألذی إلیه مصیرک والحساب ألذی إلیه عاقبتک واعلم أن الله تعالی إذاأراد بعبد خیرا حال بینه و بین مایکره ووفقه لطاعته و إذاأراد الله بعبد سوءا أغراه بالدنیا وأنساه الآخرة وبسط له أمله وعاقه عما فیه صلاحه و قدوصلنی کتابک فوجدتک ترمی غیرغرضک وتنشد غیرضالتک وتخبط فی عمایة -روایت-۱-۲-روایت-۹-ادامه دارد [صفحه ۱۵۴] وتتیه فی ضلالة وتعتصم بغیر حجة وتلوذ بأضعف شبهة فأما سؤالک المتارکة والإقرار لک علی الشام فلو کنت فاعلا ذلک الیوم لفعلته أمس و أماقولک إن عمر ولاکه فقد عزل من کان ولاه صاحبه وعزل عثمان من کان عمر ولاه و لم ینصب للناس إمام إلالیری من صلاح الأمة إماما قد کان ظهر لمن قبله أوأخفی عنهم عیبه والأمر یحدث بعده الأمر ولکل وال رأی واجتهاد فسبحان الله ماأشد لزومک للأهواء المبتدعة والحیرة المتبعة -روایت-از قبل-۴۲۹ إلی آخر الفصل . و أما قوله ع إنما نصرت عثمان حیث کان النصر لک إلی آخره فقد روی البلاذری قال لماأرسل عثمان إلی معاویة یستمده بعث یزید بن أسد القسری جد خالد بن عبد الله بن یزید أمیرالعراق و قال له إذاأتیت ذا خشب فأقم بها و لاتتجاوزها و لاتقل الشاهد یری ما لایری الغائب فإننی أناالشاهد و أنت الغائب . قال فأقام بذی خشب حتی قتل عثمان فاستقدمه حینئذ معاویة فعاد إلی الشام بالجیش ألذی کان أرسل معه وإنما صنع ذلک معاویة لیقتل عثمان فیدعو إلی نفسه . وکتب معاویة إلی ابن عباس عندصلح الحسن ع له کتابا یدعوه فیه إلی بیعته و یقول له فیه ولعمری لوقتلتک بعثمان رجوت أن یکون ذلک لله رضا و أن یکون رأیا صوابا فإنک من الساعین علیه والخاذلین له والسافکین دمه و ماجری بینی وبینک صلح فیمنعک منی و لابیدک أمان .فکتب إلیه ابن عباس جوابا طویلا یقول فیه و أماقولک إنی من الساعین علی عثمان والخاذلین له والسافکین دمه و ماجری بینی وبینک صلح فیمنعک منی [صفحه ۱۵۵] فأقسم بالله لأنت المتربص بقتله والمحب لهلاکه والحابس الناس قبلک عنه علی بصیرة من أمره ولقد أتاک کتابه وصریخه یستغیث بک ویستصرخ فما حفلت به حتی بعثت إلیه معذرا بأجرة أنت تعلم إنهم لن یترکوه حتی یقتل فقتل کماکنت أردت ثم علمت عند ذلک أن الناس لن یعدلوا بیننا وبینک فطفقت تنعی عثمان وتلزمنا دمه وتقول قتل مظلوما فإن یک قتل مظلوما فأنت أظلم الظالمین ثم لم تزل مصوبا ومصعدا وجاثما ورابضا تستغوی الجهال وتنازعنا حقنا بالسفهاء حتی أدرکت ماطلبت وَ إِن أَدرِی لَعَلّهُ فِتنَةٌ لَکُم وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ -قرآن-۴۸۷-۵۴۴ [صفحه ۱۵۶]

٣٨- و من كتاب له ع إلى أهل مصر لماولى عليهم الأشتر

مِن عَبدِ اللّهِ عَلِيّ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ إِلَى القَومِ الّذِينَ غَضِبُوا لِلّهِ حِينَ عصِيَ فِي أَرضِهِ وَ ذُهِبَ بِحَقّهِ فَضَرَبَ الجَورُ سُرَادِقَهُ عَلَى البَرّ وَ الفَاجِرِ وَ المُقِيمِ وَ الظّاعِنِ فَلَا مَعرُوفٌ يُستَرَاحُ إِلَيهِ وَ لَا مُنكَرٌ يُتَنَاهَى عَنهُ أَمّا بَعدُ فَقَد بَعَثتُ إِلَيكُم عَبداً مِن عِبَادِ اللّهِ لَا يَنَامُ أَيّامَ الخَوفِ وَ لَا يَنكُلُ عَنِ الأَعدَاءِ سَاعَاتِ الرّوعِ أَشَدّ عَلَى الفُجّارِ مِن حَرِيقِ النّارِ وَ هُوَ مَالِكُ بنُ الحَارِثِ أَخُو مَذحِجٍ فَاسمَعُوا لَهُ وَ أَطِيعُوا أَمرَهُ فِيمَا طَابَقَ الحَقّ فَإِنّهُ سَيفٌ مِن سُيُوفِ اللّهِ لَا كَلِيلُ الظّبَةِ وَ لَا نَابِي الضّرِيبَةِ فَإِن أَمَرَكُم أَن تَنفِرُوا فَانفِرُوا وَ إِن أَمَرَكُم أَن تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا فَإِنّهُ لَا يُقدِمُ وَ لَا يُحجِمُ وَ لَا يُؤَخّرُ وَ لَا يُقَدّمُ إِلّا عَن أمَرِي وَ قَد آثَرتُكُم بِهِ عَلَى نَفسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُم وَ شِدّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوّكُم هذاالفصل يشكل على تأويله لأن أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان و إذاشهد أمير المؤمنين ع أنهم غضبوا لله حين عصى فى الأرض فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان وإتيان المنكر ويمكن أن يقال و إن كان متعسفا إن الله تعالى [صفحه ١٥٧] عصى فى الأرض لا من عثمان بل من ولاته وأمرائه وأهله وذهب بينهم بحق الله وضرب الجور سرادقه بولايتهم وأمرهم على البر والفاجر والمقيم والظاعن فشاع المنكر وفقد المعروف يبقى أن يقال هب أن الأمر كماتأولت فهؤلاء الذين غضبوا لله إلى ماذا آل أمرهم أ ليس الأمر آل إلى أنهم قطعوا المسافة من مصر إلى المدينة فقتلوا عثمان فلاتعدو حالهم أمرين إلاـ أن يكونوا أطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصيا مستحقا للقتل أويكونوا أسخطوا الله تعالى بقتله فعثمان إذا على حق وهم الفساق العصاة فكيف يجوز أن يبجلهم أويخاطبهم خطاب الصالحين ويمكن أن يجاب عن ذلك بأنهم غضبوا لله وجاءوا من مصر وأنكروا على عثمان تأميره الأمراء الفساق وحصروه فى داره طلبا أن يدفع إليهم مروان ليحبسوه أويؤدبوه على ماكتبه فى أمرهم فلما حصر طمع فيه مبغضوه وأعداؤه من أهل المدينة وغيرها وصار معظم الناس إلبا عليه وقل عدد المصريين بالنسبة إلى مااجتمع من الناس على حصره ومطالبته بخلع نفسه وتسليم مروان وغيره من بنى أمية إليهم وعزل عماله والاستبدال بهم و لم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه ولكن قوما منهم و من غيرهم تسوروا داره فرماهم بعض عبيده بالسهام فجرح بعضهم فقادت الضرورة إلى النزول والإحاطة به وتسرع إليه واحد منهم فقتله ثم إن ذلك القاتل قتل فى الوقت و قدذكرنا ذلك فيما تقدم وشرحناه فلاـيلزم من فسق ذلك القاتل وعصيانه أن يفسق الباقون لأنهم ماأنكروا إلاالمنكر و أماالقتل فلم يقع منهم و لاراموه و لاأرادوه فجاز أن يقال إنهم غضبوا لله و أن يثنى عليهم ويمدحهم . ثم وصف الأشتر بما وصفه به ومثل قوله لاينام أيام الخوف قولهم لاينام ليلة يخاف و لايشبع ليلة يضاف و قال [صفحه ١٥٨] فأتت به حوش الفؤاد مبطنا || سهدا إذا مانام ليل الهوجل . ثم أمرهم أن يطيعوه فيما يأمرهم به مما يطابق الحق و هذا من شدة دينه وصلابته ع لم يسامح نفسه فى حق أحب الخلق إليه أن يهمل هذاالقيد قال رسول الله ص لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٥٦ . و قال أبوحنيفة قال لى الربيع فى دهليز المنصور إن أمير المؤمنين يأمرنى بالشىء بعدالشىء من أمور ملكه فأنفذه و أناخائف على دينى فما تقول فى ذلك قال و لم يقل لى ذلك إلا فى ملإ الناس فقلت له أفيأمر أمير المؤمنين بغير الحق قال لا قلت فلابأس عليك أن تفعل بالحق قال أبوحنيفة فأراد أن يصطادنى فاصطدته . و ألذى صدع بالحق فى هذاالمقام الحسن البصرى قال له عمر بن هبيرة أميرالعراق فى خلافة يزيد بن عبدالملك فى ملإ من الناس منهم الشعبى و ابن سيرين يا أباسعيد إن أمير المؤمنين يأمرنى بالشىء اعلم أن فى تنفيذه الهلكة فى الدين فما تقول فى ذلك قال الحسن ماذا أقول إن الله مانعك من يزيد ولن يمنعك يزيد من الله ياعمر خف الله واذكر يوما يأتيك تتمخض ليلته عن القيامة أنه سينزل عليك ملك من السماء فيحطك عن سريرك إلى قصرك ويضطرك من قصرك إلى لزوم فراشك ثم ينقلك عن فراشك إلى قبرك ثم لايغنى عنك إلاعملك فقام عمر بن هبيرة باكيا يصطك لسانه . قوله فإنه سيف من سيوف الله هذالقب خالد بن الوليد واختلف فيمن [صفحه ١٥٩] لقبه به فقيل لقبه به رسول

الله ص والصحيح أنه لقبه به أبوبكر لقتاله أهل الردة وقتله مسيلمة. والظبة بالتخفيف حد السيف والنابى من السيوف ألذى لايقطع وأصله نبا أى ارتفع فلما لم يقطع كان مرتفعا فسمى نابيا و فى الكلام حذف تقديره و لاناب ضارب الضريبة وضارب الضريبة هوحد السيف فأما الضريبة نفسها فهو الشيء المضروب بالسيف وإنما دخلته الهاء و إن كان بمعنى مفعول لأنه صار فى عداد الأسماء كالنطيحة والأكيلة. ثم أمرهم بأن يطيعوه فى جميع مايأمرهم به من الإقدام والإحجام و قال إنه لايقدم و لايؤخر إلا عن أمرى و هذا إن كان قاله مع أنه قدسنح له أن يعمل برأيه فى أمور الحرب من غيرمراجعته فهو عظيم جدا لأنه يكون قدأقامه مقام نفسه وجاز أن يقول إنه لايفعل شيئا إلا عن أمرى و إن كان لايراجعه فى الجزئيات على عادة العرب فى مثل ذلك لأنهم يقولون فيمن يثقون به نحو ذلك و قدذهب كثير من الأصوليين إلى أن الله تعالى قال لمحمدص احكم بما شئت فى الشريعة فإنك لاتحكم إلابالحق وإنه كان يحكم من غيرمراجعته لجبرائيل و إن الله تعالى قد قال فى حقه وَ ما يَنطِقُ عَنِ الهَوى إِن هُوَ إِلّا وحَیٌ يُوحى و إن كان ع قال هذاالقول عن الأشتر لأنه قدقرر معه بينه وبينه ألا يعمل شيئا قليلا و لاكثيرا إلا بعدمراجعته فيجوز ولكن هذابعيد لأن المسافة طويلة بين العراق ومصر وكانت الأمور هناك تقف وتفسد. ثم ذكر أنه آثرهم به على نفسه وهكذا قال عمر لماأنفذ عبد الله بن مسعود إلى الكوفة فى كتابه إليهم قدآثرتكم به على نفسى و ذلك أن عمر كان يستفتيه فى الأحكام و على ع كان يصول على الأعداء بالأشتر ويقوى أنفس جيوشه بمقامه بينهم فلما بعثه إلى مصر كان مؤثرا لأهل مصر به على نفسه -قرآن-١٠١٤-١٠٦٦ [صفحه ١٦٠]

٣٩- و من كتاب له ع إلى عمرو بن العاص

فَإِنّكَ قَد جَعَلتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنيَا امرِئٍ ظَاهِرٍ غَيّهُ مَهتُوكٍ سِترُهُ يَشِينُ الكَرِيمَ بِمَجلِسِهِ وَ يُسَفّهُ الحَلِيمَ بِخِلطَتِهِ فَاتّبَعتَ أَثَرَهُ وَ طَلَبتَ فَضلَهُ اتّبَاعَ الكَلبِ لِلضّرغَامِ يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ وَ يَنتَظِرُ مَا يُلقَى إِلَيهِ مِن فَضلِ فَرِيسَتِهِ فَأَذهَبتَ دُنيَاكَ وَ آخِرَتَكَ وَ لَو بِالحَقّ أَخَذتَ أَدرَكتَ مَا طَلَبتَ فَإِن يُمَكّنِ اللّهُ مِنكَ وَ مِنِ ابنِ أَبِي سُفيَانَ أَجزِكُمَا بِمَا قَدّمتُمَا وَ إِن تُعجِزَا وَ تَبقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرّ لَكُمَا وَ السّلَامُ كل ماقاله فيهما هوالحق الصريح بعينه لم يحمله بغضه لهما وغيظه منهما إلى أن بالغ فى ذمهما به كمايبالغ الفصحاء عندسورة الغضب وتدفق الألفاظ على الألسنة و لاريب عندأحد من العقلاء ذوى الإنصاف أن عمرا جعل دينه تبعا لدنيا معاوية و أنه مابايعه وتابعه إلا على جعالة جعلها له وضمان تكفل له بإيصاله وهى ولاية مصر مؤجلة وقطعة وافرة من المال معجلة ولولديه وغلمانه ماملأ أعينهم .فأما قوله ع فى معاوية ظاهر غيه فلاريب فى ظهور ضلاله وبغيه و كل باغ غاو. [صفحه ١٦١] أمامهتوك ستره فإنه كان كثير الهزل والخلاعة صاحب جلساء وسمار ومعاوية لم يتوقر و لم يلزم قانون الرئاسة إلامنذ خرج على أمير المؤمنين واحتاج إلى الناموس والسكينة و إلافقد كان فى أيام عثمان شديد التهتك موسوما بكل قبيح و كان فى أيام عمر يستر نفسه قليلا خوفا منه إلا أنه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب فى آنية الذهب والفضة ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها وعليها جلال الديباج والوشى و كان حينئذ شابا وعنده نزق الصبا وأثر الشبيبة وسكر السلطان والإمرة ونقل الناس عنه فى كتب السيرة أنه كان يشرب الخمر فى أيام عثمان فى الشام و أما بعدوفاة أمير المؤمنين واستقرار الأمر له فقد اختلف فيه فقيل إنه شرب الخمر فى ستر وقيل إنه لم يشربه و لاخلاف فى أنه سمع الغناء وطرب عليه وأعطى ووصل عليه أيضا. وروى أبوالفرج الأصفهانى قال قال عمرو بن العاص لمعاوية فى قدمة قدمها إلى المدينة أيام خلافته قم بنا إلى هذا ألذى قدهدم شرفه وهتك ستره عبد الله بن جعفرنقف على بابه فنسمع غناء جواريه فقاما ليلا ومعهما وردان غلام عمرو ووقفا بباب عبد الله بن جعفرفاستمعا الغناء وأحس عبد الله بوقوفهما ففتح الباب وعزم على معاوية أن يدخل فدخل فجلس على سرير عبد الله فدعا عبد الله له وقدم

إليه يسيرا من طعام فأكل فلما أنس قال يا أمير المؤمنين أ لاتأذن لجواريك أن يتممن أصواتهن فإنك قطعتها عليهن قال فليقلن فرفعن أصواتهن وجعل معاوية يتحرك قليلا قليلا حتى ضرب برجله السرير ضربا شديدا فقال عمرو قم أيها الرجل فإن الرجل ألذى جئت لتلحاه أولتعجب من امرئ أحسن حالا منك فقال مهلا فإن الكريم طروب . [صفحه ۱۶۲] أما قوله يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فالأمر كذلك فإنه لم يكن فى مجلسه إلاشتم بنى هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الإسلام والطعن عليه و إن أظهر الانتماء إليه و أماطلب عمرو فضله واتباعه أثره اتباع الكلب للأسد فظاهر و لم يقل الثعلب غضا من قدر عمرو وتشبيها له بما هوأبلغ فى الإهانة والاستخفاف . ثم قال و لوبالحق أخذت أدركت ماطلبت أى لوقعدت عن نصره و لم تشخص إليه ممالئا به على الحق لوصل إليك من بيت المال قدر كفايتك . ولقائل أن يقول إن عمرا ما كان يطلب قدر الكفاية و على ع ما كان يعطيه إلاحقه فقط و لايعطيه بلدا و لاطرفا من الأطراف و ألذى كان يطلب ملك مصر لأنه فتحها أيام عمر ووليها برهة وكانت حسرة فى قلبه وحزازة فى صدره فباع آخرته بهافالأولى أن يقال معناه لوأخذت بالحق أدركت ماطلبت من الآخرة. فإن قلت إن عمرا لم يكن على ع يعتقد أنه من أهل الآخرة فكيف يقول له هذاالكلام قلت لاخلل و لازلل فى كلامه ع لأنه لوأخذ بالحق لكان معتقدا كون على ع على الحق باعتقاده صحة نبوة رسول الله ص وصحة التوحيد فيصير تقدير الكلام لوبايعتنى معتقدا للزوم بيعتى لك لكنت فى ضمن ذلك طالبا الثواب فكنت تدركه فى الآخرة. ثم قال مهددا لهما ومتوعدا إياهما فإن يمكن الله منك و من ابن أبى سفيان وأقول لوظفر بهما لما كان فى غالب ظنى يقتلهما فإنه كان حليما كريما ولكن كان يحبسهما ليحسم بحبسهما مادة فسادهما. [صفحه ۱۶۳] ثم قال و إن تعجزا وتبقيا أى و إن لم أستطع أخذكما أوأمت قبل ذلك وبقيتما بعدى فما أمامكما شر لكما من عقوبة الدنيا لأن عذاب الدنيا منقطع وعذاب الآخرة غيرمنقطع . وذكر نصر بن مزاحم فى كتاب صفين هذاالكتاب بزيادة لم يذكرها الرضى قال نصر وكتب على ع إلى عمرو بن العاص من عبد الله على أمير المؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص بن وائل شانئ محمد وآل محمد فى الجاهلية والإسلام سلام على من اتبع الهدى أما بعدفإنك تركت مروءتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كماقيل وافق شن طبقة فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك و كان علم الله بالغا فيك فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ماالليل دجى أوأتى الصبح يلتمس فاضل سؤره وحوايا فريسته ولكن لانجاة من القدر و لوبالحق أخذت لأدركت مارجوت و قدرشد من كان الحق قائده فإن يمكن الله منك و من ابن آكلة الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله ص و إن تعجزا وتبقيا بعدفالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا و السلام -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۷۷۳[صفحه ۱۶۴]

۴۰- و من كتاب له ع إلى بعض عماله

أَمّا بَعدُ فَقَد بلَغَنيِ عَنكَ أَمرٌ إِن كُنتَ فَعَلتَهُ فَقَد أَسخَطتَ رَبّكَ وَ عَصَيتَ إِمَامَكَ وَ أَخزَيتَ أَمَانَتَكَ بلَغَنَيِ أَنّكَ جَرّدتَ الأَرضَ فَأَخَذتَ مَا تَحتَ قَدَمَيكَ وَ أَكَلتَ مَا تَحتَ يَدَيكَ فَارفَع إلِيَّ حِسَابَكَ وَ اعلَم أَنّ حِسَابَ اللّهِ أَعظَمُ مِن حِسَابِ النّاسِ وَ السّلَامُ أخزيت أمانتك أذللتها وأهنتها وجردت الأرض قشرتها والمعنى أنه نسبه إلى الخيانة فى المال و إلى إخراب الضياع و فى حكمة أبرويز أنه قال لخازن بيت المال إنى لاأحتملك على خيانة درهم و لاأحمدك على حفظ عشرة آلاف ألف درهم لأنك إنما تحقن بذلك دمك وتعمر به أمانتك وإنك إن خنت قليلا خنت كثيرا فاحترس من خصلتين من النقصان فيما تأخذ و من الزيادة فيما تعطى واعلم أنى لم أجعلك على ذخائر الملك وعمارة المملكة والعدة على العدو إلا و أنت أمين عندى من الموضع ألذى هى فيه و من خواتمها التى هى عليها فحقق ظنى فى اختيارى إياك أحقق ظنك فى رجائك لى و لاتتعوض بخير

شرا و لابرفعهٔ ضعهٔ و لابسلامهٔ ندامهٔ و لابأمانهٔ خیانهٔ. [صفحه ۱۶۵] و فی الحدیث المرفوع من ولی لنا عملا فلیتزوج ولیتخذ مسکنا ومرکبا وخادما فمن اتخذ سوی ذلک جاء یوم القیامهٔ عادلا غالا سارقا -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۲۹ و قال عمر فی وصیته لابن مسعود إیاک والهدیهٔ ولیست بحرام ولکنی أخاف علیک الدالهٔ. وأهدی رجل لعمر فخذ جزور فقبله ثم ارتفع إلیه بعدأیام مع خصم له فجعل فی أثناء الکلام یقول یا أمیر المؤمنین افصل القضاء بینی وبینه کمایفصل فخذ الجزور فقضی عمر علیه ثم قام فخطب الناس وحرم الهدایا علی الولاهٔ والقضاهٔ. وأهدی إنسان إلی المغیرهٔ سراجا من شبه وأهدی آخر إلیه بغلا ثم اتفقت لهما خصومهٔ فی أمر فترافعا إلیه فجعل صاحب السراج یقول إن أمری أضوأ من السراج فلما أکثر قال المغیرهٔ ویحک إن البغل یرمح السراج فیکسره . ومر عمر ببناء یبنی بآجر وجص لبعض عماله فقال أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها وروی هذاالکلام عن علی ع و کان عمر یقول علی کل عامل أمینان الماء والطین . و لماقدم أبوهریرهٔ من البحرین قال له عمر یاعدو الله وعدو کتابه أسرقت مال الله تعالی قال أبوهریرهٔ لست بعدو الله و لاعدو کتابه ولکنی عدو من عاداهما و لم أسرق مال الله فضربه بجریدهٔ علی رأسه ثم ثناه بالدرهٔ وأغرمه عشرهٔ آلاف درهم ثم أحضره فقال یا أباهریرهٔ من أین لک عشرهٔ آلاف درهم قال خیلی تناسلت وعطائی تلاحق وسهامی تتابعت قال عمر کلا و الله ثم ترکه أیاما ثم قال له أ لاتعمل قال لا قال قدعمل من هوخیر منک یا أباهریرهٔ قال من هو قال یوسف الصدیق فقال أبوهریرهٔ إن یوسف عمل لمن لم یضرب رأسه [صفحه ۱۶۶] وظهره و لاشتم عرضه و لانزع ماله لا و الله لاأعمل لک أبدا. و کان زیاد إذاولی رجلا قال له خذ عهدک وسر إلی عملک واعلم أنک محاسب رأس سنتک وأنک ستصیر إلی أربع خصال فاختر لنفسک إنا إن وجدناک أمینا ضعیفا استبدلنا بک لضعفک وسلمتک من معرتنا أمانتک و إن وجدناک خائنا قویا استعنا بقوتک وأحسنا أدبک علی خیانتک وأوجعنا ظهرک وأثقلنا غرمک و إن جمعت علینا الجرمین جمعنا علیک المضرتین و إن وجدناک أمینا قویا زدنا رزقک ورفعنا ذکرک وکثرنا مالک وأوطأنا الرجال عقبک . ووصف أعرابی عاملا خائنا فقال الناس یأکلون أماناتهم لقما و هویحسوها حسوا. قال أنس بن أبی إیاس الدؤلی لحارثهٔ بن بدر الغدانی و قدولی سرق ویقال إنها لأبی الأسود أحار بن بدر قدولیت ولایهٔ || فکن جرذا فیهاتخون وتسرق و لاتحقرن یاحار شیئا أصبته || فحظک من ملک العراقین سرق وباه تمیما بالغنی إن للغنی || لسانا به المرء الهیوبهٔ ینطق فإن جمیع الناس إما مکذب || یقول بما تهوی وإما مصدق یقولون أقوالا و لایتبعونها || و إن قیل هاتوا حققوا لم یحققوا .فیقال إنها بلغت حارثهٔ بن بدر فقال أصاب الله به الرشاد فلم یعد بإشارته ما فی نفسی [صفحه ۱۶۷]

۴۱- و من کتاب له ع إلی بعض عماله

اشاره

أَمّا بَعدُ فإَنِیّ کُنتُ أَشرَکتُکَ فِی أمَاَنتَیِ وَ جَعَلتُکَ شعِاَریِ وَ بطِاَنتَیِ وَ لَم یَکُن فِی أهَلیِ رَجُلٌ أَوثَقَ مِنکَ فِی نفَسیِ لِمُؤاَساَتیِ وَ مُؤاَزرَتَیِ وَ أَداَءِ الأَماَنةَِ إلِیَّ فَلَمّا رَأَیتَ الزّمَانَ عَلَی ابنِ عَمّکَ قَد کَلِبَ وَ العَدُوّ قَد حَرِبَ وَ أَماَنةَُ النّاسِ قَد خَزِیَت وَ هَذِهِ الأُمّةُ قَد فَنَکَت وَ شَغَرَت قَلَبتَ لِابنِ عَمّکَ ظَهرَ المِجَنّ فَفَارَقتَهُ مَعَ المُفَارِقِینَ وَ خَذَلتَهُ مَعَ الخَاذِلِینَ وَ خُنتَهُ مَعَ الخَائِنِینَ فَلَا ابنَ عَمّکَ آسَیتَ وَ لَا الأَمَانَةَ أَدّیتَ وَ کَأَنّکَ لَم تَکُنِ اللّهَ تُرِیدُ بِجِهَادِکَ وَ کَأَنّکَ لَم تَکُن عَلَی بَیّنَةٍ مِن رَبّکَ وَ کَأَنّکَ إِنّمَا کُنتَ تَکِیدُ هَذِهِ الأُمّةَ عَن دُنیَاهُم وَ تَنوِی غِرّتَهُم عَن فَیئِهِم فَلَمّا أَمکَنَتکَ الشّدّةُ فِی خِیَانَةِ الأُمّةِ أَسرَعتَ الکَرّةَ وَ عَاجَلتَ الوَثبَةَ وَ اختَطَفتَ مَا قَدَرتَ عَلَیهِ مِن أَموَالِهِمُ المَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِم وَ أَیتَامِهِمُ اختِطَافَ الذّئبِ الأَزَلّ دَامِیَةَ المِعزَی الکَسِیرَةَ فَحَمَلتَهُ إِلَی الحِجَازِ رَحِیبَ

الصّدرِ بِحملِهِ غَيرَ مُتَأَثّم مِن أَخذِهِ كَأَنّكَ لَا أَبَا لِغَيرِكَ حَدَرتَ إِلَى أَهلِكَ تُرَاثَكَ مِن أَبِيكَ وَ أُمّكَ فَسُبحَانَ اللّهِ أَ مَا تُؤمِنُ بِالمَعَادِ أَ وَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الحِسَابِ أَيّهَا المَعدُودُ كَانَ عِندَنَا مِن أُولِي الأَلبَابِ كَيفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَ طَعَاماً وَ أَنتَ تَعلَمُ أَنّكَ تَأكُلُ حَرَاماً وَ تَشرَبُ حَرَاماً وَ تَبتَاعُ الإِمَاءَ وَ تَنكِحُ النّسَاءَ مِن أَموَالِ اليَتَامَى وَ المَسَاكِينِ [صفحه ۱۶۸ وَ المُؤمِنِينَ وَ المُجَاهِدِينَ الّذِينَ أَفَاءَ اللّهُ عَلَيهِم هَذِهِ الأَموَالَ وَ أَحرَزَ بِهِم هَذِهِ البِلَادَ فَاتّقِ اللّهَ وَ اردُد إِلَى هَؤُلَاءِ القَومِ أَموَالَهُم فَإِنّكَ إِن لَم تَفعَل ثُمّ أَمكَنَنِي اللّهُ مِنكَ لَأُعذِرَنّ إِلَى اللّهِ فِيكَ وَ لَأَضرِبَنّكَ بسَيَفيِ‌ ألّذِي مَا ضَرَبتُ بِهِ أَحَداً إِلّا دَخَلَ النّارَ وَ وَ اللّهِ لَو أَنّ الحَسَنَ وَ الحُسَينَ فَعَلَا مِثلَ ألّذِي فَعَلتَ مَا كَانَت لَهُمَا عنِديِ‌ هَوَادَةٌ وَ لَا ظَفِرَا منِيّ‌ بِإِرَادَةٍ حَتّى آخُذَ الحَقّ مِنهُمَا وَ أُزِيحَ البَاطِلَ عَن مَظلَمَتِهِمَا وَ أُقسِمُ بِاللّهِ رَبّ العَالَمِينَ مَا يسَرُنّيِ‌ أَنّ مَا أَخَذتَهُ مِن أَموَالِهِم حَلَالٌ لِي أَترُكُهُ مِيرَاثاً لِمَن بعَديِ‌ فَضَحّ رُوَيداً فَكَأَنّكَ قَد بَلَغتَ المَدَى وَ دُفِنتَ تَحتَ الثّرَى وَ عُرِضَت عَلَيكَ أَعمَالُكَ بِالمَحَلّ ألّذِي يُنَادِي الظّالِمُ فِيهِ بِالحَسرَةِ وَ يَتَمَنّى المُضَيّعُ فِيهِ الرّجعَةَ وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ أشركتك فى أمانتى جعلتك شريكا فيما قمت فيه من الأمر وائتمننى الله عليه من سياسة الأمة وسمى الخلافة أمانة كماسمى الله تعالى التكليف أمانة فى قوله إِنّا عَرَضنَا الأَمانَةَفأما قوله وأداء الأمانة إلى فأمر آخر ومراده بالأمانة الثانية مايتعارفه الناس من قولهم فلان ذو أمانة أى لايخون فيما أسند إليه . وكلب الزمان اشتد وكذلك كلب البرد. -قرآن-۱۵۸-۱۸۲ [صفحه ۱۶۹] وحرب العدو استأسد وخزيت أمانة الناس ذلت وهانت . وشغرت الأمة خلت من الخير وشغر البلد خلا من الناس . وقلبت له ظهر المجن إذاكنت معه فصرت عليه وأصل ذلك أن الجيش إذالقوا العدو وكانت ظهور مجانهم إلى وجه العدو وبطون مجانهم إلى وجه عسكرهم فإذافارقوا رئيسهم وصاروا مع العدو كان وضع مجانهم بدلا من الوضع ألذى كان من قبل و ذلك أن ظهور الترسة لايمكن أن تكون إلا فى وجوه الأعداء لأنها مرمى سهامهم . وأمكنتك الشدة أى الحملة. قوله أسرعت الكرة لايجوز أن يقال الكرة إلا بعدفرة فكأنه لما كان مقلعا فى ابتداء الحال عن التعرض لأموالهم كان كالفار عنها فلذلك قال أسرعت الكرة. والذئب الأزل الخفيف الوركين و ذلك أشد لعدوه وأسرع لوثبته و إن اتفق أن تكون شاة من المعزى كثيرة ودامية أيضا كان الذئب على اختطافها أقدر. ونقاش الحساب مناقشته . قوله فضح رويدا كلمة تقال لمن يؤمر بالتؤدة والأناة والسكون وأصلها الرجل يطعم إبله ضحى ويسيرها مسرعا ليسير فلايشبعها فيقال له ضح رويدا

اختلاف الرأى فيمن كتب له هذاالكتاب

و قداختلف الناس فى المكتوب إليه هذاالكتاب فقال الأكثرون إنه عبد الله بن العباس رحمه الله ورووا فى ذلك روايات واستدلوا عليه بألفاظ من ألفاظ الكتاب [صفحه ۱۷۰] كقوله أشركتك فى أمانتى وجعلتك بطانتى وشعارى و أنه لم يكن فى أهلى رجل أوثق منك و قوله على ابن عمك قدكلب ثم قال ثانيا قلبت لابن عمك ظهر المجن ثم قال ثالثا ولابن عمك آسيت و قوله لا أبالغيرك و هذه كلمة لاتقال إلالمثله فأما غيره من أفناء الناس فإن عليا ع كان يقول لا أبا لك . و قوله أيها المعدود كان عندنا من أولى الألباب و قوله لو أن الحسن و الحسين ع و هذايدل على أن المكتوب إليه هذاالكتاب قريب من أن يجرى مجراهما عنده . و قدروى أرباب هذاالقول أن عبد الله بن عباس كتب إلى على ع جوابا من هذاالكتاب قالوا و كان جوابه أما بعدفقد أتانى كتابك تعظم على ماأصبت من بيت مال البصرة ولعمرى أن حقى فى بيت المال أكثر مما أخذت و السلام .قالوا فكتب إليه على ع أما بعد فإن من العجب أن تزين لك نفسك أن لك فى بيت مال المسلمين من الحق أكثر مما لرجل واحد من المسلمين فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المأثم ويحل لك المحرم إنك لأنت المهتدى السعيد إذا و قدبلغنى أنك اتخذت مكة وطنا وضربت بهاعطنا تشترى بهامولدات مكة والمدينة والطائف تختارهن على

عینک وتعطی فیهن مال غیرک فارجع هداک الله إلی رشدک وتب إلی الله ربک وأخرج إلی المسلمین من أموالهم فعما قلیل تفارق من ألفت وتترک ماجمعت وتغیب فی صدع من الأرض غیرموسد و لاممهد قدفارقت الأحباب وسکنت التراب وواجهت الحساب غنیا عما خلفت فقیرا إلی ماقدمت و السلام –روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۶۴۷ . [صفحه ۱۷۱] قالوا فکتب إلیه ابن عباس أما بعدفإنک قدأکثرت علی و و الله لأن ألقی الله قداحتویت علی کنوز الأرض کلها وذهبها وعقیانها ولجینها أحب إلی من أن ألقاه بدم امرئ مسلم و السلام . و قال آخرون وهم الأقلون هذا لم یکن و لافارق عبد الله بن عباس علیا ع و لاباینه و لاخالفه و لم یزل أمیرا علی البصرة إلی أن قتل علی ع .قالوا ویدل علی ذلک مارواه أبوالفرج علی بن الحسین الأصفهانی من کتابه ألذی کتبه إلی معاویة من البصرة لماقتل علی ع و قدذکرناه من قبل قالوا وکیف یکون ذلک و لم یخدعه معاویة ویجره إلی جهته فقد علمتم کیف اختدع کثیرا من عمال أمیر المؤمنین ع واستمالهم إلیه بالأموال فمالوا وترکوا أمیر المؤمنین ع فما باله و قدعلم النبوة التی حدثت بینهما لم یستمل ابن عباس و لااجتذبه إلی نفسه و کل من قرأ السیر وعرف التواریخ یعرف مشاقة ابن عباس لمعاویة بعدوفاة علی ع و ما کان یلقاه به من قوارع الکلام وشدید الخصام و ما کان یثنی به علی أمیر المؤمنین ع ویذکر خصائصه وفضائله ویصدع به من مناقبه ومآثره فلو کان بینهما غبار أوکدر لما کان الأمر کذلک بل کانت الحال تکون بالضد لمااشتهر من أمرهما. و هذاعندی هوالأمثل والأصوب . و قد قال الراوندی المکتوب إلیه هذاالکتاب هوعبید الله بن العباس لا عبد الله [صفحه ۱۷۲] و لیس ذلک بصحیح فإن عبید الله کان عامل علی ع علی الیمن و قدذکرت قصته مع بسر بن أرطاة فیما تقدم و لم ینقل عنه أنه أخذ مالا و لافارق طاعة. و قدأشکل علی أمر هذاالکتاب فإن أناکذبت النقل و قلت هذاکلام موضوع علی أمیر المؤمنین ع خالفت الرواة فإنهم قدأطبقوا علی روایة هذاالکلام عنه و قدذکر فی أکثر کتب السیر و إن صرفته إلی عبد الله بن عباس صدنی عنه ماأعلمه من ملازمته لطاعة أمیر المؤمنین ع فی حیاته و بعدوفاته و إن صرفته إلی غیره لم أعلم إلی من أصرفه من أهل أمیر المؤمنین ع والکلام یشعر بأن الرجل المخاطب من أهله وبنی عمه فأنا فی هذاالموضع من المتوقفین [صفحه ۱۷۳]

۴۲- و من کتاب له ع إلی عمر بن أبی سلمة المخزومی

اشاره

و کان عامله علی البحرین فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقی مکانه أَمّا بَعدُ فإَنِیّ قَد وَلّیتُ النّعمَانَ بنَ عَجلَانَ الزرّقَیِّ عَلَی البَحرَینِ وَ نَزَعتُ یَدَکَ بِلَا ذَمّ لَکَ وَ لَا تَثرِیبٍ عَلَیکَ فَلَقَد أَحسَنتَ الوِلَایَةَ وَ أَدّیتَ الأَمَانَةَ فَأَقبِل غَیرَ ظَنِینٍ وَ لَا مَلُومٍ وَ لَا مُتّهَمٍ وَ لَا مَأثُومٍ فَقَد أَرَدتُ المَسِیرَ إِلَی ظَلَمَةِ أَهلِ الشّامِ وَ أَحبَبتُ أَن تَشهَدَ معَیِ فَإِنّکَ مِمّن أَستَظهِرُ بِهِ عَلَی جِهَادِ العَدُوّ وَ إِقَامَةِ عَمُودِ الدّینِ إِن شَاءَ اللّهُ

عمر بن أبی سلمة ونسبه وبعض أخباره

أماعمر بن أبی سلمة فهو ربیب رسول الله ص وأبوه أبوسلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن یقظة یکنی أباحفص ولد فی السنة الثانیة من الهجرة بأرض الحبشة وقیل إنه کان یوم قبض رسول الله ص ابن تسع سنین وتوفی فی المدینة

فی خلافهٔ عبدالملک سنهٔ ثلاث وثمانین و قدحفظ عن رسول الله ص الحدیث وروی عنه سعید بن المسیب وغیره ذکر [صفحه ۱۷۴] ذلک کله ابن عبدالبر فی کتاب الإستیعاب

النعمان بن عجلان ونسبه وبعض أخباره

و أماالنعمان بن عجلان الزرقی فمن الأنصار ثم من بنی زریق و هو ألذی خلف علی خولهٔ زوجهٔ حمزهٔ بن عبدالمطلب رحمه الله بعدقتله قال ابن عبدالبر فی کتاب الإستیعاب کان النعمان هذالسان الأنصار وشاعرهم ویقال إنه کان رجلا أحمر قصیرا تزدریه العین إلا أنه کان سیدا و هوالقائل یوم السقیفهٔ وقلتم حرام نصب سعد ونصبکم || عتیق بن عثمان حلال أبابکر و أهل أبوبکر لها خیر قائم || و إن علیا کان أخلق بالأمر و إن هوانا فی علی وإنه || لأهل لها من حیث یدری و لایدری . قوله و لاتثریب علیک فالتثریب الاستقصاء فی اللوم ویقال ثربت علیه وعربت علیه إذاقبحت علیه فعله . والظنین المتهم والظنهٔ التهمهٔ والجمع الظنن یقول قدأظن زید عمرا والألف ألف وصل والظاء مشددهٔ والنون مشددهٔ أیضا وجاء بالطاء المهملهٔ أیضا أی اتهمه و فی حدیث ابن سیرین لم یکن علی ع یظن فی قتل عثمان الحرفان مشددان و هویفتعل من یظنن وأدغم قال الشاعر و ما کل من یظننی أنامعتب || و ما کل مایروی علی أقول [صفحه ۱۷۵]

۴۳– و من کتاب له ع إلی مصقلهٔ بن هبیرهٔ الشیبانی و کان عامله علی أردشیرخرهٔ

بَلَغَنِی عَنکَ أَمرٌ إِن کُنتَ فَعَلتَهُ فَقَد أَسخَطتَ إِلَهَکَ وَ عَصَیتَ إِمَامَکَ أَنّکَ تَقسِمُ فَیءَ المُسلِمِینَ أَلّذِی حَازَتهُ رِمَاحُهُم وَ خُیُولُهُم وَ أُرِیقَت عَلَیهِ دِمَاؤُهُم فِیمَن اعتَامَکَ مِن أَعرَابِ قَومِکَ فوَاَلّذِی فَلَقَ الحَبّةَ وَ بَرَأَ النّسَمَةَ لَئِن کَانَ ذَلِکَ حَقّاً لَتَجِدَنّ لَکَ عَلَیّ هَوَاناً وَ لَتَخِفّنّ عِندِی مِیزَاناً فَلَا تَستَهِن بِحَقّ رَبّکَ وَ لَا تُصلِح دُنیَاکَ بِمَحقِ دِینِکَ فَتَکُونَ مِنَ الأَخسَرِینَ أَعمَالًا أَلَا وَ إِنّ حَقّ مَن قِبَلَکَ وَ قِبَلَنَا مِنَ المُسلِمِینَ فِی قِسمَةِ هَذَا الفَیءِ سَوَاءٌ یَرِدُونَ عِندِی عَلَیهِ وَ یَصدُرُونَ عَنهُ قدتقدم ذکر نسب مصقلهٔ بن هبیرهٔ وأردشیرخرهٔ کورهٔ من کور فارس . واعتامک اختارک من بین الناس أصله من العیمهٔ بالکسر وهی خیار المال اعتام المصدق إذاأخذ العیمهٔ و قدروی فیمن اعتماک بالقلب والصحیح [صفحه ۱۷۶] المشهور الأول وروی ولتجدن بک عندی هوانا بالباء ومعناها اللام ولتجدن بسبب فعلک هوانک عندی والباء ترد للسببیهٔ کقوله تعالی فَبِظُلمٍ مِنَ الّذِینَ هادُوا حَرّمنا عَلَیهِم طَیّباتٍ أُحِلّت لَهُم. والمحق الإهلاک . والمعنی أنه نهی مصقلهٔ عن أن یقسم الفیء علی أعراب قومه الذین اتخذوه سیدا ورئیسا ویحرم المسلمین الذین حازوه بأنفسهم وسلاحهم و هذا هوالأمر ألذی کان ینکره علی عثمان و هوإیثار أهله وأقاربه بمال الفیء و قدسبق شرح مثل ذلک مستوفی –قرآن–۱۳۴–۲۰۳ [صفحه ۱۷۷]

۴۴– و من کتاب له ع إلی زیاد ابن أبیه

اشاره

و قدبلغه أن معاویهٔ کتب إلیه یرید خدیعته باستلحاقه وَ قَد عَرَفتُ أَنّ مُعَاوِیَةَ کَتَبَ إِلَیکَ یَستَزِلّ لُبّکَ وَ یَستَفِلّ غَربَکَ فَاحذَرهُ فَإِنّمَا هُوَ الشّیطَانُ یأَتیِ المَرءَ مِن بَینِ یَدَیهِ وَ مِن خَلفِهِ وَ عَن یَمِینِهِ وَ عَن شِمَالِهِ لِیَقتَحِمَ غَفلَتَهُ وَ یَستَلِبَ غِرّتَهُ وَ قَد کَانَ مِن أَبِی

سُفيَانَ فِی زَمَنِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ فَلتَهٌ مِن حَدِیثِ النّفس وَ نَزغَهٌ مِن نَزَغَاتِ الشّیطَانِ لَا یَثبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَ لَا یُستَحَقّ بِهَا إِرثٌ وَ المُتَعَلّقُ بِهَا کَالوَاغِلِ المُدَفّعِ وَ النّوطِ المُذَبذَبِ فَلَمّا قَرَأَ زِیَادٌ الکِتَابَ قَالَ شَهِدَ بِهَا وَ رَبّ الکَعبَهِ وَ لَم تَزَل فِی نَفسِهِ حَتّی ادّعَاهُ مُعَاوِیَهُ قال الرضی رحمه الله تعالی قوله ع الواغل هو ألذی یهجم علی الشرب لیشرب معهم و لیس منهم فلایزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب هو ماینـاط برحل الراکب من قعب أوقدح أو ماأشبه ذلک فهو أبدا یتقلقل إذاحث ظهره واستعجل سیره -روایت-۱-۲۳۵ [صفحه ۱۷۸] یستزل لبک یطلب زلله وخطأه أی یحاول أن تزل واللب العقل ویستفل غربک یحاول أن یفل حدک أی عزمک و هذا من باب المجاز ثم أمره أن یحذره و قال إنه یعنی معاویهٔ کالشیطان یأتی المرء من کذا و من کذا و هومأخوذ من قول الله تعالی ثُمّ لَآتِیَنّهُم مِن بَینِ أَیدِیهِم وَ مِن خَلفِهِم وَ عَن أَیمانِهِم وَ عَن شَمائِلِهِم وَ لا تَجِدُ أَکثَرَهُم شاکِرِینَقالوا فی تفسیره من بین أیدیهم یطمعهم فی العفو ویغریهم بالعصیان و من خلفهم یذکرهم مخلفیهم ویحسن لهم جمع المال وترکه لهم و عن أیمانهم یحبب إلیهم الرئاسهٔ والثناء و عن شمائلهم یحبب إلیهم اللهو واللذات . و قال شقیق البلخی ما من صباح إلاقعد لی الشیطان علی أربعهٔ مراصد من بین یدی و من خلفی و عن یمینی و عن شمالی أما من بین یدی فیقول لاتخف فإن الله غفور رحیم فأقرأَوَ إِنّی لَغَفّارٌ لِمَن تابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً ثُمّ اهتَدی و أما من خلفی فیخوفنی الضیعهٔ علی مخلفی فأقرأوَ ما مِن دَابّهٍ فِی الأَرضِ إِلّا عَلَی اللّهِ رِزقُها و أما من قبل یمینی فیأتینی من جههٔ الثناء فأقرأوَ العاقِبَهُ لِلمُتّقِینَ و أما من قبل شمالی فیأتینی من قبل الشهوات فأقرأوَ حِیلَ بَینَهُم وَ بَینَ ما یَشتَهُونَ. فإن قلت لم لم یقل و من فوقهم و من تحتهم -قرآن-۲۳۹-۳۶۲-قرآن-۷۵۵-۸۲۳-قرآن-۸۷۲-۹۲۷-قرآن-۹۷۸-۱۰۰۳-قرآن-۱۰۵۷-۱۰۹۶ [صفحه ۱۷۹] قلت لأن جههٔ فوق جههٔ نزول الرحمهٔ ومستقر الملائکهٔ ومکان العرش والأنوار الشریفهٔ و لاسبیل له إلیها و أما من جههٔ تحت فلأن الإتیان منها یوحش وینفر عنه لأنها الجههٔ المعروفهٔ بالشیاطین فعدل عنها إلی ما هوأدعی إلی قبول وساوسه وأضالیله . و قدفسر قوم المعنی الأول فقالوامِن بَینِ أَیدِیهِم من جههٔ الدنیا ومِن خَلفِهِم من جههٔ الآخرهٔ وعَن أَیمانِهِمالحسنات وعَن شَمائِلِهِم أی یحثهم علی طلب الدنیا ویؤیسهم من الآخرهٔ ویثبطهم عن الحسنات ویغریهم بالسیئات . قوله لیقتحم غفلته أی لیلج ویهجم علیه و هوغافل جعل اقتحامه إیاه اقتحاما للغرهٔ نفسها لماکانت غالبهٔ علیه . ویستلب غرته لیس المعنی باستلابه الغرهٔ أن یرفعها ویأخذها لأنه لو کان کذلک لصار ذلک الغافل المغتر فاقدا للغفلهٔ والغرهٔ و کان لبیبا فطنا فلایبقی له سبیل علیه وإنما المعنی بقوله ویستلب غرته مایعنیه الناس بقولهم أخذ فلان غفلتی وفعل کذا. ومعنی أخذها هنا أخذ مایستدل به علی غفلتی. وفلتهٔ أمر وقع من غیرتثبت و لارویهٔ. ونزغهٔ کلمهٔ فاسدهٔ من نزغات الشیطان أی من حرکاته القبیحهٔ التی یستفسد بهامکلفین و لایثبت بهانسب و لایستحق بهاإرث لأن المقر بالزناء لایلحقه النسب و لایرثه المولود -قرآن-۲۷۹-۲۹۷-قرآن-۳۱۴-۳۲۵-قرآن-۳۴۲-۳۵۵-قرآن-۳۶۶-۳۸۰ لقوله ص الولد للفراش وللعاهر الحجر -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۴۰

نسب زیاد ابن أبیه وذکر بعض أخباره وکتبه وخطبه

فأما زیاد فهو زیاد بن عبید و من الناس من یقول عبید بن فلان وینسبه إلی [صفحه ۱۸۰] ثقیف والأکثرون یقولون إن عبیدا کان عبدا وإنه بقی إلی أیام زیاد فابتاعه وأعتقه وسنذکر ماورد فی ذلک ونسبهٔ زیاد لغیر أبیه لخمول أبیه والدعوهٔ التی استلحق بهافقیل تارهٔ زیاد ابن سمیهٔ وهی أمه وکانت أمهٔ للحارث بن کلدهٔ بن عمرو بن علاج الثقفی طبیب العرب وکانت تحت عبید. وقیل تارهٔ زیاد ابن أبیه وقیل تارهٔ زیاد ابن أمه و لمااستلحق قال له أکثر الناس زیاد بن أبی سفیان لأن الناس مع الملوک الذین هم مظنهٔ الرهبهٔ والرغبهٔ و لیس أتباع الدین بالنسبهٔ إلی أتباع الملوک إلاکالقطرهٔ فی البحر المحیط فأما ما کان یدعی به قبل

الاستلحاق فزیاد بن عبید و لایشک فی ذلک أحد. وروی أبوعمر بن عبدالبر فی کتاب الإستیعاب عن هشام بن محمد بن السائب الکلبی عن أبیه عن أبی صالح عن ابن عباس أن عمر بعث زیادا فی إصلاح فساد واقع بالیمن فلما رجع من وجهه خطب عندعمر خطبة لم یسمع مثلها و أبوسفیان حاضر و علی ع وعمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص لله أبو هذاالغلام لو کان قرشیا لساق العرب بعصاه فقال أبوسفیان إنه لقرشی وإنی لأعرف ألذی وضعه فی رحم أمه فقال علی ع و من هو قال أنا فقال مهلا یا أباسفیان فقال أبوسفیان أما و الله لو لاخوف شخص || یرانی یا علی من الأعادی لأظهر أمره صخر بن حرب || و لم یخف المقالة فی زیاد و قدطالت مجاملتی ثقیفا || وترکی فیهم ثمر الفؤاد عنی بقوله لو لاخوف شخص عمر بن الخطاب [صفحه ۱۸۱] وروی أحمد بن یحیی البلاذری قال تکلم زیاد و هوغلام حدث بحضرة عمر کلاما أعجب الحاضرین فقال عمرو بن العاص لله أبوه لو کان قرشیا لساق العرب بعصاه فقال أبوسفیان أما و الله إنه لقرشی و لوعرفته لعرفت أنه خیر من أهلک فقال و من أبوه قال أنا و الله وضعته فی رحم أمه فقال فهلا تستلحقه قال أخاف هذاالعیر الجالس أن یخرق علی إهابی. وروی محمد بن عمر الواقدی قال قال أبوسفیان و هوجالس عندعمر و علی هناک و قدتکلم زیاد فأحسن أبت المناقب إلا أن تظهر فی شمائل زیاد فقال علی ع من أی بنی عبدمناف هو قال ابنی قال کیف قال أتیت أمه فی الجاهلیة سفاحا فقال علی ع مه یا أباسفیان فإن عمر إلی المساءة سریع قال فعرف زیاد مادار بینهما فکانت فی نفسه . وروی علی بن محمدالمدائنی قال لما کان زمن علی ع ولی زیادا فارس أوبعض أعمال فارس فضبطها ضبطا صالحا وجبی خراجها وحماها وعرف ذلک معاویة فکتب إلیه أما بعدفإنه غرتک قلاع تأوی إلیها لیلا کماتأوی الطیر إلی وکرها وایم الله لو لاانتظاری بک ما الله أعلم به لکان لک منی ماقاله العبد الصالح فَلَنَأتِیَنّهُم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُم بِها وَ لَنُخرِجَنّهُم مِنها أَذِلّةً وَ هُم صاغِرُونَ وکتب فی أسفل الکتاب شعرا من جملته -قرآن-۹۸۹-۱۰۸۵ تنسی أباک و قدشالت نعامته || إذ یخطب الناس والوالی لهم عمر . فلما ورد الکتاب علی زیاد قام فخطب الناس و قال العجب من ابن آکلة الأکباد ورأس النفاق یهددنی وبینی وبینه ابن عم رسول الله ص وزوج سیدة نساء العالمین و أبوالسبطین وصاحب الولایة والمنزلة والإخاء فی مائة ألف [صفحه ۱۸۲] من المهاجرین والأنصار والتابعین لهم بإحسان أما و الله لوتخطی هؤلاء أجمعین إلی لوجدنی أحمر مخشا ضرابا بالسیف ثم کتب إلی علی ع وبعث بکتاب معاویة فی کتابه . فکتب إلیه علی ع وبعث بکتابه أما بعدفإنی قدولیتک ماولیتک و أناأراک لذلک أهلا وإنه قدکانت من أبی سفیان فلتة فی أیام عمر من أمانی التیه وکذب النفس لم تستوجب بهامیراثا و لم تستحق بهانسبا و إن معاویة کالشیطان الرجیم یأتی المرء من بین یدیه و من خلفه و عن یمینه و عن شماله فاحذره ثم احذره ثم احذره و السلام -روایت-۱-۲-روایت-۳۶-۳۳۷ . وروی أبو جعفر محمد بن حبیب قال کان علی ع قدولی زیادا قطعة من أعمال فارس واصطنعه لنفسه فلما قتل علی ع بقی زیاد فی عمله وخاف معاویة جانبه وعلم صعوبة ناحیته وأشفق من ممالأته الحسن بن علی ع فکتب إلیه من أمیر المؤمنین معاویة بن أبی سفیان إلی زیاد بن عبید أما بعدفإنک عبد قدکفرت النعمة واستدعیت النقمة ولقد کان الشکر أولی بک من الکفر و إن الشجرة لتضرب بعرقها وتتفرع من أصلها إنک لاأم لک بل لاأب لک قدهلکت وأهلکت وظننت أنک تخرج من قبضتی و لاینالک سلطانی هیهات ما کل ذی لب یصیب رأیه و لا کل ذی رأی ینصح فی مشورته أمس عبد والیوم أمیرخطةماارتقاها مثلک یا ابن سمیة و إذاأتاک کتابی هذافخذ الناس بالطاعة والبیعة وأسرع الإجابة فإنک أن تفعل فدمک حقنت ونفسک تدارکت و إلااختطفتک [صفحه ۱۸۳] بأضعف ریش ونلتک بأهون سعی وأقسم قسما مبرورا إلاأوتی بک إلا فی زمارة تمشی حافیا من أرض فارس إلی الشام حتی أقیمک فی السوق وأبیعک عبدا وأردک إلی حیث کنت فیه وخرجت منه و السلام . فلما ورد الکتاب علی زیاد غضب غضبا شدیدا وجمع الناس وصعد المنبر فحمد الله ثم قال ابن آکلة الأکباد وقاتلة أسد الله ومظهر الخلاف ومسر النفاق ورئیس الأحزاب و من أنفق ماله فی إطفاء نور الله کتب إلی یرعد ویبرق عن سحابة جفل لاماء فیها وعما قلیل تصیرها الریاح

قزعا و ألذى يدلنى على ضعفه تهدده قبل القدرة أفمن إشفاق على تنذر وتعذر كلا ولكن ذهب إلى غيرمذهب وقعقع لمن ربى بين صواعق تهامة كيف أرهبه وبينى وبينه ابن بنت رسول الله ص و ابن ابن عمه فى مائة ألف من المهاجرين والأنصار و الله لوأذن لى فيه أونـدبنى إليه لأريته الكواكب نهارا ولأسعطته ماء الخردل دونه الكلام اليوم والجمع غدا والمشورة بعد ذلك إن شاء الله ثم نزل . وكتب إلى معاوية أما بعدفقد وصل إلى كتابك يامعاوية وفهمت ما فيه فوجدتك كالغريق يغطيه الموج فيتشبث بالطحلب ويتعلق بأرجل الضفادع طمعا فى الحياة إنما يكفر النعم ويستدعى النقم من حاد الله ورسوله وسعى فى الأرض فسادا فأما سبك لى فلو لاحلم ينهانى عنك وخوفى أن أدعى سفيها لأثرت لك مخازى لايغسلها الماء و أماتعييرك لى بسمية فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة و أمازعمك أنك تختطفنى بأضعف ريش وتتناولنى بأهون سعى فهل رأيت بازيا يفزعه صغير [صفحه ۱۸۴] القنابر أم هل سمعت بذئب أكله خروف فامض الآن لطيتك واجتهد جهدك فلست أنزل إلابحيث تكره و لاأجتهد إلافيما يسوؤك وستعلم أينا الخاضع لصاحبه الطالع إليه و السلام . فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه وأحزنه وبعث إلى المغيرة بن شعبة فخلا به و قال يامغيرة إنى أريد مشاورتك فى أمر أهمنى فانصحنى فيه وأشر على برأى المجتهد وكن لى أكن لك فقد خصصتك بسرى وآثرتك على ولدى قال المغيرة فما ذاك و الله لتجدنى فى طاعتك أمضى من الماء إلى الحدور و من ذى الرونق فى كف البطل الشجاع قال يامغيرة إن زيادا قدأقام بفارس يكش لنا كشيش الأفاعى و هو رجل ثاقب الرأى ماضى العزيمة جوال الفكر مصيب إذارمى و قدخفت منه الآن ماكنت آمنه إذ كان صاحبه حيا وأخشى ممالأته حسنا فكيف السبيل إليه و ماالحيلة فى إصلاح رأيه قال المغيرة أنا له إن لم أمت إن زيادا رجل يحب الشرف والذكر وصعود المنابر فلو لاطفته المسألة وألنت له الكتاب لكان لك أميل وبك أوثق فاكتب إليه و أناالرسول فكتب معاوية إليه من أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن أبى سفيان أما بعد فإن المرء ربما طرحه الهوى فى مطارح العطب وإنك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بى وبغضك لى على أن عققت قرابتى وقطعت رحمى وبتت نسبى وحرمتى حتى كأنك لست أخى و ليس صخر بن حرب أباك و أبى وشتان مابينى وبينك أطلب بدم ابن أبى العاص و أنت تقاتلنى ولكن أدركك عرق الرخاوة من قبل النساء فكنت [صفحه ۱۸۵] كتاركة بيضها بالعراء || وملحفة بيض أخرى جناحا . و قدرأيت أن أعطف عليك و لاأؤاخذك بسوء سعيك و أن أصل رحمك وأبتغى الثواب فى أمرك فاعلم أباالمغيرة إنك لوخضت البحر فى طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى انقطع متنه لماازددت منهم إلابعدا فإن بنى عبدشمس أبغض إلى بنى هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع و قدأوثق للذبح فارجع رحمك الله إلى أصلك واتصل بقومك و لاتكن كالموصول بريش غيره فقد أصبحت ضال النسب ولعمرى مافعل بك ذلك إلااللجاج فدعه عنك فقد أصبحت على بينة من أمرك ووضوح من حجتك فإن أحببت جانبى ووثقت بى فأمره بأمره و إن كرهت جانبى و لم تثق بقولى ففعل جميل لا على و لا لى و السلام .فرحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس فلما رآه زياد قربه وأدناه ولطف به فدفع إليه الكتاب فجعل يتأمله ويضحك فلما فرغ من قراءته وضعه تحت قدمه ثم قال حسبك يامغيرة فإنى أطلع على ما فى ضميرك و قدقدمت من سفرة بعيدة فقم وأرح ركابك قال أجل فدع عنك اللجاج يرحمك الله وارجع إلى قومك وصل أخاك وانظر لنفسك و لاتقطع رحمك قال زياد إنى رجل صاحب أناة و لى فى أمرى روية فلاتعجل على و لاتبدأنى بشىء حتى أبدأك ثم جمع الناس بعديومين أوثلاثة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ادفعوا البلاء مااندفع عنكم وارغبوا إلى الله فى دوام العافية لكم فقد نظرت فى أمور الناس منذ قتل عثمان وفكرت فيهم فوجدتهم كالأضاحى فى كل عيد يذبحون ولقد أفنى هذان اليومان يوم الجمل وصفين ماينيف على مائة ألف كلهم يزعم أنه طالب حق وتابع إمام و على بصيرة من أمره فإن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول فى الجنة كلا [صفحه ۱۸۶] ليس كذلك ولكن أشكل الأمر والتبس على القوم وإنى لخائف أن يرجع الأمر كمابدأ فكيف لامرئ

بسلامة دينه و قدنظرت فى أمر الناس فوجدت أحد العاقبتين العافية وسأعمل فى أموركم ماتحمدون عاقبته ومغبته فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله ثم نزل وكتب جواب الكتاب أما بعدفقد وصل كتابك يامعاوية مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه فالحمد لله ألذى عرفك الحق وردك إلى الصلة ولست ممن يجهل معروفا و لايغفل حسبا و لوأردت أن أجيبك بما أوجبته الحجة واحتمله الجواب لطال الكتاب وكثر الخطاب ولكنك إن كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ونية حسنة وأردت بذلك برا فستزرع فى قلبى مودة وقبولا و إن كنت إنما أردت مكيدة ومكرا وفساد نية فإن النفس تأبى ما فيه العطب ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبأ به الخطيب المدره فتركت من حضر لا أهل ورد و لاصدر كالمتحيرين بمهمة ضل بهم الدليل و أنا على أمثال ذلك قدير وكتب فى أسفل الكتاب إذامعشرى لم ينصفونى وجدتنى || أدافع عنى الضيم مادمت باقيا وكم معشر أعيت قناتى عليهم || فلاموا وألفونى لدى العزم ماضيا وهم به ضاقت صدور فرجته || وكنت بطبى للرجال مداويا أدافع بالحلم الجهول مكيدة || وأخفى له تحت العضاه الدواهيا فإن تدن منى أدن منك و إن تبن || تجدنى إذا لم تدن منى نائيا .فأعطاه معاوية جميع ماسأله وكتب إليه بخط يده ماوثق به فدخل إليه الشام فقربه وأدناه وأقره على ولايته ثم استعمله على العراق . [صفحه ١٨٧] وروى على بن محمدالمدائنى قال لماأراد معاوية استلحاق زياد و قدقدم عليه الشام جمع الناس وصعد المنبر وأصعد زيادا معه فأجلسه بين يديه على المرقاة التى تحت مرقاته وحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنى قدعرفت نسبنا أهل البيت فى زياد فمن كان عنده شهادة فليقم بهافقام ناس فشهدوا أنه ابن أبى سفيان وأنهم سمعوا ماأقر به قبل موته فقام أبومريم السلولى و كان خمارا فى الجاهلية فقال أشهد يا أمير المؤمنين أن أباسفيان قدم علينا بالطائف فأتانى فاشتريت له لحما وخمرا وطعاما فلما أكل قال يا أبامريم أصب لى بغيا فخرجت فأتيت بسمية فقلت لها إن أباسفيان ممن قدعرفت شرفه وجوده و قدأمرنى أن أصيب له بغيا فهل لك فقالت نعم يجىء الآن عبيد بغنمه و كان راعيا فإذاتعشى ووضع رأسه أتيته فرجعت إلى أبى سفيان فأعلمته فلم نلبث أن جاءت تجر ذيلها فدخلت معه فلم تزل عنده حتى أصبحت فقلت له لماانصرفت كيف رأيت صاحبتك قال خير صاحبة لو لاذفر فى إبطيها. فقال زياد من فوق المنبر يا أبامريم لاتشتم أمهات الرجال فتشتم أمك . فلما انقضى كلام معاوية ومناشدته قام زياد وأنصت الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إن معاوية والشهود قدقالوا ماسمعتم ولست أدرى حق هذا من باطله و هو والشهود أعلم بما قالوا وإنما عبيد أب مبرور ووال مشكور ثم نزل . وروى شيخنا أبوعثمان أن زيادا مر و هووالى البصرة بأبى العريان العدوى و كان شيخا مكفوفا ذا لسن وعارضة شديدة فقال أبوالعريان ما هذه الجلبة قالوا زياد بن أبى سفيان قال و الله ماترك أبوسفيان إلايزيد ومعاوية وعتبة وعنبسة وحنظلة ومحمدا فمن أين جاء زياد فبلغ الكلام زيادا و قال له قائل لوسددت [صفحه ١٨٨] عنك فم هذاالكلب فأرسل إليه بمائتى دينار فقال له رسول زياد إن ابن عمك زيادا الأمير قدأرسل إليك مائتى دينار لتنفقها فقال وصلته رحم إى و الله ابن عمى حقا ثم مر به زياد من الغد فى موكبه فوقف عليه فسلم وبكى أبوالعريان فقيل له مايبكيك قال عرفت صوت أبى سفيان فى صوت زياد فبلغ ذلك معاوية فكتب إلى أبى العريان ماألبثتك الدنانير التى بعثت || أن لونتك أباالعريان ألوانا أمسى إليك زياد فى أرومته || نكرا فأصبح ماأنكرت عرفانا لله در زياد لوتعجلها || كانت له دون مايخشاه قربانا . فلما قرئ كتاب معاوية على أبى العريان قال اكتب جوابه ياغلام أحدث لنا صلة تحيا النفوس بها || قدكدت يا ابن أبى سفيان تنسانا أمازياد فقد صحت مناسبه || عندى فلاأبتغى فى الحق بهتانا من يسد خيرا يصبه حين يفعله || أويسد شرا يصبه حيثما كانا . وروى أبوعثمان أيضا قال كتب زياد إلى معاوية ليستأذنه فى الحج فكتب إليه إنى قدأذنت لك واستعملتك على الموسم وأجزتك بألف ألف درهم فبينا هويتجهز إذ بلغ ذلك أبابكرة أخاه و كان مصارما له منذ لجلج فى الشهادة على المغيرة بن شعبة أيام عمر لايكلمه قدلزمته أيمان عظيمة ألا يكلمه أبدا فأقبل أبوبكرة يدخل القصر يريد زيادا فبصر به الحاجب فأسرع إلى زياد قائلا أيها الأمير هذاأخوك أبوبكرة قددخل القصر قال ويحك أنت رأيته قال ها

هوذا قدطلع و فى حجر زياد بنى يلاعبه وجاء أبوبكرة حتى وقف عليه فقال للغلام كيف أنت ياغلام إن أباك ركب فى الإسلام عظيما زنى أمه وانتفى من أبيه و لا و الله ماعلمت سمية رأت [صفحه ١٨٩] أباسفيان قط ثم أبوك يريد أن يركب ما هوأعظم من ذلك يوافى الموسم غدا ويوافى أم حبيبة بنت أبى سفيان وهى من أمهات المؤمنين فإن جاء يستأذن عليها فأذنت له فأعظم بهافرية على رسول الله ص ومصيبة و إن هى منعته فأعظم بها على أبيك فضيحة ثم انصرف فقال جزاك الله ياأخى عن النصيحة خيرا ساخطا كنت أوراضيا ثم كتب إلى معاوية إنى قداعتللت عن الموسم فليوجه إليه أمير المؤمنين من أحب فوجه عتبة بن أبى سفيان .فأما أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب فإنه قال لماادعى معاوية زيادا فى سنة أربع وأربعين وألحقه به أخا زوج ابنته من ابنه محمد بن زياد ليؤكد بذلك صحة الاستلحاق و كان أبوبكرة أخا زياد لأمه أمهما جميعا سمية فحلف ألا يكلم زيادا أبدا و قال هذازنى أمه وانتفى من أبيه و لا و الله ماعلمت سمية رأت أباسفيان قبل ويله مايصنع بأم حبيبة أيريد أن يراها فإن حجبته فضحته و إن رآها فيا لها مصيبة يهتك من رسول الله ص حرمة عظيمة. وحج زياد مع معاوية ودخل المدينة فأراد الدخول على أم حبيبة ثم ذكر قول أبى بكرة فانصرف عن ذلك وقيل إن أم حبيبة حجبته و لم تأذن له فى الدخول عليها وقيل إنه حج و لم يرد المدينة من أجل قول أبى بكرة وإنه قال جزى الله أبابكرة خيرا فما يدع النصيحة فى حال وروى أبوعمر بن عبدالبر فى هذاالكتاب قال دخل بنو أمية وفيهم عبدالرحمن بن الحكم على معاوية أيام مااستلحق زيادا فقال له عبدالرحمن يامعاوية لو لم تجد إلاالزنج لاستكثرت بهم علينا قلة وذلة يعنى على بنى أبى العاص فأقبل معاوية [صفحه ١٩٠] على مروان و قال أخرج عنا هذاالخليع فقال مروان إى و الله إنه لخليع مايطاق فقال معاوية و الله لو لاحلمى وتجاوزى لعلمت أنه يطاق أ لم يبلغنى شعره فى و فى زياد ثم قال مروان أسمعنيه فأنشد ألا أبلغ معاوية بن حرب || لقد ضاقت بما يأتى اليدان أتغضب أن يقال أبوك عف || وترضى أن يقال أبوك زان فأشهد أن رحمك من زياد || كرحم الفيل من ولد الأتان وأشهد أنها حملت زيادا || وصخر من سمية غيردان . ثم قال و الله لاأرضى عنه حتى يأتى زيادا فيترضاه ويعتذر إليه فجاء عبدالرحمن إلى زياد معتذرا يستأذن عليه فلم يأذن له فأقبلت قريش إلى زياد تكلمه فى أمر عبدالرحمن فلما دخل سلم فتشاوس له زياد بعينه و كان يكسر عينه فقال له زياد أنت القائل ما قلت قال عبدالرحمن ما ألذى قلت قال قلت ما لايقال قال أصلح الله الأمير إنه لاذنب لمن أعتب وإنما الصفح عمن أذنب فاسمع منى ماأقول قال هات فأنشده إليك أباالمغيرة تبت مما || جرى بالشام من خطل اللسان وأغضبت الخليفة فيك حتى || دعاه فرط غيظ إن هجانى و قلت لمن لحانى فى اعتذارى || إليك اذهب فشأنك غيرشأنى [صفحه ١٩١] عرفت الحق بعدضلال رأيى || و بعدالغى من زيغ الجنان زياد من أبى سفيان غصن || تهادى ناضرا بين الجنان أراك أخا وعما و ابن عم || فما أدرى بعيب ماترانى و إن زيادة فى آل حرب || أحب إلى من وسطى بنانى ألا أبلغ معاوية بن حرب || فقد ظفرت بما تأتى اليدان فقال زياد أراك أحمق صرفا شاعرا ضيع اللسان يسوغ لك ريقك ساخطا ومسخوطا ولكنا قدسمعنا شعرك وقبلنا عذرك فهات حاجتك قال تكتب إلى أمير المؤمنين بالرضا عنى قال نعم ثم دعا كاتبه فكتب له بالرضا عنه فأخذ كتابه ومضى حتى دخل على معاوية فلما قرأه قال لحا الله زيادا لم يتنبه لقوله و إن زيادة فى آل حرب . ثم رضى عن عبدالرحمن ورده إلى حالته . و أماأشعار يزيد بن مفرغ الحميرى وهجاؤه عبيد الله وعبادا ابنى زياد بالدعوة فكثيرة مشهورة نحو قوله أعباد ماللؤم عنك تحول || و لا لك أم من قريش و لاأب وقل لعبيد الله ما لك والد || بحق و لايدرى امرؤ كيف تنسب . ونحو قوله شهدت بأن أمك لم تباشر || أباسفيان واضعة القناع [صفحه ١٩٢] ولكن كان أمر فيه لبس || على حذر شديد وارتياع إذاأودى معاوية بن حرب || فبشر شعب قعبك بانصداع . ونحو قوله إن زيادا ونافعا و أبابكرة || عندى من أعجب العجب هم رجال ثلاثة خلقوا || فى رحم أنثى وكلهم لأب ذا قرشى كماتقول وذا || مولى و هذابزعمه عربى كان عبيد الله بن زياد يقول ماشجيت بشىء أشد على من قول ابن مفرغ فكر ففى ذاك إن فكرت معتبر || هل نلت مكرمة إلابتأمير عاشت سمية ماعاشت و ماعلمت || أن

ابنها من قريش فى الجماهير . ويقال إن الأبيات النونيۀ المنسوبۀ إلى عبدالرحمن ابن أم الحكم ليزيد بن مفرغ و إن أولها أ لاأبلغ معاويـۀ بن حرب || مغلغلۀ من الرجل اليمانى . ونحو قوله و قدباع برد غلامه لماحبسه عباد بن زياد بسجستان يابرد مامسنا دهر أضر بنا || من قبل هذا و لابعنا له ولدا لامتنى النفس فى برد فقلت لها || لاتهلكى إثر برد هكذا كمدا لو لاالدعى و لو لا ماتعرض بى || من الحوادث مافارقته أبدا . ونحو قوله أبلغ لديكـ بنى قحطان مألكۀ || عضت بأير أبيها سادۀ اليمن أضحى دعى زياد فقع قرقرۀ || يااللعجائب يلهو بابن ذى يزن . [صفحه ۱۹۳] وروى ابن الكلبى أن عبادا استلحقه زياد كمااستلحق معاويۀ زيادا كلاهما لدعوۀ قال لماأذن لزياد فى الحج تجهز فبينا هويتجهز وأصحاب القرب يعرضون عليه قربهم إذ تقدم عباد و كان خرازا فصار يعرض عليه ويحاوره ويجيبه فقال زياد ويحكـ من أنت قال أناابنكـ قال ويحكـ و أى بنى قال قدوقعت على أمى فلانۀ وكانت من بنى كذا فولدتنى وكنت فى بنى قيس بن ثعلبۀ و أنامملوكـ لهم فقال صدقت و الله إنى لأعرف ماتقول فبعث فاشتراه وادعاه وألحقه و كان يتعهد بنى قيس بن ثعلبۀ بسببه ويصلهم وعظم أمر عباد حتى ولاه معاويۀ سجستان بعدموت زياد وولى أخاه عبيد الله البصرۀ فتزوج عباد الستيرۀ ابنۀ أنيف بن زياد الكلبى فقال الشاعر يخاطب أنيفا و كان سيد كلب فى زمانه أبلغ لديكـ أباتركان مألكۀ || أنائما كنت أم بالسمع من صمم أنكحت عبدبنى قيس مهذبۀ || آباؤها من عليم معدن الكرم أكنت تجهل عبادا ومحتده || لادر دركـ أم أنكحت من عدم أ بعدآل أبى سفيان تجعله || صهرا و بعدبنى مروان والحكم أعظم عليكـ بذا عارا ومنقصۀ || مادمت حيا و بعدالموت فى الرحم . و قال الحسن البصرى ثلاث كن فى معاويۀ لو لم تكن فيه إلاواحدۀ منهن لكانت موبقۀ انتزاؤه على هذه الأمۀ بالسفهاء حتى ابتزها أمرها واستلحاقه زيادا مراغمۀ لقول رسول الله الولد للفراش وللعاهر الحجر -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۴۸ وقتله حجر بن عدى فيا ويله من حجر وأصحاب حجر. [صفحه ۱۹۴] وروى الشرقى بن القطامى قال كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبدشمس شيعۀ لعلى بن أبى طالب ع فلما قدم زياد الكوفۀ طلبه وأخافه فأتى الحسن بن على ع مستجيرا به فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم وأخذ ماله ونقض داره فكتب الحسن بن على ع إلى زياد أما بعدفإنكـ عمدت إلى رجل من المسلمين له مالهم و عليه ماعليهم فهدمت داره وأخذت ماله وحبست أهله وعياله فإن أتاكـ كتابى هذافابن له داره واردد عليه عياله وماله وشفعنى فيه فقد أجرته و السلام -روايت-۱-۲-روايت-۳۶-۲۴۷ .فكتب إليه زياد من زياد بن أبى سفيان إلى الحسن بن فاطمۀ أما بعدفقد أتانى كتابكـ تبدأ فيه بنفسكـ قبلى و أنت طالب حاجۀ و أناسلطان و أنت سوقۀ وتأمرنى فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته كتبت إلى فى فاسق آويته إقامۀ منكـ على سوء الرأى ورضا منكـ بذلكـ وايم الله لاتسبقنى به و لو كان بين جلدكـ ولحمكـ و إن نلت بعضكـ غيررفيق بكـ و لامرع عليكـ فإن أحب لحم على أن آكله للحم ألذى أنت منه فسلمه بجريرته إلى من هوأولى به منكـ فإن عفوت عنه لم أكن شفعتكـ فيه و إن قتلته لم أقتله إلالحبه أباكـ الفاسق و السلام . فلما ورد الكتاب على الحسن ع قرأه وتبسم وكتب بذلكـ إلى معاويۀ وجعل كتاب زياد عطفه وبعث به إلى الشام وكتب جواب كتابه كلمتين لاثالثۀ لهما من الحسن بن فاطمۀ إلى زياد ابن سميۀ أما بعد فإن رسول الله ص قال الولد للفراش وللعاهر الحجر و السلام -روايت-۱-۲-روايت-۴۱-۱۱۲ . فلما قرأ معاويۀ كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام وكتب إلى زياد أما بعد فإن الحسن بن على بعث إلى بكتابكـ إليه جوابا عن كتاب كتبه [صفحه ۱۹۵] إليكـ فى ابن سرح فأكثرت العجب منكـ وعلمت أن لكـ رأيين أحدهما من أبى سفيان والآخر من سميۀ فأما ألذى من أبى سفيان فحلم وحزم و أما ألذى من سميۀ فما يكون من رأى مثلها من ذلكـ كتابكـ إلى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ولعمرى إنكـ الأولى بالفسق من أبيه فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عليكـ فإن ذلكـ لايضعكـ لوعقلت و أماتسلطه عليكـ بالأمر فحق لمثل الحسن أن يتسلط و أماتركـكـ تشفيعه فيما شفع فيه إليكـ فحظ دفعته عن نفسكـ إلى من هوأولى به منكـ فإذاورد عليكـ كتابى فخل ما فى يديكـ لسعيد بن أبى سرح و ابن له داره واردد عليه ماله و لاتعرض له فقد كتبت إلى

الحسن أن يخيره إن شاء أقام عنده و إن شاء رجع إلى بلده و لاسلطان لک عليه لابيد و لالسان و أماكتابک إلى الحسن باسمه واسم أمه و لاتنسبه إلى أبيه فإن الحسن ويحک من لايرمى به الرجوان و إلى أى أم وكلته لاأم لک أ ماعلمت أنها فاطمة بنت رسول الله ص فذاک أفخر له لوكنت تعلمه وتعقله وكتب فى أسفل الكتاب شعرا من جملته أماحسن فابن ألذى كان قبله || إذاسار سار الموت حيث يسير وهل يلد الرئبال إلانظيره || وذا حسن شبه له ونظير ولكنه لويوزن الحلم والحجا || بأمر لقالوا يذبل وثبير . [صفحه ۱۹۶] وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات أن عبدالملک أجرى خيلا فسبقه عباد بن زياد فأنشد عبدالملک سبق عباد وصلت لحيته || و كان خرازا تجود قربته .فشكا عباد قول عبدالملک إلى خالد بن يزيد بن معاوية فقال له أما و الله لأنصفنک منه بحيث يكره فزوجه أخته فكتب الحجاج إلى عبدالملک يا أمير المؤمنين إن مناكح آل أبى سفيان قدضاعت فأخبر عبدالملک خالدا بما كتب به الحجاج فقال خالد يا أمير المؤمنين ماأعلم امرأة منا ضاعت ونزلت إلاعاتكة بنت يزيد بن معاوية فإنها عندک و لم يعن الحجاج غيرک قال عبدالملک بل عنى الدعى ابن الدعى عبادا قال خالد يا أمير المؤمنين ماأنصفتنى أدعى رجلا- ثم لا-أزوجه إنما كنت ملوما لوزوجت دعيک فأما دعيى فلم لا-أزوجه .فأما أول ماارتفع به زياد فهو استخلاف ابن عباس له على البصرة فى خلافة على ع وبلغت عليا عنه هنات فكتب إليه يلومه ويؤنبه فمنها الكتاب ألذى ذكر الرضى رحمه الله بعضه و قدشرحنا فيما تقدم ماذكر الرضى منه و كان على ع أخرج إليه سعدا مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة و كان بين سعد وزياد ملاحاة ومنازعة وعاد سعد وشكاه إلى على ع وعابه فكتب على ع إليه أما بعد فإن سعدا ذكر أنک شتمته ظلما وهددته وجبهته تجبرا وتكبرا فما دعاک إلى التكبر و قد قال رسول الله ص الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه و قدأخبرنى أنک تكثر من الألوان المختلفة فى الطعام فى اليوم الواحد -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-ادامه دارد [صفحه ۱۹۷] وتدهن كل يوم فما عليک لوصمت لله أياما وتصدقت ببعض ماعندک محتسبا وأكلت طعامک مرارا قفارا فإن ذلک شعار الصالحين أفتطمع و أنت متمرغ فى النعيم تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرملة واليتيم أن يحسب لک أجر المتصدقين وأخبرنى أنک تتكلم بكلام الأبرار وتعمل عمل الخاطئين فإن كنت تفعل ذلک فنفسک ظلمت وعملک أحبطت فتب إلى ربک يصلح لک عملک واقتصد فى أمرک وقدم إلى ربک الفضل ليوم حاجتک وادهن غبا فإنى سمعت رسول الله ص يقول ادهنوا غبا و لاتدهنوا رفها -روايت-از قبل-۵۰۴ .فكتب إليه زياد أما بعد يا أمير المؤمنين فإن سعدا قدم على فأساء القول والعمل فانتهرته وزجرته و كان أهلا- لأ-كثر من ذلک و أما ماذكرت من الإسراف واتخاذ الألوان من الطعام والنعم فإن كان صادقا فأثابه الله ثواب الصالحين و إن كان كاذبا فوقاه الله أشد عقوبة الكاذبين و أما قوله إنى أصف العدل وأخالفه إلى غيره فإنى إذن من الأخسرين فخذ يا أمير المؤمنين بمقال قلته فى مقام قمته الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل فإن أتاک بشاهدى عدل و إلا-تبين لک كذبه وظلمه . و من كلام زياد تأخير جزاء المحسن لؤم وتعجيل عقوبة المسىء طيش . وكتب إليه معاوية أما بعدفاعزل حريث بن جابر عن العمل فإنى لاأذكر مقاماته بصفين إلاكانت حزازة فى صدرى فكتب إليه زياد أما بعدفخفض عليک يا أمير المؤمنين فإن حريثا قدسبق شرفا لايرفعه معه عمل و لايضعه معه عزل . [صفحه ۱۹۸] و قال لابنه عبيد الله عليک بالحجاب وإنما اجترأت الرعاة على السباع بكثرة نظرها إليها. و من كلامه أحسنوا إلى أهل الخراج فإنكم لاتزالون سمانا ماسمنوا.قدم رجل خصما له إلى زياد فى حق له عليه و قال أيها الأمير إن هذايدل بخاصة ذكر أنها له منک قال زياد صدق وسأخبرک بما ينفعه عندى من خاصته ومودته إن يكن له الحق عليک آخذک به أخذا عنيفا و إن يكن الحق لک قضيت عليه ثم قضيت عنه . و قال ليس العاقل من يحتال للأمر إذاوقع فيه لكن العاقل من يحتال للأمر ألا يقع فيه . و قال فى خطبة له إلارب مسرور بقدومنا لانسره وخائف ضرنا لانضره . كان مكتوبا فى الحيطان الأربعة فى قصر زياد كتابة بالجص أربعة أسطر أولها الشدة فى غيرعنف واللين فى غيرضعف والثانى المحسن مجازى بإحسانه والمسىء يكافأ بإساءته والثالث العطيات

والأرزاق فى إبانها وأوقاتها والرابع لااحتجاب عن صاحب ثغر و لا عن طارق ليل . و قال يوما على المنبر إن الرجل ليتكلم بالكلمة يشفى بهاغيظه لايقطع بهاذنب عنز فتضره لوبلغتنا عنه لسفكنا دمه . و قال ماقرأت كتاب رجل قط إلاعرفت عقله منه . و قال فى خطبة استوصوا بثلاثة منكم خيرا الشريف والعالم والشيخ فو الله لايأتينى وضيع بشريف يستخف به إلاانتقمت منه أوشاب بشيخ يستخف به إلا أوجعته ضربا و لاجاهل بعالم يستخف به إلانكلت به . [صفحه ۱۹۹] وقيل لزياد ماالحظ قال أن يطول عمرك وترى فى عدوك مايسرك .قيل كان زياد يقول هما طريقان للعامة الطاعة والسيف . و كان المغيرة يقول لا و الله حتى يحملوا على سبعين طريقا غيرالسيف . و قال الحسن البصرى لرجل أ لاتحدثنى بخطبتى زياد والحجاج حين دخلا العراق قال بلى أمازياد فلما قدم البصرة حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن معاوية غيرمخوف على قومه و لم يكن ليلحق بنسبة من ليس منه و قدشهدت الشهود بما قدبلغكم والحق أحق أن يتبع و الله حيث وضع البينات كان أعلم و قدرحلت عنكم و أناأعرف صديقى من عدوى ثم قدمت عليكم و قدصار العدو صديقا مناصحا والصديق عدوا مكاشحا فليشتمل كل امرئ على ما فى صدره و لايكونن لسانه شفرة تجرى على أوداجه وليعلم أحدكم إذاخلا بنفسه أنى قدحملت سيفى بيدى فإن أشهره لم أغمده و إن أغمده لم أشهره ثم نزل و أماالحجاج فإنه قال من أعياه داؤه فعلى دواؤه و من استبطأ أجله فعلى أن أعجله ألا إن الحزم والعزم استلبا منى سوطى وجعلا سوطى سيفى فنجاده فى عنقى وقائمه بيدى وذبابه قلادة لمن اغتر بى. فقال الحسن البؤس لهما ماأغرهما بربهما أللهم اجعلنا ممن يعتبر بهما. و قال بعضهم مارأيت زيادا كاسرا إحدى عينيه واضعا إحدى رجليه على الأخرى يخاطب رجلا إلارحمت المخاطب . و من كلامه نعم الشىء الإمارة لو لاقعقعة لجام البريد وتسنم ذروة المنبر. قال لحاجبه ياعجلان إنى قدوليتك هذاالباب وعزلتك عن أربعة المنادى إذاجاء يؤذن بالصلاة فإنها كانت كتابا موقوتا و رسول صاحب الثغر فإنه إن أبطأ [صفحه ۲۰۰] ساعة فسد تدبير سنة وطارق الليل فشر ماجاء به والطباخ إذافرغ من الطعام فإنه متى أعيد عليه التسخين فسد. و كان حارثة بن بدر الغدانى قدغلب على زياد و كان حارثة مشتهرا بالشراب فقيل لزياد فى ذلك فقال كيف باطراح رجل هويسايرنى منذ قدمت العراق فلايصل ركابه ركابى و لاتقدمنى قط فنظرت إلى قفاه و لاتأخر عنى فلويت عنقى إليه و لاأخذ على الشمس فى شتاء قط و لاالروح فى صيف قط و لاسألته عن علم إلاظننته لايحسن غيره . و من كلامه كفى بالبخل عارا أن اسمه لم يقع فى حمد قط وكفى بالجود فخرا أن اسمه لم يقع فى ذم قط. و قال ملاك السلطان الشدة على المريب واللين للمحسن وصدق الحديث والوفاء بالعهد. و قال ماأتيت مجلسا قط إلاتركت منه ما لوأخذته لكان لى وترك ما لى أحب إلى من أخذ ما ليس لى . و قال ماقرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثى ماكتب إلى كتابا قط إلا فى اجترار منفعة أودفع مضرة و لاشاورته يوما قط فى أمر مبهم إلا وسبق إلى الرأى. و قال يعجبنى من الرجل إذاأتى مجلسا أن يعلم أين مكانه منه فلايتعداه إلى غيره و إذاسيم خطة خسف أن يقول لابمل ء فيه .فأما خطبة زياد المعروفة بالبتراء وإنما سميت بذلك لأنه لم يحمد الله فيها و لاصلى على رسوله فقد ذكرها على بن محمدالمدائنى قال قدم زياد البصرة أميرا عليها أيام معاوية والفسق فيهافاش جدا وأموال الناس منتهبة والسياسة ضعيفة فصعد المنبر فقال [صفحه ۲۰۱] أما بعد فإن الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء والغى الموفد لأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيهاالصغير و لايتحاشى منها الكبير كأنكم لم تقرءوا كتاب الله و لم تستمعوا ماأعد من الثواب الكثير لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته فى الزمن السرمد ألذى لايزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقية لاتذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث ألذى لم تسبقوا به من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر هذا والعدد غيرقليل . أ لم يكن منكم نهاه تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الذين يعتذرون بغير العذر ويعطون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سيفه صنيع من لايخاف عاقبة و لايرجو معادا ماأنتم بالحلماء و قداتبعتم

السـفهاء فلم يزل بهم مـاترون من قيـامكم دونهم حتى انتهكوا حرمـة الإسـلام ثم أطرقوا وراءكم كنوسـا فى مكانس الريب حرم على الطعام والشـراب حتى أسويها بالأرض هدما وإحراقا إنى رأيت آخر هذاالأمر لايصلح إلابما صلح به أوله لين فى غيرضعف وشدة فى غيرعنف و أناأقسم بالله لآخذن الولى بالولى والظاعن بالظاعن والمقبل بالمدبر والصـحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل أخاه [صفحه ۲۰۲] فيقول انج سـعد فقد هلك سعيد أوتستقيم لى قناتكم . إن كذبة المنبر تلفى مشهورة فإذاتعلقتم على بكذبـة فقـد حلت لكـم معصيتى من نقب عليه منكم فأنـا ضـامن لمـاذهب منه فإيـاكم ودلـج الليـل فـإنى لا ـأوتى بمـدلج إلاسـفكت دمه و قـدأجلتكم بقدر مايأتى الخبر الكوفة ويرجع إليكم .إياكم ودعوى الجاهلية فإنى لاأجد أحدا دعا بها إلاقطعت لسانه و قدأحـدثتم أحـداثا و قدأحـدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق بيوت قوم غرقناه و من حرق على قوم حرقناه و من نقب على أحـد بيتـا نقبنـا على قلبه و من نبش قبرا دفنـاه فيه حيـا.كفوا عنى أيـديكم وألسـنتكم أكف عنكم يـدى ولسـانى و لا ـيظهرن من أحـدكم خلاف ما عليه عامتكم فأضـرب عنقه و قـدكانت بينى و بين أقوام إحن فقـد جعلت ذلك وراء أذنى وتحت قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا و من كان مسيئا فلينزع عن إساءته إنى لوعلمت أن أحدكم قدقتله السلال من بغضى لم أكشف عنه قناعـا و لم أهتـك له سترا حتى يبـدى لى صـفحته فإذافعـل لم أنـاظره فاسـتأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسـكم فرب مبتئس بقدومنا سيسـر ومسـرور بقدومنا سـيبأس أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله ألذى أعطاناه ونذود عنكم بفىء الله ألـذى خولناه فلنا عليكم السـمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل والإنصاف فيما ولينا فاسـتوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصـحتكم لنا واعلموا أنى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم [صفحه ۲۰۳] و لاحابسا عطـاء و لامجمرا بعثا فادعوا الله بالصـلاح لأئمتكم فإنهم ساسـتكم المؤدبون وكهفكم ألـذى إليه تأوون ومتى يصـلحوا تصـلحوا فلاتشـربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول لذلك حزنكم و لاتدركوا حاجتكم مع أنه لواستجيب لأحد منكم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل و إذارأيتمونى أنفـذ فيكم الأمر فانفذوه على أذلاله وايم الله إن لى فيكم لصـرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى.فقام عبد الله بن الأهتم فقال أشهد أيها الأمير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال كـذبت ذاك نبى الله داود.فقام الأحنف فقال إنما الثناء بعـدالبلاء والحمـد بعـدالعطاء وإنا لانثنى حتى نبتلى و لانحمد حتى نعطى فقـال زيـاد صـدقت فقـام أبوبلال مرداس بن أديـة يهمس و يقول أنبأنـا الله بغير ما قلت فقال وَ إِبراهِيمَ أَلّـذِى وَفّى أَلّا تَزرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخريفسمعها زيـاد فقـال يا أبابلال إنا لانبلغ مانريـد بأصـحابك حتى نخوض إليهم الباطل خوضا. وروى الشـعبى قال قدم زياد الكوفة لماجمعت له مع البصـرة فدنوت من المنبر لأسـمع كلامه فلم أر أحدا يتكلم فيحسن إلاتمنيت أن يسكت مخافة أن يسـىء إلاازيـادا فـإنه كان لايزداد إكثارا إلاازداد إحسانا فكنت أتمنى ألا يسـكت . -قرآن-۷۳۱-۷۹۰ [صـفحه ۲۰۴] وروى الشـعبى أيضا قال لماخطب زياد خطبته البتراء بالبصـرة ونزل سـمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون فقال ما هذاقالوا إن البلد مفتونة و إن المرأة من أهل المصـر لتأخذها الفتيان الفساق فيقال لها نادى ثلاث أصوات فإن أجابك أحد و إلا فلالوم علينا فيما نصـنع فغضب فقـال ففيم أنـا وفيم قـدمت فلمـا أصـبح أمر فنودى فى النـاس فـاجتمعوا فقـال أيها الناس إنى قـدنبئت بما أنتم فيه وسـمعت ذروا منه و قدأنـذرتكم وأجلتكم شـهرا مسـير الرجل إلى الشام ومسـيره إلى خراسان ومسـيره إلى الحجاز فمن وجدناه بعدشـهر خارجا من منزله بعـدالعشاء الآخرة فـدمه هدر فانصـرف الناس يقولون هذاالقول كقول من تقدمه من الأمراء فلما كمل الشـهر دعـا صـاحب شـرطته عبـد الله بن حصـين اليربوعى وكانت رجال الشـرطة معه أربعـة آلاف فقال له هيئ خيلك ورجلك فإذاصـليت العشاء الآخرة وقرأ القارئ مقدار سـبع من القرآن ورفع الطن القصب من القصـر فسر و لاتلقين أحدا عبيد الله بن زياد فمن دونه إلاجئتنى برأسه و إن راجعتنى فى أحد ضـربت عنقك . قال فصبح على باب القصر تلك الليلة سبعمائة رأس ثم خرج الليلـة الثانيـة فجاء بخمسـين رأسا ثم خرج الليلـة الثالثة فجاء برأس واحد ثم لم يجىء بعدها بشـىء و كان الناس إذاصـلوا العشاء

الآخرة أحضروا إلى منازلهم شدا حثيثا و قديترك بعضهم نعاله .كتبت عائشة إلى زياد كتابا فلم تدر ماتكتب عنوانه إن كتبت زياد بن عبيد أو ابن أبيه أغضبته و إن كتبت زياد بن أبى سفيان أثمت فكتبت من أم المؤمنين إلى ابنها زياد فلما قرأه ضحك و قال لقد لقيت أم المؤمنين من هذاالعنوان نصبا [صفحه ۲۰۵]

۴۵- و من كتاب له ع إلى عثمان بن حنيف الأنصارى و كان عامله على البصرة

اشاره

و قدبلغه أنه دعى إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها قوله أَمّا بَعدُ يَا ابنَ حُنَيفٍ فَقَد بلَغَنَي أَنّ رَجُلًا مِن فِتيَةِ أَهلِ البَصرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأدُبَةٍ فَأَسرَعتَ إِلَيهَا تُستَطَابُ لَكَ الأَلوَانُ وَ تُنقَلُ إِلَيكَ الجِفَانُ وَ مَا ظَنَنتُ أَنّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَومٍ عَائِلُهُم مَجفُوّ وَ غَنِيّهُم مَدعُوّ فَانظُر إِلَى مَا تَقضَمُهُ مِن هَذَا المَقضَمِ فَمَا اشتَبَهَ عَلَيكَ عِلمُهُ فَالفِظهُ وَ مَا أَيقَنتَ بِطِيبِ وَجهِهِ فَنَل مِنهُ أَلَا وَ إِنّ لِكُلّ مَأمُومٍ إِمَاماً يَقتَدِي بِهِ وَ يَستَضِيءُ بِنُورِ عِلمِهِ أَلَا وَ إِنّ إِمَامَكُم قَدِ اكتَفَى مِن دُنيَاهُ بِطِمرَيهِ وَ مِن طُعمِهِ بِقُرصَيهِ أَلَا وَ إِنّكُم لَا تَقدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَ لَكِن أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَ اجتِهَادٍ وَ عِفّةٍ وَ سَدَادٍ فَوَاللّهِ مَا كَنَزتُ مِن دُنيَاكُم تِبراً وَ لَا ادّخَرتُ مِن غَنَائِمِهَا وَفراً وَ لَا أَعدَدتُ لِبَالِي ثَوبِي طِمراً وَ لَا حُزتُ مِن أَرضِهَا شِبراً وَ لَا أَخَذتُ مِنهُ إِلّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ وَ لَهِيَ فِي عَينِي أَوهَى مِن عَفصَةٍ مَقِرَةٍ

عثمان بن حنيف ونسبه

هوعثمان بن حنيف بضم الحاء بن واهب بن العكم بن ثعلبة بن الحارث الأنصارى [صفحه ۲۰۶] ثم الأوسى أخو سهل بن حنيف يكنى أباعمرو وقيل أبا عبد الله عمل لعمر ثم لعلى ع وولاه عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق وضرب الخراج والجزية على أهلها وولاه على ع على البصرة فأخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها وسكن عثمان الكوفة بعدوفاة على ع ومات بها فى زمن معاوية. قوله من فتية البصرة أى من فتيانها أى من شبابها أو من أسخيائها يقال للسخى هذافتى والجمع فتية وفتيان وفتو ويروى أن رجلا من قطان البصرة أى سكانها. والمأدبة بضم الدال الطعام يدعى إليه القوم و قدجاءت بفتح الدال أيضا ويقال أدب فلان القوم يأدبهم بالكسر أى دعاهم إلى طعامه والآدب الداعى إليه قال طرفة نحن فى المشتاة ندعو الجفلى || لاترى الآدب فينا ينتقر . ويقال أيضا آدبهم إلى طعامه يؤدبهم إيدابا ويروى وكثرت عليك الجفان فكرعت وأكلت أكل ذئب نهم أوضبع قرم . وروى و ماحسبتك تأكل طعام قوم . ثم ذم أهل البصرة فقال عائلهم مجفو وغنيهم مدعو والعائل الفقير و هذاكقول الشاعر فإن تملق فأنت لنا عدو || فإن تثر فأنت لنا صديق . [صفحه ۲۰۷] ثم أمره بأن يترك ما فيه شبهة إلى ما لاشبهة فيه وسمى ذلك قضما ومقضما و إن كان مما لايقضم لاحتقاره له وازدرائه إياه و أنه عنده ليس مما يستحق أن يسمى بأسماء المرغوب فيه المتنافس عليه و ذلك لأن القضم يطلق على معنيين أحدهما على أكل الشىء اليابس والثانى على مايؤكل ببعض الفم وكلاهما يدلان على أن ذلك المقضم المرغوب عنه لا فيه . ثم ذكر ع حال نفسه فقال إن إمامكم قدقنع من الدنيا بطمريه والطمر الثوب الخلق البالى وإنما جعلهما اثنين لأنهما إزار ورداء لابد منهما أى للجسد والرأس . قال و من طعمه بقرصيه أى قرصان يفطر عليهما لاثالث لهما وروى قداكتفى من الدنيا بطمريه وسد فورة جوعه بقرصيه لايطعم الفلذة فى حوليه إلا فى يوم أضحية. ثم قال إنكم لن تقدروا على ماأقدر عليه ولكنى أسألكم أن تعينونى بالورع والاجتهاد. ثم أقسم أنه ماكنز ذهبا و لاادخر

مالا و لاأعد ثوبا باليا سملا لبالى ثوبيه فضلا عن أن يعد ثوبا قشيبا كمايفعله الناس فى إعداد ثوب جديد ليلبسوه عوض الأسمال التى ينزعونها و لاحاز من أرضها شبرا والضمير فى أرضها يرجع إلى دنياكم و لاأخذ منها إلاكقوت أتان دبرة وهى التى عقر ظهرها فقل أكلها. ثم قال ولهى فى عينى أهون من عفصة مقرة أى مرة مقر الشىء بالكسر أى صار مرا وأمقره بالهمز أيضا قال لبيد ممقر مر على أعدائه || و على الأدنين حلو كالعسل [صفحه ٢٠٨] بَلَى كَانَت فِى أَيدِينَا فَدَكٌ مِن كُلّ مَا أَظَلّتهُ السّمَاءُ فَشَحّت عَلَيهَا نُفُوسُ قَوم وَ سَخَت عَنهَا نُفُوسُ آخَرِينَ وَ نِعمَ الحَكَمُ اللّهُ وَ مَا أَصنَعُ بِفَدَكٍ وَ غَيرِ فَدَكٍ وَ النّفسُ مَظَانّهَا فِى غَدٍ جَدَثٌ تَنقَطِعُ فِى ظُلمَتِهِ آثَارُهَا وَ تَغِيبُ أَخبَارُهَا وَ حُفرَةٌ لَو زِيدَ فِى فُسحَتِهَا وَ أَوسَعَت يَدَا حَافِرِهَا لَأَضغَطَهَا الحَجَرُ وَ المَدَرُ وَ سَدّ فُرَجَهَا التّرَابُ المُتَرَاكِمُ وَ إِنّمَا هيَ نفَسيِ أَرُوضُهَا بِالتّقوَى لتِأَتيَِ آمِنَةً يَومَ الخَوفِ الأَكبَرِ وَ تَثبُتَ عَلَى جَوَانِبِ المَزلَقِ الجدث القبر وأضغطها الحجر جعلها ضاغطة والهمزة للتعدية ويروى وضغطها. و قوله مظانها فى غد جدث المظان جمع مظنة و هوموضع الشىء ومألفه ألذى يكون فيه قال فإن يك عامر قد قال جهلا || فإن مظنة الجهل الشباب يقول لامال لى و لااقتنيت فيما مضى مالا وإنما كانت فى أيدينا فدك فشحت عليها نفوس قوم أى بخلت وسخت عنها نفوس آخرين سامحت وأغضت و ليس يعنى هاهنا بالسخاء إلا هذا لاالسخاء الحقيقى لأنه ع وأهله لم يسمحوا بفدك إلاغصبا وقسرا و قد قال هذه الألفاظ فى موضع آخر فيما تقدم و هويعنى الخلافة بعدوفاة رسول الله ص . [صفحه ٢٠٩] ثم قال ونعم الحكم الله الحكم الحاكم و هذاالكلام كلام شاك متظلم ثم ذكر مال الإنسان و أنه لاينبغى أن يكترث بالقينات والأموال فإنه يصير عن قريب إلى دار البلى ومنازل الموتى . ثم ذكر أن الحفرة ضيقة و أنه لووسعها الحافر لألجأها الحجر المتداعى والمدر المتهافت إلى أن تضغط الميت وتزحمه و هذاكلام محمول على ظاهره لأنه خطاب للعامة و إلافأى فرق بين سعة الحفرة وضيقها على الميت أللهم إلا أن يقول قائل إن الميت يحس فى قبره فإذاقيل ذلك فالجاعل له حساسا بعدعدم الحس هو ألذى يوسع الحفرة و إن كان الحافر قدجعلها ضيقة فإذن هذاالكلام جيد لخطاب العرب خاصة و من يحمل الأمور على ظواهرها. ثم قال وإنما هى نفسى أروضها بالتقوى يقول تقللى واقتصارى من المطعم والملبس على الجشب والخشن رياضة لنفسى لأن ذلك إنما أعمله خوفا من الله أن أنغمس فى الدنيا فالرياضة بذلك هى رياضة فى الحقيقة بالتقوى لابنفس التقلل والتقشف لتأتى نفسى آمنة يوم الفزع الأكبر وتثبت فى مداحض الزلق

ذكر ماورد من السير والأخبار فى أمر فدك

اشاره

واعلم أنانتكلم فى شرح هذه الكلمات بثلاثة فصول الفصل الأول فيما ورد فى الحديث والسير من أمر فدك والفصل الثانى فى هل النبى ص يورث أم لا والفصل الثالث فى أن فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله ص لفاطمة أم لا. [صفحه ٢١٠]

الفصل الأول فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم

لأنا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك جميع مانورده فى هذاالفصل من كتاب أبى بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى فى السقيفة وفدك و ماوقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبى ص و أبوبكر الجوهرى هذاعالم محدث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته . قال أبوبكر حدثنى أبوزيد عمر بن شبة قال حدثناحيان بن بشر قال حدثنايحيى

بن آدم قال أخبرنا ابن أبی زائدهٔ عن محمد بن إسحاق عن الزهری قال بقیت بقیهٔ من أهل خیبر تحصنوا فسألوا رسول الله ص أن یحقن دماءهم ویسیرهم ففعل فسمع ذلک أهل فدک فنزلوا علی مثل ذلک وکانت للنبیص خاصهٔ لأنه لم یوجف علیها بخیل و لارکاب . قال أبوبکر وروی محمد بن إسحاق أیضا أن رسول الله ص لمافرغ من خیبر قذف الله الرعب فی قلوب أهل فدک فبعثوا إلی رسول الله ص فصالحوه علی النصف من فدک فقدمت علیه رسلهم بخیبر أوبالطریق أو بعد ماأقام بالمدینهٔ فقبل ذلک منهم وکانت فدک لرسول الله ص خالصهٔ له لأنه لم یوجف علیها بخیل و لارکاب . قال و قدروی أنه صالحهم علیها کلها الله أعلم أی الأمرین کان . قال و کان مالک بن أنس یحدث عن عبد الله بن أبی بکر بن عمرو بن حزم أنه صالحهم علی النصف فلم یزل الأمر کذلک حتی أخرجهم عمر بن الخطاب وأجلاهم بعد أن عوضهم عن النصف ألذی کان لهم عوضا من إبل وغیرها. [صفحه ۲۱۱] و قال غیرمالک بن أنس لماأجلاهم عمر بعث إلیهم من یقوم الأموال بعث أباالهیثم بن التیهان وفروهٔ بن عمرو وحباب بن صخر وزید بن ثابت فقوموا أرض فدک ونخلها فأخذها عمر ودفع إلیهم قیمهٔ النصف ألذی لهم و کان مبلغ ذلک خمسین ألف درهم أعطاهم إیاها من مال أتاه من العراق وأجلاهم إلی الشام . قال أبوبکر فحدثنی محمد بن زکریا قال حدثنی جعفر بن محمد بن عمارهٔ الکندی قال حدثنی أبی عن الحسین بن صالح بن حی قال حدثنی رجلان من بنی هاشم عن زینب بنت علی بن أبی طالب ع قال و قال جعفر بن محمد بن علی بن الحسین عن أبیه قال أبوبکر وحدثنی عثمان بن عمران العجیفی عن نائل بن نجیح بن عمیر بن شمر عن جابر الجعفی عن أبی جعفر محمد بن علی ع قال أبوبکر وحدثنی أحمد بن محمد بن یزید عن عبد الله بن محمد بن سلیمان عن أبیه عن عبد الله بن حسن بن الحسن قالوا جمیعا لمابلغ فاطمهٔ ع إجماع أبی بکر علی منعها فدک لاثت خمارها وأقبلت فی لمهٔ من حفدتها ونساء قومها تطأ فی ذیولها ماتخرم مشیتها مشیهٔ رسول الله ص حتی دخلت علی أبی بکر و قدحشد الناس من المهاجرین والأنصار فضرب بینها وبینهم ریطهٔ بیضاء و قال بعضهم قبطیهٔ وقالوا قبطیهٔ بالکسر والضم ثم أنت أنهٔ أجهش لها القوم بالبکاء ثم أمهلت طویلا حتی سکنوا من فورتهم ثم قالت أبتدئ بحمد من هوأولی بالحمد والطول والمجد الحمد لله علی ماأنعم و له الشکر بما ألهم وذکر خطبهٔ طویلهٔ جیدهٔ قالت فی آخرها فاتقوا الله حق تقاته وأطیعوه فیما أمرکم به فإنما یخشی الله من عباده العلماء واحمدوا الله ألذی لعظمته ونوره یبتغی من فی السموات و الأرض إلیه الوسیلهٔ ونحن وسیلته فی خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته فی غیبه ونحن ورثهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۵۰۴-ادامه دارد [صفحه ۲۱۲] أنبیائه ثم قالت أنافاطمهٔ ابنهٔ محمدأقول عودا علی بدء و ماأقول ذلک سرفا و لاشططا فاسمعوا بأسماع واعیهٔ وقلوب راعیهٔ ثم قالت لقد جاءکم رسول من أنفسکم عزیز علیه ماعنتم حریص علیکم بالمؤمنین رءوف رحیم فإن تعزوه تجدوه أبی دون آبائکم وأخا ابن عمی دون رجالکم -روایت-از قبل-۲۷۵ ثم ذکرت کلاما طویلا سنذکره فیما بعد فی الفصل الثانی تقول فی آخره ثم أنتم الآن تزعمون أن لاإرث لی أَ فَحُکمَ الجاهِلِیّهِ یَبغُونَ وَ مَن أَحسَنُ مِنَ اللّهِ حُکماً لِقَومٍ یُوقِنُونَایها معاشر المسلمین ابتز إرث أبی أبی الله أن ترث یا ابن أبی قحافهٔ أباک و لاأرث أبی لقد جئت شیئا فریا فدونکها مخطومهٔ مرحولهٔ تلقاک یوم حشرک فنعم الحکم الله والزعیم محمد والموعد القیامهٔ و عندالساعهٔ یخسر المبطلون ولکل نبأ مستقر وسوف تعلمون من یأتیه عذاب یخزیه ویحل علیه عذاب مقیم ثم التفتت إلی قبر أبیها فتمثلت بقول هند بنت أثاثهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۴۹۵ قد کان بعدک أنباء وهینمهٔ || لوکنت شاهدها لم تکثر الخطب أبدت رجال لنا نجوی صدورهم || لماقضیت وحالت دونک الکتب تجهمتنا رجال واستخف بنا || إذاغبت عنا فنحن الیوم نغتصب قال و لم یر الناس أکثر باک و لاباکیهٔ منهم یومئذ ثم عدلت إلی مسجد الأنصار فقالت یامعشر البقیهٔ وأعضاد الملهٔ وحضنهٔ الإسلام ما هذه الفترهٔ عن نصرتی والونیهٔ عن معونتی والغمزهٔ فی حقی والسنهٔ عن ظلامتی أ ما کان رسول الله ص یقول المرء یحفظ فی ولده سرعان ماأحدثتم وعجلان ماأتیتم ألأن مات رسول الله ص أمتم دینه ها إن موته لعمری خطب جلیل استوسع وهنه -روایت-۱-ادامه

دارد [صفحه ۲۱۳] واستبهم فتقه وفقد راتقه وأظلمت الأرض له وخشعت الجبال وأكدت الآمال أضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة وأذيلت المصونة وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته وأنبأكم بهاقبل وفاته فقال وَ ما مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبلِهِ الرّسُلُ أَ فَإِن ماتَ أَو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلى أَعقابِكُم وَ مَن يَنقَلِب عَلى عَقِبَيهِ فَلَن يَضُرّ اللّهَ شَيئاً وَ سَيَجزِي اللّهُ الشّاكِرِينَايها بنى قيلة اهتضم تراث أبى وأنتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وأنتم نخبة الله التى انتخب وخيرته التى اختار باديتم العرب وبادهتم الأمور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الإسلام ودر حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين أفتأخرتم بعدالإقدام ونكصتم بعدالشدة وجبنتم بعدالشجاعة عن قوم نكثوا أيمانهم من بعدعهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لاأيمان لهم لعلهم ينتهون ألا و قدأرى أن قدأخلدتم إلى الخفض وركنتم إلى الدعة فجحدتم ألذى وعيتم وسغتم ألذى سوغتم و إن تكفروا أنتم و من فى الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد ألا و قد قلت لكم ما قلت على معرفة منى بالخذلة التى خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة الشعار موصولة بنار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة فبعين الله ماتعملون وَ سَيَعلَمُ الّذِينَ ظَلَمُوا أَيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ -روايت-از قبل-۱۳۵۶ قال وحدثنى محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن الضحاك قال حدثناهشام بن محمد عن عوانة بن الحكم قال لماكلمت فاطمة ع أبابكر بما كلمته به حمد أبوبكر الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال ياخيرة النساء وابنة خير الآباء و الله ماعدوت رأى رسول الله ص و ماعملت إلابأمره و إن الرائد -روايت-۱-۲-روايت-۱۰۶-ادامه دارد [صفحه ۲۱۴] لايكذب أهله و قد قلت فأبلغت وأغلظت فأهجرت فغفر الله لنا و لك أما بعدفقد دفعت آلة رسول الله ودابته وحذاءه إلى على ع و أما ماسوى ذلك فإنى سمعت رسول الله ص يقول إنا معاشر الأنبياء لانورث ذهبا و لافضة و لاأرضا و لاعقارا و لادارا ولكنا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنة فقد عملت بما أمرنى ونصحت له و ماتوفيقى إلابالله عليه توكلت و إليه أنيب -روايت-از قبل-۳۷۲ . قال أبوبكر وروى هشام بن محمد عن أبيه قال قالت فاطمة لأبى بكر إن أم أيمن تشهد لى أن رسول الله ص أعطانى فدك فقال لها ياابنة رسول الله و الله ماخلق الله خلقا أحب إلى من رسول الله ص أبيك ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك و الله لأن تفتقر عائشة أحب إلى من أن تفتقرى أترانى أعطى الأحمر والأبيض حقه وأظلمك حقك و أنت بنت رسول الله ص إن هذاالمال لم يكن للنبىص وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل النبى به الرجال وينفقه فى سبيل الله فلما توفى رسول الله ص وليته كما كان يليه قالت و الله لاكلمتك أبدا قال و الله لاهجرتك أبدا قالت و الله لأدعون الله عليك قال و الله لأدعون الله لك فلما حضرتها الوفاة أوصت ألا يصلى عليها فدفنت ليلا وصلى عليها عباس بن عبدالمطلب و كان بين وفاتها ووفاة أبيها اثنتان وسبعون ليلة. قال أبوبكر وحدثنى محمد بن زكريا قال حدثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأول قال فلما سمع أبوبكر خطبتها شق عليه مقالتها فصعد المنبر و قال أيها الناس ما هذه الرعة إلى كل قالة أين كانت هذه الأمانى فى عهد رسول الله ص -روايت-۱-۲-روايت-۹۲-ادامه دارد [صفحه ۲۱۵] ألا من سمع فليقل و من شهد فليتكلم إنما هوثعالة شهيده ذنبه مرب لكل فتنة هو ألذى يقول كروها جذعة بعد ماهرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون بالنساء كأم طحال أحب أهلها إليها البغى ألا إنى لوأشاء أن أقول لقلت و لو قلت لبحت إنى ساكت ماتركت ثم التفت إلى الأنصار فقال قدبلغنى يامعشر الأنصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله ص أنتم فقد جاءكم فآويتم ونصرتم ألا إنى لست باسطا يدا و لالسانا على من لم يستحق ذلك منا -روايت-از قبل-۴۴۷ . ثم نزل فانصرفت فاطمة ع إلى منزلها. قلت قرأت هذاالكلام على النقيب أبى يحيى جعفر بن يحيى بن أبى زيد البصرى و قلت له بمن يعرض فقال بل يصرح قلت لوصرح لم أسألك فضحك و قال بعلى بن أبى طالب ع قلت هذاالكلام كله لعلى يقوله قال نعم إنه الملك يابنى قلت فما مقالة الأنصار قال هتفوا بذكر على فخاف من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم فسألته عن غريبه فقال أماالرعة

بالتخفيف أى الاستماع والإصغاء والقالة القول وثعالة اسم الثعلب علم غيرمصروف ومثل ذؤالة للذئب وشهيده ذنبه أى لاشاهد له على مايدعى إلا بعضه وجزء منه وأصله مثل قالوا إن الثعلب أراد أن يغرى الأسد بالذئب فقال إنه قدأكل الشاة التى كنت قدأعددتها لنفسك وكنت حاضرا قال فمن يشهد لك بذلك فرفع ذنبه و عليه دم و كان الأسد قدافتقد الشاة فقبل شهادته وقتل الذئب ومرب ملازم أرب بالمكان وكروها جذعة أعيدوها إلى الحال الأولى يعنى الفتنة والهرج وأم طحال امرأة بغى فى الجاهلية ويضرب بهاالمثل فيقال أزنى من أم طحال . [صفحه ۲۱۶] قال أبوبكر وحدثنى محمد بن زكريا قال حدثنى ابن عائشة قال حدثنى أبى عن عمه قال لماكلمت فاطمة أبابكر بكى ثم قال ياابنة رسول الله و الله ماورث أبوك دينارا و لادرهما وإنه قال إن الأنبياء لايورثون فقالت إن فدك وهبها لى رسول الله ص قال فمن يشهد بذلك فجاء على بن أبى طالب ع فشهد وجاءت أم أيمن فشهدت أيضا فجاء عمر بن الخطاب و عبدالرحمن بن عوف فشهد أن رسول الله ص كان يقسمها قال أبوبكر صدقت ياابنة رسول الله ص وصدق على وصدقت أم أيمن وصدق عمر وصدق عبدالرحمن بن عوف و ذلك أن مالك لأبيك كان رسول الله ص يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقى ويحمل منه فى سبيل الله فما تصنعين بهاقالت أصنع بها كمايصنع بها أبى قال فلك على الله أن أصنع فيها كمايصنع فيهاأبوك قالت الله لتفعلن قال الله لأفعلن قالت أللهم اشهد و كان أبوبكر يأخذ غلتها فيدفع إليهم منها مايكفيهم ويقسم الباقى و كان عمر كذلك ثم كان عثمان كذلك ثم كان على كذلك فلما ولى الأمر معاوية بن أبى سفيان أقطع مروان بن الحكم ثلثها وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها و ذلك بعدموت الحسن بن على ع فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام خلافته فوهبها لعبد العزيز ابنه فوهبها عبدالعزيز لابنه عمر بن عبدالعزيز فلما ولى عمر بن العزيز الخلافة كانت أول ظلامة ردها دعا حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع وقيل بل دعا على بن الحسين ع فردها عليه وكانت بيد أولاد فاطمة ع مدة ولاية عمر بن عبدالعزيز فلما ولى يزيد بن عاتكة قبضها منهم فصارت فى أيدى بنى مروان كماكانت يتداولونها حتى انتقلت الخلافة عنهم فلما ولى أبوالعباس السفاح ردها على عبد الله [صفحه ۲۱۷] بن الحسن بن الحسن ثم قبضها أبو جعفر لماحدث من بنى حسن ماحدث ثم ردها المهدى ابنه على ولد فاطمة ع ثم قبضها موسى بن المهدى وهارون أخوه فلم تزل أيديهم حتى ولى المأمون فردها على الفاطميين قال أبوبكر حدثنى محمد بن زكريا قال حدثنى مهدى بن سابق قال جلس المأمون للمظالم فأول رقعة وقعت فى يده نظر فيها وبكى و قال للذى على رأسه ناد أين وكيل فاطمة فقام شيخ عليه دراعة وعمامة وخف تعزى فتقدم فجعل يناظره فى فدك والمأمون يحتج عليه و هويحتج على المأمون ثم أمر أن يسجل لهم بهافكتب السجل وقرئ عليه فأنفذه فقام دعبل إلى المأمون فأنشده الأبيات التى أولها أصبح وجه الزمان قدضحكا || برد مأمون هاشم فدكا .فلم تزل فى أيديهم حتى كان فى أيام المتوكل فأقطعها عبد الله بن عمر البازيار و كان فيهاإحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله ص بيده فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها فإذاقدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل فصرم عبد الله بن عمر البازيار ذلك التمر ووجه رجلا يقال له بشران بن أبى أمية الثقفى إلى المدينة فصرمه ثم عاد إلى البصرة ففلج . قال أبوبكر أخبرنا أبوزيد عمر بن شبة قال حدثناسويد بن سعيد و الحسن بن عثمان قالا حدثناالوليد بن محمد عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن فاطمة ع أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ص وهى حينئذ تطلب ما كان لرسول الله ص بالمدينة وفدك و مابقى من خمس خيبر فقال أبوبكر [صفحه ۲۱۸] إن رسول الله ص قال لانورث ماتركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذاالمال وإنى و الله لاأغير شيئا من صدقات رسول الله ص عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ص ولأعملن فيهابما عمل فيها رسول الله ص فأبى أبوبكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا فوجدت من ذلك على أبى بكر وهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعدأبيها ستة أشهر فلما توفيت دفنها على ع ليلا و لم يؤذن بها أبابكر. قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد قال حدثناإسحاق بن إدريس قال حدثنا محمد بن أحمد عن

معمر عن الزهری عن عروة عن عائشة أن فاطمة والعباس أتیا أبابکر یلتمسان میراثهما من رسول الله ص وهما حینئذ یطلبان أرضه بفدک وسهمه بخیبر فقال لهما أبوبکر إنی سمعت رسول الله ص یقول لانورث ماترکنا صدقة إنما یأکل آل محمدص من هذاالمال وإنی و الله لاأغیر أمرا رأیت رسول الله ص یصنعه إلاصنعته قال فهجرته فاطمة فلم تکلمه حتی ماتت . قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثناعمر بن عاصم و موسی بن إسماعیل قال حدثناحماد بن سلمة عن الکلبی عن أبی صالح عن أم هانئ أن فاطمة قالت لأبی بکر من یرثک إذامت قال ولدی وأهلی قالت فما لک ترث رسول الله ص دوننا قال یاابنة رسول الله ماورث أبوک دارا و لامالا و لاذهبا و لافضة قالت بلی سهم الله ألذی جعله لنا وصار فیئنا ألذی بیدک فقال لها سمعت رسول الله ص یقول إنما هی طعمة أطعمناها الله فإذامت کانت بین المسلمین –روایت–۱–۲–روایت–۱۳۴–۴۵۰ قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثنا أبوبکر بن أبی شیبة قال حدثنا محمد بن الفضل عن الولید بن جمیع عن أبی الطفیل قال أرسلت فاطمة إلی أبی بکر –روایت–۱–۲–روایت–۱۲۷–ادامه دارد [صفحه ۲۱۹] أنت ورثت رسول الله ص أم أهله قال بل أهله قالت فما بال سهم رسول الله ص قال إنی سمعت رسول الله ص یقول إن الله أطعم نبیه طعمة ثم قبضه وجعله للذی یقوم بعده فولیت أنابعده علی أن أرده علی المسلمین قالت أنت و ماسمعت من رسول الله ص أعلم –روایت–از قبل–۲۷۱ . قلت فی هذاالحدیث عجب لأنها قالت له أنت ورثت رسول الله ص أم أهله قال بل أهله و هذاتصریح بأنه ص موروث یرثه أهله و هوخلاف قوله لانورث وأیضا فإنه یدل علی أن أبابکر استنبط من قول رسول الله ص أن الله أطعم نبیا طعمة أن یجری رسول الله ص عندوفاته مجری ذلک النبی ص أو یکون قدفهم أنه عنی بذلک النبی المنکر لفظا نفسه کمافهم من قوله فی خطبته إن عبدا خیره الله بین الدنیا و ما عندربه فاختار ما عندربه فقال أبوبکر بل نفدیک بأنفسنا. قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال أخبرنا القعنبی قال حدثنا عبدالعزیز بن محمد عن محمد بن عمر عن أبی سلمة أن فاطمة طلبت فدک من أبی بکر فقال إنی سمعت رسول الله ص یقول إن النبی لایورث من کان النبی یعوله فأنا أعوله و من کان النبی ص ینفق علیه فأنا أنفق علیه فقالت یا أبابکر أیرثک بناتک و لایرث رسول الله ص بناته فقال هوذاک –روایت–۱–۲–روایت–۱۰۹–۳۵۳ قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبیر قال حدثنافضیل بن مرزوق قال حدثناالبحتری بن حسان قال قلت لزید بن علی ع و أناأرید أن أهجن أمر أبی بکر إن أبابکر انتزع فدک من فاطمة ع فقال إن أبابکر کان رجلا –روایت–۱–۲–روایت–۱۲۹–ادامه دارد [صفحه ۲۲۰] رحیما و کان یکره أن یغیر شیئا فعله رسول الله ص فأتته فاطمة فقالت إن رسول الله ص أعطانی فدک فقال لها هل لک علی هذابینة فجاءت بعلی ع فشهد لها ثم جاءت أم أیمن فقالت ألستما تشهدان أنی من أهل الجنة قالا بلی قال أبوزید یعنی أنها قالت لأبی بکر وعمر قالت فأنا أشهد أن رسول الله ص أعطاها فدک فقال أبوبکر فرجل آخر أوامرأة أخری لتستحقی بهاالقضیة ثم قال أبوزید وایم الله لورجع الأمر إلی لقضیت فیهابقضاء أبی بکر –روایت–از قبل–۴۴۶ قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثنا محمد بن الصباح قال حدثنایحیی بن المتوکل أبوعقیل عن کثیر النوال قال قلت لأبی جعفر محمد بن علی ع جعلنی الله فداک أرأیت أبابکر وعمر هل ظلماکم من حقکم شیئا أو قال ذهبا من حقکم بشیء فقال لا و ألذی أنزل القرآن علی عبده لیکون للعالمین نذیرا ماظلمنا من حقنا مثقال حبة من خردل قلت جعلت فداک أفأتولاهما قال نعم ویحک تولهما فی الدنیا والآخرة و ماأصابک ففی عنقی ثم قال فعل الله بالمغیرة وبنان فإنهما کذبا علینا أهل البیت –روایت–۱–۲–روایت–۱۱۵–۴۸۸ قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثنا عبد الله بن نافع والقعنبی عن مالک عن الزهری عن عروة عن عائشة أن أزواج النبی ص أردن لماتوفی أن یبعثن عثمان بن عفان إلی أبی بکر یسألنه میراثهن أو قال ثمنهن قالت فقلت لهن أ لیس قد قال النبی ص لانورث ماترکنا صدقة –روایت–۱–۲–روایت–۱۰۷–۲۷۵ قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثنا عبد الله بن نافع والقعنبی وبشر بن عمر عن مالک عن أبی الزناد عن الأعرج عن أبی هریرة عن النبی ص قال لایقسم ورثتی دینارا و لادرهما ماترکت بعدنفقة نسائی ومئونة عیالی فهو صدقة –

روایت-۱-۲-روایت-۱۵۰-۲۲۹ [صفحه ۲۲۱] قلت هذاحدیث غریب لأن المشهور أنه لم یرو حدیث انتفاء الإرث إلا أبوبکر وحده . و قال أبوبکر و حدثنا أبوزید عن الحزامی عن ابن وهب عن یونس عن ابن شهاب عن عبدالرحمن الأعرج أنه سمع أباهریرة یقول سمعت رسول الله ص یقول و ألذی نفسی بیده لایقسم ورثتی شیئا ماترکت صدقة -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۱-۲۰۴ قال وکانت هذه الصدقة بید علی ع غلب علیها العباس وکانت فیهاخصومتهما فأبی عمر أن یقسمها بینهما حتی أعرض عنها العباس وغلب علیها ع ثم کانت بید حسن وحسین ابنی علی ع ثم کانت بید علی بن الحسین ع و الحسن بن الحسن کلاهما یتداولانها ثم بید زید بن علی ع قال أبوبکر وأخبرنا أبوزید قال حدثناعثمان بن عمر بن فارس قال حدثنایونس عن الزهری عن مالک بن أوس بن الحدثان أن عمر بن الخطاب دعاه یوما بعدماارتفع النهار قال فدخلت علیه و هوجالس علی سریر رمال لیس بینه و بین الرمال فراش علی وسادة أدم فقال یامالک إنه قدقدم من قومک أهل أبیات حضروا المدینة و قدأمرت لهم برضخ فاقسمه بینهم فقلت یا أمیر المؤمنین مر بذلک غیری قال اقسم أیها المرء قال فبینا نحن علی ذلک إذ دخل یرفأ فقال هل لک فی عثمان وسعد و عبدالرحمن والزبیر یستأذنون علیک قال نعم فأذن لهم قال ثم لبث قلیلا ثم جاء فقال هل لک فی علی والعباس یستأذنان علیک قال ائذن لهما فلما دخلا قال عباس یا أمیر المؤمنین اقض بینی و بین هذایعنی علیا وهما یختصمان فی الصوافی التی أفاء الله علی رسوله [صفحه ۲۲۲] من أموال بنی النضیر قال فاستب علی والعباس عندعمر فقال عبدالرحمن یا أمیر المؤمنین اقض بینهما وأرح أحدهما من الآخر فقال عمر أنشدکم الله ألذی تقوم بإذنه السماوات و الأرض هل تعلمون أن رسول الله ص قال لانورث ماترکناه صدقة یعنی نفسه قالوا قد قال ذلک فأقبل علی العباس و علی فقال أنشدکما الله هل تعلمان ذلک قالا نعم قال عمر فإنی أحدثکم عن هذاالأمر أن الله تبارک و تعالی خص رسوله ص فی هذاالفیء بشیء لم یعطه غیره قال تعالی وَ ما أَفاءَ اللّهُ عَلی رَسُولِهِ مِنهُم فَما أَوجَفتُم عَلَیهِ مِن خَیلٍ وَ لا رِکابٍ وَ لکِنّ اللّهَ یُسَلّطُ رُسُلَهُ عَلی مَن یَشاءُ وَ اللّهُ عَلی کُلّ شَیءٍ قَدِیرٌ وکانت هذه خاصة لرسول الله ص فما اختارها دونکم و لااستأثر بهاعلیکم لقد أعطاکموها وثبتها فیکم حتی بقی منها هذاالمال و کان ینفق منه علی أهله سنتهم ثم یأخذ مابقی فیجعله فیما یجعل مال الله عز و جل فعل ذلک فی حیاته ثم توفی فقال أبوبکر أناولی رسول الله ص فقبضه الله و قدعمل فیهابما عمل به رسول الله ص وأنتما حینئذ والتفت إلی علی والعباس تزعمان أن أبابکر فیهاظالم فاجر و الله یعلم أنه فیهالصادق بار راشد تابع للحق ثم توفی الله أبابکر فقلت أناأولی الناس بأبی بکر وبرسول الله ص فقبضتها سنتین أو قال سنین من إمارتی أعمل فیهامثل ماعمل به رسول الله ص و أبوبکر ثم قال وأنتما وأقبل علی العباس و علی تزعمان أنی فیهاظالم فاجر و الله یعلم أنی فیهابار راشد تابع للحق ثم جئتمانی وکلمتکما واحدة وأمرکما جمیع فجئتنی یعنی العباس تسألنی نصیبک من ابن أخیک وجاءنی هذایعنی علیا یسألنی نصیب امرأته من أبیها فقلت لکما أن رسول الله ص قال لانورث ماترکناه صدقة فلما بدا لی أن -قرآن-۴۶۱-۶۳۱ [صفحه ۲۲۳] أدفعها إلیکما قلت أدفعها علی أن علیکما عهد الله ومیثاقه لتعملان فیهابما عمل رسول الله ص و أبوبکر وبما عملت به فیها و إلا فلاتکلمانی فقلتما ادفعها إلینا بذلک فدفعتها إلیکما بذلک أفتلتمسان منی قضاء غیر ذلک و الله ألذی تقوم بإذنه السماوات و الأرض لاأقضی بینکما بقضاء غیر ذلک حتی تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فادفعاها إلی فأنا أکفیکماها. قال أبوبکر و حدثنا أبوزید قال حدثناإسحاق بن إدریس قال حدثنا عبد الله بن المبارک قال حدثنی یونس عن الزهری قال حدثنی مالک بن أوس بن الحدثان بنحوه قال فذکرت ذلک لعروة فقال صدق مالک بن أوس أناسمعت عائشة تقول أرسل أزواج النبی ص عثمان بن عفان إلی أبی بکر یسأل لهن میراثهن من رسول الله ص مما أفاء الله علیه حتی کنت أردهن عن ذلک فقلت أ لاتتقین الله أ لم تعلمن أن رسول الله ص کان یقول لانورث ماترکناه صدقة یرید بذلک نفسه إنما یأکل آل محمد من هذاالمال فانتهی أزواج النبی ص إلی ماأمرتهن به -روایت-۱-۲-روایت-۲۲۸-۵۴۵ قلت هذامشکل لأن الحدیث الأول یتضمن أن عمر أقسم علی جماعة فیهم عثمان فقال نشدتکم الله ألستم

تعلمون أن رسول الله ص قال لانورث ماتركناه صدقة يعنى نفسه فقالوا نعم و من جملتهم عثمان فكيف يعلم بذلك فيكون مترسلا لأزواج النبى ص يسأله أن يعطيهن الميراث أللهم إلا أن يكون عثمان وسعد و عبدالرحمن والزبير صدقوا عمر على سبيل التقليد لأبى بكر فيما رواه وحسن الظن وسموا ذلك علما لأنه قديطلق على الظن اسم العلم . [صفحه ۲۲۴] فإن قال قائل فهلا حسن ظن عثمان برواية أبى بكر فى مبدإ الأمر فلم يكن رسولا لزوجات النبى ص فى طلب الميراث قيل له يجوز أن يكون فى مبدإ الأمر شاكا ثم يغلب على ظنه صدقه لأمارات اقتضت تصديقه و كل الناس يقع لهم مثل ذلك . وهاهنا إشكال آخر و هو أن عمر ناشد عليا والعباس هل تعلمان ذلك فقالا نعم فإذاكانا يعلمانه فكيف جاء العباس وفاطمة إلى أبى بكر يطلبان الميراث على ماذكره فى خبر سابق على هذاالخبر و قدأوردناه نحن وهل يجوز أن يقال كان العباس يعلم ذلك ثم يطلب الإرث ألذى لايستحقه وهل يجوز أن يقال أن عليا كان يعلم ذلك ويمكن زوجته أن تطلب ما لاتستحقه خرجت من دارها إلى المسجد ونازعت أبابكر وكلمته بما كلمته إلابقوله وإذنه ورأيه وأيضا فإنه إذا كان ص لايورث فقد أشكل دفع آلته ودابته وحذائه إلى على ع لأنه غيروارث فى الأصل و إن كان أعطاه ذلك لأن زوجته بعرضه أن ترث لو لاالخبر فهو أيضا غيرجائز لأن الخبر قدمنع أن يرث منه شيئا قليلا ـ كان أوكثيرا. فإن قال قائل نحن معاشر الأنبياء لانورث ذهبا و لافضة و لاأرضا و لاعقارا و لادارا قيل هذاالكلام يفهم من مضمونه أنهم لايورثون شيئا أصلا لأن عادة العرب جارية بمثل ذلك و ليس يقصدون نفى ميراث هذه الأجناس المعدودة دون غيرها بل يجعلون ذلك كالتصريح بنفى أن يورثوا شيئا ما على الإطلاق . وأيضا فإنه جاء فى خبر الدابة والآلة والحذاء أنه روى عن النبى ص لانورث ماتركناه صدقة و لم يقل لانورث كذا و لاكذا و ذلك يقتضى عموم انتفاء الإرث عن كل شيء [صفحه ۲۲۵] و أماالخبر الثانى و هو ألذى رواه هشام بن محمدالكلبى عن أبيه ففيه إشكال أيضا لأنه قال إنها طلبت فدك وقالت إن أبى أعطانيها و إن أم أيمن تشهد لى بذلك فقال لها أبوبكر فى الجواب إن هذاالمال لم يكن لرسول الله ص وإنما كان مالا من أموال المسلمين يحمل به الرجال وينفقه فى سبيل الله فلقائل أن يقول له أيجوز للنبى‌ص أن يملك ابنته أو غيرابنته من أفناء الناس ضيعة مخصوصة أوعقارا مخصوصا من مال المسلمين لوحى أوحى الله تعالى إليه أولاجتهاد رأيه على قول من أجاز له أن يحكم بالاجتهاد أو لا يجوز للنبى‌ص ذلك فإن قال لايجوز قال ما لايوافقه العقل و لاالمسلمون عليه و إن قال يجوز ذلك قيل فإن المرأة مااقتصرت على الدعوى بل قالت أم أيمن تشهد لى فكان ينبغى أن يقول لها فى الجواب شهادة أم أيمن وحدها غيرمقبولة و لم يتضمن هذاالخبر ذلك بل قال لها لماادعت وذكرت من يشهد لها هذامال من مال الله لم يكن لرسول الله ص و هذا ليس بجواب صحيح . و أماالخبر ألذى رواه محمد بن زكريا عن عائشة ففيه من الإشكال مثل ما فى هذاالخبر لأنه إذاشهد لها على ع وأم أيمن أن رسول الله ص وهب لها فدك لم يصح اجتماع صدقها وصدق عبدالرحمن وعمر و لا ماتكلفه أبوبكر من تأويل ذلك بمستقيم لأن كونها هبة من رسول الله ص لها يمنع من قوله كان يأخذ منها قوتكم ويقسم الباقى ويحمل منه فى سبيل الله لأن هذاينافى كونها هبة لها لأن معنى كونها لها انتقالها إلى ملكيتها و أن تتصرف فيهاخاصة دون كل أحد من الناس و ما هذه صفته كيف يقسم ويحمل منه فى سبيل الله . [صفحه ۲۲۶] فإن قال قائل هوص أبوها وحكمه فى مالها كحكمه فى ماله و فى بيت مال المسلمين فلعله كان بحكم الأبوة يفعل ذلك قيل فإذا كان يتصرف فيهاتصرف الأب فى مال ولده لايخرجه ذلك عن كونه مال ولده فإذامات الأب لم يجز لأحد أن يتصرف فى مال ذلك الولد لأنه ليس باب له فيتصرف فى ماله تصرف الآباء فى أموال أولادهم على أن الفقهاء أومعظمهم لايجيزون للأب أن يتصرف فى مال الابن . وهاهنا إشكال آخر و هوقول عمر لعلى ع والعباس وأنتما حينئذ تزعمان أن أبابكر فيهاظالم فاجر ثم قال لماذكر نفسه وأنتما تزعمان أنى فيهاظالم فاجر فإذاكانا يزعمان ذلك فكيف يزعم هذاالزعم مع كونهما يعلمان أن رسول الله ص قال لاأورث إن هذالمن أعجب العجائب و لو لا ـ أن هذاالحديث أعنى حديث خصومة العباس و على عندعمر مذكور فى الصحاح المجمع عليها

لماأطلت العجب من مضمونه إذ لو كان غيرمذكور فى الصحاح لكان بعض ماذكرناه يطعن فى صحته وإنما الحديث فى الصحاح لاريب فى ذلك . قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد قال حدثنا ابن أبى شيبة قال حدثنا ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن مالك بن أوس بن الحدثان قال جاء العباس و على إلى عمر فقال العباس اقض بينى و بين هذاالكذا وكذا أى يشتمه فقال الناس افصل بينهما فقال لاأفصل بينهما قدعلما أن رسول الله ص قال لانورث ماتركناه صدقة. قلت و هذاأيضا مشكل لأنهما حضرا يتنازعان لا فى الميراث بل فى ولاية صدقة رسول الله ص أيهما يتولاها ولاية لاإرثا و على هذاكانت الخصومة [صفحه ٢٢٧] فهل يكون جواب ذلك قدعلما أن رسول الله ص قال لانورث . قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد قال حدثنى يحيى بن كثير أبوغسان قال حدثناشعبة عن عمر بن مرة عن أبى البخترى قال جاء العباس و على إلى عمر وهما يختصمان فقال عمر لطلحة والزبير و عبدالرحمن وسعد أنشدكم الله أسمعتم رسول الله ص يقول كل مال نبى فهو صدقة إلا ماأطعمه أهله إنا لانورث فقالوا نعم قال و كان رسول الله يتصدق به ويقسم فضله ثم توفى فوليه أبوبكر سنتين يصنع فيه ما كان يصنع رسول الله ص وأنتما تقولان أنه كان بذلك خاطئا و كان بذلك ظالما و ما كان بذلك إلاراشدا ثم وليته بعد أبى بكر فقلت لكما إن شئتما قبلتماه على عمل رسول الله ص وعهده ألذى عهد فيه فقلتما نعم وجئتمانى الآن تختصمان يقول هذاأريد نصيبى من ابن أخى و يقول هذاأريد نصيبى من امرأتى و الله لاأقضى بينكما إلابذلك . قلت و هذاأيضا مشكل لأن أكثر الروايات أنه لم يرو هذاالخبر إلا أبوبكر وحده ذكر ذلك أعظم المحدثين حتى إن الفقهاء فى أصول الفقه أطبقوا على ذلك فى احتجاجهم فى الخبر برواية الصحابى الواحد و قال شيخنا أبو على لاتقبل فى الرواية إلارواية اثنين كالشهادة فخالفه المتكلمون والفقهاء كلهم واحتجوا عليه بقبول الصحابة رواية أبى بكر وحده نحن معاشر الأنبياء لانورث حتى إن بعض أصحاب أبى على تكلف لذلك جوابا فقال قدروى أن أبابكر يوم حاج فاطمة ع قال أنشد الله امرأ سمع من رسول الله ص فى هذاشيئا فروى مالك بن أوس بن الحدثان أنه سمعه من رسول الله ص و هذاالحديث ينطق [صفحه ٢٢٨] بأنه استشهد عمر وطلحة والزبير و عبدالرحمن وسعدا فقالوا سمعناه من رسول الله ص فأين كانت هذه الروايات أيام أبى بكر مانقل أن أحدا من هؤلاء يوم خصومة فاطمة ع و أبى بكر روى من هذاشيئا. قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابراهيم بن أبى يحيى عن الزهرى عن عروة عن عائشة أن أزواج النبى ص أرسلن عثمان إلى أبى بكر فذكر الحديث قال عروة وكانت فاطمة قدسألت ميراثها من أبى بكر مما تركه النبى ص فقال لها بأبى أنت وأمى وبأبى أبوك وأمى ونفسى إن كنت سمعت من رسول الله ص شيئا أوأمرك بشىء لم أتبع غير ماتقولين وأعطيتك ماتبتغين و إلافإنى أتبع ماأمرت به . قال أبوبكر و حدثنا أبوزيد قال حدثناعمرو بن مرزوق عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى قال قال لها أبوبكر لماطلبت فدك بأبى أنت وأمى أنت عندى الصادقة الأمينة إن كان رسول الله ص عهد إليك فى ذلك عهدا أووعدك به وعدا صدقتك وسلمت إليك فقالت لم يعهد إلى فى ذلك بشىء ولكن الله تعالى يقول يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَولادِكُم فقال أشهد لقد سمعت رسول الله ص يقول إنا معاشر الأنبياء لانورث -روايت-١-٢-روايت-١٠٠-٤١٣ . قلت و فى هذا من الإشكال ما هوظاهر لأنها قدادعت أنه عهد إليها رسول الله ص فى ذلك أعظم العهد و هوالنحلة فكيف سكتت عن ذكر هذا لماسألها أبوبكر و هذاأعجب من العجب . [صفحه ٢٢٩] قال أبوبكر و حدثنا أبوزيد قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبدالعزيز بن عمران بن عبدالعزيز بن عبد الله الأنصارى عن ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان قال سمعت عمر و هو يقول للعباس و على و عبدالرحمن بن عوف والزبير وطلحة أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ص قال إنا لانورث معاشر الأنبياء ماتركنا صدقة قالوا أللهم نعم قال أنشدكم الله هل تعلمون أن رسول الله ص يدخل فى فيئه أهله السنة من صدقاته ثم يجعل مابقى فى بيت المال قالوا أللهم نعم فلما توفى رسول الله ص قبضها أبوبكر فجئت ياعباس تطلب ميراثك من ابن أخيك وجئت يا على تطلب ميراث زوجتك من أبيها وزعمتما أن أبابكر كان فيهاخائنا فاجرا و الله لقد

كان امرأ مطيعا تابعا للحق ثم توفى أبوبكر فقبضـتها فجئتمانى تطلبان ميراثكما أما أنت ياعباس فتطلب ميراثك من ابن أخيك و أمـا على فيطلب ميراث زوجته من أبيهـا وزعمتما أنى فيهاخائن وفاجر و الله يعلم أنى فيهامطيع تابع للحق فأصـلحا أمركما و إلا و الله لم ترجع إليكما فقاما وتركا الخصومـة وأمضـيت صدقـة. قال أبوزيـد قال أبوغسان فحدثنا عبدالرزاق الصـنعانى عن معمر بن شهاب عن مالك بنحوه و قال فى آخره فغلب على عباسا عليها فكانت بيـد على ثم كانت بيـد الحسن ثم كانت بيـد الحسـين ثم على بـن الحسـين ثم الحسن بن الحسن ثم زيـد بن الحسن . قلت و هذاالحـديث يـدل صـريحا على أنهمـا جـاءا يطلبـان الميراث لاالولايـة و هـذا من المشـكلات لأن أبابكر حسم المادة أولا وقرر عنـدالعباس و على وغيرهما أن النبى ص لايورث و كان عمر من المساعـدين له على ذلك فكيف يعود [صـفحه ٢٣٠] العباس و على بعـدوفاة أبى بكر يحاولان امرأ قـد كان فرغ منه ويئس من حصوله أللهم إلاـ أن يكونـا ظنـا أن عمر ينقض قضـاء أبى بكر فى هـذه المسألـة و هذابعيـد لأـن عليا والعباس كانا فى هـذه المسألـة يتهمـان عمر بممالأـة أبى بكر على ذلـك أ لاـتراه يقول نسـبتمانى ونسـبتما أبابكر إلى الظلم والخيانـة فكيف يظنان أنه ينقض قضاء أبى بكر ويورثهما واعلم أن الناس يظنون أن نزاع فاطمـة أبابكر كان فى أمرين فى الميراث والنحلة و قدوجدت فى الحـديث أنهـا نـازعت فى أمر ثـالث ومنعهـا أبوبكر إياه أيضا و هوسـهم ذوى القربى قال أبوبكر أحمـد بن عبـدالعزيز الجوهرى أخبرنى أبوزيـد عمر بن شبة قال حـدثنى هارون بن عمير قال حدثناالوليـد بن مسـلم قال حدثنى صدقة أبومعاوية عن محمد بن عبـد الله عن محمـد بن عبدالرحمن بن أبى بكر عن يزيد الرقاشـى عن أنس بن مالك أن فاطمة ع أتت أبابكر فقالت لقد علمت ألذى ظلمتنا عنه أهل البيت من الصدقات و ماأفاء الله علينا من الغنائم فى القرآن من سـهم ذوى القربى ثم قرأت عليه قوله تعالى وَ اعلَمُوا أَنّما غَنِمتُم مِن شَـىءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرّسُولِ وَ لـِذِي القُربىالآيـة فقال لها أبوبكر بأبى أنت وأمى ووالـد ولدك السـمع والطاعـة لكتـاب الله ولحق رسول الله ص وحق قرابته و أناأقرأ من كتاب الله ألـذى تقرءين منه و لم يبلغ علمى منه أن هذاالسـهم من الخمس يسـلم إليكم كاملا قالت أفلك هو ولأقربائك قال لابل أنفق عليكم منه وأصـرف الباقى فى مصالح المسـلمين قالت ليس هـذاحكم الله تعالى قال هذاحكم الله فإن كان رسول الله عهد إليك -روايت-١-٢-روايت-٢٤٠-ادامه دارد [صفحه ٢٣١] فى هذاعهـدا أوأوجبه لكم حقا صدقتك وسـلمته كله إليك و إلى أهلك قالت إن رسول الله ص لم يعهد إلى فى ذلك بشـىء إلاأنى سـمعته يقول لماأنزلت هـذه الآيـة أبشـروا آل محمدفقـد جاءكم الغنى قال أبوبكر لم يبلغ علمى من هـذه الآيـة أن أسـلم إليكم هذاالسـهم كله كاملا ولكن لكم الغنى ألذى يغنيكم ويفضل عنكم و هذاعمر بن الخطاب و أبوعبيدة بن الجراح فاسأليهم عن ذلـك وانظرى هـل يوافقك على ماطلبت أحـد منهم فانصـرفت إلى عمر فقالت له مثل ماقالت لأبى بكر فقال لها مثل ماقاله لهـا أبوبكر فعجبت فاطمـة ع من ذلـك وتظنت أنهمـا كانـا قدتـذاكرا ذلـك واجتمعـا عليه -روايت-از قبـل-٥٧٧ . قـال أبوبكر وأخبرنا أبوزيـد قال حـدثناهارون بن عمير قال حدثناالوليـد عن ابن أبى لهيعة عن أبى الأسود عن عروة قال أرادت فاطمة أبابكر على فدك وسهم ذوى القربى فأبى عليها وجعلهما فى مال الله تعالى . قال أبوبكر وأخبرنا أبوزيد قال حدثنا أحمد بن معاوية عن هيثم عن جويبر عن أبى الضـحاك عن الحسن بن محمـد بن على بن أبى طـالب ع أن أبابكر منع فاطمـة وبنى هاشم سـهم ذوى القربى وجعله فى سبيـل الله فى السـلاح والكراع . قـال أبوبكر وأخبرنا أبوزيـد قال حـدثناحيان بن هلال عن محمـد بن يزيـد بن ذريع عن محمد بن إسـحاق قال سألت أبا جعفر محمد بن على ع قلت أرأيت عليا حين ولى العراق و ماولى من أمر الناس كيف صنع فى سـهم ذوى القربى قـال سـلك بهم طريق أبى بكر وعمر قلت وكيف و لم وأنتم تقولون مـاتقولون قـال أما و الله ما كان أهله يصـدرون إلاـ عن رأيه فقلت فما منعه قال كان يكره -روايت-١-٢-روايت-١٠٥-ادامه دارد [صفحه ٢٣٢] أن يدعى عليه مخالفـة أبى بكر وعمر -روايت-از قبـل-٣٧ قـال أبوبكر وحـدثنى المؤمـل بن جعفر قال حـدثنى محمـد بن ميمون عن داود بن المبـارك قـال أتينـا عبـد الله بن موسـى بن عبـد الله بن حسن بن الحسن ونحن راجعون من الحـج فى جماعـة فسألناه عن مسائل

وكنت أحد من سأله فسألته عن أبى بكر وعمر فقال سئل جدى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال كانت أمى صديقة بنت نبى مرسل فماتت وهى غضبى على إنسان فنحن غضاب لغضبها و إذارضيت رضينا. قال أبوبكر وحدثنى أبو جعفر محمد بن القاسم قال حدثنى على بن الصباح قال أنشدنا أبو الحسن رواية المفضل للكميت أهوى عليا أمير المؤمنين و لا || أرضى بشتم أبى بكر و لا عمرا و لا أقول و إن لم يعطيا فدكا || بنت النبى و لاميراثها كفرا الله يعلم ماذا يحضران به || يوم القيامة من عذر إذااعتذرا . قال ابن الصباح فقال لى أبو الحسن أتقول إنه قدأكفرهما فى هذاالشعر قلت نعم قال كذاك هو. قال أبوبكر حدثنا أبوزيد عن هارون بن عمير عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عباس عن محمد بن السائب عن أبى صالح عن مولى أم هانئ قال دخلت فاطمة على أبى بكر بعد مااستخلف فسألته ميراثها من أبيها فمنعها فقالت له لئن مت اليوم من كان يرثك قال ولدى وأهلى قالت فلم ورثت أنت رسول الله ص دون ولده وأهله قال فما فعلت يابنت رسول الله ص قالت بلى إنك عمدت إلى فدك وكانت صافية لرسول الله ص فأخذتها وعمدت إلى ماأنزل الله من السماء فرفعته عنا فقال يابنت رسول الله – روايت-۱-۲-روايت-۱۴۴-ادامه دارد [صفحه ۲۳۳] ص لم أفعل حدثنى رسول الله ص أن الله تعالى يطعم النبى ص الطعمة ما كان حيا فإذاقبضه الله إليه رفعت فقالت أنت و رسول الله أعلم ما أنابسائلتك بعدمجلسى ثم انصرفت -روايت-از قبل-۱۸۰ قال أبوبكر و حدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبدالرحمن المهلبى عن عبد الله بن حماد بن سليمان عن أبيه عن عبد الله بن حسن بن حسن عن أمه فاطمة بنت الحسين ع قالت لمااشتد بفاطمة بنت رسول الله ص الوجع وثقلت فى علتها اجتمع عندها نساء من نساء المهاجرين والأنصار فقلن لها كيف أصبحت ياابنة رسول الله ص قالت و الله أصبحت عائفة لدنياكم قالية لرجالكم لفظتهم بعد أن عجمتهم وشنئتهم بعد أن سبرتهم فقبحا لفلول الحد وخور القناة وخطل الرأى وبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون لاجرم قدقلدتهم ربقتها وشنت عليهم غارتها فجدعا وعقرا وسحقا للقوم الظالمين ويحهم أين زحزحوها عن رواسى الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين والطبيين بأمر الدنيا والدين ألا ذلك هوالخسران المبين و ما الذى نقموا من أبى حسن نقموا و الله نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره فى ذات الله وتالله لوتكافوا عن زمام نبذه إليه رسول الله ص لاعتلقه ولسار إليهم سيرا سجحا لاتكلم حشاشته و لايتعتع راكبه ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا يطفح ضفتاه ولأصدرهم بطانا قدتحير بهم الرأى غيرمتحل بطائل إلابغمر الناهل وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء و الأرض وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون ألا هلم فاستمع و ماعشت -روايت-۱-۲-روايت-۱۸۵-ادامه دارد [صفحه ۲۳۴] أراك الدهر عجبه و إن تعجب فقد أعجبك الحادث إلى أى لجإ استندوا وبأى عروة تمسكوا لبئس المولى ولبئس العشير ولبئس للظالمين بدلا استبدلوا و الله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ويحهم أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون أمالعمر الله لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوها طلاع العقب دما عبيطا وذعاقا ممقرا هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ماأسس الأولون ثم طيبوا عن أنفسكم نفسا واطمئنوا للفتنة جأشا وأبشروا بسيف صارم وهرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا وجمعكم حصيدا فيا حسرة عليكم وأنى لكم و قدعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون والحمد لله رب العالمين وصلاته على محمدخاتم النبيين وسيد المرسلين -روايت-از قبل-۷۹۳ . قلت هذاالكلام و إن لم يكن فيه ذكر فدك والميراث إلا أنه من تتمة ذلك و فيه إيضاح لما كان عندها وبيان لشدة غيظها وغضبها فإنه سيأتى فيما بعدذكر مايناقض به قاضى القضاة والمرتضى فى أنها هل كانت غضبى أم لا ونحن لاننصر مذهبا بعينه وإنما نذكر ماقيل و إذاجرى بحث نظرى قلنا مايقوى فى أنفسنا منه . واعلم أناإنما نذكر فى هذاالفصل مارواه رجال الحديث وثقاتهم و ماأودعه أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى فى كتابه و هو من الثقات الأمناء عندأصحاب الحديث و أما مايرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم فى

كتبهم من قولهم إنهما أهاناها وأسمعاها كلاما غليظا و إن أبابكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضرا فكتب لها بفدك كتابا فلما خرجت به وجدها عمر فمد يده إليه ليأخذه مغالبة فمنعته فدفع بيده فى صدرها [صفحه ۲۳۵] وأخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تفل فيهافمحاها وإنها دعت عليه فقالت بقر الله بطنك كمابقرت صحيفتى فشىء لايرويه أصحاب الحديث و لاينقلونه وقدر الصحابة يجل عنه و كان عمر أتقى لله وأعرف لحقوق الله من ذلك و قدنظمت الشيعة بعض هذه الواقعة التى يذكرونها شعرا أوله أبيات لمهيار بن مرزويه الشاعر من قصيدته التى أولها ياابنة القوم تراك || بالغ قتلى رضاك . و قدذيل عليها بعض الشيعة وأتمها والأبيات ياابنة الطاهر كم تقرع || بالظلم عصاك غضب الله لخطب || ليلة الطف عراك ورعى النار غدا قط || رعى أمس حماك مر لم يعطفه شكوى || و لااستحيا بكاك واقتدى الناس به بعد || فأردى ولداك ياابنة الراقى إلى السدرة || فى لوح السكاك لهف نفسى و على مثلك || فلتبك البواكى كيف لم تقطع يد مد || إليك ابن صحاك فرحوا يوم أهانوك || بما ساء أباك ولقد أخبرهم أن || رضاه فى رضاك دفعا النص على إرثك || لمادفعاك وتعرضت لقدر || تافه وانتهراك [صفحه ۲۳۶] وادعيت النحلة المشهود || فيهابالصكاك فاستشاطا ثم ما إن || كذبا إن كذباك فزوى الله عن الرحمة || زنديقا ذواك ونفى عن بابه الواسع || شيطانا نفاك .فانظر إلى هذه البلية التى صبت من هؤلاء على سادات المسلمين وأعلام المهاجرين و ليس ذلك بقادح فى علو شأنهم وجلالة مكانهم كما أن مبغضى الأنبياء وحسدتهم ومصنفى الكتب فى إلحاق العيب والتهجين لشرائعهم لم تزدد لأنبيائهم إلارفعة و لازادت شرائعهم إلاانتشارا فى الأرض وقبولا فى النفس وبهجة ونورا عندذوى الألباب والعقول . و قال لى علوى فى الحلة يعرف بعلى بن مهنا ذكى ذو فضائل ماتظن قصد أبى بكر وعمر بمنع فاطمة فدك قلت ماقصدا قال أرادا ألا يظهرا لعلى و قداغتصباه الخلافة رقة ولينا وخذلانا و لايرى عندهما خورا فأتبعا القرح بالقرح . و قلت لمتكلم من متكلمى الإمامية يعرف بعلى بن تقى من بلدة النيل وهل كانت فدك إلانخلا يسيرا وعقارا ليس بذلك الخطير فقال لى ليس الأمر كذلك بل كانت جليلة جدا و كان فيها من النخل نحو مابالكوفة الآن من النخل و ماقصد أبوبكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلاألا يتقوى على بحاصلها وغلتها على المنازعة فى الخلافة ولهذا أتبعا ذلك بمنع فاطمة و على وسائر بنى هاشم وبنى المطلب حقهم فى الخمس فإن [صفحه ۲۳۷] الفقير ألذى لامال له تضعف همته ويتصاغر عندنفسه و يكون مشغولا بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرئاسة فانظر إلى ما قدوقر فى صدور هؤلاء و هوداء لادواء له و ماأكثر ماتزول الأخلاق والشيم فأما العقائد الراسخة فلاسبيل إلى زوالها

الفصل الثانى فى النظر فى أن النبى ص هل يورث أم لا

نذكر فى هذاالموضع ماحكاه المرتضى رحمه الله فى الشافى عن قاضى القضاة فى هذاالمعنى و مااعترضه به و إن استضعفنا شيئا من ذلك قلنا ماعندنا و إلاتركناه على حاله . قال المرتضى أولماابتدأ به قاضى القضاة حكايته عنا استدلالنا على أنه ص مورث بقوله تعالى يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَولادِكُم لِلذّكَرِ مِثلُ حَظّ الأُنثَيَينِ و هذاالخطاب عام يدخل فيه النبى وغيره . ثم أجاب يعنى قاضى القضاة عن ذلك فقال إن الخبر ألذى احتج به أبوبكر يعنى -قرآن-۲۶۷-۳۳۲ قوله نحن معاشر الأنبياء لانورث -روايت-۱-۲-روايت-۹-۳۷ لم يقتصر على روايته هووحده حتى استشهد عليه عمر وعثمان وطلحة والزبير وسعدا و عبدالرحمن فشهدوا به فكان لايحل لأبى بكر و قدصار الأمر إليه أن يقسم التركة ميراثا و قدخبر رسول الله ص بأنها صدقة وليست بميراث وأقل ما فى هذاالباب أن يكون الخبر من أخبار الآحاد [صفحه ۲۳۸] فلو أن شاهدين شهدا فى التركة أن فيهاحقا أ ليس كان يجب أن يصرف ذلك عن الإرث فعلمه بما قال رسول الله ص مع شهادة غيره أقوى ولسنا نجعله مدعيا لأنه لم يدع ذلك لنفسه وإنما بين أنه ليس بميراث و أنه صدقة و لايمتنع تخصيص القرآن بذلك كمايخص فى العبد والقاتل وغيرهما و ليس ذلك بنقص فى

الأنبياء بل هوإجلال لهم يرفع الله به قدرهم عن أن يورثوا المال وصار ذلك من أوكد الدواعی ألا يتشاغلوا بجمعه لأن أحد الدواعی القوية إلی ذلك تركه علی الأولاد والأهلين و لماسمعت فاطمة ع ذلك من أبی بكر كفت عن الطلب فيما ثبت من الأخبار الصحيحة فلايمتنع أن تكون غيرعارفة بذلك فطلبت الإرث فلما روی لها ماروی كفت فأصابت أولا وأصابت ثانيا. و ليس لأحد أن يقول كيف يجوز أن يبين النبی ص ذلك للقوم و لاحق لهم فی الإرث ويدع أن يبين ذلك لمن له حق فی الإرث مع أن التكليف يتصل به و ذلك لأن التكليف فی ذلك يتعلق بالإمام فإذا بين له جاز ألا يبين لغيره ويصير البيان له بيانا لغيره و إن لم يسمعه من الرسول لأن هذاالجنس من البيان يجب أن يكون بحسب المصلحة. قال ثم حكی عن أبی علی أنه قال أتعلمون كذب أبی بكر فی هذه الرواية أم تجوزون أن يكون صادقا قال و قدعلم أنه لا شیءيقطع به علی كذبه فلابد من تجويز كونه صادقا و إذاصح ذلك قيل لهم فهل كان يحل له مخالفة الرسول فإن قالوا لو كان صدقا لظهر واشتهر قيل لهم إن ذلك من باب العمل و لايمتنع أن ينفرد بروايته جماعة يسيرة بل الواحد والاثنان مثل سائر الأحكام ومثل الشهادات فإن قالوا نعلم أنه لايصح لقوله تعالی فی كتابه وَ وَرِثَ سُلَيمانُ داوُدَقيل لهم -قرآن-١٤٥٢-١٤٧٧ [صفحه ٢٣٩] و من أين أنه ورثه الأموال مع تجويز أن يكون ورثه العلم والحكمة فإن قالوا إطلاق الميراث لا يكون إلا فی الأموال قيل لهم إن كتاب الله يبطل قولكم لأنه قال ثُمّ أَورَثنَا الكِتابَ الّذِينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا والكتاب ليس بمال ويقال فی اللغة ماورثت الأبناء عن الآباء شيئا أفضل من أدب حسن وقالوا العلماء ورثة الأنبياء وإنما ورثوا منهم العلم دون المال علی أن فی آخر الآية مايدل علی ماقلناه و هو قوله تعالی حاكيا عنه وَ قالَ يا أَيّهَا النّاسُ عُلّمنا مَنطِقَ الطّيرِ وَ أُوتِينا مِن كُلّ شَيءٍ إِنّ هذا لَهُوَ الفَضلُ المُبِينُفنبه علی أن ألذی ورث هو هذاالعلم و هذاالفضل و إلا لم يكن لهذا القول تعلق بالأول فإن قالوا فقد قال تعالی فَهَب لِي مِن لَدُنكَ وَلِيّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَ و ذلك يبطل الخبر قيل لهم ليس فی ذلك بيان المال أيضا و فی الآية مايدل علی أن المراد النبوة والعلم لأن زكريا خاف علی العلم أن يندرس و قوله وَ إِنّي خِفتُ المَوالِيَ مِن ورَائِييدل علی ذلك لأن الأنبياء لاتحرص علی الأموال حرصا يتعلق خوفها بها وإنما أراد خوفه علی العلم أن يضيع فسأل الله تعالی وليا يقوم بالدين مقامه و قوله وَ يَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَيدل علی أن المراد العلم والحكمة لأنه لايرث أموال يعقوب فی الحقيقة وإنما يرث ذلك غيره قال فأما من يقول إن المراد أنامعاشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة أی ماجعلناه صدقة فی حال حياتنا لانورثه فركيك من القول لأن إجماع الصحابة يخالفه لأن أحدا لم يتأوله علی هذاالوجه لأنه لا يكون فی ذلك تخصيص الأنبياء و لامزية لهم ولأن قوله ماتركناه صدقة جملة من الكلام مستقلة بنفسها كأنه -قرآن-١٦٩-٢٢٣-قرآن-٤٤٦-٥٥٦-قرآن-٦٧٢-٧٣٨-قرآن-٨٩١-٩٣٠-قرآن-١٠٩٠-١١١٥ [صفحه ٢٤٠] ع مع بيانه أنهم لايورثون المال يبين أنه صدقة لأنه كان يجوز ألا يكون ميراثا ويصرف إلی وجه آخر غيرالصدقة. قال فأما خبر السيف والبغلة والعمامة و غير ذلك فقد قال أبو علی إنه لم يثبت أن أبابكر دفع ذلك إلی أمير المؤمنين ع علی جهة الإرث كيف يجوز ذلك مع الخبر ألذی رواه وكيف يجوز لو كان وارثا أن يخصه بذلك و لاإرث له مع العم لأنه عصبة فإن كان وصل إلی فاطمة ع فقد كان ينبغی أن يكون العباس شريكا فی ذلك وأزواج رسول الله ص ولوجب أن يكون ذلك ظاهرا مشهورا ليعرف أنهم أخذوا نصيبهم من ذلك أوبدله و لايجب إذا لم يدفع أبوبكر ذلك إليه علی جهة الإرث ألا يحصل ذلك فی يده لأنه قديجوز أن يكون النبی ص نحله ذلك ويجوز أيضا أن يكون أبوبكر رأی الصلاح فی ذلك أن يكون بيده لما فيه من تقوية الدين وتصدق ببدله بعدالتقويم لأن الإمام له أن يفعل ذلك . قال وحكی عن أبی علی فی البرد والقضيب أنه لم يمتنع أن يكون جعله عدة فی سبيل الله وتقوية علی المشركين فتداولته الأئمة لما فيه من التقوية ورأی أن ذلك أولی من أن يتصدق به إن ثبت أنه ع لم يكن قدنحله غيره فی حياته ثم عارض نفسه بطلب أزواج النبی ص الميراث وتنازع أمير المؤمنين ع والعباس بعدموت فاطمة ع وأجاب عن ذلك بأن قال يجوز أن يكونوا لم يعرفوا رواية أبی بكر وغيره للخبر. و قدروی أن عائشة لماعرفتهن الخبر أمسكن

و قدبينا أنه لايمتنع فى مثل ذلك أن يخفى على من يستحق الإرث ويعرفه من يتقلد الأمر كمايعرف العلماء والحكام من أحكام المواريث مـا لايعلمه أرباب الإرث و قـدبينا أن روايـة أبى بكر مع الجماعـة [صـفحه ۲۴۱] أقوى من شاهـدين لوشـهد أن بعض تركته ع دين و هوأقوى من روايـة سلمان و ابن مسعود لورويا ذلك . قال ومتى تعلقوا بعموم القرآن أريناهم جواز التخصيص بهـذا الخبر كما أن عموم القرآن يقتضى كون الصدقات للفقراء و قـدثبت أن آل محمـد لاتحل لهم الصدقـة. هذاآخر ماحكاه المرتضى من كلام قاضى القضاة. ثم قال نحن نبين أولاـ مايـدل على أنه ص يورث المال ونرتب الكلام فى ذلك الترتيب الصحيح ثم نعطف على ماأورده ونتكلم عليه . قال رضى الله عنه و ألذى يدل على ماذكرنا قوله تعالى مخبرا عن زكريا ع وَ إِنِّي خِفتُ المَوَالِيَ مِن ورَائِي وَ كانَتِ امرأَتِي عاقِراً فَهَب لِي مِن لَدُنكَ وَلِيّا يرَثُنِي وَ يَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَ وَ اجعَلهُ رَبّ رَضِيّافخبر أنه خاف من بنى عمه لأـن الموالى هاهنا هم بنو العم بلا شبهة وإنما خافهم أن يرثوا ماله فينفقوه فى الفساد لأنه كان يعرف ذلك من خلائقهم وطرائقهم فسأل ربه ولـدا يكون أحق بميراثه منهم و ألذى يدل على أن المراد بالميراث المذكور ميراث المال دون العلم والنبوة على مايقولون إن لفظة الميراث فى اللغة والشريعة لايفيد إطلاقها إلاـ على مايجوز أن ينتقل على الحقيقة من الموروث إلى الوارث كالأموال و ما فى معناها و لايستعمل فى غيرالمال إلاتجوزا واتساعا ولهـذا لايفهم من قول القائل لاوارث لفلاـن إلافلاـن وفلاـن يرث مع فلاـن بالظاهر والإطلاق إلاميراث الأموال والأعراض دون العلوم وغيرها و ليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى مجازه بغير دلالة وأيضا فإنه تعالى خبر عن نبيه أنه اشترط فى وارثه أن يكون رضيا ومتى لم يحمل الميراث فى الآية على المال دون العلم -قرآن-۵۱۱-۶۷۱ [صفحه ۲۴۲] والنبوة لم يكن للاشتراط معنى و كان لغوا وعبثا لأنه إذا كـان إنمـا سأل من يقوم مقـامه ويرث مكـانه فقـد دخـل الرضـا و ما هوأعظم من الرضا فى جملة كلامه وسؤاله فلامقتضى لاـشتراطه أ لاـترى أنه لايحسن أن يقول أللهم ابعث إلينا نبيا واجعله عاقلا ومكلفا فإذاثبتت هـذه الجملة صـح أن زكريا موروث ماله وصح أيضا لصحتها أن نبيناص ممن يورث المال لأن الإجماع واقع على أن حال نبينا ع لايخالف حال الأنبياء المتقدمين فى ميراث المال فمن مثبت للأمرين وناف للأمرين . قلت إن شيخنا أبا الحسين قال فى كتاب الغرر صورة الخبر الوارد فى هذاالباب و هو ألذى رواه أبوبكر لانورث و لم يقل نحن معاشر الأنبياء لانورث فلايلزم من كون زكريا يورث الطعن فى الخبر وتصفحت أناكتب الصحاح فى الحديث فوجدت صيغة الخبر كماقاله أبو الحسين و إن كان رسول الله ص عنى نفسه خاصة بذلك فقد سقط احتجاج الشيعة بقصة زكريا وغيره من الأنبياء إلا أنه يبعد عندى أن يكون أراد نفسه خاصة لأنه لم تجر عادته أن يخبر عن نفسه فى شىءبالنون . فإن قلت أيصح من المرتضى أن يوافق على أن صورة الخبر هكذا ثم يحتج بقصة زكريا بأن يقول إذاثبت أن زكريـا موروث ثبت أن رسول الله ص يجوز أن يكون موروثا لإجماع الأمـة على أن لافرق بين الأنبياء كلهم فى هـذاالحكم . قلت و إن ثبت له هـذاالإجماع صـح احتجاجه ولكن ثبوته يبعد لأن من نفى كون زكريا ع موروثا من الأمة إنما نفاه لاعتقاده أن رسول الله ص قال نحن معاشر الأنبياء فإذا كان لم يقل هكذا لم يقل إن زكريا ع غيرموروث [صـفحه ۲۴۳] قال المرتضى ومما يقوى ماقـدمناه أن زكريـا ع خـاف بنى عمه فطلب وارثـا لأجل خوفه و لايليق خوفه منهم إلابالمال دون العلم والنبوة لأنه ع كان أعلم بـالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيا ليس بأهل للنبوة و أن يورث علمه وحكمه من ليس أهلا لهما ولأنه إنما بعث لإذاعة العلم ونشره فى النـاس فلاـيجوز أن يخاف من الأمر ألـذى هوالغرض فى البعثة فإن قيل هـذايرجع عليكم فى الخوف عن إرث المال لأن ذلك غايـة الضن والبخل قلنا معاذ الله أن يستوى الحال لأن المال قديصـح أن يرزقه الله تعالى المؤمن والكافر والعدو والولى و لايصـح ذلك فى النبوة وعلومها و ليس من الضن أن يأسـى على بنى عمه وهم من أهل الفساد أن يظفروا بماله فينفقوه على المعاصـى ويصرفوه فى غيروجوهه المحبوبة بل ذلك غاية الحكمة وحسن التدبير فى الدين لأن الدين يحظر تقوية الفساق وإمـدادهم بما يعينهم على طرائقهم المذمومـة و مايعد ذلك شحا و لابخلا إلا من لاتأمل له . فإن قيل أ فلاجاز أن يكون خاف

من بنى عمه أن يرثوا علمه وهم من أهل الفساد على ماادعيتم فيستفسدوا به الناس ويموهوا به عليهم قلنا لايخلو هـذاالعلم ألذى أشرتم إليه من أن يكون هوكتب علمه وصحف حكمته لأن ذلك قديسمى علما على طريق المجاز أو يكون هوالعلم ألذى يحل القلب فإن كان الأول فهو يرجع إلى معنى المال ويصحح أن الأنبياء يورثون أموالهم و ما فى معناها و إن كان الثانى لم يخل هذا من أن يكون هوالعلم ألـذى بعث النبى لنشره وأدائه أو أن يكون علمـا مخصوصـا لايتعلق بالشريعة و لايجب إطلاع جميع الأمة عليه كعلم العواقب و مايجرى فى مستقبل الأوقات و ماجرى مجرى ذلك والقسم الأول لايجوز على النبى أن يخاف من وصوله إلى بنى عمه وهـم من جملـة أمته الـذين بعث لإطلاعهم على ذلك وتأديته إليهم وكأنه على هذاالوجه يخاف مما هوالغرض من بعثته والقسم الثانى فاسـد أيضا لأن [صـفحه ۲۴۴] هـذاالعلم المخصوص إنمـا يستفاد من جهته ويوقف عليه بإطلاعه وإعلامه و ليس هومما يجب نشره فى جميع الناس فقد كان يجب إذاخاف من إلقائه إلى بعض الناس فسادا ألا يلقيه إليه فإن ذلك فى يده و لايحتاج إلى أكثر من ذلك . قلت لعاكس أن يعكس هذا على المرتضـى رحمه الله حينئذ و يقول له و قد كان يجب إذاخاف من أن يرث بنـو عمه أمواله فينفقوهـا فى الفسـاد أن يتصـدق بهـا على الفقراء والمسـاكين فـإن ذلـك فى يـده فيحصـل له ثواب الصدقـة ويحصل له غرضه من حرمان أولئك المفسـدين ميراثه . قال المرتضـى رضـى الله عنه ومما يدل على أن الأنبياء يورثون قوله تعـالى وَ وَرِثَ سُـلَيمانُ داوُدَ والظـاهر من إطلاـق لفظـة الميراث يقتضـى الأموال و ما فى معناها على مادللنا به من قبل . قال ويـدل على ذلـك أيضـا قوله تعالى يُوصِـيكُمُ اللّهُ فِى أَولادِكُم لِلـذّكَرِ مِثلُ حَظّ الأُنثَيَينِالآيـة و قـدأجمعت الأمـة على عموم هـذه اللفظـة إلا من أخرجه الـدليل فيجب أن يتمسك بعمومها لمكان هـذه الدلالـة و لايخرج عن حكمها إلا من أخرجه دليل قاطع . قلت أما قوله تعالى وَ وَرِثَ سُـلَيمانُ داوُدَفظاهرها يقتضـى وراثة النبوة أوالملك أوالعلم ألذى قال فى أول الآيةوَ لَقَد آتَينا داوُدَ وَ سُلَيمانَ عِلماًلأنه لامعنى لـذكر ميراث سـليمان المال فإن غيره من أولاد داود قدورث أيضا أباه داود و فى كتب اليهود والنصارى أن بنى داود كانوا تسعة عشر و قد قال بعض المسلمين أيضا ذلك فأى معنى فى تخصيص سليمان بالذكر إذا كان إرث المال و أمايُوصِـيكُمُ اللّهُ فِى أَولادِكُمفالبحث فى تخصـيص ذلك بالخبر فرع من فروع مسألـة خبر الواحد هل هوحجة فى -قرآن-۵۷۱-۵۹۶-قرآن-۷۲۴-۷۸۹-قرآن-۹۶۶-۹۹۱-قرآن-۱۰۶۲-۱۱۰۳-قرآن-۱۳۴۱-۱۳۷۲ [صـفحه ۲۴۵] الشـرعيات أم لاـ فـإن ثبت مـذهب المرتضـى فى كـونه ليس بحجـة فكلاـمه هنـا جيـد و إن لـم يثبـت فلامـانع من تخصـيص العمـوم بـالخبر فـإن الصـحابة قدخصـصت عمومـات الكتـاب بالأخبـار فى مواضع كثيرة. قـال المرتضـى و أمـاتعلق صـاحب الكتاب بالخبر ألـذى رواه أبوبكر وادعـاؤه أنه استشـهد عمر وعثمـان وفلانـا وفلانـا فـأول مـا فيه أن ألـذى ادعاه من الاستشـهاد غيرمعروف و ألـذى روى أن عمر استشـهد هؤلاـء النفر لماتنازع أمير المؤمنين ع والعباس رضـى الله عنه فى الميراث فشـهدوا بالخبر المتضـمن لنفى الميراث وإنما مقول مخالفينا فى صـحة الخبر ألـذى رواه أبوبكر عندمطالبـة فاطمة ع بالإرث على إمساك الأمة عن النكير عليه والرد لقضـيته . قلت صـدق المرتضـى رحمه الله فيما قال أماعقيب وفاة النبى ص ومطالبـة فاطمـة ع بالإرث فلم يرو الخبر إلا أبوبكر وحده وقيل إنه رواه معه مالـك بن أوس بن الحـدثان و أماالمهـاجرون الـذين ذكرهم قاضـى القضـاة فإنمـا شـهدوا بالخبر فى خلافة عمر و قدتقدم ذكر ذلك . قال المرتضى ثم لوسلمنا استشهاد من ذكر على الخبر لم يكن فيه حجة لأن الخبر على كل حال لايخرج من أن يكـون غيرمـوجب للعلم و هو فى حكم أخبـار الآحـاد و ليس يجوز أن يرجع عن ظـاهر القرآن بمـا يجرى هـذاالمجرى لأـن المعلوم لاـيخص إلاـبمعلوم و إذاكانت دلالـة الظاهر معلومـة لم يجز أن يخرج عنها بأمر مظنون . قال و هـذاالكلام مبنى على أن التخصـيص للكتاب والسنة المقطوع بها لايقع [صـفحه ۲۴۶] بأخبـار الآحاد و هوالمـذهب الصـحيح و قدأشـرنا إلى مايمكن أن يعتمـد فى الدلالة عليه من أن الظن لايقابل العلم و لايرجع عن المعلوم بالمظنون قال و ليس لهم أن يقولوا إن التخصـيص بأخبار الآحـاد يسـتند أيضـا إلى علم و إن كـان الطريق مظنونـا ويشـيروا إلى مايـدعونه من الدلالـة على وجوب العمل بخبر الواحـد فى

الشريعة و أنه حجة لأن ذلك مبنى من قولهم على ما لانسلمه و قددل الدليل على فساده أعنى قولهم خبر الواحد حجة فى الشرع على أنهم لوسلم لهم ذلك لاحتاجوا إلى دليل مستأنف على أنه يقبل فى تخصيص القرآن لأن مادل على العمل به فى الجملة لايتناول هذاالموضع كما لايتناول جواز النسخ به . قلت أماقول المرتضى لوسلمنا أن هؤلاء المهاجرين الستة رووه لماخرج عن كونه خبرا واحدا و لماجاز أن يرجع عن عموم الكتاب به لأنه معلوم والخبر مظنون . ولقائل أن يقول ليته حصل فى كل واحد من آيات القرآن رواية مثل هذه الستة حيث جمع القرآن على عهد عثمان و من قبله من الخلفاء فإنهم بدون هذاالعدد كانوا يعملون فى إثبات الآية فى المصحف بل كانوا يحلفون من أتاهم بالآية و من نظر فى كتب التواريخ عرف ذلك فإن كان هذاالعدد إنما يفيد الظن فالقول فى آيات الكتاب كذلك و إن كانت آيات الكتاب أثبتت عن علم مستفاد من رواية هذاالعدد ونحوه فالخبر مثل ذلك .فأما مذهب المرتضى فى خبر الواحد فإنه قول انفرد به عن سائر الشيعة لأن من قبله من فقهائهم ماعولوا فى الفقه إلا على أخبار الآحاد كزرارة ويونس و أبى بصير وابنى بابويه والحلبى و أبى جعفرالقمى وغيرهم ثم من كان فى عصر المرتضى منهم [صفحه ۲۴۷] كأبى جعفرالطوسى وغيره و قدتكلمت فى اعتبار الذريعة على ماأعتمد عليه فى هذه المسألة و أماتخصيص الكتاب بخبر الواحد فالظاهر أنه إذاصح كون خبر الواحد حجة فى الشرع جاز تخصيص الكتاب به و هذا من فن أصول الفقه فلامعنى لذكره هنا. قال المرتضى رضى الله عنه و هذايسقط قول صاحب الكتاب إن الشاهدين لوشهدا أن فى التركة حقا لكان يجب أن ينصرف عن الإرث و ذلك لأن الشهادة و إن كانت مظنونة فالعمل بهايستند إلى علم لأن الشريعة قدقررت العمل بالشهادة و لم تقرر العمل بخبر الواحد و ليس له أن يقيس خبر الواحد على الشهادة من حيث اجتمعا فى غلبة الظن لأنا لانعمل على الشهادة من حيث غلبة الظن دون ماذكرناه من تقرير الشريعة العمل بها أ لاترى أنا قدنظن بصدق الفاسق والمرأة والصبى وكثير ممن لايجوز العمل بقوله فبان أن المعول فى هذا على المصلحة التى نستفيدها على طريق الجملة من دليل الشرع . قال و أبوبكر فى حكم المدعى لنفسه والجار إليها بخلاف ماظنه صاحب الكتاب وكذلك من شهد له إن كانت هناك شهادة و ذلك أن أبابكر وسائر المسلمين سوى أهل بيت الرسول ص يحل لهم الصدقة ويجوز أن يصيبوا فيها و هذه تهمة فى الحكم والشهادة. قال و ليس له أن يقول فهذا يقتضى ألا يقبل شهادة شاهدين فى تركة فيهاصدقة لمثل ماذكرتم . [صفحه ۲۴۸] قال و ذلك لأن الشاهدين إذاشهدا فى الصدقة فحظهما منها كحظ صاحب الميراث بل سائر المسلمين و ليس كذلك حال تركة الرسول لأن كونها صدقة يحرمها على ورثته ويبيحها لسائر المسلمين . قلت هذافرق غيرمؤثر أللهم إلا أن يعنى به تهمة أبى بكر والشهود الستة فى جر النفع إلى أنفسهم يكون أكثر من تهمتهم لوشهدوا على أبى هريرة مثلا أن ماتركه صدقة لأن أهل أبى هريرة يشاركون فى القسمة و أهل النبى ص لايشاركون الشهود فيما يصيبهم إذ هم لاتحل لهم الصدقة فتكون حصة أبى بكر والشهود مما تركه رسول الله أكثر من حصتهم مما يتركه أبوهريرة فيكون تطرق التهمة إلى أبى بكر والشهود أكثر حسب زيادة حصتهم و ماوقفت للمرتضى على شىءأطرف من هذالأن رسول الله ص مات والمسلمون أكثر من خمسين ألف إنسان لأنه قاد فى غزاة تبوك عشرين ألفا ثم وفدت إليه الوفود كلها بعد ذلك فليت شعرى كم مقدار مايتوفر على أبى بكر وستة نفر معه وهم من جملة خمسين ألفا بين ما إذا كان بنو هاشم وبنو المطلب وهم حينئذ عشرة نفر لايأخذون حصة و بين ما إذاكانوا يأخذون أترى أ يكون المتوفر على أبى بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم ماأظن أنه يبلغ ذلك وكم مقدار مايقلل حصص الشهود على أبى هريرة إذاشركهم أهله فى التركة لتكون هذه القلة موجبة رفع التهمة وتلك الزيادة والكثرة موجبة حصول التهمة و هذاالكلام لاأرتضيه للمرتضى . قال المرتضى رضى الله عنه و أما قوله يخص القرآن بالخبر كماخصصناه فى العبد والقاتل فليس بشىء لأنا إنما خصصنا من ذكر بدليل مقطوع عليه معلوم و ليس هذاموجودا فى الخبر ألذى ادعاه فأما قوله و ليس ذلك ينقص الأنبياء بل هوإجلال لهم [صفحه ۲۴۹] فمن ألذى قال له إن فيه نقصا و كما أنه لانقص فيه فلاإجلال

فيه و لافضيلة لأن الداعى و إن كان قديقوى على جمع المال ليخلف على الورثة فقد يقويه أيضا إرادة صرفه فى وجوه الخير والبر وكلا الأمرين يكون داعيا إلى تحصيل المال بل الداعى ألذى ذكرناه أقوى فيما يتعلق بالدين . قال و أما قوله إن فاطمة لماسمعت ذلك كفت عن الطلب فأصابت أولا وأصابت ثانيا فلعمرى إنها كفت عن المنازعة والمشاحة لكنها انصرفت مغضبة متظلمة متألمة والأمر فى غضبها وسخطها أظهر من أن يخفى على منصف فقد روى أكثر الرواة الذين لايتهمون بتشيع و لاعصبية فيه من كلامها فى تلك الحال و بعدانصرافها عن مقام المنازعة والمطالبة مايدل على ماذكرناه من سخطها وغضبها. أخبرنا أبوعبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال حدثنى محمد بن أحمدالكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوى قال حدثنى الزيادى قال حدثناالشرقى بن القطامى عن محمد بن إسحاق قال حدثناصالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت لمابلغ فاطمة إجماع أبى بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت فى لمة من حفدتها ... -روايت-١-٢-روايت-٢٤٠-٣٥٥ قال المرتضى وأخبرنا المرزبانى قال حدثنا أبوبكر أحمد بن محمدالمكى قال حدثنا أبوالعيناء بن القاسم اليمانى قال حدثنا ابن عائشة قال لماقبض رسول الله ص أقبلت فاطمة إلى أبى بكر فى لمة من حفدتها ثم اجتمعت الروايتان من هاهنا ... ونساء قومها تطأ ذيولها ماتخرم مشيتها مشية رسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-١٤١-ادامه دارد [صفحه ٢٥٠] حتى دخلت على أبى بكر و هو فى حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء وارتج المجلس ثم أمهلت هنيهة حتى إذاسكن نشيج القوم وهدأت فورتهم افتتحت كلامها بالحمد لله عز و جل والثناء عليه والصلاة على رسول الله ص ثم قالت لَقَد جاءَكُم رَسُولٌ مِن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ ما عَنِتّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ فإن تعزوه تجدوه أبى دون آبائكم وأخا ابن عمى دون رجالكم فبلغ الرسالة صادعا بالنذارة مائلا عن سنن المشركين ضاربا ثبجهم يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة آخذا بأكظام المشركين يهشم الأصنام ويفلق الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر و حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق زعيم الدين وخرست شقائق الشياطين وتمت كلمة الإخلاص وكنتم على شفا حفرة من النار نهزة الطامع ومذقة الشارب وقبسة العجلان وموطإ الأقدام تشربون الطرق وتقتاتون القد أذلة خاسئين يختطفكم الناس من حولكم حتى أنقذكم الله برسوله ص بعداللتيا والتى و بعد أن منى بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب وكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله أونجم قرن الشيطان أوفغرت فاغرة قذف أخاه فى لهواتها و لاينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه ويطفئ عادية لهبها بسيفه أوقالت يخمد لهبها بحده مكدودا فى ذات الله وأنتم فى رفاهية فكهون آمنون وادعون -روايت-از قبل-١٢٦٠ [صفحه ٢٥١] إلى هنا انتهى خبر أبى العيناء عن ابن عائشة و أما عروة عن عائشة فزاد بعد هذا حتى إذااختار الله لنبيه دار أنبيائه ظهرت حسيكة النفاق وشمل جلباب الدين ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الآفكين وهدر فنيق المبطلين فخطر فى عرصاتكم وأطلع الشيطان رأسه صارخا بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين ولقربه متلاحظين ثم استنهضكم فوجدكم خفافا وأحمشكم فألفاكم غضابا فوسمتم غيرإبلكم ووردتم غيرشربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لماينىدمل إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة ألا فى الفتنة سقطوا و إن جهنم لمحيطة بالكافرين فهيهات وأنى بكم وأنى تؤفكون و كتاب الله بين أظهركم زواجره بينة وشواهده لائحة وأوامره واضحة أرغبة عنه تريدون أم لغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا و من يتبع غيرالإسلام دينا فلن يقبل منه و هو فى الآخرة من الخاسرين ثم لم تلبثوا إلاريث أن تسكن نفرتها تسرون حسوا فى ارتغاء ونحن نصبر منكم على مثل حز المدى وأنتم الآن تزعمون أن لاإرث لنا أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا ابن أبى قحافة أترث أباك و لاأرث أبى لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة و عندالساعة يخسر المبطلون ثم انكفأت إلى قبر أبيها ع فقالت -روايت-١-٢-روايت-٢٩-١١٢٤ قد كان بعدك أنباء وهنبثة || لوكنت شاهدها لم تكثر الخطب إذافقدناك فقد

الأرض وابلها || واختل قومک فاشـهدهم و لاتغب . وروی حرمی بن أبی العلاء مع هـذین البیتین بیتا ثالثا -روایت-۱-۵۹ فلیت بعـدک کـان الموت صادفنا || لماقضیت وحالت دونک الکتب [صـفحه ۲۵۲] قـال فحمـد أبوبکر الله وأثنی علیه وصـلی علی رسوله ص و قـال یاخیر النساء وابنـۀ خیر الآباء و الله ماعـدوت رأی رسول الله ص و لاعملت إلاباذنه و إن الرائـد لایکـذب أهله وإنی أشـهد الله وکفی بـالله شـهیدا أنی سـمعت رسول الله یقول إنا معاشـر الأنبیاء لانورث ذهبا و لافضـۀ و لادارا و لاعقارا وإنما نورث الکتاب والحکمـۀ والعلم والنبوۀ -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۱۳۴ قـال فلمـا وصل الأمر إلی علی بن أبی طالب ع کلم فی رد فـدک فقـال إنی لأسـتحیی مـن الله أن أرد شـیئا منع منه أبـوبکر وأمضـاه عمر -روایت-۱-۲-روایت-۸-۱۳۷ قال المرتضـی وأخبرنا أبو عبـد الله المرزبانی قال حـدثنی علی بن هارون قال أخبرنی عبیـد الله بن أحمد بن أبی طاهر عن أبیه قال ذکرت لأبی الحسین زیـد بـن علی بن الحسـین بن علی بن أبی طـالب ع کلاـم فاطمـۀ ع عنـدمنع أبی بکر إیاهـا فـدک و قلت له إن هؤلاـء یزعمون أنه مصنوع و أنه من کلام أبی العیناء لأن الکلام منسوق البلاغۀ فقال لی رأیت مشایخ آل أبی طالب یروونه عن آبائهم ویعلمونه أولادهم و قدحـدثنی به أبی عن جـدی یبلغ به فاطمۀ ع علی هذه الحکایۀ -روایت-۱-۲-روایت-۱۳۴-۴۷۷ و قدرواه مشایخ الشیعۀ وتدارسوه قبل أن یوجد جد أبی العیناء و قدحدث الحسین بن علوان عن عطیۀ العوفی أنه سمع عبد الله بن الحسن بن الحسن یـذکر عن أبیه هـذاالکلام . ثم قال أبو الحسن زید وکیف تنکرون هذا من کلام فاطمۀ ع وهم [صـفحه ۲۵۳] یروون من کلاـم عائشـۀ عنـدموت أبیها ما هوأعجب من کلام فاطمـۀ ع ویحققونه لو لاعـداوتهم لنا أهل البیت ثم ذکر الحـدیث بطوله علی نسـقه وزاد فی الأبیات بعدالبیتین الأولین ضاقت علی بلادی بعد مارحبت || وسم سـبطاک خسفا فیه لی نصب فلیت قبلک کان الموت صادفنا || قوم تمنوا فأعطوا کل ماطلبوا تجهمتنا رجال واستخف بنا || مذ غبت عنا و کل الإرث قدغصبوا . قال فما رأینا یوما أکثر باکیا أوباکیـۀ من ذلک الیوم . قال المرتضـی و قـدروی هذاالکلام علی هذاالوجه من طرق مختلفۀ ووجوه کثیرۀ فمن أرادها أخذها من مواضعها فکیف یدعی أنها ع کفت راضیۀ وأمسکت قانعۀ لو لاالبهت وقلۀ الحیاء. قلت لیس فی هذاالخبر مایـدل علی فسـاد ماادعاه قاضـی القضاۀ لأنه ادعی أنها نازعت وخاصـمت ثم کفت لماسـمعت الروایـۀ وانصرفت تارکـۀ للنزاع راضیـۀ بمـوجب الخبر المروی و مـاذکره المرتضـی من هـذاالکلام لایـدل إلاـ علی سـخطها حـال حضورهـا و لایـدل علی أنها بعدروایـۀ الخبر و بعـد أن أقسم لهـا أبوبکر بـالله تعـالی أنه مـاروی عن رسول الله ص إلا ماسـمعه منه انصرفت ساخطـۀ و لا فی الحـدیث المـذکور والکلاـم المروی مایـدل علی ذلک ولست أعتقـد أنها انصرفت راضـیۀ کما قال قاضـی القضاۀ بل أعلم أنها انصـرفت ساخطۀ وماتت وهی علی أبی بکر واجدۀ ولکن لا من هذاالخبر بل من أخبار أخر کان الأولی بالمرتضـی أن یحتج بها علی [صــفحه ۲۵۴] مـایرویه فی انصــرافها ساخطـۀ وموتهـا علی ذلـک الســخط و أمـا هــذاالخبر و هــذاالکلام فلایـدل علی هـذاالمطلوب . قال المرتضـی رحمه الله فأما قوله إنه یجوز أن یبین ع أنه لاحق لمیراثه فی ورثته لغیر الورثۀ و لایمتنع أن یرد من جهـۀ الآحاد لأنه من باب العمل و کل هـذابناء منه علی أصوله الفاسدۀ فی أن خبر الواحد حجۀ فی الشـرع و أن العمل به واجب ودون صـحۀ ذلـک خرط القتاد وإنما یجوز أن یبین من جهـۀ أخری إذاتساویا فی الحجـۀ ووقوع العمل فأما مع تباینهما فلایجوز التخییر فیهمـا و إذا کـان ورثـۀ النـبی ص متعبـدین بألاـ یرثـوه فلابـد من إزاحـۀ علتهم فی هـذه العبـادۀ بـأن یوقفهم علی الحکم ویشـافههم به ویلقیه إلی من یقیم الحجـۀ علیهم بنقله و کـل ذلـک لم یکن .فأما قوله أتجوزون صـدقه فی الروایـۀ أم لاتجوزون ذلـک فـالجواب إنـا لاـنجوزه لأـن کتـاب الله أصـدق منه و هویـدفع روایته ویبطلها فأما اعتراضه علی قولنا إن إطلاق المیراث لا یکون إلاـ فی الأـموال بقوله تعـالی ثُمّ أَورَثنَا الکِتابَ الّذِینَ اصطَفَینا مِن عِبادِنا وقولهم ماورثت الأبناء من الآباء شیئا أفضل من أدب حسن وقولهم العلمـاء ورثـۀ الأنبیـاء فعجیب لأن کل ماذکر مقیـد غیرمطلق وإنما قلنا إن مطلق لفظ المیراث من غیرقرینـۀ و لاتقییـد یفید بظاهره میراث الأموال فبعد ماذکره وعارض به لایخفی علی متأمل .فأما اسـتدلاله علی أن سلیمان ورث داود علمه

دون ماله بقوله يا أَيّهَا النّاسُ عُلّمنا مَنطِقَ الطّيرِ وَ أَوتِينا مِن كُلّ شَیءٍ إِنّ هذا لَهُوَ الفَضلُ المُبِينُ و أن المراد أنه -قرآن-٨٧٠-٩٢٤-قرآن-١٢٤٢-١٣٤٤ [صفحه ٢٥٥] ورث العلم والفضل و إلا لم يكن لهذا القول تعلق بالأول فليس بشیء يعول عليه لأنه لايمتنع أن يريد به أنه ورث المال بالظاهر والعلم بهذا المعنى من الاستدلال فليس يجب إذادلت الدلالة فی بعض الألفاظ على معنى المجاز أن يقتصر بها عليه بل يجب أن يحملها على الحقيقة التی هی الأصل إذا لم يمنع من ذلك مانع على أنه لايمتنع أن يريد ميراث المال خاصة ثم يقول مع ذلك إناعُلّمنا مَنطِقَ الطّيرِ ويشيرالفَضلُ المُبِينُ إلى العلم والمال جميعا فله بالأمرين جميعا فضل على من لم يكن عليهما و قوله وَ أُوتِينا مِن كُلّ شَیءٍيحتمل المال كمايحتمل العلم فليس بخالص ماظنه .فأما قوله فی قصة زكريا إنه خاف على العلم أن يندرس لأن الأنبياء و إن كانوا لايحرصون على الأموال وإنما خاف أن يضيع العلم فسأل الله تعالى وليا يقوم بالدين مقامه فقد بينا أن الأنبياء و إن كانوا لايحرصون على الأموال و لايبخلون بهافإنهم يجتهدون فی منع المفسدين من الانتفاع بها على الفساد و لايعد ذلك بخلا و لاحرصا بل فضلا ودينا و ليس يجوز من زكريا أن يخاف على العلم الاندراس والضياع لأنه يعلم أن حكمة الله تعالى تقتضی حفظ العلم ألذی هوالحجة على العباد و به تنزاح عللهم فی مصالحهم فكيف يخاف ما لايخاف من مثله . فإن قيل فهبوا أن الأمر كماذكرتم من أن زكريا كان يأمن على العلم أن يندرس أ ليس لابد أن يكون مجوزا أن يحفظه الله تعالى بمن هو من أهله وأقاربه كمايجوز حفظه بغريب أجنبی فما أنكرتم أن يكون خوفه إنما كان من بنی عمه ألا يتعلموا العلم و لايقوموا فيه مقامه فسأل الله ولدا يجمع فيه هذه العلوم حتى لايخرج العلم عن بيته ويتعدى إلى غيرقومه فيلحقه بذلك وصمة. -قرآن-٣٩٠-٤١٢-قرآن-٤١٩-٤٣٥-قرآن-٥١٩-٥٤٤ [صفحه ٢٥٦] قلنا أما إذارتب السؤال هذاالترتيب فالجواب عنه ماأجبنا به صاحب الكتاب و هو أن الخوف ألذی أشاروا إليه ليس من ضرر دينی وإنما هو من ضرر دنياوی والأنبياء إنما بعثوا لتحمل المضار الدنياوية ومنازلهم فی الثواب إنما زادت على كل المنازل لهذا الوجه و من كانت حاله هذه الحال فالظاهر من خوفه إذا لم يعلم وجهه بعينه أن يكون محمولا على مضار الدين لأنها هی جهة خوفهم والغرض فی بعثهم تحمل ماسواها من المضار فإذا قال النبی ص أناخائف فلم يعلم جهة خوفه على التفصيل يجب أن يصرف خوفه بالظاهر إلى مضار الدين دون الدنيا لأن أحوالهم وبعثهم يقتضی ذلك فإذاكنا لواعتدنا من بعضنا الزهد فی الدنيا وأسبابها والتعفف عن منافعها والرغبة فی الآخرة والتفرد بالعمل لها لكنا نحمل على مايظهر لنا من خوفه ألذی لايعلم وجهه بعينه على ما هوأشبه وأليق بحاله ونضيفه إلى الآخرة دون الدنيا و إذا كان هذاواجبا فيمن ذكرناه فهو فی الأنبياء ع أوجب . قلت ينبغی ألا يقول المعترض فيلحقه بذلك وصمة فيجعل الخوف من هذه الوصمة بل يقول إنه خاف ألا يفلح بنو عمه و لايتعلموا العلم لمارأى من الأمارات الدالة على ذلك فالخوف على هذاالترتيب يتعلق بأمر دينی لادنيوی فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدا يرث عنه علمه أی يكون عالما بالدينيات كما أناعالم بها و هذاالسؤال متعلق بأمر دينی لادنيوی و على هذايندفع ماذكره المرتضى على أنه لايجوز إطلاق القول بأن الأنبياء بعثوا لتحمل المضار الدنياوية و لاالقول الغرض فی بعثتهم تحمل ماسوى المضار الدينية من المضار فإنهم مابعثوا لذلك و لاالغرض فی بعثتهم ذلك وإنما بعثوا لأمر آخر و قدتحصل المضار فی أداء الشرع ضمنا وتبعا لا على أنها الغرض و لاداخلة [صفحه ٢٥٧] فی الغرض و على أن قول المرتضى لايجوز أن يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره لأنه محفوظ من الله فكيف يخاف ما لايخاف من مثله غيرمستمر على أصوله لأن المكلفين الآن قدحرموا بغيبة الإمام عنده ألطافا كثيرة الوصلة بالشرعيات كالحدود وصلاة الجمعة والأعياد و هو وأصحابه يقولون فی ذلك أن اللوم على المكلفين لأنهم قدحرموا أنفسهم اللطف فهلا جاز أن يخاف زكريا من تبديل الدين وتغييره وإفساد الأحكام الشرعية لأنه إنما يجب على الله تعالى التبليغ بالرسول إلى المكلفين فإذاأفسدوا هم الأديان وبدلوها لم يجب عليه أن يحفظها عليهم لأنهم هم الذين حرموا أنفسهم اللطف . واعلم أنه قدقرئ وَ إِنّی خِفتُ المَوالِیَ مِن وَرائِي وقيل إنها قراءة زين العابدين وابنه محمد بن علی الباقر ع

وعثمان بن عفان وفسروه على وجهين أحدهما أن يكون ورائى بمعنى خلفى وبعدى أى قلت الموالى وعجزوا عن إقامة الدين تقول قدخف بنو فلان أى قل عددهم فسأل زكريا ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولى يرزقه . وثانيهما أن يكون ورائى بمعنى قدامى أى خف الموالى و أناحى ودرجوا وانقرضوا و لم يبق منهم من به اعتضاد و على هذه القراءة لايبقى متعلق بلفظة الخوف . و قدفسر قوم قوله وَ إِنِّي خِفتُ المَوالِيَ أى خفت الذين يلون الأمر من بعدى لأن الموالى يستعمل فى الوالى وجمعه موال أى خفت أن يلى بعدموتى أمراء ورؤساء يفسدون شيئا من الدين فارزقنى ولدا تنعم عليه بالنبوة والعلم كماأنعمت -قرآن-٦١٢-٦٥١-قرآن-١٠٩٧-١١٢٣ [صفحه ٢٥٨] على واجعل الدين محفوظا به و هذاالتأويل غيرمنكر و فيه أيضا دفع لكلام المرتضى . قال المرتضى و أماتعلق صاحب الكتاب فى أن الميراث محمول على العلم بقوله وَ يَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَلأنه لايرث أموال آل يعقوب فى الحقيقة وإنما يرث ذلك غيره فبعيد من الصواب لأن ولد زكريا يرث بالقرابة من آل يعقوب أموالهم على أنه لم يقل يرث آل يعقوب بل قال يَرِثُ مِن آلِ يَعقُوبَتنبيها بذلك على أنه يرث من كان أحق بميراثه فى القرابة.فأما طعنه على من تأول الخبر بأنه ع لايورث ماتركه للصدقة بقوله إن أحدا من الصحابة لم يتأوله على هذاالوجه فهذا التأويل ألذى ذكرناه أحد ماقاله أصحابنا فى هذاالخبر فمن أين له إجماع الصحابة على خلافه و إن أحدا لم يتأوله على هذاالوجه . فإن قال لو كان ذلك لظهر واشتهر ولوقف أبوبكر عليه فقد مضى من الكلام فيما يمنع من الموافقة على هذاالمعنى ما فيه كفاية. قلت لم يكن ذلك اليوم أعنى يوم حضور فاطمة ع وقولها لأبى بكر ماقالت يوم تقية وخوف وكيف يكون يوم تقية وهى تقول له و هوالخليفة يا ابن أبى قحافة أترث أباك و لاأرث أبى وتقول له أيضا لقد جئت شيئا فريا فكان ينبغى إذا لم يؤثر أمير المؤمنين ع أن يفسر لأبى بكر معنى الخبر أن يعلم فاطمة ع -قرآن-١٦٥-١٩٠-قرآن-٣٦٥-٣٨٧ [صفحه ٢٥٩] تفسيره فتقول لأبى بكر أنت غالط فيما ظننت إنما قال أبى ماتركناه صدقة فإنه لايورث . واعلم أن هذاالتأويل كاد يكون مدفوعا بالضرورة لأن من نظر فى الأحاديث التى ذكرناها و ماجرت عليه الحال يعلم بطلانه علما قطعيا. قال المرتضى و قوله إنه لا يكون إذ ذلك تخصيص للأنبياء و لامزية ليس بصحيح و قدقيل فى الجواب عن هذا إن النبى ص يجوز أن يريد أن ماننوى فيه الصدقة ونفرده لها من غير أن نخرجه عن أيدينا لاتناله ورثتنا و هذاتخصيص للأنبياء ومزية ظاهرة. قلت هذه مخالفة لظاهر الكلام وإحالة اللفظ عن وضعه و بين قوله ماننوى فيه الصدقة و هو بعد فى ملكنا ليس بموروث و قوله مانخلفه صدقة ليس بموروث فرق عظيم فلايجوز أن يراد أحد المعنيين باللفظ المفيد للمعنى الآخر لأنه إلباس وتعمية وأيضا فإن العلماء ذكروا خصائص الرسول فى الشرعيات عن أمته وعددوها نحو حل الزيادة فى النكاح على أربع ونحو النكاح بلفظ الهبة على قول فرقة من المسلمين ونحو تحريم أكل البصل والثوم عليه وإباحة شرب دمه و غير ذلك و لم يذكروا فى خصائصه أنه إذا كان قدنوى أن يتصدق بشىء فإنه لايناله ورثته لوقدرنا أنه يورث الأموال و لاالشيعة قبل المرتضى ذكرت ذلك و لارأينا فى كتاب من كتبهم و هومسبوق بإجماع طائفته عليه وإجماعهم عندهم حجة. قال المرتضى فأما قوله إن قوله ع ماتركناه صدقة جملة من الكلام [صفحه ٢٦٠] مستقلة بنفسها فصحيح إذاكانت لفظة مامرفوعة على الابتداء و لم تكن منصوبة بوقوع الفعل عليها وكانت لفظة صدقة أيضا مرفوعة غيرمنصوبة و فى هذاوقع النزاع فكيف يدعى أنها جملة مستقلة بنفسها وأقوى مايمكن أن نذكره أن نقول الرواية جاءت بلفظ صدقة بالرفع و على ماتأولتموه لاتكون إلامنصوبة والجواب عن ذلك إنا لانسلم الرواية بالرفع و لم تجر عادة الرواة بضبط ماجرى هذاالمجرى من الإعراب والاشتباه يقع فى مثله فمن حقق منهم وصرح بالرواية بالرفع يجوز أن يكون اشتبه عليه فظنها مرفوعة وهى منصوبة قلت و هذاأيضا خلاف الظاهر وفتح الباب فيه يؤدى إلى إفساد الاحتجاج بكثير من الأخبار. قال و أماحكايته عن أبى على أن أبابكر لم يدفع إلى أمير المؤمنين ع السيف والبغلة والعمامة على جهة الإرث و قوله كيف يجوز ذلك مع الخبر ألذى رواه وكيف خصصه بذلك دون العم ألذى هوالعصبة فما نراه زاد على التعجب ومما عجب منه عجبنا و لم يثبت عصمة أبى بكر فينتفى عن أفعاله

التناقض . قلت لايشك أحد فى أن أبابكر كان عاقلا و إن شك قوم فى ذلك فالعاقل فى يوم واحد لايدفع فاطمة ع عن الإرث و يقول إن أباك قال لى إننى لاأورث ثم يورث فى ذلك اليوم شخصا آخر من مال ذلك المتوفى ألذى حكى عنه أنه لايورث و ليس انتفاء هذاالتناقض عن أفعاله موقوفا على العصمة بل على العقل . [صفحه ۲۶۱] قال المرتضى و قوله يجوز أن يكون النبى ص نحله إياه وتركه أبوبكر فى يده لما فى ذلك من تقوية الدين وتصدق ببدله و كل ماذكره جائز إلا أنه قد كان يجب أن يظهر أسباب النحلة والشهادة بها والحجة عليها و لم يظهر من ذلك شىءفنعرفه و من العجائب أن تدعى فاطمة فدك نحلة وتستشهد على قولها أمير المؤمنين ع وغيره فلايصغى إلى قولها ويترك السيف والبغلة والعمامة فى يد أمير المؤمنين على سبيل النحلة بغير بينة ظهرت و لاشهادة قامت . قلت لعل أبابكر سمع الرسول ص و هوينحل ذلك عليا ع فلذلك لم يحتج إلى البينة والشهادة فقد روى أنه أعطاه خاتمه وسيفه فى مرضه و أبوبكر حاضر و أماالبغلة فقد كان نحله إياها فى حجة الوداع على ماوردت به الرواية و أماالعمامة فسلب الميت وكذلك القميص والحجزة والحذاء فالعادة أن يأخذ ذلك ولد الميت و لاينازع فيه لأنه خارج أوكالخارج عن التركة فلما غسل ع أخذت ابنته ثيابه التى مات فيها و هذه عادة الناس على أنا قدذكرنا فى الفصل الأول كيف دفع إليه آلة النبى ص وحذاءه ودابته والظاهر أنه فعل ذلك اجتهادا لمصلحة رآها وللإمام أن يفعل ذلك . قال المرتضى على أنه كان يجب على أبى بكر أن يبين ذلك ويذكر وجهه بعينه لمانازع العباس فيه فلاوقت لذكر الوجه فى ذلك أولى من هذاالوقت . قلت لم ينازع العباس فى أيام أبى بكر لا فى البغلة والعمامة ونحوها و لا فى غير [صفحه ۲۶۲] ذلك وإنما نازع عليا فى أيام عمر و قدذكرنا كيفية المنازعة وفيما ذا كانت . قال المرتضى رضى الله عنه فى البردة والقضيب إن كان نحلة أو على الوجه الآخر يجرى مجرى ماذكرناه فى وجوب الظهور والاستشهاد ولسنا نرى أصحابنا يعنى المعتزلة يطالبون أنفسهم فى هذه المواضع بما يطالبوننا بمثله إذاادعينا وجوها وأسبابا وعللا مجوزة لأنهم لايقنعون منا بما يجوز ويمكن بل يوجبون فيما ندعيه الظهور والاستشهاد و إذا كان هذاعليهم نسوه أوتناسوه . قلت أماالقضيب فهو السيف ألذى نحله رسول الله ص عليا ع فى مرضه و ليس بذى الفقار بل هوسيف آخر و أماالبردة فإنه وهبها كعب بن زهير ثم صار هذاالسيف و هذه البردة إلى الخلفاء بعدتنقلات كثيرة مذكورة فى كتب التواريخ . قال المرتضى فأما قوله فإن أزواج النبى ص إنما طلبن الميراث لأنهن لم يعرفن رواية أبى بكر للخبر وكذلك إنما نازع على ع بعدموت فاطمة ع فى الميراث لهذا الوجه فمن أقبح مايقال فى هذاالباب وأبعده عن الصواب وكيف لايعرف أمير المؤمنين ع رواية أبى بكر و بهادفعت زوجته عن الميراث وهل مثل ذلك المقام ألذى قامته و مارواه أبوبكر فى دفعها يخفى على من هو فى أقاصى البلاد فضلا عمن هو فى المدينة حاضر شاهد يراعى الأخبار ويعنى بها إن هذاالخروج فى المكابرة عن الحد وكيف يخفى على الأزواج ذلك حتى يطلبنه مرة بعدأخرى و يكون عثمان الرسول لهن والمطالب عنهن وعثمان على زعمهم أحد من شهد [صفحه ۲۶۳] أن النبى ص لايورث و قدسمعن على كل حال أن بنت النبى ص لم تورث ماله و لابد أن يكن قدسألن عن السبب فى دفعها فذكر لهن الخبر فكيف يقال إنهن لم يعرفنه . قلت الصحيح أن أمير المؤمنين ع لم ينازع بعدموت فاطمة فى الميراث وإنما نازع فى الولاية لفدك وغيرها من صدقات رسول الله ص وجرى بينه و بين العباس فى ذلك ما هومشهور و أماأزواج النبى ص فما ثبت أنهن نازعن فى ميراثه و لا أن عثمان كان المرسل لهن والمطالب عنهن إلا فى رواية شاذة والأزواج لماعرفن أن فاطمة ع قددفعت عن الميراث أمسكن و لم يكن قدنازعن وإنما اكتفين بغيرهن وحديث فدك وحضور فاطمة عند أبى بكر كان بعدعشرة أيام من وفاة رسول الله ص والصحيح أنه لم ينطق أحد بعد ذلك من الناس من ذكر أوأنثى بعدعود فاطمة ع من ذلك المجلس بكلمة واحدة فى الميراث . قال المرتضى فإن قيل فإذا كان أبوبكر قدحكم بالخطإ فى دفع فاطمة ع عن الميراث واحتج بخبر لاحجة فيه فما بال الأمة أقرته على هذاالحكم و لم تنكر عليه و فى رضاها وإمساكها دليل على صوابه . قلت قدمضى أن ترك النكير لا يكون دليل الرضا إلا فى هذاالموضع ألذى

لا يكون له وجه سوى الرضا وذكرنا فى ذلك قولا شافيا و قـدأجاب أبوعثمان الجاحظ فى كتاب العباسـيۀ عن هـذاالسؤال جوابا حسن المعنى واللفظ نحن [صـفحه ۲۶۴] نـذكره على وجهه ليقابل بينه و بين كلامه فى العثمانيـۀ وغيرها. قلت ماكناه المرتضـى رحمه الله فى غير هذاالموضع أصلا بل كان ساخطا عليه وكناه فى هذاالموضع واستجاد قوله لأنه موافق غرضه فسبحان الله ماأشد حب الناس لعقائـدهم . قال قال أبوعثمان و قدزعم أناس أن الدليل على صدق خبرهما يعنى أبابكر وعمر فى منع الميراث وبراءۀ ساحتهما ترك أصحاب رسول الله ص النكير عليهما ثم قال قـديقال لهم لئن كان ترك النكير دليلا على صدقهما ليكونن ترك النكير على المتظلمين والمحتجين عليهمـا والمطـالبين لهمـا دليلا على صـدق دعواهم أواسـتحسان مقالتهم و لاسـيما و قـدطالت المناجاۀ وكثرت المراجعۀ والملاحاۀ وظهرت الشكيۀ واشـتدت الموجدۀ و قدبلغ ذلك من فاطمۀ ع حتى إنها أوصت ألا يصـلى عليها أبوبكر ولقـد كانت قالت له حين أتته طالبـۀ بحقها ومحتجـۀ لرهطها من يرثك يا أبابكر إذامت قال أهلى وولدى قالت فما بالنا لانرث النبى ص فلما منعها ميراثها وبخسـها حقها واعتل عليها وجلـح فى أمرها وعاينت التهضم وأيست من التورع ووجـدت نشوۀ الضعف وقلۀ الناصر قالت و الله لأدعون الله عليك قال و الله لأدعون الله لك قالت و الله لاأكلمك أبدا قال و الله لاأهجرك أبدا فإن يكن ترك النكير على أبى بكر دليلا على صواب منعها إن فى ترك النكير على فاطمۀ ع دليلا على صواب طلبها وأدنى ما كان يجب عليهم فى ذلك تعريفها ماجهلت وتـذكيرها مانسـيت وصـرفها عن الخطإ ورفع قـدرها عن البـذاء و أن تقول هجرا أوتجور عادلا أوتقطع واصـلا فإذا لم تجدهم أنكروا على الخصـمين جميعا فقد تكافأت [صفحه ۲۶۵] الأمور واستوت الأسباب والرجوع إلى أصـل حكم الله من المواريث أولى بنـا وبكم وأوجب علينـا وعليكم . قـال فـإن قالوا كيف تظن به ظلمها والتعـدى عليها وكلما ازدادت عليه غلظـۀ ازداد لها لينا ورقـۀ حيث تقول له و الله لاأكلمك أبدا فيقول و الله لاأهجرك أبدا ثم تقول و الله لأدعون الله عليك فيقول و الله لأدعون الله لك ثم يحتمل منها هذاالكلام الغليظ والقول الشديد فى دار الخلافۀ وبحضـرۀ قريش والصـحابۀ مع حاجـۀ الخلافـۀ إلى البهـاء والتنزيه و مـايجب لها من الرفعـۀ والهيبـۀ ثم لم يمنعه ذلك أن قال معتـذرا متقربا كلام المعظم لحقها المكبر لمقامها والصائن لوجهها المتحنن عليها ماأحد أعز على منك فقرا و لاأحب إلى منك غنى ولكنى سمعت رسول الله ص يقول إنا معاشـر الأنبياء لانورث ماتركناه فهو صدقـۀ قيل لهم ليس ذلك بدليل على البراءۀ من الظلم والسـلامۀ من الجور و قـديبلغ من مكر الظـالم ودهـاء المـاكر إذا كان أريبا وللخصومـۀ معتادا أن يظهر كلام المظلوم وذلـۀ المنتصف وحـدب الوامق ومقـۀ المحق وكيف جعلتم ترك النكير حجـۀ قاطعـۀ ودلالۀ واضـحۀ و قدزعمتم أن عمر قال على منبره متعتان كانتا على عهـد رسول الله ص متعـۀ النساء ومتعۀ الحج أناأنهى عنهما وأعاقب عليهما فما وجدتم أحدا أنكر قوله و لااستشـنع مخرج نهيه و لاخطأه فى معناه و لاتعجب منه و لااسـتفهمه وكيف تقضون بترك النكير و قدشـهد عمر يوم السـقيفۀ و بعـد ذلك أن النبى ص قال الأئمۀ من قريش -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۳۸ ثم قال فى شـكاته لو كان سالم حيا ماتخالجنى فيه شك حين أظهر الشك فى اسـتحقاق كل واحد من السـتۀ الذين [صفحه ۲۶۶] جعلهم شورى وسـالم عبـدلامرأۀ من الأنصار وهى أعتقته وحازت ميراثه ثم لم ينكر ذلك من قوله منكر و لاقابل إنسان بين قوله و لاتعجب منه وإنما يكون ترك النكير على من لارغبـۀ و لارهبـۀ عنده دليلا على صـدق قوله وصواب عمله فأما ترك النكير على من يملك الضـعۀ والرفعـۀ والأمر والنهى والقتل والاسـتحياء والحبس والإطلاق فليس بحجۀ تشفى و لادلالۀ تضىء. قال و قال آخرون بل الدليل على صدق قولهما وصواب عملهما إمساك الصحابۀ عن خلعهمـا والخروج عليهمـا وهم الـذين وثبوا على عثمـان فى أيسـر من جحـد التنزيـل ورد النصوص و لو كـان كمـاتقولون و ماتصـفون ما كان سبيل الأمـۀ فيهما إلاكسبيلهم فيه وعثمان كان أعز نفرا وأشـرف رهطا وأكثر عددا وثروۀ وأقوى عدۀ.قلنا إنهما لم يجحـدا التنزيـل و لم ينكرا النصوص ولكنهما بعـدإقرارهما بحكم الميراث و ما عليه الظاهر من الشـريعۀ ادعيا روايـۀ وتحـدثا بحديث لم يكن محالا كونه و لاممتنعا فى حجج العقول مجيئه وشـهد لهما عليه من علته مثل علتهما فيه ولعل بعضـهم كان يرى

تصدیق الرجل إذا کان عدلا فی رهطه مأمونا فی ظاهره و لم یکن قبل ذلک عرفه بفجرة و لاجرت علیه غدرة فیکون تصدیقه له علی جهة حسن الظن وتعدیل الشاهد ولأنه لم یکن کثیر منهم یعرف حقائق الحجج و ألذی یقطع بشهادته علی الغیب و کان ذلک شبهة علی أکثرهم فلذلک قل النکیر وتواکل الناس فاشتبه الأمر فصار لایتخلص إلی معرفة حق ذلک من باطله إلاالعالم المتقدم أوالمؤید المرشد ولأنه لم یکن لعثمان فی صدور العوام وقلوب السفلة والطغام ما کان لهما من المحبة والهیبة ولأنهما کانا أقل استئثارا بالفیء وتفضلا بمال الله منه و من شأن الناس إهمال السلطان ماوفر علیهم أموالهم و لم یستأثر بخراجهم و لم یعطل ثغورهم ولأن ألذی صنع أبوبکر [صفحه ۲۶۷] من منع العترة حقها والعمومة میراثها قد کان موافقا لجلة قریش وکبراء العرب ولأن عثمان أیضا کان مضعوفا فی نفسه مستخفا بقدره لایمنع ضیما و لایقمع عدوا ولقد وثب ناس علی عثمان بالشتم والقذف والتشنیع والنکیر لأمور لوأتی أضعافها وبلغ أقصاها لمااجترءوا علی اغتیابه فضلا علی مبادأته والإغراء به ومواجهته کماأغلظ عیینة بن حصن له فقال له أماإنه لو کان عمر لقمعک ومنعک فقال عیینة إن عمر کان خیرا لی منک أرهبنی فاتقانی. ثم قال والعجب أناوجدنا جمیع من خالفنا فی المیراث علی اختلافهم فی التشبیه والقدر والوعید یرد کل صنف منهم من أحادیث مخالفیه وخصومه ما هوأقرب إسنادا وأصح رجالا وأحسن اتصالا حتی إذاصاروا إلی القول فی میراث النبی ص نسخوا الکتاب وخصوا الخبر العام بما لایدانی بعض ماردوه وأکذبوا قائلیه و ذلک أن کل إنسان منهم إنما یجری إلی هواه ویصدق ماوافق رضاه . هذاآخر کلام الجاحظ ثم قال المرتضی رضی الله عنه فإن قیل لیس ماعارض به الجاحظ من الاستدلال بترک النکیر و قوله کما لم ینکروا علی أبی بکر فلم ینکروا أیضا علی فاطمة ع و لا علی غیرها من الطالبین بالإرث کالأزواج وغیرهن معارضة صحیحة و ذلک أن نکیر أبی بکر لذلک ودفعها والاحتجاج علیها ویکفیهم ویغنیهم عن تکلف نکیر آخر و لم ینکر علی أبی بکر مارواه منکر فیستغنوا بإنکاره .قلنا أول مایبطل هذاالسؤال أن أبابکر لم ینکر علیها ماأقامت علیه بعد [صفحه ۲۶۸] احتجاجها من التظلم والتألم والتعنیف والتبکیت وقولها علی ماروی و الله لأدعون الله علیک و لاأکلمک أبدا و ماجری هذاالمجری فقد کان یجب أن ینکره غیره و من المنکر الغضب علی المنصف و بعد فإن کان إنکار أبی بکر مقنعا ومغنیا عن إنکار غیره من المسلمین فإنکار فاطمة حکمه ومقامها علی التظلم منه مغن عن نکیر غیرها و هذاواضح

الفصل الثالث فی أن فدک هل صح کونها نحلة رسول الله ص لفاطمة ع أم لا

نذکر فی هذاالفصل ماحکاه المرتضی عن قاضی القضاة فی المغنی و مااعترض به علیه ثم نذکر ماعندنا فی ذلک . قال المرتضی حاکیا عن قاضی القضاة ومما عظمت الشیعة القول فی أمر فدک قالوا و قدروی أبوسعید الخدری أنه لماأنزلت وَ آتِ ذَا القُربی حَقّهُأعطی رسول الله ص فاطمة ع فدک ثم فعل عمر بن عبدالعزیز مثل ذلک فردها علی ولدها قالوا و لاشک أن أبابکر أغضبها إن لم یصح کل ألذی روی فی هذاالباب و قد کان الأجمل أن یمنعهم التکرم مما ارتکبوا منها فضلا عن الدین ثم ذکروا أنها استشهدت أمیر المؤمنین ع وأم أیمن فلم یقبل شهادتهما هذا مع ترکه أزواج النبی ص فی حجرهن و لم یجعلها صدقة وصدقهن فی ذلک أن ذلک لهن و لم یصدقها. -قرآن-۲۲۸-۲۵۲ [صفحه ۲۶۹] قال والجواب عن ذلک أن أکثر مایروون فی هذاالباب غیرصحیح ولسنا ننکر صحة ماروی من ادعائها فدک فأما أنها کانت فی یدها فغیر مسلم بل إن کانت فی یدها لکان الظاهر أنها لها فإذاکانت فی جملة الترکة فالظاهر أنها میراث و إذا کان کذلک فغیر جائز لأبی بکر قبول دعواها لأنه لاخلاف فی أن العمل علی الدعوی لایجوز وإنما یعمل علی مثل ذلک إذاعلمت صحته بمشاهدة أو ماجری مجراها أوحصلت بینة أوإقرار ثم إن البینة لابد منها و إن أمیر المؤمنین ع لماخاصمه الیهودی حاکمه و أن أم سلمة التی یطبق علی فضلها لوادعت نحلا ماقبلت دعواها. ثم قال و لو کان أمیر المؤمنین ع هوالوالی و لم یعلم صحة هذه الدعوی ما ألذی کان یجب أن یعمل فإن

قلتم يقبل الدعوى فالشرع بخلاف ذلك و إن قلتم يلتمس البينة فهو ألذى فعله أبوبكر. ثم قال و أماقول أبى بكر رجل مع الرجل وامرأة مع المرأة فهو ألذى يوجبه الدين و لم يثبت أن الشاهد فى ذلك كان أمير المؤمنين ع بل الرواية المنقولة أنه شهد لها مولى لرسول الله ص مع أم أيمن . قال و ليس لأحد أن يقول فلما ذا ادعت و لابينة معها لأنه لايمتنع أن تجوز أن يحكم أبوبكر بالشاهد واليمين أوتجوز عندشهادة من شهد لها أن تذكر غيره فيشهد لا و هذا هوالموجب على ملتمس الحق و لاعيب عليها فى ذلك و لا على أبى بكر فى التماس البينة و إن لم يحكم لها لما لم يتم و لم يكن لها خصم لأن التركة صدقة على ماذكرنا و كان لايمكن أن يعول فى ذلك على يمين أونكول و لم يكن فى الأمر إلا مافعله قال و قدأنكر أبو على ماقاله السائل من أنها لماردت فى دعوى النحلة ادعته إرثا و قال بل كان طلبت الإرث قبل ذلك فلما سمعت منه الخبر كفت وادعت النحلة. [صفحه ٢٧٠] قال فأما فعل عمر بن عبدالعزيز فلم يثبت أنه رده على سبيل النحلة بل عمل فى ذلك ماعمله عمر بن الخطاب بأن أقره فى يد أمير المؤمنين ع ليصرف غلاتها فى المواضع التى كان يجعلها رسول الله ص فيه فقام بذلك مدة ثم ردها إلى عمر فى آخر سنته وكذلك فعل عمر بن عبدالعزيز و لوثبت أنه فعل بخلاف مافعل السلف لكان هوالمحجوج بفعلهم وقولهم وأحد مايقوى ماذكرناه أن الأمر لماانتهى إلى أمير المؤمنين ع ترك فدك على ما كان و لم يجعله ميراثا لولد فاطمة و هذايبين أن الشاهد كان غيره لأنه لو كان هوالشاهد لكان الأقرب أن يحكم بعلمه على أن الناس اختلفوا فى الهبة إذا لم تقبض فعند بعضهم تستحق بالعقد و عندبعضهم أنها إذا لم تقبض يصير وجودها كعدمها فلايمتنع من هذاالوجه أن يمتنع أمير المؤمنين ع من ردها و إن صح عنده عقد الهبة و هذا هوالظاهر لأن التسليم لو كان وقع لظهر أنه كان فى يدها ولكان ذلك كافيا فى الاستحقاق فأما حجر أزواج النبى ص فإنما تركت فى أيديهن لأنها كانت لهن ونص الكتاب يشهد بذلك و قوله وَ قَرنَ فِي بُيُوتِكُنّ وروى فى الأخبار أن النبى ص قسم ما كان له من الحجر على نسائه وبناته ويبين صحة ذلك أنه لو كان ميراثا أوصدقة لكان أمير المؤمنين ع لماأفضى الأمر إليه يغيره . قال و ليس لأحد أن يقول إنما لم يغير ذلك لأن الملك قدصار له فتبرع به و ذلك أن ألذى يحصل له ليس إلاربع ميراث فاطمة ع و هوالثمن من ميراث رسول الله ص فقد كان يجب أن ينتصف لأولاد العباس وأولاد فاطمة منهن فى باب الحجر ويأخذ هذاالحق منهن فتركه ذلك يدل على صحة ماقلناه و ليس يمكنهم بعد ذلك إلاالتعلق بالتقية و قدسبق الكلام فيها. -قرآن-٩٥٢-٩٧٥ [صفحه ٢٧١] قال ومما يذكرونه أن فاطمة ع لغضبها على أبى بكر وعمر أوصت ألا يصليا عليها و أن تدفن سرا منهما فدفنت ليلا و هذا كماادعوا رواية رووها عن جعفر بن محمد ع وغيره أن عمر ضرب فاطمة ع بالسوط وضرب الزبير بالسيف و أن عمر قصد منزلها و فيه على ع والزبير والمقداد وجماعة ممن تخلف عن أبى بكر وهم مجتمعون هناك فقال لها ماأحد بعدأبيك أحب إلينا منك وايم الله لئن اجتمع هؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم فمنعت القوم من الاجتماع . قال ونحن لانصدق هذه الروايات و لانجوزها و أماأمر الصلاة فقد روى أن أبابكر هو ألذى صلى على فاطمة ع وكبر عليها أربعا و هذاأحد مااستدل به كثير من الفقهاء فى التكبير على الميت و لايصح أيضا أنها دفنت ليلا و إن صح ذلك فقد دفن رسول الله ص ليلا ودفن عمر ابنه ليلا و قد كان أصحاب رسول الله ص يدفنون بالنهار ويدفنون بالليل فما فى هذامما يطعن به بل الأقرب فى النساء أن دفنهن ليلا أستر وأولى بالسنة. ثم حكى عن أبى على تكذيب ماروى من الضرب بالسوط قال والمروى عن جعفر بن محمد ع أنه كان يتولاهما ويأتى القبر فيسلم عليهما مع تسليمه على رسول الله ص روى ذلك عباد بن صهيب وشعبة بن الحجاج ومهدى بن هلال والدراوردى وغيرهم و قدروى عن أبيه محمد بن على ع و عن على بن الحسين مثل ذلك فكيف يصح ماادعوه وهل هذه الرواية إلاكروايتهم على أن على بن أبى طالب ع هوإسرافيل و الحسن ميكائيل و الحسين جبرائيل وفاطمة ملك الموت وآمنة أم النبى ص ليلة القدر فإن صدقوا ذلك أيضا قيل لهم فعمر بن الخطاب كيف يقدر على ضرب ملك الموت و إن قالوا لانصدق ذلك فقد جوزوا رد هذه الروايات وصح أنه لايجوز التعويل على هذاالخبر [صفحه

۲۷۲] وإنما يتعلق بـذلك من غرضه الإلحاد كالوراق و ابن الراونـدى لأن غرضـهم القدح فى الإسـلام . وحكى عن أبى على أنه قال و لم صار غضـبها إن ثبت كأنه غضب رسول الله ص من حيث قال فمن أغضـبها فقد أغضبنى -روايت-۱-۲-روايت-۸-۳۲ أولى من أن يقال فمن أغضب أبابكر وعمر فقد نافق وفارق الدين لأنه روى عنه ع قال حب أبى بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق -روايت-۱-۲-روايت-۸-۴۶ و من يورد مثل هذافقصـده الطعن فى الإسـلام و أن يتوهم الناس أن أصحاب النبى ص نافقوا مع مشاهـدة الأعلام ليضـعفوا دلالـة العلم فى النفوس . قال و أماحديث الإحراق فلو صح لم يكن طعنا على عمر لأن له أن يهدد من امتنع من المبايعة إرادة للخلاف على المسـلمين لكنه غيرثابت انتهى كلام قاضى القضاة. قال المرتضى نحن نبتدئ فندل على أن فاطمـة عماادعت من نحل فدك إلا ماكانت مصيبة فيه و إن مانعها ومطالبها بالبينة متعنت عادل عن الصواب لأنها لاتحتاج إلى شهادة وبينـة ثم نعطف على ماذكره على التفصـيل فنتكلم عليه . أما ألـذى يـدل على ماذكرناه فهو أنها كانت معصومة من الغلط مأمونا منها فعل القبيح و من هذه صفته لايحتاج فيما يدعيه إلى شهادة وبينة فإن قيل دللوا على الأمرين قلنا بيان الأول قوله تعالى إِنّما يُرِيـدُ اللّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرّجسَ أَهلَ البَيتِ وَ يُطَهّرَكُم تَطهِيراً والآيـة تتناول جماعة منهم فاطمة -قرآن-۷۲۸-۸۱۳ [صفحه ۲۷۳] ع بمـا تواترت الأخبار فى ذلك والإرادة هاهنا دلالـة على وقوع الفعل للمراد وأيضا فيـدل على ذلك قوله ع فاطمـة بضـعة منى مـن آذاهـا فقـد آذانى و مـن آذانى فقـد آذى الله عز و جـل -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۸۴ و هذايـدل على عصـمتها لأنها لوكانت ممن تقارف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذيا له على كل حال بل كان متى فعل المستحق من ذمها أوإقامة الحد عليها إن كان الفعل يقتضيه سارا له ومطيعا على أنا لانحتاج أن ننبه هـذاالموضع على الدلالة على عصـمتها بل يكفى فى هذاالموضع العلم بصـدقها فيما ادعته و هـذا لاخلاف فيه بين المسلمين لأن أحـدا لايشك أنها لم تـدع ماادعته كاذبـة و ليس بعـدألا تكون كاذبـة إلا أن تكون صادقـة وإنما اختلفوا فى هل يجب مع العلم بصـدقها تسـلم ماادعته بغير بينة أم لايجب ذلك قال ألذى يدل على الفصل الثانى أن البينـة إنما تراد ليغلب فى الظن صـدق المدعى أ لاترى أن العدالة معتبرة فى الشـهادات لماكانت مؤثرة فى غلبـة الظن لماذكرناه ولهـذا جاز أن يحكم الحاكم بعلمه من غيرشـهادة لأن علمه أقوى من الشـهادة ولهذا كان الإقرار أقوى من البينـة من حيث كان أغلب فى تأثير غلبـة الظن و إذاقدم الإقرار على الشـهادة لقوة الظن عنده فأولى أن يقدم العلم على الجميع و إذا لم يحتـج مـع الإقـرار إلى شـهادة لسـقوط حكم الضـعيف مع القـوى لايحتـاج أيضـا مـع العلم إلى مـايؤثر الظن من البينـات والشهادات . و ألذى يدل على صحة ماذكرناه أيضا أنه لاخلاف بين أهل النقل فى أن أعرابيا نازع النبى ص فى ناقة فقال ع هذه لى و قـدخرجت إليك من ثمنها فقال الأعرابى من يشـهد لك بـذلك فقال خزيمـة بن ثابت أناأشـهد بذلك فقال النبى ص من أين علمت و ماحضـرت ذلـك قـال لا ـ ولكن علمت ذلـك من حيث علمت أنك رسول الله فقال قـدأجزت شـهادتك وجعلتها شهادتين فسـمى ذا الشهادتين . [صفحه ۲۷۴] و هـذه القصـة شبيهـة لقصـة فاطمة ع لأن خزيمة اكتفى فى العلم بأن الناقة له ص وشـهد بذلك من حيث علم لأنه رسول الله ص و لا يقول إلاحقا وأمضـى النبى ص ذلك له من حيث لم يحضـر الابتياع وتسليم الثمن فقـد كـان يجب على من علم أن فاطمـة ع لاتقول إلاحقا ألا يسـتظهر عليها بطلب شـهادة أوبينـة هـذا و قـدروى أن أبابكر لماشـهد أمير المؤمنين ع كتب بتسليم فدك إليها فاعترض عمر قضيته وخرق ماكتبه . روى ابراهيم بن السعيد الثقفى عن ابراهيم بن ميمون قال حدثناعيسـى بن عبـد الله بن محمـد بن على بن أبى طالب ع عن أبيه عن جده عن على ع قال جاءت فاطمة ع إلى أبى بكر وقـالت إن أبى أعطـانى فـدك و على وأم أيمن يشـهدان فقـال مـاكنت لتقولى على أبيـك إلا الحق قـدأعطيتكها ودعا بصحيفة من أدم فكتب لها فيهافخرجت فلقيت عمر فقال من أين جئت يافاطمة قالت جئت من عند أبى بكر أخبرته أن رسول الله ص أعطانى فـدك و أن عليا وأم أيمن يشـهدان لى بـذلك فأعطانيها وكتب لى بهافأخذ عمر منها الكتاب ثم رجع إلى أبى بكر فقـال أعطيت فاطمـة فـدك وكتبت بهالها قال نعم فقال إن عليا يجر إلى نفسه وأم أيمن امرأة وبصق فى الكتاب فمحاه وخرقه -

روایت-۱-۲-روایت-۱۵۷-۶۶۱ . و قدروی هذاالمعنی من طرق مختلفهٔ علی وجوه مختلفهٔ فمن أراد الوقوف علیها واستقصاءها أخذها من مواضعها. و لیس لهم أن یقولوا إنها أخبار آحاد لأنها و إن كانت كذلك فأقل أحوالها أن توجب الظن وتمنع من القطع علی خلاف معناها و لیس لهم أن یقولوا كیف یسلم إلیها [صفحه ۲۷۵] فدك و هویروی عن الرسول أن ماخلفه صدقهٔ و ذلك لأنه لاتنافی بین الأمرین لأنه إنما سلمها علی ماوردت به الروایهٔ علی سبیل النحل فلما وقعت المطالبهٔ بالمیراث روی الخبر فی معنی المیراث فلااختلاف بین الأمرین .فأما إنكار صاحب الكتاب لكون فدك فی یدها فما رأیناه اعتمد فی إنكار ذلك علی حجهٔ بل قال لو كان ذلك فی یدها لكان الظاهر أنها لها والأمر علی ما قال فمن أین أنه لم یخرج عن یدها علی وجه یقتضی الظاهر خلافه و قدروی من طرق مختلفهٔ غیرطریق أبی سعید ألذی ذكره صاحب الكتاب أنه لمانزل قوله تعالی وَ آتِ ذَا القُربی حَقّهُ‌دعا النبی ص فاطمهٔ ع فأعطاها فدك و إذا كان ذلك مرویا فلامعنی لدفعه بغیر حجهٔ. و قوله لاخلاف أن العمل علی الدعوی لایجوز صحیح و قدبینا أن قولها كان معلوما صحته وإنما قوله إنما یعمل علی ذلك متی علم صحته بشهادهٔ أو مایجری مجراها أوحصلت بینهٔ أوإقرار فیقال له إما علمت بمشاهدهٔ فلم یكن هناك وإما بینهٔ فقد كانت علی الحقیقهٔ لأن شهادهٔ أمیر المؤمنین ع من أكبر البینات وأعدلها ولكن علی مذهبك أنه لم تكن هناك بینهٔ فمن أین زعمت أنه لم یكن هناك علم و إن لم یكن عن مشاهدهٔ فقد أدخلت ذلك فی جملهٔ الأقسام . فإن قال لأن قولها بمجرده لا یكون جههٔ للعلم قیل له لم قلت ذلك أو لیس قددللنا علی أنها معصومهٔ و أن الخطأ مأمون علیها ثم لو لم یكن كذلك لكان قولها فی تلك القضیهٔ معلوما صحته علی كل حال لأنها لو لم تكن مصیبهٔ لكانت مبطلهٔ عاصیهٔ فیما ادعته إذ الشبههٔ لاتدخل فی مثله و قدأجمعت الأمهٔ علی أنها لم یظهر منها بعد -قرآن-۵۲۹-۵۵۳ [صفحه ۲۷۶] رسول الله ص معصیهٔ بلا شك وارتیاب بل أجمعوا علی أنها لم تدع إلاالصحیح و إن اختلفوا فمن قائل یقول مانعها مخطئ وآخر یقول هوأیضا مصیب لفقد البینهٔ و إن علم صدقها. و أما قوله إنه لوحاكم غیره لطولب بالبینهٔ فقد تقدم فی هذاالمعنی مایكفی وقصهٔ خزیمهٔ بن ثابت وقبول شهادته تبطل هذاالكلام . و أما قوله إن أمیر المؤمنین ع حاكم یهودیا علی الوجه الواجب فی سائر الناس فقد روی ذلك إلا أن أمیر المؤمنین لم یفعل من ذلك ما كان یجب علیه أن یفعله وإنما تبرع به واستظهر بإقامهٔ الحجهٔ فیه و قدأخطأ من طالبه ببینهٔ كائنا من كان فأما اعتراضه بأم سلمهٔ فلم یثبت من عصمتها ماثبت من عصمهٔ فاطمهٔ ع فلذلك احتاجت فی دعواها إلی بینهٔ فأما إنكاره وادعاؤه أنه لم یثبت أن الشاهد فی ذلك كان أمیر المؤمنین فلم یزد فی ذلك إلامجرد الدعوی والإنكار والأخبار مستفیضهٔ بأنه ع شهد لها فدفع ذلك بالزیغ لایغنی شیئا و قوله إن الشاهد لها مولی لرسول الله ص هوالمنكر ألذی لیس بمعروف . و أما قوله إنها جوزت أن یحكم أبوبكر بالشاهد والیمین فطریف مع قوله فیما بعد إن التركهٔ صدقهٔ و لاخصم فیهافتدخل الیمین فی مثلها أفتری أن فاطمهٔ لم تكن تعلم من الشریعهٔ هذاالمقدار ألذی نبه صاحب الكتاب علیه و لو لم تعلمه ما كان أمیر المؤمنین ع و هوأعلم الناس بالشریعهٔ یوافقها علیه . و قوله إنها جوزت عندشهادهٔ من شهد لها أن یتذكر غیرهم فیشهد باطل لأن مثلها لایتعرض للظنهٔ والتهمهٔ ویعرض قوله للرد و قد كان یجب أن تعلم من یشهد لها [صفحه ۲۷۷] ممن لایشهد حتی تكون دعواها علی الوجه ألذی یجب معه القبول والإمضاء و من هودونها فی الرتبهٔ والجلالهٔ والصیانهٔ من أفناء الناس لایتعرض لمثل هذه الخطهٔ ویتورطها للتجویز ألذی لاأصل له و لاأمارهٔ علیه .فأما إنكار أبی علی لأن یكون النحل قبل ادعاء المیراث وعكسه الأمر فیه فأول ما فیه أنا لانعرف له غرضا صحیحا فی إنكار ذلك لأن كون أحد الأمرین قبل الآخر لایصحح له مذهبا فلایفسد علی مخالفه مذهبا. ثم إن الأمر فی أن الكلام فی النحل كان المتقدم ظاهرا والروایات كلها به واردهٔ وكیف یجوز أن تبتدئ بطلب المیراث فیما تدعیه بعینه نحلا أ و لیس هذایوجب أن تكون قدطالبت بحقها من وجه لاتستحقه منه مع الاختیار وكیف یجوز ذلك والمیراث یشركها فیه غیرها والنحل تنفرد به و لاینقلب مثل ذلك علینا من حیث طالبت بالمیراث بعدالنحل لأنها فی الابتداء طالبت بالنحل و هوالوجه ألذی تستحق

فـدک منه فلما دفعت عنه طالبت ضـرورة بالميراث لأن للمـدفوع عن حقه أن يتوصل إلى تناوله بكل وجه وسـبب و هذابخلاف قول أبى على لأـنه أضـاف إليهـا ادعـاء الحق من وجه لاتسـتحقه منه وهى مختـارة. و أماإنكـاره أن يكون عمر بن عبـدالعزيز رد فـدک على وجه النحل وادعاؤه أنه فعل فى ذلک مافعله عمر بن الخطاب من إقرارها فى يد أمير المؤمنين ع ليصـرف غلاتها فى وجوههـا فـأول ما فيه أنا لانحتـج عليه بفعل عمر بن عبـدالعزيز على أى وجه وقع لأن فعله ليس بحجـة و لوأردنا الاحتجاج بهـذا الجنس من الحجـج لـذكرنا فعل المأمون فإنه رد فـدک بعـد أن جلس مجلسا مشـهورا حكم فيه بين خصـمين نصـبهما أحـدهما لفاطمة والآخر لأبى بكر وردها بعدقيام الحجة ووضوح الأمر [صـفحه ٢٧٨] و مع ذلک فإنه قـدأنكر من فعل عمر بن عبدالعزيز ما هومعروف مشـهور بلا خلاف بين أهل النقل فيه و قدروى محمد بن زكريا الغلابى عن شيوخه عن أبى المقدام هشام بن زياد مولى آل عثمان قال لماولى عمر بن عبدالعزيز رد فدک على ولد فاطمة وكتب إلى واليه على المدينة أبى بكر بن عمرو بن حزم يأمره بـذلک فكتب إليه إن فاطمـة قدولـدت فى آل عثمان وآل فلان وفلان فعلى من أرد منهم فكتب إليه أما بعـدفإنى لوكتبت إليـک آمرک أن تذبـح شـاة لكتبت إلى أجمـاء أم قرنـاء أوكتبت إليـک أن تذبـح بقرة لسـألتنى مالونهـا فإذاورد عليک كتابى هذافاقسـمها فى ولـد فاطمـة ع من على ع و السـلام . قـال أبوالمقـدام فنقمت بنو أميـة ذلک على عمر بن عبـدالعزيز وعاتبوه فيه وقالوا له هجنت فعل الشيخين وخرج إليه عمر بن قيس فى جماعة من أهل الكوفة فلما عاتبوه على فعله قال إنكم جهلتم وعلمت ونسيتم وذكرت إن أبابكر محمـد بن عمرو بن حزم حـدثنى عن أبيه عن جده أن رسول الله ص قال فاطمة بضـعة منى يسـخطها مايسخطنى ويرضينى ماأرضاها -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٧٨ و إن فـدک كان صافيـة على عهـد أبى بكر وعمر ثم صار أمرها إلى مروان فوهبها لعبد العزيز أبى فورثتها أنا وإخوتى عنه فسألتهم أن يبيعونى حصتهم منها فمن بائع وواهب حتى استجمعت لى فرأيت أن أردها على ولـد فاطمـة قالوا فإن أبيت إلا هذافأمسک الأصل واقسم الغلة ففعل . و أما ماذكره من ترک أمير المؤمنين ع فـدک لماأفضـى الأمر إليه واسـتدلاله بـذلک على أنه لم يكن الشاهـد فيهافالوجه فى تركه ع رد فـدک هوالوجه فى إقراره [صفحه ٢٧٩] أحكـام القوم وكفه عن نقضـها وتغييرهـا و قـدبينا ذلک فيما سبق وذكرنا أنه كان فى انتهاء الأمر إليه فى بقيـة من التقيـة قوية.فأما اسـتدلاله على أن حجر أزواج النبى ص كانت لهن بقوله تعالى وَ قَرنَ فِی بُیُوتِکُنّفمن عجيب الاسـتدلال لأن هذه الإضافـة لاتقتضـى الملک بل العادة جارية فيها أن تستعمل من جهة السـكنى ولهذا يقال هذابيت فلان ومسـكنه و لايراد بذلک الملک و قد قال تعالى لا تُخرِجُوهُنّ مِن بُیُوتِهِنّ وَ لا یَخرُجنَ إِلّا أَن یَأتِینَ بِفاحِشَةٍ مُبَیّنَةٍ و لاشبهة فى أنه تعالى أراد منازل الرجال التى يسـكنون فيهازوجـاتهم و لم يرد بهـذه الإضافـة الملـک .فأما مارواه من أن رسول الله ص قسم حجره على نسائه وبناته فمن أين له إذا كـان الخبر صـحيحا أن هـذه القسـمة على وجه التمليک دون الإسـكان والإنزال و لو كان قـدملكهن ذلک لوجب أن يكون ظـاهرا مشـهورا.فأما الوجه فى ترک أمير المؤمنين لماصـار الأمر إليه فى يـده منازعـة الأزواج فى هـذه الحجر فهو ماتقـدم وتكرر. و أما قوله إن أبابكر هو ألـذى صـلى على فاطمـة وكبر أربعا و إن كثيرا من الفقهاء يسـتدلون به فى التكبير على الميت و هو شـىء ماسـمع إلا منه و إن كان تلقاه عن غيره فممن يجرى مجراه فى العصبيـة و إلاقالروايات المشـهورة وكتب الآثار والسـير خاليـة من ذلک و لم يختلف أهل النقل فى أن عليا ع هو ألـذى صـلى على فاطمـة إلاروايـة نادرة شاذة وردت بأن العباس رحمه الله صـلى عليهـا. وروى الواقـدى بإسـناده فى تـاريخه عن الزهرى قـال سـألت ابن عبـاس -قرآن-١٩٢-٢١٥-قرآن-٣٩١-٤٧٧ [صفحه ٢٨٠] متى دفنتم فاطمة ع قال دفناها بليل بعدهدأة قال قلت فمن صلى عليها قال على . وروى الطبرى عن الحارث بن أبى أسامـة عن المـدائنى عن أبى زكريـا العجلانـى أن فاطمـة ع عمل لها نعش قبل وفاتها فنظرت إليه فقالت سترتمونى ستركما الله . قال أبو جعفر محمد بن جرير والثبت فى ذلک أنها زينب لأن فاطمة دفنت ليلا و لم يحضـرها إلا على والعباس والمقداد والزبير. وروى القاضـى أبوبكر أحمـد بن كامـل بإسـناده فى تاريخه عن الزهرى قال حـدثنى عروة بن الزبير أن عائشـة أخبرته أن فاطمة

عاشت بعد رسول الله ص ستة أشهر فلما توفيت دفنها على ليلا وصلى عليها وذكر فى كتابه هذا أن عليا و الحسن و الحسين ع دفنوها ليلا وغيبوا قبرها. وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن فاطمة دفنت ليلا. وروى عبد الله بن أبى شيبة عن يحيى بن سعيد القطان عن معمر عن الزهرى مثل ذلك . و قال البلاذرى فى تاريخه إن فاطمة ع لم تر متبسمة بعدوفاة النبى ص و لم يعلم أبوبكر وعمر بموتها. والأمر فى هذاأوضح وأشهر من أن نطنب فى الاستشهاد عليه ونذكر الروايات فيه [صفحه ٢٨١] فأما قوله و لايصح أنها دفنت ليلا ـ و إن صح فقد دفن فلان وفلان ليلا فقد بينا أن دفنها ليلا فى الصحة أظهر من الشمس و أن منكر ذلك كالدافع للمشاهدات و لم يجعل دفنها ليلا بمجرده هوالحجة ليقال لقد دفن فلان وفلان ليلا بل يقع الاحتجاج بذلك على ماوردت به الروايات المستفيضة الظاهرة التى هى كالتواتر أنها أوصت بأن تدفن ليلا حتى لايصلى الرجلان عليها وصرحت بذلك وعهدت فيه عهدا بعد أن كانا استأذنا عليها فى مرضها ليعوداها فأبت أن تأذن لهما فلما طالت عليهما المدافعة رغبا إلى أمير المؤمنين ع فى أن يستأذن لهما وجعلاها حاجة إليه وكلمها ع فى ذلك وألح عليها فأذنت لهما فى الدخول ثم أعرضت عنهما عنددخولهما و لم تكلمهما فلما خرجا قالت لأمير المؤمنين ع هل صنعت ماأردت قال نعم قالت فهل أنت صانع ماآمرك به قال نعم قالت فإنى أنشدك الله ألا يصليا على جنازتى و لايقوما على قبرى. وروى أنه عفى قبرها وعلم عليه ورش أربعين قبرا فى البقيع و لم يرش قبرها حتى لايهتدى إليه وأنهما عاتباه على ترك إعلامهما بشأنها وإحضارهما الصلاة عليها فمن هاهنا احتججنا بالدفن ليلا و لو كان ليس غيرالدفن بالليل من غير ماتقدم عليه و ماتأخر عنه لم يكن فيه حجة. و أماحكايته عن أبى على إنكار ضرب الرجل لها و قوله إن جعفر بن محمد وأباه وجده كانوا يتولونهما فكيف لاينكر أبو على ذلك واعتقاده فيهما اعتقاده و قدكنا نظن أن مخالفينا يقتنعون أن ينسبوا إلى أئمتنا الكف عن القوم والإمساك و ماظننا أنهم يحملون أنفسهم على أن ينسبوا إليهم الثناء والولاء [صفحه ٢٨٢] و قدعلم كل أحد أن أصحاب هؤلاء السادة المختصين بهم قدرووا عنهم ضد ماروى شعبة بن الحجاج وفلان وفلان وقولهم هما أول من ظلمنا حقنا وحمل الناس على رقابنا وقولهم أنهما أصفيا بإنائنا واضطجعا بسبلنا وجلسا مجلسا نحن أحق به منهما إلى غير ذلك من فنون التظلم والشكاية و هوطويل متسع و من أراد استقصاء ذلك فلينظر فى كتاب المعرفة لأبى إسحاق ابراهيم بن سعيد الثقفى فإنه قدذكر عن رجل من أهل البيت بالأسانيد النيرة ما لازيادة عليه ثم لوصح ماذكره شعبة لجاز أن يحمل على التقية. و أماذكره إسرافيل وميكائيل فما كنا نظن أن مثله يذكر ذلك و هذا من أقوال الغلاة الذين ضلوا فى أمير المؤمنين ع و أهل البيت وليسوا من الشيعة و لا ـ من المسلمين فأى عيب علينا فيما يقولونه ثم إن جماعة من مخالفينا قدغلوا فى أبى بكر وعمر ورووا روايات مختلفة فيهما تجرى مجرى ماذكره فى الشناعة و لايلزم العقلاء وذوى الألباب من المخالفين عيب من ذلك . و أمامعارضة ماروى فى فاطمة ع بما روى فى أن حبهما إيمان وبغضهما نفاق فالخبر ألذى رويناه مجمع عليه والخبر الآخر مطعون فيه فكيف يعارض ذلك بهذا. و أما قوله إنما قصد من يورد هذه الأخبار تضعيف دلالة الأعلام فى النفوس من حيث أضاف النفاق إلى من شاهدها فتشنيع فى غيرموضعه واستناد إلى ما لايجدى نفعا لأن من شاهد الأعلام لايضعفها و لايوهن دليلها و لايقدح فى كونها حجة لأن الأعلام ليست ملجئة إلى العلم و لاموجبة لحصوله على كل حال وإنما تثمر العلم لمن أمعن النظر فيها من الوجه ألذى تدل منه فمن عدل عن ذلك لسوء اختياره لا يكون [صفحه ٢٨٣] عدوله مؤثرا فى دلالتها فكم قدعدل من العقلاء وذوى الأحلام الراجحة والألباب الصحيحة عن تأمل هذه الأعلام وإصابة الحق منها و لم يكن ذلك عندنا و عندصاحب الكتاب قادحا فى دلالة الأعلام على أن هذاالقول يوجب أن ينفى الشك والنفاق عن كل من صحب النبى ص وعاصره وشاهد أعلامه كأبى سفيان وابنه وعمرو بن العاص وفلان وفلان ممن قداشتهر نفاقهم وظهر شكهم فى الدين وارتيابهم باتفاق بيننا وبينه و إن كانت إضافة النفاق إلى هؤلاء لاتقدح فى دلالة الأعلام فكذلك القول فى غيرهم .فأما قوله إن حديث الإحراق لم يصح و لوصح لساغ لعمر مثل ذلك

فقد بينا أن خبر الإحراق قدرواه غيرالشيعة. و قوله إنه يسوغ مثل ذلك فكيف يسوغ إحراق بيت على وفاطمة ع وهل فى ذلك عذر يصغى إليه أويسمع وإنما يكون على وأصحابه خارقين للإجماع ومخالفين للمسلمين لو كان الإجماع قدتقرر وثبت و ليس بمتقرر و لاثابت مع خلاف على وحده فضلا عن أن يوافقه على ذلك غيره و بعد فلافرق بين أن يهدد بالإحراق لهذه العلة و بين أن يضرب فاطمة ع لمثلها فإن إحراق المنازل أعظم من ضرب سوط أوسوطين فلاوجه لامتعاض المخالف من حديث الضرب إذا كان عنده مثل هذاالاعتذار قلت أماالكلام فى عصمة فاطمة ع فهو بفن الكلام أشبه وللقول فيه موضع غير هذا. و أماقول المرتضى إذاكانت صادقة لم يبق حاجة إلى من يشهد لها فلقائل أن [صفحه ۲۸۴] يقول لم قلت ذلك و لم زعمت أن الحاجة إلى البينة إنما كانت لزيادة غلبة الظن و لم لايجوز أن يكون الله تعالى يعبد بالبينة لمصلحة يعلمها و إن كان المدعى لايكذب أ ليس قدتعبد الله تعالى بالعدة فى العجوز التى قدأيست من الحمل و إن كان أصل وضعها لاستبراء الرحم . و أماقصة خزيمة بن ثابت فيجوز أن يكون الله تعالى قدعلم أن مصلحة المكلفين فى تلك الصورة أن يكتفى بدعوى النبى ص وحدها ويستغنى فيها عن الشهادة. و لايمتنع أن يكون غيرتلك الصورة مخالفا لها و إن كان المدعى لايكذب ويبين ذلك أن مذهب المرتضى جواز ظهور خوارق العادات على أيدى الأئمة والصالحين و لوقدرنا أن واحدا من أهل الصلاح والخير ادعى دعوى و قال بحضرة جماعة من الناس من جملتهم القاضى أللهم إن كنت صادقا فأظهر على معجزة خارقة للعادة فظهرت عليه لعلمنا أنه صادق و مع ذلك لاتقبل دعواه إلابالبينة. وسألت على بن الفارقى مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له أكانت فاطمة صادقة قال نعم قلت فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدك وهى عنده صادقة فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسنا مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته قال لوأعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه و لم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشىء لأنه يكون قدأسجل على نفسه أنها صادقة فيهاتدعى كائنا ما كان من غيرحاجة إلى بينة و لاشهود و هذاكلام صحيح و إن كان أخرجه مخرج الدعابة والهزل .فأما قول قاضى القضاة لو كان فى يدها لكان الظاهر أنها لها واعتراض المرتضى عليه بقوله إنه لم يعتمد فى إنكار ذلك على حجة بل قال لوكانت فى يدها لكان الظاهر إنها لها والأمر على ما قال فمن أين أنها لم تخرج عن يدها على وجه كما أن الظاهر [صفحه ۲۸۵] يقتضى خلافه فإنه لم يجب عما ذكره قاضى القضاة لأن معنى قوله إنها لوكانت فى يدها أى متصرفة فيهالكانت اليد حجة فى الملكية لأن اليد والتصرف حجة لامحالة فلو كانت فى يدها تتصرف فيها و فى ارتفاقها كمايتصرف الناس فى ضياعهم وأملاكهم لمااحتاجت إلى الاحتجاج بآية الميراث و لابدعوى النحل لأن اليد حجة فهلا قالت لأبى بكر هذه الأرض فى يدى و لايجوز انتزاعها منى إلابحجة وحينئذ كان يسقط احتجاج أبى بكر بقوله نحن معاشر الأنبياء لانورث لأنها ماتكون قدادعتها ميراثا ليحتج عليها بالخبر وخبر أبى سعيد فى قوله فأعطاها فدك يدل على الهبة لا على القبض والتصرف ولأنه يقال أعطانى فلان كذا فلم أقبضه و لو كان الإعطاء هوالقبض والتصرف لكان هذاالكلام متناقضا.فأما تعجب المرتضى من قول أبى على إن دعوى الإرث كانت متقدمة على دعوى النحل و قوله إنا لانعرف له غرضا فى ذلك فإنه لايصح له بذلك مذهب و لايبطل على مخالفيه مذهب فإن المرتضى لم يقف على مراد الشيخ أبى على فى ذلك و هذا شىءيرجع إلى أصول الفقه فإن أصحابنا استدلوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد بإجماع الصحابة لأنهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَولادِكُم -قرآن-۱۰۵۳-۱۰۸۴ برواية أبى بكر عن النبى ص لانورث ماتركناه صدقة -روايت-۱-۲-روايت-۳۱-۵۵ قالوا والصحيح فى الخبر أن فاطمة ع طالبت بعد ذلك بالنحل لابالميراث فلهذا قال الشيخ أبو على إن دعوى الميراث تقدمت على دعوى النحل و ذلك لأنه ثبت أن فاطمة انصرفت عن ذلك المجلس غيرراضية و لاموافقة لأبى بكر فلو كانت دعوى الإرث متأخرة وانصرفت عن سخط لم يثبت الإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد أما إذاكانت دعوى الإرث متقدمة فلما روى لها الخبر أمسكت وانتقلت إلى النزاع من جهة أخرى فإنه يصح حينئذ

الاستدلال بالإجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد. [صفحه ۲۸۶] فأما أنا فإن الأخبار عندى متعارضة يدل بعضها على أن دعوى الإرث متأخرة ويدل بعضها على أنها متقدمة و أنا فى هذاالموضع متوقف . و ماذكره المرتضى من أن الحال تقتضى أن تكون البداية بدعوى النحل فصحيح و أماإخفاء القبر وكتمان الموت وعدم الصلاة و كل ماذكره المرتضى فيه فهو ألذى يظهر ويقوى عندى لأن الروايات به أكثر وأصح من غيرها وكذلك القول فى موجدتها وغضبها فأما المنقول عن رجال أهل البيت فإنه يختلف فتارة وتارة و على كل حال فميل أهل البيت إلى ما فيه نصرة أبيهم وبيتهم . و قدأخل قاضى القضاة بلفظة حكاها عن الشيعة فلم يتكلم عليها وهى لفظة جيدة قال قد كان الأجمل أن يمنعهم التكرم مما ارتكبا منها فضلا عن الدين و هذاالكلام لاجواب عنه ولقد كان التكرم ورعاية حق رسول الله ص وحفظ عهده يقتضى أن تعوض ابنته بشىء يرضيها إن لم يستنزل المسلمون عن فدك وتسلم إليها تطييبا لقلبها و قديسوغ للإمام أن يفعل ذلك من غيرمشاورة المسلمين إذارأى المصلحة فيه و قد بعدالعهد الآن بيننا وبينهم و لانعلم حقيقة ما كان و إلى الله نرجع الأمور وَ لَو شِئتُ لَاهتَدَيتُ الطّرِيقَ إِلَى مُصَفّى هَذَا العَسَلِ وَ لُبَابِ هَذَا القَمحِ وَ نَسَائِجِ هَذَا القَزّ وَ لَكِن هَيهَاتَ أَن يغَلبِنَيِ هوَاَيَ وَ يقَوُدنَيِ جشَعَيِ إِلَى تَخَيّرِ الأَطعِمَةِ وَ لَعَلّ بِالحِجَازِ أَو بِاليَمَامَةِ مَن لَا طَمَعَ لَهُ فِي القُرصِ وَ لَا عَهدَ لَهُ بِالشّبَعِ أَو أَبِيتَ مِبطَاناً وَ حَولِي بُطُونٌ غَرثَى وَ أَكبَادٌ حَرّى أَو أَكُونَ كَمَا قَالَ القَائِلُ وَ حَسبُكَ عَاراً أَن تَبِيتَ بِبِطنَةٍ || وَ حَولَكَ أَكبَادٌ تَحِنّ إِلَى القِدّ [صفحه ۲۸۷] أَ أَقنَعُ مِن نفَسيِ بِأَن يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ المُؤمِنِينَ وَ لَا أُشَارِكُهُم فِي مَكَارِهِ الدّهرِ أَو أَكُونَ أُسوَةً لَهُم فِي جُشُوبَةِ العَيشِ فَمَا خُلِقتُ لِيَشغَلَنِي أَكلُ الطّيّبَاتِ كَالبَهِيمَةِ المَربُوطَةِ هَمّهَا عَلَفُهَا أَوِ المُرسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمّمُهَا تَكتَرِشُ مِن أَعلَافِهَا وَ تَلهُو عَمّا يُرَادُ بِهَا أَو أُترَكَ سُدًى أَو أُهمَلَ عَابِثاً أَو أَجُرّ حَبلَ الضّلَالَةِ أَو أَعتَسِفَ طَرِيقَ المَتَاهَةِ قدروى و لوشئت لاهتديت إلى هذاالعسل المصفى ولباب هذاالبر المنقى فضربت هذابذاك حتى ينضج وقودا ويستحكم معقودا. و روى ولعل بالمدينة يتيما تربا يتضور سغبا أأبيت مبطانا وحولى بطون غرثى إذن يحضرنى يوم القيامة وهم من ذكر وأنثى -روايت-۱-۲-روايت-۷-۱۲۲ . وروى بطون غرثى بإضافة بطون إلى غرثى . والقمح الحنطة. والجشع أشد الحرص . والمبطان ألذى لايزال عظيم البطن من كثرة الأكل فأما المبطن فالضامر البطن و أماالبطين فالعظيم البطن لا من الأكل و أماالبطن فهو ألذى لايهمه إلابطنه و أماالمبطون فالعليل البطن وبطون غرثى جائعة والبطنة الكظة و ذلك أن يمتلئ الإنسان من الطعام امتلاء شديدا و كان يقال ينبغى للإنسان أن يجعل وعاء بطنه أثلاثا فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس . [صفحه ۲۸۸] والتقمم أكل الشاة ما بين يديها بمقمتها أى بشفتها و كل ذى ظلف كالثور وغيره فهو ذو مقمة. وتكترش من أعلافها تملأ كرشها من العلف . قوله أوأجر حبل الضلالة منصوب بالعطف على يشغلنى وكذلك أترك ويقال أجررته رسنه إذاأهملته . والاعتساف السلوك فى غيرطريق واضح . والمتاهة الأرض يتاه فيها أى يتحير. و فى قوله لوشئت لاهتديت شبه من قول عمر لونشاء لملأنا هذاالرحاب من صلائق وصناب و قدذكرناه فيما تقدم . و هذاالبيت من أبيات منسوبة إلى حاتم بن عبد الله الطائى الجواد وأولها أيا ابنة عبد الله وابنة مالك || و ياابنة ذى الجدين والفرس الورد إذا ماصنعت الزاد فالتمسى له || أكيلا فإنى لست آكله وحدى قصيا بعيدا أوقريبا فإننى || أخاف مذمات الأحاديث من بعدى كفى بك عارا أن تبيت ببطنة || وحولك أكباد تحن إلى القد وإنى لعبد الضيف مادام نازلا || و ما من خلالى غيرها شيمة العبد . [صفحه ۲۸۹] وَ كَأَنّي بِقَائِلِكُم يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا قُوتَ ابنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَد قَعَدَ بِهِ الضّعفُ عَن قِتَالِ الأَقرَانِ وَ مُنَازَلَةِ الشّجعَانِ أَلَا وَ إِنّ الشّجَرَةَ البَرّيّةَ أَصلَبُ عُوداً وَ الرّوَاتِعَ الخَضِرَةَ أَرَقّ جُلُوداً وَ النّابِتَاتِ العِذيَةَ أَقوَى وَقُوداً وَ أَبطَأُ خُمُوداً. وَ أَنَا مِن رَسُولِ اللّهِ كَالضّوءِ مِنَ الضّوءِ وَ الذّرَاعِ مِنَ العَضُدِ وَ اللّهِ لَو تَظَاهَرَتِ العَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلّيتُ عَنهَا وَ لَو أَمكَنَتِ الفُرَصُ مِن رِقَابِهَا لَسَارَعتُ إِلَيهَا وَ سَأَجهَدُ فِي أَن أُطَهّرَ الأَرضَ مِن هَذَا الشّخصِ المَعكُوسِ وَ الجِسمِ المَركُوسِ حَتّى تَخرُجَ المَدَرَةُ مِن بَينِ حَبّ الحَصِيدِ الشجرة البرية التى تنبت فى البر ألذى لاماء فيه فهى أصلب عودا من الشجرة التى تنبت فى الأرض الندية و إليه وقعت الإشارة بقوله والرواتع الخضرة أرق

جلودا. ثم قال والنابتات العذية التى تنبت عذيا والعذى بسكون الذال الزرع لايسقيه إلاماء المطر و هو يكون أقل أخذا من الماء من النبت سقيا قال ع إنها تكون أقوى وقودا مما يشرب الماء السائح أوماء الناضح وأبطأ خمودا و ذلك لصلابة جرمها. ثم قال و أنا من رسول الله ص كالضوء من الضوء والذراع من العضد [صفحه ۲۹۰] و ذلك لأن الضوء الأول يكون علة فى الضوء الثانى أ لاترى أن الهواء المقابل للشمس يصير مضيئا من الشمس فهذا الضوء هوالضوء الأول ثم إنه يقابل وجه الأرض فيضىء وجه الأرض منه فالضوء ألذى على وجه الأرض هوالضوء الثانى و مادام الضوء الأول ضعيفا فالضوء الثانى ضعيف فإذاازداد الجو إضاءة ازداد وجه الأرض إضاءة لأن المعلول يتبع العلة فشبه ع نفسه بالضوء الثانى وشبه رسول الله ص بالضوء الأول وشبه منبع الأضواء والأنوار سبحانه وجلت أسماؤه بالشمس التى توجب الضوء الأول ثم الضوء الأول يوجب الضوء الثانى وهاهنا نكتة وهى أن الضوء الثانى يكون أيضا علة لضوء ثالث و ذلك أن الضوء الحاصل على وجه الأرض و هوالضوء الثانى إذاأشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريبا منه مكان مظلم فإن ذلك المكان يصير مضيئا بعد أن كان مظلما و إن كان لذلك المكان المظلم باب و كان داخل البيت مقابل ذلك الباب جدار كان ذلك الجدار أشد إضاءة من باقى البيت ثم ذلك الجدار إن كان فيه ثقب إلى موضع آخر كان مايحاذى ذلك البيت أشد إضاءة مما حواليه وهكذا لاتزال الأضواء يوجب بعضها بعضا على وجه الانعكاس بطريق العلية وبشرط المقابلة و لاتزال تضعف درجة درجة إلى أن تضمحل ويعود الأمر إلى الظلمة وهكذا عالم العلوم والحكم المأخوذة من أمير المؤمنين ع لاتزال تضعف كماانتقلت من قوم إلى قوم إلى أن يعود الإسلام غريبا كمابدأ بموجب الخبر النبوى الوارد فى الصحاح . و أما قوله والذراع من العضد فلأن الذراع فرع على العضد والعضد أصل أ لاترى أنه لايمكن أن يكون ذراع إلا إذا كان عضد ويمكن أن يكون عضد لاذراع له ولهذا قال الراجز لولده يابكر بكرين و ياخلب الكبد || أصبحت منى كذراع من عضد . [صفحه ۲۹۱] فشبه ع بالنسبة إلى رسول الله ص بالذراع ألذى العضد أصله وأسه والمراد من هذاالتشبيه الإبانة عن شدة الامتزاج والاتحاد والقرب بينهما فإن الضوء الثانى شبيه بالضوء الأول والذراع متصل بالعضد اتصالا بينا و هذه المنزلة قدأعطاه إياها رسول الله ص فى مقامات كثيرة نحو قوله فى قصة براءة قدأمرت أن لايؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۶۸ لتنتهن يابنى وليعة أولأبعثن إليكم رجلا منى أو قال عديل نفسى -روايت-۱-۶۸ و قدسماه الكتاب العزيز نفسه فقال وَ نِساءَنا وَ نِساءَكُم وَ أَنفُسَنا وَ أَنفُسَكُم و -قرآن-۳۸-۸۸ قد قال له لحمك مختلط بلحمى ودمك مسوط بدمى وشبرك وشبرى واحد -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۷۰ . فإن قلت أما قوله لوتظاهرت العرب على لماوليت عنها فمعلوم فما الفائدة فى قوله و لوأمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها وهل هذامما يفخر به الرؤساء ويعدونه منقبة وإنما المنقبة أن لوأمكنته الفرصة تجاوز وعفا. قلت غرضه أن يقرر فى نفوس أصحابه وغيرهم من العرب أنه يحارب على حق و أن حربه لأهل الشام كالجهاد أيام رسول الله ص و أن من يجاهد الكفار يجب عليه أن يغلظ عليهم ويستأصل شأفتهم أ لاترى أن رسول الله ص لماجاهد بنى قريظة وظفر لم يبق و لم يعف وحصد فى يوم واحد رقاب ألف إنسان صبرا فى مقام واحد لماعلم فى ذلك من إعزاز الدين وإذلال المشركين فالعفو له مقام والانتقام له مقام . قوله وسأجهد فى أن أطهر الأرض الإشارة فى هذا إلى معاوية سماه شخصا معكوسا وجسما مركوسا والمراد انعكاس عقيدته وأنها ليست عقيدة هدى بل هى معاكسة للحق والصواب وسماه مركوسا من قولهم ارتكس فى الضلال والركس [صفحه ۲۹۲] رد الشىء مقلوبا قال تعالى وَ اللّهُ أَركَسَهُم بِما كَسَبُوا أى قلبهم وردهم إلى كفرهم فلما كان تاركا للفطرة التى كل مولود يولد عليها كان مرتكسا فى ضلالة وأصحاب التناسخ يفسرون هذابتفسير آخر قالوا الحيوان على ضربين منتصب ومنحن فالمنتصب الإنسان والمنحنى ما كان رأسه منكوسا إلى جهة الأرض كالبهائم والسباع .قالوا و إلى ذلك وقعت الإشارة بقوله أَ فَمَن يَمشِي مُكِبّا عَلى وَجهِهِ أَهدى أَمّن يَمشِي سَوِيّا عَلى صِراطٍ مُستَقِيمٍ.قالوا فأصحاب الشقاوة تنتقل أنفسهم عندالموت إلى الحيوان المكبوب وأصحاب السعادة تنتقل أنفسهم إلى

الحيوان المنتصب و لما كان معاوية عنده ع من أهل الشقاوة سماه معكوسا ومركوسا رمزا إلى هذاالمعنى . قوله حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد أى حتى يتطهر الدين وأهله منه و ذلك لأن الزراع يجتهدون فى إخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كى تفسد منابته فيفسد الحب ألذى يخرج منه فشبه معاوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحب وشبه الدين بالحب ألذى هوثمرة الزرع -قرآن-۳۰-۶۳-قرآن-۳۶۰-۴۴۷ وَ مِن هَذَا الكِتَابِ وَ هُوَ آخِرُهُ إِلَيكِ عَنّيّ يَا دُنيَا فَحَبلُكِ عَلَى غَارِبِكِ قَدِ انسَلَلتُ مِن مَخَالِبِكِ وَ أَفلَتّ مِن حَبَائِلِكِ وَ اجتَنَبتُ الذّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ [صفحه ۲۹۳] أَينَ القُرُونُ الّذِينَ غَرَرتِهِم بِمَدَاعِبِكِ أَينَ الأُمَمُ الّذِينَ فَتَنتِهِم بِزَخَارِفِكِ فَهَا هُم رَهَائِنُ القُبُورِ وَ مَضَامِينُ اللّحُودِ وَ اللّهِ لَو كُنتِ شَخصاً مَرئِيّاً وَ قَالَباً حِسّيّاً لَأَقَمتُ عَلَيكِ حُدُودَ اللّهِ فِي عِبَادٍ غَرَرتِهِم بِالأَمَانِيّ وَ أُمَمٍ أَلقَيتِهِم فِي المَهَاوِي وَ مُلُوكٍ أَسلَمتِهِم إِلَى التّلَفِ وَ أَورَدتِهِم مَوَارِدَ البَلَاءِ إِذ لَا وِردَ وَ لَا صَدَرَ هَيهَاتَ مَن وَطِئَ دَحضَكِ زَلِقَ وَ مَن رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ وَ مَنِ ازوَرّ عَن حَبَائِلِكِ وُفّقَ وَ السّالِمُ مِنكِ لَا يُبَالِي إِن ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ وَ الدّنيَا عِندَهُ كَيَومٍ حَانَ انسِلَاخُهُ إليك عنى أى ابعدى وحبلك على غاربك كناية من كنايات الطلاق أى اذهبى حيث شئت لأن الناقة إذاألقى حبلها على غاربها فقد فسح لها أن ترعى حيث شاءت وتذهب أين شاءت لأنه إنما يردها زمامها فإذاألقى حبلها على غاربها فقد أهملت . والغارب ما بين السنام والعنق والمداحض المزالق . وقيل إن فى النسخة التى بخط الرضى رضى الله عنه غررتيهم بالياء وكذلك فتنتيهم وألقيتيهم وأسلمتيهم وأوردتيهم والأحسن حذف الياء و إذاكانت الرواية وردت بهافهى من إشباع الكسرة كقوله أ لم يأتيك والأنباء تنمى || بما فعلت لبون بنى زياد ومضامين اللحود أى الذين تضمنتهم و فى الحديث نهى عن بيع المضامين والملاقيح وهى ما فى أصلاب الفحول وبطون الإناث . [صفحه ۲۹۴] ثم قال لوكنت أيتها الدنيا إنسانا محسوسا كالواحد من البشر لأقمت عليك الحد كمافعلت بالناس . ثم شرح أفعالها فقال منهم من غررت ومنهم من ألقيت فى مهاوى الضلال والكفر ومنهم من أتلفت وأهلكت . ثم قال و من وطئ دحضك زلق مكان دحض أى مزلة. ثم قال لايبالى من سلم منك إن ضاق مناخه لايبالى بالفقر و لابالمرض و لابالحبوس والسجون و غير ذلك من أنواع المحن لأن هذاكله حقير لااعتداد به فى جنب السلامة من فتنة الدنيا. قال والدنيا عند من قدسلم منها كيوم قرب انقضاؤه وفناؤه اعزُبِي عَنّيّ فَوَاللّهِ لَا أَذِلّ لَكِ فَتَستَذِلّينِي وَ لَا أَسلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي وَ ايمُ اللّهِ يَمِيناً أَستَثنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللّهِ لَأَرُوضَنّ نَفسِي رِيَاضَةً تَهِشّ مَعَهَا إِلَى القُرصِ إِذَا قَدَرتُ عَلَيهِ مَطعُوماً وَ تَقنَعُ بِالمِلحِ مَأدُوماً وَ لَأَدَعَنّ مُقلَتِي كَعَينِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا مُستَفرِغَةً دُمُوعَهَا أَ تَمتَلِئُ السّائِمَةُ مِن رِعيِهَا فَتَبرُكَ وَ تَشبَعُ الرّبِيضَةُ مِن عُشبِهَا فَتَربِضَ وَ يَأكُلُ عَلِيّ مِن زَادِهِ فَيَهجَعَ قَرّت إِذاً عَينُهُ إِذَا اقتَدَى بَعدَ السّنِينَ المُتَطَاوِلَةِ بِالبَهِيمَةِ الهَامِلَةِ وَ السّائِمَةِ المَرعِيّةِ طُوبَى لِنَفسٍ أَدّت إِلَى رَبّهَا فَرضَهَا وَ عَرَكَت بِجَنبِهَا بُؤسَهَا وَ هَجَرَت فِي [صفحه ۲۹۵] اللّيلِ غُمضَهَا حَتّى إِذَا غَلَبَ الكَرَى عَلَيهَا افتَرَشَت أَرضَهَا وَ تَوَسّدَت كَفّهَا فِي مَعشَرٍ أَسهَرَ عُيُونَهُم خَوفُ مَعَادِهِم وَ تَجَافَت عَن مَضَاجِعِهِم جُنُوبُهُم وَ هَمهَمَت بِذِكرِ رَبّهِم شِفَاهُهُم وَ تَقَشّعَت بِطُولِ استِغفَارِهِم ذُنُوبُهُمأُولئِكَ حِزبُ اللّهِ أَلا إِنّ حِزبَ اللّهِ هُمُ المُفلِحُونَفَاتّقِ اللّهَ يَا ابنَ حُنَيفٍ وَ لتَكفُف أَقرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النّارِ خَلَاصُكَ -قرآن-۲۶۶-۳۲۷ اعزبى ابعدى يقال عزب الرجل بالفتح أى بعد و لاأسلس لك بفتح اللام أى لاأنقاد لك سلس الرجل بالكسر يسلس فهو بين السلس أى سهل قياده . ثم حلف واستثنى بالمشيئة أدبا كماأدب الله تعالى رسوله ص ليروضن نفسه أى يدربها بالجوع والجوع هوأصل الرياضة عندالحكماء وأرباب الطريقة. قال حتى أهش إلى القرص أى إلى الرغيف وأقنع من الإدام بالملح . ونضب معينها فنى ماؤها. ثم أنكر على نفسه فقال أتشبع السائمة من رعيها بكسر الراء و هوالكلأ والربيضة جماعة من الغنم أوالبقر تربض فى أماكنها و أناأيضا مثلها أشبع وأنام .لقد قرت عينى إذاحيث أشابه البهائم بعدالجهاد والسبق والعبادة والعم والجد فى السنين المتطاولة. قوله وعركت بجنبها بؤسها أى صبرت على بؤسها والمشقة التى تنالها يقال قدعرك فلان بجنبه الأذى أى أغضى عنه وصبر عليه . [صفحه ۲۹۶] قوله افترشت أرضها أى لم يكن لها فراش إلا الأرض . وتوسدت كفها لم يكن لها وسادة إلاالكف . وتجافت عن

مضـاجعهم جنوبهم لفـظ الكتـاب العزيزتَتَجـافى جُنُوبُهُم عَنِ المَضـاجِعِ. وهمهمت تكلمت كلامـا خفيـا. وتقشـعت ذنوبهم زالت وذهبت كمايتقشع السحاب . قوله ولتكفف أقراصك إنما هونهى لابن حنيف أن يكف عن الأقراص و إن كان اللفظ يقتضى أن تكـف الأـقراص عن ابن حنيـف و قـدرواها قـوم بـالنصب قـالوا فـاتق الله يـا ابن حنيف ولتكفف أقراصـك لـترجو بهـا من النـار خلاصك والتاء هاهنا للأمر عوض الياء وهى لغـة لابأس بها و قـدقيل إن رسول الله ص قرأ فبذلك فلتفرحوا بالتاء -قرآن-١۴٢-١٧۶

المجلد ١٧

الجزء السابع عشر

تتمة أبواب الكتب والرسائل

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الواحد العدل

۴۶- و من كتاب له ع إلى بعض عماله

أَمّا بَعدُ فَإِنّکَ مِمّن أَستَظهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدّينِ وَ أَقمَعُ بِهِ نَخوَةَ الأَثِيمِ وَ أَسُدّ بِهِ لَهَاةَ الثّغرِ المَخُوفِ فَاستَعِن بِاللّهِ عَلَى مَا أَهَمّکَ وَ اخلِطِ الشّدّةَ بِضِغثٍ مِنَ اللّينِ وَ ارفُق مَا كَانَ الرّفقُ أَرفَقَ وَ اعتَزِم بِالشّدّةِ حِينَ لَا تغُنيِ عَنکَ إِلّا الشّدّةُ وَ اخفِض لِلرّعِيّةِ جَنَاحَکَ وَ ابسُـط لَهُم وَجهَکَ وَ أَلِن لَهُم جَانِبَکَ وَ آسِ بَينَهُم فِي اللّحظَـةِ وَ النّظرَةِ وَ الإِشَارَةِ وَ التّحِيّـةِ حَتّى لَا يَطمَعَ العُظَمَاءُ فِي حَيفِکَ وَ لَا يَيأَسَ الضّعَفَاءُ مِن عَدلِکَ وَ السّلَامُ قدأخذ الشاعر معنى قوله وآس بينهم فى اللحظة والنظرة فقال [صفحه ۴] اقسم اللحظ بيننا إن فى اللحظ || لعنوان ماتجن الصدور إنما البر روضة فإذا ما || كان بشـر فروضة وغدير . قوله وآس بينهم فى اللحظة أى اجعلهم أسوة وروى وساو بينهم فى اللحظة والمعنى واحد. وأستظهر به أجعله كالظهر. والنخوة الكبرياء والأثيم المخطئ المذنب . و قوله وأسد به لهاة الثغر استعارة حسنة. والضغث فى الأصل قبضة حشيش مختلط يابسها بشىء من الرطب و منه أضغاث الأحلام للرؤيا المختلطـة التى لايصـح تأويلها فاسـتعار اللفظـة هاهنا والمراد امزج الشـدة بشـىء من اللين فاجعلهما كالضـغث و قال تعالى وَ خُذ بِيَدِکَ ضِغثاً. قوله فاعتزم بالشـدة أى إذاجـد بك الحد فدع اللين فإن فى حال الشدة لاتغنى إلاالشدة قال الفند الزمانى -قرآن-۴٠۴-۴٢۵ فلمـا صـرح الشـر || فأمسـى و هوعريـان و لم يبق سوى العـدوان || دنـاهم كمـادانوا . قوله حتى لايطمع العظماء فى حيفك أى حتى لايطمع العظماء فى أن تمالئهم على حيف الضعفاء و قدتقدم مثل هذافيما سبق [صفحه ۵]

۴٧- و من وصية له ع للحسن و الحسين ع لماضربه ابن ملجم لعنه الله

اشاره

أُوصِيكُمَا بِتَقوَى اللّهِ وَ أَلّا تَبغِيَا الدّنيَا وَ إِن بَغَتكُمَا وَ لَا تَأسَفَا عَلَى شَيءٍ مِنهَا زُوِيَ عَنكُمَا وَ قُولَا بِالحَقّ وَ اعمَلَا لِلأَجرِ وَ كُونَا لِلظّالِمِ

خَصماً وَ لِلمَظلُومِ عَوناً أُوصِيكَمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهلِي وَ مَن بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقوَى اللّهِ وَ نَظمِ أَمرِكُم وَ صَلَاحِ ذَاتِ بَينِكَم فَإِنّي سَمِعتُ جَدّكُمَاص يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ البَينِ أَفضَلُ مِن عَامّةِ الصّلَاةِ وَ الصّيَامِ اللّهَ اللّهَ فِي الأَيتَامِ فَلَا تُغِبّوا أَفوَاهَهُم وَ لَا يَضِيعُوا بِحَضرَتِكُم وَ اللّهَ اللّهَ فِي جِيرَانِكُم فَإِنّهُم وَصِيّةُ نَبِيّكُم مَا زَالَ يُوصِي بِهِم حَتّى ظَنَنّا أَنّهُ سَيُوَرّثُهُم وَ اللّهَ اللّهَ فِي القُرآنِ لَا يَسبِقُكُم بِالعَمَلِ بِهِ غَيرُكُم وَ اللّهَ اللّهَ فِي الصّلَاةِ فَإِنّهَا عَمُودُ دِينِكُم وَ اللّهَ اللّهَ فِي بَيتِ رَبّكُم لَا تُخَلّوهُ مَا بَقِيتُم فَإِنّهُ إِن تُرِكَ لَم تُنَاظَرُوا وَ اللّهَ اللّهَ فِي الجِهَادِ بِأَموَالِكُم وَ أَنفُسِكُم وَ أَلسِنَتِكُم فِي سَبِيلِ اللّهِ وَ عَلَيكُم بِالتّوَاصُلِ وَ التّبَاذُلِ وَ إِيّاكُم وَ التّدَابُرَ وَ التّقَاطُعَ لَا تَترُكُوا [صفحه ۶] الأَمرَ بِالمَعرُوفِ وَ النّهيَ عَنِ المُنكَرِ فَيُوَلّى عَلَيكُم أَشرَارُكُم ثُمّ تَدعُونَ فَلَا يُستَجَابُ لَكُم ثُمّ قَالَ يَا بنَيِ عَبدِ المُطّلِبِ لَا أُلفِيَنّكُم تَخُوضُونَ دِمَاءَ المُسلِمِينَ خَوضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ قُتِلَ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ أَلَا لَا تَقتُلُنّ بيِ إِلّا قاَتلِيِ انظُرُوا إِذَا أَنَا مِتّ مِن ضَربَتِهِ هَذِهِ فَاضرِبُوهُ ضَربَةً بِضَربَةٍ وَ لَا تُمَثّلُوا بِالرّجُلِ فَإِنّي سَمِعتُ رَسُولَ اللّهِص يَقُولُ إِيّاكُم وَ المُثلَةَ وَ لَو بِالكَلبِ العَقُورِ روى واعملا للآخرة وروى فلاتغيروا أفواههم يقول لاتطلبا الدنيا و إن طلبتكما فإذا كان من تطلبه الدنيا منهيا عن طلبها فمن لاتطلبه يكون منهيا عن طلبها بالطريق الأولى . ثم قال و لاتأسفا على شيءمنها زوى عنكما أى قبض قال رسول الله ص زويت لى الدنيا فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى مازوى لى منها –روايت–۱–۲–روايت–۲۳–۹۷ . وروى و لاتأسيا وكلاهما بمعنى واحد أى لاتحزنا و هذا من قوله تعالى لِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُم. –قرآن–۷۳–۱۰۳ [صفحه ۷] قوله صلاح ذات البين أخذه هذه اللفظة عبدالملك بن مروان فقال لبنيه و قدجمعوا عنده يوم موته انفوا الضغائن بينكم وعليكم || عندالمغيب و فى حضور المشهد بصلاح ذات البين طول حياتكم || إن مد فى عمرى و إن لم يمدد إن القداح إذااجتمعن فرامها || بالكسر ذو بطش شديد أيد عزت فلم تكسر و إن هى بددت || فالوهن والتكسير للمتبدد . وذات هاهنا زائدة مقحمة. قوله فلاتغبوا أفواههم أى لاتجيعوهم بأن تطعموهم غبا و من روى فلاتغيروا أفواههم فذاك لأن الجائع يتغير فمه قال ع لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك –روايت–۱–۲–روايت–۱۱–۶۱ . قال و لايضيعوا بحضرتكم أى لاتضيعوهم فالنهى فى الظاهر للأيتام و فى المعنى للأوصياء والأولياء والظاهر أنه لايعنى الأيتام الذين لهم مال تحت أيدى أوصيائهم لأن أولئك الأوصياء محرم عليهم أن يصيبوا من أموال اليتامى إلاالقدر النزر جدا عندالضرورة ثم يقضونه مع التمكن و من هذه حاله لايحسن أن يقال له لاتغيروا أفواه أيتامكم وإنما الأظهر أنه يعنى الذين مات آباؤهم وهم فقراء يتعين مواساتهم ويقبح القعود عنهم كما قال تعالى وَ يُطعِمُونَ الطّعامَ عَلى حُبّهِ مِسكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً واليتم فى الناس من قبل الأب و فى البهائم من قبل الأم لأن الآباء من البهائم لاعناية لهم بالأولاد بل العناية للأم لأنها المرضعة المشفقة و أما الناس فإن الأب هوالكافل القيم بنفقة الولد فإذامات وصل الضرر إليه لفقد كافله والأم بمعزل عن ذلك وجمع يتيم على أيتام كماقالوا شريف وأشراف وحكى أبو على فى التكملة كمىء وأكماء و لايسمى الصبى يتيما إلا إذا –قرآن–۴۵۳–۵۲۰ [صفحه ۸] كان دون البلوغ و إذابلغ زال اسم اليتيم عنه واليتامى أحد الأصناف الذين عينوا فى الخمس بنص الكتاب العزيز

فصل فى الآثار الواردة فى حقوق الجار

ثم أوصى بالجيران واللفظ ألذى ذكره ع قدورد مرفوعا فى رواية عبد الله بن عمر لماذبح شاة فقال أهديتم لجارنا اليهودى فإنى سمعت رسول الله ص يقول مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه –روايت–۱–۲–روايت–۴۲–۱۶۸ فى الحديث أنه ص قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره –روايت–۱–۲–روايت–۲۷–۷۷ عنه ع جار السوء فى دار المقامة قاصمة الظهر –روايت–۱–۲–روايت–۱۱–۴۸ عنه ع من جهد البلاء جار سوء معك فى دار مقامة إن رأى حسنة دفنها و إن رأى سيئة

أذاعها وأفشاها -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۰۱ و من أدعيتهم أللهم إنى أعوذ بك من مال يكون على فتنة و من ولد يكون على كلا و من حليلة تقرب الشيب و من جار ترانى عيناه وترعانى أذناه إن رأى خيرا دفنه و إن سمع شرا طار به -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۸۸ ابن مسعود يرفعه و ألذى نفسى بيده لايسلم العبد حتى يسلم قلبه ولسانه ويأمن جاره بوائقه قالوا مابوائقه قال غشمه وظلمه -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۱۳۲ لقمان يابنى حملت الحجارة والحديد فلم أر شيئا أثقل من جار السوء -روايت-۱-۲-روايت-۹-۷۱ . وأنشدوا ألا من يشترى دارا برخص || كراهة بعض جيرتها تباع . و قال الأصمعى جاور أهل الشام الروم فأخذوا عنهم خصلتين اللؤم وقلة الغيرة [صفحه ۹] وجاور أهل البصرة الخزر فأخذوا عنهم خصلتين الزناء وقلة الوفاء وجاور أهل الكوفة السواد فأخذوا عنهم خصلتين السخاء والغيرة. و كان يقال من تطاول على جاره حرم بركة داره . و كان يقال من آذى جاره ورثه الله داره .باع أبوالجهم العدوى داره و كان فى جوار سعيد بن العاص بمائة ألف درهم فلما أحضرها المشترى قال له هذاثمن الدار فأعطنى ثمن الجوار قال أى جوار قال جوار سعيد بن العاص قال وهل اشترى أحد جوارا قط فقال رد على دارى وخذ مالك لاأدع جوار رجل إن قعدت سأل عنى و إن رآنى رحب بى و إن غبت عنه حفظنى و إن شهدت عنده قربنى و إن سألته قضى حاجتى و إن لم أسأله بدأنى و إن نابتنى نائبة فرج عنى فبلغ ذلك سعيدا فبعث إليه مائة ألف درهم و قال هذاثمن دارك ودارك لك . الحسن ليس حسن الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى .جاءت امرأة إلى الحسن فشكت إليه الخلة وقالت أناجارتك قال كم بينى وبينك قالت سبع أدؤر فنظر الحسن فإذاتحت فراشه سبعة دراهم فأعطاها إياها و قال كدنا نهلك . و كان كعب بن مامة إذاجاوره رجل قام له بما يصلحه وحماه ممن يقصده و إن هلك له شيءأخلفه عليه و إن مات وداه لأهله فجاوره أبودواد الإيادى فزاره على العادة فبالغ فى إكرامه وكانت العرب إذاحمدت جارا قالت جار كجار أبى دواد قال قيس بن زهير [صفحه ۱۰] أطوف ماأطوف ثم آوى || إلى جار كجار أبى دواد . ثم تعلم منه أبودواد و كان يفعل لجاره فعل كعب به . و قال مسكين الدارمى ماضر جارا لى أجاوره || ألا يكون لبابه ستر أعمى إذا ما إذاجارتى خرجت || حتى يوارى جارتى الخدر نارى ونار الجار واحدة || وإلبه قبلى ينزل القدر .استعرض أبومسلم صاحب الدولة فرسا محضيرا فقال لأصحابه لماذا يصلح هذافذكروا سباق الخيل وصيد الحمر والنعام واتباع الفار من الحرب فقال لم تصنعوا شيئا يصلح للفرار من الجار السوء.سأل سليمان على بن خالد بن صفوان عن ابنيه محمد وسليمان وكانا جاريه فقال كيف إحمادك جوارهما فتمثل بقول يزيد بن مفرغ الحميرى سقى الله دارا لى وأرضا تركتها || إلى جنب دارى معقل بن يسار أبومالك جار لها و ابن مرثد || فيا لك جارى ذلة وصغار فى الحديث المرفوع أيضا من رواية جابرالجيران ثلاثة فجار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فصاحب الحق الواحد جار مشرك لارحم له فحقه -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-ادامه دارد [صفحه ۱۱] حق الجوار وصاحب الحقين جار مسلم لارحم له وصاحب الثلاثة جار مسلم ذو رحم وأدنى حق الجوار ألا تؤذى جارك بقتار قدرك إلا أن تقتدح له منها -روايت-از قبل-۱۵۱ . قلت تقتدح تغترف والمقدحة المغرفة. و كان يقال الجيران خمسة الجار الضار السيئ الجوار والجار الدمس الحسن الجوار والجار اليربوعى المنافق والجار البراقشى المتلون فى أفعاله والجار الحسدلى ألذى عينه تراك وقلبه يرعاك . و روى أبوهريرة كان رسول الله ص يقول أللهم إنى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فإن دار البادية تتحول -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-۱۱۴ قوله ع الله الله فى القرآن أمرهما بالمسارعة إلى العمل به ونهاها أن يسبقهما غيرهما إلى ذلك ثم أمرهما بالصلاة والحج . وشدد الوصاة فى الحج فقال فإنه إن ترك لم تناظروا أى يتعجل الانتقام منكم .فأما المثلة فمنهى عنها أمر رسول الله ص أن يمثل بهبار بن الأسود لأنه روع زينب حتى أجهضت ثم نهى عن ذلك و قال لامثلة المثلة حرام -روايت-۱-۱۱۷ [صفحه ۱۲]

۴۸– و من كتاب له ع إلى معاوية

فَإِنّ البَغيَ وَ الزّورَ يُوتِغَانِ المَرءَ فِي دِينِهِ وَ دُنيَاهُ وَ يُبدِيَانِ خَلَلَهُ عِندَ مَن يَعِيبُهُ وَ قَد عَلِمتُ أَنّكَ غَيرُ مُدرِكٍ مَا قضُيِ َ فَوَاتُهُ وَ قَد رَامَ أَقوَامٌ أَمراً بِغَيرِ الحَقّ فَتَأَلّوا عَلَى اللّهِ فَأَكذَبَهُم فَاحذَر يَوماً يَغتَبِطُ فِيهِ مَن أَحمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ وَ يَندَمُ مَن أَمكَنَ الشّيطَانَ مِن قِيَادِهِ فَلَم يُجَاذِبهُ وَ قَد دَعَوتَنَا إِلَى حُكمِ القُرآنِ وَ لَستَ مِن أَهلِهِ وَ لَسنَا إِيّاكَ أَجَبنَا وَ لَكِنّا أَجَبنَا القُرآنَ فِي حُكمِهِ وَ السّلَامُ يوتغان يهلكان والوتغ بالتحريك الهلاك و قدوتغ يوتغ وتغا أى أثم وهلك وأوتغه الله أهلكه الله وأوتغ فلان دينه بالإثم . قوله فتألوا على الله أى حلفوا من الألية وهى اليمين و فى الحديث من تألى على الله أكذبه الله –روايت–۱–۲–روايت–۱۴–۴۷ ومعناه من أقسم تجبرا واقتدارا لأفعلن كذا أكذبه الله و لم يبلغ أمله . و قدروى تأولوا على الله أى حرفوا الكلم عن مواضعه وتعلقوا بشبهة فى تأويل القرآن انتصارا لمذاهبهم وآرائهم فأكذبهم الله بأن أظهر للعقلاء فساد تأويلاتهم والأول أصح . [صفحه ۱۳] ويغتبط فيه يفرح ويسر والغبطة السرور روى يغبط فيه أى يتمنى مثل حاله هذه . قوله ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه الياء التى هى حرف المضارعة عائدة على المكلف ألذى أمكن الشيطان من قياده يقول إذا لم يجاذب الشيطان من قياده فإنه يندم فأما من جاذبه قياده فقد قام بما عليه . ومثله قوله ولسنا إياك أجبنا قوله و الله ماحكمت مخلوقا وإنما حكمت القرآن ومعنى مخلوقا بشرا لامحدثا [صفحه ۱۴]

۴۹– و من كتاب له ع إلى معاوية أيضا

أَمّا بَعدُ فَإِنّ الدّنيَا مَشغَلَةٌ عَن غَيرِهَا وَ لَم يُصِب صَاحِبُهَا مِنهَا شَيئاً إِلّا فَتَحَت لَهُ حِرصاً عَلَيهَا وَ لَهَجاً بِهَا وَ لَن يَستَغنيِ َ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمّا لَم يَبلُغهُ مِنهَا وَ مِن وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَ نَقضُ مَا أَبرَمَ وَ لَوِ اعتَبَرتَ بِمَا مَضَي حَفِظتَ مَا بَقيِ َ وَ السّلَامُ هذا كماقيل فى المثل صاحب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا والأصل فى هذا قول الله تعالى لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا و لايملأ عين ابن آدم إلاالتراب –روايت–۱–۲–روايت–۲۰–۱۰۸ و هذا من القرآن ألذى رفع ونسخت تلاوته . و قدذكر نصر بن مزاحم هذاالكتاب و قال إن أمير المؤمنين ع كتبه إلى عمرو بن العاص وزاد فيه زيادة لم يذكرها الرضى أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن الآخرة وصاحبها منهوم عليها لم يصب شيئا منها قط إلافتحت عليه حرصا وأدخلت عليه مئونة تزيده رغبة فيها –روايت–۱–ادامه دارد [صفحه ۱۵] ولن يستغنى صاحبها بما نال عما لم يدرك و من وراء ذلك فراق ماجمع والسعيد من وعظ بغيره فلاتحبط أجرك أبا عبد الله و لاتشرك معاوية فى باطله فإن معاوية غمص الناس وسفه الحق و السلام –روايت–از قبل–۱۹۴ . قال نصر و هذاأول كتاب كتبه على ع إلى عمرو بن العاص فكتب إليه عمرو جوابه أما بعد فإن ألذى فيه صلاحنا وألفة ذات بيننا أن تنيب إلى الحق و أن تجيب إلى ماندعوكم إليه من الشورى فصبر الرجل منا نفسه على الحق وعذره الناس بالمحاجزة و السلام . قال نصر فكتب على ع إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتابا غليظا. و هو ألذى ضرب مثله فيه بالكلب يتبع الرجل و هومذكور فى نهج البلاغة واللهج الحرص . ومعنى قوله ع لواعتبرت بما مضى حفظت مابقى أى لواعتبرت بما مضى من عمرك لحفظت باقيه أن تنفقه فى الضلال وطلب الدنيا وتضيعه [صفحه ۱۶]

۵۰– و من كتاب له ع إلى أمرائه على الجيوش

مِن عَبدِ اللّهِ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ رَفَعَهُ إِلَى أَصحَابِ المَسَالِحِ أَمّا بَعدُ فَإِنّ حَقّاً عَلَى الوَالِي أَلّا يُغَيّرَهُ عَلَى رَعِيّتِهِ فَضلٌ

نَالَهُ وَ لَا طَولٌ خُصّ بِهِ وَ أَن يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللّهُ لَهُ مِن نِعَمِهِ دُنُوّاً مِن عِبَادِهِ وَ عَطفاً عَلَی إِخوَانِهِ أَلَا وَ إِنّ لَكُم عِندِي أَلّا أَحتَجِزَ دُونَكُم سِرّاً إِلّا فِي حَربٍ وَ لَا أَطوِيَ دُونَكُم أَمراً إِلّا فِي حُكمٍ وَ لَا أُؤَخّرَ لَكُم حَقّاً عَن مَحَلّهِ وَ لَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقطَعِهِ وَ أَن تَكُونُوا عِندِي فِي الحَقّ سَوَاءً فَإِذَا فَعَلتُ ذَلِكَ وَجَبَت لِلّهِ عَلَيكُمُ النّعمَةُ وَ لِي عَلَيكُمُ الطّاعَةُ وَ أَلّا تَنكُصُوا عَن دَعوَةٍ وَ لَا تُفَرّطُوا فِي صَلَاحٍ وَ أَن تَخُوضُوا الغَمَرَاتِ إِلَی الحَقّ فَإِن أَنتُم لَم تَستَقِيمُوا لِي عَلَی ذَلِكَ لَم يَكُن أَحَدٌ أَهوَنَ عَلَيّ مِمّن اعوَجّ مِنكُم ثُمّ أُعظِمُ لَهُ العُقُوبَةَ وَ لَا يَجِدُ عِندِي فِيهَا رُخصَةً فَخُذُوا هَذَا مِن أُمَرَائِكُم وَ أَعطُوهُم مِن أَنفُسِكُم مَا يُصلِحُ اللّهُ بِهِ أَمرَكُم وَ السّلَامُ [صفحه ١٧] أصحاب المسالح جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة والمسلحة هى الثغر كالمرغبة و فى الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب -روايت-١-٢-روايت-١۴-۵٧ قال يجب على الوالى ألا يتطاول على الرعية بولايته و ماخص به عليهم من الطول و هوالفضل و أن تكون تلك الزيادة التى أعطيها سببا لزيادة دنوه من الرعية وحنوه عليهم . ثم قال لكم عندى ألا أحتجز دونكم بسر أى لاأستتر قال إلا فى حرب و ذلك لأن الحرب يحمد فيهاطى الأسرار والحرب خدعة. ثم قال و لاأطوى دونكم أمرا إلا فى حكم أى أظهركم على كل مانفسى مما يحسن أن أظهركم عليه فأما أحكام الشريعة والقضاء على أحد الخصمين فإنى لاأعلمكم به قبل وقوعه كيلا تفسد القضية بأن يحتال ذلك الشخص لصرف الحكم عنه . ثم ذكر أنه لايؤخر لهم حقا عن محله يعنى العطاء و أنه لايقف دون مقطعه والحق هاهنا غيرالعطاء بل الحكم قال زهير فإن الحق مقطعه ثلاث || يمين أونفار أوجلاء . أى متى تعين الحكم حكمت به وقطعت و لاأقف و لاأتحبس . و لمااستوفى ماشرط لهم قال فإذا أناوفيت بما شرطت على نفسى وجبت لله عليكم النعمة و لى عليكم الطاعة. ثم أخذ فى الاشتراط عليهم كماشرط لهم فقال و لى عليكم ألا تنكصوا عن [صفحه ١٨] دعوة أى لاتتقاعسوا عن الجهاد إذادعوتكم إليه و لاتفرطوا فى صلاح أى إذاأمكنتكم فرصة أورأيتم مصلحة فى حرب العدو أوحماية الثغر فلاتفرطوا فيهافتفوت و أن تخوضوا الغمرات إلى الحق أى تكابدوا المشاق العظيمة و لايهولنكم خوضها إلى الحق . ثم توعدهم إن لم يفعلوا ذلك ثم قال فخذوا هذا من أمرائكم ليس يعنى به أن على هؤلاء أصحاب المسالح أمراء من قبله ع كالواسطة بينهم وبينه بل من أمرائكم يعنى منى وممن يقوم فى الخلافة مقامى بعدى لأنه لو كان الغرض هوالأول لما كان محلهم عنده أن يقول ألا أحتجز دونكم بسر و لاأطوى دونكم أمرا لأن محل من كان بتلك الصفة دون هذا [صفحه ١٩]

۵١- و من كتاب له ع إلى عماله على الخراج

مِن عَبدِ اللّهِ عَلِيّ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ إِلَی أَصحَابِ الخَرَاجِ أَمّا بَعدُ فَإِنّ مَن لَم يَحذَر مَا هُوَ سَائِرٌ إِلَيهِ لَم يُقَدّم لِنَفسِهِ مَا يُحرِزُهَا وَ اعلَمُوا أَنّ مَا كُلّفتُم يَسِيرٌ وَ أَنّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ وَ لَو لَم يَكُن فِيمَا نَهَی اللّهُ عَنهُ مِنَ البَغيِ وَ العُدوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجتِنَابِهِ مَا لَا عُذرَ فِي تَركِ طَلَبِهِ فَأَنصِفُوا النّاسَ مِن أَنفُسِكُم وَ اصبِرُوا لِحَوَائِجِهِم فَإِنّكُم خُزّانُ الرّعِيّةِ وَ وُكَلَاءُ الأُمّةِ وَ سُفَرَاءُ الأَئِمّةِ وَ لَا تُحشِمُوا أَحَداً عَن حَاجَتِهِ وَ لَا تَحبِسُوهُ عَن طَلِبَتِهِ وَ لَا تَبِيعُنّ النّاسَ فِي الخَرَاجِ كِسوَةَ شِتَاءٍ وَ لَا صَيفٍ وَ لَا دَابّةً يَعتَمِلُونَ عَلَيهَا وَ لَا عَبداً وَ لَا تَضرِبُنّ أَحَداً سَوطاً لِمَكَانِ دِرهَمٍ وَ لَا تَمَسّنّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النّاسِ مُصَلّ وَ لَا مُعَاهَدٍ إِلّا أَن تَجِدُوا فَرَساً أَو سِلَاحاً يُعدَی بِهِ عَلَی أَهلِ الإِسلَامِ فَإِنّهُ لَا يَنبَغِي لِلمُسلِمِ أَن يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيدِي أَعدَاءِ الإِسلَامِ فَيَكُونَ شَوكَةً عَلَيهِ وَ لَا تَدّخِرُوا أَنفُسَكُم نَصِيحَةً وَ لَا الجُندَ حُسنَ سِيرَةٍ وَ لَا الرّعِيّةَ مَعُونَةً وَ لَا دِينَ اللّهِ قُوّةً وَ أَبلُوهُ فِي سَبِيلِ مَا استَوجَبَ عَلَيكُم فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ قَدِ اصطَنَعَ عِندَنَا [صفحه ٢٠] وَ عِندَكُم أَن نَشكُرَهُ بِجُهدِنَا وَ أَن نَنصُرَهُ بِمَا بَلَغَت قُوّتُنَا وَ لَا قُوّةَ إِلّا بِاللّهِ العَلِيّ العَظِيمِ يقول لوقدرنا أن القبائح العقلية كالظلم والبغى لاعقاب على فعلها بل فى تركها ثواب فقط لم يكن الإنسان معذورا إذافرط فى ذلك الترك لأنه يكون قدحرم نفسه نفعا

هوقادر على إيصاله إليها. قوله و لاتحشموا أحدا أى لاتغضبوا طالب حاجة فتقطعوه عن طلبها أحشمت زيدا وجاء حشمته و هو أن يجلس إليك فتغضبه وتؤذيه و قال ابن الأعرابى حشمته أخجلته وأحشمته أغضبته والاسم الحشمة وهى الاستحياء والغضب . ثم نهاهم أن يبيعوا لأرباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب أبدانهم وكدابة يعتملون عليها نحو بقر الفلاحة وكعبد لابد للإنسان منه يخدمه ويسعى بين يديه . ثم نهاهم عن ضرب الأبشار لاستيفاء الخراج . وكتب عدى بن أرطاة إلى عمر بن عبدالعزيز يستأذنه فى عذاب العمال فكتب إليه كأنى لك جنة من عذاب الله وكأن رضاى ينجيك من سخط الله من قامت عليه بينة أوأقر بما لم يكن مضطهدا مضطرا إلاالإقرار به فخذه بأدائه فإن كان قادرا عليه فاستأد و إن أبى فاحبسه و إن لم يقدر فخل سبيله بعد أن تحلفه بالله أنه لايقدر على شيءفلأن يلقوا الله بجناياتهم أحب إلى من أن ألقاه بدمائهم . [صفحه ۲۱] ثم نهاهم أن يعرضوا لمال أحد من المسلمين أو من المعاهدين المعاهد هاهنا هوالذمى أو من يدخل دار الإسلام من بلاد الشرك على عهد إما لأداء رسالة أولتجارة ونحو ذلك ثم يعود إلى بلاده . ثم نهاهم عن الظلم وأخذ أموال الناس على طريق المصادرة والتأويل الباطل قال إلا أن تخافوا غائلة المعاهدين بأن تجدوا عندهم خيولا أوسلاحا وتظنوا منهم وثبة على بلد من بلاد المسلمين فإنه لايجوز الإغضاء عن ذلك حينئذ. قوله وأبلوا فى سبيل الله أى اصطنعوا من المعروف فى سبيل الله ماستوجب عليكم يقال هويبلوه معروفا أى يصنعه إليه قال زهير جزى الله بالإحسان مافعلا بكم || وأبلاهما خير البلاء ألذى يبلو . قوله ع قداصطنعا عندنا وعندكم أن نشكره أى لأن نشكره بلام التعليل وحذفها أى أحسن إلينا لنشكره وحذفها أكثر نحو قوله تعالى لَبِئسَ ما قَدّمَت لَهُم أَنفُسُهُم أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيهِم -قرآن-۱۳۳-۱۹۴ [صفحه ۲۲]

۵۲- و من كتاب له ع إلى أمراء البلاد فى معنى الصلاة

اشاره

أَمّا بَعدُ فَصَلّوا بِالنّاسِ الظّهرَ حَتّى تفَيِءَ الشّمسُ مِثلَ مَربِضِ العَنزِ وَ صَلّوا بِهِمُ العَصرَ وَ الشّمسُ بَيضَاءُ حَيّةٌ فِى عُضوٍ مِنَ النّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرسَخَانِ وَ صَلّوا بِهِمُ المَغرِبَ حِينَ يُفطِرُ الصّائِمُ وَ يَدفَعُ الحَاجّ إِلَى مِنًى وَ صَلّوا بِهِمُ العِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللّيلِ وَ صَلّوا بِهِمُ الغَدَاةَ وَ الرّجُلُ يَعرِفُ وَجهَ صَاحِبِهِ وَ صَلّوا بِهِم صَلَاةَ أَضعَفِهِم وَ لَا تَكُونُوا فَتّانِينَ

بيان اختلاف الفقهاء فى أوقات الصلاة

قداختلف الفقهاء فى أوقات الصلاة فقال أبوحنيفة أول وقت الفجر إذاطلع الفجر الثانى و هوالمعترض فى الأفق وآخر وقتها ما لم تطلع الشمس وأول وقت الظهر إذازالت الشمس وآخر وقتها إذاصار ظل كل شيءمثليه سوى الزوال و قال أبويوسف و محمدآخر وقتها إذاصار الظل مثله . قال أبوحنيفة وأول وقت العصر إذاخرج وقت الظهر و هذا على القولين وآخر وقتها ما لم تغرب الشمس وأول وقت المغرب إذاغربت الشمس وآخر وقتها [صفحه ۲۳] ما لم يغب الشفق و هوالبياض ألذى فى الأفق بعدالحمرة و قال أبويوسف و محمد هوالحمرة. قال أبوحنيفة وأول وقت العشاء إذاغاب الشفق و هذا على القولين وآخر وقتها ما لم يطلع الفجر. و قال الشافعى أول وقت الفجر إذاطلع الفجر الثانى و لايزال وقتها المختار باقيا إلى أن يسفر ثم يبقى وقت الجواز إلى طلوع الشمس . و قال أبوسعيد الإصطخرى من الشافعية لايبقى وقت الجواز بل يخرج وقتها بعدالإسفار ويصلى قضاء و لم

يتابعه على هذاالقول أحد قال الشافعى وأول وقت الظهر إذازالت الشمس وحكى أبوالطيب الطبرى من الشافعية أن من الناس من قال لاتجوز الصلاة حتى يصير الفيء بعدالزوال مثل الشراك . و قال مالك أحب أن يؤخر الظهر بعدالزوال بقدر مايصير الظل ذراعا و هذامطابق لما قال أمير المؤمنين ع حين تفيء الشمس كمربض العنز أى كموضع تربض العنز و ذلك نحو ذراع أوأكثر بزيادة يسيرة. قال الشافعى وآخر وقت الظهر إذاصار ظل كل شيءمثله ويعتبر المثل من حد الزيادة على الظل ألذى كان عندالزوال وبهذا القول قال أبويوسف و محمد و قدحكيناه من قبل و به أيضا قال الثورى و أحمد و هورواية الحسن بن زياد اللؤلؤى عن أبى حنيفة فأما الرواية المشهورة عنه وهى التى رواها أبويوسف فهو أن آخر وقت الظهر صيرورة الظل مثليه و قدحكيناه عنه فيما تقدم . و قال ابن المنذر تفرد أبوحنيفة بهذا القول و عن أبى حنيفة رواية ثالثة أنه إذاصار ظل كل شيءمثله خرج وقت الظهر و لم يدخل وقت العصر إلى أن يصير ظل كل شيءمثليه . [صفحه ۲۴] و قال أبوثور و محمد بن جرير الطبرى قدر أربع ركعات بين المثل والمثلين يكون مشتركا بين الظهر والعصر. وحكى عن مالك أنه قال إذاصار ظل كل شيءمثله فهو آخر وقت الظهر وأول وقت العصر فإذازاد على المثل زيادة بينة خرج وقت الظهر واختص الوقت بالعصر. وحكى ابن الصباغ من الشافعية عن مالك أن وقت الظهر إلى أن يصير ظل كل شيءمثله وقتا مختارا فأما وقت الجواز والأداء فآخره إلى أن يبقى إلى غروب الشمس قدر أربع ركعات و هذاالقول مطابق لمذهب الإمامية. و قال ابن جريج وعطاء لا يكون مفرطا بتأخيرها حتى تكون فى الشمس صفرة. و عن طاوس لايفوت حتى الليل .فأما العصر فإن الشافعى يقول إذازاد على المثل أدنى زيادة فقد دخل وقت العصر والخلاف فى ذلك بينه و بين أبى حنيفة لأنه يقول أول وقت العصر إذاصار ظل كل شيءمثليه وزاد عليه أدنى زيادة و قدحكيناه عنه فيما تقدم . وكلام أمير المؤمنين ع فى العصر مطابق لمذهب أبى حنيفة لأن بعدصيرورة الظل مثليه هوالوقت ألذى تكون فيه الشمس حية بيضاء فى عضو من النهار حين يسار فيه فرسخان و أماقبل ذلك فإنه فوق ذلك يسار من الفراسخ أكثر من ذلك و لايزال وقت الاختيار عندالشافعى للعصر باقيا حتى يصير ظل كل شيءمثليه ثم يبقى وقت الجواز إلى غروب الشمس . و قال أبوسعيد الإصطخرى من أصحابه يصير قضاء بمجاوزة المثلين فأما وقت المغرب فإذاغربت الشمس وغروبها سقوط القرص . و قال أبو الحسن على بن حبيب الماوردى من الشافعية لابد أن يسقط القرص ويغيب [صفحه ۲۵] حاجب الشمس و هوالضياء المستعلى عليها كالمتصل بها و لم يذكر ذلك من الشافعية أحد غيره . وذكر الشاشى فى كتاب حلية العلماء أن الشيعة قالت أول وقت المغرب إذااشتبكت النجوم قال قدحكى هذاعنهم و لايساوى الحكاية و لم تذهب الشيعة إلى هذا وسنذكر قولهم فيما بعد. وكلام أمير المؤمنين ع فى المغرب لاينص على وقت معين لأنه عرف ذلك بكونه وقت الإفطار ووقت مايدفع الحاج وكلا الأمرين يحتاج إلى تعريف كمايحتاج وقت الصلاة أللهم إلا أن يكون قدعرف أمراء البلاد الذين يصلون بالناس من قبل هذاالكتاب متى هذاالوقت ألذى يفطر فيه الصائم ثم يدفع فيه الحاج بعينه ثم يحيلهم فى هذاالكتاب على ذلك التعريف المخصوص . قال الشافعى وللمغرب وقت واحد و هوقول مالك . وحكى أبوثور عن الشافعى أن لها وقتين وآخر وقتها إذاغاب الشفق و ليس بمشهور عنه والمشهور القول الأول و قدذكرنا قول أبى حنيفة فيما تقدم و هوامتداد وقتها إلى أن يغيب الشفق و به قال أحمد وداود. واختلف أصحاب الشافعى فى مقدار الوقت الواحد فمنهم من قال هومقدر بقدر الطهارة وستر العورة والأذان والإقامة وفعل ثلاث ركعات ومنهم من قدره بغير ذلك . و قال أبوإسحاق الشيرازى منهم التضييق إنما هو فى الشروع فأما الاستدامة فتجوز إلى مغيب الشفق .فأما وقت العشاء فقال الشافعى هو أن يغيب الشفق و هوالحمرة و هوقول مالك و أحمد وداود و أبى يوسف و محمد و قدحكينا مذهب أبى حنيفة فيما تقدم و هو أن يغيب الشفق ألذى هوالبياض و به قال زفر والمزنى. [صفحه ۲۶] قال الشافعى وآخر وقتها المختار إلى نصف الليل هذا هو قوله القديم و هومذهب أبى حنيفة و قال فى الجديد إلى ثلث الليل ويجب أن يحمل قول أمير المؤمنين ع فى العشاء إنها إلى ثلث الليل على وقت الاختيار ليكون مطابقا لهذا

القول و به قال مالک وإحدی الروایتین عن أحمد ثم یذهب وقت الاختیار ویبقی وقت الجواز إلی طلوع الفجر الثانی. و قال أبوسعید الإصطخری لایبقی وقت الجواز بعدنصف اللیل بل یصیر قضاء.فقد ذکرنا مذهبی أبی حنیفة والشافعی فی الأوقات وهما الإمامان المعتبران فی الفقه ودخل فی ضمن حکایة مذهب الشافعی مایقوله مالک و أحمد وغیرهما من الفقهاء.فأما مذهب الإمامیة من الشیعة فنحن نذکره نقلا عن کتاب أبی عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رحمه الله المعروف بالرسالة المقنعة قال وقت الظهر من بعدزوال الشمس إلی أن یرجع الفیء سبعی الشخص وعلامة الزوال رجوع الفیء بعدانتهائه إلی النقصان وطریق معرفة ذلک بالأصطرلاب أومیزان الشمس و هومعروف عندکثیر من الناس أوبالعمود المنصوب فی الدائرة الهندیة أیضا فمن لم یعرف حقیقة العمل بذلک أو لم یجد آلته فلینصب عودا من خشب أوغیره فی أرض مستویة السطح و یکون أصل العود غلیظا ورأسه دقیقا شبه المذری ألذی ینسج به التکک أوالمسلة التی تخاط بهاالأحمال فإن ظل هذاالعود یکون بلا شک فی أول النهار أطول من العود وکلما ارتفعت الشمس نقص من طوله حتی یقف القرص فی وسط السماء فیقف الفیء حینئذ فإذازال القرص عن الوسط إلی جهة المغرب رجع الفیء إلی الزیادة فلیعتبر من أراد الوقوف علی وقت الزوال ذلک بخطط وعلامات یجعلها علی رأس ظل العود عندوضعه [صفحه ۲۷] فی صدر النهار وکلما نقص فی الظل شیءعلم علیه فإذارجع إلی الزیادة علی موضع العلامة عرف حینئذ برجوعه أن الشمس قدزالت . وبذلک تعرف أیضا القبلة فإن قرص الشمس یقف فیهاوسط النهار ویصیر عن یسارها ویمین المتوجه إلیها بعدوقوفها وزوالها عن القطب فإذاصارت مما یلی حاجبه الأیمن من بین عینیه علم أنها قدزالت وعرف أن القبلة تلقاء وجهه و من سبقت معرفته بجهة القبلة فهو یعرف زوال الشمس إذاتوجه إلیها فرأی عین الشمس مما یلی حاجبه الأیمن إلا أن ذلک لایبین إلا بعدزوالها بزمان ویبین الزوال من أول وقته بما ذکرناه من الأصطرلاب ومیزان الشمس والدائرة الهندیة والعمود ألذی وصفناه و من لم یحصل له معرفة ذلک أوفقد الآلة توجه إلی القبلة فاعتبر صیرورة الشمس علی طرف حاجبه الأیمن وقت العصر من بعدالفراغ من الظهر إذاصلیت الظهر فی أول أوقاتها أعنی بعدزوال الشمس بلا فصل ویمتد إلی أن یتغیر لون الشمس باصفرارها للغروب وللمضطر والناسی إلی مغیبها بسقوط القرص عما تبلغه أبصارنا من السماء وأول وقت المغرب مغیب الشمس وعلامة مغیبها عدم الحمرة فی المشرق المقابل للمغرب فی السماء و ذلک أن المشرق فی السماء مطل علی المغرب فما دامت الشمس ظاهرة فوق أرضنا فهی تلقی ضوءها علی المشرق فی السماء فیری حمرتها فیه فإذاذهبت الحمرة منه علم أن القرص قدسقط وغاب وآخره أول وقت العشاء الآخرة وأول وقتها مغیب الشمس و هوالحمرة فی المغرب وآخره مضی الثلث الأول من اللیل وأول وقت الغداة اعتراض الفجر و هوالبیاض فی المشرق یعقبه الحمرة فی مکانه و یکون مقدمة لطلوع الشمس علی الأرض من السماء و ذلک أن الفجر الأول و هوالبیاض الظاهر فی المشرق یطلع طولا ثم ینعکس بعدمدة عرضا ثم یحمر الأفق بعده للشمس . [صفحه ۲۸] و لاینبغی للإنسان أن یصلی فریضة الغداة حتی یعترض البیاض وینتشر صعدا فی السماء کماذکرنا وآخر وقت الغداة طلوع الشمس . هذا ماتقوله الفقهاء فی مواقیت الصلاة فأما قوله ع و الرجل یعرف وجه صاحبه فمعناه الإسفار و قدذکرناه . و قوله ع وصلوا بهم صلاة أضعفهم أی لاتطیلوا بالقراءة الکثیرة والدعوات الطویلة. ثم قال و لاتکونوا فتانین أی لاتفتنوا الناس بإتعابهم وإدخال المشقة علیهم بإطالة الصلاة وإفساد صلاة المأمومین بما یفعلونه من أفعال مخصوصة نحو أن یحدث الإمام فیستخلف فیصلی الناس خلف خلیفته فإن ذلک لایجوز علی أحد قولی الشافعی ونحو أن یطیل الإمام الرکوع والسجود فیظن المأمومون أنه قدرفع فیرفعون أویسبقونه بأرکان کثیرة ونحو ذلک من مسائل یذکرها الفقهاء فی کتبهم . واعلم أن أمیر المؤمنین ع إنما بدأ بصلاة الظهر لأنها أول فریضة افترضت علی المکلفین من الصلاة علی ما کان یذهب إلیه ع و إلی ذلک تذهب الإمامیة وینصر قولهم تسمیتها بالأولی ولهذا بدأ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بذکرها قبل غیرها فأما من عدا هؤلاء فأول الصلاة المفروضة عندهم الصبح وهی أول النهار. وأیضا

یتفرع علی هذاالبحث القول فی الصلاهٔ الوسطی ماهی فذهب جمهور [صفحه ۲۹] الناس إلی أنها العصر لأنها بین صلاتی نهار وصلاتی لیل و قدرووا أیضا فی ذلک روایات بعضها فی الصحاح وقیاس مذهب الإمامیهٔ أنها المغرب لأن الظهر إذاکانت الأولی کانت المغرب الوسطی إلاأنهم یروون عن أئمتهم ع أنها الظهر ویفسرون الوسطی بمعنی الفضلی لأن الوسط فی اللغهٔ هوخیار کل شیء و منه قوله تعالی جَعَلناکُم أُمّةً وَسَطاً و قدذهب إلی أنها المغرب قوم من الفقهاء أیضا. و قال کثیر من الناس أنها الصبح لأنها أیضا بین صلاتی لیل وصلاتی نهار ورووا أیضا فیهاروایات و هومذهب الشافعی و من الناس من قال إنها الظهر کقول الإمامیهٔ و لم یسمع عن أحد معتبرا أنها العشاء إلاقولا شاذا ذکره بعضهم . و قال لأنها بین صلاتین لاتقصران -قرآن-۳۱۷-۳۴۱ [صفحه ۳۰]

۵۳- و من کتاب له ع کتبه للأشتر النخعی رحمه الله لماولاه علی مصر وأعمالها

اشاره

حین اضطرب أمر أمیرها محمد بن أبی بکر و هوأطول عهد کتبه وأجمعه للمحاسن بِسمِ اللّهِ الرّحمَنِ الرّحِیمِ هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبدُ اللّهِ عَلِیّ أَمِیرُ المُؤمِنِینَ مَالِکَ بنَ الحَارِثِ الأَشتَرَ فِی عَهدِهِ إِلَیهِ حِینَ وَلّاهُ مِصرَ جِبَایَةَ خَرَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوّهَا وَ استِصلَاحَ أَهلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا أَمَرَهُ بِتَقوَی اللّهِ وَ إِیثَارِ طَاعَتِهِ وَ اتّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِی کِتَابِهِ مِن فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ الّتِی لَا یَسعَدُ أَحَدٌ إِلّا بِاتّبَاعِهَا وَ لَا یَشقَی إِلّا مَعَ جُحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا وَ أَن یَنصُرَ اللّهَ سُبحَانَهُ بِیَدِهِ وَ قَلبِهِ وَ لِسَانِهِ فَإِنّهُ جَلّ اسمُهُ قَد تَکَفّلَ بِنَصرِ مَن نَصَرَهُ وَ إِعزَازِ مَن أَعَزّهُ وَ أَمَرَهُ أَن یَکسِرَ مِن نَفسِهِ عِندَ الشّهَوَاتِ وَ یَنزَعَهَا عِندَ الجَمَحَاتِ فَإِنّ النّفسَ أَمّارَةٌ بِالسّوءِ إِلّا مَا رَحِمَ اللّهُ ثُمّ اعلَم یَا مَالِکُ أنَیّ قَد وَجّهتُکَ إِلَی بِلَادٍ قَد جَرَت عَلَیهَا دُوَلٌ قَبلَکَ مِن عَدلٍ وَ جَورٍ وَ أَنّ النّاسَ یَنظُرُونَ مِن أُمُورِکَ فِی مِثلِ مَا کُنتَ تَنظُرُ فِیهِ مِن أُمُورِ [صفحه ۳۱] الوُلَاةِ قَبلَکَ وَ یَقُولُونَ فِیکَ مَا کُنتَ تَقُولُهُ فِیهِم وَ إِنّمَا یُستَدَلّ عَلَی الصّالِحِینَ بِمَا یجُریِ اللّهُ لَهُم عَلَی أَلسُنِ عِبَادِهِ فَلیَکُن أَحَبّ الذّخَائِرِ إِلَیکَ ذَخِیرَةُ العَمَلِ الصّالِحِ فَاملِک هَوَاکَ وَ شُحّ بِنَفسِکَ عَمّا لَا یَحِلّ لَکَ فَإِنّ الشّحّ بِالنّفسِ الإِنصَافُ مِنهَا فِیمَا أَحبَبت أَو کَرِهَت نصرهٔ الله بالید الجهاد بالسیف وبالقلب الاعتقاد للحق وباللسان قول الحق والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر و قدتکفل الله بنصرهٔ من نصره لأنه تعالی قال وَ لَیَنصُرَنّ اللّهُ مَن یَنصُرُهُ. والجمحات منازعهٔ النفس إلی شهواتها ومآربها ونزعها بکفها. ثم قال له قدکنت تسمع أخبار الولاهٔ وتعیب قوما وتمدح قوما وسیقول الناس فی إمارتک الآن نحو ماکنت تقول فی الأمراء فاحذر أن تعاب وتذم کماکنت تعیب وتذم من یستحق الذم . ثم قال إنما یستدل علی الصالحین بما یکثر سماعه من ألسنهٔ الناس بمدحهم والثناء علیهم وکذلک یستدل علی الفاسقین بمثل ذلک . و کان یقال ألسنهٔ الرعیهٔ أقلام الحق سبحانه إلی الملوک . ثم أمره أن یشح بنفسه وفسر له الشح ما هو فقال إن تنتصف منها فیما أحبت -قرآن-۱۵۹-۱۹۳ [صفحه ۳۲] وکرهت أی لاتمکنها من الاسترسال فی الشهوات وکن أمیرا علیها ومسیطرا وقامعا لها من التهور والانهماک . فإن قلت هذامعنی قوله فیما أحبت فما معنی قوله وکرهت قلت لأنها تکره الصلاهٔ والصوم وغیرهما من العبادات الشرعیهٔ و من الواجبات العقلیهٔ و کمایجب أن یکون الإنسان مهیمنا علیها فی طرف الفعل یجب أن یکون مهیمنا علیها فی طرف الترک وَ أَشعِر قَلبَکَ الرّحمَةَ لِلرّعِیّةِ وَ المَحَبّةَ لَهُم وَ اللّطفَ بِهِم وَ لَا تَکُونَنّ عَلَیهِم سَبُعاً ضَارِیاً تَغتَنِمُ أَکلَهُم فَإِنّهُم صِنفَانِ إِمّا أَخٌ لَکَ فِی الدّینِ وَ إِمّا نَظِیرٌ لَکَ فِی الخَلقِ یَفرُطُ مِنهُمُ الزّلَلُ وَ تَعرِضُ لَهُمُ العِلَلُ وَ یُؤتَی عَلَی أَیدِیهِم فِی العَمدِ وَ الخَطَإِ فَأَعطِهِم مِن عَفوِکَ وَ صَفحِکَ مِثلِ ألّذِی تُحِبّ وَ تَرضَی أَن یُعطِیَکَ اللّهُ مِن عَفوِهِ وَ صَفحِهِ فَإِنّکَ فَوقَهُم وَ واَلیِ الأَمرِ عَلَیکَ فَوقَکَ وَ اللّهُ فَوقَ مَن وَلّاکَ وَ قَدِ استَکفَاکَ

أَمرَهُم وَ ابتَلَاكَ بِهِم وَ لَا تَنصِبَنّ نَفسَكَ لِحَربِ اللّهِ فَإِنّهُ لَا يدَىَ لَكَ بِنِقمَتِهِ وَ لَا غِنَى بِكَ عَن عَفوِهِ وَ رَحمَتِهِ وَ لَا تَندَمَنّ عَلَى عَفوٍ وَ لَا تَبجَحَنّ بِعُقُوبَةٍ وَ لَا تُسرِعَنّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدتَ عَنهَا مَندُوحَةً وَ لَا تَقُولَنّ إنِيّ مُؤَمّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ فَإِنّ ذَلِكَ إِدغَالٌ فِي القَلبِ وَ مَنهَكَةٌ لِلدّينِ وَ تَقَرّبٌ مِنَ الغِيَرِ [صفحه ٣٣] وَ إِذَا أَحدَثَ لَكَ مَا أَنتَ فِيهِ مِن سُلطَانِكَ أُبّهَةً أَو مَخِيلَةً فَانظُر إِلَى عِظَمِ مُلكِ اللّهِ فَوقَكَ وَ قُدرَتِهِ مِنكَ عَلَى مَا لَا تَقدِرُ عَلَيهِ مِن نَفسِكَ فَإِنّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيكَ مِن طِمَاحِكَ وَ يَكُفّ عَنكَ مِن غَربِكَ وَ يفَيِءُ إِلَيكَ بِمَا عَزَبَ عَنكَ مِن عَقلِكَ إِيّاكَ وَ مُسَامَاةَ اللّهِ فِي عَظَمَتِهِ وَ التّشَبّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ فَإِنّ اللّهَ يُذِلّ كُلّ جَبّارٍ وَ يُهِينُ كُلّ مُختَالٍ أشعر قلبك الرحمة أى اجعلها كالشعار له و هوالثوب الملاصق للجسد قال لأن الرعية إما أخوك فى الدين أوإنسان مثلك تقتضى رقة الجنسية وطبع البشرية الرحمة له . قوله ويؤتى على أيديهم مثل قولك ويؤخذ على أيديهم أى يهذبون ويثقفون يقال خذ على يد هذاالسفيه و قدحجر الحاكم على فلان وأخذ على يده . ثم قال فنسبتهم إليك كنسبتك إلى الله تعالى و كماتحب أن يصفح الله عنك ينبغى أن تصفح أنت عنهم . قوله لاتنصبن نفسك لحرب الله أى لاتبارزه بالمعاصى فإنه لايدى لك بنقمته اللام مقحمة والمراد الإضافة ونحوه قولهم لا أبا لك . قوله و لاتقولن إنى مؤمر أى لاتقل إنى أمير ووال آمر بالشىء فأطاع . [صفحه ٣٤] والإدغال الإفساد ومنهكة للدين ضعف وسقم . ثم أمره عندحدوث الأبهة والعظمة عنده لأجل الرئاسة والإمرة أن يذكر عظمة الله تعالى وقدرته على إعدامه وإيجاده وإماتته وإحيائه فإن تذكر ذلك يطامن من غلوائه أى يغض من تعظمه وتكبره ويطأطئ منه . والغرب حد السيف ويستعار للسطوة والسرعة فى البطش والفتك . قوله ويفىء أى يرجع إليك بما بعدعنك من عقلك وحرف المضارعة مضموم لأنه من أفاء. ومساماة الله تعالى مباراته فى السمو و هوالعلو أَنصِفِ اللّهَ وَ أَنصِفِ النّاسَ مِن نَفسِكَ وَ مِن خَاصّةِ أَهلِكَ وَ مَن لَكَ هَوًى فِيهِ مِن رَعِيّتِكَ فَإِنّكَ إِلّا تَفعَل تَظلِم وَ مَن ظَلَمَ عِبَادَ اللّهِ كَانَ اللّهُ خَصمَهُ دُونَ عِبَادِهِ وَ مَن خَاصَمَهُ اللّهُ أَدحَضَ حُجّتَهُ وَ كَانَ لِلّهِ حَرباً حَتّى يَنزِعَ أَو يَتُوبَ وَ لَيسَ شَيءٌ أَدعَى إِلَى تَغيِيرِ نِعمَةِ اللّهِ وَ تَعجِيلِ نِقمَتِهِ مِن إِقَامَةٍ عَلَى ظُلمٍ فَإِنّ اللّهَ يَسمَعُ دَعوَةَ المُضطَهَدِينَ وَ هُوَ لِلظّالِمِينَ بِالمِرصَادِ وَ ليَكُن أَحَبّ الأُمُورِ إِلَيكَ أَوسَطُهَا فِي الحَقّ وَ أَعَمّهَا فِي العَدلِ وَ أَجمَعُهَا لِرِضَا الرّعِيّةِ فَإِنّ سُخطَ العَامّةِ يُجحِفُ بِرِضَا الخَاصّةِ وَ إِنّ سُخطَ الخَاصّةِ يُغتَفَرُ مَعَ رِضَا العَامّةِ [صفحه ٣٥] وَ لَيسَ أَحَدٌ مِنَ الرّعِيّةِ أَثقَلَ عَلَى الوَالِي مَئُونَةً فِي الرّخَاءِ وَ أَقَلّ مَعُونَةً لَهُ فِي البَلَاءِ وَ أَكرَهَ لِلإِنصَافِ وَ أَسأَلَ بِالإِلحَافِ وَ أَقَلّ شُكراً عِندَ الإِعطَاءِ وَ أَبطَأَ عُذراً عِندَ المَنعِ وَ أَضعَفَ صَبراً عِندَ مُلِمّاتِ الدّهرِ مِن أَهلِ الخَاصّةِ وَ إِنّمَا عَمُودُ الدّينِ وَ جِمَاعُ المُسلِمِينَ وَ العُدّةُ لِلأَعدَاءِ العَامّةُ مِنَ الأُمّةِ فَليَكُن صِغوُكَ لَهُم وَ مَيلُكَ مَعَهُم قال له أنصف الله أى قم له بما فرض عليك من العبادة والواجبات العقلية والسمعية. ثم قال وأنصف الناس من نفسك و من ولدك وخاصة أهلك و من تحبه وتميل إليه من رعيتك فمتى لم تفعل ذلك كنت ظالما. ثم نهاه عن الظلم وأكد الوصاية عليه فى ذلك . ثم عرفه أن قانون الإمارة الاجتهاد فى رضا العامة فإنه لامبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة فأما إذاسخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة و ذلك مثل أن يكون فى البلد عشرة أوعشرون من أغنيائه وذوى الثروة من أهله يلازمون الوالى ويخدمونه ويسامرونه و قدصار كالصديق لهم فإن هؤلاء و من ضارعهم من حواشى الوالى وأرباب الشفاعات والقربات عنده لايغنون عنه شيئا عندتنكر العامة له وكذاك لايضر سخط هؤلاء إذارضيت العامة و ذلك لأن هؤلاء عنهم غنى ولهم بدل والعامة لاغنى عنهم و لابدل منهم ولأنهم إذاشغبوا عليه كانوا كالبحر إذاهاج واضطرب فلايقاومه أحد و ليس الخاصة كذلك . [صفحه ٣٦] ثم قال ع ونعم ما قال ليس شىءأقل نفعا و لاأكثر ضررا على الوالى من خواصه أيام الولاية لأنهم يثقلون عليه بالحاجات والمسائل والشفاعات فإذاعزل هجروه ورفضوه حتى لولقوه فى الطريق لم يسلموا عليه . والصغو بالكسر والفتح والصغا مقصور الميل وَ ليَكُن أَبعَدَ رَعِيّتِكَ مِنكَ وَ أَشنَأَهُم عِندَكَ أَطلَبُهُم لِمَعَايِبِ النّاسِ فَإِنّ فِي النّاسِ عُيُوباً الوَالِي أَحَقّ مَن سَتَرَهَا فَلَا تَكشِفَنّ عَمّا غَابَ عَنكَ مِنهَا فَإِنّمَا عَلَيكَ تَطهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَ اللّهُ يَحكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنكَ فَاستُرِ العَورَةَ مَا استَطَعتَ يَستُرِ اللّهُ مِنكَ مَا تُحِبّ سَترَهُ مِن رَعِيّتِكَ أَطلِق عَنِ النّاسِ

عُقدَةَ كُلِّ حِقدٍ وَ اقطَع عَنكَ سَبَبَ كُلِّ وِترٍ وَ تَغَابَ عَن كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَکَ وَ لَا تَعجَلَنّ إِلَى تَصدِيقِ سَاعٍ فَإِنّ السّاعِيَ غَاشّ وَ إِن تَشَبّهَ بِالنّاصِحِينَ وَ لَا تُدخِلَنّ فِي مَشُورَتِکَ بَخِيلًا يَعدِلُ بِکَ عَنِ الفَضلِ وَ يَعِدُکَ الفَقرَ وَ لَا جَبَاناً يُضعِفُکَ عَنِ الأُمُورِ وَ لَا حَرِيصاً يُزَيّنُ لَکَ الشّرَهَ بِالجَورِ فَإِنّ البُخلَ وَ الجُبنَ وَ الحِرصَ غَرَائِزُ شَتّى يَجمَعُهَا سُوءُ الظّنّ بِاللّهِ [صفحه ۳۷] أشناهم عندک أبغضهم إليک . وتغاب تغافل يقال تغابى فلان عن كذا. ويضح يظهر والماضى وضح

فصل فى النهى عن ذكر عيوب الناس و ماورد فى ذلک من الآثار

عاب رجل رجلا عندبعض الأشراف فقال له لقد استدللت على كثرة عيوبک بما تكثر فيه من عيوب الناس لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها. و قال الشاعر وأجرأ من رأيت بظهر غيب || على عيب الرجال أولو العيوب . و قال آخر يا من يعيب وعيبه متشعب || كم فيک من عيب و أنت تعيب فى الخبر المرفوع دعوا الناس بغفلاتهم يعيش بعضهم مع بعض -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۶۳ . و قال الوليد بن عتبة بن أبى سفيان كنت أساير أبى و رجل معنا يقع فى رجل فالتفت أبى إلى فقال يابنى نزه سمعک عن استماع الخنى كماتنزه لسانک عن الكلام به فإن المستمع شريک القائل إنما نظر إلى أخبث ما فى وعائه فأفرغه فى وعائک و لوردت كلمة جاهل فى فيه لسعد رادها كماشقى قائلها. و قال ابن عباس الحدث حدثان حدث من فيک وحدث من فرجک -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۶۰ . [صفحه ۳۸] وعاب رجل رجلا عندقتيبة بن مسلم فقال له قتيبة أمسک ويحک فقد تلمظت بمضغه طالما لفظها الكرام . ومر رجل بجارين له ومعه ريبة فقال أحدهما لصاحبه أفهمت مامعه من الريبة قال و مامعه قال كذا قال عبدى حر لوجه الله شكرا له تعالى إذ لم يعرفنى من الشر ماعرفک . و قال الفضيل بن عياض إن الفاحشة لتشيع فى كثير من المسلمين حتى إذاصارت إلى الصالحين كانوا لها خزانا. وقيل لبزرجمهر هل من أحد لاعيب فيه فقال ألذى لاعيب فيه لايموت . و قال الشاعر ولست بذى نيرب فى الرجا || ل مناع خير وسبابها و لا من إذا كان فى جانب || أضاع العشيرة واغتابها ولكن أطاوع ساداتها || و لاأتعلم ألقابها . و قال آخر لاتلتمس من مساوى الناس ماستروا || فيكشف الله سترا من مساويكا واذكر محاسن مافيهم إذاذكروا || و لاتعب أحدا منهم بما فيكا . و قال آخر ابدأ بنفسک فإنهما عن عيبها || فإذاانتهت عنه فأنت حكيم فهناک تعذر إن وعظت ويقتدى || بالقول منک ويقبل التعليم . [صفحه ۳۹] فأما قوله ع أطلق عن الناس عقدة كل حقد فقد استوفى هذاالمعنى زياد فى خطبته البتراء فقال و قدكانت بينى و بين أقوام إحن و قدجعلت ذلک دبر أذنى وتحت قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا و من كان منكم مسيئا فلينزع عن إساءته إنى لوعلمت أن أحدكم قدقتله السلال من بغضى لم أكشف عنه قناعا و لم أهتک له سترا حتى يبدى لى صفحته فإذافعل لم أناظره ألا فليشمل كل امرئ منكم على ما فى صدره و لايكونن لسانه شفرة تجرى على ودجه

فصل فى النهى عن سماع السعاية و ماورد ذلک من الآثار

فأما قوله ع و لاتعجلن إلى تصديق ساع فقد ورد فى هذاالمعنى كلام حسن قال ذو الرئاستين قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة و ليس من دل على شيءكمن قبله وأجازه فامقت الساعى على سعايته فإنه لو كان صادقا كان لئيما إذ هتک العورة وأضاع الحرمة. وعاتب مصعب بن الزبير الأحنف على أمر بلغه عنه فأنكره فقال مصعب أخبرنى به الثقة قال كلا أيها الأمير إن الثقة لايبلغ . و كان يقال لو لم يكن من عيب الساعى إلا أنه أصدق ما يكون أضر ما يكون على الناس لكان

كافيا.كانت الأكاسرة لاتأذن لأحد أن يطبخ السكباج و كان ذلك مما يختص به الملك فرفع ساع إلى أنوشروان إن فلانا دعانا ونحن جماعة إلى طعام له و فيه [صفحه ۴۰] سكباج فوقع أنوشروان على رقعته قدحمدنا نصيحتك وذممنا صديقك على سوء اختياره للإخوان .جاء رجل إلى الوليد بن عبدالملك و هوخليفة عبدالملك على دمشق فقال أيها الأمير إن عندى نصيحة قال اذكرها قال جار لى رجع من بعثه سرا فقال أما أنت فقد أخبرتنا أنك جار سوء فإن شئت أرسلنا معك فإن كنت كاذبا عاقبناك و إن كنت صادقا مقتناك و إن تركتنا تركناك قال بل أتركك أيها الأمير قال فانصرف . ومثل هذايحكى عن عبدالملك أن إنسانا سأله الخلوة فقال لجلسائه إذاشئتم فانصرفوا فلما تهيأ الرجل للكلام قال له اسمع ماأقول إياك أن تمدحنى فأنا أعرف بنفسى منك أوتكذبنى فإنه لارأى لمكذوب أوتسعى بأحد إلى فإنى لاأحب السعاية قال أفيأذن أمير المؤمنين بالانصراف قال إذاشئت . و قال بعض الشعراء لعمرك ماسب الأمير عدوه || ولكنما سب الأمير المبلغ . و قال آخر حرمت منائى منك إن كان ذا ألذى || أتاك به الواشون عنى كماقالوا ولكنهم لمارأوك شريعة || إلى تواصوا بالنميمة واحتالوا فقد صرت أذنا للوشاة سميعة || ينالون من عرضى و لوشئت مانالوا . و قال عبدالملك بن صالح لجعفر بن يحيى و قدخرج يودعه لماشخص إلى خراسان أيها الأمير أحب أن تكون لى كما قال الشاعر [صفحه ۴۱] فكونى على الواشين لداء شغبة || كما أناللواشى ألد شغوب . قال بل أكون كما قال القائل و إذاالواشى وشى يوما بها || نفع الواشى بما جاء يضر . و قال العباس بن الأحنف ماحطك الواشون من رتبة || عندى و لاضرك مغتاب كأنهم أثنوا و لم يعلموا || عليك عندى بالذى عابوا قوله ع و لاتدخلن فى مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر مأخوذ من قول الله تعالى الشّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَ يَأمُرُكُم بِالفَحشاءِ وَ اللّهُ يَعِدُكُم مَغفِرَةً مِنهُ وَ فَضلًا قال المفسرون الفحشاء هاهنا البخل ومعنى يَعِدُكُمُ الفَقرَيخيل إليكم أنكم إن سمحتم بأموالكم افتقرتم فيخوفكم فتخافون فتبخلون . قوله ع فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله كلام شريف عال على كلام الحكماء يقول إن بينها قدرا مشتركا و إن كانت غرائز وطبائع مختلفة و ذلك القدر المشترك هوسوء الظن بالله لأن الجبان يقول فى نفسه إن أقدمت قتلت والبخيل يقول إن سمحت وأنفقت افتقرت والحريص يقول إن لم أجد وأجتهد وأدأب فاتنى ماأروم و كل هذه الأمور ترجع إلى سوء الظن بالله و لوأحسن الظن الإنسان بالله و كان يقينه صادقا لعلم أن الأجل مقدر و أن الرزق مقدر و أن الغنى والفقر مقدران و أنه لا يكون من ذلك إلا ماقضى الله تعالى كونه -قرآن-۹۸-۱۹۷-قرآن-۲۴۰-۲۵۷ [صفحه ۴۲] شَرّ وُزَرَائِكَ مَن كَانَ قَبلَكَ لِلأَشرَارِ وَزِيراً وَ مَن شَرِكَهُم فِي الآثَامِ فَلَا يَكُونَنّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنّهُم أَعوَانُ الأَثَمَةِ وَ إِخوَانُ الظّلَمَةِ وَ أَنتَ وَاجِدٌ مِنهُم خَيرَ الخَلَفِ مِمّن لَهُ مِثلُ آرَائِهِم وَ نَفَاذِهِم وَ لَيسَ عَلَيهِ مِثلُ آصَارِهِم وَ أَوزَارِهِم وَ آثَامِهِم مِمّن لَم يُعَاوِن ظَالِماً عَلَى ظُلمِهِ وَ لَا آثِماً عَلَى إِثمِهِ أُولَئِكَ أَخَفّ عَلَيكَ مَئُونَةً وَ أَحسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَ أَحنَى عَلَيكَ عَطفاً وَ أَقَلّ لِغَيرِكَ إِلفاً فَاتّخِذ أُولَئِكَ خَاصّةً لِخَلَوَاتِكَ وَ حَفَلَاتِكَ ثُمّ لِيَكُن آثَرُهُم عِندَكَ أَقوَلَهُم بِمُرّ الحَقّ لَكَ وَ أَقَلّهُم مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنكَ مِمّا كَرِهَ اللّهُ لِأَولِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِن هَوَاكَ حَيثُ وَقَعَ نهاه ع ألا يتخذ بطانة قدكانوا من قبل بطانة للظلمة و ذلك لأن الظلم وتحسينه قدصار ملكة ثابتة فى أنفسهم فبعيد أن يمكنهم الخلو منها إذ قدصارت كالخلق الغريزى اللازم لتكرارها وصيرورتها عادة فقد جاءت النصوص فى الكتاب والسنة بتحريم معاونة الظلمة ومساعدتهم وتحريم الاستعانة بهم فإن من استعان بهم كان معينا لهم قال تعالى وَ ما كُنتُ مُتّخِذَ المُضِلّينَ عَضُداً و قال لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ اليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ و -قرآن-۳۳۵-۳۷۴-قرآن-۳۸۲-۴۷۶ جاء فى الخبر المرفوع ينادى يوم القيامة أين من برى لهم أى الظالمين قلما -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۷۹ . [صفحه ۴۳] أتى الوليد بن عبدالملك برجل من الخوارج فقال له ماتقول فى الحجاج قال و ماعسيت أن أقول فيه هل هو إلاخطيئة من خطاياك وشرر من نارك فلعنك الله ولعن الحجاج معك وأقبل يشتمهما فالتفت الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز فقال ماتقول فى هذا قال ماأقول فيه هذا رجل يشتمكم فإما أن تشتموه كماشتمكم وإما أن تعفوا عنه فغضب الوليد و قال لعمر

ماأظنك إلاخارجيا فقال عمر و ماأظنك إلامجنونا وقام فخرج مغضبا ولحقه خالد بن الريان صاحب شرطة الوليد فقال له مادعاك إلى ماكلمت به أمير المؤمنين لقد ضربت بيدى إلى قائم سيفى أنتظر متى يأمرنى بضرب عنقك قال أ وكنت فاعلا لوأمرك قال نعم فلما استخلف عمر جاء خالد بن الريان فوقف على رأسه متقلدا سيفه فنظر إليه و قال ياخالد ضع سيفك فإنك مطيعنا فى كل أمر نأمرك به و كان بين يديه كاتب للوليد فقال له ضع أنت قلمك فإنك كنت تضر به وتنفع أللهم إنى قدوضعتهما فلاترفعهما قال فو الله مازالا وضيعين مهينين حتى ماتا. وروى الغزالى فى كتاب إحياء علوم الدين قال لماخالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين إليه عافانا الله وإياك أبابكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغى لمن عرفك أن يدعو الله لك ويرحمك فقد أصبحت شيخا كبيرا و قدأثقلتك نعم الله عليك بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه و ليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء فإنه تعالى قال لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَ لا تَكتُمُونَهُ واعلم أن أيسر ماارتكبت وأخف مااحتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك إلى من لم يؤد حقا و لم يترك باطلا حين أدناك اتخذوك أبابكر قطبا تدور -قرآن-١٢٤٦-١٢٨٧ [صفحه ۴۴] عليه رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليه إلى بلائهم ومعاصيهم وسلما يصعدون فيه إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ماعمروا لك فى جنب ماخربوا عليك و ماأكثر ماأخذوا منك فى جنب ماأفسدوا من حالك ودينك و مايؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فَخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلفٌ أَضاعُوا الصّلاةَ وَ اتّبَعُوا الشّهَواتِ فَسَوفَ يَلقَونَ غَيّا يا أبابكر إنك تعامل من لايجهل ويحفظ عليك من لايغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد و مايخفى على الله من شىء فى الأرض و لا فى السماء و السلام -قرآن-٢٩۶-٣٨٧ وَ الصَق بِأَهلِ الوَرَعِ وَ الصّدقِ ثُمّ رُضهُم عَلَى أَلّا يُطرُوكَ وَ لَا يَبجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَم تَفعَلهُ فَإِنّ كَثرَةَ الإِطرَاءِ تُحدِثُ الزّهوَ وَ تُدنيِ مِنَ العِزّةِ وَ لَا يَكُونَنّ المُحسِنُ وَ المُسِيءُ عِندَكَ بِمَنزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنّ فِي ذَلِكَ تَزهِيداً لِأَهلِ الإِحسَانِ فِي الإِحسَانِ وَ تَدرِيباً لِأَهلِ الإِسَاءَةِ وَ أَلزِم كُلّا مِنهُم مَا أَلزَمَ نَفسَهُ [صفحه ۴۵] قوله والصق بأهل الورع كلمة فصيحة يقول اجعلهم خاصتك وخلصاءك . قال ثم رضهم على ألا يطروك أى عودهم ألا يمدحوك فى وجهك و لايبجحوك بباطل لايجعلوك ممن يبجح أى يفخر بباطل لم يفعله كمايبجح أصحاب الأمراء الأمراء بأن يقولوا لهم مارأينا أعدل منكم و لاأسمح و لاحمى هذاالثغر أميرأشد بأسا منكم ونحو ذلك و قدجاء فى الخبر احثوا فى وجوه المداحين التراب -روايت-١-٢-روايت-١٢-۴۵ . و قال عبدالملك لمن قام يساره ماتريد أتريد أن تمدحنى وتصفنى أناأعلم بنفسى منك . وقام خالد بن عبد الله القسرى إلى عمر بن عبدالعزيز يوم بيعته فقال يا أمير المؤمنين من كانت الخلافة زائنته فقد زينتها و من كانت شرفته فقد شرفتها فإنك لكما قال القائل و إذاالدر زان حسن وجوه || كان للدر حسن وجهك زينا . فقال عمر بن عبدالعزيز لقد أعطى صاحبكم هذامقولا وحرم معقولا وأمره أن يجلس . و لماعقد معاوية البيعة لابنه يزيد قام الناس يخطبون فقال معاوية لعمرو بن سعيد الأشدق قم فاخطب يا أباأمية فقام فقال أما بعد فإن يزيد ابن أمير المؤمنين أمل تأملونه وأجل تأمنونه إن افتقرتم إلى حلمه وسعكم و إن احتجتم إلى رأيه أرشدكم و إن اجتديتم ذات يده أغناكم وشملكم جذع قارح سوبق فسبق وموجد فمجد [صفحه ۴۶] وقورع فقرع و هوخلف أمير المؤمنين و لاخلف منه فقال معاوية أوسعت يا أباأمية فاجلس فإنما أردنا بعض هذا. وأثنى رجل على على ع فى وجهه ثناء أوسع فيه و كان عنده متهما فقال له أنادون ماتقول وفوق ما فى نفسك -روايت-١-١١۴ و قال ابن عباس لعتبة بن أبى سفيان و قدأثنى عليه فأكثر رويدا فقد أمهيت يا أباالوليد يعنى بالغت يقال أمهى حافر البئر إذااستقصى حفرها.فأما قوله ع و لايكونن المحسن والمسىء عندك بمنزلة سواء فقد أخذه الصابى فقال و إذا لم يكن للمحسن مايرفعه وللمسىء مايضعه زهد المحسن فى الإحسان واستمر المسىء على الطغيان و قال أبوالطيب شر البلاد بلاد لاصديق بها || وشر مايكسب الإنسان مايصم وشر ماقبضته راحتى قنص || شهب البزاة سواء فيه والرخم . و كان يقال قضاء حق المحسن أدب للمسىء وعقوبة المسىء جزاء للمحسن وَ

اعلَم أَنّهُ لَيسَ شَىءٌ بِأَدعَى إِلَى حُسنِ ظَنّ وَالٍ بِرَعِيّتِهِ مِن إِحسَانِهِ إِلَيهِم وَ تَخفِيفِهِ المُئُونَاتِ عَلَيهِم وَ تَركِ استِكرَاهِهِ إِيّاهُم عَلَى مَا لَيسَ لَهُ قِبَلَهُم فَليَكُن مِنكَ فِى ذَلِكَ أَمرٌ يَجتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسنُ الظّنّ بِرَعِيّتِكَ فَإِنّ حُسنَ الظّنّ يَقطَعُ عَنكَ نَصَباً طَوِيلًا وَ إِنّ أَحَقّ مَن حَسُنَ ظَنّكَ بِهِ لَمَن حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِندَهُ وَ إِنّ أَحَقّ مَن سَاءَ ظَنّكَ بِهِ لَمَن سَاءَ بَلَاؤُكَ عِندَهُ [صفحه ۴۷] وَ لَا تَنقُض سُنّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الأُمّةِ وَ اجتَمَعَت بِهَا الأُلفَةُ وَ صَلَحَت عَلَيهَا الرّعِيّةُ وَ لَا تُحدِثَنّ سُنّةً تَضُرّ بِشَىءٍ مِن مَاضِى تِلكَ السّنَنِ فَيَكُونَ الأَجرُ لِمَن سَنّهَا وَ الوِزرُ عَلَيكَ بِمَا نَقَضتَ مِنهَا وَ أَكثِر مُدَارَسَةَ العُلَمَاءِ وَ مُنَاقَشَةَ الحُكَمَاءِ فِى تَثبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيهِ أَمرُ بِلَادِكَ وَ إِقَامَةِ مَا استَقَامَ بِهِ النّاسُ قَبلَكَ خلاصة صدر هذاالفصل أن من أحسن إليك حسن ظنه فيك و من أساء إليك استوحش منك و ذلك لأنك إذاأحسنت إلى إنسان وتكرر منك ذلك الإحسان تبع ذلك اعتقادك أنه قدأحبك ثم يتبع ذلك الاعتقاد أمر آخر و هوأنك تحبه لأن الإنسان مجبول على أن يحب من يحبه و إذاأحببته سكنت إليه وحسن ظنك فيه وبالعكس من ذلك إذاأسأت إلى زيد لأنك إذاأسأت إليه وتكررت الإساءة تبع ذلك اعتقادك أنه قدأبغضك ثم يتبع ذلك الاعتقاد أمر آخر و هو أن تبغضه أنت و إذاأبغضته انقبضت منه واستوحشت وساء ظنك به . قال المنصور للربيع سلنى لنفسك قال يا أمير المؤمنين ملأت يدى فلم يبق عندى موضع للمسألة قال فسلنى لولدك قال أسألك أن تحبه فقال المنصور ياربيع إن الحب لايسأل وإنما هوأمر تقتضيه الأسباب قال يا أمير المؤمنين وإنما أسألك أن تزيد من إحسانك فإذاتكرر أحبك و إذاأحبك أحببته فاستحسن [صفحه ۴۸] المنصور ذلك ثم نهاه عن نقض السنن الصالحة التى قدعمل بها من قبله من صالحى الأمة فيكون الوزر عليه بما نقض والأجر لأولئك بما أسسوا ثم أمره بمطارحة العلماء والحكماء فى مصالح عمله فإن المشورة بركة و من استشار فقد أضاف عقلا إلى عقله . ومما جاء فى معنى الأول قال رجل لإياس بن معاوية من أحب الناس إليك قال الذين يعطونى قال ثم من قال الذين أعطيهم . و قال رجل لهشام بن عبدالملك إن الله جعل العطاء محبة والمنع مبغضة فأعنى على حبك و لاتعنى فى بغضك وَ اعلَم أَنّ الرّعِيّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصلُحُ بَعضُهَا إِلّا بِبَعضٍ وَ لَا غِنَى بِبَعضِهَا عَن بَعضٍ فَمِنهَا جُنُودُ اللّهِ وَ مِنهَا كُتّابُ العَامّةِ وَ الخَاصّةِ وَ مِنهَا قُضَاةُ العَدلِ وَ مِنهَا عُمّالُ الإِنصَافِ وَ الرّفقِ وَ مِنهَا أَهلُ الجِزيَةِ وَ الخَرَاجِ مِن أَهلِ الذّمّةِ وَ مُسلِمَةِ النّاسِ وَ مِنهَا التّجّارُ وَ أَهلُ الصّنَاعَاتِ وَ مِنهَا الطّبَقَةُ السّفلَى مِن ذَوِي الحَاجَاتِ وَ المَسكَنَةِ وَ كُلّ قَد سَمّى اللّهُ لَهُ سَهمَهُ وَ وَضَعَ عَلَى حَدّهِ وَ فَرِيضَتِهِ فِى كِتَابِهِ أَو سُنّةِ نَبِيّهِص عَهداً مِنهُ عِندَنَا مَحفُوظاً فَالجُنُودُ بِإِذنِ اللّهِ حُصُونُ الرّعِيّةِ وَ زَينُ الوُلَاةِ وَ عِزّ الدّينِ وَ سُبُلُ الأَمنِ وَ لَيسَ تَقُومُ الرّعِيّةُ إِلّا بِهِم ثُمّ لَا قِوَامَ لِلجُنُودِ إِلّا بِمَا يُخرِجُ اللّهُ لَهُم مِنَ الخَرَاجِ الّذِى يَقوَونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوّهِم وَ يَعتَمِدُونَ عَلَيهِ فِيمَا يُصلِحُهُم وَ يَكُونُ مِن وَرَاءِ حَاجَتِهِم ثُمّ لَا قِوَامَ لِهَذَينِ الصّنفَينِ إِلّا بِالصّنفِ الثّالِثِ مِنَ القُضَاةِ وَ العُمّالِ [صفحه ۴۹] وَ الكُتّابِ لِمَا يُحكِمُونَ مِنَ المَعَاقِدِ وَ يَجمَعُونَ مِنَ المَنَافِعِ وَ يُؤتَمَنُونَ عَلَيهِ مِن خَوَاصّ الأُمُورِ وَ عَوَامّهَا وَ لَا قِوَامَ لَهُم جَمِيعاً إِلّا بِالتّجّارِ وَ ذَوِي الصّنَاعَاتِ فِيمَا يَجتَمِعُونَ عَلَيهِ مِن مَرَافِقِهِم وَ يُقِيمُونَهُ مِن أَسوَاقِهِم وَ يَكفُونَهُم مِنَ التّرَفّقِ بِأَيدِيهِم مِمّا لَا يَبلُغُهُ رِفقُ غَيرِهِم ثُمّ الطّبَقَةُ السّفلَى مِن أَهلِ الحَاجَةِ وَ المَسكَنَةِ الّذِينَ يَحِقّ رِفدُهُم وَ مَعُونَتُهُم وَ فِى اللّهِ لِكُلّ سَعَةٌ وَ لِكُلّ عَلَى الوَالِي حَقّ بِقَدرِ مَا يُصلِحُهُ وَ لَيسَ يَخرُجُ الوَالِي مِن حَقِيقَةِ مَا أَلزَمَهُ اللّهُ تَعَالَى مِن ذَلِكَ إِلّا بِالِاهتِمَامِ وَ الِاستِعَانَةِ بِاللّهِ وَ تَوطِينِ نَفسِهِ عَلَى لُزُومِ الحَقّ وَ الصّبرِ عَلَيهِ فِيمَا خَفّ عَلَيهِ أَو ثَقُلَ قالت الحكماء الإنسان مدنى بالطبع ومعناه أنه خلق خلقة لابد معها من أن يكون منضما إلى أشخاص من بنى جنسه ومتمدنا فى مكان بعينه و ليس المراد بالمتمدن ساكن المدينة ذات السور والسوق بل لابد أن يقيم فى موضع ما مع قوم من البشر و ذلك لأن الإنسان مضطر إلى مايأكله ويشربه ليقيم صورته ومضطر إلى مايلبسه ليدفع عنه أذى الحر والبرد و إلى مسكن يسكنه ليرد عنه عادية غيره من الحيوانات وليكون منزلا له ليتمكن من التصرف والحركة عليه ومعلوم أن الإنسان وحده لايستقل بالأمور التى عددناها بل لابد من جماعة يحرث بعضهم لغيره الحرث و ذلك الغير يحوك للحراث الثوب و ذلك الحائك يبنى له غيره المسكن و ذلك البناء يحمل له [صفحه ۵۰] غيره الماء و ذلك

السقاء يكفيه غيره أمر تحصيل الآلة التى يطحن بهاالحب ويعجن بهاالدقيق ويخبز بهاالعجين و ذلك المحصل لهذه الأشياء يكفيه غيره الاهتمام بتحصيل الزوجة التى تدعو إليها داعية الشبق فيحصل مساعدة بعض الناس لبعض لو لا ذلك لماقامت الدنيا فلهذا معنى قوله ع إنهم طبقات لايصلح بعضها إلابعض و لاغناء ببعضها عن بعض . ثم فصلهم وقسمهم فقال منهم الجند ومنهم الكتاب ومنهم القضاة ومنهم العمال ومنهم أرباب الجزية من أهل الذمة ومنهم أرباب الخراج من المسلمين ومنهم التجار ومنهم أرباب الصناعات ومنهم ذوو الحاجات والمسكنة وهم أدون الطبقات . ثم ذكر أعمال هذه الطبقات فقال الجند للحماية والخراج يصرف إلى الجند والقضاة والعمال والكتاب لمايحكمونه من المعاقد ويجمعونه من المنافع و لابد لهؤلاء جميعا من التجار لأجل البيع والشراء ألذى لاغناء عنه و لابد لكل من أرباب الصناعات كالحداد والنجار والبناء وأمثالهم ثم تلى هؤلاء الطبقة السفلى وهم أهل الفقر والحاجة الذين تجب معونتهم والإحسان إليهم . وإنما قسمهم فى هذاالفصل هذاالتقسيم تمهيدا لمايذكره فيما بعدفإنه قدشرع بعد هذاالفصل فذكر طبقة طبقة وصنفا صنفا وأوصاه فى كل طبقة و فى كل صنف منهم بما يليق بحاله وكأنه مهد هذاالتمهيد كالفهرست لماياتى بعده من التفصيل [صفحه ٥١] فَوَلّ مِن جُنُودِکَ أَنصَحَهُم فِی نَفسِکَ لِلّهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِکَ وَ أَطهَرَهُم جَیباً وَ أَفضَلَهُم حِلماً مِمّن یُبطِئُ عَنِ الغَضَبِ وَ یَستَرِیحُ إِلَی العُذرِ وَ یَرأَفُ بِالضّعَفَاءِ وَ یَنبُو عَلَی الأَقوِیَاءِ وَ مِمّن لَا یُثِیرُهُ العُنفُ وَ لَا یَقعُدُ بِهِ الضّعفُ ثُمّ الصَق بِذَوِی المُرُوءَاتِ وَ الأَحسَابِ وَ أَهلِ البُیُوتَاتِ الصّالِحَةِ وَ السّوَابِقِ الحَسَنَةِ ثُمّ أَهلِ النّجدَةِ وَ الشّجَاعَةِ وَ السّخَاءِ وَ السّمَاحَةِ فَإِنّهُم جِمَاعٌ مِنَ الکَرَمِ وَ شُعَبٌ مِنَ العُرفِ ثُمّ تَفَقّد مِن أُمُورِهِم مَا یَتَفَقّدُ الوَالِدَانِ مِن وَلَدِهِمَا وَ لَا یَتَفَاقَمَنّ فِی نَفسِکَ شَیءٌ قَوّیتَهُم بِهِ وَ لَا تَحقِرَنّ لُطفاً تَعَاهَدتَهُم بِهِ وَ إِن قَلّ فَإِنّهُ دَاعِیَةٌ لَهُم إِلَی بَذلِ النّصِیحَةِ لَکَ وَ حُسنِ الظّنّ بِکَ وَ لَا تَدَع تَفَقّدَ لَطِیفِ أُمُورِهِمُ اتّکَالًا عَلَی جَسِیمِهَا فَإِنّ لِلیَسِیرِ مِن لُطفِکَ مَوضِعاً یَنتَفِعُونَ بِهِ وَ لِلجَسِیمِ مَوقِعاً لَا یَستَغنُونَ عَنهُ وَ لیَکُن آثَرُ رُءُوسِ جُندِکَ عِندَکَ مَن وَاسَاهُم فِی مَعُونَتِهِ وَ أَفضَلَ عَلَیهِم مِن جِدَتِهِ بِمَا یَسَعُهُم وَ یَسَعُ مَن وَرَاءَهُم مِن خُلُوفِ أَهلِیهِم حَتّی یَکُونَ هَمّهُم هَمّاً وَاحِداً فِی جِهَادِ العَدُوّ فَإِنّ عَطفَکَ عَلَیهِم یَعطِفُ قُلُوبَهُم عَلَیکَ وَ لَا تَصِحّ نَصِیحَتُهُم إِلّا بِحِیطَتِهِم عَلَی وُلَاةِ أُمُورِهِم وَ قِلّةِ استِثقَالِ دُوَلِهِم وَ تَركِ استِبطَاءِ انقِطَاعِ مُدّتِهِم فَافسَح فِی آمَالِهِم وَ وَاصِل مِن حُسنِ الثّنَاءِ عَلَیهِم وَ تَعدِیدِ مَا أَبلَی ذَوُو البَلَاءِ [صفحه ٥٢] مِنهُم فَإِنّ کَثرَةَ الذّکرِ لِحُسنِ فِعَالِهِم تَهُزّ الشّجَاعَ وَ تُحَرّضُ النّاکِلَ إِن شَاءَ اللّهُ ثُمّ اعرِف لِکُلّ امرِئٍ مِنهُم مَا أَبلَی وَ لَا تَضُمّنّ بَلَاءَ امرِئٍ إِلَی غَیرِهِ وَ لَا تُقَصّرَنّ بِهِ دُونَ غَایَةِ بَلَائِهِ وَ لَا یَدعُوَنّکَ شَرَفُ امرِئٍ إِلَی أَن تُعظِمَ مِن بَلَائِهِ مَا کَانَ صَغِیراً وَ لَا ضَعَةُ امرِئٍ إِلَی أَن تَستَصغِرَ مِن بَلَائِهِ مَا کَانَ عَظِیماً وَ اردُد إِلَی اللّهِ وَ رَسُولِهِ مَا یُضلِعُکَ مِنَ الخُطُوبِ وَ یَشتَبِهُ عَلَیکَ مِنَ الأُمُورِ فَقَد قَالَ اللّهُ سُبحَانَهُ لِقَومٍ أَحَبّ إِرشَادَهُمیا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرّسُولَ وَ أُولِی الأَمرِ مِنکُم فَإِن تَنازَعتُم فِی شَیءٍ فَرُدّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرّسُولِفَالرّدّ إِلَی اللّهِ الأَخذُ بِمُحکَمِ کِتَابِهِ وَ الرّدّ إِلَی الرّسُولِ الأَخذُ بِسُنّتِهِ الجَامِعَةِ غَیرِ المُفَرّقَةِ -قرآن-٥٦٠-٧١٥ هذاالفصل مختص بالوصاة فيما يتعلق بأمراء الجيش أمره أن يولى أمر الجيش من جنوده من كان أنصحهم لله فى ظنه وأطهرهم جيبا أى عفيفا أمينا ويكنى عن العفة والأمانة بطهارة الجيب لأن ألذى يسرق يجعل المسروق فى جيبه . فإن قلت و أى تعلق لهذا بولاة الجيش إنما ينبغى أن تكون هذه الوصية فى ولاة الخراج قلت لابد منها فى أمراء الجيش لأجل الغنائم . ثم وصف ذلك الأمير فقال ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر أى يقبل [صفحه ٥٣] أدنى عذر ويستريح إليه ويسكن عنده ويرؤف على الضعفاء يرفق بهم ويرحمهم والرأفة الرحمة وينبو عن الأقوياء يتجافى عنهم ويبعد أى لايمكنهم من الظلم والتعدى على الضعفاء و لايثيره العنف لايهيج غضبه عنف وقسوة و لايقعد به الضعف أى ليس عاجزا. ثم أمره أن يلصق بذوى الأحساب و أهل البيوتات أى يكرمهم ويجعل معوله فى ذلك عليهم و لايتعداهم إلى غيرهم و كان يقال عليكم بذوى الأحساب فإن هم لم يتكرموا استحيوا. ثم ذكر بعدهم أهل الشجاعة والسخاء ثم قال إنها جماع من الكرم وشعب من العرف من هاهنا زائدة و إن كانت فى الإيجاب على مذهب أبى الحسن الأخفش أى جماع الكرم أى يجمعه كقول النبى

ص الخمر جماع الإثم -روايت-١-٢-روايت-١٨-٣٧ والعرف المعروف . وكذلك من فی قوله وشعب من العرف أی شعب العرف أی هی أقسامه وأجزاؤه ويجوز أن تكون من علی حقيقتها للتبعيض أی هذه الخلال جملة من الكرم وأقسام المعروف و ذلك لأن غيرها أيضا من الكرم والمعروف ونحو العدل والعفة. قوله ثم تفقد من أمورهم الضمير هاهنا يرجع إلی الأجناد لا إلی الأمراء لماسنذكره مما يدل الكلام عليه . فإن قلت إنه لم يجر للأجناد ذكر فيما سبق وإنما المذكور الأمراء قلت كلا بل سبق ذكر الأجناد و هو قوله الضعفاء والأقوياء. [صفحه ٥۴] وأمره ع أن يتفقد من أمور الجيش مايتفقد الوالدان من حال الولد وأمره ألا يعظم عنده مايقويهم به و إن عظم وألا يستحقر شيئا تعهدهم به و إن قل وألا يمنعه تفقد جسيم أمورهم عن تفقد صغيرها وأمره أن يكون آثر رءوس جنوده عنده وأحظاهم عنده وأقربهم إليه من واساهم فی معونته هذا هوالضمير الدال علی أن الضمير المذكور أولا للجند لالأمراء الجند لو لا ذلك لماانتظم الكلام . قوله من خلوف أهليهم أی ممن يخلفونه من أولادهم وأهليهم . ثم قال لايصح نصيحة الجند لك إلابحيطتهم علی ولاتهم أی بتعطفهم عليهم وتحننهم وهی الحيطة علی وزن الشيمة مصدر حاطه يحوطه حوطا وحياطا وحيطة أی كلأه ورعاه وأكثر الناس يروونها إلابحيطتهم بتشديد الياء وكسرها والصحيح ماذكرناه . قوله وقلة استثقال دولهم أی لاتصح نصيحة الجند لك إلا إذاأحبوا أمراءهم ثم لم يستثقلوا دولهم و لم يتمنوا زوالها. ثم أمره أن يذكر فی المجالس والمحافل بلاء ذوی البلاء منهم فإن ذلك مما يرهف عزم الشجاع ويحرك الجبان . قوله و لاتضمن بلاء امرئ إلی غيره أی اذكر كل من أبلی منهم مفردا غيرمضموم ذكر بلائه إلی غيره كی لا يكون مغمورا فی جنب ذكر غيره . ثم قال له لاتعظم بلاء ذوی الشرف لأجل شرفهم و لاتحقر بلاء ذوی الضعة لضعة أنسابهم بل اذكر الأمور علی حقائقها. ثم أمره أن يرد إلی الله ورسوله مايضلعه من الخطوب أی مايئوده ويميله [صفحه ۵۵] لثقله و هذه الرواية أصح من رواية من رواها بالظاء و إن كان لتلك وجه

رسالة الإسكندر إلی أرسطو ورد أرسطو عليه

وينبغی أن نذكر فی هذاالموضع رسالة أرسطو إلی الإسكندر فی معنی المحافظة علی أهل البيوتات وذوی الأحساب و أن يخصهم بالرئاسة والإمرة و لايعدل عنهم إلی العامة والسفلة فإن فی ذلك تشييدا لكلام أمير المؤمنين ع ووصيته . لماملك الإسكندر ايرانشهر و هوالعراق مملكة الأكاسرة وقتل دارا بن دارا كتب إلی أرسطو و هوببلاد اليونان عليك أيها الحكيم منا السلام أما بعد فإن الأفلاك الدائرة والعلل السمائية و إن كانت أسعدتنا بالأمور التی أصبح الناس لنا بهادائبين فإنا جد واجدين لمس الاضطرار إلی حكمتك غيرجاحدين لفضلك والإقرار بمنزلتك والاستنامة إلی مشورتك والاقتداء برأيك والاعتماد لأمرك ونهيك لمابلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنا منفعته حتی صار ذلك بنجوعه فينا وترسخه فی أذهاننا وعقولنا كالغذاء لنا فما ننفك نعول عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحور وتعويل الفروع علی الأصول وقوة الأشكال بالأشكال و قد كان مما سيق إلينا من النصر والفلج وأتيح لنا من الظفر وبلغنا فی العدو من النكاية والبطش مايعجز القول عن وصفه ويقصر شكر المنعم عن موقع الإنعام به و كان من ذلك أناجاوزنا أرض سورية والجزيرة إلی بابل وأرض فارس فلما حللنا بعقوة أهلها وساحة بلادهم لم يكن إلاريثما تلقانا نفر منهم برأس ملكهم هدية إلينا وطلبا للحظوة عندنا فأمرنا بصلب من [صفحه ۵۶] جاء به وشهرته لسوء بلائه وقلة ارعوائه ووفائه ثم أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذی الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة أجسامهم وأحلامهم حاضرة ألبابهم وأذهانهم رائعة مناظرهم ومناطقهم دليلا علی أن مايظهر من روائهم ومنطقهم أن وراءه من قوة أيديهم وشدة نجدتهم وبأسهم ما لم يكن ليكون لنا سبيل إلی غلبتهم وإعطائهم بأيديهم لو لا أن القضاء أدالنا

منهم وأظفرنا بهم وأظهرنا عليهم و لم نر بعيدا من الرأى فى أمرهم أن نستأصل شأفتهم ونجتث أصلهم ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن القلوب بذلك الأمن إلى جرائرهم وبوائقهم فرأينا ألا نجعل بإسعاف بادئ الرأى فى قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشورتك فيهم فارفع إلينا رأيك فيما استشرناك فيه بعدصحته عندك وتقليبك إياه بجلى نظرك وسلام أهل السلام فليكن علينا وعليك .فكتب إليه أرسطو لملك الملوك وعظيم العظماء الإسكندر المؤيد بالنصر على الأعداء المهدى له الظفر بالملوك من أصغر عبيده وأقل خوله أرسطوطاليس البخوع بالسجود والتذلل فى السلام والإذعان فى الطاعة أما بعدفإنه لاقوة بالمنطق و إن احتشد الناطق فيه واجتهد فى تثقيف معانيه وتأليف حروفه ومبانيه على الإحاطة بأقل ماتناله القدرة من بسطة علو الملك وسمو ارتفاعه عن كل قول وإبرازه على كل وصف واغترافه بكل إطناب و قد كان تقرر عندى من مقدمات إعلام فضل الملك فى صهلة سبقه وبروز شأوه ويمن نقيبته مذ أدت إلى حاسة بصرى صورة شخصه واضطرب فى حس سمعى صوت لفظه ووقع وهمى [صفحه ٥٧] على تعقيب نجاح رأيه أيام كنت أؤدى إليه من تكلف تعليمى إياه ماأصبحت قاضيا على نفسى بالحاجة إلى تعلمه منه ومهما يكن منى إليه فى ذلك فإنما هوعقل مردود إلى عقله مستنبطة أواليه وتواليه من علمه وحكمته و قدجلا إلى كتاب الملك ومخاطبته إياى ومسألته لى عما لايتخالجنى الشك فى لقاح ذلك وإنتاجه من عنده فعنه صدر و عليه ورد و أنافيما أشير به على الملك و إن اجتهدت فيه واحتشدت له وتجاوزت حد الوسع والطاقة منى فى استنظافه واستقصائه كالعدم مع الوجود بل كما لايتجزأ فى جنب معظم الأشياء ولكنى غيرممتنع من إجابة الملك إلى ماسأل مع علمى ويقينى بعظيم غناه عنى وشدة فاقتى إليه و أناراد إلى الملك مااكتسبته منه ومشير عليه بما أخذته منه فقائل له إن لكل تربة لامحالة قسما من الفضائل و إن لفارس قسمها من النجدة والقوة وإنك إن تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء على أعقابهم وتورث سفلتهم على منازل عليتهم وتغلب أدنياءهم على مراتب ذوى أخطارهم و لم يبتل الملوك قط ببلاء هوأعظم عليهم وأشد توهينا لسلطانهم من غلبة السفلة وذل الوجوه فاحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من الغلبة والحركة فإنه إن نجم منهم بعداليوم على جندك و أهل بلادك ناجم دهمهم منه ما لاروية فيه و لابقية معه فانصرف عن هذاالرأى إلى غيره واعمد إلى من قبلك من أولئك العظماء والأحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحيته واعقد التاج على رأسه و إن صغر ملكه فإن المتسمى بالملك لازم لاسمه والمعقود التاج على رأسه لايخضع لغيره فليس ينشب ذلك أن يوقع كل ملك منهم بينه و بين صاحبه تدابرا وتقاطعا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال والجند حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وأوتارهم فيك ويعود حربهم لك حربا [صفحه ٥٨] بينهم وحنقهم عليك حنقا منهم على أنفسهم ثم لايزدادون فى ذلك بصيرة إلاأحدثوا لك بهااستقامة إن دنوت منهم دانوا لك و إن نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ويسترهبه بجندك و فى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لأحداثهم بعدك و إن كان لاأمان للدهر و لاثقة بالأيام . قدأديت إلى الملك مارأيته لى حظا و على حقا من إجابتى إياه إلى ماسألنى عنه ومحضته النصيحة فيه والملك أعلى عينا وأنفذ روية وأفضل رأيا وأبعد همة فيما استعان بى عليه وكلفنى بتبيينه والمشورة عليه فيه لازال الملك متعرفا من عوائد النعم وعواقب الصنع وتوطيد الملك وتنفيس الأجل ودرك الأمل ماتأتى فيه قدرته على غاية قصوى ماتناله قدرة البشر. و السلام ألذى لاانقضاء له و لاانتهاء و لاغاية و لافناء فليكن على الملك .قالوا فعمل الملك برأيه واستخلف على ايرانشهر أبناء الملوك والعظماء من أهل فارس فهم ملوك الطوائف الذين بقوا بعده والمملكة موزعة بينهم إلى أن جاء أردشير بن بابك فانتزع الملك منهم ثُم اختَر لِلحُكم بَينَ النّاسِ أَفضَلَ رَعِيّتِكَ فِي نَفسِكَ مِمّن لَا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ وَ لَا تُمَحّكُهُ الخُصُومُ وَ لَا يَتَمَادَى فِي الزّلّةِ وَ لَا يَحصَرُ مِنَ الفيَءِ إِلَى الحَقّ إِذَا عَرَفَهُ وَ لَا تُشرِفُ نَفسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَ لَا يَكتَفِي بِأَدنَى فَهمٍ دُونَ أَقصَاهُ وَ أَوقَفَهُم فِي الشّبُهَاتِ وَ آخَذَهُم بِالحُجَجِ وَ أَقَلّهُم تَبَرّماً بِمُرَاجَعَةِ الخَصمِ وَ أَصبَرَهُم [صفحه ٥٩] عَلَى تَكَشّفِ الأُمُورِ وَ أَصرَمَهُم عِندَ اتّضَاحِ الحُكمِ مِمّن لَا يَزدَهِيهِ إِطرَاءٌ وَ لَا يَستَمِيلُهُ إِغرَاءٌ وَ أُولَئِكَ قَلِيلٌ

ثُمّ أَكثِر تَعاهُدَ قَضَائِهِ وَ أَفسِح لَهُ فِی البَذلِ مَا یُزِیحُ عِلّتَهُ وَ تَقِلّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَی النّاسِ وَ أَعطِهِ مِنَ المَنزِلَةِ لَدَیکَ مَا لَا یَطمَعُ فِیهِ غَیرُهُ مِن خَاصّتِکَ لِیَأمَنَ بِذَلِکَ اغتِیَالَ الرّجَالِ لَهُ عِندَکَ فَانظُر فِی ذَلِکَ نَظَراً بَلِیغاً فَإِنّ هَذَا الدّینَ قَد کَانَ أَسِیراً فِی أَیدِی الأَشرَارِ یُعمَلُ فِیهِ بِالهَوَی وَ تُطلَبُ بِهِ الدّنیَا تمحکه الخصوم تجعله ماحکا أی لجوجا محک الرجل أی لج وماحک زید عمرا أی لاجه . قوله و لایتمادی فی الزلة أی إن زل رجع وأناب والرجوع إلی الحق خیر من التمادی فی الباطل . قوله و لایحصر من الفیء هوالمعنی الأول بعینه والفیء الرجوع إلا أن هاهنا زیادة و هو أنه لایحصر أی لایعیا فی المنطق لأن من الناس من إذازل حصر عن أن یرجع وأصابه کالفهاهة والعی خجلا. قوله و لاتشرف نفسه أی لاتشفق والإشراف الإشفاق والخوف وأنشد اللیث و من مضر الحمراء إسراف أنفس || علینا وحیاها علینا تمضرا . [صفحه ۶۰] و قال عروة بن أذینة لقد علمت و ماالإشراف من خلقی || أن ألذی هورزقی سوف یأتینی . والمعنی و لاتشفق نفسه وتخاف من فوت المنافع والمرافق . ثم قال و لایکتفی بأدنی فهم أی لا یکون قانعا بما یخطر له بادئ الرأی من أمر الخصوم بل یستقصی ویبحث أشد البحث . قوله وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم أی تضجرا و هذه الخصلة من محاسن ماشرطه ع فإن القلق والضجر والتبرم قبیح وأقبح ما یکون من القاضی. قوله وأصرمهم أی أقطعهم وأمضاهم وازدهاه کذا أی استخفه والإطراء المدح والإغراء التحریض . ثم أمره أن یتطلع علی أحکامه وأقضیته و أن یفرض له عطاء واسعا یملأ عینه ویتعفف به عن المرافق والرشوات و أن یکون قریب المکان منه کثیر الاختصاص به لیمنع قربه من سعایة الرجال به وتقبیحهم ذکره عنده . ثم قال إن هذاالدین قد کان أسیرا هذه إشارة إلی قضاة عثمان وحکامه وأنهم لم یکونوا یقضون بالحق عنده بل بالهوی لطلب الدنیا. و أماأصحابنا فیقولون رحم الله عثمان فإنه کان ضعیفا واستولی علیه أهله قطعوا الأمور دونه فإثمهم علیهم وعثمان بریء منهم [صفحه ۶۱]

فصل فی القضاة و مایلزمهم وذکر بعض نوادرهم

قدجاء فی الحدیث المرفوع لایقضی القاضی و هوغضبان -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۵۷ جاء فی الحدیث المرفوع أیضا من ابتلی بالقضاء بین المسلمین فلیعدل بینهم فی لحظه وإشارته ومجلسه ومقعده -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۱۱۳ .دخل ابن شهاب علی الولید أوسلیمان فقال له یا ابن شهاب ماحدیث یرویه أهل الشام قال ما هو یا أمیر المؤمنین قال إنهم یروون أن الله تعالی إذااسترعی عبدا رعیة کتب له الحسنات و لم یکتب علیه السیئات فقال کذبوا یا أمیر المؤمنین أیما أقرب إلی الله نبی أم خلیفة قال بل نبی قال فإنه تعالی یقول لنبیه داودیا داوُدُ إِنّا جَعَلناکَ خَلِیفَةً فِی الأَرضِ فَاحکُم بَینَ النّاسِ بِالحَقّ وَ لا تَتّبِعِ الهَوی فَیُضِلّکَ عَن سَبِیلِ اللّهِ إِنّ الّذِینَ یَضِلّونَ عَن سَبِیلِ اللّهِ لَهُم عَذابٌ شَدِیدٌ فقال سلیمان إن الناس لیغروننا عن دیننا. و قال بکر بن عبد الله العدوی لابن أرطاة وأراد أن یستقضیه و الله ماأحسن القضاء فإن کنت صادقا لم یحل لک أن تستقضی من لایحسن و إن کنت کاذبا فقد فسقت و الله لایحل أن تستقضی الفاسق . و قال الزهری ثلاث إذاکن فی القاضی فلیس بقاض أن یکره اللائمة ویحب المحمدة ویخاف العزل . و قال محارب بن زیاد للأعمش ولیت القضاء فبکی أهلی فلما عزلت بکی أهلی فما أدری مم ذلک قال لأنک ولیت القضاء و أنت تکرهه وتجزع منه -قرآن-۳۲۳-۵۱۶ [صفحه ۶۲] فبکی أهلک لجزعک وعزلت عنه فکرهت العزل وجزعت فبکی أهلک لجزعک قال صدقت .أتی ابن شبرمة بقوم یشهدون علی قراح نخل فشهدوا وکانوا عدولا فامتحنهم فقال کم فی القراح من نخلة قالوا لانعلم فرد شهادتهم فقال له أحدهم أنت أیها القاضی تقضی فی هذاالمسجد منذ ثلاثین سنة فأعلمنا کم فیه من أسطوانة فسکت وأجازهم .خرج شریک و هو علی قضاء الکوفة یتلقی الخیزران و قدأقبلت ترید الحج و قد کان استقضی و هوکاره فأتی شاهی فأقام بهاثلاثا فلم تواف فخف زاده و ما کان معه فجعل یبله بالماء ویأکله بالملح فقال العلاء

بن المنهال الغنوی فإن کان ألـذی قـد قلت حقا || بأن قدأکرهوک علی القضاء فما لک موضـعا فی کل یوم || تلقی من یحج من النساء مقیما فی قری شاهی ثلاثا || بلا زاد سوی کسر وماء . وتقدمت کلثم بنت سریع مولی عمرو بن حریث وکانت جمیلة وأخوهـا الولیـد بن سـریع إلی عبـدالملک بن عمیر و هوقـاض بالکوفـة فقضـی لهـا علی أخیهـا فقال هـذیل الأشـجعی أتاه ولید بالشـهود یسوقهم || علی ماادعی من صامت المال والخول وجاءت إلیه کلثم وکلامها || شـفاء من الداء المخامر والخبل فأدلی ولید عندذاک بحقه || و کان ولید ذا مراء وذا جدل فدلهت القبطی حتی قضـی لها || بغیر قضاء الله فی محکم الطول [صـفحه ۶۳] فلو کـان من فی القصر یعلم علمه || لمااسـتعمل القبطی فینـا علی عمـل له حین یقضـی للنسـاء تخاوص || و کان و ما فیه التخاوص والحول إذاذات دل کلمته لحاجة || فهم بأن یقضـی تنحنح أوسـعل وبرق عینیه ولاک لسانه || یری کل شیء ماخلا وصـلها جلل . و کان عبدالملک بن عمیر یقول لعن الله الأشجعی و الله لربما جاءتنی السعلة والنحنحة و أنا فی المتوضإ فأردهما لماشاع من شـعره .کتب عمر بن الخطاب إلی معاویـة أما بعدفقـد کتبت إلیک فی القضاء بکتاب لم آلک ونفسـی فیه خیرا الزم خمس خصال یسـلم لک دینک وتأخـذ بأفضل حظک إذاتقـدم إلیک الخصـمان فعلیک بالبینـة العادلـة أوالیمین القاطعـة وادن الضـعیف حتی یشـتد قلبه وینبسط لسانه وتعهـد الغریب فإنک إن لم تتعهـده ترک حقه ورجع إلی أهله وإنما ضـیع حقه من لم یرفق به وآس بین الخصوم فی لحظـک ولفظـک وعلیـک بالصـلح بین النـاس مـا لم یسـتبن لـک فصل القضاء. وکتب عمر إلی شریح لاتسارر و لاتضارر و لاتبع و لاتبتع فی مجلس القضاء و لاتقض و أنت غضـبان و لاشدید الجوع و لامشـغول القلب .شهد رجل عندسوار القاضـی فقال ماصـناعتک فقال مؤدب قال أنا لاأجیز شهادتک قال و لم قال لأنک تأخذ علی تعلیم القرآن أجرا قـال و أنت أیضـا تأخـذ علی القضـاء بین المسـلمین أجرا قال إنهم أکرهونی قال نعم أکرهوک علی القضاء فهل أکرهوک علی أخـذ الأجر قال هلم شـهادتک . ودخل أبودلامـة لیشـهد عند أبی لیلی فقال حین جلس بین یدیه إذا الناس غطونی تغطیت عنهم || و إن بحثـوا عنی ففیهـم مبـاحث [صـفحه ۶۴] و إن حفروا بئری حفرت بئـارهم || لیعلـم مـاتخفیه تلـک النبـائث . فقـال بل نغطیک یا أبادلامة و لانبحثک وصرفه راضیا وأعطی المشـهود علیه من عنده قیمة ذلک الشـیء. کان عامر بن الظرب العدوانی حاکم العرب وقاضـیها فنزل به قوم یستفتونه فی الخنثی ومیراثه فلم یدر مایقضی فیه و کان له جاریة اسمها خصیلة ربما لامها فی الإبطـاء عن الرعی و فی الشـیء یجـده علیها فقال لها یاخصـیلة لقـد أسـرع هؤلاء القوم فی غنمی وأطالوا المکث قالت و مایکبر علیک من ذلک اتبعه مباله وخلاک ذم فقال لها مسی خصیل بعدها أوروحی. و قال أعرابی لقوم یتنازعون هل لکم فی الحق أو مـا هوخیر من الحق قیل و ما ألـذی هوخیر من الحق قال التحاط والهضم فإن أخـذ الحق کله مر. وعزل عمر بن عبـدالعزیز بعض قضـاته فقـال لم عزلتنی فقـال بلغنی أن کلامـک أکثر من کلام الخصـمین إذاتحاکمـا إلیـک . ودخل إیاس بن معاویـة الشام و هوغلام فقدم خصـما إلی باب القاضـی فی أیام عبدالملک فقال القاضی أ ماتستحیی تخاصم و أنت غلام شیخا کبیرا فقال الحق أکبر منه فقـال اسـکت ویحک قال فمن ینطق بحجتی إذا قال ماأظنک تقول الیوم حقا حتی تقوم فقال لاإله إلا الله فقام القاضـی ودخـل علی عبـدالملک وأخبره فقـال اقض حـاجته وأخرجه من الشام کی لایفسـد علینا الناس . واختصم أعرابی وحضـری إلی قـاض فقـال الأعرابی أیهـا القاضـی إنه و إن هملـج إلی الباطـل فإنه عن الحق لعطوف . ورد رجل جاریـة علی رجل اشتراها منه بالحمق فترافعا إلی إیاس بن معاویة [صفحه ۶۵] فقال لها إیاس أی رجلیک أطول فقالت هذه فقال أتذکرین لیلة ولدتک أمک قالت نعم فقال إیاس رد رد. و جاء فی الخبر المرفوع من روایـة عبد الله بن عمر لاقدست أمة لایقضـی فیهابالحق -روایت-۱-۲-روایت-۵۰-۸۲ من الحـدیث المرفوع من روایـة أبی هریرة لیس أحـد یحکم بین الناس إلاجیء به یوم القیامـة مغلولـة یـداه إلی عنقه فکه العدل وأسلمه الجور -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-۱۴۲ استعدی رجل علی علی بن أبی طالب ع عمر بن الخطاب رضی الله عنه و علی جـالس فـالتفت عمر إلیه فقـال قم یـا أبا الحسن فاجلس مع خصـمک فقام فجلس معه وتناظرا ثم انصـرف الرجل

ورجع علی ع إلی محله فتبین عمر التغیر فی وجهه فقال یا أبا الحسن ما لی أراک متغیرا أکرهت ما کان قال نعم قال و ماذاک قال کنیتنی بحضرة خصمی هلاـ قلت قم یا علی فاجلس مع خصمک فاعتنق عمر علیا وجعل یقبل وجهه و قال بأبی أنتم بکم هدانا الله وبکم أخرجنا من الظلمة إلی النور -روایت-۱-۴۷۱ .أبان بن عبدالحمید اللاحقی فی سوار بن عبد الله القاضی لاتقدح الظنة فی حکمه || شیمته عدل وإنصاف یمضی إذا لم تلقه شبهة || و فی اعتراض الشک وقاف . کان ببغداد رجل یذکر بالصلاح والزهد یقال له رویم فولی القضاء فقال الجنید من أراد أن یستودع سره من لایفشیه فعلیه برویم فإنه کتم حب الدنیا أربعین سنة إلی أن قدر علیها.الأشهب الکوفی یا أهل بغداد قدقامت قیامتکم || مذ صار قاضیکم نوح بن دراج لو کان حیا له الحجاج ماسلمت || صحیحة یده من وسم حجاج . [صفحه ۶۶] و کان الحجاج یسم أیدی النبط بالمشراط والنیل . لماوقعت فتنة ابن الزبیر اعتزل شریح القضاء و قال لاأقضی فی الفتنة فبقی لایقضی تسع سنین ثم عاد إلی القضاء و قدکبرت سنه فاعترضه رجل و قدانصرف من مجلس القضاء فقال له أ ماحان لک أن تخاف الله کبرت سنک وفسد ذهنک وصارت الأمور تجوز علیک فقال و الله لایقولها بعدک لی أحد فلزم بیته حتی مات .قیل لأبی قلابة و قدهرب من القضاء لوأجبت قال أخاف الهلاک قیل لواجتهدت لم یکن علیک بأس قال ویحکم إذاوقع السابح فی البحر کم عسی أن یسبح .دعا رجل لسلیمان الشاذکونی فقال أرانیک الله یا أباأیوب علی قضاء أصبهان قال ویحک إن کان و لابد فعلی خراجها فإن أخذ أموال الأغنیاء أسهل من أخذ أموال الأیتام .ارتفعت جمیلة بنت عیسی بن جراد وکانت جمیلة کاسمها مع خصم لها إلی الشعبی و هوقاضی عبدالملک فقضی لها فقال هذیل الأشجعی فتن الشعبی لما || رفع الطرف إلیها فتنته بثنایا || ها وقوسی حاجبیها ومشت مشیا رویدا || ثم هزت منکبیها فقضی جورا علی الخصم || و لم یقض علیها فقبض الشعبی علیه وضربه ثلاثین سوطا. قال ابن أبی لیلی ثم انصرف الشعبی یوما من مجلس القضاء و قدشاعت الأبیات [صفحه ۶۷] وتناشدها الناس ونحن معه فمررنا بخادم تغسل الثیاب وتقول فتن الشعبی لما و لاتحفظ تتمة البیت فوقف علیها ولقنها و قال رفع الطرف إلیها ثم ضحک و قال أبعده الله و الله ماقضینا لها إلابالحق .جاءت امرأة إلی قاض فقالت مات بعلی وترک أبوین وابنا وبنی عم فقال القاضی لأبویه الثکل ولابنه الیتم و لک اللائمة ولبنی عمه الذلة واحملی المال إلینا إلی أن ترتفع الخصوم .لقی سفیان الثوری شریکا بعد مااستقضی فقال له یا أبا عبد الله بعدالإسلام والفقه والصلاح تلی القضاء قال یا أبا عبد الله فهل للناس بد من قاض قال و لابد یا أبا عبد الله للناس من شرطی. و کان الحسن بن صالح بن حی یقول لماولی شریک القضاء أی شیخ أفسدوا. قال أبوذر رضی الله عنه قال لی رسول الله ص یا أباذر اعقل ماأقول لک جعل یرددها علی ستة أیام ثم قال لی فی الیوم السابع أوصیک بتقوی الله فی سریرتک وعلانیتک و إذاأسأت فأحسن و لاتسألن أحدا شیئا و لوسقط سوطک و لاتتقلدن أمانة و لاتلین ولایة و لاتکفلن یتیما و لاتقضین بین اثنین -روایت-۱-۲-روایت-۶۳-۳۰۴ .أراد عثمان بن عفان أن یستقضی عبد الله بن عمر فقال له ألست قد سمعت النبی ص یقول من استعاذ بالله فقد عاذ بمعاذ -روایت-۱-۲-روایت-۲۴-۵۶ قال بلی قال فإنی أعوذ بالله منک أن تستقضینی. [صفحه ۶۸] و قدذکر الفقهاء فی آداب القاضی أمورا قالوا لایجوز أن یقبل هدیة فی أیام القضاء إلاممن کانت له عادة یهدی إلیه قبل أیام القضاء و لایجوز قبولها فی أیام القضاء ممن له حکومة وخصومة و إن کان ممن له عادة قدیمة وکذلک إن کانت الهدیة أنفس وأرفع مما کانت قبل أیام القضاء لایجوز قبولها ویجوز أن یحضر القاضی الولائم و لایحضر عندقوم دون قوم لأن التخصیص یشعر بالمیل ویجوز أن یعود المرضی ویشهد الجنائز ویأتی مقدم الغائب ویکره له مباشرة البیع والشراء و لایجوز أن یقضی و هوغضبان و لاجائع و لاعطشان و لا فی حال الحزن الشدید و لاالفرح الشدید و لایقضی والنعاس یغلبه والمرض یقلقه و لا و هویدافع الأخبثین و لا فی حر مزعج و لا فی برد مزعج وینبغی أن یجلس للحکم فی موضع بارز یصل إلیه کل أحد و لایحتجب إلالعذر ویستحب أن یکون مجلسه فسیحا لایتأذی بذلک هوأیضا ویکره الجلوس فی المساجد للقضاء فإن احتاج إلی وکلاء

جاز أن يتخذهم ويوصيهم بالرفق بالخصوم ويستحب أن يكون له حبس و أن يتخذ كاتبا إن احتاج إليه و من شرط كاتبه أن يكون عارفا بما يكتب به عن القضاء. واختلف فى جواز كونه ذميا والأظهر أنه لايجوز و لايجوز أن يكون كاتبه فاسقا و لايجوز أن يكون الشهود عنده قوما معينين بل الشهادة عامة فيمن استكمل شروطها ثُمّ انظُر فِی أُمُورِ عُمّالِکَ فَاستَعمِلهُم اختِبَاراً وَ لَا تُوَلّهِم مُحَابَاةً وَ أَثَرَةً فَإِنّهُمَا جِمَاعٌ مِن شُعَبِ الجَورِ وَ الخِيَانَةِ وَ تَوَخّ مِنهُم أَهلَ التّجرِبَةِ وَ الحَيَاءِ مِن أَهلِ البُيُوتَاتِ الصّالِحَةِ وَ القَدَمِ فِی الإِسلَامِ المُتَقَدّمَةِ فَإِنّهُم أَكرَمُ أَخلَاقاً وَ أَصَحّ أَعرَاضاً وَ أَقَلّ فِی المَطَامِعِ إِشرَافاً وَ أَبلَغُ فِی عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً [صفحه ۶۹] ثُمّ أَسبِغ عَلَيهِمُ الأَرزَاقَ فَإِنّ ذَلِکَ قُوّةٌ لَهُم عَلَی استِصلَاحِ أَنفُسِهِم وَ غِنًی لَهُم عَن تَنَاوُلِ مَا تَحتَ أَيدِيهِم وَ حُجّةٌ عَلَيهِم إِن خَالَفُوا أَمرَکَ أَو ثَلَمُوا أَمَانَتَکَ ثُمّ تَفَقّد أَعمَالَهُم وَ ابعَثِ العُيُونَ مِن أَهلِ الصّدقِ وَ الوَفَاءِ عَلَيهِم فَإِنّ تَعَاهُدَکَ فِی السّرّ لِأُمُورِهِم حَدوَةٌ لَهُم عَلَی استِعمَالِ الأَمَانَةِ وَ الرّفقِ بِالرّعِيّةِ وَ تَحَفّظ مِنَ الأَعوَانِ فَإِن أَحَدٌ مِنهُم بَسَطَ يَدَهُ إِلَی خِيَانَةٍ اجتَمَعَت بِهَا عَلَيهِ عِندَکَ أَخبَارُ عُيُونِکَ اكتَفَيتَ بِذَلِکَ شَاهِداً فَبَسَطتَ عَلَيهِ العُقُوبَةَ فِی بَدَنِهِ وَ أَخَذتَهُ بِمَا أَصَابَ مِن عَمَلِهِ ثُمّ نَصَبتَهُ بِمَقَامِ المَذَلّةِ وَ وَسَمتَهُ بِالخِيَانَةِ وَ قَلّدتَهُ عَارَ التّهَمَةِ لمافرغ ع من أمر القضاء شرع فى أمر العمال وهم عمال السواد والصدقات والوقوف والمصالح وغيرها فأمره أن يستعملهم بعداختبارهم وتجربتهم وألا يوليهم محاباة لهم ولمن يشفع فيهم و لاأثرة و لاإنعاما عليهم . كان أبو الحسن بن الفرات يقول الأعمال للكفاة من أصحابنا وقضاء الحقوق على خواص أموالنا. و كان يحيى بن خالد يقول من تسبب إلينا بشفاعة فى عمل فقد حل عندنا محل من ينهض بغيره و من لم ينهض بنفسه لم يكن للعمل أهلا. ووقع جعفر بن يحيى فى رقعة متحرم به هذافتى له حرمة الأمل فامتحنه بالعمل فإن كان كافيا فالسلطان له دوننا و إن لم يكن كافيا فنحن له دون السلطان .

ثم قال ع فإنهما يعنى استعمالهم للمحاباة والأثرة جماع من شعب الجور والخيانة و قدتقدم شرح مثل هذه اللفظة والمعنى أن ذلك يجمع ضروبا من الجور والخيانة أماالجور فإنه يكون قدعدل عن المستحق إلى غيرالمستحق ففى ذلك جور على المستحق . [صفحه ۷۰] و أماالخيانة فلأن الأمانة تقتضى تقليد الأعمال الأكفاء فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولاه . ثم أمره بتخير من قدجرب و من هو من أهل البيوتات والأشراف لشدة الحرص على الشيء والخوف من فواته . ثم أمره بإسباغ الأرزاق عليهم فإن الجائع لاأمانة له ولأن الحجة تكون لازمة لهم إن خانوا لأنهم قدكفوا مئونة أنفسهم وأهليهم بما فرض لهم من الأرزاق . ثم أمره بالتطلع عليهم وإذكاء العيون والأرصاد على حركاتهم . وحدوة باعث يقال حدانى هذاالأمر حدوة على كذا وأصله سوق الإبل ويقال للشمال حدواء لأنها تسوق السحاب . ثم أمره بمؤاخذة من ثبتت خيانته واستعادة المال منه و قدصنع عمر كثيرا من ذلك وذكرناه فيما تقدم . قال بعض الأكاسرة لعامل من عماله كيف نومك بالليل قال أنامه كله قال أحسنت لوسرقت مانمت هذاالنوم وَ تَفَقّد أَمرَ الخَرَاجِ بِمَا يُصلِحُ أَهلَهُ فَإِنّ فِی صَلَاحِهِ وَ صَلَاحِهِم صَلَاحاً لِمَن سِوَاهُم وَ لَا صَلَاحَ لِمَن سِوَاهُم إِلّا بِهِم لِأَنّ النّاسَ كُلّهُم عِيَالٌ عَلَی الخَرَاجِ وَ أَهلِهِ وَ لْيَكُن نَظَرُکَ فِی عِمَارَةِ الأَرضِ أَبلَغَ مِن نَظَرِکَ فِی استِجلَابِ الخَرَاجِ لِأَنّ ذَلِکَ لَا يُدرَکُ إِلّا بِالعِمَارَةِ وَ مَن طَلَبَ الخَرَاجَ بِغَيرِ عِمَارَةٍ أَخرَبَ البِلَادَ وَ أَهلَکَ [صفحه ۷۱] العِبَادَ وَ لَم يَستَقِم أَمرُهُ إِلّا قَلِيلًا فَإِن شَكَوا ثِقَلًا أَو عِلّةً أَوِ انقِطَاعَ شِربٍ أَو بَالّةٍ أَو إِحَالَةَ أَرضٍ اغتَمَرَهَا غَرَقٌ أَو أَجحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفّفتَ عَنهُم بِمَا تَرجُو أَن يَصلُحَ بِهِ أَمرُهُم وَ لَا يَثقُلَنّ عَلَيکَ شَیءٌ خَفّفتَ بِهِ المَئُونَةَ عَنهُم فَإِنّهُ ذُخرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيکَ فِی عِمَارَةِ بِلَادِکَ وَ تَزيِينِ وِلَايَتِکَ مَعَ استِجلَابِکَ حُسنَ ثَنَائِهِم وَ تَبَجّحِکَ بِاستِفَاضَةِ العَدلِ فِيهِم مُعتَمِداً فَضلَ قُوّتِهِم بِمَا ذَخَرتَ عِندَهُم مِن إِجمَامِکَ لَهُم وَ الثّقَةَ مِنهُم بِمَا عَوّدتَهُم مِن عَدلِکَ عَلَيهِم وَ رِفقِکَ بِهِم فَرُبّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوّلتَ فِيهِ عَلَيهِم مِن بَعدُ احتَمَلُوهُ طَيّبَةً أَنفُسُهُم بِهِ فَإِنّ العُمرَانَ مُحتَمِلٌ مَا حَمّلتَهُ وَ إِنّمَا يُؤتَی خَرَابُ الأَرضِ مِن إِعوَازِ أَهلِهَا وَ إِنّمَا يُعوِزُ أَهلُهَا لِإِشرَافِ أَنفُسِ الوُلَاةِ عَلَی الجَمعِ وَ سُوءِ ظَنّهِم بِالبَقَاءِ وَ قِلّةِ انتِفَاعِهِم بِالعِبَرِ انتقل ع من ذكر العمال إلى ذكر أرباب الخراج ودهاقين السواد فقال تفقد أمرهم فإن الناس عيال عليهم و كان يقال استوصوا بأهل الخراج فإنكم لاتزالون سمانا ماسمنوا. ورفع إلى أنوشروان أن عامل الأهواز قدحمل من مال الخراج مايزيد على

العادة وربما يكون ذلك قدأجحف بالرعية فوقع يرد هذاالمال على من قداستوفى منه فإن تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزلة من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه . [صفحه ۷۲] و كان على خاتم أنوشروان لا يكون عمران حيث يجور السلطان . وروى استحلاب الخراج بالحاء. ثم قال فإن شكوا ثقلا أى ثقل طسق الخراج المضروب عليهم أوثقل وطأة العامل . قال أوعلة نحو أن يصيب الغلة آفة كالجراد والبرق أوالبرد. قال أوانقطاع شرب بأن ينقص الماء فى النهر أوتتعلق أرض الشرب عنه لفقد الحفر. قال أوبالة يعنى المطر. قال أوإحالة أرض اغتمرها غرق يعنى أوكون الأرض قدحالت و لم يحصل منها ارتفاع لأن الغرق غمرها وأفسد زرعها. قال أوأجحف بهاعطش أى أتلفها. فإن قلت فهذا هوانقطاع الشرب قلت لا قد يكون الشرب غيرمنقطع و مع ذلك يجحف بهاالعطش بأن لايكفيها الماء الموجود فى الشرب . ثم أمره أن يخفف عنهم متى لحقهم شيء من ذلك فإن التخفيف يصلح أمورهم و هو و إن كان يدخل على المال نقصا فى العاجل إلا أنه يقتضى توفير زيادة فى الآجل فهو بمنزلة التجارة التى لابد فيها من إخراج رأس المال وانتظار عوده وعود ربحه . [صفحه ۷۳] قال و مع ذلك فإنه يفضى إلى تزين بلادك بعمارتها و إلى أنك تبجح بين الولاة بإفاضة العدل فى رعيتك معتمدا فضل قوتهم ومعتمدا منصوب على الحال من الضمير فى خففت الأولى أى خففت عنهم معتمدا بالتخفيف فضل قوتهم . والإجمام الترفيه . ثم قال له وربما احتجت فيما بعد إلى تكلفهم بحادث يحدث عندك المساعدة بمال يقسطونه عليهم قرضا أومعونة محضة فإذاكانت لهم ثروة نهضوا بمثل ذلك طيبة قلوبهم به . ثم قال ع فإن العمران محتمل ماحملته .سمعت أبا محمد بن خليد و كان صاحب ديوان الخراج فى أيام الناصر لدين الله يقول لمن قال له قدقيل عنك إن واسط والبصرة قدخربت لشدة العنف بأهلها فى تحصيل الأموال فقال أبو محمد مادام هذاالشط بحاله والنخل نابتا فى منابته بحاله ماتخرب واسط والبصرة أبدا. ثم قال ع إنما تؤتى الأرض أى إنما تدهى من إعواز أهلها أى من فقرهم . قال والموجب لإعوازهم طمع ولاتهم فى الجباية وجمع الأموال لأنفسهم ولسلطانهم وسوء ظنهم بالبقاء يحتمل أن يريد به أنهم يظنون طول البقاء وينسون الموت والزوال . ويحتمل أن يريد به أنهم يتخيلون العزل والصرف فينتهزون الفرص ويقتطعون الأموال و لاينظرون فى عمارة البلاد [صفحه ۷۴]

عهد سابور بن أردشير لابنه

و قدوجدت فى عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاما يشابه كلام أمير المؤمنين ع فى هذاالعهد و هو قوله واعلم أن قوام أمرك بدرور الخراج ودرور الخراج بعمارة البلاد وبلوغ الغاية فى ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم والمعونة لهم فإن بعض الأمور لبعض سبب وعوام الناس لخواصهم عدة وبكل صنف منهم إلى الآخر حاجة فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك وليكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية واسترسل إلى كل امرئ منهم شخصا يضطلع به ويمكنه تعجيل الفراغ منه فإن اطلعت على أن أحدا منهم خان أوتعدى فنكل به وبالغ فى عقوبته واحذر أن تستعمل على الأرض الكثير خراجها إلاالبعيد الصوت العظيم شرف المنزلة. و لاتولين أحدا من قواد جندك الذين هم عدة للحرب وجنة من الأعداء شيئا من أمر الخراج فلعلك تهجم من بعضهم على خيانة فى المال أوتضييع للعمل فإن سوغته المال وأغضيت له على التضييع كان ذلك هلاكا وإضرارا بك وبرعيتك وداعية إلى فساد غيره و إن أنت كافأته فقد استفسدته وأضقت صدره و هذاأمر توقيه حزم والإقدام عليه خرق والتقصير فيه عجز. واعلم أن من أهل الخراج من يلجئ بعض أرضه وضياعه إلى خاصة الملك وبطانته لأحد أمرين أنت حرى بكراهتهما إما لامتناع من جور العمال وظلم الولاة وتلك منزلة يظهر بهاسوء أثر العمال وضعف الملك وإخلاله بما تحت يده وإما للدفع عما يلزمهم [صفحه ۷۵] من الحق والتيسر له و هذه خلة تفسد بهاآداب الرعية وتنتقص بهاأموال الملك فاحذر ذلك

وعـاقب الملتجئين والملجأ إليهم ركب زياد يوما بالسوس يطوف بالضـياع والزروع فرأى عمارة حسـنة فتعجب منها فخاف أهلها أن يزيد فی خراجهم فلما نزل دعا وجوه البلد و قال بارک الله علیکم فقد أحسنتم العمارة و قدوضعت عنکم مائة ألف درهم ثم قال ماتوفر على من تهالك غيرهم على العمارة وأمنهم جورى أضـعاف ماوضـعت عن هؤلاء الآن و ألذى وضعته بقدر مایحصل من ذاک وثواب عموم العمارة وأمن الرعيـة أفضل ربـح ثُمّ انظُر فِی حَالِ کُتّابِکَ فَوَلّ عَلَى أُمُورِکَ خَیرَهُم وَ اخصُص رَسَائِلَکَ التِی تُـدخِلُ فِیهَا مَکَایِدَکَ وَ أَسرَارَکَ بِأَجمَعِهِم لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخلَاقِ مِمّن لَا تُبطِرُهُ الکَرَامَةُ فَیَجتَرِئَ بِهَا عَلَیکَ فِی خِلَافٍ لَکَ بِحَضرَةِ مَلإٍ وَ لَا تُقَصّرُ بِهِ الغَفلَةُ عَن إِیرَادِ مُکَاتَبَاتِ عُمّالِکَ عَلَیکَ وَ إِصدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصّوَابِ عَنکَ وَ فِیمَا یَأخُذُ لَکَ وَ یُعطِی مِنکَ وَ لَا یُضعِفُ عَقداً اعتَقَدَهُ لَکَ وَ لَا یَعجِزُ عَن إِطلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَیکَ وَ لَا یَجهَلُ مَبلَغَ قَدرِ نَفسِهِ فِی الأُمُورِ فَإِنّ الجَاهِلَ بِقَدرِ نَفسِهِ یَکُونُ بِقَدرِ غَیرِهِ أَجهَلَ ثُمّ لَا یَکُن اختِیَارُکَ إِیّاهُم عَلَى فِرَاسَتِکَ وَ استِنَامَتِکَ وَ حُسنِ الظّنّ مِنکَ [صـفحه ۷۶] فَإِنّ الرّجَالَ یَتَعَرّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الوُلَاةِ بِتَصَنّعِهِم وَ حُسنِ حَدِیثِهِم وَ لَیسَ وَرَاءَ ذَلِکَ مِنَ النّصِیحَةِ وَ الأَمَانَةِ شَیءٌ وَ لَکِنِ اختَبِرهُم بِمَا وُلّوا لِلصّالِحِینَ قَبلَکَ فَاعمِد لِأَحسَنِهِم کَانَ فِی العَامّةِ أَثَراً وَ أَعرَفِهِم بِالأَمَانَةِ وَجهاً فَإِنّ ذَلِکَ دَلِیلٌ عَلَى نَصِیحَتِکَ لِلّهِ وَ لِمَن وُلّیتَ أَمرَهُ وَ اجعَل لِرَأسِ کُلّ أَمرٍ مِن أُمُورِکَ رَأساً مِنهُم لَا یَقهَرُهُ کَبِیرُهَا وَ لَا یَتَشَتّتُ عَلَیهِ کَثِیرُهَا وَ مَهمَا کَانَ فِی کُتّابِکَ مِن عَیبٍ فَتَغَابَیتَ عَنهُ أُلزِمتَهُ

فصل فيما يجب على مصاحب الملك

لمافرغ من أمر الخراج شرع فی أمر الکتاب الذین یلون أمر الحضـرة ویترسـلون عنه إلى عماله وأمرائه وإلیهم معاقد التدبیر وأمر الـدیوان فأمره أن یتخیر الصالـح منهم و من یوثق على الاطلاع على الأسـرار والمکایـد والحیل والتـدبیرات و من لایبطره الإکرام والتقریب فیطمع فیجترئ على مخـالفته فی ملإ من النـاس والرد علیه ففی ذلـک من الوهن للأمیر وسوء الأدب ألـذی انکشـف الکاتب عنه ما لاخفاء به . قال الرشید للکسائی یا على بن حمزة قدأحللناک المحل ألذی لم تکن تبلغه همتک فرونا من الأشعار أعفهـا و من الأحادیث أجمعها لمحاسن الأخلاق وذاکرنا بآداب الفرس والهنـد و لاتسـرع علینا الرد فی ملإ و لاتترک تثقیفنا فی خلإ و فی آداب ابن المقفع لاتکونن صـحبتک للسـلطان إلا بعدریاضـة منک لنفسک على [صـفحه ۷۷] طاعتهم فی المکروه عنـدک ومـوافقتهم فیمـا خالفـک وتقـدیر الأـمور على أهـوائهم دون هواک فـإن کنت حافظـا إذاولوک حـذرا إذاقربوک أمینا إذاائتمنوک تعلمهم وکأنک تتعلم منهم وتأدبهم وکأنک تتأدب بهم وتشکر لهم و لاتکلفهم الشکر ذلیلا إن صرموک راضیا إن أسـخطوک و إلافالبعـد منهم کل البعـد والحـذر منهم کل الحذر و إن وجدت عن السـلطان وصـحبته غنى فاستغن عنه فإنه من یخدم السلطان حق خدمته یخلی بینه و بین لذة الدنیا وعمل الأخرى و من یخدمه غیرحق الخدمة فقد احتمل وزر الآخرة وعرض نفسه للهلکة والفضـیحة فی الدنیا فإذاصـحبت السلطان فعلیک بطول الملازمة من غیرإملال و إذانزلت منه بمنزلة الثقة فاعزل عنه کلام الملق و لاتکثر له من الـدعاء و لاتردن علیه کلامـا فی حفـل و إن أخطـأ فإذاخلوت به فبصـره فی رفق و لایکونن طلبک ماعنـده بالمسألـة و لاتسـتبطئه و إن أبطـأ و لاتخبرنه أن لـک علیه حقا وأنک تعتمـد علیه ببلاء و إن اسـتطعت ألا تنسـى حقک وبلاءک بتجدید النصح والاجتهاد فافعل و لاتعطینه المجهود کله من نفسک فی أول صحبتک له وأعد موضعا للمزید و إذاسأل غیرک عن شـیء فلاتکن المجیب . واعلم أن اسـتلابک الکلام خفة فیک واستخفاف منک بالسائل والمسئول فما أنت قائل إن قـال لـک السائـل ماإیـاک سـألت أو قـال المسـئول أجب بمجالسـته ومحادثته أیها المعجب بنفسه والمسـتخف بسـلطانه . و قال عبدالملک بن صالح لمؤدب ولده بعد أن اختصه بمجالسـته ومحادثته یا عبد الله کن على التماس الحظ فیک بالسکوت أحرص

منك على التماسه بالكلام فإنهم قالوا إذاأعجبك الكلام فاصمت و إذاأعجبك الصمت فتكلم واعلم أن أصعب الملوك معاملة الجبار الفطن المتفقد فإن ابتليت بصحبته فاحترس و إن عوفيت فاشكر الله على السلامة فإن السلامة أصل كل نعمة لاتساعدنى على مايقبح بى و لاتردن على [صفحه ٧٨] خطأ فى مجلس و لاتكلفنى جواب التشميت والتهنئة ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى وكلمنى بقدر ماأستنطقك واجعل بدل التقريظ لى صواب الاستماع منى واعلم أن صواب الاستماع أحسن من صواب القول فإذاسمعتنى أتحدث فلايفوتنك منه شيء وأرنى فهمك إياه فى طرفك ووجهك فما ظنك بالملك و قدأحلك محل المعجب بما يسمعك إياه وأحللته محل من لايسمع منه و كل من هذايحبط إحسانك ويسقط حق حرمتك و لاتستدع الزيادة من كلامى بما تظهر من استحسان ما يكون منى فمن أسوأ حالا ممن يستكد الملوك بالباطل و ذلك يدل على تهاونه بقدر ماأوجب الله تعالى من حقهم واعلم أنى جعلتك مؤدبا بعد أن كنت معلما وجعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت مع الصبيان مباعدا فمتى لم تعرف نقصان ماخرجت منه لم تعرف رجحان مادخلت فيه و قدقالوا من لم يعرف سوء ماأولى لم يعرف حسن ماأبلى ثم قال ع وليكن كاتبك غيرمقصر عن عرض مكتوبات عمالك عليك والإجابة عنها حسن الوكالة والنيابة عنك فيما يحتج به لك عليهم من مكتوباتهم و مايصدره عنك إليهم من الأجوبة فإن عقد لك عقدا قواه وأحكمه و إن عقد عليك عقدا اجتهد فى نقضه وحله قال و أن يكون عارفا بنفسه فمن لم يعرف قدر نفسه لم يعرف قدر غيره . ثم نهاه أن يكون مستند اختياره لهؤلاء فراسته فيهم وغلبة ظنه بأحوالهم فإن التدليس ينم فى ذلك كثيرا و مازال الكتاب يتصنعون للأمراء بحسن الظاهر و ليس وراء ذلك كثير طائل فى النصيحة والمعرفة ولكن ينبغى أن يرجع فى ذلك إلى ماحكمت [صفحه ٧٩] به التجربة لهم و ماولوه من قبل فإن كانت ولايتهم وكتابتهم حسنة مشكورة فهم هم و إلا فلا ويتعرفون لفراسات الولاة يجعلون أنفسهم بحيث يعرف بضروب من التصنع وروى يتعرضون . ثم أمره أن يقسم فنون الكتابة وضروبها بينهم نحو أن يكون أحدهم للرسائل إلى الأطراف والأعداء والآخر لأجوبة عمال السواد والآخرة بحضرة الأمير فى خاصته وداره وحاشيته وثقاته . ثم ذكر له أنه مأخوذ مع الله تعالى بما يتغابى عنه ويتغافل من عيوب كتابه فإن الدين لايبيح الإغضاء والغفلة عن الأعوان والخول ويوجب التطلع عليهم

فصل فى الكتاب و مايلزمهم من الآداب

واعلم أن الكاتب ألذى يشير أمير المؤمنين ع إليه هو ألذى يسمى الآن فى الاصطلاح العرفى وزيرا لأنه صاحب تدبير حضرة الأمير والنائب عنه فى أموره و إليه تصل مكتوبات العمال و عنه تصدر الأجوبة و إليه العرض على الأمير و هوالمستدرك على العمال والمهيمن عليهم و هو على الحقيقة كاتب الكتاب ولهذا يسمونه الكاتب المطلق . و كان يقال للكاتب على الملك ثلاث رفع الحجاب عنه واتهام الوشاة عليه وإفشاء السر إليه . و كان يقال صاحب السلطان نصفه وكاتبه كله وينبغى لصاحب الشرطة أن يطيل الجلوس ويديم العبوس ويستخف بالشفاعات . [صفحه ٨٠] و كان يقال إذا كان الملك ضعيفا والوزير شرها والقاضى جائرا فرقوا الملك شعاعا. و كان يقال لاتخف صولة الأمير مع رضا الكاتب و لاتثقن برضا الأمير مع سخط الكاتب وأخذ هذاالمعنى أبوالفضل بن العميد فقال وزعمت أنك لست تفكر بعد ما || علقت يداك بذمة الأمراء هيهات قدكذبتك فكرتك التى || قدأوهمتك غنى عن الوزراء لم تغن عن أحد سماء لم تجد || أرضا و لاأرض بغير سماء . و كان يقال إذا لم يشرف الملك على أموره صار أغش الناس إليه وزيره . و كان يقال ليس الحرب الغشوم بأسرع فى اجتياح الملك من تضييع مراتب الكتاب حتى يصيبها أهل النذالة ويزهد فيهاأولو الفضل

فصل فی ذکر مانصحت به الأوائل الوزراء

و کان یقال لا شیء أذهب بالدول من استکفاء الملک الأسرار. و کان یقال من سعادة جد المرء ألا یکون فی الزمان المختلط وزیرا للسلطان . و کان یقال کما أن أشجع الرجال یحتاج إلی السلاح وأسبق الخیل یحتاج إلی السوط وأحد الشفار یحتاج إلی المسن کذلک أحزم الملوک وأعقلهم یحتاج إلی الوزیر الصالح . و کان یقال صلاح الدنیا بصلاح الملوک وصلاح الملوک بصلاح الوزراء [صفحه ۸۱] و کما لایصلح الملک إلابمن یستحق الملک کذلک لاتصلح الوزارة إلابمن یستحق الوزارة. و کان یقال الوزیر الصالح لایری أن صلاحه فی نفسه کائن صلاحا حتی یتصل بصلاح الملک وصلاح رعیته و أن تکون عنایته فیما عطف الملک علی رعیته وفیما استعطف قلوب الرعیة والعامة علی الطاعة للملک وفیما فیه قوام أمر الملک من التدبیر الحسن حتی یجمع إلی أخذ الحق تقدیم عموم الأمن و إذاطرقت الحوادث کان للملک عدة وعتادا وللرعیة کافیا محتاطا و من ورائها محامیا ذابا یعنیه من صلاحها ما لایعنیه من صلاح نفسه دونها. و کان یقال مثل الملک الصالح إذا کان وزیره فاسدا مثل الماء العذب الصافی و فیه التمساح لایستطیع الإنسان و إن کان سابحا و إلی الماء ظامئا دخوله حذرا علی نفسه . قال عمر بن عبدالعزیز لمحمد بن کعب القرظی حین استخلف لوکنت کاتبی وردءا لی علی مادفعت إلیه قال لاأفعل ولکنی سأرشدک أسرع الاستماع وأبطئ فی التصدیق حتی یأتیک واضح البرهان و لاتعملن ثبجتک فیما تکتفی فیه بلسانک و لاسوطک فیما تکتفی فیه بثبجتک و لاسیفک فیما تکتفی فیه بسوطک . و کان یقال التقاط الکاتب للرشا وضبط الملک لایجتمعان . و قال أبرویز لکاتبه اکتم السر واصدق الحدیث واجتهد فی النصیحة وعلیک بالحذر فإن لک علی ألا أعجل علیک حتی أستأنی لک و لاأقبل فیک قولا حتی أستیقن و لاأطمع فیک أحدا فتغتال واعلم أنک بمنجاة رفعة فلاتحطنها و فی [صفحه ۸۲] ظل مملکة فلاتستزیلنه قارب الناس مجاملة من نفسک وباعدهم مسامحة عن عدوک واقصد إلی الجمیل ازدراعا لغدک وتنزه بالعفاف صونا لمروءتک وتحسن عندی بما قدرت علیه احذر لاتسرعن الألسنة علیک و لاتقبحن الأحدوثة عنک وصن نفسک صون الدرة الصافیة وأخلصها إخلاص الفضة البیضاء وعاتبها معاتبة الحذر المشفق وحصنها تحصین المدینة المنیعة لاتدعن أن ترفع إلی الصغیر فإنه یدل علی الکبیر و لاتکتمن عنی الکبیر فإنه لیس بشاغل عن الصغیر هذب أمورک ثم القنی بها واحکم أمرک ثم راجعنی فیه و لاتجترئن علی فأمتعض و لاتنقبضن منی فأتهم و لاتمرضن ماتلقانی به و لاتخدجنه و إذاأفکرت فلاتجعل و إذاکتبت فلاتعذر و لاتستعن بالفضول فإنها علاوة علی الکفایة و لاتقصرن عن التحقیق فإنها هجنة بالمقالة و لاتلبس کلاما بکلام و لاتبعدن معنی عن معنی وأکرم لی کتابک عن ثلاث خضوع یستخفه وانتشار یهجنه ومعان تعقد به واجمع الکثیر مما ترید فی القلیل مما تقول ولیکن بسطة کلامک علی کلام السوقة کبسطة الملک ألذی تحدثه علی الملوک لایکن مانلته عظیما و ماتتکلم به صغیرا فإنما کلام الکاتب علی مقدار الملک فاجعله عالیا کعلوه وفائقا کتفوقه فإنما جماع الکلام کله خصال أربع سؤالک الشیء وسؤالک عن الشیء وأمرک بالشیء وخبرک عن الشیء فهذه الخصال دعائم المقالات إن التمس إلیها خامس لم یوجد و إن نقص منها واحد لم یتم فإذاأمرت فاحکم و إذاسألت فأوضح و إذاطلبت فأسمح و إذاأخبرت فحقق فإنک إذافعلت ذلک أخذت بجراثیم القول کله فلم یشتبه علیک واردة و لم تعجزک صادرة أثبت فی دواوینک ماأخذت وأحص فیها ماأخرجت وتیقظ لماتعطی وتجرد لماتأخذ و لایغلبنک النسیان عن الإحصاء و لاالأناة عن التقدم و لاتخرجن [صفحه ۸۳] وزن قیراط فی غیرحق و لاتعظمن إخراج الألوف الکثیرة فی الحق ولیکن ذلک کله عن مؤامرتی ثُمّ استَوصِ بِالتّجّارِ وَ ذَوِی الصّنَاعَاتِ وَ أَوصِ بِهِم خَیراً المُقِیمِ مِنهُم وَ المُضطَرِبِ بِمَالِهِ وَ المُتَرَفّقِ بِبَدَنِهِ فَإِنّهُم مَوَادّ المَنَافِعِ وَ أَسبَابُ المَرَافِقِ وَ جُلّابُهَا مِنَ المَبَاعِدِ وَ المَطَارِحِ فِی بَرّکَ وَ بَحرِکَ وَ سَهلِکَ وَ جَبَلِکَ وَ حَیثُ لَا یَلتَئِمُ النّاسُ لِمَوَاضِعِهَا وَ لَا یَجتَرِءُونَ عَلَیهَا فَإِنّهُم سِلمٌ لَا

تُخَافُ بَائِقَتُهُ وَ صُلحٌ لَا تُخشَى غَائِلَتُهُ وَ تَفَقّد أُمُورَهُم بِحَضرَتِكَ وَ فِي حوَاشِي بِلَادِكَ وَ اعلَم مَعَ ذَلِكَ أَنّ فِي كَثِيرٍ مِنهُم ضِيقاً فَاحِشاً وَ شُحّاً قَبِيحاً وَ احتِكَاراً لِلمَنَافِعِ وَ تَحَكّماً فِي البِيَاعَاتِ وَ ذَلِكَ بَابُ مَضَرّةٍ لِلعَامّةِ وَ عَيبٌ عَلَى الوُلَاةِ فَامنَع مِنَ الِاحتِكَارِ فَإِنّ رَسُولَ اللّهِ ص مَنَعَ مِنهُ وَ لِيَكُنِ البَيعُ بَيعاً سَمحاً بِمَوَازِينِ عَدلٍ وَ أَسعَارٍ لَا تُجحِفُ بِالفَرِيقَينِ مِنَ البَائِعِ وَ المُبتَاعِ فَمَن قَارَفَ حُكرَةً بَعدَ نَهيِكَ إِيّاهُ فَنَكّل بِهِ وَ عَاقِبهُ مِن غَيرِ إِسرَافٍ خرج ع الآن إلى ذكر التجار وذوى الصناعات وأمره بأن يعمل معهم الخير و أن يوصى غيره من أمرائه وعماله أن يعملوا معهم الخير واستوص بمعنى أوص [صفحه ۸۴] نحو قر فى المكان واستقر وعلا قرنه واستعلاه . و قوله استوص بالتجار خيرا أى أوص نفسک بذلک و منه قول النبى ص استوصوا بالنساء خيرا -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۳۸ ومفعولا استوص وأوص هاهنا محذوفان للعلم بهما ويجوز أن يكون استوص أى اقبل الوصيۀ منى بهم وأوص بهم أنت غيرک . ثم قسم ع الموصى بهم ثلاثۀ أقسام اثنان منها للتجار وهما المقيم والمضطرب يعنى المسافر والضرب السير فى الأرض قال تعالى إِذا ضَرَبتُم فِي الأَرضِ وواحد لأرباب الصناعات و هو قوله والمترفق ببدنه وروى بيديه تثنيۀ يد. والمطارح الأماكن البعيدۀ. وحيث لايلتئم الناس لايجتمعون وروى حيث لايلتئم بحذف الواو ثم قال فإنهم أولو سلم يعنى التجار والصناع استعطفه عليهم واستماله إليهم . و قال ليسوا كعمال الخراج وأمراء الأجناد فجانبهم ينبغى أن يراعى وحالهم يجب أن يحاط ويحمى إذ لايتخوف منهم بائقۀ لا فى مال يخونون فيه و لا فى دولۀ يفسدونها وحواشى البلاد أطرافها. ثم قال له قد يكون فى كثير منهم نوع من الشح والبخل فيدعوهم ذلک إلى الاحتكار فى الأقوات والحيف فى البياعات والاحتكار ابتياع الغلات فى أيام -قرآن-۲۴۸-۲۷۲ [صفحه ۸۵] رخصها وادخارها فى المخازن إلى أيام الغلاء والقحط والحيف تطفيف فى الوزن والكيل وزيادۀ فى السعر و هو ألذى عبر عنه بالتحكم و قدنهى رسول الله ص عن الاحتكار و أماالتطفيف وزياد التسعير فمنهى عنهما فى نص الكتاب . وقارف حكرۀ واقعها والحاء مضمومۀ وأمره أن يؤدب فاعل ذلک من غيرإسراف و ذلک أنه دون المعاصى التى توجب الحدود فغايۀ أمره من التعزير الإهانۀ والمنع ثُمّ اللّهَ اللّهَ فِي الطّبَقَةِ السّفلَى مِنَ الّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُم مِنَ المَسَاكِينِ وَ المُحتَاجِينَ وَ أَهلِ البُؤسَى وَ الزّمنَى فَإِنّ فِي هَذِهِ الطّبَقَةِ قَانِعاً وَ مُعتَرّاً وَ احفَظِ اللّهَ مَا استَحفَظَكَ مِن حَقّهِ فِيهِم وَ اجعَل لَهُم قِسماً مِن بَيتِ مَالِكِ وَ قِسماً مِن غَلّاتِ صوَافِي الإِسلَامِ فِي كُلّ بَلَدٍ فَإِنّ لِلأَقصَى مِنهُم مِثلَ ألّذِي لِلأَدنَى وَ كُلّ قَدِ استُرعِيتَ حَقّهُ وَ لَا يَشغَلَنّكَ عَنهُم بَطَرٌ فَإِنّكَ لَا تُعذَرُ بِتَضيِيعِ التّافِهِ لِإِحكَامِكَ الكَثِيرَ المُهِمّ فَلَا تُشخِص هَمّكَ عَنهُم وَ لَا تُصَعّر خَدّكَ لَهُم وَ تَفَقّد أُمُورَ مَن لَا يَصِلُ إِلَيكَ مِنهُم مِمّن تَقتَحِمُهُ العُيُونُ وَ تَحقِرُهُ الرّجَالُ فَفَرّغ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِن أَهلِ الخَشيَةِ وَ التّوَاضُعِ فَليَرفَع إِلَيكَ أُمُورَهُم ثُمّ اعمَل فِيهِم بِالإِعذَارِ إِلَى اللّهِ سُبحَانَهُ يَومَ تَلقَاهُ فَإِنّ هَؤُلَاءِ مِن بَينِ الرّعِيّةِ أَحوَجُ إِلَى الإِنصَافِ مِن غَيرِهِم وَ كُلّ فَأَعذِر إِلَى اللّهِ فِي تَأدِيَةِ حَقّهِ إِلَيهِ [صفحه ۸۶] وَ تَعَهّد أَهلَ اليُتمِ وَ ذوَيِ الرّقّةِ فِي السّنّ مِمّن لَا حِيلَةَ لَهُ وَ لَا يَنصِبُ لِلمَسأَلَةِ نَفسَهُ وَ ذَلِكَ عَلَى الوُلَاةِ ثَقِيلٌ وَ الحَقّ كُلّهُ ثَقِيلٌ وَ قَد يُخَفّفُهُ اللّهُ عَلَى أَقوَامٍ طَلَبُوا العَاقِبَةَ فَصَبّرُوا أَنفُسَهُم وَ وَثِقُوا بِصِدقِ مَوعُودِ اللّهِ لَهُم انتقل من التجار وأرباب الصناعات إلى ذكر فقراء الرعيۀ ومغموريها فقال و أهل البؤسى وهى البؤس كالنعمى للنعيم والزمنى أولو الزمانۀ. والقانع السائل والمعتر ألذى يعرض لک و لايسألک وهما من ألفاظ الكتاب العزيز. وأمره أن يعطيهم من بيت مال المسلمين لأنهم من الأصناف المذكورين فى قوله تعالى وَ اعلَمُوا أَنّما غَنِمتُم مِن شَيءٍ فَأَنّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرّسُولِ وَ لِذِي القُربى وَ اليَتامى وَ المَساكِينِ وَ ابنِ السّبِيلِ و أن يعطيهم من غلات صوافى الإسلام وهى الأرضون التى لم يوجف عليها بخيل و لاركاب وكانت صافيۀ لرسول الله ص فلما قبض صارت لفقراء المسلمين و لمايراه الإمام من مصالح الإسلام . ثم قال له فإن للأقصى منهم مثل ألذى للأدنى أى كل فقراء المسلمين سواء فى سهامهم ليس فيهاأقصى وأدنى أى لاتؤثر من هوقريب إليک أو إلى أحد من خاصتک على من هوبعيد ليس له سبب إليک و لاعلقۀ بينه وبينک ويمكن أن يريد به لاتصرف غلات ما كان من الصوافى فى بعض البلاد إلى مساكين ذلک -قرآن-۳۰۷-۴۴۳ [صفحه ۸۷] البلد خاصۀ فإن حق البعيد عن ذلک البلد

فيهاكمثل حق المقيم فى ذلك البلد. والتافه الحقير وأشخصت زيدا من موضع كذا أخرجته عنه وفلان يصعر خده للناس أى يتكبر عليهم . وتقتحمه العيون تزدريه وتحتقره والإعذار إلى الله الاجتهاد والمبالغة فى تأدية حقه والقيام بفرائضه . كان بعض الأكاسرة يجلس للمظالم بنفسه و لايثق إلى غيره ويقعد بحيث يسمع الصوت فإذاسمعه أدخل المتظلم فأصيب بصمم فى سمعه فنادى مناديه أن الملك يقول أيها الرعية إنى إن أصبت بصمم فى سمعى فلم أصب فى بصرى كل ذى ظلامة فليلبس ثوبا أحمر ثم جلس لهم فى مستشرف له . و كان لأمير المؤمنين ع بيت سماه بيت القصص يلقى الناس فيه رقاعهم وكذلك كان فعل المهدى محمد بن هارون الواثق من خلفاء بنى العباس وَ اجعَل لِذوَيِ الحَاجَاتِ مِنكَ قِسماً تُفَرّغُ لَهُم فِيهِ شَخصَكَ وَ تَجلِسُ لَهُم مَجلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّهِ أَلّذِی خَلَقَكَ وَ تُقعِدُ عَنهُم جُندَكَ وَ أَعوَانَكَ مِن أَحرَاسِكَ وَ شُرَطِكَ حَتّى يُكَلّمَكَ مُتَكَلّمُهُم غَيرَ مُتَتَعتِعٍ فَإِنّيِ سَمِعتُ رَسُولَ اللّهِص يَقُولُ فِی غَيرِ مَوطِنٍ لَن تُقَدّسَ أُمّةٌ لَا يُؤخَذُ لِلضّعِيفِ فِيهَا حَقّهُ مِنَ القوَيِّ غَيرَ مُتَتَعتِعٍ [صفحه ۸۸] ثُمّ احتَمِلِ الخُرقَ مِنهُم وَ العيِّ وَ نَحّ عَنهُمُ الضّيقَ وَ الأَنَفَ يَبسُطِ اللّهُ عَلَيكَ بِذَلِكَ أَكنَافَ رَحمَتِهِ وَ يُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ وَ أَعطِ مَا أَعطَيتَ هَنِيئاً وَ امنَع فِی إِجمَالٍ وَ إِعذَارٍ ثُمّ أُمُورٌ مِن أُمُورِكَ لَا بُدّ لَكَ مِن مُبَاشَرَتِهَا مِنهَا إِجَابَةُ عُمّالِكَ بِمَا يَعيَا عَنهُ كُتّابُكَ وَ مِنهَا إِصدَارُ حَاجَاتِ النّاسِ عِندَ وُرُودِهَا عَلَيكَ بِمَا تَحرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعوَانِكَ وَ أَمضِ لِكُلّ يَومٍ عَمَلَهُ فَإِنّ لِكُلّ يَومٍ مَا فِيهِ هذاالفصل من تتمة ماقبله و قدروى حتى يكلمك مكلمهم فاعل من كلم والرواية الأولى الأحسن . و غيرمتتعتع غيرمزعج و لامقلق والمتتعتع فى الخبر النبوى المتردد المضطرب فى كلامه عيا من خوف لحقه و هوراجع إلى المعنى الأول . والخرق الجهل وروى ثم احتمل الخرق منهم والغى والغى و هوالجهل أيضا والرواية الأولى أحسن . ثم بين له ع أنه لابد له من هذاالمجلس لأمر آخر غير ماقدمه ع و ذلك لأنه لابد من أن يكون فى حاجات الناس مايضيق به صدور أعوانه والنواب عنه فيتعين عليه أن يباشرها بنفسه و لابد من أن يكون فى كتب عماله الواردة عليه [صفحه ۸۹] مايعيا كتابه عن جوابه فيجيب عنه بعلمه ويدخل فى ذلك أن يكون فيها ما لايجوز فى حكم السياسة ومصلحة الولاية أن يطلع الكتاب عليه فيجيب أيضا عن ذلك بعلمه . ثم قال له لاتدخل عمل يوم فى عمل يوم آخر فيتعبك ويكدرك فإن لكل يوم ما فيه من العمل وَ اجعَل لِنَفسِكَ فِيمَا بَينَكَ وَ بَينَ اللّهِ تَعَالَى أَفضَلَ تِلكَ المَوَاقِيتِ وَ أَجزَلَ تِلكَ الأَقسَامِ وَ إِن كَانَت كُلّهَا لِلّهِ إِذَا صَلَحَت فِيهَا النّيّةُ وَ سَلِمَت مِنهَا الرّعِيّةُ وَ ليَكُن فِی خَاصّةِ مَا تُخلِصُ بِهِ لِلّهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ التّيِ هيَِ لَهُ خَاصّةً فَأَعطِ اللّهَ مِن بَدَنِكَ فِی لَيلِكَ وَ نَهَارِكَ وَ وَفّ مَا تَقَرّبتَ بِهِ إِلَى اللّهِ سُبحَانَهُ مِن ذَلِكَ كَامِلًا غَيرَ مَثلُومٍ وَ لَا مَنقُوصٍ بَالِغاً مِن بَدَنِكَ مَا بَلَغَ وَ إِذَا قُمتَ فِی صَلَاتِكَ لِلنّاسِ فَلَا تَكُونَنّ مُنَفّراً وَ لَا مُضَيّعاً فَإِنّ فِی النّاسِ مَن بِهِ العِلّةُ وَ لَهُ الحَاجَةُ وَ قَد سَأَلتُ رَسُولَ اللّهِص حِينَ وجَهّنَيِ إِلَى اليَمَنِ كَيفَ أُصَلّيّ بِهِم فَقَالَ صَلّ بِهِم كَصَلَاةِ أَضعَفِهِم وَ كُن بِالمُؤمِنِينَ رَحِيماً لمافرغ ع من وصيته بأمور رعيته شرع فى وصيته بأداء الفرائض التى [صفحه ۹۰] افترضها الله عليه من عبادته ولقد أحسن ع فى قوله و إن كانت كلها لله أى أن النظر فى أمور الرعية مع صحة النية وسلامة الناس من الظلم من جملة العبادات والفرائض أيضا. ثم قال له كاملا غيرمثلوم أى لايحملنك شغل السلطان على أن تختصر الصلاة اختصارا بل صلها بفرائضها وسننها وشعائرها فى نهارك وليلك و إن أتعبك ذلك ونال من بدنك وقوتك . ثم أمره إذاصلى بالناس جماعة ألا يطيل فينفرهم عنها وألا يخدج الصلاة وينقصها فيضيعها. ثم روى خبرا عن النبى ص و هو قوله ع له صل بهم كصلاة أضعفهم و قوله وكن بالمؤمنين رحيما يحتمل أن يكون من تتمة الخبر النبوى ويحتمل أن يكون من كلام أمير المؤمنين ع والظاهر أنه من كلام أمير المؤمنين من الوصية للأشتر لأن اللفظة الأولى عندأرباب الحديث هى المشهور فى الخبر وَ أَمّا بَعدَ هَذَا فَلَا تُطَوّلَنّ احتِجَابَكَ عَن رَعِيّتِكَ فَإِنّ احتِجَابَ الوُلَاةِ عَنِ الرّعِيّةِ شُعبَةٌ مِنَ الضّيقِ وَ قِلّةُ عِلمٍ بِالأُمُورِ وَ الِاحتِجَابُ مِنهُم يَقطَعُ عَنهُم عِلمَ مَا احتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصغُرُ عِندَهُمُ الكَبِيرُ وَ يَعظُمُ الصّغِيرُ وَ يَقبُحُ الحَسَنُ وَ يَحسُنُ القَبِيحُ وَ يُشَابُ الحَقّ بِالبَاطِلِ وَ إِنّمَا الوَالِي بَشَرٌ لَا يَعرِفُ مَا تَوَارَى عَنهُ النّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ وَ لَيسَت عَلَى الحَقّ سِمَاتٌ تُعرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصّدقِ مِنَ [صفحه ۹۱]

الكَذِبِ وَ إِنّمَا أَنتَ أَحَدُ رَجُلَينِ إِمّا امرُؤٌ سَخَت نَفسُكَ بِالبَذلِ فِي الحَقّ فَفِيمَ احتِجَابُكَ مِن وَاجِبِ حَقّ تُعطِيهِ أَو فِعلٍ كَرِيمٍ تُسدِيهِ أَو مُبتَلًى بِالمَنعِ فَمَا أَسرَعَ كَفّ النّاسِ عَن مَسأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِن بَذلِكَ مَعَ أَنّ أَكثَرَ حَاجَاتِ النّاسِ إِلَيكَ مَا لَا مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيكَ مِن شَكَاةِ مَظلِمَةٍ أَو طَلَبِ إِنصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ نهاه عن الاحتجاب فإنه مظنة انطواء الأمور عنه و إذارفع الحجاب دخل عليه كل أحد فعرف الأخبار و لم يخف عليه شيء من أحوال عمله . ثم قال لم تحتجب فإن أكثر الناس يحتجبون كيلا يطلب منهم الرفد. و أنت فإن كنت جوادا سمحا لم يكن لك إلى الحجاب داع و إن كنت ممسكا فسيعلم الناس ذلك منك فلايسألك أحد شيئا. ثم قال على أن أكثر مايسأل منك ما لامئونة عليه فى ماله كرد ظلامة أوإنصاف من خصم

ذكر الحجاب و ماورد فيه من الخبر والشعر

والقول فى الحجاب كثير حضر باب عمر جماعة من الأشراف منهم سهيل بن عمرو وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس فحجبوا ثم خرج الآذن فنادى أين عمار أين سلمان أين صهيب [صفحه ٩٢] فأدخلهم فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل بن عمرو لم تتمعر وجوهكم دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لأنتم غدا لهم أحسد. واستأذن أبوسفيان على عثمان فحجبه فقيل له حجبك فقال لاعدمت من أهلى من إذاشاء حجبنى. وحجب معاوية أباالدرداء فقيل لأبى الدرداء حجبك معاوية فقال من يغش أبواب الملوك يهن ويكرم و من صادف بابا مغلقا عليه وجد إلى جانبه بابا مفتوحا إن سأل أعطى و إن دعا أجيب و إن يكن معاوية قداحتجب فرب معاوية لم يحتجب . و قال أبرويز لحاجبه لاتضعن شريفا بصعوبة حجاب و لاترفعن وضيعا بسهولته ضع الرجال مواضع أخطارهم فمن كان قديما شرفه ثم ازدرعه و لم يهدمه بعدآبائه فقدمه على شرفه الأول وحسن رأيه الآخر و من كان له شرف متقدم و لم يصن ذلك حياطة له و لم يزدرعه تثمير المغارسة فألحق بآبائه من رفعة حاله مايقتضيه سابق شرفهم وألحق به فى خاصته ماألحق بنفسه و لاتأذن له إلادبريا و إلاسرارا و لاتلحقه بطبقة الأولين و إذاورد كتاب عامل من عمالى فلاتحبسه عنى طرفة عين إلا أن أكون على حال لاتستطيع الوصول إلى فيها و إذاأتاك من يدعى النصيحة لنا فلتكتبها سرا ثم أدخله بعد أن تستأذن له حتى إذا كان منى بحيث أراه فادفع إلى كتابه فإن أحمدت قبلت و إن كرهت رفضت و إن أتاك عالم مشتهر بالعلم والفضل يستأذن فأذن له فإن العلم شريف وشريف صاحبه و لاتحجبن عنى أحدا من أفناء الناس إذاأخذت مجلسى مجلس العامة فإن الملك لايحجب إلا عن ثلاث عى يكره أن يطلع عليه منه أوبخل يكره أن يدخل عليه من يسأله أوريبة هومصر عليها فيشفق من إبدائها [صفحه ٩٣] ووقوف الناس عليها و لابد أن يحيطوا بهاعلما و إن اجتهد فى سترها و قدأخذ هذاالمعنى الأخير محمود الوراق فقال إذااعتصم الوالى بإغلاق بابه || ورد ذوى الحاجات دون حجابه ظننت به إحدى ثلاث وربما || رجمت بظن واقع بصوابه أقول به مس من العى ظاهر || ففى إذنه للناس إظهار ما به فإن لم يكن عى اللسان فغالب || من البخل يحمى ماله عن طلابه و إن لم يكن لاذا و لاذا فريبة || يكتمها مستورة بثيابه .أقام عبدالعزيز بن زرارة الكلابى على باب معاوية سنة فى شملة من صوف لايأذن له ثم أذن له وقربه وأدناه ولطف محله عنده حتى ولاه مصر فكان يقال استأذن أقوام لعبد العزيز بن زرارة ثم صار يستأذن لهم و قال فى ذلك دخلت على معاوية بن حرب || ولكن بعديأس من دخول و مانلت الدخول عليه حتى || حللت محلة الرجل الذليل وأغضيت الجفون على قذاها || و لم أنظر إلى قال وقيل وأدركت ألذى أملت منه || وحرمان المنى زاد العجول . ويقال إنه قال له لمادخل عليه أمير المؤمنين دخلت إليك بالأمل واحتملت جفوتك بالصبر ورأيت ببابك أقواما قدمهم الحظ وآخرين أخرهم الحرمان فليس ينبغى للمقدم أن يأمن عواقب الأيام و لاللمؤخر أن ييأس من عطف الزمان . وأول المعرفة الاختبار فابل واختبر إن رأيت و كان يقال لم يلزم باب السلطان أحد

فصبر على ذل الحجاب وكلام البواب وألقى الأنف وحمل الضيم وأدام الملازمة إلاوصل إلى حاجته أو إلى معظمها. [صفحه ۹۴] قال عبدالملك لحاجبه إنك عين أنظر بها وجنة أستلئم بها و قدوليتك ماوراء بابى فما ذا تراك صانعا برعيتى قال أنظر إليهم بعينك وأحملهم على قدر منازلهم عندك وأضعهم فى إبطائهم عن بابك ولزوم خدمتك مواضع استحقاقهم وأرتبهم حيث وضعهم ترتيبك وأحسن إبلاغهم عنك وإبلاغك عنهم قال لقد وفيت بما عليك ولكن إن صدقت ذلك بفعلك و قال دعبل و قدحجب عن باب مالك بن طوق لعمرى لئن حجبتنى العبيد || لماحجبت دونك القافيه سأرمى بها من وراء الحجاب || شنعاء تأتيك بالداهيه تصم السميع وتعمى البصير || ويسأل من مثلها العافيه . و قال آخر سأترك هذاالباب مادام إذنه || على مأرى حتى يلين قليلا. فما خاب من لم يأته مترفعا || و لافاز من قدرام فيه دخولا إذا لم نجد للإذن عندك موضعا || وجدنا إلى ترك المجيء سبيلا . وكتب أبوالعتاهية إلى أحمد بن يوسف الكاتب و قدحجبه و إن عدت بعداليوم إنى لظالم || سأصرف وجهى حيث تبغى المكارم متى يفلح الغادى إليك لحاجة || ونصفك محجوب ونصفك نائم يعنى ليله ونهاره .استأذن رجلان على معاوية فأذن لأحدهما و كان أشرف منزلة من الآخر ثم أذن للآخر فدخل فجلس فوق الأول فقال معاوية إن الله قدألزمنا تأديبكم [صفحه ۹۵] كماألزمنا رعايتكم و أنا لم نأذن له قبلك ونحن نريد أن يكون مجلسه دونك فقم لاأقام الله لك وزنا و قال بشار تأبى خلائق خالد وفعاله || إلاتجنب كل أمر عائب و إذاأتينا الباب وقت غدائه || أدنى الغداء لنا برغم الحاجب . و قال آخر يهجو ياأميرا على جريب من الأر || ض له تسعة من الحجاب قاعد فى الخراب يحجب عنا || ماسمعنا بحاجب فى خراب . وكتب بعضهم إلى جعفر بن محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب أبا جعفر إن الولاية إن تكن || منبلة قوسا فأنت لها نبل فلاترتفع عنا لأمر وليته || كما لم يصغر عندنا شأنك العزل . و من جيد مامدح به بشر بن مروان قول القائل بعيد مراد الطرف مارد طرفه || حذار الغواشى باب دار و لاستر و لوشاء بشر كان من دون بابه || طماطم سود أوصقالبة حمر ولكن بشرا يستر الباب للتى || يكون لها فى غبها الحمد والأجر . و قال بشار خليلى من كعب أعينا أخاكما || على دهره إن الكريم يعين و لاتبخلا. بخل ابن قرعة إنه || مخافة أن يرجى نداه حزين إذاجئته للعرف أغلق بابه || فلم تلقه إلا. و أنت كمين فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا || و فى كل معروف عليك يمين . [صفحه ۹۶] و قال ابراهيم بن هرمة هش إذانزل الوفود ببابه || سهل الحجاب مؤدب الخدام و إذارأيت صديقه وشقيقه || لم تدر أيهما ذوى الأرحام . و قال آخر وإنى لأستحيى الكريم إذاأتى || على طمع عنداللئيم يطالبه وأرثى له من مجلس عندبابه || كمرثيتى للطرف والعلج راكبه . و قال عبد الله بن محمد بن عيينة أتيتك زائرا لقضاء حق || فحال الستر دونك والحجاب ورأيى مذهب عن كل ناء || يجانبه إذا عزالذهاب ولست بساقط فى قدر قوم || و إن كرهوا كمايقع الذباب . و قال آخر ماضاقت الأرض على راغب || تطلب الرزق و لاراهب بل ضاقت الأرض على شاعر || أصبح يشكو جفوة الحاجب قدشتم الحاجب فى شعره || وإنما يقصد للصاحب ثُمّ إِنّ لِلوَالِي خَاصّةً وَ بِطَانَةً فِيهِمُ استِئثَارٌ وَ تَطَاوُلٌ وَ قِلّةُ إِنصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحسِم مَئُونَةَ أُولَئِكَ بِقَطعِ أَسبَابِ تِلكَ الأَحوَالِ وَ لَا تُقطِعَنّ لِأَحَدٍ مِن حَاشِيَتِكَ وَ حَامّتِكَ قَطِيعَةً وَ لَا يَطمَعَنّ مِنكَ فِي اعتِقَادِ عُقدَةٍ تَضُرّ بِمَن يَلِيهَا مِنَ النّاسِ فِي [صفحه ۹۷] شِربٍ أَو عَمَلٍ مُشتَرَكٍ يَحمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيرِهِم فَيَكُونَ مَهنَأُ ذَلِكَ لَهُم دُونَكَ وَ عَيبُهُ عَلَيكَ فِي الدّنيَا وَ الآخِرَةِ وَ أَلزِمِ الحَقّ مَن لَزِمَهُ مِنَ القَرِيبِ وَ البَعِيدِ وَ كُن فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِن قَرَابَتِكَ وَ خَوَاصّكَ حَيثُ وَقَعَ وَ ابتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثقُلُ عَلَيكَ مِنهُ فَإِنّ مَغَبّةَ ذَلِكَ مَحمُودَةٌ وَ إِن ظَنّتِ الرّعِيّةُ بِكَ حَيفاً فَأَصحِر لَهُم بِعُذرِكَ وَ اعدِل عَنكَ ظُنُونَهُم بِإِصحَارِكَ فَإِنّ فِي ذَلِكَ إِعذَاراً تَبلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِن تَقوِيمِهِم عَلَى الحَقّ نهاه ع عن أن يحمل أقاربه وحاشيته وخواصه على رقاب الناس و أن يمكنهم من الاستئثار عليهم والتطاول والإذلال ونهاه من أن يقطع أحدا منهم قطيعة أويملكه ضيعة تضر بمن يجاورها من السادة والدهاقين فى شرب يتغلبون على الماء منه أوضياع يضيفونها إلى ماملكهم إياه وإعفاء لهم من مئونة أوحفر وغيره فيعفيهم الولاة منه مراقبة

لهم فيكون مئونة ذلك الواجب عليهم قدأسقطت عنهم وحمل ثقلها على غيرهم . ثم قال ع لأن منفعة ذلك فى الدنيا تكون لهم دونك والوزر فى الآخرة عليك والعيب والذم فى الدنيا أيضا لاحقان بك . ثم قال له إن اتهمتك الرعية بحيف عليهم أوظنت بك جورا فاذكر لهم عذرك [صفحه ۹۸] فى ذلك و ماعندك ظاهرا غيرمستور فإنه الأولى والأقرب إلى استقامتهم لك على الحق . وأصحرت بكذا أى كشفته مأخوذ من الإصحار و هوالخروج إلى الصحراء. وحامة الرجل أقاربه وبطانته واعتقدت عقدة أى ادخرت ذخيرة والمهنأ مصدر هنأه كذا ومغبة الشيء عاقبته . واعدل عنك ظنونهم نحها والإعذار إقامة العذر

طرف من أخبار عمر بن عبدالعزيز ونزاهته فى خلافته

رد عمر بن عبدالعزيز المظالم التى احتقبها بنو مروان فأبغضوه وذموه وقيل إنهم سموه فمات . وروى الزبير بن بكار فى الموفقيات أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز دخل على أبيه يوما و هو فى قائلته فأيقظه و قال له مايؤمنك أن تؤتى فى منامك و قدرفعت إليك مظالم لم تقض حق الله فيها فقال يابنى إن نفسى مطيتى إن لم أرفق بها لم تبلغنى إنى لوأتعبت نفسى وأعوانى لم يكن ذلك إلاقليلا حتى أسقط ويسقطوا وإنى لأحتسب فى نومتى من الأجر مثل الذى أحتسب فى يقظتى إن الله جل ثناؤه لوأراد أن ينزل القرآن جملة لأنزله ولكنه أنزل الآية والآيتين حتى استكثر الإيمان فى قلوبهم . ثم قال يابنى مما أنا فيه آمر هوأهم إلى أهل بيتك هم أهل العدة والعدد وقبلهم ماقبلهم فلو جمعت ذلك فى يوم واحد خشيت انتشارهم على ولكنى أنصف من الرجل [صفحه ۹۹] والاثنين فيبلغ ذلك من وراءهما فيكون أنجع له فإن يرد الله إتمام هذاالأمر أتمه و إن تكن الأخرى فحسب عبد أن يعلم الله منه أنه يحب أن ينصف جميع رعيته . وروى جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبى حكيم قال كنا عندعمر بن عبدالعزيز فلما تفرقنا نادى مناديه الصلاة جامعة فجئت المسجد فإذاعمر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن هؤلاء يعنى خلفاء بنى أمية قبله قدكانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغى لنا أن نأخذها منهم و ما كان ينبغى لهم أن يعطوناها وإنى قدرأيت الآن أنه ليس على فى ذلك دون الله حسيب و قدبدأت بنفسى والأقربين من أهل بيتى اقرأ يامزاحم فجعل مزاحم يقرأ كتابا فيه الإقطاعات بالضياع والنواحى ثم يأخذه عمر بيده فيقصه بالجلم لم يزل كذلك حتى نودى بالظهر. وروى الفرات بن السائب قال كان عندفاطمة بنت عبدالملك بن مروان جوهر جليل وهبها أبوها و لم يكن لأحد مثله وكانت تحت عمر بن عبدالعزيز فلما ولى الخلافة قال لها اختارى إما أن تردى جوهرك وحليك إلى بيت مال المسلمين وإما أن تأذنى لى فى فراقك فإنى أكره أن اجتمع أنا و أنت و هو فى بيت واحد فقالت بل أختارك عليه و على أضعافه لو كان لى وأمرت به فحمل إلى بيت المال فلما هلك عمر واستخلف يزيد بن عبدالملك قال لفاطمة أخته إن شئت رددته عليك قالت فإنى لاأشاء ذلك طبت عنه نفسا فى حياة عمر وأرجع فيه بعدموته لا و الله أبدا فلما رأى يزيد ذلك قسمه بين ولده وأهله . وروى سهيل بن يحيى المروزى عن أبيه عن عبدالعزيز عن عمر بن عبدالعزيز قال لمادفن سليمان صعد عمر على المنبر فقال إنى قدخلعت ما فى رقبتى من بيعتكم فصاح الناس صيحة واحدة قداخترناك فنزل ودخل وأمر بالستور فهتكت [صفحه ۱۰۰] والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت إلى بيت المال ثم خرج ونادى مناديه من كانت له مظلمة من بعيد أوقريب من أمير المؤمنين فليحضر فقام رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال أسألك كتاب الله قال ماشأنك قال العباس بن الوليد بن عبدالملك اغتصبنى ضيعتى والعباس جالس فقال عمر ماتقول ياعباس قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد وكتب لى بهاسجلا فقال عمر ماتقول أنت أيها الذمى قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله فقال عمر إيها لعمرى إن كتاب الله لأحق أن يتبع من كتاب الوليد اردد عليه ياعباس ضيعته فجعل لايدع شيئا مما كان فى أيدى أهل بيته من المظالم إلاردها مظلمة مظلمة. وروى ميمون بن

مهران قال بعث إلى عمر بن عبدالعزيز و إلى مكحول و أبى قلابة فقال ماترون فى هذه الأموال التى أخذها أهلى من الناس ظلما فقال مكحول قولا ضعيفا كرهه عمر فقال أرى أن تستأنف وتدع مامضى فنظر إلى عمر كالمستغيث بى فقلت يا أمير المؤمنين أحضر ولدك عبدالملك لننظر ما يقول فحضر فقال ماتقول يا عبدالملك فقال ماذا أقول ألست تعرف مواضعها قال بلى و الله قال فارددها فإن لم تفعل كنت شريكا لمن أخذها. وروى ابن درستويه عن يعقوب بن سفيان عن جويرية بن أسماء قال كان بيد عمر بن عبدالعزيز قبل الخلافة ضيعته المعروفة بالسهلة وكانت باليمامة وكانت أمرا عظيما لها غلة عظيمة كثيرة إنما عيشه وعيش أهله منها فلما ولى الخلافة قال لمزاحم مولاه و كان فاضلا إنى قدعزمت أن أرد السهلة إلى بيت مال المسلمين فقال مزاحم أتدرى كم ولدك إنهم كذا وكذا قال فذرفت عيناه فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بإصبعه الوسطى و يقول أكلهم إلى الله أكلهم إلى الله فمضى مزاحم فدخل على عبدالملك بن عمر فقال له أ لاتعلم ما قدعزم عليه أبوك إنه يريد أن يرد السهلة قال فما قلت [صفحه ١٠١] له قال ذكرت له ولده فجعل يستدمع و يقول أكلهم إلى الله فقال عبدالملك بئس وزير الدين أنت ثم وثب وانطلق إلى أبيه فقال للآذن استأذن لى عليه فقال إنه قدوضع رأسه الساعة للقائلة فقال استأذن لى عليه فقال أ ماترحمونه ليس له من الليل والنهار إلا هذه الساعة قال استأذن لى عليه لاأم لك فسمع عمر كلامهما فقال ائذن لعبد الملك فدخل فقال على ماذا عزمت قال أرد السهلة قال فلاتؤخر ذلك قم الآن قال فجعل عمر يرفع يديه و يقول الحمد لله ألذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى قال نعم يابنى أصلى الظهر ثم أصعد المنبر فأردها علانية على رءوس الناس قال و من لك أن تعيش إلى الظهر ثم من لك أن تسلم نيتك إلى الظهر إن عشت إليها فقام عمر فصعد المنبر فخطب الناس ورد السهلة. قال وكتب عمر بن الوليد بن عبدالملك إلى عمر بن عبدالعزيز لماأخذ بنى مروان برد المظالم كتابا أغلظ له فيه من جملته أنك أزريت على كل من كان قبلك من الخلفاء وعبتهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشنآنا لمن بعدهم من أولادهم وقطعت مأمر الله به أن يوصل وعمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا فاتق الله يا ابن عبدالعزيز وراقبه فإنك خصصت أهل بيتك بالظلم والجور و و ألذى خص محمدص بما خصه به لقد ازددت من الله بعدا بولايتك هذه التى زعمت أنها عليك بلاء فأقصر عن بعض ماصنعت واعلم أنك بعين جبار عزيز و فى قبضته ولن يتركك على ما أنت عليه .قالوا فكتب عمر جوابه أما بعدفقد قرأت كتابك وسوف أجيبك بنحو منه أماأول أمرك يا ابن الوليد فإن أمك نباتة أمة السكون كانت تطوف فى أسواق حمص وتدخل حوانيتها ثم الله أعلم بهااشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين فأهداها [صفحه ١٠٢] لأبيك فحملت بك فبئس الحامل وبئس المحمول ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا وتزعم أنى من الظالمين لأنى حرمتك و أهل بيتك فيء الله ألذى هوحق القرابة والمساكين والأرامل و إن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك و لم يكن له فى ذاك نية إلاحب الوالد ولده فويل لك وويل لأبيك ماأكثر خصماءكما يوم القيامة و إن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمسى العرب يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام و إن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابيا جافيا على مصر وأذن له فى المعازف والخمر والشرب واللهو و إن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز فينشد الأشعار على منبر رسول الله ص و من جعل للعالية البربرية سهما فى الخمس فرويدا يا ابن نباتة و لوالتقت حلقتا البطان ورد الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتكم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم فى بنيات الطريق و من وراء هذا من الفضل ماأرجو أن أعمله بيع رقبتك وقسم ثمنك بين الأرامل واليتامى والمساكين فإن لكل فيك حقا و السلام علينا و لاينال سلام الله الظالمين . وروى الأوزاعى قال لماقطع عمر بن عبدالعزيز عن أهل بيته ما كان من قبله يجرونه عليهم من أرزاق الخاصة فتكلم فى ذلك عنبسة بن سعيد فقال يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة فقال مالى إن يتسع لكم و أما هذاالمال فحقكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد و لايمنعه من أخذه إلا بعدمكانه

و الله إنی لأری أن الأمور [صفحه ۱۰۳] لواستحالت حتی یصبح أهل الأرض یرون مثل رأیکم لنزلت بهم بائقهٔ من عذاب الله . وروی الأوزاعی أیضا قال قال عمر بن عبدالعزیز یوما و قدبلغه عن بنی أمیهٔ کلام أغضبه إن لله فی بنی أمیهٔ یوما أو قال ذبحا وایم الله لئن کان ذلک الذبح أو قال ذلک الیوم علی یدی لأعذرن الله فیهم قال فلما بلغهم ذلک کفوا وکانوا یعلمون صرامته وإنه إذاوقع فی أمر مضی فیه . وروی إسماعیل بن أبی حکیم قال قال عمر بن عبدالعزیز یوما لحاجبه لاتدخلن علی الیوم إلامروانیا فلما اجتمعوا قال یابنی مروان إنکم قدأعطیتم حظا وشرفا وأموالا إنی لأحسب شطر أموال هذه الأمهٔ أوثلثیها فی أیدیکم فسکتوا فقال أ لاتجیبونی فقال رجل منهم فما بالک قال إنی أرید أن أنتزعها منکم فأردها إلی بیت مال المسلمین فقال رجل منهم و الله لا یکون ذلک حتی یحال بین رءوسنا وأجسادنا و الله لانکفر أسلافنا و لانفقر أولادنا فقال عمر و الله لو لا أن تستعینوا علی بمن أطلب هذاالحق له لأضرعت خدودکم قوموا عنی. وروی مالک بن أنس قال ذکر عمر بن عبدالعزیز من کان قبله من المروانیهٔ فعابهم وعنده هشام بن عبدالملک فقال یا أمیر المؤمنین إنا و الله نکره أن تعیب آباءنا وتضع شرفنا فقال عمر و أی عیب أعیب مما عابه القرآن . وروی نوفل بن الفرات قال شکا بنو مروان إلی عاتکهٔ بنت مروان بن الحکم عمر فقالوا إنه یعیب أسلافنا ویأخذ أموالنا فذکرت ذلک له وکانت عظیمهٔ عندبنی مروان فقال لها یاعمهٔ إن رسول الله ص قبض وترک [صفحه ۱۰۴] الناس علی نهر مورود فولی ذلک النهر بعده رجلان لم یستخصا أنفسهما وأهلهما منه بشیء ثم ولیه ثالث فکری منه ساقیهٔ ثم لم تزل الناس یکرون منه السواقی حتی ترکوه یابسا لاقطرهٔ فیه وایم الله لئن أبقانی الله لأسکرن تلک السواقی حتی أعید النهر إلی مجراه الأول قالت فلایسبون إذاعندک قال و من یسبهم إنما یرفع الرجل مظلمته فأردها علیه . وروی عبد الله بن محمدالتیمی قال کان بنو أمیهٔ ینزلون عاتکهٔ بنت مروان بن الحکم علی أبواب قصورهم وکانت جلیلهٔ الموضع عندهم فلما ولی عمر قال لایلی إنزالها أحد غیری فأدخلوها علی دابتها إلی باب قبته فأنزلها ثم طبق لها وسادتین إحداهما علی الأخری ثم أنشأ یمازحها و لم یکن من شأنه و لا من شأنها المزاح فقال أ مارأیت الحرس الذین علی الباب فقالت بلی وربما رأیتهم عند من هوخیر منک فلما رأی الغضب لایتحلل عنها ترک المزاح وسألها أن تذکر حاجتها فقالت إن قرابتک یشکونک ویزعمون أنک أخذت منهم خیر غیرک قال مامنعتهم شیئا هولهم و لاأخذت منهم حقا یستحقونه قالت إنی أخاف أن یهیجوا علیک یوما عصیبا و قال کل یوم أخافه دون یوم القیامهٔ فلاوقانی الله شره ثم دعا بدینار ومجمرهٔ وجلد فألقی الدینار فی النار وجعل ینفخ حتی احمر ثم تناوله بشیء فأخرجه فوضعه علی الجلد فنش وفتر فقال یاعمهٔ أ ماتأوین لابن أخیک من مثل هذافقامت فخرجت إلی بنی مروان فقالت تزوجون فی آل عمر بن الخطاب فإذانزعوا إلی الشبه جزعتم اصبروا له . وروی وهیب بن الورد قال اجتمع بنو مروان علی باب عمر بن عبدالعزیز فقالوا لولد له قل لأبیک یأذن لنا فإن لم یأذن فأبلغ إلیه عنا وسأله فلم یأذن لهم و قال [صفحه ۱۰۵] فلیقولوا فقالوا قل له إن من کان قبلک من الخلفاء کان یعطینا ویعرف لنا مواضعنا و إن أباک قدحرمنا ما فی یدیه فدخل إلی أبیه فأبلغه عنهم فقال اخرج فقل لهم إنی أخاف إن عصیت ربی عذاب یوم عظیم وروی سعید بن عمار عن أسماء بنت عبید قال دخل عنبسهٔ بن سعید بن العاص علی عمر بن عبدالعزیز فقال یا أمیر المؤمنین إن من کان قبلک من الخلفاء کانوا یعطوننا عطایا منعتناها و لی عیال وضیعهٔ فأذن لی أخرج إلی ضیعتی و مایصلح عیالی فقال عمر إن أحبکم إلینا من کفانا مئونته فخرج عنبسهٔ فلما صار إلی الباب ناداه أباخالد أباخالد فرجع فقال أکثر ذکر الموت فإن کنت فی ضیق من العیش وسعه علیک و إن کنت فی سعهٔ من العیش ضیقه علیک . وروی عمر بن علی بن مقدم قال قال ابن صغیر لسلیمان بن عبدالملک لمزاحم إن لی حاجهٔ إلی أمیر المؤمنین عمر قال فاستأذنت له فأدخله فقال یا أمیر المؤمنین لم أخذت قطیعتی قال معاذ الله إن آخذ قطیعهٔ ثبتت فی الإسلام قال فهذا کتابی بها وأخرج کتابا من کمه فقرأه عمر و قال لمن کانت هذه الأرض قال کانت للمسلمین قال فالمسلمون أولی بها قال فاردد علی کتابی قال إنک لو لم تأتنی به لم أسألکه فأما إذ جئتنی به فلست أدعک تطلب به ما لیس

لک بحق فبکی ابن سلیمان فقال مزاحم یا أمیر المؤمنین ابن سلیمان تصنع به هذا قال و ذلک لأن سلیمان عهد إلی عمر وقدمه علی إخوته فقال عمر ویحک یامزاحم إنی لأجد له من اللوط ماأجد لولدی ولکنها نفسی أجادل عنها. وروی الأوزاعی قال قال هشام بن عبدالملک وسعید بن خالد بن عمر بن عثمان [صفحه ۱۰۶] بن عفان لعمر بن عبدالعزیز یا أمیر المؤمنین استأنف العمل برأیک فیما تحت یدک وخل بین من سبقک و بین ماولوه علیهم کان أولهم فإنک مستکف أن تدخل فی خیر ذلک وشره قال أنشدکما الله ألذی إلیه تعودان لو أن رجلا هلک وترک بنین أصاغر وأکابر فغر الأکابر الأصاغر بقوتهم فأکلوا أموالهم ثم بلغ الأصاغر الحلم فجاءوکما بهم وبما صنعوا فی أموالهم ماکنتما صانعین قالا کنا نرد علیهم حقوقهم حتی یستوفوها قال فإنی وجدت کثیرا ممن کان قبلی من الولاة غر الناس بسلطانه وقوته وآثر بأموالهم أتباعه وأهله ورهطه وخاصته فلما ولیت أتونی بذلک فلم یسعنی إلاالرد علی الضعیف من القوی و علی الدنیء من الشریف فقالا یوفق الله أمیر المؤمنین وَ لَا تَدفَعَنّ صُلحاً دَعَاکَ إِلَیهِ عَدُوّکَ لِلّهِ فِیهِ رِضًا فَإِنّ فِی الصّلحِ دَعَةً لِجُنُودِکَ وَ رَاحَةً مِن هُمُومِکَ وَ أَمناً لِبِلَادِکَ وَ لَکِنِ الحَذَرَ کُلّ الحَذَرِ مِن عَدُوّکَ بَعدَ صُلحِهِ فَإِنّ العَدُوّ رُبّمَا قَارَبَ لِیَتَغَفّلَ فَخُذ بِالحَزمِ وَ اتّهِم فِی ذَلِکَ حُسنَ الظّنّ وَ إِن عَقَدتَ بَینَکَ وَ بَینَ عَدُوّ لَکَ عُقدَةً أَو أَلبَستَهُ مِنکَ ذِمّةً فَحُط عَهدَکَ بِالوَفَاءِ وَ ارعَ ذِمّتَکَ بِالأَمَانَةِ وَ اجعَل نَفسَکَ جُنّةً دُونَ مَا أَعطَیتَ فَإِنّهُ لَیسَ مِن فَرَائِضِ اللّهِ شَیءٌ النّاسُ أَشَدّ عَلَیهِ اجتِمَاعاً مَعَ تَفَرّقِ أَهوَائِهِم وَ تَشَتّتِ آرَائِهِم مِن تَعظِیمِ الوَفَاءِ بِالعُهُودِ وَ قَد لَزِمَ ذَلِکَ المُشرِکُونَ فِیمَا بَینَهُم دُونَ المُسلِمِینَ لِمَا استَوبَلُوا مِن عَوَاقِبِ الغَدرِ فَلَا تَغدِرَنّ بِذِمّتِکَ وَ لَا تَخِیسَنّ بِعَهدِکَ وَ لَا تَختِلَنّ عَدُوّکَ فَإِنّهُ لَا یَجتَرِئُ عَلَی اللّهِ إِلّا جَاهِلٌ شَقِیّ وَ قَد جَعَلَ اللّهُ عَهدَهُ وَ ذِمّتَهُ أَمناً أَفضَاهُ بَینَ العِبَادِ بِرَحمَتِهِ [صفحه ۱۰۷] وَ حَرِیماً یَسکُنُونَ إِلَی مَنَعَتِهِ وَ یَستَفِیضُونَ إِلَی جِوَارِهِ فَلَا إِدغَالَ وَ لَا مُدَالَسَةَ وَ لَا خِدَاعَ فِیهِ وَ لَا تَعقِد عَقداً تُجَوّزُ فِیهِ العِلَلَ وَ لَا تُعَوّلَنّ عَلَی لَحنِ القَولِ بَعدَ التّأکِیدِ وَ التّوثِقَةِ وَ لَا یَدعُوَنّکَ ضِیقُ أَمرٍ لَزِمَکَ فِیهِ عَهدُ اللّهِ إِلَی طَلَبِ انفِسَاخِهِ بِغَیرِ الحَقّ فَإِنّ صَبرَکَ عَلَی ضِیقِ أَمرٍ تَرجُو انفِرَاجَهُ وَ فَضلَ عَاقِبَتِهِ خَیرٌ مِن غَدرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَ أَن تُحِیطَ بِکَ مِنَ اللّهِ طِلبَةٌ لَا تَستَقِیلُ فِیهَا دُنیَاکَ وَ لَا آخِرَتَکَ أمره أن یقبل السلم والصلح إذادعی إلیه لما فیه من دعة الجنود والراحة من الهم والأمن للبلاد ولکن ینبغی أن یحذر بعدالصلح من غائلة العدو وکیده فإنه ربما قارب بالصلح لیتغفل أی یطلب غفلتک فخذ بالحزم واتهم حسن ظنک لاتثق و لاتسکن إلی حسن ظنک بالعدو وکن کالطائر الحذر. ثم أمره بالوفاء بالعهود قال واجعل نفسک جنة دون ماأعطیت أی و لوذهبت نفسک فلاتغدر. و قال الراوندی الناس مبتدأ وأشد مبتدأ ثان و من تعظیم الوفاء خبره و هذاالمبتدأ الثانی مع خبره خبر المبتدإ الأول ومحل الجملة نصب لأنها خبر لیس ومحل لیس مع اسمه وخبره رفع لأنه خبر فإنه و شیءاسم لیس و من فرائض الله حال و لوتأخر لکان صفة لشیء والصواب أن شیءاسم لیس وجاز ذلک و إن کان نکرة لاعتماده علی النفی ولأن الجار والمجرور قبله فی موضع الحال کالصفة فتخصص بذلک وقرب من المعرفة و الناس مبتدأ وأشد خبره و هذه الجملة المرکبة من مبتدإ [صفحه ۱۰۸] وخبر فی موضع رفع لأنها صفة شیء و أماخبر المبتدإ ألذی هو شیءفمحذوف وتقدیره فی الوجود کماحذف الخبر فی قولنا لاإله إلا الله أی فی الوجود و لیس یصح ما قال الراوندی من أن أشد مبتدأ ثان و من تعظیم الوفاء خبره لأن حرف الجر إذا کان خبرا لمبتدإ تعلق بمحذوف وهاهنا هومتعلق بأشد نفسه فکیف یکون خبرا عنه وأیضا فإنه لایجوز أن یکون أشد من تعظیم الوفاء خبرا عن الناس کمازعم الراوندی لأن ذلک کلام غیرمفید أ لاتری أنک إذاأردت أن تخبر بهذا الکلام عن المبتدإ ألذی هو الناس لم یقم من ذلک صورة محصلة تفیدک شیئا بل یکون کلاما مضطربا. ویمکن أیضا أن یکون من فرائض الله فی موضع رفع لأنه خبر المبتدإ و قدقدم علیه و یکون موضع الناس و مابعده رفع لأنه خبر المبتدإ ألذی هو شیء کماقلناه أولا و لیس یمتنع أیضا أن یکون من فرائض الله منصوب الموضع لأنه حال و یکون موضع الناس أشد رفعا لأنه خبر المبتدإ ألذی هو شیء. ثم قال له ع و قدلزم المشرکون مع شرکهم الوفاء بالعهود وصار ذلک لهم شریعة وبینهم سنة فالإسلام أولی باللزوم والوفاء. واستوبلوا وجدوه

وبيلا أى ثقيلا استوبلت البلد أى استوخمته واستثقلته و لم يوافق مزاجك . و لاتخيسن بعهدك أى لاتغدرن خاس فلان بذمته أى غدر ونكث . قوله و لاتختلن عدوك أى لاتمكرن به ختلته أى خدعته . و قوله أفضاه بين عباده جعله مشتركا بينهم لايختص به فريق دون فريق . [صفحه ۱۰۹] قال ويستفيضون إلى جواره أى ينتشرون فى طلب حاجاتهم ومآربهم ساكنين إلى جواره فإلى هاهنا متعلقة بمحذوف مقدر كقوله تعالى فِى تِسعِ آياتٍ إِلى فِرعَونَ أى مرسلا قال فلاإدغال أى لاإفساد والدغل الفساد و لامدالسة أى لاخديعة يقال فلان لايوالس و لايدالس أى لايخادع و لايخون وأصل الدلس الظلمة والتدليس فى البيع كتمان عيب السلعة عن المشترى. ثم نهاه عن أن يعقد عقدا يمكن فيه التأويلات والعلل وطلب المخارج ونهاه إذاعقد العقد بينه و بين العدو أن ينقضه معولا على تأويل خفى أوفحوى قول أو يقول إنما عنيت كذا و لم أعن ظاهر اللفظة فإن العقود إنما تعقد على ما هوظاهر فى الاستعمال متداول فى الاصطلاح والعرف لا على ما فى الباطن . وروى انفساحه بالحاء المهملة أى سعته -قرآن-۱۳۱-۱۵۹

فصل فيما جاء فى الحذر من كيد العدو

قدجاء فى الحذر من كيد العدو والنهى عن التفريط فى الرأى السكون إلى ظاهر السلم أشياء كثيرة وكذا فى النهى عن الغدر والنهى عن طلب تأويلات العهود وفسخها بغير الحق .فرط عبد الله بن طاهر فى أيام أبيه فى أمر أشرف فيه على العطب ونجا بعدلأى فكتب إليه أبوه أتانى يابنى من خبر تفريطك ما كان أكبر عندى من نعيك لوورد لأنى لم أرج قط ألا تموت و قدكنت أرجو ألاـ تفتضح بترك الحزم والتيقظ. وروى ابن الكلبى أن قيس بن زهير لماقتل حذيفة بن بدر و من معه بجفر الهباءة [صفحه ۱۱۰] خرج حتى لحق بالنمر بن قاسط و قال لاتنظر فى وجهى غطفانية بعداليوم فقال يامعاشر النمر أناقيس بن زهير غريب حريب طريد شريد موتور فانظروا لى امرأة قدأدبها الغنى وأذلها الفقر فزوجوه بامرأة منهم فقال لهم إنى لاـأقيم فيكم حتى أخبركم بأخلاقى أنافخور غيور أنف ولست أفخر حتى أبتلى و لاأغار حتى أرى و لاـآنف حتى أظلم فرضوا أخلاقه فأقام فيهم حتى ولد له ثم أراد أن يتحول عنهم فقال يامعشر النمر إن لكم حقا على فى مصاهرتى فيكم ومقامى بين أظهركم وإنى موصيكم بخصال آمركم بها وأنهاكم عن خصال عليكم بالأناة فإن بهاتدرك الحاجة وتنال الفرصة وتسويد من لاتعابون بتسويده والوفاء بالعهود فإن به يعيش الناس وإعطاء ماتريدون إعطاءه قبل المسألة ومنع ماتريدون منعه قبل الإنعام وإجارة الجار على الدهر وتنفيس البيوت عن منازل الأيامى وخلط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الغدر فإنه عار الدهر و عن الرهان فإن به ثكلت مالكا أخى و عن البغى فإن به صرع زهير أبى و عن السرف فى الدماء فإن قتلى أهل الهباءة أورثنى العار و لاتعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق وأنكحوا الأيامى الأكفاء فإن لم تصيبوا بهن الأكفاء فخير بيوتهن القبور واعلموا أنى أصبحت ظالما ومظلوما ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكا وظلمتهم بقتلى من لاذنب له ثم رحل عنهم إلى غمار فتنصر بها وعف عن المآكل حتى أكل الحنظل إلى أن مات إِيّاكَ وَ الدّمَاءَ وَ سَفكَهَا بِغَيرِ حِلّهَا فَإِنّهُ لَيسَ شَيءٌ أَدعَى لِنِقمَةٍ وَ لَا أَعظَمَ [صفحه ۱۱۱] لِتَبِعَةٍ وَ لَا أَحرَى بِزَوَالِ نِعمَةٍ وَ انقِطَاعِ مُدّةٍ مِن سَفكِ الدّمَاءِ بِغَيرِ حَقّهَا وَ اللّهُ سُبحَانَهُ مُبتَدِئٌ بِالحُكمِ بَينَ العِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدّمَاءِ يَومَ القِيَامَةِ فَلَا تُقَوّيَنّ سُلطَانَكَ بِسَفكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنّ ذَلِكَ مِمّا يُضعِفُهُ وَ يُوهِنُهُ بَل يُزِيلُهُ وَ يَنقُلُهُ وَ لَا عُذرَ لَكَ عِندَ اللّهِ وَ لَا عِندِي فِي قَتلِ العَمدِ لِأَنّ فِيهِ قَوَدَ البَدَنِ وَ إِنِ ابتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَ أَفرَطَ عَلَيكَ سَوطُكَ أَو يَدُكَ بِالعُقُوبَةِ فَإِنّ فِي الوَكزَةِ فَمَا فَوقَهَا مَقتَلَةً فَلَا تَطمَحَنّ بِكَ نَخوَةُ سُلطَانِكَ عَن أَن تُؤَدّيَ إِلَى أَولِيَاءِ المَقتُولِ حَقّهُم قدذكرنا فى وصية قيس بن زهير آنفا النهى عن الإسراف فى الدماء وتلك وصية مبنية على شريعة الجاهلية مع حميتها وتهالكها على القتل والقتال ووصية أمير المؤمنين ع مبنية على

الشريعة الإسلامية والنهى عن القتل والعدوان ألذى لايسيغه الدين و قدورد فى الخبر المرفوع أن أول مايقضى الله به يوم القيامة بين العباد أمر الدماء -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٨٨ قال إنه ليس شىءأدعى إلى حلول النقم وزوال النعم وانتقال الدول من سفكك الدم الحرام وإنك إن ظننت أنك تقوى سلطانك بذلك فليس الأمر كماظننت بل تضعفه بل تعدمه بالكلية. ثم عرفه أن قتل العمد يوجب القود و قال له قود البدن أى يجب عليك هدم صورتك كماهدمت صورة المقتول والمراد إرهابه بهذه اللفظة أنها أبلغ من أن يقول له فإن فيه القود. ثم قال إن قتلت خطأ أوشبه عمد كالضرب بالسوط فعليك الدية و قداختلف [صفحه ١١٢] الفقهاء فى هذه المسألة فقال أبوحنيفة وأصحابه القتل على خمسة أوجه عمد وشبه عمد وخطأ و ماأجرى مجرى الخطإ وقتل بسبب .فالعمد ماتعمد به ضرب الإنسان بسلاح أو مايجرى مجرى السلاح كالمحدد من الخشب وليطة القصب والمروءة المحددة والنار وموجب ذلك المأثم والقود إلا أن يعفو الأولياء و لاكفارة فيه . وشبه العمد أن يتعمد الضرب بما ليس بسلاح و لاأجرى مجرى السلاح كالحجر العظيم والخشبة العظيمة وموجب ذلك المأثم والكفارة و لاقود فيه و فيه الدية مغلظة على العاقلة. والخطأ على وجهين خطأ فى القصد و هو أن يرمى شخصا يظنه صيدا فإذا هوآدمى وخطأ فى الفعل و هو أن يرمى غرضا فيصيب آدميا وموجب النوعين جميعا الكفارة والدية على العاقلة و لامأثم فيه . و ماأجرى مجرى الخطإ مثل النائم يتقلب على رجل فيقتله فحكمه حكم الخطإ و أماالقتل بسبب فحافر البئر وواضع الحجر فى غيرملكه وموجبه إذاتلف فيه إنسان الدية على العاقلة و لاكفارة فيه .فهذا قول أبى حنيفة و من تابعه و قدخالفه صاحباه أبويوسف و محمد فى شبه العمد وقالا إذاضربه بحجر عظيم أوخشبة غليظة فهو عمد قال وشبه العمد أن يتعمد ضربه بما لايقتل به غالبا كالعصا الصغيرة والسوط وبهذا القول قال الشافعى. وكلام أمير المؤمنين ع يدل على أن المؤدب من الولاة إذاتلف تحت [صفحه ١١٣] يده إنسان فى التأديب فعليه الدية و قال لى قوم من فقهاء الإمامية أن مذهبنا أن لادية عليه و هوخلاف مايقتضيه كلام أمير المؤمنين ع وَ إِيّاكَ وَ الإِعجَابَ بِنَفسِكَ وَ الثّقَةَ بِمَا يُعجِبُكَ مِنهَا وَ حُبّ الإِطرَاءِ فَإِنّ ذَلِكَ مِن أَوثَقِ فُرَصِ الشّيطَانِ فِي نَفسِهِ لِيَمحَقَ مَا يَكُونُ مِن إِحسَانِ المُحسِنِينَ وَ إِيّاكَ وَ المَنّ عَلَى رَعِيّتِكَ بِإِحسَانِكَ أَوِ التّزَيّدَ فِيمَا كَانَ مِن فِعلِكَ أَو أَن تَعِدَهُم فَتُتبِعَ مَوعِدَكَ بِخُلفِكَ فَإِنّ المَنّ يُبطِلُ الإِحسَانَ وَ التّزَيّدَ يَذهَبُ بِنُورِ الحَقّ وَ الخُلفَ يُوجِبُ المَقتَ عِندَ اللّهِ وَ النّاسِ قَالَ اللّهُ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَي كَبُرَ مَقتاً عِندَ اللّهِ أَن تَقُولُوا ما لا تَفعَلُونَ وَ إِيّاكَ وَ العَجَلَةَ بِالأُمُورِ قَبلَ أَوَانِهَا أَوِ التّسَاقُطَ فِيهَا عِندَ إِمكَانِهَا أَوِ اللّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكّرَت أَوِ الوَهنَ عَنهَا إِذَا استَوضَحَت فَضَع كُلّ أَمرٍ مَوضِعَهُ وَ أَوقِع كُلّ عَمَلٍ مَوقِعَهُ وَ إِيّاكَ وَ الِاستِئثَارَ بِمَا النّاسُ فِيهِ أُسوَةٌ وَ التّغَابِيَ عَمّا تُعنَى بِهِ مِمّا قَد وَضَحَ لِلعُيُونِ فَإِنّهُ مَأخُوذٌ مِنكَ لِغَيرِكَ وَ عَمّا قَلِيلٍ تَنكَشِفُ عَنكَ أَغطِيَةُ الأُمُورِ وَ يُنتَصَفُ مِنكَ لِلمَظلُومِ املِك حَمِيّةَ أَنفِكَ وَ سَورَةَ حَدّكَ وَ سَطوَةَ يَدِكَ وَ غَربَ لِسَانِكَ وَ احتَرِس مِن كُلّ ذَلِكَ بِكَفّ البَادِرَةِ وَ تَأخِيرِ السّطوَةِ حَتّي يَسكُنَ غَضَبُكَ فَتَملِكَ الِاختِيَارَ وَ لَن تَحكُمَ ذَلِكَ مِن نَفسِكَ حَتّي تُكثِرَ هُمُومَكَ بِذِكرِ المَعَادِ إِلَي رَبّكَ -قرآن-٤٩٠-٥٤٦ [صفحه ١١٤] وَ الوَاجِبُ عَلَيكَ أَن تَتَذَكّرَ مَا مَضَى لِمَن تَقَدّمَكَ مِن حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ أَو سُنّةٍ فَاضِلَةٍ أَو أَثَرٍ عَن نَبِيّنَاص أَو فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللّهِ فَتَقتَدِيَ بِمَا شَاهَدتَ مِمّا عَمِلنَا بِهِ فِيهَا وَ تَجتَهِدَ لِنَفسِكَ فِي اتّبَاعِ مَا عَهِدتُ إِلَيكَ فِي عَهدِي هَذَا وَ استَوثَقتُ بِهِ مِنَ الحُجّةِ لِنَفسِي عَلَيكَ لِكَيلَا تَكُونَ لَكَ عِلّةٌ عِندَ تَسَرّعِ نَفسِكَ إِلَى هَوَاهَا قداشتمل هذاالفصل على وصايا نحن شارحوها منها قوله ع إياك و مايعجبك من نفسك والثقة بما يعجبك منها قدورد فى الخبر ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه -روايت-١-٢-روايت-١٨-٧٥ فى الخبر أيضا لاوحشة أشد من العجب -روايت-١-٢-روايت-١٧-٣٩ فى الخبر الناس لآدم وآدم من تراب فما لابن آدم والفخر والعجب -روايت-١-٢-روايت-١٢-٧٠ فى الخبر الجار ثوبه خيلاء لاينظر الله إليه يوم القيامة -روايت-١-٢-روايت-١٢-٦١ فى الخبر و قدرأى أبادجانة يتبختر إنها لمشية يبغضها الله إلا بين الصفين -روايت-١-٢-روايت-١٢-٧٨ . ومنها قوله وحب الإطراء ناظر المأمون محمد بن القاسم النوشجانى المتكلم فجعل يصدقه ويطريه ويستحسن قوله فقال المأمون يا

محمـدأراك تنقاد إلى ماتظن أنه يسـرنى قبل وجوب الحجـة لى عليك وتطرينى بما لست أحب أن أطرى به وتسـتخذى لى فى المقام ألذى ينبغى أن تكون فيه مقاوما لى ومحتجا على و لوشـئت أن أقسر الأمور بفضل بيان وطول لسان وأغتصب الحجة بقوة الخلافة وأبهـة الرئاسـة لصـدقت و إن كنت كاذبـا وعـدلت و إن كنت جـائرا وصـوبت و إن كنت مخطئـا [صـفحه ١١٥] لكنى لاأرضـى إلابغلبة الحجة ودفع الشـبهة و إن أنقص الملوك عقلا وأسخفهم رأيا من رضى بقولهم صدق الأمير. وأثنى رجل على رجـل فقال الحمـد لله الـذى سترنى عنك و كان بعض الصالحين يقول إذاأطراه إنسان ليسألك الله عن حسن ظنك . ومنها قوله وإياك والمن قال الله تعالى يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا لا تُبطِلُوا صَدَقاتِكُم بِالمَنّ وَ الأَذى و كان يقال المن محبة للنفس مفسدة للصـنع . ومنها نهيه إياه عن التزيد فى فعله قال ع إنه يذهب بنور الحق و ذلك لأنه محض الكذب مثل أن يسدى ثلاثة أجزاء من الجميل فيـدعى فى المجالس والمحافل أنه أسـدى عشـرة و إذاخالط الحق الكذب أذهب نوره . ومنها نهيه إياه عن خلف الوعد قدمدح الله نبيـا من الأنبياء و هوإسـماعيل بن ابراهيم ع بصـدق الوعـد و كان يقال وعـد الكريم نقـد وتعجيل ووعـد اللئيم مطل وتعطيل وكتب بعض الكتـاب وحق لمن أزهر بقول أن يثمر بفعـل و قـال أبومقاتل الضـرير قلت لأعرابى قـدأكثر الناس فى المواعيـد فما قولك فيها فقال بئس الشـىء الوعد مشـغلة للقلب الفارغ متعبة للبدن الخافض خيره غائب وشـره حاضر و -قرآن-٢٨١-٣٥١ فى الحديث المرفوع عدة المؤمن كأخذ باليد -روايت-١-٢-روايت-٢٣-۴۶ فأما أمير المؤمنين ع فقال إنه يوجب المقت واستشـهد عليه بالآيـة والمقت البغض . ومنهـا نهيه عن العجلـة و كـان يقـال أصاب متثبت أوكاد وأخطأ عجل أوكاد و فى المثل رب عجلة تهب ريثـا وذمهـا الله تعـالى فقـال خُلِقَ الإِنسانُ مِن عَجَلٍ. -قرآن-٢٠٨-٢٣۴ [صـفحه ١١۶] ومنهـا نهيه عن التساقط فى الشـىء الممكن عنـدحضوره و هـذاعبارة عن النهى عن الحرص والجشع قال الشـنفرى و إن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن || بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجـل . ومنهـا نهيه عن اللجاجـة فى الحاجـة إذاتعـذرت كـان يقال من لاج الله فقـد جعله خصـما و من كان الله خصـمه فهو مخصوم قال الغزى دعها سـماوية تجرى على قـدر || لاتفسـدنها برأى منك معكوس . ومنها نهيه له عن الوهن فيها إذااستوضـحت أى وضـحت وانكشـفت ويروى واستوضـحت فعل ما لم يسم فاعله والوهن فيهاإهمالها وترك انتهاز الفرصة فيها قال الشاعر فإذاأمكنت فبادر إليها || حـذرا من تعذر الإمكان . ومنها نهيه عن الاستئثار و هذا هوالخلق النبوى غنم رسول الله ص غنـائم خيبر وكـانت مـل ء الأـرض نعمـا فلمـا ركب راحلته وسـار تبعه النـاس يطلبون الغنـائم وقسـمها و هوسـاكت لاـيكلمهم و قـدأكثروا عليه إلحاحا وسؤالا فمر بشـجرة فخطفت رداءه فالتفت فقال ردوا على ردائى فلو ملكت بعدد رمل تهامة مغنما لقسـمته بينكم عن آخره ثم لاتجـدوننى بخيلا و لاجبانا ونزل وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كله لم يأخـذ لنفسه منه وبرة. ومنها نهيه له عن التغـابى وصورة ذلـك أن الأـمير يومئ إليه أن فلانـا من خاصـته يفعل كـذا ويفعل كـذا من الأمور المنكرة ويرتكبها سـرا فيتغـابى عنه ويتغافـل نهاه ع عن ذلك و قال إنك مأخوذ منك لغيرك أى معاقب تقول أللهم خـذ لى من فلان بحقى أى أللهم انتقـم لى منه . [صـفحه ١١٧] ومنها نهيه إياه عن الغضب و عن الحكم بما تقتضـيه قوته الغضبيـة حتى يسـكن غضـبه قـدجاء فى الخبر المرفوع لايقضى القاضى و هوغضبان -روايت-١-٢-روايت-٢١-۴٩ فإذا كان قدنهى أن يقضى القاضى و هوغضبان على غيرصـاحب الخصومـة فبالأـولى أن ينهى الأمير عن أن يسـطو على إنسان و هوغضـبان عليه . و كان لكسـرى أنوشـروان صاحب قدرتبه ونصـبه لهذا المعنى يقف على رأس الملك يوم جلوسه فإذاغضب على إنسان وأمر به قرع سلسلة تاجه بقضيب فى يده و قال له إنما أنت بشـر فارحم من فى الأرض يرحمك من فى السـماء وَ مِن هَـذَا العَهـدِ وَ هُوَ آخِرُهُ وَ أَنَا أَسأَلُ اللّهَ بِسَـعَةِ رَحمَتِهِ وَ عَظِيمِ قُدرَتِهِ عَلَى إِعطَاءِ كُلّ رَغبَةٍ أَن يُوَفّقَنِي وَ إِيّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى العُذرِ الوَاضِحِ إِلَيهِ وَ إِلَى خَلقِهِ مِن حُسنِ الثّنَاءِ فِي العِبَادِ وَ جَمِيلِ الأَثَرِ فِي البِلَادِ وَ تَمَامِ النّعمَةِ وَ تَضعِيفِ الكَرَامَةِ وَ أَن يَختِمَ لِي وَ لَكَ بِالسّـعَادَةِ وَ الشّهَادَةِ إِنّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ وَ السّـلَامُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَـلّى اللّهِ عَلَيهِ وَ عَلَى آلِهِ الطّيّبِينَ الطّاهِرِينَ روى كل رغيبة والرغيبة مايرغب فيه فأما الرغبة فمصدر رغب

فى كذا كأنه قال القادر على إعطاء كل سؤال أى إعطاء كل سائل ماسأله . [صفحه ١١٨] ومعنى قوله من الإقامة على العذر أى أسأل الله أن يوفقنى للإقامة على الاجتهاد وبذل الوسع فى الطاعة و ذلك لأنه إذابذل جهده فقد أعذر ثم فسر اجتهاده فى ذلك فى رضا الخلق و لم يفسر اجتهاده فى رضا الخالق لأنه معلوم فقال هوحسن الثناء فى العباد وجميل الأثر فى البلاد. فإن قلت فقوله وتمام النعمة على ماذا تعطفه قلت هومعطوف على ما من قوله لما فيه كأنه قال أسأل الله توفيقى لذا ولتمام النعمة أى ولتمام نعمته على وتضاعف كرامته لدى وتوفيقه لهما هوتوفيقه للأعمال الصالحة التى يستوجبهما بها

فصل فى ذكر بعض وصايا العرب

وينبغى أن يذكر فى هذاالموضع وصايا من كلام قوم من رؤساء العرب أوصوا بهاأولادهم ورهطهم فيهاآداب حسان وكلام فصيح وهى مناسبة لعهد أمير المؤمنين ع هذا ووصاياه المودعة فيه و إن كان كلام أمير المؤمنين ع أجل وأعلى من أن يناسبه كلام لأنه قبس من نور الكلام الإلهى وفرع من دوحة المنطق النبوى.روى ابن الكلبى قال لماحضرت الوفاة أوس بن حارثة أخا الخزرج لم يكن له ولد غيرمالك بن الأوس و كان لأخيه الخزرج خمسة قيل له كنا نأمرك بأن تتزوج فى شبابك فلم تفعل حتى حضرك الموت و لاولد لك إلامالك فقال لم يهلك هالك ترك مثل مالك و إن كان الخزرج ذا عدد و ليس لمالك ولد فلعل ألذى استخرج [صفحه ١١٩] العذق من الجريمة والنار من الوثيمة أن يجعل لمالك نسلا ورجالا بسلا وكلنا إلى الموت يامالك المنية و لاالدنية والعتاب قبل العقاب والتجلد لاالتبلد واعلم أن القبر خير من الفقر و من لم يعط قاعدا حرم قائما وشر الشرب الاشتفاف وشر الطعم الاقتفاف وذهاب البصر خير من كثير من النظر و من كرم الكريم الدفع عن الحريم و من قل ذل وخير الغنى القناعة وشر الفقر الخضوع الدهر صرفان صرف رخاء وصرف بلاء واليوم يومان يوم لك و يوم عليك فإذا كان لك فلاتبطر و إذا كان عليك فاصطبر وكلاهما سينحسر وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة وحياك ربك . وأوصى الحارث بن كعب بنيه فقال يابنى قدأتت على مائة وستون سنة ماصافحت يمينى يمين غادر و لاقنعت لنفسى بخلة فاجر و لاصبوت بابنة عم و لاكنة و لابحت لصديق بسر و لاطرحت عن مومسة قناعا و لابقى على دين عيسى ابن مريم و قدروى على دين شعيب من العرب غيرى و غيرتميم بن مر بن أسد بن خزيمة فموتوا على شريعتى واحفظوا على وصيتى وإلهكم فاتقوا يكفكم ماأهمكم ويصلح لكم حالكم وإياكم ومعصيته فيحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار كونوا جميعا و لاتفرقوا فتكنوا شيعا وبزوا قبل أن تبزوا فموت [صفحه ١٢٠] فى عزخير من حياة فى ذل وعجز و كل ما هوكائن كائن و كل جمع إلى تباين والدهر صرفان صرف بلاء وصرف رخاء واليوم يومان يوم حبرة و يوم عبرة و الناس رجلان رجل لك و رجل عليك زوجوا النساء الأكفاء و إلافانتظروا بهن القضاء وليكن أطيب طيبهم الماء وإياكم والورهاء فإنها أدوأ الداء و إن ولدها إلى أفن يكون لاراحة لقاطع القرابة و إذااختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدد اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقى السيئة والمكافأة بالسيئة دخول فيها وعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويخرب البلد ويمحق العدد والإسراف فى النصيحة هوالفضيحة والحقد منع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الدعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعو إلى التباين يابنى إنى قدأكلت مع أقوام وشربت فذهبوا وغبرت وكأنى بهم قدلحقت ثم قال أكلت شبابى فأفنيته || وأبليت بعددهور دهورا ثلاثة أهلين صاحبتهم || فبادروا وأصبحت شيخا كبيرا قليل الطعام عسير القيام || قدتركت الدهر خطوى قصيرا أبيت أراعى نجوم السماء || أقلب أمرى بطونا ظهورا .وصى أكثم بن صيفى بنيه ورهطه فقال يابنى تميم لايفوتنكم وعظى إن فاتكم الدهر بنفسى إن بين حيزومى وصدرى لكلاما لاأجد له مواقع إلاأسماعكم و لامقار إلاقلوبكم

فتلقوه بأسماع مصغية وقلوب دواعية تحمدوا مغبته الهوى [صفحه ١٢١] يقظان والعقل راقد والشهوات مطلقة والحزم معقول والنفس مهملة والروية مقيدة و من جهة التوانى وترك الروية يتلف الحزم ولن يعدم المشاور مرشدا والمستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل و من سمع سمع به ومصارع الرجال تحت بروق الطمع و لواعتبرت مواقع المحن ماوجدت إلا فى مقاتل الكرام و على الاعتبار طريق الرشاد و من سلك الجدد أمن العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويشغل فكره ويورث غيظه و لاتجاوز مضرته نفسه يابنى تميم الصبر على جرع الحلم أعذب من جنا ثمر الندامة و من جعل عرضه دون ماله استهدف للذم وكلم اللسان أنكى من كلم السنان والكلمة مرهونة ما لم تنجم من الفم فإذانجمت مزجت فهى أسد محرب أونار تلهب ورأى الناصح اللبيب دليل لايجوز ونفاذ الرأى فى الحرب أجدى من الطعن والضرب . وأوصى يزيد بن المهلب ابنه مخلدا حين استخلفه على جرجان فقال له يابنى قداستخلفتك على هذه البلاد فانظر هذاالحى من اليمن فكن لهم كما قال الشاعر إذاكنت مرتاد الرجال لنفعهم || فرش واصطنع عندالذين بهم ترمى . وانظر هذاالحى من ربيعة فإنهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم وانظر هذاالحى من تميم فأمطرهم و لاتزه لهم و لاتدنهم فيطمعوا و لاتقصهم فيقطعوا وانظر هذاالحى من قيس فإنهم أكفاء قومك فى الجاهلية ومناصفوهم المآثر فى الإسلام ورضاهم منك البشر يابنى إن لأبيك صنائع فلاتفسدها فإنه كفى بالمرء نقصا أن يهدم مابنى أبوه وإياك والدماء فإنه لاتقية معها وإياك وشتم الأعراض فإن الحر [صفحه ١٢٢] لايرضيه عن عرضه عوض وإياك وضرب الأبشار فإنه عار باق ووتر مطلوب واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى و لاتعزل إلا عن عجز أوخيانة و لايمنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قدسبقك إليه فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها وليكن صنيعك عند من يكافئك عنه العشائر احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم و إذاكتبت كتابا فأكثر النظر فيه وليكن رسولك فيما بينى وبينك من يفقه عنى وعنك فإن كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع سره وأستودعك الله فلابد للمودع أن يسكت وللمشيع أن يرجع و ماعف من المنطق وقل من الخطيئة أحب إلى أبيك . وأوصى قيس بن عاصم المنقرى بنيه فقال يابنى خذوا عنى فلاأحد أنصح لكم منى إذادفنتمونى فانصرفوا إلى رحالكم فسودوا أكبركم فإن القوم إذاسودوا أكبرهم خلفوا أباهم و إذاسودوا أصغرهم أزرى ذلك بهم فى أكفائهم وإياكم ومعصية الله وقطيعة الرحم وتمسكوا بطاعة أمرائكم فإنهم من رفعوا ارتفع و من وضعوا اتضع وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم وجنة لعرض اللئيم وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل و إن أحدا لم يسأل إلاترك الكسب وإياكم والنياحة فإنى سمعت رسول الله ص ينهى عنها وادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم و لايعلم بكر بن وائل بمدفنى فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام وأخاف أن يدخلوا عليكم بى عارا وخذوا عنى ثلاث خصال إياكم و كل عرق لئيم أن تلابسوه فإنه إن يسرركم اليوم يسؤكم غدا واكظموا الغيظ واحذروا بنى أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ثم قال [صفحه ١٢٣] أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا || فلن تبيد وللآباء أبناء . قال ابن الكلبى فيحكى الناس هذاالبيت سابقا للزبير و ما هو إلالقيس بن عاصم . وأوصى عمرو بن كلثوم التغلبى بنيه فقال يابنى إنى قدبلغت من العمر ما لم يبلغ أحد من آبائى وأجدادى و لابد من أمر مقتبل و أن ينزل بى ما نزل بالآباء والأجداد والأمهات والأولاد فاحفظوا عنى ماأوصيكم به إنى و الله ماعيرت رجلا قط أمرا إلاعيرنى مثله إن حقا فحق و إن باطلا فباطل و من سب سب فكفوا عن الشتم فإنه أسلم لأعراضكم وصلوا أرحامكم تعمر داركم وأكرموا جاركم بحسن ثنائكم وزوجوا بنات العم بنى العم فإن تعديتم بهن إلى الغرباء فلاتألوا بهن عن الأكفاء وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال فإنه أغض للبصر وأعف للذكر ومتى كانت المعاينة واللقاء ففى ذلك داء من الأدواء و لاخير فيمن لايغار لغيره كمايغار لنفسه وقل من انتهك حرمة لغيره إلاانتهكت حرمته وامنعوا القريب من ظلم الغريب فإنك تدل على قريبك و لايجمل بك ذل غريبك و إذاتنازعتم فى الدماء فلايكن حقكم الكفاء فرب رجل خير من ألف وود خير من خلف و إذاحدثتم فعوا و إذاحدثتم فأوجزوا فإن مع الإكثار يكون

الإهذار وموت عاجل خير من ضنى آجل و مابكيت من زمان إلادهانى بعده زمان وربما شجانى من لم يكن أمره [صفحه ۱۲۴] عنانى و ماعجبت من أحدوثة إلارأيت بعدها أعجوبة واعلموا أن أشجع القوم العطوف وخير الموت تحت ظلال السيوف و لاخير فيمن لارويئة له عندالغضب و لافيمن إذاعوتب لم يعتب و من الناس من لايرجى خيره و لايخاف شره فبكوؤه خير من دره وعقوقه خير من بره و لاتبرحوا فى حبكم فإن من أبرح فى حب آل ذلك إلى قبيح بغض وكم قدزارنى إنسان وزرته فانقلب الدهر بنا فقبرته واعلموا أن الحليم سليم و أن السفيه كليم أنى لم أمت ولكن هرمت ودخلتنى ذلة فسكت وضعف قلبى فأهترت سلمكم ربكم وحياكم . و من كتاب أردشير بن بابك إلى بنيه والملوك من بعده رشاد الوالى خير للرعية من خصب الزمان الملك والدين توأمان لاقوام لأحدهما إلابصاحبه فالدين أس الملك وعماده ثم صار الملك حارس الدين فلابد للملك من أسه و لابد للدين من حارسه فأما ما لاحارس له فضائع و ما لاأس له فمهدوم إن رأس ماأخاف عليكم مبادرة السفلة إياكم إلى دراسة الدين وتأويله والتفقه فيه فتحملكم الثقة بقوة الملك على التهاون بهم فتحدث فى الدين رئاسات منتشرات سرا فيمن قدوترتم وجفوتم وحرمتم وأخفتم وصغرتم من سفلة الناس والرعية وحشو العامة ثم لاتنشب تلك الرئاسات أن تحدث خرقا فى الملك ووهنا فى الدولة واعلموا أن سلطانكم إنما هو على أجسادكم الرعية لا على قلوبها و إن غلبتم الناس على ما فى أيديهم فلن تغلبوهم على ما فى عقولهم وآرائهم ومكايدهم واعلموا أن العاقل المحروم سال عليكم لسانه و هوأقطع سيفيه و إن أشد مايضر بكم من لسانه ماصرف الحيلة فيه إلى الدين فكان للدنيا يحتج وللدين فيما يظهر يتعصب فيكون [صفحه ۱۲۵] للدين بكاؤه و إليه دعاؤه ثم هوأوحد للتابعين والمصدقين والمناصحين والمؤازرين لأن تعصب الناس موكل بالملوك ورحمتهم ومحبتهم موكلة بالضعفاء المغلوبين فاحذروا هذاالمعنى كل الحذر واعلموا أنه ليس ينبغى للملك أن يعرف للعباد والنساك بأن يكونوا أولى بالدين منه و لاأحدب عليه و لاأغضب له و لاينبغى له أن يخلى النساك والعباد من الأمر والنهى فى نسكهم ودينهم فإن خروج النساك وغيرهم من الأمر والنهى عيب على الملوك و على المملكة وثلمة بينة الضرر على الملك و على من بعده . واعلموا أنه قدمضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك منهم يتعهد الحماية بالتفتيش والجماعة بالتفضيل والفراغ بالاشتغال كتعهده جسده بقص فضول الشعر والظفر وغسل الدرن والغمر ومداواة ماظهر من الأدواء و مابطن و قد كان من أولئك الملوك من صحة ملكه أحب إليه من صحة جسده فتتابعت تلك الأملاك بذلك كأنهم ملك واحد و كان أرواحهم روح واحدة يمكن أولهم لآخرهم ويصدق آخرهم أولهم يجتمع أبناء أسلافهم ومواريث آرائهم وثمرات عقولهم عندالباقى منهم بعدهم وكأنهم جلوس معه يحدثونه ويشاورونه حتى كأن على رأس دارا بن دارا ما كان من غلبة الإسكندر الرومى على ماغلب عليه من ملكه و كان إفساده أمرنا وتفرقته جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سفك دمائنا فلما أذن الله عز و جل فى جمع مملكتنا وإعادة أمرنا كان من بعثه إيانا ما كان وبالاعتبار يتقى العثار والتجارب الماضية دستور يرجع إليه من الحوادث الآتية. واعلموا أن طباع الملوك على غيرطباع الرعية والسوقة فإن الملك يطيف به العز والأمن والسرور والقدرة على مايريد والأنفة والجرأة والعبث والبطر وكلما ازداد [صفحه ۱۲۶] فى العمر تنفسا و فى الملك سلامة ازداد من هذه الطبائع والأخلاق حتى يسلمه ذلك إلى سكر السلطان ألذى هوأشد من سكر الشراب فينسى النكبات والعثرات والغير والدوائر وفحش تسلط الأيام ولؤم غلبة الدهر فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول و عندحسن الظن بالأيام تحدث الغير وتزول النعم و قد كان من أسلافنا وقدماء ملوكنا من يذكره عزه الذل وأمنه الخوف وسروره الكآبة وقدرته المعجزة و ذلك هو الرجل الكامل قدجمع بهجة الملوك وفكرة السوقة و لاكمال إلا فى جمعها. واعلموا أنكم ستبلون على الملك بالأزواج والأولاد والقرباء والوزراء والأخدان والأنصار والأعوان والمتقربين والندماء والمضحكين و كل هؤلاء إلاقليلا أن يأخذ لنفسه أحب إليه من أن يعطى منها عمله وإنما عمله سوق ليومه وذخيرة لغده فنصيحته للملوك فضل نصيحته لنفسه وغاية الصلاح عنده صلاح نفسه وغاية الفساد

عنـده فسادها يقيم للسـلطان سوق المودة ماأقام له سوق الأرباح والمنافع إذااسـتوحش الملك من ثقاته أطبقت عليه ظلم الجهالة أخوف ما يكون العامة آمن ما يكون الوزراء وآمن ما يكون العامة أخوف ما يكون الوزراء. واعلموا أن كثيرا من وزراء الملوك من يحاول اسـتبقاء دولته وأيامه بإيقاع الاضـطراب والخبط فى أطراف مملكة الملك ليحتاج الملك إلى رأيه وتدبيره فإذاعرفتم هذا من وزير من وزرائكم فاعزلوه فإنه يدخل الوهن والنقص على الملك والرعية لصلاح حال نفسه و لاتقوم نفسه بهذه النفوس كلها. واعلموا أن بدء ذهاب الدولة ينشأ من قبل إهمال الرعية بغير أشـغال معروفة و لاأعمال معلومة فإذانشأ الفراغ تولد منه النظر فى الأمور والفكر فى الفروع والأصول . فإذانظروا فى ذلك نظروا فيه بطبائع مختلفـة فتختلف بهم المـذاهب ويتولـد من اختلاف مـذاهبهم تعـاديهم وتضـاغنهم وهم مع اختلافهم هـذامتفقون ومجتمعون على بغض الملوك فكـل صـنف منهم إنما يجرى إلى فجيعة الملك بملكه ولكنهم لايجدون سلما إلى [صفحه ١٢٧] ذلك أوثق من الدين والناموس ثم يتولد من تعاديهم أن الملك لايسـتطيع جمعهم على هوى واحـد فـإن انفرد باختصـاص بعضـهم صـار عـدو بقيتهم ولى طبـاع العامـة اسـتثقال الولاة وملالهم والنفاسـة عليهم والحسـد لهم و فى الرعيـة المحروم والمضـروب والمقام عليه الحـدود ويتولـد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك عن الإقدام عليهم فإن فى إقدام الملك على الرعية كلها كافة تغريرا بملكه ويتولد من جبن الملك عن الرعية استعجالهم عليه وهم أقوى عـدو له وأخلقه بـالظفر لأنـه حاضـر مع الملـك فى دار ملكه فمن أفضـى إليه الملك بعـدى فلايكونن بإصـلاح جسـده أشـد اهتمامـا منه بهـذه الحـال و لاتكونن لشـىء من الأشـياء أكره وأنكر لرأس صار ذنبا وذنب صار رأسا ويـد مشـغولة صـارت فارغـة أوغنى صـار فقيرا أوعامـل مصـروف أو أميرمعزول . واعلموا أن سـياسة الملـك وحراسـته ألا يكون ابن الكاتب إلاكاتبـا و ابن الجنـدى إلاجنـديا و ابن التـاجر إلاتـاجرا وهكـذا فى جميع الطبقـات فـإنه يتولـد من تنقـل الناس عن حالاتهم أن يلتمس كـل امرئ منهم فوق مرتبته فإذاانتقـل أوشـك أن يرى شـيئا أرفع مما انتقل إليه فيحسـد أوينافس و فى ذلك من الضـرر المتولد ما لاخفاء به فإن عجز ملك منكم عن إصـلاح رعيته كماأوصـيناه فلا يكون للقميص القمل أصـرع خلعا منه لمالبس من قميص ذلـك الملـك . واعلموا أنه ليس ملـك إلا و هوكثير الـذكر لمن يلى الأمر بعـده و من فساد أمر الملك نشر ذكره ولاة العهود فإن فى ذلك ضـروبا من الضـرر و أن ذلك دخول عـداوة بين الملك وولى عهده لأنه تطمح عينه إلى الملك ويصـير له أحباب وأخـدان يمنونه ذلك ويسـتبطئون موت الملك ثم إن الملك يسـتوحش منه وتنساق الأمور إلى هلاك أحـدهما ولكن لينظر الوالى منكم لله تعالى ثم لنفسه ثم للرعيـة ولينتخب وليا للعهد من بعده [صـفحه ١٢٨] و لايعلمه ذلك و لاأحـد من الخلق قريبـا كان منه أوبعيـدا ثم يكتب اسـمه فى أربع صـحائف ويختمها بخاتمه ويضـعها عندأربعـة نفر من أعيان أهل المملكـة ثم لا يكون منه فى سـره وعلانيته أمر يستدل به على ولى عهده من هؤلاء فى إدناء وتقريب يعرف به و لا فى إقصاء وأعراض يسـتراب له وليتق ذلك فى اللحظـة والكلمـة فإذاهلك الملك جمعت تلك الصـحائف إلى النسـخة التى تكون فى خزانـة الملك فتفض جميعا ثم ينوه حينئذ باسم ذلك الرجل فيلقى الملك إذالنية بحداثة عهده بحال السوقة ويلبسه إذالبسه ببصـر السوقة وسمعها فإن فى معرفته بحاله قبل إفضاء الملك إليه سكرا تحدثه عنده ولاية العهد ثم يلقاه الملك فيزيده سكرا إلى سكره فيعمى ويصم هذا مع ما لابـد أن يلقاه أيام ولايـة العهد من حيل العتاة وبغى الكذابين وترقية النمامين وإيغار صدره وإفساد قلبه على كثير من رعيته وخواص دولته و ليس ذلك بمحمود و لاصالـح . واعلموا أنه ليس للملك أن يحلف لأنه لايقـدر أحـد استكراهه و ليس له أن يغضب لأـنه قـادر والغضب لقاح الشر والندامـة و ليس له أن يعبث ويلعب لأن اللعب والعبث من عمل الفراغ و ليس له أن يفرغ لأن الفراغ من أمر السوقـة و ليس للملك أن يحسـد أحدا إلا على حسن التدبير و ليس له أن يخاف لأنه لايد فوق يده . واعلموا أنكم لن تقـدروا على أن تختموا أفواه الناس من الطعن والإزراء عليكم و لاقـدرة لكم على أن تجعلوا القبيـح من أفعالكم حسـنا فاجتهـدوا فى أن تحسن أفعـالكم كلهـا و إلا تجعلوا للعامـة إلى الطعن عليكم سبيلا . واعلموا أن لبـاس الملك ومطعمه ومشـربه

مقارب للباس السوقة ومطعمهم و ليس [صفحه ۱۲۹] فضل الملك على السوقة إلابقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فإن الملك إذاشاء أحسن و ليس كذلك السوقة. واعلموا أن لكل ملك بطانة ولكل رجل من بطانته بطانة ثم إن لكل امرئ من بطانة البطانة بطانة حتى يجتمع من ذلك أهل المملكة فإذاأقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم أقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية.احذروا بابا واحدا طالما أمنته فضرني وحذرته فنفعني احذروا إفشاء السر بحضرة الصغار من أهليكم وخدمكم فإنه ليس يصغر واحد منهم عن حمل ذلك السر كاملا لايترك منه شيئا حتى يضعه حيث تكرهون إما سقطا أوغشا. واعلموا أن في الرعية صنفا أتوا الملك من قبل النصائح له والتمسوا إصلاح منازلهم بإفساد منازل الناس فأولئك أعداء الناس وأعداء الملوك و من عادى الملوك و الناس كلهم فقد عادى نفسه . واعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات فمنها حال السخاء حتى يدنو أحدكم من السرف ومنها حال التبذير حتى يدنو من البخل ومنها حال الأناة حتى يدنو من البلادة ومنها حال انتهاز الفرصة حتى يدنو من الخفة ومنها حال الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهذر ومنها حال الأخذ بحكمة الصمت حتى يدنو من العي فالملك منكم جدير أن يبلغ من كل طبقة في محاسنها حدها فإذاوقف عليه ألجم نفسه عما وراءها. واعلموا أن ابن الملك وأخاه و ابن عمه يقول كدت أن أكون ملكا وبالحرى ألا أموت حتى أكون ملكا فإذا قال ذلك قال ما لايسر الملك و إن كتمه فالداء [صفحه ۱۳۰] في كل مكتوم و إذاتمنى ذلك جعل الفساد سلما إلى الصلاح و لم يكن الفساد سلما إلى صلاح قط و قدرسمت لكم في ذلك مثالا اجعلوا الملك لاينبغي إلالأبناء الملوك من بنات عمومتهم و لايصلح من أولاد بنات العم إلاكامل غيرسخيف العقل و لاعازب الرأي و لاناقص الجوارح و لامطعون عليه في الدين فإنكم إذافعلتم ذلك قل طلاب الملك و إذاقل طلابه استراح كل امرئ إلى مايليه ونزع إلى حد يليه وعرف حاله ورضي معيشته واستطاب زمانه .فقد ذكرنا وصايا قوم من العرب ووصايا أكثر ملوك الفرس وأعظمهم حكمة لتضم إلى وصايا أمير المؤمنين فيحصل منها وصايا الدين والدنيا فإن وصايا أمير المؤمنين ع الدين عليها أغلب ووصايا هؤلاء الدنيا عليها أغلب فإذاأخذ من أخذ التوفيق بيده بمجموع ذلك فقد سعد و لاسعيد إلا من أسعده الله [صفحه ۱۳۱]

۵۴– و من كتاب له ع إلى طلحة والزبير

اشاره

مع عمران بن الحصين الخزاعي وذكر هذاالكتاب أبو جعفرالإسكافي في كتاب المقامات أَمّا بَعدُ فَقَد عَلِمتُمَا وَ إِن كَتَمتُمَا أنَيّ لَم أُرِدِ النّاسَ حَتّى أَرَادُونِي وَ لَم أُبَايِعهُم حَتّى بَايَعُونِي وَ إِنّكُمَا مِمّن أَرَادَنِي وَ بَايَعَنِي وَ إِنّ العَامّةَ لَم تبَاَيعِنيِ لِسُلطَانٍ غَالِبٍ وَ لَا لِحرصٍ حَاضِرٍ فَإِن كُنتُمَا باَيعَتمُاَنيِ طَائِعَينِ فَارجِعَا وَ تُوبَا إِلَى اللّهِ مِن قَرِيبٍ وَ إِن كُنتُمَا باَيعَتمُاَنيِ كَارِهَينِ فَقَد جَعَلتُمَا لِي عَلَيكُمَا السّبِيلَ بِإِظهَارِكُمَا الطّاعَةَ وَ إِسرَارِكُمَا المَعصِيَةَ وَ لعَمَريِ مَا كُنتُمَا بِأَحَقّ المُهَاجِرِينَ بِالتّقِيّةِ وَ الكِتمَانِ وَ إِنّ دَفعَكُمَا هَذَا الأَمرَ قَبلَ أَن تَدخُلَا فِيهِ كَانَ أَوسَعَ عَلَيكُمَا مِن خُرُوجِكُمَا مِنهُ بَعدَ إِقرَارِكُمَا بِهِ وَ قَد زَعَمتُمَا أنَيّ قَتَلتُ عُثمَانَ فبَيَنيِ وَ بَينَكُمَا مَن تَخَلّفَ عنَيّ وَ عَنكُمَا مِن أَهلِ المَدِينَةِ ثُمّ يُلزَمُ كُلّ امرِئٍ بِقَدرِ مَا احتَمَلَ فَارجِعَا أَيّهَا الشّيخَانِ عَن رَأيِكُمَا فَإِنّ الآنَ أَعظَمَ أَمرِكُمَا العَارُ مِن قَبلِ أَن يَجتَمِعَ العَارُ وَ النّارُ وَ السّلَامُ [صفحه ۱۳۲]

عمران بن الحصين

هوعمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد بن نهم بن سالم بن غاضرة بن سلول بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى يكنى أبابجيد بابنه بجيد بن عمران أسلم هو و أبوهريرة عام خيبر و كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول أهل البصرة عنه إنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى . و قال محمد بن سيرين أفضل من نزل البصرة من أصحاب رسول الله ص عمران بن الحصين و أبوبكرة واستقضاه عبد الله بن عامر بن كريز على البصرة فعمل له أياما ثم استعفاه فأعفاه ومات بالبصرة سنة اثنتين وخمسين فى أيام معاوية

أبو جعفرالإسكافى

و أما أبو جعفرالإسكافى و هوشيخنا محمد بن عبد الله الإسكافى عده قاضى القضاة فى الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة مع عباد بن سليمان الصيمرى و مع زرقان و مع عيسى بن الهيثم الصوفى وجعل أول الطبقة ثمامة بن أشرس أبامعن ثم أباعثمان الجاحظ ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المردار ثم أباعمران يونس بن عمران ثم محمد بن شبيب ثم محمد بن إسماعيل بن العسكرى ثم عبدالكريم بن روح العسكرى ثم أبايعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ثم أبا الحسين الصالحى [صفحه ١٣٣] ثم الجعفران جعفر بن جرير و جعفر بن ميسر ثم أباعمران بن النقاش ثم أباسعيد أحمد بن سعيد الأسدى ثم عباد بن سليمان ثم أبا جعفرالإسكافى هذا و قال كان أبو جعفرفاضلا عالما وصنف سبعين كتابا فى علم الكلام . و هو ألذى نقض كتاب العثمانية على أبى عثمان الجاحظ فى حياته ودخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال من هذاالغلام السوادى ألذى بلغنى أنه تعرض لنقض كتابى و أبو جعفرجالس فاختفى منه حتى لم يره . و كان أبو جعفر يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد ويبالغ فى ذلك و كان علوى الرأى محققا منصفا قليل العصبية ثم نعود إلى شرح ألفاظ الفصل ومعانيه قوله ع لم أرد الناس أى لم أرد الولاية عليهم حتى أرادوا هم منى ذلك . قال و لم أبايعهم حتى بايعونى أى لم أمدد يدى إليهم مد الطلب والحرص على الأمر و لم أمددها إلا بعد أن خاطبونى بالإمرة والخلافة وقالوا بألسنتهم قدبايعناك فحينئذ مددت يدى إليهم . قال و لم يبايعنى العامة والمسلمون لسلطان غصبهم وقهرهم على ذلك و لالحرص حاضر أى مال موجود فرقته عليهم . ثم قسم عليهما الكلام فقال إن كنتما بايعتمانى طوعا عن رضا فقد وجب عليكما الرجوع لأنه لاوجه لانتقاض تلك البيعة و إن كنتما بايعتمانى مكرهين عليها فالإكراه [صفحه ١٣٤] له صورة وهى أن يجرد السيف ويمد العنق و لم يكن قدوقع ذلك و لايمكنكما أن تدعياه و إن كنتما بايعتمانى لا عن رضا و لامكرهين بل كارهين و بين المكره والكاره فرق بين فالأمور الشرعية إنما تبنى على الظاهر و قدجعلتما لى على أنفسكما السبيل بإظهاركما الطاعة والدخول فيما دخل فيه الناس و لااعتبار بما أسررتما من كراهية ذلك على أنه لو كان عندى مايكرهه المسلمون لكان المهاجرون فى كراهية ذلك سواء فما ألذى جعلكما أحق المهاجرين كلهم بالكتمان والتقية. ثم قال و قد كان امتناعكما عن البيعة فى مبدإ الأمر أجمل من دخولكما فيها ثم نكثها. قال و قدزعمتما أن الشبهة التى دخلت عليكما فى أمرى أنى قتلت عثمان و قدجعلت الحكم بينى وبينكما من تخلف عنى وعنكما من أهل المدينة أى الجماعة التى لم تنصر عليا و لاطلحة كمحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد و عبد الله بن عمر وغيرهم يعنى أنهم غيرمتهمين عليه و لا على طلحة والزبير فإذاحكموا لزم كل امرئ منا بقدر ماتقتضيه الشهادات و لاشبهة أنهم لوحكموا وشهدوا بصورة الحال لحكموا ببراءة على ع من دم عثمان وبأن طلحة كان هوالجملة والتفصيل فى أمره وحصره وقتله و كان الزبير مساعدا له على ذلك و إن لم يكن مكاشفا مكاشفة طلحة. ثم نهاهما عن الإصرار على الخطيئة و قال لهما إنكما إنما تخافان العار فى رجوعكما وانصرافكما عن الحرب فإن لم ترجعا اجتمع عليكما العار والنار أماالعار فلأنكما تهزمان وتفران عنداللقاء فتعيران بذلك وأيضا سيكشف للناس أنكما

كنتما على باطل فتعيران بـذلك و أماالنـار فإليهـا مصـير العصـاة إذامـاتوا على غيرتوبـة واحتمـال العار وحـده أهون من احتماله واحتمال النار معه [صفحه ۱۳۵]

۵۵- و من كتاب له ع إلى معاوية

أَمّا بَعدُ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ جَعَلَ الدّنيَا لِمَا بَعدَهَا وَ ابتَلَى فِيهَا أَهلَهَا لِيَعلَمَ أَيّهُم أَحسَنُ عَمَلًا وَ لَسنَا لِلدّنيَا خُلِقنَا وَ لَا بِالسّعيِ فِيهَا أُمِرنَا وَ إِنّمَا وُضِعنَا فِيهَا لِنُبتَلَى بِهَا وَ قَدِ ابتَلَانِي اللّهُ بِكَ وَ ابتَلَاكَ بِي فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجّةً عَلَى الآخَرِ فَعَدَوتَ عَلَى طَلَبِ الدّنيَا بِتَأوِيلِ القُرآنِ وَ طَلَبتَنِي بِمَا لَم تَجنِ يدَيِ وَ لَا لسِاَنيِ وَ عَصَبتَهُ أَنتَ وَ أَهلُ الشّامِ بيِ وَ أَلّبَ عَالِمُكُم جَاهِلَكُم وَ قَائِمُكُم قَاعِدَكُم فَاتّقِ اللّهَ فِي نَفسِكَ وَ نَازِعِ الشّيطَانَ قِيَادَكَ وَ اصرِف إِلَى الآخِرَةِ وَجهَكَ فهَيَِ طَرِيقُنَا وَ طَرِيقُكَ وَ احذَر أَن يُصِيبَكَ اللّهُ مِنهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسّ الأَصلَ وَ تَقطَعُ الدّابِرَ فَإِنّي أُولِي لَكَ بِاللّهِ أَلِيّةً غَيرَ فَاجِرَةٍ لَئِن جَمَعَتنِي وَ إِيّاكَ جَوَامِعُ الأَقدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ حَتّى يَحكُمَ اللّهُ بَينَنَا وَ هُوَ خَيرُ الحَاكِمِينَ قال ع إن الله قـدجعل الـدنيا لمابعـدها أى جعلها طريقا إلى الآخرة. و من الكلمات الحكمية الـدنيا قنطرة فاعبروهـا و لاتعمروهـا وابتلى فيهاأهلهـا أى اختبرهـم ليعلم أيهم أحسن عملا و هـذا من ألفاظ القرآن العزيز والمراد ليعلم خلقه [صفحه ۱۳۶] أوليعلم ملائكته ورسله فحذف المضاف و قدسبق ذكر شيءيناسب ذلك فيما تقدم قال ولسنا للدنيا خلقنا أى لم نخلق للـدنيا فقط. قال و لابالسـعى فيهاأمرنا أى لم نؤمر بالسـعى فيهالها بل أمرنا بالسـعى فيهالغيرها. ثم ذكر أن كل واحـد منه و من معاوية مبتلى بصاحبه و ذلك كابتلاء آدم بإبليس وإبليس بآدم . قال فغدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن أى تعـديت وظلمت و على هاهنا متعلقـة بمحـذوف دل عليه الكلام تقـديره مثابرا على طلب الـدنيا أومصـرا على طلب الدنيا وتأويل القرآن مـا كـان معاويـة يموه به على أهـل الشـام فيقول لهم أنـاولى عثمان و قـد قال الله تعالى وَ مَن قُتِلَ مَظلُوماً فَقَد جَعَلنا لِوَلِيّهِ سُلطاناً. ثم يعـدهم الظفر والدولـة على أهـل العراق بقوله تعالى فَلا يُسرِف فِي القَتلِ إِنّهُ كانَ مَنصُوراً. قوله وعصـبته أنت و أهل الشـام أى ألزمتنيه كمـاتلزم العصابـة الرأس وألب عـالمكم جـاهلكم أى حرض . والقيـاد حبـل تقـاد به الدابـة. قـوله واحـذر أن يصـيبك الله منه بعاجـل قارعـة الضـمير فى منه راجع إلى الله تعـالى و من لابتـداء الغايـة. -قرآن-۵۶۹-۶۲۵-قرآن-۶۸۲-۷۲۶ [صفحه ۱۳۷] و قـال الراونـدى منه أى من البهتـان ألـذى أتيته أى من أجله و من للتعليـل و هذابعيـد وخلاـف الظاهر. قوله تمس الأصل أى تقطعه و منه ماء ممسوس أى يقطع الغلة ويقطع الدابر أى العقب والنسل . والألية اليمين وباحة الدار وسـطها وكذلك ساحتهـا وروى بناحيتك . قوله بعاجل قارعـة وجوامع الأقـدار من باب إضافـة الصـفة إلى الموصوف للتأكيـد كقوله تعالى وَ إِنّهُ لَحَقّ اليَقِينِ -قرآن-۳۴۷-۳۷۲ [صفحه ۱۳۸]

۵۶- و من كلام له ع وصى به شريح بن هانئ لماجعله على مقدمته إلى الشام

اشاره

اتّقِ اللّهَ فِي كُلّ مَسَاءٍ وَ صَبَاحٍ وَ خَف عَلَى نَفسِكَ الدّنيَا الغَرُورَ وَ لَا تَأمَنهَا عَلَى حَالٍ وَ اعلَم أَنّكَ إِن لَم تَردَع نَفسَكَ عَن كَثِيرٍ مِمّا تُحِبّ مَخَافَةَ مَكرُوهِهِ سَمَت بِكَ الأَهوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضّرَرِ فَكُن لِنَفسِكَ مَانِعاً رَادِعاً وَ لِنَزوَاتِكَ عِندَ الحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً

شريح بن هانئ

هوشريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن الضباب و هوسلمهٔ بن الحارث بن ربيعهٔ بن الحارث بن كعب المذحجى كان هانئ يكنى فى الجاهليهٔ أباالحكم لأنه كان يحكم بينهم فكناه رسول الله ص بأبى شريح إذ وفد عليه وابنه شريح هذا من جلهٔ أصحاب على ع شهد معه المشاهد كلها وعاش حتى قتل بسجستان فى زمن الحجاج وشريح جاهلى إسلامى يكنى أباالمقدام [صفحه ١٣٩] ذكر ذلک كله أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب قوله ع وخف على نفسک الغرور يعنى الشيطان فأما الغرور بالضم فمصدر والرادع الكاف المانع والنزوات الوثبات والحفيظهٔ الغضب والواقم فاعل من وقمته أى رددته أقبح الرد وقهرته يقول ع إن لم تردع نفسک عن كثير من شهواتک أفضت بک إلى كثير من الضرر ومثل هذاقول الشاعر فإنک إن أعطيت بطنک سؤلها || وفرجک نالا منتهى الذم أجمعا [صفحه ١۴٠]

۵٧– و من كتاب له ع إلى أهل الكوفهٔ

عندمسيره من المدينهٔ إلى البصرهٔ أَمّا بَعدُ فَإِنّي خَرَجتُ عَن حَيّ هَذَا إِمّا ظَالِماً وَ إِمّا مَظلُوماً وَ إِمّا بَاغِياً وَ إِمّا مَبغِيّاً عَلَيهِ وَ أَنَا أُذَكّرُ اللّهَ مَن بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمّا نَفَرَ إِلَيّ فَإِن كُنتُ مُحسِناً أَعَانَنِي وَ إِن كُنتُ مُسِيئاً استَعتَبَنِي ماأحسن هذاالتقسيم و ماأبلغه فى عطف القلوب عليه واستمالهٔ النفوس إليه . قال لايخلو حالى فى خروجى من أحد أمرين إما أن أكون ظالما أومظلوما وبدأ بالظالم هضما لنفسه ولئلا يقول عدوه بدأ بدعوى كونه مظلوما فأعطى عدوه من نفسه ماأراد. قال فلينفر المسلمون إلى فإن وجدونى مظلوما أعانونى و إن وجدونى ظالما نهونى عن ظلمى لأعتب وأنيب إلى الحق و هذاكلام حسن ومراده ع يحصل على كلا الوجهين لأنه إنما أراد أن يستنفرهم وهذان الوجهان يقتضيان نفيرهم إليه على كل حال والحى المنزل و لماهاهنا بمعنى إلاكقوله تعالى إِن كُلّ نَفسٍ لَمّا عَلَيها حافِظٌ فى قراءهٔ من قرأها بالتشديد –قرآن–۵٣٨–۵٧٢ [صفحه ١۴١]

۵٨– و من كتاب له ع كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ماجرى بينه و بين أهل صفين

وَ كَانَ بَدءُ أَمرِنَا أَنّا التَقَينَا بِالقَومِ مِن أَهلِ الشّامِ وَ الظّاهِرُ أَنّ رَبّنَا وَاحِدٌ وَ نَبِيّنَا وَاحِدٌ وَ دَعوَتَنَا فِي الإِسلَامِ وَاحِدَةٌ وَ لَا نَستَزِيدُهُم فِي الإِيمَانِ بِاللّهِ وَ التّصدِيقِ بِرَسُولِهِ وَ لَا يَستَزِيدُونَنَا وَ الأَمرُ وَاحِدٌ إِلّا مَا اختَلَفنَا فِيهِ مِن دَمِ عُثمَانَ وَ نَحنُ مِنهُ بَرَاءٌ فَقُلنَا تَعَالَوا نُدَاوِي مَا لَا يُدرَكُ اليَومَ بِإِطفَاءِ النّائِرَةِ وَ تَسكِينِ العَامّةِ حَتّى يَشتَدّ الأَمرُ وَ يَستَجمِعَ فَنَقوَى عَلَى وَضعِ الحَقّ فِي مَوَاضِعِهِ فَقَالُوا بَل نُدَاوِيهِ بِالمُكَابَرَةِ فَأَبَوا حَتّى جَنَحَتِ الحَربُ وَ رَكَدَت وَ وَقَدَت نِيرَانُهَا وَ حَمِشَت فَلَمّا ضَرّسَتنَا وَ إِيّاهُم وَ وَضَعَت مَخَالِبَهَا فِينَا وَ فِيهِم أَجَابُوا عِندَ ذَلِكَ إِلَى الّذِي دَعَونَاهُم إِلَيهِ فَأَجَبنَاهُم إِلَى مَا دَعَوا وَ سَارَعنَاهُم إِلَى مَا طَلَبُوا حَتّى استَبَانَت عَلَيهِمُ الحُجّةُ وَ انقَطَعَت مِنهُمُ المَعذِرَةُ فَمَن تَمّ عَلَى ذَلِكَ مِنهُم فَهُوَ الّذِي أَنقَذَهُ اللّهُ مِنَ الهَلَكَةِ وَ مَن لَجّ وَ تَمَادَى فَهُوَ الرّاكِسُ الّذِي رَانَ اللّهُ عَلَى قَلبِهِ وَ صَارَت دَائِرَةُ السّوءِ عَلَى رَأسِهِ [صفحه ١۴٢] روى التقينا والقوم بالواو كما قال قلت إذ أقبلت وزهر تهادى . و من لم يروها بالواو فقد استراح من التكلف . قوله والظاهر أن ربنا واحد كلام من لم يحكم لأهل صفين من جانب معاويهٔ حكما قاطعا بالإسلام بل قال ظاهرهم الإسلام و لاخلف بيننا وبينهم فيه بل الخلف فى دم عثمان . قال ع قلنا لهم تعالوا فلنطفئ هذه النائرهٔ الآن بوضع الحرب إلى أن تتمهد قاعدتى فى الخلافهٔ وتزول هذه الشوائب التى تكدر على الأمر و يكون للناس جماعهٔ ترجع إليها و بعد ذلک أتمكن من قتلهٔ عثمان بأعيانهم فأقتص منهم فأبوا إلاالمكابرهٔ والمغالبهٔ والحرب . قوله حتى جنحت الحرب وركدت جنحت أقبلت و منه قدجنح الليل أى أقبل وركدت دامت وثبتت . قوله ووقدت نيرانها أى التهبت . قوله وحمشت أى استعرت وشبت وروى واستحشمت و هوأصح و من رواها حمست بالسين المهملهٔ أراد اشتدت وصلبت . قوله فلما ضرستنا

وإياهم أی عضتنا بأضراسها ويقال ضرسهم الدهر أی اشتد عليهم . [صفحه ۱۴۳] قال لمااشتدت الحرب علينا وعليهم وأكلت منا ومنهم عادوا إلی ماكنا سألناهم ابتداء وضرعوا إلينا فی رفع الحرب ورفعوا المصاحف يسألون النزول علی حكمها وإغماد السيف فأجبناهم إلی ذلك . قوله وسارعناهم إلی ماطلبوا كلمة فصيحة وهی تعدية الفعل اللازم كأنها لماكانت فی معنی المسابقة والمسابقة متعدية عدی المسارعة. قوله حتی استبانت يقول استمررنا علی كف الحرب ووضعها إجابة لسؤالهم إلی أن استبانت عليهم حجتنا وبطلت معاذيرهم وشبهتهم فی الحرب وشق العصا فمن تم منهم علی ذلك أی علی انقياده إلی الحق بعدظهوره له فذاك ألذی خلصه الله من الهلاك وعذاب الآخرة و من لج منهم علی ذلك وتمادی فی ضلاله فهو الراكس قال قوم الراكس هنا بمعنی المركوس فهو مقلوب فاعل بمعنی مفعول كقوله تعالی فَهُوَ فِی عِيشَةٍ راضِيَةٍ أی مرضية وعندی أن اللفظة علی بابها يعنی أن من لج فقد ركس نفسه فهو الراكس و هوالمركوس يقال ركسه وأركسه بمعنی والكتاب العزيز جاء بالهمز فقال وَ اللّهُ أَركَسَهُم بِما كَسَبُوا أی ردهم إلی كفرهم و يقول ارتكس فلان فی أمر كان نجا منه وران علی قلبه أی ران هو علی قلبه كماقلنا فی الراكس و لايجوز أن يكون الفاعل و هو الله محذوفا لأن الفاعل لايحذف بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف و ليس بمحذوف و يكون المصدر و هوالرين ودل الفعل عليه كقوله تعالی ثُمّ بَدا لَهُم مِن بَعدِ ما رَأَوُا الآياتِ أی بدا لهم البداء وران بمعنی غلب وغطی وروی فهو الراكس ألذی رين علی قلبه . -قرآن-۷۲۲-۷۴۸-قرآن-۹۰۲-۹۳۵-قرآن-۱۲۲۲-۱۲۶۵ [صفحه ۱۴۴] قال وصارت دائرة السوء علی رأسه من ألفاظ القرآن العزيز قال الله تعالی عَلَيهِم دائِرَةُ السّوءِ والدوائر الدول . -قرآن-۷۷-۱۰۱ و إن علی الباغی تدور الدوائر . والدائرة أيضا الهزيمة يقال علی من الدائرة منهما والدوائر أيضا الدواهی [صفحه ۱۴۵]

۵۹- و من كتاب له ع إلی الأسود بن قطبة صاحب جند حلوان

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّ الوَالِيَ إِذَا اختَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ العَدلِ فَليَكُن أَمرُ النّاسِ عِندَكَ فِی الحَقّ سَوَاءً فَإِنّهُ لَيسَ فِی الجَورِ عِوَضٌ مِنَ العَدلِ فَاجتَنِب مَا تُنكِرُ أَمثَالَهُ وَ ابتَذِل نَفسَكَ فِيمَا افتَرَضَ اللّهُ عَلَيكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ وَ مُتَخَوّفاً عِقَابَهُ وَ اعلَم أَنّ الدّنيَا دَارُ بَلِيّةٍ لَم يَفرُغ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطّ سَاعَةً إِلّا كَانَت فَرغَتُهُ عَلَيهِ حَسرَةً يَومَ القِيَامَةِ وَ أَنّهُ لَن يُغنِيَكَ عَنِ الحَقّ شَيءٌ أَبَداً وَ مِنَ الحَقّ عَلَيكَ حِفظُ نَفسِكَ وَ الِاحتِسَابُ عَلَی الرّعِيّةِ بِجُهدِكَ فَإِنّ ألّذِی يَصِلُ إِلَيكَ مِن ذَلِكَ أَفضَلُ مِنَ ألّذِی يَصِلُ بِكَ وَ السّلَامُ

الأسود بن قطبة

لم أقف إلی الآن علی نسب الأسود بن قطبة وقرأت فی كثير من النسخ أنه حارثی من بنی الحارث بن كعب و لم أتحقق ذلك و ألذی يغلب علی ظنی أنه الأسود بن زيد بن قطبة بن غنم الأنصاری من بنی عبيد بن عدی ذكره أبوعمر بن عبدالبر فی كتاب الإستيعاب و قال إن موسی بن عقبة عده فيمن شهد بدرا [صفحه ۱۴۶] قوله ع إذااختلف هوی الوالی منعه كثيرا من الحق قول صدق لأنه متی لم يكن الخصمان عندالوالی سواء فی الحق جار وظلم . ثم قال له فإنه ليس فی الجور عوض من العدل و هذاأيضا حق و فی العدل كل العوض من الجور. ثم أمره باجتناب ماينكر مثله من غيره و قدتقدم نحو هذا. و قوله إلاكانت فرغته كلمة فصيحة وهی المرة الواحدة من الفراغ و قدروی عن النبی ص أن الله يبغض الصحيح الفارغ لا فی شغل الدنيا و لا فی

شغل الآخرة -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۹۴ ومراد أمير المؤمنين ع هاهنا الفراغ من عمل الآخرة خاصة. قوله فإن ألذى يصل إليك من ذلك أفضل من ألذى يصل بك معناه فإن ألذى يصل إليك من ثواب الاحتساب على الرعية وحفظ نفسك من مظالمهم والحيف عليهم أفضل من ألذى يصل بك من حراسة دمائهم وأعراضهم وأموالهم و لاشبهة فى ذلك لأن إحدى المنفعتين دائمة والأخرى منقطعة والنفع الدائم أفضل من المنقطع [صفحه ۱۴۷]

۶۰- و من كتاب له ع إلى العمال الذين يطأ عملهم الجيوش

مِن عَبدِ اللّهِ عَلِيّ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ إِلَى مَن مَرّ بِهِ الجَيشُ مِن جُبَاةِ الخَرَاجِ وَ عُمّالِ البِلَادِ أَمّا بَعدُ فَإِنّي قَد سَيّرتُ جُنُوداً هيَ مَارّةٌ بِكُم إِن شَاءَ اللّهُ وَ قَد أَوصَيتُهُم بِمَا يَجِبُ لِلّهِ عَلَيهِم مِن كَفّ الأَذَى وَ صَرفِ الشّذَا وَ أَنَا أَبرَأُ إِلَيكُم وَ إِلَى ذِمّتِكُم مِن مَعَرّةِ الجَيشِ إِلّا مِن جَوعَةِ المُضطَرّ لَا يَجِدُ عَنهَا مَذهَباً إِلَى شِبَعِهِ فَنَكّلُوا مَن تَنَاوَلَ مِنهُم ظُلماً عَن ظُلمِهِم وَ كُفّوا أَيدِيَ سُفَهَائِكُم عَن مُضَادّتِهِم وَ التّعَرّضِ لَهُم فِيمَا استَثنَينَاهُ مِنهُم وَ أَنَا بَينَ أَظهُرِ الجَيشِ فَارفَعُوا إِلَيّ مَظَالِمَكُم وَ مَا عَرَاكُم مِمّا يَغلِبُكُم مِن أَمرِهِم وَ لَا تُطِيقُونَ دَفعَهُ إِلّا بِاللّهِ وَ بِي أُغَيّرُهُ بِمَعُونَةِ اللّهِ إِن شَاءَ اللّهُ روى عن مضارتهم بالراء المشددة وجباة الخراج الذين يجمعونه جبيت الماء فى الحوض أى جمعته والشذا والضر الشر تقول لقد أشذيت وآذيت و إلى ذمتكم أى إلى اليهود والنصارى الذين بينكم قال ع من آذى ذميا فكأنما آذانى -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۳۹ [صفحه ۱۴۸] و قال إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا ويسمى هؤلاء ذمة أى أهل ذمة بحذف المضاف والمعرة المضرة قال الجيش ممنوع من أذى من يمر به من المسلمين و أهل الذمة إلا من سد جوعة المضطر منهم خاصة لأن المضطر تباح له الميتة فضلا عن غيرها. ثم قال فنكلوا من تناول وروى بمن تناول بالباء أى عاقبوه و عن فى قوله عن ظلمهم يتعلق بنكلوا لأنها فى معنى اردعوا لأن النكال يوجب الردع . ثم أمرهم أن يكفوا أيدى أحداثهم وسفهائهم عن منازعة الجيش ومصادمته والتعرض لمنعه عما استثناه و هوسد الجوعة عندالاضطرار فإن ذلك لايجوز فى الشرع وأيضا فإنه يفضى إلى فتنة وهرج . ثم قال و أنا بين أظهر الجيش أى أناقريب منكم وسائر على أثر الجيش فارفعوا إلى مظالمكم و ماعراكم منهم على وجه الغلبة والقهر فإنى مغير ذلك ومنتصف لكم منهم [صفحه ۱۴۹]

۶۱- و من كتاب له ع إلى كميل بن زياد النخعى

اشاره

و هوعامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة أَمّا بَعدُ فَإِنّ تَضيِيعَ المَرءِ مَا وُلّيَ وَ تَكَلّفَهُ مَا كفُيِ‌َ لَعَجزٌ حَاضِرٌ وَ رأَيٌ مُتَبّرٌ وَ إِنّ تَعَاطِيَكَ الغَارَةَ عَلَى أَهلِ قِرقِيسِيَا وَ تَعطِيلَكَ مَسَالِحَكَ التّيِ وَلّينَاكَ لَيسَ لَهَا مَن يَمنَعُهَا وَ لَا يَرُدّ الجَيشَ عَنهَا لرَأَيٌ شَعَاعٌ فَقَد صِرتَ جِسراً لِمَن أَرَادَ الغَارَةَ مِن أَعدَائِكَ عَلَى أَولِيَائِكَ غَيرَ شَدِيدِ المَنكِبِ وَ لَا مَهِيبِ الجَانِبِ وَ لَا سَادّ ثُغرَةً وَ لَا كَاسِرٍ لِعَدُوّ شَوكَةً وَ لَا مُغنٍ عَن أَهلِ مِصرِهِ وَ لَا مُجزٍ عَن أَمِيرِهِ

كميل بن زياد ونسبه

هوكميل بن زياد بن سهيل بن هيثم بن سعد بن مالك بن الحارث بن صهبان بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن وعلة بن

خالد بن مالک بن أدد کان من أصحاب علی ع وشیعته وخاصته وقتله الحجاج علی المذهب فیمن قتل من الشیعهٔ و کان کمیل بن زیاد عامل علی ع علی هیت و کان ضعیفا یمر علیه سرایا معاویهٔ تنهب أطراف العراق و لایردها ویحاول أن یجبر ماعنده من الضعف بأن یغیر [صفحه ۱۵۰] علی أطراف أعمال معاویهٔ مثل قرقیسیا و مایجری مجراها من القری التی علی الفرات فأنکر ع ذلک من فعله و قال إن من العجز الحاضر أن یهمل الوالی ماولیه ویتکلف ما لیس من تکلیفه والمتبر الهالک قال تعالی إِنّ هؤُلاءِ مُتَبّرٌ ما هُم فِیهِ. والمسالح جمع مسلحهٔ وهی المواضع التی یقام فیهاطائفهٔ من الجند لحمایتها. ورأی شعاع بالفتح أی متفرق . ثم قال له قدصرت جسرا أی یعبر علیک العدو کمایعبر الناس علی الجسور و کما أن الجسر لایمنع من یعبر به ویمر علیه فکذاک أنت . والثغرهٔ الثلمهٔ ومجز کاف ومغن والأصل مجزئ بالهمز فخفف -قرآن-۲۹-۶۲ [صفحه ۱۵۱]

۶۲- و من کتاب له ع إلی أهل مصر مع مالک الأشتر رحمه الله لماولاه إمارتها

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ بَعَثَ مُحَمّداص نَذِیراً لِلعَالَمِینَ وَ مُهَیمِناً عَلَی المُرسَلِینَ فَلَمّا مَضَی‌ص تَنَازَعَ المُسلِمُونَ الأَمرَ مِن بَعدِهِ فَوَاللّهِ مَا کَانَ یُلقَی فِی روُعِی وَ لَا یَخطُرُ بِبَالِی أَنّ العَرَبَ تُزعِجُ هَذَا الأَمرَ مِن بَعدِهِ‌ص عَن أَهلِ بَیتِهِ وَ لَا أَنّهُم مُنَحّوهُ عَنّی مِن بَعدِهِ فَمَا رَاعَنِی إِلّا انثِیَالُ النّاسِ عَلَی فُلَانٍ یُبَایِعُونَهُ فَأَمسَکتُ بیِدَیِ حَتّی رَأَیتُ رَاجِعَهَ النّاسِ قَد رَجَعَت عَنِ الإِسلَامِ یَدعُونَ إِلَی مَحقِ دَینِ مُحَمّدٍص فَخَشِیتُ إِن لَم أَنصُرِ الإِسلَامَ وَ أَهلَهُ أَن أَرَی فِیهِ ثَلماً أَو هَدماً تَکُونُ المُصِیبَهُ بِهِ عَلَیّ أَعظَمَ مِن فَوتِ وِلَایَتِکُمُ التّیِ إِنّمَا هیِ‌َ مَتَاعُ أَیّامٍ قَلَائِلَ یَزُولُ مِنهَا مَا کَانَ کَمَا یَزُولُ السّرَابُ وَ کَمَا یَتَقَشّعُ السّحَابُ فَنَهَضتُ فِی تِلکَ الأَحدَاثِ حَتّی زَاحَ البَاطِلُ وَ زَهَقَ وَ اطمَأَنّ الدّینُ وَ تَنَهنَهَ المهیمن الشاهد قال الله تعالی إِنّا أَرسَلناکَ شاهِداً وَ مُبَشّراً أی تشهد بإیمان من آمن وکفر من کفر وقیل تشهد بصحهٔ نبوهٔ الأنبیاء قبلک -قرآن-۳۴-۷۰ [صفحه ۱۵۲] و قوله علی المرسلین یؤکد صحهٔ هذاالتفسیر الثانی وأصل اللفظهٔ من آمن غیره من الخوف لأن الشاهد یؤمن غیره من الخوف بشهادته ثم تصرفوا فیهافابدلوا إحدی همزتی مؤامن یاء فصار مؤیمن ثم قلبوا الهمزهٔ هاء کأرقت وهرقت فصار مهیمن . والروع الخلد و فی الحدیث أن روح القدس نفث فی روعی -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۴۴ قال مایخطر لی ببال أن العرب تعدل بالأمر بعدوفاهٔ محمدص عن بنی هاشم ثم من بنی هاشم عنی لأنه کان المتیقن بحکم الحال الحاضرهٔ و هذاالکلام یدل علی بطلان دعوی الإمامیهٔ النص وخصوصا الجلی. قال فما راعنی إلاانثیال الناس تقول للشیء یفجؤک بغتهٔ ماراعنی إلاکذا والروع بالفتح الفزع کأنه یقول ماأفزعنی شیء بعد ذلک السکون ألذی کان عندی وتلک الثقهٔ التی اطمأننت إلیها إلاوقوع ماوقع من انثیال الناس أی انصبابهم من کل وجه کماینثاب التراب علی أبی بکر وهکذا لفظ الکتاب ألذی کتبه للأشتر وإنما الناس یکتبونه الآن إلی فلان تذمما من ذکر الاسم کمایکتبون فی أول الشقشقیهٔ أما و الله لقد تقمصها فلان واللفظ أما و الله لقد تقمصها ابن أبی قحافهٔ. قوله فأمسکت یدی أی امتنعت عن بیعته حتی رأیت راجعهٔ الناس یعنی أهل الردهٔ کمسیلمهٔ وسجاح وطلیحهٔ بن خویلد ومانعی الزکاهٔ و إن کان مانعو الزکاهٔ قداختلف فی أنهم أهل ردهٔ أم لا. ومحق الدین إبطاله . وزهق خرج وزال تنهنه سکن وأصله الکف تقول نهنهت السبع فتنهنه [صفحه ۱۵۳] أی کف عن حرکته وإقدامه فکان الدین کان متحرکا مضطربا فسکن وکف عن ذلک الاضطراب .روی أبو جعفر محمد بن جریر الطبری فی التاریخ الکبیر أن رسول الله ص لمامات اجتمعت أسد وغطفان وطیء علی طلیحهٔ بن خویلد إلا ما کان من خواص أقوام فی الطوائف الثلاث فاجتمعت أسد بسمیراء وغطفان بجنوب طیبهٔ وطیء فی حدود أرضهم واجتمعت ثعلبهٔ بن أسد

و من يليهم من قيس بالأبرق من الربذة وتأشب إليهم ناس من بنى كنانة و لم تحملهم البلاد فافترقوا فرقتين أقامت إحداهما بالأبرق وسارت الأخرى إلى ذى القصة وبعثوا وفودا إلى أبى بكر يسألونه أن يقارهم على إقامة الصلاة ومنع الزكاة فعزم الله لأبى بكر على الحق فقال لومنعونى عقالا لجاهدتهم عليه ورجع الوفود إلى قومهم فأخبروهم بقلة من أهل المدينة فأطمعوهم فيها وعلم أبوبكر والمسلمون بذلك و قال لهم أبوبكر أيها المسلمون إن الأرض كافرة و قدرأى وفدهم منكم قلة وإنكم لاتدرون أليلا تؤتون أم نهارا وأدناهم منكم على بريد و قد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم و قدأبينا عليهم ونبذنا إليهم فأعدوا واستعدوا فخرج على ع بنفسه و كان على نقب من أنقاب المدينة وخرج الزبير وطلحة و عبد الله بن مسعود وغيرهم فكانوا على الأنقاب الثلاثة فلم يلبثوا إلاقليلا حتى طرق القوم المدينة غارة مع الليل وخلفوا بعضهم بذى حسى [صفحه ۱۵۴] ليكونوا ردءا لهم فوافوا الأنقاب وعليها المسلمون فأرسلوا إلى أبى بكر بالخبر فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ففعلوا وخرج أبوبكر فى جمع من أهل المدينة على النواضح فانتشر العدو بين أيديهم واتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الكمين بأنحاء قدنفخوها وجعلوا فيهاالحبال ثم دهدهوها بأرجلهم فى وجوه الإبل فتدهده كل نحى منها فى طوله فنفرت إبل المسلمين وهم عليها و لاتنفر الإبل من شيءنفارها من الأنحاء فعاجت بهم لايملكونها حتى دخلت بهم المدينة و لم يصرع منهم أحد و لم يصب فبات المسلمون تلك الليلة يتهيئون ثم خرجوا على تعبئة فما طلع الفجر إلا وهم والقوم على صعيد واحد فلم يسمعوا للمسلمين حسا و لاهمسا حتى وضعوا فيهم السيف فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذر قرن الشمس إلا و قدولوا الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم ورجعوا إلى المدينة ظافرين . قلت هذا هوالحديث ألذى أشار ع إلى أنه نهض فيه أيام أبى بكر وكأنه جواب عن قول قائل إنه عمل لأبى بكر وجاهد بين يدى أبى بكر فبين ع عذره فى ذلك و قال إنه لم يكن كماظنه القائل ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس والدين فإنه واجب سواء كان للناس إمام أو لم يكن

ذكر ماطعن به الشيعة فى إمامة أبى بكر والجواب عنها

اشاره

وينبغى حيث جرى ذكر أبى بكر فى كلام أمير المؤمنين ع أن نذكر ماأورده قاضى القضاة فى المغنى من المطاعن التى طعن بها فيه وجواب قاضى القضاة [صفحه ۱۵۵] عنها واعتراض المرتضى فى الشافى على قاضى القضاة ونذكر ماعندنا فى ذلك ثم نذكر مطاعن أخرى لم يذكرها قاضى القضاة.

الطعن الأول

قال قاضى القضاة بعد أن ذكر ماطعن به فيه فى أمر فدك و قدسبق القول فيه ومما طعن به عليه قولهم كيف يصلح للإمامة من يخبر عن نفسه أن له شيطانا يعتريه و من يحذر الناس نفسه و من يقول أقيلونى بعددخوله فى الإمامة مع أنه لايحل للإمام أن يقول أقيلونى البيعة.أجاب قاضى القضاة فقال إن شيخنا أبا على قال لو كان ذلك نقصا فيه لكان قول الله فى آدم وحواءفَوَسوَسَ لَهُمَا الشّيطانُ و قوله فَأَزَلّهُمَا الشّيطانُ و قوله وَ ما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ وَ لا نبَيِّ إِلّا إِذا تَمَنّى أَلقَى الشّيطانُ فِي أُمنِيّتِهِيوجب النقص فى الأنبياء و إذا لم يجب ذلك فكذلك ماوصف به أبوبكر نفسه وإنما أراد أنه عندالغضب يشفق من المعصية ويحذر منها ويخاف أن يكون الشيطان يعتريه فى تلك الحال فيوسوس إليه و ذلك منه على طريقة الزجر لنفسه عن المعاصى و قدروى

عن أمير المؤمنين ع أنه ترك مخاصمة الناس في حقوقه إشفاقا من المعصية و كان يولي ذلك عقيلا فلما أسن عقيل كان يوليها عبد الله بن جعفرفأما ماروي في إقالة البيعة فهو خبر ضعيف و إن صح فالمراد به التنبيه على أنه لايبالي لأمر يرجع إليه أن يقيله الناس البيعة وإنما يضرون بذلك أنفسهم وكأنه نبه بذلك -قرآن-٣٧٤-٤٠٠-قرآن-٤٠٩-٤٣١-قرآن-٤٤٠-٥٤٣ [صفحه ١٥٦] على أنه غيرمكره لهم و أنه قدخلاهم و مايريدون إلا أن يعرض مايوجب خلافه و قدروي أن أمير المؤمنين ع أقال عبد الله بن عمر البيعة حين استقاله والمراد بذلك أنه تركه و مايختار.اعترض المرتضى رضي الله عنه فقال أماقول أبي بكر وليتكم ولست بخيركم فإن استقمت فاتبعوني و إن اعوججت فقوموني فإن لي شيطانا يعتريني عندغضبي فإذارأيتموني مغضبا فاجتنبوني لاأؤثر في أشعاركم وأبشاركم فإنه يدل على أنه لايصلح للإمامة من وجهين أحدهما أن هذاصفة من ليس بمعصوم و لايأمن الغلط على نفسه من يحتاج إلى تقويم رعيته له إذاوقع في المعصية و قدبينا أن الإمام لابد أن يكون معصوما موفقا مسددا والوجه الآخر أن هذه صفة من لايملك نفسه و لايضبط غضبه و من هو في نهاية الطيش والحدة والخرق والعجلة و لاخلاف أن الإمام يجب أن يكون منزها عن هذه الأوصاف غيرحاصل عليها و ليس يشبه قول أبي بكر ماتلاه من الآيات كلها لأن أبابكر خبر عن نفسه بطاعة الشيطان عندالغضب و أن عادته بذلك جارية و ليس هذابمنزلة من يوسوس إليه الشيطان و لايطيعه ويزين له القبيح فلايأتيه و ليس وسوسة الشيطان بعيب على الموسوس له إذا لم يستزله ذلك عن الصواب بل هوزيادة في التكليف ووجه يتضاعف معه الثواب و قوله تعالى أَلقَى الشّيطانُ فِي أُمنِيّتِهِقيل معناه في تلاوته وقيل في فكرته على سبيل الخاطر و أي الأمرين كان فلاعار في ذلك على النبي ص و لانقص وإنما العار والنقص على من يطيع الشيطان ويتبع مايدعو إليه و ليس لأحد أن يقول هذا إن سلم لكم في جميع الآيات لم يسلم في قوله تعالى فَأَزَلّهُمَا الشّيطانُلأنه قدخبر عن تأثير غوايته ووسوسته بما كان منهما من الفعل و ذلك أن المعنى الصحيح في هذه الآية أن آدم وحواء كانا مندوبين إلى اجتناب الشجرة وترك التناول منها و لم يكن ذلك عليهما واجبا لازما -قرآن-١١٣٧-١١٦٨-قرآن-١٤٢٧-١٤٤٩ [صفحه ١٥٧] لأن الأنبياء لايخلون بالواجب فوسوس لهما الشيطان حتى تناولا من الشجرة فتركا مندوبا إليه وحرما بذلك أنفسهما الثواب وسماه إزلالا لأنه حط لهما عن درجة الثواب وفعل الأفضل و قوله تعالى في موضع آخروَ عَصي آدَمُ رَبّهُ فَغَوي لاينافي هذاالمعنى لأن المعصية قديسمى بها من أخل بالواجب والندب معا قوله فغوى أي خاب من حيث لم يستحق الثواب على ماندب إليه على أن صاحب الكتاب يقول إن هذه المعصية من آدم كانت صغيرة لايستحق بهاعقابا و لاذما فعلى مذهبه أيضا تكون المفارقة بينه و بين أبي بكر ظاهرة لأن أبابكر خبر عن نفسه أن الشيطان يعتريه حتى يؤثر في الأشعار والأبشار ويأتي مايستحق به التقويم فأين هذا من ذنب صغير لاذم و لاعقاب عليه و هويجري من وجه من الوجوه مجرى المباح لأنه لايؤثر في أحوال فاعله وحط رتبته و ليس يجوز أن يكون ذلك منه على سبيل الخشية والإشفاق على ماظن لأن مفهوم خطابه يقتضي خلاف ذلك أ لاترى أنه قال إن لي شيطانا يعتريني و هذاقول من قدعرف عادته و لو كان على سبيل الإشفاق والخوف لخرج عن هذاالمخرج ولكان يقول فإني آمن من كذا وإني لمشفق منه فأما ترك أمير المؤمنين ع مخاصمة الناس في حقوقه فكأنه إنما كان تنزها وتكرما و أي نسبة بين ذلك و بين من صرح وشهد على نفسه بما لايليق بالأئمة و أماخبر استقالة البيعة وتضعيف صاحب الكتاب له فهو أبدا يضعف ما لايوافقه من غيرحجة يعتمدها في تضعيفه و قوله إنه مااستقال على التحقيق وإنما نبه على أنه لايبالي بخروج الأمر عنه و أنه غيرمكره لهم عليه فبعيد من الصواب لأن ظاهر قوله أقيلوني أمر بالإقالة وأقل أحواله أن يكون عرضا لها وبذلا وكلا الأمرين قبيح و لوأراد ماظنه لكان له -قرآن-٢٠٧-٢٣٣ [صفحه ١٥٨] في غير هذاالقول مندوحة ولكان يقول إني ماأكرهتكم و لاحملتكم على مبايعتي و ماكنت أبالي ألا يكون هذاالأمر في و لاإلي و إن مفارقته لتسرني لو لا ماألزمنيه الدخول فيه من التمسك به ومتى عدلنا عن ظواهر الكلام بلا دليل جر ذلك علينا ما لاقبل لنا به و أما أمير المؤمنين ع فإنه لم يقل ابن عمر البيعة بعددخولها فيها

وإنما استعفاه من أن يلزمه البيعة ابتداء فأعفاه قلة فكر فيه وعلما بأن إمامته لاتثبت بمبايعة من يبايعه عليها فأين هذا من استقالة بيعة قدتقدمت واستقرت . قلت أماقول أبى بكر وليتكم ولست بخيركم فقد صدق عندكثير من أصحابنا لأن خيرهم على بن أبى طالب ع و من لا ـ يقول بذلك يقول بما قاله الحسن البصرى و الله إنه ليعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه و لم يطعن المرتضى فيه بهذه اللفظة لنطيل القول فيها و أماقول المرتضى عنه أنه قال فإن لى شيطانا يعترينى عندغضبى فالمشهور فى الرواية فإن لى شيطانا يعترينى قال المفسرون أراد بالشيطان الغضب وسماه شيطانا على طريق الاستعارة وكذا ذكره شيخنا أبو الحسين فى الغرر قال معاوية لإنسان غضب فى حضرته فتكلم بما لايتكلم بمثله فى حضرة الخلفاء اربع على ظلعك أيها الإنسان فإنما الغضب شيطان و أنا لم نقل إلاخيرا. و قدذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتاب التاريخ الكبير خطبتى أبى بكر عقيب بيعته بالسقيفة ونحن نذكرهما نقلا من كتابه أماالخطبة الأولى فهى [صفحه ١٥٩] أما بعدأيها الناس فإنى وليتكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى و إن أسأت فقومونى لأن الصدق أمانة والكذب خيانة الضعيف منكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلاضربهم الله بالذل و لاتشيع الفاحشة فى قوم إلاعمهم الله بالبلاء أطيعونى ماأطعت الله ورسوله فإذاعصيت الله ورسوله فلاطاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله و أماالخطبة الثانية فهى أيها الناس إنما أنامثلكم وإنى لاـأدرى لعلكم ستكلفوننى ما كان رسول الله ص يطيقه إن الله اصطفى محمداص على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنامتبع ولست بمتبوع فإن استقمت فاتبعونى و إن زغت فقومونى و إن رسول الله ص قبض و ليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ألا و إن لى شيطانا يعترينى فإذاغضبت فاجتنبونى لاأؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ألا وإنكم تغدون وتروحون فى أجل قدغيب عنكم علمه فإن استطعتم ألا يمضى هذاالأجل إلا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلابالله فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم الجد الجد الوحا الوحا فإن وراءكم طالبا حثيثا أجل مره سريع احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان و لاتغبطوا الأحياء إلابما يغبط به الأموات . إن الله لايقبل من الأعمال إلاـ مايراد به وجهه فأريدوا وجه الله بأعمالكم واعلموا [صفحه ١٦٠] أن ماأخلصتم لله من أعمالكم فلطاعة أتيتموها وحظ ظفرتم به وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم فاعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم أين الجبارون أين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحرب قدتضعضع بهم الدهر وصاروا رميما قدتركت عليهم القالات الخبيثات وإنما الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها قدبعدوا بسيئ ذكرهم وبقى ذكرهم وصاروا كلا شىءألا إن الله قدأبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا دنيا غيرهم وبقينا خلفا من بعدهم فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا و إن اغتررنا كنا مثلهم أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم صاروا ترابا وصار مافرطوا فيه حسرة عليهم أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط وجعلوا فيهاالعجائب وتركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاوية وهم فى ظلم القبور هل تحس منهم من أحد أوتسمع لهم ركزا أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم قدانتهت بهم آجالهم فوردوا على ماقدموا عليه وأقاموا للشقوة وللسعادة إلا إن الله لاشريك له ليس بينه و بين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا و لايصرف عنه به شرا إلابطاعته واتباع أمره واعلموا أنكم عباد مدينون و أن ماعنده لايدرك إلابتقواه وعبادته ألا وإنه لاخير بخير بعده النار و لاشر بشر بعدالجنة.فهذه خطبتا أبى بكر يوم السقيفة واليوم ألذى يليه إنما قال إن لى شيطانا يعترينى وأراد بالشيطان الغضب و لم يرد أن له شيطانا من مردة الجن يعتريه إذا [صفحه ١٦١] غضب فالزيادة فيما ذكره المرتضى فى قوله إن لى شيطانا يعترينى عندغضبى تحريف لامحالة و لو كان له شيطان من الجن يعتاده وينوبه لكان فى عداد المصروعين من المجانين و ماادعى أحد على أبى بكر هذا لا

من أوليائه و لا من أعدائه وإنما ذكرنا خطبته على طولها والمراد منها كلمة واحدة لما فيها من الفصاحة والموعظة على عادتنا فى الاعتناء بإيداع هذاالكتاب ما كان ذاهبا هذاالمذهب وسالكا هذاالسبيل .فأما قول المرتضى فهذه صفة من ليس بمعصوم فالأمر كذلك والعصمة عندنا ليست شرطا فى الإمامة و لو لم يدل على عدم اشتراطها إلا أنه قال على المنبر بحضور الصحابة هذاالقول وأقروه على الإمامة لكفى فى عدم كون العصمة شرطا لأنه قدحصل الإجماع على عدم اشتراط ذلك إذ لو كان شرطا لأنكر منكر إمامته كما لو قال إنى لاأصبر عن شرب الخمر و عن الزنا.فأما قوله هذه صفة طائش لايملك نفسه فلعمرى إن أبابكر كان حديدا و قدذكره عمر بذلك وذكره غيره من الصحابة بالحدة والسرعة ولكن لابحيث أن تبطل به أهليته للإمامة لأن ألذى يبطل الإمامة من ذلك و مايخرج الإنسان عن العقل و أما ما هودون ذلك فلا و ليس قوله فاجتنبونى لاأؤثر فى أشعاركم وأبشاركم محمول على ظاهره وإنما أراد به المبالغة فى وصف القوة الغضبية عنده و إلافما سمعنا و لانقل ناقل من الشيعة و لا من غيرالشيعة أن أبابكر فى أيام رسول الله ص و لا فى الجاهلية و لا فى أيام خلافته احتد على إنسان فقام إليه فضربه بيده ومزق شعره .فأما ماحكاه قاضى القضاة عن الشيخ أبى على من تشبيه هذه اللفظة بما ورد فى القرآن فهو على تقدير أن يكون أبوبكر عنى الشيطان حقيقة و مااعترض به المرتضى ثانية عليه غيرلازم لأن الله تعالى قال فَوَسوَسَ لَهُمَا الشّيطانُ وتعقب ذلك قبولهما – قرآن-١٥١٧-١٥٤٣ [صفحه ١٦٢] وسوسته وأكلهما من الشجرة فكيف يقول المرتضى ليس قول أبى بكر بمنزلة من وسوس له الشيطان فلم يطعه وكذلك قوله تعالى فى قصة موسى لماقتل القبطىهذا مِن عَمَلِ الشّيطانِ إِنّهُ عَدُوّ مُضِلّ مُبِينٌ وكذلك قوله فَأَزَلّهُمَا الشّيطانُ عَنها و قوله أَلقَى الشّيطانُ فِي أُمنِيّتِهِ و ماذهب إليه المرتضى من التأويلات مبنى على مذهبه فى العصمة الكلية و هومذهب يحتاج فى نصرته إلى تكلف شديد وتعسف عظيم فى تأويل الآيات على أنه إذاسلم أن الشيطان ألقى فى تلاوة الرسول ص ما ليس من القرآن حتى ظنه السامعون كلاما من كلام الرسول فقد نقض دلالة التنفير المقتضية عنده فى العصمة لأنه لاتنفير عنده أبلغ من تمكين الله الشيطان أن يخلط كلامه بكلامه ورسوله يؤديه إلى المكلفين حتى يعتقد السامعون كلهم أن الكلامين كلام واحد. و أما قوله إن آدم كان مندوبا إلى ألا يأكل من الشجرة لامحرم عليه أكلها ولفظة عصى إنما المراد بهاخالف المندوب ولفظه غوى إنما المراد خاب من حيث لم يستحق الثواب على اعتماد ماندب إليه فقول يدفعه ظاهر الآية لأن الصيغة صيغة النهى وهى قوله وَ لا تَقرَبا هذِهِ الشّجَرَةَ والنهى عندالمرتضى يقتضى التحريم لامحالة و ليس الأمر ألذى قديراد به الندب و قديراد به الوجوب . و أماقول شيخنا أبى على إن كلام أبى بكر خرج مخرج الإشفاق والحذر من المعصية عندالغضب فجيد. واعتراض المرتضى عليه بأنه ليس ظاهر اللفظ ذاك غيرلازم لأن هذه عادة العرب يعبرون عن الأمر بما هو منه بسبب وسبيل كقولهم لاتدن من الأسد فيأكلك فليس أنهم قطعوا على الأكل عندالدنو وإنما المراد الحذر والخوف والتوقع للأكل عندالدنو. -قرآن-١٥٢-٢٠٤-قرآن-٢١٨-٢٤٦-قرآن-٢٥٥-٢٨٦-قرآن-١٠٠١-١٠٣٠ [صفحه ١٦٣] و أماالكلام فى قوله أقيلونى فلو صح الخبر لم يكن فيه مطعن عليه لأنه إنما أراد فى اليوم الثانى اختبار حالهم فى البيعة التى وقعت فى اليوم الأول ليعلم وليه من عدوه منهم و قدروى جميع أصحاب السير أن أمير المؤمنين خطب فى اليوم الثانى من بيعته فقال أيها الناس إنكم بايعتمونى على السمع والطاعة و أناأعرض اليوم عليكم مادعوتمونى إليه أمس فإن أجبتم قعدت لكم و إلا فلاأجد على أحد – روايت-١-٢-روايت-٢٩-٢٢٣ و ليس بجيد قول المرتضى إنه لو كان يريد العرض والبذل لكان قد قال كذا وكذا فإن هذه مضايقة منه شديدة للألفاظ و لوشرعنا فى مثل هذاالفسد أكثر مايتكلم به الناس على أنا لوسلمنا أنه استقالهم البيعة حقيقة فلم قال المرتضى إن ذلك لايجوز أ ليس يجوز للقاضى أن يستقيل من القضاء بعدتوليته إياه ودخوله فيه فكذلك يجوز للإمام أن يستقيل من الإمامة إذاأنس من نفسه ضعفا عنها أوأنس من رعيته نبوة عنه أوأحس بفساد ينشأ فى الأرض من جهة ولايته على الناس و من يذهب إلى أن الإمامة تكون بالاختيار كيف يمنع من جواز استقالة الإمام وطلبه إلى الأمة أن يختاروا غيره لعذر

يعلمه من حال نفسه وإنما يمنع من ذلک المرتضی وأصحابه القائلون بأن الإمامة بالنص و إن الإمام محرم عليه ألا يقوم بالإمامة لأنه مأمور بالقيام بهالتعينه خاصة دون کل أحد من المکلفين وأصحاب الاختيار يقولون إذا لم يکن زيد إماما کان عمرو إماما عوضه لأنهم لايعتبرون الشروط التی يعتبرها الإمامية من العصمة و أنه أفضل أهل عصره وأکثرهم ثوابا وأعلمهم وأشجعهم و غير ذلک من الشروط التی تقتضی تفرده وتوحده بالأمر علی أنه إذاجاز عندهم أن يترک الإمام الإمامة فی الظاهر کمافعله الحسن و کمافعله غيره من الأئمة بعد الحسين ع للتقية جاز للإمام [صفحه ۱۶۴] علی مذهب أصحاب الاختيار أن يترک الإمامة ظاهرا وباطنا لعذر يعلمه من حال نفسه أوحال رعيته

الطعن الثانی

قال قاضی القضاة بعد أن ذکر قول عمر کانت بيعة أبی بکر فلتة و قدتقدم منا القول فی ذلک فی أول هذاالکتاب ومما طعنوا به علی أبی بکر أنه قال عندموته ليتنی کنت سألت رسول الله ص عن ثلاثة فذکر فی أحدها ليتنی کنت سألته هل للأنصار فی هذاالأمر حق قالوا و ذلک يدل علی شکه فی صحة بيعته وربما قالوا قدروی أنه قال فی مرضه ليتنی کنت ترکت بيت فاطمة لم أکشفه وليتنی فی ظلة بنی ساعدة کنت ضربت علی يد أحد الرجلين فکان هوالأمير وکنت الوزير قالوا و ذلک يدل علی ماروی من إقدامه علی بيت فاطمة ع عنداجتماع علی ع والزبير وغيرهما فيه ويدل علی أنه کان يری الفضل لغيره لالنفسه . قال قاضی القضاة والجواب أن قوله ليتنی لايدل علی الشک فيما تمناه وقول ابراهيم ع رَبِّ أَرِنِي كَيفَ تُحيِ المَوتى قالَ أَ وَ لَم تُؤمِن قالَ بَلى وَ لكِن لِيَطمَئِنَّ قَلبِيأقوی من ذلک فی الشبهة ثم حمل تمنيه علی أنه أراد سماع شیءمفصل أوأراد ليتنی سألته عندالموت لقرب العهد لأن ماقرب عهده لاينسی و يکون أردع للأنصار علی ماحاولوه ثم قال علی أنه ليس فی ظاهره أنه تمنی أن -قرآن-۷۰۰-۷۹۳ [صفحه ۱۶۵] يسأل هل لهم حق فی الإمامة أم لالأن الإمامة قديتعلق بهاحقوق سواها ثم دفع الرواية المتعلقة ببيت فاطمة ع و قال فأما تمنيه أن يبايع غيره فلو ثبت لم يکن ذما لأن من اشتد التکليف عليه فهو يتمنی خلافه .اعترض المرتضی رحمه الله هذاالکلام فقال ليس يجوز أن يقول أبوبکر ليتنی کنت سألت عن کذا إلا مع الشک والشبهة لأن مع العلم واليقين لايجوز مثل هذاالقول هکذا يقتضی الظاهر فأما قول ابراهيم ع فإنما ساغ أن يعدل عن ظاهره لأن الشک لايجوز علی الأنبياء ويجوز علی غيرهم علی أنه ع قدنفی عن نفسه الشک بقوله بَلى وَ لكِن لِيَطمَئِنَّ قَلبِي و قدقيل إن نمرود قال له إذاکنت تزعم أن لک ربا يحيي الموتی فاسأله أن يحيی لنا ميتا إن کان علی ذلک قادرا فإن لم تفعل ذلک قتلتک فأراد بقوله وَ لكِن لِيَطمَئِنَّ قَلبِي أی لآمن توعد عدوک لی بالقتل و قديجوز أن يکون طلب ذلک لقومه و قدسألوه أن يرغب إلی الله تعالی فيه فقال ليطمئن قلبی إلی إجابتک لی و إلی إزاحة علة قومی و لم يرد ليطمئن قلبی إلی أنک تقدر علی أن تحيي الموتی لأن قلبه قد کان بذلک مطمئنا و أی شیءيريد أبوبکر من التفضيل أکثر من قوله إن هذاالأمر لايصلح إلالهذا الحی من قريش و أی فرق بين مايقال عندالموت و بين مايقال قبله إذا کان محفوظا معلوما لم ترفع کلمة و لم تنسخ . و بعدفظاهر الکلام لايقتضی هذاالتخصيص ونحن مع الإطلاق والظاهر و أی حق يجوز أن يکون للأنصار فی الإمامة غير أن يتولاها رجل منهم حتی يجوز أن يکون الحق ألذی تمنی أن يسأل عنه غيرالإمامة وهل هذا إلاتعسف وتکلف -قرآن-۵۳۶-۵۶۷-قرآن-۷۲۲-۷۴۸ [صفحه ۱۶۶] و أی شبهة تبقی بعدقول أبی بکر ليتنی کنت سألته هل للأنصار فی هذاالأمر حق فکنا لاننازعه أهله ومعلوم أن التنازع لم يقع بينهم إلا فی الإمامة نفسها لا فی حق آخر من حقوقها.فأما قوله إنا قدبينا أنه لم يکن منه فی بيت فاطمة مايوجب أن يتمنی أنه لم يفعله فقد بينا فساد ماظنه فيما تقدم .فأما قوله إن من اشتد التکليف عليه قديتمنی خلافه فليس بصحيح لأن ولاية أبی بکر إذاکانت هی التی اقتضاها الدين والنظر للمسلمين فی تلک الحال و ماعداها کان مفسدة ومؤديا إلی الفتنة فالتمنی لخلافها لا

يكون إلاقبيحا. قلت أماقول قاضى القضاة إن هذاالتمنى لايقتضى الشك فى أن الإمامة لاتكون إلا فى قريش كما أن قول ابراهيم وَ لكِن لِيَطمَئِنّ قلَبيِ لايقتضى الشك فى أنه تعالى قادر على ذلك فجيد.فأما قول المرتضى إنما ساغ أن يعدل عن الظاهر فى حق ابراهيم لأنه نبى معصوم لايجوز عليه الشك فيقال له وكذلك ينبغى أن يعدل عن ظاهر كلام أبى بكر لأنه رجل مسلم عاقل فحسن الظن به يقتضى صيانة أفعاله وأقواله عن التناقض قوله إن ابراهيم قدنفى عن نفسه الشك بقوله بَلى وَ لكِن لِيَطمَئِنّ قلَبيِقلنا إن أبابكر قدنفى عن نفسه الشك بدفع الأنصار عن الإمامة وإثباتها فى قريش خاصة فإن كانت لفظة بلى دافعة لشك ابراهيم ألذى يقتضيه قوله وَ لكِن لِيَطمَئِنّ قلَبيِففعل أبى بكر و قوله يوم السقيفة -قرآن-٦٣٩-٦٦٥-قرآن-٩٩٧-١٠٢٨-قرآن-١١٧٣-١١٩٩ [صفحه ١٦٧] يدفع الشك ألذى يقتضيه قوله ليتنى سألته و لافرق فى دفع الشك بين أن يتقدم الدافع أويتأخر أويقارن . ثم يقال للمرتضى ألست فى هذاالكتاب و هوالشافى بينت أن قصة السقيفة لم يجر فيهاذكر نص عن رسول الله ص بأن الأئمة من قريش و أنه لم يكن هناك إلااحتجاج أبى بكر وعمر بأن قريشا أهل النبى ص وعشيرته و أن العرب لاتطيع غيرقريش وذكرت عن الزهرى وغيره أن القول الصادر عن أبى بكر إن هذاالأمر لايصلح إلالهذا الحى من قريش ليس نصا مرويا عن رسول الله ص وإنما هوقول قاله أبوبكر من تلقاء نفسه ورويت فى ذلك الروايات ونقلت من الكتب من تاريخ الطبرى وغيره صورة الكلام والجدال الدائر بينه و بين الأنصار فإذا كان هذاقولك فلم تنكر على أبى بكر قوله ليتنى كنت سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذاالأمر حق لأنه لم يسمع النص و لارواه و لاروى له وإنما دفع الأنصار بنوع من الجدل فلاجرم بقى فى نفسه شىء من ذلك و قال عندموته ليتنى كنت سألت رسول الله ص و ليس ذلك مما يقتضى شكه فى بيعته كمازعم الطاعن لأنه إنما يشك فى بيعته لو كان قال قائل أوذهب ذاهب إلى أن الإمامة ليست إلا فى الأنصار و لم يقل أحد ذلك بل النزاع كان فى هل الإمامة مقصورة على قريش خاصة أم هى فوضى بين الناس كلهم و إذاكانت الحال هذه لم يكن شاكا فى إمامته وبيعته بقوله ليتنى سألت رسول الله ص هل للأنصار فى هذاحق لأن بيعته على كلا التقديرين تكون صحيحة. [صفحه ١٦٨] فأما قول قاضى القضاة لعله أراد حقا للأنصار غيرالإمامة نفسها فليس بجيد و ألذى اعترضه به المرتضى جيد فإن الكلام لايدل إلا على الإمامة نفسها ولفظة المنازعة تؤكد ذلك . و أماحديث الهجوم على بيت فاطمة ع فقد تقدم الكلام فيه والظاهر عندى صحة مايرويه المرتضى والشيعة ولكن لا كل مايزعمونه بل كان بعض ذلك وحق لأبى بكر أن يندم ويتأسف على ذلك و هذايدل على قوة دينه وخوفه من الله تعالى فهو بأن يكون منقبة له أولى من كونه طعنا عليه .فأما قول قاضى القضاة إن من اشتد التكليف عليه فقد يتمنى خلافه واعتراض المرتضى عليه فكلام قاضى القضاة أصح وأصوب لأن أبابكر و إن كانت ولايته مصلحة وولاية غيرمفسدة فإنه مايتمنى أن يكون الإمام غيره مع استلزام ذلك للمفسدة بل تمنى أن يلى الأمر غيره وتكون المصلحة بحالها أ لاترى أن خصال الكفارة فى اليمين كل واحدة منها مصلحة و ماعداها لايقوم مقامها فى المصلحة وأحدها يقوم مقام الأخرى فى المصلحة فأبو بكر تمنى أن يلى الأمر عمر أو أبوعبيدة بشرط أن تكون المصلحة الدينية التى تحصل من بيعته حاصلة من بيعة كل واحد من الآخرين

الطعن الثالث

قالوا إنه ولى عمر الخلافة و لم يوله رسول الله ص شيئا [صفحه ١٦٩] من أعماله البتة إلا ماولاه يوم خيبر فرجع منهزما وولاه الصدقة فلما شكاه العباس عزله .أجاب قاضى القضاة بأن تركه ع أن يوليه لايدل على أنه لايصلح لذلك وتوليته إياه لايدل على صلاحيته للإمامة فإنه ص قدولى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص و لم يدل ذلك على صلاحيتهما للإمامة وكذلك تركه أن يولى لايدل على أنه غيرصالح بل المعتبر بالصفات التى تصلح للإمامة فإذاكملت صلح لذلك ولى من قبل أو لم يول و قدثبت

أن النبى ص ترك أن يولى أمير المؤمنين ع أمورا كثيرة و لم يجب إلا من يصلح لها وثبت أن أمير المؤمنين ع لم يول الحسين ع ابنه و لم يمنع ذلك من أن يصلح للإمامة وحكى عن أبى على أن ذلك إنما كان يصح أن يتعلق به لوظفروا بتقصير من عمر فيما تولاه فأما وأحواله معروفة فى قيامه بالأمر حين يعجز غيره فكيف يصح ماقالوه و بعدفهلا دل ماروى من قوله و إن تولوا عمر تجدوه قويا فى أمر الله قويا فى بدنه على جواز ذلك و إن ترك النبى ص توليته لأن هذاالقول أقوى من الفعل .اعترض المرتضى رحمه الله فقال قدعلمنا بالعادة أن من ترشح لكبار الأمور لابد من أن يدرج إليها بصغارها لأن من يريد بعض الملوك تأهيله للأمر من بعده لابد من أن ينبه عليه بكل قول وفعل يدل على ترشيحه لهذه المنزلة ويستكفيه من أمور ولاياته مايعلم عنده أويغلب على ظنه صلاحه لمايريده له و إن من يرى الملك مع حضوره وامتداد الزمان وتطاوله لايستكفيه شيئا من الولايات ومتى ولاه عزله وإنما يولى غيره ويستكفى سواه لابد أن يغلب فى الظن أنه ليس بأهل للولاية و إن جوزنا أنه لم يوله لأسباب كثيرة سوى أنه لايصلح للولاية إلا أن مع هذاالتجويز لابد أن [صفحه ١٧٠] يغلب على الظن بما ذكرناه فأما خالد وعمرو فإنما لم يصلحا للإمامة لفقد شروط الإمامة فيهما و إن كانا يصلحان لماولياه من الإمارة فترك الولاية مع امتداد الزمان وتطاول الأيام وجميع الشروط التى ذكرناها تقتضى غلبه الظن لفقد الصلاح والولاية لشىء لاتدل على الصلاح لغيره إذاكانت الشرائط فى القيام بذلك الغير معلوما فقدها و قدنجد الملك يولى بعض أموره من لايصلح للملك بعده لظهور فقد الشرائط فيه و لايجوز أن يكون بحضرته من يرشحه للملك بعده ثم لايوليه على تطاول الزمان شيئا من الولايات فبان الفرق بين الولاية وتركها فيما ذكرناه .فأما أمير المؤمنين ع و إن يتول جميع أمور النبى ص فى حياته فقد تولى أكثرها وأعظمها وخلفه فى المدينة و كان الأمير على الجيش المبعوث إلى خيبر وجرى الفتح على يديه بعدانهزام من انهزم منها و كان المؤدى عنه سورة براءة بعدعزل من عزل عنها وارتجاعها منه إلى غير ذلك من عظيم الولايات والمقامات بما يطول شرحه و لو لم يكن إلا أنه لم يول عليه واليا قط لكفى .فأما اعتراضه بأن أمير المؤمنين ع لم يول الحسين فبعيد عن الصواب لأن أيام أمير المؤمنين ع لم تطل فيتمكن فيها من مراداته وكانت على قصرها منقسمة بين قتال الأعداء لأنه ع لمابويع لم يلبث أن خرج عليه أهل البصرة فاحتاج إلى قتالهم ثم انكفأ من قتالهم إلى قتال أهل الشام وتعقب ذلك قتال أهل النهروان و لم تستقر به الدار و لاامتد به الزمان و هذابخلاف أيام النبى ص التى تطاولت وامتدت على أنه قدنص عليه بالإمامة بعدأخيه الحسن وإنما تطلب الولايات لغلبة الظن بالصلاح للإمامة. فإن كان هناك وجه يقتضى العلم بالصلاح لها كان أولى من طريق الظن على أنه [صفحه ١٧١] لاخلاف بين المسلمين أن الحسين ع كان يصلح للإمامة و إن لم يوله أبوه الولايات و فى مثل ذلك خلاف من حال عمر فافترق الأمران فأما قوله إنه لم يعثر على عمر بتقصير فى الولاية فمن سلم بذلك أ و ليس يعلم أن مخالفته تعد تقصيرا كثيرا و لو لم يكن إلا مااتفق عليه من خطئه فى الأحكام ورجوعه من قول إلى غيره واستفتائه الناس فى الصغير والكبير و قوله كل الناس أفقه من عمر لكان فيه كفاية و ليس كل النهوض بالإمامة يرجع إلى حسن التدبير والسياسة الدنياوية ورم الأعمال والاستظهار فى جباية الأموال وتمصير الأمصار ووضع الأعشار بل حظ الإمامة من العلم بالأحكام والفتيا بالحلال والحرام والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه أقوى فمن قصر فى هذا لم ينفعه أن يكون كاملا فى ذلك .فأما قوله فهلا دل ماروى من قوله ع فإن وليتم عمر وجدتموه قويا فى أمر الله قويا فى بدنه -روايت-١-٢-روايت-١٢-٦٨ فهذا لوثبت لدل و قدتقدم القول عليه وأقوى مايبطله عدول أبى بكر عن ذكره والاحتجاج به لماأراد النص على عمر فعوتب على ذلك وقيل له ماتقول لربك إذ وليت علينا فظا غليظا فلو كان صحيحا لكان يحتج به و يقول وليت عليكم من شهد النبى ص بأنه قوى فى أمر الله قوى فى بدنه و قدقيل فى الطعن على صحة هذاالخبر إن ظاهره يقتضى تفضيل عمر على أبى بكر والإجماع بخلاف ذلك لأن القوة فى الجسم فضل قال الله تعالى إِنّ اللّهَ اصطَفاهُ عَلَيكُم وَ زادَهُ بَسطَةً فِي العِلمِ وَ الجِسمِ و بعدفكيف يعارض مااعتمدناه من عدوله ع عن ولايته و هوأمر معلوم بهذا الخبر المردود

المـدفوع . قلت أما ماادعاه من عادة الملوك فالأمر بخلافه فإنا قدوقفنا على سـير الأكاسـرة وملوك الروم وغيرهم فما سـمعنا أن أحدا منهم رشح ولده -قرآن-۴۲۷-۴۹۶ [صفحه ۱۷۲] للملك بعده باسـتعماله على طرف من الأطراف و لاجيش من الجيوش وإنما كانوا يثقفونهم بالآداب والفروسـية فى مقار ملكهم لا غير والحال فى ملوك الإسـلام كـذلك فقـد سـمعنا بالدولـة الأموية ورأينـا الدولـة العباسـية فلم نعرف الدولـة التى ادعاها المرتضـى وإنما قـديقع فى الأقل النادر شـىءمما أشار إليه والأغلب الأكثر خلاف ذلك على أن أصـحابنا لايقولون إن عمر كان مرشـحا للخلافـة بعـد رسول الله ص ليقال لهم فلو كان قدرشـحه للخلافة بعـده لاسـتكفاه كثيرا من أموره وإنما عمر مرشـح عنـدهم فى أيام أبى بكر للخلافة بعد أبى بكر و قد كان أبوبكر استعمله على القضاء مـدة خلافته بل كان هوالخليفـة فى المعنى لأنه فوض إليه أكثر التدبير فعلى هذا يكون قدسـلمنا أن ترك اسـتعمال النبى ص لعمر يـدل على أنه غيرمرشـح فى نظره للخلافـة بعده وكذلك نقول و لايلزم من ذلك ألا يكون خليفة بعد أبى بكر على أنا لانسـلم أنه مااسـتعمله فقد ذكر الواقدى و ابن إسحاق أنه بعثه فى سرية فى سنة سبع من الهجرة إلى الوادى المعروف ببرمة بضم البـاء وفتـح الراء و بهـاجمع من هوازن فخرج ومعه دليـل من بنى هلال وكانوا يسـيرون الليل ويكمنون النهار وأتى الخبر هوازن فهربوا وجاء عمر محالهم فلم يلق منهم أحدا فانصـرف إلى المدينة. ثم يعارض المرتضى بما ذكره قاضى القضاة من ترك تولية على ابنه الحسين ع و قوله فى العـذر عن ذلـك إن عليـا ع كان ممنوا بحرب البغاة والخوارج لايـدفع المعارضـة لأن تلك الأيام التى هى أيام حروبه مع هؤلاء هى الأيام التى كان ينبغى أن يولى الحسـين ع بعض الأمور فيهاكاستعماله على جيش ينفذه سرية إلى بعض الجهـات واستعماله على الكوفـة بعـدخروجه منهـا إلى حرب صـفين أواسـتعماله على القضـاء [صـفحه ۱۷۳] و ليس اشـتغاله بالحرب بمانع له عن ولايـة ولده و قد كان مشـتغلا بالحرب و هويولى بنى عمه العباس الولايات والبلاد الجليلة فأما قوله على أنه قدنص عليه بالإمامة بعدأخيه الحسن فهذا يغنى عن توليته شيئا من الأعمال فلقائل أن يمنع ماذكره من حديث النص فإنه أمر تنفرد به الشـيعة وأكثر أرباب السـير والتواريخ لايذكرون أن أمير المؤمنين ع نص على أحد ثم إن ساغ له ذلك ساغ لقاضى القضاة أن يقول إن قول النبى ص اقتـدوا باللـذين من بعـدى أبى بكر وعمر -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۵۵ يغنى عن توليـة عمر شيئـا من الولايـات لأـن هـذاالقول آكـد من الولايـة فى ترشـحه للخلافـة.فأما قوله على أنه لاخلاف بين المسلمين فى صـلاحية الحسـين للخلافـة و إن لم يوله أبوه الولايـات و فى عمر خلاـف ظاهر بين المسـلمين فلقائـل أن يقول له إجماع المسـلمين على صلاحية الحسـين للخلافة لايدفع المعارضة بل يؤكدها لأنه إذا كان المسلمون قدأجمعوا على صلاحيته للخلافة و لم يكن ترك توليـة أبيه إيـاه الولايـات قادحـا فى صـلاحيته لهـا بعـده جـاز أيضـا أن يكون ترك توليـة رسول الله ص عمر الولايات فى حياته غيرقادح فى صـلاحيته للخلافة بعده . ثم ماذكره من تقصـير عمر فى الخلافة بطريق اختلاف أحكامه ورجوعه إلى فتاوى العلماء فقـد ذكرنـا ذلـك فيمـا تقـدم لماتكلمنا فى مطاعن الشـيعة على عمر وأجبنا عنه . و أما قوله لايغنى حسن التـدبير والسـياسة ورم الأـمور مر القصور فى الفقه فأصـحابنا يـذهبون إلى أنه إذاتسـاوى اثنـان فى خصـال الإمامـة إلاـ أنه كان أحـدهما أعلم والآخر [صفحه ۱۷۴] أسوس فإن الأسوس أولى بالإمامة لأن حاجة الإمامة إلى السياسة وحسن التدبير آكد من حاجتها إلى العلم والفقه . و أمـاالخبر المروى فى عمر و هو قوله و إن تولوها عمر فيجوز ألا يكون أبوبكر سـمعه من رسول الله ص و يكون الراوى له غيره ويجوز أن يكون سـمعه وشـذ عنه أن يحتـج به على طلحة لماأنكر اسـتخلاف عمر ويجوز ألا يكون شذ عنه وترك الاحتجاج به استغناء عنه لعلمه أن طلحة لايعتد بقوله عند الناس إذاعارض قوله ولعله كنى عن هذاالنص بقوله إذاسألنى ربى قلت له استخلفت عليهم خير أهلك على أنامتى فتحنا باب هلا احتـج فلان بكذا جر علينا ما لاقبل لنا به وقيل هلا احتج على ع على طلحة وعائشـة والزبير بقـول رسول الله ص من كنت مولاـه فهـذا على مولاـه -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۵۵ بقـوله أنت منى بمنزله هـارون من موسى -روايت-۱-۲-روايت-۹-۴۴ و لايمكن الشيعة أن يعتـذروا هاهنا بالتقيـة لأن السـيوف كانت قدسـلت من الفريقين و لم

يكن مقام تقية. و أما قوله هذاالخبر لوصح لاقتضى أن يكون عمر أفضل من أبى بكر و هوخلاف إجماع المسلمين فلقائل أن يقول لم قلت إن المسلمين أجمعوا على أن أبابكر أفضل من عمر مع أن كتب الكلام والتصانيف المصنفة فى المقالات مشحونة بذكر الفرقة العمرية وهم القائلون إن عمر أفضل من أبى بكر وهى طائفة عظيمة من المسلمين يقال إن عبد الله بن مسعود منهم و قدرأيت أن جماعة من الفقهاء يذهبون إلى هذا ويناظرون عليه على أنه لايدل الخبر على ماذكره المرتضى لأنه و إن كان عمر أفضل منه باعتبار قوة البدن فلايدل على أنه أفضل منه مطلقا فمن الجائز أن يكون بإزاء هذه الخصلة خصال كثيرة فى أبى بكر من خصال الخير يفضل بها على عمر [صفحه ۱۷۵] أ لاترى أنانقول أبودجانة أفضل من أبى بكر بجهاده بالسيف فى مقام الحرب و لايلزم من ذلك أن يكون أفضل منه مطلقا لأن فى أبى بكر من خصال الفضل ما إذاقيس بهذه الخصلة أربى عليها أضعافا مضاعفة

الطعن الرابع

قالوا إن أبابكر كان فى جيش أسامة و إن رسول الله ص كرر حين موته الأمر بتنفيذ جيش أسامة فتأخره يقتضى مخالفة الرسول ص فإن قلتم إنه لم يكن فى الجيش قيل لكم لاشك أن عمر بن الخطاب كان فى الجيش و أنه حبسه ومنعه من النفوذ مع القوم و هذاكالأول فى أنه معصية وربما قالوا إنه ص جعل هؤلاء القوم فى جيش أسامة ليبعدوا بعدوفاته عن المدينة فلايقع منهم توثب على الإمامة ولذلك لم يجعل أمير المؤمنين ع فى ذلك الجيش وجعل فيه أبابكر وعمر وعثمان وغيرهم و ذلك من أوكد الدلالة على أنه لم يرد أن يختاروا للإمامة.أجاب قاضى القضاة بأن أنكر أولا أن يكون أبوبكر فى جيش أسامة وأحال على كتب المغازى ثم سلم ذلك و قال إن الأمر لايقتضى الفور فلايلزم من تأخر أبى بكر عن النفوذ أن يكون عاصيا ثم قال إن خطابه ص بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجها إلى القائم بعده لأنه من خطاب الأئمة و هذايقتضى ألا يدخل المخاطب بالتنفيذ فى الجملة ثم قال و هذايدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه لأنه لو كان لأقبل بالخطاب عليه وخصه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع [صفحه ۱۷۶] ثم ذكر أن أمر رسول الله ص لابد أن يكون مشروطا بالمصلحة وبأن لايعرض ما هوأهم منه لأنه لايجوز أن يأمرهم بالنفوذ و إن أعقب ضررا فى الدين ثم قوى ذلك بأنه لم ينكر على أسامة تأخره و قوله لم أكن لأسأل عنك الركب ثم قال لو كان الإمام منصوصا عليه لجاز أن يسترد جيش أسامة أوبعضه لنصرته وكذلك إذا كان بالاختيار ثم حكى عن الشيخ أبى على استدلاله على أن أبابكر لم يكن فى جيش أسامة بأنه ولاه الصلاة فى مرضه مع تكريره أمر الجيش بالنفوذ والخروج . ثم ذكر أن الرسول ص إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ونحوها عن اجتهاده و ليس بواجب أن يكون ذلك عن وحى كمايجب فى الأحكام الشرعية و أن اجتهاده يجوز أن يخالف بعدوفاته و إن لم يجز فى حياته لأن اجتهاده فى الحياة أولى من اجتهاد غيره ثم ذكر أن العلة فى احتباس عمر عن الجيش حاجة أبى بكر إليه وقيامه بما لايقوم به غيره و أن ذلك أحوط للدين من نفوذه . ثم ذكر أن أمير المؤمنين ع حارب معاوية بأمر الله تعالى وأمر رسوله و مع هذافقد ترك محاربته فى بعض الأوقات و لم يجب بذلك ألا يكون متمثلا للأمر وذكر توليته ع أبا موسى وتولية الرسول ص خالد بن الوليد مع ماجرى منهما و أن ذلك يقتضى الشرط. ثم ذكر أن من يصلح للإمامة ممن ضمه جيش أسامة يجب تأخيره ليختار للإمامة أحدهم فإن ذلك أهم من نفوذهم فإذاجاز لهذه العلة التأخير قبل العقد جاز التأخير بعده للمعاضدة وغيرها وطعن فى قول من جعل أن إخراجهم فى الجيش على جهة الإبعاد لهم عن المدينة بأن قال إن بعدهم عن المدينة لايمنع من أن يختاروا للإمامة [صفحه ۱۷۷] ولأنه ع لم يكن قاطعا على موته لامحالة لأنه لم يرد نفذوا جيش أسامة فى حياتى -روايت-۱-۲۸ ثم ذكر أن ولاية أسامة عليهما لاتقتضى فضله وأنهما دونه وذكر ولاية عمرو بن العاص عليهما و إن لم يكونا دونه فى الفضل و أن أحدا

لم يفضل أسامة عليهما ثم ذكر أن السبب فى كون عمر من جملة جيش أسامة أن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى قال عندولاية أسامة تولى علينا شاب حدث ونحن مشيخة قريش فقال عمر يا رسول الله مرنى حتى أضرب عنقه فقد طعن فى تأميرك إياه ثم قال أناأخرج فى جيش أسامة تواضعا وتعظيما لأمره ع .اعترض المرتضى هذه الأجوبة فقال أماكون أبى بكر فى جملة جيش أسامة فظاهر قدذكره أصحاب السير والتواريخ و قدروى البلاذرى فى تاريخه و هومعروف بالثقة والضبط وبرىء من ممالاة الشيعة ومقاربتها أن أبابكر وعمر معا كانا فى جيش أسامة والإنكار لمايجرى هذاالمجرى لايغنى شيئا و قد كان يجب على من أحال بذلك على كتب المغازى فى الجملة أن يومئ إلى الكتاب المتضمن لذلك بعينه ليرجع إليه فأما خطابه ع بالتنفيذ للجيش فالمقصود به الفور دون التراخى إما من حيث مقتضى الأمر على مذهب من يرى ذلك لغة وإما شرعا من حيث وجدنا جميع الأمة من لدن الصحابة إلى هذاالوقت يحملون أوامره على الفور ويطلبون فى تراخيها الأدلة ثم لو لم يثبت كل ذلك لكان قول أسامة لم أكن لأسأل عنك الركب أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور لأن سؤال الركب عنه ع بعدوفاته لامعنى له . [صفحه ١٧٨] و أماقول صاحب الكتاب إنه لم ينكر على أسامة تأخره فليس بشىء و أى إنكار أبلغ من تكراره الأمر وترداده القول فى حال يشغل عن المهم ويقطع الفكر إلا فيها و قدكرر الأمر على المأمور تارة بتكرار الأمر وأخرى بغيره و إذاسلمنا أن أمره ع كان متوجها إلى القائم بعده بالأمر لتنفيذ الجيش بعدالوفاة لم يلزم ماذكره من خروج المخاطب بالتنفيذ عن الجملة وكيف يصح ذلك و هو من جملة الجيش والأمر متضمن تنفيذ الجيش فلابد من نفوذ كل من كان فى جملته لأن تأخر بعضهم يسلب النافذين اسم الجيش على الإطلاق أ و ليس من مذهب صاحب الكتاب أن الأمر بالشىء أمر بما لايتم إلامعه و قداعتمد على هذا فى مواضع كثيرة فإن كان خروج الجيش ونفوذه لايتم إلابخروج أبى بكر فالأمر بخروج الجيش أمر لأبى بكر بالنفوذ والخروج وكذلك لوأقبل عليه على سبيل التخصيص و قال نفذوا جيش أسامة -روايت-١-٢-روايت-٨-٢٥ و كان هو من جملة الجيش فلابد أن يكون ذلك أمرا له بالخروج واستدلاله على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه بعموم الأمر بالتنفيذ ليس بصحيح لأنا قدبينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين و لم يتوجه إلى الإمام بعده على أن هذالازم له لأن الإمام بعده لا يكون إلاواحدا فلم عمم الخطاب و لم يفرد به الواحد فيقول لينفذ القائم من بعدى بالأمر جيش أسامة فإن الحال لايختلف فى كون الإمام بعده واحدا بين أن يكون منصوصا عليه أومختارا. و أما ماادعاه أن الشرط فى أمره ع لهم بالنفوذ فباطل لأن إطلاق الأمر يمنع من إثبات الشرط وإنما يثبت من الشروط مايقتضى الدليل إثباته من التمكن والقدرة لأن ذلك شرط ثابت فى كل أمر ورد من حكيم والمصلحة بخلاف ذلك لأن الحكيم لايأمر بشرط المصلحة بل إطلاق الأمر منه يقتضى ثبوت المصلحة وانتفاء المفسدة و ليس كذلك التمكن و مايجرى مجراه ولهذا لايشترط [صفحه ١٧٩] أحد فى أوامر الله تعالى ورسوله ص بالشرائع المصلحة وانتفاء المفسدة وشرطوا فى ذلك التمكن ورفع التعذر و لو كان الإمام منصوصا عليه بعينه واسمه لماجاز أن يسترد جيش أسامة بخلاف ماظنه و لايعزل من ولاه ع و لايولى من عزله للعلة التى ذكرناها.فأما استدلال أبى على على أن أبابكر لم يكن فى الجيش بحديث الصلاة فأول ما فيه أنه اعتراف بأن الأمر بتنفيذ الجيش كان فى الحياة دون بعدالوفاة و هذاناقض لمابنى صاحب الكتاب عليه أمره ع . ثم إنا قدبينا أنه ع لم يوله الصلاة وذكرنا ما فى ذلك ثم ماالمانع من أن يوليه تلك الصلاة إن كان ولاه إياها ثم يأمره بالنفوذ من بعد مع الجيش فإن الأمر بالصلاة فى تلك الحال لايقتضى أمره بها على التأبيد. و أماادعاؤه أن النبى ص يأمر بالحروب و مايتصل بها عن اجتهاد دون الوحى فمعاذ الله أن يكون صحيحا لأن حروبه ع لم تكن مما يختص بمصالح أمور الدنيا بل للدين فيهاأقوى تعلق لمايعود على الإسلام وأهله بفتوحه من العز والقوة وعلو الكلمة و ليس يجرى ذلك مجرى أكله وشربه ونومه لأن ذلك لاتعلق له بالدين فيجوز أن يكون عن رأيه و لوجاز أن تكون مغازيه وبعوثه مع التعلق القوى لها بالدين عن اجتهاد لجاز ذلك فى الأحكام . ثم لو كان ذلك عن اجتهاد لماساغت مخالفته فيه بعدوفاته كما لاتسوغ فى

حياته فكل علة تمنع من أحد الأمرين هى مانعة من الآخر فأما الاعتذار له عن حبس عمر عن الجيش بما ذكره فباطل لأنا قدقلنا إن مايأمر به ع لايسوغ مخالفته مع الإمكان و لامراعاة لماعساه يعرض فيه من رأى غيره و أى حاجة إلى عمر بعدتمام العقد واستقراره ورضا الأمة به على طريق المخالف وإجماعها عليه و لم يكن [صفحه ۱۸۰] هناك فتنة و لاتنازع و لااختلاف يحتاج فيه إلى مشاورته وتدبيره و كل هذاتعلل باطل .فأما محاربة أمير المؤمنين ع معاوية فإنما كان مأمورا بها مع التمكن ووجود الأنصار و قدفعل ع من ذلك ماوجب عليه لماتمكن منه فأما مع التعذر وفقد الأنصار فما كان مأمورا بها و ليس كذلك القول فى جيش أسامة لأن تأخر من تأخر عنه كان مع القدرة والتمكن فأما تولية أبى موسى فلاندرى كيف يشبه مانحن فيه لأنه إنما ولاه بأن يرجع إلى كتاب الله تعالى فيحكم فيه و فى خصمه بما يقتضيه و أبو موسى فعل خلاف ماجعل إليه فلم يكن ممتثلا لأمر من ولاه وكذلك خالد بن الوليد إنما خالف ماأمره به الرسول ص فتبرأ من فعله و كل هذا لايشبه أمره ع بتنفيذ جيش أسامة أمرا مطلقا وتأكيده ذلك وتكراره له فأما جيش أسامة فإنه لم يضم من يصلح للإمامة فيجوز تأخرهم ليختار أحدهم على ماظنه صاحب الكتاب على أن ذلك لوصح أيضا لم يكن عذرا فى التأخر لأن من خرج فى الجيش يمكن أن يختار و إن كان بعيدا و لايمنع بعده من صحة الاختيار و قدصرح صاحب الكتاب بذلك ثم لوصح هذاالعذر لكان عذرا فى التأخر قبل العقد فأما بعدإبرامه فلاعذر فيه والمعاضدة التى ادعاها قدبينا ما فيها.فأما ادعاء صاحب الكتاب رادا على من جعل إخراج القوم فى الجيش ليتم أمر النص أن من أبعدهم لايمنع أن يختاروا للإمامة فيدل على أنه لم يتبين معنى هذاالطعن على حقيقته لأن الطاعن به لا يقول إنه أبعدهم لئلا يختاروا للإمامة وإنما يقول إنه أبعدهم حتى ينتصب بعده فى الأرض من نص عليه و لا يكون هناك من ينازعه ويخالفه [صفحه ۱۸۱] و أما قوله لم يكن قاطعا على موته فلايضر تسليمه أ ليس كان مشفقا وخائفا و على الخائف أن يتحرز ممن يخاف منه فأما قوله فإنه لم يرد نفذوا الجيش فى حياتى فقد بينا ما فيه فأما ولاية أسامة على من ولى عليه فلابد من اقتضائها لفضله على الجماعة فيما كان واليا فيه و قددللنا فيما تقدم من الكتاب على أن ولاية المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه قبيحة فكذلك القول فى ولاية عمرو بن العاص عليها فيما تقدم والقول فى الأمرين واحد. و قوله إن أحدا لم يدع فضل أسامة على أبى بكر وعمر فليس الأمر على ماظنه لأن من ذهب إلى فساد إمامة المفضول لابد من أن يفضل أسامة عليهما فيما كان واليا فيه فأما ادعاؤه ماذكره من السبب فى دخول عمر فى الجيش فما نعرفه و لاوقفنا عليه إلا من كتابه ثم لوصح لم يغن شيئا لأن عمر لو كان أفضل من أسامة لمنعه الرسول ص من الدخول فى إمارته والمسير تحت لوائه والتواضع لايقتضى فعل القبيح . قلت إن الكلام فى هذاالفصل قدتشعب شعبا كثيرة والمرتضى رحمه الله لايورد كلام قاضى القضاة بنصه وإنما يختصره ويورده مبتورا ويومئ إلى المعانى إيماء لطيفا وغرضه الإيجاز و لوأورد كلام قاضى القضاة بنصه لكان أليق و كان أبعد عن الظنة وأدفع لقول قائل من خصومه إنه يحرف كلام قاضى القضاة ويذكر على غيروجه أ لاترى أن من نصب نفسه لاختصار كلام فقد ضمن على نفسه أنه قدفهم معانى ذلك الكلام حتى يصح منه اختصاره و من الجائز أن يظن أنه قدفهم [صفحه ۱۸۲] بعض المواضع و لم يكن قدفهمه على الحقيقة فيختصر ما فى نفسه لا ما فى تصنيف ذلك الشخص و أما من يورد كلام الناس بنصه فقد استراح من هذه التبعة وعرض عقل غيره وعقل نفسه على الناظرين والسامعين . ثم نقول إن هذاالفصل ينقسم أقساما منها قول قاضى القضاة لانسلم أن أبابكر كان فى جيش أسامة. و أماقول المرتضى إنه قدذكره أرباب السير والتواريخ و قوله إن البلاذرى ذكره فى تاريخه و قوله هلا عين قاضى القضاة الكتاب ألذى ذكر أنه يتضمن عدم كون أبى بكر فى ذلك الجيش فإن الأمر عندى فى هذاالموضع مشتبه والتواريخ مختلفة فى هذه القضية فمنهم من يقول إن أبابكر كان فى جملة الجيش ومنهم من يقول إنه لم يكن و ماأشار إليه قاضى القضاة بقوله فى كتب المغازى لاينتهى إلى أمر صحيح و لم يكن ممن يستحل القول بالباطل فى دينه و لا فى رئاسته ذكر الواقدى فى كتاب المغازى أن أبابكر لم يكن فى جيش أسامة وإنما كان عمر و أبوعبيدة

وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم ورجال كثير من المهاجرين والأنصار قال و كان المنكر لإمارة أسامة عياش بن أبى ربيعة و غيرالواقدى يقول عبد الله بن عياش و قدقيل عبد الله بن أبى ربيعة أخو عياش . و قال الواقدى وجاء عمر بن الخطاب فودع رسول الله ص ليسير مع أسامة و قال وجاء أبوبكر فقال يا رسول الله أصبحت مفيقا بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة فأذن لى فأذن له فذهب إلى منزله بالسنح وسار أسامة فى العسكر و هذاتصريح بأن أبابكر لم يكن فى جيش أسامة. [صفحه ۱۸۳] وذكر موسى بن عقبة فى كتاب المغازى أن أبابكر لم يكن فى جيش أسامة وكثير من المحدثين يقولون بل كان فى جيشه .فأما أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فلم يذكر أنه كان فى جيش أسامة إلاعمر و قال أبو جعفرحدثنى السدى بإسناد ذكره أن رسول الله ص ضرب قبل وفاته بعثا على أهل المدينة و من حولهم وفيهم عمر بن الخطاب وأمر عليهم أسامة بن زيد فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ص فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر ارجع إلى خليفة رسول الله ص فاستأذنه يأذن لى أرجع بالناس فإن معى وجوه الصحابة و لاآمن على خليفة رسول الله ص وثقل رسول الله ص وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون حول المدينة وقالت الأنصار لعمر سرا فإن أبى إلا أن يمضى فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فخرج عمر بأمر أسامة فأتى أبابكر فأخبره بما قال أسامة فقال أبوبكر لوتخطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ص قال فإن الأنصار أمرونى أن أبلغك أنهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبوبكر و كان جالسا فأخذ بلحية عمر و قال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أيستعمله رسول الله ص وتأمرنى أن أنزعه فخرج عمر إلى الناس فقالوا له ماصنعت فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم مالقيت فى سبيلكم اليوم من خليفة رسول الله ص ثم خرج أبوبكر حتى أتاهم فأشخصهم وشيعهم و هوماش وأسامة راكب و عبدالرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر فقال له أسامة بن زيد ياخليفة رسول الله لتركبن أولأنزلن فقال و الله لاتنزل و لاأركب و ما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة [صفحه ۱۸۴] فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له وسبعمائة خطيئة تمحى عنه حتى إذاانتهى قال لأسامة إن رأيت أن تعيننى بعمر فافعل فأذن له ثم قال أيها الناس قفوا حتى أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى لاتخونوا و لاتغدروا و لاتغلوا و لاتمثلوا و لاتقتلوا طفلا صغيرا و لاشيخا كبيرا و لاامرأة و لاتعقروا نخلا و لاتحرقوه و لاتقطعوا شجرة مثمرة و لاتذبحوا شاة و لابعيرا و لابقرة إلالمأكلة وسوف تمرون بأقوام قدفرغوا أنفسهم للعبادة فى الصوامع فدعوهم فيما فرغوا أنفسهم له وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم بصحاف فيهاألوان الطعام فلاتأكلوا من شىء حتى تذكروا اسم الله عليه وسوف تلقون أقواما قدحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيوف خفقا أفناهم الله بالطعن والطاعون سيروا على اسم الله –روايت–۱–۲–روايت–۸–۵۷۵ . و أماقول الشيخ أبى على فإنه يدل على أنه لم يكن فى جيش أسامة أمره إياه بالصلاة وقول المرتضى هذااعتراف بأن الأمر بتنفيذ الجيش كان فى الحال دون ما بعدالوفاة و هذاينقض مابنى عليه قاضى القضاة أمره فلقائل أن يقول إنه لاينقض مابناه لأن قاضى القضاة ما قال إن الأمر بتنفيذ الجيش ما كان إلا بعدالوفاة بل قال إنه أمر والأمر على التراخى فلو نفذ الجيش فى الحال لجاز و لوتأخر إلى بعدالوفاة لجاز.فأما إنكار المرتضى أن تكون صلاة أبى بكر بالناس كانت عن أمر رسول الله ص فقد ذكرنا ماعندنا فى هذافيما تقدم . و أما قوله يجوز أن يكون أمر بصلاة واحدة أوصلاتين ثم أمره بالنفوذ بعد [صفحه ۱۸۵] ذلك فهذا لعمرى جائز و قديمكن أن يقال إنه لماخرج متحاملا من شدة المرض فتأخر أبوبكر عن مقامه وصلى رسول الله ص بالناس أمره بالنفوذ مع الجيش وأسكت رسول الله ص فى أثناء ذلك اليوم واستمر أبوبكر على الصلاة بالناس إلى أن توفى ع فقد جاء فى الحديث أنه أسكت و أن أسامة دخل عليه فلم يستطع كلامه لكنه كان يرفع يديه ويضعهما عليه كالداعى له ويمكن أن يكون زمان هذه السكتة قدامتد يوما أويومين و هذاالموضع من المواضع المشتبهة عندى ومنها قول قاضى القضاة إن الأمر على التراخى فلايلزم من تأخر أبى بكر عن النفوذ أن يكون عاصيا.فأما قول

المرتضـى الأمر على الفور إما لغـة عنـد من قال به أوشرعا لإجماع الكل على أن الأوامر الشرعية على الفور إلا ماخرج بالـدليل فالظاهر فى هذاالموضع صـحة ماقاله المرتضـى لأن قرائن الأحوال عند من يقرأ السـير ويعرف التواريخ تدل على أن الرسول ص كان يحثهم على الخروج والمسير و هذا هوالفور. و أماقول المرتضـى وقول أسامة لم أكن لأسأل عنك الركب فهو أوضح دليل على أنه عقل من الأمر الفور لأن سؤال الركب عنه بعـدالوفاة لامعنى له فلقائل أن يقول إن ذلك لايـدل على الفور بل يـدل على أنه مأمور فى الجملة بالنفوذ والمسـير فإن التعجيل والتأخير مفوضان إلى رأيه فلما قال له النبى ص لم تأخرت عن المسـير قال لم أكن لأسير وأسأل عنـك الركب إنى انتظرت عافيتك فإنى إذاسـرت و أنت على هـذه الحال لم يكن لى قلب للجهاد بل أكون قلقا شديد الجزع أسأل [صـفحه ١٨٦] عنـك الركبان و هـذاالكلام لايـدل على أنه عقل من الأمر الفور لامحالـة بل هو على أن يـدل على التراخى أظهر وقول النبى ص لم تأخرت عن المسـير لايـدل على الفور لأنه قـديقال مثل ذلك لمن يؤمر بالشـىء على جهـة التراخى إذا لـم يكن سؤال إنكار. وقول المرتضـى لأن سؤال الركب عنه بعـدالوفاة لامعنى له قول من قـدتوهم على قاضـى القضـاة أنه يقول إن النبى ص مـاأمرهم بـالنفوذ إلا بعـدوفاته و لم يقل قاضـى القضاة ذلك وإنما ادعى أن الأمر على التراخى لا غير وكيف يظن بقاضـى القضـاة أنه حمـل كلام أسامـة على سؤال الركب بعـدالموت وهل كان أسامـة يعلم الغيب فيقول ذاك وهل سأل أحد عن حال أحد من المرضـى بعدموته .فأما قول المرتضى عقيب هذاالكلام لامعنى لقول قاضى القضاة إنه لم ينكر على أسامـة تـأخره فـإن الإنكار قـدوقع بتكرار الأمر حالا بعـدحال فلقائل أن يقول إن قاضـى القضاة لم يجعل عـدم الإنكار على أسامـة حجة على كون الأمر على التراخى وإنما جعل ذلك دليلا على أن الأمر كان مشـروطا بالمصـلحة و من تأمل كلام قاضـى القضاة ألـذى حكاه عنه المرتضـى تحقق ذلك فلايجوز للمرتضـى أن ينتزعه من الوضع ألذى أورده فيه فيجعله فى موضع آخر. ومنهـا قول قاضـى القضـاة الأـمر بتنفيـذ الجيش يجب أن يكون متوجهـا إلى الخليفـة بعـده والمخـاطب لايـدخل تحت الخطـاب واعتراض المرتضـى عليه بأن لفظة الجيش يدخل تحتها أبوبكر فلابد من وجوب النفوذ عليه لأن عدم نفوذه يسلب الجماعة اسم الجيش فليس بجيـد لأن لفظـة الجيش لفظـة موضوعـة لجماعـة من الناس قدأعـدت للحرب فإذاخرج منها واحـد أواثنان لم يزل مسـمى الجيش عن الباقين والمرتضى [صفحه ١٨٧] اعتقـد أن ذلك مثل الماهيات المركبـة نحو العشرة إذاعدم منها واحد زال مسمى العشرة و ليس الأمر كذلك يبين ذلك أنه لو قال بعض الملوك لمائة إنسان أنتم جيشى ثم قال لواحد منهم إذامت فأعط كل واحد من جيشـى درهما من خزانتى فقد جعلتك أميرا عليهم لم يكن له أن يأخذ لنفسه درهما و يقول أنا من جملة الجماعة الذين أطلق عليهم لفظة الجيش . ومنها قول قاضـى القضاة هذه القضية تدل على أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه و أماقول المرتضـى فقد بينا أن الخطاب إنما توجه إلى الحاضرين لا إلى القائم بالأمر بعده فلم نجد فى كلامه فى هذاالفصل بطوله ما بين فيه ذلك و لاأعلم على ماذا أحال و لو كان قد بين على مازعم أن الخطاب متوجه إلى الحاضـرين لكان الإشكال قائما لأنه يقال له إذا كـان الإمـام المنصوص عليه حاضـرا عنـده فلم وجه الخطاب إلى الحاضـرين أ لا ـترى أنه لا ـيجوز أن يقول الملك للرعية اقضوا بين هذين الشخصـين والقاضـى حاضـر عنده إلا إذا كان قدعزله عن القضاء فى تلك الواقعة عن الرعية.فأما قول المرتضى هـذاينقلب عليكم فليس ينقلب وإنمـا ينقلب لو كـان يريـد تنفيـذ الجيش بعـدموته فقـط و لايريـده و هوحى فكـان يجىء ماقاله المرتضـى لينفـذ القـائم بالأـمر بعـدى جيش أسامـة فأمـا إذا كان يريـد نفوذ الجيش من حين مـاأمر بنفوذه فقـد سـقط القلب لأن الخليفـة حينئـذ لم يكن قـدتعين لأـن الاختيـار ماوقع بعـد و على مـذهب المرتضـى الإمام متعين حاضـر عنـده نصب عينه فافترق الوصـفان . ومنها قول قاضـى القضاة إن مخالفـة أمره ص فى النفوذ مع الجيش أو فى إنفاذ الجيش لا يكون معصـية و بين ذلك من وجوه [صفحه ١٨٨] أحدها أن أمره ع بذلك لابد أن يكون مشـروطا بالمصلحة وألا يعرض ما هوأهم من نفوذ الجيش لأنه لايجوز أن يأمرهم بالنفوذ و إن أعقب ضـررا فى الـدين فأما قول المرتضـى الأمر المطلق يدل على ثبوت المصـلحة و لايجوز أن

يجعل الأمر المطلق فقول جيد إذااعترض به على الوجه ألذى أورده قاضى القضاة فأما إذاأورده أصحابنا على وجه آخر فإنه يندفع كلام المرتضى و ذلك أنه يجوز تخصيص عمومات النصوص بالقياس الجلى عندكثير من أصحابنا على ما هومذكور فى أصول الفقه فلم لايجوز لأبى بكر أن يخص عموم قوله انفذوا بعث أسامة لمصلحة غلبت على ظنه فى عدم نفوذه نفسه ولمفسدة غلبت على نفسه فى نفوذه نفسه مع البعث . وثانيها أنه ع كان يبعث السرايا عن اجتهاد لا ـ عن وحى يحرم مخالفته فأما قول المرتضى إن للدين تعلقا قويا بأمثال ذلك وإنها ليست من الأمور الدنياوية المحضة نحو أكله وشربه ونومه فإنه يعود على الإسلام بفتوحه عز وقوة وعلو كلمة فيقال له و إذاأكل اللحم وقوى مزاجه بذلك ونام نوما طبيعيا يزول عنه به المرض والإعياء اقتضى ذلك أيضا عزالإسلام وقوته فقل إن ذلك أيضا عن وحى. ثم إن ألذى يقتضيه فتوحه وغزواته وحروبه من العز وعلو الكلمة لاينافى كون تلك الغزوات والحروب باجتهاده لأنه لامنافاة بين اجتهاده و بين عزالدين وعلو كلمته بحروبه و إن ألذى ينافى اجتهاده بالرأى هومثل فرائض الصلوات ومقادير الزكوات ومناسك الحج ونحو ذلك من الأحكام التى تشعر بأنها متلقاة من محض الوحى و ليس للرأى والاجتهاد فيهامدخل و قدخرج بهذا الكلام الجواب عن قوله [صفحه ١٨٩] لوجاز أن تكون السرايا والحروب عن اجتهاده لجاز أن تكون الأحكام كلها عن اجتهاده وأيضا فإن الصحابة كانوا يراجعونه فى الحروب وآراءه التى يدبرها بها ويرجع ع إليهم فى كثير منها بعد أن قدرأى غيره و أماالأحكام فلم يكن يراجع فيهاأصلا فكيف يحمل أحد البابين على الآخر.فأما قوله لوكانت عن اجتهاد لوجب أن يحرم مخالفته فيها و هوحى لافرق بين الحالين فلقائل أن يقول القياس يقتضى ماذكرت إلا ـ أنه وقع الإجماع على أنه لو كان فى الأحكام أو فى الحروب والجهاد ما هوباجتهاده لماجازت مخالفته والعدول عن مذهبه و هوحى لم يختلف أحد من المسلمين فى ذلك وأجازوا مخالفته بعدوفاته بتقدير أن يكون ماصار إليه عن اجتهاد والإجماع حجة.فأما قول قاضى القضاة لأن اجتهاده و هوحى أولى من اجتهاد غيره فليس يكاد يظهر لأن اجتهاده و هوميت أولى أيضا من اجتهاد غيره ويغلب على ظنى أنهم فرقوا بين حالتى الحياة والموت فإن فى مخالفته و هوحى نوعا من أذى له وأذاه محرم لقوله تعالى وَ ما كانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللّهِ والأذى بعدالموت لا يكون فافترق الحالان . وثالثها أنه لو كان الإمام منصوصا عليه لجاز أن يسترد جيش أسامة أوبعضه لنصرته فكذلك إذا كان بالاختيار و هذا قدمنع منه المرتضى و قال إنه لا ـيجوز للمنصوص عليه ذلك و لا أن يولى من عزله رسول الله ص و لا أن يعزل من ولاه رسول الله ص -قرآن-٩١٢-٩٥٤ [صفحه ١٩٠] ورابعها أنه ع ترك حرب معاوية فى بعض الحالات و لم يوجب ذلك أن يكون عاصيا فكذلك أبوبكر فى ترك النفوذ فى جيش أسامة.فأما قول المرتضى إن عليا ع كان مأمورا بحرب معاوية مع التمكن ووجود الأنصار فإذاعدما لم يكن مأمورا بحربه فلقائل أن يقول و أبوبكر كان مأمورا بالنفوذ فى جيش أسامة مع التمكن ووجود الأنصار و قدعدم التمكن لمااستخلف فإنه قدتحمل أعباء الإمامة وتعذر عليه الخروج عن المدينة التى هى دار الإمامة فلم يكن مأمورا والحال هذه بالنفوذ فى جيش أسامة. فإن قلت الإشكال عليكم إنما هو من قبل الاستخلاف كيف جاز لأبى بكر أن يتأخر عن المسير وكيف جاز له أن يرجع إلى المدينة و هومأمور بالمسير وهلا نفذ لوجهه و لم يرجع و إن بلغه موت رسول الله ص . قلت لعل أسامة أذن له فهو مأمور بطاعته ولأنه رأى أسامة و قدعاد باللواء فعاد هولأنه لم يكن يمكنه أن يسير إلى الروم وحده وأيضا فإن أصحابنا قالوا إن ولاية أسامة بطلت بموت النبى ص وعاد الأمر إلى رأى من ينصب للأمر قالوا لأن تصرف أسامة إنما كان من جهة النبى ص ثم زال تصرف النبى ص بموته فوجب أن يزول تصرف أسامة لأن تصرفه تبع لتصرف الرسول ص قالوا و ذلك كالوكيل تبطل وكالته بموت الموكل قالوا ويفارق الوصى لأن ولايته لا ـتثبت إلا بعدموت الموصى فهو كعهد الإمام إلى غيره لايثبت إلا بعدموت الإمام ثم فرع أصحابنا على هذاالأصل مسألة وهى الحاكم هل ينعزل بموت الإمام أم لا قال قوم من أصحابنا لاينعزل وبنوه على أن التولى من غيرجهة الإمام يجوز فجعلوا الحاكم نائبا عن المسلمين أجمعين لا عن الإمام [صفحه ١٩١] و إن وقف

تصرفه على اختياره وصار ذلک عندهم بمنزلة أن يختار المسلمون واحدا يحكم بينهم ثم يموت من رضى بذلک فإن تصرفه يبقى على ما كان عليه و قال قوم من أصحابنا ينعزل و إن هذاالنوع من التصرف لايستفاد إلا من جهة الإمام و لايقوم به غيره و إذاثبت أن أسامة قدبطلت ولايته لم تبق تبعة على أبى بكر فى الرجوع من بعض الطريق إلى المدينة. وخامسها أن أمير المؤمنين ولى أبا موسى الحكم وولى رسول الله ص خالد بن الوليد السرية إلى الغميصاء و هذاالكلام إنما ذكره قاضى القضاة تتمة لقوله إن أمره ع بنفوذ بعث أسامة كان مشروطا بالمصلحة قال كما أن توليته ع أبا موسى كانت مشروطة باتباع القرآن و كما أن تولية رسول الله ص خالد بن الوليد كانت مشروطة بأن يعمل بما أوصاه به فخالفا و لم يعملا الحق فإذاكانت هذه الأوامر مشروطة فكذلک أمره جيش أسامة بالنفوذ كان مشروطا بالمصلحة وألا يعرض مايقتضى رجوع الجيش أوبعضه إلى المدينة و قدسبق القول فى كون الأمر مشروطا. وسادسها أن أبابكر كان محتاجا إلى مقام عمر عنده ليعاضده ويقوم فى تمهيد أمر الإمامة ما لايقوم به غيره فكان ذلک أصلح فى باب الدين من مسيره مع الجيش فجاز أن يحبسه عنده لذلک و هذاالوجه مختص بمن قال إن أبابكر لم يكن فى الجيش وإيضاح عذره فى حبس عمر عن النفوذ مع الجيش . [صفحه ١٩٢] فأما قول المرتضى فإن ذلک غيرجائز لأن مخالفة النص حرام فقد قلنا إن هذامبنى على مسألة تخصيص العمومات الواردة فى القرآن بالقياس . و أما قوله أى حاجة كانت لأبى بكر إلى عمر بعدوقوع البيعة و لم يكن هناک تنازع و لااختلاف فعجيب وهل كان لو لامقام عمر وحضوره فى تلک المقامات يتم لأبى بكر أمر أوينتظم له حال و لو لاعمر لمابايع على و لاالزبير و لاأكثر الأنصار والأمر فى هذاأظهر من كل ظاهر. وسابعها أن من يصلح للإمامة ممن ضمه جيش أسامة يجب تأخرهم ليختار للإمامة أحدهم فإن ذلک أهم من نفوذهم فإذاجاز لهذه العلة التأخر قبل العقد جاز التأخر بعده للمعاضدة وغيرها.فأما قول المرتضى إن ذلک الجيش لم يضم من يصلح للإمامة فبناء على مذهبه فى أن كل من ليس بمعصوم لايصلح للإمامة فأما قوله و لوصح ذلک لم يكن عذرا فى التأخر لأن من خرج فى الجيش يمكن أن يختار و لو كان بعيدا و لايمكن بعده من صحة الاختيار فلقائل أن يقول دار الهجرة هى التى فيها أهل الحل والعقد وأقارب رسول الله ص والقراء وأصحاب السقيفة فلايجوز العدول عن الاجتماع والمشاورة فيها إلى الاختيار على البعد و على جناح السفر من غيرمشاركة من ذكرنا من أعيان المسلمين .فأما قوله و لوصح هذاالعقد لكان عذرا فى التأخر قبل العقد فأما بعدإبرامه فلاعذر فيه فلقائل أن يقول إذاأجزت التأخر قبل العقد لنوع من المصلحة فأجز التأخر بعدالعقد لنوع آخر من المصلحة و هوالمعاضدة والمساعدة. [صفحه ١٩٣] هذه الوجوه السبعة كلها لبيان قوله تأخر أبى بكر أوعمر عن النفوذ فى جيش أسامة و إن كان مأمورا بالنفوذ. ثم نعود إلى تمام أقسام الفصل ومنها قول قاضى القضاة لامعنى لقول من قال إن رسول الله ص قصد إبعادهم عن المدينة لأن بعدهم عنها لايمنعهم من أن يختاروا واحدا منهم للإمامة ولأنه ع لم يكن قاطعا على موته لامحالة لأنه لم يرد نفذوا جيش أسامة فى حياته . و قداعترض المرتضى هذا فقال إنه لم يتبين معنى الطعن لأن الطاعن لا يقول إنهم أبعدوا عن المدينة كى لايختاروا واحدا للإمامة بل يقول إنما أبعدوا لينتصب بعدموته ص فى المدينة الشخص ألذى نص عليه و لا يكون حاضرا بالمدينة من يخالفه وينازعه و ليس يضرنا ألا يكون ص قاطعا على موته لأنه و إن لم يكن قاطعا فهو لامحالة يشفق ويخاف من الموت و على الخائف أن يتحرز مما يخاف منه وكلام المرتضى فى هذاالموضع أظهر من كلام قاضى القضاة. ومنها قول قاضى القضاة إن ولاية أسامة عليهما لاتقتضى كونهما دونه فى الفضل كما أن عمرو بن العاص لماولى عليهما لم يقتض كونه أفضل منهما و قداعترض المرتضى هذابأنه يقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما هوأفضل منه و إن تقديم عمرو بن العاص عليهما فى الإمرة يقتضى أن يكون أفضل منهما فيما يرجع إلى الإمرة والسياسة و لايقتضى أفضليته عليهما فى غير ذلک وكذلک القول فى أسامة. [صفحه ١٩٤] ولقائل أن يقول إن الملوک قديؤمرون الأمراء على الجيوش لوجهين أحدهما أن يقصد الملک بتأمير ذلک الشخص أن يسوس الجيش ويدبره بفضل رأيه وشيخوخته وقديم

تجربته و ماعرف من يمن نقيبته فى الحرب وقود العساكر والثانى أن يؤمر على الجيش غلاما حدثا من غلمانه أو من ولده أو من أهله ويأمر الأكابر من الجيش أن يثقفوه ويعلموه ويأمره أن يتدبر بتدبيرهم ويرجع إلى رأيهم و يكون قصد الملك من ذلك تخريج ذلک الغلام وتمرينه على الإمارة و أن يثبت له فى نفوس الناس منزلة و أن يرشحه لجلائل الأمور ومعاظم الشئون ففى الوجه الأول يقبح تقديم المفضول على الفاضل و فى الوجه الثانى لايقبح فلم لايجوز أن يكون تأمير أسامة عليهما من قبيل الوجه الثانى والحال يشهد لذلک لأن أسامة كان غلاما لم يبلغ ثمانى عشرة سنة حين قبض النبى ص فمن أين حصل له من تجربة الحرب وممارسة الوقائع وقود الجيش ما يكون به أعرف بالإمرة من أبى بكر وعمر و أبى عبيدة وسعد بن أبى وقاص وغيرهم . ومنها قول قاضى القضاة إن السبب فى كون عمر فى الجيش أنه أنكر على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة تسخطه إمرة أسامة و قال أناأخرج فى جيش أسامة فخرج من تلقاء نفسه تعظيما لأمر رسول الله ص و قداعترضه المرتضى فقال هذا شىء لم نسمعه من راو و لاقرأناه فى كتاب وصدق المرتضى فيما قال فإن هذاحديث غريب لايعرف . و أماقول عمر دعنى أضرب عنقه فقد نافق فمنقول مشهور لامحالة وإنما الغريب ألذى لم يعرف كون عمر خرج من تلقاء نفسه فى الجيش مراغمة لعبد الله بن عياش بن أبى ربيعة حيث أنكر ماأنكر ولعل قاضى القضاة سمعه من راو أونقله من كتاب إلا أنانحن ماوقفنا على ذلک [صفحه ١٩٥]

الطعن الخامس

قالوا إنه ص لم يول أبابكر الأعمال وولى غيره و لماولاه الحج بالناس وقراءة سورة براءة على الناس عزله عن ذلک كله وجعل الأمر إلى أمير المؤمنين ع و قال لايؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى -روايت-١-٢-روايت-٨-٤٢ حتى يرجع أبوبكر إلى النبى ص .أجاب قاضى القضاة فقال لوسلمنا أنه لم يوله لمادل ذلک على نقص و لا على أنه لم يصلح للإمارة والإمامة بل لوقيل إنه لم يوله لحاجته إليه بحضرته و إن ذلک رفعة له لكان أقرب لاسيما و قدروى عنه مايدل على أنهما وزيراه و أنه كان ص محتاجا إليهما و إلى رأيهما فلذلک لم يولهما و لو كان للعمل على تركه فضل لكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما أفضل من أكابر الصحابة لأنه ع ولاهما وقدمهما و قدقدمنا أن توليته هى بحسب الصلاح و قديولى المفضول على الفاضل تارة والفاضل أخرى وربما ولى الواحد لاستغنائه عنه بحضرته وربما ولاه لاتصال بينه و بين من يولى عليه إلى غير ذلک ثم ادعى أنه ولى أبابكر على الموسم والحج قدثبتت بلا خلاف بين أهل الأخبار و لم يصح أنه عزله و لايدل رجوع أبى بكر إلى النبى ص مستفهما عن القصة على العزل ثم جعل إنكار من أنكر حج أبى بكر فى تلک السنة بالناس كإنكار عباد وطبقته أخذ أمير المؤمنين ع سورة براءة من أبى بكر وحكى عن أبى على أن المعنى كان فى أخذ السورة من أبى بكر أن من عادة العرب أن سيدا من سادات قبائلهم إذاعقد عقد القوم فإن ذلک العقد لاينحل إلا أن يحله هو أوبعض سادات قومه فلما كان هذاعادتهم وأراد النبى ص أن ينبذ إليهم عقدهم وينقض ما كان بينه وبينهم علم [صفحه ١٩٦] أنه لاينحل ذلک إلا به أوبسيد من سادات رهطه فعدل عن أبى بكر إلى أمير المؤمنين المقرب فى النسب ثم ادعى أنه ص ولى أبابكر فى مرضه الصلاة و ذلک أشرف الولايات و قال فى ذلک يأبى الله ورسوله والمسلمون إلا أبابكر. ثم اعترض نفسه بصلاته ع خلف عبدالرحمن بن عوف وأجاب بأنه ص إنما صلى خلفه لا أنه ولاه الصلاة وقدمه فيها قال وإنما قدم عبدالرحمن عندغيبة النبى ص فصلى بغير أمره و قدضاق الوقت فجاء النبى ص فصلى خلفه .اعترض المرتضى فقال قدبينا أن تركه ص الولاية لبعض أصحابه مع حضوره وإمكان ولايته والعدول عنه إلى غيره مع تطاول الزمان وامتداده لابد من أن تقتضى غلبة الظن بأنه لايصلح للولاية فأما ادعاؤه أنه لم يوله لافتقاره إليه بحضرته وحاجته إلى تدبيره ورأيه فقد بينا أنه ع ما كان يفتقر إلى رأى أحد لكماله ورجحانه على كل أحد وإنما

كان يشاور أصحابه على سبيل التعليم لهم والتأديب أولغير ذلك مما قدذكر و بعدفكيف استمرت هذه الحاجة واتصلت منه إليهما حتى لم يستغن فى زمان من الأزمان عن حضورهما فيوليهما وهل هذا إلاقدح فى رأى رسول الله ص ونسبته إلى أنه كان ممن يحتاج إلى أن يلقن ويوقف على كل شىء و قدنزهه الله تعالى عن ذلك فأما ادعاؤه أن الرواية قدوردت بأنهما وزيراه فقد كان يجب أن يصحح ذلك قبل أن يعتمده ويحتج به فإنا ندفعه عنه أشد دفع فأما ولاية عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فقد تكلمنا عليها من قبل وبينا أن ولايتهما تدل على صلاحهما لماولياه و لاتدل على صلاحهما للإمامة لأن شرائط الإمامة لم تتكامل فيهما وبينا أيضا لأن ولاية المفضول على الفاضل لاتجوز فأما تعظيمه [صفحه ١٩٧] وإكباره قول من يذهب إلى أن أبابكر عزل عن أداء السورة والموسم جميعا وجمعه بين ذلك فى البعد و بين إنكار عباد أن يكون أمير المؤمنين ع ارتجع سورة براءة من أبى بكر فأول ما فيه أنا لانتكر أن يكون أكثر الأخبار واردة بأن أبابكر حج بالناس فى تلك السنة إلا أنه قدروى قوم من أصحابنا خلاف ذلك و أن أمير المؤمنين ع كان أميرالموسم فى تلك السنة و أن عزل الرجل كان عن الأمرين معا واستكبار ذلك و فيه خلاف لامعنى له فأما ماحكاه عن عباد فإنا لانعرفه و مانظن أحدا يذهب إلى مثله و ليس يمكنه بإزاء ذلك جحد مذهب أصحابنا ألذى حكيناه و ليس عباد لوصحت الرواية عنه بإزاء من ذكرناه فهو ملىء بالجهالات ودفع الضرورات و بعدفلو سلمنا أن ولاية الموسم لم تفسخ لكان الكلام باقيا لأنه إذا كان ماولى مع تطاول الزمان إلا هذه الولاية ثم سلب شطرها والأفخم الأعظم منها فليس ذلك إلاتنبيها على ماذكرناه .فأما ماحكاه عن أبى على من أن عادة العرب ألا يحل ماعقده الرئيس منهم إلا هو أوالمتقدم من رهطه فمعاذ الله أن يجرى النبى ص سنته وأحكامه على عادات الجاهلية و قد بين ع لمارجع إليه أبوبكر يسأله عن أخذ السورة منه الحال فقال إنه أوحى إلى ألا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى -روايت-١-٢-روايت-٩-٦٠ و لم يذكر ماادعاه أبو على على أن هذه العادة قد كان يعرفها النبى ص قبل بعثه أبابكر بسورة براءة فما باله لم يعتمدها فى الابتداء ويبعث من يجوز أن يحل عقده من قومه .فأما ادعاؤه ولاية أبى بكر الصلاة فقد ذكرنا فيما تقدم أنه لم يوله إياها فأما فصله بين صلاته خلف عبدالرحمن و بين صلاة أبى بكر بالناس فليس بشىء لأنا إذاكنا قددللنا على أن الرسول ص ماقدم أبابكر إلى الصلاة فقد [صفحه ١٩٨] استوى الأمران و بعدفأى فرق بين أن يصلى خلفه و بين أن يوليه ويقدمه ونحن نعلم أن صلاته خلفه إقرار لولايته ورضا بهافقد عاد الأمر إلى أن عبدالرحمن كأنه قدصلى بأمره وإذنه على أن قصة عبدالرحمن أوكد لأنه قداعترف بأن الرسول صلى خلفه و لم يصل خلف أبى بكر و إن ذهب كثير من الناس إلى أنه قدمه وأمر بالصلاة قبل خروجه إلى المسجد وتحامله .

ثم سأل المرتضى رحمه الله نفسه فقال إن قيل ليس يخلو النبى ص من أن يكون سلم فى الابتداء سورة براءة إلى أبى بكر بأمر الله أوباجتهاده ورأيه فإن كان بأمر الله تعالى فكيف يجوز أن يرتجع منه السورة قبل وقت الأداء وعندكم أنه لايجوز نسخ الشىء قبل تقضى وقت فعله و إن كان باجتهاده ص فعندكم أنه لايجوز أن يجتهد فيما يجرى هذاالمجرى . وأجاب فقال إنه ماسلم السورة إلى أبى بكر إلاباإذنه تعالى إلا أنه لم يأمره بأدائها و لاكلفه قراءتها على أهل الموسم لأن أحدا لم يمكنه أن ينقل ع فى ذلك لفظ الأمر والتكليف فكأنه سلم سورة براءة إليه لتقرأ على أهل الموسم و لم يصرح بذكر القارئ المبلغ لها فى الحال و لونقل عنه تصريح لجاز أن يكون مشروطا بشرط لم يظهر. فإن قيل فأى فائدة فى دفع السورة إلى أبى بكر و هو لايريد أن يؤديها ثم ارتجاعها منه وهلا دفعت فى الابتداء إلى أمير المؤمنين ع .قيل الفائدة فى ذلك ظهور فضل أمير المؤمنين ع ومرتبته و أن الرجل ألذى نزعت السورة عنه لايصلح لمايصلح له و هذاغرض قوى فى وقوع الأمر على ماوقع عليه [صفحه ١٩٩] قلت قدذكرنا فيما تقدم القول فى تولية الملك بعض أصحابه وترك تولية بعضهم وكيفية الحال فى ذلك على أنه قدروى أصحاب المغازى أنه أمر أبابكر فى شعبان من سنة سبع على سرية بعثها إلى نجد فلقوا جمعا من هوازن فبيتوهم فروى إياس بن سلمة عن أبيه قال كنت فى ذلك البعث فقتلت بيدى سبعة منهم و كان شعارنا أمت أمت وقتل من أصحاب النبى ص قوم وجرح أبوبكر

وارتث وعاد إلى المدينة على أن أمراء السرايا الذين كان يبعثهم ص كانوا قوما مشهورين بالشجاعة ولقاء الحروب كمحمد بن مسلمة و أبى دجانة وزيد بن حارثة ونحوهم و لم يكن أبوبكر مشهورا بالشجاعة ولقاء الحروب و لم يكن جبانا و لاخوارا وإنما كان رجلا مجتمع القلب عاقلا ذا رأى وحسن تدبير و كان رسول الله ص يترك بعثه فى السرايا لأن غيره أنفع منه فيها و لايدل ذلك على أنه لايصلح للإمامة و أن الإمامة لاتحتاج أن يكون صاحبها من المشهورين بالشجاعة وإنما يحتاج إلى ثبات القلب و إلا يكون هلعا طائر الجنان وكيف يقول المرتضى إنه ص لم يكن محتاجا إلى رأى أحد و قدنقل الناس كلهم رجوعه من رأى إلى رأى عندالمشورة نحو ماجرى يوم بدر من تغير المنزل لماأشار عليه الحباب بن المنذر ونحو ماجرى يوم الخندق من فسخ رأيه فى دفع ثلث تمر المدينة إلى عيينة بن حصن ليرجع بالأحزاب عنهم لأجل مارآه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة من الحرب والعدول عن الصلح ونحو ماجرى فى تلقيح النخل بالمدينة و غير ذلك فأما ولاية أبى بكر الموسم فأكثر الأخبار على ذلك و لم يرو عزله عن الموسم إلاقوم من الشيعة. [صفحه ٢٠٠] و أما ماأنكره المرتضى من حال عباد بن سليمان ودفعه أن يكون على أخذ براءة من أبى بكر واستغرابه ذلك عجب فإن قول عباد قدذهب إليه كثير من الناس ورووا أن رسول الله ص لم يدفع براءة إلى أبى بكر و أنه بعد أن نفذ أبوبكر بالحجيج أتبعه عليا ومعه تسع آيات من براءة و قدأمره أن يقرأها على الناس ويؤذنهم بنقض العهد وقطع الدنية فانصرف أبوبكر إلى رسول الله ص فأعاده على الحجيج و قال له أنت الأمير و على المبلغ فإنه لايبلغ عنى إلا أنا أو رجل منى و لم ينكر عباد أمر براءة بالكلية وإنما أنكر أن يكون النبى ص دفعها إلى أبى بكر ثم انتزعها منه وطائفة عظيمة من المحدثين يروون ماذكرناه و إن كان الأكثر الأظهر أنه دفعها إليه ثم أتبعه بعلى ع فانتزعها منه والمقصود أن المرتضى قدتعجب مما لايتعجب من مثله فظن أن عبادا أنكر حديث براءة بالكلية و قدوقفت أنا على ماذكره عباد فى هذه القضية فى كتابه المعروف بكتاب الأبواب و هوالكتاب ألذى نقضه شيخنا أبوهاشم فأما عذر شيخنا أبى على و قوله إن عادة العرب ذلك واعتراض المرتضى عليه فالذى قاله المرتضى أصح وأظهر و مانسب إلى عادة العرب غيرمعروف وإنما هوتأويل تأول به متعصبو أبى بكر لانتزاع براءة منه و ليس بشىء ولست أقول ماقاله المرتضى من أن غرض رسول الله ص إظهار أن أبابكر لايصلح للأداء عنه بل أقول فعل ذلك لمصلحة رآها ولعل السبب فى ذلك أن عليا ع من بنى عبدمناف وهم جمرة قريش بمكة و على أيضا شجاع لايقام له و قدحصل فى صدور قريش منه الهيبة الشديدة والمخافة العظيمة فإذاحصل مثل هذاالشجاع البطل وحوله من بنى عمه وهم أهل العزة والقوة والحمية [صفحه ٢٠١] كان أدعى إلى نجاته من قريش وسلامة نفسه وبلوغ الغرض من نبذ العهد على يده أ لاترى أن رسول الله ص فى عمرة الحديبية بعث عثمان بن عفان إلى مكة يطلب منهم الإذن له فى الدخول وإنما بعثه لأنه من بنى عبدمناف و لم يكن بنو عبدمناف وخصوصا بنى عبدشمس ليمكنوا من قتله ولذلك حمله بنو سعيد بن العاص على بعير يوم دخل مكة وأحدقوا به مستلئمين بالسلاح وقالوا له أقبل وأدبر و لاتخف أحدا بنو سعيد أعزة الحرم و أماالقول فى تولية رسول الله ص أبابكر الصلاة فقد تقدم و مارامه قاضى القضاة من الفرق بين صلاة أبى بكر بالناس وصلاة عبدالرحمن بهم مع كون رسول الله ص صلى خلفه ضعيف وكلام المرتضى أقوى منه فأما السؤال ألذى سأله المرتضى من نفسه فقوى والجواب الصحيح أن بعث براءة مع أبى بكر كان باجتهاد من الرسول ص و لم يكن عن وحى و لا من جملة الشرائع التى تتلقى عن جبرائيل ع فلم يقبح نسخ ذلك قبل تقضى وقت فعله وجواب المرتضى ليس بقوى لأنه من البعيد أن يسلم سورة براءة إلى أبى بكر و لايقال له ماذا تصنع بهابل يقال خذ هذه معك لا غير والقول بأن الكلام مشروط بشرط لم يظهر خلاف الظاهر وفتح هذاالباب يفسد كثيرا من القواعد.

الطعن السادس

أن أبابكر لم يكن يعرف الفقه وأحكام الشريعة فقد قال فى الكلالة أقول [صفحه ۲۰۲] فيهابرأيى فإن يكن صوابا فمن الله و إن يكن خطأ فمنى و لم يعرف ميراث الجد و من حاله هذه لايصلح للإمامة.أجاب قاضى القضاة بأن الإمام لايجب أن يعلم جميع الأحكام و أن القدر ألذى يحتاج إليه هوالقدر ألذى يحتاج إليه الحاكم و أن القول بالرأى هوالواجب فيما لانص فيه و قد قال أمير المؤمنين ع بالرأى فى مسائل كثيرة.اعترض المرتضى فقال قددللنا على أن الإمام لابد أن يكون عالما بجميع الشرعيات وفرقنا بينه و بين الحاكم ودللنا على فساد الرأى والاجتهاد و أما أمير المؤمنين ع فلم يقل قط بالرأى و مايروى من خبر بيع أمهات الأولاد غيرصحيح و لوصح لجاز أن يكون أراد بالرأى الرجوع إلى النصوص والأدلة و لاشبهة عندنا أن قوله كان واحدا فى الحالين و إن ظهر فى أحدهما خلاف مذهبه للتقية. قلت هذاالطعن مبنى على أمرين أحدهما هل من شرط الإمامة أن يعلم الإمام كل الأحكام الشرعية أم لا و هذامذكور فى كتبنا الكلامية والثانى هوالقول فى الاجتهاد والرأى حق أم لا و هذامذكور فى كتبنا الأصولية.

الطعن السابع

قصة خالد بن الوليد وقتله مالك بن نويرة ومضاجعته امرأته من ليلته و أن أبابكر [صفحه ۲۰۳] ترك إقامة الحد عليه وزعم أنه سيف من سيوف الله سله الله على أعدائه مع أن الله تعالى قدأوجب القود وحد الزناء عموما و أن عمر نبهه و قال له اقتله فإنه قتل مسلما.أجاب قاضى القضاة فقال إن شيخنا أبا على قال إن الردة ظهرت من مالك بن نويرة لأنه جاء فى الأخبار أنه رد صدقات قومه عليهم لمابلغه موت رسول الله ص كمافعله سائر أهل الردة فاستحق القتل فإن قال قائل فقد كان يصلى قيل له وكذلك سائر أهل الردة وإنما كفروا بالامتناع من الزكاة واعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره فإن قيل فلم أنكر عمر قيل كان الأمر إلى أبى بكر فلاوجه لإنكار عمر و قديجوز أن يعلم أبوبكر من الحال مايخفى على عمر فإن قيل فما معنى ماروى عن أبى بكر من أن خالدا تأول فأخطأ قيل أراد عجلته عليه بالقتل و قد كان الواجب عنده على خالد أن يتوقف للشبهة واستدل أبو على على ردته بأن أخاه متمم بن نويرة لماأنشد عمر مرثيته أخاه قال له وددت أنى أقول الشعر فأرثى أخى زيدا بمثل مارثيت به أخاك فقال متمم لوقتل أخى على مثل ماقتل عليه أخوك مارثيته فقال عمر ماعزانى أحد بمثل تعزيتك فدل هذا على أن مالكا لم يقتل على الإسلام كماقتل زيد. وأجاب عن تزويج خالد بامرأته بأنه إذاقتل على الردة فى دار الكفر جاز تزويج امرأته عندكثير من أهل العلم و إن كان لايجوز أن يطأها إلا بعدالاستبراء. وحكى عن أبى على أنه إنما قتله لأنه ذكر رسول الله ص فقال صاحبك وأوهم بذلك أنه ليس بصاحب له و كان عنده أن ذلك رده وعلم عندالمشاهدة [صفحه ۲۰۴] المقصد و هو أميرالقوم فجاز أن يقتله و إن كان الأولى ألا يستعجل و أن يكشف الأمر فى ردته حتى يتضح فلهذا لم يقتله أبوبكر به فأما وطؤه لامرأته فلم يثبت فلايصح أن يجعل طعنا فيه اعترض المرتضى فقال أمامنع خالد فى قتل مالك بن نويرة واستباحة امرأته وأمواله لنسبته إياه إلى ردة لم تظهر منه بل كان الظاهر خلافها من الإسلام فعظيم ويجرى مجراه فى العظم تغافل من تغافل عن أمره و لم يقم فيه حكم الله تعالى وأقره على الخطإ ألذى شهد هو به على نفسه ويجرى مجراهما من أمكنه أن يعلم الحال فأهملها و لم يتصفح ماروى من الأخبار فى هذاالباب وتعصب لأسلافه ومذهبه وكيف يجوز عندخصومنا على مالك وأصحابه جحد الزكاة مع المقام على الصلاة وهما جميعا فى قرن لأن العلم الضرورى بأنهما من دينه ع وشريعته على حد واحد وهل نسبة مالك إلى الردة مع ماذكرناه إلاقدح فى الأصول ونقض لماتضمنته من أن الزكاة معلومة ضرورة من دينه ع وأعجب من كل عجيب قوله وكذلك سائر أهل الردة يعنى أنهم كانوا يصلون ويجحدون الزكاة لأنا قدبينا أن ذلك مستحيل غيرممكن وكيف يصح ذلك و قدروى جميع أهل النقل أن أبابكر لماوصى الجيش الذين أنفذهم بأن يؤذنوا ويقيموا فإن أذن القوم كأذانهم وإقامتهم كفوا عنهم و إن

لم يفعلوا أغاروا عليهم فجعل أمارة الإسلام والبراءة من الردة الأذان والإقامة وكيف يطلق فى سائر أهل الردة ماأطلقه من أنهم كانوا يصلون و قدعلمنا أن أصحاب مسيلمة وطليحة وغيرهما ممن كان ادعى النبوة وخلع الشريعة ماكانوا يرون الصلاة و لاشيئا مما جاءت به شريعتنا وقصة مالك معروفة عند من تأمل كتب السير والنقل لأنه كان على صدقات قومه بنى [صفحه ۲۰۵] يربوع واليا من قبل رسول الله ص و لمابلغته وفاة رسول الله ص أمسك عن أخذ الصدقة من قومه و قال لهم تربصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبى ص وننظر ما يكون من أمره و قدصرح بذلك فى شعره حيث يقول و قال رجال سدد اليوم مالك || و قال رجال مالك لم يسدد فقلت دعونى لا- أبالأبيكم || فلم أخط رأيا فى المقام و لاالندى و قلت خذوا أموالكم غيرخائف || و لاناظر فيما يجيء به غدى فدونكموها إنما هى مالكم || مصورة أخلاقها لم تجدد سأجعل نفسى دون ماتحذرونه || وأرهنكم يوما بما قلته يدى فإن قام بالأمر المجدد قائم || أطعنا وقلنا الدين دين محمد .فصرح كماترى أنه استبقى الصدقة فى أيدى قومه رفقا بهم وتقربا إليهم إلى أن يقوم بالأمر من يدفع ذلك إليه و قدروى جماعة من أهل السير وذكره الطبرى فى تاريخه أن مالكا نهى قومه عن الاجتماع على منع الصدقات وفرقهم و قال يابنى يربوع إنا كنا قدعصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذاالدين وبطأنا الناس عنه فلم نفلح و لم ننجح وأنى قدنظرت فى هذاالأمر فوجدت الأمر يتأتى لهؤلاء القوم بغير سياسة و إذاأمر لايسوسه الناس فإياكم ومعاداة قوم يصنع لهم فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم ورجع مالك إلى منزله فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام و أن يأتوه بكل من لم يجب وأمرهم إن امتنع أن يقاتلوه فجاءته الخيل بمالك بن نويرة فى نفر من بنى يربوع واختلف السرية فى أمرهم و فى السرية أبوقتادة الحارث بن ربعى فكان ممن شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا فلما اختلفوا فيهم [صفحه ۲۰۶] أمر بهم خالد فحبسوا وكانت ليلة باردة لايقوم لها شيءفأمر خالد مناديا ينادى أدفئوا أسراءكم فظنوا أنهم أمروا بقتلهم لأن هذه اللفظة تستعمل فى لغة كنانة للقتل فقتل ضرار بن الأزور مالكا وتزوج خالد زوجته أم تميم بنت المنهال . و فى خبر آخر أن السرية التى بعث بهاخالد لماغشيت القوم تحت الليل راعوهم فأخذ القوم السلاح قال فقلنا إنا المسلمون فقالوا ونحن المسلمون قلنا فما بال السلاح معكم قلنا فضعوا السلاح فلما وضعوا السلاح ربطوا أسارى فأتوا بهم خالدا فحدث أبوقتادة خالد بن الوليد أن القوم نادوا بالإسلام و أن لهم أمانا فلم يلتفت خالد إلى قولهم وأمر بقتلهم وقسم سبيهم وحلف أبوقتادة ألا يسير تحت لواء خالد فى جيش أبدا وركب فرسه شاذا إلى أبى بكر فأخبره الخبر و قال له إنى نهيت خالدا عن قتله فلم يقبل قولى وأخذ بشهادة الأعراب الذين غرضهم الغنائم و أن عمر لماسمع ذلك تكلم فيه عند أبى بكر فأكثر و قال إن القصاص قدوجب عليه و لماأقبل خالد بن الوليد قافلا دخل المسجد و عليه قباء له عليه صدأ الحديد معتجرا بعمامة له قدغرز فى عمامته أسهما فلما دخل المسجد قام إليه عمر فنزع الأسهم عن رأسه فحطمها ثم قال له ياعدو نفسه أعدوت على امرئ مسلم فقتلته ثم نزوت على امرأته و الله لنرجمنك بأحجارك وخالد لايكلمه و لايظن إلا أن رأى أبى بكر مثل رأيه حتى دخل إلى أبى بكر واعتذر إليه بعذره وتجاوز عنه فخرج خالد وعمر جالس فى المسجد فقال هلم إلى يا ابن أم شملة فعرف عمر أن أبابكر قدرضى عنه فلم يكلمه ودخل بيته . و قدروى أيضا أن عمر لماولى جمع من عشيرة مالك بن نويرة من وجد منهم [صفحه ۲۰۷] واسترجع ماوجد عندالمسلمين من أموالهم وأولادهم ونسائهم فرد ذلك عليهم جميعا مع نصيبه كان منهم وقيل إنه ارتجع بعض نسائهم من نواحى دمشق وبعضهن حوامل فردهن على أزواجهن فالأمر ظاهر فى خطإ خالد وخطإ من تجاوز عنه وقول صاحب الكتاب إنه يجوز أن يخفى عن عمر مايظهر لأبى بكر ليس بشيء لأن الأمر فى قصة خالد لم يكن مشتبها بل كان مشاهدا معلوما لكل من حضره و ماتأول به فى القتل لايعذر لأجله و مارأينا أبابكر حكم فيه بحكم المتأول و لاغيره و لاتلافى خطأه وزلله وكونه سيفا من سيوف الله على ماادعاه لايسقط عنه الأحكام ويبرئه من الآثام و أماقول متمم لوقتل أخى على ماقتل عليه أخوك لمارثيته لايدل على أنه كان مرتدا فكيف يظن عاقل أن متمما يعترف بردة أخيه و هويطالب أبابكر بدمه والاقتصاص من قاتليه ورد سبيه و أنه أراد فى

الجملة التقرب إلى عمر بتقريظ أخيه ثم لو كان ظاهر هذاالقول كباطنه لكان إنما يقصد تفضيل قتلة زيد على قتلة مالك والحال فى ذلك أظهر لأن زيدا قتل فى بعث المسلمين ذابا عن وجوههم ومالك قتل على شبهة و بين الأمرين فرق . و أما قوله فى النبى ص صاحبك فقد قال أهل العلم إنه أراد القرشية لأن خالدا قرشى و بعدفليس فى ظاهر إضافته إليه دلالة على نفيه له عن نفسه و لو كان علم من مقصده الاستخفاف والإهانة على ماادعاه صاحب الكتاب لوجب أن يعتذر خالد بذلك عند أبى بكر وعمر ويعتذر به أبوبكر لماطالبه عمر بقتله فإن عمر ما كان يمنع من قتل قادح فى نبوة النبى ص و إن كان الأمر على ذلك فأى معنى لقول أبى بكر تأول فأخطأ وإنما تأول فأصاب إن كان الأمر على ماذكر [صفحه ۲۰۸] قلت أماتعجب المرتضى من كون قوم منعوا الزكاة وأقاموا على الصلاة ودعواه أن هذا غيرممكن و لاصحيح فالعجب منه كيف ينكر وقوع ذلك وكيف ينكر إمكانه أماالإمكان فلأنه لاملازمة بين العبادتين إلا من كونهما مقترنتين فى بعض المواضع فى القرآن و ذلك لايوجب تلازمهما فى الوجود أو من قوله إن الناس يعلمون كون الزكاة واجبة فى دين الإسلام ضرورة كماتعلمون كون الصلاة فى دين الإسلام ضرورة و هذا لايمنع اعتقادهم سقوط وجوب الزكاة لشبهة دخلت عليهم فإنهم قالوا إن الله تعالى قال لرسوله خُذ مِن أَموالِهِم صَدَقَةً تُطَهّرُهُم وَ تُزَكّيهِم بِها وَ صَلّ عَلَيهِم إِنّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمقالوا فوصف الصدقة المفروضة بأنها صدقة من شأنها أن يطهر رسول الله ص الناس ويزكيهم بأخذها منهم ثم عقب ذلك بأن فرض عليه مع أخذ الزكاة منهم أن يصلى عليهم صلاة تكون سكنا لهم قالوا و هذه الصفات لاتتحقق فى غيره لأن غيره لايطهر الناس ويزكيهم بأخذ الصدقة و لا إذاصلى على الناس كانت صلاته سكنا لهم فلم يجب علينا دفع الزكاة إلى غيره و هذه الشبهة لاتنافى كون الزكاة معلوما وجوبها ضرورة من دين محمدص لأنهم ماجحدوا وجوبها ولكنهم قالوا إنه وجوب مشروط و ليس يعلم بالضرورة انتفاء كونها مشروطة وإنما يعلم ذلك بنظر وتأويل فقد بان أن ماادعاه من الضرورة ليس بدال على أنه لايمكن أحد اعتقاد نفى وجوب الزكاة بعدموت الرسول و لوعرضت مثل هذه الشبهة فى صلاة لصح لذاهب أن يذهب إلى أنها قدسقطت عن الناس فأما الوقوع فهو المعلوم ضرورة بالتواتر كالعلم بأن أبابكر ولى الخلافة بعدالرسول ص ضرورة بطريق التواتر و من أراد الوقوف على ذلك فلينظر فى كتب التواريخ -قرآن-۵۰۶-۶۰۷ [صفحه ۲۰۹] فإنها تشتمل من ذلك على مايشفى ويكفى و قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ الكبير بإسناد ذكره أن أبابكر أقام بالمدينة بعدوفاة رسول الله ص وتوجيهه أسامة فى جيشه إلى حيث قتل أبوه زيد بن حارثة لم يحدث شيئا وجاءته وفود العرب مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الصدقة فلم يقبل منهم وردهم وأقام حتى قدم أسامة بعدأربعين يوما من شخوصه ويقال بعدسبعين يوما. وروى أبو جعفر قال امتنعت العرب قاطبة من أداء الزكاة بعد رسول الله ص إلاقريشا وثقيفا. وروى أبو جعفر عن السرى عن شعيب عن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال ارتدت العرب ومنعت الزكاة إلاقريشا وثقيفا فأما هوازن فقدمت رجلا وأخرت أخرى أمسكوا الصدقة. وروى أبو جعفر قال لمامنعت العرب الزكاة كان أبوبكر ينتظر قدوم أسامة بالجيش فلم يحارب أحدا قبل قدومه إلاعبسا وذبيان فإنه قاتلهم قبل رجوع أسامة. وروى أبو جعفر قال قدمت وفود من قبائل العرب المدينة فنزلوا على وجوه الناس بها ويحملونهم إلى أبى بكر أن يقيموا الصلاة وألا يؤتوا الزكاة فعزم الله لأبى بكر على الحق و قال لومنعونى عقال بعير لجاهدتهم عليه . وروى أبو جعفرشعرا للخطيل بن أوس أخى الحطيئة فى معنى منع الزكاة و أن [صفحه ۲۱۰] أبابكر رد سؤال العرب و لم يجبهم من جملته أطعنا رسول الله إذا كان بيننا || فيا لعباد الله مالأبى بكر أيورثها بكر إذامات بعده || وتلك لعمر الله قاصمة الظهر فهلا رددتم وفدنا بإجابة || وهلا حسبتم منه راعية البكر فإن ألذى سألوكم فمنعتم || لكالتمر أوأحلى لحلف بنى فهر . وروى أبو جعفر قال لماقدمت العرب المدينة على أبى بكر فكلموه فى إسقاط الزكاة نزلوا على وجوه الناس بالمدينة فلم يبق أحد إلا وأنزل عليه ناسا منهم إلاالعباس بن عبدالمطلب ثم اجتمع إلى أبى بكر المسلمون فخوفوه بأس العرب واجتماعها قال ضرار بن الأزور فما رأيت أحدا ليس رسول الله أملأ بحرب

شعواء من أبى بكر فجعلنا نخوفه ونروعه وكأنما إنما نخبره بما له لا ما عليه واجتمعت كلمة المسلمين على إجابة العرب إلى ماطلبت وأبى أبوبكر أن يفعل إلا ما كان يفعله رسول الله ص و أن يأخذ إلا ما كان يأخذ ثم أجلهم يوما وليلة ثم أمرهم بالانصراف وطاروا إلى عشائرهم . وروى أبو جعفر قال كان رسول الله ص بعث عمرو بن العاص إلى عمان قبل موته فمات و هوبعمان فأقبل قافلا إلى المدينة فوجد العرب قدمنعت الزكاة فنزل فى بنى عامر على قرة بن هبيرة وقرة يقدم رجلا ويؤخر أخرى و على ذلك بنو عامر كلهم إلاالخواص ثم قدم المدينة فأطافت به قريش فأخبرهم أن العساكر معسكرة حولهم فتفرق المسلمون وتحلقوا حلقا وأقبل عمر بن الخطاب فمر بحلقة [صفحه ٢١١] وهم يتحدثون فيما سمعوا من عمرو و فى تلك الحلقة على وعثمان وطلحة والزبير و عبدالرحمن بن عوف وسعد فلما دنا عمر منهم سكتوا فقال فى أى شىءأنتم فلم يخبروه فقال ماأعلمنى بالذى خلوتم عليه فغضب طلحة و قال الله يا ابن الخطاب إنك لتعلم الغيب فقال لايعلم الغيب إلا الله ولكن أظن قلتم ماأخوفنا على قريش من العرب وأخلقهم ألا يقروا بهذا الأمر قالوا صدقت فقال فلاتخافوا هذه المنزلة أنا و الله منكم على العرب أخوف منى عليكم من العرب . قال أبو جعفر وحدثنى السرى قال حدثناشعيب عن سيف عن هشام بن عروة عن أبيه قال نزل عمرو بن العاص بمنصرفه من عمان بعدوفاة رسول الله ص بقرة بن هبيرة بن سلمة بن يسير وحوله عساكر من أفنائهم فذبح له وأكرم منزلته فلما أراد الرحلة خلا به و قال يا هذا إن العرب لاتطيب لكم أنفسا بالإتاوة فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع وتطيع و إن أبيتم فإنها تجتمع عليكم فقال عمرو أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بهاموعدنا حفش أمك أما و الله لأوطئنه عليك الخيل وقدم على أبى بكر والمسلمين فأخبرهم . وروى أبو جعفر قال كان رسول الله ص قدفرق عماله فى بنى تميم على قبض الصدقات فجعل الزبرقان بن بدر على عوف والرباب وقيس بن عاصم على مقاعس والبطون وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بنى عمرو ومالك بن نويرة على بنى حنظلة فلما توفى رسول الله ص ضرب صفوان إلى أبى بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبى ص بصدقات بنى عمرو وبما ولى منها و ماولى سبرة وأقام سبرة فى قومه لحدث إن ناب وأطرق قيس بن عاصم ينظر ماالزبرقان صانع فكان له عدوا و قال و هوينتظره وينتظر مايصنع ويلى عليه ماأدرى ماأصنع إن أنا [صفحه ٢١٢] بايعت أبابكر وأتيته بصدقات قومى خلفنى فيهم فساءنى عندهم و إن رددتها عليهم فليأتين أبابكر فيسوءنى عنده ثم عزم قيس على قسمتها فى مقاعس والبطون ففعل وعزم الزبرقان على الوفاء فاتبع صفوان بصدقات عوف والرباب حتى قدم بهاالمدينة و قال شعرا يعرض فيه بقيس بن عاصم و من جملته وفيت بأذواد الرسول و قدأبت || سعاة فلم يردد بعيرا أميرها . فلما أرسل أبوبكر إلى قيس العلاء بن الحضرمى أخرج الصدقة فأتاه بها وقدم معه إلى المدينة. و فى تاريخ أبى جعفرالطبرى من هذاالكثير الواسع وكذلك فى تاريخ غيره من التواريخ و هذاأمر معلوم باضطرار لا يجوز لأحد أن يخالف فيه فأما قوله كيف يصح ذلك و قد قال لهم أبوبكر إذاأذنوا وأقاموا كإقامتكم فكفوا عنهم فجعل أمارة الإسلام والبراءة من الردة الأذان والإقامة فإنه قدأسقط بعض الخبر قال أبو جعفرالطبرى فى كتابه كانت وصيته لهم إذانزلتم فأذنوا وأقيموا فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم فإن لم يفعلوا فلا شىء إلاالغارة ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه و إن أجابوا داعية الإسلام فاسألوهم فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم و إن أبوا فلا شىء إلاالغارة و لاكلمة.فأما قوله وكيف يطلق قاضى القضاة فى سائر أهل الردة ماأطلقه من أنهم كانوا يصلون و من جملتهم أصحاب مسيلمة وطلحة فإنما أراد قاضى القضاة بأهل الردة هاهنا مانعى الزكاة لا غير و لم يرد من جحد الإسلام بالكلية.فأما قصة مالك بن نويرة وخالد بن الوليد فإنها مشتبهة عندى و لاغرو فقد اشتبهت على الصحابة و ذلك أن من حضرها من العرب اختلفوا فى حال القوم هل كان [صفحه ٢١٣] عليهم شعار الإسلام أو لا واختلف أبوبكر وعمر فى خالد مع شدة اتفاقهما فأما الشعر ألذى رواه المرتضى لمالك بن نويرة فهو معروف إلاالبيت الأخير فإنه غيرمعروف و عليه عمدة المرتضى فى هذاالمقام و ماذكره بعد من قصة القوم صحيح كله مطابق لما فى التواريخ إلاموضعات يسيرة.منها قوله إن مالكا نهى قومه عن الاجتماع على

منع الصدقات فإن ذلك غيرمنقول وإنما المنقول أنه نهى قومه عن الاجتماع فى موضع واحد وأمرهم أن يتفرقوا فى مياههم ذكر ذلك الطبرى و لم يذكر نهيه إياهم عن الاجتماع على منع الصدقة و قال الطبرى إن مالكا تردد فى أمره هل يحمل الصدقات أم لافجاءه خالد و هومتحير سبح . ومنها أن الطبرى ذكر أن ضرار بن الأزور قتل مالكا عن غيرأمر خالد و أن خالدا لماسمع الواعية خرج و قدفرغوا منهم فقال إذاأراد الله أمرا أصابه قال الطبرى وغضب أبوقتادة لذلك و قال لخالد هذاعملك وفارقه وأتى أبابكر فأخبره فغضب عليه أبوبكر حتى كلمه فيه عمر فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد فرجع إليه حتى قدم معه المدينة. ومنها أن الطبرى روى أن خالدا لماتزوج أم تميم بنت المنهال امرأة مالك لم يدخل بها وتركها حتى تقضى طهرها و لم يذكر المرتضى ذلك . ومنها أن الطبرى روى أن متمما لماقدم المدينة طلب إلى أبى بكر فى سبيهم فكتب له برد السبى والمرتضى ذكر أنه لم يرد إلا فى خلافة عمر.فأما قول المرتضى إن قول متمم لوقتل أخى على مثل ماقتل عليه أخوك لمارثيته [صفحه ٢١٤] لايدل على ردته فصحيح و لاريب أنه قصد تقريظ زيد بن الخطاب و أن يرضى عمر أخاه بذلك ونعما قال المرتضى إن بين القتلتين فرقا ظاهرا و إليه أشار متمم لامحالة.فأما قول مالك صاحبك يعنى النبى ص فقد روى هذه اللفظة الطبرى فى التاريخ قال كان خالد يعتذر عن قتله فيقول إنه قال له و هويراجعه ماإخال صاحبكم إلا قال كذا وكذا فقال له خالد أ و ماتعده لك صاحبا و هذه لعمرى كلمة جافية و إن كان لها مخرج فى التأويل إلا أنه مستكره وقرائن الأحوال يعرفها من شاهدها وسمعها فإذا كان خالد قد كان يعتذر بذلك فقد اندفع قول المرتضى هلا اعتذر بذلك ولست أنزه خالدا عن الخطإ وأعلم أنه كان جبارا فاتكا لايراقب الدين فيما يحمله عليه الغضب وهوى نفسه ولقد وقع منه فى حياة رسول الله ص مع بنى خذيمة بالغميصاء أعظم مما وقع منه فى حق مالك بن نويرة وعفا عنه رسول الله ص بعد أن غضب عليه مدة وأعرض عنه و ذلك العفو هو ألذى أطمعه حتى فعل ببنى يربوع مافعل بالبطاح .

الطعن الثامن

قولهم إن مما يؤثر فى حاله وحال عمر دفنهما مع رسول الله ص فى بيته و قدمنع الله تعالى الكل من ذلك فى حال حياته فكيف بعدالممات بقوله تعالى لا تَدخُلُوا بُيُوتَ النّبِيّ إِلّا أَن يُؤذَنَ لَكُم.أجاب قاضى القضاة بأن الموضع كان ملكا لعائشة وهى حجرتها التى كانت -قرآن-١٥٥-٢٠٧ [صفحه ٢١٥] معروفة بها والحجر كلها كانت أملاكا لأزواج النبى ص و قدنطق القرآن بذلك فى قوله وَ قَرنَ فِي بُيُوتِكُنّ وذكر أن عمر استأذن عائشة فى أن يدفن فى ذلك الموضع و حتى قال إن لم تأذن لى فادفنونى فى البقيع و على هذاالوجه يحمل ما -قرآن-٨٨-١١١ روى عن الحسن ع أنه لمامات أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ص و إن لم يترك ففى البقيع -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٠٢ فلما كان من مروان وسعيد بن العاص ما كان دفن بالبقيع وإنما أوصى بذلك بإذن عائشة ويجوز أن يكون علم من عائشة أنها جعلت الموضع فى حكم الوقف فاستباحوا ذلك لهذا الوجه قال و فى دفنه ع فى ذلك الموضع مايدل على فضل أبى بكر لأنه ع لمامات اختلفوا فى موضع دفنه وكثر القول حتى روى أبوبكر عنه ص أنه قال مايدل على أن الأنبياء إذاماتوا دفنوا حيث ماتوا فزال الخلاف فى ذلك .اعترض المرتضى فقال لايخلو موضع قبر النبى ص من أن يكون باقيا على ملكه ع أو يكون انتقل فى حياته إلى عائشة علىماادعاه فإن كان الأول لم يخل أن يكون ميراثا بعده أوصدقة فإن كان ميراثا فما كان يحل لأبى بكر و لالعمر من بعده أن يأمرا بدفنهما فيه إلا بعدإرضاء الورثة الذين هم على مذهبنا فاطمة وجماعة الأزواج و على مذهبهم هؤلاء والعباس و لم نجد واحدا منهما خاطب أحدا من هؤلاء الورثة على ابتياع هذاالمكان و لااستنزله عنه بثمن و لاغيره و إن كان صدقة فقد كان يجب أن يرضى عنه جماعة المسلمين ويبتاعه منهم هذا إن جاز الابتياع لمايجرى هذاالمجرى و إن كان انتقل فى حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله والحجة فيه فإن فاطمة ع لم

يقنع منها فى انتقال فدك إلى ملكها بقولها و لابشهادة من [صفحه ۲۱۶] شهد لها فأما تعلقه بإضافة البيوت إليهن فى قوله وَ قَرنَ فِي بُيُوتِكُنّفمن ضعيف الشبهة لأنا قدبينا فيما مضى من هذاالكتاب أن هذه الإضافة لاتقتضى الملك وإنما تقتضى السكنى والعادة فى استعمال هذه اللفظة فيما ذكرناه ظاهرة قال تعالى لا تُخرِجُوهُنّ مِن بُيُوتِهِنّ و لم يرد الله تعالى إلاحيث يسكن وينزلن دون حيث يملكن و ماأشبهه وأظرف من كل شيءتقدم قوله إن الحسن ع استأذن عائشة فى أن يدفن فى البيت حتى منعه مروان وسعيد بن العاص لأن هذه مكابرة منه ظاهرة فإن المانع للحسن ع من ذلك لم يكن إلاعائشة ولعل من ذكره من مروان وسعيد وغيرهما أعانها واتبع فى ذلك أمرهما وروى أنها خرجت فى ذلك اليوم على بغل حتى قال ابن عباس يوما على بغل ويوما على جمل فكيف تأذن عائشة فى ذلك وهى مالكة الموضع على قولهم ويمنع منه مروان وغيره ممن لاملك له فى الموضع و لاشركة و لايد و هذا من قبيح مايرتكب و أى فضل لأبى بكر فى روايته عن النبى ص حديث الدفن وعملهم بقوله إن صح فمن مذهب صاحب الكتاب وأصحابه العمل بخبر الواحد العدل فى أحكام الدين العظيمة فكيف لايعمل بقول أبى بكر فى الدفن وهم يعملون بقول من هودونه فيما هوأعظم من ذلك قلت أما أبوبكر فإنه لايلحقه بدفنه مع الرسول ص ذم لأنه مادفن نفسه وإنما دفنه الناس و هوميت فإن كان ذلك خطأ فالإثم والذم لاحقان بمن فعل به ذلك و لم يثبت عنه بأنه أوصى أن يدفن مع رسول الله ص وإنما قديمكن أن يتوجه هذاالطعن إلى عمر لأنه سأل عائشة أن يدفن فى الحجرة مع رسول الله ص و أبى بكر والقول عندى مشتبه فى أمر حجر الأزواج -قرآن-۵۲-۷۵-قرآن-۲۴۵-۲۷۵ [صفحه ۲۱۷] هل كانت على ملك رسول الله ص إلى أن توفى أم ملكها نساؤه و ألذى تنطق به التواريخ أنه لماخرج من قباء ودخل المدينة وسكن منزل أبى أيوب اختط المسجد واختط حجر نسائه وبناته و هذايدل على أنه كان المالك للمواضع و أماخروجها عن ملكه إلى الأزواج والبنات فمما لم أقف عليه ويجوز أن تكون الصحابة قدفهمت من قرائن الأحوال ومما شاهدوه منه ع أنه قدأقر كل بيت منها فى يد زوجة من الزوجات على سبيل الهبة والعطية و إن لم ينقل عنه فى ذلك صيغة لفظ معين والقول فى بيت فاطمة ع كذلك لأن فاطمة ع لم تكن تملك مالا و على ع بعلها كان فقيرا فى حياة رسول الله ص حتى أنه كان يستقى الماء ليهود بيده يسقى بساتينهم لقوت يدفعونه إليه فمن أين كان له مايبتاع به حجرة يسكن فيها هو وزوجته والقول فى كثير من الزوجات كذلك أنهن كن فقيرات مدقعات نحو صفية بنت حيى بن أخطب وجويرية بنت الحارث وميمونة وغيرهن فلاوجه يمكن أن يتملك منه هؤلاء النسوة والبنت الحجر إلا أن يكون رسول الله ص وهبها لهن هذا إن ثبت أنها خرجت عن ملكيته ع و إلافهى باقية على ملكيته باستصحاب الحال والقول فى حجرة زينب بنت رسول الله ص كذلك لأنه أقدمها من مكة مفارقة لبعلها أبى العاص بن الربيع فأسكنها بالمدينة فى حجرة منفردة خالية عن بعل فلابد أن تكون تلك الحجرة بمقتضى مايتغلب على الظن ملكا له ع فيستدام الحكم بملكه لها إلى أن نجد دليلا ينقلنا عن ذلك و أمارقية وأم كلثوم زوجتا عثمان فإن كان مثريا ذا مال فيجوز أن يكون ابتاع حجرة سكنت فيهاالأولى منهما ثم الثانية بعدها. [صفحه ۲۱۸] فأما احتجاج قاضى القضاة بقوله وَ قَرنَ فِي بُيُوتِكُنّفاعتراض المرتضى عليه قوى لأن هذه الإضافة إنما تقتضى التخصيص فقط لاالتمليك كما قال لا تُخرِجُوهُنّ مِن بُيُوتِهِنّ ويجوز أن يكون أبوبكر لماروى قوله نحن لانورث ترك الحجر فى أيدى الزوجات والبنت على سبيل الإقطاع لهن لاالتمليك أى أباحهن السكنى لاالتصرف فى رقاب الأرض والأبنية والآلات لمارأى فى ذلك من المصلحة ولأنه كان من المتهجن القبيح إخراجهن من البيوت و ليس كذلك فدك فإنها قرية كبيرة ذات نخل كثير خارجة عن المدينة و لم تكن فاطمة متصرفة فيها من قبل نفسها و لابوكيلها و لارأتها قط فلاتشبه حالها حال الحجر وأيضا لإباحة هذه الحجر ونزارة أثمانهن فإنها كانت مبنية من طين قصيرة الجدران فلعل أبابكر والصحابة استحقروها فأقروا النساء فيها وعوضوا المسلمين عنها بالشيء اليسير مما يقتضى الحساب أن يكون من سهم الأزواج والبنت عندقسمة الفيء. و أماالقول فى الحسن و ماجرى من عائشة وبنى أمية فقد تقدم وكذلك القول

فى الخبر المروى فى دفن الرسول ع فكان أبوالمظفر هبـة الله بن الموسوى صـدر المخزن المعمور كان فى أيام الناصـر لـدين الله إذاحادثته حـديث وفاة رسول الله ص وروايـة أبى بكر مارواه من –قرآن–٣٣–٥۶–قرآن–١۴۶–١٧۶ قوله ع الأنبياء يـدفنون حيث يموتون –روايت–١–٢–روايت–١٢–۴٢ يحلف أن أبابكر افتعل هذاالحديث فى الحال والوقت ليدفن النبى ص فى حجرة ابنته ثم يـدفن هومعه عنـدموته علمـا منه أنه لم يبق من عمره إلامثـل ظم ء الحمـار و أنه إذادفن النبى ص فى حجرة ابنته فإن ابنته تـدفنه لامحالة فى حجرتها عندبعلها و إن دفن النبى ص فى موضع [صفحه ٢١٩] آخر فربما لايتهيأ له أن يدفن عنده فرأى أن هذاالفوز بهـذا الشـرف العظيـم و هـذاالمكان الجليـل ممـا لايقتضـى حسـن التـدبير فـوته و إن انتهـاز الفرصـة فيه واجب فروى لهم الخـبر فلايمكنهم بعدروايته ألا يعملوا به لاسـيما و قدصار هوالخليفة و إليه السـلطان والنفع والضـرر وأدرك ما كان فى نفسه ثم نسـج عمر على منواله فرغب إلى عائشـة فى مثـل ذلـك و قـد كـان يكرمهـا ويقـدمها على سائر الزوجات فى العطاء وغيره فأجابته إلى ذلـك و كـان مطاعا فى حياته و بعـدمماته و كان يقول وا عجبا للحسن وطمعه فى أن يـدفن فى حجرة عائشـة و الله لو كان أبوه الخليفـة يومئذ لماتهيأ له ذلك و لاتم لبغض عائشة لهم وحسد الناس إياهم وتمالؤ بنى أمية وغيرهم من قريش عليهم ولهذا قالوا يـدفن عثمان فى حش كوكب ويـدفن الحسن فى حجرة رسول الله ص فكيف والخليفة معاوية والأمراء بالمدينة بنو أمية وعائشـة صاحبـة الموضع والناصـر لبنى هـاشم قليـل والشانئ كثير. و أناأسـتغفر الله مما كان أبوالمظفر يحلف عليه وأعلم وأظن ظنا شبيها بالعلم أن أبابكر ماروى إلا ماسمع و أنه كان أتقى لله من ذلك .

الطعن التاسع

قـولهم إنه نص على عمر بالخلافـة فخـالف رسـول الله ص على زعمه لأنـه كـان يزعم هـو و من قـال بقـوله أن رسول الله ص لم يستخلف . [صفحه ٢٢٠] والجواب أن كونه لم يستخلف لايدل على تحريم الاستخلاف كما أنه من لم يركب الفيل لايدل على تحريـم ركـوب الفيـل فـإن قـالوا ركـوب الفيـل فيـه منفعـة و لامضـرة فيـه و لـم يرد نص بتحريمـه فـوجب أن يحسـن قيـل لهم والاسـتخلاف مصـلحة و لامضـرة فيه و قـدأجمع المسـلمون أنه طريق إلى الإمامة فوجب كونه طريقا إليها و قدروى عن عمر أنه قال إن أسـتخلف فقد استخلف من هوخير منى يعنى أبابكر و إن أترك فقد ترك من هوخير منى يعنى رسول الله ص –روايت–١–٢–روايت–٢٠–١٢٨ فأما الاجتماع المشار إليه فهو أن الصـحابة أجمعوا على أن عمر إمام بنص أبى بكر عليه وأنفـذوا أحكامه وانقادوا إليه لأجل نص أبى بكر لالشـىء سواه فلو لم يكن ذلك طريقا إلى الإمامة لماأطبقوا عليه و قداختلف الشـيخان أبو على و أبوهـاشم فى أن نص الإمـام على إمام بعـده هل يكفى فى انعقاد إمامته فقال أبو على لايكفى بل لابـد من أن يرضـى به أربعة حتى يجرى عهـده إليه مجرى عقـد الواحـد برضـا أربعـة فإذاقارنه رضا أربعـة صار بـذلك إماما و يقول فى بيعـة عمر أن أبابكر أحضـر جماعـة من الصـحابة لمـانص عليه ورجع إلى رضاهم بـذلك و قال أبوهاشم بل يكفى نصه ع و لايراعى فى ذلك رضـا غيره به و لوثبت أن أبـابكر فعله لكـان على طريق التبع للنص لا أنه يؤثر فى إمامته مع العهـد ولعل أبابكر إن كان فعل ذلك فقد اسـتطاب به نفوسـهم ولهـذا لم يؤثر فيه كراهيـة طلحـة حين قال وليت علينا فظا غليظا ويبين ذلك أنه لم ينقل استئناف العقد من الصـحابة لعمر بعـدموت أبى بكر و لااجتماع جماعـة لعقـد البيعة له والرضا به فدل على أنهم اكتفوا بعهد أبى بكر إليه [صـفحه ٢٢١]

الطعن العاشر

قولهم إنه سمى نفسه بخليفة رسول الله ص لاستخلافه إياه بعدموته مع اعترافه أنه لم يستخلفه . والجواب أن الصحابة سمته خليفة

رسول الله ص لاستخلافه إياه على الصلاة عندموته والاستخلاف على الصلاة عندالموت له مزية على الاستخلاف على الصلاة حال الحياة لأن حال الموت هى الحال التى تكون فيهاالعهود والوصايا و مايهتم به الإنسان من أمور الدنيا والدين لأنها حال المفارقة وأيضا فإن رسول الله ص مااستخلف أحدا على الصلاة بالمدينة و هوحاضر وإنما كان يستخلف على الصلاة قوما أيام غيبته عن المدينة فلم يحصل الاستخلاف المطلق على الصلاة بالناس كلهم و هوص حاضر بين الناس حى إلاالأبى بكر و هذه مزية ظاهرة على سائر الاستخلافات فى أمر الصلاة فلذلك سموه خليفة رسول الله ص و بعد فإذاثبت أن الإجماع على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة وحجة وثبت أن قوما من أفاضل الصحابة اختاروه للخلافة فقد ثبت أنه خليفة رسول الله ص لأنه لافرق بين أن ينص الرسول ص على شخص معين و بين أن يشير إلى قوم فيقول من اختار هؤلاء القوم فهو الإمام فى أن كل واحد منهما يصح أن يطلق عليه خليفة رسول الله ص . [صفحه ۲۲۲]

الطعن الحادى عشر

قولهم إنه حرق الفجاءة السلمى بالنار و قدنهى النبى ص أن يحرق أحد بالنار. والجواب أن الفجاءة جاء إلى أبى بكر كماذكر أصحاب التواريخ فطلب منه سلاحا يتقوى به على الجهاد فى أهل الردة فأعطاه فلما خرج قطع الطريق ونهب أموال المسلمين و أهل الردة جميعا وقتل كل من وجد كمافعلت الخوارج حيث خرجت فلما ظفر به أبوبكر رأى حرقه بالنار إرهابا لأمثاله من أهل الفساد ويجوز للإمام أن يخص النص العام بالقياس الجلى عندنا.

الطعن الثانى عشر

قولهم إنه تكلم فى الصلاة قبل التسليم فقال لايفعلن خالد ماأمرته قالوا ولذلك جاز عند أبى حنيفة أن يخرج الإنسان من الصلاة بالكلام وغيره من مفسدات الصلاة من دون تسليم وبهذا احتج أبوحنيفة. والجواب أن هذا من الأخبار التى تتفرد بهاالإمامية و لم تثبت و أما أبوحنيفة فلم يذهب إلى ماذهب إليه لأجل هذاالحديث وإنما احتج بأن التسليم خطاب آدمى و ليس هو من الصلاة وأذكارها و لا من أركانها بل هوضدها ولذلك يبطلها قبل التمام ولذلك لايسلم المسبوق تبعا لسلام الإمام بل يقوم من غيرتسليم فدل على أنه ضد للصلاة وجميع الأضداد بالنسبة إلى رفع الضد على وتيرة واحدة ولذلك استوى الكل فى [صفحه ۲۲۳] الإبطال قبل التمام فيستوى الكل فى الانتهاء بعدالتمام و مايذكره القوم من سبب كلام أبى بكر فى الصلاة أمر بعيد و لو كان أبوبكر يريد ذلك لأمر خالد أن يفعل ذلك الفعل بالشخص المعروف و هونائم ليلا فى بيته و لايعلم أحد من الفاعل .

الطعن الثالث عشر

قولهم إنه كتب إلى خالد بن الوليد و هو على الشام يأمره أن يقتل سعد بن عبادة فكمن له هو وآخر معه ليلا فلما مر بهما رمياه فقتلاه وهتف صاحب خالد فى ظلام الليل بعد أن ألقيا سعدا فى بئر هناك فيهاماء ببيتين نحن قتلنا سيد الخزرج || سعد بن عباده ورميناه بسهمين || فلم تخط فؤاده .يوهم أن ذلك شعر الجن و أن الجن قتلت سعدا فلما أصبح الناس فقدوا سعدا و قدسمع قوم منهم ذلك الهاتف فطلبوه فوجدوه بعدثلاثة أيام فى تلك البئر و قداخضر فقالوا هذامسيس الجن و قال شيطان الطاق لسائل سأله مامنع عليا أن يخاصم أبابكر فى الخلافة فقال يا ابن أخى خاف أن تقتله الجن . والجواب أما أنا فلاأعتقد أن الجن قتلت سعدا و لا أن هذاشعر الجن و لاأرتاب أن البشر قتلوه و أن هذاالشعر شعر البشر ولكن لم يثبت عندى أن أبابكر أمر خالدا و لاأستبعد أن يكون فعله من تلقاء نفسه ليرضى بذلك أبابكر وحاشاه فيكون الإثم على [صفحه ۲۲۴] خالد و أبوبكر

برىء من إثمه و ما ذلک من أفعال خالد ببعید.

الطعن الرابع عشر

قولهم إنه لمااستخلف قطع لنفسه على بیت المال أجرة کل یوم ثلاثة دراهم قالوا و ذلک لا یجوز لأن مصارف أموال بیت المسلمین لم یذکر فیهاأجرة للإمام . والجواب أنه تعالى جعل فی جملة مصرف أموال الصدقات العاملین علیها و أبوبکر من العاملین واعلم أن الإمامیة لوأنصفت لرأت أن هذاالطعن بأن یکون من مناقب أبی بکر أولى من أن یکون من مساویه ومثالبه ولکن العصبیة لاحیلة فیها.

الطعن الخامس عشر

قولهم إنه لمااستخلف صرخ منادیه فی المدینة من کان عنده شیء من کلام الله فلیأتنا به فإنا عازمون على جمع القرآن و لایأتنا بشیء منه إلا ومعه شاهدا عدل قالوا و هذاخطأ لأن القرآن قدبان بفصاحته عن فصاحة البشر فأی حاجة إلى شاهدی عدل . والجواب أن المرتضى و من تابعه من الشیعة لایصح لهم هذاالطعن لأن القرآن عندهم لیس معجزا بفصاحته على أن من جعل معجزته للفصاحة لم یقل إن کل آیة من القرآن هی معجزة فی الفصاحة و أبوبکر إنما طلب کل آیة من القرآن لاالسورة بتمامها وکمالها التی یتحقق الإعجاز من طریق الفصاحة فیها وأیضا فإنه لوأحضر إنسان آیة أوآیتین و لم یکن معه شاهد فربما تختلف العرب هل هذه فی الفصاحة بالغة [صفحه ۲۲۵] مبلغ الإعجاز الکلی أم هی ثابتة من کلام العرب بثبوته غیربالغة إلى حد الإعجاز فکان یلتبس الأمر ویقع النزاع فاستظهر أبوبکر بطلب الشهود تأکیدا لأنه إذاانضمت الشهادة إلى الفصاحة الظاهرة ثبت أن ذلک الکلام من القرآن وَ مِن هَذَا الکِتَابِ إِنّیِ وَ اللّهِ لَو لَقِیتُهُم وَاحِداً وَ هُم طِلَاعُ الأَرضِ کُلّهَا مَا بَالَیتُ وَ لَا استَوحَشتُ وَ إِنّیِ مِن ضَلَالِهِمُ ألّذِی هُم فِیهِ وَ الهُدَى ألّذِی أَنَا عَلَیهِ لَعَلَى بَصِیرَةٍ مِن نفَسیِ وَ یَقِینٍ مِن ربَیّ وَ إنِیّ إِلَى لِقَاءِ اللّهِ لَمُشتَاقٌ وَ لِحُسنِ ثَوَابِهِ لَمُنتَظِرٌ رَاجٍ وَ لکَنِنّیِ آسَى أَن یلَیَِ هَذِهِ الأُمّةَ سُفَهَاؤُهَا وَ فُجّارُهَا فَیَتّخِذُوا مَالَ اللّهِ دُوَلًا وَ عِبَادَهُ خَوَلًا وَ الصّالِحِینَ حَرباً وَ الفَاسِقِینَ حِزباً فَإِنّ مِنهُمُ ألّذِی شَرِبَ فِیکُمُ الحَرَامَ وَ جُلِدَ حَدّاً فِی الإِسلَامِ وَ إِنّ مِنهُم مَن لَم یُسلِم حَتّى رُضِخَت لَهُ عَلَى الإِسلَامِ الرّضَائِخُ فَلَو لَا ذَلِکَ مَا أَکثَرتُ تَألِیبَکُم وَ تَأنِیبَکُم وَ جَمعَکُم وَ تَحرِیضَکُم وَ لَتَرَکتُکُم إِذ أَبَیتُم وَ وَنَیتُم أَ لَا تَرَونَ إِلَى أَطرَافِکُم قَدِ انتَقَصَت وَ إِلَى أَمصَارِکُم قَدِ افتُتِحَت وَ إِلَى مَمَالِکِکُم تُزوَى وَ إِلَى بِلَادِکُم تُغزَى انفِرُوا رَحِمَکُمُ اللّهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوّکُم وَ لَا تَثّاقَلُوا إِلَى الأَرضِ فَتُقِرّوا بِالخَسفِ وَ تَبُوّءُوا بِالذّلّ وَ یَکُونَ نَصِیبُکُمُ الأَخَسّ وَ إِنّ أَخَا الحَربِ الأَرِقُ وَ مَن نَامَ لَم یُنَم عَنهُ وَ السّلَامُ [صفحه ۲۲۶] طلاع الأرض ملؤها و منه قول عمر لو أن لی طلاع الأرض ذهبا لافتدیت به من هول المطلع . وآسى أحزن . وأکثرت تألیبکم تحریضکم وإغراءکم به والتأنیب أشد اللوم . وونیتم ضعفتم وفترتم وممالککم تزوى أی تقبض . و لاتثاقلوا بالتشدید أصله تتثاقلوا وتقروا بالخسف تعترفوا بالضیم وتصبروا له وتبوءوا بالذل ترجعوا به والأرق ألذی لاینام ومثل قوله ع من نام لم ینم عنه قول الشاعر لله درک ماأردت بثائر || حران لیس عن الترات براقد أسهرته ثم اضطجعت و لم ینم || حنقا علیک وکیف نوم الحاقد .فأما ألذی رضخت له على الإسلام الرضائخ فمعاویة والرضیخة شیءقلیل یعطاه الإنسان یصانع به عن شیءیطلب منه کالأجر و ذلک لأنه من المؤلفة قلوبهم الذین رغبوا فی الإسلام والطاعة بجمال وشاء دفعت إلیهم وهم قوم معروفون کمعاویة وأخیه یزید وأبیهما أبی سفیان وحکیم بن حزام وسهیل بن عمرو والحارث بن هشام بن المغیرة وحویطب بن عبدالعزى والأخنس بن شریق وصفوان بن أمیة وعمیر بن وهب الجمحی وعیینة بن حصن والأقرع بن حابس وعباس بن مرداس وغیرهم و کان إسلام هؤلاء للطمع والأغراض الدنیاویة و لم یکن عن أصل و لا عن یقین وعلم . [صفحه ۲۲۷] و قال الراوندی عنى بقوله

رضخت لهم الرضائخ عمرو بن العاص و ليس بصحيح لأن عمرا لم يسلم بعدالفتح وأصحاب الرضائخ كلهم أسلموا بعدالفتح صونعوا على الإسلام بغنائم حنين ولعمرى إن إسلام عمرو كان مدخولا أيضا إلا أنه لم يكن عن رضيخة وإنما كان لمعنى آخر فأما ألذى شرب الحرام وجلد فى حد الإسلام فقد قال الراوندى هوالمغيرة بن شعبة وأخطأ فيما قال لأن المغيرة إنما اتهم بالزنى و لم يحد و لم يجر للمغيرة ذكر فى شرب الخمر و قدتقدم خبر المغيرة مستوفى وأيضا فإن المغيرة لم يشهد صفين مع معاوية و لا مع على ع و ماللراوندى ولهذا إنما يعرف هذاالفن أربابه و ألذى عناه على ع الوليد بن عقبة بن أبى معيط و كان أشد الناس عليه وأبلغهم تحريضا لمعاوية و أهل الشام على حربه

أخبار الوليد بن عقبة

ونحن نذكر خبر الوليد وشربه الخمر منقولا من كتاب الأغانى لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى قال أبوالفرج كان سبب إمارة الوليد بن عقبة الكوفة لعثمان ماحدثنى به أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حدثناعمر بن شبة قال حدثنى عبدالعزيز بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال لم يكن يجلس مع عثمان على سريره إلاالعباس بن عبدالمطلب و أبوسفيان بن حرب والحكم بن أبى العاص والوليد بن عقبة و لم يكن سريره يسع إلاعثمان وواحدا منهم فأقبل الوليد يوما فجلس فجاء الحكم بن أبى العاص فأومأ عثمان إلى الوليد فرحل له عن مجلسه فلما قام الحكم قال الوليد و الله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج فى صدرى بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت ابن عمك على ابن أمك و كان الحكم عم عثمان والوليد أخاه [صفحه ٢٢٨] لأمه فقال عثمان إن الحكم شيخ قريش فما البيتان فقال رأيت لعم المرء زلفى قرابة || دوين أخيه حادثا لم يكن قدما فأملت عمرا أن يشب وخالدا || لكى يدعوانى يوم نائبة عما .يعنى عمرا وخالدا ابنى عثمان قال فرق له عثمان و قال قدوليتك الكوفة فأخرجه إليها. قال أبوالفرج وأخبرنى أحمد بن عبدالعزيز قال حدثنى عمر بن شبة قال حدثنى بعض أصحابنا عن ابن دأب قال لماولى عثمان الوليد بن عقبة الكوفة قدمها وعليها سعد بن أبى وقاص فأخبر بقدومه و لم يعلم أنه قدأمر فقال و ماصنع قالوا وقف فى السوق فهو يحدث الناس هناك ولسنا ننكر شيئا من أمره فلم يلبث أن جاءه نصف النهار فاستأذن على سعد فأذن له فسلم عليه بالإمرة وجلس معه فقال له سعد ماأقدمك يا أباوهب قال أحببت زيارتك قال و على ذاك أجئت بريدا قال أناأرزن من ذلك ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرحونى إليه و قداستعملنى أمير المؤمنين على الكوفة فسكت سعد طويلا ثم قال لا و الله ماأدرى أصلحت بعدنا أم فسدنا بعدك ثم قال كلينى وجرينى ضباع وأبشرى || بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره . فقال الوليد أما و الله لأنا أقول للشعر منك وأروى له و لوشئت لأجبتك ولكنى أدع ذاك لماتعلم نعم و الله لقد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك ثم بعث إلى عمال سعد فحبسهم وضيق عليهم فكتبوا إلى سعد يستغيثون به فكلمه فيهم فقال له أ وللمعروف عندك موضع قال نعم فخلى سبيلهم . [صفحه ٢٢٩] قال أحمد وحدثنى عمر عن أبى بكر الباهلى عن هشيم عن العوام بن حوشب قال لماقدم الوليد على سعد قال له سعد و الله ماأدرى كست بعدنا أم حمقنا بعدك فقال لاتجزعن يا أباإسحاق فإنه الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم و الله ستجعلونه ملكا. قال أبوالفرج و حدثنا أحمد قال حدثنى عمر قال حدثنى هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب قال صلى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أزيدكم فقال عبد الله بن مسعود مازلنا معك فى زيادة منذ اليوم . قال أبوالفرج وحدثنى أحمد قال حدثناعمر قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثناجرير عن الأجلح عن الشعبى قال قال الحطيئة يذكر الوليد شهد الحطيئة يوم يلقى ربه || إن الوليد أحق بالغدر نادى و قدتمت صلاتهم || أأزيدكم سكرا و لم يدر فأبوا أباوهب و لوأذنوا || لقرنت بين

الشفع والوتر كفوا عنانك إذ جريت و لو || تركوا عنانك لم تزل تجرى . [صفحه ٢٣٠] و قال الحطيئة أيضا تكلم فى الصلاة وزاد فيها || علانية وأعلن بالنفاق ومج الخمر فى سنن المصلى || ونادى والجميع إلى افتراق أزيدكم على أن تحمدونى || فما لكم و ما لى من خلاق . قال أبوالفرج وأخبرنا محمد بن خلف وكيع قال حدثناحماد بن إسحاق قال حدثنى أبى قال قال أبوعبيدة وهشام بن الكلبى والأصمعى كان الوليد زانيا يشرب الخمر فشرب بالكوفة وقام ليصلى بهم الصبح فى المسجد الجامع فصلى بهم أربع ركعات ثم التفت إليهم فقال أزيدكم وتقيأ فى المحراب بعد أن قرأ بهم رافعا صوته فى الصلاة علق القلب الربابا || بعد ماشابت وشابا .فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره وشهدوا عليه بشرب الخمر فأتى به فأمر رجلا من المسلمين أن يضربه الحد فلما دنا منه قال نشدتك الله وقرابتى من أمير المؤمنين فتركه فخاف على بن أبى طالب ع أن يعطل الحد فقام إليه فحده بيده فقال الوليد نشدتك الله والقرابة فقال أمير المؤمنين ع اسكت أباوهب فإنما هلك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدود فلما ضربه وفرغ منه قال لتدعونى قريش بعدها جلادا قال إسحاق وحدثنى مصعب بن الزبير قال قال الوليد بعد ماشهدوا عليه فجلد أللهم إنهم قدشهدوا على بزور فلاترضهم عن أمير و لاترض عنهم أميرا قال و قدعكس الحطيئة أبياته فجعلها مدحا للوليد شهد الحطيئة حين يلقى ربه || أن الوليد أحق بالعذر [صفحه ٢٣١] كفوا عنانك إذ جريت و لو || تركوا عنانك لم تزل تجرى ورأوا شمائل ماجد أنف || يعطى على الميسور والعسر فنزعت مكذوبا عليك و لم || تنزع على طمع و لاذعر . قال أبوالفرج ونسخت من كتاب هارون بن الرباب بخطه عن عمر بن شبة قال شهد رجل عند أبى العجاج و كان على قضاء البصرة على رجل من المعيطيين بشهادة و كان الشاهد سكران فقال المشهود عليه و هوالمعيطى أعزك الله أيها القاضى إنه لايحسن من السكر أن يقرأ شيئا من القرآن فقال الشاهد بلى أحسن قال فاقرأ فقال علق القلب الربابا || بعد ماشابت وشابا .يمجن بذلك ويحكى ماقاله الوليد فى الصلاة و كان أبوالعجاج أحمق فظن أن هذاالكلام من القرآن فجعل يقول صدق الله ورسوله ويلكم كم تعلمون و لاتعلمون . قال أبوالفرج وأخبرنى أحمد بن عبدالعزيز قال حدثناعمر بن شبة عن المدائنى عن مبارك بن سلام عن فطر بن خليفة عن أبى الضحى قال كان ناس من أهل الكوفة يتطلبون عثرة الوليد بن عقبة منهم أبوزينب الأزدى و أبومورع فجاءا يوما و لم يحضر الوليد الصلاة فسألا عنه فتلطفا حتى علما أنه يشرب فاقتحما الدار فوجداه يقىء فاحتملاه و هوسكران حتى وضعاه على سريره وأخذا خاتمه من يده فأفاق فافتقد خاتمه فسأل عنه أهله فقالوا لاندرى و قدرأينا رجلين دخلا عليك [صفحه ٢٣٢] فاحتملاك فوضعاك على سريرك فقال صفوهما لى فقالوا أحدهما آدم طوال حسن الوجه والآخر عريض مربوع عليه خميصة فقال هذا أبوزينب و هذا أبومورع . قال ولقى أبوزينب وصاحبه عبد الله بن حبيش الأسدى وعلقمة بن يزيد البكرى وغيرهما فأخبروهم فقالوا أشخصوا إلى أمير المؤمنين فأعلموه و قال بعضهم إنه لايقبل قولكم فى أخيه فشخصوا إليه فقالوا إنا جئناك فى أمر ونحن مخرجوه إليك من أعناقنا و قدقيل إنك لاتقبله قال و ما هوقالوا رأينا الوليد و هوسكران من خمر شربها و هذاخاتمه أخذناه من يده و هو لايعقل فأرسل عثمان إلى على ع فأخبره فقال أرى أن تشخصه فإذاشهدوا عليه بمحضر منه حددته فكتب عثمان إلى الوليد فقدم عليه فشهد عليه أبوزينب و أبومورع وجندب الأزدى وسعد بن مالك الأشعرى فقال عثمان لعلى ع قم يا أبا الحسن فاجلده فقال على ع للحسن ابنه قم فاضربه فقال الحسن ما لك ولهذا يكفيك غيرك فقال على لعبد الله بن جعفرقم فاضربه فضربه بمخصرة فيهاسير له رأسان فلما بلغ أربعين قال حسبك -روايت-١-٤١٤ . قال أبوالفرج وحدثنى أحمد قال حدثناعمر قال حدثنى المدائنى عن الوقاصى عن الزهرى قال خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد فقال أكلما غضب رجل على أميره رماه بالباطل لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم فاستجاروا بعائشة وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتا وكلاما فيه بعض الغلظة فقال أ مايجد فساق العراق ومراقها ملجأ إلابيت عائشة فسمعت فرفعت نعل رسول الله ص وقالت تركت سنة صاحب هذاالنعل وتسامع الناس فجاءوا حتى ملئوا المسجد فمن قائل قدأحسنت و من قائل ماللنساء ولهذا حتى تخاصموا [

صفحه ۲۳۳] وتضاربوا بالنعال ودخل رهط من أصحاب رسول الله ص على عثمان فقالوا له اتق الله و لاتعطل الحدود واعزل أخاك عنهم ففعل قال أبوالفرج حدثنا أحمد قال حدثنى عمر عن المدائنى عن أبى محمدالناجى عن مطر الوراق قال قدم رجل من أهل الكوفة إلى المدينة فقال لعثمان إنى صليت صلاة الغداة خلف الوليد فالتفت فى الصلاة إلى الناس فقال أأزيدكم فإنى أجد اليوم نشاطا وشممنا منه رائحة الخمر فضرب عثمان الرجل فقال الناس عطلت الحدود وضربت الشهود. قال أبوالفرج و حدثنا أحمد قال حدثناعمر قال حدثنا أبوبكر الباهلى عن بعض من حدثه قال لماشهد على الوليد عندعثمان بشرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص فخرج وخرج معه قوم يعذرونه منهم عدى بن حاتم الطائى فنزل الوليد يوما يسوق بهم فارتجز و قال لاتحسبنا قدنسينا الأحقاف || والنشوات من معتق صاف وعزف قينات علينا عزاف . فقال عدى فأين تذهب بنا إذن فأقم . قال أبوالفرج و قدروى أحمد عن عمر عن رجاله عن الشعبى عن جندب الأزدى قال كنت فيمن شهد على الوليد عندعثمان فلما استتممنا عليه الشهادة حبسه عثمان ثم ذكر باقى الخبر وضرب على ع إياه وقول الحسن ابنه ما لک ولهذا وزاد فيه و قال على ع لست إذن مسلما أو قال من المسلمين . [صفحه ۲۳۴] قال أبوالفرج وأخبرنى أحمد عن عمر عن رجاله أن الشهادة لماتمت قال عثمان لعلى ع دونک ابن عمک فأقم عليه الحد فأمر على ع ابنه الحسن ع فلم يفعل فقال يكفيک غيرک فقال على ع بل ضعفت ووهنت وعجزت قم يا عبد الله بن جعفرفاجلده فقام فجلده و على ع يعد حتى بلغ أربعين فقال له على ع أمسک حسبک جلد رسول الله ص أربعين وجلد أبوبكر أربعين وكملها عمر ثمانين و كل سنة -روايت-۱-۲-روايت-۴۹-۳۹۱ . قال أبوالفرج وحدثنى أحمد عن عمر عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد قال وأخبرنى بذلک أيضا ابراهيم بن محمد بن أيوب عن عبد الله بن مسلم قالوا جميعا لماضرب عثمان الوليد الحد قال إنک لتضربنى اليوم بشهادة قوم ليقتلنک عاما قابلا. قال أبوالفرج وحدثنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى عن عمر بن شبة عن عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد وأخبرنى أيضا ابراهيم عن عبد الله قالوا جميعا كان أبوزبيد الطائى نديما للوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة فلما شهدوا عليه بالسكر من الخمر خرج عن الكوفة معزولا فقال أبوزبيد يتذكر أيامه وندامته من يرى العير أن تمشى على ظهر || المرورى حداتهن عجال ناعجات والبيت بيت أبى وهب || خلاء تحن فيه الشمال يعرف الجاهل المضلل أن الدهر || فيه النكراء والزلزال ليت شعرى كذا كم العهد أم كانوا || أناسا كمن يزول فزالوا [صفحه ۲۳۵] بعد ماتعلمين ياأم عمرو || كان فيهم عزلنا وجمال ووجوه تودنا مشرقات || ونوال إذاأريد النوال أصبح البيت قدتبدل بالحى || وجوها كأنها الأقيال كل شىءيحتال فيه الرجال || غير أن ليس للمنايا احتيال ولعمر الإله لو كان للسيف || مضاء وللسان مقال ماتناسيتک الصفاء و لا || الود و لاحال دونک الإشغال ولحرمت لحمک المتعضى || ضلة ضل حلمهم مااغتالوا قولهم شربک الحرام و قد كان || شراب سوى الحرام حلال و أبى ظاهر العداوة والشنآن || إلامقال ما لايقال من رجال تقارضوا منكرات || لينالوا ألذى أرادوا فنالوا غير ماطالبين ذحلا ولكن || مال دهر على أناس فمالوا من يخنک الصفاء أويتبدل || أويزل مثل مايزول الظلال فاعلمن أننى أخوک أخو || الود حياتى حتى تزول الجبال ليس بخلى عليک يوما بمال || أبدا ماأقل نعلا قبال و لک النصر باللسان وبالكف || إذا كان لليدين مصال . قال أبوالفرج وحدثنى أحمد قال حدثنى عمر قال لماقدم الوليد بن عقبة الكوفة قدم عليه أبوزبيد فأنزله دار عقيل بن أبى طالب على باب المسجد وهى التى [صفحه ۲۳۶] تعرف بدار القبطى فكان مما احتج به عليه أهل الكوفة أن أبازبيد كان يخرج إليه من داره و هونصرانى يخترق المسجد فيجعله طريقا. قال أبوالفرج وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال حدثنى عمى عبيد الله عن ابن حبيب عن ابن الأعرابى أن أبازبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة فأنزله الوليد دار عقيل بن أبى طالب عند باب المسجد واستوهبها منه فوهبها له فكان ذلک أول الطعن عليه من أهل الكوفة لأن أبازبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده ويشرب معه ويخرج فيشق المسجد و هوسكران فذاک نبههم عليه قال و قد كان عثمان

ولی الولید صدقات بنی تغلب فبلغه عنه شعر فیه خلاعه فعزله قال فلما ولاه الکوفۀ اختص أبازبید الطائی وقربه ومدحه أبوزبید بشعر کثیر و قد کان الولید استعمل الربیع بن مری بن أوس بن حارثۀ بن لام الطائی علی الحمی فیما بین الجزیرۀ وظهر الحیرۀ فأجدبت الجزیرۀ و کان أبوزبید فی بنی تغلب نازلا فخرج بإبلهم لیرعیهم فأبی علیهم الربیع بن مری ومنعهم و قال لأبی زبید إن شئت أرعیک وحدک فعلت فأتی أبوزبید إلی الولید فشکاه فأعطاه ما بین القصور الحمر من الشام إلی القصور الحمر من الحیرۀ وجعلها له حمی وأخذها من الربیع بن مری فقال أبوزبید یمدح الولید والشعر یدل علی أن الحمی کان بید مری بن أوس لابید الربیع ابنه وهکذا هو فی روایۀ عمر بن شبۀ لعمر أبیک یا ابن أبی مری || لغیرک من أباح لنا الدیارا أباح لنا أبارق ذات قور || ونرعی القف منها والقفارا [صفحه ۲۳۷] بحمد الله ثم فتی قریش || أبی وهب غدت بدنا غزارا أباح لنا و لانحمی علیکم || إذا ماکنتم سنۀ جزارا . قال یقول إذاأجدبتم فإنا لانحمیها علیکم و إذاکنتم أسأتم وحمیتموها علینا. فتی طالت یداه إلی المعالی || وطحطحت المجذمۀ القصارا . قال و من شعر أبی زبید فیه یذکر نصره له علی مری بن أوس بن حارثۀ یالیت شعری بأنباء أنبؤها || قد کان یعنی بهاصدری وتقدیری عن امرئ مایزده الله من شرف || أفرح به ومری غیرمسرور إن الولید له عندی وحق له || ود الخلیل ونصح غیرمذخور لقد دعانی وأدنانی أظهرنی || علی الأعادی بنصر غیرتغریر وشذب القوم عنی غیرمکترث || حتی تناهوا علی رغم وتصغیر نفسی فداء أبی وهب وقل له || یاأم عمرو فحلی الیوم أوسیری . و قال أبوزبید یمدح الولید ویتألم لفراقه حین عزل عن الکوفۀ لعمری لئن أمسی الولید ببلدۀ || سوای لقد أمسیت للدهر معورا خلا أن رزق الله غاد ورائح || وإنی له راج و إن سار أشهرا و کان هوالحصن ألذی لیس مسلمی || إذا أنابالنکراء هیجت معشرا إذاصادفوا دونی الولید فإنما || یرون بوادی ذی حماس مزعفرا . [صفحه ۲۳۸] وهی طویلۀ یصف فیهاالأسد قال أبوالفرج و حدثنا أحمد بن عبدالعزیز قال حدثناعمر عن رجاله عن الولید قال لمافتح رسول الله ص مکۀ جعل أهل مکۀ یأتونه بصبیانهم فیدعو لهم بالبرکۀ ویمسح یده علی رءوسهم فجیء بی إلیه و أنامخلق فلم یمسنی و مامنعه إلا أن أمی خلقتنی بخلوق فلم یمسنی من أجل الخلوق . قال أبوالفرج وحدثنی إسحاق بن بنان الأنماطی عن حنیش بن میسر عن عبد الله بن موسی عن أبی لیلی عن الحکم عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال قال الولید بن عقبۀ لعلی بن أبی طالب ع أناأحد منک سنانا وأبسط منک لسانا وأملأ للکتیبۀ فقال علی ع اسکت یافاسق فنزل القرآن فیهماأَ فَمَن کانَ مُؤمِناً کَمَن کانَ فاسِقاً لا یَستَوُونَ -روایت-۱-۲-روایت-۱۵۲-۳۴۶ . قال أبوالفرج وحدثنی أحمد بن عبدالعزیز عن عمر بن شبۀ عن محمد بن حاتم عن یونس بن عمر عن شیبان عن یونس عن قتادۀ فی قوله تعالی یا أَیّهَا الّذِینَ آمَنُوا إِن جاءَکُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیّنُوا قال هوالولید بن عقبۀ بعثه النبی ص مصدقا إلی بنی المصطلق فلما رأوه أقبلوا نحوه فهابهم فرجع إلی النبی ص فقال له إنهم ارتدوا عن الإسلام فبعث النبی ص خالد بن الولید فعلم عملهم وأمره أن یتثبت و قال له انطلق و لاتعجل فانطلق حتی أتاهم لیلا وأنفذ عیونه نحوهم فلما جاءوه أخبروه أنهم متمسکون بالإسلام وسمع أذانهم وصلاتهم فلما أصبح أتاهم فرأی مایعجبه فرجع إلی الرسول ص فأخبره فنزلت هذه الآیۀ. -قرآن-۱۳۷-۲۰۴ [صفحه ۲۳۹] قلت قدلمح ابن عبدالبر صاحب کتاب الإستیعاب فی هذاالموضع نکتۀ حسنۀ فقال فی حدیث الخلوق هذاحدیث مضطرب منکر لایصح و لیس یمکن أن یکون من بعثه النبی ص مصدقا صبیا یوم الفتح قال ویدل أیضا علی فساده أن الزبیر بن بکار وغیره من أهل العلم بالسیر والأخبار ذکروا أن الولید وأخاه عمارۀ ابنی عقبۀ بن أبی معیط خرجا من مکۀ لیردا أختهما أم کلثوم عن الهجرۀ وکانت هجرتها فی الهدنۀ التی بین النبی ص و بین أهل مکۀ و من کان غلاما مخلقا بالخلوق یوم الفتح لیس یجیء منه مثل هذا قال و لاخلاف بین أهل العلم بتأویل القرآن أن قوله عز و جل إِن جاءَکُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَیّنُواأنزلت فی الولید لمابعثه رسول الله ص مصدقا فکذب علی بنی المصطلق و قال إنهم ارتدوا وامتنعوا من أداء الصدقۀ قال أبوعمر و فیه و فی علی ع نزل أَ فَمَن کانَ مُؤمِناً کَمَن کانَ فاسِقاً لا یَستَوُونَ فی قصتهما المشهورۀ قال و من کان صبیا یوم الفتح لایجیء منه مثل هذافوجب أن

ينظر فى حديث الخلوق فإنه روايةُ جعفر بن برقان عن ثابت عن الحجاج عن أبى موسى الهمدانى و أبو موسى مجهول لايصح حديثه . ثم نعود إلى كتاب أبى الفرج الأصبهانى -قرآن-۵۵۹-۵۹۸-قرآن-۷۴۸-۸۰۲ قال أبوالفرج وأخبرنى أحمد بن عبدالعزيز عن عمر بن شبةُ عن عبد الله بن موسى عن نعيم بن حكيم عن أبى مريم عن على ع أن امرأةُ الوليد بن عقبةُ جاءت إلى النبى ص تشتكى إليه الوليد وقالت إنه يضربها فقال لها ارجعى إليه وقولى له إن رسول الله قدأجارنى فانطلقت فمكثت ساعةُ ثم رجعت فقالت إنه -روايت-۱-۲-روايت-۱۲۸-ادامه دارد [صفحه ۲۴۰] ماأقلع عنى فقطع رسول الله ص هدبةُ من ثوبه و قال اذهبى بها إليه وقولى له إن رسول الله قدأجارنى فانطلقت فمكثت ساعةُ ثم رجعت فقالت مازادنى إلاضربا فرفع رسول الله ص يده ثم قال أللهم عليك بالوليد مرتين أوثلاثا -روايت-از قبل-۲۳۳ . قال أبوالفرج واختص الوليد لما كان واليا بالكوفةُ ساحرا كاد يفتن الناس كان يريه كتيبتين تقتتلان فتحمل إحداهما على الأخرى فتهزمها ثم يقول له أيسرك أن أريك المنهزمةُ تغلب الغالبةُ فتهزمها فيقول نعم فجاء جندب الأزدى مشتملا على سيفه فقال أفرجوا لى فأفرجوا فضربه حتى قتله فحبسه الوليد قليلاـ ثم تركه . قال أبوالفرج وروى أحمد عن عمر عن رجاله أن جندبا لماقتل الساحر حبسه الوليد فقال له دينار بن دينار فيم حبست هذا و قدقتل من أعلن بالسحر فى دين محمدص ثم مضى إليه فأخرجه من الحبس فأرسل الوليد إلى دينار بن دينار فقتله . قال أبوالفرج حدثنى عمى الحسن بن محمد قال حدثنى الخراز عن المدائنى عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن الزهرى وغيره أن رسول الله ص لماانصرف عن غزاةُ بنى المصطلق نزل رجل من المسلمين فساق بالقوم ورجز ثم آخر فساق بهم ورجز ثم بدا لرسول الله ص أن يواسى أصحابه فنزل فساق بهم ورجز وجعل يقول فيما يقول جندب و ماجندب || والأقطع زيد الخير [صفحه ۲۴۱] فدنا منه أصحابه فقالوا يا رسول الله ماينفعنا سيرنا مخافةُ أن تنهشك دابةُ أوتصيبك نكبةُ فركب ودنوا منه وقالوا قلت قولا لاندرى ما هو قال و ماذاك قالوا كنت تقول جندب و ماجندب || والأقطع زيد الخير . فقال رجلان يكونان فى هذه الأمةُ يضرب أحدهما ضربةُ يفرق بين الحق والباطل وتقطع يد الآخر فى سبيل الله ثم يتبع الله آخر جسده بأوله و كان زيد هوزيد بن صوحان وقطعت يده فى سبيل الله يوم جلولاء وقتل يوم الجمل مع على بن أبى طالب ع و أماجندب هذافدخل على الوليد بن عقبةُ وعنده ساحر يقال له أبوشيبان يأخذ أعين الناس فيخرج مصارين بطنهم ثم يردها فجاء من خلفه فضربه فقتله و قال العن وليدا و أباشيبان || و ابن حبيش راكب الشيطان رسول فرعون إلى هامان . قال أبوالفرج و قدروى أن هذاالساحر كان يدخل عندالوليد فى جوف بقرةُ حيةُ ثم يخرج منها فرآه جندب فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف فلما دخل الساحر فى البقرةُ قال جندب أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ثم ضرب وسط البقرةُ فقطعها وقطع الساحر معها فذعر الناس فسجنه الوليد وكتب بأمره إلى عثمان . قال أبوالفرج فروى أحمد بن عبدالعزيز عن حجاج بن نصير عن قرةُ عن [صفحه ۲۴۲] محمد بن سيرين قال انطلق بجندب بن كعب الأزدى قاتل الساحر بالكوفةُ إلى السجن و على السجن رجل نصرانى من قبل الوليد و كان يرى جندب بن كعب يقوم بالليل ويصبح صائما فوكل بالسجن رجلا ثم خرج فسأل الناس عن أفضل أهل الكوفةُ فقالوا الأشعث بن قيس فاستضافه فجعل يراه ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فخرج من عنده وسأل أى أهل الكوفةُ أفضل قالوا جرير بن عبد الله فذهب إليه فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه فاستقبل القبلةُ و قال ربى رب جندب ودينى دين جندب ثم أسلم . قال أبوالفرج فلما نزع عثمان الوليد عن الكوفةُ أمر عليها سعيد بن العاص فلما قدمها قال اغسلوا هذاالمنبر فإن الوليد كان رجلا نجسا فلم يصعده حتى غسل قال أبوالفرج و كان الوليد أسن من سعيد بن العاص وأسخى نفسا وألين جانبا وأرضى عندهم فقال بعض شعرائهم وجاءنا من بعده سعيد || ينقص فى الصاع و لايزيد . و قال آخر منهم فررت من الوليد إلى سعيد || كأهل الحجر إذ فزعوا فباروا يلينا من قريش كل عام || أميرمحدث أومستشار لنا نار تحرقنا فنخشى || و ليس لهم و لايخشون نار . قال أبوالفرج و حدثنا أحمد قال حدثناعمر عن المدائنى قال قدم الوليد بن [صفحه ۲۴۳] عقبةُ الكوفةُ فى أيام

معاوية زائرا للمغيرة بن شعبة فأتاه أشراف الكوفة فسلموا عليه وقالوا و الله مارأينا بعدك مثلك فقال أخيرا أم شرا قالوا بل خيرا قال ولكنى مارأيت بعدكم شرا منكم فأعادوا الثناء عليه فقال بعض ماتأتون به فو الله إن بغضكم لتلف و إن حبكم لصلف قال أبوالفرج وروى عمر بن شبة أن قبيصة بن جابر كان ممن كثر على الوليد فقال معاوية يوما والوليد وقبيصة عنده ياقبيصة ما كان شأنك وشأن الوليد قال خير يا أمير المؤمنين إنه فى أول الأمر وصل الرحم وأحسن الكلام فلاتسأل عن شكر وحسن ثناء ثم غضب على الناس وغضبوا عليه وكنا معهم فإما ظالمون فنستغفر الله وإما مظلومون فيغفر الله له فخذ فى غير هذا يا أمير المؤمنين فإن الحديث ينسى القديم قال معاوية ماأعلمه إلا قدأحسن السيرة وبسط الخير وقبض الشر قال فأنت يا أمير المؤمنين اليوم أقدر على ذلك فافعله فقال اسكت لاسكت فسكت وسكت القوم فقال معاوية بعديسير ما لك لاتتكلم ياقبيصة قال نهيتنى عما كنت أحب فسكت عما لاأحب . قال أبوالفرج ومات الوليد بن عقبة فويق الرقة ومات أبوزبيد هناك فدفنا جميعا فى موضع واحد فقال فى ذلك أشجع السلمى و قدمر بقبريهما مررت على عظام أبى زبيد || و قدلاحت ببلقعة صلود فكان له الوليد نديم صدق || فنادم قبره قبر الوليد و ماأدرى بمن تبدو المنايا || بحمزة أم بأشجع أم يزيد .قيل هم إخوته وقيل ندماؤه . قال أبوالفرج وحدثنى أحمد بن عبدالعزيز عن محمد بن زكريا الغلابى [صفحه ۲۴۴] عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد عن أبيه قال وفد الوليد بن عقبة و كان جوادا إلى معاوية فقيل له هذاالوليد بن عقبة بالباب فقال و الله ليرجعن مغيظا غيرمعطى فإنه الآن قدأتانا يقول على دين و على كذا ائذن له فأذن له فسأله وتحدث معه ثم قال له معاوية أما و الله إن كنا لنحب إتيان مالك بالوادى ولقد كان يعجب أمير المؤمنين فإن رأيت أن تهبه ليزيد فافعل قال هوليزيد ثم خرج وجعل يختلف إلى معاوية فقال له يوما انظر يا أمير المؤمنين فى شأنى فإن على مئونة و قدأرهقنى دين فقال له أ لاتستحيى لنفسك وحسبك تأخذ ماتأخذه فتبذره ثم لاتنفك تشكو دينا فقال الوليد أفعل ثم انطلق من مكانه فسار إلى الجزيرة و قال يخاطب معاوية فإذاسئلت تقول لا || و إذاسألت تقول هات تأبى فعال الخير لا || تروى و أنت على الفرات أ فلاتميل إلى نعم || أوترك لا حتى الممات . وبلغ معاوية شخوصه إلى الجزيرة فخافه وكتب إليه أقبل فكتب أعف وأستعفى كما قدأمرتنى || فأعط سواى مابدا لك وابخل سأحدو ركابى عنك إن عزيمتى || إذانابنى أمر كسلة منصل وإنى امرؤ للنأى منى تطرب || و ليس شبا قفل على بمقفل . ثم رحل إلى الحجاز فبعث إليه معاوية بجائزة. و أما أبوعمر بن عبدالبر فإنه ذكر فى الإستيعاب فى باب الوليد قال إن له أخبارا فيهاشناعة تقطع على سوء حاله وقبح أفعاله غفر الله لنا و له فلقد كان من رجال قريش [صفحه ۲۴۵] ظرفا وحلما وشجاعة وجودا وأدبا و كان من الشعراء المطبوعين قال و كان الأصمعى و أبوعبيدة و ابن الكلبى وغيرهم يقولون إنه كان فاسقا شريب خمر و كان شاعرا كريما قال وأخباره فى شربه الخمر ومنادمته أبازبيد الطائى كثيرة مشهورة ويسمج بنا ذكرها ولكنا نذكر منها طرفا ثم ذكر ماذكره أبوالفرج فى الأغانى و قال إن خبر الصلاة و هوسكران و قوله أأزيدكم خبر مشهور روته الثقات من نقلة الحديث . قال أبوعمر بن عبدالبر و قدذكر الطبرى فى رواية أنه تغضب عليه قوم من أهل الكوفة حسدا وبغيا وشهدوا عليه بشرب الخمر و قال إن عثمان قال له ياأخى اصبر فإن الله يأجرك ويبوء القوم بإثمك . قال أبوعمر هذاالحديث لايصح عند أهل الأخبار ونقلة الحديث و لا له عند أهل العلم أصل والصحيح ثبوت الشهادة عليه عندعثمان وجلده الحد و أن عليا هو ألذى جلده قال و لم يجلده بيده وإنما أمر بجلده فنسب الجلد إليه . قال أبوعمر و لم يرو الوليد من السنة مايحتاج فيها إليه ولكن حارثة بن مضرب روى عنه أنه قال ماكانت نبوة إلا كان بعدها ملك [صفحه ۲۴۶]

و من كتاب له ع إلى أبى موسى الأشعرى

و هوعامله على الكوفة و قدبلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه لماندبهم لحرب أصحاب الجمل مِن عَبدِ اللّهِ عَلِيّ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ إِلَى عَبدِ اللّهِ بنِ قَيسٍ أَمّا بَعدُ فَقَد بلَغَنِي عَنکَ قَولٌ هُوَ لَکَ وَ عَلَيکَ فَإِذَا قَدِمَ عَلَيکَ رسَوُلِي فَارفَع ذَيلَکَ وَ اشدُد مِئزَرَکَ وَ اخرُج مِن جُحرِکَ وَ اندُب مَن مَعَکَ فَإِن حَقّقتَ فَانفُذ وَ إِن تَفَشّلتَ فَابعُد وَ ايمُ اللّهِ لَتُؤتَيَنّ مِن حَيثُ أَنتَ وَ لَا تُترَکُ حَتّى يُخلَطَ زُبدُکَ بِخَاثِرِکَ وَ ذَائِبُکَ بِجَامِدِکَ وَ حَتّى تُعجَلُ عَن قِعدَتِکَ وَ تَحذَرَ مِن أَمَامِکَ کَحَذَرِکَ مِن خَلفِکَ وَ مَا هيَ بِالهُوَينَى التّي تَرجُو وَ لَکِنّهَا الدّاهِيَةُ الکُبرَى يُركَبُ جَمَلُهَا وَ يُذَلّ صَعبُهَا وَ يُسَهّلُ جَبَلُهَا فَاعقِل عَقلَکَ وَ املِك أَمرَکَ وَ خُذ نَصِيبَکَ وَ حَظّکَ فَإِن کَرِهتَ فَتَنَحّ إِلَى غَيرِ رَحبٍ وَ لَا فِي نَجَاةٍ فَبِالحَرِيّ لَتُکفَيَنّ وَ أَنتَ نَائِمٌ حَتّى لَا يُقَالَ أَينَ فُلَانٌ وَ اللّهِ إِنّهُ لَحَقّ مَعَ مُحِقّ وَ مَا يُبَالِي مَا صَنَعَ المُلحِدُونَ وَ السّلَامُ المراد بقوله قول هو لک وعليک أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة إن عليا إمام هدى وبيعته صحيحة ألا إنه لايجوز القتال معه لأهل القبلة و هذاالقول بعضه حق وبعضه باطل . [صفحه ٢٤٧] و قوله فارفع ذيلک أى شمر للنهوض معى واللحاق بى لنشهد حرب أهل البصرة وكذلک قوله واشدد مئزرک وكلتاهما كنايتان عن الجد والتشمير فى الأمر. قال واخرج من جحرک أمر له بالخروج من منزله للحاق به وهى كناية فيهاغض من أبى موسى واستهانة به لأنه لوأراد إعظامه لقال واخرج من خيسک أو من غيلک كمايقال للأسد ولكنه جعله ثعلبا أوضبا. قال واندب من معک أى واندب رعيتک من أهل الكوفة إلى الخروج معى واللحاق بى. ثم قال و إن تحققت فانفذ أى أمرک مبنى على الشک وكلامک فى طاعتى كالمتناقض فإن حققت لزوم طاعتى لک فانفذ أى سر حتى تقدم على و إن أقمت على الشک فاعتزل العمل فقد عزلتک . قوله وايم الله لتؤتين معناه إن أقمت على الشک والاسترابة وتثبيط أهل الكوفة عن الخروج إلى وقولک لهم لايحل لكم سل السيف لا مع على و لا مع طلحة والزموا بيوتكم واكسروا سيوفكم ليأتينكم وأنتم فى منازلكم بالكوفة أهل البصرة مع طلحة ونأتينكم نحن بأهل المدينة والحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و من خلفكم فتكون ذلک الداهية الكبرى التى لاشواة لها. قوله و لاتترک حتى يخلط زبدک بخاثرک تقول للرجل إذاضربته حتى أثخنته لقد ضربته حتى خلطت زبده بخاثره وكذلک حتى خلطت ذائبه بجامده والخاثر اللبن الغيظ والزبد خلاصة اللبن وصفوته فإذاأثخنت الإنسان ضربا كنت كأنک [صفحه ٢٤٨] خلطت مارق ولطف من أخلاطه بما كثف وغلظ منها و هذامثل ومعناه لتفسدن حالک ولتخلطن وليضربن ما هوالآن منتظم من أمرک . قوله و حتى تعجل عن قعدتک القعدة بالكسر هيئة القعود كالجلسة والركبة أى وليعجلنک الأمر عن هيئة قعودک يصف شدة الأمر وصعوبته . قوله وتحذر من أمامک كحذرک من خلفک يعنى يأتيک من خلفک إن أقمت على منع الناس عن الحرب معنا ومعهم أهل البصرة و أهل المدينة فتكون كما قال الله تعالى إِذ جاؤُكُم مِن فَوقِكُم وَ مِن أَسفَلَ مِنكُم. قوله و ماهى بالهوينى التى ترجو الهوينى تصغير الهونى التى هى أنثى أهون أى ليست هذه الداهية والجائحة التى أذكرها لک بالشيء الهين ألذى ترجو اندفاعه وسهولته . ثم قال بل هى الداهية الكبرى ستفعل لامحالة إن استمررت على ما أنت عليه وكنى عن قوله ستفعل لامحالة بقوله يركب جملها و مابعده و ذلک لأنها إذاركب جملها وذلل صعبها وسهل وعرها فقد فعلت أى لاتقل هذاأمر عظيم صعب المرام أى قصد الجيوش من كلا الجانبين الكوفة فإنه إن دام الأمر على ماأشرت إلى أهل الكوفة من التخاذل والجلوس فى البيوت وقولک لهم كن عبد الله المقتول لنقعن بموجب ماذكرته لک وليرتكبن أهل الحجاز و أهل البصرة هذاالأمر المستصعب لأنا نحن نطلب أن نملک الكوفة و أهل البصرة كذلک فيجتمع عليها الفريقان . ثم عاد إلى أمره بالخروج إليه فقال له فاعقل عقلک واملک أمرک وخذ نصيبک -قرآن-٤١٨-٤٦٣ [صفحه ٢٤٩] وحظک أى من الطاعة واتباع الإمام ألذى لزمتک بيعته فإن كرهت ذلک فتنح عن العمل فقد عزلتک وابعد عنا لا فى رحب أى لا فى سعة و هذاضد قولهم مرحبا. ثم قال فجدير أن تكفى ماكلفته من حضور الحرب و أنت نائم أى لست معدودا عندنا و لا عند الناس من الرجال الذين تفتقر الحروب والتدبيرات إليهم فسيغنى الله عنک و لايقال أين فلان . ثم أقسم إنه لحق أى إنى فى حرب هؤلاء لعلى حق

و إن من أطاعنی مع إمام محق لیس یبالی ماصنع الملحدون و هذاإشارة إلی قول النبی ص أللهم أدر الحق معه حیثما دار -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۴۹ [صفحه ۲۵۰]

۶۴- و من کتاب له ع إلی معاویة جوابا عن کتابه

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّا کُنّا نَحنُ وَ أَنتُم عَلَی مَا ذَکَرتَ مِنَ الأُلفَةِ وَ الجَمَاعَةِ فَفَرّقَ بَینَنَا وَ بَینَکُم أَمسِ أَنّا آمَنّا وَ کَفَرتُم وَ الیَومَ أَنّا استَقَمنَا وَ فُتِنتُم وَ مَا أَسلَمَ مُسلِمُکُم إِلّا کَرهاً وَ بَعدَ أَن کَانَ أَنفُ الإِسلَامِ کُلّهُ لِرَسُولِ اللّهِص حَرباً وَ ذَکَرتَ أنَیّ قَتَلتُ طَلحَةَ وَ الزّبَیرَ وَ شَرّدتُ بِعَائِشَةَ وَ نَزَلتُ بَینَ المِصرَینِ وَ ذَلِکَ أَمرٌ غِبتَ عَنهُ فَلَا عَلَیکَ وَ لَا العُذرُ فِیهِ إِلَیکَ وَ ذَکَرتَ أَنّکَ زاَئرِیِ فِی جَمعِ المُهَاجِرِینَ وَ الأَنصَارِ وَ قَدِ انقَطَعَتِ الهِجرَةُ یَومَ أُسِرَ أَخُوکَ فَإِن کَانَ فِیکَ عَجَلٌ فَاستَرفِه فَإنِیّ إِن أَزُرکَ فَذَلِکَ جَدِیرٌ أَن یَکُونَ اللّهُ إِنّمَا بعَثَنَیِ إِلَیکَ لِلنّقمَةِ مِنکَ وَ إِن تزَرُنیِ فَکَمَا قَالَ أَخُو بنَیِ أَسَدٍ مُستَقبِلِینَ رِیَاحَ الصّیفِ تَضرِبُهُم || بِحَاصِبٍ بَینَ أَغوَارٍ وَ جُلمُودِ وَ عنِدیِ السّیفُ ألّذِی أَعضَضتُهُ بِجَدّکَ وَ خَالِکَ وَ أَخِیکَ فِی مَقَامٍ وَاحِدٍ فَإِنّکَ وَ اللّهِ مَا عَلِمتُ الأَغلَفُ القَلبِ المُقَارِبُ العَقلِ وَ الأَولَی أَن یُقَالَ لَکَ إِنّکَ رَقِیتَ سُلّماً أَطلَعَکَ مَطلَعَ سُوءٍ عَلَیکَ لَا لَکَ لِأَنّکَ نَشَدتَ غَیرَ ضَالّتِکَ وَ رَعَیتَ غَیرَ سَائِمَتِکَ وَ طَلَبتَ أَمراً لَستَ مِن أَهلِهِ وَ لَا فِی مَعدِنِهِ فَمَا أَبعَدَ قَولَکَ مِن فِعلِکَ [صفحه ۲۵۱] وَ قَرِیبٌ مَا أَشبَهتَ مِن أَعمَامٍ وَ أَخوَالٍ حَمَلَتهُمُ الشّقَاوَةُ وَ تَمَنّیَ البَاطِلِ عَلَی الجُحُودِ بِمُحَمّدٍص فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُم حَیثُ عَلِمتَ لَم یَدفَعُوا عَظِیماً وَ لَم یَمنَعُوا حَرِیماً بِوَقعِ سُیُوفٍ مَا خَلَا مِنهَا الوَغَی وَ لَم تُمَاشِهَا الهُوَینَی وَ قَد أَکثَرتَ فِی قَتَلَةِ عُثمَانَ فَادخُل فِیمَا دَخَلَ فِیهِ النّاسُ ثُمّ حَاکِمِ القَومَ إلِیَّ أَحمِلکَ وَ إِیّاهُم عَلَی کِتَابِ اللّهِ تَعَالَی وَ أَمّا تِلکَ التّیِ تُرِیدُ فَإِنّهَا خُدعَةُ الصّبیِّ عَنِ اللّبَنِ فِی أَوّلِ الفِصَالِ وَ السّلَامُ لِأَهلِهِ

کتاب معاویة إلی علی

أماالکتاب ألذی کتبه إلیه معاویة و هذاالکتاب جوابه فهو من معاویة بن أبی سفیان إلی علی بن أبی طالب أما بعدفإنا بنی عبدمناف لم نزل ننزع من قلیب واحد ونجری فی حلبة واحدة لیس لبعضنا علی بعض فضل و لالقائمنا علی قاعدنا فخر کلمتنا مؤتلفة وألفتنا جامعة ودارنا واحدة یجمعنا کرم العرق ویحوینا شرف النجار ویحنو قوینا علی ضعیفنا ویواسی غنینا فقیرنا قدخلصت قلوبنا من وغل الحسد وطهرت أنفسنا من خبث النیة فلم نزل کذلک حتی کان منک ما کان من الإدهان فی أمر ابن عمک والحسد له ونصرة الناس علیه حتی قتل بمشهد منک لاتدفع عنه بلسان و لاید فلیتک [صفحه ۲۵۲] أظهرت نصره حیث أسررت خبره فکنت کالمتعلق بین الناس بعذر و إن ضعف والمتبرئ من دمه بدفع و إن وهن ولکنک جلست فی دارک تدس إلیه الدواهی وترسل إلیه الأفاعی حتی إذاقضیت وطرک منه أظهرت شماتة وأبدیت طلاقة وحسرت للأمر عن ساعدک وشمرت عن ساقک ودعوت الناس إلی نفسک وأکرهت أعیان المسلمین علی بیعتک ثم کان منک بعد ما کان من قتلک شیخی المسلمین أبی محمدطلحة و أبی عبد الله الزبیر وهما من الموعودین بالجنة والمبشر قاتل أحدهما بالنار فی الآخرة هذا إلی تشریدک بأم المؤمنین عائشة وإحلالها محل الهون متبذلة بین أیدی الأعراب وفسقة أهل الکوفة فمن بین مشهر لها و بین شامت

بها و بين ساخر منها ترى ابن عمك كان بهذه لورآه راضيا أم كان يكون عليك ساخطا و لك عنه زاجرا أن تؤذى أهله وتشرد بحليلته وتسفك دماء أهل ملته ثم تركك دار الهجرة التى قال رسول الله ص عنها إن المدينة لتنفى خبثها كماينفى الكير خبث الحديد -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٧٩ فلعمرى لقد صح وعده وصدق قوله ولقد نفت خبثها وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها فأقمت بين المصرين وبعدت عن بركة الحرمين ورضيت بالكوفة بدلا من المدينة وبمجاورة الخورنق والحيرة عوضا من مجاورة خاتم النبوة و من قبل ذلك ماعبت خليفتى رسول الله ص أيام حياتهما فقعدت عنهما وألبت عليهما وامتنعت من بيعتهما ورمت أمرا لم يرك الله تعالى له أهلا ورقيت سلما وعرا وحاولت مقاما دحضا وادعيت ما لم تجد عليه ناصرا ولعمرى لووليتها حينئذ لماازدادت إلافسادا واضطرابا و لاأعقبت ولايتكها إلاانتشارا وارتدادا لأنك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه المستطيل على الناس بلسانه ويده وها أناسائر إليك فى جمع [صفحه ٢٥٣] من المهاجرين والأنصار تحفهم سيوف شامية ورماح قحطانية حتى يحاكموك إلى الله فانظر لنفسك وللمسلمين وادفع إلى قتلة عثمان فإنهم خاصتك وخلصاؤك والمحدقون بك فإن أبيت إلاسلوك سبيل اللجاج والإصرار على الغى والضلال فاعلم أن هذه الآية إنما نزلت فيك و فى أهل العراق معك وَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا قَريَةً كانَت آمِنَةً مُطمَئِنّةً يَأتِيها رِزقُها رَغَداً مِن كُلّ مَكانٍ فَكَفَرَت بِأَنعُمِ اللّهِ فَأَذاقَهَا اللّهُ لِباسَ الجُوعِ وَ الخَوفِ بِما كانُوا يَصنَعُونَ. -قرآن-٢٨٨-٤٨١ ثم نعود إلى تفسير ألفاظ الفصل ومعانيه قال ع لعمرى إنا كنا بيتا واحدا فى الجاهلية لأنا بنو عبدمناف إلا أن الفرقة بيننا وبينكم حصلت منذ بعث الله محمداص فإنا آمنا وكفرتم ثم تأكدت الفرقة اليوم بأنا استقمنا على منهاج الحق وفتنتم . ثم قال و ماأسلم من أسلم منكم إلاكرها كأبى سفيان وأولاده يزيد ومعاوية وغيرهم من بنى عبدشمس . قال و بعد أن كان أنف الإسلام محاربا لرسول الله ص أى فى أول الإسلام يقال كان ذلك فى أنف دولة بنى فلان أى فى أولها وأنف كل شىءأوله وطرفه و كان أبوسفيان وأهله من بنى عبدشمس أشد الناس على رسول الله ص فى أول الهجرة إلى أن فتح مكة ثم أجابه عن قوله قتلت طلحة والزبير وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين بكلام مختصر أعرض فيه عنه [صفحه ٢٥٤] هوانا به فقال هذاأمر غبت عنه فليس عليك كان العدوان ألذى تزعم و لاالعذر إليك لووجب على العذر عنه .فأما الجواب المفصل فأن يقال إن طلحة والزبير قتلا أنفسهما ببغيهما ونكثهما و لواستقاما على الطريقة لسلما و من قتله الحق فدمه هدر و أماكونهما شيخين من شيوخ الإسلام فغير مدفوع ولكن العيب يحدث وأصحابنا يذهبون إلى أنهما تابا وفارقا الدنيا نادمين على ماصنعا وكذلك نقول نحن فإن الأخبار كثرت بذلك فهما من أهل الجنة لتوبتهما و لو لاتوبتهما لكانا هالكين كماهلك غيرهما فإن الله تعالى لايحابى أحدا فى الطاعة والتقوى لِيَهلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيّنَةٍ وَ يَحيى مَن حيَّ عَن بَيّنَةٍ. و أماالوعد لهما بالجنة فمشروط بسلامة العاقبة والكلام فى سلامتهما و إذاثبتت توبتهما فقد صح الوعد لهما وتحقق و -قرآن-٥٣٩-٦٠٣ قوله بشر قاتل ابن صفية بالنار -روايت-١-٢-روايت-٩-٣٥ فقد اختلف فيه فقال قوم من أرباب السير وعلماء الحديث هوكلام أمير المؤمنين ع غيرمرفوع وقوم منهم جعلوه مرفوعا و على كل حال فهو حق لأن ابن جرموز قتله موليا خارجا من الصف مفارقا للحرب فقد قتله على توبة وإنابة ورجوع من الباطل وقاتل من هذه حاله فاسق مستحق للنار و أماأم المؤمنين عائشة فقد صحت توبتها والأخبار الواردة فى توبتها أكثر من الأخبار الواردة فى توبة طلحة والزبير لأنها عاشت زمانا طويلا وهما لم يبقيا و ألذى جرى لها كان خطأ منها فأى ذنب لأمير المؤمنين ع فى ذلك و لوأقامت فى منزلها لم تبتذل بين الأعراب و أهل الكوفة على أن أمير المؤمنين ع أكرمها وصانها وعظم من شأنها و من أحب أن يقف على مافعله معها فليطالع كتب السيرة و لوكانت فعلت بعمر مافعلت به وشقت عصا الأمة عليه ثم ظفر بهالقتلها ومزقها إربا إربا ولكن عليا كان حليما كريما. [صفحه ٢٥٥] و أما قوله لوعاش رسول الله ص فبربك هل كان يرضى لك أن تؤذى حليلته فلعلى ع أن يقلب الكلام عليه فيقول أفتراه لوعاش أ كان يرضى لحليلته أن تؤذى أخاه ووصيه وأيضا أتراه لوعاش أ كان يرضى لك يا ابن أبى سفيان أن تنازع عليا الخلافة وتفرق جماعة هذه الأمة وأيضا

أتراه لوعـاش أ كان يرضـى لطلحـة والزبير أن يبايعا ثم ينكثا لالسـبب بل قالا جئنا نطلب الـدراهم فقـد قيل لنا إن بالبصـرة أموالا كثيرة هـذاكلام يقوله مثلهما.فأمـا قوله تركـت دار الهجرة فلاعيب عليه إذاانقضت عليه أطراف الإسـلام بالبغى والفساد أن يخرج من المدينـة إليهـا ويهـذب أهلهـا و ليس كـل من خرج من المدينـة كان خبثا فقـد خرج عنها عمر مرارا إلى الشام ثم لعلى ع أن يقلب عليه الكلام فيقول له و أنت يامعاويـة فقـد نفتك المدينـة أيضا عنها فأنت إذاخبث وكـذلك طلحـة والزبير وعائشـة الذين تتعصب لهم وتحتج على الناس بهم و قدخرج عن المدينة الصالحون كابن مسـعود و أبى ذر وغيرهما وماتوا فى بلاد نائية عنها و أما قوله بعـدت عن حرمة الحرمين ومجاورة قبر رسول الله ص فكلام إقناعى ضـعيف والواجب على الإمام أن يقدم الأهم فالأهم من مصالـح الإسـلام وتقـديم قتـال أهـل البغى على المقام بين الحرمين أولى فأما ماذكره من خـذلانه عثمان وشـماتته به ودعائه النـاس بعـدقتله إلى نفسه وإكراهه طلحـة والزبير وغيرهمـا على بيعته فكله دعوى والأـمر بخلافها و من نظر كتب السير عرف أنه قـدبهته وادعى عليه ما لم يقع منه . و أما قوله التويت على أبى بكر وعمر وقعـدت عنهما وحاولت الخلافة بعد رسول الله ص فإن عليـا ع لم يكن يجحـد ذلك و لاينكره و لاريب [صـفحه ٢٥٦] أنه كان يـدعى الأمر بعـدوفاة رسول الله ص لنفسه على الجملة أمالنص كماتقوله الشيعة أولأمر آخر كمايقوله أصحابنا فأما قوله لووليتها حينئـذ لفسد الأمر واضـطرب الإسـلام فهذا علم غيب لايعلمه إلا الله ولعله لووليها حينئـذ لاسـتقام الأمر وصـلح الإسـلام وتمهد فإنه ماوقع الاضـطراب عندولايته بعدعثمان إلالأن أمره هـان عنـدهم بتأخره عن الخلافـة وتقـدم غيره عليه فصغر شأنه فى النفوس وقرر من تقـدمه فى قلوب الناس أنه لايصـلح لها كل الصـلاحية و النـاس على مايحصل فى نفوسـهم و لو كان وليها ابتـداء و هو على تلك الحالـة التى كان عليها أيام حياة رسول الله ص وتلك المنزلـة الرفيعـة والاختصاص ألـذى كان له لكان الأمر غير ألذى رأيناه عندولايته بعدعثمان و أما قوله لأنك الشامخ بأنفه الذاهب بنفسه فقد أسرف فى وصفه بما وصفه به و لاشك أن عليا ع كان عنده زهو لكن لاهكذا و كان ع مع زهوه ألطف النـاس خلقا. ثم نرجع إلى تفسـير ألفاظه ع قوله وذكرت أنك زائرى فى جمع من المهاجرين والأنصار و قـدانقطعت الهجرة يوم أسـر أخوك هـذاالكلام تكـذيب له فى قوله فى جمع من المهـاجرين والأنصـار أى ليس معك مهاجر لأن أكثر من معك ممن رأى رسول الله ص هم أبناء الطلقاء و من أسـلم بعدالفتـح و قـد قال النبى ص لاهجرة بعدالفتح -روايت-١-٢-روايت-٢١-٣٩ . وعبر عن يوم الفتـح بعبارة حسـنة فيهاتقريع لمعاوية وأهله بالكفر وأنهم ليسوا من ذوى السوابق فقال قدانقطعت الهجرة يوم أسـر أخوك يعنى يزيـد بن أبى سـفيان أسـر يوم الفتـح فى بـاب الخندمـة و كان خرج فى نفر من قريش يحاربون ويمنعون [صـفحه ٢٥٧] من دخول مكة فقتل منهم قوم وأسـر يزيد بن أبى سـفيان أسره خالد بن الوليد فخلصه أبوسفيان منه وأدخله داره فأمن لأن رسول الله ص قال يومئذ من دخل دار أبى سفيان فهو آمن -روايت-١-٢-روايت-٣٢-٦٥

ذكر الخبر عن فتح مكة

ويجب أن نـذكر فى هـذاالموضع ملخص ماذكره الواقدى فى كتاب المغازى فى فتح مكة فإن الموضع يقتضـيه لقوله ع ماأسـلم مسـلمكم إلاكرها و قوله يوم أسـر أخوك . قال محمد بن عمر الواقدى فى كتاب المغازى كان رسول الله ص قدهادن قريشا فى عام الحديبية عشـر سنين وجعل خزاعة داخلة معه وجعلت قريش بنى بكر بن عبدمناة من كنانة داخلة معهم و كان بين بنى بكر و بين خزاعـة تراث فى الجاهلية ودماء و قدكانت خزاعة من قبل حالفت عبدالمطلب بن هاشم و كان معها كتاب منه و كان رسول الله ص يعرف ذلك فلما تم صـلح الحديبية وأمن الناس سـمع غلام من خزاعة إنسانا من بنى كنانة يقال له أنس بن زنيم الدؤلى ينشـد هجاء له فى رسول الله ص فضـربه فشـجه فخرج أنس إلى قومه فأراهم شـجته فثار بينهم الشـر وتـذاكروا أحقادهم القديمة

والقوم مجاورون بمكة فاستنجدت بكر بن عبدمناة قريشا على خزاعة فمن قريش من كره ذلک و قال لاانقض عهد محمد ومنهم من خف إليه و كان أبوسفيان أحد من كره ذلک و كان صفوان بن أمية وحويطب بن عبدالعزى ومكرز بن حفص [صفحه ۲۵۸] ممن أعان بنى بكر ودسوا إليهم الرجال بالسلاح سرا وبيتوا خزاعة ليلا فأوقعوا بهم فقتلوا منهم عشرين رجلا فلما أصبحوا عاتبوا قريشا فجحدت قريش أنها أعانت بكرا وكذبت فى ذلک وتبرأ أبوسفيان وقوم من قريش مما جرى وشخص قوم من خزاعة إلى المدينة مستصرخين برسول الله ص فدخلوا عليه و هو فى المسجد فقام عمرو بن سالم الخزاعى فأنشده لاهم إنى ناشد محمدا || حلف أبينا و أبيه الأتلدا لكنت والدا وكنا ولدا || ثمت أسلمنا و لم ننزع يدا إن قريشا أخلفوک الموعدا || ونقضوا ميثاقک المؤكدا هم بيتونا بالوتير هجدا || نتلو القران ركعا وسجدا وزعموا أن لست تدعو أحدا || وهم أذل وأقل عددا فانصر هداک الله نصرا أيدا || وادع عباد الله يأتوا مددا فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا || فيهم رسول الله قدتجردا قرم لقوم من قروم أصيدا . ثم ذكروا له ماأثار الشر وقالوا له إن أنس بن زنيم هجاک و إن صفوان بن أمية وفلانا وفلانا دسوا إلينا رجال قريش مستنصرين فبيتونا بمنزلنا بالوتير فقتلونا وجئناک مستصرخين بک فزعموا أن رسول الله ص قام مغضبا يجر رداءه و يقول لانصرت إن لم أنصر خزاعة فيما أنصر منه نفسى. [صفحه ۲۵۹] قلت فصادف ذلک من رسول الله ص إيثارا وحبا لنقض العهد لأنه كان يريد أن يفتح مكة وهم بها فى عام الحديبية فصد ثم هم بها فى عمرة القضية ثم وقف لأجل العهد والميثاق ألذى كان عقده معهم فلما جرى ماجرى على خزاعة اغتنمها. قال الواقدى فكتب إلى جميع الناس فى أقطار الحجاز وغيرها يأمرهم أن يكونوا بالمدينة فى رمضان من سنة ثمان للهجرة فوافته الوفود والقبائل من كل جهة فخرج من المدينة بالناس يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان فى عشرة آلاف فكان المهاجرون سبعمائة ومعهم من الخيل ثلاثمائة فرس وكانت الأنصار أربعة آلاف معهم من الخيل خمسمائة وكانت مزينة ألفا فيها من الخيل مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة فيها من الخيل ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة معها خمسون فرسا و من سائر الناس تمام عشرة آلاف وهم بنو ضمرة وبنو غفار وأشجع وبنو سليم وبنو كعب بن عمرو وغيرهم وعقد للمهاجرين ثلاثة ألوية لواء مع على ولواء مع الزبير ولواء مع سعد بن أبى وقاص وكانت الرايات فى الأنصار وغيرهم وكتم عن الناس الخبر فلم يعلم به إلاخواصه و أماقريش بمكة فندمت على ماصنعت بخزاعة وعرفت أن ذلک انقضاء مابينهم و بين النبى ص من العهد ومشى الحارث بن هشام و عبد الله بن أبى ربيعة إلى أبى سفيان فقالا له إن هذاأمر لابد له أن يصلح و الله إن لم يصلح لايروعكم إلا محمد فى أصحابه و قال أبوسفيان قدرأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وأفظعتها وخفت من شرها قالوا مارأت قال رأت كان دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كان ذلک الدم لم يكن فكره القوم ذلک وقالوا هذاشر. قال الواقدى فلما رأى أبوسفيان مارأى من الشر قال هذا و الله أمر لم أشهده [صفحه ۲۶۰] و لم أغب عنه لايحمل هذا إلا على و لا و الله ماشوورت و لاهونت حيث بلغنى و الله ليغزونا محمد إن صدق ظنى و هوصادق و ما لى بد أن آتى محمدا فأكلمه أن يزيد فى الهدنة ويجدد العهد قبل أن يبلغه هذاالأمر قالت قريش قد و الله أصبت وندمت قريش على ماصنعت بخزاعة وعرفت أن رسول الله ص لابد أن يغزوها فخرج أبوسفيان وخرج معه مولى له على راحلتين وأسرع السير و هويرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله ص قال الواقدى و قدروى الخبر على وجه آخر و هو أنه لماقدم ركب خزاعة على رسول الله ص فأخبروه بمن قتل منهم قال لهم بمن تهمتكم وطلبتكم قالوا بنو بكر بن عبدمناة قال كلها قالوا لا ولكن تهمتنا بنو نفاثة قصرة ورأسهم نوفل بن معاوية النفاثى فقال هذابطن من بكر فأنا باعث إلى أهل مكة فسائلهم عن هذاالأمر ومخيرهم فى خصال فبعث إليهم ضمرة يخيرهم بين إحدى خلال ثلاث بين أن يدوا خزاعة أويبرءوا من حلف نفاثة أوينبذ إليهم على سواء فأتاهم ضمرة فخيرهم بين الخلال الثلاث فقال قريظة بن عبدعمرو الأعمى أما أن ندى قتلى خزاعة فإنا إن وديناهم لم يبق لنا سبد و لالبد و أما أن نبرأ من حلف نفاثة فإنه ليس قبيلة تحج هذاالبيت أشد تعظيما له من نفاثة وهم حلفاؤنا فلانبرأ من

حلفهم ولكنا ننبذ إليه على سواء فعاد ضـمرة إلى رسول الله ص بذلك وندمت قريش أن ردت ضـمرة بما ردته به . قال الواقدى و قـدروى غير ذلـك روى أن قريشـا لمانـدمت على قتـل خزاعـة وقالت محمـدغازينا قال لهم عبـد الله بن سـعد بن أبى سـرح و هويومئذ كافر مرتد [صـفحه ۲۶۱] عنـدهم أن عنـدى رأيا أن محمـدا ليس يغزوكم حتى يعذر إليكم ويخيركم فى خصال كلها أهون عليكم من غزوة قالوا ماهى قال يرسل إليكم أن تـدوا قتلى خزاعـة أوتبرءوا من حلف من نقض العهد وهم بنو نفاثة أوينبذ إليكم العهد فقال القوم أحر بما قال ابن أبى سـرح أن يكون فقال سـهيل بن عمرو ماخصلة أيسر علينا من أن نبرأ من حلف نفاثة فقال شـيبة بن عثمان العبدرى حطت أخوالك خزاعة وغضـبت لهم قال سهيل و أى قريش لم تلد خزاعة قال شيبة لا ولكن ندى قتلى خزاعـة فهو أهون علينا فقال قريظـة بن عبـدعمرو لا و الله لانديهم و لانبرأ عن نفاثة أبر العرب بنا وأعمرهم لبيت ربنا ولكن ننبذ إليهم على سواء فقال أبوسـفيان ما هذابشىء و ماالرأى إلاجحد هذاالأمر أن تكون قريش دخلت فى نقض العهد أوقطع مدة فـإن قطعه قوم بغير هوى منا و لامشورة فما علينا قالوا هـذا هوالرأى لارأى إلاالجحـد لكل ما كان من ذلك فقال أناأقسم أنى لم أشـهد و لم أوامر و أناصادق لقد كرهت ماصنعتم وعرفت أن سيكون له يوم غماس قالت قريش لأبى سفيان فاخرج أنت بذلك فخرج . قال الواقـدى وحدثنى عبد الله بن عامر الأسـلمى عن عطاء بن أبى مروان قال قال رسول الله ص لعائشة صبيحة الليلة التى أوقعت فيهانفاثـة وقريش بخزاعـة بالوتير ياعائشـة لقـد حـدث الليلـة فى خزاعة أمر فقالت عائشة يا رسول الله أترى قريشا تجترئ على نقض العهـد بينك وبينهم أينقضون و قـدأفناهم السـيف فقال العهد لأمر يريده الله بهم فقالت خير أم شـر يا رسول الله فقال خير. قال الواقـدى وحـدثنى عبدالحميـد بن جعفر قال حدثنى عمران بن أبى أنس عن ابن عباس قال قام رسول الله ص و هويجر طرف ردائه و يقول -روايت-۱-۲-روايت-۹۳-ادامه دارد [صفحه ۲۶۲] لانصرت إن لم أنصر بنى كعب يعنى خزاعة فيما أنصر منه نفسـى -روايت-از قبل-۶۵ . قـال الواقـدى وحـدثنى حرام بن هشـام عن أبيه قـال قـال رسـول الله ص لكـأنكم بـأبى سـفيان قـدجاءكم يقول جـدد العهـد وزد فى الهدنـة و هوراجع بسـخطه و قال لبنى خزاعـة عمرو بن سالم وأصـحابه ارجعوا وتفرقوا فى الأوديـة وقـام فـدخل على عائشـة و هومغضب فـدعا بماء فـدخل يغتسل قالت عائشـة فأسـمعه يقول و هويصب الماء على رجليه لانصـرت أن لم أنصـر بنى كعب -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۸۴ . قـال الواقـدى فأما أبوسـفيان فخرج من مكـة و هومتخوف أن يكون عمرو بن سالم ورهطه من خزاعـة سـبقوه إلى المدينـة و كان القوم لمارجعوا من المدينـة وأتوا الأبواء تفرقوا كماأوصاهم رسول الله ص فذهبت طائفة إلى الساحل تعارض الطريق ولزم بديل ابن أم أصـرم الطريق فى نفر معه فلقيهم أبوسفيان فلما رآهم أشفق أن يكونوا لقوا محمداص بل كان اليقين عنده فقام للقوم منذ كم عهدكم بيثرب قالوا لاعهد لنا بهافعرف أنهم كتموه فقال أ مامعكم من تمر يثرب شـىءتطعموناه فإن لتمر يثرب فضـلا على تمر تهامـة قالوا لا ثم أبت نفسه أن تقر فقال يابديل هل جئت محمدا قال لا ولكنى سـرت فى بلاد خزاعة من هذاالساحل فى قتيل كان بينهم حتى أصـلحت بينهم قال يقول أبوسـفيان إنك و الله ماعلمت بر واصل فلما راح بديل وأصـحابه جاء أبوسـفيان إلى أبعار إبلهم ففتها فإذا فيهاالنوى ووجد فى منزلهم نوى من تمر عجوة كـأنه ألسـنة العصـافير فقـال أحلف بـالله لقـد جـاء القوم محمـدا وأقبـل حتى قـدم المدينـة فـدخل على النبى ص فقـال يا محمدإنى كنت غائبا فى صـلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا فى المدة فقال رسول الله ص ولذلك قدمت يا أباسفيان قال نعم قال فهل كان قبلكم حدث [صفحه ۲۶۳] فقال معاذ الله فقال رسول الله فنحن على موثقنا وصـلحنا يوم الحديبية لانغير و لانبدل فقام من عنـده فـدخل على ابنته أم حبيبـة فلمـا ذهب ليجلس على فراش رسـول الله ص طوته دونه فقـال أرغبت بهـذا الفراش عنى أم رغبت بى عنه فقالت بل هوفراش رسول الله ص و أنت امرؤ نجس مشرك قال يابنية لقد أصابك بعدى شر فقالت إن الله هدانى للإسـلام و أنت يـاأبت سيد قريش وكبيرهـا كيف يخفى عنـك فضـل الإسـلام وتعبـد حجرا لايسـمع و لايبصـر فقـال ياعجبا و هـذامنك أيضا أأترك ما كان يعبـد آبائى وأتبع دين محمد ثم قام من عندها فلقى أبابكر فكلمه و قال تكلم أنت محمدا وتجير

أنت بين النـاس فقـال أبوبكر جوارى جوار رسول الله ص ثم لقى عمر فكلمه بمثـل مـاكلم به أبـابكر فقـال عمر و الله لووجـدت السـنور تقـاتلكم لأعنتها عليكم قال أبوسـفيان جزيت من ذى رحم شـرا ثم دخل على عثمان بن عفان فقال له إنه ليس فى القوم أحـد أمس بى رحمـا منـك فزدنى الهدنـة وجـدد العهـد فـإن صاحبـك لاـيرد عليك أبـدا و الله مارأيت رجلا قط أشـد إكراما لصـاحب من محمدلأصـحابه فقال عثمان جوارى جوار رسول الله ص فجاء أبوسـفيان حتى دخل على فاطمـة بنت رسول الله ص فكلمهـا و قـال أجيرى بين النـاس فقالت إنما أناامرأة قال إن جوارك جائز و قـدأجارت أختك أباالعاص بن الربيع فأجاز محمد ذلك فقالت فاطمـة ذلك إلى رسول الله ص وأبت عليه فقال مرى أحـد هـذين ابنيك يجير بين الناس قالت إنهما صبيان و ليس يجير الصبى فلمـا أبت عليه أتى عليـا ع فقـال يـا أبـاحسن أجر بين النـاس وكلم محمـدا ليزيـد فى المـدة فقـال على ع ويحك يا أباسفيان إن رسول الله ص قدعزم [صفحه ۲۶۴] ألا يفعل و ليس أحد يستطيع أن يكلمه فى شىءيكرهه قال أبوسفيان فما الرأى عندك فتشير لأمرى فإنه قدضاق على فمرنى بأمر ترى أنه نافعى قال على ع و الله ماأجد لك شيئا مثل أن تقوم فتجير بين الناس فإنـك سـيد كنانـة قـال أترى ذلك مغنيا عنى شـيئا قال على إنى لاأظن ذلك و الله ولكنى لاأجـد لك غيره فقام أبوسـفيان بين ظهرى الناس فصاح ألا إنى قـدأجرت بين الناس و لاأظن محمـدا يحقرنى ثم دخل على رسول الله ص فقال يا محمـد ماأظن أن ترد جوارى فقال ع أنت تقول ذلك يا أباسـفيان ويقال إنه لماصاح لم يأت النبى ص وركـب راحلته وانطلق إلى مكـة ويروى أنه أيضـا أتى سـعد بن عبـادة فكلمه فى ذلـك و قـال يـا أباثابت قـدعرفت ألـذى كان بينى وبينك وإنى كنت لك فى حرمنا جارا وكنت لى بيثرب مثـل ذلك و أنت سـيد هـذه المـدرة فأجر بين الناس وزدنى فى المـدة فقال سعد جوارى جوار رسول الله ص مايجير أحـد على رسول الله ص فلما انطلق أبوسـفيان إلى مكة و قد كان طالت غيبته عن قريش وأبطأ فاتهموه وقالوا نراه قدصبا واتبع محمـدا سـرا وكتم إسـلامه فلمـا دخـل على هنـد ليلا قالت قـداحتبست حتى اتهمك قومك فإن كنت جئتهم بنجـح فأنت الرجل و قـد كان دنا منها ليغشاها فأخبرها الخبر و قال لم أجـد إلا ما قال لى على فضـربت برجلها فى صـدوره وقالت قبحت من رسول قوم . قال الواقـدى فحـدثنى عبد الله بن عثمان عن أبى سـليمان عن أبيه قال لماأصـبح أبوسـفيان حلق رأسه عندالصـنمين أساف ونائلة وذبح لهما وجعل يمسح بالدم رءوسـهما و يقول لاأفارق عبادتكما حتى أموت على مامات عليه أبى قال فعل ذلك ليبرئ نفسه مما اتهمته قريش به [صـفحه ۲۶۵] قال الواقدى وقالت قريش لأبى سـفيان ماصـنعت و ماوراءك وهل جئتنا بكتاب مـن محمـد وزيـادة فى المـدة فإنـا لانـأمن مـن أن يغزونـا فقـال و الله لقـد أبى على ولقـد كلمت عليه أصـحابه فمـا قـدرت على شىءمنهم ورمونى بكلمـة منهم واحـدة إلاـ أن عليا قال لماضاقت بى الأمور أنت سـيد كنانـة فأجر بين الناس فناديت بالجوار ثم دخلت على محمـدفقلت إنى قـدأجرت بين الناس و ماأظن محمـدا يرد جوارى فقال محمـد أنت تقول ذاك يا أباسـفيان لم يزد على ذلك قالوا مازاد على على أن يلعب بك تلعبا قال فو الله ماوجـدت غير ذلك . قال الواقـدى فحدثنى محمد بن عبد الله عن الزهرى عن محمـد بن جبير بن مطعم قـال لمـاخرج أبوسـفيان عن المدينـة قـال رسول الله ص لعائشـة جهزينـا وأخفى أمرك -روايت-۱-۲-روايت-۸۵-۱۶۱ قال رسول الله ص أللهم خـذ عن قريش الأخبار والعيون حتى نأتيهم بغتة -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۷۶ روى أنـه قـال أللهم خـذ على أبصـارهم فلاـيرونى إلابغتـة و لايسـمعون بى إلافجأة -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۸۲ قال وأخذ رسول الله ص الأنقاب وجعل عليها الرجال ومنع من يخرج من المدينة فدخل أبوبكر على عائشة وهى تجهز رسول الله ص تعمـل له قمحـا سويقـا ودقيقـا وتمرا فقـال لهـا أهم رسول الله ص بغزو قـالت لاأدرى قال إن كان هم بسـفر فآذنينا نتهيأ له قالت لاأدرى لعله أراد بنى سليم لعله أراد ثقيفا أوهوازن فاستعجمت عليه فدخل على رسول الله ص فقال يا رسول الله أردت سفرا قال نعم قال أفأتجهز قال نعم قال وأين تريـد قال قريشا وأخف ذلك يا أبابكر وأمر رسول الله ص الناس فتجهزوا وطوى عنهم الوجه ألذى يريد و قال له أبوبكر يا رسول الله أ و ليس بيننا وبينهم مدة فقال إنهم غدروا ونقضوا العهد [صفحه ۲۶۶] فأنا غازيهم فاطو

ماذكرت لك فكان الناس بين ظان يظن أنه يريد سليما وظان يظن أنه يريد هوازن وظان يظن أنه يريد ثقيفا وظان يظن أنه يريد الشام وبعث رسول الله ص أباقتادة بن ربعى فى نفر إلى بطن ليظن الناس أن رسول الله ص قدم أمامه أولئك الرجال لتوجهه إلى تلك الجهة ولتذهب بذلك الأخبار. قال الواقدى حدثنى المنذر بن سعد عن يزيد بن رومان قال لماأجمع رسول الله ص المسير إلى قريش وعلم بذلك من علم من الناس كتب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ص فى أمرهم وأعطى الكتاب امرأة من مزينة وجعل لها على ذلك جعلا على أن تبلغه قريشا فجعلت الكتاب فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به وأتى الخبر إلى النبى ص من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا ع والزبير فقال أدركا امرأة من مزينة قدكتب معها حاطب كتابا يحذر قريشا فخرجا وأدركاها بذى الحليفة فاستنزلاها والتمسا الكتاب فى رحلها فلم يجدا شيئا فقالا لها نحلف بالله ماكذب رسول الله ص و لاكذبنا ولتخرجن الكتاب أولنكشفنك فلما رأت منهما الجد حلت قرونها واستخرجت الكتاب فدفعته إليهما فأقبلا به إلى رسول الله ص فدعا حاطبا و قال له ماحملك على هذا فقال يا رسول الله و الله إنى لمسلم مؤمن بالله ورسوله ماغيرت و لابدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل و لاعشيرة و كان لى بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم فقال عمر قاتلك الله ترى رسول الله ص يأخذ بالأنقاب وتكتب إلى قريش تحذرهم دعنى يا رسول الله أضرب عنقه فإنه قدنافق فقال رسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-٢۴-ادامه دارد [صفحه ٢۶٧] و مايدريك ياعمر لعل الله قداطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم -روايت-از قبل-٨٧ قال الواقدى فلما خرج رسول الله ص من المدينة بالألوية المعقودة والرايات بعدالعصر من يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان لم يحل عقده حتى انتهى إلى الصلصل والمسلمون يقودون الخيل و قدامتطوا الإبل وقدم أمامه الزبير بن العوام فى مائتين قال فلما كان بالبيداء نظر إلى عنان السماء فقال إنى لأرى السحاب تستهل بنصر بنى كعب يعنى خزاعة. قال الواقدى وجاء كعب بن مالك ليعلم أى جهة يقصد فبرك بين يديه على ركبتيه ثم أنشده قضينا من تهامة كل نحب || وخيبر ثم أحمينا السيوفا فسائلها و لونطقت لقالت || قواضبهن دوسا أوثقيفا فلست بحاضر إن لم تروها || بساحة داركم منها ألوفا فننتزع الخيام ببطن وج || ونترك دوركم منها خلوفا . قال فتبسم رسول الله ص و لم يزد على ذلك فجعل الناس يقولون و الله ما بين لك رسول الله ص شيئا فلم تزل الناس كذلك حتى نزلوا بمر الظهران . قال الواقدى وخرج العباس بن عبدالمطلب ومخرمة بن نوفل من مكة يطلبان رسول الله ص ظنا منهما أنه بالمدينة يريدان الإسلام فلقياه بالسقيا. [صفحه ٢۶٨] قال الواقدى فلما كانت الليلة التى أصبح فيهابالجحفة رأى فيها أبوبكر فى منامه أن النبى ص وأصحابه قددنوا من مكة فخرجت عليهم كلبة تهر فلما دنوا منها استلقت على قفاها و إذاأطباؤها تشخب لبنا فقصها على رسول الله ص فقال ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم سائلونا بأرحامهم وأنتم لاقون بعضهم فإن لقيتم أباسفيان فلاتقتلوه قال الواقدى و إلى أن وصل مر الظهران لم يبلغ قريشا حرف واحد من حاله فلما نزل بمر الظهران أمر أصحابه أن يوقدوا النار فأوقدوا عشرة آلاف نار وأجمعت قريش أن يبعثوا أباسفيان يتجسس لهم الأخبار فخرج هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قال و قد كان العباس بن عبدالمطلب قال وا سوء صباح قريش و الله إن دخلها رسول الله ص عنوة إنه لهلاك قريش آخر الدهر قال العباس فأخذت بغلة رسول الله ص الشهباء فركبتها و قلت ألتمس حطابا أوإنسانا أبعثه إلى قريش فيلقوا رسول الله ص قبل أن يدخلها عليهم عنوة فو الله إنى لفى الأراك ليلا أبتغى ذلك إذ سمعت كلاما يقول و الله إن رأيت كالليلة نارا قال يقول بديل بن ورقاء إنها نيران خزاعة جاشها الحرب قال يقول أبوسفيان خزاعة أذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فعرفت صوته فقلت أباحنظلة فعرف صوتى فقال لبيك أباالفضل فقلت ويحك هذا رسول الله ص فى عشرة آلاف و هومصبحكم فقال بأبى وأمى فهل من حيلة فقلت نعم تركب عجز هذه البغلة فأذهب بك إلى رسول الله ص فإنه إن ظفر بك دون ذلك ليقتلنك قال و الله أناأرى ذلك فركب خلفى ورحل [صفحه ٢۶٩] بديل وحكيم فتوجهت به فلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا من هذا فإذارأونى

قـالوا عم رسول الله ص على بغلـة رسول الله حتى مررت بنـار عمر بن الخطـاب فلما رآنى قال من هـذا قلت العباس فـذهب ينظر فرأى أباسـفيان خلفى فقال أبوسـفيان عـدو الله الحمد لله ألذى أمكن منك بغير عهد و لاعقد ثم خرج يشـتد نحو رسول الله ص وركضت البغلـة حتى اجتمعنا جميعا على باب قبـة رسول الله ص فـدخلت ودخل عمر بن الخطاب على أثرى فقال عمر يا رسول الله هـذا أبوسـفيان عـدو الله قـدأمكن الله منه بغير عقـد و لاعهـد فـدعنى أضـرب عنقه فقلت يا رسول الله إنى قدأجرته ثم لزمت رسول الله ص فقلت و الله لاينـاجيه الليلـة أحـد دونى فلما أكثر عمر فيه قلت مهلا ياعمر فإنه لو كان رجلا من عـدى بن كعب ما قلت هـذا ولكنه أحـد بنى عبدمناف فقال عمر مهلا يا أباالفضل فو الله لإسـلامك كان أحب إلى من إسـلام الخطاب أو قال من إسـلام رجل من ولد الخطاب لوأسـلم فقال رسول الله ص اذهب به فقد أجرناه فليبت عندك حتى تغدو به علينا إذاأصبحت فلما أصبحت غـدوت به فلمـا رآه رسول الله ص قال ويحك يا أباسـفيان أ لم يأن لك أن تعلم لاإله إلا الله قال بأبى أنت ماأحلمك وأكرمـك وأعظم عفوك قـد كـان يقع فى نفسـى أن لو كـان مع الله إله آخر لأـغنى قال يا أباسـفيان أ لم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله قـال بـأبى أنت ماأحلمـك وأكرمـك وأعظم عفوك أمـا هـذه فو الله إن فى النفس منهـا لشـيئا بعـد قال العباس فقلت ويحك تشهد وقل لاإله الله محمد رسول الله قبل أن تقتل فتشهد و قال العباس يا رسول الله إنك قدعرفت أباسفيان و فيه الشرف والفخر فاجعل له شـيئا فقال من دخل دار أبى سـفيان فهو آمن و من أغلق داره فهو آمن ثم قال خذه فاحبسه بمضيق الوادى إلى خطم الجبل -روايت-١-٢-روايت-٩-ادامه دارد [صفحه ٢٧٠] حتى تمر عليه جنود الله فيراهـا -روايت-از قبل-٣٣ قال العباس فعـدلت به فى مضـيق الوادى إلى خطم الجبـل فحبسـته هنـاك فقـال أغـدرا يابنى هاشم فقلت له إن أهل النبوة لايغـدرون وإنما حبسـتك لحاجـة قال فهلا بدأت بهاأولا فأعلمتنيها فكان أفرخ لروعى ثم مرت به القبائل على قادتها والكتائب على راياتها فكان أول من مر به خالـد بن الوليـد فى بنى سـليم وهم ألف ولهم لواءان يحمـل أحـدهما العبـاس بن مرداس والآخر خفاف بن نـدبة ورايـة يحملها المقـداد فقال أبوسـفيان يا أباالفضل من هؤلاء قال هؤلاء بنو سـليم وعليهم خالد بن الوليد قال الغلام قال نعم فلما حـاذى خالـد العبـاس و أباسـفيان كـبر ثلاثـا وكـبروا معه ثم مضـوا ومر على أثره الزبير بن العوام فى خمسـمائة فيهم جماعـة من المهـاجرين وقوم من أفنـاء النـاس ومعه رايـة سوداء فلمـا حاذاهمـا كبر ثلاثـا وكبر أصـحابه فقال من هـذا قال هـذاالزبير قال ابن أختك قال نعم قال ثم مرت به بنو غفار فى ثلاثمائـة يحمل رايتهم أبوذر ويقال إيماء بن رحضة فلما حاذوهما كبروا ثلاثا قال يا أباالفضل من هؤلاء قال بنو غفار قال ما لى ولبنى غفار ثم مرت به أسـلم فى أربعمائة يحمل لواءها يزيد بن الخصـيب ولواء آخر مع ناجية بن الأعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقال هؤلاء أسـلم فقال ما لى ولأسـلم ما كان بيننا وبينهم ترة قط ثم مرت بنو كعب بن عمرو بن خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فقال من هؤلاء قال كعب بن عمرو قال نعم حلفاء محمد فلمـا حاذوه كبروا ثلاثا ثم مرت مزينـة فى ألف فيهاثلاثـة ألويـة مع النعمان بن مقرن وبلال بن الحارث و عبـد الله بن عمرو فلما حاذوهمـا كـبروا قال من هؤلاء قال مزينـة قال يا أباالفضل ما لى ولمزينـة قـدجاءتنى تقعقع من شواهقها [صـفحه ٢٧١] ثم مرت جهينـة فى ثمانمائـة فيهاأربعة ألوية مع معبد بن خالد وسويد بن صـخر ورافع بن مكيث و عبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا فسأل عنهم فقيل جهينة ثم مرت بنو كنانة وبنو ليث وضمرة وسعد بن أبى بكر فى مائتين يحمل لواءهـم أبوواقد الليثى فلما حاذوه كبروا ثلاثـا قـال من هؤلاـء قـال بنو بكر قـال نعم أهل شؤم هؤلاء الـذين غزانا محمـدلأجلهم أما و الله ماشوورت فيهم و لاعلمته ولقـد كنت له كارها حيث بلغنى ولكنه أمر حم قال العباس لقـد خار الله لك فى غزو محمـدإياكم ودخلتم فى الإسـلام كافة ثم مرت أشـجع وهم آخر من مر به قبل أن تأتى كتيبة رسول الله ص وهم ثلاثة يحمل لواءهم معقل بن سنان ولواء آخر مع نعيم بن مسعود فكبروا قال من هؤلاء قال أشجع فقال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس نعم ولكن الله أدخل الإسلام قلوبهم و ذلك من فضل الله فسـكت و قال أ مامر محمـد بعـد قال لا و لورأيت الكتيبـة التى هو فيهالرأيت الحديد والخيل والرجال و ما

ليس لأحـد به طاقة فلما طلعت كتيبة رسول الله ص الخضـراء طلع سواد شديد وغبرة من سـنابك الخيل وجعل الناس يمرون كل ذلك يقول أ مامر محمـد بعـدفيقول العباس لا حتى مر رسول الله ص يسـير على ناقته القصوى بين أبى بكر وأسيد بن حضـير و هويحـدثهما و قال له العباس هذا رسول الله ص فى كتيبته الخضـراء فانظر قال و كان فى تلك الكتيبة وجوه المهاجرين والأنصار و فيهاالألويـة والرايـات وكلهم منغمسون فى الحديـد لايرى منهم إلاالحـدق ولعمر بن الخطاب فيهازجل و عليه الحديـد وصوته عال و هويزعها فقال يا أباالفضل من هذاالمتكلم قال هذا [صفحه ٢٧٢] عمر بن الخطاب قال لقد أمر أمر بنى عدى بعدقلة وذلة فقـال إن الله يرفع من يشـاء بمـا يشاء و إن عمر ممن رفعه الإسـلام و كان فى الكتيبـة ألفا دارع ورايـة رسول الله ص مع سـعد بن عبـادة و هوأمام الكتيبـة فلما حاذاهما سـعد نادى يا أباسـفيان اليوم يوم الملحمـة || اليوم تسبى الحرمـة .اليوم أذل الله قريشا فلما حاذاهمـا رسول الله ص نـاداه أبوسـفيان يـا رسول الله أمرت بقتل قومك أن سـعدا قال اليوم يوم الملحمـة || اليوم تسبى الحرمة اليوم أذل الله قريشا وإنى أنشدك الله فى قومك فأنت أبر الناس وأرحم الناس وأوصل الناس فقال عثمان بن عفان و عبدالرحمن بن عوف يا رسول الله إنا لانأمن سعدا أن يكون له فى قريش صولة فوقف رسول الله ص وناداه يا أباسفيان بل اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشا وأرسل إلى سـعد فعزله عن اللواء -روايت-١-١٢٠ واختلف فيمن دفع إليه اللواء فقيـل دفعه إلى على بن أبى طالب ع فـذهب به حتى دخل مكـة فغرزه عندالركن و هوقول ضـرار بن الخطاب الفهرى وقيل دفعه إلى قيس بن سـعد بن عبادة ورأى رسول الله ص أنه لم يخرجه عن سـعد حيث دفعه إلى ولـده فـذهب به حتى غرزه بـالحجون قـال و قـال أبوسـفيان للعباس مارأيت مثل هـذه الكتيبـة قط و لاأخبرنيه مخبر سـبحان الله مالأحـد بهؤلاء طاقـة و لايـدان لقد أصبـح ملك ابن أخيك ياعباس عظيما قال فقلت ويحك إنه ليس بملك وإنها النبوة قال نعم . قال الواقـدى قال العباس فقلت له انج ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل [صفحه ٢٧٣] عليهم فخرج أبوسـفيان حتى دخل من كـداء و هوينادى من دخل دار أبى سـفيان فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن حتى انتهى إلى هند بنت عتبة فقالت ماوراءك قال هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد و قدجعل لى أنه من دخـل دارى فهـو آمن و من أغلق عليه بـابه فهو آمن و من ألقى سـلاحه فهو آمن فقـالت قبحـك الله من رسول قوم وجعلت تقول ويحكم اقتلوا وافـدكم قبحه الله من وافـد قوم فيقول أبوسـفيان ويحكم لاـتغرنكم هـذه من أنفسـكم فـإنى رأيت ما لم تروا الرجال والكراع والسـلاح ليس لأحـد بهـذا طاقة محمد فى عشـرة آلاف فأسـلموا تسـلموا و قال المبرد فى الكامل أمسـكت هند برأس أبى سـفيان وقالت بئس طليعـة القوم و الله ماخـدشت خـدشا يا أهل مكـة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه قال الحميت الزق المزفت . قال الواقـدى وخرج أهل مكـة إلى ذى طوى ينظرون إلى رسول الله ص وانضوى إلى صـفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسـهيل بن عمرو ناس من أهل مكـة و من بنى بكر وهـذيل فلبسوا السـلاح وأقسـموا لايـدخل محمدمكة عنوة أبدا و كان رجل من بنى الـدؤل يقال له حماس بن قيس بن خالـد الدؤلى لماسمع برسول الله ص جلس يصلح سـلاحه فقالت له امرأته لم تعد السـلاح قال لمحمد وأصحابه وإنى لأرجو أن أخدمك منهم خادما فإنك إليه محتاجة قالت ويحك لاتفعل لاتقاتل محمدا و الله ليضلن هذاعنك لورأيت محمدا وأصحابه قال سترين وأقبل رسول الله ص و هو على ناقته القصواء معتجرا ببرد حبرة و عليه عمامـة سـوداء ورايته سوداء ولواؤه أسود حـتى وقف بـذى طوى وتوسـط النـاس و إن عثنونه ليمس واسـطة الرحـل أويقرب منه تواضـعا لله حيث رأى مـارأى من الفتـح وكثرة المسـلمين و قال لاعيش إلاعيش الآخرة -روايت-١-٢-روايت-٨-٣١ . [صفحه ٢٧٤] وجعلت الخيل تعـج بذى طوى فى كل وجه ثم ثابت وسـكنت والتفت رسول الله ص إلى أسـيد بن حضـير فقال كيف قال حسان بن ثابت قال فأنشـده عـدمنا خيلنا إن لم تروها || تثير النقع موعدها كداء تظل جيادنا متمطرات || تلطمهن بالخمر النساء .فتبسم رسول الله ص وحمـد الله وأمر الزبير بن العوام أن يـدخل من كداء وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من الليط وأمر قيس بن سعد أن يدخل من كدى ودخل هوص من أذاخر. قال الواقدى وحدثنى مروان بن محمد عن عيسى بن عميلة الفزارى قال دخل

رسول الله ص مكـة بين الأقرع بن حابس وعيينـة بن حصن . قال الواقدى وروى عيسـى بن معمر عن عباد بن عبد الله عن أسـماء بنت أبى بكر قالت صعد أبوقحافة بصغرى بناته واسمها قريبة و هويومئذ أعمى وهى تقوده حتى ظهرت به إلى أبى قبيس فلما أشرفت به قال يابنية ماذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا مقبلا كثيرا قال يابنية تلك الخيل فانظرى ماذا ترين قالت أرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال ذاك الوازع فانظرى ماذا ترين قالت قدتفرق السواد قال قدتفرق الجيش البيت البيت قالت فنزلت الجارية به وهى ترعب لماترى فقال يابنية لاتخافى فو الله إن أخاك عتيقا لآثر أصحاب محمد عند محمدقالت وعليها طوق من فضة فاختلسه بعض من دخل [صفحه ٢٧٥] فلما دخل رسول الله ص مكة جعل أبوبكر ينادى أنشدكم الله أيها الناس طوق أختى فلم يرد أحد عليه فقال ياأخية احتسبى طوقك فإن الأمانة فى الناس قليل . قال الواقدى ونهى رسول الله ص عن الحرب وأمر بقتل ستة رجال وأربع نسوة عكرمة بن أبى جهل وهبار بن الأسود و عبد الله بن سعد بن أبى سرح ومقيس بن صبابة الليثى والحويرث بن نفيل و عبد الله بن هلال بن خطل الأدرمى وهند بنت عتبة وسارة مولاة لبنى هاشم وقينتين لابن خطل قريبا وقريبة ويقال قرينا وأرنب . قال الواقدى ودخلت الجنود كلها فلم تلق حربا إلاخالد بن الوليد فإنه وجد جمعا من قريش وأحابيشها قدجمعوا له فيهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو فمنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لاتدخلها عنوة أبدا فصاح خالد فى أصحابه وقاتلهم فقتل من قريش أربعة وعشرون و من هذيل أربعة وانهزموا أقبح انهزام حتى قتلوا بالحزورة وهم مولون من كل وجه وانطلقت طائفة منهم فوق رءوس الجبال واتبعهم المسلمون وجعل أبوسفيان بن حرب وحكيم بن حزام يناديان يامعشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن و من أغلق عليه بابه فهو آمن و من وضع السلاح فهو آمن فجعل الناس يقتحمون الدور ويغلقون عليهم الأبواب ويطرحون السلاح فى الطرق حتى يأخذه المسلمون . قال الواقدى وأشرف رسول الله ص من على ثنية أذاخر فنظر إلى البارقة فقال ما هذه البارقة أ لم أنه عن القتال قيل يا رسول الله خالد بن الوليد [صفحه ٢٧٦] قوتل و لو لم يقاتل ماقاتل فقال قضاء الله خير وأقبل ابن خطل مدججا فى الحديد على فرس ذنوب بيده قناة يقول لا و الله لايدخلها عنوة حتى يرى ضربا كأفواه المزاد فلما انتهى إلى الخندمة ورأى القتال دخله رعب حتى مايستمسك من الرعدة ومر هاربا حتى انتهى إلى الكعبة فدخل بين أستارها بعد أن طرح سلاحه وترك فرسه وأقبل حماس بن خالد الدؤلى منهزما حتى أتى بيته فدقه ففتحت له امرأته فدخل و قدذهبت روحه فقالت أين الخادم التى وعدتنى مازلت منتظرتك منذ اليوم تسخر به فقال دعى هذا وأغلقى الباب فإنه من أغلق بابه فهو آمن قالت ويحك أ لم أنهك عن قتال محمد و قلت لك إنى مارأيته يقاتلكم مرة إلا وظهر عليكم و مابابنا قال إنه لايفتح على أحد بابه ثم أنشدها إنك لوشهدتنا بالخندمه || إذ فر صفوان وفر عكرمه وبو يزيد كالعجوز المؤتمه || وضربناهم بالسيوف المسلمه لهم زئير خلفنا وغمغمه || لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه . قال الواقدى وحدثنى قدامة بن موسى عن بشير مولى المازنيين عن جابر بن عبد الله قال كنت ممن لزم رسول الله ص يومئذ فدخلت معه يوم الفتح من أذاخر فلما أشرف نظر إلى بيوت مكة فحمد الله وأثنى عليه ونظر إلى موضع قبة بالأبطح تجاه شعب بنى هاشم حيث حصر رسول الله ص وأهله ثلاث [صفحه ٢٧٧] سنين و قال ياجابر إن منزلنا اليوم حيث تقاسمت علينا قريش فى كفرها قال جابر فذكرت كلاما كنت أسمعه فى المدينة قبل ذلك كان يقول منزلنا غدا إن شاء الله إذافتح علينا مكة فى الخيف حيث تقاسموا على الكفر. قال الواقدى وكانت قبته يومئذ بالأدم ضربت له بالحجون فأقبل حتى انتهى إليها ومعه أم سلمة وميمونة قال الواقدى وحدثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله عن أبيه عن أبى رافع قال قيل للنبىص أ لاتنزل منزلك من الشعب قال وهل ترك لنا عقيل من منزل و كان عقيل قدباع منزل رسول الله ص ومنازل إخوته من الرجال والنساء بمكة فقيل لرسول الله ص فانزل فى بعض بيوت مكة من غيرمنازلك فأبى و قال لاأدخل البيوت فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا و كان يأتى إلى المسجد من الحجون قال وكذلك فعل فى عمرة القضية و فى حجته . قال الواقدى

وكانت أم هانئ بنت أبى طالب تحت هبيرة بن أبى وهب المخزومى فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها عبد الله بن أبى ربيعة والحارث بن هشام المخزوميان فاستجارا بها وقالا نحن فى جوارك فقالت نعم أنتما فى جوارى قالت أم هانئ فهما عندى إذ دخل على فارس مدجج فى الحديد و لاأعرفه فقلت له أنابنت عم رسول الله فأسفر عن وجهه فإذا على أخى فاعتنقته ونظر إليهما فشهر السيف عليهما فقلت أخى من بين الناس تصنع بى هذافألقيت عليهما ثوبا فقال أتجيرين المشركين فحلت دونهما و قلت لا و الله وابتدئ بى قبلهما قالت فخرج و لم يكد فأغلقت عليهما بيتا و قلت لاتخافا وذهبت إلى خباء رسول الله ص [صفحه ۲۷۸] بالبطحاء فلم أجده ووجدت فيه فاطمة فقلت لها مالقيت من ابن أمى على أجرت حموين لى من المشركين فتفلت عليهما ليقتلهما قالت وكانت أشد على من زوجها وقالت لم تجيرين المشركين وطلع رسول الله ص و عليه الغبار فقال مرحبا بفاختة و هواسم أم هانئ فقلت ماذا لقيت من ابن أمى على ماكدت أفلت منه أجرت حموين لى من المشركين فتفلت عليهما ليقتلهما فقال ما كان ذلك له قدأجرنا من أجرت وأمنا من أمنت ثم أمر فاطمة فسكبت له غسلا فاغتسل ثم صلى ثمانى ركعات فى ثوب واحد ملتحفا به وقت الضحى قالت فرجعت إليهما وأخبرتهما و قلت إن شئتما فأقيما و إن شئتما فارجعا إلى منازلكما فأقاما عندى فى منزلى يومين ثم انصرفا إلى منازلهما. وأتى آت إلى النبى ص فقال إن الحارث بن هشام و عبد الله بن أبى ربيعة جالسان فى ناديهما متفضلان فى الملإ المزعفر فقال لاسبيل إليهما قدأجرناهما. قال الواقدى ومكث رسول الله ص فى قبة ساعة من النهار ثم دعا براحلته بعد أن اغتسل وصلى فأدنيت إلى باب القبة وخرج و عليه السلاح والمغفر على رأسه و قدصف له الناس فركبها والخيل تمعج ما بين الخندمة إلى الحجون ثم مر و أبوبكر إلى جانبه على راحلة أخرى يسير ويحادثه و إذابنات أبى أحيحة سعيد بن العاص بالبطحاء حذاء منزل أبى أحيحة و قدنشرن شعورهن فلطمن وجوه الخيل بالخمر فنظر رسول الله ص إلى أبى بكر فتبسم وأنشده قول حسان [صفحه ۲۷۹] تظل جيادنا متمطرات || تلطمهن بالخمر النساء . فلما انتهى إلى الكعبة تقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره وعجوا بالتكبير حتى ارتجت مكة وجعل رسول الله ص يشير إليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون ثم طاف بالبيت على راحلته و محمد بن مسلمة آخذ بزمامها وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما مرصوصة بالرصاص و كان هبل أعظمها و هوتجاه الكعبة على بابها وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح فجعل كلما يمر بصنم منها يشير بقضيب فى يده و يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا فيقع الصنم لوجهه ثم أمر بهبل فكسر و هوواقف عليه فقال الزبير لأبى سفيان يا أباسفيان قدكسر هبل أ ماإنك قدكنت منه يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قدأنعم فقال دع هذاعنك يا ابن العوام فقد أرى أن لو كان مع إله محمدغيره لكان غير ما كان . قال الواقدى ثم انصرف رسول الله ص فجلس ناحية من المسجد وأرسل بلالا إلى عثمان بن طلحة يأتيه بالمفتاح مفتاح الكعبة فقال عثمان نعم فخرج إلى أمه وهى بنت شيبة فقال لها والمفتاح عندها يومئذ إن رسول الله ص قدطلب المفتاح فقالت أعيذك بالله أن يكون الذى يذهب مأثرة قومه على يده فقال فو الله لتأتينى به أوليأتينك غيرى فيأخذه منك فأدخلته فى حجرتها وقالت أى رجل يدخل يده هاهنا فبينما هما على ذلك و هويكلمها إذ سمعت صوت أبى بكر وعمر فى الدار وعمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطأ ياعثمان اخرج فقالت أمه خذ المفتاح فلأن تأخذه أنت أحب إلى من أن يأخذه تيم وعدى فأخذه فأتى به رسول الله ص فلما تناوله بسط العباس بن عبدالمطلب يده و قال يا رسول الله بأبى أنت اجمع لنا بين السقاية والحجابة فقال إنما أعطيكم ماترضون فيه و لاأعطيكم ماترزءون منه [صفحه ۲۸۰] قالوا و كان عثمان بن طلحة قدقدم على رسول الله ص مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص مسلما قبل الفتح . قال الواقدى وبعث رسول الله ص عمر بن الخطاب ومعه عثمان بن طلحة وأمره أن يفتح البيت فلايدع فيه صورة و لاتمثالا إلاصورة ابراهيم الخليل ع فلما دخل الكعبة رأى صورة ابراهيم شيخا كبيرا يستقسم بالأزلام . قال الواقدى و قدروى أنه أمره بمحو الصور كلها لم يستثن فترك عمر صورة ابراهيم فقال لعمر أ لم آمرك ألا تدع فيهاصورة

فقـال عمر كانت صورة ابراهيم قال فامحها و قال قاتلهم الله جعلوه شـيخا يسـتقسم بالأزلام . قال ومحا صورة مريم قال و قـدروى أن رسول الله ص محـا الصور بيـده روى ذلك ابن أبى ذئب عن عبـدالرحمن بن مهران عن عمير مولى ابن عباس عن أسامـة بن زيـد قال دخلت مع رسول الله ص الكعبة فرأى فيهاصورا فأمرنى أن آتيه فى الدلو بماء فجعل يبل به الثوب ويضـرب به الصور و يقول قاتل الله قوما يصورون ما لايخلقون -روايت-۱-۲-روايت-۹۶-۲۵۴ قال الواقدى وأمر رسول الله ص بالكعبة فأغلقت عليه ومعه فيهاأسامة بن زيد وبلال بن رباح وعثمان بن طلحة فمكث فيها ماشاء الله وخالد بن الوليد واقف على الباب يذب الناس عنه حتى خرج رسول الله ص فوقف وأخـذ بعضادتى الباب وأشـرف على الناس و فى يده المفتاح ثم جعله فى كمه و أهل مكة قيام تحته وبعضـهم جلوس قدليط بهم فقال الحمد لله ألذى -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-ادامه دارد [صفحه ۲۸۱] صدق وعده ونصر عبـده وهزم الأحزاب وحـده ماذا تقولون و ماذا تظنون قالوا نقول خيرا ونظن شـرا أخ كريم و ابن أخ كريم و قدقدرت فقال إنى أقول كما قال أخى يوسف لا تَثرِيبَ عَلَيكُمُ اليَومَ يَغفِرُ اللّهُ لَكُم وَ هُوَ أَرحَمُ الرّاحِمِينَألا إن كل ربا فى الجاهليـة أودم أومأثرة فهو تحت قدمى هاتين إلاسدانة الكعبة وسـقاية الحاج ألا و فى قتيل شبه العمد قتيل العصا والسوط الدية مغلظة مائة ناقة منها أربعون فى بطونها أولادها إن الله قدأذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها كلكم لآدم وآدم من تراب وأكرمكم عند الله أتقاكم ألا إن الله حرم مكـة يوم خلق السـماوات و الأرض فهى حرام بحرم الله لم تحل لأحـد كان قبل و لاتحل لأحـد يأتى بعـدى و ماأحلت لى إلاساعـة من النهار قال يقصـدها رسول الله ص بيده هكذا لاينفر صـيدها و لايعضد عضاهها و لاتحل لقطتها إلالمنشد و لايختلى خلاها فقال العباس إلاالإذخر يا رسول الله فإنه لابد منه للقبور والبيوت فسكت رسول الله ص ساعة ثم قال إلاالإذخر فإنه حلال و لاوصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر و لايحل لامرأة أن تعطى من مالها إلاباإذن زوجها والمسلم أخو المسلم والمسلمون إخوة يـد واحدة على من سواهم تتكافأ دماؤهم يسـعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم و لايقتل مسـلم بكافر و لاذو عهد فى عهده و لايتوارث أهل ملتين مختلفتين و لاتنكح المرأة على عمتها و لا على خالتها والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر و لاتسافر امرأة مسيرة ثلاث إلا مع ذى محرم و لاصـلاة بعدالعصـر و لا بعدالصـبح وأنهاكم عن صـيام يومين يوم الأضـحى و يوم الفطر -روايت-از قبل-۱۴۲۴ ثم قال ادعوا لى عثمان بن طلحـة فجاء و قـد كان رسول الله ص قال له يوما بمكة قبل الهجرة و مع عثمان المفتاح لعلك سترى هذاالمفتاح بيدى يوما أضـعه حيث شئت فقال عثمان لقد هلكت قريش إذا وذلت فقال ع بل عمرت وعزت قال عثمان فلما دعانى يومئـذ والمفتاح بيـده ذكرت قوله حين قال فاسـتقبلته [صـفحه ۲۸۲] ببشـر فاستقبلنى بمثله ثم قال خـذوها يابنى أبى طلحـة خالـدة تالدة لاينزعها منكم إلاظالم ياعثمان إن الله اسـتأمنكم على بيته فكلوا بالمعروف قال عثمان فلما وليت نـادانى فرجعت فقـال أ لم يكن ألـذى قلت لك يعنى ما كان قاله بمكـة من قبل فقلت بلى أشـهد أنك رسول الله ص قال الواقـدى وأمر رسول الله ص يومئـذ برفع السـلاح و قال إلاخزاعـة عن بنى بكر إلى صـلاة العصـر فخبطوهم بالسـيف ساعة وهى الساعة التى أحلت لرسول الله ص . قال الواقدى و قد كان نوفل بن معاوية الدؤلى من بنى بكر اسـتأمن رسول الله ص على نفسـه فأمنه وكانت خزاعـة تطلبه بدماء من قتلت بكر وقريش منها بالوتير و قدكانت خزاعة قالت أيضا لرسول الله ص إن أنس بن زنيم هجاك فهـدر رسول الله ص دمه فلما فتح مكة هرب والتحق بالجبال و قد كان قبل أن يفتح رسول الله ص مكة قال شـعرا يعتذر فيه إلى رسول الله ص من جملته أنت ألـذى تهـدى معد بـأمره || بـك الله يهـديها و قـال لها ارشـدى فما حملت من ناقـة فوق كورها || أبر وأوفى ذمة من محمد أحث على خير وأوسع نائلا || إذاراح يهتز اهتزاز المهند وأكسـى لبرد الخال قبل ارتدائه || وأعطى لرأس السـابق المتجرد تعلم رسول الله أنـك مـدركى || و إن وعيـدا منك كالأخـذ باليـد تعلم رسول الله أنك قادر || على كل حى من تهام ومنجـد ونبى رسول الله أنى هجوته || فلارفعت سوطى إلى إذن يـدى سوى أننى قـد قلت ياويـح فتية || أصيبوا بنحس يوم طلق وأسعد [صفحه ۲۸۳] أصابهم من لم يكن لدمائهم || كفاء فعزت عبرتى وتلددى ذؤيبا وكلثوما وسلمى

تتابعوا || جميعا فإلا تـدمع العين أكمـد على أن سـلمى ليس منهم كمثله || وإخوته وهل ملوك كأعبـد فإني لاعرضا خرقت و لادما || هرقت ففكر عالم الحق واقصـد . قال الواقـدى وكانت كلمته هـذه قدبلغت رسول الله ص قبل أن يفتح مكة فنهنهت عنه وكلمه يوم الفتـح نوفـل بن معاويـة الـدؤلى فقال يا رسول الله أنت أولى الناس بالعفو و من منا لم يعادك و لم يؤذك ونحن فى جاهليـة لانـدرى مانأخـذ و مانـدع حتى هدانا الله بك وأنقذنا بيمنك من الهلكة و قدكذب عليه الركب وكثروا فى أمره عندك فقال رسول الله ص دع الركب عنك أنا لم نجد بتهامة أحدا من ذوى رحم و لابعيد الرحم كان أبر بنا من خزاعة فاسكت يانوفل فلما سـكت قال رسول الله ص قدعفوت عنه فقال نوفل فداك أبى وأمى. قال الواقدى وجاءت الظهر فأمر رسول الله ص بلالا أن يـؤذن فـوق ظهر الكعبـة وقريش فى رءوس الجبـال ومنهم من قـدتغيب وسـتر وجهه خوفـا من أن يقتلوا ومنهم من يطلب الأمـان ومنهم من قـدأمن فلما أذن بلال وبلغ إلى قوله أشـهد أن محمدا رسول الله ص رفع صوته كأشد ما يكون قال تقول جويرية بنت أبى جهل قدلعمرى رفع لك ذكرك فأما الصـلاة فسنصلى ولكن و الله لانحب من قتل الأحبة أبدا ولقد كان جاء أبى ألذى جاء محمـدا من النبوة فردها و لم يرد خلاف قومه . و قال خالد بن سـعيد بن العاص الحمد لله ألذى أكرم أبى فلم يدرك هذااليوم [صفحه ٢٨۴] و قال الحارث بن هشام وا ثكلاه ليتنى مت قبل هذااليوم قبل أن أسـمع بلالا ينهق فوق الكعبة و قال الحكم بن أبى العاص هذا و الله الحدث العظيم أن يصيـح عبدبنى جمح يصـيح بما يصيح به على بيت أبى طلحة و قال سهيل بن عمرو إن كان هذاسـخطا من الله تعالى فسـيغيره و إن كان لله رضا فسيقره و قال أبوسفيان أما أنا فلاأقول شيئا لو قلت شيئا لأخبرته هذه الحصباء قـال فـأتى جبرئيـل ع رسول الله ص فأخبره مقالـة القوم . قال الواقـدى فكان سـهيل بن عمرو يحـدث فيقول لمادخل محمـدمكة انقمعت فدخلت بيتى وأغلقته على و قلت لابنى عبد الله بن سهيل اذهب فاطلب لى جوارا من محمدفإنى لاآمن أن أقتل وجعلت أتـذكر أثرى عنـده و عندأصـحابه فلاـأرى أسـوأ أثرا منى فـإنى لقيته يوم الحديبيـة بمـا لم يلقه أحـد به وكنت ألـذى كـاتبه مع حضورى بـدرا وأحـدا وكلما تحركت قريش كنت فيهافـذهب عبد الله بن سـهيل إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله أبى تؤمنه قـال نعم هوآمن بأمان الله فليظهر ثم التفت إلى من حوله فقال من لقى سـهيل بن عمرو فلايشـدن النظر إليه ثم قال قل له فليخرج فلعمرى إن سـهيلا له عقل وشـرف و مامثل سـهيل جهل الإسـلام ولقد رأى ما كان يوضع فيه إن لم يكن له تتابع فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ص فقال سـهيل كان و الله برا صغيرا وكبيرا و كان سهيل يقبل ويدبر غيرخائف وخرج إلى خيبر مع النبى ص و هو على شركه حتى أسلم بالجعرانة

المجلد ١٨

الجزء الثامن عشر

تتمة أبواب الكتب والرسائل

تتمة ۶۴- كتاب له ع إلى معاوية

ذكر بقية الخبر عن فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمـد لله الواحـد العـدل قال الواقدى وهرب هبيرة بن أبى وهب و عبد الله بن الزبعرى جميعا حتى انتهيا إلى نجران فلم يأمنا الخوف حتى دخلا حصن نجران فقيل ماشأنكما قالا أماقريش فقـد قتلت ودخل محمدمكـة ونحن و الله نرى

أن محمدا سائر إلى حصنكم هذافجعلت بلحارث بن كعب يصلحون مارث من حصنهم وجمعوا ماشيتهم فأرسل حسان بن ثابت إلى ابن الزبعرى لاتعـدمن رجلاـ أحلـك بغضه || نجران فى عيش أجـد ذميم بليت قناتـك فى الحروب فألفيت || جوفاء ذات معـايب ووصوم غضب الإلـه على الزبعرى وابنه || بعـذاب سوء فى الحيـاة مقيم . فلما جاء ابن الزبعرى شـعر حسان تهيأ للخروج فقـال هبيرة بن وهب أين تريـد يـا ابن عم قـال له أريـد و الله محمـدا قال أتريـد أن تتبعه قال إى و الله قال هبيرة ياليت أنى كنت رافقـت غيرك و الله مـاظننت أنـك تتبـع محمـدا أبـدا قـال ابن الزبعرى هـوذاك فعلى أى شـىءأقيم مـع بنى الحـارث بن كعب وأترك ابن عمى وخير النـاس وأبرهم و بين قومى وداري فانحـدر ابن الزبعرى حتى جاء رسول الله ص [صـفحه ٨] و هوجالس فى أصـحابه فلمـا نظر إليه قـال هـذا ابن الزبعرى ومعه وجه فيه نور الإسـلام فلمـا وقف على رسول الله ص قـال السـلام عليك يا رسول الله شـهدت أن لاإله إلا الله وأنك عبـده ورسوله والحمـد لله ألذى هدانى للإسـلام لقد عاديتك وأجلبت عليك وركبت الفرس والبعير ومشـيت على قـدمى فى عـداوتك ثم هربت منك إلى نجران و أناأريـد ألا أقرب الإسـلام أبدا ثم أرادنى الله منه بخير فألقاه فى قلبى وحببه إلى وذكرت ماكنت فيه من الضلال واتباع ما لاينفع ذا عقل من حجر يعبد ويذبح له لايدرى من عبده و من لايعبده فقال رسول الله ص الحمد لله ألذى هداك للإسلام احمد الله إن الإسلام يجب ما كان قبله -روايت-١-٢-روايت-٢٤-٩٦ وأقام هبيرة بنجران وأسـلمت أم هانئ فقال هبيرة حين بلغه إسلامها يوم الفتح يؤنبها شعرا من جملته و إن كنت قدتابعت دين محمـد || وقطعت الأرحـام منـك حبالها فكونى على أعلى سـحوق بهضـبة || ململمـة غبراء يبس بلالها فأقام بنجران حتى مـات مشـركا. قـال الواقـدى وهرب حويطب بن عبـدالعزى فـدخل حائطـا بمكـة وجـاء أبوذر لحاجته فـدخل الحائط فرآه فهرب حويطب فقال أبوذر تعال فأنت آمن فرجع إليه فقال أنت آمن فاذهب حيث شـئت و إن شـئت أدخلتك على رسول الله ص و إن شئت فإلى منزلك قال وهل من سبيل إلى منزلى ألفى فأقتل قبل أن أصل إلى منزلى [صـفحه ٩] أويدخل على منزلى فأقتل قال فأنـا أبلغ معـك منزلـك فبلغ معه منزله ثم جعـل ينادى على بابه أن حويطبا آمن فلايهيـج ثم انصرف إلى رسول الله ص فأخبره فقال أ و ليس قـدأمنا الناس كلهم إلا من أمرت بقتله . قال الواقـدى وهرب عكرمة بن أبى جهل إلى اليمن حتى ركب البحر قال وجـاءت زوجته أم حكيم بنت الحـارث بن هشـام إلى رسول الله ص فى نسوة منهن هنـد بنت عتبـة و قـد كان رسول الله ص أمر بقتلها والبغوم بنت المعدل الكنانية امرأة صفوان بن أمية وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة امرأة الحارث بن هشام وهند بنت عتبة بن الحجاج أم عبد الله بن عمرو بن العاص و رسول الله ص بالأبطح فأسلمن و لمادخلن عليه دخلن وعنده زوجتاه وابنته فاطمة ونساء من نسـاء بنى عبـدالمطلب وسألن أن يبـايعهن فقال إنى لاأصافـح النساء ويقال إنه وضع على يـده ثوبا فمسـحن عليه ويقال كان يؤتى بقـدح من مـاء فيـدخل يـده فيه ثم يرفعه إليهن فيـدخلن أيـديهن فيه فقالت أم حكيم امرأة عكرمـة يا رسول الله إن عكرمة هرب منـك إلى اليمن خـاف أن تقتله فـأمنه فقـال هوآمن فخرجت أم حكيم فى طلبه ومعهـا غلام لها رومى فراودها عن نفسـها فجعلت تمنيه حتى قدمت به على حى فاستغاثت بهم عليه فأوثقوه رباطا وأدركت عكرمة و قدانتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر فهاج بهم فجعل نوتى السـفينة يقول له أن أخلص قال أى شىءأقول قال قل لاإله إلا الله قال عكرمة ماهربت إلا من هـذافجاءت أم حكيم على هـذا من الأمر فجعلت تلـح عليه وتقول يا ابن عم جئتك من عندخير الناس وأوصل الناس وأبر الناس لاتهلك نفسك فوقف لها حتى أدركته فقالت إنى قداستأمنت لك رسول الله ص فأمنك قال [صفحه ١٠] أنت فعلت قالت نعم أنـا كلمته فأمنـك فرجع معها فقالت مالقيت من غلامك الرومى وأخبرته خبره فقتله عكرمـة فلما دنا من مكـة قال رسول الله ص لأصـحابه يـأتيكم عكرمـة بن أبى جهـل مؤمنا فلاتسـبوا أباه فإن سب الميت يؤذى الحى و لايبلغ الميت -روايت-١-٢-روايت-٣١-١٢٣ فلمـا وصـل عكرمـة ودخل على رسول الله ص وثب إليه ص و ليس عليه رداء فرحا به ثم جلس فوق عكرمـة بين يـديه ومعه زوجته منقبـة فقـال يا محمـد إن هـذه أخبرتنى أنك أمنتنى فقال صـدقت أنت آمن فقال عكرمـة فإلام تـدعو فقال إلى أن

تشهد أن لاإله إلا الله وأنی رسول الله و أن تقیم الصلاة وتؤتی الزکاة وعد خصال الإسلام فقال عکرمة مادعوت إلا إلی حق و إلی حسن جمیل ولقد کنت فینا من قبل أن تدعو إلی مادعوت إلیه و أنت أصدقنا حدیثا وأعظمنا برا ثم قال فإنی أشهد أن لاإله إلا الله وأنک رسول الله فقال رسول الله ص لاتسألنی الیوم شیئا أعطیه أحدا إلاأعطیتکه قال فإنی أسألک أن تغفر لی کل عداوة عادیتکها أومسیر أوضعت فیه أومقام لقیتک فیه أوکلام قلته فی وجهک أو أنت غائب عنه فقال أللهم اغفر له کل عداوة عادانیها و کل مسیر سار فیه إلی یرید بذلک إطفاء نورک واغفر له مانال منی و من عرضی فی وجهی أو أناغائب عنه فقال عکرمة رضیت بذلک یا رسول الله ثم قال أما و الله لاأدع نفقة کنت أنفقها فی صد عن سبیل الله إلاأنفقت ضعفها فی سبیل الإسلام و فی سبیل الله ولأجتهدن فی القتال بین یدیک حتی أقتل شهیدا قال فرد علیه رسول الله ص امرأته بذلک النکاح الأول . قال الواقدی و أماصفوان بن أمیة فهرب حتی أتی الشعبة وجعل یقول لغلامه [صفحه ١١] یسار و لیس معه غیره ویحک انظر من تری فقال هذاعمیر بن وهب قال صفوان ماأصنع بعمیر و الله ماجاء إلایرید قتلی قدظاهر محمدا علی فلحقه فقال صفوان یاعمیر ما لک ماکفاک ماصنعت حملتنی دینک وعیالک ثم جئت ترید قتلی فقال یا أباوهب جعلت فداک جئتک من عندخیر الناس وأبر الناس وأوصل الناس و قد کان عمیر قال لرسول الله ص یا رسول الله سید قومی صفوان بن أمیة خرج هاربا لیقذف نفسه فی البحر خاف ألا تؤمنه فأمنه فداک أبی وأمی فقال قدأمنته فخرج فی أثره فقال إن رسول الله ص قدأمنک صفوان لا و الله حتی تأتینی بعلامة أعرفها فرجع إلی رسول الله ص فأخبره و قال یا رسول الله جئته و هویرید أن یقتل نفسه فقال لاأرجع إلابعلامة أعرفها فقال خذ عمامتی فرجع عمیر إلیه بعمامة رسول الله ص وهی البرد ألذی دخل فیه رسول الله ص مکة معتجرا به برد حبرة أحمر فخرج عمیر فی طلبه الثانیة حتی جاءه بالبرد فقال یا أباوهب جئتک من عندخیر الناس وأوصل الناس وأبر الناس وأحلم الناس مجده مجدک وعزه عزک وملکه ملکک ابن أبیک وأمک أذکرک الله فی نفسک فقال أخاف أن أقتل قال فإنه دعاک إلی الإسلام فإن رضیت و إلاسیرک شهرین فهو أوفی الناس وأبرهم و قدبعث إلیک ببرده ألذی دخل به معتجرا أتعرفه قال نعم فأخرجه فقال نعم هو هوفرجع صفوان حتی انتهی إلی رسول الله ص فوجده یصلی العصر بالناس فقال کم یصلون قالوا خمس صلوات فی الیوم واللیلة قال أ محمدیصلی بهم قالوا نعم فلما سلم من صلاته صاح صفوان یا محمد إن عمیر [صفحه ١٢] بن وهب جاءنی ببردک وزعم أنک دعوتنی إلی القدوم إلیک فإن رضیت أمرا و إلاسیرتنی شهرین فقال رسول الله ص انزل أباوهب فقال لا و الله أوتبین لی قال بل سر أربعة أشهر فنزل صفوان وخرج معه إلی حنین و هوکافر وأرسل إلیه یستعیر أدراعه وکانت مائة درع فقال أطوعا أم کرها فقال ع بل طوعا عاریة مؤداة فأعاره إیاها ثم أعادها إلیه بعدانقضاء حنین والطائف فلما کان رسول الله ص بالجعرانة یسیر فی غنائم هوازن ینظر إلیها فنظر صفوان إلی شعب هناک مملوء نعما وشاء ورعاء فأدام النظر إلیه و رسول الله ص یرمقه فقال أباوهب یعجبک هذاالشعب قال نعم قال هو لک و ما فیه فقال صفوان ماطابت نفس أحد بمثل هذا إلانفس نبی أشهد أن لاإله إلا الله وأنک رسول الله ص . قال الواقدی فأما عبد الله بن سعد بن أبی سرح فکان قدأسلم و کان یکتب لرسول الله ص الوحی فربما أملی علیه رسول الله ص سمیع علیم فیکتب عزیز حکیم ونحو ذلک ویقرأ علی رسول الله ص فیقول کذلک الله ویقرأ فافتتن و قال و الله مایدری ما یقول إنی لأکتب له ماشئت فلاینکر وإنه لیوحی إلی کمایوحی إلی محمد وخرج هاربا من المدینة إلی مکة مرتدا فأهدر رسول الله دمه وأمر بقتله یوم الفتح فلما کان یومئذ جاء إلی عثمان و کان أخاه من الرضاعة فقال یاأخی إنی قدأجرتک فاحتبسنی هاهنا واذهب إلی محمدفکلمه فی فإن محمدا إن رآنی ضرب عنقی أن جرمی أعظم الجرم و قدجئت تائبا فقال عثمان قم فاذهب معی إلیه قال کلا و الله إنه إن رآنی ضرب عنقی و لم یناظرنی قدأهدر دمی وأصحابه یطلبوننی فی کل موضع فقال عثمان انطلق معی فإنه لایقتلک إن شاء الله فلم یرع رسول الله ص إلابعثمان [صفحه ١٣] آخذا بید عبد الله بن سعد واقفین بین یدیه فقال عثمان یا رسول الله هذاأخی من الرضاعة إن أمه کانت

تحملنی وتمشیه وترضعنی وتفطمه وتلطفنی وتترکه فهبه لی فأعرض رسول الله ص عنه وجعل عثمان کلما أعرض رسول الله عنه استقبله بوجهه وأعاد علیه هذاالکلام وإنما أعرض ع عنه إرادة لأن یقوم رجل فیضرب عنقه فلما رأی ألا یقوم أحد وعثمان قدانکب علیه یقبل رأسه و یقول یا رسول الله بایعه فداک أبی وأمی علی الإسلام فقال رسول الله ص نعم فبایعه . قال الواقدی قال رسول الله ص بعد ذلک للمسلمین مامنعکم أن یقوم منکم واحد إلی هذاالکلب فیقتله أو قال الفاسق فقال عباد بن بشر و ألذی بعثک بالحق إنی لأتبع طرفک من کل ناحیة رجاء أن تشیر إلی فأضرب عنقه ویقال إن أباالبشیر هو ألذی قال هذا ویقال بل قاله عمر بن الخطاب فقال ع إنی لاأقتل بالإشارة وقیل إنه قال إن النبی لا یکون له خائنة الأعین . قال الواقدی فجعل عبد الله بن سعد یفر من رسول الله ص کلما رآه فقال له عثمان بأبی أنت وأمی لوتری ابن أم عبدیفر منک کلما رآک فتبسم رسول الله ص فقال أ و لم أبایعه وأؤمنه قال بلی ولکنه یتذکر عظم جرمه فی الإسلام فقال إن الإسلام یجب ماقبله -روایت-۱-۲-روایت-۹-۳۵ قال الواقدی و أماالحویرث بن معبد و هو من ولد قصی بن کلاب فإنه کان یؤذی رسول الله ص بمکة فأهدر دمه فبینما هو فی منزله یوم الفتح و قدأغلق علیه بابه جاء علی ع یسأل عنه فقیل له هو فی البادیة وأخبر الحویرث أنه جاء یطلبه وتنحی علی ع عن بابه فخرج الحویرث یرید أن [صفحه ۱۴] یهرب من بیت إلی بیت آخر فتلقاه علی ع فضرب عنقه . قال الواقدی و أماهبار بن الأسود فقد کان رسول الله ص أمر أن یحرقه بالنار ثم قال إنما یعذب بالنار رب النار اقطعوا یدیه ورجلیه إن قدرتم علیه ثم اقتلوه و کان جرمه أن نخس زینب بنت رسول الله ص لماهاجرت وضرب ظهرها بالرمح وهی حبلی فأسقطت فلم یقدر المسلمون علیه یوم الفتح فلما رجع رسول الله ص إلی المدینة طلع هبار بن الأسود قائلا أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقبل النبی ص إسلامه فخرجت سلمی مولاة النبی ص فقالت لاأنعم الله بک عینا أنت ألذی فعلت وفعلت فقال رسول الله ص وهبار یعتذر إلیه أن الإسلام محا ذلک ونهی عن التعرض له . قال الواقدی قال ابن عباس رضی الله عنه رأیت رسول الله ص وهبار یعتذر إلیه و هویطأطئ رأسه استحیاء مما یعتذر هبار و یقول له قدعفوت عنک . قال الواقدی و أما ابن خطل فإنه خرج حتی دخل بین أستار الکعبة فأخرجه أبوبرزة الأسلمی منها فضرب عنقه بین الرکن والمقام ویقال بل قتله عمار بن یاسر وقیل سعد بن حریث المخزومی وقیل شریک بن عبدة العجلانی والأثبت أنه أبوبرزة قال و کان جرمه أنه أسلم وهاجر إلی المدینة وبعثه رسول الله ص ساعیا وبعث معه رجلا من خزاعة فقتله وساق ماأخذ من مال الصدقة ورجع إلی مکة فقالت له قریش ماجاء بک قال لم أجد دینا خیرا من دینکم وکانت له قینتان إحداهما قرینی والأخری قرینة أوأرنب و کان ابن خطل یقول [صفحه ۱۵] الشعر یهجو به رسول الله ص ویغنیان به ویدخل علیه المشرکون بیته فیشربون عنده الخمر ویسمعون الغناء بهجاء رسول الله ص . قال الواقدی و أمامقیس بن صبابة فإن أمه سهمیة و کان یوم الفتح عندأخواله بنی سهم فاصطبح الخمر ذلک الیوم فی ندامی له وخرج ثملا یتغنی ویتمثل بأبیات منها دعینی أصطبح یابکر إنی || رأیت الموت نقب عن هشام ونقب عن أبیک أبی یزید || أخی القینات والشرب الکرام یخبرنا ابن کبشة أن سنحیا || وکیف حیاة أصداء وهام إذا ماالرأس زال بمنکبیه || فقد شبع الأنیس من الطعام أتقتلنی إذا ماکنت حیا || وتحیینی إذارمت عظامی .فلقیه نمیلة بن عبد الله اللیثی و هو من رهطه فضربه بالسیف حتی قتله فقالت أخته ترثیه لعمری لقد أخزی نمیلة رهطه || وفجع أصناف النساء بمقیس فلله عینا من رأی مثل مقیس || إذاالنفساء أصبحت لم تخرس و کان جرم مقیس من قبل أن أخاه هاشم بن صبابة أسلم وشهد المریسیع مع رسول الله ص فقتله رجل من رهط عبادة بن الصامت وقیل من بنی عمرو بن عوف و هو لایعرفه فظنه من المشرکین فقضی له رسول الله ص بالدیة علی العاقلة فقدم مقیس أخوه المدینة فأخذ دیته وأسلم ثم عدا علی قاتل أخیه فقتله وهرب مرتدا کافرا یهجو رسول الله ص بالشعر فأهدر دمه . [صفحه ۱۶] قال الواقدی فأما سارة مولاة بنی هاشم وکانت مغنیة نواحة بمکة وکانت قدقدمت علی رسول الله ص المدینة تطلب أن یصلها وشکت إلیه الحاجة و ذلک بعدبدر وأحد فقال لها أ ما کان لک فی

غنائک ونیاحک مایغنیک قالت یا محمد إن قریشا منذ قتل من قتل منهم ببدر ترکوا استماع الغناء فوصلها رسول الله ص وأوقر لها بعیرا طعاما فرجعت إلی قریش وهی علی دینها وکانت یلقی علیها هجاء رسول الله ص فتغنی به فأمر بها رسول الله ص یوم الفتح أن تقتل فقتلت و أماقینتا ابن خطل فقتل یوم الفتح إحداهما وهی أرنب أوقرینة و أماقرینی فاستؤمن لها رسول الله ص فأمنها وعاشت حتی ماتت فی أیام عثمان . قال الواقدی و قدروی أن رسول الله ص أمر بقتل وحشی یوم الفتح فهرب إلی الطائف فلم یزل بهامقیما حتی قدم مع وفد الطائف علی رسول الله ص فدخل علیه فقال أشهد أن لاإله إلا الله وأنک رسول الله فقال أوحشی قال نعم قال اجلس وحدثنی کیف قتلت حمزة فلما أخبره قال قم وغیب عنی وجهک فکان إذارآه تواری عنه . قال الواقدی وحدثنی ابن أبی ذئب ومعمر عن الزهری عن أبی سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبی عمرو بن عدی بن أبی الحمراء قال سمعت رسول الله ص یقول بعدفراغه من أمر الفتح و هویرید الخروج من مکة أما و الله إنک لخیر أرض الله وأحب بلاد الله إلی و لو لا أن أهلک أخرجونی ماخرجت -روایت-۱-۲-روایت-۲۰۷-۲۹۵ . وزاد محمد بن إسحاق فی کتاب المغازی أن هند بنت عتبة جاءت إلی رسول الله [صفحه ۱۷] ص مع نساء قریش متنکرة متنقبة لحدثها ألذی کان فی الإسلام و ماصنعت بحمزة حین جدعته وبقرت بطنه عن کبده فهی تخاف أن یأخذها رسول الله ص بحدثها ذلک فلما دنت منه و قال حین بایعنه علی ألا یشرکن بالله شیئا قلن نعم قال و لایسرقن فقالت هند و الله أناکنت لأصیب من مال أبی سفیان الهنة والهنیهة فما أعلم أحلال ذلک أم لا فقال رسول الله ص وإنک لهند قالت نعم أناهند و أناأشهد أن لاإله إلا الله وأنک رسول الله فاعف عما سلف عفا الله عنک فقال رسول الله ص و لایزنین فقالت هند وهل تزنی الحرة فقال لا و لایقتلن أولادهن فقالت هند قدلعمری ربیناهم صغارا وقتلتهم کبارا ببدر فأنت وهم أعرف فضحک عمر بن الخطاب من قولها حتی أسفرت نواجذه قال و لایأتین ببهتان یفترینه فقالت هند إن إتیان البهتان لقبیح فقال و لایعصینک فی معروف فقالت ماجلسنا هذه الجلسة ونحن نرید أن نعصیک . قال محمد بن إسحاق و من جید شعر عبد الله بن الزبعری ألذی اعتذر به إلی رسول الله ص حین قدم علیه منع الرقاد بلابل وهموم || فاللیل ممتد الرواق بهیم مما أتانی أن أحمدلامنی || فیه فبت کأننی محموم یاخیر من حملت علی أوصالها || عیرانة سرح الیدین سعوم [صفحه ۱۸] إنی لمعتذر إلیک من ألذی || أسدیت إذ أنا فی الضلال أهیم أیان تأمرنی بأغوی خطة || سهم وتأمرنی به مخزوم وأمد أسباب الردی ویقودنی || أمر الغواة وأمرهم مشئوم فالیوم آمن بالنبی محمد || قلبی ومخطئ هذه محروم مضت العداوة وانقضت أسبابها || ودعت أواصر بیننا وحلوم فاغفر فدی لک والدی کلاهما || زللی فإنک راحم مرحوم وعلیک من علم الملیک علامة || نور أغر وخاتم مختوم أعطاک بعدمحبة برهانه || شرفا وبرهان الإله عظیم ولقد شهدت بأن دینک صادق || بر وشأنک فی العباد جسیم و الله یشهد أن أحمدمصطفی || متقبل فی الصالحین کریم فرع علا بنیانه من هاشم || دوح تمکن فی العلا وأروم . قال الواقدی و فی یوم الفتح سمی رسول الله ص أهل مکة الذین دخلها علیهم الطلقاء لمنه علیهم بعد أن أظفره الله بهم فصاروا أرقاء له و قدقیل له یوم الفتح قدأمکنک الله تعالی فخذ ماشئت من أقمار علی غصون یعنون النساء فقال ع یأبی ذلک إطعامهم الضیف وإکرامهم البیت ووجؤهم مناحر الهدی. ثم نعود إلی تفسیر مابقی من ألفاظ الفصل قوله فإن کان فیک عجل فاسترفه [صفحه ۱۹] أی کن ذا رفاهیة و لاترهقن نفسک بالعجل فلابد من لقاء بعضنا بعضا فأی حاجة بک إلی أن تعجل ثم فسر ذلک فقال إن أزرک فی بلادک أی إن غزوتک فی بلادک فخلیق أن یکون الله بعثنی للانتقام منک و إن زرتنی أی إن غزوتنی فی بلادی وأقبلت بجموعک إلی.کنتم کما قال أخو بنی أسد کنت أسمع قدیما أن هذاالبیت من شعر بشر بن أبی خازم الأسدی والآن فقد تصفحت شعره فلم أجده و لاوقفت بعد علی قائله و إن وقفت فیما یستقبل من الزمان علیه ألحقته . وریح حاصب تحمل الحصباء وهی صغار الحصی و إذاکانت بین أغوار وهی ماسفل من الأرض وکانت مع ذلک ریح صیف کانت أعظم مشقة وأشد ضررا علی من تلاقیه وجلمود یمکن أن یکون عطفا علی حاصب ویمکن

أن يكون عطفا على أغوار أى بين غور من الأرض وحرة و ذلك أشد لأذاها لماتكسبه الحرة من لفح السموم ووهجها والوجه الأول أليق . وأعضضته أى جعلته معضوضا برءوس أهلك وأكثر مايأتى أفعلته أن تجعله فاعلا- وهى هاهنا من المقلوب أى أعضضت رءوس أهلك به كقوله قدقطع الحبل بالمرود. وجده عتبة بن ربيعة وخاله الوليد بن عتبة وأخوه حنظلة بن أبى سفيان قتلهم على ع يوم بدر. والأغلف القلب ألذى لابصيرة له كأن قلبه فى غلاف قال تعالى وَ قالُوا قُلُوبُنا غُلفٌ. -قرآن-١١٠٢-١١٢٦ [صفحه ٢٠] والمقارب العقل بالكسر ألذى ليس عقله بجيد والعامة تقول فيما هذاشأنه مقارب بفتح الراء. ثم قال الأولى أن يقال هذه الكلمة لك . ونشدت الضالة طلبتها وأنشدتها عرفتها أى طلبت ما ليس لك . والسائمة المال الراعى والكلام خارج مخرج الاستعارة. فإن قلت كل هذاالكلام يطابق بعضه بعضا إلا قوله فما أبعد قولك من فعلك وكيف استبعد ع ذلك و لا بعدبينهما لأنه يطلب الخلافة قولا- وفعلا- فأى بعد بين قوله وفعله . قلت لأن فعله البغى والخروج على الإمام ألذى ثبتت إمامته وصحت وتفريق جماعة المسلمين وشق العصا هذا مع الأمور التى كانت تظهر عليه وتقتضى الفسق من لبس الحرير والمنسوج بالذهب و ما كان يتعاطاه فى حياة عثمان من المنكرات التى لم تثبت توبته منها فهذا فعله . و أما قوله فزعمه أنه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين و هذاالقول بعيد من ذلك الفعل جدا. و ما فى قوله وقريب ماأشبهت مصدرية أى وقريب شبهك بأعمام وأخوال و قدذكرنا من قتل من بنى أمية فى حروب رسول الله ص فيما تقدم وإليهم الإشارة بالأعمام والأخوال لأن أخوال معاوية من بنى عبدشمس كما أن أعمامه من بنى عبدشمس . قوله و لم تماشها الهوينى أى لم تصحبها يصفها بالسرعة والمضى فى الرءوس الأعناق [صفحه ٢١] و أما قوله ادخل فيما دخل فيه الناس وحاكم القوم فهى الحجة التى يحتج بهاأصحابنا له فى أنه لم يسلم قتلة عثمان إلى معاوية وهى حجة صحيحة لأن الإمام يجب أن يطاع ثم يتحاكم إليه أولياء الدم والمتهمون فإن حكم بالحق استديمت حكومته و إلافسق وبطلت إمامته . قوله فأما تلك التى تريدها قيل إنه يريد التعلق بهذه الشبهة وهى قتلة عثمان وقيل أراد به ما كان معاوية يكرر طلبه من أمير المؤمنين ع و هو أن يقره على الشام وحده و لايكلفه البيعة قال إن ذلك كمخادعة الصبى فى أول فطامه عن اللبن بما تصنعه النساء له مما يكره إليه الثدى ويسليه عنه ويرغبه فى التعوض بغيره و كتاب معاوية ألذى ذكرناه لم يتضمن حديث الشام [صفحه ٢٢]

٦٥- و من كتاب له ع إليه أيضا

أَمّا بَعدُ فَقَد آنَ لَکَ أَن تَنتَفِعَ بِاللّمحِ البَاصِرِ مِن عِيَانِ الأُمُورِ فَلَقَد سَلَکتَ مَدَارِجَ أَسلَافِکَ بِادّعَائِکَ الأَبَاطِيلَ وَ اقتِحَامِکَ غُرُورَ المَينِ وَ الأَکَاذِيبِ مِنِ انتِحَالِکَ مَا قَد عَلَا عَنکَ وَ ابتِزَازِکَ لِمَا قَدِ اختُزِنَ دُونَکَ فِرَاراً مِنَ الحَقّ وَ جُحُوداً لِمَا هُوَ أَلزَمُ لَکَ مِن لَحمِکَ وَ دَمِکَ مِمّا قَد وَعَاهُ سَمعُکَ وَ مُلِئَ بِهِ صَدرُکَ فَمَا ذَا بَعدَ الحَقّ إِلّا الضّلَالُ وَ بَعدَ البَيَانِ إِلّا اللّبسُ فَاحذَرِ الشّبهَةَ وَ اشتِمَالَهَا عَلَی لُبسَتِهَا فَإِنّ الفِتنَةَ طَالَمَا أَغدَفَت جَلَابِيبَهَا وَ أَعشَتِ الأَبصَارَ ظُلمَتُهَا وَ قَد أَتَانِي كِتَابٌ مِنکَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ القَولِ ضَعُفَت قُوَاهَا عَنِ السّلمِ وَ أَسَاطِيرَ لَم يَحُکهَا عَنکَ عِلمٌ وَ لَا حِلمٌ أَصبَحتَ مِنهَا کَالخَائِضِ فِي الدّهَاسِ وَ الخَابِطِ فِي الدّيمَاسِ وَ تَرَقّيتَ إِلَی مَرقَبَةٍ بَعِيدَةِ المَرَامِ نَازِحَةِ الأَعلَامِ تَقصُرُ دُونَهَا الأَنُوقُ وَ يُحَاذَی بِهَا العَيّوقُ وَ حَاشَ لِلّهِ أَن تَلِيَ لِلمُسلِمِينَ مِن بَعدِي صَدراً أَو وِرداً أَو أُجرِيَ لَکَ عَلَی أَحَدٍ مِنهُم عَقداً أَو عَهداً فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَک نَفسَکَ وَ انظُر لَهَا فَإِنّکَ إِن فَرّطتَ حَتّی يَنهَدَ إِلَيکَ عِبَادُ اللّهِ أُرتِجَت عَلَيکَ الأُمُورُ وَ مُنِعتَ أَمراً هُوَ مِنکَ اليَومَ مَقبُولٌ وَ السّلَامُ [صفحه ٢٣] آن لك وأنى لك بمعنى أى قرب وحان تقول آن لك أن تفعل كذا يئين أينا و قال أ لم يأن أن لى تجل عنى عمايتى || وأقصر عن ليلى بلى قدأنى ليا فجمع بين اللغتين وأنى مقلوبة عن آن ومما يجرى مجرى المثل قولهم لمن يرونه شيئا شديدا يبصره و لايشك فيه قدرأيته لمحا

باصرا قالوا أى نظرا بتحديق شديد ومخرجه مخرج رجل لابن وتامر أى ذو لبن وتمر فمعنى باصر ذو بصر يقول ع لمعاوية قدحان لك أن تنتفع بما تعلمه من معاينة الأمور والأحوال وتتحققه يقينا بقلبك كمايتحقق ذو اللمح الباصر مايبصره بحاسة بصره وأراد ببيان الأمور هاهنا معاينتها و هو مايعرفه ضرورة من استحقاق على ع للخلافة دونه وبراءته من كل شبهة ينسبها إليه . ثم قال له فقد سلكت أى اتبعت طرائق أبى سفيان أبيك وعتبة جدك وأمثالهما من أهلك ذوى الكفر والشقاق . والأباطيل جمع باطل على غيرقياس كأنهم جمعوا إبطيلا. والاقتحام إلقاء النفس فى الأمر من غيرروية. والمين الكذب والغرور بالضم المصدر وبالفتح الاسم . وانتحلت القصيدة أى ادعيتها كذبا. قال ما قدعلا عنك أى أنت دون الخلافة ولست من أهلها والابتزاز الاستلاب . [صفحه ۲۴] قال لما قداختزن دونك يعنى التسمى بإمرة المؤمنين . ثم قال فرارا من الحق أى فعلت ذلك كله هربا من التمسك بالحق والدين وحبا للكفر والشقاق والتغلب . قال وجحودا لما هوألزم يعنى فرض طاعة على ع لأنه قدوعاها سمعه لاريب فى ذلك إما بالنص فى أيام رسول الله ص كماتذكره الشيعة فقد كان معاوية حاضرا يوم الغدير لأنه حج معهم حجة الوداع و قد كان أيضا حاضرا يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافة أنت منى بمنزلة هارون من موسى و قدسمع غير ذلك و أماباليبعة كمانذكره نحن فإنه قداتصل به خبرها وتواتر عنده وقوعها فصار وقوعها عنده معلوما بالضرورة كعلمه بأن فى الدنيا بلدا اسمها مصر و إن كان مارآها. والظاهر من كلام أمير المؤمنين ع أنه يريد المعنى الأول ونحن نخرجه على وجه لايلزم منه ماتقوله الشيعة فنقول لنفرض أن النبى ص مانص عليه بالخلافة بعده أ ليس يعلم معاوية وغيره من الصحابة أنه لو قال له فى ألف مقام أناحرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت ونحو ذلك من قوله أللهم عاد من عاداه ووال من والاه و قوله حربك حربى وسلمك سلمى و قوله أنت مع الحق والحق معك و قوله هذامنى و أنا منه و قوله هذاأخى و قوله يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله و قوله أللهم ائتنى بأحب خلقك إليك و قوله إنه ولى كل مؤمن ومؤمنة بعدى و قوله فى كلام قاله خاصف النعل و قوله لايحبه إلامؤمن و لايبغضه إلامنافق و قوله إن الجنة لتشتاق إلى أربعة وجعله أولهم و قوله لعمار تقتلك الفئة الباغية و قوله ستقاتل الناكثين والقاسطين [صفحه ۲۵] والمارقين بعدى إلى غير ذلك مما يطول تعداده جدا ويحتاج إلى كتاب مفرد يوضع له أفما كان ينبغى لمعاوية أن يفكر فى هذا ويتأمله ويخشى الله ويتقيه فلعله ع إلى هذاأشار بقوله وجحودا لما هوألزم لك من لحمك ودمك مما قدوعاه سمعك وملئ به صدرك . قوله فما ذا بعدالحق إلاالضلال كلمة من الكلام الإلهى المقدس . قال و بعدالبيان إلااللبس يقال لبست عليه الأمر لبسا أى خلطته والمضارع يلبس بالكسر. قال فاحذر الشبهة واشتمالها على اللبسة بالضم يقال فى الأمر لبسة أى اشتباه و ليس بواضح ويجوز أن يكون اشتمال مصدرا مضافا إلى معاوية أى احذر الشبهة واحذر اشتمالك إياها على اللبسة أى ادراعك بها وتقمصك بها على ما فيها من الإبهام والاشتباه ويجوز أن يكون مصدرا مضافا إلى ضمير الشبهة فقط أى احذر الشبهة واحتواءها على اللبسة التى فيها. وتقول أغدفت المرأة قناعها أى أرسلته على وجهها وأغدف الليل أى أرخى سدوله وأصل الكلمة التغطية. والجلابيب جمع جلباب و هوالثوب . قال وأعشت الأبصار ظلمتها أى أكسبتها العشى و هوظلمة العين وروى وأغشت بالغين المعجمة ظلمتها بالنصب أى جعلت الفتنة ظلمتها غشاء للأبصار. والأفانين الأساليب المختلفة. قوله ضعفت قواها عن السلم أى عن الإسلام أى لاتصدر تلك الأفانين [صفحه ۲۶] المختلطة عن مسلم و كان كتب إليه يطلب منه أن يفرده بالشام و أن يوليه العهد من بعده وألا يكلفه الحضور عنده وقرأ أبوعمروادخُلُوا فِي السِّلمِ كَافَّةً و قال ليس المعنى بهذا الصلح بل الإسلام والإيمان لا غير ومعنى ضعفت قواها أى ليس لتلك الطلبات والدعاوى والشبهات التى تضمنها كتابك من القوة مايقتضى أن يكون المتمسك به مسلما لأنه كلام لايقوله إلا من هوإما كافر منافق أوفاسق والكافر ليس بمسلم والفاسق أيضا ليس بمسلم على قول أصحابنا و لاكافر. ثم قال وأساطير لم يحكها منك علم و لاحلم الأساطير الأباطيل واحدها أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر والألف وحوك الكلام صنعته ونظمه والحلم العقل يقول له ماصدر هذاالكلام

والهجر الفاسـد عن عـالم و لاعاقل . و من رواها الـدهاس بالكسـر فهو جمع دهس و من قرأها بالفتـح فهو مفرد يقول هـذادهس ودهاس بالفتح مثل لبث ولباث للمكان السـهل ألذی لايبلغ أن يكون رملا و ليس هوبتراب و لاطين . والديماس بالكسـر السرب المظلم تحت الأرض و فی حديث المسـيح أنه سـبط الشـعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس يعنی فی نضـرته وكثرۀ ماء وجهه كأنه خرج من كن لأنه قال فی وصـفه كان رأسه يقطر ماء و كان للحجاج سـجن اسـمه الديماس لظلمته وأصله من دمس الظلاـم يـدمس أی اشـتد وليـل دامس وداموس أی مظلم وجاءنـا فلاـن بأمور دمس أی مظلمـۀ عظيمـۀ يقول له أنت فی كتابک هـذاكالخائض فی تلـک الأرض الرخوۀ وتقوم وتقع و لاتتخلص وكالخابط فی الليل المظلم يعثر وينهض و لايهتـدی الطريق . – قرآن–۱۲۸–۱۵۵ [صـفحه ۲۷] والمرقبـۀ الموضـع العـالی والأعلاـم جمع علم و هو مايهتـدی به فی الطرقـات من المنـار يقول له سمت همتـک إلی دعوی الخلافـۀ وهی منـک كالمرقبـۀ التی لاـترام بتعـد علی من يطلبها و ليس فيهاأعلام تهـدی إلی سـلوک طريقهـا أی الطرق إليها غامضـۀ كالجبل الأملس ألـذی ليس فيه درج ومراق يسـلک منها إلی ذروته . والأنوق علی فعول بالفتح كأكول وشـروب طائر و هوالرخمـۀ و فی المثل أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه و لايكاد أحد يظفر به و ذلک لأن أوكارها فی رءوس الجبـال والأمـاكن الصـعبۀ البعيـدۀ. والعيوق كوكـب معروف فوق زحـل فی العلو و هـذه أمثال ضـربها فی بعدمعاويـۀ عن الخلافـۀ. ثم قـال حـاش لله إن أوليـک شـيئا من أمور المسـلمين بعـدی أی معـاذ الله والأصـل إثبـات الأـلف فی حاشا وإنما اتبع فيهاالمصـحف . والورد والصـدر الـدخول والخروج وأصله فی الإبـل والمـاء وينهـد إليـک عبـاد الله أی ينهض وأرتجت عليک الأمور أغلقت . و هذاالكتاب هوجواب كتاب وصل من معاويۀ إليه ع بعدقتل علی ع الخوارج و فيه تلويح بما كان يقوله من قبل إن رسول الله وعدنی بقتال طائفۀ أخری غيرأصـحاب الجمل وصـفين وإنه سماهم المارقين فلما واقعهم ع بالنهروان وقتلهم كلهم بيوم واحـد وهم عشـرۀ آلاف فارس أحب أن يـذكر معاويۀ بما كان يقول من قبل ويعد به أصـحابه وخواصه فقال له قدآن لک أن تنتفع بما عاينت وشاهدت معاينۀ ومشاهدۀ من صدق القول ألذی كنت أقوله للناس ويبلغک فتستهزئ به [صفحه ۲۸]

۶۶– و من كتاب له ع كتبه إلی عبد الله بن العباس

اشاره

و قدتقـدم ذكره بخلاف هـذه الروايـۀ أَمّا بَعـدُ فَإِنّ العَبدَ لَيَفرَحُ بِالشـيّ‌ءِ ألّذِی لَم يَكُن لِيَفُوتَهُ وَ يَحزَنُ عَلَی الشـيّ‌ءِ ألّذِی لَم يَكُن لِيُصِيبَهُ فَلَا يَكُن أَفضَلَ مَا نِلتَ فِی نَفسِکَ مِن دُنيَاکَ بُلُوغُ لَذّةٍ أَو شِفَاءُ غَيظٍ وَ لَكِن إِطفَاءُ بَاطِلٍ وَ إِحيَاءُ حَقّ وَ لَيكُن سُرُورُکَ بِمَا قَدّمتَ وَ أَسَفُکَ عَلَی مَا خَلّفتَ وَ هَمّکَ فِيمَا بَعدَ المَوتِ هذاالفصل قدتقدم شرح نظيره و ليس فی ألفاظه و لامعانيه مايفتقر إلی تفسير ولكنا سنذكر من كلام الحكماء والصالحين كلمات تناسبه

نبذ من كلام الحكماء

فمن كلام بعضهم ماقدر لک أتاک و ما لم يقدر لک تعداک فعلام تفرح بما لم يكن بد من وصوله إليک وعلام تحزن بما لم يكن ليقـدم عليک . و من كلامهم الـدنيا تقبل إقبال الطالب وتـدبر إدبار الهارب وتصل وصال المتهالک وتفارق فراق المبغض الفارک فخيرها يسير وعيشـها قصـير وإقبالها خدعۀ وإدبارها [صـفحه ۲۹] فجعـۀ ولـذاتها فانيـۀ وتبعاتها باقيۀ فاغتنم غفلۀ الزمان

وانتهز فرصة الإمكان وخذ من نفسك لنفسك وتزود من يومك لغدك قبل نفاذ المدة وزوال القدرة فلكل امرئ من دنياه ماينفعه على عمارة أخراه . و من كلامهم من نكد الدنيا أنها لاتبقى على حالة و لاتخلو من استحالة تصلح جانبا بإفساد جانب وتسر صاحبا بمساءة صاحب فالسكون فيهاخطر والثقة إليها غرر والالتجاء إليها محال والاعتماد عليها ضلال . و من كلامهم لاتبتهجن لنفسك بما أدركت من لذاتها الجسمانية وابتهج لها بما تناله من لذاتها العقلية و من القول بالحق والعمل بالحق فإن اللذات الحسية خيال ينفد والمعارف العقلية باقية بقاء الأبد [صفحه ٣٠]

٦٧- و من كتاب له ع كتبه إلى قثم بن العباس و هوعامله على مكة

أَمّا بَعدُ فَأَقِم لِلنّاسِ الحَجّ وَ ذَكّرهُم بِأَيّامِ اللّهِ وَ اجلِس لَهُمُ العَصرَينِ فَأَفتِ المُستَفتِيَ وَ عَلّمِ الجَاهِلَ وَ ذَاكِرِ العَالِمَ وَ لَا يَكُن لَكَ إِلَى النّاسِ سَفِيرٌ إِلّا لِسَانُكَ وَ لَا حَاجِبٌ إِلّا وَجهُكَ وَ لَا تَحجُبَنّ ذَا حَاجَةٍ عَن لِقَائِكَ بِهَا فَإِنّهَا إِن ذِيدَت عَن أَبوَابِكَ فِي أَوّلِ ورِدِهَا لَم تُحمَد فِيمَا بَعدُ عَلَى قَضَائِهَا وَ انظُر إِلَى مَا اجتَمَعَ عِندَكَ مِن مَالِ اللّهِ فَاصرِفهُ إِلَى مَن قِبَلَكَ مِن ذوَيِ العِيَالِ وَ المَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ المَفَاقِرِ وَ الخَلّاتِ وَ مَا فَضَلَ عَن ذَلِكَ فَاحمِلهُ إِلَينَا لِنَقسِمَهُ فِيمَن قِبَلَنَا وَ مُر أَهلَ مَكّةَ أَلّا يَأخُذُوا مِن سَاكِنٍ أَجراً فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ يَقُولُسَوَاءً العاكِفُ فِيهِ وَ البادِفَالعَاكِفُ المُقِيمُ بِهِ وَ البَادِي أَلّذِي يَحُجّ إِلَيهِ مِن غَيرِ أَهلِهِ وَفّقَنَا اللّهُ وَ إِيّاكُم لِمَحَابّهِ وَ السّلَامُ -قرآن-٧١٤-٧٤٤ [صفحه ٣١] قدتقدم ذكر قثم ونسبه أمره أن يقيم للناس حجهم و أن يذكرهم بأيام الله وهى أيام الإنعام وأيام الانتقام لتحصل الرغبة والرهبة. واجلس لهم العصرين الغداة والعشى. ثم قسم له ثمرة جلوسه لهم ثلاثة أقسام إما أن يفتى مستفتيا من العامة فى بعض الأحكام وإما أن يعلم متعلما يطلب الفقه وإما أن يذاكر عالما ويباحثه ويفاوضه و لم يذكر السياسة والأمور السلطانية لأن غرضه متعلق بالحجيج وهم أضيافه يقيمون ليالى يسيرة ويقفلون وإنما يذكر السياسة و مايتعلق بهافيما يرجع إلى أهل مكة و من يدخل تحت ولايته دائما ثم نهاه عن توسط السفراء والحجاب بينه وبينهم بل ينبغى أن يكون سفيره لسانه وحاجبه وجهه وروى و لايكن إلالسانك سفيرا لك إلى الناس بجعل لسانك اسم كان مثل قوله فَما كانَ جَوابَ قَومِهِ إِلّا أَن قالُوا والرواية الأولى هى المشهورة و هو أن يكون سفيرا اسم كان و لك خبرها و لايصح ماقاله الراوندى إن خبرها إلى الناس لأن إلى هاهنا متعلقة بنفس سفير فلايجوز أن تكون الخبر عن سفير تقول سفرت إلى بنى فلان فى الصلح و إذاتعلق حرف الجر بالكلمة صار كالشىء الواحد. ثم قال فإنها إن ذيدت أى طردت ودفعت . كان أبوعباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون إذاسئل الحاجة يشتم السائل ويسطو عليه ويخجله ويبكته ساعة ثم يأمر له بهافيقوم و قدصارت إليه و هويذمه ويلعنه قال على بن جبلة العكوك -قرآن-٧٠٥-٧٤٥ [صفحه ٣٢] لعن الله أباعباد || لعنا يتوالى يوسع السائل شتما || ثم يعطيه السؤالا . و كان الناس يقفون لأبى عباد وقت ركوبه فيتقدم الواحد منهم إليه بقصته ليناوله إياها فيركله برجله بالركاب ويضربه بسوطه ويطير غضبا ثم لاينزل عن فرسه حتى يقضى حاجته ويأمر له بطلبته فينصرف الرجل بها و هوذام له ساخط عليه فقال فيه دعبل أولى الأمور بضيعة وفساد || ملك يدبره أبوعباد متعمد بدواته جلساءه || فمضرج ومخضب بمداد وكأنه من دير هزقل مفلت || حرب يجر سلاسل الأقياد فاشدد أمير المؤمنين صفاده || بأشد منه فى يد الحداد . و قال فيه بعض الشعراء قل للخليفة يا ابن عم محمد || قيد وزيرك إنه ركال فلسوطه بين الرءوس مسالك || ولرجله بين الصدور مجال . والمفاقر الحاجات يقال سد الله مفاقره أى أغنى الله فقره ثم أمره أن يأمر أهل مكة ألا يأخذوا من أحد من الحجيج أجرة مسكن واحتج على ذلك بالآية وأصحاب أبى حنيفة يتمسكون بها فى امتناع بيع دور مكة وإجارتها و هذابناء على أن [صفحه ٣٣] المسجد الحرام هومكة كلها والشافعى يرى خلاف ذلك و يقول إنه الكعبة و لايمنع من بيع دور مكة و لاإجارتها ويحتج بقوله تعالى الّذِينَ أُخرِجُوا مِن

دِيارِهِم وأصحاب أبى حنيفة يقولون إنها إضافة اختصاص لاإضافة تمليك كماتقول جل الدابة وقرأ سواء بالنصب على أن يكون أحد مفعولى جعلنا أى جعلناه مستويا فيه العاكف والباد و من قرأ بالرفع جعل الجملة هى المفعول الثانى -قرآن-١٣٠-١٦١ [صفحه ٣۴]

۶٨- و من كتاب له ع كتبه إلى سلمان الفارسى رحمه الله قبل أيام خلافته

اشاره

أَمّا بَعدُ فَإِنّمَا مَثَلُ الدّنيَا مَثَلُ الحَيّةِ لَيّنٌ مَسّهَا قَاتِلٌ سَمّهَا فَأَعرِض عَمّا يُعجِبُكَ فِيهَا لِقِلّةِ مَا يَصحَبُكَ مِنهَا وَ ضَع عَنكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيقَنتَ بِهِ مِن فِرَاقِهَا وَ تَصَرّفِ حَالَاتِهَا وَ كُن آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحذَرَ مَا تَكُونُ مِنهَا فَإِنّ صَاحِبَهَا كُلّمَا اطمَأَنّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشخَصَتهُ إِلَى مَحذُورٍ أَو إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتهُ عَنهُ إِلَى إِيحَاشٍ وَ السّلَامُ

سلمان الفارسى وخبر إسلامه

سلمان رجل من فارس من رامهرمز وقيل بل من أصبهان من قرية يقال لها جى و هومعدود من موالى رسول الله ص وكنيته أبو عبد الله و كان إذاقيل ابن من أنت يقول أناسلمان ابن الإسلام أنا من بنى آدم . و قدروى أنه قدتداوله أرباب كثيرة بضعة عشر ربا من واحد إلى آخر حتى أفضى إلى رسول الله ص . وروى أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب أن سلمان أتى رسول الله [صفحه ٣۵] ص بصدقة فقال هذه صدقة عليك و على أصحابك فلم يقبلها و قال إنه لاتحل لنا الصدقة فرفعها ثم جاء من الغد بمثلها و قال هدية هذه فقال لأصحابه كلوا. واشتراه من أربابه وهم قوم يهود بدراهم و على أن يغرس لهم من النخيل كذا وكذا ويعمل فيها حتى تدرك فغرس رسول الله ص ذلك النخل كله بيده إلانخلة واحدة غرسها عمر بن الخطاب فأطعم النخل كله إلاتلك النخلة فقال رسول الله ص من غرسها قيل عمر فقلعها وغرسها رسول الله ص بيده فأطعمت . قال أبوعمر و كان سلمان يسف الخوص و هو أمير على المدائن ويبيعه ويأكل منه و يقول لاأحب أن آكل إلا من عمل يدى و كان قدتعلم سف الخوص من المدينة. وأول مشاهده الخندق و هو ألذى أشار بحفره فقال أبوسفيان وأصحابه لمارأوه هذه مكيدة ماكانت العرب تكيدها. قال أبوعمر و قدروى أن سلمان شهد بدرا وأحدا و هو عبديومئذ والأكثر أن أول مشاهده الخندق و لم يفته بعد ذلك مشهد. قال و كان سلمان خيرا فاضلا حبرا عالما زاهدا متقشفا. قال وذكر هشام بن حسان عن الحسن البصرى قال كان عطاء سلمان خمسة آلاف و كان إذاخرج عطاؤه تصدق به ويأكل من عمل يده وكانت له عباءة يفرش بعضها ويلبس بعضها. [صفحه ٣۶] قال و قدذكر ابن وهب و ابن نافع أن سلمان لم يكن له بيت إنما كان يستظل بالجدر والشجر و أن رجلا قال له أ لاأبنى لك بيتا تسكن فيه قال لاحاجة لى فى ذلك فما زال به الرجل حتى قال له أناأعرف البيت ألذى يوافقك قال فصفه لى قال أبنى لك بيتا إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه و إن أنت مددت فيه رجليك أصابهما الجدار قال نعم فبنى له . قال أبوعمر و قدروى عن رسول الله ص من وجوه أنه قال لو كان الدين فى الثريا لناله سلمان -روايت-١-٢-روايت-۶٢-١٠١ فى رواية أخرى لناله رجل من فارس -روايت-١-٢-روايت-١٨-٣٩ قدروينا عن عائشة قالت كان لسلمان مجلس من رسول الله ص ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-٢۶-١١۵ قال و قدروى من حديث ابن بريدة عن أبيه أن رسول الله ص قال

أمرنی ربی بحب أربعة وأخبرنی أنه یحبهم علی و أبوذر والمقداد وسلمان -روایت-۱-۲-روایت-۷۰-۱۴۳ قال وروی قتادة عن أبی هریرة قال سلمان صاحب الکتابین -روایت-۱-۲-روایت-۳۹-۶۲ یعنی الإنجیل والقرآن . و قدروی الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبی البختری عن علی ع أنه سئل عن سلمان فقال علم العلم الأول والعلم الآخر ذاک بحر لاینزف و هومنا أهل البیت -روایت-۱-۲-روایت-۶۲-۱۵۶ قال و فی روایة زاذان عن علی ع سلمان الفارسی کلقمان الحکیم -روایت-۱-۲-روایت-۳۸-۷۰ قال و قال فیه کعب الأحبار سلمان حشی علما وحکمة -روایت-۱-۲-روایت-۳۲-۵۵ . [صفحه ۳۷] قال و فی الحدیث المروی أن أباسفیان مر علی سلمان وصهیب وبلال فی نفر من المسلمین فقالوا ماأخذت السیوف من عنق عدو الله مأخذها و أبوسفیان یسمع قولهم فقال لهم أبوبکر أتقولون هذالشیخ قریش وسیدها وأتی النبی ص وأخبره فقال یا أبابکر لعلک أغضبتهم لئن کنت أغضبتهم لقد أغضبت الله فأتاهم أبوبکر فقال أبوبکر یاإخوتاه لعلی أغضبتکم قالوا لا یا أبابکر یغفر الله لک . قال وآخی رسول الله ص بینه و بین أبی الدرداء لماآخی بین المسلمین . قال ولسلمان فضائل جمة وأخبار حسان وتوفی فی آخر خلافة عثمان سنة خمس وثلاثین وقیل توفی فی أول سنة ست وثلاثین و قال قوم توفی فی خلافة عمر والأول أکثر. و أماحدیث إسلام سلمان فقد ذکره کثیر من المحدثین ورووه عنه قال کنت ابن دهقان قریة جی من أصبهان وبلغ من حب أبی لی أن حبسنی فی البیت کماتحبس الجاریة فاجتهدت فی المجوسیة حتی صرت قطن بیت النار فأرسلنی أبی یوما إلی ضیعة له فمررت بکنیسة النصاری فدخلت علیهم فأعجبتنی صلاتهم فقلت دین هؤلاء خیر من دینی فسألتهم أین أصل هذاالدین قالوا بالشام فهربت من والدی حتی قدمت الشام فدخلت علی الأسقف فجعلت أخدمه وأتعلم منه حتی حضرته الوفاة فقلت إلی من توصی بی فقال قدهلک الناس وترکوا دینهم إلارجلا بالموصل فالحق به فلما قضی نحبه لحقت بذلک الرجل [صفحه ۳۸] فلم یلبث إلاقلیلا حتی حضرته الوفاة فقلت إلی من توصی بی فقال ماأعلم رجلا بقی علی الطریقة المستقیمة إلارجلا بنصیبین فلحقت بصاحب نصیبین قالوا وتلک الصومعة الیوم باقیة وهی التی تعبد فیهاسلمان قبل الإسلام قال ثم احتضر صاحب نصیبین فبعثنی إلی رجل بعموریة من أرض الروم فأتیته وأقمت عنده واکتسبت بقیرات وغنیمات فلما نزل به الموت قلت له بمن توصی بی فقال قدترک الناس دینهم و مابقی أحد منهم علی الحق و قدأظل زمان نبی مبعوث بدین ابراهیم یخرج بأرض العرب مهاجرا إلی أرض بین حرتین لها نخل قلت فما علامته قال یأکل الهدیة و لایأکل الصدقة بین کتفیه خاتم النبوة قال ومر بی رکب من کلب فخرجت معهم فلما بلغوا بی وادی القری ظلمونی وباعونی من یهودی فکنت أعمل له فی زرعه ونخله فبینا أناعنده إذ قدم ابن عم له فابتاعنی منه وحملنی إلی المدینة فو الله ما هو إلا أن رأیتها فعرفتها وبعث الله محمدا بمکة و لاأعلم بشیء من أمره فبینا أنا فی رأس نخلة إذ أقبل ابن عم لسیدی فقال قاتل الله بنی قیلة قداجتمعوا علی رجل بقباء قدم علیهم من مکة یزعمون أنه نبی قال فأخذنی القر والانتفاض ونزلت عن النخلة وجعلت أستقصی فی السؤال فما کلمنی سیدی بکلمة بل قال أقبل علی شأنک ودع ما لایعنیک فلما أمسیت أخذت شیئا کان عندی من التمر وأتیت به النبی ص فقلت له بلغنی أنک رجل صالح و أن لک أصحابا غرباء ذوی حاجة و هذا شیءعندی للصدقة فرأیتکم أحق به من غیرکم فقال ع لأصحابه کلوا وأمسک فلم یأکل فقلت فی نفسی هذه واحدة وانصرفت فلما کان من الغد أخذت ما کان بقی عندی وأتیته به فقلت له إنی رأیتک لاتأکل الصدقة و هذه هدیة [صفحه ۳۹] فقال کلوا وأکل معهم فقلت إنه لهو فأکببت علیه أقبله وأبکی فقال ما لک فقصصت علیه القصة فأعجبه ثم قال یاسلمان کاتب صاحبک فکاتبته علی ثلاثمائة نخلة وأربعین أوقیة فقال رسول الله ص للأنصار أعینوا أخاکم فأعانونی بالنخل حتی جمعت ثلاثمائة ودیة فوضعها رسول الله ص بیده فصحت کلها وأتاه مال من بعض المغازی فأعطانی منه و قال أد کتابتک فأدیت وعتقت . و کان سلمان من شیعة علی ع وخاصته وتزعم الإمامیة أنه أحد الأربعة الذین حلقوا رءوسهم وأتوه متقلدی سیوفهم فی خبر یطول و لیس هذاموضع ذکره وأصحابنا لایخالفونهم فی أن سلمان کان من

الشیعهٔ وإنما یخالفونهم فی أمر أزید من ذلک و مایذکره المحدثون من قوله للمسلمین یوم السقیفهٔ کردید ونکردید محمول عندأصحابنا علی أن المراد صنعتم شیئا و ماصنعتم أی استخلفتم خلیفهٔ ونعم مافعلتم إلاأنکم عدلتم عن أهل البیت فلو کان الخلیفهٔ منهم کان أولی والإمامیهٔ تقول معناه أسلمتم و ماأسلمتم واللفظهٔ المذکورهٔ فی الفارسیهٔ لاتعطی هذاالمعنی وإنما تدل علی الفعل والعمل لا غیر ویدل علی صحهٔ قول أصحابنا أن سلمان عمل لعمر علی المدائن فلو کان ماتنسبه الإمامیهٔ إلیه حقا لم یعمل له . فأما ألفاظ الفصل ومعانیه فظاهرهٔ ومما یناسب مضمونه قول بعض الحکماء تعز عن الشیء إذامنعته بقلهٔ صحبته لک إذاأعطیته . و کان یقال الهالک علی الدنیا رجلان رجل نافس فی عزها و رجل أنف من ذلها. [صفحه ۴۰] ومر بعض الزهاد بباب دار وأهلها یبکون میتا لهم فقال وا عجبا لقوم مسافرین یبکون مسافرا قدبلغ منزله . و کان یقال یا ابن آدم لاتأسف علی مفقود لایرده علیک الفوت و لاتفرح بموجود لایترکه علیک الموت .لقی عالم من العلماء راهبا فقال أیها الراهب کیف تری الدنیا قال تخلق الأبدان وتجدد الآمال وتباعد الأمنیهٔ وتقرب المنیهٔ قال فما حال أهلها قال من ظفر بهانصب و من فاتته أسف قال فکیف الغنی عنها قال بقطع الرجاء منها قال فأی الأصحاب أبر وأوفی قال العمل الصالح قال فأیهم أضر وأنکی قال النفس والهوی قال فکیف المخرج قال فی سلوک المنهج قال وبما ذا أسلکه قال بأن تخلع لباس الشهوات الفانیهٔ وتعمل للدار الباقیهٔ [صفحه ۴۱]

۶۹– و من کتاب له ع کتبه إلی الحارث الهمدانی

اشاره

وَ تَمَسّک بِحَبلِ القُرآنِ وَ انتَصِحهُ وَ أَحِلّ حَلَالَهُ وَ حَرّم حَرَامَهُ وَ صَدّق بِمَا سَلَفَ مِنَ الحَقّ وَ اعتَبِر بِمَا مَضَی مِنَ الدّنیَا لِمَا بَقِیَ مِنهَا فَإِنّ بَعضَهَا یُشبِهُ بَعضاً وَ آخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوّلِهَا وَ کُلّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ وَ عَظّم اسمَ اللّهِ أَن تَذکُرَهُ إِلّا عَلَی حَقّ وَ أَکثِر ذِکرَ المَوتِ وَ مَا بَعدَ المَوتِ وَ لَا تَتَمَنّ المَوتَ إِلّا بِشَرطٍ وَثِیقٍ وَ احذَر کُلّ عَمَلٍ یَرضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفسِهِ وَ یَکرَهُهُ لِعَامّةِ المُسلِمِینَ وَ احذَر کُلّ عَمَلٍ یُعمَلُ بِهِ فِی السّرّ وَ یُستَحَی مِنهُ فِی العَلَانِیَةِ وَ احذَر کُلّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنهُ صَاحِبُهُ أَنکَرَهُ وَ اعتَذَرَ مِنهُ وَ لَا تَجعَل عِرضَکَ غَرَضاً لِنِبَالِ القَومِ وَ لَا تُحَدّثِ النّاسَ بِکُلّ مَا سَمِعتَ بِهِ فَکَفَی بِذَلِکَ کَذِباً وَ لَا تَرُدّ عَلَی النّاسِ کُلّ مَا حَدّثُوکَ بِهِ فَکَفَی بِذَلِکَ جَهلًا وَ اکظِمِ الغَیظَ وَ احلُم عِندَ الغَضَبِ وَ تَجَاوَز عِندَ المَقدِرَةِ وَ اصفَح مَعَ الدّولَةِ تَکُن لَکَ العَاقِبَةُ وَ استَصلِح کُلّ نِعمَةٍ أَنعَمَهَا اللّهُ عَلَیکَ وَ لَا تُضَیّعَنّ نِعمَةً مِن نِعَمِ اللّهِ عِندَکَ وَ لیُرَ عَلَیکَ أَثَرُ مَا أَنعَمَ اللّهُ بِهِ عَلَیکَ وَ اعلَم أَنّ أَفضَلَ المُؤمِنِینَ أَفضَلُهُم تَقدِمَةً مِن نَفسِهِ وَ أَهلِهِ وَ مَالِهِ وَ إِنّکَ مَا تُقَدّم مِن خَیرٍ یَبقَ لَکَ ذُخرُهُ وَ مَا تُؤَخّرهُ یَکُن لِغَیرِکَ خَیرُهُ [صفحه ۴۲] وَ احذَر صَحَابَةَ مَن یَفِیلُ رَأیُهُ وَ یُنکَرُ عَمَلُهُ فَإِنّ الصّاحِبَ مُعتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ وَ اسکُنِ الأَمصَارَ العِظَامَ فَإِنّهَا جِمَاعُ المُسلِمِینَ وَ احذَر مَنَازِلَ الغَفلَةِ وَ الجَفَاءِ وَ قِلّةَ الأَعوَانِ عَلَی طَاعَةِ اللّهِ وَ اقصُر رَأیَکَ عَلَی مَا یَعنِیکَ وَ إِیّاکَ وَ مَقَاعِدَ الأَسوَاقِ فَإِنّهَا مَحَاضِرُ الشّیطَانِ وَ مَعَارِیضُ الفِتَنِ وَ أَکثِر أَن تَنظُرَ إِلَی مَن فُضّلتَ عَلَیهِ فَإِنّ ذَلِکَ مِن أَبوَابِ الشّکرِ وَ لَا تُسَافِر فِی یَومِ جُمُعَةٍ حَتّی تَشهَدَ الصّلَاةَ إِلّا فَاصِلًا فِی سَبِیلِ اللّهِ أَو فِی أَمرٍ تُعذَرُ بِهِ وَ أَطِعِ اللّهَ فِی جُمَلِ أُمُورِکَ فَإِنّ طَاعَةَ اللّهِ فَاضِلَةٌ عَلَی مَا سِوَاهَا وَ خَادِع نَفسَکَ فِی العِبَادَةِ وَ ارفُق بِهَا وَ لَا تَقهَرهَا وَ خُذ عَفوَهَا وَ نَشَاطَهَا إِلّا مَا کَانَ مَکتُوباً عَلَیکَ مِنَ الفَرِیضَةِ فَإِنّهُ لَا بُدّ مِن قَضَائِهَا وَ تَعَاهُدِهَا عِندَ مَحَلّهَا وَ إِیّاکَ أَن یَنزِلَ بِکَ المَوتُ وَ أَنتَ آبِقٌ مِن رَبّکَ فِی طَلَبِ الدّنیَا وَ إِیّاکَ وَ مُصَاحَبَةَ الفُسّاقِ فَإِنّ الشّرّ بِالشّرّ مُلحَقٌ وَ وَقّرِ اللّهَ وَ أَحبِب أَحِبّاءَهُ وَ احذَرِ الغَضَبَ فَإِنّهُ جُندٌ مِن جُنُودِ إِبلِیسَ وَ السّلَامُ

الحارث الأعور ونسبه

هوالحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين ع و هوالحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن نخلة بن حرث بن سبع بن صعب بن معاوية الهمدانى كان أحد [صفحه ۴۳] الفقهاء له قول فى الفتيا و كان صاحب على ع و إليه تنسب الشيعة الخطاب ألذى خاطبه به فى قوله ع -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۳ ياحار همدان من يمت يرنى || من مؤمن أومنافق قبلا.وهى أبيات مشهورة قدذكرناها فيما تقدم

نبذ من الأقوال الحكيمة

و قداشتمل هذاالفصل على وصايا جليلة الموقع منها قوله وتمسك بحبل القرآن جاء فى الخبر المرفوع لماذكر الثقلين فقال أحدهما كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف بيد الله وطرف بأيديكم -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۱۲۶ . ومنها قوله انتصحه أى عده ناصحا لك فيما أمرك به ونهاك عنه . ومنها قوله وأحل حلاله وحرم حرامه أى احكم بين الناس فى الحلال والحرام بما نص عليه القرآن . ومنها قوله وصدق بما سلف من الحق أى صدق بما تضمنه القرآن من أيام الله ومثلاته فى الأمم السالفة لماعصوا وكذبوا. ومنها قوله واعتبر بما مضى من الدنيا لمابقى منها و فى المثل إذاشئت أن تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعدغيرك و قال الشاعر و مانحن إلامثلهم غيرأننا || أقمنا قليلا بعدهم ثم نرحل . ويناسب قوله وآخرها لاحق بأولها وكلها حائل مفارق قوله أيضا ع [صفحه ۴۴] فى غير هذاالفصل الماضى للمقيم عبرة والميت للحى عظة و ليس لأمس عودة و لاالمرء من غد على ثقة الأول للأوسط رائد والأوسط للأخير قائد و كل بكل لاحق والكل للكل مفارق -روايت-۱-۱۴۸ . ومنها قوله وعظم اسم الله أن تذكره إلا على حق قال الله سبحانه وَ لا تَجعَلُوا اللّهَ عُرضَةً لِأَيمانِكُم و قدنهى عن الحلف بالله فى الكذب والصدق أما فى أحدهما فمحرم و أما فى الآخر فمكروه ولذلك لايجوز ذكر اسمه تعالى فى لغو القول والهزء والعبث . ومنها قوله وأكثر ذكر الموت و ما بعدالموت جاء فى الخبر المرفوع أكثروا ذكر هاذم اللذات و ما بعدالموت العقاب والثواب فى القبر و فى الآخرة. ومنها قوله و لاتتمن الموت إلابشرط وثيق هذه كلمة شريفة عظيمة القدر أى لاتتمن الموت إلا و أنت واثق من أعمالك الصالحة أنها تؤديك إلى الجنة وتنقذك من النار و هذا هومعنى قوله تعالى لليهودإِن زَعَمتُم أَنّكُم أَولِياءُ لِلّهِ مِن دُونِ النّاسِ فَتَمَنّوُا المَوتَ إِن كُنتُم صادِقِينَ وَ لا يَتَمَنّونَهُ أَبَداً بِما قَدّمَت أَيدِيهِم وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ. ومنها قوله واحذر كل عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكرهه لعامة المسلمين واحذر كل عمل يعمل فى السر ويستحيا منه فى العلانية واحذر كل عمل إذاسئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه و هذه الوصايا الثلاث متقاربة فى المعنى ويشملها معنى قول الشاعر -قرآن-۷۱-۱۱۳-قرآن-۶۰۴-۷۸۳ لاتنه عن خلق وتأتى مثله || عار عليك إذافعلت عظيم . [صفحه ۴۵] و قال الله تعالى حاكيا عن نبى من أنبيائه وَ ما أُرِيدُ أَن أُخالِفَكُم إِلى ما أَنهاكُم عَنهُ. و من كلام الجنيد الصوفى ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج الصافى و فى المثل و هومنسوب إلى على ع إياك و مايعتذر منه . ومنها قوله و لاتجعل عرضك غرضا لنبال القوم قال الشاعر -قرآن-۴۶-۹۷ لاتستثر أبدا ما لاتقوم له || و لاتهيجن من عريسة الأسدا إن الزنابير إن حركتها سفها || من كورها أوجعت من لسعها الجسدا . و قال مقالة السوء إلى أهلها || أسرع من منحدر سائل و من دعا الناس إلى ذمه || ذموه بالحق وبالباطل ومنها قوله و لاتحدث الناس بكل ماسمعت فكفى بذلك كذبا قدنهى أن يحدث الإنسان بكل مارأى من العجائب فضلا عما سمع لأن الحديث الغريب المعجب تسارع النفس إلى تكذيبه و إلى أن تقوم الدلالة على صدقه قدفرط من سوء الظن فيه مافرط. ويقال

إن بعض العلوية قال فى حضرة عضد الدولة ببغداد عندنا فى الكوفة نبق وزن كل نبقة مثقالان فاستطرف الملك ذلك وكاد يكذبه الحاضرون فلما قام ذكر ذلك لأبيه فأرسل حماما كان عنده فى الحال إلى الكوفة يأمر وكلاءه بإرسال مائة حمامة فى رجلى كل واحدة نبقتان من ذلك النبق فجاء النبق فى بكرة الغد وحمل إلى عضد الدولة فاستحسنه وصدقه حينئذ ثم قال له لعمرى لقد صدقت [صفحه ۴۶] ولكن لاتحدث فيما بعدبكل مارأيت من الغرائب فليس كل وقت يتهيأ لك إرسال الحمام . و كان يقال الناس يكتبون أحسن مايسمعون ويحفظون أحسن مايكتبون ويتحدثون بأحسن مايحفظون والأصدق نوع تحت جنس الأحسن ومنها قوله و لاترد على الناس كل ماحدثوك فكفى بذلك جهلا من الجهل المبادرة بإنكار مايسمعه و قال ابن سينا فى آخر الإشارات إياك أن يكون تكيسك وتبرؤك من العامة هو أن تنبرى منكرا لكل شىءفلذلك عجز وطيش و ليس الخرق فى تكذيبك ما لم يستبن لك بعدجليته دون الخرق فى تصديقك بما لم تقم بين يديك بينة بل عليك الاعتصام بحبل التوقف و إن أزعجك استنكار مايوعيه سمعك مما لم يبرهن على استحالته لك فالصواب أن تسرح أمثال ذلك إلى بقعة الإمكان ما لم يذدك عنها قائم البرهان . ومنها قوله واكظم الغيظ قدمدح الله تعالى ذلك فقال وَ الكاظِمِينَ الغَيظَ و -قرآن-۷۶۵-۷۸۶ روى أن عبدا لموسى بن جعفر ع قدم إليه صحفة فيهاطعام حار فعجل فصبها على رأسه ووجهه فغضب فقال له وَ الكاظِمِينَ الغَيظَ قال قدكظمت قال وَ العافِينَ عَنِ النّاسِ قال قدعفوت قال وَ اللّهُ يُحِبّ المُحسِنِينَ قال أنت حر لوجه الله و قدنحلتك ضيعتى الفلانية -روايت-۱-۲-روايت-۷-۲۷۱ . ومنها قوله واحلم عندالغضب هذه مناسبة الأولى و قدتقدم منا قول كثير فى الحلم وفضله وكذلك القول فى قوله ع وتجاوز عندالقدرة و كان يقال القدرة تذهب الحفيظة. [صفحه ۴۷] ومنها قوله واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة هذه كانت شيمة رسول الله ص وشيمة على ع أماشيمة رسول الله ص فظفر بمشركى مكة وعفا عنهم كماسبق القول فيه فى عام الفتح و أما على ع فظفر بأصحاب الجمل و قدشقوا عصا الإسلام عليه وطعنوا فيه و فى خلافته فعفا عنهم مع علمه بأنهم يفسدون عليه أمره فيما بعد ويصيرون إلى معاوية إما بأنفسهم أوبآرائهم ومكتوباتهم و هذاأعظم من الصفح عن أهل مكة لأن أهل مكة لم يبق لهم لمافتحت فئة يتحيزون إليها ويفسدون الدين عندها. ومنها قوله واستصلح كل نعمة أنعمها الله عليك معنى استصلحها استدمها لأنه إذااستدامها فقد أصلحها فإن بقاءها صلاح لها واستدامتها بالشكر. ومنها قوله و لاتضيعن نعمة من نعم الله عندك أى واس الناس منها وأحسن إليهم واجعل بعضها لنفسك وبعضها للصدقة والإيثار فإنك إن لم تفعل ذلك تكن قدأضعتها. ومنها قوله ولير عليك أثر النعمة قدأمر بأن يظهر الإنسان على نفسه آثار نعمة الله عليه و قال سبحانه وَ أَمّا بِنِعمَةِ رَبّكَ فَحَدّث و قال الرشيد لجعفر قم بنا لنمضى إلى منزل الأصمعى فمضيا إليه خفية ومعهما خادم معه ألف دينار ليدفع ذلك إليه فدخلا داره فوجدا كساء جرداء وبارية سملاء وحصيرا مقطوعا وخباء قديمة وأباريق من خزف ودواة من زجاج ودفاتر عليها التراب وحيطانا مملوءة من نسج العناكب فوجم الرشيد وسأله مسائل غثة لم تكن من غرضه وإنما قطع بهاخجله و قال الرشيد لجعفر أ لاترى إلى نفس هذاالمهين قدبررناه بأكثر -قرآن-۸۸۷-۹۱۹ [صفحه ۴۸] من خمسين ألف دينار و هذه حاله لم تظهر عليه آثار نعمتنا و الله لادفعت إليه شيئا وخرج و لم يعطه . ومنها قوله واعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله أى أفضلهم إنفاقا فى البر والخير من ماله وهى التقدمة قال الله تعالى وَ ما تُقَدّمُوا لِأَنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدُوهُفأما النفس والأهل فإن تقدمتهما فى الجهاد و قدتكون التقدمة فى النفس بأن يشفع شفاعة حسنة أويحضر عندالسلطان بكلام طيب وثناء حسن و أن يصلح بين المتخاصمين ونحو ذلك والتقدمة فى الأهل أن يحج بولده وزوجته ويكلفهما المشاق فى طاعة الله و أن يؤدب ولده إن أذنب و أن يقيم عليه الحد ونحو ذلك . ومنها قوله و ماتقدم من خير يبق لك زخره و ماتؤخره يكن لغيرك خيره و قدسبق مثل هذا و أن مايتركه الإنسان بعده فقد حرم نفعه وكأنما كان يكدح لغيره و ذلك من الشقاوة وقلة التوفيق . ومنها قوله واحذر صحابة من يفيل رأيه الصحابة بفتح الصاد مصدر صحبت والصحابة بالفتح أيضا جمع صاحب

والمراد هاهنا الأول وفال رأيه فسد و هذاالمعنى قدتكرر و قال طرفة -قرآن-٢٥٠-٢٩٨ عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه || فإن القرين بالمقارن يقتدى . ومنها قوله واسكن الأمصار العظام قدقيل لاتسكن إلا فى مصر فيه سوق قائمة ونهر جار وطبيب حاذق وسلطان عادل فأما منازل الغفلة والجفاء فمثل قرى السواد الصغار فإن أهلها لانور فيهم و لاضوء عليهم وإنما هم كالدواب [صفحه ۴۹] والأنعام همهم الحرث والفلاحة و لايفقهون شيئا أصلا فمجاورتهم تعمى القلب وتظلم الحس و إذا لم يجد الإنسان من يعينه على طاعة الله و على تعلم العلم قصر فيهما. ومنها قوله واقصر رأيك على مايعنيك كان يقال من دخل فيما لايعنيه فاته مايعنيه . ومنها نهيه إياه عن القعود فى الأسواق قدجاء فى المثل السوق محل الفسوق . و جاء فى الخبر المرفوع الأسواق مواطن إبليس وجنده -روايت-١-٢-روايت-٢۴-۵۴ و ذلك لأنها قلما تخلو عن الأيمان الكاذبة والبيوع الفاسدة وهى أيضا مجمع النساء المومسات وفجار الرجال و فيهااجتماع أرباب الأهواء والبدع فلايخلو أن يتجادل اثنان منهم فى المذاهب والنحل فيفضى إلى الفتن . ومنها قوله وانظر إلى من فضلت عليه كان يقال انظر إلى من دونك و لاتنظر إلى من فوقك و قد بين ع السر فيه فقال إن ذلك من أبواب الشكر وصدق ع لأنك إذارأيت جاهلا و أنت عالم أوعالما و أنت أعلم منه أوفقيرا و أنت أغنى منه أومبتلى بسقم و أنت معافى عنه كان ذلك باعثا وداعيا لك إلى الشكر. ومنها نهيه عن السفر يوم الجمعة ينبغى أن يكون هذاالنهى عن السفر يوم الجمعة قبل الصلاة و أما بعدالصلاة فلابأس به واستثنى فقال إلافاصلا فى سبيل الله أى شاخصا إلى الجهاد. قال أو فى أمر تعذر به أى لضرورة دعتك إلى ذلك . [صفحه ۵۰] و قدورد نهى كثير عن السفر يوم الجمعة قبل أداء الفرض على أن من الناس من كره ذلك بعدالصلاة أيضا و هوقول شاذ. ومنها قوله وأطع الله فى جمل أمورك أى فى جملتها و فيهاكلها و ليس يعنى فى جملتها دون تفاصيلها قال فإن طاعة الله فاضلة على غيرها وصدق ع لأنها توجب السعادة الدائمة والخلاص من الشقاء الدائم و لاأفضل مما يؤدى إلى ذلك . ومنها قوله وخادع نفسك فى العبادة أمره أن يتلطف بنفسه فى النوافل و أن يخادعها و لايقهرها فتمل وتضجر وتترك بل يأخذ عفوها ويتوخى أوقات النشاط وانشراح الصدر للعبادة. قال فأما الفرائض فحكمها غير هذاالحكم عليك أن تقوم بهاكرهتها النفس أو لم تكرهها ثم أمره أن يقوم بالفريضة فى وقتها و لايؤخرها عنه فتصير قضاء. ومنها قوله وإياك أن ينزل بك المنون و أنت آبق من ربك فى طلب الدنيا هذه وصية شريفة جدا جعل طالب الدنيا المعرض عن الله عندموته كالعبد الآبق يقدم به على مولاه أسيرا مكتوفا ناكس الرأس فما ظنك به حينئذ. ومنها قوله وإياك ومصاحبة الفساق فإن الشر بالشر ملحق يقول إن الطباع ينزع بعضها إلى بعض فلاتصحبن الفساق فإنه ينزع بك مافيك من طبع الشر إلى مساعدتهم على الفسوق والمعصية و ما هو إلاكالنار تقوى بالنار فإذا لم تجاورها وتمازجها نار كانت إلى الانطفاء والخمود أقرب . [صفحه ۵۱] وروى ملحق بكسر الحاء و قدجاء ذلك فى الخبر النبوى فإن عذابك بالكفار ملحق -روايت-١-٢-روايت-٢٠-۴۶ بالكسر. ومنها قوله وأحب أحباءه قدجاء فى الخبر لايكمل إيمان امرئ حتى يحب من أحب الله ويبغض من أبغض الله -روايت-١-٢-روايت-١٨-٨۵ ومنها قوله واحذر الغضب قدتقدم لنا كلام طويل فى الغضب و قال إنسان للنبىص أوصنى قال لاتغضب فقال زدنى قال لاتغضب قال زدنى قال لاأجد لك مزيدا -روايت-١-٩٧ وإنما جعله ع جندا عظيما من جنود إبليس لأنه أصل الظلم والقتل وإفساد كل أمر صالح و هوإحدى القوتين المشئومتين اللتين لم يخلق أضر منهما على الإنسان وهما منبع الشر الغضب والشهوة [صفحه ۵۲]

٧٠- و من كتاب له ع إلى سهل بن حنيف الأنصارى و هوعامله على المدينة فى معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمّا بَعدُ فَقَد بلَغَنَيِ أَنّ رِجَالًا مِمّن قِبَلَكَ يَتَسَلّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلَا تَأسَف عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِن عَدَدِهِم وَ يَذهَبُ عَنكَ مِن مَدَدِهِم

فَكَفَى لَهُم غَيّاً وَ لَكَ مِنهُم شَافِياً فِرَارُهُم مِنَ الهُدَى وَ الحَقّ وَ إِيضَاعُهُم إِلَى العَمَى وَ الجَهلِ فَإِنّمَا هُم أَهلُ دُنيَا مُقبِلُونَ عَلَيهَا وَ مُهطِعُونَ إِلَيهَا قَد عَرَفُوا العَدلَ وَ رَأَوهُ وَ سَمِعُوهُ وَ وَعَوهُ وَ عَلِمُوا أَنّ النّاسَ عِندَنَا فِي الحَقّ أُسوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الأَثَرَةِ فَبُعداً لَهُم وَ سُحقاً إِنّهُم وَ اللّهِ لَم يَفِرّوا مِن جَورٍ وَ لَم يَلحَقُوا بِعَدلٍ وَ إِنّا لَنَطمَعُ فِي هَذَا الأَمرِ أَن يُذَلّلَ اللّهُ لَنَا صَعبَهُ وَ يُسَهّلَ لَنَا حَزنَهُ إِن شَاءَ اللّهُ وَ السّلَامُ عَلَيكَ وَ رَحمَةُ اللّهِ وَ بَرَكَاتُهُ قدتقدم نسب سهل بن حنيف وأخيه عثمان فيما مضى . ويتسللون يخرجون إلى معاوية هاربين فى خفية واستتار. قال فلاتأسف أى لاتحزن والغى الضلال . قال و لك منهم شافيا أى يكفيك فى الانتقام منهم وشفاء النفس من عقوبتهم أنهم يتسللون إلى معاوية. [صفحه ۵۳] قال ارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه . والإيضاع الإسراع وضع البعير أى أسرع وأوضعه صاحبه قال رأى برقا فأوضع فوق بكر || فلايك ماأسال و لاأعاما . ومهطعون مسرعون أيضا والأثرة الاستئثار يقول قدعرفوا أنى لاأقسم إلابالسوية وأنى لاأنفل قوما على قوم و لاأعطى على الأحساب والأنساب كمافعل غيرى فتركونى وهربوا إلى من يستأثر ويؤثر. قال فبعدا لهم وسحقا دعاء عليهم بالبعد والهلاك . وروى أنهم لم ينفروا بالنون من نفر ثم ذكر أنه راج من الله أن يذلل له صعب هذاالأمر ويسهل له حزنه والحزن ماغلظ من الأرض وضده السهل [صفحه ۵۴]

۷۱- و من كتاب له ع إلى المنذر بن الجارود العبدى

اشاره

و قد كان استعمله على بعض النواحى فخان الأمانة فى بعض ماولاه من أعماله أَمّا بَعدُ فَإِنّ صَلَاحَ أَبِيكَ غرَنّيِ مِنكَ وَ ظَنَنتُ أَنّكَ تَتّبِعُ هَديَهُ وَ تَسلُكُ سَبِيلَهُ فَإِذَا أَنتَ فِيمَا رقُيّ إلِيَءّ عَنكَ لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انقِيَاداً وَ لَا تُبقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً تَعمُرُ دُنيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ وَ تَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ وَ لَئِن كَانَ مَا بلَغَنَيِ عَنكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهلِكَ وَ شِسعُ نَعلِكَ خَيرٌ مِنكَ وَ مَن كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيسَ بِأَهلٍ أَن يُسَدّ بِهِ ثَغرٌ أَو يُنفَذَ بِهِ أَمرٌ أَو يُعلَى لَهُ قَدرٌ أَو يُشرَكَ فِي أَمَانَةٍ أَو يُؤمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ فَأَقبِل إلِيَءّ حِينَ يَصِلُ إِلَيكَ كتِاَبيِ هَذَا إِن شَاءَ اللّهُ قال الرضى رضى الله عنه المنذر بن الجارود هذا هو ألذى قال فيه أمير المؤمنين ع إنه لنظار فى عطفيه مختال فى برديه تفال فى شراكيه -روايت-۱-۱۴۱ [صفحه ۵۵]

ذكر المنذر و أبيه الجارود

هوالمنذر بن الجارود واسم الجارود بشر بن خنيس بن المعلى و هوالحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بيتهم بيت الشرف فى عبدالقيس وإنما سمى الجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه فى آخره . كماجرد الجارود بكر بن وائل . ووفد الجارود على النبى ص فى سنة تسع وقيل فى سنة عشر. وذكر أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب أنه كان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه و كان قدوفد مع المنذر بن ساوى فى جماعة من عبدالقيس و قال شهدت بأن الله حق وسامحت || بنات فؤادى بالشهادة والنهض فأبلغ رسول الله منى رسالة || بأنى حنيف حيث كنت من الأرض قال و قداختلف فى نسبه اختلافا كثيرا فقيل بشر بن المعلى بن خنيس وقيل بشر بن خنيس بن المعلى وقيل بشر بن عمرو بن العلاء وقيل بشر بن بن

عمرو بن المعلى وكنيته أبوعتاب ويكنى أيضا أباالمنذر. وسكن الجارود البصرة وقتل بأرض فارس وقيل بل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن وقيل إن عثمان بن العاص بعث الجارود فى بعث نحو ساحل فارس فقتل [صفحه ٥٦] بموضع يعرف بعقبة الجارود و كان قبل ذلك يعرف بعقبة الطين فلما قتل الجارود فيه عرفه الناس بعقبة الجارود و ذلك فى سنة إحدى وعشرين . و قدروى عن النبى ص أحاديث وروى عنه وأمه دريمكة بنت رويم الشيبانية. و قال أبوعبيدة معمر بن المثنى فى كتاب التاج إن رسول الله ص أكرم الجارود و عبدالقيس حين وفدا إليه و قال للأنصار قوموا إلى إخوانكم وأشبه الناس بكم قال لأنهم أصحاب نخل كما أن الأوس والخزرج أصحاب نخل ومسكنهم البحرين واليمامة قال أبوعبيدة و قال عمر بن الخطاب لو لاأنى سمعت رسول الله ص يقول إن هذاالأمر لا يكون إلا فى قريش -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٦٥ لماعدلت بالخلافة عن الجارود بن بشر بن المعلى و لاتخالجنى فى ذلك الأمور. قال أبوعبيدة ولعبد القيس ست خصال فاقت بها على العرب منها أسود العرب بيتا وأشرفهم رهطا الجارود هو وولده . ومنها أشجع العرب حكيم بن جبلة قطعت رجله يوم الجمل فأخذها بيده وزحف على قاتله فضربه بها حتى قتله و هو يقول يانفس لاتراعى || إن قطعت كراعى إن معى ذراعى . فلايعرف فى العرب أحد صنع صنيعه . ومنها أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرنى. ومنها أجود العرب عبد الله بن سواد بن همام غزا السند فى أربعة آلاف ففتحها وأطعم الجيش كله ذاهبا وقافلا فبلغه أن رجلا من الجيش مرض فاشتهى خبيصا [صفحه ٥٧] فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف إنسان فأطعمهم حتى فضل وتقدم إليهم ألا يوقد أحد منهم نارا لطعام فى عسكره مع ناره . ومنها أخطب العرب مصقلة بن رقبة به يضرب المثل فيقال أخطب من مصقلة. ومنها أهدى العرب فى الجاهلية وأبعدهم مغارا وأثرا فى الأرض فى عدوه و هودعيميص الرمل كان يعرف بالنجوم هداية و كان أهدى من القطا يدفن بيض النعام فى الرمل مملوءا ماء ثم يعود إليه فيستخرجه .فأما المنذر بن الجارود فكان شريفا وابنه الحكم بن المنذر يتلوه فى الشرف والمنذر غيرمعدود فى الصحابة و لارأى رسول الله ص و لاولد له فى أيامه و كان تائها معجبا بنفسه و فى الحكم ابنه يقول الراجز ياحكم بن المنذر بن الجارود || أنت الجواد ابن الجواد المحمود سرادق المجد عليك ممدود . و كان يقال أطوع الناس فى قومه الجارود بن بشر بن المعلى لماقبض رسول الله ص فارتدت العرب خطب قومه فقال أيها الناس إن كان محمد قدمات فإن الله حتى لايموت فاستمسكوا بدينكم و من ذهب له فى هذه الفتنة دينار أودرهم أوبقرة أوشاة فعلى مثلاه فما خالفه من عبدالقيس أحد. قوله ع إن صلاح أبيك غرنى منك قدذكرنا حال الجارود وصحبته وصلاحه وكثيرا مايغتر الإنسان بحال الآباء فيظن أن الأبناء على منهاجهم فلا يكون والأمر كذلك يُخرِجُ الحيّ مِنَ المَيّتِ وَ يُخرِجُ المَيّتَ مِنَ الحيّ. قوله فيما رقى بالتشديد أى فيما رفع إلى وأصله أن يكون الإنسان فى موضع عال -قرآن-١٦٢-٢٢٣ [صفحه ٥٨] فيرقى إليه شىء و كان العلو هاهنا هوعلو المرتبة بين الإمام والأمير ونحوه قولهم تعال باعتبار علو رتبة الآمر على المأمور واللام فى لهواك متعلقة بمحذوف دل عليه انقيادا و لايتعلق بنفس انقياد لأن المتعلق من حروف الجر بالمصدر لايجوز أن يتقدم على المصدر. والعتاد العدة. قوله وتصل عشيرتك كان فيما رقى إليه عنه أنه يقتطع المال ويفيضه على رهطه وقومه ويخرج بعضه فى لذاته ومآربه . قوله لجمل أهلك العرب تضرب بالجمل المثل فى الهوان قال لقد عظم البعير بغير لب || و لم يستغن بالعظم البعير يصرفه الصبى بكل وجه || ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه الوليدة بالهراوى || فلا غيرلديه و لانكير .فأما شسع النعل فضرب المثل بها فى الاستهانة مشهور لابتذالها ووطئها الأقدام فى التراب . ثم ذكر أنه من كان بصفته فليس بأهل لكذا و لاكذا إلى أن قال أويشرك فى أمانة و قدجعل الله تعالى البلاد والرعايا أمانة فى ذمة الإمام فإذااستعمل العمال على البلاد والرعايا فقد شركهم فى تلك الأمانة. قال أويؤمن على جباية أى على استجباء الخراج وجمعه و هذه الرواية التى سمعناها و من الناس من يرويها على خيانة وهكذا رواها الراوندى و لم يرو الرواية الصحيحة التى ذكرناها نحن و قال يكون على متعلقة بمحذوف أوبيؤمن نفسها و هوبعيد ومتكلف . [صفحه ٥٩] ثم أمره أن يقبل إليه و هذه

كنايـة عن العزل .فأما الكلمات التى ذكرها الرضـى عنه ع فى أمر المنذر فهى دالة على أنه نسـبه إلى التيه والعجب فقال نظار فى عطفيـه أى جـانبيه ينظر تـارة هكـذا وتـارة هكـذا ينظر لنفسه ويسـتحسن هيئته ولبسـته وينظر هـل عنـده نقص فى ذلـك أوعيب فيسـتدركه بـإزالته كمايفعـل أربـاب الزهو و من يـدعى لنفسه الحسن والملاحـة. قـال مختـال فى برديه يمشـى الخيلاء عجبا قال محمـد بن واسع لابن له و قدرآه يختال فى برد له ادن فدنا فقال من أين جاءتك هذه الخيلاء ويلك أماأمك فأمة ابتعتها بمائتى درهم و أمـاأبوك فلاـأكثر الله فى النـاس أمثاله . قوله تفال فى شـراكيه الشـراك السـير ألـذى يكون فى النعل على ظهر القـدم . والتفـل بالسـكون مصـدر تفل أى بصق والتفل محركا البصاق نفسه وإنما يفعله المعجب والتائه فى شـراكيه ليـذهب عنهما الغبار والوسخ يتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين [صفحه ۶۰]

۷۲– و من كتاب له ع إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنه

أَمّـا بَعـدُ فَإِنّکَ لَستُ بِسَابِقٍ أَجَلَکَ وَ لَا مَرزُوقٍ مَا لَيسَ لَکَ وَ اعلَم بِأَنّ الـدّهرَ يَومَانِ يَومٌ لَکَ وَ يَومٌ عَلَيکَ وَ أَنّ الـدّنيَا دَارُ دُوَلٍ فَمَا کَانَ مِنهَا لَکَ أَتَاکَ عَلَى ضَـعفِکَ وَ مَا کَانَ مِنهَا عَلَيکَ لَم تَـدفَعهُ بِقُوّتِکَ قدتقدم شـرح مثل هذاالكلام و هذامعنى مطروق قد قال الناس فيه فأكثروا قال الشاعر قديرزق العاجز الضعيف و ما || شد بكور رحلا و لاقتبا ويحرم المرء ذو الجلادة والرأى || و من لايزال مغتربا . و من جيـد ماقيل فى هذاالمعنى قول أبى يعقوب الخريمى هل الدهر إلاصـرفه ونوائبه || وسـراء عيش زائل ومصائبه يقول الفتى ثمرت مالى وإنما || لوارثه ماثمر المال كاسبه [صفحه ۶۱] يحاسب فيه نفسه فى حياته || ويتركه نهبا لمن لايحاسـبه فكله وأطعمه وخـالسه وارثـا || شـحيحا ودهرا تعتريـك نوائبه أرى المـال والإنسان للـدهر نهبـة || فلاالبخل مبقيـة و لاـالجود خـاربه لكل امرئ رزق وللرزق جالب || و ليس يفوت المرء ماخط كاتبه يخيب الفتى من حيث يرزق غيره || ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه يساق إلى ذا رزقه و هووادع || ويحرم هـذاالرزق و هويغالبه وإنك لاتـدرى أرزقك فى ألذى || تطالبه أم فى ألـذى لاتطالبه تناس ذنوب الأقربين فإنه || لكل حميم راكب هوراكبه له هفوات فى الرخاء يشوبها || بنصـرة يوم لاـتوارى كـواكبه تراه غـدوا مـاأمنت وتتقى || بجبهته يـوم الـوغى من يحـاربه لكـل امرئ إخوان بؤس ونعمـة || وأعظمهم فى النائبات أقاربه [صفحه ۶۲]

۷۳– و من كتاب له ع إلى معاوية

أَمّـا بَعـدُ فَإِنّى عَلَى الـتّرَدّدِ فِى جَوَابِـکَ وَ الِاسـتِمَاعِ إِلَى کِتَابِـکَ لَمُـوَهّنٌ رأَيِى وَ مُخَطّئٌ فِرَاسَـتِى وَ إِنّـکَ إِذ تحُـاَوِلُنِى الأُـمُورَ وَ ترُاَجِعُنِى السّـطُورَ کَالمُستَثقِلِ النّـائِمِ تَکـذِبُهُ أَحلَـامُهُ وَ المُتَحَيّرِ القَائِمِ يَبهَظُهُ مَقَامُهُ لَا يـدَرىِ أَ لَهُ مَا يأَتىِ أَم عَلَيهِ وَ لَستَ بِهِ غَيرَ أَنّهُ بِـکَ شَـبِيهٌ وَ أُقسِمُ بِـاللّهِ إِنّهُ لَـو لَـا بَعضُ الِاسـتِبقَاءِ لَوَصَـلَت مِنىّ إِلَيـکَ قَوَارِعُ تَقرَعُ العَظمَ وَ تَنهَسُ اللّحمَ وَ اعلَم أَنّ الشّـيطَانَ قَد ثَبّطَکَ عَن أَن تُرَاجِعَ أَحسَنَ أُمُورِکَ وَ تَأذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحِکَ وَ السّلَامُ لِأَهلِهِ روى نوازع جمع نازعة أى جاذبة قالعة وروى تهلس اللحم وتلهس بتقـديم اللاـم وتهلس بكسـر اللاـم تـذيبه حتى يصـير كبـدن به الهلاـس و هوالسـل و أماتلهس فهو بمعنى تلحس أبـدلت الحـاء هـاء و هو عن لحست كـذا بلسـانى بالكسـر ألحسه أى تأتى على اللحم حتى تلحسه لحسا لأن الشـىء إنما يلحس إذاذهب وبقى أثره و أمـاينهس وهى الروايـة المشـهورة فمعناه يعترق . [صـفحه ۶۳] وتأذن بفتـح الـذال أى تسـمع . قوله ع إنى لموهن رأيى بالتشديـد أى إنى لاـئم نفسـى ومستضـعف رأيى فى أن جعلتك نظيرا أكتب وتجيبنى وتكتب وأجيبك وإنما كان ينبغى أن يكون جواب مثلك السكوت لهوانـك . فـإن قلت فما معنى قوله على التردد. قلت ليس معناه التوقف بل معناه الترداد

والتكرار أی أنالاـئم نفسـی علی أنی أکرر تـارة بعـدتارة أجوبتـک عمـا تکتبه ثم قال وإنک فی مناظرتی ومقاومتی بالأمور التی تحاولهـا والکتب التی تکتبهـا کالنـائم یری أحلامـا کاذبـة أوکمن قـام مقاما بین یـدی سـلطان أو بین قوم عقلاء لیعتـذر عن أمر أولیخطب بأمر فی نفسه قـدبهظه مقامه ذلک أی أثقله فهو لایـدری هل ینطق بکلام هو له أم علیه فیتحیر ویتبلـد ویـدرکه العمی والحصر. قال و إن کنت لست بذلک الرجل فإنک شبیه به أماتشبیهه بالنائم ثم ذی الأحلام فإن معاویة لورأی فی المنام فی حیاة رسول الله ص أنه خلیفـة یخـاطب بـإمرة المؤمنین ویحـارب علیـا علی الخلافـة ویقوم فی المسـلمین مقـام رسول الله ص لماطلب لذلک المنام تأویلا و لاتعبیرا ولعده من وساوس الخیال وأضـغاث الأحلام وکیف وأنی له أن یخطر هذاباله و هوأبعد الخلق منه و هذا کمایخطر للنفاط أن یکون ملکا و لاتنظرن إلی نسبه فی المناقب بل انظر إلی أن [صفحه ۶۴] الإمامة هی نبوة مختصره و أن الطلیق المعـدود من المؤلفـة قلوبهم المکـذب بقلبه و أن أقر بلسانه الناقص المنزلـة عندالمسـلمین القاعد فی أخریات الصـف إذادخل إلی مجلس فیه أهل السوابق من المهاجرین کیف یخطر ببال أحد أنها تصـیر فیه ویملکها ویسـمه الناس وسمها و یکون للمؤمنین أمیرا ویصـیر هوالحاکم فی رقاب أولئک العظماء من أهل الدین والفضل و هذاأعجب من العجب أن یجاهد النبی ص قوما بسـیفه ولسانه ثلاثا وعشـرین سـنة ویلعنهم ویبعـدهم عنه وینزل القرآن بـذمهم ولعنهم والبراءة منهم فلما تمهـدت له الـدولة وغلب الدین علی الدنیا وصارت شریعة دینیة محکمة مات فشید دینه الصالحون من أصحابه وأوسعوا رقعة ملته وعظم قدرها فی النفوس فتسلمها منهم أولئـک الأعـداء الـذین جاهـدهم النبی ص فملکوهـا وحکموا فیها وقتلوا الصـلحاء والأبرار وأقارب نبیهم الـذین یظهرون طـاعته وآلت تلـک الحرکـة الأولی و ذلک الاجتهاد السابق إلی أن کان ثمرته لهم فلیته کان یبعث فیری معاویة الطلیق وابنه ومروان وابنه خلفاء فی مقامه یحکمون علی المسـلمین فوضـح أن معاویة فیما یراجعه ویکاتبه به کصاحب الأحلام . و أماتشبیهه إیاه بالقائم مقاما قـدبهظه فلأن الحجـج والشـبه والمعاذیر التی یذکرها معاویة فی کتبه أوهن من نسج العنکبوت فهو حال مایکتب کالقائم ذلک المقام یخبط خبط العشواء ویکتب مایعلم هو والعقلاء من الناس أنه سـفه وباطل . فإن قلت فما معنی قوله ع لو لابعض الاسـتبقاء وهل کانت الحال تقتضـی أن یستبقی و ماتلک القوارع التی أشار إلیها. [صفحه ۶۵] قلت قدقیل إن النبی ص فوض إلیه أمر نسائه بعدموته وجعل إلیه أن یقطع عصـمة أیتهن شاء إذارأی ذلک و له من الصحابة جماعة یشهدون له بـذلک فقـد کان قادرا علی أن یقطع عصـمة أم حبیبـة ویبیـح نکاحها الرجال عقوبـة لها ولمعاویـة أخیها فإنها کانت تبغض علیا کمایبغضه أخوها و لوفعل ذلک لانتهس لحمه و هـذاقول الإمامیـة و قـدرووا عن رجالهم أنه ع تهدد عائشة بضـرب من ذلک و أمانحن فلانصـدق هـذاالخبر ونفسـر کلامه علی معنی آخر و هو أنه قد کان معه من الصـحابة قوم کثیرون سـمعوا من رسول الله ص یلعن معاویـة بعدإسـلامه و یقول إنه منـافق کـافر وإنه من أهـل النار والأخبار فی ذلک مشـهورة فلو شاء أن یحمل إلی أهل الشام خطوطهم وشهاداتهم بذلک ویسمعهم قولهم ملافظة ومشافهة لفعل ولکنه رأی العدول عن ذلک مصلحة لأمر یعلمه هو ع و لوفعـل ذلک لانتهس لحمه وإنما أبقی علیه . و قلت لأبی زیـد البصـری لم أبقی علیه فقال و الله ماأبقی علیه مراعاة له و لارفقا به ولکنه خـاف أن یفعل کفعله فیقول لعمرو بن العاص وحبیب بن مسـلمة وبسـر بن أبی أرطاة و أبی الأعور وأمثالهم ارووا أنتم عن النبی ص أن علیا ع منافق من أهل النار ثم یحمل ذلک إلی أهل العراق فلهذا السبب أبقی علیه [صفحه ۶۶]

۷۴– و من حلف له ع کتبه بین ربیعة والیمن

ونقـل من خـط هشام بن الکلبی هَـذَا مَا اجتَمَعَ عَلَیهِ أَهلُ الیَمَنِ حَاضِـرُهَا وَ بَادِیهَا وَ رَبِیعَـةُ حَاضِـرُهَا وَ بَادِیهَا أَنّهُم عَلَی کِتَابِ اللّهِ یَـدعُونَ إِلَیهِ وَ یَأمُرُونَ بِهِ وَ یُجِیبُونَ مَن دَعَـا إِلَیهِ وَ أَمَرَ بِهِ لَـا یَشتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِیلًا وَ لَا یَرضَونَ بِهِ بَـدَلًا وَ أَنّهُم یَـدٌ وَاحِـدَةٌ عَلَی مَن

خَالَفَ ذَلِكَ وَ تَرَكَهُ وَ أَنَّهُم أَنصَارٌ بَعضُهُم لِبَعضٍ دَعوَتُهُم وَاحِدَةٌ لَا يَنقُضُونَ عَهدَهُم لِمَعتَبَةِ عَاتِبٍ وَ لَا لِغَضَبِ غَاضِبٍ وَ لَا لِاستِذلَالِ قَومٍ قَوماً وَ لَا لِمَسَبَّةِ قَومٍ قَوماً عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُم وَ غَائِبُهُم وَ سَفِيهُهُم وَ عَالِمُهُم وَ حَلِيمُهُم وَ جَاهِلُهُم ثُمّ إِنّ عَلَيهِم بِذَلِكَ عَهدَ اللّهِ وَ مِيثَاقَهُ إِنّ عَهدَ اللّهِ كَانَ مَسئُولًا وَ كَتَبَ عَلِيّ بنُ أَبِي طَالِبٍ الحلف العهد أى و من كتاب حلف فحذف المضاف واليمن كل من ولده قحطان نحو حمير وعك وجذام وكندة والأزد وغيرهم . وربيعة هوربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهم بكر وتغلب و عبدالقيس . وهشام هوهشام بن محمد بن السائب الكلبى نسابة ابن نسابة عالم بأيام العرب وأخبارها وأبوه أعلم منه و هويروى عن أبيه . [صفحه ۶۷] والحاضر ساكنو الحضر والبادى ساكنو البادية واللفظ لفظ المفرد والمعنى الجمع . قوله إنهم على كتاب الله حرف الجر يتعلق بمحذوف أى مجتمعون . قوله لايشترون به ثمنا قليلا أى لايتعوضون عنه بالثمن فسمى التعوض اشتراء والأصل هو أن يشترى الشىء بالثمن لاالثمن بالشىء لكنه من باب اتساع العرب و هو من ألفاظ القرآن العزيز. وإنهم يد واحدة أى لاخلف بينهم . قوله لمعتبة عاتب أى لايؤثر فى هذاالعهد والحلف و لاينقضه أن يعتب أحد منهم على بعضهم لأنه استجداه فلم يجده أوطلب منه أمرا فلم يقم به و لالأن أحدا منهم غضب من أمر صدر من صاحبه و لالأن عزيزا منهم استذل ذليلا منهم و لالأن إنسانا منهم سب أوهجا بعضهم فإن أمثال هذه الأمور يتعذر ارتفاعها بين الناس و لوكانت تنقض الحلف لما كان حلف أصلا. واعلم أنه قدورد فى الحديث عن النبى ص كل حلف كان فى الجاهلية فلايزيده الإسلام إلاشدة -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۸۰ و لاحلف فى الإسلام لكن فعل أمير المؤمنين ع أولى بالاتباع من خبر الواحد و قدتحالفت العرب فى الإسلام مرارا و من أراد الوقوف على ذلك فليطلبه من كتب التواريخ [صفحه ۶۸]

۷۵- و من كتاب له ع إلى معاوية من المدينة فى أول مابويع له بالخلافة

ذكره الواقدى فى كتاب الجمل مِن عَبدِ اللّهِ عَلِيّ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفيَانَ أَمّا بَعدُ فَقَد عَلِمتَ إِعذَارِي فِيكُم وَ إِعرَاضِي عَنكُم حَتّى كَانَ مَا لَا بُدّ مِنهُ وَ لَا دَفعَ لَهُ وَ الحَدِيثُ طَوِيلٌ وَ الكَلَامُ كَثِيرٌ وَ قَد أَدبَرَ مَا أَدبَرَ وَ أَقبَلَ مَا أَقبَلَ فَبَايِع مَن قِبَلَكَ وَ أَقبِل إِلَيّ فِي وَفدٍ مِن أَصحَابِكَ وَ السّلَامُ كتابه إلى معاوية ومخاطبته لبنى أمية جميعا قال و قدعلمت إعذارى فيكم أى كونى ذا عذر لولمتكم أوذممتكم يعنى فى أيام عثمان . ثم قال وإعراضى عنكم أى مع كونى ذا عذر لوفعلت ذلك فلم أفعله بل أعرضت عن إساءتكم إلى وضربت عنكم صفحا حتى كان ما لابد منه يعنى قتل عثمان و ماجرى من الرجبة بالمدينة. ثم قاطعه الكلام مقاطعة و قال له والحديث طويل والكلام كثير و قدأدبر ذلك الزمان وأقبل زمان آخر فبايع وأقدم فلم يبايع و لاقدم وكيف يبايع [صفحه ۶۹] وعينه طامحة إلى الملك والرئاسة منذ أمره عمر على الشام و كان عالى الهمة تواقا إلى معالى الأمور وكيف يطيع عليا والمحرضون له على حربه عدد الحصى و لو لم يكن إلاالوليد بن عقبة لكفى وكيف يسمع قوله فو الله ماهند بأمك إن مضى النهار || و لم يثأر بعثمان ثائر أيقتل عبدالقوم سيد أهله || و لم تقتلوه ليت أمك عاقر و من عجب أن بت بالشام وادعا || قريرا و قددارت عليه الدوائر . ويطيع عليا ويبايع له ويقدم عليه ويسلم نفسه إليه و هونازل بالشام فى وسط قحطان ودونه منهم حرة لاترام وهم أطوع له من نعله والأمر قدأمكنه الشروع فيه وتالله لوسمع هذاالتحريض أجبن الناس وأضعفهم نفسا وأنقصهم همة لحركه وشحذ من عزمه فكيف معاوية و قدأيقظ الوليد بشعره من لاينام [صفحه ۷۰]

۷۶- و من وصية له ع لعبد الله بن العباس

عنداستخلافه إياه على البصرة سَعِ النّاسَ بِوَجهِكَ وَ مَجلِسِكَ وَ حُكمِكَ وَ إِيّاكَ وَ الغَضَبَ فَإِنّهُ طَيرَةٌ مِنَ الشّيطَانِ وَ اعلَم أَنّ مَا

قَرّبَكَ مِنَ اللّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النّارِ وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللّهِ يُقَرّبُكَ مِنَ النّارِ روى وحلمك والقرب من الله هوالقرب من ثوابه و لاشبهة أن ماقرب من الثواب باعد من العقاب وبالعكس لتنافيهما.فأما وصيته له أن يسع الناس بوجهه ومجلسه وحكمه فقد تقدم شرح مثله وكذلك القول في الغضب . وطيرة من الشيطان بفتح الطاء وسكون الياء أي خفة وطيش قال الكميت وحلمك عز إذا ماحلمت || وطيرتك الصاب والحنظل [صفحه ۷۱]

۷۷– و من وصية له ع لعبد الله بن العباس أيضا لمابعثه للاحتجاج على الخوارج

لَا تُخَاصِمهُم بِالقُرآنِ فَإِنّ القُرآنَ حَمّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَ يَقُولُونَ ... وَ لَكِن حَاجِجهُم بِالسّنّةِ فَإِنّهُم لَن يَجِدُوا عَنهَا مَحِيصاً هذاالكلام لانظير له في شرفه وعلو معناه و ذلك أن القرآن كثير الاشتباه فيه مواضع يظن في الظاهر أنها متناقضة متنافية نحو قوله لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ و قوله إِلى رَبّها ناظِرَةٌ ونحو قوله وَ جَعَلنا مِن بَينِ أَيدِيهِم سَدّا وَ مِن خَلفِهِم سَدّا فَأَغشَيناهُم فَهُم لا يُبصِرُونَ و قوله وَ أَمّا ثَمُودُ فَهَدَيناهُم فَاستَحَبّوا العَمى عَلَى الهُدى ونحو ذلك و هوكثير جدا و أماالسنة فليست كذلك و ذلك لأن الصحابة كانت تسأل رسول الله ص وتستوضح منه الأحكام في الوقائع و ماعساه يشتبه عليهم من كلامهم يراجعونه فيه و لم يكونوا يراجعونه في القرآن إلافيما قل بل كانوا يأخذونه منه تلقفا وأكثرهم لايفهم معناه –قرآن–۱۳۴–۱۵۵–قرآن–۱۶۴–۱۸۳–قرآن–۱۹۵–۲۸۶–قرآن–۲۹۵–۳۵۶ [صفحه ۷۲] لالأنه غيرمفهوم بل لأنهم ماكانوا يتعاطون فهمه إما إجلالا له أولرسول الله أن يسألوه عنه أويجرونه مجرى الأسماء الشريفة التي إنما يراد منها بركتها لاالإحاطة بمعناها فلذلك كثر الاختلاف في القرآن وأيضا فإن ناسخه ومنسوخه أكثر من ناسخ السنة ومنسوخها و قد كان في الصحابة من يسأل الرسول عن كلمة في القرآن يفسرها له تفسيرا موجزا فلايحصل له كل الفهم لماأنزلت آية الكلالة و قال في آخرهايُبَيّنُ اللّهُ لَكُم أَن تَضِلّواسأله عمر عن الكلالة ما هو فقال له يكفيك آية الصيف لم يزد على ذلك فلم يراجعه عمر وانصرف عنه فلم يفهم مراده وبقي عمر على ذلك إلى أن مات و كان يقول بعد ذلك أللهم مهما بينت فإن عمر لم يتبين يشير إلى قوله يُبَيّنُ اللّهُ لَكُم أَن تَضِلّوا وكانوا في السنة ومخاطبة الرسول على خلاف هذه القاعدة فلذلك أوصاه علي ع أن يحاجهم بالسنة لابالقرآن . فإن قلت فهل حاجهم بوصيته . قلت لابل حاجهم بالقرآن مثل قوله فَابعَثُوا حَكَماً مِن أَهلِهِ وَ حَكَماً مِن أَهلِها ومثل قوله في صيد المحرم يَحكُمُ بِهِ ذَوا عَدلٍ مِنكُم ولذلك لم يرجعوا والتحمت الحرب وإنما رجع باحتجاجه نفر منهم . فإن قلت فما هي السنة التي أمره أن يحاجهم بها. قلت كان لأمير المؤمنين ع في ذلك غرض صحيح و إليه أشار وحوله كان يطوف ويحوم و ذلك أنه أراد أن يقول لهم –قرآن–۴۰۵–۴۳۸–قرآن–۶۶۱–۶۹۴–قرآن–۸۶۹–۹۲۱–قرآن–۹۴۹–۹۷۸ قال رسول الله ص علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار –روايت–۱–۲–روايت–۲۳–۷۳ قوله أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله –روايت–۱–۲–روايت–۹–۷۷ ونحو ذلك من الأخبار التي [صفحه ۷۳] كانت الصحابة قدسمعتها من فلق فيه ص و قدبقي ممن سمعها جماعة تقوم الحجة وتثبت بنقلهم و لواحتج بها على الخوارج أنه لايحل مخالفته والعدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين في محاجتهم وأغراض أخرى أرفع وأعلى منهم فلم يقع الأمر بموجب ماأراد وقضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم و كان أمر الله مفعولا [صفحه ۷۴]

۷۸– و من كتاب له ع أجاب به أبا موسى الأشعري

عن كتاب كتبه إليه من المكان ألذى اتعدوا فيه للحكومة وذكر هذاالكتاب سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي فَإِنّ النّاسَ

قَد تَغَيّرَ كَثِيرٌ مِنهُم عَن كَثِيرٍ مِن حَظّهِم فَمَالُوا مَعَ الدّنيَا وَ نَطَقُوا بِالهَوَى وَ إنِيّ نَزَلتُ مِن هَذَا الأَمرِ مَنزِلًا مُعجِباً اجتَمَعَ بِهِ أَقوَامٌ أَعجَبَتهُم أَنفُسُهُم وَ أَنَا أُدَاوِي مِنهُم قَرحاً أَخَافُ أَن يَعُودَ عَلَقاً يَعُودُ وَ لَيسَ رَجُلٌ فَاعلَم أَحرَصَ النّاسِ عَلَى جَمَاعَةِ أُمّةِ مُحَمّدٍص وَ أُلفَتِهَا منِيّ أَبتَغِي بِذَلِكَ حُسنَ الثّوَابِ وَ كَرَمَ المَآبِ وَ سأَفَيِ بِالذّيِ وَأَيتُ عَلَى نفَسيِ وَ إِن تَغَيّرتَ عَن صَالِحِ مَا فَارَقتَنِي عَلَيهِ فَإِنّ الشّقّيِ مَن حُرِمَ نَفعَ مَا أُوتيَ مِنَ العَقلِ وَ التّجرِبَةِ وَ إنِيّ لَأَعبَدُ أَن يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ وَ أَن أُفسِدَ أَمراً قَد أَصلَحَهُ اللّهُ فَدَع عَنكَ مَا لَا تَعرِفُ فَإِنّ شِرَارَ النّاسِ طَائِرُونَ إِلَيكَ بِأَقَاوِيلِ السّوءِ وَ السّلَامُ روى ونطقوا مع الهوى أى مائلين مع الهوى . وروى و أناأدارى بالراء من المداراة وهى الملاينة والمساهلة. [صفحه ۷۵] وروى نفع مـاأولى باللام يقول أوليته معروفا. وروى إن قال قائل بباطل ويفسد أمرا قدأصلحه الله . واعلم أن هذاالكتاب كتاب من شك فى أبى موسى واستوحش منه و من قدنقل عنه إلى أبى موسى كلاما إما صدقا وإما كذبا و قدنقل عن أبى موسى إليه كلاما إما صدقا أيضا وإما كذبا قال ع إن الناس قدتغير كثير منهم عن حظهم من الآخرة فمالوا مع الدنيا وإنى نزلت من هذاالأمر منزلا معجبا بكسر الجيم أى يعجب من رآه أى يجعله متعجبا منه . و هذاالكلام شكوى من أصحابه ونصاره من أهل العراق فإنهم كان اختلافهم عليه واضطرابهم شديدا جدا والمنزل والنزول هاهنا مجاز واستعارة والمعنى أنى حصلت فى هذاالأمر ألذى حصلت فيه على حال معجبة لمن تأملها لأنى حصلت بين قوم كل واحد منهم مستبد برأى يخالف فيه رأى صاحبه فلاتنتظم لهم كلمة و لايستوثق لهم أمر و إن حكمت عليهم برأى أراه أناخالفوه وعصوه و من لايطاع فلارأى له و أنامعهم كالطبيب ألذى يداوى قرحا أى جراحة قدقاربت الاندمال و لم تندمل بعدفهو يخاف أن يعود علقا أى دما. ثم قال له ليس أحد فاعلم أحرص على ألفة الأمة وضم نشر المسلمين . وأدخل قوله فاعلم بين اسم ليس وخبرها فصاحة ويجوز رفع أحرص بجعله صفة لاسم ليس و يكون الخبر محذوفا أى ليس فى الوجود رجل . وتقول قدوأيت وأيا أى وعدت وعدا قال له أما أنافسوف أفى بما وعدت و مااستقر بينى وبينك و إن كنت أنت قدتغيرت عن صالح مافارقتنى عليه . [صفحه ۷۶] فإن قلت فهل يجوز أن يكون قوله و إن تغيرت من جملة قوله فيما بعد فإن الشقى كماتقول إن خالفتنى فإن الشقى من يخالف الحق . قلت نعم والأول أحسن لأنه أدخل فى مدح أمير المؤمنين ع كأنه يقول أناأفى و إن كنت لاتفى والإيجاب يحسنه السلب الواقع فى مقابلته والضد يظهر حسنه الضد . ثم قال وإنى لأعبد أى آنف من عبدبالكسر أى أنف وفسروا قوله فَأَنَا أَوّلُ العابِدِينَبذلك يقول إنى لآنف من أن يقول غيرى قولا باطلا فكيف لاآنف أنا من ذلك لنفسى ثم تختلف الروايات فى اللفظة بعدها كماذكرنا. ثم قال فدع عنك ما لاتعرف أى لاتبن أمرك إلا على اليقين والعلم القطعى و لاتصغ إلى أقوال الوشاة ونقلة الحديث فإن الكذب يخالط أقوالهم كثيرا فلاتصدق ماعساه يبلغك عنى شرار الناس فإنهم سراع إلى أقاويل السوء ولقد أحسن القائل فيهم -قرآن-۶۶-۹۱ أن يسمعوا الخير يخفوه و إن سمعوا || شرا أذاعوا و إن لم يسمعوا كذبوا . ونحو قول الآخر إن يسمعوا ريبة طاروا بهافرحا || و إن ذكرت بخير عندهم دفنوا [صفحه ۷۷]

۷۹- و من كتاب كتبه ع لمااستخلف إلى أمراء الأجناد

أَمّا بَعدُ فَإِنّمَا أَهلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم أَنّهُم مَنَعُوا النّاسَ الحَقّ فَاشتَرَوهُ وَ أَخَذُوهُم بِالبَاطِلِ فَاقتَدَوهُ أى منعوا الناس الحق فاشترى الناس الحق منهم بالرشى والأموال أى لم يضعوا الأمور مواضعها و لاولوا الولايات مستحقيها وكانت أمورهم الدينية والدنياوية تجرى على وفق الهوى والغرض الفاسد فاشترى الناس منهم الميراث والحقوق كماتشترى السلع بالمال . ثم قال وأخذوهم بالباطل فاقتدوه أى حملوهم على الباطل فجاء الخلف من بعدالسلف فاقتدوا بآبائهم وأسلافهم فى ارتكاب ذلك الباطل ظنا أنه حق لما قدألفوه ونشئوا وربوا عليه . وروى فاستروه بالسين المهملة أى اختاروه يقال استريت خيار المال أى اخترته و يكون

الضمير عائدا إلى الظلمة لا إلى الناس أى منعوا الناس حقهم من المال واختاروه لأنفسهم واستأثروا به [صفحه ۷۹]

باب الحكم والمواعظ

اشاره

[صفحه ۸۱] باب المختار من حكم أمير المؤمنين ومواعظه ويدخل فى ذلك المختار من أجوبة مسائله والكلام القصير الخارج من سائر أغراضه -روايت-۱-۱۲۶ اعلم أن هذاالباب من كتابنا كالروح من البدن والسواد من العين و هوالدرة المكنونة التى سائر الكتاب صدفها وربما وقع فيه تكرار لبعض ماتقدم يسير جدا وسبب ذلك طول الكتاب و بعدأطرافه عن الذهن و إذا كان الرضى رحمه الله قدسها فكرر فى مواضع كثيرة فى نهج البلاغة على اختصاره كنا نحن فى تكرار يسير فى كتابنا الطويل أعذر [صفحه ۸۲]

۱

كُن فِي الفِتنَةِ كَابنِ اللّبُونِ لَا ظَهرٌ فَيُركَبَ وَ لَا ضَرعٌ فَيُحلَبَ ابن اللبون ولد الناقة الذكر إذااستكمل السنة الثانية ودخل فى الثالثة ويقال للأنثى ابنة اللبون و ذلك لأن أمهما فى الأغلب ترضع غيرهما فتكون ذات لبن واللبون من الإبل والشاة ذات اللبن غزيرة كانت أوبكيئة فإذاأرادوا الغزيرة قالوا لبنة ويقال ابن لبون و ابن اللبون منكرا أومعرفا قال الشاعر و ابن اللبون إذا مالز فى قرن || لم يستطع صولة البزل القناعيس . و ابن اللبون لا يكون قدكمل وقوى ظهره على أن يركب و ليس بأنثى ذات ضرع فيحلب و هومطرح لاينتفع به . وأيام الفتنة هى أيام الخصومة والحرب بين رئيسين ضالين يدعوان كلاهما إلى ضلالة كفتنة عبدالملك و ابن الزبير وفتنة مروان والضحاك وفتنة الحجاج و ابن الأشعث ونحو ذلك فأما إذا كان أحدهما صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمل وصفين ونحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق وسل السيف والنهى عن المنكر وبذل النفس فى إعزاز الدين وإظهار الحق . [صفحه ۸۳] قال ع أخمل نفسك أيام الفتنة وكن ضعيفا مغمورا بين الناس لاتصلح لهم بنفسك و لابمالك و لاتنصر هؤلاء وهؤلاء. و قوله فيركب فيحلب منصوبان لأنهما جواب النفى و فى الكلام محذوف تقديره له و هويستحق الرفع لأنه خبر المبتدإ مثل قولك لاإله إلا الله تقديره لنا أو فى الوجود [صفحه ۸۴]

۲

أَزرَى بِنَفسِهِ مَنِ استَشعَرَ الطّمَعَ وَ رَضِيَ بِالذّلّ مَن كَشَفَ عَن ضُرّهِ وَ هَانَت عَلَيهِ نَفسُهُ مَن أَمّرَ عَلَيهَا لِسَانَهُ هذه ثلاثة فصول الفصل الأول فى الطمع قوله ع أزرى بنفسه أى قصر بها من استشعر الطمع أى جعله شعاره أى لازمه . و فى الحديث المرفوع أن الصفا الزلزال ألذى لاتثبت عليه أقدام العلماء الطمع -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۳ فى الحديث أنه قال للأنصار إنكم لتكثرون عندالفزع وتقلون عندالطمع -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۷۵ أى عندطمع الرزق . و كان يقال أكثر مصارع الألباب تحت ظلال الطمع . و قال بعضهم العبيد ثلاثة عبدرق و عبدشهوة و عبدطمع . و سئل رسول الله ص عن الغنى فقال اليأس عما فى أيدى الناس و من مشى منكم إلى طمع الدنيا فليمش رويدا -روايت-۱-۱۰۸ [صفحه ۸۵] و قال أبوالأسود البس عدوك فى رفق و فى دعة || طوبى لذى إربة للدهر لباس و لاتغرنك أحقاد مزملة || قديركب الدبر الدامى بأحلاس واستغن عن كل ذى قربى

وذی رحم || إن الغنی ألذی استغنی عن الناس . قال عمر ماالخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع و فی الحدیث المرفوع الطمع الفقر الحاضر -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۴۳ قال الشاعر رأیت مخیلة فطمعت فیها || و فی الطمع المذلة للرقاب .الفصل الثانی فی الشکوی قال ع من کشف للناس ضره أی شکا إلیهم بؤسه وفقره فقد رضی بالذل . کان یقال لاتشکون إلی أحد فإنه إن کان عدوا سره و إن کان صدیقا ساءه ولیست مسرة العدو و لامساءة الصدیق بمحمودة.سمع الأحنف رجلا یقول لم أنم اللیلة من وجع ضرسی فجعل یکثر فقال یا هذا لم تکثر فو الله لقد ذهبت عینی منذ ثلاثین سنة فما شکوت ذلک إلی أحد و لاأعلمت بهاأحدا.الفصل الثالث فی حفظ اللسان قدتقدم لنا قول شاف فی ذلک و کان یقال حفظ اللسان راحة الإنسان و کان یقال رب کلمة سفکت دما وأورثت ندما. و فی الأمثال العامیة قال اللسان للرأس کیف أنت قال بخیر لوترکتنی. و فی وصیة المهلب لولده یابنی تباذلوا تحابوا فإن بنی الأعیان یختلفون فکیف ببنی العلات إن البر ینسأ فی الأجل ویزید فی العدد و إن القطیعة تورث القلة وتعقب [صفحه ۸۶] النار بعدالذلة اتقوا زلة اللسان فإن الرجل تزل رجله فینتعش ویزل لسانه فیهلک وعلیکم فی الحرب بالمکیدة فإنها أبلغ من النجدة و إن القتال إذاوقع وقع القضاء فإن ظفر الرجل ذو الکید والحزم سعد و إن ظفر به لم یقولوا فرط. و قال الشاعر فی هذاالمعنی یموت الفتی من عثرة بلسانه || و لیس یموت المرء من عثرة الرجل [صفحه ۸۷]

۳

الْبُخلُ عَارٌ وَ الجُبنُ مَنقَصَةٌ وَ الفَقرُ یُخرِسُ الفَطِنَ عَن حَاجَتِهِ وَ المُقِلّ غَرِیبٌ فِی بَلدَتِهِ هذه ثلاثة فصول الفصل الأول فی البخل و قدتقدم لنا کلام مقنع فی ذلک . و من کلام بعض الحکماء فی ذلک ماأقل من یحمده الطالب وتستقل به العشائر ویرضی عنه السائل و مازالت أم الکرم نزورا وأم اللؤم ذلولا وأکثر الواجدین من لایجود وأکثر الأجواد من لایجد. و ماأحسن قول القائل کفی حزنا أن الجواد مقتر علیه و لامعروف عندبخیل . و کان یقال البخل مهانة والجود مهابة. و من أحسن مانقل من جود عبد الله المأمون أن عمر بن مسعدة کاتبه مات فی سنة سبع عشرة ومائتین وخلف ترکة جلیلة فبعث أخاه أباإسحاق المعتصم وجماعة معه من الکتاب لیحصروا مبلغها فجاء المعتصم إلیه و هو فی مجلس الخلافة ومعه الکتاب فقال مارأیتم فقال المعتصم معظما لمارآه وجدنا عینا وصامتا وضیاعا قیمة ذلک أجمع ثمانیة آلاف ألف دینار ومد صوته فقال المأمون إنا لله و الله ماکنت أرضاها [صفحه ۸۸] لتابع من أتباعه لیوفر هذا علی مخلفیه فخجل المعتصم حتی ظهر خجله للحاضرین الفصل الثانی فی الجبن و قدتقدم قولنا فی فضل الشجاعة. و قال هشام بن عبدالملک لمسلمة أخیه یا أباسعید هل دخلک ذعر فی حرب قط شهدتها قال ماسلمت فی ذلک عن ذعر ینبه علی حیلة و لاغشینی ذعر سلبنی رأیی فقال له هشام هذه و الله البسالة قال أبودلامة و کان جبانا إنی أعوذ بروح أن یقدمنی || إلی القتال فتشقی بی بنو أسد إن المهلب حب الموت أورثکم || و لم أرث رغبة فی الموت عن أحد . قال المنصور لأبی دلامة فی حرب ابراهیم تقدم ویلک قال یا أمیر المؤمنین شهدت مع مروان بن محمدأربعة عساکر کلها انهزمت وکسرت وإنی أعیذک بالله أن یکون عسکرک الخامس .الفصل الثالث فی الفقر و قدتقدم القول فیه أیضا. ومثل قوله الفقر یخرس الفطن عن حاجته قول الشاعر سأعمل نص العیس حتی یکفنی || غنی المال یوما أوغنی الحدثان فللموت خیر من حیاة یری لها || علی الحر بالإقلال وسم هوان متی یتکلم یلغ حکم کلامه || و إن لم یقل قالوا عدیم بیان کأن الغنی عن أهله بورک الغنی || بغیر لسان ناطق بلسان . ومثل قوله ع والمقل غریب فی بلدته قول خلف الأحمر لاتظنی أن الغریب هوالنائی || ولکنما الغریب المقل . و کان یقال مالک نورک فإن أردت أن تنکسف ففرقه وأتلفه . [صفحه ۸۹] قیل للإسکندر لم حفظت الفلاسفة المال مع حکمتها ومعرفتها بالدنیا قال لئلا تحوجهم الدنیا إلی أن یقوموا مقاما لایستحقونه . و قال بعض الزهاد ابدأ

برغیفیک فاحرزهما ثم تعبد. و قال الحسن ع من زعم أنه لایحب المال فهو عندی کاذب فإن علمت صدقه فهو عندی أحمق – روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۹۴[صفحه ۹۰]

۴

العَجزُ آفَةٌ وَ الصّبرُ شَجَاعَةٌ وَ الزّهدُ ثَروَةٌ وَ الوَرَعُ جُنّةٌ وَ نِعمَ القَرِینُ الرّضَا فهذه فصول خمسهٔ الفصل الأول قوله ع العجز آفهٔ و هذاحق لأن الآفهٔ هی النقص أو ماأوجب النقص والعجز کذلک . و کان یقال العجز المفرط ترک التأهب للمعاد. وقالوا العجز عجزان أحدهما عجز التقصیر و قدأمکن الأمر والثانی الجد فی طلبه و قدفات . وقالوا العجز نائم والحزم یقظان .الفصل الثانی فی الصبر والشجاعهٔ قدتقدم قولنا فی الصبر. و کان یقال الصبر مر لایتجرعه إلاحر. و کان یقال إن للأزمان المحمودهٔ والمذمومهٔ أعمارا وآجالا کأعمار الناس وآجالهم فاصبروا لزمان السوء حتی یفنی عمره ویأتی أجله . و کان یقال إذاتضیفتک نازلهٔ فاقرها الصبر علیها وأکرم مثواها لدیک بالتوکل [صفحه ۹۱] والاحتساب لترحل عنک و قدأبقت علیک أکثر مما سلبت منک و لاتنسها عندرخائک فإن تذکرک لها أوقات الرخاء یبعد السوء عن فعلک وینفی القساوهٔ عن قلبک ویوزعک حمد الله وتقواه .الفصل الثالث قوله والزهد ثروهٔ و هذاحق لأن الثروهٔ مااستغنی به الإنسان عن الناس و لاغناء عنهم کالزهد فی دنیاهم فالزهد علی الحقیقهٔ هوالغنی الأکبر. و روی أن علیا ع قال لعمر بن الخطاب أول ماولی الخلافهٔ إن سرک أن تلحق بصاحبیک فقصر الأمل و کل دون الشبع وارقع القمیص واخصف النعل واستغن عن الناس بفقرک تلحق بهما -روایت-۱-۲-روایت-۵۸-۱۷۹ .وقف ملک علی سقراط و هو فی المشرفهٔ قدأسند ظهره إلی جب کان یأوی إلیه فقال له سل حاجتک فقال حاجتی أن تتنحی عنی فقد منعنی ظلک المرفق بالشمس فسأله عن الجب قال آوی إلیه قال فإن انکسر الجب لم ینکسر المکان . و کان یقال الزهد فی الدنیا هوالزهد فی المحمدهٔ والرئاسهٔ لا فی المطعم والمشرب و عندالعارفین الزهد ترک کل شیءیشغلک عن الله . و کان یقال العالم إذا لم یکن زاهدا لکان عقوبهٔ لأهل زمانه لأنهم یقولون لو لا أن علمه لم یصوب عنده الزهد لزهد فهم یقتدون بزهده فی الزهد.الفصل الرابع قوله والورع جنهٔ کان یقال لاعصمهٔ کعصمهٔ الورع والعبادهٔ أماالورع فیعصمک من المعاصی و أماالعبادهٔ فتعصمک من خصمک فإن عدوک لورآک قائما تصلی و قددخل لیقتلک لصد عنک وهابک . [صفحه ۹۲] و قال رجل من بنی هلال لبنیه یابنی أظهروا النسک فإن الناس إن رأوا من أحد منکم بخلا قالوا مقتصد لایحب الإسراف و إن رأوا عیا قالوا متوق یکره الکلام و إن رأوا جبنا قالوا متحرج یکره الإقدام علی الشبهات .الفصل الخامس قوله ونعم القرین الرضا قدسبق منا قول مقنع فی الرضا. و قال أبوعمرو بن العلاء دفعت إلی أرض مجدبهٔ بهانفر من الأعراب فقلت لبعضهم ماأرضکم هذه قال کماتری لازرع و لاضرع قلت فکیف تعیشون قالوا نحترش الضباب ونصید الدواب قلت فکیف صبرکم علی ذلک قالوا یا هذاسل خالق الخلق هل سویت فقال بل رضیت . و کان یقال من سخط القضاء طاح و من رضی به استراح . و کان یقال علیک بالرضا و لوقلبت علی جمر الغضا. و فی الخبر المرفوع أنه ص قال عن الله تعالی من لم یرض بقضائی فلیتخذ ربا سوائی – روایت-۱-۲-روایت-۵۱-۹۰[صفحه ۹۳]

۵

العِلمُ وِرَاثَةٌ کَرِیمَةٌ وَ الآدَابُ حُلَلٌ مُجَدّدَةٌ وَ الفِکرُ مِرآةٌ صَافِیَةٌ إنما قال العلم وراثهٔ لأن کل عالم من البشر إنما یکتسب علمه من أستاذ یهذبه وموقف یعلمه فکأنه ورث العلم عنه کمایرث الابن المال عن أبیه و قدسبق منا کلام شاف فی العلم والأدب . و کان

يقال عطيـة العالم شبيهـة بمواهب الله عز و جل لأنها لاتنفد عندالجود بها وتبقى بكمالها عندمفيدها. و كان يقال الفضائل العلمية تشبه النخـل بطيء الثمرة بعيـد الفسـاد. و كـان يقـال ينبغي للعـالم ألا يترفع على الجاهل و أن يتطامن له بمقـدار مارفعه الله عليه وينقله من الشـك إلى اليقين و من الحيرة إلى التبيين لأن مكافحته قسوة والصبر عليه وإرشاده سـياسة. ومثاله قول بعض الحكماء الخير من العلماء من يرى الجاهل بمنزلـة الطفل ألذى هوبالرحمة أحق منه بالغلظة ويعذره بنقصه فيما فرط منه و لايعذر نفسه فى التأخر عن هدايته . [صـفحه ۹۴] و كـان يقال العلم فى الأرض بمنزلـة الشـمس فى الفلك لو لاالشـمس لأظلم الجو و لو لاالعلم لأظلم أهل الأرض . و كان يقال لاحلـة أجمل من حلـة الأدب لأن حلل الثياب تبلى وحلل الأدب تبقى وحلل الثياب قديغتصـبها الغاصب ويسرقها السارق وحلل الآداب باقية مع جوهر النفس . و كان يقال الفكرة الصحيحة أصطرلاب روحانى. و قال أوس بن حجر يرثى إن ألذى جمع السماحة والنجدة || والحزم والنهى جمعا الألمعى ألذى يظن بك الظن || كان قدرأى و قدسمعا . و من كلام الحكماء النار لاينقصها ماأخذ منها ولكن يخمدها ألا تجد حطبا وكذلك العلم لايفنيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه .قيل لبعضـهم أى العلوم أفضل قال ماالعامة فيه أزهد. و قال أفلاطون من جهل الشيء و لم يسأل عنه جمع على نفسه فضـيحتين . و كان يقال ثلاثة لاتجربة معهن أدب يزين ومجانبة الريبة وكف الأذى . و كان يقال عليكم بالأدب فإنه صاحب فى السـفر ومؤنس فى الوحـدة وجمـال فى المحفـل وسـبب إلى طلب الحاجـة. و كان عبـدالملك أديبا فاضـلا و لايجالس إلاأديبا. وروى الهيثم بن عدى عن مسعر بن كدام قال حدثنى سعيد بن خالد الجدلى [صفحه ۹۵] قال لماقدم عبدالملك الكوفة بعدقتل مصعب دعا الناس يعرضـهم على فرائضـهم فحضرنا بين يديه فقال من القوم قلنا جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فأنشده عذير الحى من عـدوان || كـانوا حيـة الأرض بغى بعضـهم بعضا || فلم يرعوا على بعض ومنهم كانت السادات || والموفون بالقرض ومنهم حكم يقضـى || فلاينقض مايقضـى ومنهم من يجيز الناس || بالسنة والفرض . ثم أقبل على رجل منا وسيم جسيم قدمناه أمامنا فقال أيكم يقول هذاالشـعر قال لاأدرى فقلت أنا من خلفه يقوله ذو الإصبع فتركنى وأقبل على ذلك الرجل الجسـيم فقال ما كان اسم ذى الإصبع قال لاأدرى فقلت أنا من خلفه اسمه حرثان فتركنى وأقبل عليه فقال له و لم سمى ذا الإصبع قال لاأدرى فقلت أنـا من خلفه نهشـته حيـة فى إصـبعه فأقبـل عليه وتركنى فقـال من أيكم كـان فقال لاأدرى فقلت أنا من خلفه من بنى تاج الـذين يقول الشاعر فيهم فأما بنو تاج فلاتذكرنهم || و لاتتبعن عيناك من كان هالكا .فأقبل على الجسـيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائـة درهم فأقبل على و قال وكم عطاؤك أنت قلت أربعمائـة فقال يا أباالزعيزعة حط من عطاء هذاثلاثمائة وزدها فى عطاء هذافرحت وعطائى سـبعمائة وعطاؤه أربعمائة. وأنشد منشد بحضـرة الواثق هارون بن المعتصم [صـفحه ۹۶] أظلوم إن مصابكم رجلا || أهدى السـلام تحية ظلم . فقال شـخص رجل هوخبر إن ووافقه على ذلك قوم وخالفه آخرون فقال الواثق من بقى من علمـاء النحويين قـالوا أبوعثمـان المازنى بالبصـرة فأمر بإشـخاصه إلى سـر من رأى بعدإزاحـة علته قال أبوعثمان فأشـخصت فلما أدخلت عليه قـال ممن الرجـل قلت من مـازن قـال من مازن تميم أم من مازن ربيعـة أم مازن قيس أم مازن اليمين قلت من مازن ربيعة قال باسـمك بالباء يريد مااسمك لأن لغة مازن ربيعة هكذا يبدلون الميم باء والباء ميما فقلت مكر أى بكر فضحك و قال اجلس واطمئن فجلست فسـألنى عن البيت فأنشـدته منصوبا فقال فأين خبر إن فقلت ظلم قال كيف هـذا قلت يا أمير المؤمنين ألا ترى أن البيت إن لم يجعل ظلم خبر إن يكون مقطوع المعنى معدوم الفائدة فلما كررت القول عليه فهم و قال قبح الله من لاأدب له ثم قـال أ لـك ولـد قلت بنيـة قـال فما قالت لك حين ودعتها قلت ماقالت بنت الأعشـى تقول ابنتى حين جـد الرحيل || أرانا سواء و من قـديتم أبانـا فلابرمت من عنـدنا || فإنا بخير إذا لم ترم أبانا إذاأضـمرتك البلاد || نجفى وتقطع منا الرحم . قال فما قلت لها قال قلت أنشـدتها بيت جرير ثقى بالله ليس له شـريك || و من عندالخليفـة بالنجاح . فقال ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى ثم أمر لى بألف دينار وكسوة وردنى إلى البصرة [صفحه ۹۷]

۶

وَ صَدرُ العَاقِلِ صُندُوقُ سِرّهِ وَ البَشَاشَةُ حِبَالَةُ المَوَدّةِ وَ الِاحتِمَالُ قَبرُ العُيُوبِ وَ روُيَ أَنّهُ قَالَ فِي العِبَارَةِ عَن هَذَا المَعنَى أَيضاً المُسَالَمَةُ خبَ ءُ العُيُوبِ هذه فصول ثلاثة الفصل الأول قوله صدر العاقل صندوق سره قدذكرنا فيما تقدم طرفا صالحا فى كتمان السر. و كان يقال لاتنكح خاطب سرك . قال معاوية للنجار العذرى ابغ لى محدثا قال معى يا أمير المؤمنين قال نعم أستريح منك إليه و منه إليك وأجعله كتوما فإن الرجل إذااتخذ جليسا ألقى إليه عجره وبجره . و قال بعض الأعراب لاتضع سرك عند من لاسر له عندك . وقالوا إذا كان سر الملك عنداثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاذير فإن عاقبهما عندشياعه عاقب اثنين بذنب واحد و إن اتهمهما اتهم بريئا [صفحه ۹۸] بجناية مجرم و إن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما و لاذنب له و عن الآخر و لاحجة عليه .الفصل الثانى قوله البشاشة حبالة المودة قدقلنا فى البشر والبشاشة فيما سبق قولا مقنعا. و كان يقال البشر دال على السخاء من ممدوحك و على الود من صديقك دلالة النور على الثمر. و كان يقال ثلاث تبين لك الود فى صدر أخيك تلقاه ببشرك وتبدؤه بالسلام وتوسع له فى المجلس . و قال الشاعر لاتدخلنك ضجرة من سائل || فلخير دهرك أن ترى مسئولا لاتجبهن بالرد وجه مؤمل || قدرام غيرك أن يرى مأمولا تلقى الكريم فتستدل ببشره || وترى العبوس على اللئيم دليلا واعلم بأنك عن قليل صائر || خبرا فكن خبرا يروق جميلا . و قال البحترى لو أن كفك لم تجد لمؤمل || لكفاه عاجل بشرك المتهلل و لو أن مجدك لم يكن متقادما || أغناك آخر سؤدد عن أول أدركت مافات الكهول من الحجا || من عنفوان شبابك المستقبل فإذاأمرت فما يقال لك اتئد || و إذاحكمت فما يقال لك اعدل .الفصل الثالث قوله الاحتمال قبر العيوب أى إذااحتملت صاحبك وحلمت [صفحه ۹۹] عنه ستر هذاالخلق الحسن منك عيوبك كمايستر القبر الميت و هذامثل قولهم فى الجود كل عيب فالكرم يغطيه .فأما الخب ء فمصدر خبأته أخبؤه والمعنى فى الروايتين واحد و قدذكرنا فى فضل الاحتمال والمسالمة فيما تقدم أشياء صالحة. و من كلامه ع وجدت الاحتمال أنصر لى من الرجال –روايت–۱–۲–روايت–۱۶–۵۲ من كلامه من سالم الناس سلم منهم و من حارب الناس حاربوه فإن العثرة للكاثر –روايت–۱–۲–روايت–۱۳–۸۳ و كان يقال العاقل خادم الأحمق أبدا إن كان فوقه لم يجد من مداراته والتقرب إليه بدا و إن كان دونه لم يجد من احتماله واستكفاف شره بدا. وأسمع رجل يزيد بن عمر بن هبيرة فأعرض عنه فقال الرجل إياك أعنى قال وعنك أعرض . و قال الشاعر إذانطق السفيه فلاتجبه || فخير من إجابته السكوت سكت عن السفيه فظن أنى || عييت عن الجواب و ماعييت [صفحه ۱۰۰]

۷

مَن رضَيَ عَن نَفسِهِ كَثُرَ السّاخِطُ عَلَيهِ وَ الصّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنجِحٌ وَ أَعمَالُ العِبَادِ فِي عَاجِلِهِم نُصبُ أَعيُنِهِم فِي آجِلِهِم هذه فصول ثلاثة الفصل الأول قوله من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه قال بعض الفضلاء لرجل كان يرضى عن نفسه ويدعى التميز على الناس بالعلم عليك بقوم تروقهم بزبرجك وتروعهم بزخرفك فإنك لاتعدم عزا و لاتفقد غمرا لايبلغ مسبارهما غورك و لاتستغرق أقدارهما طورك . و قال الشاعر أرى كل إنسان يرى عيب غيره || ويعمى عن العيب ألذى هو فيه و ماخير من تخفى عليه عيوبه || ويبدو له العيب ألذى بأخيه . و قال بعضهم دخلت على ابن منارة و بين يديه كتاب قدصنفه فقلت ما هذا قال كتاب عملته مدخلا إلى التوراة فقلت إن الناس ينكرون هذافلو قطعت الوقت بغيره قال الناس جهال قلت و أنت ضدهم قال نعم قلت [صفحه ۱۰۱] فينبغى أن يكون ضدهم جاهلا عندهم قال كذاك هو قلت فقد بقيت أنت جاهلا بإجماع الناس و الناس جهال بقولك وحدك ومثل هذاالمعنى قول الشاعر إذاكنت تقضى أن عقلك كامل || و أن بنى حواء غيرك جاهل و أن مفيض العلم

صـدرک کله || فمن ذا ألـذی یدری بأنک عاقل .الفصل الثانی الصدقۀ دواء منجح قدجاء فی الصدقۀ فضل کثیر وذکرنا بعض ذلک فیما تقـدم و فی الحـدیث المرفوع تاجروا الله بالصدقـۀ تربحوا -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۵۰ وقیل الصدقـۀ صداق الجنۀ. وقیل للشـبلی مایجب فی مائتی درهم فقال أما من جهـۀ الشـرع فخمسۀ دراهم و أما من جهۀ الإخلاص فالکل . و روی أبوهریرۀ عن النبی ص أنه سـئل فقیـل أی الصدقـۀ أفضل فقال أن تعطی و أنت صـحیح شـحیح تأمل البقاء وتخشـی الفقر و لاتمهل حتی إذابلغت الحلقوم قلت لفلان کـذا ولفلان کذا -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-۱۸۱ . ومثل قوله ع الصدقـۀ دواء منجح قول النبی ص داووا مرضاکم بالصدقـۀ -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۳۹ .الفصـل الثـالث قوله أعمـال العباد فی عاجلهم نصب أعینهم فی آجلهم هـذا من قوله تعالی یَومَ تَجِدُ کُلّ نَفسٍ ما عَمِلَت مِن خَیرٍ مُحضَراً وَ ما عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدّ -قرآن-۹۰-۱۷۳ .الفصل الثالث قوله أعمال العباد فی عاجلهم نصب أعینهم فی آجلهم هـذا من قوله تعالی یَومَ تَجِدُ کُلّ نَفسٍ ما عَمِلَت مِن خَیرٍ مُحضَراً وَ ما عَمِلَت مِن سُوءٍ تَوَدّ لَو أَنّ بَینَها وَ بَینَهُ أَمَداً بَعِیداً و قال تعالی فَمَن یَعمَل مِثقالَ ذَرّۀٍ خَیراً یَرَهُ وَ مَن یَعمَل مِثقالَ ذَرّۀٍ شَرّا یَرَهُ. و من کلام بعضـهم إنما تقدم علی ماقدمت ولست تقدم علی ماترکت فآثر ماتلقاه غدا علی ما لاتراه أبدا. و من حکمۀ أفلاطون اکتم حسن صنیعک عن أعین البشر فإن له ممن بیده ملکوت السماء أعینا ترمقه فتجازی علیه -قرآن-۱-۴۵-قرآن-۶۰-۱۴۲ [صفحه ۱۰۳]

۸

اعجَبُوا لِهَذَا الإِنسَانِ یَنظُرُ بِشَحمٍ وَ یَتَکَلّمُ بِلَحمٍ وَ یَسمَعُ بِعَظمٍ وَ یَتَنَفّسُ مِن خَرمٍ هذاکلام محمول بعضه علی ظاهره لماتدعو إلیه الضـرورۀ من مخاطبـۀ العامـۀ بمـا یفهمونه والعـدول عمـا لاـتقبله عقولهم و لاـتعیه قلوبهم . أماالإبصـار فقـد اختلف فیه فقیل إنه بخروج شعاع من العین یتصل بالمرئی وقیل إن القوۀ المبصرۀ التی فی العین تلاقی بذاتها المرئیات فتبصرها و قال قوم بل بتکیف الهـواء بالشـعاع البصـری مـن غیرخروج فیصـیر الهـواء باعتبـار تکیفه بالشـعاع به آلـۀ العین فی الإـدراک . و قـال المحققـون من الحکمـاء إن الإـدراک البصـری هوبانطبـاع أشـباح المرئیات فی الرطوبـۀ الجلدیـۀ من العین عنـدتوسط الهواء الشـفاف المضـیء کماتنطبع الصورۀ فی المرآۀ قالوا و لوکانت المرآۀ ذات قوۀ مبصـرۀ لأدرکت الصور المنطبعۀ فیها و علی جمیع الأقوال فلابد من إثبات القوۀ المبصـرۀ فی الرطوبـۀ الجلدیـۀ و إلی الرطوبـۀ الجلدیۀ وقعت إشارته ع بقوله ینظر بشـحم . و أماالکلام فمحله اللسان عنـدقوم و قـال قوم لیس اللسـان آلـۀ ضـروریۀ فی الکلاـم لأن من یقطع لسانه من أصـله یتکلم و أما إذاقطع رأسه لم یتکلم قالوا وإنما الکلام [صفحه ۱۰۴] باللهوات و علی کلا القولین فلابـد أن تکون آلۀ الکلام لحما و إلیه وقعت إشارۀ أمیر المؤمنین ع و لیس هـذه البنیـۀ المخصوصۀ شـرطا فی الکلام علی الإطلاق لجواز وجوده فی الشـجر والجماد عندأصـحابنا وإنما هی شـرط فی کلام الإنسان ولذا قال أمیر المؤمنین اعجبوا لهذا الإنسان .فأما السمع للصوت فلیس بعظم عندالتحقیق وإنما هوبالقوۀ المودعۀ فی العصب المفروش فی الصـماخ کالغشـاء فإذاحمـل الهواء الصوت ودخـل فی ثقب الأذن المنتهی إلی الصـماخ بعـدتعویجات فیه جعلت لتجری مجری الیراعـۀ المصوتۀ وأفضـی ذلک الصوت إلی ذلک العصب الحامل للقوۀ السامعۀ حصل الإدراک وبالجملۀ فلابـد من عظم لأـن الحامل اللحم والعصب إنما هوالعظم . و أماالتنفس فلاریب أنه من خرم لأنه من الأنف و إن کان قـدیمکن لوسد الأنف أن یتنفس الإنسان من الفم و هوخرم أیضا والحاجۀ إلی التنفس إخراج الهواء الحار عن القلب وإدخال النسیم البارد إلیه فجعلت الرئۀ کالمروحۀ تنبسط وتنقبض فیدخل الهواء بها ویخرج من قصبتها النافذۀ إلی المنخرین [صفحه ۱۰۵]

۹

إِذَا أَقبَلَتِ الدّنيَا عَلَى قَومٍ أَعَارَتهُم مَحَاسِنَ غَيرِهِم وَ إِذَا أَدبَرَت عَنهُم سَلَبَتهُم مَحَاسِنَ أَنفُسِهِم كان الرشيد أيام كان حسن الرأى فى جعفر بن يحيى يحلف بالله أن جعفرا أفصح من قس بن ساعدة وأشجع من عامر بن الطفيل وأكتب من عبدالحميد بن يحيى وأسوس من عمر بن الخطاب وأحسن من مصعب بن الزبير و كان جعفر ليس بحسن الصورة و كان طويل الوجه جدا وأنصح له من الحجاج لعبد الملك وأسمح من عبد الله بن جعفر وأعف من يوسف بن يعقوب فلما تغير رأيه فيه أنكر محاسنه الحقيقية التى لايختلف اثنان أنها فيه نحو كياسته وسماحته و لم يكن أحد يجسر أن يرد على جعفرقولا و لارأيا فيقال إن أول ماظهر من تغير الرشيد له أنه كلم الفضل بن الربيع بشىء فرده عليه الفضل و لم تجر عادته من قبل أن يفتح فاه فى وجهه فأنكر سليمان بن أبى جعفر ذلك على الفضل فغضب الرشيد لإنكار سليمان و قال مادخولك بين أخى ومولاى كالراضى بما كان من الفضل ثم تكلم جعفربشىء قاله للفضل فقال الفضل اشهد عليه يا أمير المؤمنين فقال جعفرفض الله فاك ياجاهل إذا كان أمير المؤمنين الشاهد فمن الحاكم المشهود عنده فضحك الرشيد و قال يافضل لاتمار جعفرا فإنك لاتقع منه موقعا. [صفحه ١٠٦] واعلم أنا قدوجدنا تصديق ماقاله ع فى العلوم والفضائل والخصائص النفسانية دع حديث الدنيا والسلطان والرئاسة فإن المحظوظ من علم أو من فضيلة تضاف إليه شوارد تلك الفضيلة وشوارد ذلك الفن مثاله حظ على ع من الشجاعة و من الأمثال الحكمية قل أن ترى مثلا شاردا أوكلمة حكمية إلا وتضيفها الناس إليه وكذلك مايدعى العامة له من الشجاعة وقتل الأبطال حتى يقال إنه حمل على سبعين ألفا فهزمهم وقتل الجن فى البئر وفتل الطوق الحديد فى عنق خالد بن الوليد وكذلك حظ عنترة بن شداد فى الشجاعة يذكر له من الأخبار ما لم يكن وكذلك مااشتهر به أبونواس فى وصف الخمر يضاف إليه من الشعر فى هذاالفن ما لم يكن قاله وكذلك جود حاتم و عبد الله بن جعفر ونحو ذلك وبالعكس من لاحظ له ينفى عنه ما هوحقيقة له فقد رأينا كثيرا من الشعر الجيد ينفى عن قائله استحقارا له لأنه خامل الذكر وينسب إلى غيره بل رأينا كتبا مصنفة فى فنون من العلوم خمل ذكر مصنفيها ونسبت إلى غيرهم من ذوى النباهة والصيت و كل ذلك منسوب إلى الجد والإقبال [صفحه ١٠٧]

١٠

خَالِطُوا النّاسَ مُخَالَطَةً إِن مِتّم مَعَهَا بَكَوا عَلَيكُم وَ إِن عِشتُم حَنّوا إِلَيكُم و قدروى خنوا بالخاء المعجمة من الخنين و هوصوت يخرج من الأنف عندالبكاء و إلى تتعلق بمحذوف أى حنوا شوقا إليكم . و قدورد فى الأمر بإحسان العشرة مع الناس الكثير الواسع و قدذكرنا طرفا من ذلك فيما تقدم . و فى الخبر المرفوع إذاوسعتم الناس ببسط الوجوه وحسن الخلق وحسن الجوار فكأنما وسعتموهم بالمال -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٠٢ . و قال أبوالدرداء إنا لنهش فى وجوه أقوام و إن قلوبنا لتقليهم . و قال محمد بن الفضل الهاشمى لأبيه لم تجلس إلى فلان و قدعرفت عداوته قال أخبئ نارا وأقدح عن ود. و قال المهاجر بن عبد الله وإنى لأقصى المرء من غيربغضة || وأدنى أخا البغضاء منى على عمد ليحدث ودا بعدبغضاء أوأرى || له مصرعا يردى به الله من يردى . و قال عقال بن شبة التميمى كنت ردف أبى فلقيه جرير بن الخطفى على بغلة [صفحه ١٠٨] فحياه أبى وألطفه فلما مضى قلت له أ بعد أن قال لنا ما قال قال يابنى أفأوسع جرحى. و قال محمد بن الحنفية ع قديدفع باحتمال المكروه ما هوأعظم منه -روايت-١-٢-روايت-٢٧-٧٠ قال الحسن ع حسن السؤال نصف العلم ومداراة الناس نصف العقل والقصد فى المعيشة نصف المئونة -روايت-١-٢-روايت-١٨-١٠٠ . ومدح ابن شهاب شاعرا فأعطاه و قال إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر. و قال الشاعر وأنزلنى طول النوى دار غربة || متى شئت لاقيت أمرا لاأشاكله أخا ثقة حتى يقال سجية || و لو كان ذا عقل لكنت أعاقله فى الحديث المرفوع للمسلم على المسلم ست يسلم عليه إذالقيه ويجيبه إذادعاه ويشمته إذاعطس ويعوده إذامرض ويحب

له مایحب لنفسه ویشیع جنازته إذامات -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۶۴ وقف ص علی عجوز فجعل یسألها ویتحفاها و قال إن حسن العهد من الإیمان إنها کانت تأتینا أیام خدیجة -روایت-۱-۱۰۳ [صفحه ۱۰۹]

۱۱

إِذَا قَدَرتَ عَلَی عَدُوّکَ فَاجعَلِ العَفوَ عَنهُ شُکراً لِلقُدرَةِ عَلَیهِ قدأخذت أنا هذاالمعنی فقلت فی قطعة لی إن الأمانی أکساب الجهول فلا || تقنع بها وارکب الأهوال والخطرا واجعل من العقل جهلا واطرح نظرا || فی الموبقات و لاتستشعر الحذرا و إن قدرت علی الأعداء منتصرا || فاشکر بعفوک عن أعدائک الظفرا . و قدتقدم لنا کلام طویل فی الحلم والصفح والعفو. ونحن نذکر هاهنا زیادة علی ذلک شجر بین أبی مسلم و بین صاحب مرو کلام أربی فیه صاحب مرو علیه وأغلظ له فی القول فاحتمله أبومسلم وندم صاحب مرو وقام بین یدی أبی مسلم معتذرا و کان قال له فی جملة ما قال یالقیط فقال أبومسلم مه لسان سبق ووهم أخطأ والغضب شیطان و أناجرأتک علی باحتمالک قدیما فإن کنت للذنب معتذرا فقد شارکتک فیه و إن کنت مغلوبا فالعفو یسعک فقال صاحب مرو أیها الأمیر إن عظم ذنبی یمنعنی من الهدوء فقال أبومسلم یاعجبا أقابلک بإحسان و أنت مسیء ثم أقابلک بإساءة و أنت محسن فقال الآن وثقت بعفوک . وأذنب بعض کتاب المأمون ذنبا وتقدم إلیه لیحتج لنفسه فقال یا هذاقف [صفحه ۱۱۰] مکانک فإنما هوعذر أویمین فقد وهبتهما لک و قدتکرر منک ذلک فلاتزال تسیء ونحسن وتذنب ونغفر حتی یکون العفو هو ألذی یصلحک . و کان یقال أحسن أفعال القادر العفو وأقبحها الانتقام . و کان یقال ظفر الکریم عفو وعفو اللئیم عقوبة. و کان یقال رب ذنب مقدار العقوبة علیه إعلام المذنب به و لایجاوز به حد الارتفاع إلی الإیقاع . و کان یقال ماعفا عن الذنب من قرع به . و من الحلم ألذی یتضمن کبرا مستحسنا ماروی أن مصعب بن الزبیر لماولی العراق عرض الناس لیدفع إلیهم أرزاقهم فنادی منادیه أین عمرو بن جرموز فقیل له أیها الأمیر إنه أبعد فی الأرض قال أ وظن الأحمق أنی أقتله بأبی عبد الله قولوا له فلیظهر آمنا ولیأخذ عطاءه مسلما. وأکثر رجل من سب الأحنف و هو لایجیبه فقال الرجل ویلی علیه و الله مامنعه من جوابی إلاهوانی عنده . و قال لقیط بن زرارة فقل لبنی سعد و ما لی و مالکم || ترقون منی مااستطعتم وأعتق أغرکم أنی بأحسن شیمة || بصیر وأنی بالفواحش أخرق وأنک قدساببتنی فقهرتنی || هنیئا مریئا أنت بالفحش أحذق . و قال المأمون لإبراهیم بن المهدی لماظفر به إنی قدشاورت فی أمرک فأشیر علی بقتلک إلاأنی وجدت قدرک فوق ذنبک فکرهت قتلک للازم حرمتک فقال ابراهیم یا أمیر المؤمنین إن المشیر أشار بما تقتضیه السیاسة وتوجیه العادة إلاأنک أبیت أن [صفحه ۱۱۱] تطلب النصر إلا من حیث عودته من العفو فإن قتلت فلک نظراء و إن عفوت فلانظیر لک قال قدعفوت فاذهب آمنا.ضل الأعشی فی طریقه فأصبح بأبیات علقمة بن علاثة فقال قائده و قدنظر إلی قباب الأدم وا سوء صباحاه یا أبابصیر هذه و الله أبیات علقمة فخرج فتیان الحی فقبضوا علی الأعشی فأتوا به علقمة فمثل بین یدیه فقال الحمد لله ألذی أظفرنی بک من غیرذمة و لاعقد قال الأعشی أ وتدری لم ذلک جعلت فداک قال نعم لانتقم الیوم منک بتقوالک علی الباطل مع إحسانی إلیک قال لا و الله ولکن أظفرک الله بی لیبلو قدر حلمک فی فأطرق علقمة فاندفع الأعشی فقال أعلقم قدصیرتنی الأمور || إلیک و ما کان بی منکص کساکم علاثة أثوابه || وورثکم حلمه الأحوص فهب لی نفسی فدتک النفوس || فلازلت تنمی و لاتنقص . فقال قدفعلت أما و الله لو قلت فی بعض ماقلته فی عامر بن عمر لأغنیتک طول حیاتک و لو قلت فی عامر بعض ماقلته فی ماأذاقک برد الحیاة. قال معاویة لخالد بن معمر السدوسی علی ماذا أحببت علیا قال علی ثلاث حلمه إذاغضب وصدقه إذا قال ووفاؤه إذاوعد [صفحه ۱۱۲]

١٢

أَعجَزُ النّاسِ مَن عَجَزَ عَنِ اكتِسَابِ الإِخوَانِ وَ أَعجَزُ مِنهُ مَن ضَيّعَ مَن ظَفِرَ بِهِ مِنهُم قدذكرنا قطعهٔ صالحهٔ من الإخوانيات فيما تقدم و فى الحديث المرفوع أن النبى ص بكى لماقتل جعفربمؤتهٔ و قال المرء كثير بأخيه -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٨۴ قال جعفر بن محمد ع لكل شىءحليهٔ وحليهٔ الرجل أوداؤه -روايت-١-٢-روايت-٢۵-۵٨ . وأنشد ابن الأعرابى لعمرك ماملل الفتى بذخيرهٔ || ولكن إخوان الصفاء الذخائر . و كان أبوأيوب السختيانى يقول إذابلغنى موت أخ كان لى فكأنما سقط عضو منى. و كان يقال الإخوان ثلاث طبقات طبقهٔ كالغذاء لايستغنى عنه وطبقهٔ كالدواء يحتاج إليه عندالمرض وطبقهٔ كالداء لايحتاج إليه أبدا. و كان يقال صاحبك كرقعهٔ فى قميصك فانظر بما ترقع قميصك . [صفحه ١١٣] و كان يونس بن عبيد يقول اثنان ما فى الأرض أقل منهما و لايزدادان إلاقلهٔ درهم يوضع فى حق وأخ يسكن إليه فى الله . و قال الشاعر أخاك أخاك إن من لاأخا له || كساع إلى الهيجا بغير سلاح و إن ابن عم المرء فاعلم جناحه || وهل ينهض البازى بغير جناح . و قال آخر ولن تنفك تحسد أوتعادى || فأكثر مااستطعت من الصديق وبغضك للتقى أقل ضرا || وأسلم من مودهٔ ذى الفسوق . وأوصى بعضهم ابنه فقال يابنى إذانازعتك نفسك إلى مصاحبهٔ الرجال فاصحب من إذاصحبته زانك و إذاخدمته صانك و إذاعرضت لك مؤنهٔ أعانك و إن قلت صدق قولك و إن صلت شد صولك و إن مددت يدك لأمر مدها و إن بدت لك عورهٔ سدها و إن رأى منك حسنهٔ عدها و إن سألته أعطاك و إن سكت ابتدأك و إن نزلت بك ملمهٔ واساك من لاتأتيك منه البوائق و لاتحتار عليك منه الطرائق و لايخذلك عندالحقائق . و من الشعر المنسوب إلى على ع -روايت-١-٢-روايت-٣۴-٣۵ إن أخاك الحق من كان معك || و من يضر نفسه لينفعك و من إذاريب الزمان صدعك || شتت فيك شمله ليجمعك [صفحه ١١۴] من الشعر المنسوب إليه ع أيضا -روايت-١-٢-روايت-٣۴-٣۵ أخوك ألذى إن أجرضتك ملمهٔ || من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما و ليس أخوك بالذى إن تشعبت || عليك أمور ظل يلحاك لائما . و قال بعض الحكماء ينبغى للإنسان أن يوكل بنفسه كالئين أحدهما يكلؤه من أمامه والآخر يكلؤه من ورائه وهما عقله الصحيح وأخوه النصيح فإن عقله و إن صح فلن يبصره من عيبه إلابمقدار مايرى الرجل من وجهه فى المرآهٔ ويخفى عليه ماخلفه و أماأخوه النصيح فيبصره ماخلفه و ماأمامه أيضا. وكتب ظريف إلى صديق له أنى غيرمحمود على الانقياد إليك لأنى صادقتك من جوهر نفسى والنفس يتبع بعضها بعضا. و فى الحديث المرفوع إذاأحب أحدكم أخاه فليعلمه -روايت-١-٢-روايت-٢٣-۵۴ . و قال الأحنف خير الإخوان من إذااستغنيت عنه لم يزدك ودا و إن احتجت إليه لم ينقصك . و قال أعشى باهلهٔ يرثى المنتشر بن وهب إما سلكت سبيلا كنت سالكها || فاذهب فلايبعدنك الله منتشر من ليس فى خيره شر ينكده || على الصديق و لا فى صفوه كدر . و قال آخر يرثى صديقا له أخ طالما سرنى ذكره || وأصبحت أشجى لدى ذكره و قدكنت أغدو إلى قصره || فأصبحت أغدو إلى قبره وكنت أرانى غنيا به || عن الناس لومد فى عمره إذاجئته طالبا حاجهٔ || فأمرى يجوز على أمره .رأى بعض الحكماء مصطحبين لايفترقان فسأل عنهما فقيل صديقان قال فما بال أحدهما غنيا والآخر فقيرا [صفحه ١١۵]

١٣

وَ قَالَ ع فِي الّذِينَ اعتَزَلُوا القِتَالَ مَعَهُ خَذَلُوا الحَقّ وَ لَم يَنصُرُوا البَاطِلَ قدسبق ذكر هؤلاء فيما تقدم وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأسامهٔ بن زيد و محمد بن مسلمهٔ وأنس بن مالك وجماعهٔ غيرهم . و قدذكر شيخنا أبو الحسين فى الغرر أن أمير المؤمنين ع لمادعاهم إلى القتال معه واعتذروا بما اعتذروا به قال لهم

أتنكرون هـذه البيعـة قالوا لالكنا لانقاتل فقال إذابايعتم فقـد قاتلتم قال فسـلموا بذلك من الذم لأن إمامهم رضـى عنهم . ومعنى قوله خـذلوا الحق و لم ينصـروا الباطل أى خذلونى و لم يحاربوا معى معاوية وبعض أصـحابنا البغداديين يتوقف فى هؤلاء و إلى هذاالقول يميل شيخنا أبو جعفرالإسكافى [صفحه ۱۱۶]

۱۴

إِذَا وَصَلَت إِلَيكُم أَطرَافُ النّعَمِ فَلَا تُنَفّرُوا أَقصَاهَا بِقِلّةِ الشّكرِ قدسبق القول فى الشكر ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك . قال بعضـهم ماشـيبتنى السـنون بل شكرى من أحتاج أن أشكره . وقالوا العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى . وقالوا من سعادة المرء أن يضع معروفه عنـد من يشـكره . و من جيـد ماقيـل فى الشـكر قول أبى نواس قـد قلت للعبـاس معتـذرا || من ضـعف شـكريه ومعترفا أنت امرؤ حملتنى نعما || أوهت قوى شكرى فقد ضعفا فإليك منى اليوم معذرة || جاءتك بالتصريح منكشفا لاتسدين إلى عارفة || حتى أقوم بشـكر ماسلفا . و قال البحترى فإن أنا لم أشكر لنعماك جاهدا || فلانلت نعمى بعدها توجب الشكرا . [صفحه ۱۱۷] و قال أيضا سأجهـد فى شـكرى لنعماك إننى || أرى الكفر للنعماء ضـربا من الكفر . و قال ابن أبى طاهر شـكرت عليـا بره وبلاـءه || فقصـر بى شـكرى وإنى لجاهـد و مـا أنـا من شـكرى عليا بواحـد || ولكنه فى الفضل والجود واحـد . و قال أبوالفتح البستى لاتظنن بى وبرك حى || أن شـكرى وشـكر غيرى موات أناأرض وراحتاك سـحاب || والأيادى وبل وشكرى نبات . و قال أيضا وخر لماأوليت شـكرى ساجدا || ومثل ألذى أوليت يعبده الشـكر .البحترى أراك بعين المكتسـى ورق الغنى || بآلائـك اللاتى يعـددها الشـكر ويعجبنى فقرى إليك و لم يكن || ليعجبنى لو لامحبتك الفقر .آخر بـدأت بمعروف وثنيت بالرضا || وثلثت بالحسـنى وربعت بالكرم وباشـرت أمرى واعتنيت بحاجتى || وأخرت لاعنى وقدمت لى نعم وصدقت لى ظنى وأنجزت موعـدى || وطبت به نفسـا و لم تتبع النـدم فإن نحن كافأنا بشـكر فواجب || و إن نحن قصـرنا فما الود متهم [صـفحه ۱۱۸]

۱۵

مَن ضَيّعَهُ الأَقرَبُ أُتِيحَ لَهُ الأَبعَدُ إن الإنسان قدينصره من لايرجو نصره و إن أهمله أقربوه وخذلوه فقد تقوم به الأجانب من الناس و قدوجـدنا ذلـك فى حق رسول الله ص ضـيعه أهله ورهطه من قريش وخـذلوه وتمالئوا عليه فقام بنصـره الأوس والخزرج وهم أبعد الناس نسبا منه لأنه من عدنان وهم من قحطان و كل واحد من الفريقين لايحب الآخر حتى تحب الأرض الدم وقامت ربيعة بنصـر على ع فى صـفين وهم أعداء مضـر الذين هم أهله ورهطه وقامت اليمن بنصـر معاوية فى صـفين وهم أعداء مضـر وقامت الخراسانية وهم عجم بنصر الدولة العباسية وهى دولة العرب و إذاتأملت السير وجدت هذاكثيرا شائعا [صفحه ۱۱۹]

۱۶

مَا كُلّ مَفتُونٍ يُعَاتَبُ هـذه الكلمـة قالها على ع لسـعد بن أبى وقاص و محمد بن مسـلمة و عبد الله بن عمر لماامتنعوا من الخروج معه لحرب أصـحاب الجمل ونظيرها أوقريب منها قول أبى الطيب فما كل فعال يجازى بفعله || و لا كل قوال لدى يجاب ورب كلام مر فوق مسامعى || كماطن فى لفح الهجير ذباب [صفحه ۱۲۰]

۱۷

تَـذِلّ الأُمُورُ لِلمَقَادِيرِ حَتّی یَکُونَ الحَتفُ فِی التّـدبِیرِ إذاتأملت أحوال العالم وجـدت صـدق هذه الکلمهٔ ظاهرا و لوشـئنا أن نذکر الکثیر من ذلک لـذکرنا مایحتاج فی تقییـده بالکتابـهٔ إلی مثل حجم کتابنا هـذا ولکنا نـذکر لمحا ونکتا وأطرافا ودررا من القول .فرش مروان بن محمـد و قدلقی عبد الله بن علی أنطاعا وبسط علیها المال و قال من جاءنی برأس فله مائهٔ درهم فعجزت الحفظهٔ والحراس عن حمایته واشتغلت طائفهٔ من الجند بنهبه وتهافت الجیش علیه لینتهبوه فغشیهم عبد الله بن علی بعساکره فقتل منهم ما لایحصـی وهزم البـاقون . وکسر ابراهیـم بـن عبـد الله بـن الحسـن بن الحسن جیش أبی جعفرالمنصـور بباخمری وأمر أصـحابه باتبـاعهم فحال بینهم و بین أصـحاب أبی جعفرماء ضـحضاح فکره ابراهیم وجیشه خوض ذلک الماء و کان واسعا فأمر صاحب لوائه أن یتعرج باللواء علی مسـناهٔ کانت علی ذلک الماء یابسهٔ فسلکها صاحب اللواء وهی تفضی بانعراج وانعکاس إلی الأرض الیبس فلما رأی عسکر أبی جعفر أن لواء القوم قدتراجع [صفحه ۱۲۱] القهقری ظنوهم منهزمین فعطفوا علیهم فقتلوا منهم مقتلهٔ عظیمـهٔ وجاء سـهم غرب فأصاب ابراهیم فقتله . و قددبرت من قبل قریش فی حمایهٔ العیر بأن نفرت علی الصـعب والذلول لتدفع رسول الله ص عن اللطیمـهٔ فکان هلاکها فی تـدبیرها. وکسـرت الأنصار یوم أحـد بأن أخرجت النبی ص عن المدینهٔ ظنا منها أن الظفر والنصـرهٔ کانت بذلک و کان سـبب عطبها وظفر قریش بها و لوأقامت بین جدران المدینهٔ لم تظفر قریش منها بشیء. ودبر أبومسـلم الدولـهٔ الهاشـمیهٔ وقـام بهـا حتی کـان حتفه فی تـدبیره . وکـذلک جری لأبی عبـد الله المحتسب مع عبـد الله المهـدی بالمغرب . ودبر أبوالقاسم بن المسـلمهٔ رئیس الرؤساء فی إخراج البساسیری عن العراق حتی کان هلاکه علی یده وکذلک أیضا انعکس علیه تـدبیره فی إزالـهٔ الدولـهٔ البویهیـهٔ من الدولهٔ السـلجوقیهٔ ظنا منه أنه یدفع الشر بغیر الشر فدفع الشر بما هوشر منه . وأمثال هذا ونظائره أکثر من أن تحصی [صفحه ۱۲۲]

۱۸

اشاره

وَ سُئِلَ ع عَن قَولِ الرّسُولِص غَیّرُوا الشّیبَ وَ لَا تَشَبّهُوا بِالیَهُودِ فَقَالَ ع إِنّمَا قَالَص ذَلِکَ وَ الدّینُ قُلّ فَأَمّا الآنَ وَ قَدِ اتّسَعَ نِطَاقُهُ وَ ضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَـامرُؤٌ وَ مَـا اختَـارَ الیهود لاـتخضب و کـان النبی ص أمر أصـحابه بالخضـاب لیکونوا فی مرأی العین شـبابا فیجبن المشـرکون عنهم حال الحرب فإن الشـیخ مظنهٔ الضـعف . قال علی ع کان ذلک والإسـلام قل أی قلیل و أماالآن و قداتسع نطاقه وضـرب بجرانه فقد سقط ذلک الأمر وصار الخضاب مباحا غیرمندوب . والنطاق ثوب تلبسه المرأهٔ لبسهٔ مخصوصهٔ لیس بصدرهٔ و لاسـراویل وسـمیت أسـماء بنت أبی بکر ذات النطاقین لأنها قطعت من ثوبها ذلک قطعهٔ شدت بهاسـفرهٔ لها حملها أبوبکر معه حین خرج من مکـهٔ مع النبی ص یوم الهجرهٔ فقال النبی ص لقـد أبـدلها الله بهانطاقین فی الجنـهٔ و کان نفر الشام ینادون عبـد الله ابنها حین حصـره الحجاج بمکهٔ یشـتمونه کمازعموا یا ابن ذات النطاقین فیضـحک عبد الله منهم و قال لابن أبی عتیق أ لاتسـمع یظنونه ذمـا ثم یقول [صـفحه ۱۲۳] وتلک شـکاهٔ ظاهر عنک عارها . واسـتعار أمیر المؤمنین ع هـذه اللفظهٔ لسـعهٔ رقعهٔ الإسـلام وکـذلک اسـتعار قوله وضـرب بجرانه أی أقام وثبت و ذلک لأن البعیر إذاضـرب بجرانه الأرض وجرانه مقـدم عنقه فقد اسـتناخ وبرک . وامرؤ مبتدأ و إن کان نکرهٔ کقولهم شـر أهر ذا ناب لحصول الفائدهٔ والواو بمعنی مع وهی و مابعدها الخبر و مامصدریهٔ

أی امرؤ مع اختياره

نبذ مما قيل فی الشيب والخضاب

فأما القول فی الخضاب فقد روی قوم أن رسول الله ص بدا شيب يسير فی لحيته فغيره بالخضاب خضب بالحناء والكتم و قال قوم لم يشب أصلا. وروی أن عائشة قالت ما كان الله ليشينه بالشيب فقيل أ وشين هو ياأم المؤمنين قالت كلكم يكرهه و أما أبوبكر فصح الخبر عنه بذلك وكذلك أمير المؤمنين وقيل إنه لم يخضب وقتل الحسين ع يوم الطف و هومخضوب و فی الحديث المرفوع رواه عقبة بن عامر عليكم بالحناء فإنه خضاب الإسلام إنه يصفی البصر ويذهب بالصداع ويزيد فی الباه وإياكم والسواد فإنه من سود سود الله وجهه يوم القيامة -روايت-١-٢-روايت-٤٢-١٨٣ عنه ص عليكم بالخضاب فإنه أهيب لعدوكم وأعجب إلی نسائكم -روايت-١-٢-روايت-١١-٦٦ . [صفحه ١٢٤] ويقال فی أبواب الكناية للمختضب هويسود وجه النذير لأن النذير الشيب قيل فی قوله تعالی وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُإنه الشيب . و كان عبدالرحمن بن الأسود أبيض الرأس واللحية فأصبح ذات يوم و قدحمرهما و قال إن عائشة أرسلت إلی البارحة جاريتها فأقسمت علی لأغيرن وقالت إن أبابكر كان يصبغ . وروی قيس بن أبی حازم قال كان أبوبكر يخرج إلينا و كان لحيته ضرام عرفج . و عن أبی عامر الأنصاری رأيت أبابكر يغير بالحناء والكتم ورأيت عمر لايغير شيئا من شيبه و -قرآن-٩٥-١١٥ قال إنی سمعت رسول الله ص يقول من شاب شيبة فی الإسلام كانت له نورا يوم القيامة -روايت-١-٢-روايت-٣٩-٩١ و لا أحب أن أغير نوری. و كان أنس بن مالك يخضب وينشد نسود أعلاها وتأبی أصولها || و ليس إلی رد الشباب سبيل . وروی أن عبدالمطلب وفد علی سيف بن ذی يزن فقال له لوخضبت فلما عاد إلی مكة خضب فقالت له امرأته نثيلة أم العباس وضرار ماأحسن هذاالخضاب لودام فقال فلو دام لی هذاالخضاب حمدته || و كان بديلا من خليل قدانصرم تمتعت منه والحياة قصيرة || و لابد من موت نثيلة أوهرم وموت جهيز عاجل لاشوی له || أحب إلينا من مقالكم حكم . قال يعنی إنه صار شيخا فصار حكما بين الناس من قوله لاتغبط المرء أن يقال له || أضحی فلان لسنه حكما . [صفحه ١٢٥] و قال أسماء بن خارجة لجاريته اخضبينی فقالت حتی متی أرقعك فقال عيرتنی خلقا أبليت جدته || وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا . و أما من يروی أن عليا ع ماخضب فيحتج بقوله و قدقيل له لوغيرت شيبك يا أمير المؤمنين فقال الخضاب زينة ونحن فی مصيبة -روايت-١-٧٨ يعنی برسول الله ص . و سئل الحسن ع عن الخضاب فقال هوجزع قبيح -روايت-١-٤٦ و قال محمود الوراق ياخاضب الشيب الذی || فی كل ثالثة يعود إن الخضاب إذامضی || فكأنه شيب جديد فدع المشيب و مايريد || فلن تعود كماتريد قدروی قوم عن النبی ص كراهية الخضاب و أنه قال لواستقبلتم الشيب بالتواضع لكان خيرا لكم -روايت-١-٢-روايت-٥٥-١٠١ . قال الشاعر وصبغت ماصبغ الزمان فلم يدم || صبغی ودامت صبغة الأيام . و قال آخر ياأيها الرجل المغير شيبه || كيما تعد به من الشبان أقصر فلو سودت كل حمامة || بيضاء ماعدت من الغربان . ويقولون فی ديوان عرض الجيش ببغداد لمن يخضب إذاذكروا حليته مستعار وهی كناية لطيفة و أناأستحسن قول البحتری خضبت بالمقراض كناية عن قص الشعر الأبيض فجعل ذلك خضابه عوضا عن الصبغ والأبيات هذه لابس من شيبة أم ناض || ومليح من شيبة أم راض [صفحه ١٢٦] و إذا ماامتعضت من ولع الشيب || برأسی لم يثن ذاك امتعاضی ليس يرضی عن الزمان امرؤ فيه || إلا عن غفلة أوتغاضی والبواقی من الليالی و إن || خالفن شيئا شبيهة بالمواضی وأبت تركی الغديات والآصال || حتی خضبت بالمقراض ودواء المشيب كالبخص فی عينی || فقل فيه فی العيون المراض طال حزنی علی الشباب و ما || بيض من لون صبغه الفضفاض فهل الحادثات يا ابن عويف || تاركاتی ولبس هذاالبياض [صفحه ١٢٧]

۱۹

مَن جَرَی فِی عِنَان أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجلِهِ قدتقدم لنا قول کثیر فی الأمل ونذکر هاهنا زیادهٔ علی ذلک . قال الحسن ع لورأیت الأجل ومسیره لنسیت الأمل وغروره ویقدر المقدرون والقضاء یضحک -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۹۴ روی أبوسعید الخدری أن أسامهٔ بن زید اشتری ولیدهٔ بمائهٔ دینار إلی شهر فقال رسول الله ص أ لاتعجبون من أسامهٔ یشتری إلی شهر إن أسامهٔ لطویل الأمل -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۵۳ . أبوعثمان النهدی قدبلغت نحوا من ثلاثین ومائهٔ سنهٔ فما من شیء إلا قدعرفت فیه النقص إلاأملی فإنه کما کان . قال الشاعر أراک تزیدک الأیام حرصا || علی الدنیا کأنک لاتموت فهل لک غایهٔ إن صرت یوما || إلیها قلت حسبی قدرضیت . و قال آخر من تمنی المنی فأغرق فیها || مات من قبل أن ینال مناه لیس فی مال من تتابع فی اللذات || فضل عن نفسه لسواه [صفحه ۱۲۸]

۲۰

اشاره

أَقِیلُوا ذوَیِ المُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِم فَمَا یَعثُرُ مِنهُم عَاثِرٌ إِلّا وَ یَدُهُ بِیَدِ اللّهِ یَرفَعُهُ

نبذ مما قیل فی المروءهٔ

قدرویت هذه الکلمهٔ مرفوعهٔ ذکر ذلک ابن قتیبهٔ فی عیون الأخبار وأحسن ماقیل فی المروءهٔ قولهم اللذهٔ ترک المروءهٔ والمروءهٔ ترک اللذهٔ. و فی الحدیث أن رجلاقام إلی رسول الله ص فقال یا رسول الله ألست أفضل قومی فقال إن کان لک عقل فلک فضل و إن کان لک خلق فلک مروءهٔ و إن کان لک مال فلک حسب و إن کان لک تقی فلک دین -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۲۰۸ . وسئل الحسن عن المروءهٔ فقال جاء فی الحدیث المرفوع أن الله تعالی یحب معالی الأمور ویکره سفسافها -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۷۷ . و کان یقال من مروءهٔ الرجل جلوسه بباب داره . و قال الحسن لادین إلابمروءهٔ [صفحه ۱۲۹] وقیل لابن هبیرهٔ ماالمروءهٔ فقال إصلاح المال والرزانهٔ فی المجلس والغداء والعشاء بالفناء. و جاء أیضا فی الحدیث المرفوع حسب الرجل ماله وکرمه دینه ومروءته خلقه -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۷۶ و کان یقال لیس من المروءهٔ کثرهٔ الالتفات فی الطریق . ویقال سرعهٔ المشی تذهب بمروءهٔ الرجل . و قال معاویهٔ لعمرو ماألذ الأشیاء قال مر فتیان قریش أن یقوموا فلما قاموا قال إسقاط المروءهٔ. و کان عروهٔ بن الزبیر یقول لبنیه یابنی العبوا فإن المروءهٔ لاتکون إلا بعداللعب وقیل للأحنف ماالمروءهٔ قال العفهٔ والحرفهٔ تعف عما حرم الله وتحترف فیما أحل الله . و قال محمد بن عمران التیمی لاأشد من المروءهٔ وهی ألا تعمل فی السر شیئا تستحیی منه فی العلانیهٔ وسئل النظام عن المروءهٔ فأنشد بیت زهیر الستر دون الفاحشات و لا || یلقاک دون الخیر من ستر . و قال عمر تعلموا العربیهٔ فإنها تزید فی المروءهٔ وتعلموا النسب فرب رحم مجهولهٔ قدوصلت به . و قال میمون بن مهران أول المروءهٔ طلاقهٔ الوجه والثانی التودد إلی الناس والثالث قضاء الحوائج . و قال مسلمهٔ بن عبدالملک مروءتان ظاهرتان الریاش والفصاحهٔ. و کان یقال تعرف مروءهٔ الرجل بکثرهٔ دیونه . و کان یقال العقل یأمرک بالأنفع والمروءهٔ تأمرک بالأجمل . [صفحه

۱۳۰] لام معاويهٔ يزيد ابنه على سماع الغناء وحب القيان و قال له أسقطت مروءتك فقال يزيد أتكلم بلسانى كلمهٔ قال نعم وبلسان أبى سفيان بن حرب وهند بنت عتبهٔ مع لسانك قال و الله لقد حدثنى عمرو بن العاص واستشهد على ذلك ابنه عبد الله بصدقه أن أباسفيان كان يخلع على المغنى الفاضل والمضاعف من ثيابه ولقد حدثنى أن جاريتى عبد الله بن جدعان غنتاه يوما فأطربتاه فجعل يخلع عليهما أثوابه ثوبا ثوبا حتى تجرد تجرد العير ولقد كان هو وعفان بن أبى العاص ربما حملا جاريهٔ العاص بن وائل على أعناقهما فمرا بها على الأبطح وجلهٔ قريش ينظرون إليهما مرهٔ على ظهر أبيك ومرهٔ على ظهر عفان فما ألذى تنكر منى فقال معاويهٔ اسكت لحاك الله و الله ماأحد ألحق بأبيك هذا إلاليغرك ويفضحك و إن كان أبوسفيان ماعلمت لثقيل الحلم يقظان الرأى عازب الهوى طويل الأناهٔ بعيد القعر و ماسودته قريش إلالفضله [صفحه ۱۳۱]

۲۱

قُرِنَتِ الهَيبَةُ بِالخَيبَةِ وَ الحَيَاءُ بِالحِرمَانِ وَ الفُرصَةُ تَمُرّ مَرّ السّحَابِ فَانتَهِزُوا فُرَصَ الخَيرِ فى المثل من أقدم لم يندم و قال الشاعر ليس للحاجات إلاـ || من له وجه وقاح ولسان طرمذى || وغدو ورواح فعليه السعى فيها || و على الله النجاح . و كان يقال الفرصهٔ ما إذاحاولته فأخطأك نفعه لم يصل إليك ضره . و من كلام ابن المقفع انتهز الفرصهٔ فى إحراز المآثر واغتنم الإمكان باصطناع الخير و لاتنتظر ماتعامل فتجازى عنه بمثله فإنك إن عوملت بمكروه واشتغلت برصد المكافأهٔ عنه قصر العمر بك عن اكتساب فائدهٔ واقتناء منقبهٔ وتصرمت أيامك بين تعد عليك وانتظار للظفر بإدراك الثأر من خصمك و لاعيشهٔ فى الحياهٔ أكثر من ذلك .كانت العرب إذاأوفدت وافدا قالت له إياك والهيبهٔ فإنها خيبهٔ و لاتبت عندذنب الأمر وبت عندرأسه [صفحه ۱۳۲]

۲۲

لَنَا حَقّ فَإِن أُعطِينَاهُ وَ إِلّا رَكِبنَا أَعجَازَ الإِبِلِ وَ إِن طَالَ السّرَى قال الرضى رحمه الله تعالى و هذاالقول من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء و ذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير و من يجرى مجراهما -روايت-۱-۱۷۶ هذاالفصل قدذكره أبوعبيد الهروى فى الجمع بين الغريبين وصورته أن لنا حقا إن نعطه نأخذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى قال قدفسروه على وجهين أحدهما أن راكب عجز البعير يلحقه مشقهٔ وضرر فأراد أنا إذامنعنا حقنا صبرنا على المشقهٔ والمضرهٔ كمايصبر راكب عجز البعير و هذاالتفسير قريب مما فسره الرضى والوجه الثانى أن راكب عجز البعير إنما يكون إذا كان غيره قدركب على ظهر البعير وراكب ظهر البعير متقدم على راكب عجز البعير فأراد أنا إذامنعنا حقنا تأخرنا وتقدم غيرنا علينا فكنا كالراكب رديفا لغيره وأكد المعنى على كلا التفسيرين بقوله و إن طال السرى لأنه إذاطال السرى كانت المشقهٔ [صفحه ۱۳۳] على راكب عجز البعير أعظم و كان الصبر على تأخر راكب عجز البعير عن الراكب على ظهره أشد وأصعب . و هذاالكلام تزعم الإماميهٔ أنه قاله يوم السقيفهٔ أو فى تلك الأيام ويذهب أصحابنا إلى أنه قاله يوم الشورى بعدوفاهٔ عمر واجتماع الجماعهٔ لاختيار واحد من الستهٔ وأكثر أرباب السير ينقلونه على هذاالوجه [صفحه ۱۳۴]

۲۳

مَن أَبطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَم يُسرِع بِهِ حَسَبُهُ هذاالكلام حث وحض وتحريض على العبادهٔ و قدتقدم أمثاله وسيأتى له نظائر كثيرهٔ و هومثل قول النبى ص يافاطمهٔ بنت محمدإنى لاـأغنى عنك من الله شيئا ياعباس بن عبدالمطلب إنى لاـأغنى عنك من الله شيئاإِنّ

أَكرَمَكَم عِندَ اللّهِ أَتقاكُم –روایت–۱–۲–روایت–۱۷–۱۵۹ [صفحه ۱۳۵]

۲۴

مِن كَفّارَاتِ الـذّنُوبِ العِظَام إِغَاثَةُ المَلهُوفِ وَ التّنفِيسُ عَنِ المَكرُوبِ قدجاء فی هذاالمعنی آثار كثیرة وأخبار جمیلة كان العتابی قـدأملق فجـاء فوقف بباب المأمون یسترزق الله علی یـدیه فوافی یحیی بن أكثم فعرض له العتابی فقال له إن رأیت أیها القاضـی أن تعلم أمیر المؤمنین مكـانی فافعـل فقـال لست بحـاجب قـال قـدعلمت ولكنـك ذو فضل وذو الفضل معوان فقال سـلكت بی غیرطریقی قال إن الله أتحفك منه بجاه ونعمة و هومقبل علیك بالزیادة إن شكرت وبالتغییر إن كفرت و أنا لك الیوم خیر منك لنفسك لأنی أدعوك إلی ما فیه ازدیاد نعمتك و أنت تأبی علی ولكل شیءزكاة وزكاة الجاه رفد المستعین فدخل یحیی فأخبر المأمون به فأحضره وحادثه ولاطفه ووصله [صفحه ۱۳۶]

۲۵

یَا ابنَ آدَمَ إِذَا رَأَیتَ رَبّكَ سُبحَانَهُ یُتَابِعُ عَلَیكَ نِعَمَهُ وَ أَنتَ تَعصِیهِ فَاحذَرهُ هـذاالكلام تخویف وتحـذیر من الاسـتدراج قال سبحـانه سَنَستَدرِجُهُم مِن حَیثُ لا یَعلَمُونَ و ذلك لأن العبـد بغروره یعتقـد أن موالاة النعم علیه و هوعاص من باب الرضا عنه و لایعلم أنه اسـتدراج له ونقمـة علیه . فإن قلت كیف یصـح القول بالاسـتدراج علی أصولكم فی العـدل أ لیس معنی الاسـتدراج إیهام العبـد أنه سبحانه غیرساخط فعله ومعصـیته فهل هذاالاسـتدراج إلامفسـدة وسـبب إلی الإصـرار علی القبیح . قلت إذا كان المكلف عالما بقبـح القبیـح أومتمكنا من العلم بقبحه ثم رأی النعم تتوالی علیه و هومصـر علی المعصـیة كان ترادف تلك النعم كـالمنبه له علی وجوب الحـذر مثـال ذلك من هو فی خدمـة ملك و هوعون ذلك الملك فی دولته ویعلم أن الملك قـدعرف حـاله ثم یری نعم الملك مترادفـة إلیه فإنه یجب بمقتضـی الاحتیاط أن یشـتد حـذره لأنه یقول لیست حالی مع الملك حال من یستحق هذه النعم و ما هذه إلامكیدة وتحتها غائلة فیجب إذن علیه أن یحذر –قرآن–۵۲–۹۰ [صفحه ۱۳۷]

۲۶

مَا أَضـمَرَ أَحَـدٌ شَـیئاً إِلّا ظَهَرَ فِی فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَ صَـفَحَاتِ وَجهِهِ قال زهیر بن أبی سـلمی ومهما تكن عندامرئ من خلیقة || و إن خالهـا تخفی علی النـاس تعلم . و قـال آخر تخبرنی العینـان مـاالقلب كـاتم || و ماجن بالبغضاء والنظر الشـزر . و قال آخر و فی عینیـك ترجمـة أراهـا || تـدل علی الضـغائن والحقود وأخلاـق عهـدت اللین فیها || غـدت وكأنها زبر الحدیـد و قدعاهـدتنی بخلاـف هـذا || و قـال الله أَوفُوا بِالعُقُودِ و كـان یقـال العین والوجه واللسـان أصـحاب أخبار علی القلب وقالوا القلوب كالمرایا المتقابلة إذاارتسمت فی إحداهن صورة ظهرت فی الأخری [صفحه ۱۳۸]

۲۷

امشِ بِدَائِكَ مَا مَشَی بِكَ یقول مهما وجدت سبیلا إلی الصبر علی أمر من الأمور التی قددفعت إلیها و فیهامشـقة علیك وضرر لاـحق بـك فاصبر و لاتلتمس طریقا إلی تغییر مادفعت إلیه أن تسـلكها بالعنف ومراغمـة الوقت ومعاناة الأقضـیة والأقـدار ومثال

ذلـک من یعرض له مرض مـایمکنه أن یحتمله ویـدافع الوقت فإنه یجب علیه ألا یطرح جانبه إلی الأرض ویخلـد إلی النوم علی الفراش لیعالج ذلک المرض قوة وقهرا فربما أفضـی به مقاهرة ذلک المرض الصغیر بالأدویة إلی أن یصیر کبیرا معضلا [صفحه ۱۳۹]

۲۸

أَفضَلُ الزّهدِ إِخفَاءُ الزّهدِإنما کان کذلک لأن الجهر بالعبادة والزهادة والإعلان بذلک قل أن یسـلم من مخالطة الریاء و قدتقدم لنا فی الریاء أقوال مقنعـة.رأی المنصور رجلا واقفا ببابه فقال مثل هذاالـدرهم بین عینیک و أنت واقف ببابنا فقال الربیع نعم لأنه ضرب علی غیرالسـکة.شاعر معشـر أثبت الصلاة علیهم || لجباه یشقها المحراب عمروا موضع التصنع منهم || ومکان الإخلاص منهم خراب [صفحه ۱۴۰]

۲۹

إِذَا کُنتَ فِی إِدبَارٍ وَ المَوتُ فِی إِقبَالٍ فَمَا أَسرَعَ المُلتَقَی هـذاظاهر لأنه إذا کان کلما جاء ففی إدبار والموت کلما جاء ففی إقبال فیـا سـرعان مایلتقیـان و ذلـک لأـن إدبـاره هوتوجهه إلی الموت وإقبـال الموت هوتوجه الموت إلی نحوه فقـد حق إذن الالتقاء سریعا ومثال ذلک سـفینتان بدجلـة أوغیرها تصـعد إحـداهما والأخری تنحدر نحوها فلاریب إن الالتقاء یکون وشـیکا [صـفحه ۱۴۱]

۳۰

الحَذَرَ الحَذَرَ فَوَاللّهِ لَقَد سَتَرَ حَتّی کَأَنّهُ قَد غَفَرَ قدتقدم هذاالمعنی و هوالاستدراج ألذی ذکرناه آنفا [صفحه ۱۴۲]

۳۱

اشاره

وَ سُـئِلَ ع عَنِ الإِیمَـانِ فَقَـالَ الإِیمَـانُ عَلَی أَربَعِ دَعَـائِمَ عَلَی الصّبرِ وَ الیَقِینِ وَ العَـدلِ وَ الجِهَـادِ وَ الصّبرُ مِنهَا عَلَی أَربَعِ شُـعَبٍ عَلَی الشّوقِ وَ الشّـفَقِ وَ الزّهدِ وَ التّرَقّبِ فَمَنِ اشـتَاقَ إِلَی الجَنّةِ سَـلَا عَنِ الشّهَوَاتِ وَ مَن أَشفَقَ مِنَ النّارِ اجتَنَبَ المُحَرّمَاتِ وَ مَن زَهِدَ فِی الدّنیَا اسـتَهَانَ بِالمُصِیبَاتِ وَ مَنِ ارتَقَبَ المَوتَ سَارَعَ فِی الخَیرَاتِ وَ الیَقِینُ مِنهَا عَلَی أَربَعِ شُعَبٍ عَلَی تَبصِرَةِ الفِطنَةِ وَ تَأَوّلِ الحِکمَةِ وَ مَوعِظَـةِ العِـبرَةِ وَ سُـنّةِ الأَـوّلِینَ فَمَن تَبَصّـرَ فِی الفِطنَـةِ تَـبَیّنَت لَهُ الحِکمَـةُ وَ مَن تَبَیّنَت لَهُ الحِکمَـةُ عَرَفَ العِبرَةَ وَ مَن عَرَفَ العِبرَةَ فَکَأَنّمَا کَانَ فِی الأَوّلِینَ وَ العَدلُ مِنهَا عَلَی أَربَعِ شُعَبٍ عَلَی غَائِصِ الفَهمِ وَ غَورِ العِلمِ وَ زُهرَةِ الحُکمِ وَ رَسَاخَةِ الحِلمِ فَمَن فَهِمَ عَلِمَ غَورَ العِلمِ وَ مَن عَلِمَ غَورَ العِلمِ صَـدَرَ عَن شَـرَائِعِ الحِلمِ وَ مَن حَلُمَ لَم یُفَرّط فِی أَمرِهِ وَ عَاشَ فِی النّاسِ حَمِیـداً وَ الجِهَادُ مِنهَا عَلَی أَربَعِ شُـعَبٍ عَلَی الأَـمرِ بِـالمَعرُوفِ وَ النّهیِ عَنِ المُنکَرِ وَ الصّـدقِ فِی المَوَاطِنِ وَ شَـنَآنِ الفَاسِـقِینَ فَمَن أَمَرَ بِـالمَعرُوفِ شَـدّ ظُهُورَ المُؤمِنِینَ وَ مَن نَهَی عَنِ المُنکَرِ أَرغَمَ أُنُوفَ المُنَـافِقِینَ وَ مَن صَـدَقَ فِی المَوَاطِنِ قَضَـی مَا عَلَیهِ وَ مَن شَـنِئَ الفَاسِـقِینَ وَ غَضِبَ لِلّهِ

غَضِبَ اللّهُ لَهُ وَ أَرضَاهُ يَومَ القِيَامَةِ وَ الكَفرُ عَلَى أَربَعِ دَعَائِمَ عَلَى التّعَمّقِ وَ التّنَازُعِ وَ الزّيغِ وَ الشّقَاقِ فَمَن تَعَمّقَ لَم يُنِب إِلَى الحَقّ وَ مَن كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالجَهلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ الحَقّ [صفحه ١٤٣] وَ مَن زَاغَ سَاءَت عِندَهُ الحَسَنَةُ وَ حَسُنَت عِندَهُ السّيّئَةُ وَ سَكِرَ سُكرَ الضّلَالَةِ وَ مَن شَاقّ وَعُرَت عَلَيهِ طُرُقُهُ وَ أَعضَلَ عَلَيهِ أَمرُهُ وَ ضَاقَ عَلَيهِ مَخرَجُهُ وَ الشّكّ عَلَى أَربَعِ شُعَبٍ عَلَى التّمَارِي وَ الهَولِ وَ التّرَدّدِ وَ الِاستِسلَامِ فَمَن جَعَلَ المِرَاءَ دَيدَناً لَم يُصبِح لَيلُهُ وَ مَن هَالَهُ مَا بَينَ يَدَيهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيهِ وَ مَن تَرَدّدَ فِي الرّيبِ وَطِئَتهُ سَنَابِكُ الشّيَاطِينِ وَ مَنِ استَسلَمَ لِهَلَكَةِ الدّنيَا وَ الآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا قال الرضى رحمه الله تعالى و بعد هذاكلام تركنا ذكره خوف الإطالة والخروج عن الغرض المقصود فى هذاالكتاب -روايت-١-١١٤ من هذاالفصل أخذت الصوفية وأصحاب الطريقة والحقيقة كثيرا من فنونهم فى علومهم و من تأمل كلام سهل بن عبد الله التسترى وكلام الجنيد والسرى وغيرهم رأى هذه الكلمات فى فرش كلامهم تلوح كالكواكب الزاهرة و كل المقامات والأحوال المذكورة فى هذاالفصل قدتقدم قولنا فيها

نبذ وحكايات مما وقع بين يدى الملوك

ونذكر هاهنا الصدق فى المواطن و بين يدى الملوك و من يغضب لله وينهى عن المنكر ويقوم بالحق و لايبالى بالسلطان و لايراقبه . [صفحه ١٤٤] دخل عمر بن عبدالعزيز على سليمان بن عبدالملك وعنده أيوب ابنه و هويومئذ ولى عهده قدعقد له من بعده فجاء إنسان يطلب ميراثا من بعض نساء الخلفاء فقال سليمان ماإخال النساء يرثن فى العقار شيئا فقال عمر بن عبدالعزيز سبحان الله وأين كتاب الله فقال سليمان ياغلام اذهب فأتنى بسجل عبدالملك ألذى كتب فى ذلك فقال له عمر لكأنك أرسلت إلى المصحف فقال أيوب بن سليمان و الله ليوشكن الرجل يتكلم بمثل هذا عند أمير المؤمنين فلايشعر حتى يفارقه رأسه فقال عمر إذاأفضى الأمر إليك و إلى أمثالك كان مايدخل على الإسلام أشد مما يخشى عليكم من هذاالقول ثم قام فخرج . وروى ابراهيم بن هشام بن يحيى قال حدثنى أبى عن جدى قال كان عمر بن عبدالعزيز ينهى سليمان بن عبدالملك عن قتل الحرورية و يقول ضمنهم الحبوس حتى يحدثوا توبة فأتى سليمان بحرورى مستقتل وعنده عمر بن عبدالعزيز فقال سليمان للحرورى ماذا تقول قال ماأقول يافاسق يا ابن الفاسق فقال سليمان لعمر ماترى يا أباحفص فسكت فقال أقسمت عليك لتخبرنى ماذا ترى عليه فقال أرى أن تشتمه كماشتمك وتشتم أباه كماشتم أباك فقال سليمان ليس إلا قال ليس إلافلم يرجع سليمان إلى قوله وأمر بضرب عنق الحرورى. وروى ابن قتيبة فى كتاب عيون الأخبار قال بينما المنصور يطوف ليلا بالبيت سمع قائلا يقول أللهم إليك أشكو ظهور البغى والفساد و مايحول بين الحق وأهله من الطمع فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل على المنصور فسلم عليه بالخلافة فقال المنصور ما ألذى سمعتك تقوله من ظهور البغى والفساد فى الأرض و مايحول بين الحق [صفحه ١٤٥] وأهله من الطمع فو الله لقد حشوت مسامعى ماأرمضنى فقال يا أمير المؤمنين إن أمنتنى على نفسى أنبأتك بالأمور من أصولها و إلااحتجزت منك واقتصرت على نفسى فلى فيهاشاغل قال أنت آمن على نفسك فقل فقال إن ألذى دخله الطمع حتى حال بينه و بين إصلاح ماظهر من البغى والفساد لأنت قال ويحك وكيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى قال وهل دخل أحد من الطمع مادخلك إن الله عز و جل استرعاك المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجبا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيهامنهم وبعثت عمالك فى جباية الأموال وجمعها فقويتهم بالسلاح والرجال والكراع وأمرت بألا يدخل عليك إلافلان وفلان نفر سميتهم و لم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف و لاالجائع والفقير و لاالضعيف والعارى و لاأحد ممن له فى هذاالمال حق فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك

وأمرت ألاـ يحجبوا عنك يجبون الأموال ويجمعونها ويحجبونها وقالوا هـذا رجل قـدخان الله فما لنا لانخونه و قدسـخرنا فائتمروا على ألاـ يصـل إليـك من أخبـار النـاس شـيء إلا ماأرادوا و لايخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلابغضوه عنـدك وبغوه الغوائل حتى تسـقط منزلته ويصـغر قدره فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم و كان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأـموال ليقووا بهـا على ظلم رعيتـك ثم فعـل ذلـك ذوو القـدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شـركاءك فى سـلطنتك و أنت غافل فإن جاء متظلم حيل بينه و بين دخول [صـفحه ۱۴۶] دارك و إن أراد رفع قصته إليـك عنـدظهورك وجـدك و قـدنهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فإن جاء المتظلم إليه أرسلوا إلى صاحب المظالم ألا يرفع إليك قصته و لايكشف لك حاله فيجيبهم خوفا منك فلايزال المظلوم يختلف نحوه ويلوذ به ويستغيث إليه و هويـدفعه ويعتل عليه و إذاأجهـد وأحرج وظهرت أنت لبعض شأنك صـرخ بين يديك فيضـرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره و أنت تنظر و لاتنكر فما بقاء الإسـلام على هذا. ولقد كنت أيام شبيبتى أسافر إلى الصـين فقدمتها مرة و قدأصـيب ملكهـا بسـمعه فبكى بكاء شديـدا فحـداه جلساؤه على الصبر فقال أماإنى لست أبكى للبليـة النازلـة ولكن أبكى للمظلوم بالبـاب يصـرخ فلاأسـمع صوته ثم قـال أمـاإذ ذهب سـمعى فـإن بصـرى لم يـذهب نادوا فى الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلامظلوم ثم كان يركـب الفيل طرفى نهاره ينظر هل يرى مظلوما فهذا مشـرك بالله غلبت رأفته بالمشـركين على شح نفسه و أنت مؤمن بـالله من أهـل بيت نبيه لاتغلبـك رأفتك بالمسـلمين على شـح نفسك فإن كنت إنما تجمع المال لولـدك فقـد أراك الله تعالى عبرا فى الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال و ما من مال يومئذ إلا ودونه يد شحيحة تحويه فلايزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست بالذى تعطى ولكن الله يعطى من يشاء مايشاء و إن قلت إنما أجمع المال لتشييد السـلطان فقـد أراك الله عبرا فى بنى أميـة ماأغنى عنهم ماجمعوا من الـذهب والفضة وأعدوا من الرجال والسـلاح والكراع حين أراد الله بهم ماأراد و إن قلت أجمع المال لطلب غايـة هى أجسم من الغاية التى أنا فيهافو الله مافوق ما أنت فيه إلامنزلة لاتدرك إلابخلاف ما أنت عليه انظر هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل قال لا قال فإن الملك ألذى خولك ماخولك [صفحه ۱۴۷] لايعـاقب من عصاه بالقتل بـالخلود فى العـذاب الأـليم و قـدرأى ما قدعقـدت عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر إليه بصـرك واجترحته يـداك ومشت إليه رجلاـك وانظر هـل يغنى عنـك ماشـححت عليه من أمر الـدنيا إذاانتزعه من يـدك ودعـاك إلى الحسـاب على مامنحـك .فبكى المنصور و قـال ليتنى لم أخلق ويحك فكيف أحتال لنفسـى قال إن للناس أعلاما يفزعون إليهم فى دينهم ويرضون بقولهم فـاجعلهم بطانتك يرشـدوك وشاورهم فى أمرك يسـددوك قال قـدبعثت إليهم فهربوا منى قال نعم خافوا أن تحملهم على طريقك ولكن افتـح بابك وسـهل حجابك وانظر المظلوم واقمع الظالم وخـذ الفىء والصدقات مما حل وطاب واقسـمه بالحق والعدل على أهله و أناالضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الأمة. وجاء المؤذنون فسلموا عليه ونـادوا بالصـلاة فقام وصـلى وعاد إلى مجلسه فطلب الرجل فلم يوجـد. وروى ابن قتيبـة أيضا فى الكتاب المـذكور أن عمرو بن عبيـد قال للمنصور إن الله أعطاك الدنيا بأسـرها فاشتر نفسك منه ببعضـها واذكر ليلة تتمخض لك صبيحتها عن يوم القيامة قال يعنى ليلة موته فوجم المنصور فقال الربيع حسـبك فقد عممت أمير المؤمنين فقال عمرو بن عبيد إن هذاصحبك عشرين سنة لم ير عليه أن ينصـحك يوما واحدا و لم يعمل وراء بابك بشـىء مما فى كتاب الله و لا فى سنة نبيه قال أبو جعفرفما أصنع قد قلت لك خاتمى فى يدك فهلم أنت وأصـحابك فاكفنى فقال عمرو دعنا بعدلك نسخ بأنفسنا بعونك وببابك مظالم كثيرة فارددها نعلم أنك صادق . [صفحه ۱۴۸] و قال ابن قتيبة فى الكتاب المذكور و قدقام أعرابى بين يدى سليمان بن عبدالملك بنحو هذا قـال له إنى مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعض الغلظـة فاحتمله إن كرهته فإن وراءه ماتحب قال قل قال إنى سأطلق لسانى بمـا خرست عنه الألسن من عظتك تأديـة لحق الله إنك قـدتكنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسـهم فابتاعوا دنياهم بـدينهم فهم

حرب الآخرة سلم الدنيا فلاتأمنهم على مااءتمنك الله عليه فإنهم لم يألوا الأمانة تضييعا والأمة خسفا و أنت مسئول عما اجترحوا وليسوا مسئولين عما اجترحت فلاتصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره قال فقال سليمان أما أنت ياأعرابى فإنك قدسللت علينا عاجلا لسانك و هوأقطع سيفيك فقال أجل لقد سللته ولكن لك لاعليك [صفحه ۱۴۹]

۳۲

فَاعِلُ الخَيرِ خَيرٌ مِنهُ وَ فَاعِلُ الشّرّ شَرّ مِنهُ قدنظمت أنا هذااللفظ والمعنى فقلت فى جملة أبيات لى خير البضائع للإنسان مكرمة || تنمى وتزكو إذابارت بضائعه فالخير خير وخير منه فاعله || والشر شر وشر منه صانعه . فإن قلت كيف يكون فاعل الخير خيرا من الخير وفاعل الشر شرا من الشر مع أن فاعل الخير إنما كان ممدوحا لأجل الخير وفاعل الشر إنما كان مذموما لأجل الشر فإذا كان الخير والشر هما سببا المدح والذم وهما الأصل فى ذلك فكيف يكون فاعلاهما خيرا وشرا منهما. قلت لأن الخير والشر ليسا عبارة عن ذات حية قادرة وإنما هما فعلان أوفعل وعدم فعل أوعدمان فلو قطع النظر عن الذات الحية القادرة التى يصدران عنها لماانتفع أحد بهما و لااستضر فالنفع والضرر إنما حصلا من الحى الموصوف بهما لامنهما على انفرادهما فلذلك كان فاعل الخير خيرا من الخير وفاعل الشر شرا من الشر [صفحه ۱۵۰]

۳۳

كُن سَمِحاً وَ لَا تَكُن مُبَذّراً وَ كُن مُقَدّراً وَ لَا تَكُن مُقَتّراً كل كلام جاء فى هذافهو مأخوذ من قوله سبحانه وَ لا تَجعَل يَدَكَ مَغلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَ لا تَبسُطها كُلّ البَسطِ فَتَقعُدَ مَلُوماً مَحسُوراً. ونحو قوله إِنّ المُبَذّرِينَ كانُوا إِخوانَ الشّياطِينِ وَ كانَ الشّيطانُ لِرَبّهِ كَفُوراً -قرآن-۴۸-۱۴۸-قرآن-۱۶۱-۲۴۱ [صفحه ۱۵۱]

۳۴

أَشرَفُ الغِنَى تَركُ المُنَى قدسبق منا قول كثير فى المنى ونذكر هاهنا ما لم نذكره هناك .سئل عبيد الله بن أبى بكر أى شيءأدوم متاعا فقال المنى . و قال بلال بن أبى بردة مايسرنى بنصيبى من المنى حمر النعم . و كان يقال الأمانى للنفس كالرونق للبصر. و من كلام بعض الحكماء الأمانى تعمى أعين البصائر والحظ يأتى من لايأتيه وربما كان الطمع وعاء حشوه المتالف وسائقا يدعو إلى الندامة وأشقى الناس بالسلطان صاحبه كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها إحراقا و لايدرك الغنى بالسلطان إلانفس خائفة وجسم تعب ودين منكتم و إن كان البحر كدر الماء فهو بعيد الهواء [صفحه ۱۵۲]

۳۵

مَن أَسرَعَ إِلَى النّاسِ بِمَا يَكرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعلَمُونَ هذاالمعنى كثير واسع ولنقتصر هاهنا فيه على حكاية ذكرها المبرد فى الكامل قال لماافتتح قتيبة بن مسلم سمرقند أفضى إلى أثاث لم ير مثله و إلى آلات لم ير مثلها فأراد أن يرى الناس عظيم ماأنعم الله به عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت و فى صحنها قدور يرتقى إليها بالسلالم فإذاالحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى قدأقبل و الناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال

لأخيه قتيبة ائذن لى فى معاتبته قال لاترده لأنه خبيث الجواب فأبى عبد الله إلا أن يأذن له و كان عبد الله يضعف و قد كان تسور حائطا إلى امرأة قبل ذلك فأقبل على الحضين فقال أ من الباب دخلت يا أباساسان [صفحه ۱۵۳] قال أجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هى أعظم من ألا ترى قال ماأحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل و لاغيلان و لو كان رآها سمى شبعان و لم يسم غيلان قال له عبد الله يا أباساسان أتعرف ألذى يقول عزلنا وأمرنا وبكر بن وائل || تجر خصاها تبتغى من تحالفه . قال أجل أعرفه وأعرف ألذى يقول بأدنى العزم قاد بنى قشير || و من كانت له أسرى كلاب وخيبة من يخيب على غنى || وباهلة بن يعصر والركاب .يريد ياخيبة من يخيب قال أفتعرف ألذى يقول كأن فقاح الأزد حول ابن مسمع || إذاعرقت أفواه بكر بن وائل . قال نعم أعرفه وأعرف ألذى يقول قوم قتيبة أمهم وأبوهم || لو لاقتيبة أصبحوا فى مجهل . قال أماالشعر فأراك ترويه فهل تقرأ من القرآن شيئا قال أقرأ منه الأكثر الأطيب هَل أَتى عَلَى الإِنسانِ حِينٌ مِنَ الدّهرِ لَم يَكُن شَيئاً مَذكُوراًفأغضبه فقال و الله لقد بلغنى أن امرأة الحضين حملت إليه وهى حبلى من غيره -قرآن-۸۴-۱۵۳ [صفحه ۱۵۴] قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الأولى ثم قال على رسله و ما يكون تلد غلاما على فراشى فيقال فلان بن الحضين كمايقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله و قال لايبعد الله غيرك . قلت هوالحضين بالضاد المعجمة و ليس فى العرب من اسمه الحضين بالضاد المعجمة غيره [صفحه ۱۵۵]

۳۶

مَن أَطَالَ الأَمَلَ أَسَاءَ العَمَلَ قدتقدم منا كلام فى الأمل . وقيل لبعض الصالحين أ لك حاجة إلى بغداد قال ماأحب أن أبسط أملى حتى تذهب إلى بغداد وتعود. و قال أبوعثمان النهدى قدأتت على ثلاثون ومائة سنة ما من شىء إلا وأجد فيه النقص إلاأملى فإنى وجدته كما هو أويزيد [صفحه ۱۵۶]

۳۷

وَ قَالَ ع وَ قَد لَقِيَهُ عِندَ مَسِيرِهِ إِلَى الشّام دَهَاقِينُ الأَنبَارِ فَتَرَجّلُوا لَهُ وَ اشتَدّوا بَينَ يَدَيهِ مَا هَذَا أَلّذِى صَنَعتُمُوهُ فَقَالُوا خُلُقٌ مِنّا نُعَظّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا فَقَالَ وَ اللّهِ مَا يَنتَفِعُ بِهَذَا أُمَرَاؤُكُم وَ إِنّكُم لَتَشُقّونَ عَلَى أَنفُسِكُم فِي دُنيَاكُم وَ تَشقَونَ بِهِ فِي أُخرَاكُم وَ مَا أَخسَرَ المَشَقّةَ وَرَاءَهَا العِقَابُ وَ أَربَحَ الدّعَةَ مَعَهَا الأَمَانُ مِنَ النّارِ اشتدوا بين يديه أسرعوا شيئا فنهاهم عن ذلك و قال إنكم تشقون به على أنفسكم لما فيه من تعب الأبدان وتشقون به فى آخرتكم تخضعون للولاة كمازعمتم أنه خلق وعادة لكم خضوعا تطلبون به الدنيا والمنافع العاجلة فيها و كل خضوع وتذلل لغير الله فهو معصية. ثم ذكر أن الخسران المبين مشقة عاجلة يتبعها عقاب الآخرة والربح البين دعة عاجلة يتبعها الأمان من النار [صفحه ۱۵۷]

۳۸

قَالَ ع لِابنِهِ الحَسَنِ ع يَا بُنَيّ احفَظ عنَيّ أَربَعاً وَ أَربَعاً لَا يَضُرّكَ مَا عَمِلتَ مَعَهُنّ إِنّ أَغنَى الغِنَى العَقلُ وَ أَكبَرَ الفَقرِ الحُمقُ وَ أَوحَشَ الوَحشَةِ العُجبُ وَ أَكرَمَ الحَسَبِ حُسنُ الخُلُقِ يَا بُنَيّ إِيّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الأَحمَقِ فَإِنّهُ يُرِيدُ أَن يَنفَعَكَ فَيَضُرّكَ وَ إِيّاكَ وَ مُصَادَقَةَ البَخِيلِ فَإِنّهُ يَقعُدُ عَنكَ أَحوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيهِ وَ إِيّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الفَاجِرِ فَإِنّهُ يَبِيعُكَ بِالتّافِهِ وَ إِيّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الكَذّابِ فَإِنّهُ كَالسّرَابِ يُقَرّبُ عَلَيكَ البَعِيدَ وَ يُبَعّدُ عَلَيكَ القَرِيبَ هذاالفصل يتضمن ذكر العقل والحمق والعجب وحسن الخلق والبخل

والفجور والكـذب و قدتقـدم كلامنا فى هـذه الخصال أجمع و قدأخـذت قوله ع إياك ومصادقـة الأحمق فإنه يريـد أن ينفعك فيضرك فقلت فى أبيات لى حياتك لاتصحبن الجهول || فلاخير فى صحبة الأخرق يظن أخو الجهل أن الضلال || عين الرشاد فلايتقى ويكسب صاحبه حمقه || فيسرق منه و لايسرق وأقسم أن العدو اللبيب || خير من المشفق الأحمق [صفحه ۱۵۸]

۳۹

لَا قُربَةَ بِالنّوَافِلِ إِذَا أَضَرّت بِالفَرَائِضِ هـذاالكلام يمكن أن يحمـل على حقيقته ويمكن أن يحمـل على مجازه فإن حمل على حقيقته فقـد ذهب إلى هذاالمـذهب كثير من الفقهاء و هومـذهب الإماميـة و هو أنه لايصح التنفل ممن عليه قضاء فريضة فاتته لا فى الصـلاة و لا فى غيرها فأما الحج فمتفق عليه بين المسلمين أنه لايصح الابتداء بنفله و إذانوى نية النفل و لم يكن قدحج حجة الإسـلام وقع حجه فرضـا فأمـا نوافـل الزكاة فما عرفت أحـدا قال إنه لايثاب المتصـدق بها و إن كان لم يؤد الزكاة الواجبـة و أما إذاحمـل على مجـازه فـإن معنـاه يجب الابتـداء بالأـهم وتقـديمه على مـا ليس بـأهم فتـدخل هـذه الكلمـة فى الآداب السـلطانية والإخوانية نحو أن تقول لمن توصيه لاتبدأ بخدمة حاجب الملك قبل أن تبدأ بخدمة ولد الملك فإنك إنما تروم القربة للملك بالخدمـة و لاقربـة إليه فى تأخير خدمـة ولـده وتقديم خدمة غلامه وحمل الكلمة على حقيقتها أولى لأن اهتمام أمير المؤمنين ع بالأمور الدينية والشرعية فى وصاياه ومنثور كلامه أعظم [صفحه ۱۵۹]

۴۰

اشاره

لِسَانُ العَاقِلِ وَرَاءَ قَلبِهِ وَ قَلبُ الأَحمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ قال الرضـى رحمه الله تعالى و هـذا من المعانى العجيبـة الشـريفة والمراد به أن العاقل لايطلق لسانه إلا بعـدمشاورة الرويـة ومؤامرة الفكرة والأحمق تسـبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضـة رأيه فكـان لسـان العاقـل تـابع لقلبه و كـان قلب الأـحمق تـابع للسانه قال و قـدروى عنه ع هـذاالمعنى بلفظ آخر و هو قوله قلب الأـحمق فى فيه ولسـان العاقل فى قلبه ومعناهما واحـد -روايت-۱-۳۸۹ قدتقـدم القول فى العقـل والحمق ونـذكر هاهنا زيادات أخرى

أقوال وحكايات حول الحمقى

قـالوا كل شـىءيعز إذاقل والعقل كلما كان أكثر كان أعز وأغلى . و كان عبـدالملك يقول أناللعاقل المـدبر أرجى منى للأحمق المقبـل .قيل لبعضـهم ماجماع العقل فقال مارأيته مجتمعا فى أحـد فأصـفه و ما لايوجـد كاملا فلاحـد له . [صـفحه ۱۶۰] و قال الزهرى إذاأنكرت عقلـك فاقـدحه بعاقل . وقيل عظمت المئونـة فى عاقل متجاهل وجاهل متعاقل . وقيل الأحمق يتحفظ من كل شىء إلا من نفسه . وقيل لبعضـهم العقل أفضل أم الجد فقال العقل من الجد. وخطب رجلان إلى ديماووس الحكيم ابنته و كان أحـدهما فقيرا والآـخر غنيـا فزوجهـا من الفقير فسأله الإسـكندر عن ذلـك فقـال لأـن الغنى كان أحمق فكنت أخاف عليه الفقر والفقير كان عاقلا فرجوت له الغنى . و قال أرسـطو العاقل يوافق العاقل والأحمق لايوافق العاقل و لاأحمق كالعود المستقيم ألذى

ينطبق على المستقيم فأما المعوج فإنه لاينطبق على المعوج و لا على المستقيم . و قال بعضهم لأن أزاول أحمق أحب إلى من أن أزاول نصف أحمق أعنى الجاهل المتعاقل . واعلم أن أخبار الحمقى ونوادرهم كثيرة إلا أنانذكر منها هاهنا مايليق بكتابنا فإنه كتاب نزهناه عن الخلاعة والفحش إجلالا لمنصب أمير المؤمنين . قال هشام بن عبدالملك يوما لأصحابه إن حمق الرجل يعرف بخصال أربع طول لحيته وبشاعة كنيته ونقش خاتمه وإفراط نهمته فدخل عليه شيخ طويل العثنون فقال هشام أما هذافقد جاء بواحدة فانظروا أين هو من الباقى قالوا له ماكنية الشيخ قال أبوالياقوت فسألوه عن نقش خاتمه فإذا هو [صفحه ١٦١] وَ جاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍفقيل له أى الطعام تشتهى قال الدباء بالزيت فقال هشام إن صاحبكم قدكمل . وسمع عمر بن عبدالعزيز رجلا ينادى آخر يا أباالعمرين فقال لو كان له عقل لكفاه أحدهما وأرسل ابن لعجل بن لجيم فرسا له فى حلبة فجاء سابقا فقيل له سمه باسم يعرف به فقام ففقأ عينه و قال قدسميته الأعور فقال شاعر يهجوه -قرآن-١-٣٦ رمتنى بنو عجل بداء أبيهم || و أى عباد الله أنوك من عجل أ ليس أبوهم عار عين جواده || فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل . و قال أبوكعب القاص فى قصصه إن النبى ص قال فى كبد حمزة ماعلمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة. و قال مرة فى قصصه اسم الذئب ألذى أكل يوسف كذا وكذا فقيل له إن يوسف لم يأكله الذئب فقال فهذا اسم الذئب ألذى لم يأكل يوسف . ودخل كعب البقر الهاشمى على محمد بن عبد الله بن طاهر يعزيه فى أخيه فقال له أعظم الله مصيبة الأمير فقال الأمير أمافيك فقد فعل و الله لقد هممت أن أحلق لحيتك فقال إنما هى لحية الله ولحية الأمير فليفعل ماأحب . و كان عامر بن كريز أبو عبد الله بن عامر من حمقى قريش نظر إلى عبد الله و هويخطب و الناس يستحسنون كلامه فقال لإنسان إلى جانبه أناأخرجته من هذا وأشار إلى متاعه . [صفحه ١٦٢] و من حمقى قريش العاص بن هشام المخزومى و كان أبولهب قامره فقمره ماله ثم داره ثم قليله وكثيره وأهله ونفسه فاتخذه عبدا وأسلمه قينا فلما كان يوم بدر بعث به بديلا عن نفسه فقتل ببدر قتله عمر بن الخطاب و كان ابن عم أمه . و من الحمقى الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حريث قال له يوما مجالسوه مابال وجهك أصفر أتشتكى شيئا فرجع إلى أهله و قال يابنى الخبيثة أناشاك و لاتعلموننى اطرحوا على الثياب وابعثوا إلى الطبيب . و من حمقى بنى عجل حسان بن الغضبان من أهل الكوفة ورث نصف دار أبيه فقال أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشترى بالثمن النصف الباقى فتصير الدار كلها لى . و من حمقى قريش بكار بن عبدالملك بن مروان و كان أبوه ينهاه أن يجالس خالد بن يزيد بن معاوية لمايعرف من حمقه فجلس يوما إلى خالد فقال خالد يعبث به هذا و الله المردد فى بنى عبدمناف فقال بكار أجل أنا و الله كما قال الأول مردد فى بنى اللخناء ترديدا . وطار لبكار هذابازى فقال لصاحب الشرطة أغلق أبواب دمشق لئلا يخرج البازى. و من حمقى قريش معاوية بن مروان بن الحكم بينا هوواقف بباب دمشق ينتظر أخاه عبدالملك على باب طحان وحمار الطحان يدور بالرحى و فى عنقه جلجل فقال للطحان لم جعلت فى عنق هذاالحمار جلجلا فقال ربما أدركتنى نعسة أوسآمة فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت أنه قدنام فصحت به فقال أرأيته إن قام وحرك رأسه ماعلمك به أنه قائم فقال و من لحمارى بمثل عقل الأمير. [صفحه ١٦٣] و قال معاوية لحميه و قددخل بابنته تلك الليلة فافتضها لقد ملأتنا ابنتك البارحة دما فقال إنها من نسوة يخبأن ذلك لأزواجهن . و من حمقى قريش سليمان بن يزيد بن عبدالملك قال يوما لعن الله الوليد أخى فلقد كان فاجرا أرادنى على الفاحشة فقال له قائل من أهله اسكت ويحك فو الله إن كان هم لقد فعل . وخطب سعيد بن العاص عائشة ابنة عثمان فقالت هوأحمق لاأتزوجه أبدا له برذونان لونهما واحد عند الناس ويحمل مؤنة اثنين . وممن كان يحمق من قريش عتبة بن أبى سفيان بن حرب و عبد الله بن معاوية بن أبى سفيان و عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب وسهل بن عمرو أخو سهيل بن عمرو بن العاص و كان عبدالملك بن مروان يقول أحمق بيت فى قريش آل قيس بن مخرمة. و من القبائل المشهورة بالحمق الأزد كتب مسلمة بن عبدالملك إلى يزيد بن المهلب لماخرج عليهم أنك لست بصاحب هذاالأمر إن صاحبه مغمور موتور و أنت مشهور غيرموتور

فقام إليه رجل من الأزد فقال قدم ابنک مخلدا حتى يقتل فتصير موتورا. وقام رجل من الأزد إلى عبيد الله بن زياد فقال أصلح الله الأمير إن امرأتى هلکت و قدأردت أن أتزوج أمها و هذاعريفى فأعنى فى الصداق فقال فى کم أنت من العطاء فقال فى سبعمائة فقال حطوا من عطائه أربعمائة يکفيک ثلاثمائة. ومدح رجل منهم المهلب فقال نعم أميرالرفقة المهلب || أبيض وضاح کتيس الحلب . [صفحه ۱۶۴] فقال المهلب حسبک يرحمک الله . و کان عبدالملک بن هلال عنده زنبيل مملوء حصا للتسبيح فکان يسبح بواحدة واحدة فإذامل طرح اثنتين اثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فإذاازداد ملالة قبض قبضة و قال سبحان الله عددک فإذاضجر أخذ بعرا الزنبيل وقلبه و قال سبحان الله بعدد هذا. ودخل قوم منزل الخريمى لبعض الأمر فجاء وقت صلاة الظهر فسألوه عن القبلة فقال إنما ترکتها منذ شهر. وحکى بعضهم قال رأيت أعرابيا يبکى فسألته عن سبب بکائه فقال بلغنى أن جالوت قتل مظلوما.وصف بعضهم أحمق فقال يسمع غير مايقال ويحفظ غير مايسمع ويکتب غير مايحفظ ويحدث بغير مايکتب . قال المأمون لثمامة ماجهد البلاء يا أبامعن قال عالم يجرى عليه حکم جاهل قال من أين قلت هذا قال حبسنى الرشيد عندمسرور الکبير فضيق على أنفاسى فسمعته يوما يقرأوَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَبفتح الذال فقلت له لاتقل أيها الأمير هکذا قل لِلمُكَذِّبِينَ وکسرت له الذال لأن المکذبين هم الأنبياء فقال قد کان يقال لى عنک أنک قدرى فلانجوت إن نجوت الليلة منى فعاينت منه تلک الليلة الموت من شدة ماعذبنى. قال أعرابى لابنه يابنى کن سبعا خالصا أوذئبا حائسا أوکلبا حارسا و لاتکن أحمق ناقصا. -قرآن-۷۳۵-۷۶۴-قرآن-۸۱۵-۸۲۸ [صفحه ۱۶۵] و کان يقال لو لاظلمة الخطإ ماأشرق نور الصواب . و قال أبوسعيد السيرافى رأيت متکلما ببغداد بلغ به نقصه فى العربية أنه قال فى مجلس مشهور إن العبد مضطر بفتح الطاء و الله مضطر بکسرها وزعم أن من قال الله مضطر عبد إلى کذا بالفتح کافر فانظر أين بلغ به جهله و إلى أى رذيلة أداه نقصه .وصف بعضهم إنسانا أحمق فقال و الله للحکمة أزل عن قلبه من المداد عن الأديم الدهين .مر عمر بن الخطاب على رماة غرض فسمع بعضهم يقول أخطيت وأسبت فقال له مه فإن سوء اللحن شر من سوء الرماية.تضجر عمر بن عبدالعزيز من کلام رجل بين يديه فقال له صاحب شرطته قم فقد أوذيت أمير المؤمنين فقال عمر و الله إنک لأشد أذى لى بکلامک هذا منه . و من حمقى العرب وجهلائهم کلاب بن صعصعة خرج إخوته يشترون خيلا فخرج معهم فجاء بعجل يقوده فقيل له ما هذا فقال فرس اشتريته قالوا يامائق هذه بقرة أ ماترى قرنيها فرجع إلى منزله فقطع قرنيها ثم قادها فقال لهم قدأعدتها فرسا کماتريدون فأولاده يدعون بنى فارس البقرة. و کان شذرة بن الزبرقان بن بدر من الحمقى جاء يوم الجمعة إلى المسجد الجامع فأخذ بعضادتى الباب ثم رفع صوته سلام عليکم أيلج شذرة فقيل له هذا يوم لايستأذن فيه فقال أ ويلج مثلى على قوم و لم يعرف له مکانه . [صفحه ۱۶۶] واستعمل معاوية عاملا من کلب فخطب يوما فذکر المجوس فقال لعنهم الله ينکحون أمهاتهم و الله لوأعطيت عشرة آلاف درهم مانکحت أمى فبلغ ذلک معاوية فقال قبحه الله أترونه لوزادوه فعل وعزله . وشرد بعير لهبنقة واسمه يزيد بن شروان فجعل ينادى لمن أتى به بعيران فقيل له کيف تبذل ويلک بعيرين فى بعير فقال لحلاوة الوجدان . وسرق من أعرابى حمار فقيل له أسرق حمارک قال نعم و أحمد الله فقيل له على ماذا تحمده قال کيف لم أکن عليه . وخطب وکيع بن أبى سود بخراسان فقال إن الله خلق السماوات و الأرض فى ستة أشهر فقيل له إنها ستة أيام فقال و الله لقد قلتها و أناأستقلها. وأجريت خيل فطلع فيهافرس سابق فجعل رجل من النظارة يکبر ويثبت من الفرح فقال له رجل إلى جانبه يافتى أ هذاالفرس السابق لک قال لا ولکن اللجام لى . وقيل لأبى السفاح الأعرابى عندموته أوص فقال إنا الکرام يوم طخفة قالوا قل خيرا يا أباالسفاح قال إن أحبت امرأتى فأعطوها بعيرا قالوا قل خيرا قال إذامات غلامى فهو حر. وقيل لرجل عندموته قل لاإله إلا الله فأعرض فأعادوا عليه مرارا فقال لهم أخبرونى عن أبى طالب قالها عندموته قالوا و ما أنت و أبوطالب فقال أرغب بنفسى عن ذلک الشريف . [صفحه ۱۶۷] وقيل لآخر عندموته أ لاتوصى فقال أنامغفور لى قالوا قل إن شاء الله قال قدشاء الله ذلک قالوا يا هذا لاتدع الوصية فقال لابنى أخيه ياابنى حريث ارفعا وسادى

واحتفظا بالحلة الجياد فإنما حولكما الأعادى. وقيل لمعلم بن معلم ما لك أحمق فقال لو لم أكن أحمق لكنت ولد زنا [صفحه ۱۶۸]

۴۱

وَ قَالَ ع لِبَعضِ أَصحَابِهِ فِي عِلّةٍ اعتَلّهَا جَعَلَ اللّهُ مَا كَانَ مِنكَ مِن شَكوَاكَ حَطّاً لِسَيّئَاتِكَ فَإِنّ المَرَضَ لَا أَجرَ فِيهِ وَ لَكِنّهُ يَحُطّ السّيّئَاتِ وَ يَحُتّهَا حَتّ الأَورَاقِ وَ إِنّمَا الأَجرُ فِي القَولِ بِاللّسَانِ وَ العَمَلِ بِالأَيدِي وَ الأَقدَامِ وَ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ يُدخِلُ بِصِدقِ النّيّةِ وَ السّرِيرَةِ الصّالِحَةِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ الجَنّةَ قال الرضى رحمه الله تعالى وأقول صدق ع إن المرض لاأجر فيه لأنه من قبيل مايستحق عليه العوض لأن العوض يستحق على ما كان فى مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والأمراض و مايجرى مجرى ذلك والأجر والثواب يستحقان على ما كان فى مقابل فعل العبد فبينهما فرق قدبينه ع كمايقتضيه علمه الثاقب ورأيه الصائب – روايت-۱-۳۳۴ ينبغى أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع فى هذاالفصل على تأويل يطابق ماتدل عليه العقول وألا يحمل على ظاهره و ذلك لأن المرض إذااستحق عليه الإنسان [صفحه ۱۶۹] العوض لم يجز أن يقال إن العوض يحط السيئات بنفسه لا على قول أصحابنا و لا على قول الإمامية أماالإمامية فإنهم مرجئة لايذهبون إلى التحابط و أماأصحابنا فإنهم لاتحابط عندهم إلا فى الثواب والعقاب فأما العقاب والعوض فلاتحابط بينهما لأن التحابط بين الثواب والعقاب إنما كان باعتبار التنافى بينهما من حيث كان أحدهما يتضمن الإجلال والإعظام والآخر يتضمن الاستخفاف والإهانة ومحال أن يكون الإنسان الواحد مهانا معظما فى حال واحدة و لما كان العوض لايتضمن إجلالا وإعظاما وإنما هونفع خالص فقط لم يكن منافيا للعقاب وجاز أن يجتمع للإنسان الواحد فى الوقت الواحد كونه مستحقا للعقاب والعوض إما بأن يوفر العوض عليه فى دار الدنيا وإما بأن يوصل إليه فى الآخرة قبل عقابه إن لم يمنع الإجماع من ذلك فى حق الكافر وإما أن يخفف عليه بعض عقابه ويجعل ذلك بدلا من العوض ألذى كان سبيله أن يوصل إليه و إذاثبت ذلك وجب أن يجعل كلام أمير المؤمنين ع على تأويل صحيح و هو ألذى أراده ع لأنه كان أعرف الناس بهذه المعانى و منه تعلم المتكلمون علم الكلام و هو أن المرض والألم يحط الله تعالى عن الإنسان المبتلى به مايستحقه من العقاب على معاصيه السالفة تفضلا منه سبحانه فلما كان إسقاط العقاب متعقبا للمرض وواقعا بعده بلا فصل جاز أن يطلق اللفظ بأن المرض يحط السيئات ويحتها حت الورق كماجاز أن يطلق اللفظ بأن الجماع يحبل المرأة وبأن سقى البذر الماء ينبته إن كان الولد والزرع عندالمتكلمين وقعا من الله تعالى على سبيل الاختيار لا على الإيجاب ولكنه أجرى العادة و أن يفعل ذلك عقيب الجماع وعقيب سقى البذر الماء. فإن قلت أيجوز أن يقال إن الله تعالى يمرض الإنسان المستحق للعقاب و يكون إنما أمرضه ليسقط عنه العقاب لا غير. [صفحه ۱۷۰] قلت لالأنه قادر على أن يسقط عنه العقاب ابتداء و لايجوز إنزال الألم إلاحيث لايمكن اقتناص العوض المجزى به إليه إلابطريق الألم و إلا كان فعل الألم عبثا أ لاترى أنه لايجوز أن يستحق زيد على عمرو ألف درهم فيضربه و يقول إنما أضربه لأجعل مايناله من ألم الضرب مسقطا لمااستحقه من الدراهم عليه وتذمه العقلاء ويسفهونه ويقولون له فهلا وهبتها له وأسقطتها عنه من غيرحاجة إلى أن تضربه وتؤلمه والبحث المستقصى فى هذه المسائل مذكور فى كتبى الكلامية فليرجع إليها وأيضا فإن الآلام قدتنزل بالأنبياء وليسوا ذوى ذنوب ومعاص ليقال إنها تحطها عنهم .فأما قوله ع وإنما الأجر فى القول إلى آخر الفصل فإنه ع قسم أسباب الثواب أقساما فقال لما كان المرض لايقتضى الثواب لأنه ليس فعل المكلف وإنما يستحق المكلف الثواب على ما كان من فعله وجب أن يبين ما ألذى يستحق به المكلف الثواب و ألذى يستحق المكلف به ذلك أن يفعل فعلا إما من أفعال الجوارح وإما من أفعال القلوب فأفعال الجوارح إما قول باللسان

أوعمل ببعض الجوارح وعبر عن سائر الجوارح عـدا اللسان بالأيـدى والأقدام لأن أكثر مايفعل بها و إن كان قديفعل بغيرها نحو مجامعـة الرجل زوجته إذاقصد به تحصـينها وتحصـينه عن الزناء ونحو أن ينحى حجرا ثقيلا برأسه عن صدر إنسان قديقتله و غير ذلـك و أماأفعـال القلـوب فهى العزوم والإرادات والنظر والعلـوم والظنـون والنـدم فعـبر ع عن جميع ذلـك بقـوله بصـدق النية والسـريرة الصالحـة واكتفى بـذلك عن تعديـد هـذه الأجنـاس . فـإن قلت فإن الإنسان قديسـتحق الثواب على ألا يفعل القبيـح و هذايخرم الحصـر ألذى حصـره أمير المؤمنين قلت يجوز أن يكون يذهب مذهب أبى على فى أن القادر بقدرة لايخلو عن الأخذ والترک [صفحه ۱۷۱]

۴۲

اشاره

وَ قَالَ ع فِى ذِكرِ خَبّابٍ رَحِمَ اللّهُ خَبّابَ بنَ الأَرَتّ فَلَقَد أَسلَمَ رَاغِباً وَ هَاجَرَ طَائِعاً وَ عَاشَ مُجَاهِداً طُوبَى لِمَن ذَكَرَ المَعَادَ وَ عَمِلَ لِلحِسَابِ وَ قَنِعَ بِالكَفَافِ وَ رضَيِ‌َ عَنِ اللّهِ

خباب بن الأرت

هوخباب بن الأرت بن جندلـة بن سـعد بن خزيمة بن كعب بن سـعد بن زيد مناة بن تميم يكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد وقيل أبايحيى أصابه سبى فبيع بمكـة. وكانت أمه ختانـة وخباب من فقراء المسـلمين وخيارهم و كان به مرض و كان فى الجاهليـة قينا حدادا يعمل السيوف و هوقديم الإسلام قيل إنه كان سادس ستة وشهد بدرا و مابعدها من المشاهد و هومعدود فى المعذبين فى الله سأله عمر بن الخطاب [صـفحه ۱۷۲] أيـام خلافته مالقيت من أهل مكـة فقال انظر إلى ظهرى فنظر فقال مارأيت كاليوم ظهر رجل فقال خباب أوقدوا لى نارا وسحبت عليها فما أطفأها إلاودک ظهرى. وجاء خباب إلى عمر فجعل يقول ادنه ادنه ثم قال له ماأحد أحق بهذا المجلس منك إلا أن يكون عمار بن ياسر نزل خباب إلى الكوفة ومات بها فى سنة سبع وثلاثين وقيل سنة تسع وثلاثين بعد أن شـهد مع أمير المؤمنين على ع صـفين ونهروان وصـلى عليه على ع وكانت سنه يوم مات ثلاثا وسبعين سنة ودفن بظهر الكوفة. و هوأول من دفن بظهر الكوفة و عبد الله بن خباب هو ألذى قتلته الخوارج فاحتج على ع به وطلبهم بدمه و قدتقدم ذكر ذلک [صفحه ۱۷۳]

۴۳

وَ قَالَ ع لَو ضَرَبتُ خَيشُومَ المُؤمِنِ بسِيَفيِ هَذَا عَلَى أَن يُبغِضَنيِ مَا أَبغَضَنيِ وَ لَو صَبَبتُ الدّنيَا بِجَمّاتِهَا عَلَى المُنَافِقِ عَلَى أَن يُحِبّنِي مَا أَحَبّنِي وَ ذَلِكَ أَنّهُ قضُيِ‌َ فَانقَضَى عَلَى لِسَانِ النّبِيّ الأمُيّ‌ّص أَنّهُ قَالَ يَا عَلِيّ لَا يُبغِضُكَ مُؤمِنٌ وَ لَا يُحِبّكَ مُنَافِقٌ جماتها بالفتح جمع جمة وهى المكان يجتمع فيه الماء و هذه اسـتعارة والخيشوم أقصى الأنف . ومراده ع من هذاالفصل إذكار الناس ماقاله فيه رسول الله ص و هو لايبغضک مؤمن و لايحبک منافق وهى كلمـة حق و ذلک لأن الإيمان وبغضه ع لايجتمعان لأن بغضه كبيرة وصـاحب الكبيرة عنـدنا لايسـمى مؤمنـا و أماالمنـافق فهو ألـذى يظهر الإسـلام ويبطن الكفر والكافر بعقيـدته لايحب عليا ع لأن

المراد من الخبر المحبة الدينية و من لايعتقد الإسلام لايحب أحدا من أهل الإسلام لإسلامه وجهاده فى الدين فقد بان أن الكلمة حق و هذاالخبر مروى فى الصحاح بغير هذااللفظ لايحبك إلامؤمن و لايبغضك إلامنافق -روايت-١-٤٠ و قدفسرناه فيما سبق [صفحه ١٧٤]

٤٤

سَيّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيرٌ عِندَ اللّهِ مِن حَسَنَةٍ تُعجِبُكَ هذاحق لأن الإنسان إذاوقع منه القبيح ثم ساءه ذلك وندم عليه وتاب حقيقة التوبة كفرت توبته معصيته فسقط ما كان يستحقه من العقاب وحصل له ثواب التوبة و أما من فعل واجبا واستحق به ثوابا ثم خامره الإعجاب بنفسه والإدلال على الله تعالى بعلمه والتيه على الناس بعبادته واجتهاده فإنه يكون قدأحبط ثواب عبادته بما شفعها من القبيح ألذى أتاه و هوالعجب والتيه والإدلال على الله تعالى فيعود لامثابا و لامعاقبا لأنه يتكافأ الاستحقاقان . و لاريب أن من حصل له ثواب التوبة وسقط عنه عقاب المعصية خير ممن خرج من الأمرين كفافا لا عليه و لا له [صفحه ١٧٥]

٤٥

قَدرُ الرّجُلِ عَلَى قَدرِ هِمّتِهِ وَ صِدقُهُ عَلَى قَدرِ مُرُوءَتِهِ وَ شَجَاعَتُهُ عَلَى قَدرِ أَنَفَتِهِ وَ عِفّتُهُ عَلَى قَدرِ غَيرَتِهِ قدتقدم الكلام فى كل هذه الشيم والخصال ثم نقول هاهنا إن كبر الهمة خلق مختص بالإنسان فقط و أماسائر الحيوانات فليس يوجد فيها ذلك وإنما يتجرأ كل نوع منها الفعل بقدر ما فى طبعه وعلو الهمة حال متوسطة محمودة بين حالتين طرفى رذيلتين وهما الندح وتسمية الحكماء التفتح وصغر الهمة وتسمية الناس الدناءة فالتفتح تأهل الإنسان لما لايستحقه وصغر الهمة تركه لمايستحقه لضعف فى نفسه فهذان مذمومان والعدالة وهى الوسط بينهما محمودة وهى علو الهمة وينبغى أن يعلم أن المتفتح جاهل أحمق وصغير الهمة ليس بجاهل و لاأحمق ولكنه دنىء ضعيف قاصر و إذاأردت التحقيق فالكبير الهمة من لايرضى بالهمم الحيوانية و لايقنع لنفسه أن يكون عندرعاية بطنه وفرجه بل يجتهد فى معرفة صانع العالم ومصنوعاته و فى اكتساب المكارم الشرعية ليكون من خلفاء الله وأوليائه فى الدنيا ومجاوريه فى الآخرة ولذلك قيل من عظمت همته لم يرض بقنية مستردة وحياة مستعارة فإن أمكنك [صفحه ١٧٦] أن تقتنى قنية مؤبدة وحياة مخلدة فافعل غيرمكترث بقلة من يصحبك ويعينك على ذلك فإنه كماقيل إذاعظم المطلوب قل المساعد . و كماقيل طرق العلاء قليلة الإيناس . و أماالكلام فى الصدق والمروءة والشجاعة والأنفة والعفة والغيرة فقد تقدم كثير منه وسيأتى ما هوأكثر فيما بعد إن شاء الله تعالى [صفحه ١٧٧]

٤٦

الظّفَرُ بِالحَزمِ وَ الحَزمُ بِإِجَالَةِ الرّأيِ وَ الرّأيُ بِتَحصِينِ الأَسرَارِ قدتقدم القول فى كتمان السر وإذاعته . و قال الحكماء السر ضربان أحدهما مايلقى إلى الإنسان من حديث ليستكتم و ذلك إما لفظا كقول القائل اكتم ماأقوله لك وإما حالا و هو أن يجهر بالقول حال انفراد صاحبه أويخفض صوته حيث يخاطبه أويخفيه عن مجالسيه ولهذا قيل إذاحدثك إنسان والتفت إليه فهو أمانة. والضرب الثانى نوعان أحدهما أن يكون حديثا فى نفسك تستقبح إشاعته والثانى أن يكون أمرا تريد أن تفعله . و إلى الأول أشار النبى ص بقوله من أتى منكم شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز و جل -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٩٠ و إلى الثانى أشار من قال من الوهن والضعف إعلان الأمر قبل إحكامه وكتمان الضرب الأول من الوفاء و هومخصوص بعوام الناس

وکتمان الضرب الثانی من المروءة والحزم والنوع الثانی من نوعیه أخص بالملوک وأصحاب السیاسات .قالوا وإذاعة السر من قلة الصبر وضیق الصدر ویوصف به ضعفة الرجال [صفحه ۱۷۸] والنساء والصبیان والسبب فی أنه یصعب کتمان السر أن للإنسان قوتین إحداهما آخذة والأخری معطیة و کل واحدة منهما تتشوق إلی فعلها الخاص بها و لو لا أن الله تعالی وکل المعطیة بإظهار ماعندها لماأتاک بالأخبار من لم تزود فعلی الإنسان أن یمسک هذه القوة و لایطلقها إلاحیث یجب إطلاقها فإنها إن لم تزم وتخطم تقحمت بصاحبها فی کل مهلکة [صفحه ۱۷۹]

۴۷

احذَرُوا صَولَةَ الکَرِیمِ إِذَا جَاعَ وَ اللّئِیمِ إِذَا شَبِعَ لیس یعنی بالجوع والشبع مایتعارفه الناس وإنما المراد احذروا صولة الکریم إذاضیم وامتهن واحذروا صولة اللئیم إذاأکرم ومثل المعنی الأول قول الشاعر لایصبر الحر تحت ضیم || وإنما یصبر الحمار . ومثل المعنی الثانی قول أبی الطیب إذا أنت أکرمت الکریم ملکته || و إن أنت أکرمت اللئیم تمردا [صفحه ۱۸۰]

۴۸

قُلُوبُ الرّجَالِ وَحشِیّةٌ فَمَن تَأَلّفَهَا أَقبَلَت عَلَیهِ هذامثل قولهم من لان استمال و من قسا نفر و مااستعبد الحر بمثل الإحسان إلیه و قال الشاعر وإنی لوحشی إذا مازجرتنی || وإنی إذاألفتنی لألوف .فأما قول عمارة بن عقیل تبحثتم سخطی فکدر بحثکم || نخیلة نفس کان صفوا ضمیرها و لم یلبث التخشین نفسا کریمة || علی قومها أن یستمر مریرها و ماالنفس إلانطفة بقرارة || إذا لم تکدر کان صفوا غدیرها .فیکاد یخالف قول أمیر المؤمنین ع فی الأصل لأن أمیر المؤمنین ع جعل أصل طبیعة القلوب التوحش وإنما تستمال لأمر خارج و هوالتألف والإحسان وعمارة جعل أصل طبیعة النفس الصفو والسلامة وإنما تتکدر وتجمح لأمر خارج و هوالإساءة والإیحاش [صفحه ۱۸۱]

۴۹

عَیبُکَ مَستُورٌ مَا أَسعَدَکَ جَدّکَ قد قال الناس فی الجد فأکثروا و إلی الآن لم یتحقق معناه و من کلام بعضهم إذاأقبل البخت باضت الدجاجة علی الوتد و إذاأدبر البخت أسعر الهاون فی الشمس . و من کلام الحکماء إن السعادة لتلحظ الحجر فیدعی ربا. و قال أبوحیان نوادر ابن الجصاص الدالة علی تغفله وبلهه کثیرة جدا قدصنف فیهاالکتب من جملتها أنه سمع إنسانا ینشد نسیبا فیه ذکر هند فأنکر ذلک و قال لاتذکروا حماة النبی ص إلابخیر وأشیاء عجیبة أظرف من هذا وکانت سعادته تضرب بهاالأمثال وکثرة أمواله التی لم یجتمع لقارون مثلها قال أبوحیان فکان الناس یعجبون من ذلک حتی أن جماعة من شیوخ بغداد کانوا یقولون إن ابن الجصاص أعقل الناس وأحزم الناس و أنه هو ألذی ألحم الحال بین المعتضد و بین خمارویه بن أحمد بن طولون وسفر بینهما سفارة عجیبة وبلغ من الجهتین أحسن مبلغ وخطب قطر الندی بنت خمارویه للمعتضد وجهزها من مصر [صفحه ۱۸۲] علی أجمل وجه وأعلی ترتیب ولکنه کان یقصد أن یتغافل ویتجاهل ویظهر البله والنقص یستبقی بذلک ماله ویحرس به نعمته ویدفع عنه عین الکمال وحسد الأعداء. قال أبوحیان قلت لأبی غسان البصری أظن ماقاله هؤلاء صحیحا فإن المعتضد مع حزمه وعقله وکماله وإصابة رأیه مااختاره للسفارة والصلح إلا والمرجو منه فیما یأتیه ویستقبله من أیامه نظیر ما قدشوهد منه فیما مضی من زمانه وهل کان یجوز أن یصلح أمر قدتفاقم فساده وتعاظم واشتد برسالة أحمق وسفارة أخرق فقال أبوغسان إن الجد

ينسخ حال الأخرق ويستر عيب الأحمق ويذب عن عرض المتلطخ ويقرب الصواب بمنطقه والصحة برأيه والنجاح بسعيه والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ويستعمل آراءهم وأفكارهم فی مطالبه و ابن الجصاص علی ماقيل وروی وحدث وحكی ولكن جده كفاه غائلة الحمق وحماه عواقب الخرق و لوعرفت خبط العاقل وتعسفه وسوء تأتيه وانقطاعه إذافارقه الجد لعلمت أن الجاهل قديصيب بجهله ما لايصيب العالم بعلمه مع حرمانه . قال أبوحيان فقلت له فما الجد و ما هذاالمعنی ألذی علقت عليه هذه الأحكام كلها فقال ليس لی عنه عبارة معينة ولكن لی به علم شاف استفدته بالاعتبار والتجربة والسماع العريض من الصغير والكبير ولهذا سمع من امرأة من الأعراب ترقص ابنا لها فتقول له رزقك الله جدا يخدمك عليه ذوو العقول و لارزقك عقلا تخدم به ذوی الجدود [صفحه ۱۸۳]

۵۰

أَولَی النّاسِ بِالعَفوِ أَقدَرُهُم عَلَی العُقُوبَةِ قدتقدم لنا قول مقنع فی العفو والحلم . و قال الأحنف ما شیءأشد اتصالا بشیء من الحلم بالعز. وقالت الحكماء ينبغی للإنسان إذاعاقب من يستحق العقوبة ألا يكون سبعا فی انتقامه وألا يعاقب حتی يزول سلطان غضبه لئلا يقدم علی ما لايجوز ولذلك جرت سنة السلطان بحبس المجرم حتی ينظر فی جرمه ويعيد النظر فيه . وأتی الإسكندر بمذنب فصفح عنه فقال له بعض جلسائه لوكنت إياك أيها الملك لقتلته قال فإذا لم تكن إيای و لاكنت إياك لم يقتل . وانتهی إليه أن بعض أصحابه يعيبه فقيل له أيها الملك لونهكته عقوبة فقال يكون حينئذ أبسط لسانا وعذرا فی اجتنابی. وقالت الحكماء أيضا لذة العفو أطيب من لذة التشفی والانتقام لأن لذة العفو يشفعها حميد العاقبة ولذة الانتقام يلحقها ألم الندم وقالوا العقوبة ألأم حالات ذی القدرة وأدناها وهی طرف من الجزع و من رضی ألا يكون بينه و بين الظالم إلاستر رقيق فلينتصف [صفحه ۱۸۴]

۵۱

السّخَاءُ مَا كَانَ ابتِدَاءً فَإِذَا كَانَ عَن مَسأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَ تَذَمّمٌ يعجبنی فی هذاالمعنی قول ابن حيوس إنی دعوت ندی الكرام فلم يجب || فلأشكرن ندی أجاب و مادعی و من العجائب والعجائب جمة || شكر بطیء عن ندی المتسرع . و قال آخر مااعتاض باذل وجهه بسؤاله || عوضا و لونال الغنی بسؤال و إذاالنوال إلی السؤال قرنته || رجح السؤال وخف كل نوال [صفحه ۱۸۵]

۵۲

لَا غِنَی كَالعَقلِ وَ لَا فَقرَ كَالجَهلِ وَ لَا مِيرَاثَ كَالأَدَبِ وَ لَا ظَهِيرَ كَالمُشَاوَرَةِ روی أبوالعباس فی الكامل عن أبی عبد الله ع أنه قال خمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع العقل والدين والأدب والحياء وحسن الخلق -روايت-۱-۲-روايت-۶۱-۱۵۲ قال أيضا لم يقسم بين الناس شیءأقل من خمس اليقين والقناعة والصبر والشكر والخامسة التی يكمل بها هذاكله العقل -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۲۱ عنه ع أول ماخلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال ماخلقت خلقا أحب إلی منك لك الثواب وعليك العقاب -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۳۹ عنه ع قال قال رسول الله ص إن الله ليبغض الضعيف ألذی لازبر له قال الزبر العقل -روايت-۱-۲-روايت-۳۶-۹۴ عنه ع عن رسول الله ص ماقسم الله للعباد أفضل من العقل فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وفطر العاقل أفضل من صوم الجاهل وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل و مابعث الله رسولا حتی

يستكمل العقل -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-ادامه دارد [صفحه ۱۸۶] و حتى يكون عقله أفضل من عقول جميع أمته و مايضـمره فى نفسه أفضل من اجتهاد جميع المجتهـدين و ماأدى العبد فرائض الله تعالى حتى عقل عنه و لايبلغ جميع العابدين فى عباداتهم مـايبلغه العاقـل والعقلاء هم أولـو الألبـاب الـذين قـال الله تعـالى عنهم وَ مـا يَـذّكّرُ إِلّـا أُولُوا الأَلبـابِ -روايت-از قبـل-۳۰۱ قال أبوالعباس و قال رجل من أصحاب أبى عبـد الله ع له و قدسـمعه يقول بل يروى مرفوعا إذابلغكم عن رجل حسن الحال فانظروا فى حسن عقله فإنمـا يجازى بعقله يا ابن رسول الله إن لى جارا كثير الصدقـة كثير الصـلاة كثير الحـج لابأس به فقال كيف عقله فقـال ليس له عقل فقال لايرتفع بـذاك منه -روايت-۱-۲-روايت-۹۵-۳۰۷ عنه ع مـابعث الله نبيـا إلاعاقلا وبعض النبيين أرجح من بعض و مااستخلف داود سـليمان ع حتى اختبر عقله و هو ابن ثلاث عشـرة سـنة فمكث فى ملكه ثلاثين سنة -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۱۶۲ عنه مرفوعـا صـديق كـل امرئ عقله وعـدوه جهله -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۴۸ عنه مرفوعا أنامعاشـر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقولهم -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۶۲ قال أبوالعباس وسـئل أبو عبد الله ع ماالعقل فقال ما عبد به الرحمن واكتسبت به الجنان -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۹۶ قال و قال أبو عبد الله سـئل الحسن بن على ع عن العقل فقال التجرع للغصـة ومداهنة الأعداء -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۹۸ . قلت هذاكلام الحسن ع و أناأقطع بذلك . [صفحه ۱۸۷] قال أبوالعباس و قال أبو عبـد الله العاقل لايحدث من يخاف تكذيبه و لايسأل من يخاف منعه و لايثق بمن يخاف عذره و لايرجو من لايوثق برجائه -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۱۵۳ قـال أبوالعبـاس وروى عن أبى جعفر ع قـال كـان موسـى ع يـدنى رجلاـ من بنى إسـرائيل لطول سجوده وطول صمته فلايكاد يذهب إلى موضع إلا و هومعه فبينا هويوما من الأيام إذ مر على أرض معشبة تهتز فتأوه الرجل فقال له موسى على ماذا تأوهت قال تمنيت أن يكون لربى حمار وأرعاه هاهنا فأكب موسى طويلا ببصره إلى الأرض اغتماما بما سمع منه فانحط عليه الوحى فقال ما ألـذى أنكرت من مقالـة عبـدى إنما آخـذ عبادى على قدر ماآتيتهم -روايت-۱-۲-روايت-۴۷-۴۳۷ قـال أبوالعبـاس وروى عن على ع هبـط جبرائيـل ع على آدم ع بثلاـث ليختار منها واحـدة ويـدع اثنتين وهى العقل والحياء والـدين فاختار العقل فقال جبرائيل للحياء والدين انصرفا فقالا إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان فقال فشأنكما ففاز بالثلاث -روايت-۱-۲-روايت-۳۷-۲۵۳ .فأما قوله ع و لاميراث كالأدب فإنى قرأت فى حكم الفرس عن بزرجمهر ماورثت الآباء أبناءها شيئـا أفضـل من الأدب لأنها إذاورثتها الأدب اكتسبت بالأدب المال فإذاورثتها المال بلا أدب أتلفته بالجهل وقعـدت صـفرا من المـال والأـدب . قال بعض الحكماء من أدب ولـده صـغيرا سر به كبيرا. و كان يقال من أدب ولـده أرغم حاسـده . و كان يقال ثلاثة لاغربة معهن مجانبة الريب وحسن الأدب وكف الأذى . [صـفحه ۱۸۸] و كان يقال عليكم بالأدب فإنه صاحب فى السـفر ومؤنس فى الوحدة وجمال فى المحفل وسـبب إلى طلب الحاجة. و قال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه و إن كان قبل وضيعا و بعدصـيته و إن كـان خاملاـ وساد و إن كان غريبا وكثرت الحاجـة إليه و إن كان مقلا. و قال بعض الملوك لبعض وزرائه ماخير مـايرزقه العبـد قـال عقل يعيش به قال فإن عـدمه قال أدب يتحلى به قال فإن عـدمه قال مال يسـتتر به قال فإن عـدمه قال صاعقة تحرقه فتريـح منه العبـاد والبلاـد. وقيل لبعض الحكماء متى يكون العلم شـرا من عـدمه قال إذاكثر الأدب ونقصت القريحـة يعنى بالقريحة العقل .فأما القول فى المشورة فقد تقدم وربما ذكرنا منه نبذا فيما بعد [صفحه ۱۸۹]

۵۳

الصّبرُ صَبرَانِ صَبرٌ عَلَى مَـا تَكرَهُ وَ صَبرٌ عَمّا تُحِبّ النوع الأول أشق من النوع الثانى لأن الأول صبر على مضـرة نازلـة والثانى صبر على محبوب متوقع لم يحصل و قدتقدم لنا قول طويل فى الصبر.سئل بزرجمهر فى بليته عن حاله فقال هون على ما أنا فيه فكرى

فی أربعهٔ أشیاء أولها أنی قلت القضاء والقدر لابد من جریانهما والثانی أنی قلت إن لم أصبر فما أصنع والثالث أنی قلت قد کان یجوز أن تکون المحنهٔ أشد من هذه والرابع أنی قلت لعل الفرج قریب . و قال أنو شروان جمیع أمر الدنیا منقسم إلی ضربین لاثالث لهما أما ما فی دفعه حیلهٔ فالاضطراب دواؤه و أما ما لاحیلهٔ فیه فالصبر شفاؤه [صفحه ۱۹۰]

۵۴

الغِنَى فِي الغُربَةِ وَطَنٌ وَ الفَقرُ فِي الوَطَنِ غُربَةٌ قدتقدم لنا قول مقنع فی الفقر والغنی ومدحهما وذمهما علی عادتنا فی ذکر الشیء ونقیضه ونحن نذکر هاهنا زیادهٔ علی ذلک . قال رجل لبقراط ماأشد فقرک أیها الحکیم قال لوعرفت راحهٔ الفقر لشغلک التوجع لنفسک عن التوجع لی الفقر ملک لیس علیه محاسبهٔ. و کان یقال أضعف الناس من لایحتمل الغنی . وقیل للکندی فلان غنی فقال أناأعلم أن له مالاـ ولکنی لاـأعلم أغنی هوأم لالأننی لاأدری کیف یعمل فی ماله .قیل لابن عمر توفی زید بن ثابت وترک مائهٔ ألف درهم قال هوترکها لکنها لم تترکه . وقالوا حسبک من شرف الفقر أنک لاتری أحدا یعصی الله لیفتقر أخذه الشاعر فقال یاعائب الفقر ألا تزدجر || عیب الغنی أکبر لوتعتبر إنک تعصی الله تبغی الغنی || و لیس تعصی الله کی تفتقر . و کان یقال الحلال یقطر والحرام یسیل [صفحه ۱۹۱] و قال بعض الحکماء أ لاترون ذا الغنی ماأدوم نصبه وأقل راحته وأخس من ماله حظه وأشد من الأیام حذره وأغری الدهر بنقصه وثلمه ثم هو بین سلطان یرعاه وحقوق تسترعیه وأکفاء ینافسونه وولد یودون موته قدبعث الغنی علیه من سلطانه العناء و من أکفائه الحسد و من أعدائه البغی و من ذوی الحقوق الذم و من الولد الملالهٔ وتمنی الفقد لاکذی البلغهٔ قنع فدام له السرور ورفض الدنیا فسلم من الحسد ورضی بالکفاف فکفی الحقوق [صفحه ۱۹۲]

۵۵

قال الرضی رحمه الله تعالی و قدروی هذاالکلام عن النبی ص –روایت–۱–۶۶ قدذکرنا نکتا جلیلهٔ الموقع فی القناعهٔ فیما تقدم ونذکر هاهنا زیادهٔ علی ذلک .فمن کلام الحکماء قاوم الفقر بالقناعهٔ وقاهر الغنی بالتعفف وطاول عناء الحاسد بحسن الصنع وغالب الموت بالذکر الجمیل . و کان یقال الناس رجلان واجد لایکتفی وطالب لایجد أخذه الشاعر فقال و ما الناس إلاواجد غیرقانع || بأرزاقه أوطالب غیرواجد . قال رجل لبقراط ورآه یأکل العشب لوخدمت الملک لم تحتج إلی أن تأکل الحشیش فقال له و أنت إن أکلت الحشیش لم تحتج أن تخدم الملک [صفحه ۱۹۳]

۵۶

المَالُ مَادّةُ الشّهَوَاتِ قدتقدم لنا کلام فی المال مدحا وذما. و قال أعرابی لبنیه اجمعوا الدراهم فإنها تلبس الیلمق وتطعم الجردق . و قال أعرابی و قدنظر إلی دینار قاتلک الله ماأصغر قمتک وأکبر همتک . و من کلام الحکماء مااخترت أن تحیا به فمت دونه .سئل أفلاطون عن المال فقال ماأقول فی شیءیعطیه الحظ ویحفظه اللؤم ویبلعه الکرم . و کان یقال ثلاثهٔ یؤثرون المال علی أنفسهم تاجر البحر والمقاتل بالأجرهٔ والمرتشی فی الحکم و هوشرهم لأن الأولین ربما سلما و لاسلامهٔ للثالث من الإثم . ثم قالوا و قدسمی الله تعالی المال خیرا فی قوله إِن تَرَکَ خَیراً و فی قوله وَ إِنّهُ لِحُبّ الخَیرِ لَشَدِیدٌ. کان عبدالرحمن بن عوف یقول حبذا المال أصون به عرضی وأقرضه ربی –قرآن–۵۵۸–۵۷۴–قرآن–۵۸۷–۶۲۰ [صفحه ۱۹۴] فیضاعفه لی وقالوا فی ذم المال المال

مثل الماء غاد ورائح طبعه كطبع الصبى لا يوقف على سبب رضاه و لاسخطه المال لاينفعک ما لم تفارقه . و فيه قال الشاعر وصاحب صدق ليس ينفع قربه || و لاوده حتى تفارقه عمدا . وأخذ هذاالمعنى الحريرى فقال و ليس يغنى عنک فى المضايق || إلا إذافر فرار الآبق . و قال الشاعر أ لم تر أن المال يهلک ربه || إذاجم آتيه وسد طريقه و من جاوز البحر الغزير بقحمة || وسد طريق الماء فهو غريقه [صفحه ۱۹۵]

۵۷

مَن حَذّرَکَ کَمَن بَشّرَکَ هذامثل قولهم اتبع أمر مبكياتک لاأمر مضحکاتک ومثله صديقک من نهاک لا من أغراک ومثله رحم الله أمرا أهدى إلى عيوبى. والتحذير هوالنصح والنصح واجب و هوتعريف الإنسان ما فيه صلاحه ودفع المضرة عنه و قدجاء فى الخبر الصحيح الدين النصيحة فقيل يا رسول الله لمن فقال لعامة المسلمين -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۸۷ وأول مايجب على الإنسان أن يحذر نفسه وينصحها فمن غش نفسه فقلما يحذر غيره وينصحه وحق من استنصح أن يبذل غاية النصح و لو كان فى أمر يضره و إلى ذلک وقعت الإشارة فى الكتاب العزيز بقوله سبحانه يا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ بِالقِسطِ شُهَداءَ لِلّهِ وَ لَو عَلى أَنفُسِكُم و قال سبحانه وَ إِذا قُلتُم فَاعدِلُوا وَ لَو كانَ ذا قُربى. ومعنى قوله ع كمن بشرک أى ينبغى لک أن تسر بتحذيره لک كماتسر لوبشرک بأمر تحبه و أن تشكره على ذلک كماتشكره لوبشرک بأمر تحبه لأنه لو لم يكن يريد بک الخير لماحذرک من الوقوع فى الشر -قرآن-۲۰۷-۳۰۱-قرآن-۳۱۶-۳۶۱ [صفحه ۱۹۶]

۵۸

اللّسَانُ سَبُعٌ إِن خلُيَّ عَنهُ عَقَرَ قدتقدم لنا كلام طويل فى هذاالمعنى . و كان يقال إن كان فى الكلام درک ففى الصمت عافية. وقالت الحكماء النطق أشرف ماخص به الإنسان لأنه صورته المعقولة التى باين بهاسائر الحيوانات ولذلک قال سبحانه خَلَقَ الإِنسانَ عَلّمَهُ البَيانَ و لم يقل وعلمه بالواو لأنه سبحانه جعل قوله عَلّمَهُ البَيانَتفسيرا لقوله خَلَقَ الإِنسانَ لاعطفا عليه تنبيها على أن خلقه له وتخصيصه بالبيان ألذى لوتوهم مرتفعا لارتفعت إنسانيته ولذلک قيل ماالإنسان لو لااللسان إلابهيمة مهملة أوصورة ممثلة. و قال الشاعر -قرآن-۲۱۵-۲۴۸-قرآن-۲۹۸-۳۱۴-قرآن-۳۲۸-۳۴۳ لسان الفتى نصف ونصف فؤاده || فلم يبق إلاصورة اللحم والدم .قالوا والصمت من حيث هوصمت مذموم و هو من صفات الجمادات فضلا [صفحه ۱۹۷] عن الحيوانات وكلام أمير المؤمنين ع وغيره من العلماء فى مدح الصمت محمول على من يسىء الكلام فيقع منه جنايات عظيمة فى أمور الدين والدنيا كماروى فى الخبر أن الإنسان إذاأصبح قالت أعضاؤه للسانه اتق الله فينا فإنک إن استقمت نجونا و إن زغت هلكنا -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۱۰ فأما إذااعتبر النطق والصمت بذاتيهما فقط فمحال أن يقال فى الصمت فضل فضلا عن أن يخاير ويقايس بينه و بين الكلام [صفحه ۱۹۸]

۵۹

المَرأَةُ عَقرَبٌ حُلوَةُ اللّسبَةِاللسبة اللسعة لسبته العقرب بالفتح لسعته ولسبت العسل بالكسر أى لعقته . وقيل لسقراط أى السباع أجسر قال المرأة. ونظر حكيم إلى امرأة مصلوبة على شجرة فقال ليت كل شجرة تحمل مثل هذه الثمرة.مرت بسقراط امرأة وهى تتشوف فقالت ياشيخ ماأقبحک فقال لو لاأنک من المرايا الصدئة لغمنى مابان من قبح صورتى فيک . ورأى بعضهم مؤدبا يعلم

جاريـة الكتابـة فقال لاتزد الشر شـرا إنما تسـقى سـهما سـما لترمى به يوما ما. ورأى بعضـهم جاريـة تحمل نارا فقال نار على نار والحامـل شـر من المحمول . وتزوج بعضـهم امرأة نحيفـة فقيـل له فى ذلـك فقال اخترت من الشـر أقله .كتب فيلسوف على بابه مادخل هذاالمنزل شـر قط فقال له بعضهم اكتب إلاالمرأة. [صفحه ۱۹۹] ورأى بعضـهم امرأة غريقة فى الماء فقال زادت الكدر كدرا والشـر بالشـر يهلك . و فى الحديث المرفوع استعيذوا بالله من شـرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۰ و فى كلام الحكمـاء أعص هواك والنساء وافعل ماشـئت .دعا بعضـهم لصاحبه فقال أمات الله عـدوك فقال لو قلت زوج الله عـدوك لكـان أبلغ فى الانتقـام . و مـن الكنايـات المشـهورة عنهن سـلاح إبليس . و فى الحـديث المرفـوع أنهن ناقصـات عقل ودين -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۴۸ . و قدتقـدم من كلام أمير المؤمنين ع فى هـذاالكتاب ما هوشـرح وإيضاح لهـذا المعنى . و جـاء فى الحـديث أيضـا شـاوروهن وخالفوهن -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۴۱ فى الحـديث أيضـا النساء حبائل الشيطان -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۴۲ فى الحـديث أيضـا مـاتركت بعـدى فتنـة أضـر من النسـاء على الرجـال -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۶۵ فى الحـديث أيضـا المرأة ضـلع عوجـاء إن داريتهـا اسـتمتعت بهـا و إن رمت تقويمهـا كسـرتها -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۸۶ و قال الشاعر فى هـذاالمعنى هى الضـلع العوجاء لست تقيمها || ألا إن تقويم الضـلوع انكسارها أيجمعن ضـعفا واقتـدارا على الفـتى || أ ليس عجيبـا ضـعفها واقتـدارها . و مـن كلام بعض الحكمـاء ليس ينبغى للعاقـل أن يمـدح امرأة إلا بعدموتها. و فى الأمثال لاتحمدن أمة عام شـرائها و لاحرة عام بنائها. [صـفحه ۲۰۰] و من كلام عبد الله المأمون أنهن شـر كلهن وشـر مافيهن ألا غنى عنهن . و قال بعض السـلف إن كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأن الله تعالى ذكر الشيطان فقال إِنّ كَيدَ الشّيطانِ كانَ ضَعِيفاً. وذكر النساء فقال إِنّهُ مِن كَيدِكُنّ إِنّ كَيدَكُنّ عَظِيمٌ. و كان يقال من الفواقر امرأة سوء إن حضرتها لسبتك و إن غبت عنهـا لم تأمنهـا. و قـال حكيم أضـر الأشـياء بالمال والنفس والـدين والعقل والعرض شـدة الإغرام بالنساء و من أعظم مايبتلى به المغرم بهن أنه لايقتصر على ماعنده منهن و لوكن ألفا ويطمح إلى ما ليس له منهن . و قال بعض الحكماء من يحصى مساوئ النساء اجتمع فيهن نجاسة الحيض والاستحاضة ودم النفاس ونقص العقل والدين وترك الصوم والصلاة فى كثير من أيام العمر ليست عليهن جماعـة و لاجمعـة و لايسـلم عليهن و لا يكون منهن إمام و لاقاض و لا أمير و لايسافرن إلابولى. و كان يقال مـانهيت امرأة عن أمر إلاأتته . و فى هـذاالمعنى يقول طفيل الغنوى -قرآن-۱۶۳-۱۹۶-قرآن-۲۱۶-۲۵۸ إن النساء كأشجار نبتن معا || هن المرار وبعض المر مأكول إن النساء متى ينهين عن خلق || فإنه واجب لابد مفعول [صفحه ۲۰۱]

۶۰

إِذَا حُيّيتَ بِتَحِيّةٍ فحَيّ بِأَحسَنَ مِنهَا وَ إِذَا أُسدِيَت إِلَيكَ يَدٌ فكَافِئهَا بِمَا يرُبيِ عَلَيهَا وَ الفَضلُ مَعَ ذَلِكَ لِلبَادِئِ اللفظـة الأولى من القرآن العزيز والثانيـة تتضـمن معنى مشـهورا. و قوله والفضـل مع ذلـك للبـادئ يقـال فى الكرم والحث على فعـل الخير. وروى المـدائنى قال قـدم على أسد بن عبد الله القشـيرى بخراسان رجل فدخل مع الناس فقال أصلـح الله الأمير إن لى عندك يدا قال و مايـدك قـال أخـذت بركابـك يوم كـذا قـال صـدقت حاجتك قال تولينى أبيورد قال لم قال لأكسب مائـة ألف درهم قال فإنا قدأمرنا لك بهاالساعة فنكون قدبلغناك ماتحب وأقررنا صاحبنا على عمله قال أصلح الله الأمير إنك لم تقض ذمامى قال و لم و قـدأعطيتك مـاأملت قـال فأين الإمارة وأين حب الأمر والنهى قال قـدوليتك أبيورد وسوغت لك ماأمرت لك به وأعفيتك من المحاسـبة إن صـرفتك عنها قال و لم تصـرفنى عنها و لا يكون الصرف إلا من عجز أوخيانة [صفحه ۲۰۲] و أنابرىء منهما قال اذهب فـأنت أميرهـا مـادامت لنا خراسان فلم يزل أميرا على أبيورد حتى عزل أسـد. قال المـدائنى وجاء رجل إلى نصر بن سـيار

يذكر قرابة قال و ماقرابتك قال ولدتنى وإياك فلانة قال نصر قرابة عورة قال إن العورة كالشن البالى يرقعه أهله فينتفعون به قال حاجتك قال مائة ناقة لاقح ومائة نعجة ربى أى معها أولادها قال أماالنعاج فخذها و أماالنوق فنأمر لك بأثمانها. وروى الشعبى قال حضرت مجلس زياد وحضره رجل فقال أيها الأمير إن لى حرمة أفأذكرها قال هاتها قال رأيتك بالطائف و أنت غليم ذو ذؤابة و قدأحاطت بك جماعة من الغلمان و أنت تركض هذامرة برجلك وتنطح هذامرة برأسك وتكدم مرة بأنيابك فكانوا مرة ينثالون عليك و هذه حالهم ومرة يندون عنك و أنت تتبعهم حتى كاثروك واستقووا عليك فجئت حتى أخرجتك من بينهم و أنت سليم وكلهم جريح قال صدقت أنت ذاك الرجل قال أناذاك قال حاجتك قال الغنى عن الطلب قال ياغلام أعطه كل صفراء وبيضاء عندك فنظر فإذاقيمة كل مايملك ذلك اليوم من الذهب والفضة أربعة وخمسون ألف درهم فأخذها وانصرف فقيل له بعد ذلك أنت رأيت زيادا و هوغلام بذلك الحال قال إى و الله لقد رأيته و قداكتنفه صبيان صغيران كأنهما من سخال المعز فلو لاأنى أدركته لظننت أنهما يأتيان على نفسه . وجاء رجل إلى معاوية و هو فى مجلس العامة فقال يا أمير المؤمنين إن لى حرمة قال و ماهى قال دنوت من ركابك يوم صفين و قدقربت فرسك لتفر و أهل [صفحه ۲۰۳] العراق قدرأوا الفتح والظفر فقلت لك و الله لوكانت هند بنت عتبة مكانك مافرت و لااختارت إلا أن تموت كريمة أوتعيش حميدة أين تفر و قدقلدتك العرب أزمة أمورها وأعطتك قياد أعنتها فقلت لى اخفض صوتك لاأم لك ثم تماسكت وثبت وثابت إليك حماتك وتمثلت حينئذ بشعر أحفظ منه وقولى كلما جشأت وجاشت || مكانك تحمدى أوتستريحى . فقال معاوية صدقت وددت أنك الآن أيضا خفضت من صوتك ياغلام أعطه خمسين ألف درهم فلو كنت أحسنت فى الأدب لأحسنا لك فى الزيادة [صفحه ۲۰۴]

۶۱

اشاره

جاء فى الحديث مرفوعا اشفعوا إلى تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۷۸ . و قال المأمون لإبراهيم بن المهدى لماعفا عنه إن أعظم يدا عندك من عفوى عنك أنى لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين . و من كلام قابوس بن وشمكير بزند الشفيع تورى نار النجاح و من كف المفيض ينتظر فوز القداح . قال المبرد أتانى رجل يستشفع بى فى حاجة فأنشدنى لنفسه إنى قصدتك لاأدلى بمعرفة || و لابقربى ولكن قدفشت نعمك فبت حيران مكروبا يؤرقنى || ذل الغريب ويغشينى الكرى كرمك و لوهممت بغير العرف ماعلقت || به يداك و لاانقادت له شيمك مازلت أنكب حتى زلزلت قدمى || فاحتل لتثبيتها لازلزلت قدمك . قال فشفعت له وقمت بأمره حتى بلغت له ماأحب .بزرجمهر من لم يستغن بنفسه عن شفيعه ووسائله وهت قوى أسبابه و كان إلى [صفحه ۲۰۵] الحرمان أقرب منه إلى بلوغ المراد ومثله من لم يرغب أوداؤه فى اجتنابه لم يحظ بمدح شفعائه ومثله إذازرت الملوك فإن حسبى شفيعا عندهم أن يعرفونى.كلم الأحنف مصعب بن الزبير فى قوم حبسهم فقال أصلح الله الأمير إن كان هؤلاء حبسوا فى باطل فالحق يخرجهم و إن كانوا حبسوا فى حق فالعفو يسعهم فأمر بإخراجهم .آخر إذا أنت لم تعطفك إلاشفاعة || فلاخير فى ود يكون بشافع .خرج العطاء فى أيام المنصور وأقام الشقرانى من ولد شقران مولى رسول الله ص ببابه أياما لايصل إليه عطاؤه فخرج جعفر بن محمد من عندالمنصور فقام الشقرانى إليه فذكر له حاجته فرحب به ثم دخل ثانيا إلى المنصور وخرج وعطاء الشقرانى فى كمه فصبه فى كمه ثم قال ياشقران إن الحسن من كل

أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منا و إن القبيح من كل أحد قبيح و هومنك أقبح لمكانك منا -روايت-١-٢-روايت-٨-١٣١ فاستحسن الناس ماقاله و ذلك لأن الشقرانى كان صاحب شراب قالوا فانظر كيف أحسن السعى فى استنجاز طلبته وكيف رحب به وأكرمه مع معرفته بحاله وكيف وعظه ونهاه عن المنكر على وجه التعريض قال الزمخشرى و ما هو إلا من أخلاق الأنبياء.كتب سعيد بن حميد شفاعة لرجل كتابى هذا كتاب معتن بمن كتب له واثق بمن كتب إليه ولن يضيع حامله بين الثقة والعناية إن شاء الله . أبوالطيب إذاعرضت حاج إليه فنفسه || إلى نفسه فيهاشفيع مشفع [صفحه ٢٠٦]

محمد بن جعفر والمنصور

كان المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس و كان الناس لعظم قدره عندالمنصور يفزعون إليه فى الشفاعات وقضاء الحاجات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم تتبعته نفسه فحادث الربيع فيه و قال إنه لاصبر لى عنه لكنى قدذكرت شفاعاته فقال الربيع أناأشترط ألا يعود فكلمه الربيع فقال نعم فمكث أياما لايشفع ثم وقف له قوم من قريش وغيرهم برقاع و هويريد دار المنصور فسألوه أن يأخذ رقاعهم فقص عليهم القصة فضرعوا إليه وسألوه فقال أماإذ أبيتم قبول العذر فإنى لاأقبضها منكم ولكن هلموا فاجعلوها فى كمى فقذفوها فى كمه ودخل على المنصور و هو فى الخضراء يشرف على مدينة السلام و ماحولها بين البساتين والضياع فقال له أ ماترى إلى حسنها قال بلى يا أمير المؤمنين فبارك الله لك فيما آتاك وهنأك بإتمام نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب فى دولة الإسلام و لاالعجم فى سالف الأيام أحصن و لاأحسن من مدينتك ولكن سمجتها فى عينى خصلة قال ماهى قال ليس لى فيهاضيعة فضحك و قال نحسنها فى عينك ثلاث ضياع قدأقطعتكها فقال أنت و الله يا أمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله باقى عمرك أكثر من ماضيه وجعلت الرقاع تبدر من كميه فى أثناء كلامه وخطابه للمنصور و هويلتفت إليها و يقول ارجعن خاسئات ثم يعود إلى حديثه فقال المنصور ما هذه بحقى عليك أ لاأعلمتنى خبرها فأعلمه فضحك فقال أبيت يا ابن معلم الخير إلاكرما ثم تمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب [صفحه ٢٠٧] لسنا و إن أحسابنا كملت || يوما على الأحساب نتكل نبنى كماكانت أوائلنا || تبنى ونفعل مثل مافعلوا . ثم أخذها وتصفحها ووقع فيهاكلها بما طلب أصحابها. قال محمد بن جعفرفخرجت من عنده و قدربحت وأربحت . قال المبرد لعبد الله بن يحيى بن خاقان أناأشفع إليك أصلحك الله فى أمر فلان فقال له قدسمعت وأطعت وسأفعل فى أمره كذا فما كان من نقص فعلى و ما كان من زيادة فله قال المبرد أنت أطال الله بقاءك كما قال زهير وجار سار معتمدا إلينا || أجاءته المخافة والرجاء ضمنا ماله فغدا سليما || علينا نقصه و له النماء . و قال دعبل و إن امرأ أسدى إلى بشافع || إليه ويرجو الشكر منى لأحمق شفيعك ياشكر الحوائج إنه || يصونك عن مكروهها و هويخلق .آخر مضى زمنى و الناس يستشفعون بى || فهل لى إلى ليلى الغداة شفيع .آخر ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة || إلى فهلا نفس ليلى شفيعها أأكرم من ليلى على فتبتغى || به الجاه أم كنت امرأ لاأطيعها . [صفحه ٢٠٨] آخر و من يكن الفضل بن يحيى بن خالد || شفيعا له عندالخليفة ينجح .آخر و إذاامرؤ أسدى إليك صنيعة || من جاهه فكأنها من ماله . و هذامثل قول الآخر وعطاء غيرك إن بذلت || عناية فيه عطاؤك . ابن الرومى ينام ألذى استسعاك فى الأمر إنه || إذاأيقظ الملهوف مثلك ناما كفى العود منك البدء فى كل موقف || وجردت للجلى فكنت حساما فما لك تنبو فى يدى عن ضريبتى || و لم أرث من هز وكنت كهاما [صفحه ٢٠٩]

أَهلُ الدّنيَا كَرَكبٍ يُسَارُ بِهِم وَ هُم نِيَامٌ هذاالتشبيه واقع و هوصورة الحال لامحالة. و قدأتيت بهذا المعنى فى رسالة لى كتبتها إلى بعض الأصدقاء تعزية فقلت و لوتأمل الناس أحوالهم وتبينوا مآلهم لعلموا أن المقيم منهم بوطنه والساكن إلى سكنه أخو سفر يسرى به و هو لايسرى وراكب بحر يجرى به و هو لايدرى [صفحه ۲۱۰]

۶۳

فَقدُ الأَحِبّةِ غُربَةٌمثل هذاقول الشاعر فلاتحسبى أن الغريب ألذى نأى || ولكن من تنأين عنه غريب قوله ع الغريب من ليس له حبيب -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۸و قال الشاعر أسرة المرء والداه وفيما || بين حضنيهما الحياة تطيب و إذاوليا عن المرء يوما || فهو فى الناس أجنبى غريب . و قال آخر إذا مامضى القرن ألذى كنت فيهم || وخلفت فى قرن فأنت غريب [صفحه ۲۱۱]

۶۴

فَوتُ الحَاجَةِ أَهوَنُ مِن طَلَبِهَا إِلَى غَيرِ أَهلِهَا قدسبق هذاالمعنى وذكرنا كثيرا مما قيل فيه . و كان يقال لاتطلبوا الحوائج إلى ثلاثة إلى عبد يقول الأمر إلى غيرى و إلى رجل حديث الغنى و إلى تاجر همته أن يستربح فى كل عشرين دينارا حبة واحدة [صفحه ۲۱۲]

۶۵

لَا تَستَحِ مِن إِعطَاءِ القَلِيلِ فَإِنّ الحِرمَانَ أَقَلّ مِنهُ هذانوع من الحث على الإفضال والجود لطيف و قداستعمل كثيرا فى الهدية والاعتذار لقلتها و قدتقدم منا قول شاف فى مدح السخاء والجود. و كان يقال أفضل على من شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عمن شئت تكن نظيره . وسئل أرسطو هل من جود يستطاع أن يتناول به كل أحد قال نعم أن تنوى الخير لكل أحد [صفحه ۲۱۳]

۶۶

العَفَافُ زِينَةُ الفَقرِ وَ الشّكرُ زِينَةُ الغِنَى من الأبيات المشهورة فإذاافتقرت فلاتكن || متخشعا وتجمل . و من أمثالهم المشهورة تجوع الحرة و لاتأكل بثدييها. وأنشد الأصمعى لبعضهم أقسم بالله لمص النوى || وشرب ماء القلب المالحه أحسن بالإنسان من ذله || و من سؤال الأوجه الكالحه فاستغن بالله تكن ذا غنى || مغتبطا بالصفقة الرابحه طوبى لمن تصبح ميزانه || يوم يلاقى ربه راجحه . و قال بعضهم وقفت على كنيف و فى أسفله كناف و هوينشد وأكرم نفسى عن أمور كثيرة || ألا إن إكرام النفوس من العقل [صفحه ۲۱۴] وأبخل بالفضل المبين على الألى || رأيتهم لايكرمون ذوى الفضل و ماشاننى كنس الكنيف وإنما || يشين الفتى أن يجتدى نائل النذل وأقبح مما بى وقوفى مؤملا || نوال فتى مثلى و أى فتى مثلى . و أماكون الشكر زينة الغنى فقد تقدم من القول ما هوكاف . و كان يقال العلم بغير عمل قول باطل والنعمة بغير شكر جيد عاطل [صفحه ۲۱۵]

۶۷

إِذَا لَم يَكُن مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَل كَيفَ كُنتَ قدأعجم تفسير هذه الكلمة على جماعة من الناس وقالوا المشهور فى كلام الحكماء إذا لم يكن ماتريد فأرد ما يكون و لامعنى لقوله فلاتبل كيف كنت وجهلوا مراده ع . ومراده إذا لم يكن ماتريد فلاتبل بذلك أى لاتكترث بفوت مرادك و لاتبتئس بالحرمان و لووقف على هذالتم الكلام وكمل المعنى وصار هذامثل قوله فلاتكثر على مافاتك منها أسفا -روايت-۱-۲-روايت-۹-۴۱ ومثل قول الله تعالى لِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُملكنه تمم وأكد فقال كيف كنت أى لاتبل بفوت ماكنت أملته و لاتحمل لذلك هما كيف كنت و على أى حال كنت من حبس أومرض أوفقر أوفقد حبيب و على الجملة لاتبال الدهر و لاتكترث بما يعكس عليك من غرضك ويحرمك من أملك وليكن هذاالإهوان به والاحتقار له مما تعتمده دائما على أى حال أفضى بك الدهر إليها و هذاواضح -قرآن-۲۵-۵۵ [صفحه ۲۱۶]

۶۸

لَا يُرَى الجَاهِلُ إِلّا مُفرِطاً أَو مُفَرِّطاً العدالة هى الخلق المتوسط و هومحمود بين مذمومين فالشجاعة محفوفة بالتهور والجبن والذكاء بالغباوة والجربزة والجود بالشح والتبذير والحلم بالجمادية والاستشاطة و على هذا كل ضدين من الأخلاق فبينهما خلق متوسط و هوالمسمى بالعدالة فلذلك لايرى الجاهل إلامفرطا أومفرطا كصاحب الغيرة فهو إما أن يفرط فيهافيخرج عن القانون الصحيح فيغار لا- من موجب بل بالوهم وبالخيال وبالوسواس وإما أن يفرط فلايبحث عن حال نسائه و لايبالى ماصنعن وكلا الأمرين مذموم والمحمود الاعتدال . و من كلام بعض الحكماء إذاصح العقل التحم بالأدب كالتحام الطعام بالجسد الصحيح و إذامرض العقل نبا عنه مايستمع من الأدب كمايقىء الممعود ماأكل من الطعام فلو آثر الجاهل أن يتعلم شيئا من الأدب لتحول ذلك الأدب جهلا كمايتحول ماخالط جوف المريض من طيب الطعام داء [صفحه ۲۱۷]

۶۹

إِذَا تَمّ العَقلُ نَقَصَ الكَلَامُ قدسبق القول فى هذاالمعنى . و كان يقال إذارأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقربوا منه فإنه يلقى الحكمة [صفحه ۲۱۸]

۷۰

الدّهرُ يُخلِقُ الأَبدَانَ وَ يُجَدّدُ الآمَالَ وَ يُقَرّبُ المَنِيّةَ وَ يُبَاعِدُ الأُمنِيّةَ مَن ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ وَ مَن فَاتَهُ تَعِبَ قدسبق لنا قول طويل عريض فى ذكر الدهر والدنيا ونذكر الآن شيئا آخر قال بعض الحكماء الدنيا تسر لتغر وتفيد لتكيد كم راقد فى ظلها قدأيقظته وواثق بها قدخذلته بهذا الخلق عرفت و على هذاالشرط صوحبت . وكتب الإسكندر إلى أرسطوطاليس عظنى فكتب إليه إذاصفت لك السلامة فجدد ذكر العطب و إذااطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف و إذابلغت نهاية الأمل فاذكر الموت و إذاأحببت نفسك فلاتجعل لها نصيبا فى الإساءة و قال شاعر فأحسن كأنك لم تسمع بأخبار من مضى || و لم تر بالباقين ماصنع الدهر فإن كنت لاتدرى فتلك ديارهم || عفاها محال الريح بعدك والقطر وهل أبصرت عيناك حيا بمنزل || على الدهر إلابالعراء له قبر فلاتحسبن الوفر مالا جمعته || ولكن ماقدمت من صالح وفر [صفحه ۲۱۹] مضى جامعوا الأموال لم يتزودوا || سوى الفقر يابؤسى لمن زاده الفقر فحتام لاتصحو و قدقرب المدى || وحتام لاينجاب عن قلبك السكر بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا || وتذكر قولى حين لاينفع الذكر و ما بين ميلاد الفتى ووفاته || إذاانتصح الأقوام أنفسهم عمر لأن ألذى يأتيه شبه ألذى

مضى || و ما هو إلاوقتك الضيق النزر فصبرا على الأيام حتى تجوزها || فعما قليل بعدها يحمد الصبر [صفحه ۲۲۰]

۷۱

مَن نَصَبَ نَفسَهُ لِلنّاسِ إِمَاماً فَعَلَيهِ أَن يَبدَأَ بِتَعلِيمِ نَفسِهِ قَبلَ تَعلِيمِ غَيرِهِ وَ ليَكُن تَأدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبلَ تَأدِيبِهِ بِلِسَانِهِ وَ مُعَلّمُ نَفسِهِ وَ مُؤَدّبُهَا أَحَقّ بِالإِجلَالِ مِن مُعَلّمِ النّاسِ وَ مُؤَدّبِهِم الفروع تابعة للأصول فإذا كان الأصل معوجا استحال أن يكون الفرع مستقيما كما قال صاحب المثل وهل يستقيم الظل والعود أعوج فمن نصب نفسه للناس إماما و لم يكن قدعلم نفسه ماانتصب ليعلمه الناس كان مثل من نصب نفسه ليعلم الناس الصياغة والنجارة و هو لايحسن أن يصوغ خاتما و لاينجر لوحا و هذانوع من السفه بل هوالسفه كله ثم قال ع وينبغي أن يكون تأديبه لهم بفعله وسيرته قبل تأديبه لهم بلسانه و ذلك لأن الفعل أدل على حال الإنسان من القول . ثم قال ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم و هذاحق لأن من علم نفسه محاسن الأخلاق أعظم قدرا ممن تعاطى تعليم الناس ذلك و هو غيرعامل بشيء منه فأما من علم نفسه وعلم الناس فهو أفضل وأجل ممن اقتصر على تعليم نفسه فقط لاشبهة في ذلك [صفحه ۲۲۱]

۷۲

نَفَسُ المَرءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ وجدت هذه الكلمة منسوبة إلى عبد الله بن المعتز في فصل أوله الناس وفد البلاء وسكان الثرى وأنفاس الحي خطاه إلى أجله وأمله خادع له عن عمله والدنيا أكذب واعديه والنفس أقرب أعاديه والموت ناظر إليه ومنتظر فيه أمرا يمضيه فلاأدري هل هي لابن المعتز أم أخذها من أمير المؤمنين ع . والظاهر أنها لأمير المؤمنين ع فإنها بكلامه أشبه ولأن الرضي قدرواها عنه وخبر العدل معمول به [صفحه ۲۲۲]

۷۳

كُلّ مَعدُودٍ مُنقَضٍ وَ كُلّ مُتَوَقّعٍ آتٍ الكلمة الأولى تؤكد مذهب جمهور المتكلمين في أن العالم كله لابد أن ينقضي ويفنى ولكن المتكلمين الذاهبين إلى هذاالقول لايقولون يجب أن يكون فانيا ومنقضيا لأنه معدود فإن ذلك لايلزم و من الجائز أن يكون معدودا و لايجب فناؤه ولهذا قال أصحابنا إنما علمنا أن العالم يفنى عن طريق السمع لا من طريق العقل فيجب أن يحمل كلام أمير المؤمنين ع على مايطابق ذلك و هو أنه ليس يعني أن العدد علة في وجوب الانقضاء كمايشعر به ظاهر لفظه و هو ألذي يسميه أصحاب أصول الفقه إيماء وإنما مراده كل معدود فاعلموا أنه فان ومنقض فقد حكم على كل معدود بالانقضاء حكما مجردا عن العلة كما لوقيل زيد قائم ليس يعني أنه قائم لأنه يسمى زيدا.فأما قوله و كل متوقع آت فيماثله قول العامة في أمثالها لوانتظرت القيامة لقامت والقول في نفسه حق لأن العقلاء لاينتظرون مايستحيل وقوعه وإنما ينتظرون مايمكن وقوعه و ما لابد من وقوعه فقد صح أن كل منتظر سيأتي [صفحه ۲۲۳]

۷۴

إِنّ الأُمُورَ إِذَا اشتَبَهَت اعتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوّلِهَا روى إذااستبهمت والمعنى واحد و هوحق و ذلك أن المقدمات تدل على النتائج

والأسباب تدل على المسببات وطالما كان الشيئان ليسا علة ومعلولا وإنما بينهما أدنى تناسب فيستدل بحال أحدهما على حال الآخر و إذا كان كذلك واشتبهت أمور على العاقل الفطن و لم يعلم إلى ماذا تئول فإنه يستدل على عواقبها بأوائلها و على خواتمها بفواتحها كالرعية ذات السلطان الركيك الضعيف السياسة إذاابتدأت أمور مملكته تضطرب واستبهم على العاقل كيف يكون الحال فى المستقبل فإنه يجب عليه أن يعتبر أواخرها بأوائلها ويعلم أنه سيفضى أمر ذلك الملك إلى انتشار وانحلال فى مستقبل الوقت لأن الحركات الأولى منذرة بذلك وواعدة بوقوعه و هذاواضح [صفحه ۲۲۴]

۷۵

وَ مِن خَبَرِ ضِرَارِ بنِ ضَمرَةَ الضّبَابِيّ عِندَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَ مَسأَلَتِهِ لَهُ عَن أَمِيرِ المُؤمِنِينَ ع قَالَ فَأَشهَدُ لَقَد رَأَيتُهُ فِي بَعضِ مَوَاقِفِهِ وَ قَد أَرخَى اللّيلُ سُدُولَهُ وَ هُوَ قَائِمٌ فِي مِحرَابِهِ قَابِضٌ عَلَى لِحيَتِهِ يَتَمَلمَلُ تَمَلمُلَ السّلِيمِ وَ يَبكِي بُكَاءَ الحَزِينِ وَ هُوَ يَقُولُ يَا دُنيَا يَا دُنيَا إِلَيكِ عنَيّ أَ بيِ تَعَرّضتِ أَم إلِيَّ تَشَوّقتِ لَا حَانَ حِينُكِ هَيهَاتَ غرُيّ غيَريِ لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَد طَلّقتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجعَةَ فِيهَا فَعَيشُكِ قَصِيرٌ وَ خَطَرُكِ يَسِيرٌ وَ أَمَلُكِ حَقِيرٌ آهِ مِن قِلّةِ الزّادِ وَ طُولِ الطّرِيقِ وَ بُعدِ السّفَرِ وَ عَظِيمِ المَورِدِ السدول جمع سديل و هو ماأسدل على الهودج ويجوز فى جمعه أيضا أسدال وسدائل و هوهاهنا استعارة والتململ والتملل أيضا عدم الاستقرار من المرض كأنه على ملة وهى الرماد الحار. والسليم الملسوع . ويروى تشوقت بالقاف . و قوله لاحان حينك دعاء عليها أى لاحضر وقتك كماتقول لاكنت [صفحه ۲۲۵] فأما ضرار بن ضمرة فإن الرياشي روى خبره ونقلته أنا من كتاب عبد الله بن إسماعيل بن أحمدالحلبى فى التذييل على نهج البلاغة قال دخل ضرار على معاوية و كان ضرار من صحابة على ع فقال له معاوية ياضرار صف لى عليا قال أ وتعفينى قال لاأعفيك قال ماأصف منه كان و الله شديد القوى بعيد المدى يتفجر العلم من أنحائه والحكمة من أرجائه حسن المعاشرة سهل المباشرة خشن المأكل قصير الملبس غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه و كان فينا كأحدنا يجيبنا إذاسألنا ويبتدئنا إذاسكتنا ونحن مع تقريبه لنا أشد ما يكون صاحب لصاحب هيبة لانبتدئه الكلام لعظمته يحب المساكين ويقرب أهل الدين وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ... وتمام الكلام مذكور فى الكتاب . و ذكر أبوعمر بن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب هذاالخبر فقال حدثنا عبد الله بن محمد بن يوسف قال حدثنايحيى بن مالك بن عائد قال حدثنا أبو الحسن محمد بن محمد بن مقلة البغدادى بمصر و حدثنا أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد قال حدثناالعكلى عن الحرمازى عن رجل من همدان قال قال معاوية لضرار الضبابى ياضرار صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال أماإذ لابد من وصفه فكان و الله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته و كان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ماقصر و من الطعام ماخشن كان فينا كأحدنا يجيبنا إذاسألناه وينبئنا إذااستفتيناه ونحن و الله -روايت-۱-۲-روايت-۲۸۰-ادامه دارد [صفحه ۲۲۶] مع تقريبه إيانا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبة له يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لايطمع القوى فى باطله و لاييئس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه و قدأرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين و يقول يادنيا غرى غيرى أبى تعرضت أم إلى تشوقت هيهات هيهات قدباينتك ثلاثا لارجعة لى فيهافعمرك قصير وخطرك حقير آه من قلة الزاد و بعدالسفر ووحشة الطريق فبكى معاوية و قال رحم الله أباحسن كان و الله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها -روايت-از قبل-۵۴۸ [صفحه ۲۲۷]

وَ مِن كَلَامِهِ ع لِلسّائِلِ الشّامِيّ لَمّا سَأَلَهُ أ كَانَ مَسِيرُنَا إِلَى الشّام بِقَضَاءٍ مِنَ اللّهِ وَ قَدَرِهِ بَعدَ كَلَام طَوِيلٍ هَذَا مُختَارُهُ وَيحَكَ لَعَلّكَ ظَنَنتَ قَضَاءً لَازِماً وَ قَدَراً حَاتِماً لَو كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثّوَابُ وَ العِقَابُ وَ سَقَطَ الوَعدُ وَ الوَعِيدُ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخيِيراً وَ نَهَاهُم تَحذِيراً وَ كَلّفَ يَسِيراً وَ لَم يُكَلّف عَسِيراً وَ أَعطَى عَلَى القَلِيلِ كَثِيراً وَ لَم يُعصَ مَغلُوباً وَ لَم يُطَع مُكرِهاً وَ لَم يُرسِلِ الأَنبِيَاءَ لَعِباً وَ لَم يُنزِلِ الكُتُبَ لِلعِبَادِ عَبَثاً وَ لَا خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَ الأَرضَ وَ مَا بَينَهُمَا بَاطِلًاذلِكَ ظَنّ الّذِينَ كَفَرُوا فَوَيلٌ لِلّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ -قرآن-۶۵۳-۷۲۰ قدذكر شيخنا أبو الحسين رحمه الله هذاالخبر فى كتاب الغرر ورواه عن الأصبغ بن نباتة قال قام شيخ إلى على ع فقال أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أ كان بقضاء الله وقدره فقال و ألذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماوطئنا موطئا و لاهبطنا واديا إلابقضاء الله وقدره فقال الشيخ فعند الله أحتسب عنائى ماأرى لى من الأجر شيئا فقال مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم فى مسيركم وأنتم سائرون و فى منصرفكم وأنتم منصرفون و لم تكونوا فى شيء من حالاتكم مكرهين -روايت-۱-۲-روايت-۹۴-ادامه دارد [صفحه ۲۲۸] و لاإليها مضطرين فقال الشيخ وكيف القضاء والقدر ساقانا فقال ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهى و لم تأت لائمة من الله لمذنب و لامحمدة لمحسن و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء و لاالمسيء أولى بالذم من المحسن تلك مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور و أهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله سبحانه أمر تخييرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا و لم يعص مغلوبا و لم يطع مكرها و لم يرسل الرسل إلى خلقه عبثا و لم يخلق السماوات و الأرض و مابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ماسرنا إلابهما فقال هوالأمر من الله والحكم ثم تلا قوله سبحانه وَ قَضى رَبّكَ أَلّا تَعبُدُوا إِلّا إِيّاهُفنهض الشيخ مسرورا و هو يقول -روايت-از قبل-۸۰۳ أنت الإمام ألذى نرجو بطاعته || يوم النشور من الرحمن رضوانا أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا || جزاك ربك عنا فيه إحسانا .ذكر ذلك أبو الحسين فى بيان أن القضاء والقدر قد يكون بمعنى الحكم والأمر و أنه من الألفاظ المشتركة [صفحه ۲۲۹]

۷۷

خُذِ الحِكمَةَ أَنّى كَانَت فَإِنّ الحِكمَةَ تَكُونُ فِي صَدرِ المُنَافِقِ فَتَلَجلَجُ فِي صَدرِهِ حَتّى تَخرُجَ فَتَسكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدرِ المُؤمِنِ قَالَ الرضّيِ رَحِمَهُ اللّهِ تَعَالَى وَ قَد قَالَ عَلِيّ ع فِي مِثلِ ذَلِكَ الحِكمَةُ ضَالّةُ المُؤمِنِ فَخُذِ الحِكمَةَ وَ لَو مِن أَهلِ النّفَاقِ خطب الحجاج فقال إن الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مئونة الدنيا فليتنا كفينا مئونة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا.فسمعها الحسن فقال هذه ضالة المؤمن خرجت من قلب المنافق . و كان سفيان الثورى يعجبه كلام أبى حمزة الخارجى و يقول ضالة المؤمن على لسان المنافق تقوى الله أكرم سريرة وأفضل ذخيرة منها ثقة الواثق وعليها مقة الوامق ليعمل كل امرئ فى مكان نفسه و هورخى اللبب طويل السبب ليعرف ممد يده وموضع قدمه وليحذر الزلل والعلل المانعة من العمل رحم الله عبدا آثر التقوى واستشعر شعارها واجتنى ثمارها باع دار البقاء بدار الآباد الدنيا كروضة يونق مرعاها وتعجب من رآها تمج عروقها الثرى وتنطف فروعها بالندى حتى إذابلغ العشب إناه وانتهى الزبرج منتهاه ضعف العمود وذوى العود وتولى من الزمان ما لايعود فحتت الرياح الورق وفرقت ما كان اتسق فأصبحت هشيما وأمست رميما [صفحه ۲۳۰]

۷۸

قِيمَةُ كُلّ امرِئٍ مَا يُحسِنُهُ قال الرضى رحمه الله تعالى و هذه الكلمة التى لاتصاب لها قيمة و لاتوزن بهاحكمة و لاتقرن إليها

کلمهٔ –روایت–۱–۱۰۷ قدسلف لنا فی فضل العلم أقوال شافیهٔ ونحن نذکر هاهنا نکتا أخری .یقال إن من کلام أردشیر بن بابک فی رسالته إلی أبناء الملوک بحسبکم دلالهٔ علی فضل العلم أنه ممدوح بکل لسان یتزین به غیرأهله ویدعیه من لایلصق به قال وبحسبکم دلالهٔ علی عیب الجهل أن کل أحد ینتفی منه ویغضب أن یسمی به . وقیل لأنوشروان مابالکم لاتستفیدون من العلم شیئا إلازادکم ذلک علیه حرصا قال لأنا لانستفید منه شیئا إلاازددنا به رفعهٔ وعزا وقیل له مابالکم لاتأنفون من التعلم من کل أحد قال لعلمنا بأن العلم نافع من حیث أخذ. وقیل لبزرجمهر بم أدرکت ماأدرکت من العلم قال ببکور کبکور الغراب وحرص کحرص الخنزیر وصبر کصبر الحمار. وقیل له العلم أفضل أم المال فقال العلم قیل فما بالنا نری أهل العلم علی [صفحه ۲۳۱] أبواب أهل المال أکثر مما نری أصحاب الأموال علی أبواب العلماء قال ذاک أیضا عائد إلی العلم والجهل وإنما کان کمارأیتم لعلم العلماء بالحاجهٔ إلی المال وجهل أصحاب المال بفضیلهٔ العلم . و قال الشاعر تعلم فلیس المرء یخلق عالما || و لیس أخو علم کمن هوجاهل و إن کبیر القوم لاعلم عنده || صغیر إذاالتفت علیه المحافل [صفحه ۲۳۲]

۷۹

أُوصِیکُم بِخَمسٍ لَو ضَرَبتُم إِلَیهَا آبَاطَ الإِبِلِ لَکَانَت لِذَلِکَ أَهلًا لَا یَرجُوَنّ أَحَدٌ مِنکُم إِلّا رَبّهُ وَ لَا یَخَافَنّ إِلّا ذَنبَهُ وَ لَا یَستَحِیَنّ أَحَدٌ مِنکُم إِذَا سُئِلَ عَمّا لَا یَعلَمُ أَن یَقُولَ لَا أَعلَمُ وَ لَا یَستَحِیَنّ أَحَدٌ إِذَا لَم یَعلَم الشیّءَ أَن یَتَعَلّمَهُ وَ عَلَیکُم بِالصّبرِ فَإِنّ الصّبرَ مِنَ الإِیمَانِ کَالرّأسِ مِنَ الجَسَدِ وَ لَا خَیرَ فِی جَسَدٍ لَا رَأسَ مَعَهُ وَ لَا خَیرَ فِی إِیمَانٍ لَا صَبرَ مَعَهُ قدتقدم الکلام فی جمیع الحکم المنطوی علیها هذاالفصل و قال أبوالعتاهیهٔ و الله لاأرجو سواک || و لاأخاف سوی ذنوبی فاغفر ذنوبی یارحیم || فأنت ستار العیوب . و کان یقال من استحیا من قول لاأدری کان کمن یستحیی من کشف رکبته ثم یکشف سوءته و ذلک لأن من امتنع من قول لاأدری وأجاب بالجهل والخطإ فقد واقع مایجب فی الحقیقهٔ أن یستحیا منه وکف عما لیس بواجب أن یستحیا منه فکان شبیها بما ذکرناه فی الرکبهٔ والعورهٔ. و کان یقال یحسن بالإنسان التعلم مادام یقبح منه الجهل و کمایقبح منه الجهل مادام حیا کذلک یحسن به التعلم مادام حیا. و أماالصبر فقد سبق فیه کلام مقنع وسیأتی فیما بعدجملهٔ من ذلک [صفحه ۲۳۳]

۸۰

وَ قَالَ ع لِرَجُلٍ أَفرَطَ فِی الثّنَاءِ عَلَیهِ وَ کَانَ لَهُ مُتّهِماً أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَ فَوقَ مَا فِی نَفسِکَ قدسبق منا قول مقنع فی کراهیهٔ مدح الإنسان فی وجهه . و کان عمر جالسا وعنده الدرهٔ إذ أقبل الجارود العبدی فقال رجل هذاالجارود سید ربیعهٔ فسمعها عمر و من حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرهٔ فقال ما لی و لک یا أمیر المؤمنین قال ما لی و لک أمالقد سمعتها قال و ماسمعتها فمه قال لیخالطن قلبک منها شیء و أناأحب أن أطأطئ منک . وقالت الحکماء إنه یحدث للممدوح فی وجهه أمران مهلکان أحدهما الإعجاب بنفسه والثانی إذاأثنی علیه بالدین أوالعلم فتر وقل اجتهاده ورضی عن نفسه ونقص تشمیره وجده فی طلب العلم والدین فإنه إنما یتشمر من رأی نفسه مقصرا فأما من أطلقت الألسن بالثناء علیه فإنه یظن أنه قدوصل وأدرک فیقل اجتهاده ویتکل علی ما قدحصل له عند الناس ولهذا قال النبی ص لمن مدح –روایت–۱–۲ [صفحه ۲۳۴] إنسانا کاد یسمعه ویحک قطعت عنق صاحبک لوسمعها لماأفلح –روایت–۲۱–۶۲ .فأما قوله ع له وفوق ما فی نفسک فإنه إنما أراد أن ینبهه علی أنه قدعرف أنه کان یقع فیه وینحرف عنه وإنما أراد تعریفه ذلک لمارآه من المصلحهٔ إما لظنه أنه یقلع عما کان یذمه به أولیعلمه بتعریفه أنه قدعرف ذلک أولیخوفه ویزجره أولغیر ذلک [صفحه ۲۳۵]

۸۱

بَقِيّةُ السّـيفِ أَنمَى عَدَداً وَ أَكثَرُ وَلَداً قال شـيخنا أبوعثمان ليته لماذكر الحكم ذكر العلة. ثم قال قدوجدنا مصداق قوله فی أولاده وأولاد الزبير وبنی المهلب وأمثالهم ممن أسـرع القتل فيهم . وأتی زياد بامرأة من الخوارج فقال لها أما و الله لأحصـدنكم حصدا ولأفنينكم عـدا فقالت كلا إن القتل ليزرعنا فلما هم بقتلها تسترت بثوبها فقال اهتكوا سترها لحاها الله فقالت إن الله لايهتك ستر أوليائه ولكن التی هتك سترها علی يد ابنها سمية فقال عجلوا قتلها أبعدها الله فقتلت [صفحه ۲۳۶]

۸۲

مَن تَرَكَ قَولَ لَا أدَرِي أُصِيبَت مَقَاتِلُهُ جاءت امرأة إلی بزرجمهر فسألته عن مسألة فقال لاأدری فقالت أيعطيك الملك كل سنة كـذا كـذا وتقول لاأدری فقـال إنمـا يعطينی الملك علی ماأدری و لوأعطانی علی ما لاأدری لماكفانی بيت ماله . و كان يقول قول لاأعلم نصف العلم . و قال بعض الفضـلاء إذا قال لنا إنسان لاأدری علمناه حتی يدری و إن قال أدری امتحناه حتی لايدری [صفحه ۲۳۷]

۸۳

رأَيُ الشّـيخِ أَحَبّ إلِيَ‌ّ مِن جَلَدِ الغُلَامِ وَ يُروَی مِن مَشـهَدِ الغُلَامِ إنما قال كـذلك لأن الشـيخ كثير التجربة فيبلغ من العدو برأيه ما لايبلغ بشـجاعته الغلام الحـدث غيرالمجرب لأنه قـديغرر بنفسه فيهلك ويهلك أصـحابه و لاريب أن الرأی مقدم علی الشـجاعة ولـذلك قـال أبوالطيب الرأی قبل شـجاعة الشـجعان || هوأول وهی المحل الثانی فإذاهما اجتمعا لنفس مرة || بلغت من العلياء كل مكان ولربما طعن الفتی أقرانه || بالرأی قبل تطاعن الأقران لو لاالعقول لكان أدنی ضـيغم || أدنی إلی شرف من الإنسان و لماتفاضـلت الرجـال ودبرت || أيـدی الكماة عوالی المران . و من وصايا أبرويز إلی ابنه شـيرويه لاتسـتعمل علی جيشك غلاما غمرا ترفا قـدكثر إعجابه بنفسه و قلت تجاربه فی غيره و لاهرما كبيرا مـدبرا قدأخـذ الـدهر من عقله كماأخذت السن من جسـمه وعليـك بـالكهول ذوی الرأی. [صـفحه ۲۳۸] و قـال لقيـط بـن يعمر الإيـادی فی هـذاالمعنی وقلـدوا أمركم لله دركم || رحب الـذراع بأمر الحرب مضـطلعا لامترفا إن رخاء العيش ساعـده || و لا إذاعض مكروه به خشـعا مازال يحلب هذاالـدهر أشـطره || يكون متبعا طورا ومتبعا حتی استمر علی شزر مريرته || مستحكم الرأی لاقحما و لاضرعا [صفحه ۲۳۹]

۸۴

عَجِبتُ لِمَن يَقنَطُ وَ مَعَهُ الِاستِغفَارُ قالوا الاسـتغفار حوارس الـذنوب . و قال بعضـهم العبد بين ذنب ونعمة لايصـلحهما إلاالشـكر والاسـتغفار. و قال الربيع بن خثعم لايقولن أحدكم أسـتغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنبا وكذبا إن لم يفعل ولكن ليقل أللهم اغفر لی وتب علی . و قـال الفضـيل الاسـتغفار بلا إقلاع توبـة الكـذابين . وقيل من قـدم الاسـتغفار علی النـدم كان مسـتهزئا بالله و هو لايعلم [صفحه ۲۴۰]

۸۵

وَ حَكَى عَنهُ أَبُو جعفرٍ مُحَمّدُ بنُ عَلِيّ البَاقِرُ ع أَنّهُ كَانَ ع قَالَ كَانَ فِي الأَرضِ أَمَانَانِ مِن عَذَابِ اللّهِ وَ قَد رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ الآخَرَ فَتَمَسّكُوا بِهِ أَمّا الأَمَانُ ألّذِى رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللّهِص وَ أَمّا الأَمَانُ البَاقِي فَالِاستِغفَارُ قَالَ اللّهُ تَعَالَيَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذّبَهُم وَ أَنتَ فِيهِم وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذّبَهُم وَ هُم يَستَغفِرُونَ -قرآن-۳۱۸-۴۱۵ قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا من محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط -روايت-۱-۷۷ قال قوم من المفسرين وَ هُم يَستَغفِرُونَ فى موضع الحال والمراد نفى الاستغفار عنهم أى لوكانوا ممن يستغفرون لماعذبهم و هذامثل قوله تعالى وَ ما كانَ رَبّكَ لِيُهلِكَ القُرى بِظُلمٍ وَ أَهلُها مُصلِحُونَفكأنه قال لكنهم لايستغفرون فلاانتفاء للعذاب عنهم . و قال قوم معناه و ما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفروهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ص من المستضعفين . -قرآن-۲۳-۴۲-قرآن-۱۴۸-۲۱۱ [صفحه ۲۴۱] ثم قال وَ ما لَهُم أَلّا يُعَذّبَهُمُ اللّهُ أى ولأى سبب لايعذبهم الله مع وجود مايقتضى العذاب و هوصدهم المسلمين والرسول عن البيت فى عام الحديبية و هذايدل على أن ترتيب القرآن ليس على ترتيب الوقائع والحوادث لأن سورة الأنفال نزلت عقيب وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة وصد الرسول ص عن البيت كان فى السنة السادسة فكيف يجعل آية نزلت فى السنة السادسة فى سورة نزلت فى السنة الثانية. و فى القرآن كثير من ذلك وإنما رتبه قوم من الصحابة فى أيام عثمان -قرآن-۱۰-۴۶ [صفحه ۲۴۲]

۸۶

مَن أَصلَحَ مَا بَينَهُ وَ بَينَ اللّهِ أَصلَحَ اللّهُ مَا بَينَهُ وَ بَينَ النّاسِ وَ مَن أَصلَحَ أَمرَ آخِرَتِهِ أَصلَحَ اللّهُ أَمرَ دُنيَاهُ وَ مَن كَانَ لَهُ مِن نَفسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيهِ مِنَ اللّهِ حَافِظٌ مثل الكلمة الأولى قولهم رضا المخلوقين عنوان رضا الخالق و جاء فى الحديث المرفوع ما من وال رضى الله عنه إلاأرضى عنه رعيته -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۷۴ . ومثل الكلمة الثانية دعاء بعضهم فى قوله أناشاكر أنامادح أناحامد || أناخائف أناجائع أناعار هى ستة و أناالضمين بنصفها || فكن الضمين بنصفها يابارى . ومثل الكلمة الثالثة قوله تعالى إِنّ اللّهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وَ الّذِينَ هُم مُحسِنُونَ -قرآن-۳۶-۹۵ [صفحه ۲۴۳]

۸۷

الفَقِيهُ كُلّ الفَقِيهِ مَن لَم يُقَنّطِ النّاسَ مِن رَحمَةِ اللّهِ وَ لَم يُؤيِسهُم مِن رَوحِ اللّهِ وَ لَم يُؤمِنهُم مِن مَكرِ اللّهِ قل موضع من الكتاب العزيز يذكر فيه الوعيد إلا ويمزجه بالوعد مثل أن يقول إِنّ رَبّكَ سَرِيعُ العِقابِ ثم يقول وَ إِنّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ والحكمة تقتضى هذاليكون المكلف مترددا بين الرغبة والرهبة. ويقولون فى الأمثال المرموزة لقى موسى و هوضاحك مستبشر عيسى و هوكالح قاطب فقال عيسى ما لك كأنك آمن من عذاب الله فقال موسى ع ما لك كأنك آيس من روح الله فأوحى الله إليهما موسى أحبكما إلى شعارا فإنى عندحسن ظن عبدى بى. واعلم أن أصحابنا و إن قالوا بالوعيد فإنهم لايؤيسون أحدا و لايقنطونه من رحمة الله وإنما يحثونه على التوبة ويخوفونه إن مات من غيرتوبة وبحق ما قال شيخنا أبوالهذيل لو لامذهب الإرجاء لماعصى الله فى الأرض و هذا لاريب فيه فإن أكثر العصاة إنما يعولون على الرحمة و قداشتهر -قرآن-۷۸-۱۰۵-قرآن-۱۱۶-۱۴۲ [صفحه ۲۴۴] واستفاض بين الناس أن الله تعالى يرحم المذنبين فإنه و إن كان هناك عقاب فأوقاتا معدودة ثم يخرجون إلى الجنة والنفوس تحب الشهوات العاجلة فتهافت الناس على المعاصى وبلوغ الشهوات والمآرب معولين على ذلك فلو لاقول المرجئة وظهوره بين الناس لكان العصيان إما معدوما أوقليلا جدا [صفحه ۲۴۵]

۸۸

أَوضَعُ العِلمِ مَا وُقِفَ عَلَى اللّسَانِ وَ أَرفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِي الجَوَارِحِ وَ الأَركَانِ هذاحق لأن العالم إذا لم يظهر من علمه إلاالقلقة لسانه من غير أن تظهر منه العبادات كان عالما ناقصا فأما إذا كان يفيد الناس بألفاظه ومنطقه ثم يشاهده الناس على قدم عظيمة من العبادة فإن النفع يكون به عاما تاما و ذلک لأن الناس يقولون لو لم يكن يعتقد حقيقة مايقوله لماأدأب نفسه هذاالدأب . و أماالأول فيقولون فيه كل مايقوله نفاق وباطل لأنه لو كان يعتقد حقيقة ما يقول لأخذ به ولظهر ذلک فی حركاته فيقتدون بفعله لابقوله فلايشتغل أحد منهم بالعبادة و لايهتم بها [صفحه ۲۴۶]

۸۹

إِنّ هَذِهِ القُلُوبَ تَمَلّ كَمَا تَمَلّ الأَبدَانُ فَابتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكمَةِ لو قال إنها تمل كماتمل الأبدان فأحمضوا كمانقل عن غيره لحمل ذلک على أنه أراد نقلها إلى الفكاهات والأخبار والأشعار ولكنه لم يقل ذلک ولكن قال فابتغوا لها طرائف الحكمة فوجب أن يحمل كلامه ع على أنه أراد أن القلوب تمل من الأنظار العقلية فی البراهين الكلامية على التوحيد والعدل فابتغوا لها عندملالها طرائف الحكمة أی الأمثال الحكمية الراجعة إلى الحكمة الخلقية كمانحن ذاكروه فی كثير من فصول هذاالباب مثل مدح الصبر والشجاعة والزهد والعفة وذم الغضب والشهوة والهوى و مايرجع إلى سياسة الإنسان نفسه وولده ومنزله وصديقه وسلطانه ونحو ذلک فإن هذاعلم آخر وفن آخر لاتحتاج القلوب فيه إلى فكر واستنباط فتتعب وتكل بترادف النظر والتأمل عليها و فيه أيضا لذة عظيمة للنفس . و قدجاء فی إجمام النفس كثير. قال بعضهم روحوا القلوب برواتع الذكر. [صفحه ۲۴۷] و عن سلمان الفارسی أناأحتسب نومتی كماأحتسب قومتی -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۵۷ و قال عمر بن عبدالعزيز إن نفسی راحلتی إن كلفتها فوق طاقتها انقطعت بی. و قال بعضهم روحوا الأذهان كماتروحوا الأبدان . و قال أردشير بن بابک إن للآذان مجة وللقلوب ملة ففرقوا بين الحكمتين بلهو يكن ذلک استجماما [صفحه ۲۴۸]

۹۰

لَا يَقُولَنّ أَحَدُكُم أللّهُمّ إنِیّ أَعُوذُ بِکَ مِنَ الفِتنَةِ لِأَنّهُ لَيسَ أَحَدٌ إِلّا وَ هُوَ مُشتَمِلٌ عَلَى فِتنَةٍ وَ لَكِن مَنِ استَعَاذَ فَليَستَعِذ مِن مُضِلّاتِ[مَضَلّاتِ]الفِتَنِ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ يَقُولُ وَ اعلَمُوا أَنّما أَموالُكُم وَ أَولادُكُم فِتنَةٌ وَ مَعنَى ذَلِکَ أَنّهُ سُبحَانَهُ يَختَبِرُ عِبَادَهُ بِالأَموَالِ وَ الأَولَادِ لِيَتَبَيّنَ السّاخِطَ لِرِزقِهِ وَ الرّاضِيَ بِقِسمِهِ وَ إِن كَانَ سُبحَانَهُ أَعلَمَ بِهِم مِن أَنفُسِهِم وَ لَكِن لِتَظهَرَ الأَفعَالُ التّيِ بِهَا يُستَحَقّ الثّوَابُ وَ العِقَابُ لِأَنّ بَعضَهُم يُحِبّ الذّكُورَ وَ يَكرَهُ الإِنَاثَ وَ بَعضَهُم يُحِبّ تَثمِيرَ المَالِ وَ يَكرَهُ انثِلَامَ الحَالِ -قرآن-۲۳۰-۲۸۰ قال الرضی رحمه الله تعالى و هذا من غريب ماسمع منه ع فی التفسير -روايت-۱-۷۳ الفتنة لفظ مشترک فتارة تطلق على الجائحة والبلية تصيب الإنسان تقول قدافتتن زيد وفتن فهو مفتون إذاأصابته مصيبة فذهب ماله أوعقله أونحو ذلک قال تعالى إِنّ الّذِينَ فَتَنُوا المُؤمِنِينَ وَ المُؤمِناتِيعنی الذين عذبوهم بمكة ليرتدوا عن الإسلام وتارة تطلق على الاختبار والامتحان يقال فتنت الذهب إذاأدخلته النار لتنظر ماجودته ودينار مفتون وتارة تطلق على الإحراق قال تعالى -قرآن-۱۶۱-۲۱۰ [صفحه ۲۴۹] يَومَ هُم عَلَى النّارِ يُفتَنُونَ وورق مفتون أی فضة محرقة ويقال للحرة فتين كأن حجارتها محرقة وتارة تطلق على الضلال يقال رجل فاتن ومفتن أی مضل عن الحق جاء ثلاثيا ورباعيا قال تعالى ما أَنتُم عَلَيهِ بِفاتِنِينَ إِلّا مَن هُوَ صالِ الجَحِيمِ أی بمضلين وقرأ قوم مفتنين فمن

قال إنی أعوذ بک من الفتنة وأراد الجائحة أوالإحراق أوالضلال فلابأس بذلک و إن أراد الاختبار والامتحان فغیر جائز لأن الله تعالی أعلم بالمصلحة و له أن یختبر عباده لالیعلم حالهم بل لیعلم بعض عباده حال بعض وعندی أن أصل اللفظة هوالاختبار والامتحان و أن الاعتبارات الأخری راجعة إلیها و إذاتأملت علمت صحة ماذکرناه -قرآن-۱-۳۴-قرآن-۱۹۴-۲۵۲ [صفحه ۲۵۰]

۹۱

وَ سُئِلَ عَنِ الخَیرِ مَا هُوَ فَقَالَ لَیسَ الخَیرُ[الخَیرَ] أَن یَکثُرَ مَالُکَ وَ وَلَدُکَ وَ لَکِنّ الخَیرَ أَن یَکثُرَ عِلمُکَ وَ أَن یَعظُمَ حِلمُکَ وَ أَن تبَاهیَ النّاسَ بِعِبَادَةِ رَبّکَ فَإِن أَحسَنتَ حَمِدتَ اللّهَ وَ إِن أَسَأتَ استَغفَرتَ اللّهَ وَ لَا خَیرَ فِی الدّنیَا إِلّا لِرَجُلَینِ رَجُلٍ أَذنَبَ ذُنُوباً فَهُوَ یَتَدَارَکُهَا بِالتّوبَةِ وَ رَجُلٍ یُسَارِعُ فِی الخَیرَاتِ وَ لَا یَقِلّ عَمَلٌ مَعَ التّقوَی وَ کَیفَ یَقِلّ مَا یُتَقَبّلُ قد قال الشاعر لهذا المعنی لیس السعید ألذی دنیاه تسعده || بل السعید ألذی ینجو من النار . قوله ع و لایقل عمل مع التقوی أی مع اجتناب الکبائر لأنه لو کان موقعا لکبیرة لماتقبل منه عمل أصلا علی قول أصحابنا فوجب أن یکون المراد بالتقوی اجتناب الکبائر فأما مذهب المرجئة فإنهم یحملون التقوی هاهنا علی الإسلام لأن المسلم عندهم تتقبل أعماله و إن کان مواقعا للکبائر. فإن قلت فهل یجوز حمل لفظة التقوی علی حقیقتها وهی الخوف قلت لا. أما علی مذهبنا فلأن من یخاف الله ویواقع الکبائر لاتتقبل أعماله [صفحه ۲۵۱] و أمامذهب المرجئة فلأن من یخاف الله من مخالفی ملة الإسلام لاتتقبل أعماله فثبت أنه لایجوز حمل التقوی هاهنا علی الخوف . فإن قلت من هومخالف لملة الإسلام لایخاف الله لأنه لایعرفه . قلت لانسلم بل یجوز أن یعرف الله بذاته وصفاته کمانعرفه نحن ویجحد النبوة لشبهة وقعت له فیها فلایلزم من جحد النبوة عدم معرفة الله تعالی [صفحه ۲۵۲]

۹۲

إِنّ أَولَی النّاسِ بِالأَنبِیَاءِ أَعلَمُهُم بِمَا جَاءُوا بِهِ ثُمّ تَلَا ع إِنّ أَولَی النّاسِ بِإِبراهِیمَ لَلّذِینَ اتّبَعُوهُ وَ هذَا النّبِیّ وَ الّذِینَ آمَنُواالآیَةَ ثُمّ قَالَ ع إِنّ ولَیِّ مُحَمّدٍ مَن أَطَاعَ اللّهَ وَ إِن بَعُدَت لُحمَتُهُ وَ إِنّ عَدُوّ مُحَمّدٍ مَن عَصَی اللّهَ وَ إِن قَرُبَت قَرَابَتُهُ -قرآن-۷۹-۱۶۸ هکذا الروایة أعلمهم والصحیح أعملهم لأن استدلاله بالآیة یقتضی ذلک وکذا قوله فیما بعد إن ولی محمد من أطاع الله ... إلی آخر الفصل فلم یذکر العلم وإنما ذکر العمل واللحمة بالضم النسب والقرابة و هذامثل الحدیث المرفوع ایتونی بأعمالکم و لاتأتونی بأنسابکم إن أکرمکم عند الله أتقاکم -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۸۷ فی الحدیث الصحیح یافاطمة بنت محمدإنی لاأغنی عنک من الله شیئا -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۷۲ قال رجل لجعفر بن محمد ع أرأیت قوله ص إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذریتها علی النار أ لیس هذاأمانا لکل فاطمی فی الدنیا فقال إنک لأحمق إنما أراد حسنا وحسینا لأنهما من لحمة أهل البیت فأما من عداهما فمن قعد به عمله لم ینهض به نسبه -روایت-۱-۲۴۹ [صفحه ۲۵۳]

۹۳

وَ سَمِعَ ع رَجُلًا مِنَ الحَرُورِیّةِ یَتَهَجّدُ وَ یَقرَأُ فَقَالَ نَومٌ عَلَی یَقِینٍ خَیرٌ مِن صَلَاةٍ عَلَی شَکّ هذانهی عن التعرض للعبادة مع الجهل بالمعبود کمایصنع الیوم کثیر من الناس ویظنون أنهم خیر الناس والعقلاء الألباء من الناس یضحکون منهم ویستهزءون بهم والحروریة الخوارج و قدسبق القول فیهم و فی نسبتهم إلی حروراء. یقول ع ترک التنفل بالعبادات مع سلامة العقیدة الأصلیة

خير من الاشتغال بالنوافل وأوراد الصلاة مع عدم العلم و هوالمعنى بقوله فى شک فإذا کان عدم التنفل خيرا من التنفل مع الشک فهو مع الجهل المحض و هوالاعتقاد الفاسد أولى بأن يکون [صفحه ۲۵۴]

۹۴

اعقِلُوا الخَبَرَ إِذَا سَمِعتُمُوهُ عَقلَ رِعَايَةٍ لَا عَقلَ رِوَايَةٍ فَإِنّ رُوَاةَ العِلمِ كَثِيرٌ وَ رُعَاتَهُ قَلِيلٌ نهاهم ع عن أن يقتصروا إذاسمعوا منه أو من غيره أطرافا من العلم والحکمة على أن يرووا ذلک رواية کمايفعله اليوم المحدثون و کمايقرأ أکثر الناس القرآن دراسة و لايدرى من معانيه إلااليسير. وأمرهم أن يعقلوا مايسمعونه عقل رعاية أى معرفة وفهم . ثم قال لهم إن رواة العلم کثير ورعاته قليل أى من يراعيه ويتدبره وصدق ع [صفحه ۲۵۵]

۹۵

وَ قَالَ ع وَ قَد سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُإِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيهِ راجِعُونَ فَقَالَ إِنّ قَولَنَا إِنّا لِلّهِ إِقرَارٌ عَلَى أَنفُسِنَا بِالمُلكِ وَ قَولَنَا وَ إِنّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ إِقرَارٌ عَلَى أَنفُسِنَا بِالهُلكِ -قرآن-۴۲-۸۰ قوله إنا لله اعتراف بأنا مملوکون لله وعبيد له لأن هذه اللام لام التمليک کماتقول الدار لزيد فأما قوله وإنا إليه راجعون فهو إقرار واعتراف بالنشور والقيامة لأن هذا هومعنى الرجوع إليه سبحانه واقتنع أمير المؤمنين عن التصريح بذلک فذکر الهلک فقال إنه إقرار على أنفسنا بالهلک لأن هلکنا مفض إلى رجوعنا يوم القيامة إليه سبحانه فعبر بمقدمة الشيء عن الشيء نفسه کمايقال الفقر الموت والحمى الموت ونحو ذلک . ويمکن أن يفسر ذلک على قول مثبتي النفس الناطقة بتفسير آخر فيقال إن النفس مادامت فى أسر تدابير البدن فهى بمعزل عن مبادئها لأنها مشتغلة مستغرقة بغير ذلک فإذامات البدن رجعت النفس إلى مبادئها فقوله وإنا إليه راجعون إقرار بما لايصح الرجوع بهذا التفسير إلامعه و هوالموت المعبر عنه بالهلک [صفحه ۲۵۶]

۹۶

وَ قَالَ ع وَ مَدَحَهُ قَومٌ فِي وَجهِهِ أللّهُمّ إِنّکَ أَعلَمُ بيِ مِن نفَسيِ وَ أَنَا أَعلَمُ بنِفَسيِ مِنهُم أللّهُمّ اجعلَنيِ خَيراً مِمّا يَظُنّونَ وَ اغفِر لِي مَا لَا يَعلَمُونَ قدتقدم القول فى کراهية مدح الإنسان فى وجهه و فى الحديث المرفوع إذامدحت أخاک فى وجهه فکأنما أمررت على حلقه موسى وميضة -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۳ قال أيضا لرجل مدح رجلا فى وجهه عقرت الرجل عقرک الله -روايت-۱-۶۰ قال أيضا لومشى رجل إلى رجل بسيف مرهف کان خيرا له من أن يثنى عليه فى وجهه -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۸۷ و من کلام عمر المدح هوالذبح قالوا لأن المذبوح ينقطع عن الحرکة والأعمال وکذلک الممدوح يفتر عن العمل . و يقول قدحصل فى القلوب والنفوس مااستغنى به عن الحرکة والجد. و من أمثال الفلاحين إذاطار لک صيت بين الحصادة فاکسر منجلک . [صفحه ۲۵۷] و قال مطرف بن الشخير ماسمعت من ثناء أحد على أومدحة أحد لى إلا وتصاغرت إلى نفسى و قال زياد بن أبى مسلم ليس أحد سمع ثناء أحد عليه إلا وتراءى له شيطان ولکن المؤمن يراجع . فلما ذکر کلامهما لابن المبارک قال صدقا أماقول زياد فتلک قلوب العوام و أماقول مطرف فتلک قلوب الخواص [صفحه ۲۵۸]

۹۷

وَ قَالَ ع لَا يَستَقِيمُ قَضَاءُ الحَوَائِجِ إِلّا بِثَلَاثٍ بِاستِصغَارِهَا لِتَعظُمَ وَ بِاستِكتَامِهَا لِتَظهَرَ وَ بِتَعجِيلِهَا لِتَهنُؤَ قدتقدم لنا قول مستقصى فى هذاالنحو و فى الحوائج وقضائها واستنجاحها. و قدجاء فى الحديث المرفوع استعينوا على حاجاتكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۸۴ . و قال خالد بن صفوان لا-تطلبوا الحوائج فى غيرحينها و لاتطلبوها إلى غيرأهلها و لا-تطلبوا مالستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء. و كان يقال لكل شىءأس وأس الحاجة تعجيل أروح من التأخير. و قال رجل لمحمد بن الحنفية جئتك فى حويجة قال فاطلب لها رجيلا. و قال شبيب بن شبة بن عقال أمران لايجتمعان إلاوجب النجح وهما العاقل لايسأل إلا-مايجوز والعاقل لا-يرد سائله عما يمكن . و كان يقال من استعظم حاجة أخيه إليه بعدقضائها امتنانا بهافقد استصغر نفسه . [صفحه ۲۵۹] و قال أبوتمام فى المطل و كان المطل فى بدء وعود || دخانا للصنيعة وهى نار نسيب البخل مذ كانا و إلا || يكن نسب فبينهما جوار لذلك قيل بعض المنع أدنى || إلى جود وبعض الجود عار [صفحه ۲۶۰]

۹۸

يـأَتىِ عَلَى النّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرّبُ فِيهِ إِلّا المَاحِلُ وَ لَا يُظَرّفُ فِيهِ إِلّا الفَاجِرُ وَ لَا يُضَعّفُ فِيهِ إِلّا المُنصِفُ يَعُدّونَ الصّدَقَةَ فِيهِ غُرماً وَ صِلَةَ الرّحِمِ مَنّاً وَ العِبَادَةَ استِطَالَةً عَلَى النّاسِ فَعِندَ ذَلِكَ يَكُونُ السّلطَانُ بِمَشُورَةِ الإِمَاءِ وَ إِمَارَةِ الصّبيَانِ وَ تَدبِيرِ الخِصيَانِ المحل المكر والكيد يقال محل به إذاسعى به إلى السلطان فهو ماحل ومحول والمماحلة المماكرة والمكايدة. قوله و لايظرف فيه إلاالفاجر لايعد الناس الإنسان ظريفا إلا-إذا كان خليعا ماجنا متظاهرا بالفسق . و قوله و لايضعف فيه إلاالمنصف أى إذارأوا إنسانا عنده ورع وإنصاف فى معاملته الناس عدوه ضعيفا ونسبوه إلى الركة والرخاوة و ليس الشهم عندهم إلاالظالم . ثم قال يعدون الصدقة غرما أى خسارة ويمنون إذاوصلوا الرحم [صفحه ۲۶۱] و إذاكانوا ذوى عبادة استطالوا بها على الناس وتبجحوا بها وأعجبتهم أنفسهم واحتقروا غيرهم . قال فعند ذلك يكون السلطان والحكم بين الرعايا بمشورة الإماء إلى آخر الفصل و هو من باب الإخبار عن الغيوب وهى إحدى آياته والمعجزات المختص بهادون الصحابة [صفحه ۲۶۲]

۹۹

وَ قَالَ ع وَ قَد رئُيَِ عَلَيهِ إِزَارٌ خَلَقٌ مَرقُوعٌ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَخشَعُ لَهُ القَلبُ وَ تَذِلّ بِهِ النّفسُ وَ يقَتدَيِ بِهِ المُؤمِنُونَ قدتقدم القول فى هذاالباب وذكرنا أن الحكماء والعارفين فيه على قسمين منهم من آثر لبس الأدنى على الأعلى ومنهم من عكس الحال و كان عمر بن الخطاب من أصحاب المذهب الأول وكذلك أمير المؤمنين و هوشعار عيسى ابن مريم ع كان يلبس الصوف وغليظ الثياب و كان رسول الله ص يلبس النوعين جميعا وأكثر لبسه كان الجيد من الثياب مثل أبراد اليمن و ماشاكل ذلك وكانت ملحفته مورسة حتى أنها لتردع على جلده كماجاء فى الحديث . ورئى محمد بن الحنفية ع واقفا بعرفات على برذون أصفر و عليه مطرف خز أصفر و جاء فرقد السبخي إلى الحسن و على الحسن مطرف خز فجعل ينظر إليه و على فرقد ثياب صوف فقال الحسن مابالك تنظر إلى و على ثياب أهل الجنة -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۶۳] وعليك ثياب أهل النار إن أحدكم ليجعل الزهد فى ثيابه والكبر فى صدره فلهو أشد عجبا بصوفه من صاحب المطرف -روايت-از قبل-۱۱۳ . و قال ابن السماك لأصحاب الصوف إن كان لباسكم هذاموافقا لسرائركم فلقد أحببتم أن يطلع الناس عليها ولئن كان مخالفا لها لقد هلكتم . و كان عمر بن عبدالعزيز على قاعدة عمر بن الخطاب فى ملبوسه و كان قبل الخلافة يلبس الثياب المثمنة جدا كان يقول لقد خفت أن يعجز ماقسم الله لى من الرزق عما أريده من الكسوة و مالبست ثوبا جديدا قط إلا وخيل لى حين يراه الناس

أنه سمل أوبال فلما ولی الخلافة ترک ذلک کله . وروی سعید بن سوید قال صلی بنا عمر بن عبدالعزیز الجمعة ثم جلس و علیه قمیص مرقوع الجیب من بین یدیه و من خلفه فقال له رجل إن الله أعطاک یا أمیر المؤمنین فلو لبست فنکس ملیا ثم رفع رأسه فقال إن أفضل القصد ما کان عندالجدة وأفضل العفو ما کان عندالمقدرة. وروی عاصم بن معدلة کنت أری عمر بن عبدالعزیز قبل الخلافة فأعجب من حسن لونه وجودة ثیابه وبزته ثم دخلت علیه بعد أن ولی و إذا هو قداحترق واسود ولصق جلده بعظمه حتی لیس بین الجلد والعظم لحم و إذا علیه قلنسوة بیضاء قداجتمع قطنها ویعلم أنها قدغسلت و علیه سحق أنبجانیة قدخرج سداها و هو علی شاذکونة قدلصقت بالأرض تحت الشاذکونة عباءة قطوانیة من مشاقة الصوف وعنده رجل یتکلم فرفع صوته فقال له عمر اخفض قلیلا من صوتک فإنما یکفی الرجل من الکلام قدر مایسمع صاحبه . وروی عبید بن یعقوب أن عمر بن عبدالعزیز کان یلبس الفرو الغلیظ من الثیاب و کان سراجه علی ثلاث قصبات فوقهن طین [صفحه ۲۶۴]

۰۱۰۰

إِنّ الـدّنیَا وَ الآخِرَةَ عَـدُوّانِ مُتَفَاوِتَانِ وَ سَبِیلَانِ مُختَلِفَانِ فَمَن أَحَبّ الـدّنیَا وَ تَوَلّاهَا أَبغَضَ الآخِرَةَ وَ عَادَاهَا وَ هُمَا بِمَنزِلَـةِ المَشرِقِ وَ المَغرِبِ وَ مَاشٍ بَینَهُمَا کُلّمَا قَرُبَ مِن وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ وَ هُمَا بَعدُ ضَرّتَانِ هذاالفصل بین فی نفسه لایحتاج إلی شرح و ذلک لأن عمل کل واحد من الدارین مضاد لعمل الأخری فعمل هذه الاکتساب والاضطراب فی الرزق والاهتمام بأمر المعاش والولد والزوجة و ماناسب ذلک وعمل هذه قطع العلائق ورفض الشهوات والانتصاب للعبادة وصرف الوجه عن کل مایصد عن ذکر الله تعالی ومعلوم أن هذین العملین متضادان فلاجرم کانت الدنیا والآخرة ضرتین لایجتمعان [صفحه ۲۶۵]

۱۰۱

وَ عَن نَوفٍ البَکَائیِ وَ قِیلَ البَکَالیِ بِاللّام وَ هُوَ الأَصَحّ قَالَ رَأَیتُ أَمِیرَ المُؤمِنِینَ ع ذَاتَ لَیلَـةٍ وَ قَد خَرَجَ مِن فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَی النّجُوم فَقَـالَ یَـا نَوفُ أَ رَاقِـدٌ أَنتَ أَم رَامِقٌ قُلتُ بَـل رَامِقٌ یَـا أَمِیرَ المُؤمِنِینَ فَقَـالَ یَـا نَوفُ طُوبَی لِلزّاهِـدِینَ فِی الـدّنیَا الرّاغِبِینَ فِی الآخِرَةِ أُولَئِـکَ قَومٌ اتّخَـذُوا الأَرضَ بِسَاطاً وَ تُرَابَهَا فِرَاشاً وَ مَاءَهَا طِیباً وَ القُرآنَ شِـعَاراً وَ الـدّعَاءَ دِثَاراً ثُمّ قَرَضُوا الـدّنیَا قَرضاً عَلَی مِنهَاجِ المَسِیحِ یَا نَوفُ إِنّ دَاوُدَ ع قَامَ فِی مِثلِ هَذِهِ السّاعَةِ مِنَ اللّیلِ فَقَالَ إِنّهَا لَسَاعَةٌ لَا یَدعُو فِیهَا عَبدٌ إِلّا استُجِیبَ لَهُ إِلّا أَن یَکُونَ عَشّاراً أَو عَرِیفـاً أَو شُـرطِیّاً أَو صَـاحِبَ عَرطَبَـةٍ وَ هیَ الطّنبُورُ أَو صَـاحِبَ کُوبَـةٍ وَ هیَ الطّبـلُ وَ قَـد قِیلَ أَیضاً إِنّ العَرطَبَـةَ الطّبلُ وَ الکُوبَةَ الطّنبُورُ قال صاحب الصحاح نوف البکالی کان صاحب علی ع . و قال ثعلب هومنسوب إلی قبیلة تدعی بکالة و لم یذکر من أی العرب هی والظاهر أنها من الیمن و أمابکیل فحی من همدان وإلیهم أشار الکمیت بقوله فقد شرکت فیه بکیل وأرحب . [صفحه ۲۶۶] فأما البکالی فی نسب نوف فلاأعرفه . قوله أم رامق أی أم مستیقظ ترمق السماء والنجوم ببصرک . قوله قرضوا الدنیا أی ترکوها وخلفوها وراء ظهورهم قال تعالی وَ إِذا غَرَبَت تَقرِضُهُم ذاتَ الشّمالِ أی تترکهم وتخلفهم شمالا و یقول الرجل لصاحبه هل مررت بمکان کذا یقول نعم قرضته لیلا ذات الیمین وأنشد لذی الرمة –قرآن–۱۵۸–۱۹۷ إلی ظعن یقرضن أجواز مشرف || شمالا و عن أیمانهن الفوارس .قالوا مشرف والفوارس موضعان یقول نظرت إلی ظعن یجزن بین هذین الموضعین [صفحه ۲۶۷]

۱۰۲

إنّ اللّهَ تَعَالَى افتَرَضَ عَلَيكَم فَرَائِضَ فَلَا تُضَيّعُوهَا وَ حَدّ لَكَم حُدُوداً فَلَا تَعتَدُوهَا وَ نَهَاكُم عَن أَشيَاءَ فَلَا تَنتَهِكَوهَا وَ سَكَتَ لَكَم عَن أَشيَاءَ وَ لَم يَدَعهَا نِسيَاناً فَلَا تَتَكَلّفُوهَا قال الله تعالى لا تَسئَلُوا عَن أَشياءَ إِن تُبدَ لَكُم تَسُؤكُم و -قرآن-۱۹-۶۷ جاء فى الأثر أبهموا ماأبهم الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۳۶ . و قال بعض الصالحين لبعض الفقهاء لم تفرض مسائل لم تقع وأتعبت فيهافكرك حسبك بالمتداول بين الناس .قالوا هذامثل قولهم فى باب المسح على الخفين فإن مسح على خف من زجاج ونحو ذلك من النوادر الغريبة. و قال شريك فى أبى حنيفة أجهل الناس بما كان وأعلمهم بما لم يكن . و قال عمر لاتتنازعوا فيما لم يكن فتختلفوا فإن الأمر إذا كان أعان الله عليه . وانتهاك الحرمة تناولها بما لايحل إما بارتكاب مانهى عنه أوبالإخلال بما أمر به [صفحه ۲۶۸]

۱۰۳

لَا يَترُكُ النّاسُ شَيئاً مِن أَمرِ دِينِهِم لِاستِصلَاحِ دُنيَاهُم إِلّا فَتَحَ اللّهُ عَلَيهِم مَا هُوَ أَضَرّ مِنهُ مثال ذلك إنسان يضيع وقت صلاة الفريضة عليه و هومشتغل بمحاسبة وكيله ومخافته على ماله خوفا أن يكون خانه فى شىء منه فهو يحرص على مناقشته عليه فتفوته الصلاة. قال ع من فعل مثل هذافتح الله عليه فى أمر دنياه وماله ما هوأضر عليه مما رام أن يستدركه بإهماله الفريضة [صفحه ۲۶۹]

۱۰۴

اشاره

رُبّ عَالِمٍ قَد قَتَلَهُ جَهلُهُ وَ عِلمُهُ مَعَهُ لَم يَنفَعهُ قدوقع مثل هذاكثيرا كماجرى لعبد الله بن المقفع وفضله مشهور وحكمته أشهر من أن تذكرٍ و لو لم يكن له إلا كتاب اليتيمة لكفى

محنة المقفع

واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد وسمع كل منهما كلام الآخر فسئل الخليل عنه فقال وجدت علمه أكثر من عقله وهكذا كان فإنه كان مع حكمته متهورا لاجرم تهوره قتله كتب كتاب أمان لعبد الله بن على عم المنصور ويوجد فيه خطه فكان من جملته ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله أوأبطن غير ماأظهر أوتأول فى شىء من شروط هذاالأمان فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده وإماؤه أحرار والمسلمون فى حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور لماوقف عليه وسأل من ألذى كتب له الأمان فقيل له عبد الله بن المقفع كاتب عميك عيسى وسليمان ابنى على بالبصرة فكتب المنصور إلى عامله بالبصرة سفيان بن معاوية يأمره بقتله وقيل بل قال أ ماأحد يكفينى ابن المقفع فكتب أبوالخصيب بها إلى [صفحه ۲۷۰] سفيان بن معاوية المهلبى أميرالبصرة يومئذ و كان سفيان واجدا على ابن المقفع لأنه كان يعبث به ويضحك منه دائما فغضب سفيان يوما من كلامه وافترى عليه فرد ابن المقفع عليه ردا فاحشا و قال له يا ابن المغتلمة و كان يمتنع ويعتصم بعيسى وسليمان ابنى على بن عبد الله بن العباس فحقدها سفيان عليه فلما كوتب فى أمره بما كوتب اعتزم قتله فاستأذن عليه جماعة من أهل البصرة منهم ابن المقفع

فأدخل ابن المقفع قبلهم وعدل به إلى حجرة فى دهليزه وجلس غلامه بدابته ينتظره على باب سفيان فصادف ابن المقفع فى تلك الحجرة سفيان بن معاوية وعنده غلمانه وتنور نار يسجر فقال له سفيان أتذكر يوم قلت لى كذا أمى مغتلمة إن لم أقتلك قتله لم يقتل بهاأحد ثم قطع أعضاءه عضوا عضوا وألقاها فى النار و هوينظر إليها حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق التنور عليه وخرج إلى الناس فكلمهم فلما خرجوا من عنده تخلف غلام ابن المقفع ينتظره فلم يخرج فمضى وأخبر عيسى بن على وأخاه سليمان بحاله فخاصما سفيان بن معاوية فى أمره فجحد دخوله إليه فأشخصاه إلى المنصور وقامت البينة العادلة أن ابن المقفع دخل دار سفيان حيا سليما و لم يخرج منها فقال المنصور أناأنظر فى هذاالأمر إن شاء الله غدا فجاء سفيان ليلا إلى المنصور فقال يا أمير المؤمنين اتق الله فى صنيعتك ومتبع أمرك قال لاترع وأحضرهم فى غد وقامت الشهادة وطلب سليمان وعيسى القصاص فقال المنصور أرأيتم إن قتلت سفيان بابن المقفع ثم خرج ابن المقفع عليكم من هذاالباب وأومأ إلى باب خلفه من ينصب لى نفسه حتى أقتله بسفيان فسكتوا واندفع الأمر وأضرب عيسى وسليمان عن ذكر ابن المقفع بعدها وذهب دمه هدرا.قيل للأصمعى أيما كان أعظم ذكاء وفطنة الخليل أم ابن المقفع فقال كان ابن المقفع أفصح وأحكم والخليل آدب وأعقل ثم قال شتان ما بين فطنة أفضت بصاحبها إلى القتل وفطنة أفضت بصاحبها إلى النسك والزهد فى الدنيا و كان الخليل قدنسك قبل أن يموت [صفحه ٢٧١]

١٠٥

لَقَد عُلّقَ بِنِيَاطِ هَذَا الإِنسَانِ بَضعَةٌ هيَ أَعجَبُ مَا فِيهِ وَ هُوَ القَلبُ وَ ذَلِكَ أَنّ لَهُ مَوَادّ مِنَ الحِكمَةِ وَ أَضدَاداً مِن خِلَافِهَا فَإِن سَنَحَ لَهُ الرّجَاءُ أَذَلّهُ الطّمَعُ وَ إِن هَاجَ بِهِ الطّمَعُ أَهلَكَهُ الحِرصُ وَ إِن مَلَكَهُ اليَأسُ قَتَلَهُ الأَسَفُ وَ إِن عَرَضَ لَهُ الغَضَبُ اشتَدّ بِهِ الغَيظُ وَ إِن أَسعَدَهُ الرّضَا نَسِيَ التّحَفّظَ وَ إِن غَالَهُ الخَوفُ شَغَلَهُ الحَذَرُ وَ إِنِ اتّسَعَ لَهُ الأَمرُ استَلَبَتهُ الغِرّةُ وَ إِن أَصَابَتهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الجَزَعُ وَ إِن أَفَادَ مَالًا أَطغَاهُ الغِنَى وَ إِن عَضّتهُ الفَاقَةُ شَغَلَهُ البَلَاءُ وَ إِن جَهَدَهُ الجُوعُ قَعَدَت بِهِ الضّعَةُ وَ إِن أَفرَطَ بِهِ الشّبَعُ كَظّتهُ البِطنَةُ فَكُلّ تَقصِيرٍ بِهِ مُضِرّ وَ كُلّ إِفرَاطٍ لَهُ مُفسِدٌ روى قعد به الضعف والنياط عرق علق به القلب من الوتين فإذاقطع مات صاحبه ويقال له النيط أيضا والبضعة بفتح الباء القطعة من اللحم والمراد بهاهاهنا القلب و قال يعتور القلب حالات مختلفات متضادات فبعضها من الحكمة وبعضها و هوالمضاد لها مناف للحكمة و لم يذكرها ع وليست الأمور التى عددها شرحا لماقدمه من هذاالكلام المجمل و إن ظن قوم أنه أراد ذلك أ لاترى أن الأمور التى عددها ليس فيها شيء من باب الحكمة وخلافها. [صفحه ٢٧٢] فإن قلت فما مثال الحكمة وخلافها و إن لم يذكر ع مثاله . قلت كالشجاعة فى القلب وضدها الجبن وكالجود وضده البخل وكالعفة وضدها الفجور ونحو ذلك .فأما الأمور التى عددها ع فكلام مستأنف إنما هوبيان أن كل شيءمما يتعلق بالقلب يلزمه لازم آخر نحو الرجاء فإن الإنسان إذااشتد رجاؤه أذله الطمع والطمع يتبع الرجاء والفرق بين الطمع والرجاء أن الرجاء توقع منفعة ممن سبيله أن تصدر تلك المنفعة عنه والطمع توقع منفعة ممن يستبعد وقوع تلك المنفعة منه ثم قال و إن هاج به الطمع قتله الحرص و ذلك لأن الحرص يتبع الطمع إذا لم يعلم الطامع أنه طامع وإنما يظن أنه راج . ثم قال و إن ملكه اليأس قتله الأسف أكثر الناس إذايئسوا أسفوا. ثم عدد الأخلاق وغيرها من الأمور الواردة فى الفصل إلى آخره ثم ختمه بأن قال فكل تقصير به مضر و كل إفراط له مفسد و قدسبق كلامنا فى العدالة وأنها الدرجة الوسطى بين طرفين هما رذيلتان والعدالة هى الفضيلة كالجود ألذى يكتنفه التبذير والإمساك والذكاء ألذى يكتنفه الغباوة والجربزة والشجاعة التى يكتنفها الهوج والجبن وشرحنا ماقاله الحكماء فى ذلك شرحا كافيا فلامعنى لإعادته [صفحه ٢٧٣]

۱۰۶

نَحنُ النّمرُقَةُ الوُسطَى التّيِ يَلحَقُ بِهَا التاّليِ وَ إِلَيهَا يَرجِعُ الغاَليِ النمرق والنمرقة بالضم فيهما وسادة صغيرة ويجوز النمرقة بالكسر فيهما ويقال للطنفسة فوق الرحل نمرقة والمعنى أن كل فضيلة فإنها مجنحة بطرفين معدودين من الرذائل كماأوضحناه آنفا والمراد أن آل محمد ع هم الأمر المتوسط بين الطرفين المذمومين فكل من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم و كل من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم . فإن قلت فلم استعار لفظ النمرقة لهذا المعنى قلت لماكانوا يقولون قدركب فلان من الأمر منكرا و قدارتكب الرأى الفلانى وكانت الطنفسة فوق الرحل مما يركب استعار لفظ النمرقة لمايراه الإنسان مذهبا يرجع إليه و يكون كالراكب له والجالس عليه والمتورك فوقه . ويجوز أيضا أن تكون لفظة الوسطى يراد بهاالفضلى يقال هذه هى الطريقة الوسطى والخليقة الوسطى أى الفضلى و منه قوله تعالى قالَ أَوسَطُهُم أى أفضلهم و منه جَعَلناكُم أُمّةً وَسَطاً -قرآن-۷۲۴-۷۳۸-قرآن-۷۵۷-۷۸۱ [صفحه ۲۷۴]

۱۰۷

لَا يُقِيمُ أَمرَ اللّهِ سُبحَانَهُ إِلّا مَن لَا يُصَانِعُ وَ لَا يُضَارِعُ وَ لَا يَتّبِعُ المَطَامِعَ قدسبق من كلام عمر شيءيناسب هذا إن لم يكن هوبعينه والمصانعة بذل الرشوة و فى المثل من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة. فإن قلت كان ينبغى أن يقول من لايصانع بالفتح قلت المفاعلة تدل على كون الفعل بين الاثنين كالمضاربة والمقاتلة. ويضارع يتعرض لطلب الحاجة ويجوز أن يكون من الضراعة وهى الخضوع أى يخضع لزيد ليخضع زيد له ويجوز أن يكون من المضارعة بمعنى المشابهة أى لايتشبه بأئمة الحق أوولاة الحق و ليس منهم . و أمااتباع المطامع فمعروف [صفحه ۲۷۵]

۱۰۸

وَ قَالَ ع وَ قَد توُفُيّ‌َ سَهلُ بنُ حُنَيفٍ الأنَصاَريِ‌ّ باِلكُوفَةِ بَعدَ مَرجِعِهِ مِن صِفّينَ مَعَهُ وَ كَانَ مِن أَحَبّ النّاسِ إِلَيهِ لَو أحَبَنّيِ جَبَلٌ لَتَهَافَتَ قال الرضى رحمه الله تعالى ومعنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه و لايفعل ذلك إلابالأتقياء الأبرار المصطفين الأخيار و هذامثل قوله ع من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلبابا و قديؤول ذلك على معنى آخر ليس هذاموضع ذكره -روايت-۱-۲۴۹ أن النبى ص قال له لايحبك إلامؤمن و لايبغضك إلامنافق -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۶۵ أن النبى ص قال إن البلوى أسرع إلى المؤمن من الماء إلى الحدور -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۷۲ فى حديث آخر المؤمن ملقى والكافى موقى -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۴۵ فى حديث آخر خيركم عند الله أعظمكم مصائب فى نفسه وماله وولده -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-۷۰ . وهاتان المقدمتان يلزمهما نتيجة صادقة وهى أنه ع لوأحبه جبل لتهافت ولعل هذا هومراد الرضى بقوله و قديئول ذلك على معنى آخر ليس هذاموضع ذكره [صفحه ۲۷۶]

۱۰۹

لَا مَالَ أَعوَدُ مِنَ العَقلِ وَ لَا وَحدَةَ أَوحَشُ مِنَ العُجبِ وَ لَا عَقلَ كَالتّدبِيرِ وَ لَا كَرَمَ كَالتّقوَى وَ لَا قَرِينَ كَحُسنِ الخُلقِ وَ لَا مِيرَاثَ كَالأَدَبِ وَ لَا قَائِدَ كَالتّوفِيقِ وَ لَا تِجَارَةَ كَالعَمَلِ الصّالِحِ وَ لَا زَرعَ كَالثّوَابِ وَ لَا وَرَعَ كَالوُقُوفِ عِندَ الشّبهَةِ وَ لَا زُهدَ كَالزّهدِ فِي

الحَرَامِ وَ لَا عِلمَ كَالتّفَكّرِ وَ لَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الفَرَائِضِ وَ لَا إِيمَانَ كَالحَيَاءِ وَ الصّبرِ وَ لَا حَسَبَ كَالتّوَاضُعِ وَ لَا شَرَفَ كَالعِلمِ وَ لَا عِزّ كَالحِلمِ وَ لَا مُظَاهَرَةَ أَوثَقُ مِنَ المُشَاوَرَةِ قدتقدم الكلام فی جميع هذه الحكم . أماالمال فإن العقل أعود منه لأن الأحمق ذا المال طالما ذهب ماله بحمقه فعاد أحمق فقيرا والعاقل ألذی لامال له طالما اكتسب المال بعقله وبقی عقله عليه . و أماالعجب فيوجب المقت و من مقت أفرد عن المخالطة واستوحش منه و لاريب أن التدبير هوأفضل العقل لأن العيش كله فی التدبير. و أماالتقوی فقد قال الله إِنّ أَكرَمَكُم عِندَ اللّهِ أَتقاكُم. -قرآن-٣٦٢-٣٩٨ [صفحه ٢٧٧] و أماالأدب فقالت الحكماء ماورثت الآباء أبناءها كالأدب . و أماالتوفيق فمن لم يكن قائده ضل . و أماالعمل الصالح فإنه أشرف التجارات فقد قال الله تعالی هَل أَدُلّكُم عَلی تِجارَةٍ تُنجِيكُم مِن عَذابٍ أَلِيمٍ. ثم عد الأعمال الصالحة. و أماالثواب فهو الربح الحقيقی و أماربح الدنيا فشبيه بحلم النائم . و أماالوقوف عندالشبهات فهو حقيقة الورع و لاريب أن من يزهد فی الحرام أفضل ممن يزهد فی المباحات كالمآكل اللذيذة والملابس الناعمة و قدوصف الله تعالی أرباب التفكر فقال وَ يَتَفَكّرُونَ فِی خَلقِ السّماواتِ وَ الأَرضِ و قال أَ وَ لَم يَنظُرُوا و لاريب أن العبادة بأداء الفرائض فوق العبادة بالنوافل والحياء مخ الإيمان وكذلك الصبر والتواضع مصيدة الشرف و ذلك هوالحسب وأشرف الأشياء العلم لأنه خاصة الإنسان و به يقع الفضل بينه و بين سائر الحيوان . والمشورة من الحزم فإن عقل غيرك تستضيفه إلی عقلك و من كلام بعض الحكماء إذااستشارك عدوك فی الأمر فامحضه النصيحة فی الرأی فإنه إن عمل برأيك وانتفع ندم علی إفراطه فی مناواتك وأفضت عداوته إلی المودة و إن خالفك واستضر عرف قدر أمانتك بنصحه وبلغت مناك فی مكروهه -قرآن-١٦٣-٢١٨-قرآن-٤٩٥-٥٤٢-قرآن-٥٥٠-٥٦٨ [صفحه ٢٧٨]

١١٠

إِذَا استَولَی الصّلَاحُ عَلَی الزّمَانِ وَ أَهلِهِ ثُمّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظّنّ بِرَجُلٍ لَم تَظهَر مِنهُ حَوبَةٌ فَقَد ظَلَمَ وَ إِذَا استَولَی الفَسَادُ عَلَی الزّمَانِ وَ أَهلِهِ فَأَحسَنَ رَجُلٌ الظّنّ بِرَجُلٍ فَقَد غَرّرَ يريد أن يتعين علی العاقل سوء الظن حيث الزمان فاسد و لاينبغی له سوء الظن حيث الزمان صالح و قدجاء فی الخبر المرفوع النهی عن أن يظن المسلم بالمسلم ظن السوء و ذلك محمول علی المسلم ألذی لم تظهر منه حوبة كماأشار إليه علی ع والحوبة المعصية و الخبر هو ماورواه جابر قال نظر رسول الله ص إلی الكعبة فقال مرحبا بك من بيت ماأعظمك وأعظم حرمتك و الله إن المؤمن أعظم حرمة منك عند الله عز و جل لأن الله حرم منك واحدة و من المؤمن ثلاثة دمه وماله و أن يظن به ظن السوء -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٢٣٨ و من كلام عمر ضع أمر أخيك علی أحسنه حتی يجیء مايغلبك منه و لاتظنن بكلمة خرجت من فی أخيك المسلم سوءا و أنت تجد لها فی الخير محملا و من عرض نفسه للتهم فلايلومن من أساء به الظن .شاعر أسأت إذ أحسنت ظنی بكم || والحزم سوء الظن بالناس . [صفحه ٢٧٩] قيل لعالم من أسوأ الناس حالا قال من لايثق بأحد لسوء ظنه و لايثق به أحد لسوء فعله .شاعر و قد كان حسن الظن بعض مذاهبی || فأدبنی هذاالزمان وأهله .قيل لصوفی ماصناعتك قال حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس . و كان يقال ماأحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز و ماأقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم . ابن المعتز تفقد مساقط لحظ المريب || فإن العيون وجوه القلوب وطالع بوادره فی الكلام || فإنك تجنی ثمار العيوب [صفحه ٢٨٠]

١١١

وَ قِيلَ لَهُ ع كَيفَ تَجِدُكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَقَالَ كَيفَ يَكُونُ حَالُ مَن يَفنَی بِبَقَائِهِ وَ يَسقَمُ بِصِحّتِهِ وَ يُؤتَی مِن مَأمَنِهِ هذامثل قول

عبـدۀ بن الطبیب أری بصـری قدرابنی بعدصـحۀ || وحسـبک داء أن تصح وتسـلما ولن یلبث العصـران یوم ولیلۀ || إذاطلبا أن یـدرکا من تیمما . و قال آخر کانت قناتی لاتلین لغامز || فألانها الإصـباح والإمساء ودعوت ربی بالسـلامۀ جاهـدا || لیصـحنی فإذاالسلامۀ داء [صفحه ۲۸۱]

۱۱۲

کَم مِن مُستَدرَجٍ بِالإِحسَانِ إِلَیهِ وَ مَغرُورٍ بِالسّترِ عَلَیهِ وَ مَفتُونٍ بِحُسنِ القَولِ فِیهِ وَ مَا ابتَلَی اللّهُ أَحَداً بِمِثلِ الإِملَاءِ لَهُ قدتقـدم القول فی الاسـتدراج والإملاء.فأمـا القول فی فتنـۀ الإنسان بحسن القول فیه فقـد ذکرنا أیضا طرفا صالحا یتعلق بها. و قال رسول الله ص لرجل مدح رجلا و قدمر بمجلس رسول الله ص فلم یسمع ولکن قال ویحک لکدت تضرب عنقه لوسمعها لماأفلح -روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۱۳۱ [صفحه ۲۸۲]

۱۱۳

هَلَکَ فِیّ رَجُلَانِ مُحِبّ غَالٍ وَ مُبغِضٌ قَالٍ قدتقـدم القول فی مثـل هـذا و قـد قال رسول الله ص و الله لو لاأنی أشـفق أن تقول طوائف من أمتی فیـک ماقـالت النصـاری فی ابن مریم لقلت فیـک الیوم مقالا لاتمر بأحـد من الناس إلاأخـذوا التراب من تحت قدمیک للبرکۀ -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۱۹۷ . و مع کونه ص لم یقل فیه ذلک المقال فقد غلت فیه غلاۀ کثیرۀ العدد منتشرۀ فی الـدنیا یعتقـدون فیه مایعتقـد النصاری فی ابن مریم وأشـنع من ذلک الاعتقاد.فأما المبغض القالی فقـد رأینا من یبغضه ولکن مارأینـا من یلعنه ویصـرح بـالبراءۀ منه ویقـال إن فی عمـان و ماوالاهـا من صـحار و مـایجری مجراهـا قوما یعتقـدون فیه ماکانت الخوارج تعتقده فیه و أناأبرأ إلی الله منهما [صفحه ۲۸۳]

۱۱۴

إِضَاعَۀُ الفُرصَـۀِ غُصّـۀٌ فی المثـل انتهزوا الفرص فإنهـا تمر مر السـحاب . و قال الشاعر و إن أمکنت فرصـۀ فی العـدو || فلایک همـک إلا بها فإن تک لم تأت من بابها || أتاک عـدوک من بابها وإیاک من نـدم بعـدها || وتأمیل أخری وأنی بها [صـفحه ۲۸۴]

۱۱۵

مَثَلُ الـدّنیَا کَمَثَلِ الحَیّۀِ لَیّنٌ مَسّهَا وَ السّمّ النّاقِعُ فِی جَوفِهَا یهَوِی إِلَیهَا الغِرّ الجَاهِلُ وَ یَحـذَرُهَا ذُو اللّبّ العَاقِلُ قدتقـدم القول فی الدنیا مرارا و قدأخذ أبوالعتاهیۀ هذاالمعنی فقال إنما الدهر أرقم لین المس و فی نابه السقام العقام [صفحه ۲۸۵]

۱۱۶

اشاره

وَ قَالَ ع وَ قَد سُئِلَ عَن قُرَيشٍ فَقَالَ أَمّا بَنُو مَخزُوم فَرَيحَانَةُ قُرَيشٍ تُحِبّ حَدِيثَ رِجَالِهِم وَ النّكَاحَ فِي نِسَائِهِم وَ أَمّا بَنُو عَبدِ شَمسٍ فَأَبعَدُهَا رَأياً وَ أَمنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا وَ أَمّا نَحنُ فَأَبذَلُ لِمَا فِي أَيدِينَا وَ أَسمَحُ عِندَ المَوتِ بِنُفُوسِنَا وَ هُم أَكثَرُ وَ أَمكَرُ وَ أَنكَرُ وَ نَحنُ أَفصَحُ وَ أَنصَحُ وَ أَصبَحُ

فصل فی نسب بنی مخزوم وطرف من أخبارهم

قدتقدم القول فی مفاخرة هاشم و عبدشمس فأما بنو مخزوم فإنهم بعدهذين البيتين أفخر قريش وأعظمها شرفا. قال شيخنا أبوعثمان حظيت مخزوم بالأشعار فانتشر لهم صيت عظيم بها واتفق لهم فيها ما لم يتفق لأحد و ذلك أنه يضرب بهم المثل فی العز والمنعة والجود والشرف وأوضعوا فی كل غاية فمن ذلك قول سيحان الجسری حليف بنی أمية فی كلمة له وحين يناغی الركب موت هشام .فدل ذلك علی أن ماتقوله مخزوم فی التاريخ حق و ذلك أنهم قالوا كانت قريش وكنانة و من والاهم من الناس يؤرخون بثلاثة أشياء كانوا يقولون كان ذلك زمن [صفحه ۲۸۶] مبنی الكعبة و كان ذلك من مجیء الفيل و كان ذلك عام مات هشام بن المغيرة كماكانت العرب تؤرخ فتقول كان ذلك زمن الفطحل و كان ذلك زمن الحيان و كان ذلك زمن الحجارة و كان ذلك عام الحجاف والرواة تجعل ضرب المثل من أعظم المفاخر وأظهر الدلائل والشعر كماعلمت كمايرفع يضع كمارفع من بنی أنف الناقة قول الحطيئة قوم هم الأنف والأذناب غيرهم || و من يسوی بأنف الناقة الذنبا . و كماوضع من بنی نمير قول جرير فغض الطرف إنك من نمير || فلاكعبا بلغت و لاكلابا .فلقيت نمير من هذاالبيت مالقيت . وجعلهم الشاعر مثلا فيمن وضعه الهجاء و هويهجو قوما من العرب وسوف يزيدكم ضعة هجائی || كماوضع الهجاء بنی نمير . ونمير قبيل شريف و قدثلم فی شرفهم هذاالبيت . و قال ابن غزالة الكندی و هويمدح بنی شيبان و لم يكن فی موضع رغبة إلی بنی مخزوم و لا فی موضع رهبة كأنی إذ حططت الرحل فيهم || بمكة حين حل بهاهشام .فضرب بهشام المثل . و قال رجل من بنی حزم أحد بنی سلمی و هويمدح حرب بن معاوية الخفاجی وخفاجة من بنی عقيل إلی حزن الحزون سمت ركابی || بوابل خلفها عسلان جيش [صفحه ۲۸۷] فلما أن أنخت إلی ذراه || أمنت فراشنی منه بريش توسط بيته فی آل كعب || كبيت بنی مغيرة فی قريش .فضرب المثل ببيتهم فی قريش . و قال عبدالرحمن بن حسان لعبد الرحمن بن الحكم مارست أكيس من بنی قحطان || صعب الذرا متمنع الأركان إنی طمعت بفخر من لورامه || آل المغيرة أوبنو ذكوان لملأتها خيلا تضب لثاتها || مثل الدبا وكواسر العقبان منهم هشام والوليد وعدلهم || و أبوأمية مفزع الركبان .فضرب المثل بآل المغيرة. و أمابنو ذكوان فبنو بدر بن عمرو بن حوية بن ذكوان أحد بنی عدی بن فزارة منهم حذيفة وحمل ورهطهما و قال مالك بن نويرة أ لم ينه عنا فخر بكر بن وائل || هزيمتهم فی كل يوم لزام فمنهن يوم الشر أو يوم منعج || وبالجزع إذ قسمن حی عصام أحاديث شاعت فی معد وغيرها || وخبرها الركبان حی هشام .فجعل قريشا كلها حيا لهشام . و قال عبد الله بن ثور الخفاجی وأصبح بطن مكة مقشعرا || كأن الأرض ليس بهاهشام . و هذامثل وفوق المثل .قالوا و قال الخروف الكلبی و قدمر به ناس من تجار قريش يريدون الشام بادين [صفحه ۲۸۸] قشفين مالكم معاشر قريش هكذا أجدبتم أم مات هشام فجعل موت هشام بإزاء الجدب والمحل و فی هذاالمعنی قال مسافر بن أبی عمرو تقول لنا الركبان فی كل منزل || أمات هشام أم أصابكم جدب .فجعل موت هشام وفقد الغيث سواء. و قال عبد الله بن سلمة بن قشير دعينی أصطبح يابكر إنی || رأيت الموت نقب عن هشام . و قال أبوالطمحان القينی أوأخوه وكانت قريش لاتخون حريمها || من الخوف حتی ناهضت بهشام . و قال أبوبكر بن شعوب لقومه كنانة ياقومنا لاتهلكوا إخفاتا || إن هشام القرشی ماتا . و قال خداش بن زهير و قدكنت هجاء لهم ثم كفكفوا || نوافذ قولی بالهمام هشام .

و قال على بن هرمـة عم ابراهيم بن هرمة و من يرتئى مدحى فإن مدائحى || نوافق عندالأكرمين سوام نوافق عندالمشترى الحمد بالندى || نفاق بنات الحارث بن هشام . و قال الشاعر و هويهجو رجلا أحسبت أن أباك يوم نسبتنى || فى المجد كان الحارث بن هشام أولى قريش بالمكارم كلها || فى الجاهليـة كان والإسـلام . [صـفحه ٢٨٩] و قال الأسود بن يعفر النهشـلى إن الأكارم من قريش كلهـا || شـهدوا فراموا الأـمر كـل مرام حتى إذاكثر التجادل بينهم || حزم الأمور الحارث بن هشام . و قال ثابت قطنة أوكعب الأشـقرى لمحمـد بن الأشـعث بن قيس أتوعدنى بالأشعثى ومالك || وتفخر جهلا بالوسـيط الطماطم كأنك بالبطحاء تذمر حارثا || وخالد سيف الدين بين الملاحم . و قال الخزاعى فى كلمته التى يذكر فيها أباأحيحة له سرة البطحاء والعد والثرى || و لاكهاشم الخير والقلب مردف . وسأل معاوية صعصعة بن صوحان العبدى عن قبائل قريش فقال إن قلنا غضبتم و إن سكتنا غضـبتم فقال أقسمت عليك قال فيمن يقول شاعركم وعشرة كلهم سيد || آباء سادات وأبناؤها إن يسألوا يعطوا و إن يعدموا || يبيض من مكة بطحاؤها . و قال عبدالرحمن بن سـيحان الجسرى حليف بنى أمية و هويهجو عبد الله بن مطيع من بنى عدى حرام كنتى منى بسوء || وأذكر صاحبى أبـدا بـذام لقد أصـرمت ود بنى مطيع || حرام الدهر للرجل الحرام و إن خيف الزمان مددت حبلاـ || متينـا من حبـال بنى هـاشم وريق عودهم أبـدا رطيب || إذا مـااهتز عيـدان الكرام . [صـفحه ٢٩٠] و قـال أبوطالب بن عبـدالمطلب و هويفخر بخـاليه هشـام والوليـد على أبى سـفيان بن حرب وخـالى هشـام بن المغيرة ثاقب || إذاهم يوما كالحسام المهند وخالى الوليد العدل عال مكانه || وخال أبى سفيان عمرو بن مرثد . و قال ابن الزبعرى فيهم لهم مشية ليست تليق بغيرهم || إذااحـدودب المثرون فى السـنة الجدب . و قال شاعر من بنى هوازن أحد بنى أنف الناقة حين سـقى إبله عبد الله بن أبى أمية المخزومى بعد أن منعه الزبرقان بن بدر أتدرى من منعت سيال حوض || سليل خضارم منعوا البطاحا أزاد الركب تمنع أم هشاما || وذا الرمحين أمنعهم سـلاحا هم منعـوا الأباطـح دون فهر || و من بـالخيف والبلـد الكفاحـا بضـرب دون بيضـهم طلخـف || إذاالملهوف لاـذ بهم وصاحـا و مـاتـدرى بأيهم تلاقى || صـدور المشـرفية والرماحا . فقال عبـد الله بن أبى أميـة مجيبا له لعمرى لأنت المرء يحسن باديا || وتحسن عودا شيمة وتصنعا عرفت لقوم مجدهم وقديمهم || وكنت لماأسديت أهلا وموضعا .قالوا و كـان الوليـد بن المغيرة يجلس بـذى المجاز فيحكم بين العرب أيام عكاظ و قـد كان رجل من بنى عامر بن لؤى رافق رجلا من بنى عبـدمناف بن قصـى فجرى بينهما كلام فى حبل فعلاه بالعصا حتى قتله فكاد دمه يطل فقام دونه أبوطالب [صـفحه ٢٩١] بن عبـدالمطلب وقـدمه إلى الوليـد فاسـتحلفه خمسـين يمينـا أنه ماقتله ففى ذلك يقول أبوطالب أ من أجل حبل ذى رمام علوته || بمنسأة قـدجاء حبـل وأحبـل هلم إلى حكم ابن صـخرة إنه || سيحكم فيمـا بيننـا ثم يعـدل . و قال أبوطالب أيضا فى كلمـة له وحكمـك يبقى الخير إن عزأمره || تخمـط واسـتعلى على الأضـعف الفرد . و قـال أبوطـالب أيضـا يرثى أباأميـة زاد الركـب و هوخاله كأن على رضراض قص وجندل || من اليبس أوتحت الفراش المجامر على خير حاف من معد وناعل || إذاالخير يرجى أو إذاالشـر حاسـر ألا إن زاد الركـب غيرمدافع || بسرو سحيم غيبته المقابر تنادوا بأن لاسيد اليوم فيهم || و قدفجع الحيان كعب وعامر و كان إذايأتى من الشام قافلا || تقدمه قبل الدنو البشائر فيصـبح آل الله بيضا ثيابهم || وقدما حباهم والعيون كواسـر أخو جفنة لاتبرح الدهر عندنا || مجعجعة تدمى وشاء وباقر ضروب بنصل السيف سوق سمانها || إذاأرسلوا يوما فإنك عاقر فيا لك من راع رميت بآلـة || شـراعية تخضـر منه الأظـافر . و قال أبوطالب أيضا يرثى خاله هشام بن المغيرة [صـفحه ٢٩٢] فقدنا عميد الحى والركن خـاشع || كفقـد أبى عثمـان والبيت والحجر و كـان هشام بن المغيرة عصـمة || إذاعرك الناس المخاوف والفقر بأبياته كانت أرامل قومه || تلوذ وأيتام العشيرة والسفر فودت قريش لوفدته بشطرها || وقل لعمرى لوفدوه له الشطر نقول لعمرو أنت منه وإننـا || لنرجوك فى جـل الملمات ياعمرو .عمرو هـذا هو أبوجهل بن هشام و أبوعثمان هوهشام . وقالت ضباعة بنت عامر بن سلمة بن قرط ترثيه إن أباعثمان لم أنسه || و إن صبرا عن بكاه لحوب تفاقدوا من معشر مالهم || أى ذنوب صوبوا فى

القليب . و قال حسان بن ثابت و هويهجو أباجهل و كان يكنى أباالحكم الناس كنوه أباحكم || و الله كناه أباجهل أبقت رئاسته لأسرته || لؤم الفروع ودقة الأصل .فاعترف له بالرئاسة والتقدم . و قال أبوعبيد معمر بن المثنى لماتنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة إلى هرم بن قطبة وتوارى عنهما أرسل إليهما عليكما بالفتى الحديث السن الحديد الذهن فصارا إلى أبى جهل فقال له ابن الزبعرى فلاـتحكم فداك أبى وخالى || وكن كالمرء حاكم آل عمرو . [صفحه ۲۹۳] فأبى أن يحكم فرجعا إلى هرم . و قال عبد الله بن ثور هريقا من دموعكما سجاما || ضباع وحاربى نوحا قياما فمن للركب إذ جاءوا طروقا || وغلقت البيوت فلاهشاما . و قال أيضا فى كلمة له و ماولدت نساء بنى نزار || و لارشحن أكرم من هشام هشام بن المغيرة خير فهر || وأفضل من سقى صوب الغمام . و قال عمارة بن أبى طرفة الهذلى سمعت ابن جريج يقول فى كلام له هلك سيد البطحاء بالرعاف قلت و من سيد البطحاء قال هشام بن المغيرة. و قال النبى ص لودخل أحد من مشركى قريش الجنة لدخلها هشام بن المغيرة كان أبذلهم للمعروف وأحملهم للكل -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۱۱۲ و قال عمر بن الخطاب لاقليل فى الله و لاكثير فى غير الله و لوبالخلق الجزل والفعال الدثر تنال المثوبة لنالها هشام بن المغيرة ولكن بتوحيد الله والجهاد فى سبيله . و قال خداش بن زهير فى يوم شمطة و هوأحد أيام الفجار و هوعدو قريش وخصمها وبلغ أن بلغت بنا هشاما || وذا الرمحين بلغ والوليدا أولئك إن يكن فى الناس جود || فإن لديهم حسبا وجودا هم خير المعاشر من قريش || وأوراها إذاقدحوا زنودا . [صفحه ۲۹۴] و قال أيضا وذكرهما فى تلك الحروب ياشدة ماشددنا غيركاذبة || على سخينة لو لااللیل والحرم إذاثقفنا هشاما بالوليد و لو || أناثقفنا هشاما شالت الجذم . وذكرهم ابن الزبعرى فى تلك الحروب فقال ألا لله قوم || ولدت أخت بنى سهم هشام و أبو عبد || مناف مدره الخصم وذو الرمحين أشباك || من القوة والحزم فهذان يذودان || وذا عن كثب يرمى وهم يوم عكاظ || منعوا الناس من الهزم بجأواء طحون فخمة || القونس كالنجم أسود تزدهى الأقران || مناعون للهضم فإن أحلف وبيت الله || لاأحلف على إثم و ما من إخوة بين || دروب الشام والردم بأزكى من بنى ريطة || أوأرزن من حلم .ريطة هى أم ولد المغيرة وهى ريطة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب و أبو عبدمناف هو أبوأمية بن المغيرة ويعرف بزاد الركب واسمه حذيفة وإنما قيل له زاد الركب لأنه كان إذاخرج مسافرا لم يتزود معه أحد وكانت [صفحه ۲۹۵] عنده عاتكة بنت عبدالمطلب بن هشام و أماذو الرمحين فهو أبوربيعة بن المغيرة واسمه عمرو و كان المغيرة يكنى باسم ابنه الأكبر و هوهاشم و لم يعقب إلا من حنتمة ابنته وهى أم عمر بن الخطاب . و قال ابن الزبعرى يمدح أباجهل رب نديم ماجد الأصل || مهذب الأعراق والنجل منهم أبو عبدمناف وكم || سربت بالضخم على العدل عمرو الندى ذاك وأشياعه || ماشئت من قول و من فعل . و قال الورد بن خلاس السهمى سهم بأهله يمدح الوليد إذاكنت فى حيى جذيمة ثاويا || فعند عظيم القريتين وليد فذاك وحيد الرأى مشترك الندى || وعصمة ملهوف الجنان عميد . و قال أيضا إن الوليدين والأبناء ضاحية || ربا تهامة فى الميسور والعسر هم الغياث وبعض القوم قرقمة || عزالذليل وغيظ الحاسد الوغر . و قال ورهطك يا ابن الغيث أكرم محتد || وامنع للجار اللهيف المهضم .قالوا الغيث لقب المغيرة وجعل الوليد وأخاه هشاما ربى تهامة كما قال لبيد بن ربيعة فى حذيفة بن بدر وأهلكن يوما رب كندة وابنه || ورب معد بين خبت وعرعر فجعله رب معد. [صفحه ۲۹۶] قالوا يدل على قدر مخزوم مارأينا من تعظيم القرآن لشأنهم دون غيرهم من سائر قريش قال الله تعالى مخبرا عن العرب إنهم قالوالَو لا نُزِّلَ هـٰذَا القُرآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ القَريَتَينِ عَظِيمٍفأحد الرجلين العظيمين بلا شك الوليد بن المغيرة والآخر مختلف فيه أ هوعروة بن مسعود أم جد المختار بن أبى عبيد. و قال سبحانه فى الوليدذَرنِي وَ مَن خَلَقتُ وَحِيداً وَ جَعَلتُ لَهُ مالًا مَمدُوداً وَ بَنِينَ شُهُوداًالآيات .قالوا و فى الوليد نزلت أَمّا مَنِ استَغنى فَأَنتَ لَهُ تَصَدّى. و فى أبى جهل نزلت ذُق إِنّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ. و فيه نزلت فَليَدعُ نادِيَهُ. و فى مخزوم وَ ذَرنِي وَ المُكَذّبِينَ أُولِي النّعمَةِ. وفيهم نزلت ما خَوّلناكُم وَراءَ ظُهُورِكُم. وزعم اليقطرى أبواليقظان و أبو الحسن أن الحجاج سأل أعشى

همـدان عن بيوتات قريش فى الجاهليـة فقال إنى قـدآليت ألا أنفر أحدا على أحد ولكن أقول وتسـمعون قالوا فقل قال من أيهم المحبب فى أهله المؤرخ بـذكره محلى الكعبة وضارب القبة والملقب بالخير وصاحب الخير والمير قالوا من بنى مخزوم قال فمن أيهم ضـجيع بسـباسة والمنحور عنه ألف ناقة وزاد الركب ومبيض البطحـاء قـالوا من بنى مخزوم قـال فمن أيهم كـان المقنع فى حكمه والمنفذ وصـيته على تهكمه وعدل الجميع فى الرفادة وأول من وضع أساس الكعبة قالوا من بنى مخزوم قال فمن –قرآن–١٣١–١٩٥–قرآن–٣٣٥–٤١٧–قرآن–٤٤٩–٤٨٧–قرآن–٥١٠–٥٤٥–قرآن–٥٥٩–٥٧٥–قرآن–٥٨٩–٦٣٣–قرآن–٦٤٨–٦٧٨ [صفحه ٢٩٧] أيهم صـاحب الأريكـة ومطعم الخزيرة قالوا من بنى مخزوم قال فمن أيهم الإخوة العشـرة الكرام البررة قالوا من بنى مخزوم قـال فهو ذاك فقال رجل من بنى أميـة أيها الأمير لو كان لهم مع قـديمهم حـديث إسـلام فقال الحجاج أ و ماعلمت بأن منهم رداد الردة وقاتل مسـيلمة وآسـر طليحـة والمدرك بالطائلة مع الفتوح العظام والأيادى الجسام فهذا آخر ماذكره أبوعثمان . ويمكن أن يزاد عليه فيقال قالت مخزوم ماأنصـفنا من اقتصـر فى ذكرنا على أن قال مخزوم ريحانـة قريش تحب حـديث رجالهم والنكاح فى نسائهم ولنا فى الجاهلية والإسلام أثر عظيم ورجال كثيرة ورؤساء شهيرة فمنا المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم كـان سـيد قريش فى الجاهليـة و هو ألـذى منع فزارة من الحـج لماعير خشـين بن لأى الفزارى ثم الشـمخى قوما من قريش إنهم يأخـذون مـاينحره العرب من الإبل فى الموسم فقال خشـين لمامنع من الحـج يارب هل عنـدك من عقيره || أصـلح مالى وأدع تنحيره فإن منا مانع المغيره || ومانعا بعدمنى بثيره ومانعا بيتك أن أزوره .منا بنو المغيرة العشـرة أمهم ريطة و قدتقدم ذكر نسبها وأمها عاتكـة بنت عبـدالعزى بن قصـى وأمها الحظيا بنت كعب بن سـعد بن تيم بن مرة أول امرأة من قريش ضـربت قباب الأدم بـذى المجـاز ولهـا يقول الشاعر مضـى بالصالحات بنو الحظيا || و كان بسـيفهم يغنى الفقير .فمن هؤلاء أعنى الحظيا الوليـد بن المغيرة أمه صـخرة بنت الحارث بن عبد الله [صفحه ٢٩٨] بن عبدشـمس القشيرى كان أبوطالب بن عبدالمطلب يفتخر بأنه خاله وكفاك من رجل يفتخر أبوطالب بخئولته أ لاترى إلى قول أبى طالب وخالى الوليد قدعرفتم مكانه || وخالى أبوالعاصـى إياس بن معبـد . ومنهم حفص بن المغيرة و كان شـريفا وعثمان بن المغيرة و كان شـريفا ومنهم السـيد المطاع هشام بن المغيرة و كان سـيد قريش غيرمـدافع له يقـول أبوبكر بن الأسود بن شـعوب يرثيه ذرينى أصـطبح يـابكر إنى || رأيت الموت نقب عن هشـام تخيره و لم يعدل سواه || ونعم المرء بالبلد الحرام وكنت إذاألاقيه كأنى || إلى حرم و فى شـهر حرام فود بنو المغيرة لوفدوه || بـألف مقاتـل وبـألف رام وود بنو المغيرة لوفـدوه || بـألف من رجال أوسوام فبكيه ضـباع و لاتملى || هشاما إنه غيث الأنام . و يقول له الحارث بن أمية الضـمرى ألا هلك القناص والحامل الثقلا || و من لايضن عن عشـيرته فضـلا وحرب أباعثمان أطفأت نارها || و لو لاهشام أوقـدت حطبا جزلا وعان تريك يسـتكين لعلة || ففككت أباعثمان عن يده الغلا ألا لست كالهلكى فتبكى بكاءهم || ولكن أرى الهلاك فى جنبه وغلا غـداة غـدت تبكى ضـباعة غيثنا || هشاما و قـدأعلت بمهلكه ضـحلا أ لم تريا أن الأمانـة أصـعدت || مع النعش إذ ولى و كـان لها أهلا . [صـفحه ٢٩٩] و قال أيضا يبكيه ويرثيه وأصـبح بطن مكـة مقشـعرا || شديـد المحـل ليس به هشـام يروح كـأنه أشـلاء سوط || وفوق جفـانه شـحم ركام فللكبراء أكل كيف شاءوا || وللولـدان لقم واغتنام فبكيه ضـباع و لاتملى || ثمال الناس إن قحط الغمام و إن بنى المغيرة من قريش || هم الرأس المقدم والسنام . وضباعة التى تـذكرها الشـعراء زوجـة هشام وهى من بنى قشـير. قال الزبير بن بكار فلما قال الحارث ألا لست كالهلكى البيت عظم ذلك على بنى عبـدمناف فـأغروا به حكيم بن أميـة بن حارثـة بن الأوقص السـلمى حليـف بنى عبدشـمس وكـانت قريش رضـيت به واسـتعملته على سقائها ففر منه الحارث و قال أفر من الأباطح كل يوم || مخافة أن ينكل بى حكيم .فهدم حكيم داره فأعطاه بنو هشـام داره التى بأجياد عوضا منها. و قال عبـد الله بن ثور البكائى يرثيه هريقى من دموعهما سـجاما || ضـباع وجاوبى نوحا قياما على خير البرية لن تراه || ولن تلقى مواهبه العظاما جواد مثل سـيل الغيث يوما || إذاعلجانه يعلو الإكاما إذا ما كان عام ذو عرام

|| حسبت قدوره جبلا صياما [صفحه ٣٠٠] فمن للركب إذامسوا طروقا || وغلقت البيوت فلاهشاما وأوحش بطن مكة بعدأنس || ومجد كان فيها قدأقاما فلم أر مثله فى أهل نجد || و لافيمن بغورك ياتهاما قال الزبير و كان فارس قريش فى الجاهلية هشام بن المغيرة و أبولبيد بن عبدة بن حجرة بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى و كان يقال لهشام فارس البطحاء فلما هلكا كان فارسى قريش بعدهما عمرو بن عبدالعامرى المقتول يوم الخندق وضرار بن الخطاب المحاربى الفهرى ثم هبيرة بن أبى وهب وعكرمة بن أبى جهل المخزوميان قالوا و كان عام مات هشام تاريخا كعام الفيل وعام الفجار وعام بنيان الكعبة و كان هشام رئيس بنى مخزوم يوم الفجار.قالوا ومنا أبوجهل بن هشام واسمه عمرو وكنيته أبوالحكم وإنما كناه أباجهل رسول الله ص كان سيدا أدخلته قريش دار الندوة فسودته وأجلسته فوق الجلة من شيوخ قريش و هوغلام لم يطر شاربه و هوأحد من ساد على الصبا والحارث بن هشام أخو أبى جهل كان شريفا مذكورا و له يقول كعب بن الأشرف اليهودى الطائى نبئت أن الحارث بن هشام || فى الناس يبنى المكرمات ويجمع ليزور يثرب بالجموع وإنما || يبنى على الحسب القديم الأروع . و هو ألذى هاجر من مكة إلى الشام بأهله وماله فى خلافة عمر بن الخطاب فتبعه أهل مكة يبكون فرق وبكى و قال إنا لوكنا نستبدل دارا بدار وجارا [صفحه ٣٠١] بجار ماأردنا بكم بدلا ولكنها النقلة إلى الله عز و جل فلم يزل حابسا نفسه و من معه بالشام مجاهدا حتى مات . قال الزبير جاء الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده و هوبينهما فجعل المهاجرون الأولون والأنصار يأتون عمر فينحيهما و يقول هاهنا ياسهيل هاهنا ياحارث حتى صارا فى آخر الناس فقال الحارث لسهيل أ لم تر ماصنع بناء عمر اليوم فقال سهيل أيها الرجل إنه لالوم عليه ينبغى أن نرجع باللوم على أنفسنا دعى القوم ودعينا فأسرعوا وأبطأنا فلما قاما من عندعمر أتياه فى غد فقالا له قدرأينا ماصنعت بالأمس وعلمنا أناأتينا من أنفسنا فهل من شيءنستدرك به فقال لاأعلم إلا هذاالوجه وأشار لهما إلى ثغر الروم فخرجا إلى الشام فجاهدا بها حتى ماتا.قالوا ومنا عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أمه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة و كان شريفا سيدا و هو ألذى قال لمعاوية لماقتل حجر بن عدى وأصحابه أين عزب منك حلم أبى سفيان أ لاحبستهم فى السجون وعرضتهم للطاعون فقال حين غاب عنى مثلك من قومى و عبدالرحمن بن الحارث بن هشام هو ألذى رغب فيه عثمان بن عفان و هوخليفة فزوجه ابنته .قالوا ومنا أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام كان سيدا جوادا وفقيها عالما و هو ألذى قدم عليه بنو أسد بن خزيمة يسألونه فى دماء كانت بينهم فاحتمل عنهم أربعمائة بعير دية أربعة من القتلى و لم يكن بيده مال فقال لابنه عبد الله بن أبى بكر اذهب إلى عمك المغيرة بن عبدالرحمن فاسأله المعونة فذهب عبد الله إلى عمه فذكر له ذلك فقال المغيرة لقد أكبر علينا أبوك فانصرف عنه عبد الله وأقام أياما [صفحه ٣٠٢] لايذكر لأبيه شيئا و كان يقود أباه إلى المسجد و قدذهب بصره فقال له أبوه يوما أذهبت إلى عمك قال نعم وسكت فعرف حين سكت أنه لن يجد عندعمه مايحب فقال له يابنى أ لاتخبرنى ما قال لك قال أيفعل أبوهاشم وكانت كنية المغيرة فربما فعل ولكن اغد غدا إلى السوق فخذ لى عينة فغدا عبد الله فتعين عينة من السوق لأبيه وباعها فأقام أيام لايبيع أحد فى السوق طعاما و لازيتا غير عبد الله بن أبى بكر من تلك العينة فلما فرغ أمره أبوه أن يدفعها إلى الأسديين فدفعها إليهم . و كان أبوبكر خصيصا بعبد الملك بن مروان و قال عبدالملك لابنه الوليد لماحضرته الوفاة إن لى بالمدينة صديقين فاحفظنى فيهما عبد الله بن جعفر بن أبى طالب و أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام . و كان يقال ثلاثة أبيات من قريش توالت بالشرف خمسة خمسة وعدوا منها أبابكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة.قالوا ومنا المغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام كان أجود الناس بالمال وأطعمهم للطعام وكانت عينه أصيبت مع مسلمة بن عبدالملك فى غزوة الروم و كان المغيرة ينحر الجزور ويطعم الطعام حيث نزل و لايرد أحدا فجاء قوم من الأعراب فجلسوا على طعامه فجعل أحدهم يحد النظر إليه فقال له المغيرة ما لك تحد النظر إلى قال إنى ليريبنى عينك وسماحك بالطعام قال ومم ارتبت قال أظنك الدجال لأنا روينا أنه أعور و أنه أطعم الناس للطعام فقال

المغيرة ويحك إن الدجال لاتصاب عينه فى سبيل الله وللمغيرة يقول الأقيشر الأسدى لماقدم الكوفة فنحر الجزر وبسط الأنطاع وأطعم الناس وصار صيته فى العرب [صفحه ٣٠٣] أتاك البحر طم على قريش || معيرتى فقد راع ابن بشر وراع الجدى جدى التيم لما || رأى المعروف منه غيرنزر و من أوتار عقبة قدشفانى || ورهط الحاطبى ورهط صخر فلايغررك حسن الزى منهم || و لاسرح ببزيون ونمر .فابن بشر عبد الله بن بشر بن مروان بن الحكم وجدى التيم حماد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله وأوتار عقبة يعنى أولاد عقبة بن أبى معيط والحاطبى لقمان بن محمد بن حاطب الجمحى ورهط صخر بنو أبى سفيان بن حرب بن أمية و كل هؤلاء كانوا مشهورين بالكوفة فلما قدمها المغيرة أخمل ذكرهم والمغيرة هذا هو ألذى بلغه أن سليم بن أفلح مولى أبى أيوب الأنصارى أراد أن يبيع المنزل ألذى نزل فيه رسول الله ص مقدمه المدينة على أبى أيوب بخمسمائة دينار فأرسل إليه ألف دينار وسأله أن يبيعه إياه فباعه فلما ملكه جعله صدقة فى يومه . قال الزبير و كان يزيد بن المغيرة بن عبدالرحمن يطاف به بالكوفة على العجل و كان ينحر فى كل يوم جزورا و فى كل جمعة جزورين ورأى يوما إحدى جفناته مكللة بالسنام تكليلا حسنا فأعجبه فسأل فقال من كللها قيل اليسع ابنك فسر وأعطاه ستين دينارا. ومر ابراهيم بن هشام على بردة المغيرة و قدأشرقت على الجفنة فقال لعبد من عبيد المغيرة ياغلام على أى شيءنصبتم هذاالثريد على العمد قال لا ولكن على أعضاد الإبل فبلغ ذلك المغيرة فأعتق ذلك الغلام . والمغيرة هو ألذى مر بحرة الأعراب فقاموا إليه فقالوا يا أباهاشم قدفاض [صفحه ٣٠٤] معروفك على الناس فما بالنا أشقى الخلق بك قال إنه لامال معى ولكن خذوا هذاالغلام فهو لكم فأخذوه فبكى الغلام فقال يامولاى خدمتى وحرمتى فقال أتبيعونى إياه قالوا نعم فاشتراه منهم بمال ثم أعتقه و قال له و الله لاأعرضك لمثلها أبدا اذهب فأنت حر فلما عاد إلى الكوفة حمل ذلك المال إليهم . و كان المغيرة يأمر بالسكر والجوز فيدقان ويطعمهما أصحاب الصفة المساكين و يقول إنهم يشتهون كمايشتهى غيرهم و لايمكنهم فخرج المغيرة فى سفر ومعه جماعة فوردوا غديرا ليس لهم ماء غيره و كان ملحا فأمر بقرب العسل فشقت فى الغدير وخيضت بمائه فما شرب أحد منهم حتى راحوا إلا من قرب المغيرة. وذكر الزبير أن ابنا لهشام بن عبدالملك كان يسوم المغيرة ماله بالمكان المسمى بديعا فلايبيعه فغزا ابن هشام أرض الروم ومعه المغيرة فأصابت الناس مجاعة فى غزاتهم فجاء المغيرة إلى ابن هشام فقال إنك كنت تسومنى مالى ببديع فآبى أن أبيعكه فاشتر الآن منى نصفه بعشرين ألف دينار فأطعم المغيرة بها الناس فلما رجع ابن هشام بالناس من غزوته تلك و قدبلغ هشاما الخبر قال لابنه قبح الله رأيك أنت أميرالجيش و ابن أمير المؤمنين يصيب الناس معك مجاعة فلاتطعمهم حتى يبيعك رجل سوقة ماله ويطعم به الناس ويحك أخشيت أن تفتقر إن أطعمت الناس .قالوا ولنا عكرمة بن أبى جهل ألذى قام له رسول الله ص قائما و هو بعدمشرك لم يسلم و لم يقم رسول الله ص لرجل داخل عليه من الناس شريف و لامشرف إلاعكرمة وعكرمة هو ألذى اجتهد فى نصرة الإسلام بعد أن كان شديد العداوة و هو ألذى سأله أبوبكر أن يقبل منه معونة على الجهاد فأبى [صفحه ٣٠٥] و قال لاآخذ على الجهاد أجرا و لامعونة و هوالشهيد يوم أجنادين و هو ألذى قال رسول الله ص لاتسألنى اليوم شيئا إلاأعطيتك فقال فإنى أسألك أن تستغفر لى و لم يسأل غير ذلك و كل قريش غيره سألوا المال كسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وغيرهما.قالوا ولنا الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة كان شاعرا مجيدا مكثرا و كان أميرمكة استعمله عليها يزيد بن معاوية و من شعره من كان يسأل عنا أين منزلنا || فالأقحوانة منا منزل قمن إذ نلبس العيش غضا لايكدره || قرب الوشاة و لاينبو بنا الزمن . وأخوه عكرمة بن خالد كان من وجوه قريش وروى الحديث وروى عنه . و من ولد خالد بن العاص بن هاشم بن المغيرة خالد بن إسماعيل بن عبدالرحمن كان جوادا متلافا و فيه قال الشاعر لعمرك إن المجد ماعاش خالد || على العمر من ذى كبدة لمقيم وتندى البطاح البيض من جود خالد || ويخصبن حتى نبتهن عميم .قالوا ولنا الأوقص و هو محمد بن عبدالرحمن بن هشام بن المغيرة كان قاضى مكة و كان فقيها.قالوا و من قدماء المسلمين عبد الله بن أمية بن المغيرة أخو أم

سلمة زوج رسول الله [صفحه ۳۰۶] ص كان شديد الخلاف على المسلمين ثم خرج مهاجرا وشهد فتح مكة وحنين وقتل يوم الطائف شهيدا. والوليد بن أمية غير رسول الله ص اسمه فسماه المهاجر و كان من صلحاء المسلمين .قالوا ومنا زهير بن أبى أمية بن المغيرة وبجير بن أبى ربيعة بن المغيرة غير رسول الله ص اسمه فسماه عبد الله كانا من أشراف قريش وعباس بن أبى ربيعة كان شريفا قالوا ومنا الحارث القباع و هوالحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة كان أميرالبصرة وعمر بن عبد الله بن أبى ربيعة الشاعر المشهور ذى الغزل والتشبيب .قالوا و من ولد الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة الفقيه المشهور و هوالمغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث كان فقيه المدينة بعدمالك بن أنس وعرض عليه الرشيد جائزة أربعة آلاف دينار فامتنع و لم يتقلد له القضاء.قالوا و من يعد ماتعده مخزوم ولها خالد بن الوليد بن المغيرة سيف الله كان مباركا ميمون النقيبة شجاعا و كان إليه أعنة الخيل على عهد رسول الله ص وشهد معه فتح مكة وجرح يوم حنين فنفث رسول الله ص على جرحه فبرأ و هو ألذى قتل مسيلمة وأسر طليحة ومهد خلافة أبى بكر و قال يوم موته لقد شهدت كذا وكذا زحفا و ما فى جسدى موضع إصبع إلا و فيه طعنة أوضربه وها أناذا أموت على فراشى كمايموت العير فلانامت أعين الجبناء ومر عمر بن الخطاب على دور بنى مخزوم والنساء يندبن خالدا و قدوصل خبره إليهم [صفحه ۳۰۷] و كان مات بحمص فوقف و قال ما على النساء أن يندبن أباسليمان وهل تقوم حرة عن مثله ثم أنشد أتبكى ماوصلت به الندامى || و لاتبكى فوارس كالجبال أولئك إن بكيت أشد فقدا || من الأنعام والعكر الحلال تمنى بعدهم قوم مداهم || فما بلغوا لغايات الكمال . و كان عمرو مبغضا لخالد ومنحرفا عنه و لم يمنعه ذلك من أن صدق فيه .قالوا ومنا الوليد بن الوليد بن المغيرة كان رجل صدق من صلحاء المسلمين . ومنا عبدالرحمن بن خالد بن الوليد و كان عظيم القدر فى أهل الشام وخاف معاوية منه أن يثب على الخلافة بعدهم فسمه أمر طبيبا له يدعى ابن أثال فسقاه فقتله . وخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد قاتل ابن أثال بعمه عبدالرحمن والمخالف على بنى أمية والمنقطع إلى بنى هاشم وإسماعيل بن هشام بن الوليد كان أميرالمدينة و ابراهيم و محمدابنا هشام بن عبدالملك وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد و كان من رجال قريش و من ولده هشام بن إسماعيل بن أيوب وسلمة بن عبد الله بن الوليد بن الوليد ولى شرطة المدينة.قالوا و من ولد حفص بن المغيرة عبد الله بن أبى عمر بن حفص بن المغيرة هوأول خلق الله حاج يزيد بن معاوية.قالوا ولنا الأزرق و هو عبد الله بن عبدالرحمن بن الوليد بن عبدشمس بن المغيرة والى اليمن لابن الزبير و كان من أجود العرب و هوممدوح أبى دهبل الجمحى. [صفحه ۳۰۸] قالوا ولنا شريك رسول الله ص و هو عبد الله بن السائب بن أبى السائب واسم أبى السائب صيفى بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كان شريك النبى ص فى الجاهلية فجاءه يوم الفتح فقال له أتعرفنى قال ألست شريكى قال بلى قال لقد كنت خير شريك لاتشارى و لاتمارى.قالوا ومنا الأرقم بن أبى الأرقم ألذى استتر رسول الله فى داره بمكة فى أول الدعوة واسم أبى الأرقم عبدمناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومنا أبوسلمة بن عبدالأسد واسمه عبد الله و هوزوج أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة قبل رسول الله ص شهد أبوسلمة بدرا و كان من صلحاء المسلمين .قالوا لنا هبيرة بن أبى وهب كان من الفرسان المذكورين وابنه جعدة بن هبيرة و هو ابن أخت على بن أبى طالب ع أمه أم هانئ بنت أبى طالب وابنه عبد الله بن جعدة بن هبيرة هو ألذى فتح القهندر وكثيرا من خراسان فقال فيه الشاعر لو لا ابن جعدة لم تفتح قهندركم || و لاخراسان حتى ينفخ الصور .قالوا ولنا سعيد بن المسيب الفقيه المشهور و أماالجواد المشهور فهو الحكم بن المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم . و قداختصرنا واقتصرنا على من ذكرنا وتركنا كثيرا من رجال مخزوم خوف الإسهاب . وينبغى أن يقال فى الجواب إن أمير المؤمنين ع لم يقل هذاالكلام احتقارا لهم و لااستصغارا لشأنهم ولكن أمير المؤمنين ع كان أكثر همة يوم المفاخرة أن يفاخر بنى عبدشمس لمابينه وبينهم فلما ذكر مخزوما بالعرض قال فيهم ما قال و لو كان يريد مفاخرتهم لمااقتصر لهم على ماذكره عنهم على أن أكثر هؤلاء الرجال إسلاميون بعدعصر على ع و على ع إنما يذكر من قبله لا من يجىء

بعده . [صفحه ۳۰۹] فإن قلت إذا كان قد قال فی بنی عبدشمس إنهم أمنع لماوراء ظهورهم ثم قال فی بنی هاشم إنهم أسمح عندالموت بنفوسهم فقد تناقض الوصفان . قلت لامناقضۀ بینهما لأنه أراد کثرۀ بنی عبدشمس فبالکثرۀ تمنع ماوراء ظهورها و کان بنو هاشم أقل عددا من بنی عبدشمس إلا أن کل واحد منهم علی انفراده أشجع وأسمح بنفسه عندالموت من کل واحد علی انفراده من بنی عبدشمس فقد بان أنه لامناقضۀ بین القولین [صفحه ۳۱۰]

۱۱۷

شَتّانَ مَا بَینَ عَمَلَینِ عَمَلٍ تَذهَبُ لَذّتُهُ وَ تَبقَی تَبِعَتُهُ وَ عَمَلٍ تَذهَبُ مَئُونَتُهُ وَ یَبقَی أَجرُهُ أخذ هذاالمعنی بعض الشعراء فقال تفنی اللذاذۀ ممن نال بغیته || من الحرام ویبقی الإثم والعار تبقی عواقب سوء فی مغبتها || لاخیر فی لذۀ من بعدها النار [صفحه ۳۱۱]

۱۱۸

وَ قَالَ ع وَ قَد تَبِعَ جِنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلًا یَضحَکُ فَقَالَ کَأَنّ المَوتَ فِیهَا عَلَی غَیرِنَا کُتِبَ وَ کَأَنّ الحَقّ فِیهَا عَلَی غَیرِنَا وَجَبَ وَ کَأَنّ الّذِی نَرَی مِنَ الأَموَاتِ سَفرٌ عَمّا قَلِیلٍ إِلَینَا رَاجِعُونَ نُبَوّئُهُم أَجدَاثَهُم وَ نَأکُلُ تُرَاثَهُم کَأَنّا مُخَلّدُونَ بَعدَهُم قَد نَسِینَا کُلّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظَةٍ وَ رُمِینَا بِکُلّ جَائِحَةٍ طُوبَی لِمَن ذَلّ فِی نَفسِهِ وَ طَابَ کَسبُهُ وَ صَلَحَت سَرِیرَتُهُ وَ حَسُنَت خَلِیقَتُهُ وَ أَنفَقَ الفَضلَ مِن مَالِهِ وَ أَمسَکَ الفَضلَ مِن لِسَانِهِ وَ عَزَلَ عَنِ النّاسِ شَرّهُ وَ وَسِعَتهُ السّنّةُ وَ لَم یُنسَب إِلَی بِدعَةٍ قال الرضی رحمه الله تعالی أقول و من الناس من ینسب هذاالکلام إلی رسول الله ص -روایت-۱-۹۰ الأشهر الأکثر فی الروایۀ أن هذاالکلام من کلام رسول الله ص ومثل قوله کأن الموت فیها علی غیرنا کتب قول الحسن ع مارأیت حقا لاباطل فیه أشبه بباطل لاحق فیه من الموت -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۷۶ والألفاظ التی بعده واضحۀ لیس فیها مایشرح و قدتقدم ذکر نظائرها [صفحه ۳۱۲]

۱۱۹

غَیرَةُ المَرأَةِ کُفرٌ وَ غَیرَةُ الرّجُلِ إِیمَانٌ المرجع فی هذا إلی العقل والتماسک فلما کان الرجل أعقل وأشد تماسکا کانت غیرته فی موضعها وکانت واجبۀ علیه لأن النهی عن المنکر واجب وفعل الواجبات من الإیمان و أماالمرأۀ فلما کانت انقص عقلا وأقل صبرا کانت غیرتها علی الوهم الباطل والخیال غیرالمحقق فکانت قبیحۀ لوقوعها غیرموقعها وسماها ع کفرا لمشارکتها الکفر فی القبح فأجری علیها اسمه . وأیضا فإن المرأۀ قدتؤدی بهاالغیرۀ إلی ما یکون کفرا علی الحقیقۀ کالسحر فقد ورد فی الحدیث المرفوع أنه کفر و قدیفضی بهاالضجر والقلق إلی أن تتسخط وتشتم وتتلفظ بألفاظ تکون کفرا لامحالۀ [صفحه ۳۱۳]

۱۲۰

لَأَنسُبَنّ الإِسلَامَ نِسبَةً لَم یَنسُبهَا أَحَدٌ قَبلِی الإِسلَامُ هُوَ التّسلِیمُ وَ التّسلِیمُ هُوَ الیَقِینُ وَ الیَقِینُ هُوَ التّصدِیقُ وَ التّصدِیقُ هُوَ الإِقرَارُ وَ الإِقرَارُ هُوَ الأَدَاءُ وَ الأَدَاءُ هُوَ العَمَلُ خلاصۀ هذاالفصل تقتضی صحۀ مذهب أصحابنا المعتزلۀ فی أن الإسلام والإیمان عبارتان عن معبر واحد و أن العمل داخل فی مفهوم هذه اللفظۀ أ لاتراه جعل کل واحدۀ من اللفظات قائمۀ مقام الأخری فی إفادۀ

المفهوم كماتقول الليث هوالأسد والأسد هوالسبع والسبع هو أبوالحارث فلاشبهة أن الليث يكون أباالحارث أى أن الأسماء مترادفة فإذا كان أول اللفظات الإسلام وآخرها العمل دل على أن العمل هوالإسلام وهكذا يقول أصحابنا إن تارك العمل وتارك الواجب لايسمى مسلما. فإن قلت هب أن كلامه ع يدل على ما قلت كيف يدل على أن الإسلام هوالإيمان قلت لأنه إذادل على أن العمل هوالإسلام وجب أن يكون الإيمان هوالإسلام لأن كل من قال إن العمل داخل فى مسمى الإسلام قال إن الإسلام هوالإيمان [صفحه ۳۱۴] فالقول بأن العمل داخل فى مسمى الإسلام و ليس الإسلام هوالإيمان قول لم يقل به أحد فيكون الإجماع واقعا على بطلانه . فإن قلت إن أمير المؤمنين ع لم يقل كماتقوله المعتزلة لأن المعتزلة تقول الإسلام اسم واقع على العمل وغيره من الاعتقاد والنطق باللسان و أمير المؤمنين ع جعل الإسلام هوالعمل فقط فكيف ادعيت أن قول أمير المؤمنين ع يطابق مذهبهم قلت لايجوز أن يريد غيره لأن لفظ العمل يشمل الاعتقاد والنطق باللسان وحركات الأركان بالعبادات إذ كل ذلك عمل وفعل و إن كان بعضه من أفعال القلوب وبعضه من أفعال الجوارح و لو لم يرد أمير المؤمنين ع ماشرحناه لكان قد قال الإسلام هوالعمل بالأركان خاصة و لم يعتبر فيه الاعتقاد القلبى و لاالنطق اللفظى و ذلك مما لايقوله أحد [صفحه ۳۱۵]

۱۲۱

عَجبتُ لِلبَخِيلِ يَستَعجِلُ الفَقرَ أَلّـذِى مِنهُ هَرَبَ وَ يَفُوتُهُ الغِنَى أَلّذِى إِيّاهُ طَلَبَ فَيَعِيشُ فِى الدّنيَا عَيشَ الفُقَرَاءِ وَ يُحَاسَبُ فِى الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغنِيَاءِ وَ عَجِبتُ لِلمُتَكَبّرِ أَلّذِى كَانَ بِالأَمسِ نُطفَةً وَ يَكُونُ غَداً جِيفَةً وَ عَجِبتُ لِمَن شَكّ فِى اللّهِ وَ هُوَ يَرَى خَلقَ اللّهِ وَ عَجِبتُ لِمَن نسَيِ‌َ المَوتَ وَ هُوَ يَرَى مَن يَمُوتُ وَ عَجِبتُ لِمَن أَنكَرَ النّشأَةَ الأُخرَى وَ هُوَ يَرَى النّشأَةَ الأُولَى وَ عَجِبتُ لِعَامِرٍ دَارَ الفَنَاءِ وَ تَارِكٍ دَارَ البَقَاءِ قال أعرابى الرزق الواسع لمن لايستمتع به بمنزلة الطعام الموضوع على قبر ورأى حكيم رجلا مثريا يأكل خبزا وملحا فقال لم تفعل هذا قال أخاف الفقر قال فقد تعجلته فأما القول فى الكبر والتيه فقد تقدم منه ما فيه كفاية و قال ابن الأعرابى ماتاه على أحد قط أكثر من مرة واحدة أخذ هذاالمعنى شاعر فقال وأحسن هذه منك فإن عدت || إلى الباب فمنى . و قدتقدم من كلامنا فى نظائر هذه الألفاظ المذكورة مايغنى عن الإطالة هاهنا [صفحه ۳۱۶]

۱۲۲

مَن قَصّرَ فِى العَمَلِ ابتلُيِ‌َ بِالهَمّ هذامخصوص بأصحاب اليقين والاعتقاد الصحيح فإنهم الذين إذاقصروا فى العمل ابتلوا بالهم فأما غيرهم من المسرفين على أنفسهم وذوى النقص فى اليقين والاعتقاد فإنه لاهم يعروهم و إن قصروا فى العمل و هذه الكلمة قدجربناها من أنفسنا فوجدنا مصداقها واضحا و ذلك أن الواحد منا إذاأخل بفريضة الظهر مثلا حتى تغيب الشمس و إن كان أخل بهالعذر وجد ثقلا فى نفسه وكسلا وقلة نشاط وكأنه مشكول بشكال أومقيد بقيد حتى يقضى تلك الفريضة فكأنما أنشط من عقال [صفحه ۳۱۷]

۱۲۳

لَا حَاجَةَ لِلّهِ فِيمَن لَيسَ لِلّهِ فِى مَالِهِ وَ نَفسِهِ نَصِيبٌ قدجاء فى الخبر المرفوع إذاأحب الله عبدا ابتلاه فى ماله أو فى نفسه -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۷۵ جاء فى الحديث المرفوع أللهم أنى أعوذ بك من جسد لايمرض و من مال لايصاب -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۸۰ روى عبد الله بن أنس عنه ص أنه قال أيكم يحب أن يصح فلايسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال أتحبون أن

تکونوا کالحمر الصائلۀ ألا تحبون أن تکونوا أصحاب بلایا وأصحاب کفارات و ألذی بعثنی بالحق إن الرجل لتکون له الدرجۀ فی الجنۀ فلایبلغها بشیء من عمله فیبتلیه الله لیبلغه الله درجۀ لایبلغها بعمله -روایت-۱-۲-روایت-۴۳-۳۱۵ فی الحدیث أیضا ما من مسلم یمرض مرضا إلاحت الله به خطایاه کماتحت الشجرۀ ورقها -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۸۸ روی أبوعثمان النهدی قال دخل رجل أعرابی علی رسول الله ص ذو جسمان عظیم فقال له متی عهدک بالحمی قال ماأعرفها قال بالصداع -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-ادامه دارد [صفحه ۳۱۸] قال ماأدری ما هو قال فأصبت بمالک قال لا قال فرزئت بولدک قال لا فقال ع إن الله لیکره العفریت النفریت ألذی لایرزأ فی ولده و لایصاب فی ماله -روایت-از قبل-۱۵۸ جاء فی بعض الآثار أشد الناس حسابا الصحیح الفارغ -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۵۳ فی حدیث حذیفۀ رضی الله عنه إن أقر یوم لعینی لیوم لاأجد فیه طعاما سمعت رسول الله ص یقول إن الله لیتعاهد عبده المؤمن بالبلاء کمایتعاهد الوالد ولده بالطعام و إن الله یحمی عبده المؤمن کمایحمی أحدکم المریض من الطعام -روایت-۱-۲-روایت-۳۴-۲۳۹ فی الحدیث المرفوع أیضا إذاأحب الله عبدا ابتلاه فإذاأحبه الحب البالغ اقتناه قالوا و مااقتناؤه قال ألا یترک له مالا و لاولدا -روایت-۱-۲-روایت-۲۸-۱۳۷ مر موسی ع برجل کان یعرفه مطیعا لله قدمزقت السباع لحمه وأضلاعه وکبده ملقاۀ فوقف متعجبا فقال أی رب عبدک المطیع لک ابتلیته بما أری فأوحی الله إلیه أنه سألنی درجۀ لم یبلغها بعمله فجعلت له بما تری سبیلا إلی تلک الدرجۀ -روایت-۱-۲۳۸ جاء فی الحدیث أن زکریا لم یزل یری ولده یحیی مغموما باکیا مشغولا بنفسه فقال یارب طلبت منک ولدا أنتفع به فرزقتنیه لانفع لی فیه فقال له إنک طلبته ولیا والولی لا یکون إلاهکذا مسقاما فقیرا مهموما -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۲۱۴ . و قال سفیان الثوری کانوا لایعدون الفقیه فقیها من لایعد البلاء نعمۀ والرخاء مصیبۀ. جابر بن عبد الله یرفعه یود أهل العافیۀ یوم القیامۀ أن لحومهم کانت تقرض بالمقاریض لمایرون من ثواب أهل البلاء -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۱۱۸ [صفحه ۳۱۹]

۱۲۴

تَوَقَّوُا البَردَ فِی أَوّلِهِ وَ تَلَقّوهُ فِی آخِرِهِ فَإِنّهُ یَفعَلُ فِی الأَبدَانِ کَفِعلِهِ فِی الأَشجَارِ أَوّلُهُ یُحرِقُ وَ آخِرُهُ یُورُق هذه مسألۀ طبیعیۀ قدذکرها الحکماء قالوا لما کان تأثیر الخریف فی الأبدان وتولیده الأمراض کالزکام والسعال وغیرهما أکثر من تأثیر الربیع مع أنهما جمیعا فصلا اعتدال وأجابوا بأن برد الخریف یفجأ الإنسان و هومعتاد لحر الصیف فینکأ فیه ویسد مسام دماغه لأن البرد یکثف ویسد المسام فیکون کمن دخل من موضع شدید الحرارۀ إلی خیش بارد.فأما المنتقل من الشتاء إلی فصل الربیع فإنه لایکاد برد الربیع یؤذیه ذلک الأذی لأنه قداعتاد جسمه برد الشتاء فلایصادف من برد الربیع إلا ما قداعتاد ما هوأکثر منه فلایظهر لبرد الربیع تأثیر فی مزاجه فأما لم أورقت الأشجار وأزهرت فی الربیع دون الخریف فلما فی الربیع من الکیفیتین اللتین هما منبع النمو والنفس النباتیۀ وهما الحرارۀ والرطوبۀ و أماالخریف فخال من هاتین الکیفیتین ومستبدل بهما ضدهما [صفحه ۳۲۰] وهما البرودۀ والیبس المنافیان للنشوء وحیاۀ الحیوان والنبات فأما لم کان الخریف باردا یابسا والربیع حارا رطبا مع أن نسبۀ کل واحد منهما إلی الفصلین الخارجین عن الاعتدال وهما الشتاء والصیف نسبۀ واحدۀ فإن تعلیل ذلک مذکور فی الأصول الطبیۀ والکتب الطبیعیۀ و لیس هذاالموضع مما یحسن أن یشرح فیه مثل ذلک [صفحه ۳۲۱]

۱۲۵

عِظَمُ الخَالِقِ عِندَکَ یُصَغّرُ المَخلُوقَ فِی عَینِکَ لانسبۀ للمخلوق إلی الخالق أصلا وخصوصا البشر لأنهم بالنسبۀ إلی فلک القمر

كالذرة ونسبة فلك القمر كالذرة بالنسبة إلى قرص الشمس بل هم دون هذه النسبة مما يعجز الحاسب الحاذق عن حساب ذلك وفلك القمر بالنسبة إلى الفلك المحيط دون هذه النسبة ونسبة الفلك المحيط إلى البارى سبحانه كنسبة العدم المحض والنفى الصرف إلى الموجود البائن بل هذاالقياس أيضا غيرصحيح لأن المعدوم يمكن أن يصير موجودا بائنا والفلك لايتصور أن يكون صانع العالم الواجب الوجود لذاته . و على الجملة فالأمر أعظم من كل عظيم وأجل من كل جليل و لاطاقة للعقول والأذهان أن تعبر عن جلالة ذلك الجناب وعظمته بل لوقيل إنها لاطاقة لها أن تعبر عن جلال مصنوعاته الأولى المتقدمة علينا بالرتبة العقلية والزمانية لكان ذلك القول حقا وصدقا فمن هوالمخلوق ليقال إن عظم الخالق يصغره فى العين ولكن كلامه ع محمول على مخاطبة العامة الذين تضيق أفهامهم عما ذكرناه [صفحه ٣٢٢]

۱۲۶

وَ قَالَ ع وَ قَد رَجَعَ مِن صِفّينَ فَأَشرَفَ عَلَى القُبُورِ بِظَاهِرِ الكُوفَةِ يَا أَهلَ الدّيَارِ المُوحِشَةِ وَ المَحَالّ المُقفِرَةِ وَ القُبُورِ المُظلِمَةِ يَا أَهلَ التّربَةِ يَا أَهلَ الغُربَةِ يَا أَهلَ الوَحدَةِ يَا أَهلَ الوَحشَةِ أَنتُم لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ وَ نَحنُ لَكُم تَبَعٌ لَاحِقٌ أَمّا الدّورُ فَقَد سُكِنَت وَ أَمّا الأَزوَاجُ فَقَد نُكِحَت وَ أَمّا الأَموَالُ فَقَد قُسّمَت هَذَا خَبَرُ مَا عِندَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِندَكُم ثُمّ التَفَتَ إِلَى أَصحَابِهِ فَقَالَ أَمَا وَ اللّهِ لَو أُذِنَ لَهُم فِى الكَلَامِ لَأَخبَرُوكُم أَنّ خَيرَ الزّادِ التّقوَى الفرط المتقدمون و قدذكرنا من كلام عمر ماايناسب هذاالكلام لماطعن فى القبور وعاد إلى أصحابه أحمر الوجه ظاهر العروق قال قدوقفت على قبور الأحبة فناديتها الحديث إلى آخره فقيل له فهل أجابتك قال نعم قالت إن خير الزاد التقوى . و قدجاء فى حديث القبور ومخاطبتها وحديث الأموات و مايتعلق بذلك شىءكثير يتجاوز الإحصاء. [صفحه ٣٢٣] و فى وصية النبى ص أباذر رضى الله عنه زر القبور تذكر بهاالآخرة و لاتزرها ليلا وغسل الموتى يتحرك قلبك فإن الجسد الخاوى عظة بليغة وصل على الموتى فإن ذلك يحزنك فإن الحزين فى ظل الله –روايت–١–٢–روايت–٤٣–١٩۶ وجد على قبر مكتوبا مقيم إلى أن يبعث الله خلقه || لقاؤك لايرجى و أنت رقيب تزيد بلى فى كل يوم وليلة || وتنسى كماتبلى و أنت حبيب قال الحسن ع مات صديق لنا صالح فدفناه ومددنا على القبر ثوبا فجاء صلة بن أشيم فرفع طرف الثوب ونادى يافلان –روايت–١–٢–روايت–١٨–١٢٠ إن تنج منها تنج من ذى عظيمة || و إلافإنى لاإخالك ناجيا فى الحديث المرفوع أنه ع كان إذاتبع الجنازة أكثر الصمات ورئى عليه كآبة ظاهرة وأكثر حديث النفس –روايت–١–٢–روايت–٢٣–١٠٧ .سمع أبوالدرداء رجلا يقول فى جنازة من هذا فقال أنت فإن كرهت فأنا. سمع الحسن ع امرأة تبكى خلف جنازة وتقول ياأبتاه مثل يومك لم أره فقال بل أبوك مثل يومه لم يره –روايت–١–١٠٧ . و كان مكحول إذارأى جنازة قال اغد فإنا رائحون . و قال ابن شوذب اطلعت امرأة صالحة فى لحد فقالت لامرأة معها هذاكندوج العمل يعنى خزانته وكانت تعطيها الشىء بعدالشىء تأمرها أن تتصدق به فتقول اذهبى فضعى هذا فى كندوج العمل . [صفحه ٣٢٤] شاعر أجازعة ردينة أن أتاها || نعيى أم يكون لها اصطبار إذا ما أهل قبرى ودعونى || وراحوا والأكف بهاغبار وغودر أعظمى فى لحد قبر || تراوحه الجنائب والقطار تهب الريح فوق محط قبرى || ويرعى حوله اللهق النوار مقيم لايكلمنى صديق || بقفر لاأزور و لاأزار فذاك النأى لاالهجران حولا || وحولاـ ثم تجتمع الديار . و قال آخر كأنى بإخوانى على حافتى قبرى || يهيلونه فوقى وأدمعهم تجرى فيا أيها المذرى على دموعه || ستعرض فى يومين عنى و عن ذكرى عفا الله عنى يوم أترك ثاويا || أزار فلاأدرى وأجفى فلاأدرى جاء فى الحديث المرفوع مارأيت منظرا إلاـ والقبر أفظع منه –روايت–١–٢–روايت–٢۶–۶٣ فى الحديث أيضا القبر أول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر و من لم ينج منه فما بعده شر منه –روايت–١–٢–روايت–١٩–١١٧ [صفحه ٣٢٥]

۱۲۷

وَ قَالَ ع وَ قَد سَمِعَ رَجُلًا يَذُمّ الدّنيَا أَيّهَا الذّامّ لِلدّنيَا المُغتَرّ بِغُرُورِهَا المُنخَدِعُ بِأَبَاطِيلِهَا أَ تَفتَتِنُ بِهَا ثُمّ تَذُمّهَا أَنتَ المُتَجَرّمُ عَلَيهَا أَم هيَ المُتَجَرّمَةُ عَلَيكَ مَتَى استَهوَتكَ أَم مَتَى غَرّتكَ أَ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ البِلَى أَم بِمَضَاجِعِ أُمّهَاتِكَ تَحتَ الثّرَى كَم عَلّلتَ بِكَفّيكَ وَ كَم مَرّضتَ بِيَدَيكَ تَبتَغِي لَهُمُ الشّفَاءَ وَ تَستَوصِفُ لَهُمُ الأَطِبّاءَ غَدَاةَ لَا يُغنِي عَنهُم دَوَاؤُكَ وَ لَا يُجدِي عَلَيهِم بُكَاؤُكَ لَم يَنفَع أَحَدَهُم إِشفَاقُكَ وَ لَم تُسعَف فِيهِ بِطَلِبَتِكَ وَ لَم تَدفَع عَنهُ بِقُوّتِكَ وَ قَد مَثّلَت لَكَ بِهِ الدّنيَا نَفسَكَ وَ بِمَصرَعِهِ مَصرَعَكَ إِنّ الدّنيَا دَارُ صِدقٍ لِمَن صَدَقَهَا وَ دَارُ عَافِيَةٍ لِمَن فَهِمَ عَنهَا وَ دَارُ غِنًى لِمَن تَزَوّدَ مِنهَا وَ دَارُ مَوعِظَةٍ لِمَنِ اتّعَظَ بِهَا مَسجِدُ أَحِبّاءِ اللّهِ وَ مُصَلّى مَلَائِكَةِ اللّهِ وَ مَهبِطُ وَحيِ اللّهِ وَ مَتجَرُ أَولِيَاءِ اللّهِ اكتَسَبُوا فِيهَا الرّحمَةَ وَ رَبِحُوا فِيهَا الجَنّةَ فَمَن ذَا يَذُمّهَا وَ قَد آذَنَت بِبَينِهَا وَ نَادَت بِفِرَاقِهَا وَ نَعَت نَفسَهَا وَ أَهلَهَا فَمَثّلَت لَهُم بِبَلَائِهَا البَلَاءَ وَ شَوّقَتهُم بِسُرُورِهَا إِلَى السّرُورِ رَاحَت بِعَافِيَةٍ وَ ابتَكَرَت بِفَجِيعَةٍ تَرغِيباً وَ تَرهِيباً وَ تَخوِيفاً وَ تَحذِيراً [صفحه ۳۲۶] فَذَمّهَا رِجَالٌ غَدَاةَ النّدَامَةِ وَ حَمِدَهَا آخَرُونَ يَومَ القِيَامَةِ ذَكّرَتهُمُ الدّنيَا فَذَكّرُوا وَ حَدّثَتهُم فَصَدّقُوا وَ وَعَظَتهُم فَاتّعَظُوا تجرمت على فلان ادعيت عليه جرما وذنبا واستهواه كذا استزله . و قوله ع فمثلت لهم ببلائها البلاء أى بلاء الآخرة وعذاب جهنم وشوقتهم بسرورها إلى السرور أى إلى سرور الآخرة ونعيم الجنة. و هذاالفصل كله لمدح الدنيا و هوينبئ عن اقتداره ع على مايريد من المعانى لأن كلامه كله فى ذم الدنيا و هوالآن يمدحها و هوصادق فى ذاك و فى هذا و قدجاء عن النبى ص كلام يتضمن مدح الدنيا أوقريبا من المدح و هو قوله ع الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بورك له فيها -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۶۱ . واحتذى عبد الله بن المعتز حذو أمير المؤمنين ع فى مدح الدنيا فقال فى كلام له الدنيا دار التأديب والتعريف التى بمكروهها توصل إلى محبوب الآخرة ومضمار الأعمال السابقة بأصحابها إلى الجنان ودرجة الفوز التى يرتقى عليها المتقون إلى دار الخلد وهى الواعظة لمن عقل والناصحة لمن قبل وبساط المهل وميدان العمل وقاصمة الجبارين وملحقة الرغم معاطس المتكبرين وكاسية التراب أبدان المختالين وصارعة المغترين ومفرقة أموال الباخلين وقاتلة القاتلين والعادلة بالموت على جميع العالمين وناصرة المؤمنين ومبيرة الكافرين الحسنات فيهامضاعفة والسيئات بآلامها ممحوة و مع عسرها يسران و الله تعالى قدضمن أرزاق أهلها وأقسم فى كتابه بما فيها ورب طيبة [صفحه ۳۲۷] من نعيمها قدحمد الله عليها فتلقتها أيدى الكتبة ووجبت بهاالجنة وكم نائبة من نوائبها وحادثة من حوادثها قدراضت الفهم ونبهت الفطنة وأذكت القريحة وأفادت فضيلة الصبر وكثرت ذخائر الأجر. و من الكلام المنسوب إلى على ع الناس أبناء الدنيا و لايلام المرء على حب أمه -روايت-۱-۲-روايت-۳۶-۸۵ أخذه محمد بن وهب الحميرى فقال ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها || و ماكنت منه فهو شيءمحبب [صفحه ۳۲۸]

۱۲۸

إِنّ لِلّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلّ يَومٍ لِدُوا لِلمَوتِ وَ اجمَعُوا لِلفَنَاءِ وَ ابنُوا لِلخَرَابِ هذه اللام عند أهل العربية تسمى لام العاقبة ومثل هذا قوله تعالى فَالتَقَطَهُ آلُ فِرعَونَ لِيَكُونَ لَهُم عَدُوّا وَ حَزَناً ليس أنهم التقطوه لهذه العلة بل التقطوه فكان عاقبة التقاطهم إياه العداوة والحزن ومثله -قرآن-۷۰-۱۲۹ فللموت ماتلد الوالدة . ومثله قوله تعالى وَ لَقَد ذَرَأنا لِجَهَنّمَ ليس أنه ذرأهم ليعذبهم فى جهنم بل ذرأهم و كان عاقبة ذرئهم أن صاروا فيها وبهذا الحرف يحصل الجواب عن كثير من الآيات المتشابهة التى تتعلق بهاالمجبرة. و أمافحوى هذاالقول وخلاصته فهو التنبيه على أن الدنيا دار فناء وعطب لادار بقاء وسلامة و أن الولد يموت والدور تخرب و مايجمع من الأموال يفنى -قرآن-۲۲-۴۸ [صفحه ۳۲۹]

۱۲۹

الـدّنیَا دَارُ مَمَرّ لَـا دَارُ مَقَرّ وَ النّـاسُ فِیهَـا رَجُلَـانِ رَجُـلٌ بَـاعَ نَفسَهُ فَأَوبَقَهَـا وَ رَجُـلٌ ابتَـاعَ نَفسَهُ فَأَعتَقَهَا قال عمر بن عبـدالعزیز یوما لجلسـائه أخبرونی من أحمق النـاس قـالوا رجل باع آخرته بـدنیاه فقال أ لاأنبئکم بأحمق منه قالوا بلی قال رجل باع آخرته بـدنیا غیره . قلت لقائل أن یقول له ذاک باع آخرته بـدنیاه أیضا لأنه لو لم یکن له لـذهٔ فی بیع آخرته بـدنیا غیره لماباعها و إذا کان له فی ذلک لذهٔ فإذن إنما باع آخرته بدنیاه لأن دنیاه هی لذته [صفحه ۳۳۰]

۱۳۰

لَا یَکُونُ الصّـدِیقُ صَـدِیقاً حَتّی یَحفَظَ أَخَاهُ فِی ثَلَاثٍ فِی نَکبَتِهِ وَ غَیبَتِهِ وَ وَفَاتِهِ قدتقدم لنا کلام فی الصدیق والصداقهٔ و أماالنکبهٔ وحفـظ الصـدیق فیهافـإنه یقـال فی الحبوس مقـابر الأحیاء وشـماتهٔ الأعـداء وتجربـهٔ الأصـدقاء. و أماالغیبـهٔ فإنه قـد قال الشاعر و إذاالفتی حسـنت مودته || فی القرب ضاعفها علی البعـد . و أماالموت فقـد قال الشاعر وإنی لأسـتحییه والترب بیننا || کماکنت أسـتحییه و هویرانی من کلاـم علی ع الصـدیق من صـدق فی غیبته -روایت-۱-۲-روایت-۲۰-۴۶ .قیل لحکیم من أبعـد الناس سفرا قال من سافر فی ابتغاء الأخ الصالح . أبوالعلاء المعری أزرت بکم یاذوی الألباب أربعهٔ || یترکن أحلامکم نهب الجهالات ود الصدیق وعلم الکیمیاء وأحکام || النجوم وتفسیر المنامات .قیل للثوری دلنی علی جلیس أجلس إلیه قال تلک ضالهٔ لاتوجد [صفحه ۳۳۱]

۱۳۱

مَن أعُطِیَ أَربَعـاً لَم یُحرَم أَربَعـاً مَن أعُطِیَ الـدّعَاءَ لَم یُحرَمِ الإِجَابَـهَٔ وَ مَن أعُطِیَ التّوبَـهَٔ لَم یُحرَمِ القَبُولَ وَ مَن أعُطِیَ الِاستِغفَارَ لَم یُحرَمِ المَغفِرَهَٔ وَ مَـن أعُطِیَ الشّـکرَ لَم یُحرَمِ الزّیَـادَهَٔ قـال الرضـی رحمه الله تعـالی وتصـدیق ذلـک فی کتـاب الله تعـالی قـال فی الـدعاءادعوُنیِ أَسـتَجِب لَکُم و قال فی الاسـتغفاروَ مَن یَعمَل سُوءاً أَو یَظلِم نَفسَهُ ثُمّ یَسـتَغفِرِ اللّهَ یَجِـدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِیماً و قال فی الشـکرلَئِن شَـکَرتُم لَأَزِیـدَنّکُم و قال فی التوبهإِنّمَا التّوبَهُ عَلَی اللّهِ لِلّذِینَ یَعمَلُونَ السّوءَ بِجَهالَهٍٔ ثُمّ یَتُوبُونَ مِن قَرِیبٍ فَأُولئِکَ یَتُوبُ اللّـهُ عَلَیهِم وَ کـانَ اللّهُ عَلِیمـاً حَکِیمـاً -روایت-۱-۴۴۹ فی بعض الروایـات أن مـانسب إلی الرضـی رحمـه الله من استنباط هـذه المعانی من الکتاب العزیز من متن کلام أمیر المؤمنین ع و قدسبق القول فی کل واحدهٔ من هذه الأربع مستقصی [صفحه ۳۳۲]

۱۳۲

اشاره

الصّـلَاهُٔ قُربَـانُ کُـلّ تقَیِّ وَ الحَـجّ جِهَادُ کُلّ ضَـعِیفٍ وَ لِکُلّ شَـیءٍ زَکَاهٌٔ وَ زَکَاهُٔ البَـدَنِ الصّومُ وَ جِهَادُ المَرأَهِٔ حُسنُ التّبَعّلِ قدتقـدم القول فی الصـلاهٔ والحـج والصـیام فأمـا أن جهاد المرأهٔ حسن التبعل فمعناه حسن معاشـرهٔ بعلها وحفظ ماله وعرضه وإطاعته فیما یأمر به وترک الغیرهٔ فإنها باب الطلاق

وأوصت امرأة من نساء العرب بنتها ليلة إهدائها فقالت لها لوتركت الوصية لأحد لحسن أدب وكرم حسب لتركتها لك ولكنها تذكرة للغافل ومئونة للعاقل إنك قدخلفت العش ألذى فيه درجت والوكر ألذى منه خرجت إلى منزل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة يكن لك عبدا واحفظى عنى خصالا عشرا. [صفحه ٣٣٣] أماالأولى والثانية فحسن الصحابة بالقناعة وجميل المعاشرة بالسمع والطاعة ففى حسن الصحابة راحة القلب و فى جميل المعاشرة رضا الرب . والثالثة والرابعة التفقد لمواقع عينه والتعهد لمواضع أنفه فلاتقع عينه منك على قبيح و لايجد أنفه منك خبيث ريح واعلمى أن الكحل أحسن الحسن المفقود و أن الماء أطيب الطيب الموجود والخامسة والسادسة الحفظ لماله والإرعاء على حشمه وعياله واعلمى أن أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير وأصل الإرعاء على الحشم والعيال حسن التدبير والسابعة والثامنة التعهد لوقت طعامه والهدو والسكون عندمنامه فحرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة والتاسعة والعاشرة لاتفشين له سرا و لاتعصين له أمرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره و إن عصيت أمره أوغرت صدره . وأوصت امرأة ابنتها و قدأهدتها إلى بعلها فقالت كونى له فراشا يكن لك معاشا وكونى له وطاء يكن لك غطاء وإياك والاكتئاب إذا كان فرحا والفرح إذا كان كئيبا و لايطلعن منك على قبيح و لايشمن منك إلاطيب ريح . وزوج عامر بن الظرب ابنته من ابن أخيه فلما أراد تحويلها قال لأمها مرى ابنتك ألا تنزل مفازة إلا ومعها ماء فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء و لاتكثر مضاجعته فإذامل البدن مل القلب و لاتمنعه شهوته فإن الحظوة فى المواقعة فلم يلبث إلاشهرا حتى جاءته مشجوجة فقال لابن أخيه يابنى ارفع عصاك عن بكرتك [صفحه ٣٣٤] فإن كان من غير أن تنفر بك فهو الداء ألذى ليس له دواء و إن لم يكن بينكما وفاق ففراق الخلع أحسن من الطلاق و أن تترك أهلك ومالك .فرد عليه صداقها وخلعها منه فهو أول خلع كان فى العرب . وأوصى الفرافصة الكلبى ابنته نائلة حين أهداها إلى عثمان فقال يابنية إنك تقدمين على نساء من نساء قريش هن أقدر على الطيب منك و لاتغلبين على خصلتين الكحل والماء تطهرى حتى يكون ريح جلدك ريح شن أصابه مطر وإياك والغيرة على بعلك فإنها مفتاح الطلاق . وروى أبوعمرو بن العلاء قال أنكح ضرار بن عمرو الضبى ابنته من معبد بن زرارة فلما أخرجها إليه قال يابنية أمسكى عليك الفضلين فضل الغلمة وفضل الكلام . قال أبوعمرو وضرار هذا هو ألذى رفع عقيرته بعكاظ و قال ألا إن شر حائل أم فزوجوا الأمهات قال و ذلك أنه صرع بين الرماح فأشبل عليه إخوته لأمه حتى استنقذوه . وأوصت أعرابية ابنتها عندإهدائها فقالت لها اقلعى زج رمحه فإن أقر فاقلعى سنانه فإن أقر فاكسرى العظام بسيفه فإن أقر فاقطعى اللحم على ترسه فإن أقر فضعى الإكاف على ظهره فإنما هوحمار. و هذا هوقبح التبعل وذكرناه نحن فى باب حسن التبعل لأن الضد يذكر بضده [صفحه ٣٣٥]

١٣٣

جاء فى الحديث المرفوع وقيل إنه موقوف على عثمان تاجروا الله بالصدقة تربحوا -روايت-١-٢-روايت-٥٥-٨٢ . و كان يقال الصدقة صداق الجنة. و فى الحديث المرفوع ماأحسن عبدالصدقة إلاأحسن الله الخلافة على مخلفيه -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٧٦ عنه ص ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا إلا كان فى حفظ الله مادام منه رقعة -روايت-١-٢-روايت-١١-٧٨ . و قال عمر بن عبدالعزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه [صفحه ٣٣٦]

١٣٤

وَ مَن أَيقَنَ بِالخَلَفِ جَادَ بِالعَطِيّةِ هذاحق لأن من لم يوقن بالخلف ويتخوف الفقر يضن بالعطية ويعلم أنه إذاأعطى ثم أعطى استنفد ماله واحتاج إلى الناس لانقطاع مادته و أما من يوقن بالخلف فإنه يعلم أن الجود شرف لصاحبه و أن الجواد ممدوح عند الناس فقد وجد الداعى إلى السماح و لاصارف له عنه لأنه يعلم أن مادته دائمة غيرمنقطعة فالصارف ألذى يخافه من قدمناه ذكره مفقود فى حقه فلاجرم أنه يجود بالعطية [صفحه ٣٣٧]

١٣٥

تَنزِلُ المَعُونَةُ عَلَى قَدرِ المَئُونَةِ جاء فى الحديث المرفوع من وسع وسع عليه وكلما كثر العيال كثر الرزق -روايت-١-٢-روايت-٢۶-٧۵. و كان على بعض الموسرين رسوم لجماعة من الفقراء يدفعها إليهم كل سنة فاستكثرها فأمر كاتبه بقطعها فرأى فى المنام كأن له أهواء كثيرة فى داره وكأنها تصعدها أقوام من الأرض إلى السماء و هويجزع من ذلك فيقول يارب رزقى رزقى فقيل له إنما رزقناك هذه لتصرفها فيما كنت تصرفها فيه فإذ قطعت ذلك رفعناها منك وجعلناها لغيرك فلما أصبح أمر كاتبه بإعادة تلك الرسوم أجمع [صفحه ٣٣٨]

١٣۶

مَا عَالَ مَنِ اقتَصَدَ ماعال أى माافتقر و قدتقدم لنا قول مقنع فى مدح الاقتصاد. و قال أبوالعلاء و إن كنت تهوى العيش فابغ توسطا || فعند التناهى يقصر المتطاول توقى البدور النقص وهى أهلة || ويدركها النقصان وهى كوامل . و هذاالشعر و إن كان فى الاقتصاد فى المراتب والولايات إلا أنه مدح للاقتصاد فى الجملة فهو من هذاالباب . وسمع بعض الفضلاء قول الحكماء التدبير نصف العيش فقال بل العيش كله [صفحه ٣٣٩]

١٣٧

قِلّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارَينِاليسار الثانى كثرة المال يقول إن قلة العيال مع الفقر كاليسار الحقيقى مع كثرتهم . و من أمثال الحكماء العيال أرضة المال [صفحه ٣۴٠]

١٣٨

التّوَدّدُ نِصفُ العَقلِدخل حبيب بن شوذب على جعفر بن سليمان بالبصرة فقال نعم المرء حبيب بن شوذب حسن التودد طيب الثناء يكره الزيارة المتصلة والقعدة المنسية. و كان يقال التودد ظاهر حسن والمعاملة بين الناس على الظاهر فأما البواطن فإلى عالم الخفيات . و كان يقال قل من تودد إلاصار محبوبا والمحبوب مستور العيوب [صفحه ٣۴١]

١٣٩

وَ الهَمّ نِصفُ الهَرَمِ من كلام بعض الحكماء الهم يشيب القلب ويعقم العقل فلايتولد معه رأى و لاتصدق معه روية. و قال الشاعر هموم قدأبت إلاالتباسا || تبت الشيب فى رأس الوليد وتقعد قائما بشجا حشاه || وتطلق للقيام حبا القعود وأضحت

خشعا منها نزار || مركبة الرواجب فی الخدود . و قال سفيان بن عيينة الدنيا كلها هموم وغموم فما كان منها سرور فهو ربح . و من أمثالهم الهم كافور الغلمة. و قال أبوتمام شاب رأسی و مارأيت مشيب الرأس || إلا من فضل شيب الفؤاد وكذاك القلوب فی كل بؤس || ونعيم طلائع الأجساد طال إنكاری البياض و لوعمرت || شيئا أنكرت لون السواد [صفحه ۳۴۲]

۱۴۰

يَنزِلُ الصّبرُ عَلَی قَدرِ المُصِيبَةِ وَ مَن ضَرَبَ يَدَهُ عَلَی فَخِذِهِ عِندَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ أَجرُهُ قدمضی لنا كلام شاف فی الصبر و كان الحسن يقول فی قصصه الحمد لله ألذی كلفنا ما لوكلفنا غيره لصرنا فيه إلی معصيته وآجرنا علی ما لابد لنا منه يقول كلفنا الصبر و لوكلفنا الجزع لم يمكنا أن نقيم عليه وآجرنا علی الصبر و لابد لنا من الرجوع إليه . و من كلام أمير المؤمنين ع كان يقول عندالتعزية عليكم بالصبر فإن به يأخذ الحازم ويعود إليه الجازع -روايت-۱-۲-روايت-۳۰-۱۰۷ . و قال أبوخراش الهذلی يذكر أخاه عروة تقول أراه بعدعروة لاهيا || و ذلك رزء لوعلمت جليل فلاتحسبی أنی تناسيت عهده || ولكن صبری ياأميم جميل . و قال عمرو بن معديكرب كم من أخ لی صالح || بوأته بيدی لحدا [صفحه ۳۴۳] ألبسته أكفانه || وخلقت يوم خلقت جلدا . و كان يقال من حدث نفسه بالبقاء و لم يوطنها علی المصائب فهو عاجز الرأی. و كان يقال كفی باليأس معزيا وبانقطاع الطمع زاجرا. و قال الشاعر أيا عمرو لم أصبر و لی فيك حيلة || ولكن دعانی اليأس منك إلی الصبر تصبرت مغلوبا وإنی لموجع || كماصبر القطان فی البلد القفر [صفحه ۳۴۴]

۱۴۱

كَم مِن صَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِن صِيَامِهِ إِلّا الجُوعُ وَ الظّمَأُ وَ كَم مِن قَائِمٍ لَيسَ لَهُ مِن قِيَامِهِ إِلّا السّهَرُ وَ العَنَاءُ حَبّذَا نَومُ الأَكيَاسِ وَ إِفطَارُهُم الأكياس هاهنا العلماء العارفون و ذلك لأن عباداتهم تقع مطابقة لعقائدهم الصحيحة فتكون فروعا راجعة إلی أصل ثابت و ليس كذلك الجاهلون بالله تعالی لأنهم إذا لم يعرفوه و لم تكن عباداتهم متوجهة إليه فلم تكن مقبولة ولذلك فسدت عبادة النصاری واليهود. وفيهم ورد قوله تعالی عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصلی ناراً حامِيَةً -قرآن-۲۸۵-۳۲۲ [صفحه ۳۴۵]

۱۴۲

سُوسُوا إِيمَانَكُم بِالصّدَقَةِ وَ حَصّنُوا أَموَالَكُم بِالزّكَاةِ وَ ادفَعُوا أَموَاجَ البَلَاءِ بِالدّعَاءِ قدتقدم الكلام فی الصدقة والزكاة والدعاء فلامعنی لإعادة القول فی ذلك [صفحه ۳۴۶]

۱۴۳

وَ مِن كَلَامٍ لَهُ ع لِكُمَيلِ بنِ زِيَادٍ النّخَعِیّ قَالَ كُمَيلُ بنُ زِيَادٍ أَخَذَ بيِدَیِ أَمِيرُ المُؤمِنِينَ عَلِیّ بنُ أَبِی طَالِبٍ ع فَأَخرَجَنِی إِلَی الجَبّانِ فَلَمّا أَصحَرَ تَنَفّسَ الصّعَدَاءَ ثُمّ قَالَ يَا كُمَيلَ بنَ زِيَادٍ إِنّ هَذِهِ القُلُوبَ أَوعِيَةٌ فَخَيرُهَا أَوعَاهَا فَاحفَظ عنَیّ مَا أَقُولُ لَكَ النّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ ربَاّنیِّ وَ مُتَعَلّمٌ عَلَی سَبِيلِ نَجَاةٍ وَ هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتبَاعُ كُلّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلّ رِيحٍ لَم يَستَضِيئُوا بِنُورِ العِلمِ وَ لَم يَلجَئُوا إِلَی رُكنٍ وَثِيقٍ يَا كُمَيلُ العِلمُ خَيرٌ مِنَ المَالِ العِلمُ يَحرُسُكَ وَ أَنتَ تَحرُسُ المَالَ وَ المَالُ تَنقُصُهُ النّفَقَةُ وَ العِلمُ يَزكُوا عَلَی الإِنفَاقِ وَ

صَنِيعُ المَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ يَا كُمَيلَ بنَ زِيَادٍ مَعرِفَةُ العِلمِ دِينٌ يُدَانُ بِهِ بِهِ يَكسِبُ الإِنسَانُ الطّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ وَ جَمِيلَ الأُحدُوثَةِ بَعدَ وَفَاتِهِ وَ العِلمُ حَاكِمٌ وَ المَالُ مَحكُومٌ عَلَيهِ يَا كُمَيلَ بنَ زِيَادٍ هَلَكَ خُزّانُ الأَموَالِ وَ هُم أَحيَاءٌ وَ العُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدّهرُ أَعيَانُهُم مَفقُودَةٌ وَ أَمثَالُهُم فِي القُلُوبِ مَوجُودَةٌ هَا إِنّ هَاهُنَا لَعِلماً جَمّاً وَ أَشَارَ إِلَى صَدرِهِ لَو أَصَبتُ لَهُ حَمَلَةً بَلَى أُصِيبُ لَقِناً غَيرَ مَأمُونٍ عَلَيهِ مُستَعمِلًا آلَةَ الدّينِ لِلدّنيَا وَ مُستَظهِراً بِنِعَمِ اللّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ بِحُجَجِهِ عَلَى أَولِيَائِهِ [صفحه ۳۴۷] أَو مُنقَاداً لِحَمَلَةِ الحَقّ لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحنَائِهِ يَنقَدِحُ الشّكّ فِي قَلبِهِ لِأَوّلِ عَارِضٍ مِن شُبهَةٍ أَلَا لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ أَو مَنهُوماً بِاللّذّةِ سَلِسَ القِيَادِ لِلشّهوَةِ أَو مُغرَماً بِالجَمعِ وَ الِادّخَارِ لَيسَا مِن رُعَاةِ الدّينِ فِي شَيءٍ أَقرَبُ شَيءٍ شَبَهاً بِهِمَا الأَنعَامُ السّائِمَةُ كَذَلِكَ يَمُوتُ العِلمُ بِمَوتِ حَامِلِيهِ أللّهُمّ بَلَى لَا تَخلُو الأَرضُ مِن قَائِمٍ لِلّهِ بِحُجّةٍ إِمّا ظَاهِراً مَشهُوراً وَ إِمّا خَائِفاً مَغمُوراً لِئَلّا تَبطُلَ حُجَجُ اللّهِ وَ بَيّنَاتُهُ وَ كَم ذَا وَ أَينَ أُولَئِكَ وَ اللّهِ الأَقَلّونَ عَدَداً وَ الأَعظَمُونَ عِندَ اللّهِ قَدراً يَحفَظُ اللّهُ بِهِم حُجَجَهُ وَ بَيّنَاتِهِ حَتّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُم وَ يَزرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشبَاهِهِم هَجَمَ بِهِمُ العِلمُ عَلَى حَقِيقَةِ البَصِيرَةِ وَ بَاشَرُوا رُوحَ اليَقِينِ وَ استَلَانُوا مَا استَوعَرَهُ المُترَفُونَ وَ أَنِسُوا بِمَا استَوحَشَ مِنهُ الجَاهِلُونَ وَ صَحِبُوا الدّنيَا بِأَبدَانٍ أَروَاحُهَا مُعَلّقَةٌ بِالمَحَلّ الأَعلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللّهِ فِي أَرضِهِ وَ الدّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوقاً إِلَى رُؤيَتِهِم انصَرِف يَا كُمَيلُ إِذَا شِئتَ الجبان والجبانة الصحراء. وتنفس الصعداء أى تنفس تنفسا ممدودا طويلا. قوله ع ثلاثة قسمة صحيحة و ذلك لأن البشر باعتبار الأمور الإلهية إما عالم على الحقيقة يعرف الله تعالى وإما شارع فى ذلك فهو بعد فى السفر إلى الله يطلبه بالتعلم والاستفادة من العالم وإما لاذا و لاذاك و هوالعامى الساقط ألذى [صفحه ۳۴۸] لايعبأ الله وصدق ع فى أنهم همج رعاع أتباع كل ناعق أ لاتراهم ينتقلون من التقليد لشخص إلى تقليد الآخر لأدنى خيال وأضعف وهم . ثم شرع ع فى ذكر العلم وتفضيله على المال فقال العلم يحرسك و أنت تحرس المال و هذاأحد وجوه التفضيل . ثم ابتدأ فذكر وجها ثانيا فقال المال ينقص بالإنفاق منه والعلم لاينقص بالإنفاق بل يزكو و ذلك لأن إفاضة العلم على التلامذة تفيد المعلم زيادة استعداد وتقرر فى نفسه تلك العلوم التى أفاضها على تلامذته وتثبتها وتزيدها رسوخا.فأما قوله وصنيع المال يزول بزواله فتحته سر دقيق حكمى و ذلك لأن المال إنما يظهر أثره ونفعه فى الأمور الجسمانية والملاذ الشهوانية كالنساء والخيل والأبنية والمأكل والمشرب والملابس ونحو ذلك و هذه الآثار كلها تزول بزوال المال أوبزوال رب المال أ لاترى أنه إذازال المال اضطر صاحبه إلى بيع الأبنية والخيل والإماء ورفض تلك العادة من المآكل الشهية والملابس البهية وكذلك إذازال رب المال بالموت فإنه تزول آثار المال عنده فإنه لايبقى بعدالموت آكلا شاربا لابسا و أماآثار العلم فلايمكن أن تزول أبدا والإنسان فى الدنيا و لا بعدخروجه عن الدنيا أما فى الدنيا فلأن العالم بالله تعالى لايعود جاهلا به لأن انتفاء العلوم البديهية عن الذهن و مايلزمها من اللوازم بعدحصولها محال فإذا قدصدق قوله ع فى الفرق بين المال والعلم أن صنيع المال يزول بزواله أى وصنيع المال لايزول و لايحتاج إلى أن يقول بزواله لأن تقدير الكلام وصنيع المال يزول لأن المال يزول و أما بعدخروج الإنسان من الدنيا فإن صنيع العلم لايزول و ذلك لأن صنيع العلم فى النفس الناطقة اللذة العقلية الدائمة لدوام سببها و هوحصول العلم فى جوهر النفس ألذى هوممشوق [صفحه ۳۴۹] النفس مع انتفاء مايشغلها عن التمتع به والتلذذ بمصاحبته و ألذى كان يشغلها عنه فى الدنيا استغراقها فى تدبير البدن و ماتورده عليها الحواس من الأمور الخارجية و لاريب أن العاشق إذاخلا بمعشوقه وانتفت عنه أسباب الكدر كان فى لذة عظيمة فهذا هوسر قوله وصنيع المال يزول بزواله . فإن قلت مامعنى قوله ع معرفة العلم دين يدان به وهل هذا إلابمنزلة قولك معرفة المعرفة أوعلم العلم و هذاكلام مضطرب قلت تقديره معرفة فضل العلم أوشرف العلم أووجوب العلم دين يدان به أى المعرفة بذلك من أمر الدين أى ركن من أركان الدين واجب مفروض . ثم شرح ع حال العلم ألذى ذكر أن معرفة وجوبه أوشرفه دين يدان به فقال العلم يكسب الإنسان الطاعة فى حياته أى من كان عالما كان لله تعالى مطيعا كما قال سبحانه إِنّما يَخشَى اللّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ. ثم قال وجميل الأحدوثة بعدوفاته أى الذكر الجميل بعدموته . ثم شرع فى تفضيل العلم على

المال من وجه آخر فقال العلم حاكم والمال محكوم عليه و ذلک لعلمک أن مصلحتک فی إنفاق هذاالمال تنفقه ولعلمک بأن المصلحة فی إمساکه تمسکه فالعلم بالمصلحة داع وبالمضرة صارف وهما الأمران الحاکمان بالحرکات والتصرفات إقداما وإحجاما و لا یکون القادر قادرا مختارا إلاباعتبارهما ولیسا إلاعبارة عن العلم أو مایجری مجری العلم من الاعتقاد والظن فإذن قدبان وظهر أن العلم من حیث هوعلم حاکم و أن المال لیس بحاکم بل محکوم علیه . -قرآن-۷۲۶-۷۶۹ [صفحه ۳۵۰] ثم قال ع هلک خزان المال وهم أحیاء و ذلک لأن المال المخزون لافرق بینه و بین الصخرة المدفونة تحت الأرض فخازنه هالک لامحالة لأنه لم یلتذ بإنفاقه و لم یصرفه فی الوجوه التی ندب الله تعالی إلیها و هذا هوالهلاک المعنوی و هوأعظم من الهلاک الحسی. ثم قال والعلماء باقون مابقی الدهر هذاالکلام له ظاهر وباطن فظاهره قوله أعیانهم مفقودة وأمثالهم فی القلوب موجودة أی آثارهم و مادونوه من العلوم فکأنهم موجودون وباطنه أنهم موجودون حقیقة لامجازا علی قول من قال ببقاء الأنفس وأمثالهم فی القلوب کنایة ولغز ومعناه ذواتهم فی حظیرة القدوس والمشارکة بینها و بین القلوب ظاهرة لأن الأمر العام ألذی یشملها هوالشرف فکما أن تلک أشرف عالمها کذا القلب أشرف عالمه فاستعیر لفظ أحدهما وعبر به عن الآخر. قوله ع ها إن هاهنا لعلما جما وأشار بیده إلی صدره هذاعندی إشارة إلی العرفان والوصول إلی المقام الأشرف ألذی لایصل إلیه إلاالواحد الفذ من العالم ممن لله تعالی فیه سر و له به اتصال ثم قال لوأصبت له حملة و من ألذی یطیق حملة بل من ألذی یطیق فهمه فضلا عن حمله . ثم قال بلی أصیب . ثم قسم ألذی یصیبهم خمسة أقسام أحدهم أهل الریاء والسمعة الذین یظهرون الدین والعلم ومقصودهم الدنیا فیجعلون الناموس الدینی شبکة لاقتناص الدنیا. وثانیها قوم من أهل الخیر والصلاح لیسوا بذوی بصیرة فی الأمور الإلهیة الغامضة [صفحه ۳۵۱] فیخاف من إفشاء السر إلیهم أن تنقدح فی قلوبهم شبهة بأدنی خاطر فإن مقام المعرفة مقام خطر صعب لایثبت تحته إلاالأفراد من الرجال الذین أیدوا بالتوفیق والعصمة. وثالثها رجل صاحب لذات وطرب مشتهر بقضاء الشهوة فلیس من رجال هذاالباب . ورابعها رجل عرف بجمع المال وادخاره لاینفقه فی شهواته و لا فی غیرشهواته فحکمه حکم القسم الثالث . ثم قال ع کذلک یموت العلم بموت حاملیه أی إذامات مات العلم ألذی فی صدری لأنی لم أجد أحدا أدفعه إلیه وأورثه إیاه ثم استدرک فقال أللهم بلی لاتخلو الأرض من قائم بحجة الله تعالی کیلا یخلو الزمان ممن هومهیمن لله تعالی علی عباده ومسیطر علیهم و هذایکاد یکون تصریحا بمذهب الإمامیة إلا أن أصحابنا یحملونه علی أن المراد به الأبدال الذین وردت الأخبار النبویة عنهم أنهم فی الأرض سائحون فمنهم من یعرف ومنهم من لایعرف وأنهم لایموتون حتی یودعوا السر و هوالعرفان عندقوم آخرین یقومون مقامهم . ثم استنزر عددهم فقال وکم ذا أی کم ذا القبیل وکم ذا الفریق . ثم قال وأین أولئک استبهم مکانهم ومحلهم . ثم قال هم الأقلون عددا الأعظمون قدرا. ثم ذکر أن العلم هجم بهم علی حقیقة الأمر وانکشف لهم المستور المغطی وباشروا راحة الیقین وبرد القلب وثلج العلم واستلانوا ماشق علی المترفین من الناس ووعر علیهم نحو التوحد ورفض الشهوات وخشونة العیشة. [صفحه ۳۵۲] قال وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون یعنی العزلة ومجانبة الناس وطول الصمت وملازمة الخلوة ونحو ذلک مما هوشعار القوم . قال وصحبوا الدنیا بأرواح أبدانها معلقة بالمحل الأعلی هذامما یقوله أصحاب الحکمة من تعلق النفوس المجردة بمبادئها من العقول المفارقة فمن کان أزکی کان تعلقه بهاأتم . ثم قال أولئک خلفاء الله فی أرضه والدعاة إلی دینه لاشبهة أن بالوصول یستحق الإنسان أن یسمی خلیفة الله فی أرضه و هوالمعنی بقوله سبحانه للملائکةإِنِّی جاعِلٌ فِی الأَرضِ خَلِیفَةً وبقوله هُوَ الَّذِی جَعَلَکُم خَلائِفَ فِی الأَرضِ. ثم قال آه آه شوقا إلی رؤیتهم هو ع أحق الناس بأن یشتاق إلی رؤیتهم لأن الجنسیة علة الضم والشیء یشتاق إلی ما هو من سنخه وسوسته وطبیعته و لما کان هو ع شیخ العارفین وسیدهم لاجرم اشتاقت نفسه الشریفة إلی مشاهدة أبناء جنسه و إن کان کل واحد من الناس دون طبقته . ثم قال لکمیل انصرف إذاشئت و هذه الکلمة من محاسن الآداب و من لطائف الکلم لأنه لم یقتصر علی أن قال انصرف کیلا یکون

أمرا وحكما بالانصراف لامحالة فيكون فيه نوع علو عليه فاتبع ذلك بقوله إذاشئت ليخرجه من ذل الحكم وقهر الأمر إلى عزة المشيئة والاختيار -قرآن-۴۵۲-۴۸۶-قرآن-۴۹۵-۵۳۶ [صفحه ۳۵۳]

۱۴۴

المَرءُ مَخبُوءٌ تَحتَ لِسَانِهِ قدتكرر هذاالمعنى مرارا فأما هذه اللفظة فلانظير لها فى الإيجاز والدلالة على المعنى وهى من ألفاظه ع المعدودة. و قال الشاعر وكائن ترى من صامت لك معجب || زيادته أونقصه فى التكلم لسان الفتى نصف ونصف فؤاده || فلم يبق إلاصورة اللحم والدم . وتكلم عبدالملك بن عمير وأعرابى حاضر فقيل له كيف ترى هذا فقال لو كان كلام يؤتدم به لكان هذاالكلام مما يؤتدم به . وتكلم جماعة من الخطباء عندمسلمة بن عبدالملك فأسهبوا فى القول و لم يصنعوا شيئا ثم أفرغ النطق رجل من أخرياتهم فجعل لايخرج من فن إلا إلى أحسن منه فقال مسلمة ماشبهت كلام هذابعقب كلام هؤلاء إلابسحابة لبدت عجاجة. وسمع رجل منشدا ينشد و كان أخلائى يقولون مرحبا || فلما رأونى مقترا مات مرحب . [صفحه ۳۵۴] فقال أخطأ الشاعر إن مرحبا لم يمت وإنما قتله على بن أبى طالب ع و قال رجل لأعرابى كيف أهلك قال صلبا إن شاء الله . و كان مسلمة بن عبدالملك يعرض الجند فقال لرجل مااسمك فقال عبد الله وخفض فقال ابن من فقال ابن عبد الله وفتح فأمر بضربه فجعل يقول سبحان الله ويضم فقال مسلمة ويحكم دعوه فإنه مجبول على اللحن والخطإ لو كان تاركا للحن فى وقت لتركه و هوتحت السياط [صفحه ۳۵۵]

۱۴۵

هَلَكَ امرُؤٌ لَم يَعرِف قَدرَهُ هذه الكلمة من كلماته المعدودة وكتب النعمان بن عبد الله إلى القاسم بن عبيد الله كتابا يدل فيه بخدمته ويستزيد فى رزقه فوقع على ظهره رحم الله امرأ عرف قدره أنت رجل قدأعجبتك نفسك فلست تعرفها فإن أحببت أن أعرفكها عرفتك فكتب إليه النعمان كنت كتبت إلى الوزير أعزه الله كتابا أستزيده فى رزقى فوقع على ظهره توقيع ضجر لم يخرج فيه مع ضجره عما ألفته من حياطته وحسن نظره فقال إنه قدحدث لعبده عجب بنفسه و قدصدق أعلى الله قدره لقد شرفنى الوزير بخدمته وأعلى ذكرى بجميل ذكره ونبه على كفايتى باستكفائه ورفعنى وكثرنى عندنفسى فإن أعجبت فبنعمته عندى وجميل تطوله على و لاعجب وهل خلا الوزير من قوم يصطنعهم بعدملة ويرفعهم بعدخمول ويحدث لهم همما رفيعة وأنفسا عليه وفيهم شاكر وكفور وأرجو أن أكون أشكرهم للنعمة وأقومهم بحقها و قدأطال الله بقاءه إن عرف نفسه و إلاعرفناه إياها فما أنكرها وهى نفس أنشأتها نعمة الوزير وأحدثت فيها ما لم تزل تحدثه فى نظرائها من سائر عبيده وخدمه و الله يعلم مايأخذ به نفسه من خدمة مولاه وولى نعمته إما عادة ودربة وإما تأدبا وهيبة وإما شكرا واستدامة للنعمة. فلما قرأ القاسم بن عبيد الله كتابه استحسنه وزاد فى رزقه [صفحه ۳۵۶]

۱۴۶

وَ قَالَ ع لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَن يَعِظَهُ لَا تَكُن مِمّن يَرجُو الآخِرَةَ بِغَيرِ عَمَلٍ وَ يَرجُو التّوبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ يَقُولُ فِي الدّنيَا بِقَولِ الزّاهِدِينَ وَ يَعمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرّاغِبِينَ إِن أُعطِيَ مِنهَا لَم يَشبَع وَ إِن مُنِعَ مِنهَا لَم يَقنَع يَعجِزُ عَن شُكرِ مَا أُوتِيَ وَ يَبتَغِي الزّيَادَةَ فِيمَا بقَيِ‌َ يَنهَى وَ لَا يَنتَهِي وَ يَأمُرُ النّاسَ بِمَا لَم يَأتِ يُحِبّ الصّالِحِينَ وَ لَا يَعمَلُ عَمَلَهُم وَ يُبغِضُ المُذنِبِينَ وَ هُوَ أَحَدُهُم يَكرَهُ المَوتَ لِكَثرَةِ ذُنُوبِهِ وَ

يُقِيمُ عَلَى مَا يَكرَهُ المَوتَ مِن أَجلِهِ إِن سَقِمَ ظَلّ نَادِماً وَ إِن صَحّ أَمِنَ لَاهِياً يُعجَبُ بِنَفسِهِ إِذَا عُوفِيَ وَ يَقنَطُ إِذَا ابتُلِيَ وَ إِن أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضطَرّاً وَ إِن نَالَهُ رَخَاءٌ أَعرَضَ مُغتَرّاً تَغلِبُهُ نَفسُهُ عَلَى مَا يَظُنّ وَ لَا يَغلِبُهَا عَلَى مَا يَستَيقِنُ يَخَافُ عَلَى غَيرِهِ بِأَدنَى مِن ذَنبِهِ وَ يَرجُو لِنَفسِهِ بِأَكثَرَ مِن عَمَلِهِ إِنِ استَغنَى بَطِرَ وَ فُتِنَ وَ إِنِ افتَقَرَ قَنِطَ وَ وَهَنَ يُقَصّرُ إِذَا عَمِلَ وَ يُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ إِن عَرَضَت لَهُ شَهوَةٌ أَسلَفَ المَعصِيَةَ وَ سَوّفَ التّوبَةَ وَ إِن عَرَتهُ مِحنَةٌ انفَرَجَ عَن شَرَائِطِ المِلّةِ يَصِفُ العِبرَةَ وَ لَا يَعتَبِرُ وَ يُبَالِغُ فِي المَوعِظَةِ وَ لَا يَتّعِظُ فَهُوَ بِالقَولِ مُدِلّ وَ مِنَ العَمَلِ مُقِلّ يُنَافِسُ فِيمَا يَفنَى وَ يُسَامِحُ فِيمَا يَبقَى يَرَى الغُنمَ مَغرَماً وَ الغُرمَ مَغنَماً يَخشَى المَوتَ وَ لَا يُبَادِرُ الفَوتَ يَستَعظِمُ مِن مَعصِيَةِ غَيرِهِ مَا يَستَقِلّ أَكثَرَ مِنهُ [صفحه ۳۵۷] مِن نَفسِهِ وَ يَستَكثِرُ مِن طَاعَتِهِ مَا يَحقِرُهُ مِن طَاعَةِ غَيرِهِ فَهُوَ عَلَى النّاسِ طَاعِنٌ وَ لِنَفسِهِ مُدَاهِنٌ اللّغوُ مَعَ الأَغنِيَاءِ أَحَبّ إِلَيهِ مِنَ الذّكرِ مَعَ الفُقَرَاءِ يَحكُمُ عَلَى غَيرِهِ لِنَفسِهِ وَ لَا يَحكُمُ عَلَيهَا لِغَيرِهِ يُرشِدُ نَفسَهُ وَ يُغوِي غَيرَهُ فَهُوَ يُطَاعُ وَ يَعصِي وَ يَستَوفِي وَ لَا يُوفِي وَ يَخشَى الخَلقَ فِي غَيرِ رَبّهِ وَ لَا يَخشَى رَبّهُ فِي خَلقِهِ قال الرضى رحمه الله تعالى و لو لم يكن فى هذاالكتاب إلا هذاالكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر مفكر –روايت-۱-۱۳۸ كثير من الناس يرجون الآخرة بغير عمل ويقولون رحمة الله واسعة ومنهم من يظن أن التلفظ بكلمتى الشهادة كاف فى دخول الجنة ومنهم من يسوف نفسه بالتوبة ويرجئ الأوقات من اليوم إلى غد و قديخترم على غرة فيفوته ما كان أمله وأكثر هذاالفصل للنهى عن أن يقول الإنسان واعظا لغيره ما لم يعلم هو من نفسه كقوله تعالى أَ تَأمُرُونَ النّاسَ بِالبِرّ وَ تَنسَونَ أَنفُسَكُم.فأول كلمة قالها ع فى هذاالمعنى من هذاالفصل قوله يقول فى الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيهابعمل الراغبين . -قرآن-۳۲۴-۳۷۶ [صفحه ۳۵۸] ثم وصف صاحب هذاالمذهب و هذه الطريقة فقال إنه إن أعطى من الدنيا لم يشبع لأن الطبيعة البشرية مجبولة على حب الازدياد وإنما يقهرها أهل التوفيق وأرباب العزم القوى. قال و إن منع منها لم يقنع بما كان وصل إليه قبل المنع . ثم قال يعجز عن شكر ما كان أنعم به عليه ليس يعنى العجز الحقيقى بل المراد ترك الشكر فسمى ترك الشكر عجزا ويجوز أن يحمل على حقيقته أى أن الشكر على ماأولى من النعم لاتنتهى قدرته إليه أى نعم الله عليه أجل وأعظم من أن يقام بواجب شكرها. قال ويبتغى الزيادة فيما بقى هذاراجع إلى النحو الأول . قال ينهى و لاينتهى ويأمر الناس بما لايأتى هذا كماتقدم . قال يحب الصالحين و لايعمل عملهم إلى قوله و هوأحدهم و هوالمعنى الأول بعينه . قال يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على الذنوب و هذا من العجائب أن يكره إنسان شيئا ثم يقيم عليه ولكنه الغرور وتسويف النفس بالأمانى. ثم قال إن سقم ظل نادما و إن صح أمن لاهيافَإِذا رَكِبُوا فِي الفُلكِ دَعَوُا اللّهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدّينَالآيات . قال يعجب بنفسه إذاعوفى ويقنط إذاابتلىفَأَمّا الإِنسانُ إِذا مَا ابتَلاهُ رَبّهُ فَأَكرَمَهُ وَ نَعّمَهُ فَيَقُولُ ربَيّ أَكرَمَنِ وَ أَمّا إِذا مَا ابتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيهِ رِزقَهُ فَيَقُولُ ربَيّ أَهانَنِ ومثل الكلمة الأخرى إن أصابه بلاء و إن ناله رخاء. -قرآن-۸۷۹-۹۴۴-قرآن-۹۹۵-۱۱۶۵ [صفحه ۳۵۹] ثم قال تغلبه نفسه على مايظن و لايغلبها على مايستيقن هذه كلمة جليلة عظيمة يقول هويستيقن الحساب والثواب والعقاب و لايغلب نفسه على مجانبة ومتاركة مايفضى به إلى ذلك الخطر العظيم وتغلبه نفسه على السعى إلى مايظن أن فيه لذة عاجلة فوا عجبا ممن يترجح عنده جانب الظن على جانب العلم و ماذاك إلالضعف يقين الناس وحب العاجل . ثم قال يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه أكثر من عمله مايزال يرى الواحد منا كذلك يقول إنى لخائف على فلان من الذنب الفلانى و هومقيم على أفحش من ذلك الذنب ويرجو لنفسه النجاة بما لاتقوم أعماله الصالحة بالمصير إلى النجاة به نحو أن يكون يصلى ركعات فى الليل أويصوم أياما يسيرة فى الشهر ونحو ذلك . قال إن استغنى بطر وفتن و إن افتقر قنط ووهن قنط بالفتح يقنط بالكسر قنوطا مثل جلس يجلس جلوسا ويجوز قنط يقنط بالضم مثل قعد يقعد و فيه لغة ثالثة قنط يقنط قنطا مثل تعب يتعب تعبا وقناطة فهو قنط و به قرئفَلا تَكُن مِنَ القانِطِينَ والقنوط اليأس ووهن الرجل يهن أى ضعف و هذاالمعنى قدتكرر. قال يقصر إذاعمل ويبالغ إذاسئل هذامثل ما -قرآن-۸۸۴-۹۱۰ مدح به النبى ص الأنصار إنكم لتكثرون عندالفزع وتقلون عندالطمع -روايت-۱-۲-روايت-۲۸-۷۱ . قال إن عرضت له

شهوة أسلف المعصية وسوف التوبة و إن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة هذا كماقيل أمدحه نقدا ويثيبنى نسيئة وانفرج عن شرائط الملة قال أوفعل مايقتضى الخروج عن الدين و هذاموجود فى كثير من الناس إذاعرته المحن كفروا أو قال مايقارب الكفر من التسخط والتبرم والتأفف . [صفحه ۳۶۰] قال يصف العبرة و لايعتبر ويبالغ فى الموعظة و لايتعظ هذا هوالمعنى الأول . قال فهو بالقول مدل و من العمل مقل هذا هوالمعنى أيضا. قال ينافس فيما يفنى أى فى شهوات الدنيا ولذاتها ويسامح فيما يبقى أى فى الثواب . قال يرى الغنم مغرما والغرم مغنما هذا هوالمعنى ألذى ذكرناه آنفا. قال يخشى الموت و لايبادر الفوت قدتكرر هذاالمعنى فى هذاالفصل . وكذلك قوله يستعظم من معصية غيره مايستقل أكثر منه من نفسه ... و إلى آخر الفصل كل مكرر المعنى و إن اختلفت الألفاظ و ذلك لاقتداره ع على العبارة وسعة مادة النطق عنده [صفحه ۳۶۱]

۱۴۷

لِكُلّ امرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلوَةٌ أَو مُرّةٌ هكذا قرأناه ووجدناه فى كثير من النسخ ووجدناه فى كثير منها لكل أمر عاقبة و هوالأليق ومثل هذاالمعنى قولهم فى المثل لكل سائل قرار و قدأخذه الطائى فقال فكانت لوعة ثم استقرت || كذلك لكل سائلة قرار . و قال الكميت فى مثل هذا فالآن صرت إلى أمية || والأمور إلى مصاير .فأما الرواية الأولى وهى لكل امرئ فنظائرها فى القرآن كثيرة نحو قوله تعالى يَومَ يَأتِ لا تَكَلّمُ نَفسٌ إِلّا بِإِذنِهِ فَمِنهُم شقَيِّ وَ سَعِيدٌ و قوله يَومَ يَتَذَكّرُ الإِنسانُ ما سَعى وَ بُرّزَتِ الجَحِيمُ لِمَن يَرى فَأَمّا مَن طَغى وَ آثَرَ الحَياةَ الدّنيا فَإِنّ الجَحِيمَ هيِ‌َ المَأوى وَ أَمّا مَن خافَ مَقامَ رَبّهِ وَ نَهَى النّفسَ عَنِ الهَوى فَإِنّ الجَنّةَ هيِ‌َ المَأوى و غير ذلك من الآيات -قرآن-۸۱-۱۵۳-قرآن-۱۶۲-۳۹۳ [صفحه ۳۶۲]

۱۴۸

الرّاضيِ بِفِعلِ قَومٍ كَالدّاخِلِ فِيهِ مَعَهُم وَ عَلَى كُلّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثمَانِ إِثمُ العَمَلِ بِهِ وَ إِثمُ الرّضَا بِهِ لافرق بين الرضا بالفعل و بين المشاركة فيه أ لاترى أنه إذا كان ذلك الفعل قبيحا استحق الراضى به الذم كمايستحقه الفاعل له والرضا يفسر على وجهين الإرادة وترك الاعتراض فإن كان الإرادة فلاريب أنه يستحق الذم لأن مريد القبيح فاعل للقبيح و إن كان ترك الاعتراض مع القدرة على الاعتراض فلاريب أنه يستحق الذم أيضا لأن تارك النهى عن المنكر مع ارتفاع الموانع يستحق الذم .فأما قوله ع و على كل داخل فى باطل إثمان فإن أراد الداخل فيه بأن يفعله حقيقة فلاشبهة فى أنه يأثم من جهتين إحداهما من حيث إنه أراد القبيح . والأخرى من حيث إنه فعله و إن كان قوم من أصحابنا قالوا إن عقاب المراد هوعقاب الإرادة. و إن أراد أن الراضى بالقبيح فقط يستحق إثمين أحدهما لأنه رضى به والآخر لأنه كالفاعل فليس الأمر على ذلك لأنه ليس بفاعل للقبيح حقيقة ليستحق الإثم من جهة الإرادة و من جهة الفعلية جميعا فوجب إذن أن يحمل كلامه ع على الوجه الأول [صفحه ۳۶۳]

۱۴۹

لِكُلّ مُقبِلٍ إِدبَارٌ وَ مَا أَدبَرَ فَكَأَن لَم يَكُن هذامعنى قداستعمل كثيرا جدا فمنه المثل ماطار طير وارتفع || إلا كماطار وقع . وقول الشاعر بقدر العلو يكون الهبوط || وإياك والرتب العالية . و قال بعض الحكماء حركة الإقبال بطيئة وحركة الإدبار سريعة لأن المقبل كالصاعد إلى مرقاة ومرقاة المدبر كالمقذوف به من علو إلى أسفل قال الشاعر فى هذه الدار فى هذاالرواق على || هذى الوسادة كان العز فانقرضا .آخر إن الأمور إذادنت لزوالها || فعلامة الإدبار فيهاتظهر فى الخبر المرفوع كانت ناقة رسول

الله ص العضباء لاتسبق فجاء أعرابى على قعود له فسبقها فاشتد على الصحابة ذلك فقال رسول الله ص إن حقا على الله ألا يرفع شيئا من هذه الدنيا إلاوضعه -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٩۴ . و قال شيخ من همدان بعثنى أهلى فى الجاهلية إلى ذى الكلاع بهدايا فمكثت [صفحه ٣۶۴] تحت قصره حولا لاأصل إليه ثم أشرف إشرافة من كوة له فخر له من حول العرش سجدا ثم رأيته بعد ذلك بحمص فقيرا يشترى اللحم ويسمطه خلف دابته و هوالقائل أف لدنيا إذاكانت كذا || أنامنها فى هموم وأذى إن صفا عيش امرئ فى صبحها || جرعته ممسيا كأس القذى ولقد كنت إذا ماقيل من || أنعم العالم عيشا قيل ذا . و قال بعض الأدباء فى كلام له بينا هذه الدنيا ترضع بدرتها وتصرح بزبدتها وتلحف فضل جناحها وتغر بركود رياحها إذ عطفت عطف الضروس وصرخت صراخ الشموس وشنت غارة الهموم وأراقت ماحلبت من النعيم فالسعيد من لم يغتر بنكاحها واستعد لوشك طلاقها شاعر هوإهاب بن همام بن صعصعة المجاشعى و كان عثمانيا لعمر أبيك فلاتكذبن || لقد ذهب الخير إلاقليلا و قدفتن الناس فى دينهم || وخلى ابن عفان شرا طويلا . و قال أبوالعتاهية يعمر بيت بخراب بيت || يعيش حى بتراث ميت قال أنس بن مالك ما من يوم و لاليلة و لاشهر و لاسنة إلا و ألذى قبله خير منه سمعت ذلك من نبيكم ع -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٠٨ فقال شاعر رب يوم بكيت منه فلما || صرت فى غيره بكيت عليه . [صفحه ٣۶۵] قيل لبعض عظماء الكتاب بعد ماصودر ماتفكر فى زوال نعمتك فقال لابد من الزوال فلان تزول وأبقى خير من أن أزول وتبقى . و من كلام الجاهلية الأولى كل مقيم شاخص و كل زائد ناقص .شاعر إنما الدنيا دول || فراحل قيل نزل إذ نازل قيل رحل . لمافتح خالد بن الوليد عين التمر سأل عن الحرقة بنت النعمان بن المنذر فأتاها وسألها عن حالها فقالت لقد طلعت علينا الشمس و ما من شيءيدب تحت الخورنق إلا و هوتحت أيدينا ثم غربت و قدرحمنا كل من نلم به و مابيت دخلته حبرة إلاستدخله عبرة ثم قالت فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا || إذانحن فيهم سوقة نتنصف فأف لدنيا لايدوم نعيمها || تقلب تارات بنا وتصرف . وجاءها سعد بن أبى وقاص مرة فلما رآها قال قاتل الله عدى بن زيد كأنه كان ينظر إليها حيث قال لأبيها إن للدهر صرعة فاحذرنها || لاتبيتن قدأمنت الدهورا قديبيت الفتى معافى فيردى || ولقد كان آمنا مسرورا . و قال مطرف بن الشخير لاتنظروا إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم و إن عمرا قصيرا يستوجب به صاحبه النار لعمر مشئوم على صاحبه . لماقتل عامر بن إسماعيل مروان بن محمد وقعد على فراشه قالت ابنة مروان له ياعامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليها لمبلغ فى عظتك إن عقلت [صفحه ٣۶۶]

١۵٠

لَما يَعدَمُ الصّبُورُ الظّفَرَ وَ إِن طَالَ بِهِ الزّمَانُ قدتقدم كلامنا فى الصبر. وقالت الحكماء الصبر ضربان جسمى ونفسى فالجسمى تحمل المشاق بقدر القوة البدنية و ليس ذلك بفضيلة تامة ولذلك قال الشاعر والصبر بالأرواح يعرف فضله || صبر الملوك و ليس بالأجسام . و هذاالنوع إما فى الفعل كالمشى ورفع الحجر أو فى رفع الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب المفظع وإما النفسى ففيه تتعلق الفضيلة و هوضربان صبر عن مشتهى ويقال له عفة وصبر على تحمل مكروه أومحبوب وتختلف أسماؤه بحسب اختلاف مواقعة فإن كان فى نزول مصيبة لم يتعد به اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع والحزن و إن كان فى احتمال الغنى سمى ضبط النفس ويضاده البطر والأشر والرفغ و إن كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن و إن كان فى إمساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمى حلما ويضاده التذمر والاستشاطة و إن كان فى نائبة مضجرة سمى سعة صدر ويضاده الضجر وضيق العطن والتبرم و إن كان فى إمساك كلام فى الضمير سمى كتمان السر ويضاده الإفشاء و إن كان عن فضول العيش سمى قناعة

وزهـدا ويضاده الحرص والشره فهذه كلها أنواع الصبر ولكن اللفظ العرفى واقع على الصبر الجسـمانى و على ما يكون فى نزول المصائب وتنفرد باقى الأنواع بأسماء تخصها [صفحه ۳۶۷]

۱۵۱

مَا اختَلَفَت دَعوَتَانِ إِلّا كَانَت إِحدَاهُمَا ضَلَالَةً هـذا عندأصـحابنا مختص باختلاف الـدعوة فى أصول الـدين ويـدخل فى ذلك الإمامـة لأنها من أصول الـدين و لايجوز أن يختلف قولان متضادان فى أصول الدين فيكونا صوابا لأنه إن عنى بالصواب مطابقة الاعتقاد للخارج فمستحيل أن يكون الشىء فى نفسه ثابتا منفيا و إن أراد بالصواب سقوط الإثم كمايحكى عن عبيد بن الحسن العنبرى فإنه جعل اجتهاد المجتهدين فى الأصول عذرا فهو قول مسبوق بالإجماع . و لايحمل أصحابنا كلام أمير المؤمنين ع على عمومه لأن المجتهدين فى فروع الشريعة و إن اختلفوا وتضادت أقوالهم ليسوا و لاواحد منهم على ضلال و هذامشروح فى كتبنا الكلامية فى أصول الفقه [صفحه ۳۶۸]

۱۵۲

مَا كَذَبتُ وَ لَا كُذِبتُ وَ لَا ضَلَلتُ وَ لَا ضُلّ بيِ هذه كلمة قدقالها مرارا إحداهن فى وقعة النهروان . وكذبت بالضم أخبرت بخبر كاذب أى لم يخبرنى رسول الله ص عن المخدج خبرا كاذبا لأن أخباره ص كلها صادقة. وضل بى بالضم نحو ذلك أى لم يضللنى مضلل عن الصدق والحق لأنه كان يستند فى أخباره عن الغيوب إلى رسول الله ص و هومنزه عن إضلاله وإضلال أحد من المكلفين .فكأنه قال لماأخبرهم عن المخدج وإبطاء ظهوره لهم أنا لم أكذب على رسول الله ص و رسول الله ص لايكذب فيما أخبرنى بوقوعه فإذا لابد من ظفركم بالمخدج فاطلبوه [صفحه ۳۶۹]

۱۵۳

لِلظّالِمِ البَادِي غَداً بِكَفّهِ عَضّةٌ هذا من قوله تعالى وَ يَومَ يَعَضّ الظّالِمُ عَلي يَدَيهِ وإنما قال للبادى لأن من انتصر بعدظلمه فلاسبيل عليه و من أمثالهم البادى أظلم . فإن قلت فإذا لم يكن باديا لم يكن ظالما فأى حاجة له إلى الاحتراز بقوله البادى قلت لأن العرب تطلق على مايقع فى مقابلة الظلم اسم الظلم أيضا كقوله تعالى وَ جَزاءُ سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مِثلُها -قرآن-۲۲-۵۹-قرآن-۳۱۲-۳۴۶ [صفحه ۳۷۰]

۱۵۴

الرّحِيلُ وَشِيكٌالوشيك السريع وأراد بالرحيل هاهنا الرحيل عن الدنيا و هوالموت . و قال بعض الحكماء قبل وجود الإنسان عدم لاأول له وبعده عدم لاآخر له و ماشبهت وجوده القليل المتناهى بين العدمين غيرالمتناهيين إلابرق يخطف خطفة خفيفة فى ظلام معتكر ثم يخمد ويعود الظلام كما كان [صفحه ۳۷۱]

۱۵۵

مَن أَبـدَی صَـفحَتَهُ لِلحَقّ هَلَکَ قدتقدم تفسـیرنا لهذه الکلمهٔ فی أول الکتاب ومعناها من نابذ الله وحاربه هلک یقال لمن خالف وکاشف قدأبدی صفحته [صفحه ۳۷۲]

۱۵۶

اعتَصِـمُوا بِالذّمَم فِی أَوتَارِهَا أی فی مظانها و فی مرکزها أی لاتستندوا إلی ذمام الکافرین والمارقین فإنهم لیسوا أهلا للاستعصام بـذممهم کمـا قال الله تعالی لا یَرقُبُونَ فِی مُؤمِنٍ إِلّا وَ لا ذِمّـهً و قال إِنّهُم لا أَیمانَ لَهُم. و هـذه کلمـهٔ قالها بعـدانقضاء أمر الجمل وحضور قوم من الطلقـاء بین یـدیه لیبـایعوه منهم مروان بن الحکم فقال و ماذا أصـنع ببیعتک أ لم تبایعنی بالأمس یعنی بعـدقتل عثمـان ثم أمر بـإخراجهم ورفع نفسه عن مبایعـهٔ أمثـالهم وتکلم بکلاـم ذکر فیه ذمـام العربیـهٔ وذمام الإسـلام وذکر أن لادین له فلاذمـام له . ثم قـال فی أثنـاء الکلام فاستعصـموا بالـذمم فی أوتارها أی إذاصـدرت عن ذوی الـدین فمن لادین له لاعهـد له – قرآن-۱۶۸-۲۱۱-قرآن-۲۱۹-۲۴۲ [صفحه ۳۷۳]

۱۵۷

عَلَیکُم بِطَاعَـهِ مَن لَـا تُعـذَرُونَ فِی جَهَـالَتِهِ یعنی نفسه ع و هوحق علی المـذهبین جمیعـا أمـانحن فعنـدنا أنه إمـام واجب الطـاعهٔ بالاختبار فلایعذر أحد من المکلفین فی الجهل بوجوب طاعته و أما علی مذهب الشیعهٔ فلأنه إمام واجب الطاعهٔ بالنص فلایعذر أحـد من المکلفین فی جهالـهٔ إمـامته وعنـدهم أن معرفـهٔ إمـامته تجری مجری معرفـهٔ محمـدص ومجری معرفـهٔ البـارئ سـبحانه ویقولون لاتصـح لأحد صـلاهٔ و لاصوم و لاعبادهٔ إلابمعرفهٔ الله و النبی والإمام . و علی التحقیق فلافرق بیننا وبینهم فی هذاالمعنی لأن من جهل إمامهٔ علی ع وأنکر صـحتها ولزومها فهو عندأصـحابنا مخلد فی النار لاینفعه صوم و لاصلاهٔ لأن المعرفهٔ بذلک من الأـصول الکلیـهٔ التی هی أرکـان الـدین ولکنا لانسـمی منکر إمامته کافرا بل نسـمیه فاسـقا وخارجیا ومارقا ونحو ذلک والشیعهٔ تسمیه کافرا فهذا هوالفرق بیننا وبینهم و هو فی اللفظ لا فی المعنی [صفحه ۳۷۴]

۱۵۸

مَا شَکَکتُ فِی الحَقّ مُنذُ أُرِیتُهُ أی منـذ أعلمته ویجب أن یقـدر هاهنا مفعول محـذوف أی منـذ أریته حقا لأن أری یتعدی إلی ثلاثـهٔ مفاعیـل تقـول أری الله زیـدا عمرا خیر النـاس فـإذابنیته للمفعـول به قـام واحـد من الثلاثـهٔ مقـام الفاعـل ووجب أن یـؤتی بمفعولین غیره تقول أریت زیـدا خیر النـاس و إن کان أشار بالحق إلی أمر مشاهـد بالبصـر لم یحتـج إلی ذلک ویجوز أن یعنی بـالحق الله سـبحانه و تعـالی لأـن الحق من أسـمائه عز و جـل فیقـول منـذ عرفت الله لم أشـک فیه وتکون الرؤیـهٔ بمعنی المعرفهٔ فلایحتاج إلی تقـدیر مفعول آخر و ذلک مثل قوله تعالی وَ آخَرِینَ مِن دُونِهِم لا تَعلَمُونَهُمُ اللّهُ یَعلَمُهُم أی لاتعرفونهم الله یعرفهم والمراد مـن هـذاالکلام ذکر نعمـهٔ الله علیه فی أنه منـذ عرف الله سـبحانه لم یشـک فیه أومنـذ عرف الحـق فی العقائـد الکلاـمیهٔ والأصولیـهٔ والفقهیهٔ لم یشک فی شـیءمنها و هذه مزیهٔ له ظاهرهٔ علی غیره من الناس فإن أکثرهم أوکلهم یشک فی الشـیء بعد أن عرفه وتعتوره الشبه والوساوس ویران علی قلبه وتختلجه الشـیاطین عمـا أدی إلیه نظره . -قرآن-۵۱۲-۵۷۱ [صفحه ۳۷۵] و قـدروی أن النبی ص لمابعثه إلی الیمن قاضیا ضـرب علی صدره و قال أللهم اهد قلبه وثبت لسانه فکان یقول ماشـککت بعدها فی قضاء بین اثنین -روایت-۱-۲-روایت-۱۰-۱۴۷ روی أن رسول الله ص لمـاقرأوَ تَعِیَها أُذُنٌ واعِیَـهٌ قال أللهم اجعلها أذن علی

وقیل له قدأجیبت دعوتک -روایت-۱-۲-روایت-۷-۱۱۵ [صفحه ۳۷۶]

۱۵۹

وَ قَد بُصِّرتُم إِن أَبصَرتُم وَ قَد هُدِیتُم إِنِ اهتَدَیتُم قال الله تعالی وَ أَمّا ثَمُودُ فَهَدَیناهُم فَاستَحَبّوا العَمی عَلَی الهُدی. و قال سبحانه وَ هَدَیناهُ النّجدَینِ. و قال بعض الصالحین ألا إنهما نجدا الخیر والشر فجعل نجد الشر أحب إلیکم من نجد الخیر. قلت النجد الطریق . واعلم أن الله تعالی قدنصب الأدلة ومکن المکلف بما أکمل له من العقل من الهدایة فإذاضل فمن قبل نفسه أتی . و قال بعض الحکماء ألذی لایقبل الحکمة هو ألذی ضل عنها لیست هی الضالة عنه . و قال متی أحسست بأنک قدأخطأت وأردت ألا تعود أیضا فتخطئ فانظر إلی أصل فی نفسک حدث عنه ذلک الخطأ فاحتل فی قلعه و ذلک أنک إن لم تفعل ذلک عاد فثبت خطأ آخر و کان یقال کما أن البدن الخالی من النفس تفوح منه رائحة النتن کذلک النفس الخالیة من الحکمة و کما أن البدن الخالی من النفس لیس یحس ذلک بالبدن -قرآن-۱۹-۸۰-قرآن-۹۶-۱۱۸ [صفحه ۳۷۷] بل الذین لهم حس یحسونه به کذلک النفس العدیمة للحکمة لیس تحس به تلک النفس بل یحس به الحکماء وقیل لبعض الحکماء مابال الناس ضلوا عن الحق أتقول إنهم لم تخلق فیهم قوة معرفة فقال لابل خلق لهم ذلک ولکنهم استعملوا تلک القوة علی غیروجهها و فی غیر ماخلقت له کالسم تدفعه إلی إنسان لیقتل به عدوه فیقتل به نفسه [صفحه ۳۷۸]

۱۶۰

عَاتِب أَخَاکَ بِالإِحسَانِ إِلَیهِ وَ اردُد شَرّهُ بِالإِنعَامِ عَلَیهِ الأصل فی هذاقول الله تعالی ادفَع بِالّتِی هیَ أَحسَنُ فَإِذَا ألّذِی بَینَکَ وَ بَینَهُ عَداوَةٌ کَأَنّهُ ولَیِّ حَمِیمٌ وروی المبرد فی الکامل عن ابن عائشة عن رجل من أهل الشام قال دخلت المدینة فرأیت رجلا راکبا علی بغلة لم أر أحسن وجها و لاثوبا و لاسمتا و لادابة منه فمال قلبی إلیه فسألت عنه فقیل هذا الحسن بن الحسن بن علی فامتلأ قلبی له بغضا وحسدت علیا أن یکون له ابن مثله فصرت إلیه و قلت له أنت ابن أبی طالب فقال أنا ابن ابنه قلت فبک وبأبیک فلما انقضی کلامی قال أحسبک غریبا قلت أجل قال فمل بنا فإن احتجت إلی منزل أنزلناک أو إلی مال واسیناک أو إلی حاجة عاوناک .فانصرفت عنه و ما علی الأرض أحد أحب إلی منه . و قال محمود الوراق -قرآن-۳۲-۱۲۸ إنی شکرت لظالمی ظلمی || وغفرت ذاک له علی علم ورأیته أهدی إلی یدا || لماأبان بجهله حلمی رجعت إساءته علیه و || إحسانی فعاد مضاعف الجرم [صفحه ۳۷۹] وغدوت ذا أجر ومحمدة || وغدا بکسب الظلم والإثم فکأنما الإحسان کان له || و أناالمسیء إلیه فی الحکم مازال یظلمنی وأرحمه || حتی بکیت له من الظلم . قال المبرد أخذ هذاالمعنی من قول رجل من قریش قال له رجل منهم إنی مررت بآل فلان وهم یشتمونک شتما رحمتک منه قال أفسمعتنی أقول إلاخیرا قال لا قال إیاهم فارحم . و قال رجل لأبی بکر لأشتمنک شتما یدخل معک قبرک فقال معک و الله یدخل لامعی [صفحه ۳۸۰]

۱۶۱

مَن وَضَعَ نَفسَهُ مَوَاضِعَ التّهَمَةِ فَلَا یَلُومَنّ مَن أَسَاءَ بِهِ الظّنّ رأی بعض الصحابة رسول الله ص واقفا فی درب من دروب المدینة ومعه امرأة فسلم علیه فرد علیه فلما جاوزه ناداه فقال هذه زوجتی فلانة قال یا رسول الله أ وفیک یظن فقال إن الشیطان یجری من ابن آدم مجری الدم -روایت-۱-۲۲۱ جاء فی الحدیث المرفوع دع مایریبک إلی ما لایریبک -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۵۶

قال أيضا لايكمل إيمان عبد حتى يترك ما لابأس به -روايت-١-٢-روايت-١٢-٥۶ . و قدأخذ هذاالمعنى شاعر فقال وزعمت أنك لاتلوط فقل لنا || هذاالمقرطق واقفا مايصنع شهدت ملاحته عليك بريبة || و على المريب شواهد لاتدفع [صفحه ٣٨١]

۱۶۲

مَن مَلَكَ استَأثَرَالمعنى أن الأغلب فى كل ملك يستأثر على الرعية بالمال والعز والجاه . ونحو هذاالمعنى قولهم من غلب سلب و من عزبز. ونحوه قول أبى الطيب والظلم من شيم النفوس فإن تجد || ذا عفة فلعلة لايظلم [صفحه ٣٨٢]

۱۶۳

مَنِ استَبَدّ بِرَأيِهِ هَلَكَ وَ مَن شَاوَرَ الرّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا قدتقدم لنا قول كاف فى المشورة مدحا وذما و كان عبدالملك بن صالح الهاشمى يذمها و يقول مااستشرت واحدا قط إلاتكبر على وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتنى الذلة فإياك والمشورة و إن ضاقت عليك المذاهب واشتبهت عليك المسائل وأداك الاستبداد إلى الخطإ الفادح . و كان عبد الله بن طاهر يذهب إلى هذاالمذهب و يقول ماحك جلدك مثل ظفرك ولأن أخطئ مع الاستبداد ألف خطإ أحب إلى من أن أستشير وأرى بعين النقص والحاجة. و كان يقال الاستشارة إذاعة السر ومخاطرة بالأمر ألذى ترومه بالمشاورة فرب مستشار أذاع عنك ما كان فيه فساد تدبيرك . و أماالمادحون للمشورة فكثير جدا وقالوا خاطر من استبد برأيه . وقالوا المشورة راحة لك وتعب على غيرك . وقالوا من أكثر من المشورة لم يعدم عندالصواب مادحا و عندالخطإ عاذرا. [صفحه ٣٨٣] وقالوا المستشير على طرف النجاح والاستشارة من عزم الأمور. وقالوا المشورة لقاح العقول ورائد الصواب . و من ألفاظهم البديعة ثمرة رأى المشير أحلى من الأرى المشور. و قال بشار إذابلغ الرأى النصيحة فاستعن || بعزم نصيح أومشورة حازم و لاتجعل الشورى عليك غضاضة || فإن الخوافى عدة للقوادم [صفحه ٣٨۴]

۱۶۴

مَن كَتَمَ سِرّهُ كَانَتِ الخِيَرَةُ فِي يَدِهِ قدتقدم القول فى السر والأمر بكتمانه ونذكر هاهنا أشياء أخر. من أمثالهم مقتل الرجل بين لحيته .دنا رجل من آخر فساره فقال إن من حق السر التدانى. كان مالك بن مسمع إذاساره إنسان قال له أظهره فلو كان فيه خير لما كان مكتوما.حكيم يوصى ابنه يابنى كن جوادا بالمال فى موضع الحق ضنينا بالإسرار عن جميع الخلق فإن أحمدجود المرء الإنفاق فى وجه البر. و من كلامهم سرك من دمك فإذاتكلمت به فقد أرقته . و قال الشاعر فلاتفش سرك إلاإليك || فإن لكل نصيح نصيحا أ لم تر أن غواة الرجال || لايتركون أديما صحيحا . و قال عمر بن عبدالعزيز القلوب أوعية الأسرار والشفاه أقفالها والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره . [صفحه ٣٨۵] و قال بعض الحكماء من أفشى سره كثر عليه المتآمرون .أسر رجل إلى صديق سرا ثم قال له أفهمت قال له بل جهلت قال أحفظت قال بل نسيت . وقيل لرجل كيف كتمانك السر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر.أنشد الأصمعى قول الشاعر إذاجاوز الاثنين سر فإنه || بنث وتكثير الوشاة قمين . فقال و الله ماأراد بالاثنين إلاالشفتين [صفحه ٣٨۶]

۱۶۵

فی الحدیث المرفوع أشقی الأشقیاء من جمع علیه فقر الدنیا وعذاب الآخرة –روایت–۱–۲–روایت–۲۳–۷۶ . وأتی بزرجمهر فقیر جاهل فقال بئسما اجتمع علی هذاالبائس فقر ینقص دنیاه وجهل یفسد آخرته .شاعر خلق المال والیسار لقوم || وأرانی خلقت للإملاق أنافیما أری بقیة قوم || خلقوا بعدقسمة الأرزاق .أخذ السیواسی هذاالمعنی فقال فی قصیدته الطویلة المعروفة بالساسانیة لیت شعری لمابدا یقسم || الأرزاق فی أی مطبق کنت .قرئ علی أحد جانبی دینار قرنت بالنجح وبی کل ما || یراد من ممتنع یوجد . و علی الجانب الآخر و کل من کنت له آلفا || فالإنس والجن له أعبد . [صفحه ۳۸۷] و قال أبوالدرداء من حفظ ماله فقد حفظ الأکثر من دینه وعرضه .بعضهم و إذارأیت صعوبة فی مطلب || فاحمل صعوبته علی الدینار ترده کالظهر الذلول فإنه || حجر یلین قوة الأحجار . و من دعاء السلف أللهم إنی أعوذ بک من ذل الفقر وبطر الغنی [صفحه ۳۸۸]

۱۶۶

مَن قَضَی حَقّ مَن لَا یَقضِی حَقّهُ فَقَد عَبّدَهُ عبده بالتشدید أی اتخذه عبدا یقال عبده واستعبده بمعنی واحد والمعنی بهذا الکلام مدح من لایقضی حقه أی من فعل ذلک بإنسان فقد استعبد ذلک الإنسان لأنه لم یفعل معه ذلک مکافاة له عن حق قضاه إیاه بل فعل ذلک إنعاما مبتدأ فقد استعبده بذلک . و قال الشاعر فی نقیض هذه الحال یخاطب صاحبا له کن کأن لم تلاقنی قط فی الناس || و لا تجعلن ذکرای شوقا وتیقن بأننی غیرراء || لک حقا حتی تری لی حقا وبأنی مفوق ألف سهم || لک إن فوقت یمینک فوقا [صفحه ۳۸۹]

۱۶۷

لَا طَاعَةَ لِمَخلُوقٍ فِی مَعصِیَةِ الخَالِقِ هذه الکلمة قدرویت مرفوعة و قدجاء فی کلام أبی بکر أطیعونی ماأطعت الله فإذاعصیته فلاطاعة لی علیکم –روایت–۱–۲–روایت–۲۶–۷۸ و قال معاویة لشداد بن أوس قم فاذکر علیا فانتقصه فقام شداد فقال الحمد لله ألذی افترض طاعته علی عباده وجعل رضاه عند أهل التقوی آثر من رضا غیره علی ذلک مضی أولهم و علیه مضی آخرهم أیها الناس إن الآخرة وعد صادق یحکم فیهاملک قاهر و إن الدنیا أکل حاضر یأکل منها البر والفاجر و إن السامع المطیع لله لاحجة علیه و إن السامع العاصی لله لاحجة له وإنه لاطاعة لمخلوق فی معصیة الخالق و إذاأراد الله بالناس خیرا استعمل علیهم صلحاءهم وقضی بینهم فقهاؤهم وجعل المال فی سمحائهم و إذاأراد بالعباد شرا عمل علیهم سفهاؤهم وقضی بینهم جهلاؤهم وجعل المال عندبخلائهم و إن من إصلاح الولاة أن تصلح قرناءها ثم التفت إلی معاویة فقال نصحک یامعاویة من أسخطک بالحق وغشک من أرضاک بالباطل فقطع معاویة علیه کلامه وأمر بإنزاله ثم لاطفه وأمر له بمال فلما قبضه قال ألست من السمحاء الذین ذکرت فقال إن کان لک مال غیرمال المسلمین أصبته حلالا وأنفقته إفضالا فنعم و إن کان مال المسلمین احتجبته دونهم أصبته اقترافا وأنفقته إسرافا فإن الله یقول إِنّ المُبَذّرِینَ کانُوا إِخوانَ الشّیاطِینِ –قرآن–۹۹۰–۱۰۳۴ [صفحه ۳۹۰]

۱۶۸

لَا یُعَابُ المَرءُ بِتَأخِیرِ حَقّهِ إِنّمَا یُعَابُ مَن أَخَذَ مَا لَیسَ لَهُ لعل هذه الکلمة قالها فی جواب سائل سأله لم أخرت المطالبة بحقک من الإمامة و لابد من إضمار شیء فی الکلام علی قولنا وقول الإمامیة لأنا نحن نقول الأمر حقه بالأفضلیة وهم یقولون إنه حقه بالنص و علی کلا التقدیرین فلابد من إضمار شیء فی الکلام لأن لقائل أن یقول له ع لو کان حقک من غیر أن یکون

للمكلفين فيه نصيب لجاز ذلك أن يؤخر كالدين ألذى يستحق على زيد يجوز لك أن تؤخره لأنه خالص لك وحدك فأما إذا كان للمكلفين فيه حاجة ماسة لم يكن حقك وحدك لأن مصالح المكلفين منوطة بإمامتك دون إمامة غيرك فكيف يجوز لك تأخير ما فيه مصلحة المكلفين فإذن لابد من إضمار شيء فى الكلام وتقديره لايعاب المرء بتأخير حقه إذا كان هناك مانع عن طلبه ويستقيم المعنى حينئذ على المذهبين جميعا لأنه إذا كان هناك مانع جاز تقديم غيره عليه وجاز له أن يؤخر طلب حقه خوف الفتنة والكلام فى هذاالموضع مستقصى فى تصانيفنا فى علم الكلام [صفحه ۳۹۱]

۱۶۹

الإِعجَابُ يَمنَعُ مِنَ الِازدِيَادِ قدتقدم لنا قول مقنع فى العجب وإنما قال ع يمنع من الازدياد لأن المعجب بنفسه ظان أنه قدبلغ الغرض وإنما يطلب الزيادة من يستشعر التقصير لا من يتخيل الكمال وحقيقة العجب ظن الإنسان بنفسه استحقاق منزلة هو غيرمستحق لها ولهذا قال بعضهم لرجل رآه معجبا بنفسه يسرنى أن أكون عند الناس مثلك فى نفسك و أن أكون عندنفسى مثلك عند الناس فتمنى حقيقة مايقدره ذلك الرجل ثم تمنى أن يكون عارفا بعيوب نفسه كمايعرف الناس عيوب ذلك الرجل المعجب بنفسه . و قيل للحسن من شر الناس قال من يرى أنه خيرهم -روايت-۱-۵۰ . و قال بعض الحكماء الكاذب فى نهاية البعد من الفضل والمرائى أسوأ حالا من الكاذب لأنه يكذب فعلا وذاك يكذب قولا والفعل آكد من القول فأما المعجب بنفسه فأسوأ حالا منهما لأنهما يريان نقص أنفسهما ويريدان إخفاءه والمعجب بنفسه قدعمى عن عيوب نفسه فيراها محاسن ويبديها. و قال هذاالحكيم أيضا ثم إن المرائى والكاذب قدينتفع بهما كملاح خاف [صفحه ۳۹۲] ركابه الغرق من مكان مخوف من البحر فبشرهم بتجاوزه قبل أن يتجاوزه لئلا يضطربوا فيتعجل غرقهم . و قديحمد رياء الرئيس إذاقصد أن يقتدى به فى فعل الخير والمعجب لاحظ له فى سبب من أسباب المحمدة بحال . وأيضا فلأنك إذاوعظت الكاذب والمرائى فنفسهما تصدقك وتثلبهما لمعرفتهما بنفسهما والمعجب فلجهله بنفسه يظنك فى وعظه لاغيا فلاينتفع بمقالك و إلى هذاالمعنى أشار سبحانه بقوله أَ فَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً ثم قال سبحانه فَلا تَذهَب نَفسُكَ عَلَيهِم حَسَراتٍتنبيها على أنهم لايعقلون لإعجابهم . و -قرآن-۳۹۲-۴۴۲-قرآن-۴۵۹-۴۹۵ قال ع ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۶۸ . و فى المثل إن إبليس قال إذاظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها إذاأعجب بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه . وقالت الحكماء كما أن المعجب بفرسه لايروم أن يستبدل به غيره كذلك المعجب بنفسه لايريد بحاله بدلا و إن كانت رديئة. وأصل الإعجاب من حب الإنسان لنفسه و قد قال ع حبك الشيء يعمى ويصم -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۳۸ و من عمى وصم تعذر عليه رؤية عيوبه وسماعها فلذلك وجب على الإنسان أن يجعل على نفسه عيونا تعرفه عيوبه نحو ما قال عمر أحب الناس إلى امرؤ أهدى إلى عيوبى. ويجب على الإنسان إذارأى من غيره سيئة أن يرجع إلى نفسه فإن رأى ذلك [صفحه ۳۹۳] موجودا فيهانزعها و لم يغفل عنها فما أحسن ما قال المتنبى و من جهلت نفسه قدره || رأى غيره منه ما لايرى . و أماالتيه وماهيته فهو قريب من العجب لكن المعجب يصدق نفسه وهما فيما يظن بها والتياه يصدقها قطعا كأنه متحير فى تيه ويمكن أن يفرق بينهما بأمر آخر و يقول إن المعجب قديعجب بنفسه و لا يؤذى أحدا بذلك الإعجاب والتياه يضم إلى الإعجاب الغض من الناس والترفع عليهم فيستلزم ذلك الأذى لهم فكل تائه معجب و ليس كل معجب تائها [صفحه ۳۹۴]

۱۷۰

الأمرُ قَرِيبٌ وَ الِاصطِحَابُ قَلِيلٌ هذه الكلمة تذكر بالموت وسرعة زوال الدنيا و قال أبوالعلاء نفسى وجسمى لمااستجمعا صنعا || شرا إلى فجل الواحد الصمد فالجسم يعذل فيه النفس مجتهدا || وتلك تزعم أن الظالم الجسد إذاهما بعدطول الصحبة افترقا || فإن ذاك لأحداث الزمان يد وأصبح الجوهر الحساس فى محن || موصولة واستراح الآخر الجمد [صفحه ۳۹۵]

۱۷۱

قَد أَضَاءَ الصّبحُ لِذِي عَينَينِ هذاالكلام جار مجرى المثل ومثله والشمس لاتخفى عن الأبصار . ومثله إن الغزالة لاتخفى عن البصر . و قال ابن هانئ يمدح المعتز فاستيقظوا من رقدة وتنبهوا || مابالصباح عن العيون خفاء ليست سماء الله ماترونها || لكن أرضا تحتويه سماء [صفحه ۳۹۶]

۱۷۲

تَركُ الذّنبِ أَهوَنُ مِن طَلَبِ التّوبَةِ هذاحق لأن ترك الذنب هوالإحجام عنه و هذاسهل على من يعرف أثر الذنب على ماذا يكون و هوأسهل من أن يواقع الإنسان الذنب ثم يطلب التوبة فقد لايخلص داعيه إليها ثم لوخلص فكيف له بحصوله على شروطها وهى أن يندم على القبيح لأنه قبيح لالخوف العقاب و لالرجاء الثواب ثم لايكفيه أن يتوب من الزنا وحده و لا من شرب الخمر وحده بل لاتصح توبته حتى تكون عامة شاملة لكل القبائح فيندم على ما قال ويود أنه لم يفعل ويعزم على ألا يعاود معصية أصلا و إن نقض التوبة عادت عليه الآثام القديمة والعقاب المستحق و لا ألذى كان سقط بالتوبة على رأى كثير من أرباب علم الكلام و لاريب أن ترك الذنب من الابتداء أسهل من طلب توبة هذه صفتها. و هذاالكلام جار مجرى المثل يضرب لمن يشرع فى أمر يخاطر فيه ويرجو أن يتخلص منه فيما بعدبوجه من الوجوه [صفحه ۳۹۷]

۱۷۳

اشاره

كَم مِن أَكلَةٍ تَمنَعُ أَكَلَاتٍ أخذ هذاالمعنى بلفظه الحريرى فقال فى المقامات رب أكلة هاضت الآكل ومنعته مآكل وأخذه أبوالعلاف الشاعر فقال فى سنوره ألذى يرثيه أردت أن تأكل الفراخ و لا || يأكلك الدهر أكل مضطهد يا من لذيذ الفراخ أوقعه || ويحك هلا قنعت بالقدد كم أكلة خامرت حشا شره || فأخرجت روحه من الجسد

نوادر المكثرين من الأكل

و كان ابن عياش المنتوف يمازح المنصور أبا جعفرفيحتمله على أنه كان جدا كله فقدم المنصور لجلسائه يوما بطة كثيرة الدهن فأكلوا وجعل يأمرهم بالازدياد من الأكل لطيبها فقال ابن عياش قدعلمت غرضك يا أمير المؤمنين إنما تريد أن ترميهم منها بالحجاب يعنى الهيضة فلايأكلوا إلى عشرة أيام شيئا. و فى المثل أكلة أبى خارجة و قال أعرابى و هويدعو الله بباب الكعبة أللهم

[صفحه ۳۹۸] ميتة كميتة أبى خارجة فسألوه فقال أكل بذجا و هوالحمل وشرب وطبا من اللبن ويروى من النبيذ و هوكالحوض من جلود ينبذ فيه ونام فى الشمس فمات فلقى الله تعالى شبعان ريان دفيئا. والعرب تعير بكثرة الأكل وتعيب بالجشع والشره والنهم و قد كان فيهم قوم موصوفون بكثرة الأكل منهم معاوية قال أبو الحسن المدائنى فى كتاب الأكلة كان يأكل فى اليوم أربع أكلات أخراهن عظماهن ثم يتعشى بعدها بثريدة عليها بصل كثير ودهن كثير قدشغلها و كان أكله فاحشا يأكل فيلطخ منديلين أوثلاثة قبل أن يفرغ و كان يأكل حتى يستلقى و يقول ياغلام ارفع فلأنى و الله ماشبعت ولكن مللت . و كان عبيد الله بن زياد يأكل فى اليوم خمس أكلات أخراهن خبيئة بعسل ويوضع بين يديه بعد أن يفرغ الطعام عناق أوجدى فيأتى عليه وحده . و كان سليمان بن عبدالملك المصيبة العظمى فى الأكل دخل إلى الرافقة فقال لصاحب طعامه أطعمنا اليوم من خرفان الرافقة ودخل الحمام فأطال ثم خرج فأكل ثلاثين خروفا بثمانين رغيفا ثم قعد على المائدة فأكل مع الناس كأنه لم يأكل شيئا. و قال الشمردل وكيل آل عمرو بن العاص قدم سليمان الطائف و قدعرفت استجاعته فدخل هو وعمر بن عبدالعزيز وأيوب ابنه إلى بستان لى هناك يعرف بالرهط فقال ناهيك بمالك هذا لو لاجرار فيه قلت يا أمير المؤمنين إنها ليست بجرار ولكنها جرار الزبيب فضحك ثم جاء حتى ألقى صدره على غصن شجرة هناك و قال ياشمردل أ ماعندك شيءتطعمنى و قدكنت استعددت له فقلت بلى و الله عندى جدى كانت تغدو عليه حافلة وتروح عليه أخرى فقال عجل به فجئته [صفحه ۳۹۹] به مشويا كأنه عكة سمن فأكله لايدعو عليه عمر و لاابنه حتى إذابقى فخذ قال ياعمر هلم قال إنى صائم ثم قال ياشمردل أ ماعندك شيء قلت بلى دجاجات خمس كأنهن رئلان النعام فقال هات فأتيته بهن فكان يأخذ برجل الدجاجة حتى يعرى عظامها ثم يلقيها حتى أتى عليهن ثم قال ويحك ياشمردل أ ماعندك شيء قلت بلى سويق كأنه قراضة الذهب ملتوت بعسل وسمن قال هلم فجئته بعس تغيب فيه الرأس فأخذه فلطم به جبهته حتى أتى عليه فلما فرغ تجشأ كأنه صارخ فى جب ثم التفت إلى طباخه فقال ويحك أفرغت من طبيخك قال نعم قال و ما هو قال نيف وثمانون قدرا قال فأتنى بهاقدرا قدرا فعرضها عليه و كان يأكل من كل قدر لقمتين أوثلاثا ثم مسح يده واستلقى على قفاه وأذن للناس ووضعت الموائد فقعد فأكل مع الناس كأنه لم يطعم شيئا.قالوا و كان الطعام ألذى مات منه سليمان أنه قال لديرانى كان صديقه قبل الخلافة ويحك لاتقطعنى ألطافك التى كنت تلطفنى بها على عهد الوليد أخى قال فأتيته يوما بزنبيلين كبيرين أحدهما بيض مسلوق والآخر تين فقال لقمنيه فكنت أقشر البيضة وأقرنها بالتينة وألقمه حتى أتى على الزنبيلين فأصابته تخمة عظيمة ومات ويحكى أن عمرو بن معديكرب أكل عنزا رباعية وفرقا من ذرة والفرق ثلاثة آصع و قال لامرأته عالجى لنا هذاالكبش حتى أرجع فجعلت توقد تحته وتأخذ عضوا عضوا فتأكله فاطلعت فإذا ليس فى القدر إلاالمرق فقامت إلى كبش آخر فذبحته وطبخته ثم أقبل عمرو فثردت له فى جفنة العجين وكفأت القدر عليها فمد يده و قال ياأم ثور دونك الغداء قالت قدأكلت فأكل الكبش كله ثم اضطجع ودعاها إلى الفراش فلم يستطع الفعل فقالت له كيف تستطيع وبينى وبينك كبشان . [صفحه ۴۰۰] و قدروى هذاالخبر عن بعض العرب وقيل إنه أكل حوارا وأكلت امرأته حائلا فلما أراد أن يدنو منها وعجز قالت له كيف تصل إلى وبينى وبينك بعيران . و كان الحجاج عظيم الأكل قال مسلم بن قتيبة كنت فى دار الحجاج مع ولده و أناغلام فقيل قدجاء الأمير فدخل الحجاج فأمر بتنور فنصب وأمر رجلا أن يخبز له خبز الماء ودعا بسمك فأتوه به فجعل يأكل حتى أكل ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الملة. و كان هلال بن أشعر المازنى موصوفا بكثرة الأكل أكل ثلاث جفان ثريد واستسقى فجاءوه بقربة مملوءة نبيذا فوضعوا فمها فى فمه حتى شربها بأسرها. و كان هلال بن أبى بردة أكولا قال قصابه جاءنى رسوله سحرة فأتيته و بين يديه كانون فيه جمر وتيس ضخم فقال دونك هذاالتيس فاذبحه فذبحته وسلخته فقال أخرج هذاالكانون إلى الرواق وشرح اللحم وكبه على النار فجعلت كلما استوى شيءقدمته إليه حتى لم يبق من التيس إلاالعظام وقطعة لحم على الجمر فقال لى كلها فأكلتها ثم شرب خمسة أقداح وناولنى

قدحا فشربته فهزنى وجاءته جارية ببرمة فيهاناهضان ودجاجتان وأرغفة فأكل ذلک كله ثم جاءته جارية أخرى بقصعة مغطاة لاأدرى ما فيهافضحک إلى الجارية فقال ويحک لم يبق فى بطنى موضع لهذا فضحکت الجارية وانصرفت فقال لى الحق بأهلک . [صفحه ۴۰۱] و كان عنبسة بن زياد أكولا نهما فحدث رجل من ثقيف قال دعانى عبيد الله الأحمر فقلت لعنبسة هل لک ياذبحة و كان هذالقبة فى إتيان الأحمر فمضينا إليه فلما رآه عبيد الله رحب به و قال للخباز ضع بين يدى هذامثل ماتضع بين يدى أهل المائدة كلهم فجعل يأتيه بقصعة و أهل المائدة بقصعة و هويأتى عليها ثم أتاه بجدى فأكله كله ونهض القوم فأكل كل ماتخلف على المائدة وخرجنا فلقينا خلف بن عبد الله القطامى فقال له ياخلف أ ماتغدينى يوما فقلت لخلف ويحک لاتجده مثل اليوم فقال له ماتشتهى قال تمرا وسمنا فانطلق به إلى منزله فجاء بخمس جلال تمرا وجرة سمنا فأكل الجميع وخرج فمر برجل يبنى داره ومعه مائة رجل و قدقدم لهم سمنا وتمرا فدعاه إلى الأكل معهم فأكل حتى شكوه إلى صاحب الدار ثم خرج فمر برجل بين يديه زنبيل فيه خبز أرز يابس بسمسم و هويبيعه فجعل يساومه ويأكل حتى أتى على الزنبيل فأعطيت صاحب الزنبيل ثمن خبزة. و كان ميسرة الرأس أكولا حكى عنه عندالمهدى محمد بن المنصور أنه يأكل كثيرا فاستدعاه وأحضر فيلا وجعل يرمى لكل واحد منهما رغيفا حتى أكل كل واحد منهما تسعة وتسعين رغيفا وامتنع الفيل من تمام المائة وأكل ميسرة تمام المائة وزاد عليها. و كان أبو الحسن العلاف والد أبى بكر بن العلاف الشاعر المحدث أكولا دخل يوما على الوزير أبى بكر محمدالمهلبى فأمر الوزير أن يؤخذ حماره فيذبح ويطبخ بماء وملح ثم قدم له على مائدة الوزير فأكل و هويظنه لحم [صفحه ۴۰۲] البقر ويستطيبه حتى أتى عليه فلما خرج ليركب طلب الحمار فقيل له فى جوفک . و كان أبوالعالية أكولا نذرت امرأة حامل إن أتت بذكر تشبع أباالعالية خبيصا فولدت غلاما فأحضرته فأكل سبع جفان خبيصا ثم أمسک وخرج فقيل له إنها كانت نذرت أن تشبعک فقال و الله لوعلمت ماشبعت إلى الليل [صفحه ۴۰۳]

۱۷۴

النّاسُ أَعدَاءُ مَا جَهِلُوا هذه الكلمة قدتقدمت وتقدم منا ذكر نظائرها والعلة فى أن الإنسان عدو مايجهله أنه يخاف من تقريعه بالنقص وبعدم العلم بذلک الشيء خصوصا إذاضمه ناد أوجمع من الناس فإنه تتصاغر نفسه عنده إذاخاضوا فيما لايعرفه وينقص فى أعين الحاضرين و كل شيءآذاک ونال منک فهو عدوک [صفحه ۴۰۴]

۱۷۵

مَنِ استَقبَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الخَطَإِ قدقالوا فى المثل شر الرأى الدبرى. و قال الشاعر وخير الرأى مااستقبلت منه || و ليس بأن تتبعه اتباعا . و ليس المراد بهذا الأمر سرعة فضل الحال لأول خاطر ولأول رأى إن ذلک خطأ وقديما قيل دع الرأى يغب . وقيل كل رأى لم يخمر ويبيت فلاخير فيه . وإنما المنهى عنه تضييع الفرصة فى الرأى ثم محاولة الاستدراک بعد أن فات وجه الرأى فذاک هوالرأى الدبرى [صفحه ۴۰۵]

۱۷۶

مَن أَحَدّ سِنَانَ الغَضَبِ لِلّهِ قَوِيَ عَلَى قَتلِ أَشِدّاءِ البَاطِلِ هذا من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والكلمة تتضمن استعارة تدل على الفصاحة والمعنى أن من أرهف عزمه على إنكار المنكر وقوى غضبه فى ذات الله و لم يخف و لم يراقب مخلوقا أعانه

الله على إزالة المنكر و إن كان قويا صادرا من جهة عزيزة الجانب وعنها وقعت الكناية بأشداء الباطل [صفحه ۴۰۶]

۱۷۷

إِذَا هِبتَ أَمراً فَقَع فِيهِ فَإِنّ شِدّةَ تَوَقّيهِ أَعظَمُ مِمّا تَخَافُ مِنهُ ماأحسن ما قال المتنبى فى هذاالمعنى و إذا لم يكن من الموت بد || فمن العجز أن تكون جبانا كل ما لم يكن من الصعب فى الأنفس || سهل فيها إذا هوكانا . و قال آخر لعمرك ماالمكروه إلاارتقابه || وأعظم مما حل مايتوقع . و قال آخر صعوبة الرزء تلقى فى توقعه || مستقبلا وانقضاء الرزء أن يقعا . و كان يقال توسط الخوف تأمن . و من الأمثال العامية أم المقتول تنام وأم المهدد لاتنام . و كان يقال كل أمر من خير أوشر فسماعه أعظم من عيانه . و قال قوم من أهل الملة وليسوا عندأصحابنا مصيبين إن عذاب الآخرة المتوعد به إذاحل بمستحقيه وجدوه أهون مما كانوا يسمعونه فى الدنيا و الله أعلم بحقيقة ذلك [صفحه ۴۰۷]

۱۷۸

اشاره

آلَةُ الرّئَاسَةِ سَعَةُ الصّدرِالرئيس محتاج إلى أمور منها الجود ومنها الشجاعة ومنها و هوالأهم سعة الصدر فإنه لاتتم الرئاسة إلابذلك . و كان معاوية واسع الصدر كثير الاحتمال وبذلك بلغ مابلغ

سعة الصدر و ماورد فى ذلك من حكايات

ونحن نذكر من سعة الصدر حكايتين دالتين على عظم محله فى الرئاسة و إن كان مذموما فى باب الدين و ماأحسن قول الحسن فيه و قدذكر عنده عقيب ذكر أبى بكر وعمر فقال كانا و الله خيرا منه و كان أسود منهما.الحكاية الأولى وفد أهل الكوفة على معاوية حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده و فى أهل الكوفة هانئ بن عروة المرادى و كان سيدا فى قومه فقال يوما فى مسجد دمشق و الناس حوله العجب لمعاوية يريد أن يقسرنا على بيعة يزيد وحاله حاله و ماذاك و الله بكائن و كان [صفحه ۴۰۸] فى القوم غلام من قريش جالسا فتحمل الكلمة إلى معاوية فقال معاوية أنت سمعت هانئا يقولها قال نعم قال فاخرج فأت حلقته فإذاخف الناس عنه فقل له أيها الشيخ قدوصلت كلمتك إلى معاوية ولست فى زمن أبى بكر وعمر و لاأحب أن تتكلم بهذا الكلام فإنهم بنو أمية و قدعرفت جرأتهم وإقدامهم و لم يدعنى إلى هذاالقول لك إلاالنصيحة والإشفاق عليك فانظر ما يقول فأتنى به .فأقبل الفتى إلى مجلس هانئ فلما خف من عنده دنا منه فقص عليه الكلام وأخرجه مخرج النصيحة له فقال هانئ و الله يا ابن أخى مابلغت نصيحتك كل ماأسمع و إن هذاالكلام لكلام معاوية أعرفه فقال الفتى و ما أنا ومعاوية و الله مايعرفنى قال فلاعليك إذالقيته فقل له يقول لك هانئ و الله ما إلى ذلك من سبيل انهض يا ابن أخى راشدا.فقام الفتى فدخل على معاوية فأعلمه فقال نستعين بالله عليه . ثم قال معاوية بعدأيام للوفد ارفعوا حوائجكم وهانئ فيهم فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه فقال ياهانئ ماأراك صنعت شيئا زد فقام هانئ فلم يدع حاجة عرضت له إلا وذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال أراك قصرت فيما طلبت زد فقام هانئ فلم يدع حاجة لقومه و لالأهل مصره إلاذكرها ثم عرض عليه الكتاب فقال ماصنعت شيئا زد فقال يا أمير

المؤمنين حاجة بقيت قال ماهى قال أن أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق قال افعل فما زلت لمثل ذلك أهلا فلما قدم هانئ العراق قام بأمر البيعة ليزيد بمعونة من المغيرة بن شعبة و هوالوالى بالعراق يومئذ. [صفحه ۴۰۹] و أماالحكاية الثانية كان مال حمل من اليمن إلى معاوية فلما مر بالمدينة وثب عليه الحسين بن على ع فأخذه وقسمه فى أهل بيته ومواليه وكتب إلى معاوية من الحسين بن على إلى معاوية بن أبى سفيان أما بعد فإن عيرا مرت بنا من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إليك لتودعها خزائن دمشق وتعل بها بعدالنهل بنى أبيك وإنى احتجت إليها فأخذتها و السلام -روايت-۱-۳۴۶ .فكتب إليه معاوية من عند عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسين بن على سلام عليك أما بعد فإن كتابك ورد على تذكر أن عيرا مرت بك من اليمن تحمل مالا وحللا وعنبرا وطيبا إلى لأودعها خزائن دمشق وأعل بها بعدالنهل بنى أبى وأنك احتجت إليها فأخذتها و لم تكن جديرا بأخذها إذ نسبتها إلى لأن الوالى أحق بالمال ثم عليه المخرج منه وايم الله لوترك ذلك حتى صار إلى لم أبخسك حظك منه ولكنى قدظننت يا ابن أخى أن فى رأسك نزوة وبودى أن يكون ذلك فى زمانى فأعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك ولكنى و الله أتخوف أن تبتلى بمن لاينظرك فواق ناقة وكتب فى أسفل كتابه ياحسين بن على ليس ما || جئت بالسائغ يوما فى العلل أخذك المال و لم تؤمر به || إن هذا من حسين لعجل قدأجزناها و لم نغضب لها || واحتملنا من حسين مافعل ياحسين بن على ذا الأمل || لك بعدى وثبة لاتحتمل وبودى أننى شاهدها || فإليها منك بالخلق الأجل إننى أرهب أن تصلى بمن || عنده قدسبق السيف العذل . و هذه سعة صدر وفراسة صادقة [صفحه ۴۱۰]

۱۷۹

ازجُرِ المسُيِءَ بِثَوَابِ المُحسِنِ قد قال ابن هانئ المغربى فى هذاالمعنى لو لاانبعاث السيف و هومسلط || فى قتلهم قتلتهم النعماء .فأفصح به أبوالعتاهية فى قوله إذاجازيت بالإحسان قوما || زجرت المذنبين عن الذنوب فما لك والتناول من بعيد || ويمكنك التناول من قريب [صفحه ۴۱۱]

۱۸۰

احصُدِ الشّرّ مِن صَدرِ غَيرِكَ بِقَلعِهِ مِن صَدرِكَ هذايفسر على وجهين أحدهما أنه يريد لاتضمر لأخيك سوءا فإنك لاتضمر ذاك إلايضمر هو لك سوءا لأن القلوب يشعر بعضها ببعض فإذاصفوت لواحد صفا لك . والوجه الثانى أن يريد لاتعظ الناس و لاتنههم عن منكر إلا و أنت مقلع عنه فإن الواعظ ألذى ليس بزكى لاينجع وعظه و لايؤثر نهيه . و قدسبق الكلام فى كلا المعنيين [صفحه ۴۱۲]

۱۸۱

اللّجَاجَةُ تَسُلّ الرأّيَ هذامشتق من قوله ع لارأى لمن لايطاع -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۳ و ذلك لأن عدم الطاعة هواللجاجة و هوخلق يتركب من خلقين أحدهما الكبر والآخر الجهل بعواقب الأمور وأكثر مايعترى الولاة لمايأخذهم من العزة بالإثم . و من كلام بعض الحكماء إذااضطررت إلى مصاحبة السلطان فابدأ بالفحص عن معتاد طبعه ومألوف خلقه ثم استحدث لنفسك طبعا ففرغه فى قالب إرادته وخلقا تركبه مع موضع وفاقه حتى تسلم معه و إن رأيته يهوى فنا من فنون المحبوبات فأظهر هواك لضد ذلك الفن ليبعد عنك إرهابه بل ويكثر سكونه إليك و إذابدا لك منه فعل ذميم فإياك أن تبدأه فيه بقول ما لم يستبذل فيه

نصحك ويستدعى رأيك و إن استدعى ذاك فليكن ماتفاوضه فيه بالرفق والاستعطاف لابالخشونة والاستنكاف فيحمله اللجاج المركب فى طبع الولاة على ارتكابه فكل وال لجوج و إن علم مايتعقبه لجاجه من الضرر و أن اجتنابه هو الحسن [صفحه ۴۱۳]

۱۸۲

الطّمَعُ رِقّ مُؤَبّدٌ هذاالمعنى مطروق جدا و قدسبق لنا فيه قول شاف . و قال الشاعر تعفف وعش حرا و لاتك طامعا || فما قطع الأعناق إلاالمطامع . و فى المثل أطمع من أشعب رأى سلالا يصنع سلة فقال له أوسعها قال ما لك وذاك قال لعل صاحبها يهدى لى فيهاشيئا. ومر بمكتب وغلام يقرأ على الأستاذ إن أبى يدعوك فقال قم بين يدى حفظك الله وحفظ أباك فقال إنما كنت أقرأ وردى فقال أنكرت أن تفلح أويفلح أبوك . وقيل لم يكن أطمع من أشعب إلاكلبه رأى صورة القمر فى البئر فظنه رغيفا فألقى نفسه فى البئر يطلبه فمات [صفحه ۴۱۴]

۱۸۳

ثَمَرَةُ التّفرِيطِ النّدَامَةُ وَ ثَمَرَةُ الحَزمِ السّلَامَةُ قدسبق من الكلام فى الحزم والتفريط ما فيه كفاية و كان يقال الحزم ملكة يوجبها كثرة التجارب وأصله قوة العقل فإن العاقل خائف أبدا والأحمق لايخاف و إن خاف كان قليل الخوف و من خاف أمرا توقاه فهذا هوالحزم . و كان أبوالأسود الدؤلى من عقلاء الرجال وذوى الحزم والرأى وحكى أبوالعباس المبرد قال قال زياد لأبى الأسود و قدأسن لو لاضعفك لاستعملناك على بعض أعمالنا فقال أللصراع يريدنى الأمير قال زياد إن للعمل مئونة و لاأراك إلاتضعف عنه فقال أبوالأسود زعم الأمير أبوالمغيرة إننى || شيخ كبير قددنوت من البلى صدق الأمير لقد كبرت وإنما || نال المكارم من يدب على العصا يابا المغيرة رب أمر مبهم || فرجته بالحزم منى والدها . و كان يقال من الحزم والتوقى ترك الإفراط فى التوقى. لمانزل بمعاوية الموت وقدم عليه يزيد ابنه فرآه مسكتا لايتكلم بكى وأنشد لوفات شيءيرى لفات أبو || حيان لاعاجز و لاوكل الحول القلب الأريب و لا || تدفع يوم المنية الحيل [صفحه ۴۱۵]

۱۸۴

مَن لَم يُنجِهِ الصّبرُ أَهلَكَهُ الجَزَعُ قدتقدم لنا قول شاف فى الصبر والجزع . و كان يقال ماأحسن الصبر لو لا أن النفقة عليه من العمر أخذه شاعر فقال وإنى لأدرى أن فى الصبر راحة || ولكن إنفاقى على الصبر من عمرى . و قال ابن أبى العلاء يستبطئ بعض الرؤساء فإن قيل لى صبرا فلاصبر للذى || غدا بيد الأيام تقتله صبرا و إن قيل لى عذرا فو الله ماأرى || لمن ملك الدنيا إذا لم يجد عذرا . فإن قلت أى فائدة فى قوله ع من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع وهل هذا إلاكقول من قال من لم يجد مايأكل ضرة الجوع . قلت لوكانت الجهة واحدة لكان الكلام عبثا إلا أن الجهة مختلفة لأن معنى كلامه ع من لم يخلصه الصبر من هموم الدنيا وغمومها هلك من الله تعالى فى الآخرة بما يستبدله من الصبر بالجزع و ذلك لأنه إذا لم يصبر فلاشك أنه يجزع و كل جازع آثم والإثم مهلكة فلما اختلفت الجهة وكانت تارة للدنيا وتارة للآخرة لم يكن الكلام عبثا بل كان مفيدا [صفحه ۴۱۶]

۱۸۵

وَا عَجَبَا أَن تَكُونَ الخِلَافَةُ بِالصّحَابَةِ وَ لَا تَكُونَ بِالصّحَابَةِ وَ القَرَابَةِ قال الرضی رحمه الله تعالی و قدروی له شعر قریب من هذاالمعنی و هو -روایت-۱-۷۴ فإن کنت بالشوری ملکت أمورهم || فکیف بهذا والمشیرون غیب و إن کنت بالقربی حججت خصیمهم || فغیرک أولی بالنبی وأقرب حدیثه ع فی النثر والنظم المذکورین مع أبی بکر وعمر أماالنثر فإلی عمر توجیهه لأن أبابکر لما قال لعمر امدد یدک قال له عمر أنت صاحب رسول الله فی المواطن کلها شدتها ورخائها فامدد أنت یدک فقال علی ع إذااحتججت لاستحقاقه الأمر بصحبته إیاه فی المواطن کلها فهلا سلمت الأمر إلی من قدشرکه فی ذلک وزاد علیه بالقرابة -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۱۳۹ و أماالنظم فموجه إلی أبی بکر لأن أبابکر حاج الأنصار فی السقیفة فقال نحن عترة رسول الله ص وبیضته التی تفقأت عنه -روایت-۱-۲-روایت-۹-۶۰ فلما بویع احتج علی الناس بالبیعة وأنها صدرت عن أهل الحل والعقد فقال علی ع أمااحتجاجک علی الأنصار بأنک من بیضة رسول الله ص و من قومه فغیرک أقرب نسبا منک إلیه و أمااحتجاجک بالاختیار ورضا الجماعة بک فقد کان قوم من جملة الصحابة غائبین لم یحضروا العقد فکیف یثبت -روایت-۱-۲-روایت-۱۷-۲۱۷ . واعلم أن الکلام فی هذاتتضمنه کتب أصحابنا فی الإمامة ولهم عن هذاالقول أجوبة لیس هذاموضع ذکرها

المجلد ۱۹

الجزء التاسع عشر

تتمة باب الحکم والمواعظ

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم الحمد لله الواحد العدل

۱۸۶

إِنّمَا المَرءُ فِی الدّنیَا غَرَضٌ تَنتَضِلُ فِیهِ المَنَایَا وَ نَهبٌ تُبَادِرُهُ المَصَائِبُ وَ مَعَ کُلّ جُرعَةٍ شَرَقٌ وَ فِی کُلّ أَکلَةٍ غَصَصٌ وَ لَا یَنَالُ العَبدُ نِعمَةً إِلّا بِفِرَاقِ أُخرَی وَ لَا یَستَقبِلُ یَوماً مِن عُمُرِهِ إِلّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِن أَجَلِهِ فَنَحنُ أَعوَانُ المَنُونِ وَ أَنفُسُنَا نَصبُ الحُتُوفِ فَمِن أَینَ نَرجُو البَقَاءَ وَ هَذَا اللّیلُ وَ النّهَارُ لَم یَرفَعَا من شَیءٍ شَرَفاً إِلّا أَسرَعَا الکَرّةَ فِی هَدمِ مَا بَنَیَا وَ تَفرِیقِ مَا جَمَعَا قدسبق ذرء من هذاالکلام فی أثناء خطبته ع و قدذکرنا نحن أشیاء کثیرة فی الدنیا وتقلبها بأهلها. و من کلام بعض الحکماء طوبی للهارب من زخارف الدنیا والصاد عن زهرة دمنتها والخائف عندأمانها والمتهم لضمانها والباکی عندضحکها إلیه والمتواضع عندإعزازها له والناظر بعین عقله إلی فضائحها والمتأمل لقبح مصارعها والتارک [صفحه ۸] لکلابها علی جیفها والمکذب لمواعیدها والمتیقظ لخدعها والمعرض عن لمعها والعامل فی إمهالها والمتزود قبل إعجالها. قوله تنتضل النضل شیءیرمی ویروی تبادره أی تتبادره والغرض الهدف . والنهب المال المنهوب غنیمة وجمعه نهاب . و قدسبق تفسیر قوله لاینال العبد نعمة إلابفراق أخری وقلنا إن ألذی حصلت له لذة الجماع حال ماهی حاصلة له لابد أن یکون مفارقا لذة الأکل والشرب وکذلک من یأکل ویشرب یکون مفارقا حال أکله وشربه لذة الرکض علی الخیل فی طلب الصید ونحو ذلک . قوله فنحن أعوان المنون لأنا نأکل ونشرب ونجامع ونرکب الخیل والإبل ونتصرف فی الحاجات والمآرب والموت إنما یکون بأحد هذه الأسباب إما من أخلاط تحدثها المآکل

والمشارب أو من سقطة يسقط الإنسان من دابة هوراكبها أو من ضعف يلحقه من الجماع المفرط أولمصادمات واصطكاكات تصيبه عندتصرفه فی مآربه وحركته وسعيه ونحو ذلك فكأنا نحن أعنا الموت على أنفسنا. قوله نصب الحتوف يروى بالرفع والنصب فمن رفع فهو خبر المبتدإ و من نصبه جعله ظرفا [صفحه ۹]

۱۸۷

لَا خَيرَ فِي الصّمتِ عَنِ الحُكمِ كَمَا أَنّهُ لَا خَيرَ فِي القَولِ بِالجَهلِ قدتكرر ذكر هذاالقول وتكرر منا شرحه وشرح نظائره و كان يقال ماالإنسان لو لااللسان إلابهيمة مهملة أوصورة ممثلة. و كان يقال اللسان عضو إن مرنته مرن و إن تركته خزن [صفحه ۱۰]

۱۸۸

يَا ابنَ آدَمَ مَا كَسَبتَ فَوقَ قُوتِكَ فَأَنتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيرِكَ أخذ هذاالمعنى بعضهم فقال ما لی أراك الدهر تجمع دائبا || ألبعل عرسك لا أبا لك تجمع . وعاد الحسن البصری عبد الله بن الأهتم فی مرضه ألذی مات فيه فأقبل عبد الله يصرف بصره إلى صندوق فی جانب البيت ثم قال للحسن يا أباسعيد فيه مائة ألف لم يؤد منها زكاة و لم توصل بهارحم قال الحسن ثكلتك أمك فلم أعددتها قال لروعة الزمان ومكاثرة الإخوان وجفوة السلطان ثم مات فحضر الحسن جنازته فلما دفن صفق بإحدى راحتيه الأخرى و قال إن هذاتاه شيطانه فحذره روعة زمانه وجفوة سلطانه ومكاثرة إخوانه فيما استودعه الله إياه فادخره ثم خرج منه كئيبا حزينا لم يؤد زكاة و لم يصل رحما ثم التفت فقال أيها الوارث كل هنيئا فقد أتاك هذاالمال حلالا فلايكن عليك وبالا أتاك ممن كان له جموعا منوعا يركب فيه لجج البحار ومفاوز القفار من باطل جمعه و من حق منعه لم ينتفع به فی حياته وضره بعدوفاته جمعه فأوعاه وشده فأوكاه إلى يوم القيامة يوم ذی حسرات و إن أعظم الحسرات أن ترى مالك فی ميزان غيرك بخلت بمال أوتيته من رزق الله أن تنفقه فی طاعة الله فخزنته لغيرك فأنفقه فی مرضاة ربه يالها حسرة لاتقال ورحمة لاتنال إنا لله وإنا إليه راجعون [صفحه ۱۱]

۱۸۹

إِنّ لِلقُلُوبِ شَهوَةً وَ إِقبَالًا وَ إِدبَاراً فَأتُوهَا مِن قِبَلِ شَهوَتِهَا وَ إِقبَالِهَا فَإِنّ القَلبَ إِذَا أُكرِهَ عَمِيَ قدتقدم القول فی هذاالمعنى . والعلة فی كون القلب يعمى إذاأكره على ما لايحبه أن القلب عضو من الأعضاء يتعب ويستريح كماتتعب الجثة عنداستعمالها وأحمالها وتستريح عندترك العمل كمايتعب اللسان عندالكلام الطويل ويستريح عندالإمساك و إذاتواصل إكراه القلب على أمر لايحبه و لايؤثره تعب لأن فعل غيرالمحبوب متعب أ لاترى أن جماع غيرالمحبوب يحدث من الضعف أضعاف مايحدثه جماع المحبوب والركوب إلى مكان غيرمحبوب متعب و لايشتهی يتعب البدن أضعاف مايتعبه الركوب إلى تلك المسافة إذا كان المكان محبوبا و إذاأتعب القلب وأعيا عجز عن إدراك مانكلفه إدراكه لأن فعله هوالإدراك و كل عضو يتعب فإنه يعجز عن فعله الخاص به فإذاعجز القلب عن فعله الخاص به و هوالعلم والإدراك فذاك هوعماه [صفحه ۱۲]

۱۹۰

وَ كَانَ ع يَقُولُ مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبتُ أَ حِينَ أَعجِزُ عَنِ الِانتِقَامِ فَيُقَالُ لِي لَو صَبَرتَ أَم حِينَ أَقدِرُ عَلَيهِ فَيُقَالُ لِي لَو عَفَوتَ قدتقدم القول فى الغضب مرارا. و هذاالفصل فصيح لطيف المعنى قال لاسبيل لى إلى شفاء غيظى عندغضبى لأنى إما أن أكون قادرا على الانتقام فيصدنى عن تعجيله قول القائل لوغفرت لكان أولى وإما ألاـ أكون قادرا على الانتقام فيصدنى عنه كونى غيرقادر عليه فإذن لاسبيل لى إلى الانتقام عندالغضب . و كان يقال العقل كالمرآة المجلوة يصدئه الغضب كماتصدأ المرآة بالخل فلايثبت فيهاصورة القبح و الحسن . واجتمع سفيان الثورى وفضيل بن عياض فتذاكرا الزهد فأجمعا على أن أفضل الأعمال الحلم عندالغضب والصبر عندالطمع [صفحه ۱۳]

۱۹۱

وَ قَالَ ع وَ قَد مَرّ بِقَذَرٍ عَلَى مَزبَلَةٍ هَذَا مَا بَخِلَ بِهِ البَاخِلُونَ وَ فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنّهُ قَالَ هَذَا مَا كُنتُم تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالأَمسِ قدسبق القول فى مثل هذا و أن الحسن البصرى مر على مزبلة فقال انظروا إلى بطهم ودجاجهم وحلوائهم وعسلهم وسمنهم و الحسن إنما أخذه من كلام أمير المؤمنين ع و قال ابن وكيع فى قول المتنبى لوأفكر العاشق فى منتهى || حسن ألذى يسبيه لم يسبه إنه أراد لوأفكر فى حاله و هو فى القبر و قدتغيرت محاسنه وسالت عيناه قال و هذامثل قولهم لوأفكر الإنسان فيما يئول إليه الطعام لعافته نفسه . و قدضرب العلماء مثلاـ للدنيا ومخالفة آخرها أولها ومضادة مباديها عواقبها فقالوا إن شهوات الدنيا فى القلب لذيذة كشهوات الأطعمة فى المعدة وسيجد الإنسان عندالموت لشهوات الدنيا فى قلبه من الكراهة والنتن والقبح مايجده للأطعمة اللذيذة إذاطبختها المعدة وبلغت غاية نضجها و كما أن الطعام كلما كان ألذ طعما وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتنا فكذلك كل شهوة فى القلب أشهى وألذ وأقوى [صفحه ۱۴] فإن نتنها وكراهتها والتأذى بها عندالموت أشد بل هذه الحال فى الدنيا مشاهدة فإن من نهبت داره وأخذ أهله وولده وماله تكون مصيبته وألمه وتفجعه فى ألذى فقد بمقدار لذته به وحبه له وحرصه عليه فكل ما كان فى الوجود أشهى وألذ فهو عندالفقد أدهى وأمر و لامعنى للموت إلافقد ما فى الدنيا. و قدروى أن النبى ص قال للضحاك بن سفيان الكلابى ألست تؤتى بطعامك و قدقزح وملح ثم تشرب عليه اللبن والماء قال بلى قال فإلى ماذا يصير قال إلى ما قدعلمت يا رسول الله قال فإن الله عز و جل ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۲۵۴ روى أبى بن كعب أن رسول الله ص قال إن أنت ضربت مثلاـ لابن آدم فانظر مايخرج من ابن آدم و إن كان قزحه وملحه إلى ماذا صار -روايت-۱-۲-روايت-۴۴-۱۳۹ و قال الحسن رحمه الله قدرأيتهم يطيبونه بالطيب والأفاويه ثم يرمونه حيث رأيتم قال الله عز و جل فَليَنظُرِ الإِنسانُ إِلى طَعامِهِ قال ابن عباس إلى رجيعه . و قال رجل لابن عمر إنى أريد أن أسألك وأستحيي فقال لاتستحى وسل قال إذاقضى أحدنا حاجته فقام هل ينظر إلى ذلك منه فقال نعم إن الملك يقول له انظر هذا مابخلت به انظر إلى ماذا صار -قرآن-۱۰۷-۱۴۰ [صفحه ۱۵]

۱۹۲

لَم يَذهَب مِن مَالِكَ مَا وَعَظَكَ مثل هذاقولهم إن المصائب أثمان التجارب . وقيل لعالم فقير بعد أن كان غنيا أين مالك قال تجرت فيه فابتعت به تجربة الناس والوقت فاستفدت أشرف العوضين [صفحه ۱۶]

۱۹۳

إنّ هَـذِهِ القُلُوبَ تَمَلّ كَمَا تَمَلّ الأبـدَانُ فَابتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكمَةِ هذا قدتكرر وتكرر منا ذكر ماقيل فى إجمام النفس والتنفيس عنها من كرب الجـد والإحماض وفسـرنا معنى قوله ع فابتغوا لها طرائف الحكمة وقلنا المراد ألا يجعل الإنسان وقته كله مصـروفا إلى الأنظار العقليـة فى البراهين الكلاميـة والحكمية بل ينقلها من ذلك أحيانا إلى النظر فى الحكمة الخلقية فإنها حكمة لاتحتاج إلى إتعـاب النفس والخاطر.فأمـا القول فى الدعابـة فقـد ذكرنـاه أيضا فيما تقـدم وأوضـحنا أن كثيرا من أعيان الحكماء والعلماء كانوا ذوى دعابة مقتصدة لامسـرفة فإن الإسراف فيهايخرج صاحبه إلى الخلاعة ولقد أحسن من قال أفد طبعك المكدود بالجد راحة || تجم وعلله بشىء من المزح ولكن إذاأعطيته ذاك فليكن || بمقدار مايعطى الطعام من الملح [صفحه ١٧]

١٩٤

وَ قَالَ ع لَمّا سَـمِعَ قَولَ الخَوَارِجِ لَا حُكمَ إِلّا لِلّهِ كَلِمَـةُ حَقّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ معنى قوله سبحانه إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلّهِ أى إذاأراد شـيئا من أفعـال نفسه فلابـد من وقـوعه بخلاـف غيره من القـادرين بالقـدرة فـإنه لاـيجب حصـول مرادهم إذاأرادوه أ لاـترى ماقبـل هـذه الكلمةيا بنَيِّ لا تَدخُلُوا مِن بابٍ واحِدٍ وَ ادخُلُوا مِن أَبوابٍ مُتَفَرّقَةٍ وَ ما أُغنيِ عَنكُم مِنَ اللّهِ مِن شَيءٍ إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلّهِخاف عليهم من الإصابة بالعين إذادخلوا من باب واحد فأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ثم قال لهم وَ ما أُغنيِ عَنكُم مِنَ اللّهِ مِن شَيءٍ أى إذاأراد الله بكم سوءا لم يدفع عنكم ذلك السوء ماأشرت به عليكم من التفرق ثم قال إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلّهِ أى ليس حى من الأحياء ينفـذ حكمه لامحالـة ومراده لما هو من أفعاله إلاالحى القـديم وحـده فهذا هومعنى هذه الكلمة وضـلت الخوارج عندها فأنكروا على أمير المـؤمنين ع مـوافقته على التحكيـم وقـالوا كيـف يحكم و قـد قـال الله سـبحانه إِنِ الحُكمُ إِلّا لِلّهِفغلطـوا لموضـع اللفظ المشترك و ليس هـذاالحكم هو ذلك الحكم فإذن هى كلمـة حق يراد بهاباطل لأنها حق على المفهوم الأول ويريد بهاالخوارج نفى كل مايسـمى حكما إذاصدر عن غير الله تعالى و ذلك باطل لأن الله تعالى قدأمضى حكم المخلوقين فى كثير من الشرائع -قرآن-١٩-٤٣-قرآن-١٩٢-٣٣٦-قرآن-٤٣٧-٤٧٨-قرآن-٥٦٩-٥٩٣-قرآن-٨٢٣-٨٤٧ [صفحه ١٨]

١٩٥

وَ قَالَ ع فِي صِفَةِ الغَوغَاءِ هُمُ الّذِينَ إِذَا اجتَمَعُوا غَلَبُوا وَ إِذَا تَفَرّقُوا لَم يُعرَفُوا وَ قِيلَ بَل قَالَ ع هُمُ الّذِينَ إِذَا اجتَمَعُوا ضَـرّوا وَ إِذَا تَفَرّقُوا نَفَعُوا فَقِيـلَ قَـد عَلِمنَـا مَضَـرّةَ اجتِمَـاعِهِم فَمَا مَنفَعَـةُ افتِرَاقِهِم فَقَالَ ع يَرجِعُ أَهلُ المِهَنِ إِلَى مِهَنِهِم فَيَنتَفِعُ النّاسُ بِهِم كَرُجُوعِ البَنّـاءِ إِلَى بِنَـائِهِ وَ النّسّاجِ إِلَى مَنسَـجِهِ وَ الخَبّازِ إِلَى مَخبَزِهِ كان الحسن إذاذكر الغوغاء و أهل السوق قال قتلـة الأنبياء و كان يقال العامة كالبحر إذاهاج أهلك راكبه و قال بعضـهم لاتسـبوا الغوغاء فإنهم يطفئون الحريق وينقذون الغريق ويسدون البثوق . و قال شيخنا أبوعثمان الغاغـة والباغـة والحاكـة كأنهم أعـذار عام واحـد أ لاترى أنك لاتجـد أبدا فى كل بلدة و فى كل عصـر هؤلاء بمقـدار واحـد وجهة واحدة من السـخف والنقص والخمول والغباوة و كان المأمون يقول كل شـر وظلم فى العالم [صـفحه ١٩] فهو صـادر عن العامـة والغوغـاء لأـنهم قتلـة الأنبيـاء والمغرون بين العلمـاء والنمـامون بين الأـوداء ومنهم اللصوص وقطاع الطريق والطرارون والمحتالون والساعون إلى السـلطان فإذا كان يوم القيامـة حشـروا على عادتهم فى السعاية فقالوارَبّنا إِنّا أَطَعنا سادَتَنا وَ كُبَراءَنا فَأَضَلّونَا السّبِيلَا رَبّنا آتِهِم ضِعفَينِ مِنَ العَذابِ وَ العَنهُم لَعناً كَبِيراً -قرآن-٢٢٩-٣٦٠ [صفحه ٢٠]

١٩٦

وَ قَالَ ع وَ قَد أُتِيَ بِجَانٍ وَ مَعَهُ غَوغَاءُ فَقَالَ لَا مَرحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلّا عِندَ كُلّ سَوأَةٍ أخذ هذااللفظ المستعين بالله و قدأدخل عليه ابن أبى الشوارب القاضى ومعه الشهود ليشهدوا عليه أنه قدخلع نفسه من الخلافة وبايع للمعتز بالله فقال لامرحبا بهذه الوجوه التى لاترى إلا يوم سوء. و قال من مدح الغوغاء والعامة إن فى الحديث المرفوع أن الله ينصر هذاالدين بقوم لاخلاق لهم - روايت-١-٢-روايت-٢٣-٦٧ . و كان الأحنف يقول أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار. و قال الشاعر وإنى لأستبقى امرأ السوء عدة || لعدوة عريض من الناس جائب أخاف كلاب الأبعدين وهرشها || إذا لم تجاوبها كلاب الأقارب [صفحه ٢١]

۱۹۷

إِنّ مَعَ كُلّ إِنسَانٍ مَلَكَينِ يَحفَظَانِهِ فَإِذَا جَاءَ القَدَرُ خَلّيَا بَينَهُ وَ بَينَهُ وَ إِنّ الأَجَلَ جُنّةٌ حَصِينَةٌ قدتقدم هذا وقلنا إنه ذهب كثير من الحكماء هذاالمذهب و إن لله تعالى ملائكة موكلة تحفظ البشر من التردى فى بئر و من إصابة سهم معترض فى طريق و من رفس دابة و من نهش حية أولسع عقرب ونحو ذلك والشرائع أيضا قدوردت بمثله و إن الأجل جنة أى درع ولهذا فى علم الكلام مخرج صحيح و ذلك لأن أصحابنا يقولون إن الله تعالى إذاعلم أن فى بقاء زيد إلى وقت كذا لطفا له أولغيره من المكلفين صد من يهم بقتله عن قتله بألطاف يفعلها تصده عنه أوتصرفه عنه بصارف أويمنعه عنه بمانع كى لايقطع ذلك الإنسان بقتل زيد الألطاف التى يعلم الله أنها مقربة من الطاعة ومبعدة من المعصية لزيد أولغيره فقد بان أن الأجل على هذاالتقدير جنة حصينة لزيد من حيث كان الله تعالى باعتبار ذلك الأجل مانعا من قتله وإبطال حياته و لاجنة أحصن من ذلك [صفحه ٢٢]

۱۹۸

وَ قَالَ ع وَ قَد قَالَ لَهُ طَلحَةُ وَ الزّبَيرُ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنّا شُرَكَاؤُكَ فِي هَذَا الأَمرِ فَقَالَ لَا وَ لَكِنّكُمَا شَرِيكَانِ فِي القُوّةِ وَ الِاستِعَانَةِ وَ عَونَانِ عَلَى العَجزِ وَ الأَوَدِ قدذكرنا هذافيما تقدم حيث شرحنا بيعة المسلمين لعلى ع كيف وقعت بعدمقتل عثمان ولقد أحسن فيما قال لهما لماسألاه أن يشركاه فى الأمر فقال أماالمشاركة فى الخلافة فكيف يكون ذلك وهل يصح أن يدبر أمر الرعية إمامان وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد . وإنما تشركانى فى القوة والاستعانة أى إذاقوى أمرى وأمر الإسلام بى قويتما أنتما أيضا و إذاعجزت عن أمر أوتأود على أمر أى اعوج كنتما عونين لى ومساعدين على إصلاحه . فإن قلت فما معنى قوله والاستعانة قلت الاستعانة هاهنا الفوز والظفر كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه قدجرى ابنا عنان وهما خطان يخطان فى الأرض يزجر بهما الطير واستعان الإنسان إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة [صفحه ٢٣]

۱۹۹

أَيّهَا النّاسُ اتّقُوا اللّهَ ألّذِي إِن قُلتُم سَمِعَ وَ إِن أَضمَرتُم عَلِمَ وَ بَادِرُوا المَوتَ ألّذِي إِن هَرَبتُم مِنهُ أَدرَكَكُم وَ إِن أَقَمتُم أَخَذَكُم وَ إِن نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُم قدتقدم منا كلام كثير فى ذكر الموت ورأى الحسن البصرى رجلا يجود بنفسه فقال إن أمرا هذاآخره لجدير أن يزهد فى أوله و إن أمرا هذاأوله لجدير أن يخاف من آخره . و من كلامه فضح الموت الدنيا. و قال خالد بن صفوان لو قال قائل الحسن أفصح الناس لهذه الكلمة لما كان مخطئا و قال لرجل فى جنازة أترى هذاالميت لوعاد إلى الدنيا لكان يعمل عملا صالحا قال نعم قال فإن لم يكن ذلك فكن أنت ذاك [صفحه ٢٤]

۰۲۰۰

لَا يُزَهِّدَنّکَ فِی المَعرُوفِ مَن لَا يَشکُرُهُ لَکَ فَقَد يَشکُرُکَ عَلَيهِ مَن لَا يَستَمتِعُ بشِیَءٍ مِنهُ وَ قَد يُدرَکُ مِن شُکرِ الشّاکِرِ أَکثَرَ مِمّا أَضَاعَ الکَافِرُ وَ اللّهُ يُحِبّ المُحسِنِينَ قدأخذت أنا هذاالمعنى فقلت من جملة قصيدة لى حکمية لاتسدين إلى ذى اللؤم مکرمة || فإنه سبخ لاينبت الشجرا فإن زرعت فمحفوظ بمضيعة || وأکل زرعک شکر الغير إن کفرا و قدسبق منا کلام طويل فى الشکر. ورأى العباس بن المأمون يوما بحضرة المعتصم خاتما فى يد ابراهيم بن المهدى فاستحسنه فقال له مافص هذاالخاتم و من أين حصلته فقال ابراهيم هذاخاتم رهنته فى دولة أبيک وافتککته فى دولة أمير المؤمنين فقال العباس فإن لم تشکر أبى على حقنه دمک فأنت لاتشکر أمير المؤمنين على فکه خاتمک . و قال الشاعر لعمرک ماالمعروف فى غيرأهله || و فى أهله إلاکبعض الودائع فمستودع ضاع ألذى کان عنده || ومستودع ماعنده غيرضائع و ما الناس فى شکر الصنيعة عندهم || و فى کفرها إلاکبعض المزارع فمزرعة طابت وأضعف نبتها || ومزرعة أکدت على کل زارع [صفحه ۲۵]

۲۰۱

کُلّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلّا وِعَاءَ العِلمِ فَإِنّهُ يَتّسِعُ بِهِ هذاالکلام تحته سر عظيم ورمز إلى معنى شريف غامض و منه أخذ مثبتو النفس الناطقة الحجة على قولهم ومحصول ذلک أن القوى الجسمانية يکلها ويتعبها تکرار أفاعيلها عليها کقوة البصر يتعبها تکرار إدراک المرئيات حتى ربما أذهبها وأبطلها أصلا وکذلک قوة السمع يتعبها تکرار الأصوات عليها وکذلک غيرها من القوى الجسمانية ولکنا وجدنا القوة العاقلة بالعکس من ذلک فإن الإنسان کلما تکررت عليه المعقولات ازدادت قوته العقلية سعة وانبساطا واستعدادا لإدراک أمور أخرى غير ماأدرکته من قبل حتى کان تکرار المعقولات عليها يشحذها ويصقلها فهى إذن مخالفة فى هذاالحکم للقوى الجسمانية فليست منها لأنها لوکانت منها لکان حکمها حکم واحد من أخواتها و إذا لم تکن جسمانية فهى مجردة وهى التى نسميها بالنفس الناطقة [صفحه ۲۶]

۲۰۲

أَوّلُ عِوَضِ الحَلِيمِ مِن حِلمِهِ أَنّ النّاسَ أَنصَارُهُ عَلَى الجَاهِلِ قدتقدم من أقوالنا فى الحلم ما فى بعضه کفاية. و فى الحکم القديمة لاتشن حسن الظفر بقبح الانتقام . و کان يقال اعف عمن أبطأ عن الذنب وأسرع إلى الندم . و کان يقال شاور الأناة والتثبت وذاکر الحفيظة عندهيجانها ما فى عواقب العقوبة من الندم وخاصمها بما يؤدى إليه الحلم من الاغتباط. و کان يقال ينبغى للحازم أن يقدم على عذابه وصفحه تعريف المذنب بما جناه و إلانسب حلمه إلى الغفلة وکلال حد الفطنة و قالت الأنصار للنبىص يوم فتح مکة إنهم فعلوا بک ثم فعلوا يغرونه بقريش فقال إنما سميت محمدا لأحمد -روايت-۱-۲-روايت-۳۹-۱۰۷ [صفحه ۲۷]

۲۰۳

إِن لَم تَکُن حَلِيماً فَتَحَلّم فَإِنّهُ قَلّ مَن تَشَبّهَ بِقَومٍ إِلّا أَوشَکَ أَن يَکُونَ مِنهُم التحلم تکلف الحلم و ألذى قاله ع صحيح فى مناهج الحکمة و ذلک لأن من تشبه بقوم وتکلف التخلق بأخلاقهم والتأدب بآدابهم واستمر على ذلک ومرن عليه الزمان الطويل اکتسب رياضة قوية وملکة تامة وصار ذلک التکلف کالطبع له وانتقل عن الخلق الأول أ لاترى أن الأعرابى الجلف الجافى

إذادخل المـدن والقرى وخالط أهلها وطال مكثه فيهم انتقل عن خلق الأعراب ألـذى نشأ عليه وتلطف طبعه وصار شبيها بساكنى المدن وكالأجنبى عن ساكنى الوبر و هذا قدوجدناه فى حيوانات أخرى غيرالبشـر كالبازى والصقر والفهد التى تراض حتى تذل وتأنس وتترك طبعها القـديم بل قدشاهـدناه فى الأسد و هوأبعد الحيوان من الإنس . وذكر ابن الصابى أن عضد الدولة بن بويه كانت له أسود يصطاد بهاكالفهود فتمسكه عليه حتى يدركه فيذكيه و هذا من العجائب الطريفة [صفحه ۲۸]

۲۰۴

مَن حَاسَبَ نَفسَهُ رَبِحَ وَ مَن غَفَلَ عَنهَا خَسِرَ وَ مَن خَافَ أَمِنَ وَ مَنِ اعتَبَرَ أَبصَرَ وَ مَن أَبصَرَ فَهِمَ وَ مَن فَهِمَ عَلِمَ قدجاء فى الحديث المرفوع حاسـبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا -روايت-۱-۲-روايت-۲۹-۶۰ . قوله و من خـاف أمن أى من اتقى الله أمن من عـذابه يوم القيامـة. ثم قـال و من اعتبر أبصـر أى من قـاس الأمور بعضـها ببعض واتعظ بآيات الله وأيامه أضاءت بصـيرته و من أضاءت بصـيرته فهـم و مـن فهـم علـم . فـإن قلت الفهم هـوالعلم فـأى حاجـة له إلى أن يقـول و من فهم علم قلت الفهم هاهنـا هـومعرفة المقدمات و لابد أن يستعقب معرفة المقدمات معرفة النتيجة فمعرفة النتيجة هوالعلم فكأنه قال من اعتبر تنور قلبه بنور الله تعالى و من تنور قلبه عقل المقـدمات البرهانية و من عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواجبة عنها وتلك هى الثمرة الشـريفة التى فى مثلها يتنافس المتنافسون [صفحه ۲۹]

۲۰۵

وَ قَالَ ع لَتَعطِفَنّ الـدّنيَا عَلَينَا بَعـدَ شِمَاسِهَا عَطفَ الضّرُوسِ عَلَى وَلَـدِهَا وَ تَلَا عَقِيبَ ذَلِكَوَ نُرِيدُ أَن نَمُنّ عَلَى الّذِينَ استُضـعِفُوا فِى الأَرضِ وَ نَجعَلَهُم أَئِمّـةً وَ نَجعَلَهُمُ الوارِثِينَ -قرآن-۱۱۴-۲۲۳ الشـماس مصدر شـمس الفرس إذامنع من ظهره . والضروس الناقة السيئة الخلق تعض حالبها والإمامية تزعم أن ذلك وعد منه بالإمام الغائب ألذى يملك الأرض فى آخر الزمان وأصحابنا يقولون إنه وعد بإمام يملك الأرض ويسـتولى على الممالك و لايلزم من ذلك أنه لابد أن يكون موجودا و إن كان غائبا إلى أن يظهر بـل يكفى فى صـحة هـذاالكلام أن يخلق فى آخر الوقت . وبعض أصـحابنا يقول إنه إشـارة إلى ملـك السـفاح والمنصور وابنى المنصور بعـده فإنهم الـذين أزالوا ملك بنى أمية وهم بنو هاشم وبطريقهم عطفت الدنيا على بنى عبدالمطلب عطف الضـروس . وتقول الزيديـة إنه لابـد من أن يملك الأرض فاطمى يتلوه جماعـة من الفاطميين على مذهب زيد و إن لم يكن أحد منهم الآن موجودا [صفحه ۳۰]

۲۰۶

اتّقُوا اللّهَ تُقَاةَ مَن شَـمّرَ تَجرِيـداً وَ جَدّ تَشـمِيراً وَ أَكمَشَ فِى مَهَلٍ وَ بَادَرَ عَن وَجَلٍ وَ نَظَرَ فِى كَرّةِ المَوئِلِ وَ عَاقِبَـةِ المَصدَرِ وَ مَغَبّةِ المَرجِعِ لو قـال وجرد تشـميرا لكـان قـدأتى بنوع مشـهور من أنواع البـديع لكنه لم يحفـل بـذلك وجرى على مقتضـى طبعه من البلاغـة الخاليـة من التكلف والتصـنع على أن ذلك قدروى والمشـهور الرواية الأولى . وأكمش جد وأسـرع و رجل كميش أى جاد و فى مهل أى فى مهلة العمل قبل أن يضيق عليه وقته بدنو الأجل [صفحه ۳۱]

۲۰۷

الجُودُ حَارِسُ الأَعرَاضِ وَ الحِلمُ فِدَامُ السّفِيهِ وَ العَفوُ زَكَاةُ الظّفَرِ وَ السّلُوّ عِوَضُكَ مِمّن غَدَرَ وَ الِاستِشَارَةُ عَينُ الهِدَايَةِ وَ قَد خَاطَرَ مَنِ استَغنَى بِرَأيِهِ وَ الصّبرُ يُنَاضِلُ الحِدثَانَ وَ الجَزَعُ مِن أَعوَانِ الزّمَانِ وَ أَشرَفُ الغِنَى تَركُ المُنَى وَ كَم مِن عَقلٍ أَسِيرٍ عِندَ هَوَى أَمِيرٍ وَ مِنَ التّوفِيقِ حِفظُ التّجرِبَةِ وَ المَوَدّةُ قَرَابَةٌ مُستَفَادَةٌ وَ لَا تَأمَنَنّ مَلُولًا مثل قوله الجود حارس الأعراض قولهم كل عيب فالكرم يغطيه والفدام خرقة تجعل على فم الإبريق فشبه الحلم بهافإنه يرد السفيه عن السفه كمايرد الفدام الخمر عن خروج القذى منها إلى الكأس .فأما والعفو زكاة الظفر فقد تقدم أن لكل شيءزكاة وزكاة الجاه رفد المستعين وزكاة الظفر العفو. و أماالسلو عوضك ممن غدر فمعناه أن من غدر بك من أحبائك وأصدقائك فاسل عنه وتناسه واذكر ماعاملك به من الغدر فإنك تسلو عنه و يكون مااستفدته من السلو عوضا عن وصاله الأول قال الشاعر [صفحه ٣٢] أعتقني سوء ماصنعت من الرق || فيا بردها على كبدي فصرت عبدا للسوء فيك و ما || أحسن سوء قبلي إلى أحد . و قدسبق القول في الاستشارة و إن المستغني برأيه مخاطر وكذلك القول في الصبر والمناضلة المراماة. وكذلك القول في الجزع و أن الإنسان إذاجزع عندالمصيبة فقد أعان الزمان على نفسه وأضاف إلى نفسه مصيبة أخرى . وسبق أيضا القول في المنى وأنها من بضائع النوكى . وكذلك القول في الهوى و أنه يغلب الرأي ويأسره . وكذلك القول في التجربة وقولهم من حارب المجرب حلت به الندامة و إن من أضاع التجربة فقد أضاع عقله ورأيه . و قدسبق القول في المودة وذكرنا قولهم الصديق نسيب الروح والأخ نسيب الجسم وسبق القول في الملال . و قال العباس بن الأحنف لوكنت عاتبة لسكن عبرتي || أملي رضاك وزرت غيرمراقب لكن مللت فلم يكن لي حيلة || صد الملول خلاف صد العاتب [صفحه ٣٣]

٢٠٨

عُجبُ المَرءِ بِنَفسِهِ أَحَدُ حُسّادِ عَقلِهِ قدتقدم القول في العجب ومعنى هذه الكلمة أن الحاسد لايزال مجتهدا في إظهار معايب المحسود وإخفاء محاسنه فلما كان عجب الإنسان بنفسه كاشفا عن نقص عقله كان كالحاسد ألذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه . و كان يقال من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه . و قال مطرف بن الشخير لأن أبيت نائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيت قائما وأصبح نادما [صفحه ٣٤]

٢٠٩

أَغضِ عَلَى القَذَى وَ الأَلَمِ تَرضَ أَبَداً نظير هذاقول الشاعر و من لم يغمض عينه عن صديقه || و عن بعض ما فيه يمت و هوعاتب و من يتتبع جاهدا كل عثرة || يجدها و لايسلم له الدهر صاحب . و قال الشاعر إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى || ظمئت و أي الناس تصفو مشاربه . و كان يقال أغض عن الدهر و إلاصرعك و كان يقال لاتحارب الأيام و إن جنحت دون مطلوبك منها واصحبها بسلاسة القياد فإنك إن تصحبها بذلك تعطك بعدالمنع وتلن لك بعدالقساوة و إن أبيت عليها قادتك إلى مكروه صروفها [صفحه ٣٥]

٢١٠

مَن لَانَ عُودُهُ كَثُفَت أَغصَانُهُ تكاد هذه الكلمة أن تكون إيماء إلى قوله تعالى وَ البَلَدُ الطّيّبُ يَخرُجُ نَباتُهُ بِإِذنِ رَبّهِ ومعنى هذه الكلمة أن من حسن خلقه ولانت كلمته كثر محبوه وأعوانه وأتباعه . ونحوه قوله من لانت كلمته وجبت محبته . و قال تعالى وَ

لَو کُنتَ فَظّا غَلِیظَ القَلبِ لَانفَضّوا مِن حَولِکَ و أصل هـذه الکلمـة مطابق للقواعـد الحکمیة أعنی الشـجرة ذات الأغصان حقیقة و ذلک لأن النبات کالحیوان فی القوی النفسانیـة أعنی الغاذیة والمنمیة و مایخدم الغاذیة من القوی الأربع وهی الجاذبة والماسکة والدافعـة والهاضـمة فـإذا کان الیبس غالبا علی شـجرة کانت أغصانها أخف و کان عودها أدق و إذاکانت الرطوبـة غالبـة کانت أغصانها أکثر وعودها أغلظ و ذلک لاقتضاء الیبس الـذبول واقتضاء الرطوبـة الغلظ والعبالـة والضـخامة أ لاتری أن الإنسان ألذی غلب الیبس علی مزاجه لایزال مهلوسا نحیفا و ألذی غلبت الرطوبة علیه لایزال ضـخما عبلا -قرآن-۴۹-۱۰۰-قرآن-۲۳۸-۲۹۴ [صفحه ۳۶]

۲۱۱

الخِلَافُ یَهـدِمُ الرأّیَ هـذامثل قوله ع فی موضع آخر لارأی لمن لایطاع -روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۴۶ یروی لاإمرة لمن لایطاع -روایت-۱-۲-روایت-۸-۲۹ . و فی أخبـار قصـیر وجذیمـة لو کـان یطـاع لقصـیر أمر. و کـان یقال اللجاج یشـحذ الزجاج ویثیر العجـاج . و قال دریـد بن الصـمة أمرتهم أمری بمنعرج اللوی || فلم یسـتبینوا النصـح إلاضـحی الغـد فلما عصونی کنت منهم و قـدأری || غوایتهم وأننی غیرمهتدی . و کان یقال أهدی رأی الرجل مانفذ حکمه فإذاخولف فسد. و من کلام أفلاطون اللجاج عسر انطباع المعقولات فی النفس و ذلک إما لفرط حدة تکون فی الإنسان وإما لغلظ طبع فلاینقاد للرأی [صفحه ۳۷]

۲۱۲

مَن نَـالَ اسـتَطَالَیجوز أن یریـد به من أثری ونـال من الـدنیا حظا استطال علی الناس . ویجوز أن یریـد به من جاد اسـتطال بجوده .یقـال نـالنی فلاـن بکـذا أی جـاد به علی و رجـل نـال أی جواد ذو نائـل ومثله رجـل طان أی ذو طین و رجل مال أی ذو مال [صفحه ۳۸]

۲۱۳

فِی تَقَلّبِ الأَحـوَالِ عِلمُ جَوَاهِرِ الرّجَـالِ معنـاه لاـتعلم أخلاق الإنسان إلابالتجربـة واختلاف الأحوال علیه وقـدیما قیل تری الفتیان کالنخل و مایدریک ماالدخل . و قال الشاعر لاتحمدن امرأ حتی تجربه || و لاتذمنه إلابتجریب وقالوا التجربة محک وقالوا مثل الإنسان مثل البطیخة ظاهرها مونق و قـد یکون فی باطنها العیب والـدود و قد یکون طعمها حامضا وتفها. وقالوا للرجل المجرب یمـدحونه قـدآل وائل علیه . و قال الشاعر یمـدح مازال یحلب هذاالـدهر أشـطره || یکون متبعا طورا ومتبعا حتی اسـتمرت علی شزر مریرته || مستحکم الرأی لاقحما و لاضرعا [صفحه ۳۹]

۲۱۴

حَسَـدُ الصّـدِیقِ مِن سُـقمِ المَوَدّةِ إذاحسـدک صـدیقک علی نعمة أعطیتها لم تکن صداقته صـحیحة فإن الصدیق حقا من یجری مجری نفسک والإنسان لم یحسـد نفسه . وقیل لحکیم ماالصدیق فقال إنسان هو أنت إلا أنه غیرک . وأخذ هذاالمعنی أبوالطیب فقـال ماالخـل إلا من أود بقلبه || وأری بطرف لایری بسوائه و من أدعیـة الحکماء أللهم اکفنی بوائق الثقات واحفظنی من کید

الأصـدقاء و قال الشاعر احـذر عـدوك مرة || واحـذر صديقك ألف مره فلربما انقلب الصديق || فكان أعرف بالمضـره و قال آخر احـذر مودة ماذق || شاب المرارة بالحلاوة [صـفحه ۴۰] يحصـى الـذنوب عليك || أيام الصداقة للعداوة وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال ذاك رجل ليس له صديق فى السر و لاعدو فى العلانية. و قال الشاعر إذا كان دواما أخوك مصارما || موجهة فى كل أوب ركائبه فخل له ظهر الطريق و لاتكن || مطية رحال كثير مذاهبه [صفحه ۴۱]

۲۱۵

أَكثَرُ مَصَارِعِ العُقُولِ تَحتَ بُرُوقِ المَطَامِعِ قدتقـدم منا قول فى هـذاالمعنى و منه قول الشاعر طمعت بليلى أن تريع وإنما || تقطع أعنـاق الرجـال المطـامع و قـال آخر إذاحـدثتك النفس أنـك قادر || على ماحوت أيـدى الرجال فكـذب وإياك والأطماع إن وعودها || رقارق آل أوبوارق خلب [صفحه ۴۲]

۲۱۶

لَيسَ مِنَ العَدلِ القَضَاءُ عَلَى الثِّقَةِ بِالظَّنّ هذامثل قول أصحاب أصول الفقه لايجوز نسخ القرآن والسنة المتواترة بخبر الواحد لأن المظنون لايرفع المعلوم . ولفظ الثقة هاهنا مرادف للفظ العلم فكأنه قال لايجوز أن يزال ماعلم بطريق قطعية لأمر ظنى. فإن قلت أ ليس البراءة الأصـلية معلومـة بالعقـل و مع ذلك ترفع بالأمارات الظنيـة كأخبار الآحاد. قلت ليست البراءة الأصـلية معلومـة بالعقل مطلقا بل مشروطة بعدم مايرفعها من طريق علمى أوظنى أ لاترى أن أكل الفاكهة وشرب الماء معلوم بالعقل حسنه ولكن لامطلقا بل بشـرط انتفاء مايقتضـى قبحه فإنا لوأخبرنا إنسان أن هذه الفاكهة أو هذاالماء مسـموم لقبح منا الإقدام على تناولهما و إن كان قول ذلك المخبر الواحد لايفيد العلم القطعى [صفحه ۴۳]

۲۱۷

بِئسَ الزّادُ إِلَى المَعَادِ العُدوَانُ عَلَى العِبَادِ قدتقدم من قولنا فى الظلم والعدوان ما فيه كفاية. و كان يقال عجبا لمن عومل فأنصـف إذاعامل كيف يظلم وأعجب منه من عومل فظلم إذاعامل كيف يظلم . و كان يقال العـدو عـدوان عدو ظلمته وعدو ظلمك فإن اضطرك الدهر إلى أحدهما فاستعن بالذى ظلمك فإن الآخر موتور [صفحه ۴۴]

۲۱۸

مِن أَشـرَفِ أَفعَالِ الكَرِيمِ غَفلَتُهُ عَمّا يَعلَمُ كان يقال التغافل من السؤدد و قال أبوتمام ليس الغبى بسيد فى قومه || لكن سيد قومه المتغابى و قال طاهر بن الحسـين بن مصـعب ويكفيك من قوم شواهد أمرهم || فخذ صـفوهم قبل امتحان الضـمائر فإن امتحان القوم يوحش منهم || و ما لك إلا ماترى فى الظواهر وإنك إن كشـفت لم تر مخلصا || وأبـدى لك التجريب خبث السـرائر و كـان يقـال بعض التغافـل فضـيلة وتمـام الجود الإمساك عن ذكر المواهب و من الكرم أن تصـفح عن التوبيـخ و أن تلتمس ستر هتك الكريم [صفحه ۴۵]

۲۱۹

اشاره

مَن كَسَاهُ الحَيَاءُ ثَوبَهُ لَم يَرَ النّاسُ عَيبَهُ قدسبق منا قول كثير فى الحياء

فصل فى الحياء و ماقيل فيه

و كـان يقـال الحيـاء تمـام الكرم والحلم تمام العقل . و قال بعض الحكماء الحياء انقباض النفس عن القبائـح و هو من خصائص الإنسان لأنه لايوجد فى الفرس و لا فى الغنم والبقر ونحو ذلك من أنواع الحيوانات فهو كالضحك ألذى يختص به نوع الإنسان وأول مايظهر من قوة الفهم فى الصبيان الحياء و قـدجعله الله تعالى فى الإنسان ليرتـدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح فلا يكون كالبهيمة و هوخلق مركب من جبن وعفة ولذلك لا يكون المستـحى فاسقا و لاالفاسق مستحيا لتنافى اجتماع العفة والفسق وقلما يكون الشـجاع مستحيا والمستحى شجاعا لتنافى اجتماع الجبن والشجاعة ولعزة وجود ذلك مايجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمـدح بالحياء نحو قول القائل يجرى الحياء الغض من قسـماتهم || فى حين يجرى من أكفهم الدم . [صـفحه ۴۶] و قال آخر كريم يغض الطرف فضل حيائه || ويـدنو وأطراف الرماح دوان . ومتى قصـد به الانقباض فهو مدح للصبيان دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح فهو مدح لكل أحد وبالاعتبار الأول قيل الحياء بالأفاضل قبيح وبالاعتبار الثانى ورد إن الله ليستحيى من ذى شيبـة فى الإسـلام أن يعـذبه أى يترك تعـذيبه ويستقبح لكرمه ذلـك .فأمـا الخجل فحيرة تلحق النفس لفرط الحياء ويحمـد فى النساء والصبيان ويذم بالاتفاق فى الرجال .فأما القحة فمذمومة بكل لسان إذ هى انسـلاخ من الإنسانية وحقيقتها لجاج النفس فى تعاطى القبيح واشـتقاقها من حافر وقاح أى صـلب ولهذه المناسبة قال الشاعر ياليت لى من جلد وجهك رقعة || فأعد منها حافرا للأشـهب . و ماأصدق قول الشاعر صلابة الوجه لم تغلب على أحد || إلاتكامل فيه الشر واجتمعا .فأما كيف يكتسب الحياء فمن حق الإنسان إذاهم بقبيـح أن يتصور أجل من نفسه أنه يراه فإن الإنسان يسـتحيى ممن يكبر فى نفسه أن يطلع على عيبه ولـذلك لايسـتحيى من الحيوان غيرالنـاطق و لاـ من الأطفـال الـذين لاـيميزون ويسـتحيى من العـالم أكثر ممـا يسـتحيى من الجاهل و من الجماعة أكثر مما يسـتحيى من الواحد والذين يسـتحيى الإنسان منهم ثلاثة البشـر ونفسه و الله تعالى أماالبشـر فهم أكثر [صـفحه ۴۷] من يسـتحيى منه الإنسـان فى غـالب النـاس ثم نفسه ثم خـالقه و ذلـك لقلـة توفيقه وسوء اختياره . واعلم أن من اسـتحيا من الناس و لم يسـتحى من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره و من اسـتحيا منهما و لم يسـتحى من الله تعالى فليس عارفا لأنه لو كان عارفا بالله لمااستحيا من المخلوق دون الخالق أ لاترى أن الإنسان لابد أن يستحيى من ألذى يعظمه ويعلم أنه يراه أويستمع بخبره فيبكته و من لاـيعرف الله تعالى كيف يسـتعظمه وكيف يعلم أنه يطلع عليه و فى قول رسول الله ص اسـتحيوا من الله حق الحياء -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۵۴ أمر فى ضـمن كلامه هذابمعرفته سبحانه وحث عليها و قال سبحانه أَ لَم يَعلَم بِأَنّ اللّهَ يَريتنبيها على أن العبد إذاعلم أن ربه يراه استحيا من ارتكاب الذنب . وسئل الجنيد رحمه الله عما يتولد منه الحياء من الله تعالى فقال أن يرى العبد آلاء الله سبحانه ونعمه عليه ويرى تقصيره فى شكره . فإن قال قائل فما معنى -قرآن-۶۴-۹۵ قول النبى ص من لاحيـاء له فلاإيمـان له -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۷ .قيـل له لأـن الحيـاء أول مـايظهر من أمـارة العقـل فى الإنسان و أماالإيمان فهو آخر المراتب ومحـال حصول المرتبـة الآـخرة لمن لم تحصـل له المرتبـة الأـولى فالواجب إذن أن من لاحياء له فلاإيمان له . و قال ع الحياء شعبة من الإيمان -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۳۵ قـال الإيمـان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء -روايت-۱-۲-روايت-۸-۵۵ [صفحه ۴۸]

۲۲۰

بِكَثرَةِ الصّمتِ تَكُونُ الهَيبَةُ وَ بِالنّصَفَةِ يَكثُرُ المُوَاصِلُونَ وَ بِالإِفضَالِ تَعظُمُ الأَقدَارُ وَ بِالتّوَاضُعِ تَتِمّ النّعمَةُ وَ بِاحتِمَالِ المُؤَنِ يَجِبُ السّؤدُدُ وَ بِالسّيرَةِ العَادِلَةِ يُقهَرُ المُنَاوِئُ وَ بِالحِلمِ عَنِ السّفِيهِ تَكثُرُ الأَنصَارُ عَلَيهِ قال يحيى بن خالد مارأيت أحدا قط صامتا إلاهبته حتى يتكلم فإما أن تزداد تلك الهيبة أوتنقص و لاريب أن الإنصاف سبب انعطاف القلوب إلى المنصف و أن الإفضال والجود يقتضى عظم القدر لأنه إنعام والمنعم مشكور والتواضع طريق إلى تمام النعمة و لاسؤدد إلاباحتمال المؤن كما قال أبوتمام والحمد شهد لاترى مشتاره || يجنيه إلا من نقيع الحنظل غل لحامله ويحسبه ألذى || لم يوه عاتقه خفيف المحمل . والسيرة العادلة سبب لقهر الملك ألذى يسير بهاأعداءه و من حلم عن سفيه و هوقادر على الانتقام منه نصره الناس كلهم عليه واتفقوا كلهم على ذم ذلك السفيه وتقبيح فعله والاستقراء واختبار العادات تشهد بجميع ذلك [صفحه ۴۹]

۲۲۱

العَجَبُ لِغَفلَةِ الحُسّادِ عَن سَلَامَةِ الأَجسَادِ إنما لم يحسد الحاسد على صحة الجسد لأنه صحيح الجسد فقد شاركه فى الصحة و مايشاركه الإنسان غيره فيه لايحسده عليه ولهذا أرباب الحسد إذامرضوا حسدوا الأصحاء على الصحة. فإن قلت فلما ذا تعجب أمير المؤمنين ع قلت لكلامه ع وجه و هو أن الحسد لماتمكن فى أربابه وصار غريزة فيهم تعجب كيف لايتعدى هذاالخلق الذميم إلى أن يحسد الإنسان غيره على مايشاركه فيه فإن زيدا إذاأبغض عمرا بغضا شديدا ود أن تزول عنه نعمته إليه و إن كان ذا نعمة كنعمته بل ربما كان أقوى وأحسن حالا. ويجوز أن يريد معنى آخر و هوتعجبه من غفلة الحساد على أن الحسد مؤثر فى سلامة أجسادهم ومقتض سقمهم و هذاأيضا واضح [صفحه ۵۰]

۲۲۲

الطّامِعُ فِى وِثَاقِ الذّلّ من أمثال البحترى قوله واليأس إحدى الراحتين ولن ترى || تعبا كظن الخائب المكدود و كان يقال ماطمعت إلا وذلت يعنون النفس . و فى البيت المشهور تقطع أعناق الرجال المطامع وقالوا عز من قنع وذل من طمع . و قدتقدم القول فى الطمع مرارا [صفحه ۵۱]

۲۲۳

وَ قَالَ ع وَ قَد سُئِلَ عَنِ الإِيمَانِ الإِيمَانُ مَعرِفَةٌ بِالقَلبِ وَ إِقرَارٌ بِاللّسَانِ وَ عَمَلٌ بِالأَركَانِ قدتقدم قولنا فى هذه المسألة و هذا هومذهب أصحابنا المعتزلة بعينه لأن العمل بالأركان عندنا داخل فى مسمى الإيمان أعنى فعل الواجبات فمن لم يعمل لم يسم مؤمنا و إن عرف بقلبه وأقر بلسانه و هذاخلاف قول المرجئة من الأشعرية والإمامية والحشوية. فإن قلت فما قولك فى النوافل هل هى داخلة فى مسمى الإيمان أم لا قلت فى هذاخلاف بين أصحابنا و هومستقصى فى كتبى الكلامية [صفحه ۵۲]

۲۲۴

مَن أَصبَحَ عَلَى الدّنيَا حَزِيناً فَقَد أَصبَحَ لِقَضَاءِ اللّهِ سَاخِطاً وَ مَن أَصبَحَ يَشكُو مُصِيبَةً نَزَلَت بِهِ فَإِنّمَا يَشكُو رَبّهُ وَ مَن أَتَى غَنِيّاً

فَتَوَاضَعَ لَهُ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ وَ مَن قَرَأَ القُرآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النّارَ فَهُوَ كَانَ مِمّن يَتّخِذُ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَ مَن لَهِجَ قَلبُهُ بِحُبّ الدّنيَا التَاطَ مِنهَا بِثَلَاثٍ هَمّ لَا يُغِبّهُ وَ حِرصٍ لَا يَترُكُهُ وَ أَمَلٍ لَا يُدرِكُهُ إذا كان الرزق بقضاء الله وقدره فمن حزن لفوات شيء منه فقد سخط قضاء الله و ذلك معصية لأن الرضا بقضاء الله واجب وكذلك من شكا مصيبة حلت به فإنما يشكو فاعلها لاهى لأنها لم تنزل به من تلقاء نفسها وفاعلها هو الله و من اشتكى الله فقد عصاه والتواضع للأغنياء تعظيما لغناهم أورجاء شيءمما فى أيديهم فسق . و كان يقال لايحمد التيه إلا من فقير على غنى فأما قوله ع و من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا.فلقائل أن يقول قد يكون مؤمنا بالقرآن ليس بمتخذ له هزوا ويقرؤه ثم [صفحه ۵۳] يدخل النار لأنه أتى بكبيرة أخرى نحو القتل والزنا والفرار من الزحف وأمثال ذلك . والجواب أن معنى كلامه ع هو أن من قرأ القرآن فمات فدخل النار لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا أى يقرؤه هازئا به ساخرا منه مستهينا بمواعظه وزواجره غيرمعتقد أنه من عند الله . فإن قلت إنما دخل من ذكرت النار لالأجل قراءته القرآن بل لهزئه به وجحوده إياه و أنت قلت معنى كلامه أنه من دخل النار لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يستهزئ بالقرآن . قلت بل إنما دخل النار لأنه قرأه على صفة الاستهزاء والسخرية أ لاترى أن الساجد للصنم يعاقب لسجوده له على جهة العبادة والتعظيم و إن كان لو لا مايحدثه مضافا للسجود من أفعال القلوب لماعوقب . ويمكن أن يحمل كلامه ع على تفسير آخر فيقال إنه عنى بقوله إنه كما كان ممن يتخذ آيات الله هزوا أنه يعتقد أنها من عند الله ولكنه لايعمل بموجبها كمايفعله الآن كثير من الناس . قوله ع التاط بقلبه أى لصق و لايغبه أى لايأخذه غبا بل يلازمه دائما وصدق ع فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة وحب الدنيا هوالموجب للهم والغم والحرص والأمل والخوف على مااكتسبه أن ينفد وللشح بما حوت يده و غير ذلك من الأخلاق الذميمة [صفحه ۵۴]

۲۲۵

كَفَى بِالقَنَاعَةِ مُلكاً وَ بِحُسنِ الخُلُقِ نَعِيماً قدتقدم القول فى هذين وهما القناعة وحسن الخلق . و كان يقال يستحق الإنسانية من حسن خلقه ويكاد السيئ الخلق يعد من السباع . و قال بعض الحكماء حد القناعة هوالرضا بما دون الكفاية والزهد الاقتصار على الزهيد أى القليل وهما متقاربان و فى الأغلب إنما الزهد هورفض الأمور الدنيوية مع القدرة عليها و أماالقناعة فهى إلزام النفس الصبر عن المشتهيات التى لايقدر عليها و كل زهد حصل عن قناعة فهو تزهد و ليس بزهد وكذلك قال بعض الصوفية القناعة أول الزهد تنبيها على أن الإنسان يحتاج أولا إلى قدع نفسه وتخصصه بالقناعة ليسهل عليه تعاطى الزهد والقناعة التى هى الغنى بالحقيقة لأن الناس كلهم فقراء من وجهين أحدهما لافتقارهم إلى الله تعالى كما قال يا أَيّهَا النّاسُ أَنتُمُ الفُقَراءُ إِلَى اللّهِ وَ اللّهُ هُوَ الغَنِيّ الحَمِيدُ. والثانى لكثرة حاجاتهم فأغناهم لامحالة أقلهم حاجة و من سد مفاقره بالمقتنيات فما فى انسدادها مطمع و هوكمن يرقع الخرق بالخرق و من يسدها بالاستغناء عنها بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضرورياته فهو الغنى المقرب من الله سبحانه كماأشار إليه فى قصة طالوت إِنّ اللّهَ مُبتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنهُ فَلَيسَ منِيّ وَ مَن لَم يَطعَمهُ فَإِنّهُ منِيّ إِلّا مَنِ اغتَرَفَ غُرفَةً بِيَدِهِ قال أصحاب المعانى والباطن هذاإشارة إلى الدنيا -قرآن-۶۶۵-۷۴۹-قرآن-۱۰۱۷-۱۱۵۵ [صفحه ۵۵]

۲۲۶

وَ سُئِلَ ع عَن قَولِ اللّهِ عَزّ وَ جَلّفَلَنُحيِيَنّهُ حَياةً طَيّبَةً فَقَالَ هيِ‌َ القَنَاعَةُ -قرآن-۴۳-۷۳ لاريب أن الحياة الطيبة هى حياة الغنى و قدبينا أن الغنى هوالقنوع لأنه إذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلهم حاجة إلى الناس ولذلك كان الله تعالى أغنى الأغنياء لأنه

لاحاجة به إلى شيء و على هذا دل النبى بقوله ص ليس الغنى بكثرة العرض إنما الغنى غنى النفس -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۷۱ . و قال الشاعر فمن أشرب اليأس كان الغنى || و من أشرب الحرص كان الفقيرا . و قال الشاعر غنى النفس مايكفيك من سد خلة || فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا و قال بعض الحكماء المخير بين أن يستغنى عن الدنيا و بين أن يستغنى بالدنيا كالمخير بين أن يكون مالكا أومملوكا. ولهذا قال ع تعس عبدالدينار والدرهم تعس فلاانتعش وشيك فلاانتقش -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۶۷ . [صفحه ۵۶] وقيل لحكيم لم لاتغتم قال لأنى لم أتخذ مايغمنى فقده . و قال الشاعر فمن سره ألا يرى مايسوءه || فلايتخذ شيئا يخاف له فقدا . و قال أصحاب هذاالشأن القناعة من وجه صبر و من وجه جود لأن الجود ضربان جود بما فى يدك منتزعا وجود عما فى يد غيرك متورعا و ذلك أشرفهما و لايحصل الزهد فى الحقيقة إلالمن يعرف الدنيا ماهى ويعرف عيوبها وآفاتها ويعرف الآخرة وافتقاره إليها و لابد فى ذلك من العلم أ لاترى إلى قوله تعالى قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَياةَ الدّنيا يا لَيتَ لَنا مِثلَ ما أُوتيَ قارُونُ إِنّهُ لَذُو حَظّ عَظِيمٍ وَ قالَ الّذِينَ أُوتُوا العِلمَ وَيلَكُم ثَوابُ اللّهِ خَيرٌ لِمَن آمَنَ وَ عَمِلَ صالِحاً وَ لا يُلَقّاها إِلّا الصّابِرُونَ. ولأن الزاهد فى الدنيا راغب فى الآخرة و هويبيعها بها كما قال الله تعالى إِنّ اللّهَ اشتَرى مِنَ المُؤمِنِينَالآية. والكيس لايبيع عينا بأثر إلا إذاعرفهما وعرف فضل مايبتاع على مايبيع -قرآن-۳۰۱-۵۳۴-قرآن-۶۱۲-۶۴۷ [صفحه ۵۷]

۲۲۷

شارِكُوا الّذِينَ قَد أَقبَلَ عَلَيهِمُ الرّزقُ فَإِنّهُ أَخلَقُ لِلغِنَى وَ أَجدَرُ بِإِقبَالِ الحَظّ قدتقدم القول فى الحظ والبخت . و كان يقال الحظ يعدى كمايعدى الجرب و هذايطابق كلمة أمير المؤمنين ع لأن مخالطة المجدود ليست كمخالطة غيرالمجدود فإن الأولى تقتضى الاشتراك فى الحظ والسعادة والثانية تقتضى الاشتراك فى الشقاء والحرمان . والقول فى الحظ وسيع جدا. و قال بعضهم البخت على صورة رجل أعمى أصم أخرس و بين يديه جواهر وحجارة و هويرمى بكلتا يديه . و كان مالك بن أنس فقيه المدينة وأخذ الفقه عن الليث بن سعد وكانوا يزدحمون عليه والليث جالس لايلتفتون إليه فقيل لليث إن مالكا إنما أخذ عنك فما لك خاملا و هوأنبه الناس ذكرا فقال دانق بخت خير من جمل بختى حمل علما. و قال الرضى أسيغ الغيظ من نوب الليالى || و مايحفلن بالحنق المغيظ وأرجو الرزق من خرق دقيق || يسد بسلك حرمان غليظ وأرجع ليس فى كفى منه || سوى عض اليدين على الحظوظ [صفحه ۵۸]

۲۲۸

وَ قَالَ ع فِى قَولِهِ عَزّ وَ جَلّإِنّ اللّهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَ الإِحسانِالعَدلُ الإِنصَافُ وَ الإِحسَانُ التّفَضّلُ -قرآن-۳۷-۷۸ هذاتفسير صحيح اتفق عليه المفسرون كافة وإنما دخل الندب تحت الأمر لأن له صفة زائدة على حسنه و ليس كالمباح ألذى لاصفة له زائدة على حسنه . و قال الزمخشرى العدل هوالواجب لأن الله عز و جل عدل فيه على عباده فجعل مافرضه عليهم منه واقعا تحت طاقتهم والإحسان الندب وإنما علق أمره بهما جميعا لأن الفرض لابد أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله ص لإنسان علمه الفرائض فقال و الله لازدت فيها و لانقصت منها أفلح إن صدق -روايت-۱-۹۹ فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط و قال ص استقيموا ولن تحصوا -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۳۱ فليس ينبغى أن يترك مايجبر كسر التفريط من النوافل . ولقائل أن يقول إن كان إنما سمى الواجب عدلا لأنه داخل تحت طاقة المكلف فليسم الندب عدلا لأنه داخل تحت طاقة المكلف و أما قوله إنما أمر بالندب لأنه يجبر ماوقع فيه التفريط من الواجب فلايصح على مذهبه و هو من أعيان المعتزلة لأنه

لوجبرت النافلة بالتفريط فی الواجب لكانت واجبة مثله وكيف يقول الزمخشری هذا و من قول مشايخنا إن تارك صلاة واحدة من الفرائض لوصلی مائة ألف ركعة من النوافل لم يكفر ثوابها عقاب ترك تلك الصلاة [صفحه ۵۹]

۲۲۹

وَ قَالَ ع مَن يُعطِ بِاليَدِ القَصِيرَةِ يُعطَ بِاليَدِ الطّوِيلَةِ قال الرضی رحمه الله تعالی ومعنی ذلك أن ماينفقه المرء من ماله فی سبيل الخير والبر و إن كان يسيرا فإن الله تعالی يجعل الجزاء عليه عظيما كثيرا واليدان هاهنا عبارة عن النعمتين ففرق ع بين نعمة العبد ونعمة الرب تعالی ذكره بالقصيرة والطويلة فجعل تلك قصيرة و هذه طويلة لأن نعم الله أبدا تضعف علی نعم المخلوقين أضعافا كثيرة إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها فكل نعمة إليها ترجع ومنها تنزع -روايت-۱-۴۱۴ هذاالفصل قدشرحه الرضی رحمه الله فأغنی عن التعرض بشرحه [صفحه ۶۰]

۲۳۰

اشاره

وَ قَالَ ع لِابنِهِ الحَسَنِ لَا تَدعُوَنّ إِلَی مُبَارَزَةٍ فَإِن دُعِيتَ إِلَيهَا فَأَجِب فَإِنّ الدّاعيَ إِلَيهَا بَاغٍ وَ البَاغيَ مَصرُوعٌ

مثل من شجاعة علی

قدذكر ع الحكمة ثم ذكر العلة و ماسمعنا أنه ع دعا إلی مبارزة قط وإنما كان يدعی هوبعينه أويدعو من يبارز فيخرج إليه فيقتله دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بنی هاشم إلی البراز يوم بدر فخرج ع فقتل الوليد واشترك هو وحمزة ع فی قتل عتبة ودعا طلحة بن أبی طلحة إلی البراز يوم أحد فخرج إليه فقتله ودعا مرحب إلی البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله .فأما الخرجة التی خرجها يوم الخندق إلی عمرو بن عبدود فإنها أجل من أن يقال جليلة وأعظم من أن يقال عظيمة و ماهی إلا كما قال شيخنا أبوالهذيل و قدسأله سائل أيما أعظم منزلة عند الله علی أم أبوبكر فقال يا ابن أخی و الله لمبارزة علی عمرا يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وتربی عليها فضلا عن أبی بكر وحده و قدروی عن حذيفة بن اليمان مايناسب هذابل ما هوأبلغ منه روی قيس بن الربيع عن أبی هارون العبدی عن ربيعة بن مالك السعدی قال أتيت حذيفة بن اليمان فقلت يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علی بن أبی طالب ومناقبه فيقول لهم أهل -روايت-۱-۲-روايت-۷۷-ادامه دارد [صفحه ۶۱] البصيرة إنكم لتفرطون فی تقريظ هذا الرجل فهل أنت محدثی بحديث عنه أذكره للناس فقال ياربيعة و ما ألذی تسألنی عن علی و ما ألذی أحدثك عنه و ألذی نفس حذيفة بيده لووضع جميع أعمال أمة محمد‌ص فی كفة الميزان منذ بعث الله تعالی محمدا إلی يوم الناس هذا ووضع عمل واحد من أعمال علی فی الكفة الأخری لرجح علی أعمالهم كلها فقال ربيعة هذاالمدح ألذی لايقام له و لايقعد و لايحمل إنی لأظنه إسرافا يا أبا عبد الله فقال حذيفة يالكع وكيف لايحمل وأين كان المسلمون يوم الخندق و قدعبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع ودعا إلی المبارزة فأحجموا عنه حتی برز إليه علی فقتله و ألذی نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من أعمال أمة محمد‌ص إلی هذااليوم و إلی أن تقوم القيامة -روايت-از قبل-

۷۲۰ جاء فی الحدیث المرفوع أن رسول الله ص قال ذلک الیوم حین برز إلیه برز الإیمان کله إلی الشرک کله -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۱۱۰ . و قال أبوبکر بن عیاش لقد ضرب علی بن أبی طالب ع ضربة ما کان فی الإسلام أیمن منها ضربته عمرا یوم الخندق ولقد ضرب علی ضربة ما کان فی الإسلام أشأم منها یعنی ضربة ابن ملجم لعنه الله . و فی الحدیث المرفوع أن رسول الله ص لمابارز علی عمرا مازال رافعا یدیه مقمحا رأسه نحو السماء داعیا ربه قائلا أللهم إنک أخذت منی عبیدة یوم بدر وحمزة یوم أحد فاحفظ علی الیوم علیارَبِّ لا تَذَرنِی فَرداً وَ أَنتَ خَیرُ الوارِثِینَ -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۲۴۲ قال جابر بن عبد الله الأنصاری و الله ماشبهت یوم الأحزاب قتل علی عمرا -روایت-۱-۲-روایت-۳۵-ادامه دارد [صفحه ۶۲] وتخاذل المشرکین بعده إلابما قصه الله تعالی من قصة طالوت وجالوت فی قوله فَهَزَمُوهُم بِإِذنِ اللّهِ وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ -روایت-از قبل-۱۳۶ روی عمرو بن أزهر عن عمرو بن عبید عن الحسن أن علیا ع لماقتل عمرا احتز رأسه وحمله فألقاه بین یدی رسول الله ص فقام أبوبکر وعمر فقبلا رأسه ووجه رسول الله ص یتهلل فقال هذاالنصر أو قال هذاأول النصر -روایت-۱-۲-روایت-۴۷-۲۱۵ فی الحدیث المرفوع أن رسول الله ص قال یوم قتل عمرو ذهبت ریحهم و لایغزوننا بعدالیوم ونحن نغزوهم إن شاء الله -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۲۴

قصة غزوة الخندق

وینبغی أن نذکر ملخص هذه القصة من مغازی الواقدی و ابن إسحاق قالا خرج عمرو بن عبدود یوم الخندق و قد کان شهد بدرا فارتث جریحا و لم یشهد أحدا فحضر الخندق شاهرا سیفه معلما مدلا بشجاعته وبأسه وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهری وعکرمة بن أبی جهل وهبیرة بن أبی وهب ونوفل بن عبد الله بن المغیرة المخزومیون فطافوا بخیولهم علی الخندق إصعادا وانحدارا یطلبون موضعا ضیقا یعبرونه حتی وقفوا علی أضیق موضع فیه فی المکان المعروف بالمزار فأکرهوا خیولهم علی العبور فعبرت وصاروا مع المسلمین علی أرض واحدة و رسول الله ص جالس وأصحابه قیام علی رأسه فتقدم عمرو بن عبدود فدعا [صفحه ۶۳] إلی البراز مرارا فلم یقم إلیه أحد فلما أکثر قام علی ع فقال أناأبارزه یا رسول الله فأمره بالجلوس وأعاد عمرو النداء و الناس سکوت کان علی رءوسهم الطیر فقال عمرو أیها الناس إنکم تزعمون أن قتلاکم فی الجنة وقتلانا فی النار أفما یحب أحدکم أن یقدم علی الجنة أویقدم عدوا له إلی النار فلم یقم إلیه أحد فقام علی ع دفعة ثانیة و قال أنا له یا رسول الله فأمره بالجلوس فجال عمرو بفرسه مقبلا ومدبرا وجاءت عظماء الأحزاب فوقفت من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر فلما رأی عمرو أن أحدا لایجیبه قال ولقد بححت من النداا || بجمعهم هل من مبارز ووقفت مذ جبن المشیع || موقف القرن المناجز إنی کذلک لم أزل || متسرعا قبل الهزاهز أن الشجاعة فی الفتی || والجود من خیر الغرائز فقام علی ع فقال یا رسول الله ائذن لی فی مبارزته فقال ادن فدنا فقلده سیفه وعممه بعمامته و قال امض لشأنک فلما انصرف قال أللهم أعنه علیه فلما قرب منه قال له مجیبا إیاه عن شعره لاتعجلن فقد أتاک || مجیب صوتک غیرعاجز ذو نیة وبصیرة || یرجو بذاک نجاة فائز إنی لآمل أن أقیم || علیک نائحة الجنائز من ضربة فوهاء یبقی || ذکرها عندالهزاهز فقال عمرو من أنت و کان عمرو شیخا کبیرا قدجاوز الثمانین و کان ندیم أبی طالب بن عبدالمطلب فی الجاهلیة فانتسب علی ع له و قال أنا علی بن أبی طالب فقال أجل لقد کان أبوک ندیما لی وصدیقا فارجع فإنی لاأحب أن [صفحه ۶۴] أقتلک کان شیخنا أبوالخیر مصدق بن شبیب النحوی یقول إذامررنا فی القراءة علیه بهذا الموضع و الله ماأمره بالرجوع إبقاء علیه بل خوفا منه فقد عرف قتلاه ببدر وأحد وعلم أنه إن ناهضه قتله فاستحیا أن یظهر الفشل فأظهر الإبقاء والإرعاء وإنه لکاذب فیهما قالوا فقال له علی ع لکنی أحب أن أقتلک فقال یا ابن أخی

إنی لأکره أن أقتل الرجل الکريم مثلك فارجع وراءك خير لك فقال علی ع إن قريشا تتحدث عنك أنك قلت لايدعونی أحد إلی ثلاث إلاأجبت و لو إلی واحدة منها قال أجل فقال علی ع فإنی أدعوك إلی الإسلام قال دع عنك هذه قال فإنی أدعوك إلی أن ترجع بمن تبعك من قريش إلی مکة قال إذن تتحدث نساء قريش عنی أن غلاما خدعنی قال فإنی أدعوك إلی البراز فحمی عمرو و قال ماكنت أظن أن أحدا من العرب يرومها منی ثم نزل فعقر فرسه وقيل ضرب وجهه ففر وتجاولا فثارت لهما غبرة وارتهما عن العيون إلی أن سمع الناس التکبير عاليا من تحت الغبرة فعلموا أن عليا قتله وانجلت الغبرة عنهما و علی راكب صدره يحز رأسه وفر أصحابه ليعبروا الخندق فظفرت بهم خيلهم إلانوفل بن عبد الله فإنه قصر فرسه فوقع فی الخندق فرماه المسلمون بالحجارة فقال يامعاشر الناس قتلة أکرم من هذه فنزل إليه علی ع فقتله وأدرك الزبير هبيرة بن أبی وهب فضربه فقطع ثفر فرسه وسقطت درع كان حملها من ورائه فأخذها الزبير وألقی عکرمة رمحه وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو فحمل عليه ضرار حتی إذاوجد عمر مس الرمح رفعه عنه و قال إنها لنعمة مشکورة فاحفظها يا ابن الخطاب إنی کنت آليت ألا تمکننی يدای من قتل قرشی فأقتله وانصرف ضرار راجعا إلی أصحابه و قد كان جری له معه مثل هذه فی يوم أحد و قدذکر هاتين القصتين معا محمد بن عمر الواقدی فی کتاب المغازی [صفحه ۶۵]

۲۳۱

خِيَارُ خِصَالِ النّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرّجَالِ الزّهوُ وَ الجُبنُ وَ البُخلُ فَإِذَا كَانَتِ المَرأَةُ مَزهُوّةً لَم تُمَكّن مِن نَفسِهَا وَ إِذَا كَانَت بَخِيلَةً حَفِظَت مَالَهَا وَ مَالَ بَعلِهَا وَ إِذَا كَانَت جَبَانَةً فَرِقَت مِن كُلّ شَيءٍ يَعرِضُ لَهَا أخذ هذاالمعنی الطغرائی شاعر العجم فقال الجود والإقدام فی فتيانهم || والبخل فی الفتيات والإشفاق والطعن فی الأحداق دأب رماتهم || والراميات سهاما الأحداق و له قدزاد طيب أحاديث الکرام بها || مابالکرائم من جبن و من بخل . و فی حکمة أفلاطون من أقوی الأسباب فی محبة الرجل لامرأته واتفاق مابينهما أن يکون صوتها دون صوته بالطبع وتميزها دون تميزه وقلبها أضعف من قلبه فإذازاد من هذاعندها شیء علی ما عند الرجل تنافرا علی مقداره . وتقول زهی الرجل علينا فهو مزهو إذاافتخر وکذلك نخی فهو منخو من النخوة و لايجوز زها إلا فی لغة ضعيفة. وفرقت خافت والفرق الخوف [صفحه ۶۶]

۲۳۲

وَ قِيلَ لَهُ ع صِف لَنَا العَاقِلَ فَقَالَ هُوَ ألّذِی يَضَعُ الشّيءَ مَوَاضِعَهُ فَقِيلَ فَصِف لَنَا الجَاهِلَ قَالَ قَد قُلتُ قال الرضی رحمه الله تعالی يعنی أن الجاهل هو ألذی لايضع الشیء مواضعه فکان ترك صفته صفة له إذ کان بخلاف وصف العاقل -روايت-۱-۱۳۰ هذامثل الکلام ألذی تنسبه العرب إلی الضب قالوا اختصمت الضبع والثعلب إلی الضب فقالت الضبع يا أباالحسل إنی التقطت تمرة قال طيبا جنيت قالت و إن هذاأخذها منی قال حظ نفسه أحرز قالت فإنی لطمته قال کريم حمی حقيقته قالت فلطمنی قال حر انتصر قالت اقض بيننا قال قدفعلت [صفحه ۶۷]

۲۳۳

وَ اللّهِ لَدُنيَاكُم هَذِهِ أَهوَنُ فِی عَينِی مِن عُرَاقِ خِنزِيرٍ فِی يَدِ مَجذُومٍ العراق جمع عرق و هوالعظم عليه شیء من اللحم و هذا من الجموع النادرة نحو رخل ورخال وتوأم وتؤام و لا يکون شیءأحقرً و لاأبغض إلی الإنسان من عراق خنزير فی يد مجذوم فإنه

لم يرض بأن يجعله فی يد مجذوم و هوغاية ما يكون من التنفير حتی جعله عراق خنزير. ولعمری لقد صدق و مازال صادقا و من تأمل سيرته فی حالتی خلوه من العمل وولايته الخلافة عرف صحة هذاالقول [صفحه ۶۸]

۲۳۴

إِنّ قَوماً عَبَدُوا اللّهَ رَغبَةً فَتِلكَ عِبَادَةُ التّجّارِ وَ إِنّ قَوماً عَبَدُوا اللّهَ رَهبَةً فَتِلكَ عِبَادَةُ العَبِيدِ وَ إِنّ قَوماً عَبَدُوا اللّهَ شُكراً فَتِلكَ عِبَادَةُ الأَحرَارِ هـذامقام جليل تتقاصر عنه قوی أكثر البشر و قدشرحناه فيما تقـدم وقلنا إن العبادة لرجاء الثواب تجارة ومعاوضـة و إن العبادة لخوف العقاب لمنزلة من يستجدی لسلطان قاهر يخاف سطوته . و هذامعنی قوله عبادة العبيد أی خوف السوط والعصا وتلك ليس عبـادة نافعـة وهی كمن يعتـذر إلی إنسـان خوف أذاه ونقمته لالأن مايعتـذر منه قبيـح لاينبغی له فعله فأما العبادة لله تعالی شكرا لأنعمه فهی عبادة نافعة لأن العبادة شكر مخصوص فإذاأوقعها علی هذاالوجه فقد أوقعها الموقع ألذی وضعت عليه .فأما أصحابنا المتكلمون فيقولون ينبغی أن يفعل الإنسان الواجب لوجه وجوبه ويترك القبيح لوجه قبحه وربما قالوا يفعل الواجب لأنه واجب ويترك القبيح لأنه قبيح والكلام فی هذاالباب مشروح مبسوط فی الكتب الكلامية [صفحه ۶۹]

۲۳۵

المَرأَةُ شَرّ كُلّهَا وَ شَرّ مَا فِيهَا أَنّهُ لَا بُدّ مِنهَا حلف إنسان عندبعض الحكماء أنه مادخل بابی شر قط فقال الحكيم فمن أين دخلت امرأتك . و كان يقال أسباب فتنة النساء ثلاثة عين ناظرة وصورة مستحسنة وشهوة قادرة فالحكيم من لايردد النظرة حتی يعرف حقائق الصورة و لو أن رجلاـ رأی امرأة فأعجبته ثم طالبها فامتنعت هل كان إلاتاركها فإن تأبی عقله عليه فی مطالبتها كتأبيها عليه فی مساعفتها قدع نفسه عن لذته قدع الغيور إياه عن حرمة مسلم . و كان يقال من أتعب نفسه فی الحلال من النساء لم يتق إلی الحرام منهن كالطليح مناه أن يستريح [صفحه ۷۰]

۲۳۶

مَن أَطَاعَ التوّاَنيِ ضَيّعَ الحُقُوقَ وَ مَن أَطَاعَ الواَشيِ ضَيّعَ الصّدِيقَ قدتقدم الكلام فی التوانی والعجز وتقدم أيضا الكلام فی الوشاية والسعاية. ورفع إلی كسری أبرويز أن النصاری الذين يحضرون باب الملك يعرفون بالتجسس إلی ملك الروم فقال من لم يظهر له ذنب لم يظهر منا عقوبة له . ورفع إليه أن بعض الناس ينكر إصغاء الملك إلی أصحاب الأخبار فوقع هؤلاء بمنزلة مداخل الضياء إلی البيت المظلم و ليس لقطع مواد النور مع الحاجة إليه وجه عندالعقلاء. قال أبوحيان أماالأصل فی التدبير فصحيح لأن الملك محتاج إلی الأخبار لكن الأخبار تنقسم إلی ثلاثة أوجه خبر يتصل بالدين فالواجب عليه أن يبالغ ويحتاط فی حفظه وحراسته وتحقيقه ونفی القذی عن طريقه وساحته . وخبر يتصل بالدولة ورسومها فينبغی أن يتيقظ فی ذلك خوفا من كيد ينفذ وبغی يسری. وخبر يدور بين الناس فی منصرفهم وشأنهم وحالهم متی زاحمتهم فيه اضطغنوا [صفحه ۷۱] عليك وتمنوا زوالی ملكك وارصدوا العداوة لك وجهروا إلی عدوك وفتحوا له باب الحيلة إليك . وإنما لحق الناس من هذاالخبر هذاالعارض لأن فی منع الملك إياهم عن تصرفاتهم وتتبعه لهم فی حركاتهم كربا علی قلوبهم ولهيبا فی صدورهم و لابد لهم فی الدهر الصالح والزمان المعتدل والخصب المتتابع والسبيل الآمن والخير المتصل من فكاهة وطيب واسترسال وأشر وبطر و كل ذلك من آثار النعمة الدارة والقلوب القارة فإن أغضی الملك بصره علی هذاالقسم عاش محبوبا و إن تنكر لهم فقد استأسدهم أعداء و السلام

[صفحه ۷۲]

۲۳۷

الحَجَرُ الغَصبُ فِی الدّارِ رَهنٌ عَلَی خَرَابِهَا قال الرضـی رحمه الله تعالی و قدروی مایناسب هذاالکلام عن النبی ص و لاعجب أن یشتبه الکلامـان فإن مسـتقاهما من قلیب ومفرغهما من ذنوب -روایت-۱-۱۴۴ الـذنوب الـدلو الملأی و لایقال لها وهی فارغهٔ ذنوب ومعنی الکلمـهٔ أن الـدار المبنیهٔ بالحجارهٔ المغصوبهٔ و لوبحجر واحد لابد أن یتعجل خرابها وکأنما ذلک الحجر رهن علی حصول التخرب أی کما أن الرهن لابـد أن یفتک کذلک لابد لماجعل ذلک الحجر رهنا علیه أن یحصل . و قال ابن بسام لأبی علی بن مقلـهٔ لمابنی داره بالزاهر ببغـداد من الغصب وظلم الرعیـهٔ بجنبک داران مهدومتان || ودارک ثالثهٔ تهدم فلیت السـلامهٔ للمنصـفین || دامت فکیف لمن یظلم . [صفحه ۷۳] والـداران دار أبی الحسن بن الفرات ودار محمد بن داود بن الجراح و قال فیه أیضا قل لابن مقلهٔ مهلا لاتکن عجلا || فإنما أنت فی أضـغاث أحلام تبنی بأنقاض دور الناس مجتهدا || دارا ستنقض أیضا بعدأیام و کان ماتفرسه ابن بسام فیه حقا فإن داره نقضت حتی سویت بالأرض فی أیام الراضی بالله [صفحه ۷۴]

۲۳۸

یَومُ المَظلُومِ عَلَی الظّالِمِ أَشَـدّ مِن یَومِ الظّالِمِ عَلَی المَظلُومِ قدتقـدم الکلام فی الظلم مرارا و کان یقال اذکر عنـدالظلم عـدل الله تعالی فیک و عندالقـدرهٔ قـدرهٔ الله تعالی علیک . وإنما کان یوم المظلوم علی الظالم أشد من یومه علی المظلوم لأن ذلک الیوم یوم الجزاء الکلی والانتقام الأعظم وقصاری أمر الظالم فی الـدنیا أن یقتل غیره فیمیته میتـهٔ واحدهٔ ثم لاسبیل له بعدإماتته إلی أن یـدخل علیه ألما آخر و أما یوم الجزاء فإنه یوم لایموت الظالم فیه فیستریـح بل عـذابه دائم متجدد نعوذ بالله من سـخطه وعقابه [صفحه ۷۵]

۲۳۹

اتّقِ اللّهَ بَعضَ التّقَی وَ إِن قَلّ وَ اجعَل بَینَکَ وَ بَینَ اللّهِ سِتراً وَ إِن رَقّ یقال فی المثل ما لایـدرک کله لایترک کله .فالواجب علی من عسـرت علیه التقوی بأجمعهـا أن یتقی الله فی البعض و أن یجعـل بینه وبینه سـترا و إن کـان رقیقـا. و فی أمثـال العامـهٔ اجعل بینک و بین الله روزنهٔ والروزنهٔ لفظهٔ صحیحهٔ معربهٔ أی لاتجعل مابینک وبینه مسدودا مظلما بالکلیهٔ [صفحه ۷۶]

۲۴۰

إِذَا ازدَحَمَ الجَوَابُ خفَیَ الصّوَابُ هـذانحو أن یورد الإنسـان إشـکالا فی بعض المسائـل النظریـهٔ بحضـرهٔ جماعـهٔ من أهـل النظر فیتغالب القوم ویتسابقون إلی الجواب عنه کل منهم یورد ماخطر له . فلاریب أن الصواب یخفی حینئذ و هذه الکلمهٔ فی الحقیقهٔ أمر للناظر البحاث أن یتحری الإنصاف فی بحثه ونظره مع رفیقه وألا یقصد المراء والمغالبهٔ والقهر [صفحه ۷۷]

۲۴۱

إنّ لِلّهِ تَعَالَى فِي كُلّ نِعمَةٍ حَقّاً فَمَن أَدّاهُ زَادَهُ مِنهَا وَ مَن قَصّرَ فِيهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعمَتِهِ قدتقدم الكلام فی هذاالمعنی و جاء فی الخبر من أوتی نعمة فأدی حق الله منها برد اللهفة وإجابة الدعوة وكشف المظلمة كان جديرا بدوامها و من قصر قصر به -روايت-۱-۲-روايت-۱۵-۱۲۴ [صفحه ۷۸]

۲۴۲

إِذَا كَثُرَتِ المَقدُرَةُ قَلّتِ الشّهوَةُ هذامثل قولهم كل مقدور عليه مملول ومثل قول الشاعر و كل كثير عدو الطبيعة . ومثل قول الآخر وأخ كثرت عليه حتی ملنی || والشیء مملول إذا هويرخص ياليته إذ باع ودی باعه || ممن يزيد عليه لا من ينقص . ولهذا الحكم علة فی العلم العقلی و ذلك أن النفس عندهم غنية بذاتها مكتفية بنفسها غيرمحتاجة إلی شیءخارج عنها وإنما عرضت لها الحاجة والفقر إلی ما هوخارج عنها لمقارنتها الهيولی و ذلك أن أمر الهيولی بالضد من أمر النفس فی الفقر والحاجة و لما كان الإنسان مركبا من النفس والهيولی عرض له الشوق إلی تحصيل العلوم والقنيات لانتفاعه بهما والتذاذه بحصولهما فأما العلوم فإنه يحصلها فی شبيه بالخزانة له يرجع إليها متی شاء ويستخرج منها ماأراد أعنی القوی النفسانية التی هی محل الصور والمعانی علی ما هومذكور فی موضعه و أماالقنيات والمحسوسات [صفحه ۷۹] فإنه يروم منها مثل مايروم من تلك و أن يودعها خزانة محسوسة خارجة عن ذاته لكنه يغلط فی ذلك من حيث يستكثر منها إلی أن يتنبه بالحكمة علی ماينبغی أن يقتنی منها وإنما حرص علی مامنع لأن الإنسان إنما يطلب ما ليس عنده لأن تحصيل الحاصل محال والطلب إنما يتوجه إلی المعدوم لا إلی الموجود فإذاحصله سكن وعلم أنه قدادخره ومتی رجع إليه وحده إن كان مما يبقی بالذات خزنه وتشوق إلی شیءآخر منه و لايزال كذلك إلی أن يعلم أن الجزئيات لانهاية لها و ما لانهاية له فلامطمع فی تحصيله و لافائدة فی النزوع إليه و لاوجه لطلبه سواء كان معلوما أومحسوسا فوجب أن يقصد من المعلومات إلی الأهم و من المقتنيات إلی ضرورات البدن ومقيماته ويعدل عن الاستكثار منها فإن حصولها كلها مع أنها لانهاية لها غيرممكن وكلما فضل عن الحاجة وقدر الكفاية فهو مادة الأحزان والهموم وضروب المكاره والغلط فی هذاالباب كثير وسبب ذلك طمع الإنسان فی الغنی من معدن الفقر لأن الفقر هوالحاجة والغنی هوالاستقلال إلی أن يحتاج إليه ولذلك قيل إن الله تعالی غنی مطلقا لأنه غيرمحتاج البتة فأما من كثرت قنياته فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته و علی قدرها رغبه إلی الاستكثار بكثرة وجوه فقره و قد بين ذلك فی شرائع الأنبياء وأخلاق الحكماء فأما الشیء الرخيص الموجود كثيرا فإنما يرغب عنه لأنه معلوم أنه إذاالتمس وجد والغالی فإنما يقدر عليه فی الأحيان ويصيبه الواحد بعدالواحد و كل إنسان يتمنی أن يكون ذلك الواحد ليصيبه وليحصل له ما لايحصل لغيره [صفحه ۸۰]

۲۴۳

احذَرُوا نِفَارَ النّعَمِ فَمَا كُلّ شَارِدٍ بِمَردُودٍ هذاأمر بالشكر علی النعمة وترك المعاصی فإن المعاصی تزيل النعم كماقيل إذاكنت فی نعمة فارعها || فإن المعاصی تزيل النعم و قال بعض السلف كفران النعمة بوار وقلما أقلعت نافرة فرجعت فی نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار و لاتحسب أن سبوغ ستر الله عليك غيرمتقلص عما قليل عنك إذا أنت لم ترج لله وقارا. و قال أبوعصمة شهدت سفيان وفضيلا فما سمعتهما يتذاكران إلاالنعم يقولان أنعم الله سبحانه علينا بكذا وفعل بنا كذا. و قال الحسن إذااستوی يوماك فأنت ناقص قيل له كيف ذاك قال إن زادك الله اليوم نعما فعليك أن تزداد غدا له شكرا. و كان يقال الشكر جنة من الزوال وأمنة من الانتقال . و كان يقال إذاكانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة [صفحه ۸۱]

۲۴۴

الکَرَمُ أَعطَفُ مِنَ الرّحِمِمثل هـذاالمعنی قول أبی تمام لابن الجهم إلایکن نسب یؤلف بیننا || أدب أقمناه مقام الوالـد أویختلف ماء الوصال فماؤنا || عـذب تحدر من غمام واحد و من قصیدهٔ لی فی بعض أغراضـی ووشائج الآداب عاطفهٔ || الفضـلاء فوق وشائج النسب [صفحه ۸۲]

۲۴۵

مَن ظَنّ بِکَ خَیراً فَصَدّق ظَنّهُ هذا قدتقدم فی وصـیته ع لولده الحسن . و من کلام بعضـهم إنی لأستحیی أن یأتینی الرجل یحمر وجهه تارهٔ من الخجل أویصفر أخری من خوف الرد قدظن بی الخیر وبات علیه وغدا علی أن أرده خائبا [صفحه ۸۳]

۲۴۶

أَفضَـلُ الأَعمَـالِ مَـا أَکرَهتَ نَفسَکَ عَلَیهِ لاریب أن الثواب علی قـدر المشـقهٔ لأنه کالعوض عنها کما أن العوض الحقیقی عوض عن الألم ولهذا قال ص أفضل العبادهٔ أحمزها –روایت–۱–۲–روایت–۱۱–۳۲ أی أشقها [صفحه ۸۴]

۲۴۷

عَرَفتُ اللّهَ سُبحَانَهُ بِفَسخِ العَزَائِمِ وَ حَلّ العُقُودِ وَ نَقضِ الهِمَمِ هذاأحد الطرق إلی معرفهٔ الباریء سبحانه و هو أن یعزم الإنسان علی أمر ویصـمم رأیه علیه ثم لا‌یلبث أن یخطر الله تعـالی بباله خاطرا صارفا له عن ذلک الفعل و لم یکن فی حسابه أی لو لا أن فی الوجود ذاتا مـدبرهٔ لهـذا العالم لماخطرت الخواطر التی لم تکن محتسـبهٔ و هـذافصل یتضـمن کلاما دقیقا یـذکره المتکلمون فی الخـاطر ألـذی یخطر من غیرموجب لخطوره فـإنه لایجوز أن یکون الإنسان أخطره بباله و إلالکان ترجیحا من غیرمرجـح لجانب الوجود علی جانب العدم فلابد أن یکون المخطر له بالبال شـیئا خارجا عن ذات الإنسان وذاک هوالشیء المسمی بصانع العالم . و لیس هذاالموضع مما یحتمل استقصاء القول فی هذاالمبحث . ویقال إن عضد الدولهٔ وقعت فی یده قصهٔ و هویتصفح القصص فـأمر بصـلب صاحبهـا ثم أتبع الخادم خادما آخر یقول له قل للمطهر و کان وزیره لایصـلبه ولکن أخرجه من الحبس فاقطع یـده الیمنی ثم أتبعه خادما ثالثا فقال بل تقول له یقطع أعصاب رجلیه ثم أتبعه خادما آخر فقال له ینقله إلی القلعـهٔ بسیراف فی قیوده فیجعله هناک فاختلفت دواعیه فی ساعهٔ واحدهٔ أربع مرات [صفحه ۸۵]

۲۴۸

مَرَارَهُ الـدّنیَا حَلَاوَهُ الآخِرَهِ وَ حَلَاوَهُ الـدّنیَا مَرَارَهُ الآخِرَهِ لماکانت الـدنیا ضـد الآخرهٔ وجب أن یکون أحکام هذه ضد أحکام هذه کـالسواد یجمع البصـر والبیـاض یفرق البصـر والحرارهٔ توجب الخفـهٔ والبرودهٔ توجب الثقـل فـإذا کـان فی الـدنیا أعمال هی مرهٔ المذاق علی الإنسان قدورد الشرع بإیجابها فتلک الأفعال تقتضی وتوجب لفاعلها ثوابا حلو المذاق فی الآخرهٔ. وکذاک بالعکس ما کان من المشتهیات الدنیاویهٔ التی قدنهی الشرع عنها توجب و إن کانت حلوهٔ المذاق مرارهٔ العقوبهٔ فی الآخرهٔ [صفحه ۸۶]

فَرَضَ اللّهُ الإِيمَانَ تَطهِيراً مِنَ الشّركِ وَ الصّلَاةَ تَنزِيهاً عَنِ الكِبرِ وَ الزّكَاةَ تَسبِيباً لِلرّزقِ وَ الصّيَامَ ابتِلَاءً لِإِخلَاصِ الخَلقِ وَ الحَجّ تَقوِيَةً لِلدّينِ وَ الجِهَادَ عِزّاً لِلإِسلَامِ وَ الأَمرَ بِالمَعرُوفِ مَصلَحَةً لِلعَوَامّ وَ النّهيَ عَنِ المُنكَرِ رَدعاً لِلسّفَهَاءِ وَ صِلَةَ الرّحِمِ مَنمَاةً لِلعَدَدِ وَ القِصَاصَ حَقناً لِلدّمَاءِ وَ إِقَامَةَ الحُدُودِ إِعظَاماً لِلمَحَارِمِ وَ تَركَ شُربِ الخَمرِ تَحصِيناً لِلعَقلِ وَ مُجَانَبَةَ السّرِقَةِ إِيجَاباً لِلعِفّةِ وَ تَركَ الزّنَا تَحصِيناً لِلنّسَبِ وَ تَركَ اللّوَاطِ تَكثِيراً لِلنّسلِ وَ الشّهَادَاتِ استِظهَاراً عَلَى المُجَاحَدَاتِ وَ تَركَ الكَذِبِ تَشرِيفاً لِلصّدقِ وَ السّلَامَ أَمَاناً مِنَ المَخَاوِفِ وَ الإِمَامَةَ نِظَاماً لِلأُمّةِ وَ الطّاعَةَ تَعظِيماً لِلإِمَامَةِ هذاالفصل يتضمن بيان تعليل العبادات إيجابا وسلبا. قال ع فرض الله الإيمان تطهيرا من الشرک و ذلک لأن الشرک نجاسة حکمية لاعينية و أی شیء يکون أنجس من الجهل أوأقبح فالإيمان هوتطهير القلب من نجاسة ذلک الجهل . وفرضت الصلاة تنزيها من الکبر لأن الإنسان يقوم فيهاقائما والقيام مناف للتکبر وطارد له ثم يرفع يديه بالتکبير وقت الإحرام بالصلاة فيصير علی هيئة من يمد عنقه ليوسطه السياف ثم يستکتف کمايفعله العبيد الأذلاء بين يدی [صفحه ۸۷] السادة العظماء ثم يرکع علی هيئة من يمد عنقه ليضربها السياف ثم يسجد فيضع أشرف أعضائه و هوجبهته علی أدون المواضع و هوالتراب ثم تتضمن الصلاة من الخضوع والخشوع والامتناع من الکلام والحرکة الموهمة لمن رآها أن صاحبها خارج عن الصلاة و ما فی غضون الصلاة من الأذکار المتضمنة الذل والتواضع لعظمة الله تعالی . وفرضت الزکاة تسبيبا للرزق کما قال الله تعالی وَ ما أَنفَقتُم مِن شَیءٍ فَهُوَ يُخلِفُهُ و قال مَن ذَا ألّذِی يُقرِضُ اللّهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ. وفرض الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق -قرآن-۳۷۱-۴۱۲-قرآن-۴۲۰-۴۸۱ قال النبی ص حاکيا عن الله تعالی الصوم لی و أناأجزی به -روايت-۱-۲-روايت-۴۰-۶۶ و ذلک لأن الصوم أمر لايطلع عليه أحد فلايقوم به علی وجهه إلاالمخلصون . وفرض الحج تقوية للدين و ذلک لمايحصل للحاج فی ضمنه من المتاجر والمکاسب قال الله تعالی لِيَشهَدُوا مَنافِعَ لَهُم وَ يَذكُرُوا اسمَ اللّهِ...عَلی ما رَزَقَهُم مِن بَهِيمَةِ الأَنعامِ وأيضا فإن المشرکين کانوا يقولون لو لا أن أصحاب محمدکثير وأولو قوة لماحجوا فإن الجيش الضعيف يعجز عن الحج من المکان البعيد. وفرض الجهاد عزا للإسلام و ذلک ظاهر قال الله تعالی وَ لَو لا دَفعُ اللّهِ النّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَهُدّمَت صَوامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَواتٌ وَ مَساجِدُ يُذكَرُ فِيهَا اسمُ اللّهِ كَثِيراً و قال سبحانه وَ أَعِدّوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوّةٍ وَ مِن رِباطِ الخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوّ اللّهِ وَ عَدُوّكُم. -قرآن-۱۷۳-۲۲۳-قرآن-۲۲۷-۲۶۷-قرآن-۴۵۲-۵۸۷-قرآن-۶۰۲-۷۰۹ [صفحه ۸۸] وفرض الأمر بالمعروف مصلحة للعوام لأن الأمر بالعدل والإنصاف ورد الودائع وأداء الأمانات إلی أهلها وقضاء الديون والصدق فی القول وإيجاز الوعد و غير ذلک من محاسن الأخلاق مصلحة للبشر عظيمة لامحالة. وفرض النهی عن المنکر ردعا للسفهاء کالنهی عن الظلم والکذب والسفه و مايجری مجری ذلک . وفرضت صلة الرحم منماة للعدد قال النبی ص صلة الرحم تزيد فی العمر وتنمی العدد -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۵۶ . وفرض القصاص حقنا للدماء قال سبحانه وَ لَكُم فِی القِصاصِ حَياةٌ يا أُولِی الأَلبابِ. وفرضت إقامة الحدود إعظاما للمحارم و ذلک لأنه إذاأقيمت الحدود امتنع کثير من الناس عن المعاصی التی تجب الحدود فيها وظهر عظم تلک المعاصی عندالعامة فکانوا إلی ترکها أقرب . وحرم شرب الخمر تحصينا للعقل قال قوم لحکيم اشرب الليلة معنا فقال أنا لاأشرب مايشرب عقلی و -قرآن-۴۰-۸۸ فی الحديث المرفوع أن ملکا ظالما خير إنسانا بين أن يجامع أمه أويقتل نفسا مؤمنة أويشرب الخمر حتی يسکر فرأی أن الخمر أهونها فشرب حتی سکر فلما غلبه قام إلی أمه فوطئها وقام إلی تلک النفس المؤمنة فقتلها ثم قال ع الخمر جماع الإثم الخمر أم المعاصی -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۲۶۵ . وحرمت السرقة إيجابا للعفة و ذلک لأن العفة خلق شريف والطمع خلق دنیء فحرمت السرقة ليتمرن الناس علی ذلک الخلق الشريف ويجانبوا ذلک الخلق الذميم وأيضا حرمت لما فی تحريمها من تحصين أموال الناس . [صفحه ۸۹] وحرم

الزنا تحصينا للنسب فإنه يفضی إلی اختلاط المیاه واشتباه الأنساب وألا ینسب أحد بتقدیر ألا یشرع النکاح إلی أب بل یکون نسب الناس إلی أمهاتهم و فی ذلک قلب الحقیقة وعکس الواجب لأن الولد مخلوق من ماء الأب وإنما الأم وعاء وظرف . وحرم اللواط تکثیرا للنسل و ذلک اللواط بتقدیر استفاضته بین الناس والاستغناء به عن النساء یفضی إلی انقطاع النسل والذریة و ذلک خلاف مایرید الله تعالی من بقاء هذاالنوع الشریف ألذی لیس فی الأنواع مثله فی الشرف لمکان النفس الناطقة التی هی نسخة ومثال للحضرة الإلهیة ولذلک سمت الحکماء الإنسان العالم الصغیر. وحرم الاستمناء بالید وإتیان البهائم للمعنی ألذی لأجله حرم اللواط و هوتقلیل النسل و من مستحسن الکلمات النبویة قوله ع فی الاستمناء بالید ذلک الوأد الخفی -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۴۹ لأن الجاهلیة کانت تئد البنات أی تقتلهن خنقا و قدقدمنا ذکر سبب ذلک فشبه ع إتلاف النطفة التی هی ولد بالقوة بإتلاف الولد بالفعل . وأوجبت الشهادات علی الحقوق استظهارا علی المجاحدات قال النبی ص لوأعطی الناس بدعاویهم لاستحل قوم من قوم دماءهم وأموالهم -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۸۲ ووجب ترک الکذب تشریفا للصدق و ذلک لأن مصلحة العامة إنما تتم وتنتظم بالصدق فإن الناس یبنون أکثر أمورهم فی معاملاتهم علی الأخبار فإنها أعم من العیان والمشاهدة فإذا لم تکن صادقة وقع الخطأ فی التدبیرات وفسدت أحوال الخلق . وشرع رد السلام أمانا من المخاوف لأن تفسیر قول القائل سلام علیکم أی لاحرب بینی وبینکم بل بینی وبینکم السلام و هوالصلح . [صفحه ۹۰] وفرضت الإمامة نظاما للأمة و ذلک لأن الخلق لایرتفع الهرج والعسف والظلم والغضب والسرقة عنهم إلابوازع قوی و لیس یکفی فی امتناعهم قبح القبیح و لاوعید الآخرة بل لابد لهم من سلطان قاهر ینظم مصالحهم فیردع ظالمهم ویأخذ علی أیدی سفهائهم . وفرضت الطاعة تعظیما للإمامة و ذلک لأن أمر الإمامة لایتم إلابطاعة الرعیة و إلافلو عصت الرعیة إمامها لم ینتفعوا بإمامته ورئاسته علیهم [صفحه ۹۱]

۲۵۰

اشاره

وَ کَانَ ع یَقُولُ أَحلِفُوا الظّالِمَ إِذَا أَرَدتُم یَمِینَهُ بِأَنّهُ برَیِءٌ مِن حَولِ اللّهِ وَ قُوّتِهِ فَإِنّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا کَاذِباً عُوجِلَ وَ إِذَا حَلَفَ بِاللّهِ ألّذِی لَا إِلَهَ إِلّا هُوَ لَم یُعَاجَل لِأَنّهُ قَد وَحّدَ اللّهَ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَی

ماجری بین یحیی بن عبد الله و بین ابن المصعب

عندالرشید روی أبوالفرج علی بن الحسین الأصبهانی فی کتاب مقاتل الطالبیین أن یحیی بن عبد الله بن الحسن بن علی بن أبی طالب ع لماأمنه الرشید بعدخروجه بالدیلم وصار إلیه بالغ فی إکرامه وبره فسعی به بعدمدة عبد الله بن مصعب الزبیری إلی الرشید و کان یبغضه و قال له إنه قدعاد یدعو إلی نفسه سرا وحسن له نقض أمانه فأحضره وجمع بینه و بین عبد الله بن مصعب لیناظره فیما قذفه به ورفعه علیه فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشید وادعی علیه الحرکة فی الخروج وشق العصا فقال یحیی یا أمیر المؤمنین أتصدق هذا علی وتستنصحه و هو ابن عبد الله بن الزبیر ألذی أدخل أباک عبد الله وولده الشعب وأضرم علیهم النار حتی خلصه أبو عبد الله الجدلی صاحب علی بن أبی طالب ع منه عنوة و هو ألذی ترک الصلاة علی [صفحه ۹۲] رسول الله ص وأربعین جمعة فی خطبته فلما التاث علیه الناس قال إن له أهیل سوء إذاصلیت علیه أوذکرته أتلعوا أعناقهم واشرأبوا لذکره فأکره

أن أسرهم أوأقر أعينهم و هو ألـذى كان يشتم أباك ويلصق به العيوب حتى ورم كبـده ولقد ذبحت بقرة يوما لأبيك فوجدت كبـدها سوداء قـدنقبت فقـال على ابنه أ ماترى كبـد هـذه البقرة ياأبت فقال يابنى هكـذا ترك ابن الزبير كبـد أبيك ثم نفاه إلى الطـائف فلمـا حضـرته الوفـاة قال لابنه على يابنى إذامت فالحق بقومك من بنى عبـدمناف بالشام و لاتقم فى بلـد لابن الزبير فيه إمرة فاختار له صحبة يزيـد بن معاويـة على صحبة عبد الله بن الزبير و و الله إن عداوة هذا يا أمير المؤمنين لنا جميعا بمنزلة سواء ولكنه قوى على بـك وضـعف عنـك فتقرب بى إليك ليظفر منك بى بما يريـد إذا لم يقـدر على مثله منك و ماينبغى لك أن تسوغه ذلك فى فإن معاويـة بن أبى سـفيان و هوأبعـد نسـبا منك إلينا ذكر الحسن بن على يوما فسبه فساعـده عبد الله بن الزبير على ذلـك فزجره وانتهره فقـال إنما ساعـدتك يا أمير المؤمنين فقال إن الحسن لحمى آكله و لاأوكله و مع هـذافهو الخارج مع أخى محمد على أبيك المنصور أبى جعفر والقائل لأخى فى قصيدة طويلة أولها إن الحمامة يوم الشعب من وثن || هاجت فؤاد محب دائم الحزن يحرض أخى فيهـا على الوثوب والنهوض إلى الخلافة ويمـدحه و يقول له لاـ عزركنا نزار عندسـطوتها || إن أسـلمتك و لاركنا ذوى يمن ألست أكرمهم عودا إذاانتسـبوا || يوما وأطهرهم ثوبا من الـدرن [صـفحه ٩٣] وأعظم الناس عند الناس منزلة || وأبعد الناس من عيب و من وهن قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتها || إن الخلافة فيكم يابنى حسن إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا || بعدالتـدابر والبغضاء والإحن حتى يثاب على الإحسان محسـننا || ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن وتنقضـى دولة أحكام قادتهـا || فينـا كأحكـام قوم عابـدى وثن فطالمـا قـدبروا بـالجور أعظمنا || برى الصـناع قـداح النبع بالسـفن .فتغير وجه الرشـيد عندسماع هذاالشعر وتغيظ على ابن مصعب فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله ألذى لاإله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذاالشعر ليس له و أنه لسـديف فقـال يحيى و الله يـا أمير المؤمنين ماقاله غيره و ماحلفت كاذبا و لاصادقا بالله قبل هـذا و إن الله عز و جل إذامجـده العبـد فى يمينه فقـال و الله الطـالب الغـالب الرحمن الرحيم استحيا أن يعـاقبه فـدعنى أن أحلفه بيمين ماحلف بهاأحـد قط كاذبا إلاعوجل قال فحلفه قال قل برئت من حول الله وقوته واعتصـمت بحولى وقوتى وتقلدت الحول والقوة من دون الله استكبارا على الله واسـتعلاء عليه واستغناء عنه إن كنت قلت هذاالشـعر فامتنع عبد الله من الحلف بذلك فغضب الرشـيد و قال للفضل بن الربيع ياعباسـى ما له لايحلف إن كان صادقا هـذاطيلسانى على و هذه ثيابى لوحلفنى بهذه اليمين أنها لى لحلفت فوكز الفضل عبد الله برجله و كـان له فيه هوى و قال له احلف ويحك فجعل يحلف بهـذه اليمين ووجهه متغير و هويرعـد فضـرب يحيى بين كتفيه و قال يا ابن مصـعب قطعت عمرك لاتفلـح بعـدها أبـدا.قالوا فما برح من موضـعه حتى عرض له أعراض الجذام استدارت عيناه [صفحه ٩٤] وتفقأ وجهه وقام إلى بيته فتقطع وتشـقق لحمه وانتثر شـعره ومات بعدثلاثة أيام وحضـر الفضل بن الربيع جنازته فلما جعـل فى القبر انخسف اللحـد به حتى خرجت منه غبرة شديـدة وجعـل الفضل يقول التراب التراب فطرح التراب و هويهوى فلم يستطيعوا سده حتى سقف بخشب وطم عليه فكان الرشيد يقول بعد ذلك للفضل أرأيت ياعباسى ماأسرع ماأديل ليحيى من ابن مصعب [صفحه ٩٥]

٢٥١

يَا ابنَ آدَمَ كُن وصَيِ‌ّ نَفسِكَ وَ اعمَل فِي مَالِكَ مَا تُؤثِرُ أَن يَعمَلَ فِيهِ مَن بَعـدَكَ لاريب أن الإنسان يؤثر أن يخرج ماله بعدموته فى وجوه البر والصـدقات والقربات ليصل ثواب ذلك إليه لكنه يضن بإخراجه و هوحى فى هذه الوجوه لحبه العاجلة وخوفه من الفقر والحاجة إلى الناس فى آخر العمر فيقيم وصيا يعمل ذلك فى ماله بعدموته . وأوصى أمير المؤمنين ع الإنسان أن يعمل فى ماله و هوحى مايؤثر أن يجعل فيه وصية بعدموته و هذه حالة لايقدر عليها إلا من أخذ التوفيق بيده [صفحه ٩٦]

۲۵۲

الحِدّةُ ضَربٌ مِنَ الجُنُونِ لِأَنّ صَاحِبَهَا يَندَمُ فَإِن لَم يَندَم فَجُنُونُهُ مُستَحكِمٌ كان يقال الحدة كنية الجهل . و كان يقال لايصح لحديد رأى لأن الحدة تصدئ العقل كمايصدئ الخل المرآة فلايرى صاحبه فيه صورة حسن فيفعله و لاصورة قبيح فيجتنبه . و كان يقال أول الحدة جنون وآخرها ندم . و كان يقال لاتحملنك الحدة على اقتراف الإثم فتشفى غيظك وتسقم دينك [صفحه ۹۷]

۲۵۳

صِحّةُ الجَسَدِ مِن قِلّةِ الحَسَدِ معناه أن القليل الحسد لايزال معافى فى بدنه والكثير الحسد يمرضه مايجده فى نفسه من مضاضة المنافسة و مايتجرعه من الغيظ ومزاج البدن يتبع أحوال النفس . قال المأمون ماحسدت أحدا قط إلا أبادلف على قول الشاعر فيه إنما الدنيا أبودلف || بين باديه ومحتضره فإذاولى أبودلف || ولت الدنيا على أثره . وروى أبوالفرج الأصبهانى عن عبدوس بن أبى دلف قال حدثنى أبى قال قال لى المأمون ياقاسم أنت ألذى يقول فيک على بن جبله إنما الدنيا أبودلف البيتين فقلت مسرعا و ماينفعنى ذلک يا أمير المؤمنين مع قوله فى أبادلف ياأكذب الناس كلهم || سواى فإنى فى مديحک أكذب [صفحه ۹۸] و مع قول بكر بن النطاح فى أبادلف إن الفقير بعينه || لمن يرتجى جدوى يديک ويأمله أرى لک بابا مغلقا متمنعا || إذافتحوه عنک فالبؤس داخله كأنک طبل هائل الصوت معجب || خلى من الخيرات تعس مداخله وأعجب شىءفيک تسليم إمرة || عليک على طنز وأنک قابله قال فلما انصرفت قال المأمون لمن حوله لله دره حفظ هجاء نفسه حتى انتفع به عندى وأطفأ لهيب المنافسة [صفحه ۹۹]

۲۵۴

وَ قَالَ ع لِكُمَيلِ بنِ زِيَادٍ النّخَعِيّ يَا كُمَيلُ مُر أَهلَکَ أَن يَرُوحُوا فِي كَسبِ المَكَارِمِ وَ يُدلِجُوا فِي حَاجَةِ مَن هُوَ نَائِمٌ فوَاَلذّيِ وَسِعَ سَمعُهُ الأَصوَاتَ مَا مِن أَحَدٍ أَودَعَ قَلباً سُرُوراً إِلّا وَ خَلَقَ اللّهُ لَهُ مِن ذَلِکَ السّرُورِ لُطفاً فَإِذَا نَزَلَت بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيهَا كَالمَاءِ فِي انحِدَارِهِ حَتّى يَطرُدَهَا عَنهُ كَمَا تُطرَدُ غَرِيبَةُ الإِبِلِ قال عمرو بن العاص لمعاوية مابقى من لذتک فقال ما من شىءيصيبه الناس من اللذة إلا و قدأصبته حتى مللته فليس شىءعندى اليوم ألذ من شربة ماء بارد فى يوم صائف ونظرى إلى بنى وبناتى يدرجون حولى فما بقى من لذتک أنت فقال أرض أغرسها وآكل ثمرتها لم يبق لى لذة غير ذلک فالتفت معاوية إلى وردان غلام عمرو فقال فما بقى من لذتک ياوريد فقال سرور أدخله قلوب الإخوان وصنائع أعتقدها فى أعناق الكرام فقال معاوية لعمرو تبا لمجلسى ومجلسک لقد غلبنى وغلبک هذاالعبد ثم قال ياوردان أناأحق بهذا منک قال قدأمكنتک فافعل . [صفحه ۱۰۰] فإن قلت السرور عرض فكيف يخلق الله تعالى منه لطفا قلت من هاهنا هى مثل من فى قوله وَ لَو نَشاءُ لَجَعَلنا مِنكُم مَلائِكَةً فِي الأَرضِ يَخلُفُونَ أى عوضا منكم . ومثله -قرآن-۹۳-۱۵۶ فليت لنا من ماء زمزم شربة || مبردة باتت على طهيان أى ليت لنا شربة مبردة باتت على طهيان و هواسم جبل بدلا وعوضا من ماء زمزم [صفحه ۱۰۱]

۲۵۵

إِذَا أَملَقتُم فَتَاجِرُوا اللّهَ بِالصّدَقَةِ قدتقدم القول فى الصدقهٔ. وقالت الحکماء أفضل العبادات الصدقهٔ لأن نفعها يتعدى ونفع الصلاهٔ والصوم لايتعدى . و جاء فى الأثر أن عليا ع عمل ليهودى فى سقى نخل له فى حياهٔ رسول الله ص بمد من شعير فخبزه قرصا فلما هم أن يفطر عليه أتاه سائل يستطعم فدفعه إليه وبات طاويا وتاجر الله تعالى بتلک الصدقهٔ فعد الناس هذه الفعلهٔ من أعظم السخاء وعدوها أيضا من أعظم العبادهٔ -روايت-١-٢-روايت-١۵-٢۶٧ . و قال بعض شعراء الشيعهٔ يذكر إعادهٔ الشمس عليه وأحسن فيما قال جاد بالقرص والطوى مل ء جنبيه || وعاف الطعام و هوسغوب فأعاد القرص المنير عليه القرص || والمقرض الكرام كسوب [صفحه ١٠٢]

٢۵۶

الوَفَاءُ لِأَهلِ الغَدرِ غَدرٌ عِندَ اللّهِ وَ الغَدرُ بِأَهلِ الغَدرِ وَفَاءٌ عِندَ اللّهِ معناه أنه إذااعتيد من العدو أن يغدر و لايفى بأقواله وأيمانه وعهوده لم يجز الوفاء له ووجب أن ينقض عهوده و لايوقف مع العهد المعقود بيننا وبينه فإن الوفاء لمن هذه حاله ليس بوفاء عند الله تعالى بل هوكالغدر فى قبحه والغدر بمن هذه حاله ليس بقبيح بل هو فى الحسن كالوفاء لمن يستحق الوفاء عند الله تعالى [صفحه ١٠٣]

٢۵٧

كَم مِن مُستَدرَجٍ بِالإِحسَانِ إِلَيهِ وَ مَغرُورٍ بِالسّترِ عَلَيهِ وَ مَفتُونٍ بِحُسنِ القَولِ فِيهِ وَ مَا ابتَلَى اللّهُ سُبحَانَهُ أَحَداً بِمِثلِ الإِملَاءِ لَهُ قال الرضى رحمه الله تعالى و قدمضى هذاالكلام فيما تقدم إلا أن فيه هاهنا زيادهٔ جيدهٔ -روايت-١-٩٢ قدتقدم الكلام فى الاستدراج والإملاء و قال بعض الحکماء احذر النعم المتواصلهٔ إليک أن تكون استدراجا كمايحذر المحارب من اتباع عدوه فى الحرب إذافر من بين يديه من الكمين وكم من عدو فر مستدرجا ثم إذ هوعاطف وكم من ضارع فى يديک ثم إذ هوخاطف [صفحه ١٠۴]

٢۵٨

و من كلامه ع المتضمن ألفاظا من الغريب تحتاج إلى تفسير قوله ع فى حديثه فَإِذَا كَانَ ذَلِکَ ضَرَبَ يَعسُوبُ الدّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجتَمِعُونَ إِلَيهِ كَمَا يَجتَمِعُ قَزَعُ الخَرِيفِ قال الرضى رحمه الله تعالى يعسوب الدين السيد العظيم المالک لأمور الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التى لاماء فيها -روايت-١-١٢٢ أصاب فى اليعسوب فأما القزع فلايشترط فيها أن تكون خاليهٔ من الماء بل القزع قطع من السحاب رقيقهٔ سواء كان فيهاماء أو لم يكن الواحدهٔ قزعهٔ بالفتح وإنما غره قول الشاعر يصف جيشا بالقلهٔ والخفهٔ كأن رعاله قزع الجهام . و ليس يدل ذلک على ماذكره لأن الشاعر أراد المبالغهٔ فإن الجهام ألذى لاماء فيه إذا كان أقطاعا متفرقهٔ خفيفهٔ كان ذكره أبلغ فيما يريده من التشبيه و هذاالخبر من أخبار الملاحم التى كان يخبر بها ع و هويذكر فيه المهدى ألذى يوجد عندأصحابنا فى آخر الزمان ومعنى قوله ضرب بذنبه أقام وثبت بعد [صفحه ١٠۵] اضطرابه و ذلک لأن اليعسوب فحل النحل وسيدها و هوأكثر زمانه طائر بجناحيه فإذاضرب بذنبه الأرض فقد أقام وترک الطيران والحركهٔ. فإن قلت فهذا يشبه مذهب الإماميهٔ فى أن المهدى خائف مستتر ينتقل فى الأرض و أنه يظهر آخر الزمان ويثبت ويقيم فى دار ملكه . قلت لايبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهدى ألذى يظهر فى آخر الزمان مضطرب الأمر منتشر الملک فى أول أمره لمصلحهٔ يعلمها الله

تعالى ثم بعد ذلك يثبت ملكه وتنتظم أموره . و قدوردت لفظة اليعسوب عن أمير المؤمنين ع فى غير هذاالموضع قال يوم الجمل لعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و قدمر به قتيلا هذايعسوب قريش أى سيدها [صفحه ۱۰۶]

۲۵۹

وَ فِي حَدِيثِهِ ع هَذَا الخَطِيبُ الشّحشَحُ قال يريد الماهر بالخطبة الماضى فيها و كل ماض فى كلام أوسير فهو شحشح والشحشح فى غير هذاالموضع البخيل الممسك -روايت-۱-۱۱۸ قدجاء الشحشح بمعنى الغيور والشحشح بمعنى الشجاع والشحشح بمعنى المواظب على الشىء الملازم له والشحشح الحاوى ومثله الشحشحان . و هذه الكلمة قالها على ع لصعصعة بن صوحان العبدى رحمه الله وكفى صعصعة بهافخرا أن يكون مثل على ع يثنى عليه بالمهارة وفصاحة اللسان و كان صعصعة من أفصح الناس ذكر ذلك شيخنا أبوعثمان الجاحظ [صفحه ۱۰۷]

۲۶۰

و منه إِنّ لِلخُصُومَةِ قُحَماً قال يريد بالقحم المهالك لأنها تقحم أصحابها فى المهالك والمتالف فى الأكثر فمن ذلك قحمة الأعراب و هو أن تصيبهم السنة فتتفرق أموالهم فذلك تقحمها فيهم وقيل فيه وجه آخر و هوأنها تقحمهم بلاد الريف أى تحوجهم إلى دخول الحضر عندمحول البدو -روايت-۱-۲۵۱ أصل هذاالبناء للدخول فى الأمر على غيرروية و لاتثبت قحم الرجل فى الأمر بالفتح قحوما وأقحم فلان فرسه البحر فانقحم واقتحمت أيضا البحر دخلته مكافحة وقحم الفرس فارسه تقحيما على وجهه إذارماه وفحل مقحام أى يقتحم الشول من غيرإرسال فيها. و هذه الكلمة قالها أمير المؤمنين حين وكل عبد الله بن جعفر فى الخصومة عنه و هوشاهد. و أبوحنيفة لايجيز الوكالة على هذه الصورة و يقول لاتجوز إلا من غائب أومريض و أبويوسف و محمديجيزانها أخذا بفعل أمير المؤمنين ع [صفحه ۱۰۸]

۲۶۱

و منه إِذَا بَلَغَ النّسَاءُ نَصّ الحِقَاقِ فَالعَصَبَةُ أَولَى قال ويروى نص الحقائق والنص منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص فى السير لأنه أقصى ماتقدر عليه الدابة ويقال نصصت الرجل عن الأمر إذااستقصيت مسألته لتستخرج ماعنده فيه ونص الحقاق يريد به الإدراك لأنه منتهى الصغر والوقت ألذى يخرج منه الصغير إلى حد الكبر و هو من أفصح الكنايات عن هذاالأمر وأغربها يقول فإذابلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها إذاكانوا محرما مثل الإخوة والأعمام وبتزويجها إن أرادوا ذلك . والحقاق محاقة الأم للعصبة فى المرأة و هوالجدال والخصومة وقول كل واحد منهما للآخر أناأحق منك بهذا يقال منه حاققته حقاقا مثل جادلته جدالا قال و قدقيل إن نص الحقاق بلوغ العقل و هوالإدراك لأنه ع إنما أراد منتهى الأمر ألذى تجب به الحقوق والأحكام . قال و من رواه نص الحقائق فإنما أراد جمع حقيقة هذامعنى ماذكره أبوعبيد القاسم بن سلام . قال و ألذى عندى أن المراد بنص الحقاق هاهنا بلوغ المرأة إلى الحد ألذى يجوز فيه تزويجها وتصرفها فى حقوقها تشبيها بالحقاق من الإبل وهى جمع حقة وحق و هو ألذى استكمل ثلاث سنين ودخل فى الرابعة و عند ذلك يبلغ إلى الحد ألذى يمكن فيه من ركوب ظهره ونصه فى سيره والحقائق أيضا جمع حقة -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۰۹] فالروايتان جميعا ترجعان إلى مسمى واحد و هذاأشبه بطريقة العرب من المعنى المذكور أولا -روايت-از قبل-۹۳ أما ماذكره أبوعبيد فإنه لايشفى الغليل لأنه فسر معنى

النص و لم یفسر معنی نص الحقائق بل قال هوعبارة عن الإدراک لأنه منتهی الصغر والوقت ألذی یخرج منه الصغیر إلی حد الکبر و لم یبین من أی وجه یدل لفظ نص الحقاق علی ذلک و لااشتقاق الحقاق وأصله لیظهر من ذلک مطابقة اللفظ للمعنی ألذی أشیر إلیه .فأما قوله الحقاق هاهنا مصدر حاقه یحاقه فلقائل أن یقول إن کان هذا هومقصوده ع فقبل الإدراک یکون الحقاق أیضا لأن کل واحدة من القرابات تقول للأخری أناأحق بهامنک فلامعنی لتخصیص ذلک بحال البلوغ إلا أن یزعم زاعم أن الأم قبل البلوغ لها الحضانة فلاینازعها قبل البلوغ فی البنت أحد ولکن فی ذلک خلاف کثیر بین الفقهاء. و أماالتفسیر الثانی و هو أن المراد بنص الحقاق منتهی الأمر ألذی تجب به الحقوق فإن أهل اللغة لم ینقلوا عن العرب أنها استعملت الحقاق فی الحقوق و لایعرف هذا فی کلامهم .فأما قوله و من رواه نص الحقائق فإنما أراد جمع حقیقة فلقائل أن یقول و مامعنی الحقائق إذاکانت جمع حقیقة هاهنا و مامعنی إضافة نص إلی الحقائق جمع حقیقة فإن أباعبیدة لم یفسر ذلک مع شدة الحاجة إلی تفسیره . و أماتفسیر الرضی رحمه الله فهو أشبه من تفسیر أبی عبیدة إلا أنه قال فی آخره [صفحه ۱۱۰] والحقائق أیضا جمع حقة فالروایتان ترجعان إلی معنی واحد و لیس الأمر علی ماذکر من أن الحقائق جمع حقة ولکن الحقائق جمع حقاق والحقاق جمع حق و هو ما کان من الإبل ابن ثلاث سنین و قددخل فی الرابعة فاستحق أن یحمل علیه وینتفع به فالحقائق إذن جمع الجمع لحق لالحقة ومثل إفال وأفائل قال ویمکن أن یقال الحقاق هاهنا الخصومة یقال ما له فیه حق و لاحقاق أی و لاخصومة ویقال لمن ینازع فی صغار الأشیاء إنه لبرق الحقاق أی خصومته فی الدنیء من الأمر فیکون المعنی إذابلغت المرأة الحد ألذی یستطیع الإنسان فیه الخصومة والجدال فعصبتها أولی بها من أمها والحد ألذی تکمل فیه المرأة والغلام للخصومة والحکومة والجدال والمناظرة هوسن البلوغ [صفحه ۱۱۱]

۲۶۲

و منه إِنّ الإِيمَانَ يَبدُو لُمظَةً فِي القَلبِ كُلّمَا ازدَادَ الإِيمَانُ ازدَادَتِ اللّمظَةُ قال اللمظة مثل النكتة أونحوها من البياض و منه قیل فرس ألمظ إذا کان بجحفلته شیء من البیاض -روایت-۱-۹۷ قال أبوعبیدة هی لمظة بضم اللام والمحدثون یقولون لمظة بالفتح والمعروف من کلام العرب الضم مثل الدهمة والشهبة والحمرة قال و قدرواه بعضهم لمطة بالطاء المهملة و هذا لانعرفه . قال و فی هذاالحدیث حجة علی من أنکر أن یکون الإیمان یزید وینقص أ لاتراه یقول کلما ازداد الإیمان ازدادت اللمظة [صفحه ۱۱۲]

۲۶۳

و منه إِنّ الرّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدّينُ الظّنُونُ يَجِبُ عَلَيهِ أَن يُزَكّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ قال الظنون ألذی لایعلم صاحبه أیقضیه من ألذی هو علیه أم لافکأنه ألذی یظن به ذلک فمرة یرجوه ومرة لایرجوه و هو من أفصح الکلام وکذلک کل أمر تطلبه و لاتدری علی أی شیء أنت منه فهو ظنون و علی ذلک قول الأعشی -روایت-۱-۲۲۷ من یجعل الجد الظنون ألذی || جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتی إذا ماطما || یقذف بالبوصی والماهر والجد البئر العادیة فی الصحراء والظنون التی لایعلم هل فیهاماء أم لا -روایت-۱-۷۵ قال أبوعبیدة فی هذاالحدیث من الفقه أن من کان له دین علی الناس فلیس علیه أن یزکیه حتی یقبضه فإذاقبضه زکاه لمامضی و إن کان لایرجوه قال و هذایرده قول من قال إنما زکاته علی ألذی علیه المال لأنه المنتفع به قال [صفحه ۱۱۳] و کمایروی عن ابراهیم والعمل عندنا علی قول علی ع فأما ماذکره الرضی من أن الجد هی البئر العادیة فی

الصحراء فالمعروف عند أهل اللغة أن الجد البئر التى تكون فى موضع كثير الكلإ و لاتسمى البئر العادية فى الصحراء الموات جدا وشعر الأعشى لايدل على مافسره الرضى لأنه إنما شبه علقمة بالبئر والكلإ يظن أن فيهاماء لمكان الكلإ و لا يكون موضع الظن هذا هومراده ومقصوده ولهذا قال الظنون و لوكانت عادية فى بيداء مقفرة لم تكن ظنونا بل كان يعلم أنه لاماء فيهافسقط عنها اسم الظنون [صفحه ۱۱۴]

۲۶۴

و منه أَنّهُ شَيّعَ جَيشاً يُغزِيهِ فَقَالَ اعزُبُوا عَنِ النّسَاءِ مَا استَطَعتُم ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لأن ذلك يفت فى عضد الحمية ويقدح فى معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الإبعاد فى الغزو فكل من امتنع من شىءفقد أعزب عنه والعازب والعزوب الممتنع من الأكل والشرب -روايت-۱-۲۵۲ التفسير صحيح لكن قوله من امتنع من شىءفقد أعزب عنه ليس بجيد والصحيح فقد عزب عنه ثلاثى والصواب و كل من منعته من شىءفقد أعزبته عنه تعديه بالهمزة كماتقول أقمته وأقعدته والفعل ثلاثى قام وقعد والدليل على أن الماضى ثلاثى هاهنا قوله والعازب والعزوب الممتنع من الأكل والشرب و لو كان رباعيا لكان المعزب و هوواضح و على هذاتكون الهمزة فى أول الحرف همزة وصل مكسورة كما فى اضربوا لأن المضارع يعزب بالكسر [صفحه ۱۱۵]

۲۶۵

و منه كَاليَاسِرِ الفَالِجِ يَنتَظِرُ أَوّلَ فَوزَةٍ مِن قِدَاحِهِ قال الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالج القاهر الغالب يقال قدفلج عليهم وفلجهم قال الراجز -روايت-۱-۱۲۰ لمارأيت فالجا قدفلجا أول الكلام أن المرء المسلم ما لم يغش دناءة يخشع لها إذاذكرت ويغرى به لئام الناس كالياسر الفالج ينتظر أول فوزة من قداحه أوداعى الله فما عند الله خير للأبرار يقول هو بين خيرتين إما أن يصير إلى مايحب من الدنيا فهو بمنزلة صاحب القدح المعلى و هوأوفرها نصيبا أويموت فما عند الله خير له وأبقى و ليس يعنى بقوله الفالج القاهر الغالب كمافسره الرضى رحمه الله لأن الياسر الغالب القاهر لاينتظر أول فوزة من قداحه وكيف ينتظر و قدغلب و أى حاجة له إلى الانتظار ولكنه يعنى بالفالج الميمون النقيبة ألذى له عادة مطردة أن يغلب وقل أن يكون مقهورا [صفحه ۱۱۶]

۲۶۶

اشاره

و منه كُنّا إِذَا احمَرّ البَأسُ اتّقَينَا بِرَسُولِ اللّهِ فَلَم يَكُن أَحَدٌ مِنّا أَقرَبَ إِلَى العَدُوّ مِنهُ قال معنى ذلك أنه إذاعظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب فزع المسلمون إلى قتال رسول الله ص بنفسه فينزل الله تعالى النصر عليهم به ويأمنون ماكانوا يخافونه بمكانه . و قوله إذااحمر البأس كناية عن اشتداد الأمر و قدقيل فى ذلك أقوال أحسنها أنه شبه حمى الحرب بالنار التى تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوى ذلك قول الرسول ص و قدرأى مجتلد الناس يوم حنين وهى حرب هوازن الآن حمى

الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه رسول الله ص ماااستحر من جلاد القوم باحتدام النار وشدة التهابها -روايت-۱-۵۲۲ الجيد فى تفسير هذااللفظ أن يقال البأس الحرب نفسها قال الله تعالى وَ الصّابِرِينَ فِي البَأساءِ وَ الضَّرّاءِ وَ حِينَ البَأسِ و فى الكلام حذف مضاف تقديره -قرآن-۷۱-۱۲۹ [صفحه ۱۱۷] إذااحمر موضع البأس و هو الأرض التى عليها معركة القوم واحمرارها لمايسيل عليها من الدم

نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لأبى عبيد

و لما كان تفسير الرضى رحمه الله قدتعرض للغريب من كلامه ع ورأينا أنه لم يذكر من ذلك إلااليسير آثرنا أن نذكر جملة من غريب كلامه ع مما نقله أرباب الكتب المصنفة فى غريب الحديث عنه ع .فمن ذلك ماذكره أبوعبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتابه لأن أطلى بجواء قدر أحب إلى من أن أطلى بزعفران -روايت-۱-۲-روايت-۵۸-۱۱۱ . قال أبوعبيد هكذا الرواية عنه بجواء قدر قال وسمعت الأصمعى يقول إنما هى الجئاوة وهى الوعاء ألذى يجعل القدر فيه وجمعها جياء. قال و قال أبوعمرو يقال لذلك الوعاء جواء وجياء قال ويقال للخرقة التى ينزل بهاالوعاء عن الأثافى جعال . و منها قوله ع حين أقبل يريد العراق فأشار إليه الحسن بن على ع أن يرجع و الله لاأكون مثل الضبع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاد -روايت-۱-۲-روايت-۷-۱۳۷ . قال أبوعبيد قال الأصمعى اللدم صوت الحجر أوالشيء يقع على الأرض و ليس بالصوت الشديد يقال منه لدم ألدم بالكسر وإنما قيل ذلك للضبع لأنهم إذاأرادوا أن يصيدوها رموا فى جحرها بحجر خفيف أوضربوا بأيديهم فتحسبه [صفحه ۱۱۸] شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد وهى زعموا أنها من أحمق الدواب بلغ من حمقها أن يدخل عليها فيقال أم عامر نائمة أوليست هذه والضبع هذه أم عامر فتسكت حتى تؤخذ فأراد على ع أنى لاأخدع كماتخدع الضبع باللدم . ومنها قوله ع من وجد فى بطنه رزا فلينصرف وليتوضأ -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۵۰ . قال أبوعبيد قال أبوعمرو إنما هوأرزا مثل أرز الحية و هودورانها وحركتها فشبه دوران الريح فى بطنه بذلك . قال و قال الأصمعى هوالرز يعنى الصوت فى البطن من القرقرة ونحوها قال الراجز كان فى ربابه الكبار || رز عشار جلن فى عشار و قال أبوعبيد فقه هذاالحديث أن ينصرف فيتوضأ ويبنى على صلاته ما لم يتكلم و هذاإنما هوقبل أن يحدث . قلت و ألذى أعرفه من الأرز أنه الانقباض لاالدوران والحركة يقال أرز فلان بالفتح وبالكسر إذ تضام وتقبض من بخله فهو أروز والمصدر أرزا وأروزا قال رؤبة فذاك يخال أروز الأرز فأضاف الاسم إلى المصدر كمايقال عمر العدل وعمرو الدهاء لما كان العدل والدهاء أغلب أحوالهما و قال أبوالأسود الدؤلى يذم إنسانا إذاسئل أرز و إذادعى اهتز يعنى إلى الطعام و فى الحديث أن الإسلام ليأرز إلى المدينة كماتأرز الحية إلى جحرها -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۶۹ أى يجتمع إليها وينضم بعضه إلى بعض فيها. [صفحه ۱۱۹] ومنها قوله لئن وليت بنى أمية لأنفضنهم نفض القصاب التراب الوذمة -روايت-۱-۲-روايت-۹-۶۸ و قدتقدم منا شرح ذلك والكلام فيه . ومنها قوله فى ذى الثدية المقتول بالنهروان إنه مودن اليد أومثدن اليد أومخدع اليد -روايت-۱-۲-روايت-۴۳-۸۵ قال أبوعبيدة قال الكسائى وغيره المودن اليد القصير اليد ويقال أودنت الشيء أى قصرته و فيه لغة أخرى ودنته فهو مودون قال حسان يذم رجلا.وأملك سوداء مودونة || كأن أناملها الحنظب و أمامثدن اليد بالثاء فإن بعض الناس قال نراه أخذه من الثندوة وهى أصل الثدى فشبه يده فى قصرها واجتماعها بذلك فإن كان من هذافالقياس أن يقال مثند لأن النون قبل الدال فى الثندوة إلا أن يكون من المقلوب فذاك كثير فى كلامهم . و أمامخدع اليد فإنه القصير اليد أيضا أخذ من أخداج الناقة ولدها و هو أن تضعه لغير تمام فى خلقه قال و قال الفراء إنما قيل ذو الثدية فأدخلت الهاء فيها وإنما هى تصغير ثدى والثدى مذكر لأنها كأنها بقية ثدى قدذهب أكثره فقللها كماتقول لحيمة وشحيمة فأنث

على هـذاالتأويل قال وبعضـهم يقول ذو اليديـة قال أبوعبيـد و لاأرى الأصل كان إلا هـذا ولكن الأحاديث كلها تتابعت بالثاء ذو الثديـة. ومنهـا قوله ع لقوم و هويعـاتبهم مـالكم لاتنظفون عـذراتكم -روايت-١-٢-روايت-١٢-٥٧ قال العـذرة فناء الـدار وإنما سميت تلك الحاجة عذرة لأنها بالأفنية كانت تلقى [صفحه ١٢٠] فكنى عنها بالعذرة كماكنى عنها بالغائط وإنما الغائط الأرض المطمئنة و قال الحطيئة يهجو قوما لعمرى لقد جربتكم فوجدتكم || قباح الوجوه سيئ العذرات قوله ع لاجمعة و لاتشـريق إلا فى مصـر جامع -روايت-١-٢-روايت-١٢-٤٨ قال أبوعبيـد التشـريق هاهنا صـلاة العيد وسـميت تشـريقا لإضاءة وقتها فإن وقتها إشـراق الشـمس وصـفاؤها وإضاءتها و فى الحديث المرفوع من ذبح قبل التشـريق فليعد -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٥٢ أى قبل صلاة العيد. قال و كان أبوحنيفة يقول التشـريق هاهنا هوالتكبير فى دبر الصلاة يقول لاتكبير إلا على أهل الأمصار تلك الأيام لا على المسافرين أو من هو فى غيرمصـر. قال أبوعبيـد و هـذاكلام لم نجدا أحدا يعرفه إن التكبير يقال له التشـريق و ليس يأخذ به أحد من أصـحابه لا أبويوسف و لا محمدكلهم يرى التكبير على المسـلمين جميعا حيث كانوا فى السـفر والحضـر و فى الأمصار وغيرها. ومنها قوله ع اسـتكثروا من الطواف بهـذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأنى برجل من الحبشة أصـعل أصـمع حمش الساقين قاعـدا عليها وهى تقدم -روايت-١-٢-روايت-١٢-١٤٤ قال أبوعبيدة هكذا يروى أصـعل وكلام العرب المعروف صعل و هوالصـغير الرأس وكـذا رءوس الحبشـة ولهـذا قيـل للظليم صـعل و قال عنترة يصف ظليما صـعل يلوذ بـذى العشـيرة بيضه || كالعبـد ذى الفرو الطويـل الأصـلم [صـفحه ١٢١] قـال و قـدأجاز بعضـهم أصـعل فى الصـعل وذكـر أنهـا لغـة لاأدرى عمن هى والأصـمع الصـغير الأـذن وامرأة صـمعاء. و فى حـديث ابن عبـاس أنه كـان لاـيرى بأسـا أن يضـحى بالصـمعاء وحمش السـاقين بالتسـكين دقيقهـا. ومنهـا أن قومـا أتـوه برجـل فقـالوا إن هـذايؤمنا ونحن له كـارهون فقـال له إنـك لخروط أتؤم قومـا هم لك كارهون -روايت-١-١٠٥ قـال أبوعبيـد الخروط المتهور فى الأـمور الراكب برأسه جهلاـ و منه قيل انخرط علينا فلان أى انـدرأ بـالقول السـيئ والفعـل قـال وفقه هذاالحـديث أنه ماأفتى ع بفساد صـلاته لأنه لم يأمره بالإعادة ولكنه كره له أن يؤم قوما هم له كارهون ومنها أن رجلا أتاه و عليه ثوب من قهز فقال إن بنى فلان ضربوا بنى فلانة بالكناسة فقال ع صدقنى سن بكره -روايت-١-١٠٦ قال أبوعبيـد هـذامثل تضـربه العرب للرجل يأتى بالخبر على وجهه ويصدق فيه ويقال إن أصـله أن الرجل ربما باع بعيره فيسـأل المشترى عن سـنه فيكـذبه فعرض رجـل بكرا له فصـدق فى سـنه فقال الآخر صـدقنى سن بكره فصار مثلا. والقهز بكسـر القاف ثياب بيض يخالطها حرير و لاأراها عربيـة و قداسـتعملها العرب قال ذو الرمة يصف البزاة البيض [صـفحه ١٢٢] من الورق أوصق كأن رءوسـها || من القهز والقوهى بيض المقانع ذكر ع آخر الزمان والفتن فقال خير أهل ذلك الزمان كل نومـة أولئك مصابيـح الهدى ليسوا بالمسابيح و لاالمذاييع البذر -روايت-١-١٢٠ و قدتقدم شـرح ذلك . ومنها أن رجلا سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا فاتهم أهله أصـحابه ورفعوهم إلى شـريح فسألهم البينـة على قتله فارتفعوا إلى على ع فأخبروه بقول شـريح فقال -روايت-١-١٦٣ أوردها سـعد وسعد مشتمل || ياسعد لاتروى بهذاك الإبل ثم قال إن أهون السقى التشريع ثم فرق بينهم وسـألهم فـاختلفوا ثم أقروا بقتلهم فقتلهم به -روايت-١-٩٧ قال أبوعبيـد هـذامثل أصـله أن رجلا أورد إبله ماء لاتصل إليه الإبل إلابالاسـتقاء ثم اشـتمل ونـام وتركهـا لم يسـتسق لهـا والكلمـة الثانيـة مثـل أيضا يقول إن أيسـر ما كان ينبغى أن يفعل بالإبل أن يمكنها من الشـريعة ويعرض عليها الماء يقول أقل ما كان يجب على شـريح أن يستقصـى فى المسألـة والبحث عن خبر الرجل و لايقتصـر على طلب البينة. [صـفحه ١٢٣] ومنهـا قوله و قـدخرج على النـاس وهم ينتظرونه للصـلاة قياما ما لى أراكم سامـدين -روايت-١-٢-روايت-٩-٨٠ قـال أبوعبيـد أى قـائمين و كـل رافع رأسه فهو سامـد وكـانوا يكرهون أن ينتظروا الإمام قياما ولكن قعودا والسامد فى غير هذاالموضع اللاهى اللاعب و منه قوله تعالى وَ أَنتُم سامِدُونَ وقيل السـمود الغناء بلغة حمير. ومنها -قرآن-١٦٦-١٨٤ أنه خرج فرأى قوما يصلون قدسـدلوا ثيابهم فقال كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم -روايت-١-٨٠ قال أبوعبيد فهرهم

بضم الفاء موضع مدراسهم ألـذی یجتمعون فیه کالعیـد یصلون فیه ویسدلون ثیابهم وهی کلمهٔ نبطیهٔ أوعبرانیهٔ أصـلها بهر بالباء فعربت بالفاء. والسـدل إسبال الرجل ثوبه من غیر أن یضم جانبیه بین یـدیه فإن ضـمه فلیس بسـدل و قـدرویت فیه الکراهـهٔ عن النبی ص . ومنهـا أن رجلا أتاه فی فریضـهٔ وعنـده شـریح فقال أتقول أنت فیهاأیها العبـد الأبظر -روایت-۱-۷۸ قال أبوعبیـد هو ألـذی فی شـفته العلیـا طول ونتوء فی وسـطها محاذی الأنف قال وإنما نراه قال لشـریح أیها العبـد لأنه کان قـدوقع علیه سبی فی الجاهلیهٔ. [صـفحه ۱۲۴] ومنهـا أن الأشـعث قـال له و هو علی المنبر غلبتنـا علیـک هـذه الحمراء فقـال ع من یعـذرنی من هؤلاء الضـیاطرهٔ یتخلف أحـدهم یتقلب علی فراشه وحشایـاه کالعیر ویهجر هؤلاء للـذکر أأطردهم إنی إن طردتهم لمن الظالمین و الله لقـد سـمعته یقـول و الله لیضـربنکم علی الـدین عـودا کماضـربتموهم علیـه بـدءا -روایت-۱-۲۸۷ قـال أبوعبیـد الحمراء العجم والموالی سـموا بذلک لأن الغالب علی ألوان العرب السمرهٔ والغالب علی ألوان العجم البیاض والحمرهٔ والضیاطرهٔ الضخام الذین لانفع عنـدهم و لاغناء واحـدهم ضیطار. ومنها قوله ع اقتلوا الجان ذا الطفیتین والکلب الأسود ذا الغرتین -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۶۶ قال أبوعبید الجان حیهٔ بیضاء والطفیهٔ فی الأصل خوصهٔ المقل وجمعها طفی ثم شـبهت الخطتان علی ظهر الحیهٔ بطفیتین والغرهٔ البیاض فی الوجه

نبذ من غریب کلام الإمام علی وشرحه لابن قتیبهٔ

و قـدذکر ابن قتیبـهٔ فی غریب الحدیث له ع کلمات أخری فمنها قوله من أراد البقاء و لابقاء فلیباکر الغداء ولیخفف الرداء ولیقل غشیان النساء فقیل له یا أمیر المؤمنین و ماخفهٔ الرداء فی البقاء فقال الدین -روایت-۱-۲-روایت-۹-۱۵۰ [صفحه ۱۲۵] قال ابن قتیبـهٔ قوله الرداء الـدین مـذهب فی اللغـهٔ حسن جیـد ووجه صـحیح لأن الـدین أمانهٔ و أنت تقول هو لک علی و فی عنقی حتی أؤدیه إلیـک فکـأن الـدین لازم للعنق والرداء موضـعه صـفحتا العنق فسـمی الـدین رداء وکنی عنه به و قال الشاعر إن لی حاجهٔ إلیک فقالت || بین أذنی وعاتقی ماتریـد یریـد بقوله بین أذنی وعاتقی ماتریـد فی عنقی والمعنی أنی قدضـمنته فهو علی وإنما قیـل للسـیف رداء لأـن حمـالته تقع موقع الرداء و هو فی غیر هـذاالموضع العطاء یقـال فلاـن غمر الرداء أی واسع العطـاء قـال و قـدیجوز أن یکون کنی بـالرداء عن الظهر لأـنه یقع علیه یقول فلیخفف ظهره و لایثقله بالـدین کما قال الآخر خماص الأزر یرید خمـاص البطون . و قـال وبلغنی نحو هـذاالکلام عن أبی عبیـد قال قال فقیه العرب من سـره النساء و لانساء فلیبکر العشاء ولیباکر الغـداء ولیخفف الرداء ولیقـل غشـیان النسـاء قـال فـالنس ء التـأخیر و منه إِنَّمَـا النَّسِـی‌ءُ زِیادَهٌٔ فِی الکُفرِ. و قوله فلیبکر العشاء أی فلیؤخره قال الشاعر -قرآن-۵۲۹-۵۶۷ فأکریت العشاء إلی سـهیل ویجوز أن یریـد فلینقص العشاء قال الشاعر والطل لم یفضل و لم یکر . [صفحه ۱۲۶] أنه أتی ع بالمال فکوم کومـهٔ من ذهب وکومهٔ من فضهٔ فقال یاحمراء و یابیضاء احمری وابیضـی وغری غیری -روایت-۱-۱۰۴ هـذاجنای وخیاره فیه || و کـل جان یـده إلی فیه قال ابن قتیبـهٔ هـذامثل ضـربه و کان الأصـمعی یقوله وهجانه فیه أی خالصه وأصل المثل لعمرو بن عدی ابن أخت جذیمهٔ الأبرش کان یجنی الکمأهٔ مع أتراب له فکان أترابه یأکلون مایجـدون و کـان عمرو یـأتی به خـاله و یقول هـذاالقول . ومنها حـدیث أبی جأب قال جاء عمی من البصـرهٔ یـذهب بی وکنت عنـدأمی فقالت لاأترکک تـذهب به ثم أتت علیا ع فذکرت ذلک له فجاء عمی من البصـرهٔ فقال نعم و الله لأذهبن به و إن رغم أنفـک فقال علی ع کـذبت و الله وولقت ثم ضـرب بین یـدیه بالـدرهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۲-۲۴۵ . قـال ولقت مثل کـذبت وکـذلک ولعت بـالعین وکـانت عائشـهٔ تقرأإِذ تَلَقَّونَهُ بِأَلسِـنَتِکُم و قال الشاعر -قرآن-۶۲-۹۱ وهن من الأحلاـف والولعـان یعنی النسـاء أی من أهل الأحلاف . ومنها قوله ع إن من ورائکم أمورا متماحلـهٔ ردحا وبلاء مکلحا مبلحا -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-

۶۵ [صفحه ۱۲۷] قال ابن قتيبة المتماحلة الطوال يعنى فتنا يطول أمرها ويعظم ويقال رجل متماحل وسبسب متماحل والردح جمع رداح وهى العظيمة يقال للكتيبة إذاعظمت رداح ويقال للمرأة العظيمة العجيزة رداح . قال و منه حديث أبى موسى وقيل له زمن على ومعاوية أهى أهى فقال إنما هذه الفتنة حيضة من حيضات الفتن وبقيت الرداح المظلمة التى من أشرف أشرفت له . ومكلحا أى يكلح الناس بشدتها يقال كلح الرجل وأكلحه الكلحة الهم والمبلح من قولهم بلح الرجل إذاانقطع من الإعياء فلم يقدر على أن يتحرك وأبلحه السير و قال الأعشى واشتكى الأوصال منه وبلح قوله ع يوم خيبر -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۲۲ أنا ألذى سمتن أمى حيدرة || كليث غابات كريه المنظرة أفيهم بالصاع كيل السندرة قال ابن قتيبة كانت أم على ع سمته و أبوطالب غائب حين ولدته أسدا باسم أبيها أسد بن هاشم بن عبدمناف فلما قدم أبوطالب غيراسمه وسماه عليا وحيدرة اسم من أسماء الأسد والسندرة شجرة يعمل منها القسى والنبل قال حنوت لهم بالسندرى المؤثر فالسندرة فى الرجز يحتمل أن تكون مكيالا يتخذ من هذه الشجرة سمى باسمها كمايسمى القوس بنبعة قال وأحسب إن كان الأمر كذلك أن الكيل بها قد كان [صفحه ۱۲۸] جزافا فيه إفراط قال ويحتمل أن تكون السندرة هاهنا امرأة كانت تكيل كيلا وافيا أورجلا. ومنها قوله ع من يطل أير أبيه يتمنطق به -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۲ قال ابن قتيبة هذامثل ضربه يريد من كثرت إخوته عز واشتد ظهره وضرب المنطقة إذاكانت تشد الظهر مثلا۔ لذلك قال الشاعر فلو شاء ربى كان أير أبيكم || طويلا كأير الحارث بن سدوس قيل كان للحارث بن سدوس أحد وعشرون ذكرا و كان ضرار بن عمرو الضبى يقول ألا إن شر حائل أم فزوجوا الأمهات و ذلك أنه صرع فأخذته الرماح فاشتبك عليه إخوته لأمه حتى خلصوه . قال فأما المثل الآخر و هوقولهم من يطل ذيله يتمنطق به فليس من المثل الأول فى شىء وإنما معناه من وجد سعة وضعها فى غيرموضعها وأنفق فى غير مايلزمه الإنفاق فيه . ومنها قوله خير بئر فى الأرض زمزم وشر بئر فى الأرض برهوت -روايت-۱-۲-روايت-۹-۵۸ . قال ابن قتيبة هى بئر بحضرموت يروى أن فيهاأرواح الكفار. قال و قدذكر أبوحاتم عن الأصمعى عن رجل من أهل حضرموت قال نجد فيهاالرائحة المنتنة الفظيعة جدا ثم نمكث حينا فيأتينا الخبر بأن عظيما من عظماء الكفار قدمات فنرى أن تلك الرائحة منه قال وربما سمع منها مثل أصوت الحاج فلايستطيع أحد أن يمشى بها [صفحه ۱۲۹] ومنها قوله ع أيما رجل تزوج امرأة مجنونة أوجذماء أوبرصاء أو بهاقرن فهى امرأته إن شاء أمسك و إن شاء طلق -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۰۷ قال ابن قتيبة القرن بالتسكين العفلة الصغيرة و منه حديث شريح أنه اختصم إليه فى قرن بجارية فقال أقعدوها فإن أصاب الأرض فهو عيب و إن لم يصب الأرض فليس بعيب . ومنها قوله ع لود معاوية أنه مابقى من بنى هاشم نافخ ضرمة إلاطعن فى نيطه -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۷۷ قال ابن قتيبة الضرمة النار و مابالدار نافخ ضرمة أى ما بهاأحد. قال و قال أبوحاتم عن أبى زيد طعن فلان فى نيطه أى فى جنازته و من ابتدأ فى شىء أودخل فيه فقد طعن فيه قال ويقال النيط الموت رماه الله بالنيط قال و قدروى إلاطعن بضم الطاء و هذاالراوى يذهب إلى أن النيط نياط القلب وهى علاقته التى يتعلق بها فإذاطعن إنسان فى ذلك المكان مات . ومنها قوله ع إن الله أوحى إلى ابراهيم ع أن ابن لى بيتا فى الأرض فضاق بذلك ذرعا فأرسل الله إليه السكينة وهى ريح خجوج فتطوقت حول البيت كالحجفة -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۱۵۹ و قال ابن قتيبة الخجوج من الرياح السريعة المرور ويقال أيضا خجوجاء قال ابن أحمر [صفحه ۱۳۰] هوجاء رعبلة الرواح خجوجاة || الغدو رواحها شهر . قال و هذامثل حديث على ع الآخر و هو أنه قال السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهى بعدريح هفافة -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۶۴ أى خفيفة سريعة والحجفة الترس . ومنها أن مكاتبا لبعض بنى أسد قال جئت بنقد أجلبه إلى الكوفة فانتهيت به إلى الجسر فإنى لأسربه عليه إذاأقبل مولى لبكر بن وائل يتخلل الغنم ليقطعها فنفرت نقدة فقطرت الرجل فى الفرات فغرق فأخذت فارتفعنا إلى على ع فقصصنا عليه القصة فقال انطلقوا فإن عرفتم النقدة بعينها فادفعوها إليهم و إن اختلطت عليكم فادفعوا شرواها من الغنم إليهم -روايت-۱-۳۴۸ قال ابن قتيبة النقد غنم صغار الواحدة نقدة و منه قولهم فى

المثل أذل من النقد. و قوله أسربه أى أرسله قطعة قطعة وشرواها مثلها. ومنها قوله ع فى ذكر المهدى من ولد الحسين ع قال إنه رجل أجلى الجبين أقنى الأنف ضخم البطن أربل الفخذين أفلج الثنايا بفخذه اليمنى شامة -روايت-۱-۲-روايت-۵۰-۱۴۷ . قال ابن قتيبة الأجلى والأجلح شىءواحد والقنا فى الأنف طوله ودقة أرنبته [صفحه ۱۳۱] وحدب فى وسطه والأربل الفخذين المتباعد مابينهما و هوكالأفحج تربل الشىء أى انفرج والفلج صفرة فى الأسنان . ومنها قوله ع إن بنى أمية لايزالون يطعنون فى مسجل ضلالة ولهم فى الأرض أجل حتى يهريقوا الدم الحرام فى الشهر الحرام و الله لكأنى أنظر إلى غرنوق من قريش يتخبط فى دمه فإذافعلوا ذلك لم يبق لهم فى الأرض عاذر و لم يبق لهم ملك على وجه الأرض -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۲۵۵ قال ابن قتيبة هو من قولك ركب فلان مسجله إذاجد فى أمر هو فيه كلاما كان أوغيره و هو من السجل و هوالصب والغرنوق الشاب . قلت والغرنوق القرشى ألذى قتلوه ثم انقضى أمرهم عقيب قتله ابراهيم الإمام و قداختلفت الرواية فى كيفية قتله فقيل قتل بالسيف وقيل خنق فى جراب فيه نورة وحديث أمير المؤمنين ع يسند الرواية الأولى . ومنها ماروى أنه اشترى قميصا بثلاثة دراهم ثم قال الحمد لله ألذى هذا من رياشه -روايت-۱-۲-روايت-۱۰-۸۱ قال ابن قتيبة الريش والرياش واحد و هوالكسوة قال عز و جل قَد أَنزَلنا عَلَيكُم لِباساً يُوارِي سَوآتِكُم وَ رِيشاً وقرئ ورياشا. ومنها -قرآن-۶۲-۱۱۹ قوله ع لاقود إلابالأسل -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۰ قال ابن قتيبة هو ماأرهف وأرق من الحديد كالسنان والسيف والسكين و منه قيل أسلة الذراع لمااستدق منه قال وأكثر الناس على هذاالمذهب [صفحه ۱۳۲] وقوم من الناس يقولون قديجوز أن القود بغير الحديد كالحجر والعصا إن كان المقتول قتل بغير ذلك . ومنها أنه ع رأى رجلا فى الشمس فقال قم عنها فإنها مبخرة مجفرة وتثقل الريح وتبلى الثوب وتظهر الداء الدفين -روايت-۱-۱۰۹ قال ابن قتيبة مبخرة تورث البخر فى الفم ومجفرة تقطع عن النكاح وتذهب شهوة الجماع يقال جفر الفحل عن الإبل إذاأكثر الضراب حتى يمل وينقطع ومثله قذر وتقذر قذورا ومثله أقطع فهو مقطع . وجاء فى الحديث أن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله إنى رجل تشق على العزبة فى المغازى أفتأذن لى فى الخصاء قال لا ولكن عليك بالصوم فإنه مجفر -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۱۵۲ قال و قدروى عبدالرحمن عن الأصمعى عمه قال تكلم أعرابى فقال لاتنكحن واحدة فتحيض إذاحاضت وتمرض إذامرضت و لاتنكحن اثنتين فتكون بين ضرتين و لاتنكحن ثلاثا فتكون بين أثاف و لاتنكحن أربعا فيفلسنك ويهرمنك وينحلنك ويجفرنك فقيل له لقد حرمت ماأحل الله فقال سبحان الله كوزان وقرصان وطمران وعبادة الرحمن و قوله تثقل الريح أى تنتنها والاسم الثفل و منه الحديث وليخرجن ثفلات والداء الدفين المستتر ألذى قدقهرته الطبيعة فالشمس تعينه على الطبيعة وتظهره . ومنها قوله ع و هويذكر مسجد الكوفة فى زاويته فار التنور و فيه هلك يغوث ويعوق و هوالفاروق و منه يستتر جبل الأهواز ووسطه على روضة من -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-ادامه دارد [صفحه ۱۳۳] رياض الجنة و فيه ثلاث أعين أنبتت بالضغث تذهب الرجس وتطهر المؤمنين عين من لبن وعين من دهن وعين من ماء جانبه الأيمن ذكر و فى جانبه الأيسر مكر و لويعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه و لوحبوا -روايت-از قبل-۲۰۸ . قال ابن قتيبة قوله أنبتت بالضغث أحسبه الضغث ألذى ضرب أيوب أهله والعين التى ظهرت لماركض الماء برجله قال والباء فى بالضغث زائدة تقديره أنبتت الضغث كقوله تعالى تَنبُتُ بِالدّهنِ وكقوله يَشرَبُ بِها عِبادُ اللّهِ. و أما قوله فى جانبه الأيمن ذكر فإنه يعنى الصلاة و فى جانبه الأيسر مكر أراد به المكر به حتى قتل ع فى مسجد الكوفة. ومنها -قرآن-۱۷۹-۱۹۵-قرآن-۲۰۴-۲۲۹ أن رسول الله ص بعث أبارافع مولاه يتلقى جعفر بن أبى طالب لماقدم من الحبشة فأعطاه على ع حتيا وعكة سمن و قال له أناأعلم بجعفر أنه إن علم ثراه مرة واحدة ثم أطعمه فادفع هذاالسمن إلى أسماء بنت عميس تدهن به بنى أخى من صمر البحر وتطعمهم من الحتى -روايت-۱-۲۶۹ . قال ابن قتيبة الحتى سويق يتخذ من المقل قال الهذلى يذكر أضيافه لادر درى أن أطعمت نازلكم || قرف الحتى وعندى البر مكنوز [صفحه ۱۳۴] و قوله ثراه مرة أى بلة دفعة واحدة وأطعمه الناس والثرى الندا وصمر البحر نتنه وغمقه و

منه قيل للـدبر الصـمارى . ومنها قوله ع يوم الشورى لماتكلم الحمـد لله ألـذى اتخذ محمدا منا نبيا وابتعثه إلينا رسولاً فنحن أهل بيت النبوة ومعـدن الحكمـة أمـان لأهـل الأرض ونجاة لمن طلب إن لنا حقا إن نعطه نأخـذه و إن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السـرى لوعهـد إلينا رسول الله ص عهدا لجالدنا عليه حتى نموت أو قال لنا قولا لأنفذنا قوله على رغمنا لن يسـرع أحد قبلى إلى صلة رحم ودعوة حق والأمر إليك يا ابن عوف على صدق النية وجهد النصح وأستغفر الله لى ولكم -روايت-١-٢-روايت-٣٣-٤٥٠ قال ابن قتيبة أى أن معناه ركبنا مركب الضيم والذل لأن راكب عجز البعير يجد مشقة لاسيما إذاتطاول به الركوب على تلـك الحال ويجوز أن يكون أراد نصبر على أن نكون أتباعا لغيرنا لأن راكب عجز البعير يكون ردفا لغيره . ومنها قوله ع لماقتل ابن آدم أخاه غمص الله الخلق ونقص الأشـياء -روايت-١-٢-روايت-١٢-٦٧ قال ابن قتيبة يقال غمصت فلانا أغمصه واغتمصته إذااستصـغرته واحتقرته قـال ومعنى الحـديث أن الله تعـالى نقص الخلق من عظم الأبـدان وطولهـا من القوة والبطش وطول العمر ونحو ذلـك ومنهـا أن سـلامة الكنـدى قال كان على ع يعلمنا الصـلاة على -روايت-١-٢-روايت-٨-ادامه دارد [صـفحه ١٣٥] رسول الله ص فيقول أللهم داحى المـدحوات وبـارئ المسـموكات وجبـار القلوب على فطراتهـا شـقيها وسـعيدها اجعل شـرائف صلواتـك ونوامى بركاتك ورأفـة تحياتك على محمدعبـدك ورسولك الفاتـح لماأغلق والخاتم لماسـبق والمعلن الحق بالحق والـدامغ جيشـات الأباطيل كماحملته فاضـطلع بأمرك لطاعتك مسـتوفزا فى مرضاتك لغير نكل فى قـدم و لاوهن فى عزم داعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعدخوضات الفتن والإثم موضـحات الأعلام ونائرات الأحكام ومنيرات الإسـلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشـهيدك يوم الـدين وبعيثـك نعمـة ورسولـك بـالحق رحمـة أللهم افسـح له مفسـحا فى عـدلك واجزه مضاعفـات الخير من فضـلك مهنآت غيرمكـدرات من فوز ثوابك المحلول وجزل عطائك المعلول أللهم أعل على بناء البانين بناءه وأكرم مثواه لـديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشـهادة مرضى المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم -روايت-از قبل-٩٢٧ . قال ابن قتيبـة داحى المدحوات أى باسط الأرضـين و كان الله تعالى خلقها ربوة ثم بسـطها قال سـبحانه وَ الأَرضَ بَعدَ ذٰلِكَ دَحاها و كـل شىءبسـطته فقـد دحـوته و منـه قيـل لموضـع بيض النعامـة أدحى لأنهـا تـدحوه للـبيض أى توسـعه ووزنـه أفعـول وبـارئ المسـموكات خالق السـموات و كل شـىءرفعته وأعليته فقد سـمكته وسـمك البيت والحائط ارتفاعه قال الفرزدق -قرآن-١٠١-١٢٩ إن ألذى سمك السماء بنى لنا || بيتا دعائمه أعز وأطول [صفحه ١٣٦] و قوله جبار القلوب على فطراتها من قولك جبرت العظم فجبر إذا كان مكسورا فلأمته وأقمته كأنه أقام القلوب وأثبتها على مافطرها عليه من معرفته والإقرار به شـقيها وسـعيدها قال و لم أجعـل إجبـارا هاهنـا من أجبرت فلانـا على الأمر إذاأدخلته فيه كرها وقسـرته لأنه لايقال من أفعل فعال لاأعلم ذلك إلا أن بعض القراء قرأ أهـديكم سبيل الرشاد بتشديـد الشـين و قال الرشاد الله فهذا فعال من أفعل وهى قراءة شاذة غيرمستعملة فأما قول الله عز و جل وَ ما أَنتَ عَلَيهِم بِجَبّارٍفإنه أراد و ما أنت عليهم بمسـلط تسليط الملوك والجبابرة الملوك واعتبار ذلك قوله لَسـتَ عَلَيهِم بِمُصَـيطِرٍ أى بمتسلط تسلط الملوك فإن كان يجوز أن يقال من أجبرت فلانا على الأمر أناجبار له و كان هذامحفوظا فقد يجوز أن يجعـل قول على ع جبـار القلوب من ذلـك و هوأحسن فى المعنى . و قوله الـدامغ جيشـات الأباطيل أى مهلك مانجم وارتفع من الأباطيل وأصل الـدمغ من الـدماغ كأنه ألـذى يضـرب وسط الرأس فيدمغه أى يصـيب الدماغ منه و منه قول الله عز و جل بَل نَقذِفُ بِالحَقّ عَلَى الباطِلِ فَيَدمَغُهُ أى يبطله والدماغ مقتل فإذاأصيب هلك صاحبه . وجيشات مأخوذ من جاش الشىء أى ارتفع وجاش الماء إذاطمى وجاشت النفس . و قوله كماحمـل فاضـطلع افتعل من الضلاعة وهى القوة. -قرآن-٤٤٨-٤٧٧-قرآن-٥٦١-٥٨٦-قرآن-٩٣٩-٩٨٥ [صفحه ١٣٧] و قوله لغير نكل فى قـدم النكل مصـدر و هوالنكول يقال نكل فلان عن الأمر ينكل نكولا فهـذا المشـهور ونكل بالكسـر ينكل نكلا قليلـة. والقـدم التقـدم قال أبوزيـد رجل مقدام إذا كان شـجاعا فالقدم يجوز أن

يكون بمعنى التقدم وبمعنى المتقدم . قوله و لاوهن فى عزم أى و لاضعف فى رأى. و قوله حتى أورى قبسا لقابس أى أظهر نورا من الحق يقال أوريت النار إذاقدحت ماظهر بها قال سبحانه أَ فَرَأَيتُمُ النّارَ التّيِ تُورُونَ. و قوله آلاء الله تصل بأهله أسبابه يريد نعم الله تصل بأهل ذلك القبس و هوالإسلام والحق سبحانه أسبابه وأهله المؤمنون به . قلت تقدير الكلام حتى أورى قبسا لقابس تصل أسباب ذلك القبس آلاء الله ونعمه بأهله المؤمنين به واعلم أن اللام فى لغير نكل متعلقة بقوله مستوفزا أى هومستوفز لغير نكول بل للخوف منك والخضوع لك . قال ابن قتيبة قوله ع به هديت القلوب بعدالكفر والفتن موضحات الأعلام أى هديته لموضحات الأعلام يقال هديت الطريق وللطريق و إلى الطريق . و قوله نائرات الأحكام ومنيرات الإسلام يريد الواضحات البينات يقال نار الشىء وأنار إذاوضح . و قوله شهيدك يوم الدين أى الشاهد على الناس يوم القيامة وبعيثك رحمة أى مبعوثك فعيل فى معنى مفعول . -قرآن-٣٨٧-٤٢٥ [صفحه ١٣٨] و قوله افسح له مفسحا أى أوسع له سعة وروى مفتسحا بالتاء قوله فى عدلك أى فى دار عدلك يعنى يوم القيامة و من رواه عدنك بالنون أراد جنة عدن . و قوله من جزل عطائك المعلول من العلل و هوالشرب بعدالشرب فالشرب الأول نهل والثانى علل يريد أن عطاءه عز و جل مضاعف كأنه يعل عباده أى يعطيهم عطاء بعدعطاء. و قوله أعل على بناء البانين بناءه أى ارفع فوق أعمال العاملين عمله وأكرم مثواه أى منزلته من قولك ثويت بالمكان أى نزلته وأقمت به ونزله رزقه . ونحن قدذكرنا بعض هذه الكلمات فيما تقدم على رواية الرضى رحمه الله وهى مخالفة لهذه الرواية وشرحنا مارواه الرضى وذكرنا الآن مارواه ابن قتيبة وشرحه لأنه لايخلو من فائدة جديدة. ومنها قوله ع خذ الحكمة أنى أتتك فإن الكلمة من الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تسكن إلى صاحبها -روايت-١-٢-روايت-١٢-١١٤ . قال ابن قتيبة يريد الكلمة قديعلمها المنافق فلاتزال تتحرك فى صدره و لاتسكن حتى يسمعها منه المؤمن أوالعالم فيعيها ويثقفها ويفقهها منه فتسكن فى صدره إلى أخواتها من كلم الحكمة. ومنها قوله ع البيت المعمور نتاق الكعبة من فوقها -روايت-١-٢-روايت-١٢-٤٩ . قال ابن قتيبة نتاق الكعبة أى مظل عليها من فوقها من قول الله سبحانه [صفحه ١٣٩] وَ إِذ نَتَقنَا الجَبَلَ فَوقَهُم كَأَنّهُ ظُلّةٌ أى زعزع فأظل عليهم . ومنها -قرآن-١-٤٩ قوله ع أناقسيم النار -روايت-١-٢-روايت-١٢-٢٨ قال ابن قتيبة أراد أن الناس فريقان فريق معى فهم على هدى وفريق على فهم على ضلالة كالخوارج و لم يجسر ابن قتيبة أن يقول وكأهل الشام يتورع يزعم ثم إن الله أنطقه بما تورع عن ذكره فقال متمما للكلام بقوله فأنا قسيم النار نصف فى الجنة معى ونصف فى النار قال وقسيم فى معنى مقاسم مثل جليس وأكيل وشريب . قلت قدذكر أبوعبيد الهروى هذه الكلمة فى الجمع بين الغريبين قال و قال قوم إنه لم يرد ماذكره وإنما أراد هوقسيم النار والجنة يوم القيامة حقيقة يقسم الأمة فيقول هذاللجنة و هذاللنار [صفحه ١٤٠]

خطبة منسوبة للإمام على خالية من حرف الألف

و أناالآن أذكر من كلامه الغريب ما لم يورده أبوعبيد و ابن قتيبة فى كلامهما وأشرحه أيضا وهى خطبة رواها كثير من الناس له ع خالية من حرف الألف قالواتذاكر قوم من أصحاب رسول الله ص أى حروف الهجاء أدخل فى الكلام فأجمعوا على الألف فقال على ع حمدت من عظمت منته وسبغت نعمته وسبقت غضبه رحمته وتمت كلمته ونفذت مشيئته وبلغت قضيته حمدته حمد مقر بربوبيته متخضع لعبوديته متنصل من خطيئته متفرد بتوحيده مؤمل منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه ونستعينه ونسترشده ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شهود مخلص موقن وفردته تفريد مؤمن متيقن ووحدته توحيد عبدمذعن ليس له شريك فى ملكه و لم يكن له ولى فى صنعه جل عن مشير ووزير و عن عون معين ونصير ونظير علم فستر

وبطن فخبر وملك فقهر وعصى فغفر وحكم فعدل لم يزل ولن يزول لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ و هو بعد كل شيءرب متعزز بعزته متمكن بقوته متقدس بعلوه متكبر بسموه ليس يدركه بصر و لم يحط به نظر قوى منيع بصير سميع رءوف رحيم عجز عن وصفه من يصفه وضل عن نعته من يعرفه -روايت-۱-۲-روايت-۸-ادامه دارد [صفحه ۱۴۱] قرب فبعد و بعدفقرب يجيب دعوة من يدعوه ويرزقه ويحبوه ذو لطف خفى وبطش قوى ورحمة موسعة وعقوبة موجعة رحمته جنة عريضة مونقة وعقوبته جحيم ممدودة موبقة وشهدت ببعث محمدرسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيه وحبيبه وخليله بعثه فى خير عصر وحين فترة وكفر رحمة لعبيده ومنة لمزيده ختم به نبوته وشيد به حجته فوعظ ونصح وبلغ وكدح رءوف بكل مؤمن رحيم سخى رضى ولى زكى عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم من رب غفور رحيم قريب مجيب وصيتكم معشر من حضرنى بوصية ربك وذكرتكم بسنة نبيكم فعليكم برهبة تسكن قلوبكم وخشية تذرى دموعكم وتقية تنجيكم قبل يوم تبليكم وتذهلكم يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم وتملقكم مسألة ذل وخضوع وشكر وخشوع بتوبة وتورع وندم ورجوع وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه وشبيبته قبل هرمه وسعته قبل فقره وفرغته قبل شغله وحضره قبل سفره قبل تكبر وتهرم وتسقم يمله طبيبه ويعرض عنه حبيبه وينقطع غمده ويتغير عقله ثم قيل هوموعوك وجسمه منهوك ثم جد فى نزع شديد وحضره كل قريب وبعيد فشخص بصره وطمح نظره ورشح جبينه وعطف عرينه وسكن حنينه وحزنته نفسه وبكته عرسه وحفر رمسه ويتم منه ولده وتفرق منه عدده وقسم جمعه وذهب بصره وسمعه ومدد وجرد وعرى وغسل ونشف وسجى وبسط له وهيئ ونشر عليه كفنه وشد منه ذقنه وقمص وعمم وودع وسلم وحمل فوق سرير وصلى عليه بتكبير ونقل من دور مزخرفة وقصور مشيدة وحجر منجدة وجعل فى ضريح ملحود -روايت-از قبل-۱۳۵۶ [صفحه ۱۴۲] وضيق مرصود بلبن منضود مسقف بجلمود وهيل عليه حفره وحثى عليه مدره وتحقق حذره ونسى خبره ورجع عنه وليه وصفيه ونديمه ونسيبه وتبدل به قرينه وحبيبه فهو حشو قبر ورهين قفر يسعى بجسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره يسحق تربه لحمه وينشف دمه ويرم عظمه حتى يوم حشره فنشر من قبره حين ينفخ فى صور ويدعى بحشر ونشور فثم بعثرت قبور وحصلت سريرة صدور وجىء بكل نبى وصديق وشهيد وتوحد للفصل قدير بعبده خبير بصير فكم من زفرة تضنيه وحسرة تنضيه فى موقف مهول ومشهد جليل بين يدى ملك عظيم وبكل صغير وكبير عليم فحينئذ يلجمه عرقه ويحصره قلقه عبرته غيرمرحومة وصرخته غيرمسموعة وحجته غيرمقولة زالت جريدته ونشرت صحيفته نظر فى سوء عمله وشهدت عليه عينه بنظره ويده ببطشه ورجله بخطوه وفرجه بلمسه وجلده بمسه فسلسل جيده وغلت يده وسيق فسحب وحده فورد جهنم بكرب وشدة فظل يعذب فى جحيم ويسقى شربة من حميم تشوى وجهه وتسلخ جلده وتضربه زبنية بمقمع من حديد ويعود جلده بعدنضجه كجلد جديد يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم ويستصرخ فيلبث حقبة يندم .نعوذ برب قدير من شر كل مصير ونسأله عفو من رضى عنه ومغفرة من قبله فهو ولى مسألتى ومنجح طلبتى فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل فى جنته بقربه وخلد فى قصور مشيدة وملك بحور عين وحفدة وطيف عليه بكئوس أسكن فى حظيرة قدوس وتقلب فى نعيم وسقى من تسنيم وشرب من عين سلسبيل ومزج له بزنجبيل مختم بمسك وعبير مستديم للملك مستشعر للسرر يشرب من خمور فى روض مغدق ليس يصدع من شربه و ليس ينزف . -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۱۴۳] هذه منزلة من خشى ربه وحذر نفسه معصيته وتلك عقوبة من جحد مشيئته وسولت له نفسه معصيته فهو قول فصل وحكم عدل وخبر قصص قص ووعظ نص تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍنزل به روح قدس مبين على قلب نبى مهتد رشيد صلت عليه رسل سفرة مكرمون بررة عذت برب عليم رحيم كريم من شر كل عدو لعين رجيم فليتضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم وليستغفر كل مربوب منكم لى ولكم وحسبى ربى وحده -روايت-از قبل-۳۹۴ فصيلة الرجل رهطه الأدنون وكدح سعى سعيا فيه تعب وفرغته الواحدة من الفراغ تقول فرغت فرغة كقولك ضربت ضربة وسجى الميت بسط عليه رداء ونشر الميت من قبره بفتح النون والشين وأنشره الله تعالى . وبعثرت

قبور انتثرت ونبشت . قوله وسيق بسحب وحده لأنه إذا كان معه غيره كان كالمتأسى بغيره فكان أخف لألمه وعذابه و إذا كان وحده كان أشد ألما وأهول وروى فسيق يسحب وحده و هذاأقرب إلى تناسب الفقرتين وذاك أفخم معنى . وزبنية على وزن عفرية واحد الزبانية وهم عندالعرب الشرط وسمى بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها كمايفعل الشرط فى الدنيا و من أهل اللغة من يجعل واحد الزبانية زبانى و قال بعضهم زابن ومنهم من قال هوجمع لاواحد له نحو أبابيل وعباديد وأصل الزبن فى اللغة الدفع و منه ناقة زبون تضرب حالبها وتدفعه . [صفحه ۱۴۴] وتقول ملك زيد بفلانة بغير ألف والباء هاهنا زائدة كمازيدت فى كَفى بِاللّهِ حَسِيباً وإنما حكمنا بزيادتها لأن العرب تقول ملكت أنافلانة أى تزوجتها وأملكت فلانة بزيد أى زوجتها به فلما جاءت الباء هاهنا و لم يكن بد من إثبات الألف لأجل مجيئها جعلناها زائدة وصار تقديره وملك حورا عينا. و قال المفسرون فى تسنيم إنه اسم ماء فى الجنة سمى بذلك لأنه يجرى من فوق الغرف والقصور. وقالوا فى سلسبيل إنه اسم عين فى الجنة ليس ينزف و لا يخمر كمايخمر شارب الخمر فى الدنيا.انقضى هذاالفصل ثم رجعنا إلى سنن الغرض الأول -قرآن-۶۶-۸۷[صفحه ۱۴۵]

۲۶۷

وَ قَالَ ع لَمّا بَلَغَهُ إِغَارَةُ أَصحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الأَنبَارِ فَخَرَجَ بِنَفسِهِ مَاشِياً حَتّى أَتَى النّخَيلَةَ وَ أَدرَكَهُ النّاسُ وَ قَالُوا يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ نَحنُ نَكفِيكَهُم فَقَالَ ع وَ اللّهِ مَا تكَفوُننَيِ أَنفُسَكُم فَكَيفَ تكَفوُننَيِ غَيرَكُم إِن كَانَتِ الرّعَايَا قبَليِ لَتَشكُو حَيفَ رُعَاتِهَا فإَنِيّ اليَومَ لَأَشكُو حَيفَ رعَيِتّيِ كأَنَنّيِ المَقُودُ وَ هُمُ القَادَةُ أَوِ المَوزُوعُ وَ هُمُ الوَزَعَةُ قال فلما قال هذاالقول فى كلام طويل قدذكرنا مختاره فى جملة الخطب تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما إنى لاأملك إلانفسى وأخى فمرنا بأمرك يا أمير المؤمنين ننفذ فقال وأين تقعان مما أريد -روايت-۱-۲۰۶ السنن الطريقة يقال تنح عن السنن أى عن وجه الطريق والنخيلة بظاهر الكوفة وروى ماتكفونى بحذف النون والحيف الظلم والوزعة جمع وازع و هوالدافع الكاف . ومعنى قوله ماتكفوننى أنفسكم أى أفعالكم رديئة قبيحة تحتاج إلى جند غيركم [صفحه ۱۴۶] أستعين بهم على تثقيفكم وتهذيبكم فمن هذه حاله كيف أثقف به غيره وأهذب به سواه . و إن كانت الرعايا إن هاهنا مخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام فى جوابها و قدتقدم ذكرنا هذين الرجلين و إن أحدهما قال يا أمير المؤمنين أقول لك ماقاله العبد الصالح رَبّ إنِيّ لا أَملِكُ إِلّا نفَسيِ وَ أخَيِفشكر لهما و قال وأين تقعان مما أريد -قرآن-۲۶۱-۳۰۶[صفحه ۱۴۷]

۲۶۸

وَ قِيلَ إِنّ الحَارِثَ بنَ حَوطٍ أَتَاهُ ع فَقَالَ لَهُ أَ ترَاَنيِ أَظُنّ أَنّ أَصحَابَ الجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ فَقَالَ ع يَا حَارِ إِنّكَ نَظَرتَ تَحتَكَ وَ لَم تَنظُر فَوقَكَ فَحِرتَ إِنّكَ لَم تَعرِفِ الحَقّ فَتَعرِفَ أَهلَهُ وَ لَم تَعرِفِ البَاطِلَ فَتَعرِفَ مَن أَتَاهُ فَقَالَ الحَارِثُ فإَنِيّ أَعتَزِلُ مَعَ سَعِدِ بنِ مَالِكٍ وَ عَبدِ اللّهِ بنِ عُمَرَ فَقَالَ ع إِنّ سَعداً وَ عَبدَ اللّهِ بنَ عُمَرَ لَم يَنصُرَا الحَقّ وَ لَم يَخذُلَا البَاطِلَ اللفظة التى وردت قبل أحسن من هذه اللفظة وهى أولئك قوم خذلوا الحق و لم ينصروا الباطل وتلك كانت حالهم فإنهم خذلوا عليا و لم ينصروا معاوية و لاأصحاب الجمل .فأما هذه اللفظة ففيها إشكال لأن سعدا و عبد الله لعمرى إنهما لم ينصرا الحق و هوجانب على ع لكنهما خذلا الباطل و هوجانب معاوية وأصحاب الجمل فإنهم لم ينصروهم فى حرب قط لابأنفسهم و لابأموالهم و لابأولادهم فينبغى [صفحه ۱۴۸] أن نتأول كلامه فنقول إنه ليس يعنى بالخذلان عدم المساعدة فى الحرب بل يعنى بالخذلان هاهنا كل ماأثر فى

محق الباطل وإزالته قال الشاعر يصف فرسا و هوكالدلو بكف المستقى || خذلت عنه العراقى فانجذم أى باينته العراقى فلما كان كل مؤثر فى إزالـة شـىءمباينا له نقل اللفظ بالاشتراک فى الأمر العام إليه و لما كان سـعد و عبـد الله لم يقوما خطيبين فى الناس يعلمانهم باطل معاويـة وأصـحاب الجمل و لم يکشـفا اللبس والشـبهة الداخلة على الناس فى حرب هذين الفريقين و لم يوضـحا وجوب طاعة على ع فيرد الناس عن اتباع صاحب الجمل و أهل الشام صدق عليهما أنهما لم يخذلا الباطل ويمکن أن يتأول على وجه آخر و ذلک أنه قدجاء خذلت الوحشية إذاقامت على ولدها فيکون معنى قوله و لم يخذلا الباطل أى لم يقيما عليه وينصراه فترجع هـذه اللفظة إلى اللفظة الأولى وهى قوله أولئک قوم خذلوا الحق و لم ينصـروا الباطل . والحارث بن حوط بالحاء المهملة ويقال إن الموجود فى خط الرضى ابن خوط بالخاء المعجمة المضمومة [صفحه ۱۴۹]

۲۶۹

اشاره

صَاحِبُ السّلطَانِ کَرَاکِبِ الأَسَدِ يُغبَطُ بِمَوقِعِهِ وَ هُوَ أَعلَمُ بِمَوضِعِهِ

نبذ مما قيل فى السلطان

قدجاء فى صـحبة السـلطان أمثال حکمية مستحسـنة تناسب هذاالمعنى أوتجرى مجراه فى شرح حال السلطان نحو قولهم صاحب السـلطان کراکب الأسـد يهـابه النـاس و هولمرکوبه أهيب . و کان يقال إذاصـحبت السـلطان فلتکن مـداراتک له مـداراة المرأة القبيحة لبعلها المبغض لها فإنها لاتدع التصـنع له على حال .قيل للعتابى لم لاتقصد الأمير قال لأنى أراه يعطى واحدا لغير حسنة و لايد ويقتل آخر بلا سيئة و لاذنب ولست أدرى أى الرجلين أکون و لاأرجو منه مقدار ماأخاطر به . و کان يقال العاقل من طلب السـلامة من عمل السـلطان لأنه إن عف جنى عليه العفاف عـداوة الخاصـة و إن بسط يـده جنى عليه البسط ألسنة الرعية. و کان سعيـد بن حميـد يقول عمـل السـلطان کالحمـام الخـارج يؤثر الـدخول والـداخل يؤثر الخروج . ابن المقفع إقبـال السـلطان على أصـحابه تعب وإعراضه عنهم مذلة. [صفحه ۱۵۰] و قال آخر السـلطان إن أرضـيته أتعبک و إن أغضـبته أعطبک . و کان يقال إذاکنت مع السـلطان فکن حـذرا منه عنـدتقريبه کاتما لسـره إذااستسـرک وأمينا على ماائتمنک تشـکر له و لاتکلفه الشـکر لک وتعلمه وکأنک تتعلم منه وتؤدبه وکأنه يؤدبک بصيرا بهواه مؤثرا لمنفعته ذليلا إن ضامک راضيا إن أعطاک قانعا إن حرمک و إلافابعد منه کل البعد. وقيل لبعض من يخدم السـلطان لاتصـحبهم فإن مثلهم مثل قدر التنور کلما مسه الإنسان اسود منه فقال إن کان خارج تلک القـدر أسود فداخلها أبيض . و کان يقال أفضل ماعوشـر به الملوک قلة الخلاف وتخفيف المئونة. و کان يقال لايقدر على صحبة السلطان إلا من يستقل بما حملوه و لايلحف إذاسألهم و لايغتر بهم إذارضوا عنه و لايتغير لهم إذاسخطوا عليه و لايطغى إذاسـلطوه و لايبطر إذاأکرموه . و کـان يقـال إذاجعلـک السـلطان أخـا فـاجعله ربا و إن زادک فزده . و قال أبوحازم للسـلطان کحل يکحل به من يوليه فلايبصـر حتى يعزل . و کان يقال لاينبغى لصاحب السـلطان أن يبتـدئه بالمسألة عن حاله فإن ذلـک من کلاـم النوکى و إذاأردت أن تقول کيف أصـبح الأمير فقل صـبح الله الأمير بالکرامـة و إن أردت أن تقول کيف يجد الأمير نفسه فقل وهب الله الأمير العافية ونحو هذا فإن المسألة توجب الجواب فإن لم يجبک اشتد عليک و إن أجابک اشتد عليه

. و كان يقال صحبة الملوك بغير أدب كركوب الفلاة بغير ماء. [صفحه ۱۵۱] و كان يقال ينبغى لمن صحب السلطان أن يستعد للعذر عن ذنب لم يجنه و أن يكون آنس ما يكون به أوحش ما يكون منه . و كان يقال شدة الانقباض من السلطان تورث التهمة وسهولة الانبساط إليه تورث الملالة. و كان يقال اصحب السلطان بإعمال الحذر ورفض الدالة والاجتهاد فى النصيحة وليكن رأس مالك عنده ثلاث الرضا والصبر والصدق . واعلم أن لكل شىءحدا فما جاوزه كان سرفا و ماقصر عنه كان عجزا فلاتبلغ بك نصيحة السلطان أن تعادى حاشيته وخاصته وأهله فإن ذلك ليس من حقه عليك وليكن أقضى لحقه عنك وأدعى لاستمرار السلامة لك أن تستصلح أولئك جهدك فإنك إذافعلت ذلك شكرت نعمته وأمنت سطوته وقللت عدوك عنده و إذاجاريت عندالسلطان كفؤا من أكفائك فلتكن مجاراتك ومباراتك إياه بالحجة و إن عضهك وبالرفق و إن خرف بك واحذر أن يستحلك فتحمى فإن الغضب يعمى عن الفرصة ويقطع عن الحجة ويظهر عليك الخصم و لاتتوردن على السلطان بالدالة و إن كان أخاك و لابالحجة و إن وثقت أنها لك و لابالنصيحة و إن كانت له دونك فإن السلطان يعرض له ثلاث دون ثلاث القدرة دون الكرم والحمية دون النصفة واللجاج دون الحظ [صفحه ۱۵۲]

۲۷۰

أَحسِنُوا فِي عَقِبِ غَيرِكُم تُحفَظُوا فِي عَقِبِكُم أكثر ما فى هذه الدنيا يقع على سبيل القرض والمكافأة فقد رأينا عيانا من ظلم الناس فظلم عقبه وولده ورأينا من قتل الناس فقتل عقبه وولده ورأينا من أخرب دورا فأخربت داره ورأينا من أحسن إلى أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلى عقبه وولده . وقرأت فى تاريخ أحمد بن طاهر أن الرشيد أرسل إلى يحيى بن خالد و هو فى محبسه يقرعه بذنوبه و يقول له كيف رأيت أ لم أخرب دارك أ لم أقتل ولدك جعفرا أ لم أنهب مالك فقال يحيى للرسول قل له أماإخرابك دارى فستخرب دارك و أماقتلك ولدى جعفرفسيقتل ولدك محمد و أمانهبك مالى فسينهب مالك وخزانتك فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجم طويلا وحزن و قال و الله ليكونن ما قال فإنه لم يقل لى شيئا قط إلا و كان كما قال فأخربت داره وهى الخلد فى حصار بغداد وقتل ولده محمد ونهب ماله وخزانته نهبها طاهر بن الحسين [صفحه ۱۵۳]

۲۷۱

إِنّ كَلَامَ الحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كَانَ دَوَاءً وَ إِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً كل كلام يقلد المتكلم به لحسن عقيدة الناس فيه نحو كلام الحكماء وكلام الفضلاء والعلماء من الناس إذا كان صوابا كان دواء و إذا كان خطأ كان داء لأن الناس يحذون حذو المتكلم به ويقلدونه فيما يتضمنه ذلك الكلام من الآداب والأوامر والنواهى فإذا كان حقا أفلحوا وحصل لهم الثواب واتباع الحق وكانوا كالدواء المبرئ للسقم و إذا كان ذلك الكلام خطأ واتبعوه خسروا و لم يفلحوا فكان بمنزلة الداء والمرض [صفحه ۱۵۴]

۲۷۲

وَ قَالَ ع حِينَ سَأَلَهُ رَجُلٌ أَن يُعَرّفَهُ مَا الإِيمَانُ فَقَالَ إِذَا كَانَ غَدٌ فَأتِنِي حَتّى أُخبِرَكَ عَلَى أَسمَاعِ النّاسِ فَإِن نَسِيتَ مقَاَلتَيِ حَفِظَهَا عَلَيكَ غَيرُكَ فَإِنّ الكَلَامَ كَالشّارِدَةِ يَثقَفُهَا هَذَا وَ يُخطِئُهَا هَذَا قال و قدذكرنا ماأجابه به ع فيما تقدم من هذاالباب و هو قوله الإيمان على أربع شعب -روايت-۱-۹۱ يقول إذ كان غد فأتنى فتكون كان هاهنا تامة أى إذاحدث ووجد وتقول إذا كان غدا فأتنى فيكون النصب باعتبار آخر أى إذا كان الزمان غدا أى موصوفا بأنه من الغد و من النحويين من يقدره إذا كان الكون غدا

لأن الفعل يدل على المصدر والكون هوالتجدد والحدوث . وقائل هذاالقول يرجحه على القول الآخر لأن الفاعل عندهم لايحذف إلا إذا كان فى الكلام دليل عليه . ويثقفها يجدها ثقفت كذا بالكسر أى وجدته وصادفته والشاردة الضالة [صفحه ۱۵۵]

۲۷۳

يَا ابنَ آدَمَ لَا تَحمِل هَمّ يَومِكَ أَلّذِى لَم يَأتِکَ عَلَى يَومِکَ أَلّذِى أَتَاکَ فَإِنّهُ إِن يَكُن مِن عُمُرِكَ يَأتِ اللّهُ فِيهِ بِرِزقِكَ قدتقدم هذاالفصل بتمامه واعلم أن كل ماادخرته مما هوفاضل عن قوتك فإنما أنت فيه خازن لغيرك . وخلاصة هذاالفصل النهى عن الحرص على الدنيا والاهتمام لها وإعلام الناس أن الله تعالى قدقسم الرزق لكل حى من خلقه فلو لم يتكلف الإنسان فيه لأتاه رزقه من حيث لايحتسب . و فى المثل يارزاق البغاث فى عشه و إذانظر الإنسان إلى الدودة المكنونة داخل الصخرة كيف ترزق علم أن صانع العالم قدتكفل لكل ذى حياة بمادة تقيم حياته إلى انقضاء عمره [صفحه ۱۵۶]

۲۷۴

أَحبِب حَبِيبَكَ هَوناً مَا عَسَى أَن يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوماً مَا وَ أَبغِض بَغِيضَكَ هَوناً مَا عَسَى أَن يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوماً مَا الهون بالفتح التأنى والبغيض المبغض وخلاصة هذه الكلمة النهى عن الإسراف فى المودة والبغضة فربما انقلب من تود فصار عدوا وربما انقلب من تعاديه فصار صديقا. و قدتقدم القول فى ذلك على أتم ما يكون و قال بعض الحكماء توق الإفراط فى المحبة فإن الإفراط فيهاداع إلى التقصير منها ولأن تكون الحال بينك و بين حبيبك نامية أولى من أن تكون متناهية. و من كلام عمر لايكن حبك كلفا و لابغضك تلفا. و قال الشاعر وأحبب إذاأحببت حبا مقاربا || فإنك لاتدرى متى أنت نازع وأبغض إذاأبغضت غيرمباين || فإنك لاتدرى متى أنت راجع و قال عدى بن زيد و لاتأمنن من مبغض قرب داره || و لا من محب أن يمل فيبعدا [صفحه ۱۵۷]

۲۷۵

النّاسُ فِى الدّنيَا عَامِلَانِ عَامِلٌ فِى الدّنيَا لِلدّنيَا قَد شَغَلَتهُ دُنيَاهُ عَن آخِرَتِهِ يَخشَى عَلَى مَن يُخَلّفُ الفَقرَ وَ يَأمَنُهُ عَلَى نَفسِهِ فَيُفنِى عُمُرَهُ فِى مَنفَعَةِ غَيرِهِ وَ عَامِلٌ عَمِلَ فِى الدّنيَا لِمَا بَعدَهَا فَجَاءَهُ أَلّذِى لَهُ مِنَ الدّنيَا بِغَيرِ عَمَلٍ فَأَحرَزَ الحَظّينِ مَعاً وَ مَلَكَ الدّارَينِ جَمِيعاً فَأَصبَحَ وَجِيهاً عِندَ اللّهِ لَا يَسأَلُ اللّهَ حَاجَةً فَيَمنَعَهُ معنى قوله ويأمنه على نفسه أى و لايبالى أن يكون هوفقيرا لأنه يعيش عيش الفقراء و إن كان ذا مال لكنه يدخر المال لولده فيفنى عمره فى منفعة غيره . ويجوز أن يكون معناه أنه لكثرة ماله قدأمن الفقر على نفسه مادام حيا ولكنه لايأمن الفقر على ولده لأنه لايثق من ولده بحسن الاكتساب كماوثق من نفسه فلايزال فى الاكتساب والازدياد منه لمنفعة ولده ألذى يخاف عليه الفقر بعدموته .فأما العامل فى الدنيا لمابعدها فهم أصحاب العبادة يأتيهم رزقهم بغير اكتساب و لاكد و قدحصلت لهم الآخرة فقد حصل لهم الحظان جميعا [صفحه ۱۵۸]

۲۷۶

وَ روُیَ أَنّهُ ذُکِرَ عِنـدَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ فِی أَیّامِهِ حلَیُ الکَعبَةِ وَ کَثرَتُهُ فَقَالَ قَومٌ لَو أَخَذتَهُ فَجَهّزتَ بِهِ جُیُوشَ المُسلِمِینَ کَانَ أَعظَمَ لِلأَجرِ وَ مَا تَصنَعُ الکَعبَةُ بِالحلَیِ فَهَمّ عُمَرُ بِذَلِکَ وَ سَأَلَ عَنهُ أَمِیرُ المُؤمِنِینَ ع فَقَالَ إِنّ هَذَا القُرآنَ أُنزِلَ عَلَی مُحَمّدٍص وَ الأَموَالُ أَربَعَةٌ أَموَالُ المُسلِمِینَ فَقَسّمَهَا بَینَ الوَرَثَةِ فِی الفَرَائِضِ وَ الفیَءُ فَقَسّمَهُ عَلَی مُستَحِقّیهِ وَ الخُمسُ فَوَضَعَهُ اللّهُ حَیثُ وَضَعَهُ وَ الصّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللّهُ حَیثُ جَعَلَهَا وَ کَانَ حلَیُ الکَعبَةِ فِیهَا یَومَئِذٍ فَتَرَکَهُ اللّهُ عَلَی حَالِهِ وَ لَم یَترُکهُ نِسیَاناً وَ لَم یَخفَ عَنهُ مَکَاناً فَأَقِرّهُ حَیثُ أَقَرّهُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ لَولَاکَ لَافتَضَحنَا وَ تَرَکَ الحلَیَ بِحَالِهِ هذااستدلال صحیح ویمکن أن یورد علی وجهین أحدهما أن یقال أصل الأشیاء الحظر والتحریم کما هومذهب کثیر من أصحابنا البغدادیین فلایجوز التصرف فی شیء من الأموال والمنافع إلابإذن شرعی و لم یوجد إذن شرعی فی حلی الکعبة فبقینا فیه علی حکم الأصل . والوجه الثانی أن یقال حلی الکعبة مال مختص بالکعبة هوجار مجری ستور الکعبة ومجری باب الکعبة فکما لایجوز التصرف فی ستور الکعبة وبابها [صفحه ۱۵۹] إلابنص فکذلک حلی الکعبة والجامع بینهما الاختصاص الجاعل کل واحد من ذلک کالجزء من الکعبة فعلی هذاالوجه ینبغی أن یکون الاستدلال . ویجب أن یحمل کلام أمیر المؤمنین ع علیه و إلایحمل علی ظاهره لأن لمعترض أن یعترض استدلاله إذاحمل علی ظاهره بأن یقول الأموال الأربعة التی عددها إنما قسمها الله تعالی حیث قسمها لأنها أموال متکررة بتکرر الأوقات علی مر الزمان یذهب الموجود منها ویخلفه غیره فکان الاعتناء بهاأکثر والاهتمام بوجوه متصرفها أشد لأن حاجات الفقراء والمساکین وأمثالهم من ذوی الاستحقاق کثیرة ومتجددة بتجدد الأوقات و لیس کذلک حلی الکعبة لأنه مال واحد باق غیرمتکرر وأیضا فهو شیءقلیل یسیر لیس مثله مما یقال ینبغی أن یکون الشارع قدتعرض لوجوه مصرفه حیث تعرض لوجوه مصرف الأموال فافترق الموضعان [صفحه ۱۶۰]

۲۷۷

روُیَ أَنّهُ رُفِعَ إِلَیهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِن مَالِ اللّهِ أَحَدُهُمَا عَبدٌ مِن مَالِ اللّهِ وَ الآخَرُ مِن عُرُضِ النّاسِ فَقَالَ أَمّا هَذَا فَهُوَ مِن مَالِ اللّهِ فَلَا حَدّ عَلَیهِ مَالُ اللّهِ أَکَلَ بَعضُهُ بَعضاً وَ أَمّا الآخَرُ فَعَلَیهِ الحَدّ الشّدِیدُ فَقَطَعَ یَدَهُ هذامذهب الشیعة أن عبدالمغنم إذاسرق من المغنم لم یقطع فأما العبد الغریب إذاسرق من المغنم فإنه یقطع إذا کان ماسرقه زائدا عما یستحقه من الغنیمة بمقدار النصاب ألذی یجب فیه القطع و هوربع دینار وکذلک الحر إذاسرق من المغنم حکمه هذاالحکم بعینه فوجب أن یحمل کلام أمیر المؤمنین علی أن العبد المقطوع قد کان سرق من المغنم ما هوأزید من حقه من الغنیمة بمقدار النصاب المذکور أوأکثر.فأما الفقهاء فإنهم لایوجبون القطع علی من سرق من مال الغنیمة قبل قسمتها سواء کان ماسرقه أکثر من حقه أو لم یکن لأن مخالطة حقه وممازجته للمسروق شبهة فی الجملة تمنع من وجوب القطع هذا إن کان له حق فی الغنیمة بأن یکون شهد القتال بإذن سیده فإن لم یکن ذلک و کان لسیده فیهاحق لم یقطع أیضا لأن حصة سیده المشاعة شبهة تمنع من قطعه فإن لم یشهد القتال و لاشهده سیده وسرق من الغنیمة قبل القسمة مایجب فی مثله القطع وجب علیه القطع [صفحه ۱۶۱]

۲۷۸

لَو قَدِ استَوَت قَدَمَایَ مِن هَذِهِ المَدَاحِضِ لَغَیّرتُ أَشیَاءَ لسنا نشک أنه کان یذهب فی الأحکام الشرعیة والقضایا إلی أشیاء یخالف فیهاأقوال الصحابة نحو قطعه ید السارق من رءوس الأصابع وبیعه أمهات الأولاد و غیر ذلک وإنما کان یمنعه من تغیر أحکام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج و إلی ذلک یشیر بالمداحض التی کان یؤمل استواء قدمیه منها ولهذا قال

لقضاته اقضوا كماكنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة -روايت-١-٢-روايت-١۵-۶٠ فلفظة حتى هاهنا مؤذنة بأنه فسح لهم فى اتباع عادتهم فى القضايا والأحكام التى يعهدونها إلى أن يصير للناس جماعة و ما بعد إلى و حتى ينبغى أن يكون مخالفا لماقبلهما.فأما أصحابنا فيقولون إنه كان فيما يحاول أن يحكم بين الناس مجتهدا ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته . والإمامية تقول ما كان يحكم إلا عن نص وتوقيف و لايجوز لأحد من الناس مخالفته . والقول فى صحة ذلك وفساده فرع من فروع مسألة الإمامة [صفحه ١۶٢]

٢٧٩

اعلَمُوا عِلماً يَقِيناً أَنّ اللّهَ لَم يَجعَل لِلعَبدِ وَ إِن عَظُمَت حِيلَتُهُ وَ اشتَدّت طَلِبَتُهُ وَ قَوِيَت مَكِيدَتُهُ أَكثَرَ مِمّا سُمّيَ لَهُ فِي الذّكرِ الحَكِيمِ وَ لَم يَحُل بَينَ العَبدِ فِي ضَعفِهِ وَ قِلّةِ حِيلَتِهِ وَ بَينَ أَن يَبلُغَ مَا سُمّيَ لَهُ فِي الذّكرِ الحَكِيمِ وَ العَارِفُ لِهَذَا العَامِلُ بِهِ أَعظَمُ النّاسِ رَحمَةً فِي مَنفَعَةٍ وَ التّارِكُ لَهُ الشّاكّ فِيهِ أَعظَمُ النّاسِ شُغلًا فِي مَضَرّةٍ وَ رُبّ مُنعَمٍ عَلَيهِ مُستَدرَجٌ بِالنّعمَى وَ رُبّ مُبتَلًى مَصنُوعٌ لَهُ بِالبَلوَى فَزِد أَيّهَا المُستَمِعُ فِي شُكرِكَ وَ قَصّر مِن عَجَلَتِكَ وَ قِف عِندَ مُنتَهَى رِزقِكَ قدتقدم القول فى الحرص والجشع وذمهما وذم الكادح فى طلب الرزق ومدح القناعة والاقتصار ونذكر هنا طرفا آخر من ذلك قال بعض الحكماء وجدت أطول الناس غما الحسود وأهنأهم عيشا القنوع وأصبرهم على الأذى الحريص وأخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا وأعظمهم ندامة العالم المفرط. و قال عمر الطمع فقر واليأس غنى و من يئس مما عند الناس استغنى عنهم . [صفحه ١۶٣] وقيل لبعض الحكماء ماالغنى قال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ولذلك قيل العيش ساعات تمر وخطوب تكر. و قال الشاعر اقنع بعيشك ترضه || واترك هواك و أنت حر فلرب حتف فوقه || ذهب وياقوت ودر و قال آخر إلى متى أنا فى حل وترحال || من طول سعى وإدبار وإقبال ونازح الدار لاأنفك مغتربا || عن الأحبة لايدرون ماحالى بمشرق الأرض طورا ثم مغربها || لايخطر الموت من حرص على بالى و لوقنعت أتانى الرزق فى دعة || إن القنوع الغنى لاكثرة المال فى الخبر المرفوع أجملوا فى الطلب فإنه ليس لعبد إلا ماكتب له ولن يخرج عبد من الدنيا حتى يأتيه ماكتب له فى الدنيا وهى راغمة -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٣۶ [صفحه ١۶۴]

٢٨٠

لَا تَجعَلُوا عِلمَكُم جَهلًا وَ يَقِينَكُم شَكّاً إِذَا عَلِمتُم فَاعمَلُوا وَ إِذَا تَيَقّنتُم فَأَقدِمُوا هذانهى للعلماء عن ترك العمل يقول لاتجعلوا علمكم كالجهل فإن الجاهل قد يقول جهلت فلم أعمل وأنتم فلاعذر لكم لأنكم قدعلمتم وانكشف لكم سر الأمر فوجب عليكم أن تعملوا و لاتجعلوا علمكم جهلا فإن من علم المنفعة فى أمر و لاحائل بينه وبينه ثم لم يأته كان سفيها [صفحه ١۶۵]

٢٨١

إِنّ الطّمَعَ مُورِدٌ غَيرُ مُصدِرٍ وَ ضَامِنٌ غَيرُ وفَيِّ وَ رُبّمَا شَرِقَ شَارِبُ المَاءِ قَبلَ رِيّهِ وَ كُلّمَا عَظُمَ قَدرُ الشّيءِ المُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرّزِيّةُ لِفَقدِهِ وَ الأَمَانِيّ تعُمِي أَعيُنَ البَصَائِرِ وَ الحَظّ يأَتيِ مَن لَا يَأتِيهِ قدتقدم القول فى هذه المعانى كلها و قدضرب الحكماء مثالا لفرط الطمع فقالوا إن رجلا صاد قبرة فقالت ماتريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك قالت و الله مأشفى من قرم و لاأشبع من جوع ولكنى أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلى أماواحدة فأعلمك إياها و أنا فى يدك و أماالثانية فإذاصرت على الشجرة أماالثالثة فإذاصرت على الجبل فقال هاتى الأولى قالت لاتلهفن على مافات فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هاتى

الثانیهٔ قالت لاتصدقن بما لا ـ یکون أنه یکون ثم طارت فصارت علی الجبل فقالت یاشقی لوذبحتنی لأخرجت من حوصلتی درتین وزن کل واحدهٔ ثلاثون مثقالا فعض علی یدیه وتلهف تلهفا شدیدا و قال هاتی الثالثهٔ فقالت أنت قدأنسیت الاثنتین فما تصنع بالثالثهٔ أ لم أقل لک لاتلهفن علی [صفحه ۱۶۶] مافات و قدتلهفت و أ لم أقل لک لاتصدقن بما لا یکون أنه یکون و أنا ولحمی ودمی وریشی لا یکون عشرین مثقالا فکیف صدقت أن فی حوصلتی درتین کل واحدهٔ منهما ثلاثون مثقالا ثم طارت وذهبت . و قوله وربما شرق شارب الماء قبل ریه کلام فصیح و هومثل لمن یخترم بغتهٔ أوتطرقه الحوادث والخطوب و هو فی تلهیهٔ من عیشه . ومثل الکلمهٔ الأخری قولهم علی قدر العطیهٔ تکون الرزیهٔ. والقول فی الأمانی قدأوسعنا القول فیه من قبل وکذلک فی الحظوظ [صفحه ۱۶۷]

۲۸۲

أللّهُمّ إنِیّ أَعُوذُ بِکَ مِن أَن تَحسُنَ فِی لَامِعَةِ العُیُونِ علَاَنیِتَیِ وَ تَقبُحَ فِیمَا أُبطِنُ لَکَ سرَیِرتَیِ مُحَافِظاً عَلَی رِیَاءِ النّاسِ مِن نفَسیِ بِجَمِیعِ مَا أَنتَ مُطّلِعٌ عَلَیهِ منِیّ فَأُبدِیَ لِلنّاسِ حُسنَ ظَاهِرِی وَ أُفضیَِ إِلَیکَ بِسُوءِ عمَلَیِ تَقَرّباً إِلَی عِبَادِکَ وَ تَبَاعُداً مِن مَرضَاتِکَ قدتقدم القول فی الریاء و أن یظهر الإنسان من العبادهٔ والفعل الجمیل مایبطن غیره ویقصد بذلک السمعهٔ والصیت لاوجه الله تعالی . و قدجاء فی الخبر المرفوع أخوف ماأخاف علی أمتی الریاء والشهوهٔ الخفیهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۶۷ قال المفسرون والریاء من الشهوهٔ الخفیهٔ لأنه شهوهٔ الصیت والجاه بین الناس بأنه متین الدین مواظب علی نوافل العبادات و هذه هی الشهوهٔ الخفیهٔ أی لیست کشهوهٔ الطعام والنکاح وغیرهما من الملاذ الحسیهٔ. و فی الخبر المرفوع أیضا أن الیسیر من الریاء شرک و أن الله یحب الأتقیاء الأخفیاء الذین هم فی بیوتهم إذاغابوا لم یفتقدوا و إذاحضروا لم یعرفوا قلوبهم مصابیح الهدی ینجون من کل غبراء مظلمهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۱۹۸ [صفحه ۱۶۸]

۲۸۳

وَ قَالَ ع لَا وَ ألّذِی أَمسَینَا مِنهُ فِی غُبّرِ لَیلَةٍ دَهمَاءَ تَکشِرُ عَن یَومٍ أَغَرّ مَا کَانَ کَذَا وَ کَذَا قدروی تفتر عن یوم أغر -روایت-۱-۲-روایت-۱۰-۲۷ والغبر البقایا وکذلک الأغبار وکشر أی بسم وأصله الکشف . و هذاالکلام إما أن یکون قاله علی جههٔ التفاؤل أو أن یکون إخبارا بغیب والأول أوجه [صفحه ۱۶۹]

۲۸۴

قَلِیلٌ تَدُومُ عَلَیهِ أَرجَی مِن کَثِیرٍ مَملُولٍ مِنهُ لاریب أن من أراد حفظ کتاب من الکتب العلمیهٔ فحفظ منه قلیلا قلیلا ودام علی ذلک فإن ذلک أنفع له وأرجی لفلاحه من أن یحفظ کثیرا و لایدوم علیه لملاله إیاه وضجره منه والتجربهٔ تشهد بذلک . والقول فی غیرالحفظ کالقول فی الحفظ نحو الزیارهٔ القلیلهٔ للصدیق ونحو العطاء الیسیر الدائم ألذی هوخیر من الکثیر المنقطع ونحو ذلک [صفحه ۱۷۰]

۲۸۵

إِذَا أَضَرّتِ النّوَافِلُ بِالفَرَائِضِ فَارفُضُوهَا قدتقـدم القول فى النافلة هل تصح ممن عليه فريضة لم يؤدها وذكرنا مذاهب الفقهاء فى ذلك . و لاريب أن من استغرق الوقت بالنوافل حتى آن أوقات الفرائض لم يفعل الفرائض فيها وشغلها بالعبادة النفلية فقد أخطأ والواجب أن يرفض النافلة حيث يتضيق وقت الفريضة لاخلاف بين المسلمين فى ذلك ويصلح أن يكون هذامثلا ظاهره ماذكرنا وباطنه أمر آخر [صفحه ۱۷۱]

۲۸۶

مَن تَذَكّرَ بُعدَ السّفَرِ استَعَدّ هذامثل قولهم فى المثل الليل طويل و أنت مقمر و قال أيضا عش و لاتغتر. و قال أصحاب المعانى مثل الدنيا كركب فى فلاة وردوا ماء طيبا فمنهم من شرب من ذلك الماء شربا يسيرا ثم أفكر فى بعدالمسافة التى يقصدونها و أنه ليس بعد ذلك الماء ماء آخر فتزود منه ماء أوصله إلى مقصده ومنهم من شرب من ذلك الماء شرب عظيما ولها عن التزود والاستعداد وظن أن ماشرب كاف له ومغن عن ادخار شيءآخر فقطع به وأخلفه ظنه فعطش فى تلك الفلاة ومات . و قدروى عن النبى ص أنه قال لأصحابه إنما مثلى ومثلكم ومثل الدنيا كقوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ماسلكوا منها أكثر أم مابقى أنفدوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهرانى المفازة لازاد و لاحمولة فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك خرج عليهم رجل فى حلة يقطر رأسه ماء فقالوا هذاقريب عهد بريف و ماجاءكم هذا إلا من قريب فلما انتهى إليهم وشاهد حالهم قال أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ماتعملون قالوا لانعصيك شيئا -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-ادامه دارد [صفحه ۱۷۲] قال عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوه ذلك فأوردهم ماء رواء ورياضا خضرا ومكث بينهم ماشاء الله ثم قال إنى مفارقكم قالوا إلى أين قال إلى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم فقال الأكثرون منهم و الله ماوجدنا مانحن فيه حتى ظننا أنا لانجده و مانصنع بمنزل خير من هذا و قال الأقلون منهم أ لم تعطوا هذا الرجل مواثيقكم وعهودكم بالله لاتعصونه شيئا و قدصدقكم فى أول حديثه و الله ليصدقنكم فى آخره فراح فيمن تبعه منهم وتخلف الباقون فدهمهم عدو شديد البأس عظيم الجيش فأصبحوا ما بين أسير وقتيل -روايت-از قبل-۵۲۲ [صفحه ۱۷۳]

۲۸۷

لَيسَتِ الرّؤيَةُ مَعَ الإِبصَارِ فَقَد تَكذِبُ العُيُونُ أَهلَهَا وَ لَا يَغُشّ العَقلُ مَنِ استَنصَحَهُ هذامثل قوله تعالى فَإِنّها لا تَعمَى الأَبصارُ وَ لكِن تَعمَى القُلُوبُ التّيِ فِي الصّدُورِ أى ليس العمى عمى العين بل عمى القلب .كذلك -قرآن-۲۲-۹۶ قول أمير المؤمنين ع ليست الرؤية مع العيون وإنما الرؤية الحقيقية مع العقول -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۸۲ و قدذهب أكابر الحكماء إلى أن اليقينيات هى المعقولات لاالمحسوسات قالوا لأن حكم الحس فى مظنة الغلط وطال ماكذب الحس واعتقدنا بطريقة اعتقادات باطلة كمانرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا والمتحرك ساكنا والساكن متحركا فأما العقل فإذا كان المعقول به بديهيا أومستندا إلى مقدمات بديهية فإنه لايقع فيه غلط أصلا [صفحه ۱۷۴]

۲۸۸

بَينَكُم وَ بَينَ المَوعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الغِرّةِ قدتقدم ذكر الدنيا وغرورها وأنها بشهواتها ولذاتها حجاب بين العبد و بين الموعظة لأن الإنسان يغتر بالعاجلة ويتوهم دوام ما هو فيه و إذاخطر بباله الموت والفناء وعد نفسه رحمة الله تعالى وعفوه هذا إن كان ممن

يعترف بالمعاد فإن كثيرا ممن يظهر القول بالمعاد هو فى الحقيقة غيرمستيقن له والإخلاد إلى عفو الله تعالى والاتكال على المغفرة مع الإقامة على المعصية غرور لامحالة والحازم من عمل لما بعدالموت و لم يمن نفسه الأمانى التى لاحقيقة لها [صفحه ۱۷۵]

۲۸۹

جَاهِلُكُم مُزدَادٌ وَ عَالِمُكُم مُسَوّفٌ هذاقريب مما سلف يقول إن الجاهل من الناس مزداد من جهله مصر على خطيئته مسوف من توهماته وعقيدته الباطلة بالعفو عن ذنبه و ليس الأمر كماتوهمه .لَيسَ بِأَمانِيّكُم وَ لا أَمَانيِّ أَهلِ الكِتابِ مَن يَعمَل سُوءاً يُجزَ بِهِ وَ لا يَجِد لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّا وَ لا نَصِيراً -قرآن-۱۵۱-۲۸۶ [صفحه ۱۷۶]

۲۹۰

قَطَعَ العِلمُ عُذرَ المُتَعَلّلِينَ هذاأيضا قريب مما تقدم يقول قطع العلم عذر الذين يعللون أنفسهم بالباطل ويقولون إن الرب كريم رحيم فلاحاجة لنا إلى إتعاب أنفسنا بالعبادة كما قال الشاعر قدمت على الكريم بغير زاد || من الأعمال ذا ذنب عظيم وسوء الظن أن تعتد زادا || إذا كان القدوم على الكريم و هذا هوالتعليل بالباطل فإن الله تعالى و إن كان كريما رحيما عفوا غفورا إلا أنه صادق القول و قدتوعد العصاة و قال وَ إِنّ الفُجّارَ لفَيِ جَحِيمٍ يَصلَونَها يَومَ الدّينِ وَ ما هُم عَنها بِغائِبِينَ و قال لا تَختَصِمُوا لدَيَ‌ّ وَ قَد قَدّمتُ إِلَيكُم بِالوَعِيدِ ما يُبَدّلُ القَولُ لدَيَ‌ّ وَ ما أَنَا بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ ويكفى فى رحمته وعفوه وكرمه أن يغفر للتائب أولمن ثوابه أكثر مما يستحقه من العقاب فالقول بالوعيد معلوم بأدلة السمع المتظاهرة المتناصرة التى قدأطنب أصحابنا فى تعدادها وإيضاحها و إذا كان الشىء معلوما فقد قطع العلم به عذر أصحاب التعلل والتمنى ووجب العمل بالمعلوم ورفض مايخالفه -قرآن-۱۲۲-۲۰۶-قرآن-۲۱۴-۳۳۲ [صفحه ۱۷۷]

۲۹۱

كُلّ مُعَاجَلٍ يَسأَلُ الإِنظَارَ وَ كُلّ مُؤَجّلٍ يَتَعَلّلُ بِالتّسوِيفِ قال الله سبحانه حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قالَ رَبّ ارجِعُونِ لعَلَيّ أَعمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكتُ كَلّا إِنّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَ مِن وَرائِهِم بَرزَخٌ إِلي يَومِ يُبعَثُونَفهذا هوسؤال الإنظار لمن عوجل فأما من أجل فإنه يعلل نفسه بالتسويف و يقول سوف أتوب سوف أقلع عما أنا عليه فأكثرهم يخترم من غير أن يبلغ هذاالأمل وتأتيه المنية و هو على أقبح حال وأسوئها ومنهم من تشمله السعادة فيتوب قبل الموت وأولئك الذين ختمت أعمالهم بخاتمة الخير وهم فى العالم كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود -قرآن-۱۹-۱۹۴ [صفحه ۱۷۸]

۲۹۲

اشاره

مَا قَالَ النّاسُ لشِيَءٍ طُوبَى لَهُ إِلّا وَ قَد خَبّأَ لَهُ الدّهرُ يَومَ سَوءٍ قدتقدم هذاالمعنى وذكرنا فيه نكتا جيدة حميدة

كان محمد بن عبد الله بن طاهر أميربغداد فی قصره علی دجلة يوما و إذابحشيش علی وجه الماء فی وسطه قصبة عليها رقعة فأمر بأخذها فإذا فيها تاه الأعيرج واستولی به البطر || فقل له خير مااستعملته الحذر أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت || و لم تخف سوء مايأتی به القدر وسالمتك الليالی فاغتررت بها || و عندصفو الليالی يحدث الكدر فما انتفع بنفسه مدة. و فی المثل الدهر إذاأتی بسحواء سحسح يعقبها بنكباء زعزع وكذاك شرب العيش فيه تلون بيناه عذبا إذ تحول آجنا. [صفحه ۱۷۹] يحيی بن خالد أعطانا الدهر فأسرف ثم مال علينا فأجحف . و قال الشاعر فيا لنعيم ساعدتنا رقابه || وخاست بنا أكفاله والروادف .إسحاق بن ابراهيم الموصلی هی المقادير تجری فی أعنتها || فاصبر فليس لها صبر علی حال يوما تريش خسيس الحال ترفعه || إلی السماء ويوما تخفض العالی إذاأدبر الأمر أتی الشر من حيث كان يأتی الخير.هانئ بن مسعود إن كسری أبی علی الملك النعمان || حتی سقاه أم الرقوب كل ملك و إن تصعد يوما || بأناس يعود للتصويب .أحيحة بن الجلاح و مايدری الفقير متی غناه || و مايدری الغنی متی يعيل و ماتدری إذاأضربت شولا || أتلقح بعد ذلك أم تحيل و ماتدری إذاأزمعت سيرا || بأی الأرض يدرككك المقيل .آخر فما درن الدنيا بباق لأهله || و لاشرة الدنيا بضربة لازم .آخر رب قوم غبروا من عيشهم || فی سرور ونعيم وغدق [صفحه ۱۸۰] سكت الدهر زمانا عنهم || ثم أبكاهم دما حين نطق . و من الشعر المنسوب إلی محمدالأمين بن زبيدة يانفس قدحق الحذر || أين الفرار من القدر كل امرئ مما يخاف || ويرتجيه علی خطر من يرتشف صفو الزمان || يغص يوما بالكدر [صفحه ۱۸۱]

۲۹۳

وَ قَالَ ع وَ قَد سُئِلَ عَنِ القَدَرِ طَرِيقٌ مُظلِمٌ فَلَا تَسلُكُوهُ ثُمّ سُئِلَ ثَانِياً فَقَالَ بَحرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ ثُمّ سُئِلَ ثَالِثاً فَقَالَ سِرّ اللّهِ فَلَا تَتَكَلّفُوهُ فی الخبر المرفوع القدر سر الله فی الأرض -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۴۷ روی سر الله فی عباده -روايت-۱-۲-روايت-۷-۲۶ والمراد نهی المستضعفين عن الخوض فی إرادة الكائنات و فی خلق أعمال العباد فإنه ربما أفضی بهم القول بالجبر لما فی ذلك من الغموض و ذلك أن العامی إذاسمع قول القائل كيف يجوز أن يقع فی عالمه مايكرهه وكيف يجوز أن تغلب إرادة المخلوق إرادة الخالق . و يقول أيضا إذاعلم فی القدم أن زيدا يكفر فكيف لزيد أن لايكفر وهل يمكن أن يقع خلاف ماعلمه الله تعالی فی القدم اشتبه عليه الأمر وصار شبهة فی نفسه وقوی فی ظنه مذهب المجبرة فنهی ع هؤلاء عن الخوض فی هذاالنحو من البحث و لم ينه غيرهم من ذوی العقول الكاملة والرياضة القوية والملكة التامة و من له قدرة علی حل الشبه والتفصی عن المشكلات . فإن قلت فإنكم تقولون إن العامی والمستضعف يجب عليهما النظر قلت نعم إلا أنه لابد لهما من موقف بعدأعمالها ماينتهی إليه جهدهما من النظر بحيث يرشدهما إلی الصواب والنهی إنما هولمن يستبد من ضعفاء العامة بنفسه فی النظر و لايبحث مع غيره ليرشده [صفحه ۱۸۲]

۲۹۴

إِذَا أَرذَلَ اللّهُ عَبداً حَظَرَ عَلَيهِ العِلمَ أرذله جعله رذلا.و كان يقال من علامة بغض الله تعالی للعبد أن يبغض إليه العلم . و قال الشاعر شكوت إلی وكيع سوء حفظی || فأرشدنی إلی ترك المعاصی و قال لأن حفظ العلم فضل || وفضل الله لايؤتيه عاصی

. و قال رجل لحكيم ماخير الأشياء لی قال أن تكون عالما قال فإن لم أكن قال أن تكون مثريا قال فإن لم أكن قال أن تكون شاريا قال فإن لم أكن قال فأن تكون ميتا.أخذ هذاالمعنی بعض المحدثين فقال إذافاتک العلم جد بالقری || و إن فاتک المال سد بالقراع فإن فات هذا و هذا وذاک || فمت فحياتک شر المتاع . و قال أيضا فی المعنی بعينه و لو لاالحجا والقری والقراع || لمافضل الآخر الأولا ثلاث متی يخل منها الفتی || يكن كالبهيمة أوأرذلا [صفحه ۱۸۳]

۲۹۵

اشاره

وَ قَالَ ع كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ وَ كَانَ يُعَظِّمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنيَا فِي عَينِهِ وَ كَانَ خَارِجاً مِن سُلطَانِ بَطنِهِ فَلَا يَتَشَهَّى مَا لَا يَجِدُ وَ لَا يُكثِرُ إِذَا وَجَدَ وَ كَانَ أَكثَرَ دَهرِهِ صَامِتاً فَإِن قَالَ بَذَّ القَائِلِينَ وَ نَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ وَ كَانَ ضَعِيفاً مُستَضعَفاً فَإِن جَاءَ الجِدّ فَهُوَ لَيثٌ عَادٍ وَ صِلّ وَادٍ لَا يُدلِي بِحُجّةٍ حَتّى يأَتيَ قَاضِياً كَانَ لَا يَلُومُ أَحَداً عَلَى مَا لَا يَجِدُ العُذرَ فِي مِثلِهِ حَتّى يَسمَعَ اعتِذَارَهُ وَ كَانَ لَا يَشكُو وَجَعاً إِلّا عِندَ بُرئِهِ وَ كَانَ يَفعَلُ مَا يَقُولُ وَ لَا يَقُولُ مَا لَا يَفعَلُ وَ كَانَ إِن غُلِبَ عَلَى الكَلَامِ لَم يُغلَب عَلَى السّكُوتِ وَ كَانَ عَلَى أَن يَسمَعَ أَحرَصَ مِنهُ عَلَى أَن يَتَكَلّمَ وَ كَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمرَانِ نَظَرَ أَيّهُمَا أَقرَبُ إِلَى الهَوَى فَخَالَفَهُ فَعَلَيكُم بِهَذِهِ الخَلَائِقِ فَالزَمُوهَا وَ تَنَافَسُوا فِيهَا فَإِن لَم تَستَطِيعُوهَا فَاعلَمُوا أَنّ أَخذَ القَلِيلِ خَيرٌ مِن تَركِ الكَثِيرِ قداختلف الناس فی المعنی بهذا الكلام و من هو هذاالأخ المشار إليه فقال قوم هو رسول الله ص واستبعده قوم لقوله و كان ضعيفا مستضعفا فإن النبی ص لايقال فی صفاته مثل هذه الكلمة [صفحه ۱۸۴] و إن أمكن تأويلها علی لين كلامه وسماحة أخلاقه إلاأنها غيرلائقة به ع . و قال قوم هو أبوذر الغفاری واستبعده قوم لقوله فإن جاء الجد فهو ليث عاد وصل واد فإن أباذر لم يكن من الموصوفين بالشجاعة والمعروفين بالبسالة. و قال قوم هوالمقداد بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود و كان من شيعة علی ع المخلصين و كان شجاعا مجاهدا حسن الطريقة و قدورد فی فضله حديث صحيح مرفوع . و قال قوم أنه ليس بإشارة إلی أخ معين ولكنه كلام خارج مخرج المثل وعادة العرب جارية بمثل ذلک مثل قولهم فی الشعر فقلت لصاحبی و ياصاحبی و هذاعندی أقوی الوجوه

نبذ من الأقوال الحكمية فی حمد القناعة وقلة الأكل

و قدمضی القول فی صغر الدنيا فی عين أهل التحقيق فأما سلطان البطن ومدح الإنسان بأنه لايكثر من الأكل إذاوجد أكلا و لايشتهی من الأكل ما لايجده فقد قال الناس فيه فأكثروا. قال أعشی باهلة يرثی المنتشر بن وهب طاوی المصير علی العزاء منصلت || بالقوم ليلة لاماء و لاشجر تكفيه فلذة لحم إن ألم بها || من الشواء ويروی شربه الغمر و لايباری لما فی القدر يرقبه || و لاتراه أمام القوم يفتقر [صفحه ۱۸۵] لايغمز الساق من أين و لاوصب || و لايعض علی شرسوفه الصفر . و قال الشنفری وأطوی علی الخمص الحوايا كماانطوت || خيوطة ماری تغار وتفتل و إن مدت الأيدی إلی الزاد لم أكن || بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل و ماذاک إلابسطة عن تفضل || عليهم و كان الأفضل المتفضل . و قال بعضهم لابنه يابنی عود نفسک الأثرة ومجاهدة الهوی والشهوة و لاتنهش نهش السباع و لاتقضم قضم البراذين و لاتدمن الأكل إدمان النعاج و لاتلقم لقم الجمال إن الله جعلک إنسانا فلاتجعل نفسک بهيمة و لاسبعا واحذر سرعة الكظة وداء البطنة فقد قال الحكيم إذاكنت بطنا فعد نفسک من

الزمنی . و قال الأعشی والبطنة یوما تسفه الأحلاما . واعلم أن الشبع داعیة البشم والبشم داعیة السقم والسقم داعیة الموت و من مات هذه المیتة فقد مات موتة لئیمة و هو مع هذاقاتل نفسه وقاتل نفسه ألوم من قاتل غیره یابنی و الله ماأدی حق السجود والرکوع ذو کظة و لاخشع لله ذو بطنة والصوم مصحة ولربما طالت أعمار الهند وصحت أبدان العرب ولله در الحارث بن کلدة حیث زعم أن الدواء هوالأزم و أن الداء إدخال الطعام فی أثر الطعام یابنی لم صفت أذهان الأعراب وصحت أذهان الرهبان مع طول الإقامة فی الصوامع حتی لم تعرف وجع المفاصل و لاالأورام إلالقلة الرزء ووقاحة الأکل وکیف لاترغب فی تدبیر یجمع لک بین صحة البدن وذکاء الذهن وصلاح المعاد [صفحه ۱۸۶] والقرب وعیش الملائکة یابنی لم صار الضب أطول شیءذماء إلالأنه یتبلغ بالنسیم و لم زعم رسول الله ص أن الصوم وجاء إلالیجعله حجابا دون الشهوات فافهم تأدیب الله ورسوله فإنهما لایقصدان إلامثلک یابنی إنی قدبلغت تسعین عاما مانقص لی سن و لاانتشر لی عصب و لاعرفت دنین أنف و لاسیلان عین و لاتقطیر بول مالذلک علة إلاالتخفیف من الزاد فإن کنت تحب الحیاة فهذه سبیل الحیاة و إن کنت ترید الموت فلایبعد الله إلا من ظلم . و کان یقال البطنة تذهب الفطنة. و قال عمرو بن العاص لأصحابه یوم حکم الحکمان أکثروا لأبی موسی من الطعام الطیب فو الله مابطن قوم قط إلافقدوا عقولهم أوبعضها و مامضی عزم رجل بات بطینا. و کان یقال أقلل طعاما تحمد مناما ودعا عبدالملک بن مروان رجلا إلی الغداء فقال ما فی فضل فقال إنی أحب الرجل یأکل حتی لا یکون فیه فضل فقال یا أمیر المؤمنین عندی مستزاد ولکنی أکره أن أصیر إلی الحال التی استقبحها أمیر المؤمنین . و کان یقال مسکین ابن آدم أسیر الجوع صریع الشبع . وسأل عبدالملک أباالزعیرعة فقال هل أتخمت قط قال لا قال وکیف قال لأنا إذاطبخنا أنضجنا و إذامضغنا دققنا و لانکظ المعدة و لانخلیها. و کان یقال من المروءة أن یترک الإنسان الطعام و هو بعدیشتهیه . و قال الشاعر فإن قراب البطن یکفیک ملؤه || ویکفیک سوآت الأمور اجتنابها . و قال عبدالرحمن ابن أخی الأصمعی کان عمی یقول لی لاتخرج یابنی من منزلک [صفحه ۱۸۷] حتی تأخذ حلمک یعنی تتغذی فإذاأخذت حلمک فلاتزدد إلیه حلما فإن الکثرة تئول إلی قلة و فی الحدیث المرفوع ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن بحسب الرجل من طعامه ماأقام صلبه و أما إذاأبیت فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۴۳ روی حذیفة عن النبی ص من قل طعمه صح بطنه وصفا قلبه و من کثر طعمه سقم بطنه وقسا قلبه -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۹۹ عنه ص لاتمیتوا القلوب بکثرة الطعام والشراب فإن القلب یموت بهما کالزرع یموت إذاأکثر علیه الماء -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۱۰۷ روی عون بن أبی جحیفة عن أبیه قال أکلت یوما ثریدا ولحما سمینا ثم أتیت رسول الله و أناأتجشأ فقال احبس جشأک أباجحیفة إن أکثرکم شبعا فی الدنیا أکثرکم جوعا فی الآخرة قال فما أکل أبوجحیفة بعدها مل ء بطنه إلی أن قبضه الله -روایت-۱-۲-روایت-۴۱-۲۳۶ أکل علی ع قلیلا من تمر دقل وشرب علیه ماء وأمر یده علی بطنه و قال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم تمثل -روایت-۱-۱۱۸ فإنک مهما تعط بطنک سؤله || وفرجک نالا منتهی الذم أجمعا و کان ع یفطر فی رمضان ألذی قتل فیه عند الحسن لیلة و عند الحسین لیلة و عند عبد الله بن جعفرلیلة لایزید علی اللقمتین أوالثلاث فیقال له فیقول إنما هی لیال قلائل حتی یأتی أمر الله و أناخمیص البطن فضربه ابن ملجم لعنه الله تلک اللیلة -روایت-۱-۲۵۱ . و قال الحسن لقد أدرکت أقواما مایأکل أحدهم إلا فی ناحیة بطنه ماشبع رجل منهم من طعام حتی فارق الدنیا کان یأکل فإذاقارب الشبع أمسک . وأنشد المبرد [صفحه ۱۸۸] فإن امتلاء البطن فی حسب الفتی || قلیل الغناء و هو فی الجسم صالح قال عیسی ع یابنی إسرائیل لاتکثروا الأکل فإنه من أکثر من الأکل أکثر من النوم و من أکثر النوم أقل الصلاة و من أقل الصلاة کتب من الغافلین -روایت-۱-۲-روایت-۱۶-۱۵۲ قیل لیوسف ع ما لک لاتشبع و فی یدیک خزائن مصر قال إنی إذاشبعت نسیت الجائعین -روایت-۱-۸۷ . و قال الشاعر وأکلة أوقعت فی الهلک صاحبها || کحبة القمح دقت عنق عصفور لکسرة بجریش الملح آکلها || ألذ من تمرة تحشی بزنبور . ووصف لسابور ذی الأکتاف رجل من إصطخر

للقضاء فاستقدمه فدعاه إلى الطعام فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصفها وجعل نصفها بين يدى ذلك الرجل فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الآخر فصرفه إلى بلده و قال إن سلفنا كانوا يقولون من شره إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشره .قيل لسميرة بن حبيب إن ابنك أكل طعاما فأتخم وكاد يموت فقال و الله لومات منه ماصليت عليه أنس يرفعه إن من السرف أن تأكل كل مااشتهيت -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۵۲ .دخل عمر على عاصم ابنه و هويأكل لحما فقال ما هذا قال قرمنا إليه قال أ وكلما قرمت إلى اللحم أكلته كفى بالمرء شرها أن يأكل كل مايشتهى. أبوسعيد يرفعه استعينوا بالله من الرعب -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۴۴ قالوا هوالشره ويقال الرعب شؤم أنس يرفعه أصل كل داء البردة -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۳۳ قالوا هى التخمة و قال أبودريد العرب تعير بكثرة الأكل وأنشد لست بأكال كأكل العبد || و لابنوام كنوم الفهد . [صفحه ۱۸۹] و قال الشاعر إذا لم أزر إلاآكل أكلة || فلارفعت كفى إلى طعامى فما أكلة إن نلتها بغنيمة || و لاجوعة إن جعتها بغرام ابن عباس كان رسول الله ص يبيت طاويا ليالى ما له ولأهله عشاء و كان عامة طعامه الشعير -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۹۷ قالت عائشة و الذى بعث محمدا بالحق ما كان لنا منخل و لاأكل رسول الله ص خبزا منخولا منذ بعثه الله إلى أن قبض قالوا فكيف كنتم تأكلون دقيق الشعير قالت كنا نقول أف أف -روايت-۱-۲-روايت-۱۴-۱۸۴ أنس ماأكل رسول الله ص رغيفا محورا إلى أن لقى ربه عز و جل -روايت-۱-۲-روايت-۷-۶۸ أبوهريرة ماشبع رسول الله ص وأهله ثلاثة أيام متوالية من خبز حنطة حتى فارق الدنيا -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۹۱ وروى مسروق قال دخلت على عائشة وهى تبكى فقلت مايبكيك قالت ماأشاء أن أبكى إلابكيت مات رسول الله ص و لم يشبع من خبز البر فى يوم مرتين ثم انهارت علينا الدنيا.حاتم الطائى وإنى لأستحيى صحابى أن يروا || مكان يدى من جانب الزاد أقرعا أقصر كفى أن تنال أكفهم || إذانحن أهوينا وحاجاتنا معا أبيت خميص البطن مضطمر الحشا || حياء أخاف الضيم أن أتضلعا [صفحه ۱۹۰] فإنك إن أعطيت نفسك سؤلها || وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا .فأما قوله ع كان لايتشهى ما لايجد فإنه قدنهى أن يتشهى الإنسان ما لايجد وقالوا إنه دليل على سقوط المروءة. و قال الأحنف جنبوا مجالسنا ذكر تشهى الأطعمة وحديث النكاح . و قال الجاحظ جلسنا فى دار فجعلنا نتشهى الأطعمة فقال واحد و أناأشتهى سكباجا كثيرة الزعفران و قال آخر أناأشتهى طباهجة ناشفة و قال آخر أناأشتهى هريسة كثيرة الدارصينى و إلى جانبنا امرأة بيننا وبينها بئر الدار فضربت الحائط وقالت أناحامل فأعطونى مل ء هذه الغضارة من طبيخكم فقال ثمامة جارتنا تشم رائحة الأمانى [صفحه ۱۹۱]

۲۹۶

لَو لَم يَتَوَعّدِ اللّهُ سُبحَانَهُ عَلَى مَعصِيَتِهِ لَكَانَ يَجِبُ أَلّا يُعصَي شُكراً لِنِعَمِهِ قالت المعتزلة إنا لوقدرنا أن الوعيد السمعى لم يرد لماأخل ذلك بكون الواجب واجبا فى العقل نحو العدل والصدق والعلم ورد الوديعة هذا فى جانب الإثبات و أما فى جانب السلب فيجب فى العقل ألا يظلم وألا يكذب وألا يجهل وألا يخون الأمانة ثم اختلفوا فيما بينهم فقالت معتزلة بغداد ليس الثواب واجبا على الله تعالى بالعقل لأن الواجبات إنما تجب على المكلف لأن أداءها كالشكر لله تعالى وشكر المنعم واجب لأنه شكر منعم فلم يبق وجه يقتضى وجوب الثواب على الله سبحانه و هذاقريب من قول أمير المؤمنين ع . و قال البصريون بل الثواب واجب على الله تعالى عقلاـ كمايجب عليه العوض عن إيلام الحى لأن التكليف إلزام بما فيه مضرة كما أن الإيلام إنزال مضرة والإلزام كالإنزال [صفحه ۱۹۲]

۲۹۷

وَ قَالَ ع لِلأَشعَثِ بنِ قَيسٍ وَ قَد عَزّاهُ عَنِ ابنٍ لَهُ يَا أَشعَثُ إِن تَحزَن عَلَى ابنِكَ فَقَدِ استَحَقّت ذَلِكَ مِنكَ الرّحِمُ وَ إِن تَصبِر فَفِي اللّهِ مِن كُلّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ يَا أَشعَثُ إِن صَبَرتَ جَرَى عَلَيكَ القَدَرُ وَ أَنتَ مَأجُورٌ وَ إِن جَزِعتَ جَرَى عَلَيكَ القَدَرُ وَ أَنتَ مَأزُورٌ يَا أَشعَثُ ابنُكَ سَرّكَ وَ هُوَ بَلَاءٌ وَ فِتنَةٌ وَ حَزَنَكَ وَ هُوَ ثَوَابٌ وَ رَحمَةٌ قدروى هذاالكلام عنه ع على وجوه مختلفة وروايات متنوعة هـذاالوجه أحـدها وأخـذ أبوالعتاهيـة ألفـاظه ع فقـال لمن يعزيه عن ولـد و لابـد من جريان القضاء || إما مثابا وإما أثيما . و من كلامهم فى التعازى إذااسـتأثر الله بشيء فاله عنه وتنسب هذه الكلمة إلى عمر بن عبدالعزيز. وذكر أبوالعباس فى الكامل أن عقبة بن عياض بن تميم أحد بنى عامر بن لؤى استشهد فعزى أباه معز فقال احتسبه و لاتجزع عليه فقد مات شهيدا فقال عياض أترانى كنت أسر به و هو من زينة الحياة الدنيا وأساء به و هو من الباقيات الصالحات . [صفحه ۱۹۳] و هذاالكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين ع . و من التعـازى الجيـدة قول القائـل و من لم يزل غرضـا للمنون || يـتركه كـل يوم عميـدا فـإن هن أخطـأنه مرة || فيوشك مخطئها أن يعودا فبينا يحيـد وأخطأنه || قصـدن فأعجلنه أن يحيدا . و قال آخر هوالدهر قدجربته وعرفته || فصبرا على مكروهه وتجلدا و ما الناس إلاسابق ثم لاحق || وفائت موت سوف يلحقه غدا . و قال آخر أينا قدمت صروف الليالى || فالذى أخرت سـريع اللحاق غـدرات الأيام منتزعات || عنقينا من أنس هـذاالعناق . ابن نباتـة السعدى نعلل بالـدواء إذامرضـنا || وهل يشـفى من الموت الـدواء ونختـار الطبيب وهـل طبيب || يؤخر مايقـدمه القضـاء و ماأنفاسـنا إلاحسـاب || و ماحركاتنـا إلافنـاء .البحترى إن الرزيـة فى الفقيـد فإن هفا || جزع بلبك فالرزيـة فيكا ومتى وجدت الناس إلاتاركا || لحميمه فى الترب أومتروكا لوينجلى لك ذخرها من نكبة || جلل لأضـحككك ألذى يبكيكا . [صـفحه ۱۹۴] وكتب بعضـهم إلى صديق له مات ابنه كيف شكرك لله تعـالى على ماأخـذ من وديعته وعـوض من مثوبته . وعزى عمر بن الخطـاب أبـابكر عن طفـل فقـال عوضـك الله منه مـاعوضه منـك فـإن الطفـل يعوض من أبويه الجنـة. و فى الحـديث المرفوع من عزى مصابـا كـان له مثـل أجره -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۵۷ قـال ع من كنوز السـر كتمان المصائب وكتمان الأمراض وكتمان الصدقـة -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۷۳ و قال شاعر فى رثاء ولده وسـميته يحيى ليحيا و لم يكن || إلى رد أمر الله فيه سبيل تخيرت فيه الفأل حين رزقته || و لم أدر أن الفأل فيه يفيل . و قال آخر وهون وجدى بعدفقدك أننى || إذاشئت لاقيت امرأ مات صاحبه .آخر و قدكنت أرجو لوتمليت عيشة || عليـك الليـالى مرهـا وانتقالها فأما و قدأصـبحت فى قبضـة الردى || فقل لليالى فلتصب من بـدا لها أخـذه المتنبئ فقال قـدكنت أشـفق من دمعى على بصـرى || فـاليوم كـل عزيز بعـدكم هانـا ومثله لغيره فراقك كنت أخشـى فافترقنا || فمن فارقت بعـدك لاأبالى [صفحه ۱۹۵]

۲۹۸

وَ قَالَ ع عِنـدَ وقُوُفِهِ عَلَى قَبرِ رَسُولِ اللّهِص سَاعَةَ دُفِنَ رَسُولُ اللّهِص إِنّ الصّبرَ لَجَمِيلٌ إِلّا عَنكَ وَ إِنّ الجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلّا عَلَيكَ وَ إِنّ المُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ وَ إِنّهُ بَعدَكَ لَقَلِيلٌ قدأخذت هذاالمعنى الشـعراء فقال بعضهم أمست بجفنى للدموع كلوم || حزنا عليك و فى الخدود رسوم والصبر يحمد فى المواطن كلها || إلاعليك فإنه مذموم و قال أبوتمام و قد كان يدعى لابس الصبر حازما || فقـد صار يـدعى حازما حين يجزع و قال أبوالطيب أجد الجفاء على سواك مروءة || والصبر إلا فى نواك جميلا و قال أبوتمام أيضـا الصبر أجمل غير أن تلـذذا || فى الحب أولى أن يكون جميلا . [صـفحه ۱۹۶] وقالت خنساء أخت عمرو بن الشـريد أ لا ياصـخر إن أبكيت عينى || لقـد أضـحكتنى دهرا طويلا بكيتك فى نساء معولات || وكنت أحق من أبـدى العويلا دفعت بك الجليل و أنت حى || فمن ذا يـدفع الخطب الجليلا إذاقبح البكاء على قتيل || رأيت بكاءك الحسن الجميلا . ومثل قوله ع وإنه

بعدک لقليل يعنى المصاب أى لامبالاة بالمصائب بعدالمصيبة بک قول بعضهم قد قلت للموت حين نازله || والموت مقدامة على البهم اذهب بمن شئت إذ ظفرت به || ما بعديحيى للموت من ألم . و قال الشمردل اليروعى يرثى أخاه إذا ماأتى يوم من الدهر بيننا || فحياک عنا شرقه وأصائله أبى الصبر أن العين بعدک لم تزل || يحالف جفنيها قذى ماتزايله وكنت أعير الدمع قبلک من بكى || فأنت على من مات بعدک شاغله أعينى إذ أبكاكما الدهر فابكيا || لمن نصره قدبان عنا ونائله وكنت به أغشى القتال فعزنى || عليه من المقدار من لاأقاتله لعمرک إن الموت منا لمولع || بمن كان يرجى نفعه وفواضله قوله فأنت على من مات بعدک شاغله هوالمعنى ألذى نحن فيه وذكرنا سائر الأبيات لأنها فائقة بعيدة النظير. [صفحه ١٩٧] و قال آخر يرثى رجلا۔اسمه جارية أجارى ماأزداد إلاصبابة || عليک و ماتزداد إلاتنائيا أجارى لونفس فدت نفس ميت || فديتک مسرورا بنفسى وماليا و قدكنت أرجو أن أراک حقيقة || فحال قضاء الله دون قضائيا ألا فليمت من شاء بعدک إنما || عليک من الأقدار كان حذاريا من الشعر المنسوب إلى على ع ويقال إنه قاله يوم مات رسول الله ص -روايت-١-٢-روايت-٧٦-٧٧ كنت السواد لناظرى || فبكى عليک الناظر من شاء بعدک فليمت || فعليک كنت أحاذر . و من شعر الحماسة سأبكيک مافاضت دموعى فإن تغض || فحسبک منى ماتجن الجوانح كأن لم يمت حى سواک و لم تقم || على أحد إلاعليک النوائح لئن حسنت فيک المراثى بوصفها || لقد حسنت من قبل فيک المدائح فما أنا من رزء و إن جل جازع || و لابسرور بعدموتک فارح [صفحه ١٩٨]

٢٩٩

لَا تَصحَبِ المَائِقَ فَإِنّهُ يُزَيّنُ لَکَ فِعلَهُ وَ يَوَدّ أَن تَكُونَ مِثلَهُ المائق الشديد الحمق والموق شدة الحمق وإنما يزين لک فعله لأنه يعتقد فعله صوابا بحمقه فيزينه لک كمايزين العاقل لصاحبه فعله لاعتقاد كونه صوابا ولكن هذاصواب فى نفس الأمر و ذلک صواب فى اعتقاد المائق لا۔فى نفس الأمر و أماكونه يود أن تكون مثله فليس معناه أنه يود أن تكون أحمق مثله وكيف و هو لايعلم من نفسه أنه أحمق و لوعلم أنه أحمق لما كان أحمق وإنما معناه أنه لحبه لک وصحبته إياک يود أن تكون مثله لأن كل أحد يود أن يكون صديقه مثل نفسه فى أخلاقه وأفعاله إذ كل أحد يعتقد صواب أفعاله وطهارة أخلاقه و لايشعر بعيب نفسه لأنه يهوى نفسه فعيب نفسه مطوى مستور عن نفسه كماتخفى عن العاشق عيوب المعشوق [صفحه ١٩٩]

٠٣٠٠

وَ قَالَ ع وَ قَد سُئِلَ عَن مَسَافَةِ مَا بَينَ المَشرِقِ وَ المَغرِبِ فَقَالَ مَسِيرَةُ يَومٍ لِلشّمسِ هكذا تقول العرب بينهما مسيرة يوم بالهاء و لايقولون مسير يوم لأن المسير المصدر والمسيرة الاسم . و هذاالجواب تسميه الحكماء جوابا إقناعيا لأن السائل أراد أن يذكر له كمية المسافة مفصلة نحو أن يقول بينهما ألف فرسخ أوأكثر أوأقل فعدل ع عن ذلک وأجابه بغيره و هوجواب صحيح لاريب فيه لكنه غيرشاف لغليل السائل وتحته غرض صحيح و ذلک لأنه سأله بحضور العامة تحت المنبر فلو قال له بينهما ألف فرسخ مثلا لكان للسائل أن يطالبه بالدلالة على ذلک والدلالة على ذلک يشق حصولها على البديهة و لوحصلت لشق عليه أن يوصلها إلى فهم السائل و لوفهمها السائل لمافهمتها العامة الحاضرون ولصار فيهاقول وخلاف وكانت تكون فتنة أوشبيها بالفتنة فعدل إلى جواب صحيح إجمالى أسكت السائل به وقنع به السامعون أيضا واستحسنوه و هذا من نتائج حكمته ع [صفحه ٢٠٠]

۳۰۱

أَصـدِقَاؤُکَ ثَلَاثَـهٌ وَ أَعـدَاؤُکَ ثَلَاثَـهٌ فَأَصـدِقَاؤُکَ صَـدِیقُکَ وَ صَـدِیقُ صَـدِیقِکَ وَ عَـدُوّ عَـدُوّکَ وَ أَعـدَاؤُکَ عَـدُوّکَ وَ عَـدُوّ صَـدِیقِکَ وَ صَـدِیقُ عَـدُوّکَ قدتقـدم القول فی هـذاالمعنی والأصـل فی هـذا أن صـدیقک جار مجری نفسک فاحکم علیه بما تحکم به علی نفسک وعـدوک ضدک فاحکم علیه بما تحکم به علی الضد فکما أن من عاداک عدو لک وکذلک من عادی صدیقک عدو لک وکذلک من صادق صدیقک فکأنما صادق نفسک فکان صدیقا لک أیضا و أماعدو عدوک فضد ضدک وضـد ضدک ملائم لک لأنک أنت ضد لذلک الضد فقد اشترکتما فی ضدیه ذلک الشـخص فکنتما متناسبین و أما من صادق عـدوک فقـد ماثل ضـدک فکان ضـدا لک أیضا ومثل ذلک بیاض مخصوص یعادی سوادا مخصوصا ویضاده . وهناک بیاض ثان هومثل البیاض الأول وصدیقه وهناک بیاض ثالث مثل البیاض الثانی فیکون أیضا مثل البیاض الأول وصدیقه وهناک بیاض [صفحه ۲۰۱] رابع تأخذه باعتبار ضدا للسواد المخصوص المفروض فإنه یکون مماثلا وصدیقا للبیاض الأول لأنه عدو عدوه ثم نفرض سـوادا ثانیـا مضـادا للبیـاض الثـانی فهـو عـدو للبیـاض الأـول لأـنه عـدو صـدیقه ثم نفرض سـوادا ثالثـا هومماثـل السواد المخصوص المفروض فـإنه یکون ضـدا للبیـاض المفروض المخصوص لأـنه مثـل ضـده و إن مثلت ذلـک بالحروف کان أظهر وأکشف [صفحه ۲۰۲]

۳۰۲

وَ قَالَ ع لِرَجُلٍ رَآهُ یَسـعَی عَلَی عَـدُوّ لَهُ بِمَـا فِیهِ إِضـرَارٌ بِنَفسِهِ إِنّمَـا أَنتَ کَالطّاعِنِ نَفسَهُ لِیَقتُلَ رِدفَهُ هـذایختلف باختلاف حال الساعی فإنه إن کان یضـر نفسه أولا ثم یضـر عدوه تبعا لإضـراره بنفسه کان کما قال أمیر المؤمنین ع کالطاعن نفسه لیقتل ردفه والردف الرجل ألذی ترتدفه خلفک علی فرس أوناقهٔ أوغیرهما وفاعل ذلک یکون أسفه الخلق وأقلهم عقلا لأنه یبدأ بقتل نفسه و إن کان یضـر عـدوه أولا یحصل فی ضـمن إضـراره بعدوه إضـراره بنفسه فلیس یکون مثال أمیر المؤمنین ع منطبقا علی ذلک ولکن یکون کقولی فی غزل من قصیدهٔ لی إن ترم قلبی تصم نفسک إنه || لک موطن تأوی إلیه ومنزل [صفحه ۲۰۳]

۳۰۳

مَا أَکثَرَ العِبَرَ وَ أَقَلّ الِاعتِبَارَ ماأوجز هذه الکلمهٔ و ماأعظم فائدتها و لاریب أن العبر کثیرهٔ جدا بل کل شـیء فی الوجود ففیه عبرهٔ و لاریب أن المعتبرین بهاقلیلون و أن الناس قدغلب علیهم الجهل والهوی وأرداهم حب الدنیا وأسـکرهم خمرها و إن الیقین فی الأصل ضعیف عندهم و لو لاضعفه لکانت أحوالهم غیر هذه الأحوال [صفحه ۲۰۴]

۳۰۴

مَن بَالَغَ فِی الخُصُومَهِ أَثِمَ وَ مَن قَصّـرَ فِیهَا ظَلَمَ وَ لَا یَستَطِیعُ أَن یَتّقِیَ اللّهَ مَن خَاصَمَ قوله ع فی موضع آخر الغالب بالشر مغلوب - روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۴۶ و کـان یقـال ماتسـاب اثنـان إلاغلب ألأمهما. و قـدنهی العلماء عن الجـدل والخصومـهٔ فی الکلام والفقه وقالوا إنهما مظنـهٔ المباهاهٔ وطلب الرئاسـهٔ والغلبهٔ والمجادل یکره أن یقهره خصـمه فلایسـتطیع أن یتقی الله و هذا هوکلام أمیر المؤمنین ع بعینه . و أماالخصومـهٔ فی غیرالعلم کمنازعـهٔ الناس بعضـهم بعضا فی أمورهم الدنیاویـهٔ فقد جاء فی ذمها والنهی

عنها شیءکثیر و قدذکرنا منه فیما تقدم قولا کافیا علی أن منهم من مدح الجهل والشر فی موضعهما. و قال الأحنف ماقل سفهاء قوم إلاذلوا. و قال بعض الحکماء لایخرجن أحد من بیته إلاو قدأخذ فی حجزته قیراطین من جهل فإن الجاهل لایدفعه إلاالجهل وقالوا الجاهل من لاجاهل له . و قال الشاعر إذاکنت بین الجهل والحلم قاعدا || وخیرت أنی شئت فالعلم أفضل ولکن إذاأنصفت من لیس منصفا || و لم یرض منک الحلم فالجهل أمثل إذاجاءنی من یطلب الجهل عامدا || فإنی سأعطیه ألذی هوسائل [صفحه ۲۰۵]

۳۰۵

مَا أَهَمّنِی أَمرٌ أُمهِلتُ بَعدَهُ حَتّی أُصَلّیَ رَکعَتَینِ وَ أَسأَلَ اللّهَ العَافِیَةَ هذافتح لباب التوبة وتطریق إلی طریقها وتعلیم للنهضة إلیها والاهتمام بها ومعنی الکلام أن الذنب ألذی لایعاجل الإنسان عقیبه بالموت ینبغی للإنسان ألا یهتم به أی لاینقطع رجاؤه عن العفو وتأمیله الغفران و ذلک بأن یقوم إلی الصلاة عاجلا ویستغفر الله ویندم ویعزم علی ترک المعاودة ویسأل الله العافیة من الذنوب والعصمة من المعاصی والعون علی الطاعة فإنه إذافعل ذلک بنیة صحیحة واستوفی شرائط التوبة سقط عنه عقاب ذلک الذنب . و فی هذاالکلام تحذیر عظیم من مواقعة الذنوب لأنه إذا کان هذا هومحصول الکلام فکأنه قد قال الحذر الحذر من الموت المفاجئ قبل التوبة و لاریب أن الإنسان لیس علی ثقة من الموت المفاجئ قبل التوبة إنه لایفاجئه و لایأخذه بغتة فالإنسان إذا کان عاقلا بصیرا یتوقی الذنوب والمعاصی التوقی [صفحه ۲۰۶]

۳۰۶

وَ سُئِلَ ع کَیفَ یُحَاسِبُ اللّهُ الخَلقَ عَلَی کَثرَتِهِم فَقَالَ کَمَا یَرزُقُهُم عَلَی کَثرَتِهِم فَقِیلَ کَیفَ یُحَاسِبُهُم وَ لَا یَرَونَهُ فَقَالَ کَمَا یَرزُقُهُم وَ لَا یَرَونَهُ هذاجواب صحیح لأنه تعالی لایرزقهم علی الترتیب أعنی واحدا بعدواحد وإنما یرزقهم جمیعهم دفعة واحدة وکذلک تکون محاسبتهم یوم القیامة. والجواب الثانی صحیح أیضا لأنه إذاصح أن یرزقنا و لانری الرازق صح أن یحاسبنا و لانری المحاسب . فإن قلت فقد ورد أنهم یمکثون فی الحساب ألف سنة وقیل أکثر من ذلک فکیف یجمع بین ماورد فی الخبر و بین قولکم إن حسابهم یکون ضربة واحدة و لاریب أن الأخبار تدل علی أن الحساب یکون لواحد بعدواحد. قلت إن أخبار الآحاد لایعمل علیها لاسیما الأخبار الواردة فی حدیث الحساب والنار والجنة فإن المحدثین طعنوا فی أکثرها وقالوا إنها موضوعة وجملة الأمر أنه لیس هناک تکلیف فیقال إن ترتیب المحاسبة فی زمان طویل جدا یتضمن لطفا فی التکلیف فیفعله الباری تعالی لذلک وإنما الغرض من المحاسبة صدق الوعد و ماسبق من القول والکتاب العزیز لم ینطق إلابالمحاسبة مجملة فوجب القول بالمتیقن المعلوم فیها ورفض ما لم یثبت [صفحه ۲۰۷]

۳۰۷

رَسُولُکَ تَرجُمَانُ عَقلِکَ وَ کِتَابُکَ أَبلَغُ مَا یَنطِقُ عَنکَ قالوا فی المثل الرسول علی قدر المرسل وقیل أیضا رسولک أنت إلا أنه إنسان آخر و قال الشاعر تخیر إذا ماکنت فی الأمر مرسلا || فمبلغ آراء الرجال رسولها ورو وفکر فی الکتاب فإنما || بأطراف أقلام الرجال عقولها [صفحه ۲۰۸]

٣٠٨

مَا المُبتَلَى أَلّذِی قَدِ اشتَدّ بِهِ البَلَاءُ بِأَحوَجَ إِلَی الدّعَاءِ مِنَ المُعَافَی أَلّذِی لَا یَأمَنُ البَلَاءَ هذاترغیب فی الدعاء و ألذی قاله ع حق لأن المعافی فی الصورة مبتلی فی المعنی و مادام الإنسان فی قید هذه الحیاة الدنیا فهو من أهل البلاء علی الحقیقة ثم لایأمن البلاء الحسی فوجب أن یتضرع إلی الله تعالی أنه ینقذه من بلاء الدنیا المعنوی و من بلائها الحسی فی کل حال و لاریب أن الأدعیة مؤثرة و أن لها أوقات إجابة و لم یختلف الملیون والحکماء فی ذلک [صفحه ٢٠٩]

٣٠٩

النّاسُ أَبنَاءُ الدّنیَا وَ لَا یُلَامُ الرّجُلُ عَلَی حُبّ أُمّهِ قال ع فی موضع آخر الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم -روایت-١-٢-روایت-٢۴-۶١ و قال الشاعر ونحن بنی الدنیا غذینا بدرها || و ماکنت منه فهو شیءمحبب [صفحه ٢١٠]

٣١٠

إِنّ المِسکِینَ رَسُولُ اللّهِ فَمَن مَنَعَهُ فَقَد مَنَعَ اللّهَ وَ مَن أَعطَاهُ فَقَد أَعطَی اللّهَ هذاحض علی الصدقة و قدتقدم لنا قول مقنع فیها. و فی الحدیث المرفوع اتقوا النار و لوبشق تمرة فإن لم تجدوا فبکلمة طیبة -روایت-١-٢-روایت-٢٣-٧۵ قال ص لوصدق السائل لماأفلح من رده -روایت-١-٢-روایت-١١-۴۴ قال أیضا من رد سائلا خائبا لم تغش الملائکة ذلک البیت سبعة أیام -روایت-١-٢-روایت-١٢-٧٠ . و کان ص لایکل خصلتین إلی غیره کان یصنع طهوره باللیل ویخمره و کان یناول المسکین بیده . و قال بعض الصالحین من لم تکن نفسه إلی ثواب الصدقة أحوج من الفقیر إلی صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بهاوجهه . و قال بعضهم الصلاة تبلغک نصف الطریق والصوم یبلغک باب الملک والصدقة تدخلک علیه [صفحه ٢١١]

٣١١

قدجاء فی الأثر من زنی زنی به و لو فی عقب عقبه -روایت-١-٢-روایت-١٨-۵۵ . و هذا قدجرب فوجد حقا وقل من تری مقداما علی الزنا إلا والقول فی حرمه وأهله وذوی محارمه کثیر فاش . والکلمة التی قالها ع حق لأن من اعتاد الزنا حتی صار دربته وعادته وألفته نفسه لابد أن یهون علیه حتی یظنه مباحا أوکالمباح لأن من تدرب بشیء ومرن علیه زال قبحه من نفسه و إذازال قبح الزنا من نفسه لم یعظم علیه مایقال فی أهله و إذا لم یعظم علیه مایقال فی أهله فقد سقطت غیرته [صفحه ٢١٢]

٣١٢

کَفَی بِالأَجَلِ حَارِساً قدتقدم القول فی هذاالمعنی و کان ع یقول إن علی من الله جنة حصینة فإذاجاء یومی أسلمتنی فحینئذ لایطیش السهم و لایبرأ الکلم -روایت-١-٢-روایت-١٧-١٠٧ والقول فی الأجل وکونه حارسا شعبة من شعب القول فی القضاء والقدر و له موضع هوأملک به [صفحه ٢١٣]

٣١٣

يَنَامُ الرّجُلُ عَلَى الثّكلِ وَ لَا يَنَامُ عَلَى الحَرَبِ قال السيد ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الأولاد و لايصبر على سلب الأموال -روايت-۱-۷۷ كان يقال المال عدل النفس . و فى الأثر أن من قتل من دون ماله فهو شهيد -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۸ و قال الشاعر لنا إبل غر يضيق فضاؤها || ويغبر عنها أرضها وسماؤها فمن دونها أن تستباح دماؤنا || و من دوننا أن تستباح دماؤها حمى وقرى فالموت دون مرامها || وأيسر أمر يوم حق فناؤها [صفحه ۲۱۴]

۳۱۴

مَوَدّةُ الآبَاءِ قَرَابَةٌ بَينَ الأَبنَاءِ وَ القَرَابَةُ أَحوَجُ إِلَى المَوَدّةِ مِنَ المَوَدّةِ إِلَى القَرَابَةِ كان يقال الحب يتوارث والبغض يتوارث و قال الشاعر أبقى الضغائن آباء لنا سلفوا || فلن تبيد وللآباء أبناء و لاخير فى القرابة من دون مودة و قد قال القائل لماقيل له أيما أحب إليك أخوك أم صديقك فقال إنما أحب أخى إذا كان صديقا فالقربى محتاجة إلى المودة والمودة مستغنية عن القربى [صفحه ۲۱۵]

۳۱۵

اتّقُوا ظُنُونَ المُؤمِنِينَ فَإِنّ اللّهَ تَعَالَى جَعَلَ الحَقّ عَلَى أَلسِنَتِهِم كان يقال ظن المؤمن كهانة و هوأثر جاء عن بعض السلف قال أوس بن حجر الألمعى ألذى يظن بك الظن || كأن قدرأى و قدسمعا و قال أبوالطيب ذكى تظنيه طليعة عينه || يرى قلبه فى يومه مايرى غدا [صفحه ۲۱۶]

۳۱۶

لَا يَصدُقُ إِيمَانُ عَبدٍ حَتّى يَكُونَ بِمَا فِى يَدِ اللّهِ سُبحَانَهُ أَوثَقَ مِنهُ بِمَا فِى يَدِهِ هذاكلام فى التوكل و قدسبق القول فيه و قال بعض العلماء لايشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك و لاتنال من الدنيا إلا ماكتب الله لك . و قال يحيى بن معاذ فى جود العبد الرزق عن غيرطلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد. و قال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت إلى كل خير سبيلا [صفحه ۲۱۷]

۳۱۷

وَ قَالَ ع لِأَنَسِ بنِ مَالِكٍ وَ قَد كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَلحَةَ وَ الزّبَيرِ لَمّا جَاءَ إِلَى البَصرَةِ يُذَكّرُهُمَا شَيئاً قَد سَمِعَهُ مِن رَسُولِ اللّهِص فِى مَعنَاهُمَا فَلَوَى عَن ذَلِكَ فَرَجَعَ إِلَيهِ فَقَالَ إِنّى أُنسِيتُ ذَلِكَ الأَمرَ فَقَالَ ع إِن كُنتَ كَاذِباً فَضَرَبَكَ اللّهُ بِهَا بَيضَاءَ لَامِعَةً لَا تُوَارِيهَا العِمَامَةُ قال يعنى البرص فأصاب أنسا هذاالداء فيما بعد فى وجهه فكان لايرى إلامتبرقعا -روايت-۱-۸۲ أن عليا ع ناشد الناس الله فى الرحبة بالكوفة فقال أنشدكم الله رجلا سمع رسول الله ص يقول لى و هومنصرف من حجة الوداع من كنت مولاه فعلى مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقام رجال فشهدوا بذلك فقال ع لأنس بن مالك لقد حضرتها فما بالك فقال يا أمير المؤمنين كبرت سنى وصار ماأنساه أكثر مما أذكره فقال له إن كنت كاذبا فضربك الله بهابيضاء لاتواريها العمامة فما مات حتى أصابه البرص -روايت-۱-۴۱۵ فأما ماذكره الرضى من أنه بعث أنسا إلى طلحة والزبير فغير معروف و لو كان قدبعثه ليذكرهما

بكلام يختص بهما من رسول الله ص لماأمكنه أن [صفحه ۲۱۸] يرجع فيقول إنى أنسيته لأنه مافارقه متوجها نحوهما إلا و قدأقر بمعرفته وذكره فكيف يرجع بعدساعة أو يوم فيقول إنى أنسيته فينكر بعدالإقرار هذامما لايقع . و قدذكر ابن قتيبة حديث البرص والدعوة التى دعا بها أمير المؤمنين ع على أنس بن مالك فى كتاب المعارف فى باب البرص من أعيان الرجال و ابن قتيبة غيرمتهم فى حق على ع على المشهور من انحرافه عنه [صفحه ۲۱۹]

۳۱۸

إِنّ لِلقُلُوبِ إِقبَالًا وَ إِدبَاراً فَإِذَا أَقبَلَت فَاحمِلُوهَا عَلَى النّوَافِلِ وَ إِذَا أَدبَرَت فَاقتَصِرُوا بِهَا عَلَى الفَرَائِضِ لاريب أن القلوب تمل كماتمل الأبدان وتقبل تارة على العلم و على العمل وتدبر تارة عنهما. قال على ع فإذارأيتموها مقبلة أى قدنشطت وارتاحت للعمل فاحملوها على النوافل ليس يعنى اقتصروا بها على النافلة بل أدوا الفريضة وتنفلوا بعد ذلك و إذارأيتموها قدملت العمل وسئمت فاقتصروا بها على الفرائض فإنه لاانتفاع بعمل لايحضر القلب فيه [صفحه ۲۲۰]

۳۱۹

فِي القُرآنِ نَبَأُ مَا قَبلَكُم وَ خَبَرُ مَا بَعدَكُم وَ حُكمُ مَا بَينَكُم هذاحق لأن فيه أخبار القرون الماضية و فيه أخبار كثيرة عن أمور مستقبلة و فيه أخبار كثيرة شرعية فالأقسام الثلاثة كلها موجودة فيه [صفحه ۲۲۱]

۳۲۰

رُدّوا الحَجَرَ مِن حَيثُ جَاءَ فَإِنّ الشّرّ لَا يَدفَعُهُ إِلّا الشّرّ هذامثل قولهم فى المثل إن الحديد بالحديد يفلح و قال عمرو بن كلثوم ألا لايجهلن أحد علينا || فنجهل فوق جهل الجاهلينا و قال الفند الزمانى فلما صرح الشر || فأمسى و هوعريان و لم يبق سوى العدوان || دناهم كمادانوا وبعض الحلم عندالجهل || للذلة إذعان و فى الشر نجاة حين || لاينجيك إحسان و قال الأحنف وذى ضعن أمت القول عنه || بحلمى فاستمر على المقال و من يحلم و ليس له سفيه || يلاق المعضلات من الرجال [صفحه ۲۲۲] و قال الراجز لابد للسؤدد من أرماح || و من عديد يتقى بالراح و من سفيه دائم النباح و قال آخر و لايلبث الجهال أن يتهضموا || أخا الحلم ما لم يستعن بجهول و قال آخر و لاأتمنى الشر والشر تاركى || ولكن متى أحمل على الشر أركب [صفحه ۲۲۳]

۳۲۱

وَ قَالَ ع لِكَاتِبِهِ عُبَيدِ اللّهِ بنِ أَبِي رَافِعٍ أَلِق دَوَاتَكَ وَ أَطِل جِلفَةَ قَلَمِكَ وَ فَرّج بَينَ السّطُورِ وَ قَرمِط بَينَ الحُرُوفِ فَإِنّ ذَلِكَ أَجدَرُ بِصَبَاحَةِ الخَطّ لاق الحبر بالكاغد يليق أى التصق ولقته أنايتعدى و لايتعدى و هذه دواة مليقة أى قدأصلح مدادها وجاء ألق الدواة إلاقة فهى مليقة وهى لغة قليلة وعليها وردت كلمة أمير المؤمنين ع . ويقال للمرأة إذا لم تحظ عندزوجها ماعاقت عندزوجها و لالاقت أى ماالتصقت بقلبه . وتقول هى جلفة القلم بالكسر وأصل الجلف القشر جلفت الطين من رأس الدن والجلفة هيئة فتحة القلم التى يستمد بهاالمداد كماتقول هوحسن الركبة والجلسة ونحو ذلك من الهيئات . وتقول قدقرمط فلان

خطوه إذامشی مشیا فیه ضیق وتقارب وکذلک القول فی تضییق الحروف .فأما التفریج بین السطور فیکسب الخط بهاء ووضوحا [صفحه ۲۲۴]

۳۲۲

أَنَا یَعسُوبُ المُؤمِنِینَ وَ المَالُ یَعسُوبُ الفُجّارِ قال معنی ذلک أن المؤمنین یتبعوننی والفجار یتبعون المال کماتتبع النحل یعسوبها و هورئیسها -روایت-۱-۹۸ هذه کلمهٔ قالها رسول الله ص بلفظین مختلفین تارهٔ أنت یعسوب الدین وتارهٔ أنت یعسوب المؤمنین والکل راجع إلی معنی واحد کأنه جعله رئیس المؤمنین وسیدهم أوجعل الدین یتبعه ویقفو أثره حیث سلک کمایتبع النحل الیعسوب و هذانحو قوله وأدر الحق معه کیف دار [صفحه ۲۲۵]

۳۲۳

وَ قَالَ لِبَعضِ الیَهُودِ حِینَ قَالَ لَهُ مَا دَفَنتُم نَبِیّکُم حَتّی اختَلَفتُم فِیهِ فَقَالَ لَهُ إِنّمَا اختَلَفنَا عَنهُ لَا فِیهِ وَ لَکِنّکُم مَا جَفّت أَرجُلُکُم مِنَ البَحرِ حَتّی قُلتُم لِنَبِیّکُماجعَل لَنا إِلهاً کَما لَهُم آلِهَهٌ قالَ إِنّکُم قَومٌ تَجهَلُونَ -قرآن-۲۱۰-۲۷۵ ماأحسن قوله اختلفنا عنه لا فیه و ذلک لأن الاختلاف لم یکن فی التوحید والنبوهٔ بل فی فروع خارجهٔ عن ذلک نحو الإمامهٔ والمیراث والخلاف فی الزکاهٔ هل هی واجبهٔ أم لا والیهود لم یختلفوا کذلک بل فی التوحید ألذی هوالأصل . قال المفسرون مروا علی قوم یعبدون أصناما لهم علی هیئهٔ البقر فسألوا موسی أن یجعل لهم إلها کواحد منها بعدمشاهدتهم الآیات والأعلام وخلاصهم من رق العبودیهٔ وعبورهم البحر ومشاهدهٔ غرق فرعون و هذه غایهٔ الجهل و قدروی حدیث الیهودی علی وجه آخر قیل قال یهودی لعلی ع اختلفتم بعدنبیکم و لم یجف ماؤه یعنی غسله ص فقال ع وأنتم قلتم اجعَل لَنا إِلهاً کَما لَهُم آلِهَهٌ و لمایجف ماؤکم -روایت-۱-۲-روایت-۷-۱۵۲ [صفحه ۲۲۶]

۳۲۴

وَ قِیلَ لَهُ ع بِأَیّ شَیءٍ غَلَبتَ الأَقرَانَ قَالَ مَا لَقِیتُ أَحَداً إِلّا أَعَانَنِی عَلَی نَفسِهِ قال الرضی رحمه الله تعالی یومئ بذلک إلی تمکن هیبته فی القلوب -روایت-۱-۷۱ قالت الحکماء الوهم مؤثر و هذاحق لأن المریض إذاتقرر فی وهمه أن مرضه قاتل له ربما هلک بالوهم وکذلک من تلسبه الحیهٔ ویقع فی خیاله أنها قاتلته فإنه لایکاد یسلم منها و قدضربوا لذلک مثالا الماشی علی جذع معترض علی مهواهٔ فإن وهمه وتخیله السقوط یقتضی سقوطه و إلافمشیه علیه و هومنصوب علی المهواهٔ کمشیه علیه و هوملقی علی الأرض لافرق بینهما إلاالوهم والخوف والإشفاق والحذر فکذلک الذین بارزوا علیا ع من الأقران لما کان قدطار صیته واجتمعت الکلمهٔ أنه مابارزه أحد إلا کان المقتول غلب الوهم علیهم فقصرت أنفسهم عن مقاومته وانخذلت أیدیهم وجوارحهم عن مناهضته و کان هو فی الغایهٔ القصوی من الشجاعهٔ والإقدام فیقتحم علیهم ویقتلهم [صفحه ۲۲۷]

۳۲۵

اشاره

وَ قَالَ ع لِابنِهِ يَا بُنَيّ إِنّي أَخَافُ عَلَيكَ الفَقرَ فَاستَعِذ بِاللّهِ مِنهُ فَإِنّ الفَقرَ مَنقَصَةٌ لِلدّينِ مَدهَشَةٌ لِلعَقلِ دَاعِيَةٌ لِلمَقتِ

نبذ من الأقوال الحكيمة فی الفقر والغنی

هذاموضع قداختلف الناس فيه كثيرا ففضل قوم الغنی وفضل قوم الفقر فقال أصحاب الغنی قدوصف الله تعالی المال فسماه خيرا فقال إِنّي أَحبَبتُ حُبّ الخَيرِ عَن ذِكرِ ربَيّ و قال ممتنا علی عباده واعدا لهم بالإنعام والإحسان وَ يُمدِدكُم بِأَموالٍ وَ بَنِينَ و قال وَ جَعَلتُ لَهُ مالًا مَمدُوداً. و -قرآن-۱۳۴-۱۷۸-قرآن-۲۳۳-۲۶۵-قرآن-۲۷۳-۳۰۳ قال النبی ص المال الحسب إن أحساب أهل الدنيا هذاالمال -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۶۳ قال ع نعم العون علی تقوی الله المال -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۵ . [صفحه ۲۲۸] قالوا و لاريب أن الأعمال الجليلة العظيمة الثواب لايتهيأ حصولها إلابالمال كالحج والوقوف والصدقات والزكوات والجهاد. و قدجاء فی الخبر خير المال سكة مأبورة أومهرة مأمورة -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۵۴ . وقالت الحكماء المال يرفع صاحبه و إن كان وضيع النسب قليل الأدب وينصره و إن كان جبانا ويبسط لسانه و إن كان عيا به توصل الأرحام وتصان الأعراض وتظهر المروءة وتتم الرئاسة ويعمر العالم وتبلغ الأغراض وتدرك المطالب وتنال المآرب يصلك إذاقطعك الناس وينصرك إذاخذلوك ويستعبد لك الأحرار و لو لاالمال لمابان كرم الكريم و لاظهر لؤم اللئيم و لاشكر جواد و لاذم بخيل و لاصين حريم و لاأدرك نعيم . و قال الشاعر المال أنفع للفتی من علمه || والفقر أقتل للفتی من جهله ماضر من رفع الدراهم قدره || جهل يناط إلی دناءة أصله و قال آخر دعوت أخی فولی مشمئزا || ولبی درهمی لمادعوت و قال آخر و لم أر أوفی ذمة من دراهمی || وأصدق عهدا فی الأمور العظائم فكم خاننی خل وثقت بعهده || و كان صديقا لی زمان الدراهم و قال آخر أبوالأصفر المنقوش أنفع للفتی || من الأصل والعلم الخطير المقدم [صفحه ۲۲۹] و مامدح العلم امرؤ ظفرت به || يداه ولكن كل مقو ومعدم و قال الشاعر و لم أر بعدالدين خيرا من الغنی || و لم أر بعدالكفر شرا من الفقر . و قال العتابی الناس لصاحب المال ألزم من الشعاع للشمس و هوعندهم أرفع من السماء وأعذب من الماء وأحلی من الشهد وأزكی من الورد خطؤه صواب وسيئته حسنة و قوله مقبول يغشی مجلسه و لايمل حديثه والمفلس عندهم أكذب من لمعان السراب و من رؤيا الكظة و من مرآة اللقوة و من سحاب تموز لايسأل عنه إن غاب و لايسلم عليه إذاقدم إن غاب شتموه و إن حضر طردوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة أثقل من الأمانة وأبغض من السائل المبرم . و قال بعض الشعراء الظرفاء وأحسن كل الإحسان مع خلاعته أصون دراهمی وأذب عنها || لعلمی أنها سيفی وترسی وأذخرها وأجمعها بجهدی || ويأخذ وارثی منها وعرسی فيأكلها ويشربها هنيئا || علی النغمات من نقر وجس ويقعد فوق قبری بعدموتی || و لايتصدقن عنی بفلس أحب إلی من قصدی عظيما || كبيرا أصله من عبدشمس أمد إليه كفی مستميحا || وأصبح عبدخدمته وأمسی ويتركنی أجر الرجل منی || و قدصارت كنفس الكلب نفسی . [صفحه ۲۳۰] و قال أصحاب الفقر الغنی سبب الطغيان قال الله تعالی كَلّا إِنّ الإِنسانَ لَيَطغی أَن رَآهُ استَغنی و قال تعالی وَ إِذا أَنعَمنا عَلَی الإِنسانِ أَعرَضَ وَ نَأی بِجانِبِهِ و كان يقال الغنی يورث البطر وغنی النفس خير من غنی المال . و قال محمود البقال -قرآن-۵۹-۱۰۴-قرآن-۱۱۹-۱۷۷ الفقر خير فاتسع واقتصد || إن من العصمة ألا تجد كم واجد أطلق وجدانه || عنانه فی بعض ما لم يرد ومدمن للخمر غاد علی || سماع عود وغناء غرد لو لم يجد خمرا و لامسمعا || يرد بالماء غليل الكبد كم من يد للفقر عندامرئ || طاطأ منه الفقر حتی اقتصد . و كان يقال الفقر شعار الصالحين والفقر لباس الأنبياء ولذلك قال البحتری فقر كفقر الأنبياء وغربة || وصبابة ليس البلاء بواحد و كان يقال الفقر مخف والغنی مثقل . و فی الخبر نجا المخفون -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۲۵ و ماأحسن قول أبی العتاهية أ لم تر أن الفقر يرجی له الغنی || و أن الغنی

يخشى عليه من الفقر و قدذم الله تعالى المال فقال إِنّما أَموالُكَم وَ أَولادُكُم فِتنَةٌ. -قرآن-۳۴-۷۲ [صفحه ۲۳۱] و كان يقال المال ملول المال ميال المال غاد ورائح طبع المال كطبع الصبى لا-يوقف على وقت رضاه و لا-وقت سخطه المال لاينفعك حتى يفارقك و إلى هذاالمعنى نظر القائل وصاحب صدق ليس ينفع قربه || و لاوده حتى تفارقه عمدا يعنى الدينار. و ماأحسن ماقاله الأول و قديهلك الإنسان حسن رياشه || كمايذبح الطاوس من أجل ريشه و قال آخر رويدك إن المال يهلك ربه || إذاجم واستعلى وسد طريقه و من جاوز الماء الغزير فمجه || وسد طريق الماء فهو غريقه [صفحه ۲۳۲]

۳۲۶

وَ قَالَ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَن مَسأَلَةٍ سَل تَفَقّهاً وَ لَا تَسأَل تَعَنّتاً فَإِنّ الجَاهِلَ المُتَعَلّمَ شَبِيهٌ بِالعَالِمِ وَ إِنّ العَالِمَ المُتَعَنّتَ شَبِيهٌ بِالجَاهِلِ قدورد نهى كثير عن السؤال على طريق الإعنات . و قال أمير المؤمنين ع فى كلام له من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال و لاتعنته فى الجواب و لاتضع له غامضات المسائل و لاتلح عليه إذاكسل و لاتأخذ بثوبه إذانهض و لاتفش له سرا و لاتغتابن عنده أحدا و لا-تنقلن إليه حديثا و لا-تطلبن عثرته و إن زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله مادام حافظا أمر الله و لاتجلس أمامه و إذاكانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته -روايت-۱-۲-روايت-۳۹-۳۹۳ . و قال ابن سيرين لسائل سأله سل أخاك إبليس إنك لن تسأل و أنت طالب رشد. وقالوا أللهم إنا نعوذ بك أن تعنت كمانعوذ بك أن نعنت ونستكفيك أن تفضح كمانستكفيك أن نفضح . وقالوا إذاآنس المعلم من التلميذ سؤال التعنت حرم عليه تعليمه [صفحه ۲۳۳]

۳۲۷

وَ قَالَ ع لِعَبدِ اللّهِ بنِ العَبّاسِ رضَيِ َ اللّهُ عَنهُ وَ قَد أَشَارَ إِلَيهِ فِي شَيءٍ لَم يُوَافِق رَأيَهُ لَكَ أَن تُشِيرَ عَلَيّ وَ أَرَى فَإِذَا عَصَيتُكَ فَأَطِعنِي الإمام أفضل من الرعية رأيا وتدبيرا فالواجب على من يشير عليه بأمر فلايقبل أن يطيع ويسلم ويعلم أن الإمام قدعرف من المصلحة ما لم يعرف . ولقد أحسن الصابى فى قوله فى بعض رسائله و لو لافضل الرعاة على الرعايا فى بعدمطرح النظرة واستشفاف عيب العاقبة لتساوت الأقدام وتقاربت الأفهام واستغنى المأموم عن الإمام [صفحه ۲۳۴]

۳۲۸

وَ روُيِ َ أَنّهُ ع لَمّا وَرَدَ الكُوفَةَ قَادِماً مِن صِفّينَ مَرّ بِالشّبَامِيّينَ فَسَمِعَ بُكَاءَ النّسَاءِ عَلَى قَتلَى صِفّينَ وَ خَرَجَ إِلَيهِ حَربُ بنُ شُرَحبِيلَ الشّبَامِيّ وَ كَانَ مِن وُجُوهِ قَومِهِ فَقَالَ لَهُ أَ يَغلِبُكُم نِسَاؤُكُم عَلَى مَا أَسمَعُ أَ لَا تَنهَونَهُنّ عَن هَذَا الرّنِينِ وَ أَقبَلَ حَربٌ يمَشيِ مَعَهُ وَ هُوَ ع رَاكِبٌ فَقَالَ لَهُ ارجِع فَإِنّ مشَيَ مِثلِكَ مَعَ مِثلِي فِتنَةٌ لِلوَالِي وَ مَذَلّةٌ لِلمُؤمِنِ قدذكرنا نسب الشباميين فيما اقتصصناه من أخبار صفين فى أول الكتاب . والرنين الصوت وإنما جعله فتنة للوالى لمايتداخله من العجب بنفسه والزهو و لاريب أيضا فى أنه مذلة للمؤمن فإن الرجل الماشى إلى ركاب الفارس أذل الناس [صفحه ۲۳۵]

۳۲۹

وَ قَالَ ع وَ قَد مَرّ بِقَتلَى الخَوَارِجِ يَومَ النّهرَوَانِ بُؤساً لَكُم لَقَد ضَرّكُم مَن غَرّكُم فَقِيلَ لَهُ مَن غَرّهُم يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَقَالَ الشّيطَانُ

الْمُضِلّ وَ النّفسُ الأَمّارَةُ بِالسّوءِ غَرّتهُم بِالأَمَانِيّ وَ فَسّحَت لَهُم فِي المَعَاصِي وَ وَعَدَتهُمُ الإِظهَارَ فَاقتَحَمَت بِهِمُ النّارَ يقال بؤسى لزيد وبؤسا بالتنوين لزيد فبؤسى نظيره نعمى وبؤسا نظيره نعمة ينتصب على المصدر. و هذاالكلام رد على المجبرة وتصريح بأن النفس الأمارة بالسوء هى الفاعلة. والإظهار مصدر أظهرته على زيد أى جعلته ظاهرا عليه غالبا له أى وعدتهم الانتصار والظفر [صفحه ۲۳۶]

۳۳۰

اتّقُوا مَعَاصِيَ اللّهِ فِي الخَلَوَاتِ فَإِنّ الشّاهِدَ هُوَ الحَاكِمُ إذا كان الشاهد هوالحاكم استغنى عمن يشهد عنده فالإنسان إذن جدير أن يتقى الله حق تقاته لأنه تعالى الحاكم فيه و هوالشاهد عليه [صفحه ۲۳۷]

۳۳۱

وَ قَالَ ع لَمّا بَلَغَهُ قَتلُ مُحَمّدِ بنِ أَبِي بَكرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ إِنّ حُزنَنَا عَلَيهِ عَلَى قَدرِ سُرُورِهِم بِهِ إِلّا أَنّهُم نُقِصُوا بَغِيضاً وَ نُقِصنَا حَبِيباً قدتقدم ذكر مقتل محمد بن أبى بكر رضى الله عنه و قال ع إن حزننا به فى العظم على قدر فرحهم به ولكن وقع التفاوت بيننا وبينهم من وجه آخر و هو أنانقصنا حبيبا إلينا و أماهم فنقصوا بغيضا إليهم . فإن قلت كيف نقصوا ومعلوم أن أهل الشام مانقصوا بقتل محمدشيئا لأنه ليس فى عددهم . قلت لما كان أهل الشام يعدون فى كل وقت أعداءهم وبغضاءهم من أهل العراق وصار ذلك العدد معلوما عندهم محصور الكمية نقصوا بقتل محمد من ذلك العدد واحدا فإن النقص ليس من عدد أصحابهم بل من عدد أعدائهم الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ويتمنون لهم الخطوب والأحداث كأنه يقول استراحوا من واحد من جملة جماعة كانوا ينتظرون موتهم [صفحه ۲۳۸]

۳۳۲

وَ قَالَ ع العُمُرُ الّذِي أَعذَرَ اللّهُ فِيهِ إِلَى ابنِ آدَمَ سِتّونَ سَنَةً أعذر الله فيه أى سوغ لابن آدم أن يعتذر يعنى أن ماقبل الستين هى أيام الصبا والشبيبة والكهولة و قديمكن أن يعذر الإنسان فيه على اتباع هوى النفس لغلبة الشهوة وشرة الحداثة فإذاتجاوز الستين دخل فى سن الشيخوخة وذهبت عنه غلواء شرته فلاعذر له فى الجهل . و قدقالت الشعراء نحو هذاالمعنى فى دون هذه السن التى عينها ع . و قال بعضهم إذا ماالمرء قصر ثم مرت || عليه الأربعون عن الرجال و لم يلحق بصالحهم فدعه || فليس بلاحق أخرى الليالى [صفحه ۲۳۹]

۳۳۳

مَا ظَفِرَ مَن ظَفِرَ الإِثمُ بِهِ وَ الغَالِبُ بِالشّرّ مَغلُوبٌ قد قال ع نحو هذا وذكرناه فى هذاالكتاب من قصر فى الخصومة ظلم و من بالغ فيهاأثم -روايت-۱-۴۵ [صفحه ۲۴۰]

۳۳۴

إنّ اللّهَ سُبحَانَهُ فَرَضَ فِى أَموَالِ الأغنِيَاءِ أَقوَاتَ الفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلّا بِمَا مُتّعَ بِهِ غنَيِّ وَ اللّهُ تَعَالَى جَدّهُ سَائِلُهُم عَن ذَلِکَ قدتقدم القول فى الصدقة وفضلها و ماجاء فيها و قدورد فى الأخبار الصحيحة أن أباذر قال انتهيت إلى رسول الله ص و هوجالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة فقلت من هم قال هم الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله وقليل ماهم ما من صاحب إبل و لابقر و لاغنم لايؤدى زكاتها إلاجاءت يوم القيامة أعظم ماكانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى الله بين الناس ... -روايت-١-٢-روايت-٣٧-۴۴٣ [صفحه ٢۴١]

٣٣۵

الِاستِغنَاءُ عَنِ العُذرِ أَعَزّ مِنَ الصّدقِ بِهِ روى خير من الصدق والمعنى لاتفعل شيئا تعتذر عنه و إن كنت صادقا فى العذر فألا تفعل خير لك وأعز لك من أن تفعل ثم تعتذر و إن كنت صادقا. و من حكم ابن المعتز لايقوم عزالغضب بذل الاعتذار. و كان يقال إياك أن تقوم فى مقام معذرة فرب عذر أسجل بذنب صاحبه .اعتذر رجل إلى يحيى بن خالد فقال له ذنبك يستغيث من عذرك . و من كلامهم مارأيت عذرا أشبه بذنب من هذا. و من كلامهم أضربه على ذنبه مائة وأضربه على عذره مائتين . قال شاعرهم إذا كان وجه العذر ليس بواضح || فإن اطراح العذر خير من العذر . كان النخعى يكره أن يعتذر إليه و يقول اسكت معذورا فإن المعاذير يحضرها الكذب [صفحه ٢۴٢]

٣٣۶

أَقَلّ مَا يَلزَمُكُم لِلّهِ سُبحَانَهُ أَلّا تَستَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ لاشبهة أن من القبيح الفاحش أن ينعم الملك على بعض رعيته بمال وعبيد وسلاح فيجعل ذلك المال مادة لعصيانه والخروج عليه ثم يحاربه بأولئك العبيد وبذلك السلاح بعينه . و ماأحسن ما قال الصابى فى رسالته إلى سبكتكين من عزالدولة بختيار وليت شعرى بأى قدم تواقفنا ورایاتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك وخيلنا موسومة بأسمائنا تحتك وثيابنا محوكة فى طرازنا على جسدك وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا فى يدك [صفحه ٢۴٣]

٣٣٧

إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ جَعَلَ الطّاعَةَ غَنِيمَةَ الأَكيَاسِ عِندَ تَفرِيطِ العَجَزَةِ الأكياس العقلاء أولو الألباب قال ع جعل الله طاعته غنيمة هؤلاء إذافرط فيهاالعجزة المخذلون من الناس كصيد استذف لرجلين أحدهما جلد والآخر عاجز فقعد عنه العاجز لعجزه وحرمانه واقتنصه الجلد لشهامته وقوة جده [صفحه ٢۴۴]

٣٣٨

السّلطَانُ وَزَعَةُ اللّهِ فِى أَرضِهِ الوازع عن الشىء الكاف عنه والمانع منه والجمع وزعة مثل قاتل وقتلة و قدقيل هذاالمعنى كثيرا قالوا لابد للناس من وزعة. وقيل مايزع الله عن الدين بالسلطان أكثر مما يزع عنه بالقرآن وتنسب هذه اللفظة إلى عثمان بن عفان

. قال الشاعر لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم || و لاسراة إذاجهالهم سادوا . و كان يقال السلطان القاهر و إن كان ظالما خير للرعية وللملك من السلطان الضعيف و إن كان عادلا. و قال الله سبحانه وَ لَو لا دَفعُ اللّهِ النّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَفَسَدَتِ الأَرضُقالوا فی تفسیره أراد السلطان -قرآن-١٢٢-١٨٧ [صفحه ٢٤٥]

٣٣٩

وَ قَالَ ع فِی صِفَةِ المُؤمِنِ بِشرُهُ فِی وَجهِهِ وَ حُزنُهُ فِی قَلبِهِ أَوسَعُ شَیءٍ صَدراً وَ أَذَلّ شَیءٍ نَفساً یَکرَهُ الرّفعَةَ وَ یَشنَأُ السّمعَةَ طَوِیلٌ غَمّهُ بَعِیدٌ هَمّهُ کَثِیرٌ صَمتُهُ مَشغُولٌ وَقتُهُ شَکُورٌ صَبُورٌ مَغمُورٌ بِفِکرَتِهِ ضَنِینٌ بِخَلّتِهِ سَهلُ الخَلِیقَةِ لَیّنُ العَرِیکَةِ نَفسُهُ أَصلَبُ مِنَ الصّلدِ وَ هُوَ أَذَلّ مِنَ العَبدِ هذه صفات العارفين و قدتقدم كثير من القول فی ذلك و كان يقال البشر عنوان النجاح والأمر ألذی يختص به العارف أن يكون بشره فی وجهه و هوحزين وحزنه فی قلبه و إلافالبشر قديوجد فی كثير من الناس . ثم ذكر أنه أوسع الناس صدرا وأذلهم نفسا و أنه يكره الرفعة والصيت وجاء فی الخبر فی وصفهم كل خامل نومة. وطول الغم و بعدالهم من صفاتهم وكذلك كثرة الصمت وشغل الوقت بالذكر والعبادة وكذلك الشكر والصبر والاستغراق فی الفكر وتدبر آيات الله تعالی فی خلقه والضن بالخلة وقلة المخالطة والتوفر علی العزلة وحسن الخلق ولين الجانب و أن يكون قوی النفس جدا مع ذل للناس وتواضع بينهم و هذه الأمور كلها قدأتی عليها الشرح فيما تقدم [صفحه ٢٤۶]

٣۴٠

الغِنَی الأَکبَرُ الیَأسُ عَمّا فِی أَیدِی النّاسِ هذه الكلمة قدرويت مرفوعة و قدتقدم القول فی الطمع وذمه واليأس ومدحه . و فی الحديث المرفوع ازهد فی الناس يحبك الله وازهد فيما أيدی الناس يحبك الناس -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٨۶ . و من كلام بعضهم ماأكلت طعام واحد إلاهنت عليه . و كان يقال نعوذ بالله من طمع يدنی إلی طبع . و قال الشاعر أرحت روحی من عذاب الملاح || لليأس روح مثل روح النجاح و قال بعض الأدباء هذاالمعنی ألذی قدأطنب فيه الناس ليس كمايزعمونه لعمری إن لليأس راحة ولكن لاكراحة النجاح و ما هو إلاكقول من قال لاأدری نصف العلم فقيل له ولكنه النصف ألذی لاينفع . و قال ابن الفضل لاأمدح اليأس ولكنه || أروح للقلب من المطمع [صفحه ٢۴٧] أفلح من أبصر روض المنی || يرعی فلم يرع و لم يرتع ومما يروی لعبد الله بن المبارك الزاهد قدأرحنا واسترحنا || من غدو ورواح واتصال بأمير || ووزير ذی سماح بعفاف وكفاف || وقنوع وصلاح وجعلنا اليأس مفتاحا || لأبواب النجاح [صفحه ٢۴٨]

٣۴١

اشاره

المَسئُولُ حُرّ حَتّی یَعِدَ

نبذ من الأقوال الحكيمة فی الوعد والمطل

قدسبق القول فی الوعد والمطل ونحن نذكر هاهنا نكتا أخرى . فی الحديث المرفوع من وعد وعدا فكأنما عهد عهدا -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۵۲ و كان يقال الوعد دين الكرام والمطل دين اللئام . و كان يقال الوعد شبكة من شباک الأحرار يتصيدون بهاالمحامد. و قال بعضهم الوعد مرض المعروف والإنجاز برؤه . و قال يحيی بن خالد الوعد سحاب والإنجاز مطره . و فی الحديث المرفوع عدة المؤمن عطية -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۴۰ عنه ع لاتواعد أخاک موعدا لتخلفه -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۰ و قال يحيی بن خالد لبنيه يابنی كونوا أسدا فی الأقوال نجازا فی الأفعال و لاتعدوا إلا وتنجزوا فإن الحر يثق بوعد الكريم وربما ادان عليه . و كان جعفر بن يحيی يكره الوعد و يقول الوعد من العاجز فأما القادر فالنقد. [صفحه ۲۴۹] و فی الحديث المرفوع مطل الغنی ظلم -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۴۰ و قال ابن الفضل أثروا و لم يقضوا ديون غريمهم || واللؤم كل اللؤم مطل الموسر و قال الآخر إذاأتت العطية بعدمطل || فلاكانت و إن كانت سنيه و كان يقال المطل يسد علی صاحبه باب العذر ويوجب عليه الأحسن والأكثر والتعجيل يحسن سيئه ويبسط عذره فی التقليل . و قال يحيی بن خالد لبنيه يابنی لاتمطلوا معروفكم فإن كثير العطاء بعدالمطل قليل وعجلوا فإن عذركم مقبول مع التعجيل . و من كلام الحسن بن سهل المطل يذهب رونق البر ويكدر صفو المعروف ويحبط أجر الصدقة ويعقل اللسان عن الشكر وللتعجيل حلاوة و إن قلت العارفة ولذة و إن صغرت الصنيعة وربما عرض مايمنع الإنجاز من تعذر الإمكان وتغير الزمان فبادر المكنة وعاجل القدرة وانتهز الفرصة. و قال الشاعر تحيل علی الفراغ قضاء شغلی || و أنت إذافرغت تكون مثلی فلاأدعی بخادمک المرجی || و لاتدعی بسيدنا الأجل و قال آخر لوعلم الماطل أن المطال || فقد به يذهب طعم النوال و أن أعلی البر ماناله || طالبه نقدا عقيب السؤال عجل للسائل معروفه || مهنا من طول قيل و قال [صفحه ۲۵۰]

۳۴۲

لَو رَأَی العَبدُ الأَجَلَ وَ مَصِيرَهُ لَأَبغَضَ الأَمَلَ وَ غُرُورَهُ قدتقدم من الكلام فی الأمل ما فيه كفاية و كان يقال وا عجبا لصاحب الأمل الطويل وربما يكون كفنه فی يد النساج و هو لايعلم [صفحه ۲۵۱]

۳۴۳

لِكُلّ امرِئٍ فِی مَالِهِ شَرِيكَانِ الوَارِثُ وَ الحَوَادِثُ أخذه الرضی فقال خذ من تراثک مااستطعت فإنما || شركاؤک الأيام والوراث لم يقض حق المال إلامعشر || نظروا الزمان يعيث فيه فعاثوا قد قال ع فی موضع آخر بشر مال البخيل بحادث أووارث -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۵۹ ورأيت بخط ابن الخشاب رحمه الله علی ظهر كتاب لعبد الله بن أحمد بن أحمد ثم لحادث أووارث كأنه يعنی ضنه به أی لاأخرجه عن يدی اختيارا [صفحه ۲۵۲]

۳۴۴

الداّعِی بِلَا عَمَلٍ كَالرّامِی بِلَا وَتَرٍ من خلا من العمل فقد أخل بالواجبات و من أخل بالواجبات فقد فسق و الله تعالی لايقبل دعاء الفاسق وشبهه ع بالرامی بلا وتر فإن سهمه لاينفذ [صفحه ۲۵۳]

۳۴۵

العِلمُ عِلمَانِ مَطبُوعٌ وَ مَسمُوعٌ وَ لَا يَنفَعُ المَسمُوعُ إِذَا لَم يَكُنِ المَطبُوعُ هذه قاعدة كلية مذكورة فى الكتب الحكمية إن العلوم منها ما هوغريزى ومنها ما هوتكليفى ثم كل واحد من القسمين يختلف بالأشد والأضعف أماالأول فقد يكون فى الناس من لايحتاج فى النظر إلى ترتيب المقدمات بل تنساق النتيجة النظرية إليه سوقا من غيراحتياج منه إلى التأمل والتدبر و قد يكون فيهم من هودون ذلك و قد يكون من هودون الدون و أماالثانى فقد يكون فى الناس من لايجدى فيه التعليم بل يكون كالصخرة الجامدة بلادة وغباوة ومنهم من يكون أقل تبلدا وجنوح ذهن من ذلك ومنهم من يكون الوقفة عنده أقل فيكون ذا حال متوسطة وبالجملة فاستقراء أحوال الناس يشهد بصحة ذلك . و قال ع ليس ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع يقول إذا لم يكن هناك أحوال استعداد لم ينفع الدرس والتكرار و قدشاهدنا مثل هذا فى حق أشخاص كثيرة اشتغلوا بالعلم الدهر الأطول فلم ينجع معهم العلاج وفارقوا الدنيا وهم على الغريزة الأولى فى الساذجية وعدم الفهم [صفحه ۲۵۴]

۳۴۶

صَوَابُ الرأّيِ بِالدّوَلِ يُقبِلُ بِإِقبَالِهَا وَ يُدبِرُ بِإِدبَارِهَا قال الصولى اجتمع بنو برمك عنديحيى بن خالد فى آخر دولتهم وهم يومئذ عشرة فأداروا بينهم الرأى فى أمر فلم يصلح لهم فقال يحيى أنالله ذهبت و الله دولتنا كنا فى إقبالنا يبرم الواحد منا عشرة آراء مشكلة فى وقت واحد واليوم نحن عشرة فى أمر غيرمشكل و لايصح لنا فيه رأى الله نسأل حسن الخاتمة.أرسل المنصور لماهاضه أمر ابراهيم إلى عمه عبد الله بن على و هو فى السجن يستشيره مايصنع و كان ابراهيم قدظهر بالبصرة فقال عبد الله أنامحبوس والمحبوس محبوس الرأى قال له فعلى ذاك قال يفرق الأموال كلها على الرجال ويلقاه فإن ظفر فذاك و إلايتوجه إلى أبيه محمدبجرجان ويتركه يقدم على بيوت أموال فارغة فهو خير له من أن تكون الدبرة عليه ويقدم عدوه على بيوت أموال مملوءة. قال سليمان بن عبدالملك ليزيد بن أبى مسلم صاحب شرطة الحجاج يوما لعن الله رجلا أجرك رسنه وخرب لك آخرته قال يا أمير المؤمنين رأيتنى والأمر عنى مدبر و لورأيتنى والأمر على مقبل لاستكبرت منى مااستصغرت ولاستعظمت منى مااستحقرت [صفحه ۲۵۵]

۳۴۷

العَفَافُ زِينَةُ الفَقرِ وَ الشّكرُ زِينَةُ الغِنَى قدسبق القول فى أن الأجمل بالفقير أن يكون عفيفا وألا يكون جشعا حريصا و لاجادا فى الطلب متهالكا و أنه ينبغى أنه إذاافتقر أن يتيه على الوقت وأبناء الوقت فإن التيه فى مثل ذلك المقام لابأس به ليبعد جدا عن مظنة الحرص والطمع . و قدسبق أيضا القول فى الشكر عندالنعمة ووجوبه و أنه سبب لاستدامتها و أن الإخلال به داعية إلى زوالها وانتقالها وذكرنا فى هذاالباب أمورا مستحسنة فلتراجع و قال عبدالصمد بن المعذل فى العفاف سأقنى العفاف وأرضى الكفاف || و ليس غنى النفس حوز الجزيل و لاأتصدى لشكر الجواد || و لاأستعد لذم البخيل وأعلم أن بنات الرجاء || تحل العزيز محل الذليل و أن ليس مستغنيا بالكثير || من ليس مستغنيا بالقليل [صفحه ۲۵۶]

۳۴۸

يَومُ العَدلِ عَلَى الظّالِمِ أَشَدّ مِن يَومِ الجَورِ عَلَى المَظلُومِ شيئان مؤلمان أحدهما ينقضى سريعا والآخر يدوم أبدا فلاجرم كان اليوم المذكور على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم [صفحه ۲۵۷]

٣٤٩

الأَقَاوِيلُ مَحفُوظَةٌ وَ السّرَائِرُ مَبلُوّةٌ وَ كُلّ نَفسٍ بِمَا كَسَبَت رَهِينَةٌ وَ النّاسُ مَنقُوصُونَ مَدخُولُونَ إِلّا مَن عَصَمَ اللّهُ سَائِلُهُم مُتَعَنّتٌ وَ مُجِيبُهُم مُتَكَلّفٌ يَكَادُ أَفضَلُهُم رَأياً يَرُدّهُ عَن فَضلِ رَأيِهِ الرّضَا وَ السّخطُ وَ يَكَادُ أَصلَبُهُم عُوداً تَنكَؤُهُ اللّحظَةُ وَ تَستَحِيلُهُ الكَلِمَةُ الوَاحِدَةُ السرائر هاهنا ماأسر فى القلوب من النيات والعقائد وغيرها و مايخفى من أعمال الجوارح أيضا وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ماطاب منها و ماخبث . و قال عمر بن عبدالعزيز للأحوص لما قال ستبلى لها فى مضمر القلب والحشا || سريرة حب يوم تبلى السرائر إنك يومئذ عنها لمشغول .ذكر ع الناس فقال قدعمهم النقص إلاالمعصومين ثم قال سائلهم يسأل تعنتا والسؤال على هذاالوجه مذموم ومجيبهم متكلف للجواب وأفضلهم رأيا يكاد رضاه تارة وسخطه أخرى يرده عن فضل رأيه أى يتبعون الهوى [صفحه ٢٥٨] ويكاد أصلبهم عودا أى أشدهم احتمالا. وتنكؤه اللحظة نكأت القرحة إذاصدمتها بشىء فتقشرها. قال وتستحيله الكلمة الواحدة أى تحيله وتغيره عن مقتضى طبعه يصفهم بسرعة التقلب والتلون وأنهم مطيعون دواعى الشهوة والغضب واستفعل بمعنى فعل قدجاء كثيرا استغلظ العسل أى غلظ [صفحه ٢٥٩]

٣٥٠

قَالَ مَعَاشِرَ النّاسِ اتّقُوا اللّهَ فَكَم مِن مُؤَمّلٍ مَا لَا يَبلُغُهُ وَ بَانٍ مَا لَا يَسكُنُهُ وَ جَامِعٍ مَا سَوفَ يَترُكُهُ وَ لَعَلّهُ مِن بَاطِلٍ جَمَعَهُ وَ مِن حَقّ مَنَعَهُ أَصَابَهُ حَرَاماً وَ احتَمَلَ بِهِ آثَاماً فَبَاءَ بِوِزرِهِ وَ قَدِمَ عَلَى رَبّهِ آسِفاً لَاهِفاً قَد خَسِرَ الدّنيَا وَ الآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسرَانُ المُبِينُ قدتقدم شرح هذه المعانى والكلام عليها أماالآمال التى لاتبلغ فأكثر من أن تحصى بل لانهاية لها. و ماأحسن قول القائل وا حسرتى مات حظى من وصالكم || وللحظوظ كماللناس آجال إن مت شوقا و لم أبلغ مدى أملى || كم تحت هذى القبور الخرس آمال و أمابناء ما لايسكن فنحو ذلك و قال الشاعر أ لم تر حوشبا بالأمس يبنى || بناء نفعه لبنى نفيله يؤمل أن يعمر عمر نوح || وأمر الله يطرق كل ليله و أماجامع ماسوف يتركه فأكثر الناس قال الشاعر وذى إبل يسعى ويحسبها له || أخو تعب فى رعيها ودءوب غدت وغدا رب سواه يسوقها || وبدل أحجارا وجال قليب [صفحه ٢٦٠]

٣٥١

مِنَ العِصمَةِ تَعَذّرُ المَعَاصِي قدوردت هذه الكلمة على صيغ مختلفة من العصمة ألا تقدر وأيضا من العصمة ألا تجد و قدرويت مرفوعة أيضا. و ليس المراد بالعصمة هاهنا العصمة التى ذكرها المتكلمون لأن العصمة عندالمتكلمين من شرطها القدرة وحقيقتها راجعة إلى لطف يمنع القادر على المعصية من المعصية وإنما المراد أن غيرالقادر فى اندفاع العقوبة عنه كالقادر ألذى لايفعل [صفحه ٢٦١]

٣٥٢

مَاءُ وَجهِكَ جَامِدٌ يُقطِرُهُ السّؤَالُ فَانظُر عِندَ مَن تُقطِرُهُ هذاحسن و قدأخذه شاعر فقال إذاأظمأتك أكف اللئام || كفتك القناعة شبعا وريا فكن رجلا رجله فى الثرى || وهامة همته فى الثريا فإن إراقة ماء الحياة || دون إراقة ماء المحيا و قال آخر رددت لى ماء وجهى فى صفيحته || رد الصقال بهاء الصارم الجذم و ماأبالى وخير القول أصدقه || حقنت لى ماء وجهى أوحقنت دمى .

و قال مصعب بن الزبير إنی لأستحیی من رجل وجه إلی رغبته فبات لیلته یتململ ویتقلقل علی فراشه ینتظر الصبح قدجعلنی أهلا لأن یقطر ماء وجهه لدی إن أرده خائبا. و قال آخر ماماء کفیک إن أرسلت مزنته || من ماء وجهی إذااستقطرته عوض [صفحه ۲۶۲]

۳۵۳

الثّنَاءُ بِأَکثَرَ مِنَ الِاستِحقَاقِ مَلَقٌ وَ التّقصِیرُ عَنِ الِاستِحقَاقِ عیِّ أَو حَسَدٌ کانوا یکرهون أن یثنی الشاعر فی شعره علی الممدوح الثناء المفرط ویقولون خیر المدح ماقارب فیه الشاعر واقتصد و هذا هوالمذهب الصحیح و إن کان قوم یقولون إن خیر الشعر المنظوم فی المدح ما کان أشد مغالاة وأکثر تبجیلا وتعظیما ووصفا ونعتا. وینبغی أن یکون قوله ع محمولا علی الثناء فی وجه الإنسان لأنه هوالموصوف بالملق إذاأفرط فأما من یثنی بظهر الغیب فلایوصف ثناؤه بالملق سواء کان مقتصدا أومسرفا. و قوله ع والتقصیر عن الاستحقاق عی أوحسد لامزید علیه فی الحسن لأنه إذاقصر به عن استحقاقه کان المانع إما من جانب المثنی فقط من غیرتعلق له بالمثنی علیه أو مع تعلق به فالأول هوالعی والحصر والثانی هوالحسد والمنافسة [صفحه ۲۶۳]

۳۵۴

أَشَدّ الذّنُوبِ مَا استَهَانَ بِهِ صَاحِبُهَا قدذکرنا هذافیما تقدم وذکرنا العلة فیه وهی أن فاعل ذلک الذنب قدجمع بین فعل الذنب وفعل ذنب آخر و هوالاستهانة بما لایستهان به لأن المعاصی لاهین فیها والصغیر منها کبیر والحقیر منها عظیم و ذلک لجلالة شأن المعصی سبحانه .فأما من یذنب ویستعظم ماأتاه فحاله أخف من حال الأول لأنه یکاد یکون نادما [صفحه ۲۶۴]

۳۵۵

مَن نَظَرَ فِی عَیبِ نَفسِهِ اشتَغَلَ عَن عَیبِ غَیرِهِ وَ مَن رضَیِ‌َ بِرِزقِ اللّهِ لَم یَحزَن عَلَی مَا فَاتَهُ وَ مَن سَلّ سَیفَ البغَیِ‌ قُتِلَ بِهِ وَ مَن کَابَدَ الأُمُورَ عَطِبَ وَ مَنِ اقتَحَمَ اللّجَجَ غَرِقَ وَ مَن دَخَلَ مَدَاخِلَ السّوءِ اتّهِمَ وَ مَن کَثُرَ کَلَامُهُ کَثُرَ خَطَؤُهُ وَ مَن کَثُرَ خَطَؤُهُ قَلّ حَیَاؤُهُ وَ مَن قَلّ حَیَاؤُهُ قَلّ وَرَعُهُ وَ مَن قَلّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلبُهُ وَ مَن مَاتَ قَلبُهُ دَخَلَ النّارَ وَ مَن نَظَرَ فِی عُیُوبِ غَیرِهِ فَأَنکَرَهَا ثُمّ رَضِیَهَا لِنَفسِهِ فَذَلِکَ الأَحمَقُ بِعَینِهِ وَ القَنَاعَةُ مَالٌ لَا یَنفَدُ وَ مَن أَکثَرَ مِن ذِکرِ المَوتِ رضَیِ‌َ مِنَ الدّنیَا بِالیَسِیرِ وَ مَن عَلِمَ أَنّ کَلَامَهُ مِن عَمَلِهِ قَلّ کَلَامُهُ إِلّا فِیمَا یَعنِیهِ کل هذه الفصول قدتقدم الکلام فیها وهی عشرة أولها من نظر فی عیب نفسه اشتغل عن عیب غیره کان یقال أصلح نفسک أولا ثم أصلح غیرک . وثانیها من رضی برزق الله لم یحزن علی مافاته کان یقال الحزن علی المنافع الدنیویة سم تریاقه الرضا بالقضاء [صفحه ۲۶۵] وثالثها من سل سیف البغی قتل به کان یقال الباغی مصروع و إن کثر جنوده . ورابعها من کابد الأمور عطب و من اقتحم اللجج غرق مثل هذاقول القائل من حارب الأیام أصبح رمحه || قصدا وأصبح سیفه مفلولا . وخامسها من دخل مداخل السوء اتهم هذامثل قولهم من عرض نفسه للشبهات فلایلومن من أساء به الظن . وسادسها من کثر کلامه إلی قوله دخل النار قدتقدم القول فی المنطق الزائد و ما فیه من المحذور و کان یقال قلما سلم مکثار أوأمن من عثار. وسابعها من نظر فی عیوب غیره فأنکرها ثم رضیها لنفسه فذاک هوالأحمق بعینه و کان یقال أجهل الناس من یرضی لنفسه بما یسخطه من غیره . وثامنها القناعة مال لاینفد قدسبق القول فی هذا وسیأتی أیضا. وتاسعها من ذکر الموت رضی من الدنیا بالیسیر کان یقال إذاأحببت ألا تحسد أحدا فأکثر ذکر الموت واعلم أنک و من تحسده عن قلیل من عدید الهلکی . وعاشرها من علم أن کلامه

من عمله قل كلامه إلافيما يعنيه لاريب أن الكلام عمل من الأعمال وفعل من الأفعال فكما يستهجن من الإنسان ألا يزال يحرك يده و إن كان عابثا كذلك يستهجن ألا يزال يحرك لسانه فيما هوعبث أويجرى مجرى العبث . و قال الشاعر يخوض أناس فى الكلام ليوجزوا || وللصمت فى بعض الأحايين أوجز إذاكنت عن أن تحسن الصمت عاجزا || فأنت عن الإبلاغ فى القول أعجز [صفحه ۲۶۶]

۳۵۶

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ يَظلِمُ مَن فَوقَهُ بِالمَعصِيَةِ وَ مَن دُونَهُ بِالغَلَبَةِ وَ يُظَاهِرُ القَومَ الظّلَمَةَ يمكن أن يفسر هذاالكلام على وجهين أحدهما أن كل من وجدت فيه إحدى هذه الثلاث فهو ظالم إما أن يكون قدوجبت عليه طاعة من فوقه فعصاه فهو بعصيانه ظالم له لأنه قدوضعه فى غيرموضعه والظلم فى أصل اللغة هو هذاالمعنى ولذلك سموا اللبن يشرب قبل أن يبلغ الروب مظلوما لأن الشرب منه كان فى غيرموضعه إذا لم يرب و لم يخرج زبده فكذلك من عصى من فوقه فقد زحزحه عن مقامه إذ لم يطعه وإما أن يكون قدقهر من دونه وغلبه وإما أن يكون قدظاهر الظلمة. والوجه الثانى أن كل ظالم فلابد من اجتماع هذه العلامات الثلاث فيه و هذا هوالأظهر [صفحه ۲۶۷]

۳۵۷

عِندَ تَنَاهِي الشّدّةِ تَكُونُ الفَرجَةُ وَ عِندَ تَضَايُقِ حَلَقِ البَلَاءِ يَكُونُ الرّخَاءُ كان يقال إذااشتد المضيق اتسعت الطريق و كان يقال توقعوا الفرج عندارتتاج المخرج و قال الشاعر إذابلغ الحوادث منتهاها || فرج بعيدها الفرج المطلا فكم كرب تولى إذ توالى || وكم خطب تجلى حين جلى . و فى الأثر تضايقى تنفرجى سيجعل الله بعدالعسر يسرا. والفرجة بفتح الفاء التفصى من الهم قال الشاعر ربما تجزع النفوس من الأمر || له فرجة كحل العقال فأما الفرجة بالضم ففرجة الحائط و ماأشبهه [صفحه ۲۶۸]

۳۵۸

وَ قَالَ ع لِبَعضِ أَصحَابِهِ لَا تَجعَلَنّ أَكثَرَ شُغُلِكَ بِأَهلِكَ وَ وَلَدِكَ فَإِن يَكُن أَهلُكَ وَ وَلَدُكَ أَولِيَاءَ اللّهِ فَإِنّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَولِيَاءَهُ وَ إِن يَكُونُوا أَعدَاءَ اللّهِ فَمَا هَمّكَ وَ شُغُلُكَ بِأَعدَاءِ اللّهِ قدتقدم القول نحو هذاالمعنى و هوأمر بالتفويض والتوكل على الله تعالى فيمن يخلفه الإنسان من ولده وأهله فإن الله تعالى أعلم بالمصلحة وأرأف بالإنسان من أبيه وأمه ثم إن كان الولد فى علم الله تعالى وليا من أولياء الله سبحانه فإن الله تعالى لايضيعه قال سبحانه وَ مَن يَتَوَكّل عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسبُهُ و كل ولى لله فهو متوكل عليه لامحالة و إن كان عدوا لله لم يجز الاهتمام له والاعتناء بأمره لأن أعداء الله تجب مقاطعتهم ويحرم توليهم فعلى كل حال لاينبغى للإنسان أن يحفل بأهله وولده بعدموته . واعلم أن هذاكلام العارفين الصديقين لاكلام أهل هذه الطبقات التى نعرفها فإن هذه الطبقات تقصر أقدامهم عن الوصول إلى هذاالمقام . ويعجبنى قول الشاعر -قرآن-۲۸۳-۳۲۶ أيا جامع المال وفرته || لغيرك إذ لم تكن خالدا فإن قلت أجمعه للبنين || فقد يسبق الولد الوالدا و إن قلت أخشى صروف الزمان || فكن من تصاريفه واحدا [صفحه ۲۶۹]

۳۵۹

أَكبَرُ العَيبِ أَن تَعِيبَ مَـا فِيـکَ مِثلُهُ قدتقـدم هـذاالمعنی مرارا و قال الشاعر إذا أنت عبت الأمر ثم أتيته || فأنت و من تزری عليه سواء [صفحه ٢٧٠]

٣٦٠

وَ هَنّأَ بِحَضـرَتِهِ رَجُـلٌ رَجُلًا آخَرَ بِغُلَامٍ وُلِـدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ لِيَهنِئکَ الفَارِسُ فَقَالَ ع لَا تَقُل ذَلِکَ وَ لَکِن قُل شَـکَرتَ الوَاهِبَ وَ بُورِکَ لَکَ فِي المَوهُوبِ وَ بَلَغَ أَشُـدّهُ وَ رُزِقتَ بِرّهُ هذه کلمة کانت من شـعار الجاهلية فنهی عنها کمانهی عن تحية الجاهلية أبيت اللعن وجعل عوضـها سـلام عليکم . و قال رجل للحسن البصـری و قدبشره بغلام ليهنئک الفارس فقال بل الراجل ثم قال لامرحبا بمن إن عاش کدنی و إن مات هدنی و إن کنت مقلا أنصبنی و إن کنت غنيا أذهلنی ثم لاأرضی بسعيی له سعيا و لابکدی عليه فی الحياة کدا حتی أشفق عليه بعدموتی من الفاقة و أنا فی حال لايصل إلی من فرحه سرور و لا من همه حزن [صفحه ٢٧١]

٣٦١

وَ بَنَی رَجُلٌ مِن عُمّالِهِ بِنَاءً فَخماً فَقَالَ ع أَطلَعَتِ الوَرِقُ رُءُوسَهَا إِنّ البِنَاءَ يَصِفُ لَکَ الغِنَی قدرويت هذه الکلمة عن عمر رضی الله عنه ذکر ذلـک ابن قتيبـة فی عيون الأخبـار. وروی عنه أيضـا لی علی کـل خـائن أمينـان الماء والطين . قال يحيی بن خالـد لابنه جعفرحين اختط داره ببغـداد ليبنيها هی قميصک فإن شـئت فوسـعه و إن شـئت فضـيقه . ورآه و هويجصـص حيطان داره المبنية بالآجر فقال له إنک تغطی الـذهب بالفضـة فقال جعفر ليس فی کل مکان يکون الذهب خيرا من الفضة ولکن هل تری عيبا قال نعم مخالطتهـا دور السوقة. وقيـل ليزيـد بن المهلب أ لا ـيبنی الأمير دارا فقال منزلی دار الإمارة أوالحبس . و کان يقال فی الـدار لتکن أول مايبتـاع وآخر ماتبـاع . ومر رجـل من الخوارج بآخر من أصـحابهم و هويبنی دارا فقال من ذا ألـذی يقيم کفيلا وقالوا کل مايخرج بخروجک ويرجع برجوعک کالدار والنخل ونحوهما فهو کفيل [صفحه ٢٧٢]

٣٦٢

وَ قِيـلَ لَهُ ع لَو سُـدّ عَلَی رَجُـلٍ بَابُ بَيتٍ وَ تُرِکَ فِيهِ مِن أَينَ کَانَ يَأتِيهِ رِزقُهُ فَقَالَ ع مِن حَيثُ يَأتِيهِ أَجَلُهُ ليس يعنی ع أن کل من يسـد عليه باب بيت فإنه لابد أن يرزقه الله تعالی لأن العيان والمشاهدة تقتضـی خلاف ذلک و مارأينا من سد عليه باب بيت مدة طويلة فعاش و لاريب أن من شق أسطوانة وجعل فيهاحيا ثم بنيت الأسطوانة عليه فإنه يموت مختنقا و لايأتيه رزقه و لاحياته ولأن للحکمـاء أن يقولوا فی الفرق بين الموضـعين إن أجله إنمـا يـأتيه لأـن الأجل عـدم الحياة والحياة تعـدم لعـدم مايوجبها و ألـذی يوجب اسـتمرارها الغـذاء فلما انقطع الغـذاء حضـر الأجل فهـذا هوالوجه ألـذی يأتيه منه أجله و لاسبيل إلی ذکر مثله فی حضور الرزق لمن يسـد عليه البـاب . فـإذامعنی کلامه ع أن الله تعالی إذاعلم فيمن يجعل فی دار ويسـد عليه بابها أن فی بقاء حياته لطفا لبعض المکلفين فإنه يجب علی الله تعالی أن يـديم حياته کمايشاء سبحانه إما بغـذاء يقيم به مادة حياته أو [صـفحه ٢٧٣] يديم حياته بغير سـبب و هذا هوالوجه ألذی منه يأتيه أجله أيضا لأن إماتة الله المکلف أمر تابع للمصلحة لأنه لابد من انقطاع التکليف علی کـل حـال للوجه ألـذی يـذکره أصـحابنا فی کتبهم فإذا کان الموت تابعا للمصـلحة و کان الإحياء تابعا للمصـلحة فقـد أتی الإنسان رزقه يعنی حياته من حيث يأتيه أجله وانتظم الکلام [صفحه ٢٧٤]

۳۶۳

وَ عَزّی قَوماً عَن مَیّتٍ مَاتَ لَهُم فَقَالَ ع إِنّ هَـذَا الأَمرَ لَیسَ بِکُم بَدَأَ وَ لَا إِلَیکُمُ انتَهَی وَ قَد کَانَ صَاحِبُکُم هَذَا یُسَافِرُ فَقَالُوا نَعَم قَالَ فَعُدّوهُ فِی بَعضِ سَفَرَاتِهِ فَإِن قَدِمَ عَلَیکُم وَ إِلّا قَدِمتُم عَلَیهِ قدألم ابراهیم بن المهدی ببعض هذا فی شعره ألذی رثی به ولده فقال یئوب إلی أوطانه کل غائب || و أحمد فی الغیاب لیس یئوب تبدل دارا غیرداری وجیرة || سوای وأحداث الزمان تنوب أقام بهامستوطنا غیر أنه || علی طول أیام المقام غریب وإنی و إن قدمت قبلی لعالم || بأنی و إن أبطأت عنک قریب و إن صباحا نلتقی فی مسائه || صباح إلی قلبی الغداۀ حبیب [صفحه ۲۷۵]

۳۶۴

أَیّهَا النّاسُ لِیَرَاکُمُ اللّهُ مِنَ النّعمَهِ وَجِلِینَ کَمَا یَرَاکُم مِنَ النّقمَهِ فَرِقِینَ إِنّهُ مَن وُسّعَ عَلَیهِ فِی ذَاتِ یَدِهِ فَلَم یَرَ ذَلِکَ استِدرَاجاً فَقَد أَمِنَ مَخُوفاً وَ مَن ضُیّقَ عَلَیهِ فِی ذَاتِ یَدِهِ فَلَم یَرَ ذَلِکَ اختِبَاراً فَقَد ضَیّعَ مَأمُولًا قدتقدم القول فی استدراج المترف الغنی واختبار الفقیر الشقی و أنه یجب علی الإنسان و إن کان مشمولا بالنعمۀ أن یکون وجلا کمایجب علیه إذا کان فقیرا أن یکون شکورا صبورا [صفحه ۲۷۶]

۳۶۵

یَا أَسرَی الرّغبَهِ اقصُرُوا فَإِنّ المُعَرّجَ عَلَی الدّنیَا لَا یَرُوعُهُ مِنهَا إِلّا صَرِیفُ أَنیَابِ الحِدثَانِ أَیّهَا النّاسُ تَوَلّوا عَن أَنفُسِکُم تَأدِیبَهَا وَ اعدِلُوا بِهَا عَن ضَرَاوَهِ عَادَاتِهَا ضری یضری ضرایۀ مثل رمی یرمی رمایۀ أی جری وسال ذکره ابن الأعرابی و علیه ینبغی أن یحمل کلام أمیر المؤمنین ع أی اعدلوا بها عن عاداتها الجاریۀ من باب إضافۀ الصفۀ إلی الموصوف و هذاخیر من تفسیر الراوندی و قوله إنه من ضری الکلب بالصید لأن المصدر من ذلک الضراوۀ بالواو وفتح الضاد و لم یأت فیه ضرایۀ. و قوله یاأسری الرغبۀ کلمۀ فصیحۀ وکذلک قوله لایروعه منها إلاصریف أنیاب الحدثان و ذلک لأن الفهد إذاوثب والذئب إذاحمل یصرف نابه ویقولون لکل خطب وداهیۀ جاءت تصرف نابها والصریف صوت الأسنان إما عندرعدۀ أو عندشدۀ الغضب والحنق والحرص علی الانتقام أونحو ذلک . و قدتقدم الکلام فی الدنیا والرغبۀ فیها وغدرها وحوادثها ووجوب العدول عنها وکسر عادیۀ عادات السوء المکتسبۀ فیها [صفحه ۲۷۷]

۳۶۶

لَا تَظُنّنّ بِکَلِمَهٍ خَرَجَت مِن أَحَدٍ سُوءاً وَ أَنتَ تَجِدُ لَهَا فِی الخَیرِ مُحتَمَلًا هذه الکلمۀ یرویها کثیر من الناس لعمر بن الخطاب ویرویها بعضهم لأمیر المؤمنین ع و کان ثمامۀ یحدث بسؤدد یحیی بن خالد وابنه جعفر و یقول إن الرشید نکب علی بن عیسی بن ماهان وألزمه مائۀ ألف دینار أدی منها خمسین ألفا ویلح بالباقی فأقسم الرشید إن لم یؤد المال فی بقیۀ هذاالیوم و إلاقتله و کان علی بن عیسی عدوا للبرامکۀ مکاشفا فلما علم أنه مقتول سأل أن یمکن من السعی إلی الناس یستنجدهم ففسح له فی ذلک فمضی ومعه وکیل الرشید وأعوانه إلی باب یحیی و جعفرفأشبلا علیه وصححا من صلب أموالهما خمسین ألف دینار فی باقی نهار ذلک الیوم بدیوان الرشید باسم علی بن عیسی واستخلصاه فنقل بعض المتنصحین لهما إلیهما أن علی بن عیسی قال

فى آخر نهار ذلك اليوم متمثلا فما بقيا على تركتمانى || ولكن خفتما صرد النبال [صفحه ۲۷۸] فقال يحيى للناقل إليه ذلك يا هـذا إن المرعوب ليسبق لسانه إلى ما لم يخطر بقلبه . و قال جعفر و من أين لنا أنه تمثل بذلك وعنانا ولعله أراد أمرا آخر فكان ثمامة يقول ما فى الأرض أسود من رجل يتأول كلام عدوه فيه ويحمله على أحسن محامله . و قال الشاعر إذا ماأتت من صاحب لك زلة || فكن أنت محتالا لزلته عذرا [صفحه ۲۷۹]

۳۶۷

إِذَا كَانَت لَکَ إِلَى اللّهِ سُبحَانَهُ حَاجَةٌ فَابدَأ بِمَسأَلَةِ الصّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِص ثُمّ سَل حَاجَتَکَ فَإِنّ اللّهَ أَكرَمُ مِن أَن يُسأَلَ حَاجَتَينِ فَيَقضِيَ إِحدَاهُمَا وَ يَمنَعَ الأُخرَى هـذاالكلام على حسب الظاهر ألذى يتعارفه الناس بينهم و هو ع يسلك هذاالمسلك كثيرا ويخاطب الناس على قدر عقولهم و أماباطن الأمر فإن الله تعالى لايصلى على النبى ص لأجل دعائنا إياه أن يصلى عليه لأن معنى قولنا أللهم صل على محمد أى أكرمه وارفع درجته و الله سبحانه قدقضى له بالإكرام التام ورفعة الدرجة من دون دعائنا وإنما تعبدنا نحن بأن نصلى عليه لأن لنا ثوابا فى ذلك لالأن إكرام الله تعالى له أمر يستعقبه ويستتبعه دعاؤنا. وأيضا فأى غضاضة على الكريم إذاسئل حاجتين فقضى إحداهما دون الأخرى إن كان عليه فى ذلك غضاضة فعليه فى رد الحاجة الواحدة غضاضة أيضا [صفحه ۲۸۰]

۳۶۸

مَن ضَنّ بِعِرضِهِ فَليَدَعِ المِرَاءَ قدتقدم من القول فى المراء ما فيه كفاية وحد المراء الجدال المتصل لايقصد به الحق . وقيل لميمون بن مهران ما لك لاتفارق أخا لك عن قلى قال لأنى لاأشاريه و لاأماريه . و كان يقال ماضل قوم بعدإذ هداهم الله تعالى إلابالمراء والإصرار فى الجدال على نصرة الباطل . و قال سفيان الثورى إذارأيتم الرجل لجوجا مماريا معجبا بنفسه فقد تمت خسارته [صفحه ۲۸۱]

۳۶۹

مِنَ الخُرقِ المُعَاجَلَةُ قَبلَ الإِمكَانِ وَ الأَنَاةُ بَعدَ الفُرصَةِ قدتقدم القول فى هذين المعنيين . و من كلام ابن المعتز إهمال الفرصة حتى تفوت عجز والعجلة قبل التمكن خرق . و قدجعل أمير المؤمنين ع كلتا الحالتين خرقا و هوصحيح لأن الخرق الحمق وقلة العقل وكلتا الحالتين دليل على الحمق والنقص [صفحه ۲۸۲]

۳۷۰

لَا تَسأَل عَمّا لَم يَكُن ففَيِ ألّذِى قَد كَانَ لَکَ شُغُلٌ من هذاالباب قول أبى الطيب فى سيف الدولة ليس المدائح تستوفى مناقبه || فمن كليب و أهل الأعصر الأول خذ ماتراه ودع شيئا سمعت به || فى طلعة البدر مايغنيك عن زحل [صفحه ۲۸۳]

۳۷۱

الفِكرُ مِرآةٌ صَافِيَةٌ وَ الِاعتِبَارُ مُنذِرٌ نَاصِحٌ وَ كَفَى أَدَباً لِنَفسِكَ تَجَنّبُكَ مَا كَرِهتَهُ لِغَيرِكَ قدتقدم القول فى نحو هذا و فى المثل كفى بالاعتبار منذرا وكفى بالشيب زاجرا وكفى بالموت واعظا و قدسبق القول فى وجوب تجنب الإنسان مايكرهه من غيره . و قال بعض الحكماء إذاأحببت أخلاق امرئ فكنه و إن أبغضتها فلاتكنه أخذه شاعرهم فقال إذاأعجبتك خصال امرئ || فكنه يكن منك مايعجبك فليس على المجد والمكرمات || إذاجئتها حاجب يحجبك [صفحه ۲۸۴]

۳۷۲

العِلمُ مَقرُونٌ بِالعَمَلِ فَمَن عَلِمَ عَمِلَ وَ العِلمُ يَهتِفُ بِالعَمَلِ فَإِن أَجَابَ وَ إِلّا ارتَحَلَ عَنهُ لاخير فى علم بلا عمل والعلم بغير العمل حجة على صاحبه وكلام أمير المؤمنين ع يشعر بأنه لاعالم إلا و هوعامل ومراده بالعلم هاهنا العرفان و لاريب أن العارف لابد أن يكون عاملا. ثم استأنف فقال العلم يهتف بالعمل أى يناديه و هذه اللفظة استعارة. قال فإن أجابه و إلاارتحل أى إن كان الإنسان عالما بالأمور الدينية ثم لم يعمل بهاسلبه الله تعالى علمه و لم يمت إلا و هومعدود فى زمرة الجاهلين ويمكن أن يفسر على أنه أراد بقوله ارتحل ارتحلت ثمرته ونتيجته وهى الثواب فإن الله تعالى لايثيب المكلف على علمه بالشرائع إذا لم يعمل بهالأن إخلاله بالعمل يحبط مايستحقه من ثواب العلم لوقدرنا أنه استحق على العلم ثوابا وأتى به على الشرائط التى معها يستحق الثواب [صفحه ۲۸۵]

۳۷۳

اشاره

أَيّهَا النّاسُ مَتَاعُ الدّنيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنّبُوا مَرعَاهُ قُلعَتُهَا أَحظَى مِن طُمَأنِينَتِهَا وَ بُلغَتُهَا أَزكَى مِن ثَروَتِهَا حُكِمَ عَلَى مُكثِرِيهَا بِالفَاقَةِ وَ أُعِينَ مَن غَنِيَ عَنهَا بِالرّاحَةِ مَن رَاقَهُ زِبرِجُهَا أَعقَبَت نَاظِرَيهِ كَمَهاً وَ مَنِ استَشعَرَ الشّغَفَ بِهَا مَلَأَت ضَمِيرَهُ أَشجَاناً لَهُنّ رَقصٌ عَلَى سُوَيدَاءِ قَلبِهِ هَمّ يَشغَلُهُ وَ غَمّ يَحزُنُهُ حَتّى يُؤخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلقَى بِالفَضَاءِ مُنقَطِعاً أَبهَرَاهُ هَيّناً عَلَى اللّهِ فَنَاؤُهُ وَ عَلَى الإِخوَانِ إِلقَاؤُهُ وَ إِنّمَا يَنظُرُ المُؤمِنُ إِلَى الدّنيَا بِعَينِ الِاعتِبَارِ وَ يَقتَاتُ مِنهَا بِبَطنِ الِاضطِرَارِ وَ يَسمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ المَقتِ وَ الإِبغَاضِ إِن قِيلَ أَثرَى قِيلَ أَكدَى وَ إِن فُرِحَ لَهُ بِالبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالفَنَاءِ هَذَا وَ لَم يَأتِهِم يَومٌ هُم فِيهِ مُبلِسُونَ متاع الدنيا أموالها وقنيانها. والحطام ماتكسر من الحشيش واليبس وشبه متاع الدنيا بذلك لحقارته . وموبئ محدث للوباء و هوالمرض العام . ومرعاة بقعة ترعى كقولك مأسدة فيهاالأسد ومحياة فيهاالحيات . وقلعتها بسكون اللام خير من طمأنينتها أى كون الإنسان فيهامنزعجا متهيئا [صفحه ۲۸۶] للرحيل عنها خير له من أن يكون ساكنا إليها مطمئنا بالمقام فيها. والبلغة مايتبلغ به والثروة اليسار والغنى وإنما حكم على مكثريها بالفاقة والفقر لأنهم لاينتهون إلى حد من الثروة والمال إلا وجدوا واجتهدوا وحرصوا فى طلب الزيادة عليه فهم فى كل أحوالهم فقراء إلى تحصيل المال كما أن من لامال له أصلا يجد ويجتهد فى تحصيل المال بل ربما كان جدهم وحرصهم على ذلك أعظم من كدح الفقير وحرصه وروى وأعين من غنى عنها و من رواه أغنى أى أغنى الله من غنى عنها وزهد فيهابالراحة وخلو البال وعدم الهم والغم . والزبرج الزينة وراقه أعجبه . والكمه العمى الشديد وقيل هو أن يولد أعمى . والأشجان الأحزان . والرقص بفتح القاف الاضطراب والغليان والحركة. والكظم بفتح الظاء مجرى النفس . والأبهران عرقان متصلان بالقلب ويقال للميت قدانقطع أبهراه . قوله وإنما ينظر المؤمن إخبار فى الصورة وأمر فى المعنى أى لينظر المؤمن إلى الدنيا بعين الاعتبار وليأكل منها

ببطن الاضطرار أى قدر الضرورة لاحتكار أواستكثار وليسمع حديثها بأذن المقت والبغض أى ليتخذها عدوا قدصاحبه فى طريق فليأخذ حذره منه جهده وطاقته وليسمع كلامه وحديثه لااستماع مصغ ومحب وامق بل استماع مبغض محترز من غائلته . [صفحه ۲۸۷] ثم عاد إلى وصف الدنيا وطالبها فقال إن قيل أثرى قيل أكدى وفاعل أثرى هوالضمير العائد إلى من استشعر الشغف بها يقول بينا يقال أثرى قيل افتقر لأن هذه صفة الدنيا فى تقلبها بأهلها و إن فرح له بالحياة ودوامها قيل مات وعدم هذا و لم يأتهم يوم القيامة يوم هم فيه مبلسون أبلس الرجل يبلس إبلاسا أى قنط ويئس واللفظ من لفظات الكتاب العزيز

نبذ من الأقوال الحكيمة فى وصف حال الدنيا وصروفها

و قدذكرنا من حال الدنيا وصروفها وغدرها بأهلها فيما تقدم أبوابا كثيرة نافعة. ونحن نذكر هاهنا زيادة على ذلك .فمن كلام بعض الحكماء ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وتغره ويأمنها وتخذله ويثق بهاويل للمغترين كيف أرتهم مايكرهون وفاتهم مايحبون وجاءهم مايوعدون ويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه . و روى أنس قال كانت ناقة رسول الله ص العضباء لاتسبق فجاء أعرابى بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله ص حق على الله ألا يرفع فى الدنيا شيئا إلاوضعه -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۱۷۹ . و قال بعض الحكماء من ذا ألذى يبنى على موج البحر دارا تلكم الدنيا فلاتتخذوها قرارا. [صفحه ۲۸۸] وقيل لحكيم علمنا عملا واحدا إذاعملناه أحبنا الله عليه فقال أبغضوا الدنيا يحببكم الله . و قال أبوالدرداء قال رسول الله ص لوتعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة -روايت-۱-۲-روايت-۳۹-۱۲۵ . ثم قال أبوالدرداء من قبل نفسه أيها الناس لوتعلمون ماأعلم لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أنفسكم ولتركتم أموالكم لاحارس لها و لاراجع إليها إلا ما لابد لكم منه ولكن غاب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لايعلمون فبعضكم شر من البهائم التى لاتدع هواها مالكم لاتحابون و لاتناصحون فى أموركم وأنتم إخوان على دين واحد مافرق بين أهوائكم إلاخبث سرائركم و لواجتمعتم على البر لتحاببتم مالكم لاتناصحون فى أموركم ما هذا إلا من قلة الإيمان فى قلوبكم و لوكنتم توقنون بأمر الآخرة كماتوقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة فإن قلت حب العاجلة غالب فإنا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للأجل منها مالكم تفرحون باليسير من الدنيا وتحزنون على اليسير منها بفوتكم حتى يتبين ذلك فى وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيهاالمآتم وعامتكم قدتركوا كثيرا من دينهم ثم لايتبين ذلك فى وجوههم و لاتتغير حال بهم يلقى بعضهم بعضا بالمسرة ويكره كل منكم أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل وبنيتم مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل أراحنى الله منكم وألحقنى بمن أحب رؤيته . و قال حكيم لأصحابه ارضوا بدنئ الدنيا مع سلامة الدين كمارضى أهل الدنيا بدنئ الدين مع سلامة الدنيا. [صفحه ۲۸۹] وقيل فى معناه أرى رجالاـ بأدنى الدين قدقنعوا || و لاأراهم رضوا فى العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كمااستغنى || الملوك بدنياهم عن الدين فى الحديث المرفوع لتأتينكم بعدى دنيا تأكل إيمانكم كماتأكل النار الحطب -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۸۱ . و قال الحسن رحمه الله أدركت أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم ركضوا خفافا. و قال أيضا من نافسك فى دينك فنافسه و من نافسك فى دنياك فألقها فى نحره . و قال الفضيل طالت فكرتى فى هذه الآيةإِنّا جَعَلنا ما عَلَى الأَرضِ زِينَةً لَها لِنَبلُوَهُم أَيّهُم أَحسَنُ عَمَلًا وَ إِنّا لَجاعِلُونَ ما عَلَيها صَعِيداً جُرُزاً. و من كلام بعض الحكماء لن تصبح فى شيء من الدنيا إلا و قد كان له أهل قبلك و يكون له أهل من بعدك و ليس لك من الدنيا إلاعشاء ليلة وغداء يوم فلاتهلك نفسك فى أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة فإن رأس مال الدنيا الهوى

وربحها النار. وقيل لبعض الرهبان كيف ترى الدهر قال يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويباعد الأمنية قيل فما حال أهله قال من ظفر به تعب و من فاته اكتأب . و من هذاالمعنى قول الشاعر -قرآن-٢٣٠-٣٥٨ و من يحمد الدنيا لعيش يسره || فسوف لعمرى عن قليل يلومها [صفحه ٢٩٠] إذاأدبرت كانت على المرء حسرة || و إن أقبلت كانت كثيرا همومها . و قال بعض الحكماء كانت الدنيا و لم أكن فيها وتذهب الدنيا و لاأكون فيها ولست أسكن إليها فإن عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل إما بنعمة زائلة أوبلية نازلة أومنية قاضية. و قال بعضهم من عيب الدنيا أنها لاتعطى أحدا مايستحق إما أن تزيد له وإما أن تنقص . و قال سفيان الثورى أ ماترون النعم كأنها مغضوب عليها قدوضعت فى غيرأهلها. و قال يحيى بن معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلاتسرق من حانوته شيئا فإنه يجيء فى طلبك حتى يأخذك . و قال الفضيل لوكانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغى لنا أن نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف و قداخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى . و قال بعضهم ماأصبح أحد فى الدنيا إلا و هوضيف و لاشبهة فى أن الضيف مرتحل و ماأصبح ذو مال فيها إلا وماله عارية عنده و لاريب أن العارية مردودة. ومثل هذاقول الشاعر وماالمال والأهلون إلاوديعة || و لابد يوما أن ترد الودائع . وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت فأنشد نرقع دنيانا بتمزيق ديننا || فلادينا يبقى و لا مانرقع [صفحه ٢٩١] وزار رابعة العدوية أصحابها فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها وكفوا فلو لاموقعها فى قلوبكم ماأكثرتم من ذكرها إن من أحب شيئا أكثر من ذكره . و قال مطرف بن الشخير لاتنظروا إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . قال الشاعر أرى طالب الدنيا و إن طال عمره || ونال من الدنيا سرورا وأنعما كبان بنى بنيانه فأقامه || فلما استوى ما قدبناه تهدما . و قال أبوالعتاهية تعالى الله ياسلم بن عمرو || أذل الحرص أعناق الرجال هب الدنيا تساق إليك عفوا || أ ليس مصير ذلك إلى الزوال و مادنياك إلامثل فيء || أظلك ثم آذن بانتقال . و قال بعضهم الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على معاشرة الكلاب . و قال أبوأمامة الباهلى لمابعث الله محمداص أتت إبليس جنوده وقالوا قدبعث نبى وجدت ملة وأمة فقال كيف حالهم أيحبون الدنيا قالوا نعم قال إن كانوا يحبونها فلاأبالى ألا يعبدوا الأصنام فإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث أخذ المال من غيرحقه وإنفاقه فى غيرحقه وإمساكه عن حقه والشر كله لهذه الثلاث تبع . و كان مالك بن دينار يقول اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا. [صفحه ٢٩٢] و قال أبوسليمان الرازى إذاكانت الآخرة فى القلب جاءت الدنيا فزاحمتها و إذاكانت الدنيا فى القلب لم تزاحمها الآخرة لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة. و قال مالك بن دينار بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك و هذامقتبس من قول أمير المؤمنين ع الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ماترضى إحداهما تسخط الأخرى -روايت-١-٢-روايت-٢٩-٨٦ . و قال الشاعر ياخاطب الدنيا إلى نفسها || تنح عن خطبتها تسلم إن التى تخطب غدارة || قريبة العرس من المأتم . وقالوا لووصفت الدنيا نفسها لماقالت أحسن من قول أبى نواس فيها إذاامتحن الدنيا لبيب تكشفت || له عن عدو فى ثياب صديق . و من كلام الشافعى يعظ أخا له ياأخى إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب سائر وساكنها إلى القبور زائر شملها على الفرقة موقوف وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار فيهاإعسار والإعسار فيهايسار فافزع إلى الله وارض برزق الله و لاتستسلف من دار بقائك فى دار فنائك فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل أكثر من عملك وأقصر من أملك . و قال ابراهيم بن أدهم لرجل أدرهم فى المنام أحب إليك أم دينار فى اليقظة فقال دينار فى اليقظة فقال كذبت إن ألذى تحبه فى الدنيا فكأنك تحبه فى المنام و ألذى تحبه فى الآخرة فكأنك تحبه فى اليقظة. و قال بعض الحكماء من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة و من [صفحه ٢٩٣] جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله و من غلب علمه هواه فهو الغالب . و قال بعضهم الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لوتحببت إلينا. و قال بعضهم الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. و قال يحيى بن معاذ العقلاء ثلاثة

من ترک الدنیا قبل أن تترکه وبنی قبره قبل أن یدخله وأرضی خالقه قبل أن یلقاه . و قال بعضهم من أراد أن یستغنی عن الدنیا بالدنیا کان کمطفئ النار بالتبن . و من کلام بعض فصحاء الزهاد أیها الناس اعملوا فی مهل وکونوا من الله علی وجل و لاتغتروا بالأمل ونسیان الأجل و لاترکنوا إلی الدنیا فإنها غدارة غرارة خداعة قدتزخرفت لکم بغرورها وفتنتکم بأمانیها وتزینت لخطابها فأضحت کالعروس المتجلیة العیون إلیها ناظرة والقلوب علیها عاکفة والنفوس لها عاشقة فکم من عاشق لها قتلت ومطمئن إلیها خذلت فانظروا إلیها بعین الحقیقة فإنها دار کثرت بوائقها وذمها خالقها جدیدها یبلی وملکها یفنی وعزیزها یذل وکثیرها یقل وحیها یموت وخیرها یفوت فاستیقظوا من غفلتکم وانتبهوا من رقدتکم قبل أن یقال فلان علیل ومدنف ثقیل فهل علی الدواء من دلیل وهل إلی الطبیب من سبیل فتدعی لک الأطباء و لایرجی لک الشفاء ثم یقال فلان أوصی وماله أحصی ثم یقال قدثقل لسانه فما یکلم إخوانه و لایعرف جیرانه وعرق عند ذلک جبینک وتتابع أنینک وثبت یقینک وطمحت جفونک وصدقت ظنونک وتلجلج لسانک وبکی إخوانک وقیل لک هذاابنک فلان و هذاأخوک [صفحه ۲۹۴] فلان منعت من الکلام فلاتنطق وختم علی لسانک فلاینطبق ثم حل بک القضاء وانتزعت روحک من الأعضاء ثم عرج بها إلی السماء فاجتمع عند ذلک إخوانک وأحضرت أکفانک فغسلوک وکفنوک ثم حملوک فدفنوک فانقطع عوادک واستراح حسادک وانصرف أهلک إلی مالک وبقیت مرتهنا بأعمالک . و قال بعض الزهاد لبعض الملوک إن أحق الناس بذم الدنیا وقلاها من بسط له فیها وأعطی حاجته منها لأنه یتوقع آفة تغدو علی ماله فتجتاحه و علی جمعه فتفرقه أوتأتی علی سلطانه فتهدمه من القواعد أوتدب إلی جسمه فتسقمه أوتفجعه بشیء هوضنین به من أحبابه فالدنیا الأحق بالذم وهی الآخذة ماتعطی الراجعة فیما تهب فبینا هی تضحک صاحبها إذ أضحکت منه غیره وبینا هی تبکی له إذ أبکت علیه وبینا هی تبسط کفه بالإعطاء إذ بسطت کفها إلیه بالاسترجاع والاسترداد تعقد التاج علی رأس صاحبها الیوم وتعفره فی التراب غدا سواء علیها ذهاب من ذهب وبقاء من بقی تجد فی الباقی من الذاهب خلفا وترضی بکل من کل بدلا. وکتب الحسن البصری إلی عمر بن عبدالعزیز أما بعد فإن الدنیا دار ظعن لیست بدار إقامة وإنما أنزل إلیها عقوبة فاحذرها فإن الزاد منها ربحها والغنی منها فقرها لها فی کل حین قتیل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هی کالسم یأکله من لایعرفه و هوحتفه فکن فیهاکالمداوی جراحه یحمی قلیلا مخافة مایکرهه طویلا ویصبر علی شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدنیا الغدارة المکارة الختالة الخداعة التی قدتزینت بخدعها وفتنت بغرورها وتحلت بآمالها وتشرفت لخطابها فأصبحت بینهم کالعروس تجلی علی بعلها العیون إلیها ناظرة والقلوب علیها والهة والنفوس لها عاشقة وهی لأزواجها کلهم قاتلة فلاالباقی بالماضی معتبر و لاالآخر بالأول مزدجر و لاالعارف بالله حین أخبره عنها مدکر فمن عاشق لها قد [صفحه ۲۹۵] ظفر منها بحاجته فاغتر وطغی ونسی المعاد وشغل بهالبه حتی زلت عنها قدمه فعظمت ندامته وکثرت حسرته واجتمعت علیه سکرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته و من راغب فیها لم یدرک منها ماطلب و لم یرح نفسه من التعب خرج منها بغیر زاد وقدم علی غیرمهاد فاحذرها ثم احذرها وکن أسر ماتکون فیهاأحذر ماتکون لها فإن صاحبها کلما اطمأن منها إلی سرور أشخصته إلی مکروه والسار منها لأهلها غار والنافع منها فی غد ضار قدوصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فیهاللفناء فسرورها مشوب بالأحزان ونعیمها مکدر بالأشجان لایرجع ماولی منها وأدبر و لایدری ما هوآت فینتظر أمانیها کاذبة وآمالها باطلة وصفوها کدر وعیشها نکد والإنسان فیها علی خطر إن عقل ونظر و هو من النعماء علی غرر و من البلاء علی حذر فلو کان الخالق لها لم یخبر عنها خبرا و لم یضرب لها مثلا لکانت هی نفسها قدأیقظت النائم ونبهت الغافل فکیف و قدجاء من الله عنها زاجر وبتصاریفها واعظ فما لها عند الله قدر و لانظر إلیها منذ خلقها ولقد عرضت علی نبیک محمدص بمفاتیحها وخزائنها لاینقصه ذلک عند الله جناح بعوضة فأبی أن یقبلها کره أن یخالف علی الله أمره أویحب ماأبغضه خالقه أویرفع ماوضعه ملیکه زواها الرب سبحانه عن الصالحین اختبارا وبسطها لأعدائه اغترارا فیظن المغرور بهاالمقتدر علیها أنه أکرم بها

وينسى ماصنع الله تعالى بمحمدص من شده الحجر على بطنه و قدجاءت الرواية عنه عن ربه سبحانه أنه قال لموسى إذارأيت الغنى مقبلاـ فقل ذنب عجلت عقوبته و إذارأيت الفقر مقبلاـ فقل مرحبا بشعار الصالحين و إن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى كان يقول إدامى الجوع وشعارى الخوف ولباسى الصوف وصلائى فى الشتاء مشارق الشمس وسراجى القمر ووسادى الحجر ودابتى رجلاى –روايت–۱–۲–روايت–۴۰–ادامه دارد [صفحه ۲۹۶] وفاكهتى وطعامى ماأنبتت الأرض أبيت و ليس لى شىء و ليس على الأرض أحد أغنى منى –روايت–از قبل–۸۹ فى بعض الكتب القديمة أن الله تعالى لمابعث موسى وهارون ع إلى فرعون قال لايروعنكما لباسه ألذى لبس من الدنيا فإن ناصيته بيدى ليس ينطق و لايطرف و لايتنفس إلاباذنى و لايعجبكما مامتع به منها فإن ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين و لوشئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما وهبتما لفعلت ولكنى أرغب بكما عن ذلك وأزوى ذلك عنكما وكذلك أفعل بأوليائى إنى لأذودهم عن نعيمها كمايذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وإنى لأجنبهم حب المقام فيها كمايجنب الراعى الشفيق إبله عن مبارك العر و ماذاك لهوانهم على ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتى سالما موفورا إنما يتزين لى أوليائى بالذل والخضوع والخوف و إن التقوى لتثبت فى قلوبهم فتظهر على وجوههم فهى ثيابهم التى يلبسونها ودثارهم ألذى يظهرون وضميرهم ألذى يستشعرون ونجاتهم التى بهايفوزون ورجاؤهم ألذى إياه يأملون ومجدهم ألذى به يفتخرون وسيماهم التى بهايعرفون فإذالقيهم أحدكما فليخفض لهم جناحه وليذلل لهم قلبه ولسانه وليعلم أنه من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ثم أناالثائر به يوم القيامة –روايت–۱–۲–روايت–۲۶–۱۰۵۸ . و من كلام بعض الحكماء الأيام سهام و الناس أغراض والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويتخرمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك ويصمى جميع أبعاضك فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالى فى بدنك و لوكشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتى عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله تعالى فوق النظر والاعتبار. [صفحه ۲۹۷] و قال بعض الحكماء و قداستوصف الدنيا وقدر بقائها الدنيا وقتك ألذى يرجع إليه طرفك لأن مامضى عنك فقد فاتك إدراكه و ما لم يأت فلاعلم لك به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والأمل طويل والعمر قصير و إلى الله تصير الأمور. و قال بعض الفضلاء الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء تعد بالبقاء وتخلف فى الوفاء تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهى سائرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن الناظر إليها قد لايحس بحركتها فيطمئن إليها وإنما يحس بذلك بعدانقضائها ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن متحرك فى الحقيقة وساكن فى الظاهر لاتدرك حركته بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنة [صفحه ۲۹۸]

۳۷۴

إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ وَضَعَ الثّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَ العِقَابَ عَلَى مَعصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَن نِقمَتِهِ وَ حِيَاشَةً لَهُم إِلَى جَنّتِهِ ذيادة أى دفعا ذدته عن كذا أى دفعته ورددته وحياشة مصدر حشت الصيد بضم الحاء أحوشه إذاجئته من حواليه لتصرفه إلى الحبالة وكذلك أحشت الصيد وأحوشته و قداحتوش القوم الصيد إذانفره بعضهم إلى بعض . و هذا هومذهب أصحابنا إن الله تعالى لماكلف العباد التكاليف الشاقة و قد كان يمكنه أن يجعلها غيرشاقة عليهم بأن يزيد فى قدرهم وجب أن يكون فى مقابلة تلك التكاليف ثواب لأن إلزام المشاق كإنزال المشاق فكما يتضمن ذلك عوضا وجب أن يتضمن هذاثوابا و لابد أن يكون فى مقابلة فعل القبيح عقاب و إلا كان سبحانه ممكنا الإنسان من القبيح مغريا له بفعله إذ الطبع البشرى يهوى العاجل و لايحفل بالذم و لا يكون

القبیح قبیحا حینئذ فی العقل فلابد من العقاب لیقع الانزجار [صفحه ۲۹۹]

۳۷۵

یأَتیِ عَلَی النّاسِ زَمَانٌ لَا یَبقَی فِیهِم مِنَ القُرآنِ إِلّا رَسمُهُ وَ مِنَ الإِسلَامِ إِلّا اسمُهُ مَسَاجِدُهُم یَومَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ البِنَاءِ خَرَابٌ مِنَ الهُدَی سُکّانُهَا وَ عُمّارُهَا شَرّ أَهلِ الأَرضِ مِنهُم تَخرُجُ الفِتنَةُ وَ إِلَیهِم تأَویِ الخَطِیئَةُ یَرُدّونَ مَن شَذّ عَنهَا فِیهَا وَ یَسُوقُونَ مَن تَأَخّرَ عَنهَا إِلَیهَا یَقُولُ اللّهُ سُبحَانَهُ فبَیِ حَلَفتُ لَأَبعَثَنّ عَلَی أُولَئِکَ فِتنَةً أَترُکُ الحَلِیمَ فِیهَا حَیرَانَ وَ قَد فَعَلَ وَ نَحنُ نَستَقِیلُ اللّهَ عَثرَةَ الغَفلَةِ هذه صفهٔ حال أهل الضـلال والفسق والریاء من هـذه الأمهٔ أ لاتراه یقول سـکانها وعمارها یعنی سـکان المساجد وعمار المساجد شـر أهل الأرض لأنهم أهل ضلالهٔ کمن یسکن المساجد الآن ممن یعتقد التجسم والتشبیه والصورهٔ والنزول والصعود والأعضاء والجوارح و من یقول بالقدر یضیف فعل الکفر والجهل والقبیح إلی الله تعالی فکل هؤلاء أهل فتنهٔ یردون من خرج منها إلیها ویسوقون من لم یدخل فیهاإلیها أیضا. ثم قال حاکیا عن الله تعالی إنه حلف بنفسه لیبعثن علی أولئک فتنهٔ یعنی استئصالا وسیفا حاصدا یترک الحلیم أی العاقـل اللبیب فیهـاحیران لایعلم کیف وجه خلاصه . ثم قال ع و قـدفعل وینبغی أن یکون قـد قال هـذاالکلام فی أیام خلافته لأنها کانت أیام السـیف المسـلط علی أهل الضـلال من المسـلمین وکـذلک مابعثه الله تعالی علی بنی أمیـهٔ وأتباعهم من سیوف بنی هاشم بعدانتقاله ع [صفحه ۳۰۰]

۳۷۶

وَ روُیَِ أَنّهُ ع قَلّمَا اعتَدَلَ بِهِ المِنبَرُ إِلّا قَالَ أَمَامَ خُطبَتِهِ أَیّهَا النّاسُ اتّقُوا اللّهَ فَمَا خُلِقَ امرُؤٌ عَبَثاً فَیلهُوَ وَ لَا تُرِکَ سُدًی فَیلغُوَ وَ مَا دُنیَاهُ التّیِ تَحَسّـنَت لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الآخِرَةِ التّیِ قَبّحَهَا سُوءُ النّظَرِ عِنـدَهُ وَ مَا المَغرُورُ ألّـذِی ظَفِرَ مِنَ الـدّنیَا بِأَعلَی هِمّتِهِ کَالآخَرِ ألّذِی ظَفِرَ مِنَ الآخِرَةِ بِأَدنَی سُهمَتِهِ قال تعالی أَ فَحَسِبتُم أَنّما خَلَقناکُم عَبَثاً وَ أَنّکُم إِلَینا لا تُرجَعُونَ. و -قرآن-۱۳-۸۴ من الکلمات النبویهٔ أن المرء لم یترک سدی و لم یخلق عبثا -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۶۳ . و قال أمیر المؤمنین ع إن من ظفر من الدنیا بأعلی وأعظم أمنیـهٔ لیس کآخر ظفر من الآخرهٔ بأدون درجات أهل الثواب لامناسـبهٔ و لاقیاس بین نعیم الـدنیا والآخرهٔ. و فی قوله ع التی قبحها سوء المنظر عنده تصـریح بمذهب أصحابنا أهل العدل رحمهم الله و هو أن الإنسان هو ألذی أضل نفسه لسوء نظره و لو کان الله تعالی هو ألذی أضله لما قال قبحها سوء النظر عنده [صفحه ۳۰۱]

۳۷۷

لَا شَـرَفَ أَعلَی مِنَ الإِسلَامِ وَ لَا عِزّ أَعَزّ مِنَ التّقوَی وَ لَا مَعقِلَ أَحسَنُ مِنَ الوَرَعِ وَ لَا شَفِیعَ أَنجَحُ مِنَ التّوبَةِ وَ لَا کَنزَ أَغنَی مِنَ القَنَاعَةِ وَ لَا مَـالَ أَذهَبُ لِلفَاقَةِ مِنَ الرّضَا بِالقُوتِ وَ مَنِ اقتَصَـرَ عَلَی بُلغَةِ الکَفَافِ فَقَـدِ انتَظَمَ الرّاحَـةَ وَ تَبَوّأَ خَفضَ الدّعَـةِ وَ الدّعَـةُ مِفتَاحُ النّصَبِ وَ مَطِیّـةُ التّعَبِ وَ الحِرصُ وَ الکِبرُ وَ الحَسَـدُ دَوَاعٍ إِلَی التّقَحّمِ فِی الـذّنُوبِ وَ الشّرّ جَامِعٌ لِمسَاَوِئِ العُیُوبِ کل هذه المعانی قدسبق القول فیهـامرارا شتی نـأتی کل مرهٔ بما لم نأت به فیما تقـدم وإنما یکررها أمیر المؤمنین ع لإقامـهٔ الحجهٔ علی المکلفین کمـایکرر الله سـبحانه فی القرآن المواعـظ والزواجر لـذلک کـان أبوذر رضـی الله عنه جالسـا بین الناس فأتته امرأته فقالت أنت جـالس بین هؤلاـء و لا و الله ماعنـدنا فی البیت هفـهٔ و لاسفهٔ فقال یا هـذه إن بین أیـدینا عقبـهٔ کئودا لاینجو منها إلا کل مخف فرجعت وهی راضـیهٔ. [صـفحه ۳۰۲] وقیـل لبعض الحکمـاء مامالـک قـال التجمل فی الظاهر والقصـد فی الباطن والغنی عما فی

أیدی الناس . و قال أبوسلیمان الدارانی تنفس فقیر دون شهوهٔ لایقدر علیها أفضل من عبادهٔ غنی ألف عام . و قال رجل لبشر بن الحارث ادع لی فقد أضر الفقر بی وبعیالی فقال إذا قال لک عیالک لیس عندنا دقیق و لاخبز فادع لبشر بن الحارث فی ذلک الوقت فإن دعاءک أفضل من دعائه . و من دعاء بعض الصالحین أللهم إنی أسألک ذل نفسی والزهد فیما جاوز الکفاف [صفحه ۳۰۳]

۳۷۸

وَ قَالَ ع لِجَابِرِ بنِ عَبدِ اللّهِ الأَنصَارِیّ یَا جَابِرُ قِوَامُ الدّینِ وَ الدّنیَا بِأَربَعَهٍْ عَالِمٍ یَستَعمِلُ عِلمَهُ وَ جَاهِلٍ لَا یَستَنکِفُ أَن یَتَعَلّمَ وَ جَوَادٍ لَا یَبخَلُ بِمَعرُوفِهِ وَ فَقِیرٍ لَا یَبِیعُ آخِرَتَهُ بِدُنیَاهُ فَإِذَا ضَیّعَ العَالِمُ عِلمَهُ استَنکَفَ الجَاهِلُ أَن یَتَعَلّمَ وَ إِذَا بَخِلَ الغنَیِ‌ّ بِمَعرُوفِهِ بَاعَ الفَقِیرُ آخِرَتَهُ بِدُنیَاهُ یَا جَابِرُ مَن کَثُرَت نِعمَهُْ اللّهِ عَلَیهِ کَثُرَت حَوَائِجُ النّاسِ إِلَیهِ فَمَن قَامَ بِمَا یَجِبُ لِلّهِ فِیهَا عَرّضَ نِعمَهَْ اللّهِ لِدَوَامِهَا وَ مَن ضَیّعَ مَا یَجِبُ لِلّهِ فِیهَا عَرّضَ نِعمَتَهُ لِزَوَالِهَا قدتقدم القول فی هذه المعانی والحاصل أنه ربط اثنتین من أربعهٔ إحداهما بالأخری وکذلک جعل فی الاثنتین الأخریین فقال إن قوام الدین والدنیا بأربعهٔ عالم یستعمل علمه یعنی یعمل و لایقتصر علی أن یعلم فقط و لایعمل وجاهل لایستنکف أن یتعلم وأضر ما علی الجهلاء الاستنکاف من التعلم فإنهم یستمرون علی الجهالهٔ إلی الموت والثالث جواد لایبخل بالمعروف والرابع فقیر لایبیع آخرته بدنیاه أی لایسرق و لایقطع الطریق أویکتسب الرزق من حیث لایحبه الله کالقمار والمواخیر والمزاجر والمآصر ونحوها. [صفحه ۳۰۴] ثم قال فالثانیهٔ مرتبطهٔ بالأولی إذا لم یستعمل العالم علمه استنکف الجاهل من التعلم و ذلک لأن الجاهل إذارأی العالم یعصی ویجاهر الله بالفسق زهد فی التعلم و قال لماذا تعلم العلم إذاکانت ثمرته الفسق والمعصیهٔ. ثم قال والرابعهٔ مرتبطهٔ بالثالثهٔ إذابخل الغنی بمعروفه باع الفقیر آخرته بدنیاه و ذلک لأنه إذاعدم الفقیر المواساهٔ مع حاجته إلی القوت دعته الضرورهٔ إلی الدخول فی الحرام والاکتساب من حیث لایحسن وینبغی أن یکون عوض لفظهٔ جواد لفظهٔ غنی لیطابق أول الکلام آخره إلا أن الروایهٔ هکذا وردت وجواد لایبخل بمعروفه و فی ضمیر اللفظ کون ذلک الجواد غنیا لأنه قدجعل له معروفا والمعروف لا یکون إلا عن ظهر غنی وباقی الفصل قدسبق شرح أمثاله [صفحه ۳۰۵]

۳۷۹

وَ رَوَی ابنُ جَرِیرٍ الطبّرَیِ‌ّ فِی تَارِیخِهِ عَن عَبدِ الرّحمَنِ بنِ أَبِی لَیلَی الفَقِیهِ وَ کَانَ مِمّن خَرَجَ لِقِتَالِ الحَجّاجِ مَعَ ابنِ الأَشعَثِ أَنّهُ قَالَ فِیمَا کَانَ یَحُضّ بِهِ النّاسَ عَلَی الجِهَادِ إنِیّ سَمِعتُ عَلِیّاً رَفَعَ اللّهُ دَرَجَتَهُ فِی الصّالِحِینَ وَ أَثَابَهُ ثَوَابَ الشّهَدَاءِ وَ الصّدّیقِینَ یَقُولُ یَومَ لَقِینَا أَهلَ الشّامِ أَیّهَا المُؤمِنُونَ إِنّهُ مَن رَأَی عُدوَاناً یُعمَلُ بِهِ وَ مُنکَراً یُدعَی إِلَیهِ فَأَنکَرَهُ بِقَلبِهِ فَقَد سَلِمَ وَ برَ‌ِئَ وَ مَن أَنکَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَد أُجِرَ وَ هُوَ أَفضَلُ مِن صَاحِبِهِ وَ مَن أَنکَرَهُ بِالسّیفِ لِتَکُونَ کَلِمَهُْ اللّهِ العُلیَا وَ کَلِمَهُْ الظّالِمِینَ السفّلیَ فَذَلِکَ ألّذِی أَصَابَ سَبِیلَ الهُدَی وَ قَامَ عَلَی الطّرِیقِ وَ نُوّرَ فِی قَلبِهِ الیَقِینُ قدتقدم الکلام فی النهی عن المنکر وکیفیهٔ ترتیبه وکلام أمیر المؤمنین فی هذاالفصل مطابق لمایقوله المتکلمون رحمهم الله . و قدذکرنا فیما تقدم وسنذکر فیما بعد من هذاالمعنی مایجب و کان النهی عن المنکر معروفا فی العرب فی جاهلیتها کان فی قریش حلف الفضول تحالفت قبائل منها علی أن یردعوا الظالم وینصروا المظلوم ویردوا علیه حقه مابل بحر صوفهٔ و قدذکرنا فیما تقدم [صفحه ۳۰۶]

اشاره

وَ قَالَ ع فِی کَلَام لَهُ غَیر هَذَا یجرِی هَذَا المَجرَی فَمِنهُمُ المُنکِرُ لِلمُنکَرِ بِیَدِهِ وَ لِسَانِهِ وَ قَلبِهِ فَذَلِکَ المُستَکمِلُ لِخِصَالِ الخَیرِ وَ مِنهُمُ المُنکِرُ بِلِسَانِهِ وَ قَلبِهِ وَ التّارِکُ بِیَدِهِ فَذَلِکَ مُتَمَسّکٌ بِخَصلَتَینِ مِن خِصَالِ الخَیرِ وَ مُضَیّعٌ خَصلَةً وَ مِنهُمُ المُنکِرُ بِقَلبِهِ وَ التّارِکُ بِیَدِهِ وَ لِسَانِهِ فَذَاکَ ألّذِی ضَیّعَ أَشرَفَ الخَصلَتَینِ مِنَ الثّلَاثِ وَ تَمَسّکَ بِوَاحِدَةٍ وَ مِنهُم تَارِکٌ لِإِنکَارِ المُنکَرِ بِلِسَانِهِ وَ قَلبِهِ وَ یَدِهِ فَذَلِکَ مَیّتُ الأَحیَاءِ وَ مَا أَعمَالُ البِرّ کُلّهَا وَ الجِهَادُ فِی سَبِیلِ اللّهِ عِندَ الأَمرِ بِالمَعرُوفِ وَ النهّیِ عَنِ المُنکَرِ إِلّا کَنَفثَةٍ فِی بَحرٍ لجُیّ وَ إِنّ الأَمرَ بِالمَعرُوفِ وَ النهّیَ عَنِ المُنکَرِ لَا یُقَرّبَانِ مِن أَجَلٍ وَ لَا یَنقُصَانِ مِن رِزقٍ وَ أَفضَلُ مِن ذَلِکَ کُلّهِ کَلِمَةُ عَدلٍ عِندَ إِمَامٍ جَائِرٍ قدسبق قولنا فی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر و هوأحد الأصول الخمسة عندأصحابنا ولجة الماء أعظمه وبحر لجی ذو ماء عظیم والنفثة الفعلة الواحدة من نفثت الماء من فمی أی قدفته بقوة. قال ع لایعتقدن أحد أنه إن أمر ظالما بالمعروف أونهی ظالما عن منکر أن ذلک یکون سببا لقتل ذلک الظالم المأمور أوالمنهی إیاه أو یکون سببا لقطع رزقه من جهته فإن الله تعالی قدر الأجل وقضی الرزق و لاسبیل لأحد أن یقطع علی أحد عمره أورزقه . [صفحه ۳۰۷] و هذاالکلام ینبغی أن یحمل علی أنه حث وحض وتحریض علی النهی عن المنکر والأمر بالمعروف و لایحمل علی ظاهره لأن الإنسان لایجوز أن یلقی بنفسه إلی التهلکة معتمدا علی أن الأجل مقدر و أن الرزق مقسوم و أن الإنسان متی غلب علی ظنه أن الظالم یقتله ویقیم علی ذلک المنکر ویضیف إلیه منکرا آخر لم یجز له الإنکار.فأما کلمة العدل عندالإمام الجائر فنحو ماروی أن زید بن أرقم رأی عبید الله بن زیاد ویقال بل یزید بن معاویة یضرب بقضیب فی یده ثنایا الحسین ع حین حمل إلیه رأسه فقال له إیها ارفع یدک فطالما رأیت رسول الله ص یقبلها

فصل فی الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر

ونحن نذکر خلاصة مایقوله أصحابنا فی النهی عن المنکر ونترک الاستقصاء فیه للکتب الکلامیة التی هی أولی ببسط القول فیها من هذاالکتاب . قال أصحابنا الکلام فی ذلک یقع من وجوه منها وجوبه ومنها طریق وجوبه ومنها کیفیة وجوبه ومنها شروط حسنه ومنها شروط وجوبه ومنها کیفیة إیقاعه ومنها الکلام فی الناهی عن المنکر ومنها الکلام فی النهی عن المنکر. أماوجوبه فلاریب فیه لأن المنکر قبیح کله والقبیح یجب ترکه فیجب النهی عنه . و أماطریق وجوبه فقد قال الشیخ أبوهاشم رحمه الله إنه لاطریق إلی وجوبه إلاالسمع و قدأجمع المسلمون علی ذلک وورد به نص القرآن فی غیرموضع . [صفحه ۳۰۸] قال الشیخ أبو علی رحمه الله العقل یدل علی وجوبه و إلی هذاالقول مال شیخنا أبو الحسین رحمه الله . و أماکیفیة وجوبه فإنه واجب علی الکفایة دون الأعیان لأن الغرض ألا یقع المنکر فإذاوقع لأجل إنکار طائفة لم یبق وجه لوجوب الإنکار علی من سواها. و أماشروط حسنه فوجوه منها أن یکون ماینکره قبیحا لأن إنکار الحسن وتحریمه قبیح والقبیح علی ضروب فمنه مایقبح من کل مکلف و علی کل حال کالظلم ومنها مایقبح من کل مکلف علی وجه دون وجه کالرمی بالسهام وتصریف الحمام والعلاج بالسلاح لأن تعاطی ذلک لمعرفة الحرب والتقوی علی العدو ولتعرف أحوال البلاد بالحمام حسن لایجوز إنکاره و إن قصد بالاجتماع علی ذلک الاجتماع علی السخف واللهو ومعاشرة ذوی الریب والمعاصی فهو قبیح یجب إنکاره . و منه مایقبح من

مكلف ويحسن من آخر على بعض الوجوه كشرب النبيذ والتشاغل بالشطرنج فأما من يرى حظرهما أويختار تقليد من يفتى بحظرهما فحرام عليه تعاطيهما على كل حال ومتى فعلهما حسن الإنكار عليه و أما من يرى إباحتهما أو من يختار تقليد من يفتى بإباحتهما فإنه يجوز له تعاطيهما على وجه دون وجه و ذلك أنه يحسن شرب النبيذ من غيرسكر و لامعاقرة والاشتغال بالشطرنج للفرجة وتخريج الرأى والعقل ويقبح ذلك إذاقصد به السخف وقصد بالشرب المعاقرة والسكر فالثانى يحسن إنكاره ويجب والأول لايحسن إنكاره لأنه حسن من فاعله . ومنها أن يعلم المنكر أن ماينكره قبيح لأنه إذاجوز حسنه كان بإنكاره له وتحريمه إياه محرما لما لايأمن أن يكون حسنا فلايأمن أن يكون مافعله من النهى [صفحه ۳۰۹] نهيا عن حسن و كل فعل لايأمن فاعله أن يكون مختصا بوجه قبيح فهو قبيح أ لاترى أنه يقبح من الإنسان أن يخبر على القطع بأن زيدا فى الدار إذا لم يأمن ألا يكون فيهالأنه لايأمن أن يكون خبره كذبا ومنها أن يكون ماينهى عنه واقعا لأن غيرالواقع لايحسن النهى عنه وإنما يحسن الذم عليه والنهى عن أمثاله . ومنها ألا يغلب على ظن المنكر أنه إن أنكر المنكر فعله المنكر عليه وضم إليه منكرا آخر و لو لم ينكر عليه لم يفعل المنكر الآخر فمتى غلب على ظنه ذلك قبح إنكاره لأنه يصير مفسدة نحو أن يغلب على ظننا أنا إن أنكرنا على شارب الخمر شربها شربها وقرن إلى شربها القتل و إن لم ننكر عليه شربها و لم يقتل أحدا. ومنها ألا يغلب على ظن الناهى عن المنكر أن نهيه لايؤثر فإن غلب على ظنه ذلك قبح نهيه عند من يقول من أصحابنا إن التكليف من المعلوم منه أنه يكفر لايحسن إلا أن يكون فيه لطف لغير ذلك المكلف و أما من يقول من أصحابنا إن التكليف من المعلوم منه أنه يكفر حسن و إن لم يكن فيه لطف لغير المكلف فإنه لايصح منه القول بقبح هذاالإنكار.فأما شرائط وجوب النهى عن المنكر فأمور منها أن يغلب على الظن وقوع المعصية نحو أن يضيق وقت صلاة الظهر ويرى الإنسان لايتهيأ للصلاة أويراه تهيأ لشرب الخمر بإعداد آلته ومتى لم يكن كذلك حسن منا أن ندعوه إلى الصلاة و إن لم يجب علينا دعاؤه . ومنها ألا يغلب على ظن الناهى عن المنكر أنه إن أنكر المنكر لحقته فى نفسه وأعضائه مضرة عظيمة فإن غلب ذلك على ظنه و أنه لايمتنع من ينكر عليه من فعل [صفحه ۳۱۰] ماينكره عليه أيضا فإنه لايجب عليه الإنكار بل و لايحسن منه لأنه مفسدة. و إن غلب على ظنه أنه لايفعل ماأنكره عليه ولكنه يضر به نظر فإن كان إضراره به أعظم قبحا مما يتركه إذاأنكر عليه فإنه لايحسن الإنكار عليه لأن الإنكار عليه قدصار والحالة هذه مفسدة نحو أن ينكر الإنسان على غيره شرب الخمر فيترك شربها ويقتله و إن كان مايتركه إذاأنكر عليه أعظم قبحا مما ينزل به من المضرة نحو أن يهم بالكفر فإذاأنكر عليه تركه وجرح المنكر عليه أوقتله فإنه لايجب عليه الإنكار ويحسن منه الإنكار أماقولنا لايجب عليه الإنكار فلأن الله تعالى قدأباحنا التكلم بكلمة الكفر عندالإكراه فبأن يبيحنا ترك غيرنا أن يتلفظ بذلك عندالخوف على النفس أولى و أماقولنا إنه يحسن الإنكار فلأن فى الإنكار مع الظن لماينزل بالنفس من المضرة إعزازا للدين كما أن فى الامتناع من إظهار كلمة الكفر مع الصبر على قتل النفس إعزازا للدين لافضل بينهما.فأما كيفية إنكار المنكر فهو أن يبتدئ بالسهل فإن نفع و إلاترقى إلى الصعب لأن الغرض ألا يقع المنكر فإذاأمكن ألا يقع بالسهل فلامعنى لتكلف الصعب ولأنه تعالى أمر بالإصلاح قبل القتال فى قوله فَأَصلِحُوا بَينَهُما فَإِن بَغَت إِحداهُما عَلَى الأُخرى فَقاتِلُوا الّتِي تبَغيِ.فأما الناهى عن المنكر من هوفهو كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه لأن الله تعالى قال وَ لتَكُن مِنكُم أُمّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ وَ يَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَ يَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ ولإجماع المسلمين على أن كل من شاهد غيره تاركا للصلاة غيرمحافظ عليها فله أن يأمره بهابل يجب عليه إلا أن الإمام وخلفاءه أولى بالإنكار بالقتال لأنه أعرف بسياسة الحرب وأشد استعدادا لآلاتها. -قرآن-۱۰۶۰-۱۱۴۳-قرآن-۱۲۳۶-۱۳۳۵ [صفحه ۳۱۱] فأما المنهى من هوفهو كل مكلف اختص بما ذكرناه من الشروط و غيرالمكلف إذاهم بالإضرار لغيره منه ويمنع الصبيان وينهون عن شرب الخمر حتى لايتعودوه كمايؤاخذون بالصلاة حتى يمرنوا عليها و هذا ماذكره أصحابنا.فأما قوله ع ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة

فإنه يعنى به من يعجز عن الإنكار باليد لمانع لأنه لم يخرج هذاالكلام مخرج الذم و لو كان لم يعن العاجز لوجب أن يخرج الكلام مخرج الذم لأنه ليس بمعذور فى أن ينكر بقلبه ولسانه إذاأخل بالإنكار باليد مع القدرة على ذلك وارتفاع الموانع . و أما قوله ضيع أشرف الخصلتين فاللام زائدة وأصله ضيع أشرف خصلتين من الثلاث لأنه لاوجه لتعريف المعهود هاهنا فى الخصلتين بل تعريف الثلاث باللام أولى ويجوز حذفها من الثلاث ولكن إثباتها أحسن كماتقول قتلت أشرف رجلين من الرجال الثلاثة. و أما قوله فذلك ميت الأحياء فهو نهاية ما يكون من الذم . واعلم أن النهى عن المنكر والأمر بالمعروف عندأصحابنا أصل عظيم من أصول الدين و إليه تذهب الخوارج الذين خرجوا على السلطان متمسكين بالدين وشعار الإسلام مجتهدين فى العبادة لأنهم إنما خرجوا لماغلب على ظنونهم أوعلموا جور الولاة وظلمهم و أن أحكام الشريعة قدغيرت وحكم بما لم يحكم به الله و على هذاالأصل تبنى الإسماعيلية من الشيعة قتل ولاة الجور غيلة و عليه بناء أصحاب الزهد فى الدنيا الإنكار على الأمراء والخلفاء ومواجهتهم بالكلام الغليظ لماعجزوا عن الإنكار باليد وبالجملة فهو أصل شريف أشرف من جميع أبواب البر والعبادة كما قال أمير المؤمنين ع [صفحه ۳۱۲]

۳۸۱

وَ رَوَى أَبُو جُحَيفَةَ قَالَ سَمِعتُ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ ع يَقُولُ إِنّ أَوّلَ مَا تُغلَبُونَ عَلَيهِ مِنَ الجِهَادِ الجِهَادُ بِأَيدِيكُم ثُمّ بِأَلسِنَتِكُم ثُمّ بِقُلُوبِكُم فَمَن لَم يَعرِف بِقَلبِهِ مَعرُوفاً وَ لَم يُنكِر مُنكَراً قُلِبَ فَجُعِلَ أَعلَاهُ أَسفَلَهُ وَ أَسفَلُهُ أَعلَاهُ إنما قال ذلك لأن الإنكار بالقلب آخر المراتب و هو ألذى لابد منه على كل حال فأما الإنكار باللسان وباليد فقد يكون منهما بد وعنهما عذر فمن ترك النهى عن المنكر بقلبه والأمر بالمعروف بقلبه فقد سخط الله عليه لعصيانه فصار كالممسوخ ألذى يجعل الله تعالى أعلاه أسفله وأسفله أعلاه تشويها لخلقته و من يقول بالأنفس الجسمانية وإنها بعدالمفارقة يصعد بعضها إلى العالم العلوى وهى نفوس الأبرار وبعضها ينزل إلى المركز وهى نفوس الأشرار يتأول هذاالكلام على مذهبه فيقول إن من لايعرف بقلبه معروفا أى لايعرف من نفسه باعثا عليه و لامتقاضيا بفعله و لاينكر بقلبه منكرا أى لايأنف منه و لايستقبحه ويمتعض من فعله يقلب نفسه التى قد كان سبيلها أن تصعد إلى عالمها فتجعل هاوية فى حضيض الأرض و ذلك عندهم هوالعذاب والعقاب [صفحه ۳۱۳]

۳۸۲

إِنّ الحَقّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وَ إِنّ البَاطِلَ خَفِيفٌ وبَيِءٌ تقول مرؤ الطعام بالضم يمرؤ مراءة فهو مرىء على فعيل مثل خفيف وثقيل و قدجاء مرئ الطعام بالكسر كماقالوا فقه الرجل وفقه ووبىء البلد بالكسر يوبأ وباءة فهو وبىء على فعيل أيضا ويجوز فهو وبئ على فعل مثل حذر وأشر. يقول ع الحق و إن كان ثقيلا إلا أن عاقبته محمودة ومغبته صالحة والباطل و إن كان خفيفا إلا أن عاقبته مذمومة ومغبته غيرصالحة فلايحملن أحدكم حلاوة عاجل الباطل على فعله فلاخير فى لذة قليلة عاجلة يتعقبها مضار عظيمة آجلة و لايصرفن أحدكم عن الحق ثقله فإنه سيحمد عقبى ذلك كمايحمد شارب الدواء المر شربه فيما بعد إذاوجد لذة العافية [صفحه ۳۱۴]

۳۸۳

لَا تَأمَنَنّ عَلَى خَيرِ هَذِهِ الأُمّةِ عَذَابَ اللّهِ لِقَولِهِ سُبحَانَهُ وَ تَعَالَيفَلا يَأمَنُ مَكرَ اللّهِ إِلّا القَومُ الخاسِرُونَ وَ لَا تَيأَسَنّ لِشَرّ هَذِهِ الأُمّةِ مِن

رَوحِ اللّهِ تَعالَيـإِنّهُ لا يَيأَسُ مِن رَوحِ اللّهِ إِلّا القَومُ الكافِرُونَ -قرآن-٩٠-١٤٠-قرآن-٢٠٧-٢۶۶ هذاكلام ينبغى أن يحمل على أنه أراد ع النهى عن القطع على مغيب أحـد من الناس و أنه لايجوز لأحـد أن يقول فلان قـدنجا ووجبت له الجنـة و لافلان قدهلك ووجبت له النار و هذاالقول حق لأن الأعمال الصالحة لايحكم لصاحبها بالجنة إلابسلامة العاقبة وكذلك الأعمال السيئة لايحكم لصاحبها بالنار إلا أن مات عليها فأما الاحتجاج بالآيـة الأولى فلقائل أن يقول إنها لاتـدل على ماأفتى ع به و ذلك لأن معناها أنه لايجوز للعاصـى أن يأمن مكر الله على نفسه و هومقيم على عصيانه أ لاترى أن أولهاأ فَأَمِنَ أَهلُ القُرى أَن يَأتِيَهُم بَأسُنا بَياتاً وَ هُم نـائِمُونَ أَ وَ أَمِنَ أَهلُ القُرى أَن يَأتِيَهُم بَأسُـنا ضُـحًى وَ هُم يَلعَبُونَ أَ فَأَمِنُوا مَكرَ اللّهِ فَلا يَأمَنُ مَكرَ اللّهِ إِلّا القَومُ الخاسِـرُونَ وليسـت دالة على مانحن -قرآن-٥٠٢-٧٢٥ [صفحه ٣١٥] فيه لأن ألـذى نحن فيه هل يجوز لأحد أن يأمن على الصالحين من هذه الأمة عـذاب الله .فأما الآيـة الثانيـة فالاحتجاج بهاجيد لاشـبهة فيه لأنه يجوز أن يتوب العاصـى والتوبة من روح الله . فإن قلت وكذاك يجوز أن يكفر المسـلم المطيع قلت صدقت ولكن كفره ليس من مكر الله فدل على أن المراد بالآية أنه لاينبغى للعاصى أن يأمن من عقوبة الله مادام عاصيا و هذا غيرمسألتنا [صفحه ٣١۶]

٣٨۴

اشاره

البُخلُ جَامِعٌ لِمسَاوِئِ العُيُوبِ وَ هُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلّ سُوءٍ قدتقدم القول فى البخل والشح ونحن نذكر هاهنا زيادات أخرى

أقوال مأثورة فى الجود والبخل

قال بعض الحكماء السخاء هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات حصل معه البذل لها أو لم يحصل و ذلك خلق ويقابله الشح و أماالجود فهو بـذل المقتنى ويقابله البخل هـذا هوالأصل و إن كان كل واحد منها قديسـتعمل فى موضع الآخر و ألذى يدل على صحة هذاالفرق أنهم جعلوا اسم الفاعل من السخاء والشح على بناء الأفعال الغريزية فقالوا شحيح وسخى فبنوه على فعيل كماقالوا حليم وسـفيه وعفيف وقـالوا جائـد وباخـل فبنوهما على فاعل كضارب وقاتل فأما قولهم بخيل فمصـروف عن لفظ فاعل للمبالغة كقولهم فى راحم رحيم ويدل أيضا على أن السـخاء غريزة وخلق أنهم لم يصـفوا البارئ سـبحانه به فيقولوا سـخى فأما الشح فقد عظم أمره وخوف منه ولهـذا قـال ع ثلاث مهلكات شـح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه -روايت-١-٢-روايت-١١-۶٨ فخص المطـاع تنبيها على أن وجود الشـح [صـفحه ٣١٧] فى النفس فقـط ليس ممـا يسـتحق به ذم لأنه ليس من فعله وإنما يـذم بالانقيـاد لـه قـال سـبحانه وَ مَن يُـوقَ شُـحّ نَفسِهِ و قـال وَ أُحضِـرَتِ الأَـنفُسُ الشّـحّ. و -قرآن-٩۴-١١٨-قرآن-١٢۶-١۵۴ قـال ع لايجتمع شـح وإيمان فى قلب أبـدا -روايت-١-٢-روايت-١١-۴۶ .فأمـا الجود فـإنه محمود على جميع ألسـنة العالم ولهـذا قيل كفى بالجود مدحا أن اسـمه مطلقا لايقع إلا فى حمد وكفى بالبخل ذما أن اسـمه مطلقا لايقع إلا فى ذم . وقيل لحكيم أى أفعال البشـر أشبه بأفعال البارى سبحانه فقال الجود. و قال النبى ص الجود شجرة من أشجار الجنة من أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنـة والبخل شـجرة من أشـجار النار من أخـذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار -روايت-١-٢-روايت-١٨-١۵٢ . و من شـرف الجود أن الله سـبحانه قرن ذكره بالإيمـان ووصف أهله بالفلاـح والفلاـح اسم جامع لسـعادة الـدارين قال سـبحانه الّذِينَ يُؤمِنُونَ

بِالغَیبِ وَ یُقِیمُونَ الصّلاةَ وَ مِمّا رَزَقناهُم یُنفِقُونَ إلی قوله وَ أُولئِکَ هُمُ المُفلِحُونَ و قال وَ مَن یُوقَ شُحّ نَفسِهِ فَأُولئِکَ هُمُ المُفلِحُونَ. وحق للجود بأن یقرن بالإیمان فلا شیءأخص به وأشد مجانسة له منه فإن من صفة المؤمن انشراح الصدر کما قال تعالی فَمَن یُرِدِ اللّهُ أَن یَهدِیَهُ یَشرَح صَدرَهُ لِلإِسلامِ وَ مَن یُرِد أَن یُضِلّهُ یَجعَل صَدرَهُ ضَیّقاً حَرَجاً کَأَنّما یَصّعّدُ فِی السّماءِ و هذا من صفات الجواد والبخیل لأن الجواد واسع الصدر منشرح مستبشر للإنفاق والبذل والبخیل قنوط ضیق الصدر حرج القلب ممسک . و -قرآن-۱۲۵-۲۰۷-قرآن-۲۱۹-۲۴۷-قرآن-۲۵۵-۳۰۸-قرآن-۴۲۹-۵۷۵ قال النبی ص و أی داء أدوأ من البخل -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۴۳ . والبخل علی ثلاثة أضرب بخل الإنسان بماله علی نفسه وبخله بماله علی غیره وبخله [صفحه ۳۱۸] بمال غیره علی نفسه أو علی غیره وأفحشها بخله بمال غیره علی نفسه وأهونها و إن کان لاهین فیهابخله بماله علی غیره . و قال ع أللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسک تلفا -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۴۹ قال إن الله عز و جل ینزل المعونة علی قدر المئونة -روایت-۱-۲-روایت-۸-۵۷ قال أیضا من وسع وسع علیه -روایت-۱-۲-روایت-۱۲-۳۲ . وقالت الفلاسفة الجود علی أقسام فمنها الجود الأعظم و هوالجود الإلهی و هوالفیض العام المطلق وإنما یختلف لاختلاف المواد واستعداداتها و إلافالفیض فی نفسه عام غیرخاص وبعده جود الملوک و هوالجود بجزء من المال علی من تدعوهم الدواعی والأغراض إلی الجود علیه ویتلوه جود السوقة و هوبذل المال للعفاة أوالندامی والشرب والمعاشرین والإحسان إلی الأقارب .قالوا واسم الجود مجاز إلاالجود الإلهی العام فإنه عار عن الغرض والداعی و أما من یعطی لغرض وداع نحو أن یحب الثناء والمحمدة فإنه مستعیض وتاجر یعطی شیئا لیأخذ شیئا قالوا قول أبی نواس فتی یشتری حسن الثناء بماله || ویعلم أن الدائرات تدور لیس بغایة فی الوصف بالجود التام بل هووصف بتجارة محمودة وأحسن منه قول ابن الرومی وتاجر البر لایزال له || ربحان فی کل متجر تجره أجر وحمد وإنما طلب الأجر || ولکن کلاهما اعتوره . وأحسن منهما قول بشار لیس یعطیک للرجاء و لاالخوف || ولکن یلذ طعم العطاء ونحن قدذکرنا ما فی هذاالموضع من البحث العقلی فی کتبنا العقلیة [صفحه ۳۱۹]

۳۸۵

یَا ابنَ آدَمَ الرّزقُ رِزقَانِ رِزقٌ تَطلُبُهُ وَ رِزقٌ یَطلُبُکَ فَإِن لَم تَأتِهِ أَتَاکَ فَلَا تَحمِل هَمّ سَنَتِکَ عَلَی هَمّ یَومِکَ کَفَاکَ کُلّ یَومٍ مَا فِیهِ فَإِن تَکُنِ السّنَةُ مِن عُمُرِکَ فَإِنّ اللّهَ تَعَالَی سَیُؤتِیکَ فِی کُلّ غَدٍ جَدِیدٍ مَا قَسَمَ لَکَ وَ إِن لَم تَکُنِ السّنَةُ مِن عُمُرِکَ فَمَا تَصنَعُ بِالهَمّ فِیمَا لَیسَ لَکَ وَ لَم یَسبِقکَ إِلَی رِزقِکَ طَالِبٌ وَ لَن یَغلِبَکَ عَلَیهِ غَالِبٌ وَ لَن یُبطِئَ عَنکَ مَا قَد قُدّرَ لَکَ قال و قدمضی هذاالکلام فیما تقدم من هذاالباب إلا أنه هاهنا أوضح وأشرح فلذلک کررناه علی القاعدة المقررة فی أول هذاالکتاب -روایت-۱-۱۳۳ قدتقدم القول فی معانی هذاالفصل وروی أن جماعة دخلوا علی الجنید فاستأذنوه فی طلب الرزق فقال إن علمتم فی أی موضع هوفاطلبوه قالوا فنسأل الله تعالی ذلک قال إن علمتم أنه ینساکم فذکروه قالوا فندخل البیت ونتوکل وننتظر ما یکون فقال التوکل علی التجربة شک قالوا فما الحیلة قال ترک الحیلة. وروی أن رجلا لازم باب عمر فضجر منه فقال له یا هذاهاجرت إلی الله تعالی أم إلی باب عمر اذهب فتعلم القرآن فإنه سیغنیک عن باب عمر فذهب الرجل [صفحه ۳۲۰] وغاب مدة حتی افتقده عمر فإذا هومعتزل مشتغل بالعبادة فأتاه عمر فقال له إنی اشتقت إلیک فما ألذی شغلک عنا قال إنی قرأت القرآن فأغنانی عن عمر وآل عمر فقال رحمک الله فما وجدت فیه قال وجدت فیه وَ فِی السّماءِ رِزقُکُم وَ ما تُوعَدُونَفقلت رزقی فی السماء و أناأطلبه فی الأرض إنی لبئس الرجل فبکی عمر و قال صدقت و کان بعد ذلک ینتابه ویجلس إلیه -قرآن-۲۰۸-۲۴۸ [صفحه ۳۲۱]

۳۸۶

رُبّ مُستَقبِلٍ يَوماً لَيسَ بِمُستَدبِرِهِ وَ مَغبُوطٍ فِي أَوّلِ لَيلِهِ قَامَت بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ مثل هذاقول الشاعر ياراقد الليل مسرورا بأوله || إن الحوادث قديطرقن أسحارا . ومثله لايغرنك عشاء ساكن || قديوافى بالمنيات السحر [صفحه ۳۲۲]

۳۸۷

الكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَا لَم تَتَكَلّم بِهِ فَإِذَا تَكَلّمتَ بِهِ صِرتَ فِي وَثَاقِهِ فَاخزُن لِسَانَكَ كَمَا تَخزُنُ ذَهَبَكَ وَ وَرِقَكَ فَرُبّ كَلِمَةٍ سَلَبَت نِعمَةً قدتقدم القول فى مدح الصمت وذم الكلام الكثير. و كان يقال لاخير فى الحياة إلالصموت واع أوناطق محسن . وقيل لحذيفة قدأطلت سجن لسانك فقال لأنه غيرمأمون إذاأطلق . و من أمثال العرب رب كلمة تقول دعنى. وقالوا أصلها أن بعض ملوك الحيرة كان قداستراب ببعض خوله فنزل يوما و هويتصيد على تلعة ونزل أصحابه حوله فأفاضوا فى حديث كثير فقال ذلك الإنسان أترى لو أن رجلا ذبح على رأس هذه التلعة هل كان يسيل دمه إلى أول الغائط فقال الملك هلموا فاذبحوه لننظر فذبحوه فقال الملك رب كلمة تقول دعنى. و قال أكثم بن صيفى من إكرام الرجل نفسه ألا يتكلم بكل مايعلم . وتذاكر قوم من العرب وفيهم رجل باهلى ساكت فقيل له بحق ماسميتم خرس العرب فقال أ ماعلمتم أن لسان المرء لغيره وسمعه لنفسه [صفحه ۳۲۳]

۳۸۸

لَا تَقُل مَا لَا تَعلَمُ بَل لَا تَقُل كُلّ مَا تَعلَمُ فَإِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ قَد فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلّهَا فَرَائِضَ يَحتَجّ بِهَا عَلَيكَ يَومَ القِيَامَةِ هذانهى عن الكذب و أن تقول ما لاتأمن من كونه كذبا فإن الأمرين كليهما قبيحان عقلا عندأصحابنا. فإن قلت كيف يقول أصحابكم أن الخبر ألذى لايأمن كونه كذبا قبيح و الناس يستحسنون الأخبار عن المظنون قلت إذا قال الإنسان زيد فى الدار و هويظنه فى الدار و لايقطع عليه فإن الحسن منه أن يخبر عن ظنه كأن يقول أخبر عن أنى أظن أن زيدا فى الدار و إذا كان هذا هوتقديره فالخبر إذن خبر عن معلوم لا عن مظنون لأنه قاطع على أنه ظان أن زيدا فى الدار.فأما إذافرض الخبر لا على هذاالوجه بل على القطع بأن زيدا فى الدار و هو لايقطع على أن زيدا فى الدار فقد أخبر بخبر ليس على ماأخبر به عنه لأنه أخبر عن أنه قاطع و ليس بقاطع فكان قبيحا [صفحه ۳۲۴]

۳۸۹

احذَر أَن يَرَاكَ اللّهُ عِندَ مَعصِيَتِهِ وَ يَفقِدَكَ عِندَ طَاعَتِهِ فَتَكُونَ مِنَ الخَاسِرِينَ وَ إِذَا قَوِيتَ فَاقوَ عَلَى طَاعَةِ اللّهِ وَ إِذَا ضَعُفتَ فَاضعُف عَن مَعصِيَةِ اللّهِ من علم يقينا أن الله تعالى يراه عندمعصيته كان أجد الناس أن يجتنبها كما إذاعلمنا يقينا أن الملك يرى الواحد منا و هويراود جاريته عن نفسها أويحادث ولده ليفجر به ولكن اليقين فى البشر ضعيف جدا أوأنهم أحمق الحيوان وأجهله وبحق أقول إنهم إن اعتقدوا ذلك اعتقادا لايخالطه الشك ثم واقعوا المعصية وعندهم عقيدة أخرى ثابتة أن العقاب لاحق بمن عصى فإن الإبل والبقر أقرب إلى الرشاد منهم . وأقول إن ألذى جرأ الناس على المعصية الطمع فى المغفرة والعفو العام وقولهم الحلم والكرم والصفح من أخلاق ذوى النباهة والفضل من الناس فكيف لا يكون من البارى سبحانه عفو عن

الذنوب . و ماأحسن قول شيخنا أبی علی رحمه الله لو لاالقول بالإرجاء لماعصی الله فی الأرض [صفحه ۳۲۵]

۳۹۰

الرّکُونُ إِلَی الدّنیَا مَعَ مَا تُعَایِنَ مِنهَا جَهلٌ وَ التّقصِیرُ فِی حُسنِ العَمَلِ إِذَا وَثِقتَ بِالثّوَابِ عَلَیهِ غَبنٌ وَ الطّمَأنِینَهُ إِلَی کُلّ أَحَدٍ قَبلَ الِاختِبَارِ لَهُ عَجزٌ قدتقدم الکلام فی الدنیا وحمق من یرکن إلیها مع معاینه غدرها وقله وفائها ونقضها عهودها وقتلها عشاقها. و لاریب أن الغبن وأعظم الغبن هوالتقصیر فی الطاعه مع یقین الثواب علیها و أماالطمأنینه إلی من لم یعرف و لم یختبر فإنها عجز کما قال ع یعنی عجزا فی العقل والرأی فإن الوثوق مع التجربه فیه ما فیه فکیف قبل التجربه. و قال الشاعر وکنت أری أن التجارب عده || فخانت ثقات الناس حین التجارب [صفحه ۳۲۶]

۳۹۱

اشاره

مِن هَوَانِ الدّنیَا عَلَی اللّهِ أَنّهُ لَا یُعصَی إِلّا فِیهَا وَ لَا یُنَالُ مَا عِندَهُ إِلّا بِتَرکِهَا هذاالکلام نسبه الغزالی فی کتاب إحیاء علوم الدین إلی أبی الدرداء والصحیح أنه من کلام علی ع ذکره شیخنا أبوعثمان الجاحظ فی غیرموضع من کتبه و هوأعرف بکلام الرجال

نبذ مما قیل فی حال الدنیا وهوانها واغترار الناس بها

و قدتقدم من کلامنا فی حال الدنیا وهوانها علی الله واغترار الناس بها وغدرها بهم وذم العقلاء لها وتحذیرهم منها ما فیه کفایه. ونحن نذکر هاهنا زیاده علی ذلک . یقال إن فی بعض کتب الله القدیمه الدنیا غنیمه الأکیاس وغفله الجهال لم یعرفوها حتی خرجوا منها فسألوا الرجعه فلم یرجعوا -روایت-۱-۲-روایت-۳۸-۱۲۶ . و قال بعض العارفین من سأل الله تعالی الدنیا فإنما سأله طول الوقوف بین یدیه . [صفحه ۳۲۷] و قال الحسن لاتخرج نفس ابن آدم من الدنیا إلابحسرات ثلاث أنه لم یشبع مما جمع و لم یدرک ماأمل و لم یحسن الزاد لمایقدم علیه . و من کلامه أهینوا الدنیا فو الله ماهی لأحد بأهنأ منها لمن أهانها. و قال محمد بن المنکدر أرأیت لو أن رجلا صام الدهر لایفطر وقام اللیل لایفتر وتصدق بماله وجاهد فی سبیل الله واجتنب محارم الله تعالی غیر أنه یؤتی به یوم القیامه فیقال إن هذا مع ما قدعمل کان یعظم فی عینه ماصغر الله ویصغر فی عینه ماعظم الله کیف تری یکون حاله فمن منا لیس هکذا الدنیا عظیمه عنده مع مااقترفنا من الذنوب والخطایا. و قدضربت الحکماء مثلا للدنیا نحن نذکره هاهنا قالوا مثل الدنیا وأهلها کقوم رکبوا سفینه فانتهت بهم إلی جزیره فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجه وحذرهم المقام وخوفهم مرور السفینه واستعجالها فتفرقوا فی نواحی الجزیره فقضی بعضهم حاجته وبادر إلی السفینه فصادف المکان خالیا فأخذ أوسع المواضع وألینها وأوفقها لمراده وبعضهم توقف فی الجزیره ینظر إلی أزهارها وأنوارها العجیبه وغیاضها الملتفه ونغمات طیورها الطیبه وألحانها الموزونه الغریبه ولحظ فی تزیینها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفه الألوان ذوات الأشکال الحسنه المنظر العجیبه النقش السالبه أعین الناظرین بحسن زبرجها وعجائب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفینه فرجع إلیها فلم یصادف إلامکانا ضیقا حرجا فاستقر فیه وبعضهم أکب فیها علی تلک الأصداف والأحجار و قدأعجبه حسنها و لم تسمح نفسه بإهمالها

وتركها فاستصحب منها جملة فجاء إلى السفينة فلم يجد إلامكانا ضيقا وزاده ماحمله ضيقا وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على أخذه و لم تطعه نفسه على رميه و لم يجد موضعا له فحمله على عنقه [صفحه ۳۲۸] ورأسه وجلس فى المكان الضيق فى السفينة و هومتأسف على أخذه ونادم و ليس ينفعه ذلك وبعضهم تولج بتلك الأنوار والغياض ونسى السفينة وأبعد فى متفرجه ومتنزهه حتى أن نداء الملاح لم يبلغه لاشتغاله بأكل تلك الثمار واشتمامه تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار و هو مع ذلك خائف على نفسه من السباع والسقطات والنكبات ونهش الحيات و ليس ينفك عن شوك يتشبث بثيابه وغصن يجرح جسمه ومروة تدمى رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يملأ طريقه ويمنعه عن الانصراف لوأراده و كان فى جماعة ممن كان معه فى السفينة حالهم حاله فلما بلغهم نداء السفينة راح بعضهم مثقلا بما معه فلم يجد فى السفينة موضعا واسعا و لاضيقا فبقى على الشط حتى مات جوعا وبعضهم بلغه النداء فلم يعرج عليه واستغرقته اللذة وسارت السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه وهام على وجهه حتى هلك ومنهم من ارتطم فى الأوحال ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا هلكى كالجيف المنتنة فأما من وصل إلى السفينة مثقلا بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة والأحجار المعجبة فإنها استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من ذهابها عن جميع أموره وضاق عليه بطريقها مكانه فلم تلبث أن ذبلت تلك الأزهار وفسدت تلك الفاكهة الغضة وكمدت ألوان الأحجار وحالت فظهر له نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها فى البحر هربا منها و قدأثر فى مزاجه ماأكله منها فلم ينته إلى بلده إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بما أكل و ماشم من تلك الروائح فبلغ سقيما وقيذا مدبرا و أما من كان رجع عن قريب و مافاته إلاسعة المحل فإنه تأذى بضيق المكان مدة ولكن لماوصل إلى الوطن استراح و أما من رجع أولا فإنه وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالما طيب القلب مسرورا. [صفحه ۳۲۹] فهذا مثال أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمرهم و ماأقبح حال من يزعم أنه بصير عاقل وتغره حجارة الأرض وهى الذهب والفضة وهشيم النبت و هوزينة الدنيا و هويعلم يقينا أن شيئا من ذلك لايصحبه عندالموت بل يصير كله وبالا عليه و هو فى الحال الحاضرة شاغل له بالخوف عليه والحزن والهم لحفظه و هذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله . و قدضرب أيضا لها مثال آخر فى عبور الإنسان عليها قالوا الأحوال ثلاثة حال لم يكن الإنسان فيهاشيئا وهى ماقبل وجوده إلى الأزل وحال لا يكون فيهاموجودا مشاهدا للدنيا وهى بعدموته إلى الأبد وحالة متوسطة بين الأزل والأبد وهى أيام حياته فى الدنيا فلينظر العاقل إلى الطرفين الطويلين ولينظر إلى الحالة المتوسطة هل يجد لها نسبة إليها و إذارأى العاقل الدنيا بهذه العين لم يركن إليها و لم يبال كيف تقضت أيامه فيها فى ضر وضيق أو فى سعة ورفاهة بل لايبنى لبنة على لبنة توفى رسول الله ص و ماوضع لبنة على لبنة و لاقصبة على قصبة ورأى بعض الصحابة بنى بيتا من جص فقال أرى الأمر أعجل من هذا وأنكر ذلك -روايت-۱-۱۴۰ قال النبى ص ما لى وللدنيا إنما مثلى ومثلها كراكب سار فى يوم صائف فرفعت له شجرة فقام تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها -روايت-۱-۲-روايت-۱۸-۱۲۸ إلى هذاأشار عيسى ابن مريم حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها و لاتعمروها -روايت-۱-۲-روايت-۴۲-۷۶ و هومثل صحيح فإن الحياة الدنيا قنطرة إلى الآخرة والمهد هوأحد جانبى القنطرة واللحد الجانب الآخر وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له إلاخطوة واحدة و هوغافل عنها وكيفما كان فلابد من العبور والانتهاء و لاريب أن عمارة هذه القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة لمن [صفحه ۳۳۰] هومحمول قسرا وقهرا على عبورها يسوقه سائق عنيف غاية الجهل والخذلان . و فى الحديث المرفوع أن رسول الله ص مر على شاة ميتة فقال أترون أن هذه الشاة هينة على أهلها قالوا نعم و من هوانها ألقوها فقال و ألذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها و لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لماسقى كافرا منها شربة ماء -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۲۷۵ قال ص الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۳ قال أيضا

الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۶۲ قال أيضا من أحب دنياه أضر بآخرته و من أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على مايفنى -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۹۷ قال أيضا حب الدنيا رأس كل خطيئة -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۳۷ روى زيد بن أرقم قال كنا مع أبى بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا و ماسكت ثم عاد ليشرب فبكى حتى ظنوا أنهم لايقدرون على مسألته ثم مسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ماأبكاك قال كنت مع رسول الله ص فرأيته يدفع بيده عن نفسه شيئا و لم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما ألذى تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى فقلت لها إليك عنى فرجعت وقالت إنك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك و قال ص ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود و هويسعى لدار الغرور -روايت-۱-۲-روايت-۲۵-۵۳۱ من الكلام المأثور عن عيسى ع لاتتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا فاكنزوا كنزكم عند من لايضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الآخرة لايخاف عليه -روايت-۱-۲-روايت-۳۴-۱۷۹ [صفحه ۳۳۱]

۳۹۲

مَن أَبطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَم يُسرِع بِهِ نَسَبُهُ وَ فِي رِوَايَةٍ أُخرَى مَن فَاتَهُ حَسَبُ نَفسِهِ لَم يَنفَعهُ حَسَبُ آبَائِهِ قدتقدم مثل هذا و قدذكرنا ماعندنا فيه و قال الشاعر لئن فخرت بآباء ذوى حسب || لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا . و كان يقال أجهل الناس من افتخر بالعظام البالية وتبجح بالقرون ۱۰-الماضية واتكل على الأيام الخالية. و كان يقال من طريف الأمور حى يتكل على ميت . و كان يقال ضعة الدنىء فى نفسه والرفيع فى أصله أقبح من ضعة الوضيع فى نفسه وأصله لأن هذاتشبه بآبائه وسلفه وذاك قصر عن أصله وسلفه فهو إلى الملامة أقرب و عن العذر أبعد.افتخر شريف بأبيه فقال خصمه لووفقت لماذكرت أباك لأنه حجة عليك تنادى بنقصك وتقر بتخلفك . كان جعفر بن يحيى يقول ليس من الكرام من افتخر بالعظام . و قال الفضل بن الربيع كفى بالمرء عارا أن يفتخر بغيره . [صفحه ۳۳۲] و قال الرشيد من افتخر بآبائه فقد نادى على نفسه بالعجز وأقر على همته بالدناءة. و قال ابن الرومى و ماالحسب الموروث لادر دره || بمحتسب إلابآخر مكتسب إذاالعود لم يثمر و إن كان شعبة || من الثمرات أعتده الناس فى الحطب . و قال عبد الله بن جعفر لسنا و إن أحسابنا كرمت || يوما على الآباء نتكل نبنى كماكانت أوائلنا || تبنى ونفعل مثل مافعلوا و قال آخر و مافخرى بمجد قام غيرى || إليه إذارقدت الليل عنه إلى حسب الفتى فى نفسه انظر || و لاتنظر هديت إلى ابن من هو و قال آخر إذافخرت بآبائى وأجدادى || فقد حكمت على نفسى لأضدادى هل نافعى إن سعى جدى لمكرمة || ونمت عن أختها فى جانب الوادى و قال آخر أيقنعنى كونى بمن كونى ابنه || أبا لى أن أرضى لفخرى بمجده إذاالمرء لم يحو العلاء بنفسه || فليس بحاو للعلاء بجده وهل يقطع السيف الحسام بأصله || إذا هو لم يقطع بصارم حده . وقيل لرجل يدل بشرف آبائه لعمرى لك أول ولكن ليس لأولك آخر. [صفحه ۳۳۳] ومثله أن شريفا بآبائه فاخر شريفا بنفسه فقال الشريف بنفسه انتهى إليك شرف أهلك ومنى ابتدأ شرف أهلى وشتان بين الابتداء والانتهاء. وقيل لشريف ناقص الأدب إن شرفك بأبيك لغيرك وشرفك بنفسك لك فافرق بين ما لك و مالغيرك و لاتفرح بشرف النسب فإنه دون شرف الأدب [صفحه ۳۳۴]

۳۹۳

مَن طَلَبَ شَيئاً نَالَهُ أَو بَعضَهُ هذامثل قولهم من طلب وجد وجد. و قال بعض الحكماء مالازم أحد باب الملك فاحتمل الذل

وكظم الغيظ ورفق بالبواب وخالط الحاشية إلاوصل إلى حاجته من الملك [صفحه ۳۳۵]

۳۹۴

مَا خَيرٌ بِخَيرٍ بَعدَهُ النّارُ وَ مَا شَرّ بِشَرّ بَعدَهُ الجَنّةُ وَ كُلّ نَعِيمٍ دُونَ الجَنّةِ مَحقُورٌ وَ كُلّ بَلَاءٍ دُونَ النّارِ عَافِيَةٌ موضع بعده النار رفع لأنه صفة خير ألذى بعد ما وخير يرفع لأنه اسم ما وموضع الجار والمجرور نصب لأنه خبر ما والباء زائدة مثلها فى قولك ما أنت بزيد كماتزاد فى خبر ليس والتقدير ماخير تتعقبه النار بخير كماتقول مالذة تتلوها نغصة بلذة و لاينقدح فى ماالوجهان اللذان ذكرهما أرباب الصناعة النحوية فى لا فى قولهم لاخير بخير بعده النار أحدهما ماذكرناه فى ما والآخر أن يكون موضع بعده النار جرا لأنه صفة خير المجرور و يكون معنى الباء معنى فى كقولك زيد بالدار و فى الدار ويصير تقدير الكلام لاخير فى خير تعقبه النار و ذلك أن ماتستدعى خبرا موجودا فى الكلام بخلاف لا فإن خبرها محذوف فى مثل قولك لاإله إلا الله ونحوه أى فى الوجود أولنا أو ماأشبه ذلك و إذاجعلت بعده صفة خير المجرور لم يبق معك ماتجعله خبر ما. وأيضا فإن معنى الكلام يفسد فى مابخلاف لالأن لالنفى الجنس فكأنه [صفحه ۳۳۶] نفى جنس الخير عن خير تتعقبه النار و هذامعنى صحيح وكلام منتظم و ماهاهنا إن كانت نافية احتاجت إلى خبر ينتظم به الكلام و إن كانت استفهاما فسد المعنى لأن مالفظ يطلب به معنى الاسم كقوله ماالعنقاء أويطلب به حقيقة الذات كقولك ماالملك ولست تطيق أن تدعى أن ماللاستفهام هاهنا عن أحد القسمين مدخلا لأنك تكون كأنك قد قلت أى شيء هوخير فى خير تتعقبه النار و هذاكلام لامعنى له [صفحه ۳۳۷]

۳۹۵

أَلَا وَ إِنّ مِنَ البَلَاءِ الفَاقَةَ وَ أَشَدّ مِنَ الفَاقَةِ مَرَضُ البَدَنِ وَ أَشَدّ مِن مَرَضِ البَدَنِ مَرَضُ القَلبِ أَلَا وَ إِنّ مِنَ النّعَمِ سَعَةَ المَالِ وَ أَفضَلُ مِن سَعَةِ المَالِ صِحّةُ البَدَنِ وَ أَفضَلُ مِن صِحّةِ البَدَنِ تَقوَى القَلبِ قدتقدم الكلام فى الفاقة والغنى فأما المرض والعافية ففى الحديث المرفوع إليك انتهت الأمانى ياصاحب العافية -روايت-۱-۲-روايت-۲۴-۶۲ فأما مرض القلب وصحته فالمراد به التقوى وضدها و قدسبق القول فى ذلك . و قال أحمد بن يوسف الكاتب المال للمرء فى معيشته || خير من الوالدين والولد و إن تدم نعمة عليك تجد || خيرا من المال صحة الجسد و مابمن نال فضل عافية || وقوت يوم فقر إلى أحد [صفحه ۳۳۸]

۳۹۶

لِلمُؤمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبّهُ وَ سَاعَةٌ يَرُمّ فِيهَا مَعَايِشَهُ وَ سَاعَةٌ يُخَلّيَ فِيهَا بَينَ نَفسِهِ وَ بَينَ لَذّتِهَا فِيمَا يَحِلّ وَ يَجمُلُ وَ لَيسَ لِلعَاقِلِ أَن يَكُونَ شَاخِصاً إِلّا فِي ثَلَاثٍ مَرَمّةٍ لِمَعَاشٍ أَو خُطوَةٍ فِي مَعَادٍ أَو لَذّةٍ فِي غَيرِ مُحَرّمٍ تقدير الكلام ينبغى أن يكون زمان العاقل مقسوما ثلاثة أقسام . ويرم معاشه يصلحه وشاخصا راحلا وخطوة فى معاد يعنى فى عمل المعاد و هوالعبادة والطاعة. و كان شيخنا أبو على رحمه الله يقسم زمانه على ماأصف لك كان يصلى الصبح والكواكب طالعة ويجلس فى محرابه للذكر والتسبيح إلى بعدطلوع الشمس بقليل ثم يتكلم مع التلامذة وطلبة العلم إلى ارتفاع النهار ثم يقوم فيصلى الضحى ثم يجلس فيتمم البحث مع التلامذة إلى أن يؤذن للظهر فيصليها بنوافلها ثم يدخل إلى أهله فيصلح شأنه ويقضى حوائجه ثم يخرج للعصر فيصليها بنوافلها ويجلس مع التلامذة إلى المغرب فيصليها ويصلى العشاء ثم يشتغل بالقرآن إلى ثلث الليل ثم ينام الثلث الأوسط ثم يقعد فيصلى الثلث الأخير كله إلى الصبح [صفحه ۳۳۹]

۳۹۷

ازهَد فِی الدّنیَا یُبَصّرِکَ اللّهُ عَورَاتِهَا وَ لَا تَغفُل فَلَستَ بِمَغفُولٍ عَنکَ أمره بالزهد فی الدنیا وجعل جزاء الشرط تبصیر الله تعالی له عورات الـدنیا و هـذاحق لأن الراغب فی الـدنیا عاشق لها والعاشق لایری عیب معشوقه کما قال القائل وعین الرضا عن کل عیب کلیلهٔ || ولکن عین السخط تبدی المساویا فإذازهد فیهافقد سخطها و إذاسخطها أبصر عیوبها مشاهدهٔ لاروایهٔ. ثم نهاه عن الغفلهٔ و قال له إنک غیرمغفول عنک فلاتغفل أنت عن نفسک فإن أحق الناس وأولاهم ألا یغفل عن نفسه من لیس بمغفول عنه و من علیه رقیب شهید یناقشه علی الفتیل والنقیر [صفحه ۳۴۰]

۳۹۸

تَکَلّمُوا تُعرَفُوا فَإِنّ المَرءَ مَخبُوءٌ تَحتَ لِسَانِهِ هـذه إحـدی کلماته ع التی لاقیمـهٔ لها و لایقـدر قـدرها والمعنی قدتداوله الناس قال وکـائن تری من صـامت لـک معجب || زیـادته أونقصه فی التکلم لسـان الفتی نصف ونصف فؤاده || فلم یبق إلاصورهٔ اللحم والـدم . و کـان یحیی بن خالـد یقول مـاجلس إلی أحـد قط إلاهبته حتی یتکلم فإذاتکلم إما أن تزداد الهیبـهٔ أوتنقص [صـفحه ۳۴۱]

۳۹۹

اشاره

نِعمَ الطّیبُ المِسکُ خَفِیفٌ مَحمِلُهُ عَطِرٌ رِیحُهُ

فصل فیما ورد فی الطیب من الآثار

کـان النبی ص کثیر التطیب بالمسـک وبغیره من أصـناف الطیب . و جـاء الخبر الصـحیح عنه حبب إلی من دنیاکم ثلاث الطیب والنسـاء وقرهٔ عینی فی الصـلاهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۸۸ . و قـدرویت لفظـهٔ أمیر المؤمنین ع عنه مرفوعـهٔ ونحوهـا لاتـرددوا الطیب فإنه طیب الریـح خفیف المحمل -روایت-۱-۴۹ .سـرق أعرابی نافجـهٔ مسک فقیل له و من یغلل یأت بما غل یوم القیامهٔ قـال إذن أحملهـا طیبـهٔ الریـح خفیفـهٔ المحمـل . و فی الحـدیث المرفوع أنه ع بـایع قوما کـان بیـد رجل منهم ردع خلوق فبایعه بـأطراف أصـابعه و قـال خیر طیب الرجـال مـاظهر ریحه وخفی لـونه وخیر طیب النسـاء مـاظهر لونه وخفی ریحه -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۸۳ عنه ع فی صـفهٔ أهل الجنهٔ ومجامرهـم الألوهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۴۶ وهی العود الهندی. [صفحه ۳۴۲] و روی سـهل بن سـعد عنه ع أن فی الجنـهٔ لمراغا من مسک مثل مراغ دوابکم هـذه -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۸۰ روی عنه ع أیضا فی صـفهٔ الکوثر جاله المسک أی جانبه ورضراضهٔ التوم وحصباؤه اللؤلؤ -روایت-۱-۲-روایت-۱۹-۸۸ قالت عائشهٔ کأنی أنظر إلی وبیص المســک فی مفــارق رســول الله ص و هـومحرم -روایـت-۱-۲-روایت-۱۴-۷۷ کـان ابن عمر یستجمر بعـود غیرمطری ویجعـل معه الکـافور و یقول هکـذا رأیت رسول الله ص یصـنع -روایت-۱-۹۴ روی أنس بن مالـک قـال دخل علینا

رسول الله ص فقال عندنا والوقت صيف فعرق فجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت عرقه فاستيقظ و قال ياأم سليم ماتصنعين قالت هذاعرقك نجعله فى طيبنا فإنه من أطيب الطيب ونرجو به بركة صبياننا فقال أصبت -روايت-١-٢-روايت-٢۶-٢۴۴ . و من كلام عمر لوكنت تاجرا مااخترت غيرالعطر إن فاتنى ربحه لم يفتنى ريحه .ناول المتوكل أحمد بن أبى فنن فأرة مسك فأنشده لئن كان هذاطيبنا و هوطيب || لقد طيبته من يديك الأنامل .قالوا سميت الغالية غالية لأن عبد الله بن جعفرأهدى لمعاوية قارورة منها فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا فقال هذه غالية فسميت غالية.شم مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى من أخته هند بنت أسماء ريح غالية وكانت تحت الحجاج فقال علمينى طيبك قالت لاأفعل أتريد أن تعلمه [صفحه ٣۴٣] جواريك هو لك عندى ماأردته ثم ضحكت وقالت و الله ماتعلمته إلا من شعرك حيث قلت أطيب الطيب طيب أم أبان || فأر مسك بعنبر مسحوق خلطته بعودها وببان || فهو أحوى على اليدين شريق . وروى أبوقلابة قال كان ابن مسعود إذاخرج من بيته إلى المسجد عرف من فى الطريق أنه قدمر من طيب ريحه . وروى الحسن بن زيد عن أبيه قال رأيت ابن عباس حين أحرم والغالية على صلعته كأنها الرب .أولم المتوكل فى طهر بنيه فلما كثر اللعب قال ليحيى بن أكثم انصرف أيها القاضى قال و لم قال لأنهم يريدون أن يخلطوا قال أحوج مايكونون إلى قاض إذاخلطوا فاستظرفه وأمر أن تغلف لحيته ففعل فقال يحيى إنا لله ضاعت الغالية كانت هذه تكفينى دهرا لودفعت إلى فأمر له بزورق لطيف من ذهب مملوء من غالية ودرج بخور فأخذهما وانصرف . وروى عكرمة أن ابن عباس كان يطلى جسده بالمسك فإذامر بالطريق قال الناس أمر ابن عباس أم المسك و قال أبوالضحى رأيت على رأس ابن الزبير من المسك ما لو كان لى لكان رأس مالى. لمابنى عمر بن عبدالعزيز على فاطمة بنت عبدالملك أسرج فى مسارجه تلك الليلة الغالية إلى أن طلعت الشمس .كانت لابن عمر بندقة من مسك يبوكها بين راحتيه فتفوح رائحتها. كان عمر بن عبدالعزيز فى إمارته المدينة يجعل المسك بين قدميه ونعله فقال فيه الشاعر يمدحه له نعل لاتطبى الكلب ريحها || و إن وضعت فى مجلس القوم شمت . [صفحه ٣۴۴] سمع عمر قول سحيم عبدبنى الحسحاس وهبت شمال آخر الليل قرة || و لاثوب إلادرعها وردائيا فما زال بردى طيبا من ثيابها || مدى الحول حتى أنهج البرد باليا فقال له ويحك إنك مقتول فلم تمض عليه أيام حتى قتل . قال الشعبى الرائحة الطيبة تزيد فى العقل . كان عبد الله بن زيد يتخلق بالخلوق ثم يجلس فى المجلس . وكانوا يستحبون إذاقاموا من الليل أن يمسحوا مقاديم لحاهم بالطيب . واشترى تميم الدارى حلة بثمانمائة درهم وهيأ طيبا فكان إذاقام من الليل تطيب ولبس حلته وقام فى المحراب . و قال أنس ياجميلة هيئى لنا طيبا أمسح به يدى فإن ابن أم ثابت إذاجاء قبل يدى يعنى ثابتا البنانى. و قال سلم بن قتيبة لقد شممت من فلان رائحة أطيب من مشطة العروس الحسناء فى أنف العاشق الشبق . و من كلام بعض الصالحين الفاسق رجس و لوتضمخ بالغالية.عرضت مدنية لكثير فقالت له أنت القائل فما روضة بالحزن طيبة الثرى || يمج الندى جثجاثها وعرارها بأطيب من أردان عزة موهنا || و قدأوقدت بالمندل الرطب نارها لوكانت هذه الصفة لزنجية تجتلى الحلة لطابت هلا قلت كما قال سيدك إمرؤ القيس [صفحه ٣۴۵] أ لم تريانى كلما جئت طارقا || وجدت بهاطيبا و إن لم تطيب . و قال الزمخشرى إن النوى المنقع بالمدينة ينتاب أشرافها المواضع التى يكون فيهاالتماسا لطيب ريحه و إذاوجدوا ريحه بالعراق هربوا منها لخبثها قال و من اختلف فى طرقات المدينة وجد رائحة طيبة وبنة عجيبة ولذلك سميت طيبة والزنجية بهاتجعل فى رأسها شيئا من بلح و ما لاقيمة له فتجد له خمرة لايعدلها بيت عروس من ذوات الأقدار. قال و لودخلت كل غالية وعطر قصبة الأهواز وقصبة أنطاكية لوجدتها قدتغيرت وفسدت فى مدة يسيرة.أراد الرشيد المقام فى أنطاكية فقال له شيخ منها إنها ليست من بلادك فإن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لاينتفع منه بشىء والسلاح يصدأ فيها.سيراف من بلاد فارس لها فغمة طيبة.فأرة المسك دويبة شبيهة بالخشف تكون فى ناحية تبت تصاد لأجل سرتها فإذاصادها الصائد عصب سرتها بعصاب شديد وهى مدلاة فيجتمع فيهادمها ثم يذبحها و ماأكثر من يأكلها ثم يأخذ السرة فيدفنها فى الشعر حتى يستحيل الدم المحتقن

فيهامسكا ذكيا بعد أن كان لايرام نتنا و قديوجد فى البيوت جرذان سود يقال لها فأر المسك ليس عندها إلارائحة لازمة لها. وذكر شيخنا أبوعثمان الجاحظ قال سألت بعض أصحابنا المعتزلة عن شأن المسك فقال لو لا أن رسول الله ص تطيب بالمسك لماتطيبت به لأنه دم فأما [صفحه ۳۴۶] الزباد فليس مما يقرب ثيابى فقلت له قديرتضع الجدى من لبن خنزيرة فلايحرم لحمه لأن ذلك اللبن استحال لحما وخرج من تلك الطبيعة و عن تلك الصورة و عن ذلك الاسم وكذا لحم الجلالة فالمسك غيرالدم والخل غيرالخمر والجوهر لايحرم لذاته وعينه وإنما يحرم للأعراض والعلل فلاتقزز منه عندذكرك الدم فليس به بأس . قال الزمخشرى والزبادة هرة ويقال للزيلع وهم الذين يجتلبون الزباد يازيلع الزبادة ماتت فيغضب . و قال ابن جزلة الطبيب فى المنهاج الزباد طيب يؤخذ من حيوان كالسنور يقال إنه وسخ فى رحمها. و قال الزمخشرى العنبر يأتى طفاوة على الماء لايدرى أحد معدنه يقذفه البحر إلى البر فلايأكل منه شىء إلامات و لاينقره طائر إلابقى منقاره فيه و لايقع عليه إلانصلت أظفاره والبحريون والعطارون ربما وجدوا فيه المنقار والظفر. قال والبال و هوسمكة طولها خمسون ذراعا يؤكل منه اليسير فيموت . قال وسمعت ناسا من أهل مكة يقولون هوضفع ثور فى بحر الهند وقيل هو من زبد بحر سرنديب وأجوده الأشهب ثم الأزرق وأدونه الأسود. و فى حديث ابن عباس ليس فى العنبر زكاة إنما هو شىءيدسره البحر أى يدفعه -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۷۷ . [صفحه ۳۴۷] فأما صاحب المنهاج فى الطب فقال العنبر من عين فى البحر و يكون جماجم أكبرها وزنه ألف مثقال والأسود أردأ أصنافه وكثيرا مايوجد فى أجواف السمك التى تأكله وتموت وتوجد فيه سهوكة. و قال فى المسك أنه سرة دابة كالظبى له نابان أبيضان معقفان إلى الجانب الإنسى كقرنين . جاء فى الحديث المرفوع لاتمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن إذاخرجن ثفلات -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۸۳ فى الحديث أيضا إذاشهدت إحداكن العشاء فلاتمس طيبا -روايت-۱-۲-روايت-۱۹-۵۷ والمراد من ذلك ألا تهيج عليهن شهوة الرجال . قال الشاعر والمسك بينا تراه ممتهنا || بفهر عطاره وساحقه حتى تراه فى عارضى ملك || أوموضع التاج من مفارقه .الصنوبرى فى استهداء المسك المسك أشبه شىءبالشباب فهب || بعض الشباب لبعض العصبة الشيب يقال إن رجلا وجد قرطاسا فيه اسم الله تعالى فرفعه و كان عنده دينار فاشترى به مسكا فطيبه فرأى فى المنام قائلا يقول له كماطيبت اسمى لأطيبن ذكرك . قال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب مارأيت صدا المغفر و لاعبق العنبر بأحد أليق منه بك فقال حاجتك قال ابن أخ لى فى حبسك فقال يسبقك إلى المنزل . [صفحه ۳۴۸] شاعر كأن دخان الند ما بين جمره || بقايا ضباب فى رياض شقيق .قالوا خير العود المندلى و هومنسوب إلى مندل قرية من قرى الهند وأجوده أصلبه وامتحان رطبة أن ينطبع فيه نقش الخاتم واليابس تفصح عنه النار و من خاصية المندلى أن رائحته تثبت فى الثواب أسبوعا و أنه لايقمل مادامت فيه . قال صاحب المنهاج العود عروق أشجار تقلع وتدفن فى الأرض حتى تتعفن منها الخشبية والقشرية ويبقى العود الخالص وأجوده المندلى ويجلب من وسط بلاد الهند ثم العود الهندى و هويفضل على المندلى بأنه لايولد القمل و هوأعبق بالثياب . قال وأفضل العود أرسبه فى الماء والطافى ردىء. قال أبوالعباس الأعمى ليت شعرى من أين رائحة المسك || و ما إن أخال بالخيف أنسى حين غابت بنو أمية عنه || والبهاليل من بنى عبدشمس خطباء على المنابر فرسان || على الخيل قالة غيرخرس بحلوم مثل الجبال رزان || ووجوه مثل الدنانير ملس .المسيب بن علس تبيت الملوك على عتبها || وشيبان إن غضبت تعتب وكالشهد بالراح ألفاظهم || وأخلاقهم منهما أعذب [صفحه ۳۴۹] وكالمسك ترب مقاماتهم || وترب قبورهم أطيب .أخذه العباس بن الأحنف فقال و أنت إذا ماوطئت التراب || كان ترابك للناس طيبا . وهجا بعض الشعراء العمال فى أيام عمر ووقع عليهم فقال فى بعض شعره نئوب إذاآبوا ونغزو إذاغزوا || فأنى لهم وفر ولسنا ذوى وفر إذاالتاجر الدارى جاء بفأرة || من المسك راحت فى مفارقهم تجرى فقبض عمر على العمال وصادرهم .قالوا فى الكافور إنه ماء فى شجر مكفور فيه يغرزونه بالحديد فإذاخرج إلى ظاهر ذلك الشجر ضربه الهواء فانعقد كالصموغ الجامدة على الأشجار. و قال صاحب المنهاج هوأصناف

منها الفنصوری والرباحی والأزاد والإسفرک الأزرق و هوالمختط بخشبه وقیل إن شجرته عظیمهٔ تظلل أکثر من مائهٔ فارس وهی بحریهٔ وخشب الکافور أبیض إلی الحمرهٔ خفیف والرباحی یوجد فی بدن شجرته قطع کالثلج فإذاشققت الشجرهٔ تناثر منها الکافور الند هوالغالیهٔ و هوالعود المطری بالمسک والعنبر ودهن البان و من الناس من لایضیف إلیه دهن البان ویجعل عوضه الکافور ومنهم من لایضیف إلیه الکافور أیضا و من الناس من یرکب الغالیهٔ من المسک والعنبر والکافور ودهن النیلوفر. قال الأصمعی قلت لأبی المهدیهٔ الأعرابی کیف تقول لیس الطیب إلاالمسک فلم یحفل الأعرابی وذهب إلی مذهب آخر فقال فأین أنت عن العنبر فقلت کیف تقول لیس الطیب إلاالمسک والعنبر قال فأین أنت عن البان قلت فکیف [صفحه ۳۵۰] تقول لیس الطیب إلاالمسک والعنبر والبان قال فأین أنت عن ادهان بحجر یعنی الیمامهٔ قلت فکیف تقول لیس الطیب إلاالمسک والعنبر والبان وادهان بحجر قال فأین أنت عن فأرهٔ الإبل صادرهٔ فرأیت أنی قدأکثرت علیه فترکته قال وفأرهٔ الإبل ریحها حین تصدر عن الماء و قدأکلت العشب الطیب . و فی فأرهٔ الإبل یقول الشاعر کأن فأرهٔ مسک فی مباءتها || إذابدا من ضیاء الصبح تنتشر کان لأبی أیوب المرزبانی وزیر المنصور دهن طیب یدهن به إذارکب إلی المنصور فلما رأی الناس غلبته علی المنصور وطاعته له فیما یریده حتی إنه ربما کان یستحضره لیوقع به فإذارآه تبسم إلیه وطابت نفسه قالوا دهن أبی أیوب من عمل السحرهٔ وضربوا به المثل فقالوا لمن یغلب علی الإنسان معه دهن أبی أیوب .أعرابی فیهامدر کف ومشم أنف . و قال عیینهٔ بن أسماء بن خارجهٔ الفزاری لوکنت أحمل خمرا حین زرتکم || لم ینکر الکلب أنی صاحب الدار لکن أتیت وریح المسک یقدمنی || والعنبر الورد مشبوبا علی النار فأنکر الکلب ریحی حین خالطنی || و کان یألف ریح الزق والقار قال الأصمعی ذکر لأبی أیوب هؤلاء الذین یتقشفون فقال ماعلمت أن القذر والذفر من الدین .ریح الکلب مثل فی النتن قال الشاعر ریحها ریح کلاب || هارشت فی یوم طل . و قال آخر یزداد لؤما علی المدیح کما || یزداد نتن الکلاب فی المطر . [صفحه ۳۵۱] وقالت امرأهٔ إمرئ القیس له و کان مفرکا عندالنساء إذاعرقت عرقت بریح کلب قال صدقت إن أهلی أرضعونی مرهٔ بلبن کلبهٔ. قال سلمهٔ بن عیاش یقول لجعفر بن سلیمان فما شم أنفی ریح کف رأیتها || من الناس إلاریح کفک أطیب فأمر له بألف دینار ومائهٔ مثقال من المسک ومائهٔ مثقال من العنبر. وجه عمر إلی ملک الروم بریدا فاشترت أم کلثوم امرأهٔ عمر طیبا بدنانیر وجعلته فی قارورتین وأهدتهما إلی امرأهٔ ملک الروم فرجع البرید إلیها ومعه مل ء القارورتین جواهر فدخل علیها عمر و قدصبت الجواهر فی حجرها فقال من أین لک هذافأخبرته فقبض علیه و قال هذاللمسلمین قالت کیف و هوعوض هدیتی قال بینی وبینک أبوک فقال علی ع لک منه بقیمهٔ دینارک والباقی للمسلمین جملهٔ لأن برید المسلمین حمله –روایت–۱–۴۱۴ .قیل لخدیجهٔ بنت الرشید رسل العباس بن محمد علی الباب معهم زنبیل یحمله رجلان فقالت تراه بعث إلی باقلاء فکشف الزنبیل عن جرهٔ مملوءهٔ غالیهٔ فیهامسحاهٔ من ذهب و إذابرقعهٔ هذه جرهٔ أصیبت هی وأختها فی خزائن بنی أمیهٔ فأما أختها فغلب علیها الخلفاء و أما هذه فلم أر أحدا أحق بهامنک [صفحه ۳۵۲]

۰۴۰۰

اشاره

ضَع فَخرَکَ وَ احطُط کِبرَکَ وَ اذکُر قَبرَکَ قدتقدم القول فی العجب والکبر والفخر

نبذ مما قيل فی التیه والفخر

فی الحدیث المرفوع أن الله قدأذهب عنکم عبیة الجاهلیة وفخرها بالآباء الناس لآدم وآدم من تراب مؤمن تقی وفاجر شقی لینتهین أقوام یتفاخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أولیکونن أهون علی الله من جعلات تدفع النتن بأنفها -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۲۴۴ من وصیته ص إلی علی ع لافقر أشد من الجهل و لاوحشة أفحش من العجب -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۷۵ .أتی وائل بن حجر النبی ص فأقطعه أرضا وأمر معاویة أن یمضی معه فیریه الأرض ویعرضها علیه ویکتبها له فخرج مع وائل فی هاجرة [صفحه ۳۵۳] شاویة ومشی خلف ناقته فأحرقته الرمضاء فقال أردفنی قال لست من أرداف الملوک قال فادفع إلی نعلیک قال مابخل یمنعنی یا ابن أبی سفیان ولکن أکره أن یبلغ أقیال الیمن أنک لبست نعلی ولکن امش فی ظل ناقتی فحسبک بذاک شرفا ویقال إنه عاش حتی أدرک زمن معاویة فأجلسه معه علی سریره .قیل لحکیم ماالشیء ألذی لایحسن أن یقال و إن کان حقا فقال الفخر.حبس هشام بن عبدالملک الفرزدق فی سجن خالد بن عبد الله القسری فوفد جریر إلی خالد لیشفع فیه فقال له خالد أ لایسرک أن الله قدأخزی الفرزدق فقال أیها الأمیر و الله ماأحب أن یخزیه الله إلابشعری وإنما قدمت لأشفع فیه قال فاشفع فیه فی ملإ لیکون أخزی له فشفع فیه فدعا به فقال إنی مطلقک بشفاعة جریر فقال أسیر قسری وطلیق کلبی فبأی وجه أفاخر العرب بعدها ردنی إلی السجن .ذکر أعرابی قوما فقال مانالوا بأناملهم شیئا إلا و قدوطئناه بأخامص أقدامنا و إن أقصی مناهم لأدنی فعالنا.نظر رجل إلی بعض ولد أبی موسی یختال فی مشیته فقال أ لاترون مشیته کأن أباه خدع عمرو بن العاص . وسمع الفرزدق أبابردة یقول کیف لاأتبختر و أنا ابن أحد الحکمین فقال أحدهما مائق والآخر فاسق فکن ابن أیهما شئت . نظر رسول الله ص إلی أبی دجانة و هویتبختر بین الصفین فقال إن هذه مشیة یبغضها الله إلا فی هذاالموطن -روایت-۱-۱۰۹ . [صفحه ۳۵۴] لمابلغ الحسن بن علی ع قول معاویة إذا لم یکن الهاشمی جوادا والأموی حلیما والعوامی شجاعا والمخزومی تیاها لم یشبهوا آباءهم فقال إنه و الله ماأراد بهاالنصیحة ولکن أراد أن یفنی بنو هاشم ما فی أیدیهم فیحتاجوا إلیه و أن یشجع بنو العوام فیقتلوا و أن یتیه بنو مخزوم فیمقتوا و أن یحلم بنو أمیة فیحبهم الناس -روایت-۱-۳۲۴ . کان قاضی القضاة محمد بن أبی الشوارب الأموی تائها فهجاه عبدالأعلی البصری فقال إنی رأیت محمدا متشاوسا || مستصغرا لجمیع هذی الناس و یقول لما أن تنفس خالیا || نفسا له یعلو علی الأنفاس ویح الخلافة فی جوانب لحیتی || تستن دون لحی بنی العباس .بعض الأمویة إذاتاته من عبدشمس رأیته || یتیه فرشحه لکل عظیم و إن تاه تیاه سواه فإنه || یتیه لحمق أویتیه للوم .لبعض الأمویة أیضا ألسنا بنی مروان کیف تبدلت || بنا الحال أودارت علینا الدوائر إذاولد المولود منا تهللت || له الأرض واهتزت إلیه المنابر .بعض التیاهین أتیه علی إنس البلاد وجنها || و لو لم أجد خلقا أتیه علی نفسی أتیه فلاأدری من التیه من أنا || سوی ما یقول الناس فی و فی جنسی فإن زعموا أنی من الإنس مثلهم || فما لی عیب غیرأنی من الإنس . [صفحه ۳۵۵] بعض العلویة لقد نازعتنا من قریش عصابة || بمط خدود وامتداد أصابع فلما تنازعنا الفخار قضی لنا || علیهم بما نهوی نداء الصوامع ترانا سکوتا والشهید بفضلنا || علیهم أذان الناس فی کل جامع بأن رسول الله لاشک جدنا || و أن بنیه کالنجوم الطوالع . کان عمارة بن حمزة بن میمون مولی بنی العباس مثلا فی التیه حتی قیل أتیه من عمارة و کان یتولی دواوین السفاح والمنصور و کان إذاأخطأ مضی علی خطئه تکبرا عن الرجوع و یقول نقض وإبرام فی حالة واحدة الإصرار علی الخطإ أهون من ذلک وافتخرت أم سلمة المخزومیة امرأة السفاح ذات لیلة بقومها علی السفاح وبنو مخزوم یضرب بهم المثل فی الکبر والتیه فقال أناأحضرک الساعة علی غیرأهبة مولی من موالی لیس فی أهلک مثله فأرسل إلی عمارة وأمر الرسول أن یعجله عن تغییر زیه فجاء علی الحال التی وجده علیها الرسول فی ثیاب ممسکة مزررة بالذهب و قدغلف لحیته بالغالیة حتی قامت فرمی إلیه السفاح بمدهن ذهب مملوء غالیة فلم یلتفت إلیه

و قال هل ترى لها فى لحيته موضعا فأخرجت أم سلمة عقدا لها ثمينا وأمرت خادما أن يضعه بين يديه فقام وتركه فأمرت الخادم أن يتبعه به و يقول إنهـا تسألـك قبوله فقـال للخـادم هو لـك فانصـرف بالعقـد إليهـا فـأعطت الخـادم فكاكه عشـرة آلاف دينار واسترجعته وعجبت من نفس عمـارة و كـان عمـارة لايـذل للخلفاء وهم مواليه ويتيه عليهم .نظر رجل إلى المهـدى ويـده فى يد عمارة وهما يمشيان فقال يا أمير المؤمنين [صفحه ۳۵۶] من هـذا قال هذاأخى و ابن عمى عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر المهـدى الكلمـة كالممازح لعمارة فقال عمارة و الله لقـد انتظرت أن تقول مولاى فأنفض يدى من يدك فتبسم المهدى. و كان أبوالربيع الغنوى أعرابيـا جافيا تياها شديـد الكبر قال أبوالعباس المبرد فى الكامل فـذكر الجاحظ أنه أتاه ومعه رجل هاشـمى قال فنـاديت أبوالربيع هنـا فخرج إلى و هو يقول خرج إليـك رجـل أكرم الناس فلما رأى الهاشـمى اسـتحيا و قال أكرم الناس رديفا وأشـرفهم حليفا أراد بـذلك أبامرثـد الغنوى لأنه كان رديف رسول الله ص وحليف أبى بكر قال حدثناساعة ثم نهض الهاشـمى فقلت له من خير الخلق قـال النـاس و الله قلت من خير الناس قال العرب و الله قلت فمن خير العرب قال مضـر و الله قلت فمن خير مضـر قـال قيس و الله قلت فمن خير قيس قـال يعصـر و الله قلت فمن خير يعصـر قال غنى و الله قلت فمن خير غنى قال المخاطب لك و الله قلت أفأنت خير الناس قال إى و الله قلت أيسـرك أن تكون تحتك ابنـة يزيد بن المهلب قال لا و الله قلت و لك ألف دينار قال لا و الله قلت فألفا دينار قال لا و الله قلت و لك الجنـة قال فأطرق ثم قال على ألا تلـد منى ثم أنشـد تأبى ليعصـر أعراق مهذبـة || من أن تناسب قوما غيرأكفاء فإن يكن ذاك حتما لامرد له || فاذكر حذيف فإنى غيرأباء [صـفحه ۳۵۷] أراد حذيفة بن بدر الفزارى و كان سـيد قيس فى زمانه .رأى عمر رجلا يمشـى مرخيا يديه طارحا رجليه يتبختر فقال له دع هذه المشية فقال ماأطيق فجلـده ثم خلاه فترك التبختر فقال عمر إذا لم أجلـد فى هـذافقيم أجلـد فجاءه الرجل بعـد ذلك فقال جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا إن كان إلاشيطانا سلط على فأذهبه الله بك [صفحه ۳۵۸]

۴۰۱

خُذ مِنَ الدّنيَا مَا أَتَاكَ وَ تَوَلّ عَمّا تَوَلّى عَنكَ فَإِن أَنتَ لَم تَفعَل فَأَجمِل فِي الطّلَبِ كان يقال اجعل الدنيا كغريم السوء حصل منه مايرضـخ لـك به و لاتـأس على مادفعك عنه ثم قال ع فإن لم تفعل فأجمل فى الطلب وهى من الألفاظ النبويـة لن تموت نفس حتى تسـتكمل رزقها فأجملوا فى الطلب –روايت–۱–۲–روايت–۲۲–۷۳ .قيل لبعض الحكماء ماالغنى فقال قلـة تمنيك ورضاك بما يكفيك [صفحه ۳۵۹]

۴۰۲

رُبّ قَولٍ أَنفَذُ مِن صَولٍ قـدقيل هـذاالمعنى كـثيرا فمنه قولهم والقول ينفـذ مـا لاتنفـذ الإبـر . و من ذلـك القول لاـتملكه إذانما كالسـهم لاتملكه إذارمى و قال الشاعر وقافية مثل حد السـنان || تبقى ويذهب من قالها تخيرتها ثم أرسـلتها || و لم يطق الناس إرسالها . و قال محمود الوراق أتانى منك ما ليس || على مكروهه صبر فأغضيت على عمد || وكم يغضى الفتى الحر وأدبتك بـالهجر || فمـا أدبك الهجر و لاردك عما كان || منك الصـفح والبر فلما اضـطرنى المكروه || واشـتد بى الأمر تناولتك من شعرى || بما ليس له قدر فحركت جناح الضـر || لمامسك الضر إذا لم يصلح الخير || امرأ أصلحه الشر . [صفحه ۳۶۰] و قال الرضـى رحمه الله سأمضغ بالأقوال أعراض قومكم || وللقول أنياب لدى حداد يرى للقوافى والسـماء جلية || عليكم بروق جمة ورعـاد . و قال أيضا كعمت لسانى أن يقول و إن يقل || فقل فى الجراز العضب إن فارق الغمـدا و إن برودا للمخازى معـدة ||

فمن شاء من ذا الحی أسحبته بردا قلائد فی الأعناق بالعار لاتهی || علی مر أیام الزمان و لاتصدا إذاصلصلت بین القنا قضت القنا || و إن زفرت فی السر قطعت السردا [صفحه ۳۶۱]

۴۰۳

كُلّ مُقتَصِرٍ عَلَيهِ كَافٍ هذا من باب القناعهٔ و إن من اقتصر علی شیء وقنعت به نفسه فقد کفاه وقام مقام الفضول التی یرغب فیهاالمترفون و قدتقدم القول فی ذلک [صفحه ۳۶۲]

۴۰۴

المَنِيّةُ وَ لَا الدّنِيّةُ وَ التّقَلّلُ وَ لَا التّوَسّلُ قدتقدم من کلامنا فی هذاالباب شیءکثیر و قال الشاعر أقسم بالله لمص النوی || وشرب ماء القلب المالحه أحسن بالإنسان من ذله || و من سؤال الأوجه الکالحه فاستغن بالله تکن ذا غنی || مغتبطا بالصفقهٔ الرابحه فالزهد عز والتقی سؤدد || وذلهٔ النفس لها فاضحه کم سالم صحیح به بغتهٔ || وقائل عهدی به البارحه أمسی وأمست عنده قینهٔ || وأصبحت تندبه نائحه طوبی لمن کانت موازینه || یوم یلاقی ربه راجحه . و قال أیضا لمص الثماد وخرط القتاد || وشرب الأجاج أوان الظما علی المرء أهون من أن یری || ذلیلا لخلق إذاأعدما وخیر لعینیک من منظر || إلی مابأیدی اللئام العمی . قلت لحاه الله هلا قال بأیدی الرجال [صفحه ۳۶۳]

۴۰۵

مَن لَم يُعطَ قَاعِداً لَم يُعطَ قَائِماً مراده أن الرزق قدقسمه الله تعالی فمن لم یرزقه قاعدا لم یجب علیه القیام والحرکهٔ. و قدجاء فی الحدیث أنه ص ناول أعرابیا تمرهٔ و قال له خذها فلو لم تأتها لأتتک -روایت-۱-۲-روایت-۱۴-۷۶ . و قال الشاعر جری قلم القضاء بما یکون || فسیان التحرک والسکون جنون منک أن تسعی لرزق || ویرزق فی غشاوته الجنین [صفحه ۳۶۴]

۴۰۶

الدّهرُ يَومَانِ يَومٌ لَکَ وَ يَومٌ عَلَيکَ فَإِذَا کَانَ لَکَ فَلَا تَبطَر وَ إِذَا کَانَ عَلَيکَ فَاصبِر قدیما قیل هذاالمعنی الدهر یومان یوم بلاء و یوم رخاء والدهر ضربان حبرهٔ وعبرهٔ والدهر وقتان وقت سرور ووقت ثبور. و قال أبوسفیان یوم أحد یوم بیوم بدر والدنیا دول . قال ع فإذا کان لک فلاتبطر و إذا کان علیک فاصبر. قدتقدم القول فی ذم البطر ومدح الصبر ویحمل ذم البطر هاهنا علی محملین أحدهما البطر بمعنی الأشر وشدهٔ المرح بطر الرجل بالکسر یبطر و قدأبطره المال وقالوا بطر فلان معیشته کماقالوا رشد فلان أمره والثانی البطر بمعنی الحیرهٔ والدهش أی إذا کان الوقت لک فلاتقطعن زمانک بالحیرهٔ والدهش عن شکر الله ومکافأهٔ النعمهٔ بالطاعهٔ والعبادهٔ والمحمل الأول أوضح [صفحه ۳۶۵]

۴۰۷

اشاره

إنّ لِلوَالِدِ عَلَى الوَلَدِ حَقّاً وَ إنّ لِلوَلَدِ عَلَى الوَالِدِ حَقّاً فَحَقّ الوَالِدِ عَلَى الوَلَدِ أَن يُطِيعَهُ فِي كُلّ شَيءٍ إلّا فِي مَعصِيَةِ اللّهِ سُبحَانَهُ وَ حَقّ الوَلَدِ عَلَى الوَالِدِ أَن يُحَسّنَ اسمَهُ وَ يُحَسّنَ أَدَبَهُ وَ يُعَلّمَهُ القُرآنَ أماصدر الكلام فمن قول الله سبحانه أَنِ اشكُر لِي وَ لِوالِدَيكَ إِلَيّ المَصِيرُ وَ إِن جاهَداكَ عَلي أَن تُشرِكَ بِي ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ فَلا تُطِعهُما -قرآن-٣٩-١٦٣

طرائف حول الأسماء والكنى

و أماتعليم الوالد الولد القرآن والأدب فمأمور به وكذلك القول في تسميته باسم حسن و قدجاء في الحديث تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله و عبدالرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة -روايت-١-٢-روايت-١٤-١٢٣ روى أبوالدرداء عن النبي ص أنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم -روايت-١-٢-روايت-٣٢-٩٩ [صفحه ٣٦٦] قال ع إذاسميتم فعبدوا -روايت-١-٢-روايت-١١-٢٩ أي سموا بنيكم عبد الله ونحوه من أسماء الإضافة إليه عزاسمه و كان رسول الله ص يغير بعض الأسماء سمى أبابكر عبد الله و كان اسمه في الجاهلية عبدالكعبة وسمى ابن عوف عبدالرحمن و كان اسمه عبدالحارث وسمى شعب الضلالة شعب الهدى وسمى يثرب طيبة وسمى بني الريبة بني الرشدة وبني معاوية بني مرشدة. كان سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي أحد الفقهاء المشهورين أتى جده رسول الله ص فقال له مااسمك قال حزن قال لابل أنت سهل فقال لابل أناحزن عاوده فيهاثلاثا ثم قال لاأحب هذاالاسم السهل يوطأ ويمتهن فقال فأنت حزن فكان سعيد يقول فما زلت أعرف تلك الحزونة فينا -روايت-١-٢٢١ روى جابر عنه ع ما من بيت فيه أحد اسمه محمد إلاوسع الله عليه الرزق فإذاسميتموهم به فلاتضربوهم و لاتشتموهم و من ولد له ثلاثة ذكور و لم يسم أحدهم أحمد أومحمدا فقد جفاني -روايت-١-٢-روايت-٢٠-١٨٤ أبوهريرة عنه ع أنه نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته لأحد -روايت-١-٢-روايت-٢٠-٦٢ روى أنه أذن لعلي بن أبي طالب ع في ذلك فسمى ابنه محمد بن الحنفية محمدا وكناه أباالقاسم -روايت-١-٢-روايت-٧-١٠٠ و قدروى أن جماعة من أبناء الصحابة جمع لهم بين الاسم والكنية. و قال الزمخشري قدقدم الخلفاء وغيرهم من الملوك رجالا بحسن أسمائهم وأقصوا قوما لشناعة أسمائهم وتعلق المدح والذم بذلك في كثير من الأمور. [صفحه ٣٦٧] و في رسالة الجاحظ إلى أبي الفرج نجاح بن سلمة قدأظهر الله في أسمائكم وأسماء آبائكم وكناكم وكنى أجدادكم من برهان الفأل الحسن ونفي طيرة السوء ماجمع لكم صنوف الأمل وصرف إليكم وجوه الطلب فأسماؤكم وكناكم بين فرج ونجاح وسلامة وفضل ووجوهكم وأخلاقكم ووفق أعراقكم وأفعالكم فلم يضرب التفاوت فيكم بنصيب .أراد عمر الاستعانة برجل فسأله عن اسمه واسم أبيه فقال سراق بن ظالم فقال تسرق أنت ويظلم أبوك فلم يستعن به .سأل رجل رجلا مااسمك فقال بحر قال أبو من قال أبوالفيض قال ابن من قال ابن الفرات قال ماينبغي لصديقك أن يلقاك إلا في زورق . و كان بعض الأعراب اسمه وثاب و له كلب اسمه عمرو فهجاه أعرابي آخر فقال و لوهيأ له الله || من التوفيق أسبابا لسمى نفسه عمرا || وسمى الكلب وثابا .قالوا وكلما كان الاسم غريبا كان أشهر لصاحبه وأمنع من تعلق النبز به قال رؤبة قدرفع العجاج ذكري فادعني || باسمي إذاالأسماء طالت تكفني . و من هاهنا أخذ المعري قوله يمدح الرضي والمرتضى رحمهما الله أنتم ذوو النسب القصير فطولكم || باد على الكبراء والأشراف والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت || بأب عن الأسماء والأوصاف . [صفحه ٣٦٨] وسأل النسابة البكري رؤبة عن نسبه و لم يكن يعرفه قال أنا ابن العجاج قال قصرت وعرفت .صاح أعرابي بعبد الله بن جعفر يا أباالفضل قيل ليست كنيته قال و إن لم تكن كنيته فإنها صفته نظر عمر إلى جارية له سوداء تبكي فقال ماشأنك قالت ضربني ابنك أبوعيسى قال أ و قدتكنى بأبي عيسى علي به فأحضروه فقال ويحك أ كان لعيسى أب فتكنى به أتدري ماكنى العرب أبوسلمة أبوعرفطة

أبوطلحة أبوحنظلة ثم أدبه . لماأقبل قحطبة بن شبيب نحو ابن هبيرة أراد ابن هبيرة أن يكتب إلى مروان بخبره وكره أن يسميه فقال اقلبوا اسمه فوجدوه هبط حق فقال دعوه على هيئته . قال برصوما الزامر لأمه ويحك أ ماوجدت لى اسما تسمينى به غير هذاقالت لوعلمت أنك تجالس الخلفاء والملوك سميتك يزيد بن مزيد.قيل لبعض صبيان الأعراب مااسمك قال قراد قيل لقد ضيق أبوك عليك الاسم قال إن ضيق الاسم لقد أوسع الكنية قال ماكنيتك قال أبوالصحارى.نظر المأمون إلى غلام حسن الوجه فى الموكب فقال له ياغلام مااسمك قال لاأدرى قال أ و يكون أحد لايعرف اسمه فقال يا أمير المؤمنين اسمى ألذى أعرف به لاأدرى فقال المأمون وسميت لاأدرى لأنك لاتدرى || بما فعل الحب المبرح فى صدرى .ولد لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ولد ذكر فبشر به و هو عندمعاوية [صفحه ٣٦٩] بن أبى سفيان فقال له معاوية سمه باسمى و لك خمسمائة ألف درهم فسماه معاوية فدفعها إليه و قال اشتر بهالسميى ضيعة. و من حديث على ع عن النبى ص إذاسميتم الولد محمدا فأكرموه وأوسعوا له فى المجلس و لاتقبحوا له وجها -روايت-١-٢-روايت-٣٤-١٠٨ عنه ص ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم عليها من اسمه محمدا أو أحمدفأدخلوه فى مشورتهم إلاخير لهم و ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه محمدا أو أحمد إلاقدس ذلك المنزل فى كل يوم مرتين -روايت-١-٢-روايت-١١-٢٠٥ . من أبيات المعانى وحللت من مضر بأمنع ذروة || منعت بحد الشوك والأحجار قالوا يريد بالشوك أخواله وهم قتادة وطلحة وعوسجة وبالأحجار أعمامه وهم صفوان وفهر وجندل وصخر وجرول .سمى عبدالملك ابنا له الحجاج لحبه الحجاج بن يوسف و قال فيه سميته الحجاج بالحجاج || الناصح المكاشف المداجى .استأذن الجاحظ والشكاك و هو من المتكلمين على رئيس فقال الخادم لمولاه الجاحد والشكاك فقال هذان من الزنادقة لامحالة فصاح الجاحظ ويحك ارجع قل الحدقى بالباب و به كان يعرف فقال الخادم الحلقى بالباب فصاح الجاحظ ويلك ارجع إلى الجاحد.جمع ابن دريد ثمانية أسماء فى بيت واحد فقال فنعم أخو الجلى ومستنبط الندى || وملجأ مكروب ومفزع لاهث عياذ بن عمرو بن الجليس بن جابر || بن زيد بن منظور بن زيد بن وارث . [صفحه ٣٧٠] قال محمد بن صدقة المقرئ ليموت بن المزرع صدق الله فيك اسمك فقال له أحوجك الله إلى اسم أبيك .سأل رجل أباعبيدة عن اسم رجل من العرب فلم يعرفه فقال كيسان غلامه أناأعرف الناس به هوخراش أوخداش أورياش أو شىءآخر فقال أبوعبيدة ماأحسن ماعرفته ياكيسان قال إى و الله و هوقرشى أيضا قال و مايدريك به قال أ ماترى كيف احتوشته الشينات من كل جانب قال الفرزدق و قدتلتقى الأسماء فى الناس والكنى || كثيرا ولكن ميزوا فى الخلائق .رأى الإسكندر فى عسكره رجلا لايزال ينهزم فى الحرب فسأله عن اسمه فقال اسمى الإسكندر فقال يا هذاإما أن تغير اسمك وإما أن تغير فعلك . قال شيخنا أبوعثمان لو لا أن القدماء من الشعراء سمت الملوك وكنتها فى أشعارها وأجازت واصطلحت عليه ما كان جزاء من فعل ذلك إلاالعقوبة على أن ملوك بنى سامان لم يكنها أحد من رعاياها قط و لاسماها فى شعر و لاخطبة وإنما حدث هذا فى ملوك الحيرة وكانت الجفاة من العرب لسوء أدبها وغلظ تركيبها إذاأتوا النبى ص خاطبوه باسمه وكنيته فأما أصحابه فكانت مخاطبتهم له يا رسول الله وهكذا يجب أن يقال للملك فى المخاطبة ياخليفة الله و يا أمير المؤمنين . وينبغى للداخل على الملك أن يتلطف فى مراعاة الأدب كماحكى سعيد بن مرة الكندى دخل على معاوية فقال أنت سعيد فقال أمير المؤمنين السعيد و أنا ابن مرة. و قال المأمون للسيد بن أنس الأزدى أنت السيد فقال أنت السيد يا أمير المؤمنين و أنا ابن أنس . [صفحه ٣٧١] شاعر لعمرك ماالأسماء إلاعلامة || منار و من خير المنار ارتفاعها كان قوم من الصحابة يخاطبون رسول الله ص يانبىء الله بالهمزة فأنكر ذلك و قال لست بنبىء الله ولكنى نبى الله -روايت-١-١٢٠ . و كان البحترى إذاذكر الخثعمى الشاعر يقول ذاك الغث العمى. و كان صاحب ربيع يتشيع فارتفع إليه خصمان اسم أحدهما على والآخر معاوية فانحنى على معاوية فضربه مائة سوط من غير أن اتجهت عليه حجة ففطن من أين أتى فقال أصلحك الله سل خصمى عن كنيته فإذا هو أبو عبدالرحمن وكانت كنية معاوية بن

أبی سفیان فبطحه وضربه مائهٔ سوط فقال لصاحبه ماأخذته منی بالاسم استرجعته منک بالکنیهٔ [صفحه ۳۷۲]

۴۰۸

اشاره

العَینُ حَقّ وَ الرّقَی حَقّ وَ السّحرُ حَقّ وَ الفَألُ حَقّ وَ الطّیَرَهُٔ لَیسَت بِحَقّ وَ العَدوَی لَیسَت بِحَقّ وَ الطّیبُ نُشرَهٌٔ وَ العَسَلُ نُشرَهٌٔ وَ الرّکُوبُ نُشرَهٌٔ وَ النّظَرُ إِلَی الخُضرَهِٔ نُشرَهٌٔ ویروی والغسل نشرهٔ بالغین المعجمهٔ أی التطهیر بالماء

أقوال فی العین والسحر والفأل والعدوی والطیرهٔ

فی الحدیث المرفوع العین حق و لو کان شیءیسبق القدر لسبقته العین و إذااستغسلتم فاغسلوا -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۹۷ قالوا فی تفسیره إنهم کانوا یطلبون من العائن أن یتوضأ بماء ثم یسقی منه المعین ویغتسل بسائره . و فی حدیث عائشهٔ العین حق کما أن محمدا حق . وللحکماء فی تعلیل ذلک قول لابأس به قالوا هذاعائد إلی نفس العائن و ذلک لأن الهیولی مطیعهٔ للأنفس متأثرهٔ بها أ لاتری أن نفوس الأفلاک تؤثر فیهابتعاقب الصور علیها والنفوس البشریهٔ من جوهر نفوس الأفلاک وشدیدهٔ الشبه بها إلا أن نسبتها إلیها نسبهٔ السراج إلی الشمس فلیست عامهٔ التأثیر بل تأثیرها فی أغلب الأمر فی بدنها خاصهٔ ولهذا یحمی مزاج الإنسان عندالغضب [صفحه ۳۷۳] یستعد للجماع عندتصور النفس صورهٔ المعشوق فإذن قدصار تصور النفس مؤثرا فیما هوخارج عنها لأنها لیست حالهٔ فی البدن فلایستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص مخالف لغیره من جواهر النفوس تؤثر فی غیربدنها ولهذا یقال إن قوما من الهند یقتلون بالوهم والإصابهٔ بالعین من هذاالباب و هو أن تستحسن النفس صورهٔ مخصوصهٔ وتتعجب منها وتکون تلک النفس خبیثهٔ جدا فینفعل جسم تلک الصورهٔ مطیعا لتلک النفس کماینفعل البدن للسم . و فی حدیث أم سلمهٔ أن رسول الله ص رأی فی وجه جاریهٔ لها سعفهٔ فقال إن بهانظرهٔ فاسترقوا لها -روایت-۱-۲-روایت-۲۱-۹۹ قال عوف بن مالک الأشجعی کنا نرقی فی الجاهلیهٔ فقلت یا رسول الله ماتری فی ذلک فقال أعرضوا علی رقاکم فلابأس بالرقی ما لم یکن فیهاشرک -روایت-۱-۲-روایت-۳۰-۱۴۸ کان ناس من أصحاب رسول الله ص فی سفر فمروا بحی من أحیاء العرب فاستضافوهم فلم یضیفوهم وقالوا لهم هل فیکم من راق فإن سید الحی لدیغ فقال رجل منهم نعم فأتاه فرقاه بفاتحهٔ الکتاب فبرأ فأعطی قطیعا من الغنم فأبی أن یقبلها حتی یأتی رسول الله ص فذکر ذلک لرسول الله ص و قال وعیشک مارقیته إلابفاتحهٔ الکتاب فقال ماأدراکم إنها رقیهٔ خذوا منهم واضربوا لی معکم بسهم -روایت-۱-۳۹۰ روی بریدهٔ قال قال رسول الله ص و قدذکرت عنده الطیرهٔ من عرض له من هذه الطیرهٔ شیءفلیقل أللهم لاطیر إلاطیرک و لاخیر إلاخیرک و لاإله غیرک و لاحول و لاقوهٔ إلابالله -روایت-۱-۲-روایت-۱۸-۱۸۰ عنه ع لیس منا من تطیر أوتطیر له أوتکهن أوتکهن له -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۵۹ [صفحه ۳۷۴] أنس بن مالک یرفعه لاعدوی و لاطیرهٔ ویعجبنی الفأل الصالح قالوا فما الفأل الصالح قال الکلمهٔ الطیبهٔ -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۰۸ عنه ع تفاءلوا و لاتطیروا -روایت-۱-۲-روایت-۱۱-۳۰ روی عبد الله بن بریدهٔ عن أبیه أن رسول الله ص کان لایتطیر من شیء و کان إذابعث عاملا سأل عن اسمه فإذاأعجبه سر به ورئی بشر ذلک فی وجهه و إن کره اسمه رئیت الکراههٔ علی وجهه و إذادخل قریهٔ سأل عن اسمها فإن أعجبه ظهر علی وجهه -روایت-۱-۲-روایت-۳۶-۲۴۸ .بنی

عبيـد الله بن زياد بالبصـرة دارا عظيمة فمر بهابعض الأعراب فرأى فى دهليزها صورة أسد وكلب وكبش فقال أسد كالح وكبش ناطـح وكلب نابح و الله لايمتع بهافلم يلبث عبيد الله فيها إلاأياما يسـيرة. أبوهريرة يرفعه إذاظننتم فلاتحققوا و إذاتطيرتم فامضوا و على الله فتوكلوا -روايت-١-٢-روايت-١٩-٨٠ قـال ع أحسـنها الفـأل و لا-يرد قـدرا ولكن إذارأى أحـدكم مايكره فليقل أللهم لايـأتى بالحسـنات إلا- أنت و لايـدفع السـيئات إلا أنت و لاحول و لاقوة إلابک -روايت-١-٢-روايت-١١-١٦٠ . و قـال بعض الشـعراء لايعلم المرء ليلا مايصـبحه || إلاكواذب مايجرى به الفأل والفأل والزجر والكهان كلهم || مضـللون ودون الغيب أقفال عـن النـبى ص القيافـة والطرق والطيرة مـن الخبث -روايت-١-٢-روايت-١٧-٥١ ابـن عبـاس يرفعه من اقتبس علمـا من النجـوم اقتبس شـعبة من السحر -روايت-١-٢-روايت-٢٠-٦٨ أبوهريرة يرفعه من أتى كاهنـا فصـدقه فيمـا يقول فقـد برئ ممـا أنزل الله على أبى القاسم -روايت-١-٢-روايت-١٩-٩٣ . [صفحه ٣٧٥] شاعر لعمرک ماتدرى الطوارق بالحصـى || و لازاجرت الطير ما الله صانع . و قال آخر لايقعـدنک عن بغاء || الخير تعقاد العزائم فلقـد غدوت وكنت لا || أغدو على راق وحائم فإذاالأشائم كالأيامن || والأيامن كالأشائم وكـذاک لاخير و لا || شـر على أحـد بـدائم .تفاءل هشام بن عبـدالملک بنصـر بن سـيار فقلده خراسان فبقى فيهاعشـر سـنين . وتفاءل عامر بن إسـماعيل قاتل مروان بن محمـدباسم رجل لقيه فسأله عن اسـمه فقال منصور بن سعـد قـال من أى العرب قـال من سـعد العشـيرة فاستصـحبه وطلب مروان فظفر به وقتله . وتفاءل المأمون بمنصور بن بسام فكان سبب مكانته عنده .قالوا إنما أصل اليد اليسـرى العسرى إلاأنهم أبدلوا اليسرى من اليسر تفاؤلا.مزرد بن ضرار وإنى امرؤ لاتقشعر ذؤابتى || من الـذئب يعوى والغراب المحجـل .الكميت و لا- أنـامهن يزجر الطير همه || أصـاح غراب أم تعرض ثعلب . و قـال بعض العرب خرجت فى طلب ناقـة ضـلت لى فسـمعت قائلا- يقول ولئن بعثت لها بغاة || فما البغاة بواجـدينا [صـفحه ٣٧٦] فلم أتطير ومضـيت لوجهى فلقينى رجل قبيـح الوجه به ماشـئت من عاهـة فلم أتطير وتقـدمت فلاحت لى أكمة فسـمعت منها صائحا والشـر يلقى مطالع الأكم فلم أكترث و لاانثنيت وعلوتها فوجـدت ناقتى قـدتفاجت للولادة فنتجتها وعـدت إلى منزلى بها ومعها ولـدها. وقيـل لعلى ع لاتحـاربهم اليوم فإن القمر فى العقرب فقال قمرنا أم قمرهـم -روايت-١-٧٨ روى عنه ع أنه كـان يكره أن يسافر أويتزوج فى محـاق الشـهر و إذا كان القمر فى العقرب -روايت-١-٢-روايت-١٥-٩١ وروى أن ابن عبـاس قال على منبر البصـرة إن الكلاب من الحن و إن الحن من ضـعفاء الجن فإذ غشـيكم منهم شىءفألقوا إليه شيئا أواطردوه فإن لها أنفس سوء. و قـال أبوعثمـان الجاحـظ كـان علمـاء الفرس والهنـد وأطبـاء اليونـانيين ودهـاة العرب و أهـل التجربـة من نازلـة الأمصار وحـذاق المتكلمين يكرهون الأكـل بين يـدى السـباع يخـافون عيونهـا للـذى فيها من النهم والشـره و لماينحل عنـد ذلک من أجوافها من البخار الردىء وينفصل من عيونها مما إذاخالط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رءوسـهم خوفا من أعينهم وشدة ملاحظتهم إياهم وكانوا يأمرون بإشباعهم قبل أن يأكلوا وكانوا يقولون فى الكلب والسـنور إما أن يطرد أويشـغل بما يطرح له . [صـفحه ٣٧٧] وقالت الحكماء نفوس السـباع أردأ النفوس وأخبثها لفرط شـرهها وشرها قالوا و قدوجـدنا الرجل يضـرب الحيـة بعصا فيموت الضارب والحية لأن سم الحية فصل منها حتى خالط أحشاء الضارب وقلبه ونفذ فى مسام جسـده . و قديـديم الإنسان النظر إلى العين المحمرة فتعترى عينه حمرة والتثاؤب يعدى أعداء ظاهرا ويكره دنو الطامث من اللبن لتسوطه لأـن لهـا رائحـة وبخارا يفسـد اللبن المسوط. و قال الأصـمعى رأيت رجلا عيونا كان يـذكر عن نفسه أنه إذاأعجبه الشـىء وجـد حرارة تخرج من عينه . و قـال أيضـا كـان عنـدنا عيونان فمر أحـدهما بحوض من حجارة فقال تالله مارأيت كاليوم حوضا فانصدع فلقتين فمر عليه الثانى فقال وأبيک لقلما ضـررت أهلک فيک فتطاير أربع فلق . وسـمع آخر صوت بول من وراء جـدار حائـط فقال إنک كثير الشـخب فقالوا هوابنک فقال أوه انقطع ظهره فقيل لابأس عليه إن شاء الله فقال و الله لايبول بعـدها أبدا فما بال حتى مات . وسـمع آخر صوت شـخب ناقة بقوة فأعجبه فقال أيتهن هذه فوروا بأخرى عنها فهلكتا جميعا المورى بها

والموری عنها قال رجل من خاصة المنصور له قبل أن يقتل أبامسلم بيوم واحد إنی رأيت اليوم لأبی مسلم ثلاثا تطيرت له منها قال ماهی قال رکب فوقعت قلنسوته [صفحه ۳۷۸] عن رأسه فقال المنصور الله أکبر تبعها و الله رأسه فقال وکبا به فرسه فقال الله أکبر کبا و الله جده وأصلد زنده فما الثالثة قال إنه قال لأصحابه أنامقتول وإنما أخادع نفسی و إذا رجل ينادی آخر من الصحراء اليوم آخر الأجل يافلان فقال الله أکبر انقضی أجله إن شاء الله وانقطع من الدنيا أثره فقتل فی غد ذلک اليوم .تجهز النابغة الذبيانی للغزو واسمه زياد بن عمرو مع زبان بن سيار الفزاری فلما أراد الرحيل سقطت عليه جرادة فتطير و قال ذات لونين تجرد غری من خرج فأقام و لم يلتفت زبان إلی طيرته فذهب ورجع غانما فقال تطير طيرة يوما زياد || لتخبره و ما فيهاخبير أقام کان لقمان بن عاد || أشار له بحکمته مشير تعلم إنه لاطير إلا || علی متطير و هوالثبور بلی شیءيوافق بعض شیء || أحايينا وباطله کثير .حضر عمر بن الخطاب الموسم فصاح به صائح ياخليفة رسول الله فقال رجل من بنی لهب وهم أهل عيافة وزجر دعاه باسم ميت مات و الله أمير المؤمنين فلما وقف الناس للجمار إذاحصاة صکت صلعة عمر فأدمی منها فقال ذلک القائل أشعر و الله أمير المؤمنين لا- و الله مايقف هذاالموقف أبدا فقتل عمر قبل أن يحول الحول و قال کثير بن عبدالرحمن تيممت لهبا أبتغی العلم عندها || و قدصار علم العائفين إلی لهب . [صفحه ۳۷۹] کان للعرب کاهنان اسم أحدهما شق و کان نصف إنسان واسم الآخر سطيح و کان يطوی طی الحصير ويتکلمان بکل أعجوبة فی الکهانة فقال ابن الرومی لک رأی کأنه رأی شق || وسطيح قريعی الکهان يستشف الغيوب عما تواری || بعيون جلية الإنسان . و قال أبوعثمان الجاحظ کان مسيلمة قبل أن يتنبأ يدور فی الأسواق التی کانت بين دور العرب والعجم کسوق الأبلة وسوق بقة وسوق الأنبار وسوق الحيرة يلتمس تعلم الحيل والنيرنجيات واحتيالات أصحاب الرقی والعزائم والنجوم و قد کان أحکم علم الحزاة وأصحاب الزجر والخط فعمد إلی بيضة فصب إليها خلا حاذقا قاطعا فلانت حتی إذامدها الإنسان استطالت ودقت کالعلک ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وترکها حتی انضمت واستدارت وجمدت فعادت کهيئتها الأولی فأخرجها إلی قوم وهم أعراب واستغواهم بها و فيه قيل ببيضة قارور وراية شادن || وتوصيل مقطوع من الطير حاذق قالوا أراد براية الشادن التی يعملها الصبی من القرطاس الرقيق ويجعل لها ذنبا وجناحين ويرسلها يوم الريح بخيط طويل . کان مسيلمة يعمل رايات من هذاالجنس ويعلق فيهاالجلاجل ويرسلها ليلا فی شدة الريح و يقول هذه الملائکة تنزل علی و هذه خشخشة الملائکة وزجلها و کان يصل جناح الطير المقصوص بريش معه فيطير ويستغوی به الأعراب .شاعر فی الطيرة [صفحه ۳۸۰] وأمنع الياسمين الغض من حذری || عليک إذ قيل لی نصف اسمه ياس . و قال آخر أهدت إليه سفرجلا- فتطيرا || منه وظل مفکرا مستعبرا خوف الفراق لأن شطر هجائه || سفر وحق له بأن يتطيرا . و قال آخر ياذا ألذی أهدی لنا سوسنا || ماکنت فی إهدائه محسنا نصف اسمه سو فقد ساءنی || ياليت إنی لم أر السوسنا . ومثله لاترانی طوال دهری || أهوی الشقائقا إن يکن يشبه الخدود || فنصف اسمه شقا . وکانوا يتفاءلون بالآس لدوامه ويتطيرون من النرجس لسرعة انقضائه ويسمونه الغدار. و قال العباس بن الأحنف إن ألذی سماک يامنيتی || بالنرجس الغدار ماأنصفا لو أنه سماک بالآسة || وفيت إن الآس أهل الوفا .خرج کثير يريد عزة ومعه صاحب له من نهد فرأی غرابا ساقطا فوق بانة ينتف ريشه فقال له النهدی إن صدق الطير فقد ماتت عزة فوافی أهلها و قدأخرجوا جنازتها فقال و ماأعيف النهدی لادر دره || وأزجره للطير لا عزناصره رأيت غرابا ساقطا فوق بانة || ينتف أعلی ريشه ويطايره [صفحه ۳۸۱] فقال غراب لاغتراب وبانة || لبين وفقد من حبيب تعاشره . و قال الشاعر وسميته يحيی ليحيا و لم يکن || إلی رد حکم الله فيه سبيل تيممت فيه الفأل حين رزقته || و لم أدر أن الفأل فيه يفيل .فأما القول فی السحر فإن الفقهاء يثبتونه ويقولون فيه القود و قدجاء فی الخبر أن رسول الله ص سحره لبيد بن أعصم اليهودی حتی کان يخيل إليه أنه عمل الشیء و لم يعمله . و روی أن امرأة من يهود سحرته بشعر وقصاص ظفر وجعلت السحر فی بئر و أن الله تعالی دله علی ذلک فبعث عليا ع فاستخرجه وقتل المرأة -روايت-۱-۲-روايت-۷-۱۳۶ وقوم

من المتکلمین ینفون هذا عنه ع ویقولون إنه معصوم من مثله . والفلاسفهٔ تزعم أن السحر من آثار النفس الناطقهٔ و أنه لایبعد أن یکون فی النفوس نفس تؤثر فی غیربدنها المرض والحب والبغض ونحو ذلک وأصحاب الکواکب یجعلون للکواکب فی ذلک تأثیرا وأصحاب خواص الأحجار والنبات وغیرها یسندون ذلک إلی الخواص وکلام أمیر المؤمنین ع دال علی تصحیح مایدعی من السحر. و أماالعدوی فقد قال رسول الله ص لاعدوی فی الإسلام -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۴۷ قال لمن قال أعدی بعضها بعضا یعنی الإبل فمن أعدی الأول -روایت-۱-۶۳ قال لاعدوی و لاهامهٔ و لاصفر -روایت-۱-۲-روایت-۸-۳۴ فالعدوی معروفهٔ والهامهٔ ماکانت العرب تزعمه فی المقتول [صفحه ۳۸۲] لایؤخذ بثأره والصفر ماکانت العرب تزعمه من الحیهٔ فی البطن تعض عندالجوع

نکت فی مذاهب العرب وتخیلاتها

وسنذکر هاهنا نکتا ممتعهٔ من مذاهب العرب وتخیلاتها لأن الموضع قدساقنا إلیه أنشد هشام بن الکلبی لأمیهٔ بن أبی الصلت سنهٔ أزمهٔ تبرح بالناس || تری للعضاهٔ فیهاصریرا لا علی کوکب تنوء و لاریح || جنوب و لاتری طحرورا ویسقون باقر السهل للطود || مهازیل خشیهٔ أن تبورا عاقدین النیران فی ثکن الأذناب || منها لکی تهیج البحورا سلع ما ومثله عشر ما || عائل ما وعالت البیقورا .یروی أن عیسی بن عمر قال مأدری معنی هذاالبیت ویقال إن الأصمعی صحف فیه فقال وغالت البیقورا بالغین المعجمهٔ وفسره غیره فقال عالت بمعنی أثقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر والبیقور البقر وعائل غالب أومثقل وکانت العرب إذاأجدبت وأمسکت السماء عنهم وأرادوا أن یستمطروا عمدوا إلی السلع والعشر فحزموهما وعقدوهما فی أذناب البقر وأضرموا فیهاالنیران وأصعدوها فی جبل وعر واتبعوها یدعون الله ویستسقونه وإنما یضرمون النیران فی أذناب البقر تفاؤلا للبرق بالنار وکانوا یسوقونها نحو المغرب من دون الجهات و قال أعرابی شفعنا ببیقور إلی هاطل الحیا || فلم یغن عنا ذاک بل زادنا جدبا فعدنا إلی رب الحیا فأجارنا || وصیر جدب الأرض من عنده خصبا [صفحه ۳۸۳] و قال آخر قل لبنی نهشل أصحاب الحور || أتطلبون الغیث جهلا-بالبقر وسلع من بعدذاک وعشر || لیس بذا یجلل الأرض المطر . ویمکن أن یحمل تفسیر الأصمعی علی محمل صحیح فیقال غالت بمعنی أهلکت یقال غاله کذا واغتاله أی أهلکه وغالتهم غول یعنی المنیهٔ و منه الغضب غول الحلم . و قال آخر لماکسونا الأرض أذناب البقر || بالسلع المعقود فیها والعشر . و قال آخر یاکحل قدأثقلت أذناب البقر || بسلع یعقد فیها وعشر فهل تجودین ببرق ومطر و قال آخر یعیب العرب بفعلهم هذا لادر در رجال خاب سعیهم || یستمطرون لدی الإعسار بالعشر أجاعل أنت بیقورا مسلعهٔ || ذریعهٔ لک بین الله والمطر . و قال بعض الأذکیاء کل أمهٔ قدتحذو فی مذاهبها مذاهب ملهٔ أخری و قدکانت الهند تزعم أن البقر ملائکهٔ سخط الله علیها فجعلها فی الأرض و أن لها عنده حرمهٔ وکانوا یلطخون الأبدان بأخثائها ویغسلون الوجوه ببولها ویجعلونها مهور نسائهم ویتبرکون بها فی جمیع أحوالهم فلعل أوائل العرب حذوا هذاالحذو وانتهجوا هذاالمسلک [صفحه ۳۸۴] وللعرب فی البقر خیال آخر و ذلک أنهم إذاأوردوها فلم ترد ضربوا الثور لیقتحم الماء فتقتحم البقر بعده ویقولون إن الجن تصد البقر عن الماء و إن الشیطان یرکب قرنی الثور و قال قائلهم إنی وقتلی سلیکا حین أعقله || کالثور یضرب لماعافت البقر . و قال نهشل بن حری کذاک الثور یضرب بالهراوی || إذا ماعافت البقر الظماء . و قال آخر کالثور یضرب للورود || إذاتمنعت البقر . فإن کان لیس إلا هذافلیس ذاک بعجیب من البقر و لابمذهب من مذاهب العرب لأنه قدیجوز أن تمتنع البقر من الورود حتی یرد الثور کماتمتنع الغنم من سلوک الطرق أودخول الدور والأخبیهٔ حتی یتقدمها الکبش أوالتیس وکالنحل تتبع الیعسوب والکراکی تتبع أمیرها ولکن ألذی تدل علیه أشعارها أن

الثور يرد ويشرب و لايمتنع ولكن البقر تمتنع وتعاف الماء و قدرأت الثور يشرب فحينئذ يضرب الثور مع إجابته إلى الورود فتشرب البقر عندشربه و هذا هوالعجب قال الشاعر فإنى إذن كالثور يضرب جنبه || إذا لم يعف شربا وعافت صواحبه . و قال آخر فلاتجعلونى كالبقير وفحلها || يكسر ضربا و هوللورد طائع و ماذنبه إن لم يرد بقراته || و قدفاجأتها عندذاك الشرائع . [صفحه ٣٨٥] و قال الأعشى لكالثور والجنى يضرب وجهه || و ماذنبه إن عافت الماء مشربا و ماذنبه إن عافت الماء باقر || و ما إن يعاف الماء إلاليضربا .قالوا فى تفسيره لما كان امتناعها يتعقبه الضرب حسن أن يقال عافت الماء لتضرب و هذه اللام هى لام العاقبة كقوله لدوا للموت و على هذافسر أصحابنا قوله سبحانه وَ لَقَد ذَرَأنا لِجَهَنّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنّ وَ الإِنسِ. و من مذاهب العرب أيضا تعليق الحلى والجلاجل على اللديغ يرون أنه يفيق بذلك ويقال إنه إنما يعلق عليه لأنهم يرون أنه إن نام يسرى السم فيه فيهلك فشغلوه بالحلى والجلاجل وأصواتها عن النوم و هذاقول النضر بن شميل وبعضهم يقول إنه إذاعلق عليه حلى الذهب برأ و إن علق الرصاص أوحلى الرصاص مات . وقيل لبعض الأعراب أتريدون شهرة فقال إن الحلى لاتشهر ولكنها سنة ورثناها. و قال النابغة -قرآن-١٦٧-٢٢٥ فبت كأنى ساورتنى ضئيلة || من الرقش فى أنيابها السم ناقع يسهد من ليل التمام سليمها || لحلى النساء فى يديه قعاقع . و قال بعض بنى عذرة كأنى سليم ناله كلم حية || ترى حوله حلى النساء مرصعا . [صفحه ٣٨٦] و قال آخر و قدعللوا بالبطل فى كل موضع || وغروا كماغر السليم الجلاجل و قال جميل وظرف فى قوله و لوقاله العباس بن الأحنف لكان ظريفا إذا مالديغ أبرأ الحلى داءه || فحليك أمسى يابثينة دائيا . و قال عويمر النبهانى و هويؤكد قول النضر بن شميل فبت معنى بالهموم كأننى || سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل . ومثله قول الآخر كأنى سليم سهد الحلى عينه || فراقب من ليل التمام الكواكبا . ويشبه مذهبهم فى ضرب الثور مذهبهم فى العر يصيب الإبل فيكوى الصحيح ليبرأ السقيم و قال النابغة وكلفتنى ذنب امرئ وتركته || كذى العر يكوى غيره و هوراتع . و قال بعض الأعراب كمن يكوى الصحاح يروم برءا || به من كل جرباء الإهاب . و هذاالبيت يبطل رواية من روى بيت النابغة كذى العر بضم العين لأن العر بالضم قرح فى مشافر الإبل غيرالجرب والعر بالفتح الجرب نفسه فإذادل الشعر على أنه يكوى الصحيح ليبرأ الأجرب فالواجب أن يكون بيت النابغة كذى العر بالفتح . ومثل هذاالبيت قول الآخر فألزمتنى ذنبا وغيرى جره || حنانيك لايكوى الصحيح بأجربا . إلا أن يكون إطلاق لفظ الجرب على هذاالمرض المخصوص من باب المجاز لمشابهته له [صفحه ٣٨٧] و من تخيلات العرب ومذاهبها أنهم كانوا يفقئون عين الفحل من الإبل إذابلغت ألفا كأنهم يدفعون العين عنها قال الشاعر فقأنا عيونا من فحول بهازر || وأنتم برعى البهم أولى وأجدر . و قال آخر وهبتها وكنت ذا امتنان || تفقأ فيهاأعين البعران . و قال الآخر أعطيتها ألفا و لم تبخل بها || ففقأت عين فحيلها معتافا . و قدظن قوم أن بيت الفرزدق و هو غلبتك بالمفقئ والمعنى || وبيت المحتبى والخافقات من هذاالباب و ليس الأمر على ذلك وإنما أراد بالفقء قوله لجرير ولست و لوفقأت عينيك واجدا || أخا كلقيط أو أبامثل دارم . وأراد بالمعنى قوله لجرير أيضا وإنك إذ تسعى لتدرك دارما || لأنت المعنى ياجرير المكلف . وأراد بقوله بيت المحتبى قوله بيت زرارة محتب بفنائه || ومجاشع و أبوالفوارس نهشل . وبيت الخافقات قوله ومعصب بالتاج يخفق فوقه || خرق الملوك له خميس جحفل . [صفحه ٣٨٨] فأما مذهبهم فى البلية وهى ناقة تعقل عندالقبر حتى تموت فمذهب مشهور والبلية أنهم إذامات منهم كريم بلوا ناقته أوبعيره فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخرها وتركوها فى حفيرة لاتطعم و لاتسقى حتى تموت وربما أحرقت بعدموتها وربما سلخت وملئ جلدها ثماما وكانوا يزعمون أن من مات و لم يبل عليه حشر ماشيا و من كانت له بلية حشر راكبا على بليته قال جريبة بن الأشيم الفقعسى لابنه ياسعد إما أهلكن فإننى || أوصيك إن أخا الوصاة الأقرب لاأعرفن أباك يحشر خلفكم || تعبا يجر على اليدين وينكب واحمل أباك على بعير صالح || وتق الخطيئة إنه هوأصوب ولعل لى مما جمعت مطية || فى الحشر أركبها إذاقيل اركبوا . و قال جريبة أيضا إذامت فادفنى بجداء ما بها || سوى الأصرخين أويفوز راكب فإن أنت لم تعقر

على مطيتى || فلاقام فى مال لك الـدهر جالب و لاتدفننى فى صوى وادفننى || بديمومة تنزو عليها الجنادب . و قدذكرت فى مجموعى المسـمى بـالعبقرى الحسان أن أبا عبـد الله الحسـين بن محمـد بن جعفرالخالع رحمه الله ذكر فى كتابه فى آراء العرب وأديانها هذه الأبيات واستشـهد بها على ماكانوا يعتقدون فى البلية و قلت إنه وهم فى ذلك وإنه ليس فى هذه الأبيات دلالة على هذاالمعنى و لالها به تعلق وإنما هى وصية لولده أن يعقر مطيته بعدموته إما لكيلا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدى المعقور [صفحه ٣٨٩] بمكـة أو كماكـانوا يعقرون عنـدالقبور ومـذهبهم فى العقر على القبور كقول زياد الأعجم فى المغيرة بن المهلب إن السـماحة والمروءة ضـمنا || قبرا بمرو على الطريق الواضـح فـإذامررت بقبره فـاعقر به || كوم الهجـان و كـل طرف سابح . و قال الآخر نفرت قلوصـى عن حجارة حرة || بنيت على طلق اليدين وهوب لاتنفرى ياناق منه فإنه || شريب خمر مسعر لحروب لو لاالسـفار و بعدخرق مهمه || لتركتها تحبو على العرقوب ومذهبهم فى العقر على القبور مشـهور و ليس فى هذاالشعر مايـدل على مـذهبهم فى البليـة فـإن ظن ظـان أن قوله أويفوز راكب فيه إيماء إلى ذلك فليس الأمر كماظنه ومعنى البيت ادفنى بفلاة جـداء مقطوعة عن الإنس ليس بها إلاالذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهى المهلكة سـموها مفازة على طريق الفـأل وقيـل إنهـا تسـمى مفـازة من فـوز أى هلـك فليس فى هـذاالبيت ذكر البليـة ولكن الخـالع أخطـأ فى إيراده فى هـذاالباب كماأخطـأ فى هـذاالباب أيضا فى إيراده قول مالـك بن الريب وعطـل قلوصـى فى الركاب فإنها || سـتبرد أكبادا وتبكى بواكيا .فظن أن ذلـك من هـذاالباب ألـذى نحن فيه و لم يرد الشـاعر ذلك وإنما أراد [صـفحه ٣٩٠] لاتركبوا راحلتى بعـدى وعطلوها بحيث لايشاهـدها أعادى وأصادقى ذاهبة جائية تحت راكبها فيشـمت العدو ويساء الصديق و قدأخطأ الخالع فى مواضع عده من هذاالكتاب وأورد أشعارا فى غيرموضعها وظنها مناسبة لما هو فيه فمنها ماذكرناه ومنها أنه ذكر مذهب العرب فى الحلى ووضعه على اللـديغ واستشـهد عليه بقول الشاعر يلاقى من تـذكر آل ليلى || كمايلقى السليم من العـداد . و لاوجه لإيراد هـذاالبيت فى هـذاالموضع فالعـداد معاودة السم الملسوع فى كل سـنة فى الوقت ألـذى لدغ فيه و ليس هذا من باب الحلى بسبيل . و من ذلك إيراده قول الفرزدق غلبتـك بـالمفقئ فى بـاب فق ء عيون الفحول إذابلغت الإبل ألفا و قدتقـدم شـرحنا لموضع الوهم فى ذلك وسـنذكر هاهنا كثيرا من المواضع التى وهم فيها إن شاء الله . ومما ورد عن العرب فى البليـة قول بعضـهم أبنى زودنى إذافارقتنى || فى القبر راحلة برحل فاتر للبعث أركبها إذاقيل اركبوا || مستوثقين معا لحشر الحاشر . و قال عويم النبهانى أبنى لاتنسى البلية إنهـا || لأبيـك يـوم نشوره مركوب . [صـفحه ٣٩١] و من تخيلات العرب ومـذاهبها ماحكـاه ابن الأـعرابى قـال كانت العرب إذانفرت الناقـة فسـميت لهـا أمهـا سـكنت من النفـار قال الراجز أقول والوجناء بى تقحم || ويلك قل ماسم أمها ياعلكم .علكم اسم عبـد له وإنما سأل عبـده ترفعا أن يعرف اسم أمها لأن العبيد بالإبل أعرف وهم رعاتها. وأنشد السـكرى فقلت له ماسم أمها هات فادعها || تجبك ويسـكن روعها ونفارها . ومما كانت العرب كالمجتمعـة عليه الهامة و ذلـك أنهم كانوا يقولون ليس من ميت يموت و لايقتل إلا ويخرج من رأسه هامـة فإن كان قتل و لم يؤخـذ بثأره نادت الهامة على قبره اسـقونى فإنى صدية و عن هـذا قال النبى ص لاهامـة. وحكى أن أبازيـد كان يقول الهامـة مشـددة الميم إحـدى هوام الأرض وأنها هى المتلونة المذكورة. وقيل إن أباعبيـد قال ماأرى أبازيد حفظ هذا و قديسـمونها الصدى والجمع أصداء قال وكيف حياة أصداء وهام . و قال أبوداود الإيادى سلط الموت والمنون عليهم || فلهم فى صدى المقابر هام . [صـفحه ٣٩٢] و قال بعضـهم لابنه و لاتزقون لى هامة فوق مرقب || فـإن زقـاء الهـام للمرء عائب تنادى ألا اسـقونى و كل صـدى به || وتلك التى تبيض منها الـذوائب . يقول له لاتترك ثأرى إن قتلت فإنك إن تركته صاحت هامتى اسقونى فإن كل صدى و هوهاهنا العطش بأبيك وتلك التى تبيض منها الذوائب لصعوبتها وشـدتها كمايقال أمر يشيب رأس الوليـد ويحتمل أن يريد به صـعوبة الأمر عليه و هومقبور إذا لم يثأر به ويحتمل أن يريـد به صـعوبة الأـمر على ابنه يعنى أن ذلك عار عليك و قال ذو الإصبع ياعمرو إلاتـدع شـتمى ومنقصتى || أضـربك حيث

تقول الهامة اسقونى . و قال آخر فيا رب إن أهلك و لم ترو هامتى || بليلى أمت لاقبر أعطش من قبرى . ويحتمل هذاالبيت أن يكون خارجا عن هذاالمعنى ألذى نحن فيه و أن يكون رى هامته ألذى طلبه من ربه هووصال ليلى وهما فى الدنيا وهم يكنون عما يشفيهم بأنه يروى هامتهم . و قال مغلس الفقسى و إن أخاكم قدعلمت مكانه || بسفح قبا تسفى عليه الأعاصر له هامة تدعو إذاالليل جنها || بنى عامر هل للهلالى ثائر . و قال توبة بن الحمير و لو أن ليلى الأخيلية سلمت || على ودونى جندل وصفائح [صفحه ۳۹۳] لسلمت تسليم البشاشة أوزقا || إليها صدى من جانب القبر صائح . و قال قيس بن الملوح و هوالمجنون و لوتلتقى أصداؤنا بعدموتنا || و من دوننا رمس من الأرض أنكب لظل صدى رمسى و إن كنت رمة || لصوت صدى ليلى يهش ويطرب . و قال حميد بن ثور ألا هل صدى أم الوليد مكلم || صداى إذا ماكنت رمسا وأعظما . ومما أبطله الإسلام قول العرب بالصفر زعموا أن فى البطن حية إذاجاع الإنسان عضت على شرسوفه وكبده وقيل هوالجوع بعينه ليس أنها تعض بعدحصول الجوع فأما لفظ الحديث لاعدوى و لاهامة و لاصفر و لاغول -روايت-۱-۳۶ فإن أباعبيدة معمر بن المثنى قال هوصفر الشهر ألذى بعدالمحرم قال نهى ع عن تأخيرهم المحرم إلى صفر يعنى ماكانوا يفعلونه من النسىء و لم يوافق أحد من العلماء أباعبيدة على هذاالتفسير و قال الشاعر لايتأرى لما فى القدر يرقبه || و لايعض على شرسوفه الصفر . و قال بعض شعراء بنى عبس يذكر قيس بن زهير لماهجر الناس وسكن الفيافى [صفحه ۳۹۴] وأنس بالوحش ثم رأى ليلة نارا فعشا إليها فشم عندها قتار اللحم فنازعته شهوته فغلبها وقهرها ومال إلى شجرة سلم فلم يزل يكدمها ويأكل من خبطها إلى أن مات إن قيسا كان ميتته || كرم والحى منطلق شام نارا بالهوى فهوى || وشجاع البطن يختفق فى دريس ليس يستره || رب حر ثوبه خلق . و قوله بالهوى اسم موضع بعينه و قال أبوالنجم العجلى إنك ياخير فتى نستعدى || على زمان مسنت بجهد عضا كعض صفر بكبد . و قال آخر أرد شجاع البطن قدتعلمينه || وأوثر غيرى من عيالك بالطعم . و من خرافات العرب أن الرجل منهم كان إذاأراد دخول قرية فخاف وباءها أوجنها وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار ثم علق عليه كعب أرنب كان ذلك عوذة له ورقية من الوباء والجن ويسمون هذاالنهيق التعشير قال شاعرهم و لاينفع التعشير أن حم واقع || و لازعزع و لاكعب أرنب . و قال الهيثم بن عدى خرج عروة بن الورد إلى خيبر فى رفقه ليمتاروا فلما قربوا منها عشروا وعاف عروة أن يفعل فعلهم و قال [صفحه ۳۹۵] لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى || نهاق حمير إننى لجزوع فلاوألت تلك النفوس و لاأتت || قفولا إلى الأوطان وهى جميع وقالوا إلاانهق لاتضرك خيبر || و ذلك من فعل اليهود ولوع .الولوع بالضم الكذب ولع الرجل إذاكذب فيقال إن رفقته مرضوا ومات بعضهم ونجا عروة من الموت والمرض . و قال آخر لاينجينك من حمام واقع || كعب تعلقه و لاتعشير . ويشابه هذا أن الرجل منهم كان إذاضل فى فلاة قلب قميصه وصفق بيديه كأنه يومئ بهما إلى إنسان فيهتدى قال أعرابى قلبت ثيابى والظنون تجول بى || وترمى برحلى نحو كل سبيل فلأيا بلأى ماعرفت جليتى || وأبصرت قصدا لم يصب بدليل . و قال أبوالعملس الطائى فلو أبصرتنى بلوى بطان || أصفق بالبنان على البنان فأقلب تارة خوفا ردائى || وأصرخ تارة بأبى فلان لقلت أبوالعملس قددهاه || من الجنان خالعة العنان . والأصل فى قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال و قدجاء فى الشريعة الإسلامية نحو ذلك فى الاستسقاء [صفحه ۳۹۶] و من مذاهب العرب أن الرجل منهم كان إذاسافر عمد إلى خيط فعقده فى غصن شجرة أو فى ساقها فإذاعاد نظر إلى ذلك الخيط فإن وجده بحاله علم أن زوجته لم تخنه و إن لم يجده أووجده محلولا قال قدخانتنى و ذلك العقد يسمى الرتم ويقال بل كانوا يعقدون طرفا من غصن الشجرة بطرف غصن آخر و قال الراجز هل ينفعنك اليوم إن همت بهم || كثرة ماتوصى وتعقاد الرتم . و قال آخر خانته لمارأت شيبا بمفرقه || وغره حلفها والعقد للرتم . و قال آخر لاتحسبن رتائما عقدتها || تنبيك عنها باليقين الصادق . و قال آخر يعلل عمرو بالرتائم قلبه || و فى الحى ظبى قدأحلت محارمه فما نفعت تلك الوصايا و لاجنت || عليه سوى ما لايحب رتائمه . و قال آخر ماذا ألذى تنفعك الرتائم || إذ أصبحت وعشقها ملازم وهى على

لذاتها تداوم || يزورها طب الفؤاد عارم بكل أدواء النساء عالم . و قدكانوا يعقدون الرتم للحمى ويرون أن من حلها انتقلت الحمى إليه و قال الشاعر حللت رتيمة فمكثت شهرا || أكابد كل مكروه الدواء . [صفحه ۳۹۷] و قال ابن السكيت إن العرب كانت تقول إن المرأة المقلات وهي التي لايعيش لها ولد إذاوطئت القتيل الشريف عاش ولدها قال بشر بن أبي خازم تظل مقاليت النساء تطأنه || يقلن أ لايلقى على المرء مئزر . و قال أبوعبيدة تتخطاه المقلات سبع مرات فذلك وطؤها له . و قال ابن الأعرابي يمرون به ويطئون حوله وقيل إنما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدرا أوقودا. و قال الكميت وتطيل المرزآت المقاليت || إليه القعود بعدالقيام . و قال الآخر تركنا الشعثمين برمل خبت || تزورهما مقاليت النساء . و قال الآخر بنفسي التي تمشي المقاليت حوله || يطاف له كشحا هضيما مهشما . و قال آخر تباشرت المقالت حين قالوا || ثوى عمرو بن مرة بالحفير . و من تخيلات العرب وخرافاتها أن الغلام منهم كان إذاسقطت له سن أخذها بين السبابة والإبهام واستقبل الشمس إذاطلعت وقذف بها و قال ياشمس أبدليني بسن أحسن منها وليجر في ظلمها إياتك أوتقول إياؤك وهما جميعا شعاع الشمس قال طرفة [صفحه ۳۹۸] سقته إياة الشمس . و إلى هذاالخيال أشار شاعرهم بقوله شادن يجلو إذاماابتسمت || عن أقاح كأقاح الرمل غر بدلته الشمس من منبته || بردا أبيض مصقول الأشر . و قال آخر وأشنب واضح عذب الثنايا || كأن رضابه صافي المدام كسته الشمس لونا من سناها || فلاح كأنه برق الغمام . و قال آخر بذي أشر عذب المذاق تفردت || به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا . و الناس اليوم في صبيانهم على هذاالمذهب . وكانت العرب تعتقد أن دم الرئيس يشفي من عضة الكلب الكلب . و قال الشاعر بناة مكارم وأساة جرح || دماؤهم من الكلب الشفاء . و قال عبد الله بن الزبير الأسدي من خير بيت علمناه وأكرمه || كانت دماؤهم تشفي من الكلب . و قال الكميت أحلامكم لسقام الجهل شافية || كمادماؤكم تشفي من الكلب . و من تخيلات العرب أنهم كانوا إذاخافوا على الرجل الجنون وتعرض الأرواح [صفحه ۳۹۹] الخبيثة له نجسوه بتعليق الأقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى قالوا وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامث عظام موتى ثم لايراها يومه ذلك وأنشدوا للمزق العبدي فلو أن عندي جارتين وراقيا || وعلق أنجاسا على المعلق .قالوا والتنجيس يشفي إلا من العشق قال أعرابي يقولون علق يا لك الخير رمة || وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا . وقالت امرأة و قدنجست ولدها فلم ينفعه ومات نجسته لوينفع التنجيس || والموت لاتفوته النفوس . و كان أبومهدية يعلق في عنقه العظام والصوف حذر الموت وأنشدوا أتوني بأنجاس لهم ومنجس || فقلت لهم ماقدر الله كائن . و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذاخدرت رجله ذكر من يحب أودعاه فيذهب خدرها. وروى أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له ادع أحب الناس إليك فقال يا رسول الله . و قال الشاعر على أن رجلي لايزال امذلالها || مقيما بها حتى أجيلك في فكري . و قال كثير إذامذلت رجلي ذكرتك أشتفي || بدعواك من مذل بهافيهون . و قال جميل و أنت لعيني قرة حين نلتقي || وذكرك يشفيني إذاخدرت رجلي . [صفحه ۴۰۰] وقالت امرأة إذاخدرت رجلي دعوت ابن مصعب || فإن قلت عبد الله أجلى فتورها . و قال آخر صب محب إذا مارجله خدرت || نادى كبيشة حتى يذهب الخدر . و قال المؤمل و الله ماخدرت رجلي و لاعثرت || إلاذكرتك حتى يذهب الخدر . و قال الوليد بن يزيد أثيبي هائما كلفا معنى || إذاخدرت له رجل دعاك . ونظير هذاالوهم أن الرجل منهم كان إذااختلجت عينه قال أرى من أحبه فإن كان غائبا توقع قدومه و إن كان بعيدا توقع قربه . و قال بشر إذااختلجت عيني أقول لعلها || فتاة بني عمرو بهاالعين تلمع . و قال آخر إذااختلجت عيني تيقنت أنني || أراك و إن كان المزار بعيدا . و قال آخر إذااختلجت عيني أقول لعلها || لرؤيتها تهتاج عيني وتطرف . و هذاالوهم باق في الناس اليوم . و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذاعشق و لم يسل وأفرط عليه العشق حمله [صفحه ۴۰۱] رجل على ظهره كمايحمل الصبي وقام آخر فأحمى حديدة أوميلا وكوى به بين أليتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون . و قال أعرابي كويتم بين رانفتي جهلا || ونار القلب يضرمها الغرام . و قال آخر شكوت إلى رفيقي اشتياقي || فجاءاني و قدجمعا

دواء وجاءا بالطبيب ليكويانى || و لاأبغى عدمتهما اكتواء و و لوأتيا بسلمى حين جاءا || لعاضانى من السقم الشفاء . واستشهد الخالع على هذاالمعنى بقول كثير أغاضر لوشهدت غداة بنتم || حنو العائدات على وسادى أويت لعاشق لم ترحميه || بواقدة تلذع بالزناد . هذاالبيت ليس بصريح فى هذاالباب ويحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حرارة الوجد ولذعه وتشبيهه بالنار إلا أنه قدروى فى كتابه خبرا يؤكد المقصد ألذى عزاه وادعاه و هو عن محمد بن سليمان بن فليح عن أبيه عن جده قال كنت عند عبد الله بن جعفرفدخل عليه كثير و عليه أثر علة فقال عبد الله ما هذابك قال هذا مافعلت بى أم الحويرث ثم كشف عن ثوبه و هومكوى وأنشد عفا الله عن أم الحويرث ذنبها || علام تعنينى وتكمى دوائيا و لوآذنونى قبل أن يرقموا بها || لقلت لهم أم الحويرث دائيا . [صفحه ۴۰۲] و من أوهامهم وتخيلاتهم أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذاأحب امرأة وأحبته فشق برقعها وشقت رداءه صلح حبهما ودام فإن لم يفعلا ذلك فسد حبهما قال سحيم عبدبنى الحسحاس وكم قدشفقنا من رداء محبر || و من برقع عن طفلة غيرعابس إذاشق برد شق بالبرد برقع || دواليك حتى كلنا غيرلابس نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى || وإلف الهوى يغرى بهذى الوساوس . و قال آخر شققت ردائى يوم برقة عالج || وأمكننى من شق برقعك السحقا فما بال هذاالود يفسد بيننا || ويمحق حبل الوصل مابيننا محقا . و من مذاهبهم أنهم كانوا يرون أن أكل لحوم السباع تزيد فى الشجاعة والقوة و هذامذهب طبى والأطباء يعتقدونه قال بعضهم أباالمعارك لاتتعب بأكلك ما || تظن أنك تلفى منه كرارا فلو أكلت سباع الأرض قاطبة || ماكنت إلاجبان القلب خوارا . و قال بعض الأعراب وأكل فؤاد الأسد ليكون شجاعا فعدا عليه نمر فجرحه أكلت من الليث الهصور فؤاده || لأصبح أجرى منه قلبا وأقدما فأدرك منى ثأره بابن أخته || فيا لك ثأرا ماأشد وأعظما . و قال آخر إذا لم يكن قلب الفتى غدوة الوغى || أصم فقلب الليث ليس بنافع [صفحه ۴۰۳] و مانفع قلب الليث فى حومة الوغى || إذا كان سيف المرء ليس بقاطع و من مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع إذاركبه فعرق تحته اغتلمت امرأته وطمحت إلى غيره والهقعة دائرة تكون بالفرس وربما كانت على الكتف فى الأكثر وهى مستقبحة عندهم قال بعضهم لصاحبه إذاعرق المهقوع بالمرء أنعظت || حليلته وازداد حر عجانها .فأجابه صاحبه قديركب المهقوع من ليس مثله || و قديركب المهقوع زوج حصان . و من مذاهبهم أنهم كانوا يوقدون النار خلف المسافر ألذى لايحبون رجوعه يقولون فى دعائهم أبعده الله وأسحقه وأوقد نارا أثره قال بعضهم صحوت وأوقدت للجهل نارا || ورد عليك الصبا مااستعارا . وكانوا إذاخرجوا إلى الأسفار أوقدوا نارا بينهم و بين المنزل ألذى يريدونه و لم يوقدوها بينهم و بين المنزل ألذى خرجوا منه تفاؤلا بالرجوع إليه . و من مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب قال ابن الأعرابى قلت لزيد بن كثوة أتقولون إن من علق عليه كعب أرنب لم تقربه جنان الدار و لاعمار الحى قال إى و الله و لاشيطان الخماطة و لاجار العشيرة و لاغول القفر و قال إمرؤ القيس [صفحه ۴۰۴] أ ياهند لاتنكحى بوهة || عليه عقيقته أحسبا مرسعة بين أدباقه || به عسم يبتغى أرنبا ليجعل فى رجله كعبها || حذار المنية أن يعطبا . والخماطة شجرة والعشيرة تصغير العشرة وهى شجرة أيضا. و قال أبومحلم كانت العرب تعلق على الصبى سن ثعلب وسن هرة خوفا من الخطفة والنظرة ويقولون إن جنية أرادت صبى قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن فى ذلك فقالت تعتذر إليهم كأن عليه نفره || ثعالب وهرره والحيض حيض السمرة . والسمرة شىءيسيل من السمر كدم الغزال وكانت العرب إذاولدت المرأة أخذوا من دم السمر و هوصمغه ألذى يسيل منه ينقطونه بين عينى النفساء وخطوا على وجه الصبى خطا ويسمى هذاالصمغ السائل من السمر الدودم ويقال بالذال المعجمة أيضا وتسمى هذه الأشياء التى تعلق على الصبى النفرات . قال عبدالرحمن بن أخى الأصمعى إن بعض العرب قال لأبى إذاولد لك ولد فنفر عنه فقال له أبى و ماالتنفير قال غرب اسمه فولد له ولد فسماه قنفذا وكناه أباالعداء قال وأنشد أبى كالخمر مزج دوائها منها بها || تشفى الصداع وتبرئ المنجودا . قال يريد أن القنفذ من مراكب الجن فداوى منهم ولده بمراكبهم . [صفحه ۴۰۵] و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذاركب مفازة وخاف

على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادى شجر فأناخ راحلته فى قرارته وعقلها وخط عليها خطا ثم قال أعوذ بصاحب هذاالوادى وربما قال بعظيم هذاالوادى و عن هذا قال الله سبحانه فى القرآن وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الجِنّ فَزادُوهُم رَهَقاً. واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد فقال –قرآن-٢۴۶-٣٣٠ قداستعذنا بعظيم الوادى || من شر ما فيه من الأعادى فلم يجرنا من هزبر عاد . و قال آخر أعوذ من شر البلاد البيد || بسيد معظم مجيد أصبح يأوى بلوى زرد || ذى عزة وكاهل شديد . و قال آخر ياجن أجراع اللوى من عالج || عاذ بكم سارى الظلام الدالج لاترهقوه بغوى هائج . و قال آخر قدبت ضيفا لعظيم الوادى || المانعى من سطوة الأعادى راحلتى فى جاره وزادى . و قال آخر هيا صاحب الشجراء هل أنت مانعى || فإنى ضيف نازل بفنائكا [صفحه ۴٠۶] وإنك للجنان فى الأرض سيد || ومثلك آوى فى الظلام الصعالكا . و من مذاهبهم أن المسافر إذاخرج من بلده إلى آخر فلاينبغى له أن يلتفت فإنه إذاالتفت عاد فلذلك لايلتفت إلاالعاشق ألذى يريد العود قال بعضهم دع التلفت يامسعود وارم بها || وجه الهواجر تأمن رجعة البلد . و قال آخر أنشده الخالع عيل صيرى بالثعلبية لما || طال ليلى وملنى قرنائى كلما سارت المطايا بنا ميلا || تنفست والتفت ورائى .هذان البيتان ذكرهما الخالع فى هذاالباب وعندى أنه لادلالة فيهما على ماأراد لأن التلفت فى أشعارهم كثير ومرادهم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق والتأسف على المفارقة وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره ويتزود من رؤيته كقول الرضى رحمه الله ولقد مررت على طلولهم || ورسومهم بيد البلى نهب فوقفت حتى ضج من لغب || نضوى ولج بعذلى الركب وتلفتت عينى فمذ خفيت || عنى الطلول تلفت القلب . و ليس يقصد بالتلفت هاهنا التفاؤل بالرجوع إليها لأن رسومها قدصارت نهبا ليد البلى فأى فائدة فى الرجوع إليها وإنما يريد ماقدمنا ذكره من الحنين والتذكر لمامضى من أيامه فيها وكذلك قول الأول [صفحه ۴٠٧] تلفت نحو الحى حتى وجدتنى || وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا . ومثل ذلك كثير و قال بعضهم فى المذهب الأول تلفت أرجو رجعة بعدنية || فكان التفاتى زائدا فى بلائيا أأرجو رجوعا بعد ماحال بيننا || وبينكم حزن الفلا والفيافيا . و قال آخر و قدطلق امرأته فتلفتت إليه تلفت ترجو رجعة بعدفرقة || وهيهات مما ترتجى أم مازن أ لم تعلمى أنى جموح عنانه || إذا كان من أهواه غيرملاين . و من مذاهبهم إذابثرت شفة الصبى حمل منخلا على رأسه ونادى بين بيوت الحى الحلا الحلا الطعام الطعام فتلقى له النساء كسر الخبز وإقطاع التمر واللحم فى المنخل ثم يلقى ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض فإن أكل صبى من الصبيان من ذلك ألذى ألقاه للكلاب تمرة أولقمة أولحمة أصبح و قدبثرت شفته وأنشد لامرأة أ لاحلا فى شفة مشقوقه || فقد قضى منخلنا حقوقه . و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذاطرفت عينه بثوب آخر مسح الطارف عين المطروف سبع مرات يقول فى الأولى بإحدى جاءت من المدينة و فى الثانية باثنتين جاءتا من المدينة و فى الثالثة بثلاث جئن من المدينة إلى أن يقول فى السابعة بسبع جئن من المدينة فتبرأ عين المطروف . [صفحه ۴٠٨] وفيهم من يقول بإحدى من سبع جئن من المدينة باثنتين من سبع إلى أن يقول بسبع من سبع . و من مذاهبهم أن المرأة منهم كان إذاعسر عليها خاطب النكاح نشرت جانبا من شعرها وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت على إحدى رجليها و يكون ذلك ليلا وتقول يالكاح أبغى النكاح قبل الصباح فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب قال رجل لصديقه و قدرأى امرأة تفعل ذلك أ ماترى أمك تبغى بعلا || قدنشرت من شعرها الأقلا و لم توف مقلتيها كحلا || ترفع رجلا وتحط رجلا هذا و قدشاب بنوها أصلا || وأصبح الأصغر منهم كهلا خذ القطيع ثم سمها الذلا || ضربا به تترك هذاالفعلا . و قال آخر قدكحلت عينا وأعفت عينا || وحجلت ونشرت قرينا تظن زينا ماتراه شينا . و قال آخر تصنعى ماشئت أن تصنعى || وكحلى عينيك أو لافدعى ثم احجلى فى البيت أو فى المجمع || ما لك فى بعل أرى من مطمع . و من مذاهبهم كانوا إذارحل الضيف أوغيره عنهم وأحبوا ألا يعود كسروا [صفحه ۴٠٩] شيئا من الأوانى وراءه و هذامما تعمله الناس اليوم أيضا قال بعضهم كسرنا القدر بعد أبى سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا . و قال آخر و

لانكسر الكيزان فى أثر ضيفنا || ولكننا نقفيه زادا ليرجعا . و قال آخر أما و الله إن بنى نفيل || لحلالون بالشرف اليفاع أناس ليس تكسر خلف ضيف || أوانيهم و لاشعب القصاع . و من مذاهبهم قولهم إن من ولد فى القمراء تقلصت غرلته فكان كالمختون ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه إبلاء الكتان وإنتان اللحم و قدروى عن أمير المؤمنين ع إذارأيت الغلام طويل الغرلة فاقرب به من السؤدد و إذارأيته قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فابعد به -روايت-١-٢-روايت-٣٢-١٣٦ . و قال إمرؤ القيس لقيصر و قددخل معه الحمام فرآه أغلف إنى حلفت يمينا غيركاذبة || لأنت أغلف إلا ماجنى القمر . و من مذاهبهم التشاؤم بالعطاس قال إمرؤ القيس و قداغتدى قبل العطاس بهيكل . و قال آخر [صفحه ٤١٠] وخرق إذاوجهت فيه لغزوة || مضيت و لم يحبسك عنه العواطس و من مذاهبهم قولهم فى الدعاء لاعشت إلاعيش القراد يضربونه مثلا فى الشدة والصبر على المشقة ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاما وبظهره عاما ويقولون إنه يترك فى طينة ويرمى بهاالحائط فيبقى سنة على بطنه وسنة على ظهره و لايموت قال بعضهم فلاعشت إلاكعيش القراد || عاما ببطن وعاما بظهر . و من مذاهبهم كانت النساء إذاغاب عنهن من يحببنه أخذن ترابا من موضع رجله كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه . وقالت امرأة من العرب واقتبضت من أثره يارب أنت جاره فى سفره || وجار خصييه وجار ذكره . وقالت امرأة أخذت ترابا من مواطئ رجله || غداة غدا كيما يئوب مسلما . و من مذاهبهم أنهم كانوا يسمون العشا فى العين الهدبد وأصل الهدبد اللبن الخاثر فإذاأصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة و من الكبد قطعة وقلاهما و قال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته فيا سناما وكبد || ألا اذهبا بالهدبد ليس شفاء الهدبد || إلاالسنام والكبد [صفحه ٤١١] قال فيذهب العشا بذلك . و من مذاهبهم اعتقادهم أن الورل والقنفذ والأرنب والظبى واليربوع والنعام مراكب الجن يمتطونها ولهم فى ذلك أشعار مشهورة ويزعمون أنهم يرون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم ويشاهدون الغول وربما جامعوها وتزوجوها وقالوا إن عمرو بن يربوع تزوج الغول وأولدها بنين ومكثت عنده دهرا فكانت تقول له إذالاح البرق من جهة بلادى وهى جهة كذا فاستره عنى فإنى إن لم تستره عنى تركت ولدك عليك وطرت إلى بلاد قومى فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلاتبصره و إلى هذاالمعنى أشار أبوالعلاء المعرى فى قوله يذكر الإبل وحنينها إلى البرق طربن لضوء البارق المتعالى || ببغداد وهنا مالهن و ما لى سمت نحوه الأبصار حتى كأنها || بناريه من هنا و ثم صوالى إذاطال عنها سرها لورءوسها || تمد إليه فى صدور عوالى تمنت قويقا والصراة أمامها || تراب لها من أينق وجمال إذالاح إيماض سترت وجوهها || كأنى عمرو والمطى سعالى وكم هم نضو أن يطير مع الصبا || إلى الشام لو لاحبسه بعقالى .قالوا فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة و قدلمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت له وهى تطير أمسك بنيك عمرو إنى آبق || برق على أرض السعالى آلق . [صفحه ٤١٢] ومنهم من يقول ركبت بعيرا وطارت عليه أى أسرعت فلم يدركها و عن هذا قال الشاعر رأى برقا فأوضع فوق بكر || فلابك مأأسأل و لاأغاما . قال فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يدعون بنى السعلاة ولذلك قال الشاعر يهجوهم ياقبح الله بنى السعلاة || عمرو بن يربوع شرار النات ليسوا بأبطال و لاأكيات .فأبدل السين تاء وهى لغة قوم من العرب . و من مذاهبهم فى الغول قولهم إنها إذاضربت ضربة واحدة بالسيف هلكت فإن ضربت ثانية عاشت و إلى هذاالمعنى أشار الشاعر بقوله فقالت ثن قلت لها رويدا || مكانك إننى ثبت الجنان . وكانت العرب تسمى أصوات الجن العزيف وتقول إن الرجل إذاقتل قنفذا أوورلا لم يأمن الجن على فحل إبله و إذاأصاب إبله خطب أوبلاء حمله على ذلك ويزعمون أنهم يسمعون الهاتف بذلك ويقولون مثله فى الجان من الحيات وقتله عندهم عظيم ورأى رجل منهم جانا فى قعر بئر لايستطيع الخروج فنزل وأخرجه منها على خطر عظيم وغمض عينيه لئلا يرى أين يدخل كأنه يريد بذلك التقرب إلى الجن . [صفحه ٤١٣] و قال أبوعثمان الجاحظ وكانوا يسمون من يجاور منهم الناس عامرا والجمع عمار فإن تعرض للصبيان فهو روح فإن خبث وتعرم فهو شيطان فإن زاد على ذلك فهو مارد فإن زاد على

ذلـك فى القـوة فهـو عفريت فـإن طهر ولطـف وصـار خيرا كله فهـو ملـك ويفاضـلون بينهم ويعتقـدون مـع كـل شـاعر شـيطانا ويسـمونهم بأسـماء مختلفة قال أبوعثمان و فى النهار ساعات يرى فيهاالصغير كبيرا ويوجد لأوساط الفيافى والرمال والحرار مثل الـدوى و هوطبع ذلـك الوقت قال ذو الرمـة إذا قال حادينا لترنيم نبأة || صه لم يكن إلادوى المسامع . و قال أبوعثمان أيضا فى الذين يذكرون عزيف الجن وتغول الغيلان إن أثر هذاالأمر وابتداء هذاالخيال أن القوم لمانزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة و من انفرد وطال مقامه فى البلاد الخلاء اسـتوحش و لاسـيما مع قلـة الأشـغال وفقد المذاكرين والوحدة لاتقطع أيامها إلابالتمنى والأفكار و ذلك أحد أسباب الوسواس . و من عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها اعتقادهم فى الديك والغراب والحمامة وساق حر و هوالهديل والحية فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقات ومنهم من يزعم أنها نوع من الجن ويعتقدون أن سهيلا والزهرة الضب والـذئب والضـبع مسوخ و من أشـعارهم فى مراكب الجن قول بعضـهم فى قنفذ رآه ليلا فما يعجب الجنان منك عـدمتهم || و فى الأسـد أفراس لهم ونجائب أيسـرج يربوع ويلجم قنفـذ || لقد أعوزتكم ماعلمت النجائب [صـفحه ۴۱۴] فإن كانت الجنان جنت فبالحرى || لاذنب للأقوام و الله غالب . و من الشـعر المنسوب إلى الجن و كل المطايا قـدركبنا فلم نجـد || ألـذ وأشـهى من ركوب الأرانب و من عضـر فوط عن لى فركبته || أبادر سـربا من عطاء قوارب . و قال أعرابى يكـذب بـذلك أيستمع الأسـرار راكب قنفذ || لقد ضاع سر الله ياأم معبد . و من أشعارهم وأحاديثهم فى رواية الجن وخطابهم وهتافهم ماروواه أبوعثمـان الجاحظ لسـمير بن الحارث الضبى ونار قـدحضأت بعيـد وهن || بـدار لاأريـد بهامقاما سوى تحليل راحلـة وعين || أكالئها مخافة أن تناما أتوا نارى فقلت منون أنتم || فقالوا الجن قلت عموا ظلاما . ويزعمون أن عمير بن ضبيعة رأى غلمانا ثلاثة يلعبون نهـارا فوثب غلاـم منهم فقـام على عـاتقى صـاحبه ووثب الآـخر فقـام على عاتقى الأعلى منهما فلما رآهم كـذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون فقال عمير بن ضبيعة فما مررت يومئذ بشجرة إلا وسمعت من تحتها ضحكا فلما رجع إلى منزله مرض أربعة أشـهر. [صـفحه ۴۱۵] وحكى الأصـمعى عن بعضـهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران فإذاغلام على الطريق فقالاـ له من أنت قال أنامسـكين قـدقطع بى فقال أحـدهما لصاحبه أردفه خلفك فأردفه فالتفت الآخر إليه فرأى فمه يتأجج نارا فشد عليه بالسـيف فذهبت النار فرجع عنه ثم التفت فرأى فمه يتأجج نارا فشد عليه فذهبت النار ففعل ذلك مرار فقال ذلك الغلام قاتلكما الله ماأجلدكما و الله مافعلتها بآدمى إلا وانخلع فؤاده ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره . و قال أبوالبلاد الطهوى ويروى لتأبـط شـرا لهـان على جهينـة ماألاـقى || من الروعـات يوم رحى بطـان لقيت الغول تسرى فى ظلام || بسـهب كالعباءة صحصـحان فقلت لها كلانا نقض أرض || أخو سـفر فخلى لى مكانى فشـدت شـدة نحوى فأهوى || لها كفى بمصـقول يمانى فقالت زد فقلت رويـد إنى || على أمثالها ثبت الجنان . والـذين يروون هذاالشعر لتأبط شـرا يروون أوله ألا من مبلغ فتيات جهم || بما لاقيت عنـدرحى بطان بأنى قـدلقيت الغول تلوى || بمرت كالصـحيفة صحصـحان فصدت فانتحيت لها بعضب || حسام غيرمؤتشب يمانى فقـد سراتها والبرك منها || فخرت لليـدين وللجران فقالت ثن قلت لها رويـدا || مكانك إننى ثبت الجنان [صفحه ۴۱۶] و لم أنفـك مضـطجعا لـديها || لأـنظر مصـبحا مـاذا دهانى إذاعينان فى رأس دقيق || كرأس الهر مشـقوق اللسان وساقا مخـدج ولسان كلب || وثوب من عباء أوشـنان . و قال البهرانى وتزوجت فى الشبيبـة غولا || بغزال وصـدقتى زق خمر و قـال الجاحـظ أصـدقها الخمر لطيب ريحهـا والغزال لأـنه من مراكب الجن و قال أبوعبيـد بن أيوب العنبرى أحـد لصوص العرب تقول و قـدألممت بالإنس لمـة || مخضـبة الأطراف خرس الخلاخل أ هذاخـدين الغول والذئب و ألذى || يهيم بربات الحجال الهراكـل رأت خلق الدرسـين أسود شاحبـا || من القوم بساما كريم الشـمائل تعود من آبائه فتكاتهم || وإطعامهم فى كل غبراء شامـل إذاصـاد صيدا لفـه بضرامه || وشيكا و لـم ينظر لغلى المراجـل ونهسـا كنهس الصـقر ثم مراسه || بكفيه رأس الشيخة المتمايل . و من هـذه الأبيات إذا ماأراد الله ذل قبيلـة || رماها بتشتيت الهوى والتخاذل وأول عجز القوم عما ينوبهم || تقاعدهم

عنه وطول التواكل وأول خبث الماء خبث ترابه || وأول لؤم القوم لؤم الحلائل . [صفحه ۴۱۷] و هذاالشعر من جيد شعر العرب وإنما كان غرضنا منه متعلقا بأوله وذكرنا سائره لما فيه من الأدب . و قال عبيد بن أيوب أيضا فى المعنى ألذى نحن بصدده وصار خليل الغول بعدعداوة || صفيا وربته القفار البسابس . و قال أيضا فلله در الغول أى رفيقة || لصاحب قفر فى المهامة يذعر أرنت بلحن بعدلحن وأوقدت || حوالى نيرانا تلوح وتزهر . و قال أيضا وغولا قفرة ذكر وأنثى || كأن عليهما قطع البجاد . و قال أيضا فقد لاقت الغزلان منى بلية || و قدلاقت الغيلان منى الدواهيا . و قال البهرانى فى قتل الغول ضربت ضربة فصارت هباء || فى محاق القمراء آخر شهر . و قال أيضا يزعم أنه لماثنى عليها الضرب عاشت فثنيت والمقدار يحرس أهله || فليت يمينى يوم ذلك شلت . و قال تأبط شرا يصف الغول ويذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها فأصبحت والغول لى جارة || فيا جارة أنت ماأغولا [صفحه ۴۱۸] وطالبتها بضعها فالتوت || فكان من الرأى أن تقتلا فجللتها مرهفا صارما || أبان المرافق والمفصلا فطار بقحف ابنة الجن ذا || شقاشق قدأخلق المحملا فمن يك يسأل عن جارتى || فإن لها باللوى منزلا عظاءة أرض لها حلتان || من ورق الطلح لم تغزلا ـ وكنت إذا ماهممت ابتهلت || وأحرى إذا قلت أن أفعلا ـ . و من أعاجيبهم أنهم كانوا إذاطالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مسا من الجن لأنه قتل حية أويربوعا أوقنفذا عملوا جمالا من طين وجعلوا عليها جوالق وملئوها حنطة وشعيرا وتمرا وجعلوا تلك الجمال فى باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك فإذاأصبحوا نظروا إلى تلك الجمال الطين فإن رأوا أنها بحالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها و إن رأوها قدتساقطت وتبدد ماعليها من الميرة قالوا قدقبلت الدية واستدلوا على شفاء المريض وضربوا بالدف قال بعضهم قالوا و قدطال عنائى والسقم || احمل إلى الجن جمالات وضم فقد فعلت والسقام لم يرم || فبالذى يملك برئى أعتصم . و قال آخر فيا ليت إن الجن جازوا جمالتى || وزحزح عنى ماعنانى من السقم و ياليتهم قالوا انطنا كل ماحوت || يمينك فى حرب عماس و فى سلم أعلل قلبى بالذى يزعمونه || فيا ليتنى عوفيت فى ذلك الزعم . [صفحه ۴۱۹] و قال آخر أرى أن جنان النويرة أصبحوا || وهم بين غضبان على وآسف حملت و لم أقبل إليهم حمالة || تسكن عن قلب من السقم تالف و لوأنصفوا لم يطلبوا غيرحقهم || و من لى من أمثالهم بالتناصف تغطوا بثوب الأرض عنى و لوبدوا || لأصبحت منهم آمنا غيرخائف . وكانوا إذاغم عليهم أمر الغائب و لم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بئر عادية أوجفر قديم ونادوا فيه يافلان أو يا أبافلان ثلاث مرات ويزعمون أنه إن كان ميتا لم يسمعوا صوتا و إن كان حيا سمعوا صوتا ربما توهموه وهما أوسمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم قال بعضهم دعوت أباالمغوار فى الجفر دعوة || فما آض صوتى بالذى كنت داعيا أظن أباالمغوار فى قعر مظلم || تجر عليه الذاريات السوافيا . و قال وكم ناديته والليل ساج || بعادى البئار فما أجابا . و قال آخر غاب فلم أرج له إيابا || والجفر لايرجع لى جوابا و ماقرأت مذ نأى كتابا || حتى متى أستنشد الركابا عنه و كل يمنع الخطابا . [صفحه ۴۲۰] و قال آخر أ لم تعلمى أنى دعوت مجاشعا || من الجفر والظلماء باد كسورها فجاوبنى حتى ظننت بأنه || سيطلع من جوفاء صعب خدورها لقد سكنت نفسى وأيقنت أنه || سيقدم والدنيا عجاب أمورها . و قال آخر دعوناه من عادية نضب ماؤها || وهدم جاليها اختلاف عصور فرد جوابا ماشككت بأنه || قريب إلينا بالإياب يصير .أقوى فى البيت الثانى وسكن نضب ضرورة كما قال لوعصر منه البان والمسك انعصر . و من أعاجيبهم أنهم كانوا فى الحرب ربما أخرجوا النساء فيبلن بين الصفين يرون أن ذلك يطفئ نار الحرب ويقودهم إلى السلم . قال بعضهم لقونا بأبوال النساء جهالة || ونحن نلاقيهم ببيض قواضب . و قال آخر بالت نساء بنى خراشة خيفة || منا وأدبرت الرجال شلالا . و قال آخر بالت نساؤهم والبيض قدأخذت || منهم مآخذ يستشفى بهاالكلب . وهذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء يبلن خيفة وذعرا لا على المعنى ألذى نحن فى ذكره فإذن لا يكون فيهما دلالة على المراد. [صفحه ۴۲۱] و قال الآخر هيهات رد الخيل بالأبوال || إذاغدت فى صور السعالى . و قال آخر جعلوا السيوف المشرفية منهم || بول النساء وقل ذاك غناء

.فأما ذكرهم عزيف الجن فى المفاوز والسباسب فكثير مشهور كقول بعضهم وخرق تحدث غيطانه || حديث العذارى بأسرارها . و قال آخر ودويۀ سبسب سملق || من البيد تعزف جنانها . و قال الأعشى وبهماء تعزف جناتها || مناهلها آجنات سدم . و قال وبلدۀ مثل ظهر الترس موحشۀ || للجن بالليل فى حافاتها زجل . و قال آخر ببيداء فى أرجائها الجن تعزف . و قال الشرقى بن القطامى كان رجل من كلب يقال له عبيد بن الحمارس شجاعا و كان نازلا بالسماوۀ أيام الربيع فلما حسر الربيع وقل ماؤه وأقلعت أنواؤه تحمل إلى وادى تبل فرأى روضۀ وغديرا فقال روضۀ وغدير وخطب يسير و أنا لما [صفحه ۴۲۲] حويت مجير فنزل هناك و له امرأتان اسم إحداهما الرباب والأخرى خولۀ فقالت له خولۀ أرى بلدۀ قفرا قليلا أنيسها || وإنا لنخشى إن دجا الليل أهلها . وقالت له الرباب أرتک برأيى فاستمع عنک قولها || و لاتأمنن جن العزيف وجهلها . فقال مجيبا لهما ألست كميا فى الحروب مجربا || شجاعا إذاشبت له الحرب محربا سريعا إلى الهيجا إذاحمس الوغى || فأقسم لاأعدو الغدير منكبا . ثم صعد إلى جبل تبل فرأى شيهمۀ وهى الأنثى من القنافذ فرماها فأقعصها ومعها ولدها فارتبطه فلما كان الليل هتف به هاتف من الجن يا ابن الحمارس قدأسأت جوارنا || وركبت صاحبنا بأمر مفظع وعقرت لقحته وقدت فصيلها || قودا عنيفا فى المنيع الأرفع ونزلت مرعى شائنا وظلمتنا || والظلم فاعله وخيم المرتع فلنطرقنک بالذى أوليتنا || شر يجيئک ما له من مدفع .فأجابه ابن الحمارس يامدعى ظلمى ولست بظالم || اسمع لديک مقالتى وتسمع إن كنتم جنا ظلمتم فنفذا || عقرت فشر عقيرۀ فى مصرع لاتطمعوا فيما لدى فما لكم || فيما حويت وحزته من مطمع .فأجابه الجنى ياضارب اللقحۀ بالعضب الأفل || قدجاءک الموت وأوفاک الأجل [صفحه ۴۲۳] وساقک الحين إلى جن تبل || فاليوم أقويت وأعيتک الحيل .فأجابه ابن الحمارس ياصاحب اللقحۀ هل أنت بجل || مستمع منى فقد قلت الخطل وكثرۀ المنطق فى الحرب فشل || هيجت قمقاما من القوم بطل ليث ليوث و إذاهم فعل || لايرهب الجن و لاالإنس أجل من كان بالعقوۀ من جن تبل قال فسمعهما شيخ من الجن فقال لا و الله لانرى قتل إنسان مثل هذاثابت القلب ماضى العزيمۀ فقام ذلک الشيخ وحمد الله تعالى ثم أنشد يا ابن الحمارس قدنزلت بلادنا || فأصبت منها مشربا ومناما فبدأتنا ظلما بعقر لقوحنا || وأسأت لما أن نطقت كلاما فاعمد لأمر الرشد واجتنب الردى || إنا نرى لک حرمۀ وذماما واغرم لصاحبنا لقوحا متبعا || فلقد أصبت بما فعلت أثاما .فأجابه ابن الحمارس الله يعلم حيث يرفع عرشه || أنى لأكره أن أصيب أثاما أماادعاؤکماادعيت فإننى || جئت البلاد و لاأريد مقاما فأسمت فيهامالنا ونزلتها || لأريح فيهاظهرنا أياما فليغد صاحبكم علينا نعطه || ما قدسألت و لانراه غراما . ثم غرم للجن لقوحا متبعا للقنفذ وولدها. و هذه الحكايۀ و إن كانت كذبا إلاأنها تتضمن أدبا وهى من طرائف [صفحه ۴۲۴] أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وإمتاعها ويقال إن الشرقى بن القطامى كان يصنع أشعارا وينحلها غيره .فأما مذهب العرب فى أن لكل شاعر شيطانا يلقى إليه الشعر فمذهب مشهور والشعراء كافۀ عليه قال بعضهم إنى و إن كنت صغير السن || و كان فى العين نبو عنى فإن شيطانى أميرالجن || يذهب بى فى الشعر كل فن . و قال حسان بن ثابت إذا ماترعرع فينا الغلام || فما إن يقال له من هوه إذا لم يسد قبل شد الإزار || فذلک فينا ألذى لاهوه و لى صاحب من بنى الشيصبان || فطورا أقول وطوار هوه . وكانوا يزعمون أن اسم شيطان الأعشى مسحل واسم شيطان المخبل عمرو و قال الأعشى دعوت خليلى مسحلا ودعوا له || جهنام جدعا للهجين المذمم . و قال آخر لقد كان جنى الفرزدق قدوۀ || و ما كان فينا مثل فحل المخبل و لا فى القوافى مثل عمرو وشيخه || و لا بعدعمرو شاعر مثل مسحل . و قال الفرزدق يصف قصيدته كأنها الذهب العقيان حبرها || لسان أشعر خلق الله شيطانا . [صفحه ۴۲۵] و قال أبوالنجم إنى و كل شاعر من البشر || شيطانه أنثى وشيطانى ذكر . وأنشد الخالع فيما نحن فيه لبعض الرجاز إن الشياطين أتونى أربعه || فى غلس الليل وفيهم زوبعه . و هذا لايدل على مانحن بصدده من أمر الشعر وإلقائه إلى الإنسان فلاوجه لإدخاله فى هذاالموضع . و من مذاهبهم أنهم كانوا إذاقتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره فيأخذون روثۀ ويفتونها على رأسه ويقولون روثۀ راث

ثائرک . و قال بعضـهم طرحنا علیه الروث والزجر صادق || فراث علینا ثأره والطوائل . و قدیـذر علی الحیـهٔ المقتولهٔ یسـیر رماد ویقـال لهـا قتلک العین فلاثأر لک و فی أمثالهم لمن ذهب دمه هـدرا و هوقتیل العین قال الشاعر و لاأکن کقتیل العین وسـطکم || و لاذبیحـهٔ تشـریق وتنحـار .فأما مـذهبهم فی الخرزات والأحجار والرقی والعزائم فمشـهور فمنها السـلوانهٔ ویقال السـلوهٔ وهی خرزهٔ یسـقی العـاشق منهـا فیسـلو فی زعمهم وهی بیضاء شـفافهٔ قال الراجز لوأشـرب السـلوان ماسـلیت || مابی غنی عنکم و إن غنیت .السـلوان جمع سلوانهٔ. [صفحه ۴۲۶] و قـال اللحیانی السـلوانهٔ تراب من قبر یسـقی منه العاشق فیسـلو و قال عروهٔ بن حزام جعلت لعراف الیمامـهٔ حکمه || وعراف نجد إن هما شـفیانی فقالا نعم نشـفی من الداء کله || وقاما مع العواد یبتدران فما ترکا من رقیهٔ یعرفانها || و لاسلوهٔ إلا و قدسـقیانی . و قال آخر سـقونی سـلوهٔ فسلوت عنها || سقی الله المنیهٔ من سقانی . أی سلوت عن السـلوهٔ واشـتد بی العشق ودام و قال الشـمردل ولقـد سـقیت بسـلوهٔ فکأنما || قال المـداوی للخیال بهاازدد . و من خرزاتهم الهنمـهٔ تجتلب بهاالرجال وتعطف بهاقلوبهم ورقیتها أخـذته بالهنمـهٔ باللیل زوج وبالنهار أمه . ومنها الفطسـهٔ والقبلهٔ والـدردبیس کلهـا لاجتلاـب قلوب الرجـال قـال الشاعر جمعن من قبل لهن وفطسـهٔ || والـدردبیس تمائما فی منظم فانقاد کل مشـذب مرس القوی || لحبالهن و کل جلد شیظم . وقیل الدردبیس خرزهٔ سوداء یتحبب بهاالنساء إلی بعولتهن توجد فی القبور العادیهٔ ورقیتها أخـذته بالـدردبیس تـدر العرق الیبیس وتـذر الجدیـد کالـدریس وأنشـد قطعـت القیـد والخرزات عنی || فمـن لی مـن علاـج الدردبیس . [صـفحه ۴۲۷] وأصل الـدردبیس الداهیـهٔ ونقل إلی هـذه لقوهٔ تأثیرها. و من خرزاتهم القرزحلـهٔ أنشـد ابن الأعرابی لاـتنفع القرزحلـهٔ العجائزا || إذاقطعن دونها المفاوزا . وهی من خرز الضـرائر إذالبسـتها المرأهٔ مال إلیها بعلها دون ضـرتها. ومنها خرزهٔ العقرهٔ تشـدها المرأهٔ علی حقویها فتمنع الحبل ذکر ذلک ابن السـکیت فی إصـلاح المنطق . ومنها الینجلب ورقیتها أخذته بالینجلب فلایرم و لایغب و لایزل عندالطنب . ومنها کرار مبنیهٔ علی الکسـر ورقیتها یاکرار کریه إن أقبل فسریه و إن أدبر فضریه من فرجه إلی فیه . ومنها الهمرهٔ ورقیتها یاهمرهٔ اهمریه من اسـته إلی فیه وماله وبنیه . ومنها الخصـمهٔ خرزهٔ للدخول علی السلطان والخصومهٔ تجعل تحت فص الخاتم أو فی زر القمیص أو فی حمائل السـیف قال بعضـهم یعلق غیری خصـمهٔ فی لقائهم || و ما لی علیکم خصـمهٔ غیرمنطقی . ومنها الوجیههٔ وهی کالخصـمهٔ حمراء کالعقیق . ومنها العطفهٔ خرزهٔ العطف والکحلهٔ خرزهٔ سوداء تجعل علی الصبیان لـدفع العین عنهم والقبلـهٔ خرزهٔ بیضاء تجعل فی عنق الفرس من العین والفطسـهٔ خرزهٔ یمرض بهاالعدو ویقتل ورقیتها أخـذته بالفطسـهٔ بالثوباء والعطسهٔ فلایزال فی تعسهٔ من أمره ونکسهٔ حتی یزور رمسه . [صـفحه ۴۲۸] و من رقاهم للحب هوابه هوابه البرق والسـحابه أخـذته بمرکن فحبه تمکن أخذته بإبره فلایزل فی عبره خلیته بإشـفی فقلبه لایهدا خلیته بمبرد فقلبه لاـیبرد وترقی الفـارک زوجهـا إذاسـافر عنهـا فتقول بـأفول القمر وظل الشـجر شـمال تشـمله ودبوره تـدبره ونکباء تنکبه شـیک فلاانتعش ثم ترمی فی أثره بحصاهٔ ونواهٔ وروثهٔ وبعرهٔ وتقول حصاهٔ حصت أثره نواهٔ أنأت داره روثهٔ راث خبره لقعته ببعرهٔ وقالت فارک فی زوجها أتبعته إذ رحل العیس ضـحی || بعدالنواهٔ روثهٔ حیث انتوی الروث للرثی وللنأی النوی . و قال آخر رمت خلفه لمارأت وشک بینه || نواهٔ تلتها روثـهٔ وحصاهٔ وقالت نأت منک الـدیار فلادنت || وراثت بک الأخبار والرجعات وحصت لک الآثار بعـدظهورها || و لافارق الترحال منک شـتات . و قال آخر یخاطب امرأته لاتقـذفی خلفی إذاالرکب اغتـدی || روثهٔ عیر وحصاهٔ ونوی لن یـدفع المقـدار أسباب الرقی || و لاالتهاویل علی جن الفلا . هـذاالرجز أورده الخالع فی هذاالمعرض و هوبأن یدل علی عکس هذاالمعنی أولی لأن قوله لن یدفع المقدار بالرقی و لابالتهاویل علی الجن کلام یشـعر بأن قذف الحصاهٔ والنواهٔ خلفه کالعوذهٔ له لا کماتفعله الفارک التی تتمنی الفراق . [صـفحه ۴۲۹] فأما مذهبهم فی القیافهٔ والزجر والکهانهٔ واختلافهم فی السانـح والبارح وتشاتمهم باللفظـهٔ والکلمـهٔ وتأویلهم لها وتیمنهم بکلمـهٔ أخری و ماکانوا یفعلونه من البحیرهٔ والسائبـهٔ والوصـیلهٔ والحامی فکله مشـهور معروف لاحاجهٔ لنا إلی ذکره هاهنا. فأما لفظ أمیر المؤمنین ع فی قوله نشـرهٔ فإن النشـرهٔ فی اللغهٔ کالعوذهٔ

والرقیة قالوا نشرت فلانا تنشیرا أی رقیته وعوذته و قال الکلابی إذانشر المسفوع فکأنما أنشط من عقال أی یذهب عنه ما به سریعا و فی الحدیث أنه قال فلعل طبا أصابه یعنی سحرا ثم عوذه بقل أعوذ برب الناس أی رقاه وکذلک إذاکتب له النشرة. و قدعد أمیر المؤمنین ع أمورا أربعة ذکر منها النشرة و لم یکن ع لیقول ذلک إلا عن توقیف من رسول الله ص

المجلد ۲۰

الجزء العشرون

تتمة باب الحکم والمواعظ

اشاره

بسم الله الرحمن الرحیم الحمد لله الواحد العدل

۴۰۹

وَ قَالَ ع مُقَارَبَةُ النّاسِ فِی أَخلَاقِهِم أَمنٌ مِن غَوَائِلِهِم إلی هذانظر المتنبی فی قوله وخلة فی جلیس أتقیه بها || کیما یری أننا مثلان فی الوهن وکلمة فی طریق خفت أعربها || فیهتدی لی فلم أقدر علی اللحن . و قال الشاعر و ما أنا إلاکالزمان إذاصحا || صحوت و إن ماق الزمان أموق . و کان یقال إذانزلت علی قوم فتشبه بأخلاقهم فإن الإنسان من حیث یوجد لا من حیث یولد و فی الأمثال القدیمة من دخل ظفار حمر.شاعر أحامقه حتی یقال سجیة || و لو کان ذا عقل لکنت أعاقله [صفحه ۴]

۴۱۰

وَ قَالَ ع لِبَعضِ مُخَاطِبِیهِ وَ قَد تَکَلّمَ بِکَلِمَةٍ یُستَصغَرُ مِثلُهُ عَن قَولِ مِثلِهَا لَقَد طِرتَ شَکِیراً وَ هَدَرتَ سَقباً قال الشکیر هاهنا أول ماینبت من ریش الطائر قبل أن یقوی ویستحصف والسقب الصغیر من الإبل و لایهدر إلا بعد أن یستفحل -روایت-۱-۱۲۳ هذامثل قولهم قدزبب قبل أن یحصرم . و من أمثال العامة یقرأ بالشواذ و ماحفظ بعدجزء المفصل [صفحه ۵]

۴۱۱

وَ قَالَ ع مَن أَومَأَ إِلَی مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتهُ الحِیَلُ قیل فی تفسیره من استدل بالمتشابه من القرآن فی التوحید والعدل انکشفت حیلته فإن علماء التوحید قدأوضحوا تأویل ذلک . وقیل من بنی عقیدة له مخصوصة علی أمرین مختلفین حق وباطل کان مبطلا. وقیل من أومأ بطمعه وأمله إلی فائت قدمضی وانقضی لن تنفعه حیلة أی لایتبعن أحدکم أمله ما قدفاته و هذاضعیف لأن المتفاوت فی اللغة غیرالفائت [صفحه ۶]

۴۱۲

قَالَ ع وَ قَد سُئِلَ عَن مَعنَى قَولِهِم لَا حَولَ وَ لَا قُوّةَ إِلّا بِاللّهِ إِنّا لَا نَملِكُ مَعَ اللّهِ شَيئاً وَ لَا نَملِكُ إِلّا مَا مَلّكَنَا فَمَتَى مَلّكَنَا مَا هُوَ أَملَكُ بِهِ مِنّا كَلّفَنَا وَ مَتَى أَخَذَهُ مِنّا وَضَعَ تَكلِيفَهُ عَنّا معنى هذاالكلام أنه ع جعل الحول عبارة عن الملكية والتصرف وجعل القوة عبارة عن التكليف كأنه يقول لاتملك و لاتصرف إلابالله و لاتكليف لأمر من الأمور إلابالله فنحن لانملك مع الله شيئا أى لانستقل بأن نملك شيئا لأنه لو لاإقداره إيانا وخلقته لنا أحياء لم نكن مالكين و لامتصرفين فإذاملكنا شيئا هوأملك به أى أقدر عليه منا صرنا مالكين له كالمال مثلا حقيقة وكالعقل والجوارح والأعضاء مجازا وحينئذ يكون مكلفا لنا أمرا يتعلق بما ملكنا إياه نحو أن يكلفنا الزكاة عندتمليكنا المال ويكلفنا النظر عندتمليكنا العقل ويكلفنا الجهاد والصلاة والحج و غير ذلك عندتمليكنا الأعضاء والجوارح ومتى أخذ منا المال وضع عنا تكليف الزكاة ومتى أخذ العقل سقط تكليف النظر ومتى أخذ الأعضاء والجوارح سقط تكليف الجهاد و مايجرى مجراه . هذا هوتفسير قوله ع فأما غيره فقد فسره بشيء آخر قال -روايت-١-٢ [صفحه ٧] أبو عبد الله جعفر بن محمد ع فلاحول على الطاعة و لاقوة على ترك المعاصى إلابالله -روايت-٣۴-٩٠ و قال قوم وهم المجبرة لافعل من الأفعال إلا و هوصادر من الله و ليس فى اللفظ مايدل ماادعوا وإنما فيه أنه لااقتدار إلابالله و ليس يلزم من نفى الاقتدار إلابالله صدق قولنا لافعل من الأفعال إلا و هوصادر عن الله والأولى فى تفسير هذه اللفظة أن تحمل على ظاهرها و ذلك أن الحول هوالقوة والقوة هى الحول كلاهما مترادفان و لاريب أن القدرة من الله تعالى فهو ألذى أقدر المؤمن على الإيمان والكافر على الكفر و لايلزم من ذلك مخالفة القول بالعدل لأن القدرة ليست موجبة. فإن قلت فأى فائدة فى ذكر ذلك و قدعلم كل أحد أن الله تعالى خلق القدرة فى جميع الحيوانات قلت المراد بذلك الرد على من أثبت صانعا غير الله كالمجوس والثنوية فإنهم قالوا بإلهين أحدهما يخلق قدرة الخير والآخر يخلق قدرة الشر [صفحه ٨]

۴١٣

اشاره

وَ قَالَ ع لِعَمّارِ بنِ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى وَ قَد سَمِعَهُ يُرَاجِعُ المُغِيرَةَ بنَ شُعبَةَ كَلَاماً دَعهُ يَا عَمّارُ فَإِنّهُ لَن يَأخُذَ مِنَ الدّينِ إِلّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدّنيَا وَ عَلَى عَمدٍ لَبّسَ عَلَى نَفسِهِ لِيَجعَلَ الشّبُهَاتِ عَاذِراً لِسَقَطَاتِهِ

المغيرة بن شعبة

أصحابنا غيرمتفقين على السكوت على المغيرة بل أكثر البغداديين يفسقونه ويقولون فيه مايقال فى الفاسق و لماجاء عروة بن مسعود الثقفى إلى رسول الله ص عام الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله ص مقلدا سيفا فقيل من هذاقيل ابن أخيك المغيرة قال و أنت هاهنا ياغدر و الله إنى إلى الآن ماغسلت سوءتك . و كان إسلام المغيرة من غيراعتقاد صحيح و لاإنابة ونية جميلة كان قدصحب قوما فى بعض الطرق فاستغفلهم وهم نيام فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفا أن يلحق فيقتل أويؤخذ مافاز به من أموالهم فقدم المدينة فأظهر الإسلام و كان رسول الله [صفحه ٩] ص لايرد على أحد إسلامه أسلم عن علة أو عن إخلاص فامتنع بالإسلام واعتصم وحمى جانبه .ذكر حديثه أبوالفرج على بن الحسين الأصفهانى فى كتاب الأغانى قال كان المغيرة يحدث حديث إسلامه قال خرجت مع قوم من بنى مالك ونحن على دين الجاهلية إلى المقوقس ملك مصر فدخلنا إلى

الإسكندرية وأهدينا للملك هدايا كانت معنا فكنت أهون أصحابی عليه وقبض هدايا القوم وأمر لهم بجوائز وفضل بعضهم على بعض وقصر بی فأعطانی شيئا قليلا لاذكر له وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسروورون و لم يعرض أحد منهم على مواساة فلما خرجوا حملوا معهم خمرا فكانوا يشربون منها فأشرب معهم ونفسی تأبی أن تدعنی معهم و قلت ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا و ماحباهم به الملك ويخبرون قومی بتقصيره بی وازدرائه إيای فأجمعت على قتلهم فقلت إنی أجد صداعا فوضعوا شرابهم ودعونی فقلت رأسی يصدع ولكن اجلسوا فأسقيكم فلم ينكروا من أمری شيئا فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعدالقدح فلما دبت الكأس فيهم اشتهوا الشراب فجعلت أصرف لهم وأترع الكأس فيشربون و لايدرون فأهمدتهم الخمر حتی ناموا مايعقلون فوثبت إليهم فقتلتهم جميعا وأخذت جميع ما كان معهم . وقدمت المدينة فوجدت النبی ص بالمسجد وعنده أبوبكر و كان بی عارفا فلما رآنی قال ابن أخی عروة قلت نعم قدجئت أشهد أن لاإله إلا الله و أن محمدا رسول الله فقال رسول الله ص الحمد لله فقال أبوبكر من مصر أقبلت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك قلت كان [صفحه ۱۰] بينی وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم وجئت بها إلى رسول الله ص ليخمسها ويری فيهارأيه فإنها غنيمة من المشركين فقال رسول الله أماإسلامك فقد قبلته و لانأخذ من أموالهم شيئا و لانخمسها لأن هذاغدر والغدر لاخير فيه فأخذنی ماقرب و ما بعدفقلت يا رسول الله إنما قتلتهم و أنا على دين قومی ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة فقال ع الإسلام يجب ماقبله قال و كان قتل منهم ثلاثة عشر إنسانا واحتوی مامعهم فبلغ ذلك ثقيفا بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن حمل عمی عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية. قال فذلك معنی قول عروة يوم الحديبية ياغدر أنا إلى الأمس أغسل سوءتك فلاأستطيع أن أغسلها فلهذا قال أصحابنا البغداديون من كان إسلامه على هذاالوجه وكانت خاتمته ما قدتواتر الخبر به من لعن على ع على المنابر إلى أن مات على هذاالفعل و كان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والفرج سؤالهما وممالأة الفاسقين وصرف الوقت إلى غيرطاعة الله كيف نتولاه و أی عذر لنا فی الإمساك عنه وألا نكشف للناس فسقه

إيراد كلام لأبی المعالی الجوينی فی أمر الصحابة والرد عليه

وحضرت عندالنقيب أبی جعفريحيی بن محمدالعلوی البصری فی سنة إحدی عشرة وستمائة ببغداد وعنده جماعة وأحدهم يقرأ فی الأغانی لأبی الفرج فمر ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم فذمه بعضهم وأثنی عليه بعضهم وأمسك عنه آخرون فقال [صفحه ۱۱] بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأی الأشعری الواجب الكف والإمساك عن الصحابة وعما شجر بينهم فقد قال أبوالمعالی الجوينی إن رسول الله ص نهی عن ذلك و قال إياكم و ماشجر بين صحابتی -روايت-۱-۲-روايت-۸-۳۵ قال دعوا لی أصحابی فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لمابلغ مد أحدهم و لانصيفه -روايت-۱-۲-روايت-۸-۸۴ قال أصحابی كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم -روايت-۱-۲-روايت-۸- ۵۰ قال خيركم القرن ألذی أنا فيه ثم ألذی يليه ثم ألذی يليه -روايت-۱-۲-روايت-۸-۸۲ و قدورد فی القرآن الثناء على الصحابة و على التابعين و قال رسول الله ص و مايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۹۹ و قدروی عن الحسن البصری أنه ذكر عنده الجمل وصفين فقال تلك دماء طهر الله منها أسيافنا فلانلطخ بهاألسنتنا. ثم إن تلك الأحوال قدغابت عنا وبعدت أخبارها على حقائقها فلايليق بنا أن نخوض فيها و لو كان واحد من هؤلاء قدأخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ص فيه و من المروءة أن يحفظ رسول الله ص فی عائشة زوجته و فی الزبير ابن عمته و فی طلحة ألذی وقاه

بيـده ثم ما ألـذى ألزمنا وأوجب علينا أن نلعن أحـدا من المسـلمين أونبرأ منه و أى ثواب فى اللعنة والبراءة إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف لم لم تلعن بل قد يقول له لم لعنت و لو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصـيا و لاآثما و إذاجعل الإنسان عوض اللعنة أستغفر الله كان خيرا له ثم كيف يجوز للعامة أن تدخل أنفسها فى أمور الخاصة وأولئك قوم كانوا أمراء هـذه الأمـة وقادتها ونحن اليوم فى طبقـة سافلـة جـدا عنهم فكيف يحسن بنا التعرض لـذكرهم أ ليس يقبـح من الرعيـة أن تخوض فى دقـائق أمور الملـك وأحواله وشـئونه التى تجرى بينه و بين أهله وبنى عمه ونسائه وسـراريه و قـد كان [صـفحه ١٢] رسول الله ص صـهرا لمعاوية وأخته أم حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أم حبيبة وهى أم المؤمنين فى أخيها. وكيف يجوز أن يلعن من جعـل الله تعـالى بينه و بين رسوله مودة أ ليس المفسـرون كلهم قالوا هـذه الآيـة أنزلت فى أبى سـفيان وآله وهى قوله تعالى عَسَى اللّهُ أَن يَجعَلَ بَينَكُم وَ بَينَ الّذِينَ عـادَيتُم مِنهُم مَوَدّةًفكـان ذلـك مصاهرة رسول الله ص أباسـفيان وتزويجه ابنته على أن جميع ماتنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت و ما كان القوم إلاكبنى أم واحدة و لم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط و لاوقع بينهم اختلاف و لانزاع . فقال أبو جعفررحمه الله قـدكنت منذ أيام علقت بخطى كلاما وجدته لبعض الزيدية فى هـذاالمعنى نقضـا وردا على أبى المعـالى الجوينى فيمـا اختـاره لنفسه من هـذاالرأى و أنـاأخرجه إليكم لأسـتغنى بتـأمله عن الحـديث على ماقاله هذاالفقيه فإنى أجد ألما يمنعنى من الإطالة فى الحديث لاسـيما إذاخرج مخرج الجدل ومقاومة الخصوم ثم أخرج من بين كتبه كراسـا قرأنـاه فى ذلـك المجلس واستحسـنه الحاضـرون و أنـاأذكر هاهنـا خلاصـته . قـال لو لا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه كماأوجب موالاة أوليائه وضـيق على المسـلمين تركها إذادل العقل عليها أوصح الخبر عنها بقوله سبحانه لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ اليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَو كانُوا آباءَهُم أَو أَبناءَهُم أَو إِخوانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم وبقوله تعـالى وَ لَو كـانُوا يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ النّبِيّ وَ ما أُنزِلَ إِلَيهِ مَا اتّخَذُوهُم أَولِياءَ وبقوله سـبحانه لا تَتَوَلّوا قَوماً –قرآن–٢٥۴–٣٢٩–قرآن–١١۴۴–١٣٠٨–قرآن–١٣٢۴–١۴١۶–قرآن–١۴٣٣–١۴۵٢ رسول الله ص صـهرا لمعاويـة وأخته أم حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أم حبيبـة وهى أم المؤمنين فى أخيها. وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه و بين رسوله مودة أ ليس المفسـرون كلهم قالوا هـذه الآيـة أنزلت فى أبى سـفيان وآله وهى قوله تعـالى عَسَى اللّهُ أَن يَجعَلَ بَينَكُم وَ بَينَ الّذِينَ عـادَيتُم مِنهُم مَوَدّةًفكـان ذلك مصـاهرة رسول الله ص أباسـفيان وتزويجه ابنته على أن جميع مـاتنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت و ما كان القوم إلاكبنى أم واحـدة و لم يتكـدر باطن أحـد منهم على صاحبه قط و لاوقع بينهم اختلاف و لانزاع . فقال أبو جعفررحمه الله قـدكنت منـذ أيـام علقت بخطى كلامـا وجـدته لبعض الزيديـة فى هـذاالمعنى نقضـا وردا على أبى المعالى الجوينى فيما اختاره لنفسه من هـذاالرأى و أناأخرجه إليكم لأسـتغنى بتأمله عن الحـديث على ماقاله هـذاالفقيه فإنى أجـد ألما يمنعنى من الإطالة فى الحـديث لاسـيما إذاخرج مخرج الجـدل ومقاومـة الخصـوم ثم أخرج من بين كتبه كراسـا قرأنـاه فى ذلـك المجلس واستحسـنه الحاضـرون و أناأذكر هاهنا خلاصته . قال لو لا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه كماأوجب موالاة أوليائه وضيق على المسلمين تركها إذادل العقل عليها أوصـح الخبر عنها بقوله سـبحانه لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ اليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَو كـانُوا آبـاءَهُم أَو أَبنـاءَهُم أَو إِخوانَهُم أَو عَشِيرَتَهُم وبقوله تعـالى وَ لَو كـانُوا يُؤمِنُونَ بِـاللّهِ وَ النّبِيّ وَ ما أُنزِلَ إِلَيهِ مَا اتّخَذُوهُم أَولِيـاءَ وبقوله سـبحانه لاـ تَتَوَلّوا قَوماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيهِم –قرآن–١–٢٣ ولإجماع المسـلمين على أن الله تعالى فرض عـداوة أعـدائه وولايـة أوليائه و على أن البغض فى الله واجب والحب فى الله واجب لماتعرضـنا لمعاداة أحـد من الناس فى الـدين و لاالبراءة منه ولكانت عـداوتنا للقوم تكلفا و لوظننا أن الله عز و جل يعذرنا إذاقلنا يارب غاب أمرهم عنا فلم يكن لخوضـنا فى أمر قدغاب عنا معنى لاعتمـدنا على هذاالعـذر ووالينـاهم ولكنـا نخـاف أن يقول سـبحانه لنا إن كان أمرهم قـدغاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم وأسـماعكم قـدأتتكم به الأخبـار الصـحيحة التى بمثلهـا ألزمتم أنفسـكم الإقرار بالنبىص وموالاة من صـدقه ومعاداة من

عصاه وجحده وأمرتم بتدبر القرآن و ماجاء به الرسول فهلا حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غدارَبّنا إِنّا أَطَعنا سادَتَنا وَ كُبراءَنا فَأَضَلّونَا السّبِيلَا.فأما لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها أ لاترى إلى قوله أُولئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلعَنُهُمُ اللّاعِنُونَفهو إخبار معناه الأمر كقوله وَ المُطَلّقاتُ يَتَرَبّصنَ بِأَنفُسِهِنّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ و قدلعن الله تعالى العاصين بقوله لُعِنَ الّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسرائِيلَ عَلي لِسانِ داوُدَ و قوله إِنّ الّذِينَ يُؤذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِي الدّنيا وَ الآخِرَةِ وَ أَعَدّ لَهُم عَذاباً مُهِيناً و قوله مَلعُونِينَ أَينَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتّلُوا تَقتِيلًا و قال الله تعالى لإبليس وَ إِنّ عَلَيكَ لَعنَتِي إِلي يَومِ الدّينِ و قال إِنّ اللّهَ لَعَنَ الكافِرِينَ وَ أَعَدّ لَهُم سَعِيراً. -قرآن-۶۶۳-۷۲۹-قرآن-۸۰۰-۸۵۴-قرآن-۸۸۴-۹۴۱-قرآن-۹۷۹-۱۰۴۳-قرآن-۱۰۵۲-۱۱۶۹-قرآن-۱۱۷۸-۱۲۳۶-قرآن-۱۲۶۴-۱۳۰۷-قرآن-۱۳۱۵-۱۳۶۹ [صفحه ۱۴] فأما قول من يقول أى ثواب فى اللعن و إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن بل قد يقول له لم لعنت و أنه لوجعل مكان لعن الله فلانا أللهم اغفر لى لكان خيرا له و لو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك فكلام جاهل لايدرى ما يقول اللعن طاعة ويستحق عليها الثواب إذافعلت على وجهها و هو أن يلعن مستحق اللعن لله و فى الله لا فى العصبية والهوى أ لاترى أن الشرع قدورد بها فى نفى الولد ونطق بهاالقرآن و هو أن يقول الزوج فى الخامسةأَنّ لَعنَتَ اللّهِ عَلَيهِ إِن كانَ مِنَ الكاذِبِينَفلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة و أنه قدتعبدهم بها لماجعلها من معالم الشرع و لماكررها فى كثير من كتابه العزيز و لما قال فى حق القاتل وَ غَضِبَ اللّهُ عَلَيهِ وَ لَعَنَهُ و ليس المراد من قوله وَ لَعَنَهُ إلاالأمر لنا بأن نلعنه و لو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه لأن الله تعالى قدلعنه أفيلعن الله تعالى إنسانا و لا يكون لنا أن نلعنه هذا ما لايسوغ فى العقل كما لايجوز أن يمدح الله إنسانا إلا ولنا أن نمدحه و لايذمه إلا ولنا أن نذمه و قال تعالى هَل أُنَبّئُكُم بِشَرّ مِن ذلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَعَنَهُ اللّهُ و قال رَبّنا آتِهِم ضِعفَينِ مِنَ العَذابِ وَ العَنهُم لَعناً كَبِيراً و قال عز و جل وَ قالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغلُولَةٌ غُلّت أَيدِيهِم وَ لُعِنُوا بِما قالُوا وكيف يقول القائل إن الله تعالى لا يقول للمكلف لم لم تلعن أ لايعلم هذاالقائل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه وأمر بعداوة أعدائه فكما يسأل عن التولى يسأل عن التبرى أ لاترى أن اليهودى إذاأسلم يطالب بأن يقال له تلفظ بكلمة الشهادتين ثم قل برئت -قرآن-۴۸۱-۵۳۳-قرآن-۷۰۰-۷۳۵-قرآن-۷۵۹-۷۶۹-قرآن-۱۰۳۸-۱۱۱۲-قرآن-۱۱۲۰-۱۱۸۳-قرآن-۱۲۰۰-۱۲۸۱ [صفحه ۱۵] من كل دين يخالف دين الإسلام فلابد من البراءة لأن بهايتم العمل أ لم يسمع هذاالقائل قول الشاعر تود عدوى ثم تزعم أننى || صديقك إن الرأى عنك لعازب .فمودة العدو خروج عن ولاية الولى و إذابطلت المودة لم يبق إلاالبراءة لأنه لايجوز أن يكون الإنسان فى درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعصاته بألا يودهم و لايبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفى هذه الواسطة. و أما قوله لوجعل عوض اللعنة أستغفر الله لكان خيرا له فإنه لواستغفر من غير أن يلعن أويعتقد وجوب اللعن لمانفعه استغفاره و لاقبل منه لأنه يكون عاصيا لله تعالى مخالفا أمره فى إمساكه عمن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه وإظهار البراءة والمصر على بعض المعاصى لاتقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر و أما من يعيش عمره و لايلعن إبليس فإن كان لايعتقد وجوب لعنه فهو كافر و إن كان يعتقد وجوب لعنه و لايلعنه فهو مخطئ على أن الفرق بينه و بين ترك لعنة رءوس الضلال فى هذه الأمة كمعاوية والمغيرة وأمثالهما أن أحدا من المسلمين لايورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهه فى أمر إبليس والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عندكثير من المسلمين فى أمرهم وتجنب مايورث الشبهة فى الدين واجب فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيرا للإمساك عن أمر هؤلاء. قال ثم يقال للمخالفين أرأيتم لو قال قائل قدغاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف فليس ينبغى أن نخوض فى قصتهما و لا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما هل كان هذا إلاكقولكم قدغاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن [صفحه ۱۶] شعبة وأضرابهما فليس لخوضنا فى قصتهم معنى . و بعدفكيف أدخلتم أيها العامة والحشوية و أهل الحديث أنفسكم فى أمر عثمان وخضتم فيه و قدغاب عنكم وبرئتم من قتلته ولعنتموهم وكيف لم تحفظوا أبابكر الصديق فى محمدابنه فإنكم لعنتموه وفسقتموه

و لاحفظتم عائشة أم المؤمنين فى أخيها محمدالمذكور ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا فى أمر على و الحسن و الحسين ومعاوية الظالم له ولهما المتغلب على حقه وحقوقهما وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندكم ولعن ظالم على و الحسن و الحسين تكلفا وكيف أدخلت العامة أنفسها فى أمر عائشة وبرئت ممن نظر إليها و من القائل لها ياحميراء أوإنما هى حميراء ولعنته بكشفه سترها ومنعتنا نحن عن الحديث فى أمر فاطمة و ماجرى لها بعدوفاة أبيها. فإن قلتم إن بيت فاطمة إنما دخل وسترها إنما كشف حفظا لنظام الإسلام وكيلا ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربقة الطاعة ولزوم الجماعة.قيل لكم وكذلك ستر عائشة إنما كشف وهودجها إنما هتك لأنها نشرت حبل الطاعة وشقت عصا المسلمين وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول على بن أبى طالب ع إلى البصرة وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة و من كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ماتنطق به كتب التواريخ والسير فإذاجاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدجاز كشف ستر عائشة على ما قدوقع وتحقق فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التى يجب معها التخليد فى النار [صفحه ١٧] والبراءة من فاعله و من أوكد عرى الإيمان وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع حطب ببابها وتهددها بالتحريق من أوكد عرى الدين وأثبت دعائم الإسلام ومما أعز الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة والحرمتان واحدة والستران واحد و مانحب أن نقول لكم أن حرمة فاطمة أعظم ومكانها أرفع وصيانتها لأجل رسول الله ص أولى فإنها بضعة منه وجزء من لحمه ودمه وليست كالزوجة الأجنبية التى لانسب بينها و بين الزوج وإنما هى وصلة مستعارة وعقد يجرى مجرى إجارة المنفعة و كمايملك رق الأمة بالبيع والشراء ولهذا قال الفرضيون أسباب التوارث ثلاثة سبب ونسب وولاء فالنسب القرابة والسبب النكاح والولاء ولاء العتق فجعلوا النكاح خارجا عن النسب و لوكانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين . وكيف تكون عائشة أوغيرها فى منزلة فاطمة و قدأجمع المسلمون كلهم من يحبها و من لايحبها منهم أنها سيدة نساء العالمين . قال وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله ص فى زوجته وحفظ أم حبيبة فى أخيها و لم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ص فى أهل بيته و لاألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ص فى صهره و ابن عمه ابن عفان و قدقتلوهم ولعنوهم ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان و هوخليفة منهم عائشة كانت تقول اقتلوا نعثلا لعن الله نعثلا ومنهم عبد الله بن مسعود و قدلعن معاوية على بن أبى طالب وابنيه حسنا وحسينا وهم أحياء يرزقون بالعراق و هويلعنهم بالشام على المنابر ويقنت عليهم فى الصلوات و قدلعن أبوبكر وعمر سعد بن عبادة و هوحى وبرءا منه وأخرجاه من المدينة إلى الشام ولعن عمر [صفحه ١٨] خالد بن الوليد لماقتل مالك بن نويرة و مازال اللعن فاشيا فى المسلمين إذاعرفوا من الإنسان معصية تقتضى اللعن والبراءة. قال و لو كان هذاأمرا معتبرا و هو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلايلعن لوجب أن تحفظ الصحابة فى أولادهم فلايلعنوا لأجل آبائهم فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبى وقاص فلايلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين و أن يحفظ معاوية فلايلعن يزيد صاحب وقعة الحرة وقاتل الحسين ومخيف المسجد الحرام بمكة و أن يحفظ عمر بن الخطاب فى عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان والمحارب عليا ع فى صفين . قال على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله ص من حفظ رسول الله ص فى أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نعادهم و لوضربت رقابنا بالسيوف ولكن محبة رسول الله ص لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يصنع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية وإنما أوجب الله رسول الله ص محبة أصحابه لطاعتهم لله فإذاعصوا الله وتركوا ماأوجب محبتهم فليس عند رسول الله ص محاباة فى ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم و لاتغطرس فى العدول عن التمسك بموالاتهم فلقد كان ص يحب أن يعادى أعداء الله و لوكانوا عترته كمايحب أن يوالى أولياء الله و لوكانوا أبعد الخلق نسبا منه والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قدأوجب عداوة من ارتد بعدالإسلام وعداوة من نافق و إن كان من أصحاب رسول الله ص و أن رسول الله ص هو ألذى أمر بذلك ودعا إليه [صفحه ١٩] و ذلك أنه ص قدأوجب قطع السارق وضرب القاذف وجلد البكر إذازنى و إن

كان من المهاجرين أوالأنصار أ لاترى أنه قال لوسرقت فاطمة لقطعتها -روايت-١-٢-روايت-١٣-٣٦ فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها فى دين الله و لاراقبها فى حدود الله و قدجلد أصحاب الإفك ومنهم مسطح بن أثاثة و كان من أهل بدر. قال و بعدفلو كان محل أصحاب رسول الله ص محل من لايعادى إذاعصى الله سبحانه و لايذكر بالقبيح بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصحبة ويغضى عن عيوبه وذنوبه لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه فى القرآن لمااتبع هواه فانسلخ مما أوتى من الآيات وغوى قال سبحانه وَ اتلُ عَلَيهِم نَبَأَ أَلّذِى آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوِينَ ولكان ينبغى أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذاالمحل لأن هؤلاء كلهم قدصحبوا رسولا جليلا من رسل الله سبحانه . قال و لوكانت الصحابة عندأنفسها بهذه المنزلة لعلمت ذلك من حال أنفسها لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا و إذاقدرت أفعال بعضهم ببعض دلتك على أن القصة كانت على خلاف ما قدسبق إلى قلوب الناس اليوم هذا على وعمار و أبوالهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وجميع من كان مع على ع من المهاجرين والأنصار لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبمن معهما مايفعل بالشراة فى عصرنا و هذاطلحة والزبير وعائشة و من كان معهم و فى جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن على حتى قصدوا له كمايقصد للمتغلبين فى زماننا و هذامعاوية وعمرو لم يريا -قرآن-٤٢٠-٥٢٧ [صفحه ٢٠] عليا بالعين التى يرى بهاالعامى صديقه أوجاره و لم يقصرا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده و كل من كان حيا من أهله وقتل أصحابه و قدلعنهما هوأيضا فى الصلوات المفروضات ولعن معهما أباالأعور السلمى و أبا موسى الأشعرى وكلاهما من الصحابة و هذاسعد بن أبى وقاص و محمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل و عبد الله بن عمر وحسان بن ثابت وأنس بن مالك لم يروا أن يقلدوا عليا فى حرب طلحة و لاطلحة فى حرب على وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين لأنهم زعموا أنهم قدخافوا أن يكون على قدغلط وزل فى حربهما وخافوا أن يكونا قدغلطا وزلا فى حرب على و هذاعثمان قدنفى أباذر إلى الربذة كمايفعل بأهل الخنا والريب و هذاعمار و ابن مسعود تلقيا عثمان بما تلقياه به لماظهر لهما بزعمهما منه ماوعظاه لأجله ثم فعل بهما عثمان ماتناهى إليكم ثم فعل القوم بعثمان ما قدعلمتم وعلم الناس كلهم و هذاعمر يقول فى قصة الزبير بن العوام لمااستأذنه فى الغزو ها إنى ممسك بباب هذاالشعب أن يتفرق أصحاب محمد فى الناس فيضلوهم وزعم أنه و أبوبكر كانا يقولان إن عليا والعباس فى قصة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين و مارأينا عليا والعباس اعتذرا و لاتنصلا و لانقل أحد من أصحاب الحديث ذلك و لارأينا أصحاب رسول الله ص أنكروا عليهما ماحكاه عمر عنهما ونسبه إليهما و لاأنكروا أيضا على عمر قوله فى أصحاب رسول الله ص إنهم يريدون إضلال الناس ويهمون به و لاأنكروا على عثمان دوس بطن عمار و لاكسر ضلع ابن مسعود و لا على عمار و ابن مسعود ماتلقيا به عثمان كإنكار العامة اليوم الخوض فى حديث الصحابة و لااعتقدت الصحابة فى أنفسها مايعتقده العامة فيها أللهم إلا أن يزعموا أنهم أعرف بحق القوم منهم و هذا على [صفحه ٢١] وفاطمة والعباس مازالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية نحن معاشر الأنبياء لانورث ويقولون إنها مختلفة.قالوا وكيف كان النبى ص يعرف هذاالحكم غيرنا ويكتمه عنا ونحن الورثة ونحن أولى الناس بأن يؤدى هذاالحكم إليه و هذاعمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النفر الذين توفى رسول الله ص و هوعنهم راض ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخروا فصل حال الإمامة هذا بعد أن ثلبهم و قال فى حقهم ما لوسمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه فى عنقه سحبا إلى السلطان ثم شهدت عليه بالرفض واستحلت دمه فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضا فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلهم ثم ماشاع واشتهر من قول عمر كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه و هذاطعن فى العقد وقدح فى البيعة الأصلية. ثم مانقل عنه من ذكر أبى بكر فى صلاته و قوله عن عبدالرحمن ابنه دويبة سوء ولهو خير من أبيه ثم عمر القائل فى سعد بن عبادة و هورئيس الأنصار وسيدها اقتلوا سعدا قتل الله سعدا اقتلوه فإنه منافق و قدشتم أباهريرة وطعن فى روايته وشتم

خالد بن الوليد وطعن فى دينه وحكم بفسقه وبوجوب قتله وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفىء واقتطاعه و كان سريعا إلى المساءة كثير الجبه والشتم والسب لكل أحد وقل أن يكون فى الصحابة من سلم من معرة لسانه أويده ولذلك أبغضوه وملوا أيامه مع كثرة الفتوح فيهافهلا احترم عمر الصحابة كماتحترمهم العامة إما أن يكون عمر مخطئا وإما أن تكون العامة على الخطإ. [صفحه ۲۲] فإن قالوا عمر ماشتم و لاضرب و لاأساء إلا إلى عاص مستحق لذلك قيل لهم فكأنا نحن نقول إنا نريد أن نبرأ ونعادى من لايستحق البراءة والمعاداة كلا ماقلنا هذا و لا يقول هذامسلم و لاعاقل وإنما غرضنا ألذى إليه نجرى بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قوم من الناس لهم ماللناس وعليهم ماعليهم من أساء منهم ذممناه و من أحسن منهم حمدناه و ليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلابمشاهدة الرسول ومعاصرته لا- غيربل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضرورة ونحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر والفكر وبعرضية الشبه والشكوك فمعاصينا أخف لأنا أعذر. ثم نعود إلى ماكنا فيه فنقول و هذه عائشة أم المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ص فقالت للناس هذاقميص رسول الله لم يبل وعثمان قدأبلى سنته ثم تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا ثم لم ترض بذلك حتى قالت أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غدا فمن الناس من يقول روت فى ذلك خبرا و من الناس من يقول هوموقوف عليها وبدون هذا لوقاله إنسان اليوم يكون عندالعامة زنديقا ثم قدحصر عثمان حصرته أعيان الصحابة فما كان أحد ينكر ذلك و لايعظمه و لايسعى فى إزالته وإنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له و هو رجل كماعلمتم من وجوه أصحاب رسول الله ص ثم من أشرافهم ثم هوأقرب إليه من أبى بكر وعمر و هو مع ذلك إمام المسلمين والمختار منهم للخلافة وللإمام حق على رعيته عظيم فإن كان القوم قدأصابوا فإذن ليست الصحابة فى الموضع ألذى وضعتها به العامة و إن كانوا ماأصابوا فهذا هو ألذى نقول من أن الخطأ جائز على [صفحه ۲۳] آحاد الصحابة كمايجوز على آحادنا اليوم ولسنا نقدح فى الإجماع و لاندعى إجماعا حقيقيا على قتل عثمان وإنما نقول إن كثيرا من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلم أن ذلك كان خطأ ومعصية فقد سلم أن الصحابى يجوز أن يخطئ ويعصى و هوالمطلوب . و هذاالمغيرة بن شعبة و هو من الصحابة ادعى عليه الزنا وشهد عليه قوم بذلك فلم ينكر ذلك عمر و لا قال هذامحال وباطل لأن هذاصحابى من صحابة رسول الله ص لايجوز عليه الزنا وهلا أنكر عمر على الشهود و قال لهم ويحكم هلا تغافلتم عنه لمارأيتموه يفعل ذلك فإن الله تعالى قدأوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله ص وأوجب الستر عليهم وهلا- تركتموه لرسول الله ص فى قوله دعوا لى أصحابى مارأينا عمر إلا قدانتصب لسماع الدعوى وإقامة الشهادة وأقبل يقول للمغيرة يامغيرة ذهب ربعك يامغيرة ذهب نصفك يامغيرة ذهب ثلاثة أرباعك حتى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة وهلا قال المغيرة لعمر كيف تسمع فى قول هؤلاء وليسوا من الصحابة و أنا من الصحابة و رسول الله ص قد قال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم -روايت-۱-۲-روايت-۲۶-۶۸ مارأيناه قال ذلك بل استسلم لحكم الله تعالى وهاهنا من هوأمثل من المغيرة وأفضل قدامة بن مظعون لماشرب الخمر فى أيام عمر فأقام عليه الحد و هو رجل من علية الصحابة و من أهل بدر والمشهود لهم بالجنة فلم يرد عمر الشهادة و لادرأ عنه الحد لعلة أنه بدرى و لا قال قدنهى رسول الله ص عن ذكر مساوئ الصحابة و قدضرب عمر أيضا ابنه حدا فمات و كان ممن عاصر رسول الله ص و لم تمنع معاصرته له من إقامة الحد عليه . و هذا على ع يقول ماحدثنى أحد بحديث عن رسول الله ص -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-ادامه دارد [صفحه ۲۴] إلااستحلفته عليه -روايت-از قبل-۲۲ أ ليس هذااتهاما لهم بالكذب و مااستثنى أحدا من المسلمين إلا أبابكر على ماورد فى الخبر و قدصرح غيرمرة بتكذيب أبى هريرة و قال لاأحد أكذب من هذاالدوسى على رسول الله ص -روايت-۱-۲-روايت-۸-۵۶ و قال أبوبكر فى مرضه ألذى مات فيه وددت أنى لم أكشف بيت فاطمة و لو كان أغلق على حرب فندم والندم لا- يكون إلا عن ذنب . ثم ينبغى للعاقل أن يفكر فى تأخر على ع عن بيعة أبى بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة فإن

كـان مصيبا فـأبو بكر على الخطإ فى انتصابه فى الخلافـة و إن كان أبوبكر مصيبا فعلى على الخطإ فى تأخره عن البيعـة وحضور المسجد ثم قال أبوبكر فى مرض موته أيضا للصحابة فلما استخلفت عليكم خيركم فى نفسى يعنى عمر فكلكم ورم لذلك أنفه يريـد أن يكون الأمر له لمارأيتم الـدنيا قـدجاءت أما و الله لتتخـذن سـتائر الـديباج ونضائـد الحرير أ ليس هـذاطعنا فى الصـحابة وتصـريحا بأنه قدنسبهم إلى الحسد لعمر لمانص عليه بالعهد ولقد قال له طلحة لماذكر عمر للأمر ماذا تقول لربك إذاسألك عن عبـاده و قـدوليت عليهم فظا غليظا فقال أبوبكر أجلسونى أجلسونى بالله تخوفنى إذاسألنى قلت وليت عليهم خير أهلك ثم شـتمه بكلام كثير منقول فهل قول طلحـة إلاطعن فى عمر وهل قول أبى بكر إلاطعن فى طلحـة. ثم ألذى كان بين أبى بن كعب و عبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كـل واحـد منهمـا الآـخر عن أبيه وكلمـة أبى بن كعب مشـهورة منقولـة مازالت هـذه الأمة مكبوبـة على وجهها منـذ فقدوا نبيهم و قوله ألا هلك أهل العقيدة و الله ماآسـى عليهم إنما آسـى على من يضـلون من الناس . [صفحه ٢٥] ثم قـول عبـدالرحمن بن عـوف مـاكنت أرى أن أعيش حـتى يقـول لى عثمـان يامنـافق و قوله لواسـتقبلت من أمرى مااسـتدبرت مـاوليت عثمان شـسع نعلى و قوله أللهم إن عثمان قـدأبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل . و قال عثمان لعلى ع فى كلام دار بينهما أبوبكر وعمر خير منك فقال على كذبت أناخير منك ومنهما عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما. وروى سفيان بن عينية عن عمرو بن دينار قال كنت عندعروة بن الزبير فتذاكرناكم أقام النبى بمكة بعدالوحى فقال عروة أقام عشرا فقلت كان ابن عبـاس يقول ثلاـث عشـرة فقال كـذب ابن عباس و قال ابن عباس المتعـة حلال فقال له جبير بن مطعم كان عمر ينهى عنها فقال ياعـدى نفسه من هاهنـا ضـللتم أحـدثكم عن رسول الله ص وتحـدثنى عن عمر. و جـاء فى الخبر عن على ع لو لا مافعل عمر بن الخطاب فى المتعـة مازنى إلاشـقى وقيل مازنى إلاشـفا أى قليلا -روايت-١-٢-روايت-٢٧-١١٠ فأما سـب بعضـهم بعضا وقدح بعضـهم فى بعض فى المسائل الفقهيـة فأكثر من أن يحصـى مثل قول ابن عباس و هويرد على زيـد مذهبه القول فى الفرائض إن شاء أو قال من شاء باهلته إن ألذى أحصـى رمل عالج عددا أعدل من أن يجعل فى مال نصفا ونصفا وثلثا هذان النصفان قدذهبا بالمال فأين موضع الثلث . [صـفحه ٢٦] ومثل قول أبى بن كعب فى القرآن لقـد قرأت القرآن وزيـد هذاغلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيـان اليهود فى المكتب . و قـال على ع فى أمهـات الأولاـد و هو على المنبر كـان رأيى ورأى عمر ألا يبعن و أناأرى الآن يبعهن فقـام إليه عبيـدة السـلمانى فقال رأيك فى الجماعـة أحب إلينا من رأيك فى الفرقـة -روايت-١-٢-روايت-١٦-١٨٣ . و كان أبوبكر يرى التسوية فى قسم الغنائم وخالفه عمر وأنكر فعله . وأنكرت عائشة على أبى سلمة بن عبدالرحمن خلافه على ابن عبـاس فى عـدة المتوفى عنهـا زوجهـا وهى حامـل وقـالت فروج يصـقع مع الديكـة. وأنكرت الصـحابة على ابن عبـاس قوله فى الصـرف وسـفهوا رأيه حتى قيـل إنه تـاب من ذلـك عنـدموته . واختلفوا فى حـد شارب الخمر حتى خطأ بعضـهم بعضا. و روى بعض الصـحابة عن النبى ص أنه قال الشؤم فى ثلاثـة المرأة والـدار والفرس فأنكرت عائشة ذلك وكذبت الراوى وقالت إنه إنما قـال ع ذلك حكايـة عن غيره -روايت-١-٢-روايت-٤٤-١٦٠ روى بعض الصـحابة عنه ع أنه قـال التـاجر فاجر فأنكرت عائشـة ذلك وكـذبت الراوى وقالت إنما قاله ع فى تاجر دلس -روايت-١-٢-روايت-٣٨-١١٨ . وأنكر قوم من الأنصار رواية أبى بكر الأئمـة من قريش -روايت-١-٢-روايت-١٦-٣٢ ونسبوه إلى افتعال هـذه الكلمة. [صـفحه ٢٧] و كـان أبوبكر يقضـى بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصـحابة كبلال وصـهيب ونحوهما قدروى ذلك فى عدة قضايا. وقيل لابن عباس إن عبد الله بن الزبير يزعم أن موسـى صاحب الخضـر ليس موسـى بنى إسـرائيل فقال كـذب عدو الله أخبرنى أبى بن كعب قال خطبنا رسول الله ص وذكر كذا بكلام يدل على أن موسـى صاحب الخضـر هو موسـى بنى إسرائيل . وباع معاوية أوانى ذهب وفضة بأكثر من وزنها فقال له أبوالدرداء سمعت رسول الله ص ينهى عن ذلك فقال معاوية أما أنا فلاأرى به بأسا فقال أبوالدرداء من عذيرى من معاوية أخبره عن الرسول ص و هويخبرنى عن رأيه و الله لاأساكنك بأرض أبدا. وطعن ابن عباس فى أبى هريرة عن رسول الله ص إذااستيقظ

أحـدكم من نومه فلايدخلن يده فى الإناء حتى يتوضأ -روايت-١-٢-روايت-٢٢-٨٤ و قال فما نصنع بالمهراس . و قال على ع لعمر و قدأفتاه الصحابة فى مسألة وأجمعوا عليها إن كانوا راقبوك فقد غشوك و إن كان هذاجهد رأيهم فقد أخطئوا -روايت-١-١٢٤ . و قال ابن عباس أ لا يتقى الله زيد بن ثابت يجعل ابن الابن ابنا و لايجعل أب الأب أبا. وقالت عائشة أخبروا زيد بن أرقم أنه قدأحبط جهاده مع رسول الله ص . [صفحه ٢٨] وأنكرت الصحابة على أبى موسى قوله إن النوم لا ينقض الوضوء ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل وكذلك أنكرت على أبى طلحة الأنصارى قوله إن أكل البرد لايفطر الصائم وهزئت به ونسبته إلى الجهل . وسمع عمر عبد الله بن مسعود و أبى بن كعب يختلفان فى صلاة الرجل فى الثوب الواحد فصعد المنبر و قال إذااختلف اثنان من أصحاب رسول الله ص فعن أى فتياكم يصدر المسلمون لاأسمع رجلين يختلفان بعدمقامى هذا إلافعلت وصنعت . و قال جرير بن كليب رأيت عمر ينهى عن المتعة و على ع يأمر بهافقلت إن بينكما لشرا فقال على ع ليس بيننا إلاالخير ولكن خيرنا أتبعنا لهذا الدين -روايت-١-٢-روايت-٢١-١٤٩ . قال هذاالمتكلم وكيف يصح أن يقول رسول الله ص أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم لاشبهة أن هذايوجب أن يكون أهل الشام فى صفين على هدى و أن يكون أهل العراق أيضا على هدى و أن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا و قدصح الخبر الصحيح أنه قال له تقتلك الفئة الباغية -روايت-١-٢-روايت-٣٧-٥٨ و قال فى القرآن فَقاتِلُوا الّتِي تَبغِي حَتّى تفَيِءَ إِلي أَمرِ اللّهِفدل على أنها مادامت موصوفة بالمقام على البغى مفارقة لأمر الله و من يفارق أمر الله لا يكون مهتديا. و كان يجب أن يكون بسر بن أبى أرطاة ألذى ذبح ولدى عبيد الله بن عباس الصغيرين مهتديا لأن بسرا من الصحابة أيضا و كان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعنان عليا أدبار الصلاة وولديه مهتديين و قد كان فى الصحابة من يزنى و من يشرب الخمر كأبى محجن الثقفى و من يرتد عن الإسلام كطليحة بن خويلد فيجب أن يكون كل من اقتدى بهؤلاء فى أفعالهم مهديا. -قرآن-١٩-٧٧ [صفحه ٢٩] قال وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية فإن لهم من ينصرهم بلسانه وبوضعه الأحاديث إذاعجز عن نصرهم بالسيف . وكذا القول فى الحديث الآخر و هو قوله القرن ألذى أنا فيه ومما يدل على بطلانه أن القرن ألذى جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا و هوأحد القرون التى ذكرها فى النص و كان ذلك القرن هوالقرن ألذى قتل فيه الحسين وأوقع بالمدينة وحوصرت مكة ونقضت الكعبة وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون فى منصب النبوة الخمور وارتكبوا الفجور كماجرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد وأريقت الدماء الحرام وقتل المسلمون وسبى الحريم واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار ونقش على أيديهم كماينقش على أيدى الروم و ذلك فى خلافة عبدالملك وإمرة الحجاج و إذاتأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شرا كلها لاخير فيها و لا فى رؤسائها وأمرائها و الناس برؤسائهم وأمرائهم والقرن خمسون سنة فكيف يصح هذاالخبر. قال فأما ماورد فى القرآن من قوله تعالى لَقَد رضَيِ َ اللّهُ عَنِ المُؤمِنِينَ و قوله مُحَمّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الّذِينَ مَعَهُ. و -قرآن-٨٩٧-٩٣٤-قرآن-٩٤٣-٩٨٤ قول النبى ص إن الله اطلع على أهل بدر -روايت-١-٢-روايت-١٧-٤٦ إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة و لايجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غيرمعصوم بأنه لاعقاب عليه فليفعل ماشاء. قال هذاالمتكلم و من أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا يجوز عليهم مايجوز علينا و لافرق بيننا وبينهم إلابالصحبة لا غير فإن لها منزلة وشرفا [صفحه ٣٠] ولكن لا إلى حد يمتنع على كل من رأى الرسول أوصحبه يوما أوشهرا أوأكثر من ذلك أن يخطئ ويزل و لو كان هذاصحيحا مااحتاجت عائشة إلى نزول براءتها من السماء بل كان رسول الله ص من أول يوم يعلم كذب أهل الإفك لأنها زوجته وصحبتها له آكد من صحبة غيرها وصفوان بن المعطل أيضا كان من الصحابة فكان ينبغى ألا يضيق صدر رسول الله ص و لايحمل ذلك الهم والغم الشديدين اللذين حملهما و يقول صفوان من الصحابة وعائشة من الصحابة والمعصية عليهما ممتنعة. وأمثال هذاكثير وأكثر من الكثير لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم و قد كان التابعون يسلكون بالصحابة هذاالمسلك ويقولون فى العصاة منهم مثل هذاالقول وإنما

اتخـذهم العامـة أربابا بعد ذلک . قال و من ألذی یجترئ علی القول بأن أصـحاب محمد لاتجوز البراءة من أحد منهم و إن أساء وعصـی بعدقول الله تعالی للذی شـرفوا برؤیته لَئِن أَشرَکتَ لَیَحبَطَنّ عَمَلُکَ وَ لَتَکُونَنّ مِنَ الخاسِرِینَ بعد قوله قُل إِنّیَ أَخافُ إِن عَصَیتُ ربَیّ عَذابَ یَوم عَظِیم و بعد قوله فَاحکُم بَینَ النّاسِ بِالحَقّ وَ لا تَتّبِعِ الهَوی فَیُضِلّکَ عَن سَبِیلِ اللّهِ إِنّ الّذِینَ یَضِلّونَ عَن سَبِیلِ اللّهِ لَهُم عَذابٌ شَدِیدٌ إلا من لافهم له و لانظر معه و لاتمییز عنـده . قال و من أحب أن ینظر إلی اختلاف الصـحابة وطعن بعضـهم فی بعض ورد بعضهم علی بعض و مارد به التابعون علیهم واعترضوا به أقوالهم واختلاف التابعین أیضا فیما بینهم وقدح بعضـهم فی بعض فلینظر فی کتـاب النظـام قـال الجاحـظ کـان النظـام -قرآن-۷۹۱-۸۵۷-قرآن-۸۶۸-۹۲۴-قرآن-۹۳۷-۱۰۸۲ [صفحه ۳۱] أشـد النـاس إنکـارا علی الرافضـة لطعنهم علی الصـحابة حتی إذاذکر الفتیـا وتنقـل الصـحابة فیهـا وقضایاهم بالأمور المختلفـة وقول من اسـتعمل الرأی فی دین الله انتظم مطاعن الرافضة وغیرها وزاد علیها و قال فی الصـحابة أضـعاف قولها. قال و قـال بعض رؤسـاء المعتزلـة غلط أبی حنیفـة فی الأحکام عظیم لأنه أضل خلقا وغلط حماد أعظم من غلط أبی حنیفـة لأن حمادا أصل أبی حنیفـة ألذی منه تفرع وغلط ابراهیم أغلظ وأعظم من غلط حماد لأنه أصل حماد وغلط علقمة والأسود أعظم من غلط ابراهیم لأنهما أصـله ألـذی علیه اعتمد وغلط ابن مسـعود أعظم من غلط هؤلاء جمیعا لأنه أول من بدر إلی وضع الأدیان برأیه و هو ألذی قال أقول فیهابرأیی فإن یکن صوابا فمن الله و إن یکن خطأ فمنی. قال واسـتأذن أصـحاب الحدیث علی ثمامة بخراسان حیث کان مع الرشـید بن المهـدی فسألوه کتابه ألـذی صـنفه علی أبی حنیفـة فی اجتهاد الرأی فقال لست علی أبی حنیفة کتبت ذلـک الکتاب وإنما کتبته علی علقمـة والأسود و عبـد الله بن مسـعود لأنهم الـذین قالوا بالرأی قبل أبی حنیفـة. قال و کان بعض المعتزلـة أیضـا إذاذکر ابن عبـاس استصـغره و قـال صـاحب الذؤابـة یقول فی دین الله برأیه . وذکـر الجاحـظ فی کتابه المعروف بکتاب التوحیـد أن أباهریرة لیس بثقـة فی الروایـة عن رسول الله ص قال و لم یکن علی ع یوثقه فی الروایة بل یتهمه ویقدح فیه وکذلک عمر وعائشة. [صفحه ۳۲] و کان الجاحظ یفسق عمر بن عبدالعزیز ویسـتهزئ به ویکفره وعمر بن العزیز و إن لم یکن من الصـحابة فـأکثر العامـة یری له من الفضل مایراه لواحـد من الصـحابة. وکیف یجوز أن نحکم حکما جزما أن کل واحـد من الصـحابة عدل و من جملة الصـحابة الحکم بن أبی العاص وکفاک به عدوا مبغضا لرسول الله ص و من الصـحابة الولید بن عقبة الفاسق بنص الکتاب ومنهم حبیب بن مسـلمة ألـذی فعل مافعل بالمسـلمین فی دولـة معاویـة وبشـر بن أبی أرطاة عـدو الله وعدو رسوله و فی الصـحابة کثیر من المنافقین لایعرفهم الناس و قال کثیر من المسـلمین مات رسول الله ص و لم یعرفه الله سبحانه کل المنافقین بأعیانهم وإنما کان یعرف قوما منهم و لم یعلم بهم أحـدا إلاحذیفـة فیما زعموا فکیف یجوز أن نحکم حکما جزما أن کل واحـد ممن صـحب رسول الله أورآه أوعاصـره عـدل مأمون لایقع منه خطأ و لامعصـیة و من ألـذی یمکنه أن یتحجر واسـعا کهـذا التحجر أویحکم هـذاالحکم قال والعجب من الحشویـة وأصـحاب الحدیث إذ یجادلون علی معاصـی الأنبیاء ویثبتون أنهم عصوا الله تعـالی وینکرون علی من ینکر ذلـک ویطعنون فیه ویقولون قـدری معتزلی وربمـا قـالوا ملحـد مخالف لنص الکتاب و قـدرأینا منهم الواحـد والمائـة والألف یجادل فی هـذاالباب فتارة یقولون إن یوسف قعـد من امرأة العزیز مقعـد الرجل من المرأة وتـارة یقولون إن داود قتـل أوریـا لینکـح امرأته وتـارة یقولون إن رسول الله کـان کـافرا ضالا قبل النبوة وربما ذکروا زینب بنت جحش وقصـة الفـداء یوم بـدر.فأما قـدحهم فی آدم ع وإثبـاتهم معصـیته ومنـاظرتهم من یـذکر ذلـک [صـفحه ۳۳] فهـو دأبهم ودیدنهم فإذاتکلم واحد فی عمرو بن العاص أو فی معاویة وأمثالهما ونسبهم إلی المعصیة وفعل القبیح احمرت وجوههم وطالت أعناقهم وتخازرت أعینهم وقالوا مبتدع رافضی یسب الصحابة ویشتم السلف فإن قالوا إنما اتبعنا فی ذکر معاصی الأنبیاء نصوص الکتـاب قیـل لهم فـاتبعوا فی البراءة من جمیع العصـاة نصوص الکتـاب فـإنه تعـالی قـال لا تَجِدُ قَوماً یُؤمِنُونَ بِاللّهِ وَ الیَوم الآخِرِ یُوادّونَ مَن حَادّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ و قال فَإِن بَغَت إِحداهُما عَلَی الأُخری فَقاتِلُوا الّتِی تَبغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمرِ اللّهِ و قال أَطِیعُوا اللّهَ وَ

أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُوْلِي الأَمرِ مِنكَم. ثم يسألون عن بيعة على ع هل هى صحيحة لازمة لكل الناس فلابد من بلى فيقال لهم فإذاخرج على الإمام الحق خارج أ ليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة فهل يكون هذاالقتال إلاالبراءة التى نذكرها لأنه لافرق بين الأمرين وإنما برئنا منهم لأنا لسنا فى زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنهم وليكون ذلك عوضا عن القتال ألذى لاسبيل لنا إليه . قال هذاالمتكلم على أن النظام وأصحابه ذهبوا إلى أنه لاحجة فى الإجماع و أنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطإ والمعصية و على الفسق بل على الردة و له كتاب موضوع فى الإجماع يطعن فيه فى أدلة الفقهاء و يقول إنها ألفاظ غيرصريحة فى كون الإجماع حجة نحو قوله جَعَلناكُم أُمّةً وَسَطاً و قوله كُنتُم خَيرَ أُمّةٍ و قوله وَ يَتّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ. -قرآن-٣٤٢-٤٣٦-قرآن-٤٤٤-٥٣٨-قرآن-٥٤٦-٦١٠-قرآن-١٢٧٨-١٣٠٢-قرآن-١٣١١-١٣٢٩-قرآن-١٣٣٨-١٣٧٤ [صفحه ٣٤] و أماالخبر ألذى صورته لاتجتمع أمتى على الخطإ -روايت-١-٢٧ فخبر واحد وأمثل دليل للفقهاء قولهم إن الهمم المختلفة والآراء المتباينة إذا كان أربابها كثيرة عظيمة فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطإ و هذاباطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال . هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفرعلقه بخطه من الجزء ألذى أقرأناه . ونحن نقول أماإجماع المسلمين فحجة ولسنا نرتضى ماذكره عنا من أنه أمثل دليل لنا أن الهمم المختلفة والآراء المتباينة يستحيل أن تتفق على غيرالصواب و من نظر فى كتبنا الأصولية علم وثاقة أدلتنا على صحة الإجماع وكونه صوابا وحجة تحريم مخالفته و قدتكلمت فى اعتبار الذريعة للمرتضى على ماطعن به المرتضى فى أدلة الإجماع . و أماذكره من الهجوم على دار فاطمة وجمع الحطب لتحريقها فهو خبر واحد غيرموثوق به و لامعول عليه فى حق الصحابة بل و لا فى حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته . و أماعائشة والزبير وطلحة فمذهبنا أنهم أخطئوا ثم تابوا وأنهم من أهل الجنة و أن عليا ع شهد لهم بالجنة بعدحرب الجمل . و أماطعن الصحابة بعضهم فى بعض فإن الخلاف ألذى كان بينهم فى مسائل الاجتهاد لايوجب إثما لأن كل مجتهد مصيب و هذاأمر مذكور فى كتب أصول الفقه و ما كان من الخلاف خارجا عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غيرموثوق بها و ماجاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجح جانب أحد الصحابيين على قدر منزلته فى الإسلام كمايروى عن عمر و أبى هريرة. [صفحه ٣٥] فأما على ع فإنه عندنا بمنزلة الرسول ص فى تصويب قوله والاحتجاج بفعله ووجوب طاعته ومتى صح عنه أنه قدبرئ من أحد من الناس برئنا منه كائنا من كان ولكن الشأن فى تصحيح مايروى عنه ع فقد أكثر الكذب عليه وولدت العصبية أحاديث لاأصل لها.فأما براءته ع من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية فهو عندنا معلوم جار مجرى الأخبار المتواترة فلذلك لايتولاهم أصحابنا و لايثنون عليهم وهم عندالمعتزلة فى مقام غيرمحمود وحاش لله أن يكون ع ذكر من سلف من شيوخ المهاجرين إلابالجميل والذكر الحسن بموجب ماتقتضيه رئاسته فى الدين وإخلاصه فى طاعة رب العالمين و من أحب تتبع ماروى عنه مما يوهم فى الظاهر خلاف ذلك فليراجع هذاالكتاب أعنى شرح نهج البلاغة فأنا لم نترك موضعا يوهم خلاف مذهبنا إلا وأوضحناه وفسرناه على وجه يوافق الحق وبالله التوفيق

عمار بن ياسر وطرف من أخباره

فأما عمار بن ياسر رحمه الله فنحن نذكر نسبه وطرفا من حاله مما ذكره ابن عبدالبر فى كتاب الإستيعاب قال أبوعمر بن عبدالبر رحمه الله هوعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لوذ بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس بالنون بن مالك بن أدد العنسى المذحجى يكنى أبااليقظان حليف لبنى مخزوم كذا قال ابن شهاب وغيره . [صفحه ٣٦] و قال موسى بن عقبة وممن شهد بدرا عمار بن ياسر حليف لبنى مخزوم بن يقظة. و قال الواقدى وطائفة من أهل العلم إن

ياسرا والد عمار بن ياسر عربی قحطانی من عنس من مذحج إلا أن ابنه عمارا مولی لبنی مخزوم لأن أباه یاسرا تزوج أمه لبعض بنی مخزوم فأولدها عمارا و ذلک أن یاسر قدم مکة مع أخوین له یقال لهما الحارث ومالک فی طلب أخ لهم رابع فرجع الحارث ومالک إلی الیمن وأقام یاسر بمکة فحالف أباحذیفة بن المغیرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فزوجه أبوحذیفة أمة له یقال لها سمیة بنت خیاط فولدت له عمارا فأعتقه أبوحذیفة فصار ولاؤه لبنی مخزوم وللحلف والولاء ألذی بین بنی مخزوم وعمار بن یاسر کان اجتماع بنی مخزوم إلی عثمان حین نال من عمار غلمان عثمان مانالوا من الضرب حتی انفتق له فتق فی بطنه وکسروا ضلعا من أضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا و الله لئن مات لاقتلنا به أحدا غیرعثمان . قال أبوعمر وأسلم عمار و عبد الله أخوه ویاسر أبوهما وسمیة أمهما و کان إسلامهم قدیما فی أول الإسلام فعذبوا فی الله عذابا عظیما و کان رسول الله ص یمر بهم وهم یعذبون فیقول صبرا یاآل یاسر فإن موعدکم الجنة و یقول لهم أیضا صبرا یاآل یاسر أللهم اغفر لآل یاسر و قدفعلت -روایت-۱-۱۴۸ . قال أبوعمر و لم یزل عمار مع أبی حذیفة بن المغیرة حتی مات وجاء الله بالإسلام .فأما سمیة فقتلها أبوجهل طعنها بحربة فی قبلها فماتت وکانت من الخیرات [صفحه ۳۷] الفاضلات وهی أول شهیدة فی الإسلام و قدکانت قریش أخذت یاسرا وسمیة وابنیهما وبلالا وخبابا وصهیبا فألبسوهم أدراع الحدید وصهروهم فی الشمس حتی بلغ الجهد منهم کل مبلغ فأعطوهم ماسألوا من الکفر وسب النبی ص ثم جاء إلی کل واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فیهاالماء فألقوهم فیها ثم حملوا بجوانبها فلما کان العشی جاء أبوجهل فجعل یشتم سمیة ویرفث ثم وجأها بحربة فی قبلها فقتلها فهی أول من استشهد فی الإسلام فقال عمار للنبیص یا رسول الله بلغ العذاب من أمی کل مبلغ فقال صبرا یا أبااليقظان أللهم لاتعذب أحدا من آل یاسر بالنار قال أبوعمر وفیهم أنزل إِلّا مَن أُکرِهَ وَ قَلبُهُ مُطمَئِنّ بِالإِیمانِ. قال وهاجر عمار إلی أرض الحبشة وصلی القبلتین وشهد بدرا والمشاهد کلها وأبلی بلاء حسنا ثم شهد الیمامة فأبلی فیهاأیضا ویومئذ قطعت أذنه . قال وذکر الواقدی عن عبد الله بن نافع عن أبیه عن عبد الله بن عمر قال رأیت عمار بن یاسر یوم الیمامة علی صخرة و قدأشرف یصیح یامعشر المسلمین أ من الجنة تفرون أناعمار بن یاسر هلموا إلی و أناأنظر إلی أذنه قدقطعت فهی تذبذب و هویقاتل أشد القتال . قال أبوعمر و کان عمار طویلا أشهل بعید ما بین المنکبین قال و قدقیل فی صفته کان آدم طوالا مضطربا أشهل العینین بعید ما بین المنکبین رجلا لایغیر شیبه . -قرآن-۵۷۵-۶۲۴ [صفحه ۳۸] قال و کان عمار یقول أناترب رسول الله ص لم یکن أحد أقرب إلیه سنا منی. قال وقتل عمار و هو ابن ثلاث وتسعین سنة و الخبر المرفوع مشهور فی حقه تقتلک الفئة الباغیة -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۵۲ و هو من دلائل نبوة رسول الله ص لأنه إخبار عن غیب . و قال رسول الله ص فی عمار ملئ إیمانا إلی مشاشه ویروی إلی أخمص قدمیه -روایت-۱-۲-روایت-۳۱-۷۸ . وفضائل عمار کثیرة و قدتقدم القول فی ذکر عمار وأخباره و ماورد فی حقه [صفحه ۳۹]

۴۱۴

وَ قَالَ ع مَا أَحسَنَ تَوَاضُعَ الأَغنِیَاءِ لِلفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِندَ اللّهِ وَ أَحسَنُ مِنهُ تِیهُ الفُقَرَاءِ عَلَی الأَغنِیَاءِ اتّکَالًا عَلَی اللّهِ سُبحَانَهُ قدتقدم شرح مثل هذه الکلمة مرارا. و قال الشاعر قنعت فأعتقت نفسی ولن || أملکه ذا ثروة رقها ونزهتها عن سؤال الرجال || ومنة من لایری حقها و إن القناعة کنز اللبیب || إذاارتتقت فتقت رتقها سیبعث رزق الشفاه الغراث || وخمص البطون ألذی شقها فما فارقت مهجة جسمها || لعمرک أووفیت رزقها مواعید ربک مصدوقة || إذاغیرها ففقدت صدقها [صفحه ۴۰]

۴۱۵

اشاره

قَالَ ع مَا استَودَعَ اللّهُ امرَأً عَقلًا إِلّا لِيَستَنقِذَهُ بِهِ يَوماً مَا لابد أن يكون للبارئ تعالى فى إيداع العقل قلب زيد مثلا غرض و لاغرض إلا أن يستدل به على ما فيه نجاته وخلاصه و ذلك هوالتكليف فإن قصر فى النظر وجهل وأخطأ الصواب فلابد أن ينقذه عقله من ورطة من ورطات الدنيا و ليس يخلو أحد عن ذلك أصلا لأن كل عاقل لابد أن يتخلص من مضرة سبيلها أن تنال بإعمال فكرته وعقله فى الخلاص منها فالحاصل أن العقل إما أن ينقذ الإنقاذ الدينى و هوالفلاح والنجاح على الحقيقة أوينقذ من بعض مهالك الدنيا وآفاتها و على كل حال فقد صح قول أمير المؤمنين ع و قدرويت هذه الكلمة مرفوعة ورويت إلااستنقذه به يوما ما. و عنه ص العقل نور فى القلب يفرق به بين الحق والباطل -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۶۱ عن أنس قال سئل رسول الله ص عن الرجل يكون حسن العقل كثير الذنوب فقال ما من بشر إلا و له ذنوب وخطايا يقترفها فمن كانت سجيته العقل وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه قيل كيف ذلك يا رسول الله قال -روايت-۱-۲-روايت-۱۶-ادامه دارد [صفحه ۴۱] كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على مافرط منه فيمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة -روايت-از قبل-۱۰۷

نكت فى مدح العقل و ماقيل فيه

و قدتقدم من قولنا فى العقل و ماذكر فيه ما فيه كفاية ونحن نذكر هاهنا شيئا آخر كان يقال العاقل يروى ثم يروى ويخبر ثم يخبر. و قال عبد الله بن المعتز ماأبين وجوه الخير والشر فى مرآة العقل . لقمان يابنى شاور من جرب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ماقام عليه بالغلاء وتأخذه أنت بالمجان -روايت-۱-۲-روايت-۹-۱۰۰ .أردشير بن بابك أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب والسرور إلى الأمن والقرابة إلى المودة والعقل إلى التجربة.الإسكندر لاتحتقر الرأى الجزيل من الحقير فإن الدرة لايستهان بهالهوان غائصها.مسلمة بن عبدالملكماابتدأت أمرا قط بحزم فرجعت على نفسى بلائمة و إن كانت العاقبة على و لاأضعت الحزم فسررت و إن كانت العاقبة لى .وصف رجل عضد الدولة بن بويه فقال لورأيته لرأيت رجلا له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب .أثنى قوم من الصحابة على رجل عند رسول الله ص بالصلاة والعبادة وخصال الخير حتى بالغوا فقال ص كيف عقله قالوا يا رسول الله -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-ادامه دارد [صفحه ۴۲] نخبرك باجتهاده فى العبادة وضروب الخير وتسأل عن عقله فقال إن الأحمق ليصيب بحمقه أعظم مما يصيبه الفاجر بفجوره وإنما ترتفع العباد غدا فى درجاتهم وينالون من الزلفى من ربهم على قدر عقولهم -روايت-از قبل-۲۰۳ .الريحانى العقل ملك والخصال رعيته فإذاضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها وسمع هذاالكلام أعرابى فقال هذاكلام يقطر عسله . قال معن بن زائدة مارأيت قفا رجل إلاعرفت عقله قيل فإن رأيت وجهه قال ذا كتاب يقرأ.بعض الفلاسفة عقل الغريزة مسلم إلى عقل التجربة.بعضهم كل شىء إذاكثر رخص إلاالعقل فإنه إذاكثر غلا.قالوا فى قوله تعالى لِيُنذِرَ مَن كانَ حَيّا أى من كان عاقلا. و من كلامهم العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء.أعرابى لوصور العقل أظلمت معه الشمس و لوصور الحمق لأضاء معه الليل .قيل لحكيم متى عقلت قال حين ولدت فأنكروا ذلك فقال أما أنافقد بكيت حين جعت وطلبت الثدى حين احتجت وسكت حين أعطيت يريد أن من عرف مقادير حاجته فهو عاقل .المأمون إذاأنكرت من عقلك شيئا فاقدحه بعاقل .بزرجمهر العاقل الحازم إذاأشكل عليه الرأى بمنزلة من أضل لؤلؤة فجمع ماحول مسقطها من التراب ثم التمسها حتى وجدها وكذلك العاقل يجمع وجوه -قرآن-۳۵۰-۳۷۳ [صفحه ۴۳] الرأى فى الأمر المشكل ثم يضرب بعضها فى بعض حتى يستخلص الرأى الأصوب

. كـان يقال هجين عاقل خير من هجان جاهل . كان بعضـهم إذااستشـير قال لمشاوره أنظرنى حتى أصـقل عقلى بنومـة. إذانزلت المقـادير نزلت التـدابير من نظر فى المغـاب ظفر بالمحـاب من اسـتدت عزائمه اشـتدت دعـائمه الرأى السديـد أجـدى من الأـيد الشديد.بعضـهم و مـاألف مطرور السـنان مشـدد || يعـارض يوم الروع رأيـا مسـددا . أبوالطيب الرأى قبل شـجاعة الشـجعان || هوأول وهى المحـل الثـانى فإذاهمـا اجتمعـا لنفس حرة || بلغت من العليـاء كـل مكـان ولربمـا طعن الفتى أقرانه || بالرأى قبل تطـاعن الأـقران لو لاـالعقول لكان أدنى ضـيغم || أدنى إلى شـرف من الإنسان و لماتفاضـلت النفوس ودبرت || أيـدى الكماة عوالى المران .ذكر المأمون ولـد على ع فقال خصوا بتدبير الآخرة وحرموا تدبير الدنيا. كان يقال إذا كان الهوى مقهورا تحت يد العقل والعقل مسلط عليه صـرفت مساوئ صاحبه إلى المحاسن فعدت بلادته حلما وحدته ذكاء وحذره بلاغة وعية صمتا وجبنه حذرا وإسرافه جودا. [صفحه ۴۴] وذكر هذاالكلام عندبعضهم فقال هذه خصيصة الحظ نقلها مرتب هذاالكلام إلى العقل .سمع محمـد بن يزداد كاتب المأمون قول الشاعر إذاكنت ذا رأى فكن ذا عزيمة || فإن فساد الرأى أن تترددا .فأضاف إليه و إن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلا || فإن فساد العزم أن يتفندا [صفحه ۴۵]

۴۱۶

وَ قَالَ ع مَن صَارَعَ الحَقّ صَـرَعَهُ هذامثل قوله فى موضع آخر من أبدى صفحته للحق هلك ونحو هذاقول الطائى و من قامر الأيام عن ثمراتها || فأحج بها أن تنجلى ولها القمر [صفحه ۴۶]

۴۱۷

وَ قَالَ ع القَلبُ مُصـحَفُ البَصَرِ هذامثل قول الشاعر تخبرنى العينان ماالقلب كاتم || و ماجن بالبغضاء والنظر الشزر . يقول ع كما أن الإنسان إذانظر فى المصـحف قرأ ما فيه كذلك إذاأبصـر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه ثم يعلم ما فى قلبه من حب وبغض وغيرهما كمايعلم برؤيـة الخط ألـذى فى المصـحف مايدل الخط عليه . و قال الشاعر إن العيون لتبدى فى تقلبها || ما فى الضمائر من ود و من حنق [صفحه ۴۷]

۴۱۸

وَ قَالَ ع التّقَى رَئِيسُ الأَخلَاقِ يعنى رئيس الأخلاق الدينيـة لأن الأخلاق الحميـدة كالجود والشـجاعة والحلم والعفـة و غير ذلك لوقدرنا انتفاء التكاليف العقلية والشـرعية لم يكن التقى رئيسا لها وإنما رئاسة التقى لها مع ثبوت التكليف لاسيما الشرعى والتقى فى الشـرع هوالورع والخوف من الله و إذاحصـل حصـلت الطاعات كلها وانتفت القبائـح كلها فصار الإنسان معصوما وتلك طبقة عالية وهى أشرف من جميع الطبقات التى يمدح بهاالإنسان نحو قولنا جواد أوشجاع أونحوهما لأنها طبقة ينتقل الإنسان منها إلى الجنة ودار الثواب الدائم و هذه مزية عظيمة يفضل بها على سائر طبقات الأخلاق [صفحه ۴۸]

۴۱۹

وَ قَالَ ع لَا تَجعَلَنّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَن أَنطَقَكَ وَ بَلَاغَةَ قَولِكَ عَلَى مَن سَـدّدَكَ يقول لاشـبهة أن الله تعالى هو ألـذى أنطقك

وسـدد لفظك وعلمك البيان كما قال سـبحانه خَلَقَ الإنسانَ عَلّمَهُ البَيانَفقبيـح أن يجعل الإنسان ذرب لسانه وفصاحـة منطقه على من أنطقه وأقـدره على العبادة وقبيـح أن يجعل الإنسان بلاغـة قوله على من سدد قوله وجعله بليغا حسن التعبير على المعانى التى فى نفسه و هـذاكمن ينعم على إنسـان بسـيف فـإنه يقبـح منه أن يقتله بـذلك السـيف ظلمـا قبحا زائـدا على ما لوقتله بغير ذلك السـيف و مـاأحسن قول المتنبى فى سـيف الدولـة -قرآن-٨٨-١٢١ و لماكسـا كعبـا ثيابـا طغوا بهـا || رمى كـل ثوب من سـنان بخارق و مايوجع الحرمان من كف حازم || كمايوجع الحرمان من كف رازق [صفحه ۴۹]

۴۲۰

وَ قَالَ ع كَفَاكَ أَدَباً لِنَفسِكَ اجتِنَابُ مَا تَكرَهُهُ مِن غَيرِكَ قد قال ع هذااللفظ أونحوه مرارا و قدتكلمنا نحن عليه وذكرنا نظائر له كثيرة نثرا ونظمـا. وكتب بعض الكتـاب إلى بعض الملوك فى حال اقتضت ذلك ما على ذا افترقنا بشـبذان إذ كنا || و لاهكـذا عهدنا الإخاء تضرب الناس بالمهندة البيض || على غدرهم وتنسى الوفاء [صفحه ۵۰]

۴۲۱

وَ قَالَ ع يعُزَيّ قَوماً مَن صَبَرَ صَبرَ الأَحرَارِ وَ إِلّا سَـلَا سُـلُوّ الأَغمَارِ وَ فِى خَبَرٍ آخَرَ أَنّهُ ع قَالَ لِلأَشـعَثِ بنِ قَيسٍ مُعَزّياً عَنِ ابنٍ لَهُ إِن صَبَرتَ صَبرَ الأَكَارِمِ وَ إِلّا سَـلَوتَ سُـلُوّ البَهَائِمِ أخـذ هذاالمعنى أبوتمام بل حكاه فقال و قال على فى التعازى لأشـعث || وخاف عليه بعض تلك المآثم أتصبر للبلوى عزاء وحسبة || فتؤجر أم تسلو سلو البهائم [صفحه ۵۱]

۴۲۲

وَ قَالَ ع فِى صِفَةِ الدّنيَا الدّنيَا تَغُرّ وَ تَضُرّ وَ تَمُرّ إِنّ اللّهَ سُبحَانَهُ لَم يَرضَهَا ثَوَاباً لِأَولِيَائِهِ وَ لَا عِقَاباً لِأَعدَائِهِ قدتقدم لنا كلام طويل فى ذم الـدنيا و من الكلام المسـتحسن قوله تغر وتضـر وتمر والكلمة الثانية أحسن وأجمل . و قرأت فى بعض الآثار أن عيسـى ع مر بقرية و إذاأهلها موتى فى الطرق والأفنية فقال للتلامذة إن هؤلاء ماتوا عن سـخطة و لوماتوا عن غير ذلك لتدافنوا فقالوا ياسـيدنا وددنـا أناعلمنـا خبرهم فسأل الله تعالى فقال له إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشـرف على نشـز ثم ناداهم فأجابه مجيب فقال ماحالكم و ماقصـتكم فقال بتنا فى عافية وأصبحنا فى الهاوية قال وكيف ذلك قال لحبنا الدنيا قال كيف كان حبكم لهـا قـال حب الصبى لأمه إذاأقبلت فرح بها و إذاأدبرت حزن عليها وبكى قال فما بال أصـحابك لم يجيبونى قال لأنهم ملجمون بلجم من نـار بأيـدى ملائكـة غلاـظ شـداد قـال فكيف أجبتنى أنت من بينهم قـال لأنى كنت فيهم و لم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب أصابنى معهم فأنا معلق على شـفير جهنم لاأدرى أنجو منها أكبكب فيها فقال المسـيح لتلامذته لأكل خبز الشـعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابـل وسـباخ الأـرض فى حر الصـيف كثير مع العافيـة من عـذاب الآخرة -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٨٩٢[صفحه ۵۲]

۴۲۳

وَ إِنّ أَهلَ الـدّنيَا كَرَكبٍ بَينَا هُم حَلّوا إِذ صَاحَ بِهِم سَائِقُهُم فَارتَحَلُوا روى بيناهم حلول وبينا هى بين نفسـها ووزنها فعلى أشـبعت

فتحة النون فصارت ألفا ثم قالوا بينما فزادوا ما والمعنى واحد تقول بينا نحن نفعل كذا جاء زيد أى بين أوقات فعلنا كذا جاء زيد والجمل قديضاف إليها أسماء الزمان نحو قولهم أتيتك زمن الحجاج أمير ثم حذفوا المضاف ألذى هوأوقات وولى الظرف ألذى هو بين الجملة التى أقيمت مقام المحذوف . و كان الأصمعى يخفض بعدبينا إذاصلح فى موضعه بين وينشد قول أبى ذؤيب بالكسر بينا تعنقه الكماة وروغه || يوما أتيح له جرى سلفع . وغيره يرفع ما بعدبينا وبينما على الابتداء والخبر فأما إذ و إذا فإن أكثر أهل العربية يمنعون من مجيئهما بعدبينا وبينما ومنهم من يجيزه و عليه جاء كلام أمير المؤمنين وأنشدوا بينما الناس على عليائها || إذ هووا فى هوة منها فغاروا . [صفحه ۵۳] وقالت الحرقة بنت النعمان بن المنذر وبينا نسوس الناس والأمر أمرنا || إذانحن فيهم سوقة نتنصف . و قال الشاعر أستقدر الله خيرا وأرضين به || فبينما العسر إذ دارت مياسير وبينما المرء فى الأحياء مغتبط || إذ صار فى اللحد تعفوه الأعاصير . ومما جاء فى وصف الدنيا مما يناسب كلام أمير المؤمنين قول أبى العتاهية إن دارا نحن فيهالدار || ليس فيهالمقيم قرار كم وكم قدحلها من أناس || ذهب الليل بهم والنهار فهم الركب قدأصابوا مناخا || فاسترحوا ساعة ثم ساروا وكذا الدنيا على مارأينا || يذهب الناس وتخلو الديار [صفحه ۵۴]

۴۲۴

وَ قَالَ ع لِابنِهِ الحَسَنِ ع يَا بنُيَّ لَا تُخَلّفَنّ وَرَاءَكَ شَيئاً مِنَ الدّنيَا فَإِنّكَ تَخَلّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَينِ إِمّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ وَ إِمّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعصِيَةِ اللّهِ فشَقَيِ‌َ بِمَا جَمَعتَ لَهُ فَكُنتَ عَوناً لَهُ عَلَى مَعصِيَتِهِ وَ لَيسَ أَحَدُ هَذَينِ حَقِيقاً أَن تُؤثِرَهُ عَلَى نَفسِكَ وَ يُروَى هَذَا الكَلَامُ عَلَى وَجهٍ آخَرَ وَ هُوَ أَمّا بَعدُ فَإِنّ ألّذِي فِي يَدَيكَ مِنَ الدّنيَا قَد كَانَ لَهُ أَهلٌ قَبلَكَ وَ هُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهلٍ بَعدَكَ وَ إِنّمَا أَنتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَينِ رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعتَهُ بِطَاعَةِ اللّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ أَو رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعتَهُ بِمَعصِيَةِ اللّهِ فشَقَيِ‌َ بِمَا جَمَعتَ لَهُ وَ لَيسَ أَحَدُ هَذَينِ أَهلًا أَن تُؤثِرَهُ عَلَى نَفسِكَ أَو تَحمِلَ لَهُ عَلَى ظَهرِكَ فَارجُ لِمَن مَضَى رَحمَةَ اللّهِ وَ لِمَن بقَيِ‌َ رِزقَ اللّهِ تَعَالَى روى فإنك لاتخلفه إلالأحد رجلين و هذاالفصل نهى عن الادخار و قدسبق لنا فيه كلام مقنع . وخلاصة هذاالفصل أنك إن خلفت مالا فإما أن تخلفه لمن يعمل فيه بطاعة الله أولمن يعمل فيه بمعصيته فالأول يسعد بما شقيت به أنت والثانى يكون معانا [صفحه ۵۵] منك على المعصية بما تركته له من المال وكلا الأمرين مذموم وإنما قال له فارج لمن مضى رحمة الله ولمن بقى رزق الله لأنه قال فى أول الكلام قد كان لهذا المال أهل قبلك و هوصائر إلى أهل بعدك . والكلام فى ذم الادخار والجمع كثير وللشعراء فيه مذاهب واسعة ومعان حسنة و قال بعضهم ياجامعا مانعا والدهر يرمقه || مدبرا أى باب عنه يغلقه وناسيا كيف تأتيه منيته || أغاديا أم بهايسرى فتطرقه جمعت مالا فقل لى هل جمعت له || ياجامع المال أياما تفرقه المال عندك مخزون لوارثه || ماالمال مالك إلا يوم تنفقه أرفه ببال فتى يغدو على ثقة || أن ألذى قسم الأرزاق يرزقه فالعرض منه مصون لايدنسه || والوجه منه جديد ليس يخلقه إن القناعة من يحلل بساحتها || لم يلق فى ظلها هما يؤرقه [صفحه ۵۶]

۴۲۵

اشاره

وَ قَالَ ع لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضرَتِهِ أَستَغفِرُ اللّهَ ثَكِلَتكَ أُمّكَ أَ تدَريِ مَا الِاستِغفَارُ إِنّ لِلِاستِغفَارِ دَرَجَةَ العِلّيّينَ وَ هُوَ اسمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتّةِ

مَعَانٍ أَوّلُهَا النّدَمُ عَلَى مَا مَضَى وَ الثّانِي العَزمُ عَلَى تَركِ العَودِ إِلَيهِ أَبَداً وَ الثّالِثُ أَن تؤُدَيّ إِلَى المَخلُوقِينَ حُقُوقَهُم حَتّى تَلقَى اللّهَ عَزّ وَ جَلّ أَملَسَ لَيسَ عَلَيكَ تَبِعَةٌ وَ الرّابِعُ أَن تَعمِدَ إِلَى كُلّ فَرِيضَةٍ عَلَيكَ ضَيّعتَهَا فَتُؤَدّيَ حَقّهَا وَ الخَامِسُ أَن تَعمِدَ إِلَى اللّحمِ الّذِي نَبَتَ عَلَى السّحتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحزَانِ حَتّى تُلصِقَ الجِلدَ بِالعَظمِ وَ يَنشَأَ بَينَهُمَا لَحمٌ جَدِيدٌ السّادِسُ أَن تُذِيقَ الجِسمَ أَلَمَ الطّاعَةِ كَمَا أَذَقتَهُ حَلَاوَةَ المَعصِيَةِ فَعِندَ ذَلِكَ تَقُولُ أَستَغفِرُ اللّهَ قدروى أن الاستغفار درجة العليين -روايت-١-٢-روايت-١٠-٣٨ .فيكون على تقدير حذف مضاف أى أن درجة الاستغفار درجة العليين و على الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف أى أن لصاحب الاستغفار درجة العليين و هوهاهنا جمع على فعيل كضليل وخمير تقول هذا رجل على أى كثير العلو و منه العلية للغرفة على إحدى اللغتين و لايجوز أن يفسر بما فسر به الراوندى من قوله إنه اسم السماء السابعة ونحو قوله هوسدرة المنتهى ونحو قوله هوموضع تحت قائمة العرش اليمنى لأنه لو كان كذلك لكان [صفحه ٥٧] علما فلم تدخله اللام كما لايقال الجهنم وكذلك أيضا لايجوز تفسيره بما فسره الراوندى أيضا قال العليين جمع على الأمكنة فى السماء لأنه لو كان كذلك لم يجمع بالنون لأنها تختص بمن يعقل وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيرا لقوله تعالى كَلّا إِنّ كِتابَ الأَبرارِ لَفِي عِلّيّينَ. قوله نبت على السحت أى على الحرام يقال سحت بالتسكين وسحت بالضم وأسحت الرجل فى تجارته أى اكتسب السحت -قرآن-٢٤٩-٢٩٢

فصل فى الاستغفار والتوبة

وينبغى أن نذكر فى هذاالموضوع كلاما مختصرا مما يقوله أصحابنا فى التوبة فإن كلام أمير المؤمنين هوالأصل ألذى أخذ منه أصحابنا مقالتهم و ألذى يقولونه فى التوبة فقد أتى على جوامعه ع فى هذاالفصل على اختصاره . قال أصحابنا الكلام فى التوبة يقع من وجوه منها الكلام فى ماهية التوبة والكلام فى إسقاطها الذم والعقاب والكلام فى أنه يجب علينا فعلها والكلام فى شرطها أماماهية التوبة فهى الندم والعزم لأن التوبة هى الإنابة والرجوع و ليس يمكن أن يرجع الإنسان عما فعله إلابالندم عليه والعزم على ترك معاودته و مايتوب الإنسان منه إما أن يكون فعلا قبيحا وإما أن يكون إخلالا بواجب فالتوبة من الفعل القبيح هى أن يندم عليه ويعزم ألا يعود إلى مثله وعزمه على ذلك هوكراهيته لفعله والتوبة من الإخلال بالواجب هى أن يندم على إخلاله بالواجب [صفحه ٥٨] ويعزم على أداء الواجب فيما بعدفأما القول فى أن التوبة تسقط العذاب فعندنا أن العقل يقتضى قبح العقاب بعدالتوبة وخالف أكثر المرجئة فى ذلك من الإمامية وغيرهم واحتج أصحابنا بقبح عقوبة المسىء إلينا بعدندمه واعتذاره وتنصله والعلم بصدقه والعلم بأنه عازم على ألا يعود.فأما القول فى وجوب التوبة على العصاة فلاريب أن الشرع يوجب ذلك فأما العقل فالقول فيه أنه لايخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة أويعلم أنها صغيرة أويجوز فيهاكلا الأمرين فإن علم كونها كبيرة وجب عليه فى العقول التوبة منها لأن التوبة مزيلة لضرر الكبيرة وإزالة المضار واجبة فى العقول و إن جوز كونها كبيرة وجوز كونها صغيرة لزمه أيضا فى العقل التوبة منها لأنه يأمن بالتوبة من مضرة مخوفة وفعل مايؤمن من المضار المخوفة واجب و إن علم أن معصيته صغيرة و ذلك كمعاصى الأنبياء وكمن عصى ثم علم بإخبار نبى أن معصيته صغيرة محبطة فقد قال الشيخ أبو على إن التوبة منها واجبة فى العقول لأنه إن لم يتب كان مصرا والإصرار قبيح . و قال الشيخ أبوهاشم لاتجب التوبة منها فى العقل بالشرع لأن فيهامصلحة يعلمها الله تعالى قال إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب و من الإصرار عليه لأن الإصرار عليه هوالعزم على معاودة مثله والتوبة منه أن يكره معاودة مثله مع الندم على مامضى ويجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشىء و من كراهته . ومال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة هاهنا عقلا لدليل غيردليل أبى على رحمه الله . [صفحه ٥٩] فأما القول فى صفات التوبة وشروطها فإنها على ضربين أحدهما يعم كل توبة والآخر يختلف بحسب اختلاف

مايتاب منه فالأول هوالندم والعزم على ترك المعاودة. و أماالضرب الثانى فهو أن مايتوب منه المكلف إما أن يكون فعلا أوإخلالا بواجب فإن كان فعلا قبيحا وجب عندالشيخ أبى هاشم رحمه الله أن يندم عليه لأنه فعل قبيح و أن يكره معاودة مثله لأنه قبيح و إن كان إخلالا بواجب وجب عليه عنده أن يندم عليه لأنه إخلال بواجب و أن يعزم على فعل مثل ماأخل به لأنه واجب فإن ندم خوف النار فقط أوشوقا إلى الجنة فقط أولأن القبيح ألذى فعله يضر ببدنه كانت توبته صحيحة و إن ندم على القبيح لقبحه ولخوف النار و كان لوانفرد قبحه ندم عليه فإن توبته تكون صحيحة و إن كان لوانفرد القبح لم يندم عليه فإنه لاتكون توبته صحيحة عنده والخلاف فيه مع الشيخ أبى على وغيره من الشيوخ رحمهم الله وإنما اختار أبوهاشم هذاالقول لأن التوبة تجرى مجرى الاعتذار بيننا ومعلوم أن الواحد منا لوأساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفا من معاقبته له عليها أو من معاقبة السلطان حتى لوأمن العقوبة لمااعتذر و لاندم بل كان يواصل الإساءة فإنه لايسقط ذمه فكذلك التوبة خوف النار لالقبح الفعل . و قدنقل قاضى القضاة هذاالمذهب عن أمير المؤمنين ع و الحسن البصرى و على بن موسى الرضا والقاسم بن ابراهيم الزينبى. قال أصحابنا وللتوبة شروط أخر تختلف بحسب اختلاف المعاصى و ذلك أن [صفحه ۶۰] مايتوب منه المكلف إما أن يكون فيه لآدمى حق أو لاحق فيه لآدمى فما ليس للآدمى فيه حق فنحو ترك الصلاة فإنه لايجب فيه إلاالندم والعزم على ماقدمنا و مالآدمى فيه حق على ضربين أحدهما أن يكون جناية عليه فى نفسه أوأعضائه أوماله أودينه والآخر ألا يكون جناية عليه فى شىء من ذلك فما كان جناية عليه فى نفسه أوأعضائه أوماله فالواجب فيه الندم والعزم و أن يشرع فى تسليم بدل ماأتلف فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أوغيره عزم على ذلك إذاتمكن منه فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب و إن جنى عليه فى دينه بأن يكون قدأضله بشبهة استزله بهافالواجب عليه مع الندم العزم والاجتهاد فى حل شبهته من نفسه فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذاتمكن فإن مات قبل التمكن أوتمكن منه واجتهد فى حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال فلاعقاب عليه لأنه قداستفرغ جهده فإن كانت المعصية غيرجناية نحو أن يغتابه أويسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم و لايلزمه أن يستحله أويعتذر إليه لأنه ليس يلزمه أرش لمن اغتابه فيستحله ليسقط عنه الأرش و لاغمه فيزيل غمه بالاعتذار و فى ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمه منها إدخال غم عليه فلم يجز ذلك فإن كان قدأسمع المغتاب غيبته فذلك جناية عليه لأنه قدأوصل إليه مضرة الغم فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار [صفحه ۶۱]

۴۲۶

وَ قَالَ ع الحِلمُ عَشِيرَةٌ كان يقال الحلم جنود مجندة لاأرزاق لها. و قال ع وجدت الاحتمال أنصر لى من الرجال -روايت-۱-۲-روايت-۱۱-۴۷ . و قال الشاعر وللكف عن شتم اللئيم تكرما || أضر له من شتمه حين يشتم . و كان يقال من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . و قدتقدم من القول فى الحلم ما فيه كفاية [صفحه ۶۲]

۴۲۷

وَ قَالَ ع مِسكِينٌ ابنُ آدَمَ مَكتُومُ الأَجَلِ مَكنُونُ العِلَلِ مَحفُوظُ العَمَلِ تُؤلِمُهُ البَقّةُ وَ تَقتُلُهُ الشّرقَةُ وَ تُنتِنُهُ العَرَقَةُ قدتقدم هاهنا خبر المبتدإ عليه والتقدير ابن آدم مسكين ثم بين مسكنته من أين هى فقال إنها من ستة أوجه أجله مكتوم لايدرى متى يخترم وعلله باطنة لايدرى بها حتى تهيج عليه وعمله محفوظما لِهذَا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلّا أَحصاها وقرص البقة يؤلمه والشرقة بالماء تقتله و إذاعرق أنتنته العرقة الواحدة وغيرت ريحه فمن هو على هذه الصفات فهو مسكين لامحالة لاينبغى أن يأمن و لا أن

۴۲۸

وَ يُروَى أَنّهُ ع كَانَ جَالِساً فِي أَصحَابِهِ إِذ مَرّت بِهِمُ امرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا القَومُ بِأَبصَارِهِم فَقَالَ ع إِنّ أَبصَارَ هَذِهِ الفُحُولِ طَوَامِحُ وَ إِنّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُم إِلَى امرَأَةٍ تُعجِبُهُ فَليُلَامِس أَهلَهُ فَإِنّمَا هيَ امرَأَةٌ كَامرَأَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الخَوَارِجِ قَاتَلَهُ اللّهُ كَافِراً مَا أَفقَهَهُ قَالَ فَوَثَبَ القَومُ لِيَقتُلُوهُ فَقَالَ ع رُوَيداً إِنّمَا هُوَ سَبّ بِسَبّ أَو عَفوٌ عَن ذَنبٍ تقول هب الفحل والتيس يهب بالكسر هبيبا أوهبابا إذاهاج للضراب أوللفساد والهباب أيضا صوت والتيس إذاهب فهو مهباب و قدهبهبته أى دعوته لينزو فتهبهب أى تزعزع . وسألنى صديقنا على بن البطريق عن هذه القصة فقال ماباله عفا عن الخارجى و قدطعن فيه بالكفر وأنكر على الأشعث قوله هذه عليك لا لك فقال [صفحه ۶۴] مايدريك عليك لعنة الله ما على مما لى حائك ابن حائك منافق ابن كافر و ماواجهه به الخارجى أفظع مما واجهه الأشعث فقلت لاأدرى. قال لأن كل صاحب فضيلة يعظم عليه أن يطعن فى فضيلته تلك ويدعى عليه أنه فيهاناقص و كان على ع بيت العلم فلما طعن فيه الأشعث طعن بأنك لاتدرى ماعليك مما لك فشق ذلك عليه وامتعض منه وجبهه ولعنه و أماالخارجى فلم يطعن فى علمه بل أثبته له واعترف به وتعجب منه فقال قاتله الله كافرا ماأفقهه فاغتفر له لفظة كافر بما اعترف له به من علو طبقته فى الفقه و لم يخشن عليه خشونته على الأشعث و كان قدمرن على سماع قول الخوارج أنت كافر و قدكفرت يعنون التحكيم فلم يحفل بتلك اللفظة ونهى أصحابه عن قتله محافظة ورعاية له على مامدحه به [صفحه ۶۵]

۴۲۹

وَ قَالَ ع كَفَاكَ مِن عَقلِكَ مَا أَوضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيّكَ مِن رُشدِكَ يقول ع كفى الإنسان من عقله مايفرق به بين الغى والرشاد و بين الحق من العقائد والباطل فإنه بذلك يتم تكليفه و لاحاجة فى التكليف والفرق بين الغى والرشد إلى زيادة على ذلك نحو التجارب التى تفيده الحزم التام ومعرفة أحوال الدنيا وأهلها وأيضا لاحاجة له إلى أن يكون عنده من الفطنة الثاقبة والذكاء التام مايستنبط به دقائق الكلام فى الحكمة والهندسة والعلوم الغامضة فإن ذلك كله فضل مستغنى عنه فإن حصل للإنسان فقد كمل و إن لم يحصل للإنسان فقد كفاه فى تكليفه ونجاته من معاطب العصيان مايفرق به بين الغى والرشاد و هوحصول العلوم البديهية فى القلب و ماجرى مجراها من علوم العادات و مايذكره أصحابنا فى باب التكليف [صفحه ۶۶]

۴۳۰

وَ قَالَ ع افعَلُوا الخَيرَ وَ لَا تَحقِرُوا مِنهُ شَيئاً فَإِنّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ وَ قَلِيلَهُ كَثِيرٌ وَ لَا يَقُولَنّ أَحَدُكُم إِنّ أَحَداً أَولَى بِفِعلِ الخَيرِ منِيّ فَيَكُونَ وَ اللّهِ كَذَلِكَ القليل من الخير خير من عدم الخير أصلا. قال ع لايقولن أحدكم إن فلانا أولى بفعل الخير منى فيكون و الله كذلك مثاله قوم موسرون فى محلة واحدة قصد واحدا منهم سائل فرده و قال له اذهب إلى فلان فهو أولى بأن يتصدق عليك منى فإن هذه الكلمة تقال دائما نهى ع عن قولها و قال فيكون و الله كذلك أى إن الله تعالى يوفق ذلك الشخص ألذى أحيل ذلك السائل عليه وييسر الصدقة عليه ويقوى دواعيه إليها فيفعلها فتكون كلمة ذلك الإنسان الأول قدصادفت قدرا وقضاء ووقع الأمر بموجبها [صفحه ۶۷]

۴۳۱

إنّ لِلخَيرِ وَ لِلشّـرّ أَهلًا فَمَهمَـا تَرَكتُمُـوهُ مِنهُمَـا كَفَاكُمُوهُ أَهلُهُ يقول ع إن عن لـك بـاب من أبواب الخير وتركته فسوف يكفيكه بعض النـاس ممن جعله الله تعـالى أهلاـ للخير وإسـداء المعروف إلى النـاس و إن عن لـك بـاب من أبواب الشـر فتركته فسوف يكفيكه بعض النـاس ممن جعلتهم أنفسـهم وسوء اختيـارهم أهلاـ للشـر وأذى النـاس فاختر لنفسك أيما أحب إليك أن تحظى بالمحمـدة والثواب وتفعل ما إن تركته فعله غيرك وحظى بحمـده وثوابه أو أن تتركه وأيما أحب إليك أن تشـقى بالذم عاجلا والعقـاب آجلا وتفعل ما إن تركته كفاكه غيرك وبلغت غرضك منه على يـد غيرك أو أن تفعله و لاريب أن العاقل يختار فعل الخير وترك الشر إذاأفكر حق الفكر فيما قدأوضحناه [صفحه ۶۸]

۴۳۲

وَ قَالَ ع مَن أَصلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصلَحَ اللّهُ عَلَانِيَتَهُ وَ مَن عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللّهُ أَمرَ دُنيَاهُ وَ مَن أَحسَنَ فِيمَا بَينَهُ وَ بَينَ اللّهِ أَحسَنَ اللّهُ مَا بَينَهُ وَ بَينَ النّاسِ لاـريب أن الأعمـال الظـاهرة تبع للأعمـال الباطنـة فمن صـلح بـاطنه صـلح ظاهره وبالعكس و ذلك لأن القلب أميرمسـلط على الجوارح والرعيـة تتبع أميرها و لاريب أن من عمل لـدينه كفاه الله أمر دنياه و قدشـهد بـذلك الكتاب العزيز فى قوله سـبحانه وَ مَن يَتّقِ اللّهَ يَجعَل لَهُ مَخرَجاً وَ يَرزُقهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ. ولهـذا أيضا علـة ظاهرة وذاك أن من عمل لله سـبحانه وللـدين فإنه لايخفى حاله فى أكثر الأمر عن الناس و لاشـبهة أن الناس إذاحسـنت عقيـدتهم فى إنسان وعلموا متانة دينه بوبوا له إلى الـدنيا أبوابـا لايحتـاج أن يتكلفهـا و لاـيتعب فيهافيـأتيه رزقه من غيركلفـة و لاكـد و لاريب أن من أحسن فيما بينه و بين الله أحسن الله مـابينه و بين النـاس و ذلك لأن القلوب بالضـرورة تميل إليه وتحبه و ذلك لأنه إذا كان محسـنا بينه و بين الناس عف عن أموال الناس ودمائهم وأعراضهم وترك الدخول فيما لايعنيه و لاشبهة أن من كان بهذه الصفة فإنه يحسن مابينه و بين الناس ـقرآن-۲۴۵-۳۲۰[صفحه ۶۹]

۴۳۳

وَ قَالَ ع الحِلمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ وَ العَقلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ فَاستُر خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلمِكَ وَ قَاتِل هَوَاكَ بِعَقلِكَ لماجعل الله الحلم غطاء والعقل حساما أمره أن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء و أن يقاتل هواه بذلك الحسام و قدسبق القول فى الحلم والعقل [صفحه ۷۰]

۴۳۴

وَ قَالَ ع إِنّ لِلّهِ عِبَاداً يَختَصّهُم بِالنّعَمِ لِمَنَافِعِ العِبَادِ فَيُقِرّهَا فِي أَيدِيهِم مَا بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنهُم ثُمّ حَوّلَهَا إِلَى غَيرِهِم قدذكرنا هذاالمعنى فيما تقدم و قدقالت الشـعراء فيه فأكثروا وقريب من ذلك قول الشاعر وبالناس عاش الناس قدما و لم يزل || من النـاس مرغوب إليه وراغب . وأشـد تصـريحا بـالمعنى قول الشاعر لم يعطك الله ماأعطاك من نعم || إلالتوسع من يرجوك إحسانا فإن منعت فأخلق أن تصادفها || تطير عنك زرافات ووحدانا [صفحه ۷۱]

۴۳۵

وَ قَالَ ع لَمَا يَنبَغِي لِلعَبدِ أَن يَثِقَ بِخَصلَتَينِ العَافِيَةِ وَ الغِنَى بَينَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذ سَقِمَ وَ بَينَا تَرَاهُ غَنِيّاً إِذِ افتَقَرَ قدتقدم القول فی هذاالمعنی . و قال الشاعر وبینما المرء فی الأحیاء مغتبط || إذ صار فی اللحد تسفیه الأعاصیر . و قال آخر لایغرنک عشاء ساکن || قدیوافی بالمنیات السحر . و قال عبید الله بن طاهر و إذا ماأعارک الدهر شیئا || فهو لابد آخذ ماأعارا .آخر یغر الفتی مر اللیالی سلیمة || وهن به عما قلیل عواثر . و قال آخر ورب غنی عظیم الثراء || أمسی مقلا عدیما فقیرا وکم بات من مترف فی القصور || فعوض فی الصبح عنها القبورا [صفحه ۷۲]

۴۳۶

وَ قَالَ ع مَن شَکَا الحَاجَةَ إِلَی مُؤمِنٍ فَکَأَنّمَا شَکَاهَا إِلَی اللّهِ وَ مَن شَکَاهَا إِلَی کَافِرٍ فَکَأَنّمَا شَکَا اللّهَ قدتقدم القول فی شکوی الحال وکراهیتها وکلام أمیر المؤمنین ع یدل علی أنه لایکره شکوی الحال إلی المؤمن ویکرهها إلی غیرالمؤمن و هذامذهب دینی غیرالمذهب العرفی. وأکثر مذاهبه ومقاصده ع فی کلامه ینحو فیهانحو الدین والورع والإسلام وکأنه یجعل الشکوی إلی المؤمن کالشکوی إلی الخالق سبحانه لأنه لایشکو إلی المؤمن إلا و قدخلت شکواه من التسخط والتأفف و لایشکو إلی الکافر إلا و قدشاب شکواه بالاستزادة والتضجر فافترقت الحال فی الموضعین .فأما المذهب المشهور فی العرف والعادة فاستهجان الشکوی علی الإطلاق لأنها دلیل علی ضعف النفس وخذلانها وقلة الصبر علی حوادث الدهر و ذلک عندهم غیرمحمود [صفحه ۷۳]

۴۳۷

وَ قَالَ ع فِی بَعضِ الأَعیَادِ إِنّمَا هُوَ عِیدٌ لِمَن قَبِلَ اللّهُ صِیَامَهُ وَ شَکَرَ قِیَامَهُ وَ کُلّ یَومٍ لَا نَعصِی اللّهَ فِیهِ فَهُوَ یَومُ عِیدٍ المعنی ظاهر و قدنقله بعض المحدثین إلی الغزل فقال قالوا أتی العید قلت أهلا || إن جاء بالوصل فهو عید من ظفرت بالمنی یداه || فکل أیامه سعود . ورأیت بعض الصوفیة و قدسمع هذین البیتین من مغن حاذق فطرب وصفق وأخذهما لمعنی عنده . و قد قال بعض المحدثین فی هذاالمعنی أیضا قالوا أتی العید والأیام مشرقة || و أنت تبکی و کل الناس مسرور فقلت إن واصل الأحباب کان لنا || عیدا و إلافهذا الیوم عاشور [صفحه ۷۴]

۴۳۸

وَ قَالَ ع إِنّ أَعظَمَ الحَسَرَاتِ یَومَ القِیَامَةِ حَسرَةُ رَجُلٍ کَسَبَ مَالًا فِی غَیرِ طَاعَةِ اللّهِ فَوَرّثَهُ رَجُلًا فَأَنفَقَهُ فِی طَاعَةِ اللّهِ سُبحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الجَنّةَ وَ دَخَلَ الأَوّلُ بِهِ النّارَ کان یقال لعمر بن عبدالعزیز بن مروان السعید ابن الشقی و ذلک أن عبدالعزیز بن مروان ملک ضیاعا کثیرة بمصر والشام والعراق والمدینة من غیرطاعة الله بل بسلطان أخیه عبدالملک وبولایة عبدالعزیز نفسه مصر وغیرها ثم ترکها لابنه عمر فکان ینفقها فی طاعة الله سبحانه و فی وجوه البر والقربات إلی أن أفضت الخلافة إلیه فلما أفضت إلیه أخرج سجلات عبدالملک بهالعبد العزیز فمزقها بمحضر من الناس و قال هذه کتبت من غیرأصل شرعی و قدأعدتها إلی بیت المال [صفحه ۷۵]

۴۳۹

وَ قَالَ ع إِنّ أَخسَرَ النّاسِ صَفقَةً وَ أَخيَبَهُم سَعياً رَجُلٌ أَخلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ آمَالِهِ وَ لَم تُسَاعِدهُ المَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ فَخَرَجَ مِنَ الدّنيَا بِحَسرَتِهِ وَ قَدِمَ عَلَى الآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ هذه صورة أكثر الناس و ذلك لأن أكثرهم يكد بدنه ونفسه فى بلوغ الآمال الدنيوية والقليل منهم من تساعد المقادير على إرادته و إن ساعدته على شيءمنها بقى فى نفسه ما لايبلغه كماقيل نروح ونغدو لحاجاتنا || وحاجة من عاش لاتنقضى تموت مع المرء حاجاته || وتبقى له حاجة مابقى .فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بحسرته ويقدم على الآخرة بتبعته لأن تلك الآمال التى كانت الحركة والسعى فيهاليست متعلقة بأمور الدين والآخرة لاجرم أنها تبعات وعقوبات ونسأل الله عفوه [صفحه ۷۶]

۴۴۰

وَ قَالَ ع الرّزقُ رِزقَانِ طَالِبٌ وَ مَطلُوبٌ فَمَن طَلَبَ الدّنيَا طَلَبَهُ المَوتُ حَتّى يُخرِجَهُ عَنهَا وَ مَن طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتهُ الدّنيَا حَتّى يَستَوفِيَ مِنهَا رِزقَهُ هذاتحريض على طلب الآخرة ووعد لمن طلبها بأنه سيكفى طلب الدنيا و إن الدنيا ستطلبه حتى يستوفى رزقه منها. و قدقيل مثل الدنيا مثل ظلك كلما طلبته بعدعنك فإن أدبرت عنه تبعك [صفحه ۷۷]

۴۴۱

وَ قَالَ ع إِنّ أَولِيَاءَ اللّهِ هُمُ الّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدّنيَا إِذَا نَظَرَ النّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَ اشتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشتَغَلَ النّاسُ بِعَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا مِنهَا مَا خَشُوا أَن يُمِيتَهُم وَ تَرَكُوا مِنهَا مَا عَلِمُوا أَنّهُ سَيَترُكُهُم وَ رَأَوُا استِكثَارَ غَيرِهِم مِنهَا استِقلَالًا وَ دَرَكَهُم لَهَا فَوَاتاً أَعدَاءٌ لِمَا سَالَمَ النّاسُ وَ سَلمٌ لِمَن عَادَى النّاسُ بِهِم عُلِمَ الكِتَابُ وَ بِهِ عُلِمُوا وَ بِهِم قَامَ كِتَابُ اللّهِ تَعَالَى وَ بِهِ قَامُوا لَا يَرَونَ مَرجُوّاً فَوقَ مَا يَرجُونَ وَ لَا مَخُوفاً فَوقَ مَا يَخَافُونَ هذايصلح أن تجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذاهبهم لقوله فوق مايرجون بهم علم الكتاب و به علموا و أمانحن فنجعله شرح حال العلماء العارفين وهم أولياء الله الذين ذكرهم ع لمانظر الناس إلى ظاهر الدنيا وزخرفها من المناكح والملابس والشهوات الحسية نظروا هم إلى باطن الدنيا فاشتغلوا بالعلوم والمعارف والعبادة والزهد فى الملاذ الجسمانية فأماتوا من شهواتهم وقواهم المذمومة كقوة الغضب وقوة الحسد ماخافوا أن يميتهم وتركوا من الدنيا اقتناء الأموال لعلمهم أنها ستتركهم و أنه لايمكن دوام الصحبة معها فكان استكثار الناس من تلك الصفات استقلالا عندهم وبلوغ الناس لها فوتا أيضا عندهم فهم خصم لماسالمه الناس [صفحه ۷۸] من الشهوات وسلم لماعاداه الناس من العلوم والعبادات وبهم علم الكتاب لأنه لولاهم لماعرف تأويل الآيات المتشابهات ولأخذها الناس على ظواهرها فضلوا وبالكتاب علموا لأن الكتاب دل عليهم ونبه الناس على مواضعهم نحو قوله إِنّما يَخشَى اللّهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ. و قوله هَل يَستَوِي الّذِينَ يَعلَمُونَ وَ الّذِينَ لا يَعلَمُونَ. و قوله وَ مَن يُؤتَ الحِكمَةَ فَقَد أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً. ونحو ذلك من الآيات التى تنادى عليهم وتخطب بفضلهم وبهم قام الكتاب لأنهم قرروا البراهين على صدقه وصحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل ع ولولاهم لم يقم على ذلك دلالة للعوام وبالكتاب قاموا أى باتباع أوامر الكتاب وآدابه قاموا لأنه لو لاتأدبهم بآداب القرآن وامتثالهم أوامره لماأغنى عنهم علمهم شيئا بل كان وباله عليهم ثم قال إنهم لايرون مرجوا فوق مايرجون و لامخوفا فوق مايخافون وكيف لايكونون كذلك ومرجوهم مجاورة الله تعالى فى حظائر قدسه وهل فوق هذامرجو لراج ومخوفهم سخط الله عليهم وإبعادهم عن جنابه وهل فوق هذامخوف لخائف -قرآن-۲۳۵-۲۷۸-قرآن-۲۸۸-۳۴۶-قرآن-۳۵۶-۴۰۸ [صفحه ۷۹]

۴۴۲

وَ قَالَ ع اذكُرُوا انقِطَاعَ اللّذّاتِ وَ بَقَاءَ التّبِعَاتِ قدتقدم القول فی نحو هذامرارا و قال الشاعر تفنی اللذاذة ممن نال بغيته || من الحرام ويبقی الإثم والعار تبقی عواقب سوء فی مغبتها || لاخير فی لذة من بعدها النار . وراود رجل امرأة عن نفسها فقالت له إن امرأ يبيع جنة عرضها السموات و الأرض بمقدار إصبعين لجاهل بالمساحة فاستحيا ورجع [صفحه ۸۰]

۴۴۳

وَ قَالَ ع اخبُر تَقلِهِ قال الرضی رحمه الله تعالی و من الناس من يروی هذالرسول الله ص ومما يقوی أنه من كلام أمير المؤمنين ماحكاه ثعلب قال حدثنا ابن الأعرابی قال قال المأمون لو لا أن عليا ع قال اخبر تقله لقلت أنااقله تخبر -روايت-۱-۲۲۲ المعنی اختبر الناس وجربهم تبغضهم فإن التجربة تكشف لک مساويهم وسوء أخلاقهم فضرب مثلا لمن يظن به الخير و ليس هناک فأما قول المأمون لو لا أن عليا قاله لقلت اقله تخبر فليس المراد حقيقة القلی و هوالبغض بل المراد الهجر والقطيعة يقول قاطع أخاک مجربا له هل يبقی علی عهدک أم ينقضه ويحوله عنک . و من كلام عتبة بن أبی سفيان طيروا الدم فی وجوه الشباب فإن حلموا وأحسنوا الجواب فهم هم و إلا فلاتطمعوا فيهم يقول أغضبوهم لأن الغضبان يحمر وجهه فإن ثبتوا لذلک الكلام المغضب وحلموا وأجابوا جواب الحليم العاقل فهم ممن يعقد عليه الخنصر ويرجی فلاحه و إن سفهوا وشتموا و لم يثبتوا لذلک الكلام فلارجاء لفلاحهم و من المعنی الأول قول أبی العلاء [صفحه ۸۱] جربت دهری وأهليه فما تركت || لی التجارب فی ود امرئ غرضا . و قال آخر وكنت أری أن التجارب عدة || فخانت ثقات الناس حتی التجارب . و قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبی طالب رأيت فضيلا كان شيئا ملففا || فأبرزه التمحيص حتی بدا ليا .آخر عتبت علی سلم فلما فقدته || وجربت أقواما رجعت إلی سلم .مثله ذممتک أولا حتی إذا ما || بلوت سواک عاد الذم حمدا و لم أحمدک من خير ولكن || وجدت سواک شرا منک جدا فعدت إليک مضطرا ذليلا || لأنی لم أجد من ذاک بدا كمجهود تحامی أكل ميت || فلما اضطر عاد إليه شدا . ألذی يتعلق به غرضنا من الأبيات هوالبيت الأول وذكرنا سائرها لحسنها [صفحه ۸۲]

۴۴۴

وَ قَالَ ع مَا كَانَ اللّهُ عَزّ وَ جَلّ لِيَفتَحَ عَلَی عَبدٍ بَابَ الشّكرِ وَ يُغلِقَ عَنهُ بَابَ الزّيَادَةِ وَ لَا لِيَفتَحَ عَلَی عَبدٍ بَابَ الدّعَاءِ وَ يُغلِقَ عَنهُ بَابَ الإِجَابَةِ وَ لَا لِيَفتَحَ عَلَيهِ بَابَ التّوبَةِ وَ يُغلِقَ عَنهُ بَابَ المَغفِرَةِ قدتقدم القول فی الشكر واقتضائه الزيادة واقتضاء الدعاء الإجابة والتوبة المغفرة علی وجه الاستقصاء فی الجميع [صفحه ۸۳]

۴۴۵

وَ قَالَ ع أَولَی النّاسِ بِالكَرَمِ مَن عَرّقَت فِيهِ الكِرَامُ أعرقت وعرقت فی هذاالموضع بمعنی أی ضربت عروقه فی الكرم أی له سلف وآباء كرام و قال المبرد أنشدنی أبومحلم السعدی إنا سألنا قومنا فخيارهم || من كان أفضلهم أبوه الأفضل أعطی ألذی أعطی أبوه قبله || وتبخلت أبناء من يتبخل . قال وأنشدنی أيضا فی المعنی لطلحة بن خثيم حين تسأله || أندی وأكرم من فند بن هطال وبيت طلحة فی عز ومكرمة || وبيت فند إلی ربق وأحمال أ لافتی من بنی ذبيان يحملنی || و ليس يحملنی إلا ابن حمال

فقلت طلحة أولى من عمدت له || وجئت أمشـى إليه مشى مختال مستيقنا أن حبلى سوف يعلقه || فى رأس ذيالة أورأس ذيال . [صـفحه ۸۴] و قـال آخر عنـدالملوك مضـرة ومنـافع || وأرى البرامـك لاتضـر وتنفع إن العروق إذااستسـر بهاالثرى || أثرى النبات بها وطاب المزرع و إذاجهلت من امرئ أعراقه || وقديمه فانظر إلى مايصـنع . و قال آخر إن السـرى إذاسرى فبنفسه || و ابن السرى إذاسرى أسراهما . و قال البحترى وأرى النجابة لا يكون تمامها || لنجيب قوم ليس بابن نجيب [صفحه ۸۵]

۴۴۶

وَ سُـئِلَ ع أَيّمَا أَفضَلُ العَـدلُ أَوِ الجُودُ فَقَالَ العَدلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَوَاضِـعَهَا وَ الجُودُ يُخرِجُهَا مِن جِهَتِهَا وَ العَدلُ سَائِسٌ عَامّ وَ الجُودُ عَارِضٌ خَاصّ فَالعَـدلُ أَشـرَفُهُمَا وَ أَفضَـلُهُمَا هـذاكلام شـريف جليل القـدر فضل ع العدل بأمرين أحدهما أن العدل وضع الأمور مواضـعها وهكـذا العدالـة فى الاصـطلاح الحكمى لأنهـا المرتبـة المتوسـطة بين طرفى الإـفراط والتفريط والجود يخرج الأمر من موضـعه والمراد بـالجود هاهنـا هوالجود العرفى و هوبـذل المقتنيـات للغير لاالجود الحقيقى لأن الجود الحقيقى ليس يخرج الأمر من جهته نحو جود البـارئ تعـالى . والوجه الثانى أن العـدل سائس عام فى جميع الأمور الدينيـة والدنيويـة و به نظام العالم وقوام الوجود و أماالجود فأمر عارض خاص ليس عموم نفعه كعموم نفع العدل [صفحه ۸۶]

۴۴۷

وَ قَالَ ع النّاسُ أَعدَاءُ مَا جَهِلُوا هذه من ألفاظه الشريفة التى لانظير لها و قدتقدم ذكرها وذكر ماىناسبها و كان يقال من جهل شيئا عـاداه . و قـال الشاعر جهلت أمرا فأبـديت النكير له || والجاهلون لأهل العلم أعـداء . وقيل لأفلاطون لم يبغض الجاهل العالم و لايبغض العالم الجاهل فقال لأن الجاهل يستشعر النقص فى نفسه ويظن أن العالم يحتقره ويزدريه فيبغضه والعالم لانقص عنده و لايظن أن الجاهل يحتقره فليس عنده سبب لبغض الجاهل [صفحه ۸۷]

۴۴۸

وَ قَالَ ع الزّهـدُ كُلّهُ بَينَ كَلِمَتَينِ مِنَ القُرآنِ قَالَ اللّهُ سُـبحَانَهُلِكَيلا تَأسَوا عَلى ما فاتَكُم وَ لا تَفرَحُوا بِما آتاكُم وَ مَن لَم يَأسَ عَلَى المَاضِي وَ لَم يَفرَح بِالآتِي فَقَد أَخَذَ الزّهدَ بِطَرَفَيهِ -قرآن-۸۲-۱۴۰ قدتقدم القول فى هذين المعنيين بما فيه كفاية [صفحه ۸۸]

۴۴۹

وَ قَالَ ع الوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرّجَالِ أى تعرف الرجال بها كماتعرف الخيل بالمضـمار و هوالموضع أوالمـدة التى تضـمر فيهاالخيل فمن الولاة من يظهر منه أخلاق حميـدة ومنهم من يظهر منه أخلاق ذميمة و قال الشاعر سـكرات خمس إذامنى المرء || بهاصار عرضة للزمان سـكرة المال والحداثة والعشق || وسـكر الشـراب والسـلطان . و قال آخر يا ابن وهب والمرء فى دولة السـلطان || أعمى مادام يدعى أميرا فإذازالت الولاية عنه || واستوى بالرجال عاد بصيرا . و قال البحترى وتاه سعيد أن أعير رئاسة || وقلد أمرا كـان دون رجاله وضاق على حقى بعقب اتساعه || فأوسـعته عـذرا لضـيق احتماله فأدبر عنى عنـدإقبال حظه || و غيرحالى عنده حسن حاله فليت أباعثمان أمسك تيهه || كإمساكه عندالحقوق بماله [صفحه ۸۹]

۴۵۰

وَ قَالَ ع مَا أَنقَضَ النّومَ لِعَزَائِمِ الیَومِ هـذه الکلمـة قدسـبقت وتکلمنا علیها و ماأحسن قول المعری ماقضـی الحاجات إلاشـمل || نومه فوق فراش من نمـال . و قـال الرضـی رحمه الله علیهـا أخـامس مثـل الصـقور || طوال الرجـاء جسام الأرب و کل فتی حظ أجفانه || من النوم مضمضة یستلب فبینا یقال کری جفنه || بقطع من اللیل إذ قیل هب [صفحه ۹۰]

۴۵۱

وَ قَالَ ع لَیسَ بَلَدٌ بِأَحَقّ بِکَ مِن بَلَدٍ خَیرُ البِلَادِ مَا حَمَلَکَ هـذاالمعنی قـدقیل کثیرا و من ذلک قول الشاعر لایصـدفنک عن أمر تحاوله || فراق أهل وأحباب وجیران تلقی بکل دیار ماحللت بها || أهلا بأهل وأوطانا بأوطان . و قال شیخی أبو جعفریحیی بن أبی زید نقیب البصـرة أنسیتنی بلدی وأرض عشیرتی || ونزلت من نعماک أکرم منزل وأخذت فیک مدائحی فکأنها || فی آل شمـاس مدائـح جرول . أبوعبـادة البحتری فی نعمـة أوطأتهـا وأقمت فی || أکنافها فکأننی فی منبـج ومنبـج هی مدینـة البحتری أبوتمـام کـل شـعب کنتم به آل وهب || فهو شـعبی وشـعب کل أدیب [صـفحه ۹۱] إن قلـبی لکم لکالکبـد الحری || وقلبی لغیرکم کالقلوب . و قـدذهب کثیر من الناس إلی غیر هذاالمذهب فجعلوا بعض البلاد أحق بالإنسان من بعض و هوالوطن الأول ومسـقط الرأس قـال الشـاعر أحب بلاد الله ما بین منبـج || إلی وسـلمی أن یصوب سـحابها بلاد بهانیطت علی تمائمی || وأول أرض مس جلـدی ترابهـا . و کـان یقـال میلک إلی مولـدک من کرم محتـدک . و قال ابن عباس لوقنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم لمااشـتکی أحد الرزق . و کان یقال کما أن لحاضـنتک حق لبنها فلأرضک حرمة وطنها. وکانت العرب تقول حماک أحمی لک وأهلک أحفی بک . و قال الشاعر وکنا ألفناها و لم تک مألفا || و قـدیؤلف الشـیء ألذی لیس بالحسن کماتؤلف الأـرض التـی لم یطب بهـا || هـواء و لامـاء ولکنهـا وطن .أعرابی رملـة حضـنتنی أحشاؤهـا وأرضـعتنی أحساؤها.کـانت العرب إذاسافرت حملت معها من تربـة أرضـها ماتسـتنشق ریحه وتطرحه فی الماء إذاشـربته وکذلک کانت فلاسـفة یونان تفعل . و قال الشاعر فی هذاالمعنی نسـیر علی علم بکنه مسیرنا || بعفة زاد فی بطون المزاود [صفحه ۹۲] و لابد فی أسفارنا من قبیصة || من الترب نسـقاها لحب الموالـد . وقالت الهند حرمة بلدک علیک کحرمة أبویک کان غذاؤک منهما و أنت جنین و کان غذاؤهما منک . و من الکلام القـدیم لو لاالوطن وحبه لخرب بلد السوء. ابن الرومی وحبب أوطان الرجال إلیهم || مآرب قضاها الشباب هنالکا إذاذکروا أوطانهم ذکرتهم || عهود الصبا فیهافحنوا لذلکا [صفحه ۹۳]

۴۵۲

وَ قَالَ ع وَ قَد جَاءَهُ نَعیُ الأَشتَرِ رَحِمَهُ اللّهُ مَالِکٌ وَ مَالِکٌ وَ اللّهِ لَو کَانَ جَبَلًا لَکَانَ فِنداً أَو کَانَ حَجَراً لَکَانَ صَلداً لَا یَرتَقِیهِ الحَافِرُ وَ لَا یُوفِی عَلَیهِ الطّائِرُ قـال الرضـی رحمه الله تعـالی الفنـد المنفرد من الجبال –روایت–۱–۵۶ یقـال إن الرضـی ختم کتاب نهج البلاغـة بهـذا الفصل وکتبت به نسخ متعددة ثم زاد علیه إلی أن وفی الزیادات التی نذکرها فیما بعد. و قدتقدم ذکر الأشتر وإنما قال لو کان جبلا لکان فنـدا لأن الفنـد قطعـة الجبل طولا و لیس الفند القطعة من الجبل کیفما کانت ولذلک قال لایرتقیه الحافر لأـن القطعـة المأخوذة من الجبل طولا فی دقـة لاسبیل للحافر إلی صـعودها و لوأخـذت عرضا لأمکن صـعودها. ثم وصف تلک القطعة بالعلو العظیم فقال و لایوفی علیه الطائر أی لایصعد علیه یقال أوفی فلان علی الجبل أشرف [صفحه ۹۴]

۴۵۳

وَ قَالَ ع قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيهِ خَيرٌ مِن كَثِيرٍ مَملُولٍ مِنهُ هذاكلام يخاطب به أهل العبادات والصلاة قال قليل من النوافل يدوم المرء عليه خير له من كثير منها يمله ويتركه . والجيد النادر فى هذا قول رسول الله ص إن هذاالدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لاأرضا قطع و لاظهرا أبقى -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۹۹ . و كان يقال كل كثير مملول . وقالوا كل كثير عدو للطبيعة. و قال الشاعر إنى كثرت عليه فى زيارته || فمل والشيء مملول إذاكثرا ورابنى أنى لاأزال أرى || فى طرفه قصرا عنى إذانظرا [صفحه ۹۵]

۴۵۴

وَ قَالَ ع إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلّةٌ رَائِعَةٌ فَانتَظِرُوا مِنهُ أَخَوَاتِهَا مثال ذلك إنسان مستور الحال عنا رأيناه و قدصدرت عنه حركة تروعك وتعجبك إما لحسنها أولقبحها مثل أن يتصدق بشيء له وقع ومقدار من ماله أوينكر منكرا عجز غيره عن إنكاره أويسرق أويزنى فينبغى أن ينتظر ويترقب منه أخوات ماوقع منه و ذلك لأن العقل والطبيعة التى فيه المحركة له إلى فعل تلك الحركة لابد أن تحركه إلى فعل مايناسبها لأنها مادعته إلى فعل تلك الحركة لخصوصية تلك الحركة بل لما فيها من المعنى المقتضى وقوعها و هذايتعدى إلى غيرها مما يجانسها ولذلك لاترى أحدا قداطلعت من حاله يوما على أنه قدشرب الخمر إلا وسوف تطلع فيما بعد منه على أنه يشربها وبالعكس فى الأمور الحسنة لاترى أحدا قدصدر عنه فعل من أفعال الخير والمروءة إلا وستراه فيما بعدفاعلا نظيره أو مايقاربه . وشتم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتما قبيحا فحلم عنه فقيل له فى ذلك فقال دعوه فإنى قدقتلته بالحلم عنه وسيقتل نفسه بجراءته فلما كان بعدأيام جاء ذلك السفيه فشتم زيادا و هو أميرالبصرة حينئذ وظن أنه كالأحنف فأمر به فقطع لسانه ويده [صفحه ۹۶]

۴۵۵

وَ قَالَ ع لِغَالِبِ بنِ صَعصَعَةَ أَبِي الفَرَزدَقِ فِي كَلَامٍ دَارَ بَينَهُمَا مَا فَعَلَت إِبِلُكَ الكَثِيرَةُ قَالَ ذَعذَعَتهَا الحُقُوقُ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَقَالَ ع ذَلِكَ أَحمَدُ سُبُلِهَا ذعذعتها بالذال المعجمة مكررة فرقتها ذعذعته فتذعذع وذعذعة السر أذاعته والذعاذع الفرق المتفرقة الواحدة ذعذعة وربما قالوا تفرقوا ذعاذع . دخل غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعى على أمير المؤمنين ع أيام خلافته وغالب شيخ كبير ومعه ابنه همام الفرزدق و هوغلام يومئذ فقال له أمير المؤمنين ع من الشيخ قال أناغالب بن صعصعة قال ذو الإبل الكثيرة قال نعم قال مافعلت إبلك قال ذعذعتها الحقوق وأذهبتها الحملات والنوائب قال ذاك أحمدسبلها من هذاالغلام معك قال هذاابنى قال مااسمه قال همام و قدرويته الشعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ويوشك أن يكون شاعرا مجيدا فقال لوأقرأته القرآن فهو خير له -روايت-۱-۴۹۳ فكان الفرزدق بعديروى هذاالحديث و يقول مازالت كلمته فى نفسى حتى قيد نفسه بقيد وآلى ألا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه [صفحه ۹۷]

۴۵۶

وَ قَالَ ع مَنِ اتّجَرَ بِغَيرِ فِقهٍ فَقَدِ ارتَطَمَ فِي الرّبَا يقول تجر فلان واتجر فهو تاجر والجمع تجر مثل صاحب وصحب والتجارة والتجر

بمعنى واحد إذاأخذتهما مصدرين لتجر وأرض متجرة يتجر فيها. وارتطم فلان فى الوحل والأمر إذاارتبك فيه و لم يقدر على الخروج منه وإنما قال ع ذلك لأن مسائل الربا مشتبهة بمسائل البيع و لايفرق بينهما إلاالفقيه حتى أن العظماء من الفقهاء قداشتبه عليهم الأمر فيهافاختلفوا فيهاأشد اختلاف كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا هل يجوز أم لا وكذلك لبن البقر بلبن الغنم وجلود البقر بجلود الغنم فقال أبوحنيفة اللحوم والألبان والجلود أجناس مختلفة فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلا نظرا إلى أن أصولها أجناس مختلفة والشافعى لايجيز ذلك و يقول هوربا وكذلك القول فى مدى عجوة ودرهم بمد عجوة وكذلك بيع الرطب بالتمر متساويا كيلا كل ذلك يقول الشافعى إنه ربا و أبوحنيفة يخرجه عن كونه ربا ومسائل هذاالباب كثيرة [صفحه ٩٨]

۴۵۷

وَ قَالَ ع مَن عَظّمَ صِغَارَ المَصَائِبِ ابتَلَاهُ اللّهُ بِكِبَارِهَا إنما كان كذلك لأنه يشكو الله ويتسخط قضاءه ويجحد النعمة فى التخفيف عنه ويدعى فيما ليس بمجحف به من حوادث الدهر أنه مجحف ويتألم بين الناس لذلك أكثر مما تقتضيه نكبته و من فعل ذلك استوجب السخط من الله تعالى وابتلى بالكثير من النكبة وإنما الواجب على من وقع فى أمر يشق عليه ويتألم منه وينال من نفسه أو من ماله نيلا ما إن يحمد الله تعالى على ذلك و يقول لعله قددفع بهذا عنى ما هوأعظم منه ولئن كان قدذهب من مالى جزء فلقد بقى أجزاء كثيرة. و قال عروة بن الزبير لماوقعت الأكلة فى رجله فقطعها ومات ابنه أللهم إنك أخذت عضوا وتركت أعضاء وأخذت ابنا وتركت أبناء فليهنك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد عافيت [صفحه ٩٩]

۴۵۸

وَ قَالَ ع مَن كَرُمَت عَلَيهِ نَفسُهُ هَانَت عَلَيهِ شَهوَتُهُ قدتقدم مثل هذاالمعنى مرارا و من الكلام المشهور بين العامة قبح الله أمرا تغلب شهوته على نخوته . والجيد النادر فى هذاقول الشاعر فإنك إن أعطيت بطنك سؤله || وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا [صفحه ١٠٠]

۴۵۹

وَ قَالَ ع مَا مَزَحَ امرُؤٌ مَزحَةً إِلّا مَجّ مِن عَقلِهِ مَجّةً قدتقدم القول فى المزاح . و كان يقال خير المزاح لاينال وشره لايستقال . وقيل إنما سمى المزاح مزاحا لأنه أزيح عن الحق [صفحه ١٠١]

۴۶۰

وَ قَالَ ع زُهدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقصَانُ حَظّ وَ رَغبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلّ نَفسٍ أى نقصان حظ لك و ذلك لأنه ليس من حق من رغب فيك أن تزهد فيه لأن الإحسان لايكافأ بالإساءة وللقصد حرمة وللآمل ذمام و من طلب مودتك فقد قصدك وأملك فلايجوز رفضه واطراحه والزهد فيه و إذازهدت فيه فذلك لنقصان حظك لالنقصان حظه فأما رغبتك فى زاهد فيك فمذلة لأنك تطرح نفسك لمن لايعبأ بك و هذاذل وصغار. و قال العباس بن الأحنف فى نسيبه و كان جيد النسيب مازلت أزهد فى مودة راغب || حتى ابتليت برغبة فى زاهد هذا هوالداء ألذى ضاقت به || حيل الطبيب وطال يأس العائد أى مازلت عزيزا حتى

۴۶۱

اشاره

وَ قَالَ ع مَا زَالَ الزّبَیرُ رَجُلًا مِنّا أَهلَ البَیتِ حَتّی نَشَأَ ابنُهُ المَشئُومُ عَبدُ اللّهِ ذکر هذاالکلام أبوعمر بن عبدالبر فی کتاب الإستیعاب عن أمیر المؤمنین ع فی عبد الله بن الزبیر إلا أنه لم یذکر لفظهٔ المشئوم

عبد الله بن الزبیر وذکر طرف من أخباره

ونحن نذکر ماذکره ابن عبدالبر فی ترجمهٔ عبد الله بن الزبیر فإن هذاالمصنف یذکر جمل أحوال الرجل دون تفاصیلها ثم نذکر تفصیل أحواله من مواضع أخری . قال أبوعمر رحمه الله یکنی عبد الله بن الزبیر أبابکر و قال بعضهم أبابکیر ذکر ذلک أبو أحمدالحاکم الحافظ فی کتابه فی الکنی والجمهور من أهل السیر و أهل الأثر علی أن کنیته أبوبکر و له کنیهٔ أخری أبوخبیب بابنه خبیب [صفحه ۱۰۳] و کان أسن ولده وخبیب هوصاحب عمر بن عبدالعزیز ألذی مات من ضربه إذ کان والیا علی المدینهٔ للولید و کان الولید أمره بضربه فمات من أذیهٔ ذلک فوداه عمر بعد. قال أبوعمر وسماه رسول الله ص باسم جده وکناه بکنیهٔ جده عبد الله أبی بکر وهاجرت أمه أسماء من مکهٔ إلی المدینهٔ وهی حامل به فولدته فی سنهٔ اثنتین من الهجرهٔ لعشرین شهرا من التاریخ وقیل ولد فی السنهٔ الأولی و هوأول مولود ولد فی الإسلام من المهاجرین بعدالهجرهٔ. وروی هشام بن عروهٔ عن أسماء قالت حملت بعبد الله بمکهٔ فخرجت و أنامتم فأتیت المدینهٔ فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتیت رسول الله ص فوضعته فی حجره فدعا بتمرهٔ فمضغها ثم تفل فی فیه فکان أول شیءدخل جوفه ریق رسول الله ص ثم حنکه بالتمرهٔ ثم دعا له وبارک علیه و هوأول مولود ولد فی الإسلام للمهاجرین بالمدینهٔ قال ففرحوا به فرحا شدیدا و ذلک أنهم قد کان قیل لهم إن الیهود قدسحرتکم فلایولد لکم . قال أبوعمر وشهد عبد الله الجمل مع أبیه وخالته و کان شهما ذکرا ذا أنفهٔ و کان له لسن وفصاحهٔ و کان أطلس لالحیهٔ له و لاشعر فی وجهه و کان کثیر الصلاهٔ کثیر الصیام شدید البأس کریم الجدات والأمهات والخالات إلا أنه کان فیه خلال لایصلح معها للخلافهٔ فإنه کان بخیلا ضیق العطن سیئ الخلق حسودا کثیر الخلاف أخرج محمد بن الحنفیهٔ من مکهٔ والمدینهٔ ونفی عبد الله بن عباس إلی الطائف . [صفحه ۱۰۴] و قال علی ع فی أمره مازال الزبیر یعد منا أهل البیت حتی نشأ ابنه عبد الله -روایت-۱-۲-روایت-۲۵-۸۳ قال أبوعمر وبویع له بالخلافهٔ سنهٔ أربع وستین فی قول أبی معشر. و قال المدائنی بویع له بالخلافهٔ سنهٔ خمس وستین . و کان قبل ذلک لایدعی باسم الخلافهٔ وکانت بیعته بعدموت معاویهٔ بن یزید بن معاویهٔ علی طاعته أهل الحجاز والیمن والعراق وخراسان وحج بالناس ثمانی حجج وقتل فی أیام عبدالملک بن مروان یوم الثلاثاء لثلاث عشرهٔ بقین من جمادی الأولی وقیل من جمادی الآخرهٔ سنهٔ ثلاث وسبعین و هو ابن اثنتین وسبعین سنهٔ وصلب بمکهٔ بعدقتله و کان الحجاج قدابتدأ بحصاره من أول لیلهٔ من ذی الحجهٔ سنهٔ اثنتین وسبعین وحج الحجاج بالناس فی ذلک العام ووقف بعرفهٔ و علیه درع ومغفر و لم یطوفوا بالبیت فی تلک السنهٔ فحاصره ستهٔ أشهر وسبعهٔ عشر یوما إلی أن قتله . قال أبوعمر فروی هشام بن عروهٔ عن أبیه قال لما کان قبل قتل عبد الله بعشرهٔ أیام دخل علی أمه أسماء بنت أبی بکر وهی شاکیهٔ فقال کیف

تجدینک یاأمه قالت ماأجدنی إلاشاکیة فقال لها إن فی الموت لراحة فقالت لعلک تمنیته لی و ماأحب أن أموت حتی یأتی علی إحدی حالتیک إما قتلت فأحتسبک وإما ظفرت بعدوک فقرت عینی. قال عروة فالتفت عبد الله إلی وضحک فلما کان الیوم ألذی قتل فیه دخل علیها فی المسجد فقالت یابنی لاتقبل منهم خطة تخاف فیها علی نفسک الذل مخافة القتل فو الله لضربة سیف فی عزخیر من ضربة سوط فی مذلة قال فخرج [صفحه ۱۰۵] عبد الله و قدنصب له مصراع عندالکعبة فکان یکون تحته فأتاه رجل من قریش فقال له أ لانفتح لک باب الکعبة فتدخلها فقال و الله لووجدوکم تحت أستار الکعبة لقتلوکم عن آخرکم وهل حرمة البیت إلاکحرمة الحرم ثم أنشد ولست بمبتاع الحیاة بسبة || و لامرتق من خشیة الموت سلما . ثم شد علیه أصحاب الحجاج فسأل عنهم فقیل هؤلاء أهل مصر فقال لأصحابه اکسروا أغماد سیوفکم واحملوا معی فإننی فی الرعیل الأول ففعلوا ثم حمل علیهم وحملوا علیه فکان یضرب بسیفین فلحق رجلا فضربه فقطع یده وانهزموا وجعل یضربهم حتی أخرجهم من باب المسجد وجعل رجل منهم أسود یسبه فقال له اصبر یا ابن حام ثم حمل علیه فصرعه ثم دخل علیه أهل حمص من باب بنی شیبة فسأل عنهم فقیل هؤلاء أهل حمص فشد علیهم وجعل یضربهم بسیفه حتی أخرجهم من المسجد ثم انصرف و هو یقول لو کان قرنی واحدا أردیته || أوردته الموت و قدذکیته . ثم دخل علیه أهل الأردن من باب آخر فقال من هؤلاء قیل أهل الأردن فجعل یضربهم بسیفه حتی أخرجهم من المسجد ثم انصرف و هو یقول لاعهد لی بغارة مثل السیل || لاینجلی قتامها حتی اللیل .فأقبل علیه حجر من ناحیة الصفا فأصابه بین عینیه فنکس رأسه و هو یقول ولسنا علی الأعقاب تدمی کلومنا || ولکن علی أقدامنا تقطر الدما . [صفحه ۱۰۶] أنشده متمثلا وحماه مولیان له فکان أحدهما یرتجز فیقول العبد یحمی ربه ویحتمی . قال ثم اجتمعوا علیه فلم یزالوا یضربونه ویضربهم حتی قتلوه وولییه جمیعا فلما قتل کبر أهل الشام فقال عبد الله بن عمر المکبرون یوم ولد خیر من المکبرین یوم قتل . قال أبوعمر و قال یعلی بن حرملة دخلت مکة بعد ماقتل عبد الله بن الزبیر بثلاثة أیام فإذا هومصلوب فجاءت أمه أسماء وکانت امرأة عجوزا طویلة مکفوفة البصر تقاد فقالت للحجاج أ ماآن لهذا الراکب أن ینزل فقال لها المنافق قالت و الله ما کان منافقا ولکنه کان صواما قواما برا قال انصرفی فإنک عجوز قدخرفت قالت لا و الله ماخرفت و إنی سمعت رسول الله ص یقول یخرج من ثقیف کذاب ومبیر –روایت–۱–۲–روایت–۳۴–۶۱ أماالکذاب فقد رأیناه تعنی المختار و أماالمبیر فأنت . قال أبوعمر وروی سعید بن عامر الخراز عن ابن أبی ملیکة قال کنت الآذن لمن بشر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة فدعت بمرکن وشب یمان فأمرتنی بغسله فکنا لانتناول منه عضوا إلاجاء معنا فکنا نغسل العضو وندعه فی أکفانه ونتناول العضو ألذی یلیه فنغسله ثم نضعه فی أکفانه حتی فرغنا منه ثم قامت فصلت علیه و قدکانت تقول أللهم لاتمتنی حتی تقر عینی بجثته فلما دفنته لم یأت علیها جمعة حتی ماتت . قال أبوعمر و قد کان عروة بن الزبیر رحل إلی عبدالملک فرغب إلیه فی إنزال عبد الله من الخشبة فأسعفه بذلک فأنزل . [صفحه ۱۰۷] قال أبوعمر و قال علی بن مجاهد قتل مع ابن الزبیر مائتان وأربعون رجلا- إن منهم لمن سال دمه فی جوف الکعبة. قال أبوعمر وروی عیسی عن أبی القاسم عن مالک بن أنس قال کان ابن الزبیر أفضل من مروان وأولی بالأمر منه و من أبیه قال و قدروی علی بن المدائنی عن سفیان بن عیینة أن عامر بن عبد الله بن الزبیر مکث بعدقتل أبیه حولا- لایسأل الله لنفسه شیئا إلاالدعاء لأبیه . قال أبوعمر وروی إسماعیل بن علیة عن أبی سفیان بن العلاء عن ابن أبی عتیق قال قالت عائشة إذامر ابن عمر فأرونیه فلما مر قالوا هذا ابن عمر فقالت یا أبا عبدالرحمن مامنعک أن تنهانی عن مسیری قال رأیت رجلا قدغلب علیک ورأیتک لاتخالفینه یعنی عبد الله بن الزبیر فقالت أماإنک لونهیتنی ماخرجت .فأما الزبیر بن بکار فإنه ذکر فی کتاب أنساب قریش من أخبار عبد الله وأحواله جملة طویلة نحن نختصرها ونذکر اللباب منها مع أنه قدأذنب فی ذکر فضائله والثناء علیه و هومعذور فی ذلک فإنه لایلام الرجل علی حب قومه والزبیر بن بکار أحد أولاد عبد الله بن الزبیر فهو أحق بتقریظه وتأبینه . قال الزبیر بن بکار أمه أسماء ذات النطاقین ابنة أبی بکر الصدیق وإنما سمیت ذات

النطاقين لأن رسول الله ص لماتجهز مهاجرا إلى المدينة ومعه أبوبكر لم يكن لسفرتهما شناق فشقت أسماء نطاقها فشنقتها به فقال لها رسول الله -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ١٠٨] ص قدأبدلك الله تعالى بنطاقك هذانطاقين فى الجنة -روايت-از قبل-٥٥ فسميت ذات النطاقين قال و قدروى محمد بن الضحاك عن أبيه أن أهل الشام كانوا وهم يقاتلون عبد الله بمكة يصيحون يا ابن ذات النطاقين يظنونه عيبا فيقول ابنها والإله ثم يقول إني وإياكم لكما قال أبوذؤيب وعيرنى الواشون أنى أحبها || وتلك شكاة ظاهر عنك عارها فإن أعتذر عنها فإني مكذب || و إن تعتذر يردد عليك اعتذارها . ثم يقبل على ابن أبى عتيق و هو عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبى بكر فيقول أ لاتسمع يا ابن أبى عتيق . قال الزبير وزعموا أن عبد الله بن الزبير لماولد أتى به رسول الله ص فنظر فى وجهه و قال أ هو هوليمنعن البيت أوليموتن دونه -روايت-١-٢-روايت-١٤-١٣٥ . و قال العقيلى فى ذلك بر تبين ما قال الرسول له || وذو صلاة بضاحى وجهه علم حمامة من حمام البيت قاطنة || لاتتبع الناس إن جاروا و إن ظلموا قال و قدروى نافع بن ثابت عن محمد بن كعب القرظى أن رسول الله ص دخل على أسماء حين ولد عبد الله فقال أ هو هوفتركت أسماء رضاعه فقيل لرسول الله ص إن أسماء تركت رضاع عبد الله لماسمعت كلمتك فقال لها أرضعيه و لوبماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن الحرم أوليموتن دونه -روايت-١-٢-روايت-٥٧-٣٠٣ . قال وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال كان عبد الله بن الزبير يقول هاجرت بى أمى فى بطنها فما أصابها شيء من نصب أومخمصة إلا و قدأصابنى [صفحه ١٠٩] قال وقالت عائشة يا رسول الله أ لاتكنينى فقال تكنى باسم ابن أختك عبد الله فكانت تكنى أم عبد الله -روايت-١-٢-روايت-٨-١١٢ قال وروى هند بن القاسم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال احتجم رسول الله ص ثم دفع إلى دمه فقال اذهب به فواره حيث لايراه أحد فذهبت به فشربته فلما رجعت قال ماصنعت قلت جعلته فى مكان أظن أنه أخفى مكان عن الناس فقال فلعلك شربته فقلت نعم -روايت-١-٢-روايت-٧٦-٢٧٨ . قال و قال وهب بن كيسان أول من صف رجليه فى الصلاة عبد الله بن الزبير فاقتدى به كثير من العباد و كان مجتهدا. قال وخطب الحجاج بعدقتله زجلة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزارية وهى أم هاشم بن عبد الله بن الزبير فقلعت ثنيتها وردته وقالت ماذا يريد إلى ذلفاء ثكلى حرى وقالت أ بعدعائذ بيت الله تخطبنى || جهلا جهلت وغب الجهل مذموم فاذهب إليك فإنى غيرناكحة || بعد ابن أسماء مااستن الدياميم من يجعل العير مصفرا جحافله || مثل الجواد وفضل الله مقسوم . قال وحدثنى عبدالملك بن عبدالعزيز عن خاله يوسف بن الماجشون قال قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال فليلة هوقائم حتى الصباح وليلة هوراكع حتى الصباح وليلة هوساجد حتى الصباح . قال و حدثناسليمان بن حرب بإسناد ذكره ورفعه إلى مسلم المكى قال ركع عبد الله بن الزبير يوما ركعة فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة و مارفع رأسه . [صفحه ١١٠] قال و قدحدث من لاأحصيه كثرة من أصحابنا أن عبد الله كان يواصل الصوم سبعا يصوم يوم الجمعة فلايفطر إلا يوم الجمعة الآخر ويصوم بالمدينة فلايفطر إلابمكة ويصوم بمكة فلايفطر إلابالمدينة. قال و قال عبدالملك بن عبدالعزيز و كان أول مايفطر عليه إذاأفطر لبن لقحة بسمن بقر قال الزبير وزاد غيره وصبر. قال وحدثنى يعقوب بن محمد بن عيسى بإسناد رفعه إلى عروة بن الزبير قال لم يكن أحد أحب إلى عائشة بعد رسول الله ص و بعد أبى بكر من عبد الله بن الزبير. قال وحدثنى يعقوب بن محمدبإسناد يرفعه إلى عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه قال ما كان أحد أعلم بالمناسك من ابن الزبير. قال وحدثنى مصعب بن عثمان قال أوصت عائشة إلى عبد الله بن الزبير وأوصى إليه حكيم بن حزام و عبد الله بن عامر بن كريز والأسود بن أبى البخترى وشيبة بن عثمان والأسود بن عوف . قال الزبير وحدث عمر بن قيس عن أمه قالت دخلت على عبد الله بن الزبير بيته فإذا هوقائم يصلى فسقطت حية من البيت على ابنه هاشم بن عبد الله فتطوقت على بطنه و هونائم فصاح أهل البيت الحية الحية و لم يزالوا بها حتى قتلوها و عبد الله قائم يصلى ماالتفت و لاعجل ثم فرغ من صلاته بعد ماقتلت الحية فقال مابالكم فقالت أم هاشم إى رحمك الله أرأيت إن كنا هنا عليك أيهون عليك ابنك قال ويحك و ماكانت

التفاتة لوالتفتها مبقية من صلاتى. [صفحه ۱۱۱] قال الزبير و عبد الله أول من كسا الكعبة الديباج و إن كان ليطيبها حتى يجد ريحها من دخل الحرم قال و لم تكن كسوة الكعبة من قبله إلاالمسوح والأنطاع فلما جرد المهدى بن المنصور الكعبة كان فيما نزع عنها كسوة من ديباج مكتوب عليها لعبد الله أبى بكر أمير المؤمنين قال وحدثنى يحيى بن معين بإسناد رفعه إلى هشام بن عروة أن عبد الله بن الزبير أخذ من بين القتلى يوم الجمل و به بضع وأربعون طعنة وضربة قال الزبير واعتلت عائشة مرة فدخل عليها بنو أختها أسماء عبد الله وعروة والمنذر قال عروة فسألناها عن حالها فشكت إلينا نهكة من علتها فعزاها عبد الله عن ذلك فأجابته بنحو قولها فعاد لها بالكلام فعادت له بالجواب فصمت وبكى قال عروة فما رأينا متحاورين من خلق الله أبلغ منهما قال ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه فأبهتت لبكائه فبكت ثم قالت ماأحقنى منك يابنى مأأرى فلم أعلم بعد رسول الله ص و بعدأبوى أحدا أنزل عندى منزلتك قال عروة و ماسمعت عائشة وأمى أسماء تدعون لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله قال و قال موسى بن عقبة أقرأنى عامر بن عبد الله بن الزبير وصية عبد الله بن مسعود إلى الزبير بن العوام و إلى عبد الله بن الزبير من بعده وإنهما فى وصيتى فى حل وبل . قال وروى أبو الحسن المدائنى عن أبى إسحاق التميمى أن معاوية سمع رجلا ينشد ابن رقاش ماجد سميدع || يأبى فيعطى عن يد أويمنع . [صفحه ۱۱۲] فقال ذلك عبد الله بن الزبير و كان عبد الله من جملة النفر الذين أمرهم عثمان بن عفان أن ينسخوا القرآن فى المصاحف . قال و حدثنا محمد بن حسن عن نوفل بن عمارة قال سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش فى الجاهلية فقال الأسود بن المطلب بن أسد وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم فى الإسلام فقال معاوية وابنه وسعيد بن العاص وابنه و عبد الله بن الزبير. قال و حدثنا ابراهيم بن المنذر عن عثمان بن طلحة قال كان عبد الله بن الزبير لاينازع فى ثلاث شجاعة وعبادة وبلاغة. قال الزبير و قال هشام بن عروة رأيت عبد الله أيام حصاره والحجر من المنجنيق يهوى حتى أقول كاد يأخذ بلحيته فقال له أبى أيا ابن أم و الله إن كاد ليأخذ بلحيتك فقال عبد الله دعنى يا ابن أم فو الله ماهى إلاهنة حتى كان الإنسان لم يكن فيقول أبى و هويقبل علينا بوجهه و الله ماأخشى عليك إلا من تلك الهنة. قال الزبير فذكر هشام قال و الله لقد رأيته يرمى بالمنجنيق فلايلتفت و لايرعد صوته وربما مرت الشظية منه قريبا من نحره . و قال الزبير و حدثنا ابن الماجشون عن ابن أبى مليكة عن أبيه قال كنت أطوف بالبيت مع عمر بن عبدالعزيز فلما بلغت الملتزم تخلفت عنده أدعو ثم لحقت عمر فقال لى ماخلفك قال كنت أدعو فى موضع رأيت عبد الله بن الزبير فيه يدعو فقال ماتترك تحنناتك على ابن الزبير أبدا فقلت و الله مارأيت [صفحه ۱۱۳] أحدا أشد جلدا على لحم ولحما على عظم من ابن الزبير و لارأيت أحدا أثبت قائما و لاأحسن مصليا من ابن الزبير ولقد رأيت حجرا من المنجنيق جاءه فأصاب شرفة من المسجد فمرت قذاذة منها بين لحيته وحلقه فلم يزل من مقامه و لاعرفنا ذلك فى صوته فقال عمر لاإله إلا الله لجاد ماوصفت . قال الزبير وسمعت إسماعيل بن يعقوب التيمى يحدث قال قال عمر بن عبدالعزيز لابن أبى مليكة صف لنا عبد الله بن الزبير فإنه ترمرم على أصحابنا فتغشمروا عليه فقال عن أى حاليه تسأل أ عن دينه أم عن دنياه فقال عن كل قال و الله مارأيت جلدا قط ركب على لحم و لالحما على عصب و لاعصبا على عظم مثل جلده على لحمه و لامثل لحمه على عصبه و لامثل عصبه على عظمه و لارأيت نفسا ركبت بين جنبين مثل نفس له ركبت بين جنبين ولقد قام يوما إلى الصلاة فمر به حجر من حجارة المنجنيق بلبنة مطبوخة من شرفات المسجد فمرت بين لحييه وصدره فو الله ماخشع لها بصره و لاقطع لها قراءته و لاركع دون الركوع ألذى كان يركع ولقد كان إذادخل فى الصلاة خرج من كل شىءإليها ولقد كان يركع فى الصلاة فيقع الرخم على ظهره ويسجد فكأنه مطروح . قال الزبير وحدث هشام بن عروة قال سمعت عمى يقول ماأبالى إذاوجدت ثلاثمائة يصبرون صبرى لوأجلب على أهل الأرض . قال الزبير وقسم عبد الله بن الزبير ثلث ماله و هوحى و كان أبوه الزبير قدأوصى أيضا بثلث ماله قال و ابن الزبير أحد الرهط الخمسة الذين وقع اتفاق أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص على إحضارهم والاستشارة بهم فى يوم التحكيم [صفحه ۱۱۴] وهم عبد الله بن

الزبير و عبـد الله بن عمرو و أبوالجهم بن حذيفـة وجبير بن مطعم و عبـدالرحمن بن الحـارث بن هشـام . قال الزبير و عبـد الله هو ألذى صلى بالناس بالبصرة لماظهر طلحة والزبير على عثمان بن حنيف بأمر منهما له قال وأعطت عائشة من بشرها بأن عبد الله لم يقتـل يوم الجمـل عشرة آلاف درهم . قلت ألـذى يغلب على ظنى أن ذلک كان يوم إفريقيـة لأنها يوم الجمل كانت فى شـغل بنفسـها عن عبـد الله وغيره . قال الزبير وحـدثنى على بن صالـح مرفوعا أن رسول الله ص كلم فى صبية ترعرعوا منهم عبد الله بن جعفر و عبـد الله بن الزبير وعمر بن أبى سـلمة فقيـل يا رسول الله لوبايعتهم فتصيبهم بركتک و يكون لهم ذكر فأتى بهم فكأنهم تكعكعـوا حيـن جىء بهـم إليـه واقتحـم ابن الزبير فتبسم رسـول الله ص و قـال إنه ابن أبيه وبـايعهم . قـال وسـئل رأس الجـالوت ماعنـدكم من الفراسـة فى الصبيان فقال ماعنـدنا فيهم شـىءلأنهم يخلقون خلقا من بعـدخلق غير أنانرمقهم فإن سـمعناه منهم من يقـول فى لعبه من يكـون معى رأينـاهـا همـة وخب ء صـدق فيه و إن سـمعناه يقـول مع من أكـون كرهناهـا منه قـال فكـان أول شىءسمع من عبد الله بن الزبير أنه كان ذات يوم يلعب مع الصبيان فمر رجل فصاح عليهم ففروا منه ومشى ابن الزبير القهقرى ثم قـال ياصبيـان اجعلـونى أميركـم وشـدوا بنـا عليه قـال ومر به عمر بن الخطـاب و هو مع الصبيـان ففروا ووقف فقـال لم لم تفر مع أصحابک فقال لم أجرم فأخافک و لم تكن الطريق ضيقة فأوسع عليک . وروى الزبير بن بكار أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح غزا إفريقية فى خلافة [صـفحه ١١٥] عثمان فقتل عبـد الله بن الزبير جرجير أميرجيش الروم فقال ابن أبى سـرح إنى موجه بشـيرا إلى أمير المؤمنين بما فتـح علينا و أنت أولى من هاهنا فانطلق إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر قال عبـد الله فلما قدمت على عثمان أخبرته بفتح الله وصنعه ونصره ووصفت له أمرنا كيف كان فلما فرغت من كلامى قال هل تستطيع أن تؤدى هذا إلى الناس قلت و مـايمنعنى من ذلـک قال فاخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبـد الله فخرجت حتى جئت المنبر فاسـتقبلت الناس فتلقانى وجه أبى فـدخلتنى له هيبـة عرفهـا أبى فى وجهى فقبض قبضـة من حصبـاء وجمـع وجهه فى وجهى وهم أن يحصـبنى فـأحزمت فتكلمت .فزعموا أن الزبير لمـافرغ عبـد الله من كلامـه قـال و الله لكأنى أسـمع كلام أبى بكر الصـديق من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحـدهما. قال الزبير ويلقب عبد الله بعائذ البيت لاستعاذته به . قال وحدثنى عمى مصعب بن عبد الله قال إن ألـذى دعا عبـد الله إلى التعوذ بالبيت شىءسـمعه من أبيه حين سار من مكـة إلى البصـرة فإن الزبير التفت إلى الكعبـة بعد أن ودع ووجه يريـد الركوب فأقبل على ابنه عبـد الله و قال تالله مارأيت مثلها لطالب رغبـة أوخائف رهبـة. وروى الزبير بن بكار قال كان سـبب تعوذ ابن الزبير بالكعبة أنه كان يمشـى بعدعتمة فى بعض شوارع المدينة إذ لقى عبد الله بن سـعد بن أبى سرح متلثما لايبـدو منه إلاعيناه قال فأخذت بيده و قلت ابن أبى سـرح كيف كنت بعدى وكيف تركت أمير المؤمنين يعنى معاوية و قد كان ابن أبى سـرح عنـده بالشام فلم يكلمنى فقلت ما لک أمات أمير المؤمنين فلم يكلمنى فتركته و قـدأثبت معرفته ثم خرجت حتى لقيت الحسـين بن على رضـى الله عنه فأخبرته خبره و قلت سـتأتيک رسل الوليـد و كان الأمير على المدينـة الوليـد بن عتبـة بن [صفحه ١١٦] أبى سـفيان فـانظر مـا أنت صـانع واعلم أن رواحلى فى الـدار معـدة والموعـد بينى وبينـک أن تغفل عنا عيونهم ثم فارقته فلم ألبث أن أتانى رسول الوليد فجئته فوجدت الحسين عنده ووجدت عنده مروان بن الحكم فنعى إلى معاوية فاسترجعت فأقبل على و قال هلم إلى بيعة يزيـد فقـد كتب إلينا يأمرنا أن نأخـذها عليک فقلت إنى قـدعلمت أن فى نفسه على شـيئا لتركى بيعته فى حياة أبيه و إن بايعت له على هذه الحال توهم أنى مكره على البيعة فلم يقع منه ذلک بحيث أريد ولكن أصبح ويجتمع الناس و يكون ذلک علانيـة إن شاء الله فنظر الوليـد إلى مروان فقال مروان هو ألذى قلت لک إن يخرج لم تره فأحببت أن ألقى بينى و بين مروان شـرا نتشاغـل به فقلت له و مـا أنت وذاک يـا ابن الزرقاء فقال لى و قلت له حتى تواثبنا فتناصـيت أنا و هو وقام الوليـد فحجز بيننا فقال مروان أتحجز بيننا بنفسک وتدع أن تأمر أعوانک فقال قدأرى ماتريد ولكن لاأتولى ذلک منه و الله أبدا اذهب يا ابن الزبير حيث شـئت قال فأخذت بيد الحسين وخرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد و أناأقول و لاتحسبنى يامسافر

شحمة || تعجلها من جانب القدر جائع . فلما دخل المسجد افترق هو و الحسين وعمد كل واحد منهما إلى مصلاه يصلى فيه وجعلت الرسل تختلف إليهما يسمع وقع أقدامهم فى الحصباء حتى هدأ عنهما الحس ثم انصرفا إلى منازلهما فأتى ابن الزبير رواحله فقعد عليها وخرج من أدبار داره ووافاه الحسين بن على فخرجا جميعا من ليلتهم وسلكوا طريق الفرع حتى مروا بالجثجاثة و بها جعفر بن الزبير قدازدرعها وغمز عليهم بعير من إبلهم فانتهوا إلى جعفر فلما رآهم قال مات معاوية فقال عبد الله نعم انطلق [صفحه ١١٧] معنا وأعطنا أحد جمليك و كان ينضح على جملين له فقال جعفرمتمثلا إخوتى لاتبعدوا أبدا || وبلى و الله قدبعدوا . فقال عبد الله وتطير منها بفيك التراب فخرجوا جميعا حتى قدموا مكة قال الزبير فأما الحسين ع فإنه خرج من مكة يوم التروية يطلب الكوفة والعراق و قد كان قال لعبد الله بن الزبير قدأتتنى بيعة أربعين ألفا يحلفون لى بالطلاق والعتاق من أهل العراق -روايت-١-١٧٥ فقال أتخرج إلى قوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك قال وبعض الناس يزعم أن عبد الله بن عباس هو ألذى قال للحسين ذلك قال الزبير و قال هشام بن عروة كان أول ماأفصح به عمى عبد الله و هوصغير السيف فكان لايضعه من فيه و كان أبوه الزبير إذاسمع منه ذلك يقول أما و الله ليكونن لك منه يوم و يوم وأيام .فأما خبر مقتل عبد الله بن الزبير فنحن نورده من تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله قال أبو جعفرحصر الحجاج عبد الله بن الزبير ثمانية أشهر فروى إسحاق بن يحيى عن يوسف بن ماهك قال رأيت منجنيق أهل الشام يرمى به فرعدت السماء وبرقت وعلا صوت الرعد على صوت المنجنيق فأعظم أهل الشام ماسمعوه فأمسكوا أيديهم فرفع الحجاج بركة قبائه فغرزها فى منطقته ورفع حجر المنجنيق فوضعه فيه ثم قال ارموا ورمى معهم قال ثم أصبحوا فجاءت [صفحه ١١٨] صاعقة يتبعها أخرى فقتلت من أصحاب الحجاج أثنى عشر رجلا فأنكر أهل الشام فقال الحجاج يا أهل الشام لاتنكروا هذافإنى ابن تهامة هذه صواعق تهامة هذاالفتح قدحضر فأبشروا فإن القوم يصيبهم مثل ماأصابكم فصعقت من الغد فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ماأصاب الحجاج فقال الحجاج أ لاترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة وهم على خلاف الطاعة فلم تزل الحرب بين ابن الزبير والحجاج حتى تفرق عامة أصحاب ابن الزبير عنه وخرج عامة أهل مكة إلى الحجاج فى الأمان . قال وروى إسحاق بن عبيد الله عن المنذر بن الجهم الأسلمى قال رأيت ابن الزبير و قدخذله من معه خذلانا شديدا وجعلوا يخرجون إلى الحجاج خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف وذكر أنه كان ممن فارقه وخرج إلى الحجاج ابناه خبيب وحمزة فأخذا من الحجاج لأنفسهما أمانا. قال أبو جعفرفروى محمد بن عمر عن ابن أبى الزناد عن مخرمة بن سلمان الوالبى قال دخل عبد الله بن الزبير على أمه حين رأى من الناس مارأى من خذلانه فقال ياأمه خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى و لم يبق معى إلااليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ماأردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت يابنى أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق و إليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك و لاتمكن من رقبتك يتلعب بك غلمان بنى أمية و إن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك و إن قلت قدكنت على حق فلما وهن أصحابى وهنت وضعفت فليس هذافعل الأحرار و لا أهل [صفحه ١١٩] الدين وكم خلودك فى الدنيا القتل أحسن فدنا ابن الزبير فقبل رأسها و قال هذا و الله رأيى ألذى قمت به داعيا إلى يومى هذا و ماركنت إلى الدنيا و لاأحببت الحياة فيها و لم يدعنى إلى الخروج إلاالغضب لله أن تستحل محارمه ولكنى أحببت أن أعلم رأيك فزدتنى بصيرة مع بصيرتى فانظرى ياأمه فإنى مقتول من يومى هذا فلايشتد حزنك وسلمى لأمر الله فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر و لاعملا بفاحشة و لم يجر فى حكم و لم يغدر فى أمان و لم يتعمد ظلم مسلم و لامعاهد و لم يبلغنى ظلم عن عمالى فرضيت به بل أنكرته و لم يكن شيءآثر عندى من رضا ربى أللهم إنى لاأقول هذاتزكية منى لنفسى أنت أعلم بى ولكننى أقوله تعزية لأمى لتسلو عنى فقالت أمه إنى لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسنا إن تقدمتنى فلاأخرج من الدنيا حتى أنظر إلى مايصير أمرك فقال جزاك الله ياأمه خيرا فلاتدعى الدعاء لى قبل و بعدقالت لاأدعه أبدا فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق

ثم قالت أللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل و ذلك النحيب والظمأ فى هواجر المدينة ومكة وبره بأبيه وبى أللهم إنى قدسلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت فأثبنى فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين . قال أبو جعفر وروى محمد بن عمر عن موسى بن يعقوب بن عبد الله عن عمه قال دخل ابن الزبير على أمه و عليه الدرع والمغفر فوقف فسلم ثم دنا فتناول يدها فقبلها فقالت هذاوداع فلاتبعد فقال نعم إنى جئت مودعا إنى لأرى أن هذااليوم آخر يوم من الدنيا يمر بى واعلمى ياأمه إنى إن قتلت فإنما أنالحم لايضره ماصنع به فقالت صدقت يابنى أتمم على بصيرتك و لاتمكن ابن [صفحه ١٢٠] أبى عقيل منك وادن منى أودعك فدنا منها فقبلها وعانقها فقالت حيث مست الدرع ما هذاصنيع من يريد ماتريد فقال مالبستها إلالأشد منك فقالت إنها لاتشد منى فنزعها ثم أخرج كميه وشد أسفل قميصه وعمد إلى جبة خز تحت القميص فأدخل أسفلها فى المنطقة فقالت أمه شمر ثيابك فشمرها ثم انصرف و هو يقول إنى إذاأعرف يومى أصبر || إذ بعضهم يعرف ثم ينكر .فسمعت العجوز قوله فقالت تصبر و الله و لم لاتصبر وأبوك أبوبكر والزبير وأمك صفية بنت عبدالمطلب . قال وروى محمد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال شهدته و الله ذلك اليوم ونحن خمسمائة من أهل حمص فدخل من باب المسجد لايدخل منه غيرنا و هويشد علينا ونحن منهزمون و هويرتجز إنى إذاأعرف يومى اصبر || وإنما يعرف يوميه الحر وبعضهم يعرف ثم ينكر .فأقول أنت و الله الحر الشريف فلقد رأيته يقف بالأبطح لايدنو منه أحد حتى ظننا أنه لايقتل . قال وروى مصعب بن ثابت عن نافع مولى بنى أسد قال رأيت الأبواب قدشحنت بأهل الشام وجعلوا على كل باب قائدا ورجالا و أهل بلد فكان لأهل حمص الباب ألذى يواجه باب الكعبة ولأهل دمشق باب بنى شيبة ولأهل الأردن باب الصفا ولأهل فلسطين باب بنى جمح ولأهل قنسرين باب بنى سهم و كان الحجاج وطارق بن عمرو فى ناحية الأبطح إلى المروة فمرة يحمل ابن الزبير [صفحه ١٢١] فى هذه الناحية ولكأنه أسد فى أجمة مايقدم عليه الرجال فيعدو فى أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان يا أباصفوان ويل أمه فتحا لو كان له رجال ثم يقول لو كان قرنى واحدا كفيته .فيقول عبد الله بن صفوان إى و الله وألفا. قال أبو جعفر فلما كان يوم الثلاثاء صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين و قدأخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب بات ابن الزبير تلك الليلة يصلى عامة الليل ثم احتبى بحمائل سيفه فأغفى ثم انتبه بالفجر فقال أذن ياسعد فأذن عندالمقام وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتى الفجر ثم تقدم وأقام المؤذن فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرأ ن والقلم حرفا حرفا ثم سلم ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليها المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم فقال ياآل الزبير لوطبتم لى نفسا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا لم تصبنا مذلة و لم نقر على ضيم أما بعد ياآل الزبير فلايرعكم وقع السيوف فإنى لم أحضر موطنا قط ارتثثت فيه بين القتلى و ماأجد من دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كماتصونون وجوهكم لاأعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل إذاذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل غضوا أبصاركم عن البارقة وليشغل كل امرئ قرنه و لايلهينكم السؤال عنى و لاتقولن أين عبد الله بن الزبير ألا من كان سائلا عنى فإنى فى الرعيل الأول ثم قال [صفحه ١٢٢] أبى لابن سلمى أنه غيرخالد || يلاقى المنايا أى وجه تيمما فلست بمبتاع الحياة بسبة || و لامرتق من خشية الموت سلما . ثم قال احملوا على بركة الله ثم حمل حتى بلغ بهم إلى الحجون فرمى بحجر فأصاب وجهه فأرعش ودمى وجهه فلما وجد سخونة الدم تسيل على وجهه ولحيته قال ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا || ولكن على أقدامنا تقطر الدما . قال وتقاووا عليه وصاحت مولاة له مجنونة وا أميرالمؤمنيناه و قد كان هوى ورأته حين هوى فأشارت لهم إليه فقتل و إن عليه لثياب خز وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وسار هو وطارق بن عمرو فوقفا عليه فقال طارق ماولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين فقال طارق هوأعذر لنا و لو لا هذا ما كان لنا عذر إنا محاصروه و هو فى غيرخندق و لاحصن و لامنعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا فى كل ماالتقينا نحن و هو قال فبلغ كلامهما عبدالملك فصوب

طارقا. قال وبعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت الثلاثة بها ثم حملت إلى عبدالملک . ونحن الآن نذکر بقية أخبار عبد الله بن الزبير ملتقطة من مواضع متفرقة رئى عبد الله بن الزبير فى أيام معاوية واقفا بباب مية مولاة معاوية فقيل له [صفحه ۱۲۳] يا أبابکر مثلک يقف بباب هذه فقال إذاأعيتکم الأمور من رءوسها فخذوها من أذنابها.ذکر معاوية لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه وأراد منه البيعة له فقال ابن الزبير أناأناديک و لاأناجيک إن أخاک من صدقک فانظر قبل أن تقدم وتفکر قبل أن تندم فإن النظر قبل التقدم والتفکر قبل التندم فضحک معاوية و قال تعلمت يا أبابکر الشجاعة عندالکبر. کان عبد الله بن الزبير شديد البخل کان يطعم جنده تمرا ويأمرهم بالحرب فإذافروا من وقع السيوف لامهم و قال لهم أکلتم تمرى وعصيتم أمرى فقال بعضهم أ لم تر عبد الله و الله غالب || على أمره يبغى الخلافة بالتمر . وکسر بعض جنده خمسة أرماح فى صدور أصحاب الحجاج وکلما کسر رمحا أعطاه رمحا فشق عليه ذلک و قال خمسة أرماح لايحتمل بيت مال المسلمين هذا. قال وجاءه أعرابى سائل فرده فقال له لقد أحرقت الرمضاء قدمى فقال بل عليهما يبردان .جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية و عبد الله بن عباس فى سبعة عشر رجلا من بنى هاشم منهم الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ع وحصرهم فى شعب بمکة يعرف بشعب عارم و قال لاتمضى الجمعة حتى تبايعوا إلى أوأضرب أعناقکم أوأحرقکم بالنار ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار فالتزمه [صفحه ۱۲۴] ابن مسور بن مخرمة الزهرى وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة فلما کان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض فاغتسل وتلبس وتحنط لايشک فى القتل و قدبعث المختار بن أبى عبيد من الکوفة أبا عبد الله الجدلى فى أربعة آلاف فلما نزلوا ذات عرق تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مکة صبيحة الجمعة ينادون يا محمد يا محمد و قدشهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم فاستخلصوا محمد بن الحنفية و من کان معه وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادى من کان يرى أن الله عليه حقا فليشم سيفه فلاحاجة لى بأمر الناس إن أعطيتها عفوا قبلتها و إن کرهوا لم نبتزهم أمرهم . و فى شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول کثير بن عبدالرحمن و من ير هذاالشيخ بالخيف من منى || من الناس يعلم أنه غيرظالم سمى النبى المصطفى و ابن عمه || وحمال أثقال وفکاک غارم تخبر من لاقيت أنک عائذ || بل العائذ المحبوس فى سجن عارم . وروى المدائنى قال لماأخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مکة إلى الطائف مر بنعمان فنزل فصلى رکعتين ثم رفع يديه يدعو فقال أللهم إنک تعلم أنه لم يکن بلد أحب إلى من أن أعبدک فيه من البلد الحرام وإننى لاأحب أن تقبض روحى إلا فيه و أن ابن الزبير أخرجنى منه ليکون الأقوى فى سلطانه أللهم فأوهن کيده واجعل دائرة السوء عليه فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها فقالوا مرحبا بابن عم رسول الله ص أنت و الله أحب إلينا وأکرم علينا ممن أخرجک هذه منازلنا تخيرها فانزل منها حيث أحببت فنزل منزلا فکان [صفحه ۱۲۵] يجلس إليه أهل الطائف بعدالفجر و بعدالعصر فيتکلم بينهم کان يحمد الله ويذکر النبى ص والخلفاء بعده و يقول ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم و لاأشباههم و لا من يدانيهم ولکن بقى أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب والنمور ليظن الناس أنهم من الزاهدين فى الدنيا يراءون الناس بأعمالهم ويسخطون الله بسرائرهم فادعوا الله أن يقضى لهذه الأمة بالخير والإحسان فيولى أمرها خيارها وأبرارها ويهلک فجارها وأشرارها ارفعوا أيديکم إلى ربکم وسلوه ذلک فيفعلون فبلغ ذلک ابن الزبير فکتب إليه أما بعدفقد بلغنى أنک تجلس بالطائف العصرين فتفتيهم بالجهل تعيب أهل العقل والعلم و إن حلمى عليک واستدامتى فيئک جرأک على فاکفف لا- أبالغيرک من غربک واربع على ظلعک واعقل إن کان لک معقول وأکرم نفسک فإنک إن تهنها تجدها على الناس أعظم هوانا أ لم تسمع قول الشاعر فنفسک أکرمها فإنک إن تهن || عليک فلن تلقى لها الدهر مکرما . وإنى أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغنى عنک لتجدن جانبى خشنا ولتجدننى إلى مايردعک عنى عجلا فر رأيک فإن أشفى بک شقاؤک على الردى فلا-تلم إلانفسک فکتب إليه ابن عباس أما بعدفقد بلغنى کتابک قلت إنى أفتى الناس

بالجهل وإنما يفتى بالجهل من لم يعرف من العلم شيئا و قدآتانى الله من العلم ما لم يؤتك وذكرت أن حلمك عنى واستدامتك فيئى جرأنى عليك ثم قلت اكفف من غربك واربع على [صفحه ۱۲۶] ظلعك وضربت لى الأمثال أحاديث الضبع متى رأيتنى لعرامك هائبا و من حدك ناكلا و قلت لئن لم تكفف لتجدن جانبى خشنا فلاأبقى الله عليك إن أبقيت و لاأرعى عليك إن أرعيت فو الله أنتهى عن قول الحق وصفة أهل العدل والفضل وذم الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا و السلام .قدم معاوية المدينة راجعا من حجة حجها فكثر الناس عليه فى حوائجهم فقال لصاحب إبله قدم إبلك ليلا حتى أرتحل ففعل ذلك وسار و لم يعلم بأمره إلا عبد الله بن الزبير فإنه ركب فرسه وقفا أثره ومعاوية نائم فى هودجه فجعل يسير إلى جانبه فانتبه معاوية و قدسمع وقع حافر الفرس فقال من صاحب الفرس قال أنا أبوخبيب لو قدقتلتك منذ الليلة يمازحه فقال معاوية كلا لست من قتلة الملوك إنما يصيد كل طائر قدره فقال ابن الزبير إلى تقول هذا و قدوقفت فى الصف بإزاء على بن أبى طالب و هو من تعلم فقال معاوية لاجرم أنه قتلك وأباك بيسرى يديه وبقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها فقال ابن الزبير أما و الله ما كان ذاك إلا فى نصر عثمان فلم نجز به فقال معاوية خل هذاعنك فو الله لو لاشدة بغضك ابن أبى طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع فقال ابن الزبير أفعلتها يامعاوية أماإنا قدأعطيناك عهدا ونحن وافون لك به مادمت حيا ولكن ليعلمن من بعدك فقال معاوية أما و الله ماأخافك إلا على نفسك ولكأنى بك و أنت مشدود مربوط فى الأنشوطة و أنت تقول ليت أبا عبدالرحمن كان حيا وليتنى كنت حيا يومئذ فأحلك حلا رفيقا ولبئس المطلق والمعتق والمسنون عليه أنت يومئذ [صفحه ۱۲۷] دخل عبد الله بن الزبير على معاوية وعنده عمرو بن العاص فتكلم عمرو وأشار إلى ابن الزبير فقال هذا و الله يا أمير المؤمنين الذى غرته أناتك وأبطره حلمك فهو ينزو فى نشطته نزو العير فى حبالته كلما قمصته الغلواء والشرة سكنت الأنشوطة منه النفرة وأحر به أن يئول إلى القلة أوالذلة فقال ابن الزبير أما و الله يا ابن العاص لو لا أن الإيمان ألزمنا بالوفاء والطاعة للخلفاء فنحن لانريد بذلك بدلا و لا عنه حولا لكان لنا و له و لك شأن و لووكله القضاء إلى رأيك ومشورة نظرائك لدافعناه بمنكب لاتئوده المزاحمة ولقاذفناه بحجر لاتنكؤه المراجعة فقال معاوية أما و الله يا ابن الزبير لو لاإيثارى الأناة على العجل والصفح على العقوبة وأنى كما قال الأول أجامل أقواما حياء و قدأرى || قلوبهم تغلى على مراضها . إذالقرنتك إلى سارية من سوارى الحرم تسكن بهاغلواءك وينقطع عندها طمعك وتنقص من أملك مالعلك قدلويته فشزرته وفتلته فأبرمته وايم الله إنك من ذلك لعلى شرف جرف بعيد الهوة فكن على نفسك ولها فما توبق و لاتنفذ غيرها فشأنك وإياها.قطع عبد الله بن الزبير فى الخطبة ذكر رسول الله ص جمعا كثيرة فاستعظم الناس ذلك فقال إنى لاأرغب عن ذكره ولكن له أهيل سوء إذاذكرته أتلعوا أعناقهم فأنا أحب أن أكبتهم . لماكاشف عبد الله بن الزبير بنى هاشم وأظهر بغضهم وعابهم وهم بما هم به فى [صفحه ۱۲۸] أمرهم و لم يذكر رسول الله ص فى خطبة لا يوم الجمعة و لاغيرها عاتبه على ذلك قوم من خاصته وتشاءموا بذلك منه وخافوا عاقبته فقال و الله ماتركت ذلك علانية إلا و أناأقوله سرا وأكثر منه لكنى رأيت بنى هاشم إذاسمعوا ذكره اشرأبوا واحمرت ألوانهم وطالت رقابهم و الله ماكنت لآتى لهم سرورا و أناأقدر عليه و الله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم نارا فإنى لاأقتل منهم إلاآثما كفارا سحارا لاأنماهم الله و لابارك عليهم بيت سوء لاأول لهم و لاآخر و الله ماترك نبى الله فيهم خيرا استفرع نبى الله صدقهم فهم أكذب الناس .فقام إليه محمد بن سعد بن أبى وقاص فقال وفقك الله يا أمير المؤمنين أناأول من أعانك فى أمرهم فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحى فقال و الله ما قلت صوابا و لاهممت برشد أرهط رسول الله ص تعيب وإياهم تقتل والعرب حولك و الله لوقتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ماسوغه الله لك و الله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره فقال اجلس أباصفوان فلست بناموس .فبلغ الخبر عبد الله بن العباس فخرج مغضبا ومعه ابنه حتى أتى المسجد فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ص ثم قال أيها الناس

إن ابن الزبير يزعم أن لاأول لرسول الله ص و لاآخر فيا عجبا كل العجب لافترائه ولكـذبه و الله إن أول من أخذ الإيلاف وحمى عيرات [صفحه ۱۲۹] قريش لهاشم و إن أول من سـقى بمكهٔ عذبا وجعل باب الكعبهٔ ذهبا لعبد المطلب و الله لقد نشأت ناشـئتنا مع ناشـئهٔ قريش و إن كنا لقالتهم إذاقالوا وخطباءهم إذاخطبوا و ماعـد مجد كمجد أولنا و لا كان فی قريش مجد لغيرنا لأنها فی كفر مـاحق ودين فـاسق وضـلهٔ وضـلالهٔ فی عشواء عميـاء حتی اختـار الله تعـالی لها نورا وبعث لها سـراجا فانتجبه طيبا من طيبين لايسـبه بمسبهٔ و لايبغی عليه غائلهٔ فكان أحدنا وولدنا وعمنا و ابن عمنا ثم إن أسبق السابقين إليه منا و ابن عمنا ثم تلاه فی السبق أهلنا ولحمتنا واحدا بعدواحد. ثم إنا لخير الناس بعده وأكرمهم أدبا وأشـرفهم حسـبا وأقربهم منه رحما.وا عجبا كل العجب لابن الزبير يعيب بنی هاشم وإنما شـرف هو وأبوه وجـده بمصاهرتهم أما و الله إنه لمسـلوب قريش ومتی كان العوام بن خويلـد يطمع فی صـفيهٔ بنت عبـدالمطلب قيل للبغل من أبوك يابغل فقال خالی الفرس ثم نزل .خطب ابن الزبير بمكهٔ علی المنبر و ابن عباس جـالس مع النـاس تحت المنبر فقال إن هاهنا رجلا قـدأعمی الله قلبه كماأعمی بصـره يزعم أن متعـهٔ النساء حلال من الله ورسوله ويفتی فی القملـهٔ والنملـهٔ و قـداحتمل بيت مال البصـرهٔ بالأمس وترك المسـلمين بهايرتضـخون النوی وكيف ألومه فی ذلك و قدقاتل أم المؤمنين وحواری رسول الله ص و من وقاه بيده . [صـفحه ۱۳۰] فقال ابن عباس لقائده سـعد بن جبير بن هشام مولی بنی أسد بن خزيمهٔ اسـتقبل بی وجه ابن الزبير وارفع من صدری و كان ابن عباس قدكف بصـره فاستقبل به قائده وجه ابن الزبير وأقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال يا ابن الزبير قدأنصف القارهٔ من راماها || إنا إذا مافئهٔ نلقاها نرد أولاها علی أخراها || حتی تصـير حرضـا دعواهـا . يا ابن الزبير أماالعمی فإن الله تعالی يقول فَإِنّها لا تَعمَی الأَبصارُ وَ لكِن تَعمَی القُلُوبُ التّی فِی الصّـدُورِ و أمافتيـای فی القملـهٔ والنملـهٔ فـإن فيهاحكمين لاتعلمها أنت و لاأصـحابك و أماحملی المال فإنه كان مالا جبيناه فأعطينا كل ذی حق حقه وبقيت بقيـهٔ هی دون حقنـا فی كتـاب الله فأخـذناها بحقنا و أماالمتعـهٔ فسل أمك أسـماء إذانزلت عن بردی عوسـجهٔ و أماقتالنـا أم المؤمنين فبنـا سـميت أم المؤمنين لابك و لاأبيك فانطلق أبوك وخالك إلی حجاب مـده الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذاها فتنهٔ يقاتلان دونها وصانا حلائلهما فی بيوتهما فما أنصـفا الله و لامحمدا من أنفسـهما أن أبرزا زوجهٔ نبيه وصانا حلائلهما و أماقتالنـا إيـاكم فإنـا لقينـا زحفـا فـإن كنا كفارا فقـد كفرتم بفراركم منا و إن كنا مؤمنين فقـد كفرتم بقتالكم إيانا وايم الله لو لامكان صـفيهٔ فيكم ومكان خديجهٔ فينا لماتركت لبنی أسد بن عبدالعزی عظما إلاكسـرته . فلما عاد ابن الزبير إلی أمه سألها عن بردی عوسـجهٔ فقالت أ لم أنهك عن ابن عباس و عن بنی هاشم فإنهم كعم الجواب إذابدهوا فقال بلی وعصيتك . -قرآن-۵۰-۱۲۴ [صفحه ۱۳۱] فقالت يابنی احـذر هـذاالأعمی ألذی ماأطاقته الإنس والجن واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسـرها فإياك وإياه آخر الـدهر فقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسـدی يا ابن الزبير لقد لاقيت بائقهٔ || من البوائق فالطف لطف محتال لاقيته هاشـميا طاب منبته || فی مغرسـيه كريم العم والخال مازال يقرع عنك العظم مقتـدرا || علی الجواب بصوت مسـمع عال حتی رأيتـك مثل الكلب منجحرا || خلف الغبيط وكنت الباذخ العالی إن ابن عباس المعروف حكمته || خير الأنام له حال من الحال عيرته المتعهٔ المتبوع سنتها || وبالقتال و قدعيرت بالمال لمارماك علی رسل بأسهمه || جرت عليك بسيف الحال والبال فـاحتز مقولـك الأـعلی بشـفرته || حزا وحيـا بلا قيل و لا قال واعلم بأنك إن عاودت غيبته || عادت عليك مخاز ذات أذيال . وروی عثمان بن طلحهٔ العبدری قال شـهدت من ابن عباس رحمه الله مشـهدا ماسمعته من رجل من قريش كان يوضع إلی جانب سرير مروان بـن الحكم و هويومئـذ أميرالمدينـهٔ سـرير آخر أصـغر من سـريره فيجلس عليه عبـد الله بن عبـاس إذادخـل وتوضع الوسائد فيما سوی ذلك فأذن مروان يوما للناس و إذاسـرير آخر قدأحدث تجاه سـرير مروان فأقبل ابن عباس فجلس علی سريره وجاء عبد الله بن الزبير فجلس علی السـرير المحدث وسكت مروان والقوم فإذايد ابن الزبير [صفحه ۱۳۲] تتحرك فعلم أنه يريد أن ينطق ثم نطق فقال إن ناسا يزعمون أن بيعـهٔ أبی بكر كانت غلطا وفلتهٔ ومغالبهٔ ألا إن شأن أبی بكر أعظم من أن يقال فيه هذا

ويزعمون أنه لو لا ـ ماوقع لكان الأمر لهم وفيهم و الله ما كان من أصحاب محمدص أحد أثبت إيمانا و لاأعظم سابقة من أبى بكر فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله فأين هم حين عقد أبوبكر لعمر فلم يكن إلاـ ما قال ثم ألقى عمر حظهم فى حظوظ وجدهم فى جدود فقسمت تلك الحظوظ فأخر الله سهمهم وأدحض جدهم وولى الأمر عليهم من كان أحق به منهم فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجا من القرية فأصابوا منه غرة فقتلوه ثم قتلهم الله به قتلة وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب . فقال ابن عباس على رسلك أيها القائل فى أبى بكر وعمر والخلافة أما و الله مانالاـ و لانال أحد منهما شيئا إلا وصاحبنا خير ممن نالاـ و ماأنكرنا تقدم من تقدم لعيب عبناه عليه و لوتقدم صاحبنا لكان أهلا وفوق الأهل و لو لاأنك إنما تذكر حظ غيرك وشرف امرئ سواك لكلمتك ولكن ما أنت و ما لاحظ لك فيه اقتصر على حظك ودع تيما لتيم وعديا لعدى وأمية لأمية و لوكلمنى تيمى أوعدوى أوأموى لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر لاخبر غائب عن غائب ولكن ما أنت و ما ليس عليك فإن يكن فى أسد بن عبدالعزى شيءفهو لك أما و الله لنحن أقرب بك عهدا وأبيض عندك يدا وأوفر عندك نعمة ممن أمسيت تظن أنك تصول به علينا و ماأخلق ثوب صفية بعد و الله المستعان على ماتصفون . [صفحه ۱۳۳] أوصى معاوية يزيد ابنه لماعقد له الخلافة بعده فقال إنى لاأخاف عليك إلاممن أوصيك بحفظ قرابته ورعاية حق رحمه من القلوب إليه مائلة والأهواء نحوه جانحة والأعين إليه طامحة و هو الحسين بن على فاقسم له نصيبا من حلمك واخصصه بقسط وافر من مالك ومتعه بروح الحياة وأبلغ له كل ماأحب فى أيامك فأما من عداه فثلاثة وهم عبد الله بن عمر رجل قدوقذته العبادة فليس يريد الدنيا إلا أن تجيئه طائعة لاتراق فيهامحجمة دم و عبدالرحمن بن أبى بكر رجل هقل لايحمل ثقلا و لايستطيع نهوضا و ليس بذى همة و لاشرف و لاأعوان و عبد الله بن الزبير و هوالذئب الماكر والثعلب الخاتر فوجه إليه جدك وعزمك ونكيرك ومكرك واصرف إليه سطوتك و لاتثق إليه فى حال فإنه كالثعلب راغ بالختل عندالإرهاق والليث صال بالجراءة عندالإطلاق و أما ما بعدهؤلاء فإنى قدوطئت لك الأمم وذللت لك أعناق المنابر وكفيتك من قرب منك و من بعدعنك فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كماكانوا لأبيك .خطب عبد الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال فى خطبته يزيد القرود يزيد الفهود يزيد الخمور يزيد الفجور أما و الله لقد بلغنى أنه لايزال مخمورا يخطب الناس و هوطافح فى سكره فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فما أمسى ليلته حتى جهز جيش الحرة و هوعشرون ألفا وجلس والشموع بين يديه و عليه ثياب معصفرة والجنود تعرض عليه ليلا فلما أصبح خرج فأبصر الجيش ورأى تعبيته فقال أبلغ أبابكر إذاالجيش انبرى || وأخذ القوم على وادى القرى [صفحه ۱۳۴] عشرين ألفا بين كهل وفتى || أجمع سكران من القوم ترى أم جمع ليث دونه ليث الشرى . لماخرج الحسين ع من مكة إلى العراق ضرب عبد الله بن عباس بيده على منكب ابن الزبير و قال يا لك من قبرة بمعمر || خلا لك الجو فبيضى واصفرى ونقرى ماشئت أن تنقرى || هذا الحسين سائر فأبشرى .خلا الجو و الله لك يا ابن الزبير وسار الحسين إلى العراق فقال ابن الزبير يا ابن عباس و الله ماترون هذاالأمر إلالكم و لاترون إلاأنكم أحق به من جميع الناس فقال ابن عباس إنما يرى من كان فى شك ونحن من ذلك على يقين ولكن أخبرنى عن نفسك بما ذا تروم هذاالأمر قال بشرفى قال وبما ذا شرفت إن كان لك شرف فإنما هوبنا فنحن أشرف منك لأن شرفك منا وعلت أصواتهما فقال غلام من آل الزبير دعنا منك يا ابن عباس فو الله لاتحبوننا يابنى هاشم و لانحبكم أبدا فلطمه عبد الله بن الزبير بيده و قال أتتكلم و أناحاضر فقال ابن عباس لم ضربت الغلام و الله أحق بالضرب منه من مزق ومرق قال و من هو قال أنت . قال واعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما. [صفحه ۱۳۵] دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال اسمع أبياتا قلتها عاتبتك فيها قال هات فأنشده لعمرى ماأدرى وإنى لأوجل || على أينا تعدو المنية أول وإنى أخوك الدائم العهد لم أزل || إن أعياك خصم أونبا بك منزل أحارب من حاربت من ذى عداوة || وأحبس يوما إن حبست فأعقل و إن سؤتنى يوما صفحت إلى غد || ليعقب يوم منك آخر مقبل ستقطع فى الدنيا إذا ماقطعتنى ||

يمينك فانظر أى كف تبدل إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته || على طرف الهجران إن كان يعقل ويركب حد السيف من أن تضيمه || إذا لم يكن عن شفرة السيف معدل وكنت إذا ماصاحب مل صحبتى || وبدل شرا بالذى كنت أفعل قلبت له ظهر المجن و لم أقم || على الضيم إلاريثما أتحول و فى الناس إن رثت حبالك واصل || و فى الأرض عن دار القلى متحول إذاانصرفت نفسى عن الشىء لم تكد || إليه بوجه آخر الدهر تقبل . فقال معاوية لقد شعرت بعدى يا أباخبيب وبينما هما فى ذلك دخل معن بن أوس المزنى فقال له معاوية إيه هل أحدثت بعدنا شيئا قال نعم قال قل فأنشد هذه الأبيات فعجب معاوية و قال لابن الزبير أ لم تنشدها لنفسك آنفا فقال أناسويت المعانى و هوألف الألفاظ ونظمها و هو بعدظئرى فما قال من شىءفهو لى و كان ابن الزبير مسترضعا فى مزينة فقال معاوية وكذبا يا أباخبيب فقام عبد الله فخرج . [صفحه ١٣٦] و قال الشعبى فقد رأيت عجبا بفناء الكعبة أنا و عبد الله بن الزبير و عبدالملك بن مروان ومصعب بن الزبير فقام القوم بعد مافرغوا من حديثهم فقالوا ليقم كل واحد منكم فليأخذ بالركن اليمانى ثم يسأل الله تعالى حاجته فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن و قال أللهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة بيتك هذاألا تخرجنى من الدنيا حتى ألى الحجاز ويسلم على بالخلافة وجاء فجلس .فقام أخوه مصعب فالتزم الركن و قال أللهم رب كل شىء وإليك مصير كل شىءأسألك بقدرتك على كل شىءألا تميتنى حتى ألى العراق وأتزوج سكينة بنت الحسين بن على ثم جاء فجلس .فقام عبدالملك فالتزم الركن و قال أللهم رب السموات السبع و الأرض ذات النبت والقفر أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك وأسألك بحق وجهك وبحقك على جميع خلقك ألا تميتنى حتى ألى شرق الأرض وغربها لاينازعنى أحد إلاظهرت عليه ثم جاء فجلس .فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن و قال يارحمان يارحيم أسألك برحمتك التى سبقت غضبك وبقدرتك على جميع خلقك ألا تميتنى حتى توجب لى الرحمة. قال الشعبى فو الله ماخرجت من الدنيا حتى بلغ كل من الثلاثة ماسأل وأخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته و أن يكون من أهل الرحمة. [صفحه ١٣٧] قال الحجاج فى خطبته يوم دخل الكوفة هذاأدب ابن نهية أما و الله لأؤدبنكم غير هذاالأدب . قال ابن ماكولا فى كتاب الإكمال يعنى مصعب بن الزبير و عبد الله أخاه وهى نهية بنت سعيد بن سهم بن هصيص وهى أم ولد أسد بن عبدالعزى بن قصى و هذا من المواضع الغامضة. وروى الزبير بن بكار فى كتاب أنساب قريش قال قدم وفد من العراق على عبد الله بن الزبير فأتوه فى المسجد الحرام فسلموا عليه فسألهم عن مصعب أخيه و عن سيرته فيهم فأثنوا عليه وقالوا خيرا و ذلك فى يوم جمعة فصلى عبد الله بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم تمثل قدجربونى ثم جربونى || من غلوتين و من المئين حتى إذاشابوا وشيبونى || خلوا عنانى ثم سيبونى .أيها الناس إنى قدسألت هذاالوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه وذكروا عنه ماأحب ألا إن مصعبا اطبى القلوب حتى لاتعدل به والأهواء حتى لاتحول عنه واستمال الألسن بثنائها والقلوب بنصائحها والأنفس بمحبتها و هوالمحبوب فى خاصته المأمون فى عامته بما أطلق الله به لسانه من الخير وبسط به يديه من البذل ثم نزل . وروى الزبير قال لماجاء عبد الله بن الزبير نعى المصعب صعد المنبر فقال [صفحه ١٣٨] الحمد لله ألذى له الخلق والأمر يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء إلا وإنه لم يذلل الله من كان الحق معه و لو كان فردا و لم يعزز الله ولى الشيطان وحزبه و إن كان الأنام كلهم معه إلا وإنه قدأتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا أتانا قتل المصعب رحمه الله فأما ألذى أحزننا فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عندالمصيبة ثم يرعوى بعدها ذو الرأى إلى جميل الصبر وكرم العزاء و أما ألذى أفرحنا فإن قتله كان عن شهادة و إن الله تعالى جعل ذلك لنا و له ذخيرة ألا إن أهل العراق أهل الغدر والنفاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن فإن يقتل المصعب فإنا لله وإنا إليه راجعون مانموت جبجا كمايموت بنو العاص مانموت إلاقتلا قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى ألذى لايزول سلطانه و لايبيد فإن تقبل الدنيا على لاآخذها أخذ الأشر البطر و إن تدبر عنى لاأبكى عليها بكاء

الخرف المهتر و إن يهلك المصعب فإن فى آل الزبير لخلفا ثم نزل . وروى الزبير بن بكار قال خطب عبد الله بن الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بإمامى عثمان فعظمت مصيبته ثم أحسن الله وأجمل ولئن أصبت بمصعب فلقد أصبت بأبى الزبير فعظمت مصيبته فظننت أنى لاأجيزها ثم أحسن الله وسلم واستمرت مريرتى وهل كان مصعب إلافتى من فتيانى ثم غلبه البكاء فسالت دموعه و قال كان و الله سريا مريا ثم قال [صفحه ۱۳۹] هم دفعوا الدنيا على حين أعرضت || كراما وسنوا للكرام التأسيا . وروى أبوالعباس فى الكامل أن عروة لماصلب عبد الله جاء إلى عبدالملك فوقف ببابه و قال للحاجب أعلم أمير المؤمنين أن أبا عبد الله بالباب فدخل الحاجب فقال رجل يقول قولا ـ عظيما قال و ما هوفتهيب فقال قل قال رجل يقول قل لأمير المؤمنين أبو عبد الله بالباب فقال عبدالملك قل لعروة يدخل فدخل فقال تأمر بإنزال جيفة أبى بكر فإن النساء يجزعن فأمر بإنزاله قال و قد كان كتب الحجاج إلى عبدالملك يقول إن خزائن عبد الله عندعروة فمره فليسلمها فدفع عبدالملك إلى عروة وظن أنه يتغير فلم يحفل بذلك كأنه ماقرأه فكتب عبدالملك إلى الحجاج ألا يعرض لعروة. و من الكلام المشهور فى بخل عبد الله بن الزبير الكلام ألذى يحكى أن أعرابيا أتاه يستحمله فقال قدنقب خف راحلتى فاحملنى إنى قطعت الهواجر إليك عليها فقال له ارقعها بسبت واخصفها بهلب وأنجد بها وسر بهاالبردين فقال إنما أتيتك مستحملا لم آتك مستوصفا لعن الله ناقة حملتنى إليك قال إن وراكبها. [صفحه ۱۴۰] و هذاالأعرابى هوفضالة بن شريك فهجاه فقال أرى الحاجات عند أبى خبيب || نكدن و لاأمية بالبلاد من الأعياص أو من آل حرب || أغر كغرة الفرس الجواد .دخل عبد الله بن الزبير على معاوية فقال يا أمير المؤمنين لاتدعن مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه ويضرب صفاتهم بمعوله أما و الله إنه لو لامكانك لكان أخف على رقابنا من فراشه وأقل فى أنفسنا من خشاشة وايم الله لئن ملك أعنة خيل تنقاد له لتركبن منه طبقا تخافه . فقال معاوية إن يطلب مروان هذاالأمر فقد طمع فيه من هودونه و إن يتركه يتركه لمن فوقه و ماأراكم بمنتهين حتى يبعث الله عليكم من لايعطف عليكم بقرابة و لايذكركم عندملمة يسومكم خسفا ويسوقكم عسفا. فقال ابن الزبير إذن و الله يطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه راعية ثلة. فقال معاوية أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عنفوان المكرع و ليس للآكل بعدى إلاالفلذة و لاللشارب إلاالرنق . [صفحه ۱۴۱] فسكت ابن الزبير.قدم عبد الله بن الزبير على معاوية وافدا فرحب به وأدناه حتى أجلسه على سريره ثم قال حاجتك أباخبيب فسأله أشياء ثم قال له سل غير ماسألت قال نعم المهاجرون والأنصار ترد عليهم فيئهم وتحفظ وصية نبى الله فيهم تقبل من محسنهم وتتجاوز عن مسيئهم . فقال معاوية هيهات هيهات لا و الله ماتأمن النعجة الذئب و قدأكل أليتها. فقال ابن الزبير مهلا يامعاوية فإن الشاة لتدر للحالب و إن المدية فى يده و إن الرجل الأريب ليصانع ولده ألذى خرج من صلبه و ماتدور الرحى إلابقطبها و لاتصلح القوس إلابمعجسها. فقال يا أباخبيب لقد أجرت الطروقة قبل هباب الفحل هيهات وهى لاتصطك لحبائها اصطكاك القروم السوامى فقال ابن الزبير العطن بعدالعل والعل بعدالنهل و لابد للرحاء من الثفال ثم نهض ابن الزبير. فلما كان العشاء أخذت قريش مجالسها وخرج معاوية على بنى أمية فوجد عمرو [صفحه ۱۴۲] بن العاص فيهم فقال ويحكم يابنى أمية أفيكم من يكفينى ابن الزبير فقال عمرو أناأكفيكه يا أمير المؤمنين قال ماأظنك تفعل قال بلى و الله لأربدن وجهه ولأخرسن لسانه ولأردنه ألين من خميلة. فقال دونك فاعرض له إذادخل فدخل ابن الزبير و كان قدبلغه كلام معاوية وعمرو فجلس نصب عينى عمرو فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو وإنى لنار مايطاق اصطلاؤها || لدى كلام معضل متفاقم .فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت فى الأرض ثم رفع رأسه و قال وإنى لبحر مايسامى عبابه || متى يلق بحرى حر نارك يخمد . فقال عمرو و الله يا ابن الزبير إنك ماعلمت لمتجلبب جلابيب الفتنة متأزر بوصائل التيه تتعاطى الذرى الشاهقة والمعالى الباسقة و ما أنت من قريش فى لباب جوهرها و لامؤنق حسبها. فقال ابن الزبير أما ماذكرت من تعاطى الذرى فإنه طال بى إليها وسما ما لايطول بك مثله أنف حمى وقلب ذكى

وصارم مشرفی فی تلید فارع وطریف مانع إذ قعد بک انتفاخ سحرک ووجیب قلبک و أما ماذکرت من أنی لست من قریش فی لباب جوهرها ومؤنق حسبها فقد حضرتنی وإیاک الأکفاء العالمون بی وبک فاجعلهم بینی وبینک . [صفحه ۱۴۳] فقال القوم قدأنصفک یاعمرو قال قدفعلت . فقال ابن الزبیر أماإذ أمکننی الله منک فلأربدن وجهک ولأخرسن لسانک ولترجعن فی هذه اللیلهٔ و کان ألذی بین منکبیک مشدود إلی عروق أخدعیک ثم قال أقسمت علیکم یامعاشر قریش أناأفضل فی دین الإسلام أم عمرو فقالوا أللهم أنت قال فأبی أفضل أم أبوه قالوا أبوک حواری رسول الله ص و ابن عمته قال فأمی أفضل أم أمه قالوا أمک أسماء بنت أبی بکر الصدیق وذات النطاقین قال فعمتی أفضل أم عمته قالوا عمتک سلمی ابنهٔ العوام صاحبهٔ رسول الله ص أفضل من عمته قال فخالتی أفضل أم خالته قالوا خالتک عائشهٔ أم المؤمنین قال فجدتی أفضل أم جدته فقال جدتک صفیهٔ بنت عبدالمطلب عمهٔ رسول الله ص قال فجدی أفضل أم جده قالوا جدک أبوبکر الخلیفهٔ بعد رسول الله ص فقال قضت الغطارف من قریش بیننا || فاصبر لفصل خصامها وقضائها و إذاجریت فلاتجار مبرزا || بذ الجیاد علی احتفال جرائها . أما و الله یا ابن العاص لو أن ألذی أمرک بهذا واجهنی بمثله لقصرت إلیه من سامی بصره ولترکته یتلجلج لسانه وتضطرم النار فی جوفه ولقد استعان منک بغیر واف ولجأ إلی غیرکاف ثم قام فخرج . وذکر المسعودی فی کتاب مروج الذهب أن الحجاج لماحاصر ابن الزبیر لم یزل یزحف حتی ملک الجبل المعروف بأبی قبیس و قد کان بید ابن الزبیر فکتب [صفحه ۱۴۴] بذلک إلی عبدالملک فلما قرأ کتابه کبر وکبر من کان فی داره حتی اتصل التکبیر بأهل السوق فکبروا وسأل الناس ماالخبر فقیل لهم إن الحجاج حاصر ابن الزبیر بمکهٔ وظفر بأبی قبیس فقال الناس لانرضی حتی یحمل أبوخبیب إلینا مکبلا علی رأسه برنس راکب جمل یطاف به فی الأسواق تراه العیون . وذکر المسعودی أن عمهٔ عبدالملک کانت تحت عروهٔ بن الزبیر و أن عبدالملک کتب إلی الحجاج یأمره بالکف عن عروهٔ و ذلک قبل أن یقتل عبد الله وألا یسوءه إذاظفر بأخیه فی ماله و لا فی نفسه قال فلما اشتد الحصار علی عبد الله خرج عروهٔ إلی الحجاج فأخذ لعبد الله أمانا ورجع إلیه فقال هذاعمرو بن عثمان وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسید وهما فتیا بنی أمیهٔ یعطیانک أمان عبدالملک ابن عمهما علی ماأحدثت أنت و من معک و أن تنزل أی البلاد شئت و لک بذلک عهد الله ومیثاقه فأبی عبد الله قبول ذلک ونهته أمه وقالت لاتموتن إلاکریما فقال لها إنی أخاف إن قتلت أن أصلب أویمثل بی فقالت إن الشاهٔ بعدالذبح لاتحس بالسلخ . وروی المسعودی أن عبد الله بن الزبیر بعدموت یزید بن معاویهٔ طلب من یؤمره علی الکوفهٔ و قد کان أهلها أحبوا أن یلیهم غیربنی أمیهٔ فقال له المختار بن أبی عبید اطلب رجلا له رفق وعلم بما یأتی وتدبر قوله إیاها یستخرج لک منها جندا تغلب به أهل الشام فقال أنت لها فبعثه إلی الکوفهٔ فأتاها وأخرج ابن مطیع منها وابتنی لنفسه دارا وأنفق علیها مالا جلیلا وسأل عبد الله بن الزبیر أن یحتسب له به من مال العراق فلم یفعل فخلعه وجحد بیعته ودعا إلی الطالبیین . [صفحه ۱۴۵] قال المسعودی وأظهر عبد الله بن الزبیر الزهد فی الدنیا وملازمهٔ العبادهٔ مع الحرص علی الخلافهٔ وشبر بطنه فقال إنما بطنی شبر فما عسی أن یسع ذلک الشبر وظهر عنه شح عظیم علی سائر الناس ففی ذلک یقول أبوحمزهٔ مولی آل الزبیر إن الموالی أمست وهی عاتبهٔ || علی الخلیفهٔ تشکوا الجوع والحربا ماذا علینا و ماذا کان یرزؤنا || أی الملوک علی ماحولنا غلبا . و قال فیه أیضا لو کان بطنک شبرا قدشبعت و قد || أفضلت فضلا کثیرا للمساکین مازلت فی سورهٔ الأعراف تدرسها || حتی فؤادی مثل الخز فی اللین . و قال فیه شاعر أیضا لماکانت الحرب بینه و بین الحصین بن نمیر قبل أن یموت یزید بن معاویهٔ فیا راکبا إما عرضت فبلغن || کبیر بنی العوام إن قیل من تعنی تخبر من لاقیت أنک عائذ || وتکثر قتلی بین زمزم والرکن . و قال الضحاک بن فیروز الدیلمی تخبرنا أن سوف تکفیک قبضهٔ || وبطنک شبر أوأقل من الشبر و أنت إذا مانلت شیئا قضمته || کماقضمت نار الغضا حطب السدر فلو کنت تجزی أوتثیب بنعمهٔ || قریبا لردتک العطوف علی عمرو . قال هوعمرو بن الزبیر أخوه ضربه عبد الله حتی مات و کان مباینا له . [صفحه ۱۴۶] کان یزید بن معاویهٔ قدولی الولید بن عتبهٔ

بن أبی سفیان المدینة فسرح الولید منها جیشا إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبیر علیه عمرو بن الزبیر فلما تصاف القوم انهزم رجال عمرو وأسلموه فظفر به عبد الله فأقامه للناس بباب المسجد مجردا و لم یزل یضربه بالسیاط حتى مات . و قدرأیت فی غیر كتاب المسعودی أن عبد الله وجد عمرا عندبعض زوجاته و له فی ذلک خبر لاأحب أن أذكره . قال المسعودی ثم إن عبد الله بن الزبیر حبس الحسن بن محمد بن الحنفیة فی حبس مظلم وأراد قتله فأعمل الحیلة حتى تخلص من السجن وتعسف الطریق على الجبال حتى أتى منى و بهاأبوه محمد بن الحنفیة. ثم إن عبد الله جمع بنی هاشم كلهم فی سجن عارم وأراد أن یحرقهم بالنار وجعل فی فم الشعب حطبا كثیرا فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلی فی أربعة آلاف فقال أبو عبد الله لأصحابه ویحكم إن بلغ ابن الزبیر الخبر عجل على بنی هاشم فأتى علیهم فانتدب هونفسه فی ثمانمائة فارس جریدة فما شعر بهم ابن الزبیر إلا والرایات تخفق بمكة فقصد قصد الشعب فأخرج الهاشمیین منه ونادى بشعار محمد بن الحنفیة وسماه المهدی وهرب ابن الزبیر فلاذ بأستار الكعبة فنهاهم محمد بن الحنفیة عن طلبه [صفحه ۱۴۷] و عن الحرب و قال لاأرید الخلافة إلا إن طلبنی الناس كلهم واتفقوا على كلهم و لاحاجة لی فی الحرب . قال المسعودی و كان عروة بن الزبیر یعذر أخاه عبد الله فی حصر بنی هاشم فی الشعب وجمعه الحطب لیحرقهم و یقول إنما أراد بذلک ألا تنتشر الكلمة و لایختلف المسلمون و أن یدخلوا فی الطاعة فتكون الكلمة واحدة كمافعل عمر بن الخطاب ببنی هاشم لماتأخروا عن بیعة أبی بكر فإنه أحضر الحطب لیحرق علیهم الدار. قال المسعودی وخطب ابن الزبیر یوم قدم أبو عبد الله الجدلی قبل قدومه بساعتین فقال إن هذاالغلام محمد بن الحنفیة قدأبى بیعتی والموعد بینی وبینه أن تغرب الشمس ثم أضرم علیه مكانه نارا فجاء إنسان إلى محمدفأخبره بذلک فقال سیمنعه منی حجاب قوی فجعل ذلک الرجل ینظر إلى الشمس ویرقب غیبوبتها لینظر مایصنع ابن الزبیر فلما كادت تغرب حاست خیل أبی عبد الله الجدلی دیار مكة وجعلت تمعج بین الصفا والمروة وجاء أبو عبد الله الجدلی بنفسه فوقف على فم الشعب واستخرج محمدا ونادى بشعاره واستأذنه فی قتل ابن الزبیر فكره ذلک و لم یأذن فیه وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات . [صفحه ۱۴۸] وروى المسعودی عن سعید بن جبیر أن ابن عباس دخل على ابن الزبیر فقال له ابن الزبیر إلام تؤنبنی وتعنفنی قال ابن عباس إنی سمعت رسول الله ص یقول بئس المرء المسلم یشبع ویجوع جاره -روایت-۱-۲-روایت-۵۰-۸۸ و أنت ذلک الرجل فقال ابن الزبیر و الله إنی لأكتم بغضكم أهل هذاالبیت منذ أربعین سنة وتشاجرا فخرج ابن عباس من مكة خوفا على نفسه فأقام بالطائف حتى مات . وروى أبوالفرج الأصفهانی قال أتى فضالة بن شریک الوالبی ثم الأسدی من بنی أسد بن خزیمة عبد الله بن الزبیر فقال نفدت نفقتی ونقبت ناقتی فقال أحضرنیها فأحضرها فقال أقبل بهاأدبر بهاففعل فقال ارقعها بسبت واخصفها بهلب وأنجد بهایبرد خفها وسر البردین تصح فقال فضالة إنی أتیتک مستحملا و لم آتک مستوصفا فلعن الله ناقة حملتنی إلیک فقال إن وراكبها فقال فضالة أقول لغلمة شدوا ركابی || أجاوز بطن مكة فی سواد فما لی حین أقطع ذات عرق || إلى ابن الكاهلیة من معاد سیبعد بیننا نص المطایا || وتعلیق الأداوى والمزاد و كل معبد قدأعلمته || مناسمهن طلاع النجاد [صفحه ۱۴۹] أرى الحاجات عند أبی خبیب || نكدن و لاأمیة بالبلاد من الأعیاص أو من آل حرب || أغر كغرة الفرس الجواد . قال ابن الكاهلیة هو عبد الله بن الزبیر والكاهلیة هذه هی أم خویلد بن أسد بن عبدالعزى واسمها زهرة بنت عمرو بن خنثر بن روینة بن هلال من بنی كاهل بن أسد بن خزیمة قال فقال عبد الله بن الزبیر لمابلغه الشعر علم أنها شر أمهاتی فعیرنی بها وهی خیر عماته . وروى أبوالفرج قال كانت صفیة بنت أبی عبید بن مسعود الثقفی تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبیر إلیها فذكر لها أن خروجه كان غضبا لله عز و جل ولرسوله ص وللمهاجرین والأنصار من أثرة معاویة وابنه بالفیء وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن یبایعه فلما قدمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبیر وعبادته واجتهاده وأثنت علیه وقالت إنه لیدعو إلى طاعة الله عز و جل وأكثرت القول فی ذلک فقال لها ویحک أ مارأیت البغلات الشهب التی كان یحج معاویة علیها وتقدم إلینا من الشام قالت

بلی قال و الله مایرید ابن الزبیر بعبادته غیرهن [صفحه ۱۵۰]

۴۶۲

اشاره

وَ قَالَ ع مَا لِابنِ آدَمَ وَ الفَخرِ أَوّلُهُ نُطفَةٌ وَ آخِرُهُ جِیفَةٌ لَا یَرزُقُ نَفسَهُ وَ لَا یَدفَعُ حَتفَهُ قدتقدم کلامنا فی الفخر وذکرنا الشعر ألذی أخذ من هذاالکلام و هوقول القائل مابال من أوله نطفهٔ || وجیفهٔ آخره یفخر یصبح مایملک تقدیم ما || یرجو و لاتأخیر مایحذر

فصل فی الفخر و ماقیل فی النهی عنه

و قال بعض الحکماء الفخر هوالمباهاهٔ بالأشیاء الخارجهٔ عن الإنسان و ذلک نهایهٔ الحمق لمن نظر بعین عقله وانحسر عنه قناع جهله فأعراض الدنیا عاریهٔ مستردهٔ لایؤمن فی کل ساعهٔ أن ترتجع والمباهی بهامباه بما فی غیرذاته . و قد قال لبعض من فخر بثروته ووفره إن افتخرت بفرسک فالحسن والفراههٔ له دونک و إن افتخرت بثیابک وآلاتک فالجمال لهما دونک و إن افتخرت بآبائک [صفحه ۱۵۱] وسلفک فالفضل فیهم لافیک و لوتکلمت هذه الأشیاء لقالت لک هذه محاسننا فما محاسنک . وأیضا فإن الأعراض الدنیویهٔ کماقیل سحابهٔ صیف عن قلیل تقشع وظل زائل عن قریب یضمحل کما قال الشاعر إنما الدنیا کرؤیا فرحت || من رآها ساعهٔ ثم انقضت .بل کما قال تعالی إِنّما مَثَلُ الحَیاهِٔ الدّنیا کَماءٍ أَنزَلناهُ مِنَ السّماءِ فَاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ مِمّا یَأکُلُ النّاسُ وَ الأَنعامُ حَتّی إِذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخرُفَها وَ ازّیّنَت وَ ظَنّ أَهلُها أَنّهُم قادِرُونَ عَلَیها أَتاها أَمرُنا لَیلًا أَو نَهاراً فَجَعَلناها حَصِیداً کَأَن لَم تَغنَ بِالأَمسِ. و إذا کان لابد من الفخر فلیفخر الإنسان بعلمه وبشریف خلقه و إذاأعجبک من الدنیا شیءفاذکر فناءک وبقاءه أوبقاءک وفناءه أوفناءکما جمیعا و إذاراقک ما هو لک فانظر إلی قرب خروجه من یدک و بعدرجوعه إلیک وطول حسابک علیه و قدذم الله الفخور فقال وَ اللّهُ لا یُحِبّ کُلّ مُختالٍ فَخُورٍ -قرآن-۲۱-۳۲۱-قرآن-۵۷۷-۶۱۶ [صفحه ۱۵۲]

۴۶۳

الغِنَی وَ الفَقرُ بَعدَ العَرضِ عَلَی اللّهِ تَعَالَی أی لایعد الغنی غنیا فی الحقیقهٔ إلا من حصل له ثواب الآخرهٔ ألذی لاینقطع أبدا و لایعد الفقیر فقیرا إلا من لم یحصل له ذلک فإنه لایزال شقیا معذبا وذاک هوالفقر بالحقیقهٔ.فأما غنی الدنیا وفقرها فأمران عرضیان زوالهما سریع وانقضاؤهما وشیک . وإطلاق هاتین اللفظتین علی مسماهما الدنیوی علی سبیل المجاز عندأرباب الطریقهٔ أعنی العارفین [صفحه ۱۵۳]

۴۶۴

اشاره

وَ سُئِلَ عَن أَشعَرِ الشّعَرَاءِ فَقَالَ ع إِنّ القَومَ لَم يَجرُوا فِي حَلبَةٍ تُعرَفُ الغَايَةُ عِندَ قَصَبَتِهَا فَإِن كَانَ وَ لَا بُدّ فَالمَلِكُ الضّلّيلُ قال يريد إمرأ القيس

فى مجلس على بن أبى طالب

قرأت فى أمالى ابن دريد قال أخبرنا الجرموزى عن ابن المهلبى عن ابن الكلبى عن شداد بن ابراهيم عن عبيد الله بن الحسن العنبرى عن ابن عرادة قال كان على بن أبى طالب ع يعشى الناس فى شهر رمضان باللحم و لايتعشى معهم فإذافرغوا خطبهم ووعظهم فأفاضوا ليلة فى الشعراء وهم على عشائهم فلما فرغوا خطبهم ع و قال فى خطبته اعلموا أن ملاك أمركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم الأدب وحصون أعراضكم الحلم ثم قال قل يا أباالأسود فيم كنتم تفيضون فيه أى الشعراء أشعر فقال يا أمير المؤمنين ألذى يقول -روايت-۱-۲-روايت-۱۵۴-۵۲۴ ولقد أغتدى يدافع ركنى || أعوجى ذو ميعة إضريج [صفحه ۱۵۴] مخلط مزيل معن مفن || منفح مطرح سبوح خروج .يعنى أبادواد الإيادى فقال ع ليس به قالوا فمن يا أمير المؤمنين فقال لورفعت للقوم غاية فجروا إليها معا علمنا من السابق منهم ولكن إن يكن فالذى لم يقل عن رغبة و لارهبة قيل من هو يا أمير المؤمنين قال هوالملك الضليل ذو القروح قيل إمرؤ القيس يا أمير المؤمنين قال هوقيل فأخبرنا عن ليلة القدر قال ماأخلو من أن أكون أعلمها فأستر علمها ولست أشك أن الله إنما يسترها عنكم نظرا لكم لأنه لوأعلمكموها عملتم فيها وتركتم غيرها وأرجو أن لاتخطئكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله . و قال ابن دريد لمافرغ من الخبر إضريج ينبثق فى عدوه وقيل واسع الصدر ومنفح يخرج الصيد من مواضعه ومطرح يطرح ببصره وخروج سابق . والغاية بالغين المعجمة الراية قال الشاعر -روايت-۱-۶۸۳ و إذاغاية مجد رفعت || نهض الصلت إليها فحواها . ويروى قول الشماخ -روايت-۱-۲۳ إذا مارايـة رفعت لمجد || تلقاها غرابة باليمين .بالغين والراء أكثر فأما البيت الأول فبالغين لا غيرأنشده الخليل فى عروضه و فى حديث طويل فى الصحيح فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا والميعة أول جرى الفرس وقيل الجرى بعدالجرى -روايت-۱-۲۱۲ [صفحه ۱۵۵]

اختلاف العلماء فى تفضيل بعض الشعراء على بعض

و أناأذكر فى هذاالموضع مااختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض وأبتدئ فى ذلك بما ذكره أبوالفرج على بن الحسين الأصفهانى فى كتاب الأغانى قال أبوالفرج الثلاثة المقدمون على الشعراء إمرؤ القيس وزهير والنابغة لااختلاف فى أنهم مقدمون على الشعراء كلهم وإنما اختلف فى تقديم بعض الثلاثة على بعض . قال فأخبرنى أبوخليفة عن محمد بن سلام عن أبى قبيس عن عكرمة بن جرير عن أبيه قال شاعر أهل الجاهلية زهير. قال وأخبرنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى قال حدثنى عمر بن شبة عن هارون بن عمر عن أيوب بن سويد عن يحيى بن زياد عن عمر بن عبد الله الليثى قال قال عمر بن الخطاب ليلة فى مسيره إلى الجابية أين عبد الله بن عباس فأتى به فشكا إليه تخلف على بن أبى طالب ع عنه قال ابن عباس فقلت له أ و لم يعتذر إليك قال بلى قلت فهو مااعتذر به قال ثم أنشأ يحدثنى فقال إن أول من راثكم عن هذاالأمر أبوبكر إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة قال أبوالفرج ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذاالباب فكرهت ذكرها ثم قال يا ابن عباس هل تروى لشاعر الشعراء قلت و من هو قال ويحك شاعر الشعراء ألذى يقول فلو أن حمدا يخلد الناس خلدوا || ولكن حمد الناس ليس بمخلد . [صفحه ۱۵۶] فقلت ذاك زهير فقال ذاك شاعر الشعراء قلت وبم كان شاعر الشعراء قال إنه كان لايعاظل الكلام ويتجنب

وحشيه و لايمدح أحدا إلابما فيه . قال أبوالفرج وأخبرنى أبوخليفة قال ابن سلام وأخبرنى عمر بن موسى الجمحى عن أخيه قدامة بن موسى و كان من أهل العلم أنه كان يقدم زهيرا قال فقلت له أى شعره كان أعجب إليه فقال ألذى يقول فيه قدجعل المبتغون الخير فى هرم || والسائلون إلى أبوابه طرقا . قال ابن سلام وأخبرنى أبوقيس العنبرى و لم أر بدويا يفى به عن عكرمة بن جرير قال قلت لأبى ياأبت من أشعر الناس قال أ عن أهل الجاهلية تسألنى أم عن أهل الإسلام قال قلت ماأردت إلاالإسلام فإذاكنت قدذكرت الجاهلية فأخبرنى عن أهلها فقال زهير أشعر أهلها قلت فالإسلام قال الفرزدق نبعة الشعر قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك ويصيب وصف الخمر قلت فما تركت لنفسك قال إنى نحرت الشعر نحرا. قال وأخبرنى الحسن بن على قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائنى عن عيسى بن يزيد قال سأل معاوية الأحنف عن أشعر الشعراء فقال زهير قال وكيف ذاك قال ألقى على المادحين فضول الكلام وأخذ خالصه وصفوته قال مثل ماذا قال مثل قوله و مايك من خير أتوه فإنما || توارثه آباء آبائهم قبل وهل ينبت الخطى إلاوشيجه || وتغرس إلا فى منابتها النخل . قال وأخبرنى أحمد بن عبدالعزيز قال حدثناعمر بن شبة قال حدثنا [صفحه ١٥٧] عبد الله بن عمرو القيسى قال حدثناخارجة بن عبد الله بن أبى سفيان عن أبيه عن ابن عباس قال خرجت مع عمر فى أول غزاة غزاها فقال لى ليلة يا ابن عباس أنشدنى لشاعر الشعراء قلت من هو قال ابن أبى سلمى قلت و لم صار كذلك قال لأنه لايتبع حوشى الكلام و لايعاظل فى منطقه و لا يقول إلا مايعرف و لايمدح الرجل إلابما فيه أ ليس هو ألذى يقول إذاابتدرت قيس بن عيلان غاية || إلى المجد من يسبق إليها يسود سبقت إليها كل طلق مبرز || سبوق إلى الغايات غيرمزند . قال أى لايحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسوط. كفعل جواد يسبق الخيل عفوه || السراع و إن يجهد ويجهدن يبعد فلو كان حمدا يخلد الناس لم تمت || ولكن حمد الناس ليس بمخلد .أنشدنى له فأنشدته حتى برق الفجر فقال حسبك الآن اقرأ القرآن قلت ماأقرأ قال الواقعة فقرأتها ونزل فأذن وصلى . و قال محمد بن سلام فى كتاب طبقات الشعراء دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكرا فلما قام الناس وبقى الخواص أراد الحاجب أن يقيمه فأبى أن يقوم فقال سعيد دعه وتذاكروا أيام العرب وأشعارها فلما أسهبوا قال الحطيئة ماصنعتم شيئا فقال سعيد فهل عندك علم من ذلك قال نعم قال فمن أشعر العرب قال ألذى يقول قدجعل المبتغون الخير فى هرم || والسائلون إلى أبوابه طرقا . قال ثم من قال ألذى يقول [صفحه ١٥٨] فإنك شمس والملوك كواكب || إذاطلعت لم يبد منهن كوكب .يعنى زهيرا ثم النابغة ثم قال وحسبك بى إذاوضعت إحدى رجلى على الأخرى ثم عويت فى أثر القوافى كمايعوى الفصيل فى أثر أمه قال فمن أنت قال أناالحطيئة فرحب به سعيد وأمر له بألف دينار. قال و قال من احتج لزهير كان أحسنهم شعرا وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليل من المنطق وأشدهم مبالغة فى المدح وأبعدهم تكلفا وعجرفية وأكثرهم حكمة ومثلا سائرا فى شعره . و قدروى ابن عباس عن النبى ص أنه قال أفضل شعرائكم القائل و من من -روايت-١-٢-روايت-۴۴-٧٧ يعنى زهيرا و ذلك فى قصيدته التى أولها أ من أم أوفى يقول فيها و من يك ذا فضل فيبخل بفضله || على قومه يستغن عنه ويذمم و من لم يذد عن حوضه بسلاحه || يهدم و من لايظلم الناس يظلم و من هاب أسباب المنايا ينلنه || و لونال أسباب السماء بسلم و من يجعل المعروف من دون عرضه || يفره و من لايتق الشتم يشتم .فأما القول فى النابغة الذبيانى فإن أباالفرج الأصفهانى قال فى كتاب الأغانى كنية النابغة أبوأمامة واسمه زياد بن معاوية ولقب بالنابغة لقوله فقد نبغت لهم منا شئون . و هوأحد الأشراف الذين غض الشعر منهم و هو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء. [صفحه ١٥٩] أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى وحبيب بن نصر قالا حدثناعمر بن شبة قال حدثنى أبونعيم قال شريك عن مجالد عن الشعبى عن ربعى بن حراش قال قال لنا عمر يامعشر غطفان من ألذى يقول أتيتك عاريا خلقا ثيابى || على خوف تظن بى الظنون .قلنا النابغة قال ذاك أشعر شعرائكم . قلت قوله أشعر شعرائكم لايدل على أنه أشعر العرب لأنه جعله أشعر شعراء غطفان فليس كقوله فى زهير شاعر الشعراء ولكن أباالفرج قدروى بعد هذاخبرا آخر صريحا

فى أن النابغة عندعمر أشعر العرب قال حدثنى أحمد وحبيب عن عمر بن شبة قال حدثناعبيد بن جناد قال حدثنامعن بن عبدالرحمن عن عيسى بن عبدالرحمن السلمى عن جده عن الشعبى قال قال عمر يوما من أشعر الشعراء فقيل له أنت أعلم يا أمير المؤمنين قال من ألذى يقول إلاسليمان إذ قال المليك له || قم فى البرية فاحددها عن الفند وخيس الجن إنى قدأذنت لهم || يبنون تدمر بالصفاح والعمد قالوا النابغة قال فمن ألذى يقول أتيتك عاريا خلقا ثيابى || على خوف تظن بى الظنون قالوا النابغة قال فمن ألذى يقول حلفت فلم أترك لنفسك ريبة || و ليس وراء الله للمرء مذهب لئن كنت قدبلغت عنى خيانة || لمبلغك الواشى أغش وأكذب [صفحه ١٦٠] قالوا النابغة قال فهو أشعر العرب . قال وأخبرنى أحمد قال حدثناعمر قال حدثنى على بن محمدالمدائنى قال قام رجل إلى ابن عباس فقال له أى الناس أشعر قال أخبره يا أباالأسود فقال أبوالأسود ألذى يقول فإنك كالليل ألذى هومدركى || و إن خلت أن المنتأى عنك واسع يعنى النابغة. قال أبوالفرج وأخبرنى أحمد وحبيب عن عمر عن أبى بكر العليمى عن الأصمعى قال كان يضرب للنابغة قبة أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فأنشده مرة الأعشى ثم حسان بن ثابت ثم قوم من الشعراء ثم جاءت الخنساء فأنشدته و إن صخرا لتأتم الهداة به || كأنه علم فى رأسه نار . فقال لو لا أن أبابصير يعنى الأعشى أنشدنى آنفا لقلت إنك أشعر الإنس والجن فقام حسان بن ثابت فقال أنا و الله أشعر منها و من أبيك فقال له النابغة يا ابن أخى أنت لاتحسن أن تقول فإنك كالليل ألذى هومدركى || و إن خلت أن المنتأى عنك واسع خطاطيف حجن فى حبال متينة || تمد بهاأيد إليك نوازع . قال فخنس حسان لقوله . قال وأخبرنى أحمد وحبيب عن عمر عن الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء [صفحه ١٦١] قال حدثنى رجل سماه أبوعمرو وأنسيته قال بينما نحن نسير بين أنقاء من الأرض فتذاكرنا الشعر فإذاراكب أطيلس يقول أشعر الناس زياد بن معاوية ثم تملس فلم نره . قال وأخبرنى أحمد بن عبدالعزيز عن عمر بن شبة عن الأصمعى قال سمعت أباعمرو بن العلاء يقول ماينبغى لزهير إلا أن يكون أجيرا للنابغة. قال أبوالفرج وأخبرنا أحمد عن عمر قال قال عمرو بن المنتشر المرادى وفدنا على عبدالملك بن مروان فدخلنا عليه فقام رجل فاعتذر من أمر وحلف عليه فقال له عبدالملك ماكنت حريا أن تفعل و لاتعتذر ثم أقبل على أهل الشام فقال أيكم يروى اعتذار النابغة إلى النعمان فى قوله حلفت فلم أترك لنفسك ريبة || و ليس وراء الله للمرء مذهب .فلم يجد فيهم من يرويه فأقبل على و قال أترويه قلت نعم فأنشدته القصيدة كلها فقال هذاأشعر العرب . قال وأخبرنى أحمد وحبيب عن عمر عن معاوية بن بكر الباهلى قال قلت لحماد الراوية لم قدمت النابغة قال لاكتفائك بالبيت الواحد من شعره لابل بنصف البيت لابل بربع البيت مثل قوله حلفت فلم أترك لنفسك ريبة || و ليس وراء الله للمرء مذهب ولست بمستبق أخا لاتلمه || على شعث أى الرجال المهذب ربع البيت يغنيك عن غيره فلو تمثلت به لم تحتج إلى غيره . قال وأخبرنى أحمد بن عبدالعزيز عن عمر بن شبة عن هارون بن عبد الله [صفحه ١٦٢] الزبيرى قال حدثنى شيخ يكنى أباداود عن الشعبى قال دخلت على عبدالملك وعنده الأخطل و أنا لاأعرفه و ذلك أول يوم وفدت فيه من العراق على عبدالملك فقلت حين دخلت عامر بن شراحيل الشعبى يا أمير المؤمنين فقال على علم ماأذنا لك فقلت هذه واحدة على وافد أهل العراق يعنى أنه أخطأ قال ثم إن عبدالملك سأل الأخطل من أشعر الناس فقال أنافعجلت و قلت لعبد الملك من هذا يا أمير المؤمنين فتبسم و قال الأخطل فقلت فى نفسى اثنتان على وافد أهل العراق فقلت له أشعر منك ألذى يقول هذاغلام حسن وجهه || مستقبل الخير سريع التمام للحارث الأكبر والحارث || الأصغر فالأعرج خير الأنام ثم لعمرو ولعمرو و قد || أسرع فى الخيرات منه أمام قال هى أمامة أم عمرو الأصغر بن المنذر بن إمرئ القيس بن النعمان بن الشقيقة خمسة آباء هم ماهم || أفضل من يشرب صوب الغمام . والشعر للنابغة فالتفت إلى الأخطل فقال إن أمير المؤمنين إنما سألنى عن أشعر أهل زمانه و لوسألنى عن أشعر أهل الجاهلية كنت حريا أن أقول كما قلت أوشبيها به فقلت فى نفسى ثلاث على وافد أهل العراق . قال أبوالفرج و قدوجدت هذاالخبر أتم من هذه الرواية ذكره أحمد بن الحارث

الخراز فی کتابه عن المدائنی عن عبدالملک بن مسلم قال کتب عبدالملک بن مروان إلی الحجاج أنه لیس شیء من لذة الدنیا إلا و قدأصبت منه و لم یبق [صفحه ۱۶۳] عندی شیءألذ من مناقلة الإخوان الحدیث وقبلک عامر الشعبی فابعث به إلی فدعا الحجاج الشعبی فجهزه وبعث به إلیه وقرظه وأطراه فی کتابه فخرج الشعبی حتی إذا کان بباب عبدالملک قال للحاجب استأذن لی قال من أنت قال أناعامر الشعبی قال یرحمک الله قال ثم نهض فأجلسنی علی کرسیه فلم یلبث أن خرج إلی فقال ادخل یرحمک الله فدخلت فإذا عبدالملک جالس علی کرسی و بین یدیه رجل أبیض الرأس واللحیة جالس علی کرسی فسلمت فرد علی السلام فأومأ إلی بقضیبه فجلست عن یساره ثم أقبل علی ذلک الإنسان ألذی بین یدیه فقال له من أشعر الناس فقال أنا یا أمیر المؤمنین قال الشعبی فأظلم مابینی و بین عبدالملک فلم أصبر أن قلت و من هذا ألذی یزعم أنه أشعر الناس یا أمیر المؤمنین فعجب عبدالملک من عجلتی قبل أن یسألنی عن حالی فقال هذاالأخطل فقلت یاأخطل أشعر و الله منک ألذی یقول هذاغلام حسن وجهه || مستقبل الخیر سریع التمام الأبیات قال فاستحسنها عبدالملک ثم رددتها علیه حتی حفظها فقال الأخطل من هذا یا أمیر المؤمنین قال هذاالشعبی فقال والجیلون مااستعذت بالله من شر إلا من هذا أی والإنجیل صدق و الله یا أمیر المؤمنین النابغة أشعر منی قال الشعبی فأقبل عبدالملک حینئذ علی فقال کیف أنت یاشعبی قلت بخیر یا أمیر المؤمنین فلازلت به ثم ذهبت لأصنع معاذیر لما کان من خلافی مع ابن الأشعث علی الحجاج فقال مه إنا لانحتاج إلی هذاالمنطق و لاتراه منا فی قول و لافعل حتی تفارقنا ثم أقبل علی فقال ماتقول فی النابغة قلت یا أمیر المؤمنین قدفضله عمر بن الخطاب [صفحه ۱۶۴] فی غیرموطن علی جمیع الشعراء ثم أنشدته الشعر ألذی کان عمر یعجب به من شعره و قدتقدم ذکره قال فأقبل عبدالملک علی الأخطل فقال له أتحب أن لک قیاضا بشعرک شعر أحد من العرب أم تحب أنک قلته قال لا و الله یا أمیر المؤمنین إلاأنی وددت أنی کنت قلت أبیاتا قالها رجل منا ثم أنشده قول القطامی إنا محیوک فاسلم أیها الطلل || و إن بلیت و إن طالت بک الطیل لیس الجدید به تبقی بشاشته || إلاقلیلا و لاذو خلة یصل والعیش لاعیش إلا ماتقر به || عین و لاحال إلاسوف تنتقل إن ترجعی من أبی عثمان منجحة || فقد یهون علی المستنجح العمل و الناس من یلق خیرا قائلون له || مایشتهی ولأم المخطئ الهبل قدیدرک المتأنی بعض حاجته || و قد یکون مع المستعجل الزلل . قال الشعبی فقلت قد قال القطامی أفضل من هذا قال و ما قال قلت قال طرقت جنوب رحالنا من مطرق || ماکنت أحسبها قریب المعنق إلی آخرها فقال عبدالملک ثکلت القطامی أمه هذا و الله الشعر قال فالتفت إلی الأخطل فقال یاشعبی إن لک فنونا فی الأحادیث وإنما لی فن واحد فإن رأیت ألا تحملنی علی أکتاف قومک فأدعهم حرضا فقلت لاأعرض لک فی شیء من الشعر أبدا فأقلنی هذه المرة فقال من یتکفل بک قلت [صفحه ۱۶۵] أمیر المؤمنین فقال عبدالملک هو علی أنه لایعرض لک أبدا ثم قال عبدالملک یاشعبی أی نساء الجاهلیة أشعر قلت الخنساء قال و لم فضلتها علی غیرها قلت لقولها وقائلة والنعش قدفات خطوها || لتدرکه یالهف نفسی علی صخر ألا هبلت أم الذین غدوا به || إلی القبر ماذا یحملون إلی القبر فقال عبدالملک أشعر منها و الله التی تقول مهفهف أهضم الکشحین منخرق || عنه القمیص بسیر اللیل محتقر لایأمن الدهر ممساه ومصبحه || من کل أوب و إن یغز ینتظر . قال ثم تبسم عبدالملک و قال لایشقن علیک یاشعبی فإنما أعلمتک هذالأنه بلغنی أن أهل العراق یتطاولون علی أهل الشام ویقولون إن کان غلبونا علی الدولة فلم یغلبونا علی العلم والروایة و أهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ثم ردد علی أبیات لیلی حتی حفظتها ثم لم أزل عنده أول داخل وآخر خارج فکنت کذلک سنین وجعلنی فی ألفین من العطاء وجعل عشرین رجلا من ولدی و أهل بیتی فی ألف ألف ثم بعثنی إلی أخیه عبدالعزیز بمصر وکتب إلیه یاأخی قدبعثت إلیک بالشعبی فانظر هل رأیت قط مثله . قال أبوالفرج الأصبهانی فی ترجمة أوس بن حجر إن أباعبیدة قال کان أوس شاعر مضر حتی أسقطه النابغة قال و قدذکر الأصمعی أنه سمع أباعمرو بن العلاء یقول کان أوس بن حجر فحل العرب فلما نشأ النابغة طأطأ منه . و قال محمد بن سلام فی کتاب

طبقات الشعراء و قال من احتج للنابغة كان أحسنهم [صفحه ۱۶۶] ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم بيتا كأن شعره كلام ليس بتكلف والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر لأن الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي والمتكلم مطلق يتخير الكلام كيف شاء قالوا والنابغة نبغ بالشعر بعد أن احتنك وهلك قبل أن يهتر. قلت و كان أبو جعفريحيى بن محمد بن أبى زيد العلوى البصرى يفضل النابغة واستقرأنى يوما وبيدى ديوان النابغة قصيدته التى يمدح بهاالنعمان بن المنذر ويذكر مرضه ويعتذر إليه مما كان اتهم به وقذفه به أعداؤه وأولها كتمتك ليلا بالجمومين ساهرا || وهمين هما مستكنا وظاهرا أحاديث نفس تشتكى مايريبها || وورد هموم لويجدن مصادرا تكلفنى أن يغفل الدهر همها || وهل وجدت قبلى على الدهر ناصرا . يقول هذه النفس تكلفنى ألا يحدث لها الدهر هما و لاحزنا و ذلك مما لم يستطعه أحد قبلى. أ لم تر خير الناس أصبح نعشه || على فتية قدجاوز الحى سائرا . كان الملك منهم إذامرض حمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف ينزهونه . ونحن لديه نسأل الله خلده || يرد لنا ملكا وللأرض عامرا ونحن نرجى الخير إن فاز قدحنا || ونرهب قدح الدهر إن جاء قامرا لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا || وأصبح جد الناس بعدك عاثرا وردت مطايا الراغبين وعريت || جيادك لايحفى لها الدهر حافرا [صفحه ۱۶۷] رأيتك ترعانى بعين بصيرة || وتبعث حراسا على وناظرا و ذلك من قول أتاك أقوله || و من دس أعداء إليك المآبرا فآليت لاآتيك إن كنت مجرما || و لاأبتغى جارا سواك مجاورا . أى لاآتيك حتى يثبت عندك أنى غيرمجرم . فأهلى فداء لامرئ إن أتيته || تقبل معروفى وسد المفاقرا سأربط كلبى إن يريبك نبحه || و إن كنت أرعى مسحلان وحامرا . أى سأمسك لسانى عن هجائك و إن كنت بالشام فى هذين الواديين البعيدين عنك . وحلت بيوتى فى يفاع ممنع || تخال به راعى الحمولة طائرا تزل الوعول العصم عن قذفاته || ويضحى ذراه بالسحاب كوافرا حذارا على ألا تنال مقادتى || و لانسوتى حتى يمتن حرائرا يقول أنا لاأهجرك و إن كنت من المنعة والعصمة على هذه الصفة. أقول و قدشطت بى الدار عنكم || إذا مالقيت من معد مسافرا ألا أبلغ النعمان حيث لقيته || فأهدى له الله الغيوث البواكرا وأصبحه فلجا و لازال كعبه || على كل من عادى من الناس ظاهرا ورب عليه الله أحسن صنعه || و كان على كل المعادين ناصرا .فجعل أبو جعفررحمه الله يهتز ويطرب ثم قال و الله لومزجت هذه القصيدة بشعر البحترى لكادت تمتزج لسهولتها وسلامة ألفاظها و ماعليها من الديباجة والرونق من يقول إن إمرأ القيس وزهيرا أشعر من هذاهلموا فليحاكمونى. [صفحه ۱۶۸] فأما إمرؤ القيس بن حجر فقال محمد بن سلام الجمحى فى كتاب طبقات الشعراء أخبرنى يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمونه على الشعراء كلهم و أن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى و أن أهل الحجاز والبادية يقدمون زهيرا والنابغة. قال ابن سلام فالطبقة الأولى إذن أربعة قال وأخبرنى شعيب بن صخر عن هارون بن ابراهيم قال سمعت قائلا يقول للفرزدق من أشعر الناس يا أبافراس فقال ذو القروح يعنى إمرأ القيس قال حين يقول ماذا قال حين يقول وقاهم جدهم ببنى أبيهم || وبالأشقين ما كان العقاب . قال وأخبرنى أبان بن عثمان البجلى قال مر لبيد بالكوفة فى بنى نهد فأتبعوه رسول يسأله من أشعر الناس فقال الملك الضليل فأعادوه إليه فقال ثم من فقال الغلام القتيل يعنى طرفة بن العبد و قال غيرأبان قال ثم ابن العشرين قال ثم من قال الشيخ أبوعقيل يعنى نفسه . قال ابن سلام واحتج لإمرئ القيس من يقدمه فقال إنه ليس قال ما لم يقولوه ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها استحسنتها العرب فاتبعه فيهاالشعراء منها استيقاف صحبه والبكاء فى الديار ورقة النسيب وقرب المأخذ وتشبيه النساء بالظباء وبالبيض وتشبيه الخيل بالعقبان والعصى وقيد الأوابد وأجاد فى النسيب وفصل بين النسيب و بين المعنى و كان أحسن الطبقة تشبيها. قال وحدثنى معلم لبنى داود بن على قال بينا أناأسير فى البادية إذا أنابرجل على ظليم قدزمه وخطمة و هو يقول [صفحه ۱۶۹] هل يبلغنيهم إلى الصباح || هقل كأن رأسه جماح . قال فما زال يذهب به ظليمه ويجيء حتى أنست به وعلمت أنه ليس بإنسى فقلت يا هذا من أشعر العرب فقال الذى يقول أغرك منى أن حبك قاتلى ||

وأنـک مهمـا تـأمری القلب يفعـل يعنی إمرأ القيس قلت ثم من قال ألـذی يقول ويبرد برد رداء العروس || بالصـيف رقرقت فيه العبيرا ويسخن ليلة لايستطيع || نباحا بهاالكلب إلاهريرا . ثم ذهب به ظليمه فلم أره . قال وحدث عوانة عن الحسن أن رسول الله ص قـال لحسـان بن ثـابت من أشـعر العرب قـال الزرق العيون من بنی قيس قال لست أسألک عن القبيلـة إنما أسألک عن رجل واحد فقال حسان يا رسول الله إن مثل الشـعراء والشعر كمثل ناقة نحرت فجاء إمرؤ القيس بن حجر فأخذ سنامها وأطائبها ثم جاء المتجاوران من الأوس والخزرج فأخـذا ماوالی ذلک منها ثم جعلت العرب تمزعها حتی إذابقی الفرث والدم جاء عمرو بن تميم والنمر بن قاسط فأخذاه فقال رسول الله ص ذاک رجل مذكور فی الدنيا شـريف فيهاخامل يوم القيامة معه لواء الشـعراء إلی النار -روايت-١-٢-روايت-٢۴-١٠۵ .فأمـا الأعشـی فقـد احتـج أصـحابه لتفضـيله بـأنه كان أكثرهم عروضا وأذهبهم فی فنون الشـعر وأكثرهم قصـيدة طويلـة جيدة وأكثرهم مدحا وهجاء و كان أول من سأل [صـفحه ١٧٠] بشـعره و إن لم يكن له بيت نـادر علی أفواه الناس كأبيات أصـحابه الثلاثة. و قدسئل خلف الأحمر من أشعر الناس فقال ماينتهی إلی واحد يجمع عليه كما لاينتهی إلی واحـد هوأشـجع النـاس و لاـأخطب الناس و لاأجمل الناس فقيل له يا أبامحرز فأيهم أعجب إليک فقال الأعشـی كان أجمعهم . قال ابن سـلام و كان أبوالخطاب الأخفش مسـتهترا به يقـدمه و كان أبوعمرو بن العلاء يقول مثله مثل البازی يضـرب كبير الطير وصغيره و يقول نظيره فی الإسلام جرير ونظير النابغة الأخطل ونظير زهير الفرزدق .فأما قول أمير المؤمنين ع الملک الضليل فإنما سمی إمرؤ القيس ضـليلا لمـايعلن به فی شـعره من الفسق والضـليل الكثير الضـلال كالشـريب والخمير والسـكير والفسـيق للكثير الشـرب وإدمـان الخمر والسـكر والفسق فمن ذلـک قوله فمثلـک حبلی قـدطرقت ومرضـعا || فألهيتهـا عن ذی تمـائم محول إذا مابكی من خلفها انصـرفت له || بشق وتحتی شقها لم يحول . و قوله سموت إليها بعد مانام أهلها || سمو حباب الماء حالا علی حـال فقـالت لحـاک الله إنـک فاضـحی || ألست تری السـمار و النـاس أحوالی فقلت لها تالله أبرح قاعـدا || و لوقطعوا رأسـی لديک وأوصالی [صـفحه ١٧١] فلما تنازعنا الحديث وأسـمحت || هصـرت بغصن ذی شـماريخ ميال فصرنا إلی الحسنی ورق كلامنـا || ورضت فـذلت صـعبة أی إذلاـل حلفت لها بالله حلفـة فاجر || لناموا فما إن من حـديث و لاصالی فأصـبحت معشوقا وأصـبح بعلهـا || عليه القتـام كـاسف الوجه والبال . و قوله فی اللاميـة الأولی وبيضـة خـدر لايرام خباؤها || تمتعت من لهو بها غيرمعجـل تخطيت أبوابـا إليهـا ومعشـرا || علی حراصـا لويسـرون مقتلی فجئت و قـدنضت لنـوم ثيابهـا || لـدی السـتر إلالبسـة المتفضل فقالت يمين الله ما لک حيلة || و ما إن أری عنک الغواية تنجلی فقمت بهاأمشـی نجر وراءنا || علی إثرنا أذيال مرط مرجل فلما أجزنا ساحة الحی وانتحی || بنا بطن خبت ذی حقاف عقنقل هصـرت بفودی رأسها فتمايلت || علی هضيم الكشح ريا المخلخل . و قوله فبت أكابد ليل التمام || والقلب من خشـية مقشـعر فلما دنوت تسديتها || فثوبا نسيت وثوبا أجر و لم يرنا كالئ كاشح || و لم يبد منا لدی البيت سـر و قدرابنی قولها ياهناه || ويحک ألحقت شـرا بشـر . [صـفحه ١٧٢] و قوله تقول و قـدجردتها من ثيابها || كمارعت مكحول المـدامع أتلعا لعمرک لو شـیءأتانا رسوله || سواک ولكن لم نجـد لک مـدفعا فبتنا نصـد الوحش عنا كأننا || قتيلان لم يعلم لنا الناس مصـرعا تجافی عن المأثور بينی وبينها || وتدنی علی السابری المضـلعا و فی شعر إمرئ القيس من هذاالفن كثير فمن أراده فليطلبه من مجموع شعره [صفحه ١٧٣]

۴۶۵

وَ قَالَ ع أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هَذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهلِهَا إِنّهُ لَيسَ لِأَنفُسِكُم ثَمَنٌ إِلّا الجَنّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلّا بِهَا اللماظة بفتح اللام ماتبقی فی الفم من الطعام قال يصف الـدنيا لماظـة أيام كأحلام نائم . ولمظ الرجل يلمظ بالضم لمظا إذاتتبع بلسانه بقية الطعام فی فمه وأخرج لسانه

فمسح به شفتيه وكذلك التلمظ يقال تلمظت الحية إذاأخرجت لسانها كمايتلمظ الآكل . و قال ألا حر مبتدأ وخبره محذوف أى فى الوجود وألا حرف قال ألا رجل جزاه الله خيرا || يدل على محصلة تبيت . ثم قال إنه ليس لأنفسكم ثمن إلاالجنة فلاتبيعوها إلا بها من الناس من يبيع نفسه بالدراهم والدنانير و من الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها ويتبع هواه فيهلك وهؤلاء فى الحقيقة أحمق الناس إلا أنه قدرين على القلوب فغطتها الذنوب وأظلمت الأنفس بالجهل وسوء العادة وطال الأمد أيضا على القلوب فقست و لوأفكر الإنسان حق الفكر لماباع نفسه إلابالجنة لا غير [صفحه ۱۷۴]

۴۶۶

وَ قَالَ ع مَنهُومَانِ لَا يَشبَعَانِ طَالِبُ عِلمٍ وَ طَالِبُ دُنيَا تقول نهم فلان بكذا فهو منهوم أى مولع به و هذه الكلمة مروية عن النبى ص منهومان لايشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم -روايت-۱-۲-روايت-۲۲-۷۲ والنهم بالفتح إفراط الشهوة فى الطعام تقول منه نهمت إلى الطعام بكسر الهاء أنهم فأنا نهم و كان فى القرآن آية أنزلت ثم رفعت لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا و لايملأ عين ابن آدم إلاالتراب ويتوب الله على من تاب .فأما طالب العلم العاشق له فإنه لايشبع منه أبدا وكلما استكثر منه زاد عشقه له وتهالكه عليه مات أبوعثمان الجاحظ والكتاب على صدره . و كان شيخنا أبو على رحمه الله فى النزع و هويملى على ابنه أبى هاشم مسائل فى علم الكلام و كان القاضى أحمد بن أبى دواد يأخذ الكتاب فى خفه و هوراكب فإذاجلس فى دار الخليفة اشتغل بالنظر فيه إلى أن يجلس الخليفة ويدخل إليه وقيل مافارق ابن أبى دواد الكتاب قط إلا فى الخلاء وأعرف أنا فى زماننا من مكث نحو خمس سنين لاينام إلاوقت السحر صيفا وشتاء مكبا على كتاب صنفه وكانت وسادته التى ينام عليها الكتاب [صفحه ۱۷۵]

۴۶۷

وَ قَالَ ع عَلَامَةُ الإِيمَانِ أَن تُؤثِرَ الصّدقَ حَيثُ يَضُرّكَ عَلَى الكَذِبِ حَيثُ يَنفَعُكَ وَ أَلّا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضلٌ عَن عِلمِكَ وَ أَن تَتّقِيَ اللّهَ فِي حَدِيثِ غَيرِكَ قدأخذ المعنى الأول القائل عليك بالصدق و لو أنه || أحرقك الصدق بنار الوعيد . وينبغى أن يكون هذاالحكم مقيدا لامطلقا لأنه إذاأضر الصدق ضررا عظيما يؤدى إلى تلف النفس أو إلى قطع بعض الأعضاء لم يجز فعله صريحا ووجبت المعاريض حينئذ. فإن قلت فالمعاريض صدق أيضا فالكلام على إطلاقه قلت هى صدق فى ذاتها ولكن مستعملها لم يصدق فيما سئل عنه و لاكذب أيضا لأنه لم يخبر عنه وإنما أخبر عن شيءآخر وهى المعاريض والتارك للخبر لا يكون صادقا و لاكاذبا فوجب أن يقيد إطلاق الخبر بما إذا كان الضرر غيرعظيم وكانت نتيجة الصدق أعظم نفعا من تلك المضرة. قال ع وألا يكون فى حديث فضل عن علمك متى زاد منطق الرجل على علمه فقد لغا وظهر نقصه والفاضل من كان علمه أكثر من منطقه قوله و إن تتقى الله فى حديث غيرك أى فى نقله وروايته فترويه كماسمعته من غيرتحريف [صفحه ۱۷۶]

۴۶۸

وَ قَالَ ع يَغلِبُ المِقدَارُ عَلَى التّقدِيرِ حَتّى تَكُونَ الآفَةُ فِي التّدبِيرِ قال و قدمضى هذاالمعنى فيما تقدم برواية تخالف بعض هذه الألفاظ -روايت-۱-۶۹ قدتقدم هذاالمعنى و هوكثير جدا و من جيده قول الشاعر لعمرك مالام ابن أخطب نفسه || ولكنه من يخذل الله يخذل لجاهد حتى تبلغ النفس عذرها || وقلقل يبغى العز كل مقلقل . و قال أبوتمام وركب كأطراف الأسنة عرسوا

|| على مثلهـا والليـل تسـطو غيـاهبه لأمر عليهم أن تتم صـدوره || و ليس عليهم أن تتم عواقبه . و قال آخر فإن بين حيطانا عليه فإنما || أولئك عقالاته لامعاقله [صفحه ۱۷۷]

۴۶۹

وَ قَالَ ع الحِلمُ وَ الأَنَاةُ تَوأَمَانِ يُنتِجُهُمَا عُلُوّ الهِمّـةِ قدتقدم هذاالمعنى وشـرحه مرارا. و قال ابن هانئ و كل أناة في المواطن سؤدد || و لاكأناة من تدبر محكم و من يتبين أن للسـيف موضـعا || من الصـفح يصـفح عن كثير ويحلم . و قال أرباب المعانى علمنا الله تعـالى فضـيلة الأنـاة بما حكاه عن سـليمان سَـنَنظُرُ أَ صَـدَقتَ أَم كُنتَ مِنَ الكاذِبِينَ. و كان يقال الأناة حصن السـلامة والعجلة مفتاح الندامة. و كان يقال التأنى مع الخيبة خير من التهور مع النجاح . و قال الشاعر –قرآن-۷۶-۱۲۲ الرفق يمن والأناة سعادة || فتأن فى أمر تلاق نجاحا . [صفحه ۱۷۸] و قال من كره الأناة وذمها لوكانت الأناة محمودة والعجلة مذمومة لما قال موسى لربه وَ عَجِلتُ إِلَيكَ رَبّ لِتَرضى. وأنشدوا –قرآن-۸۶-۱۱۶ عيب الأناة و إن سرت عواقبها || أن لاخلود و أن ليس الفتى حجرا . و قال آخر كم من مضـيع فرصـة قـدأمكنت || لغـد و ليس له غـد بمواتى حتى إذافاتت وفات طلابها || ذهبت عليها نفسه حسـرات [صفحه ۱۷۹]

۴۷۰

وَ قَالَ ع الغِيبَةُ جُهدُ العَاجِزِ قدتقدم كلامنا فى الغيبة مستقصى . وقيل للأحنف من أشرف الناس قال من إذاحضر هابوه و إذاغاب اغتابوه . و قال الشاعر ويغتابنى من لوكفانى اغتيابه || لكنت له العين البصيرة والأذنا وعنـدى من الأشـياء ما لوذكرتها || إذاقرع المغتاب من نـدم سـنا . و قـدنظمت أناكلمـة الأحنف فقلت أكل عرضـى إن غبت ذما فإن أبت || فمـدح ورهبة وسـجود هكذا يفعل الجبان شجاع || حين يخلو و فى الوغى رعديد لك منى حالان فى عينك الجنة || حسنا و فى الفؤاد وقود [صفحه ۱۸۰]

۴۷۱

وَ قَالَ ع رُبّ مَفتُونٍ بِحُسنِ القَولِ فِيهِ طالمـا فتن النـاس بثنـاء النـاس عليهم فيقصـر العالم فى اكتساب العلم اتكالا على ثناء الناس عليه ويقصـر العابـد فى العبادة اتكالا على ثناء الناس عليه و يقول كل واحد منهما إنما أردت مااشـتهرت به للصـيت و قدحصـل فلمـا ذا أتكلف الزيـادة وأعانى التعب وأيضا فإن ثناء الناس على الإنسان يقتضـى اعتراء العجب له وإعجاب المرء بنفسه مهلك . واعلم أن الرضـى رحمه الله قطع كتاب نهـج البلاغـة على هذاالفصل وهكذا وجدت النسـخة بخطه و قال هذاحين انتهاء الغاية بنا إلى قطع المنتزع من كلام أمير المؤمنين ع حامـدين لله سـبحانه على ما من به من توفيقنا لضم ماانتشـر من أطرافه وتقريب ما بعد من أقطـاره مقررين العزم كماشـرطنا أولاـ على تفضـيل أوراق من البيـاض فى آخر كـل باب من الأبواب لتكون لاقتناص الشارد واسـتلحاق الوارد و ماعساه أن يظهر لنا بعدالغموض ويقع إلينا بعدالشذوذ و ماتوفيقنا إلابالله عليه توكلنا و هوحسـبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصـير. ثم وجـدنا نسـخا كثيرة فيهازيادات بعـد هـذاالكلام قيل إنها وجدت فى نسـخة كتبت فى حياة الرضـى رحمه الله وقرئت عليه فأمضاها وأذن فى إلحاقها بالكتاب نحن نذكرها [صفحه ۱۸۱]

۴۷۲

وَ قَالَ ع الدّنيَا خُلِقَت لِغَيرِهَا وَ لَم تُخلَق لِنَفسِهَا قال أبوالعلاء المعرى مع ما كان يرمى به فى هذاالمعنى مايطابق إرادة أمير المؤمنين ع بلفظه هذا خلق الناس للبقاء فضلت || أمة يحسبونهم للنفاد إنما ينقلون من دار أعمال || إلى دار شقوة أورشاد [صفحه ۱۸۲]

۴۷۳

وَ قَالَ ع إِنّ لِبَنِي أُمَيّةَ مِروَداً يَجرُونَ فِيهِ وَ لَو قَدِ اختَلَفُوا فِيمَا بَينَهُم ثُمّ لَو كَادَتهُمُ الضّبَاعُ لَغَلَبَتهُم قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا من أفصح الكلام وأغربه والمرود هاهنا مفعل من الإرواد و هوالإمهال والإنظار فكأنه ع شبه المهلة التى هم فيهابالمضمار ألذى يجرون فيه إلى الغاية فإذابلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها -روايت-۱-۲۲۷ هذاإخبار عن غيب صريح لأن بنى أمية لم يزل ملكهم منتظما لما لم يكن بينهم اختلاف وإنما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية فى صفين وحرب يزيد أهل المدينة و ابن الزبير بمكة وحرب مروان الضحاك وحرب عبدالملك ابن الأشعث و ابن الزبير وحرب يزيد ابنه بنى المهلب وحرب هشام زيد بن على فلما ولى الوليد بن يزيد وخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد وقتله اختلف بنو أمية فيما بينهما وجاء الوعد وصدق من وعد به فإنه منذ قتل الوليد دعت دعاة بنى العباس بخراسان وأقبل [صفحه ۱۸۳] مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة فخلع ابراهيم بن الوليد وقتل قوما من بنى أمية واضطرب أمر الملك وانتشر وأقبلت الدولة الهاشمية ونمت وزال ملك بنى أمية و كان زوال ملكهم على يد أبى مسلم و كان فى بدايته أضعف خلق الله وأعظمهم فقرا ومسكنة و فى ذلك تصديق قوله ع ثم لوكادتهم الضباع لغلبتهم [صفحه ۱۸۴]

۴۷۴

وَ قَالَ ع فِي مَدحِ الأَنصَارِ هُم وَ اللّهِ رَبّوُا الإِسلَامَ كَمَا يُرَبّى الفِلوُ مَعَ غَنَائِهِم بِأَيدِيهِمُ السّبَاطِ وَ أَلسِنَتِهِمُ السّلَاطِ الفلو المهر ويروى بأيديهم البساط والأولى جمع سبط يعنى السماح و قديقال للحاذق بالطعن إنه لسبط اليدين يريد الثقافة وألسنتهم السلاط يعنى الفصيحة. و قدتقدم القول فى مدح الأنصار و لو لم يكن إلا قول رسول الله ص فيهم إنكم لتكثرون عندالفزع وتقلون عندالطمع -روايت-۱-۲-روايت-۲۷-۷۰ و لو لم يكن إلا ماقاله لعامر بن الطفيل فيهم لما قال له لأغزونك فى كذا وكذا من الخيل يتوعده فقال ع يكفى الله ذلك وأبناء قيلة -روايت-۱-۲-روايت-۱۲-۴۱ لكان فخرا لهم و هذاعظيم جدا وفوق العظيم و لاريب أنهم الذين أيد الله بهم الدين وأظهر بهم الإسلام بعدخفائه ولولاهم لعجز المهاجرون عن حرب قريش والعرب و عن حماية رسول الله ص و لو لامدينتهم لم يكن للإسلام ظهر يلجئون عليه ويكفيهم فخرا يوم حمراء الأسد [صفحه ۱۸۵] يوم خرج بهم رسول الله ص إلى قريش بعدانكسار أصحابه وقتل من قتل منهم وخرجوا نحو القوم والجراح فيهم فاشية ودماؤهم تسيل وإنهم مع ذلك كالأسد الغراث تتواثب على فرائسها وكم لهم من يوم أغر محجل وقالت الأنصار لو لا على بن أبى طالب ع فى المهاجرين لأبينا لأنفسنا أن يذكر المهاجرون معنا أو أن يقرنوا بنا ولكن رب واحد كألف بل كألوف . و قدتقدم ذكر الشعر المنسوب إلى الوزير المغربى و ماطعن به القادر بالله الخليفة العباسى فى دينه بطريقه و كان الوزير المغربى يتبرأ منه ويجحده وقيل إنه وجدت مسودة بخطه فرفعت إلى القادر بالله . ومما وجد بخطه أيضا و كان شديد العصبية للأنصار ولقحطان قاطبة على عدنان و كان ينتمى إلى الأزد أزد شنوءة قوله إن ألذى أرسى دعائم أحمد || وعلا بدعوته على كيوان أبناء قيلة وارثو شرف العلا || وعراعر الأقيال من قحطان بسيوفهم يوم الوغى وأكفهم || ضربت مصاعب ملكه بجران لو لامصارعهم

وصدق قراعهم || خرت عروش الدين للأذقان فليشكرن محمدأسياف من || لولاه كان كخالد بن سنان . و هذاإفراط قبيح ولفظ شنيع والواجب أن يصان قدر النبوة عنه وخصوصا البيت الأخير فإنه قدأساء فيه الأدب و قال ما لايجوز قوله وخالد بن سنان كان من بنى عبس بن بغيض من قيس عيلان ادعى النبوة وقيل إنه كانت تظهر عليه آيات ومعجزات ثم مات وانقرض دينه ودثرت دعوته و لم يبق إلااسمه و ليس يعرفه كل الناس بل البعض منهم [صفحه ۱۸۶]

۴۷۵

اشاره

وَ قَالَ ع العَينُ وِكَاءُ السّتِهِ قال الرضى رحمه الله تعالى و هذه من الاستعارات العجيبة كأنه شبه السته بالوعاء والعين بالوكاء فإذاأطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء و هذاالقول فى الأشهر الأظهر من كلام النبى ص و قدرواه قوم لأمير المؤمنين ع وذكر ذلك المبرد فى الكتاب المقتضب فى باب اللفظ المعروف قال الرضى و قدتكلمنا على هذه الاستعارة فى كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية -روايت-۱-۳۶۲ المعروف أن هذا من كلام رسول الله ص ذكره المحدثون فى كتبهم وأصحاب غريب الحديث فى تصانيفهم و أهل الأدب فى تفسير هذه اللفظة فى مجموعاتهم اللغوية ولعل المبرد اشتبه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين ع والرواية بلفظ التثنية العينان وكاء السته -روايت-۱-۲۲ والسته الاست . [صفحه ۱۸۷] و قدجاء فى تمام الخبر فى بعض الروايات فإذانامت العينان استطلق الوكاء -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۵۶ والوكاء رباط القربة فجعل العينين وكاء والمراد اليقظة للسته كالوكاء للقربة و منه الحديث فى اللقطة احفظ عفاصها ووكاءها وعرفها سنة فإن جاء صاحبها و إلافشأنك بها -روايت-۱-۲-روايت-۲۰-۸۲ والعفاص السداد والوكاء السداد و هذه من الكنايات اللطيفة

فصل فى ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها

و قدكنا قدمنا قطعة صالحة من الكنايات المستحسنة ووعدنا أن نعاود ذكر طرف منها و هذاالموضع موضعه فمن الكناية عن الحدث الخارج و هو ألذى كنى عنه أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص الكناية التى ذكرها يحيى بن زياد فى شعره قيل إن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمادا الراوية جلسوا على شرب لهم ومعهم رجل منهم فانحل وكاؤه فاستحيا وخرج و لم يعد إليهم فكتب إليه يحيى بن زياد أ من قلوص غدت لم يؤذها أحد || إلاتذكرها بالرمل أوطانا خان العقال لها فانبت إذ نفرت || وإنما الذنب فيهاللذى خانا منحتنا منك هجرانا ومقلية || و لم تزرنا كما قدكنت تغشانا خفض عليك فما فى الناس ذو إبل || إلا وأينقه يشردن أحيانا . و ليس هذاالكتاب أهلا أن يضمن حكاية سخيفة أونادرة خليعة فنذكر فيه ماجاء فى هذاالمعنى وإنما جرأنا على ذكر هذه الحكاية خاصة كناية أمير المؤمنين ع أو رسول الله ص عنها ولكنا نذكر كنايات كثيرة فى غير هذاالمعنى مستحسنة ينتفع القارئ بالوقوف عليها. [صفحه ۱۸۸] يقال فلان من قوم موسى إذا كان ملولا إشارة إلى قوله تعالى وَ إِذ قُلتُم يا مُوسى لَن نَصبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ. قال الشاعر -قرآن-۶۴-۱۱۶ فيا من ليس يكفيه صديق || و لاألفا صديق كل عام أظنك من بقايا قوم موسى || فهم لايصبرون على طعام . و قال العباس بن الأحنف كتبت تلوم وتستريث زيارتى || وتقول لست لنا كعهد العاهد فأجبتها ودموع عينى سجم || تجرى على الخدين غيرجوامد يافوز لم أهجركم لملالة || عرضت و لالمقال واش حاسد

لكننى جربتكم فوجدتكم || لاتصبرون على طعام واحد . ويقولون للجارية الحسناء قدأبقت من رضوان قال الشاعر جست العود بالبنان الحسان || وتثنت كأنها غصن بان فسجدنا لها جميعا وقلنا || إذ شجتنا بالحسن والإحسان حاش لله أن تكونى من الإنس || ولكن أبقت من رضوان . ويقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال ابن جلا و هوكناية عن الصبح و منه ماتمثل به الحجاج أنا ابن جلا وطلاع الثنايا || متى أضع العمامة تعرفونى . و منه قول القلاخ بن حزن [صفحه ۱۸۹] أناالقلاخ بن القلاخ ابن جلا. و منه قولهم فلان قائد الجمل لأنه لايخفى لعظم الجمل وكبر جثته و فى المثل مااستتر من قاد جملا وقالوا كفى برغائها نداء ومثل هذاقولهم ما يوم حليمة بسر يقال ذلك فى الأمر المشهور ألذى لايستر و يوم حليمة يوم التقى المنذر الأكبر والحارث الغسانى الأكبر و هوأشهر أيام العرب يقال إنه ارتفع من العجاج ماظهرت معه الكواكب نهارا وحليمة اسم امرأة أضيف اليوم إليها لأنها أخرجت إلى المعركة مراكن الطيب فكانت تطيب بهاالداخلين إلى القتال فقاتلوا حتى تفانوا. ويقولون فى الكناية عن الشيخ الضعيف قائد الحمار وإشارة إلى ماأنشده الأصمعى آتى الندى فلايقرب مجلسى || وأقود للشرف الرفيع حمارى . أى أقوده من الكبر إلى موضع مرتفع لأركبه لضعفى ومثل ذلك كنايتهم عن الشيخ الضعيف بالعاجن لأنه إذاقام عجن فى الأرض بكفيه قال الشاعر فأصبحت كنتيا وأصبحت عاجنا || وشر خصال المرء كنت وعاجن .قالوا الكنتى ألذى يقول كنت أفعل كذا وكنت أركب الخيل يتذكر مامضى من زمانه و لا يكون ذلك إلا عندالهرم أوالفقر والعجز. ومثله قولهم للشيخ راكع قال لبيد أخبر أخبار القرون التى مضت || أدب كأنى كلما قمت راكع . والركوع هوالتطأطؤ والانحناء بعدالاعتدال والاستواء ويقال للإنسان إذاانتقل من الثروة إلى الفقر قدركع قال لاتهين الفقير علك أن تركع || يوما والدهر قدرفعه . [صفحه ۱۹۰] و فى هذاالمعنى قال الشاعر ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه || يوما فتدركه الحوادث قدنما يجزيك أويثنى عليك و إن من || يثنى عليك بما فعلت فقد جزى . ومثله أيضا وأكرم كريما إن أتاك لحاجة || لعاقبة إن العضاه تروح .تروح الشجر إذاانفطر بالنبت يقول إن كان فقيرا فقد يستغنى كما إن الشجر ألذى لاورق عليه سيكتسى ورقا ويقال ركع الرجل أى سقط. و قال الشاعر خرق إذاركع المطى من الوجى || لم يطو دون رفيقه ذا المرود حتى يئوب به قليلا فضله || حمد الرفيق نداك أو لم يحمد . و كمايشبهون الشيخ بالراكع فيكنون به عنه كذلك يقولون يحجل فى قيده لتقارب خطوه قال أبوالطمحان القينى حنتنى حانيات الدهر حتى || كأنى خاتل أدنو لصيد قريب الخطو يحسب من رآنى || ولست مقيدا أنى بقيد . ونحو هذاقولهم للكبير بدت له الأرنب و ذلك أن من يختل الأرنب ليصيدها يتمايل فى مشيته وأنشد ابن الأعرابى فى النوادر وطالت بى الأيام حتى كأننى || من الكبر العالى بدت لى أرنب . ونحوه يقولون للكبير قيد بفلان البعير أى لاقوة ليده على أن يصرف البعير تحته على حسب إرادته فيقوده قائد يحمله حيث يريد. [صفحه ۱۹۱] و من أمثالهم لقد كنت و مايقاد بى البعير يضرب لمن كان ذا قوة وعزم ثم عجز وفتر. و من الكنايا عن شيب العنفقة قولهم قدعض على صوفه . ويكنون عن المرأة التى كبر سنها فيقولون امرأة قدجمعت الثياب أى تلبس القناع والخمار والإزار وليست كالفتاة التى تلبس ثوبا واحدا. ويقولون لمن يخضب يسود وجه النذير وقالوا فى قوله تعالى وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُإنه الشيب و قال الشاعر -قرآن-۳۳۵-۳۵۵ وقائلة لى اخضب فالغوانى || تطير من ملاحظة القتير فقلت لها المشيب نذير موتى || ولست مسودا وجه النذير . وزاحم شاب شيخا فى طريق فقال الشاب كم ثمن القوس يعيره بانحناء الظهر فقال الشيخ يا ابن أخى إن طال بك عمر فسوف تشتريها بلا ثمن . وأنشد لابن خلف تعيرنى وخط المشيب بعارضى || و لو لاالحجول البلق لم تعرف الدهم حنى الشيب ظهرى فاستمرت مريرتى || و لو لاانحناء القوس لم ينفذ السهم . ويقولون لمن رشا القاضى أوغيره صب فى قنديله زيتا وأنشد و عندقضاتنا خبث ومكر || وزرع حين تسقيه يسنبل إذا ماصب فى القنديل زيت || تحولت القضية للمقندل . و كان أبوصالح كاتب الرشيد ينسب إلى أخذ الرشا و كان كاتب أم جعفر. [صفحه ۱۹۲] و هوسعدان بن يحيى كذلك فقال لها الرشيد يوما أ ماسمعت ماقيل فى كاتبك قالت ما هوفأنشدها صب فى قنديل سعدان || مع التسليم

زيتا وقناديل بنيه || قبل أن تخفى الكميتا .قالت فما قيل فى كاتبك أشنع وأنشدته قنديل سعدان علا ضوءه || فرخ لقنديل أبى صالح تراه فى مجلسه أحوصا || من لمحه للدرهم اللائح . ويقولون لمن طلق ثلاثا قدنحرها بمثلثه . ويقولون أيضا أعطاها نصف السنة. ويقولون لمن يفخر بآبائه هوعظامى ولمن يفخر بنفسه هوعصامى إشارة إلى قول النابغة فى عصام بن سهل حاجب النعمان نفس عصام سودت عصاما || وعلمته الكر والإقداما وجعلته ملكا هماما . وأشار بالعظامى إلى فخره بالأموات من آبائه ورهطه و قال الشاعر إذا ماالحى عاش بعظم ميت || فذاك العظم حى و هوميت . ونحو هذا أن عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمى دخل على أبيه و هويجود بنفسه فقال أ لاأوصى بك الأمير فقال إذا لم يكن للحى إلاوصية الميت فالحى هوالميت ويقال إن عطاء بن أبى سفيان قال ليزيد بن معاوية أغننى عن غيرك قال [صفحه ۱۹۳] حسبك ماأغناك به معاوية قال فهو إذن الحى و أنت الميت ومثل قولهم عظامى قولهم خارجى أى يفخر بغير أولية كانت له قال كثير لعبد العزيز أبامروان لست بخارجى || و ليس قديم مجدك بانتحال . ويكنون عن العزيز و عن الذليل أيضا فيقولون بيضة البلد فمن يقولها للمدح يذهب إلى أن البيضة هى الحوزة والحمى يقولون فلان يحمى بيضته أى يحمى حوزته وجماعته و من يقولها للذم يعنى أن الواحدة من بيض النعام إذافسدت تركها أبواها فى البلد وذهبا عنها قال الشاعر فى المدح لكن قائله من لاكفاء له || من كان يدعى أبوه بيضة البلد . و قال الآخر فى الذم تأبى قضاعة لم تعرف لكم نسبا || وابنا نزار فأنتم بيضة البلد . ويقولون للشىء ألذى يكون فى الدهر مرة واحدة هوبيضة الديك قال بشار ياأطيب الناس ريقا غيرمختبر || إلاشهادة أطراف المساويك قدزرتنا زورة فى الدهر واحدة || ثنى و لاتجعليها بيضة الديك . ويكنون عن الثقيل بالقذى فى الشراب قال الأخطل يذكر الخمر والاجتماع عليها و ليس قذاها بالذى قديضيرها || و لابذباب نزعه أيسر الأمر ولكن قذاها كل جلف مكلف || أتتنا به الأيام من حيث لاندرى [صفحه ۱۹۴] فذاك القذى و ابن القذى وأخو القذى || فإن له من زائر آخر الدهر ويكنون أيضا عنه بقدح اللبلاب قال الشاعر ياثقيلا زاد فى الثقل || على كل ثقيل أنت عندى قدح اللبلاب || فى كف العليل . ويكنون عنه أيضا بالقدح الأول لأن القدح الأول من الخمر تكرهه الطبيعة و مابعده فدونه لاعتياده قال الشاعر وأثقل من حضين باديا || وأبغض من قدح أول . ويكنون عنه بالكانون قال الحطيئة يهجو أمه تنحى فاقعدى عنى بعيدا || أراح الله منك العالمينا أغربالا إذااستودعت سرا || وكانونا على المتحدثينا .قالوا وأصله من كننت أى سترت فكأنه إذادخل على قوم وهم فى حديث ستروه عنه وقيل بل المراد شدة برده . ويكنون عن الثقيل أيضا برحى البزر قال الشاعر وأثقل من رحى بزر علينا || كأنك من بقايا قوم عاد . ويقولون لمن يحمدون جواره جار أبى دواد و هوكعب بن مامة الإيادى كان إذاجاوره رجل فمات وداه و إن هلك عليه شاة أوبعير أخلف عليه فجاوره أبودواد الإيادى فأحسن إليه فضرب به المثل . ومثله قولهم هوجليس قعقاع بن شور و كان قدقدم إلى معاوية فدخل عليه والمجلس غاص بأهله ليس فيه مقعد فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه فلم [صفحه ۱۹۵] يبرح القعقاع من ذلك الموضع يكلم معاوية ومعاوية يخاطبه حتى أمر له بمائة ألف درهم فأحضرت إليه فجعلت إلى جانبه فلما قام قال للرجل القائم له من مكانه ضمها إليك فهى لك بقيامك لنا عن مجلسك فقيل فيه وكنت جليس قعقاع بن شور || و لايشقى بقعقاع جليس ضحوك السن إن نطقوا بخير || و عندالشر مطراق عبوس .أخذ قوله و لايشقى بقعقاع جليس من قول النبى ص هم القوم لايشقى بهم جليسهم -روايت-۱-۲-روايت-۱۷-۴۹ . ويكنون عن السمين من الرجال بقولهم هوجار الأمير وضيف الأمير وأصله أن الغضبان بن القبعثرى كان محبوسا فى سجن الحجاج فدعا به يوما فكلمه فقال له فى جملة خطابه إنك لسمين ياغضبان فقال القيد والرتعة والخفض والدعة و من يكن ضيف الأمير يسمن . ويكنى الفلاسفة عن السمين بأنه يعرض سور حبسه و ذلك أن أفلاطون رأى رجلا سمينا فقال يا هذا ماأكثر عنايتك بتعريض سور حبسك . ونظر أعرابى إلى رجل جيد الكدنة فقال أرى عليك قطيفة محكمة قال نعم ذاك عنوان نعمة الله عندى. ويقولون للكذاب هوقموص الحنجرة وأيضا هوزلوق الكبد وأيضا

لايوثق بسيل بلقعه وأيضا أسير الهند لأنه يدعى أنه ابن الملك و إن كان من أولاد السفلة. ويكنى عنه أيضا بالشيخ الغريب لأنه يحب أن يتزوج فى الغربة فيدعى أنه ابن خمسين سنة و هو ابن خمس وسبعين . [صفحه ١٩٦] ويقولون هوفاختة البلد من قول الشاعر أكذب من فاختة || تصيح فوق الكرب والطلع لم يبد لها || هذاأوان الرطب . و قال آخر فى المعنى حديث أبى حازم كله || كقول الفواخت جاء الرطب وهن و إن كن يشبهنه || فلسن يدانينه فى الكذب . ويكنون عن النمام بالزجاج لأنه يشف على ماتحته قال الشاعر أنم بما استودعته من زجاجة || يرى الشىء فيهاظاهرا و هوباطن . ويكنون عنه بالنسيم من قول الآخر وإنك كلما استودعت سرا || أنم من النسيم على الرياض . ويقولون إنه لصبح وإنه لطيب كله فى النمام ويقولون مازال يفتل له فى الذروة والغارب حتى أسمحت قرونته وهى النفس والذروة أعلى السنام والغارب مقدمه . ويقولون فى الكناية عن الجاهل مايدرى أى طرفيه أطول قالوا ذكره ولسانه وقالوا هل نسب أبيه أفضل أم نسب أمه . ومثله لايعرف قطانه من لطانه أى لايعرف جبهته مما بين وركيه . وقالوا الحدة كنية الجهل والاقتصاد كنية البخل والاستقصاء كنية الظلم . [صفحه ١٩٧] وقالوا للجائع عضه الصفر وعضه شجاع البطن . و قال الهذلى أرد شجاع البطن قدتعلمينه || وأوثر غرثى من عيالك بالطعم مخافة أن أحيا برغم وذلة || وللموت خير من حياة على رغم . ويقولون زوده زاد الضب أى لم يزوده شيئا لأن الضب لايشرب الماء وإنما يتغذى بالريح والنسيم ويأكل القليل من عشب الأرض . و قال ابن المعتز يقول أكلنا لحم جدى وبطة || وعشر دجاجات شواء بألبان و قدكذب الملعون ما كان زاده || سوى زاد ضب يبلع الريح عطشان . و قال أبوالطيب لقد لعب البين المشت بها وبى || وزودنى فى السير مازود الضبا . ويقولون للمختلفين من الناس هم كنعم الصدقة وهم كبعر الكبش قال عمرو بن لجأ وشعر كبعر الكبش ألف بينه || لسان دعى فى القريض دخيل . و ذلك لأن بعر الكبش يقع متفرقا. و قال بعض الشعراء لشاعر آخر أناأشعر منك لأنى أقول البيت وأخاه وتقول البيت و ابن عمه فأما قول جرير فى ذى الرمة إن شعره بعر ظباء ونقط عروس فقد فسره الأصمعى فقال يريد أن شعره حلو أول ماتسمعه فإذاكرر إنشاده ضعف لأن أبعار الظباء أول ماتشم توجد لها رائحة ماأكلت من الجثجاث والشيح [صفحه ١٩٨] والقيصوم فإذاأدمت شمها عدمت تلك الرائحة ونقط العروس إذاغسلتها ذهبت . ويقولون أيضا للمختلفين أخياف والخيف سواد إحدى العينين وزرق الأخرى ويقولون فيهم أيضا أولاد علات كالإخوة لأمهات شتى والعلة الضرة. ويقولون فيهم خبز كتاب لأنه يكون مختلفا قال شاعر يهجو الحجاج بن يوسف أينسى كليب زمان الهزال || وتعليمه سورة الكوثر رغيف له فلكة ماترى || وآخر كالقمر الأزهر . ومثله أ مارأيت بنى سلم وجوههم || كأنها خبز كتاب وبقال . ويقال للمتساوين فى الرداءة كأسنان الحمار قال الشاعر سواء كأسنان الحمار فلاترى || لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا . و قال آخر شبابهم وشيبهم سواء || فهم فى اللؤم أسنان الحمار . وأنشد المبرد فى الكامل لأعرابى يصف قوما من طيئ بالتساوى فى الرداءة و لما أن رأيت بنى جوين || جلوسا ليس بينهم جليس يئست من الذى أقبلت أبغى || لديهم إننى رجل يئوس إذا ما قلت أيهم لأى || تشابهت المناكب والرءوس . قال فقوله ليس بينهم جليس هجاء قبيح يقول لاينتجع الناس معروفهم [صفحه ١٩٩] فليس بينهم غيرهم ويقولون فى المتساويين فى الرداءة أيضا هما كحمارى العبادى قيل له أى حماريك شر قال هذا ثم هذا ويقال فى التساوى فى الشر والخير هم كأسنان المشط ويقال وقعا كركبتى البعير وكرجلى النعامة. و قال ابن الأعرابى كل طائر إذاكسرت إحدى رجليه تحامل على الأخرى إلاالنعام فإنه متى كسرت إحدى رجليه جثم فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه وإنى وإياه كرجلى نعامة || على مابنا من ذى غنى وفقير . و قال أبوسفيان بن حرب لعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة و قدتنافرا إليه أنتما كركبتى البعير فلم ينفر واحدا منهما فقالا فأينا اليمنى فقال كل منكما يمنى . وسأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب أيهم أفضل فقال هم كالحلقة الواحدة. وسئل ابن دريد عن المبرد وثعلب فأثنى عليهما فقيل فابن قتيبة قال ربوة بين جبلين أى خمل ذكره بنباهتهما. ويكنى عن الموت بالقطع عندالمنجمين و عن السعاية بالنصيحة عندالعمال و عن الجماع بالوطء عندالفقهاء و عن

السكر بطيب النفس عندالندماء و عن السؤال بالزوار عندالأجواد و عن الصدقة بما أفاء الله عندالصوفية. ويقال للمتكلف بمصالح الناس إنه وصى آدم على ولده و قد قال شاعر فى هذاالباب فكأن آدم عندقرب وفاته || أوصاك و هويجود بالحوباء ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم || وكفيت آدم عيلة الأبناء . ويقولون فلان خليفة الخضر إذا كان كثير السفر قال أبوتمام [صفحه ۲۰۰] خليفة الخضر من يربع على وطن || أوبلدة فظهور العيس أوطانى بغداد أهلى وبالشام الهوى و أنا || بالرقتين وبالفسطاط إخوانى و ماأظن النوى ترضى بما صنعت || حتى تبلغ بى أقصى خراسان . ويقولون للشىء المختار المنتخب هوثمرة الغراب لأنه ينتقى خير الثمر. ويقولون سمن فلان فى أديمه كناية عمن لاينتفع به أى ماخرج منه يرجع إليه وأصله أن نحيا من السمن انشق فى ظرف من الدقيق فقيل ذلك قال الشاعر ترحل فما بغداد دار إقامة || و لا عند من أضحى ببغداد طائل محل ملوك سمنهم فى أديمهم || وكلهم من حلية المجد عاطل فلاغرو أن شلت يد المجد والعلى || وقل سماح من رجال ونائل إذاغضغض البحر الغطامط ماءه || فليس عجيبا أن تغيض الجداول . ويقولون لمن لايفى بالعهد فلان لايحفظ أول المائدة لأن أولهايا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالعُقُودِ. ويقولون لمن كان حسن اللباس و لاطائل عنده هومشجب والمشجب خشبة القصار التى يطرح الثياب عليها قال ابن الحجاج -قرآن-۶۷-۱۱۳ لى سادة طائر السرور بهم || يطرده اليأس بالمقاليع مشاجب للثياب كلهم || و هذه عادة المشاقيع جائزتى عندهم إذاسمعوا || شعرى هذاكلام مطبوع [صفحه ۲۰۱] وإنهم يضحكون إن ضحكوا || منى وأبكى أنا من الجوع و قال آخر إذالبسوا دكن الخزوز وخضرها || وراحوا فقد راحت عليك المشاجب . وروى أن كيسان غلام أبى عبيدة وفد على بعض البرامكة فلم يعطه شيئا فلما وافى البصرة قيل له كيف وجدته قال وجدته مشجبا من حيث ماأتيته وجدته . ويكنون عن الطفيلى فيقولون هوذباب لأنه يقع فى القدور قال الشاعر أتيتك زائرا لقضاء حق || فحال الستر دونك والحجاب ولست بواقع فى قدر قوم || و إن كرهوا كمايقع الذباب . و قال آخر و أنت أخو السلام وكيف أنتم || ولست أخا الملمات الشداد وأطفل حين يجفى من ذباب || وألزم حين يدعى من قراد . ويكنون عن الجرب بحب الشباب قال الوزير المهلبى ياصروف الدهر حسبى || أى ذنب كان ذنبى علة خصت وعمت || فى حبيب ومحب دب فى كفيه يا من || حبه دب بقلبى فهو يشكو حر حب || وشكاتى حر حب . ويكنون عن القصير القامة بأبى زبيبة و عن الطويل بخيط باطل وكانت كنية مروان بن الحكم لأنه كان طويلا مضطربا قال فيه الشاعر لحا الله قوما أمروا خيط باطل || على الناس يعطى من يشاء ويمنع . و فى خيط باطل قولان أحدهما أنه الهباء ألذى يدخل من ضوء الشمس فى الكوة [صفحه ۲۰۲] من البيت وتسميه العامة غزل الشمس والثانى أنه الخيط ألذى يخرج من فى العنكبوت وتسميه العامة مخاط الشيطان . وتقول العرب للملقو لطيم الشيطان . و كان لقب عمرو بن سعيد الأشدق لأنه كان ملقوا. و قال بعضهم لآخر ماحدث قال قتل عبدالملك عمرا فقال قتل أبوالذبان لطيم الشيطان وَ كَذلِكَ نوُلَىّ بَعضَ الظّالِمِينَ بَعضاً بِما كانُوا يَكسِبُونَ. ويقولون للحزين المهموم يعد الحصى ويخط فى الأرض ويفت اليرمع قال المجنون -قرآن-۲۸۶-۳۵۳ عشية ما لى حيلة غيرأننى || بلقط الحصى والخط فى الدار مولع أخط وأمحو كل ما قدخططته || بدمعى والغربان حولى وقع . و هذاكالنادم يقرع السن والبخيل ينكت الأرض ببنانه أوبعود عندالرد قال الشاعر عبيد إخوانهم حتى إذاركبوا || يوم الكريهة فالآساد فى الأجم يرضون فى العسر والإيسار سائلهم || لايقرعون على الأسنان من ندم . و قال آخر فى نكت الأرض بالعيدان قوم إذانزل الغريب بدارهم || تركوه رب صواهل وقيان لاينكتون الأرض عندسؤالهم || لتطلب العلات بالعيدان . ويقولون للفارغ فؤاد أم موسى . [صفحه ۲۰۳] ويقولون للمثرى من المال منقرس و ذلك أن علة النقرس أكثر ماتعترى أهل الثروة والتنعم .حكى المبرد قال كان الحرمازى فى ناحية عمرو بن مسعدة و كان يجرى عليه فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام وتخلف الحرمازى ببغداد فأصابه النقرس فقال أقام بأرض الشام فاختل جانبى || ومطلبه بالشام غيرقريب و لاسيما من مفلس حلف نقرس || أ مانقرس فى مفلس بعجيب . و قال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب تواضع النقرس حتى لقد

|| صار إلى رجل ابن زيدان علة إنسان ولكنها || قدوجدت فی غيرإنسان . ويقولون للمترف رقيق النعل وأصله قول النابغة رقاق النعال طيب حجزاتهم || يحيون بالريحان يوم السباسب .يعنی أنهم ملوک والملک لايخصف نعله وإنما يخصف نعله من يمشی و قوله طيب حجزاتهم أی هم أعفاء الفروج أی يشدون حجزاتهم علی عفة وكذلک قولهم فلان مسمط النعال أی نعله طبقة واحدة غيرمخصوف قال المرار بن سعيد الفقعسی وجدت بنی خفاجة فی عقيل || كرام الناس مسمطة النعال . وقريب من هذاقول النجاشی و لايأكل الكلب السروق نعالنا || و لاينتقی المخ ألذی فی الجماجم . [صفحه ۲۰۴] يريد أن نعالهم سبت والسبت جلود البقر المدبوغة بالقرظ و لاتقربها الكلاب وإنما تأكل الكلاب غيرالمدبوغ لأنه إذاأصابه المطر دسمه فصار زهما. ويقولون للسيد لايطأ علی قدم أی هويتقدم الناس و لايتبع أحدا فيطأ علی قدمه . ويقولون قداخضرت نعالهم أی صاروا فی خصب وسعة قال الشاعر يتايهون إذااخضرت نعالهم || و فی الحفيظة أبرام مضاجير . و إذادعوا علی إنسان بالزمانة قالوا خلع الله نعليه لأن المقعد لايحتاج إلی نعل . ويقولون أطفأ الله نوره كناية عن العمی و عن الموت أيضا لأن من يموت فقد طفئت ناره . ويقولون سقاه الله دم جوفه دعاء عليه بأن يقتل ولده ويضطر إلی أخذ ديته إبلا فيشرب ألبانها. ويقولون رماه الله بليلة لاأخت لها أی ليلة موته لأن ليلة الموت لاأخت لها. ويقولون وقعوا فی سلا جمل أی فی داهية لايری مثلها لأن الجمل لاسلا له وإنما السلا للناقة وهی الجليدة التی تكون ملفوفة علی ولدها. ويقولون صاروا فی حولاء ناقة إذ صاروا فی خصب . وكانوا إذاوصفوا الأرض بالخصب قالوا كأنها حولاء ناقة. [صفحه ۲۰۵] ويقولون لأبناء الملوک والرؤساء و من يجری مجراهم جفاة المحز قال الشاعر جفاة المحز لايصيبون مفصلا || و لايأكلون اللحم إلاتخذما . يقول هم ملوک وأشباه الملوک لاحذق لهم بنحر الإبل والغنم و لايعرفون التجليد والسلخ ولهم من يتولی ذلک عنهم و إذا لم يحضرهم من يجزر الجزور تكلفوا هم ذلک بأنفسهم فلم يحسنوا حز المفصل كمايفعله الجزار و قوله و لايأكلون اللحم إلاتخذما . أی ليس بهم شره فإذاأكلوا اللحم تخذموا قليلا قليلا والخذم القطع وأنشد الجاحظ فی مثله وصلع الرءوس عظام البطون || جفاة المحز غلاظ القصر .لأن ذلک كله أمارات الملوک وقريب من ذلک قوله ليس براعی إبل و لاغنم || و لابجزار علی ظهر وضم . ويقولون فلان أملس يكنون عمن لاخير فيه و لاشر أی لايثبت فيه حمد و لاذم . ويقولون ملحه علی ركبته أی هوسيئ الخلق يغضبه أدنی شیء قال لاتلمها إنها من عصبة || ملحها موضوعة فوق الركب . ويقولون كناية عن مجوسی هوممن يخط علی النمل والنمل جمع نملة وهی قرحة بالإنسان كانت العرب تزعم أن المجوسی إذا كان من أخته وخط عليها برأت قال الشاعر و لاعيب فينا غيرعرق لمعشر || كرام و أنا لانخط علی النمل . [صفحه ۲۰۶] ويقولون للصبی قدقطفت ثمرته أی ختن و قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير مازال عصياننا لله يرذلنا || حتی دفعنا إلی يحيی ودينار إلاعليجين لم تقطف ثمارها || قدطالما سجدا للشمس والنار . ويقولون قدر حليمة أی لاغليان فيها. ويقولون لمن يصلی صلاة مختصرة هوراجز الصلاة. و قال أعرابی لرجل رآه يصلی صلاة خفيفة صلاتک هذه رجز. ويقولون فلان عفيف الشفة أی قليل السؤال وفلان خفيف الشفة كثير السؤال . وتكنی العرب عن المتيقظ بالقطامی و هوالصقر. ويكنون عن الشدة والمشقة بعرق القربة يقولون لقيت من فلان عرق القربة أی العرق الذی يحدث بک من حملها وثقلها و ذلک لأن أشد العمل كان عندهم السقی و ماناسبه من معالجة الإبل . وتكنی العرب عن الحشرات وهوام الأرض بجنود سعد يعنون سعد الأخبية و ذلک لأنه إذاطلع انتشرت فی ظاهر الأرض وخرج منها ما كان مسترا فی باطنها قال الشاعر قدجاء سعد منذرا بحره || موعدة جنوده بشره . ويكنی قوم عن السائلين علی الأبواب بحفاظ سورة يوسف ع لأنهم يعتنون بحفظها دون غيرها و قال عمارة يهجو محمد بن وهيب تشبهت بالأعراب أهل التعجرف || فدل علی ما قلت قبح التكلف [صفحه ۲۰۷] لسان عراقی إذا ماصرفته || إلی لغة الأعراب لم يتصرف و لم تنس ما قد كان بالأمس حاكه || أبوک وعود الجف لم يتقصف لئن كنت للأشعار والنحو حافظا || لقد كان من حفاظ سورة يوسف . ويكنون عن اللقيط بتربية القاضی و عن الرقيب بثانی الحبيب لأنه

يرى معه أبـدا قـال ابن الرومى موقف للرقيب لاأنسـاه || لست أختاره و لاآباه مرحبا بالرقيب من غيروعـد || جاء يجلو على من أهواه لاـأحب الرقيب إلاالأنـى || لاـأرى من أحب حتى أراه . ويكنون عن الوجه المليـح بحجـة المـذنب إشارة إلى قول الشاعر قدوجـدنا غفلـة من رقيب || فسرقنا نظرة من حبيب ورأينا ثم وجها مليحا || فوجـدنا حجـة للـذنوب . ويكنون عن الجاهل ذى النعمـة بحجـة الزنادقـة قال ابن الرومى مهلا أباالصـقر فكم طائر || خر صـريعا بعـدتحليق لاقـدست نعمى تسـربلتها || كم حجة فيهالزنـديق . و قال ابن بسام فى أبى الصـقر أيضا ياحجة الله فى الأرزاق والقسم || وعبرة لأولى الألباب والفهم تراك أصبحت فى نعماء سابغـة || إلا وربك غضـبان على النعم .فهـذا ضـد ذلك المقصـد لأن ذاك جعله حجة على الزندقة و هذاجعله حجة على قـدرة البارئ سبحانه على عجائب الأمور وغرائبها و أن النعم لاقـدر لها عنده سـبحانه حيث جعلها عند أبى الصـقر مع دناءة منزلته و قال ابن الرومى [صفحه ٢٠٨] وقينة أبرد من ثلجه || تبيت منها النفس فى ضجه كأنها من نتنها صخة || لكنها فى اللون أترجه تفـاوتت خلقتهـا فاغتـدت || لكل من عطل محتجه و قـديشابه ذلك قول أبى على البصـير فى ابن سـعدان يا ابن سـعدان أجلـح الرزق فى أمرك || واسـتحسن القبيـح بمره نلت مـا لم تكن تمنى إذا مـا || أسـرفت غايـة الأمانى عشـره ليس فيما أظن إلاالكيلاـ || ينكر المنكرون لله قـدره . وللمفجع فى قريب منه إن كنت خنتكم المودة غادرا || أوحلت عن سـنن المحب الوامق فمسـخت فى قبـح ابن طلحـة إنه || مـادل قط على كمال الخالق . ويقولون عرض فلان على الحاجـة عرضا سابريا أى خفيفا من غيراسـتقصاء تشبيها له بالثوب السابرى والـدرع السابريـة وهى الخفيفـة. ويحكى أن مرتدا مر على قوم يأكلون و هوراكب حمارا فقالوا انزل إلينا فقال هذاعرض سابرى فقالوا انزل يا ابن الفاعلة و هذاظرف ولباقه . ويقولون فى ذلك وعد سابرى أى لايقرن به وفـاء وأصل السابرى اللطيف الرقق . و قال المبرد سألت الجاحظ من أشـعر المولـدين فقال القائل كأن ثيابه أطلعن || من أزراره قمرا يزيدك وجهه حسـنا || إذا مازدته نظرا بعين خالط التفتير || فى أجفانها الحورا [صفحه ٢٠٩] ووجه سابرى لو || تصوب ماؤه قطرا .يعنى العباس بن الأحنف . وتقول العرب فى معنى قول المحدثين عرض عليه كذا عرضا سابريا عرض عليه عرض عالة أى عرض الماء على النعم العالـة التى قدشربت شـربا بعدشـرب و هوالعلل لأنها تعرض على الماء عرضا خفيفا لاتبالغ فيه . و من الكنايـات الحسـنة قول أعرابيـة قـالت لقيس بن سـعد بن عبـادة أشـكو إليـك قلـة الجرذان فى بيتى فاسـتحسن منهـا ذلك و قال لأكثرنهـا املئوا لهـا بيتهـا خبزا وتمرا وسـمنا وأقطـا ودقيقـا. وشبيه بـذلك مـاروى أن بعض الرؤساء سايره صاحب له على برذون مهزول فقـال له مـاأشـد هزال دابتـك فقـال يـدها مع أيـدينا ففطن لـذلك ووصـله . وقريب منه مـاحكى أن المنصور قال لإنسان مامالـك قـال مـاأصون به وجهى و لاـأعود به على صـديقى فقال لقـد تلطفت فى المسألـة وأمر له بصـلة. وجاء أعرابى إلى أبى العباس ثعلب وعنده أصـحابه فقال له ماأراد القائل بقوله الحمد لله الوهوب المنان || صار الثريد فى رءوس القضبان فأقبل ثعلب على أهل المجلس فقال أجيبوه فلم يكن عندهم جواب و قال له نفطويه الجواب منك ياسيدى أحسن فقال على أنكم لاتعلمونه قـالوا لاـنعلمه فقـال الأـعرابى قدسـمعت مـا قـال القوم فقـال و لا أنت أعزك الله تعلمه فقال ثعلب أراد أن السـنبل قـدأفرك قال صـدقت فأين حق الفائـدة فأشار إليهم ثعلب [صـفحه ٢١٠] فبروه فقـام قائلاـ بوركـت من ثعلب مـاأعظم بركتـك . ويكنون عن الشـيب بغبار العسكر وبرغوة الشباب قال الشاعر قالت أرى شيبا برأسك قلت لا || هذاغبار من غبار العسكر . وقالت آخر وسماه غبار وقائع الدهر غضبت ظلوم وأزمعت هجرى || وصبت ضمائرها إلى الغدر قالت أرى شيبا فقلت لها || هذاغبار وقائع الدهر . ويقولون للسـحاب فحـل الأرض . وقالوا القلم أحـد اللسانين ورداءة الخط أحـد الزمانتين . قال و قال الجاحظ رأيت رجلا أعمى يقول فى الشوارع و هويسأل ارحموا ذا الزمـانتين قلت و ماهمـا قـال أناأعمى وصوتى قبيـح و قـدأشار شاعر إلى هـذا فقال اثنان إذاعدا || حقيق بهما الموت فقير ما له زهد || وأعمى ما له صوت قال رسول الله ص إياكم وخضـراء الدمن فلما سـئل عنها قال المرأة الحسـناء فى المنبت السوء -روايت-١-٢-روايت-٢٣-٩٥ قال ع فى صـلح قوم من العرب إن بيننا وبينهم عيبـة مكفوفة أى

لانكشف مابيننا وبينهم من ضغن وحقد ودم -روايت-١-٢-روايت-١١-١١٠ قال ع الأنصار كرشى وعيبتى -روايت-١-٢-روايت-١١-٣٣ أى موضع سرى وكرشى جماعتى. [صفحه ٢١١] ويقال جاء فلان ربذ العنان أى منهزما. وجاء ينفض مذرويه أى يتوعد من غيرحقيقة. وجاء ينظر عن شماله أى منهزما. وتقول فلان عندى بالشمال أى منزلته خسيسة وفلان عندى باليمين أى بالمنزلة العليا قال أبونواس أقول لناقتى إذ بلغتنى || لقد أصبحت عندى باليمين فلم أجعلك للغربان نهبا || و لم أقل اشرقى بدم الوتين حرمت على الأزمة والولايا || وأعلاق الرحالة والوضين . و قال ابن ميادة أبينى أ فى يمنى يديك جعلتنى || فأفرح أم صيرتنى فى شمالك . وتقول العرب التقى الثريان فى الأمرين يأتلفان ويتفقان أوالرجلين قال أبوعبيدة والثرى التراب الندى فى بطن الوادى فإذاجاء المطر وسح فى بطن الوادى حتى يلتقى نداه والندى ألذى فى بطن الوادى يقال التقى الثريان . ويقولون هم فى خير لايطير غرابه يريدون أنهم فى خير كثير وخصب عظيم فيقع الغراب فلاينفر لكثرة الخصب . وكذلك أمر لاينادى وليده أى أمر عظيم ينادى فيه الكبار دون الصغار. وقيل المراد أن المرأة تشتغل عن وليدها فلاتناديه لعظم الخطب و من هذاقول الشاعر يصف حربا عظيمة [صفحه ٢١٢] إذاخرس الفحل وسط الحجور || وصاح الكلاب وعق الولد .يريد أن الفحل إذاعاين الجيش والبارقة لم يلتفت لفت الحجور و لم يصهل وتنبح الكلاب أربابها لأنها لاتعرفهم للبسهم الحديد وتذهل المرأة عن ولدها رعبا فجعل ذلك عقوقا. ويقولون أصبح فلان على قرن أعفر و هوالظبى إذاأرادوا أصبح على خطر و ذلك لأن قرن الظبى ليس يصلح مكانا فمن كان عليه فهو على خطر قال إمرؤ القيس و لامثل يوم بالعظالى قطعته || كأنى وأصحابى على قرن أعفرا . و قال أبوالعلاء المعرى كأننى فوق روق الظبى من حذر . وأنشد ابن دريد فى هذاالمعنى و ماخير عيش لايزال كأنه || محلة يعسوب برأس سنان يعنى من القلق و أنه غيرمطمئن . ويقولون به داء الظبى أى لاداء به لأن الظبى صحيح لايزال والمرض قل أن يعتريه ويقولون للمتلون المختلف الأحوال ظل الذئب لأنه لايزل مرة هكذا ومرة هكذا ويقولون به داء الذئب أى الجوع . [صفحه ٢١٣] وعهد فلان عهد الغراب يعنون أنه غادر قالوا لأن كل طائر يألف أنثاه إلاالغراب فإنه إذاباضت الأنثى تركها وصار إلى غيرها. ويقولون ذهب سمع الأرض وبصرها أى حيث لايدرى أين هو. وتقولون ألقى عصاه إذاأقام واستقر قال الشاعر فألقت عصاها واستقر بهاالنوى || كماقر عينا بالإياب المسافر . ووقع القضيب من يد الحجاج و هويخطب فتطير بذلك حتى بان فى وجهه فقام إليه رجل فقال إنه ليس ماسبق وهم الأمير إليه ولكنه قول القائل وأنشده البيت فسرى عنه . ويقال للمختلفين طارت عصاهم شققا. ويقال فلان منقطع القبال أى لارأى له . وفلان عريض البطان أى كثير الثروة. وفلان رخى اللب أى فى سعة. وفلان واقع الطائر أى ساكن . وفلان شديد الكاهل أى منيع الجانب . وفلان ينظر فى أعقاب نجم مغرب أى هونادم آيس قال الشاعر فأصبحت من ليلى الغداة كناظر || مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب . وسقط فى يده أى أيقن بالهلكة. و قدرددت يده إلى فيه أى منعته من الكلام . وبنو فلان يد على بنى فلان أى مجتمعون . [صفحه ٢١٤] وأعطاه كذا عن ظهر يد أى ابتداء لا عن مكافأة. ويقولون جاء فلان ناشرا أذنيه أى جاء طامعا. ويقال هذه فرس غيرمحلفة أى لاتحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها كريمة قال كميت غيرمحلفة ولكن || كلون الصرف عل به الأديم . وتقول حلب فلان الدهر أشطره أى مرت عليه صروبه خيره وشره . وقرع فلان لأمر ظنبوبه أى جد فيه واجتهد. وتقول أبدى الشر نواجذه أى ظهر. و قدكشفت الحرب عن ساقها وكشرت عن نابها. وتقول استنوق الجمل يقال ذلك للرجل يكون فى حديث ينتقل إلى غيره يخلطه به . وتقول لمن يهون بعد عزاستأتن العير. وتقول للضعيف يقوى استنسر البغاث . ويقولون شراب بأنقع أى معاود للأمور و قال الحجاج يا أهل العراق إنكم شرابون بأنقع أى معتادون الخير والشر والأنقع جمع نقع و هو مااستنقع من الغدران وأصله فى الطائر الحذر يرد المناقع فى الفلوات حيث لايبلغه قانص و لاينصب له شرك [صفحه ٢١٥]

ونختم هذاالفصل فى الكنايات بحكاية رواها أبوالفرج على بن الحسين الأصبهانى قال أبوالفرج أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارى قال حدثنى ابن عمى قال حدثنا أحمد بن عبد الله عن الهيثم بن عدى قال وحدثنى عمى قال حدثنا محمد بن سعد الكرانى قال حدثناالعمرى عن الهيثم بن عدى عن مجالد بن سعيد عن عبدالملك بن عمير قال قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميرا على العراق فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أناأحدهم فسرنا عنده فقال ليحدثنى كل رجل منكم أحدوثة وابدأ أنت يا أباعمرو فقلت أصلح الله الأمير أحديث حق أم حديث باطل قال بل حديث حق فقلت إن إمرأ القيس كان آلى أليهٔ ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين فجعل يخطب النساء فإذاسألهن عن هذاقلن أربعة عشر فبينا هويسير فى جوف الليل إذا هوبرجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه فأعجبته فقال لها ياجارية ماثمانية وأربعة واثنتان فقالت أماثمانية فأطباء الكلبة و أماأربعة فأخلاف الناقة و أمااثنتان فثديا المرأة فخطبها إلى أبيها فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال فجعل لها ذلك و على أن يسوق إليها مائة من الإبل وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك ثم بعث عبدا إلى المرأة وأهدى إليها معه نحيا من سمن ونحيا من عسل وحلة من عصب فنزل العبد على بعض المياه ونشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ودفع إليها [صفحه ٢١٦] هديتها فقالت أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا و أن أمى ذهبت تشق النفس نفسين و أن أخى ذهب يراعى الشمس و أن سماءكم انشقت و أن وعاءيكم نضبا.فقدم الغلام على مولاه فأخبره فقال أماقولها أن أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه و أماقولها إن أمى ذهبت تشق النفس نفسين فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء و أماقولها إن أخى ذهب يراعى الشمس فإن أخاها فى سرح له يرعاه فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به و أماقولها إن سماءكم انشقت فإن البرد ألذى بعثت به انشق و أماقولها إن وعاءيكم نضبا فإن النحيين اللذين بعثت بهما نقصا فاصدقنى فقال يامولاى إنى نزلت بماء من مياه العرب فسألونى عن نسبى فأخبرتهم أنى ابن عمك ونشرت الحلة ولبستها وتجملت بهافتعلقت بسمرة فانشقت وفتحت النحيين فأطعمت منهما أهل الماء فقال أولى لك ثم ساق مائة من الإبل وخرج نحوها ومعه العبد يسقى الإبل فعجز فأعانه إمرؤ القيس فرمى به العبد فى البئر وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل فأخبرهم أنه زوجها فقيل لها قدجاء زوجك فقالت و الله مأأدرى أزوجى هوأم لا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فأكل ماأطعموه فقالت اسقوه لبنا حازرا و هوالحامض فسقوه فشرب فقالت افرشوا له عندالفرث والدم ففرشوا له فنام فلما أصبحت أرسلت إليه أنى أريد أن أسألك فقال لها سلى عما بدا لك فقالت مم تختلج شفتاك قال من تقبيلى إياك فقالت مم يختلج كشحاك قال لالتزامى إياك قالت فمم يختلج فخذاك [صفحه ٢١٧] قال لتوركى إياك فقالت عليكم العبد فشدوا أيديكم به ففعلوا. قال ومر قوم فاستخرجوا إمرأ القيس من البئر فرجع إلى حيه وساق مائة من الإبل وأقبل إلى امرأته فقيل لها قدجاء زوجك فقالت و الله ماأدرى أزوجى هوأم لا ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ففعلوا فلما أتوه بذلك قال وأين الكبد والسنام والملحاء وأبى أن يأكل فقالت اسقوه لبنا حازرا فأتى به فأبى أن يشربه و قال فأين الضريب والرثيئة فقالت افرشوا له عندالفرث والدم ففرشوا له فأبى أن ينام و قال افرشوا لى عندالتلعة الحمراء واضربوا لى عليها خباء ثم أرسلت إليه هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث فأرسل إليها أن سلى عما شئت فقالت مم تختلج شفتاك فقال لشربى المشعشعات قالت فمم يختلج كشحاك قال للبسى الحبرات قالت فمم تختلج فخذاك قال لركضى المطهمات فقالت هذازوجى لعمرى فعليكم به فأهديت إليه الجارية. فقال ابن هبيرة حسبكم فلاخير فى الحديث سائر الليلة بعدحديث أبى عمرو ولن يأتينا أحد

منكم بأعجب منه فانصرفنا وأمر لى بجائزة [صفحه ۲۱۸]

۴۷۶

وَ قَالَ ع فِي كَلَامٍ لَهُ وَ وَلِيَهُم وَالٍ فَأَقَامَ وَ استَقَامَ حَتّى ضَرَبَ الدّينُ بِجِرَانِهِ الجران مقدم العنق و هذاالوالى هوعمر بن الخطاب . و هذاالكلام من خطبة خطبها فى أيام خلافته طويلة يذكر فيهاقربه من النبى ص واختصاصه له وإفضاءه بأسراره إليه حتى قال فيها فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحد كانا فيه وليهم بعده وال فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجرفية كانا فيه ثم اختلفوا ثالثا لم يكن يملك من أمر نفسه شيئا غلب عليه أهله فقادوه إلى أهوائهم كماتقود الوليدة البعير المخطوم فلم يزل الأمر بينه و بين الناس يبعد تارة ويقرب أخرى حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاءوا بى مدب الدبا يريدون بيعتى -روايت-۱-۲-روايت-۱۳-۴۲۷ . وتمام الخطبة معروف فليطلب من الكتب الموضوعة لهذا الفن [صفحه ۲۱۹]

۴۷۷

وَ قَالَ ع يأَتيِ عَلَى النّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ يَعَضّ المُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيهِ وَ لَم يُؤمَر بِذَلِكَ قَالَ اللّهُ سُبحَانَهُوَ لا تَنسَوُا الفَضلَ بَينَكُميَنهَدُ فِيهِ الأَشرَارُ وَ يُستَذَلّ الأَخيَارُ وَ يُبَايِعُ المُضطَرّونَ وَ قَد نَهَى رَسُولُ اللّهِص عَن بَيعِ المُضطَرّينَ -قرآن-۱۴۱-۱۷۱ زمان عضوض أى كلب على الناس كأنه يعضهم وفعول للمبالغة كالنفور العقوق ويجوز أن يكون من قولهم بئر عضوض أى بعيدة القعر ضيقة و ماكانت البئر عضوضا فأعضت كقولهم ماكانت جرورا فأجرت وهى كالعضوض . وعض فلان على ما فى يده أى بخل وأمسك . وينهد فيه الأشرار ينهضون إلى الولايات والرئاسات وترتفع أقدارهم فى الدنيا ويستذل فيه أهل الخير والدين و يكون فيه بيع على وجه الاضطرار والإلجاء كمن بيعت ضيعته و هوذليل ضعيف من رب ضيعة مجاورة لها ذى ثروة و عز وجاه فيلجئه بمنعه الماء واستذلاله الأكرة والوكيل إلى أن يبيعها عليه و ذلك منهى عنه لأنه حرام محض [صفحه ۲۲۰]

۴۷۸

اشاره

وَ قَالَ ع يَهلِكُ فِيّ رَجُلَانِ مُحِبّ مُفرِطٌ وَ بَاهِتٌ مُفتَرٍ قال الرضى رحمه الله تعالى و هذامثل قوله ع -روايت-۱-۵۱ يَهلِكُ فِيّ اثنَانِ مُحِبّ غَالٍ وَ مُبغِضٌ قَالٍ قدتقدم شرح مثل هذاالكلام وخلاصة هذاالقول أن الهالك فيه المفرط والمفرط أماالمفرط فالغلاة و من قال بتكفير أعيان الصحابة ونفاقهم أوفسقهم و أماالمفرط فمن استنقص به ع أوأبغضه أوحاربه أوأضمر له غلا ولهذا كان أصحابنا أصحاب النجاة والخلاص والفوز فى هذه المسألة لأنهم سلكوا طريقة مقتصدة قالوا هوأفضل الخلق فى الآخرة وأعلاهم منزلة فى الجنة وأفضل الخلق فى الدنيا وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب و كل من عاداه أوحاربه أوأبغضه فإنه عدو لله سبحانه وخالد فى النار مع الكفار والمنافقين إلا أن يكون ممن قدثبتت توبته ومات على توليه وحبه .فأما الأفاضل من المهاجرين والأنصار الذين ولوا الإمامة قبله فلو أنه أنكر إمامتهم [صفحه ۲۲۱] وغضب عليهم وسخط فعلهم فضلا عن أن يشهر

عليهم السيف أويدعو إلى نفسه لقلنا إنهم من الهالكين كما لوغضب عليهم رسول الله ص لأنه قدثبت أن رسول الله ص قال له حربك حربى وسلمك سلمى -روايت-١-٢-روايت-٣١-٥٦ أنه قال أللهم وال من والاه وعاد من عاداه -روايت-١-٢-روايت-١٣-٥٠ قال له لايحبك إلامؤمن و لايبغضك إلامنافق -روايت-١-٢-روايت-١٢-٥١ ولكنا رأينا رضى إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيئهم فلم يكن لنا أن نتعدى فعله و لانتجاوز مااشتهر عنه أ لاترى أنه لمابرئ من معاوية برئنا منه و لمالعنه لعناه و لماحكم بضلال أهل الشام و من كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص و عبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضا بضلالهم . والحاصل أنا لم نجعل بينه و بين النبى ص إلارتبة النبوة وأعطيناه كل ماعدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينه و لم نطعن فى أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم وعاملناهم بما عاملهم ع به

فصل فيما قيل فى التفضيل بين الصحابة

والقول بالتفضيل قول قديم قد قال به كثير من الصحابة والتابعين فمن الصحابة عمار والمقداد و أبوذر وسلمان وجابر بن عبد الله و أبى بن كعب وحذيفة وبريدة و أبوأيوب وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف و أبوالهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت و أبوالطفيل عامر بن واثلة والعباس بن عبدالمطلب وبنوه وبنو هاشم كافة وبنو المطلب كافة. [صفحه ٢٢٢] و كان الزبير من القائلين به فى بدء الأمر ثم رجع و كان من بنى أمية قوم يقولون بذلك منهم خالد بن سعيد بن العاص ومنهم عمر بن عبدالعزيز. و أناأذكر هاهنا الخبر المروى المشهور عن عمر و هو من رواية ابن الكلبى قال بينا عمر بن عبدالعزيز جالسا فى مجلسه دخل حاجبه ومعه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة ورجلان متعلقان بها ومعهم كتاب من ميمون بن مهران إلى عمر فدفعوا إليه الكتاب ففضه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم إلى أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز من ميمون بن مهران سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعدفإنه ورد علينا أمر ضاقت به الصدور وعجزت عنه الأوساع وهربنا بأنفسنا عنه ووكلناه إلى عالمه لقول الله عز و جل وَ لَو رَدّوهُ إِلَى الرّسُولِ وَ إِلى أُولِي الأَمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم و هذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها و إن أباها يا أمير المؤمنين زعم أن زوجها حلف بطلاقها أن على بن أبى طالب ع خير هذه الأمة وأولاها برسول الله ص و أنه يزعم أن ابنته طلقت منه و أنه لايجوز له فى دينه أن يتخذه صهرا و هويعلم أنها حرام عليه كأمه و إن الزوج يقول له كذبت وأثمت لقد بر قسمى وصدقت مقالتى وإنها امرأتى على رغم أنفك وغيظ قلبك فاجتمعوا إلى يختصمون فى ذلك فسألت الرجل عن يمينه فقال نعم قد كان ذلك و قدحلفت بطلاقها أن عليا خير هذه الأمة وأولاها برسول الله ص عرفه من عرفه وأنكره من أنكره فليغضب من -قرآن-٦٥٣-٧٥٦ [صفحه ٢٢٣] غضب وليرض من رضى وتسامع الناس بذلك فاجتمعوا له و إن كانت الألسن مجتمعة فالقلوب شتى و قدعلمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس فى أهوائهم وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة فاحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله وإنهما تعلقا بها وأقسم أبوها ألا يدعها معه وأقسم زوجها ألا يفارقها و لوضربت عنقها إلا أن يحكم عليه بذلك حاكم لايستطيع مخالفته والامتناع منه فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك وأرشدك . وكتب فى أسفل الكتاب إذا ماالمشكلات وردن يوما || فحارت فى تأملها العيون وضاق القوم ذرعا عن نباها || فأنت لها أباحفص أمين لأنك قدحويت العلم طرا || وأحكمك التجارب والشئون وخلفك الإله على الرعايا || فحظك فيهم الحظ الثمين . قال فجمع عمر بن عبدالعزيز بنى هاشم وبنى أمية وأفخاذ قريش ثم قال لأبى المرأة ماتقول أيها الشيخ قال يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتى وجهزتها إليه بأحسن مايجهز به مثلها حتى إذاأملت خيره ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذبا ثم أراد الإقامة معها فقال له عمر ياشيخ لعله لم يطلق امرأته فكيف حلف قال الشيخ سبحان الله ألذى حلف عليه لأبين حنثا وأوضح كذبا

من أن يختلج فى صدرى منه شك مع سنى وعلمى لأنه زعم أن عليا خير هذه الأمة و إلافامرأته طالق ثلاثا فقال للزوج ماتقول أهكذا حلفت قال نعم فقيل إنه لما قال نعم كاد المجلس يرتج بأهله وبنو أمية ينظرون إليه شزرا إلاأنهم لم ينطقوا بشىء كل ينظر إلى وجه عمر. [صفحه ۲۲۴] فأكب عمر مليا ينكت الأرض بيده والقوم صامتون ينظرون مايقوله ثم رفع رأسه و قال إذاولى الحكومة بين قوم || أصاب الحق والتمس السدادا و ماخير الإمام إذاتعدى || خلاف الحق واجتنب الرشادا . ثم قال للقوم ماتقولون فى يمين هذا الرجل فسكتوا فقال سبحان الله قولوا فقال رجل من بنى أمية هذاحكم فى فرج ولسنا نجترئ على القول فيه و أنت عالم بالقول مؤتمن لهم وعليهم قل ماعندك فإن القول ما لم يكن يحق باطلا ويبطل حقا جائز على فى مجلسى. قال لاأقول شيئا فالتفت إلى رجل من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب فقال له ماتقول فيما حلف به هذا الرجل ياعقيلى فاغتنمها فقال يا أمير المؤمنين إن جعلت قولى حكما أوحكمى جائزا قلت و إن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لى وأبقى للمودة قال قل وقولك حكم وحكمك ماض . فلما سمع ذلك بنو أمية قالوا ماأنصفتنا أمير المؤمنين إذ جعلت الحكم إلى غيرنا ونحن من لحمتك وأولى رحمك فقال عمر اسكتوا أعجزا ولؤما عرضت ذلك عليكم آنفا فما انتدبتم له قالوا لأنك لم تعطنا ماأعطيت العقيلى و لاحكمتنا كماحكمته فقال عمر إن كان أصاب وأخطأتم وحزم وعجزتم وأبصر وعميتم فما ذنب عمر لا أبالكم أتدرون مامثلكم قالوا لاندرى قال لكن العقيلى يدرى ثم قال ماتقول يا رجل قال نعم يا أمير المؤمنين كما قال الأول دعيتم إلى أمر فلما عجزتم || تناوله من لايداخله عجز فلما رأيتم ذاك أبدت نفوسكم || نداما وهل يغنى من القدر الحذر . فقال عمر أحسنت وأصبت فقل ماسألتك عنه قال يا أمير المؤمنين [صفحه ۲۲۵] بر قسمه و لم تطلق امرأته قال وأنى علمت ذاك قال نشدتك الله يا أمير المؤمنين أ لم تعلم أن رسول الله ص قال لفاطمة ع و هوعندها فى بيتها عائد لها يابنية ماعلتك قالت الوعك ياأبتاه و كان على غائبا فى بعض حوائج النبى ص فقال لها أتشتهين شيئا قالت نعم أشتهى عنبا و أناأعلم أنه عزيز و ليس وقت عنب فقال ص إن الله قادر على أن يجيئنا به ثم قال أللهم ائتنا به مع أفضل أمتى عندك منزلة فطرق على الباب ودخل ومعه مكتل قدألقى عليه طرف ردائه فقال له النبى ص ما هذا يا على قال عنب التمسته لفاطمة فقال الله أكبر الله أكبر أللهم كماسررتنى بأن خصصت عليا بدعوتى فاجعل فيه شفاء بنيتى ثم قال كلى على اسم الله يابنية فأكلت و ماخرج رسول الله ص حتى استقلت وبرأت -روايت-۱-۶۱۴ فقال عمر صدقت وبررت أشهد لقد سمعته ووعيته يا رجل خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه ثم قال يابنى عبدمناف و الله مانجهل مايعلم غيرنا و لابنا عمى فى ديننا ولكنا كما قال الأول تصيدت الدنيا رجالا بفخها || فلم يدركوا خيرا بل استقبحوا الشرا وأعماهم حب الغنى وأصمهم || فلم يدركوا إلاالخسارة والوزرا .قيل فكأنما ألقم بنى أمية حجرا ومضى الرجل بامرأته . وكتب عمر إلى ميمون بن مهران عليك سلام فإنى أحمدإليك الله الذى لاإله إلا هو أما بعدفإنى قدفهمت كتابك وورد الرجلان والمرأة و قدصدق الله يمين الزوج وأبر قسمه وأثبته على نكاحه فاستيقن ذلك واعمل عليه و السلام عليك ورحمة الله وبركاته . [صفحه ۲۲۶] فأما من قال بتفضيله على الناس كافة من التابعين فخلق كثير كأويس القرنى وزيد بن صوحان وصعصعة أخيه وجندب الخير وعبيدة السلمانى وغيرهم ممن لايحصى كثرة و لم تكن لفظة الشيعة تعرف فى ذلك العصر إلالمن قال بتفضيله و لم تكن مقالة الإمامية و من نحا نحوها من الطاعنين فى إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذاالنحو من الاشتهار فكان القائلون بالتفضيل هم المسمون الشيعة وجميع ماورد من الآثار والأخبار فى فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم ولذلك قال أصحابنا المعتزلة فى كتبهم وتصانيفهم نحن الشيعة حقا فهذا القول هوأقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المقتسمين طرفى الإفراط والتفريط إن شاء الله [صفحه ۲۲۷]

۴۷۹

وَ سُئِلَ عَنِ التّوحِيدِ وَ العَدلِ فَقَالَ التّوحِيدُ أَلّا تَتَوَهّمَهُ وَ العَدلُ أَلّا تَتّهِمَهُ هذان الركنان هما ركنا علم الكلام وهما شعار أصحابنا المعتزلة لنفيهم المعانى القديمة التى يثبتها الأشعرى وأصحابه ولتنزيههم البارئ سبحانه عن فعل القبيح . ومعنى قوله ألا تتوهمه أى ألا تتوهمه جسما أوصورة أو فى جهة مخصوصة أومالئا لكل الجهات كماذهب إليه قوم أونورا من الأنوار أوقوة سارية فى جميع العالم كماقاله قوم أو من جنس الأعراض التى تحل الحال أوتحل المحل و ليس بعرض كماقاله النصارى وغلاة الشيعة أوتحله المعانى والأعراض فمتى توهم على شيء من هذافقد خولف التوحيد و ذلك لأن كل جسم أوعرض أوحال فى محل أومحل الحال أومختص بجهة لابد أن يكون منقسما فى ذاته لاسيما على قول من نفى الجزاء مطلقا و كل منقسم فليس بواحد و قدثبت أنه واحد وأضاف أصحابنا إلى التوحيد نفى المعانى القديمة ونفى ثان فى الإلهية ونفى الرؤية ونفى كونه مشتهيا أونافرا أوملتذا أوآلما أوعالما بعلم محدث أوقادرا بقدرة محدثة أوحيا بحياة محدثة أونفى كونه عالما بالمستقبلات أبدا أونفى كونه عالما بكل معلوم أوقادرا [صفحه ۲۲۸] على كل الأجناس و غير ذلك من مسائل علم الكلام التى يدخلها أصحابنا فى الركن الأول و هوالتوحيد. و أماالركن الثانى فهو ألا تتهمه أى لاتتهمه فى أنه أجبرك على القبيح ويعاقبك عليه حاشاه من ذلك و لاتتهمه فى أنه مكن الكذابين من المعجزات فأضل بهم الناس و لاتتهمه فى أنه كلفك ما لاتطيقه و غير ذلك من مسائل العدل التى يذكرها أصحابنا مفصلة فى كتبهم كالعوض عن الألم فإنه لابد منه والثواب على فعل الواجب فإنه لابد منه وصدق وعده ووعيده فإنه لابد منه . وجملة الأمر أن مذهب أصحابنا فى العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين و هذاالمواضع من الموضع التى قدصرح فيهابمذهب أصحابنا بعينه و فى فرش كلامه من هذاالنمط ما لايحصى [صفحه ۲۲۹]

۴۸۰

وَ قَالَ ع فِي دُعَاءٍ استَسقَى بِهِ أللّهُمّ اسقِنَا ذُلُلَ السّحَائِبِ دُونَ صِعَابِهَا قال الرضى رحمه الله تعالى و هذا من الكلام العجيب الفصاحة و ذلك أنه ع شبه السحب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالإبل الصعاب التى تقمص برحالها وتتوقص بركبانها وشبه السحائب الخالية من تلك الزوابع بالإبل الذلل التى تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة -روايت-۱-۲۷۲ قدكفانا الرضى رحمه الله بشرحه هذه الكلمة مئونة الخوض فى تفسيرها [صفحه ۲۳۰]

۴۸۱

اشاره

وَ قِيلَ لَهُ ع لَو غَيّرتَ شَيبَكَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ فَقَالَ الخِضَابُ زِينَةٌ وَ نَحنُ قَومٌ فِي مُصِيبَةٍ بِرَسُولِ اللّهِص

مختارات مما قيل من الشعر فى الشيب والخضاب

قدتقدم لنا فى الخضاب قول كاف و أناأستملح قول الصابى فيه خضاب تقاسمناه بينى وبينها || ولكن شأنى فيه خالف شأنها فيا

قبحه إذ حل منی بمفرقی || و یاحسنه إذ حل منها بنانها وسحقا له عن لمتی حین شانها || وأهلا به فی کفها حیث زانها . و قال أبو تمام لعب الشیب بالمفارق بل جد || فأبکی تماضرا ولعوبا خضبت خدها إلی لؤلؤ العقد || دما أن رأت شواتی خضیبا کل داء یرجی الدواء له || إلاالفظیعین میتة ومشیبا یانسیب الثغام ذنبک أبقی || حسناتی عندالحسان ذنوبا [صفحه ۲۳۱] ولئن عبن مارأین لقد أنکرن || مستنکرا وعبن معیبا لورأی الله أن فی الشیب فضلا || جاورته الأبرار فی الخلد شیبا . و قال فإن یکن المشیب طغی علینا || وأودی بالبشاشة والشباب فإنی لست أدفعه بشیء || یکون علیه أثقل من خضاب أردت بأن ذاک وذا عذاب || فسلطت العذاب علی العذاب . ابن الرومی لم أخضب الشیب للغوانی || أبغی به عندهم ودادا لکن خضابی علی شباب || لبست من بعده حدادا . و من مختار ماجاء من الشعر فی الشیب و إن لم یکن فیه ذکر الخضاب قول أبی تمام نسج المشیب له لفاعا مغدفا || یققا فقنع مذرویه ونصفا نظر الزمان إلیه قطع دونه || نظر الشقیق تحسرا وتلهفا ماasود حتی ابیض کالکرم ألذی || لم یبد حتی جیء کیما یقطفا لماتفوفت الخطوب سوادها || ببیاضها عبثت به فتفوفا ما کان یخطر قبل ذا فی فکره || للبدر قبل تمامه أن یکسفا . و قال أیضا غدا الهم مختطا بفودی خطة || طریق الردی منها إلی الموت مهیع [صفحه ۲۳۲] هوالزور یجفی والمعاشر یجتوی || وذو الإلف یقلی والجدید یرقع له منظر فی العین أبیض ناصع || ولکنه فی القلب أسود أسفع ونحن نرجیه علی الکره والرضا || وأنف الفتی من وجهه و هوأجدع . و قال أیضا شعلة فی المفارق استودعتنی || فی صمیم الأحشاء ثکلا صمیما تستثیر الهموم مااکتن منها || صعدا وهی تستثیر الهموما غرة مرة ألا إنما کنت || أغر أیام کنت بهیما دقة فی الحیاة تدعی جلالا || مثل ماسمی اللدیغ سلیما حلمتنی زعمتم وأرانی || قبل هذاالتحلیم کنت حلیما . و قال الصابی وذکر الخضاب خضبت مشیبی للتعلق بالصبا || وأوهمت من أهواه أنی لم أشب فلما ادعی منی العذار شبیبة || إذاصلعی قدصاح من فوقه کذب فکم طرة طارت ودانت ذوائب || وکم وجنة حالت وماء بهانضب شواهد بالتزویر یحوین ربها || فهجرانه عندالأحبة قدوجب .البحتری بان الشباب فلاعین و لاأثر || إلابقیة برد منه أسمال قدکدت أخرجه عن منتهی عددی || یأسا وأسقطه إذ فات من بالی سوء العواقب یأس قبله أمل || وأعضل الداء نکس بعدإبلال والمرء طاعة أیام تنقله || تنقل الظل من حال إلی حال [صفحه ۲۳۳]

۴۸۲

اشاره

وَ قَالَ ع مَا المُجَاهِدُ الشّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَعظَمَ أَجراً مِمّن قَدَرَ فَعَفّ لَكَادَ العَفِيفُ أَن يَكُونَ مَلَكاً مِنَ المَلَائِكَةِ

نبذ وحکایات حول العفة

قدتقدم القول فی العفة وهی ضروب عفة الید وعفة اللسان وعفة الفرج وهی العظمی و قدجاء فی الحدیث المرفوع من عشق فکتم وعف وصبر فمات مات شهیدا ودخل الجنة -روایت-۱-۲-روایت-۲۹-۸۳ فی حکمة سلیمان بن داود أن الغالب لهواه أشد من ألذی یفتح المدینة وحده -روایت-۱-۲-روایت-۲۷-۷۹ .نزل خارجی علی بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج فشخص المنزول علیه لبعض حاجاته و قال لزوجته یاظمیاء أوصیک بضیفی هذاخیرا وکانت من أحسن الناس فلما عاد بعدشهر

قال لها كيف كان ضيفك قالت ماأشغله بالعمى عن كل شيء و كان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة و لا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها. [صفحه ۲۳۴] و قال الشاعر إن أكن طامح اللحاظ فإنى || و ألذى يملك القلوب عفيف .خرجت امرأة من صالحات نساء قريش إلى بابها لتغلقه ورأسها مكشوف فرآها رجل أجنبى فرجعت وحلقت شعرها وكانت من أحسن النساء شعرا فقيل لها فى ذلك قالت ماكنت لأدع على رأسى شعرا رآه من ليس لى بمحرم . كان ابن سيرين يقول ماغشيت امرأة قط فى يقظة و لانوم غيرأم عبد الله وإنى لأرى المرأة فى المنام وأعلم أنها لاتحل لى فأصرف بصرى عنها. و قال بعضهم وإنى لعف عن فكاهة جارتى || وإنى لمشنوء إلى اغتيابها إذاغاب عنها بعلها لم أكن لها || صديقا و لم تأنس إلى كلابها و لم أك طلابا أحاديث سرها || و لاعالما من أى حوك ثيابها .دخلت بثينة على عبدالملك بن مروان فقال ماأرى فيك يابثينة شيئا مما كان يلهج به جميل فقالت إنه كان يرنو إلى بعينين ليستا فى رأسك يا أمير المؤمنين قال فكيف صادفته فى عفته قالت كماوصف نفسه إذ قال لا و ألذى تسجد الجباه له || ما لى بما ضم ثوبها خبر و لابفيها و لاهممت به || ما كان إلاالحديث والنظر . و قال أبوسهل الساعدى دخلت على جميل فى مرض موته فقال يا أباسهل رجل يلقى الله و لم يسفك دما حراما و لم يشرب خمرا و لم يأت فاحشة أترجو له الجنة قلت إى و الله فمن هو قال إنى لأرجو أن أكون أنا ذلك فذكرت له بثينة [صفحه ۲۳۵] فقال إنى لفى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لانالتنى شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسى بريبة معها أو مع غيرها قط. قال الشاعر قالت و قلت ترفقى فصلى || حبل امرئ بوصالكم صب صادق إذابعلى فقلت لها || الغدر شيء ليس من شعبى ثنتان لاأصبو لوصلهما || عرس الصديق وجارة الجنب أماالصديق فلست خائنه || والجار أوصانى به ربى .يقال إن امرأة ذات جمال دعت عبد الله بن عبدالمطلب إلى نفسها لماكانت ترى على وجهه من النور فأبى و قال أماالحرام فالممات دونه || والحل لاحل فأستبينه فكيف بالأمر ألذى تبغينه || يحمى الكريم عرضه ودينه .راود توبة بن الحمير ليلى الأخيلية مرة عن نفسها فاشمأزت منه وقالت وذى حاجة قلنا له لاتبح بها || فليس إليها ماحييت سبيل لنا صاحب لاينبغى أن نخونه || و أنت لأخرى صاحب وخليل . ابن ميادة موانع لايعطين حبة خردل || وهن زوان فى الحديث أوانس ويكرهن أن يسمعن فى اللهو ريبة || كماكرهت صوت اللجام الشوامس .آخر بيض أوانس ماهممن بريبة || كظباء مكة صيدهن حرام [صفحه ۲۳۶] يحسبن من لين الكلام زوانيا || ويصدهن عن الخنا الإسلام فى الحديث المرفوع لاتكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لايزنى فرجك ماحفظت عينيك و إن استطعت ألا- تنظر إلى ثوب المرأة التى لاتحل لك فافعل ولن تستطيع ذلك إلاباذن الله -روايت-۱-۲-روايت-۲۳-۱۸۹ . كان ابن المولى الشاعر المدنى موصوفا بالعفة وطيب الإزار فأنشد عبدالملك شعرا له من جملته وأبكى فلاليلى بكت من صبابة || لباك و لاليلى لذى البذل تبذل وأخنع بالعتبى إذاكنت مذنبا || و إن أذنبت كنت ألذى أتنصل . فقال عبدالملك من ليلى هذه إن كانت حرة لأزوجنكها و إن كانت أمة لأشترينها لك بالغة مابلغت فقال كلا يا أمير المؤمنين ماكنت لأصعر وجه حر أبدا فى حرته و لا- فى أمته و ماليلى التى أنست بها إلاقوسى هذه سميتها ليلى لأن الشاعر لابد له من النسيب . ابن الملوح المجنون كأن على أنيابها الخمر مجه || بماء الندى من آخر الليل غابق و ماذقته إلابعينى تفرسا || كماشيم من أعلى السحابة بارق . هذامثل بيت الحماسة بأعذب من فيها و ماذقت طعمه || ولكننى فيما ترى العين فارس .شاعر ما إن دعانى الهوى لفاحشة || إلانهانى الحياء والكرم [صفحه ۲۳۷] و لا إلى محرم مددت يدى || و لامشت بى لريبة قدم .العباس بن الأحنف أتأذنون لصب فى زيارتكم || فعندكم شهوات السمع والبصر لايضمر السوء إن طال الجلوس به || عف الضمير ولكن فاسق النظر . قال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت فى الموسم وهى فى غاية الضر والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل لك من حاجة قالت حاجتى إن تنادى فى الموقف بقولى تزود كل الناس زادا يقيمهم || و ما لى زاد و السلام على نفسى .ففعلت و إذا أنابفتى منهوك فقال أناالزاد فمضيت به إليها فما زادوا على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف مصاحبا فقلت ماعلمت أن التقاء

كمايقتصر فيه على هذافقالت أمسك يافتى أ ماعلمت أن ركوب العار ودخول النار شديد. قال بعضهم كم قدظفرت بمن أهوى فيمنعنى || منه الحياء وخوف الله والحذر وكم خلوت بمن أهوى فيقنعنى || منه الفكاهة والتحديث والنظر أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم || و ليس لى فى حرام منهم وطر كذلك الحب لاإتيان معصية || لاخير فى لذة من بعدها سقر . قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنيه اعشقوا تظرفوا وعفوا تشرفوا.وصف أعرابى امرأة طرقها فقال مازال القمر يرينيها فلما غاب أرتنيه فقيل فما كان بينكما قال ماأقرب ماأحل الله مما حرم إشارة فى غيربأس ودنو من غيرمساس و لاوجع أشد من الذنوب . [صفحه ٢٣٨] كثير عزة وإنى لأرضى منك يا عزبالذى || لوأبصره الواشى لقرت بلابله بلا وبألا أستطيع وبالمنى || وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى || أواخره لانلتقى وأوائله . و قال بعض الظرفاء كان أرباب الهوى يسرون فيما مضى ويقنعون بأن يمضغ أحدهم لبانا قدمضغته محبوبته أويستاك بسواكها ويرون ذاك عظيما واليوم يطلب أحدهم الخلوة وإرخاء الستور كأنه قدأشهد على نكاحها أباسعيد و أباهريرة. و قال أحمد بن أبى عثمان الكاتب وإنى ليرضينى المرور ببابها || وأقنع منها بالوعيد وبالزجر . قال يوسف بن الماجشون أنشدت محمد بن المنكدر قول وضاح اليمن إذا قلت هاتى نولينى تبسمت || وقالت معاذ الله من فعل ماحرم فما نولت حتى تضرعت حولها || وعرفتها مارخص الله فى اللمم .فضحك و قال إن كان وضاح لفقيها فى نفسه . قال آخر فقالت بحق الله إلاأتيتنا || إذا كان لون الليل لون الطيالس فجئت و ما فى القوم يقظان غيرها || و قدنام عنها كل وال وحارس فبتنا مبيتا طيبا نستلذه || جميعا و لم أمدد لها كف لامس .مرت امرأة حسناء بقوم من بنى نمير مجتمعين فى ناد لهم فرمقوها بأبصارهم . و قال قائل منهم ماأكملها لو لاأنها رسحاء فالتفتت إليهم وقالت و الله [صفحه ٢٣٩] يابنى نمير ماأطعتم الله و لاالشاعر قال الله تعالى قُل لِلمُؤمِنِينَ يَغُضّوا مِن أَبصارِهِم. و قال الشاعر –قرآن-٥٧-٩٧ فغض الطرف إنك من نمير || فلاكعبا بلغت و لاكلابا .فأخجلتهم . و قال أبوصخر الهذلى من شعر الحماسة لليلة منها تعود لنا || من غير مارفث و لاإثم أشهى إلى نفسى و لوبرحت || مما ملكت و من بنى سهم .آخر و مانلت منها محرما غيرأننى || أقبل بساما من الثغر أفلجا والثم فاها آخذا بقرونها || وأترك حاجات النفوس تحرجا . وأعف من هذاالشعر قول عبدبنى الحسحاس على فسقه لعمر أبيها ماصبوت و لاصبت || إلى وإنى من صبا لحليم سوى قبلة أستغفر الله ذنبها || سأطعم مسكينا لها وأصوم . و قال آخر ومجدولة جدل العناق كأنما || سنا البرق فى داجى الظلام ابتسامها ضربت لها الميعاد ليست بكنة || و لاجارة يخشى على ذمامها فلما التقينا قالت الحكم فاحتكم || سوى خلة هيهات منك مرامها فقلت معاذ الله أن أركب التى || تبيد ويبقى فى المعاد أثامها . [صفحه ٢٤٠] قوله ليست بكنة و لاجارة يخشى على ذمامها مأخوذ من قول قيس بن الخطيم ومثلك قدأحببت ليست بكنة || و لاجارة و لاحليلة صاحب . و هذاالشاعر قدزاد عليه بقوله و لاحليلة صاحب . وأنشد ابن مندويه لبعضهم أنازانى اللسان والطرف إلا || أن قلبى يعاف ذاك ويأبى لايرانى الإله أشرب إلا || كل ماحل شربه لى وطابا .آخر نلهو بهن كذا من غيرفاحشة || لهو الصيام بتفاح البساتين .بشار بن برد قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم || ما فى التزام و لا فى قبلة حرج من راقب الناس لم يظفر بحاجته || وفاز بالطيبات الفاتك اللهج .البيت الآخر مثل قول القائل من راقب الناس مات هما || وفاز باللذة الجسور . أبوالطيب المتنبى وترى الفتوة والمروءة والأبوة || فى كل مليحة ضراتها هن الثلاث المانعاتى لذتى || فى خلوتى لاالخوف من تبعاتها إنى على شغفى بما فى خمرها || لأعف عما فى سراويلاتها . [صفحه ٢٤١] كان الصاحب رحمه الله يستهجن قوله عما فى سراويلاتها و يقول إن كثيرا من العهر أحسن من هذه العفة ومعنى البيت الأول أن هذه الخلال الثلاث تراهن الملاح ضرائر لهن لأنهن يمنعنه عن الخلوة بالملاح والتمتع بهن ثم قال إن هذه الخلال هى التى تمنعه لاالخوف من تبعاتها و قال قوم هذاتهاون بالدين ونوع من الإلحاد وعندى أن هذامذهب للشعراء معروف لايريدون به التهاون بالدين بل المبالغة فى وصف سجاياهم وأخلاقهم بالطهارة وأنهم يتركون القبيح لأنه قبيح لالورود الشرع به وخوف العقاب منه ويمكن

أیضا أن یرید بتبعاتها تبعات الدنیا أی لاأخاف من قوم هذه المحبوبة التی أنست بها و لاأشفق من حربهم وكیدهم فأما عفة الید وعفة اللسان فهما باب آخر و قدذكرنا طرفا صالحا من ذلك فی الأجزاء المتقدمة عندذكرنا الورع . و فی الحدیث المرفوع لایبلغ العبد أن یكون من المتقین حتی یترك ما لابأس به حذار ما به البأس -روایت-۱-۲-روایت-۲۳-۱۰۱ . و قال أبوبكر فی مرض موته إنا منذ ولینا أمر المسلمین لم نأخذ لهم درهما و لادینارا وأكلنا من جریش الطعام ولبسنا من خشن الثیاب و لیس عندنا من فیء المسلمین إلا هذاالناضح و هذاالعبد الحبشی و هذه القطیفة فإذاقبضت فادفعوا ذلك إلی عمر لیجعله فی بیت مال المسلمین فلما مات حمل ذلك إلی عمر فبكی كثیرا ثم قال رحم الله أبابكر لقد أتعب من بعده . قال سلیمان بن داود یابنی إسرائیل أوصیكم بأمرین أفلح من فعلهما لاتدخلوا أجوافكم إلاالطیب و لاتخرجوا من أفواهكم إلاالطیب . [صفحه ۲۴۲] و قال بعض الحكماء إذاشئت أن تعرف ربك معرفة یقینیة فاجعل بینك و بین المحارم حائطا من حدید فسوف یفتح علیك أبواب معرفته . ومما یحكی من ورع حسان بن أبی سنان أن غلاما له كتب إلیه من الأهواز أن قصب السكر أصابته السنة آفة فابتع ماقدرت علیه من السكر فإنك تجد له ربحا كثیرا فیما بعدفابتاع وطلب منهماابتاعه بعدقلیل بربح ثلاثین ألف درهم فاستقال البیع من صاحبه و قال إنه لم یعلم ماكنت أعلم حین اشتریته منه فقال البائع قدعلمت الآن مقدار الربح و قدطیبته لك وأحللتك فلم یطمئن قلبه و مازال حتی رده علیه .یقال إن غنم الغارة اختلطت بغم أهل الكوفة فتورع أبوحنیفة أن یأكل اللحم وسأل كم تعیش الشاة قالوا سبع سنین فترك أكل لحم الغنم سبع سنین . ویقال إن المنصور حمل إلیه بدرة فرمی بها إلی زاویة البیت فلما مات جاء بهاابنه حماد بن أبی حنیفة إلی أبی الحسن بن أبی قحطبة و قال إن أبی أوصانی أن أرد هذه علیك و قال إنها كانت عندی كالودیعة فاصرفها فیما أمرك الله به فقال أبو الحسن رحم الله أباحنیفة لقد شح بدینه إذ سخت به نفوس أقوام . و قال سفیان الثوری انظر درهمك من أین هو وصل فی الصف الأخیر. جابر سمعت النبی ص یقول لكعب بن عجرة لایدخل الجنة لحم نبت من السحت النار أولی به -روایت-۱-۲-روایت-۴۲-۹۳ . الحسن لووجدت رغیفا من حلال لأحرقته ثم سحقته ثم جعلته ذرورا ثم داویت به المرضی . [صفحه ۲۴۳] عائشة قالت یا رسول الله من المؤمن قال من إذاأصبح نظر إلی رغیفیه كیف یكتسبهما قالت یا رسول الله أماإنهم لوكلفوا ذلك لتكلفوه فقال لها إنهم قدكلفوه ولكنهم یعسفون الدنیا عسفا -روایت-۱-۲-روایت-۸-۱۹۱ حذیفة بن الیمان یرفعه أن قوما یجیئون یوم القیامة ولهم من الحسنات كأمثال الجبال فیجعلها الله هباء منثورا ثم یؤمر بهم إلی النار فقیل خلهم لنا یا رسول الله قال إنهم كانوا یصلون ویصومون ویأخذون أهبة من اللیل ولكنهم كانوا إذاعرض علیهم الحرام وثبوا علیه -روایت-۱-۲-روایت-۲۶-۲۷۳ [صفحه ۲۴۴]

۴۸۳

وَ قَالَ ع القَنَاعَةُ مَالٌ لَا یَنفَدُ قال و قدروی بعضهم هذاالكلام عن رسول الله ص -روایت-۱-۵۳ قدتقدم القول فی هذاالمعنی و قدتكررت هذه اللفظة بذاتها فی كلامه ع . و من جید القول فی القناعة قول الغزی أناكالثعبان جلدی ملبسی || لست محتاجا إلی ثوب الجمال فالخمول العز والیأس الغنی || والقنوع الملك هذا مابدا لی . و قال أیضا لاتعجبن لمن یهوی ویصعد فی || دنیاه فالخلق فی أرجوحة القدر واقنع بما قل فالأوشال صافیة || ولجة البحر لاتخلو من الكدر [صفحه ۲۴۵]

۴۸۴

وَ قَالَ ع لِزِیَادِ ابنِ أَبِیهِ وَ قَدِ استَخلَفَهُ لِعَبدِ اللّهِ بنِ العَبّاسِ عَلَی فَارِسَ وَ أَعمَالِهَا فِی كَلَامٍ طَوِیلٍ كَانَ بَینَهُمَا نَهَاهُ فِیهِ عَن تَقدِیمِ

الخَرَاجِ.استَعمِلِ العَدلَ وَ احذَرِ العَسفَ وَ الحَيفَ فَإِنّ العَسفَ يَعُودُ بِالجَلَاءِ وَ الحَيفَ يَدعُو إِلَى السّيفِ قدسبق الكلام فى العدل والجور وكانت عادة أهل فارس فى أيام عثمان أن يطلب الوالى منهم خراج أملاكهم قبل بيع الثمار على وجه الاستسلاف أولأنهم كانوا يظنون أن أول السنة القمرية هومبتدأ وجوب الخراج حملا للخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق الهلالية التابعة لسنة القمر كأجرة العقار وجوالى أهل الذمة فكان ذلك يجحف بالناس ويدعو إلى عسفهم وحيفهم . و قدغلط فى هذاالمعنى جماعة من الملوك فى كثير من الأعصار و لم يعلموا فرق ما بين السنتين ثم تنبه له قوم من أذكياء الناس فكبسوا وجعلوا السنين واحدة ثم أهمل الناس الكبس وانفرج ما بين السنة القمرية والسنة الخراجية التى هى سنة الشمس انفراجا كثيرا. واستقصاء القول فى ذلك لايليق بهذا الموضع لأنه خارج عن فن الأدب ألذى هوموضوع كتابنا هذا [صفحه ۲۴۶]

۴۸۵

وَ قَالَ ع أَشَدّ الذّنُوبِ مَا استَخَفّ بِهَا صَاحِبُهَا عظم المصيبة على حسب نعمة العاصى ولهذا كان لطم الولد وجه الوالد كبيرا ليس كلطمة وجه غيرالوالد. و لما كان البارئ تعالى أعظم المنعمين بل لانعمة إلا وهى فى الحقيقة من نعمه ومنسوبة إليه كانت مخالفته ومعصيته عظمة جدا فلاينبغى لأحد أن يعصيه فى أمر و إن كان قليلا فى ظنه ثم يستقله ويستهين به ويظهر الاستخفاف وقلة الاحتفال بمواقعته فإنه يكون قدجمع إلى المعصية معصية أخرى وهى الاستخفاف بقدر تلك المعصية التى لوأمعن النظر لعلم أنها عظيمة ينبغى له لو كان رشيدا أن يبكى عليها الدم فضلا عن الدمع فلهذا قال ع أشد الذنوب مااستخف بهاصاحبها [صفحه ۲۴۷]

۴۸۶

وَ قَالَ ع مَا أَخَذَ اللّهُ عَلَى أَهلِ الجَهلِ أَن يَتَعَلّمُوا حَتّى أَخَذَ عَلَى أَهلِ العِلمِ أَن يُعَلّمُوا تعليم العلم فرض كفاية و فى الخبر المرفوع من علم علما وكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار -روايت-۱-۲-روايت-۲۱-۸۱ روى معاذ بن جبل عن النبى ص قال تعلموا العلم فإن تعلمه خشية الله ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس فى الوحشة والمحدث فى الخلوة والجليس فى الوحدة والصاحب فى الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عندالأخلاء والسلاح على الأعداء -روايت-۱-۲-روايت-۳۹-۳۵۹ . ورئى واصل بن عطاء يكتب من صبى حديثا فقيل له مثلك يكتب من هذا فقال أماإنى أحفظ له منه ولكنى أردت أن أذيقه كأس الرئاسة ليدعوه ذلك إلى الازدياد من العلم . [صفحه ۲۴۸] و قال الخليل العلوم أقفال والسؤالات مفاتيحها. و قال بعضهم كان أهل العلم يضنون بعلمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه ويبذلون لهم دنياهم واليوم قدبذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه وضنوا عنهم بدنياهم . و قال بعضهم ابذل علمك لمن يطلبه وادع إليه من لايطلبه و إلا كان مثلك كمن أهديت له فاكهة فلم يطعمها و لم يطعمها حتى فسدت [صفحه ۲۴۹]

۴۸۷

وَ قَالَ ع شَرّ الإِخوَانِ مَن تَكَلّفُ لَهُ إنما كان كذلك لأن الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط وترك التكلف فإذااحتيج إلى التكلف له فقد دل ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق و من ليس بأخ صادق فهو من شر الإخوان . وروى ابن ناقيا فى كتاب

ملح الممالحة قال دخل الحسن بن سهل على المأمون فقال له كيف علمك بالمروءة قال ماأعلم مايريد أمير المؤمنين فأجيبه قال عليك بعمرو بن مسعدة قال فوافيت عمرا و فى داره صناع و هوجالس على آجرة ينظر إليهم فقلت إن أمير المؤمنين يأمرك أن تعلمنى المروءة فدعا بآجرة فأجلسنى عليها وتحدثنا مليا و قدامتلأت غيظا من تقصيره بى ثم قال ياغلام عندك شىءيؤكل فقال نعم فقدم طبقا لطيفا عليه رغيفان وثلاث سكرجات فى إحداهن خل و فى الأخرى مرىء و فى الأخرى ملح فأكلنا وجاء الفراش فوضأنا ثم قال إذاشئت فنهضت متحفظا و لم أودعه فقال لى إن رأيت أن تعود إلى فى يوم مثله فلم أذكر للمأمون شيئا مما جرى فلما كان فى اليوم ألذى وعدنى فيه لقياه [صفحه ۲۵۰] سرت إليه فاستؤذن لى عليه فتلقانى على باب الدار فعانقنى وقبل بين عينى وقدمنى أمامه ومشى خلفى حتى أقعدنى فى الدست وجلس بين يدى و قدفرشت الدار وزينت بأنواع الزينة وأقبل يحدثنى ويتنادر معى إلى أن حضرت وقت الطعام فأمر فقدمت أطباق الفاكهة فأصبنا منها ونصبت الموائد فقدم عليها أنواع الأطعمة من حارها وباردها وحلوها وحامضها ثم قال أى الشراب أعجب إليك فاقترحت عليه وحضر الوصائف للخدمة فلما أردت الانصراف حمل معى جميع ماأحضر من ذهب وفضة وفرش وكسوة وقدم إلى البساط فرس بمركب ثقيل فركبته وأمر من بحضرته من الغلمان الروم والوصائف حتى سعوا بين يدى و قال عليك بهم فهم لك ثم قال إذازارك أخوك فلاتتكلف له واقتصر على مايحضرك و إذادعوته فاحتفل به واحتشد و لاتدعن ممكنا كفعلنا إياك عندزيارتك إيانا وفعلنا يوم دعوناك [صفحه ۲۵۱]

۴۸۸

وَ قَالَ ع فِي كَلَامٍ لَهُ إِذَا احتَشَمَ المُؤمِنُ أَخَاهُ فَقَد فَارَقَهُ ليس يعنى أن الاحتشام علة الفرقة بل هودلالة وأمارة على الفرقة لأنه لو لم يحدث عنه مايقتضى الاحتشام لانبسط على عادته الأولى فالانقباض أمارة المباينة. هذاآخر مادونه الرضى أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين ع فى نهج البلاغة قدأتينا على شرحه بمعونة الله تعالى . ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضى مما نسبه قوم إليه فبعضه مشهور عنه وبعضه ليس بذلك المشهور لكنه قدروى عنه وعزى إليه وبعضه من كلام غيره من الحكماء ولكنه كالنظير لكلامه والمضارع لحكمته و لما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة رأينا ألا نخلى هذاالكتاب عنه لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب نهج البلاغة. [صفحه ۲۵۲] وربما وقع فى بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له لطول الكتاب وتباعد أطرافه و قدعددنا ذلك كلمة كلمة فوجدناه ألف كلمة. فإن اعترضنا معترض و قال فإذاكنتم قدأقررتم بأن بعضها ليس بكلام له فلما ذا ذكرتموه وهل ذلك إلانوع من التطويل .أجبناه وقلنا لو كان هذاالاعتراض لازما لوجب ألا نذكر شيئا من الأشباه والنظائر لكلامه فالعذر هاهنا هوالعذر هناك و هو أن الغرض بالكتاب الأدب والحكمة فإذاوجدنا مايناسب كلامه ع وينصب فى قالبه ويحتذى حذوه ويتقبل منهاجه ذكرناه على قاعدتنا فى ذكر النظير عندالخوض فى شرح نظيره . و هذاحين الشروع فيهاخالية عن الشرح لجلائها ووضوحها و إن أكثرها قدسبقت نظائره وأمثاله وبالله التوفيق [صفحه ۲۵۳]

الحكم المنسوبة

[صفحه ۲۵۵] الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ۱- كان كثيرا ما يقول إذافرغ من صلاة الليل أشهد أن السماوات و الأرض و مابينهما آيات تدل عليك وشواهد تشهد بما إليه دعوت كل مايؤدى عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك علوت بها عن خلقك فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ماآنسها من وحشة الفكر وكفاها

رجم الاحتجاج فهی مع معرفتها بک وولهها إلیک شاهدة بأنک لاتأخذک الأوهام و لاتدرکک العقول و لاالأبصار أعوذ بک أن أشیر بقلب أولسان أوید إلی غیرک لاإله إلا أنت واحدا أحدا فردا صمدا ونحن لک مسلمون -روایت-۱-۴-روایت-۴۷-۴۹۴ ۲-إلهی کفانی فخرا أن تکون لی ربا وکفانی عزا أن أکون لک عبدا أنت کماأرید فاجعلنی کماترید -روایت-۱-۹۶ ۳-ماخاف امرؤ عدل فی حکمه وأطعم من قوته وذخر من دنیاه لآخرته -روایت-۱-۶۹ ۴-أفضل علی من شئت تکن أمیره واستغن عمن شئت تکن نظیره واحتج إلی من شئت تکن أسیره -روایت-۱-۹۶ ۵- لو لاضعف الیقین ما کان لنا أن نشکو محنة یسیرة نرجو فی العاجل سرعة زوالها و فی الآجل عظیم ثوابها بین أضعاف نعم لواجتمع أهل السماوات و الأرض علی إحصائها ماوفوا بهافضلا عن القیام بشکرها -روایت-۱-۱۹۸ ۶- من علامات المأمون علی دین الله بعدالإقرار والعمل الحزم فی أمره والصدق فی قوله والعدل فی حکمه والشفقة علی رعیته لاـتخرجه القدرة إلی خرق و لاـاللین إلی ضعف و لاـتمنعه العزة من کرم عفو و لایدعوه العفو إلی -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۵۶] إضاعة حق و لایدخله الإعطاء فی سرف و لایتخطی به القصد إلی بخل و لاتأخذه نعم الله ببطر -روایت-از قبل-۹۴ ۷-الفسق نجاسة فی الهمة وکلب فی الطبیعة -روایت-۱-۴۲ ۸-قلوب الجهال تستفزها الأطماع وترتهن بالأمانی وتتعلق بالخدائع وکثرة الصمت زمام اللسان وحسم الفطنة وإماطة الخاطر وعذاب الحس -روایت-۱-۱۳۷ ۹-عداوة الضعفاء للأقویاء والسفهاء للحلماء والأشرار للأخیار طبع لایستطاع تغییره -روایت-۱-۸۳ ۱۰-العقل فی القلب والرحمة فی الکبد والتنفس فی الرئة -روایت-۱-۵۶ ۱۱- إذاأراد الله بعبد خیرا حال بینه و بین شهوته وحجز بینه و بین قلبه و إذاأراد به شرا وکله إلی نفسه -روایت-۱-۱۰۸ ۱۲-الصبر مطیة لاتکبو والقناعة سیف لاینبو -روایت-۱-۴۳ ۱۳-رحم الله عبدا اتقی ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشیطان موکل به -روایت-۱-۱۲۷ ۱۴-مر بمقبرة فقال السلام علیکم یا أهل الدیار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنین والمؤمنات والمسلمین والمسلمات أنتم لنا فرط ونحن لکم تبع نزورکم عما قلیل ونلحق بکم بعدزمان قصیر أللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۵۷] الحمد لله ألذی جعل الأرض کفاتا أحیاء وأمواتا والحمد لله ألذی منها خلقنا وعلیها ممشانا و فیهامعاشنا وإلیها یعیدنا طوبی لمن ذکر المعاد وقنع بالکفاف وأعد للحساب -روایت-از قبل-۱۶۹ ۱۵-إنکم مخلوقون اقتدارا ومربوبون اقتسارا ومضمنون أجداثا وکائنون رفاتا ومبعوثون أفرادا ومدینون حسابا فرحم الله امرأ اقترف فاعترف ووجل فعقل وحاذر فبادر وعمر فاعتبر وحذر فازدجر وأجاب فأناب وراجع فتاب واقتدی فاحتذی وتأهب للمعاد واستظهر بالزاد لیوم رحیله ووجه سبیله ولحال حاجته وموطن فاقته فقدم أمامه لدار مقامه فمهدوا لأنفسکم علی سلامة الأبدان وفسحة الأعمار فهل ینتظر أهل غضارة الشباب إلاحوانی الهرم و أهل بضاضة الصحة إلانوازل السقم و أهل مدة البقاء إلامفاجأة الفناء واقتراب الفوت ومشارفة الانتقال وإشفاء الزوال وحفز الأنین ورشح الجبین وامتداد العرنین وعلز القلق وقیظ الرمق وشدة المضض وغصص الجرض -روایت-۱-۶۴۴ ۱۶-ثلاث منجیات خشیة الله فی السر والعلانیة والقصد فی الفقر والغنی والعدل فی الغضب والرضا -روایت-۱-۹۶ [صفحه ۲۵۸] ۱۷-إیاکم والفحش فإن الله لایحب الفحش وإیاکم والشح فإنه أهلک من کان قبلکم هو ألذی سفک دماء الرجال و هو ألذی قطع أرحامها فاجتنبوه -روایت-۱-۱۴۵ ۱۸- إذامات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جاریة وعلم کان علمه الناس فانتفعوا به وولد صالح یدعو له -روایت-۱-۱۱۸ ۱۹- إذافعلت کل شیءفکن کمن لم یفعل شیئا -روایت-۱-۴۵ ۲۰-سأله رجل فقال بما ذا أسوء عدوی فقال بأن تکون علی غایة الفضائل لأنه إن کان یسوءه أن یکون لک فرس فاره أوکلب صیود فهو لأن تذکر بالجمیل وینسب إلیک أشد مساءة -روایت-۱-۱۷۵ ۲۱- إذاقذفت بشیء فلاتتهاون به و إن کان کذبا بل تحرز من طرق القذف جهدک فإن القول و إن لم یثبت یوجب ریبة وشکا -روایت-۱-۱۲۲ ۲۲-عدم الأدب سبب کل شر -روایت-۱-۲۷ ۲۳-الجهل بالفضائل عدل الموت -روایت-۱-۳۳ ۲۴- ماأصعب علی من استعبدته الشهوات أن یکون فاضلا -

روایت-۱-۵۵ ۲۵- من لم یقهر حسده کان جسده قبرا لنفسه -روایت-۱-۴۵ ۲۶-احمد من یغلظ علیک ویعظک لا من یزکیک ویتملقک -روایت-۱-۵۲ ۲۷-اختر أن تکون مغلوبا و أنت منصف و لا تختر أن تکون غالبا و أنت ظالم -روایت-۱-۷۳ ۲۸-لاتهضمن محاسنک بالفخر والتکبر -روایت-۱-۳۷ ۲۹- لاتنفک المدنیهٔ من شر حتی یجتمع مع قوهٔ السلطان قوهٔ دینه وقوهٔ حکمته -روایت-۱-۷۶ [صفحه ۲۵۹] ۳۰- إذاأردت أن تحمد فلایظهر منک حرص علی الحمد -روایت-۱-۵۰ ۳۱- من کثر همه سقم بدنه و من ساء خلقه عذب نفسه و من لاحی الرجال سقطت مروءته وذهبت کرامته وأفضل إیمان العبد أن یعلم أن الله معه حیث کان -روایت-۱-۱۵۵ ۳۲-کن ورعا تکن من أعبد الناس وارض بما قسم الله لک تکن من أغنی الناس وأحسن جوار من جاورک تکن مسلما و لاتکثرن الضحک فإن کثرته تمیت القلب وأخرس لسانک واجلس فی بیتک وابک علی خطیئتک -روایت-۱-۲۰۱ ۳۳- إن الرجل لیحرم الرزق بالذنب یصیبه و لایرد القدر إلاالدعاء و لایزید فی العمر إلاالبر و لایزول قدم ابن آدم یوم القیامهٔ حتی یسأل عن عمره فیم أفناه و عن شبابه فیم أبلاه و عن ماله من أین اکتسبه وفیم أنفقه وعما عمل فیما علم -روایت-۱-۲۴۵ ۳۴- فی التجارب علم مستأنف والاعتبار یفیدک الرشاد وکفاک أدبا لنفسک ماکرهته من غیرک وعلیک لأخیک مثل ألذی علیه لک -روایت-۱-۱۲۶ ۳۵-الغضب یثیر کامن الحقد و من عرف الأیام لم یغفل الاستعداد و من أمسک عن الفضول عدلت رأیه العقول -روایت-۱-۱۰۷ ۳۶-اسکت واستر تسلم و ماأحسن العلم یزینه العمل و ماأحسن العمل یزینه الرفق -روایت-۱-۸۴ ۳۷-أکبر الفخر ألا تفخر -روایت-۱-۲۴ ۳۸- ماأصعب اکتساب الفضائل وأیسر إتلافها -روایت-۱-۴۴ ۳۹- لاتنازع جاهلا و لاتشایع مائقا و لاتعاد مسلطا -روایت-۱-۵۲ ۴۰-الموت راحهٔ للشیخ الفانی من العمل وللشاب السقیم من السقم وللغلام -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۶۰] الناشئ من استقبال الکد والجمع لغیره ولمن رکبه الدین لغرمائه وللمطلوب بالوتر و هو فی جملهٔ الأمر أمنیهٔ کل ملهوف مجهود -روایت-از قبل-۱۲۹ ۴۱- ماکنت کاتمه عدوک من سر فلاتطلعن علیه صدیقک واعرف قدرک یستعل أمرک وکفی مامضی مخبرا عما بقی -روایت-۱-۱۰۷ ۴۲- لاتعدن عدهٔ تحقرها قلهٔ الثقهٔ بنفسک و لایغرنک المرتقی السهل إذا کان المنحدر وعرا -روایت-۱-۸۹ ۴۳-اتق العواقب عالما بأن للأعمال جزاء وأجرا واحذر تبعات الأمور بتقدیم الحزم فیها -روایت-۱-۸۹ ۴۴- من استرشد غیرالعقل أخطأ منهاج الرأی و من أخطأته وجوه المطالب خذلته الحیل و من أخل بالصبر أخل به حسن العاقبهٔ فإن الصبر قوهٔ من قوی العقل وبقدر مواد العقل وقوتها یقوی الصبر -روایت-۱-۱۹۰ ۴۵-الخطأ فی إعطاء من لایبتغی ومنع من یبتغی واحد -روایت-۱-۵۳ ۴۶-العشق مرض لیس فیه أجر و لاعوض -روایت-۱-۳۸ ۴۷-أعظم الخطایا عند الله اللسان الکذوب وقائل کلمهٔ الزور و من یمد بحبلها فی الإثم سواء -روایت-۱-۹۲ ۴۸-الخصومهٔ تمحق الدین -روایت-۱-۲۵ ۴۹-الجهاد ثلاثهٔ جهاد بالید وجهاد باللسان وجهاد بالقلب فأول مایغلب علیه من الجهاد یدک ثم لسانک ثم یصیر إلی القلب فإن کان لایعرف معروفا و لاینکر منکرا نکس فجعل أعلاه أسفله -روایت-۱-۱۸۶ [صفحه ۲۶۱] ۵۰- ماأنعم الله علی عبدنعمهٔ فشکرها بقلبه إلااستوجب المزید علیها قبل ظهورها علی لسانه -روایت-۱-۹۳ ۵۱-الحاجهٔ مسألهٔ والدعاء زیادهٔ والحمد شکر والندم توبهٔ -روایت-۱-۵۵ ۵۲-لن واحلم تنبل و لاتکن معجبا فتمقت وتمتهن -روایت-۱-۵۱ ۵۳- ما لی أری الناس إذاقرب إلیهم الطعام لیلا تکلفوا إنارهٔ المصابیح لیبصروا مایدخلون بطونهم و لایهتمون بغذاء النفس بأن ینیروا مصابیح ألبابهم بالعلم لیسلموا من لواحق الجهالهٔ والذنوب فی اعتقاداتهم وأعمالهم -روایت-۱-۲۲۲ ۵۴-الفقر هوأصل حسن سیاسهٔ الناس و ذلک أنه إذا کان من حسن السیاسهٔ أن یکون بعض الناس یسوس وبعضهم یساس و کان من یساس لایستقیم أن یساس من غیر أن یکون فقیرا محتاجا فقد تبین أن الفقر هوالسبب ألذی به یقوم حسن السیاسهٔ -روایت-۱-۲۳۳ ۵۵- لاتتکلم بین یدی أحد من الناس دون أن تسمع کلامه وتقیس ما فی نفسک من العلم إلی ما فی نفسه فإن وجدت ما فی نفسه أکثر فحینئذ ینبغی لک أن تروم زیادهٔ الشیء ألذی به یفضل علی ماعندک -روایت-۱-۱۹۹ ۵۶- إذا کان

اللسان آلـة لترجمة مايخطر فی النفس فليس ينبغی أن تستعمله فيما لم يخطر فيها -روايت-١-٩٢ ٥٧- إذا كان الآباء هم السبب فی الحياة فمعلمو الحكمـة والـدين هم السبب فی جودتها -روايت-١-٨۴ ۵٨- وشـكا إليه رجـل تعـذر الرزق فقال مه لاتجاهد الرزق جهاد المغالب و لاتتكل علی القدر اتكال المستسـلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢۶٢] فی الطلب من العفـة وليست العفة دافعة رزقا و لاالحرص جالبا فضـلا لأن الرزق مقسوم و فی شدة الحرص اكتساب المآثم -روايت-از قبل-١١٩ ۵٩- إذااسـتغنيت عن شیءفدعه وخذ ما أنت محتاج إليه -روايت-١-۵۴ ۶٠-العمر أقصر من أن تعلم كل مايحسن بك علمه فتعلم الأهم فالأهم -روايت-١-٧٢ ۶١- من رضـی بما قسم له استراح قلبه وبدنه -روايت-١-۴۶ ۶٢-أبعد ما يكـون العبـد من الله إذا كـان همه بطنه وفرجه -روايت-١-۵٩ ۶٣- ليس فی الحواس الظاهرة شیءأشـرف من العين فلاتعطوها سؤلها فيشـغلكم عن ذكر الله -روايت-١-٨۶ ۶۴-ارحموا ضـعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله لكم -روايت-١-۵٣ ۶۵-إزالة الجبال أسـهل من إزالة دولة قدأقبلت فاستعينوا بالله واصبروا فإِنّ الأَرضَ لِلّهِ يُورِثُها مَن يَشاءُ -روايت-١-١١۴ ۶۶- قال له عثمان فی كلاـم تلاحيـا فيه حتی جری ذكر أبی بكر وعمر أبوبكر وعمر خير منك فقال أناخير منك ومنهما عبـدت الله قبلهما وعبـدته بعدهما -روايت-١-١۴۶ ۶٧-أوثـق سـلم يتسلق عليه إلی الله تعـالی أن يكون خيرا -روايت-١-۶٠ ۶٨- ليس الموسـر من كان يسـاره باقيـا عنـده زمانـا يسيرا و كـان يمكن أن يغتصـبه غيره منه و لايبقی بعـدموته له لكن اليسار علی الحقيقـة هوالباقی دائما عنـدمالكه و لايمكن أن يؤخـذ منه ويبقی له بعـدموته و ذلك هوالحكمـة -روايت-١-٢٢٠ ۶٩-الشـرف اعتقاد المنن فی أعناق الرجال -روايت-١-۴٣ [صـفحه ٢۶٣] ٧٠-يضـر الناس أنفسـهم فی ثلاثة أشـياء الإفراط فی الأكل اتكالا علی الصـحة وتكلف حمـل مـا لايطاق اتكالا علی القوة والتفريط فی العمل اتكالا علی القـدر -روايت-١-١۴٨ ٧١-أحزم الناس من ملك جـده هزله وقهر رأيه هواه وأعرب عن ضـميره فعله و لم يخـدعه رضـاه عن حظه و لاغضـبه عن كيـده -روايت-١-١٢١ ٧٢- من لم يصلح خلائقه لم ينفع النـاس تأديبه -روايت-١-۴٩ ٧٣- من اتبع هواه ضـل و من حـاد سـاد وخمود الـذكر أجمـل من ذميم الـذكر -روايت-١-٧٠ ٧۴-لهب الشوق أخف محملاـ من مقاساة الملالـة -روايت-١-۴۵ ٧۵-بالرفق تنال الحاجـة وبحسن التأنی تسـهل المطالب -روايت-١-۵۵ ٧۶-عزيمة الصبر تطفئ نار الهوی ونفی العجب يؤمن به كيد الحساد -روايت-١-۶۶ ٧٧- ما شیءأحق بطول سـجن من لسـان -روايت-١-٣۶ ٧٨- لانـذر فی معصـية و لاـيمين فی قطيعـة -روايت-١-٣٩ ٧٩-لكل شـیءثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح -روايت-١-۴٧ ٨٠-إيـاكم والكسل فإنه من كسل لم يؤد لله حقا -روايت-١-۴٩ ٨١-احسبوا كلامكم من أعمـالكم وأقلوه إلاـ فی الخير -روايت-١-۵٢ ٨٢-أحسـنوا صـحبة النعم فإنهـا تزول وتشـهد علی صاحبهـا بمـا عمل فيها -روايت-١-۶۶ ٨٣-أكثروا ذكر الموت و يوم خروجكم من قبوركم و يوم وقوفكم بين يدی الله عز و جل يهن عليكم المصاب -روايت-١-١٠۴ [صـفحه ٢۶۴] ٨۴-بحسب مجاهـدة النفوس وردهـا عن شـهواتها ومنعهـا عن مصافحـة لـذاتها ومنع مـاأدت إليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات والعقوبات والحازم من ملك هواه فكان بملكه له قاهرا و لماقدحت الأفكار من سوء الظنون زاجرا فمتی لم ترد النفس عن ذلـك هجم عليهـا الفكر بمطالبـة ماشـغفت به فعنـد ذلك تأنس بالآراء الفاسـدة والأطماع الكاذبة والأمانی المتلاشـية و كما أن البصـر إذااعتل رأی أشـباحا وخيالات لاحقيقة لها كذلك النفس إذااعتلت بحب الشهوات وانطوت علی قبيـح الإـرادات رأت الآـراء الكاذبـة فإلی الله سـبحانه نرغب فی إصـلاح مافسـد من قلوبنا و به نسـتعين علی إرشاد نفوسنا فإن القلوب بيده يصرفها كيف شاء -روايت-١-۶١٣ ٨۵- لاتؤاخين الفاجر فإنه يزين لك فعله ويود لوأنك مثله ويحسن لك أقبـح خصاله ومـدخله ومخرجه من عنـدك شين وعار ونقص و لاالأحمق فإنه يجهـد لك نفسه و لاينفعك وربما أراد أن ينفعـك فضـرك سـكوته خير لـك من نطقه وبعـده خير لك من قربه وموته خير لك من حياته و لاالكـذاب فإنه لاينفعك معه شیءينقل حـديثك وينقل الحـديث إليك حتی إنه ليحدث بالصدق فلايصدق -روايت-١-٣٧٠ ٨۶- مااستقصی كريم قط قال

تعالى فى وصف نبيه عَرَّفَ بَعضَهُ وَ أَعرَضَ عَن بَعضٍ -روايت-١-٨٥ ٨٧-رب كلمة يخترعها حليم مخافة ما هوشر منها وكفى بالحلم ناصرا -روايت-١-٦٦ ٨٨- من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا و لا عن النار مهربا من عرف الله فأطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها -روايت-١-١٨٨ [صفحه ٢٦٥] ٨٩- من استحيا من الناس و لم يستحى من نفسه فليس لنفسه عندنفسه قدر -روايت-١-٧٣ ٩٠-غاية الأدب أن يستحى الإنسان من نفسه -روايت-١-٤٤ ٩١-البلاغة النصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة و من البصر بالحجة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وكانت الكناية أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر -روايت-١-١٧٧ ٩٢-إياك والشهوات وليكن مما تستعين به على كفها علمك بأنها ملهية لعقلك مهجنة لرأيك شائنة لغرضك شاغلة لك عن معاظم أمورك مشتدة بهاالتبعة عليك فى آخرتك إنما الشهوات لعب فإذاحضر اللعب غاب الجد ولن يقام الدين وتصلح الدنيا إلابالجد فإذانازعتك نفسك إلى اللهو واللذات فاعلم أنها قدنزعت بك إلى شر منزع وأرادت بك أفضح الفضوح فغالبها مغالبة ذلك وامتنع منها امتناع ذلك وليكن مرجعك منها إلى الحق فإنك مهما تترك من الحق لاتتركه إلا إلى الباطل ومهما تدع من الصواب لاتدعه إلا إلى الخطإ فلاتداهنن هواك فى اليسير فيطمع منك فى الكثير و ليس شىءمما أوتيت فاضلا عما يصلحك و ليس لعمرك و إن طال فضل عما ينوبك من الحق اللازم لك و لابمالك و إن كثر فضل عما يجب عليك فيه و لابقوتك و إن تمت فضل عن أداء حق الله عليك و لابرأيك و إن حزم فضل عما لاتعذر بالخطإ فيه فليمنعنك علمك بذلك من أن تطيل لك عمرا فى غيرنفع أوتضيع لك مالا فى غيرحق أو أن تصرف لك قوة فى غيرعبادة أوتعدل لك رأيا فى غيررشد -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٦٦] فالحفظ الحفظ لماأوتيت فإن بك إلى صغير ماأوتيت الكثير منه أشد الحاجة وعليك بما أضعته منه أشد الرزية و لاسيما العمر ألذى كل منفذ سواه مستخلف و كل ذاهب بعده مرتجع فإن كنت شاغلا نفسك بلذة فلتكن لذتك فى محادثة العلماء ودرس كتبهم فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغا منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك ونظرك فيه بالغه منك غير أن ذلك يجمع إلى عاجل السرور تمام السعادة وخلاف ذلك يجمع إلى عاجل الغى وخامة العاقبة وقديما قيل أسعد الناس أدركهم لهواه إذا كان هواه فى رشده فإذا كان هواه فى غيررشده فقد شقى بما أدرك منه وقديما قيل عود نفسك الجميل فباعتيادك إياه يعود لذيذا -روايت-از قبل-٦٠١ ٩٣-وكل ثلاث بثلاث الرزق بالحمق والحرمان بالعقل والبلاء بالمنطق ليعلم ابن آدم أن ليس له من الأمر شىء -روايت-١-١١٤ ٩٤-ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك عبدك وزوجتك وابنك -روايت-١-٥٣ و قدروينا هذه الكلمة لعمر فيما تقدم ٩٥-للمنافقين علامات يعرفون بهاتحيتهم لعنة وطعامهم تهمة وغنيمتهم غلول لايعرفون المساجد إلاهجرا و لايأتون الصلاة إلادبرا مستكبرون لايألفون و لايؤلفون خشب بالليل صخب بالنهار -روايت-١-١٨٧ [صفحه ٢٦٧] ٩٦-الحسد حزن لازم وعقل هائم ونفس دائم والنعمة على المحسود نعمة وهى على الحاسد نقمة -روايت-١-٩١ ٩٧- ياحملة العلم أتحملونه فإنما العلم لمن علم ثم عمل ووافق عمله علمه وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يقعدون حلقا فيباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره أولئك لاتصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله سبحانه -روايت-١-٣١٧ ٩٨-تعلموا العلم صغارا تسودوا به كبارا تعلموا العلم و لولغير الله فإنه سيصير لله العلم ذكر لايحبه إلاذكر من الرجال -روايت-١-١٢٢ ٩٩- ليس شىءأحسن من عقل زانه علم و من علم زانه حلم و من حلم زانه صدق و من صدق زانه رفق و من رفق زانه تقوى إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض والجزاء بالفرض والأخذ بالفضل والوفاء بالعهد والإنجاز للوعد و من حاول أمرا بالمعصية كان أقرب إلى مايخاف وأبعد مما يرجو -روايت-١-٢٩٢ ١٠٠- إذاجرت المقادير بالمكاره سبقت الآفة إلى العقل فحيرته وأطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس -روايت-١-١٠١ ١٠١- لاتصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة

منهم -روایت-۱-۵۹ ۱۰۲- لاتقسروا أولادکم علی آدابکم فإنهم مخلوقون لزمان غیرزمانکم -روایت-۱-۷۰ ۱۰۳- لاتطلب سرعة العمل واطلب تجویده فإن الناس لایسألون فی کم فرغ من العمل إنما یسألون عن جودة صنعته -روایت-۱-۱۱۳ ۱۰۴- لیس کل ذی عین یبصر و لا کل ذی أذن یسمع فتصدقوا علی أولی العقول الزمنة والألباب الحائرة بالعلوم التی هی أفضل صدقاتکم ثم تلاإِنّ الّذِینَ -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۶۸] یَکتُمُونَ ما أَنزَلنا مِنَ البَیّناتِ وَ الهُدی مِن بَعدِ ما بَیّنّاهُ لِلنّاسِ فِی الکِتابِ أُولئِکَ یَلعَنُهُمُ...اللّاعِنُونَ -روایت-از قبل-۱۳۱ ۱۰۵- من أتت علیه الأربعون من السنین قیل له خذ حذرک من حلول المقدور فإنک غیرمعذور و لیس أبناء الأربعین بأحق بالحذر من أبناء العشرین فإن طالبهما واحد و لیس عن الطلب براقد و هوالموت فاعمل لماأمامک من الهول ودع عنک زخرف القول -روایت-۱-۲۴۳ ۱۰۶-سئل عن القدر فقال أقصر أم أطیل قیل بل تقصر فقال جل الله أن یرید الفحشاء و عز عن أن یکون له فی الملک إلا مایشاء -روایت-۱-۱۲۹ ۱۰۷- من علم أنه یفارق الأحباب ویسکن التراب ویواجه الحساب ویستغنی عما ترک ویفتقر إلی ماقدم کان حریا بقصر الأمل وطول العمل -روایت-۱-۱۳۶ ۱۰۸-المؤمن لاتخله کثرة المصائب وتواتر النوائب عن التسلیم لربه والرضا بقضائه کالحمامة التی تؤخذ فراخها من وکرها ثم تعود إلیه -روایت-۱-۱۳۵ ۱۰۹- مامات من أحیا علما و لاافتقر من ملک فهما -روایت-۱-۴۹ ۱۱۰-العلم صبغ النفس و لیس یفوق صبغ الشیء حتی ینظف من کل دنس -روایت-۱-۷۰ ۱۱۱-اعلم أن الذی مدحک بما لیس فیک إنما هومخاطب غیرک وثوابه وجزاؤه قدسقطا عنک -روایت-۱-۸۷ ۱۱۲-إحسانک إلی الحر یحرکه علی المکافأة وإحسانک إلی النذل یبعثه علی معاودة المسألة -روایت-۱-۸۸ [صفحه ۲۶۹] ۱۱۳-الأشرار یتتبعون مساوئ الناس ویترکون محاسنهم کمایتتبع الذباب المواضع الفاسدة -روایت-۱-۸۹ ۱۱۴-موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة -روایت-۱-۴۰ ۱۱۵-ینبغی لمن ولی أمر قوم أن یبدأ بتقویم نفسه قبل أن یشرع فی تقویم رعیته و إلا کان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن یستقیم ذلک العود -روایت-۱-۱۵۳ ۱۱۶- إذاقوی الوالی فی عمله حرکته ولایته علی حسب ما هومرکوز فی طبعه من الخیر والشر -روایت-۱-۹۰ ۱۱۷- ینبغی للوالی أن یعمل بخصال ثلاث تأخیر العقوبة منه فی سلطان الغضب والأناة فیما یرتئیه من رأی وتعجیل مکافأة المحسن بالإحسان فإن فی تأخیر العقوبة إمکان العفو و فی تعجیل المکافأة بالإحسان طاعة الرعیة و فی الأناة انفساح الرأی وحمد العاقبة ووضوح الصواب -روایت-۱-۲۷۳ ۱۱۸- من حق العالم علی المتعلم ألا یکثر علیه السؤال و لا یعنته فی الجواب و لایلح علیه إذاکسل و لایفشی له سرا و لایغتاب عنده أحدا و لایطلب عثرته فإذازل تأنیت أوبته وقبلت معذرته و أن تعظمه وتوقره ماحفظ أمر الله وعظمه وألا تجلس أمامه و إن کانت له حاجة سبقت غیرک إلی خدمته فیها و لاتضجرن من صحبته فإنما هوبمنزلة النخلة ینتظر متی یسقط علیک منها منفعة وخصه بالتحیة واحفظ شاهده وغائبة ولیکن ذلک کله لله عز و جل فإن العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد فی سبیل الله و إذامات العالم ثلم فی الإسلام ثلمة لایسدها إلاخلف منه وطالب العلم تشیعه الملائکة حتی یرجع -روایت-۱-۶۰۳ [صفحه ۲۷۰] ۱۱۹-وصول معدم خیر من جاف مکثر و من أراد أن ینظر ما له عند الله فلینظر مالله عنده -روایت-۱-۸۸ ۱۲۰-لقد سبق إلی جنات عدن أقوام ماکانوا أکثر الناس صلاة و لاصیاما و لاحجا و لااعتمارا ولکن عقلوا عن الله أمره فحسنت طاعتهم وصح ورعهم وکمل یقینهم ففاقوا غیرهم بالحظوة ورفیع المنزلة -روایت-۱-۱۹۵ ۱۲۱- ما من عبد إلا ومعه ملک یقیه ما لم یقدر له فإذاجاء القدر خلاه وإیاه -روایت-۱-۸۰ ۱۲۲- إن الله سبحانه أدب نبیه ص بقوله خُذِ العَفوَ وَ أمُر بِالعُرفِ وَ أَعرِض عَنِ الجاهِلِینَ فلما علم أنه قدتأدب قال له وَ إِنّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ فلما استحکم له من رسوله ماأحب قال وَ ما آتاکُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُم عَنهُ فَانتَهُوا -روایت-۱-۲۶۶ ۱۲۳-کنت أنا والعباس وعمر نتذاکر المعروف فقلت أناخیر المعروف ستره و قال العباس خیره تصغیره و قال عمر خیره تعجیله فخرج علینا رسول الله فقال فیم أنتم فذکرنا له فقال خیره أن یکون هذاکله فیه -روایت-۱-۲۰۹ ۱۲۴-العفو یفسد من اللئیم بقدر مایصلح من الکریم -روایت-۱-۵۱ ۱۲۵- إذاخبث الزمان

كسدت الفضائل وضرت ونفقت الرذائل ونفعت و كان خوف الموسر أشد من خوف المعسر -روايت-١-١٠٣ ١٢۶-انظر إلى المتنصح إليك فإن دخل من حيث يضار الناس فلاتقبل -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٧١] نصيحته وتحرز منه و إن دخل من حيث العدل والصلاح فاقبلها منه -روايت-از قبل-۶٩ ١٢٧-أعداء الرجل قديكونوا أنفع من إخوانه لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها ويخاف شماتتهم به فيضبط نعمته ويتحرز من زوالها بغاية طوقه -روايت-١-١۴٠ ١٢٨-المرآة التى ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هى الناس لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ومساويه من أعدائه فيهم -روايت-١-١٢٢ ١٢٩-انظر وجهك كل وقت فى المرآة فإن كان حسنا فاستقبح أن تضيف إليه فعلا قبيحا وتشينه به و إن كان قبيحا فاستقبح أن تجمع بين قبحين -روايت-١-١٣٩ ١٣٠-موقع الصواب من الجهال مثل موقع الخطإ من العلماء -روايت-١-۵٨ ١٣١-ذك قلبك بالأدب كماتذكى النار بالحطب -روايت-١-۴۶ ١٣٢-كفر النعمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم -روايت-١-۴٠ ١٣٣-عاديت من ماريت -روايت-١-٢٢ ١٣۴- لاتصرم أخاك على ارتياب و لاتقطعه دون استعتاب -روايت-١-۵٧ ١٣۵-خير المقال ماصدقه الفعال -روايت-١-٣٣ ١٣۶- إذا لم ترزق غنى فلاتحرمن تقوى -روايت-١-۴٠ ١٣٧- من عرف الدنيا لم يحزن للبلوى -روايت-١-٣٨ ١٣٨-دع الكذب تكرما إن لم تدعه تأثما -روايت-١-۴١ ١٣٩-الدنيا طواحة طراحة فضاحة آسية جراحة -روايت-١-۴١ ١۴٠-الدنيا جمة المصائب مرة المشارب لاتمتع صاحبا بصاحب -روايت-١-۵٩ ١۴١-المعتذر من غيرذنب يوجب على نفسه الذنب -روايت-١-۴٨ [صفحه ٢٧٢] ١۴٢- من كسل لم يؤد حقا -روايت-١-٢۵ ١۴٣-كثرة الجدال تورث الشك -روايت-١-٣٠ ١۴۴-خير القلوب أوعاها -روايت-١-٢۴ ١۴۵-الحياء لباس سابغ وحجاب مانع وستر من المساوئ واق وحليف للدين وموجب للمحبة وعين كالئة تذود عن الفساد وتنهى عن الفحشاء والعجلة فى الأمور مكسبة للمذلة وزمام للندامة وسلب للمروءة وشين للحجى ودليل على ضعف العقيدة -روايت-١-٢٢٩ ١۴۶- إذابلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكرت للناس أخلاقه -روايت-١-۶٣ ١۴٧- لاتصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شرا و أنت لاتعلم -روايت-١-۶۵ ١۴٨-موت الصالح راحة لنفسه وموت الطالح راحة للناس -روايت-١-۵۶ ١۴٩-ينبغى للعاقل أن يتذكر عندحلاوة الغذاء مرارة الدواء -روايت-١-۵٨ ١۵٠- إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى فى مكروهك فلاتقابله بمثل ماكافحك به فتعذر نفسه فى الإساءة إليك وتشرع له طريقا إلى مايحبه فيك لكن اجتهد فى التزيد من تلك الفضيلة التى حسدك عليها فإنك تسوءه من غير أن توجده حجة عليك -روايت-١-٢۵۶ ١۵١- إذاأردت أن تعرف طبع الرجل فاستشره فإنك تقف من مشورته على عدله وجوره وخيره وشره -روايت-١-٩۶ ١۵٢-يجب عليك أن تشفق على ولدك أكثر من إشفاقه عليك -روايت-١-۵٧ ١۵٣-زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصر من زمان العادل لأن الجائر مفسد والعادل مصلح وإفساد الشيء أشرع من إصلاحه -روايت-١-١٢۴ [صفحه ٢٧٣] ١۵۴- إذاخدمت رئيسا فلاتلبس مثل ثوبه و لاتركب مثل مركوبه و لاتستخدم كخدمه فعساك تسلم منه -روايت-١-١٠١ ١۵۵- لاتحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك و لاالجهال فيستثقلوك ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ماتقول ويكتم عليك مايسمع فإن لعلمك عليك حقا كما أن عليك فى مالك حقا بذله لمستحقه ومنعه عن غيرمستحقه -روايت-١-٢٣۴ ١۵۶-اليقين فوق الإيمان والصبر فوق اليقين و من أفرط رجاؤه غلبت الأمانى على قلبه واستعبدته -روايت-١-١٠٠ ١۵٧- إياك وصاحب السوء فإنه كالسيف كالمسلول يروق منظره ويقبح أثره -روايت-١-٧۴ ١۵٨- يا ابن آدم احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلاتجده -روايت-١-٩٣ ١۵٩- من أخطأه سهم المنية قيده الهرم -روايت-١-۴١ ١۶٠- من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها -روايت-١-۴۴ ١۶١-العاقل من اتهم رأيه و لم يثق بما سولته له نفسه -روايت-١-۵٨ ١۶٢- من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لايحب -روايت-١-۵٠ ١۶٣-كفى مامضى مخبرا عما بقى وكفى عبرا لذوى الألباب ماجربوا -روايت-١-۶۶ ١۶۴-أمر لاتدرى متى يغشاك مايمنعك أن تستعد له قبل أن يفجأك -روايت-١-۶۵ [صفحه

۲۷۴] ۱۶۵- لیس فی البرق الخاطف مستمتع لمن یخوض فی الظلمة -روایت-۱-۵۸ ۱۶۶- إذاأعجبک مایتواصفه الناس من محاسنک فانظر فیما بطن من مساوئک ولتکن معرفتک بنفسک أوثق عندک من مدح المادحین لک -روایت-۱-۱۲۸ ۱۶۷- من مدحک بما لیس فیک من الجمیل و هوراض عنک ذمک بما لیس فیک من القبیح و هوساخط علیک -روایت-۱-۹۷ ۱۶۸- إذاتشبه صاحب الریاء بالمخلصین فی الهیئة کان مثل الوارم ألذی یوهم الناس أنه سمین فیظن الناس ذلک فیه و هویستر مایلقی من الألم التابع للورم -روایت-۱-۱۵۹ ۱۶۹- إذاقویت نفس الإنسان انقطع إلی الرأی وإذ ضعفت انقطع إلی البخت -روایت-۱-۷۵ ۱۷۰-الرغبة إلی الکریم تحرکه علی البذل و إلی الخسیس تغریه بالمنع -روایت-۱-۷۱ ۱۷۱-خیار الناس یترفعون عن ذکر معایب الناس ویتهمون المخبر بها ویأثرون الفضائل ویتعصبون لأهلها ویستعرضون مآثر الرؤساء وإفضالهم علیهم ویطالبون أنفسهم بالمکافأة علیها وحسن الرعایة لها -روایت-۱-۱۹۴ ۱۷۲-لکل شیءقوت وأنتم قوت الهوام و من مشی علی ظهر الأرض فإن مصیره إلی بطنها -روایت-۱-۸۴ ۱۷۳- من کرم المرء بکاؤه علی مامضی من زمانه وحنینه إلی أوطانه وحفظه قدیم إخوانه -روایت-۱-۹۰ [صفحه ۲۷۵] ۱۷۴- و من دعائه أللهم إن کنا قدقصرنا عن بلوغ طاعتک فقد تمسکنا من طاعتک بأحبها إلیک لاإله إلا أنت جاءت بالحق من عندک -روایت-۱-۶-روایت-۱۹-۱۲۹ ۱۷۵-أصابت الدنیا من أمنها وأصاب الدنیا من حذرها -روایت-۱-۵۱ ۱۷۶- ووقف علی قوم أصیبوا بمصیبة فقال إن تجزعوا فحق الرحم بلغتم و إن تصبروا فحق الله أدیتم -روایت-۱-۹۹ ۱۷۷-مکارم الأخلاق عشر خصال السخاء والحیاء والصدق وأداء الأمانة والتواضع والغیرة والشجاعة والحلم والصبر والشکر -روایت-۱-۱۱۷ ۱۷۸- من أداء الأمانة المکافأة علی الصنیعة لأنها کالودیعة عندک -روایت-۱-۶۴ ۱۷۹-الخیر النفس تکون الحرکة فی الخیر علیه سهلة متیسرة والحرکة فی الإضرار عسرة بطیئة والشریر بالضد من ذلک -روایت-۱-۱۱۰ ۱۸۰-البخلاء من الناس یکون تغافلهم عن عظیم الجرم أسهل علیهم من المکافأة علی یسیر الإحسان -روایت-۱-۹۷ ۱۸۱-مثل الإنسان الحصیف مثل الجسم الصلب الکثیف یسخن بطیئا وتبرد تلک السخونة بأطول من ذلک الزمان -روایت-۱-۱۰۸ ۱۸۲- ثلاثة یرحمون عاقل یجری علیه حکم جاهل وضعیف فی ید ظالم قوی وکریم قوم احتاج إلی لئیم -روایت-۱-۱۰۰ ۱۸۳- من صحب السلطان وجب أن یکون معه کراکب البحر إن سلم بجسمه من الغرق لم یسلم بقلبه من الفرق -روایت-۱-۱۰۶ [صفحه ۲۷۶] ۱۸۴- لاتقبلن فی استعمال عمالک وأمرائک شفاعة إلاشفاعة الکفایة والأمانة -روایت-۱-۷۵ ۱۸۵- إذااستشارک عدوک فجرد له النصیحة لأنه باستشارتک قدخرج من عدواتک ودخل فی مودتک -روایت-۱-۹۱ ۱۸۶-العدل صورة واحدة والجور صور کثیرة ولهذا سهل ارتکاب الجور وصعب تحری العدل وهما یشبهان الإصابة فی الرمایة والخطأ فیها و إن الإصابة تحتاج إلی ارتیاض وتعهد والخطأ لایحتاج إلی شیء من ذلک -روایت-۱-۲۰۰ ۱۸۷- لایخطئ المخلص فی الدعاء إحدی ثلاث ذنب یغفر أوخیر یعجل أوشر یؤجل -روایت-۱-۷۷ ۱۸۸- لاینتصف ثلاثة من ثلاثة بر من فاجر وعاقل من جاهل وکریم من لئیم -روایت-۱-۷۳ ۱۸۹-أشرف الملوک من لم یخالطه البطر و لم یحل عن الحق وأغنی الأغنیاء من لم یکن للحرص أسیرا وخیر الأصدقاء من لم یکن علی إخوانه مستصعبا وخیر الأخلاق أعونها علی التقی والورع -روایت-۱-۱۸۶ ۱۹۰-أربع القلیل منهن کثیر النار والعداوة والمرض والفقر -روایت-۱-۶۰ ۱۹۱-أربعة من الشقاء جار السوء وولد السوء وامرأة السوء والمنزل الضیق -روایت-۱-۷۱ ۱۹۲-أربعة تدعو إلی الجنة کتمان المصیبة وکتمان الصدقة وبر الوالدین والإکثار من قول لاإله إلا الله -روایت-۱-۱۰۴ [صفحه ۲۷۷] ۱۹۳- لاتصحب الجاهل فإن فیه خصالا فاعرفوه بهایغضب من غیرغضب ویتکلم فی غیرنفع ویعطی فی غیرموضع الإعطاء و لایعرف صدیقه من عدوه ویفشی سره إلی کل أحد -روایت-۱-۱۶۵ ۱۹۴-إیاک ومواقف الاعتذار فرب عذر أثبت الحجة علی صاحبه و إن کان بریئا -روایت-۱-۷۶ ۱۹۵-الصراط میدان یکثر فیه العثار فالسالم ناج والعاثر هالک -روایت-۱-۶۳ ۱۹۶- لایعرف الفضل لأهل الفضل إلاأولو الفضل -روایت-۱-۴۹ ۱۹۷- إن لله عبادا فی الأرض

كأنما رأوا أهل الجنة فى جنتهم و أهل النار فى نارهم اليقين وأنواره لامعة على وجوههم قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة لراحة طويلة أماالليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم قدحلا فى أفواههم وحلا فى قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به قدأقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم المقام الأعلى فى مقعد صدق عنده و أمانهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء كالقداح ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى و مابالقوم من مرض أو يقول قدخولطوا ولعمرى لقد خالطهم أمر عظيم جليل -روايت-١-٥٩٩ ١٩٨-عاتبه عثمان فأكثر و هوساكت فقال ما لك لاتقول قال إن قلت لم أقل إلا ماتكره و ليس لك عندى إلا ماتحب -روايت-١-١١٧ ١٩٩-بليت فى حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة وأكثر الخلق ثروة وبذلا وأعظم الخلق فى الخلق طاعة وأوفى الخلق كيدا وتكثرا بليت بالزبير لم يرد وجهه قط -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٧٨] وبيعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطى كل رجل ثلاثين دينارا وفرسا على أن يقاتلنى وبعائشة ماقالت قط بيدها هكذا إلا واتبعها الناس وبطلحة لايدرك غوره و لايطال مكره -روايت-از قبل-١٩٠ ٢٠٠-بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير فعاد فقال يا أمير المؤمنين جئتك بالخيبة فقال كلا أصبت خيرا وأجرت ثم قال إن من العجب انقيادهما لأبى بكر وعمر وخلافهما على أما و الله إنهما ليعلمان أنى لست بدون واحد منهما أللهم عليك بهما -روايت-١-٢٤٤ ٢٠١-الرزق مقسوم والأيام دول و الناس شرع سواء آدم أبوهم وحواء أمهم -روايت-١-٧٥ ٢٠٢-قوت الأجسام الغذاء وقوت العقول الحكمة فمتى فقد واحد منهما قوته بار واضمحل -روايت-١-٨٦ ٢٠٣-الصبر على مشقة العباد يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر -روايت-١-٦٠ ٢٠٤-الروح حياة البدن والعقل حياة الروح -روايت-١-٤٤ ٢٠٥-حقيق بالإنسان أن يخشى الله بالغيب ويحرس نفسه من العيب ويزداد خيرا مع الشيب -روايت-١-٨٨ ٢٠٦-أفضل الولاة من بقى بالعدل ذكره واستمده من يأتى بعده -روايت-١-٦٤ ٢٠٧-قدم العدل على البطش تظفر بالمحبة و لاتستعمل الفعل حيث ينجع القول -روايت-١-٧٨ [صفحه ٢٧٩] ٢٠٨-البخيل يسخو من عرضه بمقدار مايبخل به من ماله والسخى يبخل من عرضه بمقدار مايسخو به من ماله -روايت-١-١٠٥ ٢٠٩-فضل العقل على الهوى لأن العقل يملكك الزمان والهوى يستعبدك للزمان -روايت-١-٨٠ ٢١٠- كل ماحملت عليه الحر احتمله ورآه زيادة فى شرفه إلا ماحطه جزءا من حريته فإنه يأباه و لايجيب إليه -روايت-١-١١٢ ٢١١- إذامنعك اللئيم البر مع إعظامه حقك كان أحسن من بذل السخى لك إياه مع الاستخفاف بك -روايت-١-٩٦ ٢١٢-الملك كالنهر العظيم تستمد منه الجداول فإن كان عذبا عذبت و إن كان ملحا ملحت -روايت-١-٨٧ ٢١٣-الفرق بين السخاء والتبذير أن السخى يسمح بما يعرف مقداره ومقدار الرغبة فيه إليه ويضعه بحيث يحسن وضعه وتزكو عارفته والمبذر يسمح بما لايوازن به رغبة الراغب و لاحق القاصد و لامقدار ماأولى ويستفزه لذلك خطرة من خطراته والتصدى لإطراء مطر له بينهما بون بعيد -روايت-١-٢٧٧ ٢١٤- لاتلاج الغضبان فإنك تقلقه باللجاج و لاترده إلى الصواب -روايت-١-٦٧ ٢١٥- لاتفرح بسقطة غيرك فإنك لاتدرى ماتتصرف الأيام بك -روايت-١-٦١ ٢١٦-قليل العلم إذاوقر فى القلب كالطل يصيب الأرض المطمئنة فتعشب -روايت-١-٧٠ ٢١٧-مثل المؤمن ألذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٢٨٠] طيب ومثل المؤمن ألذى لايقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر ألذى لايقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر و لاريح لها -روايت-از قبل-١٤٨ ٢١٨-المؤمن إذانظر اعتبر و إذاسكت تفكر و إذاتكلم ذكر و إذااستغنى شكر و إذاأصابته شدة صبر فهو قريب الرضا بعيد السخط يرضيه عن الله اليسير و لايسخطه البلاء الكثير قوته لاتبلغ به ونيته تبلغ مغموسة فى الخير يده ينوى كثيرا من الخير ويعمل بطائفة منه ويتلهف على مافاته من الخير كيف لم يعمل به والمنافق إذانظر لها و إذاسكت سها و إذاتكلم لغا و إذاأصابه شدة شكا فهو قريب السخط بعيد الرضا يسخطه على الله اليسير و لايرضيه الكثير قوته تبلغ ونيته لاتبلغ مغموسة فى الشر يده ينوى كثيرا من الشر ويعمل بطائفة منه فيتلهف على مافاته من الشر كيف لم يأمر به وكيف

لم یعمل به علی لسان المؤمن نور یسطع و علی لسان المنافق شیطان ینطق -روایت-۱-۶۶۰ ۲۱۹-سوء الظن یدوی القلوب ویتهم المأمون ویوحش المستأنس ویغیر مودۀ الإخوان -روایت-۱-۸۲ ۲۲۰- إذا لم یکن فی الدنیا إلامحتاج فأغنی الناس أقنعهم بما رزق -روایت-۱-۶۸ ۲۲۱-قیل له إن درعک صدر لاظهر لها إنا نخاف أن تؤتی من قبل ظهرک فقال إذاولیت فلاواءلت -روایت-۱-۹۵ ۲۲۲-أشد الأشیاء الإنسان لأن أشدها فیما یری الجبل والحدید -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۸۱] ینحت الجبل والنار تأکل الحدید والماء یطفی النار والسحاب یحمل الماء والریح یفرق السحاب والإنسان یتقی من الریح -روایت-از قبل-۱۲۴ ۲۲۳-إنما الناس فی نفس معدود وأمل ممدود وأجل محدود فلابد للأجل أن یتناهی وللنفس أن یحصی وللأمل إن ینقضی ثم قرأوَ إِنّ عَلَیکُم لَحافِظِینَ کِراماً کاتِبِینَ -روایت-۱-۱۶۷ ۲۲۴- أللهم لاتجعل الدنیا لی سجنا و لافراقها علی حزنا أعوذ بک من دنیا تحرمنی الآخرۀ و من أمل یحرمنی العمل و من حیاۀ تحرمنی خیر الممات -روایت-۱-۱۴۳ ۲۲۵- تعطروا بالاستغفار لاتفضحکم رائحۀ الذنوب -روایت-۱-۴۷ ۲۲۶-للنکبات غایات تنتهی إلیها ودواؤها الصبر علیها وترک الحیلۀ فی إزالتها فإن الحیلۀ فی إزالتها قبل انقضاء مدتها سبب لزیادتها -روایت-۱-۱۳۲ ۲۲۷- لایرضی عنک الحاسد حتی یموت أحدکما -روایت-۱-۴۳ ۲۲۸- لا یکون الرجل سید قومه حتی لایبالی أی ثوبیه لبس -روایت-۱-۶۰ ۲۲۹-کتب إلی عامل له اعمل بالحق لیوم لایقضی فیه إلابالحق -روایت-۱-۶۵ ۲۳۰-نظر إلی رجل یغتاب آخر عندابنه الحسن فقال یابنی نزه سمعک عنه فإنه نظر إلی أخبث ما فی وعائه فأفرغه فی وعائک -روایت-۱-۱۲۴ ۲۳۱-احذروا الکلام فی مجالس الخوف فإن الخوف یذهل العقل ألذی منه نستمد ویشغله بحراسۀ النفس عن حراسۀ المذهب ألذی نروم نصرته واحذر الغضب ممن یحملک علیه فإنه ممیت للخواطر مانع من التثبت واحذر من تبغضه فإن بغضک له یدعوک إلی الضجر به وقلیل الغضب کثیر فی أذی النفس والعقل والضجر مضیق -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۸۲] للصدر مضعف لقوی العقل واحذر المحافل التی لاإنصاف لأهلها فی التسویۀ بینک و بین خصمک فی الإقبال والاستماع و لاأدب لهم یمنعهم من جور الحکم لک وعلیک واحذر حین تظهر العصبیۀ لخصمک بالاعتراض علیک وتشیید قوله وحجته فإن ذلک یهیج العصبیۀ والاعتراض علی هذاالوجه یخلق الکلام ویذهب بهجۀ المعانی واحذر کلام من لایفهم عنک فإنه یضجرک واحذر استصغار الخصم فإنه یمنع من التحفظ ورب صغیر غلب کبیر -روایت-از قبل-۴۲۱ ۲۳۲- لاتقبل الرئاسۀ علی أهل مدینتک فإنهم لایستقیمون لک إلابما تخرج به من شرط الرئیس الفاضل -روایت-۱-۱۰۲ ۲۳۳- لاتهزأ بخطإ غیرک فإن المنطق لایملکه وأقلل من الخطإ ألذی أنت فیه بقدر الصبر واجعل العقل والحق إمامیک تنل البغیۀ بهما -روایت-۱-۱۳۳ ۲۳۴-الرأی یریک غایۀ الأمر مبدأه -روایت-۱-۳۶ ۲۳۵- الخیر من الناس من قدر علی أن یصرف نفسه کمایشاء ویدفعها عن الشرور والشریر من لم یکن کذلک -روایت-۱-۱۰۱ ۲۳۶- السلطان الفاضل هو ألذی یحرس الفضائل ویجود بهالمن دونه ویرعاها من خاصته وعامته حتی تکثر فی أیامه ویتحسن بها من لم تکن فیه -روایت-۱-۱۳۹ ۲۳۷-للکریم رباطان أحدهما الرعایۀ لصدیقه وذوی الحرمۀ به والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل مایجب له علیه -روایت-۱-۱۱۱ ۲۳۸- إذاتحرکت صورۀ الشر و لم تظهر ولدت الفزع فإذاظهرت ولدت الألم و إذاتحرکت صورۀ الخیر و لم تظهر ولدت الفرج فإذاظهرت ولدت اللذۀ -روایت-۱-۱۴۰ [صفحه ۲۸۳] ۲۳۹-الفرق بین الاقتصاد والبخل أن الاقتصاد تمسک الإنسان بما فی یده خوفا علی حریته وجاهه من المسألۀ فهو یضع الشیء موضعه ویصبر عما لاتدعو ضرورۀ إلیه ویصل صغیر بره بعظیم بشره و لایستکثر من المودات خوفا من فرط الإجحاف به والبخیل لایکافئ علی مایسدی إلیه ویمنع أیضا الیسیر من استحق الکثیر ویصبر لصغیر مایجری علیه علی کثیر من الذلۀ -روایت-۱-۳۵۲ ۲۴۰- لاتحتقرن صغیرا یمکن أن یکبر و لاقلیلا یمکن أن یکثر -روایت-۱-۶۰ ۲۴۱- مازلت مظلوما منذ قبض الله نبیه حتی یوم الناس هذا ولقد کنت أظلم قبل ظهور الإسلام ولقد کان أخی عقیل یذنب أخی جعفرفیضربنی -روایت-۱-۱۴۰ ۲۴۲- لوکسرت لی الوسادۀ لقضیت بین أهل

التوراة بتوراتهم و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتى تزهر تلك القضايا إلى الله عز و جل وتقول يارب إن عليا قضى بين خلقك بقضائك -روايت-١-٢٠٥ ٢٤٣-مر بدار بالكوفة فى مراد تبنى فوقعت منها شظية على صلعته فأدمتها فقال مايومى من مراد بواحد أللهم لاترفعها قالوا فو الله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء بين الغنم ذوات القرون -روايت-١-١٩٩ ٢٤٤-أقتل الأشياء لعدوك ألا تعرفه أنك اتخذته عدوا -روايت-١-٥٥ ٢٤٥-الخيرة فى ترك الطيرة -روايت-١-٢٧ ٢٤٦-قيل له فى بعض الحروب إن جالت الخيل أين نطلبك قال حيث تركتمونى -روايت-١-٧٧ ٢٤٧-شفيع المذنب إقراره وتوبته اعتذاره -روايت-١-٤٤ [صفحه ٢٨٤] ٢٤٨-قصم ظهرى رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك -روايت-١-٥٠ ٢٤٩- أ لاأخبركم بذات نفسى أما الحسن ففتى من الفتيان وصاحب جفنة وخوان و لوالتقت حلقتا البطان لم يغن عنكم فى الحرب غناء عصفور و أما عبد الله بن جعفرفصاحب لهو وظل باطل و أما أنا و الحسين فنحن منكم وأنتم منا -روايت-١-٢٢٥ ٢٥٠- قال فى المنبرية صار ثمنها تسعا على البديهة و هذا من العجائب -روايت-١-٦٨ ٢٥١-جاء الأشعث إليه و هو على المنبر فجعل يتخطى رقاب الناس حتى قرب منه ثم قال يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك يعنى العجم فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان مالنا وللأشعث ليقولن أمير المؤمنين ع اليوم فى العرب قولا لايزال يذكر فقال ع من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار ويهجر قوما للذكر أفتأمروننى أن أطردهم ماكنت لأطردهم فأكون من الجاهلين أما و ألذى فلق الحبة وبرأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا كماضربتموهم عليه بدءا -روايت-١-٥٠٢ ٢٥٢- كان إذارأى ابن ملجم يقول أريد حياته البيت فيقال له فاقتله فيقول كيف أقتل قاتلى -روايت-١-٩٦ ٢٥٣-إلهى ماقدر ذنوب أقابل بهاكرمك و ماقدر عبادة أقابل بهانعمك وإنى لأرجو أن تستغرق ذنوبى فى كرمك كمااستغرقت أعمالى فى نعمك -روايت-١-١٣٧ [صفحه ٢٨٥] ٢٥٤- إذاغضب الكريم فألن له الكلام و إذاغضب اللئيم فخذ له العصا -روايت-١-٧٠ ٢٥٥-غضب العاقل فى فعله وغضب الجاهل فى قوله -روايت-١-٥١ ٢٥٦-رأى رجلا يحدث منكر الحديث فقال يا هذاأنصف أذنيك من فمك فإنما جعل الأذنان اثنتين والفم واحدا لتسمع أكثر مما تقول -روايت-١-١٣٠ ٢٥٧-إياك وكثرة الاعتذار فإن الكذب كثيرا مايخالط المعاذير -روايت-١-٦٠ ٢٥٨-اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك -روايت-١-٤٨ ٢٥٩-سل مسألة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس -روايت-١-٤٢ ٢٦٠-مروا الأحداث بالمراء والجدال والكهول بالفكر والشيوخ بالصمت -روايت-١-٦٩ ٢٦١-عود نفسك الصبر على جليس السوء فليس يكاد يخطئك -روايت-١-٥٥ ٢٦٢- يابنى إن الشر تاركك إن تركته -روايت-١-٣٨ ٢٦٣- لاتطلبوا الحاجة إلى ثلاثة إلى الكذوب فإنه يقربها و إن كانت بعيدة و لا إلى أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك و لا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجة فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته -روايت-١-١٩١ ٢٦٤-إياك وصدر المجلس فإنه مجلس قلعة -روايت-١-٤١ ٢٦٥-احذروا صولة الكريم إذاجاع وصولة اللئيم إذاشبع -روايت-١-٥٥ ٢٦٦- سرك دمك فلاتجرينه إلا فى أوداجك -روايت-١-٤١ ٢٦٧- وسئل عن الفرق بين الغم والخوف فقال الخوف مجاهدة الأمر المخوف قبل وقوعه والغم مايلحق الإنسان من وقوعه -روايت-١-١١٩ [صفحه ٢٨٦] ٢٦٨-المعروف كنز فانظر عند من تودعه -روايت-١-٣٨ ٢٦٩- إذاأرسلت لبعر فلاتأت بتمر فيؤكل تمرك وتعنف على خلافك -روايت-١-٦٥ ٢٧٠- إذاوقع فى يدك يوم السرور فلاتخله فإنك إذاوقعت فى يد يوم الغم لم يخلك -روايت-١-٨٢ ٢٧١- إذاأردت أن تصادق رجلا فانظر من عدوه -روايت-١-٤٥ ٢٧٢-الانقباض من الناس مكسبة للعداوة والانبساط مجلبة لقرين السوء فكن بين المنقبض والمسترسل فإن خير الأمور أوساطها -روايت-١-١٢٠ ٢٧٣-إنا عبد الله وأخو رسول الله لايقولها بعدى إلاكذاب -روايت-١-٦٠ ٢٧٤-أخذ رسول الله ص بيدى فهزها و قال ماأول نعمة أنعم الله بهاعليك قلت أن خلقنى حيا وأقدرنى وأكمل حواسى ومشاعرى وقواى قال ثم ماذا قلت أن جعلنى ذكرا و لم يجعلنى أنثى قال والثالثة قلت أن هدانى للإسلام قال والرابعة قلت وَ إِن تَعُدّوا نِعمَةَ اللّهِ لا تُحصُوها -

روایت-۱-۲۸۵ ۲۷۵- أللهم إنی أسألک إخبات المخبتین وإخلاص الموقنین ومرافقة الأبرار والعزیمة فی کل بر والسلامة من کل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار -روایت-۱-۱۴۶ ۲۷۶- لماضربه ابن ملجم وأوصی ابنیه بما أوصاهما قال لابن الحنفیة هل فهمت ماأوصیت به أخویک قال نعم قال فإنی أوصیک بمثله وبتوقیر أخویک واتباع أمرهما وألا تبرم أمرا دونهما ثم قال لهما أوصیکما به فإنه شقیقکما و ابن أبیکما و قدعلمتما أن أباکما کان یحبه فأحباه -روایت-۱-۲۷۴ ۲۷۷- أما هذاالأعور یعنی الأشعث فإن الله لم یرفع شرفا إلاحسده و لاأظهر فضلا إلاعابه و هویمنی نفسه ویخدعها یخاف ویرجو فهو بینهما لایثق -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۸۷] بواحد منهما و قد من الله علیه بأن جعله جبانا و لو کان شجاعا لقتله الحق و أما هذاالأکثف عندالجاهلیة یعنی جریر بن عبد الله البجلی فهو یری کل أحد دونه ویستصغر کل أحد ویحتقره قدملئ نارا و هو مع ذلک یطلب رئاسة ویروم إمارة و هذاالأعور یغویه ویطغیه إن حدثه کذبه و إن قام دونه نکص عنه فهما کالشیطان إذ قال للإنسان اکفر فلما کفر قال إنی بریء منک إنی أخاف الله رب العالمین -روایت-از قبل-۳۹۹ ۲۷۸-بلوغ أعلی المنازل بغیر استحقاق من أکبر أسباب الهلکة -روایت-۱-۶۲ ۲۷۹-الکلمة إذاخرجت من القلب وقعت فی القلب و إذاخرجت من اللسان لم تجاوز الآذان -روایت-۱-۸۶ ۲۸۰-الکرم حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل -روایت-۱-۴۵ ۲۸۱-أسوأ الناس حالا من اتسعت معرفته وبعدت همته وضاقت قدرته -روایت-۱-۶۶ ۲۸۲-أمران لاینفکان من الکذب کثرة المواعید وشدة الاعتذار -روایت-۱-۶۰ ۲۸۳-عادة النوکی الجلوس فوق القدر والمجیء فی غیرالوقت -روایت-۱-۶۰ ۲۸۴-العافیة الملک الخفی -روایت-۱-۲۷ ۲۸۵-سوء حمل الغنی یورث مقتا وسوء حمل الفاقة یضع شرفا -روایت-۱-۵۹ ۲۸۶- لاینبغی لأحد أن یدع الحزم لظفر ناله عاجز و لایسامح نفسه فی التفریط لنکبة دخلت علی حازم -روایت-۱-۱۰۱ ۲۸۷- لیس من حسن التوکل أن یقال العاشر عثرة ثم یرکبها ثانیة -روایت-۱-۶۴ [صفحه ۲۸۸] ۲۸۸-سوء القالة فی الإنسان إذا کان کذبا نظیر الموت لفساد دنیاه فإن کان صدقا فأشد من الموت لفساد آخرته -روایت-۱-۱۰۸ ۲۸۹-ترضی الکرام بالکلام وتصاد اللئام بالمال وتستصلح السفلة بالهوان -روایت-۱-۷۵ ۲۹۰-لایزال المرء مستمرا ما لم یعثره فإذاعثر مرة لج به العثار و لو کان فی جدد -روایت-۱-۸۳ ۲۹۱-المتواضع کالوهدة یجتمع فیهاقطرها وقطر غیرها والمتکبر کالربوة لایقر علیها قطرها و لاقطر غیرها -روایت-۱-۱۰۰ ۲۹۲- لایصبر علی الحرب ویصدق فی اللقاء إلاثلاثة مستبصر فی دین أوغیران علی حرمة أوممتعض من ذل -روایت-۱-۹۹ ۲۹۳-مجاوزتک مایکفیک فقر لامنتهی له -روایت-۱-۴۰ ۲۹۴-قیل له أی الأمور أعجل عقوبة وأسرع لصاحبها صرعة فقال ظلم من لاناصر له إلا الله ومجازاة النعم بالتقصیر واستطالة الغنی علی الفقیر -روایت-۱-۱۴۲ ۲۹۵-الجماع للمحن جماع وللخیرات مناع حیاء یرتفع وعورات تجتمع أشبه شیءبالجنون ولذلک حجب عن العیون نتیجته ولد فتون إن عاش کد و إن مات هد -روایت-۱-۱۵۲ ۲۹۶- ما شیءأهون من ورع و إذارابک أمر فدعه -روایت-۱-۴۷ ۲۹۷- إذاأتی علی یوم لاازداد فیه عملا یقربنی إلی الله فلابورک لی فی طلوع شمس ذلک الیوم -روایت-۱-۹۸ ۲۹۸-أشرف الأشیاء العلم و الله تعالی عالم یحب کل عالم -روایت-۱-۶۰ [صفحه ۲۸۹] ۲۹۹-لیت شعری أی شیءأدرک من فاته العلم بل أی شیءفات من أدرک العلم -روایت-۱-۷۷ ۳۰۰- لایسود الرجل حتی لایبالی فی أی ثوبیه ظهر -روایت-۱-۵۲ ۳۰۱-سمع رجلا یدعو لصاحبه فقال لاأراک الله مکروها فقال إنما دعوت له بالموت لأن من عاش فی الدنیا لابد أن یری المکروه -روایت-۱-۱۲۶ ۳۰۲- من صفة العاقل ألا یتحدث بما یستطاع تکذیبه فیه -روایت-۱-۵۷ ۳۰۳-السعید من وعظ بغیره والشقی من اتعظ به غیره -روایت-۱-۵۱ ۳۰۴-ذو الهمة و إن حط نفسه یأبی إلاعلوا کالشعلة من النار یخفیها صاحبها وتأبی إلاارتفاعا -روایت-۱-۹۱ ۳۰۵-الدین غل الله فی أرضه إذاأراد أن یذل عبدا جعله فی عنقه -روایت-۱-۶۷ ۳۰۶-العاقل إذاتکلم بکلمة أتبعها حکمة ومثلا والأحمق إذاتکلم بکلمة أتبعها حلفا -روایت-۱-۸۲ ۳۰۷-الحرکة لقاح الجد العظیم -روایت-۱-۳۱ ۳۰۸-ثلاثة لایستحی من الختم علیها المال لنفی التهمة والجوهر لنفاسته والدواء

للاحتياط من العدو -روايت-۱-۹۹ ۳۰۹- إذاأيسرت فكل الرجال رجالك و إذاأعسرت أنكرك أهلك -روايت-۱-۶۱ ۳۱۰- من الحكمة جعل المال فی أيدی الجهال فإنه لوخص به العقلاء لمات -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۹۰] الجهال جوعا ولكنه جعل فی أيدی الجهال ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم -روايت-از قبل-۸۷ ۳۱۱- مارد أحد أحدا عن حاجة إلا وتبين العز فی قفاه والذل فی وجهه -روايت-۱-۶۹ ۳۱۲-ابتداء الصنيعة نافلة وربها فريضة -روايت-۱-۳۸ ۳۱۳-الحاسد المبطن للحسد كالنحل يمج الدواء ويبطن الداء -روايت-۱-۵۹ ۳۱۴-الحاسد يری زوال نعمتک نعمة عليه -روايت-۱-۴۱ ۳۱۵- التواضع إحدی مصايد الشرف -روايت-۱-۳۳ ۳۱۶-تواضع الرجل فی مرتبته ذب للشماتة عنه عندسقطته -روايت-۱-۵۷ ۳۱۷- رب صلف أدی إلی تلف -روايت-۱-۲۸ ۳۱۸-سوء الخلق يعدی وذاک أنه يدعو صاحبک إلی أن يقابلک بمثله -روايت-۱-۶۷ ۳۱۹-المروءة التامة مباينة العامة -روايت-۱-۳۴ ۳۲۰-أسوأ ما فی الكريم أن يمنعک نداه وأحسن ما فی اللئيم أن يكف عنک أذاه -روايت-۱-۸۰ ۳۲۱-السفلة إذاتعلموا تكبروا و إذاتمولوا استطالوا والعلية إذاتعلموا تواضعوا و إذاافتقروا صالوا -روايت-۱-۹۵ ۳۲۲-ثلاث لايستصلح فسادهن بحيلة أصلا العداوة بين الأقارب وتحاسد الأكفاء وركاكة الملوک -روايت-۱-۹۱ ۳۲۳-السخی شجاع القلب والبخيل شجاع الوجه -روايت-۱-۴۷ [صفحه ۲۹۱] ۳۲۴-العزلة توفر العرض وتستر الفاقة وترفع ثقل المكافأة -روايت-۱-۵۸ ۳۲۵- مااحتنک أحد قط إلاأحب الخلوة والعزلة -روايت-۱-۴۵ ۳۲۶-خير الناس من لم تجربه -روايت-۱-۳۰ ۳۲۷-الكريم لايلين علی قسر و لايقسو علی يسر -روايت-۱-۴۶ ۳۲۸-المرأة إذاأحبتک آذتک و إذاأبغضتک خانتک وربما قتلتک فحبها أذی وبغضها داء بلا دواء -روايت-۱-۹۲ ۳۲۹-المرأة تكتم الحب أربعين سنة و لاتكتم البغض ساعة واحدة -روايت-۱-۶۴ ۳۳۰-الممتحن كالمختنق كلما ازداد اضطرابا ازداد اختناقا -روايت-۱-۵۷ ۳۳۱- كل ما لاينتقل بانتقالک من مالک فهو كفيل بک -روايت-۱-۵۵ ۳۳۲-أجل ماينزل من السماء التوفيق وأجل مايصعد من الأرض الإخلاص -روايت-۱-۶۹ ۳۳۳-اثنان يهون عليهما كل شیءعالم عرف العواقب وجاهل يجهل ما هو فيه -روايت-۱-۷۶ ۳۳۴-شر من الموت ما إذانزل تمنيت بنزوله الموت وخير من الحياة ما إذافقدته أبغضت لفقده الحياة -روايت-۱-۱۰۰ ۳۳۵- ماوضع أحد يده فی طعام أحد إلاذل له -روايت-۱-۴۶ ۳۳۶-المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذاشاء لا إذاشاءت -روايت-۱-۵۳ ۳۳۷-أبصر الناس لعوار الناس المعور -روايت-۱-۳۵ ۳۳۸-العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهی منقطعة و لايخاف عقوبة الديان وهی دائمة -روايت-۱-۸۵ [صفحه ۲۹۲] ۳۳۹- من عرف نفسه فقد عرف ربه -روايت-۱-۳۴ ۳۴۰- من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز -روايت-۱-۵۳ ۳۴۱- لوتكاشفتم لماتدافنتم -روايت-۱-۲۹ ۳۴۲-شيطان كل إنسان نفسه -روايت-۱-۲۸ ۳۴۳- إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلی أين تذهب -روايت-۱-۵۶ ۳۴۴-غاية كل متعمق فی معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور عن إدراكها -روايت-۱-۷۴ ۳۴۵-الكمال فی خمس ألا يعيب الرجل أحدا بعيب فيه مثله حتی يصلح ذلک العيب من نفسه فإنه لايفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتی يهجم علی آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس وألا يطلق لسانه ويده حتی يعلم أ فی طاعة ذلک أم فی معصية وألا يلتمس من الناس إلا مايعطيهم من نفسه مثله و أن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم و أن ينفق الفضل من ماله ويمسک الفضل من قوله -روايت-۱-۳۹۸ ۳۴۶-صديق البخيل من لم يجربه -روايت-۱-۳۳ ۳۴۷- من الخيط الضعيف يفتل الحبل الحصيف و من مقدحة صغيرة تحترق مدينة كبيرة و من لبنة لبنة تبنی قرية حصينة -روايت-۱-۱۱۲ ۳۴۸-محب الدراهم معذور و إن أدنته من الدنيا لأنها صانته عن أبناء الدنيا -روايت-۱-۷۶ [صفحه ۲۹۳] ۳۴۹-عجبا لمن قيل فيه الخير و ليس فيه كيف يفرح وعجبا لمن قيل فيه الشر و ليس فيه كيف يغضب -روايت-۱-۹۹ ۳۵۰-ثلاث موبقات الكبر فإنه حط إبليس عن مرتبته والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة والحسد فإنه دعا ابن آدم إلی قتل أخيه -روايت-۱-۱۲۷ ۳۵۱-الفطام عن الحطام شديد -روايت-۱-۲۹ ۳۵۲- إذاأقبلت الدنيا أقبلت علی حمار قطوف و إذاأدبرت

أدبرت على البراق -روايت-۱-۷۶ ۳۵۳-أصاب متأمل أوكاد وأخطأ مستعجل أوكاد -روايت-۱-۴۴ ۳۵۴-ستة لاتخطئهم الكآبة فقير حديث عهد بغنى ومكثر يخاف على ماله وطالب مرتبة فوق قدره والحسود والحقود ومخالط أهل الأدب و ليس بأديب -روايت-۱-۱۴۰ ۳۵۵-طلبت الراحة لنفسى فلم أجد شيئا أروح من ترك ما لايعنينى وتوحشت فى القفر البلقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء وشهدت الزحوف ولقيت الأقران فلم أر قرنا أغلب من المرأة ونظرت إلى كل مايذل العزيز ويكسره فلم أر شيئا أذل له و لاأكسر من الفاقة -روايت-۱-۲۶۲ ۳۵۶-أول رأى العاقل آخر رأى الجاهل -روايت-۱-۴۰ ۳۵۷-المسترشد موقى والمحترس ملقى -روايت-۱-۳۶ ۳۵۸-الحر عبد ماطمع والعبد حر ماقنع -روايت-۱-۳۸ [صفحه ۲۹۴] ۳۵۹- ماأحسن حسن الظن إلا أن فيه العجز و ماأقبح سوء الظن إلا أن فيه الحزم -روايت-۱-۸۲ ۳۶۰- ماالحيلة فيما أعنى إلاالكف عنه و لاالرأى فيما ينال إلااليأس منه -روايت-۱-۷۷ ۳۶۱-الأحمق إذاحدث ذهل و إذاحدث عجل و إذاحمل على القبيح فعل -روايت-۱-۶۸ ۳۶۲-إثبات الحجة على الجاهل سهل ولكن إقراره بهاصعب -روايت-۱-۵۷ ۳۶۳- كماتعرف أوانى الفخار بامتحانها بأصواتها فيعلم الصحيح منها من المكسور كذلك يمتحن الإنسان بمنطقه فيعرف ماعنده -روايت-۱-۱۲۴ ۳۶۴-احتمال الفقر أحسن من احتمال الذل لأن الصبر على الفقر قناعة والصبر على الذل ضراعة -روايت-۱-۹۲ ۳۶۵-الدنيا حمقاء لاتميل إلا إلى أشباهها -روايت-۱-۴۲ ۳۶۶-السفر ميزان الأخلاق -روايت-۱-۲۷ ۳۶۷-العقل ملك والخصال رعيته فإذاضعف عن القيام عليها وصل الخلل إليها -روايت-۱-۷۷ ۳۶۸-الكذاب يخيف نفسه و هوآمن -روايت-۱-۳۴ ۳۶۹- لو لاثلاث لم يسلل سيف سلك أدق من سلك ووجه أصبح من وجه ولقمة أسوغ من لقمة -روايت-۱-۸۹ ۳۷۰- قديحسن الامتنان بالنعمة و ذلك عندكفرانها و لو لا أن بنى إسرائيل -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۹۵] كفروا النعمة لما قال الله لهم اذكُرُوا نِعمَتيَ الّتِي أَنعَمتُ عَلَيكُم -روايت-از قبل-۸۰ ۳۷۱- إذاتناهى الغم انقطع الدمع -روايت-۱-۳۶ ۳۷۲- إذاولى صديقك ولاية فأصبته على العشر من صداقته فليس بصاحب سوء -روايت-۱-۷۳ ۳۷۳-أعجب الأشياء بديهة أمن وردت فى مقام خوف -روايت-۱-۵۰ ۳۷۴-الحرص محرمة والجبن مقتلة و إلافانظر فيمن رأيت وسمعت أ من قتل فى الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا وانظر أ من يطلب بالإجمال والتكرم أحق أن تسخو نفسک له أم من يطلب بالشره والحرص -روايت-۱-۱۹۸ ۳۷۵- إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليقدم به صاحبه على الأمور فإن العاقل أبدا متوان مترقب متخوف -روايت-۱-۱۲۱ ۳۷۶-عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى والهوى آفة العفاف وترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون والتهاون آفة الدين وإقدامه على ما لايدرى أصواب هوأم خطأ لجاج واللجاج آفة العقل -روايت-۱-۱۸۸ ۳۷۷-ضعف العقل أمان من الغم -روايت-۱-۳۲ ۳۷۸- لاينبغى للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت و لاطعاما حتى يستمرئه و لاصديقا حتى يستقرضه و ليس من حسن الجوار ترک الأذى ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى -روايت-۱-۱۶۳ ۳۷۹- لايتأدب العبد بالكلام إذاوثق بأنه لايضرب -روايت-۱-۵۲ ۳۸۰-الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة فمن تركها وادعى الإيمان كذبه فعله و كان عليه شاهد من نفسه -روايت-۱-۱۰۴ [صفحه ۲۹۶] ۳۸۱- من خاف الله خافه كل شىء -روايت-۱-۳۳ ۳۸۲- من النقص أن يكون شفيعک شيئا خارجا عن ذاتک وصفاتک -روايت-۱-۶۰ ۳۸۳- ويلى على العبد اللئيم عبدبنى ربيعة نزع به عرق الشرک العبشمى إلى مساءتى وتذكر دم الوليد وعتبة وشيبة أولى له و الله ليرينى فى موقف يسوءه ثم لايجد هناک فلانا وفلانا يعنى سالما مولى حذيفة -روايت-۱-۲۰۸ ۳۸۴-أناقاتل الأقران ومجدل الشجعان أنا ألذى فقأت عين الشرک وثللت عرشه غيرممتن على الله بجهادى و لامدل إليه بطاعتى ولكن أحدث بنعمة ربى -روايت-۱-۱۵۲ ۳۸۵-الصوم عبادة بين العبد وخالقه لايطلع عليها غيره وكذلک لايجازى عنها غيره -روايت-۱-۸۳ ۳۸۶-طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس طوبى لمن لايعرف الناس و لايعرفه الناس طوبى لمن كان حيا كميت وموجودا كمعدوم قدكفى جاره خيره وشره لايسأل عن الناس و لايسأل الناس عنه -روايت-۱-۱۹۳ ۳۸۷- ماالسيف

الصارم فی کف الشجاع بأعز له من الصدق -روایت-۱-۵۷ ۳۸۸- لایکن فقرک کفرا وغناک طغیانا -روایت-۱-۳۸ ۳۸۹-ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة -روایت-۱-۴۷ ۳۹۰-الکریم یلین إذااستعطف واللئیم یقسو إذالوطف -روایت-۱-۵۳ ۳۹۱-أنکی لعدوک ألا تریه أنک اتخذته عدوا -روایت-۱-۴۶ ۳۹۲-عذابان لایأبه الناس لهما السفر البعید والبناء الکثیر -روایت-۱-۶۰ [صفحه ۲۹۷] ۳۹۳-ثلاثة یؤثرون المال علی أنفسهم تاجر البحر وصاحب السلطان والمرتشی فی الحکم -روایت-۱-۸۵ ۳۹۴-أعجز الناس من قصر فی طلب الصدیق وأعجز منه من وجده فضیعه -روایت-۱-۶۷ ۳۹۵-أشد المشاق وعد کذاب لحریص -روایت-۱-۳۴ ۳۹۶-العادات قاهرات فمن اعتاد شیئا فی سره وخلوته فضحه فی جهره وعلانیته -روایت-۱-۷۹ ۳۹۷-الأخ البار مغیض الأسرار -روایت-۱-۳۱ ۳۹۸-عدم المعرفة بالکتابة زمانة خفیة -روایت-۱-۳۸ ۳۹۹-قدیم الحرمة وحدیث التوبة یمحقان مابینهما من الإساءة -روایت-۱-۶۰ ۴۰۰-رکوب الخیل عز ورکوب البراذین لذة ورکوب البغال مهرمة ورکوب الحمیر مذلة -روایت-۱-۸۲ ۴۰۱-العقل یظهر بالمعاملة وشیم الرجال تعرف بالولایة -روایت-۱-۵۶ ۴۰۲- قال له قائل علمنی الحلم فقال هوالذل فاصطبر علیه إن استطعت -روایت-۱-۷۲ ۴۰۳-قلتم إن فلانا أفاد مالا عظیما فهل أفاد أیاما ینفقه فیها -روایت-۱-۶۴ ۴۰۴-عیادة النوکی أشد علی المریض من وجعه -روایت-۱-۴۴ ۴۰۵-المریض یعاد والصحیح یزار -روایت-۱-۳۲ ۴۰۶-الشیء ألذی لایحسن أن یقال و إن کان حقا مدح الإنسان نفسه -روایت-۱-۶۹ [صفحه ۲۹۸] ۴۰۷-الشیء ألذی لایستغنی عنه بحال من الأحوال التوفیق -روایت-۱-۵۹ ۴۰۸-أوسع ما یکون الکریم مغفرة إذاضاقت بالذنب المعذرة -روایت-۱-۵۸ ۴۰۹-ستر ماعاینت أحسن من إشاعة ماظننت -روایت-۱-۴۱ ۴۱۰-التکبر علی المتکبرین هوالتواضع بعینه -روایت-۱-۴۵ ۴۱۱- إذارفعت أحدا فوق قدره فتوقع منه أن یحط منک بقدر مارفعت منه -روایت-۱-۷۳ ۴۱۲-إساءة المحسن أن یمنعک جدواه وإحسان المسیء أن یکف عنک أذاه -روایت-۱-۷۱ ۴۱۳- أللهم إنی أستعدیک علی قریش فإنهم أضمروا لرسولک ص ضروبا من الشر والغدر فعجزوا عنها وحلت بینهم وبینها فکانت الوجبة بی والدائرة علی أللهم احفظ حسنا وحسینا و لاتمکن فجرة قریش منهما مادمت حیا فإذاتوفیتنی فأنت الرقیب علیهم و أنت علی کل شیءشهید -روایت-۱-۲۶۴ ۴۱۴- قال له قائل یا أمیر المؤمنین أرأیت لو کان رسول الله ص ترک ولدا ذکرا قدبلغ الحلم وآنس منه الرشد أکانت العرب تسلم إلیه أمرها قال لابل کانت تقتله إن لم یفعل مافعلت إن العرب کرهت أمر محمدص وحسدته علی ماآتاه الله من فضله واستطالت أیامه حتی قذفت زوجته ونفرت به ناقته مع عظیم إحسانه إلیها وجسیم مننه عندها وأجمعت مذ کان حیا علی صرف الأمر عن أهل بیته بعدموته و لو لا أن قریشا جعلت اسمه ذریعة إلی الرئاسة وسلما إلی العز والإمرة لماعبدت الله بعدموته یوما واحدا -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۲۹۹] ولارتدت فی حافرتها وعاد قارحها جذعا وبازلها بکرا ثم فتح الله علیها الفتوح فأثرت بعدالفاقة وتمولت بعدالجهد والمخمصة فحسن فی عیونها من الإسلام ما کان سمجا وثبت فی قلوب کثیر منها من الدین ما کان مضطربا وقالت لو لا أنه حق لما کان کذا ثم نسبت تلک الفتوح إلی آراء ولاتها وحسن تدبیر الأمراء القائمین بهافتأکد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرین فکنا نحن ممن خمل ذکره وخبت ناره وانقطع صوته وصیته حتی أکل الدهر علینا وشرب ومضت السنون والأحقاب بما فیها ومات کثیر ممن یعرف ونشأ کثیر ممن لایعرف و ماعسی أن یکون الولد لو کان إن رسول الله ص لم یقربنی بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة بل للجهاد والنصیحة أفتراه لو کان له ولد هل کان یفعل مافعلت وکذاک لم یکن یقرب ماقربت ثم لم یکن عندقریش والعرب سببا للحظوة والمنزلة بل للحرمان والجفوة أللهم إنک تعلم أنی لم أرد الإمرة و لاعلو الملک والرئاسة وإنما أردت القیام بحدودک والأداء لشرعک ووضع الأمور فی مواضعها وتوفیر الحقوق علی أهلها والمضی علی منهاج نبیک وإرشاد الضال إلی أنوار هدایتک -روایت-از قبل-۹۹۵ ۴۱۵-البر ماسکنت إلیه نفسک واطمأن إلیه قلبک والإثم ماجال فی نفسک وتردد فی صدرک -روایت-۱-۸۷ ۴۱۶-الزکاة نقص فی الصورة وزیادة فی المعنی -روایت-۱-۴۵

۴۱۷- لیس الصوم الإمساک عن المأکل والمشرب الصوم الإمساک عن کل مایکرهه الله سبحانه -روایت-۱-۹۲ [صفحه ۳۰۰] ۴۱۸- إذا کان الراعی ذئبا فالشاة من یحفظها -روایت-۱-۴۴ ۴۱۹- کل شیءیعصیک إذاأغضبته إلاالدنیا فإنها تطیعک إذاأغضبتها -روایت-۱-۶۵ ۴۲۰-رب مغبوط بنعمة هی داؤه ومرحوم من سقم هوشفاؤه -روایت-۱-۵۶ ۴۲۱- إذاأراد الله أن یسلط علی عبدعدوا لایرحمه سلط علیه حاسدا -روایت-۱-۶۵ ۴۲۲-شرب الدواء للجسد کالصابون للثوب ینقیه ولکن یخلقه -روایت-۱-۶۰ ۴۲۳-الحسد خلق دنئ و من دناءته أنه موکل بالأقرب فالأقرب -روایت-۱-۶۲ ۴۲۴- لو کان أحد مکتفیا من العلم لاکتفی نبی الله موسی و قدسمعتم قوله هَل أَتّبِعُکَ عَلی أَن تُعَلّمَنِ مِمّا عُلّمتَ رُشداً -روایت-۱-۱۳۱ ۴۲۵-أستغفر الله مما أملک وأستصلحه فیما لاأملک -روایت-۱-۵۰ ۴۲۶- إذاقعدت و أنت صغیر حیث تحب قعدت و أنت کبیر حیث تکره -روایت-۱-۶۴ ۴۲۷-الولد العاق کالإصبع الزائدة إن ترکت شانت و إن قطعت آلمت -روایت-۱-۶۷ ۴۲۸-خرج العز والغنی یجولان فلقیا القناعة فاستقرا -روایت-۱-۵۳ ۴۲۹-الصدیق نسیب الروح والأخ نسیب الجسم -روایت-۱-۴۶ ۴۳۰-جزیة المؤمن کراء منزله وعذابه سوء خلق زوجته -روایت-۱-۵۴ ۴۳۱-الوعد وجه والإنجاز محاسنه -روایت-۱-۳۳ ۴۳۲-أنعم الناس عیشا من عاش فی عیشه غیره -روایت-۱-۴۵ ۴۳۳- لاتشاتمن أحدا و لاتردن سائلا إما هوکریم تسد خلته أولئیم تشتری عرضک منه -روایت-۱-۸۵ [صفحه ۳۰۱] ۴۳۴-النمام سهم قاتل -روایت-۱-۲۴ ۴۳۵-ثلاثة أشیاء لادوام لها المال فی ید المبذر وسحابة الصیف وغضب العاشق -روایت-۱-۷۷ ۴۳۶-الزاهد فی الدینار والدرهم أعز من الدینار والدرهم -روایت-۱-۵۶ ۴۳۷-رب حرب أحییت بلفظة ورب ود غرس بلحظة -روایت-۱-۴۶ ۴۳۸- إذاتزوج الرجل فقد رکب البحر فإن ولد له فقد کسر به -روایت-۱-۵۹ ۴۳۹-صلاح کل ذی نعمة فی خلاف مافسد علیه -روایت-۱-۴۴ ۴۴۰-أنعم الناس عیشة من تحلی بالعفاف ورضی بالکفاف وتجاوز مایخاف إلی ما لایخاف -روایت-۱-۸۶ ۴۴۱-التواضع نعمة لایفطن لها الحاسد -روایت-۱-۳۸ ۴۴۲- ینبغی للعاقل أن یمنع معروفه الجاهل واللئیم والسفیه أماالجاهل فلایعرف المعروف و لایشکر علیه و أمااللئیم فأرض سبخة لاتنبت و أماالسفیه فیقول إنما أعطانی فرقا من لسانی -روایت-۱-۱۸۷ ۴۴۳-خیر العیش ما لایطغیک و لایلهیک -روایت-۱-۳۹ ۴۴۴- ماضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر -روایت-۱-۴۵ ۴۴۵- إذاأراد الله أن یزیل عن عبدنعمة کان أول مایغیر منه عقله -روایت-۱-۶۷ ۴۴۶-خیر الدنیا والآخرة فی خصلتین الغنی والتقی وشر الدنیا والآخرة فی خصلتین الفقر والفجور -روایت-۱-۹۴ ۴۴۷-ثمانیة إذاأهینوا فلایلوموا إلاأنفسهم الآتی طعاما لم یدع إلیه -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۰۲] والمتأمر علی رب البیت فی بیته وطالب المعروف من غیرأهله والداخل بین اثنین لم یدخلاه والمستخف بالسلطان والجالس مجلسا لیس له بأهل والمقبل بحدیثه علی من لایسمعه و من جرب المجرب -روایت-از قبل-۱۹۸ ۴۴۸-أنفس الأعلاق عقل قرن إلیه حظ -روایت-۱-۳۸ ۴۴۹-اللطافة فی الحاجة أجدی من الوسیلة -روایت-۱-۴۰ ۴۵۰-احتمال نخوة الشرف أشد من احتمال بطر الغنی وذلة الفقر مانعة من الصبر کما أن عزالغنی مانع من کرم الإنصاف إلالمن کان فی غریزته فضل قوة وأعراق تنازعه إلی بعدالهمة -روایت-۱-۱۸۰ ۴۵۱-أبعد الناس سفرا من کان فی طلب صدیق یرضاه -روایت-۱-۵۱ ۴۵۲-استشارة الأعداء من باب الخذلان -روایت-۱-۳۸ ۴۵۳-الجاهل یعرف بست خصال الغضب من غیر شیء والکلام فی غیرنفع والعطیة فی غیرموضعها وألا یعرف صدیقه من عدوه وإفشاء السر والثقة بکل أحد -روایت-۱-۱۴۷ ۴۵۴-سوء العادة کمین لایؤمن -روایت-۱-۳۰ ۴۵۵-العادة طبیعة ثانیة غالبة -روایت-۱-۳۰ ۴۵۶-التجنی وافد القطیعة -روایت-۱-۲۶ ۴۵۷-صدیقک من نهاک وعدوک من أغراک -روایت-۱-۳۸ ۴۵۸- یاعجبا من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد -روایت-۱-۴۵ ۴۵۹- من سعادة المرء أن یطول عمره ویری فی أعدائه مایسره -روایت-۱-۶۱ ۴۶۰-الضغائن تورث کماتورث الأموال -روایت-۱-۳۸ [صفحه ۳۰۳] ۴۶۱-رب عزیز أذله خرقه وذلیل أعزه خلقه -روایت-۱-۴۵ ۴۶۲- لایصلح اللئیم لأحد و لایستقیم إلا من فرق أوحاجة فإذااستغنی أوذهب خوفه عاد

إليه جوهره -روايت-۱-۹۹ ۴۶۳-ثلاثة فى المجلس وليسوا فيه الحاقن والضيق الخف والسيئ الظن بأهله -روايت-۱-۷۶ ۴۶۴-وسئل ماأبقى الأشياء فى نفوس الناس فقال أما فى أنفس العلماء فالندامة على الذنوب و أما فى نفوس السفهاء فالحقد -روايت-۱-۱۲۲ ۴۶۵- إذاانقضى ملك قوم خيبوا فى آرائهم -روايت-۱-۴۳ ۴۶۶-الضعيف المحترس من العدو القوى أقرب إلى السلامة من القوى المغتر بالعدو الضعيف -روايت-۱-۸۸ ۴۶۷-الحزن سوء استكانة والغضب لؤم قدرة -روايت-۱-۴۲ ۴۶۸-كل مايؤكل ينتن و كل مايوهب يأرج -روايت-۱-۴۴ ۴۶۹-الطرش فى الكرام والهوج فى الطوال والكيس فى القصار والنبل فى الربعة وحسن الخلق فى الحول والكبر فى العور والبهت فى العميان والذكاء فى الخرس -روايت-۱-۱۵۵ ۴۷۰-ألأم الناس من سعى بإنسان ضعيف إلى سلطان جائر -روايت-۱-۵۶ ۴۷۱-أعسر الحيل تصوير الباطل فى صورة الحق عندالعاقل المميز -روايت-۱-۶۳ ۴۷۲-الغدر ذل حاضر والغيبة لؤم باطن -روايت-۱-۳۹ ۴۷۳-القلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع إلى الإثم -روايت-۱-۶۷ ۴۷۴- لاكثير مع إسراف و لاقليل مع احتراف و لاذنب مع اعتراف -روايت-۱-۶۴ [صفحه ۳۰۴] ۴۷۵-المتعبد على غيرفقه كحمار الرحى يدور و لايبرح -روايت-۱-۵۴ ۴۷۶-المحروم من طال نصبه و كان لغيره مكسبه -روايت-۱-۴۸ ۴۷۷- فى الاعتبار غنى عن الاختبار -روايت-۱-۳۵ ۴۷۸-غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله -روايت-۱-۴۳ ۴۷۹-أذل الناس معتذر إلى اللئيم -روايت-۱-۳۴ ۴۸۰-أشجع الناس أثبتهم عقلا فى بداهة الخوف -روايت-۱-۴۶ ۴۸۱-المعتذر منتصر والمعاتب مغاضب -روايت-۱-۳۶ ۴۸۲-المروءة بلا مال كالأسد ألذى يهاب و لم يفترس وكالسيف ألذى يخاف و هومغمد والمال بلا مروءة كالكلب ألذى يجتنب عقرا و لم يعقر -روايت-۱-۱۳۴ ۴۸۳-عليكم بالأدب فإن كنتم ملوكا برزتم و إن كنتم وسطا فقتم و إن أعوزتكم المعيشة عشتم بأدبكم -روايت-۱-۱۰۱ ۴۸۴-الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك -روايت-۱-۵۸ ۴۸۵- لاينبغى للعاقل أن يكون إلا فى إحدى منزلتين أما فى الغاية القصوى من مطالب الدنيا و أما فى الغاية القصوى من الترك لها -روايت-۱-۱۳۲ ۴۸۶- من أفضل أعمال البر الجود فى العسر والصدق فى الغضب والعفو عندالقدرة -روايت-۱-۷۷ ۴۸۷- إن الله أنعم على العباد بقدر قدرته وكلفهم من الشكر بقدر قدرتهم -روايت-۱-۷۴ ۴۸۸-العيش فى ثلاث صديق لايعد عليك فى أيام صداقتك مايرضى به أيام عداوتك وزوجة تسرك إذادخلت عليها وتحفظ غيبك إذاغبت عنها وغلام يأتى على ما فى نفسك كأنه قدعلم ماتريد -روايت-۱-۱۸۳ [صفحه ۳۰۵] ۴۸۹-تحتاج القرابة إلى مودة و لاتحتاج المودة إلى قرابة -روايت-۱-۵۷ ۴۹۰-الصابر على مخالطة الأشرار وصحبتهم كراكب البحر إن سلم ببدنه من التلف لم يسلم بقلبه من الحذر -روايت-۱-۱۰۳ ۴۹۱-لأخيك عليك إذاحزبه أمر أن تشير عليه بالرأى ماأطاعك وتبذل له النصر إذاعصاك -روايت-۱-۸۶ ۴۹۲-الغيبة ربيع اللئام -روايت-۱-۲۶ ۴۹۳-أطول الناس نصبا الحريص إذاطمع والحقود إذامنع -روايت-۱-۵۴ ۴۹۴-الشريف دون حقه يقتل ويعطى نافلة فوق الحق عليه -روايت-۱-۵۹ ۴۹۵-اجعل عمرك كنفقة دفعت إليك فكما لاتحب أن يذهب ماتنفق ضياعا فلاتذهب عمرك ضياعا -روايت-۱-۹۱ ۴۹۶- من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه فاحذر أن يكفرك فيما أسديت إليه -روايت-۱-۷۲ ۴۹۷- لاتستعن فى حاجتك بمن هوللمطلوب إليه أنصح منه لك -روايت-۱-۶۱ ۴۹۸- لايؤمننك من شر جاهل قرابة و لاجوار فإن أخوف ماتكون لحريق النار أقرب ماتكون إليها -روايت-۱-۹۴ ۴۹۹-كن فى الحرص على تفقد عيوبك كعدوك -روايت-۱-۴۲ ۵۰۰-عليك بسوء الظن فإن أصاب فالحزم و إلافالسلامة -روايت-۱-۵۴ ۵۰۱-رضا الناس غاية لاتدرك فتحر الخير بجهدك و لاتبال بسخط من يرضيه الباطل -روايت-۱-۷۹ [صفحه ۳۰۶] ۵۰۲- لاتماكس فى البيع والشراء فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من عرضك -روايت-۱-۷۶ ۵۰۳-الدين رق فلاتبذل رقك لمن لايعرف حقك -روايت-۱-۴۸ ۵۰۴-احذر كل الحذر أن يخدعك الشيطان فيمثل لك التوانى فى صورة التوكل ويورثك الهوينى بالإحالة على القدر فإن الله أمر بالتوكل عندانقطاع الحيل وبالتسليم للقضاء بعدالإعذار فقال خُذُوا

حِذرَکُموَ لا تُلقُوا بِأَیدِیکَم إِلَی التّهلُکَةِ و قال النبی ص اعقلها وتوکل -روایت-۱-۲۷۳ ۵۰۵- لاتصحب فی السفر غنیا فإنک إن ساویته فی الإنفاق أضر بک و إن تفضل علیک استذلک -روایت-۱-۹۰ ۵۰۶- إذاسألت کریما حاجة فدعه یفکر فإنه لایفکر إلا فی خیر و إذاسألت لئیما حاجة فغافصه فإنه إذافکر عاد إلی طبعه -روایت-۱-۱۱۸ ۵۰۷- ماأقبح بالصبیح الوجه أن یکون جاهلا کدار حسنة البناء وساکنها شر وکجنة یعمرها بوم أوصرمة یحرسها ذئب -روایت-۱-۱۱۰ ۵۰۸-قبیح بذی العقل أن یکون بهیمة و قدأمکنه أن یکون إنسانا و قدأمکنه أن یکون ملکا و أن یرضی لنفسه بقنیة معارة وحیاة مستردة و له أن یتخذ قنیة مخلدة وحیاة مؤبدة -روایت-۱-۱۷۰ ۵۰۹- ألذی یستحق اسم السعادة علی الحقیقة سعادة الآخرة وهی أربعة أنواع بقاء بلا فناء وعلم بلا جهل وقدرة بلا عجز وغنی بلا فقر -روایت-۱-۱۳۱ [صفحه ۳۰۷] ۵۱۰- ماخاب من استخار -روایت-۱-۲۳ ۵۱۱- الدین قدکشف عن غطاء قلبه یری مطلوبه قدطبق الخافقین فلایقع بصره علی شیء إلارآه فیه -روایت-۱-۹۹ ۵۱۲- من غرس النخل أکل الرطب و من غرس الصفصاف والعلیق عدم ثمرته وذهبت ضیاعا خدمته -روایت-۱-۹۳ ۵۱۳- إذاأردت العلم والخیر فانفض عن یدک أداة الجهل والشر فإن الصائغ لایتهیأ له الصیاغة إلا إذاألقی أداة الفلاحة عن یده -روایت-۱-۱۲۷ ۵۱۴-الصبر مفتاح الفرج -روایت-۱-۲۵ ۵۱۵-غایة کل متعمق فی علمنا أن یجهل -روایت-۱-۳۸ ۵۱۶-ستعرف الحال علی حقیقتها ولکن حیث لاتستطیع أن تذاکر أحدا بها -روایت-۱-۷۰ ۵۱۷-السعادة التامة بالعلم والسعادة الناقصة بالزهد والعبادة من غیرعلم و لازهادة تعب الجسد -روایت-۱-۹۴ ۵۱۸-الآمال مطایا وربما حسرت ونقبت أخفافها -روایت-۱-۴۶ ۵۱۹-حب الرئاسة شاغل عن حب الله سبحانه -روایت-۱-۴۳ ۵۲۰- یا أباعبیدة طال علیک العهد فنسیت أم نافست فأنسیت لقد سمعتها ووعیتها فهلا رعیتها -روایت-۱-۹۲ ۵۲۱- قال لماسمعت خطبة عمر بالمدینة التی شرح فیهاقصة السقیفة معذرة ورب الکعبة ولکن بعد ماذا هیهات علقت معالقها وصر الجندب -روایت-۱-۱۳۱ ۵۲۲-أول من جرأ الناس علینا سعد بن عبادة فتح بابا ولجه -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۰۸] غیره وأضرم نارا کان لهبها علیه وضوءها لأعدائه -روایت-از قبل-۵۳ ۵۲۳- مالنا ولقریش یخضمون الدنیا باسمنا ویطئون علی رقابنا فیا لله وللعجب من اسم جلیل لمسمی ذلیل -روایت-۱-۱۰۵ ۵۲۴-الخیر کله فی السیف و ماقام هذاالدین إلابالسیف أتعلمون مامعنی قوله تعالی وَ أَنزَلنَا الحَدِیدَ فِیهِ بَأسٌ شَدِیدٌ هذا هوالسیف -روایت-۱-۱۴۱ ۵۲۵- لم یفت من لم یمت -روایت-۱-۲۶ ۵۲۶- من فسدت بطانته کان کمن غص بالماء فإنه لوغص بغیره لأساغ الماء غصته -روایت-۱-۸۱ ۵۲۷- من ضن بعرضه فلیدع المراء -روایت-۱-۳۴ ۵۲۸- من أیقظ فتنة فهو آکلها -روایت-۱-۲۹ ۵۲۹- من أثری کرم علی أهله و من أملق هان علی ولده -روایت-۱-۵۶ ۵۳۰- من أمل أحدا هابه و من جهل شیئا عابه -روایت-۱-۴۶ ۵۳۱-أسوأ الناس حالا من لایثق بأحد لسوء ظنه و لایثق به أحد لسوء أثره -روایت-۱-۷۴ ۵۳۲-أحب الناس إلیک من کثرت أیادیه عندک فإن لم یکن فمن کثرت أیادیک عنده -روایت-۱-۸۳ ۵۳۳- من طال صمته اجتلب من الهیبة ماینفعه و من الوحشة ما لایضره -روایت-۱-۶۹ ۵۳۴- من زاد عقله نقص حظه و ماجعل الله لأحد عقلا وافرا إلااحتسب به علیه من رزقه -روایت-۱-۸۸ ۵۳۵- من عمل بالعدل فیمن دونه رزق العدل ممن فوقه -روایت-۱-۵۷ [صفحه ۳۰۹] ۵۳۶- من طلب عزا بظلم وباطل أورثه الله ذلا بإنصاف وحق -روایت-۱-۶۰ ۵۳۷- من وطئته الأعین وطئته الأرجل -روایت-۱-۳۹ ۵۳۸-ینادی مناد یوم القیامة من کان له أجر علی الله فلیقم فیقوم العافون عن الناس ثم تلافَمَن عَفا وَ أَصلَحَ فَأَجرُهُ عَلَی اللّهِ -روایت-۱-۱۴۰ ۵۳۹- اصحب الناس بأی خلق شئت یصحبوک بمثله -روایت-۱-۴۷ ۵۴۰-کأنک بالدنیا لم تکن وکأنک بالآخرة لم تزل -روایت-۱-۵۰ ۵۴۱- قال لمریض أبل من مرضه إن الله ذکرک فاذکره وأقالک فاشکره -روایت-۱-۷۰ ۵۴۲-الدار دار من لادار له و بهایفرح من لاعقل له فأنزلوها منزلتها -روایت-۱-۷۱ ۵۴۳- لاتستصغرن أمر عدوک إذاحاربته فإنک إن ظفرت به لم تحمد و إن ظفر بک لم تعذر والضعیف المحترس من العدو القوی أقرب إلی السلامة من القوی المغتر بالضعیف -روایت-۱-۱۶۴

۵۴۴- لاتصحب من تحتاج إلی أن تكتمه مایعرف الله منک –روایت-۱-۵۷ ۵۴۵- لاتسأل غیر الله فإنه إن أعطاک أغناک –روایت-۱-۴۶ ۵۴۶-الصاحب کالرقعة فی الثوب فاتخذه مشاکلا –روایت-۱-۴۶ ۵۴۷-إیاک وکثرة الإخوان فإنه لایؤذیک إلا من یعرفک –روایت-۱-۵۵ ۵۴۸-دع الیمین لله إجلالا ـ وللناس إجمالا –روایت-۱-۴۴ ۵۴۹-العادات قاهرات فمن اعتاد شیئا فی سره فضحه فی علانیته –روایت-۱-۶۴ ۵۵۰- إذا كان لک صدیق و لم تحمد إخاءه ومودته فلاتظهر ذلک للناس فإنما هوبمنزلة السیف الكلیل فی منزل الرجل یرهب به عدوه و لایعلم العدو أصارم هوأم كلیل –روایت-۱-۱۶۳ [صفحه ۳۱۰] ۵۵۱-دع الذنوب قبل أن تدعک –روایت-۱-۳۱ ۵۵۲- إذانزل بک مکروه فانظر فإن كان لک حیلة فلاتعجز و إن لم یکن فیه حیلة فلاتجزع –روایت-۱-۸۹ ۵۵۳-تعلموا العلم فإنه زین للغنی وعون للفقیر ولست أقول إنه یطلب به ولکن یدعوه إلی القناعة –روایت-۱-۱۰۲ ۵۵۴- لاترضین قول أحد حتی ترضی فعله و لاترض فعله حتی ترضی عقله و لاترض عقله حتی ترضی حیاءه فإن الإنسان مطبوع علی کرم ولؤم فإن قوی الحیاء عنده قوی الكرم و إن ضعف الحیاء قوی اللؤم –روایت-۱-۲۰۱ ۵۵۵-تعلموا العلم و إن لم تنالوا به حظا فلأن یذم الزمان لکم أحسن من أن یذم بکم –روایت-۱-۸۹ ۵۵۶-اجعل سرک إلی واحد ومشورتک إلی ألف –روایت-۱-۴۳ ۵۵۷- إن الله خلق النساء من عی وعورة فداووا عیهن بالسکوت واستروا العورة بالبیوت –روایت-۱-۸۶ ۵۵۸- لاتعدن عدة لاتثق من نفسک بإنجازها و لایغرنک المرتقی السهل إذا كان المنحدر وعرا واعلم أن للأعمال جزاء فاتق العواقب و أن للأمور بغتات فکن علی حذر –روایت-۱-۱۶۲ ۵۵۹- لاتجاهد الطلب جهاد المغالب و لاتتکل علی القدر اتکال المستسلم فإن ابتغاء الفضل من السنة والإجمال فی الطلب من العفة ولیست العفة برافعة رزقا و لاالحرص بجالب فضلا –روایت-۱-۱۷۶ ۵۶۰- من لم تستقم له نفسه فلایلومن من لم یستقم له –روایت-۱-۵۷ [صفحه ۳۱۱] ۵۶۱- من رجی الرزق لدیه صرفت أعناق الرجال إلیه –روایت-۱-۵۴ ۵۶۲- من انتجعک مؤملا فقد أسلفک حسن الظن –روایت-۱-۴۵ ۵۶۳- إذاشئت أن تطاع فاسأل مایستطاع –روایت-۱-۴۰ ۵۶۴- من أعذر کمن أنجح –روایت-۱-۲۵ ۵۶۵- من كانت الدنیا همه کثر فی القیامة غمه –روایت-۱-۴۷ ۵۶۶- من أجمل فی الطلب أتاه رزقه من حیث لایحتسب –روایت-۱-۵۴ ۵۶۷- من رکب العجلة لم یأمن الکبوة –روایت-۱-۳۷ ۵۶۸- من لم یثق لم یوثق به –روایت-۱-۳۱ ۵۶۹- من أفاده الدهر أفاد منه –روایت-۱-۳۲ ۵۷۰- من أکثر ذکر الضغائن اکتسب العداوة –روایت-۱-۴۲ ۵۷۱- من لم یحمد صاحبه علی حسن النیة لم یحمده علی حسن الصنیعة –روایت-۱-۶۷ ۵۷۲-تأمل ماتتحدث به فإنما تملی علی کاتبیک صحیفة یوصلانها إلی ربک فانظر علی من تملی و إلی من تکتب –روایت-۱-۱۰۷ ۵۷۳-أقم الرغبة إلیک مقام الحرمة بک وعظم نفسک عن التعظم وتطول و لاتتطاول –روایت-۱-۸۲ ۵۷۴-عاملوا الأحرار بالكرامة المحضة والأوساط بالرغبة والرهبة والسفلة بالهوان –روایت-۱-۷۸ ۵۷۵-کن للعدو المکاتم أشد حذرا منک للعدو المبارز –روایت-۱-۵۲ ۵۷۶-احفظ شیئک ممن تستحیی أن تسأله عن مثل ذلک الشیء إذاضاع لک –روایت-۱-۷۰ [صفحه ۳۱۲] ۵۷۷- إذاکنت فی مجلس و لم تکن المحدث و لاالمحدث فقم –روایت-۱-۵۸ ۵۷۸- لاتستصغرن حدثا من قریش و لاصغیرا من الكتاب و لاصعلوکا من الفرسان و لاتصادقن ذمیا و لاخصیا و لامؤنثا فلاثبات لموداتهم –روایت-۱-۱۳۰ ۵۷۹- لاتدخل فی مشورتک بخیلا فیقصر بفعلک و لاجبانا فیخوفک ما لاتخاف و لاحریصا فیعدک ما لایرجی فإن الجبن والبخل والحرص طبیعة واحدة یجمعها سوء الظن بالله تعالی –روایت-۱-۱۷۱ ۵۸۰- لاتکن ممن تغلبه نفسه علی مایظن و لایغلبها علی مایستیقن –روایت-۱-۶۹ ۵۸۱-أعص هواک والنساء وافعل مابدا لک –روایت-۱-۴۱ ۵۸۲- ماکنت کاتمه من عدوک فلاتظهر علیه صدیقک –روایت-۱-۴۹ ۵۸۳- کل من الطعام ماتشتهی والبس من الثیاب مایشتهی الناس –روایت-۱-۶۴ ۵۸۴- ولتکن دارک أول مایبتاع وآخر مایباع –روایت-۱-۴۶ ۵۸۵- من كان فی یده شیء من رزق الله سبحانه فلیصلحه فإنکم فی زمان إذااحتاج المرء فیه إلی الناس كان أول مایبذله لهم دینه –روایت-۱-۱۳۵ ۵۸۶-ابذل لصدیقک

مالک ولمعرفتک رفدک ومحضرک وللعامۀ بشرک وتحننک ولعدوک عدلک وإنصافک واضنن بدینک وعرضک عن کل أحد -روایت-۱-۱۲۶ ۵۸۷-جالس العقلاء أعداء کانوا أوأصدقاء فإن العقل یقع علی العقل -روایت-۱-۶۷ ۵۸۸-کن فی الحرب بحیلتک أوثق منک بشدتک وبحذرک أفرح منک بنجدتک فإن الحرب حرب المتهور وغنیمۀ المتحذر -روایت-۱-۱۱۱ ۵۸۹-النعم وحشیۀ فقیدوها بالمعروف -روایت-۱-۳۶ [صفحه ۳۱۳] ۵۹۰- إذاأخطأتک الصنیعۀ إلی من یتقی الله فاصنعها إلی من یتقی العار -روایت-۱-۷۲ ۵۹۱- لاتشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض -روایت-۱-۵۱ ۵۹۲- إذاأکرمک الناس لمال أوسلطان فلایعجبنک ذاک فإن زوال الکرامۀ بزوالهما ولکن لیعجبک إن أکرمک الناس لدین أوأدب -روایت-۱-۱۲۳ ۵۹۳-ینبغی لمن لم یکرم وجهه عن مسألتک أن تکرم وجهک عن رده -روایت-۱-۶۶ ۵۹۴-إیاک ومشاورۀ النساء فإن رأیهن إلی أفن وعزمهن إلی وهن واکفف من أبصارهن بحجابک إیاهن فإن شدۀ الحجاب خیر لک من الارتیاب و لیس خروجهن بأشد علیک من دخول من لا‌یثق به علیهن و إن استطعت ألا‌یعرفن غیرک فافعل و لاتمکن امرأۀ من الأمر ماجاوز نفسها فإن ذلک أنعم لبالها وأرخی لحالها وإنما المرأۀ ریحانۀ ولیست بقهرمانۀ فلاتعد بکرامتها نفسها و لاتعطها أن تشفع لغیرها و لاتطل الخلوۀ معهن فیملنک وتملهن واستبق من نفسک بقیۀ فإن إمساکک عنهن وهن یردنک ذلک باقتدار خیر من أن یهجمن منک علی انکسار وإیاک والتغایر فی غیرموضع الغیرۀ فإن ذلک یدعو الصحیحۀ منهن إلی السقم -روایت-۱-۵۹۵ ۵۹۵- إذاأردت أن تختم علی کتاب فأعد النظر فیه فإنما تختم علی عقلک -روایت-۱-۷۱ ۵۹۶- إن یوما أسکر الکبار وشیب الصغار لشدید -روایت-۱-۴۵ ۵۹۷-کم من مبرد له الماء والحمیم یغلی له -روایت-۱-۴۵ ۵۹۸-الصلاۀ صابون الخطایا -روایت-۱-۲۷ ۵۹۹- إن امرأ عرف حقیقۀ الأمر وزهد فیه لأحمق و إن امرأ جهل حقیقۀ الأمر مع وضوحه لجاهل -روایت-۱-۹۱ [صفحه ۳۱۴] ۶۰۰- إذا قال أحدکم و الله فلینظر مایضیف إلیها -روایت-۱-۴۹ ۶۰۱-رأیک لایتسع لکل شیءففرغه للمهم من أمورک ومالک لا‌یغنی الناس کلهم فاخصص به أهل الحق وکرامتک لاتطیق بذلها فی العامۀ فتوخ بها أهل الفضل ولیلک ونهارک لایستوعبان حوائجک فأحسن القسمۀ بین عملک ودعتک -روایت-۱-۲۱۹ ۶۰۲-أحی المعروف بإماتته -روایت-۱-۲۸ ۶۰۳-اصحبوا من یذکر إحسانکم إلیه وینسی أیادیه عندکم -روایت-۱-۵۷ ۶۰۴-جاهدوا أهواءکم کماتجاهدون أعداءکم -روایت-۱-۴۲ ۶۰۵- إذارغبت فی المکارم فاجتنب المحارم -روایت-۱-۴۴ ۶۰۶- لا‌تثقن کل الثقۀ بأخیک فإن سرعۀ الاسترسال لاتقال -روایت-۱-۵۸ ۶۰۷-انتقم من الحرص بالقناعۀ کماتنتقم من العدو بالقصاص -روایت-۱-۵۹ ۶۰۸-إذاقصرت یدک عن المکافأۀ فلیطل لسانک بالشکر -روایت-۱-۵۳ ۶۰۹- من لم ینشط لحدیثک فارفع عنه مؤنۀ الاستماع منک -روایت-۱-۵۷ ۶۱۰-الزمان ذو ألوان و من یصحب الزمان یر الهوان -روایت-۱-۵۳ ۶۱۱- لاتزهدن فی معروف فإن الدهر ذو صروف کم من راغب أصبح مرغوبا إلیه ومتبوع أمسی تابعا -روایت-۱-۹۶ ۶۱۲- إن غلبت یوما علی المال فلاتغلبن علی الحیلۀ علی کل حال -روایت-۱-۶۵ ۶۱۳-کن أحسن ماتکون فی الظاهر حالا‌ أقل ماتکون فی الباطن مالا -روایت-۱-۶۷ ۶۱۴-لاتکونن المحدث من لایسمع منه والداخل فی سر اثنین لم یدخلاه -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۱۵] فیه و لاالآتی ولیمۀ لم یدع إلیها و لاالجالس فی مجلس لایستحقه و لاطالب الفضل من أیدی اللئام و لاالمتحمق فی الدالۀ و لاالمتعرض للخیر من عندالعدو -روایت-از قبل-۱۵۹ ۶۱۵-اطبع الطین مادام رطبا واغرس العود مادام لدنا -روایت-۱-۵۵ ۶۱۶-خف الله حتی کأنک لم تطعه وارج الله حتی کأنک لم تعصه -روایت-۱-۶۵ ۶۱۷- لاتبلغ فی سلامک علی الإخوان حد النفاق و لاتقصرهم عن درجۀ الاستحقاق -روایت-۱-۷۹ ۶۱۸-انصح لکل مستشیر و لاتستشیر إلاالناصح اللبیب -روایت-۱-۵۳ ۶۱۹- ماأقبح بک أن ینادی غدا یا أهل خطیئۀ کذا فتقوم معهم ثم ینادی ثانیا یا أهل خطیئۀ کذا فتقوم معهم ماأراک یامسکین إلاتقوم مع أهل کل خطیئۀ -روایت-۱-۱۵۲ ۶۲۰- ماأصاب أحد ذنبا لیلا إلاأصبح و علیه مذلته -روایت-۱-۵۱ ۶۲۱-الاستغفار یحت الذنوب حت

الـورق ثم تلاـ قـوله تعـالی وَ مَن یَعمَـل سُـوءاً أَو یَظلِم نَفسَهُ ثُمّ یَستَغفِرِ اللّهَ یَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَحِیماً -روایت-١-١٥٣ ٦٢٢-أیها المستکثر من الـذنوب إن أباک أخرج من الجنـة بـذنب واحـد -روایت-١-٦٥ ٦٢٣- إذاعصـی الرب مـن یعرفه سلط علیه من لایعرفه -روایت-١-٥٣ ٦٢٤-لقـاء أهل الخیر عمارة القلوب -روایت-١-٣٤ ٦٢٥- أنـا من رسول الله ص کالعضـد من المنکب وکالذراع -روایت-١-ادامه دارد [صـفحه ٣١٦] من العضـد وکالکف من الـذراع ربانی صـغیرا وآخانی کبیرا ولقـد علمتم أنی کان لی منه مجلس سـر لایطلع علیه غیری و أنه أوصـی إلی دون أصحابه و أهل بیته ولأقولن ما لم أقله لأحد قبل هذاالیوم سألته مرة أن یـدعو لی بالمغفرة فقال أفعل ثم قام فصـلی فلما رفع یـده للـدعاء استمعت علیه فإذا هوقائل أللهم بحق علی عندک اغفر لعلی فقلت یا رسول الله ما هذا فقال أواحد أکرم منک علیه فأستشفع به إلیه -روایت-از قبل-٤١١ ٦٢٦- و الله ماقلعت باب خیبر ودکدکت حصن یهود بقوة جسمانیة بل بقوة إلهیة -روایت-١-٧٧ ٦٢٧- یا ابن عوف کیف رأیت صنیعک مع عثمان رب واثق خجـل و من لـم یتوخ بعمله وجه الله عـاد مـادحه من النـاس له ذاما -روایت-١-١٢٣ ٦٢٨- لورأیت مـا فی میزانک لختمت علی لسانک -روایت-١-٤٦ ٦٢٩- لیس الحلـم مـا کـان حـال الرضـا بـل الحلم مـا کـان حـال الغضب -روایت-١-٦٥ ٦٣٠- لیس شیءأقطع لظهر إبلیس من قول لاـإله إلاـ الله کلمـة التقوی -روایت-١-٦٩ ٦٣١- لاـتحملوا ذنوبکم وخطایاکم علی الله وتـذروا أنفسکم والشیطان -روایت-١-٦٩ ٦٣٢- إن أخوف ماأخاف علی هـذه الأمة من الدجال أئمة مضـلون وهم رؤساء أهل البدع - روایت-١-٨٣ ٦٣٣- إذازللـت فـارجع و إذانـدمت فـاقلع و إذاأسـأت فانـدم و إذامننـت فـاکتم و إذامنعت فأجمـل و من یسـلف المعروف یکـن ربحه الحمـد -روایت-١-١٣١ [صـفحه ٣١٧] ٦٣٤-استشـر عـدوک تجربة لتعلم مقدار عداوته -روایت-١-٤٤ ٦٣٥- لاـتطلبن من نفسک العام ماوعـدتک عاما أول -روایت-١- ٥٠ ٦٣٦-أطول النـاس عمرا من کثر علمه فتأدب به من بعـده أوکثر معروفه فشرف به عقبه -روایت-١-٨٤ ٦٣٧-استهینوا بالموت فإن مرارته فی خوفه -روایت-١-٤٣ ٦٣٨- لادین لمن لانیة له و لامـال لمن لاتـدبیر له و لاعیش لمن لارفق له -روایت-١-٧٩ ٦٣٩- من اشـتغل بتفقد اللفظة وطلب السجعة نسی الحجة - روایت-١-٥٣ ٦٤٠-الـدنیا مطیـة المؤمن علیهـا یرتحـل إلی ربه فأصـلحوا مطایاکم تبلغکم إلی ربکم -روایت-١-٨٢ ٦٤١- من رأی أنـه مسـیء فهـو محسـن و من رأی أنه محسن فهـو مسـیء -روایت-١-٦٤ ٦٤٢-سـیئة تسوءک خیر من حسـنة تعجبـک - روایت-١-٣٦ ٦٤٣-اطلبوا الحاجـات بعزة الأـنفس فإن بیـد الله قضاءها -روایت-١-٥٤ ٦٤٤-عـذب حسادک بالإحسان إلیهم - روایت-١-٣٤ ٦٤٥-إظهار الفاقة من خمول الهمة -روایت-١-٣٣ ٦٤٦- یاعالم قدقام علیک حجة العلم فاستیقظ من رقدتک - روایت-١-٥٦ ٦٤٧-الرفق یفل حد المخالفة -روایت-١-٢٩ ٦٤٨-أرجح الناس عقلا وأکملهم فضلا من صحب أیامه بالموادعة وإخوانه بالمسالمـة وقبل من الزمان عفوه -روایت-١-١٠٣ [صفحه ٣١٨] ٦٤٩-الوجوه إذاکثر تقابلها اعتصر بعضها ماء بعض - روایت-١-٤٩ ٦٥٠-أداء الأمانة مفتاح الرزق -روایت-١-٣٢ ٦٥١-حصن علمـک من العجب ووقارک من الکبر وعطاءک من السـرف وصـرامتک من العجلة وعقوبتک من الإفراط وعفوک من تعطیل الحدود وصمتک من العی واستماعک من سوء الفهم واستئناسک من البذاء وخلواتک من الإضاعة وغراماتک من اللجاجة وروغانک من الاستسـلام وحذراتک من الجبن -روایت- ١-٢٦٨ ٦٥٢- لاتجـد للموتـور المحقـود أمانـا مـن أذاه أوثـق مـن البعـد عنـه والاـحتراس منـه -روایت-١-٧٩ ٦٥٣-احذر من أصـحابک ومخالطیک الکثیر المسألـة الخشن البحث اللطیف الاسـتدراج ألـذی یحفظ أول کلامک علی آخره ویعتبر ماأخرت بما قـدمت و لاتظهرن له المخافـة فیری أنک قـدتحرزت وتحفظت واعلم أن من یقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر فخالط هذامخالطـة الآمن وتحفظ منه تحفظ الخائف فإن البحث یظهر الخفی ویبـدی المستور الکامن -روایت-١-٣٣٠ ٦٥٤- من سره الغنی بلا سـلطان والکثرة بلا عشیرة فلیخرج من ذل معصـیة الله إلی عزطاعته فإنه واجد ذلک کله -روایت-١-١١١ ٦٥٥-الشیب إعـذار الموت -روایت-١-٢٥ ٦٥٦- من سـاس نفسه بـالصبر علی جهـل النـاس صلح أن یکون سائسا -روایت-١-٦٢ ٦٥٧-لله

تعالی کل لحظهٔ ثلاثهٔ عساکر فعسکر ینزل من الأصلاب إلی الأرحام وعسکر ینزل من الأرحام إلی الأرض وعسکر یرتحل من الدنیا إلی الآخرهٔ -روایت-۱-۱۴۴ [صفحه ۳۱۹] ۶۵۸- أللهم ارحمنی رحمهٔ الغفران إن لم ترحمنی رحمهٔ الرضا -روایت-۱-۶۰ ۶۵۹-إلهی کیف لایحسن منی الظن و قدحسن منک المن إلهی إن عاملتنا بعدلک لم یبق لنا حسنهٔ و إن أنلتنا فضلک لم یبق لنا سیئهٔ -روایت-۱-۱۳۱ ۶۶۰-العلم سلطان من وجده صال به و من لم یجده صیل علیه -روایت-۱-۶۳ ۶۶۱- یا ابن آدم إنما أنت أیام مجموعهٔ فإذامضی یوم مضی بعضک -روایت-۱-۶۴ ۶۶۲-حیث تکون الحکمهٔ تکون خشیهٔ الله وحیث تکون خشیته تکون رحمته -روایت-۱-۷۲ ۶۶۳- أللهم إنی أری لدی من فضلک ما لم أسألک فعلمت أن لدیک من الرحمهٔ ما لاأعلم فصغرت قیمهٔ مطلبی فیما عاینت وقصرت غایهٔ أملی عند مارجوت فإن ألحفت فی سؤالی فلفاقتی إلی ماعندک و إن قصرت فی دعائی فبما عودت من ابتدائک -روایت-۱-۲۳۴ ۶۶۴- من کان همته مایدخل جوفه کانت قیمته مایخرج منه -روایت-۱-۶۰ ۶۶۵- یقول الله تعالی یا ابن آدم لم أخلقک لأربح علیک إنما خلقتک لتربح علی فاتخذنی بدلا من کل شیءفإنی ناصر لک من کل شیء -روایت-۱-۱۳۵ ۶۶۶-الرجاء للخالق سبحانه أقوی من الخوف لأنک تخافه لذنبک وترجوه لجوده فالخوف لک والرجاء له -روایت-۱-۱۰۳ ۶۶۷-أسألک بعزهٔ الوحدانیهٔ وکرم الإلهیهٔ ألا تقطع عنی برک بعدمماتی کما لم تزل ترانی أیام حیاتی أنت ألذی تجیب من دعاک و لاتخیب من رجاک ضل من یدعو إلاإیاک فإنک لاتحجب من أتاک وتفضل علی من -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۲۰] عصاک و لایفوتک من ناواک و لایعجزک من عاداک کل فی قدرتک و کل یأکل رزقک -روایت-از قبل-۸۱ ۶۶۸- لاتطلبن إلی أحد حاجهٔ لیلا فإن الحیاء فی العینین -روایت-۱-۵۶ ۶۶۹- من ازداد علما فلیحذر من توکید الحجهٔ علیه -روایت-۱-۴۸ ۶۷۰-العاقل ینافس الصالحین لیلحق بهم ویحبهم لیشارکهم بمحبته و إن قصر عن مثل عملهم والجاهل یذم الدنیا و لایسخو بإخراج أقلها یمدح الجود ویبخل بالبذل یتمنی التوبهٔ بطول الأمل و لایعجلها لخوف حلول الأجل یرجو ثواب عمل لم یعمل به ویفر من الناس لیطلب ویخفی شخصه لیشتهر ویذم نفسه لیمدح وینهی عن مدحه و هویحب ألا ینتهی من الثناء علیه -روایت-۱-۳۶۲ ۶۷۱-الأنس بالعلم من نبل الهمهٔ -روایت-۱-۳۴ ۶۷۲- أللهم کماصنت وجهی عن السجود لغیرک فصن وجهی عن مسألهٔ غیرک -روایت-۱-۷۰ ۶۷۳- من الناس من ینقصک إذازدته ویهون علیک إذاخاصصته لیس لرضاه موضع تعرفه و لالسخطه مکان تحذره فإذالقیت أولئک فابذل لهم موضع المودهٔ العامهٔ واحرمهم موضع الخاصهٔ لیکون مابذلت لهم من ذلک حائلا دون شرهم و ماحرمتهم من هذاقاطعا لحرمتهم -روایت-۱-۲۵۸ ۶۷۴- من شبع عوقب فی الحال ثلاث عقوبات یلقی الغطاء علی قلبه والنعاس علی عینه والکسل علی بدنه -روایت-۱-۱۰۴ ۶۷۵-ذم العقلاء أشد من عقوبهٔ السلطان -روایت-۱-۳۹ ۶۷۶-یقطع البلیغ عن المسألهٔ أمران ذل الطلب وخوف الرد -روایت-۱-۵۹ ۶۷۷-المؤمن محدث -روایت-۱-۱۹ [صفحه ۳۲۱] ۶۷۸-قل أن ینطق لسان الدعوی إلا ویخرسه کعام الامتحان -روایت-۱-۶۰ ۶۷۹-انظر ماعندک فلاتضعه إلا فی حقه و ما عندغیرک فلاتأخذه إلابحقه -روایت-۱-۷۲ ۶۸۰- إذاصافاک عدوک ریاء منه فتلق ذلک بأوکد مودهٔ فإنه إن ألف ذلک واعتاده خلصت لک مودته -روایت-۱-۹۶ ۶۸۱- لاتألف المسألهٔ فیألفک المنع -روایت-۱-۳۷ ۶۸۲- لاتسأل الحوائج غیرأهلها و لاتسألها فی غیرحینها و لاتسأل مالست له مستحقا فتکون للحرمان مستوجبا -روایت-۱-۱۰۷ ۶۸۳- إذاغشک صدیقک فاجعله مع عدوک -روایت-۱-۳۸ ۶۸۴- لاتعدن من إخوانک من آخاک فی أیام مقدرتک للمقدرهٔ واعلم أنه ینتقل عنک فی أحوال ثلاث یکون صدیقا یوم حاجته إلیک ومعرضا یوم غناه عنک وعدوا یوم حاجتک إلیه -روایت-۱-۱۷۱ ۶۸۵- لاتسرن بکثرهٔ الإخوان ما لم یکونوا أخیارا فإن الإخوان بمنزلهٔ النار التی قلیلها متاع وکثیرها بوار -روایت-۱-۱۰۷ ۶۸۶-کفاک خیانهٔ أن تکون أمینا للخونهٔ -روایت-۱-۳۹ ۶۸۷- لاتحقرن شیئا من الخیر و إن صغر فإنک إذارأیته سرک مکانه و لاتحقرن شیئا من الشر و إن صغر فإنک إذارأیته ساءک مکانه -روایت-۱-۱۲۸

۶۸۸- یا ابن آدم لیس بک غناء عن نصیبک من الدنیا و أنت إلی نصیبک من الآخرهٔ أفقر -روایت-۱-۸۴ [صفحه ۳۲۲] ۶۸۹- معصیهٔ العالم إذاخفیت لم تضر إلاصاحبها و إذاظهرت ضرت صاحبها والعامهٔ -روایت-۱-۷۶ ۶۹۰-یجب علی العاقل أن یکون بما أحیا عقله من الحکمهٔ أکلف منه بما أحیا جسمه من الغذاء -روایت-۱-۹۱ ۶۹۱-أعسر العیوب صلاحا العجب واللجاجهٔ -روایت-۱-۴۰ ۶۹۲-لکل نعمهٔ مفتاح ومغلاق فمفتاحها الصبر ومغلاقها الکسل -روایت-۱-۶۱ ۶۹۳-الحزن والغضب أمیران تابعان لوقوع الأمر بخلاف ماتحب إلا أن المکروه إذاأتاک ممن فوقک نتج علیک حزنا و إن أتاک ممن دونک نتج علیک غضبا -روایت-۱-۱۵۳ ۶۹۴-أول المعروف مستخف وآخره مستثقل تکاد أوائله تکون للهوی دون الرأی وأواخره للرأی دون الهوی ولذلک قیل رب الصنیعهٔ أشد من الابتداء بها -روایت-۱-۱۵۱ ۶۹۵- لاتدع الله أن یغنیک عن الناس فإن حاجات الناس بعضهم إلی بعض متصلهٔ کاتصال الأعضاء فمتی یستغنی المرء عن یده أورجله ولکن ادع الله أن یغنیک عن شرارهم -روایت-۱-۱۶۹ ۶۹۶-احترس من ذکر العلم عند من لایرغب فیه و من ذکر قدیم الشرف عند من لاقدیم له فإن ذلک مما یحقدهما علیک -روایت-۱-۱۱۶ ۶۹۷-ینبغی لذوی القرابات أن یتزاوروا و لایتجاوروا -روایت-۱-۵۳ ۶۹۸- لاتواخ شاعرا فإنه یمدحک بثمن ویهجوک مجانا -روایت-۱-۵۳ ۶۹۹- لاتنزل حوائجک بجید اللسان و لابمتسرع إلی الضمان -روایت-۱-۵۹ [صفحه ۳۲۳] ۷۰۰- کل شیءطلبته فی وقته فقد فات وقته -روایت-۱-۴۴ ۷۰۱- إذاشککت فی مودهٔ إنسان فاسأل قلبک عنه -روایت-۱-۴۸ ۷۰۲-العقل لم یجن علی صاحبه قط والعلم من غیرعقل یجنی علی صاحبه -روایت-۱-۷۱ ۷۰۳- یا ابن آدم هل تنتظر إلاهرما حائلا أومرضا شاغلا أوموتا نازلا -روایت-۱-۶۸ ۷۰۴-ابنک یأکلک صغیرا ویرثک کبیرا وابنتک تأکل من وعائک وترث من أعدائک و ابن عمک عدوک وعدو عدوک وزوجتک إذا قلت لها قومی قامت -روایت-۱-۱۳۸ ۷۰۵- إذاظفرتم فأکرموا الغلبهٔ وعلیکم بالتغافل فإنه فعل الکرام وإیاکم والمن فإنه مهدمهٔ للصنیعهٔ منبهٔ للضغینهٔ -روایت-۱-۱۱۷ ۷۰۶- من لم یرج إلا مایستوجبه أدرک حاجته -روایت-۱-۴۶ ۷۰۷-بلغ من خدع الناس أن جعلوا شکر الموتی تجارهٔ عندالأحیاء والثناء علی الغائب استمالهٔ للشاهد -روایت-۱-۹۸ ۷۰۸- من احتاج إلیک ثقل علیک و من لم یصلحه الخیر أصلحه الشر و من لم یصلحه الطالی أصلحه الکاوی -روایت-۱-۱۰۶ ۷۰۹- من أکثر من شیءعرف به و من زنی زنی به و من طلب عظیما خاطر بعظمته و من أحب أن یصرم أخاه فلیقرضه ثم لیتقاضه و من أحبک لشیء ملک عندانقضائه و من عرف بالحکمهٔ لاحظته العیون بالوقار -روایت-۱-۲۰۰ [صفحه ۳۲۴] ۷۱۰- من بلغ السبعین اشتکی من غیرعلهٔ -روایت-۱-۴۱ ۷۱۱- فی المال ثلاث خصال مذمومهٔ إما أن یکتسب من غیرحله أویمنع إنفاقه فی حقه أویشغل بإصلاحه عن عبادهٔ الله تعالی -روایت-۱-۱۲۴ ۷۱۲-یباعدک من غضب الله ألا تغضب -روایت-۱-۳۶ ۷۱۳- لاتستبدلن بأخ لک قدیم أخا مستفادا مااستقام لک فإنک إن فعلت فقد غیرت و إن غیرت تغیرت نعم الله علیک -روایت-۱-۱۱۵ ۷۱۴-أشد من البلاء شماتهٔ الأعداء -روایت-۱-۳۳ ۷۱۵- لیس یزنی فرجک إن غضضت طرفک -روایت-۱-۳۷ ۷۱۶- کماترک لکم الملوک الحکمهٔ والعلم فاترکوا لهم الدنیا -روایت-۱-۶۲ ۷۱۷-الهدیهٔ تفقأ عین الحکیم -روایت-۱-۳۰ ۷۱۸-لیکن أصدقاؤک کثیرا واجعل سرک منهم إلی واحد -روایت-۱-۵۳ ۷۱۹- یاعبید الدنیا کیف تخالف فروعکم أصولکم وعقولکم أهواءکم قولکم شفاء یبرئ الداء وعملکم داء لایقبل الدواء ولستم کالکرمهٔ التی حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ولکنکم کالشجرهٔ التی قل ورقها وکثر شوکها وخبث ثمرها وصعب مرتقاها جعلتم العلم تحت أقدامکم والدنیا فوق رءوسکم فالعلم عندکم مذال ممتهن والدنیا لایستطاع تناولها فقد منعتم کل أحد من الوصول إلیها فلاأحرار کرام أنتم و لاعبید أتقیاء ویحکم یاأجراء السوء أماالأجر فتأخذون و أماالعمل فلاتعملون إن عملتم فللعمل تفسدون وسوف تلقون ماتفعلون یوشک رب العمل أن ینظر فی عمله ألذی أفسدتم و فی أجره ألذی أخذتم یاغرماء السوء تبدءون بالهدیهٔ قبل قضاء -روایت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۲۵] الدین تتطوعون بالنوافل و لاتؤدون الفرائض إن رب الدین

لايرضى بالهدية حتى يقضى دينه -روايت-از قبل-۹۵ ۷۲۰-الدنيا مزرعة إبليس وأهلها أكرة حراثون له فيها -روايت-۱-۵۴ ۷۲۱-وا عجبا ممن يعمل للدنيا و هويرزق فيهابغير عمل و لايعمل للآخرة و هو لايرزق فيها إلابالعمل -روايت-۱-۱۰۱ ۷۲۲- لاتجالسوا إلا من يذكركم الله رؤيته ويزيد فى عملكم منطقه ويرغبكم فى الآخرة عمله -روايت-۱-۹۱ ۷۲۳-كثرة الطعام تميت القلب كماتميت كثرة الماء الزرع -روايت-۱-۵۸ ۷۲۴-ضرب الوالد الولد كالسماد للزرع -روايت-۱-۳۸ ۷۲۵- إذاأردت أن تصادق رجلا فأغضبه فإن أنصفك فى غضبه و إلافدعه -روايت-۱-۶۹ ۷۲۶- إذاأتيت مجلس قوم فارمهم بسهم الإسلام ثم اجلس يعنى السلام فإن أفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم و إن أفاضوا فى غيره فخلهم وانهض -روايت-۱-۱۵۳ ۷۲۷-الأوطار تكسب الأوزار فارفض وطرك واغضض بصرك -روايت-۱-۵۳ ۷۲۸- إذاقعدت عندسلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل فلعله أن يأتيه من هوآثر عنده منك فيريد أن تتنحى عن مجلسك فيكون ذلك نقصا عليك وشينا -روايت-۱-۱۴۶ ۷۲۹-ارحم الفقراء لقلة صبرهم والأغنياء لقلة شكرهم وارحم الجميع لطول غفلتهم -روايت-۱-۸۲ [صفحه ۳۲۶] ۷۳۰-العالم مصباح الله فى الأرض فمن أراد الله به خيرا اقتبس منه -روايت-۱-۷۲ ۷۳۱- لايهونن عليك من قبح منظره ورث لباسه فإن الله تعالى ينظر إلى القلوب ويجازى بالأعمال -روايت-۱-۱۰۰ ۷۳۲- من كذب ذهب بماء وجهه و من ساء خلقه كثر غمه ونقل الصخور من مواضعها أهون من تفهيم من لايفهم -روايت-۱-۱۰۶ ۷۳۳-كنت فى أيام رسول الله ص كجزء من رسول الله ص ينظر إلى الناس كماينظر إلى الكواكب فى أفق السماء ثم غض الدهر منى فقرن بى فلان وفلان ثم قرنت بخمسة أمثلهم عثمان فقلت وا ذفراه ثم لم يرض الدهر لى بذلك حتى أرذلنى فجعلنى نظيرا لابن هند و ابن النابغة لقد استنت الفصال حتى القرعى -روايت-۱-۳۰۴ ۷۳۴- أما و ألذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى إلى أن الأمة ستغدر بك من بعدى -روايت-۱-۹۶ ۷۳۵-لامته فاطمة على قعوده وأطالت تعنيفه و هوساكت حتى أذن المؤذن فلما بلغ إلى قوله أشهد أن محمدا رسول الله قال لها أتحبين أن تزول هذه الدعوة من الدنيا قالت لا قال فهو ماأقول لك -روايت-۱-۱۹۳ ۷۳۶- قال لى رسول الله ص إن اجتمعوا عليك فاصنع ماأمرتك و إلافألصق كلكلك بالأرض فلما تفرقوا عنى جررت على المكروه ذيلى وأغضيت على القذى جفنى وألصقت بالأرض كلكلى -روايت-۱-۱۸۰ ۷۳۷-الدنيا حلم والآخرة يقظة ونحن بينهما أضغاث أحلام -روايت-۱-۵۷ [صفحه ۳۲۷] ۷۳۸- لماعرف أهل النقص حالهم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا و ليس بفاعل -روايت-۱-۱۰۳ ۷۳۹- لوتميزت الأشياء كان الكذب مع الجبن والصدق مع الشجاعة والراحة مع اليأس والتعب مع الطمع والحرمان مع الحرص والذل مع الدين -روايت-۱-۱۳۶ ۷۴۰-المعروف غل لايفكه إلاشكر أومكافأة -روايت-۱-۴۲ ۷۴۱-كثرة مال الميت تسلى ورثته عنه -روايت-۱-۴۰ ۷۴۲- من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله -روايت-۱-۴۲ ۷۴۳- من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به أوحقد عليه -روايت-۱-۵۷ ۷۴۴-كثرة الدين تضطر الصادق إلى الكذب والواعد إلى الإخلاف -روايت-۱-۶۲ ۷۴۵-عار النصيحة يكدر لذتها -روايت-۱-۲۸ ۷۴۶-أول الغضب جنون وآخره ندم -روايت-۱-۳۵ ۷۴۷-انفرد بسرك و لاتودعه حازما فيزل و لاجاهلا فيخون -روايت-۱-۵۷ ۷۴۸- لاتقطع أخاك إلا بعدعجز الحيلة عن استصلاحه و لاتتبعه بعدالقطيعة وقيعة فيه فتسد طريقه عن الرجوع إليك ولعل التجارب أن ترده عليك وتصلحه لك -روايت-۱-۱۵۴ ۷۴۹- من أحس بضعف حيلته عن الاكتساب بخل -روايت-۱-۴۵ ۷۵۰-الجاهل صغير و إن كان شيخا والعالم كبير و إن كان حدثا -روايت-۱-۶۲ ۷۵۱-الميت يقل الحسد له ويكثر الكذب عليه -روايت-۱-۴۶ ۷۵۲- إذانزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر -روايت-۱-۴۵ [صفحه ۳۲۸] ۷۵۳-الحرص ينقص من قدر الإنسان و لايزيد فى حظه -روايت-۱-۵۱ ۷۵۴-الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود -روايت-۱-۳۷ ۷۵۵-أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه -روايت-۱-۳۹ ۷۵۶- لاتتبع الذنب العقوبة واجعل بينهما وقتا للاعتذار -روايت-۱-۵۷ ۷۵۷-اذكر عندالظلم عدل الله فيك و عندالقدرة قدرة الله عليك -روايت-۱-۶۳ ۷۵۸-

لايحملنك الحنق على اقتراف الإثم فتشفى غيظك وتسقم دينك -روايت-۱-۶۸ ۷۵۹-الملك بالدين يبقى والدين بالملك يقوى -روايت-۱-۴۸ ۷۶۰-كأن الحاسد إنما خلق ليغتاظ -روايت-۱-۳۴ ۷۶۱-عقل الكاتب فى قلمه -روايت-۱-۲۷ ۷۶۲-اقتصر من شهوة خالفت عقلك بالخلاف عليها -روايت-۱-۴۷ ۷۶۳- أللهم صن وجهى باليسار و لاتبذل جاهى بالإقتار فأسترزق طالبى رزقك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطانى وأفتتن بذم من منعنى و أنت من وراء ذلك ولى الإعطاء والمنع إنك على كل شىءقدير -روايت-۱-۲۰۶ ۷۶۴- كل حقد حقدته قريش على رسول الله ص أظهرته فى وستظهره فى ولدى من بعدى ما لى ولقريش إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إن كانوا مسلمين -روايت-۱-۱۸۶ ۷۶۵-عجبا لسعد و ابن عمر يزعمان أنى أحارب على الدنيا أفكان رسول الله ص يحارب على الدنيا فإن زعما أن رسول الله ص حارب لتكسير الأصنام وعبادة الرحمن فإنما حاربت لدفع الضلال والنهى عن -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۲۹] الفحشاء والفساد أفمثلى يزن بحب الدنيا و الله لوتمثلت لى بشرا سويا لضربتها بالسيف -روايت-از قبل-۸۹ ۷۶۶- أللهم أنت خلقتنى كماشئت فارحمنى كيف شئت ووفقنى لطاعتك حتى تكون ثقتى كلها بك وخوفى كله منك -روايت-۱-۱۱۰ ۷۶۷- لاتسبن إبليس فى العلانية و أنت صديقه فى السر -روايت-۱-۵۴ ۷۶۸- من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها فما وقرها -روايت-۱-۵۱ ۷۶۹-لاتطمع فى كل ماتسمع -روايت-۱-۳۰ ۷۷۰- من عاتب ووبخ فقد استوفى حقه -روايت-۱-۳۸ ۷۷۱-الجود ألذى يستطاع أن يتناول به كل أحد هو أن ينوى الخير لكل أحد -روايت-۱-۷۳ ۷۷۲- من صحب السلطان بالصحة والنصيحة كان أكثر عدوا ممن صحبه بالغش والخيانة -روايت-۱-۸۰ ۷۷۳- من عاب سفلة فقد رفعه و من عاب كريما فقد وضع نفسه -روايت-۱-۶۰ ۷۷۴-الموالى ينصرون وبنو العم يحسدون -روايت-۱-۴۱ ۷۷۵-الصدق عز والكذب مذلة و من عرف بالصدق جاز كذبه و من عرف بالكذب لم يجز صدقه -روايت-۱-۸۷ ۷۷۶- إذاسمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها فإنها تتخطاك -روايت-۱-۵۴ ۷۷۷-نحن نريد ألا نموت حتى نتوب ونحن لانتوب حتى نموت -روايت-۱-۵۹ ۷۷۸-أنزل الصديق منزلة العدو فى رفع المئونة عنه وأنزل العدو منزلة الصديق فى تحمل المئونة له -روايت-۱-۱۰۰ [صفحه ۳۳۰] ۷۷۹-أول عقوبة الكاذب أن صدقه يرد عليه -روايت-۱-۴۳ ۷۸۰-الأدب عندالأحمق كالماء العذب فى أصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة -روايت-۱-۸۱ ۷۸۱-إياكم وحمية الأوغاد فإنهم يرون العفو ضيما -روايت-۱-۵۰ ۷۸۲-الكريم لايستقصى فى محاقة المعتذر خوفا أن يجزى من لايجد مخرجا من ذنبه -روايت-۱-۷۹ ۷۸۳-العفو عن المقر لا عن المصر -روايت-۱-۳۲ ۷۸۴- ماستغنى أحد بالله إلاافتقر الناس إليه -روايت-۱-۴۹ ۷۸۵- من جاد بماله فقد جاد بنفسه فإن لم يكن جاد بهابعينها فقد جاد بقوامها -روايت-۱-۷۸ ۷۸۶-الدين ميسم الكرام وطالما وقر الكرام بالدين -روايت-۱-۵۳ ۷۸۷-الماضى قبلك هوالباقى بعدك والتهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية بعاجل المصاب -روايت-۱-۹۰ ۷۸۸-مما تكتسب به المحبة أن تكون عالما كجاهل وواعظا كموعوظ -روايت-۱-۶۲ ۷۸۹- لاتحمدن الصبى إذا كان سخيا فإنه لايعرف فضيلة السخاء وإنما يعطى ما فى يده ضعفا -روايت-۱-۹۰ ۷۹۰-خير الإخوان من إذااستغنيت عنه لم يزدك فى المودة و إن احتجت إليه لم ينقصك منها -روايت-۱-۹۱ ۷۹۱-عجبا للسلطان كيف يحسن و هو إذاأساء وجد من يزكيه ويمدحه -روايت-۱-۶۵ [صفحه ۳۳۱] ۷۹۲- إذاصادقت إنسانا وجب عليك أن تكون صديق صديقه و ليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه لأن هذاإنما يجب على خادمه و ليس يجب على مماثل له -روايت-۱-۱۴۷ ۷۹۳- ليس تكمل فضيلة الرجل حتى يكون صديقا لمتعادیين -روايت-۱-۵۶ ۷۹۴- من سعادة الحدث ألا يتم له فضيلة فى رذيلة -روايت-۱-۴۹ ۷۹۵- إذامنعت من شىء قدالتمسته فليكن غيظك منه على نفسك فى المسألة أكثر من غيظك على من منعك -روايت-۱-۱۰۱ ۷۹۶-الأسخياء يشمتون بالبخلاء عندالموت والبخلاء يشمتون بالأسخياء عندالفقر -روايت-۱-۷۷ ۷۹۷-ليس يضبط العدد الكثير من لايضبط نفسه الواحدة -روايت-۱-۵۳ ۷۹۸- إذاأحسن أحد من أصحابك فلاتخرج إليه بغاية برك

ولکن اترک منه شیئا تزیده إیاه عندتبینک منه الزیادۀ فی نصیحته -روایت-۱-۱۲۲ ۷۹۹-الوقوع فی المکروه أسهل من توقع المکروه -روایت-۱-۴۹ ۸۰۰-الحسود ظالم ضعفت یده عن انتزاع ماحسدک علیه فلما قصر علیک بعث إلیک تأسفه -روایت-۱-۸۷ ۸۰۱-أعم الأشیاء نفعا موت الأشرار -روایت-۱-۳۶ ۸۰۲-الشیء المعزی للناس عن مصائبهم علم العلماء أنها نقعاء اضطراریۀ وتأسی العامۀ بعضها ببعض -روایت-۱-۹۸ ۸۰۳-العقل الإصابۀ بالظن ومعرفۀ ما لم یکن بما کان -روایت-۱-۵۴ [صفحه ۳۳۲] ۸۰۴- یاعجبا للناس قدمکنهم الله من الاقتداء به فیدعون ذلک إلی الاقتداء بالبهائم -روایت-۱-۸۶ ۸۰۵-سلوا القلوب عن المودات فإنها شهود لاتقبل الرشا -روایت-۱-۵۵ ۸۰۶-إنما یحزن الحسدۀ أبدا لأنهم لایحزنون لماینزل بهم من الشر فقط بل و لماینال الناس من الخیر -روایت-۱-۱۰۲ ۸۰۷-العشق جهد عارض صادف قلبا فارغا -روایت-۱-۳۹ ۸۰۸-تعرف خساسۀ المرء بکثرۀ کلامه فیما لایعنیه وإخباره عما لایسأل عنه -روایت-۱-۷۶ ۸۰۹- لاتؤخر إنالۀ المحتاج إلی غد فإنک لاتعرف مایعرض فی غد -روایت-۱-۶۳ ۸۱۰- إن تتعب فی البر فإن التعب یزول والبر یبقی -روایت-۱-۵۲ ۸۱۱-أجهل الجهال من عثر بحجر مرتین -روایت-۱-۳۸ ۸۱۲-کفاک موبخا علی الکذب علمک بأنک کاذب وکفاک ناهیا عنه خوفک من تکذیبک حال إخبارک -روایت-۱-۹۳ ۸۱۳-العالم یعرف الجاهل لأنه کان جاهلا والجاهل لایعرف العالم لأنه لم یکن عالما -روایت-۱-۸۸ ۸۱۴- لاتتکلوا علی البخت فربما لم یکن وربما کان وزال و لا علی الحسب فطالما کان بلاء علی أهله یقال للناقص هذا ابن فلان الفاضل فیتضاعف غمه وعاره ولکن علیکم بالعلم والأدب فإن العالم یکرم و إن لم ینتسب ویکرم و إن کان فقیرا ویکرم و إن کان حدثا -روایت-۱-۲۶۴ [صفحه ۳۳۳] ۸۱۵-خیر ماعوشر به الملک قلۀ الخلاف وتخفیف المئونۀ وأصعب الأشیاء علی الإنسان أن یعرف نفسه و أن یکتم سره -روایت-۱-۱۱۳ ۸۱۶-العدل أفضل من الشجاعۀ لأن الناس لواستعملوا العدل عموما فی جمیعهم لاستغنوا عن الشجاعۀ -روایت-۱-۹۶ ۸۱۷-أولی الأشیاء أن یتعلمها الأحداث الأشیاء التی إذاصاروا رجالا احتاجوا إلیها -روایت-۱-۸۲ ۸۱۸- لاترغب فی اقتناء الأموال وکیف ترغب فیما ینال بالبخت لابالاستحقاق ویأمر البخل والشره بحفظه والجود والزهد بإخراجه -روایت-۱-۱۲۹ ۸۱۹- إذاعاتبت الحدث فاترک له موضعا من ذنبه لئلا یحمله الإخراج علی المکابرۀ -روایت-۱-۸۲ ۸۲۰- ماانتقم الإنسان من عدوه بأعظم من أن یزداد من الفضائل -روایت-۱-۶۵ ۸۲۱-إنما لم تجتمع الحکمۀ والمال لعزۀ وجود الکمال -روایت-۱-۵۳ ۸۲۲-یمنع الجاهل أن یجد ألم الحمق المستقر فی قلبه مایمنع السکران أن یجد مس الشوکۀ فی یده -روایت-۱-۹۸ ۸۲۳-القنیۀ مخدومۀ و من خدم غیرنفسه فلیس بحر -روایت-۱-۴۸ ۸۲۴- لاتطلب الحیاۀ لتأکل بل اطلب الأکل لتحیا -روایت-۱-۵۱ ۸۲۵- إذارأت العامۀ منازل الخاصۀ من السلطان حسدتها علیها وتمنت أمثالها فإذارأت مصارعها بدا لها -روایت-۱-۱۰۰ ۸۲۶-الشیء ألذی لایستغنی عنه أحد هوالتوفیق -روایت-۱-۴۷ [صفحه ۳۳۴] ۸۲۷- لیس ینبغی أن یقع التصدیق إلابما یصح و لاالعمل إلابما یحل و لاالابتداء إلابما تحسن فیه العاقبۀ -روایت-۱-۱۰۷ ۸۲۸-الوحدۀ خیر من رفیق السوء -روایت-۱-۳۱ ۸۲۹-لکل شیءصناعۀ وحسن الاختبار صناعۀ العقل -روایت-۱-۴۷ ۸۳۰- من حسدک لم یشکرک علی إحسانک إلیه -روایت-۱-۴۳ ۸۳۱-البغی آخر مدۀ الملوک -روایت-۱-۲۸ ۸۳۲- لأن یکون الحر عبدا لعبیده خیر من أن یکون عبدا لشهواته -روایت-۱-۶۴ ۸۳۳- من أمضی یومه فی غیرحق قضاه أوفرض أداه أومجد بناه أوحمد حصله أوخیر أسسه أوعلم اقتبسه فقد عق یومه -روایت-۱-۱۱۶ ۸۳۴-أرسل إلیه عمرو بن العاص یعیبه بأشیاء منها أنه یسمی حسنا وحسینا ولدی رسول الله ص فقال لرسوله قل للشانئ ابن الشانئ لو لم یکونا ولدیه لکان أبتر کمازعمه أبوک -روایت-۱-۱۷۵ ۸۳۵- قال معاویۀ لماقتل عمار واضطرب أهل الشام لروایۀ عمرو بن العاص کانت لهم تقتله الفئۀ الباغیۀ إنما قتله من أخرجه إلی الحرب وعرضه للقتل فقال أمیر المؤمنین ع فرسول الله ص إذن قاتل حمزۀ -روایت-۱-۲۰۳ ۸۳۶- هذایدی یعنی محمد بن الحنفیۀ وهذان عینای یعنی حسنا وحسینا و مازال الإنسان یذب بیده عن عینیه قالها لمن قال له

إنـک تعرض محمـدا للقتل وتقـذف به فی نحور الأعـداء دون أخويه -روايت-۱-۱۸۹ ۸۳۷-شـكرت الواهب وبورک لک فی الموهوب ورزقت خيره وبره خـذ إليـک أباالأملاـک قالهـا لعبـد الله بن العبـاس لماولـد ابنه علی بن عبـد الله -روايت-۱-۱۴۲ [صفحه ۳۳۵] ۸۳۸- مايسرنی أنی كفيت أمر الـدنيا كله لأـنی أكره عادهٔ العجز -روايت-۱-۶۵ ۸۳۹-اجتماع المال عندالأسخياء أحـد الخصبين واجتماع المال عندالبخلاء أحد الجدبين -روايت-۱-۸۵ ۸۴۰- من عمـل عمل أبيه كفی نصف التعب -روايت-۱-۴۱ ۸۴۱-المصـطنع إلی اللئيم كمن طوق الخنزير تبرا وقرط الكلب درا وألبس الحمار وشـيا وألقم الأفعی شـهدا -روايت-۱-۱۰۴ ۸۴۲-الحازم إذاأشكل عليه الرأی بمنزلهٔ من أضل لؤلؤهٔ فجمع ماحول مسقطها من التراب ثم التمسها حتی وجدها ولذلک الحازم يجمع وجوه الرأی فی الأمر المشـكل ثم يضـرب بعضه ببعض حتی يخلص إليه الصواب -روايت-۱-۲۰۲ ۸۴۳-الأشراف يعاقبون بالهجران لابالحرمان -روايت-۱-۴۵ ۸۴۴-الشح أضـر علی الإنسان من الفقر لأن الفقير إذاوجد اتسع والشحيح لايتسع و إن وجد -روايت-۱-۸۸ ۸۴۵-أحب النـاس إلی العاقل أن يكون عاقلا عـدوه لأنه إذا كان عاقلا كان منه فی عافيـهٔ -روايت-۱-۸۹ ۸۴۶-عليـک بمجالسـهٔ أصـحاب التجارب فإنهـا تقوم عليهم بـأغلی الغلاء وتأخـذها منهم بأرخص الرخص -روايت-۱-۹۶ ۸۴۷- من لم يحمـدک علی حسن النيـهٔ لم يشـكرک علی جميل العطيـهٔ -روايت-۱-۶۲ ۸۴۸- لاتنكحوا النساء لحسـنهن فعسی حسنهن أن يرديهن و لالأموالهن -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۳۶] فعسـی أموالهن أن تطغيهن وانكحوهن علی الدين ولأمهٔ سوداء خرمـاء ذات دين أفضل -روايت-از قبل-۸۴ ۸۴۹-أفضل العبادهٔ الإمساک عن المعصيهٔ والوقوف عندالشبههٔ -روايت-۱-۵۸ ۸۵۰-ذم الرجل نفسه فی العلانيهٔ مدح لها فی السـر -روايت-۱-۵۰ ۸۵۱- من عدم فضـيلهٔ الصدق فی منطقه فقد فجع بأكرم أخلاقه -روايت-۱-۶۱ ۸۵۲- ليس يضـرک أن تری صديقک عندعدوک فإنه إن لم ينفعک لم يضرک -روايت-۱-۶۹ ۸۵۳- قل أن تری أحـدا تكبر علی من دونه إلا وبـذلک المقـدار يجود بالـذل لمن فوقه -روايت-۱-۸۳ ۸۵۴- من عظمت عليه مصيبهٔ فليـذكر الموت فإنهـا تهون عليه و من ضـاق به أمر فليـذكر القبر فـإنه يتسع -روايت-۱-۱۰۰ ۸۵۵-خير الشـعر ما كان مثلا وخير الأمثال ما لم يكن شـعرا -روايت-۱-۵۷ ۸۵۶-الق الناس عنـدحاجتهم إليک بالبشـر والتواضع فإن نابتک نائبهٔ وحالت بک حال لقيتهم و قـدأمنت ذلـهٔ التنصـل إليهم والتواضع -روايت-۱-۱۳۱ ۸۵۷- إن الله يحـب أن يعفی عـن زلـهٔ السـری -روايت-۱-۴۳ ۸۵۸- من طال لسانه وحسن بيانه فليترک التحدث بغرائب ماسمع فإن الحسد لحسن مايظهر منه يحمل أكثر الناس علی تكذيبه و من عرف أسـرار الأمور الإلهيـهٔ فليترک الخوض فيها و إلاحملتهم المنافسهٔ علی تكفيره -روايت-۱-۲۰۷ ۸۵۹- ليس كل مكتوم يسوغ إظهـاره لـک و لاـ كـل معلوم يجوز أن تعلمه غيرک -روايت-۱-۷۵ [صـفحه ۳۳۷] ۸۶۰- ليس يفهم كلامـک من كان كلامه لک أحب إليه من الاسـتماع منک و لايعلم نصـيحتک من غلب هواه علی رأيک و لايسـلم لک من اعتقـد أنه أتم معرفهٔ بما أشـرت عليه به منک -روايت-۱-۱۷۴ ۸۶۱-خف الضـعيف إذا كان تحت رايـهٔ الإنصاف أكثر من خوفک القوی تحت رايهٔ الجور فإن النصـر يأتيه من حيث لايشعر وجرحه لايندمل -روايت-۱-۱۲۹ ۸۶۲-إخافهٔ العبيد والتضييق عليهم يزيد فی عبوديتهم وصـيانتهم وإظهار الثقـهٔ بهم يكسـبهم أنفـهٔ وجبريهٔ -روايت-۱-۱۰۱ ۸۶۳-أضـر الأشـياء عليـک أن تعلم رئيسـک أنک أعرف بالرئاسـهٔ منه -روايت-۱-۶۴ ۸۶۴-عـداوهٔ العـاقلين أشـد العـداوات وأنكاها فإنها لاتقع إلا بعدالإعـذار والإنـذار و بعـد أن يئس إصلاح مابينهما -روايت-۱-۱۱۰ ۸۶۵- لاتخدمن رئيسا كنت تعرفه بالخمول وسمت به الحال ويعرف منک أنک تعرف قديمه فإنه و أن سر بمكانک من خـدمته إلاإنه يعلم العين التی تراه بهافينقبض عنک بحسب ذلک -روايت-۱-۱۸۰ ۸۶۶- إذااحتجت إلی المشورهٔ فی أمر قـدطرأ عليک فاستبده ببدايـهٔ الشبان فإنهم أحـد أذهانا وأسـرع حدسا ثم رده بعد ذلک إلی رأی الكهول والشـيوخ ليسـتعقبوه ويحسنوا الاختيار له فإن تجربتهم أكثر -روايت-۱-۱۹۴ ۸۶۷-الإنسان فی سـعيه وتصرفاته كالعائم فی اللجهٔ فهو يكافـح الجريـهٔ فی إدباره ويجری معها فی إقباله -روايت-۱-۱۰۳ ۸۶۸-ينبغی للعاقل أن يسـتعمل فيما يلتمسه الرفق ومجانبهٔ

الهذر -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۳۸] فإن العلقة تأخذ بهدوئها من الدم ما لاتأخذه البعوضة باضطرابها وفرط صياحها -روايت-از قبل-۷۸ ۸۶۹-أقوى ما يكون التصنع فى أوائله وأقوى ما يكون التطبع فى أواخره -روايت-۱-۷۲ ۸۷۰-غاية المروءة أن يستحيى الإنسان من نفسه و ذلک أنه ليس العلة فى الحياء من الشيخ كبر سنه و لابياض لحيته وإنما علة الحياء منه عقله فينبغى إن كان هذاالجوهر فينا أن نستحيى منه و لانحضره قبيحا -روايت-۱-۲۰۷ ۸۷۱- من ساس رعية حرم عليه السكر عقلا لأنه قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه -روايت-۱-۸۵ ۸۷۲- لاتبتاعن مملوكا قوى الشهوة فإن له مولى غيرک و لاغضوبا فإنه يؤذيک فى استخدامک له و لاقوى الرأى فإنه يستعمل الحيلة عليک لکن اطلب من العبيد من كان قوى الجسم حسن الطاعة شديد الحياء -روايت-۱-۲۰۳ ۸۷۳- لاتعادوا الدول المقبلة وتشربوا قلوبكم بغضها فتدبروا بإقبالها -روايت-۱-۶۹ ۸۷۴-الغريب كالفرس ألذى زايل شربه وفارق أرضه فهو ذاو لايتقد وذابل لايثمر -روايت-۱-۸۰ ۸۷۵-السفر قطعة من العذاب والرفيق السوء قطعة من النار -روايت-۱-۵۶ ۸۷۶- كل خلق من الأخلاق فإنه يكسد عندقوم من الناس إلاالأمانة فإنها نافقة عندأصناف الناس يفضل بها من كانت فيه حتى أن الآنية إذا لم تنشف -روايت-۱-ادامه دارد [صفحه ۳۳۹] وبقى مايودع فيها على حاله لم ينقص كانت أكثر ثناء من غيرها مما يرشح أوينشف -روايت-از قبل-۸۴ ۸۷۷-اصبر على سلطانک فى حاجاتک فلست أكبر شغله و لابک قوام أمره -روايت-۱-۷۰ ۸۷۸-قوة الاستشعار من ضعف اليقين -روايت-۱-۳۵ ۸۷۹- إذاأحسست من رأيک بإكداد و من تصورک بفساد فاتهم نفسک بمجالستک لعامى الطبع أولسيئ الفكر وتدارک إصلاح مزاج تخيلک بمكاثرة أهل الحكمة ومجالسة ذوى السداد فإن مفاوضتهم تريح الرأى المكدود وترد ضالة الصواب المفقود -روايت-۱-۲۲۹ ۸۸۰- من جلس فى ظل الملق لم يستقر به موضعه لكثرة تنقله وتصرفه مع الطباع وعرفه الناس بالخديعة -روايت-۱-۱۰۱ ۸۸۱-كثير من الحاجات تقضى برما لاكرما -روايت-۱-۴۰ ۸۸۲-أصحاب السلطان فى المثل كقوم رقوا جبلا ثم سقطوا منه فأقربهم إلى الهلكة والتلف أبعدهم كان فى المرتقى -روايت-۱-۱۱۳ ۸۸۳- لاتضع سرک عند من لاسر له عندک -روايت-۱-۴۰ ۸۸۴-سعة الأخلاق كيمياء الأرزاق -روايت-۱-۳۴ ۸۸۵-العلم أفضل الكنوز وأجملها خفيف المحمل عظيم الجدوى فى الملإ جمال و فى الوحدة أنس -روايت-۱-۹۳ ۸۸۶-السباب مزاح النوكى و لابأس بالمفاكهة يروح بهاالإنسان عن نفسه ويخرج عن حد العبوس -روايت-۱-۹۴ [صفحه ۳۴۰] ۸۸۷-ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الهدية والرسول والكتاب -روايت-۱-۶۵ ۸۸۸-التعزية بعدثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعدثلاث استخفاف بالمودة -روايت-۱-۷۱ ۸۸۹- أنت مخير فى الإحسان إلى من تحسن إليه ومرتهن بدوام الإحسان إلى من أحسنت إليه لأنک إن قطعته فقد أهدرته و إن أهدرته فلم فعلته -روايت-۱-۱۴۴ ۸۹۰- الناس من خوف الذل فى ذل -روايت-۱-۳۴ ۸۹۱- إذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عيا و إذا كان الإيجاز مقصرا كان الإكثار واجبا -روايت-۱-۸۶ ۸۹۲-بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد -روايت-۱-۴۷ ۸۹۳-الخلق عيال الله وأحب الناس إلى الله أشفقهم على عياله -روايت-۱-۶۶ ۸۹۴-تحريک الساكن أسهل من تسكين المتحرک -روايت-۱-۴۵ ۸۹۵-العاقل بخشونة العيش مع العقلاء آنس منه بلين العيش مع السفهاء -روايت-۱-۷۱ ۸۹۶-الانقباض بين المنبسطين ثقل والانبساط بين المنقبضين سخف -روايت-۱-۶۵ ۸۹۷-السخاء والجود بالطعام لابالمال و من وهب ألفا وشح بصحفة طعام فليس بجواد -روايت-۱-۸۲ ۸۹۸- إن بقيت لم يبق الهم -روايت-۱-۲۹ ۸۹۹- لايقوم عزالغضب بذلة الاعتذار -روايت-۱-۳۷ ۹۰۰-الشفيع جناح الطالب -روايت-۱-۲۷ ۹۰۱-الأمل رفيق مؤنس إن لم يبلغک فقد استمتعت به -روايت-۱-۵۵ ۹۰۲-إعادة الاعتذار تذكير بالذنب -روايت-۱-۳۴ [صفحه ۳۴۱] ۹۰۳-الصبر فى العواقب شاف أومريح -روايت-۱-۳۶ ۹۰۴- من طال عمره رأى فى أعدائه مايسره -روايت-۱-۴۴ ۹۰۵- لانعمة فى الدنيا أعظم من طول العمر وصحة الجسد -روايت-۱-۵۴ ۹۰۶- الناس رجلان أمامؤجل بفقد أحبابه أومعجل بفقد نفسه -روايت-۱-۶۰ ۹۰۷-العقل غريزة تربيها التجارب -روايت-۱-۳۴ ۹۰۸-

النصح بين الملأ تقريع -روايت-١-٢٩ ٩٠٩- لاتنكح خاطب سرك -روايت-١-٢٥ ٩١٠- من زاد أدبه على عقله كان كالراعى الضعيف مع الغنم الكثير -روايت-١-٦٧ ٩١١-الدار الضيقة العمى الأصغر -روايت-١-٣٢ ٩١٢-النمام جسر الشر -روايت-١-٢٢ ٩١٣- لاتشن وجه العفو بالتقريع -روايت-١-٣٤ ٩١٤-كثرة النصح تهجم بك على كثرة الظنة -روايت-١-٤٢ ٩١٥-لكل ساقطة لاقطة -روايت-١-٢٢ ٩١٦-ستساق إلى ما أنت لاق -روايت-١-٢٩ ٩١٧-عاداك من لاحاك -روايت-١-٢٢ ٩١٨-جدك لاكدك -روايت-١-١٧ ٩١٩-تذكر قبل الورد الصدر والحذر لايغنى من القدر والصبر من أسباب الظفر -روايت-١-٧٤ ٩٢٠-عار النساء باق يلحق الأبناء بعدالآباء -روايت-١-٤٥ ٩٢١-أعجل العقوبة عقوبة البغى والغدر واليمين الكاذبة و من إذاتضرع إليه وسئل العفو لم يغفر -روايت-١-٩٧ [صفحه ٣٤٢] ٩٢٢- لاترد بأس العدو القوى وغضبه بمثل الخضوع والذل كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثنائه معها كيفما مالت -روايت-١-١١٨ ٩٢٣-قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك و لاتفرط فى مقاربته فتذل نفسك وناصرك وتأمل حال الخشبة المنصوبة فى الشمس التى إن أملتها زاد ظلها و إن أفرطت فى الإمالة نقص الظل -روايت-١-١٨١ ٩٢٤- إذازال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسد على غير شىء -روايت-١-٦٥ ٩٢٥-العجز نائم والحزم يقظان -روايت-١-٣٢ ٩٢٦- من تجرأ لك تجرأ عليك -روايت-١-٢٨ ٩٢٧- ماعفا عن الذنب من قرع به -روايت-١-٣٤ ٩٢٨- عبدالشهوة أذل من عبدالرق -روايت-١-٣٤ ٩٢٩- ليس ينبغى للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه عليه ممتنعة -روايت-١-٦٩ ٩٣٠- الناس رجلان واجد لايكتفى وطالب لايجد -روايت-١-٤٦ ٩٣١-كلما كثر خزان الأسرار زادت ضياعا -روايت-١-٤٠ ٩٣٢-كثرة الآراء مفسدة كالقدر لاتطيب إذ كثر طباخوها -روايت-١-٥٣ ٩٣٣- من اشتاق خدم و من خدم اتصل و من اتصل وصل و من وصل عرف -روايت-١-٦٨ ٩٣٤-عجبا لمن يخرج إلى البساتين للفرجة على القدرة وهلا شغلته رؤية القادر عن رؤية القدرة -روايت-١-٩٢ ٩٣٥- كل الناس أمروا بأن يقولوا لاإله إلا الله إلا رسول الله فإنه رفع قدره عن ذلك وقيل له فاعلم أنه لاإله إلا الله فأمر بالعلم لابالقول -روايت-١-١٥٢ [صفحه ٣٤٣] ٩٣٦- كل مصطنع عارفة فإنما يصنع إلى نفسه فلاتلتمس من غيرك شكر مأأتيته إلى نفسك وتممت به لذتك ووقيت به عرضك -روايت-١-١١٨ ٩٣٧- ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هوعدوك أوصديقك -روايت-١-٥٩ ٩٣٨- من قبل معروفك فقد باعك مروءته -روايت-١-٤٠ ٩٣٩- إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن -روايت-١-٤٩ ٩٤٠- من أكثر المشورة لم يعدم عندالصواب مادحا و عندالخطإ عاذرا -روايت-١-٦٥ ٩٤١- من كثر حقده قل عتابه -روايت-١-٣٠ ٩٤٢-الحازم من لم يشغله البطر بالنعمة عن العمل للعاقبة والهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها -روايت-١-٩٢ ٩٤٣-كلما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا فيها -روايت-١-٤٥ ٩٤٤- من قبل عطاءك فقد أعانك على الكرم و لو لا من يقبل الجود لم يكن من يجود -روايت-١-٨٢ ٩٤٥-إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضا -روايت-١-٤٧ ٩٤٦-زلة العالم كانكسار السفينة تغرق ويغرق معها خلق -روايت-١-٥٦ ٩٤٧-أهون الأعداء كيدا أظهرهم لعداوته -روايت-١-٤١ ٩٤٨-أبق لرضاك من غضبك و إذاطرت فقع قريبا -روايت-١-٤٧ ٩٤٩-لاتلتبس بالسلطان فى وقت اضطراب الأمور عليه فإن البحر لايكاد يسلم صاحبه فى حال سكونه فكيف يسلم مع اختلاف رياحه واضطراب أمواجه -روايت-١-١٤٦ ٩٥٠- إذاخلى عنان العقل و لم يحبس على هوى نفس أوعادة دين أوعصبية لسلف ورد بصاحبه على النجاة -روايت-١-١٠١ [صفحه ٣٤٤] ٩٥١- إذازادك الملك تأنيسا فزده إجلالا -روايت-١-٤٢ ٩٥٢- من تكلف ما لايعنيه فاته مايعنيه -روايت-١-٤٢ ٩٥٣-قليل يترقى منه إلى كثير خير من كثير ينحط عنه إلى قليل -روايت-١-٦٤ ٩٥٤-جنبوا موتاكم فى مدافنهم جار السوء فإن الجار الصالح ينفع فى الآخرة كماينفع فى الدنيا -روايت-١-٩٤ ٩٥٥-زر القبور تذكر بهاالآخرة وغسل الموتى يتحرك قلبك فإن الجسد الخاوى عظة بليغة وصل على الجنائز لعله يحزنك فإن الحزين قريب من الله -روايت-١-١٤٣ ٩٥٦-الموت خير للمؤمن والكافر أماالمؤمن فيتعجل له النعيم و أماالكافر فيقل عذابه وآية ذلك من كتاب الله

تعالى وَ ما عِندَ اللّهِ خَيرٌ لِلأَبرارِوَ لا يَحسَبَنّ الّذِينَ كَفَرُوا أَنّما نُملِي لَهُم خَيرٌ لِأَنفُسِهِم إِنّما نُملِي لَهُم لِيَزدادُوا إِثماً -روايت-١-٢٦٨ ٩٥٧-جزعك فى مصيبة صديقك أحسن من صبرك وصبرك فى مصيبتك أحسن من جزعك -روايت-١-٧٥ ٩٥٨- من خاف إساءتك اعتقد مساءتك و من رهب صولتك ناصب دولتك -روايت-١-٦٦ ٩٥٩- من فعل ماشاء لقى ماشاء -روايت-١-٣١ ٩٦٠-يسرنى من القرآن كلمة أرجوها لمن أسرف على نفسه قالَ عَذابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشاءُ وَ رَحمَتِي وَسِعَت كُلّ شَيءٍفجعل الرحمة عموما والعذاب خصوصا -روايت-١-١٥٨ [صفحه ٣٤٥] ٩٦١-الاستئثار يوجب الحسد والحسد يوجب البغضة والبغضة توجب الاختلاف والاختلاف يوجب الفرقة والفرقة توجب الضعف والضعف يوجب الذل والذل يوجب زوال الدولة وذهاب النعمة -روايت-١-١٧٦ ٩٦٢- لايكاد يصح رؤيا الكذاب لأنه يخبر فى اليقظة بما لم يكن فأحر به أن يرى فى المنام ما لا يكون -روايت-١-١٠٤ ٩٦٣-يفسدك الظن على صديق قدأصلحك اليقين له -روايت-١-٤٩ ٩٦٤- لاتكاد الظنون تزدحم على أمر مستور إلاكشفته -روايت-١-٥٢ ٩٦٥-المشورة راحة لك وتعب على غيرك -روايت-١-٣٨ ٩٦٦-حق كل سر أن يصان وأحق الأسرار بالصيانة سرك مع مولاك وسره معك واعلم أن من فضح فضح و من باح فلدمه أباح -روايت-١-١٢٠ ٩٦٧- يا من ألم بجناب الجلال احفظ ماعرفت واكتم مااستودعت واعلم أنك قدرشحت لأمر فافطن له و لاترض لنفسك أن تكون خائنا فمن يؤد الأمانة فيما استودع أخلق الناس بسمة الخيانة وأجدر الناس بالإبعاد والإهانة -روايت-١-٢١٥ ٩٦٨- لاتعامل العامة فيما أنعم به عليك من العلم كماتعامل الخاصة واعلم أن لله سبحانه رجالا أودعهم أسرارا خفية ومنعهم عن إشاعتها واذكر قول العبد الصالح لموسى و قد قال له هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا -روايت-١-٢٨٨ ٩٦٩-لكل دار باب و باب دار الآخرة الموت -روايت-١-٤٣ ٩٧٠- إن لك فيمن مضى من آبائك وإخوانك لعبرة و إن ملك الموت دخل -روايت-١-ادامه دارد [صفحه ٣٤٦] على داود النبى فقال من أنت قال من لايهاب الملوك و لاتمنع منه القصور و لايقبل الرشا قال فإذن أنت ملك الموت جئت و لم أستعد بعد فقال فأين فلان جارك أين فلان نسيبك قال ماتوا قال أ لم يكن لك فى هؤلاء عبرة لتستعد -روايت-از قبل-٢٣٣ ٩٧١- ماأخسر صفقة الملوك إلا من عصم الله باعوا الآخرة بنومة -روايت-١-٦٢ ٩٧٢- إن هذاالموت قدأفسد على الناس نعيم الدنيا فما لكم لاتلتمسون نعيما لاموت بعده -روايت-١-٩٠ ٩٧٣-انظر العمل ألذى يسرك أن يأتيك الموت و أنت عليه فافعله الآن فلست تأمن أن تموت الآن -روايت-١-٩٨ ٩٧٤- لاتستبطئ القيامة فتسكن إلى طول المدة الآتية عليك بعدالموت فإنك لاتفرق بعدعودك بين ألف سنة و بين ساعة واحدة ثم قرأوَ يَومَ يَحشُرُهُم كَأَن لَم يَلبَثُوا إِلّا ساعَةً مِنَ النّهارِالآية -روايت-١-٢٠٠ ٩٧٥- لابد لك من رفيق فى قبرك فاجعله حسن الوجه طيب الريح و هوالعمل الصالح -روايت-١-٨٤ ٩٧٦-رب مرتاح إلى بلد و هو لايدرى أن حمامه فى ذلك البلد -روايت-١-٦١ ٩٧٧-الموت قانص يصمى و لايشوى -روايت-١-٣٤ ٩٧٨- ما من يوم إلايتصفح ملك الموت فيه وجوه الخلائق فمن رآه على معصية أولهو أورآه ضاحكا فرحا قال له يامسكين ماأغفلك عما يراد بك اعمل ماشئت فإن لى فيك غمرة أقطع بهاوتينك -روايت-١-١٩٠ [صفحه ٣٤٧] ٩٧٩- إذاوضع الميت فى قبره اعتورته نيران أربع فتجيء الصلاة فتطفئ واحدة ويجيء الصوم فيطفئ واحدة وتجيء الصدقة فتطفئ واحدة ويجيء العلم فيطفئ الرابعة و يقول لوأدركتهن لأطفأتهن كلهن فقر عينا فأنا معك ولن ترى بؤسا -روايت-١-٢٣١ ٩٨٠-استجيروا بالله تعالى واستخيروه فى أموركم فإنه لايسلم مستجيرا و لايحرم مستخيرا -روايت-١-٩٠ ٩٨١- أ لاأدلكم على ثمرة الجنة لاإله إلا الله بشرط الإخلاص -روايت-١-٦٢ ٩٨٢- من شرف هذه الكلمة وهى الحمد لله أن الله تعالى جعلها فاتحة كتابه وجعلها خاتمة دعوى أهل جنته فقال وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين -روايت-١-١٥٢ ٩٨٣-ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم وكالدار العامرة بين الربوع الخربة -روايت-١-٩٥ ٩٨٤-أفضل الأعمال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله سبحانه -روايت-١-

۶۰ ۹۸۵-الذکر ذکران أحدهما ذکر الله وتحمیده فما أحسنه وأعظم أجره والثانی ذکر الله عند ماحرم الله و هوأفضل من الأول -روایت-۱-۱۲۴ ۹۸۶- ماأضیق الطریق علی من لم یکن الحق تعالی دلیله و ماأوحشها علی من لم یکن أنیسه و من اعتز بغیر عز الله ذل و من تکثر بغیر الله قل -روایت-۱-۱۴۴ ۹۸۷- أللهم إن فههت عن مسألتی أوعمهت عن طلبتی فدلنی علی مصالحی وخذ بناصیتی إلی مراشدی أللهم احملنی علی عفوک و لاتحملنی علی عدلک -روایت-۱-۱۴۱ ۹۸۸-مخ الإیمان التقوی والورع وهما من أفعال القلوب وأحسن أفعال الجوارح ألا تزال مالئا فاک بذکر الله سبحانه -روایت-۱-۱۱۹ [صفحه ۳۴۸] ۹۸۹- أللهم فرغنی لماخلقتنی له و لاتشغلنی بما تکفلت لی به و لاتحرمنی و أناأسألک و لاتعذبنی و أناأستغفرک -روایت-۱-۱۱۵ ۹۹۰-سبحان من ندعوه لحظنا فیسرع ویدعونا لحظنا فنبطئ خیره إلینا نازل وشرنا إلیه صاعد و هومالک قادر -روایت-۱-۱۰۵ ۹۹۱- أللهم إنا نعوذ بک من بیات غفلة وصباح ندامة -روایت-۱-۵۲ ۹۹۲- أللهم إنی أستغفرک لماتبت منه إلیک ثم عدت فیه وأستغفرک لماوعدتک من نفسی ثم أخلفتک وأستغفرک للنعم التی أنعمت بها علی فتقویت بها علی معصیتک -روایت-۱-۱۵۹ ۹۹۳- أللهم إنی أعوذ بک أن أقول حقا لیس فیه رضاک ألتمس به أحدا سواک وأعوذ بک أن أتزین للناس بشیء یشیننی عندک وأعوذ بک أن أکون عبرة لأحد من خلقک وأعوذ بک أن یکون أحد من خلقک أسعد بما علمتنی منی -روایت-۱-۲۱۴ ۹۹۴- یا من لیس إلا هو یا من لایعلم ما هو إلا هواعف عنی -روایت-۱-۶۲ ۹۹۵- أللهم إن الآمال منوطة بکرمک فلاتقطع علائقها بسخطک أللهم إنی أبرأ من الحول والقوة إلابک وأدرأ بنفسی عن التوکل علی غیرک -روایت-۱-۱۳۵ ۹۹۶- أللهم صل علی محمد وآل محمدکلما ذکره الذاکرون وصل علی محمد وآل محمدکلما غفل عن ذکره الغافلون أللهم صل علی محمد وآل محمدعدد کلماتک وعدد معلوماتک صلاة لانهایة لها و لاغایة لأمدها -روایت-۱-۱۹۸ ۹۹۷-سبحان الواحد ألذی لیس غیره سبحان الدائم ألذی لانفاد له سبحان القدیم ألذی لاابتداء له سبحان الغنی عن کل شیء و لا شیء من الأشیاء یغنی عنه -روایت-۱-۱۵۶ [صفحه ۳۴۹] ۹۹۸- یا الله یارحمان یارحیم یاحی یاقیوم یابدیع السماوات و الأرض یاذا الجلال والإکرام اعف عنی -روایت-۱-۱۰۶ و هذاحین انتهاء قولنا فی شرح نهج البلاغة و لم ندرک ماأدرکناه منه بقوتنا وحولنا فإنا عاجزون عما هودونه ولقد شرعنا فیه وإنه لفی أنفسنا کالطود الأملس تزل الوعول العصم عن قذفاته بل کالفلک الأطلس لاتبلغ الأوهام والعقول إلی حدود غایاته فما زالت معونة الله سبحانه و تعالی تسهل لنا حزنه وتذلل لنا صعبه حتی أصحب أبیه وأطاع عصیه وفتحت علینا بحسن النیة وإخلاص الطویة فی تصنیفه أبواب البرکات وتیسرت علینا مطالب الخیرات حتی لقد کان الکلام ینثال علینا انثیالا ویؤاتینا بدیهة وارتجالا فتم تصنیفه فی مدة قدرها أربع سنین وثمانیة أشهر وأولها غرة شهر رجب من سنة أربع وأربعین وستمائة وآخرها سلخ صفر من سنة تسع وأربعین وستمائة و هومقدار مدة خلافة أمیر المؤمنین ع و ما کان فی الظن والتقدیر أن الفراغ منه یقع فی أقل من عشر سنین إلا أن الألطاف الإلهیة والعنایة السماویة شملتنا بارتفاع العوائق وانتفاء الصوارف وشحذت بصیرتنا فیه وأرهفت همتنا فی تشیید مبانیه وتنضید ألفاظه ومعانیه . و کان لسعادة المجلس المولوی المؤیدی الوزیری أجری الله بالخیر أقلامه وأمضی [صفحه ۳۵۰] فی طلی الأعداء حسامه فی المعونة علیه أوفر قسط وأوفی نصیب وحظ إذ کان مصنوعا لخزانته وموسوما بسمته ولأن همته أعلاها الله مازالت تتقاضی عنده بإتمامه وتحثه علی إنجازه وإبرامه وناهیک بها من همة راضت الصعب الجامح وخففت العب ء الفادح ویسرت الأمر العسیر وقطعت المدی الطویل فی الزمن القصیر. و قداستعملت فی کثیر من فصوله فیما یتعلق بکلام المتکلمین والحکماء خاصة ألفاظ القوم مع علمی بأن العربیة لاتجیزها نحو قولهم المحسوسات وقولهم الکل والبعض وقولهم الصفات الذاتیة وقولهم الجسمانیات وقولهم أماأولا فالحال کذا ونحو ذلک مما لایخفی عمن له أدنی أنس بالأدب ولکنا استهجنا تبدیل ألفاظهم وتغییر عباراتهم فمن کلم قوما کلمهم باصطلاحهم و من دخل ظفار حمر. والنسخة التی بنی هذاالشرح علی نصها أتم نسخة وجدتها بنهج البلاغة فإنها مشتملة

على زيادات تخلو عنها أكثر النسخ . و أناأستغفر الله العظيم من كل ذنب يبعد من رحمته و من كل خاطر يدعو إلى الخروج عن طاعته وأستشفع إليه بمن أنصبت جسدى وأسهرت عينى وأعملت فكرى واستغرقت طائفة من عمرى فى شرح كلامه والتقرب إلى الله بتعظيم منزلته ومقامه أن يعتق رقبتى من النار وألا يبتلينى فى الدنيا ببلاء تعجز عنه قوتى وتضعف عنه طاقتى و أن يصون وجهى عن المخلوقين ويكف عنى عادية الظالمين إنه سميع مجيب وحسبنا الله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبى وآله وسلامه

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَى الرِّضا – عليهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثَّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ عليهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم ينطفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ مِن خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثَّقلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلى التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى. - من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقعَ اُخرَ ه) إنتاج المُنتجات العرضيّة، الخِطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية

المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلۀ السّنۀ المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد"/ ما بینَ شارع "پنج رَمَضان" ومُفترَق "وفائی"/بنایۀ "القائمیّۀ" تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّۀ الشمسیّۀ (=۱۴۲۷ الهجریۀ القمریّۀ) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّۀ الوطنیّۀ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التِجاریّۀ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظۀ هامّۀ: المیزانیّۀ الحالیّۀ لهذا المرکز، شعبیّۀ، تبرّعیّۀ، غیر حکومیّۀ، و غیر ربحیّۀ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنَّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّۀ و العلمیّۀ الحالیّۀ و مشاریع التوسعۀ الثّقافیّۀ؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّۀ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحۀ بقیّۀ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فَرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مرکز القائمیه اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹